ربع ... من احيا العلوم تاليف الامام حجة

احمد الله اولا حمدا كثيرا متواليا وان كان يتضاءل دون حق جلاله حمد الحامدين
واصلي على رسوله ثانيا صلوة تستغرق مع سيد البشر سائر المرسلين واستخيره ثالثا
فيما انبعث له عزمي من تحرير كتاب في احياء علوم الدين وانتدب رابعا ايها العاذل
الغالي في العذل المنقطع تعجبت من زمرة الجاحدين المسرف في التقريع والانكار من
طبقات المنكرين الغافلين فلقد حل عن لساني عقدة الصمت وطوقني عهدة الكلام و
قلادة النطق ما انت مثابر عليه من العمى عن جلية الحق مع اللجاج في نصرة الباطل
وتحسين الجهل والتشغيب على من آثر النزوع قليلا عن مراسم الخلق ومال ميلا يسيرا
عن ملازمة الرسم الى العمل بمقتضى العلم طمعا في نيل ما تعبده الله به من تزكية النفس
واصلاح القلب وتداركا لبعض ما فرط من اضاعة العمر يأسا عن تمام التلافي و
الجبر وانحيازا عن غمار من قال فيهم صاحب الشرع [illegible] اشد الناس
عذابا يوم القيمة عالم لم ينفعه الله بعلمه ولعمر[illegible] على التكبر

العبادات والعادات والمهلكات

الاسلام محمد الغزالي يشتمل على

الا الداء الذي عم الجم الغفير بل شمل الجماهير من القصور عن ملاحظة ذروة
هذا الامر والجهل بان الامر اد والخطب جد والآخرة مقبلة والدنيا مدبرة و
الاجل قريب والسفر بعيد والزاد طفيف والخطر عظيم والطريق سد وما سوى الخالص
لوجه الله تعالى من العلم والعمل عند الناقد البصير رد وسلوك طريق الآخرة مع كثرة
الغوائل من غير دليل ولا رفيق صعب متعب مكد فادلة الطريق هم العلماء الذين هم
ورثة الانبياء وقد شغر عنهم الزمان ولم يبق الا المترسمون وقد استحوذ على اكثرهم
الشيطان واستغواهم الطغيان واصبح كل واحد بعاجل حظه مشغوفا فصار يرى
المعروف منكرا والمنكر معروفا حتى ظل علم الدين مندرسا ومنار الهدى في اقطار الارض
منطمسا ولقد خيلوا الى الخلق ان لا علم الا فتوى حكومة تستعين بها القضاة على فصل
الخصام عند تهارش الطغام او جدل يتدرع به طالب المباهاة الى الغلبة والافحام
او سجع مزخرف يتوسل به الواعظ الى استدراج العوام اذ لم يروا ما سوى هذه الثلثة

والمنجيات كل منها يحتوي على عشرة كتب

مصيبة للحرام وشبكة للحطام واما علم الآخرة وما درج عليه السلف مما سماه الله تعالى في كتابه فقها وحكمة وعلما وضياء
ونورا وهداية ورشدا فقد اصبح من بين الخلق مطويا وصار نسيا منسيا ولما كان هذا ثلما في الدين ملما وخطبا مدلهما
رايت الاشتغال بتحرير هذا الكتاب مهما احياء لعلوم الدين وكشفا عن مناهج الائمة المتقدمين وايضاحا لما هي العلوم النافعة
عند النبيين والسلف الصالحين سلام الله عليهم اجمعين ه ولقد اسسته على اربعة ارباع ربع العبادات وربع العادات
وربع المهلكات وربع المنجيات وصدرت الجملة بكتاب العلم لانه غاية المهم لاكشف اولا عن العلم الذي تعبد الرسول عليه السلم
الاعيان بطلبه اذ قال عليه السلم طلب العلم فريضة على كل مسلم واميز فيه العلم النافع عن الضار اذ قال عليه السلم اعوذ بك
من علم لا ينفع واحقق ميل اهل العصر عن شاكلة الصواب وانخداعهم بلامع السراب واقتناعهم بالقشر عن اللباب ويشتمل
ربع العبادات على عشر كتب كتاب العلم وكتاب قواعد العقائد وكتاب اسرار الطهارة وكتاب اسرار الصلوات وكتاب اسرار الزكوات
وكتاب اسرار الصيام وكتاب اسرار الحج وكتاب تلاوة القران وكتاب الاذكار والدعوات وكتاب الاوراد في الاوقات
واما ربع العادات فيشتمل على عشر كتب كتاب اداب الاكل وكتاب آداب النكاح وكتاب آداب الكسب
كتاب الحلال والحرام وكتاب آداب الصحبة والعشرة مع اصناف الخلق وكتاب العزلة وكتاب آداب السفر
وكتاب السماع والوجد وكتاب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وكتاب اخلاق النبوة وآداب المعيشة واما
ربع المهلكات فيشتمل على عشر كتب كتاب شرح عجايب القلب وكتاب رياضة النفس وكتاب آفة الشهوتين البطن والفرج
وكتاب آفات اللسان وكتاب آفات الغضب والحقد والحسد وكتاب ذم الدنيا وكتاب ذم المال والبخل وكتاب ذم الجاه والريا
وكتاب ذم الكبر والعجب وكتاب الغرور واما ربع المنجيات فيشتمل على عشر كتب كتاب التوبة وكتاب الصبر والشكر
وكتاب الخوف والرجا وكتاب الفقر والزهد وكتاب التوحيد والتوكل وكتاب المحبة والشوق والانس والرضا وكتاب
النية والصدق والاخلاص وكتاب المراقبة والمحاسبة وكتاب التفكر وكتاب ذكر الموت فاما ربع العبادات
فاذكر فيها من خفايا ادابها ودقائق سننها واسرار معانيها ما يضطر العالم العامل اليه بل لا يكون من علماء الآخرة من لا يطلع عليه
واكثر ذلك مما اهمل في فن الفقهيات واما ربع العادات فاذكر فيه اسرار المعاملات الجارية بين الخلق واغوارها ودقائق سننها
وخفايا الورع في مجاريها فهي مما لا يستغني متدين عنه واما ربع المهلكات فاذكر فيه كل خلق مذموم ورد القران باماطته
وتزكية النفس عنه وتطهير القلب عنه واذكر فيه اي في كل واحد من تلك الاخلاق حده وحقيقته ثم سببه الذي منه يتولد
ثم الآفات التي عليها تترتب ثم العلامات التي بها تتعرف ثم طرق المعالجة التي بها منها يتخلص كل ذلك مقرونا بشواهد الآيات
والاخبار والآثار واما ربع المنجيات فاذكر فيه كل خلق محمود وخصلة مرغوب فيها من خصال المقربين والصديقين التي بها يتقرب
العبد من رب العالمين واذكر في كل خصلة حدها وحقيقتها وسببها الذي به يجتلب وثمرتها التي منها تستفاد وعلامتها
التي بها يعرف وفضيلتها التي لاجلها فيها يرغب مع ما ورد فيها من شواهد الشرع والعقل ولقد صنف في بعض هذه المعاني كتب
كثيرة ولكن يتميز هذا الكتاب عنها بخمسة امور الاول حل ما عقدوه وكشف ما اجملوه الثاني ترتيب ما بددوه ونظم ما فرقوه
الثالث ايجاز ما طولوه وضبط ما قرروه الرابع حذف ما كرروه الخامس تحقيق امور غامضة اعتاصت على الافهام لم يتعرض
لها في الكتب اصلا اذ الكل وان تواردوا على منهج واحد فلا مستنكر ان يتفرد كل واحد من السالكين بالتنبيه لامر يخصه و
يغفل عنه رفقاؤه او لا يغفل عن التنبه له ولكن يسهو عن ايراده في الكتب او لا يسهو ولكن يصرفه عن كشف الغطاء عنه صارف فهذه

فهذه خواص هذا الكتاب مع كونه حاويا لمجامع هذه العلوم وانما حملني على اربعة ارباع امران احدهما وهو الباعث الاصلي ان هذا
الترتيب في التحقيق والتفهيم كالضروري لان العلم الذي يتوجه به الى الآخرة ينقسم الى علم المعاملة والى علم المكاشفة و
اعني بالمكاشفة ما يطلب منه كشف المعلوم فقط بعلم المعاملة ما يطلب منه مع الكشف العمل به والمقصود من هذا الكتاب علم
المعاملة فقط دون علم المكاشفة التي لا رخصة في ايداعها الكتب وان كانت هي غاية مقصد الطالبين ومطمح نظر الصديقين و
علم المعاملة طريق اليه ولكن لم يتكلم الانبياء عليهم السلام مع الخلق الا في علم الطريق والارشاد اليه واما علم المكاشفة فلم يتكلموا
فيه الا بالرمز والايماء على سبيل التمثيل والاجمال علما منهم بقصور افهام الخلق عن الاحتمال والعلماء ورثة الانبياء فما لهم سبيل
الى العدول عن نهج التاسي والاقتداء ثم ان علم المعاملة ينقسم الى شطرين ظاهر وباطن والشطر الظاهر المتعلق بالجوارح انقسم الى
علم ظاهر اعني العلم باعمال الجوارح والى علم باطن اعني العلم باعمال القلوب والجاري على الجوارح اما عبادة واما
عادة والوارد على القلوب التي هي بحكم الاحتجاب عن الحواس من عالم الملكوت اما محمود واما مذموم فبالواجب انقسم
هذا العلم الى عبادة وعادة والشطر الباطن المتعلق باحوال القلب واخلاق النفس انقسم الى محمود ومذموم فكان المجموع اربعة اقسام
ولا يشذ النظر في علم المعاملة عن هذه الاقسام الباعث الثاني اني رايت الرغبة من طلبة العلم صادقة في الفقه الذي صلح
عند من لا يخاف الله للتدرع به الى المباهاة والاستظهار بجاهه ومنزلته في المنافسات وهو مرتب على اربعة ارباع والمتزيي
بزي المحبوب محبوب فلم ابعد ان يكون تصوير هذا الكتاب بصورة الفقه تلطفا في استدراج القلوب ولهذا تلطف بعض من رام قلوب
الرؤساء الى الطب فوضعه على هيئة تقويم النجوم موضوعا في الجداول والرقوم وسماه تقويم الصحة ليكون انسهم بذلك الجنس
جاذبا لهم الى المطالعة والتلطف في اجتذاب القلوب الى العلم الذي يفيد حيوة الابد اهم من التلطف في اجتذابها الى الطب
الذي لا يفيد الا صحة الجسد فثمرة هذا العلم طب القلوب والارواح للتوصل به الى حيوة تدوم ابد الآباد فاين منها الطب الذي
يعالج به الاجساد وهي معرضة بالضرورة للفساد في اقرب الآماد فنسأل الله التوفيق للرشاد والسداد انه الكريم الجواد ه

كتاب العلم وفيه سبعة ابواب الباب الاول في فضل العلم والتعليم والتعلم الباب الثاني
في بيان فرض العين وفرض الكفاية من العلوم وبيان حد الفقه والكلام من علم الآخرة وعلم الدنيا الباب الثالث
فيما تعده العامة من علوم الدين وليس منها وفيه بيان جنس العلم المذموم وقدره الباب الرابع في آفات المناظرة
وسبب اشتغال الناس بالخلاف والجدل الباب الخامس في آداب المعلم والمتعلم الباب السادس في آفات العلم
والعلماء والعلامات الفارقة بين علماء الدنيا والآخرة في العقل وفضيلته واقسامه وما جاء فيه الاخبار الباب الاول

في فضل العلم والتعلم والتعليم وشواهده من النقل والعقل اما شواهد ذلك من القرآن فقول الله تعالى شهد الله انه لا اله
الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط فانظر كيف بدأ بنفسه وثنى بملائكته وثلث باهل العلم وناهيك بهذا شرفا وفضلا
ونبلا وجلالة وقال تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات وقال ابن عباس عليه السلم للعلماء درجات
فوق المؤمنين بسبعمائة درجة فوق المؤمنين ما بين الدرجتين مسيرة خمسمائة عام وقال تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون
وقال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وقال تعالى قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب وقال تعالى وقال الذي
عنده علم من الكتاب انا آتيك به تنبيها على انه اقتدر عليه بقوة العلم وقال تعالى وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن
آمن
ان عظم قدر الآخرة يعلم بالعلم وقال تعالى وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون وقال تعالى ولو ردوه

الباب السابع

الى الرسول والى اولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم رد حكمه فى الوقايع الى استنباطهم والحق رتبتهم برتبة الانبياء فى كشف حكم الله وقيل فى قوله تعالى يا بنى آدم قد انزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم يعنى العلم وريشا يعنى اليقين ولباس التقوى يعنى الحيا وقال تعالى ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم وقال تعالى بل هو آيات بينات فى صدور الذين اوتوا العلم وقال تعالى فلنقصن عليهم بعلم وقال تعالى خلق الانسان علمه البيان وانما ذكر ذلك فى معرض الامتنان واما الاخبار فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين ويلهمه رشده وقال عليه الصلوة والسلام العلماء ورثة الانبياء ومعلوم انه لا رتبة فوق رتبة النبوة ولا شرف فوق شرف الوراثة لتلك الرتبة وقال عليه السلام يستغفر للعالم ما فى السموات والارض واى منصب يزيد على منصب من تشتغل ملائكة السموات والارض بالاستغفار له وهو مشغول بنفسه وهم مشغولون له بالاستغفار وقال عليه السلام ان الحكمة تزيد الشريف شرفا وترفع المملوك حتى يجلس مجالس الملوك وقد نبه بهذا على ثمرته فى الدنيا ومعلوم ان الآخرة خير وابقى وقال عليه السلام خصلتان لا تكونان فى منافق حسن سمت وفقه فى الدين ولا تشكن فى الحديث لنفاق بعض فقهاء الزمان فانه ما اراد به الفقه الذى ظننته وسيأتى بيان معنى الفقه وادنى درجات الفقيه ان يعلم ان الآخرة خير من الدنيا وهذه المعرفة اذا صدقت وغلبت عليه برئ بها من النفاق والريا وقال عليه السلام افضل الناس المؤمن العالم الذى ان احتيج اليه نفع وان استغنى عنه اغنى نفسه وقال عليه السلام اقرب الناس من درجة النبوة اهل العلم واهل الجهاد اما اهل العلم فدلوا الناس على ما جاءت به الرسل واما اهل الجهاد فجاهدوا باسيافهم على ما جاءت به الرسل وقال عليه السلام لموت قبيلة ايسر من موت عالم وقال الناس معادن كمعادن الذهب والفضة فخيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الاسلام اذا فقهوا وقال عليه السلام يوزن يوم القيمة مداد العلماء بدم الشهداء وقال عليه السلام من حفظ من امتى اربعين حديثا من السنة حتى يؤديها اليهم كنت له شفيعا وشهيدا يوم القيمة وقال عليه السلام من تفقه فى دين الله كفاه الله همه ورزقه من حيث لا يحتسب وقال عليه وسلم اوحى الله الى ابرهيم يا ابرهيم انى عليم احب كل عليم وقال عليه السلام العالم امين الله فى الارض وقال عليه السلام صنفان من امتى اذا صلحوا صلح الناس واذا فسدوا فسد الناس الامراء والفقهاء وقال عليه السلام اذا اتى على يوم لا ازداد فيه علما يقربنى الى الله فلا بورك لى فى طلوع الشمس ذلك اليوم وقال عليه السلام فى تفضيل العلم على العبادة والشهادة فضل العالم على العابد كفضلى على ادنى رجل من اصحابى فانظر كيف جعل العلم مقارنا لدرجة النبوة وكيف حط رتبة العمل المجرد عن العلم وان كان العابد لا يخلو عن علم بالعبادة التى يواظب عليها ولولاه لم تكن عبادة وقال عليه السلام فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وقال عليه السلام يشفع يوم القيمة ثلثة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء فاعظم برتبة هى تلو النبوة وفوق الشهادة مع ما ورد فى فضل الشهداء وقال عليه السلام ما عبد الله بشئ افضل من فقه فى الدين ولفقيه واحد اشد على الشيطان من الف عابد ولكل شئ عماد وعماد هذا الدين الفقه وقال عليه السلام خير دينكم ايسره وافضل العبادة الفقه وقال عليه السلام فضل المؤمن العالم على المؤمن العابد سبعون درجة وقال عليه السلام انكم اصبحتم فى زمان كثير فقهاؤه قليل خطباؤه قليل سائلوه كثير معطوه العمل فيه خير من العلم وقال عليه السلام قيل يا رسول الله اى الاعمال افضل فقال العلم بالله عز وجل فقيل اى الاعمال تريد فقال العلم بالله فقيل نسأل عن العمل وتجيب عن العلم فقال عليه السلام ان قليل العمل ينفع مع العلم وان كثير العمل لا ينفع مع الجهل وقال عليه السلام بين العالم والعابد مائة درجة بين الدرجتين حضر الجواد المضمر سبعين سنة وقال عليه السلام يبعث الله العباد يوم القيمة ثم يبعث العلماء ثم يقول يا معشر العلماء انى لم اضع علمى فيكم الا لعلمى بكم ولم اضع علمى فيكم لاعذبكم اذهبوا فقد غفرت لكم ٥ واما الآثار فقد قال على بن ابى طالب عليه السلام يا كميل العلم خير من المال العلم يحرسك وانت تحرس المال والعلم حاكم والمال محكوم عليه والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو على الانفاق وقال كرم الله وجهه العالم افضل من الصائم القائم المجاهد واذا مات العالم ثلم فى الاسلام ثلمة لا يسدها الا خلف منه وقال ايضا كرم الله وجهه نظما

ما الفخر الا لاهل العلم انهم ... على الهدى لمن استهدى ادلاء
وقدر كل امرئ ما كان يحسنه ... والجاهلون لاهل العلم اعداء
ففز به لا تبغى حاهلا ابدا ... الناس موتى واهل العلم احياء ٥

وقال ابو الاسود ليس شئ اعز من العلم الملوك حكام على الناس والعلماء حكام على الملوك وقال ابن عباس رضى الله عنهما خير سليمان بن داود عليهما السلام بين العلم والمال والملك فاختار العلم فاعطى المال والملك معه سئل ابن المبارك عن الناس فقال العلماء قيل فمن الملوك قال الزهاد قيل فمن السفلة قال الذى ياكل بدينه ولم يجعل غير العالم من الناس لان الخاصية التى بها يتميز الناس عن البهائم هو العلم والانسان انسان بما هو شريف لاجله وليس ذلك بقوة شخصه فان الجمل اقوى منه وليس بعظمه فان الفيل اعظم منه ولا بشجاعته فان السبع اشجع منه ولا بأكله فان الجمل اوسع بطنا منه ولا ليجامع فان اخس العصافير اقوى على السفاد منه بل لم يخلق الا للعلم وقال بعض الحكماء ليت شعرى اى شئ ادرك من فاته العلم واى شئ فاته من ادرك العلم وقال فتح الموصلى اليس المريض اذا منع الطعام والشراب والدواء يموت قالوا بلى قال كذلك القلب اذا منع عنه الحكمة والعلم ثلثة ايام يموت ولقد صدق فان غذاء القلب العلم والحكمة وبهما حياته كما ان غذاء الجسد الطعام ومن فقد العلم فقلبه مريض وموته لازم ولكنه لا يشعر به اذ حب الدنيا وشغله بها ابطل احساسه كما ان غلبة الخوف قد يبطل احساس الم الجرح فى الحال وان كان واقعا فاذا حط الموت عنه اعباء الدنيا احس بهلاكه وتحسر تحسرا ثم لا ينفعه وذلك كاحساس الامن من خوفه والمفيق عن سكره بما اصابه من الجراحات فى حال السكر والخوف فنعوذ بالله من يوم كشف الغطاء فان الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا وقال الحسن البصرى يوزن مداد العلماء بدم الشهداء وقال ابن مسعود عليكم بالعلم قبل ان يرفع ورفعه ان يهلك رواته فوالذى نفسى بيده ليودن رجال قتلوا فى سبيل الله شهداء ان يبعثهم الله علماء لما يرون من كرامتهم وان احدا لم يولد عالما وانما العلم بالتعلم وقال ابن عباس تذاكر العلم بعض ليلة احب الى من احيائها وكذا عن ابى هريرة واحمد بن حنبل وقال الحسن فى قوله تعالى ربنا آتنا فى الدنيا حسنة هى العلم والعبادة وفى الآخرة حسنة هى الجنة وقيل لبعض الحكماء اى شئ تقتنى قال الاشياء التى اذا غرقت سفينتك سبحت معك يعنى العلم وقيل اراد بغرق السفينة هلاك بدنه بالموت وقال بعضهم من اتخذ الحكمة لجاما اتخذه الناس اماما ومن عرف بالحكمة لاحظته العيون بالوقار وقال الشافعى رحمه الله من شرف العلم ان كل من نسب اليه ولو فى شئ حقير فرح به ومن دفع عنه حزن وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ايها الناس عليكم بالعلم فان لله رداء محبة فمن طلب بابا من العلم رداه الله بردائه فان اذنب ذنبا استعتبه فان اذنب ذنبا استعتبه فان اذنب ذنبا استعتبه لئلا يسلبه رداءه ذلك وان تطاول به ذلك الذنب حتى يموت وقال الاحنف كاد العلماء ان يكونوا اربابا وكل عز لم يوطد بعلم فالى ذل مصيره وقال سالم بن ابى الجعد اشترانى مولاى بثلثمائة درهم واعتقنى فقلت باى حرفة احترف فاحترفت بالعلم فما تمت لى سنة حتى اتانى امير المدينة زائرا فلم آذن له وقال الزبير بن ابى بكر كتب الى ابى بالعراق عليك بالعلم فانك ان افتقرت كان لك مالا وان استغنيت كان لك جمالا وقد حكى ذلك فى وصية لقمان لابنه وقال يا بنى جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فان الله يحيى القلوب بنور الحكمة كما يحيى الارض بوابل المطر وقال بعض الحكماء اذا مات العالم بكاه الحوت فى الماء والطير فى الهواء ويفقد وجهه ولا ينسى ذكره وقال الزهرى العلم ذكر ولا يحبه الا ذكور الرجال

فى فضيلة التعلم اما الآيات فقوله تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين وقوله عز وجل فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون واما الاخبار فقد قال عليه السلام من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا الى الجنة وقال عليه السلام لان تغدو فتتعلم بابا من العلم خير من ان تصلى مائة ركعة وقال صلوات الله عليه باب من العلم يتعلمه الرجل خير له من الدنيا

وقال طلب العلم فريضة على كل مسلم وقال عليه السلم اطلبوا العلم ولو بالصين وقال العلم خزائن مفاتيحها السؤال فاسئلوا
فانه يوجر فيه اربعة السائل والعالم والمستمع والمجيب لهم وقال عليه السلم لا ينبغي للجاهل ان يسكت على جهله ولا للعالم
ان يسكت على علمه وفي حديث ابي ذر حضور مجلس عالم افضل من صلوة الف ركعة وعيادة الف مريض وشهود الف جنازة قيل
يا رسول الله ومن قراءة القرآن قال وهل ينفع القرآن الا بالعلم وقال عليه السلم في الجنة من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيي به
الاسلام فبينه وبين الانبياء في الجنة درجة واحدة واما الآثار فقد قال ابن عباس رضي الله عنه ذللت طالبا
فعززت مطلوبا وكذلك قال ابن ابي مليكة ما رايت مثل ابن عباس اذا رايته رايت احسن الناس واذا تكلم فاعرب الناس واذا افتى فاكثر
الناس علما قال ابن المبارك عجبت لمن لم يطلب العلم كيف تدعوه نفسه الى مكرمة وقال بعض الحكماء اني لا ارحم رجالا كرحمتي لاحد رجلين
رجل يطلب العلم ولا يفهم ورجل يفهم ولا يطلب العلم وقال ابو الدرداء لان اتعلم مسئلة احب الي من قيام ليلة وقال العالم والمتعلم
شريكان في الخير وسائر الناس همج لا خير فيهم وقال ايضا كن عالما او متعلما او مستمعا ولا تكن الرابع فتهلك وقال عطاء مجلس
ذكر يكفر سبعين مجلسا من مجالس اللهو وقال عمر رضي الله عنه موت الف عابد قائم الليل والنهار اهون من موت عاقل بصير بحلال
الله وحرامه وقال طلب العلم افضل من النافلة وقال ابن عبد الحكيم كنت اقرا عند مالك العلم فدخل الظهر فجمعت الكتب لاصلي
فقال يا هذا ما الذي قمت اليه بافضل مما كنت فيه اذا صحت النية وقال ابو الدرداء من راى ان الغدو الى العلم ليس بجهاد فقد نقص
في رايه وعقله

فضيلة التعليم

اما الآيات فقوله تعالى ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم والمراد هو التعليم والارشاد وقوله
تعالى واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه وهو ايجاب للتعليم وقال وان فريقا منهم ليكتمون الحق
وهم يعلمون وهو تحريم للكتمان كما قال في الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه وقال النبي صلى الله عليه وسلم ما آتى الله عالما
علما الا اخذ عليه من الميثاق ما اخذ من النبيين ان يبينه ولا يكتمه وقال تعالى ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال
ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وقال ويعلمهم الكتاب والحكمة واما الاخبار فقد قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لما بعث معاذا الى اليمن لان يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من الدنيا وما فيها وقال عليه السلم من تعلم بابا
من العلم ليعلم الناس اعطي ثواب سبعين صديقا وقال عيسى عليه السلم من علم وعمل وعلم فذلك يدعى عظيما في ملكوت السموات وقال
النبي عليه الصلوة والسلام اذا كان يوم القيمة يقول الله للعابدين والمجاهدين ادخلوا الجنة فيقول العلماء بفضل علمنا تعبدوا
وجاهدوا فيقول الله العظيم انتم عندي كبعض ملائكتي اشفعوا تشفعوا فيشفعون ثم يدخلون الجنة وهذا انما يكون للعلم المتعدي
بالتعليم لا اللازم الذي لا يتعدى وقال صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينزع العلم انتزاعا من الناس بعد ان يؤتيهم اياه ولكن يذهب
بذهاب العلماء فكلما ذهب عالم ذهب بما معه من العلم حتى اذا لم يبق الا رؤساء جهالا ان سئلوا افتوا بغير علم فيضلون ويضلون وقال
عليه السلم من علم علما فكتمه الجم يوم القيمة بلجام من نار وقال نعم العطية ونعم الهدية كلمة حكمة تسمعها فتنطوي عليها ثم تحملها
الى اخ لك مسلم تعلمه اياها تعدل عبادة سنة وقال الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله وما والاه او معلما او متعلما وقال
عليه السلام ان الله وملائكته واهل السموات والارض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت في البحر ليصلون على معلم الناس الخير وقال
عليه السلم ما افاد المسلم اخاه فائدة افضل من حديث حسن بلغه فبلغه وقال صلوات الله عليه كلمة من الخير يسمعها المؤمن فيعمل
بها ويعلمها خير له من عبادة سنة وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فراى مجلسين احدهما يدعون الله ويرغبون
اليه والثاني يعلمون الناس فقال اما هؤلاء فيسألون الله ان شاء اعطاهم وان شاء منعهم واما هؤلاء فيعلمون الناس وانما

وانما بعثت معلما ثم عدل اليهم وجلس معهم وقال عليه السلم مثل ما بعثني الله به من العلم والهدى كمثل الغيث الكثير اصاب ارضا
وكانت منها بقعة قبلت الماء فانبتت الكلأ والعشب الكثير وكانت منها بقعة امسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا
وكانت منها بقعة لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فالاول ذكره مثلا للمنتفع بعلمه والثاني ذكره مثلا للنافع والثالث ذكره
مثلا للمحروم منهما وقال عليه السلم اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلث علم ينتفع به وقال الدال على الخير كفاعله وقال لا
حسد الا في اثنين رجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها الناس ورجل آتاه الله مالا فهو ينفق منه في سبيل الله كثيرا سرا وجهرا
وقال عليه السلم على خلفائي رحمة الله قيل من خلفاؤك قال الذين يحيون سنتي ويعلمونها عباد الله واما الآثار فقد
قال عمر رضي الله عنه معلم الخير يستغفر له كل شيء حتى الحوت في البحر قال بعض العلماء العالم يدخل فيما بين الله وبين خلقه فلينظر
كيف يدخل وقد روي ان سفيان الثوري قدم عسقلان فمكث لا يسأله انسان فقال اكروا لي لاخرج من هذا البلد هذا بلد يموت
فيه العلم وانما قال ذلك حرصا على فضيلة التعليم واستبقاء للعلم به وقال عطاء دخلت على سعيد بن المسيب وهو يبكي فقلت
ما يبكيك قال ليس احد يسألني عن شيء وقال بعضهم العلماء سرج الازمنة كل واحد مصباح زمانه يستضيء به اهل عصره وقال
الحسن رحمه الله لولا العلماء لصار الناس مثل البهائم اي انهم بالتعليم يخرجون الناس من حد البهيمية الى حد الانسانية
وقال عكرمة ان لهذا العلم ثمنا قيل وما هو قال ان تضعه فيمن يحسن حمله ولا يضيعه وقال يحيى بن معاذ العلماء ارحم بامة
محمد من آبائهم وامهاتهم قيل كيف ذلك قال لان آباءهم وامهاتهم يحفظونهم من نار الدنيا وهم يحفظونهم من نار الآخرة
وقيل اول العلم الصمت ثم الاستماع ثم الحفظ ثم العمل ثم النشر وقيل علم علمك من يجهل وتعلم ممن يعلم فانك ان فعلت ذلك علمت
ما جهلت وحفظت ما علمت وقال معاذ بن جبل في التعليم والتعلم ورايته ايضا مرفوعا تعلموا العلم فان تعلمه لله حسنة وطلبه
عبادة ومدارسته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة وبذله لاهله قربة وهو الانيس في الوحدة والصاحب في
الخلوة والدليل على السراء والضراء والوزير عند الاخلاء والقريب عند الغرباء ومنار سبيل الجنة يرفع الله به اقواما فيجعلهم في
الخير قادة هداة يقتدى بهم ادلة في الخير تقتص آثارهم وترمق افعالهم وترغب الملائكة في خلتهم وباجنحتها تمسحهم وكل رطب
ويابس يستغفر لهم حتى الحيتان في البحر وهوامه وسباع البر وانعامه والسماء ونجومها لان العلم حيوة القلوب من العمى ونور الابصار
من الظلم وقوة الابدان من الضعف يبلغ به يطاع الله وبه يوحد وبه يتورع وبه توصل الارحام وهو امام والعمل تابعه يلهمه
السعداء ويحرمه الاشقياء

في الشواهد العقلية

اعلم ان المطلوب من هذا الكتاب معرفة فضيلة العلم ونفاسته وما لم يفهم الفضيلة
في نفسها ولم يتحقق المراد منها لم يمكن ان يعلم وجودها صفة للعلم او لغيره من الخصال فلقد ضل عن الطريق من طمع ان يعرف ان زيدا
حكيم ام لا وهو بعد لم يعرف معنى الحكمة وحقيقتها فالفضيلة ماخوذة من الفضل وهي الزيادة فاذا تشارك شيئان في امر واختص
احدهما بمزيد يقال فضله وله الفضل مهما كانت زيادته فيما هو كمال ذلك الشيء كما يقال الفرس افضل من الحمار بمعنى انه يشاركه في قوة
الحمل ويزيد عليه بقوة الكر والفر وشدة العدو وحسن الصورة فلو فرض حمار اختص بسلعة زائدة لم يقل انه افضل لان تلك
زيادة في الجسم وهو نقصان في المعنى وليس من الكمال في شيء والحيوان مطلوب لمعناه وصفاته لا لجسمه واذا فهمت هذا لم يخف عليك
ان العلم فضيلة [illegible] اضافة الى سائر الحيوانات بل شدة العدو فضيلة من الفرس وليس فضيلة على الاطلاق والعلم فضيلة في
ذاته وعلى الاطلاق من غير اضافة فانه وصف كمال الله تعالى وبه شرف الملائكة والانبياء بل الكيس من الخيل خير من البليد فهي فضيلة
على الاطلاق من غير اضافة واعلم ان الشيء النفيس المرغوب فيه ينقسم الى ما يطلب [illegible] اشرف وافضل مما يطلب لغيره والخلق

من حدث بحديث فعمل به فله اجر ذلك العمل قال ابن عباس رضي الله عنه

لغيره الدراهم والدنانير فانهما حجران لا منفعة فيهما ولولا ان الله تعالى يسر قضاء الحاجات بهما لكانا والحصباء بمثابة واحدة واما الذي يطلب لذاته فالسعادة في الاخرة ولذة النظر الى وجه الله واما الذي يطلب لذاته ولغيره فكالسلامة فان سلامة الرجل مطلوبة من حيث انه سلامة من الالم ومطلوبة للمشي بها والتوصل الى المآرب والحاجات وبهذا الاعتبار اذا نظرت الى العلم رايته لذيذا في نفسه فيكون مطلوبا لذاته ووجدته وسيلة الى دار الآخرة وسعادتها وذريعة الى القرب من الله تعالى ولا يتوصل اليه الا به واعظم الاشياء رتبة في حق الآدمي السعادة الابدية وافضل الاشياء ما هو وسيلة اليها ولن يتوصل الى ذلك الا بالعلم بكيفية العمل فاصل السعادات في الدنيا والآخرة هو العلم فهو اذا افضل الاعمال وكيف لا وقد يعرف فضيلة الشيء ايضا بشرف ثمرته وقد عرفت ان ثمرة العلم القرب من رب العالمين والالتحاق بافق الملائكة ومقاربة الملأ الاعلى هذا في الآخرة واما في الدنيا فالعز والوقار ونفوذ الحكم على الملوك ولزوم الاحترام في الطباع حتى ان اغبياء الترك واجلاف العرب يصادفون طباعهم مجبولة على التوقير لشيوخهم لاختصاصهم بمزيد علم مستفاد من التجربة بل البهيمة بطبعها توقر الانسان لشعورها بتمييز الانسان بكمال مجاوز لدرجتها هذه فضيلة العلم مطلقا ثم تختلف العلوم كما سياتي بيانه وتتفاوت لا محالة فضائلها بتفاوتها **اما فضيلة التعليم والتعلم** فظاهر مما ذكرناه فان العلم اذا كان افضل الامور كان تعلمه طلبا للافضل وكان تعليمه افادة للافضل وبيانه ان مقاصد الخلق مجموعة في الدين والدنيا ولا نظام للدين الا بنظام الدنيا فان الدنيا مزرعة الآخرة فهي الآلة الموصلة الى الله تعالى لمن اتخذها آلة ومنزلا ولم يتخذها وطنا ومستقرا وليس ينتظم امر الدنيا الا باعمال الآدميين واعمالهم وحرفهم وصناعاتهم تنحصر في ثلاثة اقسام **احدها** اصول لا قوام للعالم دونها وهي اربعة الزراعة وهي للمطعم والحياكة وهي للملبس والبناء وهي للمسكن والسياسة وهي للتألف والاجتماع والتعاون على اسباب المعيشة وضبطها **الثاني** ما هي مهيئة لكل واحدة من هذه الصناعات وخادمة لها كالحدادة فانها تخدم الزراعة وجملة من الصناعات باعداد آلتها وكالحلاجة والغزل فانها تخدم الحياكة باعداد محلها **الثالث** ما هي متممة للاصول ومزينة كالطحن والخبز للزراعة وكالقصارة والخياطة للحياكة وذلك بالاضافة الى قوام امر العالم الارضي مثل اجزاء الشخص بالاضافة اليه فانها ثلاثة اضرب اما اصول كالقلب والكبد والدماغ واما خادمة لها كالمعدة والعروق والشرايين والاعصاب والاوردة واما مكملة لها ومزينة كالاظفار والاصابع والحاجبين واشرف هذه الصناعات اصولها واشرف اصولها السياسة بالتأليف والاستصلاح ولذلك تستخدم لا محالة صاحب هذه الصناعة سائر الصناع والسياسة في استصلاح الخلق وارشادهم الى الطريق المستقيم المنجي في الدنيا والآخرة على اربع مراتب **الاولى** وهي العليا سياسة الانبياء وحكمهم على الخاصة والعامة في ظاهرهم وباطنهم **والثانية** سياسة الخلفاء والملوك والسلاطين وحكمهم على الخاصة والعامة جميعهم ولكن على ظاهرهم لا على باطنهم **والثالثة** العلماء بالله وبدينه الذين هم ورثة الانبياء وحكمهم على باطن الخاصة فقط ولا يرتفع فهم العامة الى الاستفادة منهم ولا ينتهي قوتهم الى التصرف في ظواهرهم بالمنع والالزام **والرابعة** الوعاظ وحكمهم على بواطن العوام فقط واشرف هذه السياسات الاربع بعد النبوة افادة العلم وتهذيب نفوس الناس عن الاخلاق المذمومة المهلكة وارشادهم الى الاخلاق المحمودة وهو المراد بالتعليم وانما قلنا ان هذا افضل من سائر الحرف والصناعات لان شرف الصناعات يعرف بثلثة امور اما بالالتفات الى الغريزة التي بها يتوصل الى معرفتها كفضل العلوم العقلية على اللغوية اذ تدرك الحكمة بالعقل واللغة بالسمع والعقل اشرف من السمع واما بالنظر الى عموم النفع كفضل الزراعة على الصياغة واما بملاحظة المحل الذي فيه التصرف كفضل الصياغة على الدباغة اذ محل احدهما الذهب ومحل الآخر جلد الميتة وليس يخفى ان العلوم الدينية وهي فقه طريق الآخرة انما يدرك بكمال العقل وصفاء

السياسة

الذكاء والعقل اشرف صفات الانسان كما سياتي بيانه اذ به تقبل امانة الله تعالى وبه يصل الى جوار الله تعالى واما عموم النفع فلا يستراب فيه فان نفعه وثمرته سعادة الآخرة واما شرف المحل فكيف يخفى والمتعلم متصرف في قلوب البشر ونفوسهم واشرف موجود على الارض جنس الانس واشرف جزء من الانسان قلبه والمعلم مشتغل بتكميله وتجليته وتطهيره وسياقته الى القرب من الله تعالى فتعليم العلم من وجه عبادة لله ومن وجه خلافة لله تعالى وهو اجل خلافة فان الله تعالى قد فتح على قلب العالم العلم الذي هو اخص صفاته فهو كالخازن لانفس خزائنه ثم هو مأذون في الانفاق على كل محتاج اليه فاي رتبة اجل من كون العبد واسطة بين ربه وبين خلقه في تقريبهم الى الله زلفى وسياقتهم الى جنة المأوى

الباب الثاني في العلم المحمود والمذموم

واقسامهما واحكامهما وفيه بيان ما هو فرض عين وما هو فرض كفاية وبيان ان موقع الفقه والكلام من علم الدين الى اي حد هو وتفضيل علم الآخرة **بيان** العلم الذي هو فرض عين قال النبي صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم وقال اطلبوا العلم ولو بالصين فاختلف الناس في العلم الذي هو فرض على كل مسلم وتحزبوا فيه اكثر من عشرين فرقة ولا نطول بنقل التفصيل ولكن حاصله ان كل فريق نزل الوجوب على العلم الذي هو بصدده فقال المتكلمون هو علم الكلام اذ به يدرك التوحيد ويعلم ذات الله وصفاته وقال الفقهاء هو علم الفقه اذ به تعرف العبادات والحلال والحرام وما يحرم من المعاملات وما يحل وعنوا به ما يحتاج اليه الآحاد دون الوقائع النادرة وقال المفسرون والمحدثون هو علم الكتاب والسنة اذ بهما يتوصل الى العلوم كلها وقال المتصوفة المراد به هذا العلم اي علمنا فقال بعضهم هو علم العبد بحاله ومقامه من الله وقال بعضهم هو العلم بالاخلاص وآفات النفوس وتمييز لمة الملك من لمة الشيطان وقال بعضهم هو علم الباطن وذلك يجب على اقوام مخصوصين هم اهل ذلك وصرفوا اللفظ عن عمومه وقال ابو طالب المكي هو العلم بما يتضمنه الحديث الذي فيه مباني الاسلام وهو قوله عليه السلام بني الاسلام على خمس لان الواجب هذه الخمس فيجب العلم بكيفية العمل فيها وبكيفية الوجوب والذي ينبغي ان يقطع به المحصل ولا يستريب فيه ما نذكره وهو ان العلم كما قدمناه في خطبة الكتاب ينقسم الى علم معاملة وعلم مكاشفة وليس المراد بهذا العلم الا علم المعاملة والمعاملة التي كلف العبد العاقل البالغ العمل بها ثلث اعتقاد وفعل وترك فاذا بلغ العاقل بالاحتلام او السن ضحوة النهار مثلا فاول واجب عليه تعلم كلمتي الشهادة وفهم معناهما وهو قوله لا اله الا الله محمد رسول الله وليس يجب عليه ان يحصل كشف ذلك لنفسه بالنظر والبحث وتحرير الادلة بل يكفيه ان يصدق به ويعتقده جزما من غير اختلاج ريب واضطراب نفس وذلك قد يحصل بمجرد التقليد والسماع من غير بحث وبرهان اذ اكتفى رسول الله صلى الله عليه وسلم من اجلاف العرب بالتصديق والاقرار من غير تعلم دليل فاذا فعل ذلك فقد ادى واجب الوقت وكان العلم الذي هو فرض عليه في الوقت تعلم الكلمة وفهمها وليس يلزمه امر وراء هذا في الوقت بدليل انه لو مات عقيب ذلك مات مطيعا لله غير عاص وانما يجب غير ذلك بعوارض تعرض وليس ذلك ضروريا في حق كل شخص بل يتصور الانفكاك عنه وتلك العوارض اما ان تكون في الفعل واما في الترك واما في الاعتقاد اما الفعل فبان يعيش من ضحوة النهار الى وقت الظهر فيتجدد عليه بدخول وقت الظهر تعلم الطهارة والصلوة وان كان صحيحا وكان بحيث لو صبر الى زوال الشمس لم يتمكن من تمام التعلم والعمل في الوقت بل يخرج الوقت لو اشتغل بالتعلم فلا يبعد ان يقول الظاهر بقاؤه فيجب عليه تقديم التعلم على الوقت ويحتمل ان يقال وجوب العلم الذي هو شرط العمل بعد وجوب العمل فلا يجب قبل الزوال وهكذا في بقية الصلوة فان عاش الى رمضان تجدد بسببه وجوب تعلم الصوم وهو ان يعلم ان وقته من الصبح الى غروب الشمس وان الواجب فيه النية والامساك عن الاكل والوقاع وان ذلك يتمادى الى رؤية الهلال فان تجدد له مال او كان له مال عند بلوغه لزمه تعلم ما يجب

من الزكوة ولكن لا يلزمه في الحال انما يلزمه عند تمام الحول من وقت اسلامه فان لم يملك الا الابل لم يلزمه تعلم زكوة الغنم وكذا في ساير الاصناف فاذا دخل اشهر الحج فلا يلزمه المبادرة الى علم الحج مع ان فعله على التراخي فلا يكون علمه على الفور ولكن ينبغي لعلماء الاسلام ان ينبهوه على ان الحج على التراخي على كل من ملك الزاد والراحلة اذا كان هو مالكا حتى ربما يرى الحزم لنفسه في المبادرة فعند ذلك اذا عزم عليه لزمه تعلم كيفية الحج ولم يلزمه الا تعلم اركانه وواجباته دون نوافله فان فعل ذلك نفل فتعلمه ايضا نفل فلا يكون فرض عين وفي تحريم السكوت عن التنبيه على وجوب اصل الحج في الحال نظر يليق بالفقه وهكذا التدريج في سائر الاعمال التي هي فرض عين واما التروك فيجب علم ذلك بحسب ما يتجدد من الحال وذلك يختلف بحال الشخص اذ لا يجب على الابكم ما يحرم من الكلام ولا على الاعمى تعلم ما يحرم من النظر ولا على البدوي تعلم ما يحل الجلوس فيه من المساكن وذلك ايضا واجب بحسب ما يقتضيه الحال فما يعلم انه ينفك عنه لا يجب تعلمه وما هو ملابس له يجب تنبيهه عليه كما لو كان عند الاسلام لابسا للحرير او جالسا في غصب او ناظرا الى غير محرم فيجب تعريفه ذلك او ما ليس ملابسا له ولكنه بصدد التعرض له على القرب كالاكل فيجب تعليمه حتى اذا كان في بلد يتعاطى فيه شرب الخمر واكل لحم الخنزير فيجب تعليمه ذلك وتنبيهه عليه وما وجب تعليمه وجب عليه تعلمه واما الاعتقادات واعمال القلوب فيجب علمها بحسب الخواطر فان خطر له شك في المعاني التي تدل عليه كلمة التوحيد فيجب عليه تعلم ما يتوصل به الى ازالة الشك فان لم يخطر له ذلك ومات قبل ان يعتقد ان كلام الله قديم وانه مرئي وانه ليس محلا للحوادث الى غير ذلك مما يذكر في المعتقدات فقد مات على الاسلام اجماعا ولكن هذه الخواطر الموجبة للاعتقادات بعضها يخطر بالطبع وبعضها بالسماع من اهل البلد فان كان في بلد شاع فيه الكلام وتناطق الناس بالبدع فينبغي ان يصان في اول بلوغه عن ذلك بتلقين الحق فانه لو القي اليه الباطل لوجب ازالته من قلبه وربما عسر ذلك كما انه لو كان هذا المسلم تاجرا وقد شاع في البلد معاملة الربا وجب عليه تعلم الحذر من الربا فهذا هو الحق في العلم الذي هو فرض عين وما ذكره الصوفية من فهم خاطر العدو ولمة الملك حق ايضا ولكن في حق من يتصدى له فاذا كان الغالب ان الانسان لا ينفك عن دواعي الشر والرياء والحسد فيلزمه ان يتعلم من علم ربع المهلكات ما يرى نفسه محتاجا اليه وكيف لا يجب وقد قال عليه السلام ثلث مهلكات الحديث ولا ينفك عنها بشر وبقية ما سنذكره من مذمومات احوال القلب كالكبر والعجب واخواتهما يتبع هذه المهلكات الثلث وازالتها فرض عين ولا يمكن الا بمعرفة حدودها ومعرفة اسبابها ومعرفة علاجها فان من لا يعرف الشر يقع فيه والعلاج هو مقابلة السبب بضده فكيف يمكن دون معرفة السبب والمسبب فاكثر ما ذكرناه في ربع المهلكات من فروض الاعيان وقد تركه الناس كافة اشتغالا بما لا يعني ومما ينبغي ان يبادر الى القائه اليه اذا لم يكن قد انتقل عن ملة الى ملة اخرى الايمان بالجنة والنار والحشر والنشر حتى يؤمن به ويصدق وهو من تتمة كلمتي الشهادة فانه بعد التصديق بكونه رسولا ينبغي ان يفهم الرسالة التي هو مبلغها وهو ان من اطاع الله ورسوله فله الجنة ومن عصاه فله النار واذا تنبهت لهذا التدريج علمت ان المذهب الحق هذا وتحققت ان كل عبد فهو في مجاري احواله في يومه وليلته لا يخلو عن وقائع في عباداته ومعاملاته عن تجدد عليه لوازم فيلزمه السؤال عن كل ما يقع له من النوادر ويلزمه المبادرة الى تعلم ما يتوقع وقوعه على القرب غالبا فاذا ابتين انه عليه السلام انما اراد بالعلم المعرف بالالف واللام في قوله طلب العلم فريضة علم العمل الذي هو مشهور الوجوب على المسلمين لا غير فقد اتضح وجه التدريج في وجوبه

بيان العلم الذي هو فرض كفاية

اعلم ان الفرض لا يتميز عن غيره الا بذكر اقسام العلوم والعلوم بالاضافة الى الفرض الذي نحن بصدده تنقسم الى شرعية وغير شرعية واعني بالشرعية ما استفيد من الانبياء صلوات الله عليهم ولا يرشد العقل اليه مثل الحساب والهندسة ولا التجربة مثل الطب ولا السماع مثل اللغة والعلوم التي ليست شرعية تنقسم الى ما هو محمود والى ما هو مذموم والى ما هو مباح فالمحمود ما يرتبط به مصالح الدنيا كالطب والحساب وذلك ينقسم الى ما هو فرض كفاية والى ما هو فضيلة وليس بفريضة اما فرض الكفاية فهو كل علم لا يستغنى عنه في امور الدنيا كالطب والحساب وذلك ينقسم الى ما هو فرض كفاية اذ هو ضروري في حاجة بقاء الابدان وكالحساب فانه ضروري في المعاملات وقسمة الوصايا والمواريث وغيرها وهذه هي العلوم التي لو خلا البلد عمن يقوم بها حرج اهل البلد واذا قام بها واحد كفى وسقط الفرض عن الآخرين ولا يتعجب من قولنا ان الطب والحساب من فروض الكفايات فان اصول الصناعات ايضا من فروض الكفايات كالفلاحة والحياكة والسياسة بل الحجامة فانه لو خلا البلد عن الحجام لتسارع الهلاك اليهم وحرجوا بتعريضهم انفسهم للهلاك فان الذي انزل الداء انزل الدواء وارشد الى استعماله واعد الاسباب لتعاطيه فلا يجوز التعرض للهلاك باهماله واما ما يعد فضيلة لا فريضة فالتعمق في دقائق الحساب وحقائق الطب وغير ذلك مما يستغنى عنه ولكنه يفيد زيادة قوة في القدر المحتاج اليه واما المذموم منه فعلم السحر والطلسمات وعلم الشعبذة والتلبيسات واما المباح منه فالعلم بالاشعار التي لا سخف فيها وتواريخ الاخبار وما يجري مجراه واما العلوم الشرعية وهي المقصودة بالبيان فهي محمودة كلها ولكن قد يلتبس بها ما يظن انها شرعية ويكون مذمومة فلتنقسم الى المحمودة والمذمومة اما المحمودة فلها اصول وفروع ومقدمات ومتممات وهي اربعة اضرب

الاول الاصول وهي اربعة كتاب الله وسنة رسوله واجماع الامة وآثار الصحابة والاجماع اصل من حيث انه يدل على السنة فهو اصل في الدرجة الثانية وكذلك الاثر فانه يدل ايضا على السنة لان الصحابة قد شاهدوا الوحي والتنزيل وادركوا بقرائن الاحوال ما غاب عن غيرهم عيانه وربما لا يحيط العبارات بما ادرك بالقرائن فمن هذا الوجه رأى العلماء الاقتداء بهم والتمسك بآثارهم وذلك بشرط مخصوص وعلى وجه مخصوص عند من رآه ولا يليق بيانه بهذا الفن

الثاني الفروع وهو ما فهم من هذه الاصول لا بموجب الفاظها بل بمعان تنبهت لها العقول فاتسع بسببها الفهم حتى فهم من اللفظ الملفوظ به غيره كما فهم من قوله لا يقضي القاضي وهو غضبان انه لا يقضي اذا كان حاقنا او جائعا او متالما بمرض وهذا على ضربين احدهما يتعلق بمصالح الدنيا ويحويه فن الفقه والمتكفل بها الفقهاء وهم من علماء الدنيا والثاني ما يتعلق بالآخرة وهو علم احوال القلب واخلاقه المذمومة والمحمودة وما هو مرضي عند الله وما هو مكروه وهو الذي يحويه الشطر الاخير من هذا الكتاب اعني جملة كتاب احياء علوم الدين ومنه العلم بما يترشح من القلب على الجوارح في عباداتها وعاداتها وهو الذي يحويه الشطر الاول

الضرب الثالث المقدمات وهو الذي يجري منها مجرى الآلات كعلم اللغة والنحو فانهما آلة لعلم كتاب الله وسنة رسوله وليست اللغة والنحو من العلوم الشرعية في انفسها ولكن لزوم الخوض فيهما بسبب الشرع اذ جاءت الشريعة بلغة العرب وكل شريعة فلا تظهر الا بلغة فيصير تعلم تلك اللغة آلة ومن الآلات علم كتابة الخط الا ان ذلك ليس ضروريا اذ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اميا ولو تصور استقلال الحفظ بجميع ما يسمع لاستغنى عن الكتابة ولكنه صار بحكم العجز في الغالب ضروريا

الضرب الرابع المتممات وذلك في علم القرآن ينقسم الى ما يتعلق باللفظ كعلم القراآت ومخارج الحروف والى ما يتعلق بالمعنى كالتفسير فان اعتماده ايضا على النقل اذ اللغة بمجردها لا يستقل به والى ما يتعلق باحكامه كمعرفة الناسخ والمنسوخ والعام والخاص والنص والظاهر وكيفية استعمال البعض منه مع البعض وهو العلم الذي يسمى اصول الفقه ويتناول السنة ايضا واما المتممات في الاخبار والآثار فالعلم بالرجال واساميهم وباسامي الصحابة وصفاتهم والعلم بالعدالة في الرواة والعلم باحوالهم لتمييز الضعيف عن القوي

والعلم بأعمارهم لتمييز المسند عن المرسل وكذلك ما يتعلق به فهذه هي العلوم الشرعية وكلها محمودة بل كلها من فروض الكفايات

فان قلت فلم ألحقت الفقه بعلم الدنيا وألحقت الفقهاء بعلماء الدنيا فاعلم ان الله تعالى اخرج آدم من التراب واخرج ذريته من سلالة من طين ومن ماء دافق فأخرجهم من الاصلاب الى الارحام ومنها الى الدنيا ثم الى القبر ثم الى العرض ثم الى الجنة او الى النار فهذا مبدأهم وهذه غايتهم وهذه منازلهم وخلق الدنيا زادا للمعاد ليتناولوا منها ما يصلح للتزود فلو تناولوها بالعدل انقطعت الخصومات وتعطل الفقهاء ولكنهم تناولوها بالشهوات فتولدت منها الخصومات فمست الحاجة الى سلطان يسوسهم واحتاج السلطان الى قانون يسوسهم به فالفقيه هو العالم بقانون السياسة وطريق التوسط بين الخلق اذا تنازعوا بحكم الشهوات فكان الفقيه معلم السلطان ومرشده الى طريق سياسة الخلق وضبطهم لينتظم باستقامتهم امورهم في الدنيا ولعمري انه متعلق ايضا بالدين ولكن لا بنفسه بل بواسطة الدنيا فان الدنيا مزرعة الآخرة ولا يتم الدين الا بالدنيا والملك والدين توأمان والدين اصل والسلطان حارس وما لا اصل له فمهدوم وما لا حارس له فضائع ولا يتم الملك والضبط الا بالسلطان وطريق الضبط في فصل الخصومات بالفقه وكما ان سياسة الخلق بالسلطنة ليس من علم الدين في الدرجة الاولى بل هو معين على ما لا يتم الدين الا به فكذلك معرفة طريق السياسة فمعلوم ان الحج لا يتم الا ببذرقة تحرس من العرب في الطريق ولكن الحج شيء وسلوك الطريق الى الحج شيء آخر والقيام بالحراسة التي لا يتم الحج الا بها شيء آخر ومعرفة طرق الحراسة وحيلها وقوانينها شيء آخر وحاصل فن الفقه معرفة طرق السياسة والحراسة ويدل على ذلك ما روي مسندا لا يفتي الناس الا ثلاثة امير او مأمور او متكلف فالامير هو الامام وقد كانوا هم المفتون والمأمور نائبه والمتكلف غيرهما وهو الذي يتقلد تلك العهدة من غير حاجة وقد كانت الصحابة يحترزون عن الفتوى حتى كان كل واحد منهم يحيل على صاحبه وما كانوا يحترزون اذا سئلوا عن علم القرآن وطريق الآخرة وفي بعض الروايات بدل المتكلف المرائي فان من تقلد خطر الفتوى وهو غير متعين للحاجة فلا يقصد به الا طلب الجاه والمال فان قلت هذا ان استقام لك في احكام الحدود والجراحات والغرامات وفصل الخصومات فلا يستقيم فيما يشتمل عليه ربع العبادات من الصيام والصلوة ولا فيما يشتمل عليه ربع المعاملات من بيان الحلال والحرام فاعلم ان اقرب ما يتكلم الفقيه فيه من الاعمال التي هي اعمال الآخرة ثلاثة الاسلام والصلوة والحلال والحرام واذا تأملت منتهى نظر الفقيه فيها علمت انه لا يجاوز حدود الدنيا الى الآخرة واذا عرفت هذا في هذه الثلثة فهو في غيرها اظهر اما الاسلام فيتكلم الفقيه فيما يصح منه وما يفسد وفي شروطه وليس يلتفت فيه الا الى اللسان واما القلب فخارج عن ولاية الفقيه لعزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ارباب السيوف والسلطنة عنه حيث قال هلا شققت عن قلبه في الذي قتل من تكلم بكلمة معتذرا بأنه قال ذلك من خوف السيف بل يحكم الفقيه بصحة الاسلام تحت ظلال السيوف مع انه يعلم ان السيف لم يكشف له عن نيته ولم يرفع عن قلبه غشاوة الجهل والحيرة ولكنه مشير على صاحب السيف فان السيف ممتد الى رقبته واليد ممتدة الى ماله وهذه الكلمة باللسان تعصم رقبته وماله ما دامت له رقبة ومال وذلك في الدنيا ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم جعل اثر ذلك في الدم والمال واما الآخرة فلا تنفع فيها الاقوال بل انوار القلوب واسرارها واخلاقها وليس ذلك من فن الفقه وان خاض الفقيه كان كما لو خاض في الكلام او الطب وكان خارجا عن فنه واما الصلوة فالفقيه يفتي بالصحة اذا اتى بصورة الاعمال مع ظاهر الشروط وان كان غافلا في جميع صلوته من اولها الى آخرها مشغولا بالتفكر في حساب معاملاته في السوق الا عند التكبير وهذه الصلوة لا تنفع في الآخرة كثير نفع كما ان القول باللسان في الاسلام لا ينفع ولكن الفقيه يفتي بالصحة اذ ما فعله حصل به امتثال صيغة الامر وانقطع به عنه القتل والتعزير فاما الخشوع واحضار القلب الذي هو عمل الآخرة وبه ينفع العمل الظاهر لا يتعرض له الفقيه ولو تعرض له كان خارجا من فنه واما الزكوة فالفقيه ينظر الى ما يقطع به مطالبة السلطان حتى انه اذا امتنع فاخذ السلطان منه قهرا حكم بأنه برئت منه ذمته وقد حكي ان ابا يوسف كان يهب ماله لزوجته في آخر الحول ويستوهب مالها لاسقاط الزكوة فحكي ذلك لابي حنيفة فقال ذلك من فقهه وصدق فان ذلك من فقه الدنيا ولكن مضرته في الآخرة اعظم من كل جناية ومثل هذا العلم هو الضار واما الحلال والحرام فالورع عن الحرام من الدين ولكن الورع له اربع مراتب الاولى الورع الذي يشترط في عدالة الشهادة وهو الذي يخرج بتركه الانسان عن اهلية الشهادة والقضاء والولاية وهو الاحتراز عن الحرام الظاهر الثانية ورع الصالحين وهو التوقي من الشبهات التي تتقابل فيها الاحتمالات قال صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك الى ما لا يريبك وقال الاثم حزاز القلوب الثالثة ورع المتقين وهو ترك الحلال المحض الذي يخاف منه اداؤه الى الحرام قال صلى الله عليه وسلم لا يكون الرجل من المتقين حتى يدع ما لا بأس به مخافة مما به بأس وذلك مثل التورع عن التحدث باحوال الناس خيفة من الانجرار الى الغيبة والتورع عن اكل الشهوات خيفة من هيجان النشاط والبطر المؤدي الى مقارفة المحظورات الرابعة ورع الصديقين وهو الاعراض عما سوى الله تعالى خوفا من صرف ساعة من العمر الى ما لا يفيد زيادة قرب عند الله وان كان يعلم ويتحقق انه لا يفضي الى حرام فهذه الدرجات كلها خارجة عن نظر الفقيه الا الدرجة الاولى وهي ورع الشهود والقضاة وما يقدح في العدالة والقيام بذلك لا ينفي الاثم في الآخرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوابصة استفت قلبك وان افتوك وافتوك وافتوك والفقيه لا يتكلم في حزازات القلوب وكيفية العمل بها بل فيما يقدح في العدالة فقط فاذا جميع نظر الفقيه مرتبط بالدنيا التي بها صلاح طريق الآخرة فان تكلم في شيء من صفات القلب واحكام الآخرة فذلك يدخل في كلامه على سبيل التطفل كما قد يدخل في كلامه شيء من الطب والحساب والنجوم وعلم الكلام وكما تدخل الحكمة في النحو والشعر وقد كان سفيان الثوري وهو امام في علم الظاهر يقول ان طلب هذا ليس من زاد الآخرة كيف وقد اتفقوا على ان الشرف في العلم العمل به فكيف يظن انه علم الظهار واللعان والسلم والاجارة والصرف ومن تعلم هذه الامور ليتقرب بتعاطيها الى الله فهو مجنون وانما العمل بالقلب والجوارح في الطاعات والشريف هو تلك الاعمال فان قلت فقد سويت بين الفقه والطب اذ الطب ايضا يتعلق بالدنيا وهو صحة الجسد وذلك يتعلق به ايضا صلاح الدين وهذه التسوية تخالف اجماع المسلمين فاعلم ان التسوية غير لازمة بل بينهما فرق فان الفقه اشرف منه من ثلاثة اوجه احدها انه علم شرعي اذ هو مستفاد من النبوة بخلاف الطب فانه ليس من علم الشرع والثاني انه لا يستغني عنه احد من سالكي طريق الآخرة البتة لا الصحيح ولا المريض واما الطب فلا يحتاج اليه الا المرضى وهم الاقلون والثالث ان علم الفقه مجاور لعلم طريق الآخرة لانه نظر في اعمال الجوارح ومصدر الاعمال ومنشؤها صفات القلوب فالمحمود من الاعمال يصدر من الاخلاق المحمودة المنجية في الآخرة والمذموم يصدر عن المذموم وليس يخفى اتصال الجوارح بالقلب واما الصحة والمرض فمنشؤهما صفات في المزاج والاخلاط وذلك من اوصاف البدن لا من اوصاف القلب فمهما اضيف الفقه الى الطب ظهر شرفه واذا اضيف علم طريق الآخرة الى الفقه ظهر ايضا شرف علم الآخرة فان قلت فصل لي علم طريق الآخرة تفصيلا يشير الى تراجمه وان لم يمكن استقصاء تفاصيله فاعلم انه قسمان علم مكاشفة وعلم معاملة وعلم المكاشفة هو علم الباطن وذلك غاية العلوم فقد قال بعض العارفين من لم يكن له نصيب من هذا العلم اخاف عليه سوء الخاتمة وادنى النصيب منه التصديق به وتسليمه لاهله وقال آخر من كان فيه خصلتان لم يفتح له شيء من هذا العلم بدعة او كبر وقيل من كان محبا للدنيا او مصرا على هوى لم يتحقق به وقد يتحقق بسائر العلوم

طريق [illegible]

صحة البدن لا الصحة

واقل عقوبة من ينكره ان لا يرزق منه شيئا وهو علم الصديقين والمقربين اعنى علم المكاشفة فهو عبارة عن نور يظهر فى القلوب عند
تطهيره وتزكيته من صفاته المذمومة ينكشف فى ذلك النور امور كان يسمع من قبل اسماها ويتوهم لها معان مجملة غير مفصلة
فيتضح اذ ذاك حتى يحصل المعرفة الحقيقية بذات الله وصفاته التامات وبافعاله وبحكمه فى خلق الدنيا والاخرة ووجه ترتيبه
الاخرة على الدنيا والمعرفة بمعنى النبوة والنبى ومعنى الوحى ومعنى الوحى ومعنى لفظ الملائكة والشياطين وكيفية معاداة الشيطان
للانسان وكيفية ظهور الملك للانبياء وكيفية وصول الوحى اليهم والمعرفة بملكوت السموات والارض ومعرفة القلب وكيفية
تصادم جنود الملائكة والشياطين فيه ومعرفة الفرق بين لمة الملك ولمة الشيطان ومعرفة الاخرة والجنة والنار وعذاب القبر
والصراط والميزان والحساب ومعنى قوله تعالى كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ومعنى قوله وان الدار الاخرة لهى الحيوان لو كانوا
يعلمون ومعنى لقاء الله والنظر الى وجهه الكريم ومعنى القرب منه والنزول فى جواره ومعنى حصول السعادة بمرافقة الملا الاعلى
ومقارنة الملائكة والنبيين ومعنى تفاوت درجات اهل الجنان حتى يرى بعضهم بعضا كما يرى الكوكب الدرى فى جو السما الى
غير ذلك مما يطول تفصيله اذ للناس فى معانى هذه الامور بعد التصديق باصولها مقامات شتى فبعضهم يرى ان جميع ذلك امثلة وان
الذى اعد لعباد الله الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وانه ليس مع الخلق من الجنة الا الصفات و
الاسما وبعضهم يرى ان بعضها امثلة وبعضها يوافق حقايقها المفهومة من الفاظها وكذا يرى بعضهم ان منتهى معرفة الله الاعتراف
بالعجز عن معرفته وبعضهم يدعى امورا عظيمة فى المعرفة بالله وبعضهم يقول حد معرفة الله ما انتهى اليه اعتقاد جميع العوام وهو انه
موجود عالم قادر سميع بصير متكلم فنعنى بعلم المكاشفة ان يرتفع الحجاب حتى يتضح له جلية الحق فى هذه الامور اتضاحا يجرى مجرى
العيان الذى لا يشك فيه وهذا ممكن فى جوهر الانسان لولا ان مراة القلب قد تراكم صداها وخبثها بقاذورات الدنيا وانما نعنى
بعلم طريق الاخرة العلم بكيفية تصقيل هذه المراة عن هذه الخبائث التى هى الحجاب عن الله وعن معرفة صفاته وافعاله وانما تصفيته
وتطهيره بالكف عن الشهوات والاقتدا بالانبيا فى جميع احوالهم فبقدر ما ينجلى من القلب ويحاذى به شطر الحق تتلالا فيه
حقايقه ولا سبيل اليه الا بالرياضة التى ياتى تفصيلها فى موضعه وبالتعلم وهذه هى العلوم التى لا تسطر فى الكتب ولا يتحدث بها
من انعم الله عليه منها بشى الا مع اهله وهو المشارك فيه على سبيل المذاكرة وبطريق الاسرار وهذا هو العلم الخفى الذى اراده النبى صلى
الله عليه وسلم بقوله ان من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه الا اهل المعرفة بالله فاذا نطقوا به لم يجهله الا اهل الاغترار بالله ولا
تحقروا عالما اتاه الله علما فان الله لم يحقره اذ اتاه العلم واما القسم الثانى وهو علم المعاملة فهو علم احوال القلب
اما ما يحمد منها فهو كالصبر والشكر والخوف والرجا والرضا والزهد والتقوى والقناعة والسخاوة ومعرفة المنة لله تعالى فى
جميع الاحوال والاحسان وحسن الظن وحسن الخلق وحسن المعاشرة والصدق والاخلاص فمعرفة حقايق هذه الاحوال وحدودها
واسبابها التى بها تكتسب وثمرتها وعلاماتها ومعالجة ما ضعف منها حتى يقوى وما زال حتى يعود من علم الاخرة واما ما يذم فخوف الفقر
وسخط المقدور والغل والحسد والحقد والغش وطلب العلو وحب الثنا وحب طول البقا فى الدنيا للتمتع والكبر والريا والغضب
والانفة والعداوة والبغضا والطمع والبخل والرغبة والبذخ والاشر والبطر وتعظيم الاغنيا والاستهانة بالفقرا والفخر
والخيلا والتنافس والمباهات والاستكبار عن الحق والخوض فيما لا يعنى وحب كثرة الكلام والصلف والتزين للخلق والمداهنة والعجب
والاشتغال عن عيوب النفس بعيوب الناس وزوال الحزن من القلب وخروج الخشية منه وشدة الانتصار للنفس اذا نالها ذل
وضعف الانتصار للحق واتخاذ اخوان العلانية على عداوة السر والامن من مكر الله فى سلب ما اعطى والاتكال على الطاعة والمكر والخيانة

والخيانة والمخادعة وطول الامل والقسوة والفظاظة والفرح بالدنيا والاسف على فواتها والانس بالمخلوقين والوحشة لفراقهم
والجفا والطيش والعجلة وقلة الحيا وقلة الرحمة فهذه وامثالها من صفات القلب مغارس الفواحش ومنابت الاعمال المحظورة
واضدادها وهى الاخلاق المحمودة منبع الطاعات والقربات فالعلم بحدود هذه الامور وحقايقها واسبابها وثمرتها
وعلاجها هو علم الاخرة وهو فرض عين فى فتوى علما الاخرة فالمعرض عنه هالك بسطوة ملك الملوك فى الاخرة كما ان
المعرض عن الاعمال الظاهرة هالك بسيف سلاطين الدنيا بحكم فتوى علما الدنيا فنظر الفقها فى فروض العين بالاضافة
الى صلاح الدنيا وهذا بالاضافة الى صلاح الاخرة ولو سئل فقيه عن معنى من هذه المعانى حتى عن الاخلاص مثلا او عن التوكل
او عن وجه الاحتراز عن الريا توقف عنه مع انه فرض عينه الذى فى اهماله هلاكه فى الاخرة ولو سالته عن اللعان والظهار
والسبق والرمى لسرد عليك مجلدات من التفريعات الدقيقة التى تنقضى الدهور ولا يحتاج الى شى منها وان احتيج لم يخل البلد عمن يقوم
بها ويكفيه مؤنة التعب فيها فلا يزال يتعب فيه ليلا ونهارا فى حفظه ودرسه ويغفل عما هو مهم نفسه فى الدين واذا روجع
فيها قال اشتغلت به لانه علم الدين وفرض الكفاية ويلبس على نفسه وعلى غيره فى تعلمه والفطن يعلم انه لو كان غرضه ادا حق
الامر فى فروض الكفاية لقدم عليه فرض العين بل قدم عليه كثيرا من فروض الكفايات فكم من بلد ليس فيه طبيب الا من اهل الذمة
ولا يجوز قبول شهادتهم فيما يتعلق بالاطبا من احكام الفقه ثم لا نرى احدا يشتغل به ويتهاترون على علم الفقه لا سيما الخلافيات
والجدليات والبلد مشحون من الفقها بمن يشتغل بالفتوى والجواب عن الوقايع فليت شعرى كيف يرخص الدين فى الاشتغال بفرض
كفاية قد قام به جماعة واهمال ما لا قائم به هل لهذا سبب الا ان الطب ليس يتيسر التوصل به الى تولى الاوقاف والوصايا
وحيازة مال الايتام وتقلد القضا والحكومة والتقدم على الاقران والتسلط به على الاعدا هيهات هيهات قد اندرس علم
علم الدين بتلبيس علما السو فالله المستعان واليه الملاذ فى ان يعيذنا من هذا الغرور الذى يسخط الرحمن ويضحك الشيطان و
قد كان اهل الورع من علما الظاهر مقرين بفضل علما الباطن وارباب القلوب كان الشافعى رضى الله عنه يجلس بين يدى شيبان الراعى
رحمه الله كما يجلس الصبى فى المكتب ويساله كيف يفعل فى كذا وكذا فيقال له مثلك يسال هذا البدوى فيقول ان هذا وفق لما علمناه وكان
احمد بن حنبل ويحيى بن معين يختلفان الى معروف الكرخى ولم يكن فى علم الظاهر بمنزلتهما وكانا يسالانه كيف نعمل وقد قال صلى الله عليه وسلم
لما قيل له كيف نفعل اذا جانا امر لم نجده فى كتاب الله ولا سنة رسوله فقال سلوا الصالحين واجعلوه شورى بينهم ولذلك قيل علما
الظاهر زينة الارض والملك وعلما الباطن زينة السما والملكوت وقال الجنيد قال لى السرى شيخى اذا قمت من عندى فمن تجالس قلت
المحاسبى فقال نعم خذ من علمه وادبه ودع تشقيقه فى الكلام ورده على المتكلمين ثم لما وليت سمعته يقول جعلك الله صاحب حديث
صوفيا ولا جعلك صوفيا صاحب حديث اشار الى ان من حصل الحديث والعلم ثم تصوف افلح ومن تصوف قبل العلم خاطر بنفسه
فان قلت لم تورد فى اقسام العلوم الكلام والفلسفة ولم تبين انهما مذمومان او محمودان فاعلم ان حاصل ما يشتمل عليه علم
الكلام من الادلة التى ينتفع بها فالقران والاخبار مشتملة عليه وما خرج عنها فهو اما مجادلة مذمومة وهى من البدع كما سياتى
بيانه واما مشاغبة بالتعلق بمناقضات الفرق وتطويل بنقل المقالات التى اكثرها ترهات وهذيانات تزدريها الطباع وتمجها
الاسماع وبعضها خوض فيما لا يتعلق بالدين ولم يكن شى منه مالوفا فى العصر الاول وكان الخوض فيه بالكلية من البدع ولكن تغير
الان حكمه اذ حدثت البدع الصارفة عن مقتضى القران والسنة ونبغت جماعة لفقوا لها شبها ورتبوا فيها كلاما مولفا فصار ذلك
المحذور بحكم الضرورة ماذونا فيه بل صار من فروض الكفايات وهو القدر الذى يقابل به المبتدع اذا قصد الدعوة الى البدعة

وذلك الى حد محمود سنذكره فى الباب الذى يلى هذا واما الفلسفة فليست علما براسها بل هى اربعة اجزاء احدها الهندسة
والحساب وهما مباحان كما سبق ولا يمنع منهما الا من يخاف عليه ان يتجاوز بهما الى علوم مذمومة فان اكثر الممارسين لهما قد خرجوا
منها الى البدع فيصان عنه لا لعينه كما يصان الصبى عن شاطئ النهر خيفة من الوقوع فى النهر وكما يصان الحديث العهد بالاسلام
عن مخالطة الكفار خوفا عليه مع ان القوى لا يندب الى مخالطتهم الثانى المنطق وهو بحث عن وجه الدليل وشروطه
ووجه الحد وشروطه وهما داخلان فى علم الكلام والثالث الالهيات وهو بحث عن ذات الله وصفاته وهو داخل فى
الكلام والفلاسفة لم ينفردوا فيها بنمط اخر من العلم بل انفردوا بمذاهب بعضها كفر وبعضها بدعة وكما ان الاعتزال ليس علما
براسه بل اصحابه طائفة من المتكلمين واهل البحث والنظر انفردوا بمذاهب باطلة فكذا الفلسفة والرابع الطبيعيات
وبعضها مخالف للشرع والدين الحق فهو جهل وليس بعلم حتى يورد فى اقسام العلوم وبعضها بحث عن صفات الاجسام وخواصها
وكيفية استحالتها وتغيرها وهو شبيه بنظر الاطباء الا ان الطبيب ينظر فى بدن الانسان على الخصوص من حيث يمرض ويصح
وهم ينظرون فى جميع الاجسام من حيث تتغير وتتحرك ولكن للطب فضل عليه وهو انه محتاج اليه واما علومهم فى الطبيعيات
فلا حاجة اليها فاذن الكلام صار من جملة الصناعات الواجبة على الكفاية حراسة لقلوب العوام عن تخيلات المبتدعة
وانما حدث ذلك بحدوث البدع كما حدث حاجة استيجار البذرقة فى طريق الحج بحدوث ظلم العرب وقطعهم الطريق
ولو ترك العرب عدوانهم لم يكن استيجار الحراس من طريق الحج فكذلك لو ترك المبتدع هذيانه لم يفتقر الى الزيادة على ما
عهد فى عهد الصحابة وليعلم المتكلم حده من الدين وان موقعه منه موقع الحارس فى طريق الحج فان تجرد الحارس للحراسة لم يكن
من جملة الحاج فالمتكلم ان تجرد للمناظرة والمدافعة ولم يسلك طريق الاخرة ولم يشتغل بتعهد القلب واصلاحه لم يكن من
جملة علماء الدين وليس عند المتكلم من الدين الا العقيدة التى يشاركه سائر العوام فيها وهى من جملة اعمال ظاهر القلب و
اللسان وانما يتميز عن العامى بصنعة المجادلة والحراسة فاما معرفة الله وصفاته وافعاله وجميع ما اشرنا اليه فى علم المكاشفة
فلا يحصل من علم الكلام بل يكاد يكون النصارى ولكنه قد يصدر من المنافق الذى يخالف سره جهره القشر الثانى ان لا يكون
فى القلب مخالفة وانكار لمفهوم هذا القول بل يشتمل ظاهر القلب على اعتقاد ذلك التصديق وهو توحيد عوام الخلق والمتكلمون
كما سبق انهم حراس هذا القشر عن تشويش المبتدعة والثالث وهو اللباب ان يرى الامور كلها من الله رؤية تقطع التفاته
عن الوسائط وان يعبده عبادة يفرده بها فلا يعبد غيره ويخرج عن هذا التوحيد اتباع الهوى فكل متبع هواه فقد اتخذ هواه معبوده
قال الله تعالى افرايت من اتخذ الهه هواه وقال صلى الله عليه وسلم ابغض اله عبد فى الارض عند الله هو الهوى وعلى التحقيق
من تامل عرف ان عابد الصنم ليس يعبد الصنم انما يعبد هواه اذ نفسه مائلة الى دين ابائه فيتبع ذلك الميل وميل النفس الى المالوفات
احد المعانى التى يعبر عنها بالهوى ويخرج من هذا التوحيد التسخط على الخلق والالتفات اليهم فان من يرى الكل من الله كيف يتسخط
على غيره فقد كان التوحيد عبارة عن هذا المقام وهو من مقامات الصديقين فانظر الى ماذا حول وباى قشر قنع وكيف اتخذ
هذا معتصما فى التمدح والتفاخر بما اسمه محمود مع الافلاس عن المعنى الذى يستحق الحمد الحقيقى وذلك كافلاس من يصبح بكرة
ويتوجه الى القبلة ويقول وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض وهو اول كذب يفاتح الله به كل يوم ان لم يكن وجه قلبه متوجها
الى الله على الخصوص فانه ان اراد بالوجه وجه الظاهر فما وجهه الا الى الكعبة وما صرفه الا عن سائر الجهات والكعبة ليست جهة
للذى فطر السموات والارض حتى يكون المتوجه اليها متوجها اليه تعالى عن ان تحده الجهات والاقطار وان اراد به وجه القلب وهو

وهو المطلوب المتعبد به فكيف يصدق قوله وقلبه متردد فى اوطاره وحاجاته الدنيوية ومتصرف فى طلب الحيل فى جمع المال
والجاه واستكثار الاسباب ومتوجه بالكلية اليها فمتى وجه وجهه للذى فطر السموات والارض وهذه الكلمة خبر عن حقيقة
التوحيد فالموحد هو الذى لا يرى الا الواحد ولا يوجه وجهه الا اليه وهو امتثال قوله تعالى قل الله ثم ذرهم فليس المراد به القول
باللسان انما اللسان ترجمان يصدق مرة ويكذب مرة وانما موقع نظر الله تعالى من المترجم عنه وهو القلب فهو معدن التوحيد
ومنبعه اللفظ الرابع الذكر والتذكير وقد قال الله تعالى وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين وقد ورد فى الثناء على مجالس الذكر اخبار كثيرة
كقوله صلى الله عليه وسلم اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا فيها قيل وما رياض الجنة قال مجالس الذكر وفى الحديث ان لله ملائكة سياحين فى
الدنيا سوى ملائكة الخلق اذا راوا مجالس الذكر ينادى بعضهم بعضا الا هلموا الى بغيتكم فياتونهم ويحفون بهم ويستمعون الا فاذكروا
الله وذكروا انفسكم فنقل ذلك الى ما ترى اكثر الوعاظ فى هذا الزمان يواظبون عليه وهو القصص والاشعار والشطح والطامات
اما القصص والاشعار فهى بدعة وقد ورد نهى السلف عن الجلوس الى القصاص وقالوا لم يكن ذلك فى زمان رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولا فى زمان ابى بكر وعمر حتى ظهرت الفتنة وظهر القصاص وروى ان ابن عمر خرج من المسجد وقال ما اخرجنى الا القاص
ولولاه لما خرجت وقال ضمرة قلت للثورى نستقبل القاص بوجوهنا فقال ولوا البدع ظهوركم وقال ابن عون دخلت على
ابن سيرين فقال ما كان اليوم من خبر فقلت نهى الامير القصاص ان يقصوا ودخل الاعمش فتوسط الحلقة واخذ ينتف شعر ابطه
الاعمش جامع البصرة فراى قاصا يقص ويقول حدثنا م
فقال القاص يا شيخ الا تستحيى فقال لم انا فى سنة وانت فى كذب انا الاعمش وما حدثتك وقال احمد اكذب الناس القصاص
والسؤال واخرج على رضى الله عنه القصاص من مسجد البصرة ولما سمع كلام الحسن البصرى لم يخرجه اذ كان يتكلم فى علم الاخرة و
التذكير بالموت والتنبيه على عيوب النفس وآفات الاعمال وخواطر الشيطان ووجه الحذر منها ويذكر بآلاء الله ونعمائه وتقصير العبد
فى شكره ويعرف حقارة الدنيا وعيوبها وتصرمها وقلة عهدها وخطر الاخرة وخواطر الشيطان فهذا هو التذكير المحمود شرعا
الذى ورد الحث عليه فى حديث ابى ذر حيث قال حضور مجلس علم افضل من صلوة الف ركعة وحضور مجلس علم افضل من عيادة
الف مريض وحضور مجلس علم افضل من شهود الف جنازة قيل يا رسول الله ومن قراءة القرآن فقال وهل تنفع قراءة القرآن الا بالعلم
وقال عطاء مجلس ذكر يكفر سبعين مجلسا من مجالس اللهو فقد اتخذ المزخرفون هذه الاحاديث حجة على تزكية انفسهم ونقلوا اسم
التذكير الى خرافاتهم وذهلوا عن طريق الذكر المحمود واشتغلوا بالقصص التى يتطرق اليها الاختلاف والزيادة والنقصان
ويخرج عن القصص الواردة فى القرآن ويزيد عليه فان من القصص ما ينفع سماعه وان كان صادقا ومن فتح على نفسه ذلك
الباب اختلط عليه الصدق بالكذب والنافع بالضار فمن هذا نهى عنه ولذلك قال احمد بن حنبل ما احوج الناس الى قاص صادق
فان كانت القصة من قصص الانبياء فيما يتعلق بامور دينهم وكان صحيح الرواية فلا ارى به باسا وليحذر الكذب وحكاية احوال
تومى الى هفوات ومساهلات يقصر فهم العوام عن درك معانيها وعن كونها هفوة نادرة مردفة بتكفيرات متداركة بحسنات
تغطى عليها فان العامى يعتصم بذلك فى مساهلاته وهفواته ويمهد لنفسه عذرا فيه ويحتج بانه حكى عن المشايخ كيت وكيت وعن
بعض الاكابر وكلنا بصدد المعاصى فلا عجب ان عصيت الله فقد عصى من هو اكبر منى ويفيده ذلك جراة على الله من حيث لا
يدرى فبعد الاحتراز عن هذين المحذورين فلا باس به وعند ذلك يرجع القصص المحمودة الى ما يشتمل عليه القرآن وصح فى
الكتب الصحيحة من الاخبار ومن الناس من يستجيز وضع الحكايات المرغبة فى الطاعات ويزعم ان قصده فيه دعوة الخلق
الى الحق وهذا من نزغات الشيطان فان فى الصدق مندوحة عن الكذب ففيما ذكره الله سبحانه ورسوله غنية عن الاختراع

في الوعظ كيف وقد كره تكلف السجع وعد ذلك من التصنع قال سعد بن ابي وقاص لابنه عمر وقد سمعه يسجع هذا الذي
يبغضك الي لا قضيت حاجتك ابدا وقد كان جاءه في حاجة وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن رواحة في
سجع من ثلاث كلمات اياك والسجع يا ابن رواحة فكان السجع المحذور المتكلف ما زاد على كلمتين ولذلك لما قال ذلك الرجل
في دية الجنين كيف ندي من لا شرب ولا اكل ولا صاح ولا استهل ومثل ذلك بطل فقال صلى الله عليه وسلم اسجع كسجع الكهان
واما الاشعار فتكثيرها في المواعظ مذموم قال الله تعالى والشعراء يتبعهم الغاوون الم تر انهم في كل واد يهيمون وقال
وما علمناه الشعر وما ينبغي له واكثر ما اعتاده الوعاظ من الاشعار ما يتعلق بالتواصف في العشق وجمال المعشوق وروح الوصال
والم الفراق والمجلس لا يحوي الا اجلاف العوام وبواطنهم مشحونة بالشهوات وقلوبهم غير منفكة عن الالتفات الى الصور المليحة
فلا تحرك الاشعار من قلوبهم الا ما هو مستكن فيها فيشتعل فيهم نار الشهوة فيزعقون ويتواجدون واكثر ذلك او كله يرجع
وكله يرجع الى نوع فساد فلا ينبغي ان يستعمل من الشعر الا ما فيه موعظة وحكمة على سبيل استشهاد واستيناس فقد قال النبي
صلى الله عليه وسلم ان من الشعر لحكمة ولو حوى المجلس الخواص الذين وقع الاطلاع على استغراق قلوبهم بحب الله ولم يكن
معهم غيرهم فان اولئك لا يضر معهم الشعر الذي يشير ظاهره الى الخلق فان المستمع ينزل كل ما يسمعه على ما يستولي على قلبه كما سياتي
تحقيق ذلك في كتاب السماع ولذلك كان يتكلم الجنيد على بضعة عشر فان كثروا لم يتكلم وما تم اهل مجلسه عشرين قط وحضر جماعة
باب دار ابن سالم فقيل له تكلم فقد حضر اصحابك فقال لا ما هؤلاء اصحابي انما هم اصحاب المجلس ان اصحابي هم الخواص واما
الشطح فنعني به صنفين من الكلام احدثه بعض المتصوفة فاحدهما الدعاوي الطويلة العريضة في العشق مع الله سبحانه والوصال
المغني عن الاعمال الظاهرة حتى ينتهي قوم الى دعوى الاتحاد وارتفاع الحجاب والمشاهدة بالرؤية والمشافهة بالخطاب فيقولون
قيل لنا كذا ويتشبهون فيه بالحسين الحلاج الذي صلب لاجل اطلاقه كلمات من هذا الجنس ويستشهدون بقوله انا الحق وبما
يحكون عن ابي يزيد البسطامي انه قال سبحاني سبحاني وهذا فن من الكلام عظيم ضرره في العوام حتى ترك جماعة من اهل
الفلاحة فلاحتهم واظهروا مثل ذلك الدعاوي فان هذا كلام يستلذه الطبع اذ فيه البطالة من الاعمال مع تزكية النفس بدرك
المقامات والاحوال فلا يعجز الاغبياء عن دعوى ذلك لانفسهم ولا عن تلقف كلمات مخبطة مزخرفة ومهما انكر عليهم ذلك لم
يعجزوا ان يقولوا هذا انكار مصدره العلم والجدل والعلم حجاب والجدل عمل النفس وهذا الحديث لا يلوح الا من الباطن بمكاشفة
نور الحق فهذا ومثله قد استطار في بعض البلاد شرره وعظم ضرره ومن نطق بشيء منه فقتله افضل في دين الله من احياء عشرة واما
ابو يزيد البسطامي فلا يصح عنه ما يحكى عنه وان سمع ذلك منه فلعله كان يحكيه عن الله تعالى في كلام يردده في نفسه كما لو
سمع وهو يقول انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني فانه ما كان ينبغي ان يفهم منه ذلك الا على سبيل الحكاية الصنف الثاني
من الشطح كلمات غير مفهومة لها ظواهر رائقة وفيها عبارات هائلة وليس وراءها طائل وذلك اما ان يكون غير مفهوم عند
قائلها بل يصدرها عن خبط في عقله وتشوش في خياله لقلة احاطته بمعنى كلام قرع سمعه وهذا هو الاكثر واما ان يكون مفهوما
له ولكنه لا يقدر على تفهيمه وايراده بعبارة تدل على ضميره لقلة ممارسته العلم وعدم تعلمه طريق التعبير عن المعاني بالالفاظ
الرشيقة ولا فائدة لهذا الجنس من الكلام الا انه يشوش القلوب ويدهش العقول ويحير الاذهان او يحمل على ان يفهم منها معاني ما
اريدت بها ويكون فهم كل واحد على مقتضى هواه وطبعه فقد قال صلى الله عليه وسلم كلموا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون
اتريدون ان يكذب الله ورسوله وهذا فيما يفهمه صاحبه ولا يبلغه عقل المستمع فكيف فيما لا يفهمه قائله فان كان يفهمه

يفهمه القائل دون السامع فلا يحل ذكره قال عيسى عليه السلام لا تضعوا الحكمة عند غير اهلها فتظلموها ولا تمنعوها اهلها
فتظلموهم كونوا كالطبيب الرفيق يضع الدواء في موضع الداء وفي لفظ اخر من وضع الحكمة في غير اهله جهل ومن منعها اهلها
ظلم ان للحكمة حقا وان لها اهلا فاعط كل ذي حق حقه واما الطامات فيدخلها ما ذكرناه في الشطح وامر اخر يخصه وهو
صرف الفاظ الشرع عن ظواهرها المفهومة الى امور باطنة لا يسبق منها الى الافهام فائدة كدأب الباطنية في التاويلات وهذا ايضا
حرام وضرره عظيم فان الالفاظ اذا صرفت عن مقتضى ظواهرها بغير اعتصام فيه بنقل عن صاحب الشرع ومن غير ضرورة تدعو اليه
من دليل العقل اقتضى ذلك بطلان الثقة بالالفاظ وسقط به منفعة كلام الله تعالى وكلام رسوله فان ما يسبق منه الى الفهم لا
يوثق به والباطن لا ضبط له بل تتعارض فيه الخواطر ويمكن تنزيله على وجوه شتى وهذا ايضا من البدع الشائعة العظيم ضررها
وانما قصد اصحابها بها الاغراب فان النفوس مائلة الى الغريب ومستلذة له وبهذا الطريق توصل الباطنية الى هدم جميع
الشريعة بتاويل ظواهرها وتنزيلها على رايهم كما حكيناه من مذهبهم في الكتاب المستظهري المصنف في الرد على الباطنية ومثال
طامات قول بعضهم في تاويل قوله اذهب الى فرعون انه طغى اشار الى قلبه وقال هو المراد بفرعون وهو الطاغي على كل انسان وفي قوله
والق عصاك اي كل ما تتوكا عليه وتعتمده مما سوى الله فينبغي ان تلقيه وفي قوله عليه السلام تسحروا فان في السحور بركة اراد به
الاستغفار بالاسحار وامثال ذلك حتى يحرفون القرآن من اوله الى اخره عن ظاهره وعن تفسيره المنقول عن ابن عباس وسائر العلماء وبعض
هذه التاويلات يعلم بطلانها قطعا كتنزيل فرعون على القلب فان فرعون شخص محسوس تواتر الينا وجوده ودعوة موسى له كابي لهب وابي جهل
وغيرهما من الكفار وليس من جنس الشياطين والملائكة مما لم يدرك بالحس حتى يتطرق التاويل الى الفاظه وكذلك حمل السحور على
الاستغفار فانه كان صلى الله عليه وسلم يتناول الطعام ويقول تسحروا وهلموا الى الغداء المبارك فهذه امور يدرك بالتواتر
والحس بطلانها وبعضها يعلم بغالب الظن وذلك في امور لا يتعلق بها الاحساس وكل ذلك حرام وضلالة وافساد للدين على الخلق
ولم ينقل من ذلك شيء عن الصحابة ولا عن التابعين ولا عن الحسن البصري مع اكبابه على دعوة الخلق ووعظهم ولا يظهر لقوله صلى الله عليه
وسلم من فسر القرآن برايه فليتبوأ مقعده من النار معنى الا هذا النمط وهو ان يكون غرضه ورايه تقرير امر وتحقيقه فيستجر شهادة القرآن
اليه ويحمله عليه من غير ان يشهد لتنزيله عليه دلالة لفظية لغوية او نقلية ولا ينبغي ان يفهم منه انه يجب ان لا يفسر القرآن بالاستنباط
والفكر فان من الآيات ما نقل فيها عن الصحابة والمفسرين خمسة معان وستة وسبعة ونعلم ان جميعها غير مسموعة من النبي صلى الله
عليه وسلم فانها قد تكون متنافية لا تقبل الجمع فيكون ذلك مستنبطا بحسن الفهم وطول الفكر ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لابن
عباس اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل ومن يستجيز من اهل الطامات مثل هذه التاويلات مع علمه بانها غير مرادة بالالفاظ
ويزعم انه يقصد بها دعوة الخلق الى الحق يضاهي من يستجيز الاختراع والوضع على رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هو في نفسه حق
ولكنه لم ينطق به الشرع كمن يضع في كل مسالة يراها حقا حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك ظلم وضلال ودخول في الوعيد
المفهوم من قوله من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار بل الشر في تاويل هذه الالفاظ اطم واعظم لانها مبطلة للثقة
بالالفاظ وقاطعة طريق الاستفادة والفهم من القرآن بالكلية فقد عرفت كيف صرف الشيطان دواعي الخلق من العلوم المحمودة الى
المذمومة وكل ذلك من تلبيس علماء السوء بتبديل الاسامي فان اتبعت هؤلاء اعتمادا على الاسم المشهور من غير التفات الى ما عرف في العصر
الاول كنت كمن طلب الشرف بالحكمة باتباع من يسمى حكيما في هذا العصر وذلك بالغفلة عن تبديل اللفظ اللفظ الخامس
وهو الحكمة فان اسم الحكيم صار يطلق على الطبيب والشاعر والمنجم حتى على الذي يدحرج القرعة على اكف السوادية في شوارع الطرق

فالحكمة هي التي اثنى الله تعالى عليها فقال ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وقال عليه السلم كلمة من الحكمة يتعلمها الرجل خير له من الدنيا فانظر ما الذي كانت الحكمة عبارة عنه والى ماذا نقل وقس به بقية الالفاظ فاحترز عن الاغترار بتلبيسات علماء السوء فان شرهم اعظم على الدين من شر الشيطان اذ الشياطين بواسطتهم يتدرع الى انتزاع الدين من قلوب الخلق ولهذا لما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شر الخلق ابى وقال اللهم غفرا حتى كرروا عليه فقال هم علماء السوء فقد عرفت العلم المحمود والمذموم ومثار الالتباس واليك الخيرة في ان تنظر لنفسك فتقتدي بالسلف او تتدلى بحبل الغرور وتتشبه بالخلف فكل ما ارتضاه السلف من العلوم فقد اندرس وما اكب الناس عليه فاكثره مبتدع محدث وقد صح قول رسول الله صلى الله عليه وسلم بدا الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدا فطوبى للغرباء فقيل ومن الغرباء فقال الذين يصلحون ما افسده الناس من سنتي والذين يحيون ما اماتوه من سنتي وفي خبر اخر هم المتمسكون بما انتم عليه اليوم وفي حديث اخر الغرباء ناس قليل صالحون بين ناس كثير من يبغضهم اكثر ممن يحبهم وقد صارت تلك العلوم غريبة بحيث يمقت ذاكرها ولذلك قال الثوري اذا رايت العالم كثير الاصدقاء فاعلم انه مخلط لانه ان نطق بالحق ابغضوه

بيان القدر المحمود من العلوم المحمودة

اعلم ان العلم بهذا الاعتبار ثلاثة اقسام قسم هو مذموم قليله وكثيره وقسم هو محمود قليله وكثيره وكلما كان اكثر كان احسن وافضل وقسم يحمد منه مقدار الكفاية ولا يحمد الفاضل عليه والاستقصاء فيه وهو مثل احوال البدن فان منه ما يحمد قليله وكثيره كالصحة والجمال ومنه ما يذم قليله وكثيره كالقبح وسوء الخلق ومنه ما يحمد الاقتصاد فيه كبذل المال فان التبذير لا يحمد فيه وهو بذل وكالشجاعة فان التهور لا يحمد وان كان من جنس الشجاعة فكذا العلم

فالقسم المذموم قليله وكثيره ما لا فائدة فيه في دين ولا دنيا وفيه ضرر يغلب نفعه كعلم السحر والطلسمات والنجوم فبعضه لا فائدة فيه اصلا وصرف العمر الذي هو انفس ما يملكه الانسان اليه اضاعة واضاعة النفايس مذموم ومنه ما فيه ضرر يربي على ما يظن انه يحصل به من قضاء وطر في الدنيا فان ذلك لا يعتد به بالاضافة الى الضرر الحاصل منه واما القسم المحمود الى اقصى غايات الاستقصاء فهو العلم بالله وصفاته وافعاله وسنته في خلقه وحكمته في ترتيب الاخرة على الدنيا فان هذا علم مطلوب لذاته وللتوصل به الى سعادة الاخرة وبذل المقدور فيه الى اقصى الجهد قصور عن حد الواجب فانه البحر الذي لا يدرك غوره وانما يحوم الحائمون على سواحله واطرافه بقدر ما يسر لهم وما خاض اطرافه الا الانبياء والاولياء والراسخون في العلم على اختلاف درجاتهم بحسب اختلاف قوتهم وتفاوت تقدير الله في حقهم وهذا هو العلم المكنون الذي لا يسطر في الكتب ويعين على التنبه له التعلم ومشاهدة احوال علماء الاخرة كما سياتي علامتهم هذا في اول الامر ويعين عليه في الاخر المجاهدة والرياضة وتصفية القلب وتفريغه عن علائق الدنيا والتشبه فيه بانبياء الله واوليائه ليتضح منه لكل ساع الى طلبه بقدر الرزق لا بقدر الجهد ولكن لا غنى فيه عن الاجتهاد فالمجاهدة مفتاح الهداية لا مفتاح لها سواها واما العلوم التي لا يحمد منها الا مقدار مخصوص فهي العلوم التي اوردناها في فروض الكفايات فان في كل منها اقتصارا وهو الاقل واقتصادا وهو الوسط واستقصاء وراء الاقتصاد لا مرد له الى اخر العمر فكن احد رجلين اما مشغولا بنفسك واما متفرغا الى غيرك بعد الفراغ من نفسك واياك ان تشتغل بما يصلح غيرك قبل اصلاح نفسك فان كنت المشغول بنفسك فلا تشتغل الا بالعلم الذي هو فرض عينك بحسب ما يقتضيه حالك وما يتعلق منه بالاعمال الظاهرة من تعلم الصلوة والطهارة والصوم وانما الاهم الذي اهمله الكل علم صفات القلب وما يحمد منها وما يذم اذ لا ينفك بشر عن الصفات المذمومة من الحرص والحسد والرياء والكبر والعجب واخواتها وجميع ذلك مهلكات واهمالها مع الاشتغال بالاعمال الظاهرة يضاهي الاشتغال بطلاء ظاهر البدن عند التاذي بالجرب والدماميل والتهاون باخراج المادة بالفصد والاسهال وحشوية العلماء يشيرون بالاعمال الظاهرة كما يشير الطرقية من الاطباء بطلاء ظاهر البدن وعلماء الاخرة لا يشيرون الا بتطهير الباطن وقطع مواد الشر بافساد منابتها وقلع مغارسها وهي في القلب وانما فزع الاكثرون الى الاعمال الظاهرة عن تطهير القلب لسهولة اعمال الجوارح واستصعاب اعمال القلوب كما يفزع الى الطلاء الظاهر من يستصعب شرب الادوية المرة المقرة فلا يزال يتعب في الطلاء ويزيد في المواد ويتضاعف به الامراض فان كنت مريدا للاخرة وطالبا للنجاة وهاربا من هلاك الابد فاشتغل بعلم العلل الباطنة وعلاجها على ما فصلناه في ربع المهلكات ثم ينجر بك ذلك الى المقامات المحمودة المذكورة في ربع المنجيات لا محالة فان القلب اذا فرغ من المذموم امتلأ بالمحمود والارض اذا نقيت من الحشيش نبت فيها اصناف الزروع والرياحين وان لم يفرغ من ذلك فلا تشتغل بفروض الكفايات لا سيما وفي الخلق من قد قام به فان مهلك نفسه فيما به صلاحه غيره سفيه فما اشد حماقة من دخلت الافاعي والعقارب داخل ثيابه وهمت بقتله وهو يطلب مذبة يدفع بها الذباب عن غيره ممن لا يغنيه ولا ينجيه مما يلاقيه من تلك الحيات والعقارب اذا همت به وان تفرغت من نفسك وتطهيرها وقدرت على ترك ظاهر الاثم وباطنه وصار ذلك ديدنا لك وعادة متيسرة فيك وما ابعد ذلك منك فاشتغل بفروض الكفايات وراع التدريج فيها فابتدئ بكتاب الله وسنة رسوله ثم بعلم التفسير وسائر علوم القرآن من علم الناسخ والمنسوخ والمفصول والموصول والمحكم والمتشابه وكذلك في السنة ثم اشتغل بالفروع وهو علم المذهب ثم علم الفقه دون الخلاف ثم باصول الفقه هكذا الى بقية العلوم على ما يتسع العمر ويساعد فيه الوقت ولا تستغرق عمرك في فن واحد منها طلبا للاستقصاء فان العلم كثير والعمر قصير وهذه العلوم آلات ومقدمات وليست مطلوبة لعينها بل لغيرها وكل ما يطلب لغيره فلا ينبغي ان ينسى فيه المطلوب ويستكثر منه فاقتصر من شائع علم اللغة على ما تفهم منه كلام العرب وتنطق به ومن غريبه على غريب القرآن وغريب الحديث ودع التعمق فيه واقتصر من النحو على ما يتعلق بالكتاب والسنة فما من علم الا وله اقتصار واقتصاد واستقصاء ونحن نشير اليها في التفسير والحديث والفقه والكلام ليقيس بها غيرها فالاقتصار في التفسير ما يبلغ ضعف القرآن في المقدار كما صنفه علي الواحدي النيسابوري وهو الوجيز والاقتصاد ما يبلغ ثلثة اضعاف القرآن كما صنفه من الوسيط فيه وما وراء ذلك استقصاء مستغنى عنه ولا مرد له الا انتهاء العمر واما الحديث فالاقتصار فيه تحصيل ما في الصحيحين بتصحيح نسخة على رجل خبير بعلم متن الحديث واما حفظ اسامي الرجال فقد كفيت فيه بما تحمله عنك من قبلك ولك ان تعول على كتبهم وليس يلزمك حفظ متون الصحيحين ولكن تحصله تحصيلا تقدر على طلب ما تحتاج اليه عند الحاجة واما الاقتصاد فيه فان تضيف اليه ما خرج منها عما اورد في المسندات الصحاح واما الاستقصاء فما وراء ذلك الى استيعاب كل ما نقل من الضعيف والقوي والصحيح والسقيم مع معرفة الطرق الكثيرة في النقل ومعرفة احوال الرجال واساميهم واوصافهم واما الفقه فالاقتصار فيه ما يحويه مختصر المزني رحمه الله وهو الذي رتبناه في خلاصة المختصر والاقتصاد فيه ما يبلغ ثلاثة امثاله وهو القدر الذي اوردناه في الوسيط من المذهب والاستقصاء ما اوردناه في البسيط الى ما وراء ذلك من المطولات واما الكلام فمقصوده حماية المعتقدات التي نقلها اهل السنة من السلف لا غير وما وراء ذلك طلب لكشف حقائق الامور من غير طريقه ومقصود حفظ السنة تحصل رتبة الاقتصار منه بمعتقد مختصر وهو القدر الذي اوردناه في كتاب قواعد العقائد من جملة هذه الكتب والاقتصاد فيه ما يبلغ قدر مائة ورقة وهو الذي اوردناه في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد ويحتاج اليه لمناظرة مبتدع ومعارضة بدعته بما يفسدها وينزعها عن قلب العامي وذلك لا ينفع الا مع العوام قبل اشتداد تعصبهم اما المبتدع بعد ان تعلم من الجدل ولو شيئا يسيرا فقلما ينفع معه الكلام فانك ان افحمته لم يترك مذهبه واحال القصور على نفسه وقدر ان عنده جوابا هو عاجز عنه وانما انت تلبس بقوة المجادلة عليه واما العامي اذا صرف عن الحق بنوع جدل

فيحكى انه يرد عليه بمثله قبل ان يشتد التعصب للاهواء فاذا اشتد تعصبهم وقع اليأس عنهم اذ التعصب سبب يرسخ العقائد في النفوس وهذا ايضا من آفات العلماء السوء فانهم يبالغون في التعصب للحق وينظرون الى المخالفين بعين الازدراء والاستحقار فينبعث منهم الدواعي بالمكافاة والمقابلة ويتوفر بواعثهم على طلب نصرة الباطل ويقوى غرضهم في التمسك بما نسبوا اليه ولو جاؤا من جانب اللطف والرحمة والنصح في الخلوة لا في معرض التعصب والتحقير لانجحوا فيه ولكن لما كان الجاه لا يقوم الا بالاستتباع ولا يستميل الاتباع مثل التعصب واللعن والشتم للخصوم اتخذوا التعصب عادتهم وآلتهم وسموه ذبا عن الدين ونضالا عن المسلمين وفيه على التحقيق هلاك الخلق ورسوخ البدعة في النفوس واما الخلافيات التي احدثت في هذه الاعصار المتأخرة وابدع فيها من التحريرات والتصنيفات والمجادلات ما لم يعهد مثلها في السلف فاياك ان تحوم حولها واجتنبها اجتناب السم القاتل فانه الداء العضال وهو الذي رد الفقهاء كلهم الى طلب المنافسة والمباهاة على ما سيأتيك تفصيل غوائله وآفاته وهذا الكلام ربما يسمع من قائله فيقال الناس اعداء ما جهلوا ولا تظنن ذلك فعلى الخبير سقطت فيه فاقبل هذه النصيحة ممن ضيع العمر فيه زمانا وزاد فيه على الاولين تصنيفا وتحقيقا وجدلا وبيانا ثم الهمه الله رشده واطلعه على عيبه فهجره واشتغل بنفسه ولا يغرنك قول من يقول الفتوى عماد الشرع ولا يعرف علله الا بعلم الخلاف فان علل المذهب مذكورة في المذهب والزيادة عليها مجادلات لم يعرفها الاولون ولا الصحابة رضي الله عنهم اجمعين وقد كانوا اعلم بعلل الفتوى من غيرهم بل هي مع انها غير مفيدة في علم المذهب فهي ضارة مفسدة لذوق الفقه فان الذي يشهد له حدس المفتي اذا صح ذوقه في الفقه لا يمكن تمشيته على شروط الجدل في اكثر الامر فمن الف طبعه رسوم الجدال اذعن ذهنه لمقتضيات الجدل وجبن عن الاذعان لذوق الفقه وانما يشتغل به من يشتغل لطلب الصيت والجاه ويتعلل بانه يطلب علل المذهب وقد ينقضي عليه العمر ولا ينصرف همته الى علم المذهب فكن من شياطين الجن في امان واحترز من شياطين الانس فانهم اراحوا شياطين الجن من التعب في الاغواء والاضلال وبالجملة فالمرضي عند العقلاء ان تقدر نفسك في العالم وحدك مع الله و بين يديك الموت والعرض والحساب والجنة والنار وتأمل فيما يعنيك مما بين يديك ودع عنك ما سواه والسلام وقد رأى بعض الشيوخ بعض العلماء في المنام فقال له ما خبر تلك العلوم التي كنت تجادل فيها وتناظر عليها فبسط يده ونفخ فيها وقال طاحت كلها هباء منثورا ما انتفعت الا بركعتين خلصتا لي في جوف الليل وفي الحديث ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا اوتوا الجدل ثم قرأ ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون وفي الحديث في معنى قوله تعالى واما الذين في قلوبهم زيغ الاية هم اهل الجدل الذين عناهم الله بقوله فاحذروهم وقال بعض السلف يكون في اخر الزمان قوم يغلق عنهم باب العمل ويفتح عليهم باب الجدل وفي بعض الاخبار انكم في زمان الهمتم فيه العمل وسيأتي قوم يلهمون الجدل وفي الخبر المشهور ابغض الخلق الى الله الالد الخصم وفي الخبر ما اوتي قوم المنطق الا منعوا العمل

الباب الرابع

في سبب اقبال الخلق على علم الخلاف وتفصيل آفات المناظرة والجدل وشروط اباحتها

اعلم ان الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم تولاها الخلفاء الراشدون وكانوا ائمة علماء بالله وفقهاء في احكامه ومستقلين بالفتاوى والاقضية وكانوا لا يستعينون بالفقهاء الا نادرا في وقائع لا يستغنى فيها عن المشاورة فتفرغ العلماء لعلم الآخرة وتجردوا لها وكانوا يتدافعون الفتاوى وما يتعلق باحكام الخلق من الدنيا واقبلوا على الله بكنه اجتهادهم كما نقل من سيرتهم فلما افضت الخلافة بعدهم الى اقوام تولوها بغير استحقاق ولا استقلال بعلم الفتاوى والاحكام اضطروا الى الاستعانة بهم اعني الفقهاء والى استصحابهم في جميع احوالهم لاستفتائهم في مجاري احكامهم وكان قد بقي من علماء التابعين من هو مستمر على الطراز الاول وملازم صفو الدين ومواظب على سمت علماء السلف فكانوا اذا طلبوا هربوا واعرضوا واضطر

واضطروا الى الالحاح في طلبهم لتولية القضاء والحكومات فرأى اهل تلك الاعصار عز العلماء واقبال الائمة والولاة عليهم مع اعراضهم عنهم فاشرأبوا لطلب العلم توصلا الى نيل العز ودرك الجاه من قبل الولاة فاكبوا على علم الفتاوى وعرضوا انفسهم على الولاة وتعرفوا اليهم وطلبوا الولايات والصلات منهم فمنهم من حرم ومنهم من انجح والمنجح لم يخل عن ذل الطلب ومهانة الابتذال فاصبح الفقهاء بعد ان كانوا مطلوبين طالبين وبعد ان كانوا اعزة بالاعراض عن السلاطين اذلة بالاقبال عليهم الا من وفقه الله في كل عصر من علماء دينه وقد كان اكثر الاقبال في تلك الاعصار على علم الفتاوى والاقضية لشدة الحاجة اليها في الولايات والحكومات ثم ظهر بعدهم من الصدور والامراء من يسمع مقالات الناس في قواعد العقائد ومالت نفسه الى سماع الحجج فيها فعلمت رغبته الى المناظرة والمجادلة في الكلام فانكب الناس على علم الكلام واكثروا فيه التصانيف ورتبوا فيها طرق المجادلات و استخرجوا فنون المناقضات في المقالات وزعموا ان غرضنا الذب عن دين الله والنضال عن السنة وقمع المبتدعة كما زعم من قبلهم ان غرضهم الاشتغال بفتاوى الدين وتقلد احكام المسلمين اشفاقا على خلق الله ونصيحة لهم ثم ظهر بعد ذلك من الصدور من لم يستصوب الخوض في الكلام وفتح باب المناظرة فيه لما كان قد تولد من فتح بابه من التعصبات الفاحشة والخصومات الناشئة المفضية الى اهراق الدماء وتخريب البلاد ومالت نفسه الى المناظرة في الفقه وبيان الاولى من مذهب الشافعي وابي حنيفة على الخصوص فترك الناس الكلام وفنون العلم واقبلوا على المسائل الخلافية بين الشافعي وابي حنيفة رضي الله عنهما على الخصوص وتساهلوا في الخلاف مع مالك وسفيان واحمد وغيرهم وزعموا ان غرضهم استنباط دقائق الشرع وتقرير علل المذاهب وتمهيد اصول الفتاوى واكثروا فيها التصانيف والاستنباطات ورتبوا فيها انواع المجادلات والتصنيفات وهم مستمرون الى الآن عليه وليس ندري ما الذي قدر الله فيما بعدنا من الاعصار فهذا هو الباعث على الاكباب على الخلافيات والمناظرة لا غير ولو مالت نفوس ارباب الدنيا الى الخلاف مع امام آخر من الائمة او الى علم آخر من العلوم لمالوا ايضا معهم ولم يسكتوا عن التعلل بان ما اشتغلوا به علم الدين وان لا مطلب لهم سوى التقرب الى رب العالمين

بيان التلبيس في تشبيه هذه المناظرات بمشاورات الصحابة ومفاوضات السلف

اعلم ان هؤلاء قد يستدرجون الناس الى ذلك بان غرضنا من المناظرة المباحثة عن الحق ليتضح فان الحق مطلوب والتعاون على النظر وتوارد الخواطر مفيد ومؤثر وهكذا كان عادة الصحابة في مشاوراتهم كتشاورهم في مسألة الجد والاخوة وحد شرب الخمر ووجوب الغرم على الامام اذا اخطأ كما نقل من اجهاض المرأة جنينها خوفا من عمر وكما نقل في مسائل الفرائض وغيرها وما نقل عن الشافعي ومحمد بن الحسن ومالك وابي يوسف وغيرهم من العلماء وليطلعك على هذا التلبيس ما اذكره وهو ان التعاون على طلب الحق من الدين ولكن له شروط وعلامات ثمان الاول ان لا يشتغل به وهو من فروض الكفايات من لم يتفرغ عن فروض الاعيان ومن عليه فرض عين فاشتغل بفرض الكفاية وزعم ان مقصوده الحق فهو كذاب ومثاله من ترك الصلاة في نفسه وتجرد في تحصيل الثياب ونسجها ويقول غرضي بذلك ستر عورة من يصلي عاريا ولا يجد الثوب فان ذلك ربما يتفق ووقوعه ممكن كما يزعم الفقيه ان وقوع النوادر عنها البحث في الخلاف ممكن والمشتغلون بالمناظرة اهملوا امورا هي فرض عين بالاتفاق ومن توجه عليه رد وديعة في الحال فقام وتحرم بالصلاة التي هي اقرب القربات الى الله عصى به فلا يكفي في كون الشخص مطيعا كون فعله من جنس الطاعات ما لم يراع فيه الوقت والشرط والترتيب الثاني ان لا يرى فرض كفاية اهم من المناظرة فان رأى ما هو اهم عصى بفعله وكان مثاله من يرى جماعة من العطاش اشرفوا على الهلاك وقد اهملهم الناس وهو قادر على احيائهم بان يسقيهم الماء فاشتغل بتعلم الحجامة وزعم انه من فروض الكفايات ولو خلا عنها البلد هلك الناس واذا قيل في البلد

جماعة من المحاسبين وفيهم غنية فيقول وهذا لا يخرج هذا الفعل عن كونه فرض كفاية فحال من يفعل هذا ويهمل الاشتغال
بالواقعة المسلمة بجماعة من العطاش من المسلمين كحال المشتغل بالمناظرة وفي البلد فروض كفايات مهملة لا قائم بها واما
للفتوى فقد قام بها جماعة ولا يخلو بلد عن جملة من فروض الكفايات المهملة ولا يلتفت الفقهاء اليها واكثرها الطب اذ لا
يوجد في اكثر البلاد طبيب مسلم يجوز اعتماد شهادته فيما يعول على قول الطبيب فيه شرعا فانه من فروض الكفايات وربما
يكون المناظر في مجلس مناظرته مشاهدا للحرير ملبوسا ومفروشا وهو ساكت ويناظر في مسئلة لا يتفق وقوعها قط وان وقعت
قام بها جماعة من الفقهاء ثم يزعم انه يريد ان يتقرب به الى الله بفرض الكفاية وقد روى انس انه قيل يا رسول الله متى تترك الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر فقال اذا ظهر الادهان في خياركم والفاحشة في شراركم وتحول الملك في صغاركم والفقه في
ارذالكم الثالث ان يكون المناظر مجتهدا يفتي برأيه لا بمذهب الشافعي وابي حنيفه وغيرهما حتى اذا ظهر الحق في مذهب ابي حنيفه
ترك ما يوافق الشافعي وافتى بما ظهر له كما كان يفعله الصحابة والائمة واما من ليس له رتبة الاجتهاد وهو حكم جميع اهل العصر وانما
يفتي فيما يسأل عنه ناقلا عن مذهب صاحبه فلو ظهر له ضعف مذهبه لم يجز له ان يتركه فاي فائدة له في المناظرة ومذهبه معلوم
وليس له الفتوى بغيره وما يشكل عليه يلزمه ان يقول لعل عند صاحب مذهبي جوابا عن هذا فاني لست مستقلا بالاجتهاد في اصل الشرع
ولو كانت مباحثته عن المسائل التي فيها وجهان او قولان لصاحبه لكان اشبه فانه ربما يفتي باحدهما فيستفيد من البحث ميلا
الى احد الجانبين ولا ترى المناظرات جارية فيها قط بل ربما ترك المسئلة التي فيها وجهان او قولان وطلب مسئلة يكون الخلاف فيها
مبتوتا الرابع ان لا يناظر الا في مسئلة واقعة او قريبة الوقوع غالبا فان الصحابة ما تشاوروا الا فيما تجدد من الوقائع
او ما يغلب وقوعه كالفرائض ولا ترى المناظرين يهتمون بانتقاد المسائل التي تعم البلوى بالفتوى فيها بل يطلبون الطبوليات
التي تتسع مجال الجدل فيها كيف ما كان الامر وربما يتركون ما يكثر وقوعه ويقولون هذه مسئلة خبرية او هي من الزوايا وليست من
الطبول فمن العجائب ان يكون المطلب هو الحق ثم يترك المسئلة لانها خبرية ومدرك الحق هو الاخبار او لانها ليست من الطبول فلا
تطول فيها الكلام والمقصود في الحق ان يقصر الكلام ويبلغ الغاية على القرب لا ان يطول الخامس ان يكون المناظرة في الخلوة
احب اليه واهم من المحافل وبين اظهر الاكابر والسلاطين فان الخلوة اجمع للفهم واحرى بصفاء الفكر ودرك الحق وفي حضور الجمع
ما يحرك دواعي الرياء ويوجب الحرص على نصرة كل واحد نفسه محقا كان او مبطلا وانت تعلم ان حرصهم على المحافل والمجامع وان الواحد
يخلو بصاحبه مدة طويلة ولا يكلمه وربما يقترح عليه فلا يجيب فاذا ظهر مقدم او انتظم مجمع لم يغادر في قوس الاحتيال منزعا حتى
يكون هو المتخصص بالكلام السادس ان يكون في طلب الحق كناشد ضالة لا يفرق بين ان تظهر الضالة على يده او على يد من يعاونه
ويرى رفيقه معينا لا خصما ويشكره اذا عرفه الخطأ واظهر له الحق كما لو اخذ طريقا في طلب ضالته فنبهه صاحبه على ضالته
في موضع آخر فانه كان يشكره ولا يذمه ويفرح به ولا يكرهه فهكذا كانت مشاورات الصحابة حتى ردت امرأة على عمر رضي الله عنه
وهو في خطبته على ملأ من الناس فقال اصابت امرأة واخطأ رجل وسأل رجل عليا رضي الله عنه فاجاب فقال ليس كذلك يا امير المؤمنين
ولكن كذا وكذا فقال اصبت واخطأت وفوق كل ذي علم عليم واستدرك ابن مسعود على ابي موسى الاشعري فقال ابو موسى لا تسألوني
عن شيء وهذا الحبر بين اظهركم وذلك لما سئل عن رجل قاتل في سبيل الله فقتل فقال هو في الجنة فقال ابو موسى ما قال فهكذا يكون
انصاف اهل الحق ولو ذكر الآن مثل هذا لاقل فقيه لانكره واستبعده وقال لا يحتاج الى ان يقال اصاب الحق فان ذلك معلوم لكل
احد فانظر الى مناظري زمانك كيف يسود وجه احدهم اذا اتضح الحق على لسان خصمه وكيف يخجل به وكيف يجتهد في مجاحدته باقصى

قدرته وكيف يذم من افحمه طول عمره ثم لا يستحيي من تشبيه نفسه بالصحابة في تعاونهم على النظر السابع ان لا يمنع
معينه في النظر من الانتقال من دليل الى دليل ومن اشكال الى اشكال فهكذا كانت مناظرات السلف ويخرج من كلامه دقائق الجدل
المبتدعة فيما له وعليه كقوله هذا لا يلزمني ذكره وهذا يناقض كلامك الاول فلا يقبل منك فان الرجوع الى الحق ابدا يكون مناقضا
للباطل ويجب قبوله وانت ترى ان جميع المجالس تنقضي في المدافعات والمجادلات حتى يقيس المستدل على اصل بعلة يظنها فيقال
وما الدليل على ان الحكم في الاصل معلل بهذه العلة فيقول هذا ما ظهر لي فان ظهر لك ما هو اوضح واولى منه فاذكره حتى انظر
فيه فيصر المعترض ويقول فيه معان سوى ما ذكرته وقد عرفتها ولا اذكرها اذ لا يلزمني ذكرها ويقول المستدل عليك ابراز ما تدعيه
وراء هذا ويصر المعترض على انه لا يلزمه ويتوخى مجالس المناظرة بهذا الجنس من السؤال وامثاله ولا يعرف هذا المسكين ان قوله اني
اعرف ولا اذكره اذ لا يلزمني كذب على الشرع فانه ان كان لا يعرف معنى وانما يدعيه ليعجز خصمه فهو فاسق كذاب عصى الله سبحانه وتعالى
وتعرض لسخطه بدعواه معرفة هو خال عنها وان كان صادقا فقد فسق باخفائه ما عرفه من امر الشرع وقد سأله اخوه المسلم ليفهمه
وينظر فيه فان كان قويا رجع اليه وان كان ضعيفا اظهر له ضعفه واخرجه عن ظلمة الجهل ولا خلاف ان اظهاره ما علم من علم
الدين بعد السؤال عنه واجب لازم فمعنى قوله لا يلزمني اي في الشرع الجدل الذي ابدعناه بحكم التشهي والرغبة في طرق الاحتيال
والمصارعة في الكلام لا يلزمني والا فهو لازم بالشرع فانه بامتناعه عن الذكر اما كاذب واما فاسق فتفحص عن مشاورات الصحابة
ومفاوضات السلف هل سمعت فيها ما يضاهي هذا الجنس وهل منع احدهم من الانتقال من دليل الى دليل ومن قياس الى اثر ومن خبر
الى آية بل جميع مناظراتهم من هذا الجنس اذ كانوا يذكرون كل ما يخطر لهم كما يخطر وكانوا ينظرون فيه الثامن ان يناظر من يتوقع
الاستفادة منه ممن هو مستقل بالعلم والغالب انهم يحترزون من مناظرة الفحول والاكابر خوفا من ظهور الحق على لسانهم ويرغبون
فيمن دونهم طمعا في ترويج الباطل عليهم ووراء هذا شروط دقيقة ولكن في هذه الشروط الثمانية ما يهديك الى من يناظر لله و
من يناظر لعلة واعلم بالجملة ان من لا يناظر الشيطان وهو مستول على قلبه وهو اعدى عدوه ولا يزال يدعوه الى الهلاك ثم يشتغل بمناظرة
غيره في المسائل المجتهد فيها المصيب فيها واحد او مساهم للمصيب في الاجر فهو ضحكة الشيطان وعبرة للمخلصين ولذلك شمت الشيطان به لما غمسه
فيه من ظلمات الآفات التي نعددها ونذكر تفصيلها **بيان** آفات المناظرة وما يتولد منها من مهلكات الاخلاق اعلم وتحقق
ان المناظرة الموضوعة لقصد الغلبة والافحام واظهار الفضل والتشرف عند الناس وقصد المباهاة والمماراة واستمالة وجوه الناس
هي منبع جميع الاخلاق المذمومة عند الله المحمودة عند عدو الله ابليس ونسبتها الى الفواحش الباطنة من الكبر والعجب والحسد
والمنافسة وتزكية النفس وحب الجاه وغيرها كنسبة شرب الخمر الى الفواحش الظاهرة من الزنا والقذف والقتل والسرقة وكما ان الذي
خير بين الشرب وبين سائر الفواحش استصغر الشرب فاقدم عليه فدعاه ذلك الى ارتكاب بقية الفواحش في سكره فكذلك من غلب
عليه حب الافحام والغلبة في المناظرة وطلب الجاه والمباهاة دعاه ذلك الى اضمار الخبائث كلها في النفس وهيج فيه جميع الاخلاق
المذمومة وهذه الاخلاق سيأتي ادلة مذمتها من الاخبار والآيات في ربع المهلكات ولكنا نشير الآن الى مجامع ما يهيجه المناظرة
فمنها الحسد وقد قال صلى الله عليه وسلم الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب ولا ينفك المناظر عن الحسد فانه تارة يغلب
وتارة يغلب وتارة يحمد كلامه وتارة يحمد كلام غيره فما دام يبقى في الدنيا واحد يذكر بقوة في العلم والنظر او يظن انه احسن كلاما
منه واقوى نظرا فلا بد وان يحسده ويحب زوال النعم عنه وانصراف الوجوه والقلوب عنه اليه والحسد نار محرقة فمن بلي به
فهو في العذاب الاليم في الدنيا ولعذاب الآخرة اشد واعظم ولذلك قال ابن عباس خذوا العلم حيث وجدتموه ولا تقبلوا قول

الفقهاء بعضهم في بعض فانهم يتغايرون كما تتغاير التيوس في الزريبة ومنها التكبر والترفع على الناس وقد قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من تكبر وضعه الله ومن تواضع لله رفعه الله وقال حكاية عن الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني
واحدا منهما القيته في النار ولا ينفك المناظر عن التكبر على الاقران والترفع الى فوق قدره حتى انهم ليتقاتلون على مجلس من
المجالس يتنافسون فيها في الارتفاع والانخفاض والقرب من وسادة الصدر والبعد منه والتقدم في الدخول عند مضايق الطرق
وربما يتعلل الغبي والمكار الخداع منهم بانه يبغي صيانة عز العلم وان المؤمن منهي عن اذلال نفسه فيعبر عن التواضع الذي اثنى
الله تعالى عليه وسائر انبيائه بالذل وعن التكبر الممقوت عند الله بعز الدين تحريفا للاسم واضلالا للخلق به كما فعل في اسم الحكمة
والعلم وغيرهما ومنها الحقد فلا يكاد المناظر يخلو عنه وقد قال صلى الله عليه وسلم المؤمن ليس بحقود وورد في ذم الحقد
ما لا يخفى ولا ترى مناظرا يقدر على ان لا يضمر حقدا على من يحرك راسه على كلام خصمه ويتوقف في كلامه فلا يقابله بحسن الاصغاء
بل يضطر اذا شاهد ذلك الى اضمار الحقد وتربيته في النفس وغاية تماسكه الاخفاء بالنفاق ويترشح منه الى الظاهر لا محالة في
غالب الامر وكيف ينفك عن هذا ولا يتصور اتفاق جميع المستمعين على ترجيح كلامه واستحسان جميع احواله في ايراده واصداره
ثم لو صدر من خصمه ادنى سبب فيه قلة مبالاة بكلامه انغرس في صدره حقد لا يقلعه يد الدهر الى اخر العمر ومنها الغيبة
وقد شبهها الله تعالى باكل الميتة ولا يزال المناظر مثابرا على اكل الميتة فانه لا ينفك عن حكاية كلام خصمه ومذمته وغايته
تحفظه ان يصدق عليه ولا يكذب في الحكاية فيحكي عنه لا محالة ما يدل على قصور كلامه وعجزه ونقصان فضله وهو الغيبة
واما الكذب فبهتان وكذلك لا يقدر على ان يحفظ لسانه عن التعرض لعرض من يعرض عن كلامه ويصغي الى خصمه ويقبل عليه حتى
ينسبه الى الجهل والحماقة وقلة الفهم والبلادة ومنها تزكية النفس قال الله تعالى ولا تزكوا انفسكم وقيل لحكيم
ما الصدق القبيح فقال ثناء المرء على نفسه ولا يخلو المناظر عن الثناء على نفسه بالقوة والغلبة والتقدم بالفضل على الاقران
ولا ينفك في اثناء المناظرة عن قوله لست ممن يخفى عليه امثال هذه الامور وانا المتفنن في العلوم والمستقل بالاصول و
حفظ الاحاديث وغير ذلك مما يتمدح به تارة على سبيل الصلف وتارة للحاجة الى ترويج كلامه ومعلوم ان الصلف والتمدح مذموم
شرعا وعقلا ومنها التجسس وتتبع عورات الناس وقد قال تعالى ولا تجسسوا والمناظر لا ينفك عن طلب عثرات اقرانه وتتبع
عورات خصمه حتى انه ليخبر بورود مناظر الى البلد فيطلب من يخبر بواطن احواله ويستخرج بالسؤال مقابحه حتى يعدها ذخيرة
لنفسه في افضاحه وتخجيله اذا مست اليه حاجته حتى ليتكشف عن احوال صباه وعن عيوب بدنه فعساه يعثر على هفوة
او على عيب من قرع او غيره ثم اذا احس بادنى غلبة من جهته عرض به ان كان متماسكا ويستحسن ذلك منه ويقدم لطائف التشبيب
ولا يمتنع عن الافصاح ان كان متبجحا بالسفاهة والاستهزاء كما حكي عن اقوام من اكابر المناظرين والمعدودين من فحولهم ومنها
الفرح بمساءة الناس والغم بمسارهم ومن لا يحب لاخيه المسلم ما يحب لنفسه فهو بعيد عن اخلاق المؤمنين وكل من طلب المباهات
باظهار الفضل يسره لا محالة ما يسوء اقرانه واشكاله الذين يسامونه في الفضل ويكون التباغض بينهم كما بين الضرائر فكما
ان احدى الضرائر اذا رأت صاحبتها من بعيد ارتعدت فرائصها واصفر لونها فهكذا المناظر اذا رأى مناظرا فيتبدل لونه ويضطرب
عليه فكره وكانه شاهد شيطانا او سبعا ضاريا فاين الاستئناس والاسترواح الذي كان يجري بين علماء الدين عند اللقاء وما
نقل عنهم من المواخاة والتناصر والتساهم في السراء والضراء حتى قال الشافعي رضي الله عنه العلم بين اهل العقل رحم متصل
فلا ادري كيف يدعي الاقتداء بمذهبه جماعة صار العلم بينهم عداوة قاطعة وهل يتصور ان يستتب الانس مع طلب الغلبة و

المباهاة هيهات هيهات فناهيك بالشيء شرا ان يلزمك اخلاق المنافقين ويبرئك عن اخلاق المؤمنين والمتقين
ومنها النفاق ولا يحتاج الى ذكر الشواهد في ذمه وهم مضطرون اليه فانهم يلقون الخصوم ومحبيهم واشياعهم ولا
ولا يجدون بدا من التودد باللسان واظهار الشوق والاعتداد بمكانهم واحوالهم ويعلم المخاطب والمخاطب وكل من يسمع ذلك
منهم ان كل ذلك كذب وزور ونفاق وفجور وانهم متوددون بالالسنة متباغضون بالقلوب نعوذ بالله من ذلك فقد قال
صلى الله عليه وسلم اذا تعلم الناس العلم وتركوا العمل وتحابوا بالالسن وتباغضوا بالقلوب وتقاطعوا في الارحام لعنهم الله عند
ذلك فاصمهم واعمى ابصارهم رواه الحسن وقد صح ذلك بمشاهدة الحال ومنها الاستكبار عن الحق وكراهته والحرص
على المماراة فيه حتى ان ابغض شيء الى المناظر ان يظهر الحق على لسان خصمه ومهما ظهر تشمر لجحده وانكاره باقصى جهده وبذل غاية
امكانه في المخادعة والمكر والحيلة لدفعه ثم تصير المماراة عادة فيه طبيعية فلا يسمع كلاما الا وينبعث من طبعه داعية الى الاعتراض
عليه حتى يغلب ذلك على قلبه في ادلة القران والفاظ الشرع فيضرب البعض منها بالبعض والمراء في مقابلة الباطل محذور اذ ندب
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ترك المراء بالحق على الباطل فقال من ترك المراء وهو مبطل بني له بيت في ربض الجنة ومن ترك
المراء وهو محق بني له بيت في اعلى الجنة وقد سوى الله تعالى بين من افترى على الله كذبا وبين من كذب بالحق فقال ومن اظلم ممن افترى
على الله كذبا او كذب بالحق لما جاءه وقال فمن اظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق اذ جاءه ومنها الرياء وملاحظة الخلق والجهد
في استمالة قلوبهم وصرف وجوههم والرياء هو الداء العضال الذي يدعو الى اكبر الكبائر كما سياتي في كتاب الرياء والمناظر لا
يقصد الا الظهور عند الخلق وانطلاق السنتهم بالثناء عليه فهذه عشر خصال من امهات الفواحش الباطنة سوى ما يتفق لغير المتماسكين
منهم من الخصام المؤدي الى الضرب واللكم وتمزيق الثياب والاخذ باللحى وسب الوالدين وشتم الاستاذين والقذف الصريح
فان اولئك ليسوا معدودين في زمرة المعتبرين وانما الاكابر والعقلاء منهم لا ينفكون عن هذه الخصال العشر نعم قد يسلم بعضهم عن
من هو ظاهر الانحطاط عنه او ظاهر الارتفاع عليه او هو بعيد عن بلده واسباب معيشته ولا ينفك احد منه مع اشكاله
المقارنين له في الدرجة ثم يتشعب من كل واحدة من هذه الخصال العشر عشر اخرى من الرذائل ولم نطول الكتاب بذكرها وتفصيل
احادها مثل الانفة والغضب والبغضاء والطمع وحب المال والجاه للتمكن من الغلبة والمباهاة والاشر والبطر وتعظيم الاغنياء
والسلاطين والتردد اليهم والاخذ من حرامهم والتجمل بالخيول في المراكب والثياب المحظورة واستحقار الناس والفخر و
الخيلاء والخوض فيما لا يعني وكثرة الكلام وخروج الخشية والرحمة من القلب واستيلاء الغفلة عليه حتى لا يدري المصلي منهم
في صلوته ما الذي يقراه ومن الذي يناجيه ولا يحس بالخشوع من قلبه واستغراق العمر في العلوم التي تعين في المناظرة مع انها
لا تنفع في الاخرة حتى يحسن العبارة وتسجيع اللفظ وحفظ النوادر الى غير ذلك من امور لا تحصى والمناظرون يتفاوتون
فيها على حسب درجاتهم ولهم درجات شتى ولا ينفك اعظمهم دينا واكثرهم عقلا عن جمل من مواد هذه الاخلاق وانما غايته
اخفاؤها ومجاهدة النفس بها واعلم ان هذه الرذائل لازمة للمشتغل بالتذكير والوعظ ايضا اذا كان قصده طلب القبول واقامة
الجاه ونيل الثروة والعز وهي لازمة ايضا للمشتغل بعلم المذهب والفتاوى اذا كان قصده طلب القضاء وولاية الاوقاف
والتقدم على الاقران وبالجملة هي لازمة لكل من يطلب بالعلم غير ثواب الاخرة فالعلم لا يهمل العالم بل يهلكه هلاك الابد او يحييه حيوة
الابد ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اشد الناس عذابا يوم القيمة عالم لم ينفعه الله بعلمه فلقد ضره مع انه لم ينفعه وليته نجا
منه راسا براس وهيهات فخطر العلم عظيم وطالبه طالب الملك المؤبد والنعيم السرمد فلا ينفك عن الملك او الهلك وهو كطالب الملك

في الدنيا فان لم يتفق للاصابة لم يطمع في سلامة الارذال بل لا بد من افضح الاحوال فان قلت في الرخصة في المناظرة فائدة وهي ترغيب الناس في طلب العلم اذ لولا حب الرياسة لاندرست العلوم فقد صدقت فيما ذكرته من وجه ولكن غير مفيد اذ لولا الوعد بالكرة والصولجان واللعب بالعصافير ما رغب الصبيان في المكتب وذلك لا يدل على ان الرغبة فيه محمودة ولولا حب الرياسة لاندرس العلم ولا يدل على ان طالب الرياسة ناج بل هو من الذين قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم وقال ان الله تعالى يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر فطالب الرياسة في نفسه هالك وقد يصلح بسببه غيره ان كان يدعو الى ترك الدنيا وذلك فيمن كان حاله في ظاهر الامر حال علماء السلف ولكنه يضمر قصد الجاه فمثاله الشمع الذي يحترق في نفسه ويستضيء به غيره فصلاح غيره في هلاكه فاما اذا كان يدعو الى طلب الدنيا فمثاله النار المحرقة التي تأكل نفسها وغيرها فالعلماء ثلاثة اما مسعد نفسه وغيره وهم الداعون الى الله تعالى ظاهرا وباطنا واما مهلك نفسه مسعد غيره وهو الذي يدعو الى الآخرة وقد رفض الدنيا في ظاهره وقصده في الباطن قبول الخلق واقامة الجاه فانظر من اي الاقسام انت ومن اشتغلت بالاعتداد له ولا تظنن ان الله يقبل غير الخالص لوجهه من العلم والعمل وسيأتيك في كتاب الرياء بل في جميع ربع المهلكات ما ينفي عنك الريبة

في آداب المتعلم والمعلم اما المتعلم فآدابه ووظائفه كثيرة ولكن ينظم تفاريقها عشر جمل

تقديم طهارة النفس عن رذائل الاخلاق ومذموم الاوصاف

اذ العلم عبادة القلب وصلاة السر وقربة الباطن الى الله تعالى وكما لا يصح الصلاة التي هي وظيفة الجوارح الظاهرة الا بتطهير الظاهر عن الاحداث والاخباث فكذلك لا يصح عبادة الباطن وعمارة القلب بالعلم الا بعد طهارته عن خبائث الاخلاق وانجاس الاوصاف قال النبي صلى الله عليه وسلم بني الدين على النظافة وهو كذلك باطنا وظاهرا وقال الله تعالى انما المشركون نجس تنبيها للعقول على ان الطهارة والنجاسة غير مقصورة على الظواهر المدركة بالحس فالمشرك قد يكون نظيف الثوب مغسول البدن ولكنه نجس الجوهر اي ملطخ باطنه بالخبائث والنجاسة عبارة عما يجتنب ويطلب البعد منه وخبائث صفات النفس اهم بالاجتناب فانها مع خبثها في الحال مهلكات في المآل ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الملائكة بيتا فيه كلب او صورة والقلب بيت هو منزل الملائكة ومهبط اثرهم ومحل استقرارهم والصفات الرديئة مثل الغضب والشهوة والحقد والحسد والكبر والعجب واخواتها كلاب نابحة فانى يدخله الملائكة وهو مشحون بالكلاب ونور العلم لا يقذفه الله في القلب الا بواسطة الملائكة فما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا وهكذا ما يرسل من رحمة العلوم الى القلوب انما تتولاها الملائكة الموكلون بها وهم المقدسون المطهرون المبرؤون عن المذمومات فلا يلاحظون الا طيبا ولا يعمرون بما عندهم من خزائن رحمة الله الا طاهرا ولست اقول المراد بلفظ البيت هو القلب وبالكلب هو الغضب والصفات ولكني اقول هو تنبيه عليه وفرق بين تعبير الظواهر الى البواطن وبين التنبيه للبواطن من ذكر الظواهر مع تقرير الظواهر ففارق الباطنية بهذه الدقيقة فان هذا طريق الاعتبار وهو مسلك العلماء والابرار اذ معنى الاعتبار ان تعبر مما ذكر الى غيره فلا تقتصر عليه كما يرى العاقل مصيبة لغيره فيكون له فيها عبرة بان تعبر منها الى التنبه لكونه ايضا عرضة للمصائب وكون الدنيا بصدد الانقلاب فعبوره من غيره الى نفسه ومن نفسه الى اصل الدنيا عبرة محمودة فاعبر انت ايضا من البيت الذي هو بناء الخلق الى القلب الذي هو بيت من بناء الله سبحانه وتعالى ومن الكلب الذي ذم لصفته لا لصورته وهو ما فيه من سبعية ونجاسته الى الروح الكلبية وهي السبعية واعلم ان القلب المشحون بالغضب والشره الى الدنيا والتكالب عليها والحرص على التمزيق لاعراض الناس كلب في المعنى وقلب

٥

الملك في الدنيا فان لم يتفق للاصابة لم يطمع في سلامة الارذال بل لا بد من افضح الاحوال فان قلت في الرخصة في المناظرة فائدة وهي ترغيب الناس في طلب العلم اذ لولا حب الرياسة لاندرست العلوم فقد صدقت فيما ذكرته من وجه ولكنه غير مفيد اذ لولا الوعد بالكرة والصولجان واللعب بالعصافير ما رغب الصبيان في المكتب وذلك لا يدل على ان الرغبة فيه محمودة ولولا حب الرياسة لاندرس العلم ولا يدل على ان طالب الرياسة ناج بل هو من الذين قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم وقال ان الله تعالى يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر فطالب الرياسة في نفسه هالك وقد يصلح بسببه غيره ان كان يدعو الى ترك الدنيا وذلك فيمن كان حاله في ظاهر الامر حال علماء السلف ولكنه يضمر قصد الجاه فمثاله الشمع الذي يحترق في نفسه ويستضيء به غيره في هلاكه فاما اذا كان يدعو الى طلب الدنيا فمثاله النار المحرقة التي تأكل نفسها وغيرها فالعلماء ثلاثة اما مسعد نفسه وغيره وهم الداعون الى الله تعالى ظاهرا وباطنا واما مهلك نفسه وغيره وهم الداعون الى الله المصرحون بطلب الدنيا والمقبلون عليها واما مهلك نفسه مسعد غيره وهو الذي يدعو الى الآخرة وقد رفض الدنيا في ظاهره وقصده في الباطن قبول الخلق واقامة الجاه فانظر من اي الاقسام انت ومن اشتغلت بالاعتداد له ولا يظنن ان الله يقبل غير الخالص لوجهه من العلم والعمل وسيأتيك في كتاب الرياء بل في جميع ربع المهلكات ما ينفي عنك الريبة

الباب الخامس في آداب المتعلم والمعلم

اما المتعلم فآدابه ووظائفه كثيرة ولكن ينظم تفاريقها عشر جمل

الوظيفة الاولى تقديم طهارة النفس عن رذائل الاخلاق ومذموم الاوصاف اذ العلم عبادة القلب وصلاة السر وقربة الباطن الى الله تعالى وكما لا يصح الصلاة التي هي وظيفة الجوارح الظاهرة الا بتطهير الظاهر عن الاحداث والاخباث فكذلك لا يصح عبادة الباطن وعمارة القلب بالعلم الا بعد طهارته عن خبائث الاخلاق وانجاس الاوصاف قال النبي صلى الله عليه وسلم بني الدين على النظافة وهو كذلك باطنا وظاهرا وقال الله تعالى انما المشركون نجس تنبيها للعقول على ان الطهارة والنجاسة غير مقصورة على الظواهر المدركة بالحس فالمشرك قد يكون نظيف الثوب مغسول البدن ولكنه نجس الجوهر اي باطنه ملطخ بالخبائث والنجاسة عبارة عما يجتنب ويطلب البعد منه وخبائث صفات النفس اهم بالاجتناب فانها مع خبثها في الحال مهلكات في المآل ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الملائكة بيتا فيه كلب او صورة والقلب بيت هو منزل الملائكة ومهبط اثرهم ومحل استقرارهم والصفات الرديئة مثل الغضب والشهوة والحقد والحسد والكبر والعجب واخواتها كلاب نابحة فانى يدخله الملائكة وهو مشحون بالكلاب ونور العلم لا يقذفه الله في القلب الا بواسطة الملائكة فما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا وهكذا ما يرسل من رحمة العلوم الى القلوب انما تتولاها الملائكة الموكلون بها وهم المقدسون المطهرون المبرؤون عن المذمومات فلا يلاحظون الا طيبا ولا يعمرون بما عندهم من خزائن رحمة الله الا طاهرا ولست اقول المراد بلفظ البيت هو القلب وبالكلب هو الغضب والصفات ولكني اقول هو تنبيه عليه وفرق بين تعبير الظواهر الى البواطن وبين التنبيه للبواطن من ذكر الظواهر مع تقرير الظواهر ففارق الباطنية بهذه الدقيقة فان هذا طريق الاعتبار اذ معنى الاعتبار ان تعبر مما ذكر الى غيره فلا تقتصر عليه كما يرى العاقل مصيبة لغيره فلا يقتصر عليه كما يرى العاقل مصيبة لغيره فيكون له فيها عبرة بان تعبر منها الى التنبه لكونه ايضا عرضة للمصائب وكون الدنيا بصدد الانقلاب فعبوره من غيره الى نفسه ومن نفسه الى اصل الدنيا عبرة محمودة فاعبر انت ايضا من البيت الذي هو بناء الخلق الى القلب الذي هو بيت من بناء الله سبحانه ومن الكلب الذي ذم لصفته لا لصورته وهو ما فيه من سبعية ونجاسته الى الروح الكلبية وهي السبعية واعلم ان القلب المشحون بالغضب والشره الى الدنيا والتكالب عليها والحرص على

لاعراض الناس كلب في المعنى وقلب في الصورة ونور البصيرة يلاحظ المعاني دون الصورة والصور في هذا العالم غالبة على المعاني
فلذلك يحشر كل شخص على صورته المعنوية فيحشر الممزق لاعراض الناس كلبا ضاريا والشره الى اموالهم ذئبا عاديا والمتكبر عليهم
في صورة نمر وطالب الرياسة في صورة اسد وقد وردت بذلك الاخبار وشهد بذلك عند ذوي البصائر والابصار فان قلت
كم من طالب رديء الاخلاق حصل العلوم فهيهات ما ابعده عن العلم الحقيقي النافع في الآخرة الجالب للسعادة فان من اوائل ذلك
العلم ان يظهر له ان المعاصي سموم مهلكة وهل رايت من يتناول سما مع علمه بكونه سما انما الذي يسمعه من المترسمين حديث تلفقه
ويرددونه بالسنتهم مرة ويرددونه بقلوبهم اخرى وليس ذلك من العلم في شيء وقال ابن مسعود ليس العلم بكثرة الرواية انما العلم نور
يقذف في القلب وقال بعضهم انما العلم الخشية اذ قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وكان هذا اشارة الى اخص صفات ثمرات العلم
ولذلك قال بعض المحققين معنى قولهم تعلمنا العلم لغير الله فابى العلم ان يكون الا لله ان العلم ابى وامتنع علينا فلم ينكشف لنا حقيقته وانما
حصل لنا حديثه والفاظه فان قلت اني ارى جماعة من الفقهاء المحققين برزوا في الفروع والاصول وعدوا من جملة الفحول
واخلاقهم ذميمة لم يتطهروا منها فيقال اذا عرفت مراتب العلوم وعرفت علم الآخرة استبان لك ان ما اشتغلوا به قليل الغناء
من حيث كونه علما وانما غناؤه من حيث كونه عملا لله اذا قصد به التقرب الى الله تعالى وقد سبق الى هذا اشارة وسيأتيك فيه
مزيد بيان وايضاح **الوظيفة الثانية** ان يقلل علائقه من الاشتغال بالدنيا ويبعد عن الاهل والوطن فان العلائق شاغلة وصارفة
وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ومهما توزعت الفكرة قصرت عن درك الحقائق ولذلك قيل العلم لا يعطيك بعضه حتى
تعطيه كلك فاذا اعطيته كلك فانت من اعطائه اياك بعضه على خطر والفكر المتوزعة على امور متفرقة كجدول تفرق ماؤه فنشفت
الارض بعضه واختطف الهواء بعضه فلا يبقى منه ما يجتمع ويبلغ المزدرع **الوظيفة الثالثة** ان لا يتكبر على العلم ولا يتامر على
على المعلم بل يلقي اليه زمام امره بالكلية في كل تفصيل ويذعن لنصحه اذعان المريض الجاهل للطبيب المشفق الحاذق وينبغي ان يتواضع
لمعلمه ويطلب الثواب والشرف بخدمته قال الشعبي صلى زيد بن ثابت على جنازة فقربت له بغلته ليركبها فجاء ابن عباس فاخذ بركابه
فقال زيد خل عنه يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هكذا امرنا ان نفعل بالعلماء والكبراء فقبل زيد بن ثابت يده
وقال هكذا امرنا ان نفعل باهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال النبي صلى الله عليه وسلم ليس من اخلاق المؤمن التملق الا
في طلب العلم فلا ينبغي للطالب ان يتكبر على المعلم ومن تكبره على المعلم ان يستنكف من الاستفادة الا من المرموقين المشهورين وهو عين
الحماقة فان العلم سبب النجاة والسعادة ومن يطلب مهربا من سبع ضار يفترسه لا يفرق بين ان يرشده الى المهرب مشهور او خامل وضراوة
سباع النار بالجهال بالله اشد من ضراوة كل سبع فالحكمة ضالة المؤمن يغتنمها حيث يظفر بها ويتقلد المنة لمن ساقها اليه كائنا من كان
ولذلك قيل العلم حرب للمتعالي كالسيل حرب للمكان العالي فلا ينال العلم الا بالتواضع والقاء السمع قال الله تعالى ان في ذلك لذكرى
لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد ومعنى كونه ذا قلب ان يكون قابلا للعلم فهما ثم لا يعينه القدرة على الفهم حتى يلقي السمع وهو
السمع وهو شهيد حاضر القلب ليستقبل كل ما يلقى اليه بحسن الاصغاء والضراعة والشكر والفرح وقبول المنة وليكن المتعلم لمعلمه
كارض دمثة نالت مطرا غزيرا فتشربت بجميع اجزائها واذعنت بالكلية لقبوله ومهما اشار عليه المعلم بطريق في التعلم فليقلده
وليدع رايه فان خطأ مرشده انفع له من صوابه في نفسه اذ التجربة تطلع على دقائق يستغرب سماعها مع انه يعظم نفعها فكم من
مريض محرور يعالجه الطبيب في بعض اوقاته بالحرارة ليزيد في قوته الى حد يحتمل صدمة العلاج فيتعجب منه من لا خبرة له وقد نبه الله
تعالى بقصة الخضر وموسى عليهما السلام حيث قال الخضر انك لن تستطيع معي صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا ثم شرط

شرط عليه السكوت والتسليم فقال فان اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى احدث لك منه ذكرا ثم لم يصبر ولم يزل في مراودته الى ان كان
ذلك سبب الفراق بينهما وبالجملة كل متعلم استبقى لنفسه رايا واختيارا وراء اختيار المعلم فاحكم عليه بالاخفاق والخسران
فان قلت فقد قال الله تعالى فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون فالسؤال مامور به فاعلم انه كذلك ولكن فيما
ياذن المعلم في السؤال عنه فان السؤال عما لم تبلغ رتبتك الى فهمه مذموم ولذلك منع الخضر موسى عليه السلام عن السؤال
قبل اوانه فالمعلم اعلم بما انت اهله وباوان الكشف وما لم يدخل اوان الكشف في كل درجة من مراقي الدرجات لا يدخل
اوان السؤال وقد قال علي رضي الله عنه ان من حق العالم ان لا تكثر عليه بالسؤال ولا تعنته بالجواب ولا تلح عليه اذا
كسل ولا تاخذ بثوبه اذا نهض ولا يفشى له سر ولا يغتاب عنده احد ولا تطلبن عثرته وان زل قبلت معذرته وعليك ان
توقره وتعظمه ما دام يحفظ امر الله ولا تجلس امامه وان كانت له حاجة سبقت القوم الى خدمته **الوظيفة الرابعة**
ان يحترز الخائض في العلم في مبدا الامر عن الاصغاء الى اختلاف الناس سواء كان ما خاض فيه من علوم الدنيا او علوم الآخرة
فان ذلك يدهش عقله ويحير ذهنه ويفتر رايه ويؤيسه عن الادراك والاطلاع بل ينبغي ان يتقن اولا الطريقة الواحدة الحميدة
عند استاذه ثم بعد ذلك يصغي الى المذاهب والشبه وان لم يكن استاذه مستقلا باختيار راي واحد وانما عادته نقل المذاهب
وما قيل فيها فليحترز منه فان اضلاله اكثر من ارشاده ولا يصلح الاعمى لقود العميان وارشادهم ومن هذا حاله فهو بعد
في عمى الحيرة وتيه الجهل ومنع المبتدي عن الشبه يضاهي منع الحديث العهد بالاسلام عن مخالطة الكفار وندب القوي
الى النظر في الاختلافات يضاهي حث القوي على مخالطة الكفار ولذلك يمنع العاجز عن التهجم على صف الكفار ويندب الشجاع
له ومن الغفلة عن هذه الدقيقة ظن بعض الضعفاء ان الاقتداء بالاقوياء فيما ينقل عنهم من المساهلات جائز ولم يدرك ان وظائف
الاقوياء تخالف وظائف الضعفاء ولذلك قال بعضهم من رآني في البداية صار صديقا ومن رآني في النهاية صار زنديقا اذ النهاية
ترد الاعمال الى الباطن وتسكن الجوارح الا عن رواتب الفرائض فيتراءى للناظر انها بطالة وكسل واهمال وهيهات فذلك
مرابطة القلب في عين الشهود والحضور وملازمة الذكر الذي هو افضل الاعمال على الدوام ونسبة الضعيف الى القوي فيما
يرى في ظاهره انه هفوة يضاهي اعتذار من يلقي نجاسة يسيرة في كوز ماء بان اضعاف هذه النجاسة قد يلقى في البحر والبحر اعظم
من الكوز فما جاز للبحر فهو للكوز اجوز ولا يدري المسكين ان البحر بقوته يحيل النجاسة باستيلائه الى صفته والقليل يغلب الكوز ويحيله
الى صفته وبمثل هذا جوز للنبي صلى الله عليه وسلم ما لم يجز لغيره حتى ابيح له تسع نسوة اذ كان له من القوة ما يتعدى منه صفة
العدل الى نسائه وان كثرن واما غيره فلا يقدر على العدل بل يتعدى ما بينهن من الضرار اليه حتى ينجر الى معصية الله في طلب رضاهن
فما افلح من قاس الملائكة بالحدادين **الوظيفة الخامسة** ان لا يدع طالب العلم فنا من العلوم المحمودة ولا نوعا من انواعها الا وينظر
فيه نظرا يطلع به على مقصده وغايته ثم ان ساعده العمر طلب التبحر فيه والا اشتغل بالاهم فاستوفاه وتطرف من البقية فان العلوم
متعاونة وبعضها مرتبط بالبعض ويستفيد منه في الحال الانفكاك عن عداوة ذلك العلم بسبب جهله فان الناس اعداء ما جهلوا
قال الله تعالى واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم وقال الشاعر ومن يك ذا فم مر مريض يجد مرا به الماء الزلالا
فالعلوم على درجاتها اما سالكة بالعبد الى الله تعالى او معينة على السلوك نوعا من الاعانة ولها منازل مرتبة في القرب والبعد
من المقصود والقوام بها حفظة كحفظة الرباطات والثغور ولكل واحد رتبة وله بحسب درجته اجر في الآخرة اذا قصد به
وجه الله تعالى **الوظيفة السادسة** ان العمر اذا كان لا يتسع لجميع العلوم غالبا فالحزم ان ياخذ من كل شيء احسنه ويكتفي منه بشمه و

ويصرف جمام قوته في الميسور من علمه الى استكمال العلم الذي هو اشرف العلوم وهو علم الاخرة اعني قسمي المعاملة والمكاشفة

فغاية المعاملة المكاشفة وغاية المكاشفة معرفة الله ولست اعني به الاعتقاد الذي يلقنه العامي وراثة او تلقفا ولا طريق

تحرير الكلام والمجادلة في تحصين ذلك عن مراوغات الخصوم كما هو غاية المتكلم بل ذلك نوع يقين هو ثمرة نور يقذفه الله في قلب

عبد طهر بالمجاهدة باطنه عن الخبائث حتى ينتهي الى رتبة ايمان ابي بكر رضي الله عنه الذي لو وزن بايمان العالمين لرجح كما شهد له

به سيد البشر صلى الله عليه وسلم فما عندي ان ما يعتقده العامي ويرتبه المتكلم الذي لا يزيد على العامي الا في الكلام ولاجله

سميت صناعته كلاما كان يعجز عنه عمر وعلي وسائر الصحابة حتى كان يفضلهم ابو بكر بالسر الذي وقر في صدره والعجب ممن يسمع

مثل هذه الاقوال من صاحب الشرع صلوات الله عليه ثم يزدري ما يسمعه على وفقه ويزعم انه من ترهات الصوفية وان ذلك

غير معقول فينبغي ان تتئد في هذا فعنده ضيعت راس المال فكن حريصا على معرفة ذلك السر الخارج عن بضاعة الفقهاء

والمتكلمين ولا يرشدك اليه الا حرصك في الطلب وعلى الجملة فاشرف العلوم وغايتها معرفة الله وهو بحر لا يدرك منتهى غوره

واقصى درجات البشر فيه رتبة الانبياء ثم الاولياء ثم الذين يلونهم وقد روي انه رأى صورة حكيمين من الحكماء المتعبدين

في مسجد وفي يد احدهما رقعة وفيها ان احسنت شيئا فلا تظنن انك احسنت شيئا حتى تعرف الله تعالى وتعلم انه مسبب الاسباب وموجد الاشياء

وفي يد الاخر كنت قبل ان اعرف الله سبحانه اشرب واظمأ حتى اذا عرفته رويت بلا شرب

الوظيفة السابعة ان تعرف السبب

الذي به يدرك به شرف العلوم وان ذلك يراد به شيئان احدهما شرف الثمرة والثاني وثاقة الدليل وقوته وذلك كعلم الدين

وعلم الطب فان ثمرة احدهما الحيوة الابدية وثمرة الاخر الحيوة الفانية فيكون علم الدين اشرف ومثل علم الحساب وعلم

النجوم فان الحساب اشرف لوثاقة ادلته وقوتها واذا نسبت الحساب الى الطب كان الطب اشرف باعتبار ثمرته والحساب

اشرف باعتبار ادلته وملاحظة الثمرة اولى فلذلك كان الطب اشرف وان كان اكثره بالتخمين وبهذا يتبين ان اشرف العلوم

العلم بالله وملائكته وكتبه ورسله والعلم بالطريق الموصل الى هذا الطريق فاياك ان ترغب الا فيه وتحرص الا عليه

الوظيفة الثامنة ان يكون قصد المتعلم في الحال تحلية باطنه وتجميله بالفضيلة وفي المآل القرب من الله سبحانه والترقي

الى جوار الملأ الاعلى من الملائكة والمقربين ولا يقصد به الرياسة والمال ومباراة السفهاء ومباهاة الاقران فاذا كان هذا

مقصده طلب لا محالة الاقرب الى مقصده وهو علم الاخرة ومع هذا فلا ينبغي ان ينظر بعين الحقارة الى سائر العلوم اعني علم

الفتاوى وعلم النحو واللغة المتعلقة بالكتاب والسنة وغير ذلك مما اوردناه في المقدمات والمتممات من ضروب العلوم

التي هي فرض كفاية ولا تفهمن من غلونا في الثناء على علم الاخرة تهجين هذه العلوم فالمتكفلون بالعلوم كالمتكفلين بالثغور

والمرابطين بها والغزاة المجاهدين في سبيل الله فمنهم المقاتل ومنهم الردء ومنهم الذي يسقيهم الماء ومنهم الذي يحفظ

دوابهم ويتعهدهم ولا ينفك واحد منهم عن الاجر اذا كان قصده اعلاء كلمة الله دون حيازة الغنائم فكذلك العلماء قال الله تعالى

يرفع الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات وقال تعالى هم درجات عند الله فالفضيلة نسبية واستحقارنا الصيارفة

عند قياسهم بالملوك لا يدل على حقارتهم اذا قيسوا بالكناسين ولا تظنن ان ما نزل عن الرتبة القصوى فهو ساقط القدر

بل الرتبة العليا للانبياء ثم للاولياء ثم للعلماء الراسخين ثم للصالحين على تفاوت درجاتهم وبالجملة من يعمل مثقال ذرة

خيرا يره ومن قصد الله بالعلم اي علم كان نفعه ورفعه لا محالة

الوظيفة التاسعة ان يعلم نسبة العلوم الى المقصد كيما يؤثر

الرفيع القريب على البعيد والمهم على غيره ومعنى المهم ما يهمك ولا يهمك الا شانك في الدنيا والاخرة واذا لم يمكنك

الجمع بين ملاذ الدنيا ونعيم الاخرة كما نطق به القرآن وشهد له من نور البصائر ما يجري مجرى العيان فالاهم ما يبقى ابد

الاباد وعند ذلك يصير الدنيا منزلا والبدن مركبا والاعمال سعيا الى المقصد ولا مقصد الا لقاء الله ففيه النعيم كله وان

كان لا يعلم في هذا العالم قدره الا الاقلون والعلوم بالاضافة الى سعادة لقاء الله والنظر الى وجهه الكريم اعني النظر

الذي طلبه الانبياء وفهموه دون ما يسبق الى فهم العوام والمتكلمين على ثلث مراتب تفهمها بالموازنة بمثال وهو ان العبد

الذي علق عتقه وتمكينه من الملك على الحج وقيل له ان حججت وتممت وصلت الى العتق والملك جميعا وان ابتدأت بطريق الحج

والاستعداد له وعاقك في الطريق مانع ضروري فلك العتق والخلاص من شقاء الرق فقط دون سعادة الملك فله ثلث

اصناف من الشغل الاول تهيئة الاسباب بشراء الناقة وخرز الراوية واعداد الزاد والراحلة والاخر السلوك ومفارقة

الوطن بالتوجه الى الكعبة منزلا بعد منزل والثالث الاشتغال باعمال الحج ركنا بعد ركن ثم بعد النزوع عن هيئة الاحرام وطواف الوداع

استحق التعرض للملك والسلطنة وله في كل مقام منازل من اول اعداد الاسباب الى اخرها ومن اول سلوك البوادي الى اخره

ومن اول اركان الحج الى اخره وليس قرب من ابتدأ باركان الحج من السعادة كقرب من هو بعد في اعداد الزاد والراحلة ولا كقرب من

ابتدأ بالسلوك بل هو اقرب منه فالعلوم ثلاثة اقسام قسم يجري مجرى اعداد الزاد والراحلة وشراء الناقة وهو علم الطب والفقه و

ما يتعلق بمصالح البدن في الدنيا وقسم يجري مجرى سلوك البوادي وقطع العقبات وهو تطهير الباطن عن كدورات الصفات وطلوع

تلك العقبات الشامخة التي عجز عنها الاولون والاخرون الا الموفقون فهذا سلوك الطريق وتحصيل علمه كتحصيل علم جهات الطريق

ومنازله وكما لا يغني علم المنازل وطرق البوادي دون سلوكها لا يغني علم تهذيب الاخلاق دون مباشرة التهذيب لكن المباشرة

دون العلم غير ممكن وقسم ثالث يجري مجرى نفس الحج واركانه وهو العلم بالله وصفاته وملائكته وافعاله وجميع ما ذكرناه في تراجم

علم المكاشفة وههنا نجاة وفوز بالسعادة والنجاة حاصلة لكل سالك للطريق اذا كان غرضه المقصد وهو السلامة واما الفوز

بالسعادة لا ينالها الا العارفون فهم المقربون المنعمون في جوار الله بالروح والريحان وجنة النعيم واما الممنوعون دون ذروة

الكمال فلهم النجاة والسلامة كما قال الله تعالى فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم واما ان كان من اصحاب اليمين وكل من توجه

الى المقصد ولم ينتهض له او انتهض الى جهته لا على قصد الامتثال والعبودية بل لغرض عاجل فهو من اصحاب الشمال ومن الضالين فله نزل من حميم فاعلم

ان هذا هو حق اليقين عند العلماء الراسخين اعني انهم ادركوه بمشاهدة من الباطن ومشاهدة الباطن اقوى واجلى من مشاهدة الابصار

وترقوا فيه عن حد التقليد بمجرد السماع وحالهم حال من اخبر فصدق ثم شاهد فحقق وحال غيرهم حال من قبل بحسن التصديق والايمان ولم

يحظ بالمشاهدة والعيان فالسعادة وراء علم المكاشفة وعلم المكاشفة وراء المعاملة التي هي سلوك طريق الاخرة وقطع الصفات وسلوك

طريق محو الصفات المذمومة وراء علم الصفات المذمومة وراء علم الصفات وعلم طريق المعالجة وكيفية السلوك وذلك وراء سلامة البدن

ومساعدة اسباب الصحة وسلامة البدن بالاجتماع والتظاهر والتعاون الذي يتوصل به الى الملبس والمطعم والمسكن وهو منوط بالسلطان

وقانونه في ضبط الناس على نهج العدل والسياسة في ناحية الفقيه واما اسباب الصحة ففي ناحية الطبيب ومن قال العلم علمان علم

الاديان وعلم الابدان واشار الى الفقه اراد به العلوم الظاهرة الشائعة لا العلوم العزيزة الباطنة فان قلت لم شبهت علم الفقه

والطب باعداد الزاد والراحلة فاعلم ان الساعي الى الله لينال قربه هو القلب دون البدن ولست اعني بالقلب اللحم المحسوس بل هو سر من اسرار الله

لا يدركه الحس ولطيفة من لطائفه تارة يعبر عنه بالروح وتارة بالنفس المطمئنة والشرع يعبر عنه بالقلب لانه المطية الاولى لذلك

الاسم وبواسطته صار جميع البدن مطية وآلة لتلك اللطيفة وكشف الغطاء عن ذلك السر في علم المكاشفة وهو مضنون به بل لا رخصة في ذكره

وغاية المأذون ان يقال هو جوهر نفيس ودر عزيز اشرف من هذه الاجرام المرئية وانما هو امر الهي كما قال تعالى ويسألونك عن الروح
قل الروح من امر ربي وكل المخلوقات منسوبة الى الله ولكن نسبة القلب اشرف من نسبة سائر البدن فلله الخلق والامر جميعا والامر
اعلى من الخلق وهذه الجواهر النفيسة الحاملة لامانة الله تعالى المتقدمة بهذه الرتبة على السموات والارضين اذ ابين ان يحملنها واشفقن
منها من عالم الامر ولا يفهم من هذا تعريضا بقدمها فالقائل بقدم الارواح مغرور جاهل لا يدري ما يقول ولنقبض عنان البيان عن
هذا الفن فهو وراء ما نحن بصدده والمقصود ان هذه اللطيفة هي الساعية الى قرب الرب لانها من امر الرب فمنه مصدرها واليه
مرجعها واما البدن فمطيتها التي تركبها وتسعى بواسطتها والبدن لها في طريق الله كالناقة للبدن في طريق الحج وكالراوية الحاوية
للماء الذي يفتقر اليه البدن وكل مقصد مصلحته البدن فهو من جملة مصالح المطية ولا يخفى ان الطب كذلك فانه يحتاج اليه
في حفظ الصحة على البدن ولو كان الانسان وحده لاحتاج اليه والفقه يفارقه في انه لو كان وحده اما كان يستغني عنه ولكن
خلق على وجه لا يمكن ان يعيش وحده اذ لا يستقل بالسعي في تحصيل طعامه بالحراثة والزرع والطبخ وفي تحصيل الملبس والمسكن وفي
اعداد آلات ذلك فاضطر الى المخالطة والاستعانة ومهما اختلط الناس وثارت شهواتهم تجاذبوا اسباب الشهوات و
تنازعوا وتقاتلوا وحصل من قتالهم هلاكهم بسبب التنافس من خارج كما يحصل هلاكهم بسبب تضاد الاخلاط من داخل
فبالطب يحفظ الاعتدال في الاخلاط المتنازعة من داخل وبالسياسة والعدل يحفظ الاعتدال في الاخلاط المتنازعة من داخل
وبالسياسة والعدل يحفظ الاعتدال في التنافس من خارج وعلم طرق الاعتدال في الاخلاط طب وعلم طريق اعتدال الاحوال بين
الناس في المعاملات والافعال فقه وكل ذلك لحفظ البدن الذي هو مطيته فالمتجرد لعلم الفقه او الطب اذا لم يجاهد نفسه
ولم يصلح قلبه كالمتجرد لشراء الناقة وعلفها وشراء الراوية وخرزها اذا لم يسلك بادية الحج والمستغرق عمره في دقائق الكلمات
التي تخرز راوية الحج ونسبة هؤلاء من السالك لطريق اصلاح القلب او الواصل كنسبة اولئك الى سالك طريق الحج او ملابس اركانه
تأمل هذا واقبل النصيحة مجانا ممن قام ذلك عليه غاليا ولم يصل اليه الا بعد جهد شديد وجراءة تامة على مباينة الخلق والعامة في
النزوع عن تقليدهم بمجرد الشهوة فهذا القدر كاف في وظائف المتعلم

بيان وظائف المعلم المرشد اعلم ان للانسان
في علمه ثلاثة احوال كحاله في اقتناء الاموال اذ لصاحب المال حالة استفادة فيكون مكتسبا وحالة ادخار لما اكتسبه فيكون
به غنيا عن السؤال وحال انفاق فيكون منتفعا وحال بذل لغيره فيكون به سخيا متفضلا وهو اشرف احواله فكذلك العلم
يقتنى كالمال فله حالة طلب واكتساب وحال تحصيل يغني عن السؤال وحال استبصار وهو التفكر في المحصل والتمتع وحال
تبصير وهو اشرف الاحوال فمن تعلم وعلم وعمل فهو الذي يدعى عظيما في ملكوت السماء فانه كالشمس تضيء لغيرها وهي مضيئة في نفسها وكالمسك
الذي يطيب وهو طيب والذي يعلم ولا يعمل به كالدفتر الذي يفيد غيره وهو خال عن العلم وكالمسن يشحذ غيره ولا يقطع والابرة
التي تكسو غيرها وهي عارية وذبالة المصباح تضيء لغيرها وهي تحترق ٥ وقيل ما هي الا ذبالة وقدت تضيء للناس وهي تحترق
ومهما اشتغل بالتعليم فقد تقلد امرا عظيما وخطرا جسيما فليحفظ آدابه ووظائفه **الوظيفة الاولى** الشفقة على المتعلمين
وان يجريهم مجرى بنيه قال النبي صلى الله عليه وسلم انما انا لكم مثل الوالد لولده بان يقصد انقاذهم من نار الآخرة وهو اهم
من انقاذ الابوين ولدهما من نار الدنيا ولذلك صار حق المعلم اعظم من حق الوالدين فان الوالد سبب الوجود الحاضر والحيوة
الفانية ولولا المعلم لساق ما حصل من الاب الى الهلاك الدائم وانما المعلم هو المفيد للحيوة الاخروية الدائمة اعني معلم علوم الآخرة او
علوم الدنيا على قصد الآخرة لا على قصد الدنيا فاما التعليم على قصد الدنيا فهو هلاك واهلاك نعوذ بالله منه وكما ان حق ابناء

تلامذة ٥

ولا يكون الا التحاسد والتباغض ان كان مقصودهم الدنيا فان العلماء وابناء الآ

ابناء الرجل الواحد ان يتحابوا ويتعاونوا على المقاصد فحق الرجل الواحد التحاب ولا يكون الا كذلك ان كان مقصودهم الآخرة
مسافرون الى الله وسالكون اليه الطريق والدنيا وسنوها وشهورها منازل الطريق والترافق في الطريق بين المسافرين الى
الامصار سبب التوادد والتحاب فكيف السفر الى الفردوس الاعلى والترافق في طريقه بين المسافرين ولا ضيق في سعادات الآخرة فلذلك
لا يكون بين ابناء الآخرة تنازع ولا سعة في سعادات الدنيا فكذلك لا ينفك عن ضيق التزاحم والعادلون الى طلب الرياسة بالعلوم
خارجون عن موجب قوله انما المؤمنون اخوة وداخلون في مقتضى قوله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين ٥
الوظيفة الثانية ان يقتدي بصاحب الشرع صلوات الله وسلامه عليه فلا يطلب على افاضة العلم اجرا ولا يقصد به جزاء ولا
شكورا بل يعلم لوجه الله وطلبا للتقرب اليه ولا يرى لنفسه منة عليهم وان كانت المنة عليهم لازمة بل يرى الفضل لهم اذ هذبوا قلوبهم
لان تتقرب الى الله بزراعة العلم فيها كالذي يعيرك الارض لتزرع فيها لنفسك زراعة فمنفعتك بها تزيد على منفعة صاحب الارض
اذ يتقلده منة وثوابك في التعليم اكثر من ثواب المتعلم عند الله تعالى ولولا المتعلم ما نلت هذا الثواب فلا تطلب الاجر الا
من الله تعالى كما قال تعالى قل لا اسألكم عليه اجرا فان المال وما في الدنيا خادم البدن والبدن مركب النفس ومطيتها والمخدوم هو العلم
اذ به شرف النفس فمن طلب بالعلم المال كان كمن مسح اسفل مداسه بوجهه لينظفه فجعل المخدوم خادما والخادم مخدوما
وذلك هو الانتكاس على ام الرأس ومثله هو الذي يقوم في العرض الاكبر مع المجرمين ناكسوا رؤسهم عند ربهم وعلى الجملة
فالفضل والمنة للمعلم وانظر كيف انتهى امر الدين الى قوم يزعمون ان مقصودهم التقرب الى الله بما هم فيه من علم الفقه والكلام والتدريس
فيهما وفي غيرهما وهم يبذلون المال والجاه ويتحملون اصناف الذل في خدمة السلاطين لاستطلاق الجرايات ولو تركوا ذلك
لتركوا ولم يختلف اليهم ثم يتوقع المعلم من المتعلم ان يقوم له في كل نائبة وينصر وليه ويعادي عدوه وينتهض حمارا له في حاجاته
مسخرا بين يديه في اوطاره فان قصر في حقه ثار عليه وصار من اعدى اعدائه فاخسس بعالم يرضى لنفسه بهذه المنزلة ثم يفرح بها
ثم لا يستحيي ان يقول غرضي من التدريس نشر العلم تقربا الى الله ونصرة لدينه فانظر الى الامارات حتى ترى ضروب الاغترارات
الوظيفة الثالثة ان لا يدخر من نصح المتعلم شيئا وذلك بان يمنعه من التصدي لرتبة قبل استحقاقها والتشاغل بعلم خفي
قبل الفراغ من الجلي ثم ينبهه على ان الغرض بطلب العلوم القرب من الله تعالى دون الرياسة والمباهاة والمنافسة ويقدم تقبيح ذلك في
نفسه باقصى ما يمكن فما يصلحه العالم الفاجر اكثر مما يفسده فان علم من باطنه انه لا يطلب العلم الا للدنيا نظر الى العلم الذي
يطلبه فان كان هو علم الخلاف في الفقه والجدل في الكلام والفتاوى في الخصومات والاحكام فيمنعه من ذلك فان هذه العلوم
ليست من العلوم التي قيل فيها تعلمنا العلم لغير الله فابى العلم ان يكون الا لله وانما ذلك علم التفسير وعلم الحديث وما كان الاولون
يشتغلون به وعلم الآخرة ومعرفة اخلاق النفس وكيفية تهذيبها فاذا تعلمه الطالب وقصده الدنيا فلا بأس ان يتركه فانه
يثمر له طمعا في الوعظ والاستتباع ولكن تنبيه في اثناء الامر واخره اذ فيه العلوم المخوفة من الله المحقرة للدنيا المعظمة
للآخرة وذلك يوشك ان يؤدي الى الصواب بالآخرة حتى يتعظ بما يعظ به غيره ويجري حب القبول والجاه مجرى الحب الذي ينثر حول
الفخ ليقتنص به الطير وقد فعل ذلك الله تعالى بعباده اذ خلق الشهوة ليصل الخلق بها الى بقاء النسل وخلق ايضا حب الجاه ليكون
سببا لاحياء العلوم وهذا متوقع في هذه العلوم فاما الخلافيات المحضة ومجادلة الكلام ومعرفة التفريعات الغريبة فلا يزيد التجرد لها
مع الاعراض عن غيرها الا قسوة في القلب وغفلة عن الله وتماديا في الضلال وطلب الجاه الا من تداركه الله برحمته او مزج
به غيره من العلوم الدينية ولا برهان على هذا كالتجربة والمشاهدة فانظر واعتبر واستبصر لتشاهد تحقيق ذلك في العباد

والبلاد والله المستعان وقد قيل لسفين الثوري رحمه الله وقد رأى حزينًا فقال صرنا متجرًا لابناء الدنيا يلزمنا احدهم
حتى اذا تعلم جعل عاملًا او قاضيًا او قهرمانًا **الوظيفة الرابعة** وهي من دقائق صناعة التعليم ان يزجر المتعلم عن سوء
الاخلاق بطريق التعريض ما امكن ولا يصرح وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ فان التصريح بالتوبيخ يهتك حجاب الهيبة ويورث الجرأة
على الهجوم بالخلاف ويهيج الحرص على الاصرار قال النبي صلى الله عليه وسلم وهو مرشد كل معلم لو منع الناس عن فت النفس
لفتوه وقالوا ما نهينا عنه الا وفيه شيء وينبهك على هذا قصة آدم وحوآء وما نهيا عنه فما ذكرت القصة معك لتكون سمرًا بل
لتتنبه بها على سبيل العبرة ولان التعريض ايضًا يميل النفوس الفاضلة والاذهان الذكية الى استنباط معانيه فيفيد فرح
التفطن لمعناه رغبة في العمل به ليعلم ان ذلك مما لا يعزب عن فطنته **الوظيفة الخامسة** ان المتكفل ببعض العلوم لا ينبغي ان يقبح في
نفس المتعلم العلوم التي ورآءه كمعلم اللغة اذ عادته تقبيح الفقه ومعلم الفقه عادته تقبيح علم الحديث والتفسير وان ذلك نقل محض وسماع
وهو شان العجائز ولا نظر للعقل فيه ومعلم الكلام ينفر عن الفقه ويقول ذلك فروع وهو كلام في حيض النسوان فاين ذلك من الكلام
في صفة الرحمن فهذه اخلاق مذمومة للمعلمين ينبغي ان يجتنب المتكفل بعلم واحد ينبغي ان يوسع على المتعلم طريق التعلم في غيره فان كان
متكفلًا بعلوم فينبغي ان يراعي التدريج في ترقية المتعلم من رتبة الى رتبة **الوظيفة السادسة** ان يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه فلا يلقي اليه
ما لا يبلغه عقله فينفره او يخبط عليه عقله اقتدآء في ذلك بسيد البشر صلوات الله عليه وسلامه حيث قال نحن معاشر الانبيآء امرنا
ان ننزل الناس منازلهم ونكلم الناس على قدر عقولهم فليبث اليه الحقيقة اذا علم انه يستقل فهمه بها قال النبي صلى الله عليه
وسلم ما احد يحدث الناس بحديث لا تبلغه عقولهم الا كان فتنة على بعضهم وقال علي عليه السلم ان ههنا علومًا جمة لو وجدت لها
حملة واشار الى صدره وصدق رضي الله عنه فقلوب الابرار قبور الاسرار فلا ينبغي ان يفشي العالم كل ما يعلمه الى كل احد هذا اذا
كان يفهمه المتعلم ولم يكن اهلًا للانتفاع به فكيف فيما لا يفهمه وقد قال عيسى عليه السلم لا تعلقوا الجوهر في اعناق الخنازير فان
الحكمة خير من الجوهر ومن كرهها فهو شر من الخنازير ولذلك قيل كل لكل عبد بمعيار عقله وزن له بميزان علمه حتى يسلم منه وينتفع
بك والا وقع الانكار لتفاوت المعيار وسئل بعض العلمآء عن شيء فلم يجب فقال السائل اما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من كتم علمًا نافعًا جآء يوم القيمة ملجمًا بلجام من نار فقال اترك اللجام واذهب فان جآء من يفقهه فكتمته فليلجمني وقول الله تعالى
ولا تؤتوا السفهآء اموالكم تنبيه على ان حفظ العلم ممن يفسده ويضره اولى وليس الظلم في اعطآء غير المستحق باقل من الظلم في منع
المستحق

فمن منح الجهال علمًا اضاعه ❊ ومن منع المستوجبين فقد ظلم

الوظيفة السابعة ان المتعلم القاصر ينبغي ان يلقى
اليه الجلي اللائق به ولا يذكر له ان ورآء هذا تدقيقًا وهو يدخره عنه فان ذلك يفتر رغبته في الجلي ويشوش قلبه ويخيل اليه البخل
به عنه اذ يظن كل واحد انه اهل لكل علم دقيق فما من احد الا وهو راض عن الله في كمال عقله واشد الناس حماقة واضعفهم عقلًا
افرحهم بكمال عقله واشد الناس وبهذا يعلم ان من تقيد من العوام بقيد الشرع ورسخ في نفسه العقايد المأثورة عن السلف
من غير تشبيه وتأويل وحسن مع ذلك سيرته ولم يحتمل عقله اكثر من ذلك فلا ينبغي ان يشوش عليه اعتقاده بل ينبغي ان
يخلي وحرفته فانه لو ذكر له تأويلات الظواهر انحل عنه قيد العوام ولم يتيسر تقييده بقيد الخواص فيرتفع السد الذي بينه
وبين المعاصي وينقلب شيطانًا مريدًا يهلك نفسه وغيره بل لا ينبغي ان يخاض بالعوام في حقائق العلوم الدقيقة بل يقتصر معهم
على تعليم العبادات وتعليم الامانة في الصناعة التي هو بصددها ويملأ قلبه من الرغبة والرهبة بالجنة والنار كما نطق به القرآن
ولا يحرك عليه شبهة فانه ربما تعلق الشبهة بقلبه ويعسر حلها فيشقى ويهلك وبالجملة فلا ينبغي ان يفتح للعوام باب البحث فانه

فانه يعطل عليهم صناعاتهم التي بها قوام الخلق ودوام عيش الخواص **الوظيفة الثامنة** ان يكون عاملًا بعلمه فلا يكذب قوله
بفعله لان العلم يدرك بالبصائر والعمل بالابصار اكثر فاذا خالف العمل العلم منع الرشد وكل من تناول شيئًا وقال للناس
لا تتناولوه فانه سم مهلك سخر الناس به واتهموه وزاد حرصهم عليه فيقولون لولا انه اطيب الاشيآء والذها لما كان يستاثر
به ومثل المعلم المرشد من المسترشد مثل النقش من الطين ومثل العود من الظل وكيف ينتقش الطين بما لا نقش فيه وكيف استوى
الظل والعود اعوج ولذلك قيل

لا تنه عن خلق وتاتي مثله ❊ عار عليك اذا فعلت عظيم

وقال تعالى اتامرون
الناس بالبر وتنسون انفسكم ولذلك كان وزر العالم في معاصيه اكبر اذ يزل بزلته عالم فيقتدون به ومن سن سنة سيئة فعليه
وزرها ووزر من عمل بها ولذلك قال علي رضي الله عنه قصم ظهري رجلان عالم متهتك وجاهل متنسك فالجاهل يغر الناس
بنسكه والعالم يغرهم بتهتكه

الباب السادس في آفات العلم وبيان علمآء الآخرة والعلمآء السوء

قد ذكرنا
ما ورد من فضائل العلم والعلمآء وقد ورد في العلمآء السوء تشديدات عظيمة دل على انهم اشد الخلق عذابًا يوم القيمة فمن المهمات
العظيمة معرفة العلامة الفارقة بين علمآء الدنيا وعلمآء الآخرة ونعني بعلمآء الدنيا وعلمآء الآخرة العلمآء السوء الذين قصدهم من العلم
التنعم بالدنيا والتوصل الى الجاه والمنزلة عند اهلها قال صلى الله عليه وسلم عذابًا يوم القيمة عالم لم ينفعه الله بعلمه
ويروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لا يكون المرء عالمًا حتى يكون بعلمه عاملًا وقال ايضًا العلم علمان علم على اللسان فذلك
حجة الله على ابن آدم وعلم في القلب فذلك العلم النافع وقال ايضًا يكون في آخر الزمان عباد جهال وعلمآء فساق وقال
ايضًا لا تتعلموا العلم لتباهوا به العلمآء ولتماروا به السفهآء ولتصرفوا وجوه الناس اليكم فمن فعل ذلك فهو في النار وقال
صلى الله عليه وسلم من كتم علمًا عنده الجم بلجام من نار وقال ايضًا لانا من غير الدجال اخوف فقيل وما ذاك فقال ائمة مضلون وقال ايضًا
من ازداد علمًا ولم يزدد هدى لم يزدد من الله الا بعدًا فهذا وغيره من الاخبار يدل على عظم خطر العلم وان العالم اما متعرض لهلاك
الابد او لسعادة الابد وانه بالخوض في العلم قد حرم السلامة ان لم يدرك السعادة واما الآثار فقد قال عمر رضي الله عنه
ان اخوف ما اخاف على هذه الامة المنافق العليم قالوا وكيف يكون منافقًا عليمًا قال عليم اللسان جاهل القلب والعمل وقال الحسن
لا تكن ممن يجمع علم العلمآء وطرائف الحكمآء ويجري في العمل مجرى السفهآء وقال رجل لابي هريرة اريد ان اتعلم العلم واخاف ان اضيعه فقال
كفى بترك العلم اضاعة له وقيل لابرهيم بن عيينة اي الناس اطول ندامة فقال اما في عاجل الدنيا فصانع المعروف الى
من لا يشكره واما عند الموت فعالم مفرط وقال الخليل ان احد الرجال اربعة رجل يدري ويدري انه يدري فذلك عالم فاتبعوه
ورجل يدري ولا يدري انه يدري فذلك نائم فايقظوه ورجل لا يدري ويدري انه لا يدري فذلك جاهل فارفضوه وقال
الثوري يهتف العلم بالعمل فان اجابه والا ارتحل وقال ابن المبارك لا يزال المرء عالمًا ما طلب العلم فاذا ظن انه قد علم
فقد جهل وقال الفضيل اني لارحم ثلاثة عزيز قوم ذل وغنيًا افتقر وعالمًا تلعب به الدنيا وقال الحسن عقوبة العلمآء
موت القلب وانشدوا

عجبت لمبتاع الضلالة بالهدى ❊ ومن يشتري دنياه بالدين اعجب

وقال النبي صلى الله عليه
وسلم ان العالم ليعذب عذابًا يطيف به اهل النار استعظامًا لشدة عذابه اراد به الفاجر وقال اسامة بن زيد سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بالعالم يوم القيمة فيلقى في النار فتندلق اقتابه فيدور بها كما يدور الحمار في الرحى فيطوف
به اهل النار فيقولون ما لك فيقول كنت آمر بالخير ولا آتيه وانهى عن الشر وآتيه وانما يضاعف عذاب العالم في معصيته
لانه عصى عن علم ولذلك قال تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار لانهم جحدوا بعد العلم وجعل اليهود شرًا من النصارى

علامات م

وقال عيسى صلوات الله عليه الى متى تصفون الطريق للمدلجين و انتم مقيمون مع المتحيرين ٥

مع انهم ما جعلوا لله ولدا ولا قالوا انه ثالث ثلاثة ولكن انكروا بعد المعرفة اذ قال تعالى يعرفونه كما يعرفون ابناءهم
وقال فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وقال تعالى في بلعم باعورا واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها حتى قال
فمثله كمثل الكلب فكذلك العالم الفاجر فان بلعم اوتي كتاب الله فاخلد الى الشهوات فشبه بالكلب اي سواء اوتي
الحكمة او لم يوت فهو يلهث الى الشهوات وقال عيسى عليه السلم مثل العلماء السوء مثل صخرة وقعت على فم الوادي لا
هي تشرب ولا هي تترك الماء يخلص الى الزرع ومثل علماء السوء مثل قناة الحش ظاهرها جص وباطنها نتن ومثل القبور ظاهرها
عامر وباطنها عظام الموتى فهذه الاخبار والآثار تبين ان العالم الذي هو من ابناء الدنيا هو اخس حالا واشد عذابا من الجاهل
وان الفائزين المقربين هم علماء الآخرة ولهم علامات فمنها ان لا يطلب الدنيا بعلمه فان اقل درجات العالم ان يدرك حقارة
الدنيا وكدورتها وانصرامها وعظم الاخرة ودوامها وصفاء نعيمها وجلالة ملكها ويعلم انهما متضادان وانهما كالضرتين
مهما ارضيت احديهما اسخطت الاخرى وانهما ككفتي الميزان مهما رجحت احديهما خفت الاخرى وانهما كالمشرق والمغرب
مهما قربت من احدهما بعدت من الآخر وانهما كقدحين واحدهما مملوة فبقدر ما يصب في الآخر يفرغ من هذا فان من لا يعلم
حقارة الدنيا وكدورتها وامتزاج لذتها بالمها ثم انصرام ما يصفو منها فهو فاسد العقل فان المشاهدة والتجربة ترشد الى ذلك
فكيف يكون من العلماء من لا عقل له ومن لا يعلم عظم امر الاخرة ودوامها فهو كافر بالقرآن مسلوب الايمان فكيف يكون من العلماء من لا ايمان
له ومن لا يعلم مضادة الدنيا للاخرة وان الجمع بينهما طمع في غير مطمع فهو جاهل بشرايع الانبياء عليهم السلام كلهم بل هو كافر بالقرآن
من اوله الى آخره فكيف يعد من زمرة العلماء ومن علم هذا كله ثم لم يوثر الاخرة على الدنيا فهو اسير الشيطان قد اهلكته شهوته
وغلبت عليه شقوته فكيف يعد من احزاب العلماء من هذه درجته وفي اخبار داود ان ادنى ما اصنع بالعالم اذا آثر شهوته على محبتي
ان احرمه لذيذ مناجاتي يا داود لا تسأل عني عالما قد اسكرته الدنيا فيصدك عن طريق محبتي اولئك قطاع الطريق
على عبادي يا داود اذا رايت لي طالبا فكن له خادما يا داود من رد الي هاربا كتبته جهبذا ومن كتبته جهبذا
لم اعذبه ابدا ولذلك قال الحسن رضي الله عنه عقوبة العلماء موت القلب وموت القلب طلب الدنيا بعمل الاخرة
ولذلك يحيى بن معاذ الرازي انما يذهب بهاء العلم والحكمة اذا طلب بهما الدنيا وقال عمر رضي الله عنه اذا رايتم العالم
محبا للدنيا فاتهموه على دينكم فان كل محب يخوض فيما احب وقال مالك بن دينار قرات في بعض الكتب ان الله عز وجل
يقول ان اهون ما اصنع بالعالم اذا احب الدنيا ان اخرج حلاوة مناجاتي من قلبه وكتب رجل الى اخ له قد اوتيت علما
فلا تطفئن نور علمك بظلمة الذنوب فتبقى في الظلمة يوم يسعى اهل العلم بنور علمهم وكان يحيى بن معاذ الرازي يقول
لعلماء الدنيا يا اصحاب العلم قصوركم قيصرية وبيوتكم كسروية واثوابكم ظاهرية واخفافكم جالوتية ومراكبكم قارونية واوانيكم فرعونية
ومآثمكم جاهلية ومذاهبكم شيطانية فاين المحمدية وانشدوا وابر   وداعي الشا يحمي الذيب عنها فكيف اذا الرعاة لها ذياب
وقيل يا معشر القراء يا ملح البلد ما يصلح الملح اذا الملح فسد وقيل لبعض العارفين اترى ان من يكون المعاصي قرة عينه لا
يعرف الله وهذا قال ما اشد ان من يكون الدنيا آثر من الاخرة انه لا يعرف الله وهذا دون ذلك بكثير ولا تظنن ان ترك المال
يلحق بعلماء الاخرة فان الجاه اضر من المال ولذلك قال بشر حدثنا باب من ابواب الدنيا واذا سمعت الرجل يقول حدثنا
فانما يقول اوسعوا لي ودفن بشر بن الحارث بضعة عشر ما بين قمطرة وقوصرة من الكتب وكان يقول انا اشتهي ان احدث
ولو ذهب عني شهوة الحديث حدثت وقال هو وغيره اذا اشتهيت ان تحدث فلا تحدث واذا لم تشته فحدث وهذا لان

لان التلذذ بجاه الافادة ومنصب الارشاد اعظم من كل نعيم في الدنيا فمن اجاب شهوته فيه فهو من ابناء الدنيا
ولذلك قال الثوري فتنة الحديث اشد من فتنة الاهل والمال والولد وكيف لا يخاف فتنته وقد قيل لسيد البشر
صلوات الله عليه ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا وقال سهل العلم كله دنيا والاخرة منه العمل به والعمل
كله هباء الا الاخلاص وقال ايضا وقال ايضا الناس الا العلماء والعلماء سكارى الا العاملين والعاملون مغرورون الا المخلصين
[هامش: موتى]
والمخلص على وجل حتى يختم له به وقال ابو سليمان الداراني اذا طلب الرجل الحديث او تزوج او سافر في طلب المعاش فقد ركن
الى الدنيا وانما اراد به طلب الاسانيد العالية او طلب الحديث الذي لا يحتاج اليه في طريق الاخرة وقال عيسى عليه السلم
كيف يكون من اهل العلم من مسيره الى الاخرة وهو مقبل على دنيا وكيف يكون ادرك الشيوخ وهم يتعوذون بالله من الفاجر
العالم بالسنة وروى ابو هريرة انه عليه السلم قال من طلب علما مما يبتغى به وجه الله ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد
عرف الجنة يوم القيمة وقد وصف الله تعالى علماء السوء باكل الدنيا بالعلم ووصف علماء الاخرة بالخشوع والزهد فقال
في علماء الدنيا واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس الى قوله ثمنا قليلا وقال في علماء الاخرة وان من اهل
الكتاب لمن يومن بالله وما انزل اليكم الى قوله اجرهم عند ربهم وقال بعض السلف العلماء يحشرون في زمرة الانبياء والقضاة
يحشرون في زمرة السلاطين وفي معنى القضاة كل فقيه طلب الدنيا بعلمه وروى ابو الدرداء انه عليه السلم قال اوحى الله
الى بعض الانبياء قل للذين يتفقهون لغير الدين ويتعلمون لغير العمل ويطلبون الدنيا بعمل الاخرة ويلبسون مسوك الكباش وقلوبهم
كقلوب الذياب السنتهم احلى من العسل وقلوبهم امر من الصبر اياي يخادعون وبي يستهزءون لاتيحن لهم فتنة تذر الحليم
حيرانا وروى الضحاك عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال علماء هذه الامة رجلان رجل آتاه الله علما فبذله ولم ياخذ
عليه طمعا ولم يشتر به ثمنا فذلك يصلي عليه طير السماء وحيتان الماء ودواب الارض والكرام الكاتبون يقدم على الله يوم القيمة
سيدا شريفا حتى يرافق المرسلين ورجل آتاه الله علما في الدنيا فضن به عن عباد الله واخذ عليه طمعا واشترى به ثمنا ياتي يوم القيمة
ملجما بلجام من نار ينادي مناد على رؤس الاشهاد هذا فلان بن فلان آتاه الله علما فضن به عن عباد الله واخذ به طمعا واشترى
به ثمنا يعذب حتى يفرغ من حساب الناس فجعل يقول حدثني موسى صفي الله حدثني موسى نجي الله حدثني موسى كليم الله حتى اثرى
[هامش: واشد من هذا ما روي ان رجلا كان يخدم موسى]
وكثر ماله ففقده موسى فجعل يسأل عنه فلا يحس له اثرا حتى جاءه رجل ذات يوم وفي يده خنزير وفي عنقه حبل اسود فقال
له موسى اتعرف فلانا قال نعم هو هذا الخنزير فقال موسى يا رب اسألك ان ترده الى حاله حتى اسأله بم اصابه هذا فاوحى
الله اليه لو دعوتني بالذي دعاني به آدم فمن دونه ما اجبتك فيه ولكن اخبرك لم صنعت به هذا لانه كان يطلب الدنيا بالدين
واغلظ من هذا ما روى معاذ بن جبل موقوفا ومرفوعا في رواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من فتنة العالم
ان يكون الكلام احب اليه من الاستماع ثم يحقق وزيادة ولا يومن على صاحبه الخطا وفي الصمت سلامة وعلم ومن العلماء من
يخزن علمه فلا يحب ان يوجد عند غيره فذلك في الدرك الاول من النار ومن العلماء من يكون في علمه بمنزلة السلطان
فذلك الاول من النار ومن العلماء من يكون في علمه فان رد شي من علمه او تهون بشي من حقه غضب فذلك في الدرك
الثاني من النار ومن العلماء من يجعل علمه وغرائب حديثه لاهل الشرف واليسار ولا يرى اهل الحاجة له اهلا فذلك
في الدرك الثالث من النار ومن العلماء من ينصب نفسه للفتيا فيفتي بالخطا والله يبغض المتكلفين فذلك في الدرك
الرابع ومن العلماء من يتكلم بكلام اليهود والنصارى ليغزر به علمه فذلك في الدرك الخامس من النار ومن العلماء من يتخذ علمه مروءة

وتيلا وذخرا في الناس فذلك في الدرك السادس من النار ومن العلماء من يستفزه الزهو والعجب فان وعظ عنف
وان وعظ انف فذلك في الدرك السابع من النار عليك فيه يغلب الشيطان واياك ان تضحك من غير عجب او تمشي
من غير ارب وفي خبر ان العبد لينشر له من الثناء ما بين المشرق والمغرب وما يزن عند الله جناح بعوضة وروي ان
الحسن انصرف من مجلسه فخل اليه رجل من خراسان بكيس فيه خمسة الاف درهم وعشرة اثواب لين وقال يا ابا سعيد هذه
نفقة وهذه كسوة فقال عافاك الله ضم اليك نفقتك وكسوتك فلا حاجة لنا بذلك انه من جلس مجلسي هذا وقبل
من الناس مثل هذا لقي الله تعالى يوم القيمة ولا خلاق له وروي عن جابر موقوفا ومرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال لا تجلسوا عند كل عالم يدعوكم من خمس الى خمس من الشك الى اليقين ومن الرياء الى الاخلاص ومن الرغبة الى الزهد
ومن الكبر الى التواضع ومن العداوة وقال الله تعالى فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحيوة الدنيا يا ليت لنا مثل
ما اوتي الاية الى قوله وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير فعرف اهل العلم بايثار الاخرة ومنها ان لا يخالف فعله
قوله بل لا يامر بالشيء ما لم يكن هو اول عامل به قال الله تعالى اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وقال تعالى كبر مقتا
عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون وقال في قصة شعيب وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه وقال تعالى واتقوا الله و
يعلمكم الله واتقوا الله واعلموا واتقوا الله واسمعوا وقال تعالى لعيسى عليه يا ابن مريم عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس
والا فاستحي مني وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مررت ليلة اسري بي باقوام كانت تقرض شفاههم بمقاريض
من نار فقلت من انتم فقالوا انا كنا نامر بالخير ولا نفعله وقال صلى الله عليه وسلم هلاك امتي عالم فاجر وعابد جاهل
وشر الشرار شرار العلماء وخير الخيار خيار العلماء وقال الاوزاعي شكت النواويس ما تجد من نتن جيف الكفار فاوحى الله
اليها بطون علماء السوء انتن مما انتم وقال الفضيل بلغني ان الفسقة من العلماء يبدا بهم يوم القيمة قبل عبدة الاوثان
وقال ابو الدرداء ويل لمن لا يعلم مرة وويل لمن يعلم ولا يعمل سبع مرات وقال يطلع قوم من اهل الجنة الى قوم من اهل النار وانما
ادخلنا الله الجنة بفضله تاديبكم وتعليمكم فقالوا انا كنا نامر بالخير ولا نفعله وقال حاتم الاصم ليس في القيمة اشد حسرة
من رجل علم الناس علما فعملوا به ولم يعمل هو به ففازوا بسببه وهلك وقال مالك بن دينار ان العالم اذا لم يعمل بعلمه زلت
موعظته عن القلوب كما تزل القطر عن الصفا وانشدوا   يا واعظ الناس قد اصبحت متهما   اذ عبت منهم امورا انت تاتيها
وقيل لا تنه عن خلق وتاتي مثله   عار عليك اذا فعلت عظيم   وقال ابرهيم بن ادهم مررت بحجر مكتوب عليه اقلبني تعتبر فقلبته
فاذا مكتوب عليه انت بما تعلم لا تعمل فكيف تطلب علم ما لا تعلم وقال ابن السماك كم من مذكر بالله ناس لله وكم من مخوف بالله
جريء على الله وكم من مقرب الى الله بعيد من الله وكم من داع الى الله فار من الله وكم من تال لكتاب الله منسلخ من ايات الله
وقال ابرهيم بن ادهم لقد اعربنا في كلامنا فلم نلحن ولحنا في اعمالنا فلم نعرب وقال الاوزاعي اذا جاء الاعراب ذهب الخشوع و
روى مكحول عن عبد الرحمن بن غنم انه قال حدثني عشرة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انا كنا ندرس العلم في
مسجد قباء اذ خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تعلموا ما شئتم ان تعلموا فلن ياجركم الله حتى تعملوا وقال عيسى عليه السلم
مثل الذي يتعلم العلم ولا يعمل به كمثل امراة زنت في السر فحملت فظهر حملها فافتضحت فكذلك من لا يعمل بعلمه يفضحه الله تبارك وتعالى
يوم القيمة على رؤوس الاشهاد وقال معاذ احذروا زلة العالم لان قدره عند الناس عظيم فيتبعونه على زلته وقال عمر
رضي الله عنه اذا زل العالم زل بزلته عالم من الخلق وقال ثلث بهن يهدم الزمان احدهن زلة عالم وقال

وقال عمر رضي الله عنه اذا زل العالم زل بزلته عالم من الخلق وقال ابن مسعود سياتي على الناس زمان تملح فيه عذوبة القلوب
فلا ينتفع يومئذ بالعلم عالمه ولا متعلمه فتكون قلوب علمائهم مثل السباخ من ذوات الملح ينزل عليها قطر السماء فلا يوجد لها
عذوبة وذلك اذا مالت قلوب العلماء الى حب الدنيا وايثارها على الاخرة فعند ذلك يسلبها الله ينابيع الحكمة ويطفئ مصابيح
الهدى من قلوبهم فيخبرك عالمهم حين تلقاه انه يخشى الله بلسانه والفجور بين في عمله فما اخصب الالسن واجدب القلوب فوالله
الذي لا اله الا هو ما ذاك الا لان المعلمين علموا لغير الله والمتعلمين تعلموا لغير الله وفي الانجيل مكتوب لا تطلبوا علم ما لم تعلموا
حتى تعملوا بما علمتم وقال حذيفة انكم في زمان من ترك فيه عشر ما يعلم هلك وسياتي زمان من عمل بعشر ما علم نجا وذلك
وذلك لكثرة البطالين واعلم ان مثل العالم مثل القاضي وقال النبي صلى الله عليه وسلم القضاة ثلثة قاض قضى بالحق
وهو يعلم فذاك في الجنة وقاض قضى بالجور وهو يعلم او لا يعلم فهما في النار وقال كعب يكون في اخر الزمان علماء الدين يزهدون
الناس في الدنيا ولا يزهدون ويخوفون ولا يخافون وينهون عن غشيان الولاة ويأتونهم يؤثرون الدنيا على الاخرة ياكلون
بالسنتهم يقربون الاغنياء دون الفقراء يتغايرون على العلم كما يتغاير النساء على الرجال يغضب احدهم على جليسه ان جالس
غيره اولئك الجبارون اعداء الرحمن وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان الشيطان ربما سبقكم بالعلم فقيل
يا رسول الله فكيف ذاك قال يقول اطلبوا العلم ولا تعملوا حتى تعلموا ولا يزال في العلم قائلا وللعمل مسوفا حتى يموت وما عمل وقال
سري السقطي اعتزل للتعبد رجل كان حريصا على طلب علم الظاهر فسالته فقال رايت في النوم قائلا يقول لم تضيع العلم ضيعك
الله فقلت اني لاحفظه فقال ان حفظ العلم العمل به فتركت الطلب واقبلت على العمل وقال ابن مسعود ليس العلم بكثرة الرواية
انما العلم الخشية وقال الحسن تعلموا ما شئتم ان تعلموا فوالله لا ياجركم الله حتى تعملوا فان السفهاء همتهم الرواية والعلماء همتهم
الرعاية وقال مالك ان طلب العلم لحسن وان نشره لحسن اذا صحت فيه النية ولكن انظر ما يلزمك من حين تصبح الى حين تمسي ولا
تؤثرن عليه شيئا وقال ابن مسعود انزل القرآن ليعمل به فاتخذتم دراسته عملا وسياتي قوم يثقفونه مثل القناة ليسوا بخياركم
والعالم الذي لا يعمل كالمريض الذي يصف الدواء وكالجائع الذي يصف لذائذ الاطعمة ولا يجدها ومنه قوله تعالى ولكم الويل مما
تصفون وفي الخبر مما اخاف على امتي زلة عالم وجدال منافق في القران ومنها ان يكون عنايته بتحصيل العلم النافع في الاخرة
المرغب في الطاعة مجتنبا في العلوم التي يقل نفعها ويكثر فيها الجدال والقيل والقال فمثال من يعرض عن علم الاعمال
ويشتغل بالجدال مثال رجل مريض به علل كثيرة وقد صادف طبيبا حاذقا في وقت ضيق يخشى فواته فاشتغل بالسؤال عن خاصية
العقاقير والادوية وغرائب الطب وترك مهمه الذي هو مؤاخذ به وذلك محض السفه وقد روي ان رجلا جاء الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال علمني من غرائب العلم فقال له ما صنعت في راس العلم قال وما راس العلم قال هل عرفت الرب قال
نعم قال وما صنعت في حقه قال ما شاء الله قال عرفت الموت قال نعم قال فما اعددت له قال ما شاء الله قال فاذهب
فاحكم ما هنالك ثم تعال نعلمك غرائب العلم بل ينبغي ان يكون التعلم من جنس ما روي عن حاتم الاصم تلميذ شقيق البلخي انه قال
له شقيق منذ كم صحبتني فقال حاتم منذ ثلث وثلثين سنة فقال فما تعلمت مني في هذه المدة فقال ثمان مسائل فقال
شقيق انا لله وانا اليه راجعون ذهب عمري معك ولم تتعلم الا ثمان مسائل قال يا استاذ لم اتعلم غيرها ولا احب ان
اكذب فقال هات هذه الثمان المسائل حتى اسمعها قال حاتم نظرت الى هذا الخلق فرايت كل واحد يحب محبوبا فهو مع محبوبه الى القبر
فاذا وصل الى القبر فارقه فجعلت الحسنات محبوبي فاذا دخلت القبر دخل محبوبي معي فقال احسنت يا حاتم فما الثانية قال نظرت

في قول الله عز وجل وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى فعلمت أن قوله سبحانه هو الحق
فأجهدت نفسي في دفع الهوى حتى استقرت على طاعة الله الثالثة أني نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كل من معه شيء له
قيمة عنده ومقدار رفعه وحفظه ثم نظرت في قول الله عز وجل ما عندكم ينفد وما عند الله باق فكلما وقع معي شيء له قدر
وقيمة وجهته إليه ليبقى لي عنده الرابعة نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كل واحد منهم يرجع إلى المال والحسب والشرف
والنسب فنظرت فيها فإذا هي لا شيء ثم نظرت إلى قول الله عز وجل إن أكرمكم عند الله أتقاكم فعملت في التقوى حتى أكون عند الله
كريما الخامسة نظرت إلى قول الله عز وجل هذا الخلق وهم يطعن بعضهم بعضا ويلعن بعضهم بعضا وأصل هذا كله الحسد
ثم نظرت إلى قول الله عز وجل نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا فتركت الحسد واجتنبت الخلق وعلمت أن القسم من عند
الله فتركت عداوة الخلق عني السادسة نظرت إلى هذا الخلق يبغي بعضهم على بعض ويقاتل بعضهم بعضا فرجعت إلى قوله تعالى إن
الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا فعاديته وحده واجتهدت في أخذ حذري منه لأن الله تعالى شهد عليه أنه عدو لي فتركت عداوة
الخلق السابعة نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كل واحد منهم طلب هذه الكسرة فيذل فيها نفسه ويدخل فيما لا يحل له ثم نظرت إلى قوله
تعالى وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها فعلمت أني واحد من هذه الدواب فاشتغلت بما لله علي وتركت ما لي عنده الثامنة نظرت
إلى هذا الخلق فرأيتهم متوكلين هذا على ضيعته وهذا على تجارته وهذا على صناعته وهذا على صحة بدنه وكل مخلوق متوكل على مخلوق
فرجعت إلى قوله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه فتوكلت على الله فهو حسبي قال شقيق يا حاتم فإني نظرت في علم التوراة والإنجيل
والزبور والقرآن العظيم فوجدته يدور على هذه الثمان المسائل فمن استعملها فقد استعمل الكتب الأربعة فهذا الفن من العلم مهم بإدراكه
والتفطن له علماء الآخرة وأما علماء الدنيا فيشتغلون بما يتيسر به اكتساب المال ويهملون أمثال هذه العلوم التي بها بعث
الأنبياء كلهم وقال الضحاك بن مزاحم أدركتهم وما يتعلم بعضهم من بعض إلا الورع وهم اليوم يتعلمون الكلام ومنها أن يكون
غير مائل إلى الترفه في المطعم والمشرب والتنعم في الملبس والتجمل في الأثاث والمسكن بل يؤثر الاقتصاد في جميع ذلك وكلما ازداد إلى طرف
القلة ميله ازداد من الله قربه وارتفع في علماء الآخرة حزبه ويشهد لذلك ما حكي عن أبي عبد الله الخواص وكان من أصحاب حاتم
الأصم قال دخلت مع حاتم الري ومعنا ثلثمائة وعشرين رجلا نريد الحج وعليهم الزرمانقات وليس معهم جراب ولا طعام فدخلنا
على رجل من التجار متقشف يحب المساكين فأضافنا تلك الليلة فلما كان من الغد قال لحاتم ألك حاجة فإني أريد أن أعود فقيها
لنا هو عليل فقال حاتم عيادة المريض فيها فضل والنظر إلى الفقيه عبادة فأنا أيضا أجيء معك وكان العليل محمد بن مقاتل قاضي
الري فلما جئنا إلى الباب فإذا هو مشرف حسن فبقي حاتم متفكرا يقول باب عالم على هذه الحالة ثم أذن لهم فدخلوا فإذا دار قوراء
وإذا بزة وسعة وستور فبقي حاتم متفكرا ثم دخلوا إلى المجلس الذي هو فيه فإذا بفرش وطيئة وهو راقد عليها وعند رأسه غلام
ومذبة فقعد الرازي وسأل وحاتم قائم فأومأ إليه ابن مقاتل أن اجلس فقال لا أجلس فقال لعل لك حاجة فقال نعم فقال
ما هي قال مسألة أسألك عنها قال سلني عنها قال قم فاستو أسألك فاستوى فقال علمك هذا من أين أخذته قال من الثقات
حدثوني به قال عمن قال عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن قال عن رسول الله
قال ورسول الله عمن قال عن جبريل عن الله سبحانه وتعالى قال حاتم ففيما أداه جبريل عن الله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأداه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه وأصحابه إلى الثقات وأداه الثقات إليك هل سمعت في العلم من كان
في داره أميرا وكانت سعته أكثر كان له عند الله عز وجل المنزلة أكثر قال لا قال فكيف سمعت قال سمعت من زهد في الدنيا ورغب

في الآخرة وأحب المساكين وقدم لآخرته كان له عند الله المنزلة قال حاتم فأنت بمن اقتديت أبالنبي صلى الله عليه وسلم
وأصحابه والصالحين رضي الله عنهم أم بفرعون ونمرود أول من بنى بالجص والآجر يا علماء السوء مثلكم يراه الجاهل المكالب على
الدنيا الراغب فيها فيقول العالم على هذه الحالة لا أكون أنا شرا منه وخرج من عنده فازداد ابن مقاتل مرضا وبلغ أهل الري
ما جرى بينه وبين ابن مقاتل فقالوا إن الطنافسي بقزوين أكثر شيئا منه فسار حاتم إليه متعمدا فدخل عليه فقال رحمك الله
أنا رجل عجمي أحب أن تعلمني مبتدأ ديني ومفتاح صلاتي كيف أتوضأ للصلاة قال نعم وكرامة يا غلام هات إناء فيه ماء فأتي به
فقعد الطنافسي وتوضأ ثلاثا ثلاثا قال هكذا فتوضأ قال حاتم مكانك حتى أتوضأ بين يديك فيكون أوثق لما أريد فقام الطنافسي
وحاتم فتوضأ ثم غسل الذراعين أربعا فقال له الطنافسي يا هذا أسرفت فقال له حاتم فيماذا قال غسلت ذراعك أربعا
حاتم سبحان الله أنا في كف ماء أسرفت وأنت في هذا الجمع كله لم تسرف فعلم الطنافسي أنه قصد ذلك دون التعلم فدخل إلى البيت
ولم يخرج إلى الناس أربعين يوما فلما دخل بغداد اجتمع إليه أهل بغداد فقالوا يا أبا عبد الرحمن أنت رجل ألكن عجمي وليس يكلمك أحد
إلا قطعته قال معي ثلاث خصال بهن أظهر على خصمي أفرح إذا أصاب خصمي وأحزن إذا أخطأ وأحفظ نفسي أن لا أتجاهل عليه فبلغ
ذلك أحمد بن حنبل فقال يا سبحان الله ما أعقله قوموا بنا إليه فلما دخلوا عليه قال يا أبا عبد الرحمن ما السلامة من الدنيا قال
يا أبا عبد الله لا تسلم من الدنيا حتى تكون معك أربع خصال تغفر للقوم جهلهم وتمنع جهلك وتبذل لهم شيئك وتكون
من شيئهم آيسا فإذا كنت هكذا سلمت ثم سار إلى المدينة فاستقبله أهل المدينة فقال يا قوم أية مدينة هذه قالوا مدينة رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال فأين قصر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أصلي فيه قالوا ما كان له قصر إنما كان له بيت لاطئ بالأرض
قال فأين قصور أصحابه رضي الله عنهم قالوا ما كان لهم قصور إنما كانت لهم بيوت لاطئة بالأرض فقال حاتم يا قوم فهذه مدينة
فرعون فأخذوه وذهبوا به إلى السلطان وقالوا هذا العجمي يقول هذه مدينة فرعون قال الوالي ولم ذاك فقال حاتم
لا تعجل علي أنا رجل عجمي غريب دخلت البلد فقلت مدينة من هذه فقالوا مدينة الرسول عليه السلام فقلت أين قصره وقص
القصة ثم قال وقد قال الله تعالى لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة فأنتم بمن تأسيتم برسول الله صلى الله عليه وسلم
أم بفرعون أول من بنى بالجص والآجر فخلوا عنه وتركوه فهذه حكاية حاتم وسيأتي من سيرة السلف في البذاذة وترك التجمل
ما يشهد لذلك في مواضعه والتحقيق فيه أن التزين بالمباح ليس بحرام ولكن الخوض فيه يوجب الأنس به حتى يشق تركه
واستدامة الزينة لا يكون إلا بمباشرة أسباب في الغالب يلزم من مراعاتها ارتكاب المعاصي من المداهنة ومراعاة الخلق و
مراياتهم وأمور أخر هي محظورة فالحزم اجتناب ذلك لأن من خاض في الدنيا لا يسلم منها البتة ولو كانت السلامة مبذولة
مع الخوض لكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يبالغ في ترك الدنيا حتى نزع القميص المعلم ونزع خاتم الذهب في أثناء
الخطبة إلى غير ذلك مما سيأتي بيانه وقد حكي أن يحيى بن يزيد النوفلي كتب إلى مالك بن أنس بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد
في الأولين والآخرين من يحيى بن يزيد بن عبد الملك إلى مالك بن أنس أما بعد فقد بلغني أنك تلبس الدقاق وتأكل الرقاق وتجلس
على الوطاء وتجعل على بابك حاجبا وقد جلست مجلس العلم وضربت إليك المطي وارتحل إليك الناس فاتخذوك إماما ورضوا
بقولك فاتق الله يا مالك وعليك بالتواضع كتبت إليك بالنصيحة مني كتابا ما اطلع عليه إلا الله والسلام فكتب إليه مالك
بسم الله الرحمن الرحيم من مالك بن أنس إلى يحيى بن يزيد سلام عليك أما بعد فقد وصل إلي كتابك فوقع مني موقع النصيحة
في الشفقة والأدب أمتعك الله بالتقوى وجزاك بالنصيحة خيرا وأسأل الله التوفيق ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

فاما ذكرت لى انى اكل الرقاق والبس الدقاق واحتجب واجلس على الوطاء فنحن نفعل ذلك ونستغفر الله وقد قال الله تعالى قل
من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق وانى لاعلم ان ترك ذلك خير من الدخول فيه ولا تدعنا من كتابك فلسنا
ندعك من كتابنا والسلم فانظر الى انصاف مالك اذا اعترف بان ترك ذلك خير وافتى بانه مباح وقد صدق فيهما جميعا ومثل مالك فى
منصبه اذا سمحت نفسه بالانصاف والاعتراف فى مثل هذه النصيحة فيقوى ايضا نفسه على الوقوف على حدود المباح حتى
لا يحمله ذلك على المراياة والمداهنة والتجاوز الى المكروهات واما غيره فلا يقدر عليه فالتعريج على التنعم فى المباح خطر عظيم
وهو بعيد من الخوف والخشية وخاصية علماء الله الخشية وخاصية الخشية التباعد من مظان الخطر ومنها ان يكون منقبضا
عن السلاطين لا يدخل عليهم البتة ما دام يجد الى الفرار عنهم سبيلا بل ينبغى ان يحترز عن مخالطتهم وان جاؤا اليه فان الدنيا حلوة خضرة
وزمامها بايدى السلاطين والمخالطهم لا يخلو عن تكلف فى طلب مرضاتهم واستمالة قلوبهم مع انهم ظلمة ويجب على متدين الانكار
عليهم وتضييق صدورهم باظهار ظلمهم وتقبيح فعلهم فالداخل عليهم اما ان يلتفت الى تجملهم فيزدرى نعم الله عليه او يسكت عن
الانكار عليهم فيكون مداهنا او يتكلف فى كلامه لمرضاتهم وتحسين حالهم وذلك هو البهت الصريح او يطمع فى ان ينال من دنياهم
وذلك هو السحت وسياتى فى كتاب الحلال والحرام ما يجوز ان يوخذ من اموال السلاطين وما لا يجوز من حد الادرار والجوائز وغيرها
وعلى الجملة فمخالطتهم مفتاح الشرور وعلماء الاخرة طريقهم الاحتياط وقد قال صلى الله عليه وسلم من بدا جفا يعنى سكن البادية
ومن اتبع الصيد غفل ومن اتى السلطان افتتن وقال عليه السلم سيكون عليكم امراء تعرفون منهم وتنكرون فمن انكر فقد برى
ومن كره سلم ولكن من رضى وتابع ابعده الله قيل افلا نقتلهم قال لا ما صلوا وقال سفين فى جهنم واد لا يسكنه الا القراء الزوارون للملوك
وقال حذيفة اياكم ومواقف الفتن قيل وما هو قال ابواب الامراء يدخل احدكم على الامير فيصدقه بالكذب ويقول ما ليس فيه وقال
عليه السلم العلماء امناء الرسول على عباد الله ما لم يخالطوا السلطان فاذا فعلوا ذلك فقد خانوا الرسل فاحذروهم واعتزلوهم
رواه انس وقيل للاعمش لقد احييت العلم لكثرة من ياخذ عنك فقال لا تعجلوا ثلث يموتون قبل الادراك وثلث يلزمون السلطان
فهم شر الخلق والثلث الباقى لا يفلح منهم الا قليل ولذلك قال سعيد بن المسيب اذا رايتم العالم يغشى الامراء فاحترزوا منه
فانه لص وقال الاوزاعى ما من شى ابغض الى الله من عالم يزور عاملا وقال صلى الله عليه وسلم شرار العلماء الذين ياتون الامراء و
خيار الامراء الذين ياتون العلماء وقال مكحول الدمشقى من تعلم القران وتفقه فى الدين ثم صحب السلطان تملقا اليه وطمعا
لما فى يديه خاض فى نار جهنم بعدد خطاه وقال سمنون ما اسمج بالعالم ان يوتى الى مجلسه فلا يوجد فيسال عنه فيقال انه عند الامير قال
وكنت اسمع انه يقال اذا رايتم العالم يحب الدنيا فاتهموه على دينكم حتى جربت اذ ما دخلت على السلطان الا وحاسبت نفسى
بعد الخروج فارى عليها الدرك وانتم ما القاه به من الغلظة والفظاظة وكثرة المخالفة لهواه ولوددت ان انجو من الدخول
كفافا مع انى لا آخذ منهم شيئا ولا اشرب لهم شربة ماء قال وعلماء زماننا اشر من علماء بنى اسرائيل يخبرون السلطان بالرخص
وبما يوافق هواهم ولو اخبروه بالذى عليه وفيه نجاته لاستثقلهم وكره دخولهم وكان ذلك نجاة لهم عند ربهم وقال
الحسن كان فيما كان قبلكم رجل له قدم فى الاسلام وصحبة لرسول الله قال ابن المبارك عنى سعد بن ابى وقاص وكان لا يغشى
السلطان فقعد عنهم فقال له بنوه ياتى هولاء من ليس هو مثلك فى الصحبة والقدم فى الاسلام ولو اتيتهم فقال يا بنى آتى جيفة
قد احاط بها قوم والله لئن استطعت لا اشاركتهم فيها قالوا يا ابانا اذن تهلك هزلا قال يا بنى لان اموت مؤمنا مهزولا احب
الى من ان اموت منافقا سمينا قال الحسن خصمهم والله اذ علم ان التراب ياكل اللحم والسمن دون الايمان وفى هذا اشارة الى

الى ان السلطان لا يسلم من النفاق البتة وهو مضاد للايمان وقال ابو ذر لسلمة يا سلمة لا تغش ابواب السلاطين فانك
لا تصيب من دنياهم شيئا الا اصابوا من دينك افضل منه وهذه فتنة عظيمة للعلماء وذريعة صعبة للشيطان للعلماء
وذريعة عليهم لا سيما من له لهجة مقبولة وكلام حلو اذ لا يزال الشيطان يلقى اليه ان فى وعظك لهم ودخولك عليهم من الدين
ثم اذا دخل لم يلبث ان يتلطف فى الكلام ويداهن ويخوض فى الثناء والاطراء وفيه هلاك الدين وكان يقال العلماء اذا
علموا عملوا فاذا عملوا شغلوا فاذا شغلوا فقدوا فاذا فقدوا طلبوا فاذا طلبوا هربوا وكتب عمر بن عبد العزيز الى الحسن رحمهما الله
اما بعد فاشر على بقوم استعين بهم على امر الله تعالى فكتب اليه اما اهل الدين فلم يريدوك واما اهل الدنيا فلن تريدهم
ولكن عليك بالاشراف فانهم يصونون شرفهم ان يدنسوه بالخيانة هذا فى عمر بن عبد العزيز وكان ازهد اهل زمانه فاذا
كان شرط اهل الدين الهرب منه فكيف يستتب طلب غيره ومخالطته ولم يزل السلف مثل الحسن والثورى وابن المبارك والفضيل
وابرهيم بن ادهم ويوسف بن اسباط يتكلمون فى علماء الدنيا من اهل مكة والشام اما لميلهم الى الدنيا او لمخالطتهم السلاطين
ومنها ان لا يكون مسارعا الى الفتوى بل يكون متوقفا ومحترزا ما وجد الى الخلاص سبيلا فان سئل عما يعلمه تحقيقا بنص
كتاب او نص حديث او اجماع او قياس جلى افتى وان سئل عما يشك فيه قال لا ادرى وان سئل عما يظنه باجتهاد وتخمين احتاط
ودفع عن نفسه واحال على غيره ان كان فى غيره غنية هذا هو الحزم لان تقلد خطر الاجتهاد عظيم وفى الخبر العلم ثلثة كتاب ناطق
وسنة قائمة ولا ادرى قال الشعبى لا ادرى نصف العلم ومن سكت حيث لا يدرى لله فليس باقل اجرا ممن نطق لان الاعتراف بالجهل اشد
على النفس وهكذا كانت عادة الصحابة والسلف كان ابن عمر اذا سئل عن الفتوى قال اذهب الى الامير الذى تقلد امور الناس
فضعها فى عنقه وقال ابن مسعود ان الذى يفتى الناس فى كل ما يستفتونه لمجنون وقال جنة العالم لا ادرى فاذا اخطاها اصيبت
مقاتله وقال ابرهيم بن ادهم ليس شى اشد على الشيطان من عالم يتكلم بعلم ويسكت بعلم يقول انظروا الى هذا سكوته اشد على من كلامه
ووصف بعضهم الابدال فقال اكلهم فاقة وكلامهم ضرورة اى لا يتكلمون حتى يسئلوا واذا سئلوا ووجدوا من يكفيهم سكتوا فان اضطروا
اجابوا وكانوا يعدون الابتداء قبل السؤال من الشهوة الخفية للكلام ومر على برجل يتكلم على الناس فقال هذا يقول اعرفونى وقال
بعضهم انما العالم الذى اذا سئل عن المسئلة فكانما يقلع ضرسه وكان ابن عمر يقول تريدون ان تجعلونا جسرا تعبرون علينا
الى جهنم وقال ابو حفص النيسابورى العالم هو الذى يخاف عند السؤال ان يقال له يوم القيمة من اين اجبت وكان ابرهيم
التيمى اذا سئل عن مسئلة يبكى ويقول لم تجدوا غيرى حتى احتجتم الى وكان ابو العالية الرياحى وابرهيم والثورى وابن ادهم يتكلمون على
الاثنين والثلثة والنفر اليسير فاذا كثروا انصرفوا وقال عليه السلم ما ادرى اعزير نبى ام لا وما ادرى تبع ملعون ام لا وما ادرى ذو القرنين
نبى ام لا ولما سئل عن خير البقاع وشرها قال لا ادرى حتى اعلمه الله تعالى ان المسجد خير البقاع وشرها السوق وكان ابن عمر يسال
عن عشر مسائل فيجيب عن واحدة ويسكت عن تسعة وكان ابن عباس يجيب عن تسعة ويسكت عن واحدة وكان فى الفقهاء من يقول لا ادرى
اكثر من ان يقول ادرى منهم سفين الثورى ومالك بن انس واحمد بن حنبل والفضيل بن عياض وبشر بن الحارث وقال عبد الرحمن
ابن ابى ليلى ادركت فى هذا المسجد مائة وعشرين من اصحاب رسول الله ما منهم من احد يسال عن حديث او فتوى الا ود ان
اخاه كفاه ذلك وفى لفظ اخر كانت المسئلة تعرض على احدهم فيردها الى الاخر ويردها الاخر الى الاخر حتى تعود الى الاول و
روى ان اصحاب الصفة اهدى الى واحد منهم راس مشوى وهو فى غاية الضر فاهداه الى الاخر والاخر الى الاخر هكذا دار بينهم حتى
رجع الى الاول فانظر الان كيف انعكس امر العلماء فصار المهروب منه مطلوبا والمطلوب مهروبا عنه ويشهد بحسن الاحتراز عن تقلد

الفتوى ما روي مسنداً انه قال صلى الله عليه وسلم لا يفتي الناس الا ثلاثة امير او مأمور او متكلف وقال بعضهم كان الصحابة
يتدافعون اربعة اشياء الامامة والوديعة والوصية والفتوى وقال بعضهم كان اسرعهم الى الفتوى اقلهم علماً واشدهم دفعاً
لها وكان شغل الصحابة والتابعين في خمسة قراءة القرآن وعمارة المساجد وذكر الله تعالى والامر بالمعروف والنهي عن المنكر
وذلك لما سمعوه من قوله صلى الله عليه وسلم كل كلام ابن آدم عليه لا له الا ثلاثاً امر بمعروف ونهي عن منكر او ذكر الله تعالى
وقال تعالى لا خير في كثير من نجواهم الا من امر الآية ورأى بعض العلماء بعض اصحاب الرأي من الكوفة في المنام فقال ما رأيت فيما
كنت عليه من الفتوى والرأي فكره وجهه واعرض فقال ما وجدنا شيئاً وما حمدنا عاقبته وقال ابن حصين ان احدهم ليفتي في
مسألة لو وردت على عمر لجمع لها اهل بدر فلم يزل السكوت دأب اهل العلم الا عند الضرورة وفي الخبر اذا رأيتم الرجل قد
اوتي صمتاً وزهداً فاقتربوا منه فانه يلقن الحكمة وقيل العالم اما عالم عامة وهو المفتي وهم اصحاب السلاطين وعالم خاصة
وهو العالم بالتوحيد واعمال القلوب وهم ارباب الزوايا المتفردون وكان يقال مثل احمد بن حنبل مثل دجلة كل احد يغترف منها
ومثل بشر بن الحارث مثل بئر عذبة مغطاة لا يقصدها الا واحد بعد واحد وكانوا يقولون فلان عالم وفلان متكلم وفلان
اكثر علماً وقال ابو سليمان المعرفة الى السكوت اقرب منها الى الكلام وقال بعضهم اذا كثر العلم قل الكلام وكتب سلمان الى ابي الدرداء
وكان قد آخى بينهما رسول الله صلى الله عليه وسلم يا اخي بلغني انك قعدت طبيباً تداوي المرضى فانظر فان كنت طبيباً فتكلم
فان كلامك شفاء وان كنت متطبباً فالله الله لا تقتل مسلماً فكان ابو الدرداء يتوقف بعد ذلك اذا سئل وكان انس اذا
سئل يقول سلوا مولانا الحسن وكان ابن عباس يقول سلوا جابر بن زيد وابن عمر يقول سلوا سعيد بن المسيب وحكي انه روى
صحابي في حضور الحسن عشرين حديثاً فسئل عن تفسيرها فقال ما عندي الا ما رويت فاخذ الحسن في تفسيرها حديثاً فتعجبوا
من حسن حفظه وحسن تفسيره فاخذ الصحابي كفاً من حصى ورماهم به وقال تسألوني عن العلم وهذا الحبر بين اظهركم ومنها
ان يكون اكثر اهتمامه بعلم الباطن ومراقبة القلب ومعرفة طريق الآخرة وسلوكه وصدق الرجاء في انكشاف ذلك من المجاهدة
والمراقبة فان المجاهدة تفضي الى المشاهدة في دقائق علم القلوب وتتفجر به ينابيع الحكمة من القلب اما الكتب والتعليم فلا
بل الحكمة الخارجة عن الحصر والعد انما تنفتح بالمجاهدة والمراقبة ومباشرة الاعمال الظاهرة والباطنة والجلوس مع الله
في الخلوة مع حضور القلب بصافي الفكر والانقطاع الى الله عما سواه فذلك مفتاح الالهام ومنبع الكشف وكم من متعلم
طال تعلمه ولم يقدر على مجاوزة مسموعه بكلمة وكم من مقتصر على المهم في التعلم ومتوفر على العمل ومراقبة القلب فتح الله له من
لطائف الحكمة ما تحار فيه عقول ذوي الالباب ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم
وفي بعض الكتب السالفة يا بني اسرائيل لا تقولوا العلم في السماء من ينزل به ولا في تخوم الارض من يصعد به ولا من وراء البحار
من يعبر يأتي به العلم مجعول في قلوبكم تأدبوا بين يدي بآداب الروحانيين وتخلقوا باخلاق الصديقين اظهر العلم من قلوبكم حتى
يغطيكم ويغمركم وقال سهل التستري خرج العلماء والعباد والزهاد من الدنيا وقلوبهم مقفلة ولم تفتح الا قلوب الصديقين
والشهداء ثم تلا وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ولولا ان ادراك قلب من له قلب بالنور الباطن حاكم على علم الظاهر
لما قال استفت قلبك وان افتوك وافتوك وقال عليه السلام فيما يرويه عن ربه لا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا
احببته كنت له سمعاً وبصراً الحديث فكم من معان دقيقة من اسرار القرآن تخطر على قلب المتجرد للذكر والفكر تخلو عنها كتب
التفاسير ولا يطلع عليها افاضل المفسرين واذا انكشف ذلك للمراقب وعرض على المفسرين استحسنوه وعلموا ان ذلك من تنبيهات

تنبيهات القلوب الزكية والطاف الله تعالى بالهمم المتوجهة اليه وكذلك في علوم المكاشفة واسرار علوم المعاملة ودقائق
خواطر القلوب فان كل علم من هذه العلوم بحر لا يدرك عمقه وانما يخوضه كل طالب بقدر ما رزق وبحسب ما وفق له من
حسن العمل وفي وصف هؤلاء العلماء قال علي كرم الله وجهه في حديث طويل القلوب اوعية وخيرها اوعاها
والناس ثلاثة عالم رباني ومتعلم على سبيل النجاة وهمج رعاع اتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم
يلجؤوا الى ركن وثيق العلم خير من المال العلم يحرسك وانت تحرس المال والعلم يزكو على الانفاق والمال ينقصه الانفاق ومحبة
العالم دين يدان به يكسبه الطاعة في حياته وجميل الاحدوثة بعد موته العلم حاكم والمال محكوم عليه ومنفعة المال تزول بزواله
مات خزان الاموال وهم احياء والعلماء باقون بقاء الدهر ثم تنفس الصعداء فقال هاه ان ههنا علماً جماً لو وجدت له حملة بل
اجد طالباً غير مأمون يستعمل آلة الدين في طلب الدنيا ويستطيل بنعم الله على اوليائه ويستظهر بحججه على خلقه او منقاداً لاهل
الحق ينزرع الشك في قلبه باول عارض من شبهة لا بصيرة له لا ذا ولا ذاك فهو منهوم باللذة سلس القياد في طلب الشهوات
او مغرى بجمع الاموال والادخار منقاد لهواه اقرب شبهاً بهما الانعام السائمة اللهم هكذا يموت العلم اذا مات حاملوه ثم لا تخلو
الارض من قائم لله بحجة اما ظاهر مكشوف واما خائف مقهور لئلا تبطل حجج الله وبيناته وكم وأين اولئك هم الاقلون عدداً
الاعظمون قدراً اعيانهم مفقودة وامثالهم في القلوب موجودة يحفظ الله تعالى بهم حججه حتى يودعوها نظراءهم و
يزرعوها في قلوب اشباههم هجم بهم العلم على حقيقة الامر فباشروا روح اليقين فاستلانوا ما استوعر منه المترفون وانسوا
بما استوحش منه الغافلون صحبوا الدنيا بابدان ارواحها معلقة بالمحل الاعلى اولئك اولياء الله من خلقه وعماله في
ارضه والدعاة الى دينه ثم بكى وقال واشوقاه الى رؤيتهم فهذا الذي ذكره اخراً هو وصف علماء الآخرة وهذا العلم يستفاد
اكثره من العمل والمواظبة على المجاهدة ومنها ان يكون شديد العناية بتقوية اليقين فان اليقين هو رأس مال الدين قال النبي
صلى الله عليه وسلم اليقين الايمان كله ولا بد من تعلم علم اليقين اعني اوائله ثم ينفتح للقلب طريقه ولذلك قال صلى الله عليه
وسلم تعلموا اليقين ومعناه جالسوا الموقنين واسمعوا منهم علم اليقين وواظبوا على الاقتداء بهم ليقوى يقينكم كما قوي يقينهم
وقليل من اليقين خير من كثير من العمل وقال صلى الله عليه وسلم لما قيل له رجل حسن اليقين كثير الذنوب ورجل مجتهد في العبادة
قليل اليقين فقال ما من آدمي الا وله ذنوب ولكن من كان غريزته العقل وسجيته اليقين لم تضره الذنوب لانه كلما اذنب
ذنباً تاب واستغفر وندم فيكفر ذنوبه ويبقى له فضل يدخل به الجنة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من اقل ما اوتيتم اليقين
وعزيمة الصبر ومن اعطي حظه منهما لم يبال ما فاته من قيام الليل وصيام النهار وفي وصية لقمان لابنه يا بني لا يستطاع
العمل الا باليقين ولا يعمل المرء الا بقدر يقينه ولا يقصر عامل حتى ينقص يقينه وقال يحيى بن معاذ ان للتوحيد نوراً وللشرك
ناراً وان نور التوحيد احرق لسيئات الموحدين من نار الشرك لحسنات المشركين واراد به اليقين وقد اشار القرآن الى ذكر الموقنين
في مواضع دل به على ان اليقين هو الرابطة للخيرات والسعادات فان قلت فما معنى اليقين وما معنى قوته وضعفه فلا بد
من فهمه اولاً ثم الاشتغال بطلبه وتعلمه فان ما لا يفهم صورته لا يمكن طلبه فاعلم ان اليقين لفظ مشترك يطلقه فريقان
لمعنيين مختلفين اما النظار والمتكلمون فيعبرون به عن عدم الشك اذ ميل النفس الى التصديق بالشيء له اربع مقامات الاول ان
يعتدل التصديق والتكذيب ويعبر عنه بالشك كما اذا سئلت عن شخص معين ان الله يعاقبه ام لا وهو مجهول الحال عندك
فان نفسك لا تميل الى الحكم به باثبات ونفي بل يستوي عندك امكان الامرين فيسمى هذا شكاً الثانية ان تميل نفسك

الى احد الامرين مع الشعور بامكان نقيضه ولكنه امكان لا يمنع ترجيح الاول كما اذا سئلت عن رجل تعرفه بالصلاح والتقوى
انه بعينه لو مات على هذه الحالة هل يعاقب فان نفسك تميل الى انه لا يعاقب اكثر من ميلها الى العقاب وذلك لظهور
علامات الصلاح ومع هذا فانت تجوّز اختفاء امر موجب للعقاب في باطنه وسريرته فهذا التجويز مساوق لذلك الميل
ولكنه غير دافع رجحانه فهذه الحالة تسمى ظنا الثالثة ان تميل النفس الى التصديق بشيء بحيث يغلب عليها ولا يخطر
بالبال نقيضه ولو خطر لنبت النفس عن قبوله ولكن ليس ذلك عن معرفة محققة اذ لو احسن صاحب هذا المقام التامل
والاصغاء الى التشكيك والتجويز اتسعت نفسه للتجويز وهذا يسمى اعتقادا مقاربا لليقين وهو اعتقاد العوام في الشرعيات
كلها اذ رسخ في نفوسهم بمجرد السماع حتى ان كل فرقة تثق بصحة مذهبها واصابة امامها ومتبوعها ولو ذكر لاحدهم امكان
خطأ امامه نفر عن قبوله الرابعة المعرفة الحقيقية الحاصلة بطريق البرهان الذي لا يشك فيه ولا يتصور التشكيك فيه فاذا
امتنع وجود الشك وامكانه يسمى يقينا عند هؤلاء ومثاله انه اذا قيل للعاقل هل في الوجود شيء قديم فلا يمكنه التصديق بالبديهة
لان القديم غير محسوس كالشمس والقمر فانه يصدق بوجودهما بالحس وليس العلم بوجود شيء قديم اوليا ضروريا مثل العلم بان
الاثنين اكثر من الواحد بل مثل العلم بان حدوث حادث بلا سبب محال فان هذا ايضا ضروري فحق غريزة العقل ان تتوقف
عن التصديق بوجود القديم على طريق الارتجال والبديهة ثم من الناس من يسمع ويصدق بالسماع جزما ويستمر عليه فذلك هو
الاعتقاد وهو حال جميع العوام ومن الناس من يصدق به بالبرهان وهو ان يقال له ان لم يكن في الوجود قديم فالموجودات
كلها حادثة وان كانت كلها حادثة فهي حادثة بلا سبب او فيها حادث بلا سبب وذلك محال فالمؤدي الى المحال محال
فيلزم في العقل التصديق بوجود شيء قديم ضروري بالضرورة لان الاقسام ثلاثة وهو ان تكون الموجودات كلها قديمة او
او كلها حادثة او بعضها قديمة وبعضها حادثة فان كان كلها قديما فقد حصل المطلوب وان كان الكل حادثا فهو محال اذ
يؤدي الى الحدوث بغير سبب فيثبت القسم الثاني او الاول وكل علم حصل على هذا الوجه يسمى يقينا سواء حصل بنظر مثل ما
ذكرناه او حصل بحس او بغريزة العقل كالعلم باستحالة حادث بلا سبب او بتواتر كالعلم بوجود مكة او بتجربة كالعلم بان الطبيخ
مسهل او بدليل كما ذكرناه فشرط اطلاق الاسم عندهم عدم الشك فكل علم لا شك فيه يسمى يقينا عند هؤلاء وعلى هذا
لا يوصف اليقين بالضعف اذ لا تفاوت في نفي الشك الاصطلاح الثاني اصطلاح الفقهاء والمتصوفة واكثر العلماء وهو ان
لا يلتفت فيه الى التجويز والشك بل الى استيلائه وغلبته على القلب حتى يقال فلان ضعيف اليقين بالموت مع انه لا
يشك فيه ويقال فلان قوي اليقين في اتيان الرزق مع انه قد يجوز انه لا ياتيه فمهما مالت النفس الى التصديق بشيء وغلب
ذلك على القلب واستولى حتى صار هو المتحكم والمتصرف في النفس بالتحريض والمنع سمي يقينا ولا شك في ان الناس
مشتركون في القطع بالموت والانفكاك عن الشك فيه ولكن فيهم من لا يلتفت اليه والى الاستعداد له وكانه غير موقن به
وفيهم من استولى ذلك على قلبه حتى استغرق جميع همته بالاستعداد له ولم يغادر فيه متسعا لغيره فيعبر عن مثل هذه الحالة
بقوة اليقين ولذلك قال بعضهم ما رأيت يقينا لا شك فيه اشبه بشك لا يقين فيه من الموت وعلى هذا الاصطلاح يوصف
النفس بالضعف والقوة ونحن اردنا بقولنا ان من شان علماء الآخرة صرف العناية الى تقوية اليقين بالمعنيين جميعا وهو نفي الشك
ثم تسليطه على النفس حتى يكون هو الغالب المتحكم وهو المتصرف واذا فهمت هذا علمت المراد من قولنا اذا قلنا ان النفس
ينقسم ثلاث انقسامات بالقوة والضعف والقلة والكثرة والخفاء والجلاء فاما بالقوة والضعف فعلى الاصطلاح الثاني

الثاني وذلك في الغلبة والاستيلاء على القلب ودرجات اليقين في القوة والضعف لا تتناهى وتفاوت الخلق في الاستعداد
للموت بحسب تفاوت اليقين بهذه المعاني واما التفاوت بالجلاء والخفاء فلا ينكر ايضا اما فيما يتطرق اليه التجويز فلا ينكر
اعني الاصطلاح الثاني وفيما انتفى الشك عنه ايضا لا سبيل الى انكاره فانك تدرك تفرقة بين تصديقك بوجود مكة
ووجود فدك مثلا وبين تصديقك بوجود موسى صلوات الله عليه ووجود يوشع مع انك لا تشك في الامرين جميعا
اذ مستندهما التواتر ولكن ترى احدهما اجلى واوضح في قلبك من الثاني لان السبب في احدهما اقوى وهو كثرة المخبرين
وكذلك يدرك الناظر هذا في النظريات المعلومة بالادلة فانه ليس وضوح ما لاح له بدليل واحد كوضوح ما لاح
بادلة كثيرة مع تساويهما في نفي الشك وهذا قد ينكره المتكلم الذي ياخذ العلم من الكتب والسماع ولا يراجع نفسه فيما يدركه
من تفاوت الاحوال واما القلة والكثرة فذلك بكثرة متعلقات اليقين كما يقال فلان اكثر علما اي معلوماته اكثر ولذلك قد
يكون قوي اليقين في جميع ما ورد الشرع به وقد يكون قوي اليقين في بعضه فان قلت فقد فهمت اليقين وقوته وضعفه وكثرته وقلته
وخفاءه وجلاءه بمعنى نفي الشك او بمعنى الاستيلاء على القلب فما متعلقات اليقين ومجاريه وفيماذا يطلب اليقين فاني ما لم اعرف ما يطلب فيه
اليقين ما يطلب فيه اليقين عبارة عن معرفة مخصوصة ومتعلقه المعلومات التي وردت به الشرائع فلا مطمع في استقصائها ولكني
اشير الى بعض امهاتها فمن ذلك التوحيد وهو ان يرى الاشياء كلها من مسبب الاسباب ولا يلتفت الى الوسائط بل يرى الواسطة
مسخرة لا حكم لها فالمصدق بهذا موقن فان انتفى عن قلبه مع الايمان امكان الشك فهو موقن باحد المعنيين فان غلب على قلبه ازال منه
الغضب على الاوساط والرضا عنهم والشكر لهم ونزل الوسائط في قلبه منزلة القلم واليد في حق المنعم وقد صار موقنا بالمعنى
الثاني وهو الاشرف وهو ثمرة اليقين الاول وروحه وفائدته ومهما تحقق ان الشمس والقمر والنجوم والجماد والنبات والحيوان وكل
مخلوق فهي مسخرات بامره حسب تسخر القلم في يد الكاتب في ان القدرة الازلية هي المصدر للكل استولى عليه التوكل والرضا والتسليم
وصار بريا من الغضب والحقد والحسد وسوء الخلق فهذا احد ابواب اليقين ومن ذلك الثقة بضمان الرزق في قوله تعالى وما من دابة في
الارض الا على الله رزقها واليقين بان ذلك ياتيه وان ما قدر له سيساق اليه ومهما غلب ذلك على قلبه كان مجملا في الطلب ولم يشتد
حرصه وشرهه وتاسفه على ما يفوته وان هذا اليقين ايضا جملة من الطاعات والاخلاق الحميدة ومن ذلك ان يغلب على قلبه ان من يعمل
مثقال انه من يعمل مثقال ذرة شرا يره وهو اليقين بالثواب والعقاب حتى يرى نسبة الطاعات الى الثواب كنسبة الخبز الى الشبع
ونسبة المعاصي الى العقاب كنسبة السموم والافاعي الى الهلاك فكما يحرص على التحصيل للخبز طلب الشبع فيحفظ قليله وكثيره فكذلك
يحرص على الطاعة قليلها وكثيرها وكما يجتنب قليل السم وكثيره يجتنب قليل المعاصي وكثيرها وصغيرها وكبيرها واليقين بالمعنى الاول
قد يوجد لعموم المؤمنين اما بالمعنى الثاني فيختص به المقربون وثمرة هذا اليقين صدق المراقبة في الحركات والسكنات والخطرات و
المبالغة في التقوى والاحتراز عن السيئات كلها فكلما كان اليقين اغلب كان الاحتراز اشد والتشمير ابلغ ومن ذلك اليقين بان الله تعالى
مطلع عليك في كل حال ومشاهد لهواجس ضميرك وخفايا خواطرك وفكرك وهذا متيقن عند كل مؤمن بالمعنى الاول وهو عدم الشك
واما بالمعنى الثاني وهو المقصود فهو عزيز يختص به الصديقون وثمرته ان يكون الانسان في خلوته متادبا في جميع احواله كالجالس بمشهد
ملك عظيم ينظر اليه فانه لا يزال مطرقا متماسكا متحرزا عن كل هيئة تخالف هيئة الادب ويكون في فكرته الباطنة كهو في اعماله الظاهرة
اذ يتحقق ان الله يطلع على سريرته كما يطلع الخلق على ظاهره فيكون جهده في تطهير باطنه وتزيينه لعين الله الكالئة اشد من مبالغته
في تزيين ظاهره لسائر الناس وهذا المقام في اليقين يورث الحياء والخوف والانكسار والذل والاستكانة والخضوع وجملة من الاخلاق

المحمودة وهذه الاخلاق تورث انواعا من الطاعات دقيقة فاليقين في كل باب من هذه الابواب مثل الشجرة وهذه الاخلاق
في القلب كالاغصان المتفرعة منها وهذه الاعمال والطاعات الصادرة من الاخلاق كالثمار والانوار المتفرعة من
الاغصان فاليقين هو الاساس والاصل وله مجار وابواب اكثر مما عددناه وسيأتي ذلك في ربع المنجيات وهذا القدر كاف
في تفهيم معنى اللفظ الآن ومنها ان يكون حزينا منكسرا مطرقا صامتا يظهر اثر الخشية على هيئته وكسوته وسيرته وحركاته وسكونه
ونطقه وسكوته لا ينظر اليه ناظر الا كان نظره مذكرا لله وكانت صورته دليلا على عمله فالجواد عينه مرآته فعلماء الآخرة
يعرفون بسيماهم في السكينة والذلة والتواضع وقيل ما البس الله تعالى عبدا لبسة احسن من خشوع في سكينة فهي لبسة الانبياء
وسيما الصديقين والعلماء فاما التهافت في الكلام والتشدق والاستغراق في الضحك والحدة في الحركة والنطق فكل ذلك
من آثار البطر والامن والغفلة عن عظيم عقاب الله وشديد سخطه وهو دأب ابناء الدنيا الغافلين عن الله دون العلماء به وهذا
لان العلماء ثلاثة كما قال سهل التستري عالم بامر الله لا بايام الله وهم المفتون في الحلال والحرام وهذا العلم لا يورث الخشية وعالم
بالله لا بامر الله ولا بايام الله وهم عموم المؤمنين وعالم بالله وبامر الله وبايام الله وهم الصديقون والخشية والخشوع انما تغلب عليهم
واراد بايام الله انواع عقوباته الغامضة ونعمه الباطنة التي افاضها على القرون السالفة واللاحقة فمن احاط علمه بذلك
عظم خوفه وظهر خشوعه قال عمر رضي الله عنه تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والحلم وتواضعوا لمن تعلمون منه وليتواضع لكم
من تعلم منكم ولا تكونوا من جبابرة العلماء فلا يقوم علمكم بجهلكم ويقال ما آتى الله تعالى عبدا علما الا آتاه معه حلما وتواضعا
وحسن خلق ورفقا فذلك هو العلم النافع وفي الاثر من آتاه الله عز وجل علما وزهدا وتواضعا وحسن خلق فهو امام المتقين
وفي الخبر ان من خيار امتي قوما يضحكون جهرا من سعة رحمة الله ويبكون سرا من خوف عذابه ابدانهم في الارض وقلوبهم في السماء
ارواحهم في الدنيا وعقولهم في الآخرة يتمشون بالسكينة ويتقربون بالوسيلة وقال الحسن الحلم وزير العلم والرفق ابوه والتواضع سرباله
وقال بشر بن الحارث من طلب الرياسة بالعلم فتقرب الى الله ببغضه فانه ممقوت في السماء والارض ويروى في الاسرائيليات ان حكيما من الحكماء
صنف ثلثمائة وستين مصحفا في الحكمة حتى وصف بالحكيم فاوحى الله تعالى الى نبيهم قل لفلان قد ملأت الارض نفاقا ولم تردني بشيء من ذلك
واني لا اقبل من نفاقك شيئا فندم الرجل وترك ذلك وخالط العامة ومشى في الاسواق وواكل بني اسرائيل وتواضع في نفسه فاوحى الله الى نبيهم قل له
الآن وافقت رضاي وحكى الاوزاعي عن بلال بن سعد انه قال ينظر احدكم الى الشرطي فيستعيذ بالله وينظر الى علماء الدنيا المتصنعين
للخلق المتشوفين الى الرياسة فلا يمقتهم وهو احق بالمقت من ذلك الشرطي وروي انه قيل يا رسول الله اي الاعمال افضل قال اجتناب المحارم
ولا يزال فوك رطبا بذكر الله قيل فاي الاصحاب خير قال صاحب ان ذكرت الله اعانك وان نسيته ذكرك قيل فاي الاصحاب شر قال
صاحب ان سكت لم يذكرك وان ذكرت لم يعنك قيل فاي الناس اعلم قال اشدهم لله خشية قالوا فاخبرنا بخيارنا نجالسهم قال الذين
اذا رؤوا ذكر الله تعالى قالوا فاي الناس شر قال اللهم غفرا قالوا اخبرنا يا رسول الله قال العلماء اذا فسدوا وقال صلى الله عليه وسلم ان
اكثر الناس امانا يوم القيامة اكثرهم فكرا في الدنيا واكثر الناس ضحكا في الآخرة اكثرهم بكاء في الدنيا واشد الناس فرحا في الآخرة
اطولهم حزنا في الدنيا وقال علي رضي الله عنه في خطبة ذمتي رهينة وانا به زعيم انه لا يهيج على التقوى زرع قوم ولا يظمأ على الهدى سنخ
اصل وان اجهل الناس من لا يعرف قدره وان ابغض الخلق الى الله تعالى رجل قمش علما اغار به في اغباش الفتنة سماه اشباه الناس واراذلهم
عالما ولم يعش في العلم يوما سالما بكر فاستكثر مما قل منه خير مما كثر حتى اذا ارتوى من ماء آجن واكثر من غير طائل جلس للناس
مفتيا لتخليص ما التبس على غيره وان نزلت به احدى المهمات هيأ لها حشوا لرأي من رأيه فهو من قطع الشبهات في مثل غزل العنكبوت

لا يدري اخطأ ام اصاب ركاب جهالات خباط عشوات لا يعتذر مما لا يعلم فيسلم ولا يعض على العلم بضرس قاطع فيغنم تبكي منه
الدماء وتستحل بقضائه الفروج الحرام لا ملي والله باصدار ما ورد عليه ولا هو اهل لما فرط به اولئك الذين حلت عليهم المثلات
وحقت عليهم النياحة والبكاء ايام الحياة وقال علي رضي الله عنه اذا سمعتم العلم فاكظموا عليه ولا تخلطوه بهزل فتمجه القلوب
وقال بعض السلف من ضحك ضحكة مج من العلم مجة وقيل اذا جمع المعلم ثلاثا تمت النعمة بها على المتعلم الصبر والتواضع وحسن
الخلق واذا جمع المتعلم ثلاثا تمت النعمة على المعلم العقل والادب وحسن الفهم وعلى الجملة فالاخلاق التي ورد بها القرآن لا ينفك عنها
علماء الآخرة لانهم يتعلمون القرآن للعمل لا للرياسة وقال ابن عمر عشنا برهة من الدهر وان احدنا يؤتى الايمان قبل القرآن وتنزل السورة
فيتعلم حلالها وحرامها وآمرها وزاجرها وما ينبغي ان يتوقف عنده منها ولقد رأيت رجالا يؤتى احدهم القرآن قبل الايمان
فيقرأ ما بين فاتحته الى خاتمته لا يدري ما آمره وما زاجره وما ينبغي ان يقف عنده وينثره نثر الدقل وفي خبر آخر بمثل معناه
كنا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اوتينا الايمان قبل القرآن وسيأتي بعدكم قوم يؤتون القرآن قبل الايمان يقيمون
حروفه ويضيعون حدوده ويقولون قرأنا فمن اقرأ منا وعلمنا فمن اعلم منا فذلك حظهم وفي لفظ آخر اولئك شرار هذه الامة
وقيل خمس من الاخلاق هي من علامات علماء الآخرة مفهومة من خمس آيات الخشية والخشوع والتواضع وحسن الخلق وايثار الآخرة على
الدنيا وهو الزهد اما الخشية فمن قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء واما الخشوع فمن قوله تعالى خاشعين لله لا يشترون
بآيات الله ثمنا قليلا واما التواضع فمن قوله تعالى واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين واما حسن الخلق فمن قوله فبما رحمة من
الله لنت لهم واما الزهد فمن قوله قال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير ولما تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله
فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام فقيل ما هذا الشرح فقال ان النور اذا قذف في القلب انشرح له الصدر وانفسح
قيل فهل لذلك من علامة قال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله ومنها ان
يكون اكثر بحثه عن علم الاعمال وعما يفسدها ويشوش القلب ويهيج الوسواس ويثير الشر فان اصل الدين التوقي عن الشر ولذلك
قيل عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه ولان الاعمال الفعلية قريبة واقصاها المواظبة
على ذكر الله بالقلب واللسان وانما الشأن معرفة ما يفسدها ويشوشها وهذا مما تكثر شعبه ويطول تفريعه وكل ذلك مما
تغلب مسيس الحاجة اليه وتعم به البلوى في سلوك طريق الآخرة واما علماء الدنيا فانهم يتبعون غرائب التفريع في الاقضية
والحكومات ويتعبون في وضع صور تنقضي الدهور ولا تقع وان وقعت فانما تقع لغيرهم لا لهم واذا وقعت كان في القائمين بها كثرة
ويتركون ما يلازمهم ويتكرر عليهم آناء الليل واطراف النهار في خواطرهم ووساوسهم واعمالهم وما ابعد عن السعادة
من باع مهم نفسه اللازم بمهم غيره النادر ايثارا للقبول والتقرب من الخلق على التقرب من الله تعالى وشرها في ان تسميه
البطالون من ابناء الدنيا فاضلا محققا عالما بالدقائق وجزاؤه من الله ان لا ينتفع في الدنيا بقبول الخلق بل تتكدر عليه
نوائب الزمان ثم يرد القيامة مفلسا متحيرا على ما يشاهده من ربح العاملين وفوز المقربين وذلك هو الخسران المبين
ولقد كان الحسن البصري اشبه الناس كلاما بكلام الانبياء واقربهم هديا من الصحابة اتفقت الكلمة في حقه على ذلك
وكان اكثر كلامه في خواطر القلوب وفساد الاعمال ووساوس النفوس والصفات الخفية الغامضة من شهوات النفس
وقد قيل له يا ابا سعيد انك تتكلم بكلام لا يسمع من غيرك فمن اين اخذته فقال من حذيفة بن اليمان وقيل لحذيفة نراك تتكلم
بكلام لا يسمع من غيرك من احد فمن اين اخذته فقال خصني به رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الناس يسألونه عن الخير

وكنت أسأله عن الشر مخافة أن أقع فيه وعلمت أن الخير لا يسبقني وقال مرة فعلمت أن من لا يعرف الشر لا يعرف الخير وفي لفظ كان الناس يقولون يا رسول الله ما لمن عمل كذا وكذا فلما رآني أسأل عن آفات الأعمال خصني بهذا العلم وكان حذيفة أيضاً قد خص بعلم المنافقين وأفرد بمعرفة علم النفاق وأسبابه ودقائق الفتن وكان عمر وعثمان وأكابر الصحابة رضي الله عنهم يسألونه عن الفتن العامة والخاصة وكان يسأل عن المنافقين فيخبر بأعداد من بقي ولا يخبر بأسمائهم وكان عمر يسأله عن نفسه هل يعلم به شيئاً من النفاق فبرأه من ذلك وكان عمر إذا دعي إلى جنازة نظر فإن حضر حذيفة صلى عليها وإلا ترك وكان يسمى صاحب السر فالعناية بمقامات القلب وأحواله هو دأب علماء الآخرة لأن القلب هو الساعي إلى قرب الله وقد صار هذا الفن غريباً مندرساً وإذا تعرض العالم لشيء منه استغرب واستبعد وقيل هذا تزويق المذكرين فأين التحقيق في دقائق المجادلات ولقد صدق من قال

الطرق شتى وطرق الحق مفردة والسالكون طريق الحق أفراد
لا يعرفون ولا يدرى مقاصدهم فهم على مهل يمشون قصاد
والناس في غفلة عما يراد بهم فجلهم عن سبيل الحق رقاد

وعلى الجملة لا يميل أكثر الخلق إلا إلى الأسهل والأوفق لطباعهم فإن الحق مر والوقوف عليه صعب وإدراكه شديد وطريقه مستوعر لا سيما معرفة صفات القلب وتطهيرها عن الأخلاق المذمومة فإن ذلك نزع للروح على الدوام وصاحبه ينزل منزلة شارب الدواء يصبر على مرارته رجاء الشفاء وينزل منزلة من جعل مدة العمر صومه فهو يقاسي الشدائد ليكون فطره عند الموت ومتى تكثر الرغبة في مثل هذا الطريق ولذلك قيل إنه كان في البصرة مائة وعشرون متكلماً في الوعظ والتذكير ولم يكن من يتكلم في علم اليقين وأحوال القلوب وصفات الباطن إلا ثلاثة مثل سهل التستري والصبيحي وعبد الرحيم وكان يجلس إلى أولئك الخلق الكثير لا يحصى وإلى هؤلاء عدد يسير قلما يجاوز العشرة لأن النفيس العزيز لا يصلح إلا لأهل الخصوص وما يبذل للعموم فأمره قريب ومنها أن يكون اعتماده في علومه على بصيرته وإدراكه بصفاء قلبه لا على الصحف والكتب ولا على تقليد ما يسمعه من غيره وإنما المقلد صاحب الشرع صلوات الله عليه فيما أمر به وقاله وإنما يقلد الصحابة من حيث إن فعلهم يدل على سماعهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم إذا قلد صاحب الشرع صلوات الله عليه في تلقي أقواله وأفعاله بالقبول فينبغي أن يكون حريصاً على فهم أسراره فإن المقلد إنما يفعل الفعل لأن الرسول صلى الله عليه وسلم فعله فالرسول صلى الله عليه وسلم فعله لا بد أن يكون لسر فيه فينبغي أن يكون شديد البحث عن أسرار الأعمال والأقوال فإنه إن اكتفى بحفظ ما يقال كان وعاء للعلم ولم يكن عالماً ولذلك كان يقال فلان من أوعية العلم وكان لا يسمى عالماً إذا كان شأنه الحفظ من غير اطلاع على الحكم والأسرار ومن انكشف عن قلبه الغطاء واستنار بنور الهداية صار في نفسه متبوعاً مقلداً فلا ينبغي أن يقلد غيره ولذلك قال ابن عباس ما من أحد إلا يؤخذ من علمه ويترك إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان تعلم من زيد بن ثابت الفقه وقرأ على أبي بن كعب ثم خالفهما في الفقه والقراءة وقال بعض السلف ما جاءنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلناه على الرأس والعين وما جاءنا عن الصحابة فنأخذ ونترك وما جاءنا عن التابعين فهم رجال ونحن رجال وإنما فضل الصحابة لمشاهدتهم قرائن أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم واعتلاق قلوبهم أموراً أدركت بالقرائن فسددهم ذلك إلى الصواب من حيث لا يدخل في الرواية والعبارة إذ فاض عليهم من نور النبوة ما يحرسهم في الأكثر عن الخطأ وإذا كان الاعتماد على المسموع من الغير تقليداً غير مرضي فالاعتماد على الكتب والتصانيف محدثة لم يكن شيء منها في زمان الصحابة وصدر التابعين وإنما حدثت بعد سنة مائة وعشرين من الهجرة وبعد وفاة جميع الصحابة وجلة التابعين وبعد وفاة سعيد بن المسيب والحسن وخيار التابعين بل كان الأولون يكرهون كتب الأحاديث وتصنيف الكتب لئلا يشتغل الناس بها عن الحفظ وعن القرآن وعن التدبر

والتذكر وقالوا احفظوا كما كنا نحفظ ولذلك كره أبو بكر الصديق رضي الله عنه وجماعة من الصحابة تصحيف القرآن في مصحف وقالوا كيف نفعل شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم وخافوا اتكال الناس على المصاحف وقالوا نترك القرآن يتلقاه بعضهم من بعض بالتلقين والإقراء ليكون هو شغلهم وهمتهم حتى أشار عمر وبقية الصحابة رضي الله عنهم بكتبة القرآن خوفاً من تخاذل الناس وتكاسلهم وحذراً من أن يقع نزاع فلا يوجد أصل يرجع إليه في كلمة أو قراءة من المتشابهات فانشرح صدر أبي بكر لذلك فجمع القرآن في مصحف واحد وكان أحمد بن حنبل ينكر على مالك تصنيفه الموطأ ويقول ابتدع ما لم يفعله الصحابة وقيل أول كتاب صنف في الإسلام كتاب ابن جريج في الآثار وحروف التفاسير عن مجاهد وعطاء وأصحاب ابن عباس بمكة ثم كتاب معمر بن راشد الصنعاني باليمن جمع فيه سنناً منثورة مبوبة ثم كتاب الموطأ بالمدينة لمالك بن أنس ثم جامع سفيان الثوري ثم في القرن الرابع حدثت مصنفات الكلام وكثر الخوض في الجدال والغوص في إبطال المقالات ثم مال الناس إليه وإلى القصص والوعظ بها فأخذ علم اليقين في الاندراس من ذلك فصار بعد ذلك يستغرب علم القلوب والتفتيش عن صفات النفس ومكايد الشيطان وأعرض عن ذلك إلا الأقلون فصار يسمى المجادل المتكلم عالماً والقاص المزخرف كلامه بالعبارات المسجعة عالماً وهذا لأن العوام هم المستمعون إليهم وكان لا يتميز لهم حقيقة العلم عن غيره ولم يكن سيرة الصحابة وعلومهم ظاهرة عندهم حتى كانوا يعرفون بها مباينة هؤلاء لهم فاستمر عليهم اسم العلماء وتوارث اللقب خلف عن سلف وأصبح علم الآخرة مطوياً وغاب عنهم الفرق بين العلم والقدرة على الكلام إلا عن الخواص منهم كان إذا قيل لهم فلان أعلم أم فلان كانوا يقولون فلان أكثر علماً وفلان أكثر كلاماً وكان الخواص يدركون الفرق بين العلم وبين القدرة على الكلام هكذا ضعف الدين في قرون سالفة فكيف الظن بزمانك هذا وقد انتهى الأمر إلى أن مظهر الإنكار يستهدف للنسبة إلى الجنون فالأولى أن يشتغل الإنسان بنفسه ويسكت ومنها أن يكون شديد التوقي من محدثات الأمور وإن اتفق عليه الجمهور فلا يغرنه إطباق الخلق على ما أحدث بعد الصحابة وليكن حريصاً على التفتيش عن أحوال الصحابة وسيرتهم وأعمالهم وما كان فيه أكثر همهم أفي التدريس والتصنيف والمناظرة والقضاء والولاية وتولي الأوقاف والوصايا ومال الأيتام ومخالطة السلاطين ومجاملتهم في العشرة أو في الخوف والحزن والتفكر والمجاهدة ومراقبة الباطن والظاهر واجتناب دقيق الإثم وجليله والحرص على إدراك خفايا شهوات النفس ومكايد الشيطان إلى غير ذلك من علوم الباطن واعلم تحقيقاً أن أعلم أهل الزمان وأقربهم إلى الحق أشبههم بالصحابة وأعرفهم بطريق السلف فمنهم أخذ الدين ولذلك قال علي رضي الله عنه خيرنا أتبعنا لهذا الدين لما قيل له خالفت فلاناً فلا ينبغي أن يكترث بمخالفة أهل العصر في موافقة أهل عصر رسول الله صلى الله عليه فإن الناس رأوا رأياً فيما هم فيه لميل طباعهم إليه ولم تسمح نفوسهم بالاعتراف بأن ذلك سبب الحرمان عن الجنة فادعوا أنه لا سبيل للجنة سواه ولذلك قال الحسن محدثان أحدثا في الإسلام رجل ذو رأي سوء يزعم أن الجنة لمن رأى مثل رأيه ومترف يعبد الدنيا لها يغضب ولها يرضى وإياها يطلب فارفضوهما إلى النار إن رجلاً أصبح في هذه الدنيا بين مترف يدعوه إلى هذه الدنيا وصاحب هوى يدعو إلى هواه قد عصمه الله تعالى منهما يحن إلى السلف الصالح يسأل عن أفعالهم ويقتص آثارهم متعرض لأجر عظيم فكذلك يكونوا وقد روي عن ابن مسعود موقوفاً ومرفوعاً أنه قال إنما هما اثنتان الكلام والهدي فأحسن الكلام كلام الله عز وجل وأحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم ألا وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة ألا لا يطولن عليكم الأمد فتقسو قلوبكم ألا كل ما هو آت قريب ألا إن البعيد ما ليس بآت وفي خطبة النبي صلى الله عليه وسلم طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وأنفق من مال اكتسبه من غير معصية وخالط أهل الفقه والحكمة طوبى لمن ذل في نفسه وحسنت خليقته وصلحت سريرته وعزل عن الناس

طوبى لمن عمل بعلمه وانفق الفضل من ماله وامسك الفضل من قوله ووسعته السنة ولم يعدها الى بدعة وكان ابن مسعود
يقول حسن الهدى في آخر الزمان خير من كثير من العمل وقال انتم في زمان خيركم فيه المسارع في الامور وسيأتي بعدكم زمان يكون خيرهم
المتثبت المتوقف لكثرة الشبهات وقد صدق فمن لم يتثبت في هذا الزمان ووافق الجماهير فيما هم عليه وخاض فيما خاضوا هلك
كما هلكوا وقال حذيفة اعجب من هذا ان معروفكم اليوم منكر زمان قد مضى وان منكركم معروف زمان قد اتى وانكم لا تزالون بخير ما عرفتم
الحق وكان العالم فيكم غير مستخف به ولقد صدق فان اكثر معروفات هذه الاعصار منكرات في عصر الصحابة اذ من غرر المعروفات
في زماننا تزيين المساجد وتنجيدها وانفاق الاموال العظيمة في دقائق عمارتها وفرش البسط الرفيعة فيها وقد كان فرش البواري فيها
بدعة وقيل انه من محدثات الحجاج فقد كان الاولون قلما يجعلون بينهم وبين التراب حاجزا وكذلك الاشتغال بدقائق الجدل والمناظرة
من اجل علوم الزمان ويزعمون انه اعظم القربات وقد كان ذلك من المنكرات ومن ذلك التلحين في الاذان والقران ومن ذلك
التنطف في النظافة والوسوسة في الطهارة وتقدير الاسباب البعيدة في نجاسة الثياب مع التساهل في حل الاطعمة وتحريمها الى
ذلك ولقد صدق ابن مسعود حيث قال انتم اليوم في زمان الهوى فيه تابع للعلم وسيأتي عليكم زمان يكون العلم تابعا للهوى
وكان احمد يقول تركوا العلم واقبلوا على الغرائب ما اقل الفقه فيهم والله المستعان وقال مالك بن انس لم يكن الناس فيما مضى
يسألون عن هذه الامور كما يسأل الناس اليوم ولم يكن العلماء يقولون حرام ولا حلال ادركتهم يقولون مستحب ومكروه ومعناه
انهم كانوا ينظرون في دقائق الكراهة والاستحباب واما الحرام فكان فحشه ظاهرا وكان هشام بن عروة يقول لا تسألوهم اليوم
عما احدثوا فانهم قد اعدوا له جوابا ولكن سلوهم عن السنة فانهم لا يعرفونها وكان ابو سليمان الداراني يقول لا ينبغي لمن الهم شيئا
من الخير ان يعمل به حتى يسمع به في الاثر فيحمد الله تعالى اذ وافق ما في نفسه وانما قال هذا لان ما ابدع من الآراء قد قرع الاسماع و
علق بالقلوب فربما يشوش صفاء القلب فيتخيل بسببه الباطل حقا فيحتاط فيه بالاستظهار بشهادة الآثار ولهذا لما
احدث مروان المنبر في صلاة العيد عند المصلى قام اليه ابو سعيد الخدري وقال يا مروان ما هذه البدعة فقال انها ليست ببدعة
هي خير مما تعلم ان الناس قد كثروا فاردت ان يبلغهم الصوت فقال ابو سعيد والله لا تأتون بخير مما اعلم ابدا والله لا صليت
وراءك اليوم وانما انكر ذلك لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتوكأ في خطبة العيد والاستسقاء على قوس او عصا لا على
المنبر وفي الحديث المشهور من احدث في امرنا هذا ما ليس منه فهو رد وفي خبر آخر من غش امتي فعليه لعنة الله والملائكة والناس
اجمعين قيل يا رسول الله وما غش امتك قال ان يبتدع بدعة يحمل الناس عليها وقال صلى الله عليه وسلم ان لله تعالى ملكا ينادي
كل يوم من خالف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تنل شفاعته ومثال الجاني على الدين بابداع ما يخالف السنة بالنسبة الى من
يذنب ذنبا مثال من عصى الملك في قلب دولته بالنسبة الى من خالف امره في خدمة معينة فذلك قد يغفر فاما قلب الدولة
فلا وقال بعض العلماء ما تكلم فيه السلف فالسكوت عنه جفاء وما سكت عنه السلف فالكلام فيه تكلف وقال آخر الحق ثقيل من جاوزه
ظلم ومن قصر عنه عجز ومن وقف معه اكتفى وقال صلى الله عليه وسلم عليكم بالنمط الاوسط الذي يرجع اليه العالي ويرتفع اليه
التالي وقال ابن عباس ان الضلالة لها حلاوة في قلوب اهلها قال الله تعالى اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وقال افمن زين له سوء عمله فرآه
حسنا فكل ما احدث بعد الصحابة مما جاوز قدر الضرورة والحاجة فهو من اللعب واللهو وحكي عن ابليس لعنه الله انه بث جنوده في وقت
الصحابة فرجعوا اليه محسورين فقال ما شأنكم فقالوا ما رأينا مثل هؤلاء ما نصيب منهم شيئا قد اتعبونا فقال انكم لا تقدرون عليهم
قد صحبوا نبيهم وشهدوا تنزيل ربهم ولكن سيأتي بعدهم قوم تنالون منهم حاجتكم فلما جاء التابعون بث جنوده فرجعوا اليه منكسين فقالوا

ما رأينا اعجب من هؤلاء نصيب منهم الشيء بعد الشيء من الذنوب فاذا كان آخر النهار اخذوا في الاستغفار فيبدل سيئاتهم حسنات
فقال انكم لن تنالوا من هؤلاء شيئا لصحة توحيدهم واتباعهم سنة نبيهم ولكن سيأتي بعد هؤلاء قوم تقر اعينكم بهم تلعبون بهم لعبا
وتقودونهم بازمة اهوائهم كيف شئتم ان استغفروا لم يغفر لهم ولا يتوبون فيبدل سيئاتهم حسنات فجاء قوم بعد القرون الاولى فبث فيهم
الاهواء وزين لهم البدع فاستحلوها واتخذوها دينا لا يستغفرون منها ولا يتوبون عنها فسلط عليهم الاعداء وقادتهم اين شاءوا
فان قلت من اين عرف قائل هذا ما قاله ولم يشاهد ابليس ولا حدثه بذلك فاعلم ان ارباب القلوب يكاشفون باسرار الملكوت تارة
على سبيل الالهام بان يخطر لهم على سبيل الورود عليهم من حيث لا يعلمون وتارة على سبيل الرؤيا الصادقة وتارة في اليقظة على سبيل
كشف المعاني بمشاهدة الامثلة كما يكون في المنام وهذا اعلى الدرجات وهي من درجات النبوة العالية كما ان الرؤيا الصادقة جزء
من ستة واربعين جزءا من النبوة فاياك ان يكون حظك من العلم انكار كل ما جاوز حد قصورك ففيه هلك المتحذلقون من العلماء الزاعمين
انهم احاطوا بعلوم المعقول فالجهل خير من عقل يدعو الى انكار هذه الامور لاولياء الله ومن انكر ذلك للاولياء لزمه انكاره للانبياء وكان
خارجا عن الدين بالكلية وقال بعض العارفين انما انقطع الابدال في اطراف الارض واستتروا عن اعين الجمهور لانهم لا يطيقون النظر الى
علماء الوقت لانهم عندهم جهال بالله وهم عند انفسهم وعند الجاهلين علماء قال سهل التستري ان من اعظم المعاصي الجهل بالجهل والنظر الى
العامة واستماع كلام اهل الغفلة وكل عالم خاض في الدنيا فلا ينبغي ان يصغى الى قوله بل ينبغي ان يتهم في كل ما يقول لان كل انسان يخوض
فيما احب ويدفع ما لا يوافق محبوبه ولذلك قال الله تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا والعوام العصاة
اسعد حالا من الجهال بطريق الدين المعتقدين انهم من العلماء لان العاصي العامي معترف بتقصيره فيستغفر ويتوب وهذا الجاهل الظان انه عالم
وان ما هو مشتغل به من العلوم التي هي وسائله الى الدنيا من سلوك طريق الدين فلا يتوب ولا يستغفر بل لا يزال مستمرا عليه الى الموت
واذا غلب هذا على اكثر الناس الا من عصمه الله وانقطع الطمع في اصلاحهم فالاسلم لذي الدين المحتاط العزلة والانفراد عنهم كما سيأتي
في كتاب العزلة بيانه ولذلك كتب يوسف بن اسباط الى حذيفة المرعشي ما ظنك بمن بقي لا يجد احدا يذكر الله تعالى معه الا كان آثما او كانت
مذاكرته معصية وذلك انه لا يجد اهله ولقد صدق فان مخالطة الناس لا تنفك عن غيبة او عن سماع غيبة او عن سكوت على منكر واحسن
احواله ان يفيد علما او يتعلمه ولو تأمل علم ان المستفيد انما يريد ان يجعل ذلك آلة في طلب الدنيا ووسيلة الى الشر فيكون هو معينا له و
ردءا او ظهيرا ومهيئا لاسبابه كالذي يبيع السيف من قاطع الطريق فالعلم كالسيف وصلاحه للخير كصلاح السيف للغزو ولذلك لا يرخص
في البيع ممن يعلم بقرائن احواله انه لا يريد به الاستعانة على قطع الطريق فهذه اثنتا عشرة علامة من علامات علماء الآخرة يجمع كل واحدة منها
خلقا من اخلاق علماء السلف فكن احد رجلين اما متصفا بهذه الصفات او معترفا بالتقصير مع الاقرار به واياك ان تكون الثالث فتلبس
على نفسك بان تبدل آلة الدنيا بالدين وتشبه سيرة البطالين بسيرة العلماء الراسخين وتلتحق بجهلك وانكارك بزمرة الهالكين الآيسين
نعوذ بالله من خدع الشيطان فبها هلك الجمهور فنسأل الله تعالى ان يجعلنا ممن لا تغره الحياة الدنيا ولا يغره بالله الغرور

الباب السابع في العقل وشرفه وحقيقته واقسامه بيان شرف العقل

اعلم ان هذا لا يحتاج الى تكلف في اظهاره لا سيما وقد ظهر شرف العلم من قبل العقل والعقل منبع العلم ومطلعه واساسه والعلم يجري
منه مجرى الثمرة من الشجرة والنور من الشمس والرؤية من العين وكيف لا يشرف ما هو وسيلة السعادة في الدنيا والآخرة او كيف يستراب
فيه والبهيمة مع قصور تمييزها تحتشم العقل حتى ان اعظم البهائم بدنا واشدها ضراوة واقواها سطوة اذا رأى صورة انسان
احتشمه وهابه لشعورها باستيلائه عليها بما خص به من ادراك الحيل ولذلك قال عليه السلام الشيخ في قومه كالنبي في امته

وليستح للكثرة ماله ولا لكبر شخصه ولا لزيادة قوته بل لزيادة تجربته التي هي ثمرة عقله ولذلك ترى الاتراك والاكراد واجلاف
مع قرب رتبتهم من البهائم يوقرون المشايخ بالطبع ولذلك قصد كثير من المعاندين قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما وقعت اعينهم عليه
واكتحلوا بغرته الكريمة هابوه وتراآى لهم ما كان يتلألأ على ديباجة وجهه من نور النبوة وان كان ذلك باطنا في نفسه بطون العقل
وشرف العقل مدرك بالضرورة وانما القصد ان نورد ما وردت به الاخبار والآيات في ذكر شرفه وقد سماه الله تعالى نورا في قوله الله
نور السموات والارض مثل نوره وسمى العلم المستفاد منه روحا ووحيا وحيوة فقال تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا وقال اومن
كان ميتا فاحييناه وحيث ذكر النور والظلمة اراد به العلم والجهل كقوله تعالى يخرجهم من الظلمات الى النور وقال صلى الله عليه وسلم
يا ايها الناس اعقلوا عن ربكم وتواصوا بالعقل تعرفوا به ما امرتم به وما نهيتم عنه واعلموا انه ينجدكم عند ربكم واعلموا ان العاقل
من اطاع الله وان كان دميم المنظر حقير الخطر دني المنزلة رث الهيئة وان الجاهل من عصى الله تعالى وان كان جميل المنظر عظيم الخطر شريف
المنزلة حسن الهيئة فصيحا نطوقا فالقردة والخنازير اعقل عند الله ممن عصاه ولا تغتروا بتعظيم اهل الدنيا اياكم فانكم من الخاسرين
وقال صلى الله عليه وسلم اول ما خلق الله العقل فقال له اقبل فاقبل ثم قال له ادبر فادبر ثم قال وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا اكرم
علي منك بك آخذ وبك اعطي وبك اثيب وبك اعاقب فان قلت فهذا العقل ان كان عرضا فكيف خلق قبل الاجسام وان كان جوهرا
فكيف يكون جوهر قائما بنفسه لا يتحيز فاعلم ان هذا من علم المكاشفة ولا يليق ذكره بعلم المعاملة وغرضنا علم المعاملة وعن انس بن مالك
قال اثنى قوم على رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم حتى بالغوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف عقل الرجل فقالوا نخبرك عن اجتهاده
في العبادة واصناف الخير وتسألنا عن عقله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الاحمق يصيب بحمقه اعظم من فجور الفاجر وانما
يرتفع العباد غدا في الدرجات الزلفى من ربهم على قدر عقولهم وعن عمر رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال ما اكتسب رجل
مثل فضل عقل يهدي صاحبه الى هدى ويرده عن ردى وما تم ايمان عبد ولا استقام دينه حتى يكمل عقله وقال صلى الله عليه
وسلم ان الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم ولا يتم لرجل حسن خلقه حتى يتم عقله فعند ذلك تم ايمانه واطاع ربه
وعصى عدوه ابليس وعن ابي سعيد الخدري انه صلى الله عليه وسلم قال لكل شيء دعامة ودعامة المؤمن عقله فبقدر عقله تكون عبادته
اما سمعتم قول الفاجر لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير وعن عمر انه قال لتميم الداري ما السودد فيكم قال العقل قال
صدقت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سألتك فقال كما قلت ثم قال سألت جبريل ما السودد فقال العقل وعن البراء
ابن عازب قال كثرت المسائل يوما على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ايها الناس ان لكل مطية واحسنهم دلالة ومعرفة بالحجة
افضلهم عقلا وعن ابي هريرة قال لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن غزوة احد سمع الناس يقولون كان فلان اشجع من فلان وفلان
ابلى ما لم يبل غيره ونحو هذا فقال النبي صلى الله عليه وسلم اما هذا فلا علم لكم به قالوا وكيف ذلك يا رسول الله قال انهم قاتلوا
على قدر ما قسم الله لهم من العقل وكانت نصرتهم ونيتهم على قدر عقولهم فاصيب فيهم من اصيب على منازل شتى فاذا كان يوم القيمة
اقتسموا المنازل على قدر نياتهم وقدر عقولهم وعن البراء بن عازب انه صلى الله عليه وسلم قال جد الملائكة واجتهدوا في طاعة
الله بالعقل وجد المؤمنون من بني آدم على قدر عقولهم فاعملهم بطاعة الله اوفرهم عقلا وعن عائشة رضي الله عنها قالت قلت يا
رسول الله باي شيء يتفاضل الناس في الدنيا قال بالعقل قلت وفي الآخرة قال بالعقل قلت اليس انما يجزون باعمالهم فقال يا عائشة
وهل عملوا الا بقدر ما اعطاهم الله تعالى من العقل فبقدر ما اعطوا من العقل كانت اعمالهم وبقدر ما عملوا يجزون وعن ابن
عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل شيء آلة وعدة وان آلة المؤمن العقل ولكل شيء مطية ومطية المرء العقل ولكل

شيء دعامة ودعامة الدين العقل ولكل قوم غاية وغاية العباد العقل ولكل قوم داع وداعي العابدين العقل ولكل تاجر
بضاعة وبضاعة المجتهدين العقل ولكل اهل بيت قيم وقيم بيوت الصديقين العقل ولكل خراب عمارة وعمارة الآخرة العقل
ولكل امرئ عقب ينسب اليه ويذكر به وعقب الصديقين الذي ينسبون اليه ويذكرون به العقل ولكل سفر فسطاط وفسطاط المؤمن
العقل وقال صلى الله عليه وسلم ان احب المؤمنين الى الله من نصب في عبادة الله ونصح لعباده وكمل عقله ونصح نفسه فابصر وعمل
به ايام حيوته فافلح وانجح وقال صلى الله عليه وسلم اتمكم عقلا اشدكم لله خوفا واحسنكم فيما امر به ونهى عنه نظرا وان كانوا اقلكم
تطوعا **بيان** حقيقة العقل واقسامه اعلم ان الناس اختلفوا في حد العقل وحقيقته وذهل الاكثرون عن كون هذا الاسم
مطلقا على معان مختلفة فصار ذلك سبب اختلافهم والحق الكاشف للغطاء فيه ان العقل اسم يطلق بالاشتراك على اربعة معان كما
يطلق اسم العين على معان عدة وما يجري هذا المجرى فلا ينبغي ان يطلب لجميع اقسامه حد واحد بل يفرد كل قسم بالكشف عنه فالاول
الوصف الذي به يفارق الانسان سائر البهائم وهو الذي به استعد لقبول العلوم النظرية وتدبير الصناعات الخفية الفكرية وهو الذي
اراده الحارث المحاسبي حيث قال في حد العقل انه غريزة يتهيأ بها درك العلوم النظرية وكأنه نور يقذف في القلب به يستعد
لادراك الاشياء ولم ينصف من انكر هذا ورد العقل الى مجرد العلوم الضرورية فان الغافل عن العلوم والنائم يسميان عاقلين
باعتبار وجود هذه الغريزة مع فقد العلوم وكما ان الحيوة غريزة تتهيأ بها بعض الحيوانات للعلوم النظرية ولو جاز ان يسوى بين الانسان
والحمار في الغريزة ويقال لا فرق الا ان الله بحكم اجراء العادة يخلق في الانسان علوما وليس يخلقها في الحمار والبهائم لجاز ان يسوى
بين الحمار والجماد في الحيوة ويقال لا فرق الا ان الله يخلق في الحمار حركات مخصوصة بحكم اجراء العادة فانه لو قدر الحمار جمادا ميتا لوجب
القول بان كل حركة تشاهد منه فالله قادر على خلقها فيه على الترتيب المشاهد وكما وجب ان يقال لم يكن مفارقته للجماد في الحركة الا
بغريزة اختصت به عبر عنها بالحيوة فكذا مفارقة الانسان البهيمة في ادراك العلوم النظرية بغريزة يعبر عنها بالعقل وهو كالمرآة
التي تفارق غيرها من الاجسام في حكاية الصور والالوان بصفة اختصت بها وهي الصقالة وكذلك العين تفارق الجبهة في هيآت بها
استعدت للرؤية وهي الصقالة وكذلك فنسبة هذه الغريزة الى العلوم كنسبة العين الى الرؤية ونسبة القرآن والشرع الى هذه الغريزة
في سياقها الى انكشاف العلوم لها كنسبة نور الشمس الى البصر فهكذا ينبغي ان تعرف هذه الغريزة الثاني هي العلوم التي تخرج الى الوجود في
ذات الطفل المميز بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات وهو ايضا صحيح في نفسه لان هذه العلوم موجودة وتسميتها عقلا
ظاهر وانما الفاسد ان تنكر تلك الغريزة ويقال لا موجود الا هذه العلوم الثالث علوم تستفاد من التجارب بمجاري الاحوال فان
من حنكته التجارب وهذبته المذاهب يقال انه عاقل في العادة ومن لا يتصف به يقال انه غبي غمر جاهل فهذا نوع آخر من العلوم يسمى
عقلا والرابع ان تنتهي قوة تلك الغريزة الى ان يعرف عواقب الامور ويقمع الشهوة الداعية الى اللذة العاجلة ويقهرها فاذا
حصلت هذه القوة سمي صاحبها عاقلا من حيث ان اقدامه واحجامه بحسب ما يقتضيه النظر في العواقب لا بحكم الشهوة العاجلة و
هذه ايضا من خواص الانسان التي بها يتميز عن سائر الحيوانات فالاول هو الاس والسنخ والمنبع والثاني هو الفرع الاقرب اليه
والثالث فرع الاول والثاني اذ بقوة الغريزة والعلوم الضرورية تستفاد علوم التجارب والرابع هي الثمرة الاخيرة وهي الغاية القصوى
فالاولان بالطبع والاخيران بالاكتساب ولذلك قال علي رضي الله عنه العقل عقلان فمطبوع ومسموع ولا ينفع مسموع اذا
لم يك مطبوع كما لا ينفع الشمس وضوء العين ممنوع والاول هو المراد بقوله عليه السلام ما خلق الله خلقا اكرم عليه من العقل
والاخير هو المراد بقوله عليه السلام اذا تقرب الناس بابواب البر فتقرب انت بعقلك وهو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم لابي الدرداء

ازدد عقلا تزدد من ربك قربا فقال بابي انت وامي وكيف لي بذلك قال اجتنب محارم الله وأدّ فرائض الله تكن عاقلا
وتعمل بالصالحات من الاعمال تزدد في عاجل الدنيا رفعة وكرامة وتنل بها من ربك القرب والعز وعن سعيد بن المسيب ان عمر
وابي بن كعب وابا هريرة دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله من اعلم الناس فقال العاقل فقالوا
فمن اعبد الناس فقال العاقل قالوا فمن افضل الناس قال العاقل قالوا اليس العاقل من تمت مروته وظهرت فصاحته وجادت كفه
وعظمت منزلته فقال عليه السلم ان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا والاخرة عند ربك للمتقين ان العاقل هو المتقي وان كان في الدنيا
خسيسا دنيا وقال في حديث آخر انما العاقل من آمن بالله وصدق رسله وعمل بطاعته ويشبه ان يكون الاسم في اصل اللغة
لتلك الغريزة وكذا في الاستعمال وانما اطلق على العلوم من حيث انها ثمرتها كما يعرف الشي بثمرته فيقال العلم هو الخشية والعالم من
يخشى الله فان الخشية ثمرة العلم فيكون كالمجاز لغير تلك الغريزة ولكن ليس الغرض البحث عن اللغة والمقصود ان هذه الاقسام
الاربعة موجودة والاسم مطلق على جميعها ولا خلاف في وجود جميعها الا في القسم الاول والصحيح وجودها بل هي الاصل وهذه
العلوم كانها مضمنة في تلك الغريزة بالفطرة ولكن تظهر الى الوجود اذا جرى سبب يخرجها الى الوجود حتى كانت هذه العلوم
ليست شيئا واردا عليه من خارج وكانها كانت مستكنة فيه فظهرت ومثاله الما في الارض فانه يظهر بحفر القني ويجتمع ويتميز
بالحس لا بان يساق اليها شي جديد وكذلك الدهن في اللوز وماء الورد في الورد ولذلك قال تعالى واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم
ذريتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى فالمراد به اقرار نفوسهم لا اقرار الالسنة فانهم انقسموا في اقرار الالسنة حيث
وجدت الالسنة والاشخاص ولذلك قال ولئن سالتهم ليقولن الله معناه ان اعتبرت احوالهم شهد بذلك نفوسهم وبواطنهم
فطرة الله التي فطر الناس عليها اي كل آدمي فطر على الايمان بالله بل على معرفة الاشياء على ما هي عليه اعني انها كالمتضمنة فيها لقرب
استعدادها للادراك ثم لما كان الايمان مركوزا في النفوس بالفطرة انقسم الناس الى من اعرض فنسي وهم الكفار والى من اجال
خاطره فتذكر وكان كمن حمل شهادة فنسيها بغفلة ثم تذكرها ولذلك قال تعالى لعلهم يتذكرون وليتذكر اولوا الالباب
واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر وتسمية هذا النمط تذكرا ليس
ببعيد وكان التذكر ضربان احدهما ان يذكر صورة كانت حاضرة الوجود في القلب لكن غابت بعد الوجود والآخر ان يكون
عن صورة كانت مضمنة فيه بالفطرة وهذه حقائق ظاهرة للناظر بنور البصيرة ثقيلة على من مستروحه السماع والتقليد دون
الكشف والعيان ولذلك تراه يتخبط في مثل هذه الآيات ويتعسف في تاويل التذكر واقرار النفوس انواعا من التعسفات
ويتخايل اليه في الاخبار والآيات ضروب من المناقضات وانما يغلب ذلك عليه حتى ينظر اليها بعين الاستحقار ويعتقد
فيها التهافت ومثاله الاعمى الذي يدخل دارا فيعثر فيها بالاواني المصفوفة في الدار فيقول ما لهذه الاواني لا ترفع من الطريق
وترد الى مواضعها فيقال له انها في مواضعها وانما الخلل في بصرك فكذلك خلل البصيرة يجري مجراه واطم منه واعظم اذ
النفس كالفارس والبدن كالفرس وعمى الفارس اضر واعظم من عمى الفرس ولمشابهة بصيرة الباطن لبصيرة الظاهر قال الله تعالى
ما كذب الفواد ما راى وقال تعالى وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات والارض وسمى ضده عمى فقال فانها لا تعمى الابصار ولكن
تعمى القلوب التي في الصدور وقال ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى واضل سبيلا وهذه الامور التي كشفت للانبياء بعضها
كان بالبصر وبعضها كان بالبصيرة وسمي الكل رؤية وبالجملة من لم تكن بصيرته الباطنة ثاقبة لم يعلق به من الدين الا قشوره وامثلته
دون لبابه وحقائقه فهذه اقسام ما ينطلق عليه اسم العقل (فصل) تفاوت الناس في العقل وقد اختلف في تفاوت العقل ولا معنى للاشتغال

بنقل كلام من تحصيله بل الاولى المبادرة الى التصريح بالحق والحق الصريح فيه ان التفاوت يتطرق الى الاقسام الاربعة سوى القسم الثاني
وهو العلم الضروري بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات فان من عرف ان الاثنين اكثر من الواحد عرف ايضا كون الشخص في مكانين
وكون الشي الواحد قديما حادثا وكذا سائر النظائر وكل ما يدركه ادراكا محققا من غير شك واما الاقسام الثلثة فالتفاوت يتطرق اليها اما
القسم الرابع وهو استيلاء الشخص القوة على قمع الشهوات لا يخفى تفاوت الناس فيه بل لا يخفى تفاوت احوال الشخص الواحد وهذا التفاوت
تارة يكون لتفاوت الشهوة اذ قد يقدر العاقل على ترك بعض الشهوات دون بعض ولكن غير مقصور عليه فان الشاب قد يعجز عن ترك الزنا و
اذا كبر وتم عقله قدر عليه وشهوة الرياء والرياسة تزداد قوة بالكبر لا ضعفا وقد يكون سببه التفاوت في العلم المعرف لغائلة تلك
الشهوة ولهذا يقدر الطبيب على الاحتماء عن بعض الاطعمة المضرة وقد لا يقدر من يساويه في العقل اذا لم يكن طبيبا وان كان يعتقد على الجملة
فيه مضرة ولكن اذا كان علم الطبيب فيه اتم كان خوفه اشد فيكون الخوف جندا للعقل وعدة في قمع الشهوات وكسرها ولذلك يكون العالم
اقدر على ترك المعاصي من العامي لقوة علمه بضرر المعاصي اعني به العالم الحقيقي دون ارباب الطيالسة واصحاب الهذيانات وان كان التفاوت
من جهة الشهوة لم يرجع الى تفاوت العقل وان كان من جهة العلم فقد سمينا هذا الضرب من العلم عقلا فانه يقوي غريزة العقل فيكون التفاوت
فيما رجعت التسمية اليه وقد يكون بمجرد التفاوت فيما رجعت التسمية اليه في غريزة العقل فانها اذا قويت كان قمعها للشهوة لا محالة
اشد واما القسم الثالث وهو علوم التجارب فتفاوت الناس فيها لا ينكر فانهم يتفاوتون بكثرة الاصابة وبسرعة الادراك ويكون
سببه اما تفاوت في الغريزة واما تفاوت في الممارسة اما الاول وهو الاصل اعني الغريزة فالتفاوت فيها لا سبيل الى جحده فانه مثل
نور يشرق على النفس ويطلع صبحه ومبادي اشراقه عند التمييز ثم لا يزال ينمو ويزداد نموا خفي التدريج الى ان يتكامل بقرب الاربعين سنة
ومثاله نور الصبح فان اوائله يخفى خفاء يشق ادراكه ثم يتدرج الى الزيادة الى ان يكمل بطلوع قرص الشمس وتفاوت نور البصيرة
كتفاوت نور البصر والفرق مدرك بين الاعمش وبين الحاد البصر بل سنة الله جارية في جميع خلقه بالتدريج في الايجاد حتى ان غريزة
الشهوة لا تظهر في الصبي عند البلوغ دفعة وبغتة بل تظهر شيئا فشيئا على التدريج وكذا جميع القوى والصفات ومن انكر تفاوت الناس
في هذه الغريزة فكانه منخلع عن ربقة العقل ومن ظن ان عقل النبي صلى الله عليه وسلم مثل عقل آحاد السوادية واجلاف البوادي
فهو في نفسه من آحاد السوادية وكيف ينكر تفاوت الغريزة ولولاه لما اختلف الناس في فهم العلوم ولما انقسموا الى بليد لا
يفهم بالتفهيم الا بعد تعب طويل من المعلم والى ذكي يفهم بادنى رمز واشارة والى كامل تنبعث من نفسه حقائق الامور دون
التعليم يكاد زيته يضي ولو لم تمسسه نار وذلك مثل الانبياء صلوات الله عليهم اذ يتضح لهم في باطنهم امور غامضة من غير
تعلم وسماع ويعبر عن ذلك بالالهام وعن مثله عبر نبينا صلى الله عليه وسلم حيث قال ان روح القدس نفث في روعي احبب
الحبيب فانك مفارقه وعش ما شئت فانك ميت واعمل ما شئت فانك مجزي به وهذا النمط من تعريف الملائكة للانبياء يخالف
الوحي الصريح الذي هو سماع الصوت بحاسة الاذن ومشاهدة الملك بحاسة البصر ولذلك اخبر عن هذا بالنفث في الروع ودرجات
الوحي كثيرة والخوض فيها لا يليق بعلم المعاملة بل هو من علم المكاشفة ولا تظنن ان معرفة درجات الوحي يستدعي منصب الوحي اذ لا
يبعد ان يعرف الطبيب المريض درجات الوحي يستدعي منصب الوحي الصحة ويعرف الفاسق درجات العدالة ان كان خاليا عنها
والعلم شي ووجود المعلوم شي آخر فلا كل من عرف النبوة والولاية كان نبيا او وليا ولا كل من عرف الورع والتقوى ودقائقه كان تقيا
وانقسام الناس الى من يتنبه من نفسه ويفهم والى من لا يفهم الا بتنبيه وتعلم والى من لا ينفعه التعليم ايضا ولا التنبيه من نفسه
يفهم والى من لا يفهم كانقسام الارض الى ما يجتمع فيها الما ويقوى فيتفجر بنفسه عيونا والى ما يحتاج الى الحفر ليخرج من القنوات

والى ما لا ينفع فيها الحفر وهو اليابس وذلك لاختلاف جواهر الارض في صفاتها فكذلك هذا الاختلاف النفوس في غريزة العقل
ويدل على تفاوت العقل من جهة النقل ما روى ابن سلام سال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث طويل في اخره وصف عظم
العرش وان الملائكة قالت يا رب هل خلقت شيئا اعظم من العرش قال نعم العقل قالوا وما بلغ من قدره قال هيهات لا يحاط بعلمه
هل لكم علم بعدد الرمل قالوا لا قال فاني خلقت العقل اصنافا شتى كعدد الرمل فمن الناس من اعطي حبة ومنهم من اعطي حبتين ومنهم
الثلث والاربع ومنهم من اعطي فرقا ومنهم وسقا ومنهم اكثر من ذلك فان قلت فما بال اقوام من المتصوفة يذمون
العقل والمعقول فاعلم ان السبب فيه ان الناس نقلوا اسم العقل والمعقول الى المجادلة والمناظرة بالمناقضات والالزامات
وهو صنعة الكلام فلم يقدروا على ان يقرروا عندهم انكم اخطاتم في التسمية اذ كان ذلك لا ينمحق عن قلوبهم
بعد تداول الالسنة فذموا العقل والمعقول وهو المسمى به عندهم فاما نور البصيرة الباطنة
التي بها يعرف الله تعالى ويعرف صدق رسله فكيف يتصور ذمه وقد اثنى الله
عليه وان ذم ذلك فما الذي يحمل فان كان المحمود هو الشرع
فبم عرف صحة الشرع فان علم بالعقل المذموم
الذي لا يوثق به فيكون الشرع
ايضا مذموما ولا
يلتفت الى
من يقول
انه
يدرك بعين اليقين ونور الايمان لا بالعقل فانا نريد بالعقل ما نريده وهو بعين اليقين ونور الايمان وهي الصفة الباطنة
التي تميز بها الادمي عن البهائم حتى ادرك بها حقائق الامور واكثر هذه التخبطات انما ثارت من جهل اقوام طلبوا الحقائق من
الالفاظ فتخبطوا لتخبط اصطلاحات الناس في الالفاظ وهذا القدر كاف في بيان العقل والله اعلم ه ه ه ه
وقد تم كتاب العلم وهو الكتاب الاول من ربع العبادات من كتب احياء علوم الدين ويتلوه كتاب قواعد العقائد ه ه
والحمد لله اولا واخرا و
الصلوة على نبيه محمد
باطنا
وظاهرا
م

الكتاب الثاني من كتاب احياء العلوم

بسم الله الرحمن الرحيم توكلت على الحي الذي لا يموت **كتاب** قواعد العقايد وفيه اربعة فصول

الاول في ترجمة عقيدة اهل السنة في كلمتي الشهادة التي هي احدى مباني الاسلام فنقول وبالله التوفيق

الحمد لله المبدي المعيد الفعال لما يريد ذي العرش المجيد والبطش الشديد الهادي صفوة العبيد الى المنهج الرشيد والمسلك السديد المنعم عليهم بعد شهادة التوحيد بحراسة عقائدهم عن ظلمات التشكيك والترديد السالك بهم الى اتباع رسوله المصطفى صلى الله عليه وسلم واقتفاء آثار صحبه الاكرمين المكرمين بالتأييد والتسديد المتجلي لهم في ذاته وافعاله بمحاسن اوصافه التي لا يدركها الا من القى السمع وهو شهيد المعرف وانه قديم لا اول له ازلي لا بداية له مستمر الوجود لا آخر له ابدي لا نهاية له قيوم لا انقطاع له دائم لا انصرام له لم يزل ولا يزال موصوفا بنعوت الجلال لا يقضى عليه بالانقضاء تصرم الاماد وانقراض الآجال بل هو الاول والآخر والباطن والظاهر التنزيه وانه ليس بجسم مصور ولا جوهر محدود مقدر وانه لا يماثل الاجسام لا في التقدير ولا في قبول الانقسام وانه ليس بجوهر ولا تحله الجواهر ولا بعرض ولا تحله الاعراض بل لا يماثل موجودا ولا يماثله موجود وليس كمثله شي ولا هو مثل شي وانه لا يحده المقدار ولا تحويه الاقطار ولا تحيط به الجهات ولا تكتنفه السموات وانه مستو على العرش على الوجه الذي قاله وبالمعنى الذي اراده استواء منزها عن المماسة والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال لا يحمله العرش بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته ومقهورون بقبضته وهو فوق العرش وفوق كل شي الى تخوم الثرى فوقية لا تزيده قربا الى العرش والسما بل هو رفيع الدرجات عن العرش كما انه رفيع الدرجات عن الثرى وهو مع ذلك قريب من كل موجود وهو اقرب الى العبد من حبل الوريد فهو على كل شي شهيد اذ لا يماثل قربه قرب الاجسام كما لا يماثل ذاته ذات الاجسام وانه لا يحل في شي ولا يحل فيه شي تعالى عن ان يحويه مكان كما تقدس عن ان يحده زمان بل كان قبل ان خلق الزمان والمكان وهو الآن على ما عليه كان وانه باين من خلقه بصفاته ليس في ذاته سواه ولا في سواه ذاته وانه مقدس عن التغير والانتقال لا تحله الحوادث ولا تعتريه العوارض بل لا يزال في نعوت جلاله منزها عن الزوال وفي صفات كماله مستغنيا عن زيادة الاستكمال وانه في ذاته معلوم الوجود بالعقول مرئي الذات بالابصار نعمة منه ولطفا بالابرار في دار القرار واتماما للنعيم بالنظر الى وجهه الكريم **القدرة** وانه حي قادر جبار قاهر لا يعتريه قصور وعجز ولا تاخذه سنة ولا نوم ولا يعارضه فناء ولا موت وانه ذو الملك والملكوت والعزة والجبروت له السلطان والقهر والخلق والامر والسموات مطويات بيمينه والخلائق مقهورون في قبضته وانه المنفرد بالخلق والاختراع المتوحد بالايجاد والابداع خلق الخلق واعمالهم وقدر ارزاقهم وآجالهم لا يشذ عن قبضته مقدور ولا يعزب عن قدرته تصاريف الامور لا تحصى مقدوراته ولا تتناهى معلوماته **العلم** وانه عالم بجميع المعلومات محيط بما يجري من تخوم الارضين الى اعلى السموات لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء بل يعلم دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء ويدرك حركة الذر في جو الهواء ويعلم السر واخفى ويطلع على هواجس الضمائر وحركات الخواطر وخفيات السرائر بعلم قديم ازلي لم يزل موصوفا به في ازل الآزال لا بعلم متجدد حاصل في ذاته بالحلول والانتقال **الارادة** وانه مريد للكائنات مدبر للحادثات فلا يجري في الملك والملكوت قليل ولا كثير صغير او كبير خير او شر نفع او ضر ايمان او كفر عرفان او نكر فوز او خسران زيادة او نقصان طاعة او عصيان كفر او ايمان الا بقضائه وقدره وحكمه ومشيته فما شاء الله كان وما لم يشا لم يكن لا يخرج عن مشيته لفتة ناظر ولا فلتة خاطر بل المبدي المعيد الفعال لما يريد لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه ولا مهرب لعبد عن معصيته الا بتوفيقه ورحمته ولا قوة له على طاعته الا به ولو اجتمع الانس والجن والملائكة والشياطين على ان يحركوا في العالم ذرة او يسكنوها دون ارادته ومشيته عجزوا عنه وان ارادته قائمة بذاته في جملة صفاته لم يزل كذلك موصوفا بها مريدا في ازله لوجود الاشياء في اوقاتها التي قدرها فوجدت في اوقاتها كما اراده في ازله من غير تقدم ولا تاخر بل وقعت على وفق علمه وارادته من غير تبدل ولا تغير دبر الامور لا بترتيب افكار ولا تربص زمان فلذلك لم يشغله شان عن شان **السميع البصير** وانه تعالى سميع بصير يرى لا يعزب عن سمعه مسموع وان خفي فلا يغيب عن رؤيته مرئي وان دق لا يحجب سمعه ظلام يرى من غير حدقة واجفان ويسمع من غير اصمخة واذان كما يعلم بغير قلب ويبطش بغير جارحة ويخلق بغير آلة اذ لا تشبه صفاته صفات الخلق كما لا تشبه ذاته ذات الخلق **الكلام** وانه متكلم آمر ناه واعد متوعد بكلام ازلي قديم قائم بذاته لا يشبه كلام الخلق فليس بصوت يحدث من انسلال هواء واصطكاك اجرام ولا بحرف ينقطع باطباق شفة وتحريك لسان وان القرآن والتوراة والانجيل والزبور كتبه المنزلة على رسله وان القرآن مقروء بالالسنة مكتوب في المصاحف محفوظ في الصدور وانه مع ذلك قديم قائم بذات الله لا يقبل الانفصال والفراق بالانتقال الى القلوب والاوراق وان موسى عليه السلام سمع كلام الله بغير صوت ولا حرف كما يرى الابرار ذات الله من غير جوهر ولا عرض واذا كانت له هذه الصفات كان حيا عالما قادرا مريدا سميعا بصيرا متكلما بالحياة والقدرة والارادة والعلم والسمع والبصر والكلام لا بمجرد الذات **الافعال** وانه لا موجود سواه الا وهو حادث بفعله وفايض من عدله على احسن الوجوه واكملها واتمها واعدلها وانه حكيم في افعاله عادل في اقضيته ولا يقاس عدله بعدل العباد اذ العبد يتصور منه الظلم بتصرفه في ملك غيره ولا يتصور الظلم من الله فانه لا يصادف لغيره ملكا حتى يكون تصرفه فيه ظلما فكل ما سواه من انس وجن وشيطان وملك وسماء وارض وحيوان ونبات وجوهر وعرض ومدرك ومحسوس حادث اخترعه بقدرته بعد العدم اختراعا وانشاه انشاء بعد ان لم يكن شيئا اذ كان في الازل موجودا وحده ولم يكن معه غيره فاحدث الخلق بعده اظهارا لقدرته وتحقيقا لما سبق من ارادته ولما حق في الازل من كلمته لا لافتقاره اليه وحاجته وانه متفضل بالخلق والاختراع والتكليف لا عن وجوب ومتطول بالانعام والاصلاح لا عن لزوم فله الفضل والاحسان والنعمة والامتنان اذ كان قادرا على ان يصب على عباده انواع العذاب ويبتليهم بضروب الآلام والاوصاب ولو فعل ذلك لكان منه عدلا ولم يكن منه قبيحا ولا ظلما وانه يثيب عباده على الطاعات بحكم الكرم والوعد لا بحكم الاستحقاق واللزوم اذ لا يجب عليه فعل ولا يتصور منه ظلم ولا يجب عليه لاحد حق وان حقه في الطاعات وجب على الخلق بايجابه على لسان الانبياء لا بمجرد العقل ولكنه بعث الرسل واظهر صدقهم بالمعجزات الظاهرة فبلغوا امره ونهيه ووعده ووعيده فوجب على الخلق تصديقهم فيما جاؤوا به

معنى الكلمة الثانية وهي شهادة الرسول وانه بعث النبي الامي القرشي محمدا صلى الله عليه وسلم برسالته الى كافة العرب والعجم والجن والانس فنسخ بشرعه الشرائع الا ما قرره وفضله على سائر الانبيا وجعله سيد البشر ومنع كمال الايمان بشهادة التوحيد

وهو قول لا اله الا الله ما لم يقترن به شهادة الرسول وهو قولك محمد رسول الله والزم الخلق تصديقه في جميع ما اخبر عنه في الدنيا والاخرة وانه لا يتقبل ايمان عبد حتى يؤمن بما اخبر به عنه بعد الموت واوله سؤال منكر ونكير وهما شخصان مهيبان هائلان يقعدان العبد في قبره سويا ذا روح وجسد ويسألانه عن التوحيد والرسالة ويقولان من ربك وما دينك ومن نبيك وهما فتانا القبر وسؤالهما اول فتنة بعد الموت وان يؤمن بعذاب القبر وانه حق وحكمه عدل على الجسد والروح كما يشاء ويؤمن بالميزان ذي الكفتين واللسان وصفه في العظم انه مثل طباق السموات والارض يوزن فيه الاعمال بقدرة الله والصنج يومئذ مثاقيل الذر والخردل تحقيقا لتمام العدل وتطرح صحائف الحسنات في صورة حسنة في كفة النور فيثقل بها الميزان على قدر درجاتها عند الله بفضل الله وتطرح صحائف السيئات في كفة الظلمة فيخف بها الميزان بعدل الله وان يؤمن بان الصراط حق وهو جسر ممدود على متن جهنم احد من السيف وادق من الشعر تزل عنه اقدام الكافرين بحكم الله فتهوي بهم النار ويثبت عليها اقدام المؤمنين فيساقون الى دار القرار وان يؤمن بالحوض المورود حوض محمد صلى الله عليه وسلم يشرب منه المؤمنون قبل دخول الجنة وبعد جواز الصراط من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها ابدا عرضه مسيرة شهر اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل حوله اباريق عددها بعدد نجوم السماء فيه ميزابان يصبان من الكوثر ويؤمن بالحساب وتفاوت الخلق فيه الى مناقش في الحساب والى مسامح فيه والى من يدخل الجنة بغير حساب وهم المقربون فيسأل من شاء من الانبياء عن تبليغ الرسالة ومن شاء من الكفار عن تكذيب المرسلين ويسأل المبتدعة عن السنة ويسأل المسلمين عن الاعمال ويؤمن باخراج الموحدين عن النار بعد الانتقام حتى لا يبقى في جهنم موحد بفضل الله ويؤمن بشفاعة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء ثم سائر المؤمنين على حسب جاهه ومنزلته ومن بقي من المؤمنين ولم يكن له شفيع اخرج بفضل الله فلا يخلد في النار مؤمن بل يخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان وان يعتقد فضل الصحابة وترتيبهم وان افضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي وان يحسن الظن بجميع الصحابة ويثني عليهم كما اثنى الله تعالى ورسوله عليهم اجمعين فكل ذلك مما وردت به الاخبار وشهدت به الاثار فمن اعتقد جميع ذلك موقنا به كان من اهل الحق وعصابة السنة وفارق رهط الضلال وحزب البدعة فنسأل الله كمال اليقين والثبات في الدين لنا ولكافة المسلمين انه ارحم الراحمين

الفصل الثاني

في وجه التدريج الى الارشاد وترتيب درجات الاعتقاد

اعلم ان ما ذكرناه من ترجمة العقيدة ينبغي ان يقدم الى الصبي في اول نشوه ليحفظه حفظا ثم لا يزال ينكشف له معناه في كبره شيئا شيئا فابتداؤه الحفظ ثم الفهم ثم الاعتقاد والايقان والتصديق به وذلك مما يحصل في الصبي بغير برهان فمن فضل الله على قلب الانسان ان شرحه في اول نشوه للايمان من غير حاجة الى حجة وبرهان وكيف ينكر ذلك وجميع عقائد العوام مباديها التلقين المجرد والتقليد المحض نعم يكون الاعتقاد الحاصل بمجرد التقليد غير خال عن نوع من الضعف في الابتداء على معنى انه يقبل الازالة بنقيضه لو القي اليه فلا بد من تقويته واثباته في نفس الصبي والعامي حتى يرسخ ولا يتزلزل وليس الطريق في تقويته ان يتعلم صنعة الجدل والكلام بل يشتغل بتلاوة القرآن وتفسيره وقراءة الحديث ومعانيه ويشتغل بوظائف العبادات فلا يزال اعتقاده يزداد رسوخا بما يقرع سمعه من ادلة القرآن وحججه وبما يرد عليه من شواهد الاحاديث وفوائدها وبما يسطع عليه من انوار العبادات ووظائفها وبما يسري اليه من مشاهدة الصالحين ومجالستهم وسيماهم وسماعهم وهيئاتهم في الخضوع لله والخوف منه والاستكانة له فيكون اول التلقين كالقاء بذر في الصدر وتكون هذه الاسباب كالسقي والتربية له حتى ينمو ذلك البذر ويقوى ويرتفع شجرة طيبة راسخة اصلها ثابت وفرعها في السماء وينبغي ان يحرس سمعه من الجدل والكلام غاية الحراسة فان ما يشوشه الجدل اكثر مما يمهده وما يفسده اكثر مما يصلحه بل تقويته بالجدل تضاهي ضرب الشجرة بالمدق من الحديد رجاء تقويتها بان يكثر اجزاؤها وربما يفتتها ذلك ويفسدها وهو الاغلب والمشاهدة تكفيك في هذا بيانا فناهيك بالعيان برهانا فقس عقيدة اهل الصلاح والتقى من عوام الناس بعقيدة المتكلمين والمجادلين فترى اعتقاد العامي في الثبات كالطود الشامخ لا تحركه الدواهي والصواعق وعقيدة المتكلم الحارس اعتقاده بتقسيمات الجدل كخيط مرسل في الهواء تفيئه الرياح مرة هكذا ومرة هكذا الا من سمع منهم دليل الاعتقاد فتلقفه تقليدا كما تلقف نفس الاعتقاد تقليدا اذ لا فرق في التقليد بين تعلم الدليل او تعلم المدلول فتلقن الدليل شيء والاستدلال بالنظر شيء آخر بعيد عنه ثم الصبي اذا وقع نشوه على هذه العقيدة ان اشتغل بكسب الدنيا لم ينفتح له غيرها ولكنه يسلم في الآخرة باعتقاد اهل الحق اذ لم يكلف الشرع اجلاف العرب اكثر من التصديق الجازم بظاهر هذه العقائد فاما البحث والتفتيش وتكلف نظم الادلة فلم يكلفوه اصلا وان اراد ان يكون من سالكي طريق الآخرة وساعده التوفيق حتى اشتغل بالعمل ولازم التقوى ونهى النفس عن الهوى واشتغل بالرياضة والمجاهدة انفتحت له ابواب من الهداية تكشف عن حقائق هذه العقيدة بنور الهي يقذف في قلبه بسبب المجاهدة تحقيقا لوعده اذ قال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وهو الجوهر النفيس الذي هو غاية ايمان الصديقين والمقربين واليه الاشارة بالسر الذي وقر في صدر ابي بكر الصديق حيث فضل به الخلق وانكشاف ذلك السر بل تلك الاسرار له درجات بحسب درجات المجاهدة ودرجات الباطن في النظافة والطهارة عما سوى الله وفي الاستضاءة بنور اليقين وذلك كتفاوت الخلق في اسرار الطب والفقه وسائر العلوم اذ يختلف ذلك باختلاف الاجتهاد واختلاف الفطرة في الذكاء والفطنة وكما لا تنحصر تلك الدرجات فكذلك هذه

مسئلة فان قلت فتعلم الجدل والكلام مذموم كتعلم النجوم او هو مباح او مندوب اليه فاعلم ان للناس في هذا غلوا واسرافا في اطراف فمن قائل انه بدعة وحرام وان العبد ان لقي الله بكل ذنب الا الشرك خير له من ان يلقاه بالكلام ومن قائل انه واجب وفرض اما على الكفاية او على الاعيان وانه من افضل الاعمال واعلى القربات فانه تحقيق لعلم التوحيد ونضال عن دين الله والى التحريم ذهب الشافعي ومالك واحمد بن حنبل وسفيان وجميع اهل الحديث من السلف قال ابو عبد الاعلى سمعت الشافعي يوم ناظر حفصا الفرد وكان من متكلمي المعتزلة يقول لان يلقى الله عز وجل العبد بكل ذنب ما خلا الشرك خير من ان يلقاه بشيء من الكلام ولقد سمعت من حفص كلاما لا اقدر ان احكيه وقال ايضا قد اطلعت من اهل الكلام على شيء ما ظننته قط ولان يبتلى العبد بكل ما نهى الله عنه ما عدا الشرك خير له من ان ينظر في الكلام وحكى الكرابيسي ان الشافعي سئل عن شيء من الكلام فغضب وقال سل عن هذا حفصا الفرد واصحابه اخزاهم الله ولما مرض الشافعي دخل عليه حفص الفرد فقال له من انا فقال حفص الفرد لا حفظك الله ولا رعاك حتى تتوب مما انت فيه وقال ايضا لو علم الناس ما في الكلام من الاهواء لفروا منه فرارهم من الاسد وقال ايضا اذا سمعت الرجل يقول الاسم هو المسمى او غير المسمى فاشهد بانه من اهل الكلام ولا دين له وقال الزعفراني قال الشافعي حكمي في اصحاب الكلام ان يضربوا بالجريد ويطاف بهم في العشائر والقبائل ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة واخذ في الكلام وقال احمد بن حنبل لا يفلح صاحب الكلام ابدا ولا تكاد ترى احدا نظر في الكلام الا وفي قلبه دغل وبالغ في ذمه حتى هجر الحارث المحاسبي مع زهده وورعه بسبب تصنيفه كتابا في الرد على المبتدعة وقال ويحك الست تحكي بدعتهم اولا ثم ترد عليهم الست تحمل الناس بتصنيفك على مطالعة البدعة والتفكر في تلك الشبهات فيدعوهم ذلك الى الراي والبحث وقال احمد علماء الكلام زنادقة وقال مالك ارايت ان جاءه من هو اجدل منه ايدع دينه كل يوم لدين جديد يعني ان اقوال المجادلين تتفاوت وقال مالك ايضا لا تجوز شهادة اهل البدع والاهواء فقال بعض اصحابه في تأويله انه اراد باهل الاهواء اهل الكلام على اي مذهب كانوا وقال ابو يوسف من طلب العلم بالكلام تزندق وقال الحسن لا تجادلوا اهل الاهواء ولا تجالسوهم ولا تسمعوا منهم وقد اتفق اهل الحديث من السلف على هذا ولا ينحصر ما نقل عنهم من التشديدات فيه وقالوا ما سكتت عنه الصحابة

مع انهم اعرف بالحقائق وافصح بترتيب الالفاظ من غيرهم الا لعلمهم بما يتولد منه من الشر ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
هلك المتنطعون هلك المتنطعون هلك المتعمقون في الاستقصاء واحتجوا ايضا بان ذلك لو كان من الدين لكان ذلك
اهم ما يامر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعلم طريقه ويثني على اربابه فقد علمهم الاستنجاء وندبهم الى حفظ الفرائض واثنى
عليهم ونهاهم عن الكلام في القدر وقال امسكوا وعلى هذا استمر الصحابة فالزيادة طغيان وظلم وهم الاستاذون والقدوة
ونحن الاتباع والتلامذة واما الفرقة الاخرى فاحتجوا بان المحذور من الكلام ان كان هو لفظ الجوهر والعرض وهذه الاصطلاحات
الغريبة التي لم تعهدها الصحابة فالامر فيه قريب اذ ما من علم الا وقد احدث فيه اصطلاحات لاجل التفهيم كالحديث والتفسير
والفقه ولو عرض عليهم عبارة النقض والكسر والتركيب والتعدية وفساد الوضع لما كانوا يفهمونه فاحداث عبارة للدلالة
بها على مقصود صحيح كاحداث آنية على هيئة جديدة لاستعمالها في مباح وان كان المحذور هو المعنى فنحن لا نعني به الا معرفة
الدليل على حدث العالم ووحدانية الخالق وصفاته كما جاء به الشرع فمن اين تحرم معرفة الله بالدليل وان كان المحذور هو التشعب
والتعصب والعداوة والبغضاء وما يفضي اليه الكلام فذلك محرم ويجب الاحتراز عنه ولكن لا يمتنع من العلم لاجل اداءه اليه
فكيف يكون ذكر الحجة والمطالبة بها والبحث عنها محظورا وقد قال الله تعالى قل هاتوا برهانكم وقال ليهلك من هلك
عن بينة وقال هل عندكم من سلطان اي حجة وبرهان وقال قل فلله الحجة البالغة وقال تعالى الم تر الى الذي حاج ابرهيم الى قوله
فبهت الذي كفر وذكر احتجاج ابرهيم ومجادلته والحامه خصمه في معرض الثناء عليه وقال وتلك حجتنا آتيناها ابرهيم على قومه وقال
تعالى قالوا يا نوح قد جادلتنا وقال في قصة فرعون وما رب العالمين الى قوله او لو جئتك بشيء مبين وعلى الجملة فالقرآن من اوله
الى آخره محاجة مع الكفار فعمدة ادلة المتكلمين في التوحيد قوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وفي البعث قل يحييها الذي
انشاها اول مرة الى غير ذلك من الادلة ولم يزل الرسل يحاجون المنكرين ويجادلونهم وقال تعالى وجادلهم بالتي هي احسن
والصحابة ايضا كانوا يجادلون ولكن عند الحاجة وكانت الحاجة اليه قليلة في زمانهم واول من سن دعوة المبتدعة بالمجادلة
الى الحق علي عليه السلام اذ بعث ابن عباس الى الخوارج فكلمهم فقال ما تنقمون على امامكم قالوا قاتل ولم يسب ولم يغنم فقال ذلك في قتال
الكفار ارايتم لو سبيت عائشة في يوم الجمل فوقعت عائشة في سهم احدكم اكنتم تستحلون منها ما تستحلون من ملككم وهي امكم
في نص الكتاب فقالوا لا فرجع منهم الى الطاعة بمجادلته الفان وروي ان الحسن ناظر قدريا فرجع عن القدر وناظر علي بن ابي طالب
رضي الله عنه رجلا من القدرية وناظر عبد الله بن مسعود يزيد بن عميرة في الايمان قال عبد الله لو قلت اني مؤمن لقلت اني في الجنة
فقال له يزيد بن عميرة يا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه زلة منك وهل الايمان الا ان نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله
والبعث والميزان ونقيم الصلوة والصوم والزكوة ولنا ذنوب لو نعلم انها تغفر لنا لعلمنا انا من اهل الجنة فمن اجل ذلك نقول انا
مؤمنون ان شاء الله ولا نقول انا من اهل الجنة فقال ابن مسعود صدقت والله انها مني زلة فينبغي ان يقال كان خوضهم فيه قليلا لا
كثيرا وقصيرا لا طويلا وعند الحاجة لا بطريق التدريس والتصنيف واتخاذه صناعة فيقال اما قلة خوضهم كان لقلة الحاجة اذ لم تكن
البدعة تظهر في ذلك الزمان واما القصر فقد كان الغاية افحام الخصوم واعترافهم وانكشاف الحق فلو طال اشكال الخصم او الحاحه
لطال لا محالة الزامهم وما كانوا يقدرون قدر المحاجة بميزان ولا مكيال بعد الشروع فيه واما عدم تصديهم للتدريس والتصنيف
فهكذا كان في الفقه والتفسير والحديث ايضا فان جاز تصنيف الفقه ووضع الصور النادرة التي لا تتفق الا على الندور اما الحال
ليوم وقوعه وان كان نادرا او لتشحيذ الخاطر فنحن ايضا نرتب طرق المحاجة لتوقع وقوع الحاجة بثوران شبهة وهيجان مبتدع او

لتشحيذ الخاطر او لادخار الحجة حتى لا يعجز عنه عند الحاجة على البديهة والارتجال كمن يعد السلاح قبل القتال فهذا
ما يمكن ان يذكر للفريقين فان قلت فما المختار فيه عندك فاعلم ان الحق فيه ان اطلاق القول بذمه في كل حال او بحمده في كل
حال خطا بل لا بد فيه من تفصيل فاعلم اولا ان الشيء قد يحرم لذاته كالخمر والميتة واعني بقولي لذاته ان علة تحريمه وصف في
ذاته وهو الاسكار والموت وهذا اذا سئلنا عنه اطلقنا القول بانه حرام ولا يلتفت الى اباحة الميتة عند الاضطرار وتجرع الخمر
اذا غص الانسان بلقمة ولم يجد ما يسيغها سوى الخمر والى ما يحرم لغيره كالبيع على بيع اخيك في وقت الخيار والبيع وقت النداء
او كاكل الطين فانه يحرم لما فيه من الاضرار وهذا ينقسم الى ما يضر قليله وكثيره فيطلق القول فيه بانه حرام كالسم الذي يقتل قليله وكثيره
والى ما يضر عند الكثرة فيطلق القول عليه بالاباحة كالعسل فان كثيره يضر بالمحرور وكاكل الطين وكان اطلاق التحريم على الخمر والتحليل على
العسل التفات الى اغلب الاحوال فان تصدى شيء تقابلت فيه الاحوال فالاولى والابعد عن الالتباس ان يفصل فنعود الى علم الكلام ونقول
فيه منفعة ومضرة فهو باعتبار منفعته في وقت الانتفاع حلال او مندوب او واجب كما يقتضيه الحال وهو باعتبار مضرته في
وقت الاستضرار ومحله حرام اما مضرته فاثارة الشبهات وتحريك العقائد وازالتها عن الجزم والتصميم فذلك مما يحصل في
الابتداء ورجوعها بالدليل مشكوك فيه ويختلف فيه الاشخاص فهذا ضرره في الاعتقاد الحق وله ضرر في تاكيد اعتقاد المبتدعة
وتثبيته في صدورهم بحيث تنبعث دواعيهم ويشتد حرصهم على الاصرار عليه ولكن هذا الضرر بواسطة التعصب الذي يثور من الجدل
ولذلك ترى المبتدع العامي يمكن ان يزال اعتقاده باللطف في اسرع زمان الا اذا كان نشوءه في بلد يظهر فيه الجدل والتعصب
فانه لو اجتمع عليه الاولون والآخرون لم يقدروا على نزع البدعة من صدره بل الهوى والتعصب وبغض خصوم المجادلين وفرقة المخالفين
يستولي على قلبه ويمنعه من ادراك الحق حتى لو قيل له هل تريد ان يكشف الله لك الغطاء فيعرفك ان الحق مع خصمك كره ذلك خيفة من
ان يفرح به خصمه وهذا هو الداء العضال الذي استطار في البلاد والعباد وهو نوع فساد اثاره المجادلون بالتعصب فهذا ضرره واما
منفعته فقد يظن ان فائدته كشف الحقائق ومعرفتها على ما هي عليه وهيهات فليس في الكلام وفاء بهذا المطلب الشريف ولعل التخبيط
والتضليل اكثر من الكشف والتعريف وهذا اذا سمعته من محدث او حشوي ربما خطر ببالك ان الناس اعداء ما جهلوا فاسمع هذا ممن خبر
الكلام ثم قلاه بعد حقيقة الخبرة وبعد التغلغل فيه الى منتهى درجة المتكلمين وجاوز ذلك الى التعمق في علوم اخر تناسب نوع الكلام و
تحقق ان الطريق الى حقائق المعرفة من هذا الوجه مسدود ولعمري لا ينفك الكلام عن كشف وتعريف وايضاح لبعض الامور ولكن على الندور
وفي امور جلية تكاد تفهم قبل التعمق في صنعة الكلام بل منفعته شيء واحد وهو حراسة العقيدة التي ترجمناها على العوام وحفظها
عن تشويشات المبتدعة بانواع الجدل فان العامي ضعيف يستفزه جدل المبتدع وان كان فاسدا ومعارضة الفاسد بالفاسد تدفعه
والناس متعبدون بهذه العقيدة التي قدمناها اذ ورد الشرع بها واجمع السلف عليها والعلماء متعبدون بحفظها على العوام من
تلبيسات المبتدعة لما فيها من صلاح دينهم ودنياهم كما تعبد السلطان بحفظ اموالهم عن هجمات الظلمة والغصاب واذا وقعت الاحاطة
الاحاطة بضرره ومنفعته فينبغي ان يكون كالطبيب الحاذق في استعمال الدواء الخطر اذ لا يضعه الا في موضعه وذلك في وقت الحاجة
وعلى قدر الحاجة وتفصيله ان العوام المشتغلين بالحرف والصناعات يجب ان يتركوا على سلامة عقائدهم التي اعتقدوها مهما تلقنوا الاعتقاد
الذي ذكرناه فان تعليمهم الكلام ضرر محض في حقهم اذ ربما يثير لهم شكا عليهم الاعتقاد ولا يمكن القيام بعد ذلك بالاصلاح واما العامي
المعتقد للبدعة فينبغي ان يدعى الى الحق بالتلطف لا بالتعصب وبالكلام اللطيف المقنع للنفس المؤثر في القلب القريب من سياق ادلة القرآن
والحديث الممزوج بفن من الوعظ والتحذير فان ذلك انفع من الجدل الموضوع على شرط المتكلمين اذ العامي اذا سمع ذلك اعتقد انه نوع صنعة تعلمها

وتزلزله

المتكلم ليستدرج الناس إلى اعتقاده فإن عجز عن الجواب قدر أن المجادلين من مذهبه أيضاً يقدرون على دفعه فالجدل مع هذا ومع الأول
حرام وكذا مع من وقع له شك إذ يجب إزالته باللطف والوعظ والأدلة القريبة المقبولة البعيدة عن تعمق الكلام واستقصاء
الجدل وإنما ينفع في موضع واحد وهو أن يفرض عامي اعتقد البدعة بنوع جدل سمعه فيقابل ذلك الجدل بمثله فيعود إلى اعتقاد
الحق وذلك فيمن ظهر له من الأنس بالمجادلة ما يمنعه عن القناعة بالمواعظ والتحذيرات العامية فقد انتهى هذا إلى حالة لا يشفيه
الأدواء الجدل فجاز أن يلقى إليه وهذا في بلاد يقل فيها البدعة ولا تختلف فيها المذاهب فيقتصر فيها على ترجمة الاعتقاد الذي
ذكرناه ولا يتعرض للأدلة ويتربص وقوع شبهة فإن وقعت ذكر بقدر الحاجة فإن كانت البدعة شائعة وكان يخاف على الصبيان
أن يخدعوا فلا بأس أن يعلموا القدر الذي أودعناه كتاب الرسالة القدسية ليكون ذلك سبباً لدفع تأثير مجادلة المبتدعة إن
وقعت إليهم وهذا مقدار مختصر وقد أودعناه هذا الكتاب لاختصاره فإن كان فيه ذكاء وتنبه بذكائه لموضع سؤال أو
ثار في نفسه شبهة فقد بدت العلة المحذورة وظهر الداء فلا بأس أن يرقى منه إلى القدر الذي ذكرناه في كتاب الاقتصاد
في الاعتقاد وهو قدر خمسين ورقة وليس فيه خروج عن النظر في قواعد العقائد إلى غير ذلك من مباحث المتكلمين فإن أقنعه ذلك كف
عنه وإن لم يقنعه ذلك صارت العلة مزمنة والداء غالباً والمرض سارياً فليتلطف به الطبيب بقدر إمكانه وينتظر قضاء الله فيه
إلى أن ينكشف له الحق بتنبيه من الله سبحانه أو يستمر على الشك والشبهة إلى ما قدر له فالقدر الذي يحويه ذلك الكتاب وجنسه
من المصنفات هو الذي يرجى نفعه فأما الخارج منه فقسمان أحدهما البحث عن غير قواعد العقائد كالبحث عن الاعتمادات وعن الأكوان
وعن الإدراكات والخوض في أن الرؤية هل لها ضد يسمى المنع أو العمى وإن كان فذلك واحد هو منع عن جميع ما لا يرى أو ثبت لكل
مرئي يمكن رؤيته منع بحسب عدده إلى غير ذلك من الترهات المضلة والقسم الثاني زيادة تقرير لتلك الأدلة في غير تلك القواعد
وزيادة أسولة وأجوبة وذلك أيضاً استقصاء لا يزيد إلا ضلالاً وجهلاً في حق من لم يقنعه ذلك القدر فرب كلام يزيده الإطناب
والتقرير غموضاً ولو قال قائل البحث عن حكم الإدراكات والاعتمادات فيها فائدة تشحيذ الخواطر والخاطر آلة الدين كالسيف آلة
الجهاد فلا بأس بتشحيذه كان كقوله لعب الشطرنج يشحذ الخاطر فهو من الدين وذلك هوس فإن الخاطر يتشحذ بسائر علوم الدين والشرع ولا يخاف
منها مضرة فقد عرفت بهذا القدر المذموم والقدر المحمود من الكلام والحال التي يذم فيها والحال التي يحمد والشخص الذي ينتفع به
والذي لا ينتفع فإن قلت مهما اعترفت بالحاجة إليه في دفع المبتدع والآن قد ثارت البدع وعمت البلوى وأرهقت الحاجة
فلا بد أن يصير القيام بهذا العلم من فروض الكفايات كالقيام بحراسة الأموال وسائر الحقوق بالقضاء والولاية وغيرهما وما لم يشتغل
العلماء بنشر ذلك والتدريس فيه والبحث عنه لا يدوم ولو ترك بالكلية لاندرس وليس في مجرد الطباع كفاية لحل شبه المبتدعة ما
لم يتعلم فينبغي أن يكون التدريس فيه أيضاً من فروض الكفايات بخلاف زمان الصحابة فإن الحاجة ما كانت ماسة إليه فاعلم أن الحق
أنه لا بد في كل بلد من قائم بهذا العلم مستقل بدفع شبه المبتدعة التي ثارت في تلك البلدة وذلك يدوم بالتعليم ولكن ليس من الصواب
تدريسه على العموم كتدريس الفقه والتفسير فإن هذا مثل الدواء والفقه مثل الغذاء وضرر الغذاء لا يحذر وضرر الدواء محذور لما
ذكرنا فيه من أنواع الضرر فالعالم به ينبغي أن يخصص بتعليم هذا العلم من فيه ثلاث خصال أحدها التجرد للعلم والحرص عليه فإن المحترف
يمنعه الشغل عن الاستتمام وإزالة الشكوك إذا عرضت والثانية الذكاء والفطنة والفصاحة فإن البليد لا ينتفع بفهمه والفدم
لا ينتفع بحجاجه فيخاف عليه من ضرر الكلام ولا يرجى فيه نفعه والثالثة أن يكون في طبعه الصلاح والديانة والتقوى ولا تكون
الشهوات غالبة عليه فإن الفاسق بأدنى شبهة ينخلع عن الدين فإن ذلك يحل عنه الحجر ويرفع السد بينه وبين الملاذ فلا يحرص

على إزالة الشبهة بل يغتنمها ليتخلص من أعباء التكليف فيكون ما يفسده مثل هذا المتعلم أكثر مما يصلحه وإذا عرفت
هذه الانقسامات اتضح لك أن الحجة المحمودة في القرآن ما هي من جنس حجج القرآن من الكلمات اللطيفة المؤثرة في القلوب المقنعة
للنفوس دون التغلغل في التقسيمات والتدقيقات التي لا يفهمها أكثر الناس فإذا فهموها اعتقدوا أنها شعوذة وصنعة تعلمها صاحبها
للتلبيس فإذا قابله مثله في الصنعة قاومه وعرفت أن الشافعي وكافة السلف إنما منعوا عن الخوض فيه والتجرد له لما فيه من الضرر
الذي نبهنا عليه وأن ما نقل عن ابن عباس من مناظرة الخوارج وما نقل عن علي رضي الله عنه من المناظرة في القدر وغيره كان من الكلام
الجلي الظاهر وفي محل الحاجة وذلك محمود في كل حال نعم قد تختلف الأعصار في كثرة الحاجة وقلتها فلا يبعد أن يختلف الحكم لذلك
فهذا حكم العقيدة التي تعبد الخلق بها وحكم طريق النضال عنها وحفظها وأما إزالة الشبه وكشف الحقائق ومعرفة الأشياء على ما
هي عليها ودرك الأسرار التي يترجمها ظاهر ألفاظ هذه العقيدة فلا مفتاح له إلا المجاهدة وقمع الشهوات والإقبال بالكلية على الله
وملازمة الفكر الصافي عن شوائب المجادلات وهي رحمة من الله تفيض على من تعرض لنفحاتها بقدر الرزق وبحسب التعرض وبقدر قبول
المحل وطهارة القلب وذلك البحر الذي لا يدرك غوره ولا يبلغ ساحله مسئلة فإن قلت هذا الكلام مشير إلى أن هذه العلوم
لها ظواهر وأسرار وبعضها جلي يبدو أولاً وبعضها خفي يتضح بالمجاهدة والرياضة والطلب الحثيث والفكر الصافي والسر الخالي
عن كل شيء من أشغال الدنيا سوى المطلوب وهذا يكاد يكون مخالفاً للشرع إذ ليس للشرع ظاهر وباطن وسر وعلن بل الظاهر والباطن والسر
والعلن واحد فاعلم أن انقسام هذه العلوم إلى خفية وجلية لا ينكرها ذو بصيرة وإنما ينكرها القاصرون الذين تلقفوا في أوائل
الصبا شيئاً وجمدوا عليه فلم يكن لهم ترق إلى شأو العلاء ومقامات العلماء والأولياء وذلك ظاهر من أدلة الشرع قال صلى الله عليه
وسلم إن للقرآن ظاهراً وباطناً وحداً ومطلعاً وقال علي رضي الله عنه وأشار إلى صدره إن ههنا علوماً جمة لو وجدت لها حملة
وقال صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم وقال ما حدث أحد قوماً بحديث لم تبلغه عقولهم
إلا كان فتنة عليهم وقال تعالى وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون وقال صلى الله عليه وسلم إن من العلم
كهيئة المكنون لا يعرفها إلا العالمون بالله الحديث إلى آخره كما أوردناه في كتاب العلم وقد قال صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما
أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً فليت شعري إن لم يكن ذلك سراً منع من إفشائه لقصور الأفهام عن دركه أو لمعنى آخر فلم لم يذكره لهم
ولا شك أنهم كانوا يصدقونه لو ذكره لهم وقال ابن عباس في قوله تعالى الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل
الأمر بينهن لو ذكرت تفسيره لرجمتموني وفي لفظ آخر لقلتم إنه كافر وقال صلى الله عليه وسلم ما فضلكم أبو بكر بكثرة صيام
ولا صلاة ولكن بسر وقر في صدره ولا شك في أن ذلك كان متعلقاً بقواعد الدين غير خارج منها وما كان من قواعد الدين لم يكن خافياً بظواهرها
على غيره وقال سهل التستري للعالم ثلاثة علوم علم ظاهر يبذله لأهل الظاهر وعلم باطن لا يسعه إظهاره إلا لأهله وعلم هو بينه وبين الله
لا يظهره لأحد وقال بعض العارفين إفشاء سر الربوبية كفر وقال بعضهم للربوبية سر لو أظهر لبطلت النبوة وللنبوة سر لو كشف لبطل
العلم وللعلماء بالله سر لو أظهروه لبطلت الأحكام وهذا القائل إن لم يرد بذلك بطلان النبوة في حق الضعفاء لقصور فهمهم فما ذكره
ليس بحق بل الصحيح أنه لا تناقض وأن الكامل من لا يطفئ نور معرفته نور ورعه ومدار الورع النبوة مسئلة فإن قلت فهذه الآيات
والأخبار يتطرق إليها تأويلات فبين لنا كيفية اختلاف الظاهر والباطن فإن الباطن إن كان مناقضاً للظاهر ففيه إبطال الشرع وهو
قول من قال إن الحقيقة خلاف الشريعة وهو كفر لأن الشريعة عبارة عن الظاهر والحقيقة عبارة عن الباطن وإن كان لا يناقضه ولا يخالفه
فهو هو فيزول به الانقسام ولا يكون للشرع سر لا يفشى بل يكون الخفي والجلي واحداً فاعلم أن هذا السؤال يحرك خطباً عظيماً ويجر

الى علوم المكاشفة ويخرج عن مقصود علم المعاملة وهو غرض هذه الكتب فان العقايد التى ذكرناها من اعمال القلوب وقد تعبدنا
بتلقيها بالقبول والتصديق بعقد القلب عليها لا ان نتوصل الى ان ينكشف لنا حقايقها فان ذلك لم يكلف به كافة الخلق ولولا
ولولا انه من الاعمال لما اوردناه فى هذا الكتاب ولولا انه عمل ظاهر القلب لا عمل باطنه لما اوردناه فى الشطر الاول من الكتاب
وانما الكشف الحقيقى هو صفة سر القلب وباطنه ولكن اذا انجر الكلام الى تحريك خيال فى مناقضة الظاهر للباطن فلا بد من كلام
وجيز فى حله فمن قال ان الباطن يخالف الظاهر والحقيقة تخالف الشريعة فهو الى الكفر اقرب منه الى الايمان بل الاسرار التى يختص
المقربون بدركها ولا يشاركهم الاكثرون فى علمها ويمتنعون عن افشائها اليهم ترجع الى خمسة اقسام الاول ان يكون الشى فى نفسه
دقيقا يكل اكثر الافهام عن دركه فيختص بدركه الخواص وعليهم ان لا يفشوه الى غير اهله اذ يصير ذلك فتنة عليهم حيث تقصر افهامهم
عن الدرك واخفاء سر الروح وكف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيانه من هذا القسم فان حقيقته مما يكل الافهام عن دركه
ويقصر الاوهام عن تصور كنهه ولا تظنن ان ذلك لم يكن مكشوفا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فان من لم يعرف الروح وكانه
لم يعرف نفسه فكيف يعرف ربه ولا يبعد ان يكون ذلك مكشوفا لبعض الاولياء والعلماء وان لم يكونوا انبياء ولكنهم يتادبون بادب
الشرع فيسكتون عما سكت عنه بل فى صفات الله سبحانه من الخفايا ما تقصر افهام الجماهير عن دركه ولم يذكر رسول الله صلى
الله عليه وسلم منها الا الظواهر للافهام من العلم والقدرة وغيرهما حتى فهمها الخلق بنوع مناسبة توهموها الى علمهم و
قدرتهم اذ كان لهم من الاوصاف ما يسمى علما وقدرة فيتوهمون ذلك بنوع مقايسة ولو ذكر من صفاته ما ليس للخلق مما
يناسبه بعض المناسبة لم يفهموه بل لذة الجماع اذا ذكرت للصبى او العنين لم يفهمها الا بمناسبة الى لذة المطعوم الذى يدركه ولو
يكون ذلك فهما على التحقيق والمخالفة بين علم الله وقدرته وعلم الخلق وقدرتهم اكثر من المخالفة بين لذة الجماع والاكل ف
بالجملة فلا يدرك الانسان الا نفسه وصفات نفسه مما هو حاضر له فى الحال او مما كان له من قبل ثم بالمقايسة اليه يفهم ذلك
لغيره ثم قد يصدق بان بينهما تفاوتا فى الشرف والكمال فليس فى قوة البشر الا ان يثبت لله ما هو ثابت لنفسه من الفعل والعلم
والقدرة وغيرها من الصفات مع التصديق بان ذلك اكمل واشرف ويكون معظم تحرمه على صفات نفسه لا على ما اختص الرب
تعالى به من الجلال ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا احصى ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك وليس المعنى به انى عجزت عن
عما ادركته بل اعتراف بالقصور عن ادراك كنه الجلال ولذلك قال بعضهم ما عرف الله بحقيقته سوى الله وقال الصديق
الحمد لله الذى لم يجعل سبيلا الى معرفته الا بالعجز عن معرفته ولنقبض عنان الكلام عن هذا النمط ولنرجع الى الغرض وهو ان احد
الاقسام ما يكل الافهام عن دركه ومن جملته الروح ومن جملته بعض صفات الله تعالى ولعل الاشارة الى مثله فى قوله صلى الله عليه
وسلم ان لله سبعين حجابا من نور لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه كل من ادركه بصره القسم الثانى من الخفيات التى امتنع الانبياء
والصديقون عن ذكره ما هو مفهوم فى نفسه ولا يكل الفهم عنه ولكن ذكره يضر باكثر المستمعين ولا يضر بالانبياء والصديقين وسر
القدر الذى منع اهل العلم عن افشائه من هذا القسم ولا يبعد ان يكون ذكر بعض الحقايق مضرا ببعض الخلق كما يضر نور الشمس بابصار
الخفافيش وكما يضر رياح الورد بالجعل فكيف يبعد هذا وقولنا ان الكفر والزنا والمعاصى والشرور بقضاء الله وارادته ومشيئته حق
فى نفسه وقد اضر سماعه بقوم اذ اوهم ذلك عندهم دلالة على السفه ونقيض الحكمة والرضا بالقبيح والظلم والحد ابن الروندى
وطائفة من المخذولين بمثل ذلك فكذلك سر القدر لو افشى لاوهم عند اكثر الخلق عجزا اذ تقصر افهامهم عن درك ما يزيل ذلك الوهم عنهم
ولو قال قائل ان القيامة لو ذكر ميقاتها وانها بعد الف سنة او اكثر او اقل لكان مفهوما ولكن لم يذكر لمصلحة العباد وخوفا

وخوفا من الضرر فلعل المدة اليها بعيدة فيطول الامد واذا استبطات النفوس وقت العقاب قل اكتراثها ولعلها كانت قريبة
فى علم الله ولو ذكرت لعظم الخوف واعرض الناس عن الاعمال وخربت الدنيا فهذا المعنى لو اتجه وصح فيكون مثالا لهذا القسم
القسم الثالث ان يكون الشى بحيث لو ذكر صريحا لفهم ولم يكن فيه ضرر ولكن يكنى عنه على سبيل الاستعارة والرمز ليكون وقعه فى قلب المستمع
اغلب وله مصلحة فى ان يعظم وقع ذلك الامر فى قلبه كما لو قال قائل رايت فلانا يقلد الدر فى اعناق الخنازير فعبر به عن
افشاء العلم وبث الحكمة الى غير اهلها فالمستمع قد يسبق الى فهمه ظاهره والمحقق اذا نظر وعلم ان ذلك الانسان لم يكن معه در
ولا كان فى موضعه خنزير تفطن لدرك السر والباطن فيتفاوت الناس فى ذلك ومن هذا قول الشاعر لا زال ينسج ذا الخرقة مدبر
ويخيط صاحبه ثياب المقبل رجلان خياط وآخر حائك متقابلان على السماء الاول فانه عبر عن سبب سماوى فى
الاقبال والادبار رجلين صانعين وهذا النوع يرجع الى التعبير عن المعنى بالصورة التى تتضمن عين المعنى بالصورة التى تتضمن عين المعنى
او مثله ومنه قوله عليه السلام ان المسجد لينزوى من النجاسة كما ينزوى الجلدة على النار وانت ترى ان ساحة المسجد لا ينقبض
بالنجاسة ومعناه ان روح المسجد به مضادة النار لاتصال اجزاء الجلدة وكذلك قوله اما يخشى الذى يرفع راسه قبل الامام
ان يحول راسه راس حمار وذلك من حيث الصورة قط لم يكن ولا يكون ولكن من حيث المعنى هو كائن اذ راس الحمار لم يكن بحقيقته
لكونه وشكله بل بخاصيته وهو البلادة والحمق ومن رفع راسه قبل الامام فقد صار راسه راس حمار فى البلادة والحمق وهو
المقصود دون الشكل الذى هو قالب المعنى اذ من غاية الحمق ان يجمع بين الاقتداء وبين التقدم فانهما متناقضان وانما يعرف هذا السر
الظاهر اما بدليل عقلى او شرعى اما العقلى بان يكون حمله على الظاهر غير ممكن كقوله عليه السلام قلب المومن بين اصبعين من اصابع الرحمن
اذ لو فتشنا عن صدور المومنين فلم نجد فيها اصابع فعلم انها كناية عن القدرة التى هى سر الاصابع وروحها الخفى وكنى بالاصابع عن
القدرة لان ذلك اعظم وقعا فى تفهيم تمام الاقتدار ومن هذا القبيل كنايته عن الاقتدار بقوله انما قولنا لشى اذا اردناه ان نقول
له كن فيكون فان ظاهره ممتنع اذ قوله كن ان كان خطابا مع الشى قبل وجوده فهو محال اذ المعدوم لا يفهم الخطاب حتى يمتثل وان كان
بعد الوجود فهو مستغن عن التكوين ولكن لما كانت هذه الكناية اوقع فى النفوس فى تفهيم غاية الاقتدار عدل اليه واما المدرك
بالشرع فهو ان يكون اجراؤه على الظاهر ممكنا ولكنه يروى انه اريد به غير الظاهر كما ورد فى تفسير قوله تعالى انزل من السماء ماء
فسالت اودية بقدرها الاية وان معنى الماء هو القرآن ومعنى الاودية القلوب وان بعضها احتمل شيئا كثيرا وبعضها قليلا
وبعضها لم يحتمل والزبد مثل للكفر فانه وان ظهر وطفا على راس الماء فانه لا يثبت والهداية التى تنفع الناس تمكث وفى هذا
القسم تعمق جماعة فاولوا ما ورد فى الآخرة من الميزان والصراط وغيرهما وهو بدعة اذ لم ينقل ذلك بطريق الرواية
فاجراؤه على الظاهر القسم الرابع ان يدرك الانسان الشى جملة ثم يدركه تفصيلا بالتحقيق والذوق بان يصير حالا
ملابسا له فيتفاوت العلمان ويكون الاول كالقشر والثانى كاللب والاول كالظاهر والآخر
كالباطن وذلك كما يتمثل للانسان فى عينه شخص فى الظلمة او على البعد فيحصل له نوع علم فاذا رآه بالقرب او بعد زوال الظلام
ادرك تفرقة بينهما ولا يكون الاخير ضد الاول بل هو استكمال له وكذلك فى العلم والايمان والتصديق اذ قد يصدق الانسان
بوجود العشق والمرض والموت قبل وقوعه ولكن تحققه به عند الوقوع اكمل من تحققه قبل الوقوع بل للانسان فى الشهوة والعشق
وسائر الاحوال ثلاثة احوال متفاوتة وادراكات متباينة الاول تصديقه بوجوده قبل وقوعه والآخر عند وقوعه والآخر
بعد تصرمه فان تحققك بالجوع بعد زواله يخالف التحقق قبل الزوال وكذلك من علوم الدين ما يصير ذوقا فيكمل فيكون ذلك

كالباطن بالاضافة الى ما فوقه وذلك كفرق بين علم المريض بالصحة وبين علم الصحيح بها ففي هذه الاقسام الاربعة يتفاوت الخلق وليس في شيء منها باطن يناقض الظاهر بل يتممه ويكمله كما يتمم اللب القشر القسم الخامس ان يعبر بلسان المقال عن لسان الحال فالقاصر الفهم يقف على الظاهر ويعتقده نطقا والبصير بالحقائق يدرك السر فيه وهذا كقول القائل قال الجدار للوتد لم تشقني قال سل من يدقني فلم يتركني ورائي الحجر الذي ورائي فهذا تعبير عن لسان الحال بلسان المقال ومن هذا قوله تعالى فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين فالبليد يفتقر في فهمه الى ان يقدر لهما حياة وعقلا وفهما للخطاب وخطابا هو صوت وحرف يسمعه الارض فتجيب بصوت وحرف وتقول اتينا طائعين والبصير يعلم ان ذلك لسان الحال وانه انباء عن كونها مسخرة بالضرورة مضطرة الى التسخير ومن هذا قوله تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده فان البليد يفتقر الى ان يقدر للجماد حياة وعقلا ونطقا بصوت وحرف حتى يقول سبحان الله ليتحقق تسبيحه والبصير يعلم انه ما اريد به نطق اللسان بل كونه مسبحا بوجوده ومقدسا بذاته وشاهدا بوحدانية الله كما يقال ✦ وفي كل شيء له آية تدل على انه واحد وكما يقال الصنعة المحكمة تشهد لصانعها بحسن التدبير وكمال العلم لا بمعنى انه يقول اشهد ولكن بالذات والحال فكذلك ما من شيء الا وهو محتاج في نفسه الى موجد يوجده ويبقيه ويديم اوصافه ويردده في اطواره فهو بحاجته يشهد لخالقه بالتقديس يدرك شهادته ذوو البصائر دون الجامدين على الظواهر ولذلك قال ولكن لا تفقهون تسبيحهم واما القاصرون فلا يفقهون اصلا واما المقربون والعلماء الراسخون فلا يفقهون كنهه وكماله اذ لكل شيء شهادات شتى على تقديس الله وتسبيحه ويدرك كل واحد بقدر عقله وبصيرته وتعداد تلك الشهادات لا يليق بعلم المعاملة فهذا الفن ايضا مما يتفاوت ارباب الظواهر وارباب البصائر في علمه وتظهر به مفارقة الباطن للظاهر وفي هذا المقام لارباب المقامات اسراف واقتصاد فمن مسرف في رفع الظواهر انتهى الى تغيير جميع الظواهر او اكثرها حتى حملوا قوله تعالى تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم وقوله تعالى وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شيء وكذلك المخاطبات التي تجري من منكر ونكير وفي الميزان وفي الحساب ومناظرات اهل النار واهل الجنة في قولهم افيضوا علينا من الماء وزعموا ان كل ذلك لسان الحال وغلا آخرون في حسم الباب منهم احمد بن حنبل رضي الله عنه حتى منع تاويل قوله كن فيكون وزعموا ان ذلك خطاب بحرف وصوت يوجد من الله تعالى في كل لحظة بعدد كل مكون حتى سمعت بعض اصحابه انه حسم باب التاويل الا لثلثة الفاظ قوله صلى الله عليه وسلم الحجر الاسود يمين الله في ارضه وقوله قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن وقوله اني لاجد نفس الرحمن من قبل اليمن ومال الى حسم الباب ارباب الظواهر والظن باحمد بن حنبل انه علم ان الاستواء ليس هو الاستقرار والنزول ليس هو الانتقال ولكنه منع من التاويل حسما للباب ورعاية لصلاح الخلق فانه اذا فتح الباب اتسع الخرق على الراقع وخرج عن الضبط وجاوز الاقتصاد اذ حد الاقتصاد لا ينضبط ولا باس بهذا الزجر ويشهد له سيرة السلف فانهم كانوا يقولون امروها كما جاءت حتى قال مالك لما سئل عن الاستواء الاستواء معلوم والكيفية مجهولة والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة وذهبت طائفة الى الاقتصاد ففتحوا باب التاويل في كل ما يتعلق بصفات الله وتركوا ما يتعلق بالآخرة على ظواهرها ومنعوا التاويل وهم الاشعرية وزاد المعتزلة عليهم حتى اولوا من صفات الله تعالى الرؤية واولوا كونه سميعا وبصيرا واولوا المعراج وزعموا انه لم يكن بالجسد واولوا عذاب القبر والميزان والصراط وجملة من احكام الآخرة ولكن اقروا بحشر الاجساد وبالجنة واشتمالها على الماكولات والمشروبات والمنكوحات المحسوسة وبالنار واشتمالها على جسم محسوس محرق يحرق الجلود ويذيب الشحوم ومن ترقيهم الى هذا الحد زاد الفلاسفة فاولوا كل ما ورد في الآخرة وردوها الى آلام عقلية وروحانية ولذات عقلية وانكروا حشر الاجساد وقالوا ببقاء النفوس وانها تكون اما معذبة واما منعمة بعذاب ونعيم لا يدرك بالحس وهؤلاء هم المسرفون وحد الاقتصاد بين الانحلال وبين جمود الحنابلة دقيق غامض لا يطلع عليه الا الموفقون الذين

يدركون الامور بنور الهي لا بالسماع ثم اذا انكشف لهم اسرار الامور على ما هي عليها نظروا الى السمع والالفاظ الواردة فما وافق ما شاهدوه بنور اليقين قرروه وما خالف اولوه فاما من ياخذ معرفة هذه الامور من السمع المجرد فلا يستقر له فيها قدم ولا يتعين له موقف والاليق بالمقتصر على السمع المجرد مقام احمد بن حنبل والآن فكشف الغطاء عن حد الاقتصاد في هذه الامور داخل في علم المكاشفة والقول فيه يطول فلا نخوض فيه والغرض بيان موافقة الباطن للظاهر ومخالفته وقد انكشف بهذه الاقسام الخمسة واذا راينا ان نقتصر بكافة العوام على ترجمة العقيدة التي حررناها وانهم لا يكلفون غير ذلك في الدرجة الاولى الا اذا كان خوف تشويش لشيوع البدعة فيرقى في الدرجة الثانية الى عقيدة فيها لوامع من الادلة مختصرة من غير تعمق فلنورد في هذا الكتاب تلك اللوامع ولنقتصر فيها على ما حررناه لاهل القدس وسميناه الرسالة القدسية وهي هذه

الفصل الثالث

من كتاب قواعد العقائد في لوامع الادلة للعقيدة ترجمناها فنقول

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين الحمد لله الذي ميز عصابة السنة بانوار اليقين وآثر رهط الحق بالهداية الى دعائم الدين وجنبهم زيغ الزائغين وضلال الملحدين ووفقهم للاقتداء بسيد المرسلين وسددهم للتاسي بصحبه الاكرمين ويسر لهم اقتفاء آثار السلف الصالحين اعتصموا من مقتضيات العقول بالحبل المتين ومن سير الاولين وعقائدهم بالمنهج المبين فجمعوا في القبول بين نتائج العقول وقضايا الشرع المنقول وتحققوا ان النطق بما تعبدوا به من قول لا اله الا الله محمد رسول الله ليس له طائل ومحصول ان لم يتحققوا الاحاطة بما يدور عليه الشهادة من الاقطاب والاصول وعرفوا ان كلمتي الشهادة على ايجازها تتضمن اثبات ذات الاله واثبات صفاته واثبات افعاله واثبات صدق الرسول وعلموا ان بناء الايمان على هذه الاركان وهي اربعة ويدور كل ركن على عشرة اصول **الركن الاول** في معرفة ذات الله تعالى ومداره على عشرة اصول وهي العلم بوجود الله وقدمه وبقائه وانه ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض وانه ليس مختصا بجهة ولا مستقرا على مكان وانه يرى وانه واحد **الركن الثاني** في صفاته ويشتمل على عشرة اصول وهي العلم بكونه حيا عالما قادرا مريدا سميعا بصيرا متكلما منزها عن حلول الحوادث وانه قديم الكلام والعلم والارادة **الركن الثالث** في افعاله تعالى ومداره على عشرة اصول وهي ان افعال العباد مخلوقة لله تعالى وانها مكتسبة للعباد وانها مرادة وانه متفضل بالخلق والاختراع وان له تكليف ما لا يطاق وله ايلام البريء ولا يجب عليه رعاية الاصلح وانه لا واجب الا بالشرع وان بعثة الانبياء جائزة وان نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ثابتة مؤيدة بالمعجزات **الركن الرابع** في السمعيات وهو اثبات الحشر وعذاب القبر وسؤال منكر ونكير والميزان والصراط وخلق الجنة والنار واحكام الامامة فالركن الاول من اركان الايمان معرفة ذات الله سبحانه وتعالى ومداره على عشرة اصول **الاصل الاول** معرفة وجوده تعالى واول ما يستضاء به من الانوار ويسلك من طريق الاعتبار ما ارشد اليه القرآن فليس بعد بيان الله بيان وقد قال تعالى الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا وخلقناكم ازواجا وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا وبنينا فوقكم سبعا شدادا وجعلنا سراجا وهاجا وانزلنا من المعصرات ماء ثجاجا لنخرج به حبا ونباتا وجنات الفافا وقال تعالى ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون وقال تعالى الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا والله انبتكم من الارض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا وقال تعالى افرايتم ما تمنون أانتم تخلقونه ام نحن الخالقون الى قوله نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين فليس يخفى على من معه ادنى مسكة اذا تامل بادنى فكرة مضمون هذه الآيات

واذا نظر على عجائب خلق الله في الارض والسموات وبدائع فطرة الحيوان والنبات ان هذا الامر العجيب والترتيب المحكم لا يستغني عن صانع يدبره وفاعل يحكمه ويقدره بل يكاد فطرة النفس تشهد بكونها مقهورة تحت تسخيره ومصرفة بمقتضى تدبيره ولذلك قال تعالى افي الله شك فاطر السموات والارض ولهذا بعث الانبياء كلهم لدعوة الخلق الى التوحيد ليقولوا لا اله الا الله وما امروا ان يقولوا لنا اله وللعالم اله فان ذلك كان مجبولة في فطرة عقولهم من مبدأ نشوهم وفي عنفوان شبابهم ولذلك قال تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله وقال تعالى فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم فاذن في فطرة الانسان وشواهد القران ما يغني عن اقامة البرهان ولكنا على سبيل الاستظهار والاقتداء بالعلماء نقول من بداية العقول ان الحادث لا يستغني في حدوثه عن سبب يحدثه والعالم حادث فاذن لا يستغني في حدوثه عن سبب اما قوله الحادث لا يستغني عن سبب فجلي فان كل حادث فهو مختص بوقت يجوز في العقل تقديره وتأخيره فاختصاصه بوقته دون ما بعده وما قبله يفتقر بالضرورة الى المخصص واما قولنا العالم حادث فبرهانه ان اجسام العالم لا تخلو عن حركة وسكون وهما حادثان وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث وفي هذا البرهان ثلث دعاوى الاولى ان الاجسام لا تخلو عن الحركة والسكون وهذه مدركة بالبديهة والاضطرار فلا يحتاج فيه الى تأمل وافتكار فان من عقل جسما لا ساكنا ولا متحركا كان لمتن الجهل راكبا وعن نهج العقل ناكبا والثانية قولنا انهما حادثان ويدل على ذلك تعاقبهما ووجود البعض منها بعد البعض وذلك مشاهد في جميع الاجسام وما لم يشاهد فما من ساكن الا والعقل قاض بجواز حركته وما من متحرك الا والعقل قاض بجواز سكونه فالطاري منهما حادث لطريانه وبرهانه في اثبات بقاء الصانع تعالى وتقدس والثالثة قولنا ما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث لا اول لها وبرهانه انه لو لم يكن كذلك لكان قبل كل حادث حوادث لا اول لها وما لم تنقض تلك بجملتها لا ينتهي النوبة الى وجود الحادث الحاضر في الحال وانقضاء ما لا نهاية له محال ولانه لو كان للفلك دورات لا نهاية لها لكان لا يخلو اعدادها من ان يكون شفعا او وترا او شفعا ووترا او لا شفعا ولا وترا فان ذلك جمع بين النفي والاثبات اذ في اثبات احدهما نفي الآخر وفي نفي احدهما اثبات الآخر ومحال ان يكون شفعا لان الشفع يصير وترا بزيادة واحد فكيف يعوز ما لا نهاية له واحد ومحال ان يكون وترا اذ الوتر يصير شفعا بواحد فكيف يعوزها واحد مع انه لا نهاية لاعدادها فيحصل من هذا ان العالم لا يخلو عن الحوادث فهو اذن حادث فاذا ثبت حدوثه كان افتقاره الى المحدث من المدركات بالضرورة **الاصل الثاني** العلم بان الباري تعالى لا يخلو عن الحوادث قديم لم يزل ازلي ليس لوجوده اول بل هو اول كل شي وقبل كل ميت وحي وبرهانه انه لو كان حادثا ولم يكن قديما لافتقر هو ايضا الى محدث وافتقر محدثه الى محدث وتسلسل ذلك الى غير نهاية وما تسلسل لم يتحصل او ينتهي الى محدث قديم هو الاول وذلك هو المطلوب الذي سميناه صانع العالم وباريه ومحدثه ومبديه **الاصل الثالث** العلم بانه مع كونه ازليا ابدي ليس لوجوده آخر فهو الاول والآخر والباطن والظاهر لان ما ثبت قدمه استحال عدمه وبرهانه انه لو انعدم لكان لا يخلو اما ان ينعدم بنفسه او بمعدم يضاده ولو جاز ان ينعدم شي يتصور دوامه بنفسه لجاز ان يوجد شي بنفسه وكما يحتاج طريان الوجود الى سبب فكذلك يحتاج طريان العدم الى سبب وباطل ان ينعدم بمعدم يضاده لان ذلك المعدم لو كان قديما لما تصور الوجود معه وقد ظهر بالاصلين السابقين وجوده وقدمه فكيف كان وجوده في القدم ومعه ضده وان كان الضد المعدم حادثا كان محالا اذ ليس الحادث في مضادته للقديم حتى يقطع وجوده باولى من القديم في مضادته الحادث حتى يدفع وجوده بل الدفع اهون من القطع والقديم اقوى من الحادث **الاصل الرابع** العلم بانه ليس بجوهر متحيز بل يتعالى ويتقدس عن مناسبة الحيز وبرهانه ان كل جوهر متحيز فهو مختص بحيزه ولا يخلو من ان يكون ساكنا فيه او متحركا عنه فلا يخلو عن الحركة والسكون وهما حادثان وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث ولو تصور جوهر متحيز قديم لكان يعقل قدم جواهر العالم فان سماه مسمى جوهرا ولم يرد به المتحيز كان مخطئا من حيث اللفظ لا من حيث المعنى **الاصل الخامس** العلم بانه تعالى ليس بجسم مؤلف من جواهر اذ الجسم عبارة عن المؤتلف من الجواهر واذا بطل كونه جوهرا مخصوصا بحيز بطل كونه جسما لان كل جسم مختص بحيز ومركب من جوهر وجوهر ويستحيل خلوه عن الافتراق والاجتماع والحركة والسكون والهيئة والمقدار وهذه سمات الحدث ولو جاز ان يعتقد ان صانع العالم جسم لجاز ان يعتقد الالهية للشمس والقمر او لشي آخر من اقسام الاجسام فان تجاسر متجاسر على تسميته تعالى جسما من غير ارادة التأليف من الجواهر كان ذلك غلطا في الاسم مع الاصابة في نفي معنى الجسم **الاصل السادس** العلم بانه ليس بعرض قائم بجسم او حال في محل لان العرض ما يحل في الجسم وكل جسم فهو حادث ويكون محدثه موجودا قبله وكيف يكون حالا في الجسم وقد كان موجودا في الازل وحده وما معه غيره ثم احدث الاجسام والاعراض بعده ولانه عالم قادر مريد خالق كما سيأتي وهذه الاوصاف تستحيل على الاعراض بل لا تعقل الا الموجود قائم بنفسه مستقل بذاته وقد تحصل من هذه الاصول انه موجود قائم بنفسه ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض وان العالم كله جواهر واعراض واجسام فاذن لا يشبه شيئا ولا يشبهه شي بل هو الحي القيوم الذي ليس كمثله شي وانى يشبه المخلوق خالقه والمقدر مقدره والمصور مصوره والاجسام والاعراض كلها من خلقه وصنعه فاستحال القضاء عليها بمماثلته ومشابهته **الاصل السابع** العلم بان الله تعالى منزه الذات عن الاختصاص بالجهات فان الجهة اما فوق واما اسفل واما يمين او شمال او قدام او خلف وهذه الجهات هو الذي خلقها واحدثها بواسطة خلق الانسان اذ خلق له طرفين احدهما يعتمد على الارض ويسمى رجلا والآخر يقابله ويسمى راسا فحدث اسم الفوق لما يلي جهة الراس واسم السفل لما يلي جهة الارض حتى ان النملة التي تدب منكسة تحت السقف ينقلب جهة الفوق في حقها تحتا وان كان في حقنا فوقا وخلق للانسان اليدين واحدهما اقوى من الآخر في الغالب فحدث اسم اليمين للاقوى واسم الشمال لما يقابله وتسمى الجهة التي تلي اليمين يمينا والاخرى شمالا وخلق له جانبين يبصر من احدهما ويتحرك اليه فحدث اسم القدام للجهة التي يتقدم اليه بالحركة واسم الخلف لما يقابله فالجهات حادثة بحدوث الانسان ولو لم يخلق الانسان بهذه الخلقة بل خلق مستديرا كالكرة لم يكن لهذه الجهات وجود البتة فكيف كان في الازل مختصا بجهة والجهة حادثة او كيف صار جهة بعد ان لم يكن ابان خلق العالم تحته وتعالى عن ان يكون له تحت اذ تعالى عن ان يكون له رجل والتحت عبارة عما يلي جهة الرجل فكل ذلك مما يستحيل في العقل ولان المعقول من كونه مختصا بجهة انه مختص بحيز اختصاص الجوهر او مختص بالجوهر اختصاص العرض وقد ظهر استحالة كونه جوهرا او عرضا فاستحال كونه مختصا بالجهة فان اريد بالجهة غير هذين المعنيين كان غلطا في الاسم مع المساعدة على المعنى ولانه لو كان فوق العالم لكان محاذيا له وكل محاذ لجسم فاما ان يكون مثله او اصغر او اكبر وكل ذلك تقدير محوج الى مقدر ويتعالى عنه الخالق المدبر فاما رفع الايدي عند السؤال الى جهة السماء فهو لانها قبلة الدعاء وفيه ايضا اشارة الى ما هو وصف للمدعو من الجلال والكبرياء تنبيها بقصد جهة العلو على صفة المجد والعلاء فانه تعالى فوق كل موجود بالقهر والاستيلاء **الاصل الثامن** العلم بانه تعالى مستو على العرش بالمعنى الذي اراده الله تعالى بالاستواء وهو الذي لا ينافي وصف الكبرياء ولا يتطرق اليه سمات الحدوث والفناء وهو الذي اريد بالاستواء الى السماء حيث قال في القران ثم استوى الى السماء وهي دخان وليس ذلك الا بطريق القهر والاستيلاء كما قال الشاعر

قد استوى بشر على العراق ... من غير سيف ودم مهراق

واضطر اهل الحق الى هذا التاويل كما اضطر اهل الباطل الى تاويل قوله وهو معكم اينما كنتم اذ حمل بالاتفاق على الاحاطة والعلم وحمل قوله عليه السلام قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن

على القدرة والقهر وحمل قوله عليه السلم الحجر الاسود يمين الله في الارض على التشريف والاكرام لانه لو ترك على ظاهره للزم منه
المحال فكذا الاستوآء لو ترك على الاستقرار والتمكن منه لزم منه كون المتمكن جسما مماسا للعرش اما مثله او اكبر او اصغر وذلك محال
وما يؤدي الى المحال فهو محال الاصل الرابع العلم بانه تعالى مع كونه منزها عن الصورة والاقدار مقدسا عن الجهات والاقطار
مرئي بالاعين والابصار في الدار الاخرة لقوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ولا يرى في الدنيا تصديقا لقوله تعالى
لا تدركه الابصار ولقوله تعالى في خطاب موسى لن تراني وليت شعري كيف عرف المعتزلي من صفة رب الارباب ما جهله موسى
او كيف سال موسى الرؤية مع كونها محالا ولعل الجهل بذوي البدع والاهوآء من الجهلة الاغبيا اولى من الجهل بالانبيا واما
وجه اجرآء اية الرؤية على الظاهر لانه غير مؤد الى المحال فان الرؤية نوع كشف وعلم الا انه اتم واوضح من العلم فاذا جاز تعلق العلم به وليس
في جهة جاز تعلق الرؤية وكما يجوز ان يرى الله الخلق وليس في مقابلتهم جاز ان يراه من غير مقابلة وكما جاز ان يعلم من غير كيفية
وصورة جاز ان يرى كذلك من غير كيفية وصورة الاصل الخامس العلم بان الله واحد لا شريك له فرد لا ند له انفرد بالخلق والابداع
واستبد بالايجاد والاختراع لا مثل يساهمه ويساويه ولا ضد له ينازعه وينازيه وبرهانه قوله تعالى لو كان فيهما الهة الا الله
لفسدتا وبيانه انهما لو كانا اثنين واراد احدهما امرا فالثاني ان كان مضطرا الى مساعدته كان هذا الثاني مقهورا عاجزا ولم يكن
الها قادرا وان كان قادرا على مخالفته ومدافعته كان الثاني قويا قاهرا والاول ضعيفا فلم يكن الها الركن الثاني
العلم بصفات الله تعالى ومداره على عشرة اصول الاصل الاول العلم بان صانع العالم قادر وانه تعالى صادق في قوله وهو
على كل شيء قدير لان العالم محكم في صنعته ومن راى ثوبا من ديباج حسن النسج والتاليف متناسب التطريز والتطريف ثم توهم صدور
نسجه من ميت لا استطاعة له او انسان لا قدرة له كان منخلعا عن غريزة العقل ومنخرطا في سلك اهل الغباوة والجهل ٥
الاصل الثاني العلم بانه تعالى عالم بجميع الموجودات ومحيط بكل المخلوقات لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الارض والسما
صادق في قوله وهو بكل شيء عليم ومرشد الى صدقه بقوله الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ارشدك الى الاستدلال بالخلق على
العلم لانك لا تستريب في دلالة الخلق اللطيف والصنع المزين بالترتيب ولو في الشيء الحقير الطفيف على علم الصانع بكيفية الترتيب
والترصيف فما ذكره الله سبحانه هو المنتهى في الهداية والتعريف الاصل الثالث العلم بكونه حيا فان من ثبت علمه وقدرته
ثبت بالضرورة حيوته ولو تصور عالم قادر مدبر دون ان يكون حيا فان من ثبت علمه وقدرته ثبت بالضرورة حيوته لجاز
ان يشك في حيوة الحيوانات عند ترددها في الحركات والسكنات بل في حيوة الحيوانات ارباب الحرف والصناعات وذلك
انغماس في غمرة الجهالات الاصل الرابع العلم بكونه تعالى مريدا لافعاله فلا موجود الا وهو مستند الى مشيته وصادر
عن ارادته فهو المبدي المعيد الفعال لما يريد وكيف لا يكون مريدا وكل فعل صدر منه امكن ان يصدر منه ضده وما لا ضد له امكن
ان يصدر منه ذلك بعينه قبله وبعده والقدرة تناسب الضدين والوقتين مناسبة واحدة فلا بد من ارادة صارفة للقدرة الى احد
المقدورين ولو اغنى العلم عن الارادة في تخصيص المعلوم حتى يقال انما وجد في الوقت الذي سبق العلم بوجوده لجاز ان يغني عن القدرة
حتى يقال وجد بغير قدرة لانه سبق العلم بوجوده الاصل الخامس انه تعالى سميع بصير لا يعزب عن رؤيته هواجس الضمير وخفايا
الوهم والتفكر ولا تشذ عن سمعه صوت دبيب النملة السودآ في الليلة الظلمآ على الصخرة الصمآ فكيف لا يكون سميعا بصيرا والسمع
والبصر كال لا محالة وليس بنقص فكيف يكون المخلوق اكمل من الخالق والمصنوع اشرف واتم من الصانع وكيف تعتدل القسمة مهما وقع
النقص في جهته والكمال في خلقه وصنعه او كيف تستقيم حجة ابرهيم على ابيه اذ كان يعبد الاصنام جهلا وغيا فقال له لم

تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا ولو انقلب عليه ذلك لاضحت حجته داحضة ودلالته ساقطة ولم يصدق قوله
تعالى وتلك حجتنا اتيناها ابرهيم على قومه الاية وكما عقل كونه فاعلا بلا جارحة وعالما بلا قلب ودماغ فليعقل كونه سميعا
بصيرا بلا حدقة واذن اذ لا فرق بينهما الاصل السادس انه تعالى متكلم بكلام وهو وصف قائم بذاته ليس بحرف ولا
صوت بل لا يشبه كلامه كلام غيره كما لا يشبه وجوده وجود غيره والكلام بالحقيقة كلام النفس وانما الاصوات قطعت حروفا للدلالة
كما يدل عليها تارة بالحركات والاشارات وكيف التبس هذا على طائفة من الاغبيا ولم يلتبس على جهال الشعرآء ان الكلام لفي الفؤاد وانما
جعل اللسان على الفؤاد دليلا ومن لم يعقله عقله ولا نهاه نهاه عن ان يقول لساني حادث ولكن ما يحدث فيه بقدرتي الحادثة قديم
فاقطع عن عقله طمعك وكف عن خطابه لسانك ومن لم يفهم ان القديم عبارة عما ليس قبله شيء وان البآء قبل السين في قولك
بسم الله فلا يكون السين المتاخر عن البآء قديما فنزه عن الالتفات اليه قلبك فلله سر في ابعاد بعض العباد ومن يضلل الله فما له من
هاد ومن استبعد ان يسمع موسى في الدنيا كلاما ليس بصوت فليستنكر ان يرى في الاخرة موجودا ليس بجسم ولا لون فان عقل ان
يرى ما ليس بلون ولا جسم ولا قدر وكمية وهو الى الان لم ير غيره فليعقل في حاسة السمع ما عقله في حاسة البصر وان عقل ان يكون
له علم واحد هو علم بجميع الموجودات فليعقل صفة واحدة للذات هو كلام بجميع ما دل عليه بالعبارات وان عقل كون السموات
السبع والجنة والنار مكتوبة في ورقة صغيرة ومحفوظا في مقدار ذرة من القلب ومرئيا في مقدار عدسة من الحدقة من غير ان
يحل ذات السموات والجنة والنار في الحدقة والورقة فليعقل كون الكلام مقروءا بالالسنة محفوظا بالقلوب مكتوبا في المصاحف
من غير حلول ذات الكلام اذ لو حل ذات الله تعالى بكتبة اسمه في الورق لحل ذات النار بكتبة اسمها في الورق ولاحترق الاصل
السابع ان كلامه القائم بنفسه قديم وكذا جميع صفاته اذ يستحيل ان يكون محلا للحوادث داخلا تحت التغير بل يجب
للصفات من نعوت القدم ما يجب للذات فلا تعتريه التغيرات ولا تحله الحادثات بل لم يزل في قدمه موصوفا بمحامد الصفات ولا يزال
في ابده كذلك منزها عن تغير الحالات لان محل الحوادث لا يخلو عنها وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث وانما ثبت نعت الحدثان ٥
للاجسام من حيث تعرضها للتغير وتقلب الاوصاف فكيف يكون خالقها شاركا لها في قبول التغير وبني على هذا ان كلامه قديم قائم
بذاته وانما الحادث هي الاصوات الدالة عليه كما عقل قيام طلب التعلم وارادته بذات الولد قبل ان يخلق ولده حتى اذا خلق ولده
وعقل وخلق الله له علما بما في قلب ابيه من الطلب صار مامورا بذلك الطلب الذي قام بذات ابيه ودام وجوده الى وقت
معرفة ولده فليعقل قيام الطلب الذي دل عليه قوله اخلع نعليك بذات الله ويصير موسى مخاطبا به بعد وجوده اذ خلقت
له معرفة بذلك الطلب وسمع لذلك الكلام القديم الاصل الثامن ان علمه قديم فلم يزل عالما بذاته وصفاته وما يحدثه
من مخلوقاته ومهما حدثت المخلوقات لم يحدث له علم بها بل حصلت مكشوفة له بالعلم الازلي اذ لو خلق لنا علم بقدوم زيد عند
طلوع الشمس معلوما لنا بذلك العلم تقديرا حتى طلعت الشمس لكان قدوم زيد عند الطلوع معلوما لنا بذلك العلم من غير
تجدد علم اخر فهكذا ينبغي ان يفهم قدم علم الله تعالى الاصل التاسع ان ارادته قديمة وهي في القدم تعلقت باحداث
الحوادث في اوقاتها اللائقة بها على وفق سبق العلم الازلي اذ لو كانت حادثة لصار محل الحوادث ولو حدثت في غير ذاته لم
يكن هو مريدا بها كما لا تكون انت متحركا بحركة ليست في ذاتك وكيفما قدرت فيفتقر حدوثها الى ارادة اخرى وكذلك الارادة
الاخرى تفتقر الى اخرى ويتسلسل الامر الى غير نهاية ولو جاز ان يحدث ارادة بغير ارادة لجاز ان يحدث العالم بغير ارادة ٥
الاصل العاشر ان الله تعالى عالم بعلم حي بحيوة قادر بقدرة مريد بارادة ومتكلم بكلام وسميع بسمع وبصير ببصر وله هذه

الاوصاف من هذه الصفات القديمة وقول القائل عالم بلا علم كقول القائل غنى بلا مال وعلم بلا عالم وعالم بلا معلوم فان العلم والمعلوم والعالم متلازمة كالقتل والقاتل والمقتول وكما لا يتصور قاتل بلا قتل فكذلك لا يتصور عالم بلا علم وعلم بلا معلوم ومعلوم بلا علم بل هذه الثلثة متلازمة في العقل لا ينفك بعض منها عن البعض فمن جوز انفكاك العالم عن العلم فليجوز انفكاكه عن المعلوم وانفكاك العلم عن العالم اذ لا فرق بين هذه الاوصاف

الركن الثالث

العلم بافعال الله تعالى ومداره على عشرة اصول

الاصل الاول العلم بان كل حادث في العالم فهو فعله وخلقه واختراعه لا خالق سواه ولا محدث الا اياه خلق الخلق وصنعتهم واوجد قدرتهم وحركتهم فجميع افعال عباده مخلوقة له ومقدورة بقدرته تصديقا له بقوله تعالى خالق كل شيء وفي قوله والله خلقكم وما تعملون وفي قوله واسروا قولكم او اجهروا به انه عليم بذات الصدور الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير امر العباد بالتحرز في اقوالهم واسرارهم واضمارهم لعلمه بموارد افعالهم واستدل على العلم بالخلق وكيف لا يكون خالقا لفعل العبد وقدرته تامة لا قصور فيها وهي متعلقة بحركات ابدان العباد والحركات متماثلة وتعلق القدرة بها لذاتها فما الذي يقصر تعلقها عن بعض الحركات دون بعض مع تماثلها وكيف يكون الحيوان مستبدا بالاختراع ويصدر من العنكبوت والنحل وسائر الحيوانات من لطائف الصناعات ما يتحير فيه عقول ذوي الالباب فكيف انفردت هي باختراعها دون رب الارباب وهي غير عالمة بتفصيل ما يصدر منها من الاكتساب ذلت المخلوقات وتفرد بالملك والملكوت جبار السموات

الاصل الثاني ان انفراد الله باختراع حركات العباد لا يخرجها عن كونها مقدورة للعباد على سبيل الاكتساب بل الله خلق القدرة والمقدور جميعا وخلق الاختيار والمختار فاما القدرة فوصف للعبد وخلق للرب وليس بكسب له واما الحركة فخلق للرب ووصف للعبد وكسب له فانها خلقت مقدورة بقدرة هي وصفه وكان للحركة نسبة الى صفة اخرى تسمى قدرة تسمى باعتبار تلك النسبة كسبا وكيف تكون جبرا محضا وهو بالضرورة يدرك التفرقة بين الحركة المقدورة والرعدة الضرورية وكيف يكون خلقا للعبد وهو لا يحيط علما بتفاصيل اجزاء الحركات المكتسبة واعدادها واذا بطل الطرفان لم يبق الا الاقتصاد في الاعتقاد وهو انها مقدورة بقدرة الله تعالى اختراعا وبقدرة العبد على وجه آخر من التعلق يعبر عنه بالاكتساب وليس من ضرورة تعلق القدرة بالمقدور ان يكون بالاختراع فقط اذ قدرة الله في الازل كانت متعلقة بالعالم ولكن لم يكن الاختراع حاصلا بها وهو عند الاختراع متعلق به نوعا آخر من التعلق فيه يظهر ان تعلق القدرة ليس مخصوصا بحصول المقدور بها

الاصل الثالث ان فعل العبد وان كان كسبا للعبد فلا يخرج عن كونه مرادا لله تعالى فلا يجري في الملك والملكوت طرفة عين ولا فلتة خاطر ولا لفتة ناظر الا بقضاء الله وقدرته وبارادته ومشيته فمنه الخير والشر والنفع والضر والاسلام والكفر والعرفان والنكر والفوز والخسران والغواية والرشد والطاعة والعصيان والشرك والايمان لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه يضل من يشاء ويهدي من يشاء لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ويدل عليه من النقل قول الامة قاطبة ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وقوله تعالى ولو يشاء الله لهدى الناس جميعا وقوله تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ويدل عليه من العقل ان المعاصي والجرائم ان كان الله يكرهها ولا يريدها وانما هي جارية على وفق ارادة ابليس لعنه الله مع انه عدو الله فالجاري على وفق ارادة العدو اكثر من الجاري على وفق ارادته وليت شعري كيف يستجيز المسلم ان يرد ملك الجبار ذي الجلال والاكرام الى رتبة لو ردت اليها رياسة زعيم ضيعة لاستنكف منها اذ لو كان ما يستتب لعدو الزعيم في القرية اكثر مما يستتب له لاستنكف عن زعامته وتبرأ عن ولايته والمعصية هي الغالبة على الخلق وكل ذلك جار عند المبتدعة على خلاف ارادة الحق وهذا غاية الضعف والعجز تعالى رب الارباب عن قول الظالمين علوا كبيرا ثم مهما ظهر ان افعال العباد مخلوقة لله تعالى صح انه مريد له فان قيل وكيف ينهى عما يريد ويامر بما لا يريد قلنا الامر غير الارادة ولذلك اذا ضرب السيد عبده فعاتبه السلطان عليه فاعتذر بتمرد عبده عليه فكذبه السلطان فاراد اظهار حجته بان يامر عبده بفعل ويخالفه بين يديه فقال له اسرج هذه الدابة بمشهد من السلطان فهو يامره بما لا يريد امتثاله ولو لم يكن امرا لما كان عذره عند السلطان ممهدا ولو كان مريدا لامتثاله لكان مريدا لهلاك نفسه وهو محال

الاصل الرابع ان الله تعالى متفضل بالخلق والاختراع ومتطول بتكليف العباد ولم يكن الخلق والتكليف واجبا عليه وقالت المعتزلة وجب عليه ذلك لما فيه من مصلحة العباد وهو محال اذ هو الموجب والآمر والناهي وكيف يتهدف لايجاب او يتعرض للزوم وخطاب والمراد بالواجب احد الامرين اما الفعل الذي في تركه ضرر اما آجل كما يقال يجب على العبد ان يطيع الله او ضرر عاجل كما يقال يجب على العطشان ان يشرب حتى لا يموت واما ان يراد به الذي يؤدي عدمه الى محال كما يقال وجود المعلوم واجب اذ يؤدي عدمه الى محال وهو ان يصير العلم جهلا فان اراد الخصم بان الخلق واجب على الله المعنى الاول فقد عرضه للضرر وان اراد به المعنى الثاني فهو مسلم اذ بعد سبق العلم لا بد من وجود المعلوم وان اراد به معنى ثالثا فهو غير مفهوم وقوله يجب لمصلحة عباده كلام فاسد فانه لم يتضرر بترك مصلحة العباد فلم يكن للوجوب في حقه معنى ثم مصلحة العباد في ان يخلقهم في الجنة فاما ان يخلقهم في دار البلايا ويعرضهم للخطايا ثم يهدفهم لخطر العقاب وهول العرض والحساب فما في ذلك غبطة عند ذوي الالباب

الاصل الخامس انه يجوز على الله سبحانه ان يكلف عباده ما لا يطيقونه خلافا للمعتزلة ولو لم يجز ذلك لاستحال سؤال دفعه وقد سألوا ذلك فقالوا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ولان الله اخبر نبيه بان ابا جهل لا يصدقه ثم امره بان يصدقه في جميع اقواله وكان من جملة اقواله انه لا يصدقه فكيف يصدقه في انه لا يصدقه وهل هذا الا محال وجوده

الاصل السادس ان لله تعالى ايلام الخلق وتعذيبهم من غير جرم سابق ومن غير ثواب لاحق خلافا للمعتزلة لانه متصرف في ملكه لا يتصور ان يعدو تصرفه ملكه والظلم هو عبارة عن التصرف في ملك الغير وهو محال على الله فانه لا يصادف لغيره ملكا حتى يكون تصرفه فيه ظلما ويدل على جواز ذلك وجوده فان ذبح البهائم ايلام لها وما صب عليها من انواع العذاب من جهة الآدميين لم يتقدمها جريمة فان قيل ان الله تعالى يحشرها ويجازيها على قدر ما قاسيها من الآلام ويجب ذلك على الله فنقول من زعم انه يجب على الله احياء كل نملة وطئت وكل بقة عركت حتى يثيبها على آلامها فقد خرج عن الشرع والعقل اذ يقال وصف الثواب والحشر بكونه واجبا عليه ان كان المراد به انه يتضرر بتركه فهو محال وان اريد به غيره فقد سبق انه غير مفهوم اذا خرج عن المعاني المذكورة للواجب

الاصل السابع انه يفعل بعباده ما يشاء فلا يجب عليه رعاية الاصلح لعباده لما ذكرناه من انه لا يجب عليه شيء بل لا يعقل في حقه فانه لا يسأل عما يفعل وهم يسألون فليت شعري ثم يجيب في قوله ان الاصلح واجب عليه عن مسئلة نعرضها عليهم وهو ان نفرض مناظرة في الآخرة بين صبي مات مسلما وبين بالغ مات مسلما فان الله يزيد في درجات البالغ ويفضله على الصبي لانه تعب بالايمان والطاعات بعد البلوغ ويجب عليه ذلك عند المعتزلي فلو قال الصبي يا رب لم رفعت منزلته علي فيقول لانه بلغ واجتهد في الطاعة فيقول الصبي انت امتني في الصبا وكان يجب ان تديم حياتي حتى ابلغ فاجتهد فقد عدلت عن العدل في التفضل عليه بطول العمر دوني فلم فضلته فيقول الله لاني علمت انك لو بلغت لاشركت او عصيت وكان الاصلح لك الموت في الصبا هذا عذر المعتزلي عن الله وعند هذا ينادي الكفار من دركات اللظى ويقولون اما علمت اننا اذا بلغنا اشركنا فهلا امتنا في الصبا فانا رضينا بما دون منزلة الصبي المسلم فبماذا يجاب عن ذلك وهل يجب عند هذا القطع بان الامور الالهية تتعالى بحكم الجلال عن ان توزن بميزان اهل الاعتزال فان قيل مهما قدر على رعاية صلاح العباد ثم سلط عليهم اسباب العذاب كان ذلك قبيحا

ذلك

الحكيم بان

لا يليق بالحكمة قلنا معنى القبيح ما لا يوافق الغرض حتى قد يكون الشيء عند شخص حسنا وعند غيره قبيحا اذا وافق غرض احدهما دون
الآخر حتى يستقبح قتل الشخص اولياؤه ويستحسنه اعداؤه فان اريد بالقبيح ما لا يوافق غرض الباري فهو محال اذ لا غرض له
فلا يتصور منه قبح كما لا يتصور منه ظلم اذ لا يمكنه التصرف في ملك الغير وان اريد بالقبيح ما لا يوافق غرض الغير فلم قلتم ان ذلك
محال وهل هذا الا مجرد تشهي يشهد بخلافه ما فرضناه من تخاصم اهل النار ثم الحكيم معناه العالم بحقائق الاشياء والقادر على احكام فعلها
على وفق وهذا من اين يوجب رعاية الاصلح واما الحكيم منا يراعي الاصلح نظراً لنفسه ليستفيد به في الدنيا ثناء او ثوابا في الآخرة او يدفع
عن نفسه به رحمة ورقة وكل ذلك على الله محال **الاصل الثامن** ان معرفة الله وطاعته واجبة بايجاب الله وشرعه لا بالعقل خلافا للمعتزلة
لان العقل ان اوجب الطاعة لا يخلو اما ان يوجبه لغير فائدة وهو محال فان العقل لا يوجب العبث واما ان يوجبه الطاعة لا يخلو
اما ان يوجبه لفائدة وغرض وذلك لا يخلو اما ان يرجع الى غرض العبد وهو محال لانه لا غرض له في الحال بل يتعب به وينصرف
عن الشهوات بسببه وليس في المآل الا الثواب ومن اين يعلم ان الله تعالى يثيب على المعرفة والطاعة ولا يعاقب عليهما مع
ان الطاعة والمعصية في حقه يتساويان اذ ليس له الى احدهما ميل ولا لاحدهما به اختصاص وانما عرف تميز ذلك بالشرع
ولقد اخذ هذا من المقايسة بين الخالق والمخلوق حيث يفرق المخلوق بين الشكر والكفران لما له من الارتياح والاهتزاز و
التلذذ باحدهما دون الآخر فان قيل فاذا لم يجب النظر والمعرفة الا بالشرع والشرع لا يستقر ما لم ينظر المكلف فيه فاذا قال
المكلف للنبي ان العقل ليس يوجب علي والشرع لا يثبت الا بالنظر ولست اقدم على النظر ادى الى افحام الرسول قلنا هذا يضا
هي قول القائل للواقف في موضع من المواضع ان وراءك سبعا ضاريا فان لم تبرح عن المكان فهلكت وان التفت وراءك
ونظرت وعرفت صدقي فيقول الواقف لا يثبت صدقك ما لم التفت ورائي ولا انظر ما لم يثبت صدقك فيدل هذا على حماقة
هذا القائل وتهدفه للهلاك ولا ضرر فيه على الهادي المرشد فكذلك النبي يقول وراءكم الموت ودونه السباع الضارية والنيران
المحرقة ان لم تأخذوا منها حذركم وتعرفون صدقي بالالتفات الى معجزتي فمن التفت عرف واحترز ومن لم يلتفت واصر هلك
وتردى ولا ضرر علي ان هلك الناس كلهم اجمعون وانما علي البلاغ والشرع يعرف وجود السباع الضارية بعد الموت والعقل آلة
يفيد فهم كلامه والاحاطة بامكان ما يقوله في المستقبل والعقل يستحث على الحذر من الضرر ومعنى كون الشيء واجبا ان في تركه
ضرر ومعنى كون الشرع موجبا انه معرف للضرر المتوقع فان العقل لا يهدي الى التهدف للضرر بعد الموت عند اتباع الشهوات
فهذا معنى الشرع والعقل وتأثيرهما في تقرير الواجب ولولا خوف العقاب على ترك ما امر به لم يكن الواجب ثابتا اذ لا معنى للواجب
الا ما يرتبط بتركه ضرر في الآخرة **الاصل التاسع** انه ليس يستحيل بعثة الانبياء خلافا للبراهمة حيث قالوا لا فائدة في بعثتهم
اذ في العقل مندوحة عنهم وهذا باطل لان العقل لا يهدي الى الافعال المنجية في الآخرة كما لا يهدي الى الادوية المفيدة للصحة
فحاجة الخلق الى الانبياء كحاجتهم الى الاطباء ولكن يعرف صدق الطبيب بالتجربة ويعرف صدق النبي بالمعجزة **الاصل العاشر**
ان الله قد ارسل محمدا صلى الله عليه وسلم خاتما للنبيين وناسخا لما قبله من شرائع اليهود والنصارى والصابئين وايده بالمعجزات
الظاهرة والآيات الباهرة التي تحدى بها كانشقاق القمر وتسبيح الحصى وانطاق العجماء وما انفجر من الماء من بين اصابعه ومن آياته الظاهرة
التي تحدى بها مع كافة العرب القرآن فانهم مع تميزهم بالفصاحة والبلاغة تهدفوا لسبيه ونهبه وقتله ولم يقدروا على معارضته بمثله
اذ لم يكن في قدرة البشر الجمع بين جزالة القرآن فانهم مع تميزهم بالفصاحة والبلاغة ونظمه هذا مع ما فيه من اخبار الاولين مع كونه
اميا غير ممارس للكتب والانباء عن الغيب في امور تحقق فيها صدقه في الاستقبال كقوله لتدخلن المسجد الحرام آمنين محلقين رؤوسكم

رؤوسكم ومقصرين وكقوله تعالى الم غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون ووجه دلالة المعجزة على صدق
الرسل ان كل ما عجز عنه البشر لم يكن الا فعلا لله تعالى فمهما كان مقرونا بتحدي النبي صلى الله عليه وسلم تنزل منزلة قوله صدقت وذلك
مثل القائم بين يدي الملك المدعي على رعيته انه رسول الملك اليهم فانه مهما قال للملك ان كنت صادقا فقم على سريرك ثلاثا
واقعد على خلاف عادتك ففعل الملك ذلك حصل للحاضرين علم ضروري بان ذلك نازل منزلة قوله صدقت **الركن الرابع**
السمعيات وتصديقه صلى الله عليه وسلم فيما اخبر عنه ومداره على عشرة اصول **الاصل الاول** الحشر
والنشر وقد ورد بهما الشرع وهو حق والتصديق به واجب لانه في العقل ممكن ومعناه الاعادة بعد الافناء وذلك مقدور لله تعالى
كابتداء الانشاء قال الله تعالى قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي انشأها اول مرة فاستدل بالابتداء على الاعادة
وقال ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة والاعادة ابتداء ثان فهو ممكن كالابتداء الاول **الاصل الثاني** سؤال منكر و
نكير وقد وردت به الاخبار فيجب التصديق به لانه ممكن اذ ليس يستدعي الا اعادة الحيوة في الاجزاء التي بها فهم الخطاب وذلك ممكن
في نفسه ولا يدفع ذلك ما نشاهد من سكون اجزاء الميت وعدم سماعنا السؤال فان النائم ساكن بظاهره ويدرك من باطنه من الالم
ما يحس باثره عند التنبه وكان يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم كلام جبرئيل ويشاهده ومن حوله لا يسمعونه ولا يرونه
ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء فاذا لم يخلق لهم السمع والرؤية لم يدركوه **الاصل الثالث** عذاب القبر وقد ورد
الشرع به قال الله تعالى النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب واشتهر
من رسول الله صلى الله عليه وسلم والسلف الصالحين الاستعاذة من عذاب القبر وهو ممكن فيجب التصديق به ولا يمنع من التصديق
تفرق اجزاء الميت في بطون السباع وحواصل الطير فان المدرك لالم العذاب من الحيوان اجزاء مخصوصة يقدر الله تعالى على اعادة الادراك
اليها **الاصل الرابع** الميزان قال الله تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيمة وقال تعالى فمن ثقلت موازينه ووجهه ان
الله تعالى يحدث في صحائف الاعمال وزنا بحسب درجات الاعمال عند الله فيصير مقادير اعمال العباد معلومة للعباد حتى يظهر لهم
العدل في العقاب او الفضل في العفو وتضعيف الثواب **الاصل الخامس** الصراط وهو جسر ممدود على متن النار ادق من الشعر
واحد من السيف قال الله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم وقفوهم انهم مسؤولون ممكن فيجب التصديق به فان القادر على ان يطير الطير
في الهواء قادر على ان يسير الانسان على الصراط **الاصل السادس** ان الجنة والنار مخلوقتان قال الله تعالى وسارعوا الى مغفرة من
ربكم وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين فقوله اعدت دليل على انها مخلوقة فيجب اجراؤها على الظاهر اذ لا استحالة فيه
ولا يقال لا فائدة في خلقهما قبل يوم الجزاء لان الله تعالى لا يسأل عما يفعل وهم يسألون **الاصل السابع** ان الامام الحق
بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم ولم يكن نص رسول الله صلى الله عليه وسلم
على امام اصلا اذ لو كان لكان اولى بالظهور من نصبه آحاد الولاة والامراء على الجنود في البلاد ولم يخف ذلك فكيف خفي هذا
وان خفي كيف اندرس حتى لم ينقل الينا فلم يكن ابو بكر اماما الا بالاختيار والبيعة واما تقدير النص على غيره فهو نسبة الصحابة كلهم
الى مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرق الاجماع وذلك مما لم يستجرأ على اختراعه الا الروافض واعتقاد اهل السنة تزكية
جميع الصحابة والثناء عليهم كما اثنى الله سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وما جرى بين معاوية وعلي رضي الله عنهما
كان مبنيا على الاجتهاد لا منازعة من معاوية في الامامة اذ ظن علي رضي الله عنه ان تسليم قتلة عثمان مع كثرة عشائرهم
واختلاطهم بالعسكر يؤدي الى اضطراب الامامة في بدايتها فرأى التأخير اصوب وظن معاوية ان تأخير امرهم مع عظم جنايتهم

يوجب الاغترار بالائمة وبحرص الدنيا للسفل وقد قال افاضل العلماء كل مجتهد مصيب وقال قائلون المصيب واحد
ولم يذهب الى تخطئة علي رضي الله عنه ذو تحصيل اصلا الاصل الثامن ان فضلهم على حسب ترتيبهم في الخلافة
اذ حقيقة الفضل ما هو فضل عند الله تعالى وذلك لا يطلع عليه الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ورد في الثناء على
جميعهم ولا يدرك دقائق الفضل والترتيب فيه الا المشاهدون للوحي والتنزيل بقرائن الاحوال فلولا فهمهم ذلك لما رتبوا الامر
كذلك اذ كانوا لا تاخذهم في الله لومة لائم ولا يصرفهم عن الحق صارف الاصل التاسع ان شرائط الامامة بعد الاسلام والتكليف
خمسة الذكورة والورع والعلم والكفاية ونسب قريش لقوله صلى الله عليه وسلم الائمة من قريش فاذا اجتمع عدد من موصوفين
بهذه الصفات فالامام من انعقدت له البيعة من اكثر الخلق والمخالف للاكثر باغ يجب رده الى الانقياد للحق الاصل
العاشر انه لو تعذر وجود الورع والعلم فيمن يتصدى للامامة وكان في صرفه اثارة فتنة لا تطاق حكمنا بانعقاد امامته
لانا بين ان نحرك فتنة بالاستبدال فما يلقى المسلمون فيه من الضرر يزيد على ما يفوتهم من نقصان هذه الشروط التي اثبتت لمزية
المصلحة فلا يهدم اصل المصلحة شغفا بمزاياها كالذي يبني قصرا ويهدم مصرا وبين ان نحكم بخلو البلاد عن الامام وبفساد الاقضية
وذلك محال ونحن نقضي بنفوذ قضاء اهل البغي في بلادهم لمسيس حاجتهم فكيف لا نقضي الامامة عند الحاجة والضرورة فهذه الاركان
الاربعة الحاوية للاصول الاربعين هي قواعد العقائد فمن اعتقدها كان موافقا لاهل السنة ومباينا لرهط البدعة والله
تعالى يسددنا بتوفيقه ويهدينا الى الحق وتحقيقه بمنه وسعة جوده الفصل الرابع من قواعد العقائد في الايمان والاسلام
وما بينهما من الاتصال والانفصال وما يتطرق اليه من الزيادة والنقصان ووجه استثناء السلف فيه وفيه مسائل ثلاثة
اختلفوا في ان الاسلام هو الايمان او غيره وان كان غيره فهو منفصل يوجد دونه او هو مرتبط به يلازمه فقيل انهما شيء
واحد وقيل انهما شيئان لا يتواصلان وقيل انهما شيئان ولكن يرتبط احدهما بالآخر وقد اورد ابو طالب المكي في هذا الاضطراب
كثير التطويل فلنهجم على التصريح بالحق من غير تعريج على نقل ما لا تحصيل له فنقول في هذا ثلاث مباحث بحث عن موجب اللفظين
في اللغة وبحث عن المراد بهما في اطلاق الشرع وبحث عن حكمهما في الدنيا والآخرة والبحث الاول لغوي والثاني تفسيري و
الثالث فقهي شرعي البحث الاول في موجب اللغة والحق فيه ان الايمان عبارة عن التسليم والاستسلام بالاذعان و
الانقياد وترك التمرد والاباء والعناد وللتصديق محل خاص وهو القلب واللسان ترجمانه واما التسليم فانه عام في القلب
واللسان والجوارح فان كل تصديق بالقلب هو تسليم وترك الاباء والجحود وكذلك الاعتراف باللسان وكذلك الطاعة
والانقياد فموجب اللغة ان الاسلام اعم والايمان اخص وكان الايمان عبارة عن اشرف اجزاء الاسلام فاذن كل تصديق
تسليم وليس كل تسليم تصديقا البحث الثاني عن اطلاق الشرع والحق فيه ان الشرع قد ورد باستعمالهما على الترادف و
التوارد في قوله تعالى فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين ولم يكن بالاتفاق الا بيت واحد
وقال تعالى ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين وقال صلى الله عليه وسلم بني الاسلام على خمس وسئل مرة عن الايمان
فاجاب بهذه الخمس واما الاختلاف فقوله تعالى قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ومعناه استسلمنا في الظاهر
واراد بالايمان ههنا التصديق بالقلب فقط وبالاسلام الاستسلام ظاهرا باللسان والجوارح وفي حديث جبريل سئل عن الايمان فقال
ان تؤمن بالله وكتبه ورسله وبالبعث بعد الموت وبالقدر خيره وشره وقال لما الاسلام فعبر بالاسلام عن تسليم الظاهر
بالقول والعمل وفي حديث سعد انه عليه السلام اعطى رجلا ولم يعط الآخر فقال له سعد يا رسول الله تركت فلانا لم تعطه

ولم تعطه وهو مؤمن فقال او مسلم فاعاد عليه فاعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم وروي ايضا انه سئل وقيل له اي الاعمال
افضل فقال الاسلام فقيل اي الاسلام افضل فقال الايمان وهذا دليل على الاختلاف والتداخل وهو اوفق الاستعمالات
للغة لان الاسلام عمل من الاعمال وهو افضلها الذي بالقلب وهو التصديق الذي يسمى ايمانا والاستعمال لهما على سبيل الاختلاف
وعلى سبيل الترادف كله غير خارج عن طريق التجوز في اللغة اما الاختلاف فهو ان يجعل الايمان عبارة عن التصديق بالقلب فقط
وهو موافق للغة والاسلام عبارة عن التسليم وهو ايضا موافق للغة فان التسليم ببعض محال التسليم ينطلق عليه اسم التسليم
فليس من شرط حصول الاسم عموم المعنى لكل محل يمكن ان يوجد المعنى فيه فان من لمس غيره ببعض بدنه يسمى لامسا وان لم يستغرق
جميع بدنه فاطلاق الاسلام على التسليم الظاهر عند عدم تسليم الباطن مطابق للسان وعلى هذا الوجه جرى قوله قالت الاعراب
آمنا وقوله في حديث سعد او مسلم لانه فضل احدهما عن الآخر فاراد بالاختلاف تفاصل المسميين واما التداخل فموافق ايضا
للغة وهو ان يجعل الاسلام عبارة عن التسليم بالقلب والقول والعمل جميعا والايمان عبارة عن بعض ما دخل في الاسلام
وهو القلب وهو الذي عنيناه بالتداخل وهذا موافق للغة في خصوص الايمان وعموم الاسلام للكل وعلى هذا خرج قوله
الايمان في جواب قول السائل اي الاسلام افضل لانه جعل الايمان خصوصا من الاسلام فادخله فيه واما استعماله على سبيل
الترادف بان يجعل الاسلام عبارة عن التسليم بالقلب والظاهر جميعا فان كل ذلك تسليم وكذا الايمان ويكون التصرف
في الايمان على الخصوص بتعميمه وادخال الظاهر في معناه وهو جائز لان تسليم الظاهر بالقول والعمل ثمرة تصديق الباطن ونتيجته
وقد يطلق اسم الشجر ويراد به الشجر مع ثمره على سبيل التسامح فيصير بهذا القدر من التعميم مرادفا لاسم الاسلام ومطابقا له
ولا يزيد عليه ولا ينقص وعليه خرج قوله فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين البحث الثالث عن الحكم الشرعي وللايمان
حكمان اخروي ودنيوي اما الاخروي فهو الاخراج من النار ومنع التخليد اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج من
النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان وقد اختلفوا في ان هذا الحكم على ماذا يترتب وعبروا عنه بان الايمان ماذا
فمن قائل يقول انه مجرد العقد ومن قائل انه عقد بالقلب وشهادة باللسان ومن قائل يزيد ثالثا وهو العمل بالاركان و
نحن نكشف الغطاء ونقول من جمع بين هذه الثلث فلا خلاف في ان مستقره الجنة وهذه درجة الدرجة الثانية ان يوجد
اثنان وبعض الثالث وهو القول والعقد وبعض الاعمال ولكن ارتكب صاحبه كبيرة او بعض الكبائر فعند هذا قال المعتزلة
خرج بهذا عن الايمان ولم يدخل في الكفر بل اسمه الفاسق وهو على منزلة بين المنزلتين وهو مخلد في النار وهو باطل كما سنذكره
الثالثة ان يوجد التصديق بالقلب والشهادة باللسان دون الاعمال بالجوارح وقد اختلفوا فقال ابو طالب المكي
العمل ولا يتم دونه وادعى الاجماع فيه واستدل بادلة تشعر بنقيض غرضه كقوله الذين آمنوا وعملوا الصالحات اذ هذا
يدل على ان العمل وراء الايمان لا من نفس الايمان والا فيكون العمل في حكم المعاد والعجب انه ادعى الاجماع في ذلك وهو
مع ذلك ينقل قوله صلى الله عليه وسلم لا يكفر احد الا بجحوده لما اقر به وينكر على المعتزلة قولهم بالتخليد في النار بسبب الكبائر
والقائل بهذا قائل بعين مذهب المعتزلة اذ يقال له من صدق بقلبه وشهد بلسانه ومات في الحال فهل هو في الجنة فلا بد وان
يقول نعم وفيه حكم بوجود الايمان دون العمل فنزيد ونقول لو بقي حيا حتى دخل عليه وقت صلوة واحدة فتركها ثم مات
او زنى ثم مات فهل يخلد في النار فاذا قال نعم فهو مراد المعتزلة وان قال لا فهو تصريح بان العمل ليس ركنا من نفس الايمان
ولا شرطا في وجوده ولا في استحقاق الجنة به وان قال اردت به ان يعيش مدة طويلة ولا يصلي ولا يقدم على شيء من الاعمال

الشرعية فما ضبط تلك المدة وما عدد تلك الطاعات التي بتركها يبطل الايمان وما عدد الكبائر التي بارتكابها يبطل الايمان
وهذا لا يمكن التحكم بتقديره ولم يصر اليه صائر اصلا الدرجة الرابعة ان يوجد التصديق بالقلب فقبل ان ينطق باللسان
او يشتغل بالاعمال مات فهل نقول مات مومنا بينه وبين الله وهذا مما اختلف علينا وهذا مما اختلف فيه ومن شرط القول
التمام الايمان يقول هذا مات قبل الايمان وهو فاسد اذ قال صلى الله عليه وسلم يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة
من الايمان وهذا قلبه طافح بالايمان فكيف يخلد ولم يشترط في حديث جبريل الايمان الا التصديق بالله وملائكته واليوم
الآخر كما سبق الدرجة الخامسة ان يصدق بالقلب ويساعده من العمر مهلة النطق بكلمتي الشهادة وعلم وجوبها ولكنه لم
ينطق بها فيحتمل ان يجعل امتناعه عن النطق كامتناعه عن الصلوة ونقول هو مومن غير مخلد في النار والايمان هو التصديق المحض
واللسان ترجمان الايمان ولا بد ان يكون الايمان موجودا بتمامه قبل اللسان حتى يترجمه اللسان وهذا هو الاظهر اذ لا مستند الا
اتباع موجب الالفاظ ووضع اللسان ان الايمان عبارة عن التصديق بالقلب وقد قال يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة
ولا ينعدم الايمان في القلب بالسكوت عن النطق الواجب كما لا ينعدم بالسكوت عن الفعل الواجب وقال قائلون القول ركن
اذ ليس كلمة الشهادة اخبارا عن القلب بل هو انشاء عقد وابتداء شهادة والتزام والاول اظهر وقد غلا في هذا طائفة المرجية
فقالوا هذا لا يدخل النار اصلا وقالوا ان المومن وان عصى فلا يدخل النار وسنبطل ذلك عليهم الدرجة السادسة ان
يقول بلسانه لا اله الا الله محمد رسول الله ولكن لم يصدق بقلبه فلا نشك في ان هذا في حكم الآخرة من الكفار وانه مخلد في النار
ولا نشك في انه في حكم الدنيا الذي يتعلق بالائمة والولاة من المسلمين لان قلبه لا يطلع عليه بقلبه وانما نشك في امر ثالث وهو الحكم
الدنيوي فيما بينه وبين الله وذلك بان يموت له في هذه الحال قريب مسلم ثم يصدق بعد ذلك بقلبه ثم يستفتي ويقول كنت غير مصدق
بالقلب حالة الموت والميراث الآن في يدي فهل يحل لي بيني وبين الله او نكح مسلمة ثم صدق هل يلزمه اعادة النكاح هذا في محل
النظر فيحتمل ان يقال احكام الدنيا منوطة بالقول الظاهر ظاهرا وباطنا ويحتمل ان يقال تناط بالظاهر في حق غيره لان باطنه غير
ظاهر لغيره وباطنه ظاهر له في نفسه بينه وبين الله والاظهر والعلم عند الله انه لا يحل له ذلك الميراث ويلزمه اعادة النكاح و
لذلك كان حذيفة لا يحضر جنازة من يموت من المنافقين وعمر كان يراعي ذلك منه فلا يحضر اذا لم يحضر حذيفة والصلاة فعل
ظاهر في الدنيا وان كان من العبادات والتوقي عن الحرام ايضا من جملة ما يجب لله كالصلاة وليس هذا مناقضا لقولنا ان الارث
حكم الاسلام وهو استسلام بل الاستسلام التام ما يشمل الظاهر والباطن وهذه مباحث فقهية ظنية يبنى على ظواهر الالفاظ
والعمومات والاقيسة فلا ينبغي ان يظن القاصر في العلوم ان المطلب فيه القطع من حيث جرت العادة بايراده في الكلام الذي
يطلب فيه القطع فما افلح من نظر الى العادات والمراسم في العلوم فان قلت فما شبهة المعتزلة والمرجية وما حجة بطلان
قولهم فاقول شبهتهم عمومات القرآن اما المرجية فقالوا لا يدخل المومن النار وان اتى بكل المعاصي لقوله تعالى فمن يومن بربه
فلا يخاف بخسا ولا رهقا ولقوله والذين آمنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون ولقوله كلما القي فيها فوج سالهم خزنتها
الى قوله فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء فقوله كلما القي عام فينبغي ان يكون كل من القي مكذبا ولقوله ما نزل الله من شيء وقوله
من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون والايمان راس الحسنات ولقوله والله يحب المحسنين وقال انا لا نضيع اجر
من احسن عملا ولا حجة لهم في ذلك فانه حيث ذكر الايمان بهذه الآيات اريد به الايمان مع العمل اذ بينا ان الايمان قد
يطلق ويراد به الاسلام وهو الموافقة بالقول والقلب والعمل ودليل هذا التاويل اخبار كثيرة في معاقبة العاصين ومقادير

ومقادير العقاب وقوله يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان فكيف يخرج اذا لم يدخل ومن القرآن قوله تعالى
ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء والاستثناء بالمشية يدل على الانقسام وقوله تعالى ومن يعص الله ورسوله
فان له نار جهنم وتخصيصه بالكفر تحكم وقوله تعالى الا ان الظالمين في عذاب مقيم وقال تعالى ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم
في النار فهذه عمومات في معارضة عموماتهم ولا بد من تسليط التخصيص والتاويل على الجانبين لان الاخبار مصرحة بان العصاة
يعذبون بل قوله تعالى وان منكم الا واردها كالصريح في ان ذلك لا بد منه للكل اذ لا يخلو مومن عن ذنب يرتكبه وقوله تعالى لا
يصلاها الا الاشقى الذي كذب وتولى اراد به من جماعة مخصوصين او اراد بالاشقى شخصا معينا وقوله تعالى كلما القي فيها
فوج اي فوج من الكفار وتخصيص العمومات قريب ومن هذه الآية وقع الاشعري وبعض المتكلمين في انكار صيغ العموم وان هذه
الالفاظ يتوقف فيها الى ظهور قرينة تدل على معناها واما المعتزلة فشبهتهم قوله تعالى واني لغفار لمن تاب وعمل صالحا و
قوله والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وقوله تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا
ثم ننجي الذين اتقوا وقوله تعالى ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم وكل آية ذكر العمل الصالح فيها مقرونا بالايمان وقوله
ومن يقتل مومنا متعمدا فجزاؤه جهنم وهذه العمومات ايضا مخصوصة بدليل قوله ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فينبغي ان يبقى له
مشية في مغفرة ما سوى الشرك وكذلك قوله يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان وقوله ان الله لا يضيع
اجر المحسنين فكيف يضيع اصل الايمان وجميع الطاعات بمعصية واحدة وقوله ومن يقتل مومنا متعمدا اي لايمانه وقد ورد
على مثل هذا السبب فان قلت فقد مال الاختيار الى ان الايمان حاصل دون العمل وقد اشتهر عن السلف قولهم الايمان عقد
وقول وعمل فما معناه قلنا لا يبعد ان يعد العمل من الايمان لانه مكمل له ومتمم كما يقال الراس واليدان من الانسان ومعلوم انه
انه يخرج عن كونه انسانا بعدم الراس ولا يخرج عنه بكونه مقطوع اليد وكذلك يقال التسبيحات والتكبيرات من الصلاة وان كانت
لا تبطل بفقدها فالتصديق بالقلب من الايمان كالقلب من وجود الانسان اذ ينعدم بعدمه وبقية الطاعات كالاطراف و
بعضها اعلى من بعض وقد قال صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مومن والصحابة ما اعتقدوا مذهب المعتزلة في
الخروج عن الايمان بالزنا ولكن معناه غير مومن حقا ايمانا تاما كاملا كما يقال للعاجز المقطوع الاطراف هذا ليس بانسان اي
ليس له الكمال الذي هو وراء حقيقة الانسانية مسئلة فان قلت فقد اتفق السلف على ان الايمان يزيد وينقص يزيد بالطاعة
وينقص بالمعصية واذا كان التصديق هو الايمان فلا يتصور فيه زيادة ونقصان فاقول السلف هم الشهود العدول وما لاحد
عن قولهم عدول فما ذكروه حق وانما الشان في فهمه وفيه دليل على ان العمل ليس من اجزاء الايمان واركان وجوده بل هو مزيد
عليه يزيد به والزائد موجود والناقص موجود والشيء لا يزيد بذاته فلا يجوز ان يقال الانسان يزيد براسه بل يقال يزيد بلحيته
وسمنه ولا يجوز ان يقال الصلاة تزيد بالركوع والسجود بل تزيد بالآداب والسنن فهذا تصريح بان الايمان له وجود ثم بعد الوجود
يختلف حاله بالزيادة والنقصان فان قلت فالاشكال قائم في ان التصديق كيف يزيد وينقص وهو خصلة واحدة فاقول اذا تركنا
المداهنة ولم نكترث بتشغيب من تشغب وكشفنا الغطاء ارتفع الاشكال فنقول الايمان اسم مشترك يطلق من ثلاثة اوجه الاول
انه يطلق للتصديق بالقلب على سبيل الاعتقاد والتقليد من غير كشف وانشراح صدر وهو ايمان العوام بل الخلق كلهم الا
الخواص وهذا الاعتقاد عقدة على القلب تارة تشتد وتقوى وتارة تضعف وتسترخي كالعقدة على الخيط مثلا ولا تستبعد واعتبر
باليهودي في صلابته في عقيدته التي لا يمكن نزوعه عنها بتخويف وتحذير ولا بتخييل ووعظ ولا بتحقيق وبرهان وكذا

النصارى والمبتدعة ومنهم من يمكن تشكيكه بادنى كلام ويمكن استنزاله عن اعتقاده بادنى استمالة او تخويف مع انه غير شاك في عقده
كالاول ولكنهما يتفاوتان في شدة التصميم وهذا موجود في اعتقاد الحق ايضا والعمل يؤثر في نما هذا التصميم وزيادته كما يؤثر
سقي الماء في نماء الاشجار ولذلك قال تعالى فزادتهم ايمانا وقد قال تعالى ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم وكذلك فزادتهم ايمانا و
وقال عليه السلم فيما روي في بعض الاخبار الايمان يزيد وينقص وذلك بتاثير الطاعات في القلب وهذا لا يدركه الا من
راقب احوال نفسه في اوقات المواظبة على العبادة والتجرد لها بحضور القلب مع اوقات الفتور وادراك التفاوت في السكون
الى عقايد الايمان في هذه الاحوال حتى يزيد عقده استعصاء على من يريد حله بالتشكيك بل من يعتقد في اليتيم معنى الرحمة اذا عمل
بموجب اعتقاده فمسح راسه وتلطف به ادرك من باطنه تاكد الرحمة وتضاعفها بسبب العمل وكذلك معتقد التواضع اذا عمل بموجبه
مقبلا او ساجدا لغيره احس من قلبه بالتواضع عند اقدامه على الخدمة وهكذى جميع صفات القلب يصدر منها اعمال الجوارح
ثم يعود اثر الاعمال عليها ويؤكدها ويزيدها وسياتي هذا في ربع المنجيات والمهلكات عند بيان وجه تعلق الباطن بالظاهر و
الاعمال بالعقائد والقلوب فان ذلك من جنس تعلق الملك بالملكوت واعني بالملك عالم الملكوت الشهادة المدرك بالحواس وبالملكوت
عالم الملكوت الغيب المدرك بنور البصيرة والقلب من عالم الملكوت والاعضا واعمالها من اعمال الملك ولطف الارتباط ودقته
بين العالمين انتهى الى حد ظن بعض الناس اتحاد احدهما بالاخر وظن اخرون انه لا عالم الا عالم الشهادة وهو هذه الاجسام المحسوسة
ومن ادرك الامرين وتعددهما ثم ارتباطهما عبر عنه فقال رق الزجاج ورقت الخمر فتشابها فتشاكل الامر فكانما خمر ولا قدح
وكانما قدح ولا خمر ولنرجع الى المقصود فان هذا اعتراض خارج عن علم المعاملة ولكن بين العلمين اتصال وارتباط وكذلك ترى علوم المكاشفة
تتسلق كل ساعة على علوم المعاملة الى ان يكف عنها بالتكليف فهذا وجه زيادة الايمان بالطاعة بموجب هذا الاطلاق ولهذا قال
علي رضي الله عنه ان الايمان ليبدو لمعة بيضا فاذا عمل العبد الصالحات نمت وزادت حتى يبيض القلب كله وان النفاق ليبدو
نكتة سودا فاذا انتهك الحرمات نمت وزادت حتى يسود القلب كله فيطبع على قلبه فذلك الختم وتلا كلا بل ران على قلوبهم
الاية الثاني انه اريد به التصديق والعمل جميعا كما قال الايمان بضع وسبعون بابا وكما قال لا يزني الزاني وهو مؤمن حين يزني
واذا ادخل العمل في مقتضى لفظ الايمان لم يخف زيادته ونقصانه وهل يؤثر ذلك في الايمان الذي هو مجرد التصديق
هذا فيه نظر وقد اشرنا الى انه يؤثر فيه الاطلاق الثالث ان يراد به التصديق اليقيني على سبيل الكشف وانشراح الصدر والمشاهدة
ونور البصيرة وهذا ابعد الاقسام عن قبول الزيادة ولكني اقول الامر اليقيني الذي لا شك فيه يختلف طمانينة النفس اليه
فليس طمانينة النفس الى ان الاثنين اكثر من واحد كطمانينتها الى ان العالم مصنوع حادث وان كان لا شك في واحد منهما بل
اليقينيات في درجات الايضاح ودرجات طمانينة النفس اليه وقد تعرضنا لهذا في فصل اليقين من كتاب العلم في باب علامات
علماء الاخرة فلا حاجة الى الاعادة وقد ظهر في جميع الاطلاقات ان ما قالوه من زيادة الايمان ونقصانه وكيف لا وفي الاخبار
انه يخرج من النار من في قلبه مثقال ذرة من الايمان وفي بعض المواضع في حكم اخر مثقال دينار فاي معنى لاختلاف مقاديرها
ان كان ما في القلب لا يتفاوت مسئلة فان قلت ما وجه قول السلف انا مؤمن ان شا الله والاستثنا شك
والشك في الايمان كفر وقد كانوا كلهم يمتنعون عن جزم الجواب بالايمان ويحترزون منه فقال سفين الثوري من قال انا
مؤمن عند الله فهو من الكذابين ومن قال انا مؤمن حقا فهو بدعة فكيف يكون كاذبا وهو يعلم انه مؤمن في نفسه ومن كان مؤمنا
في نفسه كان مؤمنا عند الله كما ان من كان طويلا او سخيا في نفسه وعلم ذلك كان كذلك عند الله وكذا من كان مسرورا او

او حزينا او سميعا او بصيرا ولو قيل للانسان هل انت حيوان لم يحسن ان يقول انا حيوان ان شا الله ولما قال سفين ذلك قيل له
فماذا نقول قال قولوا امنا بالله وما انزل الينا واي فرق بين ان نقول امنا وبين ان نقول انا مومن وقيل للحسن امؤمن
انت فقال ان شا الله فقال له لم تستثني يا ابا سعيد في الايمان فقال اخاف ان اقول نعم فيقول الله كذبت يا حسن فتحق علي الكلمة وكان
يقول ما يؤمنني ان يكون الله سبحانه قد اطلع علي في بعض ما يكره فمقتني وقال اذهب لا قبلت لك عملا فانا اعمل في غير معمل وقال
ابرهيم اذا قيل لك امؤمن انت فقل لا اله الا الله وقال مرة قل انا لا اشك في الايمان وسوالك اياي بدعة وقيل لعلقمة امؤمن
انت فقال ارجو ان شا الله قال الثوري نحن مؤمنون بالله وملايكته ورسله وما ندري ما نحن عند الله فما معنى هذه الاستثناءات
والجواب ان هذا الاستثنا صحيح وله اربعة اوجه وجهان لا يستندان الى الشك لا في اول الذي لا يستند الى الشك الاحتراز
خيفة ما فيه من تزكية النفس قال الله تعالى فلا تزكوا انفسكم وقال الم تر الى الذين يزكون انفسهم ثم قال انظر كيف يفترون
على الله الكذب وقيل لحكيم ما الصدق القبيح فقال ثنا الانسان على نفسه والايمان من اعلى صفات المجد والجزم تزكية مطلقة
وصيغة الاستثنا كانها نقل من عرف التزكية كما يقال للانسان انت طبيب او فقيه او مفسر فيقول نعم ان شا الله لا في معرض
الشك ولكن لاخراج نفسه عن تزكيته نفسه فالصيغة صيغة الترديد والتضعيف لنفس الخبر ومعناه التضعيف اللازم من
لوازم الخبر وهو التزكية وبهذا التاويل لو سئل عن وصف ذم لم يحسن الاستثنا الوجه الثاني التادب بذكر الله في كل
حال واحالة الامور كلها الى مشية الله فقد ادب الله تعالى نبيه فقال ولا تقولن لشي اني فاعل ذلك غدا الا ان يشا الله ثم لم يقتصر
على ذلك فيما يشك فيه بل قال لتدخلن المسجد الحرام ان شا الله امنين محلقين وكان الله عالما بانه يدخل لا محالة وانه شاء
ولكن المقصود تعليمه ذلك فتادب رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل ما كان يخبر عنه معلوما كان او مشكوكا حتى قال لما
دخل المقابر السلام عليكم اهل دار قوم مؤمنين وانا ان شا الله بكم لاحقون واللحوق بهم غير مشكوك فيه ولكن مقتضى الادب ذكر
الله وربط الامور به وهذه الصيغة دالة عليه حتى صار بعرف الاستعمال عبارة عن اظهار الرغبة والتمني فاذا قيل لك ان فلانا
يموت سريعا فتقول ان شا الله فيفهم منه رغبتك لا تشككك واذا قيل فلان سيزول مرضه ويصح فتقول ان شا الله بمعنى الرغبة فقد صارت الكلمة معدولة عن معنى التشكيك الى معنى الرغبة
وكذلك العدول الى معنى التادب بذكر الله كيف كان الامر الوجه الثالث ومستنده الشك ومعناه انا مؤمن حقا ان
شا الله اذ قال الله تعالى لقوم مخصوصين باعيانهم اولئك هم المؤمنون حقا فانقسموا الى قسمين ويرجع هذا الى الشك في
كمال الايمان وهو خفي لا يتحقق البراءة منه والثاني يتعلق باعمال الطاعات ولا يدرى وجودها على الكمال اما العمل فانما
الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون فيكون الشك في
هذا الصدق ولذلك قال ولكن البر من امن بالله واليوم الاخر فشرط عشرين وصفا كالوفا بالعهد والصبر على الشدايد
ثم قال اولئك الذين صدقوا وقد قال تعالى يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات وقال تعالى لا يستوي منكم
وقال تعالى لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح الاية وقال تعالى هم درجات عند الله وقال صلى الله عليه وسلم الايمان عريان
ولباسه التقوى الحديث بضع وسبعون بابا ادناها اماطة الاذى عن الطريق فهذا يدل على ارتباط كمال الايمان بالاعمال
واما ارتباطه بالبراة عن النفاق والشرك الخفي فقوله صلى الله عليه وسلم اربع من كن فيه فهو منافق خالص وان صام وصلى
وزعم انه مؤمن اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا اؤتمن خان واذا خاصم فجر وفي بعض الروايات واذا عاهد غدر وفي
حديث ابي سعيد الخدري القلوب اربعة قلب اجرد وفيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن وقلب مصفح فيه ايمان ونفاق فمثل

الايمان فيه كالبقلة يمدها الماء العذاب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والصديد فاى المدتين غلبت عليه حكم له بها وفي لفظ آخر غلبت عليه ذهبت به وقال صلى الله عليه وسلم اكثر منافقي هذه الامة قراؤها وفي حديث الشرك اخفى في امتى من دبيب النمل على الصفا فقال حذيفة كان الرجل يتكلم بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يصير بها منافقا الى ان يموت واني لاسمعها من احدكم في اليوم عشر مرات وقال بعض العلماء اقرب الناس من النفاق من يرى انه برى منه وقال حذيفة المنافقون اليوم اكثر منهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا اذ ذاك يخفونه وهم اليوم يظهرونه وهذا النفاق يضاد صدق الايمان وكماله وهو خفى وابعد الناس منه من يتخوفه واقربهم منه من يرى انه برى منه وقد قيل للحسن يقولون انه لا نفاق اليوم فقال يا اخي لو هلك المنافقون لاستوحشتم في الطرق وقال هو وغيره لو نبت للمنافقين اذناب ما قدرنا ان نطأ على الارض وسمع ابن عمر رجلا يتعرض للحجاج فقال ارايت لو كان حاضرا اكنت تتكلم فيه فقال لا قال كنا نعد هذا نفاقا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان ذا لسانين في الدنيا جعله الله ذا لسانين في الاخرة وقال ايضا ذو الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه قيل للحسن ان قوما يقولون لا نخاف النفاق فقال والله فقال والله لان اكون اعلم اني بريء من النفاق احب الي من طلاع الارض ذهبا وقال الحسن ان من النفاق اختلاف اللسان والقلب والسر والعلانية والمدخل والمخرج وقال رجل لحذيفة اني اخاف ان اكون منافقا فقال لو كنت منافقا ما خفت النفاق ان المنافق قد امن النفاق وقال ابن ابي مليكة ادركت ثلثين ومائة وفي رواية خمسمائة من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلهم يخافون النفاق وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا في جماعة من اصحابه فذكروا رجلا واكثروا الثناء عليه فبيناهم كذلك اذ طلع الرجل عليهم ووجهه يقطر ماء من اثر الوضوء قد علق نعله بيده وبين عينيه اثر السجود فقالوا يا رسول الله هذا الرجل هو الذي وصفناه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارى في وجهه سفعة من الشيطان والسفعة علامة من سواد والاسفع الذي خده علامة سوداء فجاء الرجل حتى سلم وجلس مع القوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نشدتك الله هل حدثت نفسك حين اشرفت على القوم انه ليس فيهم خير منك قال اللهم نعم فقال صلى الله عليه وسلم اني استغفرك لما علمت ولما لم اعلم فقيل له اتخاف يا رسول الله فقال وما يؤمنني والقلوب بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبها كيف شاء وقد قال سبحانه وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون قيل عملوا اعمالا ظنوا انها حسنات فكانت في كفة السيئات وقال سري السقطي لو ان رجلا دخل الى بستان فيه جميع الاشجار عليها من جميع الاطيار فخاطبه كل طير منها بلغته فقال السلام عليك يا ولي الله فسكنت نفسه الى ذلك كان اسيرا في يديها فهذه الاخبار والاثار تعرفك خطر الامر بسبب دقائق النفاق والشرك الخفي وانه لا يؤمن منه حتى كان عمر يسأل حذيفة عن نفسه وانه هل ذكر في المنافقين قال ابو سليمان الداراني سمعت بعض الامراء شيئا فاردت ان انكره فخفت ان يامر بقتلي ولم اخف من الموت ولكن خشيت ان يعرض لقلبي التزين للخلق عند خروج روحي فكففت وهذا من النفاق وهذا النفاق يضاد حقيقة الايمان وصدقه وكماله وصفاءه لا اصله فالنفاق نفاقان احدهما يخرج من الدين ويلحق بالكافرين ويسلك في زمرة الملحدين في النار والثاني يفضي الى النار الى مدة او ينقص من درجات عليين ويحط من رتبة الصديقين وذلك مشكوك فيه فلذلك حسن الاستثناء واصل هذا النفاق تفاوت السر والعلانية والامن من مكر الله والعجب وامور اخر لا يخلو عنها الا الصديقون الوجه الرابع وهو ايضا مستند الى الشك وذلك من خوف الخاتمة فانه لا يدري ايسلم الايمان عند الموت ام لا فان ختم بالكفر حبط الايمان السابق لانه موقوف على سلامة الاخر ولو سئل الصائم ضحوة النهار عن صحة صومه فقال انا صائم قطعا فلو افطر في اثناء نهاره بعد ذلك تبين كذبه اذ كانت الصحة موقوفة على التمام الى غروب الشمس وكما ان النهار ميقات تمام الصوم فالعمر ميقات تمام الايمان ووصفه بالصحة قبل آخره بناء على الاستصحاب وهو مشكوك والعاقبة مخوفة ولاجلها كان اكثر بكاء الخائفين لاجل انها ثمرة القضية السابقة والمشية الازلية التي لا تظهر الا بظهور المقضي به ولا يطلع عليه بشر فخوف الخاتمة كخوف السابقة وربما يظهر في الحال ما سبقت الكلمة بنقيضه فمن الذي يدري انه من الذين سبقت لهم من الله الحسنى وقيل في قوله وجاءت سكرة الموت بالحق اي بالسابقة يعني اظهرتها وقال بعض السلف انما يوزن من الاعمال خواتيمها وكان ابو الدرداء يحلف بالله ما احد امن ان يسلب ايمانه الا سلبه وقال من الذنوب ذنوب عقوبتها سوء الخاتمة نعوذ بالله وقيل هي عقوبة دعوى الولاية والكرامة بالافتراء وقال بعض العارفين لو عرضت على الشهادة عند باب الدار والموت على التوحيد عند باب الحجرة لاخترت الموت على باب الدار لاني لا ادري ما يعرض لقلبي من التغير عن التوحيد عند باب الحجرة وقال بعضهم لو عرفت واحدا بالتوحيد خمسين سنة ثم حال بيني وبينه سارية ومات لم اعلم انه مات على التوحيد وفي الحديث من قال انا مؤمن فهو كافر ومن قال انا عالم فهو جاهل وقيل في قوله تعالى وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا صدقا لمن مات على الايمان وعدلا لمن مات على الشرك وقد قال تعالى ولله عاقبة الامور فمهما كان الشك بهذه المثابة كان الاستثناء واجبا لان الايمان عبارة عما يفيد الجنة كما ان الصوم عبادة تبرئ الذمة وما فسد قبل الغروب لا يبرئ الذمة فيخرج عن كونه صوما فكذلك الايمان

بل يتقدح ان يسأل عن الصوم الماضي الذي لا شك فيه بعد الفراغ فيقال اصمت بالامس
فيقول نعم ان شاء الله اذ الصوم الحقيقي هو المقبول والمقبول غائب عنه لا
يطلع عليه الا الله فمن هذا يحسن الاستثناء في جميع اعمال البر ويكون ذلك شكا
في القبول اذ يمنع من القبول بعد جريان ظاهر شروط
الصحة اسباب خفية لا يطلع عليها الا
رب الارباب فيحسن الشك فيه
فهذه وجوه حسن الاستثناء
في الجواب
عن الايمان

وهو آخر ما يختم به كتاب قواعد العقايد والحمد لله اولا واخرا باطنا وظاهرا ويتلوه كتاب اسرار الطهارة ان شاء الله

كتاب أسرار الطهارة وهو الكتاب الثاني من ربع العبادات

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين وعليه نتوكل

الحمد لله الذي تلطف بعباده فتعبدهم بالنظافة وافاض على قلوبهم لسرائرهم انواره والطافه واعد لظواهرهم تطهيرا لها الماء المخصوص بالرقة واللطافة والصلوة على محمد المستغرق بنور الهدى اطراف العالم واكنافه وعلى آله الطيبين الطاهرين صلوة تخلصنا بركاتها يوم المخافة وتنتصب جنة بيننا وبين كل آفة **اما بعد** فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم بني الدين على النظافة وقال مفتاح الصلوة الطهور وقال الله تعالى فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين وقال صلى الله عليه وسلم الطهور نصف الايمان وقال تعالى ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم فتفطن ذوو البصائر بهذه الظواهر ان اهم الامور تطهير السرائر اذ يبعد ان يكون المراد بقوله الطهور نصف الايمان عمارة الظاهر بالتنظيف بافاضة الماء وتخريب الباطن وابقاؤه مشحونا بالاخباث والاقذار هيهات هيهات فالطهارة لها اربع مراتب **الاولى** تطهير الظاهر عن الاحداث والاخباث والفضلات **والثانية** تطهير الجوارح عن الجرائم والآثام **والثالثة** تطهير القلب عن الاخلاق المذمومة الممقوتة **والرابعة** تطهير السر عما سوى الله وهي طهارة الانبياء والصديقين والطهارة في كل رتبة نصف العمل الذي فيها فان الغاية القصوى في السر ان ينكشف له جلال الله وعظمته ولن تحل معرفة الله بالحقيقة في السر ما لم يرتحل ما سوى الله ولذلك قال الله تعالى قل الله ثم ذرهم لانهما لا يجتمعان في قلب وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه واما عمل القلب فالغاية القصوى عمارته بالاخلاق المحمودة والعقائد المشروعة ولن يتصف بها ما لم ينظف عن نقائضها من العقائد الفاسدة والرذائل المذمومة فتطهيرها احد الشطرين وهو الشطر الاول الذي هو شرط في الثاني فكان الطهور شطر الايمان بهذا المعنى وكذلك تطهير الجوارح عن المناهي احد الشطرين وعمارتها بالطاعات الشطر الثاني وهذه مقامات الايمان ولكل مقام طبقة ولن ينال العبد الطبقة العالية الا ان يجاوز الطبقة السافلة فلا يصل الى طهارة السر عن الصفات المذمومة وعمارته بالمحمودة من لم يفرغ عن طهارة القلب عن الخلق المذموم وعمارته بالمحمود ولن يصل الى ذلك من لم يفرغ عن طهارة الجوارح عن المناهي وعمارتها بالطاعات وكلما عز المطلب وشرف صعب مسلكه وطال طريقه وكثرت عقباته فلا تظنن ان هذا الامر يدرك بالمنى وينال بالهوينا نعم من عميت بصيرته عن تفاوت هذه الطبقات لم يفهم من مراتب الطهارة الا الدرجة الاخيرة التي هي كالقشر الاخير بالاضافة الى اللب المطلوب فصار يمعن فيه ويستقصي في مجاريه ويستوعب جميع اوقاته في الاستنجاء وغسل الثياب وتنظيف الظاهر وطلب المياه الجارية الكثيرة ظنا منه بحكم الوسوسة وخيال العقل ان الطهارة المطلوبة الشريفة هي هذه فقط وجهلا بسيرة الاولين واستغراقهم جميع الهم والفكر في تطهير القلوب وتساهلهم في امر الظاهر حتى ان عمر مع علو منصبه توضأ من ماء في جرة نصرانية وحتى انهم ما كانوا يغسلون اليد

البدع عن الدسومات والاطعمة بل كانوا يمسحون اصابعهم باخمص اقدامهم وعدوا الاشنان من البدع المحدثة ولقد كانوا يصلون على الارض في المساجد ويمشون حفاة في الطرقات ومن كان لا يجعل بينه وبين التراب حاجزا في مضجعه كان من اكابرهم وكانوا يقتصرون على الحجارة في الاستنجاء وقال ابو هريرة وغيره من اهل الصفة كنا ناكل الشواء فتقام الصلوة فندخل اصابعنا في الحصباء ثم نفركها بالتراب ونكبر وقال عمر ما كنا نعرف الاشنان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما كانت مناديلنا بواطن ارجلنا كنا اذا اكلنا مسحنا بها ويقال اول ما ظهر من البدع بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المناخل والاشنان والموائد والشبع فكانت عنايتهم كلها بنظافة الباطن حتى قال بعضهم الصلوة في النعلين افضل اذ رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزع نعله في صلوته اذ اخبره جبرئيل ان عليه نجاسة وخلع الناس نعالهم وقال عليه السلم لم خلعتم نعالكم قال النخعي في الذين يخلعون نعالهم وددت لو ان محتاجا جاء اليها فاخذها منكرا للخلع فهكذا كان تساهلهم في هذه الامور بل كانوا يمشون في طين الشوارع حفاة ويجلسون عليها ويصلون في المساجد على الارض وياكلون دقيق البر والشعير وهو يداس بالدواب وتبول عليها ولا يحترزون من عرق الابل والفرس مع كثرة تمرغها في النجاسات ولم ينقل قط عن احد منهم سؤال في دقائق النجاسات فهكذا كان تساهلهم فيها وقد انتهت النوبة الآن الى طائفة يسمون الرعونة نظافة ويقولون هي مبنى الدين فاكثر اوقاتهم في تزيينهم الظواهر كفعل الماشطة بعروسها والباطن خراب مشحون بخبائث الكبر والعجب والجهل والرياء والنفاق ولا يستنكرون ذلك ولا يتعجبون منه ولو اقتصر مقتصر على الاستنجاء بالحجر او مشى على الارض حافيا وصلى على الارض او بوارى المسجد من غير سجادة مفروشة او مشى على الفرش من غير غلاف للقدم او توضأ من آنية عجوز او رجل غير متقشف اقاموا عليه وشددوا النكير ولقبوه بالقذر واخرجوه من زمرتهم واستنكفوا من مؤاكلته ومخالطته فسموا البذاذة التي هي من الايمان قذارة والرعونة نظافة فانظر كيف صار المنكر معروفا والمعروف منكرا وكيف اندرس من الدين رسمه كما اندرس تحقيقه وعلمه فان قلت فتقول ان هذه العادات التي احدثها الصوفية في هيئاتهم ونظافتهم من المحظورات والمنكرات فاقول حاشا لله ان اطلق القول فيه من غير تفصيل والتي اقول هذه التكلفات باعداد الاواني والآلات واستعمال غلاف القدم والازار المتقنع به لدفع الغبار وغير ذلك من هذه الاسباب ان وقع النظر الى ذاتها على سبيل التجرد فهي من المباحات وقد يقترن بها احوال ونيات تلحقها تارة بالمعروفات وتارة بالمنكرات فاما كونه مباحا في نفسه فلا يخفى اذ صاحبه متصرف في ماله وبدنه وثيابه فليفعل بها ما يريد اذا لم يكن فيه اضاعة واسراف واما مصيره منكرا بان يجعل ذلك اصل الدين ويفسر قوله صلى الله عليه وسلم بني الدين على النظافة حتى ينكر به على من يتساهل فيه تساهل الاولين وان يكون القصد به تزيين الظاهر للخلق وتحسين موقع نظرهم فان ذلك هو الرياء المحذور فيصير منكرا بهذين الاعتبارين واما كونه معروفا فبان يكون القصد منه الخير دون التزيين وان لا ينكر على من ترك ذلك ولا يؤخر بسببه الصلاة عن اوائل الاوقات ولا يشتغل به عن عمل هو افضل منه او عن ترتيبه علم او غيره فاذا لم يقترن به شيء من ذلك فهو مباح يمكن ان يجعل قربة بالنية ولكن لا يتيسر ذلك الا للبطالين الذين لو لم يشتغلوا بصرف الاوقات اليه لاشتغلوا بنوم او حديث فيما لا يعني فيصير شغلهم به اولى لان التشاغل بالطهارات يجدد ذكر الله وذكر العبادات فلا باس اذا لم يخرج الى منكر او اسراف واما اهل العلم والعمل فلا ينبغي ان يصرفوا من اوقاتهم اليه الا قدر الحاجة فالزيادة عليه منكر في حقهم وتضييع للعمر الذي هو انفس الجواهر واعزها في حق من قدر على الانتفاع به ولا يتعجب من ذلك فان حسنات الابرار سيئات المقربين فلا ينبغي للبطال ان يترك النظافة وينكر على المتصوفة ويزعم انه تشبه بالصحابة اذ التشبه بهم في ان لا يتفرغ له الا لما هو اهم منه كما قيل

لداود الطائي لم لا تسرح لحيتك قال اني اذاً لفارغ فلهذا لا ارى للعالم ولا للعامل ان يضيع وقته في غسل الثياب احترازا
من ان يلبس الثياب المقصورة وتوهما بالقصار انه يقصر في الغسل فقد كانوا في العصر الاول يصلون في الفراء المدبوغة وكم من
من الفرق بين المدبوغة والمقصورة في الطهارة والنجاسة بل كانوا يجتنبون النجاسة اذا شاهدوها ولا يدققون نظرهم في
استنباط الاحتمالات الدقيقة بل كانوا يتأملون في دقائق الرياء والظلم حتى قال سفيان الثوري لرفيق له كان يمشي معه فنظر
الى باب دار مرفوع معمور لا تفعل ذلك فان الناس لو لم ينظروا اليه لكان صاحبه لا يتعاطى هذا الاسراف فالناظر اليه
معين له على الاسراف وكانوا يعدون من جمام الذهن لاستنباط مثل هذه الدقائق لا في احتمال النجاسات فلو وجد العالم عامياً
يتعاطى له غسل الثياب محتاطا فهو افضل فانه بالاضافة الى التساهل خير وذلك العامي ينتفع بتعاطيه اذ يشغل نفسه الامارة
بالسوء بعمل مباح في نفسه فيمتنع عليه المعاصي في تلك الحال والنفس ان لم تشغل شغلت صاحبها واذا قصد به التقرب الى
العالم صار ذلك عنده من افضل القربات فوقت العالم اشرف من ان يصرف الى مثله فيبقى محفوظا عليه واشرف وقت
العامي ان يشتغل بمثله ويتوفر الخير من الجوانب وليتفطن بهذا المثال لنظائره من الاعمال وترتيب فضائلها ووجه تقديم
بعضها على البعض فتدقيق الحساب في حفظ لحظات العمر بصرفها الى الافضل اهم من التدقيق في اموال الدنيا بحذافيرها
واذا عرفت هذه المقدمة واذا عرفت هذه المقدمة واستبنت ان الطهارة لها اربع مراتب فاعلم انا في هذا الكتاب لسنا نتكلم
الا في المرتبة الرابعة وهي نظافة الظاهر لانا في الشطر الاول من الكتاب لا نتعرض قصدا الا للظواهر فنقول طهارة الظاهر
ثلاثة اقسام طهارة عن الخبث وطهارة عن الحدث وطهارة عن فضلات البدن وهي التي تحصل بالقلم والاستحداد واستعمال
النورة وغيره **القسم الاول** في طهارة الخبث والنظر فيه يتعلق بالمزال والمزال به والازالة **الطرف الاول** في المزال
وهي النجاسات والاعيان ثلاثة جمادات وحيوانات واجزاء حيوانات اما الجمادات فطاهرة كلها الا الخمر وكل منتبذ مسكر و
الحيوانات طاهرة الا الكلب والخنزير وما تولد منهما فاذا ماتت فكلها نجسة الا خمسة الآدمي والسمك والجراد ودود التفاح
وفي معناه كل ما يستحيل اليه الاطعمة وكل ما ليس له نفس سائلة كالذباب والخنفساء وغيرها فلا ينجس الماء بوقوع شيء فيه منها
واما اجزاء الحيوانات فقسمان احدهما ما يقطع منه وحكمه حكم الميت والشعر لا ينجس بالجز والموت والعظم ينجس والثاني الرطوبات
الخارجة من باطنه فكل ما ليس مستحيلا ولا له مقر فهو طاهر كالدمع والعرق واللعاب والمخاط وما له مقر وهو مستحيل
فنجس الا ما هو مادة الحيوان كالمني والبيض واما القيح والدم والروث والبول فنجس من الحيوانات كلها ولا يعفى عن هذه النجاسات
قليلها ولا كثيرها الا عن خمسة الاول اثر النجو بعد الاستجمار بالاحجار يعفى عنه ما لم يعد المخرج والثاني طين الشوارع
وغبار الروث في الطريق يعفى عنه مع تيقن النجاسة بقدر ما يتعذر الاحتراز عنه وهو الذي لا ينسب المتلطخ به الى تفريط او
سقطة الثالث ما على اسفل الخف من نجاسة لا يخلو الطريق عنها فيعفى عنه بعد الدلك للحاجة الرابع دم البراغيث
ما قل منه او كثر الا اذا جاوز حد العادة سواء كان في ثوبك او في ثوب غيرك فلبسته الخامس دم البثرات وما ينفصل
منها من قيح وصديد دلك ابن عمر رضي الله عنهما بثرة على وجهه فخرج منه الدم وصلى ولم يغسل وفي معناها ما يترشح من لطخات
الدماميل التي تدوم غالبا وكذلك اثر الفصد الا ما يقع نادرا من خراج او غيره فيلحق بدم الاستحاضة ولا يكون في معنى
البثرات التي لا يخلو الانسان عنها في احواله ومسامحة الشرع في هذه النجاسات الخمسة تعرفك ان امر الطهارات على
التساهل وما ابدع فيها وسوسة لا اصل لها **الطرف الثاني** في المزال به وهو اما جامد واما مائع اما الجامد فحجر الاستنجاء وهو

وهو مطهر تطهير تخفيف بشرط ان يكون صلبا طاهرا منشفا غير محترم واما المائعات فلا يزال النجاسة بشيء منها الا
الماء ولا كل ماء بل الطاهر الذي لم يتفاحش تغيره بمخالطة ما يستغني عنه ويخرج الماء عن الطهارة بان يتغير بملاقاة النجاسة
طعمه او لونه او ريحه فان لم يتغير وكان قريبا من مائتين وخمسين منا وهو خمسمائة رطل برطل العراق لم ينجس لقوله صلى الله
عليه وسلم اذا بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثا وان كان دونه صار نجسا عند الشافعي هذا في الماء الراكد اما الجاري اذا تغير
بالنجاسة فالجرية المتغيرة نجسة دون ما فوقها وما تحتها لان جريات الماء متفاصلة وكذا النجاسة الجارية اذا
جرت بمجرى الماء فالنجس ما يقع بها من الماء وما عن يمينها وشمالها اذا تقاصر عن قلتين وان كان جري الماء اقوى من جري النجاسة
طاهر وما تسفل عنها فنجس وان تباعد وكثر الا اذا اجتمع في حوض قدر قلتين فاذا اجتمع قلتان من ماء نجس طهر ولا يعود نجسا
بالتفريق هذا مذهب الشافعي وكنت اود ان يكون مذهبه كمذهب مالك في ان الماء وان قل فلا ينجس الا بالتغير اذ الحاجة ماسة اليه
ومثار الوسواس من اشتراط القلتين ولاجله شق على الناس ذلك وهو لعمري سبب المشقة ويعرفه من يجربه ويتأمله ومما
لا اشك فيه ان ذلك لو كان مشروطا لكان اولى المواضع بتعسر الطهارة فيه مكة والمدينة ولا يكثر فيهما المياه الجارية ولا
الراكدة الكثيرة ومن اول عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى آخر عصر الصحابة لم تنقل واقعة في الطهارة ولا سؤال عن كيفية
حفظ الماء عن النجاسة وتوضأ عمر بماء في جرة نصرانية كالصريح في انه لم يعول الا على عدم تغير الماء والا فنجاسة النصرانية
واناها غالبة تعلم بظن قريب فاذا عسر القيام بهذا المذهب وعدم وقوع السؤال في تلك الاعصار دليل اول وفعل عمر دليل
ثان والدليل الثالث اصغاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الاناء للهرة وعدم تغطيتهم الاواني منها بعد ان يرى انها تأكل الفأر
ولم يكن في بلادهم حياض تلغ السنانير فيها وكانت لا تنزل الآبار والرابع ان الشافعي نص على ان غسالة النجاسة طاهرة
اذا لم تتغير ونجسة اذا تغيرت واي فرق بين ان يلاقي الماء النجاسة بالورود عليها او بورودها عليه واي معنى لقول القائل
ان قوة الورود تدفع النجاسة مع ان الورود لم يمنع مخالطة النجاسة وان احيل ذلك على الحاجة فالحاجة ايضا ماسة الى
هذا فلا فرق بين طرح الماء في اجانة فيها ثوب نجس او طرح الثوب النجس في الاجانة وفيها ماء وكل ذلك معتاد في غسل
الثياب والاواني والخامس انهم كانوا يستنجون على اطراف المياه الجارية القليلة ولا خلاف في مذهب الشافعي
انه اذا وقع بول في ماء جار ولم يتغير انه يجوز التوضي به وان كان قليلا واي فرق بين الجاري والراكد وليت شعري الحوالة
على عدم التغير اولى او على قوة الماء بسبب الجريان ثم ما حد تلك القوة اتجري في المياه الجارية في انابيب الحمامات ام لا
فان لم تجر فما الفرق وان جرت فما الفرق بين ما يقع فيها وبين ما ينصب من مجرى الماء من الاواني على الابدان وهي ايضا
جارية ثم البول اشد اختلاطا بالماء الجاري من نجاسة جامدة ثابتة اذ قضي بان ما يجري عليها وان لم تتغير نجس
الى ان يجتمع في مستنقع قلتان فاي فرق بين الجامد والمائع والماء واحد والاختلاط اشد من المجاورة السادس
انه اذا وقع رطل من البول في قلتين ثم فرقنا فكل كوز يغترف منه طاهر ومعلوم ان البول منتشر فيه وهو قليل
وليت شعري تعليل طهارته بعدم التغير اولى او بقوة كثرة الماء بعد انقطاع الكثرة وزوال المانع مع تحقق بقاء اجزاء النجاسة
فيها السابع ان الحمامات لم تزل في الاعصار الخالية يتوضأ فيها المتقشفون ويغمسون الايدي والاواني في تلك
الحياض مع قلة الماء ومع العلم بان الايدي النجسة كانت تتوارد عليه فهذه الامور مع الحاجة الشديدة تقوي في النفس
انهم ينظرون الى عدم التغير معولين على قوله صلى الله عليه وسلم خلق الماء طهورا لا ينجسه شيء الا ما غير طعمه او ريحه

وهذا فيه تحقيق وهو ان طبع كل مايع ان يقلب الى صفة نفسه كل ما يقع فيه وكان مغلوبا من جهته وكما ترى
في المملحة فيستحيل الحمار ويحكم بطهارته وبصيرورته ملحا وزوال صفة الكلبية عنه فكذلك الخل يقع في الماء
واللبن يقع فيه وهو قليل فيبطل صفته ويتصف بصفة الماء ويتطبع بطبعه الا اذا كثر وغلب بغلبة طعمه او لونه او ريحه
فهذا المعيار وقد اشار اليه الشرع في الماء القوي على ازالة النجاسة فهو جدير بان يعول عليه فيندفع الحرج ويظهر به كونه
طهورا اذ يغلب غيره فيطهره كما صار كذلك فيما بعد القلتين وفي الغسالة وفي الماء الجاري وفي اصغاء الاناء للهرة ولا تظنن
ان ذلك عفو اذ لو كان كذلك لكان كالاستنجاء ودم البراغيث حتى يصير الماء الملاقي له نجسا ولا ينجس بالغسالة ولا بولوغ
السنور في الماء القليل واما قوله لا يحمل خبثا في نفسه مبهم فانه يحمل اذا تغير فان قيل اراد به اذا لم يتغير فيمكن ان يقال
اراد به انه في الغالب قلتين وترك المفهوم باقل من الادلة التي ذكرناها ممكن وقوله لا يحمل خبثا ظاهره نفي الحمل اي يقلبه
الى صفة نفسه كما يقال المملحة لا يحمل كلبا ولا غيره اي يقلب وذلك لان الناس قد يستنجون في المياه القليلة في الغدران و
يغمسون الاواني النجسة فيها ثم يترددون في انها تغيرت تغيرا مؤثرا ام لا فيتبين انه اذا كان قلتين لا يتغير بهذه النجاسات فان قلت
فقد قال لا يحمل خبثا ومهما كثرت حملها فهذا ينقلب عليك فانها مهما كثرت حملها ايضا حكما كما حملها حسا فلا بد من التخصيص
بالنجاسات المعتادة على المذهبين جميعا وعلى الجملة فمبنى امور النجاسات الى المساهلة فهما من سيرة الاولين وحسما لمادة الوسواس
ولذلك افتيت بالطهارة فيما وقع الخلاف فيه من هذه المسائل **الطرف الثالث** في كيفية الازالة والنجاسة ان كانت حكمية
وهي التي ليس لها جرم محسوس فيكفي اجراء الماء على جميع مواردها وان كانت عينية فلا بد من ازالة العين وبقاء الطعم يدل على
بقاء العين وكذا بقاء اللون الا فيما يلتصق به فهو معفو عنه بعد الحت والقرص واما الرائحة فبقاؤها يدل على بقاء العين ولا
يعفى عنها الا اذا كان الشيء له رائحة فائحة يعسر ازالته فالدلك والعصر مرات متوالية يقوم مقام الحت والقرص من اللون
والمزيل للوسواس ان يعلم ان الاشياء خلقت طاهرة بيقين فما لا يشاهد عليها نجاسة ولا يعلمها يقينا يصلي معها ولا ينبغي ان يتوصل
بالاستنباطات الى تقدير النجاسات القسم الثاني طهارة الاحداث ومنها الوضوء والغسل والتيمم ويتقدمها الاستنجاء فيورد كيفيتها
على الترتيب مع ادابها وسننها مبتدئين بسبب الوضوء وهو قضاء الحاجة **آداب قضاء الحاجة** ينبغي ان يبعد عن اعين الناظرين في
الصحراء وان يستتر بشيء ان وجده وان لا يكشف عورته قبل الانتهاء الى موضع الجلوس وان لا يستقبل الشمس والقمر وان لا يستقبل
القبلة ولا يستدبرها الا اذا كان في بناء والعدول عنها في البناء ايضا احب وان يستتر في الصحراء براحلته جاز وكذا بذيله وان
يتقي الموضع الصلب ومهاب الرياح في البول استنزاها من رشاشه وان يتقي الجلوس في متحدث الناس وان لا يبول في الماء الراكد
وتحت الشجرة المثمرة وفي الجحر وان يتكئ في جلوسه على الرجل اليسرى وان كان في بنيان يقدم الرجل اليسرى في الدخول واليمنى في
الخروج ولا يبول قائما قالت عائشة رضي الله عنها من حدثكم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يبول قائما فلا تصدقوه وقال عمر رآني
عليه السلم وانا ابول قائما فقال يا عمر لا تبل قائما وفيه رخصة اذ روى حذيفة انه عليه السلم بال قائما فاتيته بوضوء
فتوضأ ومسح على خفيه ولا يبول في المغتسل قال عليه السلم عامة الوسواس منه قال ابن المبارك ان كان الماء جاريا فلا باس ولا
يستصحب شيئا عليه اسم الله ورسوله ولا يدخل بيت الماء حاسر الراس وان يقول عند الدخول بسم الله اعوذ بالله من الخبيث الشيطان
الرجيم وعند الخروج الحمد لله الذي اذهب عني ما يؤذيني وابقى علي ما ينفعني وان يعد النبل قبل الجلوس وان لا يستنجي بالماء في موضع
الحاجة وان يستبرئ من البول بالتنحنح والنتر ثلثا وامرار اليد على اسفل القضيب ولا يكثر التفكر في الاستبراء فيوسوس ويشق

ويشق عليه الامر وما يحس به من بلل فليقدر انه بقية الماء فان كان يؤذيه فليرش الماء عليه حتى يقوى ذلك ولا يتسلط عليه الشيطان
ولا يتسلط عليه الشيطان بالوسواس وفي الخبر ان النبي صلى الله عليه وسلم فعله اعني الرش وكان اخفهم استبراء افقههم فتدل
الوسوسة على قلة الفقه وفي حديث سلمان علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شيء حتى الخراءة امرنا ان لا نستنجي بعظم ولا روث
ونهانا ان نستقبل القبلة بغائط او بول وقال رجل لبعض الصحابة من الاعراب وقد خاصمه لا احسبك تحسن الخراءة فقال بلى وابيك
اني بها لحاذق ابعد الاثر واعد المدر واستقبل الشيح واستدبر الريح واقعي اقعاء الظبي واجفل اجفال النعام الشيح نبت طيب
الرائحة بالبادية والاقعاء هاهنا ان يستوفز على صدور قدميه والاجفال ان يرفع عجزه ومن الرخصة ان يبول الانسان قريبا من
صاحبه متسترا عنه فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم مع شدة حيائه ليبين للناس كيفية الاستنجاء ثم يستنجي لمقعدته
بثلثة احجار فان انقى كفى والا استعمل رابعة فان انقى استعمل خامسة لان الايتار مستحب قال عليه السلم من استجمر فليوتر
ويأخذ الحجر بيساره ويضعها على مقدم المقعدة قبل موضع النجاسة ويمرها بالمسح والادارة الى المؤخرة ويأخذ الثانية
ويضعها على المؤخرة كذلك ويمرها الى المقدمة ويأخذ الثالثة فيديرها حول المسربة ادارة وان عسرت الادارة ومسح من
المقدمة او المؤخرة اجزاه ثم يأخذ حجرا كبيرا بيمينه والقضيب بيساره ويمسح الحجر بقضيبه ويحرك اليسار فيمسح ثلاثا في
ثلاث مواضع او في ثلاثة احجار او في ثلث مواضع من جدار الى ان لا يرى الرطوبة في محل المسح فان حصل ذلك بمرتين اتى بالثالثة
ووجب ذلك ان اراد الاقتصار على الحجر وان حصل بالرابعة استحب الخامسة للايتار ثم ينتقل من ذلك الموضع الى موضع اخر
ويستنجي بالماء بان يصبه باليمنى على محل النجو ويدلك باليسرى حتى لا يبقى اثر يدركه الكف بحس اللمس ويترك الاستقصاء
فيه بالتعرض للباطن فان ذلك منبع الوسواس وليعلم ان كل ما لا يصل اليه الماء فهو باطن ولا يثبت حكم النجاسة للفضلات الباطنة
ما لم يظهر وكل ما هو ظاهر وثبت له حكم النجاسة فحد ظهوره ان يصل الماء اليه فيزيله فلا معنى للوسواس ويقول عند الفراغ
من الاستنجاء اللهم طهر قلبي من النفاق وحصن فرجي من الفواحش ويدلك يده بحائط او بالارض ازالة للرائحة ان بقيت
والجمع بين الماء والحجر مستحب فقد قيل انه لما نزل قوله تعالى فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين قال رسول الله
لاهل قباء ما هذه الطهارة التي اثنى الله بها عليكم قالوا انا نجمع بين الماء والحجر **كيفية الوضوء** اذا فرغ من الاستنجاء
اشتغل بالوضوء فلم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم قط خارجا من الغائط الا توضأ ويبتدئ بالسواك فقد قال صلى الله
عليه وسلم ان افواهكم طرق للقرآن فطيبوها بالسواك فينبغي ان ينوي عند السواك تطهير فمه لقراءة الفاتحة وذكر الله في
الصلوة وقال صلى الله عليه وسلم صلاة على اثر السواك افضل من خمس وسبعين صلاة بغير سواك وقال لولا ان اشق على امتي
لامرتهم بالسواك عند كل صلوة وقال ما لي اراكم تدخلون علي قلحا استاكوا اي صفر الاسنان وكان عليه السلم يستاك في
الليلة مرارا وعن ابن عباس انه قال لم يزل يامرنا بالسواك حتى ظننا انه سينزل عليه فيه شيء وقال عليكم بالسواك فانه مطهرة
للفم مرضاة للرب وقال علي بن ابي طالب السواك يزيد في الحفظ ويذهب البلغم وكان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
يروحون والسواك على اذانهم وكيفيته ان يستاك بخشب الاراك او غيره من قضبان الاشجار مما يخشن ويزيل القلح ويستاك
عرضا وطولا وان اقتصر فعرضا ويستحب السواك عند كل صلوة وعند كل وضوء وان لم يصل عقيبه وعند تغير النكهة بالنوم
او طول الازم واكل ما يكره رائحته ثم عند الفراغ من السواك يجلس للوضوء ويقول بسم الله الرحمن الرحيم قال صلى الله عليه وسلم
لا وضوء لمن لم يسم الله اي لا وضوء كاملا ويقول عند ذلك اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون ثم يغسل

يديه ثلثا قبل ان يدخلهما الاناء ويقول اللهم انى اسئلك اليمن والبركة واعوذ بك من الشوم والهلكة ثم ينوى رفع الحدث
او استباحة الصلاة ويستديم النية الى غسل الوجه فان نسيها عند الوجه لم يجز ثم ياخذ غرفة لكفيه فيتمضمض بها ثلثا
ويغرغر بان يرد الماء الى الغلصمة الا ان يكون صائما فيرفق ويقول اللهم اعنى على تلاوة كتابك وكثرة الذكر لك ثم ياخذ غرفة
لانفه ويستنشق بها ويصعد الماء بالنفس الى خياشيمه ويستنثر ما فيه ويقول فى الاستنشاق اللهم ارحنى رايحة الجنة
وانت عنى راض وفى الاستنثار اللهم انى اعوذ بك من روايح النار ومن سوء الدار لان الاستنشاق ايصال والاستنثار
ازالة ثم يغترف غرفة لوجهه فيغسله من مبدا تسطيح الجبهة الى منتهى ما يقبل من الذقن فى الطول ومن الاذن الى الاذن فى
العرض ولا يدخل فى الوجه النزعتان وهما طرفى الجبين فهما من الراس ويوصل الماء الى موضع التحذيف وهو ما يعتاد النساء تنحية
الشعر عنه وهو القدر الذى يقع فى جانب الوجه مهما وضع طرف الخيط على راس الاذن والطرف الثانى على زاوية الجبين و
يوصل الماء الى منابت الشعور الاربعة الحاجبان والشاربان والاهداب والعذاران لانها خفيفة فى الغالب والعذاران
هما ما يوازى الاذنين من مبدا اللحية ويجب ايصال الماء الى منابت اللحية الخفيفة اعنى ما يقبل من الوجه وله الكشف فلا
وحكم العنفقة حكم اللحية فى الكثافة والخفة ثم يفعل ذلك ثلثا ويفيض الماء على ظاهر ما استرسل من اللحية ويدخل الاصبع
فى محاجر العينين وموضع الرمص ومجتمع الكحل وشقيهما وقد روى انه عليه السلم فعل ذلك ويأمل خروج الخطايا من
عينيه وكذلك عند كل عضو ويقول عنده اللهم بيض وجهى بنورك يوم تبيض وجوه اوليائك ولا تسود وجهى يوم تسود
وجوه اعدائك وتخليل اللحية عند غسل الوجه فهو مستحب ثم يغسل يديه الى مرفقيه ثلثا ويطيل الغرة ويحرك الخاتم
ويرفع الماء الى اعالى العضد فانهم يحشرون يوم القيمة غرا محجلين من اثار الوضوء كذلك ورد الخبر قال عليه السلم من
استطاع ان يطيل غرته فليفعل وروى ان الحلية يبلغ موضع الوضوء ويبدا باليمين ويقول اللهم اعطنى كتابى بيمينى و
حاسبنى حسابا يسيرا ويقول عند غسل الشمال اللهم انى اعوذ بك ان تعطينى كتابى بشمالى او من وراء ظهرى ثم يستوعب
راسه بالمسح بان يبل يديه ويلصق روس اصابع اليمنى باليسرى ويضعهما على مقدم الراس ويمدهما الى القفا ثم يردهما الى
المقدمة فهذه مسحة واحدة يفعل ذلك ثلثا ويقول اللهم غشنى برحمتك وانزل على من بركاتك واظلنى تحت عرشك
يوم لا ظل الا ظلك ثم يمسح اذنيه ظاهرهما وباطنهما بماء جديد بان يدخل مسبحته فى صماخى اذنيه ويدير ابهاميه على ظاهر
اذنيه ثم يضع الكف على الاذنين استظهارا ويكرره ثلثا ويقول اللهم اجعلنى من الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اللهم
اسمعنى منادى الجنة مع الابرار ثم يمسح رقبته لقوله عليه السلم مسح الرقبة امان من الغل ويقول اللهم فك رقبتى من النار
واعوذ بك من السلاسل والاغلال ثم يغسل رجله اليمنى ثلثا ويخلل باليد اليسرى من اسفل اصابع الرجل اليمنى ويبدا بالخنصر
من الرجل اليمنى ويختم من اليسرى ويقول اللهم ثبت قدمى على الصراط يوم تزل الاقدام فى النار ويقول عند غسل اليسرى
اعوذ بك ان تزل قدمى عن الصراط يوم تزل اقدام المنافقين ويرفع الماء الى انصاف الساقين فاذا فرغ رفع راسه
الى السماء وقال اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله سبحانك اللهم وبحمدك
لا اله الا انت عملت سوءا وظلمت نفسى استغفرك واتوب اليك فاغفر لى وتب على انك انت التواب الرحيم اللهم اجعلنى من
التوابين واجعلنى من المتطهرين واجعلنى من عبادك الصالحين واجعلنى صبورا شكورا واجعلنى صبورا شكورا واجعلنى من
اذكرك كثيرا واسبحك بكرة واصيلا يقال ان من قال هذا بعد الوضوء ختم على وضوئه بخاتم ورفع له تحت العرش فلم يزل يسبح الله

نظائك

يسبح الله ويقدسه ويكتب له ثواب ذلك الى يوم القيمة ويكره فى الوضوء امور ان يزيد على الثلث وان يسرف فى الماء
توضا عليه السلم ثلثا وقال من زاد فقد ظلم واساء وقال سيكون قوم من هذه الامة يعتدون فى الدعاء والطهور و
يقال من وهن علم الرجل ولوعه بالماء فى الطهور قال ابرهيم بن ادهم يقال اول ما يبتدى الوسواس من قبل الطهور وقال الحسن
ان شيطانا يضحك بالناس فى الوضوء يقال له الولهان ويكره ان ينفض اليد فيرش الماء وان يتكلم فى اثناء وضوئه وان يلطم
وجهه بالماء لطما وكره قوم التنشف وقالوا الوضوء يوزن قال سعيد بن المسيب والزهرى روى معاذ انه عليه السلم مسح وجهه
بطرف ثوبه وروت عائشة انه كانت له منشفة ولكن طعن فى الرواية عن عائشة ويكره ان يتوضا من اناء صفر وان يتوضا بالمشمس
وذلك من جهة الطب وقد روى عن ابن عمر وابى هريرة كراهة الاناء الصفر فقال بعضهم اخرجت لشعبة ماء فى اناء صفر فابى
ان يتوضا ونقل كراهة ذلك عن ابن عمر ومهما فرغ عن وضوئه واقبل على صلاته ينبغى ان يخطر بباله انه طهر ظاهره وهو
مطرح نظر الخلق فينبغى ان يستحى من مناجاة الله من تطهير قلبه وهو موقع نظر الرب وليتحقق ان طهارة القلب بالتوبة
والتخلى عن الاخلاق الذميمة وان من اقتصر على طهارة الظاهر كمن اراد ان يدعو ملكا الى بيته فتركه مشحونا بالقاذورات
واشتغل بتخصيص ظاهر الباب البرانى من الدار وما اجدره بالتعرض للبوار **فضيلة الوضوء** قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من توضا فاسبغ الوضوء وصلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشئ من الدنيا خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه
وفى لفظ اخر ولم يسه فيهما غفر له ما تقدم من ذنبه وقال ايضا الا انبئكم بما يكفر الله به الخطايا ويرفع الدرجات اسباغ
الوضوء فى المكاره ونقل الاقدام الى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط وتوضا صلى الله عليه وسلم مرة
فقال هذا وضوء لا يقبل الله الصلوة الا به وتوضا مرتين وقال من توضا مرتين اتاه الله اجره مرتين وتوضا ثلاثا ثلاثا وقال
هذا وضوئى ووضوء الانبياء قبلى ووضوء خليلى ابرهيم وقال صلى الله عليه وسلم من ذكر الله عند وضوئه طهر الله جسده كله
ومن لم يذكر الله لم يطهر منه الا ما اصاب الماء وقال من توضا على طهر كتب الله له عشر حسنات وقال عليه السلم الوضوء على
الوضوء نور على نور وهذا حث على تجديد الوضوء وقال اذا توضا العبد المسلم فتمضمض خرجت الخطايا من فيه فاذا استنثر
خرجت الخطايا من انفه فاذا غسل وجهه خرجت الخطايا من وجهه حتى تخرج من اشفار عينيه فاذا غسل يديه خرجت
الخطايا من يديه حتى تخرج من تحت اظفاره ويديه فاذا مسح راسه خرجت الخطايا عن راسه حتى تخرج من اذنيه فاذا غسل
رجليه خرجت الخطايا من رجليه حتى تخرج من تحت اظفار رجليه ثم كان مشيه الى المسجد وصلوته نافلة وروى ان الطاهر
كالصائم وقال صلى الله عليه وسلم من توضا فاحسن الوضوء ثم رفع طرفه الى السماء فقال اشهد ان لا اله الا الله وحده
لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله فتحت له ابواب الجنة يدخل من ايها شاء وقال عمر رضى الله عنه ان الوضوء
الصالح يطرد عنك الشيطان وقال مجاهد من استطاع ان لا يبيت الا طاهرا ذاكرا مستغفرا فليفعل فان الارواح تبعث
على ما قبضت عليه **كيفية الغسل** وهو ان يضع الاناء عن يمينه ثم يسم الله تعالى ويغسل يديه ثلثا ثم يستنجى كما
وصفنا ويزيل ما على بدنه من نجاسة ان كانت ثم يتوضا وضوءه للصلوة الا غسل قدميه فانه يؤخرهما فان غسلهما ثم وضعهما
على الارض كان اضاعة للماء ثم يصب الماء على شقه الايمن ثلثا ثم على شقه الايسر ثلثا ثم على راسه ثم يدلك ما اقبل من بدنه وما
ادبر ويخلل شعر الراس ويوصل الماء الى منابتها ما كثف منها او خف وليس على المراة نقض الضفائر الا اذا علمت ان الماء
لا يصل الى خلل الشعور ويتعهد معاطف البدن وليتق ان يمس ذكره فى اثناء ذلك فان فعل ذلك فليعد الوضوء ان توضا قبل الغسل

فلا يعيده قبل الغسل فهذه سنة الوضوء والغسل ذكرنا منهما ما لا بد لسالك طريق الآخرة من علمه وعمله وما عداه من
المسائل يحتاج اليها في عوارض الاحوال فيرجع فيها الى كتب الفقه والواجب من جملة ما ذكرناه من الغسل امران النية و
استيعاب البدن بالغسل ومن الوضوء النية وغسل الوجه وغسل اليدين الى المرفقين ومسح ما ينطلق عليه الاسم من الراس
وغسل الرجلين الى الكعبين والترتيب اما الموالاة فليست واجبة والغسل الواجب اربعة الغسل بخروج المني والتقاء
الختانين والحيض والنفاس وما عداه من الاغتسال سنة كالغسل للجمعة والعيدين والاحرام والوقوف بعرفة وبمزدلفة
ولدخول مكة وثلاثة اغسال يوم ايام التشريق ولطواف الوداع على قول والكافر اذا اسلم غير جنب والمجنون اذا
افاق ولمن غسل ميتا فكل ذلك مستحب **كيفية التيمم** ومن تعذر عليه استعمال الماء لفقده بعد الطلب
او بمانع له عن الوصول اليه من سبع وحابس او كان الماء الحاضر يحتاج اليه لعطشه او عطش رفيقه او كان ملكا لغيره
ولم يبع منه الا باكثر من ثمن مثله او كان به جراحة او مرض وخاف من استعمال الماء فساد العضو او شدة الضنا فينبغي ان يصبر
حتى يدخل عليه وقت الفريضة ثم يقصد صعيدا طيبا عليه تراب طاهر خالص لين بحيث يثور منه غبار ويضرب عليه
كفيه ضاما بين اصابعه ويمسح بهما جميع وجهه مرة واحدة وينوي عنده استباحة الصلوة ولا يتكلف ايصال الغبار
الى ما تحت الشعور خف او كثف ويجتهد ان يستوعب بشرة وجهه بالغبار ويحصل ذلك بالضربة الواحدة فان عرض الوجه
لا يزيد على عرض الكفين ويكفي في الاستيعاب غالب الظن ثم ينزع خاتمه ويضرب ضربة ثانية يفرج فيها بين اصابعه ثم يلصق
ظهور اصابع يده اليمنى ببطون اصابع يده اليسرى بحيث لا يجاوز اطراف الانامل من احدى الجهتين عرض المسبحة من الاخرى
ثم يمر يده اليسرى من حيث وضعها على ظاهر ساعده اليمنى الى المرفق ثم يقلب بطن كفه اليسرى على بطن ساعده اليمنى
ويمرها الى الكوع ويمر بطن ابهامه اليسرى على ابهامه اليمنى ثم يفعل باليد اليسرى كذلك ثم يمسح كفيه ويخلل بين الاصابع
وغرض هذا التكليف تحصيل الاستيعاب الى المرفقين بضربة واحدة فان عسر عليه ذلك فلا باس بان يستوعب بضربتين
وزيادة فاذا صلى به الفرض فله ان يتنفل كيف شاء فان جمع بين فرضين فينبغي ان يعيد التيمم للثانية وهكذا يفرد
كل فريضة بتيمم والله اعلم **القسم الثالث** من النظافة التنظف عن الفضلات الظاهرة وهي نوعان اوساخ
واجزاء **النوع الاول** الاوساخ والرطوبات المترشحة وهي ثمانية **الاول** ما يجتمع من شعر الراس من الدرن و
القمل فالتنظيف عنه مستحب بالغسل وبالترجيل والتدهين ازالة للشعث وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدهن الشعر
ويرجله غبا ويامر به ويقول ادهنوا غبا وقال من كان له شعرة فليكرمها اي ليصنها عن الاوساخ ودخل عليه رجل
ثائر الراس اشعث اللحية فقال اما كان لهذا دهن يسكن به شعره ثم قال يدخل احدكم كانه شيطان **الثاني** ما يجتمع من
الوسخ في معاطف الاذن والمسح يزيل ما يظهر منه وما يجتمع في قعر الصماخ فينبغي ان ينظف برفق عند الخروج من الحمام
فان كثرة ذلك ربما يضر بالسمع **الثالث** ما يجتمع في داخل الانف من الرطوبات المنعقدة الملتصقة بجوانبها ويزيلها
الاستنشاق والاستنثار **الرابع** ما يجتمع على الاسنان واطراف اللسان من القلح ويزيله السواك والمضمضة وقد
ذكرناها **الخامس** ما يجتمع في اللحية من الوسخ والقمل اذا لم يتعهد ويستحب ازالة ذلك بالغسل والتسريح بالمشط
وفي الخبر المشهور انه عليه السلام كان لا يفارقه المشط والمدرى في سفر ولا حضر وهي سنة العرب وفي خبر غريب انه كان
يسرح لحيته في اليوم مرتين وكان صلى الله عليه وسلم كث اللحية وكذلك كان ابو بكر وكان عثمان طويل اللحية رقيقها وكان

وكان علي عريض اللحية قد ملأت ما بين منكبيه وفي حديث اغرب منه قالت عائشة رضي الله عنها اجتمع قوم بباب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم فقلت ويفعل ذلك يا رسول الله قال نعم ان الله يحب من عبده ان يتجمل لاخوانه
اذا خرج اليهم يطلع في الجب يسوي من راسه ولحيته فرايته والجاهل ربما يظن ان ذلك من حب التزين للناس قياسا
على اخلاق غيره وتشبيها للملائكة بالحدادين وهيهات فقد كان صلى الله عليه وسلم مامورا بالدعوة وكان من وظائفه
ان يسعى في تعظيم امر نفسه في قلوبهم كيلا يزدريه نفوسهم ويحسن صورته في اعينهم كيلا يستصغره اعينهم فينفرهم ذلك
ويتعلق المنافقون بذلك في تنفيرهم وهذا القصد واجب على كل عالم تصدى لدعوة الخلق الى الله تعالى وهو ان يراعي
من ظاهره ما لا يوجب نفرة الناس عنه والاعتماد في مثل هذه الامور على النيات فانها اعمال في انفسها تكتسب الاوصاف
من المقصود والتزين على هذا القصد محبوب وترك الشعث في اللحية اظهارا للزهد وقلة المبالاة بالنفس محذور وتركه شغلا
بما هو اهم منه محبوب وهذه احوال باطنة بين العبد وبين الله والناقد بصير والتلبيس غير رائج عليه بحال وكم من جاهل يتعاطى
هذه الامور التفاتا الى الخلق وهو يلبس على نفسه وعلى غيره ويزعم ان قصده الخير فترى جماعة من العلماء يلبسون الثياب الفاخرة
ويزعمون ان قصدهم ارغام المبتدعة والمجادلين والتقرب الى الله تعالى به وهذا امر ينكشف يوم تبلى السرائر ويوم يبعثر ما في القبور
ويحصل ما في الصدور فعند ذلك تتميز السبيكة الخالصة من البهرج فنعوذ بالله من الخزي يوم العرض الاكبر **السادس** وسخ
البراجم وهي معاطف ظهور الانامل كانت العرب لا تكثر غسل اليد عقيب الطعام فيجتمع في تلك الغضون وسخ فامرهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم بغسل البراجم **السابع** تنظيف الرواجب امر صلى الله عليه وسلم به العرب وهي رؤوس الانامل وما تحت
الاظفار من الوسخ لانها كانت لا تحضرها المقراض في كل وقت فيجتمع فيها اوساخ فوقت لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قلم الاظفار
ونتف الابط وحلق العانة كل اربعين يوما لكنه امر بتنظيف ما تحت الاظفار وجاء في الاثر ان النبي صلى الله عليه وسلم استبطأ
الوحي فلما هبط جبريل قال كيف ينزل عليكم وانتم لا تغسلون براجمكم ولا ينظفون رواجبكم وقلحا لا تستاكون مر امتك بذلك والاف
وسخ الظفر والتف وسخ الاذن وقوله ولا تقل لهما اف اي لا تعبهما بما تحت الظفر من الوسخ وقيل لا تتاذيهما كما تتاذى بما
تحت الظفر **التاسع** الدرن الذي يجتمع على جميع البدن برشح العرق وغبار الطريق وذلك يزيله الحمام ولا باس بدخول
الحمام دخل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حمامات الشام وقال بعضهم نعم البيت بيت الحمام يطهر البدن ويذكر النار روي
ذلك عن ابي الدرداء وابي ايوب الانصاري وقال بعضهم بئس البيت بيت الحمام يبدي العورة ويذهب الحياء فهذا تعرض لآفته وذلك تعرض لفائدته
ولا باس بطلب فائدته عند الاحتراز عن آفته ولكن على داخل الحمام وظائف من السنن والواجبات فعليه واجبان في عورته وواجبان في
عورة غيره اما الواجبان في عورته فهو ان يصونها عن اعين الناظرين ويصونها عن مس الغير فلا يتعاطى امرها وازالة وسخها الا
بيده ويمنع الدلاك من مس الفخذين وما بين السرة الى العانة وفي اباحة مس ما ليس بسوءة لازالة الوسخ احتمال ولكن الاقيس التحريم اذ
الحق مس السوءتين في التحريم بالنظر فكذلك ينبغي ان يكون بقية العورة اعني الفخذ والواجبان في عورة الغير ان يغض بصره
عنها وان ينهى عن كشفها لان النهي عن المنكر واجب وعليه ذكر ذلك وليس عليه القبول ولا يسقط عنه وجوب الذكر الا لخوف
شتم او ما يجري عليه مما هو حرام في نفسه فليس ان ينكر حراما هو المنكر عليه المباشرة حرام آخر فاما قوله اعلم ان ذلك لا يفيد
ولا يعمل به فهذا لا يكون عذرا بل لا بد من الذكر فلا يخلو قلب عن التاثر بسماع الانكار والاستشعار بالاحتراز عند التعيير بالمعاصي وذلك يؤثر
في تقبيح الامر في عينه وتنفير نفسه عنه فلا يجوز تركه ومثل هذا صار الحزم ترك دخول الحمام في هذه الاوقات اذ لا يخلو عن عورات

مكشوفة لاسيما ما تحت السرة الى ما فوق العانة اذ الناس لا يعدونها عورة وقد الحقها الشرع بالعورة وجعلها كالحريم لها ولهذا
يستحب تخلية الحمام فان بشر بن الحرث اعرف رجلا لا يملك الا درهما دفعه ليخلى له الحمام وروى ابن عمر في الحمام ووجهه
الى الحائط وقد عصب عينيه بعصابة وقال بعضهم لا باس بدخول الحمام ولكن بازارين ازار للعورة وازار للراس يتقنع به
ويحفظ عينه واما السنن فعشرة الاولى النية وهو ان لا يدخل لعاجل دنيا ولا لاجل هوى بل يقصد به التنظف المحبوب تزينا
للصلوة ثم يعطى الحمامى الاجرة قبل الدخول فان ما يستوفيه مجهول وكذى ما ينتظره الحمامي فتسليم الاجرة دفع للجهالة
من احد العوضين وتطييب نفسه ثم يقدم رجله اليسرى عند الدخول ويقول بسم الله الرحمن الرحيم اعوذ بالله من
الرجس النجس الشيطان الرجيم ثم يدخل وقت الخلوة او يتكلف بتخلية الحمام فانه وان لم يكن في الحمام الا اهل الدين والمحاطين
للعورات فالنظر الى الابدان مكشوفة فيه شائبة من قلة الحياء وهو مذكر للتأمل في العورات ثم لا يخلو الناس في الحركات
عن انكشاف العورات بانعطاف في اطراف الازار فيقع البصر على العورة من حيث لا يدري ولاجله عصب ابن عمر عينيه ويغسل
الحاجبين عند الدخول ولا يعجل بدخول البيت الحار حتى يعرق في الاول وان لا يكثر صب الماء بل يقتصر على قدر الحاجة فانه المأذون
فيه بقرينة الحال والزيادة عليه لو علمه الحمامي لكرهه لاسيما الماء الحار فله مؤونة وفيه تعب وان يتذكر حر النار بحرارة
الحمام ويقدر نفسه محبوسا في البيت الحار ساعة ويقيسه الى جهنم فانه اشبه بيت بجهنم النار من تحت والظلام من فوق نعوذ
بالله منه بل العاقل لا يغفل عن ذكر الاخرة لحظة فانها مصيره ومستقره فيكون له في كل ما يراه من ماء او نار او غيرهما موعظة
فان المرء ينظر بحسب همته فاذا دخل بزاز ونجار وبناء وحائك دارا معمورة فاذا تفقدتهم رايت البزاز ينظر الى الفرش يتأمل
قيمتها والحائك ينظر الى الثياب يتأمل نسجها والنجار الى السقف يتأمل كيفية تركيبها والبناء الى الحيطان يتأمل كيفية احكامها
واستقامتها فكذلك سالك طريق الاخرة لا يرى شيئا من الاشياء الا ما يكون له موعظة في الاخرة بل لا ينظر الى شيء الا ويفتح
الله له طريق عبرة فان نظر الى سواد يذكره ظلمة اللحد وان نظر الى حية يذكره افاعي جهنم وان نظر الى صورة قبيحة يذكر منكرا ونكيرا
والزبانية وان سمع صوتا هائلا يذكر نفخة الصور وان راى شيئا حسنا يذكر نعيم الجنة وان سمع كلمة رد او قبول في سوق
او دار يذكر ما ينكشف من آخر امره بعد الحساب من الرد والقبول وما اجدر ان يكون هذا هو الغالب على قلب العاقل اذ لا يصرفه
عنه الا مهمات الدنيا فاذا نسب مدة المقام في الدنيا الى مدة المقام في الاخرة استحقرها ان لم يكن ممن اغفل قلبه واعميت بصيرته
ومن السنن ان لا يسلم عند الدخول وان سلم عليه لم يجب بلفظ السلام بل يسكت ان اجاب غيره وان احب قال عافاك الله ولا باس
بان يصافح الداخل ويقول عافاك الله لابتداء الكلام ثم لا يكثر الكلام في الحمام ولا يقرأ القرآن الا سرا ولا باس باظهار الاستعاذة
من الشيطان ويكره دخول الحمام بين العشائين وقريبا من الغروب فان ذلك وقت انتشار الشياطين ولا باس بان يدلكه غيره فقد
نقل عن يوسف بن اسباط انه اوصى بان يغسله انسان لم يكن من اصحابه وقال انه دلكني في الحمام مرة فاردت ان اكافئه بما يفرح
به وانه يفرح بذلك ويدل على جوازه ما روى بعض الصحابة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل منزلا في بعض اسفاره فنام على
بطنه وعبد اسود يغمز ظهره فقلت ما هذا يا رسول الله فقال ان الناقة تقحمت بي ثم مهما فرغ من الحمام شكر الله تعالى
على هذه النعمة فقد قيل الماء الحار في الشتاء من النعيم الذي يسأل عنه قال ابن عمر الحمام من النعيم الذي احدثوه هذا من جهة الشرع
اما من جهة الطب فقد قيل الحنا بعد النورة امان من الجذام وقيل ان النورة في كل شهر مرة يطفئ المرار وينقي اللون ويزيد في
الجماع وقيل بولة في الحمام قائما في الشتاء انفع من شربة دواء وقيل نومة في الصيف بعد الحمام تعدل شربة دواء وغسل

القدمين بماء بارد بعد الخروج من الحمام امان من النقرس ويكره صب الماء البارد على الراس عند الخروج وكذى شربه هذا حكم
الرجال اما النساء فقد قال صلى الله عليه وسلم لا يحل للرجل ان يدخل حليلته الحمام وفي البيت مستحم والمشهور حرام على
الرجل دخول الحمام الا بمئزر وحرام على المرأة دخول الحمام الا نفساء او مريضة ودخلت عائشة حماما من سقم بها فان دخلت
لضرورة فلا تدخل الا بمئزر سابغ ويكره للرجل ان يعطيها اجرة الحمام فيكون معينا لها على المكروه ه النوع الثاني فيما يحدث
في البدن من الاجزاء وهي ثمانية الاول شعر الراس ولا باس بحلقه لمن اراد التنظف ولا بتركه لمن يدهن ويترجل الا اذا تركه قزعا قطعا
وهو داب اهل الشطارة وارسل الذوائب على هيئة اهل الشرف حيث صار ذلك شعارا لهم فانه اذا لم يكن شريفا كان ذلك تلبيسا
الثاني شعر الشارب وقد قال صلى الله عليه وسلم قصوا الشوارب وفي لفظ آخر جزوا الشوارب وفي لفظ آخر احفوا الشوارب
واعفوا اللحى اي اجعلوها حفاف الشفة اي حولها وحفاف الشيء حوله ومنه وترى الملائكة حافين من حول العرش وفي لفظ
آخر فهذا يشعر بالاستيصال وقوله حفوا يدل على ما دون ذلك قال تعالى ان يسألكموها فيحفكم تبخلوا اي يستقصي عليكم
واما الحلق فلم يرد والاحفاء القريب من الحلق نقل عن الصحابة نظر بعض التابعين الى رجل احفى شاربه فقال ذكرتني اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال المغيرة بن شعبة نظر الي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد طال شاربي فقال تعال فقصه
لي على سواك ولا باس بترك سباليه وهما طرفا الشارب فعل ذلك عمر وغيره لان ذلك لا يستر الفم ولا يبقى فيه غمر الطعام اذ لا
يصل اليه وقوله اعفوا اللحى اي كثروها وفي الخبر ان اليهود يعفون شواربهم ويقصون لحاهم فخالفوهم وكره بعض العلماء الحلق
وراه بدعة الثالث شعر الابط ويستحب نتفه في كل اربعين يوما مرة وذلك سهل على من تعود في الابتداء نتفه فاما من تعود
الحلق فيكفيه الحلق اذ في النتف تعذيب وايلام والمقصود النظافة وان لا يجتمع الوسخ في خللها ويحصل ذلك بالحلق الرابع
شعر العانة ويستحب ازالة ذلك اما بالحلق او بالنورة ولا ينبغي ان يتأخر عن اربعين يوما الخامس الاظفار وقلمها مستحب
لشناعة صورتها اذا طالت ولما يجتمع فيها من الوسخ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا هريرة اقلم اظفارك فان الشيطان
يقعد على ما طال منها ولو كان تحت الظفر وسخ فلا يمنع ذلك صحة الوضوء اما لانه لا يمنع وصول الماء او لانه يتسامح فيه للحاجة
لاسيما في اظفار الرجل وفي الاوساخ التي تجتمع على البراجم وظهور الارجل والايدي للعرب واهل البوادي وكان صلى الله عليه
وسلم يامرهم بالقلم وينكر ما يرى تحت اظفارهم من الاوساخ ولم يأمرهم باعادة الصلوات ولو امرهم لكان فيه فائدة اخرى
وهو التغليظ والزجر عن ذلك ولم ار في الكتب خبرا مرويا في ترتيب قلم الاظفار ولكن سمعت انه روي عنه صلى الله عليه وسلم
انه بدأ بمسبحته اليمنى وختم بابهام اليمنى وابتدأ في اليسرى بالخنصر الى الابهام وفي اليمنى من المسبحة والختم بابهام اليمنى ولما
تأملت في هذا خطر لي من المعنى ما يدل على ان الرواية صحيحة اذ مثل هذا المعنى لا ينكشف ابتداء الا بنور النبوة واما العالم ذو البصيرة
فغايته ان يستنبطه من العقل بعد نقل الفعل اليه والذي لاح لي فيه والعلم عند الله انه لا بد من قلم الاظفار الرجل واليد واليد اشرف
من الرجل فيبدأ بها ثم اليمنى اشرف من اليسرى فيبدأ بها ثم على اليمنى خمسة اصابع والمسبحة اشرفها اذ هي المشيرة في كلمة الشهادة
من جملة الاصابع ثم بعدها ينبغي ان يبتدأ بما على يمينها اذ الشرع يستحب ادارة الطهور وغيره على اليمين فان وضعت
ظهر اليد على الارض فالابهام هي اليمين وان وضعت الكف فالوسطى هي اليمنى واليد اذا تركت بطبعها كان الكف مائلة الى جهة
الارض اذ جهة حركة اليمنى الى اليسار واستتمام الحركة الى اليسار يجعل ظهر الكف غالبا فما يقتضيه الطبع اولى ثم اذا وضعت
الكف على الكف صارت الاصابع في حكم حلقة دائرة فيقتضي ترتيب الدور الذهاب من يمين المسبحة الى ان يعود الى المسبحة فيقع

البداية بخنصر اليسرى والختم بابهامها ويبقى ابهام اليمنى وانما قدرت الكف موضوعا على الكف حتى يصير الاصابع كالشخص
في حلقة ليظهر ترتيبها وتقدير ذلك اولى من تقدير وضع الكف على ظهر الكف لو وضع ظهر الكف على ظهر الكف فان ذلك
لا يقتضيه الطبع واما اصابع الرجل فالاولى عندي ان لم يثبت فيه نقل ان يبدأ بخنصر اليمنى ويختم بخنصر اليسرى كما في التخليل
فان المعاني التي ذكرناها لا تتجه هاهنا اذ لا مسبحة في الرجل وهذه الاصابع في حكم صف واحد ثابت على الارض فيبدأ من جانب
اليمنى فان تقديرها حلقة بوضع الاخمص فان الاخمص يأباه الطبع بخلاف اليدين وهذه الدقائق في الترتيب تنكشف بنور النبوة
في لحظة وانما يطول التعب علينا ثم لو سئلنا ابتداء وعالم يخطر لنا واذا ذكر لنا فعله صلى الله عليه وسلم وترتيبه وربما تيسر
باعانته صلى الله عليه وسلم بشهادة الحكم وتنبيهه على المعنى استنباط المعنى ولا تظنن ان افعاله صلى الله عليه وسلم في جميع حركاته
كانت خارجة عن وزن وقانون وترتيب بل جميع الاختيارية التي يتردد الفاعل فيها بين قسمين او اقسام كان لا يقدم على واحد معين
بالاتفاق بل بمعنى يقتضي الاقدام والتقديم فان الاسترسال مهملا كما يتفق سجية البهائم وضبط الحركات بموازين المعاني سجية
اولياء الله وكلما كانت حركات الانسان وخطراته الى الضبط اقرب وعن الاهمال وتركه سدى ابعد كان قربه الى رتبة الاولياء
والانبياء اكثر وكان قربه من الله اظهر اذ القريب من الله تعالى لا بد وان يكون قريبا فالقريب من القريب قريب بالاضافة الى
غيره فنعوذ بالله ان يكون زمام حركاتنا وسكناتنا في الشيطان بواسطة الهوى واعتبر في ضبط الحركات باكتحاله صلى الله
عليه وسلم فانه كان يكتحل في عينه اليمنى ثلاثا وفي اليسرى اثنتين فبدأ باليمنى لشرفها وتفاوته بين العينين ليكون الجملة وترا
فان للوتر فضلا على الزوج فان الله وتر يحب الوتر فلا ينبغي ان يخلو فعل العبد عن مناسبة لوصف من اوصاف الرب ولذلك
استحب الايتار في الاستجمار وانما لم يقتصر على الثلث وهو وتر لان اليسرى لا يخصها الا واحدة والغالب ان الواحدة لا تستوعب
اصول الاجفان بالكحل وانما خص اليمنى لان التفضيل لا بد منه للايتار واليمنى افضل فهو بالزيادة احق وان قلت لم اقتصر
هو على اثنين لليسرى وهو زوج فذلك ضرورة اذ لو جعل لكل واحد وترا كان المجموع زوجا اذ الوتر مع الوتر زوج ورعاية
الايتار في مجموع الفعل وهو في حكم الخصلة الواحدة احب من رعايته في الآحاد ولذلك ايضا وجه وهو ان يكتحل في كل واحد ثلاثا
على قياس الوضوء وقد نقل ذلك في الصحيح وهو الاولى ولو ذهبت استقصي دقائق ما راعاه صلى الله عليه وسلم في حركاته لطال
الامر فقس بما علم ان العالم لا يكون وارثا للنبي صلى الله عليه وسلم الا اذا اطلع على جميع معاني الشريعة حتى لا يكون بينه
وبين النبي الا درجة وهو درجة النبوة الفارقة بين الوارث والمورث اذ المورث هو الذي حصل المال له واستقل بتحصيله
واقتدر عليه والوارث هو الذي لم يحصل ولم يقدر عليه ولكن انتقل اليه وتلقاه منه بعد حصوله فامثال هذه المعاني
مع سهولة امرها بالاضافة الى الاغوار والاسرار لا يستقل بدركها ابتداء الا الانبياء ولا يستقل باستنباطها تلقيا بعد
تنبيه الانبياء عليها الا العلماء الذين هم ورثة الانبياء ك السادسة والسابعة زيادة السرة وقلفة الحشفة اما
السرة فيقطع في اول الولادة والتطهير بالختان فعادة اليهود اليوم السابع من الولادة ومخالفتهم بالتأخير الى ان يثغر الولد
احب وابعد عن الخطر قال صلى الله عليه وسلم الختان سنة للرجال ومكرمة للنساء وينبغي ان لا يبالغ في خفض المرأة قال صلى الله
عليه وسلم لام عطية وكانت تخفض يا ام عطية اشمي ولا تنهكي فانه اسرى للوجه واحظى عند الزوج اي اكثر لماء الوجه ودمه
واحسن في جماعها فانظر الى جزالة لفظه في الكناية والى اشراق نور النبوة من مصالح الآخرة التي هي اهم مقاصد النبوة الى
مصالح الدنيا حتى انكشف له وهو امي من هذا الامر لو نازل قدره ما لو وقعت الغفلة عنه خيف ضرره فسبحان من ارسله

ارسله رحمة للعالمين لهم بيمن نقيبته بين مصالح الدنيا والدين صلى الله عليه وسلم وعلى آله اجمعين الثامنة ما طال
من اللحية وانما اخرناها ليلحق بها في اللحية من السنن والبدع اذ هذا اقرب موضع يليق بها وقد اختلفوا فيما طال منه
وقيل ان قبض الرجل على لحيته واخذ ما تحت القبضة فلا باس فقد فعله ابن عمر وجماعة من التابعين واستحسنه الشعبي
وابن سيرين وكرهه الحسن وقتادة وقالوا تركها بحالها احب لقوله صلى الله عليه وسلم اعفوا اللحى والامر في هذا قريب
اذا لم ينته الى تقصيص اللحية وتدويرها من الجوانب فان الطول المفرط قد يشوه الخلقة ويطلق ألسنة المغتابين بالنسبة
اليه فلا باس بالاحتراز عنه على هذه النية وقال النخعي عجبت لرجل عاقل طويل اللحية كيف لا ياخذ من لحيته فيجعلها بين لحيتين
فان التوسط في كل شيء حسن ولذلك قيل كلما طالت اللحية تشمر العقل فصل وفي اللحية عشر خصال مكروهة
وبعضها اشد من بعض وهو خضابها بالسواد وتبييضها بالكبريت ونتفها ونتف الشيب منها والنقصان منها والزيادة
فيها وتسريحها تصنعا لاجل الرياء وتركها شعثة اظهارا للزهد والنظر الى سوادها عجبا بالشباب والى بياضها تكبرا بعلو السن
وخضابها بالحمرة والصفرة من غير نية تشبها بالصالحين اما الاول وهو الخضاب بالسواد فهو منهي عنه قال صلى الله
عليه وسلم خير شبابكم من تشبه بشيوخكم وشر شيوخكم من تشبه بشبابكم والمراد بالتشبه بالشيوخ في الوقار لا في تبييض الشعر
ونهى عن الخضاب بالسواد وقال هو خضاب اهل النار وفي لفظ آخر الخضاب بالسواد خضاب الكفار وتزوج رجل على
عهد الخضاب بالسواد خضاب الكفار فنصل خضابه وظهرت شيبته فرفعه اهل المرأة الى عمر فرد نكاحه واوجعه ضربا
وقال غررت قوما بالشباب ولبست عليهم شيبتك ويقال اول من خضب بالسواد فرعون لعنه الله وعن ابن عباس عن النبي
صلى الله عليه وسلم يكون في آخر الزمان قوم يخضبون بالسواد كحواصل الحمام لا يريحون روائح الجنة الثاني الخضاب بالصفرة
والحمرة جائز تلبيسا للشيب على الكفار في الغزو والجهاد فان لم يكن على هذه النية بل للتشبه باهل الدين فهو مذموم وقد
قال صلى الله عليه وسلم الصفرة خضاب المسلمين والحمرة خضاب المؤمنين وكانوا يخضبون بالحناء للحمرة وبالخلوق والكتم للصفرة
وخضب بعض العلماء بالسواد وذلك لا باس به اذا صحت النية ولم يكن للصفرة وخضب بعض العلماء فيه هوى وشهوة الثالث [لاجل الغزو]
تبييضها بالكبريت استعجالا لاظهار السن توصلا الى التوقير وقبول الشهادة والتصديق بالرواية على الشيوخ وترفعا
على الشباب واظهارا للكثرة العلم ظنا بان كثرة الايام تعطيه فضلا وهيهات فلا يزيد كبر السن للجاهل الا جهلا فالعلم ثمرة
العقل وهي غريزة لا يؤثر الشيب فيها ومن كانت غريزته الحمق فطول المدة الحماقة وقد كان الشيوخ يقدمون الشباب بالعلم كان عمر
رضي الله عنه يقدم ابن عباس وهو حديث السن على اكابر الصحابة ويسأله دونهم وقال ابن عباس ما آتى الله تعالى عبدا
علما الا شابا والخير كله في الشباب ثم تلا قوله تعالى قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم وقال تعالى انهم فتية آمنوا
بربهم وقوله تعالى وآتيناه الحكم صبيا وكان انس يقول قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس في رأسه ولحيته عشرون
شعرة بيضاء فقيل له يا ابا حمزة وقد اسن فقال لم يشنه الله تعالى بالشيب فقيل او شين هو قال كلكم يكرهه ويقال ان يحيى بن
اكثم ولي القضاء وهو ابن احدى وعشرين سنة فقال له رجل في مجلسه يريد ان يخجله بصغر سنه كم سن القاضي ايده الله تعالى
فقال مثل سن عتاب بن اسيد حيث ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم امارة مكة وقضاءها فافحمه وروي عن مالك انه قال
قرأت في بعض الكتب لا تغرنكم اللحى فان التيس له لحية وقال ابو عمرو بن العلاء اذا رأيت الرجل طويل القامة صغير الهامة عريض
اللحية فاقض عليه بالحمق ولو كان امية بن عبد شمس وقال ايوب السختياني ادركت الشيخ ابن ثمانين سنة يتبع الغلام يتعلم منه

وقال علي بن الحسين من سبق اليه العلم قبلك فهو امامك فيه وان كان اصغر سنا منك وقيل لابي عمرو بن العلا ايحسن
من الشيخ ان يتعلم من الصغير قال لو كان الجهل يقبح به فالتعلم يحسن به وقال يحيى بن معين لاحمد بن حنبل وقد راه يمشي خلف بغلة
الشافعي يا ابا عبد الله تركت حديث سفين بعلوه وتمشي خلف بغلة هذا الفتى وتسمع عنه فقال احمد لو عرفت لكنت تمشي في الجانب
الاخر ان علم سفين ان فاتني بعلو ادركته بنزول وان عقل هذا الشاب ان فاتني لم ادركه بعلو ولا نزول السابع نتف بياضها
استنكافا من الشيبة وقد نهى عليه السلم عن نتف الشيب وقال هو نور المومن وهو في معنى الخضاب بالسواد وعلة الكراهة
ما سبق والشيب نور الله تعالى والرغبة عنه رغبة عن النور الخامس نتفها او نتف بعضها بحكم العبث والهوس وذلك
مكروه ومشوه للخلقة ونتف الفنيكين بدعة وهما جنبتا العنفقة شهد عند عمر بن عبد العزيز رجل كان ينتف فنيكيه فرد شهادته
ورد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وابن ابي ليلى قاضي المدينة شهادة من كان ينتف لحيته واما نتفها في اول النبات تشبها بالمرد فمن
المنكرات الكبار فان اللحية زينة للرجال ولله ملائكة يقسمون والذي زين بني آدم باللحى وهي من تمام الخلق وبها يتميز الرجال عن النسا وقيل
في غريب التاويل اللحية هي المراد بقوله تعالى يزيد في الخلق ما يشآ قال اصحاب الاحنف وددنا ان نشتري له لحية بعشرين الفا

وقال شريح القاضي وددت ان لي لحية بعشرة
الف وكيف تكره اللحية وفيها تعظيم الرجل
والنظر اليه بعين العلم والوقار و
الرفع في المجالس واقبال
الوجوه اليه و
التقديم
على

والتقديم على الجماعة ووقاية العرض فان من يشتم يعرض باللحية اذا كان للمشتوم لحية وقيل ان اهل الجنة مرد الا هرون اخو موسى
صلى الله عليه وسلم فان له لحية الى سرته تخصيصا له وتفضيلا السادس تقصيصها كالتعبئة طاقة على طاقة للتزين للنسآء
والتصنع قال كعب يكون في آخر الزمان اقوام يقصون لحاهم كذنب الحمامة ويعرقبون نعالهم كالمناجل اولئك لا خلاق لهم
السابع الزيادة فيها وهو ان يزيد في شعر العارضين من الصدغ وهو من شعر الراس حتى يجاوز عظم اللحى وينتهي الى نصف الخد وذلك
يباين هيئة اهل الصلاح الثامن تسريحها لاجل الناس قال بشر في اللحية شركان تسريحها لاجل الناس وتركها متفلة لاظهار الزهد
والتاسع والعاشر النظر الى سوادها او بياضها بعين التعجب وذلك مذموم في جميع البدن بل في جميع الاخلاق و
الافعال على ما سياتي بيانه فهذا ما اردنا ان نذكره من انواع التزين والنظافة وقد حصل من ثلاثة احاديث من سنن اثنى عشر
خمس منها في الراس فرق شعر الراس والمضمضة والاستنشاق والسواك وقص الشارب وثلثة في اليد والرجل وهي القلم وغسل
البراجم واربعة في الجسد وهو نتف الابط والاستحداد والختان والاستنجا بالما وقد وردت الاخبار بمجموع ذلك واذ كان
غرض هذا الكتاب التعرض للطهارة الظاهرة دون الباطنة فلنقتصر على هذا ولنتحقق ان فضلات الباطن واوساخها التي

التي يجب تنظيفها اكثر من ان تحصى وسياتي
وسياتي تفصيلها في ربع المهلكات مع تعريف
الطريق في ازالتها وتطهير القلب منها
تم كتاب الطهارة ولله الحمد
والصلوة على خير البرية
محمد واله وصحبه
كتاب اسرار
الصلوة

كتاب اسرار الصلوة و الرابع من ربع العبادات

بسم الله الرحمن الرحيم ومنه الاستعانة

الحمد لله الذي عمر العباد بلطائفه وعمر قلوبهم بانوار الدين ووظائفه الذي النزول عن عرش الجلال الى السماء الدنيا من درجات الرحمة احدى عواطفه وارق الملوك مع التفرد والجلال والكبرياء ترغيب الخلق في السوال والدعاء فقال هل من داع فاستجيب له وهل من مستغفر فاغفر له وباين السلاطين بفتح الباب ورفع الحجاب فرخص للعباد في المناجاة بالصلوات كيفما تقلبت بهم الجماعات والخلوات ولم يقتصر على الرخصة بل تلطف بالترغيب والدعوة وغيره من ضعفاء الملوك لا يسمح بالخلوة الا بعد تقديم الهدية والرشوة فسبحانه ما اعظم شانه واقوى سلطانه واتم لطفه واعم احسانه والصلوة على محمد نبيه المصطفى ووليه المجتبى وعلى آله واصحابه مفاتيح الهدى ومصابيح الدجى وسلم تسليما **اما بعد** فان الصلاة عماد الدين وعصام اليقين وسيد القربات وغرة الطاعات فقد استقصينا في فن الفقه في بسيط المذهب ووسيطه ووجيزه اصولها وفروعها صارفين جمام العناية الى تعاريفها النادرة ووقايعها الشاذة ليكون خزانة للمفتي منها يستمد ومعولا له اليه يفزع ويرجع ونحن الآن في هذا الكتاب مقتصرون على ما لا بد للمريد منه من اعمالها الظاهرة واسرارها الباطنة وكاشفون من دقايق معانيها الخفية في معاني الخشوع والاخلاص والنية ما لم يجر العادة بذكرها في الفقه ومرتبون للكتاب على سبعة ابواب

الباب الاول في فضائل الصلوات **الباب الثاني** في تفصيل الاعمال الظاهرة من الصلاة **الباب الثالث** في تفصيل الاعمال الباطنة منها **الباب الرابع** في الامامة والقدوة **الباب الخامس** في صلوة الجمعة وادابها **الباب السادس** في مسائل متفرقة يعم بها البلوى **الباب السابع** في التطوعات

الباب الاول

في فضائل الصلوات والسجود والجماعة والاذان وغيرها **فضيلة الاذان** قال صلى الله عليه وسلم ثلاثة يوم القيمة على كثيب من مسك اسود لا يهولهم حساب ولا ينالهم فزع حتى يفرغ ما بين الناس رجل قرا القرآن ابتغاء وجه الله وام بقوم وهم به راضون ورجل اذن في مسجد ودعا الى الله عز وجل ابتغاء وجه الله ورجل ابتلى بالرزق في الدنيا فلم يشغله ذلك عن عمل الآخرة وقال صلى الله عليه وسلم لا يسمع صوت المؤذن جن ولا انس ولا شي الا شهد له يوم القيمة وقيل في قوله تعالى ومن احسن قولا ممن دعا الى الله نزل في المؤذنين وقال صلى الله عليه وسلم اذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول المؤذن وذلك محبوب الا في الحيعلتين فانه يقول لا حول ولا قوة الا بالله وفي الثانية كذلك وفي قوله قد قامت الصلوة اقامها الله وادامها ما دامت السموات والارض وفي التثويب صدقت وعند فراغ المؤذن يقول اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلوة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة والمقام المحمود الذي وعدته قال سعيد بن المسيب من

من صلى بارض فلاة صلى عن يمينه ملك وعن شماله ملك فاذا اذن واقام صلى وراءه امثال الجبال من الملئكة

فضيلة المكتوبة قال الله تعالى ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا وقال صلى الله عليه وسلم خمس صلوات كتبهن الله عز وجل على العباد فمن جاء بهن لم يضيع منهن شيئا استخفافا بحقهن كان له عهد عند الله ان يدخله الجنة ومن لم يات بهن فليس له عند الله عهد ان شاء عذبه وان شاء ادخله الجنة وقال صلى الله عليه وسلم مثل الصلوات الخمس كمثل نهر عذب غمر بباب احدكم يقتحم فيه كل يوم خمس مرات فما ترون ذلك يبقى من درنه قالوا لا شي قال فان الصلوات الخمس تذهب بالذنوب كما يذهب الماء الدرن وقال ايضا ان الصلوات كفارات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر وقال بيننا وبين المنافقين شهود العتمة والصبح لا يستطيعونها وقال من لقي الله وهو مضيع للصلوات لم يعبا الله بشي من حسناته وقال الصلوة عماد الدين فمن تركها فقد هدم الدين وسئل اي الاعمال افضل فقال الصلوة لمواقيتها كانت له نورا وبرهانا يوم القيمة ومن ضيعها حشر مع فرعون وهامان وقال مفتاح الجنة الصلاة وقال ما افترض الله على خلقه بعد التوحيد احب اليه من الصلوة ولو كان شي احب اليه منه تعبد به ملائكته فمنهم راكع وساجد وقائم وقاعد وقال من ترك صلوة متعمدا فقد كفر اي قارب ان ينخلع عن الايمان بانحلال عروته وسقوط عمادة كما يقال لمن قارب البلدة انه بلغها ودخلها فقال صلى الله عليه وسلم من ترك صلوة متعمدا فقد برئ من ذمة محمد صلى الله عليه وسلم وقال ابو هريرة من توضا فاحسن وضوءه ثم خرج عامدا الى الصلوة فانه في صلوة ما كان يعمد للصلاة وانه يكتب له باحدى خطوتيه حسنة ويمحى عنه بالاخرى سيئة فاذا سمع احدكم الاقامة فلا يسع فان اعظمكم اجرا ابعدكم دارا قالوا لم يا ابا هريرة قال من اجل كثرة الخطى ويروى ان اول ما ينظر فيه يوم القيمة من عمل العبد الصلوة فان وجدت تامة قبلت منه وسائر عمله وان وجدت ناقصة ردت عليه وسائر عمله وقال صلى الله عليه وسلم يا ابا هريرة مر اهلك بالصلوة فان الله ياتيك بالرزق من حيث لا تحتسب وقال بعض العلماء مثل المصلي مثل التاجر الذي لا يحصل له الربح حتى يخلص له راس المال وكذلك المصلي لا يقبل له نافلة حتى يؤدي الفريضة وكان ابو بكر يقول اذا حضرت الصلوة قوموا الى ناركم التي اوقدتموها فاطفئوها

فضيلة اتمام الاركان قال صلى الله عليه وسلم مثل الصلوة المكتوبة كمثل الميزان من اوفى استوفى وقال يزيد الرقاشي كانت صلوة رسول الله صلى الله عليه وسلم مستوية كانها موزونة وقال صلى الله عليه وسلم ان الرجلين من امتي ليقومان الى الصلوة وركوعهما وسجودهما واحد وان ما بين صلوتيهما ما بين السماء والارض واشار الى الخشوع وقال صلى الله عليه وسلم اما يخاف الذي يحول وجهه في الصلاة ان يحول الله وجهه وجه حمار وقال ايضا من صلى الصلوة لوقتها فاسبغ وضوءها واتم ركوعها وسجودها وخشوعها عرجت وهي بيضاء مسفرة تقول حفظك الله كما حفظتني ومن صلى لغير وقتها فلم يسبغ وضوءها ولم يتم ركوعها ولا سجودها ولا خشوعها عرجت وهي سوداء مظلمة تقول ضيعك الله كما ضيعتني حتى اذا كانت حيث شاء الله لفت كما يلف الثوب الخلق فيضرب بها وجهه وقال صلى الله عليه وسلم اسوا الناس سرقة من سرق من صلوته وقال ابن مسعود وسلمان الصلوة مكيال فمن اوفى وفي له ومن طفف فقد علم ما قال الله تعالى في المطففين

فضيلة الجماعة قال صلى الله عليه وسلم صلوة الجماعة تفضل صلوة الفذ بسبع وعشرين درجة روى ابو هريرة انه صلى الله عليه وسلم فقد ناسا في بعض الصلوة فقال لقد هممت ان آمر رجلا يصلي بالناس ثم اخالف الى رجال يتخلفون عنها فآمر بهم فيحرقوا عليهم بحزم الحطب بيوتهم ولو علم احدهم انه يجد عظما سمينا لشهدها يعني صلوة العشاء وقال وروى مرفوعا عثمن من شهد العشاء فكانما قام نصف ليله ومن شهد الصبح فكانما قام الليلة وروي مرفوعا وقال صلى الله عليه وسلم من صلى صلوة في جماعة فقد ملا نحره عبادة وقال سعيد بن المسيب ما اذن

منذ عشرين سنة الا وانا في المسجد وقال محمد بن واسع ما اشتهي من الدنيا الا ثلاثة اخًا ان تعوجت قومني وقوتا من الرزق
عفوا بغير تبعة وصلوة في جماعة يرفع عني سهوها ويكتب لي فضلها وروي ان ابا عبيدة بن الجراح ام قوما مرة فلما انصرف قال
ما زال الشيطان دوني انفا حتى اريت ان لي فضلا على غيري لا اوم ابدًا وقال الحسن لا تصلوا خلف رجل لا يختلف الى العلماء وقال النخعي
مثل الذي يؤم الناس بغير علم كمثل الذي يكيل البحر لا يدري زيادته ونقصانه وقال حاتم الاصم فاتتني جماعة فعزاني ابو اسحق
المأموم
البخاري وحده ولو مات لي ولد لعزاني اكثر من عشرة آلاف لان مصيبة الدين اهون عند الناس من مصيبة الدنيا وقال ابن عباس
من سمع المنادي ثم لم يجب لم يرد خيرا ولم يرد به وقال ابو هريرة لان تملأ اذن ابن آدم رصاصا مذابا خير له من ان يسمع المنادي
ثم لم يجبه ويروى ان ميمون بن مهران اتى المسجد فقيل له ان الناس قد انصرفوا فقال انا لله لفضل هذه الصلوة احب الي
من ولاية العراق وقال صلى الله عليه وسلم من صلى اربعين يوما الصلوة في جماعة لا يفوته منها تكبيرة الاحرام كتب له
براءتان براءة من النفاق وبراءة من النار ويقال انه اذا كان يوم القيمة يحشر قوم وجوههم كالكوكب الدري فيقول لهم الملائكة
ما اعمالكم فيقولون كنا اذا سمعنا الاذان قمنا الى الطهارة لا يشغلنا غيرها ثم يحشر طائفة وجوههم كالاقمار فيقولون بعد
السؤال كنا نتوضأ قبل الوقت ثم يحشر طائفة وجوههم كالشمس فيقولون بعد السؤال كنا نسمع الاذان في المسجد وروي
ان السلف كانوا يعزون انفسهم ثلاثة ايام اذا فاتتهم التكبيرة الاولى ويعزون سبعا اذا فاتتهم الجماعة فضيلة السجود
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تقرب العبد الى الله عز وجل بشيء افضل من سجود خفي وقال ما منكم يسجد لله سجدة الا
رفعه الله بها درجة وحط بها عنه خطيئة وروي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادع الله ان يرزقني مرافقتك
في الجنة وان يجعلني من اهل شفاعتك فقال اعني بكثرة السجود وقيل ان اقرب ما يقرب العبد الى الله ان يكون ساجدا وهو معنى قوله
تعالى واسجد واقترب وقال عز وجل سيماهم في وجوههم من اثر السجود فقيل هو ما يلتصق بوجوههم من الارض عند السجود وقيل
هو نور الخشوع فانه يشرق من الباطن الى الظاهر وهو الاصح وقيل هي الغرر التي تكون في وجوههم يوم القيمة من اثر الوضوء وقال صلى الله عليه وسلم اذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي ويقول يا ويلاه امر هذا بالسجود
فسجد فله الجنة وامرت انا بالسجود فعصيت فلي النار ويروى عن علي بن عبد الله بن عباس انه كان يسجد في كل يوم الف سجدة
وكان يسمونه السجاد وروي ان عمر بن عبد العزيز كان لا يسجد الا على التراب وكان يوسف بن اسباط يقول يا معشر الشباب
بادروا الى الصحة قبل المرض فما بقي احد احسده الا رجل يتم ركوعه وسجوده وقد حيل بيني وبين ذلك فقال سعيد بن جبير
ما آسى على شيء من الدنيا الا على السجود وقال عقبة بن مسلم ما من خصلة في العبد احب الى الله من رجل يحب لقاء الله وما من
ساعة العبد فيها اقرب الى الله منه حيث يخر ساجدا وقال ابو هريرة اقرب ما يكون العبد الى الله اذا سجد فاكثروا الدعاء عند
ذلك فضيلة الخشوع قال الله تعالى واقم الصلوة لذكري وقال ولا تكن من الغافلين وقال تعالى لا تقربوا الصلوة
وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون قيل سكارى من كثرة الهم وقيل من حب الدنيا ووهب ان المراد به ظاهره ففيه تنبيه
على سكر الدنيا اذ بين فيه العلة فقال حتى تعلموا ما تقولون وكم من مصل لم يشرب الخمر وهو لا يعلم ما يقول في صلاته وقال
صلى الله عليه وسلم من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشيء من الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه وقال صلى الله عليه وسلم تمسكن
وتواضع وتضرع وتباس وتندم وتقنع بيديك فتقول اللهم اللهم فمن لم يفعل فهي خداج وروي عن الله سبحانه في الكتب السالفة
انه قال ليس كل مصل اتقبل صلوته انما اتقبل صلوة من تواضع لعظمتي ولم يتكبر علي واطعم الفقير الجائع لوجهي وقال

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما فرضت الصلوة وامر بالحج والطواف واشعرت المناسك لاقامة ذكر الله فاذا
لم يكن في قلبك للمذكور الذي هو المقصود والمبتغى عظمة ولا هيبة فما قيمة ذكرك وقال صلى الله عليه وسلم واذا صليت
صلاة فصل صلاة مودع اي مودع لنفسه مودع لهواه مودع لعمره سائر الى مولاه كما قال تعالى انك كادح الى ربك
كدحا فملاقيه وقال واتقوا الله واعلموا انكم ملاقوه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر
لم يزدد من الله الا بعدا والصلوة مناجاة فكيف تكون مع الغفلة وقال بكر بن عبد الله يا ابن آدم اذا شئت ان تدخل على مولاك
بغير اذن دخلت قيل كيف ذلك قال تسبغ وضوءك وتدخل محرابك فاذا انت قد دخلت على مولاك بغير اذن فتكلمه بغير ترجمان
وعن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا ونحدثه فاذا حضرت الصلوة فكانه لم يعرفنا ولم نعرفه اشتغالا
بعظمة الله وقال صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله الى صلوة لا يحضر الرجل فيها قلبه مع بدنه وكان ابراهيم الخليل صلى الله عليه
وسلم اذا قام الى الصلوة يسمع وجيب قلبه على ميلين وكان سعيد التنوخي اذا صلى لم تنقطع الدموع من خديه على لحيته ورأى
رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يعبث بلحيته في الصلوة فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه وروي ان الحسن نظر الى رجل
يعبث بالحصا ويقول اللهم زوجني الحور العين فقال بئس الخاطب انت تخطب الحور العين وانت تعبث وقيل لخلف بن
ايوب الا يؤذيك الذباب في الصلوة فتطردها فقال لا اعود نفسي شيئا يفسد علي صلوتي قيل له وكيف تصبر على ذلك قال
بلغني ان الفساق يصبرون تحت اسواط السلاطين ليقال فلان صبور ويفتخرون بذلك فانا قائم بين يدي ربي افاتحرك لذبابة
وروي عن مسلم بن يسار انه كان اذا اراد الصلوة قال لاهله تحدثوا انتم فاني لست اسمعكم وروي انه كان يصلي يوما في جامع
البصرة فسقطت ناحية من المسجد فاجتمع الناس لذلك فلم يشعر به حتى انصرف من الصلوة وكان علي بن ابي طالب اذا حضر وقت
الصلوة يتزلزل ويتلون فيقول له ما لك يا امير المؤمنين فيقول جاء وقت امانة عرضها الله على السموات والارض والجبال
فابين ان يحملنها واشفقن منها ويروى عن علي بن الحسين انه كان اذا توضأ اصفر لونه فيقول له اهله ما هذا الذي يعتادك
عند الوضوء فيقول اتدرون بين يدي من اريد ان اقوم وروي عن ابن عباس انه قال قال داود عليه السلم في مسكنتي من
تقبل الصلوة فاوحى الله تعالى اليه يا داود انما اسكن بيتي واتقبل صلوة من تواضع لعظمتي وقطع نهاره بذكري وكف
نفسه عن الشهوات من اجلي يطعم الجائع ويؤوي الغريب ويرحم المصاب فذلك الذي يضيء نوره في السماء كالشمس ان دعاني
لبيته وان سألني اعطيته اجعل له في الجهل حلما وفي الغفلة ذكرا وفي الظلمة نورا وانما مثله في الناس كالفردوس في الجنان
لا ييبس انهارها ولا يتغير ثمارها وروي عن حاتم الاصم انه سئل عن صلوته فقال اذا جاءت الصلوة اسبغت الوضوء واتيت الموضع
الكعبة
الذي اريد الصلوة فيه فاقعد فيه حتى تجتمع جوارحي ثم اقوم الى صلوتي فاجعل الكعبة بين حاجبي والصراط تحت قدمي والجنة
عن يميني والنار عن يساري وملك الموت ورائي واظنها آخر صلوتي ثم اقوم بين الرجاء والخوف واكبر تكبيرا بتحقيق واركع
ركوعا بتواضع واسجد سجودا بتخشع واقرأ قراءة بترتيل واقعد على الورك اليسرى وافرش ظهر قدمها وانصب القدم اليمنى
على الابهام واتبعها الاخلاص ثم لا ادري اقبلت مني ام لا وقال ابن عباس ركعتان مقتصدتان في تفكر خير من قيام ليلة
والقلب ساه فضيلة المسجد وموضع الصلوة قال الله تعالى انما يعمر مساجد الله من آمن بالله وقال صلى النبي صلى الله
عليه وسلم من بنى لله مسجدا ولو كمفحص قطاة بنى الله له قصرا في الجنة وقال من الف المسجد الفه الله عز وجل وقال اذا
دخل احدكم المسجد فليركع ركعتين قبل ان يجلس وقال لا صلوة لجار المسجد الا في المسجد وقال الملائكة تصلي على احدكم

ما دام في مصلاه الذي يصلي فيه اللهم اغفر له اللهم ارحمه ما لم يحدث او يخرج من المسجد وقال علي رضي الله عنه يأتي في آخر الزمان ناس من امتي يأتون المساجد فيقعدون فيها حلقا ذكرهم الدنيا وحب الدنيا لا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة وقال الله تعالى ان بيوتي في ارضي المساجد وان زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني فحق على المزور ان يكرم زائره وقال اذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالايمان وقال سعيد بن المسيب من جلس في المسجد فانما يجالس ربه فما حقه ان يقول الا خيرا وروي في الاثر او في الخبر الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش وقال النخعي كانوا يرون ان المشي في الليلة المظلمة موجب للجنة وقال انس بن مالك وقال علي بن ابي طالب اذا مات العبد بكى عليه مصلاه من الارض ومصعد عمله من السماء ثم قرأ فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين وقال ابن عباس تبكي عليه الارض اربعين صباحا وقال عطاء الخراساني ما من عبد يسجد لله سجدة في بقعة من بقاع الارض الا شهدت بها يوم القيمة وبكت عليه يوم يموت وقال انس بن مالك ما من بقعة يذكر الله عليها بصلوة او ذكر الا افتخرت على ما حولها من البقاع واستبشرت بذكر الله عز وجل الى منتهاها من سبع ارضين وما من عبد يقوم يصلي الا تزخرف له الارض ويقال ما من منزل ينزل فيه قوم الا اصبح ذلك المنزل يصلي عليهم او يلعنهم

الباب الثاني

في كيفية الاعمال الظاهرة من الصلوة والبداية بالتكبير وما قبله ينبغي للمصلي اذا فرغ من الوضوء وطهارة الخبث في البدن والثياب والمكان ومن ستر العورة من السرة الى الركبة ان ينتصب قائما متوجها الى القبلة ويراوح بين قدميه فلا يضمهما فان ذلك مما كان يستدل به على فقه الرجل وقد نهى عليه السلام عن الصفن والصفد في الصلوة والصفد هو اقتران القدمين في الصلوة معا ومنه قوله تعالى مقرنين في الاصفاد والصفن هو رفع احدى الرجلين ومنه قوله تعالى الصافنات الجياد هذا ما يراعي في رجله عند القيام ويراعي في ركبتيه ومعقد نطاقه الانتصاب واما رأسه فان شاء تركه على استواء القيام وان شاء اطرق والاطراق اقرب الى الخشوع واغض للبصر وليكن بصره محصورا على مصلاه الذي يصلي عليه فان لم يكن مصلى فليقرب من جدار او ليخطط خطا فان ذلك يقصر مسافة البصر ويمنع تفرق الفكر وليحجر على بصره ان يجاوز اطراف المصلى وحدود الخط وليدم على هذه القيام كذلك الى الركوع من غير التفات هذا ادب القيام فاذا استوى قيامه واستقباله واطراقه كذلك فليقرأ قل اعوذ برب الناس وقل اعوذ برب الفلق تحصنا به من الشيطان ثم ليأت بالاقامة وان كان يرجو حضور من يقتدي به فليؤذن اولا ثم ليحضر النية وهو ان ينوي في الظهر مثلا ويقول اودي فريضة الظهر لله تعالى ليميز بقوله اودي عن القضاء وبالفريضة عن النفل وبالظهر عن العصر وغيره وليكن معاني هذه الالفاظ حاضرة في قلبه فانه النية والالفاظ مذكرات واسباب لحضورها ويجتهد ان يستديم ذلك الى آخر التكبير حتى لا يعزب فاذا حضر ذلك في قلبه فليرفع يديه الى حذو منكبيه بعد ارسالهما بحيث يحاذي بكفيه منكبيه وبابهاميه شحمة اذنيه وبرؤس اصابعه رؤس اذنيه ليكون جامعا بين الاخبار الواردة فيه ويكون مقبلا بكفيه الى القبلة ويبسط الاصابع ولا يقبضها ولا يتكلف فيها تفريجا ولا ضما بل يتركها على مقتضى طبعها اذ نقل في الاثر النشر والضم وهذا بينهما فهو اولى واذا استقرت اليدان في مقرهما ابتدأ التكبير مع ارسالهما واحضار النية ثم يضع اليدين على ما فوق السرة وتحت الصدر وفوق السرة ويضع اليمنى على اليسرى اكراما لليمنى بان تكون محمولة وينشر المسبحة والوسطى من اليمنى على طول الساعد ويقبض بالخنصر والبنصر على كوع اليسرى وقد روي التكبير مع رفع اليد ومع استقرارهما ومع الارسال وكل ذلك لا حرج فيه واراه بالارسال اليق فانه كلمة العقد ووضع احدى اليدين على الاخرى في صورة العقد ومبداه الارسال وآخره الوضع ومبدأ التكبير الالف وآخره الراء فيليق مراعاة التطابق بين الفعل والعقد واما رفع اليد فكالمقدمة لهذه البداية ثم لا ينبغي ان يرفع يديه الى قدام دفعا عند التكبير ولا يردهما الى

خلف منكبيه ولا ينفضهما عن يمين وشمال نفضا اذا فرغ من التكبير ويرسلهما ارسالا خفيفا رفيقا ويستأنف وضع اليمنى على الشمال بعد الارسال وفي بعض الروايات انه كان اذا كبر ارسل يديه واذا اراد ان يقرأ وضع اليمنى على اليسرى فان صح هذا فهو اولى مما ذكرناه واما التكبير فينبغي ان يضم الهاء من الله ضمة خفيفة من غير مبالغة ولا يدخل بين الهاء والالف واللام شبه الواو وذلك ينساق اليه بالمبالغة ولا يدخل بين باء اكبر والفه الفا كانه يقول اكبار ويجزم راء التكبير ولا يضمه فهذه هيئة التكبير وما معه ثم يبتدي بدعاء الاستفتاح ويحسن ان يقول عقيب قوله الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا وجهت وجهي الى قوله وانا من المسلمين ثم يقول سبحانك اللهم وبحمدك تبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك ليكون جامعا متفرقات ما ورد في الاخبار وان كان خلف الامام اختصر ان لم يسكت الامام سكتة طويلة يقرأ فيها الفاتحة ثم يقول اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم يقرأ الفاتحة بتمام تشديداتها وحروفها ويجتهد في الفرق بين الضاد والظاء ويقول آمين في آخر الفاتحة ويمدها مدا ولا يصل آمين بقوله ولا الضالين وصلا ويجهر بالقراءة في الصبح والمغرب والعشاء الا ان يكون مأموما ويجهر بالتأمين ثم يقرأ السورة او قدر ثلاث آيات من القرآن فما فوقها ولا يصل آخر السورة بتكبير الهوي بل يفصل بينهما بقدر قوله سبحان الله ويقرأ في الصبح من السور الطوال المفصل وفي المغرب قصارها وفي الظهر والعصر والعشاء نحو والسماء ذات البروج وما قاربها وفي الصبح في السفر قل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد وكذلك في ركعتي الفجر والطواف والتحية وهو في جميع ذلك مستديم للقيام ووضع اليدين كما وصفناه في اول الصلاة الركوع وان يرفع يديه مع تكبيرة الركوع وان يضع راحتيه على ركبتيه واصابعه منشورة موجهة نحو القبلة على طول الساق وان ينصب ركبتيه ولا يثنيهما وان يمد ظهره مستويا وان يكون عنقه ورأسه مع ظهره كالصفيحة الواحدة لا يكون رأسه اخفض ولا ارفع وان يجافي مرفقيه عن جنبيه وتضم المرأة مرفقيها الى جنبيها وان يقول سبحان ربي العظيم ثلثا والزيادة الى السبعة والى العشرة حسن ان لم يكن اماما ثم يرتفع من الركوع الى القيام ويرفع يديه ويقول سمع الله لمن حمده ويطمئن في الاعتدال ويقول ربنا لك الحمد ملء السموات والارض وملء ما شئت من شيء بعد ولا يطول هذا القيام الا في صلوة التسبيح ويقنت في الصبح في الركعة الثانية بالكلمات المأثورة ثم يهوي الى السجود مكبرا فيضع ركبتيه على الارض ويضع جبهته وكفيه مكشوفة ويكبر عند الهوي ولا يرفع يديه في غير الركوع وينبغي ان يكون اول ما يقع منه على الارض ركبتاه وان يضع بعدهما يديه ثم يضع بعدهما وجهه وان يضع انفه على الارض وان يجافي مرفقيه عن جنبيه ولا تفعل المرأة ذلك وان يفرج بين رجليه ولا تفعل المرأة ذلك وان يكون مخويا ولا تكون المرأة مخوية والتخوية رفع البطن من الفخذين والتفريج بين الفخذين وان يضع يديه على الارض حذو منكبيه وان لا يفرج اصابعهما بل يضمهما ويضم الابهام اليها وان لم يضم الابهام فلا بأس ولا يفترش ذراعيه على الارض كما يفترش الكلب فانه منهي عنه وان يقول سبحان ربي الاعلى ثلثا فان زاد فحسن الا ان يكون اماما ثم يرتفع من السجود فيطمئن جالسا معتدلا ويرفع رأسه مكبرا ويجلس على رجله اليسرى وينصب قدمه اليمنى ويضع يديه على فخذيه والاصابع منشورة ولا يتكلف ضمها ولا تفريجها ويقول رب اغفر لي وارزقني وارحمني واهدني واجبرني وعافني واعف عني ولا يطول هذه الجلسة الا في سجود التسبيح ويأتي بالسجدة الثانية كذلك ويستوي منه جالسا جلسة خفيفة للاستراحة في كل ركعة لا يتشهد عقيبها ثم يقوم فيضع اليد على الارض ولا يقدم احدى رجليه في حالة الارتفاع ويمد التكبير حتى يستغرق ما بين وسط ارتفاعه عن القعود الى وسط ارتفاعه الى القيام بحيث يكون هاء الله عند استوائه جالسا وكاف اكبر عند اعتماده على اليد للقيام وراء اكبر في وسط ارتفاعه الى القيام ويبتدي في وسط انتقاله ولا يخلو عنه الا طرفاه فهو اقرب الى التعميم ويصلي الركعة الثانية كالاولى

ويعيد التعوذ في الابتداء ثم يتشهد في الركعة الثانية التشهد الاول ثم يصلي على رسول الله وآله ويضع يده اليمنى على فخذه اليمنى ويقبض اصابعه اليمنى الا المسبحة وارسال الابهام ويشير بمسبحته وحدها عند قوله الا الله لا عند قوله لا اله ويجلس في هذا التشهد على رجله اليسرى كما بين السجدتين وفي التشهد الاخير يستكمل الدعاء المأثور بعد الصلوة على الاول وسنته كسنن التشهد الاول لكن يجلس في الاخير على وركه الايسر لانه ليس مستوفزا للقيام بل هو مستقر ويضع رجله اليسرى خارجة من تحته وينصب اليمنى ويخرج راس الابهام الى جهة القبلة ان لم يشق عليه ثم يقول السلام عليكم ورحمة الله ويلتفت يمينا بحيث يرى خده الايمن من وراءه من جانب اليمين ويلتفت شمالا كذلك ويسلم تسليمة ثانية وينوي الخروج بالسلام من الصلوة وينوي بالسلام على من على يمينه من الملائكة والمسلمين في الاولى وينوي مثل ذلك في الثانية ويحذف السلام فلا يمده مدا فهو السنة هذه هيئة صلوة المنفرد

المنهيات — نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصلاة عن الصفن والصفد وقد ذكرناهما وعن الاقعاء وعن السدل والكف وعن الاختصار وعن الصلب وعن صلوة الحاقن والحاقب والحازق وعن صلوة الجائع والمقطب والغضبان والمتلثم وهو ستر الوجه اما الاقعاء فهو عند اهل اللغة ان يجلس على وركيه وينصب ركبتيه وعند اهل الحديث ان يجلس على ساقيه جاثيا وليس على الارض الا رؤوس اصابع الرجلين والركبتين واما السدل فمذهب اهل الحديث فيه ان يلتحف بثوبه ويدخل يديه من داخل فيركع ويسجد كذلك وكان هذا فعل اليهود في صلواتهم فنهوا عن التشبه والقميص في معناه فلا ينبغي ان يركع ويسجد ويداه في القميص وقيل معناه ان يضع وسط الازار على راسه فيرسل طرفيه عن يمينه وشماله من غير ان يجعلهما على كتفيه والاول اقرب واما الكف فهو ان يرفع ثيابه من بين يديه او من خلفه اذا اراد السجود وقد يكون الكف في شعر الراس فلا يصلين وهو عاقص شعره والنهي للرجال وفي الحديث امرت ان اسجد على سبعة اعضاء ولا اكف شعرا ولا ثوبا وكره احمد بن حنبل ان يأتزروا فوق القميص في الصلوة وراه من الكف واما الاختصار فان يضع يديه على خاصرتيه واما الصلب فان يضع يديه على خاصرتيه ويجافي بين عضديه في القيام واما المواصلة [هامش: تعرف المواصلة] فهي خمسة اثنان على الامام ان لا يصل قراءته بتكبيرة الاحرام ولا تسليمته بتسليمة وواحدة بينهما ان لا يصل تسليم الفرض بالتسليمة الثانية وليفصل بينهما واما الحاقن فمن البول والحاقب من الغائط والحازق صاحب الخف الضيق فان كل ذلك يمنع الخشوع وفي معناه الجائع والمهتم وفهم نهي الجائع من قوله صلى الله عليه وسلم اذا حضر العشاء واقيمت الصلوة فابدأوا بالعشاء الا ان يضيق الوقت ويكون ساكن القلب وفي الخبر لا يدخل احدكم الصلوة وهو مقطب ولا يصلين احدكم وهو غضبان وقال الحسن كل صلوة لا يحضر فيها القلب فهي الى العقوبة اسرع وفي الخبر سبعة اشياء في الصلوة من الشيطان الرعاف والنعاس والوسوسة والتثاؤب والحكاك والالتفات والعبث بالشيء وزاد بعضهم السهو والشك وقال بعض السلف اربعة في الصلوة من الجفاء الالتفات ومسح الوجه وتسوية الحصا وان يصلي بطريق من يمر بين يديك ونهى ايضا عن ان يشبك اصابعه او يفرقع اصابعه او يستر وجهه او يضع احدى كفيه على الاخرى ويدخلهما بين فخذيه في الركوع قال بعض الصحابة كنا نفعل ذلك فنهينا عنه ويكره ايضا ان ينفخ في الارض عند السجود للتنظيف وان يسوي الحصا بيده فانها افعال مستغنى عنها ولا يرفع احدى قدميه فيضعها على فخذه ولا يستند في قيامه الى حائط فان استند بحيث لو سقط لسقط فالاظهر بطلان صلوته [illegible] الفرايض والسنن جملة ما ذكرناه اشتملت على السنن والهيئات والآداب وينبغي لمريد الآخرة جميعها والفرض من جملتها اثنا عشر النية وقوله الله اكبر والقيام والفاتحة والانحناء في الركوع الى ان تنال راحتاه ركبتيه مع الطمأنينة والاعتدال عنه قائما والسجود مع الطمأنينة ولا يجب وضع اليدين والاعتدال عنه قاعدا والجلوس للتشهد الاخير والتشهد الاخير والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم والسلام الاول فاما

نية الخروج فلا يجب وما عدا هذا فليس بواجب بل هي سنن وهيئات فيها وفي الفرائض اما السنن فمن الافعال رفع اليدين في تكبيرة الاحرام وعند الهوي الى الركوع وعند الارتفاع وللتشهد الاول واما ما ذكرناه من كيفية نشر الاصابع وحد رفعها [هامش: الجلسة] فهي هيئات تابعة لهذه السنة والتورك والافتراش هيئة تابعة للجلسة والاطراق وترك الالتفات هيئة القيام وتحسين صورته وجلسة الاستراحة لم نعدها من السنن في الافعال لانها كالتحسين لهيئة الارتفاع من السجود الى القيام لانها ليست مقصودة في نفسها ولذلك لم يفرد بذكر واما السنن من الاذكار فدعاء الاستفتاح ثم التعوذ ثم قوله آمين فانه سنة مؤكدة ثم قراءة السورة ثم تكبيرات الانتقالات ثم الذكر في الركوع والسجود والاعتدال عنهما ثم التشهد الاول والصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم وآله فيه ثم الدعاء في آخر التشهد الاخير ثم التسليمة الثانية وهذه وان جمعناها في اسم السنة فلها درجات متفاوتة اذ يجبر من جملتها بسجود السهو اربعة اما من الافعال فواحد وهو الجلسة الاولى للتشهد الاول فانها مؤثرة في ترتيب نظم الصلاة في اعين الناظرين حتى يعرف بها انها رباعية ام لا بخلاف رفع اليدين فانه لا يؤثر في تغيير النظم فعبر عن ذلك بالبعض وقيل الابعاض تجبر بالسجود واما الاذكار فكلها لا تقتضي السجود الا ثلثة القنوت والتشهد الاول والصلوة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه بخلاف تكبيرات الانتقالات واذكار الركوع والسجود والاعتدال عنهما لان الركوع والسجود في صورتهما مخالف للعادة ويحصل بهما معنى العبادة مع السكوت عن الاذكار وعن تكبيرات الانتقالات فعدم تلك الاذكار لا تغير صورة العبادة واما الجلسة للتشهد الاول ففعل معتاد وما اريدت الا للتشهد فتركها ظاهر التأثير واما دعاء الاستفتاح والسورة فتركهما لا يؤثر مع ان القيام صار معمورا بالفاتحة ومميزا عن العادة به وكذلك الدعاء في التشهد الاخير والقنوت ابعد ان يجبر بالسجود ولكنه شرع مد الاعتدال في الصبح لاجله فكان كمد جلسة الاستراحة اذ صار بالمد مع التشهد جلسة للتشهد الاول فبقي هذا قياما ممدودا ليس فيه ذكر واجب وفي الممدود احتراز عن غير الصبح وفي خلوه عن ذكر واجب احتراز عن اصل القيام في الصلوة فان قلت تمييز السنن عن الفرائض معقول اذ تفوت الصحة بفوت الفرض دون السنة ويتوجه العقاب به دونها واما تمييز سنة عن سنة والكل مامور على سبيل الاستحباب ولا عقاب في ترك الكل والثواب مرجو على الكل ما معناه فاعلم ان اشتراكها في الثواب والعقاب والاستحباب لا يدفع تفاوتها وينكشف لك ذلك بمثال وهو ان الانسان لا يكون انسانا موجودا كاملا الا بمعنى باطن واعضاء ظاهرة المعنى الباطن هو الحيوة والروح والظاهر اجسام اعضائه ثم بعض تلك الاعضاء ينعدم الانسان بعدمه كالقلب والكبد والدماغ وكل عضو تفوت الحيوة بفواته وبعضها لا تفوت الحيوة بفواته ولكن يفوت بها مقاصد الحيوة كالعين واليد والرجل واللسان وبعضها لا يفوت بها اصل الحيوة ولا مقاصدها ولكن يفوت بها الحسن كالحاجبين واللحية والاهداب وحسن اللون وبعضها لا يفوت بها اصل الجمال ولكن كماله كاستقواس الحاجبين وسواد شعر اللحية وتناسب خلقة الاعضاء وامتزاج الحمرة بالبياض في اللون فهذه درجات متفاوتة وكذلك العبادة صورة صورها الشرع ويفيدنا اكتسابها فروحها وحيوتها الباطنة الخشوع والنية وحضور القلب والاخلاص كما سيأتي ونحن الآن في اجزائها الظاهرة فالركوع والسجود والقيام وسائر الاركان تجري منها مجرى القلب والراس والكبد اذ يفوت وجود الصلاة بفواتها والسنن التي ذكرناها من رفع اليدين ودعاء الاستفتاح والتشهد الاول تجري مجرى العينين واليدين والرجلين لا تفوت الصحة بفواتها كما لا تفوت الحيوة بفوات هذه الاعضاء ولكن يصير الشخص بسببه مشوه الخلقة مذموما غير مرغوب فيه فكذلك من اقتصر على اقل ما يجزي من الصلوة كان كمن اهدى الى ملك من ملوك الارض عبدا حيا مقطوع الاطراف واما الهيئات

وهي وراء السنن فيجري مجرى اسباب الحسن من الحاجبين واللحية والاهداب وحسن اللون واما لطائف الآداب في تلك السنن
فهي مكملات الحسن كاستقواس الحاجبين واستدارة اللحية وغيرها فالصلاة عندك تحفة تتقرب بها الى حضرة ملك الملوك
كوصيفة يهديها طالب القربة من السلاطين اليهم وهذه التحفة تعرض على الله ثم ترد عليك في يوم العرض الاكبر فاليك الخيرة في
تحسين صورتها وتقبيحها فان احسنت فلنفسك وان اسأت فعليها ولا ينبغي ان يكون حظك من ممارسة الفقه ان يتميز لك السنة
عن الفرض فلا يعلق بفهمك من اوصاف السنة الا انه يجوز تركها فتتركها فان ذلك يضاهي قول الطبيب ان فقء العينين لا يبطل وجود
الانسان ولكن يخرجه عن ان يصدق رجاء المتقرب في قبول السلطان اذا اخرج في معرض الهدية فهكذا ينبغي ان تفهم مراتب السنن والهيئات
والآداب فكل صلاة لم يتم الانسان ركوعها وسجودها فهي الخصم الاول على صاحبها تقول ضيعك الله كما ضيعتني فطالع الاخبار التي
اوردناها في كمال اركان الصلاة ليظهر لك وقعها

الباب الثالث في الشروط الباطنة من اعمال القلب

ولنذكر في هذا الباب ارتباط الصلاة بالخشوع وحضور القلب ثم لنذكر المعاني الباطنة وحدودها واسبابها وعلاجها ثم لنذكر تفصيل ما ينبغي ان يحضر في كل ركن من الصلاة ليكون صالحة لزاد الآخرة

بيان اشتراط الخشوع وحضور القلب اعلم ان ادلة ذلك كثيرة فمن ذلك قوله تعالى اقم الصلاة لذكري وظاهر الامر الوجوب والغفلة
تضاد الذكر فمن غفل في جميع صلاته كيف يكون مقيما للصلاة لذكره وقوله ولا تكن من الغافلين نهي وظاهره التحريم
وقوله تعالى حتى تعلموا ما تقولون تعليل لنهي السكران وهو مطرد في الغافل المستغرق الهم بالوسواس وافكار الدنيا وقوله
صلى الله عليه وسلم انما الصلاة تمسكن وتواضع حصر بالالف واللام وكلمة انما للتحقيق والتوكيد وقد فهم الفقهاء في
قوله انما الشفعة فيما لم يقسم الحصر والاثبات والنفي وقوله صلى الله عليه وسلم من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد
من الله الا بعدا وصلاة الغافل لا تمنع من الفحشاء وقال صلى الله عليه وسلم كم من قائم حظه من صلاته التعب والنصب وما اراد به
الا الغافل وقال ايضا ليس للعبد من صلاته الا ما عقل والتحقيق فيه ان المصلي مناج ربه كما ورد به الخبر والكلام مع الغفلة
ليس بمناجاة البتة وبيانه ان الزكاة ان غفل الانسان مثلا فهي في نفسها مخالفة للشهوة شديدة على النفس وكذا الصوم قاهر للقوى
كاسر لسطوة الهوى التي هي آلة الشيطان عدو الله فلا يبعد ان يحصل منهما مقصود مع الغفلة وكذلك الحج افعاله شاقة شديدة
وفيه من المجاهدة ما يحصل به الايلام كان القلب حاضرا مع افعاله او لم يكن اما الصلاة فليس فيها الا ذكر وقراءة وركوع وسجود
وقيام وقعود فاما الذكر فانه مجاورة ومناجاة مع الله تعالى فاما ان يكون المقصود منه كونه خطابا ومحاورة او المقصود
الحروف والاصوات امتحانا للسان بالعمل كما تمتحن المعدة والفرج بالامساك في الصوم وكما يمتحن البدن بمشاق الحج ويمتحن القلب
بمشقة اخراج الزكاة واقتطاع المال المعشوق ولا شك في ان هذا القسم باطل فان تحريك اللسان بالهذيان
ما اخفه على الغافل فليس فيه امتحان من حيث انه عمل بل المقصود الحروف من حيث انه نطق ولا يكون نطقا الا اذا اعرب
عما في الضمير ولا يكون معربا الا بحضور القلب فاي سؤال في قوله اهدنا الصراط المستقيم اذا كان القلب غافلا وان لم يقصد
كونه تضرعا ودعاء فاي مشقة في تحريك اللسان به مع الغفلة لا سيما بعد الاعتياد هكذا حكم الاذكار بل اقول لو حلف
الانسان وقال لاشكرن فلانا واثني عليه واسأله حاجته ثم جرت الالفاظ الدالة على هذه المعاني على لسانه في النوم
لم يبر في يمينه ولو جرى على لسانه في ظلمة وذلك الانسان حاضر وهو لا يعرف حضوره ولا يراه لا يصير بارا في يمينه
اذ لا يكون كلامه خطابا ونطقا معه ما لم يكن هو حاضرا في قلبه فلو كان يجري هذه الكلمات على لسانه وهو حاضر الا

انه في بياض النهار غافل لكونه مستغرق الهم بفكر من الافكار ولم يكن له قصد توجيه الخطاب عليه عند نطقه
لم يصر بارا في يمينه ولا شك في ان المقصود من القراءة والاذكار الحمد والثناء والتضرع والدعاء والمخاطب هو الله
وقلبه بحجاب الغفلة محجوب عنه فلا يراه ولا يشاهده بل هو غافل عن المخاطب ولسانه يتحرك بحكم العادة فما ابعد هذا عن
المقصود التي شرعت لتصقيل القلب وتجديد ذكر الله وترسيخ عقد الايمان به هذا حكم القراءة والذكر وبالجملة فهذه الخاصة
لا سبيل الى انكارها في النطق وتميزه عن الفعل بها واما الركوع والسجود فالمقصود التعظيم بهما قطعا ولو جاز ان
يكون معظما لله بفعله وهو غافل عنه لجاز ان يكون معظما لصنم موضوع بين يديه وهو غافل عنه او يكون معظما للحائط الذي
بين يديه وهو غافل واذا خرج عن كونه تعظيما لم يبق الا مجرد حركة للظهر والرأس وليس فيه من المشقة ما يقصد الامتحان به ثم
يجعل عماد الدين والفاصل بين الكفر والايمان ويقدم على الحج وسائر العبادات ويجب القتل بسبب تركه على الخصوص وما ارى
ان هذه العظمة للصلاة من حيث اعمالها الظاهرة الا ان يضاف اليها مقصود المناجاة فان ذلك يتقدم على الصوم والزكاة والحج وغيره
بل الضحايا والقرابين التي هي مجاهدة النفس بتنقيص المال قال الله تعالى فيه لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله
التقوى منكم اي الصفة التي استولت على القلب حتى حملت على امتثال الاوامر هي المطلوبة فكيف الامر في الصلاة ولا ارب في افعالها
فهذا ما يدل من حيث المعنى على اشتراط حضور القلب فان قلت ان حكمت ببطلان الصلاة وجعلت حضور القلب شرطا في صحتها خالفت
به جميع الفقهاء فانهم لم يشترطوا حضور القلب الا عند التكبير فاعلم انه قد تقدم في كتاب العلم ان الفقهاء لا يتصرفون في الباطن
ولا يشقون عن القلوب ولا في طريق الآخرة بل يبنون ظاهر احكام الدين على ظاهر اعمال الجوارح وظاهر الاعمال كاف لسقوط القتل
وتعزير السلطان فاما انه ينفع في الآخرة فليس هذا من حدود الفقه على انه لا يمكن ان يدعى الاجماع فقد نقل بشر بن الحارث فيما رواه
ابو طالب المكي عن سفين الثوري انه قال من لم يخشع فسدت صلاته وروي عن الحسن انه قال كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهي الى
العقوبة اسرع وعن معاذ بن جبل من عرف من على يمينه وشماله متعمدا وهو في الصلاة فلا صلاة له وروي ايضا مسندا قال عليه السلام
ان العبد ليصلي الصلاة لا يكتب له سدسها ولا عشرها وانما يكتب للعبد من صلاته ما عقل منها وهذا لو نقل عن غيره لجعل مذهبا
فكيف لا يتمسك به وقال عبد الواحد بن زيد اجمعت العلماء انه ليس للعبد من صلاته الا ما عقل منها فجعله اجماعا وما نقل من هذا الجنس
عن الفقهاء المتورعين وعن علماء الآخرة اكثر من ان يحصى والحق الرجوع الى ادلة الشرع والاخبار ظاهرة في هذا الشرط الا ان مقام
الفتوى في التكليف الظاهر يتقدر بقدر قصور الخلق فلا يمكن ان يشترط على الناس احضار القلب في جميع الصلاة فان ذلك يعجز عنه
كل البشر الا الاقلين واذا لم يمكن اشتراط الاستيعاب للضرورة فلا مرد له الا ان يشترط فيه ما يطلق عليه الاسم ولو في اللحظة
الواحدة واولى اللحظات به لحظة التكبير فاقتصرنا على التكليف بذلك ونحن مع ذلك نرجو ان لا يكون حال الغافل في جميع صلاته
مثل حال التارك بالكلية فانه على الجملة اقدم على الفعل ظاهرا واحضر القلب لحظة وكيف لا والذي صلى مع الحدث ناسيا صلاته
باطلة عند الله ولكن له اجر بحسب فعله وعلى قدر قصوره وعذره ومع هذا الرجاء فيخشى ان يكون حاله اشد من حال التارك
وكيف لا والذي يحضر الخدمة ويتهاون بالحضرة ويتكلم بكلام الغافل المستحقر اشد حالا من الذي يعرض عن الخدمة واذا تعارض
اسباب الخوف والرجاء وصار الامر مخطرا في نفسه فاليك الخيرة بعده في الاحتياط والتساهل ومع هذا فلا مطمع في مخالفة
الفقهاء فيما افتوا به من الصحة مع الغفلة فان ذلك من ضرورة الفتوى كما سبق التنبيه عليه ومن عرف سر الصلاة علم ان الغفلة
تضادها ولكن قد ذكرنا في الفرق بين العلم الباطن والظاهر في كتاب قواعد العقائد ان قصور الخلق احد الاسباب المانعة عن التصريح

بكل ما ينكشف من اسرار الشرع فلنقتصر على هذا القدر من البحث فان فيه مقنع للمريد الطالب لطريق الاخرة واما المجادل
المشغب فلسنا نقصد مخاطبته وحاصل الكلام ان حضور القلب هو روح الصلوة وان اقل ما يبقى به رمق الروح الحضور
عند التكبير حتى لا حراك به **بيان** المعاني الباطنة التي بها تتم حيوة الصلوة اعلم ان هذه تكثر العبارات عنها ولكن
يجمعها ستة جمل وهي حضور القلب والتفهم والتعظيم والهيبة والرجا والحيا فلنذكر تفاصيلها ثم اسبابها ثم العلاج في
اكتسابها اما التفاصيل فالاول حضور القلب ونعني به ان يفرغ القلب عن غير ما هو ملابس له ومتكلم به فيكون
العلم بالفعل والقول مقرونا بهما ولا يكون الفكر جاريا في غيرهما ومهما انصرف عن غير ما هو فيه وكان في قلبه ذكر لما هو فيه
ولم يكن فيه غفلة عن كل شي فقد حصل حضور القلب ولكن التفهم لمعنى الكلام امر ورآ حضور القلب وربما يكون القلب
حاضرا مع اللفظ ولا يكون حاضرا مع معنى اللفظ فاشتمال القلب على العلم بمعنى اللفظ هو الذي اردناه بالتفهم وهذا
مقام يتفاوت الناس فيه اذ ليس يشترك الناس في تفهم المعاني للقرآن والتسبيحات وكم من معاني لطيفة يفهمها المصلي
في اثنآ الصلوة ولم يكن قد خطر بقلبه ذلك قبله ومن هذا الوجه كانت الصلوة ناهية عن الفحشآ والمنكر فانها تفهم امورا
تلك الامور تمنع من الفحشآ لا محالة واما التعظيم فهو امر ورآ حضور القلب والفهم اذ الرجل يخاطب عنده وهو حاضر القلب
فيه ومتفهم لمعناه ولا يكون معظما له فالتعظيم زايد عليهما ه واما الهيبة فزايدة على التعظيم بل هي عبارة عن
خوف منشاه التعظيم لان من لا يخاف لا يسمى هايبا والمخافة من العقرب وسوء خلق العبد وما يجري مجراه من الاسباب الخسيسة لا
يسمى مهابة بل الخوف من المعظم يسمى مهابة فالهيبة خوف مصدرها الاجلال واما الرجا فلا شك في انه زايد فكم من معظم
ملكا من الملوك يهابه او يخاف سطوته ولكن لا يرجو مبرته والعبد ينبغي ان يكون راجيا بصلوته ثواب الله كما انه خايف بتقصيره
عقاب الله واما الحيا فهو زايد على الجملة لان مستنده استشعار تقصير وتوهم ذنب ويتصور التعظيم والخوف والرجا
من غير حيا حيث لا يكون توهم تقصير وارتكاب ذنب ه واما اسباب هذه المعاني الستة فاعلم ان حضور القلب سببه الهمة
فان قلبك تابع لهمتك فلا يحضر الا فيما يهمك ومهما اهمك امر حضر القلب شآء ام ابى فهو مجبول عليه ومسخر فيه والقلب اذا
لم يحضر الصلوة لم يكن متعطلا بل كان حاضرا فيما الهمة مصروفة اليه من امور الدنيا فلا حيلة ولا علاج لاحضار القلب الا بصرف
الهمة الى الصلاة والهمة لا ينصرف اليها ما لم يتبين ان الغرض المطلوب منوط بها وذلك هو الايمان والتصديق بان الاخرة خير
وابقى وان الصلوة وسيلة اليها فاذا اضيف هذا الى حقيقة العلم بحقارة الدنيا ومهانتها حصل من مجموعها حضور القلب
في القلب بمثل هذه العلة يحضر قلبك اذا حضرت بين يدي بعض الاكابر ممن لا يقدر على مضرتك ومنفعتك فاذا كان لا يحضر
عند المناجاة مع ملك الملوك الذي بيده الملك والملكوت والنفع والضر فلا تظنن ان له سببا سوى ضعف الايمان فاجتهد
الآن في تقوية الايمان فطريقه يستقصى في غير هذا الموضع ه واما التفهم فسببه بعد حضور القلب ادمان الفكر وصرف
الذهن الى ادراك المعنى وعلاجه ما هو علاج احضار القلب مع الاقبال على الفكر والتشمر لرفع الخواطر الشاغلة وعلاج دفع
الخواطر الشاغلة قطع موادها اعني النزوع عن تلك الاسباب التي تنجذب الخواطر اليها وما لم تنقطع تلك المواد لا تنصرف
عنها الخواطر فمن احب شيئا اكثر من ذكره فذكر المحبوب يهجم على القلب بالضرورة فلذلك ترى ان من احب غير الله لا تصفو له صلاة
عن الخواطر ه واما التعظيم فهي حالة للقلب تتولد من معرفتين احديهما معرفة جلال الله وعظمته وهو من اصول الايمان
فان من لا يعتقد عظمته لا تذعن النفس لتعظيمه الثانية معرفة حقارة النفس وخستها وكونها عبدا مسخرا مربوبا حتى يتولد

يتولد من المعرفتين الاستكانة والانكسار والخشوع لله فيعبر عنه بالتعظيم وما لم يمتزج معرفة حقارة النفس بمعرفة جلال الرب
لا ينتظم حالة التعظيم والخشوع فان المستغني عن غيره الآمن على نفسه يجوز ان يعرف من غيره صفات العظمة ولا يكون الخشوع
والتعظيم حاله لان القرينة الاخرى وهي معرفة حقارة النفس وحاجتها لم تقترن اليه ه واما الهيبة والخوف فحالة للنفس
تتولد من المعرفة بقدرة الله وسطوته ونفوذ مشيته فيه مع قلة المبالاة به وانه لو اهلك الاولين والاخرين لم ينقص من ملكه ذرة هذا مع
مطالعة ما يجري على الانبيآ والاوليآ من المصايب وانواع البلآ مع القدرة على الدفع على خلاف ما يشاهد من ملوك الارض و
بالجملة مهما زاد العلم بالله زادت الخشية والهيبة وسياتي اسباب ذلك في كتاب الخوف من ربع المنجيات واما الرجا فسببه معرفة
لطف الله وكرمه وعميم انعامه ولطايف صنعه ومعرفة صدقه في وعده الجنة بالصلاة فاذا حصل اليقين بوعده والمعرفة بلطفه
انبعث من مجموعها الرجا لا محالة واما الحيا فباستشعاره التقصير في العبادة وبالعجز عن القيام بتعظيم الله ويقوى ذلك بالمعرفة
بعيوب النفس وآفاتها وقلة اخلاصها وخبث دخلتها وميلها الى الحظ العاجل في جميع افعالها مع العلم بعظم جلال الله والعلم
بانه مطلع على السريرة وخطرات القلب وان دقت وخفيت وهذه المعارف اذا حصلت يقينا انبعث منها بالضرورة حالة
تسمى الحيا فهذه اسباب هذه الصفات وكل ما طلب تحصيله فعلاجه احضار سببه ففي معرفة السبب معرفة العلاج ورابطة
جميع هذه الاسباب الايمان واليقين اعني به هذه المعارف اذا حصلت يقينا انبعث منها بالضرورة التي ذكرناها ومعنى كونها
يقينا انتفاء الشك واستيلاؤها على القلب كما سبق في باب اليقين من كتاب العلم وبقدر اليقين يخشع القلب ولذلك
قالت عايشة كان عليه السلم يحدثنا ونحدثه فاذا حضرت الصلوة وكانه لم يعرفنا ولم نعرفه وقد روي ان الله تعالى اوحى
الى موسى عليه السلم يا موسى اذا ذكرتني فاذكرني وانت تنتفض اعضاؤك وكن عند ذكري خاشعا مطمئنا واذا ذكرتني فاجعل
لسانك ورآ قلبك واذا قمت بين يدي فقم قيام العبد الذليل وناجني بقلب وجل ولسان صادق وروي انه اوحي اليه قل
لعصاة امتك لا يذكروني فاني آليت على نفسي ان من ذكرني ذكرته فاذا ذكروني ذكرتهم باللعنة هذا في عاص غير غافل فكيف اذا اجتمعت
الغفلة والعصيان وباختلاف المعاني التي ذكرناها في القلوب انقسم الناس الى غافل يتم صلاته ولم يحضر قلبه في لحظة والى من يتم
ولم يغب قلبه في لحظة بل ربما كان مستوعب الهم به بحيث لا يحس بما يجري بين يديه ولذلك لم يحس مسلم بن يسار بسقوط
اسطوانة في المسجد اجتمع الناس عليها وبعضهم حضر الجماعة مدة ولم يعرف قط من على يمينه ويساره ووجيب قلب ابرهيم
صلى الله عليه وسلم كان يسمع على ميل وجماعة كان تصفر وجوههم وترتعد فرايصهم وكل ذلك غير مستبعد فان اضعافه مشاهد
في همم الدنيا مع ضعفهم وخوف ملوك الدنيا مع ضعفهم وعجزهم وخساسة الحاصلة منهم حتى يدخل الواحد على ملك او وزير
ويحدثه بمهم ويخرج ولو سئل عمن حواليه وعن ثوب الملك لكان لا يقدر على الاخبار عنه لاشتغال همه به عن ثوبه والحاضرين
حوله ولكل درجات مما عملوا فحظ كل واحد من صلوته بحسب خوفه وخشوعه وتعظيمه فان موضع نظر الله القلوب دون ظاهر
الحركات ولذلك قال بعض الصحابة يحشر الناس يوم القيمة على مثال هيئتهم في الصلاة من الطمانينة والهدو ومن وجود النعيم
بها واللذة ولقد صدق فانه يحشر كل على ما مات عليه ويموت على ما عاش عليه ويراعى في ذلك حال قلبه لا حال شخصه فمن صفات
القلوب تصاغ الصور في الدار الاخرة ولا ينجو الا من اتى الله بقلب سليم **بيان** الدوآ النافع في حضور القلب
اعلم ان المؤمن لا بد وان يكون معظما لله وخايفا له وراجيا ومستحييا من تقصيره فلا ينفك عن هذه الاحوال بعد ايمانه
وان كانت قوتها بقدر قوة يقينه فانفكاكه عنها في الصلاة لا سبب له الا تفرق الفكر وتقسيم الخاطر وغيبة القلب عن المناجاة

والغفلة عن الصلوة ولا يلهى عن الصلوة الا الخواطر الواردة الشاغلة فالدواء فى احضار القلب هو دفع تلك الخواطر ولا يدفع
الشئ الا بدفع سببه فليعلم سببه وسبب توارد الخواطر اما ان يكون امرًا خارجًا او امرًا فى ذاته باطنا اما الظاهر فما يقرع السمع
او يظهر للبصر فان ذلك يختطف الهم حتى يتبعه ويتصرف فيه ثم ينجر منه الفكر الى غيره ويتسلسل ويكون الابصار سببا
للافكار ثم يصير بعض تلك الافكار سببًا للبعض ومن قويت رتبته وعلت همته لم يلهه ما يجرى على حواسه ولكن الضعيف
لا بد وان يتفرق به فكره فعلاجه قطع هذه الاسباب بان يغض بصره ويصلى فى بيت مظلم او لا يترك بين يديه ما يشغل فكره بان
يشغل حسه ويقرب من حائط عند صلوته حتى لا يتسع مسافة بصره ويحترز من الصلوة على الشوارع وفى المواضع المنقوشة المصنوعة
وعلى الفرش المصبوغة ولذلك كان المتعبدون يتعبدون فى بيت صغير مظلم سعته بقدر السجود ليكون ذلك اجمع للهم والاقوياء

يحضرون م

كانوا يحضرون المساجد ويغضون البصر ولا يجاوزونه موضع السجود ويرون كمال الصلوة فى ان لا يعرفوا من على يمينهم وشمالهم
وكان ابن عمر لا يترك فى موضع الصلوة مصحفا ولا سيفا الا نزعه ولا كتابا الا محاه ٥ اما الاسباب الباطنة فهى اشد
فان من تشعبت به الهموم فى اودية الدنيا لم ينحصر فكره فى فن واحد بل لا يزال يطير من جانب الى جانب وغض البصر لا يغنيه فان
ما وقع فى القلب من قبل كاف للشغل فهذا طريقه ان يرد النفس قهرا الى فهم ما يقرؤه فى الصلوة ويشغله عن غيره ويعينه على
ذلك ان يستعد له قبل التحريم بان يجدد على نفسه ذكر الاخرة وموقف المناجاة وخطر المقام بين يدى الله تعالى وهول المطلع ويفرغ قلبه

المطلع م

قبل التحريم بالصلاة عما يهمه فلا يترك لنفسه شغلا يلتفت اليه خاطره قال النبى صلى الله عليه وسلم لعثمن بن ابى شيبة انى نسيت
ان اقول لك تخمر القدر الذى فى البيت فانه لا ينبغى ان يكون فى البيت شئ يشغل الناس عن صلوتهم فهذا طريق تسكين الافكار
فان كان لا يسكن هائج افكاره بهذا الدواء المسكن فلا ينجيه الا المسهل الذى يقمع مادة الداء من اعماق العروق وهو ان ينظر
فى الامور الشاغلة الصارفة له عن احضار القلب ولا شك فى انه يعود الى مهماته وانها انما صارت مهمة بشهواته فيعاقب
نفسه بالنزوع عن تلك الشهوات وقطع تلك العلائق وكل ما يشغله عن صلوته فهو ضد دينه عن تلك الشهوات وجند ابليس
عدوه فامساكه اضر عليه من اخراجه فيتخلص عنه باخراجه كما روى انه صلى الله عليه وسلم لما لبس الخميصة التى اتاه بها ابو جهم وعليها علم
وصلى بها نزعها بعد صلوته وقال اذهبوا بها الى ابى جهم فانها الهتنى انفا عن صلوتى وائتونى بانبجانية ابى جهم وامر صلى الله عليه
وسلم بتجديد شراك نعله ثم نظر اليه فى الصلوة اذ كان جديدا فامر ان ينزع ويرد الشراك الخلق وكان عليه السلام قد احتذى
نعلا فاعجبه حسنها فسجد وقال تواضعت لربى كيلا يمقتنى ثم خرج بها فدفعها الى اول سائل لقيه ثم امر عليا رضى الله عنه
ان يشترى له نعلين سبتيتين جردا وين فلبسهما وكان فى يده خاتم ذهب قبل التحريم وكان على المنبر فرماه وقال شغلنى هذا نظرة
اليه ونظرة اليكم وروى ان ابا طلحة صلى فى حائط له فيه شجر فاعجبه دبسى طار فى الشجر يلتمس مخرجا فاتبعه بصره ساعة ثم لم يدر
كم صلى فذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما اصابه من الفتنة ثم قال يا رسول الله هو صدقة فضعها حيث شئت وعن رجل آخر
انه صلى فى حائط والنخل مطوقة بثمرها فنظر اليها فاعجبه اليه فلم يدر كم صلى فذكر ذلك لعثمن وقال هو صدقة فاجعله فى سبيل
الله فباعها عثمن بخمسين فكانوا يفعلون ذلك قطعا لمادة الفكر وكفارة لما جرى من نقصان الصلوة وهذا هو الدواء القاطع
لمادة العلة ولا يغنى غيره فاما ما ذكرناه من التلطف بالتسكين والرد الى فهم الذكر فينفع فى الشهوات الضعيفة والهمم التى
لا تشغل الا حواشى القلب فاما الشهوة القوية المرهقة فلا ينفع معها التسكين بل لا يزال تجاذبها وتجاذبك ثم تغلبك
وينقضى جميع صلواتك فى شغل المجاذبة ومثاله رجل تحت شجرة اراد ان يصفو له فكره وكانت اصوات العصافير تشوش
عليه فلم يزل يطيرها بخشبة هو فى يده ويعود الى فكره فيعود العصافير فيعود الى التنفير بالخشبة فقيل له ان
هذا سير السوانى ولا ينقطع فان اردت الخلاص فاقلع الشجرة فكذلك شجرة الشهوة اذا استعلت وتفرعت اغصانها انجذبت
اليها الافكار انجذاب العصافير الى الاشجار وانجذاب الذباب الى الاقذار والشغل يطول فى دفعها فان الذباب كلما ذب آب
ولاجله سمى ذبابا فكذا الخواطر وهذه الشهوات كثيرة وقل ما يخلو العبد عنها ويجمعها اصل واحد وهو حب الدنيا وذلك راس
كل خطيئة واساس كل نقصان ومنبع كل فساد ومن انطوى باطنه على حب الدنيا حتى مال الى شئ منها لا ليتزود منها ويستعين
بها على الاخرة فلا يطمعن فى ان يصفو له لذة المناجاة فى الصلاة فان من فرح بالدنيا لم يفرح بالله وبمناجاته وهمة الرجل
مع قرة عينه فان كانت قرة عينه فى الدنيا انصرف لا محالة اليه همه ولكن مع هذا فلا ينبغى ان يترك المجاهدة ورد القلب
الى الصلوة وتقليل الاسباب الشاغلة فهذا هو الدواء ولمرارته استبشعه اكثر الطباع وبقيت العلة مزمنة وصار الداء
عضالا حتى ان الاكابر اجتهدوا ان يصلوا ركعتين لا يحدثون انفسهم فيها بامور الدنيا فعجزوا عنها وذلك لا مطمع فيه لامثالنا
وليته سلم لنا من صلوتنا شطرها او ثلثها عن الوساوس لنكون ممن قد خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا وعلى الجملة
فهمة الدنيا وهمة الاخرة فى القلب مثل الماء الذى يصب فى قدح مملوء بخل فبقدر ما يدخل فيه من الماء يخرج الخل ولا يجتمعان
بيان تفصيل ما ينبغى ان يحضر فى القلب عند كل ركن وشرط من اعمال الصلوة فنقول حقك ان كنت من المريدين
للاخرة ان لا تغفل اولا عن التنبيهات التى فى شروط الصلاة واركانها اما الشروط السوابق فهى الاذان والطهارة
وستر العورة واستقبال القبلة والانتصاب قائما والنية فاذا سمعت نداء المؤذن فاحضر فى قلبك هول النداء يوم القيمة

ينادون م

وتشمر بظاهرك وباطنك للاجابة والمسارعة فان المسارعين الى هذا النداء هم الذين ينادون باللطف يوم العرض الاكبر فاعرض قلبك
على هذا النداء فان وجدته مملوا بالفرح والاستبشار مشحونا بالرغبة الى الابتدار فاعلم انه ياتيك النداء بالبشرى
والفوز يوم القضاء ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ارحنا يا بلال اى ارحنا بها وبالنداء اليها اذ كان قرة عينه
فيها واما الطهارة فاذا اتيت بها فى مكانك وهو ظرفك الابعد ثم فى ثيابك وهو غلافك الاقرب ثم فى بشرتك
وهى قشرك الادنى فلا تغفل عن لبك الذى هو ذاتك وهو قلبك فاجتهد له تطهيرا بالتوبة والندم على ما فرطت وتصميم
العزم على الترك فى المستقبل وطهر بها باطنك فانه موقع نظر معبودك ٥ واما ستر العورة فاعلم ان معناه تغطية
مقابح بدنك عن ابصار الخلق فان ظاهر بدنك موقع نظر الخلق فما رايك فى عورات باطنك وفضائح سرك الذى لا يطلع
عليه الا ربك فاخطر تلك الفضائح ببالك وطالب نفسك بسترها وتحقق انه لا يستر عن عين الله سبحانه وانما يكفرها الندم
والحياء والخوف فتستفيد باحضارها فى قلبك انبعاث جنود الخوف والحياء من مكامنها فتذل به نفسك وتستكين تحت الخجلة
قلبك وتقوم بين يدى الله قيام العبد المجرم المسئ الابق الذى ندم فرجع الى مولاه ناكسا راسه من الحياء والخوف ٥ واما
الاستقبال فهو صرف لظاهر وجهك عن سائر الجهات الى جهة بيت الله افترى ان صرف القلب من سائر الامور الى امر الله
ليس مطلوبا منك هيهات فلا مطلوب سواه وانما هذه الظواهر تحريكات للبواطن وضبط للجوارح وتسكين لها بالاثبات فى جهة
واحدة فانها اذا بغت وظلمت فى حركاتها والتفاتها الى جهاتها استتبعت القلب وانقلبت به عن وجه الله فليكن وجه قلبك
مع وجه بدنك واعلم انه كما لا يتوجه الوجه الى جهة البيت الا بالصرف عن غيرها فلا ينصرف القلب الى الله الا بالتفرغ
عما سوى الله وقد قال صلى الله عليه وسلم اذا قام العبد الى صلوته فكان هواه ووجهه وقلبه الى الله انصرف كيوم ولدته امه

واما الاعتدال قائماً فهو مثول بالشخص والقلب بين يدي الله فليكن راسك الذي هو ارفع اعضائك مطرقاً مستطاطاً
منكساً وليكن وضع الراس على ارتفاعها تنبيهاً على الزام القلب التواضع والتذلل والتبري عن الترأس والتكبر وليكن على ذكرك
هاهنا خطر المقام بين يدي الله وهو مطلع عليك فقم بين يديه قيامك بين يدي بعض الملوك ان كنت تعجز عن معرفة كنه جلاله بل
في قيامك في صلوتك انك ملحوظ ومرقوب بعين كالئة من رجل صالح من اهلك او ممن ترغب في ان يعرفك بالصلاح فانه
يهدأ عند ذلك اطرافك وتخشع جوارحك وتسكن جميع جوارحك خيفة ان ينسبك ذلك العاجز المسكين الى قلة الخشوع فاذا
احسست من نفسك بالتماسك عند ملاحظة عبد مسكين فعاتب نفسك وقل انك تدعين معرفة الله وحبه افلا تستحيي من
استجرائك عليه مع توقيرك عبداً من عباده او تخشى الناس ولا تخشاه وهو احق ان تخشاه ولذلك لما قال ابو هريرة كيف الحياء
من الله فقال صلى الله عليه وسلم ان تستحيي منه كما تستحيي من الرجل الصالح من اهلك ٥ واما النية فاعزم على اجابة الله
في امتثال امره بالصلاة واتمامها والكف عن نواقضها ومفسداتها واخلاص جميع ذلك لوجه الله تعالى رجاء لثوابه وخوفاً
من عقابه وطلباً للقرب منه متقلداً للمنة باذنه اياك في المناجاة مع سوء ادبك وكثرة عصيانك وعظم في نفسك قدر مناجاتك
وانظر من تناجي وكيف تناجي وبماذا تناجي وعند هذا ينبغي ان يعرق جبينك من الخجلة وترتعد فرائصك من الهيبة ويصفر
وجهك من الخوف ٥ واما التكبير فاذا نطقت به لسانك فينبغي ان لا يكذبه قلبك وان كان الكلام صدقاً وفي قلبك شيء
هو اكبر من الله تعالى فالله يشهد انك لكاذب وان كان الكلام صدقاً كما يشهد على المنافقين في قولهم انه صلى الله عليه وسلم
رسول الله فان كان هواك اغلب عليك من امر الله وانت اطوع له منك لله فقد اتخذته الهك وكبرته فيوشك ان يكون قولك
الله اكبر كلاماً باللسان المجرد وقد تخلف القلب عن مساعدته وما اعظم الخطر في ذلك لولا التوبة والاستغفار وحسن الظن
بكرم الله وعفوه ٥ واما دعاء الاستفتاح فاذا قلت في كلماته قولك وجهت وجهي للذي فطر السموات وليس المراد بالوجه الوجه
الظاهر فانك انما وجهته الى جهة القبلة والله سبحانه متقدس عن ان تحده الجهات حتى تقبل بوجه بدنك عليه وانما وجه القلب
هو الذي تتوجه به الى فاطر السموات والارض فانظر اليه امتوجه الى امانيه وهمه في البيت والسوق متبع للشهوات او مقبل على فاطر
السموات واياك ان تكون اول مفاتحتك للمناجاة بالكذب والاختلاق ولن ينصرف الوجه الى الله الا بالانصراف عما سوى الله
فاجتهد في الحال في صرفه اليه وان عجزت عنه على الدوام ليكون قولك في الحال صادقاً واذا قلت حنيفاً مسلماً فينبغي ان يخطر ببالك
ان المسلم هو الذي سلم المسلمون من لسانه ويده فان لم تكن كذلك كنت كاذباً فاجتهد في ان تعزم عليه في الاستقبال وتندم على ما
سبق من الاحوال واذا قلت وما انا من المشركين فاخطر ببالك الشرك الخفي فان قوله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً
صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه احداً نزلت فيمن يقصد بعبادته وجه الله وحمد الناس وكن متقياً عن هذا الشرك واستشعر الخجلة في
قلبك ان وصفت نفسك بانك لست من المشركين من غير براءة عن هذا الشرك فان اسم الشرك يقع على القليل والكثير منه واذا قلت
محياي ومماتي لله فاعلم ان هذا عبد مفقود لنفسه موجود لسيده وانه ان صدر ممن رضاه وغضبه وقيامه وقعوده ورغبته في
الحيوة ورهبته من الموت لامور الدنيا لم يكن ملائماً للحال واذا قلت اعوذ بالله من الشيطان الرجيم فاعلم انه عدوك ومترصد
لصرف قلبك عن الله حسداً لك على مناجاتك مع الله وسجودك مع انه لعن بسبب سجدة واحدة تركها ولم يوفق لها وان استعاذتك
بالله منه بترك ما يحبه وتبديله بما يحبه الله لا بمجرد قولك وان من قصده سبع او عدو ليفترسه او يقتله فقال اعوذ منك
بذلك الحصن الحصين وهو ثابت على مكانه ان ذلك لا ينفعه بل لا يفيده الا تبديل المكان فكذلك متبع الشهوات التي هي محاب

محاب الشيطان ومكاره الرحمن فلا يغنيه مجرد القول فليقترن قوله بالعزم على التحصن والتعوذ بحصن الله عن شر الشيطان وحصنه
لا اله الا الله اذ قال الله تعالى فيما اخبر عنه نبينا صلى الله عليه وسلم حصني والمتحصن به من لا معبود له سوى الله واما من اتخذ الهه
هواه فهو في ميدان الشيطان لا في حصن الله واعلم ان من مكائده ان يشغلك في الصلاة بفكر الآخرة وتدبير فعل الخيرات ليمنعك
عن فهم ما تقرأ فاعلم ان كل ما شغلك عن معاني قراءتك فهو وسواس فان حركة اللسان غير مقصودة بل المقصود معانيها ٥
واما القراءة فالناس فيه ثلاثة رجل تتحرك لسانه وقلبه غافل ورجل تحرك لسانه وقلبه يتبع اللسان فيسمع ويفهم منه
كانه يسمعه من غيره وهو درجة اصحاب اليمين ورجل يسبق قلبه الى المعاني اولاً ثم يخدم اللسان قلبه فيترجم ففرق بين ان يكون اللسان
ترجمان القلب او يكون معلم القلب والمقربون لسانهم ترجمان يتبع القلب ولا يتبعه وتفصيل ترجمة المعاني انك اذا قلت
بسم الله الرحمن الرحيم فانو به التبرك لابتداء القراءة لكلام الله تعالى وافهم ان معناه ان الامور كلها بالله وان المراد بالاسم
هاهنا هو المسمى واذا كانت الامور بالله فلا جرم كان الحمد لله ومعناه ان الشكر لله اذ النعم من الله ومن يرى من غير الله نعمة او يقصد
غير الله بشكر لا من حيث انه مسخر من الله ففي تسميته وتحميده نقصان بقدر التفاته الى غير الله فاذا قلت الرحمن الرحيم فاحضر في
قلبك انواع لطفه لتتضح لك رحمته فينبعث به رجاؤك ثم استثر من قلبك التعظيم والخوف بقولك مالك يوم الدين
اما العظمة فلانه لا مالك الا هو واما الخوف فلهول يوم الجزاء والحساب الذي هو مالكه ثم جدد الاخلاص بقولك اياك نعبد
وجدد العجز والاحتياج والتبري عن الحول والقوة بقولك اياك نستعين وتحقق انه ما تيسرت طاعتك الا باعانته وان
له المنة اذ وفقك لطاعته واستخدمك لعبادته وجعلك اهلاً لمناجاته ولو حرمك التوفيق لكنت من المطرودين مع
الشيطان اللعين ثم اذا فرغت عن التعريض بقولك بسم الله وعن التحميد ومن اظهار الحاجة الى الاعانة مطلقاً فعين سؤالك
ولا تطلب الا اهم حاجاتك قل اهدنا الصراط المستقيم الذي يسوقنا الى جوارك ويفضي بنا الى مرضاتك وزده شرحاً
وتفصيلاً وتاكيداً واستشهد بالذين افاض عليهم نعمة الهداية من النبيين والصديقين والصالحين دون الذين غضب عليهم من
الكفار والزائغين من اليهود والنصارى والصابئين ثم التمس الاجابة وقل آمين فاذا تلوت الفاتحة كذلك فيشبه ان تكون
ممن قال الله فيهم قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي يقول العبد الحمد لله رب العالمين فيقول
الله حمدني عبدي واثنى علي وهو معنى قوله سمع الله لمن حمده الحديث الى آخره وان لم يكن لك من صلوتك حظ سوى
ذكر الله لك في جلاله وعظمته فناهيك به غنيمة فكيف بما ترجوه من ثوابه وفضله وكذلك ينبغي ان تفهم ما تقرأه من السورة
كما سيأتي في كتاب تلاوة القرآن فلا تغفل عن امره ونهيه ووعده ووعيده ومواعظه واخبار انبيائه وذكر منته واحسانه
فلكل واحد حق فالرجاء حق الوعد والخوف حق الوعيد والعزم حق الامر والنهي والاتعاظ حق الموعظة والشكر حق ذكر المنة
والاعتبار حق اخبار الانبياء روي ان زرارة بن اوفى انتهى الى قوله تعالى فاذا نقر في الناقور فخر ميتاً وكان ابراهيم اذا سمع قوله
اذا السماء انشقت اضطرب حتى تضطرب اوصاله وقال عبد الله بن واقد رايت ابن عمر يصلي مغلوباً وحق له ان يحترق قلبه بوعد
سيده ووعيده فانه عبد ذليل مذنب بين يدي جبار قاهر ويكون هذه المعاني بحسب درجات الفهم ويكون الفهم بحسب وفور العلم
وصفاء القلب ودرجات ذلك لا تنحصر والصلاة مفتاح القلوب فيها تنكشف اسرار الكلمات فهذا حق القراءة وحق الاذكار و
التسبيحات ايضاً ثم راع الهيبة في القراءة فرتل ولا تسرد فان ذلك للتامل ويفرق بين نغماته في آية الرحمة والعذاب والوعد و
الوعيد والتحميد والتعظيم كان النخعي اذا مر بمثل قولك ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله يغض صوته كالمستحيي عن ان

يذكره بكل شيء ويقال لصاحب القرآن اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا واما دوام القيام فتنبيه على اقامة القلب مع الله
على نعت واحد من الحضور قال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى مقبل على المصلي ما لم يلتفت وكما يجب حراسة الراس والعين
عن الالتفات الى الجهات فكذلك يجب حراسة السر عن الالتفات الى غير الصلاة فاذا التفت الى غيره فذكره باطلاع الله عليك
وبقبح التهاون بالمناجي ليعود اليه والزم الخشوع للقلب فان الخلاص عن الالتفات باطنا وظاهرا ثمرة الخشوع ومهما خشع
الباطن خشع الظاهر قال صلى الله عليه وسلم وقد رأى مصليا يعبث بلحيته اما هذا لو خشع قلبه لخشعت جوارحه فان
الرعية بحكم الراعي ولهذا ورد في الدعاء اللهم اصلح الراعي والرعية وهو القلب والجوارح وكان الصديق في صلوته كأنه
وتد وابن الزبير كأنه عود وبعضهم كان يسكن في ركوعه بحيث يقع عليه العصافير كأنه جماد وكل ذلك يقتضيه الطبع بين يدي
من يعظم من ابناء الدنيا فكيف لا يتقاضاه بين يدي ملك الملوك عند من يعرف ملك الملوك ومن يطمئن بين يدي غير الله
خاشعا ويضطرب اطرافه بين يدي الله فذلك لقصوره عن معرفة جلال الله وعن اطلاعه على سره وضميره قال عكرمة في قوله
تعالى الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين قال قيامه وركوعه وسجوده وجلوسه واما الركوع والسجود فينبغي
ان تجدد ذكر كبرياء الله وترفع يديك مستجيرا بعفو الله عن عقابه ومتبعا سنة نبيه ثم تستأنف له تواضعا بركوعك وتجتهد
في ترقيق قلبك وتجديد خشوعك وتستشعر ذلك عز مولاك وعلو ربك وتستعين على تقرير ذلك في قلبك بلسانك فتسبح
ربك وتشهد له بالعظمة وانه اعظم من كل عظيم على تقرير ذلك في قلبك بلسانك وتكرره على قلبك بلسانك وتكرره على قلبك
لتؤكده بالتكرار ثم ترتفع عن ركوعك راجيا انه راحم ذلك ومؤكدا للرجاء في نفسك بقولك سمع الله لمن حمده اي اجاب
الله لمن شكره ثم تردف ذلك بالشكر المتقاضي للمزيد فتقول ربنا لك الحمد وتكثر الحمد بقولك ملء السموات وملء الارض ثم تهوي
الى السجود وهو اعلى درجات الاستكانة فتمكن اعز اعضائك وهو الوجه من اذل الاشياء وهو التراب وان امكنك ان لا تجعل بينهما
حائلا فتسجد على الارض فافعل فانه اجلب للخضوع وادل على الذل فاذا وضعت نفسك موضع الذل فاعلم انك وضعتها
موضعها ورددت الفرع الى الاصل فانك من التراب خلقت واليه رددت فعند ذلك جدد على قلبك عظمة الله وقل سبحان
ربي الاعلى واكده بالتكرار فان الكرة الواحدة ضعيفة الآثار واذا رق قلبك وظهر ذلك فلتصدق رجاءك في رحمة ربك فان
رحمته تتسارع الى الضعف والذل لا الى التكبر والبطر فارفع راسك مكبرا وسائلا لحاجتك وقائلا رب اغفر وارحم وتجاوز
عما تعلم او ما اردت من الدعاء ثم اكد التواضع بالتكرار فعد الى السجود ثانيا لذلك واما التشهد فاذا جلست له فاجلس
متأدبا وصرح بان جميع ما تدلي به من الصلوات والطيبات اي الاخلاق الطاهرة لله وكذا الملك لله وهو معنى التحيات واحضر
في قلبك النبي صلى الله عليه وسلم وشخصه الكريم وقل سلام عليك ايها النبي ولتصدق املك في انه يبلغه ويرد عليك
ما هو اوفى منه ثم سلم على نفسك وعلى جميع عباد الله الصالحين وتأمل ان يرد الله عليك سلاما وافيا بعدد عباده
الصالحين ثم تشهد له بالوحدانية ولمحمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة مجددا عهد الله باعادة كلمتي الشهادة ومستأنفا للتحصن
بها ثم ادع في آخر صلوتك بالدعاء المأثور مع التواضع والخشوع والضراعة والابتهال وصدق الرجاء بالاجابة واشرك في دعائك
ابويك وسائر المؤمنين واقصد عند التسليم السلام على الملائكة والحاضرين وانو ختم الصلوة به واستشعر شكر الله على توفيقه لاتمام
هذه الطاعة وتوهم انك مودع لصلوتك هذه وانك ربما لا تعيش لمثلها قال صلى الله عليه وسلم صل صلوة مودع ثم اشعر
قلبك الوجل والحياء من التقصير في الصلاة وخف ان لا تقبل بفضله وكرمه كأنك صلوتك وان يكون بذنب ظاهر او باطن فترد صلوتك

صلوتك في وجهك وترجو مع ذلك ان يقبلها بفضله وكرمه كان يحيى بن وثاب اذا صلى مكث ما شاء الله تعرف عليه كآبة الصلوة
وكان ابرهيم يمكث بعد الصلوة ساعة كانه مريض فهذا تفصيل صلوة الخاشعين الذينهم على صلوتهم يحافظون والذينهم على صلوتهم
دائمون والذينهم يناجون الله على قدر استطاعتهم في العبودية فليعرض الانسان نفسه على هذه الصلاة فبالقدر الذي تيسر
له منه ينبغي ان يفرح وعلى ما يفوته ينبغي ان يتحسر وفي مداواة ذلك ينبغي ان يجتهد واما صلوة الغافلين فانها مخطرة الا
ان يتغمده الله برحمته والرحمة واسعة والكرم فائض فنسأل الله تعالى ان يتغمدنا برحمته ويتغمدنا بمغفرته اذ لا وسيلة لنا الا الاعتراف
بالعجز عن القيام بطاعته واعلم ان تخليص الصلاة عن الآفات واخلاصها لوجه الله واداءها بالشروط الباطنة التي ذكرناها
من الخشوع والحياء سبب لحصول انوار في القلب تكون تلك الانوار مفاتيح علوم المكاشفة فاولياء الله المكاشفون بملكوت
السموات والارض واسرار الربوبية انما يكاشفون في الصلوة لا سيما في السجود اذ يتقرب العبد بالسجود ولذلك قال تعالى
واسجد واقترب ويكون مكاشفة كل مصل على قدر صفائه عن كدورات الدنيا ويختلف ذلك بالقوة والضعف والقلة و
الكثرة وبالجلاء والخفاء حتى ينكشف لبعضهم الشيء بمثال كما لو كوشف لبعضهم الدنيا في صورة جيفة والشيطان في صورة كلب
جاثم عليها ويختلف ايضا بما فيه المكاشفة فبعضهم ينكشف له من صفات الله وجلاله وبعضهم من افعاله ولبعضهم من دقائق
علوم المعاملة ويكون لتعيين تلك المعاني في كل وقت اسباب خفية لا تحصى واشدها مناسبة الهمة فانها اذا كانت مصروفة
الى شيء معين كان ذلك اولى بالانكشاف ولما كانت هذه الامور لا تتراءى الا في المرآة الصقيلة وكانت المرآة كلها صدئة
فاحتجبت عنها الهداية لا لبخل من جهة المنعم بالهداية بل لخبث تراكم على مصب الهداية تسارعت الالسنة الى انكار مثل ذلك
اذ الطبع مجبول على انكار غير الحاضر ولو كان للجنين عقل لانكر امكان وجود انسان في متسع الهواء ولو كان للطفل تمييز ما
ربما انكر ما يزعم العقلاء ادراكه من ملكوت السموات والارض وهكذا الانسان في كل طور يكاد ينكر ما بعده ومن انكر طور الولاية لزمه
ان ينكر طور النبوة وقد خلق الخلق اطوارا فلا ينبغي ان ينكر كل واحد ما وراء درجته نعم لما طلبوا هذا من المجادلة والمباحث
المشوشة ولم يطلبوها من تصفية القلب عما سوى الله فقدوه فانكروه ومن لم يكن من اهل المكاشفة فلا اقل من ان يؤمن بالغيب
ويصدق به الى ان يشاهد بالتجربة ففي الخبر ان العبد اذا قام في الصلوة رفع الحجاب بينه وبين عبده وواجهه بوجهه وقامت
الملائكة من لدن منكبيه الى الهواء يصلون بصلوته ويؤمنون على دعائه وان المصلي لينثر عليه البر من السماء الى مفرق راسه
وينادي مناد لو علم المصلي من يناجي ما التفت وان ابواب السماء تفتح للمصلين وان الله تعالى يباهي ملائكته بصدق المصلي ففتح
ابواب السماء ومواجهة الله اياه بوجهه هو عن الكشف الذي ذكرناه وفي التوراة مكتوب يا ابن آدم لا تعجز ان تقوم بين يدي
مصليا باكيا فانا الله الذي اقتربت من قلبك وبالغيب رأيت نوري قال فكنا نرى ان تلك الرقة والبكاء والفتوح
الذي يجده المصلي في قلبه من دنو الرب تعالى من القلب واذا لم يكن هذا الدنو هو القرب بالمكان فلا معنى له الا الدنو
بالهداية والرحمة وكشف الحجاب ويقال ان العبد اذا صلى ركعتين عجب منه عشرة صفوف من الملائكة كل صف منهم عشرة آلاف ويباهي
الله به مائة الف ملك وذلك ان العبد قد جمع فيه بين القيام والقعود والركوع والسجود وقد فرق ذلك على اربعين الف ملك
فالقائمون لا يركعون الى يوم القيمة والساجدون لا يرفعون الى القيمة وهكذا الراكعون واما القاعدون فان ما رزق الملائكة
من القرب والرتبة لازم لهم مستمر على حال واحدة لا يزيد ولا ينقص ولذلك قالوا وما منا الا له مقام معلوم وفارق
الانسان الملائكة بالترقي من درجة الى درجة فانه لا يزال يتقرب الى الله فيستفيد مزيدا وباب المزيد مسدود عليهم وليس

لكل واحد منهم الا رتبته التي وقف عليه وعبادته التي هو مشغول بها لا ينتقل الى غيرها ولا يفتر عنها يسبحون الليل
والنهار لا يفترون ومفتاح مزيد الدرجات هي الصلوات قال الله تعالى قد افلح المومنون الذين هم في صلوتهم خاشعون
فمدحهم بعد الايمان بصلوة مخصوصة وهي المقرونة بالخشوع ثم ختم اوصاف المفلحين بالصلوة ايضا فقال في اخرها والذين هم
على صلوتهم يحافظون ثم قال في ثمرة تلك الصفات اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس فوصفهم بالفلاح اولا
وبوراثة الفردوس اخرا وما عندي ان هذرمة اللسان مع غفلة القلب ينتهي درجته الى هذا الحد ولهذا قال في اضدادهم
ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين فالمصلون هم ورثة الفردوس وهم المشاهدون لنور الله والمتمتعون بقربه ودنوه
نسال الله تعالى ان يجعلنا منهم وان يعيذنا من عقوبة من تزينت اقواله وقبحت افعاله انه الكريم المنان القديم الاحسان ٥
حكايات واخبار في صلوة الخاشعين اعلم ان الخشوع ثمرة الايمان ونتيجة اليقين الحاصل بجلال الله سبحانه ومن رزق
ذلك فانه يكون خاشعا في الصلوة وفي غير الصلوة بل في خلوته وفي بيت الما عند قضاء الحاجة فان موجب الخشوع معرفة اطلاع
الله على العبد ومعرفة جلاله ومعرفة تقصير العبد فمن هذه المعارف يتولد الخشوع وليست مختصة بالصلوة ولذلك روي عن بعضهم
انه لم يرفع راسه الى السما اربعين سنة حيا من الله وخشوعا له وكان الربيع بن خثيم من شدة غضه البصر واطراقه يظن بعض الناس
انه اعمى وكان يختلف الى منزل ابن مسعود عشرين سنة واذا راته جاريته قالت لابن مسعود صديقك ذلك الاعمى قد جاء وكان
يضحك ابن مسعود من قولها وكان اذا دق الباب تخرج الجارية اليه فتراه مطرقا غاضا بصره وكان ابن مسعود اذا نظر اليه يقول و
بشر المخبتين اما والله لو راك محمد لفرح بك لا جل ومشى ذات يوم مع ابن مسعود في الحدادين فلما نظر الى الاكوار تنفخ والى النيران تلتهب
صعق وسقط مغشيا عليه وقعد ابن مسعود عند راسه الى وقت الصلوة فلم يفق فحمله على ظهره الى منزله فلم يزل مغشيا عليه الى الساعة
التي صعق فيها ففاتته خمس صلوات وابن مسعود عند راسه يقول هذا والله الخوف وكان الربيع يقول ما دخلت في صلوة قط فاهمني فيها الا ما اقول
وما يقال لي وكان عامر بن عبد الله من خاشعي المصلين كان اذا صلى ضربت ابنته بالدف وتحدثت النسا بما يريدون في البيت ولم يكن يسمع
ذلك ولا يعقله وقيل له ذات يوم هل تحدثك نفسك في الصلاة بشي فقال نعم وقوفي بين يدي الله تعالى ومنصرفي الى احدى الدارين
ومنصرفي قيل فهل تجد شيا مما يجد من امور الدنيا فقال لان تختلف الاسنة يقينا وكان مسلم بن يسار منهم ونقلنا انه لم يشعر
بسقوط اسطوانة المسجد وتاكل طرف من اطراف بعضهم واحتيج الى القطع فلم يمكن منه فقيل انه في الصلاة لا يحس بما يجري عليه
فقطعت وهو في الصلوة وقال بعضهم الصلاة من الاخرة فاذا دخلت في الصلوة خرجت من الدنيا وقيل لاخر هل تحدث نفسك
في الصلاة بشي من الدنيا قال لا لا في الصلوة ولا في غيرها وسيل بعضهم عن يتذكر في الصلاة شيا فقال وهل شي احب الي من الصلوة
فاذكره فيها وكان ابو الدردا يقول من فقه الرجل ان يبدا بحاجته قبل دخوله في الصلوة ليدخل في الصلوة وقلبه فارغ وكان بعضهم
يخفف الصلوة خيفة الوسواس وروي ان عمار بن ياسر صلى صلوة فاخفها فقيل خففت يا ابا اليقظان فقال هل رايتموني نقصت من
حدودها شيا قالوا لا قال اني بادرت سهو الشيطان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان العبد ليصلي الصلوة لا يكتب له نصفها
ولا ثلثها ولا ربعها ولا خمسها ولا سدسها ولا عشرها وكان يقول انما يكتب للعبد من صلوته ما عقل منها ويقال ان طلحة والزبير وطائفة
من الصحابة كانوا اخف الناس صلاة وقالوا نبادر بها وسوسة الشيطان وروي ان عمر قال على المنبر ان الرجل ليشيب عارضاه في الاسلام
وما اكمل لله تعالى صلوته قيل وكيف ذاك قال لا يتم خشوعها وتواضعها واقباله عليها وسيل ابو العالية عن قوله تعالى والذين هم عن
صلوتهم ساهون قال هو الذي يسهو في صلاته فلا يدري على كم ينصرف اعلى شفع او على وتر وقال الحسن هو الذي يسهو عن وقت الصلوة

الصلوة حتى يخرج وقال بعضهم هو الذي ان صلاها في اول الوقت لم يفرح وان اخرها عن الوقت لم يحزن فلا يرى تعجيلها ثوابا ولا
تاخيرها اثما واعلم ان الصلوة قد يحسب بعضها ويكتب دون بعض كما دل الاخبار عليه وان كان الفقيه يقول ان الصلاة في الصحة لا
تتجزى ولكن ذلك له معنى اخر ذكرناه وهذا المعنى دلت عليه الاحاديث اذ ورد جبران نقصان الفرائض بالنوافل في الخبر وقال عيسى عليه السلام
يقول الله تعالى بالفرائض نجا مني عبدي وبالنوافل تقرب الي عبدي وقال النبي صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى لا ينجو مني عبدي الا
باداء ما افترضت عليه وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى صلوة فترك من قراءته اية فلما انفتل قال ماذا قرات فسكت القوم فسال
ابي بن كعب فقال قرات سورة كذا وتركت منه كذا فما ادري انسخت ام رفعت فقال انت لها يا ابي ثم اقبل على الاخرين فقال
ما بال اقوام يحضرون صلوتهم ويتمون صفوفهم ونبيهم بين ايديهم لا يدرون ما يتلو عليهم من كتاب ربهم الا ان بني اسرائيل كذا فعلوا فاوحى الله تعالى
الى نبيهم ان قل لقومك تحضروني بابدانكم وتعطوني السنتكم وتغيبون عني بقلوبكم باطل ما تذهبون وهذا يدل على ان استماع ما يقرا الامام
وفهمه عن قراءة السورة بنفسه وقال بعضهم ان العبد ليسجد السجدة عنده انه تقرب بها الى الله سبحانه ولو قسمت ذنوبه في سجدته على
اهل مدينته هلكوا قيل وكيف ذلك قال يكون ساجدا عند الله وقلبه مصغ الى هوى ومشاهد لباطل قد استولى عليه فهذه
صفة الخاشعين فدلت هذه الحكايات والاخبار مع ما سبق على ان الاصل في الصلوة الخشوع وحضور القلب وان مجرد الحركات
مع الغفلة قليل الجدوى

الباب الرابع في الامامة والقدوة

وعلى الامام وظائف
قبل الصلاة وفي القراءة وفي اركان الصلوة وبعد السلام اما الوظائف قبل الامام فستة اولها ان لا يتقدم الامام على قوم
يكرهونه فان اختلفوا كان النظر الى الاكثرين فان كان الاقلون هم اهل الخير والدين فالنظر اليهم اولى وفي الحديث ثلاثة لا يجاوز
صلوتهم رءوسهم العبد الابق وامراة زوجها ساخط عليها وامام قوم وهم له كارهون وكما ينهى عن تقدمه مع كراهتهم فينهى
عنه ان كان وراءه من هو افقه واقرا منه الا اذا امتنع من هو اولى منه فله التقدم فان لم يكن شي من ذلك فليتقدم مهما قدم
وعرف من نفسه القيام بشروط الامامة ويكره عند ذلك المدافعة فقد قيل ان قوما تدافعوا الامامة بعد اقامة الصلوة
فخسف بهم وما روي من مدافعة الامامة بعد اقامة الصلوة من الصحابة فسببه ايثارهم من هو اولى به او خوفهم على انفسهم
السهو وخطر ضمان صلوتهم فان الائمة ضمنا ولان من لا يتعود ذلك ربما يشتغل قلبه ويتشوش عليه الاخلاص في الصلوة
حياء من المقتدين لا سيما في جهره بالقراءة فكان لاحتراز من احترز اسباب من هذا الجنس الثانية اذا خير المرء بين الاذان
والامامة فينبغي ان يختار الامامة فان لكل فضلا ولكن الجمع مكروه بل ينبغي ان يكون الامام غير المؤذن فاذا تعذر الجمع
فالامامة اولى وقال قائلون الاذان اولى لما نقلنا في فضيلة الاذان ولقوله صلى الله عليه وسلم الامام ضامن والمؤذن مؤتمن
فقالوا فيه خطر الضمان وقال ايضا الامام امين فاذا ركع فاركعوا واذا سجد فاسجدوا وفي الحديث فان اتم فله ولهم وان نقص
فعليه ولا عليهم ولانه عليه السلام قال اللهم ارشد الائمة واغفر للمؤذنين والمغفرة اولى بالطلب فان الرشد مراد للمغفرة وفي
الخبر من اذن في مسجد سبع سنين وجبت له الجنة ومن اذن اربعين عاما دخل الجنة بغير حساب ولذلك نقل عن الصحابة انهم
كانوا يتدافعون الامامة والصحيح ان الامامة افضل اذ واظب عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر والائمة
نعم فيها خطر الضمان والفضيلة مع الخطر افضل كما ان رتبة الامامة والخلافة افضل لقوله صلى الله عليه وسلم ليوم من سلطان
عادل افضل من عبادة سبعين سنة ولكن فيه خطر ولذلك وجب تقديم الافضل والافقه قال صلى الله عليه وسلم ائمتكم وفدكم
الى الله تعالى فان اردتم ان تزكوا صلوتكم فقدموا خياركم وقال بعض السلف ليس بعد الانبيا افضل من العلما ولا بعد العلما

افضل من الائمة المصلين لان هولاء قاموا بين يدي الله وبين خلقه هذا بالنبوة وهذا بالعلم وهذا بعماد الدين
وهو الصلاة وبهذه الحجة احتج الصحابة في تقديم ابي بكر للخلافة اذ قالوا نظرنا فاذا الصلوة عماد الدين فاخترنا لدنيانا
من رضيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا وما قدموا بلالا احتجاجا بانه رضيه للاذان وما روي انه قال له رجل
يا رسول الله دلني على عمل ادخل به الجنة فقال كن مؤذنا فقال لا استطيع قال كن اماما قال لا استطيع قال صل بازاء الامام
فلعله ظن انه لا يرضى بامامته اذ الاذان اليه والامامة الى الجماعة وتقديمهم لها ثم بعد ذلك توهم انه ربما يقدر عليه
الثالثة ان يراعي الامام اوقات الصلوات فيصلي في اوائلها ليدرك رضوان الله ففضل اول الوقت على اخره كفضل الاخرة
على الدنيا هكذى روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الحديث ان العبد ليصلي الصلوة في اخر وقتها ولم يفته ولما
فاته من اول وقتها خير من الدنيا وما فيها ولا ينبغي ان يؤخر الصلوة لانتظار كثرة الجمع بل عليهم المبادرة لحيازة فضيلة اول
الوقت فهي افضل من كثرة الجماعة ومن تطويل السورة وقد قيل كانوا اذا حضر اثنان في الجماعة لم ينتظروا الثالث واذا
حضر اربعة في الجنازة لم ينتظروا الخامس وقد تاخر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلوة الفجر وكانوا في سفر وانما تاخر
للطهارة فلم ينتظر وقدم عبد الرحمن بن عوف فصلى بهم حتى فاتت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ركعة فقام يقضيها قال
فاشفقنا من ذلك فقال قد احسنتم هكذا فافعلوا وقد تاخر في صلوة الظهر فقدموا ابا بكر حتى جاء وهم في الصلوة فقام الى جانبه
وليس على الامام انتظار المؤذن وانما على المؤذن انتظار الامام للاقامة فاذا حضر فلا ينتظر غيره الرابعة ان
يؤم مخلصا لوجه الله ومؤديا امانة الله في طهارته وفي جميع شروط صلوته واما الاخلاص فبان لا ياخذ عليها اجرة فقد
امر رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمن بن العاص الثقفي فقال واتخذ مؤذنا لا ياخذ على الاذان اجرا والاذان طريق الى الصلاة
فهي اولى بان لا يؤخذ عليه اجرا فان اخذ رزقا من المسجد قد وقف على من يقوم بامامته او من السلطان او من آحاد الناس فلا يحكم
بتحريمه ولكنه مكروه والكراهة في الفرائض اشد منها في التراويح ويكون اجرة له على مداومته على حضور الموضع ومراقبته
مصالح المسجد في اقامة الجماعة لا على نفس الصلوة واما الامانة فهي الطهارة باطنا عن الفسوق والكبائر والاصرار على الصغائر
فالمتصدي للامامة ينبغي ان يحترز عن ذلك بجهده فانه كالوفد والشفيع للقوم فينبغي ان يكون خير القوم وكذى الطهارة ظاهرا
عن الحدث والخبث فانه لا مطلع عليه سواه فان تذكر في اثناء صلوته حدثا او خرج منه ريح فلا ينبغي ان يستحي بل ياخذ بيد من
يقرب منه ويستخلفه فقد تذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنابة في اثناء صلوته فاستخلف واغتسل ثم رجع ودخل في الصلاة
قال سفين صل كل بر وفاجر الا مدمن خمر او معلن بالفسق او عاق لوالديه او صاحب بدعة او عبدا ابق الخامسة
ان لا يكبر حتى تستوي الصفوف فليلتفت يمينا وشمالا فان رأى خللا امر بالتسوية قيل كانوا يتحاذون في المناكب ويتضامون
في الكعاب ولا يكبر حتى يفرغ المكبر من الاقامة والمؤذن يؤخر الاقامة عن الاذان بقدر استعداد الناس ففي الخبر ليتمهل
المؤذن بين الاذان والاقامة بقدر ما يفرغ الآكل من طعامه والمعتصر من اعتصاره وذلك لانه نهى عن مدافعة الاخبثين وامر بتقديم
العشاء على العشاء طلبا لفراغ القلب السادسة ان يرفع صوته بتكبيرة الاحرام وسائر التكبيرات ولا يرفع المأموم
صوته الا بقدر ما يسمع نفسه وينوي الامامة لينال الفضل فان لم ينو صحت صلوته وصلوة القوم اذا نووا الاقتداء به ونالوا
فضل القدوة وهو لا ينال فضل الامامة ويؤخر تكبيره عن تكبيرة الامام فيبتدئ بعد فراغه واما وظايف القراءة
ثلاثة فاولها ان يسر بدعاء الاستفتاح والتعوذ كالمنفرد ويجهر بالفاتحة والسورة في جميع الصبح واولى المغرب والعشاء

والعشاء وكذى المنفرد ويجهر بالفاتحة والسورة وبقوله آمين في الصلوة الجهرية وكذا المأموم ويقرن المأموم تامينه
بتامين الامام معا لا تعقيبا ويجهر ببسم الله الرحمن الرحيم والاخبار متعارضة واختيار الشافعي الجهر الثانية ان يكون
للامام في القيام ثلث سكتات هكذا رواه سمرة بن جندب وعمران بن حصين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اولاهن اذا كبر وهي
الاطول منهن مقدار ما يقرأ من خلفه فاتحة الكتاب وذلك وقت قراءته لدعاء الاستفتاح فانه ان لم يسكت يفوتهم الاستماع
فيكون عليه ما نقص من صلاتهم فان لم يقرؤا الفاتحة في سكوته واشتغلوا بغيرها فذلك عليهم لا عليه السكتة الثانية اذا
فرغ من الفاتحة ليتم من لم يقرأ الفاتحة في السكتة الاولى فاتحته وهي نصف السكتة الاولى السكتة الثالثة اذا فرغ
من السورة قبل ان يركع وهي اخفها وذلك بقدر ما تنفصل القراءة عن التكبير فقد نهي عن الوصل فيه ولا يقرأ المأموم وراء الامام
الا الفاتحة فان لم يسكت الامام قرأ الفاتحة معه والمقصر هو الامام وان لم يسمع المأموم في الجهرية لبعده او كان في
السرية فلا باس بقراءته للسورة الثالثة ان يقرأ في الصبح سورتين من المثاني ما دون المائة فان الاطالة في قراءة الفجر والتغليس
بها سنة ولا يضره الخروج منها مع الاسفار ولا باس ان يقرأ في الثانية باواخر السور نحو الثلثين او العشرين الى ان يختمها
لان ذلك لا يتكرر على الاسماع فيكون ابلغ في الوعظ وادعى الى التفكر وانما كره بعض العلماء قراءة بعض اول السورة وقطعها وقد
روي انه عليه السلم قرأ بعض سورة يونس فلما انتهى الى ذكر موسى وفرعون قطع وركع وروي انه قرأ في الفجر آية من البقرة وهي
قوله قولوا آمنا بالله الآية وفي الثانية ربنا آمنا بما انزلت وسمع بلالا يقرأ من ههنا وههنا فسأله عن ذلك فقال اخلط الطيب
بالطيب فقال احسنت ويقرأ في الظهر بطوال المفصل الى ثلثين آية وفي العصر نصف ذلك وفي المغرب باواخر المفصل وآخر صلوة
صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم المغرب قرأ فيها والمرسلات ما صلى بعدها حتى قبض وبالجملة التخفيف اولى سيما اذا كثر
الجمع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الرخصة اذا صلى احدكم بالناس فليخفف فان فيهم الضعيف والكبير وذا الحاجة واذا
صلى لنفسه فليطول ما شاء وقد كان معاذ بن جبل يصلي بقوم العشاء فيقرأ البقرة فخرج رجل من الصلوة واتم لنفسه فقالوا نافق الرجل
فتشاكيا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فزجر رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذا وقال افتان انت اقرأ سورة سبح والسماء والطارق
والشمس وضحيها وظائف الاركان ثلثة احدها ان يخفف الركوع والسجود فلا يزيد في التسبيحات على ثلث فقد روي
عن انس بن مالك انه قال ما رأيت اخف صلوة من رسول الله صلى الله عليه وسلم في تمام العمر وروي ايضا ان انس بن مالك لما صلى
عمر بن عبد العزيز وكان اميرا بالمدينة قال ما صليت وراء احد اشبه بصلوة رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الشاب قال
وكنا نسبح وراءه عشرا عشرا وروي مجملا انهم قالوا كنا نسبح وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم في الركوع والسجود عشرا و
ذلك حسن ولكن الثلث اذا كثر الجمع احسن فاما اذا لم يحضر الا المتجردون للدين فلا باس بالعشر هذا وجه الجمع بين الروايات وينبغي
ان يقول الامام عند رفع راسه من الركوع سمع الله لمن حمده الثانية المأموم ينبغي ان لا يساوق الامام في الركوع والسجود بل يتأخر
فلا يهوي للسجود الا اذا وصلت جبهة الامام الى المسجد هكذا كان اقتداء الصحابة برسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يهوي للركوع
حتى يستوي الامام راكعا وقد قيل ان الناس يخرجون من الصلوة على ثلاثة اقسام طائفة بخمس وعشرين صلوة وهم الذين يكبرون
ويركعون بعد ركوع الامام وطائفة بصلوة واحدة وهم الذين يساوونه وطائفة بلا صلوة وهم الذين يسبقون الامام وقد
اختلف في ان الامام في الركوع هل ينتظر لحوق من دخل لينال به فضل جماعتهم وادراكهم لتلك الركعة ولعل الاولى
ان ذلك مع الاخلاص لا باس به اذا لم يظهر تفاوت ظاهر للحاضرين فان حقهم مرعي في ترك التطويل عليهم الثانية

لا يزيد في دعاء التشهد على مقدار التشهد حذرا من التطويل ولا يخص في الدعاء نفسه بل يأتي بصيغة الجمع فيقول اللهم
اغفر لنا ولا يقول اغفر لي فقد كره للامام ان يخص نفسه ولا باس ان يستعيذ في التشهد بالكلمات المأثورة عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيقول نعوذ بك من عذاب جهنم وعذاب القبر ونعوذ بك من فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال
واذا اردت بقوم فتنة فاقبضنا اليك غير مفتونين وقيل سمي مسيحا لانه يمسح الارض بطولها وقيل لانه ممسوح العين اي مطموسها
وظائف التحلل ثلاثة اولها ان ينوي بالتسليمتين السلام على القوم والملائكة الثانية ان يثبت عقيب السلام كذلك
فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر فيصلي النافلة في موضع اخر فان كان خلفه نسوة لم يقم حتى ينصرفن وفي الخبر المشهور
انه عليه السلام لم يكن يقعد الا قدر قوله اللهم انت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام الثالثة اذا وثب فينبغي
ان يقبل بوجهه على الناس ويكره للماموم القيام قبل اقبال الامام فقد روي عن طلحة والزبير انهما صليا خلف امام فلما
سلما قالا للامام ما احسن صلوتك واتمها الا شيئا واحدا انك لما سلمت لم تقبل بوجهك ثم قالا للناس ما احسن ما صليتم الا
انكم انصرفتم قبل ان يقبل امامكم ثم ينصرف الامام ثم قالا للناس حيث شاء من يمينه وشماله واليمين احب هذه وظيفة الصلاة
اما الصبح فيزيد فيها القنوت فيقول اللهم اهدنا فيمن هديت ولا يقول اللهم اهدني ويؤمن المأموم فاذا انتهى الى قوله
انك تقضي ولا يقضى عليك فلا يليق به التأمين وهو ثناء فيقرأ معه او يقول بلى وانا على ذلك من الشاهدين او صدقت وبررت وما
يشبه ذلك وقد روي حديث في رفع اليدين في القنوت فاذا صح الحديث استحب ذلك وان كان على خلاف الدعوات في اخر التشهد
اذ لا يرفع بسببها اليد بل التعويل على التوقيف وبينهما ايضا فرق وهو ان لليد وظيفة في التشهد وهو الوضع على الفخذين على
هيئة مخصوصة ولا وظيفة ههنا فلا يبعد ان يكون رفع اليد هو الوظيفة في القنوت فانه لائق بالدعاء والله اعلم بهذه جملة
آداب القدوة والامامة

الباب الخامس

في فضل الجمعة وادابها وسننها وشروطها فضيلة الجمعة

اعلم ان هذا يوم عظم الله فيه الاسلام وخص به المسلمين وقال تعالى اذا نودي من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله حرم الاشتغال
بامور الدنيا وبكل صارف عن السعي الى الجمعة وقال صلى الله عليه وسلم من ترك الجمعة ثلاثا من غير عذر طبع الله على قلبه وفي
لفظ اخر فقد نبذ الاسلام وراء ظهره واختلف رجل الى ابن عباس عن رجل مات لم يكن يشهد جمعة ولا جماعة فقال في النار
فلم يزل يتردد اليه شهرا يسأله عن ذلك وهو يقول في النار وفي الخبر ان اهل الكتابين اعطوا يوم الجمعة فاختلفوا فيه فصرفوا
عنه وهدانا الله له واخره لهذه الامة وجعله عيدا لهم فهم اول الناس به سبقا واهل الكتابين لهم تبع وفي حديث انس عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال اتاني جبرئيل في كفه مرآة بيضاء وقال هذه الجمعة يعرضها عليك ربك لتكون لك عيدا
ولامتك من بعدك قلت فما لنا فيها قال لكم ساعة فيها من دعا فيها بخير هو له قسم اعطاه الله او ليس له قسم ذخر له ما هو اعظم
منه او تعوذ من شر هو مكتوب عليه الا اعاذه الله من اعظم منه وهو سيد الايام عندنا ونحن ندعوه في الاخرة يوم المزيد
قلت ولم قال ان ربك اتخذ في الجنة واديا افيح من مسك ابيض فاذا كان يوم الجمعة نزل من عليين على كرسيه فيتجلى لهم حتى
ينظروا الى وجهه وقال صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم عليه السلام وفيه ادخل الجنة
وفيه اهبط الى الارض وفيه تقوم الساعة وهو عند الله يوم المزيد كذلك تسميه الملائكة في السماء وهو يوم النظر الى الله
تعالى في الجنة وفي الخبر ان لله عز وجل في كل جمعة ستمائة الف عتيق من النار وفي حديث انس انه صلى الله عليه وسلم قال اذا
سلمت الجمعة سلمت الايام وقال صلى الله عليه وسلم ان الجحيم تسعر في كل يوم قبل الزوال عند استواء الشمس في كبد السماء فلا تصلوا

في هذه الساعة الا يوم الجمعة فانه صلاة كلها وان جهنم لا تسعر فيها وقال كعب ان الله تعالى فضل من البلدان
مكة ومن الشهور رمضان ومن الايام يوم الجمعة ويقال ان الطير والهوام في الهواء يلقى بعضها بعضا يوم الجمعة فيقول سلام
سلام يوم صالح وقال عليه السلام من مات يوم الجمعة كتب الله له اجر شهيد ووقي فتنة القبر

بيان شروط الجمعة

اعلم انها تشارك سائر الصلوات في الشروط وتتميز عنها بست شروط الاول الوقت فلو وقعت تسليمة الامام في وقت العصر
فاتت الجمعة فعليه ان يتمها ظهرا والمسبوق اذا وقعت ركعته الاخيرة خارجا من الوقت ففيه خلاف الثاني المكان فلا تصح في الصحارى
والبوادي وبين الخيام بل لا بد من بقعة جامعة لابنية لا تنقل يجمع اربعين ممن تلزمهم الجمعة والقرية فيه كالبلد ولا يشترط حضور
السلطان ولا اذنه ولكن الاحب استئذانه الثالث العدد فلا تنعقد باقل من اربعين ذكورا مكلفين احرارا مقيمين لا يظعنون عنها شتاء
ولا صيفا فان انفضوا حتى نقص العدد اما في الخطبة او في الصلوة لم تصح الجمعة بل لا بد منهم من الاول الى الاخر الرابع الجماعة فلو
صلى اربعون في قرية او بلدة متفرقين لم تصح جمعتهم ولكن المسبوق اذا ادرك الركعة الثانية جاز له الانفراد بالركعة الثانية
وان لم يدرك ركوع الركعة الثانية اقتدى وينوي الظهر واذا سلم الامام تممه ظهرا الخامس ان لا تكون الجمعة مسبوقة باخرى
في تلك البلدة فان تعذر اجتماعهم في جامع واحد جاز في جامعين وثلاثة بقدر الحاجة وان لم تكن حاجة فالصحيح الجمعة التي وقع بها التحرم
اولا واذا تحققت الحاجة فالافضل الصلوة خلف الافضل من الامامين فان تساويا فالمسجد الاقدم فان تساويا ففي الاقرب و
لكثرة الناس فضل شيء على السادس الخطبتان وهما فريضتان والقيام فيهما فريضة والجلسة بينهما فريضة وفي الاولى اربع فرائض التحميد
واقله الحمد لله الثانية الصلوة على رسول الله صلى الله عليه وسلم الثالثة الوصية بتقوى الله الرابعة قراءة آية من القرآن وكذا
فرائض الثانية الا انه يجب فيها الدعاء بدل القراءة واستماع الخطبة واجب من الاربعين واما السنن فاذا زالت الشمس واذن المؤذن
وجلس الامام على المنبر انقطعت الصلاة سوى التحية والكلام لا ينقطع الا بافتتاح الخطبة ويسلم الخطيب على الناس اذا اقبل عليهم
بوجهه ويردون عليه السلام واذا فرغ الامام المؤذن قام مقبلا على الناس بوجهه لا يلتفت ويشغل يديه بقائمة السيف والعنزة
كيلا يعبث بهما او يضع احدهما على الاخرى ويخطب خطبتين بينهما جلسة خفيفة ولا يستعمل غريب اللغة ولا يمطط ولا يتغنى وتكون الخطبة
قصيرة بليغة جامعة ويستحب ان يقرأ آية في الثانية ولا يسلم من دخل والخطيب يخطب فان سلم لم يستحق جوابا والاشارة بالجواب حسن
ولا يشمت العاطس ايضا هذه شروط الصحة واما شروط الوجوب فلا تجب الجمعة الا على كل ذكر بالغ عاقل مسلم حر مقيم في
قرية تشتمل على اربعين جامعين لهذه الصفات او في قرية من سواد البلد يبلغها نداء البلد من طرف يليها والاصوات ساكنة
والمؤذن رفيع الصوت لقوله تعالى اذا نودي للصلوة من يوم الجمعة فاسعوا ويرخص لهؤلاء في ترك الجمعة بعذر المطر والوحل و
الفزع والمرض والتمريض اذا لم يكن للمريض قيم ثم يستحب لهم تاخير الظهر الى ان يفرغ الناس من الجمعة وان حضر الجمعة مريض او
مسافر او عبد او امرأة صحت جمعتهم واجزأت عن الظهر

بيان آداب الجمعة على ترتيب العادة

وهو عشر جمل الاول
ان يستعد لها يوم الخميس عزما عليها واستقبالا لفضلها فيشتغل بالدعاء والاستغفار والتسبيح بعد العصر يوم الخميس لانها
ساعة قوبلت بالساعة المبهمة في يوم الجمعة قال بعض السلف ان لله فضلا سوى ارزاق العباد لا يعطي من ذلك الفضل الا من سأله
عشية الخميس ويوم الجمعة ويغسل في هذا اليوم ثيابه ويبيضها ويعد الطيب ان لم يكن عنده ويفرغ قلبه من الاشغال التي تمنعه
من البكور الى الجمعة وينوي في هذه الليلة صوم يوم الجمعة فان له فضلا وليكن مضموما الى يوم الخميس او السبت لا مفردا فانه مكروه
وليشتغل باحياء هذه الليلة بالصلوة وختم القرآن فلها فضل كبير وينسحب عليها فضل يوم الجمعة ويجامع اهله في هذه الليلة

ومن الفوائد ان شجر الزيتون ابقى الاشجار كلها عمرا فلذا اضافوه اجل الفلاحة وعمارة البلدان كلها اليه ولها قدر عظيم وكان القدماء يأخذون شيئا من ثمره وورقه عند نزول الشمس راس الحمل وراس السرطان وراس الميزان والجدي فيضعونه في منازلهم ويعلقونه عليهم وعلى اولادهم تبركا به

من كتاب الفلاحة لابن وحشية

الحديث القدسي ما اخبر الله نبيه بالهام او منام فالقرآن متفضل عليه لانه لفظه منزل سيد شريف

الحديث القدسي ما اخبر الله نبيه بالالهام او بالمنام فاخبر عليه السلام عن ذلك المعنى بعبارة نفسه فالقرآن متفضل عليه لان لفظه ونصه منزل عليه لابن حاكم

واعلم ان الزمان عند ارسطو ومن تبعه عبارة عن مقدار حركة فلك الاعظم و[illegible] عند اهل السنة والجماعة وعلى زعم ارسطو ومن تبعه يكون تأخر وجود فلك الاعظم عن وجود الحق بالذات لا بالزمان كتأخر حركة الخاتم عن حركة الاصبع وانما خبطوا خبط عشواء من تغيرهم بالغير واما ائمة الشرع الشريف كثرهم الله وايدهم بروح منه فتنزه والزمان متجدد ويتجدد به متجدد لانهم ما يلزمهم من المفاسد وعلى تعبيرهم يكون الزمان بحث ملاحيم مدد الترتيبات سواء كان بالتجدد بالمرتبات المعنوية او الصورية غير ان الثانية الجزئية مظهرة للاولى الكلية فيكون الترتب في كل منهما زمانيا بحسب مرتبته ولهذا قال اهل الكلام ان الزمان امر اعتباري ليس بموجود حقيقي بل هو امر متخيل من تقدم وتأخر بين وجودات الاشياء وهذا المذهب موافق لمذهب المشايخ فان اصل الزمان عندهم عبارة عن اسم الدهر وهو نسبة معقولة كسائر النسب الاسمائية والحقائق الكلية وهو من امهات الاسماء وتتعين احكامه في كل عالم بحسب التقديرات المفروضة المتعينة باحوال الاعيان الممكنة واحكامها وآثار الاسماء ومظاهر السمائية والكوكبية

من شرح الفصوص لقطب الدين الخوئي

قال افلاطون العالم كرة والارض نقطة والافلاك قسي والحوادث سهام والله رام فاين المفر تم الكلام

ويروى عن الثقات ان يعقوب عليه الصلوة والسلام لما اتاه البشير وبشر بيوسف عليه السلام جازاه بهذا الدعاء وقال عليه السلام وامر [illegible] فكل من داوم على هذا الدعاء يكشف الله همه ويفرج عنه غمه ويرزقه البشارة والصفاء من حيث لا يحتسب وهو هذا يا لطيف فوق كل لطيف الطف بي في اموري كلها كما احب ورضني في ديني ودنياي واخرتي برحمتك يا ارحم الراحمين

قال الله تعالى واحسنوا اعمالكم واخلاقكم وفضلوا على المحاويج ان الله يحب المحسنين قال الكاشفي الانفاق على ثلثة احوال نفقة الزاهدين ونفقة المحبين ونفقة العارفين اما نفقة الزاهدين فهو ترك جميع الدنيا مع لذاتها لاهلها وبذل النفوس مهرا لها واما نفقة المحبين فاعطاء ما نالوا من الحق لاهل الحق واما نفقة العارفين فبذل الارواح في مقام الفناء من وجدان غيرة الحق في اسرارهم ارحمهم الله بالاعراض عن الكون والدخول في مقام الاحسان لان الاحسان اعلى المراتب من رؤية اهل المشاهدة اعلمهم الله تعالى ان لا ينالوا حقيقة المشاهدة الا ببذل حبوا انهم لاهل خالصة الحق واخبران مقام الاحسان مقرون بالمحبة لاجل ذلك قال تعالى واحسنوا ان الله يحب المحسنين ومن فاته الاحسان احتجب عن المشاهدة وهلك في قبضة بطش النفس مستخرا في هواه في ورطة هوسانها بعبرتنا فورغا

عن النبي عليه الصلوة والسلام انه قال من قال لا اله الا الله خرج من فيه طائر اخضر له جناحان ابيضان
مكللان بالدر والياقوت يصعد الى السماء ويسمع له دوي تحت العرش كدوي النحل فيقال له اسكن
فيقول لا اسكن حتى يغفر لصاحبي فيغفر لقائلها ثم يجعل الطائر بعد ذلك سبعون لسانا يستغفر
لصاحبها الى القيامة فاذا كان يوم القيامة جاء ذلك الطائر فاخذ بيد صاحبه حتى يكون قائده الى الجنة

تنبيه الغافلين

قالوا الارواح اربعة اقسام الاول الارواح المكدرة
بالصفات البشرية وهي ارواح العوام غلبتها القوى الحيوانية
فهي لا تقبل العروج والثاني الارواح التي لها كمال القوة
النظرية للبدن باكتساب العلوم وهذه ارواح العلماء
والثالث الارواح التي لها كمال القوة المدبرة للبدن
باكتساب الاخلاق الحميدة وهذه ارواح المرتاضين اذا
كسروا قوى ابدانهم بالارتياض والمجاهدة والرابع
الارواح التي حصل لها كمال القوتين وهذه كمال غاية
الارواح البشرية وهي للانبياء والصديقين فكلما
ازدادوا قوة ارواحهم ازدادوا ارتفاع ابدانهم عن
الارض ولهذا لما كان الانبياء صلوات الله
وسلامه عليهم قويت منهم هذه الارواح عرج
بهم الى السماء واكملهم قوة نبينا صلوات الله وسلامه عليه
فعرج به الى قاب قوسين

للطيبي شرح المصابيح

ذكر في الاذكار اجمعوا على الصلوة على نبينا صلوات الله
عليه وسلامه وكذا على سائر الانبياء والملائكة استقلالا
واما غيرهم فالجمهور على عدم الجواز ابتداء وقيل حرام
وقيل انه مكروه كراهة تنزيه لانه شعار اهل البدع وقد نهينا
عن ذلك وقال اصحابنا المعتمد في ذلك ان الصلوة صارت
مخصوصة في لسان السلف بالانبياء صلوات الله عليهم كما ان قولنا عز
وجل مخصوص بالله تعالى فكما لا يقال محمد عز وجل وان كان عزيزا
جليلا لا يقال ابو بكر وعمر صلى الله عليهما وان صح معناه واتفقوا
على جواز جعل غير الانبياء تبعا لهم في الصلوة واما السلام
فقال ابو محمد الجويني هو مثل الصلوة لا يستعمل في الغائب
ولا يفرد به غير الانبياء سواء كان حيا او ميتا لا يقال علي عليه السلام
والله اعلم

للطيبي رحمه الله

ايها الزكي الالمعي ان مبحث القدر هو المطلب العلي والمقصد السني تعرج عقول العقلاء الى معارج اسراره فترجع خاسرة سكرى وتمتد عيون العلماء الى مناظر اطواره ثم ترتد منها ذا قذاة وحسرى لترتبه على العلوم اللدنية المجدية وتوقفه على الفنون الكشفية الاحمدية بها يتجلى شموس حقائقه عن الغمام ويتجلى اهلة دقائقه بزينة الكمال والتمام لكن مقلب القلوب والابصار قلب قلبي الى افاضة ما فاض في سري من سلسبيل المعارف وزنجبيل الاثار فشرعت في بيانه متمسكا بحبل العصمة والتوفيق لاقوم النهج واعدل الطريق فقدمت امام الكلام بحثا شريفا محتويا على علم منوط بالحروف العاليات وفصلا منيفا منطويا على فهم محيط بالكلمات الساميات وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب اعلم ان ائمة التحقيق قد اتفقوا على ان العلم تابع للمعلوم كاشف له ولاحواله واحكامه وان تعلقه بالمعلوم بحسب المعلوم لا بحسبه وان علم المبداء الاول والمبادي العالية سواء فيه فعلى هذا كانت للحقائق المعلومة حضرة متقدمة على الحضرات العلمية ولو تقدما ذاتيا تحقيقا لمعنى الاصلية والفرعية باعتبار العقل الذي هو ميزان الله في ارضه يعبرون عنها تارة بنفس الامر وتارة بالواقع وصدق الخبر وحقيته انما هو بمطابقته لما في هذه الحضرة وهي اصل جميع العوالم والحضرات واساس جميع المراتب والمقامات يستنير منه لطائف الجبروت ويستمد منه حقائق الملك والملكوت فليكن هذا على ذكر منك ثم اعلم ان للمتصوفة قدس الله اسرارهم هنا كلام بالذوق والوجدان مع انه يحاكي حكاية البرهان وهو انهم قالوا ان هذه الحضرة هي الحضرة النفس الامرية وهي حضرة الوجود والبحت اي بشرط لا شيء اذ هو متحقق مع عدم المعتبرات واعتباراتهم ويقال لها في اصطلاحهم الاحدية واعلم اولا ان الوجود الذي يبحث عنه اهل النظر من المتكلمين والحكماء من المعقولات الثانية التي لا يحاذي بها امر في الخارج عارض للماهيات والوجود الذي يثبته المتصوفة امر حقيقي معروض للماهيات فيقوم لها الوجود العارض اثر من اثاره وشعاع من اشعة انواره ولا نزاع لهم في كون الماهيات موجودة بهذا الوجود العارض واما اطلاق هذا الاسم على المبدع انما يكون بالوجود الحقيقي وهو من حيث هو هو غير الوجود الخارجي والذهني اذ كل منهما مرتبة من مراتبه المنتهية اليها بقوله تعالى رفيع الدرجات ذو

ذو العرش

ذو العرش الاية وهو في مرتبة احديته وجوده بحت لا شيء معه لا علما ولا عينا كما افصح عنه قول النبي صلى الله عليه وسلم كان الله ولم يكن معه شيء الحديث الا ان له شئونا ذاتية ونسبا اصلية يسمونها في اصطلاحهم حروفا عاليات المنبئة عليها بقوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو الا وهذه الشئون وان لم يكن لها وجود ولكن لها ثبوت اجمالي فيه كثبوت صورة الانسان للنطفة الانسانية وثبوت الازهار والاوراق والاثمار للنواة وكذا ثبوت كل شان للشيء الذي من شانه اظهاره بعد اجتماع الشرائط وارتفاع الموانع واعلم ان شاء الله تعالى وتقدس لا يقاس على شئون مخلوقاته ليس كمثله شيء وهو السميع العليم وهو مورد القضاء ومحل القدر سيظهر ان شاء الله تبارك وتعالى فالاشياء باسرها ثابتة للوجود بهذا الثبوت بعضها بالذات وبعضها بالواسطة فان للوجود لوازم وللوازمه لوازم وللوازم لوازمه لوازم الى ما شاء الله فثبوت الملزوم مستلزم لثبوت اللوازم باسرها في الجملة وما ورد على لسان بعض العارفين لكنا حروفا عاليات لم نقل متعلقات في ذرا اعلى القلل انا انت فيه ونحن انت وانت هو والكل في هو هو فسل عمن وصل اشارة الى هذه الحضرت والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ويتلوها حضرة العلمية العلية الالهية ويقال لها في اصطلاحهم الواحدية وكل ما في هذه الحضرت هو صور الشئون الذاتية والمفاتيح الاول ينفتح عنها الماهيات ومنها الانواع ومنها الاصناف ومنها الاشخاص مع احوالها الجارية عليها في اوقاتها اللائقة لها فان الاوقات والازمان من لوازم الموجودات الزمانية لا ينفك عنها ولخصوصيتها والاستعدادات المقارنة لها مقتضيات من الحكم الفائقة والمصالح اللائقة لا يعلم كل زمان يعلمها الحكيم الخبير ويراعيها بحسب استعداداتهم بقدر سعة حوصلة قابلياتهم وفي القران وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم الاية اعلم ان المتصوفة قدس اسرارهم قالوا ان هذه الشئون من حيث ظهورها واقتران بعضها ببعض اقتضت ظهور الهيئات في العلم الالهي وهي التي سميت بالماهيات وخزنياتها بالهويات وجملتها بالاعيان الثابتة فعلمه سبحانه وتعالى محيط بها وبوجوه اقتران بعضها ببعض وامتزاجاتها وبالحكم الفائقة والمصالح اللائقة الراجعة الى استيفاء الموجودات كمالاتها المقدرة التي لا يتصور في الاحاد وعن الشيخ رضي الله تعالى عنه وجميع حال الاوجود لعينه ولا يحكم ليس الا حاد وهو عالم بجميع تفاصيلها وتفاريعها علما حضوريا ازليا وان كان حدوث الحوادث في اوقاتها المقدرة حضورا اخر عند من ينظر صور

الاشياء من كوة الخيال وهذا الكلام طويل الذيل متعلق بالاسماء والاستعدادات العنصرية الى الحركات الفلكية الفلكية لا يسعه مجال هذه الكراسة نسئل الله العصمة والتوفيق وهو يهدى من يشاء الى سواء الطريق وفي التحقيق ليس هنا حضوران بل حضور واحد علمي ازلي والله يلهم الصواب ومنهل الصحاب ويتلوها حضرة الجبروت وهي لوح القضاء الالهي المسمى بلسان بام الكتاب وعن النبي صلى الله عليه وسلم اول ما خلق الله نوري وفي رواية روحي وفي رواية العقل وفي رواية القلم والمسمى واحد واختلاف الاسماء باختلاف الاعتبارات وهو باعتبار كونه ظاهرا في نفسه ومظهرا لغيره نور وباعتبار كونه حيا في نفسه ومحييا لغيره روح وباعتبار كونه مدركا لنفسه ومدركا لغيره عقل وباعتبار كونه منبع انتقاش نظام الكائنات انتقاشا اجماليا قلم وذلك الانتقاش صورة قضاء الالهي وهو في الحقيقة عبارة عن الحكم الكلي الالهي في اعيان الموجودات على ما هي عليه من الاحوال الجارية من الازل الى الابد والله العصمة والتوفيق واعلم ان الياء في قوله صلى الله عليه وسلم نوري ضمير المتكلم وهو كناية عن الحقيقة المسماة بالعين الثابتة المشار اليها بانا وكل موجود متعين بها بالتعين الاول ويتبعه التعين الروحي والمثالي والصوري بحسب استعداده وكل روح من الارواح منتقش بكل ما يجري عليه من الاحوال والاحكام من الازل الى الابد انتقاشا لائقا وانطباعا مناسبا لحاله واستعداده وفي القران وكل انسان الزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه منشورا الاية ويتلوها حضرة الملكوت وهو لوح القدر الالهي المسمى في لسان الشرع باللوح المحفوظ وكتاب مبين يبين تفصيلا ما في ام الكتاب اجمالا ويعبر عنه بالنفس الكلية المتعلقة بالعرش الاعظم ومن قواها النفس المنطبعة الكلي وهي لوح المحو والاثبات المسمى في لسان الشرع بالكتاب المبين واعلم ان صورة العالم بعينها كصورة آدم ولهذا يقال انسان كبير فالعقل الاول بمثابة روحه والنفس الكلية بمثابة قلبه والنفس المنطبعة بمثابة خياله فانه سبحانه وتعالى يتجلى بحكم كل يوم هو في شان فينزل الامر الالهي نزولا غيبيا من الاحدية ثم الواحدية الى مرتبة العلمية وهي العقل الاول ففي هذه المرتبة لغاية صفائه كانه غير مشعور بها فان سطوات اشعة غاية ظهور الشيء تمنع عن ادراكه كمرآة مضيئة ترد البصر عن ادراك ما فيها من الصور لشعاعها ثم اذا نزلت الى مرتبة اللوحية وهي النفس الكلية صارت معلومة مضبوطة منوطة بعللها واسبابها ثم ينتقش في خياله وهو النفس المنطبعة انتقاشا جزئيا تفصيليا فان كل ما في هذا العالم منتقش فيه بشكله وهيئته ومقداره وهذا الانتقاش هو صورة قدر الالهي عند بعض

وبعضهم

وبعضهم يطلقون القدر على حصول تلك الصور في المواد الخارجية ويرون ان المحو والاثبات لا يكونان الا فيها وانما الصور الجزئية المنطبعة في الفلكيات فثابتة ابدا على حالها وذهب بعض المحققين الى ان المحو والاثبات فيها فيتبعهما الكون والفساد في المواد الخارجية ثم اعلم انما يحصل بانضمام تلك الجزئيات المرتسمة في النفس المنطبعة الى الكليات الثابتة في العقل الاول راي جزئي ينبعث عنه ارادة جزئية وشوق جزئي وطلب لوضع جزئي من الاوضاع الفلكية المطلوبة اخراجها من القوة الى الفعل للتشبه برب نوعه الذي هو بالفعل من جميع الوجوه فان الراي الكلي لا ينبعث عنه شوق جزئي وارادة جزئية ما لم ينضم اليه راي جزئي كانضمام الصغرى بالكبرى فانه ما لم ينضم لم ينتج وكذا هنا وبعد تحقق هذه المقامات تحرك الافلاك شوقا لرب نوعه الذي هو معشوقه اذ كل فلك معشوق من عالم الامر هو رب نوعه وواسطة بينه وبين الاول وحصل بهذه وضع جديد يفيض بذلك الوضع على نفسه منه اشراق نوري يوجب شوقا جديدا الى وضع اخر وارادة جزئية لما يوصل اليه ثم وثم الى ما شاء الله تعالى وبالجملة تحقق هنا حركتان حركة اشراقية في نفوس الافلاك وحركة وضعية في اجرامها والاولى تستتبع الثانية وتستتبع حركة المادة العنصرية في كيفياتها الاستعدادية وعلى هذا تتعاقب الحركات وتتلاحق الاوضاع وتترادف الاستعدادات في المادة العنصرية وبحسب الاستعدادات تعينت الحوادث للاوقات بحسب ما يقتضيه اسم الدهر في ذلك الوقت من ظهور الكمالات بحكم القضاء والقدر وحصل الارتباط بين الثابتات والحادثات فالفياض الحقيقي بحكم كل يوم هو في شان اعطى كل ذي حق حقه بقدر استعداده اذ لكل ماهية ازلية استعداد ازلي ونسبة خاصة لكل ما يجري عليه من الاحوال والاحكام في كل حضرة من الحضرات فكل سابق منه معد للاحق وكل لاحق يتعين من السابق فترتب سلسلة الاسباب والمسببات باكمل انتظامات واشملها على الحكم والمصالح الى ما شاء الله ذلك تقدير العزيز العليم وهذه المراتب والحضرات التي تمر عليها الحقائق منصبغا باحكامها الى ان وصلت الى الانسان ثم عادت منسلخة عنها عودة معنوية الى صوب الموطن الاصلي المستقر الاول هي المسماة في اصطلاحهم بالمراتب الاستدعائية وفي القران والله يعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين الاية وكذلك لافعال العباد عند صدورها عنه اربع مراتب لكونها اولا في مكمن روحه وهي في هذه المرتبة لغاية صفائها كانه غير مشعور بها ثم تنزل الى حيز قلبه عند استحضارها واخطارها بالبال كلية ثم ينزل الى مخزن خياله مشخصة ثم تتحرك

اعضائه عند ارادة اظهاره فيظهر في الخارج بحكم القدر الالهي الدائر على استعداده
فحركة الاعضاء هنا بمثابة حركة السماء هناك فتطابق النسختان تطابقا تاما وفي
القران سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق واعلم ان لله تعالى
عنايتين وبحسبهما فيضين وللاعيان لها استعدادين وتوضيح ذلك ان العناية
الالهية على نوعين احدهما عناية ازلية يقتضيها الذات الالهية بحسب الحب الذاتي
فيكون الاعيان تابعة لها وثانيهما يقتضيها الاعيان باستعداداتها فيكون العناية تابعة
لها وكذا فيضه تعالى ينقسم الى قسمين فيض اقدس تحصل به الاعيان مع استعداداتها
الكلية في الحضرة العلمية الالهية وفيض مقدس يخرج به الاعيان من العلم الى العين وهو
الايجاد للمعدومات وتحقق الموجودات وكذلك استعداد الاعيان ينقسم الى قسمين
استعداد كلي غير مجعول يقبلون به الوجود الخارجي بالعناية الاولية ويعبرون عنها في الحكمة
الالهية بالامكان الذاتي واستعداد جزئي مجعول يقبلون به الاحوال الخارجية عليها بعد
الاتصاف بالوجود الخارجي بالعناية الثانية ويعبر عنه الحكيم بالامكان الاستعدادي ومن
هنا يعلم وجه التوفيق بين النصوص المتخالفة الظواهر كما قال سبحانه وتعالى قل كل من عند الله
وقال ايضا وما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك الاية وحجة ان
ان ارباب التحقيق قالوا كما ان الله سبحانه وتعالى واحد من جميع الوجوه كذلك فيضه وامره واحد
وفي القران وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر ولكنه متلون الوصف ينصبغ عند الورود باحكام
استعدادات القوابل فكل كمال وخير مستفاض من الله تعالى وكل نقصان وشر من قصور
قابلية القوابل وضيق حوصلة قابليتها والسر في ذلك ان الخير هو الوجود مع كمالاته والشر هو
العدم مع نقائصه فالله سبحانه وتعالى يفيض الخير بارادته وحكمته على الاعيان فما يقبلونه
من جود الله تعالى فهو خير فائض من الله تعالى وعدم القبول من عدم الاستعداد شر فهو
من الممكنات وفي القران والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا
الاية ومن ههنا ظهر معنى العجز والقصور من جانب العبد واما الجبر والاضطرار من جانب
المعبود فتعالى عنه شانه ولم يقل به احد من المحققين اما الاشاعرة فانهم يسندون الافعال
الى العباد مع قدرة مقارنة للفعل واما الماتريدية فانهم يسندونها اليهم مع قدرة مرجحة
واما الصوفية فانهم كالماتريدية لكنهم ينزلون الاعيان منازل المرايا كما قال جلال الدين
رومي خلق راجون آب دان صاف وزلال اندران تابان صفات ذي الجلال علم
شان وعدل شان وقهر شان چون نجوم چرخ در آب روان واما كون

قدرة مرجحة عندهم فان استعداده يرجح ما يريد وعليه فالدعا بلسان الاستعداد مستجاب
والفرق بين الماتريدية والصوفية ان قدرة العبد مستعارة عندهم كوجوده ومستفادة
عند الماتريدية والفرق ظاهر فان قلت هلا يلزم الجبر من عموم العلم بجميع الكائنات قلت لا يلزم
لان العلم تابع للمعلوم كاشف له ولجميع الاحكام الخاصة به والمعلوم يؤثر فيه بحصول صورته
فيه فالعلم ليس بمؤثر بل متاثر فالمعلوم في الحقيقة حاكم على الحاكم بلسان استعداده ان يحكم
عليه بما فيه من الاحكام الخاصة به ومن ههنا قال سبحانه وتعالى فلله الحجة البالغة هذا سر سر
القدر فان قلت اليست الاعيان مع استعداداتها مجعولة لله تعالى   حجة بالغة
قلت ليست بمجعولة بل هي ازلية فائضة منه تعالى بصور شئونه المندمجة في غيب هويته بلا
تخلل ارادة واختيار بل بالايجاب المحض اذ لا سبيل للارادة والاختيار الى الشئون الذاتية وانما
سبيلهما الى الشئون الابداعية فليس لاحد ان يقول رب لم جعلتني كذلك فكما ان الاسماء
الجمالية من الشئون كذلك اسماء الجلال منها وكلها يقتضي المظاهر الكونية حتى تظهر اثارها
المطلوبة التي باعتبارها قال الله تعالى كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف الحديث فكما ان اسم
الهادي يتجلى في مجالي المؤمنين والابرار كذلك اسم المضل تظهر في مظاهر المشركين والفجار
لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون فان قلت اليس التفاوت بين الافراد بالنقص والكمال والهداية و
والضلال ينافي عدل الفاعل المختار قلت لا ينافي بل هو لكمال عدله وتمام لطفه والله سبحانه وتعالى
وان كان فعالا لما يشاء لكن مشيئته بحسب حكمته ومن حكمته رعاية المراتب الاستعدادية
واعطاء كل ذي حق حقه فان قلت ان القدرة القاهرة الالهية ليست بقاصرة ان تقصر
كل مستعد عما يستعده بحسب مقتضى السلطنة الباهرة والكمال في الفاعلية كما قال المثنوي
المولوي چشم آدم بر بليس كو شقيست   از حقارت واز زيافت بنگريست   خويش
بيني كرد آمد خود گزين   خنده زد بر كار ابليس لعين   بانگ بر زد غيرت حق كه اي صفي
تو نمي داني ز اسرار خفي   پوستين را باز گونه گر كند   كوه را از بيخ واز بن بركند پرده
صد آدم آن دم بر درد   صد بليس نو مسلمان آورد   قلت نعم لكن حكمت حكمته
واقتضت عدالته رعاية المراتب الاستعدادية تفضلا منه وكرما ولهذا عبروا عنه بالعناية
الالهية فان قلت فالسبب في اختلاف الاستعدادات قلت سبب اختلاف الاستعدادات
الجزئية عندهم اختلاف استعدادات سابقة عليها الى غير النهاية ولا محذور فيه لعدم
اجتماع احادها مع ان الاستعدادات الجزئية نبعة من نبت الاستعداد الكلي الغير المجعول
تامل وكذلك ان العناية الازلية تستدعي ان يكون المظاهر الكونية على اكمل النظامات واحسنها

واشتمالها على الحكم والمصالح واجملها فلا تتأتى ذلك الا باختلاف الاستعدادات اذ لو
تساوت الاستعدادات لانحصرت الموجودات على حالة واحدة في طبقة واحدة
وبقيت المراتب الباقية الممكنة في كتم العدم مع الاحتياج اليها في العالم مع امكان وجودها
واختل النظام ولا تتمشى امور الخلائق وظهر الهرج والمرج ولا تتهيأ مصالحهم اذ انما
تتأتى ذلك باختلاف الحرف والصنائع وانما تتأتى ذلك باختلاف الطبائع والغرائز
الا يرى ان بعض الناس شرع الى ما ينفر عنه الآخر ويستحسن ما يستقبحه الآخر وبذلك
تتمشى امورهم ويتم مصالحهم وبه تكميل النظام وتتميم وجه الانتظام الواقع وان امكن
لكل فرد فرد ما هو احسن له بالنظر الى خصوصيته فان قلت فما وجه كون بعض الافراد ممنوعا
عما هو اشرف له واولى قلت وجهه ان العناية الالهية متعلقة بنظام الكل على احسن الوجوه
اولا وبالذات وهو هذا النظام الواقع في الكل وبالافراد ثانيا وبالعرض لتكميل النظام
وتتميم وجه الانتظام ولعل استيفاء كل فرد فرد ما هو الكمل له واحسن يكون مخلا لهذا
وان خفي علينا وجهه واشار اليه بعض العارفين بقوله هذا انکه نقش اقليم ادم را نهاد
هر کسی را انچه لائق بود داد   کربه مسکین اکر پر داشتی   تخم کنجشک از جهان بر داشتی
ومعلوم ان الجناح بالنسبة الى الهرة كمال الا انه خلل جزئي بالنسبة الى النظام الاكمل الذي
هو مقتضى الاسماء المتقابلة والكثرة من مقتضاه قال بعض الافاضل ولعل تفاصيل كيفية
ذلك الحسن والخلل هي سر القدر الذي استأثر الله تعالى بعلمه ولم يطلع عليه سواه او اطلع واحدا
بعد واحد من كمل عباده وخلص عبيده فان قلت قد ظهر مما سبق ان كل ما يجري على الاعيان
من الاحوال والاحكام من لوازمها الثابتة في نفس الامر ثبوتا اجماليا ومن شؤنها فلم
قال البيضاوي رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى وفريقا حق عليهم الضلالة الاية اي بمقتضى القضاء
السابق ولم يقل بمقتضى الاعيان الثابتة مع ان اعيان هذا الفريق اقتضت ضلالته قلت
انما قال كذلك بناء على المشهور فيما بين السلف لان دابهم تعليق حسناتهم الى قضاء الله وقدره
وسيئاتهم الى انفسهم تأدبا مع ان مذهبهم تعليق ما يجري عليهم من الحسنات والسيئات الى قضاء
الله وقدره لكن الحسنات برضائه دون السيئات وسكتوا عن مقتضيات الاعيان لخفائه
وغموضه مع انخفا الفاتحة تبعها الخاتمة ومن ههنا قالوا العلم تابع للمعلوم كاشف له ومن تأمل في
هذا المقام تبين عنده ان قول من قال ان للتقدير في ازل الازال تأثيرا في الاحوال والآجال
حق واعتقاد حسن ولا يدرك وجه رد بعض الافاضل وتبين ايضا وجه قول نبينا صلى الله عليه وسلم
فحج آدم موسى في الحديث المفصل الوارد في محاجة موسى وادم على نبينا وعليهما الصلوات

والتسليمات وجهه ان صدور فعل العبد عنه بامرين احدهما كسبه وثانيهما الداعية الناشئة
في قلبه بمحض مشيئة الله تعالى على وفق مقتضى عينه الثابتة كما ذهب اليه المحققون من اهل
السنة والجماعة فنظر موسى عم الى جانب كسبه على معتاده كما قال الخضر عم اقتلت نفسا زكية
بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا ولام ادم عم على اكله الشجرة نظرا الى كسبهما لهما فاسقط ادم عم
اللوم عن نفسه نظرا الى الداعية واعترافا بالعجز والانقهار تحت احكام الواحد القهار على ما هو
اللائق بمقام العبودية ولكل وجهة هو موليها وانما قال نبينا صلى الله عليه وسلم فحج ادم عم
الى جانب الاقوى من الامرين المذكورين وهو الداعية الناشئة بمحض مشيئة الله تعالى
وليس فيه شيء يتمسك به الجبرية بل هو حجة عليهم اذ لو لم يكن لكسب العبد مدخل في صدور الفعل
لما نظر موسى عم اليه والله ولي العصمة والتوفيق الهادي للطالبين الى سواء الطريق فان قلت
فعلى هذا كان لفرعون وهامان وسائر الكفرة ان يحتجوا به قلت حجة آدم عم ليست لاسقاط
اللوم عن نفسه شرعا مع انه عوقب بالاهباط من جوار الرحمن والاخراج من الجنان
فلومه شرعي لا عقلي واذا تاب الله له وعفا زال عنه فمن لامه كان محجوجا على ان هذا
محاجة روحانية ومكالمة مثالية في عالم القدس ولا يقاس عليه حال من هو دار التكليف
وقال ما نقل عن بعض عظماء الملة والدين حين سئل عن هذه المسئلة فقال لا جبر ولا تفويض
بل امر بين امرين الى معنى حديث المحاجة اما انه لا جبر فلان العبد مختار في اكتساب الحسنات
واجتنابه عن السيئات فان السنة السنية الالهية قد جرت على ان يخلق افعال عباده عقيب
تعلق ارادتهم وقدرتهم لما يريدونه ويقدرون عليه وهذا التعليق هو المعبر عنه بالكسب
والاختيار واما انه لا تفويض فلان هذا التعلق تابع لداعية تحدث في قلب المؤمن بمحض
مشيئة الله تعالى وليس فيه مدخل لغيره وفي القران وما تشاؤن الا ان يشاء رب العالمين
واعلم ان اللائق بمقام العبودية صرف العبد جميع ما انعم عليه من القدرة والارادة وغيرهما
الى ما خلق له وفي الحديث ان داود النبي عم كان لا ياكل الا من عمل يده الحديث الا ان من
عباد الله من يأتيه رزقه رغدا من كل مكان من غير احتياج الى الكسب والتعمل فاما العامة فيرزقون
بسبب الكسب والتعمل فلا كلية في الامر فكم من ساع بغير مرزوق وكم من مرزوق غير ساع ومن
ههنا ظهر وجه قول مولانا جلال الدين رومي قدس سره   رزق تو بر تو ز تو عاشق ترست
رو توكل كن ملرزان پا ودست   كر ملرزاني بيايد بر درت   ور بلرزاني دهد درد سرت
ووجه قول شاعر آخر   کر نشینی صید قوت کنی   دست و پایت چو عنکبوت کنی   والله اعلم
بالصواب فان قلت قد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم السعيد سعيد في بطن امه والشقي

شقی فی بطن امه الحدیث وقد افصح عن ذلک المعنی حافظ الشیرازی درکوی نیک
نامی ما را گذر ندادند گر تو نمی پسندی تغییر کن قضا را حافظ زخود نه پوشید این خرقه
می آلود ای شیخ پاک دامان معذور دار ما را مع انه ثبت عند المحققین رحمهم الله تعالی
علیهم اجمعین ان السعید قد یشقی والشقی قد یسعد وقد اشار الی ذلک المعنی شاعر آخر
ما را ز قضا جز این قدر نتوانند پیمانه تو پی باز بتو پیمانند فی وجه التوفیق بینهما بان
یحمل الحدیث الاول علی ما فی لوح القضاء والقدر فانه لا یتطرقه التبدیل والتبدل کما قال
سبحانه وتعالی ما یبدل القول لدی وما انا بظلام للعبید والحدیث الثانی علی ما فی اللوح
والاثبات کما قال سبحانه وتعالی یمحو الله ما یشاء ویثبت وعنده ام الکتاب وما فی هذه
اللوح یثبته الکرام البررة ویمحوه قال القاشانی قدس سره الالواح اربعة لوح القضاء
السابق الازلی وهو لوح العقل الاول ولوح القدر وهو النفس الکلیة التی یفصل فیها کلیات
اللوح الاول ویتعلق باسبابها وهو المسمی باللوح المحفوظ ولوح المحو والاثبات وهو النفس
المنطبعة التی ینتقش فیها کل ما فی هذه العالم بشکله وهیئته ومقداره وهو المسمی بسماء الدنیا
وهو بمثابة خیال العالم کما ان الاول بمثابة روحه والثانی بمثابة قلبه ولوح الهیولی القابل
للصور فی عالم الشهادة وهو لوح الکون والفساد انتهی واعلم ان کل ما یحدث فی عالم
الکون والفساد له صورة اجمالیة فی لوح القضاء علی وفق ما اقتضته الشئون الذاتیة
وفی القران وان من شیء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم ثم ان له صورة تفصیلیة
فی لوح المحو والاثبات علی وفق ما اقتضته الحکمة الالهیة وهذه الصورة الاجمالیة تنطبق
علی صورة التفصیلیة ولا یتغیر بتغیره لان تغیره لیس بتغیر ذاتی بل نشاء من استعداد المظاهر
کما اشار الی هذا المعنی بعض العارفین سایه سرو سهی گر بزمینی گرفتند که نماید در
نظر اما قد او راست است فان الموجودات الزمانیة المتأثرة من الاوضاع الفلکیة
احوالها الجاریة علیها باستعداداتها المستندة الیها یجوز تحولها وتبدلها من حال الی حال بسبب
من الاسباب العادیة کالصدقة والصلة والادعیة الخالصة ومن ههنا ظهر وجه قول النبی صلی
الله علیه وسلم لام حبیبة رضی الله عنها لما سمعها تدعو وتقول اللهم متعنی بزوجی رسول الله
صلی الله علیه وسلم وبابی سفیان وباخی معویة قد سالت الله باجال مضروبة وایام معدودة
وارزاق مقسومة لن یعجل شیئا منها قبل حله ولن یؤخر شیئا عن حله ولو کنت سالت الله ان
یعیذک من عذاب فی النار وعذاب فی القبر لکان خیرا وافضل فان مراد ام حبیبة رضی الله عنها
بالتمتعات الثلث طول العمر المطلق وهو من الکلیات المختصة بالانسان المثبتة فی لوح القضاء

والقدر

والقدر بدون تحول وتبدل وان اندرج تحتها الجزئیات المتغیرة فی لوح المحو والاثبات
باستعداداتها المستندة الی الاوضاع الفلکیة واما قوله صلی الله علیه وسلم ان الصدقة
والصلة تعمران الدیار وتزیدان الاعمار ارید بهما الجزئیات المندرجة تحت الکلیات فلا
منافاة بینهما والله اعلم (من کلام الشریف) لشعبان افندی سلمه الله

ای التی هی المتغیرة باستعداداتها

تمت الرسالة

بسم الله الرحمن الرحیم

الحمد لله رب العالمین والصلوة والسلام علی محمد واله اجمعین اما بعد فقد
طالعت ایها الاخ رسالتک بهذه زادک الله اهتمامک بامر الدین واحیاء السنة
وانکار البدعة فقد احسنت فی انکارک التغنی واللحن فی الاذکار فانهما من اسوء البدع
واشنع المنکرات ولکن لی نصیحة لک فاقبلها من اخ صادق فهی ان طالب الحق والمنقب
للحجة ان یبلغ

الحمد لله رب العالمين وسلام على عباده الذين اصطفى وبعد فقد قال الامام البيضاوي عند قوله تعالى لا الشمس ينبغي ان تدرك القمر وايلاء حرف النفي الشمس للدلالة على انها مسخرة لا يتيسر لها الا ما اريد بها انتهى اقول وايلاء حرف النفي الشمس لا يخفى ان المراد جعل الشمس واقعة بعد حرف النفي بلا فاصل وانما الكلام في تطبيق العبارة عليه وبيانه انهم اختلفوا في المفعول الحاصل بهمزة التعدية فيما يتعدى بنفسه الى مفعول واحد فذهب بعضهم الى انه المفعول الثاني والاكثرون الى انه الاول كما اشار اليه شيخ الاسلام عصام الملة والدين فيما علق على الهداية وقال بعض المحققين في حواشيه على البيضاوي اختلف فيما كان فاعلا للفعل قبل الهمزة يصير مفعولا اولا او ثانيا انتهى اذا تقرر هذا فيجعل الحاصل بالهمزة هنا هو الثاني وهو الشمس فان الاصل ولي الشمس حرف النفي ثم جيء بالهمزة واسند الفعل الى الله تعالى فآل الى أولى الله تعالى حرف النفي الشمس ثم اخذ مصدره وحذف فاعله فصار وايلاء حرف النفي الشمس اي جعل الشمس واليه حرف النفي وهذا كله ان سلم ان الولي يقتضي البعدية كما توهمه تفسير العلامة التفتازاني تبعا لنجم الائمة الرضي قول صاحب التلخيص ان ولي حرف النفي بقوله ان كان المسند اليه بعد حرف النفي بلا فصل لكنه ممنوع اذ قد فسره صاحب القاموس بالقرب والدنو ولم يزد عليه وقال المحقق الجنيد في حاشيته المطول البعدية غير ظاهرة من الولي الا ان يقال يستفاد ذلك بحسب السياق انتهى وحينئذ تكون المطابقة غنية عن التوجيه قوله للدلالة على انها متحرم قال فاضل الروم لا يخفى عليك خفاء وجه الدلالة الا ان يقال الدلالة من اول الامر على جعل المنفي لكونه ملاك الامر عين ما ذكر في حيزه وانت خبير بما فيه من التكلف انتهى اقول يريد ان المنفي الذي هو الانبغاء لكونه ملاك الامر من حيث ان الكلام مسوق لافادة نفيه جعل عين ما ذكر في حيزه اي حيز ذلك المنفي اي الحيز الذي كان يستحقه وهو المكان الذي يلي حرف النفي وهو اي المذكور في حيز المنفي اعني الانبغاء الشمس ووجه الدلالة ان الشمس لما حلت محل الفعل الذي مصب النفي كانما عينه في توجيه النفي اليها ومعلوم ان الافعال اعراض غير قايمة بذاتها محتاجة الى فاعلها مسخرة له فيفيد

ان

ان الشمس كذلك وانما قال من اول الامر لانه بعد التامل يظهر توجه النفي الى قوله ينبغي ويؤيد ما قررناه ان في بعض النسخ بدل قوله في حيزه في حيزه فان المآل واحد واما في كثير من النسخ من قوله على جعل النفي لكونه ملاك عين ما ذكر في حيزه فقد سقطت فيه الميم من قلم الناسخ وربما توجه بان النفي بمعنى المنفي والله سبحانه اعلم قال مؤلفه اجمله افقر العباد محمد مري الدين لطف الله تعالى به في الدارين

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى وبعد فقد قال الامام البيضاوي عند قوله تعالى في سورة الانبياء واوحينا اليهم فعل الخيرات واصله ان يفعل الخيرات ثم فعلا الخيرات ثم فعل الخيرات انتهى وقد سبق في هذه العبارة صاحب الكشاف في حاشيته فاضل الروم الظاهر انه انما قال ذلك لما اراد ان فعل الخيرات واقام الصلاة وايتاء الزكاة ليس من الاحكام المختصة بالموحى اليهم بل ذلك حكم اممهم على ما دل عليه قوله وجعلناهم او مشترك بينهم وبين اممهم فبنى الفعل للمفعول حتى لا يكون المصدر مضافا من حيث المعنى الى ضمير الموحى اليهم بل يكون التقدير فعلهم الخيرات واقامهم وايتاؤهم الزكاة وتبعه محشيه او الفاعل مع المصدر محذوف فيجوز ان يكون الامم ويجوز ان يكون الشامل لهم وللامم اي فعل اممهم الخيرات او فعل المكلفين الخيرات والذي يدل على كون الاصل ما ذكره مدل على ما ذكرنا من تقدير الفاعل ايضا فلا حاجة الى تطويل المسافة الا ان يقال تقدير الاصل هكذا لان الاستعمال اوحينا اليهم ان يفعل فالمرجح لان يكون نفس الفعل الذي هو معنى صادر عن فاعله مما يدل عليه فافهم ومنه ايضا تامل انتهى اقول قوله الظاهر انه مع ما ذكر من البحث كلام الى حيان وقوله الا ان يقال الى قوله مما يدل عليه كلام السمين ملخصا وما بعده كلام الفاضل المحشي وفيه مجال التامل

احتمالان

احدهما ان يكون اشارة الى ان اراد السمين ان الاستعمال اوحينا بان يفعل المفسر و الفعل فالذي ما دل

وما توفيقي الا بالله لا يكون افعالي موفقة للصواب الا بمعونة الله عليه توكلت واليه انيب
اعتمدت فانه القادر على كل شيء وما عداه عاجز في حد ذاته ساقط عن درجة الاعتبار قال الجنيد
التوكل ان لا يظهر فيك انزعاج الى الاسباب مع شدة الفاقة ولا تزول عن حقيقة السكون
الى الحق مع وقوفك عليها قال القاضي في الابتداء اشارة الى التوحيد الذي هو اقصى مراتب العلم
بالمبدأ والمعاد وانيب ارجع الى المعاد فهو اشارة الى معرفة المعاد تفسير نيسابوري

قال العلامة انه الكمال مع معرفة الموعود
ان الله ليس ينقص من فال
نفس شيئا الا يقص من عدد المعدود او من ثواب
او زيادة من عذاب بمعقول ليس يكون
ناقصا الذي من الظلم او اعدل و ابتغيت واحد
بمعنى النعم او الفضل لا يكلف عليه اولي الالباب
مما في بابه الحد عليه بل زائد او لا نفع ان زاده من
اسهل فاقول فقد بعدي استخفافه
مع لا كان يعتمد
العذاب بحره

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى وبعد فقد قال الله عز قائلا في سورة الانبياء
فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين وفسر الامام
النيسابوري شيئا من حقه او من الظلم ثم قال اي وان كان العمل او الظلم مقدار حبة اتينا بها
احضرناها وقرئ آتينا بمعنى جازينا بها من الاتيان فانه قريب من اعطينا او من المواتاة
فانهم اتوه بالاعمال واتاهم بالجزاء وانبناهم من الثواب وجبنا والضمير للمثقال و
تانيثه لاضافته الى الحبة انتهى قال فاضل الروم قوله وان كان العمل
الاولى وان كان حقه قوله والضمير للمثقال فيه بحث لظهور عدم جعله للمثقال
على تقدير كون اسم كان ضمير الظلم على واحد من التفاسير المذكورة لا مثالها
كما لا يخفى الا ان يقال يعين الضمير للمثقال مخصوص بكون اسم كان ضمير العمل واما على
الوجه الآخر فالضمير للاعمال لا للمثقال والجمع باعتبار المواد انتهى اقول هذا مبني على
ان ان في قوله تعالى وان كان الآية وصلية وان تريد ضمير كان من كونه للحق او للظلم
بالنظر الى تفسير النسفي في قوله تعالى فلا تظلم نفس شيئا وفي تظهر عدم جعله للمثقال على
تقدير كون اسم كان ضمير الظلم على كل من التفاسير لان المراد به على هذا التقدير الظلم
المعبر عنه بشيئا في قوله تعالى فلا تظلم نفس شيئا ولا يخفى انه منفي عنه سبحانه على وجه
العموم فلا معنى للاتيان به ولا المجازاة عليه ويجب ان يكون جملة اتينا بها
متعلقا بقوله ونضع الموازين القسط ليوم القيمة على طريق الاستيناف و
الضمير للاعمال المستفاد من وضع الموازين اي اتينا او جازينا بتلك الاعمال
التي لها وضعت الموازين وليس للمثقال ومنه يظهر انه لا حاجة الى تاويله
الجمع باعتبار المواد وهذا الخلاف ما اذا كان اسم كان ضمير العمل هذا توجيه
كلامه والبحث بعد في المقام مجال فان الظاهر انها غير وصلية وان اتينا
بها هو الجواب والا لوجب التعرض لموقعه وعليه فمرجع ضمير اسم كان العمل
المستفاد من السياق او الظلم المستفاد من المقام لا المنفي المفسر بشيئا
ويحتمل ان يكون مبهما يفسره الحبة الخبر بعده على منوال ان هي الا حياتنا الدنيا وقوله
تعالى فسواهن سبع سموات وبعد رجوع ضمير بها للمثقال على كل تقدير لان المتبادر
ان يكون من متعلقات الشرط فخلو الكلام عن جوابه بل الظاهر رجوعه الى ما يرجع اليه
اسم كان وتانيثه باويل الخطيئة او الجريمة تمت

قوله

رد اسعدی افندی

وقال وكان الاقبا من اى الاخذ بحسب ما يقتضيه احوال الحكمة ربه لا سعدا

والتبيوه على ما ظا مواهبه الحكم لا تعتبر ذلك بق قال ويطيه تنزلات الرضا والرحمة

[illegible] والرحمة التى نص عليها فى قصة الحكم قال الا على نظام تنزى ولا على ترتيب نقلى منه احكام

غير مجرد وان كان صحيحا فى نفس الا على النفس الكلى يعنى الذى يسمى به القضاء والعناية والتنزيل الارادى

الذى حكم به القدر ثم قال ونحن في هذا الكتاب وهى اربعة العدد ومبادئ تجوين

الا بيان ومضارب بحكم الامر فى العقل وقطاف به ما استنشاده ثم قال الواحد منهما بكونه الاسم اى بمنهما المكونات فى

هذا الكتاب قال وهى الطواف ربه كثيرها عبارات ولا ادرى فى العلم فى كيفية ثم قال والثانية نزل وسمه بحسب هى اقتضاها على

الطواف فى العقل رات وهى واسد اعلم المخصوص بالعطاف فان العدد ومن بولستان والثانية لنه مجرده البسط والانس بانه منبوث

بالحقيقة السمحاة والبصر درج الامنح والانس لما فى المدارج المجردة من النفس والتجليات قال وهى تعنى المجردة متعلمة الى الشيئين

الواحد منهما ضمن تجميعها احدهما صلصلة الجرس وانت نبه سابقا الانس وسكنته النفس طول وانما جعلت فصلا من المجردات

صدر الكتاب تركما صلى الله عليه وسلم وفى هذا الكلام خلع ذلك ان صدر الكتاب القصة الموسوية والموسعة ودل العصول

الانه بعد انما هو المكونات وبعده العزو ورسالات وبعده المجرمات ثم الرحمانات وهى الرابعة والصلصلة والبسائط و

السكينة من نفس الكتاب وما فيه موصدرا الكتاب ولو كان من خارق الموقفين تصبح المجردة الى الشيئين لكان نبوق

الصلصلة والبسائط والسكينة مساق القصة الموسوية والموسعة فكان نتج ان يكون القدر الكتاب تم زيدى اول الارزق التى هى

عين الكتاب وما كونه رضى الله عنه ان جعلها اربعة العدد ولم يجعلها اقل من ذلك ولا اكثر وذلك لانه لما ذكر فى

هذا الكتاب ويرد ان على صورة التمام والكمال ولا شك انه ليس فى العدد عدد تام عن الاربعة فانها تتضمن جميع الاعداد

كتب لتضمنها البسائط والعقود لان فيه الثلثة والاثنين والواحد وهى عشرة والعشرة اول العقود وما فوق العشرة من الاعداد

انما هو تضعيف الاحاد والعشرة فلهذه الشرف التمامى جعلها اربعة العدد والكسب ايضا الزيادة اربعة هو موه حلت صحيحا مرتبة

عن تنزل الالهى محلها على الكتب والعالم العدد ولا بعد ليس فوقها اسم العدد وهو الاحاد والعشرات والمئات والالوف فبدة

ايضا صورة تامة وكذلك النشأة الحيوانية قامت على اربعة اخلاط واركان الطبيعة ايضا اربعة بجهات المولدات لتمام الوجود

وحملة العرش اليوم اربعة وهو حمل تام والقوى الباطنة كالذائقة والماسكة والهاضمة والدافعة والامهات الكلية فيها فوهات

الاربعة فقط الا فى امر تمامى م

منه قدس سره

[illegible]

فصل الاستقراء

تفحص الجزئيات وغيرها لاثبات حكم كلي سواء كان الحكم ايجابا او سلبا وذلك الحكم
الكلي هو ثمرة الاستقراء والتتبع تقول استقريت الكتاب اذا تتبعته مسئلة
مسئلة منه ثم في هذا التفسير تسامح كما ان تفسيره بالحكم على الامر الكلي ايضا كذلك لان
الاستقراء حجة اي امور معلومة موصلة الى التصديق لكن الحكم الكلي ثمرة له الا ان
المفهوم من شرح الرسالة ان الثاني تسامح دون الاول فعليك بالتامل واعلم
ان الاستقراء ينقسم الى التام وهو القياس المقسم المفيد للعلم واليقين والى قسم غير مقترن
بالقرائن المفضية الى قياس خفي مفيد لليقين وهو الاستقراء المتعارف عند اطلاق
الاستقراء المفيد للظن وهو المقصود ههنا بالتوقيف بقرينة المقابلة التمثيل بيان مشاركة
جزئي لجزئي آخر في علة الحكم الثابت للجزئي الثاني ليثبت فيه اي في الجزئي الاول حكم الجزئي
الثاني للمشاركة في علة الحكم وحاصله تشبيه جزئي لاخر في معنى مشترك بينهما ليثبت
للمشبه الحكم الثابت للمشبه به المعلل بذلك المشترك مثلا يقال السماء حادث لانه كالبيت
في التاليف الذي هو علة الحدوث فاذا رد الى صورة القياس صار هكذا السماء مولف
وكل مولف حادث فيتطرق الخلل فيه ان وجد بالنسبة الى الكبرى بخلاف الاستقراء
فانه اذا رد الى القياس تطرق الخلل فيه بالنظر الى صغراه اعني هذا الامر الكلي منحصر في تلك الجزئيات
ويسمى الجزء الاول في التمثيل اصغر والثاني تشبيها له والحكم اكبر والمعنى المشترك يسمى
اوسط والعمدة في طريقه اي طريق بيان علية المعنى المشترك شيئان الاول
الدوران بالمعنى الذي هو ترتب الحكم على ماله صلوح العلية وجودا وعدما كما يقال الحدوث
دائر مع التاليف وجودا وعدما اما وجودا ففي البيت واما عدما ففي الواجب تعالى و
الدوران لا يفيد اليقين في العلية لانه قد يكون المدار الجزء الاخير من العلة او الجزء المساوي
لها والثاني الترديد على وجه التقسيم دون النفي والاثبات لكن مع ابطال علية ما عدا الجامع كما
يقال علة الحدوث اما الوجود او القيام بنفسه او التاليف والاولان باطلان لانتفائهما
في الواجب فتعين الثالث للعلية وهو ايضا لا يفيد اليقين لان التقسيم غير حاصر فيجوز ان يكون
غير ما ذكرنا واعلم انه يجوز ان يعرف علية الجامع في بعض الصور بالبرهان وعلية الامكان في
الاحتياج الى المؤثر فالتمثيل ح مفيد لليقين لا يقال لا حاجة الى التمثيل ومقدماته بل يكفي عبارة صورة
القياس لانا نقول اذا سلم الخصم ثبوت الحكم في المشبه دون الاصغر فايراد التمثيل في الزامه
والمخاصمة ابلغ واشد وايضا ما ذكره انما هو في مشترك لا نزاع فيها اذا كانت علية الجامع مظنونة

فهو ليثبت فيه اي في الجزئي الاول حكم الجزئي الثاني كقولهم
العالم مولف فهو حادث لانه كالبيت في التاليف الذي هو علة
الحدوث ويسمى العالم اصغر والبيت تشبيها بالاصغر والحادث اكبر
والمولف اوسط والفقهاء يسمون التمثيل قياسا والاصغر فرعا
والتشبيه بالاصغر اصلا والاكبر حكما والاوسط علة وجامعا
از شرح ديگر

فانه يجوز افادة المقصود بالخطابة دون التمثيل   القياس كما

ينقسم باعتبار الصورة الى الاقتراني والاستثنائي ينقسم باعتبار المادة الى البرهان

والجدل والخطابة والمغالطة والشعر ولكل من الخمس مواد مخصوصة مفصلة بقوليات

اما برهاني يتألف من اليقينيات اي المقدمات المفيدة للتصديقات

الجازمة المطابقة للواقع الثابتة لاستنادها الى موجب من ضرورة او برهان ولقائل

ان يقول ان اراد بالثبات عدم الزوال على ما قيل ففيه انه قد يعتبر الزوال في التقليد ايضا

وان اريد بها عدم الزوال اصلا على ما هو المشهور ففيه ان العقلاء كثيرا يعتقدون خلاف

معتقدهم الاول مع ان الحق هو الاعتقاد السابق وانما وقعوا في ذلك لمعارضة الوهم

للعقل في بعض مقدمات الدليل بل نقول جاز ذلك في الضروريات ايضا كما وقع في

الاطباء خلاف في امزجة الادوية المعلومة بالتجربة   اي مبادي الاول

الاصلية لليقينيات الضروريات الست والا فقد يكون النظريات ايضا يقينية فالاولى

من الضروريات الست   التي يحكم العقل بها بمجرد تصور الاطراف وانما يتوقف

في الحكم لنقصان الغريزة او لفقدان الفطرة بالعقائد المضرة نحو الكل اعظم من الجزء والثانية

منها المشاهدات التي يحكم العقل اما بواسطة احساس الحواس الظاهرة وتسمى حسيات واما باحساس

الحواس الباطنة وتسمى وجدانيات كالحكم بان لنا خوفا من النار ولقائل ان يقول

ليس حكم حسي باطني الا بواسطة الاحساس الظاهري سوى الوهمي بجمع الحواس الباطنة غير ظاهر

ولو سلم فنقول كثيرا ما يذكر الوهميات في مقابلة الحسيات مطلقا فان احكام الوهم في

المحسوسات ضرورية يقينية بخلاف حكمها في المعقولات فانه كاذب ولا شك ان الخوف

من المعاني القائمة بالمحسوسات والمدرك لها الوهم لا غير ويمكن ان يقال ان تلك المعاني

اما قائمة بذات المدرك فتسمى وجدانيات واما بغيره فتسمى وهميات   والثالثة منها التجربيات

التي يحكم العقل لاحساسات متكررة من غير علاقة عقلية لكن مع الاقتران بقياس خفي اعني

ان هذا واقع على نهج واحد مرارا كثيرة وكل ما كان كذلك لا بد له من سبب وان لم يعلم حقيقة

هذا السبب كالحكم بان الاصوات الحسنة الموزونة ملائمة بالطبع دون الاصوات الغير

الحسنة الموزونة والتجربيات تمتاز باقتران هذا القياس عن الاستقراء الغير التام

المفيد للظن الرابعة منها الحدسيات التي يحكم العقل بها بحدس قوي من النفس مفيد للحكم

كالحكم بان نور القمر مستفاد من الشمس بواسطة رؤية تشكلات نوره بحسب اختلاف اوضاعه

منها قربا وبعدا وهي كالتجربيات في تكرر المشاهدة على ما هو الظاهر من انه لا يكفي المشاهدة

مرة

مرة بل مقارنة القياس الخفي لازمة ايضا الا ان السبب في التجربيات غير معلومة الماهية

بخلاف الحدسيات ثم الحدس عند المحققين الظفر على الحد الاوسط دفعة وتمثل المطالب معها

دفعة من غير حركة سواء كان مع الشوق الى المطالب او لا وانت خبير بان هذا التفسير

للحدس يستلزم ان تتناول الحدسيات للضروريات المحتاجة الى الوسط بدون حركة

وفكر والخامسة منها المتواترات التي يحكم العقل لكثرة شهادة المخبرين بامر ممكن يستند الى

الحس يمتنع تواطؤهم على الكذب ولا يشترط تعيين عدد في المخبرين لكنه يختلف باختلاف الوقائع

والمخبرين والمستمعين كالحكم بوجود مكة زادها الله تعالى شرفا والظاهر ان التواتر يتوقف

على قياس خفي كالمجربات   والسادسة منها الفطريات التي يحكم العقل بواسطة قياس

لا يغيب وسطه عند حضور طرفي القضية كقولنا الاربعة زوج للانقسام بمتساويين

واعلم ان ههنا محل ابحاث الاول ان الامر الحادث وان لم يكن دائما او اكثريا لا بد له

من سبب غاية الامر ان يعلم حقيقته كما في الاتفاقيات فلا وجه لتقييد المحكوم عليه بهذا

الحكم في التجربيات بالدوام او الاكثر والجواب ان المقصود اثبات السببية في ذات

الفعل المترتب عليه الاثر او في امر مقارن ملازم له ولا يعلم ذلك بدون الدوام

او الاكثرية الثاني ان الكلام في المقدمات التي يؤلف منها البرهان في العلوم

ولا شك ان العلم المتواتر جزئي متشخص كالوجدانيات فتكون القضايا شخصية

فلا يكون البرهان مؤلفا منها اللهم ان يعتبر المسامحة في اطلاق المبادي في الاصول الثالث

انه ليس المراد بالمشاهدات الاحكام الجزئية الاحساسية بل الاحكام الكلية العقلية بواسطة

الاحساس على ما هو الظاهر من اطلاق المبادي والمذكور ايضا في كلام بعض المحققين ورح لا يظهر

مقابلتها بالتجربيات والحدسيات فان الظاهر ان الحكم الكلي اليقيني بواسطة احساس بعض

الافراد من قبيل التجربة والحدس الرابع ان الجمهور ممنوع فان خبر الرسول المؤيد بالمعجزة على الصدق

والنجدة ايضا مما يفيد اليقين لا يقال ذلك علم استدلالي فانه يلاحظ ان ذلك خبر مما يفيد اليقين

بالمعجزة وكل ما هو كذلك فهو صادق قطعا لانا نقول يكفي في ذلك الملاحظة الاجمالية في القياسات

المعتبرة في الضروريات لم يحتمل ان يقال يقينية وكذلك الخبر ليس مما اتفق الحكماء فيه   ثم ان كان الاوسط

مع عليته للنسبة اي لنسبة الاكبر الى الاصغر وثبوته له في الذهن علة لها في الواقع فلمي لافادة اللمية

اعني علية الحكم على الاطلاق نحو هذا متعفن الاخلاط وكل متعفن الاخلاط محموم والا فاني لافادة

الانية اي الوجود في العقل مثل هذا محموم وكل محموم متعفن الاخلاط والاوسط في البرهان اللمي

مع عليته لثبوت الاكبر للاصغر قد يكون علة لثبوته في نفسه مطلقا وقد يكون معلولا له والاوسط في

بسم الله الرحمن الرحیم

الحمد لله رب العالمین والصلوة علی خیر خلقه محمد و اله اجمعین دل از جان پرسید
اول این کار چیست و آخر چیست و ثمره چیست جان جواب داد که اول این کار
فناست و آخرش وفاست و ثمره اش بقاست دل پرسید که فنا چیست و وفا چیست
و بقا چیست جان جواب داد که فنا از خودی خود رستن است و وفا عهد او را میان
بستن است و بقا بحقیقت حق پیوستن است چون وفای او را میان بستی از خودی
خود رستی و از خودی خود رستی چون بدوست پیوستی الهی نه محتاج جایی و نه از زو[مند]
مکانی جای تو پیداست در میان جانی یا جانی نه جانی و نه در میان جانی جان زنده
بحریست توانی از هیچ چیز همه چیز توانی و زهمه بهیچ چیز مانی ای بینای بیدار و ای
توانای بی یار و ای دانای همه کار سه چیز از ما دور دار محرومی در وقت کار
رسوایی در وقت شمار خجل در وقت سمار الهی یافت آرزوی ماست اما دریافت
تو نه بیارزوی ماست الهی دعا بدرگاه تو لجاجیست زیرا که تو دانی بنده بچه محتاجیست
الهی اگر بدعا فرمانست قلم رفته راچه درمانست الهی چون با توام از جمله تاج دارانم
تاج بر سر و چون بی توام از جمله خاکسارانم خاک بر سر الهی اگر مرا بدوزخ فرستی شربت
بلا نوش کنم و اگر به بهشت فرستی هزار خروش کنم و اگر طریقی با خود گذاری هر دو
گیتی فراموش کنم الهی عبد الله را خواهی سوخت دوزخی باید آلایش او را اگر خواهی
نواخت بهشتی باید آسایش او را الهی عبد الله را خواهی سوخت دوزخی باید آلایش
او را اگر خواهی نواخت الها الهی یکبار گوی بنده من از عرش بگذرد خنده من الهی اگر
ابلیس آدم را بد آموزی کرد گندم آدم را که روزی کرد الهی همه از تو ترسند و عبد الله
از خود زیرا که از تو همه نیک آید و از عبد الله بد ای جوانمرد مرد که او را نشناخت کار بس
باریکست و آنکه او را نشناخت راه بس تاریکست نعمت بی شکر غرور این جهانیست
بلای بی صبر عذاب جاویدانیست طاعت بی اخلاص ضایع کردن زندگانیست اگر
عالم باد گیرد چراغ مقبل نمیرد و اگر جهان آب گیرد باغ مدبر بر نگیرد صحبت با خلق تو را درد
دار و بی تنهایی نه ما را با خلق صحبت و نه از حق جدایی عشق با محبت قرینست عاشق را
یک بلا در پیش و دیگر در کمین است شریعت چون آبست و حقیقت چون آفتاب جهان
روشن با آفتابست و زنده با آب اگر شریعت خواهی اتباع اگر طریقت خواهی انقطاع
و اگر حقیقت خواهی اطلاع باقی همه صداع و صداع الهی شیطان را فرمودی که بگو و نگذاشتی

بنده من

نگذاشتی آدم را که مخور بر آن داشتی بلا از دوست عطاست پس از عطا نالیدن خطاست
قصه اجیت دانی چرا دراز است زیرا که دوست از من و تو بی نیاز است الهی چون پاکان را
استغفار باید کرد ناپاکان را چه کار باید کرد الهی اگر کار بگفتارست بر سر گویندگان تاجم و اگر
بکردارست بسرمایه محتاجم الهی بحق آنکه ترا بهیچ حاجت نیست رحمت کن بر آنکه او را
بهیچ حجت نیست روی که در دوست نگرد گرد گیرد غنی که او دهد نقصان کی پذیرد ای
درویش دل در دنیا مبند که رسته گردی ای درویش هرچه ترا پیش آید رحمت حق زان
پیش آید اگر دوست عارف بحور العین رسد طهارت معرفت وی شکسته گردد و اگر درویش
بغیر او چیزی خواهد در اجابت بر روی بسته گردد ابلیس در آسمان بود و ابراهیم در بتخانه
کار بعنایت دارد باقی همه بهانه دوست بهشت به بها نمی دهد به بهانه می دهد اگر نخواستی
مراد نداد و خواست یار رنگ به از نگار رنگ یار رنگ ترا بعذر آرد نگار رنگ ترا بعجب
آرد نفس بست قبول خلق زنار آنچه گفتنی بود گفتم بیکبار جان نمایی با تو خانه باش
که نمایی همی پندارند که دارند باش تا پرده از روی کار بردارند اگر داری فخر و مش
و اگر نه داری مغرور مش طالب در گفت و گوست و مطلوب خاموش
گفتار نوشیست همه زهر خاموشی زهریست همه نوش هرچه بزبان آمد آخر بزبان
فریاد از معرفت رسمی و عبارت عاریتی و حکمت تجربتی و حقیقت حکایتی ای
جوانمرد چون روزی تو از روزی دیگران جداست پس این همه تک و پوی
بهرزه چراست دی گذشت باز نیاید فردا اعتماد را نشاید کار امروز
امروز باید برخیز طهارت کن که قیامت نزدیکست در توبه آویز که راه صراط
باریکست هر دل که برخوردار هو الذی انزل السکینة باشد او را با بیزاری
مسلمان چه کینه باشد کار بعنایت دارد طاعت زیورست ابراهیم را از آن چه که
پدر او آزرست آزر را از آن چه که ابراهیم او را پسرست یکی در غرق آب
زیادت را متقاضی یکی در نزع تشنگی بقطره آب راضی دل را تسلیم کن آنکه
بحق تسلیم کن بروزگاری رسیدم که از او می ترسیدم دردا که گریختم که از وی
می گریختیم یکی را بعنایت می کشند و یکی را بپای عدالت می کشند عشق نهنگ مردم
خوارست بی داغ عشق هر دم خوارست عشق نه نام داند نه ننگ عشق نه صلح
داند نه جنگ در حرم عشق نه نماز نه تک شریعت فرماید پاک دامن باش
و طریقت می گوید بی ما و من باش حقیقت خطاب می کند که تو نا من باش اگر

هرچه بگوییم مالک ایم

نزع تشنگی سان

حاضری با نکی و اگر غایبی بدانکی معراج بقرب مسافت دیدن تلبیس است حق را
بمسافت دیدن مذهب ابلیس است دیده ازان می بیند که خود را نمی بیند الهی چون
طومار قسمت بنیک خط است پس سعی من و تو همه بخط باشد تا تو بر مال و جان لرزی
خود لرزی حقا که بنیک جوی نمی ارزی الهی چون رسنگی را ایران در بارست عبدالله را
بنومیدی چه کارست الهی چه کاریست چنین شور انگیز هر جا که نشینم گویند برخیز.
الهی دوست را از در دور کنند اما از دل دور نه کنند الهی این راه ازان دل آگاهست
نه بدستار و کلاهست سر که در و سجود نیست سجه ایست دست که در وجود نیست کفچه
ایست التعظیم لامر الله یعنی سر افراشته هی بسجود و الشفقة علی خلق الله نه زراندوخته
دهی بجود هر که این درد ندارد عدمش به که وجود آه ازین علم آموخته که گاه در روغ مقیم
و گاه سوخته ای جوانمرد دل تنگ مدار که صبح وصال نزدیکست اگر شب فراق تاریکست
اگر بقا خواهی در فناست کی بقا یابد هر که بخود مبتلاست از عارف در جهان
نشان نیست زبانی که از عارف خبر دهد در دهان نیست سبحان الله روز بدین
روشنی و بیننده نه کار بدین نیکویی پذیرنده نه نه نور خورشید در جهان فاش است
اگر خللی هست در چشم خفاش است عاشق را از انکار منافق چه باک نه دریا
بزبان سگ پلید شود نه زبان سگ بهفت دریا پاک شود اگر لعنت از بوستانست عبدالله را
اگر کس نیست از دوستانست الهی اگرچه تو کشتی آب ده آنچه ما کشتیم فرا آب ده
الهی ابوجهل از کعبه می آمد و ابراهیم از بتخانه کار بعنایت است باقی همه بهانه روزه تطوع
صرفه نانست نماز تهجد کار پیرزنانست نان دادن شیوه مردان است دلی بدست
آر که کار آنست معرفت دریای بی کرانست جان عارف اندر انشانست اگر بر هوا پری
مگسی باشی اگر بر روی آب روی خسی باشی کفتم دل بدست آر تا کسی باشی توحید آن نیست
که او را یگانه دانی توحید آنست که او را یگانه باشی توفیق عزیزست نشانه او سه
چیزست کوتاه دیدن امل و حقیر دیدن عمل و نزدیک دیدن اجل هر که سه چیز بدانست
از سه چیز برست هر که دانست که آفریده کار در آفرینش تقصیر نکرد از غیبت برست
و هر که دانست که مقسم در قسمت میل نکرد از حسد برست و هر که دانست که او را از چه آفریده
انداز کبر برست از دوست نه که به عیب نباید چشم دوست بر عیب نباید دانی که چه
می ورزی حقا که بدان ارزی کار زاهد نماز و روزه بود عارف ازین مرد و برون
بود کار نه روزه و نماز دارد دوست کار شکستگی و نیاز دارد خواست که قدرت نماید

عالم آفرید اظهار خود را آدم آفرید منصور انا الحق گفت تاج دار شد عبدالله
حق نمی گفت تاجدار شد حلاج همان گفت که من گفتم او آشکار گفت من نهفتم
خرقه و ژنده با دل پراگنده چون دیبا بود بر سگ افگنده برای لقمه هر جای لنبوة
هوایی تصور کرده که مرد خدایی زهی خام سودای گیجی بود دم مهانی کلیدان
بدست حسن خرقانی تا که رسیدم باب زندگانی چنان غرقه شدم که نه من و نه خرقانی
پس چه ماند اگر دانی که کاشکی عبدالله خاک شدی تا دستش از دفتر وجود پاک
شدی هر که این ده خصلت شعار خود ساخت در دنیا و آخرت کار خود بساخت
با حق بصدق با خلق با نصاف با نفس بقهر با علما بتواضع با دوست بلطف با دشمن بمدارا
با بزرگان بحرمت با خردان بشفقت با جهال بخاموشی با درویش ببذل خواجه نظام
الملک از حضرت شیخ استدعای نصیحت نمود حضرت شیخ قدس سره این چند کلمه در قلم
آورد یا نظام سرمایه توحید را دان عقل را بنیاد دان تناسبی اعتقاد پاک گنج بی زوال
شمر بصبر بلندی جوی طاعت حق را غنیمت دان دنیا پرست مباش که دشمن
خدا را پرستیده باشی سلاح از علم ساز نجات عمل دان بعنی کم آزاری در وقت هر که
را یاد آور گذشتن از خود رسیدن بحق دان نفس را مراد مده که بسیار خواهد
اگر راحت خواهی رنج کش اگر رنج خواهی کاهل باش نادان را زنده مدان
در زاهدی که جاهل باشد اعتقاد مبند خویشتن شناسی سرمایه بزرگ دان اگر
در هر کاری یاری طلب کن بر طاعت حریص باش زهد و تقوی را حصن حصین
دان از دشمن دوست نمای حذر کن از نادان مغرور اجتناب نمای خود را
از همه کمتر دان نادیده و ناشنیده مگوی مردم را با فراط مستای آنچه بگوش شنیده
هوش دار و راست گوی عیب مجوی راستی که بدروغ ماند در و منافقت مکن در
جواب تعجیل منمای قول از راستی باز مگیر تا نترسند مگوی آنچه نتوانند مرو مفروش آنچه
نخرند در گذار تا در گذارند از خود لاف مزن بمار انتیجه مواد دان آنچه ننهاده بر
مگیر ناکرده بکرده مشمر در نهان بهتر از آشکار باش هرچه بخود روا نداری بدیگران مپسند
بنده هوس مباش خفته غفلت مشو جمع مال اقبال دان و خرج ناکردن ادبار دان نان تنها
مخور و لیکن نان از هیچکس دریغ مدار از درویشی مترس از داده خدا خور تا کم نشود دهنده خدا را
دان سرمایه ببود مده سودی که در آفت زیان دارد بگذار نفس را فدای مال مکن اما نت
نگهدار تا توانگر شوی خود را اسیر شهوت مساز از عجز کیسه وام مخواه با ناشناخته بهمسفر

مشو اندک خود را به از بسیار دیگران دان فضل خاموشی شعار خود ساز مرد هزال
را او نخم شمر منت بدار دوست منه عقوبت را باندازه گناه کن عهد را بو فا زبان
وقت را غنیمت دان دوستی دلها در نیحاو کم آزاری شناس خود را از حال خود
غافل مساز تا از محاسبهٔ خود غافل نشوی در دیگران شروع مکن تا آنچه نتوانی شنید
سعادت دنیا و آخرت در کم آزاری شناس از دوست بیک جفا بر مگرد دوست
را در وقت خشم او آزمای مصاحب را در نیستی تجربه کن در همه ابواب با دوست
مواسا کن افضل اشیا دین داری بود معلمیست از عیب خبر دادن منجیت
اخلق را در حق سپردن غمازیست زخم باطن زدن جلادیست شیوهٔ ملامت
رفتن با بیگانه کان همراهیست اسرار گفتن نمودن دیوانگیست امید بعطا و ثواب
دکان داریست صبر با او میازاریست شکر با او برابریست کرامت فروختن
خریست لعنه زدن دلتنگیست گریه کردن سقائیست خود را بزبان خود شکستن
رعنائیست یاد کردن بزبان غافلیست از خود غایب شدن سالوسیست تواضع نمودن
عاجزیست تکلف شومیست شیر این عرصه و مبارز این میدان هیچ کس نیست

تم تم
تم

الحمد لله والسلام علی عباده الذین اصطفی اما بعد بدانک ای عزیز نزد اهل کشف
و شهود وجود مطلق یکی بیش نیست و آن وجود حق است جلت عظمته که وجود جمیع موجودا
بدان منتهی می شود و ان وجود منتهای همه است و این وجود را در هر عالمی از عوالم
مختلفه طوریست و نزد اهل کشف حضرات پنج است که انرا حضرات خمس خوانند و هر حضرتی
از ان حضرات عالمی باشد حضرت اول هویت غیب مطلق است که انرا حقیقة الحقایق خوانند
و این حضرت اشارت پذیر نیست و از ان حضرت هیچ نوع تعبیر نتوان کرد و عقول افهام و
اوهام مخلوقات را به پیرامن سرادقات کبریای ان حضرت راه نیست بلی این مقدار بنور
کشف محقق گشته که درین عالم حق تعالی از ذات خود تجلی فرمود ان تجلی حضرت احدیت
بود نه از امر خارج تا فیض زائد بر ذات خود و بدان تجلی در خود نفس رحمانی ظاهر کرد که
حکما انرا هیولی کلیه گویند و اهل شرع عقل کل خوانند که اول ما خلق الله العقل و این علم ذات
بذاته و ما فیها و این طائفه او را تعین اول گویند و جمیع اعیان ثابته در حضرت این عالم
بصورت هویدا شد و جمله معلومات صورت این عقل امد و چون ذات متعالیه را بهر یکی از این
صفات متعالیه و نسب اعتبار یکی از ظهور اثر هر صفتی اسمی از اسماء حق ظاهر شود و بدایت
این ظهور و تنزل انرا حضرت الهیت خوانند و این حضرت را عالم جبروت نیز گویند
و این عالم حضرت اسما و مبداء کثرت است اول صفتی که درین حضرت از بطون بظهور آمد
علم بود بمعنی جمیع لغات حاضر شد بحضور علمی و اسمی علیم ظاهر شد پس حکمت الهی جلت عظمته اقتضای
ترجیح وجود اعیان کرد بر عدم و این معنی را ارادت گفتند و اسم مریدی مفهوم گشت پس
علم و ارادت بجهت ایجاد اعیان قرین و استعداد گشتند و این صفت را قدرت خوانند
و اسم مدبری مبین گشت و این سه صفت را صفت جاذبه و ارکان ایجاد گویند پس تواسطه
مشاهدهٔ حق اعیان قبل الوجود الخارجی صفت بصر و اسم بصیر بظهور رسیدست پس اطلاع حق بر
ملتمسات اعیان بزبان استعداد و طلب ظهور و قبول حق ان ملتمسات را سمع خوانند و اسم
سمیع اینجا آشکارا شد پس ارادت و قدرت با قبول منضم گشت و متعلق ایجاد اعیان شد
کاف کافی بنون نافع پیوست تا با مر کن اعیان چنانکه خواست فیکون شد این اجمال را کلام
خوانند و اسم متکلم شد و این سه اسماء سبعه را ائمة الاسماء خوانند و این اسماء را ام امهات
بعضی امام این ائمه حی را دانند و بعضی علیم را و چون این صفات بهیچ حال از ذات منفک
نیست صفاتی شمرند و باقی را صفات فعلی و الله اعلم باسرار صفاته تمت

صورة مکتوب خواجه محمد پارسا رحمه الله

آفتاب عنایت از فلک ولایت و برج هدایت بر اراضی قلوب مستعدان قبول افاضه حکمت و درایت خامه بر بوستان روح آباد قلب آگاه سلیم جناب حکمت پناه ملک الحکماء مقبول قلوب الاولیا تابنده باد و بعد اعلام میرود که حکماء طبیعی بسبب ممارست طبی چنان دانسته اند که نفس ناطقه با سائر قوی و حواس ظاهره و باطنه معلول هیئة مجموع اخلاط اربعه و ترکیب اجزاء و ترتیب اعضا اند هر وقت که این ترکیب جسمانی و ترتیب جسدانی اختلال پذیرند مرآینه کیفیتی تشریح داند و بحسب تجربه و ممارست قوانین طب می‌دانند علت موت مرض است و علت مرض فساد و غلبه مواد و سبب صحت اعتدال مزاج و خواص جمیع اغذیه و اشربه و ملابس و ازمنه و امکنه و حرکات و سکنات و سائر اسباب کون و فساد و تحقیق نموده و دانسته اند که چگونه از اجزای نباتی و حیوانی نفس ناطقه انسانی مدرجات می‌یابد و لی وجود بدل ما یتحلل خراب و مختل شود بنابرین معنی علت روح طبیعی و حیوانی و انسانی را ترکیب هیئات مجموعی داشته و اختلال بدن موجب اختلال روح پنداشته اند اما حکمای هیولی بسبب معرفت اجرام سماوی و اجسام علوی و کثرت تجربه نظرات کلی و امتزاجات جزوی دانسته اند که سفلیات باسرها معلول علویات اند و هر فیض که بر عالم سفلی عناصر اربعه و موالید ثلثه تا اسفل السافلین مرتبه انسانی فائض می‌شود از عالم علویست بلی آنکه حکیم طبیعی میگوید در تشریح و تشخیص در اسباب قریبه صحت و مرض و موت مانند آنکه مادهٔ دموی بر شخصی غالب شود چنانکه روغن بچراغ غلبه شود چراغ را بمیراند آن شخص را مادهٔ دموی بمیراند این معنی هوا اندا و درست اما حکیم هیولی که مطرح نظر وی علویت میداند که قاطع کلی و انقطاع عطیه علت خون و انطفاء چراغ روح گشته است قول حکیم طبیعی چون بدیهی و واضح و اولی است محتاج برهان نیست اما قول حکیم هیولی چون نظری و اخفی و اعلی است محتاج برهان و برهان وی آنست که چون فرزند متولد شود منجم کامل باصطرلاب تشخیص طالع وی کرده باشد تواند گفتن که این فرزند را چه صفت و صورت باشند و از جمیع احوال وی صوری و معنوی خبر توانند داد

مرچراغ

توانند داد بعد تحقیق هیلاج و کدخدا و عطیه صغری و غیرها مدة عمر مولود و مرض و زمان و زمان وفات و کیفیت آن تواند نمود بعد تحقیق این معنی محقق گردد که لطائف معنوی ما نند خواص ارواح و هرچه غیر محسوس است از اجسام علوی بر اجسام سفلی فائض است و بر کیفیت ارتباط و امتزاج علویات و سفلیات وقوف یابد و از مقدمتین حکمت و معرفت طبیعت و حکمت معرفت هیئات مستعد قبول حکمت الهی و معرفت عقول و نفوس فلکی گردد چون دانست که سفلیات و علویات علت و میان علت و معلول مشابهت و مناسبت واجب و لازم آید که افلاک و کواکب را عقول و نفوس یعنی دانش و زندگی باشد چون معلول که حیوان است حیوة دارد حیوة علت بطریق اولی و این حکمت بعد حکمت طبیعی و حکمة هیولی باستحقاق توان یافت من لم یعرف التشریح و الهیئة فهو عنین فی معرفة الله تعالی قول حکیمی محقق است و از همین قول معلوم می‌شود که دانستن تشریح لی فقط بی هیئات و حکمت موجب قصور نظر است چنانکه بیچاره شیخ عزیز نسفی و حکیم جالینوس رحمهما الله تعالی که در طب ماهر و در حکمت و هیئات قاصر بوده اند چنان تصور کرده اند که روح کبدی طبیعی و روح فوادی حیوانی و روح دماغی انسانی از امتزاج طبایع و اختلاط عناصر از قوت بفعل آمده اند و چون صورت هیولانی و هیئات انسانی متخلل گردد روح که حرارت غریزیست و عقل و ادراک که موقوف بر روح اند متخلل شوند چنانکه از قوة بفعل آمده بوده اند باز از فعل بقوة روند چون منتهای نظر ایشان بنیهٔ انسانی و قالب ظلمانی بود چنانکه دانسته اند که حیوة و علم با صورة خاص و بنیه خاص می‌باید مرکب از اجزا و اعضا مانند انسان اما سقراط حکیم که باتفاق حکما در حکمت طبیعی و معرفت طبی کم از جالینوس نیست و در حکمت هیولی و حکمت الهی ماهر است و کل اولیا که کم در طب کم از عزیز نسفی نیستند و در حکمت و هیئات فائق اند بعلم الیقین و عین الیقین دانسته اند که آن غلط از قصور نظر ایشانست از بهر آنکه تشکل کری اکمل اشکال است و جسم هر چند لطیفتر فیضان و سریان ذرو بیشتر اجسام فلکی که الطف اجسام اند و تشکل کری دارند باید که ارواح ایشان اعلی و اقوی و دائم و اعلم باشند و عقول و نفوس منطبعهٔ جزوئیه و سفلیه که ارواح موالید ثلثه اند متولد و متنزل و مشتق از عقول و نفوس فلکی اند و بعد خراب بنیهٔ انسانی و هیئات جسمانی که هر جزو از اجزای جسم با صول و امهات عناصر بموجب کل شیء یرجع الی اصله رجوع نماید هر قوت از قوای انسانی روحانی خویش که عقل و خیالست باصول عقول و آباء نفوس بحکم ارجعی الی ربک راضیة

و شرف علت بر معلول بادلهٔ قاطعه ثابت است ولا رقم له

مرضیه رجوع فرمایند مراکب ابدان محلوله کثیفه را بگذارند و بر مراکب ابدان مکتسبه
لطیفه سوار و در بساتین ملکوت و میادین جبروت شاه وار سیران ملکه طیران فی فرمایند
جمیع اعمال و اخلاق حمیده و ذمیمه در عالم مثال بصور مناسبه متمثل میشوند اگر حمیده است
بصور انهار حور و غلمان و قصور و ولدان و اشجار و اثمار و انهار جاریه و سرر عالیه و غرف
درجات و انوار تجلیات متمثل می گردد و اگر ذمیمه است بصور نیران و خسران و حیات و عقارب
و غیران ارباب مجاهده و اصحاب مشاهده نه بسبب موت اختیاری قبل از خراب
بدن و موت اضطراری بوارثت قایل لو کشف الغطاء ما ازددت یقینا جمیع درجات
عالیه جنات ثمانیه و درکات سافله جحیم ثمانیه سبعه مشاهده نموده صاحب علم الیقین
و عین الیقین اند در ازمنه ماضیه کاملانی که صاحب نبوت و حکمت بوده اند یعنی بینا و دانا
مانند ادریس نبی که هرمس حکیم است و دانیال و ابرهیم خلیل علی نبینا و علیهم صلوات الرب الجلیل
احتمالی که میان عامه فقهاست با حکما نزد ایشان نبود از بهر آنکه بقوه حکمت دانسته اند
که روح انسانی شعاعیست از نور خورشید اعظم که نفس کل و ملکوت عبارت از انست
از روزن حرارت غریزی در خانه قالب انسانی نافذ چون از روزن بسبب فساد مواد
مسدود گردد آن شعاع روح منطبع جزوی که یک جهت وی ظلمت جسم کثیف گرفته بود
و یک جهت وی متصل بنور مانده بود در دریای نور ملکوت که دریای حیوة و علم است غرق
شود دانش و بینش وی زیاده گردد اگر کافر باشد و اگر مومن و اگر فاسق باشد و اگر
صادق فرقان که از مبداء فیاض بواسطه جبریل عقل کل متمثل بصورت دحیه و غیره
بر مظهر ذات و صفات و مجلاء تجلیات فائض و نازلست برین دعوی شاهد است
کما قال عز شانه حکایة عن المحجوبین بعد رفع الحجب الظلمانی ربنا ابصرنا و اسمعنا فارجعنا نعمل صالحا
انا موقنون و بقوة مکاشفه دیده بودند جمیع ارواح نوع انسانی بحکم یحشر الناس علی صور
اعمالهم در عالم مثال که مرآت صور و معانی است و از روی مرتبه برزخ است میان عالم
اجسام و عالم ارواح و جمیع صور معانی جسمانی و روحانی و عبدانی و زبانی در آن عالم
که نزد عرفا و محققان اولیاء عالم آخرت انست متمثل و متجسد می گردد با تجسادلطیفه متناسبه
چون بعلم الیقین و حکمت بقاء ارواح دانستند و بعین الیقین و بعین مکاشفه صور
ارواح و قوی و اوصاف آن دیدن حجاب اختلاف از پیش ایشان برخواست و چون مقتضای
العلماء ورثة الانبیاء و الشیخ فی قومه کالنبی فی امته در هر زمانه طائفه باشند بوارثت

انبیا بحقایق اشیا بینا باشند و طائفه بوراثه حکما بخواص ارض و اسما دانا باشند
هر آینه احیانا مظهر جامعی ظاهر شود که هم دانا باشند و هم بینا نزد وی اختلافات جزوی لفظی که
از قصور معرفت یا قصور مکاشفه در میان عامه فقها و حکما افتاده است نباشد اگر حکما گویند
حشر ارواح است راستست و اگر فقها گویند حشر اجساد است هم راستست اگر حکما گویند بهشت
دوزخ عبارت از لذت و الم روحست راست گویند اگر فقها گویند بهشت درختان و آب
روان و کوشکها از جواهر و غیر آن بالای آسمان راست گویند حکما تعقل معانی لطیفه می کنند
و فقها از انبیا صور امثالی آن معانی روایت می کنند اقوال هر دو فریق از روی تحقیق
یکیست حضرت الله تعالی توفیق تحقیق معانی ببرکه انفاس شریفه مرشدان صمدانی کرامت کناد
بحرمة کل اولیائه من الاقطاب و الافراد
تم

القياس اما برهاني يتالف من اليقينيات اشار الى قسمة القياس باعتبار المادة
حتى يمكن للمنطقي الاحتراز عن الخطاء من هذه الجهة ايضا فاليقين هو الاعتقاد الجازم المطابق
للواقع غير ممكن الزوال فبالقيد الاول يخرج الظن وبالثاني الجهل المركب وبالثالث
اعتقاد المقلد واصولها اي المبادي الاول لليقينيات الضروريات الست والا
فقد يكون النظريات ايضا يقينية الاوليات وهي قضايا يحكم العقل بها بمجرد تصور طرفيها
كقولنا الكل اعظم من الجزء والمشاهدات التي يحكم بها العقل بواسطة الحواس الظاهرة
وتسمى محسوسات وحسيات كما نعلم بان الشمس مضيئة واما بالحواس الباطنة وتسمى وجدانيات
كما نحكم بان لنا خوفا وغضبا والمجربات التي يحكم بها العقل باحساسات متكررة مفيدة لليقين
لقياس خفي هو ان هذا واقع على نهج واحد مرارا كثيرة وكل ما كان كذلك لا بد له من سبب
وان لم يعلم حقيقته كما نحكم بان شرب السقمونيا موجب للاسهال ويمتاز باقتران هذا القياس
عن الاستقراء الغير التام المفيد للظن والحدسيات التي يحكم بها العقل بحدس قوي من النفس
يفيد العلم كما نحكم بان نور القمر مستفاد من الشمس لرؤية تشكلات نوره بحسب اختلاف اوضاعه
منها وهي كالمجربات في تكرر المشاهدة ومقارنة القياس الخفي الا ان السبب في المجربات
معلوم السببية غير معلوم الماهية وفي الحدسيات معلوم بالوجهين والحدس هو الظفر على
الحد والوسط دفعة وتمثل المطالب معها دفعة من غير حركة واما تعريفه بسرعة الانتقال
من المبادي الى المطالب فلا يخلو عن مسامحة اذ السرعة وصف الحركة ولا حركة في الحدس
والمتواترات التي يحكم بها العقل لكثرة شهادة المخبرين كما نحكم بوجود مكة شرفها الله تعالى ولا يحصر
مبلغ الشهادات في عدد بل اليقين هو القاضي بكمال العدد والظاهر ان المتواتر ايضا يتوقف
على قياس خفي كالمجربات والفطريات التي يحكم بها العقل بواسطة قياس لا يغيب وسطه
عند حضور طرفي القضية ولهذا يقال لها قضايا قياساتها معها كقولنا الاربعة زوج للانقسام
بمتساويين وفي كون المجربات والمتواترات والحدسيات والفطريات من قبيل الضروريات
بحث لاشتمال كل منها على قياس خفي ونازع بعضهم في كون المجربات والحدسيات من قبيل
اليقينيات فضلا عن كونها ضرورية بل جعل كثير من العلماء الحدسيات من قبيل الظنيات
ثم ان كان الاوسط مع عليته للنسبة اي لنسبة الاكبر الى الاصغر وثبوته له في الذهن علة لها
في الواقع فلمي لانه يفيد اللمية اعني علية الحكم في الذهن والخارج نحو هذا متعفن الاخلاط
وكل متعفن الاخلاط محموم ولا يجب ان يكون الاوسط فيه علة لثبوت الاكبر في نفسه لانك
اذا قلت كل انسان حيوان وكل حيوان جسم فالبرهان لمي مع ان الحيوان ليس علة لحصول الجسمية

86

من كلام مولانا الشيخ الشاذلي
اذا ورد عليك القبض ولم تعلم له سببا فالوقت وقتان ليل ونهار فالقبض
اشبه شيء بالليل والبسط اشبه شيء بالنهار فاذا ورد عليك القبض بغير سبب تعلمه فالواجب
عليك السكون والسكون على ثلثة اشياء عن الاقوال والحركات والارادات فان فعلت
ذلك فعن قريب يذهب عنك الليل بطلوع نهارك او يبدو لك نجم تهتدي به او قمر تستضيء به او شمس تبصر بها
العلم والقمر قمر التوحيد والشمس شمس المعرفة وان تحركت في ظلمة ليلك فقل ما تسلم من الهلاك واعتبر
قوله تعالى ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون واما البسط
الذي لا تعلم له سببا فحق العبودية فيه ترك السؤال والادلال والصولة على النساء والرجال اللهم الا ان تقول
سلم سلم الى الممات فهذه هذه ان عقلت والسلام

والغزالي بفتح الغين المعجمة وتشديد الزاء نسبة الى الغزال على عادة اهل خوارزم وجرجان
فانهم ينسبون الى القصار والعطار القصاري والعطاري وقيل الزاء مخففة نسبة الى غزالة
قرية من قرى طوس قيل هو خلاف المشهور ولكن قاله السمعاني في كتاب الانساب

والغزالي بتشديد الزاي من تصحيف العامة
وانما هو بتخفيف الزاي نسبة الى غزالة
وهي قرية من قرى طوس
ذكره في شرح
مسلم

حصر

ياصاحب الكرم انت زائر الحرم

تكرم بفضلك وفضلك لك

فالله يتصدر والله يتجبر

بلف ونشر في ليال عشر

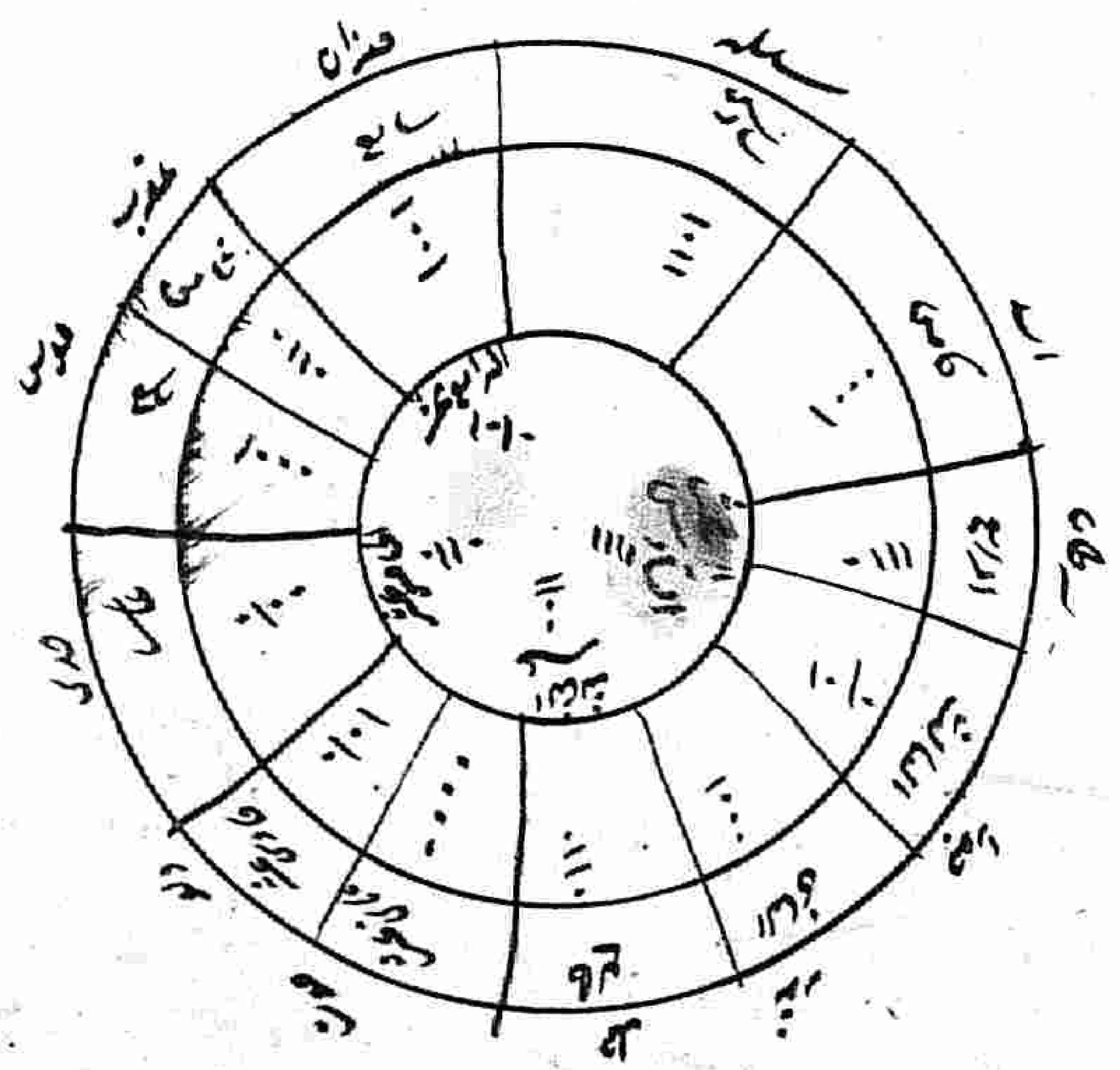
من اكتسب الكمال مال الى المال

اصل
عدد
١١١١١

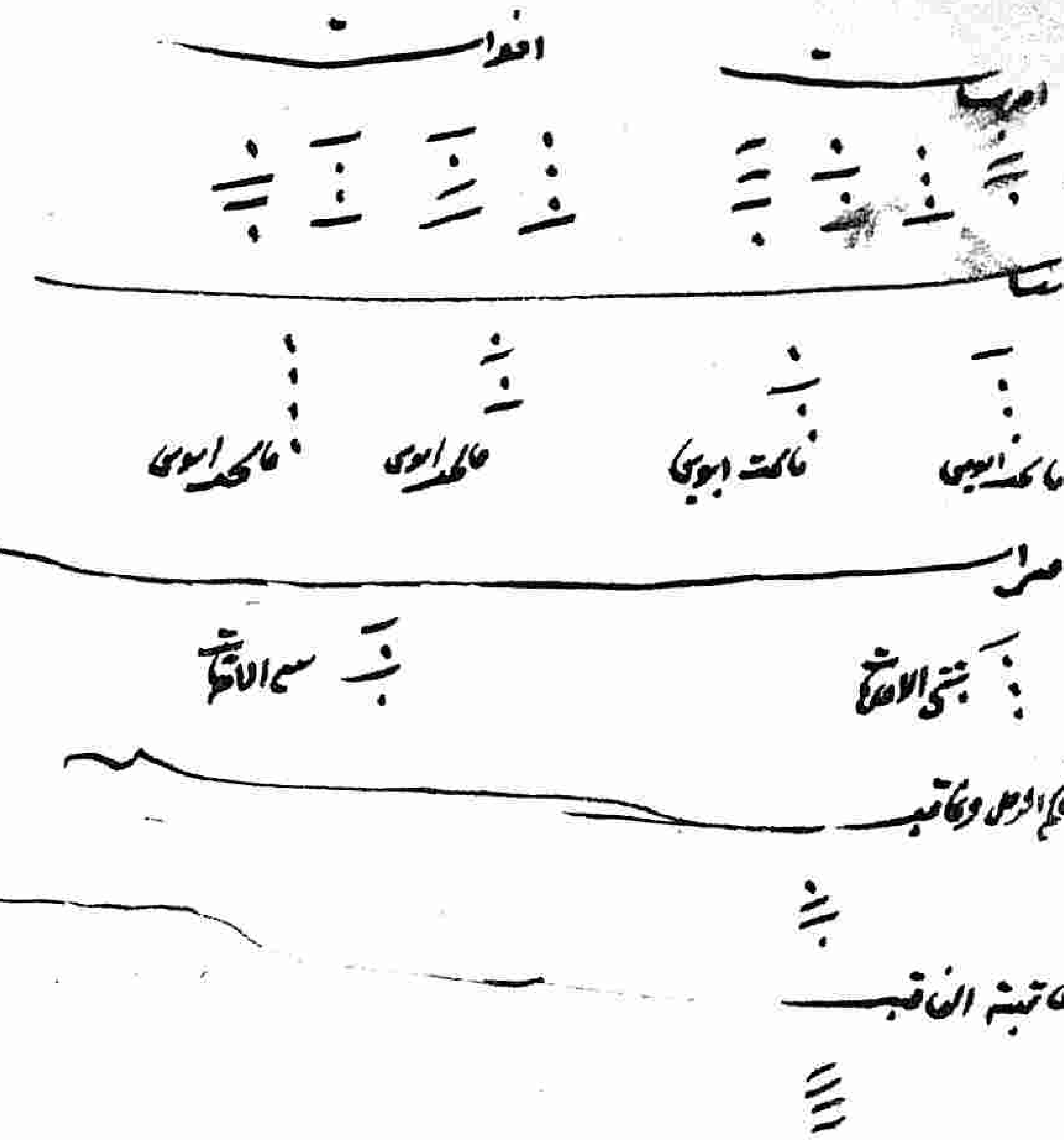
فائده

التسامح استعمال اللفظ في غير موضعه الاصلي كالمجاز لكن الفرق بينهما هو ان المستعمل فيه لا يعرف انه غير موضعه الاصلي الا بالتفصيل ويعرف في المجاز فافهم

بيان الاصلي



فوائد رمل



[illegible] الرمل ... الاول الى ...

[illegible] والرابع والسابع والعاشر یسمی بالاوتاد وهی بیوت سعیدة وما یلیها مقدرة وتسمی الجبدة وما یلیها وتسمی سواقط واما اثنا عشر منسوب الى الاوتد والرابع عشر الى السابع والخامس عشر الى العاشر والسادس عشر الى الرابع فلها حکم الاوتاد

تغنم ابر و آنک ایله دلفکارلیدر
بن زخمه قاشیلی دنکلر والفقارلیدر
بر کوزی بو محبوب احجی لمس ریمیه عاشقی

ومن بركة هذا البيت انه يجبى اليه ثمرات كل شئ لانه دعا ابراهيم عليه السلام
وقال وارزقهم من الثمرات الاية فاجاب الله دعوته فجعله حرما امنا يجبى اليه
ثمرات كل شئ حتى يوجد فيه الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية قاضي
وفي التيسير في سورة البقرة وانما خص هذا السوال لان الطعام المعهود
مما يكون في كل موضع فاما الفواكه فقد تعز فسأل لاهلها الامن والسعة
وهما بطلب العيش وبقوام المصالح فاستجاب له في ذلك ايضا بنقل قرية من
قرى فلسطين كثيرة الثمار اليها فاتى جبرائيل فقلعها وجاء بها فطاف بها
حول البيت سبعا ثم وضعها على ثلث مراحل من مكة وهي الطائف وجاء
بها وبذلك سميت به انتهى ٤٤٤

١٤٦٥٤١٩٢٣٣٤٦٥٢٨٤٤٩١٧٣٤٥٣٧٩٦٩٨٢

اوج بیک طقوز یوز

قرق ایکی بیک سکز یوز طقسان الی

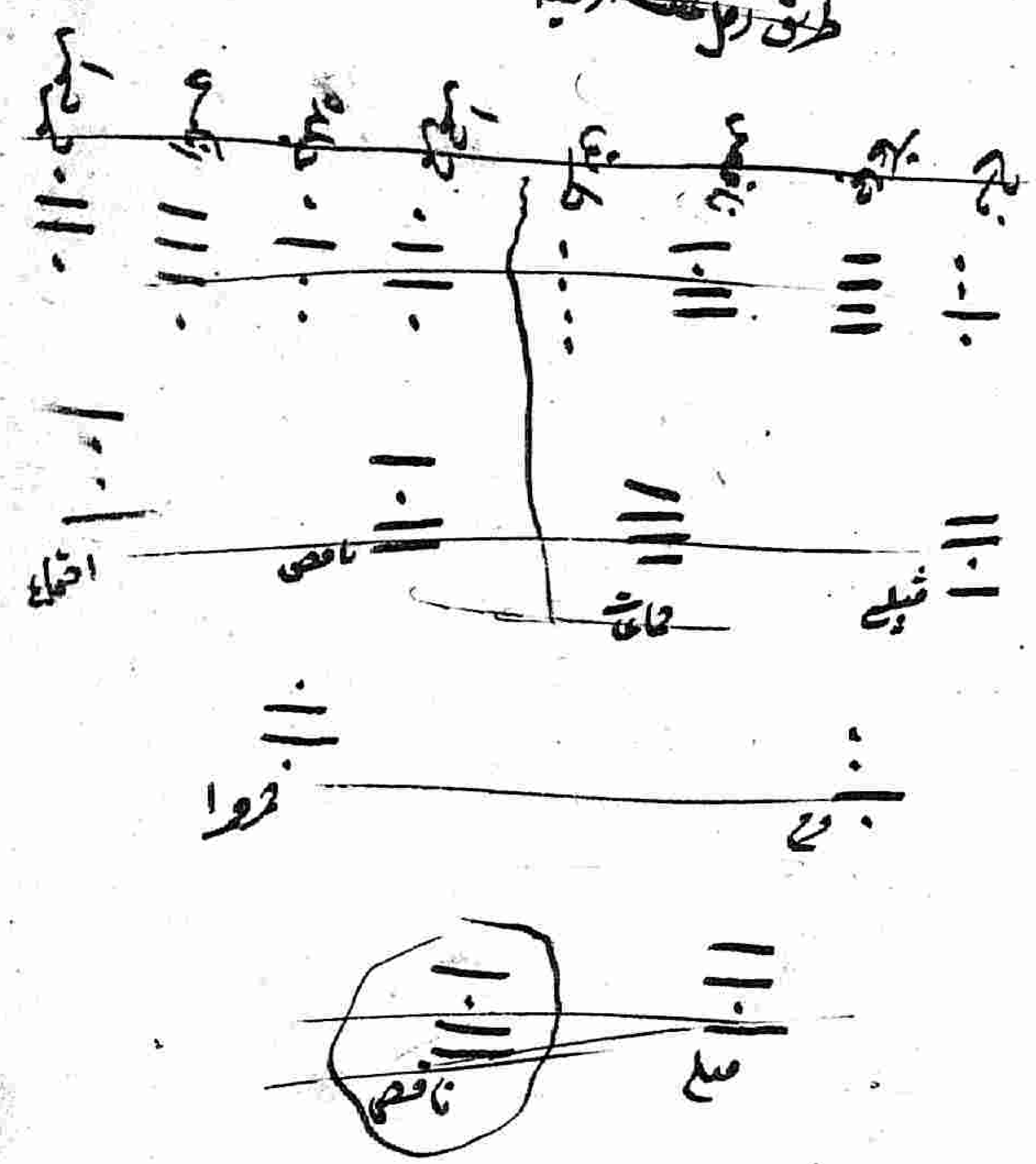
طقسان بر بیک ایکیوز الی درت یوک

اوتوز یدی بیک بیوز طقسان درت ... ایله قرق بیکز

الکوز الی الی کره قرق ایکی بیک اوجیوز یکرمی طقوز یوک

قرق بش بیک الیوز اون درت عروق ایدر

~~طریق رمل ... اولیه~~



ذكر بهرك
افر
زمش ماغ سيجي قيرز م
قشنطه بياز طوطكال
م

90

لانه يشبه مصيصًا اذا عابت مختلط بعمله التزين والتصنع **الفصل الثاني** في شرط وجوب الحج وصحته واركانه و
واجباته ومحظوراته اما الشرائط فشرط صحة الحج اثنان الوقت والاسلام فيصح حج الصبي ويحرم بنفسه ان كان مميزا
ويحرم عنه وليه ان كان صغيرا ويفعل به ما يفعل في الحج من الطواف والسعي وغيره واما الوقت فهو شوال وذو القعدة
وتسع من ذي الحجة الى طلوع الفجر من يوم النحر فمن احرم بالحج في غير هذه المدة فهي عمرة وجميع السنة وقت العمرة ولكن من
كان معكوفا على النسك ايام منى فلا ينبغي ان يحرم بالعمرة لانه لا يتمكن من الاشتغال عقيبه لاشتغاله باعمال منى واما شرط
وقوعه عن حجة الاسلام فخمسة الاول الاسلام والحرية والبلوغ والعقل والوقت فان احرم الصبي والعبد ولكن عتق العبد
وبلغ الصبي بعرفة او بمزدلفة وعاد الى عرفة قبل طلوع الفجر اجزأهما عن حجة الاسلام لان الحج عرفة وليس عليهما دم
الاساءة ويشترط هذه الشرائط في وقوع العمرة عن فرض الاسلام الا الوقت واما شرط وقوع الحج نفلا عن الحر البالغ
فهو براءة ذمته عن حجة الاسلام فحج الاسلام مقدم ثم القضاء لمن افسده في حالة الوقوف ثم النذر ثم النيابة ثم النفل وهذا
الترتيب مستحق وكذلك نوى وان نوى خلافه واما شروط الحج فخمسة الاسلام والبلوغ والعقل والحرية
والاستطاعة ومن لزمه فرض الحج لزمه فرض العمرة ومن اراد دخول مكة لزيارة او تجارة ولم يكن حطابا لزمه الاحرام على قول ثم يتحلل
بعمل عمرة او حج واما الاستطاعة فنوعان احدهما المباشرة وذلك له اسباب اما في نفسه فالصحة واما في الطريق فبان يكون خصبة
آمنة بلا بحر مخطر ولا عدو قاهر واما في المال فبان يجد نفقة ذهابه وايابه الى وطنه كان له اهل او لم يكن لان مفارقة الوطن شديد
وان يملك نفقة من يلزمه نفقته في هذه المدة وان يملك ما يقضي به ديونه وان يقدر على راحلة او كراءها محمل او زاملة ان استمسك
على الزاملة واما النوع الثاني فاستطاعة المعضوب بماله وهو ان يستأجر من يحج عنه بعد فراغ الاجير عن حجة الاسلام
في نفسه ويكفي نفقة الذهاب بزاملة في هذا النوع والابن اذا عرض طاعته على الاب الزمن صار به مستطيعا ولو عرض ماله
لم يصر به مستطيعا لان الخدمة بالبدن فيه شرف للولد وبذل المال فيه منة على الوالد ومن استطاع لزمه الحج وله التأخير و
لكنه فيه خطر فان تيسر له ولو في آخر عمره سقط عنه وان مات قبل الحج لقي الله عاصيا بترك الحج وكان الحج في تركته يحج عنه
وان لم يوص كسائر ديونه فان استطاع في سنة فلم يخرج مع الناس فهلك ماله في تلك قبل حج الناس ثم مات لقي الله ولا حج
عليه ومن مات ولم يحج مع اليسار فامره شديد عند الله قال عمر لقد هممت ان اكتب في الامصار بضرب الجزية على من لم يحج ممن
استطاع اليه سبيلا وعن سعيد بن جبير وابراهيم النخعي ومجاهد وطاوس لو علمت رجلا غنيا وجب عليه الحج ثم مات قبل
ان يحج ما صليت عليه وبعضهم كان له جار موسر فمات ولم يحج سال الرجعة الى الدنيا وقرأ قوله تعالى رب ارجعون لعلي اعمل
صالحا فيما تركت قال الحج واما الاركان التي لا يصح الحج دونها فخمسة الاحرام والطواف والسعي بعده والوقوف بعرفة
والحلق على قول واركان العمرة كذلك الا الوقوف والواجبات المجبورة بالدم ستة الاحرام في الميقات فمن تركه وجاوز الميقات
محلا فعليه شاة والرمي ففيه الدم قولا واحدا واما الصبر بعرفة الى غروب الشمس والمبيت بمزدلفة والمبيت بمنى وطواف
الوداع فهذه الاربعة يجبر تركها بالدم على احد القولين وفي القول الثاني فيها دم على وجه الاستحباب واما
وجوه اداء الحج والعمرة فثلثة الاول الافراد وهو الافضل وذلك ان يقدم الحج وحده فاذا فرغ خرج الى الحل فاحرم
بالعمرة وافضل الحل لاحرام العمرة الجعرانة ثم التنعيم ثم الحديبية وليس على المفرد دم الا ان يتطوع الثاني القران وهو ان
يجمع فيقول لبيك بحج وعمرة معا فيصير محرما بهما ويكفيه اعمال الحج وتندرج العمرة تحت الحج كما يندرج الوضوء تحت الغسل

الغسل الا انه اذا طاف وسعى قبل الوقوف فسعيه محسوب من النسكين واما طوافه فغير محسوب لان شرط طواف الفرض
في الحج ان يقع بعد الوقوف وعلى القارن دم شاة الا ان يكون مكيا فلا شيء عليه لانه لم يترك ميقاته اذ ميقاته مكة الثالث
التمتع وهو ان يجاوز الميقات محرما بعمرة ويتحلل بمكة ويتمتع بالمحظورات الى وقت الحج ثم يحرم بالحج ولا يكون متمتعا الا بخمس
شرائط احدها ان لا يكون من حاضري المسجد الحرام وحاضره من كان منه على مسافة لا تقصر فيها الصلوة الثاني ان يقدم
العمرة على الحج الثالث ان تكون عمرته في اشهر الحج الرابع ان لا يرجع الى ميقات الحج ولا الى مثل مسافته لاحرام الحج
الخامس ان يكون حجه وعمرته عن شخص واحد فاذا وجدت هذه الاوصاف كان متمتعا ولزمه دم شاة فان لم يجد فصيام ثلاثة
ايام في الحج قبل يوم النحر متفرقة او متتابعة وسبعة اذا رجع الى الوطن وان لم يصم الثلثة حتى رجع الى الوطن صام العشرة تتابعا
او متفرقا وبدل دم القران والتمتع سواء والافراد ثم التمتع ثم القران واما محظورات الحج والعمرة فستة الاول اللبس
للقميص والسراويل والخف والعمامة بل ينبغي ان يلبس ازارا ورداء ونعلين فان لم يجد نعلين فمكعبا فان لم يجد ازارا فسراويلا و
لا باس بالمنطقة والاستظلال بالمحمل ولكن لا ينبغي ان يغطي راسه فان احرامه في الراس وللمرأة ان تلبس كل مخيط بعد ان لا تستر
وجهها بما يماسه فان احرامها في وجهها الثاني الطيب فليجتنب كل ما يعده العقلاء طيبا فان تطيب او لبس فعليه دم
شاة الثالث الحلق والقلم وفيهما الفدية اعني دم شاة ولا باس بالكحل ودخول الحمام والفصد والحجامة وترجيل الشعر
الرابع الجماع وهو مفسد قبل التحلل الاول وفيه بدنة او بقرة او سبع شياه وان كان بعد التحلل الاول لزمه البدنة ولم
يفسد حجه الخامس مقدمات الجماع كالقبلة والملامسة التي تنقض الطهر مع النساء فهو محرم وفيه شاة وكذا في الاستمناء
ويحرم النكاح والانكاح ولا دم فيه لانه لا ينعقد السادس قتل صيد البر اعني ما يؤكل او ما هو متولد من الحلال والحرام
فان قتل صيدا فعليه مثله من النعم يراعى فيه التقارب في الخلقة وصيد البحر حلال ولا جزاء فيه

الباب الثاني

في ترتيب الاعمال الظاهرة من اول السفر الى الرجوع وهي عشر جمل **الجملة الاولى** في السنن من اول الخروج
الى الاحرام وهي ثمان الاولى في المال فينبغي ان يبدأ بالتوبة ورد المظالم وقضاء الديون واعداد النفقة لكل من يلزمه نفقته
الى وقت الرجوع ويرد ما عنده من الودائع ويستصحب من المال الطيب الحلال ما يكفيه لذهابه وايابه من غير تقتير بل على وجه
يمكنه معه التوسع في الزاد والرفق بالضعفاء والفقراء ويتصدق بشيء قبل خروجه ويشتري لنفسه دابة قوية على الحمل
لا تضعف او يكتريها فان اكترى فليظهر للمكاري كل ما يريد ان يحمله من قليل او كثير ويحصل رضاه فيه الثانية في الرفيق ينبغي
ان يلتمس رفيقا صالحا محبا للخير معينا عليه ان نسي ذكره وان ذكر اعانه وان جبن شجعه وان عجز قواه وان ضاق صدره صبره و
يودع رفقاءه المقيمين واخوانه ويلتمس دعاءهم فان الله تعالى جاعل في دعائهم خيرا والسنة في الوداع ان يقول استودع الله
دينك وامانتك وخواتيم عملك وكان صلى الله عليه وسلم يقول لمن اراد السفر في حفظ الله وكنفه زودك الله التقوى وغفر ذنبك
ووجهك للخير اينما توجهت الثالثة في الخروج من الدار ينبغي اذا هم بالخروج ان يصلي ركعتين يقرأ في الاولى بعد الفاتحة
قل يا ايها الكافرون وفي الثانية الاخلاص فاذا فرغ رفع يديه ودعا الله سبحانه عن اخلاص صاف ونية صادقة وقال اللهم
انت الصاحب في السفر وانت الخليفة في الاهل والمال والولد والاصحاب احفظنا واياهم من كل آفة وعاهة اللهم نسألك في
مسيرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى اللهم انا نسألك ان تطوي لنا الارض وتهون علينا السفر وان ترزقنا في سفرنا
سلامة البدن والدين والمال والولد والاصحاب وتبلغنا حج بيتك وزيارة قبر نبيك محمد عليه السلام اللهم انا نعوذ بك

من وعثاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر في الاهل والمال والولد والاصحاب اللهم اجعلنا واياهم في جوارك ولا تسلبنا
واياهم نعمتك ولا تغير ما بنا وبهم من عافيتك الرابعة اذا حصل على باب الدار قال بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة
الا بالله رب اعوذ بك ان اضل او اضل او ازل او ازل او اظلم او اظلم او اجهل او يجهل علي اللهم اني لم اخرج اشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة
بل خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك وقضاء فرضك واتباع سنة نبيك وشوقا الى لقائك فاذا مشى قال اللهم بك انتشرت وعليك
توكلت وبك اعتصمت واليك توجهت اللهم انت ثقتي وانت رجائي فاكفني ما اهمني وما لا اهتم به وما انت اعلم به مني
عز جارك وجل ثناؤك ولا اله غيرك اللهم زودني التقوى واغفر لي ذنبي ووجهني للخير اينما توجهت ويدعو بهذا الدعاء
في كل منزل يرحل عنه الخامسة في الركوب فاذا ركب الراحلة يقول بسم الله وبالله والله اكبر توكلت على الله ولا حول ولا
قوة الا بالله العلي العظيم ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون
اللهم وجهت وجهي اليك وفوضت امري كله اليك وتوكلت في جميع اموري عليك انت حسبي ونعم الوكيل فاذا استوى
على الراحلة واستوت تحته قال سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر سبع مرات ثم قال الحمد لله الذي هدانا لهذا
وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله اللهم انت الحامل على الظهر وانت المستعان على الامور السادسة في النزول و
السنة ان لا ينزل حتى يحمى النهار ويكون سيره في الليل اكثر قال النبي صلى الله عليه وسلم عليكم بالدلجة فان الارض تطوى بالليل
ما لا تطوى بالنهار وليقلل نومه بالليل حتى يكون ذلك عونا على السير ومهما اشرف على المنزل قال اللهم رب السموات السبع وما اظللن
ورب الارضين السبع وما اقللن ورب الشياطين وما اضللن ورب الرياح وما ذرين ورب البحار وما جرين اسئلك خير هذا
المنزل وخير اهله واعوذ بك من شر هذا المنزل وشر اهله وما فيه اصرف عني شر شرارهم فاذا نزل المنزل صلى فيه ركعتين ثم
قال اعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق فاذا جن عليه الليل يقول يا ارض ربي وربك الله
اعوذ بالله من شرك وشر ما فيك وشر ما دب عليك اعوذ بالله من شر كل اسد وحية وعقرب ومن ساكن البلد ووالد وما
ولد وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم السابعة في الحراسة ينبغي ان يحتاط بالنهار فلا يمشي منفردا خارج
القافلة لانه ربما يغتال او ينقطع ويكون بالليل متحفظا عند النوم فان نام في ابتداء الليل افترش ذراعه وان نام عليه في آخر
الليل نصب ذراعه نصبا وجعل رأسه في كفه هكذا كان ينام رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه ربما استثقل النوم فتطلع الشمس
وهو لا يدري فيكون ما يفوته من صلوته افضل مما يناله من الحج والاحب بالليل ان يتناوب الرفيقان في الحراسة فاذا نام احدهما
حرس الآخر فهو السنة فان قصده عدو او سبع في ليل او نهار فليقرأ آية الكرسي وشهد الله وسورة الاخلاص والمعوذتين
وليقل بسم الله ولا حول ولا قوة الا بالله حسبي الله توكلت على الله ما شاء الله لا يأتي بالخير الا الله ما شاء الله لا يصرف السوء
الا الله حسبي الله وكفى سمع الله لمن دعا ليس وراء الله منتهى ولا دون الله ملجأ كتب الله لاغلبن انا ورسلي ان الله قوي
عزيز تحصنت بالله العظيم واستعنت بالحي الذي لا يموت اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام واكنفنا بركنك الذي لا يرام اللهم ارحمنا
بقدرتك علينا فلا نهلك وانت ثقتنا ورجاؤنا اللهم اعطف علينا قلوب عبادك وامائك برأفة ورحمة انك انت ارحم الراحمين
الثامنة مهما علا نشزا من الارض في الطريق فيستحب ان يكبر ثلاثا ثم يقول اللهم لك الشرف ولك الحمد على كل حال ومهما هبط سبح
ومهما خاف الوحشة في سفره قال سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح جللت السموات بالعزة والجبروت الجملة
الثانية آداب الاحرام من الميقات الى دخول مكة وهي خمسة الاول ان يغتسل وينوي به غسل الاحرام اعني

اذا انتهى الى الميقات المشهور الذي يحرم الناس منه ويتم غسله بالتنظيف فيسرح رأسه ويقلم اظفاره ويقص شاربه
ويستكمل النظافة التي ذكرناها في الطهارة الثاني ان يفارق الثياب المخيطة ويلبس ثوب الاحرام فيرتدي ويتزر بثوبين ابيضين
فالابيض هو احب الثياب الى الله ويتطيب في بدنه وثيابه ولا بأس بطيب يبقى جرمه بعد الاحرام فقد رأى وبيص المسك على مفرق
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الاحرام مما كان استعمله قبل الاحرام الثالث ان يصبر بعد لبس الثياب حتى تنبعث به راحلته
ان كان راكبا او يبتدئ بالسير ان كان راجلا فعند ذلك ينوي الاحرام بالحج او بالعمرة قرانا او افرادا كما اراد ويكفي مجرد النية
لانعقاد الاحرام ولكن السنة ان يقرن بالنية لفظ التلبية فيقول لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمد والنعمة
لك والملك لا شريك لك وان زاد قال لبيك وسعديك والخير كله بيديك والرغبة اليك لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا اللهم
صل على محمد وآل محمد الرابع اذا انعقد احرامه بالتلبية المذكورة يستحب ان يقول اللهم اني اريد الحج فيسره لي واعني على
اداء فرضه وتقبله مني اللهم اني نويت اداء فريضتك في الحج فاجعلني من الذين استجابوا لك وآمنوا بوعدك واتبعوا امرك واجعلني
من وفدك الذين رضيت وارتضيت وقبلت اللهم فيسر لي اداء ما نويت من الحج اللهم قد احرم لك شعري وبشري ولحمي ودمي و
عصبي ومخي وعظامي وحرمت على نفسي النساء والطيب ولبس المخيط ابتغاء وجهك والدار الآخرة ومن اتى وقت الاحرام حرم عليه
المحظورات الستة التي ذكرناها من قبل فليجتنبها الخامس يستحب تجديد التلبية في دوام الاحرام خصوصا عند اصطدام
الرفاق وعند اجتماع الناس وعند كل صعود وهبوط وعند كل ركوب ونزول رافعا بها صوته بحيث لا يبح به حلقه ولا ينبهر فانه
لا ينادي اصم ولا غائبا كما ورد في الحديث ولا بأس برفع الصوت بالتلبية في المساجد الثلث فانها مظنة المناسك اعني المسجد
الحرام ومسجد الخيف ومسجد الميقات واما سائر المساجد فلا بأس فيها بالتلبية من غير رفع صوت وكان صلى الله عليه وسلم اذا
اعجبه شيء قال لبيك ان العيش عيش الآخرة الجملة الثالثة في آداب دخول مكة الى الطواف وهي ستة الاول ان يغتسل
بذي طوى لدخول مكة والاغسال المستحبة المسنونة في الحج تسعة الاول للاحرام من الميقات ثم لدخول مكة ثم لطواف القدوم
ثم للوقوف بعرفة ثم للوقوف بمزدلفة ثم ثلاثة اغسال لرمي الجمرات الثلث ولا غسل لرمي جمرة العقبة ثم لطواف الوداع ولم ير
الشافعي الغسل لطواف الزيارة ولطواف الوداع فيعود الى سبعة الثاني ان يقول عند الدخول الى اول الحرم وهو خارج مكة
اللهم هذا حرمك وامنك فحرم لحمي ودمي وبشري على النار وآمني من عذابك يوم تبعث عبادك واجعلني من اوليائك واهل
طاعتك الثالث ان يدخل مكة من جانب الابطح وهي من ثنية كداء بفتح الكاف وعدل رسول الله صلى الله عليه وسلم من
جادة الطريق اليها فالتأسي به اولى واذا خرج خرج من ثنية كدى بضم الكاف وهي الثنية السفلى والاولى هي العليا الرابع
اذا دخل مكة وانتهى الى رأس الردم فعنده يقع بصره على البيت فليقل لا اله الا الله والله اكبر اللهم انت السلام ومنك السلام و
دارك دار السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام اللهم ان هذا بيتك عظمته وكرمته وشرفته اللهم فزده تعظيما وتكريما وتشريفا
وزده مهابة وزد من حجه برا وكرامة اللهم افتح لي ابواب رحمتك وادخلني جنتك واعذني من شر الشيطان الرجيم الخامس
اذا دخل المسجد الحرام فليدخل من باب بني شيبة وليقل بسم الله وبالله ومن الله والى الله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاذا قرب من البيت قال الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وعلى ابراهيم خليلك
وعلى جميع انبيائك ورسلك وليرفع يديه وليقل اللهم اني اسئلك في مقامي هذا في اول مناسكي ان تقبل توبتي وتتجاوز عن خطيئتي
وتضع عني وزري الحمد لله الذي بلغني بيته الحرام الذي جعله مثابة للناس وامنا وجعله مباركا وهدى للعالمين اللهم اني عبدك والبلد

بلدك والحرم حرمك والبيت بيتك وجئت اطلب رحمتك اسئلك مسئلة المضطر الخائف لعقوبتك الراجي رحمتك اسئلك مسئلة المضطر الخائف الطالب مرضاتك السادس ان يقصد الحجر الاسود بعد ذلك ويمسه بيمينه ويقبله ويقول اللهم امانتي اديتها وميثاقي وفيته اشهد لي بالموافاة فان لم يستطع التقبيل وقف في مقابلته ويقول ذلك ثم لا يعرج على شيء دون الطواف وهو طواف الا ان يجد الناس في المكتوبة فيصلي معهم ثم يطوف

الجملة الرابعة في الطواف فاذا اراد افتتاح الطواف فاذا اراد افتتاح الطواف اما القدوم او لغيره فينبغي ان يراعي امورا ستة الاول ان يراعي شروط الصلوة من طهارة الحدث والخبث في الثوب والبدن والمكان والمطاف وستر العورة فالطواف بالبيت صلوة ولكن الله تعالى اباح فيه الكلام وليضطبع قبل ابتداء الطواف وهو ان يجعل وسط ازاره تحت ابطه اليمنى ويجمع طرفيه على منكبيه الايسر فيرخي طرفا وراء ظهره وطرفا على صدره ويقطع التلبية عند ابتداء الطواف ويشتغل بالادعية التي سنذكرها الثاني اذا فرغ من الاضطباع فليجعل البيت على يساره وليقف عند الحجر الاسود وليتنح عنه قليلا ليكون الحجر قدامه فيمر بجميع بدنه على جميع الحجر في ابتداء طوافه وليجعل بينه وبين البيت قدر ثلث خطوات ليكون قريبا من البيت فانه افضل ولكيلا يكون طائفا على الشاذروان فانه من البيت وعند الحجر الاسود قد يتصل الشاذروان بالارض ويلتبس به والطائف عليه لا يصح طوافه لانه طائف في البيت والشاذروان هو الذي فضل من عرض جدار البيت بعد ان ضيق اعلى الجدار ثم من هذا الموقف يبتدي الطواف الثالث ان يقول قبل مجاوزة الحجر بل في ابتداء الطواف بسم الله والله اكبر اللهم ايمانا بك وتصديقا بكتابك ووفاء بعهدك واتباعا لسنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ويطوف فاول ما يجاوز الحجر ينتهي الى باب البيت فيقول اللهم هذا البيت بيتك وهذا الحرم حرمك وهذا الامن امنك وهذا مقام العائذ بك من النار وعند ذكر المقام يشير بعينه الى مقام ابرهيم عليه الصلوة والسلام ويقول اللهم بيتك عظيم ووجهك كريم وانت ارحم الراحمين فاعذني من النار ومن الشيطان الرجيم وحرم لحمي ودمي على النار وآمني من اهوال يوم القيمة واكفني مؤنة الدنيا والآخرة ثم يسبح الله ويحمده حتى يبلغ الركن العراقي فعنده يقول اللهم اني اعوذ بك من الشرك والشك والكفر والنفاق والشقاق وسوء الاخلاق وسوء المنظر في الاهل والمال والولد فاذا بلغ الميزاب قال اللهم اظلنا تحت عرشك يوم لا ظل الا ظل عرشك اللهم اسقني بكاس محمد صلى الله عليه وسلم شربة لا اظماء بعدها ابدا فاذا بلغ الركن الشامي قال اللهم اجعله حجا مبرورا وسعيا مشكورا وذنبا مغفورا وتجارة لن تبور يا عزيز يا غفور رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم وانت الاعز الاكرم فاذا بلغ الركن اليماني قال اللهم اني اعوذ بك من الكفر واعوذ بك من الفقر ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات واعوذ بك من الخزي في الدنيا والآخرة ويقول بين الركن اليماني والحجر الاسود اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا برحمتك عذاب القبر وعذاب النار فاذا بلغ الى الحجر قال اللهم اغفر لي برحمتك اعوذ برب هذه الحجر من الدين والفقر وضيق الصدر وعذاب القبر وعند ذلك قد تم شوط واحد فيطوف كذلك سبعة اشواط ويدعو بهذه الادعية في كل شوط الرابع ان يرمل في ثلثة اشواط ويمشي في الاربع الاخير على الهيأة المعتادة ومعنى الرمل الاسراع في المشي مع تقارب الخطى وهو دون العدو وفوق المشي المعتاد فالمقصود منه ومن الاضطباع اظهار الشطارة والجلادة والقوة هكذا كان القصد اولا قطعا لطمع الكفار وبقيت تلك السنة والافضل الرمل مع القرب من البيت فان لم يمكنه للزحمة فالرمل مع البعد افضل فليخرج الى حاشية المطاف وليرمل ثلثا ثم ليقرب الى البيت في المزدحم وليمش اربعة اشواط ان امكنه استلام الحجر في كل شوط فهو الاحب وان منعه الزحمة اشار باليد وقبل يده وكذلك استلام الركن اليماني مستحب من بين سائر الاركان اذ روي انه عليه الصلوة والسلام كان يستلم الركن اليماني ويقبله ويضع خده عليه من اراد

تخصيص الحجر بالتقبيل واقتصر في الركن اليماني على الاستلام اعني اللمس باليد فهو الاشهر في الرواية الخامس اذا تم الطواف سبعا فليأت الملتزم وهو بين الحجر والباب وهو موضع استجابة الدعوة وليلتزق بالبيت وليتعلق بالاستار وليلصق بطنه بالبيت وليضع عليه خده الايمن وليبسط عليه ذراعيه وكفيه وليقل اللهم يا رب البيت العتيق اعتق رقبتي من النار واعذني من الشيطان الرجيم واعذني من كل سوء وقنعني بما رزقتني وبارك لي فيما آتيتني اللهم ان هذا البيت بيتك والعبد عبدك وهذا مقام العائذ بك من النار اللهم اجعلني من اكرم وفدك عليك ثم ليحمد الله كثيرا في هذا الموضع وليصل على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الرسل كثيرا وليدع بحوائجه الخاصة وليستغفر الله من ذنوبه كان بعض السلف في هذا الموضع يقول لمواليه تنحوا عني حتى اقر لربي بذنوبي السادس اذا فرغ من ذلك ينبغي ان يصلي خلف المقام ركعتين يقرأ في الاولى قل يا ايها الكافرون وفي الثانية الاخلاص وهما ركعتا الطواف قال الزهري مضت السنة ان يصلي لكل سبع ركعتين وان قرن بين اسابيع وصلى ركعتين جاز فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكل اسبوع طواف وليدع بعد ركعتي الطواف وليقل اللهم يسر لي اليسرى وجنبني العسرى واغفر لي في الآخرة والاولى اللهم اعصمني بالطافك حتى لا اعصيك واعني على طاعتك بتوفيقك وجنبني معاصيك واجعلني ممن يحبك ويحب ملائكتك ورسلك ويحب عبادك الصالحين اللهم حببني الى ملائكتك ورسلك والى عبادك الصالحين اللهم فكما هديتني للاسلام فثبتني عليه بالطافك وولايتك ولا تكلني الى نفسي والى خلقك واستعملني بطاعتك وطاعة رسولك واجرني من مضلات الفتن ثم ليعد الى الحجر وليستلمه وليختم به الطواف قال النبي صلى الله عليه وسلم من طاف بالبيت اسبوعا وصلى ركعتين فله من الاجر كعتق رقبة هذا كيفية الطواف والواجب من جملته بعد شروط الصلوة ان يستكمل عدد الطواف سبعا بجميع البيت وان يبتدأ بالحجر ويجعل البيت على يساره وان يطوف داخل المسجد وخارج البيت لا على الشاذروان ولا في الحجر وان يوالي بين الاشواط ولا يفرقها تفريقا خارجا عن المعتاد وما عدا هذا فهي سنن وهيأت

الجملة الخامسة في السعي فاذا فرغ من الطواف فليخرج من باب الصفا وهو في محاذاة الضلع بين الركن اليماني والحجر فاذا خرج من ذلك الباب وانتهى الى الصفا وهو جبل فيرقى فيه درجات في حضيض الجبل بقدر قامة الرجل رقي رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت له الكعبة وابتداء السعي من اصل الجبل كاف وهذه الزيادة مستحبة ولكن بعض تلك الدرج مستحدثة فينبغي ان لا يخلفها وراء ظهره فلا يكون متمما للسعي واذا ابتدأ من ههنا سعى بينه وبين المروة سبع مرات وعند رقيه في الصفا ينبغي ان يقبل على البيت ويقول الله اكبر الله اكبر الحمد لله على ما هدانا الحمد لله بمحامده كلها على جميع نعمه كلها لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت بيده الخير وهو على كل شيء قدير لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده واعز جنده وهزم الاحزاب وحده لا اله الا الله مخلصين له الدين ولو كره المشركون لا اله الا الله مخلصين الحمد لله رب العالمين فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الارض بعد موتها وكذلك تخرجون ومن آياته ان خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون اللهم اني اسئلك ايمانا دائما ويقينا صادقا وعلما نافعا وقلبا خاشعا ولسانا ذاكرا واسئلك العفو والعافية والمعافاة في الدنيا والآخرة ويصلي على محمد صلى الله عليه وسلم ويدعو الله بما شاء من حاجته عقيب هذا الدعاء ثم ينزل ويبتدئ السعي وهو يقول رب اغفر وارحم واعف عما تعلم وانت الاعز الاكرم اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ويمشي على هينة حتى ينتهي الى الميل الاخضر وهو على زاوية المسجد الحرام

فاذا بقي بينه وبين محاذاة الميل ستة اذرع اخذ في السير السريع وهو الرمل حتى ينتهي الى الميلين الاخضرين ثم يعود الى الهينة
فاذا انتهى الى المروة صعد كما صعد الصفا واقبل بوجهه على الصفا ودعا بمثل ذلك الدعا وقد حصل مرة واحدة فاذا
عاد الى الصفا حصل مرتين يفعل ذلك سبعا ويرمل في موضع الرمل في كل مرة ويسكن في موضع السكون كما سبق وفي كل نوبة
يصعد الصفا والمروة فاذا فعل ذلك فقد فرغ من طواف القدوم والسعي وهما سنتان والطهارة مستحبة للسعي وليست
بواجبة بخلاف الطواف واذا سعى فينبغي ان لا يعيد السعي بعد الوقوف ويكتفي بهذا ركنا فانه ليس من شرط السعي
ان يتاخر عن الوقوف وانما ذلك شرط في طواف الركن نعم شرط كل سعي ان يقع بعد طواف اي طواف كان الجملة السادسة
في الوقوف وما قبله الحاج اذا انتهى يوم عرفة الى عرفات فلا يتفرغ لطواف قدوم ودخول مكة قبل الوقوف واذا وصل قبل ذلك
بايام وطاف طواف القدوم فيمكث محرما الى اليوم السابع من ذي الحجة فيخطب الامام بمكة خطبة بعد الظهر عند الكعبة ويامر
الناس بالاستعداد للخروج الى منى يوم التروية والمبيت بها والغدو منها الى عرفة لاقامة فرض الوقوف بعد زوال الشمس
اذ وقت الوقوف من الزوال الى طلوع الفجر الصادق من يوم النحر فينبغي ان يخرج الى منى ملبيا ويستحب له المشي من مكة في المناسك
الى انقضا حجه ان قدر عليه والمشي من مسجد ابرهيم الى الموقف افضل واكد فاذا انتهى الى منى قال اللهم هذا منى فامنن علي بما
مننت به على اوليائك واهل طاعتك ويمكث هذه الليلة بمنى وهو مبيت منزل لا يتعلق به نسك فاذا اصبح يوم عرفة صلى
الصبح فاذا طلعت الشمس على ثبير سار الى عرفات ويقول اللهم اجعلها خير غدوة غدوتها قط واقربها من رضوانك وابعدها
من سخطك اللهم اليك غدوت واياك اعتمدت ووجهك اردت فاجعلني ممن تباهي به اليوم من هو خير مني وافضل فاذا
اتى عرفات فليضرب خباءه بنمرة قريبا من المسجد ثم ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبته ونمرة هي بطن عرنة دون الموقف
ودون عرفة وليغتسل للوقوف فاذا زالت الشمس خطب الامام خطبة وجيزة وقعد واخذ المؤذن في الاذان والامام في الخطبة
الثانية ووصل الاقامة بالاذان وفرغ الامام مع تمام الاقامة المؤذن ثم جمع بين الظهر والعصر باذان واقامتين وقصر الصلوة و
راح الى الموقف فليقف بعرفة ولا يقفن في وادي عرنة واما مسجد ابرهيم فصدره في الوادي واخرياته من عرفة فمن وقف
في صدر المسجد لم يحصل له الوقوف بعرفة ويتميز مكان عرفة من المسجد بصخرات كبار فرشت ثم والافضل ان يقف عند الصخرات بقرب
الامام مستقبل القبلة راكبا وليكثر من انواع التحميد والتسبيح والتهليل والثنا على الله تعالى والدعا والتوبة ولا يصوم في
هذا اليوم ليقوى على مواظبة الدعا ولا يقطع التلبية يوم عرفة بل الاحب ان يلبي تارة ويكب تارة على الدعا ولا ينبغي ان ينفصل عن
طرف عرفة بين الليل والنهار ان امكنه الوقوف بعرفة شيئا من ساعة عند امكان الغلط في الهلال فهو الحزم وبه الامن من الفوات
ومن فاته الوقوف حتى طلع الفجر يوم النحر فقد فاته الحج فعليه ان يتحلل عن احرامه باعمال العمرة ثم يريق دما لاجل الفوات ثم
ليقض وليكن اهم اشتغاله في هذا اليوم الدعا ففي مثل تلك البقعة ومثل ذلك الجمع ترجى اجابة الدعوات والدعا الماثور عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن السلف في يوم عرفة اولى ما يدعو به فليقل لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك
وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شي قدير اللهم اجعل في قلبي نورا وفي سمعي نورا وفي بصري نورا
اللهم اشرح لي صدري ويسر لي امري ويقول اللهم رب الحمد لك الحمد كما نقول وخيرا مما نقول لك صلوتي ونسكي ومحياي ومماتي
واليك مآبي واليك ثوابي اللهم اني اعوذ بك من وساوس الصدر وشتات الامر وعذاب القبر اللهم اني اعوذ بك من شر ما يلج في
الليل وشر ما يلج في النهار ومن شر ما تهب به الرياح وشر بوائق الدهر اللهم اني اعوذ بك من تحول عافيتك وفجاة نقمتك

نقمتك وجميع سخطك اللهم اهدني بالهدى واغفر لي في الآخرة والاولى يا خير مقصود وايسر منزول عليه واكرم مسئول ما
لديه اعطني العشية افضل ما تؤتي احدا من خلقك وحجاج بيتك يا ارحم الراحمين اللهم يا رفيع الدرجات ومنزل البركات
ويا فاطر الارضين والسموات ضجت اليك الاصوات بصنوف اللغات تسالك الحاجات وحاجتي اليك ان لا تنساني في دار البلى اذا
نسيني اهل الدنيا اللهم انك تسمع كلامي وترى مكاني وتعلم سري وعلانيتي ولا يخفى عليك شي من امري انا البائس الفقير
المستغيث المستجير الوجل المشفق المعترف بذنبه اسالك مسئلة المسكين وابتهل اليك ابتهال المذنب الذليل وادعوك دعاء الخائف
الضرير دعاء من خضعت لك رقبته وفاضت لك عبرته وذل لك جسده ورغم لك انفه اللهم لا تجعلني بدعائك رب شقيا وكن
بي رؤفا رحيما يا خير المسئولين واكرم المعطين اللهم من مدح اليك نفسه فاني لائم لنفسي الهي اخرست المعاصي لساني فما لي وسيلة
من عمل ولا شفيع سوى الامل اللهم من مدح اليك نفسه اني اعلم ان ذنوبي لم تبق لي جاها ولا للاعتذار وجها ولكنك اكرم الاكرمين
الهي ان لم اكن اهلا ان ابلغ رحمتك فان رحمتك اهل ان تبلغني رحمتك وسعت كل شي وانا شي الهي ان ذنوبي وان كانت عظاما
ولكنها صغار في جنب عفوك فاغفرها لي يا كريم الهي انت انت وانا انا العواد الى الذنوب وانت العواد الى المغفرة الهي
ان كنت لا ترحم الا اهل طاعتك فالى من يفزع المذنبون الهي تجنبت عن طاعتك عمدا وتوجهت الى معصيتك قصدا
فسبحانك ما اعظم حجتك علي واكرم عفوك عني فبوجوب حجتك علي وانقطاع حجتي وفقري اليك وغناك عني الا
الا غفرت لي يا خير من دعاه داع وافضل من رجاه راج بحرمة الاسلام وبذمة محمد عليه الصلوة والسلام اتوسل اليك
فاغفر لي جميع ذنوبي واصرفني من موقفي هذا مقضي الحوائج وهب لي ما سالت وحقق رجائي فيما تمنيت الهي دعوتك بالدعا
الذي علمتنيه فلا تحرمني الرجاء الذي عرفتنيه الهي ما انت صانع العشية بعبد مقر لك بذنبه خاشع لك بذلة مستكين
بجرمه متضرع اليك من عمله تائب اليك في اقترافه مستغفر لك من ظلمه مبتهل اليك في العفو عنه طالب اليك في نجاح
حوائجه راج اليك في موقفه مع كثرة ذنوبه فيا ملجا كل حي وولي كل مؤمن من احسن فبرحمتك يفوز ومن اساء فبخطيئته
يهلك اللهم اليك خرجنا وبفنائك اتينا واياك املنا وما عندك طلبنا ولاحسانك تعرضنا ورحمتك رجونا ومن عذابك
وبيتك الحرام حججنا يا من يملك حوائج السائلين ويعلم ضمائر الصامتين يا من ليس معه رب يدعى ويا من ليس فوقه خالق
يخشى ويا من ليس له وزير يؤتى ولا حاجب يرشى يا من لا يزيده كثرة السؤال الا كرما وجودا وعلى كثرة الحوائج الا تفضلا
واحسانا اللهم انك جعلت لكل ضيف قرى ونحن اضيافك فاجعل قرانا منك الجنة اللهم ان لكل وفد جائزة ولكل زائر
كرامة ولكل سائل عطية ولكل راج ثوابا ولكل ملتمس لما عندك جزاء ولكل مسترحم عندك رحمة ولكل راغب اليك زلفة
ولكل متوسل اليك عفوا وقد وفدنا الى بيتك الحرام ووقفنا بهذه المشاعر العظام وشاهدنا هذه المشاهد الكرام رجاء لما
رجاء لما عندك فلا تخيب رجانا الهنا يا من تابع النعم حتى اطمانت الانفس بتتابع نعمك واظهر العبر حتى نطقت الصوامت
بحجتك وظاهر المنن حتى اعترف اولياؤك بالتقصير عن حقك واظهر الايات حتى افصحت السموات والارضون بادلتك
وقهرت بقدرتك حتى خضع كل شي لعزتك وعنت الوجوه لعظمتك اذا اساءت عبادك حلمت فامهلت واذا احسنوا تفضلت
وقبلت واذا عصينا سترت واذا اذنبنا عفوت وغفرت واذا دعونا اجبت واذا نادينا سمعت واذا اقبلنا اليك قربت
واذا ولينا عنك دعوت الهنا انك قلت في كتابك المبين لمحمد خاتم النبيين صلى الله عليه وعليهم قل للذين كفروا ان ينتهوا
يغفر لهم ما قد سلف وارضاك عنهم الاقرار بكلمة التوحيد بعد الجحود وانا نشهد لك بالتوحيد مخبتين ولمحمد صلى الله عليه وسلم

بالرسالة مخلصين فاغفر لنا بهذه الشهادة سوالف الاجرام ولا تجعل حظنا فيه انقص من حظ من دخل في الاسلام اللهم
انك احببت التقرب اليك بعتق ما ملكت ايماننا ونحن عبيدك وانت اولى بالتفضل فاعتقنا فانك امرتنا ان نتصدق على فقرائنا
ونحن فقراؤك وانت احق بالتطول والتفضل فتصدق علينا ووصلتنا بالعفو عن ظلمنا انفسنا فانت احق بالكرم فاعف عنا
ربنا اغفر لنا وارحمنا انت مولانا ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا برحمتك عذاب النار وليكثر من دعاء
الخضر عليه السلم وهو ان يقول يا من لا يشغله سمع عن سمع ولا تشتبه عليه الاصوات يا من لا تغلطه المسائل ولا تختلف عليه
اللغات يا من لا يبرمه الحاح الملحين ولا تضجره مسالة السائلين اذقنا برد عفوك وحلاوة رحمتك وليدع بما بدا له
وليستغفر له ولوالديه ولجميع المؤمنين والمؤمنات وليلح في الدعاء وليعظم المسالة فان الله تعالى لا يتعاظمه شيء قال مطرف بن عبد الله
وهو بعرفة اللهم لا ترد الجميع من اجلي وقال بكر المزني لما نظرت الى اهل عرفات ظننت انهم قد غفر لهم لولا اني كنت فيهم ٥ ٥

الجملة السابعة في بقية اعمال الحج بعد الوقوف من المبيت والرمي والنحر والحلق والطواف فاذا افاض من عرفات بعد
غروب الشمس فينبغي ان يكون على السكينة والوقار وليجتنب وجيف الخيل كما يعتاده بعض الناس فان رسول الله صلى الله عليه وسلم
نهى عن وجيف الخيل وايضاع الابل وقال اتقوا الله وسيروا سيرا جميلا لا تطؤوا ضعيفا ولا تؤذوا مسلما فاذا بلغ المزدلفة
اغتسل لها لان المزدلفة من الحرم فليدخله بغسل وان قدر على دخوله ماشيا فهو افضل واقرب الى توقير الحرم ويكون في الطريق رافعا
صوته بالتلبية فاذا بلغ المزدلفة قال اللهم ان هذه مزدلفة جمعت فيها السنة مختلفة تسالك حوائج مؤتنفة فاجعلني ممن دعاك
فاستجبت له وتوكل عليك فكفيته ثم يجمع بين المغرب والعشاء بمزدلفة في وقت العشاء قاصرا باذان واقامتين بينهما نافلة
ولكن يجمع نافلة المغرب والعشاء والوتر بعد الفريضتين ويبدأ بنافلة المغرب ثم بنافلة العشاء كما في الفريضتين وهكذا يفعل الجامع
في السفر فان ترك النوافل في السفر خسران ظاهر وتكليف ايقاعها في الاوقات اضرار وقطع التبعية بينها وبين الفرائض فاذا
جاز ان يؤدي النوافل مع الفرائض بتيمم واحد بحكم التبعية فبان يجوز اداؤها على حكم الجمع بالتبعية اولى ولا يمنع من هذا مفارقة
النفل للفرض في جواز ادائه على الراحلة لما اومأنا اليه من التبعية والحاجة ثم يمكث تلك الليلة بمزدلفة وهو مبيت نسك ومن
خرج منها في النصف الاول من الليل ولم يبت فعليه دم واحياء هذه الليلة الشريفة من محاسن القربات لمن يقدر عليه ثم مهما
انتصف الليل ياخذ في التاهب للرحيل ويتزود الحصى منها ففيها احجار رخوة فلياخذ سبعين فانه قدر الحاجة ولا باس بان يستظهر
حصاة
بزيادة فربما يسقط منه بعضه وليكن الحصا خفافا بحيث يحتوي عليها اطراف البراجم ثم ليغلس بصلوة الصبح وليأخذ في السير
حتى اذا انتهى الى المشعر الحرام وهو آخر المزدلفة فيقف ويدعو الى الاسفار ويقول اللهم بحق المشعر الحرام والبيت الحرام
والشهر الحرام والركن والمقام بلغ روح محمد منا التحية والسلام وادخلنا دار السلام يا ذا الجلال والاكرام ثم يدفع منها
قبل طلوع الشمس حتى ينتهي الى موضع يقال له وادي محسر فيستحب ان يحرك دابته حتى يقطع عرض الوادي وان كان راجلا اسرع
في المشي ثم اذا اصبح يوم النحر خلط التلبية بالتكبير فيلبي تارة ويكبر اخرى حتى ينتهي الى منى ومواضع الجمرات وهي ثلثة فيتجاوز
الاولى والثانية فلا شغل له معهما يوم النحر حتى ينتهي الى جمرة العقبة وهي على يمين مستقبل القبلة في الجادة والمرمى
مرتفع قليلا في سفح الجبل وهو ظاهر بمواقع الجمرات ويرمي جمرة العقبة بعد طلوع الشمس بقيد رمح وكيفيته ان يقف مستقبل
القبلة وان استقبل الجمرة فلا باس ويرمي سبع حصيات رافعا يده ويبدل التلبية بالتكبير ويقول مع كل حصاة اللهم تصديقا
بكتابك واتباعا لسنة نبيك فاذا رمى قطع التلبية والتكبير الا التكبير عقيب فرائض الصلوات من الظهر يوم النحر الى عقيب الصبح

آخر ايام التشريق ولا يقف في هذا اليوم للدعاء بل يدعو في منزله وصيغة التكبير الله اكبر الله اكبر الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا
وسبحان الله بكرة واصيلا لا اله الا الله وحده لا شريك له مخلصين له الدين ولو كره الكافرون لا اله الا الله وحده صدق
وعده ونصر عبده لا اله الا الله والله اكبر ثم ليذبح الهدي ان كان معه والاولى ان يذبح بنفسه ويقول بسم الله والله اكبر
اللهم منك وبك واليك تقبل مني كما تقبلت من خليلك ابرهيم والتضحية بالبدنة افضل ثم بالبقرة ثم بالشاة والشاة افضل
من مشاركة ستة في البقرة او البدنة والضان افضل من المعز قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الاضحية الكبش الاقرن
والبيضاء افضل من الغبراء والسوداء قال ابو هريرة البيضاء افضل في الاضحى من دم سوداوين وليأكل منه ان كان من هدي التطوع ولا يضحين
بالعرجاء والعضباء والجرباء والشرقاء والخرقاء والمقابلة والمدابرة والعجفاء والجدع في الانف والاذن القطع منهما والعضب
في القرن وفي نقصان القوائم والشرقاء المشقوقة الاذن من فوق والخرقاء من اسفل والمقابلة المخروقة الاذن من قدام والمدابرة من
خلف والعجفاء المهزولة التي لا تنقي اي لا مخ لها من الهزال ثم ليحلق بعد ذلك والسنة ان يستقبل القبلة ويبتدئ بمقدم راسه فيحلق الشق
الايمن الى العظمين المشرفين على القفا ثم يحلق الباقي ويقول اللهم اثبت لي بكل شعرة حسنة وامح عني بها سيئة وارفع بها عندك درجة
والمرأة تقصر الشعر والاصلع يستحب له امرار الموسى على راسه ومهما حلق بعد رمي الجمرة فقد حصل له التحلل الاول وحل له كل المحظورات
الا النساء والصيد ثم يفيض الى مكة ويطوف كما وصفناه وهذا الطواف طواف ركن في الحج ويسمى طواف الزيارة واول وقته بعد
نصف الليل من ليلة النحر وافضل وقته يوم النحر ولا آخر لوقته بل له ان يؤخر الى اي وقت شاء ولكن يبقى متقيدا بعلقة الاحرام فلا
تحل له النساء الى ان يطوف فاذا طاف تم التحلل وحل الجماع وارتفع الاحرام بالكلية ولم يبق الا رمي ايام التشريق والمبيت بمنى
وهي واجبات بعد زوال الاحرام على سبيل الاتباع للحج وكيفية هذا الطواف مع الركعتين فليسع كما وصفناه ان لم يكن سعى بعد طواف
القدوم فان كان قد سعى فقد وقع ذلك ركنا فلا ينبغي ان يعيد السعي واسباب التحلل ثلاثة الرمي والحلق والطواف الذي هو ركن ف
مهما اتى باثنين من هذه الثلث فقد تحلل احد التحللين ولا حرج عليه في التقديم والتاخير بهذه الثلث مع الذبح ولكن الاحسن
ان يرمي ثم يذبح ثم يحلق ثم يطوف والسنة للامام في هذا اليوم ان يخطب بعد الزوال وهي خطبة وداع رسول الله صلى الله عليه
وسلم ففي الحج اربع خطب خطبة يوم السابع وخطبة يوم عرفة وخطبة يوم النحر وخطبة يوم النفر الاول وكلها عقيب الزوال و
كلها افراد الا خطبة يوم عرفة فانها خطبتان بينهما جلسة ثم اذا فرغ من الطواف عاد الى منى للمبيت والرمي فيبيت تلك الليلة
بمنى وتسمى ليلة القر لان الناس في غد يقرون بمنى ولا ينفرون فاذا اصبح اليوم الثاني من العيد وزالت الشمس اغتسل للرمي وقصد الجمرة
التي تلي عرفة وهي على متن الجادة ويرمي اليها بسبع حصيات فاذا تعداها انحرف قليلا عن متن الجادة ووقف مستقبل القبلة و
حمد الله تعالى وهلله وكبره ودعا مع حضور القلب وخشوع الجوارح ووقف مستقبل القبلة قدر قراءة سورة البقرة مقبلا
على الدعاء ثم يتقدم الى الجمرة الوسطى ويرمي كما رمى الاولى ويقف كما وقف للاولى ثم يتقدم الى جمرة العقبة ويرمي سبعا ولا يعرج
على شغل بل يرجع الى منزله ويبيت تلك الليلة بمنى وتسمى هذه الليلة ليلة النفر الاول ويصبح فاذا صلى الظهر في اليوم الثاني
من ايام التشريق رمى في هذا اليوم احدا وعشرين حصاة كاليوم الذي قبله ثم هو مخير بين المقام بمنى وبين العود الى مكة فان خرج من منى
قبل غروب الشمس فلا شيء عليه وان صبر الى الليل فلا يجوز له الخروج بل يلزمه المبيت حتى يرمي في يوم النفر الثاني احدا وعشرين حجرا
كما سبق وفي ترك المبيت والرمي اراقة دم وليتصدق باللحم وله ان يزور البيت في ليالي منى بشرط ان لا يبيت الا بمنى كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك ولا يتركن حضور الفرائض مع الامام في مسجد الخيف فان فضله عظيم فاذا افاض من منى فالاولى

ان يقيم بالمحصب من منا ويصلي العصر والمغرب والعشا ويرقد رقدة فهو السنة رواه جماعة من الصحابة وان لم يفعل فلا شي عليه

الجملة الثامنة في صفة العمرة وما بعدها الى طواف الوداع من اراد ان يعتمر بعد حجه او قبله كيف اراد فيغتسل ويلبس ثياب الاحرام كما سبق في الحج ويحرم بالعمرة من ميقاتها وافضل مواقيتها الجعرانة ثم التنعيم ثم الحديبية وينوي العمرة ويلبي ويقصد مسجد عايشة رضي الله عنها ويصلي ركعتين ويدعو بما شا ثم يعود الى مكة وهو يلبي حتى يدخل المسجد الحرام فاذا دخل المسجد ترك التلبية وطاف سبعا وسعى سبعا كما وصفناه فاذا فرغ حلق راسه وقد تمت عمرته والمقيم بمكة ينبغي ان يكثر الاعتمار والطواف وليكثر النظر الى البيت واذا دخله فليصل بين العمودين فهذا افضل وليدخله حافيا موقرا وقيل لبعضهم هل دخلت بيت ربك اليوم فقال والله ما ارى هاتين القدمين اهلا للطواف حول البيت فكيف اراهما اهلا لان اطا بهما بيت ربي وقد علمت حيث مشتا والى اين مشتا وليكثر شرب ما الزمزم وليستق بيده من غير استنابة ان امكنه وليرتو منه حتى يتضلع وليقل اللهم اجعله شفاء من كل دا وسقم وارزقني الاخلاص والعمل واليقين والمعافاة في الدنيا والاخرة قال صلى الله عليه وسلم ما زمزم لما شرب له اي يشفي ما قصد به

الجملة التاسعة في طواف الوداع مهما عزله الرجوع الى الوطن بعد الفراغ من اتمام الحج والعمرة فلينجز اولا اشغاله وليشد رحاله وليجعل اخر اشغاله وداع البيت ووداعه بان يطوف به سبعا كما سبق ولكن من غير رمل واضطباع فاذا فرغ منه صلى ركعتين خلف المقام وشرب ما زمزم ثم ياتي الملتزم ويدعو ويتضرع ويقول اللهم البيت بيتك والعبد عبدك وابن عبدك وابن امتك حملتني على ما سخرت لي من خلقك حتى سيرتني في بلادك وبلغتني بنعمتك حتى اعنتني على قضا مناسكك فان كنت رضيت عني فازدد عني رضى والا فمن الان قبل تنائي عن بيتك داري هذا اوان انصرافي ان اذنت لي غير مستبدل بك ولا ببيتك ولا راغب عنك ولا عن بيتك اللهم اصحبني العافية في بدني والعصمة في ديني فاحسن منقلبي وارزقني طاعتك ما ابقيتني واجمع لي خير الدنيا والاخرة انك على كل شي قدير اللهم لا تجعل هذا اخر عهدي ببيتك الحرام وان جعلته اخر عهدي فعوضني عنه الجنة والاحب ان لا يصرف بصره عن البيت حتى يغيب عنه

الجملة العاشرة في زيارة المدينة وادابها قال النبي صلى الله عليه وسلم من زارني بعد وفاتي فكانما زارني في حياتي وقال من وجد سعة ولم يفد الي فقد جفاني وقال من جاني زائرا لا يهمه الا زيارتي كان حقا على الله ان اكون له شفيعا فمن قصد زيارة المدينة فليصل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في طريقه كثيرا فاذا وقع بصره على حيطان المدينة واشجارها قال هذا حرم رسولك فاجعل لي وقاية من النار وامانا من العذاب وسو الحساب وليغتسل قبل الدخول من بير الحرة وليتطيب وليلبس انظف ثيابه فاذا دخلها فليدخلها متواضعا معظما وليقل بسم الله وعلى ملة رسول الله رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا ثم يقصد المسجد ويدخله ويصلي بجنب المنبر ركعتين ويجعل عمود المنبر حذا منكبه الايمن ويستقبل السارية التي الى جانبها الصندوق وتكون الدائرة التي في قبلة المسجد بين عينيه فذلك موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان تغير المسجد وليجتهد ان يصلي في مسجده الاول قبل ان زيد فيه ثم ياتي قبر النبي عليه الصلوة والسلام فيقف عند وجهه وذلك بان يستدبر القبلة ويستقبل جدار القبر على نحو اربعة اذرع من السارية التي في زاوية جدار القبر ويجعل القنديل على راسه وليس من السنة ان يمس الجدار ولا ان يقبل بل الوقوف من بعد اقرب الى الاحترام فيقف ويقول السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا نبي الله السلام عليك يا امين الله السلام عليك يا حبيب الله السلام عليك يا صفوة الله السلام عليك يا خيرة الله السلام عليك يا احمد السلام عليك

يا محمد السلام عليك يا ابا القاسم السلام عليك يا ماحي السلام عليك يا عاقب السلام عليك يا بشير السلام عليك يا نذير السلام عليك يا طهر السلام عليك يا طاهر السلام عليك يا اكرم ولد ادم السلام عليك يا سيد المرسلين السلام عليك يا خاتم النبيين السلام عليك يا رسول رب العالمين السلام عليك يا قايد الخير السلام عليك يا فاتح البر السلام عليك يا نبي الرحمة السلام عليك يا سيد الامة السلام عليك يا قايد الغر المحجلين السلام عليك وعلى اهل بيتك الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا السلام عليك وعلى اصحابك الطيبين وازواجك الطاهرات امهات المومنين جزاك الله عنا افضل ما جزى نبيا عن قومه ورسولا عن امته وصلى عليك كلما ذكرك الذاكرون وكلما غفل عنك الغافلون وصلى عليك في الاولين والاخرين افضل واكمل واعلى واجل واطيب واطهر ما صلى على احد من خلقه كما استنقذنا بك من الضلالة وبصرنا بك من العماية وهدانا بك من الجهالة اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وانك عبده ورسوله ونبيه وامينه وصفيه وخيرته من خلقه واشهد انك قد بلغت الرسالة واديت الامانة ونصحت الامة وجاهدت عدوك وهديت امتك وعبدت ربك حتى اتاك اليقين فصلى الله عليك وعلى اهل بيتك الطيبين وسلم وكرم وشرف وعظم وان كان قد اوصي بتبليغ سلام فيقول السلام عليك من فلان السلام عليك من فلان ثم يتاخر قدر ذراع ويسلم على الصديق رضي الله عنه لان راسه عند منكب رسول الله صلى الله عليه وسلم وراس عمر عند منكب ابي بكر ثم يتاخر قدر ذراع ويسلم على فاروق عمر رضي الله عنه ويقول السلام عليكما يا وزيري رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعاونين له على القيام بالدين ما دام حيا والقايمين في امته بعده بامور الدين تتبعان في ذلك اثاره وتعملان بسنته فجزاكما الله خير ما جزا وزيري نبي على دينه ثم يرجع فيقف عند راس رسول الله صلى الله عليه وسلم بين القبر والاسطوانة اليوم ويستقبل القبلة وليحمد الله وليمجده وليكثر من الصلوة على رسول الله ثم يقول اللهم انك قلت ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما اللهم انا قد سمعنا قولك واطعنا امرك وقصدنا نبيك مستشفعين به اليك في ذنوبنا وما اثقل ظهورنا من اوزارنا تائبين من زللنا معترفين بخطايانا وتقصيرنا فتب اللهم علينا وشفع نبيك هذا فينا وارفعنا بمنزلته عندك وحقه عليك اللهم اغفر للمهاجرين والانصار واغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان اللهم لا تجعله اخر العهد من قبر نبيك صلى الله عليه وسلم ومن حرمك يا ارحم الراحمين ثم ياتي الروضة فيصلي فيها ويكثر من الدعا ما استطاع لقوله صلى الله عليه وسلم ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على الحوض ويدعو عند المنبر ويستحب ان يضع يده على الرمانة وكان صلى الله عليه وسلم يضع يده عليها عند الخطبة ويستحب له ان ياتي احدا يوم الخميس ويزور قبور الشهدا فيصلي الغداة في المسجد النبي صلى الله عليه وسلم حتى يخرج ويعود الى الصلوة الظهر فلا تفوته فريضة في الجماعة واستحب ان يخرج كل يوم الى البقيع بعد السلام على رسول الله صلى الله عليه ويزور قبر عثمان رضي الله عنه وقبر الحسن بن علي رضي الله عنهما وفيه ايضا قبر علي بن الحسين رضي الله عنهما ومحمد بن علي وجعفر بن محمد ويصلي في مسجد فاطمة رضي الله عنها ويزور قبر ابرهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبر صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فذلك كله بالبقيع ويستحب ان ياتي مسجد قبا في كل سبت ويصلي فيه لما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من خرج عن بيته حتى ياتي مسجد قبا ويصلي فيه كان عدل عمرة وياتي بير اريس يقال ان النبي صلى الله عليه وسلم تفل فيها وهي عند المسجد فيتوضا منها ويشرب من مايها ثم ياتي مسجد الفتح وهو على الخندق وكذا ياتي ساير المساجد والمشاهد ويقال ان جميع المشاهد والمساجد بالمدينة ثلثون موضعا يعرفها اهل البلد فيقصد ما قدر ويغتسل ويشرب منها وهي سبعة ابار طلبا للشفا وتبركا به صلى الله عليه وسلم وان امكنه الاقامة بالمدينة

مع مراعاة الحرمة فلها فضل عظيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يصبر على لأوائها وشدتها احد الا كنت له شفيعا يوم القيمة وقال صلى الله عليه وسلم من استطاع ان يموت بالمدينة فليمت فانه لن يموت بها احد الا كنت له شفيعا وشهيدا يوم القيمة ثم اذا فرغ من اشغاله وعزم على الخروج من المدينة فالمستحب ان يأتي القبر ويعيد دعاء الزيارة كما سبق ويودع رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسأل الله سبحانه ان يرزقه العود اليه ويسأل السلامة في سفره ثم يصلي ركعتين في الروضة الصغيرة وهي موضع مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان زيدت المقصورة في المسجد فاذا خرج فليخرج رجله اليسرى اولا ثم اليمنى وليقل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ولا تجعله آخر العهد بنبيك وحط اوزاري بزيارته واصحبني في سفري السلامة ويسر رجوعي سالما الى اهلي سالمين يا ارحم الراحمين وليتصدق على جيران رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قدر عليه وليتتبع المساجد التي بين المدينة ومكة فيصلي فيها وهي عشرون

فصل في سنن الرجوع من السفر كان صلى الله عليه وسلم اذا قفل من غزو او حج او عمرة يكبر على كل شرف من الارض ثلث تكبيرات ويقول لا اله الا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير آئبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده وفي بعض الروايات وكل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون فينبغي ان يستعمل هذه السنة في رجوعه واذا اشرف على مدينته يحرك الدابة ويقول اللهم اجعل لنا بها قرارا ورزقا حسنا ثم ليرسل الى اهله من يخبرهم بقدومه كيلا يقدم عليهم بغتة فذلك هو السنة ولا ينبغي ان يطرق اهله ليلا فاذا دخل البلد فليقصد المسجد اولا وليصل ركعتين فهو سنة كذلك كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا دخل بيته قال توبا توبا لربنا اوبا لا يغادر علينا حوبا فاذا استقر في منزله فلا ينسى ما انعم الله به عليه من زيارة بيته وحرمه وقبر نبيه فيكفر تلك النعمة بان يعود الى الغفلة واللهو والخوض في المعاصي فما ذلك علامة الحج المبرور بل علامته ان يعود زاهدا في الدنيا راغبا في الآخرة متاهبا للقاء رب البيت بعد لقاء البيت

الباب الثالث في الآداب الدقيقة والاعمال الباطنة

بيان دقائق الآداب وهي عشرة الاول ان يكون النفقة حلالا وتكون اليد خالية عن تجارة تشغل القلب وتفرق الهم حتى يكون الهم مجردا لله والقلب مطمئنا منصرفا الى ذكر الله وتعظيم شعائره وقد روي في خبر من طريق اهل البيت اذا كان آخر الزمان خرج الناس للحج اربعة اصناف سلاطينهم للنزهة واغنياؤهم للتجارة وفقراؤهم للمسألة وقراؤهم للسمعة وفي الخبر اشارة الى جملة اغراض الدنيا التي يتصور ان يتصل بالحج فكل ذلك مما يمنع فضيلة الحج ويخرجه عن حيز حج الخصوص لا سيما اذا كان متجردا بنفس الحج بان يحج لغيره باجرة فيطلب الدنيا بعمل الآخرة وقد كره الورعون وارباب القلوب ذلك الا ان يكون قصده المقام بمكة ولم يكن له ما يبلغه فلا بأس ان يأخذ ذلك على هذا القصد لا ليتوصل بالدين الى الدنيا بل بالدنيا الى الدين وعند ذلك ينبغي ان يقصد زيارة بيت الله ومعاونة اخيه المسلم باسقاط الفرض عنه وعلى مثله ينزل قوله صلى الله عليه وسلم يدخل الله تعالى بالحجة الواحدة ثلثة الجنة الموصي بها والمنفذها ومن حج بها عن اخيه ولست اقول لا تحل الاجرة او يحرم ذلك بعد ان اسقط فرض الاسلام عن نفسه ولكن الاولى ان لا يفعل ولا يتخذ ذلك مكسبة ومتجرة فان الله سبحانه يعطي الدنيا بالدين ولا يعطي الدين بالدنيا وفي الخبر مثل الذي يغزو في سبيل الله تعالى ويأخذ اجرا مثل ام موسى ترضع ولدها وتأخذ اجرها فمن كان مثاله في اخذ الاجرة على الحج مثال ام موسى فلا بأس باخذه فانه يأخذ ليتمكن من الحج والزيارة وليس يحج ليأخذ الاجرة كما كانت تأخذ ليتيسر لها الارضاع بتلبيس حالها عليهم الثاني ان لا يعاون اعداء الله بتسليم المكس وهم الصادرون عن المسجد الحرام من امراء مكة والاعراب المترصدين في الطرق فان تسليم المال اليهم اعانة على الظلم وتيسير لاسبابه عليهم فهو كالاعانة بالنفس فليتلطف في حيلة الخلاص فان لم يقدر فقد قال بعض العلماء ولا بأس بما قاله ان ترك التنفل بالحج والرجوع عن الطريق افضل من اعانة الظلمة فان هذه بدعة احدثت وفي الانقياد لها ما يجعلها سنة مطردة وفيه ذل وصغار على المسلمين ببذل جزية ولا معنى لقول القائل ان ذلك يؤخذ مني وانا مضطر فانه لو قعد في البيت او رجع من الطريق لم يؤخذ منه شيء بل ربما يظهر اسباب الترفه فيكثر مطالبته ولو كان في زي الفقراء لم يطالب فهو الذي ساق نفسه الى حالة الاضطرار

الثالث التوسع في الزاد وطيب النفس بالبذل والانفاق من غير تقتير ولا اسراف بل على الاقتصاد واعني بالاسراف التنعم بطيب الاطعمة والترفه بشرب انواعها على عادة المترفين فاما كثرة البذل فلا سرف فيه اذ لا خير في السرف ولا سرف في الخير كما قيل وبذل الزاد في طريق الحج نفقة في سبيل الله والدرهم بسبعمائة درهم قال ابن عمر رضي الله عنهما من كرم الرجل طيب زاده في سفره وكان يقول افضل الحجاج اخلصهم نية وازكاهم نفقة واحسنهم يقينا وقال صلى الله عليه وسلم الحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة فقيل له يا رسول الله ما بر الحج فقال طيب الكلام واطعام الطعام الرابع ترك الرفث والفسوق والجدال كما نطق به القرآن والرفث اسم جامع لكل لغو وخنا وفحش من الكلام ويدخل فيه مغازلة النساء ومداعبتهن والتحدث بشأن الجماع ومقدماته فان ذلك يهيج داعية الجماع المحظور والداعي الى المحظور محظور والفسوق اسم جامع لكل خروج عن طاعة الله والجدال هو المبالغة في الخصومة والممارات بما يورث الضغائن ويفرق في الحال الهمة ويناقض حسن الخلق وقال سفين من رفث فسد حجه وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم طيب الكلام مع اطعام الطعام من بر الحج والممارات تناقض طيب الكلام فلا ينبغي ان يكون كثير الاعتراض على رفيقه وجماله وعلى غيرهم من اصحابه بل يلين جانبه ويخفض جناحه للسائرين الى بيت الله ويلزم حسن الخلق وليس حسن الخلق كف الاذى بل احتمال الاذى وقيل سمي السفر سفرا لانه يسفر عن اخلاق الرجال ولذلك قال عمر لمن زعم انه يعرف رجلا هل صحبته في السفر الذي يستدل به على مكارم الاخلاق قال لا فقال ما اراك تعرفه الخامس ان يحج ماشيا ان قدر عليه فذلك الافضل اوصى عبد الله بن عباس بنيه عند موته فقال يا بني حجوا مشاة فان للحاج الماشي بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة من حسنات الحرم قيل وما حسنات الحرم قال الحسنة بمائة الف والاستحباب في المشي في المناسك والتردد من مكة الى الموقف والى منى آكد منه في الطريق وان اضاف الى المشي الاحرام من دويرة اهله فقد قيل ان ذلك من اتمام الحج قاله عمر وعلي وابن مسعود في معنى قوله تعالى واتموا الحج والعمرة لله وقال بعض العلماء الركوب افضل لما فيه من الانفاق والمؤنة ولانه ابعد عن ضجر النفس واقل لاذاه واقرب الى سلامته وتمام حجه فهذا عند التحقيق ليس مخالفا للاول بل ينبغي ان يفصل ويقال من سهل عليه المشي فهو الافضل فان كان يضعف ويؤدي ذلك به الى سوء خلق وقصور عن عمل فالركوب له افضل كما ان الصوم افضل للمسافر والمريض ما لم يفض الى ضعف وسوء خلق وسئل بعض العلماء عن العمرة المشي فيها افضل او يكتري حمارا بدرهم فقال ان كان وزن الدرهم اشد عليه فالكراء افضل وكانه ذهب فيه الى طريق المجاهدة وله وجه ولكن الافضل ان يمشي ويصرف ذلك الدرهم الى خير فهو اولى من صرفه الى المكاري عوضا عن ابتذال الدابة فاذا كان لا يتسع نفسه للجمع بين مشقة النفس ونقصان المال فما ذكره غير بعيد فيه

السادس ان لا يركب الا زاملة اما المحمل فليجتنبه الا اذا كان يخاف على الزاملة ان لا يستمسك عليها لعذر وفيه معنيان احدهما التخفيف عن البعير فان المحمل يؤذيه والثاني اجتناب زي المترفهين والمتكبرين حج رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلة وكان تحته رحل رث وقطيفة خلقة قيمتها اربعة دراهم وطاف على الراحلة لينظر الناس الى هديه وشمائله وقال خذوا عني مناسككم

وقيل ان هذه المحامل احدثها الحجاج وكان العلماء في وقته ينكرونها وروى سفين الثوري عن ابيه انه قال برزت من
الكوفة الى القادسية للحج ووافيت الرفاق من البلدان فرايت الحاج كلهم على زوامل وجوالقات ورواحل وما رايت
في جميعهم الا محملين وكان ابن عمر اذا نظر الى ما احدث الحاج من الزي والمحامل يقول الحاج قليل والركب كثير ثم نظر الى رجل
مسكين رث الهيئة تحته جوالق فقال هذا نعم من الحاج السائح ان يكون رث الهيئة اشعث اغبر غير مستكثر من الزينة
ولا مائل الى اسباب التفاخر والتكاثر فيكتب في ديوان المتكبرين والمترفهين ويخرج عن حزب الضعفاء والمساكين وخصوص الصالحين
فقد امر الصالحين بالشعث والاحتفاء ونهى عن التنعم والرفاهية في حديث فضالة بن عبيد وفي الخبر انما الحاج الشعث
التفل يقول الله تعالى انظروا الى زوار بيتي قد جاؤني شعثا غبرا من كل فج عميق وقال الله تعالى ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا
نذورهم والتفث الشعث والاغبرار وقضاؤه بالحلق وقص الاظفار وكتب عمر بن الخطاب الى امراء الاجناد اخلولقوا
واخشوشنوا اي البسوا الخلقان واستعملوا الخشونة في الاشياء وقد قيل زين الحجيج اهل اليمن لانهم على هيئة التواضع
والضعف وسيرة السلف وينبغي ان يجتنب الحمرة في زيه على الخصوص والشهرة كيفما كان على العموم فقد روي انه صلى الله
عليه وسلم كان في سفر فنزل اصحابه منزلا فسرحت الابل فنظر الى اكسية حمر على الاقتاب فقال ارى هذه الحمرة قد غلبت عليكم قالوا
فقمنا اليها ونزعناها عن ظهورها حتى شرد بعض الابل السادس ان يرفق بالدابة فلا يحملها ما لا تطيق والمحمل خارج عن حد طاقتها
والنوم عليها يؤذيها ويثقل عليها كان اهل الورع لا ينامون على الدواب الا غفوة عن قعود وكانوا لا يقفون عليها الوقوف
الطويل قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تتخذوا ظهور دوابكم كراسي ويستحب ان ينزل عن دابته غدوة وعشية يروحها
بذلك فهو سنة وفيه آثار عن السلف وكان بعض السلف يكري بشرط ان لا ينزل ويوفي الاجرة ثم كان ينزل ليكون بذلك محسنا
الى الدابة فيكون في ميزانه لا في ميزان المكاري وكل من آذى بهيمة وحملها ما لا تطيق طولب به في القيامة قال ابو الدرداء لبعيره
عند الموت يا ايها البعير لا تخاصمني الى ربك فاني لم اكن احملك فوق طاقتك وعلى الجملة لكل كبد حرى اجر فليرع حق الدابة
وحق المكاري جميعا وفي نزوله ساعة ترويح الدابة وسرور قلب المكاري جميعا وتحية له ساعة قال رجل لابن المبارك احمل هذا الكتاب
معك لتوصله فقال حتى استاذن الجمال فاني قد اكتريت فانظر كيف تورع من استصحاب كتاب لا وزن له وهو الحزم في الورع
فانه اذا فتح باب القليل انجر الى الكثير يسيرا يسيرا السابع ان يتقرب باراقة دم وان لم يكن واجبا عليه ويجتهد ان يكون من النعم ونفيسه
وليأكل منه ان كان تطوعا ولا يأكل ان كان واجبا قيل في تفسير قوله تعالى ذلك ومن يعظم شعائر الله انه تحسينه وتسمينه وسوق الهدي
من الميقات افضل ان كان لا يجهده ولا يترك المكاس في شرائه فقد كانوا لا يغالون في ثلث ويكرهون المكاس فيهن الهدي و
الاضحية والرقبة فان افضل ذلك اغلاه ثمنا وانفسه عند اهله وروى ابن عمر ان عمر اهدى بختية فطلب منه بثلثمائة دينار
فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبيعها ويشتري بثمنها بدنا فنهاه عن ذلك وقال بل اهدها وذلك لان القليل الجيد خير
من الكثير الردي وفي ثلثمائة دينار قيمة ثلثين بدنة وفيها تكثير اللحم ولكن ليس المقصود اللحم انما المقصود تزكية النفس
وتطهيرها عن صفة البخل وتزيينها بجمال التعظيم لله لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى وذلك يحصل بمراعاة
النفاسة في القيمة كثر العدد ام قل وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بر الحج قال العج والثج والعج رفع الصوت بالتلبية و
الثج هو نحر البدن وروت عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما عمل آدمي يوم النحر احب الى الله من اهراقه دما و
انها لتاتي يوم القيمة بقرونها واظلافها فان الدم يقع من الله تعالى بمكان قبل ان يقع بالارض فطيبوا بها نفسا وفي الخبر لكم

سفره

عن سمين م

بكل صوفة من جلدها حسنة وكل قطرة من دمها حسنة وانها لتوضع في الميزان فابشروا العاشر ان يكون طيب النفس
بما انفقه من نفقة وهدي وبما اصابه من خسران ومصيبة في مال وبدن ان اصابه ذلك فان ذلك من دلائل قبول حجه
فان المصيبة في الحج بعد النفقة في سبيل الله الدرهم بسبعمائة وهو بمثابة الشدائد في طريق الجهاد فله بكل اذى احتمله و
خسران اصابه ثواب فلا يضيع منه شيء عند الله ويقال ان من علامة قبول الحج ان يترك ما كان عليه من المعاصي وان
يستبدل باخوانه البطالين اخوانا صالحين وبمجالس اللهو والغفلة مجالس الذكر واليقظة بيان الاعمال
الباطنة ووجه الاخلاص في النية وطريق الاعتبار بالمشاهد الشريفة وكيفية الافتكار فيها والتذكر لاسرارها ومعانيها
من اول الحج الى آخرها اعلم ان اول الحج الفهم اعني فهم موقع الحج في الدين ثم الشوق اليه ثم العزم عليه ثم قطع العلائق
المانعة منه ثم شراء ثوب الاحرام ثم شراء الزاد ثم اكتراء الراحلة ثم الخروج ثم السير في البادية ثم الاحرام من الميقات بالتلبية
ثم دخول مكة ثم استتمام الافعال كما سبق وفي كل واحد من هذه الامور تذكرة للمتذكر وعبرة للمعتبر وتنبيه للمريد الصادق
وتعريف واشارة للفطن فلنرمز الى مفاتحها حتى اذا انفتح بابها وعرفت اسبابها انكشف لكل حاج من اسرارها ما يقتضيه
صفاء قلبه وطهارة باطنه وغزارة علمه اما الفهم اعلم انه لا وصول الى الله سبحانه وتعالى الا بالتنزه عن الشهوات والكف
عن اللذات والاقتصار على الضرورات فيها والتجرد لله سبحانه في جميع الحركات والسكنات ولاجل هذا انفرد الرهبان
في الملل السالفة عن الخلق وانحازوا الى قلل الجبال وآثروا التوحش عن الخلق لطلب الانس بالله تعالى وتركوا لله اللذات الحاضرة
والزموا انفسهم المجاهدات الشاقة طمعا في الاخرة واثنى الله تعالى عليهم في كتابه فقال ذلك بان منهم قسيسين
ورهبانا وانهم لا يستكبرون فلما اندرس ذلك واقبل الخلق على اتباع الشهوات وهجروا التجرد لعبادة الله تعالى وفتروا
عنه بعث الله سبحانه محمدا صلى الله عليه وسلم لاحياء طريق الاخرة وتجديد سنة المرسلين في سلوكها فسأله اهل
الملل عن الرهبانية والسياحة في دينه فقال صلى الله عليه وسلم ابدلنا بها الجهاد والتكبير على كل شرف يعني الحج وسئل
عن السائحين فقال هم الصائمون فانعم الله سبحانه على هذه الامة بان جعل الحج رهبانية لهم فشرف البيت العتيق بالاضافة
الى نفسه ونصبه مقصدا لعباده وجعل ما حواليه حرما لبيته تفخيما لامره وجعل عرفات كالميدان على فناء حرمه واكد حرمة الموضع
بتحريم صيده وشجره ووضعه على مثال حضرة الملوك يقصده الزوار من كل فج عميق ومن كل اوب سحيق شعثا غبرا متواضعين لرب
البيت ومستكينين له خضوعا لجلاله واستكانة لعزته مع الاعتراف بتنزيهه عن ان يحويه بيت او يكتنفه بلد ليكون ذلك
ابلغ في رقهم وعبوديتهم واتم في اذعانهم وانقيادهم ولذلك وظف عليهم فيها اعمالا لا تانس بها النفوس ولا تهتدي
الى معانيها العقول كرمي الجمار بالاحجار والتردد بين الصفا والمروة على سبيل التكرار وبمثل هذه الاعمال يظهر كمال الرق
والعبودية فان الزكوة ارفاق ووجهه مفهوم وللعقل اليه ميل والصوم كسر للهوى الذي هو عدو الله وتفرغ للعبادة بالكف
عن الشواغل والركوع والسجود في الصلوة تواضع لله سبحانه تعالى واما ترددات السعي ورمي الجمار وامثال هذه الاعمال لا
حظ للنفس ولا انس للطبع فيها ولا اهتداء للعقل الى معانيها فلا يكون في الاقدام عليها باعث الا الامر المجرد وقصد الامتثال
للامر من حيث انه امر واجب الاتباع فقط وفيه عزل العقل عن تصرفه وصرف النفس والطبع عن محل انسه لان كل ما ادرك
العقل معناه مال الطبع اليه ميلا ما فيكون ذلك الميل معينا للامر وباعثا معه على الفعل فلا يكاد يظهر به كمال الرق
والانقياد ولذلك قال صلى الله عليه وسلم في الحج على الخصوص لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا ولم يقل ذلك في صلوة وغيرها

طريق م

واذا اقتضت حكمة الله سبحانه ربط نجاة الخلق بان يكون اعمالهم على خلاف طباعهم وان يكون زمامها بيد الشرع فيترددون
في اعمالهم على نهج الانقياد وعلى مقتضى الاستعباد كان ما لا يهتدى الى معانيه ابلغ انواع التعبدات
في تزكية النفوس وصرفها عن مقتضى الطباع والاخلاق الى مقتضى الاسترقاق واذا تفطنت لهذا فهمت ان تعجب النفوس من هذه الافعال
العجيبة مصدره الذهول عن اسرار التعبدات وهذا القدر كاف في تفهيم اصل الحج اما الشوق فانما ينبعث بعد الفهم والتحقق
بان البيت بيت الله وانه وضع على مثال حضرة الملوك فقاصده قاصد الى الله وزائر له وان من قصد البيت في الدنيا جدير بان
لا تضيع زيارته فيرزق الزيارة في ميعاده المضروب له وهو النظر الى وجه الله الكريم في دار القرار من حيث ان العين القاصرة
الفانية في دار الدنيا لا تتهيأ لقبول نور النظر الى وجه الله ولا تطيق احتماله ولا تستعد للاكتحال به لقصورها وانها ان امدت في
الدار الآخرة بالبقاء ونزهت عن اسباب التغير والفناء استعدت للنظر والابصار ولكنها بقصد البيت والنظر اليه تستحق
لقاء رب البيت بحكم الوعد الكريم فالشوق الى لقاء الله تشوقه الى اسباب اللقاء لا محالة هذا مع ان المحب يشتاق الى كل ما له الى محبوبه
اضافة والبيت مضاف الى الله فبالحري ان يشتاق اليه لمجرد هذه الاضافة فضلا عن الطلب لنيل ما وعد عليه من الثواب الجزيل
واما العزم فليعلم انه بعزمه قاصد الى مفارقة الاهل والوطن ومهاجرة الشهوات واللذات متوجها الى زيارة بيت الله فليعظم
في نفسه قدر البيت وقدر رب البيت وليعلم انه عزم على امر رفيع شانه خطير امره وان من طلب عظيما خاطر بعظيم وليجعل عزمه
خالصا لوجه الله بعيدا عن شوائب الرياء والسمعة وليتحقق انه لا يقبل من قصده وعمله الا الخالص وان من افحش الفواحش ان
يقصد بيت الملك وحرمه والمقصود غيره فليصحح مع نفسه العزم وتصحيحه باخلاصه باجتناب كل ما فيه رياء وسمعة وليحذر
ان يستبدل الذي هو ادنى بالذي هو خير واما قطع العلائق فمعناه رد المظالم والتوبة الخالصة لله عن جملة المعاصي وكل مظلمة علاقة
مثل غريم حاضر متعلق بتلبيبه ينادي عليه ويقول ويقول له الى اين تتوجه اتقصد بيت ملك الملوك وانت مضيع امره في منزلك
هذا ومستهين به ومهمل له ولا تستحيي من ان تقدم عليه قدوم العبد العاصي فيردك ولا يقبلك فان كنت راغبا في قبول زيارتك
فنفذ اوامره ورد المظالم وتب اليه اولا من جميع المعاصي واقطع علاقة قلبك عن الالتفات الى ما وراءك لتكون متوجها اليه بوجه
قلبك كما انك متوجه الى بيته بوجه ظاهرك فان لم تفعل ذلك لم يكن لك من سفرك اولا الا النصب والشقاء وآخرا الا الطرد والرد
وليقطع العلائق عن وطنه قطع من انقطع عنه وقدر انه لا يعود اليه وليكتب وصيته لاهله واولاده فان المسافر وماله لعلى قلت الا
ما وقى الله وليتذكر عند قطعه العلائق لسفر الحج قطع العلائق لسفر الآخرة فان ذلك بين يديه على القرب وما يقدمه من هذا السفر طمع
في تيسير ذلك السفر فهو المستقر واليه المصير فلا ينبغي ان يغفل عن ذلك السفر عند الاستعداد لهذا السفر واما الزاد فليطلبه من
موضع حلال واذا احس من نفسه بالحرص على استكثاره وطلب ما يبقى منه على طول السفر ولا يتغير ولا يفسد قبل بلوغ المقصد
فليتذكر ان سفر الآخرة اطول من هذا السفر وان زاده التقوى وان ما عداه مما يظن انه زاده يتخلف عنه عند الموت ويخونه
فلا يبقى معه كالطعام الرطب الذي يفسد في اول منازل السفر فيبقى وقت الحاجة متحيرا محتاجا لا حيلة له فليحذر ان تكون
اعماله التي هي زاده الى الآخرة لا تصحبه بعد الموت بل يفسدها شوائب الرياء وكدورات التقصير واما الراحلة اذا احضرها
فليشكر الله بقلبه على تسخير الله له الدواب لتحمل عنه الاذى وتخفف عنه المشقة وليتذكر عنده المركب الذي يركبه
الى الدار الآخرة وهي الجنازة التي يحمل عليها فان امر الحج من وجه يوازي امر السفر الى الآخرة ولينظر ايصلح سفره على هذا المركب
لان يكون زادا له لذلك السفر على ذلك المركب فما اقرب ذلك منه وما يدريه لعل الموت قريب ويكون ركوبه للجنازة قبل

قبل ركوبه للجمازة فركوب الجنازة مقطوع به وتيسير اسباب السفر مشكوك فيه فكيف يحتاط في اسباب السفر المشكوك فيه و
يستظهر في زاده وراحلته ويهمل امر السفر المستيقن واما شراء ثوبي الاحرام فليتذكر عنده الكفن ولفه فيه فانه سيرتدي
ويتزر بثوبي الاحرام عند القرب من بيت الله وربما لا يتم سفره اليه وانه سيلقى الله تعالى ملفوفا في ثياب الكفن لا محالة
فكما لا يلقى بيت الله تعالى الا مخالفا عادته في الزي والهيئة فلا يلقى الله بعد الموت الا في زي مخالف لزي الدنيا وهذا
الثوب قريب من ذلك الثوب اذ ليس فيه مخيط كما في الكفن واما الخروج من البلد فليعلم عنده انه فارق الاهل والوطن
متوجها الى الله في سفر لا يضاهي اسفار الدنيا فليحضر في قلبه انه ماذا يريد واين يتوجه وزيارة من يقصد وانه متوجه الى ملك
الملوك في زمرة الزائرين له الذين نودوا فاجابوا وشوقوا فاشتاقوا واستنهضوا فقطعوا العلائق وفارقوا الخلائق
واقبلوا على بيت الله الذي فخم امره وعظم شانه ورفع قدره تسليا بلقاء البيت عن لقاء رب البيت الى ان يرزقوا
منتهى مناهم ويسعدوا بالنظر الى مولاهم وليحضر في قلبه رجاء الوصول والقبول لا ادلالا باعماله في الارتحال ومفارقة
الاهل والمال ولكن ثقة بفضل الله ورجاء لتحقيقه وعده لمن زار بيته وليرج انه ان لم يصل وادركته المنية في الطريق لقي الله تعالى
وافدا اليه اذ قال الله تعالى ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله واما دخول
البادية الى حين وصوله الى الميقات ومشاهدة تلك العقبات فليتذكر فيها ما بين الخروج من الدنيا بالموت الى ميقات القيامة
وما بينهما من الاهوال والمطالبات وليتذكر من هول قطاع الطريق هول سؤال منكر ونكير ومن سباع البوادي عقارب القبر وديدانه
وما فيه من الافاعي والحيات ومن انفراده عن اهله واقاربه وحشة القبر وكربته ووحدته وليكن في هذه المخاوف في اعماله
واقواله متزودا لمخاوف القبر واما الاحرام والتلبية من الميقات فليعلم انه اجابة نداء الله تعالى فارج ان تكون مقبولا
واخش ان يقال لك لا لبيك ولا سعديك فكن بين الرجاء والخوف مترددا وعن حولك وقوتك متبريا وعلى فضل الله وكرمه متكلا
فان وقت التلبية بداية الامر وهو محل الخطر قال سفين بن عيينة حج علي بن الحسين عليهما السلام فلما احرم واستوت به راحلته اصفر
لونه وانتفض ووقع عليه الرعدة ولم يستطع ان يلبي فقيل له لم لا تلبي فقال اخشى ان يقول لي لا لبيك ولا سعديك فلما لبى
غشي عليه وسقط من راحلته فلم يزل يعتريه ذلك حتى قضى حجه وقال احمد بن ابي الحواري كنت مع ابي سليمان الداراني حين
اراد الاحرام فلم يلب حتى سرنا ميلا فاخذته كالغشية ثم افاق وقال يا احمد ان الله عز وجل اوحى الى موسى عليه السلام مر ظلمة
بني اسرائيل ان يقلوا من ذكري فاني اذكر من ذكرني منهم باللعنة ويحك يا احمد بلغني ان من حج من غير حله ثم لبى قال الله تعالى
لا لبيك ولا سعديك حتى ترد ما في يديك فما نامن ان يقال لنا ذلك وليتذكر الملبي عند رفع الاصوات بالتلبية في الميقات
اجابته لنداء الله تعالى اذ قال واذن في الناس بالحج ونداء الخلق بنفخ الصور وحشرهم من القبور وازدحامهم في عرصات القيامة
مجيبين لنداء الله ومنقسمين الى مقربين وممقوتين ومقبولين ومردودين في اول الامر بين الخوف والرجاء تردد الحاج في
الميقات حيث لا يدرون ايتيسر لهم اتمام الحج وقبوله ام لا واما دخول مكة فليتذكر عندها انه قد انتهى الى حرم امن و
ليرج عنده ان يامن بدخوله من عقاب الله وليخش ان لا يكون اهلا للقرب فيكون بدخول الحرم خائبا مستحقا للمقت وليكن
رجاؤه في جميع الاوقات غالبا فالكرم عميم والرب رحيم وشرف البيت عظيم وحق الزائر مرعي وذمام المستجير اللائذ غير مضيع
واما وقوع البصر على البيت فينبغي ان يحضر عنده عظمة البيت في القلب ويقدر كانه مشاهد لرب البيت لشدة تعظيمه
وارج ان يرزقك الله النظر الى وجهه الكريم كما رزقك النظر الى بيته العظيم واشكر الله تعالى على تبليغه اياك هذه الرتبة

والحاقه ابالزمرة الوافدين اليه واذكر عند ذلك انصباب الناس في القيامة الى جهة الجنة آملين لدخولها كافة ثم انقسامهم
الى مأذونين في الدخول ومصروفين انقسام الحاج الى مقبولين ومردودين ولا تغفل عن تذكر امور الآخرة في شيء مما تراه فان كل
احوال الحاج دليل على احوال الآخرة واما الطواف بالبيت فاعلم انه صلوة فاحضر في قلبك فيه من التعظيم والخوف والرجاء
والمحبة ما فصلناه في كتاب الصلوة واعلم انك بالطواف متشبه بالملائكة المقربين الحافين حول العرش الطائفين حوله ولا تظنن
ان المقصود طواف جسمك بالبيت بل المقصود طواف قلبك بذكر رب البيت حتى لا تبتدئ الذكر الا منه ولا تختم الا به كما تبتدئ
الطواف من البيت وتختم بالبيت واعلم ان الطواف الشريف هو طواف القلب بحضرة الربوبية وان البيت مثال ظاهر في عالم الملك
لتلك الحضرة التي لا تشاهد الا بالبصيرة وهي في عالم الملكوت كما ان البدن مثال ظاهر في عالم الشهادة للقلب الذي لا يشاهد
بالبصر وهو في عالم الغيب وان عالم الملك والشهادة مدرجة الى عالم الغيب والملكوت لمن فتح له الباب والى هذه الموازنة
وقعت الاشارة بان البيت المعمور في السموات بازاء الكعبة وان طواف الملائكة به كطواف الانس بهذا البيت ولما قصرت
رتبة اكثر الخلق عن مثل ذلك الطواف امروا بالتشبه بهم بحسب الامكان ووعدوا بان من تشبه بقوم فهو منهم والذي يقدر
على مثل ذلك الطواف هو الذي يقال ان الكعبة تزوره وتطوف به على ما رآه بعض المكاشفين لبعض اولياء الله واما الاستلام
فاعتقد عنده انك مبايع لله على طاعته فصمم عزيمتك على الوفاء ببيعتك فمن غدر في المبايعة استحق المقت وقد روى ابن عباس
عنه صلى الله عليه وسلم انه قال الحجر الاسود يمين الله في الارض يصافح بها خلقه كما يصافح الرجل اخاه واما التعلق باستار
الكعبة والالتصاق بالملتزم فلتكن نيتك في الالتزام طلب القرب حبا وشوقا للبيت ولرب البيت وتبركا بالمماسة ورجاء للتحصن
عن النار في كل جزء لا في البيت ولتكن نيتك في التعلق بالستر الالحاح في طلب المغفرة وسؤال الامان كالمذنب المتعلق بثياب من
اذنب اليه المتضرع اليه في عفوه عنه المظهر له انه لا ملجأ له منه الا اليه ولا مفزع له الا عفوه وكرمه وانه لا يفارق ذيله
الا بالعفو وبذل الامن في المستقبل واما السعي بين الصفا والمروة في فناء البيت فانه يضاهي تردد العبد بفناء دار الملك جائيا
وذاهبا مرة بعد اخرى اظهارا للخلوص في الخدمة ورجاء للملاحظة بعين الرحمة كالذي دخل على الملك وخرج وهو لا يدري ما الذي
يقضي به الملك في حقه من قبول ورد فلا يزال يتردد على فناء الدار مرة بعد اخرى يرجو ان يرحم في الثانية ان لم يرحم في الاولى
وليتذكر عند تردده بين كفتي الميزان في عرصات القيامة وليمثل الصفا بكفة الحسنات والمروة بكفة السيئات وليتذكر تردده
بين الكفتين الى الرجحان والنقصان مترددا بين العذاب والغفران واما الوقوف بعرفة فاذكر بما ترى من ازدحام الخلق
وارتفاع الاصوات واختلاف اللغات واتباع الفرق ائمتهم في الترددات على المشاعر اقتفاء لهم وسيرا بسيرهم عرصات
القيامة واجتماع الامم مع الانبياء والائمة واقتفاء كل امة نبيها وطمعهم في شفاعتهم وتحيرهم في ذلك الصعيد الواحد
بين الرد والقبول واذا تذكرت ذلك فالزم قلبك الضراعة والابتهال الى الله تعالى فتحشر في زمرة الفائزين المرحومين
وحقق رجاءك بالاجابة فالموقف شريف والرحمة انما تصل من حضرة الجلال الى كافة الخلق بواسطة القلوب العزيزة من اوتاد
الارض ولا ينفك الموقف عن طبقة من الابدال وطبقات من الصالحين وارباب القلوب فاذا اجتمعت هممهم وتجردت للضراعة
والابتهال قلوبهم وارتفعت الى الله ايديهم وامتدت اليه اعناقهم وشخصت نحو السماء ابصارهم مجتمعين بهمة واحدة
على طلب الرحمة فلا تظنن انه يخيب املهم ويضيع سعيهم ويدخر عنهم رحمة تغمرهم ولذلك قيل ان من اعظم الذنوب
ان يحضر عرفات ويظن ان الله تعالى لم يغفر له وكان اجتماع الهمم والاستظهار بمجاورة الابدال والاوتاد المجتمعين من اقطار

في اقطار البلاد هو سر الحج وغاية مقصوده فلا طريق الى استدرار رحمة الله مثل اجتماع الهمم وتعاون القلوب في وقت
واحد على صعيد واحد واما رمي الجمار فاقصد به الانقياد للامر اظهارا للرق والعبودية وانتهاضا لمجرد الامتثال من
غير حظ للعقل والنفس ثم اقصد به التشبه بابراهيم صلوات الله عليه حيث عرض له ابليس في ذلك الموضع ليدخل على حجه
شبهة او يفتنه بمعصية فامره الله تعالى ان يرميه بالحجارة طردا له وقطعا لامله فان خطر لك ان الشيطان عرض له
وشاهده فلذلك رماه واما انا فليس يعرض لي الشيطان فاعلم ان هذا الخاطر من الشيطان وانه الذي القاه في قلبك
ليفتر عزمك في الرمي ويخيل اليك انه فعل لا فائدة فيه وانه يضاهي اللعب فلم تشتغل به فاطرده عن نفسك بالجد و
التشمير في الرمي فيه برغم انف الشيطان واعلم انك في الظاهر ترمي الحصى الى العقبة وفي الحقيقة ترمي به وجه الشيطان
وتقصم به ظهره اذ لا يحصل ارغام انفه الا بامتثالك امر الله تعظيما لمجرد الامر من غير حظ للنفس والعقل فيه واما ذبح الهدي
فاعلم انه تقرب الى الله سبحانه بحكم الامتثال واكمل الهدي واجزاءه وارج ان يعتق الله بكل جزء منه جزءا منك من النار فهكذا
ورد الوعد فكلما كان الهدي اكبر واجزاؤه اوفر كان فداؤك من النار به اعم واما زيارة المدينة فاذا وقع بصرك على
حيطانها فتذكر انها البلدة التي اختارها الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم وجعل اليها هجرته وانها داره التي فيها شرع فرائض ربه
لنبيه م
وسننه وجاهد عدوه واظهر بها دينه الى ان توفاه الله بها عز وجل ثم جعل تربته فيها وتربة وزيريه القائمين بالحق من بعده
ثم مثل في نفسك مواقع اقدام رسول الله صلى الله عليه وسلم عند تردداته فيها وانه ما من موضع قدم تطأه الا وهو موضع قدمه
العزيز فلا تضع قدمك عليه الا على سكينة ووجل وتذكر مشيه وتخطيه في سككها وتصور خشوعه وسكينته في المشي
وما استودع الله قلبه من عظيم معرفته ورفعة ذكره حتى قرنه بذكر نفسه واحباطه عمل من هتك حرمته ولو برفع صوته فوق
صوته ثم تذكر ما من الله به على الذين ادركوا صحبته وسعدوا بمشاهدته واستماع كلامه واعظم تأسفك على ما فاتك
من صحبته وصحبة اصحابه رضي الله عنهم ثم اذكر انك قد فاتتك رؤيته في الدنيا وانك من رؤيته في الآخرة على خطر وانك ربما
لا تراه الا بحسرة وقد حيل بينك وبين قبوله اياك لسوء عملك كما قال صلى الله عليه وسلم يرفع الى اقوام فيقولون يا محمد يا محمد
فاقول يا رب اصحابي فيقول انك لا تدري ما احدثوا بعدك فاقول بعدا وسحقا فان تركت حرمة شريعته ولو في دقيقة من
الدقائق فلا تأمن ان يحال بينك وبينه بعدولك عن محجته وليعظم مع ذلك رجاؤك ان لا يحول الله بينك وبينه بعد ان
رزقك الايمان واشخصك من وطنك لاجل زيارته من غير تجارة ولا حظ في دنيا بل لمحض حبك له وتشوقك الى ان تنظر الى آثاره
والى حائط قبره اذا سمحت نفسك بالسفر بمجرد ذلك لما فاتتك رؤيته فما اجدرك بان ينظر الله تعالى اليك بعين الرحمة فاذا
بلغت المسجد فاذكر انها العرصة التي اختارها الله عز وجل لنبيه ولاول المسلمين وافضلهم عصابة وان فرائض الله عز وجل
اول ما اقيمت في تلك العرصة وانها جمعت افضل خلق الله حيا وميتا فليعظم املك في الله عز وجل ان يرحمك بدخولك
اياها فادخلها خاشعا معظما وما اجدر هذا المكان بان يستدعي الخشوع من قلب كل مؤمن كما حكي عن ابي سليمان انه قال
حج اويس القرني رضي الله عنه ودخل المدينة فلما وقف على باب المسجد قيل له هذا قبر النبي صلى الله عليه وسلم فغشي عليه فلما
افاق قال اخرجوني فليس يلذ لي بلد محمد فيه مدفون واما زيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم فينبغي ان تقف بين يديه
كما وصفنا وتزوره ميتا كما تزوره حيا ولا تقرب من قبره الا كما كنت تقرب من شخصه الكريم لو كان حيا وكما كنت ترى الحرمة في ان لا
تمس شخصه ولا تقبله بل تقف من بعد ماثلا بين يديه فكذلك فافعل فان المس والتقبيل للمشاهد عادة النصارى واليهود

واعلم انه عالم بحضورك وقيامك وزيارتك وانه يبلغه سلامك وصلواتك فمثل صورته الكريمة في خيالك موضوعا في اللحد بازائك واحضر عظيم رتبته في قلبك فقد روي عنه عليه السلام والصلوة ان الله وكل بقبره ملكا يبلغه سلام من سلم عليه من امته هذا في حق من لم يحضر قبره فكيف من فارق الوطن وقطع البوادي شوقا الى لقائه واكتفاء بمشاهدة مشهده الكريم اذا فاته مشاهدة غرته الكريمة وقد قال صلى الله عليه وسلم من صلى علي مرة صلى الله عليه عشرا فهذا جزاؤه في الصلوة عليه بلسانه فكيف في الحضور لزيارته ببدنه ثم ائت منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوهم صعود النبي

عليه الصلوة والسلم المنبر ومثل في قلبك طلعته البهية قائما على المنبر وقد احدق به المهاجرون

والانصار وهو يحثهم على طاعة الله تعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم

بخطبته واسأل الله ان لا يفرق في القيامة بينك وبينه فهذا

وظيفة القلب في اعمال الحج فاذا

فاذا فرغ منها كلها فينبغي

ان يلزم قلبه

الهم

ان يلزم قلبه الهم والحزن والخوف فانه ليس يدري اقبل منه حجه واثبت في زمرة المحبوبين ام رد حجه والحق بالمطرودين وليتعرف ذلك من قلبه ومن اعماله فان صادف قلبه قد ازداد تجافيا عن دار الغرور وانصرافا الى الانس بالله تعالى ووجد اعماله قد اتزنت بميزان الشرع فليثق بالقبول فان الله لا يقبل الا من احبه ومن احبه تولاه واظهر عليه آثار محبته وكف عنه سطوة عدوه ابليس فاذا ظهر ذلك عليه دل على القبول وان كان الامر بخلافه فيوشك ان يكون حظه

من سفره العناء والتعب نعوذ بالله منه والله اعلم بالصواب واليه المرجع

والمآب تم كتاب الحج وهو الكتاب السابع من ربع

العبادات من كتاب احياء علوم الدين بفضل

الله وعونه والحمد لله على الاتمام و

الصلوة على محمد خاتم النبيين

وعلى آله واصحابه

واولياءه

كتاب فضل تلاوة القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي امتن على عباده بنبيه المرسل صلى الله عليه وسلم وكتابه المنزل الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه حتى
اتسع على اهل الافتكار طريق الاعتبار بما فيه من القصص والاخبار واتضح به سلوك المنهج القويم والصراط المستقيم بما فصل
فيه من الاحكام وفرق بين الحلال والحرام فهو الضيا والنور وبه النجاة من الغرور وفيه شفا الصدور من خالفه من الجبابرة قصمه
الله ومن ابتغى العلم في غيره اضله الله هو حبل الله المتين ونوره المبين والعروة الوثقى والمعتصم الاوفى وهو المحيط بالقليل والكثير
والصغير والكبير لا تنقضي عجايبه ولا تتناهى غرايبه لا يحيط بفوايده عند اهل الفهم التحديد ولا يخلقه عند اهل التلاوة كثرة الترديد
هو الذي ارشد الاولين والاخرين ولما سمعه الجن لم يلبثوا ان ولوا الى قومهم منذرين فقالوا انا سمعنا قرانا عجبا يهدي الى الرشد
فامنا به فكل من آمن به فقد وفق ومن قال به فقد صدق ومن تمسك به فقد هدي ومن عمل به فقد فاز فقد قال تعالى انا نحن نزلنا
الذكر وانا له لحافظون ومن اسباب حفظه في القلوب والمصاحف مداومة والمواظبة على دراسته مع القيام بادابه وشروطه و
المحافظة على ما فيه من الاعمال الباطنة والاداب الظاهرة وذلك لا بد من بيانه وتفصيله وينكشف مقاصده في اربعة ابواب

الباب الاول في فضايل القرآن واهله **الباب الثاني** في اداب التلاوة في الظاهر
الباب الثالث في الاعمال الباطنة عند التلاوة **الباب الرابع** في فهم القرآن وتفسيره بالراي وغيره

الباب الاول في فضل القرآن واهله وذم المقصرين في تلاوته **فضيلة القرآن** قال صلى الله عليه
وسلم من قرا القرآن ثم راى ان احدا اوتي افضل مما اوتي فقد استصغر ما عظمه الله وقال صلى الله عليه وسلم ما من شفيع افضل منزلة عند
الله يوم القيمة من القرآن لا نبي ولا ملك ولا غيره وقال صلى الله عليه وسلم لو كان القرآن في اهاب ما مسه النار وقال صلى الله
عليه وسلم افضل عبادة امتي قراءة القرآن وقال صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل قرا طه ويس قبل ان يخلق الخلق بالف عام فلما سمعت الملائكة
القرآن قالت طوبى لامة ينزل عليهم هذا وطوبى لاجواف تحمل هذا وطوبى لالسنة تنطق بهذا وقال صلى الله عليه وسلم خيركم من تعلم القرآن وعلمه
وقال يقول الله عز وجل من شغله قراءة القرآن عن دعايي ومسالتي اعطيته افضل ثواب الشاكرين وقال ثلاثة يوم القيمة على كثيب من مسك
اسود لا يهولهم فزع ولا ينالهم حساب حتى يفرغ فيما بين الناس رجل قرا القرآن ابتغاء وجه الله عز وجل وام به قوما وهم به راضون
وقال اهل القرآن اهل الله وخاصته وقال ان هذه القلوب تصدا كما يصدا الحديد فقيل يا رسول الله وما جلاوها فقال تلاوة القرآن
وذكر الموت وقال صلى الله عليه وسلم لله اشد اذنا الى قاري القرآن من صاحب القينة الى قينته **الاثار** قال ابو امامة الباهلي
اقروا القرآن ولا تغرنكم هذه المصاحف فان الله لا يعذب قلبا هو وعاء القرآن وقال ابن مسعود اذا اردتم العلم فاثيروا القرآن فان فيه

علم الاولين والاخرين وقال ايضا اقروا القرآن فانكم توجرون عليه بكل حرف منه عشر حسنات اما اني لا اقول الحرف الم
ولكن الالف حرف واللام حرف والميم حرف وقال ايضا لا يسال احدكم عن نفسه الا القرآن فان كان يحب القرآن ويعجبه فهو يحب
الله ورسوله وان كان يبغض القرآن فهو يبغض الله ورسوله وقال عمرو بن العاص كل آية في القرآن درجة في الجنة ومصباح في بيوتكم
وقال ايضا من قرا القرآن فقد ادرجت النبوة بين جنبيه الا انه لا يوحى اليه وقال ابو هريرة ان البيت الذي يتلى فيه كتاب الله
اتسع باهله وكثر خيره وحضرته الملائكة وخرجت منه الشياطين وان البيت الذي لا يتلى فيه كتاب الله عز وجل ضاق باهله وقل
خيره وخرجت منه الملائكة وحضرته الشياطين وقال احمد بن حنبل رايت الله عز وجل في المنام فقلت يا رب ما افضل ما تقرب به المتقربون
اليك قال بكلامي يا احمد قال قلت يا رب بفهم او بغير فهم فقال بفهم وبغير فهم وقال محمد بن كعب القرظي اذا سمع الناس القرآن من
الرحمن عز وجل يوم القيمة فكانهم لم يسمعوه قط وقال الفضيل بن عياض ينبغي لحامل القرآن ان لا يكون له الى احد حاجة ولا الى الخلفا
ومن دونهم وينبغي ان تكون حوايج الخلق اليه وقال ايضا حامل القرآن حامل راية الاسلام لا ينبغي ان يلهو مع من يلهو ولا يسهو مع من
يسهو ولا يلغو مع من يلغو تعظيما لحق القرآن وقال سفين الثوري اذا قرا الرجل القرآن قبل الملك بين عينيه وقال عمرو بن ميمون
من نشر مصحفا حين يصلي الصبح فقرا ماية آية رفع الله له مثل عمل جميع الدنيا ويروى ان خالد بن عقبة جا الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقال اقرا علي فقرا عليه ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى الاية فقال له اعد فاعاد فقال والله
ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اسفله لمغدق وان اعلاه لمثمر وما يقول هذا بشر وقال الحسن والله ما دون القرآن من غنا
ولا بعده من فاقة وقال الفضيل من قرا خاتمة سورة الحشر حين يصبح ثم مات من يومه ختم له بطابع الشهدا ومن قراها حين يمسي ثم
مات من ليلته ختم له بطابع الشهدا وقال القسم بن عبد الرحمن قلت لبعض النساك ما ههنا احد نستانس به فمد يده الى المصحف ووضعه
على حجره وقال هذا وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه ثلث يزدن في الحفظ ويذهبن البلغم السواك والصوم وقراءة القرآن
في ذم تلاوة الغافلين قال انس بن مالك رب تال للقرآن والقرآن يلعنه وقال ميسرة الغريب هو القرآن في جوف الفاجر وقال
ابو سليمان الداراني الزبانية اسرع الى حملة القرآن الذين يعصون الله تعالى منهم الى عبدة الاوثان حين عصوا الله بعد القرآن
وقال بعض العلما اذا قرا ابن ادم القرآن ثم خلط ثم عاد فقرا قيل له ما لك ولكلامي وقال ابن الرماح ندمت على استظهاري القرآن
لانه بلغني ان اصحاب القرآن يسالون عما يسال عنه الانبيا يوم القيمة وقال ابن مسعود ينبغي
لحامل القرآن ان يعرف بليله اذ الناس نايمون وبنهاره اذ الناس يفطرون وبحزنه اذ الناس يفرحون وببكايه اذ الناس
يضحكون وبصمته اذ الناس يخوضون وبخشوعه اذ الناس يختالون وينبغي لحامل القرآن ان يكون مستكينا لينا ولا ينبغي له ان
يكون جافيا ولا مماريا ولا صياحا ولا صخابا ولا حديدا وقال صلى الله عليه وسلم اكثر منافقي هذه الامة قراوها وقال اقرا القرآن
ما نهاك فان لم ينهك فلست تقراه وقال بعض السلف ان العبد ليفتتح سورة فتصلي عليه حتى يفرغ منها وان العبد ليفتتح سورة فتلعنه
حتى يفرغ منها فقيل وكيف ذلك قال اذا احل حلالها وحرم حرامها صلت عليه والا لعنته وقال بعض العلما ان العبد ليتلو
القرآن فيلعن نفسه وهو لا يعلم يقول الا لعنة الله على الظالمين وهو ظالم نفسه الا لعنة الله على الكاذبين وهو كاذب فقال
الحسن انكم اتخذتم قراءة القرآن مراحل وجعلتم الليل جملا فانتم تركبونه فتقطعون به مراحله وان من كان قبلكم راوه رسايل من
ربهم فكانوا يتدبرونها بالليل وينفذونها بالنهار وقال ابن مسعود انزل القرآن عليهم ليعملوا به فاتخذوا دراسته عملا
ان احدهم ليقرا القرآن من فاتحته الى خاتمته ما يسقط منه حرفا وقد اسقط العمل به وفي حديث ابن عمر وحديث جندب لقد

مثنا دهراً واحدنا يؤتى الايمان قبل القرآن فينزل السورة على محمد فيتعلم حلالها وحرامها وآمرها وزاجرها وما ينبغي ان
يقف عنده منها ثم لقد رايت رجالاً يؤتى احدهم القرآن قبل الايمان فيقرأ ما بين فاتحة الكتاب الى خاتمته لا يدري ما آمره
ولا زاجره ولا ما ينبغي ان يقف عنده منه ينثره نثر الدقل وقد ورد في التوراة يا عبدي اما تستحيي مني ياتيك كتاب من بعض اخوانك
وانت في الطريق تمشي فتعدل عن الطريق وتقعد لاجله وتقرأه وتتدبره حرفاً حرفاً حتى لا يفوتك منه شيء وهذا كتابي انزلته اليك
انظر كم فصلت لك فيه من القول وكم كررت عليك فيه لتتامل طوله وعرضه ثم انت معرض عنه او كنت اهون عليك
من بعض اخوانك يا عبدي يقعد اليك بعض اخوانك فتقبل عليه بكل وجهك وتصغي الى حديثه بكل قلبك فان تكلم متكلم
او شغلك شاغل عن حديثه اومات اليه ان كف وها انا ذا مقبل عليك ومحدث لك وانت معرض بقلبك عني افجعلتني اهون
عندك من بعض اخوانك **الباب الثاني** في ظاهر آداب التلاوة وهي عشرة الاول في حال القارئ
وهو ان يكون على الوضوء واقفاً على هيئة الادب والسكون اما قائماً واما جالساً مستقبل القبلة مطرقاً راسه غير متربع ولا
جالس على هيئة التكبر ويكون جلوسه وحده كجلوسه بين يدي استاذه وافضل الاحوال ان يقرأ في الصلاة قائماً وان يكون في المسجد
فذلك من افضل الاعمال وان قرأ على وضوء او كان مضطجعاً في الفراش فله ايضاً فضل ولكنه دون ذلك قال الله تعالى الذين يذكرون
الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم فاثنى على الكل ولكن قدم القيام في الذكر ثم القعود ثم الذكر مضطجعاً قال علي رضي الله عنه
من قرأ القرآن وهو قائم في الصلوة كان له بكل حرف مائة حسنة ومن قرأ في غير صلوة وهو على وضوء فخمس وعشرون حسنة ومن قرأه
على غير وضوء فعشر حسنات وما كان من القيام بالليل فهو افضل لانه افرغ للقلب قال ابو ذر الغفاري ان كثرة السجود بالنهار
وان طول القيام بالليل الثاني في مقدار القراءة وللقراء عادات مختلفة في الاستكثار والاقتصار فمنهم من يختم في اليوم
والليلة مرة وبعضهم مرتين وانتهى بعضهم الى ثلث ومنهم من يختم في الشهر مرة واولى ما يرجع اليه في التقديرات قول رسول الله
وقد قال صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن في اقل من ثلث لم يفقهه وذلك لان الزيادة عليه تمنع الترتيل وقد قالت عائشة
لما سمعت رجلاً يهذ القرآن هذا ان هذا ما قرأ القرآن ولا سكت وامر النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عمرو ان يختم القرآن
في سبع وكذلك كان جماعة من الصحابة يختمون القرآن في كل جمعة كعثمان وزيد بن ثابت وابن مسعود وابي بن كعب ففي الختم اربع درجات
الختم في يوم وليلة وقد كرهه جماعة والختم في شهر كل يوم جزء من ثلثين وكانه مبالغة في الاقتصاد كما ان الاول مبالغة في الاستكثار
وبينهما درجتان معتدلتان احديهما في الاسبوع مرة والثاني في الاسبوع مرتين تقرب من الثلث والاحب ان يختم ختمة بالليل وختمة
بالنهار ويجعل ختمه بالنهار يوم الاثنين في ركعتي الفجر او بعدهما ويختم ختمه بالليل ليلة الجمعة في ركعتي المغرب او بعدهما ليستقبل
بختمه اول النهار واول الليل فان الملائكة تصلي عليه ان كان ختمه ليلاً حتى يصبح وان كان نهاراً حتى يمسي فتشمل بركتهما جميع الليل
والنهار والتفصيل في مقدار القراءة انه ان كان من العابدين السالكين طريق العمل فلا ينبغي ان ينقص عن ختمتين في الاسبوع وان كان
من السالكين باعمال القلب وضروب الفكر او من المشتغلين بنشر العلم فلا باس ان يقتصر في الاسبوع على مرة وان كان نافذ الفكر في
معاني القرآن فقد يكتفي في الشهر بمرة لكثرة حاجته الى كثرة الترديد والتامل الثالث في وجه القسمة اما من ختم في الاسبوع مرة
فيقسم القرآن سبعة احزاب فقد حزب الصحابة القرآن احزاباً فروي ان عثمان رضي الله عنه كان يفتتح ليلة الجمعة بالبقرة الى المائدة
وليلة السبت بالانعام الى هود وليلة الاحد بيوسف الى مريم وليلة الاثنين بطه الى طسم موسى وفرعون وليلة الثلثا بالعنكبوت الى
ص وليلة الاربعا بتنزيل الى الرحمن ويختم ليلة الخميس وابن مسعود كان يقسمه سبعة اقسام لا على هذا الترتيب وقيل

وقيل احزاب القرآن سبعة فالحزب الاول ثلث سور والحزب الثاني خمس سور والحزب الثالث سبع سور والرابع تسع
سور والخامس احدى عشرة سورة والسادس ثلث عشرة سورة والسابع المفصل من ق فهكذا حزبه الصحابة وكانوا يقرؤونه
كذلك وفيه خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا قبل ان عملت الاخماس والاعشار والاجزاء فما سوى هذا فهو محدث
الرابع في الكتبة فيستحب تحسين كتابة القرآن ولا باس بالنقط والعلامات بالحمرة وغيرها فانها تزيين وتبيين وصد عن اللحن
والخطأ لمن يقرأه وقد كان الحسن وابن سيرين ينكرون الاخماس والعواشر والاجزاء وروي عن الشعبي وابراهيم كراهية النقط بالحمرة و
اخذ الاجر على ذلك وكانوا يقولون جردوا القرآن والظن بهؤلاء انهم كرهوا فتح هذا الباب خوفاً من ان يؤدي الى احداث زيادات
وحسماً للباب وشوقاً الى حراسة القرآن عما يطرق اليه تغييراً واذا لم يؤد الى محذور واستقر امر الامة فيه على ما يحصل به مزيد معرفة
فلا باس به ولا يمنع منه كونه محدثاً فكم من محدث حسن كما قيل في اقامة الجماعة في التراويح انها من محدثات عمر وانها بدعة حسنة
انما البدعة المذمومة ما يضاد السنة القديمة او يكاد يفضي الى تغييرها وبعضهم كان يقول اقرأ في المصحف المنقوط ولا انقطه بنفسي
وقال الاوزاعي عن يحيى بن كثير كان القرآن مجرداً في المصاحف فاول ما احدثوا فيه النقط على الباء والتاء وقالوا لا باس فانه نور له
ثم احدثوا بعده نقطاً كباراً عند منتهى الآي فقالوا لا باس به يعرف به راس الآية ثم احدثوا بعد ذلك الخواتم والفواتح قال ابو بكر
الهذلي سالت الحسن عن تنقيط المصاحف فقال وما تنقيطها قلت يعربون الكلم بالعربية قال اما اعراب القرآن فلا باس به وقال
وقال خالد الحذاء دخلت على ابن سيرين فرايته يقرأ في مصحف منقوط وقد كان يكره النقط وقيل ان الحجاج هو الذي احدث ذلك
واحضر القراء حتى عدوا كلمات القرآن وحروفه وسووا الاجزاء وقسموه الى ثلثين جزءاً والى اقسام اخر الخامس الترتيل هو المستحب في
هيئة القراءة لانا سنبين ان المقصود من القراءة التفكر والترتيل معين عليه ولذلك نعتت ام سلمة قراءة رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاذا هي تنعت قراءة مفسرة حرفاً حرفاً وقال ابن عباس لان اقرأ البقرة وآل عمران ارتلهما واتدبرهما احب الي من ان اقرأ
البقرة وآل عمران هذرمة وقال ايضاً لان اقرأ اذا زلزلت والقارعة اتدبرهما احب الي من ان اقرأ البقرة وآل عمران تهذيراً
وسئل مجاهد عن رجلين دخلا في الصلوة فكان قيامهما واحداً الا ان احدهما قرأ البقرة فقط وقرأ الآخر القرآن كله فقال هما في الاجر
سواء واعلم ان الترتيل مستحب لا لمجرد التدبر فان العجمي الذي لا يفهم معنى القرآن يستحب له ايضاً في القراءة الترتيل والتؤدة
لان ذلك اقرب الى التوقير والاحترام واشد تاثيراً في القلب من الهذرمة والاستعجال السادس البكاء مستحب مع القراءة
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا وقال عليه وسلم ليس منا من لم يتغن
بالقرآن وقال صالح المدني قرأت القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي يا صالح هذه القراءة فاين البكاء
وقال ابن مسعود اذا قرأتم سجدة سبحان فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا فان لم تبك عين احدكم فليبك قلبه وانما طريق تكلف البكاء
ان يحضر قلبه الحزن فمن الحزن ينشأ البكاء قال صلى الله عليه وسلم ان القرآن نزل بالحزن فاذا قرأتموه فتحازنوا ووجه احضار
الحزن ان يتامل تقصيره في اوامره وزواجره فيحزن لا محالة ويبكي فان لم يحضره حزن وبكاء كما يحضر ارباب القلوب الصافية
فليبك على فقد الحزن والبكاء فان ذلك اعظم المصائب السابع ان يراعي حق الآيات فاذا مر بآية سجود سجد وكذلك اذا
سمع من غيره سجدة سجد اذا سجد التالي ولا يسجد الا اذا كان على طهارة وفي القرآن اربع عشرة سجدة وفي الحج سجدتان وليس في ص
سجدة واقلها ان يضع جبهته على الارض واكملها ان يكبر فيسجد ويدعو في سجوده بما يليق بالآية التي قرأها مثل ان يقرأ
قوله تعالى وخروا له سجداً وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون فيقول اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك

واعوذ بك ان اكون من المتكبرين عن امرك او على اوليائك فاذا قرأ قوله ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا فليقل
اللهم اجعلني من الباكين اليك الخاشعين لك وكذلك في كل سجدة ويشترط في هذه السجدة شروط الصلوة من ستر العورة واستقبال
القبلة وطهارة الحدث والخبث ومن لم يكن على الطهارة عند السماع فاذا تطهر سجد وقيل في كمالها انه يكبر رافعا يديه لتحريمه ثم يكبر
للهوي ثم يسلم وزاد زائدون التشهد ولا اصل لهذا الا القياس على سجود الصلاة وهو بعيد فانه ورد الامر بالسجود فليتبع فيه
الامر وتكبيرة الهوي اقرب للبداية وما عدا ذلك ففيه بعد ثم المأموم ينبغي ان يسجد عند سجود الامام ولا يسجد لتلاوة نفسه
الثامن ان يقول في مبتدأ قراءته اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم رب اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك
رب ان يحضرون وليقرأ قل اعوذ برب الناس وسورة الحمد وليقل عند فراغه من كل سورة صدق الله تعالى وبلغ رسول الله اللهم
انفعنا به وبارك لنا فيه الحمد لله رب العالمين واستغفر الله الحي القيوم وفي اثناء القراءة اذا مر باية تسبيح سبح وكبر واذا
مر باية دعاء واستغفار دعا واستغفر وان مر بمرجو سأل وان مر بمخوف استعاذ يفعل ذلك بلسانه او بقلبه فيقول سبحان الله
تعالى الله نعوذ بالله اللهم ارزقنا وارحمنا قال حذيفة صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فابتدأ سورة البقرة ولا يمر باية
عذاب الا استعاذ ولا باية رحمة الا سأل ولا باية تنزيه الا سبح واذا فرغ قال ما كان يقوله صلى الله عليه وسلم عند ختم القرآن
اللهم ارحمني بالقرآن واجعله لي اماما ونورا وهدى ورحمة اللهم ذكرني منه ما نسيت وعلمني منه ما جهلت وارزقني تلاوته آناء
الليل والنهار واجعله لي حجة يا رب العالمين التاسع في الجهر بالقراءة ولا شك في انه لا بد ان يجهر الى حد يسمع نفسه
فان لم يسمع نفسه لم يصح صلوته واما الجهر بحيث يسمع غيره فهو محبوب على وجه ومكروه على وجه آخر ويستحب الاسرار ويدل عليه
ما روي انه صلى الله عليه وسلم قال فضل قراءة السر على قراءة الجهر كفضل صدقة السر على صدقة الجهر وفي لفظ آخر الجاهر بالقرآن
كالجاهر بالصدقة والمسر به كالمسر بالصدقة وفي الخبر العام يفضل عمل السر على عمل العلانية لفضل صدقة السر على صدقة
سبعين ضعفا وكذلك قوله خير الرزق وخير الذكر الخفي وفي الخبر لا يجهر بعضكم على بعض في القراءة بين المغرب والعشاء
وسمع سعيد بن المسيب ذات ليلة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم عمر بن عبد العزيز يجهر بالقراءة في صلوته وكان حسن الصوت فقال
لغلامه اذهب الى هذا المصلي فمره بان يخفض من صوته فقال الغلام ان المسجد ليس لنا وللرجل فيه نصيب فرفع سعيد صوته فقال
ايها المصلي ان كنت تريد الله عز وجل بصلوتك فاخفض صوتك وان كنت تريد الناس فانهم لن يغنوا عنك من الله شيئا فسكت
عمر وخفف ركعته فلما سلم اخذ نعليه وانصرف وهو يومئذ امير المدينة ويدل على استحباب الجهر ما روي انه صلى الله عليه وسلم
سمع جماعة من اصحابه يجهرون في صلوة الليل فصوب ذلك وقال صلى الله عليه وسلم اذا قام احدكم من الليل يصلي فليجهر بقراءته
فان الملائكة وعمار الدار يستمعون الى قراءته ويصلون بصلوته ومر صلى الله عليه وسلم على ثلثة من اصحابه مختلفي الاحوال فمر
على ابي بكر وهو يخافت فسأله عن ذلك فقال ان الذي اناجيه هو يسمعني ومر على عمر وهو يجهر فسأله عن ذلك فقال اوقظ
الوسنان وازجر الشيطان ومر على بلال وهو يقرأ آيا من هذه السورة وآيا من هذه فسأله عن ذلك فقال اخلط الطيب بالطيب فقال
كلكم قد احسن واصاب فالوجه في الجمع بين هذه الاحاديث ان الاسرار ابعد عن الرياء والتصنع فهو افضل في حق من يخاف على
نفسه وان لم يخف ولم يكن في الجهر ما يشوش الوقت على مصل آخر فالجهر افضل لان العمل فيه اكثر ولان فائدته تتعلق ايضا بغيره و
الخير المتعدي افضل من اللازم ولانه يوقظ قلب القارئ ويصرف اليه سمعه ولانه يطرد النوم برفع الصوت ولانه يزيد في نشاطه
للقراءة ويقلل من كسله ولانه يرجو بجهره تيقظ نائم فيكون هو سبب احيائه ولانه قد يراه بطال غافل فينشط بسبب نشاطه ويشتاق

ويشتاق الى الخدمة فمهما حضره شيء من هذه النيات فالجهر افضل وان اجتمعت هذه النيات فالجهر افضل لان العمل فيه اكثر
ولان فائدته اوفر وان اجتمعت هذه النيات تضاعف الاجر وبكثرة النيات يزكو عمل الابرار وتتضاعف اجورهم فان كان في العمل
الواحد عشر نيات كان فيه عشرة اجور ولهذا نقول قراءة القرآن في المصحف افضل اذ يزيد عمل البصر وتأمل المصحف وحمله
فيزيد الاجر بسببه وقد قيل الختمة في المصحف بسبع لان النظر في المصحف ايضا عبادة وخرق عثمان رضي الله عنه مصحفين لكثرة قراءته
منهما وكان كثير من الصحابة يقرؤن من المصحف ويكرهون ان يخرج يوم ولم ينظروا في المصحف ودخل بعض فقهاء مصر على الشافعي
في السحر وبين يديه المصحف فقال شغلكم الفقه عن القرآن اني لاصلي العتمة واضع المصحف بين يدي فما اطبقه حتى اصبح العاشر
تحسين القراءة وترتيلها بترديد الصوت من غير تمطيط مفرط يغير النظم فذلك سنة قال صلى الله عليه وسلم زينوا القرآن
باصواتكم وقال صلى الله عليه وسلم ما اذن الله لشيء اذنه لحسن الصوت بالقرآن وقال ليس منا من لم يتغن بالقرآن فقيل
اراد به الاستغناء وقيل اراد به الترنم وترديد الصوت بالالحان وهو اقرب عند اهل اللغة وروي ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان ينتظر عائشة رضي الله عنها ليلة فابطأت عليه فقال ما حبسك فقالت يا رسول الله كنت استمع قراءة رجل ما سمعت
احسن صوتا منه فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه طويلا ثم رجع فقال هذا سالم مولى ابي حذيفة الحمد لله الذي جعل
في امتي مثله واستمع ايضا ذات ليلة الى عبد الله بن مسعود ومعه ابو بكر وعمر رضي الله عنهما فوقفوا طويلا ثم قال من اراد ان
يقرأ القرآن كما انزل فليقرأ على قراءة ابن ام عبد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن مسعود اقرأ فقال يا رسول الله اقرأ
وعليك انزل فقال اني احب ان اسمعه من غيري فكان يقرأ ورسول الله صلى الله عليه وسلم عيناه تفيضان واستمع صلى الله عليه
وسلم الى قراءة ابي موسى فقال لقد اوتي هذا مزمارا من مزامير آل داود فبلغ ذلك ابا موسى فقال يا رسول الله لو علمت انك تسمع
لحبرته لك تحبيرا وفي الخبر كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اجتمعوا امروا احدهم ان يقرأ سورة من القرآن وقد
كان عمر يقول لابي موسى ذكرنا ربنا فيقرأ عنده حتى يكاد وقت الصلوة ان يتوسط فقال يا امير المؤمنين الصلوة الصلوة فيقول او
لسنا في صلوة اشارة الى قوله تعالى ولذكر الله اكبر ورأى هيثم القارى رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامه فقال له انت هيثم الذي
تزين القرآن بصوتك فقلت نعم قال جزاك الله خيرا فقال صلى الله عليه وسلم من استمع الى آية من كتاب الله عز وجل كانت له نورا
يوم القيمة وفي الخبر كتب له عشر حسنات ومهما عظم اجر الاستماع وكان التالي هو السبب فيه كان شريكا في الاجر الا ان يكون
قصده الرياء والتصنع

الباب الثالث

في اعمال الباطن في التلاوة وهي عشرة فهم اصل الكلام
ثم التعظيم ثم حضور القلب ثم التدبر ثم التفهم ثم التخلي عن موانع الفهم ثم التخصيص ثم التأثر ثم الترقي ثم التبري الاول
فهم عظمة الكلام وعلوه وفضل الله سبحانه ولطفه بخلقه في نزوله عن عرش جلاله الى درجة افهام خلقه فلينظر كيف لطفه بخلقه
في ايصال معاني كلامه الذي هو صفة قائمة بذاته الى افهام خلقه وكيف تجلت لهم تلك الصفة في طي حروف واصوات هي صفات البشر اذ
يعجز البشر عن الوصول الى فهم صفات الله الا بوسيلة صفات نفسه ولولا استتار كنه جمال كلامه بكسوة الحروف لما ثبت لسماع
الكلام عرش ولا ثرى ولتلاشى ما بينهما من عظمة سلطانه وسبحات نوره ولولا تثبيت الله موسى صلى الله عليه وسلم لما اطاق
سماع كلامه كما لم يطق الجبل مبادي تجليه حيث صار دكا ولا يمكن تفهيم عظمة الكلام الا بامثلة على حد فهم الخلق ولهذا عبر بعض
وقال ان كل حرف من كلام الله في اللوح اعظم من جبل قاف وان الملائكة لو اجتمعت على الحرف الواحد ان يقلوه ما اطاقوه حتى يأتي
اسرافيل وهو ملك اللوح فيرفعه فيقله باذن الله ورحمته لا بقوته وطاقته ولكن الله تعالى طوقه ذلك واستعمله به ولقد

ما اتى بعض الحكماء في التعبير عن وجه اللطف في ايصال معاني الكلام مع علو درجته الى فهم الانسان مع قصور رتبته وضرب له مثلا لم يقصر وذلك انه دعى بعض الملوك الى شريعة الانبياء فسأله الملك عن امور واجاب بما يحتمله فهمه فقال الملك ارايت ما ياتي به الانبياء اذا ادعت انه ليس بكلام الناس وانه كلام الله فكيف يطيق الناس حمله فقال الحكيم انا راينا الناس لما ارادوا ان يفهموا الدواب والطير ما يريدون من تقديمها وتاخيرها واقبالها وادبارها وراوا الدواب يقصر تمييزها عن فهم كلامهم الصادر عن انوار عقولهم مع حسنه وتزيينه وبديع نظمه فنزلوا الى درجة تمييز البهائم واوصلوا مقاصدهم الى بواطن البهائم باصوات يضعونها لائقة بهم من النقر والصفير والاصوات القريبة من اصواتها لكي يطيقوا حملها فكذلك الناس يعجزون عن حمل كلام الله بكنهه وكمال صفاته فصاروا بما تراجعوا بينهم من الاصوات التي سمعوا بها الحكمة كصوت النقر والصفير الذي سمعت به الدواب من الناس ولم يمنع ذلك معاني الحكمة المخبوءة في تلك الصفات من ان شرف الكلام اي الاصوات لشرفها وعظم لتعظيمها وكان الصوت للحكمة جسدا ومسكنا والحكمة للصوت روحا ونفسا فكما ان اجساد البشر بلونهم لمكان الروح فكذلك اصوات الكلام تشرف للحكمة التي فيها والكلام عالي المنزلة رفيع الدرجة قاهر السلطان نافذ الحكم في الحق والباطل وهو القاضي العادل والشاهد المرتضى ولا طاقة للباطل ان يقوم قدام كلام الحكمة كما لا يستطيع الظل ان يقوم قدام شعاع الشمس ولا طاقة للبشر ان ينفذوا غور الحكمة كما لا طاقة لهم ان ينفذوا بابصارهم ضوء عين الشمس ولكنهم ينالون من ضوء عين الشمس ما تحيا به ابصارهم ويستدلون به على حوائجهم فقط فالكلام كالملك المحجوب الغائب وجهه الشاهد امره وكالشمس العزيزة الظاهرة مكنون عنصرها وكالنجوم الزاهرة التي قد يهتدي بها من لا يقف على سيرها فهو مفتاح الخزائن النفيسة وشراب الحيوة الذي من شرب منه لم يمت ودواء الاسقام الذي من سقي منه لم يسقم فهذا الذي ذكره الحكيم نبذة من تفهيم معنى الكلام والزيادة عليه لا يليق بعلم المعاملة فينبغي ان يقتصر عليه الثاني التعظيم للمتكلم فالقارئ عند البداية بتلاوة القرآن ينبغي ان يحضر في قلبه عظمة المتكلم ويعلم ان ما يقراه ليس من كلام البشر وان في تلاوة كلام الله غاية الخطر فانه قال تعالى لا يمسه الا المطهرون وكما ان ظاهر جلد المصحف وورقه محروس عن ظاهر بشرة اللامس الا اذا كان متطهرا فباطن معناه بحكم عزه وجلاله محجوب عن باطن القلب الا اذا كان متطهرا عن كل رجس ومستنيرا بنور التعظيم والتوقير وكما لا يصلح لمس جلد المصحف كل يد فلا يصلح لتلاوة حروفه كل لسان ولا لنيل معانيه كل قلب ولمثل هذا التعظيم كان عكرمة بن ابي جهل اذا نشر المصحف غشي عليه ويقول هو كلام ربي هو كلام ربي فتعظيم الكلام بتعظيم المتكلم ولن تحضره عظمة المتكلم ما لم يتفكر في صفاته وافعاله فاذا خطر بباله العرش والكرسي والسموات والارضين وما بينهما من الجن والانس والدواب والاشجار وعلم ان الخالق لجميعها والقادر عليها والرازق لها واحد وان الكل في قبضة قدرته مترددون بين فضله ورحمته وبين نقمته وسطوته ان انعم فبفضله وان عاقب فبعدله وانه الذي يقول هؤلاء في الجنة ولا ابالي وهؤلاء في النار ولا ابالي وهذه غاية العظمة والتعالي والتفكر في مثل هذا يحضر تعظيم المتكلم ثم تعظيم الكلام الثالث حضور القلب وترك حديث النفس قيل في تفسير يا يحيى خذ الكتاب بقوة اي بجد واجتهاد واخذه بالجد ان يكون متجردا له عند قراءته منصرف الهمة اليه عن غيره وقيل لبعضهم اذا قرات القرآن تحدث نفسك بشيء فقال او شيء احب الي من القرآن احدث به نفسي وكان بعض السلف اذا قرا سورة لم يكن قلبه فيها اعادها ثانية وهذه الصفة تتولد عما قبلها من التعظيم فان المعظم للكلام الذي يتلوه يستبشر به ويستأنس ولا يغفل عنه ففي القرآن ما يستأنس به القلب ان كان التالي اهلا له فكيف يطلب الانس بالفكر في غيره وهو في متنزه ومتفرج والذي يتفرج في المتنزهات لا يتفكر في غيرها فقد قيل ان في القرآن ميادين وبساتين

وبساتين وعرائس وديابيج ورياضا وخانات فالميمات ميادين القرآن والراآت بساتين القرآن والحاآت مقاصيره والمسبحات عرائس القرآن والحاميمات ديباج القرآن والمفصل رياضه والخانات ما سوى ذلك فاذا دخل القارئ في الميادين وقطف في البساتين ودخل المقاصير وشهد العرائس ولبس الديباج وتنزه في الرياض وسكن غرف الخانات استغرقه ذلك وشغله عما سواه فلم يعزب قلبه ولم يتفرق فكره الرابع التدبر وهو وراء حضور القلب فانه قد لا يتفكر في غير القرآن ولكنه يقتصر على سماع القرآن من نفسه وهو لا يتدبره والمقصود من القراءة التدبر ولذلك سن فيه الترتيل لان الترتيل في الظاهر ليتمكن من التدبر بالباطن قال علي رضي الله عنه لا خير في عبادة لا فقه فيها ولا في قراءة لا تدبر فيها واذا لم يتمكن من التدبر الا بترديد فليردد الا ان يكون خلف الامام فانه لو بقي في تدبر آية وقد اشتغل الامام باية اخرى كان مسيئا مثل من يشتغل بالتعجب من كلمة واحدة ممن يناجيه عن فهم بقية كلامه وكذلك اذا كان في تسبيح الركوع وهو متفكر في آية قراها فهذا وسواس فقد روي عن عامر بن عبد قيس انه قال الوسواس يعتريني في الصلوة فقيل في امر الدنيا فقال لان تختلف في الاسنة احب الي من ذلك ولكن يشتغل قلبي بموقفي بين يدي ربي واني كيف انصرف فعد ذلك وسواسا وهو كذلك فانه يشغله عن فهم ما فيه والشيطان لا يقدر على مثله الا بان يشغله بمهم ديني ولكن يمنعه عن الافضل ولما ذكر ذلك للحسن فقال ان كنتم صادقين عنه فما اصطنع الله عز وجل عندنا وروي انه صلى الله عليه وسلم قرا بسم الله الرحمن الرحيم فرددها عشرين مرة وانما ردده لتدبره في معانيه وعن ابي ذر قال قام بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فقام باية يرددها ان تعذبهم فانهم عبادك الآية وقام تميم الداري ليلة بهذه الآية ام حسب الذين اجترحوا السيئات الآية وقام سعيد بن جبير ليلة يردد قوله تعالى وامتازوا اليوم ايها المجرمون وقال بعضهم اني لافتتح السورة فيوقفني بعض ما اشهد فيها عن الفراغ منها حتى يطلع الفجر وكان بعضهم يقول كل آية لا اتفهمها ولا يكون قلبي فيها لا اعد لها ثوابا وحكي عن ابي سليمان الداراني انه قال اني لاتلو الآية فاقيم فيها اربع ليال او خمس ليال ولولا اني اقطع الفكر فيها ما جاوزتها الى غيرها وعن بعض السلف انه بقي في سورة هود ستة اشهر يكررها ولا يفرغ من التدبر فيها وقال بعض العارفين لي في كل جمعة ختمة وفي كل شهر ختمة وفي كل سنة ختمة ولي ختمة منذ ثلثين سنة ما فرغت منها بعد وذلك بحسب درجات تدبره وتفتيشه وكان هذا يقول اقمت نفسي مقام الاجراء فانا اعمل مياومة ومشاهرة ومجمعة ومسانهة الخامس التفهم وهو ان يستوضح من كل آية ما يليق بها اذ القرآن يشتمل على ذكر صفات الله وذكر افعاله وذكر احوال الانبياء وذكر احوال المكذبين لهم وانهم كيف اهلكوا وذكر اوامره وزواجره وذكر الجنة والنار اما صفات الله فليس كمثله شيء وهو السميع البصير وكقوله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر فليتأمل معاني هذه الاسماء والصفات لينكشف له اسرارها فتحتها معان مدفونة لا تنكشف الا للموفقين واليه اشار علي رضي الله عنه ما اسر الي رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا كتمه عن الناس الا ان يؤتي الله تعالى عبدا فهما في كتابه فليكن حريصا على طلب ذلك الفهم وقال ابن مسعود من اراد علم الاولين والآخرين فليثور القرآن واعظم علوم القرآن تحت اسماء الله وصفاته اذ لم يدرك اكثر الخلق منها الا امورا لائقة بافهامهم ولم يعثروا على اغوارها واما افعاله فكذكره خلق السموات والارض وغيرها فليفهم التالي منها صفات الله وجلاله اذ الفعل يدل على الفاعل فتدل عظمته على عظمته فينبغي ان يشهد في الفعل الفاعل دون الفعل فمن عرف الحق رآه في كل شيء اذ كل شيء فهو منه واليه وله وبه فهو الكل على التحقيق ومن لا يراه في كل ما يراه فكانه ما عرفه ومن عرفه عرف ان كل شيء ما خلا الله باطل وان كل شيء هالك الا وجهه لا انه سيبطل في ثاني الحال بل هو الآن باطل ان اعتبر ذاته

من حيث هو لا من حيث وجوده من حيث انه موجود بالله وبقدرته فيكون له بطريق التبعية ثبات وبطريق الاستقلال بطلان محض
وهذا مبدأ من مبادي علوم المكاشفة ولهذا ينبغي اذا قرأ التالي قوله افرأيتم ما تحرثون افرأيتم الماء الذي تشربون افرأيتم
النار التي تورون افرأيتم ما تمنون فلا يقصر نظره على الماء والنار والمني بل يتأمل في المني وهو نطفة متشابهة الاجزاء ثم ينظر
في كيفية انقسامها الى اللحم والعظم والعرق والعصب وكيفية تشكل اعضائها بالاشكال المختلفة من الرأس والرجل
واليد والكبد والقلب وغيرها ثم الى ما ظهر فيها من الصفات الشريفة من السمع والبصر والعقل وغيره ثم الى ما ظهر فيه
من الصفات المذمومة من الغضب والشهوة والكفر والجهل والكذب والمجادلة كما قال تعالى اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة
فاذا هو خصيم مبين فيتأمل هذه العجائب ليرقى منها الى عجب العجائب وهو الصفة التي منها صدرت هذه الاعاجيب فلا يزال
ينظر الى الصنعة فيرى الصانع واما احوال الانبياء فاذا سمع منها انهم كيف كذبوا وضربوا وقتل بعضهم فليفهم منه صفة
الاستغناء لله تعالى عن الرسل والمرسل اليهم وانه لو اهلك جميعهم لم يؤثر في ملكه واذا سمع نصرتهم في آخر الامر فليفهم
قدرة الله وارادته لنصرة الحق واما احوال المكذبين كعاد وثمود وما جرى عليهم فليكن فهمه منه استشعار الخوف من
سطوته ونقمته وليكن حظه منه الاعتبار في نفسه وانه ان غفل واساء الادب واغتر بما امهل فربما يدركه النقمة وينفذ فيه
القضية وكذلك اذا سمع وصف الجنة والنار وسائر ما في القران فلا يمكن استقصاء ما يفهم منها لان ذلك لا نهاية له وانما
لكل عبد منه بقدر رزقه ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات
ربي ولو جئنا بمثله مددا ولذلك قال علي رضي الله عنه لو شئت لاوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب والغرض مما
ذكرناه التنبيه على طريق التفهم لينفتح بابه فاما الاستقصاء فلا مطمع فيه ومن لم يكن له فهم ما في القران حتى [illegible]
ولو في ادنى الدرجات دخل في قوله تعالى ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين اوتوا العلم ماذا قال آنفا
فقال تعالى اولئك الذين طبع الله على قلوبهم والطابع هو الموانع التي سنذكرها في الفهم وقيل لا يكون المريد مريدا حتى
يجد في القران كل ما يريد ويعرف منه النقصان من المزيد ويستغني بالمولى عن العبيد السادس التخلي عن موانع الفهم فان
اكثر الناس منعوا عن فهم معاني القران لاسباب وحجب اسدلها الشيطان على قلوبهم فعميت عليهم عجائب اسرار
القرآن قال صلى الله عليه وسلم لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الى الملكوت ومعاني القرآن من جملة الملكوت
وكل ما غاب عن الحواس ولم يدرك الا بنور البصيرة فهو من الملكوت وحجب الفهم اربعة اولها ان يكون الهم منصرفا الى تحقيق
الحروف باخراجها من مخارجها وهذا يتولى حفظه شيطان وكل بالقراء ليصرفهم عن معاني كلام الله فلا يزال يحملهم على ترديد
الحرف يخيل اليهم انه لم يخرج من مخرجه فهذا يكون تأمله مقصورا على مخارج الحروف فانى تنكشف له المعاني واعظم ضحكة للشيطان
من كان مطيعا لمثل هذا التلبيس ثانيها ان يكون مقلدا لمذهب سمعه بالتقليد وجمد عليه وثبت في نفسه التعصب له بمجرد الاتباع
للمسموع من غير وصول اليه ببصيرة ومشاهدة فهذا شخص قيده معتقده عن ان يجاوزه فلا يمكنه من ان يخطر بباله غير معتقده
فصار نظره موقوفا على مسموعه فان لمع برق على بعد وبدا له معنى من المعاني التي تباين مسموعه حمل عليه شيطان التقليد حملة وقال
كيف يخطر هذا ببالك وهو خلاف معتقد آبائك فيرى ان ذلك غرور الشيطان فيتباعد منه ويحترز عن مثله ولمثل هذا قالت
الصوفية ان العلم حجاب وارادوا بالعلم العقايد التي استمر عليها اكثر الناس بمجرد التقليد او بمجرد كلمات جدلية حررها
المتعصبون للمذاهب والقوها اليهم فاما العلم الحقيقي الذي هو الكشف والمشاهدة بنور البصيرة فكيف يكون حجابا وهو

منتهى المطلب وهذا التقليد قد يكون باطلا فيكون مانعا كمن يعتقد من الاستواء على العرش التمكن والاستقرار فان خطر له
مثلا في القدوس انه المقدس عن كل ما يجوز على خلقه لم يمكنه تقليده من ان يستقر ذلك في نفسه ولو استقر في نفسه
لانجر الى كشف ثان وثالث ولتواصل ولكن يتسارع الى دفع ذلك عن خاطره لمناقضته تقليده الباطل وقد يكون حقا و
يكون ايضا مانعا من الفهم والكشف لان الحق الذي كلف الخلق اعتقاده له مراتب ودرجات وله مبدأ ظاهر وغور باطن
وجمود الطبع على الظاهر يمنع الوصول الى الغور الباطن كما ذكرناه في الفرق بين العلم الباطن والظاهر في كتاب العقايد
ثالثها ان يكون مصرا على ذنب او متصفا بكبر او مبتلى على الجملة بهوى في الدنيا مطاع فان ذلك سبب ظلمة القلب وهو كالخبث
على المرآة فيمنع جلية الحق من ان يتجلى فيه وهو اعظم حجاب القلب وبه حجب الاكثرون وكلما كانت الشهوات اشد تراكما
كانت معاني الكلام اشد احتجابا وكلما خف عن القلب اثقال الدنيا قرب تجلي المعنى فيه فالقلب مثل المرآة والشهوات مثل
الصدى ومعاني القرآن مثل الصور التي تتراءى في المرآة والرياضة للقلب باماطة الشهوات مثل تصقيل الجلاء للمرآة ولذلك
قال صلى الله عليه وسلم اذا عظمت امتي الدنيا والدرهم نزع منها هيبة الاسلام واذا تركوا الامر بالمعروف حرموا بركة الوحي
قال الفضيل يعني حرموا فهم القرآن وقد شرط الله تعالى الانابة في الفهم والتذكر وقال تبصرة وذكرى لاولي الالباب
وقال وما يتذكر الا من ينيب والذي اثر غرور الدنيا على نعيم الآخرة فليس من ذوي الالباب فلذلك لا ينكشف له اسرار الكتاب
رابعها ان يكون قد قرأ تفسيرا ظاهرا واعتقد انه لا معنى لكلمات القرآن الا ما تناوله النقل عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما وان
وراء ذلك تفسير بالراي وان من فسر القرآن برأيه فقد تبوأ مقعده من النار فهذا ايضا من الحجب العظيمة وسنبين معنى التفسير
بالراي في الباب الرابع فان ذلك لا يناقض قول علي رضي الله عنه الا ان يؤتي الله العبد فهما في القرآن وانه لو كان المعنى هو
الظاهر المنقول لما اختلف الناس فيه السابع التخصيص وهو ان يقدر انه المقصود بكل خطاب في القرآن فان سمع امرا و
نهيا قدر انه المنهي والمأمور وان سمع وعدا ووعيدا فمثل ذلك وان سمع قصص الاولين والانبياء علم ان السمر غير مقصود وانما
المقصود ليعتبر به وليأخذ من تضاعيفه ما يحتاج اليه فما من قصة في القرآن الا وسياقها لفائدة في حق النبي وامته ولذلك
قال تعالى ما نثبت به فؤادك فليقدر العبد ان الله يثبت فؤاده بما يقصه عليه من احوال الانبياء وصبرهم على الايذاء وثباتهم
في الدين لانتظار نصر الله وكيف لا يقدر هذا والقران ما انزل على رسول الله لرسول الله خاصة بل شفاء وهدى ورحمة ونور
للعالمين ولذلك امر الله تعالى الكافة بشكر نعمة الكتاب فقال واذكروا نعمة الله عليكم وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة
وقال لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم وقال تعالى وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم كذلك يضرب الله للناس
امثالهم وقال تعالى واتبعوا ما انزل اليهم من ربهم وقال هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون وقال هذا
بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين واذا قصد بالخطاب جميع الناس فقد قصد الآحاد فهذا الواحد القارئ مقصود فما له
ولسائر الناس فليقدر انه المقصود قال تعالى واوحي الي هذا القران لانذركم به ومن بلغ قال محمد بن كعب القرظي من بلغه
القران فكانما كلمه الله عز وجل واذا قدر ذلك لم يتخذ دراسة القرآن عمله بل يقرؤه كما يقرأ العبد كتاب مولاه الذي كتبه اليه
ليتأمله ويعمل بمقتضاه ولذلك قال بعض العلماء هذا القرآن رسائل اتتنا من قبل ربنا بعهوده نتدبرها في الصلوات ونقف
عليها في الخلوات وننفذها في الطاعات بالسنن المتبعات وكان مالك بن دينار يقول ما زرع القران في قلوبكم يا اهل القران
ان القران ربيع المؤمن كما ان الغيث ربيع الارض وقال قتادة لم يجالس احد هذا القرآن الا قام بزيادة او نقصان قال الله عز وجل

هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا الثامن التأثر وهو ان يتأثر قلبه بآثار مختلفة بحسب اختلاف الآيات فيكون له بحسب كل فهم حال ووجد يتصف به قلبه من الحزن والخوف والرجاء وغيره ومهما تمت معرفته كانت الخشية اغلب الاحوال على قلبه فان التضييق غالب على آيات القرآن فلا يرى ذكر المغفرة والرحمة الا مقرونا بشروط يقصر العارف عن نيلها كقوله تعالى واني لغفار ثم اتبع ذلك باربع شروط لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى وقوله والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ذكر اربع شروط وحيث اقتصر ذكر شرطا جامعا فقال ان رحمة الله قريب من المحسنين فالاحسان يجمع الكل وهكذا من يتصفح القرآن من اوله الى آخره ومن فهم ذلك فجدير بان يكون حاله الخشية والحزن ولذلك قال الحسن ما اصبح اليوم عبد يتلو هذا القرآن يؤمن به الا كثر حزنه وقل فرحه وكثر بكاؤه وقل ضحكه وكثر نصبه وشغله وقلت راحته وبطالته وقال وهيب بن الورد نظرنا في هذه الاحاديث والمواعظ فلم نجد شيئا ارق للقلوب ولا اشد استجلابا للحزن من قراءة القرآن وفهمه وتدبره فتأثر العبد بالتلاوة ان يصير بصفة الآية المتلوة فعند الوعيد وتقييد المغفرة بالشروط يتضاءل من خيفته كانه يموت وعند التوسيع ووعد المغفرة يستبشر كانه يطير من الفرح وعند ذكر صفات الله واسمائه يتطأطأ خضوعا لجلاله واستشعارا لعظمته وعند ذكر الكفار ما يستحيل على الله كذكرهم لله ولدا وصاحبة يغض صوته وينكسر في باطنه حياء من قبح مقالتهم وعند وصف الجنة ينبعث من باطنه شوقا اليه وعند وصف النار ترتعد فرائصه خوفا منها ولما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن مسعود اقرأ علي قال افتتحت سورة النساء فلما بلغت فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا رأيت عينيه تذرفان بالدمع فقال لي حسبك الآن وهذا لان مشاهدة تلك الحالة استغرقت قلبه بالكلية ولقد كان في الخائفين من خر مغشيا عليه عند آيات الوعيد ومنهم من مات في سماع الآيات فمثل هذه الآيات يخرج عن ان يكون حاكيا في كلامه فاذا قال اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم فان لم يكن خائفا كان حاكيا واذا قال عليك توكلنا واليك انبنا ولم يكن حاله التوكل والانابة كان حاكيا واذا قال ولنصبرن على ما آذيتمونا فليكن حاله او العزيمة عليه حتى يجد حلاوة التلاوة فان لم يكن بهذه الصفات ولم يتردد قلبه بين هذه الحالات كان حظه من التلاوة حركة اللسان مع صريح اللعن على نفسه في قوله الا لعنة الله على الظالمين وفي قوله كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون وفي قوله وهم في غفلة معرضون وفي قوله فاعرض عمن تولى عن ذكرنا وفي قوله ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون الى غير ذلك من الآيات وكان داخلا في معنى قوله ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب الا اماني يعني التلاوة المجردة وفي قوله وكاين من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون لان القرآن هو المبين لتلك الآيات ومهما تجاوزها ولم يتأثر بها كان معرضا عنها ولذلك قيل ان من لم يكن متصفا باخلاق القرآن فاذا قرأ القرآن ناداه الله تعالى ما لك ولكلامي وانت معرض عني دع كلامي ان لم تتب الي ومثال العاصي اذا قرأ القرآن وكرره مثال من يكرر كتاب الملك في كل يوم مرات وقد كتب اليه في عمارة مملكته وهو مشغول بتخريبها ومقتصر على دراسة كتابه فلعله لو ترك الدراسة عند المخالفة لكان ابعد عن الاستهزاء واستحقاق المقت ولذلك كان يوسف بن اسباط اني لاهم بقراءة القرآن فاذا ذكرت ما فيه خشيت المقت فاعدل الى التسبيح والاستغفار والمعرض عن العمل به اريد بقوله فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرؤوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم ولانت له جلودكم فاذا اختلفتم فلستم تقرؤونه وفي بعضها فاذا اختلفتم فقوموا عنه وقال تعالى الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وقال صلى الله عليه وسلم احسن الناس صوتا بالقرآن الذي اذا سمعته يقرأ رأيت انه يخشى الله عز وجل

عز وجل وقال ايضا لا تسمع القرآن من احد اسمع منه ممن يخشى الله عز وجل فالقرآن لاستجلاب هذه الاحوال الى القلب والعمل به والا فالمؤنة في تحريك اللسان بحروفه خفيفة وكذلك قال بعض القراء قرأت القرآن على شيخ لي ثم رجعت لاقرأ ثانيا فانتهرني وقال جعلت القراءة علي عملا اذهب فاقرأ على الله عز وجل وانظر ماذا يأمرك وماذا ينهاك وبهذا كان شغل الصحابة في الاحوال والاعمال فمات رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عشرين الفا من الصحابة لم يحفظ القرآن منهم الا ستة اختلف منهم في اثنين وكان اكثرهم يحفظ السورة والسورتين وكان الذي يحفظ البقرة والانعام من علمائهم ولما جاء واحد ليتعلم القرآن فانتهى الى قوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره فقال يكفيني هذا وانصرف فقال النبي صلى الله عليه وسلم انصرف الرجل وهو فقيه فانما العزيز مثل تلك الحالة التي يمن الله بها على قلب المؤمن عقيب فهم الآية واما مجرد حركة اللسان فقليل الجدوى بل التالي باللسان المعرض عن العمل جدير بان يكون هو المراد بقوله ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة اعمى وبقوله تعالى كذلك اتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى اي تركتها ولم تنظر اليها ولم تعبأ بها فان المقصر في الامر يقال انه نسي الامر وتلاوة القرآن حق تلاوته ان يشترك فيه اللسان والعقل والقلب فحظ اللسان تصحيح الحروف بالترتيل وحظ العقل تفسير المعاني وحظ القلب الاتعاظ والتأثر بالانزجار والائتمار فاللسان يرتل والعقل يترجم والقلب يتعظ التاسع الترقي واعني به ان يترقى الى ان يسمع الكلام من الله تعالى لا من نفسه فدرجات القراءة ثلاث ادناها ان يقدر العبد كأنه يقرؤه على الله تعالى واقفا بين يديه وهو ناظر اليه ومستمع منه فيكون حاله عند هذا التقدير السؤال والتملق والتضرع والابتهال الثانية ان يشهد بقلبه كان ربه يخاطبه بالطافه ويناجيه بانعامه واحسانه فمقامه الحياء والتعظيم والاصغاء والفهم الثالثة ان يرى في الكلام المتكلم وفي الكلمات الصفات فلا ينظر الى نفسه ولا الى قراءته ولا الى تعلق الانعام به من حيث انه منعم عليه بل يكون مقصور الهم على المتكلم موقوف الفكر عليه كأنه مستغرق بمشاهدة المتكلم عن غيره وهذه درجة المقربين وما قبله درجات اصحاب اليمين وما خرج عن هذا فهو درجات الغافلين وعن الدرجة العليا اخبر جعفر بن محمد الصادق فقال والله لقد تجلى الله لخلقه في كلامه ولكن لا يبصرون وقال ايضا وقد سألوه عن حالة لحقته في الصلوة حتى خر مغشيا عليه فلما سري عنه قيل له في ذلك فقال ما زلت اردد الآية على قلبي حتى سمعتها من المتكلم بها فلم يثبت جسمي لمعاينة قدرته وفي مثل هذه الدرجة تعظم الحلاوة ولذة المناجاة ولذلك قال بعض الحكماء كنت اقرأ القرآن فلا اجد له حلاوة حتى تلوته كأني اسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلوه على اصحابه ثم رفعت الى مقام فوقه فكنت اتلوه كأني اسمعه من جبريل يلقيه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جاء الله بمنزلة اخرى فانا الآن اسمعه من المتكلم به فعندها وجدت له لذة ونعيما لا اصبر عنها وقال عثمان وحذيفة لو طهرت القلوب لم تشبع من قراءة القرآن وانما قالوا ذلك لانها بالطهارة تترقى الى مشاهدة المتكلم في الكلام ولذلك قال ثابت البناني كابدت القرآن عشرين سنة وتنعمت به عشرين سنة وبمشاهدة المتكلم دون ما سواه يكون العبد ممتثلا لقوله تعالى ففروا الى الله جميعا ولقوله ولا تجعلوا مع الله الها آخر فمن لم يره في كل شيء فقد رأى غيره وكل ما التفت اليه العبد سوى الله تعالى تضمن التفاته شيئا من الشرك الخفي بل التوحيد الخالص ان لا يرى في كل شيء الا الله العاشر التبري واعني به ان يتبرأ من حوله وقوته والالتفات الى نفسه بعين الرضا والتزكية فاذا تلا آيات الوعد والمدح للصالحين فلا يشهد نفسه عند ذلك بل يشهد الموقنين والصديقين فيها ويتشوق الى ان يلحقه الله بهم واذا تلا آيات المقت وذم العصاة والمقصرين شهد نفسه هناك وقدر انه المخاطب خوفا واشفاقا وقدر انه المخاطب خوفا واشفاقا

ولذلك كان عمر رضي الله عنه يقول اللهم اني استغفرك لظلمي وكفري فقيل له هذا الظلم فما بال الكفر فتلا قوله تعالى ان
الانسان لظلوم كفار وقيل ليوسف بن اسباط اذا قرات القران بماذا تدعو قال بماذا ادعو استغفر الله من تقصيري سبعين مرة
فاذا راى نفسه بصورة التقصير في القراءة كان رؤيته سبب قربه فان من شهد البعد في القرب لطف له بالخوف حتى يسوقه الى درجة
في القرب وراءه ومن شهد القرب في البعد مكر به بالامن الذي يفضيه الى درجة اخرى في البعد اسفل مما هو فيه ومهما كان شاهدا
نفسه بعين الرضا صار محجوبا بنفسه واذا جاوز حد الالتفات الى نفسه ولم يشاهد الا الله في قراءته انكشف له الملكوت
قال سليمن بن ابي سليمن الداراني وعدا ابن ثوبان اخا له ان يفطر عنده فابطا عليه حتى طلع الفجر فلقيه اخوه من الغد فقال له وعدتني ان
تفطر عندي فقال لولا ميعادك لما اخبرتك بالذي حبسني عنك اني لما صليت العتمة قلت اوتر قبل ان اجيئك لاني لا آمن ما يحدث
واخلف م
من الموت فلما كنت في الدعاء من الوتر رفعت الى روضة خضراء فيها انواع الزهر من الجنة فما زلت انظر اليها حتى اصبحت وهذه
المكاشفات لا يكون الا بعد التبري عن النفس وعدم الالتفات اليها والى هواها ثم تخصص هذه المكاشفات بحسب احوال المكاشف
بحيث يتلو ايات الرجاء ويغلب على حاله الاستبشار ينكشف له صورة الجنة ويشاهدها كانه يراها عيانا وان غلب عليه الخوف
كوشف بالنار حتى يرى انواع عذابها وذلك لان كلام الله يشتمل على السهل اللطيف والشديد العسوف والمرجو والمخوف
وذلك بحسب اوصافه اذ منها الرحمة واللطف والانتقام والبطش فبحسب مشاهدة الكلمات والصفات يتقلب القلب في
اختلاف الحالات وبحسب كل حالة منها يستعد للمكاشفة بامر يناسب تلك الحالة ويقاربها اذ يستحيل ان يكون حال المستمع
واحدا والمسموع مختلفا اذ فيه كلام راض وكلام غضبان وكلام منعم وكلام منتقم وكلام جبار متكبر لا يبالي وكلام حنان
متعطف لا يهمل

الباب الرابع في فهم القران وتفسيره بالراي من غير نقل

لعلك تقول
عظمت الامر فيما سبق في فهم اسرار القران وما ينكشف لارباب القلوب الزكية من معانيها فكيف يستحب ذلك وقد قال صلى
الله عليه وسلم من فسر القران برايه فليتبوا مقعده من النار وعن هذا شنع اهل العلم بظاهر التفسير على اهل التصوف من المنسوبين
ذهبوا
الى التصوف في تاويل كلمات القران على خلاف ما نقل عن ابن عباس وسائر المفسرين الى انه كفر فان صح ما قاله اهل التفسير فما معنى
فهم القران سوى حفظ تفسيره وان لم يصح ذلك فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم من فسر القران برايه فليتبوا مقعده من النار
فاعلم ان من زعم ان لا معنى للقران الا ما ترجمه ظاهر التفسير فهو مخبر عن حد نفسه وهو مصيب في الاخبار عن نفسه و
لكنه مخطئ في الحكم برد الخلق كافة الى درجته التي هي حده ومحطه بل الاخبار والاثار تدل على ان في معاني القران متسعا لارباب
الفهم قال علي رضي الله عنه الا ان يؤتي الله عبدا فهما في القران فان لم يكن سوى الترجمة المنقولة فما ذلك الفهم وقال
صلى الله عليه وسلم ان للقران ظهرا وبطنا وحدا ومطلعا ويروى ايضا عن ابن مسعود موقوفا عليه وهو من علماء التفسير
فما معنى الظهر والبطن والحد والمطلع وقال علي رضي الله عنه لو شئت لاوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب فما معناه وتفسير ظاهرها في غاية الاختصار وقال ابو الدرداء لا يفقه الرجل حتى يجعل للقران وجوها وقد قال بعض العلماء لكل
اية ستون الف فهم وما بقي من فهمها اكثر وقال اخر القران يحوي سبعة وسبعين الف علم ومائتي علم اذ كل كلمة علم ثم
يتضاعف ذلك اربعة اذ لكل واحد ظاهر وباطن وحد ومطلع وترديد رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم
عشرين مرة لا يكون الا لتدبره باطن معانيه والا فترجمته وتفسيره ظاهر لا يحتاج مثله الى تكريره وقال ابن مسعود من اراد
علم الاولين والاخرين فليتدبر القران وذلك لا يكون بمجرد تفسيره الظاهر وبالجملة فالعلوم كلها داخلة في افعال الله و صفاته

وصفاته وفي القران شرح ذاته وافعاله وصفاته وهذه العلوم لا نهاية لها وفي القران اشارة الى مجامعها و
المقامات في التعمق في تفصيله راجع الى فهم القران ومجرد ظاهر التفسير لا يشير الى ذلك بل كل ما اشكل على النظار واختلف
فيه الخلائق في النظريات والمعقولات ففي القران رموز اليه ودلالات عليه يختص اهل الفهم بدركها فكيف يفي بذلك ترجمة
ظاهره وتفسيره ولذلك قال عليه الصلاة والسلام اقرؤا القران والتمسوا غرائبه وقال صلى الله عليه وسلم في حديث علي والذي بعثني
بالحق لتفترقن امتي عن اصل دينها وجماعتها على اثنتين وسبعين فرقة كلها ضالة مضلة يدعون الى النار فاذا كان ذلك فعليكم
بكتاب الله فان فيه نبا ما كان قبلكم ونبا ما ياتي بعدكم وحكم ما بينكم من خالفه من الجبابرة قصمه الله تعالى ومن
ابتغى العلم في غيره اضله الله وهو حبل الله المتين ونوره المبين وشفاؤه النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن تبعه
لا يعوج فيقام ولا يزيغ فيستقيم ولا تنقضي عجائبه ولا يخلقه كثرة الرد الحديث وفي حديث حذيفة لما اخبره
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاختلاف والفرقة بعده قال فقلت يا رسول الله فما تامرني ان ادركت ذلك قال تعلم
كتاب الله واعمل بما فيه فهو المخرج من ذلك قال فاعدت عليه ذلك ثلاثا فقال تعلم كتاب الله واعمل بما فيه ففيه النجاة وقال علي رضي الله عنه من فهم القران فسر جمل العلم اشار به الى ان القران يشير الى مجامع
العلوم كلها وقال ابن عباس في قوله تعالى ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا يعني به الفهم في القران وقال تعالى
ففهمناها سليمان وكلا اتينا حكما وعلما سمى ما اتاهما علما وحكما وخصص ما انفرد به سليمان بالتفطن له باسم الفهم وجعله
مقدما على العلم والحكم فهذه الامور تدل على ان في فهم القران مجالا رحبا ومتسعا بالغا وان المنقول من ظاهر التفسير
ليس منتهى الادراك فيه واما قوله صلى الله عليه وسلم من فسر القران برايه ونهيه عنه وقول ابي بكر اي ارض تقلني واي
سماء تظلني اذا قلت في القران برايي الى غير ذلك مما ورد في الاثار والاخبار من النهي عن تفسير القران بالراي فلا يخلو
اما ان يكون المراد به الاقتصار على النقل والمسموع وترك الاستنباط والاستقلال بالفهم او المراد امر اخر وباطل
قطعا ان يكون المراد به ان لا يتكلم احد في القران الا بما سمعه لوجوه احدها انه يشترط ان يكون ذلك مسموعا من رسول الله
صلى الله عليه وسلم ومسندا اليه وذلك مما لا يصادف الا في بعض القران فاما ما يقوله ابن عباس وابن مسعود من
انفسهم فينبغي ان لا يقبل ويقال هو تفسير بالراي لانهم لم يسمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذا غيرهم من الصحابة
والثاني ان الصحابة والمفسرين اختلفوا في تفسير بعض الايات فقالوا فيها اقاويل مختلفة لا يمكن الجمع بينها وسماع جميعها
من رسول الله صلى الله عليه وسلم محال ولو كان الواحد مسموعا لترك الباقي فتبين على القطع ان كل مفسر قال في المعنى بما
ظهر له باستنباطه حتى قالوا في الحروف التي في اوائل السورة سبع اقاويل فقيل الر هي حروف من الرحمن وقيل الالف
الله واللام لطيف والراء رحيم وقيل غير ذلك والجمع بين الكل غير ممكن فكيف يكون الكل مسموعا والثالث انه
صلى الله عليه وسلم دعا لابن عباس فقال اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل فان كان التاويل مسموعا كالتنزيل
ومحفوظا مثله فما معنى تخصيصه بذلك والرابع انه قال تعالى لعلمه الذين يستنبطونه منهم فاثبت لاهل العلم
استنباطا ومعلوم انه وراء السماع وجملة ما نقلناه من الاثار في فهم القران يناقض هذا الخيال فبطل ان يشترط السماع
في التاويل وجاز لكل واحد ان يستنبط من القران بقدر فهمه وحد عقله واما النهي فانه ينزل على وجهين احدهما ان يكون له في الشيء
راي واليه ميل من طبعه وهواه فيتاول القران على وفق رايه وهواه ليحتج على تصحيح غرضه ولو لم يكن له ذلك الراي
والهوى لكان لا يلوح له من القران ذلك المعنى وهذا تارة يكون مع العلم كالذي يحتج ببعض ايات القران على تصحيح

بدعة وهو يعلم انه ليس المراد بالآية ذلك ولكن يلبس به على خصمه وتارة يكون مع الجهل ولكن اذا كانت الآية محتملة
فيميل فهمه الى الوجه الذي يوافق غرضه ويترجح ذلك الجانب برأيه وهواه فيكون قد فسر برأيه اي رأيه هو الذي حمله
على ذلك التفسير ولولا رأيه لما كان يترجح عنده ذلك الوجه وتارة قد يكون له غرض صحيح فيطلب له دليلا من القرآن
ويستدل عليه بما يعلم انه ما اريد به كمن يدعو الى الاستغفار في الاسحار فيستدل بقوله عليه السلام تسحروا فان في السحور
بركة ويزعم ان المراد به التسحر بالذكر وهو يعلم ان المراد به الاكل وكالذي يدعو الى مجاهدة القلب القاسي فيقول قال الله تعالى
اذهب الى فرعون انه طغى ويشير الى قلبه ويومي الى انه المراد بفرعون وهذا الجنس قد يستعمله بعض الوعاظ
في المقاصد الصحيحة تحسينا للكلام وترغيبا للمستمع وهو ممنوع وقد يستعمله الباطنية في المقاصد الفاسدة لتغرير
الناس ودعوتهم الى مذهبهم الباطل فينزلون القرآن على وفق رأيهم ومذهبهم على امور يعلمون قطعا انها غير مرادة فهذه
الفنون احد وجهي المنع من التفسير بالرأي ويكون المراد بالرأي الرأي الفاسد الموافق للهوى دون الاجتهاد الصحيح والرأي
يتناول الصحيح والفاسد والموافق للهوى قد يخصص باسم الرأي الوجه الثاني ان يتسارع الى تفسير القرآن بظاهر
العربية من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق بغرائب القرآن وما فيه من الالفاظ المبهمة والمبدلة وما فيه من الاختصار
والحذف والاضمار والتقديم والتأخير فمن لم يحكم ظاهر التفسير وبادر الى استنباط المعاني بمجرد فهم العربية كثر غلطه
ودخل في زمرة من فسر القرآن بالرأي فالنقل والسماع لا بد منه في ظاهر التفسير اولا ليتقي به مواضع الغلط ثم بعد ذلك
يتسع التفهم والاستنباط والغرائب التي لا تفهم الا بالسماع كثيرة ونحن نرمز الى جمل منها ليستدل بها
على امثالها ويعلم انه لا يجوز التهاون بحفظ التفسير الظاهر اولا ولا مطمع في الوصول الى الباطن قبل احكام الظاهر
ومن ادعى فهم اسرار القرآن ولم يحكم التفسير الظاهر كمن يدعي البلوغ الى صدر البيت قبل مجاوزة الباب او يدعي فهم
مقاصد الاتراك من كلامهم وهو لا يفهم لغة الترك فان ظاهر التفسير يجري مجرى تعلم اللغة التي لا بد منها للفهم وما
لا بد فيه من السماع فنون كثيرة منها الايجاز بالحذف والاضمار كقوله تعالى وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها معناه آية
مبصرة فظلموا انفسهم بقتلها والناظر الى ظاهر العربية يظن ان المراد به ان الناقة كانت مبصرة ولم تكن عمياء ولا يدري انهم بماذا
ظلموا وانهم ظلموا غيرهم وانفسهم وقوله تعالى واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم اي حب العجل فحذف الحب وقوله تعالى اذا
لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات اي ضعف حياة الاحياء وضعف حياة الموتى فحذف العذاب وابدل الحياة والموتى بذكر
الحياة والموت فكل ذلك جائز في فصيح اللغة وقوله تعالى واسأل القرية التي كنا فيها والعير اي اهل القرية فالاهل محذوف مضمر وقوله تعالى
ثقلت في السموات والارض معناه خفيت على اهل السموات والارض والشيء اذا خفي ثقل فابدل اللفظ به واقيم في مقام على واضمر
الاهل وحذف وقوله تعالى وتجعلون رزقكم انكم تكذبون اي شكر رزقكم وقوله تعالى وآتنا ما وعدتنا على رسلك اي على السنة
رسلك فحذف الالسنة وقوله تعالى انا انزلناه في ليلة القدر اراد القرآن وما سبق له ذكر وقال تعالى حتى توارت بالحجاب اراد
الشمس وما سبق لها ذكر وقوله تعالى والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم اي يقولون ما نعبدهم وقوله فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون
حديثا ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك معناه لا يفقهون يقولون ما اصابك فانه لم يرد هذا كان مناقضا
لقوله تعالى قل كل من عند الله وسبق الى الفهم منه مذهب القدرية ومنها المنقول المبدل كقوله تعالى وطور سينين اي
طور سيناء سلام على ال ياسين اي الياس وقيل ادريس لان في حرف ابن مسعود سلام على ادراسين ومنها المكرر القاطع لوصل الكلام

الكلام في الظاهر كقوله تعالى وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ان يتبعون الا الظن معناه وما يتبع الذين يدعون من دون
الله شركاء الا الظن وقوله تعالى وقال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم معناه الذين استكبروا لمن آمن
من الذين استضعفوا ومنها المقدم والمؤخر وهو مظنة الغلط كقوله تعالى ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما واجل مسمى
معناه لولا كلمة واجل مسمى لكان لزاما ولولا ذلك لكان نصبا كاللزام وقوله تعالى يسألونك كأنك حفي عنها اي يسألونك عنها
كأنك حفي وقوله تعالى لهم مغفرة ورزق كريم كما اخرجك ربك من بيتك فهذا الكلام غير متصل وانما هو عائد الى قوله السابق قل
الانفال لله والرسول كما اخرجك ربك من بيتك بالحق اي فصارت انفال الغنائم لك اذ انت راض بخروجك وهم كارهون
فاعترض بين الكلام الامر بالتقوى وغيره وقوله تعالى حتى يؤمنوا بالله وحده الا قول ابراهيم ومنها المبهم وهو اللفظ
المشترك بين معان من كلمة او حرف اما الكلمة كالشيء والقرين والامة والروح ونظائرها قال الله تعالى ضرب الله مثلا
عبدا مملوكا لا يقدر على شيء اراد به النفقة مما رزق وقوله تعالى وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم لا يقدر على شيء اي الامر
بالعدل والاستقامة وقوله تعالى فان اتبعتني فلا تسألني عن شيء اراد به من صفات الربوبية وهي العلوم التي لا يحل السؤال عنها
حتى يبتدئ بها العارف بها في اوان الاستحقاق وقوله تعالى ام خلقوا من غير شيء اي من غير خالق فربما يتوهم به انه يدل على انه
لا يخلق شيء الا من شيء وقوله تعالى قال قرينه هذا ما لدي عتيد اراد به الملك الموكل به وقوله تعالى قال قرينه ربنا ما اطغيته اراد به
الشيطان اما الامة فتطلق على ثمانية اوجه الامة الجماعة كقوله تعالى وجد عليه امة من الناس يسقون واتباع الانبياء كقوله
نحن من امة محمد ورجل جامع للخير يقتدى به كقوله ان ابراهيم كان امة قانتا لله والامة الدين كقوله تعالى انا وجدنا اباءنا على امة
والامة الحين والزمان كقوله تعالى الى امة معدودة وقوله تعالى وادكر بعد امة والامة القامة يقال فلان حسن الامة اي القامة
وامة رجل متفرد بدين لا يشركه فيه احد قال النبي صلى الله عليه وسلم يبعث زيد بن عمرو بن نفيل امة وحده والامة الام
يقال هذه امة زيد اي ام زيد واما الروح فقد ورد ايضا في القرآن بمعان كثيرة فلا نطول بايرادها وكذلك قد يقع
الابهام في الحروف مثل قوله تعالى فاثرن به نقعا فوسطن به جمعا فالهاء الاولى كناية عن الحوافر وهي الموريات بالحوافر
والثانية كناية عن الاغارة وهي المغيرات صبحا وسطن جميع المشركين فاغاروا بجمعهم وقوله تعالى فانزلنا به الماء يعني السحاب
فاخرجنا به من كل الثمرات يعني بالماء وامثال هذا في القرآن لا يحصى ومنها التدريج كقوله تعالى شهر رمضان الذي انزل
فيه القرآن اذ لم يظهر انه ليلا ام نهارا وبان بقوله تعالى انا انزلناه في ليلة مباركة ولم يظهر في اي ليلة وظهر بقوله انا
انزلناه في ليلة القدر وربما يظن في الظاهر الاختلاف بين هذه الآيات فهذا وامثاله لا يغني فيه الا النقل والسماع والقرآن
من اوله الى آخره غير خال عن هذا الجنس لانه انزل بلغة العرب فكان مشتملا على اصناف كلامهم من ايجاز وتطويل واضمار وحذف
وابدال وتقديم وتأخير ليكون ذلك مفحما لهم ومعجزا في حقهم فكل من اكتفى بفهم ظاهر العربية وبادر الى تفسير القرآن ولم
يستظهر بالسماع والنقل في هذه الامور فهو داخل فيمن فسر القرآن برأيه مثل ان يفهم من الامة المعنى الاشهر منه فيميل طبعه
ورأيه اليه فاذا سمعه في موضع آخر مال رأيه الى ما سمعه من مشهور معناه وترك تتبع النقل في كثرة معانيه فهذا ما يمكن
ان يكون منهيا دون التفهم لاسرار المعاني كما سبق فاذا حصل بالسماع بامثال هذه الامور على ظاهر التفسير وهو ترجمة
الالفاظ ولا يكفي ذلك في فهم حقائق المعاني ويدرك الفرق بين حقائق المعاني وظاهر التفسير بمثال وهو ان الله تعالى قال
وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فظاهر تفسيره واضح وحقيقة معناه غامض فانه اثبات للرمي ونفي له وهما متضادان

الملك

فى الظاهر مالم يفهم انه رمى من وجه ولم يرم من وجه ومن الوجه الذى لم يرم رماه الله وكذلك قال تعالى قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم فاذا كانوا هم المقاتلين كيف يكون الله هو المعذب وان كان الله هو المعذب بتحريك ايديهم فما معنى امرهم بالقتال فحقيقة هذا يستمد من بحر عظيم من علوم المكاشفات لا يغنى عنه ظاهر التفسير وهو ان يعلم وجه ارتباط الافعال بالقدرة الحادثة ويفهم وجه ارتباط القدرة بقدرة الله حتى ينكشف بعد ايضاح امور كثيرة غامضة صدق قوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى ولعل العمر لو انفق فى استكشاف اسرار هذا المعنى وما يرتبط بمقدماته ولواحقه لانقطع العمر قبل استيفاء جميع لواحقه وما من كلمة من القرآن الا وتحقيقه محوج الى مثل ذلك وانما ينكشف للراسخين فى العلم من اسراره بقدر غزارة علومهم وصفاء قلوبهم وتوفر دواعيهم على التدبر وتجردهم للطلب ويكون لكل واحد حد فى الترقى

الى درجة منه فاما
الاستيفاء فلا مطمع فيه
ولو كان البحر مدادا
والاشجار اقلاما
فاسرار كلمات
الله

الله لا نهاية لها فينفد الابحر قبل ان تنفد كلمات الله فمن هذا الوجه تتفاوت الخلق فى الفهم بعد الاشتراك فى معرفة ظاهر التفسير وظاهر التفسير لا يغنى عنه ومثاله فهم بعض ارباب القلوب من قوله عليه السلم فى سجوده اعوذ برضاك من سخطك و اعوذ بمعافاتك من عقوبتك واعوذ بك منك لا احصى ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك انه قيل له اسجد واقترب فوجد القرب فى السجود فنظر الى الصفات فاستعاذ ببعضها من بعض فان الرضا والسخط وصفان ثم زاد قربه فاندرج القرب الاول فيه فرقى الى الذات فقال اعوذ بك منك ثم زاد قربه بما استحيا به من الاستعاذة على بساط القرب فالتجأ الى الثناء فاثنى بقوله لا احصى ثناء عليك ثم علم ان ذلك قصور فقال انت كما اثنيت على نفسك فهذه خواطر تنفتح لارباب القلوب ثم لها اغوار وراء هذا وهو فهم معنى القرب واختصاصه بالسجود ومعنى الاستعاذة من صفة بصفة ومنه به واسرار ذلك كثيرة ولا يدل تفسير ظاهر اللفظ عليه وليس هو مناقضا لظاهر التفسير بل هو استكمال له ووصول الى لبابه عن ظاهره فهذا ما نريده بفهم المعانى الباطنة لا ما يناقض الظاهر

وقد تم كتاب اداب تلاوة
القرآن بحمد الله ومنه
ويتلوه كتاب الاذكار
والدعوات وهو
الكتاب التاسع

كتاب فضل الذكر

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الشامل رافته العام الكامل رحمته الذي جازى عباده عن ذكرهم بذكره فقال اذكروني اذكركم ورغبهم في السؤال
والدعاء بامره فقال ادعوني استجب لكم واطمع المطيع والعاصي والداني والقاصي في الانبساط الى حضرة جلاله برفع
الحاجات والاماني بقوله فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعاني والصلوة على محمد سيد انبيائه وعلى آله واصحابه خير اصفيائه
وسلم كثيرا اما بعد فليس بعد تلاوة كتاب الله عبادة تؤدى باللسان افضل من ذكر الله ورفع الحاجات بالادعية الخالصة
الى الله فلا بد من شرح فضيلة الذكر على الجملة ثم على التفصيل في اعيان الاذكار وشرح فضيلة الدعاء وشروطه وادابه
ونقل الماثور من الدعوات الجامعة لمقاصد الدين والدنيا والدعوات الخاصة لسؤال المغفرة او الاستغفار وغيرها
ويتحرر المقصود من ذلك بذكر ابواب خمسة الباب الاول في فضيلة الذكر وفائدته جملة وتفصيلا
الباب الثاني في فضل الدعاء وادابه وفضيلة الاستغفار والصلوة على النبي عليه الصلوة الباب
الثالث في ادعية ماثورة معزية الى اصحابها واسبابها الباب الرابع في ادعية منتخبة محذوفة الاسناد
من الادعية الماثورة الباب الخامس في الادعية الماثورة عند حدوث الحوادث الباب الاول
في فضيلة الذكر على الجملة والتفصيل من الايات والاخبار والاثار ويدل على فضيلة الذكر من الايات قوله تعالى
اذكروني اذكركم قال ثابت البناني اني اعلم متى يذكرني ربي ففزعوا منه وقالوا كيف تعلم ذلك فقال اذا ذكرته ذكرني وقال الله تعالى
اذكروا الله ذكرا كثيرا وقال تعالى فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله وقال تعالى فاذا قضيتم الصلوة فاذكروا الله كذكركم اباءكم او اشد ذكرا وقال تعالى الذين يذكرون الله
قياما وقعودا وعلى جنوبهم قال ابن عباس اي بالليل والنهار وفي البحر والبر والسفر والحضر والغناء والفقر والمرض والصحة
والسر والعلانية وقال تعالى في ذم المنافقين لا يذكرون الله الا قليلا وقال تعالى واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة
ودون الجهر من القول بالغدو والاصال ولا تكن مع الغافلين وقال تعالى ولذكر الله اكبر قال ابن عباس له وجهان احدهما
ان ذكر الله لكم اكبر من عبادته سواه الى غير ذلك من الايات واما الاخبار فقد قال صلى الله عليه وسلم ذاكر الله
في الغافلين كالشجرة الخضراء في وسط وقال صلى الله عليه وسلم ذاكر الله في الغافلين كالمقاتل في الفارين وقال ايضا ذاكر الله
في الغافلين كالحي بين الاموات وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى انا مع عبدي ما ذكرني وتحركت شفتاه وقال ايضا
ما عمل ابن آدم من عمل انجى له من عذاب الله من ذكر الله قالوا يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله قال ولا الجهاد في سبيل الله الا

الا ان تضرب بسيفك حتى ينقطع ثم تضرب به حتى ينقطع ثم تضرب به حتى ينقطع وقال صلى الله عليه وسلم من احب
ان يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الاعمال افضل فقال ان تموت ولسانك
رطب بذكر الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم اصبح وامس ولسانك رطب بذكر الله تعالى تصبح وتمسي وليس عليك خطيئة
وقال صلى الله عليه وسلم لذكر الله بالغداة والعشي افضل من حطم السيوف في سبيل الله ومن اعطاء المال سحا وقال صلى الله
عليه وسلم قال الله عز وجل اذا ذكرني عبدي في نفسه ذكرته في نفسي واذا ذكرني في ملاء ذكرته في ملاء خير من ملائه واذا تقرب مني
شبرا تقربت منه ذراعا واذا تقرب مني ذراعا تقربت منه باعا واذا مشى الي هرولت اليه يعني بالهرولة سرعة الاجابة
وقال صلى الله عليه وسلم سبعة يظلهم الله يوم لا ظل الا ظله ومن جملته رجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه من خشية الله
وقال ابو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انبئكم بخير اعمالكم وازكاها عند مليككم وارفعها في درجاتكم
وخير لكم من اعطاء الورق والذهب وخير لكم من ان تلقوا اعداءكم فتضربون اعناقهم ويضربون اعناقكم قالوا وما
ذاك يا رسول الله قال ذكر الله عز وجل وقال صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى من شغله ذكري عن مسئلتي اعطيته افضل ما اعطي
السائلين واما الاثار فقد قال الفضيل بلغنا ان الله تعالى قال يا ابن آدم اذكرني بعد الصبح ساعة وبعد العصر ساعة
اكفيك ما بينهما وقال بعض العلماء ان الله تعالى يقول ايما عبد اطلعت على قلبه فرايت الغالب عليه التمسك بذكري توليت
سياسته وكنت جليسه ومحادثه وانيسه وقال الحسن الذكر ذكران ذكر الله بين نفسك وبين الله تعالى ما احسنه واعظم اجره
وافضل من ذلك ذكر الله تعالى عما حرم الله تعالى ويروى ان كل نفس تخرج من الدنيا عطشى الا ذاكر الله تعالى وقال معاذ بن جبل
ليس يتحسر اهل الجنة على شيء الا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله عز وجل فيها فضيلة مجالس الذكر قال صلى الله عليه وسلم
ما جلس قوم مجلسا يذكرون الله عز وجل الا حفت بهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله عز وجل فيمن عنده وقال ما من قوم
اجتمعوا يذكرون الله تعالى لا يريدون الا وجهه الا ناداهم مناد من السماء قوموا مغفورا لكم قد بدلت لكم سيئاتكم حسنات
وقال ايضا ما قعد قوم مقعدا لم يذكروا الله فيه ويصلوا على النبي صلى الله عليه وسلم الا كان عليهم حسرة يوم القيمة وقال
داود صلوات الله عليه وعلى نبينا الهي اذا رايتني اجاوز مجالس الذاكرين الى مجالس الغافلين فاكسر رجلي دونهم فانها نعمة تنعم
بها علي وقال صلى الله عليه وسلم المجلس الصالح يكفر عن المؤمن الفي الف مجلس من مجالس السوء وقال ابو هريرة ان اهل السماء ليتراءون
بيوت اهل الارض التي يذكر فيها اسم الله عز وجل كما تتراءى النجوم وقال سفيان بن عيينة اذا اجتمع قوم يذكرون الله عز وجل
اعتزل الشيطان والدنيا فيقول الشيطان للدنيا الا ترين ما يصنعون فتقول الدنيا دعهم فانهم اذا تفرقوا اخذت باعناقهم
اليك وعن ابي هريرة انه دخل السوق وقال اراكم هاهنا وميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم في المسجد فذهب الناس
الى المسجد وتركوا السوق فلم يروا ميراثا فقالوا يا ابا هريرة ما راينا ميراثا يقسم قال فماذا رايتم قالوا راينا قوما يذكرون
الله عز وجل ويقرؤن القرآن قال فذلك ميراث محمد صلى الله عليه وسلم وروى الاعمش عن ابي صالح عن ابي هريرة او ابي سعيد الخدري
عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان لله عز وجل ملائكة سياحين في الارض فضلا عن كتاب الناس فاذا وجدوا قوما يذكرون الله
عز وجل تنادوا هلموا الى بغيتكم فيجيئون فيحفون بهم ثم يعرجون الى السماء الدنيا فيقول الله تبارك وتعالى على اي شيء تركتم عبادي
يصنعون فيقولون تركناهم يحمدونك ويمجدونك ويسبحونك فيقول وهل راوني فيقولون لا فيقول كيف ولو راوني فيقولون
لو راوك لكانوا اشد تسبيحا وتحميدا وتمجيدا فيقول لهم من اي شيء يتعوذون فيقولون من النار فيقول هل راوها فيقولون لا

فيقول كيف لو راوها فيقولون لو راوها لكانوا اشد هربا منها واشد نفورا فيقول واى شئ يطلبون فيقولون الجنة فيقول وهل راوها فيقولون لا فيقول فكيف ولو راوها فيقولون لو راوها لكانوا اشد عليها حرصا فيقول انى اشهدكم انى قد غفرت لهم فيقولون كان فيهم فلان لم يردهم انما جاء لحاجة فيقول هم القوم لا يشقى بهم جليسهم

فضيلة التهليل قال النبى صلى الله عليه وسلم افضل ما قلته انا والنبيون من قبلى لا اله الا الله وحده لا شريك له وقال صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير فى كل يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه حتى يمسى ولم يات احد بافضل مما جاء به الا احد عمل اكثر من ذلك وقال صلى الله عليه وسلم ما من عبد توضا واحسن الوضوء ثم رفع طرفه الى السماء فقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله الا فتحت له ابواب الجنة يدخل من ايها شاء وقال ايضا ليس على اهل لا اله الا الله وحشة فى قبورهم ولا فى النشور كانى انظر اليهم عند الصيحة ينفضون رؤسهم من التراب ويقولون الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور وقال ايضا لابى هريرة ان كل حسنة يعملها توزن يوم القيمة الا شهادة ان لا اله الا الله فانها لا توضع فى ميزان لانها لو وضعت فى ميزان من قالها صادقا ووضعت السموات السبع والارضون السبع وما فيهن كان لا اله الا الله ارجح من ذلك وقال لو جاء قائل لا اله الا الله بقراب الارض ذنوبا لغفر الله له وقال ايضا يا ابا هريرة لقن الموتى شهادة ان لا اله الا الله فانها تهدم الذنوب هدما قلت يا رسول الله هذا للموتى فكيف للاحياء فقال هى اهدم واهدم ومن قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة وقال ليدخلن الجنة كلكم الا من ابى وشرد على الله شراد البعير على اهله فقيل يا رسول الله من الذى تأبى قال من لم يقل لا اله الا الله فاكثروا من قول لا اله الا الله قبل ان يحال بينكم وبينها فانها كلمة التوحيد وهى كلمة الاخلاص وهى كلمة التقوى وهى الكلمة الطيبة وهى دعوة الحق وهى العروة الوثقى وهى ثمن الجنة وقال الله تعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان فقيل الاحسان فى الدنيا قول لا اله الا الله وفى الاخرة الجنة وكذا قوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وروى البراء بن عازب له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير عشر مرات كان له عدل رقبة او نسمة وروى عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده انه صلى الله عليه وسلم انه قال من قال فى يوم مائتى مرة لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير لم يسبقه احد كان قبله ولا يدركه احد كان بعده الا من عمل بافضل من عمله وقال ايضا من قال فى سوق من الاسواق لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شئ قدير كتب له الف الف حسنة ومحى عنه الف الف سيئة وبنى له بيت فى الجنة ويروى ان العبد اذا قال لا اله الا الله اتت الى صحيفته فلا تمر على خطيئة الا محتها حتى تجد حسنة مثلها فتجلس الى جنبها وفى الصحيح عن ابى ايوب عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير كان كمن اعتق اربعة انفس من ولد اسمعيل وفى الصحيح ايضا عن عبادة بن الصامت عن النبى صلى الله عليه وسلم من تعار بالليل فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير الحمد لله وسبحان الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله ثم قال اللهم اغفر لى او دعا استجيب له فان توضا قبلت صلوته

فضيلة التسبيح والتحميد وبقية الاذكار قال صلى الله عليه وسلم من سبح دبر كل صلوة ثلثا وثلثين وكبر ثلثا وثلثين وحمد ثلثا وثلثين وختم المائة بلا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر وقال صلى الله عليه وسلم من قال سبحان الله وبحمده فى اليوم مائة مرة حطت خطاياه وان كان مثل زبد البحر

1

البحر وروى ان رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال تولت عنى الدنيا وقلت ذات يدى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاين انت عن صلوة الملئكة وتسبيح الخلائق وبها يرزقون قال وماذا يا رسول الله قل سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم استغفر الله مائة مرة ما بين طلوع الفجر الى ان تصلى الصبح ياتيك الدنيا راغمة صاغرة ويخلق الله من كل كلمة ملكا يسبح الله الى يوم القيمة لك ثوابه وقال صلى الله عليه وسلم اذا قال العبد الحمد لله ملات ما بين السماء والارض فاذا قال الحمد لله الثانية ملات ما بين السماء السابعة الى الارض فاذا قال الحمد لله الثالثة قال الله تعالى سل تعطه وقال رفاعة الزرقى كنا يوما نصلى وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رفع راسه من الركوع وقال سمع الله لمن حمده قال رجل وراءه ربنا لك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لقد رايت بضعة وثلثين ملكا يبتدرونها ايهم يكتبها اولا وقال صلى الله عليه وسلم الباقيات الصالحات لا اله الا الله وسبحان الله والحمد لله والله اكبر وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله وقال صلى الله عليه وسلم ما على الارض رجل يقول لا اله الا الله وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله الا غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر رواه ابن عمر وروى النعمان بن بشير عنه صلى الله عليه وسلم انه قال الذين يذكرون الله من جلال الله وتسبيحه وتهليله وتحميده ينعطف حول العرش له دوى كدوى النحل يذكر لصاحبهن او لا يحب احدكم ان لا يزال عند الله تعالى ما يذكر به وروى ابو هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال لان اقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر احب الى مما طلعت عليه الشمس وفى رواية وزاد ولا حول ولا قوة الا بالله وقال خير من الدنيا وما فيها وقال صلى الله عليه وسلم احب الكلام الى الله اربع سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر لا يضرك بايهن بدات رواه سمرة بن جندب وروى ابو موسى الاشعرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول الطهور شطر الايمان والحمد لله تملا الميزان وسبحان الله والله اكبر تملآن ما بين السماء والارض والصلوة نور والصدقة برهان والصبر ضياء والقرآن حجة لك او عليك كل الناس يغدو فبايع نفسه فمعتقها او موبقها وقال ابو هريرة قال صلى الله عليه وسلم كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وقال ابو ذر قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم اى الكلام احب الى الله قال ما اصطفى الله لملائكته سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وقال ابو هريرة ان الله اصطفى من الكلام سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر فاذا قال العبد سبحان الله كتب له عشرون حسنة وحط عنه عشرون سيئة واذا قال الله اكبر فمثل ذلك وذكر الى اخر الكلمات وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة فى الجنة وعن ابى ذر انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب اهل الدثور بالاجور يصلون كما نصلى ويصومون كما نصوم ويتصدقون بفضول اموالهم فقال اوليس قد جعل الله لكم ما تصدقون لكم بكل تسبيحة صدقة وتحميدة صدقة وتهليلة صدقة وتكبيرة صدقة وامر بمعروف صدقة ونهى عن منكر صدقة ويضع احدكم اللقمة فى فى امراته فهى له صدقة قالوا يا رسول الله ياتى احدنا شهوته ويكون له فيها اجر قال ارايتم لو وضعها فى حرام كان عليه فيها وزر كذلك ان وضعها فى الحلال كان له فيها اجر وقال ابو ذر قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم سبق اهل الدثور بالاجر يقولون ما نقول وينفقون وما ننفق فقال صلى الله عليه وسلم اولا ادلك على عمل اذا انت فعلته ادركت من قبلك وسبقت من بعدك الا من قال مثل قولك تسبح بعد كل صلوة ثلثا وثلثين وتحمد ثلاثا وثلثين وتكبر اربعا وثلثين وروت يسيرة عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال عليكن بالتسبيح والتهليل والتقديس فلا تغفلن واعقدن بالانامل فانها مستنطقات

والحمد لله و

الفقراء

يعني الشهادة في القيمة وقال عمر رايته صلى الله عليه وسلم يعقد التسبيح وقد قال صلى الله عليه وسلم فيما شهد عليه
ابو هريرة وابو سعيد الخدري انه عليه السلم قال اذا قال العبد لا اله الا الله والله اكبر قال الله صدق عبدي لا اله الا انا
وانا اكبر واذا قال العبد لا اله الا الله وحده لا شريك له قال الله تعالى صدق عبدي لا اله الا انا ولا شريك لي واذا قال لا اله
الا الله ولا حول ولا قوة الا بالله يقول الله صدق عبدي لا حول ولا قوة الا بي ومن قالهن عند الموت لم تمسه النار وروى
سعيد عن ابيه عنه صلى الله عليه وسلم قال ايعجز احدكم ان يكسب كل يوم الف حسنة فقيل كيف ذلك قال يسبح الله مائة تسبيحة
فيكتب له الف حسنة ويحط عنه الف سيئة وقال صلى الله عليه وسلم يا عبد الله بن قيس او يا ابا موسى الا ادلك على كنز من
كنوز الجنة قال بلى قال لا حول ولا قوة الا بالله وقال ابو هريرة قال صلى الله عليه وسلم من كنز الجنة ومن تحت العرش قول
لا حول ولا قوة الا بالله يقول الله تعالى اسلم عبدي واستسلم وقال صلى الله عليه وسلم من قال رضيت بالله ربا كان حقا على الله ان يرضيه يوم
القيمة وفي رواية من قال ذلك رضي الله عنه وقال مجاهد اذا خرج الرجل من بيته فقال بسم الله قال الملك هديت واذا قال
توكلت على الله قال الملك كفيت واذا قال لا حول ولا قوة الا بالله قال الملك وقيت فيتفرق عنه الشياطين فيقولون ما سبيلكم اليه قد هدي
وكفي ووقي فان قلت فما بال ذكر الله مع خفته على اللسان وقلة التعب فيه صار افضل وانفع من جملة العبادات مع كثرة
المشقات فيها فاعلم ان تحقيق هذا لا يليق الا بعلم المكاشفة والقدر الذي يسمح بذكره في علم المعاملة ان المؤثر النافع هو
الذكر على الدوام مع حضور القلب فاما الذكر بالقلب اللاهي فهو قليل الجدوى وفي الاخبار ما يدل عليه ايضا وحضور القلب
في لحظة بالذكر والذهول عن الله مع الاشتغال بالدنيا ايضا قليل الجدوى بل حضور القلب مع الله على الدوام او في اكثر
الاوقات هو المقدم على العبادات بل به تشرف سائر العبادات وهو غاية ثمرة العبادات العملية وللذكر اول وآخر فاوله
يوجب الانس والحب وآخره يوجبه الانس والحب ويصدر عنه والمطلوب ذلك الانس فان المريد في بداية الامر قد يكون متكلفا
بصرف قلبه ولسانه عن الوسواس الى ذكر الله فان وفق للمداومة انس به وانغرس في قلبه حب المذكور ولا ينبغي ان تتعجب من هذا
فان من المشاهد في العادات ان تذكر غائبا غير مشاهد بين يدي شخص وتكرر ذكر خصاله عنده فيحبه وقد يعشق بالوصف وكثرة الذكر
ثم اذا عشق بكثرة الذكر المتكلف اولا صار مضطرا الى كثرة الذكر آخرا بحيث لا يصبر عنه فان من احب شيئا اكثر ذكره ومن اكثر ذكر
شيء وان كان تكلفا احبه فكذلك اول الذكر متكلف الى ان يثمر الانس بالمذكور والحب له ثم يمتنع الصبر عنه آخرا فيصير الموجب
موجبا والثمرة مثمرا وهذا معنى قول بعضهم كابدت القرآن عشرين سنة ثم تنعمت به عشرين سنة ولا يصدر التنعم الا من الانس
والحب ولا يصدر الحب والانس الا من المداومة على المكابدة والتكلف مدة طويلة حتى يصير التكلف طبعا وكيف يستبعد هذا وقد
تتكلف الانسان تناول طعام يستبشعه اولا ويكابد اولا اكله ويواظب عليه فيصير موافقا لطبعه حتى لا يصبر عنه فالنفس
معتادة متحملة لما تتكلف هي النفس ما عودتها تتعود اي ما كلفتها اولا يصير لها طبعا آخرا ثم اذا حصل الانس بذكر الله انقطع
عن غير الله وما سوى الله هو الذي يفارقه عند الموت فلا يبقى معه في القبر اهل ولا مال ولا ولد ولا ولاية ولا يبقى الا ذكر الله فان
كان قد انس به تمتع به وتلذذ بانقطاع العوائق الصارفة عنه اذ ضرورات الحاجات في الحيوة تصد عن ذكر الله ولا يبقى بعد الموت
عائق فكانه خلي بينه وبين محبوبه فعظمت غبطته وتخلص من السجن الذي كان ممنوعا فيه عما به انسه ولذلك قال صلى الله
عليه وسلم ان روح القدس نفث في روعي احبب ما احببت فانك مفارقه اراد به كل ما يتعلق بالدنيا فان ذلك يفنى في حقه
بالموت فكل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام وانما يفنى الدنيا بالموت في حقه الى ان يفنى في نفسه عند

عند بلوغ الكتاب اجله وهذا الانس يتلذذ به العبد بعد موته الى ان ينزل في جوار الله ويترقى من الذكر الى اللقاء
وذلك بعد ان يبعثر ما في القبور ويحصل ما في الصدور ولا ينكر بقاء ذكر الله معه بعد الموت فيقول انه اعدم
فكيف يبقى معه ذكر الله فانه لم يعدم عدما يمنع الذكر بل عدما من الدنيا وعالم الملك والشهادة لا من عالم الملكوت
والى ما ذكرناه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم القبر اما حفرة من حفر النيران او روضة من رياض الجنة وبقوله
ارواح الشهداء في حواصل طيور خضر وبقوله صلى الله عليه وسلم لقتلى بدر من المشركين يا فلان وقد سماهم
النبي هل وجدتم ما وعد ربكم حقا فاني قد وجدت ما وعدني ربي حقا فسمع عمر قوله فقال يا رسول الله كيف يسمعون
وانى يجيبون وقد جيفوا فقال والذي نفسي بيده ما انتم باسمع لكلامي منهم ولكنهم لا يقدرون ان يجيبوا والحديث
هذا قوله في المشركين واما المؤمنون والشهداء فقد قال ارواحهم في حواصل طير خضر معلقة تحت العرش وهذه
الحالة وما اشير بهذه الالفاظ اليه لا ينافي ذكر الله وقال تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند
ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الاية ولاجل شرف ذكر الله
عظمت رتبة الشهادة لان المطلوب الخاتمة ونعني بالخاتمة وداع الدنيا والقدوم على الله والقلب مستغرق بالله منقطع
العلائق عن غيره فان قدر عبد على ان يجعل همته مستغرقا بالله فلا يقدر على ان يموت على تلك الحالة الا في صف القتال
فانه قد قطع الطمع عن مهجته واهله وماله وولده بل من الدنيا كلها فانه يريدها لحياته وقد هون على قلبه حياته في
حب الله وطلب مرضاته ولا تجرد لله اعظم من ذلك في الشرع ولذلك عظم امر الشهادة وورد من الفضائل ما لا يحصى
من ذلك انه لما استشهد عبد الله الانصاري يوم احد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجابر الا ابشرك يا جابر قال بلى بشرك
الله بالخير قال ان الله احيا اباك فاقعده بين يديه وليس بينه وبينه ستر فقال تعالى يا عبدي ما شئت اعطيتكه فقال يا رب
تردني الى الدنيا حتى اقتل فيك وفي نبيك مرة اخرى فقال تعالى سبق القضاء مني بانهم اليها لا يرجعون ثم القتل سبب الخاتمة
على مثل هذه الحالة فانه لو لم يقتل وبقي مدة ربما عادت شهوات الدنيا وغلب ما استولى على قلبه من ذكر الله ولهذا عظم
خوف اهل المعرفة من الخاتمة فان القلب وان الزم ذكر الله فهو متقلب لا يخلو عن الالتفات الى شهوات الدنيا ولا ينفك
عن فترة تعتريها فاذا تمثل في آخر الحال في قلبه امر الدنيا واستولى عليه وارتحل عن الدنيا والحالة هذه فيوشك ان
يبقى استيلاؤه عليه فيحن بعد الموت اليه ويتمنى الرجوع الى الدنيا وذلك لقلة حظه في الآخرة اذ يموت المرء على ما عاش
عليه ويحشر على ما مات عليه واسلم الاحوال عن هذا الخطر خاتمة الشهادة اذا لم يكن قصد الشهيد نيل مال وان يقال
شجاع او غير ذلك كما ورد به الخبر بل حب الله واعلاء كلمته فهذه الحالة هي التي عبر عنها بان الله اشترى من المؤمنين انفسهم
واموالهم بان لهم الجنة ومثل هذا الشخص هو البائع للدنيا بالآخرة وحالة الشهيد توافق معنى قول لا اله الا الله فانه
لا مقصد له سوى الله وكل مقصود معبود وكل معبود اله فهذا الشهيد قائل بلسان حاله لا اله الا الله اذ لا مقصد له سواه
ومن يقول ذلك بلسانه ولم يساعده قلبه فامره في مشية الله ولا يؤمن في حقه الخطر ولذلك فضل قول لا اله الا الله على سائر
الاذكار وذكر ذلك مطلقا في مواضع الترغيب ثم ذكر في بعض الاحوال الذكر والاخلاص فقال مرة من قال لا اله الا الله مخلصا
ومعنى الاخلاص مساعدة الحال للمقال فنسأل الله تعالى ان يجعلنا في الخاتمة من اهل لا اله الا الله حالا ومقالا وظاهرا
وباطنا حتى نودع الدنيا غير ملتفتين اليها بل متبرمين بها ومحبين للقاء الله تعالى فان من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن

ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه فهذه اشارة الى معاني الذكر لا يمكن الزيادة عليها في علم المعاملة

الباب الثاني في آداب الدعاء وفضله وفضل بعض الادعية المأثورة

فضيلة الدعاء قال الله تعالى واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لي وقال تعالى وقال ربكم ادعوني استجب لكم وقال تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين وقال تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى وروى النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الدعاء هو العبادة ثم قرأ ادعوني استجب لكم وقال الدعاء مخ العبادة وروى ابو هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال ايضا الصائم لا ترد دعوته وبالحقيقة يرجع شرف الاوقات الى شرف الحالات ايضا اذ وقت السحر وقت صفاء القلب واخلاصه وفراغه من المشوشات ويوم عرفة ويوم الجمعة وقت اجتماع الهمم وتعاون القلوب على استدرار رحمة الله فهذا احد اسباب شرف الاوقات سوى ما فيها من اسرار لا يطلع البشر عليها وحالة السجود ايضا اجدر بالاجابة قال ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد واكثروا من الدعاء وروى ابن عباس عنه صلى الله عليه وسلم قال اني نهيت ان اقرأ راكعا وساجدا فاما الركوع فعظموا فيه الرب واما السجود فاجتهدوا فيه بالدعاء فانه قمن ان يستجاب لكم ليس شيء اكرم على الله من الدعاء وقال صلى الله عليه وسلم ان العبد لا يخطئه من الدعاء احدى ثلاث اما ذنب يغفر له واما خير يعجل له واما خير يدخر له وقال ابو ذر يكفي من الدعاء مع البر ما يكفي مع الطعام من الملح وقال صلى الله عليه وسلم سلوا الله من فضله فانه يحب ان يسأل وافضل العبادة انتظار الفرج

آداب الدعاء وهي عشرة الاول ان يترصد لدعائه الاوقات الشريفة كيوم عرفة من السنة ورمضان من الشهور ويوم الجمعة من الاسبوع ووقت السحر من ساعات الليل قال الله تعالى وبالاسحار هم يستغفرون ولقوله صلى الله عليه وسلم ينزل الله تعالى كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الاخير فيقول من يدعوني فاستجيب له من يسألني فاعطيه من يستغفرني فاغفر له وقيل ان يعقوب صلوات الله عليه انما قال سوف استغفر لكم ربي ليدعو في وقت السحر انه قام وقت السحر واولاده يؤمنون خلفه فاوحى الله اليه قد غفرت لهم وجعلتهم انبياء الثاني ان يغتنم الاحوال الشريفة قال ابو هريرة ان ابواب السماء تفتح عند زحف الصفوف في سبيل الله وعند نزول الغيث وعند اقامة الصلوة المكتوبة فاغتنموا الدعاء فيها وقال مجاهد ان الصلوة جعلت في خير الساعات فعليكم بالدعاء خلف الصلوات وقال صلى الله عليه وسلم الدعاء بين الاذان والاقامة لا يرد وقال ايضا الصائم لا ترد دعوته وبالحقيقة ترجع شرف الاوقات الى شرف الحالات ايضا اذ وقت السحر وقت صفاء القلب واخلاصه وفراغه من المشوشات ويوم الجمعة ويوم عرفة وقت اجتماع الهمم وتعاون القلوب على استدرار رحمة الله فهذا احد اسباب شرف الاوقات سوى ما فيها من اسرار لا يطلع البشر عليها وحالة السجود ايضا اجدر بالاجابة قال ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فاكثروا من الدعاء وروى ابن عباس عنه صلى الله عليه وسلم انه قال اني نهيت ان اقرأ راكعا وساجدا فاما الركوع فعظموا فيه الرب واما السجود فاجتهدوا فيه بالدعاء فانه قمن ان يستجاب لكم الثالث ان يدعو مستقبل القبلة ويرفع يديه بحيث يرى بياض ابطيه وروى جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى الموقف بعرفة واستقبل القبلة ولم يزل يدعو حتى غربت الشمس وقال سلمان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ربكم حيي كريم يستحيي من عبده اذا رفع يديه اليه ان يردهما صفرا وروى انس انه صلى الله عليه وسلم كان يرفع يديه حتى يرى بياض ابطيه في الدعاء ولا يشير باصبعيه السبابتين وروى ابو هريرة انه صلى الله عليه وسلم مر على انسان وهو يشير باصبعيه السبابتين فقال صلى الله عليه وسلم احد احد اي اقتصر على الاحدى وقال ابو الدرداء ارفعوا هذه الايدي قبل ان تغل بالاغلال ثم ينبغي ان يمسح بهما وجهه في آخر الدعاء قال عمر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مد يديه في الدعاء فلم يردهما حتى يمسح بهما وجهه وقال ابن عباس كان عليه الصلوة والسلام اذا دعا ضم كفيه وجعل بطونهما مما يلي وجهه فهذه هيآت اليد ولا يرفع بصره الى السماء في الدعاء او ليخطفن ابصارهم

الرابع خفض الصوت بين المخافتة والجهر لما روي ان ابا موسى الاشعري قال قدمنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دنونا من المدينة كبر الناس ورفعوا اصواتهم فقال صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس ان الذي تدعون ليس باصم ولا غائب ان الذي تدعون بينكم وبين اعناق ركابكم وقالت عائشة في قوله تعالى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها اي بدعائك وقد اثنى الله تعالى على نبيه زكريا حيث قال اذ نادى ربه نداء خفيا وقال تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية

الخامس ان لا يتكلف السجع في الدعاء فان حال الداعي ينبغي ان يكون حال متضرع والتكلف لا يناسبه قال صلى الله عليه وسلم سيكون قوم يعتدون في الدعاء وقال تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين قيل في التكلف في الاسجاع والاولى ان لا يجاوز الدعوات المأثورة فانه قد يعتدي في دعائه ويسأل ما لا تقتضيه مصلحته فما كل احد يحسن الدعاء وكذلك في الخبر والآثار ان العلماء يحتاج اليهم في الجنة اذ يقال لاهل الجنة تمنوا فلا يدرون كيف يتمنون حتى يتعلموا من العلماء وقد قال صلى الله عليه وسلم اياكم والسجع في الدعاء بحسب احدكم ان يقول اللهم اني اسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل وفي الخبر سيأتي قوم يعتدون في الدعاء والطهور ومر بعض السلف بقاص يدعو بسجع فقال له أعلى الله تبالغ اشهد لقد رأيت حبيبا العجمي يدعو وما يزيد على قوله اللهم اجعلنا جيدين اللهم لا تفضحنا يوم القيامة اللهم وفقنا للخير والناس يدعون من كل ناحية وراءه وكان يعرف بركة دعائه وقال بعضهم ادع بلسان الذلة والافتقار لا بلسان الفصاحة والانطلاق ويقال ان العلماء والابدال لا يزيد احدهم في الدعاء على سبع كلمات فما دونها ويشهد له آخر سورة البقرة فان الله لم يخبر في موضع من ادعية عباده اكثر من ذلك واعلم ان المراد بالسجع هو المتكلف من الكلام فان ذلك لا يلائم الضراعة والذلة والا ففي الادعية المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات متوازنة لكنها غير متكلفة كقوله عليه السلام اسألك الامن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود الركع السجود والموفين بالعهود انك رحيم ودود وانك تفعل ما تريد وامثال ذلك فليقتصر على المأثور من الدعوات او ليلتمس بلسان التضرع من غير سجع وتكلف فالتضرع هو المحبوب عند الله

السادس الخشوع والرهبة قال تعالى انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وقال ادعوا ربكم تضرعا وخيفة وقال صلى الله عليه وسلم اذا احب الله عبدا ابتلاه حتى يسمع تضرعه

السابع ان يجزم الدعاء ويوقن بالاجابة ويصدق رجاءه فيه قال صلى الله عليه وسلم لا يقل احدكم اذا دعا اللهم اغفر لي ان شئت اللهم ارحمني ان شئت ليعزم المسألة فانه لا مكره له وقال اذا دعا احدكم فليعظم الرغبة فان الله لا يتعاظمه شيء وقال صلى الله عليه وسلم ادعوا الله وانتم موقنون بالاجابة واعلموا ان الله عز وجل لا يستجيب دعاء من قلب غافل وقال سفيان بن عيينة لا يمنعن احدكم من الدعاء ما يعلم من نفسه فان الله تعالى اجاب شر الخلق ابليس حيث قال رب انظرني الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين

الثامن ان يلح في الدعاء ويكرره ثلاثا وينبغي ان لا يستبطئ الاجابة لقوله صلى الله عليه وسلم يستجاب لاحدكم ما لم يعجل فيقول دعوت فلم يستجب لي فاذا دعوت فاسأل الله كثيرا فانك تدعو كريما وقال بعضهم اني اسأل الله تعالى منذ عشرين سنة حاجة وما اجابني وانا ارجو الاجابة

وعن بعض السلف ه

اسئل الله تعالى ان يوفقني لترك ما لا يعنيني وقال صلى الله عليه وسلم اذا سال احدكم ربه مسئلة فعرف الاجابة فليقل الحمد لله
الذي بنعمته تتم الصالحات ومن ابطا عنه من ذلك شي فليقل الحمد لله على كل حال الخامس ان يفتتح الدعا بذكر الله و
لا يبدا بالسؤال فان سلمة بن الاكوع ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفتح الدعا الا استفتحه فقال سبحان ربي
الاعلى الوهاب وقال ابو سليمان الداراني من اراد ان يسال الله حاجته فليبدا بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يسال له
حاجته ثم يختم بالصلوة عليه فان الله تعالى يقبل الصلوتين وهو اكرم من ان يدع ما بينهما وروي في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا سالتم الله حاجة فابدوا بالصلوة علي فان الله تعالى اكرم من ان يسال حاجتين فيقضي احدهما ويرد الاخرى رواه
ابو طالب المكي العاشر وهو الادب الباطن وهو الاصل في الاجابة التوبة ورد المظالم والاقبال على الله بكنه الهمة
فذلك هو السبب القريب في الاجابة فيروى عن كعب الاحبار انه قال اصاب الناس قحط شديد على عهد موسى فخرج موسى ببني
اسرائيل يستسقي بهم فلم يسقوا ثم خرج ثلث مرات فلم يسقوا فاوحى الله تعالى الى موسى اني لا استجيب لك ولمن معك و
فيكم نمام فقال موسى يا رب ومن هو حتى نخرجه من بيننا فاوحى الله اليه يا موسى انهاكم عن النميمة واكون نماما فقال موسى
لبني اسرائيل توبوا باجمعكم من النميمة فتابوا فارسل الله تعالى عليهم الغيث وقال سعيد بن جبير قحط الناس في زمان ملك من ملوك
بني اسرائيل فاستسقوا فقال الملك ليرسل الله علينا السما او لنوذينه قيل له وكيف تقدر ان توذيه وهو في السما فقال
اقتل اوليآه واهل طاعته فيكون ذلك اذى له فارسل الله السما قال سفين الثوري بلغني ان بني اسرائيل قحطوا سبع سنين حتى
اكلوا الميتة من المزابل واكلوا الاطفال وكانوا كذلك الى الجبال يبكون ويتضرعون فاوحى الله الى انبيائهم لو مشيتم الي باقدامكم
حتى تحفى ركبكم وتبلغ ايديكم عنان السما وتكل السنتكم عن الدعا فاني لا اجيب لكم داعيا ولا ارحم منكم باكيا حتى تردوا المظالم
الى اهلها ففعلوا فمطروا من يومهم وقال مالك بن دينار اصاب الناس في بني اسرائيل قحط فخرجوا مرارا فاوحى الله تعالى
الى نبيهم ان اخبرهم انكم تخرجون الي بابدان نجسة وترفعون الي كفا قد سفكتم بها الدما وملاتم بطونكم من الحرام الان قد
اشتد غضبي عليكم ولن تزدادوا مني الا بعدا وقال ابو الصديق الناجي خرج سليمان عليه السلم يستسقي فمر بنملة ملقاة على
ظهرها رافعة قوايمها الى السما وهي تقول اللهم انا خلق من خلقك ولا غنا بنا عن رزقك فلا تهلكنا بذنوب غيرنا فقال
سليمان ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم وقال الاوزاعي خرج الناس يستسقون فقام فيهم بلال بن سعد فحمد الله واثنى عليه
ثم قال يا معشر من حضر السلم مقرين بالاساة قالوا اللهم نعم قال اللهم انا سمعناك تقول ما على المحسنين من سبيل وقد اقررنا
بالاساة فهل يكون مغفرتك الا لمثلنا اللهم اغفر لنا وارحمنا واسقنا فرفع يديه ورفعوا ايديهم فسقوا وقيل
لمالك بن دينار ادع لنا ربك فقال انكم تستبطئون المطر وانا استبطئ الحجارة ويروى ان عيسى عليه السلم قال من اصاب منكم ذنبا
فليرجع فرجعوا كلهم ولم يبق في المفازة الا رجل واحد فقال له عيسى اصابك من ذنب قال والله من شي غير اني كنت ذات يوم
اصلي فمرت بي امراة فنظرت اليها بعيني هذه فلما جاوزت ادخلت اصبعي في عيني فانتزعتها واتبعت المراة بها فقال له عيسى
فادع فدعا فتجلل السما سحابا ثم صبت فسقوا وقال يحيى الغساني اصاب الناس قحط على عهد داود النبي عليه الصلوة والسلم
فاختاروا ثلثة من علمائهم فخرجوا حتى يستسقون بهم فقال احدهم اللهم انك انزلت في توراتك ان نعفوا عمن ظلمنا
اللهم انا قد ظلمنا انفسنا فاعف عنا وقال الثاني اللهم انزلت في توراتك ان نعتق رقابنا ارقاوي فاعتقنا
وقال الثالث اللهم انك انزلت في توراتك ان لا نرد المساكين اذا وقفوا بابوابنا اللهم انا مساكينك وقفنا ببابك

يخرجوا بها م

ببابك فلا ترد دعانا فسقوا وقال عطا السلمي منعنا الغيث فخرجنا نستسقي فاذا نحن بسعدون المجنون في المقابر فنظر
فقال يا عطا هذا يوم النشور او بعثر ما في القبور فقلت لا ولكنا منعنا الغيث فخرجنا نستسقي فقال يا عطا بقلوب
ارضية او بقلوب سماوية فقلت بل بقلوب سماوية فقال هيهات يا عطا قل للمتبهرجين لا تتبهرجوا فان الناقد بصير ثم رمق
السما بطرفه وقال الهي وسيدي لا تهلك بلادك بذنوب عبادك ولكن بالمكنون من اسمائك وما وارات الحجب من الائك
الا ما اسقيتنا ماء غدقا تحيي به العباد وتروي البلاد يا من هو على كل شي قدير قال عطا فما استتم الكلام حتى ارعدت السما
وابرقت وجاءت بمطر كافواه القرب فولى وهو يقول افلح الزاهدون والعابدون اذ لمولاهم اجاعوا البطون اسهروا
الاعين العليلة فيه فانقضى ليلهم وهم ساهرون اشغلهم عبادة الله حتى قيل في الناس ان فيهم جنونا وقال ابن المبارك
قدمت المدينة في عام شديد القحط ثم خرج الناس يستسقون وخرجت معهم اذ اقبل غلام اسود عليه قطعتا خيش قد
اتزر باحدهما والقى الاخرى على عاتقه فجلس الى جنبي فسمعته يقول الهي اخلقت الوجوه عندك كثرة الذنوب ومساوي
الاعمال وقد احبست عنا غيث السما لتودب عبادك بذلك فاسالك يا حليما ذا اناة يا من لا يعرف عباده منه الا الجميل ان
تسقيهم الساعة الساعة فلم يزل يقول الساعة الساعة حتى اكتست السما بالغمام واقبل المطر من كل مكان قال ابن المبارك
فجئت الى الفضيل فقال اراك كئيبا فقلت سبقنا اليه غيرنا فتولاه دوننا وقصصت عليه القصة فصاح الفضيل وخر مغشيا
عليه ويروى ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه استسقى بالعباس رضي الله عنه فلما فرغ من دعائه قال العباس اللهم
انه لم ينزل بلاء من السما الا بذنب ولم يكشف الا بتوبة وقد توجه بي القوم اليك لمكاني من نبيك صلى الله عليه وسلم وهذه ايدينا
اليك بالذنوب ونواصينا بالتوبة وانت الراعي لا تهمل الضالة ولا تدع الكسير بدار مضيعة فقد ضرع الصغير ورق
الكبير وارتفعت الشكوى وانت تعلم السر واخفى اللهم فاغثهم بغياثك قبل ان يقنطوا فيهلكوا وانه لا يياس من روح الله
الا القوم الكافرون قال فما تم كلامه حتى ارخت السما مثل الجبال فضيلة الصلوة على رسول الله صلى الله عليه
وسلم وفضله قال الله عز وجل ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما وروي
انه صلى الله عليه وسلم جاء ذات يوم والبشرى في وجهه فقال انه قد جاءني جبريل عليه السلم فقال اما ترضى يا محمد ان
لا يصلي عليك احد الا صليت عليه عشرا وقال صلى الله عليه وسلم من صلى علي صلت عليه الملائكة ما صلى علي فليقلل عبد من
ذلك او ليكثر وقال ايضا ان اولى الناس بي اكثرهم علي صلوة وقال ايضا بحسب المومن البخيل ان اذكر عنده ولا يصلي علي
وقال صلى الله عليه وسلم اكثروا من الصلوة يوم الجمعة وقال ايضا من صلى علي من امتي كتب له عشر حسنات ومحيت عنه
عشر سيئات وقال من قال حين يسمع الاذان والاقامة اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلوة القائمة صل على محمد عبدك
ورسولك واعطه الوسيلة والفضيلة والشفاعة يوم القيمة حلت له شفاعتي وقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من صلى علي في كتاب لم تزل الملئكة يستغفرون له ما دام اسمي في ذلك الكتاب وقال صلى الله عليه وسلم
ان في الارض ملئكة سياحين يبلغوني عن امتي السلم وقال صلى الله عليه وسلم ليس احد يسلم علي الا رد الله علي روحي
حتى ارد عليه السلام وقيل له يا رسول الله كيف الصلوة عليك فقال قولوا اللهم صل على محمد وآله وازواجه
وذريته كما باركت على ابرهيم انك حميد مجيد وروي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه سمع بعد موت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يبكي ويقول بابي انت وامي يا رسول الله لقد كان جذع تخطب الناس عليه فلما كثر الناس اتخذت منبرا لتسمعهم

نحن الجذع لفراقك حتى جعلت يدك عليه فسكن وامتك كانت اولى بالحنين عليك لما فارقتهم بابي انت يا رسول الله
لقد بلغ من فضيلتك عنده ان جعل طاعتك طاعته فقال من يطع الرسول فقد اطاع الله بابي انت وامي يا رسول الله
لقد بلغ من فضيلتك عنده ان اخبرك بالعفو عنك قبل ان اخبرك بالذنب فقال عفا الله عنك لم اذنت لهم بابي انت وامي
يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان بعثك اخر الانبياء وذكرك في اولهم فقال واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك
ومن نوح وابرهيم الاية بابي انت وامي يا رسول الله صلى الله عليه لقد بلغ من فضيلتك عنده ان اهل النار يودوا ان
يكونوا قد اطاعوك وهم بين اطباقها يعذبون يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا بابي انت وامي يا رسول الله
لئن كان موسى بن عمران اعطاه الله حجرا تتفجر منه الانهار فما ذلك باعجب من اصابعك حتى نبع منها الما صلى الله عليه وسلم
لقد كان سليمان اعطاه الله الريح غدوها شهر ورواحها شهر فما ذلك اعجب من البراق حتى سرت عليه الى السماء السابعة
ثم صليت الصبح من ليلتك بالابطح صلى الله عليه بابي وانت وامي يا رسول الله لئن كان عيسى بن مريم اعطاه الله احياء
الموتى فما ذلك باعجب من الشاة المسمومة حتى كلمتك وهي مشوية فقال الذراع لا تاكلني فاني مسموم بابي انت وامي يا رسول الله
لقد دعا نوح على قومه فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا كلنا فلقد وطئ
ظهرك وادمي وجهك وكسرت رباعيتك فابيت ان تقول الا خيرا فقلت اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون بابي انت
وامي يا رسول الله لقد اتبعك في قلة سنيك وقصر عمرك ما لم يتبع نوحا في كثرة سنه وطول عمره ولقد امن بك الكثير
وما امن معه الا قليل بابي انت وامي يا رسول الله لو لم تجالس الا كفوا لك ما جالستنا ولو لم تنكح الا كفوا لك ما نكحت الينا
ولو لم تواكل الا كفوا لك ما واكلتنا والله جالستنا ونكحت الينا وواكلتنا ولبست الصوف وركبت الحمار واردفت
خلفك ووضعت طعامك بالارض ولعقت اصابعك تواضعا منك صلى الله عليك وقال بعضهم كنت اكتب الحديث
واصلي على النبي صلى الله عليه وسلم فيه ولا اسلم فرايت في المنام فقال اما تتم الصلوة علي في كتابك فما كتبت بعد ذلك
الا صليت وسلمت وروي عن ابي الحسن الشافعي رحمة الله عليه قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله
ما جزي الشافعي عنك حيث يقول في كتاب الرسالة وصلى الله على محمد كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون
فقال جزي انه لا يوقف للحساب **فضيلة الاستغفار** قال الله تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة
ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم قال علقمة والاسود قال عبد الله بن مسعود في كتاب الله عز وجل ايتين ما اذنب عبد
ذنبا فقراهما فاستغفر الله الا غفر الله والذين اذا فعلوا فاحشة الاية وقوله ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله
يجد الله غفورا رحيما وقال الله عز وجل والمستغفرين بالاسحار وقال تعالى فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا
وكان صلى الله عليه وسلم يكثر ان يقول سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي انك انت الغفور الرحيم وقال صلى الله عليه
وسلم من اكثر الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب وقال صلى الله عليه وسلم
اني لاستغفر الله واتوب اليه في اليوم سبعين مرة هذا مع انه كان قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وقال صلى الله عليه وسلم
من قال حين ياوي الى فراشه استغفر الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم ثلث مرات غفر الله ذنوبه وان كانت مثل زبد
البحر او عدد رمل عالج او عدد ورق الشجر او عدد ايام الدنيا وقال في حديث اخر من قال ذلك غفرت له وان كان فارا
من الزحف وقال حذيفة كنت ذرب اللسان على اهلي فقلت يا رسول الله لقد خشيت ان يدخلني لساني النار فقال النبي صلى

صلى الله عليه وسلم فاين انت عن الاستغفار في اليوم مائة مرة وقالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان كنت الممت بذنب فاستغفري الله فان التوبة من الذنب الندم والاستغفار وكان صلى الله
عليه وسلم يقول في الاستغفار اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي واسرافي في امري وما انت اعلم به مني اللهم اغفر لي جدي
وهزلي وخطاي وعمدي وكل ذلك عندي اللهم اغفر لي ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت وما انت
اعلم به مني انت المقدم وانت المؤخر وانت على كل شي قدير قال علي رضي الله عنه كنت رجلا اذا سمعت من رسول الله صلى
الله عليه وسلم حديثا نفعني الله بما شاء ان ينفعني فيه واذا حدثني احد من اصحابه استحلفته فاذا حلف صدقته قال وحدثني
ابو بكر وصدق ابو بكر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من عبد يذنب ذنبا فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلي
ركعتين ثم يستغفر الله الا غفر الله له ثم تلا قوله والذين اذا فعلوا فاحشة الاية وقال ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال ان المومن اذا اذنب كانت نكتة سودا في قلبه فان تاب واستغفر صقل قلبه منها فان زادت زادت حتى يعلو قلبه
فذلك الران الذي ذكر الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وروى ابو هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال
ان الله ليرفع الدرجة للعبد في الجنة فيقول يا رب اني لي هذه فيقول باستغفار ولدك لك وروت عائشة رضي الله عنها
انه صلى الله عليه وسلم قال اللهم اجعلني من الذين اذا احسنوا استبشروا واذا اساؤا استغفروا وقال صلى الله عليه وسلم
اذا اتى العبد ذنبا فعلم ان له ربا ياخذ بالذنب ويغفر الذنب عبدي اعمل ما شئت فقد غفرت لك وقال صلى الله عليه وسلم
ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة وقال صلى الله عليه وسلم ان رجلا لم يعمل خيرا قط نظر الى السما فقال ان
لي ربا يا رب اغفر لي فقال الله عز وجل قد غفرت لك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اذنب ذنبا يعلم ان الله قد اطلع عليه
غفر له وان لم يستغفره وقال عليه السلم يقول الله تعالى يا عبادي كلكم مذنب الا من عافيته فاستغفروني اغفر لكم ومن علم
اني ذو قدرة ان اغفر له غفرت له ولا ابالي وقال صلى الله عليه وسلم من قال سبحانك ظلمت نفسي وعملت سوءا فاغفر لي
انه لا يغفر الذنوب الا انت غفرت ذنوبه ولو كانت كدب النمل ويروى ان افضل الاستغفار اللهم انت ربي وانا عبدك
وانا على عهدك ووعدك ما استطعت اعوذ بك من شر ما صنعت ابوء لك بنعمتك علي وابوء على بذنبي قد ظلمت نفسي واعترفت
بذنبي فاغفر لي ذنوبي ما قدمت منها وما اخرت انه لا يغفر الذنوب جميعا الا انت **الاثار** قال خالد بن معدان قال الله
عز وجل ان احب عبادي الي المتحابون في والمتعلقة قلوبهم بالمساجد والمستغفرون بالاسحار اولئك الذين اذا اردت
اهل الارض بعقوبة ذكرتهم فتركتهم وصرفت العقوبة عنهم وقال قتادة القران يدلكم على دائكم ودوائكم اما داؤكم فالذنوب
واما دواؤكم فالاستغفار وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه العجب ممن يهلك ومعه النجاة قيل وما هو قال الاستغفار و
كان يقول ما الهم الله عبدا الاستغفار وهو يريد تعذيبه وقال الفضيل قول العبد استغفر الله تفسيرها اقلني وقال بعض العلما
العبد بين ذنب ونعمة لا يصلحهما الا الحمد والاستغفار وقال الربيع بن خثيم لا يقولن احدكم استغفر الله واتوب اليه فيكون ذنبا
وكذبا ان لم يفعل ولكن ليقل اللهم اغفر لي وتب علي وقال الفضيل استغفار بلا اقلاع توبة الكذابين وقالت رابعة العدوية استغفارنا
يحتاج الى استغفار كثير وقال بعض الحكما من قدم الاستغفار على الندم كان مستهزئا على الله وهو لا يعلم وسمع اعرابي وهو متعلق
باستار الكعبة يقول اللهم ان استغفاري مع اصراري للوم وان تركي استغفاري مع علمي بسعة عفوك العجز وكم تتحبب الي بالنعم
مع غناك عني واتبغض اليك بالمعاصي مع فقري اليك يا من اذا وعد وفا واذا توعد عفا ادخل عظيم جرمي في عظيم عفوك يا ارحم الراحمين

وقال ابو عبد الله الوراق لو كان عليك مثل عدد القطر وزبد البحر ذنوبا لمحيت عنك اذا دعوت ربك بهذا الدعا مخلصا ان
شا الله ٥ اللهم انى استغفرك من كل ذنب تبت اليك منه ثم عدت فيه واستغفرك من كل ما وعدتك به من نفسي ثم اما ولك
واستغفرك من كل عمل اردت به وجهك فخالطه غيرك واستغفرك من كل نعمة انعمت بها علي فاستعنت بها على معصيتك و
استغفرك يا عالم الغيب والشهادة من كل ذنب اتيته في ضيا النهار وسواد الليل في ملاء وخلاء وسر وعلانية يا حليم ويقال انه
استغفار الخضر عليه وسلم

الباب الثالث في ادعية ماثورة ومعزية الى اسبابها
وارابها مما يستحب ان يدعو به المريد صباحا ومسا وبعقب كل صلوة ٥ **فمنها** دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد
ركعتي الفجر قال ابن عباس رضي الله عنهما نعثني العباس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتيته ممسيا وهو في بيت ميمونة فقام يصلي
من الليل فلما صلى الركعتين قبل صلوة الفجر قال اللهم انى اسئلك رحمة من عندك تهدي بها قلبي وتجمع بها شملي وتلم بها
شعثي وترد بها الفتن وتصلح بها ديني وتحفظ بها غائبي وترفع بها شاهدي وتزكي بها عملي وتبيض بها وجهي وتلقنني بها رشدي
وتعصمني بها من كل سوء اللهم اعطني ايمانا صادقا ويقينا ليس بعده كفر ورحمة انال بها شرف كرامتك في الدنيا والآخرة اللهم
انى اسئلك الفوز عند القضا ومنازل الشهدا وعيش السعدا والنصر على الاعدا ومرافقة الانبيا اللهم انى انزل بك حاجتي
وان ضعف رايي وقصر عملي وافتقرت الى رحمتك فاسئلك يا قاضي الامور ويا شافي الصدور كما تجير بين البحور ان تجيرني من عذاب
السعير ومن دعوة الثبور ومن فتنة القبور اللهم ما قصر عنه رايي وضعف عنه عملي ولم تبلغه امنيتي ونيتي من خير وعدته احدا
من عبادك او خير انت معطيه احدا من خلقك فاني ارغب اليك فيه واسئلكه يا رب العالمين اللهم اجعلنا هادين مهديين
غير ضالين ولا مضلين حربا لاعدائك سلما لاوليائك نحب بحبك الناس ونعادي بعداوتك من خالفك من خلقك اللهم هذا
الدعا وعليك الاجابة وهذا الجهد وعليك التكلان لا حول ولا قوة الا بالله يا ذا الحبل الشديد والامر الرشيد اسئلك الامن
يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود والركع السجود والموفين بالعهود انك رحيم ودود وانت تفعل ما تريد سبحان
الذي تعطف بالعز وقال به سبحان الذي لبس المجد وتكرم به سبحان الذي لا ينبغي التسبيح الا له سبحان ذي الفضل والنعم سبحان
ذي القدرة والكرم سبحان الذي احصى كل شي بعلمه اللهم اجعل لي نورا في قلبي ونورا في قبري ونورا في سمعي ونورا في بصري
ونورا في شعري ونورا في بشري ونورا في لحمي ونورا في دمي ونورا في عظامي ونورا بين يدي ونورا من خلفي ونورا عن يميني ونورا
عن شمالي ونورا من فوقي ونورا من تحتي اللهم زدني نورا واعطني نورا واجعل لي نورا **دعا** عائشة رضي الله عنها
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعايشة عليك بالجوامع الكوامل قولي اللهم انى اسئلك من الخير كله عاجله وآجله ما
علمت منها وما لم اعلم واعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم اعلم واسئلك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل
واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل واسئلك من الخير ما سالك عبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم واستعيذك
مما استعاذك منه عبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم واسئلك ما قضيت لي من امر ان تجعل عاقبته رشدا برحمتك يا ارحم الراحمين
دعا فاطمة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا فاطمة ما يمنعك ان تسمعي ما اوصيك به
ان تقولي يا حي يا قيوم برحمتك استغيث لا تكلني الى نفسي طرفة عين واصلح لي شاني كله **دعا** الصديق رضي الله عنه
علم رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر الصديق رضي الله عنه ان يقول اللهم انى اسئلك بمحمد نبيك وابراهيم خليلك وموسى نجيك
وعيسى كلمتك وروحك وبكلام موسى وانجيل عيسى وزبور داود وقرآن محمد صلى الله عليه وسلم وكل وحي اوحيته او قضا قضيته

او سائل اعطيته او غني افقرته او فقير اغنيته او ضال هديته واسئلك باسمك الذي انزلته على موسى صلوات الله عليه
واسئلك باسمك الذي ثبت به ارزاق العباد واسئلك باسمك الذي وضعته على الارض فاستقرت واسئلك باسمك الذي وضعته
على السموات فاستقلت واسئلك باسمك الذي وضعته على الجبال فارست واسئلك باسمك الذي استقل به عرشك و
اسئلك باسمك الطهر الطاهر الاحد الصمد الوتر المنزل في كتابك من لدنك من النور المبين واسئلك باسمك الذي وضعته على النهار
فاستنار وعلى الليل فاظلم وبعظمتك وكبريائك وبنور وجهك ان ترزقني القرآن والعلم وتخلطه بلحمي ودمي وسمعي وبصري
وتستعمل به جسدي بحولك وقوتك فانه لا حول ولا قوة الا بك يا ارحم الراحمين **دعا** بريدة الاسلمي رضي الله عنه
روي انه قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بريدة الا اعلمك كلمات من اراد به خيرا علمهن اياه ثم لم ينسه اياهن ابدا قال
قلت بلى يا رسول الله قال قل اللهم اني ضعيف فقوني في رضاك ضعفي وخذ الى الخير بناصيتي واجعل الاسلام منتهى رضاي اللهم
اني ضعيف فقوني واني ذليل فاعزني واني فقير فاغنني يا ارحم الراحمين **دعا** قبيصة بن المخارق رضي الله عنه
اذ قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم علمني كلمات ينفعني الله بهن فقد كبر سني وعجزت عن اشيا كنت اعملها فقال عليه السلم اما الدنيا
فاذا صليت الغداة فقل ثلث مرات سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وبحمده ولا حول ولا قوة الا بالله فانك اذا قلتهن امنت من
كل غم وجذام وبرص وفالج واما الآخرة فقل اللهم اهدني من عندك وافض علي من فضلك وانشر علي من رحمتك وانزل
علي من بركاتك ثم قال عليه السلم اما انه اذا وفا بهن عبد يوم القيمة لم يدعهن فتح له اربعة ابواب من الجنة يدخل من ايها شا
دعا ابي الدردا رضي الله عنه قيل لابي الدردا ذات يوم قد احترقت دارك وكانت النار وقعت في محلته فقال
ما كان الله ليفعل من ذلك فقيل له ذلك ثلثا وهو يقول ما كان الله ليفعل ذلك ثم اتاه آت فقال يا ابا الدردا ان النار دنت
من دارك طفيت فقال قد علمت فقيل له ما ندري اي قوليك اعجب قال اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قال
هولا الكلمات في ليل ونهار لم يضره شي وقد قلتهن وهي اللهم انت ربي لا اله الا انت عليك توكلت وانت رب العرش العظيم
لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ما شا الله كان وما لم يشا لم يكن اعلم ان الله على كل شي قدير وان الله قد احاط بكل شي علما اللهم
اني اعوذ بك من شر نفسي ومن شر كل دابة انت آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم **دعا** الخليل ابرهيم صلوات
الله عليه كان يقول اذا اصبح اللهم هذا خلق جديد فافتحه علي بطاعتك واختمه لي بمغفرتك ورضوانك وارزقني فيه حسنة تقبلها
مني وزكها وضعفها لي وما عملت فيه من سيئة فاغفرها لي انك غفور رحيم ودود كريم قال ومن دعا بهذا الدعا اذا اصبح فقد
ادى شكر يومه **دعا** عيسى عليه السلم كان يقول اللهم اني اصبحت لا استطيع دفع ما اكره ولا املك نفع ما ارجو و
اصبح الامر بيد غيري واصبحت مرتهنا بعملي فلا فقير افقر مني اللهم لا تشمت بي عدوي ولا تسؤ بي صديقي ولا تجعل
مصيبتي في ديني ولا تجعل الدنيا اكبر همي ولا تسلط علي من لا يرحمني **دعا** الخضر عليه السلم يقال ان الخضر عليه السلم
والياس عليه السلم اذا التقيا في كل موسم لم يفترقا الا عن هذه الكلمات بسم الله ما شا الله لا قوة الا بالله ما شا الله كل نعمة
من الله ما شا الله الخير كله بيد الله لا يصرف السوء الا الله فمن قالها ثلث اذا اصبح امن من الحرق والغرق والسرق **دعا**
معروف الكرخي رحمه الله قال محمد بن حسان قال لي معروف الكرخي رحمه الله عليه الا اعلمك عشر كلمات خمسة للدنيا وخمسة للآخرة
من دعا الله بهن وجد الله عندهن قلت اكتبها قال لا ولكن ارددها كما رددها على بكر بن خنيس حسبي الله لديني حسبي الله
الكريم لما اهمني حسبي الله الحليم القوي لمن بغى علي حسبي الله الشديد لمن كادني حسبي الله الرحيم عند الموت حسبي الله الرؤوف عند

المسألة في القبر حسبي الله الكريم عند الحساب حسبي اللطيف عند الميزان حسبي الله القدير عند الصراط حسبي الله لا اله
الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم وقد روي عن ابي الدرداء انه قال في كل يوم سبع مرات فان تولوا فقل حسبي الله
لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم كفاه الله ما اهمه من امر آخرته صادقا كان بها او كاذبا دعاء عتبة الغلام
وقد رأى في المنام فقال دخلت الجنة بهذه الكلمات اللهم يا هادي المضلين وراحم المذنبين ومقيل عثرات العاثرين ارحم عبدك
ذا الخطر العظيم والمسلمين كلهم اجمعين واجعلنا مع الاخيار المرزوقين الذين انعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين
آمين رب العالمين دعاء آدم عليه السلام قالت عائشة لما اراد الله ان يتوب على آدم طاف سبعا بالبيت وهو يومئذ
ليس بمبني ربوة حمراء ثم قام فصلى ركعتين ثم قال اللهم انك تعلم سري وعلانيتي فاقبل معذرتي وتعلم حاجتي فاعطني سؤلي وتعلم
ما في نفسي فاغفر لي اللهم اني اسألك ايمانا يباشر قلبي ويقينا صادقا حتى اعلم انه لن يصيبني الا ما قد كتبته علي فارضني بما
قسمته لي فاوحى الله اليه اني غفرت لك ولن يأتيني احد من ذريتك فيدعوني بمثل الذي دعوتني به الا غفرت له وكشفت همومه
وغمومه ونزعت الفقر من بين عينيه واتجرت له من وراء كل تاجر وجاءته الدنيا وهي راغمة وان كان لا يريدها دعاء علي
رضي الله عنه رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى يمجد كل يوم ويقول اني انا الله رب العالمين اني انا الله لا اله
الا انا الحي القيوم اني انا الله لا اله الا انا العلي العظيم اني انا الله لا اله الا انا لم الد ولم اولد اني انا الله لا اله الا انا العفو الغفور
اني انا الله لا اله الا انا مبدئ كل شيء والي يعود اني انا الله لا اله الا انا العزيز الحكيم اني انا الله لا اله الا انا الرحمن الرحيم
اني انا الله لا اله الا انا مالك يوم الدين اني انا الله لا اله الا انا خالق كل شيء الخير والشر اني انا الله لا اله الا انا خالق الجنة
والنار اني انا الله لا اله الا انا الواحد الاحد اني انا الله لا اله الا انا الفرد الصمد الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولدا اني انا الله
لا اله الا انا الفرد الوتر اني انا الله لا اله الا انا عالم الغيب والشهادة اني انا الله لا اله الا انا الملك القدوس اني انا الله الذي
لا اله الا انا السلام المؤمن المهيمن اني انا الله لا اله انا العزيز الجبار المتكبر اني انا الله لا اله انا الخالق البارئ اني انا الله لا اله
الا انا الاحد المصور اني انا الله لا اله الا انا الكبير المتعال اني انا الله لا اله الا انا المقتدر القهار اني انا الله لا اله الا انا الحليم
الكريم اني انا الله لا اله الا انا اهل الثناء والمجد اني انا الله لا اله الا انا اعلم السر واخفى اني انا الله لا اله الا انا القادر الرازق
اني انا الله لا اله الا انا فوق الخلق والخليقة فمن دعا بهذه فليقل انت الله لا اله الا انت كذى وكذى فمن دعا بها كتب من
الساجدين المخبتين الذين يجاورون محمدا وابرهيم وموسى وعيسى والنبيين في دار الخلد وله ثواب العابدين في السموات والارض
دعاء ابن المعتمر وهو سليمان التيمي وتسبيحاته روى ان يونس بن عبيد راى رجلا في المنام ممن قتل شهيدا ببلاد الروم فقال
ما افضل ما رأيت ثمة من الاعمال قال رأيت تسبيحات ابن المعتمر من الله تعالى بمكان وهي هذه سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله
والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله عدد ما خلق وعدد ما هو خالق وزنة ما خلق وزنة ما هو خالق وملء ما خلق وملء ما هو
خالق وملء سمواته وملء ارضه ومثل ذلك واضعاف ذلك وعدد خلقه وزنة عرشه ومنتهى رحمته ومداد كلماته ومبلغ
رضاه حتى يرضى فاذا رضي وعدد ما ذكره به خلقه في جميع ما مضى وعدد ما هم ذاكروه فيما بقي في كل سنة وشهر وجمعة ويوم
وليلة وساعة من الساعات ونسم ونفس من ابد الاباد ابد الدنيا وابد الآخرة واكثر ذلك من لا ينقطع اوله ولا ينفد آخره دعاء
ابرهيم بن ادهم رحمة الله عليه روى ابرهيم بن بشار خادمه انه كان يقول يوم الجمعة اذا اصبح وامسى مرحبا باليوم المزيد والصبح الجديد
والكاتب الشهيد يومنا هذا يوم عيد اكتب لنا ما نقول بسم الله الحميد المجيد الرفيع الودود الفعال في خلقه ما يريد اصبحت بالله

مؤمنا وبلقائه مصدقا وبحجته معترفا ومن ذنبي مستغفرا ولربوبية الله خاضعا ولسوى الله في الالهية جاحدا و
الى الله فقيرا وعلى الله متوكلا والى الله منيبا اشهد الله واشهد ملائكته وانبياءه ورسله وحملة عرشه ومن خلقه ومن هو
خالقه بانه هو الله لا اله الا هو وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليما وان الجنة والنار حق
والحوض حق والشفاعة حق ومنكرا ونكيرا حق ووعدك حق ووعيدك حق ولقاءك حق والساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من
في القبور على ذلك احيى وعليه اموت وعليه ابعث انشاء الله اللهم انت ربي لا اله الا انت خلقتني وانا عبدك وانا على عهدك ووعدك
ما استطعت اعوذ بك اللهم من شر كل ذي شر اللهم اني ظلمت نفسي فاغفر لي ذنوبي فانه لا يغفر الذنوب الا انت واهدني
لاحسن الاخلاق فانه لا يهدي لاحسنها الا انت واصرف عني سيئها فانه لا يصرف سيئها الا انت لبيك وسعديك
والخير كله بيديك انا لك واليك استغفرك واتوب اليك آمنت اللهم بما ارسلت من رسول وآمنت اللهم بما انزلت من كتاب
صلى الله على محمد وآله وسلم كثيرا خاتمة كلامي ومفتاحه وعلى انبيائه ورسله اجمعين آمين رب العالمين اللهم اوردنا حوضه
واسقنا بكأسه مشربا رويا سائغا هنيئا لا نظما بعده ابدا واحشرنا في زمرته غير خزايا ولا ناكثين ولا مرتابين ولا مفتونين
ولا مغضوب علينا ولا ضالين اللهم اعصمني من فتن الدنيا ووفقني لما تحب وترضى واصلح لي شاني كله وثبتني بالقول الثابت
في الحيوة الدنيا وفي الآخرة ولا تضلني وان كنت ظالما سبحانك سبحانك يا علي يا عظيم يا بار يا رحيم يا عزيز يا جبار سبحان
من سبحت له السموات باكنافها وسبحان من سبحت له الجبال وسبحان من سبحت له البحار بامواجها وسبحان من سبحت له
الحيتان بلغاتها وسبحان من سبحت له النجوم في السماء بابراجها وسبحان من سبحت له الاشجار باصولها وثمارها وسبحان
من سبحت له السموات والارضون السبع ومن فيهن ومن عليهن سبحانك سبحانك يا حي يا حليم سبحانك لا اله الا انت
وحدك لا شريك لك تحيي وتميت وانت حي لا تموت بيدك الخير وانت على كل شيء قدير

الباب الرابع

في ادعية مأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن اصحابه بمحذوف الاسانيد منتخبة من
جملة ما جمعه ابو طالب المكي وابن خزيمة وابن المنذر رحمة الله عليهم يستحب للمريد اذا اصبح ان يكون احد اوراده الدعاء كما بينا
في كتاب الاوراد فان كنت من المريدين لحرث الآخرة المقتدين برسول الله صلى الله عليه وسلم فيما دعا به فقل في مفتتح دعواتك
اعقاب صلواتك سبحان ربي العلي الاعلى الوهاب لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل
شيء قدير وقل رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا ونبيا ثلاث مرات وقل اللهم فاطر السموات
والارض عالم الغيب والشهادة رب كل شيء ومليكه اشهد ان لا اله الا انت اعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه و
قل اللهم استر عورتي وآمن روعاتي واقل عثرتي واحفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي واعوذ
بك ان اغتال من تحتي اللهم لا تؤمني مكرك ولا تولني غيرك ولا ترفع عني سترك ولا تنسني ذكرك ولا تجعلني من الغافلين و
قل اللهم انت ربي لا اله الا انت خلقتني وانا عبدك وعلى عهدك ووعدك ما استطعت اعوذ بك من شر ما صنعت ابوء
بنعمتك علي وابوء بذنبي فاغفر لي فانه لا يغفر الذنوب الا انت وقل اللهم عافني في بدني وعافني في سمعي وعافني في بصري
لا اله الا انت ثلث مرات وقل اللهم اني اسألك الرضا بعد القضا وبرد العيش بعد الموت ولذة النظر الى وجهك وشوقا
الى لقائك من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة واعوذ بك ان اظلم او اظلم او اعتدي او يعتدى علي او اكتسب خطيئة او ذنبا
لا تغفره اللهم اني اسألك الثبات في الامر والعزيمة على الرشد اسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك واسألك قلبا سليما

وخلقا مستقيما ولسانا صادقا وعملا متقبلا واسألك من خير ما تعلم واعوذ بك من شر ما تعلم واستغفرك لما تعلم
فانك تعلم ولا اعلم وانت علام الغيوب اللهم اغفر لي ما قدمت واخرت واسررت واعلنت فانك انت المقدم وانت المؤخر
وانت على كل شيء قدير وعلى كل غيب شهيد اللهم اني اسألك ايمانا لا يرتد ونعيما لا ينفد وقرة عين الابد ومرافقة نبيك
محمد صلى الله عليه وسلم في اعلا جنة الخلد اللهم اني اسألك الطيبات وفعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين اسألك
حبك وحب من احبك وحب كل عمل يقربنا الى حبك وان تتوب علي وتغفر لي وترحمني واذا اردت بقوم فتنة فاقبضني اليك
غير مفتون اللهم بعلمك على الغيب وقدرتك على الخلق احيني ما كانت الحيوة خيرا لي وتوفني اذا كانت الوفاة خيرا لي اسألك
خشيتك في الغيب والشهادة وكلمة العدل في الرضا والغضب والقصد في الغنى والفقر ولذة النظر الى وجهك والشوق
الى لقائك واعوذ بك من ضراء مضلة وفتنة مضلة اللهم زينا بزينة الايمان واجعلنا هداة مهتدين اللهم اقسم لنا
من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك ومن طاعتك ما تدخلنا به جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب
الدنيا اللهم املا وجوهنا منك حيا وقلوبنا بك فرحا واسكن في نفوسنا من عظمتك وذلل جوارحنا لخدمتك واجعلك
احب الينا مما سواك واجعلنا اخشى لك ممن سواك اللهم اجعل اول يومنا هذا صلاحا واوسطه فلاحا وآخره نجاحا اللهم
اجعل اوله رحمة واوسطه نعمة وآخره تكرمة الحمد لله الذي تواضع كل شيء لعظمته وذل كل شيء لعزته وخضع كل شيء لملكه و
استسلم كل شيء لقدرته والحمد لله الذي سكن كل شيء لهيبته واظهر كل شيء بحكمته وتصاغر كل شيء لكبريائه اللهم صل على محمد و
على آله وازواجه وذريته كما باركت على ابرهيم وآل ابرهيم في العالمين انك حميد مجيد اللهم صل على محمد عبدك ونبيك و
رسولك النبي الامي رسول الامين واعطه المقام المحمود يوم الدين اللهم اجعلنا من اوليائك المتقين وحزبك المفلحين و
عبادك الصالحين استعملنا لمرضاتك عنا ووفقنا لمحابك مناصرفنا بحسن اختيارك لنا نسألك جوامع الخير وفواتحه
وخواتمه ونعوذ بك من جوامع الشر وفواتحه وخواتمه اللهم بقدرتك علي تب علي انك انت التواب الرحيم وبحلمك عني اعف
عني انك انت الغفار وبعلمك في رفق بي انك انت الرحمن وعلمك على لي ملكني نفسي ولا تسلطها علي انك انت الملك الجبار
سبحانك وبحمدك لا اله الا انت عملت سوءا وظلمت نفسي فاغفر لي ذنبي انك انت ربي انه لا يغفر الذنوب الا انت اللهم الهمني
رشدي وقني شر نفسي اللهم ارزقني حلالا لا تعاقبني عليه وقنعني بما رزقتني واستعملني به صالحا تقبله مني اسألك العفو والعافية
وحسن الخاتمة واليقين والمعافاة في الدنيا والآخرة يا من لا تضره الذنوب ولا ينقصه المغفرة هب لي ما لا يضرك واعطني
ما لا ينقصك افرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين توفني مسلما والحقني بالصالحين انت ولينا فاغفر لنا وارحمنا يا خير الغافرين
واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا
واغفر لنا ربنا انك انت العزيز الحكيم ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ربنا
آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من امرنا رشدا ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ربنا اننا سمعنا
مناديا ينادي للايمان الى قوله انك لا تخلف الميعاد ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا الى آخر السورة رب اغفر لي ولوالدي
وارحمهما كما ربياني صغيرا واغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الاحياء منهم والاموات رب اغفر وارحم وتجاوز عما
تعلم وانت الاعز الاكرم وانت خير الراحمين وخير الغافرين وانا لله وانا اليه راجعون ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
وحسبنا الله ونعم الوكيل ○ انواع الاستعاذة المأثورة ○ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اني اعوذ

اعوذ بك من البخل واعوذ بك من الجبن واعوذ بك من ان ارد الى ارذل العمر واعوذ بك من فتنة الدنيا واعوذ بك
من عذاب القبر اللهم اني اعوذ بك من طمع يهدي الى طبع وطمع في غير مطمع ومن طمع حيث لا مطمع اللهم اني اعوذ بك من علم
لا ينفع وقلب لا يخشع ودعاء لا يسمع ونفس لا تشبع ومن الجوع فانه بئس الضجيع ومن الخيانة فانها بئست البطانة ومن الكسل
والبخل والجبن ومن الهرم ومن ان ارد الى ارذل العمر ومن فتنة الدجال وعذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات اللهم انا
نسألك قلوبا اواهة مخبتة منيبة اللهم انا نسألك عزائم مغفرتك وموجبات رحمتك والسلامة من كل اثم والغنيمة
من كل بر والفوز بالجنة والنجاة من النار اللهم اني اعوذ بك من التردي واعوذ بك من الغم والغرق والهدم واعوذ بك
ان اموت في سبيلك مدبرا واعوذ بك ان اموت لطلب دنيا اللهم اني اعوذ بك من شر ما علمت ومن شر ما لم اعلم اللهم
جنبني منكرات الاخلاق والاعمال والادواء والاهواء اللهم اني اعوذ بك من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الاعداء
اللهم اني اعوذ بك من الكفر والدين والفقر واعوذ بك من عذاب جهنم واعوذ بك من فتنة الدجال اللهم اني اعوذ بك من
شر سمعي وبصري وشر لساني وقلبي اللهم اني اعوذ بك من جار السوء في دار المقامة فان جار البادي يتحول اللهم اني اعوذ
بك من القسوة والغفلة والعيلة والذلة والمسكنة واعوذ بك من الفقر والكفر والفسوق والشقاق والنفاق والسمعة و
الرياء واعوذ بك من الصمم والبكم والجنون والجذام والبرص وسيئ الاسقام اللهم اني اعوذ بك من زوال نعمتك ومن تحول
عافيتك ومن فجاءة نقمتك ومن جميع سخطك اللهم اني اعوذ بك من عذاب النار وفتنة النار وعذاب القبر وفتنة القبر
ومن شر فتنة الغنى ومن شر فتنة الفقر ومن شر فتنة المسيح الدجال واعوذ بك من المغرم والمأثم اللهم اني اعوذ بك من نفس لا تشبع
وقلب لا يخشع وصلاة لا تنفع ودعوة لا يستجاب واعوذ من شر الغم وفتنة الصدر اللهم اني اعوذ بك من غلبة الدين وشماتة الاعداء

الباب الخامس في الادعية المأثورة عند كل حادث من الحوادث اذا اصبحت وسمعت الاذان

يستحب لدخول المؤذن وقد ذكرنا ادعية دخول الخلاء والخروج منه وادعية الوضوء في كتاب الطهارة فاذا خرجت الى المسجد فقل
اللهم اجعل في قلبي نورا وفي لساني نورا واجعل في سمعي نورا واجعل في بصري نورا واجعل من خلفي نورا ومن امامي نورا واجعل
من فوقي نورا اللهم اعطني نورا وقل ايضا اللهم اني اسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاي هذا اليك لم اخرج اشرا
ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك فاسألك ان تنقذني من النار وان تغفر لي ذنوبي انه لا يغفر
الذنوب الا انت وان خرجت من المنزل لحاجة فقل بسم الله رب اعوذ بك ان اظلم او اظلم او اجهل او يجهل علي بسم الله الرحمن الرحيم لا
حول ولا قوة الا بالله التكلان على الله فاذا انتهيت الى المسجد تريد دخوله فقل اللهم صل على محمد وسلم اللهم اغفر لي ذنوبي اللهم
افتح لي ابواب رحمتك وقدم رجلك اليمنى واذا رايت في المسجد من يبيع او يبتاع فقل لا اربح الله تجارتك واذا رايت من ينشد ضالة
في المسجد فقل لا رد الله عليك امر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا صليت ركعتي الصبح فقل اللهم اني اسألك رحمة من
عندك تهدي بها قلبي الدعاء الى آخره كما اوردناه عن ابن عباس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا ركعت فقل في ركوعك
اللهم لك ركعت ولك خشعت وبك آمنت ولك اسلمت وعليك توكلت انت ربي خشع سمعي وبصري ومخي وعظمي وعصبي
وما استقلت به قدمي لله رب العالمين وان احببت قل سبحان ربي العظيم ثلث مرات او سبوح قدوس رب الملائكة والروح فاذا
رفعت راسك من الركوع فقل سمع الله لمن حمده فاذا رفعت ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الارض وملء ما شئت من شيء
بعد اهل الثناء والمجد كلنا لك عبد لا مانع لما اعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد فاذا سجدت فقل اللهم

اللهم لك سجدت وبك آمنت ولك اسلمت سجد وجهي للذي خلقه وشق سمعه وبصره فتبارك الله احسن الخالقين اللهم سجد لك سوادي وخيالي وبك آمن فؤادي ابوء بنعمتك علي وابوء بذنبي وهذا ما جنيت على نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت بعد ان تقول سبحان ربي الاعلى ثلث مرات فاذا فرغت من الصلاة فقل اللهم انت السلام ومنك السلام تباركت ربنا يا ذا الجلال والاكرام وتدعو بسائر الادعية التي ذكرناها فاذا قمت من المجلس واردت دعا يكفر لغو المجلس فقل سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك عملت سوءا وظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت فاذا دخلت السوق فقل لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شي قدير بسم الله اللهم اني اسألك خير هذا السوق وخير ما فيها اللهم اني اعوذ بك من شرها وشر ما فيها اللهم اني اعوذ بك ان اصيب فيها يمينا فاجرة او صفقة فاسدة فان كان عليك دين فقل اللهم اكفني بحلالك عن حرامك واغنني بفضلك عمن سواك فاذا لبست جديدا فقل اللهم كسوتني هذا الثوب فلك الحمد اسألك من خيره وخير ما صنع له واعوذ بك من شره وشر ما صنع له واذا رايت شيئا من الطيرة يكرهه فقل اللهم لا ياتي بالحسنات الا انت ولا يذهب بالسيئات الا انت لا حول ولا قوة الا بالله واذا رايت الهلال فقل اللهم اهله علينا بالامن والايمان والسلامة والاسلام ربي وربك الله ويقول هلال رشد وخير آمنت بخالقك اللهم اني اسألك خير هذا الشهر وخير القدر واعوذ بك من شر يوم الحشر ويكبر قبله وشر ما ارسلت فيها اولا ثلثا فاذا هبت الريح فقل اللهم اني اسألك خير هذا الريح وخير ما فيها وخير ما ارسلت بها ونعوذ بالله من شرها وشر ما فيها وشر ما ارسلت بها فاذا بلغك وفاة احد فقل انا لله وانا اليه راجعون وانا الى ربنا منقلبون اللهم اكتبه من المحسنين واجعل كتابه في عليين واخلف على عقبه في الغابرين اللهم لا تحرمنا اجره ولا تفتنا بعده وتقول عند التصدق ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم ويقول عند الخسران عسى ربنا ان يبدلنا خيرا منها انا الى ربنا راغبون ويقول عند ابتداء الامور ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من امرنا رشدا رب اشرح لي صدري ويسر لي امري ويقول عند النظر الى السماء ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا فاذا سمعت صوت الرعد فقل سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته فاذا رايت الصواعق فقل اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته فاذا امطرت السماء فقل اللهم سقيا هنيئا وصيبا نافعا اللهم اجعله صيب رحمة ولا تجعله سبب عذاب فاذا غضبت فقل اللهم اغفر ذنبي واذهب غيظ قلبي واجرني من الشيطان الرجيم فاذا خفت قوما فقل اللهم انا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم واذا غزوت فقل اللهم انت عضدي ونصيري وبك اقاتل فاذا طنت اذنك فصل على محمد وقل ذكر الله من ذكرني فاذا رايت استجابة دعائك فقل الحمد لله الذي بعزته وجلاله تتم الصالحات وان ابطات فقل الحمد لله على كل حال فاذا سمعت اذان المغرب فقل اللهم هذا اقبال ليلك وادبار نهارك واصوات دعاتك وحضور صلواتك اسألك ان تغفر لي فاذا اصابك هم فقل اللهم اني عبدك ابن عبدك ابن امتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل في قضاؤك اسألك بكل اسم سميت به نفسك او انزلته في كتابك او اعطيته احدا من خلقك او استاثرت به في علم الغيب عندك ان تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري وجلاء غمي وذهاب حزني وهمي قال صلى الله عليه وسلم ما اصاب احدا حزن فقال ذلك الا اذهب الله همه وابدل مكانه فرحا فقيل يا رسول الله افلا نتعلمها فقال بلى ينبغي لمن سمعها ان يتعلمها واذا وجدت وجعا في جسدك او جسد غيرك فارقه برقية رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا اشتكى الانسان قرحة او جرحا وضع سبابته

على الارض ثم رفعها وقال بسم الله تربة ارضنا بريقة بعضنا يشفى به سقيمنا باذن ربنا فاذا وجدت وجعا في جسدك فضع يدك على الذي تالم من جسدك وقل بسم الله ثلاثا وقل سبع مرات اعوذ بالله وقدرته من شر ما اجد واحاذر واذا اصابك كرب فقل لا اله الا الله العلي الحليم لا اله الا الله رب العرش العظيم لا اله الا الله رب السموات والارض ورب العرش الكريم واذا اردت النوم فتوضا اولا ثم توسد على يمينك مستقبل القبلة ثم كبر اربعا وثلثين وسبحه ثلثا وثلثين واحمده ثلثا وثلثين ثم قال اللهم اني اعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك واعوذ بك منك اللهم لا استطيع ان ابلغ ثناء عليك ولو حرصت ولكن انت كما اثنيت على نفسك اللهم باسمك احيا واموت اللهم رب السموات ورب الارض ورب كل شي ومليكه فالق الحب والنوى ومنزل التوراة والانجيل والقرآن اعوذ بك من شر كل ذي شر ومن شر كل دابة انت اخذ بناصيتها انت الاول فليس قبلك شي وانت الآخر فليس بعدك شي وانت الظاهر فليس فوقك شي وانت الباطن فليس دونك شي اقض عني الدين واغنني من الفقر اللهم انك خلقت نفسي وانت تتوفاها لك مماتها ومحياها اللهم ان امتها فاغفر لها وان احييتها فاحفظها اللهم اني اسألك العافية باسمك رب وضعت جنبي فاغفر لي ذنبي اللهم قني عذابك يوم تجمع عبادك اللهم نفسي اليك رهبة ورغبة اليك لا ملجا ولا منجا منك الا اليك آمنت بكتابك الذي انزلت وبنبيك الذي ارسلت ويكون هذا اخر دعائك فقد امر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وقل قبل ذلك اللهم ايقظني في احب الساعات اليك واستعملني باحب الاعمال اليك التي تقربني اليك زلفا وتبعدني من سخطك بعدا اسألك فتعطيني واستغفرك فتغفر لي وادعوك فتستجيب لي فاذا استيقظت من نومك عند الصباح فقل الحمد لله الذي احيانا بعدما اماتنا واليه النشور اصبحنا واصبح الملك والعظمة والسلطان والقدرة والعزة لله اصبحنا على فطرة الاسلام وكلمة الاخلاص ودين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وملة ابينا ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين اللهم بك اصبحنا وبك امسينا وبك نحيا وبك نموت واليك المصير اللهم انا نسألك ان تبعثنا في هذا اليوم الى كل خير ونعوذ بك ان نجترح فيه سوءا او نجره الى مسلم فانك قلت وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى اجل مسمى اللهم فالق الاصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا اسألك خير هذا اليوم وخير ما فيه واعوذ بك من شره وشر ما فيه بسم الله ما شاء الله لا قوة الا بالله ما شاء الله كل نعمة من الله ما شاء الله الخير كله بيد الله ما شاء الله لا يصرف السوء الا الله رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير واذا امسيت قلت ذلك الا انك تقول امسينا وتقول مع ذلك اعوذ بكلمات الله التامات واسمائه كلها من شر ما ذرا وبرا ومن شر كل ذي شر ومن شر كل دابة انت آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم فهذه ادعية لا يستغني المريد عن حفظها وما سوى ذلك من ادعية السفر والوضوء والصلاة فقد ذكرنا في كتاب الحج والصلوة والطهارة ثم في الدعاء من الفائدة ما ذكرناه في الذكر فانه يستدعي حضور القلب مع الله وهو منتهى العبادات ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم الدعاء مخ العبادة والغالب على الخلق انه لا ينصرف قلوبهم الى ذكر الله الا عند الماس حاجة وارهاق ملمة فان الانسان اذا مسه الشر فذو دعاء عريض فالحاجة تحوج الى الدعاء والدعاء يرد القلب الى الله بالتضرع والاستكانة فيحصل به الذكر الذي هو اشرف العبادات ولذلك صار البلاء موكلا بالانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل لانه يرد القلب بالافتقار والتضرع الى الله ويمنع من نسيانه واما الغنى فسبب للبطر في غالب الامور فان الانسان ان رآه استغنى فهذا ما اوردنا ان نورده من جملة الاذكار والدعوات والله الموفق للخير واما بقية الدعوات في الاكل والسفر وعيادة المريض فسياتي في مواضعها ان شاء الله تعالى

هذا آخر كتاب الاذكار والدعوات والحمد لله وحده

كتاب في ترتيب الاوراد وهو العاشر من ربع العبادات

بسم الله الرحمن الرحيم وعليه نتوكل

نحمد الله على آلائه حمدا كثيرا ونذكره ذكرا لا يغادر في القلب استكبارا ولا نفورا ونشكره اذ جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا ونصلي على نبيه الذي بعثه بالحق بشيرا ونذيرا وعلى آله واصحابه الاكرمين الذين اجتهدوا في عبادته غدوة وعشيا وبكرة واصيلا حتى اصبح كل واحد منهم نجما في الدين هاديا وسراجا منيرا اما بعد فان الله تعالى جعل الارض ذلولا لعباده لا ليستقروا في مناكبها بل ليتخذوها منزلا فيتزودون منها متحرزين من مصائدها ومعاطبها ويتحققون ان العمر يسير بهم سير السفينة براكبها فالناس في هذا العالم سفر واول منازلهم المهد وآخرها اللحد والوطن هو الجنة او النار والعمر مسافة السفر فسنوه مراحله وشهوره فراسخه وايامه امياله وانفاسه خطواته وطاعته بضاعته واوقاته رؤوس امواله وشهواته واغراضه قطاع طريقه وربحه الفوز بلقاء الله في دار السلام مع الملك الكبير والنعيم المقيم وخسرانه البعد من الله مع الانكال والاغلال والعذاب الاليم في دركات الجحيم فالغافل عن نفس من انفاسه حتى ينقضي في غير طاعة تقربه الى الله زلفى متعرض في يوم التغابن لغبينة وحسرة ما لها منتهى ولهذا الخطر العظيم والخطب الهائل شمر الموفقون عن ساق الجد وودعوا بالكلية ملاذ النفس واغتنموا بقايا العمر ورتبوا بحسب تكرر الاوقات وظائف الاوراد حرصا على احياء الليل والنهار في طلب القرب من الملك الجبار والسعي الى دار القرار فصار من مهمات علم طريق الآخرة تفصيل القول في كيفية قسمة الاوراد وتوزيع العبادات التي سبق شرحها على مقادير الاوقات ويتضح هذا المهم بذكر بابين **الباب الاول** في فضيلة الاوراد وترتيبها في اليوم والنهار **الباب الثاني** في كيفية احياء الليل وفضله وما يتعلق به

الباب الاول في فضيلة الاوراد وترتيبها واحكامها

فضيلة الاوراد وبيان ان المواظبة عليها هو الطريق الى الله

اعلم ان الناظرين بنور البصيرة علموا انه لا نجاة الا في لقاء الله وانه لا سبيل الى اللقاء الا بان يموت العبد محبا لله وعارفا بالله وان المحبة والانس لا يحصل الا من دوام ذكر المحبوب والمواظبة وان المعرفة لا تحصل الا بدوام الذكر فيه ومن صفاته وافعاله وليس في الوجود سوى الله تعالى وافعاله ولن يتيسر دوام الفكر والذكر الا بوداع الدنيا وشهواتها والاجتزاء منها بقدر البلغة والضرورة وكل ذلك لا يتم الا باستغراق اوقات الليل والنهار في وظائف الاذكار والافكار والنفس لما جبلت عليه من السآمة والملال لا تصبر على فن واحد من الاسباب المعينة على الذكر والفكر بل اذا ردت الى نمط واحد اظهرت الملال والاستثقال وان الله لا يمل حتى تملوا فمن ضرورة اللطف بها ان تروح بالتنقل من فن الى فن ومن نوع الى نوع بحسب كل وقت لتغزر بالانتقال لذتها وتعظم بالكثرة رغبتها ويدوم بدوام الرغبة مواظبتها فلذلك تقسم الاوراد قسمة مختلفة فالذكر والفكر ينبغي ان يستغرق جميع

الاوقات او اكثرها فان النفس بطبعها مائلة الى ملاذ الدنيا فان صرف العبد شطر اوقاته الى التدبيرات الدنيوية وشهواتها المباحة مثلا والشطر الآخر الى العبادات رجح جانب الميل الى الدنيا لموافقتها للطبع اذ يكون الوقت متساويا فانى يتقاومان والطبع لاحدهما مرجح اذ الظاهر والباطن يتساعدان على امور الدنيا ويصفو في طلبها القلب ويتجرد واما الرد الى العبادات فمتكلف ولا يسلم اخلاص القلب وحضوره الا في بعض الاوقات فمن اراد ان يدخل الجنة بغير حساب فليستغرق اوقاته بالطاعة ومن اراد ان ترجح كفة حسناته وتثقل موازين خيراته فليستوعب في الطاعة اكثر اوقاته فان خلط عملا صالحا وآخر سيئا فامره مخطر ولكن الرجاء غير منقطع والعفو من كرم الله منتظر فعسى الله ان يغفر له بجوده وكرمه فهذا ما انكشف للناظرين بنور البصيرة فان لم تكن من اهله فانظر الى خطاب الله سبحانه لرسوله واقتبسه بنور الايمان فقد قال الله تعالى لاقرب العباد اليه وارفعهم درجة لديه ان لك في النهار سبحا طويلا واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا وقال واذكر اسم ربك بكرة واصيلا ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا وقال تعالى وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسبحه وادبار السجود وقال تعالى ان ناشئة الليل هي اشد وطأ واقوم قيلا وقال تعالى فسبح واطراف النهار لعلك ترضى وقال تعالى واقم الصلوة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ثم انظر كيف وصف الفائزين من عباده وبماذا وصفهم فقال امن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا وقال عز وجل والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما وقال عز من قائل كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالاسحار هم يستغفرون وقال تعالى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون اي سبحوا الله حين تمسون وحين تصبحون وقال تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه فهذا كله يبين لك ان الطريق الى الله مراقبة الاوقات وعمارتها بالاوراد على سبيل الدوام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احب عباد الله الى الله الذين يراعون الشمس والقمر والاظلة لذكر الله وقد قال تعالى الشمس والقمر بحسبان وقال تعالى الم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا وقال تعالى والقمر قدرناه منازل وقال وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها ولا تظنن ان المقصود من سير الشمس والقمر بحساب منظوم مرتب ومن خلق الظل والنور ان يستعان بهما على امور الدنيا بل لتعرف مقادير الاوقات فتشتغل فيها بالطاعات والتجارة للدار الآخرة يدلك عليه قوله تعالى وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا اي يخلف احدهما الآخر ليتدارك في احدهما ما فات في الآخر وبين ان ذلك للذكر والشكر لا لغيره وقال تعالى وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم وانما الفضل المبتغى هو الثواب والمغفرة

بيان اعداد الاوراد وترتيبها

اعلم ان اوراد النهار سبعة فيما بين طلوع الصبح الى طلوع قرص الشمس ورد وما بين طلوع الشمس الى الزوال وما بين الزوال الى وقت العصر وردان وما بين العصر الى الغروب وردان والليل ينقسم باوراد اربعة وردان من المغرب الى وقت نوم الناس ووردان في النصف الاخير من الليل الى طلوع الصبح فلنذكر وظيفة كل ورد وفضيلته وما يتعلق به فالورد الاول من طلوع الصبح الى طلوع الشمس وهو وقت شريف ويدل على شرفه وفضله اقسام الله تعالى به اذ قال والصبح اذا تنفس وتمدحه به اذ قال فالق الاصباح وقال قل اعوذ برب الفلق واظهار القدرة بقبض الظل فيه اذ قال ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا وهو وقت قبض ظل الليل ببسط نور الشمس وارشاده الناس الى التسبيح فيه بقوله فسبحان الله

غروبه

حين تمسون وحين تصبحون وبقوله فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقوله ومن آناء الليل فسبح واطراف النهار وقوله
واذكر اسم ربك بكرة واصيلا واما ترتيبه فلناخذ من وقت انتباهه من النوم فاذا انتبه فينبغي ان يبدري بذكر الله فيقول
الحمد لله الذي احيانا بعد ما اماتنا واليه النشور الى آخر الادعية والايات التي ذكرناها في الاستيقاظ من كتاب الدعوات
ويلبس وهو في الدعاء وينوي به ستر العورة امتثالا لامر الله واستعانة على عبادة الله من غير قصد ريا ولا رعونة ثم يتوجه الى
بيت الماء ان كان به حاجة ويدخل اولا رجله اليسرى ويدعو بالادعية التي ذكرناها فيه في كتاب الطهارة عند الدخول والخروج
ثم يستاك على السنة كما سبق ويتوضا مراعيا لجميع السنن والادعية التي ذكرناها في الطهارة فانا انما قدمنا احاد العبادات
لكي نذكر في هذا الكتاب وجه التركيب والترتيب فقط فاذا فرغ من الوضوء صلى ركعتين للصبح اعني السنة في منزله كذلك كان
يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقرا بعد الركعتين التي اداهما في البيت او في المسجد الذي رواه ابن عباس فيقول اللهم
اني اسالك رحمة من عندك تهدي بها قلبي الى آخر الاية ثم يخرج من البيت متوجها الى المسجد ولا ينسى دعاء الخروج الى
المسجد ولا يسعى الى الصلوة بل يمشي وعليه السكينة كما ورد به الحديث ولا يشبك بين اصابعه ويدخل المسجد ويقدم رجله اليمنى
ويدعو بالدعاء الماثور لدخول المسجد ثم يطلب من المسجد الصف الاول ان وجد متسعا ولا يتخطا رقاب الناس ولا يزاحم
كما سبق ذكره في كتاب الجمعة ثم يصلي ركعتي الفجر ان لم يكن صلاهما في منزله ويشتغل بالدعاء المذكور بعده وان كان قد صلى ركعتي
الفجر صلى ركعتي التحية وجلس منتظرا للجماعة والاحب التغليس بالجماعة فقد كان صلى الله عليه وسلم يغلس بالصبح ولا ينبغي ان
يدع الجماعة في الصلاة عامة وفي الصبح والعشاء خاصة فان لهما زيادة فضل روى انس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال في صلوة الصبح من توضا ثم توجه الى المسجد يصلي فيه الصلاة كان له بكل خطوة حسنة ومحي عنه سيئة والحسنة بعشر امثالها
فاذا صلى ثم انصرف عند طلوع الشمس كتب له بكل شعرة في جسده حسنة وانقلب بحجة مبرورة فان جلس حتى يركع كتب له

قال رجل من التابعين نعلت النجي قبل طلوع الفجر

بكل ركعة الفي الف حسنة ومن صلى العتمة فله مثل ذلك وانقلب بعمرة مبرورة وكان من عادة السلف دخول المسجد قبل
طلوع الفجر فالفيت ابا هريرة قد سبقني فقال يا ابن اخي لاي شي خرجت من منزلك هذه الساعة فقلت لصلاة الغداة فقال ابشر
فانا كنا نعد خروجنا وقعودنا في المسجد في هذه الساعة بمنزلة غزوة في سبيل الله او قال مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعن علي ان النبي صلى الله عليه وسلم طرقه وفاطمة وهما نائمان فقال الا تصلون قال علي فقلت يا رسول الله انما انفسنا
بيد الله فاذا شاء ان يبعثنا بعثنا فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضرب بيده فخذه ويقول وكان الانسان
اكثر شي جدلا ثم تشتغل بعد ركعتي الفجر بالاستغفار والتسبيح الى ان يقام الصلوة فيقول استغفر الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم
سبعين مرة وسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر مائة مرة ثم يصلي الفريضة مراعيا جميع ما ذكرناه من الاداب
الباطنة والظاهرة في الصلوة والقدوة ثم يقعد في المسجد الى طلوع الشمس في ذكر الله كما سنرتبه فقد قال صلى الله عليه وسلم
لان اقعد في مجلس اذكر الله فيه من صلوة الغداة الى طلوع الشمس احب الي من ان اعتق اربع رقاب وروي انه كان صلى الله عليه
وسلم اذا صلى بالغداة قعد في مصلاه حتى تطلع الشمس وفي بعضها ويصلي ركعتين اي بعد الطلوع وقد ورد في فضل ذلك ما لا
يحصى وروى الحسن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان فيما يذكر من رحمة ربه يقول انه قال يا ابن آدم اذكرني من بعد صلوة
الفجر ساعة وبعد صلوة العصر ساعة اكفك ما بينهما فاذا ظهر فضل ذلك فليقعد ولا يتكلم الى طلوع الشمس بل ينبغي ان يكون له
وظيفته الى الطلوع اربعة انواع ادعية واذكار يكررها في سبحة وقراءة قران وتفكر اما الادعية فكلما يفرغ من صلوته

من صلوته فليبدا وليقل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد اللهم انت السلام ومنك السلام واليك السلام حينا ربنا بالسلام
وادخلنا دار السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام ثم يفتتح للدعاء بما كان يفتتح به رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قوله
سبحان ربي العلي الاعلى الوهاب لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده
الخير وهو حي لا يموت وهو على كل شي قدير لا اله الا الله اهل النعمة والفضل والثناء الحسن لا اله الا الله ولا نعبد الا اياه
مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ثم يبتدي بالادعية التي اوردناها في الباب الثالث والرابع من كتاب الدعوات فيدعو
بجميعها ان قدر عليه او يحفظ في جملتها ما يراه اوفق لحاله وارق لقلبه واخف على لسانه واما الاذكار المكررة فهي
كلمات ورد في تكرارها فضائل لم نطول بايرادها واقل ما ينبغي ان يكرر كل واحد منها ثلثا او سبعا واكثره مائة او سبعين
واوسطها عشرا وليكرره بقدر فراغه وسعة وقته وفضل الاكثر اكثر والاوسط الاقتصاد ان يكرره عشر مرات فهو جدير
بان يدوم عليه وخير الامور ادومها وان قل وكل وظيفة لا يمكن المواظبة على كثيرها فقليلها مع المداومة افضل واشد
تاثيرا في القلب من كثيرها ومثال القليل الدائم مثال القطرات ما يتقاطر على الارض على التوالي فيحدث فيها حفرة ولو
وقع ذلك على حجر ومثال الكثير المتفرق ما يصيب دفعة او دفعات متفرقة متباعدة الاوقات فلا يتبين لها اثر ظاهر
وهذه الكلمات عشرة الاول قوله لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو
على كل شي قدير الثانية قوله سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله الثالثة قوله
سبوح قدوس رب الملائكة والروح الرابعة سبحان الله العظيم وبحمده الخامسة قوله استغفر الله الذي لا اله الا
هو الحي القيوم واسأله التوبة السادسة قوله اللهم لا مانع لما اعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد
السابعة قوله لا اله الا الله الملك الحق المبين الثامنة قوله بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شي في الارض ولا في السماء وهو
السميع العليم التاسعة قوله اللهم صل على محمد وعلى آل محمد العاشرة قوله اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان
الرجيم اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون فهذه العشرة الكلمات اذا كرر كل واحدة عشر مرات
حصل له مائة مرة فهو افضل من ان يكرر ذكرا واحدا لان لكل واحد من هذه الكلمات فضلا على حياله وللقلب بكل واحد
نوع تنبه وتلذذ وللنفس في الانتقال من كلمة الى كلمة نوع استراحة وامن من الملال فاما القراءة فيستحب له قراءة جملة
من الايات وردت الاخبار بفضلها وهو ان يقرأ سورة الحمد واية الكرسي وخاتمة البقرة في قوله امن الرسول وشهد الله انه

فضل مسبعات عشرة

لا اله الا هو وقل اللهم مالك الملك الايتين وقوله تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم الى اخرها وقوله تعالى لقد صدق
الله رسوله الرويا بالحق لتدخلن المسجد الحرام الى اخرها وقوله تعالى وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك
في الملك الاية وخمس ايات من اول الحديد وثلثا من اخر سورة الحشر وان قرا المسبعات العشرة التي اهداها الخضر الى ابرهيم
التيمي ووصاه ان يقولها غدوة وعشية فقد استكمل الفضل وجمع له ذلك فضيلة جملة الادعية المذكورة فقد روي عن
كرز بن وبرة وكان من الابدال قال اتاني اخ لي من اهل الشام فاهدى لي هدية وقال يا كرز اقبل مني هذه الهدية فانها نعم الهدية
فقلت يا اخي من اهدى هذه الهدية لك فقال اعطانيها ابرهيم التيمي قلت افلم تسال ابرهيم من اعطاه قال بلى فقال كنت جالسا
في فناء الكعبة وانا في التهليل والتسبيح والتمجيد فجاءني رجل فسلم علي وجلس عن يميني فلم ار في زماني احسن وجها منه ولا احسن منه
ثيابا ولا اشد بياضا واطيب رائحة فقلت يا عبد الله من انت ومن اين انت فقال انا الخضر فقلت في اي شي جئتني فقال

فقال احبك للسلم عليك ولك في الله عندي هدية اريد ان اهديها اليك فقلت ما هي فقال هي ان تقول قبل طلوع الشمس و
انبساطها على الارض وقبل الغروب سورة الحمد وقل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس وقل هو الله احد وقل يا ايها الكافرون
واية الكرسي كل سبع مرات وتقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر سبع مرات وتصلي على النبي صلى الله عليه
وسلم سبعا وتستغفر للمؤمنين والمؤمنات سبعا وتستغفر لنفسك ولوالديك سبعا وتقول اللهم افعل بي وبهم عاجلا
وآجلا في الدين والدنيا والآخرة ما انت له اهل ولا تفعل بنا يا مولاي ما نحن له اهل انك غفور رحيم سبع مرات فانظر لا تدع
ذلك غدوة وعشية فقلت احب ان تخبرني من اعطاك هذه العطية العظيمة فقال اعطانيها محمد صلى الله عليه وسلم
فقلت اخبرني بثواب ذلك فقال اذا لقيت محمدا صلى الله عليه وسلم فسله عن ثوابه فانه يخبرك بذلك فذكر ابراهيم التيمي
انه راى ذات يوم في منامه كان الملئكة جاءته فاحتملته حتى ادخلوه الجنة فراى ما فيها ووصف امورا عظاما راه في الجنة قال
فسالت الملئكة فقلت لمن هذا فقالوا للذي يعمل مثل عملك وذكر انه من ثمرها وسقوه [من شرابها] قال فاتاني النبي صلى الله عليه وسلم
ومعه سبعون نبيا وسبعون صفا من الملئكة كل صف مثل ما بين المشرق والمغرب فسلم علي واخذ بيدي فقلت يا رسول الله ان
الخضر عليه السلم اخبرني انه سمع منك هذا الحديث فقال صدق الخضر وكل ما يحكيه فهو حق وهو عالم اهل الارض وهو رئيس الابدال
وهو من جنود الله في الارض فقلت يا رسول الله فمن فعل هذا او عمله ولم ير مثل الذي رايته في منامي هل يعطى شيئا مما اعطيته فقال والذي
بعثني بالحق نبيا انه ليعطى العامل بهذا وان لم يرني ولم ير الجنة انه ليغفر له جميع الكبائر التي عملها ويرفع الله عنه غضبه ومقته
ويؤمر صاحب الشمال ان لا يكتب عليه شيئا من السيئات الى سنة والذي بعثني بالحق نبيا ما يعمل بهذا الا من خلقه الله سعيدا ولا يتركه
الا من خلقه الله شقيا وكان ابراهيم مكث اربعة اشهر لم يطعم ولم يشرب فلعله كان بعد هذه الرؤيا فهذه وظيفة القراءة فان اضاف
اضاف اليها شيئا مما انتهى اليه ورده من القرآن او اقتصر عليها فحسن فان القرآن جامع لفضل الذكر والفكر والدعاء مهما كان بتدبر
كما ذكرنا فضله وادبه في كتاب التلاوة واما الافكار فليكن ذلك احد وظائفه وسياتي تفصيل ما يتفكر فيه وكيفيته
في كتاب التفكر من ربع المنجيات ولكن مجامعه ترجع الى فنين احدهما ان يتفكر فيما ينفعه في المعاملة بان يحاسب نفسه فيما سبق من
تقصيره ويرتب وظائفه في يومه الذي بين يديه ويدبر في دفع الصوارف والعوائق الشاغلة له عن الخير ويتذكر تقصيره وما يتطرق
اليه الخلل من اعماله ليصلحه ويحضر في قلبه النيات الصالحة في اعماله في نفسه وفي معاملته للمسلمين والفن الثاني
فيما ينفعه في علم المكاشفة بان يتفكر مرة في نعم الله وتواتر آلائه الظاهرة والباطنة لتزيد معرفته بها ويكثر شكره عليها او في عقوباته
ونقماته لتزيد معرفته بقدرة الله واستغنائه ويزيد خوفه منها ولكل واحد من هذه الامور شعب كثيرة ويتسع التفكر فيها على بعض
الخلق دون بعض وانما نستقصي ذلك في كتاب التفكر ومهما تيسر الفكر فهو اشرف العبادات اذ فيه معنى الذكر لله وزيادة امرين
احدهما اذ الفكر مفتاح المعرفة والكشف والثاني زيادة المحبة اذ لا يحب القلب الا من اعتقد تعظيمه ولا ينكشف عظمة الله [زيادة معرفة]
وجلاله الا بمعرفة صفاته ومعرفة قدرته وعجائب افعاله فيحصل من الفكر المعرفة ومن المعرفة التعظيم ومن التعظيم المحبة و
الذكر ايضا يورث الانس وهو نوع من المحبة ولكن المحبة التي سببها المعرفة اقوى واثبت واعظم ونسبة محبة العارف الى
الى انس الذاكر من غير تمام الاستبصار كنسبة عشق من شاهد جمال شخص بالعين واطلع على حسن اخلاقه وافعاله وفضائله
وخصاله الحميدة بالتجربة الى انس من كرر على سمعه وصف شخص غائب عن عينه بالحسن في الخلق والخلق مطلقا من غير تفصيل
وجوه الحسن فيهما فليس محبته له كمحبة المشاهد وليس الخبر كالمعاينة والعباد المواظبون على ذكر الله بالقلب واللسان

واللسان الذين صدقوا بما جاءت به الرسل بالايمان التقليدي ليس معهم من محاسن صفات الله الا امور جملية اعتقدوها
بتصديق من وصفها لهم والعارفون هم الذين شاهدوا ذلك الجلال والجمال بعين البصيرة الباطنة التي هي اقوى من
البصر الظاهر لا ان احدا منهم احاط بكنه جلاله وجماله فان ذلك غير مقدور لاحد من الخلق ولكن كل واحد شاهد بقدر ما رفع
له من الحجاب ولا نهاية لجمال الحضرة الربوبية ولا لحجبها وانما عدد حجبها التي استحقت ان تسمى نورا وكاد ان يظن الواصل
اليها انه قد تم وصوله الى الاصل سبعون حجابا من نور ولو كشفها لاحرقت سبحات وجهه كل ما ادرك وتلك الحجب مترتبة وتلك
الانوار متفاوتة في الرتب تفاوت الشمس والقمر والكواكب ويبدو في الاول اصغرها ثم ما يليه وعليه اول بعض الصوفية
درجات ما كان يظهر لابراهيم الخليل صلوات الله عليه في ترقيه وقال فلما جن عليه الليل اي اظلم عليه الامر راى كوكبا
اي وصل الى حجاب من حجب النور فعبر عنه الاخر بالكوكب وما اريد به هذه الاجسام المضيئة فان احاد العوام لا يخفى
عليهم ان الربوبية لا تليق بالاجسام بل يدركون ذلك باوائل نظرهم فما لم يضلل العوام لا يضلل الخليل عليه السلم والحجب
المسماة انوارا ما اريد بها الضوء المحسوس بالبصر بل اريد بها ما اريد بقوله تعالى الله نور السموات والارض مثل نوره الاية
ولنتجاوز هذه المعاني فانها خارجة عن علم المعاملة ولا يوصل الى حقائقها الا الكشف التابع للفكر الصافي وقل ما
ينفتح له بابه والميسر على جماهير الخلق الفكر فيما يفيد في علوم المعاملة وذلك ايضا مما تعز فائدته ويعظم نفعه فهذه
الوظائف الاربعة اعني الدعاء والذكر والقراءة والفكر ينبغي ان تكون وظيفة المريد بعد صلاة الصبح بل في كل ورد وبعد الفراغ
وظيفة الصلاة فليس بعد الصلوة وظيفة سوى هذه الاربع ويقوى على ذلك بان ياخذ سلاحه ومجنته والصوم هو الجنة
التي تضيق مجاري الشيطان المعادي الصارف له عن سبيل الرشاد وليس بعد طلوع الصبح صلوة سوى ركعتي الفجر وفرض
الى طلوع الشمس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم يشتغلون في هذا الوقت بالاذكار فهو الاولى
الا ان يغلبه النوم قبل الفرض ولم يندفع الا بالصلوة فلو صلى لذلك فلا باس به الورد الثاني ما بين طلوع الشمس الى
ضحوة النهار واعني بالضحوة منتصف ما بين طلوع الشمس والزوال وذلك يمضي ثلث ساعات من النهار اذا فرض النهار
اثني عشر ساعة وهو الربع وفي هذا الربع من النهار وظيفتان زائدتان احدهما صلاة الضحى وقد ذكرنا في كتاب الصلوة ان
الاولى ان يصلي ركعتين عند الاشراق وذلك اذا انبسطت الشمس وارتفعت قدر نصف رمح ويصلي اربعا او ستا او ثمانيا اذا
ارمضت الفصال وضحت الاقدام بحر الشمس فوقت الركعتين هو الذي اراده الله تعالى بقوله يسبحن بالعشي والاشراق فانه وقت اشراق
الشمس وهو ظهور تمام ضوئها بارتفاعها عن موازاة البخارات والغبارات التي على وجه الارض فانها تمنع اشراقها التام ووقت
الاربع هو الضحى الاعلى الذي اقسم الله تعالى به فقال والضحى والليل اذا سجى وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على اصحابه وهم
يصلون عند الاشراق فنادى باعلى صوته الا ان صلاة الاوابين اذا رمضت الفصال فلذلك نقول اذا كان يقتصر على مرة واحدة
في الصلوة فهذا الوقت افضل لصلاة الضحى وان كان اصل الفضل يحصل بالصلاة بين طرفي وقتي الكراهة وهو ما بين ارتفاع الشمس
بطلوع نصف رمح بالتقريب الى ما قبل الزوال في ساعة الاستواء واسم الضحى ينطلق على الكل وكان ركعتي الاشراق يقع في مبدا
وقت الاذن في الصلوة وانقضاء الكراهية اذ قال صلى الله عليه وسلم ان الشمس تطلع ومعها قرن الشيطان فاذا ارتفعت
فارقها فاول ارتفاعها ان ترتفع عن حجاب الارض وغبارها وهذا يراعى بالتقريب الوظيفة الثانية في هذا الوقت الخيرات
المتعلقة بالناس التي جرت بها العادات بكرة من عيادة مريض وتشييع جنازة ومعاونة على بر وتقوى وحضور مجلس علم و

وما يجري مجراه ومن قضاء مسلم وغيرها فان لم يكن شيء من ذلك عاد الى الوظائف الاربعة التي قدمناها من الادعية والذكر
والقراءة والفكر والصلوات المتطوع بها ان شاء فانها مكروهة بعد صلاة الصبح وليست مكروهة الآن فتصير الصلوة قسما
خامسا من جملة وظائف هذا الوقت لمن اراده واما ما بعد فريضة الصبح فيكره كل صلوة لا سبب لها وبعد الصبح الاحب ان
يقتصر على ركعتي الفجر وتحية المسجد ولا يشتغل بالصلوة بل بالاذكار والقراءة والدعاء والفكر ٥ الورد الثالث
من ضحوة النهار الى الزوال ونعني بالضحوة المنتصف وما قبله بقليل وكان بعد كل ثلث ساعات امر بصلاة فاذا انقضى ثلث
ساعات بعد الطلوع فعندها وقبل فعندها مضيها صلاة الضحى فاذا مضت ثلث اخرى فالظهر فاذا مضت ثلث اخرى فالعصر
واذا مضت ثلث اخرى فالمغرب ومنزلة الضحى بين الزوال والطلوع كمنزلة العصر بين الزوال والغروب الا ان الضحى لم تفترض
لانه وقت اكباب الناس على اشغالهم فخفف عنهم والوظيفة في هذا الوقت الاقسام الاربعة وبزيد امران احدهما الاشتغال
بالكسب وتدبير المعاش وحضور السوق فان كان تاجرا فينبغي ان يتجر بصدق وامانة وان كان صاحب ضياعة فبنصح وشفقة
ولا ينسى ذكر الله في جميع اشغاله ويقتصر من الكسب على قدر حاجته ليومه مهما قدر على ان يكتسب في كل يوم في وقته فاذا
حصلت كفاية يومه فليرجع الى بيت ربه وليتزود لآخرته فان الحاجة الى زاد الآخرة اشد والتمتع به ادوم فالاشتغال
بكسبه اهم من طلب الزيادة على حاجة الوقت فقد قيل لا يوجد المؤمن الا في ثلثة مواطن مسجد يعمره او بيت يستره او
حاجة لا بد له وقلما تعرف القدر فيما لا بد منه بل اكثر الناس يعدون فيما عنه بد انه لا بد منه وذلك لان الشيطان يعدهم
الفقر والله يعدهم مغفرة منه وفضلا فيعرضون عنه ولا يرغبون فيه ٥ الامر الثاني القيلولة وهي سنة ليستعين بها
على قيام الليل كما ان التسحر سنة يستعان به على صيام النهار فان كان لا يقوم بالليل ولو لم ينم يشتغل بخير وربما خالط اهل الغفلة وتحدث
معهم فالنوم احب له اذا كان لا ينبعث نشاطه للرجوع الى الاذكار والوظائف المذكورة اذ في النوم الصمت والسلامة
وقد قال بعضهم يأتي على الناس زمان الصمت والسلامة وقد قال بعضهم يأتي على الناس زمان الصمت والنوم فيه افضل اعمالهم
فكم من عابد احسن احواله النوم وذلك اذا كان يرائي بعبادته ولا يخلص وكيف بالغافل الفاسق قال سفيان الثوري كان
يعجبهم اذا تفرغوا ان يناموا طلبا للسلامة فاذا نومه على قصد طلب السلامة ونية قيام الليل قربة ولكن ينبغي ان يتنبه قبل الزوال بقدر
الاستعداد للصلاة بالوضوء وحضور المسجد قبل دخول وقت الصلوة فان ذلك من فضائل الاعمال وان لم ينم ولم يشتغل بالكسب
واشتغل بالصلاة والذكر فهو افضل اوقات النهار لانه وقت غفلة الناس عن الله واشتغالهم بهموم الدنيا والقلب المتفرغ
لخدمة ربه عند اعراض العبيد عن بابه جدير بان يزكيه الله تعالى ويصطفيه لقربه ومعرفته وفضل ذلك كفضل احياء الليل
فان الليل وقت الغفلة بالنوم وهذا وقت الغفلة باتباع الهوى والاشتغال بهموم الدنيا واحد معنى قوله تعالى وهو الذي
جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد اي يخلف احدهما الآخر في الفضل والثاني ان يخلفه فيتدارك فيه ما فات في الآخر
٥ الورد الرابع ما بين الزوال الى الفراغ من صلوة الظهر وراتبته وهو اقصر اوراد النهار وافضلها فاذا كان
قد توضأ قبل الزوال وحضر المسجد فمهما زالت الشمس وابتدأ المؤذن الاذان فليصبر الى الفراغ من جواب اذانه ثم لينهض الى احياء
ما بين الاذان والاقامة فهو وقت الاظهار الذي فيه قال الله تعالى بقوله وحين تظهرون وليصل في هذا الوقت اربع
ركعات يفصل بينهن بتسليمة واحدة هذه الصلاة وحدها من بين سائر صلوات النهار يصليها بتسليمة واحدة هكذا نقله
بعض العلماء ولكن طعن في تلك الرواية ومذهب الشافعي رحمة الله عليه انه يصلي مثنى كسائر الصلوات النوافل وهو الذي صح به

به الاخبار وليطول هذه الركعات اذ فيها تفتح ابواب السماء كما اوردنا الخبر فيه في باب صلوة التطوع وليقرأ فيها سورة
البقرة او سورتين من المائين او اربعا من المثاني فهذه ساعة يستجاب فيها الدعاء واحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
يرفع له فيها عمل ثم يصلي الظهر بجماعة بعد اربع ركعات طويلة كما سبق او قصيرة لا ينبغي ان يدعها ثم ليصل بعد الظهر ركعتين
ثم اربعا ذكره ابن مسعود ان يتبع الفريضة مثلها من غير حاصل ويستحب ان يقرأ في هذه النافلة آية الكرسي وآخر البقرة
والآيات التي اوردناها في الورد الاول ليكون ذلك جامعا له بين الدعاء والذكر والقراءة والتحميد والتسبيح مع شرف الوقت
الورد الخامس ما بعد ذلك الى العصر ويستحب فيه العكوف في المسجد مشغولا بالذكر والصلاة او فنون الخير و
يكون في انتظار الصلوة معتكفا فمن فضائل الاعمال انتظار الصلوة بعد الصلوة وكان ذلك سنة السلف كان الرجل يدخل المساجد
بين الظهر والعصر فيسمع للمصلين دوي كدوي النحل من التلاوة فان كان بيته اسلم لدينه واجمع لهمه فالبيت افضل في حقه واحياء
هذا الورد وهو ايضا وقت غفلة الناس كاحياء الورد الثالث في الفضل وفي هذا الوقت يكره النوم لمن نام قبل الزوال
اذ يكره نومتان بالنهار قال بعض العلماء ثلث يمقت الله عليها الضحك من غير عجب والاكل من غير جوع والنوم بالنهار من غير
سهر الليل والحد في النوم في الليل والنهار اربع وعشرون ساعة والاعتدال في نومه ثماني ساعات في الليل والنهار
جميعا فان نام هذا القدر بالليل فلا معنى للنوم وان نقص منه مقدارا استوفاه بالنهار فحسب ابن آدم ان عاش ستين سنة
ان ينقص من عمره عشرين سنة ومهما نام ثماني ساعات فهو الثلث فقد نقص من عمره الثلث ولكن لما كان النوم غذاء الروح كما
ان الطعام غذاء البدن كما ان العلم والذكر غذاء القلب لم يمكن قطعه عنه وقدر الاعتدال هذا والنقصان ربما يفضي الى اضطراب
وهو الورد وهو اطول الاوراد وامتعها للعباد وهو احد الآصال التي ذكرها الله تعالى اذ قال ولله يسجد من في السموات
والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال واذا سجد لله الجمادات فكيف يجوز ان يغفل العبد العاقل عن انواع
العبادات ٥ الورد السادس اذا دخل وقت العصر دخل وقت الورد السادس وهو الذي اقسم الله تعالى به اذا
قال والعصر ان الانسان هذا احد معنيي الآية وهو المراد بالآصال في احد التفسيرين وهو العشي المذكور في قوله وعشيا
وفي قوله بالعشي والاشراق وليس في هذا الورد صلوة الا اربع ركعات بين الاذانين كما سبق في الظهر ثم يصلي الفرض و
يشتغل بالاقسام الاربعة المذكورة في الورد الاول الى ان ترتفع الشمس الى رؤس الحيطان وتصفر والافضل فيه اذ منع
عن الصلوة تلاوة القرآن بتدبر وتفهم اذ يجمع ذلك معنى الذكر والدعاء والفكر فيندرج في هذا القسم اكثر معاني الاقسام
الثلثة ٥ الورد السابع اذا اصفرت الشمس بان تقرب من الارض بحيث يغطي نورها الغبارات والبخارات التي هي في
وجه الارض ويرى صفرة في ضوئها فيدخل هذا الورد وهو مثل الورد الاول من طلوع الفجر الى طلوع الشمس لانه قبل الغروب
كما ان ذلك قبل الطلوع وهو المراد بقوله تعالى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وهو الطرف الثاني المراد بقوله
تعالى اطراف النهار قال الحسن كانوا اشد تعظيما للعشي منهم لاول النهار وقال بعض السلف كانوا يجعلون اول النهار
للدنيا وآخره للآخرة فيستحب في هذا الوقت التسبيح والاستغفار خاصة وسائر ما ذكرناه في الورد الاول مثل ان يقول
استغفر الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم واسأله التوبة وسبحان الله العظيم وبحمده من قوله تعالى واستغفر لذنبك
وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار والاستغفار على الاسماء التي في القرآن احب كقوله تعالى استغفروا الله انه كان
غفارا استغفر الله انه كان توابا رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين فيستحب

ان تقرأ قبل غروب الشمس والشمس وضحاها والليل اذا يغشى والمعوذتين وليغرب الشمس عليه وهو في الاستغفار فاذا
سمع الاذان قال اللهم اني اسئلك عند اقبال ليلك وادبار نهارك الدعا كما سبق ثم يجيب المؤذن ويشتغل بصلاة المغرب
وبالغروب قد انتهت اوراد النهار فينبغي ان يلاحظ العبد احواله ويحاسب نفسه فقد انقضى من طريقه مرحلة فهل ساوى يومه امسه
فيكون مغبونا او كان شرا منه فيكون ملعونا فقد قال صلى الله عليه وسلم لا بورك لي في يوم لا ازداد فيه خيرا فان راى نفسه
متوفرا على الخير جميع نهاره مترفها عن التجشم كانت بشارة فليشكر الله على توفيقه وتسديده اياه لطريقه وان تكن الاخرى فالليل
خلفة النهار فليشكر الله على صحة جسمه وبقاء بقية من عمره طول ليله ليشتغل بتدارك تقصيره وليحضر في قلبه ان نهار العمر له اخر
يغرب فيه شمس الحيوة فلا يكون لها بعد طلوع وعند ذلك يغلق باب التدارك والاعتذار فليس العمر الا اياما معدودة تنقضي
لا محالة جملتها بانقضاء احادها

بيان اوراد الليل وهي خمسة

الاول اذا غربت الشمس صلى المغرب
واشتغل باحياء ما بين العشائين فاخر هذا الورد غيبوبة الشفق اعني الحمرة التي بغيبوبتها يدخل وقت العتمة وقد اقسم الله تعالى به
فقال فلا اقسم بالشفق والصلاة فيه هي ناشئة الليل لانه اول نشو ساعاته وهو آن من الاناء المذكورة في قوله تعالى ومن اناء الليل
فسبح وهي صلوة الاوابين وهي المراد بقوله تتجافى جنوبهم عن المضاجع روى ذلك عن الحسن واسنده ابن ابي زياد الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه سئل عن هذه الاية فقال صلى الله عليه وسلم الصلوة بين العشائين ثم قال عليكم بالصلاة بين العشائين فانها
تذهب بملاغات النهار وتهذب آخره وسئل انس عمن ينام بين العشائين فقال لا تفعل فانها الساعة المعنية بقوله تعالى تتجافى جنوبهم
عن المضاجع وسيأتي فضل احياء ما بين العشائين في الباب الثاني وترتيب هذا الورد ان يصلي بعد المغرب ركعتين اولا يقرأ فيهما
قل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد ويصليهما عقيب المغرب من غير تخلل كلام ولا شغل ثم يصلي اربعا يطيلها ثم يصلي الى غيبوبة
الشفق ما تيسر له وان كان المسجد قريبا من المنزل فلا باس ان يصليها في بيته ان لم يكن عزمه الاعتكاف في المسجد وان عزم على
الاعتكاف لانتظار عشاء الاخرة فهو فضل اذا كان آمنا من التصنع والرياء الورد الثاني يدخل بدخول وقت العشاء
الاخرة الى حد نومة الناس وهو اول استحكام الظلام وقد اقسم الله تعالى به اذ قال والليل وما وسق اي وما جمع من ظلمته وقال
الى غسق الليل فهناك يغسق الليل ويستوسق ظلمته وترتيب هذا الورد بمراعاة ثلثة امور الاول ان يصلي سوى
فرض العشاء عشر ركعات اربعا قبل الفرض احياء لما بين الاذانين وستا بعد الفرض ركعتين ثم اربعا ويقرأ فيها من القران الايات
المخصوصة كاخر البقرة واية الكرسي واول الحديد وغيرها الثاني ان يصلي ثلاث عشرة ركعة اخرهن الوتر فانه اكثر ما روي
ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى به من الليل والاكياس ياخذون اوقاتهم من اول الليل والاقوياء من اخره والحزم التقديم
فانه ربما لا يستيقظ او يثقل عليه القيام الا اذا صار ذلك عادة له فاخر الليل افضل ثم ليقرأ في هذه الصلاة قدر ثلثمائة اية من السور
المخصوصة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر قراءتها مثل يس وسجدة لقمان وسورة الدخان وتبارك الملك والزمر
والواقعة فان لم يصل فلا يدع قراءة هذه السور او بعضها قبل النوم فقد روي في ثلث احاديث ما كان يقرأه رسول الله صلى الله عليه وسلم
في كل ليلة اشهرها السجدة وتبارك الملك وفي رواية الزمر وبني اسرائيل وفي اخرى انه كان يقرأ المسبحات في كل ليلة ويقول
فيها اية افضل من الف اية وكان العلماء يجعلونها ستا فيزيدون سبح اسم ربك اذ في الخبر انه صلى الله عليه وسلم كان يحب سبح اسم
ربك الاعلى وكان يقرأ في ثلث ركعات الوتر ثلث سور سبح اسم ربك الاعلى وقل يا ايها الكافرون والاخلاص فاذا فرغ قال
سبحان الملك القدوس ثلث مرات الثالث الوتر وليوتر قبل النوم ان لم يكن عادته القيام قال ابو هريرة اوصاني

رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا انام الا على وتر وان كان معتادا صلوة الليل فالتاخير افضل قال صلى الله عليه وسلم صلاة
الليل مثنى مثنى فاذا خفت الصبح فاوتر بركعة وقالت عائشة اوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم اول الليل واوسطه واخره
وانتهى وتره الى السحر وقال علي رضي الله عنه الوتر على ثلاثة انحاء ان شئت اوترت اول الليل ثم صليت ركعتين ركعتين يعني انه
يصير وترا بما مضى وان شئت اوترت بركعة فاذا استيقظت شفعت اليها اخرى ثم اوترت من اخر الليل وان شئت اخرت الوتر
ليكون اخر صلوتك هذا ما روي عنه والطريق الاول والثالث لا باس به واما نقض الوتر فقد صح فيه نهي فلا ينبغي ان
ينقض وروي مطلقا انه عليه السلم قال لا وتران في ليلة ولمن تردد في استيقاظه استحسنه بعض العلماء وهو ان يصلي بعد الوتر
ركعتين جالسا على فراشه عند النوم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزحف الى فراشه ويصليهما ويقرأ فيهما اذا زلزلت و
الهيكم لما فيهما من التحذير والوعيد وفي رواية قل يا ايها الكافرون لما فيها من التبرية وافراد العبادة لله فان استيقظ قامتا
مقام ركعة واحدة وكان له ان يوتر واستحسن هذا ابو طالب المكي وقال فيه ثلاثة اعمال قصر الامل وتحصيل الوتر من اخر الليل وهو كما
ذكره لكن ربما يخطر انهما لو شفعتا ما مضى لكان كذلك وان لم يستيقظ ولبطل وتره الاول لكونه مشفعا ان استيقظ عن مشفع
انام فيه نظر الا ان يصح من رسول الله صلى الله عليه وسلم اشارة فيهما واعادتهما الوتر فيفهم منه ان الركعتين شفع بصورتهما
وتر بمعناهما فيحسب وترا ان استيقظ ووترا ان لم يستيقظ ثم يستحب بعد التسليم من الوتر ان يقول سبحان الملك القدوس
رب الملائكة والروح جللت السموات والارض بالعظمة والجبروت وتعززت بالقدرة وقهرت العباد بالموت وروي انه
عليه السلم ما مات حتى كان اكثر صلوته جالسا الا المكتوبة وقد قال للقاعد نصف اجر القائم وللنائم نصف اجر القاعد وهذا
يدل على صحة النافلة نائما الرابع النوم ولا باس بان يعيد ذلك في الاوراد فانه اذا روعيت آدابه حسبت عبادة فقد
نقل انه اذا نام العبد على طهارة ذاكرا لله يكتب مصليا حتى يستيقظ ويدخل في شعاره ملك فان تحرك في نومه فذكر الله دعا له الملك
واستغفر له وفي الخبر اذا نام العبد على طهارة رفع روحه الى العرش هذا في العوام فكيف في العلماء وارباب القلوب الصافية
فانهم يكاشفون بالاسرار في النوم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم نوم العالم عبادة ونفسه تسبيح وقال معاذ لابي موسى
كيف تصنع في قيام الليل فقال اقوم الليل اجمع لا انام منه شيئا واتفوق القران فيه تفوقا قال معاذ لكني انام ثم اقوم
واحتسب في نومتي ما احتسب في قومتي فذكرا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال معاذ افقه منك واداب النوم عشرة
الاول الطهارة والسواك قال صلى الله عليه وسلم اذا نام العبد على طهارة عرج بروحه الى العرش فكانت رؤياه صادقة
وان لم ينم على طهارة قصرت روحه عن البلوغ فتلك المنامات اضغاث احلام لا تصدق وهذا اريد به طهارة الظاهر والباطن
جميعا وطهارة الباطن هي المؤثرة في انكشاف حجب الغيب والثاني ان يعد عند راسه سواكه وطهوره وينوي القيام
للعبادة عند التيقظ وكلما تنبه يستاك كذلك كان يفعل بعض السلف وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان
يستاك في كل ليلة مرارا عند كل نومة وعند التنبه منها وان لم يتيسر له الطهارة فيستحب له مسح الاعضاء بالماء فان لم يجد
فليقعد وليستقبل القبلة وليشتغل بالذكر والدعاء والتفكر في الاء الله وقدرته فذلك يقوم مقام قيام الليل وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من اتى فراشه وهو ينوي ان يقوم يصلي من الليل فغلبته عيناه حتى اصبح كتب له ما نوى
وكان نومه صدقة عليه من الله تعالى الثالث ان لا يبيت من له وصية الا ووصيته مكتوبة عنده فانه لا يأمن القبض
في النوم فان من مات من غير وصية لم يؤذن له في الكلام بالبرزخ الى يوم القيمة يتزاوره الاموات ويتحدثون وهو لا يتكلم

فيقول بعضهم لبعض هذا المسكين مات عن غير وصية لم يوص وذلك مستحب خوفاً من موت الفجاءة وموت الفجاءة تخفيف
الا لمن ليس مستعداً للموت بكونه مثقل الظهر بالمظالم السابع ان ينام تائباً من كل ذنب سليم القلب لجميع المسلمين لا يحدث
نفسه بظلم واحد ولا يعزم على معصية ان استيقظ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آوى الى فراشه لا ينوي ظلم احد
ولا يحقد على احد غفر له ما اجترم الثامن ان لا يتنعم بتمهيد الفرش الناعمة بل يترك ذلك او يقتصد فيه كان بعض
السلف يكره التمهيد ويرى ذلك تكلفاً للنوم وكان اهل الصفة لا يجعلون بينهم وبين التراب حاجزاً ويقولون منها
خلقنا واليها نرد وكانوا يرون ذلك ارق لقلوبهم واجدر بتواضع نفوسهم فمن لا يسمح بذلك نفسه فليقتصد التاسع
ان لا ينام ما لم يغلبه النوم ولا يتكلف استجلابه الا اذا قصد به الاستعانة على القيام في آخر الليل فقد كان نومهم غلبة واكلهم
فاقة وكلامهم ضرورة ولذلك وصفوا بانهم كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون وان غلبه النوم عن الصلوة والذكر وصار
لا يدري ما يقول فلينم حتى يعقل ما يقول كان ابن عباس يكره النوم قاعداً وفي الخبر لا تكابدوا الليل وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ان فلانة تصلي بالليل فاذا غلبها النوم تعلقت بحبل فنهى عن ذلك وقال ليصل احدكم من الليل ما تيسر له فاذا غلبه النوم فليرقد
وقال تكلفوا من العمل ما تطيقون فان الله لا يمل حتى تملوا وقال خير هذا الدين ايسره وقيل له ان فلاناً يصلي ولا ينام ويصوم ولا
يفطر فقال لكني اصلي وانام واصوم وافطر هذه سنتي فمن رغب عنها فليس مني وقال لا تشادوا هذا الدين فانه متين فمن يشاده يغلبه
فلا تبغض الى نفسك عبادة الله العاشر ان ينام مستقبل القبلة والاستقبال على ضربين احدهما استقبال المحتضر وهو المستلقي
على قفاه فاستقباله ان يكون وجهه واخمصاه الى القبلة والثاني استقبال اللحد وهو ان ينام على جنب بان يكون وجهه اليها
مع اقبال بدنه اذا نام على الشق الايمن الحادي عشر الدعاء عند النوم فيقول باسمك رب وضعت جنبي وباسمك ارفعه الى آخر الدعوات
المأثورة التي اوردناها في كتاب الدعوات ويستحب ان يقرأ الآيات المخصوصة مثل آية الكرسي وآخر البقرة وغيرها وقوله والهكم
اله واحد الى قوله يعقلون يقال ان من قرأها عند المنام حفظ عليه القرآن فلم ينسه ويقرأ من سورة الاعراف هذه الآية ان ربكم الله
الذي خلق السموات والارض وآخر بني اسرائيل قل ادعوا الله الآيتين فانه يدخل في شعاره ملك يوكل بحفظه يستغفر له ويقرأ المعوذتين
وينفث بهن في يديه ويمسح بهما وجهه وسائر جسده كذلك روي من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وليقرأ عشراً كذلك من اول الكهف
وعشراً من آخرها وهذه الآي للاستيقاظ لقيام الليل وكان علي رضي الله عنه يقول ما ارى ان رجلاً مستكملاً عقله ينام قبل ان يقرأ
الآيتين من سورة البقرة وليقل خمساً وعشرين مرة سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ليكون مجموع هذه الكلمات
الاربع مائة مرة التاسع ان يتذكر عند النوم ان النوم نوع وفاة والتيقظ نوع بعث قال الله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها
والتي لم تمت في منامها فسماها توفياً وكما ان المتيقظ ينكشف له مشاهدات لا تناسب احواله في النوم وكذلك المبعوث يرى ما لم
يخطر قط بباله ولا شاهده حسه ومثل النوم بين الحيوة والموت مثل البرزخ بين الدنيا والآخرة وقال لقمن لابنه يا بني ان كنت تشك
في الموت فلا تنم فكما انك تنام كذلك تموت وان كنت تشك في البعث فلا تنتبه فكما انك تنتبه بعد نومك وكذلك تبعث بعد
وقال كعب الاحبار اذا نمت فاضطجع على شقك الايمن واستقبل القبلة بوجهك فانها وفاة وقالت عائشة كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم آخر ما يقول حين ينام وهو واضع خده على يده اليمنى وهو يرى انه ميت في ليلته تلك اللهم رب السموات السبع ورب
العرش العظيم ربنا ورب كل شيء ومليكه الدعاء الى آخره كما ذكرناه في الدعوات فحق على العبد ان يفتش عن قلبه عند نومه انه ماذا يختم
وما الغالب عليه حب الله وحب لقائه او حب الدنيا وليتحقق انه يتوفى على ما هو الغالب عليه ويحشر على ما يتوفى عليه فان المرء

مع من احب ومع ما احب الثاني عشر الدعاء عند التنبه فليقل في تيقظاته وتقلباته مهما تنبه ما كان يقول رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا اله الا الله الواحد القهار رب السموات والارض وما بينهما العزيز الغفار وليجتهد ان يكون آخر ما يجري
على قلبه عند النوم ذكر الله واول ما يرد على قلبه عند التيقظ ذكر الله فهو علامة الحب ولا يلازم القلب في هاتين الحالتين
الا ما هو الغالب عليه فليجرب قلبه به فانها علامة تكشف عن باطن القلب وانما استحبت هذه الاذكار ليستجر القلب الى ذكر
الله فاذا استيقظ ليقوم قال الحمد لله الذي احيانا بعد ما اماتنا واليه النشور الى آخر ما اوردناه من ادعية التيقظ
الورد السادس يدخل بمضي النصف الاول من الليل الى ان يبقى من الليل سدسه وعند ذلك يقوم العبد للتهجد فاسم التهجد
يختص بما بعد الهجوع والهجود وهو النوم وهذا وسط الليل ويشبه الورد الذي بعد الزوال وهو وسط النهار وبه اقسم الله تعالى
فقال والليل اذا سجى اي اذا سكن وسكونه هدوه في هذا الوقت فلا يبقى عين الا نائمة سوى الحي القيوم الذي لا تأخذه
سنة ولا نوم وقيل اذا سجى اذا امتد وطال وقيل اذا اظلم وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الليل اسمع فقال جوف
الليل وقال داود عليه السلم الهي اني احب ان اتعبد لك فاي وقت افضل فاوحى الله اليه يا داود لا تقم اول الليل
ولا آخره فانه من قام اوله نام آخره ومن قام آخره لم يقم اوله ولكن قم وسط الليل حتى تخلو بي واخلو بك وارفع
الي حوائجك وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الليل افضل قال نصف الليل الغابر يعني الباقي وفي آخر الليل وردت
الاخبار باهتزاز العرش وغير ذلك من الاخبار وترتيبه انه بعد الفراغ من الادعية التي للاستيقاظ يتوضأ وضوءاً كما
سبق بسننه وآدابه وادعيته ثم يتوجه الى مصلاه ويقوم مستقبلاً للقبلة ويقول الله اكبر كبيراً والحمد لله كثيراً وسبحان
الله بكرة واصيلاً ثم ليسبح عشراً وليحمد عشراً وليهلل عشراً وليقل الله اكبر ذو الملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة والجلال
والقدرة وليقل هذه الكلمات فانها مأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قيامه للتهجد اللهم لك الحمد انت
نور السموات والارض ولك الحمد انت بهاء السموات والارض ومن فيهن ومن عليهن انت الحق ومنك الحق ولقاؤك حق والجنة
حق والنار حق والنبيون حق ومحمد صلى الله عليه وسلم حق اللهم لك اسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وبك خاصمت و
اليك حاكمت فاغفر لي ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت انت المقدم وانت المؤخر لا اله الا انت اللهم آت نفسي تقواها
وزكها انت خير من زكاها انت وليها ومولاها اللهم اهدني لاحسن الاعمال لا يهدي لاحسنها الا انت واصرف عني سيئها
فانه لا يصرف سيئها الا انت اسألك مسألة البائس الفقير المسكين وادعوك دعاء المفتقر الذليل فلا تجعلني بدعائك رب شقياً
وكن بي رؤفاً رحيماً يا خير المسؤلين واكرم المعطين وقالت عائشة كان عليه السلم اذا قام من الليل افتتح صلاته فقال اللهم
رب جبرئيل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون
اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم ثم يفتتح الصلوة ويصلي ركعتين خفيفتين
ثم يصلي مثنى مثنى ما تيسر له ويختم بالوتر ان لم يكن قد صلى الوتر ويستحب ان يفصل بين الصلوتين عند تسليمه بمائة تسبيحة
ليستريح ويزيد نشاطه للصلوة وقد صح في صلوة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالليل انه صلى اولاً ركعتين خفيفتين
ثم ركعتين طويلتين ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما ثم لم يزل ينقص بالتدريج الى ثلث عشرة ركعة وسئلت عائشة رضي الله
عنها اكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في قيام الليل ام يسر فقالت ربما جهر وربما اسر وقال عليه السلم صلاة
الليل مثنى مثنى فاذا خفت الصبح فاوتر بركعة وقال عليه السلم صلوة المغرب اوترت صلوة النهار فاوتروا صلوة الليل واكثر

يجهر

ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قيام الليل ثلاث عشرة ركعة ويقرأ في هذه الركعات من ورده من القرآن أو من السور
المخصوصة ما خف عليه وهو في حكم هذا الورد إلى قريب السدس الأخير من آخر الليل ٥ الورد الخامس السدس
الأخير من الليل وهو وقت السحر قال الله تعالى وبالأسحار هم يستغفرون قيل هم يصلون لما فيها من الاستغفار وهو مقارب
للفجر الذي هو وقت انصراف ملائكة الليل وإقبال ملائكة النهار وقد أمر بهذا الورد سلمان أخاه أبا الدرداء ليلة زاره
في حديث طويل قال في آخره فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء ليقوم فقال له سلمان نم فنام ثم ذهب ليقوم فقال له
نم فنام فلما كان عند الصبح قال له سلمان قم الآن فقاما فصليا فقال له إن لنفسك عليك حقاً وإن لضيفك عليك حقاً فأعط
كل ذي حق حقه وذلك أن امرأة أبي الدرداء أخبرت سلمان أنه لا ينام قال فأتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرا له ذلك
فقال صدق سلمان وهذا هو الورد الخامس وفيه يستحب السحور وذلك عند خوف طلوع الفجر والوظيفة في هذين الوردين
الصلاة فإذا طلع الفجر انقضى أوراد الليل ودخل أوراد النهار فيقوم ويصلي ركعتي الفجر وهو المراد بقوله سبحانه وتعالى
فسبحه وأدبار النجوم ثم يقرأ شهد الله أنه لا إله إلا هو إلى آخرها ثم يقول أنا أشهد بما شهد الله به لنفسه وشهدت به
ملائكته وأولو العلم من خلقه وأستودع الله هذه الشهادة وهي لي عند الله وديعة وأسأله حفظها حتى يتوفاني الله
عليها اللهم احطط بها عني وزراً واجعل لي بها عندك ذخراً واحفظها علي وتوفني عليها حتى ألقاك بها غير مبدل تبديلاً
فهذا ترتيب الأوراد للعباد وقد كانوا يستحبون أن يجمعوا مع ذلك في كل يوم أربعة أمور صوم وصدقة وإن قلت وعيادة
مريض وشهود صلاة جنازة وفي الخبر من جمع بين هذه الأربعة في يوم غفر له وفي رواية دخل الجنة فإن اتفق بعضها و
عجز عن الآخر كان له أجر الجميع بحسب نيته وكانوا يكرهون أن ينقضي اليوم ولم يتصدقوا ولو بتمرة أو بصلة أو كسرة خبز
لقوله صلى الله عليه وسلم الرجل في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس ولقوله عليه السلام اتقوا النار ولو بشق تمرة ودفعت
عائشة إلى سائل عنبة فأخذها فنظر من كان عندها بعضهم إلى بعض فقالت ما لكم إن فيها لمثاقيل ذر كثيرة وكانوا يكرهون
رد السائل إذ كان من أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ما سأله أحد شيئاً فقال لا لكنه إن لم يقدر عليه سكت وفي الخبر
يصبح ابن آدم وعلى كل سلامى من جسده صدقة يعني المفصل وفي جسد الإنسان ثلثمائة وستون مفصلاً فأمرك بالمعروف صدقة ونهيك
عن المنكر صدقة وحملك عن الضعيف صدقة وهدايتك إلى الطريق صدقة وإماطتك الأذى صدقة حتى ذكر التسبيح والتهليل
ثم قال وركعتا الضحى تأتي على ذلك كله أو تجمع لك ذلك

بيان اختلاف الأوراد باختلاف الأحوال

اعلم أن المريد لحرث الآخرة السالك لطريقها لا يخلو عن ستة أحوال فإنه إما عابد وإما عالم وإما متعلم وإما محترف
وإما موحد مستغرق بالواحد الصمد عن غيره الأول العابد وهو المتجرد للعبادة الذي لا شغل له
أصلاً غيرها ولو ترك العبادة لجلس بطالاً فترتيب أوراده ما ذكرناه نعم لا يبعد أن يختلف وظائفه بأن
يستغرق أكثر الوقت إما في الصلاة أو في القراءة أو في التسبيحات فقد كان في الصحابة من ورده في اليوم اثنا
عشر ألف تسبيحة وكان فيهم من ورده ثلاثون ألفاً وكان فيهم من ورده ثلثمائة ركعة إلى ستمائة وإلى ألف ركعة وأقل ما
نقل في أورادهم من الصلاة مائة ركعة في اليوم والليلة وكان بعضهم أكثر ورده القرآن وكان يختم الواحد منهم في اليوم مرة
وروي مرتين عن بعضهم وكان بعضهم يقضي اليوم أو الليلة في التفكر في آية واحدة يرددها وكان كرز بن وبرة مقيماً بمكة
فكان يطوف في كل يوم سبعين أسبوعاً وفي كل ليلة سبعين أسبوعاً وكان مع ذلك يختم القرآن في اليوم والليلة مرتين فحسب

فحسب ذلك فكان عشرة فراسخ ويكون مع كل أسبوع ركعتان فهما مائتان وثمانون ركعة فإن قلت فما الأولى أن
ينصرف إليه أكثر الأوقات من هذه الأوراد فاعلم أن قراءة القرآن في الصلوة قائماً مع التدبر يجمع الجميع ولكن ربما تعسر
المواظبة عليه والأفضل يختلف باختلاف حال الشخص ومقصود الأوراد تزكية القلب وتطهيره وتحليته
بذكر الله تعالى وإيناسه به فلينظر المريد إلى قلبه فما يراه أشد تأثيراً فيه فليواظب عليه فإذا أحس بملالة منه
فلينتقل إلى غيره ولذلك نرى الأصوب لأكثر الخلق توزيع هذه الخيرات المختلفة على الأوقات كما سبق والانتقال
من نوع إلى نوع لأن الملال هو الغالب على الطبع وأحوال الشخص الواحد أيضاً في ذلك تختلف
ولكن إذا فهم فقه الأوراد وسرها فليتبع المعنى فإن سمع تسبيحة مثلاً وأحس لها بوقع في قلبه فليواظب على تكرارها
ما دام يجد لها وقعاً وقد روي عن إبراهيم بن أدهم عن بعض الأبدال أنه قام ذات ليلة يصلي على شاطئ البحر فسمع صوتاً عالياً بالتسبيح
ولم ير أحداً فقال من أنت أسمع صوتك ولا أرى شخصك فقال أنا ملك من الملائكة موكل بهذا البحر أسبح الله بهذا التسبيح
منذ خلقت قلت فما اسمك فقال مهلهيائيل قلت فما ثواب من قاله قال من قاله مائة مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة
أو يرى له والتسبيح قوله سبحان الله العلي الديان سبحان الله شديد الأركان سبحان من يذهب بالليل ويأتي بالنهار سبحان
من لا يشغله شأن عن شأن سبحان الله الحنان المنان سبحان الله المسبح في كل مكان فهذا وأمثاله إذا سمعه المريد ووجد
في قلبه وقعاً فليلازمه وأي ما وجد القلب عنده وفتح له خير فليواظب عليه الثاني العالم الذي ينتفع الناس بعلمه
في فتوى أو تدريس أو تصنيف فترتيبه للأوراد يخالف ترتيب العابد فإنه يحتاج إلى مطالعة الكتب وإلى التصنيف والإفادة
ويحتاج إلى مدة لها لا محالة فإن أمكنه استغراق الأوقات فيه فهو أفضل ما يشتغل به بعد المكتوبات ورواتبها ويدل
على جميع ما ذكرناه في فضيلة التعليم والتعلم في كتاب العلم وكيف لا وفي العلم المواظبة على ذكر الله وتأمل ما قال الله وقال
رسول الله وفيه منفعة الخلق وهدايتهم إلى طريق الآخرة ورب مسألة واحدة يتعلمها المتعلم فيصلح بها عبادة عمره ولو لم يتعلم لكان
سعيه ضائعاً وإنما نعني بالعلم المقدم على العبادة الذي يرغب الناس إلى الآخرة ويزهدهم في الدنيا أو العلم الذي يعينهم
على سلوك طريق الآخرة إذا تعلموها على قصد الاستعانة به على السلوك دون العلم الذي تزيد به الرغبة في المال والجاه
وقبول الخلق والأولى بالعالم أن يقسم أوقاته أيضاً فإن استغراق الأوقات في ترتيب العلم لا يحتمله الطبع فينبغي أن يخصص
ما بعد الصبح إلى طلوع الشمس بالأذكار والأوراد كما ذكرناه في الورد الأول وبعد الطلوع إلى ضحوة النهار في الإفادة والتعليم
إن كان عنده من يستفيد علماً لأجل الآخرة وإن لم يكن صرفه إلى الفكر ويتفكر فيما يشكل عليه من علوم الدين فإن صفاء القلب
بعد الفراغ من الذكر وقبل الاشتغال بهموم الدنيا يعين على التفطن للمشكلات ومن ضحوة النهار إلى العصر للتصنيف والمطالعة
لا يتركها إلا في وقت أكل وطهارة ومكتوبة وقيلولة خفيفة إن طال النهار ومن العصر إلى الاصفرار يشتغل بما يقرأ بين يديه
من تفسير أو حديث أو علم نافع ومن الاصفرار إلى الغروب والتسبيح فيكون ورده الأول قبل طلوع الشمس في عمل اللسان وورده
الأول قبل طلوع الشمس الثاني في عمل القلب في الفكر إلى الضحوة وورده الثالث إلى العصر في عمل العين واليد بالمطالعة والكتبة
وورده الرابع بعد العصر في عمل السمع ليروح فيه العين واليد فإن المطالعة والكتبة بعد العصر ربما أضرتا بالعين وعند الاصفرار
وعند الاصفرار يعود إلى ذكر اللسان ولا يخلو جزء من النهار عن عمل له بالجوارح مع حضور القلب في الجميع وأما الليل فأحسن
قسمته فيه قسمة الشافعي رضي الله عنه إذ كان يقسم الليل ثلاثة أجزاء ثلثاً للمطالعة وترتيب العلم وهو الأول وثلثاً للصلوة وهو

الوسط وثلثا للنوم وهو الاخير وهذا يتيسر في ليالي الشتاء والصيف لا يحمل ذلك الا اذا كثر النوم بالنهار وهذا ما يستحب من ترتيب اوراد العالم الثالث المتعلم والاشتغال بالعلم وهو افضل من الاشتغال بالاذكار والنوافل فحكمه حكم العالم في ترتيب الاوراد ولكن يشتغل بالاستفادة حيث يشتغل العالم بالافادة وبالتعليق والنسخ حيث يشتغل العالم بالتصنيف وترتيبه وفاته كما ذكرناه في فضيلة التعلم والعلم وكل ما ذكرناه من فضيلة التعليم والتعلم في كتاب العلم يدل على ان ذلك افضل بل ان لم يكن متعلما على معنى انه يعلق ويحصل ليصير عالما بل كان من العوام فحضوره مجالس الذكر والعلم والوعظ افضل من اشتغاله بالاوراد التي ذكرناها بعد الصبح وبعد الطلوع وفي سائر الاوقات ففي حديث ابي ذر رضي الله عنه ان حضور مجلس ذكر افضل من صلوة الف ركعة وشهود الف جنازة وعيادة الف مريض وقال صلى الله عليه وسلم اذا رايتم رياض الجنة فارتعوا فيها فقيل يا رسول الله وما رياض الجنة قال حلق الذكر وقال كعب الاحبار لو ان ثواب مجالس الذكر بدا للناس لاقتتلوا عليه حتى يترك كل ذي امارة امارته وكل ذي سوق سوقه وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان الرجل ليخرج من منزله وعليه الذنوب مثل جبال تهامة واذا سمع العالم خاف واسترجع على ذنوبه انصرف الى منزله وليس عليه ذنب فلا تفارقوا مجالس العلماء فان الله تعالى لم يخلق على وجه الارض تربة اكرم من مجالس العلماء وقال رجل للحسن اشكو اليك قساوة في قلبي فقال ادنه من مجالس الذكر ورأى عباد الواهب مسكنة الطفاوية في المنام وكانت من المواظبات على حلق الذكر فقال مرحبا يا مسكينة فقالت هيهات هيهات ذهب المسكنة وجاء الغنى فقال ايه فقالت ما تسأل عمن ابيح لها الجنة بحذافيرها قال وبما ذاك قالت بمجالسة اهل الذكر وعلى الجملة فما يحل من القلب عقدة من عقد حب الدنيا بقول واعظ حسن الكلام زكية السيرة اشرف وانفع من ركعات كثيرة مع اشتمال القلب على حب الدنيا ٥ الرابع المحترف الذي يحتاج الى الكسب لعياله فليس له ان يضيع العيال ويستغرق الاوقات في العبادات بل ورده في وقت الصناعة حضور السوق والاشتغال بالكسب ولكن ينبغي ان لا ينسى الله عز وجل في صناعته ويواظب على التسبيحات والاذكار وقراءة القرآن فان ذلك يمكن ان يجمع الى العمل وانما لا يتيسر مع العمل الصلوة الا ان يكون فانه لا يعجز عن اقامة اوراد الصلوة معه ثم مهما فرغ عن كفايته ان يعود الى ترتيب الاوراد التي ذكرناها وان دام على الكسب وتصدق بما فضل عن حاجته فهو افضل من سائر الاوراد لان العبادة المتعدي فائدتها انفع من اللازم والصدقة والكسب على هذه النية تعبد له في نفسه قربة الى الله عز وجل ثم يحصل به فائدة الغير وتنجذب اليه بركة دعوات المسلمين فتضاعف به فائدة الاجر الخامس الوالي مثل الامام او القاضي والمتولي لينظر في امور المسلمين فقيامه بحاجات المسلمين واغراضهم على وفق الشرع وقصد الاخلاص افضل من الاوراد المذكورة فحقه ان يشتغل بحقوق الناس نهارا ويقتصر على المكتوبة ويقيم الاوراد المذكورة بالليل كما كان عمر رضي الله عنه يفعله اذ قال ما لي وللنوم ولو نمت بالنهار ضيعت المسلمين ولو نمت بالليل ضيعت نفسي وقد فهمت بما ذكرناه انه يقدم على العبادات البدنية امران احدهما العلم والاخر الرفق بالمسلمين لان كل واحد من العلم وفعل المعروف عمل في نفسه وعبادة ويفضل سائر العبادات بتعدي فائدته وانتشار جدواه فكانا مقدمين عليه السادس الموحد المستغرق بالواحد الصمد الذي صبح وهمومه هم واحد فلا يحب الا الله عز وجل ولا يخاف الا منه ولا يتوقع الرزق من غيره ولا في شيء الا يرى الله عز وجل فيه فمن ارتفعت رتبته الى هذه الدرجة لم يفتقر الى تنويع الاوراد واختلافها بل كان ورده بعد المكتوبات واحدا وهو حضور القلب مع الله عز وجل في كل حال فلا يخطر بقلبهم امر ولا يقرع سمعهم قارع ولا يلوح لابصارهم لائح الا كان لهم فيه عبرة وفكرة ومزيد فلا محرك لهم ولا مسكن الا الله عز وجل في كل حال فهولاء جميع احوالهم يصلح ان يكون سببا لازدياد هم فلا يتميز

ينظره

عندهم عبادة عن عبادة وهم الذين فروا الى الله عز وجل كما قال تعالى ففروا الى الله وتحقق فيهم قوله تعالى واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته واليه الاشارة بقوله تعالى اني ذاهب الى ربي سيهدين وهذه منتهى درجات الصديقين ولا وصول اليها الا بعد ترتيب الاوراد والمواظبة عليها دهرا طويلا فلا ينبغي ان يغتر المريد بما يسمعه من ذلك لنفسه ويفتر عن وظائف عباداته وذلك علامته ان لا يهجس في قلبه وسواس ولا يخطر بقلبه معصية ولا تزعجه هواجم الاهوال ولا يستفزه عظائم الاشغال وانى يرزق هذه الرتبة كل احد فيتعين على الكافة ترتيب الاوراد كما ذكرناه وجميع ما ذكرناه طرق الى الله عز وجل قال الله تعالى قل كل يعمل على شاكلته فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا فكلهم مهتدون وبعضهم اهدى وفي الخبر الايمان ثلث وثلثون وثلثمائة طريقة من لقي الله بالشهادة على طريق منها دخل الجنة وقال بعض العلماء الايمان ثلثمائة وثلاثة عشر خلقا بعدد الانبياء كل مؤمن هو على خلق منها فهو سالك الطريق الى الله فاذن الناس وان اختلفت طرقهم في العبادة فكلهم على الصواب اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب وانما يتفاوتون في درجات القرب لا في اصله واقربهم الى الله عز وجل اعرفهم به واعرفهم به لا بد وان يكون اعبدهم له فمن عرفه لم يعبد غيره ٥ والاصل في الاوراد في حق كل صنف من الناس المداومة فان المراد منه تغيير صفات الباطن واحاد الاعمال يقل اثارها بل لا يحس باثارها وانما يترتب الاثر على المجموع فاذا لم يعقب الاثر الاول الواحد اثرا محسوسا ولم يردف بثان وثالث على القرب انمحى الاثر الاول وكان الفقيه لا يصير فقيه النفس الا بتكرار كثير فلو بالغ ليلة في التكرار وترك شهرا او اسبوعا ثم عاد وبالغ ليلة لم يؤثر هذا فيه ولو وزع ذلك القدر على الليالي المتواصلة لاثر فيه ولهذا السر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احب الاعمال الى الله تعالى ادومها وان قل وسئلت عائشة رضي الله عنها عن عمل النبي صلى الله عليه وسلم فقالت كان عمله ديمة وكان اذا عمل عملا اثبته وكذلك قال صلى الله عليه وسلم من عوده الله تعالى عبادة فتركها ملالة مقته الله تعالى وكان هذا هو السبب في صلوته بعد الصلوة العصر تداركا لما فاته من ركعتين شغله عنهما الوفد ثم لم يزل بعد ذلك يصليهما بعد العصر ولكن في منزله لا في المسجد لكيلا يقتدى به روت ذلك عائشة رضي الله عنها فان قلت فهل لغيره ان يقتدي به في ذلك مع ان الوقت وقت كراهية فاعلم ان المعاني الثلثة التي ذكرناها في الكراهية من الاحتراز عن التشبه بعبدة الشمس والسجود وقت ظهور الشيطان والاستراحة عن العبادة حذرا من الملال لا يتحقق في حقه فلا يقاس عليه في ذلك غيره ويشهد لذلك فعله في المنزل حتى لا يقتدى به

الباب الثاني

في الاسباب الميسرة لقيام الليل وفي الليالي التي يستحب احياؤها وفي فضيلة احياء الليل وما بين العشائين وكيفية قسمة الليل

فضيلة احياء الليل ما بين العشائين قال صلى الله عليه وسلم فيما روت عائشة رضي الله عنها ان افضل الصلوات عند الله تعالى صلوة المغرب ومن صلى بعدها ركعتين بنى الله له قصرين في الجنة قال الراوي لا ادري من ذهب او فضة ومن صلى بعدها اربع ركعات غفر الله له ذنب عشرين او قال اربعين سنة وروت ام سلمة رضي الله عنها وابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من صلى ست ركعات بعد المغرب عدلت له عبادة سنة كاملة او كانه صلى ليلة القدر وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عكف نفسه ما بين المغرب والعشاء في مسجد جماعة لم يتكلم الا بصلوة او قرآن كان حقا على الله تعالى ان يبني له قصرين في الجنة مسيرة كل قصر منهما مائة عام ويغرس له بينهما غراسا لو طافه اهل الدنيا لوسعهم وقال صلى الله عليه وآله وسلم من ركع عشر ركعات ما بين المغرب والعشاء بني له قصر في الجنة فقال عمر رضي الله عنه اذا يكثر

لم يحطها عن سافر ولا مقيم نتح بها صلوة الليل وختم بها صلوة النهار فمن صلى المغرب

فصوَّرنا يا رسول الله فقال الله أكبر وأفضل وأطيب وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
وسلم من صلى المغرب في جماعة ثم صلى بعدها ركعتين لا يتكلم فيما بين ذلك من أمر الدنيا ويقرأ في الركعة الأولى بفاتحة الكتاب
وعشر آيات من أول البقرة وآيتين من وسطها وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم إن في خلق السموات والأرض الآية وقل هو الله
أحد خمس عشرة مرة ثم يركع ويسجد فإذا قام قرأ في الركعة الثانية بفاتحة الكتاب وآية الكرسي وآيتين بعدها إلى قوله أولئك أصحاب
النار هم فيها خالدون وثلث آيات من آخر البقرة من قوله لله ما في السموات وما في الأرض إلى آخرها وقل هو الله أحد خمسة عشر مرة
ووصف من ثوابه في الحديث ما يخرج عن الحصر وقال كرز بن وبرة وهو من الأبدال قلت للخضر علمني شيئا في ليلي فقال إذا صليت
المغرب فقم إلى وقت صلاة العشاء مصليا من غير أن تكلم أحدا وأقبل على صلاتك التي أنت فيها وسلم في كل ركعتين واقرأ في كل ركعة
فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد سبع مرات في كل ركعة ثم اسجد بعد تسليمك واستغفر الله سبع مرات وقل سبحان الله والحمد لله
ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله سبع مرات ثم ارفع رأسك من السجود واستو جالسا وارفع يديك وقل يا حي
يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام يا إله الأولين والآخرين يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما أنت يا رب يا رب يا رب يا الله يا
الله يا الله ثم قم وأنت رافع يديك وادع بهذا الدعاء ثم نم حيث شئت مستقبل القبلة على يمينك وصل على النبي صلى الله
عليه وسلم وأدم الصلاة عليه حتى يذهب بك النوم فقلت له أحب أن تعلمني ممن سمعت هذا فقال إني حضرت محمدا صلى الله
عليه وسلم حيث علم هذا الدعاء وأوحي إليه به وكنت عنده وكان ذلك بمحضر مني فتعلمته ممن علمه إياه وقيل إن هذا الدعاء في هذه
الصلاة من داوم عليها بحسن يقين وصدق نية رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامه قبل أن يخرج من الدنيا وقد فعل ذلك
بعض الناس فرأى أنه أدخل الجنة ورأى فيها الأنبياء ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلمه وعلمه وعلى الجملة ما ورد في
فضل إحياء ما بين العشاءين كثير حتى قيل لعبيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر
بصلاة غير المكتوبة قال ما بين المغرب والعشاء وقال صلى الله عليه وسلم من صلى ما بين المغرب والعشاء فذلك صلاة الأوابين
وقال الأسود ما أتيت ابن مسعود رضي الله عنه في هذا الوقت إلا رأيته يصلي فسألته فقال نعم هي ساعة الغفلة وكان أنس
يواظب عليها ويقول هي ناشئة الليل ويقول فيه نزل قوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع وقال أحمد بن أبي الحواري قلت لأبي سليمان
الداراني أصوم النهار وأتعشى بين المغرب والعشاء أحب إليك أو أفطر بالنهار وأحيي ما بينهما فقال اجمع بينهما فقلت إن لم يتيسر قال
أفطر وصل بينهما **فضيلة** قيام الليل أما من الآيات فقوله تعالى إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه
وقوله تعالى إن ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قيلا وقوله تتجافى جنوبهم وقوله تعالى أمن هو قانت آناء الليل ساجدا
وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه وقوله تعالى والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما وقوله واستعينوا بالصبر والصلاة قيل هي
قيام الليل يستعان بالصبر عليه على مجاهدة النفس ومن الأخبار قوله صلى الله عليه وسلم يعقد الشيطان على قافية أحدكم
إذا هو نام ثلث عقد يضرب مكان كل عقدة عليك ليل طويل فنم فإن استيقظ وذكر الله عز وجل انحلت عقدة فإن توضأ انحلت
عقدة فإن صلى انحلت عقدة فأصبح نشيطا طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان وقال صلى الله عليه وسلم ركعتان
يركعهما العبد في جوف الليل الآخر خير له من الدنيا وما فيها ولولا أن أشق على أمتي لفرضتهما عليهم وفي الخبر أنه ذكر عنده رجل
نام كل الليل حتى أصبح فقال ذاك بال الشيطان في أذنه وفي الخبر إن للشيطان سعوطا ولعوقا وذرورا فإذا أسعط العبد ساء
خلقه وإذا ألعقه ذرب لسانه بالشر وإذا ذره نام الليل كله حتى يصبح وفي الصحيح عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه

وسلم قال إن من الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله بخير إلا أعطاه إياه وفي رواية يسأل الله خيرا من أمر الدنيا والآخرة
إلا أعطاه إياه وذلك كل ليلة وقال المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تفطرت قدماه فقيل
له قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا ويظهر من معناه أن ذلك كناية عن زيادة الرتبة
فإن الشكر سبب المزيد قال الله تعالى لئن شكرتم لأزيدنكم وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم يا أبا هريرة أتريد أن تكون رحمة الله
عليك حيا وميتا ومقبورا ومبعوثا قم من الليل فصل وأنت تريد رضا ربك يا أبا هريرة صل في زوايا بيتك يكن نور بيتك في السماء كنور
الكواكب والنجوم عند أهل الدنيا وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم وإن قيام الليل
قربة إلى الله تعالى وتكفير للذنوب ومطردة للداء عن الجسد ومنهاة عن الإثم وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم ما من امرئ
يكون له صلاة بالليل فغلبه عليها نوم إلا كتب له أجر صلاته وكان نومه صدقة عليه وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم
لأبي ذر لو أردت سفرا أعددت له عدة فكيف سفر طريق القيامة ألا أنبئك يا أبا ذر بما ينفعك ذلك اليوم قال بلى بأبي أنت وأمي
قال صم يوما شديد الحر ليوم النشور وصل ركعتين في ظلمة الليل لوحشة القبور وحج حجة لعظائم الأمور وتصدق بصدقة على
مسكين أو كلمة حق تقولها أو كلمة شر تسكت عنها وروي أنه كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل إذا أخذ الناس مضاجعهم
وهدأت العيون قام يصلي ويقرأ القرآن ويقول يا رب النار أجرني منها فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال إذا كان ذلك
فآذنوني فأتاه فاستمع فلما أصبح قال يا فلان هلا سألت الجنة قال يا رسول الله إني لست هناك ولا يبلغ عملي ذاك فلم يلبث
إلا يسيرا حتى نزل جبريل وقال أخبر فلانا أن الله قد أجاره من النار وأدخله الجنة ويروى أن جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله
عليه وعلى آله وسلم نعم الرجل ابن عمر لو كان يصلي بالليل ثم يقول يا نافع فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يداوم
بعده على قيام الليل قال نافع كان يصلي بالليل ثم يقول يا نافع أسحرنا فيقول لا فيقوم لصلاته ثم يقول يا نافع أسحرنا فأقول
فيقعد يستغفر الله عز وجل حتى يطلع الفجر وقال علي رضي الله عنه شبع يحيى بن زكريا عليهما السلام من خبز شعير فنام عن ورده حتى
أصبح فأوحى الله إليه يا يحيى أوجدت دارا خيرا من داري أم وجدت جوارا خيرا من جواري وعزتي يا يحيى لو اطلعت إلى الفردوس
اطلاعة لذاب شحمك ولبكيت الصديد بعد الدموع ولبست الحديد بعد المسوح وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن فلانا
يصلي بالليل فإذا أصبح سرق فقال سينهاه ما يقول وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم رحم الله امرأ قام من الليل فصلى ثم أيقظ
امرأته فصلت فإن أبت نضح في وجهها الماء ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت ثم أيقظت زوجها فصلى فإن أبى نضحت
في وجهه الماء وقال صلى الله عليه وسلم من استيقظ من النوم وأيقظ امرأته فصليا ركعتين كتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات
وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم أفضل الصلاة بعد المكتوبة قيام الليل وقال عمر رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من نام عن حزبه أو عن شيء منه بالليل فقرأه بين صلاة الفجر والظهر كتب له كأنما قرأه من الليل **الآثار** يروى
أن عمر رضي الله عنه كان يمر بالآية في ورده بالليل فيسقط حتى يعاد منها أياما كثيرة كما يعاد المريض وكان ابن مسعود رضي الله عنه
إذا هدأت العيون قام فيسمع له دوي كدوي النحل حتى يصبح ويقال إن سفيان الثوري شبع ليلة فقال إن الحمار إذا زيد في علفه
زيد في عمله فقام تلك الليلة حتى أصبح وكان طاوس إذا اضطجع على فراشه يتقلى عليه كما تتقلى الحبة في المقلى ثم يثب ويصلي إلى
الصباح ثم يقول طير ذكر جهنم نوم العابدين وقال الحسن ما نعلم عملا أشد من مكابدة الليل ونفقة هذا المال فقيل له ما بال
المتهجدين أحسن الناس وجوها قال لأنهم خلوا بالرحمن فألبسهم نورا من نوره وقدم بعض الصالحين من سفر فمهد له فراش

نام عليه حتى مات وورد خلف ان لا ينام بعدها على فراش ابدا وكان عبد العزيز بن ابي رواد اذا جن عليه الليل يأتي فراشه فيمر يده
عليه ويقول انك للين والله ان في الجنة لالين منك ولا يزال يصلي الليل كله وقال الفضيل اني لاستقبل الليل من اوله فيهولني
طوله فافتتح القرآن فاصبح وما قضيت نهمتي وقال الحسن ان الرجل ليذنب الذنب فيحرم به قيام الليل وقال الفضيل
اذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار فاعلم انك محروم وقد كثرت خطيئتك وكان صلة بن اشيم يصلي الليل كله فاذا
كان في السحر قال الهي ليس مثلي يطلب الجنة ولكن اجرني برحمتك من النار وقال رجل لبعض الحكماء اني لاضعف عن قيام
الليل فقال له يا اخي لا تعص الله بالنهار ولا تقم بالليل وكان للحسن بن صالح جارية فباعها من قوم فلما كان من جوف الليل قامت
الجارية فقالت يا اهل الدار الصلوة الصلوة فقالوا اصبحنا اطلع الفجر فقالت وما تصلون الا المكتوبة قالوا نعم فرجعت
الى الحسن فقالت يا مولاي بعتني من قوم لا يصلون بالليل ردني فردها وقال الربيع بت في منزل الشافعي رضي الله عنه ليالي
كثيرة فلم يكن ينام من الليل الا يسيرا وقال ابو الجويرية لقد صحبت ابا حنيفة ستة اشهر فما فيها ليلة وضع جنبه وكان ابو حنيفة
يحيي نصف الليل فمر بقوم فقالوا ان هذا يحيي الليل كله فقال اني اوصف بما لا افعل فكان بعد ذلك يحيي الليل كله ويروى انه
ما كان له فراش بالليل ويقال ان مالك بن دينار قام يردد هذه الآية ليلة حتى اصبح ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم
كالذين امنوا وعملوا الصالحات وقال المغيرة بن حبيب رمقت مالك بن دينار فتوضأ بعد العشاء ثم قام الى الصلوة فقبض
على لحيته فخنقته العبرة فجعل يقول اللهم حرم شيبة مالك على النار قد علمت ساكن الجنة من ساكن النار فاي الرجلين مالك
واي الدارين دار مالك فلم يزل ذلك قوله حتى طلع الفجر وقال مالك بن دينار سهوت ليلة عن وردي ونمت فاذا انا
في المنام بجارية كاحسن ما يكون وفي يدها رقعة فقالت يا مالك اتحسن القراءة فقلت نعم فدفعت الى الرقعة فاذا فيها
مكتوب ۞ الهتك اللذائذ والاماني ۞ عن البيض الاوانس في الجنان ۞ تعيش مخلدا لا موت فيها ۞ وتلهو في الجنان مع الحسان
تنبه من منامك ان خيرا ۞ من النوم التهجد بالقرآن ۞ وقيل حج مسروق فما بات الا ساجدا وعن ازهر بن مغيث وكان
من القوامين انه قال رأيت في المنام امرأة لا تشبه نساء اهل الدنيا فقلت لها من انت فقالت حوراء فقلت زوجيني نفسك
فقالت اخطبني الى سيدي وامهرني فقلت وما مهرك فقالت طول التهجد وقال يوسف بن مهران بلغني ان تحت العرش ملكا في
صورة ديك براثنه في لؤلؤ وصيصيته من زبرجد اخضر فاذا مضى ثلث الليل الاول ضرب بجناحيه وزقا وقال ليقم القائمون
فاذا مضى نصف الليل ضرب بجناحيه وزقا وقال ليقم المتهجدون فاذا مضى ثلثا الليل ضرب بجناحيه وزقا وقال ليقم المصلون
فاذا طلع الفجر ضرب وقال ليقم الغافلون وعليهم اوزارهم ويقال ان وهب بن منبه اليماني ما وضع جنبه على الارض ثلثين
سنة وكان يقول لان ارى في بيتي شيطانا احب الي من ان ارى وسادة لانها تدعو الى النوم وكان له مسورة من ادم اذا
غلبه النوم وضع صدره عليها وخفق خفقات ثم تفزع الى القيام وقال بعضهم رأيت رب العزة في المنام
فسمعته يقول وعزتي وجلالي لاكرمن مثوى سليمن التيمي فانه صلى لي صلوة الغداة بوضوء العشاء الآخرة اربعين سنة ويقال
كان مذهبه ان النوم اذا خامر القلب بطل الوضوء وروي عن الله عز وجل انه قال ان عبدي الذي هو عبدي حقا الذي لا ينتظر بقيامه
صياح الديك

بيان الاسباب التي تتيسر بها قيام الليل

اعلم ان قيام الليل عسير على الخلق الا على من وفق للقيام
بشروطه الميسرة له ظاهرا وباطنا اما الظاهر فاربعة امور الاول ان لا يكثر الاكل فيكثر الشرب فيغلبه النوم
ويثقل عليه القيام وكان بعض الشيوخ يقف على المائدة كل ليلة ويقول يا معاشر المريدين لا تاكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا

فترقدوا كثيرا فتتحسروا عند الموت كثيرا وهذا هو الاصل الكبير وهو تخفيف المعدة عن ثقل الطعام الثاني ان لا يتعب نفسه
بالاعمال التي تعيى بها الجوارح وتضعف بها الاعصاب فان ذلك ايضا مجلبة للنوم الثالث ان لا يترك القيلولة بالنهار
فانها سنة للاستعانة على القيام بالليل الرابع ان لا يحتقب الاوزار بالنهار فان ذلك مما يقسي القلب ويحول بينه وبين اسباب
الرحمة قال رجل للحسن يا ابا سعيد اني ابيت معافى واحب قيام الليل واعد طهوري فما بالي لا اقوم فقال ذنوبك قيدتك
وكان الحسن اذا دخل السوق فسمع لغطهم ولغوهم يقول اظن ليل هؤلاء ليل سوء فانهم ما يقيلون وقال الثوري حرمت قيام الليل
خمسة اشهر بذنب اذنبته قيل وما ذاك قال رأيت رجلا بكى فقلت هذا مراء وقال بعضهم دخلت على كرز بن وبرة وهو يبكي فقلت له
اتاك نعي بعض اهلك فقال اشد فقلت وجع يؤلمك قال اشد قلت فما ذاك قال بابي مغلق وستري مسبل ولم اقرأ جزئي البارحة
وما ذاك الا بذنب احدثته وهذا لان الخير يدعو الى الخير والشر الى الشر والقليل من كل واحد منهما يجر الى الكثير ولذلك
قال ابو سليمن الداراني لا تفوت احدا صلوة جماعة الا بذنب وكان يقول الاحتلام بالليل عقوبة والجنابة البعد وقال بعض الحكماء
اذا صمت يا مسكين فانظر عند من تفطر وعلى اي شيء تفطر فان العبد ليأكل اكلة فينقلب قلبه عما كان عليه ولا يعود الى حاله
الاول فالذنوب كلها تورث قساوة القلب وتمنع من قيام الليل واخصها بالتاثير تناول الحرام فتؤثر اللقمة من الحلال
في تصفية القلب وتحريكه الى الخير ما لا يؤثر غيرها ويعرف ذلك اهل المراقبة للقلوب بالتجربة بعد شهادة الشرع له ولذلك
قال بعضهم كم من اكلة منعت قيام ليلة وكم من نظرة منعت قراءة سورة وان العبد ليأكل اكلة او يفعل فعلة
فيحرم بها قيام سنة وكما ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر فكذا الفحشاء تنهى عن الصلوة وسائر الخيرات قال بعض السجانين
[illegible] سجانا نيفا وثلثين سنة اسأل كل ماخوذ بالليل انه هل صلى العشاء في جماعة وكانوا يقولون لا وهذا تنبيه على ان
بركة الجماعة تمنع من تعاطي الفحشاء والمنكر واما الميسرات الباطنة فاربعة الاول سلامة القلب عن الحقد على المسلمين
وعن البدع وعن فضول هموم الدنيا فالمستغرق الهم بتدبير الدنيا لا يتيسر له القيام واذا قام لا يتفكر في صلوته الا في مهماته ولا يجول
الا في وسواسه وفي مثل ذلك يقال وانت اذا استيقظت ايضا فنائم الثاني خوف غالب يلزم القلب مع قصر الامل فانه اذا تفكر
في اهوال القيمة ودركات جهنم طار نومه وعظم حذره كما قال طاوس ان ذكر جهنم طير نوم العابدين وكما حكي ان غلاما بالبصرة
اسمه صهيب كان يقوم الليل كله فقالت له سيدته ان قيامك بالليل يضر بعملك بالنهار فقال ان صهيبا اذا ذكر النار لا يأتيه النوم
وقيل لغلام آخر وهو يقوم كل الليل فقال اذا ذكرت النار اشتد خوفي واذا ذكرت الجنة اشتد شوقي فما اقدر ان انام فقال
ذو النون المصري ۞ منع القرآن بوعده ووعيده ۞ مقل العيون بليلها ان تهجعا ۞ فهموا عن الملك الجليل كلامه ۞
فرقابهم ذلت اليه تخضعا ۞ يا طويل الرقاد والغفلات ۞ كثرة النوم توجب الحسرات ۞ ان في القبر ان نزلت به ۞
لرقادا يطول بعد الممات ۞ ومهادا ممهدا لك فيه ۞ بذنوب عملت او حسنات ۞ اامنت البيات من ملك الموت
وكم نال امنا بيات ۞ الثالث ان يعرف فضل قيام الليل بسماع هذه الايات والاخبار والآثار حتى يستحكم به رجاؤه
وشوقه الى ثوابه فيهيجه الشوق لطلب المزيد والرغبة في درجات الجنان كما حكي ان بعض الصالحين رجع من غزوه وكانت امرأته
تنتظر فراشه تلك الليلة فدخل المسجد ولم يزل يصلي حتى اصبح فقالت له زوجته كنا ننتظرك مدة فلما قدمت صليت الى الصبح
قال والله اني كنت اتفكر في حوراء من حور الجنة طول الليلة فدخل المسجد ولم يزل يصلي حتى اصبح فقالت زوجته فنسيت الزوجة
والمنزل فقمت ليلتي شوقا اليها الرابع وهو اشرف البواعث الحب لله وقوة الايمان بانه في قيامه لا يتكلم بحرف الا وهو مناج

يناجي ربه وهو مطلع عليه مع مشاهدة ما يخطر بقلبه وان تلك الخطرات من الله عز وجل خطاب معه فاذا احب
الله احب لا محالة الخلوة به وتلذذ بالمناجاة فيحمله لذة المناجاة بالحبيب على طول القيام ولا ينبغي ان يستبعد هذه اللذة
اذ يشهد له العقل والنقل اما العقل فليعتبر حال المحب لشخص بسبب جماله او لملك بسبب انعامه وامواله انه كيف يتلذذ
بالخلوة به ومناجاته حتى لا يأتيه النوم طول ليله فان قلت الجميل يتلذذ بالنظر اليه وان الله عز وجل لا يرى فاعلم
انه لو كان الجميل المحبوب وراء ستر او كان في بيت مظلم لكان المحب يتلذذ بمجاورته المجردة دون النظر ودون الطمع في امر آخر سواه
وكان يتنعم باظهار حبه عليه وذكره بلسانه بمسمع منه وان كان ذلك ايضا معلوما عنده فان قلت انه ينتظر جوابه فيتلذذ
بسماع جوابه وانا لا نسمع كلام الله عز وجل الآن منه فاعلم انه ان كان يعلم انه لا يجيبه ويسكت عنه لبقيت له ايضا لذة في عرض
احواله عليه ورفع سريرته اليه كيف والموقن يسمع من الله تعالى كل ما يرد على خاطره في اثناء مناجاته فيتلذذ به وكذا الذي يعرض في خلوته على الملوك حاجاته في ظلمة الليل يتلذذ بعرض حاجاته لرجاء انعامه
والرجاء في حق الله اصدق وما عند الله ابقى وانفع مما عند غير الله فكيف لا يتلذذ بعرض الحاجات عليه في الخلوات واما النقل
فيشهد له احوال قوام الليل في تلذذهم بقيام الليل واستقصارهم له كما يستقصر المحب ليلة وصال الحبيب حتى قيل لبعضهم كيف
انت والليل قال ما راعيته قط يريني وجهه ثم ينصرف وما تأملته بعد وقال آخر انا والليل فرسا رهان مرة يسبقني الى الفجر
ومرة يقطعني عن الفكر وقيل لبعضهم كيف الليل عليك قال ساعة انا فيها بين حالتين افرح بظلمته اذا جاء واغتم بفجره اذا طلع
ما تم فرحي به قط وقال علي بن بكار منذ اربعين سنة ما احزنني الا طلوع الفجر وقال الفضيل بن عياض اذا غربت الشمس فرحت بالظلام
لخلوتي بربي واذا طلعت الشمس حزنت لدخول الناس علي وقال ابو سليمان اهل الليل في ليلهم الذ من اهل اللهو في لهوهم ولولا
الليل ما احببت البقاء في الدنيا وقال ايضا لو عوض الله اهل الليل من ثواب اعمالهم ما يجدونه من اللذة لكان ذلك اكثر من اعمالهم
وقال بعضهم ليس في الدنيا وقت يشبه نعيم اهل الجنة الا ما يجده اهل التملق في قلوبهم بالليل من حلاوة المناجاة وقال بعضهم
لذة المناجاة ليست من الدنيا انما هي من الجنة اظهرها الله لاوليائه لا يجدها سواهم وقال ابن المنكدر ما بقي من لذات الدنيا الا
ثلث قيام الليل ولقاء الاخوان والصلوة في جماعة وقال بعض العارفين ان الله تعالى ينظر بالاسحار الى قلوب المتيقظين فيملأها
نورا فترد الفوايد على قلوبهم فتستنير ثم تنتشر من قلوبهم الى قلوب الغافلين وقال بعض العلماء من القدماء ان الله تعالى
اوحى الى بعض الصديقين ان لي عبادا من عبادي يحبونني واحبهم ويشتاقون الي واشتاق اليهم ويذكرونني واذكرهم وينظرون الي
وانظر اليهم فان حذوت طريقهم احببتك وان عدلت عنهم مقتك قال يا رب وما علامتهم قال يراعون الظلال بالنهار كما
يراعي الراعي غنمه ويحنون الى غروب الشمس كما تحن الطير الى اوكارها فاذا جنهم الليل واختلط الظلام وخلا كل حبيب بحبيبه
نصبوا الي اقدامهم وافترشوا الي وجوههم وناجوني بكلامي وتملقوا الي بانعامي فبين صارخ وباك وبين متأوه وشاك بعيني ما يتحملون من اجلي وبسمعي ما يشتكون من حبي اول ما اعطيهم اقذف من نوري
في قلوبهم فيخبرون عني كما اخبر عنهم والثانية لو كانت السموات والارض وما فيهما من موازينهم لاستقللتها لهم والثالثة
اقبل بوجهي عليهم فترى من اقبلت بوجهي عليه ايعلم احد ما اريد ان اعطيه وقال مالك بن دينار اذا قام العبد يتهجد من الليل
قرب منه الجبار وكانوا يرون ما يجدون في قلوبهم من الرقة والحلاوة والانوار من قرب الرب من القلب وهذا له
سر وتحقيق سيأتي في الاشارة اليه في كتاب المحبة وفي الاخبار عن الله تعالى اي عبدي انا الله الذي اقتربت لقلبك وبالغيب
رأيت نوري وشكى بعض المريدين الى استاذه طول الليل وطلب حيلة يجتلب بها النوم فقال استاذه يا بني ان لله نفحات
في الليل والنهار تصيب القلوب المتيقظة وتخطئ القلوب النائمة فتعرض لتلك النفحات تغنم فقال يا استاذ تركتني لا انام بالليل

والنهار واعلم ان هذه النفحات بالليل ارجى لما في قيام الليل من صفاء القلب واندفاع الشواغل وفي الخبر الصحيح
عن جابر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى خيرا الا
اعطاه اياه وذلك كل ليلة ومطلوب القائمين تلك الساعة وهو مبهم في جملة الليل كليلة القدر في رمضان وكساعة يوم الجمعة
وهي ساعة النفحات المذكورة

بيان طرق القسمة لاجزاء الليل اعلم ان احياء الليل من حيث المقدار له سبع مراتب

المرتبة الاولى احياء كل الليلة وهذا شأن الاقوياء الذين تجردوا لعبادة الله تعالى وتلذذوا بمناجاته وصار ذلك غذاء
لهم وحياة لقلوبهم فلم يتعبوا بطول القيام وردوا المنام الى النهار في وقت اشتغال الناس وقد كان ذلك طريق جماعة
من السلف كانوا يصلون الصبح بوضوء العشاء حكى ابو طالب المكي ان ذلك حكي على سبيل الاشتهار عن اربعين من التابعين و
كان فيهم من واظب عليه اربعين سنة قال منهم سعيد بن المسيب وصفوان بن سليم المدنيان وفضيل بن عياض ووهيب بن
الورد المكيان وطاوس ووهب بن منبه اليمانيان والربيع بن خثيم والحكم الكوفيان وابو سليمان الداراني وعلي بن بكار
الشاميان وابو عبد الله الخواص وابو عاصم العباديان وحبيب بن محمد وابو جابر السلماني الفارسيان ومالك بن دينار
وسليمان التيمي ويزيد الرقاشي وحبيب بن ابي ثابت ويحيى البكاء البصريون وكهمس بن المنهال وكان يختم في الشهر تسعين ختمة
وما لم يفهمه رجع وقرأه مرة اخرى وايضا من اهل المدينة ابو حازم ومحمد بن المنكدر في جماعة يكثر عددهم **الثانية** ان يقوم نصف
الليل وهذا لا ينحصر عدد المواظبين عليه من السلف واحسن طريق فيه ان ينام الثلث الاول من الليل والسدس الاخير منه حتى يقع قيامه
في جوف الليل ووسطه فهو الافضل **الثالثة** ان يقوم ثلث الليل فينبغي ان ينام النصف الاول والسدس الاخير وبالجملة نوم آخر
الليل محبوب لانه يذهب النعاس بالغداة وكانوا يكرهون ذلك ويقلل صفرة الوجه والشهرة به فلو قام اكثر الليل ونام سحرا قلت
صفرة وجهه وقل نعاسه وقالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اوتر من آخر الليل فان
كانت له حاجة الى اهله دنا منهن والا اضطجع على مصلاه حتى يأتيه بلال فيؤذنه للصلوة وقالت ايضا ما الفيته السحر
الاعلى نائما حتى قال بعض السلف هذه الضجعة قبل الصبح سنة منهم ابو هريرة وكان نوم هذا الوقت سببا للمكاشفة
والمشاهدة من وراء حجب الغيب وذلك لارباب القلوب وفيه استراحة تعين على الورد الاول من اوراد النهار وقيام
ثلث الليل من النصف الاخير ونوم سدسه الاخير قيام داود عليه السلام **المرتبة الرابعة** ان يقوم سدس الليل او خمسه وافضله ان يكون
في النصف الاخير وقبل السدس الاخير منه **المرتبة الخامسة** ان لا يراعي المقدير فان ذلك انما يتيسر لنبي يوحى اليه او
لمن يعرف منازل القمر ويوكل به من يراقبه ويوقظه ثم ربما يضطرب ذلك في ليالي الغيم ولكنه يقوم من اول الليل الى ان
يغلبه النوم فاذا انتبه قام فاذا غلبه النوم عاد الى النوم فيكون له من الليل نومتان وقومتان وهو من مكابدة الليل
واشد الاعمال وافضلها وقد كان هذا من اخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو طريقة ابن عمر رضي الله عنهما واولي العزم
من الصحابة وجماعة من التابعين وكان يقول بعض السلف هي اول نومة فان انتبهت ثم عدت الى النوم فلا انام الله عيني فاما قيام
رسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث المقدار فلم يكن على ترتيب واحد بل ربما كان يقوم نصف الليل او ثلثه او ثلثيه او
سدسه يختلف ذلك في الليالي ودل عليه قوله تعالى في الموضعين في سورة المزمل بقوله ان ربك يعلم انك تقوم ادنى
من ثلثي الليل ونصفه وثلثه فادنى من ثلثي الليل كان نصفه ونصف سدس منه فان كسر قوله ونصفه وثلثه كان نصف
الثلثين وثلثه فيقرب من الثلث والربع وان نصب كان نصف الليل وثلثه وقد قالت عائشة رضي الله عنها كان النبي صلى الله

عليه وسلم يقوم اذا سمع الصارخ يعني الديك وهذا يكون السدس فما دونه وروي عن واحد انه قال راعيت
صلوة رسول الله صلى الله عليه وسلم في السفر ليلاً فنام بعد العشاء زماناً ثم استيقظ فنظر في الافق فقال ربنا
ما خلقت هذا باطلاً الى قوله انك لا تخلف الميعاد ثم استل من فراشه سواكاً فاستاك وتوضأ وصلى حتى قلت صلى مثل
ما نام ثم اضطجع حتى قلت نام مثل ما صلى ثم استيقظ فقال مثل ما قال اول مرة وفعل مثل ما فعل اول مرة الرتبة السادسة وهي الاقل
ان يقوم مقدار اربع ركعات او ركعتين او تعذر عليه الطهارة فيجلس مستقبلا للقبلة ساعة مشتغلاً بالذكر والدعاء
فيكتب في جملة قوام الليل برحمة الله وفضله وقد جاء في الاثر صل من الليل ولو قدر حلب شاة فهذه طرق القسمة فليتخير
المريد لنفسه ما رآه ايسر عليه وحيث يتعذر عليه القيام في وسط الليل فلا ينبغي ان يهمل احياء ما بين العشائين والورد الذي
بعد العشاء ثم يقوم قبل الصبح نائماً وقت السحر فلا يدركه الصبح نائماً ويقوم بطرفي الليل وهذه هي الرتبة السابعة
ومهما كان النظر الى المقدار فترتب هذه المراتب بحسب طول الوقت واما في الرتبة الخامسة والسابعة لم ينظر فيهما الى القدر
فليس يجري امرهما في التقدم والتأخر على الترتيب المذكور اذ السابعة ليست دون ما ذكرناه في السادسة ولا الخامسة دون
الرابعة

بيان الليالي والايام الفاضلة

اعلم ان الليالي المخصوصة بمزيد الفضل التي تتأكد فيها استحباب الاحياء في السنة
خمس عشرة ليلة لا ينبغي ان يغفل المريد عنها فانها مواسم الخيرات ومظان التجارات ومتى غفل التاجر عن المواسم لم يربح و
متى غفل المريد عن فضائل الاوقات لم ينجح فستة من هذه الليالي في شهر رمضان ستة هي اوتار العشر الاخير اذ فيها يطلب
ليلة القدر وليلة سبعة عشر من رمضان فهي ليلة صبيحتها يوم الفرقان يوم التقى الجمعان فيه كانت وقعة بدر وقال
ابن الزبير هي ليلة القدر واما الثماني الاخر فاول ليلة من المحرم وليلة عاشوراء واول ليلة من رجب وليلة نصف
منه وليلة سبع وعشرين منه وهي ليلة المعراج وفيها صلوة مأثورة فقد قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم للعامل في هذه
الليلة حسنات مائة سنة فمن صلى فيها اثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة من القرآن ويتشهد في كل
ركعتين ويسلم في آخرهن ثم يقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر مائة مرة ويستغفر الله مائة مرة ويصلي على
النبي صلى الله عليه وسلم مائة مرة ويدعو لنفسه ما شاء من امر دنياه وآخرته ويصبح صائماً فان الله يستجيب دعاءه كله
الا ان يدعو في معصية واما ليلة النصف من شعبان ففيها مائة ركعة في كل ركعة سورة الاخلاص عشر مرات كانوا لا يتركون
ذلك كما اوردناه في صلوة التطوع قال صلى الله عليه وسلم من احيى ليلتي العيد لم يمت قلبه يوم تموت القلوب واما الايام
الفاضلة فهي تسعة عشر يستحب مواصلة الاوراد فيها يوم عرفة ويوم عاشوراء ويوم سبعة وعشرين من رجب له شرف
عظيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صام يوم سبعة وعشرين من رجب كتب الله له صيام ستين شهراً وهو اليوم الذي
هبط جبريل فيه على محمد عليهما الصلوة والسلام بالرسالة ويوم سبعة عشر من رمضان ويوم النصف من شعبان ويوم الجمعة ويوم
العيدين والايام المعلومات وهي عشر ذي الحجة والايام المعدودات وهي ايام التشريق وقد روى انس رضي الله عنه عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال اذا سلم يوم الجمعة سلمت الايام واذا سلم شهر رمضان سلمت السنة وقال بعض العلماء من اخذ مهناه
في الايام الخمسة في الدنيا لم ينل مهناه في الآخرة واراد به العيدين والجمعة والعرفة وعاشوراء ومن فواضل الخميس والاثنين ترفع فيهما
الى الله وقد ذكرنا فضائل الاشهر والايام الصيام في كتاب الصوم فلا حاجة الى اعادته ه ه ه والله اعلم

تم الربع الاول وهو العبادات من كتاب احياء علوم الدين ه والحمد لله وحده والصلوة على محمد

الربع الثاني من كتاب احياء علوم الدين وهو ربع العادات

بسم الله الرحمن الرحيم كتاب اداب الاكل

الحمد لله الذي احسن تدبير الكائنات فخلق الارض والسموات وانزل الماء الفرات من المعصرات فاخرج به الحب والنبات وقدر الارزاق والاقوات وحفظ بالماكولات قوى الحيوانات واعان على الطاعات والاعمال الصالحات باكل الطيبات والصلوة على محمد ذي المعجزات الباهرات وعلى آله واصحابه صلوة تتوالى على ممر الاوقات وتتضاعف بتعاقب الساعات وسلم تسليما كثيرا

اما بعد فان مقصد ذوي الالباب لقاء الله تعالى في دار الثواب ولا طريق للوصول الى اللقاء الا بالعلم والعمل ولا يمكن المواظبة عليهما الا بسلامة البدن ولا يصفو سلامة البدن الا بالاطعمة والاقوات والتناول منها بقدر الحاجات على تكرر الاوقات فمن هذا الوجه قال بعض السلف الصالحين ان الاكل من الدين وعليه نبه رب العالمين بقوله وهو اصدق القائلين كلوا من الطيبات واعملوا صالحا فمن يقدم على الاكل ليستعين به على العلم والعمل ويقوى به على التقوى فلا ينبغي ان يترك نفسه مهملا سدى يسترسل في الاكل استرسال البهائم في المرعى فانما هو ذريعة الى الدين ووسيلة اليه ينبغي ان يظهر انوار الدين عليه وانما انوار الدين آدابه وسننه التي يزم العبد بزمامها ويلجم المتقي بلجامها حتى يزن بميزان الشرع شهوة الطعام في اقدامها واحجامها فيصير بسببها مدفعة للوزر ومجلبة للاجر وان كان فيها اوفى حظ للنفس قال صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليوجر حتى في اللقمة يرفعها الى فيه والى في امرأته وانما ذلك اذا رفعها للدين مراعيا فيه آدابه ووظائفه وها نحن نرشد الى وظائف الدين في الاكل فرائضها وسننها وآدابها ومروآتها وهيئاتها في اربعة ابواب وفصل في آخرها ان شاء الله عز وجل

الباب الاول فيما لا بد للآكل من مراعاته وان انفرد به **الباب الثاني** فيما يزيد من الآداب بسبب الاجتماع على الاكل **الباب الثالث** فيما يخص تقديم الطعام الى الاخوان الزائرين **الباب الرابع** فيما يخص الدعوة والضيافة واسبابها

الباب الاول

فيما لا بد للمنفرد وهو ثلاثة اقسام قسم قبل الاكل وقسم مع الاكل وقسم بعد الفراغ منه **القسم الاول** في الآداب التي تتقدم على الاكل وهي سبعة **الاول** ان يكون الطعام بعد كونه حلالا في نفسه طيبا في جهة مكسبه موافقا للسنة والورع لم يكتسب بسبب مكروه في الشرع ولا بحكم هوى ومداهنة في دين على ما سيأتي في معنى الطيب المطلق في كتاب الحلال والحرام وقد امر الله سبحانه وتعالى باكل الطيب وهو الحلال وقدم النهي عن الاكل بالباطل على القتل تفخيما لامر الحرام وتعظيما لبركة الحلال فقال تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل الآية فالاصل في الطعام كونه طيبا وهو من الفرائض واصول الدين **الثاني** غسل اليد قال صلى الله عليه وسلم الوضوء قبل الطعام ينفي الفقر وبعده ينفي اللمم وفي رواية ينفي الفقر قبل الطعام وبعده ولان اليد لا تخلو عن لوث في تعاطي الاعمال فغسلها اقرب الى النظافة اقرب الى النظافة والنزاهة ولان الاكل على قصد الاستعانة على الدين عبادة فهو جدير بان يقدم عليه ما يجري مجرى الطهارة من الصلوة **الثالث** ان يوضع الطعام على السفرة الموضوعة على الارض وهو اقرب الى فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من رفعه على المائدة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اتي بطعام بطعام وضعه على الارض فهذا اقرب الى التواضع فان لم يكن فعلى السفرة فانه يذكر السفر ويتذكر من السفر سفر الآخرة وحاجته الى زاد التقوى وقال انس رضي الله عنه ما اكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان ولا في سكرجة قيل فعلى ماذا كنتم تاكلون قال على السفرة وقيل اربع احدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الموائد والمناخل والاشنان والشبع واعلم انا وان قلنا الاكل على السفرة اولى فلسنا نقول الاكل على المائدة منهي عنه نهي كراهة او تحريم اذ لم يثبت فيه نهي وما يقال من انه ابدع بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فليس كل ما ابدع منهيا عنه بل المنهي بدعة تضاد سنة ثابتة وترفع امرا من الشرع مع بقاء علته بل الابداع قد يجب في بعض الاحوال اذا تغيرت الاسباب وليس في المائدة الا رفع الطعام عن الارض لتيسير الاكل وامثال ذلك مما لا كراهة فيه والاربع التي ذكرت انها مبدعة ليست متساوية بل الاشنان حسن لما فيه من النظافة فان الغسل مستحب للنظافة والاشنان اتم في التنظيف وكانوا لا يستعملونه لانه ربما كان لا يعتاد عندهم او لا يتيسر او كانوا مشغولين بامور اهم من المبالغة في النظافة فقد كانوا لا يغسلون اليد ايضا وكانت مناديلهم اخمص اقدامهم وذلك لا يمنع كون الغسل مستحبا فاما المنخل فالمقصود منه تطييب الطعام وذلك مباح ما لم ينته الى التنعم المفرط واما المائدة فلتيسير الاكل وهذا ايضا مباح واما الشبع وهو اشد هذه الاربع فانه يدعو الى تهييج الشهوات وتحريك الادواء في البدن فليدرك التفرقة بين هذه المبدعات **الرابع** ان يحسن الجلسة على السفرة في اول جلوسه ويستديمها كذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ربما جثا على ركبتيه للاكل وجلس على ظهر قدميه وربما نصب رجله اليمنى وجلس على اليسرى وكان يقول لا آكل متكئا انما انا عبد آكل كما ياكل العبيد واجلس كما يجلس العبيد والشرب متكئا مكروه بسبب المعدة ايضا ويكره الاكل نائما ومتكئا الا ما يتنقل به من الحبوب روي عن علي رضي الله عنه انه اكل كعكا على ترس وهو مضطجع ويقال منبطحا على بطنه والعرب قد تفعله **الخامس** ان ينوي باكله ان يتقوى به على طاعة الله ليكون مطيعا بالاكل ولا يقصد التلذذ والتنعم بالاكل قال ابراهيم بن شيبان منذ ثمانين سنة ما اكلت شيئا بشهوتي ويعزم مع ذلك على تقليل الاكل فانه اذا اكل لاجل قوة العبادة لم تصدق نيته الا باكل ما دون الشبع فان الشبع يمنع من العبادة ولا يقوي عليها فمن ضرورة هذه النية كسر الشره وايثار القناعة على الاتساع قال صلى الله عليه وسلم ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطن حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فان لم يفعل فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس ومن ضرورة هذه النية ان لا يمد اليد الى الطعام الا وهو جائع فيكون الجوع احد ما لا بد من تقديمه على الاكل ثم ينبغي ان يرفع اليد قبل الشبع ومن فعل ذلك استغنى عن الطبيب وسيأتي فائدة قلة الاكل وكيفية التدريج في التقليل منه في كتاب كسر شهوة الطعام من ربع المهلكات **السادس** ان يرضى بالموجود من الرزق والحاضر من الطعام ولا يجتهد في التنعم وطلب الزيادة وانتظار الادم بل من كرامة الخبز انه لا ينتظر به الادم وقد ورد الامر باكرام الخبز فكل ما يديم الرمق ويقوي على العبادة فهو خير كثير لا ينبغي ان يستحقر بل لا ينتظر به الادم وقد ورد الامر باكرام الخبز بالخبز الصلوة ان حضر وقتها اذا كان في الوقت متسع قال صلى الله عليه وسلم اذا حضر العشاء والعشاء فابدؤا بالعشاء وكان ابن عمر رضي الله عنه ربما سمع قراءة الامام وهو لا يقوم من عشائه ومهما كانت النفوس

لا تتوق الى الطعام ولم يكن في تأخير الطعام ضرر فالاولى تقديم الصلوة فاما اذا حضر الطعام واقيمت الصلوة وكان في التأخير
ما يبرد الطعام او يشوش امره فتقديمه احب عند اتساع الوقت تاقت النفس او لم تتق لعموم الخبر ولان القلب لا يخلو عن الالتفات
الى الطعام الموضوع وان لم يكن الجوع غالبا السابع ان يجتهد في تكثير الايدي على الطعام ولو من اهله وولده قال عليه السلم
اجتمعوا على طعامكم يبارك لكم فيه وقال انس رضي الله عنه كان صلى الله عليه وسلم لا يأكل وحده **القسم الثاني** في آداب
حالة الاكل وهو ان يبدأ ببسم الله في اوله وبالحمد في آخره ولو قال مع كل لقمة بسم الله فهو احسن حتى لا يشغله الشره عن ذكر الله ويقول مع
اللقمة الاولى بسم الله ومع الثانية بسم الله الرحمن ومع الثالثة بسم الله الرحمن الرحيم ويجهر به ليذكر غيره ويأكل باليمين ويبدأ بالملح
ويختم به ويصغر اللقمة ويجود مضغها وما لم يبتلعها فلا يمد اليد الى الاخرى فان ذلك عجلة في الاكل وان لا يذم مأكولا كان صلى الله
عليه وسلم لا يعيب مأكولا ان اعجبه اكله والا تركه وان يأكل مما يليه الا الفاكهة فان له ان يجيل يده فيه قال صلى الله عليه وسلم
كل مما يليك ثم كان يدور على الفاكهة فقيل له في ذلك فقال ليس هو نوعا واحدا وان لا يأكل من ذروة القصعة ولا من وسط الطعام
بل يأكل من استدارة الرغيف الا اذا قل الخبز فيكسر الخبز ولا يقطعه بالسكين ولا يقطع اللحم ايضا فقد نهى عنه فقال انهسوه نهسا
ولا يوضع على القصعة خبز ولا غيرها الا ما يؤكل به قال صلى الله عليه وسلم اكرموا الخبز فان الله انزله من بركات السماء ولا يمسح يده بالخبز
قال عليه السلم اذا وقعت لقمة احدكم فليأخذها فليمط ما كان بها من اذى ولا يدعها للشيطان ولا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق اصابعه
فانه لا يدري في اي طعامه البركة ولا ينفخ في الطعام الحار فهو منهي عنه بل يصبر الى ان يسهل اكله ويأكل من التمر وترا سبعا او
احدى عشرة او احدى وعشرين او ما اتفق ولا يجمع بين التمر والنوى في طبق ولا يجمعه في كفه بل يضعه من فيه على ظهر كفه ثم يلقيها
وكذا كل ما له عجم وثفل وان لا يترك ما استرذل من الطعام ولا يطرحه في القصعة بل يتركه مع الثفل حتى لا يلتبس على غيره فيأكله وان
لا يكثر الشرب في اثناء الطعام الا اذا غص بلقمة او صدق عطشه فقد يقال ان ذلك الشرب مستحب في الطب فانه دباغ المعدة
واما الشرب فادبه ان يأخذ الكوز بيمينه ويقول بسم الله ويشربه مصا لا عبا قال صلى الله عليه وسلم مصوا الماء مصا ولا
تعبوه عبا فان الكباد من العب ولا يشرب قائما ولا مضطجعا فانه عليه السلم نهى عن الشرب قائما وروي انه عليه السلم
شرب ولعله كان لعذر ويراعي اسفل الكوز حتى لا يقطر عليه وينظر في الكوز قبل الشرب ولا يتنفس في الكوز بل ينحيه عن فيه بالحمد
ويرده بالتسمية وقال صلى الله عليه وسلم بعد الشرب الحمد لله الذي جعله عذبا فراتا برحمته ولم يجعله ملحا اجاجا بذنوبنا واذا
ادير الكوز او غيره على قوم فيدار يمنة شرب رسول الله صلى الله عليه وسلم لبنا وابو بكر عن شماله واعرابي عن يمينه وعمر ناحية
فقال عمر اعط ابا بكر فناول الاعرابي وقال الايمن فالايمن ويشرب في ثلثة انفاس يحمد الله في اخرها ويسمي في اوائلها و
يقول في آخر النفس الاول الحمد لله وفي الثاني رب العالمين وفي الثالث الرحمن الرحيم فهذا قريب من اربعين ادبا في حالة
الاكل والشرب دل عليه الاخبار والآثار **القسم الثالث** ما يستحب بعد الطعام وهو ان يمسك قبل الشبع ويلعق اصابعه
ثم يمسحها بالمنديل ثم يغسلها ويلتقط فتات الخبز والطعام قال صلى الله عليه وسلم من اكل ما يسقط من المائدة عاش في سعة وعوفي
في ولده ويتخلل ولا يبتلع ما يخرج من بين اسنانه بالخلال الا ما يجتمع من اصول اسنانه اما المخرج بالخلال فيرميه ويتمضمض بعد الخلال
ففيه اثر عن اهل البيت وان يلعق القصعة فقال من لعق القصعة وشرب ماءها بعد الخلال كان له عتق رقبة وان لقاط الفتات مهور
الحور العين وان يشكر الله تعالى بقلبه على ما اطعمه فيرى الطعام نعمة منه قال الله تعالى كلوا من الطيبات وقال تعالى كلوا من طيبات
ما رزقناكم واشكروا ومهما اكل حلالا قال الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وتنزل البركات اللهم اطعمنا طيبا واستعملنا صالحا

صالحا وان اكل شبهة فليقل الحمد لله على كل حال اللهم لا تجعله قوة لنا على معصيتك ويقرأ بعد الطعام قل هو الله احد ولايلاف
ولا يقوم عن المائدة حتى ترفع اولا فان اكل طعام الغير فليدع له وليقل اللهم بارك له فيما رزقته ويسر له ان يفعل منه خيرا وقنعه
بما اعطيته واجعلنا واياه من الشاكرين وان افطر عند قوم فليقل افطر عندكم الصائمون واكل طعامكم الابرار وصلت عليكم الملائكة ويكثر
الاستغفار والحزن على ما اكل من شبهة ليطفئ بدموعه وحزنه حر النار التي تعرض لها بقوله عليه وسلم كل لحم نبت من الحرام
فالنار اولى به وليس من يأكل ويبكي كمن يأكل ويلهو وليقل اذا اكل لبنا اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وزدنا منه وان اكل غيره قال
اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وارزقنا خيرا منه فذلك الدعاء مما خصص به رسول الله صلى عليه وسلم اللبن لعموم نفعه ويستحب
عقيب الطعام ان يقول الحمد لله الذي اطعمنا وسقانا وآوانا سيدنا ومولانا يا كافي كل شي ولا يكفي منه شي اطعمت من جوع و
آمنت من خوف فلك الحمد آويت من يتم وهديت من ضلالة واغنيت من عيلة فلك الحمد حمدا كثيرا دائما طيبا نافعا
مباركا فيه كما انت اهله ومستحقه اللهم اطعمتنا طيبا فاستعملنا صالحا اجعله عونا لنا على طاعتك ونعوذ بك ان نستعين به
على معاصيك واما غسل اليد بالاشنان فكيفيته ان يجعل الاشنان على كفه اليسرى ويغسل الاصابع الثلث من اليد اليمنى اولا
ويضرب اصابعه على الاشنان اليابس فيمسح به شفتيه ثم يمعن غسل الفم باصبعه ويدلك ظاهر اسنانه وباطنها والحنك
واللسان ثم يغسل اصابعه من ذلك الماء ثم ببقية الاشنان اليابس اصابعه ظهرا وبطنا ويستغني بذلك عن اعادة الاشنان
الى الفم واعادة غسله **الباب الثاني** فيما يزيد بسبب الاجتماع والمشاركة في الاكل وهي سبعة الاول
ان لا يبتدئ بالطعام ومعه من يستحق التقديم بكبر سن او زيادة فضل الا ان يكون هو المتبوع والمقتدى فحينئذ ينبغي ان لا يطول عليهم
الانتظار اذا اشرأبوا للاكل واجتمعوا له الثاني ان لا يسكتوا على الطعام فان ذلك من سيرة العجم ولكن يتكلمون بالمعروف ويتحدثون
بحكايات الصالحين في الاطعمة وغيرها الثالث ان يرفق برفيقه في القصعة ولا يقصد ان يأكل زيادة على ما يأكله فان ذلك
حرام ان لم يكن موافقا لرضى رفيقه مهما كان الطعام مشتركا بل ينبغي ان يقصد الايثار ولا يأكل تمرتين في دفعة الا اذا فعلوا ذلك
واستأذنهم فان قلل رفيقه نشطه ورغبه في الاكل وقال له كل ولا يزيد على ثلاث مرات في قوله كل فان ذلك الحاح وافراط
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خوطب بشيء ثلثا لم يراجع بعد ثلاث وكان صلى الله عليه وسلم يكرر الكلام ثلاثا فليس من الادب الزيادة
عليه فاما الحلف عليه بالاكل فممنوع قال الحسن بن علي رضي الله عنهما احسن الآكلين اكلا من لا يحوج صاحبه الى تفقده في الاكل
وحمل عن اخيه مؤنة القول ولا ينبغي ان يدع شيئا مما يشتهيه لاجل نظر الغير اليه فان ذلك تصنع بل يجري على المعتاد ولا ينقص من
عادته في الوحدة ولكن ليعود نفسه حسن الادب في الوحدة حتى لا يحتاج الى التصنع عند الاجتماع نعم لو قلل من اكله ايثارا
لاخوانه ونظرا لهم عند الحاجة الى ذلك فهو حسن وان زاد في الاكل على نية المساعدة وتحريك نشاط القوم في الاكل فلا بأس به
بل هو حسن وقال جعفر بن محمد رضي الله عنه احب اخواني الي اكثرهم اكلا واعظمهم لقمة واثقلهم علي من يحوجني الى تعاهده في الاكل
وكل ذلك اشارة الى الجري على المعتاد وترك التصنع وقال جعفر ايضا يتبين محبة الرجل لاخيه بجودة اكله في منزله الخا[مس]
ان غسل اليدين في الطست ولا بأس بان يتنخم فيه ان كان وحده وان كان مع غيره فلا ينبغي ان يفعل ذلك واذا قدم الطست
الى غيره اكراما فليقبله اجتمع انس بن مالك وثابت البناني رضي الله عنهما على طعام فقدم انس الطست اليه فامتنع فقال انس
اذا اكرمك اخوك فاقبل كرامته ولا تردها فانما يكرم الله عز وجل وروي ان هرون الرشيد دعا ابا معوية الضرير فصب على يده في الطست
فلما فرغ قال يا ابا معوية تدري من صب على يدك قال لا قال صبه امير المؤمنين فقال يا امير المؤمنين انما اكرمت العلم واجللته

بالحلت الله واكرمت كما اجللت العلم واهله ولا باس ان يجتمعوا على غسل الايدي في الطست في حالة واحدة وهو اقرب الى التواضع
وابعد عن طول الانتظار فان لم يفعلوا فلا ينبغي ان يصب ماء كل واحد بل يجمع الماء في الطست قال صلى الله عليه وسلم قال صلى الله
عليه وسلم اجمعوا وضوءكم جمع الله شملكم قيل ان المراد به هذا وكتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله الى الامصار لا ترفعوا الطست
من بين يدي القوم الا مملوة ولا تشبهوا بالعجم وقال ابن مسعود رضي الله عنه اجتمعوا على غسل اليد في طست ولا تستنوا بسنة الاعاجم
والخادم الذي يصب الماء على اليد كره بعضهم ان يكون قائما واحب ان يكون جالسا لانه اقرب الى التواضع وكره بعضهم جلوسه
فروي انه صب على يد واحد خادم واحدا لا انا جالسا فقام المصبوب على يده فقيل له لم قمت فقال احدنا لا بد ان يكون قائما
فهذا اولى لانه ايسر للصب والغسل واقرب الى تواضع الذي يصب واذا كان له نية فيه فتمكينه من الخدمة به ليس فيه تكبر
فان العادة جارية بذلك ففي الطست سبعة آداب ان لا يبزق فيه وان يقدم به المتبوع وان يقبل الاكرام بالتقديم وان يدار يمنة
وان يجتمع فيه جماعة وان يجمع الماء فيه وان يكون الخادم قائما وان يمج الماء من فيه ويرسله من يده برفق حتى لا يرش على
الفراش وعلى اصحابه وليصب صاحب المنزل بنفسه على يد ضيفه هكذا فعل مالك بالشافعي رضي الله عنهما في اول نزوله عليه
وقال لا يهولنك هذا مني فخدمة الضيف فرض السادس ان لا ينظر الى اصحابه ولا يراقب اكلهم فيستحيون بل يغض بصره ويشتغل
بنفسه على يد ضيفه ولا يمسك قبل اخوانه اذا كانوا يحتشمون الاكل بعده بل يمد اليد ويقبضها ويتناول قليلا قليلا الى ان
يستوفوا فان كان قليل الاكل توقف في الابتداء وقلل الاكل حتى اذا توسعوا في الطعام اكل معهم اخرا فقد فعل ذلك كثير من
الصحابة وان امتنع بسبب فليعتذر اليهم دفعا للخجلة عنهم السابع ان لا يفعل ما يستقذره غيره فلا ينفض يده في القصعة
ولا يقدم اليها راسه عند وضع اللقمة في فيه واذا اخرج شيئا من فيه صرف وجهه عن الطعام واخذه بيساره ولا يغمس
اللقمة الدسمة في الخل ولا الخل في الدسومة فقد يكرهه غيره واللقمة التي قطعها لا يغمس بقيتها في المرقة ولا يتكلم بما يذكر
المستقذرات

الباب الثالث في آداب تقديم الطعام الى الاخوان الزائرين

تقديم الطعام

تقديم الطعام الى الاخوان وله فضل كثير قال جعفر بن محمد رضي الله عنهما اذا قعدتم مع الاخوان على المائدة فاطيلوا الجلوس فانها
ساعة لا تحتسب عليكم من اعماركم وقال الحسن رضي الله عنه كل نفقة ينفقها الرجل على نفسه وابويه فمن دونهم يحاسب عليها الا
نفقة الرجل على اخوانه في الطعام فان الله تعالى يستحيي ان يسأله عن ذلك هذا مع ما ورد من الاخبار في الاطعام قال صلى
الله عليه وسلم لا تزال الملائكة تصلي على احدكم ما دامت مائدته موضوعة بين يديه حتى ترفع وروي عن بعض علماء خراسان انه كان
يقدم الى اخوانه طعاما كثيرا لا يقدرون على اكل جميعه وكان يقول بلغنا عن رسول الله عليه السلام انه قال ان الاخوان اذا رفعوا ايديهم
عن الطعام لم يحاسب من اكل فضل ذلك فانا احب ان استكثر مما اقدم اليكم لنأكل فضل ذلك وفي الخبر لا يحاسب العبد على ما ياكله
مع اخوانه وكان بعضهم يكثر الاكل مع الجماعة لذلك ويقلل اذا اكل وحده وفي الخبر ثلاث لا يحاسب عليها العبد اكلة السحور وما
افطر عليه وما اكل مع الاخوان وقال علي كرم الله وجهه لان اجمع اخواني على صاع من طعام احب الي من ان اعتق رقبة وكان ابن عمر
رضي الله عنهما يقول من كرم الرجل طيب زاده في سفره وبذله لاصحابه وكان الصحابة رضوان الله عليهم يقولون الاجتماع على الطعام
من مكارم الاخلاق وكانوا يجتمعون على قراءة القران ولا يتفرقون الا عن ذواق وقيل اجتماع الاخوان على الاخوان الكفاية من الانس
والالفة ليس هو من الدنيا وفي الخبر يقول الله تعالى للعبد يوم القيمة جعت فلم تطعمني فيقول كيف اطعمك وانت رب العالمين فيقول
جاع اخوك المسلم فلم تطعمه ولو اطعمته كنت اطعمتني وقال عليه السلام اذا جاءكم الزائر فاكرموه وقال عليه السلام ان في الجنة غرفا

غرفا يرى باطنها من ظاهرها وظاهرها من باطنها هي لمن الان الكلام واطعم الطعام وصلى بالليل والناس نيام وقال خيركم
من اطعم الطعام وقال من اطعم اخاه حتى يشبعه وسقاه حتى يرويه بعده الله من النار سبعة خنادق ما بين كل خندق مسيرة
خمسمائة عام واما آدابه فبعضها في الدخول وبعضها في تقديم الطعام اما الدخول فليس من السنة ان يقصد قوما
متربصا لطعامهم فيدخل وقت الاكل فان ذلك من المفاجاة وقد نهي عنه قال الله تعالى لا تدخلوا بيوت
النبي الا ان يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه يعني منتظرين حينه ونضجه وفي الخبر من مشى الى طعام لم يدع اليه
مشى فاسقا واكل حراما ولكن حق الداخل اذا لم يتربص واتفق ان صادفهم على الطعام ان لا ياكل ما لم يؤذن له فاذا
قيل كل نظر فان علم انهم يقولون عن محبة لمساعدته فليساعد وان كانوا يقولونه حياء منه فلا ينبغي ان ياكل بل ينبغي
ان يتعلل اما اذا كان جائعا فقصد بعض اخوانه ليطعمه ولم يتربص وقت اكله فلا باس به قصد رسول الله صلى الله عليه وسلم
وابو بكر وعمر رضي الله عنهما منزل ابي الهيثم بن التيهان وابي ايوب الانصاري رضي الله عنهما لاجل طعام ياكلونه وكانوا
جياعا فقصد بعض اخوانه ليطعمه والدخول على مثل هذه الحالة اعانة لذلك المسلم على حيازة ثواب الاطعام وهي عادة السلف
كان عون بن عبد الله المسعودي له ثلثمائة وستون صديقا يدور عليهم في السنة ولآخر ثلثون يدور عليهم في الشهر
ولآخر سبعة فكان اخوانهم يطعمونهم بدلا عن كسبهم وكان قيام اوكلتهم على قصد التبرك عبادة لهم فان دخل ولم يجد
صاحب الدار وكان واثقا بصداقته عالما بفرحه اذا اكل من طعامه فله ان ياكل من غير اذنه اذ المراد من الاذن الرضى لا سيما
في الاطعمة وامرها على السعة فرب رجل يصرح بالاذن ويحلف وهو غير راض فاكل طعامه مكروه ورب غائب لم ياذن واكل
طعامه محبوب وقد قال تعالى او صديقكم ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم دار بريرة واكل طعامها وهي غائبة وكان الطعام
من الصدقة فقال بلغت الصدقة محلها وذلك لعلمه بسرورها ولذلك يجوز ان يدخل الدار بغير استيذان اكتفاء بعلمه بالاذن
فان لم يعلم فلا بد من الاستيذان اولا ثم الدخول وكان محمد بن واسع واصحابه يدخلون منزل الحسن فياكلون ما يجدون من غير اذن
وكان الحسن يدخل ويرى ذلك فيسر ويقول هكذا كنا وروي عن الحسن رضي الله عنه انه كان ياكل قائما من متاع بقال ياخذ من هذه الجونة
تينة ومن هذه فستقة فقال له هشام رضي الله عنه ما بدا لك يا ابا سعيد في الورع تاكل متاع الرجل بغير اذنه فقال يا لكع اتل
علي اية الاكل فتلا الى قوله او صديقكم قال فمن الصديق يا ابا سعيد فقال من استروحت النفس اليه واطمان اليه القلب وجاء
قوم الى منزل سفين الثوري فلم يجدوه ففتحوا الباب وانزلوا السفرة وجعلوا ياكلون فدخل الثوري فجعل يقول ذكرتموني اخلاق السلف
هكذا كانوا وزار قوم بعض التابعين ولم يكن عنده ما يقدمه اليهم فذهب الى منزل بعض اخوانه فلم يصادفه في المنزل فدخل فنظر
الى قدر طبخها والى خبز قد خبزه وغير ذلك فحمله كله فقدمه الى اصحابه وقال كلوا فجاء رب المنزل فلم ير الطعام فقيل له قد اخذه
فلان فقال لقد احسن فلما لقيه اخبره قال يا اخي ان عادوا فعد فهذه آداب الدخول فاما آداب التقديم فترك التكلف اولا
وتقديم ما حضر فان لم يحضره شيء ولم يملك شيئا فلا يستقرض لاجل ذلك فيشوش ذلك على نفسه وان حضره ما هو محتاج اليه
لقوته ولم تسمح به نفسه بالتقديم فلا ينبغي ان يقدم دخل بعضهم على زاهد وهو ياكل فقال لولا اني اخذته بدين لاطعمتكم وقال بعض
السلف في تفسير التكلف ان تطعم اخاك ما لا تاكله انت بل تقصد زيادة عليه في الجودة والقيمة وكان الفضيل رحمه الله يقول
انما تقاطع الناس بالتكلف يدعو احدهم اخاه فيتكلف له فيقطعه عن الرجوع اليه وقال بعضهم ما ابالي من اتاني من اخواني فاني
لا اتكلف له انما اقرب ما عندي ولو تكلفت له لكرهت مجيئه ومللته وقال بعضهم كنت ادخل على اخ لي فيتكلف فقلت له انك لا تاكل

وجدت هذا ولا انا فما بالنا اذا اجتمعنا اكلنا فاما ان تقطع هذا التكلف او انقطع المجي فقطع التكلف ودام اجتماعنا بسببه ومن التكلف ان يقدم جميع ما عنده فيجحف بعياله ويؤذي قلوبهم روي ان رجلا دعا عليا رضي الله عنه فقال اجيبك على ثلث شرايط لا يدخل من السوق شيا ولا تدخر ما في البيت ولا تجحف بالعيال وكان بعضهم يقدم من كل ما في بيته شيا ولا يترك نوعا الا ويحضر شيا منه وقال بعضهم دخلنا على جابر بن عبد الله رضي الله عنه فقدم الينا خبزا وخلا وقال لولا انا نهينا عن التكلف لتكلفت لكم وقال بعضهم اذا قصدت للزيارة فقدم ما حضر واذا استزرت فلا تبق ولا تذر وقال سلمن امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا نتكلف للضيف ما ليس عندنا وان نقدم اليه ما حضرنا وفي حديث يونس النبي صلى الله عليه وسلم انه زاره اخوانه فقدم اليهم كسرا وجز لهم بقلا كان يزرعه ثم قال كلوا لولا ان الله تعالى لعن المتكلفين لتكلفت لكم وعن انس بن مالك وغيره من الصحابة انهم كانوا يقدمون ما حضر من الكسر اليابسة وحشف التمر ويقولون لا ندري ايهما اعظم وزرا الذي يحتقر ما يقدم اليه والذي يحتقر ما عنده ان يقدمه الادب الثاني وهو للزائر ان لا يقترح ولا يتحكم بشي بعينه فربما يشق على المزور احضاره فان خيره اخوه بين طعامين فليختر ايسرهما عليه كذلك السنة وفي الخبر ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين شيئين الا اختار ايسرهما وروي عن الاعمش عن ابي وايل انه قال مضيت مع صاحب لي نزور سلمان فقدم الينا خبز شعير وملحا جريشا فقال صاحبي لو كان في هذا الملح سعتر كان اطيب فخرج سلمان ورهن مطهرته فلما اكل قال صاحبي الحمد لله الذي قنعنا بما رزقنا فقال سلمن لو قنعت بما رزقت لم تكن مطهرتي مرهونة هذا اذا توهم تعذر ذلك على اخيه او كراهته له فان علم انه يسر باقتراحه ويتيسر عليه ذلك فلا يكره له الاقتراح فعل الشافعي رضي الله عنه مع الزعفراني اذ كان نازلا عليه ببغداد وكان الزعفراني يكتب كل يوم رقعة بما يطبخ من الالوان ويسلمها الى الجارية فاخذ الشافعي رضي الله عنه الرقعة من الجارية في بعض الايام والحق فيها لونا اخر بخطه فلما راى الزعفراني ذلك اللون انكر وقال لما امرت بهذا فعرضت الجارية خط الشافعي رضي الله عنه ملحقا بالرقعة فلما وقعت عينه على خطه فرح بذلك واعتق الجارية سرورا باقتراح الشافعي رضي الله عنه عليه وقال ابو بكر الكتاني دخلت على السري فجاء بفتيت واحد فجعل نصفه في القدح فقلت ايش هذا تعلمه انا اشربه كله في مرة فضحك فقال هذا افضل لك من حجة وقال بعضهم الاكل على ثلثة اقسام مع الفقرا بالايثار ومع الاخوان بالانبساط ومع ابنا الدنيا بالادب الادب الثالث ان يشتهي المزور على اخاه الزاير ويلتمس منه الاقتراح مهما كانت نفسه طيبة بفعل ما يقترح فذلك حسن وفيه اجر وفضل جزيل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صادف من اخيه شهوة غفر له ومن سر اخاه المومن فقد سر الله عز وجل وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه جابر رضي الله عنه من لذذ اخاه بما يشتهي كتب الله له الف الف حسنة ومحى عنه الف الف سيئة ورفع له الف الف درجة واطعمه من ثلث جنات جنة الفردوس وجنة عدن وجنة الخلد الادب الرابع ان لا يقول له هل اقدم اليك طعاما بل ينبغي ان يقدم ان كان قال الثوري رحمه الله اذا زارك اخوك فلا تقل له تاكل او اقدم اليك ولكن قدم فان اكل والا فارفع وان كان لا يريد ان يطعمهم طعاما فلا ينبغي ان يظهره عليه وان يصفه لهم قال الثوري اذا اردت ان تطعم عيالك مما تاكله فلا تحدثهم به ولا يرونه معك قال بعض الصوفية اذا دخل عليكم الفقرا فقدموا اليهم طعاما واذا دخل الفقها فسلوهم مسئلة واذا دخل القرا فدلوهم على المحراب

الباب الرابع في آداب الضيافة

وجملة الآداب فيها ستة الدعوة اولا ثم الاجابة ثم الحضور ثم تقديم الطعام ثم الاكل ثم الانصراف ولنقدم على جميعها

الضيافة قال صلى الله عليه وسلم لا تتكلفوا للضيف فتبغضوه فانه من ابغض الضيف فقد ابغض الله ومن ابغض الله ابغضه الله وقال عليه السلم لا خير فيمن لا يضيف ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل له ابل وبقر كثيرة فلم يضفه ومر بامراة لها شويهات فذبحت له فقال عليه السلم انظروا اليهما انما الاخلاق بيد الله فمن شاء ان يمنحه خلقا حسنا فعل وقال ابو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه نزل به ضيف فقال قل لفلان اليهودي نزل بي ضيف فاسلفني شيا من الدقيق الى رجب فقال اليهودي والله لا اسلفته الا برهن فاخبرته فقال والله اني لامين من في السما امين من في الارض ولو اسلفني لاديته فاذهب بدرعي وارهنها عنده وكان ابرهيم الخليل صلوات الله عليه اذا اراد ان ياكل خرج ميلا او ميلين يلتمس من يتغدى معه وكان عليه السلم يكنى ابا الضيفان ولصدق نيته دامت ضيافته في مشهده الى يومنا هذا فلا ينقضي ليلة الا وياكل عنده جماعة من بين ثلاثة الى عشرة الى مائة وقال قوام الموضع انه لم يخل الى الآن ليلة عن ضيف وسيل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الايمان فقال اطعام الطعام وبذل السلام وقال صلى الله عليه وسلم الكفارات والدرجات اطعام الطعام والصلوة بالليل والناس نيام وسيل عن الحج المبرور فقال اطعام الطعام وطيب الكلام وقال انس كل بيت لا يدخله ضيف لا يدخله الملئكة والاخبار الواردة في فضل الضيافة والاطعام لا تحصى فلنذكر آدابها اما الدعوة فينبغي ان يقصد بدعوته الاتقيا دون الفساق قال صلى الله عليه وسلم اكل طعامكم الابرار في دعاء له لمن دعا له وقال لا تاكل الا من طعام تقي ولا ياكل طعامك الا تقي ويقصد الفقرا دون الاغنيا على الخصوص قال صلى الله عليه وسلم شر الطعام طعام الوليمة تدعى اليه الاغنيا دون الفقرا وينبغي ان لا يهمل اقاربه في ضيافته فان اهمالهم ايحاش وقطع رحم وكذلك يراعي الترتيب في اصدقائه ومعارفه فان في تخصيص البعض ايحاشا للباقين وينبغي ان لا يقصد بدعوته المباهاة والتفاخر بل استمالة قلوب الاخوان والتسنن بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في اطعام الطعام وادخال السرور على قلوب المومنين وينبغي ان لا يدعو من يعلم انه يشق عليه الاجابة واذا حضر تاذى بالحاضرين بسبب من الاسباب وينبغي ان لا يدعو الا من يحب اجابته وقال سفين الثوري من دعا الى طعام وهو يكره الاجابة فعليه خطيئة فان اجاب المدعو فعليه خطيئتان لانه حمله على الاكل مع كراهة ولو علم ما كان ياكله واطعام التقي اعانة له على الطاعة واطعام الفاسق تقوية له على الفسق قال خياط لابن المبارك انا اخيط ثياب السلاطين فهل تخاف ان اكون من اعوان الظلمة قال لا انما اعوان الظلمة من يبيع منك الخيط والابرة اما انت فمن الظلمة انفسهم واما الاجابة فهي سنة موكدة وقيل بوجوبها في بعض المواضع قال صلى الله عليه وسلم لو دعيت الى كراع لاجبت ولو اهدي الي ذراع لقبلت وللاجابة خمسة آداب الاول ان لا يميز الغني بالاجابة عن الفقير فذلك هو التكبر المنهي عنه ولاجل ذلك امتنع بعضهم عن اصل الاجابة وقال انتظار المرقة ذل وقال الآخر اذا وضعت يدي في قصعة غيري فقد ذلت له رقبتي ومن المتكبرين من يجيب الاغنيا دون الفقرا وهو خلاف السنة كان عليه السلم يجيب دعوة العبيد ودعوة المسكين ومر الحسن بن علي رضي الله عنهما بقوم من المساكين الذين يسئلون الناس على قارعة الطريق وقد نشروا كسرا على الارض في الرمل وهم ياكلون وكان على بغلته فسلم عليهم فقالوا هلم الى الغدا يا ابن رسول الله فقال نعم ان الله لا يحب المتكبرين فنزل وقعد معهم على الارض واكل ثم سلم عليهم وركب وقال اذا دعوتكم فاجيبوني قالوا نعم فوعدهم وقتا معلوما فحضروا فقدم عليهم فاخر الطعام فاكل معهم واما قول القايل انه من وضعت يدي في قصعته ذلت له رقبتي فقد قال بعضهم هذا خلاف السنة وليس كذلك فانه ذل اذا كان الداعي لا يفرح بالاجابة ولا يتقلد بها منة وكان يرى ذلك يدا له على المدعو ورسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحضر لعلمه بان الداعي له

يتقلد منة ويرى ذلك شرفا وذخرا لنفسه في الدنيا والآخرة وهذا يختلف باختلاف الحال فمن ظن انه يستثقل الاطعام
وانما يفعل ذلك تكلفا او مباهاة فليس من السنة اجابته بل الاولى التعلل ولذلك قال بعض الصوفية لا تجب الا دعوة من يرى
انك اكلت رزقك وانه سلم اليك وديعة كانت لك عنده ويرى لك الفضل في قبول تلك الوديعة منه وقال سري السقطي
رضي الله عنه آه على لقمة ليس علي لله فيها تبعة ولا لمخلوق فيها منة فاذا علم المدعو انه لا منة فلا ينبغي ان يرد وقال ابو تراب
النخشبي عرض علي طعام فامتنعت فابتليت بالجوع اربعة عشر يوما فعلمت انه عقوبته وقيل لمعروف الكرخي كل من دعاك تمر
اليه فقال انا ضيف انزل حيث انزلوني الثاني انه لا ينبغي ان يمتنع عن الاجابة لبعد المسافة كما لا يمتنع لفقر الداعي وعدم
جاهه بل كل مسافة يمكن احتمالها في العادة لا ينبغي ان يمتنع عن الاجابة لبعد المسافة فيقال في التوراة او في بعض الكتب سر ميلا
عد مريضا سر ميلين شيع جنازة سر ثلاثة اميال اجب دعوة سر اربعة اميال زر اخا في الله وانما قدم اجابة الدعوة والزيارة
لان فيه قضاء حق الحي وهو اولى من الميت وقال صلى الله عليه وسلم لو دعيت الى كراع بالغميم لاجبت وهو موضع على اميال من
المدينة افطر رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان لما بلغه وقصر عنده في سفره الثالث ان لا يمتنع لكونه صائما بل
يحضر فان كان يسر اخاه افطاره فليفطر وليحتسب في الافطار بنية سرور الادخال في قلب اخيه ما يحتسب في الصوم وافضل
وذلك في صوم التطوع وان لم يتحقق سرور قلبه به فليصدقه بالظاهر وليفطر وان تحقق انه متكلف فليتعلل وقال صلى الله عليه
وسلم لمن امتنع بعذر الصوم تكلف لك اخوك وتقول اني صائم وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما من افضل الحسنات اكرام الجلساء بالافطار فالافطار
عبادة بهذه النية وحسن خلق فثوابه فوق ثواب الصوم ومهما لم يفطر فضيافته الطيب والمجمرة والحديث الطيب فقد قيل الكحل
والدهن احد القرنين الرابع ان يمتنع من الاجابة ان كان الطعام طعام شبهة او الموضع موضع فسق او البساط المفروش
فيه الحلال او كان يقام في الموضع منكر من فرش ديباج او فضة او تصوير حيوان على سقف او حائط او سماع شيء من المزامير
والملاهي والتشاغل بنوع من اللهو والهزل واللعب فكل ذلك مما يمنع الاجابة واستحبابها ويوجب تحريمها وكراهيتها
وكذا اذا كان الداعي ظالما او مبتدعا او فاسقا او شريرا او متكلفا طالبا للمباهاة والفخر الخامس ان لا يقصد بالاجابة
قضاء شهوة البطن فيكون عاملا في ابواب الدنيا بل يحسن نيته ليصير بالاجابة عاملا للآخرة وذلك بان ينوي الاقتداء
بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله لو دعيت الى كراع لاجبت وينوي الحذر من معصية الله لقوله صلى الله عليه
وسلم من لم يجب الداعي فقد عصى الله ورسوله وينوي اكرام اخيه المؤمن لقوله صلى الله عليه وسلم من اكرم اخاه المؤمن
فانما يكرم الله وينوي ادخال السرور على قلبه امتثالا لقوله صلى الله عليه وسلم من سر مؤمنا فقد سر الله عز وجل وينوي مع
ذلك زيارته ليكون من المتحابين في الله اذ شرط رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه التزاور والتباذل لله فقد حصل البذل من احد
الجانبين فتحصل الزيارة من جانبه ايضا وينوي صيانة نفسه عن ان يساء به الظن في امتناعه ويطلق اللسان فيه بان يحمل على تكبر
او سوء خلق واستحقار اخ مسلم او ما يجري مجراه فهذه ست نيات تلحق اجابته بالقربات آحادها فكيف مجموعها وكان
بعض السلف يقول انا احب ان يكون لي في كل شيء نية حتى في الطعام والشراب وفي مثل هذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انما الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا
يصيبها او امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه والنية انما تؤثر في المباحات والطاعات اما المعاصي فلا فانه ان
نوى ان يسر اخوانه بمساعدتهم على شرب الخمر او حرام آخر لم تنفع النية ولم يجز ان يقال الاعمال بالنيات بل لو قصد بالغزو الذي

هو طاعة المباهاة وطلب المال انصرف عن جهة الطاعة وكذا المباح المتردد بين وجوه الخيرات وغيرها يلتحق
بوجوه الخيرات بالنيات فتؤثر النية في هذين القسمين لا في القسم الثالث واما الحضور فادبه ان يدخل الدار ولا
يتصدر فياخذ احسن الاماكن بل يتواضع ولا يطول الانتظار عليهم ولا يعجل بحيث يدخل عليهم قبل تمام الاستعداد ولا يضيق
المكان على الحاضرين بالزحمة فان اشار صاحب الدار اليه بموضع لم يخالفه البتة فانه قد يكون رتب في نفسه موضع كل
واحد فمخالفته تشوش عليه وان اشار اليه بعض الضيفان بالارتفاع اكراما فليتواضع قال صلى الله عليه وسلم
ان من التواضع لله عز وجل الرضى بالدون من المجلس ولا يجوز ان يجلس في مقابلة باب حجرة النساء وسترهم ولا يكثر النظر الى
الموضع الذي يخرج منه الطعام فانه دليل على الشره ويخص بالتحية والسلام من يقرب منه اذا جلس ومن دخل ضيفا للمبيت
فليعرفه صاحب الدار عند الدخول القبلة وبيت الماء وموضع الوضوء والنوم كذلك فعل مالك بالشافعي رضي الله عنهما
وغسل مالك يده قبل الطعام وقبل القوم فيستحب الغسل قبل الطعام لرب المال لانه يدعو الناس الى كرمه فحكمه ان يتقدم
بالغسل وفي آخر الطعام يتأخر بالغسل لينتظر ان يدخل من يأكل معه واذا دخل فرأى منكرا غيره ان قدر والا انكر بلسانه وانصرف
والمنكر فرش الديباج واستعمال اواني الذهب والفضة والتصوير على الحيطان وسماع الملاهي والمزامير وحضور النسوة
المتكشفات الوجوه وغير ذلك من المحرمات حتى قال احمد بن حنبل رضي الله عنه اذا راى مكحلة راسها مفضض ينبغي ان يخرج ولم
ياذن في الجلوس الا في ضبة وقال اذا راى كلة ينبغي ان يخرج فان ذلك تكلف بلا فائدة ولا يدفع حرا ولا بردا ولا يستر شيئا وكذلك
اذا راى حيطان البيت مستورة بالديباج كما يستر الكعبة خرج وقال اذا اكترى بيتا فيه صورة او دخل بيتا فراى صورة فينبغي ان
يحكها فان لم يقدر خرج وكل ما ذكره صحيح وانما النظر في تزيين الحيطان بالديباج فان ذلك لا ينتهي الى التحريم اذ الحرير يحرم
على الرجال قال صلى الله عليه وسلم هذان حرامان على ذكور امتي وما على الحائط ليس منسوبا الى الذكور ولو حرم هذا لحرم
تزيين الكعبة بل الاولى اباحته بموجب قوله تعالى قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده لا سيما في وقت الزينة اذا لم يتخذه
عادة للتفاخر اذ غايته ما فيه ان الرجال ينتفعون بالنظر اليه ولا يحرم على الرجال الانتفاع بالنظر الى الحرير الا ترى انه مباح
مهما لبسته الجواري والنسوان فالحيطان في معنى النسوان اذ ليس موصوفا بالذكورة فاما احضار الطعام فله آداب
خمسة الاول تعجيل تقديم الطعام وهو من اكرام الضيف وقد قال صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر
فليكرم ضيفه ومهما حضر الاكثرون وتاخر واحد او اثنان وتاخروا عن الوقت الموعود فحق الحاضرين في التعجيل
اولى من حق اولئك في التاخير الا ان يكون الغائب فقيرا او ينكسر قلبه بذلك فلا باس بالتاخير واحد المعنيين في قوله تعالى
هل اتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين انهم اكرموا بتعجيل الطعام يدل عليه قوله تعالى فما لبث ان جاء بعجل حنيذ وقوله تعالى
فجاء بعجل سمين والروغان الذهاب بسرعة وقيل في خفية وقيل جاء بفخذ شاة وانما سمي عجلا لانه عجله ولم يلبث
وقال حاتم الاصم رحمه الله العجلة من الشيطان الا في خمس فانها من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم اطعام الضيف
وتجهيز الميت وتزويج الايم وقضاء الدين والتوبة من الذنب ويستحب التعجيل في الوليمة قيل الوليمة في اول يوم سنة
وفي الثاني معروف وفي الثالث رياء الثاني ترتيب الاطعمة بتقديم الفاكهة اولا ان كانت فذلك اوفق في الطب
فانها اسرع استحالة فينبغي ان تقع في اسفل المعدة وفي القرآن تنبيه على تقديم الفاكهة في قوله تعالى وفاكهة مما يتخيرون
ثم قال ولحم طير مما يشتهون ثم افضل ما يقدم بعد الفاكهة اللحم والثريد فقد قال عليه السلام فضل عائشة على النساء

كفضل الثريد على سائر الطعام فان جمع اليه حلاوة العسل فقد جمع الطيبات دل على حصول الاكرام باللحم في قوله تعالى في ضيف ابرهيم المكرمين اذ احضر العجل الحنيذ اي المحنوذ وهو الذي اجيد نضجه وهو احد معنى الاية اعني تقديم اللحم وقال تعالى في وصف الطيبات وانزلنا عليكم المن والسلوى والمن العسل والسلوى اللحم سمي سلوى لانه يتسلى به عن جميع الادم ولا يقوم غيره مقامه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم سيد الادام اللحم ثم قال تعالى بعد ذكر المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم فاللحم والحلاوة من الطيبات قال ابو سليمن الداراني رحمه الله اكل الطيبات يورث الرضى عن الله ويتم هذه الطيبات بشرب الماء البارد وصب الماء الفاتر على اليد عند الغسل قال المامون شرب الماء بثلج يخلص الى الشكر لله وقال بعض الادباء اذا دعوت اخوانك واطعمتهم حصرمية وبورانية وسقيتهم ماء باردا فقد اكملت الضيافة وانفق بعضهم دراهم في ضيافة فقال بعض الحكماء ما يحتاج الى هذا اذا كان خبزك جيدا وماؤك باردا وخلك حامضا وهو كما قال وقال بعضهم الحلاوة بعد الطعام خير من كثرة الالوان والتمكن على المائدة خير من احضار لونين ويقال ان الملائكة تحضر المائدة اذا كان عليها بقل فذلك ايضا مستحب وفيه من التزيين بالخضرة وفي الخبر ان المائدة التي انزلت على بني اسرائيل كان عليها كل البقول الا الكراث وكان عليها سمكة عند راسها خل وعند ذنبها ملح وسبعة ارغفة على كل رغيف زيتون وحب رمان فهذا اذا اجتمع حسن للموافقة الثالث ان يقدم من الالوان الطفها حتى يستوفي منه من يريد ولا يكثر الاكل بعده وعادة المترفين تقديم الغليظ ليستانف حركة الشهوة بمصادفة اللطيف بعده وهو خلاف السنة فانه حيلة في استكثار الاكل وكان من عادة الاكرمين ان يقدموا جملة الالوان دفعة واحدة ويصففون القصاع على المائدة لياكل كل واحد مما يشتهي وان لم يكن عنده الا لون واحد ذكره ليستوفوا منه فلا ينتظروا ابعده شيئا وحكي عن بعض ارباب المروات انه كان يكتب نسخة بما يستحضر من الالوان ويعرضها على الضيفان وقال بعض الشيوخ قدم الى بعض المشايخ لونا بالشام فقال عندنا بالعراق انما يقدم هذا اخرا فقال وكذا عندنا بالشام ولم يكن له لون غيره فخجلت وقال اخر كنا جماعة في ضيافة فقدم الينا الوانا من الرؤوس المشوية طبيخا وقديدا فلم نكثر الاكل ننتظر بعدها لونا اخر فجاؤا بالطست ولم يقدم غيرها فنظر بعضنا الى بعض فقال بعض الشيوخ وكان مزاحا ان الله يقدر ان يخلق رؤوسا بلا ابدان قال فبتنا تلك الليلة جياعا نطلب السحور فلهذا يستحب ان يحضر الجميع او يخبر بما عنده الرابع ان لا يبادر الى رفع الالوان بل يمكنهم من الاستيفاء حتى يرفعوا الايدي عنها اذ قد يكون فيهم من يكون بقية ذلك اشهى عنده مما استحضر او بقيت فيه حاجة الى الاكل فيتنغص عليه بالمبادرة وهو من التمكن على المائدة التي يقال انه خير من احضار لونين فيحتمل ان يقال المراد به ترك الاستعجال ويحتمل انه اراد به سعة المكان يحكى عن السوري رحمه الله وكان صوفيا مزاحا حضر عند واحد من ابناء الدنيا على مائدة وقدم اليه حملا وكان في صاحب المائدة بخل فلما راى القوم قد مزقوا الحمل كل ممزق ضاق عليه فقال يا غلام ارفع الى الصبيان فرفع الحمل الى داخل الدار فقام السوري يعدو يتبع الحمل فقيل له الى اين فقال اكل مع الصبيان فاستحيي الرجل فامر برد الحمل ومن هذا الفن ان لا يرفع صاحب المائدة يده قبل القوم لانهم يستحيون بل ينبغي ان يكون اخرهم اكلا كان بعض الكرام يخبر القوم بجميع الالوان ويتركهم يستوفون فاذا قاربوا الفراغ جثا على ركبتيه ومد يده الى الطعام وقال بسم الله ساعدوني بارك الله عليكم فكان السلف يستحسنون ذلك منه الخامس ان يقدم من الطعام قدر الكفاية فان التقليل من الكفاية نقص في المروة والزيادة عليه تصنع ومراياة لا سيما اذا كان لا تسمح نفسه بان ياكل الكل الا ان يقدم الكثير وهو طيب النفس لو احضر الكل واخذوا الجميع او نوى ان يتبرك بفضله طعامهم اذ في الحديث انه عليه السلام احضر ابرهيم بن ادهم طعاما كثيرا على مائدته فقال له شقيق يا ابا اسحق اما تخاف ان يكون هذا اسرافا فقال ابرهيم ليس في الطعام سرف فان لم تكن هذه النية فالتكثير تكلف قال ابن مسعود رضي الله عنه كنا نكره ان نجيب دعوة من يباهي بطعامه وكره جماعة من الصحابة اكل طعام المباهاة ومن ذلك كان لا يرفع من بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلة طعام قط لانهم كانوا لا يقدمون الا قدر الحاجة ولا ياكلون تمام الشبع وينبغي ان يعزل اولا نصيب اهل البيت حتى لا تكون اعينهم طامحة الى رجوع شيء منه فلعله لا يرجع فتضيق صدورهم فتنطلق في الضيفان السنتهم ويكون قد اطعم الضيفان ما يتبعه كراهة قوم وذلك خيانة في حقهم وما بقي من الاطعمة فليس للضيفان اخذه وهو الذي يسميه الصوفية زلة الا اذا صرح صاحب الطعام بالاذن فيه عن قلب راض او علم ذلك بقرينة حاله وانه يفرح به فان كان يظن كراهيته فلا ينبغي ان يوخذ واذا علم رضاه فينبغي مراعاة العدل والنصفة مع الرفقاء فلا ينبغي ان ياخذ الواحد الا ما يخصه او ما يرضى به صاحبه عن طوع لا عن حياء واما الانصراف فله ادب ثلثة الاول ان يخرج مع الضيف الى باب الدار فهو سنة وذلك من اكرام الضيف وقد امر باكرامه قال عليه السلام من كان يومن بالله واليوم الاخر فليكرم ضيفه وقال ان من سنة الضيف ان يخرج معه الى باب الدار قال ابو قتادة قدم وفد النجاشي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام عليه السلام يستقبلهم ويخدمهم بنفسه فقال له اصحابه نحن نكفيك يا رسول الله فقال لهم كانوا لاصحابي مكرمين وانا احب ان اكافيهم وتمام الاكرام طلاقة الوجه وطيب الحديث عند الدخول والخروج وعلى المائدة قيل للاوزاعي ما كرامة الضيف قال طلاقة الوجه قال يزيد بن ابي زياد ما دخلت على عبد الرحمن بن ابي ليلى الا حدثنا حديثا واطعمنا طعاما حسنا الثاني ان ينصرف الضيف طيب النفس وان جرى في حقه تقصير فذلك من حسن الخلق والتواضع قال صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم ودعي بعض السلف برسول فلم يصادفه الرسول فلما سمع حضر وكانوا قد تفرقوا وفرغوا وخرج صاحب المنزل وقد خرج القوم قال هل بقي شيء قال لا قال فكسرة ان بقيت قال لم يبق قال فالقدر امسحها قال قد غسلناها فانصرف يحمد الله تعالى فقيل له في ذلك فقال احسن الرجل دعانا بنية وردنا بنية فهذا هو معنى التواضع وحسن الخلق وحكي ان الاستاذ ابا القسم الجنيد دعاه صبي الى دعوة ابيه اربع مرات فرده الاب في المرات الاربع وهو يرجع في كل مرة تطييبا لقلب الصبي في الحضور ولقلب الاب في الانصراف فهذه نفوس قد ذللت بالتواضع لله فاطمانت بعد التوحيد وصارت تشاهد في كل رد وقبول عبرة فيما بينه وبين ربه فلا ينكسر بما يجري من العباد من اذلال ولا يستبشر بما يجري منهم من اكرام بل يرى الكل من الله الواحد القهار ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اجيب الدعوة لاني اتذكر بها طعام الجنة اي هو طعام طيب يحمل عنا كده ومؤنته وحسابه الثالث ان لا يخرج الا برضى صاحب المنزل واذنه ويراعي قلبه في قدر الاقامة واذا نزل ضيفا فلا يزيد على ثلثة ايام فربما يتبرم به ويحتاج الى اخراجه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الضيافة ثلاث فما زاد صدقة نعم لو الح رب الدار عن خلوص قلب فله المقام اذا ويستحب ان يكون عنده فراش للنازل قال صلى الله عليه وسلم فراش للرجل وفراش للمراة وفراش للضيف والرابع للشيطان

فصل يجمع ادابا ومناهي طبية وشرعية متفرقة الاول حكي عن ابرهيم النخعي رحمه الله قال الاكل في السوق دناءة واسنده الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واسناده غريب وقد نقل علي ضده عن ابن عمر رضي الله عنهما انه قال كنا ناكل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نمشي ونشرب ونحن قيام وروئي بعض مشايخ الصوفيه المعروفين ياكل في السوق فقيل له في ذلك فقال ويحك

اجوع في السوق واكل في البيت فقيل يدخل المسجد فقال استحيي منه ان ادخل بيته للاكل ووجه الجمع ان الاكل في السوق
تواضع وترك تكلف من بعض الناس فهو حسن وخرق مروة من بعضهم وهو مكروه وهو يختلف بعادات البلاد
واحوال الاشخاص فمن لم يلق ذلك بسائر اعماله يحمله على قلة المروة وفرط الشره ويقدح ذلك في الشهادة ومن يليق
ذلك بجميع اعماله واحواله في ترك التكلف كان ذلك تواضعا منه الثاني قال علي كرم الله وجهه من ابتدا غداه
بالملح اذهب الله عنه سبعين نوعا من البلاء ومن اكل في يوم سبع تمرات عجوة قتلت كل دابة في بطنه ومن اكل كل يوم
احدى وعشرين زبيبة حمرا لم ير في جسده شيئا يكرهه واللحم ينبت اللحم والثريد طعام العرب وكثرة الشرب
تعظم البطن وترخي الاليتين ولحم البقر داء ولبنها شفاء وسمنها دواء والشحم يخرج مثله من الداء ولن تستشفي النفساء
بشيء افضل من الرطب والسمك يذيب الجسد وقراة القران والسواك يذهب البلغم ومن اراد البقاء ولا بقاء فليباكر
بالغداء وليقل غشيان النساء وليخفف الرداء وهو الدين الثالث قال الحجاج لبعض الاطباء صف لي صفة اخذ بها ولا اعدوها
قال لا تنكح من النساء الا فتاة ولا تاكل اللحم الا فتيا ولا تاكل المطبوخ حتى ينعم نضجه ولا تشربن دواء الا من علة واذا شربت
فلا تاكل عليه شيئا ولا تحبس الغائط والبول واذا اكلت بالنهار فنم واذا اكلت بالليل فامش قبل ان تنام ولو مائة خطوة
وفي مثل هذا قالت العرب تغد تمدد تعش تمش يعني تمدد كما قال الله تعالى ثم ذهب الى اهله يتمطى اي يتمطط ويقال ان حبس البول
يفسد الجسد كما يفسد النهر ما حوله اذا سد مجراه الساىع قطع العروق في الخبز مسقمة ومنزلة مهرمة والعرب تقول ترك العذاء
يذهب بشحم الكاذة اي الالية قال بعض الحكماء لابنه يا بني لا تخرج من منزلك حتى تاخذ حلمك اي تتغدى اذ به يبقى الحلم ويزول الطيش
وهو ايضا اقل لشهوته مما يرى في السوق وقال حكيم لسمين ارى عليك قطيفة من نسج اضراسك فما هي قال اكل لباب البر وصغار
المعز وادهن بدهن بنفسج والبس الكتان الخامس الحمية تضر بالصحيح كما يضر تركها بالمريض هكذا قيل وقال بعضهم من احتمى
فهو على يقين من المكروه وعلى شك من العوافي وهذا اراد به الحمية في حالة الصحة وراى رسول الله صلى الله عليه وسلم صهيبا ياكل
تمرة واحدى عينيه رمدة فقال اتاكل تمرة وانت رمد فقال يا رسول الله انما امضغ بالشق الاخر يعني جانب السليمة فضحك
رسول الله صلى الله عليه وسلم السادس يستحب ان يحمل طعاما الى اهل الميت ولما جاء نعي جعفر بن ابي طالب قال عليه
الصلوة والسلام ان آل جعفر شغلهم ميتهم عن صنع طعامهم فاحملوا اليهم ما ياكلون وذلك سنة واذا قدم ذلك الى الجمع حل
الاكل منه الا ما هيئ للنوائح والمعينين عليه بالبكاء والجزع فلا ينبغي ان يؤكل معهم السابع لا ينبغي ان يحضر طعام ظالم
فان اكره فليقلل الاكل ولا يقصد الاطيب رد بعض المزكين شهادة من حضر طعام سلطان فقال كنت مكرها عليه السلطان فقال
كنت مكرها فقال رايتك تقصد الاطيب وتكبر اللقمة وما كنت مكرها عليه فاجبرك السلطان على هذا المزكي على الاكل فقال اما ان اكل
واخلي واذكي ولا الكل فلم يجد بدا من تزكيته فتركوه وحكي ان ذا النون المصري رحمه الله حبس فلم ياكل اياما في السجن فكانت له اخت
في الله فبعثت اليه من مغزلها طعاما على يد السجان فامتنع
ولم ياكل فعاتبته المراة بعده فقال
كان حلالا ولكن جاءني
على طبق ظالم
واشار به

واشار به الى يد السجان وهذا اعانة الورع الثامن حكي عن فتح الموصلي انه دخل على بشر الحافي رحمه الله زائرا فاخرج درهما
ودفعه الى احمد الجلاء خادمه وقال اشتر به طعاما جيدا وادما طيبا قال فاشتريت خبزا نظيفا وقلت لم يقل النبي
صلى الله عليه وسلم اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه سوى اللبن فاشتريت اللبن واشتريت تمرا جيدا فقدمته اليه فاكل
واخذ الباقي فقال بشر اتدرون لم قلت اشتر طعاما طيبا فقلت لا قال لان الطعام الطيب يستخرج خالص الشكر اتدرون
لم لم يقل لي كل لانه ليس للضيف ان يقول لصاحب الدار كل اتدرون لم حمل ما بقي لانه اذا صح التوكل لم يضر الحمل وحكى ابو علي
الروذباري عن رجل اتخذ ضيافة فاوقد فيها الف سراج فقال له رجل قد اسرفت فقال له ادخل فكل ما اوقدته لغير الله فاطفه
فدخل الرجل فلم يقدر على اطفاء واحد منها فانقطع واشترى ابو علي الروذباري احمالا من السكر وامر الحلاويين حتى عملوا جدارا
من السكر عليه شرف ومحاريب على اعمدة منقوشة كلها من سكر ثم دعا الصوفية حتى هدموها وكسروها وانتهبوها التاسع
قال الشافعي رضي الله عنه الاكل على اربعة اوجه باصبع من المقت وباصبعين من الكبر وبثلاث اصابع من السنة وباربع
او خمس من الشره واربع تقوي البدن اكل اللحم وشم الطيب وكثرة الغسل من غير جماع ولبس الكتان واربع توهن البدن كثرة
الجماع وكثرة الهم وكثرة شرب الماء على الريق وكثرة اكل الحموضة واربع تقوي البصر الجلوس حيال القبلة والكحل عند النوم والنظر
الى الخضرة وتنظيف المجلس واربع توهي البصر النظر الى القذر والنظر الى المصلوب والنظر الى فرج المراة والجلوس في استدبار
القبلة واربع تزيد في الجماع اكل العصافير واكل الاطريفل الاكبر واكل الفستق واكل الجرجير والنوم على اربعة انحاء النوم على
القفا وهو نوم الانبياء عليهم السلام يتفكرون في خلق السموات ونوم على اليمين وهو نوم العلماء والعباد ونوم على الشمال
وهو نوم الاطباء ليهضم طعامهم ونوم على الوجه وهو نوم الشياطين واربع تزيد في العقل ترك الفضول
من الكلام والسواك ومجالسة الصالحين والعلماء واربع هن من العبادة لا يخطو خطوة
الا على وضوء وكثرة السجود ولزوم المساجد وكثرة قراءة القران وقال ايضا
عجبت لمن يدخل الحمام على الريق ثم يؤخر الاكل بعد ان يخرج
كيف لا يموت وعجبت لمن احتجم ثم يبادر الاكل
كيف لا يموت وقال لم ار شيئا انفع في
الوباء من البنفسج يدهن به
ويشرب

تم كتاب آداب الاكل بعون الله وحسن توفيقه والحمد لله وحده والصلوة والسلام على من لا نبي بعده
وهو الكتاب الاول من الربع الثاني من كتاب احياء علوم الدين ويتلوه كتاب النكاح وهو الثاني من ربع العادات

كتاب آداب النكاح وهو الكتاب الثاني من ربع العادات

بسم الله الرحمن الرحيم ومنه التوفيق والاعانة

الحمد لله الذي لا تصادف سهام الاوهام في عجائب صنعه مجرى ولا ترجع العقول اذا تفكرت فكرا عن اوائل بدائعها
الا والهة حيرى ولا تزال لطائف نعمه على العالمين تترى فهي تجري اختيارا وقهرا ومن بدائع الطافه ان خلق من الما بشرا
فجعله نسبا وصهرا وسلط على الخلق شهوة اضطرهم بها الى الحراثة جبرا واستبقى بها نسلهم اقهارا وقسرا ثم عظم امر
الانساب وجعل لها قدرا فحرم بسببه السفاح وبالغ في تقبيحه ردعا وزجرا وجعل اقتحامه جريمة فاحشة
وامرا امرا وندب الى النكاح وحث عليه استحبابا وامرا فسبحان من كتب الموت على العباد فاذلهم به هدما وكسرا ثم بث بذور
النطف في اراضي الارحام وانشا منها خلقا وجعله تنبيها على ان بحار المقادير فياضة على العالمين نفعا وضرا وخيرا وشرا
وعسرا ويسرا وطيا ونشرا والصلوة على محمد المبعوث بالانذار والبشرى وعلى آله واصحابه صلوة لها الحساب عدا ولا حصرا
وسلم كثيرا. **اما بعد** فان النكاح معين على الدين ومهين للشياطين وحصن دون عدو الله حصين وسبب للتكثير الذي به مباهاة
سيد المرسلين لسائر النبيين فما احراه بان تتحرى اسبابه وتحفظ سننه وادابه فلنشرح مقاصده وآرابه وتفصيل فصوله
والقدر المهم من احكامه ينكشف في ثلثة ابواب **الباب الاول** في الترغيب فيه وعنه **الباب الثاني**
في الاداب المرعية في العقد والعاقدين **الباب الثالث** في اداب المعيشة بعد العقد الى الفراق

الباب الاول

في الترغيب فيه وعنه اعلم ان العلماء قد اختلفوا في فضل النكاح فبالغ بعضهم فيه حتى
زعموا انه افضل من التخلي لعبادة الله واعترف آخرون بفضله ولكن قدموا عليه التخلي لعبادة الله مهما لم تتق نفسه الى النكاح
توقانا يشوش الحال ويدعو الى الوقاع وقال آخرون الافضل تركه في زماننا وكان له فضيلة من قبل اذ لم يكن الاكساب محظورة
واخلاق النساء مذمومة ولا يتبين الحق فيه الا بان نحكي اولا ما ورد من الاخبار والآثار في الترغيب فيه والترغيب عنه
ثم نشرح فوائد النكاح وغوائله حتى يتضح منها فضيلة النكاح وتركه في حق من سلم من غوائله او لم يسلم ٥ **الترغيب**
في النكاح اما من الآيات فقد قال الله تعالى وانكحوا الايامى منكم وهذا امر وقد قال تعالى ولا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن
وهذا منع من العضل ونهي عنه وقال تعالى في وصف الرسل ومدحهم ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية
فذكر ذلك في معرض الامتنان واظهار الفضل ومدح اولياءه بسؤال ذلك في الدعاء فقد قال والذين يقولون ربنا هب لنا
من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين الآية ويقال ان الله تعالى لم يذكر في كتابه من الانبياء الا المتأهلين فقالوا ان يحيى عليه السلم
قد تزوج ولم يجامع قيل انما فعل لنيل الفضل واقامة السنة وقيل لغض البصر واما عيسى فانه سينكح اذا نزل الى الارض
ويولد له **واما الاخبار** فقوله صلى الله عليه وسلم النكاح سنتي فمن احب فطرتي فليستن بسنتي وقال من ترك التزويج
مخافة العيلة فليس منا وهذا ذم لعلة الامتناع لا لاصل الترك وقال ايضا تناكحوا تكثروا فاني اباهي بكم الامم يوم القيمة حتى بالسقط
وقال ايضا من رغب عن سنتي فليس مني وان من سنتي النكاح فمن احبني فليستن بسنتي وقال صلى الله عليه وسلم من كان
ذا طول فليتزوج وقال من استطاع منكم الباه فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج ومن لا فليصم فان الصوم
له وجا وهذا يدل على ان سبب الترغيب خوف الفساد في العين والفرج والوجا عبارة عن رض الخصيتين للفحل حتى تزول
فحولته وهو مستعار للضعف عن الوقاع بالصوم وقال صلى الله عليه وسلم اذا اتاكم من ترضون دينه وامانته فزوجوه
الا تفعلوا تكن فتنة في الارض وفساد كبير وهذا ايضا تعليل للترغيب بخوف الفساد وكان المفسد لدين المرء وقال صلى
الله عليه وسلم من نكح لله وانكح لله استحق ولاية الله وقال صلى الله عليه وسلم من تزوج فقد احرز شطر دينه فليتق الله
في الشطر الثاني وهذا ايضا اشارة الى ان فضيلته لاجل التحرز من المخالفة تحصنا من الفساد وكان المفسد لدين المرء في الاغلب
فرجه وبطنه وقد كفي بالنكاح احدهما وقال صلى الله عليه وسلم كل عمل ابن آدم ينقطع الا ثلاث وذكر فيه ولد صالح يدعو له
الحديث ولا يوصل الى هذا الا بالنكاح ٥ **اما الآثار** فقد قال عمر رضي الله عنه لا يمنع من النكاح الا عجز او فجور فبين
ان الدين غير مانع وحصر المانع في امرين مذمومين وقال ابن عباس رضي الله عنهما لا يتم نسك الناسك حتى يتزوج ويحتمل
انه جعله من النسك وتتمة له والظاهر انه اراد به انه لا يسلم قلبه لغلبة الشهوة الا بالتزويج ولا يتم النسك الا بفراغ القلب
ولذلك كان يجمع غلمانه لما ادركوا عكرمة وكريبا وغيرهما ويقول اذا اردتم النكاح انكحتكم فان العبد اذا زنى نزع الايمان من
قلبه وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول لو لم يبق من عمري الا عشرة ايام لاحببت ان اتزوج لكي لا القى الله عزبا وماتت امرأتان لمعاذ بن
جبل في الطاعون وكان هو ايضا مطعونا فقال زوجوني فاني اكره ان القى الله عزبا وهذا منهما يدل على انهما رأيا في النكاح فضلا
لا من حيث التحرز عن غائلة الشهوة وكان عمر رضي الله عنه يكثر النكاح ويقول ما اتزوج الا لاجل الولد وكان بعض الصحابة رضوان
الله عليهم قد انقطع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخدمه ويبيت عنده لحاجة ان طرقته فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا تتزوج فقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم اني فقير لا شيء لي وانقطع عن خدمتك ثم اعاد ثانيا فاعاد الجواب ثم تفكر الصحابي
فقال والله لرسول الله اعلم بما يصلحني في دنياي وآخرتي وما يقربني الى الله مني ولئن قال الثالثة لافعلن فقال له الثالثة الا تتزوج
فقلت يا رسول الله زوجني قال اذهب الى بني فلان فقل ان رسول الله يامركم ان تزوجوني فتاتكم قال فقلت يا رسول الله لا شيء لي
فقال لاصحابه اجمعوا لاخيكم وزن نواة من ذهب فجمعوا له فذهب به الى القوم فانكحوه فقال له اولم وجمع له من الاصحاب شاة
للوليمة وهذا التكرير يدل على فضل في نفس النكاح ويحتمل انه توهم منه الحاجة الى النكاح وحكي ان بعض العباد في الامم السالفة
فاق اهل زمانه بالعبادة فذكر لنبي زمانه حسن عبادته فقال نعم الرجل هو لولا انه تارك لشيء من السنة فاغتم العابد لما سمع ذلك
فسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال انت تارك للتزوج فقال لست احرمه ولكني فقير وانا عيال على الناس فقال
انا ازوجك ابنتي فزوجه النبي ابنته وقال بشر بن الحارث فضل علي احمد بن حنبل بثلاث بطلب الحلال لنفسه ولغيره وانا اطلبه
لنفسي فقط ولاتساعه في النكاح وضيقي عنه ولانه نصب اماما للعامة ويقال ان احمد تزوج في الثاني من وفاة ام ولده
عبد الله وقال اكره ان ابيت عزبا وقال بشر لما قيل له ان الناس يتكلمون فيك لتركك النكاح ويقولون هو تارك السنة فقال قل لهم
هو مشغول بالفرض عن السنة وعوتب مرة اخرى فقال ما يمنعني من التزوج الا قوله ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف فذكر ذلك لاحمد

فقال وابن مثل بشر قعد على مثل حد السنان ومع ذلك فقد روى انه رؤى في المنام فقيل ما فعل الله بك فقال رفعت منازلي في الجنة واشرف بي على مقامات ولم ابلغ منازل المتاهلين وفي رواية قال لي ما كنت احب ان تلقاني عزبا قال فقلت له ما فعل الله بابي نصر التمار فقال رفع فوقي بسبعين درجة قلنا بماذا فقد نالك فوقه قال بصبره على بنياته والعيال وقال سفيان بن عيينة كثرة النساء ليست من الدنيا لان عليا كان ازهد اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان له اربع نسوة وسبع عشرة سرية فالنكاح سنة ماضية وخلق من اخلاق الانبياء وقال رجل لابراهيم بن ادهم طوبى لك فقد تفرغت للعبادة بالعزوبة فقال لروعة بسبب العيال افضل من جميع ما انا فيه قال فما الذي يمنعك من النكاح قال ما لي حاجة في امراة وما اريد ان اغر امراة بنفسي وقد قيل فضل المتاهل على العزب كفضل المجاهد على القاعد وركعة من متاهل افضل من سبعين ركعة من عزب

ما جاء في الترغيب عن النكاح

قال عليه السلام خير الناس بعد المائتين الخفيف الحاذ الذي لا اهل له ولا ولد وقال عليه السلام يأتي على الناس زمان يكون هلاك الرجل على يد زوجته وولده وابويه يعيرونه بالفقر ويكلفونه ما لا يطيق فيدخل المداخل التي يذهب فيها دينه فيهلك وقال قلة العيال احد اليسارين وكثرتها احد الفقرين وسئل ابو سليمان الداراني عن النكاح فقال الصبر عنهن خير من الصبر عليهن والصبر عليهن خير من الصبر على النار وقال ايضا الوحيد يجد من حلاوة العمل وفراغ القلب ما لا يجد المتاهل وقال مرة ما رايت احدا من اصحابنا تزوج فثبت على مرتبته الاولى وقال ايضا ثلاث من طلبهن فقد ركن الى الدنيا من طلب معاشا او تزوج امراة او كتب الحديث وقال الحسن اذا اراد الله بعبد خيرا لم يشغله باهل ولا مال وقال ابن ابي الحواري تناظر جماعة في هذا الحديث فاستقر رايهم على انه ليس معناه ان لا يكونا له بل معناه ان يكونا له ولا يشغلانه وهو اشارة الى قول ابي سليمان الداراني ما شغلك عن الله من اهل ومال وولد فهو عليك مشؤم وبالجملة لم ينقل عن احد الترغيب عن النكاح مطلقا الا مقرونا بشرط واما الترغيب في النكاح فقد ورد مطلقا ومقرونا بشرط فلنكشف الغطاء عنه بحصر آفات النكاح وفوائده

وفيه فوائد خمسة الولد وكسر الشهوة وتدبير المنزل وكثرة العشيرة ومجاهدة النفس بهن

آفات النكاح وفوائده

الفائدة الاولى الولد وهو الاصل وله وضع النكاح والمقصود ابقاء النسل وان لا يخلو العالم من جنس الانس وانما الشهوة خلقت باعثة مستحثة كالموكل بالفحل في اخراج البذر وبالانثى في التمكين من الحرث تلطفا بهما في السياقة الى اقتناص الولد بسبب الوقاع كالتلطف بالطير في بث الحب الذي يشتهيه ليساق الى الشبكة وكانت القدرة الازلية غير قاصرة عن اختراع الاشخاص ابتداء من غير حراثة وازدواج ولكن الحكمة اقتضت ترتيب المسببات على الاسباب مع الاستغناء عنها اظهارا للقدرة واتماما لعجائب الصنعة وتحقيقا لما سبقت به المشية وحقت به الكلمة وجرى به القلم وفي التوصل الى الولد قربة من اربعة اوجه هي الاصل في الترغيب فيه عند الامن من غوائل الشهوة حتى لم يحب احد ان يلقى الله عزبا الاول موافقة محبة الله تعالى بالسعي في تحصيل الولد لابقاء جنس الانسان الثاني محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم في تكثير من به مباهاته الثالث طلب التبرك بدعاء الولد الصالح بعده الرابع طلب الشفاعة بموت الولد الصغير اذا مات قبله اما الوجه الاول فهو ادق الوجوه وابعدها عن افهام الجماهير واقواها عند ذوي البصائر النافذة في عجائب صنع الله سبحانه وتعالى ومجاري حكمته وبيانه ان السيد اذا سلم الى عبده البذر والات الحرث وهيا له ارضا مهياة للحراثة وكان العبد قادرا على الحراثة ووكل به من يتقاضاه عليها فان تكاسل وعطل آلة الحرث وترك البذر ضائعا حتى فسد ودفع الموكل عن نفسه بنوع من الحيلة كان مستحقا للمقت والعتاب من سيده والله سبحانه وتعالى خلق الزوجين وخلق الذكر والانثيين وخلق النطفة في الفقار وهيا لها في

الانثيين عروقا ومجاري وخلق الرحم قرارا ومستودعا للنطفة وسلط متقاضي الشهوة على كل واحد من الذكر والانثى فهذه الافعال والآلات تشهد بلسان ذلق في الاعراب عن مراد خالقها وتنادي ارباب الالباب بتعريف ما اعدت له هذا ان لم يصرح به الخالق على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم بالمراد حيث قال تناكحوا تكثروا فكيف وقد صرح بالامر وباح بالسر فكل ممتنع عن النكاح معرض عن الحراثة مضيع للبذر ومعطل لما خلق من الآلة المعدة وجان على مقصود الفطرة والحكمة المفهومة من شواهد الخلقة المكتوبة على هذه الاعضاء بخط الهي ليس برقم حروف واصوات يقرؤه كل من له بصيرة ربانية نافذة في ادراك دقائق الحكمة الازلية ولذلك عظم الشرع الامر في القتل للاولاد وفي الوأد لانه منع لتمام الوجود واليه اشار من قال العزل احد الوأدين فالناكح ساع في اتمام ما احب الله تمامه والمعرض معطل ومضيع لما كره الله ضياعه ولاجل محبة الله لبقاء النفوس امر بالاطعام وحث عليه وعبر عنه بعبارة القرض فقال من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فان قيل انا قلت ان بقاء النفس والنسل محبوب يوهم ان فناءها مكروه عند الله وهو فرق بين الموت والحياة بالاضافة الى ارادة الله ومعلوم ان الكل بمشية الله تعالى وان الله غني عن العالمين فمن اين يتميز عنده موتهم عن حياتهم وبقاؤهم عن فنائهم فاعلم ان هذه كلمة حق اريد بها باطل فان ما ذكرناه لا ينافي اضافة الكائنات كلها الى الله تعالى خيرها وشرها ونفعها وضرها ولكن المحبة والكراهة تتضادان وكلاهما لا يضادان الارادة فرب مراد مكروه ورب مراد محبوب والمعاصي مكروهة وهي مع الكراهة مرادة والطاعات مرادة وهي مع كونها مرادة محبوبة ومرضية اما الكفر والشر فلا نقول انه مرضي ومحبوب وقد قال تعالى ولا يرضى لعباده الكفر فكيف يكون الفناء بالاضافة الى محبة الله وكراهته كالبقاء وهو يقول ما ترددت في شيء كترددي في قبض روح عبدي المؤمن يكره الموت واكره مساءته ولا بد له منه

فقوله لا بد له منه اشارة الى سبق الارادة والتقدير المذكور في قوله تعالى نحن قدرنا بينكم الموت وفي قوله تعالى هو الذي خلق الموت والحياة ولا مناقضة بين قوله تعالى نحن قدرنا بينكم الموت وبين قوله انا اكره مساءته ولكن ايضاح الحق في هذا يستدعي تحقيق معنى الارادة والمحبة والكراهة وبيان حقائقها فان السابق الى الافهام منها امور تناسب ارادة الخلق ومحبتهم وكراهتهم وهيهات فبين صفات الله وصفات الخلق من البعد ما بين ذاته العزيز وذواتهم وكما ان ذوات الخلق جوهر وعرض وذات الله مقدس عنه ولا يناسب ما ليس بجوهر وعرض الجوهر والعرض فكذا صفات الله لا تناسب صفات الخلق وهذه الحقائق داخلة في علم المكاشفة ووراءها سر القدر الذي منع من افشائه فلنقبض عن ذكره ولنقتصر على ما نبهنا عليه من الفرق بين الاقدام على النكاح والاحجام عنه فان احدهما مضيع نسلا ادام الله وجوده من آدم صلى الله عليه عقبا بعد عقب الى ان انتهى اليه فالممتنع عن النكاح قد حسم الوجود المستدام من لدن وجود آدم على نفسه فمات ابتر لا عقب له ولو كان الباعث على النكاح مجرد دفع الشهوة لما قال معاذ في الطاعون زوجوني لا القى الله عزبا

فان قلت فما كان معاذ يتوقع ولدا في ذلك الوقت فما وجه رغبته فيه فاقول الولد يحصل بالوقاع ويحصل الوقاع بباعث الشهوة وذلك امر لا يدخل في الاختيار وانما المتعلق بالاختيار للعبد احضار المحرك للشهوة وذلك متوقع في كل حال فمن عقد فقد ادى ما عليه وفعل ما اليه والباقي خارج عن اختياره ولهذا يستحب النكاح للعنين ايضا فان نهضات الشهوة خفية لا يطلع عليها حتى ان الذي لا يتوقع له ولد لا ينقطع الاستحباب ايضا في حقه على الوجه الذي يستحب للاصلع امرار الموسى على راسه اقتداء بغيره وتشبها بالسلف الصالحين وكما يستحب الرمل والاضطباع في الحج الآن وقد كان المراد منه اولا اظهار الجلادة للكفار فصار الاقتداء والتشبه بالذين اظهروا الجلادة سنة في حق من بعدهم وتضعف هذا الاستحباب بالاضافة الى الاستحباب ايضا في حقه على الوجه الذي يستحب للاصلع امرار الموسى على راسه اقتداء بغيره في حق القادر على الحرث وربما يزداد ضعفا بما يقابله

من كراهة تعطيل المراة وتعطيلها فيما يرجع الى قضاء الوطر فان ذلك لا يخلو عن نوع من الخطر فهذا المعنى هو الذي ينبه على شدة انكارهم لترك النكاح مع فتور الشهوة ٭ الوجه الثاني السعي في محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضاه بتكثير ما به مباهاته اذ قد صرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ويدل على مراعاة امر الولد جملة بالوجوه كلها ما روي عن عمر رضي الله عنه انه كان ينكح كثيرا ويقول انما انكح للولد وما روي في الاخبار في مذمة المراة العقيم اذ قال عليه السلام لحصير في ناحية البيت خير من امراة لا تلد وقال خير نسائكم الولود الودود وقال سوداء ولود خير من حسناء عقيم فهذا يدل على ان طلب الولد ادخل في اقتضاء فضل النكاح من طلب دفع غائلة الشهوة لان الحسناء اصلح للتحصين وغض البصر وقطع الشهوة الوجه الثالث ان يبقى بعده ولدا صالحا يدعو له كما ورد في الخبر ان جميع عمل ابن آدم ينقطع الا ثلث وفي الخبر ان الادعية تعرض على الموتى على اطباق من النور وقول القائل ان الولد ربما لم يكن صالحا لا يؤثر فانه مؤمن والصلاح هو الغالب على اولاد ذوي الدين لا سيما اذا عزم على تربيته وحمله على الصلاح وبالجملة دعاء المؤمن لابويه مفيد برا كان او فاجرا فهو مثاب على دعواته وحسناته فانه من كسبه وغير مواخذ بسيئاته فانه لا تزر وازرة وزر اخرى ولذلك قال تعالى الحقنا بهم ذريتهم وما التناهم من عملهم من شيء اي ما نقصنا من اعمالهم وجعلنا اولادهم مزيدا في احسانهم الوجه الرابع ان يموت الولد قبله فيكون له شفيعا فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الطفل يجر بابويه الى الجنة وفي الاخبار انه ياخذ بثوبه كما انا الآن آخذ بثوبك وقال ان المولود يقال له ادخل الجنة فيظل محبنطئا اي ممتليا غيظا وغضبا ويقول لا ادخل الجنة الا وابواي معي فيقال ادخلوا ابويه معه الى الجنة فيقفون على باب الجنة فيقال لهم مرحبا بذراري المسلمين ادخلوا لا حساب عليكم فيقولون اين آباؤنا وامهاتنا فيقول الخزنة ان آباءكم وامهاتكم ليسوا مثلكم انه كانت لهم ذنوب وسيئات فهم يحاسبون عليها ويطالبون قال فيتصايحون ويضجون على باب الجنة ضجة واحدة فيقول الله سبحانه وهو اعلم بهم ما هذه الضجة واحدة فيقول الله سبحانه وهو اعلم ما هذه الضجة فيقول ربنا اطفال المسلمين قالوا لا ندخل الجنة الا مع آبائنا فيقول الله تعالى تخللوا الجمع فخذوا بايدي آبائهم فادخلوهم الجنة وقال عيسى صلوات الله عليه من له اثنان من الولد فقد احتظر بحظار من النار وقال صلى الله عليه وسلم من مات له ثلاثة لم يبلغوا الحنث ادخله الله بفضل رحمته دار السلام قيل يا رسول الله واثنان قال واثنان وحكي ان بعض الصالحين كان يعرض عليه التزويج فيابى برهة من دهره قال فانتبه من نومه ذات يوم وقال زوجوني فزوجوه وسئل عن ذلك فقال لعل الله يرزقني ولدا ويقبضه فيكون لي مقدمة في الآخرة ثم قال رايت في المنام كان يوم القيامة قد قامت فكان في جملة الخلائق في الموقف وبي من العطش ما كاد يقطع عنقي وكذا الخلائق في شدة العطش والكرب فنحن كذلك اذا ولدان يتخللون الجمع عليهم مناديل من نور وبايديهم اباريق من فضة واكواب من ذهب وهم يسقون الواحد بعد الواحد يتخللون الجمع ويجاوزون اكثر الناس فمددت يدي الى احدهم فقلت اسقني فقد اجهدني العطش فقال ليس لك فينا ولد انما نسقي اباءنا فقلت ومن انتم فقالوا نحن من مات من اطفال المسلمين واحد المعاني المذكورة في قوله تعالى فاتوا حرثكم انى شئتم وقدموا لانفسكم تقديم الاطفال الى الآخرة فقد ظهر بهذه الوجوه الاربعة ان اكثر فضل النكاح لاجل كونه سببا للولد **الفائدة الثانية** التحصين عن الشيطان وكسر التوقان ودفع غوائل الشهوة وغض البصر وحفظ الفرج واليه الاشارة بقوله عليه السلام من نكح فقد حصن نصف دينه فليتق الله في الشطر الآخر واليه الاشارة بقوله عليه السلام عليكم بالباه فمن لم يستطع فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء واكثر ما نقلناه من الاخبار والآثار اشارة الى هذا المعنى وهذا المعنى دون الاول لان الشهوة موكلة بتقاضي تحصيل الولد

الولد فالنكاح كاف لشغله ودافع لحوله وصارف عن سطوته وليس من يجيب مولاه رغبة في تحصيل رضاه كمن يجيب لطلب الخلاص عن غائلة التوكيل فالشهوة والولد مقدران وبينهما ارتباط وليس يجوز ان يقال المقصود اللذة والولد لازم منها كما يلزم مثلا قضاء الحاجة من الاكل وليس مقصودا في ذاته بل الولد هو المقصود بالفطرة والحكمة والشهوة باعثة عليه ولعمري في الشهوة حكمة اخرى سوى الارهاق الى الايلاد وهو ما في قضائها من اللذة التي لا توازيها لذة لو دامت فهي منبهة على اللذات الموعودة في الجنان اذ الترغيب في لذة لم يجد لها ذواقا لا ينفع فلو رغب العنين في لذة الجماع والصبي في لذة الملك والسلطنة لم ينفع الترغيب فاحدى فوائد لذات الدنيا الرغبة في دوامها في الجنة ليكون باعثا على عبادة الله فانظر الى الحكمة ثم الى الرحمة ثم الى التعبية الالهية كيف عبيت تحت شهوة واحدة حياتان حياة ظاهرة وحياة باطنة فالحياة الظاهرة حياة المرء ببقاء نسله فانه نوع من دوام الوجود والحياة الباطنة هي الحياة الاخروية فان هذه اللذات الناقصة بسرعة الانصرام تحرك الرغبة في الكاملة بلذة الدوام فتستحث على العبادة الموصلة اليها فيستفيد العبد بشدة الرغبة فيها تيسير المواظبة على ما يوصله الى نعيم الجنان وما من ذرة من ذرات بدن الانسان ظاهرا وباطنا بل من ذرات ملكوت السموات والارض الا وتحتها من لطائف الحكم وعجائبها ما تحار العقول فيه وانما ينكشف للقلوب الطاهرة بقدر صفائها وبقدر رغبتها عن زهرة الدنيا وغرورها وغوائلها فالنكاح بسبب دفع غائلة الشهوة مهم في الدين لكل من لا يؤتى من عجز وعنة وهم غالب الخلق فان الشهوة اذا غلبت ولم يقاومها قوة التقوى جرت الى اقتحام الفواحش واليه اشار قوله تعالى الا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير وان كان ملجما بلجام التقوى فغايته ان يكف الجوارح عن اجابة الشهوة فيغض البصر ويحفظ الفرج فاما حفظ القلب عن الوسواس والفكر فلا يدخل تحت اختياره بل لا تزال النفس تجاذبه وتحدثه بامور الوقاع ولا يفتر عنه الشيطان الموسوس في اكثر الاوقات وقد يعرض له ذلك في اثناء الصلاة حتى يجري على خاطره من امور الوقاع ما لو صرح به بين يدي من هو اخس الخلق لاستحيى منه والله مطلع على قلبه والقلب في حق الله كاللسان في حق الخلق وراس الامر في سلوك طريق الآخرة قلبه والمواظبة على الصوم لا يقطع مادة الوسواس في حق الاكثر الا ان ينضاف اليه ضعف في البدن وفساد في المزاج ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما لا يتم نسك الناسك الا بالنكاح وهذه محنة عامة قلما يتخلص منها قال قتادة في معنى قوله تعالى ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به هو الغلمة وعن عكرمة ومجاهد انهما قالا في قوله تعالى وخلق الانسان ضعيفا انه لا يصبر عن النساء وقال فياض بن نجيح اذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله وقال بعضهم ذهب ثلث دينه وفي نوادر التفسير عن ابن عباس ومن شر غاسق اذا وقب قال قيام الذكر وهذه بلية غالبة اذا هاجت لا يقاومها عقل ولا دين وهي مع انها صالحة لان تكون باعثة على الحياتين فهي اقوى آلة الشيطان على بني آدم واليه اشار بقوله صلى الله عليه وسلم بقوله ما رايت من ناقصات عقل ودين اغلب لذوي الالباب منكن وانما ذلك لهيجان الشهوة وقال صلى الله عليه وسلم في دعائه اللهم اني اعوذ بك من شر سمعي وبصري وقلبي وشر مني وقال اسالك ان تطهر قلبي وتحفظ فرجي فما يستعيذ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يجوز التساهل فيه لغيره وكان بعض الصالحين يكثر النكاح حتى لا يكاد يخلو من اثنين او ثلاث فانكر عليه بعض الصوفية فقال هل يعرف احد منكم انه جلس بين يدي الله جلسة او وقف بين يديه موقفا في معاملة فخطر على قلبه خاطر شهوة فقالوا اصابنا من ذلك كثير فقال لو رضيت في عمري كله بمثل حالكم في وقت واحد لما تزوجت لكني ما خطر على قلبي خاطر يشغلني عن حالي الا نفذته لاستريح منه وارجع الى شغلي ومنذ اربعين سنة ما

ما خطر على قلبي معصية وانكر بعض الناس حال الصوفية فقال له بعض ذوي الدين ما الذي تنكر منهم قال ياكلون كثيرا قال وانت ايضا لو جعت كما يجوعون لاكلت كما ياكلون قال ينكحون كثيرا قال وانت ايضا لو حفظت عينك وفرجك كما يحفظون لنكحت كما ينكحون وكان الجنيد رحمه الله يقول احتاج الى الجماع كما احتاج الى القوت فالزوجة على التحقيق قوت وسبب لطهارة القلب ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل من وقع بصره على امراة فتاقت اليها نفسه ان يجامع اهله لان ذلك يدفع الوسواس عن النفس وروى جابر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم راى امراة فدخل على زينب فقضى حاجته وخرج وقال ان المراة اذا اقبلت اقبلت في صورة شيطان فاذا راى احدكم امراة فاعجبته فليات اهله فان معها مثل الذي معها وقال صلى الله عليه وسلم لا تدخلوا على المغيبات التي غاب عنها زوجها فان الشيطان يجري من الانسان مجرى الدم قلنا ومنك قال ومني ولكن الله اعانني عليه فاسلم قال سفين بن عيينة فاسلم انا منه هذا معناه فان الشيطان لا يسلم ولذلك كما يحكى عن ابن عمر رضي الله عنهما وكان من زهاد الصحابة وعلمائهم انه كان يفطر من الصوم على الجماع قبل الاكل وربما جامع قبل الصلوة المغرب ثم يغتسل وذلك ليفرغ القلب لعبادة الله تعالى واخراج عدة الشيطان منه وروي انه جامع ثلاثا من جواريه في شهر رمضان قبل العشاء الاخرة وكان ابن عباس خير هذه الامة اكثرها نساء ولما كانت الشهوة اغلب على امزجة العرب كان استكثار الصالحين منهم للنكاح اشد ولاجل فراغ القلب ابيح نكاح الامة عند خوف العنت مع ان فيه ارقاقا للولد وهو نوع اهلاك وهو محرم على كل من قدر على حرة ولكن ارقاق الولد اهون من اهلاك الدين وليس فيه الا تنغيص الحيوة على الولد مدة وفي اقتحام الفاحشة تفويت الحيوة الاخروية التي تستحقر الاعمار الطويلة بالاضافة الى يوم من ايامها وروي انه انصرف الناس ذات يوم من مجلس ابن عباس وبقي شاب لم يبرح فقال له ابن عباس هل من حاجة فقال اريد ان اسأل مسئلة فقال عبد الله ان العالم بمنزلة الوالد فما افضيت به الى ابيك فافضه الي فقال اني شاب لا زوجة لي واني لاخشى العنت على نفسي فربما استمنيت بيدي فهل في ذلك معصية فاعرض عنه ابن عباس ثم قال اف وتف نكاح الامة خير منه وهو خير من الزنا وهذا تنبيه على ان العزب المغتلم مردد بين ثلاثة شرور ادناها نكاح الامة وفيه ارقاق الولد واشد منه الاستمناء باليد وافحشه الزنا ولم يطلق ابن عباس رضي الله عنه الاباحة في شيء منه لانهما محذوران يفزع اليهما حذرا من الوقوع في محذور اشد منه كما يفزع الى تناول الميتة حذرا من هلاك النفس فليس ترجيح اهون الشرين في معنى الاباحة المطلقة ولا في معنى الخير المطلق وليس قطع اليد المتاكلة من الخيرات وان كان يؤذن فيه عند اشراف النفس على الهلاك فاذا في النكاح فضل من هذا الوجه ولكن هذا لا يعم الكل بل الاكثر فرب شخص فترت شهوته لكبر سن او مرض او غيره فينعدم هذا الباعث في حقه ويبقى ما سبق من امر الولد فان ذلك عام الا للممسوح وهو نادر ومن الطباع ما تغلب عليه الشهوة بحيث لا تحصنه المراة الواحدة فيستحب لصاحبه الزيادة على الواحدة الى الاربع فان يسر الله تعالى له مودة ورحمة واطمأن قلبه بهن والا فيستحب له الاستبدال فقد نكح علي كرم الله وجهه بعد وفاة فاطمة بسبع ويقال ان الحسن بن علي رضي الله عنهما كان منكاحا حتى نكح زيادة على مائتي امراة وربما كان يعقد على اربع في وقت وربما طلق اربعا في وقت واحد واستبدل بهن وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للحسن اشبهت خلقي وخلقي وقال حسن مني وحسين من علي فقيل ان كثرة نكاحه احد ما اشبه به خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وتزوج المغيرة بن شعبة بثمانين امراة وكان في الصحابة من له الثلث والاربع ومن كان له اثنتان لا يحصى ومهما كان الباعث معلوما فينبغي ان يكون العلاج بقدر العلة فالمراد تسكين النفس فلينظر اليه في القلة والكثرة **الفائدة الثالثة** ترويح النفس وايناسها بالمجالسة والنظر والملاعبة

والملاعبة ترويحا للقلب وتقوية له على العبادة فان النفس ملولة وهي عن الحق نفور لانه على خلاف طبعها فلو كلفت المداومة بالاكراه على ما يخالفها جمحت وثابت واذا روحت باللذات في بعض الاوقات قويت ونشطت وفي الاستيناس بالنساء من الاستراحة ما يزيل الكرب ويروح القلب وينبغي ان يكون لنفوس المتقين استراحات بالمباحات ولذلك قال تعالى ليسكن اليها وقال علي كرم الله وجهه روحوا القلوب ساعة فانها اذا اكرهت عميت وفي الخبر على العاقل ان يكون له ثلاث ساعات ساعة يناجي فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يخلو فيها بمطعمه ومشربه فان في هذه الساعة عونا على تلك الساعات ومثله بلفظ آخر لا يكون العاقل ظاعنا الا في ثلث تزود لمعاد او مرمة لمعاش او لذة في غير محرم وقال صلى الله عليه وسلم لكل عامل شرة ولكل شرة فترة فمن كانت فترته الى سنتي فقد اهتدى والشرة الجد والمكابدة بحدة وقوة وذلك في ابتداء الارادة والفترة الوقوف للاستراحة وكان ابو الدرداء رضي الله عنه يقول اني لاستجم نفسي بشيء من اللهو لاتقوى بذلك فيما بعد على الحق وفي بعض الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال شكوت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعفي عن النكاح فدلني على الهريسة وهذا ان صح لا محمل له الا الاستعداد للاستراحة ولا يمكن تعليله بدفع الشهوة لانه استثارة للشهوة ومن عدم الشهوة عدم اكثر هذا الانس وقال صلى الله عليه وسلم حبب الي من دنياكم ثلث الطيب والنساء وقرة عيني في الصلوة فهذه ايضا فائدة لا ينكرها من جرب اتعاب نفسه في الافكار والاذكار وصنوف الاعمال وهي خارجة عن الفائدتين السابقتين حتى انها لتطرد في حق الممسوح ومن لا شهوة له الا ان هذه الفائدة تجعل النكاح فضيلة بالاضافة الى هذه النية وقل ما يقصد بالنكاح ذلك فاما قصد الولد وقصد دفع الشهوة مما يكثر ثم رب شخص يستانس بالنظر الى الماء الجاري والخضرة وامثالها ولا يحتاج الى ترويح النفس بمحادثة النساء وملاعبتهن فيختلف هذا باختلاف الاحوال والاشخاص فليتنبه له **الفائدة الرابعة** تفريغ القلب عن تدبير المنزل والتكفل بشغل الطبخ والكنس والفرش وتنظيف الاواني وتهيئة اسباب المعيشة فان الانسان لو لم يكن له شهوة الوقاع لتعذر عليه العيش في منزله وحده اذ لو تكفل بجميع اشغال المنزل لضاع اكثر اوقاته ولم يتفرغ للعلم والعمل فالمراة الصالحة المصلحة للمنزل عون على الدين بهذا الطريق واختلال هذه الاسباب شواغل ومشوشات للقلب ومنغصات للعيش ولذلك قال ابو سليمن الداراني الزوجة الصالحة ليست من الدنيا فانها تفرغك للاخرة وانما تفريغها بتدبير المنزل وقضاء الشهوة جميعا وقال محمد بن كعب القرظي في معنى قوله تعالى ربنا آتنا في الدنيا حسنة قال المراة الصالحة وقال صلى الله عليه وسلم ليتخذ احدكم لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا وزوجة مؤمنة تعينه على آخرته فانظر كيف جمع بينها وبين الذكر والشكر وفي بعض التفاسير فلنحيينه حيوة طيبة الزوجة الصالحة وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول ما اعطي عبد بعد الايمان بالله خيرا من امراة صالحة وان منهن غنما لا يحذى منه ومنهن غلا لا يفدى منه وقوله لا يحذى اي لا يعتاض عنه بعطاء وقال صلى الله عليه وسلم فضلت على آدم بخصلتين كانت زوجته عونا له على المعصية وازواجي اعوان لي على الطاعة وكان شيطانه كافرا وشيطاني مسلم لا يامر الا بخير فعد معاونتها على الطاعة فضيلة فهذه ايضا من الفوائد التي يقصدها الصالحون الا انها تخص بعض الاشخاص الذين لا كافل لهم ولا مدبر ولا يدعو الى امراتين بل الجمع ربما ينغص المعيشة ويضطرب به امور المنزل ويدخل في هذه الفائدة قصد الاستكثار بعشيرتها وما يحصل من القوة بسبب تداخل العشائر فان ذلك مما يحتاج اليه في دفع الشرور وطلب السلامة ولذلك قيل ذل من لا ناصر له ومن وجد من يدفع عنه الشرور سلم حاله وفرغ قلبه للعبادة فان الذل مشوش للقلب والعز بالكثرة دافع للذل **الفائدة الخامسة** مجاهدة النفس ورياضتها بالرعاية والولاية والقيام بحقوق الاهل والصبر على اخلاقهن واحتمال

واحتمال الاذى منهن والسعى فى اصلاحهن وارشادهن الى طريق الدين والاجتهاد فى كسب الحلال لاجلهن والقيام بتربية
الاولاد وكل هذه اعمال عظيمة الفضل وانها رعاية وولاية والاهل والولد رعية وفضل الرعاية عظيم وانما يحترز منها خيفة
من القصور عن القيام بحقها والا فقد قال صلى الله عليه وسلم يوم من امام عادل افضل من عبادة سبعين سنة ثم قال الا كلكم
راع وكلكم مسئول عن رعيته وليس من اشتغل باصلاح نفسه وغيره كمن اشتغل باصلاح نفسه فقط ولا من صبر على الاذى
كمن رفه نفسه واراحها فمقاساة الاهل والولد بمنزلة الجهاد فى سبيل الله ولذلك قال بشر فضل على احمد بن حنبل بثلاث
احدها انه يطلب الحلال لنفسه ولغيره وقد قال صلى الله عليه وسلم ما انفق الرجل على اهله فهو صدقة وان الرجل ليؤجر
فى رفعه اللقمة الى فى امرأته وقال بعضهم لبعض العلماء من كل عمل قد اعطانى الله نصيبا حتى ذكر الحج والجهاد وغيرهما فقال له اين انت
من عمل الابدال قال وما هو قال الكسب الحلال والنفقة على العيال وقال ابن المبارك رحمه الله وهو مع اخوانه فى الغزو تعلمون عملا
افضل مما نحن فيه قالوا ما نعلم قال انا اعلم رجل متعفف ذو عيلة قام من الليل فنظر الى صبيانه نياما متكشفين فسترهم وغطاهم
بثوبه فعمله افضل مما نحن فيه وقال صلى الله عليه وسلم من حسنت صلوته وكثر عياله وقل ماله ولم يغتب المسلمين كان معى فى الجنة
كهاتين وفى حديث آخر ان الله يحب الفقير المتعفف ابا العيال وفى الحديث اذا كثرت ذنوب العبد ابتلاه الله بهم ليكفرها وقال بعض
السلف من الذنوب ذنوب لا يكفرها الا الهم بطلب المعيشة وقال من كان له ثلاث بنات فانفق عليهن واحسن حتى يغنيهن الله
عنه اوجب الله له الجنة البتة الا ان يعمل عملا لا يغفر له وكان ابن عباس اذا حدث بهذا قال هو والله من غرائب الحديث وغرره
وروى ان بعض المتعبدين كان يحسن القيام على زوجته الى ان ماتت فعرض عليه التزويج فامتنع وقال الوحدة اروح لقلبى واجمع
لهمتى قال فرايت فى المنام بعد جمعة من وفاتها كان ابواب السماء فتحت وكان رجالا ينزلون ويسيرون فى الهواء يتبع بعضهم بعضا
فكلما نزل واحد نظر الىّ فقال لمن وراءه هذا هو المشئوم فيقول الآخر نعم ويقول الثالث كذلك ويقول الرابع نعم وخفت ان اسألهم
هيبة من ذلك الى ان مر بى آخرهم وكان غلاما فقلت يا هذا من هذا المشئوم الذى تومون اليه فقال انت فقلت ولم ذلك قال كنا
نرفع عملك فى اعمال المجاهدين فى سبيل الله فمنذ جمعة امرنا ان نضع عملك مع الخالفين فلا ندرى ما احدثت فقال لاخوانه
زوجونى فكرونى فلم يكن يفارقه زوجتان او ثلث وفى اخبار الانبياء ان قوما دخلوا على يونس عليه السلم فاضافهم وكان
يدخل ويخرج الى منزله وتوذيه امرأته فتستطيل عليه وهو ساكت فتعجبوا من ذلك فقال لا تعجبوا فانى سالت الله تعالى وقلت
ما انت معاقبى به فى الآخرة فعجله لى فى الدنيا فقال ان عقوبتك بنت فلان تتزوج بها فتزوجت بها وانا صابر على ما ترون
منها وفى الصبر على ذلك رياضة النفس وكسر الغضب وتحسين الخلق فان المنفرد او المشارك لمن حسن خلقه لا تترشح منه خبائث
النفس الباطنة ولا ينكشف بواطن عيوبه فحق على سالك طريق الآخرة ان يجرب نفسه بالتعرض لامثال هذه المحركات واعتياد الصبر
عليها ليعتدل اخلاقه ويرتاض نفسه ويصفو عن الصفات الذميمة باطنه والصبر على العيال مع انه رياضة ومجاهدة وتكفل
لهم وقيام بهم وعبادة فى نفسها فهذه ايضا من الفوائد ولكنه لا ينتفع بها الا احد رجلين اما رجل قصده المجاهدة والرياضة
وتهذيب الاخلاق لكونه فى بداية الطريق فلا يبعد ان يرى هذا طريقا فى المجاهدة والرياضة وتهذيب الاخلاق لكونه فى بداية
الطريق فى المجاهدة وترتاض به واما رجل من العابدين ليس له سير بالباطن وحركة بالفكر والقلب وانما عمله عمل الجوارح بصلوة
او حج او غيره فعمله لاهله واولاده بكسب الحلال لهم والقيام بتربيتهم افضل له من العبادات اللازمة لبدنه التى لا يتعدى
خيرها الى غيره فاما الرجل المهذب الاخلاق اما بكفاية الخلق او بمجاهدة سابقة اذا كان له سير فى الباطن وحركة بفكر القلب

القلب فى العلوم والمكاشفات فلا ينبغى ان يتزوج لهذا الغرض فان الرياضة هو مكفى فيها واما العبادة بالعمل فى الكسب
لهم فالعلم افضل من ذلك لانه ايضا عمل وفائدته اعم واشمل لسائر الخلق من فائدة الكسب على العيال فهذه فوائد النكاح
التى فى الدين التى يحكم له بالفضيلة والسلم اما آفات النكاح فثلاث الاولى وهى اقواها العجز عن طلب الحلال فان ذلك
لا يتيسر لكل احد لا سيما فى هذه الاوقات مع اضطراب المعايش فيكون النكاح سببا للتوسع فى الطلب والاطعام من الحرام
وفيه هلاكه وهلاك اهله والمتعزب فى امن ذلك واما المتزوج ففى الاكثر يدخل فى مداخل السوء ويتبع هوى زوجته ويبيع آخرته
بدنياه وفى الخبر ان العبد ليوقف عند الميزان وله من الحسنات امثال الجبال فيسئل عن رعاية عياله والقيام بهم وعن ماله
من اين اكتسبه وفيما انفقه حتى يستغرق بتلك المطالبات كل اعماله فلا تبقى له حسنة فينادى المنادى هذا الذى اكل عياله حسناته
فى الدنيا وارتهن اليوم باعماله ويقال ان اول ما يتعلق بالرجل فى القيمة اهله وولده فيوقفونه بين يدى الله ويقولون خذ لنا بحقنا منه
فانه ما علمنا ما نجهل وكان يطعمنا الحرام ولا نعلم فيقتص لهم منه وقال بعض السلف اذا اراد الله بعبد شرا سلط عليه فى الدنيا
انيابا ينهشه يعنى العيال وقال صلى الله عليه وسلم لا يلقى الله احد بذنب اعظم من جهالة اهله فهذه آفة عامة قلما يتخلص منها
الا من له مال موروث او مكتسب حلال يفى به وباهله وكان له من القناعة ما يمنعه من الزيادة فان ذلك يتخلص من هذه الآفة
او من هو محترف ومقتدر على كسب حلال من المباحات باحتطاب واصطياد او كان فى صناعة لا تتعلق بالسلاطين ويقدر ان
يعامل بها اهل الخير ومن ظاهره السلامة وغالب ماله الحلال وقال ابن سالم وقد سئل عن التزويج فقال هو افضل فى زماننا
لمن ادركه شبق غالب مثل الحمار يرى الاتان فلا ينتهى عنها بالضرب ولا يملك نفسه فان ملك نفسه فتركه اولى الآفة الثانية
القصور عن القيام بحقهن والصبر على اخلاقهن واحتمال الاذى منهن وهذه دون الاولى فى العموم فان القدرة على هذه ايسر
من القدرة على الاولى وتحسين الخلق مع النساء والقيام بحظوظهن اهون من طلب الحلال وفى هذا ايضا خطر لانه راع مسئول عن رعيته
وقال صلى الله عليه وسلم كفى بالمرء اثما ان يضيع من يعول وروى ان الهارب من عياله بمنزلة العبد الهارب الآبق لا يقبل
له صلوة ولا صيام حتى يرجع اليهم ومن يقصر عن القيام بحقهن وان كان حاضرا فهو هارب وقد قال تعالى قوا انفسكم واهليكم نارا
امرنا ان نقيهم النار كما نقى انفسنا والانسان قد يعجز عن القيام بحق نفسه واذا تزوج تضاعف عليه الحق وانضافت الى نفسه
نفس اخرى والنفس امارة بالسوء واذا كثرت كثر الامر بالسوء غالبا ولذلك اعتذر بعضهم عن التزويج وقال انا مبتلى بنفسى
فكيف اضيف اليها نفسا اخرى كما قيل شعر
لن يسع الفارة فى جحرها * علقت المكنس من دبرها *
ولذلك اعتذر ابرهيم
بن ادهم وقال لا اغر امراة بنفسى ولا حاجة لى فيهن اى من القيام بحقهن وتحصينهن وامتاعهن وانا عاجز عنه وكذلك
اعتذر بشر وقال انما يمنعنى من النكاح الاية قوله تعالى ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وكان يقول لو كنت اعول دجاجة لخفت
ان اصير جلادا على الجسر وروى سفين على باب السلطان فقيل له ما هذا موقفك قال وهل رايت ذا عيال افلح وكان سفين رحمه الله
يقول يا حبذا العزبة والمفتاح ومسكن تخرقه الرياح لا صخب فيه ولا صياح فهذه آفة عامة ايضا وان كانت دون عموم الاولى
لا يسلم منها الا حكيم عاقل حسن الاخلاق بصير بعادات النساء صبور على السنتهن وقاف على اتباع شهواتهن حريص على الوفاء
بحقهن يتغافل عن زللهن ويدارى بعقله اخلاقهن والاغلب على الناس السفه والفظاظة والحدة والطيش وسوء الخلق وعدم
الانصاف مع طلب تمام الانصاف ومثل هذا يزداد بالنكاح فسادا من هذا الوجه لا محالة فالوحدة اسلم له الآفة
الثالثة وهى دون الاولى والثانية ان يكون الاهل والولد شاغلا له عن الله تعالى وجاذبا الى طلب الدنيا وتدبير

وتدبير حسن المعيشة للاولاد بكثرة جمع المال وادخاره لهم وطلب التفاخر والتكاثر بهم وكل من شغل من اهل وولد
وهو مشوم على صاحبه ولست اعني بهذا ان يدعوه الى محظور فان ذلك مما اندرج تحت الآفة الاولى والثانية بل ان
يدعوه الى التنعم بالمباح بل الى الاغراق في ملاعبة النساء ومؤانستهن والامعان في التمتع بهن ويثور من النكاح
انواع من الشواغل من هذا الجنس يستغرق القلب فينقضي الليل والنهار ولا يتفرغ المرء فيهما للتفكر في الآخرة والاستعداد لها
ولذلك قال ابراهيم بن ادهم من تعود افخاذ النساء لم يجئ منه شيء وقال ابو سليمن رحمه الله من تزوج فقد ركن الى الدنيا فهذه
مجامع الآفات والفوائد والحكم على شخص واحد بان الافضل له النكاح او العزوبة مقيدا او مطلقا قصور عن الاحاطة بمجامع
هذه الامور بل تتخذ هذه الآفات والفوائد معيارا ومحكا ويعرض المريد عليه نفسه فان انتفت في حقه الآفات واجتمعت
الفوائد بان كان له مال حلال وخلق حسن وجد في الدين تام لا يشغله النكاح عن الله تعالى وهو مع ذلك شاب محتاج الى تسكين
الشهوة ومنفرد يحتاج الى تدبير المنزل والتحصن بالعشيرة فلا يماري في ان النكاح افضل له مع ما فيه من السعي في تحصيل الولد وان
انتفت واجتمعت الآفات فالعزوبة وان تقابل الامران وهو الغالب فينبغي ان يوزن بالميزان القسط حظ تلك الفوائد في الزيادة
من دينه وحظ تلك الآفات في النقصان منه فاذا غلب على الظن رجحان احدهما حكم به واظهر الفوائد الولد وتسكين الشهوة
واظهر الآفات الحاجة الى كسب الحرام والاشتغال عن الله تعالى فلنفرض تقابل هذه الامور فنقول من لم يكن في اذية من الشهوة
وكانت فائدة نكاحه في السعي لتحصيل الولد وكانت الآفة الحاجة الى كسب الحرام والاشتغال عن الله تعالى فالعزوبة له اولى فلا خير فيما
يشغل عن الله ولا خير في كسب الحرام ولا يفي بنقصان هذين الامرين امر الولد لان النكاح للولد سعي في طلب حيوة الولد موهومة لتوقان النفس
في النكاح وهذا نقصان في الدين ناجز فحفظه لحيوة نفسه وصونها عن الهلاك اهم من السعي في الولد وذلك ربح والدين راس المال فلا تقاوم
هذه الفائدة احدى هاتين الآفتين واما اذا انضاف الى امر الولد حاجة كسر الشهوة لتوقان النفس الى النكاح نظر فان لم يقو لجام التقوى
في راسه وخاف على نفسه الزنا فالنكاح اولى له لانه متردد بين ان يقتحم الزنا او ياكل الحرام والكسب الحرام اهون الشرين وان كان يثق بنفسه
انه لا يزني ولكن لا يقدر مع ذلك على غض البصر عن الحرام فترك النكاح له اولى لان النظر حرام والكسب من غير وجهه حرام والكسب يقع دائما
وفيه عصيانه وعصيان اهله والنظر يقع احيانا وهو يخصه وينصرم على قرب والنظر زنا العين ولكن اذا لم يصدقه الفرج فهو اقرب
الى العفو من اكل الحرام الا ان يخاف افضاء النظر الى معصية الفرج فيرجع ذلك الى خوف العنت واذا ثبت هذا فالحالة الثالثة هي ان
يقوى على غض البصر ولكن لا يقوى على دفع الافكار الشاغلة للقلب كان الاولى ترك النكاح لان عمل القلب الى العفو اقرب وانما يراد
فراغ القلب للعبادة ولا تتم عبادة مع الكسب للحرام واكله واطعامه فهكذا ينبغي ان يوزن هذه الآفات بالفوائد ويحكم بحسبها ومن احاط
بهذا لم يشكل عليه شيء مما نقل عن السلف من ترغيب في النكاح مرة ورغبة عنه اخرى اذ ذلك بحسب الاحوال صحيح فان قلت فمن امن
الآفات فالافضل له التخلي لعبادة الله تعالى او النكاح فاقول يجمع بينهما لان النكاح ليس مانعا من التخلي لعبادة الله تعالى من حيث
انه عقد ولكن من حيث الحاجة الى الكسب فان قدر على الكسب الحلال فالنكاح ايضا افضل لان الليل وسائر اوقات النهار يتسع للتخلي فيها
للعبادة لله والمواظبة على العبادة من غير استراحة فيها غير ممكن فان فرض كونه مستغرق الاوقات بالكسب حتى لا يبقى له وقت سوى اوقات
المكتوبة والنوم والاكل وقضاء الحاجة فان كان الرجل ممن لا يسلك سبيل الآخرة الا بالصلوة النافلة او بالحج او ما يجري مجراه من الاعمال البدنية
فالنكاح له افضل لان في كسب الحلال والقيام بالاهل والسعي في تحصيل الولد والصبر على اخلاق النساء انواعا من العبادات لا يقصر فضلها
عن نوافل العبادات وان كانت عبادته بالعلم والفكر وسر الباطن والكسب يشوش عليه ذلك فترك النكاح افضل فان قلت فلم ترك عيسى عليه
السلم النكاح مع فضله وان كان التخلي لعبادة الله افضل فلم استكثر رسول الله صلى الله عليه وسلم من الازواج فاعلم ان الافضل
الجمع بينهما في حق من قدر ومن قويت منته وعلت همته فلا يشغله عن الله شاغل ورسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ بالقوة وجمع
بين فضل العبادة والنكاح فلقد كان مع تسع نسوة متخليا لعبادة الله تعالى وكان قضاء الوطر في النكاح في حقه غير مانع كما لا يكون
قضاء الوطر في حق المشغولين بتدبيرات الدنيا مانعا لهم عن التدبير حتى يشتغلون في الظاهر بقضاء الحاجة وقلوبهم مستغرقة بهممهم غير
غافلة عن مهماتهم فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلو درجته لا يمنعه امر هذا العالم عن حضور القلب مع الله تعالى فكان
ينزل عليه الوحي وهو في فراش امرأته ومتى يسلم مثل هذا المنصب لغيره فلا يبعد ان يغير السواقي ما لا يغير البحر الخضم فلا ينبغي ان يقاس
غيره واما عيسى صلوات الله عليه فاخذ بالحزم لا بالقوة واحتاط لنفسه ولعل حالته كانت حالة يؤثر فيها الاشتغال
بالاهل او يتعذر معها طلب الحلال او لا يتيسر فيها الجمع بين النكاح والتخلي لعبادة الله فآثر التخلي للعبادة وهم اعلم باسرار احوالهم واحكام
اعصارهم في طلب المكاسب واخلاق النساء وما على الناكح من غوائل النكاح وما له فيه ومهما كانت الاحوال حتى يكون النكاح في
بعضها افضل وتركه في بعضها افضل فحقنا ان ننزل افعال الانبياء على الافضل في كل حال

الباب الثاني

فيما يراعى حالة العقد من احوال المرأة وشروط العقد اما العقد فاركانه وشروطه لينعقد ويفيد الحل اربعة الاول
اذن الولي فان لم يكن فالسلطان الثاني رضى المرأة ان كانت ثيبا بالغة او كانت بكرا بالغة ولكن يزوجها غير الاب والجد الثالث
حضور شاهدين ظاهري العدالة فان كانا مستورين حكمنا بالانعقاد للحاجة الرابع ايجاب وقبول متصل به بلفظ الانكاح او التزويج او
معناهما الخاص بكل لسان من شخصين مكلفين ليس فيهما امرأة سواء كان الزوج او الولي او وكيلهما واما آدابه فتقديم الخطبة
مع الولي لا في حالة عدة المرأة بل بعد انقضائها ان كانت معتدة ولا في حالة سبق غيره بالخطبة اذ نهي عن الخطبة على الخطبة ومن آدابه
الخطبة قبل النكاح ومزج التحميد بالايجاب والقبول فيقول الاب والحمد لله والصلوة على رسول الله زوجتك ابنتي فلانة فيقول الزوج
الحمد لله والصلوة على رسول الله قبلت نكاحها على هذا الصداق وليكن الصداق معلوما وخفيفا والتحميد قبل الخطبة ايضا مستحب
ومن آدابه ان يلقي امر الزوج الى سمع المرأة وان كانت بكرا فذلك اولى بالالفة وكذلك يستحب النظر اليها قبل النكاح فانه احرى ان يؤدم
بينهما ومن الآداب احضار جمع من اهل الصلاح زيادة على الشاهدين اللذين هما ركنان للصحة ومن آدابه ان ينوي بالنكاح اقامة السنة
وغض البصر وطلب الولد وسائر الفوائد التي ذكرناها فلا يكون قصده مجرد الهوى والتمتع فيصير عمله من اعمال الدنيا ولا يمنع ذلك
هذه النيات فرب حق يوافق الهوى قال عمر بن عبد العزيز اذا وافق الحق الهوى فهو الزبد بالنرسيان ولا يستحيل ان يكون كل واحد من
حظ النفس وحظ الدين باعثا معا ومن آدابه ان يعقد في المسجد وفي شهر شوال قالت عائشة رضي الله عنها تزوجني رسول الله صلى الله عليه
وسلم في شوال وبنى بي في شوال اما المنكوحة فيعتبر فيها نوعان احدهما الحل والثاني طيب العيش وحصول المقاصد النوع الاول
ما يعتبر فيه الحل وهو ان تكون خلية عن موانع النكاح وهي تسعة عشر الاول ان تكون منكوحة الغير الثاني ان تكون معتدة عن الغير
سواء كانت عدة وفاة او طلاق او وطء شبهة او كانت في استبراء وطء عن ملك يمين الثالث ان تكون مرتدة عن الدين لجريان كلمة على
لسانها من كلمات الكفر الرابع ان تكون مجوسية الخامس ان تكون وثنية او زنديقة لا تنسب الى نبي وكتاب ومنهن
المعتقدات لمذهب الاباحة فلا يحل نكاحهن وكذلك كل معتقدة مذهبا فاسدا السادس ان تكون كتابية دانت بدينهم
بعد التبديل او بعد مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع ذلك فليست من نسب بني اسرائيل فاذا عدمت كلتا الفضيلتين فلا يحل
نكاحها وان عدمت النسب فقط ففيه خلاف السابع ان تكون كلها او بعضها مملوكا للناكح ملك اليمين الثامن ان تكون رقيقة

والناكح حر واجد طول الحرة او غير خائف من العنت التاسع ان تكون قريبة من الزوج بان تكون من اصوله او فصوله او فصول اول اصوله او من اول فصل من كل اصل بعده واعني باصوله الامهات والجدات وبفصوله الاولاد والاحفاد وبفصول اول اصوله الاخوة واولادهم وباول فصل من كل اصل بعده العمات والخالات دون اولادهن العاشر ان تكون محرمة بالرضاع ويحرم من الرضاع ما يحرم من النسب من الاصول والفصول كما سبق ولكن المحرم خمس رضعات وما دون ذلك لا يحرم الحادي عشر المحرمة بالمصاهرة وهو ان يكون الناكح قد نكح ابنتها او حفدتها من قبل او وطئهن بالشبهة في عقد او وطي امها او احدى جداتها بعقد او شبهة عقد فمجرد العقد على المراة يحرم امهاتها ولا يحرم فروعها الا بالوطي او يكون قد نكحها ابوه او ابنه من قبل الثاني عشر ان تكون المنكوحة خامسة اي يكون تحت الناكح اربع سواها اما في نفس النكاح او في عدة الرجعة فان كانت في عدة بينونة لم يمنع الخامسة الثالث عشر ان يكون تحت الناكح اختها او عمتها او خالتها فيكون بالنكاح جامعا بينهما وكل شخصين بينهما قرابة لو كان احدهما ذكرا والاخر انثى لم يجز بينهما نكاح فلا يجوز ان يجمع بينهما الرابع عشر ان يكون الناكح هذا قد طلقها من قبل ثلاثا فلا تحل له حتى يطاها زوج اخرى في نكاح صحيح الخامس عشر ان يكون الناكح لاعن عنها فانها تحرم عليه ابدا بعد اللعان السادس عشر ان تكون محرمة بحج او عمرة او كان الزوج كذلك فلا ينعقد النكاح الا بعد تمام التحلل السابع عشر ان تكون ثيبا صغيرة فلا يحل ان يجمع بينهما نكاحها الا بعد البلوغ الثامن عشر ان تكون يتيمة فلا يصح نكاحها الا بعد البلوغ التاسع عشر ان تكون من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ممن توفي عنها او دخل بها وطلقها فانهن امهات المومنين وذلك لا يوجد في زماننا فهذه هي الموانع المحرمة واما الخصال المطيبة للعيش التي لا بد من مراعاتها في المراة ليدوم العقد ويتوفر المقاصد فهي ثمانية الدين والخلق والحسن وخفة المهر والولادة والبكارة والنسب وان لا تكون قرابة قريبة الاولى ان تكون صالحة ذات دين فهذا هو الاصل وبه ينبغي ان يقع الاعتنا. فانها ان كانت ضعيفة الدين في صيانة نفسها وفرجها ازرت بزوجها وسودت بين الناس وجهه وشوش بالغيرة قلبه وتنغص بذلك عيشه فان سلك فيه سبيل الحمية ولم يزل في بلا ومحنة وان سلك سبيل التساهل كان متهاونا بدينه وعرضه ومنسوبا الى قلة الحمية والانفة واذا كان مع الفساد جميلة كان بلاوها اشد اذ يشق على الزوج مفارقتها فلا يصبر عنها ولا يصبر عليها ويكون كالذي جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا رسول الله ان لي امراة لا ترد يد لامس قال طلقها قال اني احبها قال امسكها خوفا عليه فانه ان طلقها اتبعها وفسد هو ايضا معها فراى ما في دوام نكاحها من دفع الفساد عنه مع ضيق قلبه اولى وان كانت فاسدة الدين باستهلاك ماله او بوجه اخر لم يزل العيش مشوشا عليه فان سكت ولم ينكر كان شريكا في المعصية مخالفا لقوله تعالى قوا انفسكم واهليكم نارا الاية وان انكر وخاصم تنغص عيشه ولهذا بالغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تنكح المراة لمالها وجمالها وحسبها ودينها فعليك بذات الدين وفي حديث اخر من نكح المراة لجمالها ومالها حرم مالها وجمالها ومن نكحها لدينها رزقه الله مالها وجمالها وقال ايضا لا تنكح المراة لجمالها فلعل جمالها يرديها ولا لمالها فلعل مالها يطغيها وانكح المراة لدينها وانما بالغ في الحث على الدين لان مثل هذه المراة تكون عونا على الدين فاما اذا لم يكن متدينة كانت شاغلة عن الدين ومشوشة له الثانية حسن الخلق وذلك اصل مهم في طلب الفراغ والاستعانة على الدين فانها اذا كانت سليطة بذية اللسان سيئة الخلق كافرة النعم كان الضرر منها اكثر من النفع والصبر على لسان المراة مما يمتحن به الاولياء قال بعض العلماء لا تنكحوا من النساء ستا لا انانة ولا منانة ولا حنانة ولا حداقة ولا براقة ولا شداقة اما الانانة التي تكثر الانين والشكاية وتعصب راسها كل ساعة فنكاح الممراضة او المتمارضة لا خير فيه واما المنانة التي تمن على زوجها فتقول فعلت لاجلك كذا وكذا والحنانة التي تحن الى زوج اخر او الى ولدها من

من زوج اخر وهذا ايضا مما يجب اجتنابه والحداقة التي ترمي الى كل شي بحدقتها فتشتهيه وتكلف الزوج شراه والبراقة تحتمل معنيين احدهما ان تكون طول النهار في تصقيل وجهها وتزيينه ليكون لوجهها بريق محصل بالتصنع والثاني ان تغضب على الطعام فلا تاكل الا وحدها وتستقل نصيبها من كل شي وهذه لغة يمانية يقولون برقت المراة وبرق الصبي الطعام اذا غضب عنده والشداقة المتشدقة الكثيرة الكلام ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ان الله يبغض الثرثارين المتشدقين ويحكى ان السائح الازدي رحمه الله لقي الياس صلوات الله عليه السلم في سياحته فامره بالتزويج ونهاه عن التبتل ثم قال لا تنكح اربعا المختلعة والمبارية والعاهرة والناشزة اما المختلعة فهي التي تطلب الخلع كل ساعة من غير سبب والمبارية المباهية لغيرها المفاخرة باسباب الدنيا والعاهرة الفاسقة التي تعرف بخليل وخدن وهو الذي قال الله تعالى ولا متخذات اخدان والناشزة التي تعلو على زوجها في الفعال والمقال من النشز وهو العالي من الارض وكان علي رضي الله عنه يقول شر خصال الرجال خير خصال النساء البخل والزهو والجبن فان المراة اذا كانت بخيلة حفظت مالها ومال زوجها واذا كانت مزهوة استنكفت ان تكلم كل احد بكلام مريب واذا كانت جبانة فرقت من كل شي فلم تخرج من بيتها واتقت مواضع التهمة خيفة من زوجها فهذه الحكايات ترشد الى مجامع الاخلاق المطلوبة في النكاح الثالثة حسن الوجه فذلك ايضا مطلوب اذ به يحصل التحصن والطبع لا يكتفي بالدميمة غالبا كيف والغالب ان حسن الخلق والخلق لا يفترقان وما نقلناه من الحث على الدين وان لا تنكح لجمالها ليس زجرا عن رعاية الجمال بل هو زجر عن النكاح لاجل الجمال المحض مع الفساد في الدين فان الجمال وحده في غالب الامر يرغب في النكاح ويهون امر الدين ويدل على الالتفات الى معنى الجمال ان الالف والمودة تحصل به غالبا وقد ندب الشرع الى مراعاة اسباب الالفة ولذلك استحب النظر اليها قبل العقد فقال اذا اوقع الله في قلب احدكم من امراة فلينظر اليها فانه احرى ان يودم بينهما اي يولف بينهما من وقوع الادمة وهي الجلدة الباطنة والبشرة الجلدة الظاهرة وانما ذكر ذلك للمبالغة في الايتلاف وقال صلى الله عليه وسلم ان في اعين الانصار شيا فاذا اراد احدكم ان يتزوج منهن فلينظر اليهن وقيل كان في اعينهن عمش وقيل كان صغر وكان بعض الورعين لا ينكحون كرائمهم الا بعد النظر احترازا من الغرور وقال الاعمش كل تزويج يقع على غير نظر فاخره غم وهم ومعلوم ان النظر لا يعرف الخلق والدين والمال وانما يعرف الجمال والقبح وروي ان رجلا تزوج على عهد عمر رضي الله عنه وكان قد خضب فنصل خضابه فاستعدى عليه اهل المراة الى عمر وقالوا حسبناه شابا فاوجعه عمر رضي الله عنه ضربا وقال غررت القوم وروي ان بلالا وصهيبا اتيا على اهل بيت من العرب فخطبا اليهم فقيل لهما من انتما فقال بلال انا بلال وهذا اخي صهيب كنا ضالين فهدانا الله وكنا مملوكين فاعتقنا الله وكنا عائلين فاغنانا الله فان تزوجونا فالحمد لله وان رددتمونا فسبحان الله فقالوا بل تزوجان والحمد لله فقال صهيب لبلال لو ذكرت مشاهدنا وسوابقنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اسكت فقد صدقت فانكحك الصدق والغرور يقع في الجمال والخلق جميعا فيستحب ازالة الغرور في الجمال بالنظر وفي الخلق بالوصف والاستيصاف وينبغي ان يقدم ذلك على النكاح ولا يستوصف في اخلاقها وجمالها الا من هو بصير صادق خبير بالظاهر والباطن ولا يميل اليها فيفرط في الثنا في الثنا. ولا يحسدها فيقصر فالطباع مائلة في مبادي الكلام في النكاح ووصف المنكوحات الى الافراط والتفريط وقل من يصدق فيه ويقتصد والخداع والاغرا اغلب فالاحتياط فيه مهم لمن يخشى على نفسه التشوق الى غير زوجته فاما من اراد من الزوجة السنة او الولد او تدبير المنزل فلو رغب عن الجمال فهو الى الزهد اقرب لانه على الجملة باب من الدنيا وان كان قد يعين على الدين في حق بعض الاشخاص قال ابو سليمن الداراني رحمه الله الزهد في كل شي حتى في المراة يتزوج الرجل العجوز ايثارا للزهد في الدنيا

وقد كان مالك بن دينار يقول يترك احدكم ان يتزوج يتيمة فقيرة فيؤجر فيها ان اطعمها وكساها يكون خفيفة المؤنة ترضى
باليسير ويتزوج بنت فلان وفلان يعني ابناء الدنيا فتشتهي عليه الشهوات وتقول اكسني كذا وكذا واختار احمد بن حنبل
عوراء على اختها وكانت اختها جميلة فسأل من اعقلهما فقيل العوراء فقال زوجوني اياها وروي انه اذا امرأة لتخطب لاحدهما
فقالت الاخت الحسناء لاختها لمن خطب فقالت اما انا فلا اصلح وما اراد الا انت بانكسار فبلغ ذلك احمد فقال لا اتزوج الا
هي لانكسارها فهذا دأب من لم يقصد التمتع فاما من لم يأمن على دينه ما لم يكن له مستمتع فليطلب الجمال والتلذذ حصن للدين
وقد قيل اذا كانت المرأة حسناء خيرة الاخلاق سوداء الحدقة والشعر كبيرة العين بيضاء اللون محبة لزوجها قاصرة الطرف عليه
فهي على صورة الحور العين فان الله تعالى يصف نساء الجنة بهذه الاوصاف في قوله تعالى فيهن خيرات حسان اراد بالخيرات حسن
الخلق وفي قوله قاصرات الطرف وفي قوله عربا اترابا فالعروبة العاشقة لزوجها المشتهية للوقاع وبه تتم اللذات والحور البياض
والحوراء شديدة البياض للعين شديدة سوادها في سواد الشعر والعيناء الكبيرة العين وقال صلى الله عليه وسلم خير نسائكم التي اذا نظر اليها
زوجها سرته واذا امرها اطاعته واذا غاب عنها حفظته في نفسها وماله وانما تسر بالنظر اذا كانت محبة للزوج الرابعة
ان تكون خفيفة المهر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير النساء احسنهن وجوها وارخصهن مهورا وقد نهى عن المغالاة
في المهر تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض نسائه على عشرة دراهم واثاث البيت وكان رحى يد وجرة ووسادة من ادم حشوها
من ليف واولم على بعض نسائه بمدين من شعير وعلى اخرى بمدين تمر ومدين سويق وكان عمر رضي الله عنه ينهى عن المغالاة ويقول ما تزوج
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا زوج باكثر من اربعمائة درهم لو كان المغالاة بمهور النساء مكرمة لسبق اليها رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقد تزوج بعض اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على وزن نواة من ذهب يقال قيمتها خمسة دراهم وزوج سعيد بن المسيب
ابنته من ابي هريرة على درهمين ثم حملها اليه ليلا فادخلها هو من الباب ثم انصرف ثم جاءها بعد سبعة ايام فسلم عليها
ولو تزوج على عشرة دراهم للخروج من الخلاف فلا بأس وفي الخبر من بركة المرأة سرعة تزويجها وسرعة رحمها الى الولادة
ويسر مهرها وقال ايضا ابركهن اقلهن مهرا وكما يكره المغالاة من جهة المرأة في المهر فيكره السؤال عن مالها من جهة الرجل
فلا ينبغي ان ينكح طمعا في المال قال الثوري اذا تزوج وقال اي شيء للمرأة فاعلم انه لص واذا اهدى اليهم شيئا فلا ينبغي ان يهدي
ليضطرهم الى المقابلة باكثر منه وكذلك اذا اهدوا اليه فنية طلب الزيادة نية فاسدة فاما التهادي فمستحب وهو سبب المودة
قال عليه السلام تهادوا تحابوا واما طلب الزيادة فداخل في قوله تعالى ولا تمنن تستكثر اي تعطي لتطلب اكثر وتحت قوله تعالى
وما آتيتم من ربا ليربو في اموال الناس فلا يربو عند الله فان الربا هو الزيادة وهذا طلب زيادة على الجملة وان لم يكن في اموال
الربوية وكل ذلك مكروه وبدعة في النكاح يشبه التجارة والقمار ويفسد مقاصد النكاح الخامسة ان تكون المرأة ولودا
فان عرفت بالعقم فليمتنع من تزوجها قال صلى الله عليه وسلم عليكم بالولود الودود وان لم يكن لها زوج ولم يعرف حالها
فيراعى صحتها وشبابها فانها تكون ولودا في الغالب مع هذين الوصفين السادسة ان تكون بكرا قال صلى الله عليه وسلم لجابر وقد
نكح ثيبا هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك وفي البكارة ثلث فوائد احدها ان تحب الزوج وتألفه فيؤثر في معنى الود وقال صلى الله
عليه وسلم عليكم بالودود والطباع مجبولة على الانس باول مألوف واما التي اختبرت الرجال ومارست الاحوال فربما لا
ترضى بعض الاوصاف التي تخالف ما الفته فتقلي الزوج الفائدة الثانية ان ذلك اكمل في مودته لها فان الطبع
ينفر عن التي مسها غير الزوج نفرة ما وذلك يثقل على الطبع مهما يذكر وبعض الطباع في هذا اشد نفورا الثالثة انها لا تحن

الى الزوج الاول وآكد الحب ما يقع مع الحبيب الاول السابعة ان تكون نسيبة اعني بان تكون من اهل بيت الدين والصلاح
فانها ستربي بناتها وبنيها واذا لم تكن مؤدبة لم تحسن التأديب والتربية ولذلك قال عليه السلام اياكم وخضراء الدمن فقيل وما
خضراء الدمن قال المرأة الحسناء في المنبت السوء وقال صلى الله عليه وسلم تخيروا لنطفكم فان العرق نزاع الثامنة الا تكون من القرابة القريبة
فان ذلك يقلل الشهوة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تنكحوا القرابة القريبة فان الولد يخلق ضاويا اي نحيفا وذلك لتأثيره
في تضعيف الشهوة فان الشهوة انما تنبعث بقوة الاحساس بالنظر واللمس وانما يقوى الاحساس بالامر الغريب الجديد فاما المعهود
الذي دام النظر اليه مدة فانه يضعف الحس عن تمام ادراكه والتأثر به فلا تنبعث به الشهوة فهذه هي الخصال المرغبة في النساء
ويجب على الولي ايضا ان يراعي خصال الزوج ولينظر لكريمته فلا يزوجها ممن ساء خلقه او خلقه او ضعف دينه او قصر عن القيام بحقها
او كان لا يكافيها في نسبها قال صلى الله عليه وسلم النكاح رق فلينظر احدكم اين يضع كريمته والاحتياط في حقها اهم لانها رقيقة في
النكاح لا مخلص لها والزوج قادر على الطلاق بكل حال وكان نساء العرب يعلمن بناتهن اختبار الازواج كانت المرأة تقول لابنتها اختبري
زوجك قبل الاقدام والجرأة عليه انزعي زج رمحه فان سكت فقطعي اللحم على ترسه فان سكت فكسري العظام بسيفه فان
صبر فاجعلي الاكاف على ظهره وامتطيه فانما هو حمارك وعلى الجملة فبالعدل قامت السموات والارض وكل ما جاوز حده انعكس على ضده
فينبغي ان تسلك سبيل الاقتصاد في المخالفة والموافقة وتتبع الحق في جميع ذلك لتسلم من شرهن فان كيدهن عظيم وشرهن فاش والغالب
عليهن سوء الخلق وركاكة العقل ولا يعتدل ذلك منهن الا بنوع لطف ممزوج بسياسة قال صلى الله عليه وسلم مثل المرأة الصالحة في
النساء كمثل الغراب الاعصم بين مائة غراب والاعصم الابيض البطن وفي وصية لقمان لابنه يا بني اتق المرأة السوء فانها تشيبك قبل
الشيب واتق شرار النساء فانهن لا يدعون الى خير وكن من خيارهن على حذر وقال صلى الله عليه وسلم استعيذوا من الفواقر الثلث
ومهما زوج ابنته من فاسق او ظالم او مبتدع او شارب خمر فقد جنى على دينه وتعرض لسخط الله لما قطع من حق الرحم وسوء
الاختيار قال رجل للحسن رضي الله عنه قد خطب ابنتي جماعة فممن ازوجها قال ممن يتقي الله فانه ان احبها اكرمها وان ابغضها
لم يظلمها وقال صلى الله عليه وسلم من زوج كريمته من فاسق فقد قطع رحمها

الباب الثالث

في آداب المعاشرة وما يجري في دوام النكاح والنظر فيما على الزوج وفيما على الزوجة اما الزوج فعليه مراعاة الاعتدال
والادب في اثني عشر امرا في الوليمة والمعاشرة والدعابة والسياسة والغيرة والنفقة والتعليم والقسم والتأديب في النشوز
وفي الوقاع والولد والمفارقة بالطلاق الادب الاول الوليمة وهي مستحبة قال انس رضي الله عنه رأى رسول الله
صلى الله عليه وسلم على عبد الرحمن بن عوف اثر صفرة فقال ما هذا فقال تزوجت امرأة على وزن نواة من ذهب فقال بارك
الله لك اولم ولو بشاة واولم رسول الله صلى الله عليه وسلم على صفية بسويق وتمر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم طعام
اول يوم حق وطعام الثاني سنة وطعام الثالث سمعة ومن سمع سمع الله به لم يرفعه الا زياد بن عبد الله وهو غريب ويستحب التهنئة
سمّع به
فيقول من دخل على الزوج بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما في خير روى ابو هريرة رضي الله عنه انه عليه الصلوة
والسلام امر بذلك ويستحب اظهار النكاح قال عليه السلام فصل ما بين الحلال والحرام الدف والصوت وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اعلنوا هذا النكاح واجعلوه في المساجد واضربوا عليه بالدفوف وعن الربيع بنت معوذ قالت جاء رسول الله صلى الله عليه
وسلم يدخل علي غداة بني بي فجلس على فراشي وجويريات لنا يضربن بدفهن ويندبن من قتل من آبائي الى ان قالت احداهن وفينا نبي يعلم ما في غد
فقال لها اسكتي عن هذه وقولي التي كنت تقولين قبلها الادب الثاني حسن الخلق معهن واحتمال الاذى منهن

ترحما عليهن لقصور عقلهن قال الله تعالى وعاشروهن بالمعروف وقال الله تعالى ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وقال
في تعظيم حقهن واخذن منكم ميثاقا غليظا وقال تعالى والصاحب بالجنب قيل هي المراة وآخر ما اوصى به رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثلاث كان يتكلم بهن حتى تلجلج لسانه وخفي كلامه فجعل يقول الصلوة الصلوة وما ملكت ايمانكم لا تكلفوهم ما لا يطيقون الله الله
في النساء فانهن عوان عندكم يعني اسراء في ايديكم اخذتموهن بعهد الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله وقال صلى الله عليه
وسلم من صبر على سوء خلق امراته اعطاه الله من الاجر مثل ما اعطى ايوب على بلائه ومن صبرت على سوء خلق زوجها اعطاها الله من
مثل ثواب آسية امراة فرعون واعلم انه ليس حسن الخلق معها كف الاذى عنها بل الحلم عند طيشها وغضبها اقتداء برسول الله
صلى الله عليه وسلم فقد كان ازواجه يراجعنه في الكلام وتهجره الواحدة منهن الى الليل وراجعت امراة عمر رضي الله عنه في
الكلام فقال اتراجعينني يا لكعا فقالت ان ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم يراجعنه وهو خير منك فقال عمر خابت حفصة
وخسرت اي ان راجعته ثم جاء الى حفصة فقال لا تغتري بابنة ابي قحافة فانها حب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كان ازواجه
وخوفها من المراجعة وروي انه دفعت احديهن في صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم فزبرتها امها فانكرت عليها فقال عليه السلم
دعيها فانهن يصنعن اكثر من ذلك وجرى بينه وبين عايشة كلام حتى ادخل النبي صلى الله عليه وسلم ابا بكر رضي الله عنه حكما بينهما
واستشهده فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلمين او اتكلم فقالت بل تكلم انت ولكن لا تقل الا حقا فلطمها ابو بكر رضي الله
عنه حتى دمي فوها وقال يا عدوة نفسها او يقول غير الحق فهربت منه واستجارت برسول الله وقعدت خلف ظهره فقال له النبي
صلى الله عليه وسلم لم ندعك لهذا ولم نرد هذا منك وقالت له امراة في كلام غضبت عنده انت الذي تزعم انك نبي الله فتبسم
رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتمل ذلك حلما وكرما وكان يقول لعايشة رضي الله عنها اني لاعرف غضبك علي ورضاك قالت
وكيف تعرفه قال اذا رضيت قلت لا واله محمد واذا غضبت قلت لا واله ابرهيم قالت صدقت انما اهجر اسمك ويقال اول حب
وقع في الاسلام حب النبي صلى الله عليه وسلم عايشة رضي الله عنها وكان يقول لها كنت لك كابي زرع لام زرع الا اني لا اطلقك
وكان يقول لنسائه لا تؤذونني في عايشة فانه والله ما نزل علي الوحي وانا في لحاف امراة منكن غيرها وقال انس رضي الله عنه كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم ارحم الناس بالنساء والصبيان الثالث انه يزيد على احتمال الاذى بالمداعبة والمزح والملاعبة
فهي التي تطيب قلوب النساء قد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح معهن وينزل الى درجات عقولهن في الاعمال والاخلاق حتى
روي انه كان يسابق عايشة رضي الله عنها في العدو فسبقته يوما وسبقها في بعض الايام فقال عليه السلم هذه بتلك وفي
الخبر انه كان من افكه الناس مع نسائه وقالت عايشة رضي الله عنها سمعت اصوات اناس من الحبشة وغيرهم وهم يلعبون في يوم عاشورا
فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اتحبين ان تري لعبهم قالت قلت نعم فارسل اليهم فجاؤا وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم
بين الناس فوضع كفه على الباب ومد يده ووضعت ذقني على يده وجعلوا يلعبون وانا انظر وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول حسبك وانا اسكت مرتين او ثلثا ثم قال يا عايشة حسبك فقلت نعم فاشار اليهم فانصرفوا وقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اكمل المؤمنين ايمانا احسنهم خلقا والطفهم باهله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خياركم خيركم لنسائه وانا خيركم
لنسائي وقال عمر رضي الله عنه مع خشونته ينبغي للرجل ان يكون في اهله كالصبي فاذا كان في القوم وجد رجلا وفي تفسير الخبر
المروي ان الله تعالى يبغض الجعظري الجواظ قيل هو الشديد على اهله المتكبر على نفسه وهو احد ما قيل في معنى قوله تعالى عتل
بعد ذلك قيل العتل هو الفظ اللسان الغليظ القلب على اهله وقال صلى الله عليه وسلم لجابر هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك

مثل الصبي اي اذا التمس ما عنده وجد رجلا
وقال لقمن لابنه ينبغي للعاقل ان يكون في اهله

وتلاعبك ووصفت اعرابية زوجها وقد مات فقال لقد كان والله ضحوكا اذا ولج سكيتا اذا خرج آكلا ما وجد غير
سائل عما فقد ثم لا ينبغي ان يتبسط في الدعابة وحسن الخلق والموافقة باتباع هواها الى حد يفسد خلقها ويسقط بالكلية
هيبته عندها بل يراعي الاعتدال في ذلك فلا يدع الهيبة والانقباض مهما راى منكرا ولا يفتح باب المساعدات على المنكرات البتة بل مهما
راى ما يخالف الشرع والمروة تنمر وامتعض قال عمر رضي الله عنه خالفوا النساء فان في خلافهن البركة وقيل شاوروهن و
خالفوهن وقال الحسن رضي الله عنه والله ما اصبح رجل يطيع امراته فيما تهوى الا كبه الله في النار وقال صلى الله عليه وسلم تعس
عبد الزوجة وانما قال ذلك لانه اذا اطاعها في هواها فهو عبدها وقد تعس فان الله تعالى ملكه المراة فملكها نفسه
فقد عكس الامر وقلب القضية واطاع الشيطان لما قال ولآمرنهم فليغيرن خلق الله اذ حق الرجل ان يكون متبوعا لا تابعا وقد
سمى الله تعالى الرجال قوامين على النساء وسمى الزوج سيدا فقال والفيا سيدها لدى الباب فاذا انقلب السيد مسخرا فقد
بدل نعمة الله كفرا ونفس المراة على مثال نفسك ان ارسلت عنانها قليلا جمحت بك طويلا وان ارخيت عذارها شبرا جذبتك
ذراعا وان كبحتها وشددت يدك عليها في محل الشدة فقد ملكتها وقال الشافعي رضي الله عنه ثلاثة ان اكرمتهم
اهانوك وان اهنتهم اكرموك المراة والخادم والنبطي اراد به ان محضت الاكرام ولم تمزج غلظتك بلينك وفظاظتك برفقك
وكان نساء العرب يعلمن بناتهن اختبار الازواج كانت المراة تقول لابنتها اختبري زوجك قبل الاقدام والجراة عليه انزعي
زج رمحه فان سكت فقطعي اللحم على ترسه فان سكت فكسري العظام بسيفه فان سكت فاجعلي الاكاف على ظهره
وامتطيه فانما هو حمارك وعلى الجملة فبالعدل قامت السموات والارض وكل ما جاوز حده انعكس على ضده فينبغي ان تسلك
سبيل الاقتصاد في المخالفة والموافقة وتتبع الحق في جميع ذلك لتسلم من شرهن فان كيدهن عظيم وشرهن فاش والغالب عليهن
سوء الخلق وركاكة العقل ولا يعتدل ذلك منهن الا بنوع لطف ممزوج بسياسة قال صلى الله عليه وسلم مثل المراة الصالحة
في النساء كمثل الغراب الاعصم بين مائة غراب والاعصم الابيض البطن وفي وصية لقمان لابنه يا بني اتق المراة السوء فانها تشيبك
قبل الشيب واتق شرار النساء فانهن لا يدعون الى خير وكن من خيارهن على حذر وقال صلى الله عليه وسلم استعيذوا من الفواقر
الثلث وعد منهن امراة السوء فانها المشيبة قبل الشيب وفي لفظ آخر ان دخلت عليها لسبتك وان غبت عنها خانتك وقد قال
صلى الله عليه وسلم في خيرات النساء انهن صواحبات يوسف يعني ان صرفكن ابا بكر عن التقدم في الصلوة ميل منكن عن الحق الى الهوى
وقال تعالى حين افشين سر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما اي مالت وقال ذلك في خير ازواجه
وقال صلى الله عليه وسلم لا يفلح قوم تملكهم امراة وزبر عمر رضي الله عنه امراته يوما قد راجعته وقال لها ما انت الا لعبة
في جانب البيت ان كانت لنا اليك حاجة والا جلست كما انت فاذا فيهن شر وفيهن ضعف فالسياسة والخشونة علاج
الشر والمطايبة والرحمة علاج الضعف والطبيب الحاذق هو الذي يقدر العلاج بقدر الداء فلينظر الرجل اولا الى اخلاقها
بالتجربة ثم ليعاملها بما يصلحها كما يقتضيه حالها الخامس الاعتدال في الغيرة وهو ان لا يتغافل عن مبادي الامور التي
تخشى غوائلها ولا يبالغ في اساءة الظن والتعنت وتجسس البواطن فقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تتبع عورات النساء
وفي لفظ آخر ان تبغت النساء ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره قال قبل دخول المدينة لا تطرقوا اهليكم
ليلا فخالفه رجلان فسبقا فراى كل واحد في منزله ما يكره وفي الخبر المشهور المراة كالضلع ان اردت ان تقيمه كسرته فدعها
تستمتع بها على عوج وهذا في تهذيب اخلاقها وقال صلى الله عليه وسلم ان من الغيرة غيرة يبغضها الله وهي غيرة الرجل على اهله من غير ريبة و

ولان ذلك من سوء الظن الذي نهينا عنه فان بعض الظن اثم وقال علي كرم الله وجهه لا تكثر الغيرة على اهلك فترمى بالسوء من اجلك واما الغيرة في محلها فلا بد منها وهي محمودة وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يغار والمؤمن يغار وغيرة الله ان يأتي المؤمن ما حرم الله عليه وقال صلى الله عليه وسلم اتعجبون من غيرة سعد والله لانا اغير منه والله اغير مني ومن اجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا احد احب اليه المدح من الله ومن اجل ذلك بعث المنذرين والمبشرين ولا احد احب اليه المدح من الله ومن اجل ذلك وعد الجنة وقال صلى الله عليه وسلم رايت ليلة اسري بي في الجنة قصرا وبفنائه جارية فقلت لمن هذا القصر فقيل لعمر فاردت ان انظر اليها فذكرت غيرتك يا عمر رضي الله عنه فبكى عمر رضي الله عنه وقال اوعليك اغار يا رسول الله وكان الحسن يقول تدعون نساءكم يزاحمن العلوج في الاسواق لعن الله من لا يغار وقال صلى الله عليه وسلم ان من الغيرة ما يحبه الله ومنها ما يبغضه الله ومن الخيلاء ما يحبه الله ومنه ما يبغضه الله فاما الغيرة التي يحبها الله فالغيرة في الريبة والغيرة التي يبغضها الله فالغيرة في غير الريبة والاختيال الذي يحبه الله تعالى اختيال الرجل بنفسه عند القتال والاختيال الذي يبغضه الله الاختيال في الباطل وقال عليه الصلوة والسلام اني لغيور وما من امرء لا يغار الا منكوس القلب والطريق المغني عن الغيرة ان لا يدخل عليها الرجال وهي لا تخرج الى الاسواق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنته فاطمة رضي الله عنها اي شيء خير للمراة قالت ان لا ترى رجلا ولا يراها رجل فضمها اليه وقال ذرية بعضها من بعض واستحسن قولها وكان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسدون الثقب والكوة في الحيطان لئلا تطلع النسوان الى الرجال وراى معاذ رضي الله عنه امراته تطلع في الكوة فضربها وراى امراته دفعت الى غلام له تفاحة قد اكلت بعضها فضربها وقال عليه الصلوة والسلام اعروا النساء يلزمن الحجال وانما قال ذلك لانهن لا يرغبن في الخروج في الهيئة الرثة وقال عودوا نساءكم لا وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذن للنساء في حضور المساجد والصواب الآن المنع الا العجائز وقد استصوب ذلك في زمان الصحابة حتى قالت عائشة رضي الله عنها لو علم النبي صلى الله عليه وسلم ما احدثت النساء بعده لمنعهن من الخروج ولما قال ابن عمر رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمنعوا اماء الله مساجد الله فقال بعض ولده بلى والله لنمنعهن فضربه وغضب عليه وقال تسمعني اقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمنعوا فتقول بلى وانما استجرا على المخالفة لعلمه بتغير الزمان وانما غضب عليه لاطلاقه اللفظ بالمخالفة ظاهرا من غير اظهار العذر وكذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اذن لهن في الاعياد خاصة ان يخرجن ولكن لا يخرجن الا برضى ازواجهن والخروج الآن جائز للمراة العفيفة برضى زوجها ولكن القعود اسلم وينبغي ان لا تخرج الا لمهم لان الخروج للنظارات والامور التي ليست مهمة تقدح في المروة وربما تفضي الى الفساد واذا خرجت فينبغي ان تغض بصرها عن الرجال ولسنا نقول ان وجه الرجل في حقها عورة كوجه المراة في حقه بل هو كوجه الصبي الامرد في حق الرجل فيحرم النظر عند خوف الفتنة فقط فان لم تكن فتنة فلا اذ لم يزل الرجال على ممر الزمان مكشوفي الوجوه والنساء يخرجن منتقبات ولو كان وجوه الرجال عورة في حق النساء لامروا بالتنقب او منعن من الخروج الا لضرورة

السادس الاعتدال في النفقة فلا ينبغي ان يقتر عليهن في الانفاق ولا ينبغي ان يسرف بل يقتصد قال الله تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا وقال تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وقال عليه الصلوة والسلام خيركم خيركم لاهله وقال صلى الله عليه وسلم دينار انفقته في سبيل الله ودينار انفقته في رقبة ودينار تصدقت به على مسكين ودينار انفقته على اهلك اعظمها اجرا الذي انفقته على اهلك وقيل كان لعلي رضي الله عنه اربع نسوة فكان يشتري لكل واحدة في كل اربعة ايام لحما بدرهم وقال الحسن كانوا في الرجال مخاصيب وفي الاثاث والثياب مقاربين وقال ابن سيرين رحمه الله يستحب للرجل ان يعمل لاهله في كل جمعة فالوذجة وكان الحلاوة وان لم تكن من المهمات ولكن تركها بالكلية تقتير في العادة وينبغي ان يامرها بالتصدق ببقايا الطعام وما يفسد لو ترك فهذا اقل درجات الخير وللمراة ان تفعل ذلك بحكم الحال من غير صريح اذن من الزوج ولا ينبغي ان يستاثر عن اهله بماكول طيب فلا يطعمهم منه فان ذلك مما يوغر الصدور ويبعد عن المعاشرة بالمعروف فان ازمع ذلك فلياكل في خفية بحيث لا يعرفه اهله ولا ينبغي ان يصف عندهم طعاما ليس يريد اطعامهم اياه واذا اكل فليقعد العيال كلهم على مائدته قال سفيان بلغنا ان الله وملائكته يصلون على اهل بيت ياكلون في جماعة واهم ما يجب عليه مراعاته في الانفاق ان يطعمها من الحلال ولا يدخل مداخل السوء لاجلها فان ذلك جناية عليها لا مراعاة لها وقد اوردنا الاخبار الواردة في ذلك عند ذكر آفات النكاح

السابع ان يتعلم الزوج من علم الحيض واحكامه ما يحترز به الاحتراز الواجب ويعلم زوجته احكام الصلوة وما يقضى منها في الحيض وما لا يقضى فانه امر بان يقيها النار بقوله تعالى قوا انفسكم واهليكم نارا فعليه ان يلقنها اعتقاد اهل السنة ويزيل عن قلبها كل بدعة ان استمعت اليها ويخوفها في الله ان تساهلت في امر الدين ويعلمها من احكام الحيض والاستحاضة ما تحتاج اليه وعلم الاستحاضة يطول فاما الذي لا بد من ارشاد النساء اليه في امر الحيض بيان الصلوات التي تقضيها فانها مهما انقطع دمها قبل المغرب بمقدار ركعة فعليها قضاء الظهر والعصر واذا انقطع قبل الصبح بمقدار ركعة فعليها قضاء المغرب والعشاء وهذا اقل ما يراعيه النساء فان كان الرجل قائما بتعليمها فليس لها الخروج لسؤال العلماء وان قصر علم الرجل ولكن ناب عنها في السؤال واخبرها بجواب المفتي فليس لها الخروج فان لم يكن ذلك فلها الخروج للسؤال بل عليها ذلك ويعصي الرجل بمنعها ومهما تعلمت ما هو من الفرائض عليها فليس لها ان تخرج الى مجلس ذكر ولا الى تعلم فضل الا برضاه ومهما اهملت المراة حكما من احكام الحيض والاستحاضة ولم يعلمها الرجل خرج الرجل معها وشاركها في الاثم

الثامن اذا كان له نسوة فينبغي ان يعدل بينهن ولا يميل الى بعضهن فان خرج الى سفر واراد استصحاب واحدة اقرع بينهن كذلك كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فان ظلم امراة بليلتها قضى لها فان القضاء واجب عليه وعند ذلك يحتاج الى معرفة احكام القسم وذلك يطول ذكره وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان له امراتان فمال الى احداهما دون الاخرى وفي لفظ آخر لم يعدل بينهما جاء يوم القيمة واحد شقيه مائل وانما عليه العدل في العطاء والمبيت اما في الحب والوقاع فلا يدخل ذلك تحت الاختيار قال الله تعالى ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل اي لا تعدلوا في شهوة القلب وميل النفس ويتبع ذلك في الوقاع وقد كان رسول الله عليه السلام يعدل بينهن في العطاء والبيتوتة في الليالي ويقول اللهم هذا جهدي فيما املك ولا طاقة لي فيما تملك ولا املك يعني الحب وقد كانت عائشة رضي الله عنها احب نسائه اليه وسائر نسائه يعرفن ذلك وكان يطاف به محمولا في مرضه في كل يوم وليلة فيبيت عند كل واحدة ويقول اين انا غدا ففطنت لذلك امراة منهن فقالت انما يسال عن يوم عائشة فقلن يا رسول الله قد اذنا لك ان تكون في بيت عائشة فانه يشق عليك ان تحمل في كل ليلة فقال وقد رضيتن بذلك قلن نعم قال فحولوني الى بيت عائشة ومهما وهبت واحدة منهن ليلتها لصاحبتها ورضي الزوج بذلك ثبت الحق لها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه فقصد ان يطلق سودة بنت زمعة لما كبرت فوهبت ليلتها لعائشة رضي الله عنها وسالته ان يقرها على الزوجية حتى تحشر في زمرة نسائه فتركها وكان لا يقسم لها ويقسم لعائشة ليلتين ولسائر ازواجه ليلة ولكنه صلى الله عليه وسلم لحسن عدله وقوته كان اذا تاقت نفسه الى واحدة من نسائه في غير نوبتها فجامعها طاف في يومه او ليلته على سائر نسائه فمن ذلك ما روي عن

المنع الآم

عن عائشة رضى الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم طاف على نسائه فى ليلة واحدة وعن انس رضى الله عنه انه صلى الله عليه
وسلم طاف على تسع نسوة فى ضحوة نهار النـــاسع النشوز ومهما وقع بينهما خصام ولم يلتئم امرهما فان كان من جانبهما جميعا
او من الزوج فلا تسلط الزوجة على زوجها ولا يقدر على اصلاحها يوفق الله بينهما فلا بد من حكمين احدهما من اهله والاخر من اهلها
لينظرا بينهما ويصلحا امرهما فان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما وقد بعث عمر رضى الله عنه حكما الى زوجين فعاد ولم يصلح امرهما
فعلاه بالدرة فقال ان الله تعالى يقول ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما فعاد واحسن النية وتلطف فى الامر فاصلح بينهما
واما اذا كان النشوز من المراة خاصة فالرجال قوامون على النساء فله ان يؤدبها ويحملها على الطاعة قهرا وكذا اذا كانت تاركة
للصلوة فله حملها على الصلوة قهرا ولكن ينبغى ان يتدرج فى تاديبها وهو ان يقدم اولا الوعظ والتحذير والتخويف فان لم ينجع
ولاها ظهره او انفرد عنها فى الفراش وهجرها وهو فى البيت من ليلة الى ثلاث ليال فان لم ينفعها ضربها ضربا غير مبرح بحيث
يؤلمها ولا يكسر عظمها ولا يدمى لها جسما ولا يضرب وجهها فذلك منهى عنه وقد قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما حق
المراة على الرجل فقال يطعمها اذا طعم ويكسيها اذا اكتسى ولا يقبح الوجه ولا يضرب الا ضربا غير مبرح ولا يهجرها الا فى البيت
وله ان يغضب عليها ويهجرها فى امر من امور الدين الى عشر والى شهر فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ ارسل بهدية
الى زينب فردتها عليه فقالت له التى هو فى بيتها لقد اقمأتك اذ ردت عليك هديتك اى اذلتك واستصغرتك فقال
صلى الله عليه وسلم انتن اهون على الله ان تقمئنني ثم غضب عليهن كلهن شهرا الى ان عاد اليهن له العــاشر فى اداب الجماع
يستحب ان يبدا باسم الله ويقرا قل هو الله احد ويكبر ويهلل ويقول بسم الله العلى العظيم اللهم اجعلها ذرية طيبة ان كنت قدرت
ان تخرج ذلك من صلبى وقال صلى الله عليه وسلم لو ان احدكم اذا اتى اهله قال اللهم جنبنى الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا
فان كان بينهما ولد لم يضره الشيطان واذا قربت من الانزال فقل فى نفسك ولا تحرك شفتيك الحمد لله الذى خلق من الماء بشرا
فجعله نسبا وصهرا الاية وكان بعض اهل الحديث يكبر حتى يسمع اهل الدار صوته ثم لينحرف عن القبلة فلا يستقبل القبلة بالوقاع
اكراما للقبلة وليغط نفسه واهله بثوب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغطى راسه ويغض صوته ويقول للمراة عليك السكينة
وفى الخبر اذا جامع احدكم اهله فلا يتجردان تجرد العيرين اى الحمارين وليقدم التلطف بالكلام والتقبيل قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا يقع احدكم على امراته كما تقع البهيمة وليكن بينهما رسول قيل وما الرسول فقال القبلة والكلام وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث
من العجز فى الرجل ان يلقى من يحب معرفته فيفارقه قبل ان يعرف اسمه ونسبه والثانى ان يكرمه اخوه فيرد عليه كرامته والثالث
ان يقارب الرجل جاريته فيصيبها قبل ان يحادثها ويؤانسها ويضاجعها فيقضى حاجته منها قبل ان تقضى حاجتها منه ويكره له
الجماع فى ثلاث ليال من الشهر ليلة اوله وآخره والنصف منه فيقال ان الشيطان يحضر الجماع فى هذه الليالى ويقال ان
الشياطين يجامعون فيها وروى كراهة ذلك عن على ومعوية وابى هريرة ومن العلماء من استحب الجماع يوم الجمعة وليلته تحقيقا لاحد
التاويلين من قوله عليه السلم رحم الله من غسل واغتسل ثم اذا قضى وطره فليتمهل على اهله حتى تقضى هى وطرها ايضا فان انزالها
ربما يتاخر فيهيج شهوتها ثم القعود عنها ايذاء لها والاختلاف فى طبع الانزال يوجب التنافر مهما كان الزوج سابقا الى
الانزال والتوافق فى وقت الانزال الذ عندها ليشتغل الرجل بنفسه عنها فانها ربما تستحيى وينبغى ان ياتيها فى كل اربع ليال
مرة فهو اعدل اذ عدد النساء اربعة فجاز التاخير الى هذا الحد نعم ينبغى ان يزيد وينقص بحسب حاجتها فى التحصين فان تحصينها
واجب عليه وان كان لا يثبت المطالبة بالوطى فذلك لعسر المطالبة والوفاء به ولا ينبغى ان ياتيها فى الحيض ولا بعد انقطاعه وقبل

الغسل فهو محرم بنص الكتاب وقيل ان ذلك يورث الجذام فى الولد وله ان يستمتع بجميع بدن الحائض ولا ياتيها
فى غير المأتى اذ حرم غشيان الحائض لاجل الاذى والاذى فى غير المأتى دائم فهو اشد تحريما من اتيان الحائض قال الله تعالى
فاتوا حرثكم انى شئتم اى وقت شئتم وله ان يستمنى بيديها وان يستمتع بما تحت الازار منها سوى الوقاع وينبغى ان تتزر المراة
بازار من حقوتها الى ما فوق الركبة فى حالة الحيض فهذا من الاداب وله ان يواكل الحائض ويخالطها فى المضاجعة وغيرها
وليس عليه اجتنابها فان اراد ان يجامع ثانيا بعد اخرى فليغسل فرجه اولا وان احتلم فلا يجامع حتى يغتسل او يغسل فرجه اولا
ويبول ويكره الجماع فى اول الليل حتى لا ينام على غير طهارة فان اراد النوم او الاكل فليتوضا اولا وضوءه للصلوة فهو سنة
قال ابن عمر رضى الله عنهما قلت للنبى صلى الله عليه وسلم اينام احدنا وهو جنب قال نعم اذا توضا ولكن فيه رخصة قالت
عائشة رضى الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينام جنبا لا يمس ماء ومهما عاد الى فراشه فليمسح وجه فراشه او لينفضه
فانه لا يدرى ما حدث بعده ولا ينبغى ان يحلق او يقلم او يستحد او يخرج الدم او يبين من نفسه جزوا وهو جنب اذ ترد اليه سائر
اجزائه فى الاخرة فيعود جنبا ويقال ان كل شعرة تطالبه بجنابتها ومن الاداب ان لا يعزل بل يسرح الماء الى محل الحرث وهو الرحم
فانه ما من نسمة قدر الله كونها الا وهى كائنة هكذا قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم فان عزل فقد اختلف العلماء فى اباحته
وكراهته على اربعة مذاهب فمن مبيح مطلقا بكل حال ومن محرم بكل حال ومن قائل يحل برضاها ولا يحل دون رضاها فكان
هذا القائل يحرم الايذاء دون العزل ومن قائل يباح فى المملوكة دون الحرة والصحيح عندنا ان ذلك مباح واما الكراهية فانها
تطلق لنهى التحريم ولنهى التنزيه ولترك الفضيلة فهو مكروه بالمعنى الثالث اى فيه ترك فضيلة كما يقال يكره للقاعد فى المسجد
ان يقعد فارغا لا يشتغل بذكر او صلوة وللحاضر فى مكة مقيما بها ان لا يحج كل سنة والمراد بهذه الكراهة ترك الاولى والفضيلة
فقط وهذا ثابت لما بيناه من الفضيلة فى الولد ولما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان الرجل ليجامع اهله فيكتب له
من جماعه اجر ولد ذكر قاتل فى سبيل الله فقتل وانما قال ذلك لانه لو ولد له مثل هذا الولد لكان له اجر التسبب اليه مع ان الله خالقه
ومحييه ومقويه على الجهاد والذى اليه من التسبب فقد فعله وهو الوقاع وذلك عند الامناء فى الرحم وانما قلنا لا كراهية
بمعنى التحريم والتنزيه لان اثبات النهى انما يمكن بنص او قياس على منصوص ولا نص ولا اصل يقاس عليه بل ههنا اصل يقاس عليه وهو
ترك النكاح اصلا او ترك الجماع بعد النكاح او ترك الانزال بعد الايلاج فكل ذلك ترك للافضل وليس بارتكاب لنهى ولا فرق
اذ الولد يتكون بوقوع النطفة فى الرحم وله اربعة اسباب النكاح ثم الوقاع ثم الصبر الى الانزال ثم الوقوف لينصب المنى فى
الرحم وبعض هذه الاسباب اقرب من بعض فالامتناع عن الرابع كالامتناع عن الثالث وكذلك الثالث كالثانى والثانى كالاول وليس
هذا كالاستجهاض والوأد لان ذلك جناية على موجود حاصل وله ايضا مراتب واول مراتب الوجود ان تقع النطفة فى الرحم وتختلط
بماء المراة فتستعد لقبول الحيوة فافساد ذلك جناية فان صارت مضغة وعلقة كانت الجناية افحش فان نفخ فيه الروح واستوت
الخلقة ازدادت الجناية تفاحشا ومنتهى التفاحش فى الجناية بعد الانفصال حيا وانما قلنا مبدأ الوجود من حيث الوقوع فى الرحم
لا من حيث الخروج من الاحليل لان الولد لا يخلق من مني الرجل وحده بل من الزوجين جميعا اما من مائه ومائها او من مائه ودم الحيض قال
بعض اهل التشريح ان المضغة تخلق بتقدير الله من دم الحيض وان الدم منها كاللبن من الرائب وكيف
ما كان فماء المراة ركن فى الانعقاد فيجرى الماآن مجرى الايجاب والقبول فى الوجود الحكمى فى العقود فمن اوجب ثم رجع عن القبول لا يكون
جانيا على العقد بالنقض والفسخ ومهما اجتمع الايجاب والقبول كان الرجوع بعده رفعا وفسخا وقطعا وكما ان النطفة فى الفقار لا

لا يخلق منها منها الولد فكذا بعد الخروج من الاحليل ما لم يمتزج بماء المرأة ودمها فهذا هو القياس الجلي فان قلت
فان لم يكن العزل مكروها من حيث انه دفع لوجود الولد فلا يبعد ان يكره لاجل النية الباعثة عليه اذ لا يبعث عليه الا نية فاسدة
فيها شيء من شوائب الشرك الخفي فاقول النيات الباعثة على العزل خمسة الاولى في السراري وهو حفظ الملك من الهلاك
باستحقاق العتاق وقصد استبقاء الملك بترك الاعتاق ودفع اسبابه وليس بمنهي عنه الثانية استبقاء جمال المرأة و
سمنها لدوام التمتع واستبقاء حياتها خوفا من خطر الطلق وهذا ايضا ليس منهيا عنه الثالثة الخوف من كثرة الحرج بسبب كثرة الاولاد
والاحتراز من الحاجة الى التعب في الكسب ودخول مداخل السوء وهذا ايضا غير منهي عنه فان قلة الحرج معين على الدين نعم الكمال
والفضل في التوكل والثقة بضمان الله حيث قال وما من دابة الا على الله رزقها فلا جرم فيه سقوط عن ذروة الكمال وترك الافضل
لكن النظر الى العواقب وحفظ المال وادخاره مع كونه مناقضا للتوكل لا نقول انه منهي عنه الرابعة الخوف من الاولاد الاناث لما
يعتقدون في تزويجهن من المعرة كما كانت عادة العرب في قتلهم الاناث فهذه نية فاسدة لو ترك بسببها اصل النكاح او اصل
الوقاع اثم بها لا بترك النكاح والوطء فكذا في العزل والفساد في اعتقاد المعرة في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وينزل
منزلة امرأة تركت النكاح استنكافا من ان يعلوها رجل وكانت تتشبه بالرجال فلا ترجع الكراهية الى عين ترك النكاح الخامسة
ان تمتنع المرأة لتعززها ومبالغتها في النظافة والتحرز من الطلق والنفاس والرضاع وكان ذلك عادة نساء الخوارج لمبالغتهن
في استعمال المياه حتى كن يقضين صلوات ايام الحيض ولا يدخلن الخلاء الا عراة فهذه بدعة تخالف السنة فهي نية فاسدة واستأذنت
واحدة منهن على عائشة رضي الله عنها لما قدمت البصرة فلم تأذن لها فيكون القصد هو الفاسد دون منع الولادة فان قلت
فقد قال عليه السلام من ترك النكاح مخافة العيال فليس منا قلنا فالعزل كترك النكاح وقوله ليس منا اي ليس موافقا لنا على
سنتنا وطريقتنا وسنتنا فعل الافضل فان قلت فقد قال صلى الله عليه وسلم في العزل ذلك الوأد الخفي وقرأ واذا الموءودة سئلت
وهذا في الصحيح قلنا وفي الصحيح ايضا اخبار صحيحة في الاباحة وقوله الوأد الخفي كقوله في الشرك الخفي وذلك يوجب
كراهية لا تحريما فان قلت فقد قال ابن عباس العزل هو الوأد الاصغر وانما الوجود الممنوع وجودها به هي الموءودة الصغرى
قلنا هذا قياس منه لدفع الوجود على قطعه وهو قياس ضعيف ولهذا انكره عليه علي رضي الله عنه لما سمع وقال لا تكون
موءودة الا بعد سبع اي بعد سبعة اطوار وتلا الآية الواردة في اطوار الخلقة وهو قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان
من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين الى قوله ثم انشأناه خلقا آخر اي نفخنا فيه الروح ثم تلا قوله في الآية الاخرى
واذا الموءودة سئلت واذا نظرت الى ما قدمناه في طريق القياس والاعتبار ظهر لك تفاوت منصب علي وابن عباس رضي الله عنهم
في الغوص على المعاني ودرك العلوم كيف ومن المتفق عليه في الصحيحين عن جابر رضي الله عنه قال كنا نعزل على عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم والقرآن ينزل وفي لفظ آخر كنا نعزل فبلغ ذلك نبي الله صلى الله عليه وسلم فلم ينهنا وفيه ايضا عن جابر
رضي الله عنه انه قال اتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان لي جارية وهي خادمنا وسانيتنا في النخل وانا اطوف عليها واكره
ان تحمل فقال عليه السلام اعزل عنها ان شئت فانه سيأتيها ما قدر لها فلبث الرجل ثم اتاه فقال ان الجارية قد حملت فقال قد اخبرتكم
انه سيأتيها ما قدر لها وهذا كله في الصحيحين ه الحادي عشر في آداب الولادة وهي خمسة الاول ان لا يكثر فرحه
بالذكر وحزنه بالانثى فانه لا يدري ان الخيرة له في ايهما فكم من صاحب ابن يتمنى ان لا يكون له او يكون له ابنة بل السلامة منهن
اكثر والثواب فيهن اجزل قال صلى الله عليه وسلم من كان له ابنة فأدبها فأحسن ادبها وغذاها فاحسن غذاءها واسبغ عليها من

من النعمة التي اسبغ الله عليه كانت له ميمنة وميسرة من النار الى الجنة وقال ابن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من كان له ابنتان او اختان فاحسن اليهما ما صحبتاه كنت انا وهو في الجنة كهاتين وقال انس رضي الله عنه
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خرج الى سوق من اسواق المسلمين فاشترى شيئا فحمله الى بيته فخص به الاناث دون
الذكور نظر الله اليه ومن نظر الله اليه لم يعذبه وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حمل طرفة من السوق
الى عياله فكأنما حمل اليهم صدقة حتى يضعها فيهم وليبدأ بالاناث قبل الذكور فانه من فرح انثى فكأنما بكى من خشية
الله ومن بكى من خشية الله حرم الله بدنه على النار وروى ابو بكر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من كان له
ثلاث بنات او اخوات فصبر على لأوائهن وضرائهن وسرائهن ادخله الله الجنة بفضل رحمته اياهن فقال رجل واثنتان يا رسول الله
قال واثنتان فقال رجل او واحدة فقال او واحدة الادب الثاني ان يؤذن في اذن المولود روى رافع عن ابيه قال
رأيت النبي صلى الله عليه وسلم اذن في اذن الحسن حين ولدته فاطمة رضي الله عنها وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
من ولد له مولود فأذن في اذنه اليمنى واقام في اذنه اليسرى رفعت عنه ام الصبيان ويستحب ان يلقن الصبي اول
انطلاق لسانه لا اله الا الله ليكون ذلك اول حديثه والختان في اليوم السابع ورد فيه الخبر ه الادب الثالث
ان يسميه باسم حسن فذلك من حق الولد وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سميتم فعبدوا وقال عليه السلام احب الاسماء
الى الله عبد الله وعبد الرحمن وقال عليه السلام سموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي قال العلماء كان ذلك في عصره اذ كان ينادى يا ابا القاسم
واما الآن فلا بأس نعم لا يجمع بين اسمه وكنيته فقد قال صلى الله عليه وسلم لا تجمعوا بين اسمي وكنيتي وقيل ان هذا ايضا كان
في حياته وسمى رجل ابا عيسى فقال عليه السلام ان عيسى لا اب له فكره ذلك والسقط ينبغي ان يسمى قال عبد الرحمن بن زيد بن معونة
بلغني ان السقط يوم القيمة وراء ابيه فيقول انت ضيعتني وتركتني لا اسم لي فقال عمر بن عبد العزيز وكيف وهو لا يدري انه غلام او جارية فقال
عبد الرحمن من الاسماء ما يجمعهما مثل حمزة وعمارة وطلحة وعتبة وقال صلى الله عليه وسلم انكم تدعون يوم القيمة باسمائكم
واسماء آبائكم فأحسنوا اسماءكم ومن كان له اسم يكره يستحب تبديله بدل رسول الله صلى الله عليه وسلم اسم العاص بعبد الله وقال صلى
الله عليه وسلم لا تجمعوا بين اسمي وكنيتي وقيل ان هذا ايضا كان في حياتي وقال صلى الله عليه وسلم لزينب وكان اسمها برة تزكي
نفسها فسماها زينب وقد ورد نهي في تسمية افلح ويسار ونافع وبركة لانه يقال اثم بركة فيقال لا ه الادب الرابع
العقيقة عن الذكر بشاتين وعن الانثى بشاة ولا بأس بالشاة ان تكون ذكرا او انثى روت عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم امر في الغلام بشاتين مكافئتين وفي الجارية بشاة وروي انه عليه السلام عق عن الحسن بشاة وهذا رخصة في الاقتصار
على واحدة وقال صلى الله عليه وسلم مع الغلام عقيقة فاهريقوا عنه دما واميطوا عنه الاذى ومن السنة ان يتصدق بوزن
شعره ذهبا او فضة فقد ورد في الخبر روي انه عليه السلام امر فاطمة رضي الله عنها لا يكسر للعقيقة عظم ه الادب الخامس
ان يحنكه بتمرة او حلاوة روي عن اسماء بنت ابي بكر رضي الله عنهما انها قالت ولدت عبد الله بن الزبير بقباء ثم اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فوضعته في حجره ثم دعا بتمرة فمضغها ثم تفل في فيه فكان اول شيء دخل في جوفه ريق رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم حنكه بتمرة ثم دعا
له وبرك عليه وكان اول مولود ولد في الاسلام ففرحوا به فرحا شديدا لانه قيل لهم ان اليهود قد سحرتكم فلا يولد لكم ه الثاني
عشر في الطلاق وليعلم انه مباح ولكنه ابغض المباحات الى الله تعالى وانما يكون مباحا اذا لم يكن فيه ايذاء بالباطل ومهما طلقها
فقد آذاها ولا يباح ايذاء الغير الا بجناية من جانبها او بضرورة من جانبه قال الله تعالى فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا

اي لا تطلبوا حيلة الفراق وان كرهها ابوه فطلقها قال ابن عمر رضي الله عنهما كانت تحتي امراة احبها وكان ابي يكرهها و
يامرني بطلاقها فراجعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن عمر طلق امراتك فهذا يدل على ان حق الوالد مقدم ولكن والد
يكرهها لا لغرض فاسد مثل عمر رضي الله عنه ومهما اذت زوجها وبذت على اهله فهي جانية وكذلك مهما كانت سيئة الخلق
او فاسدة الدين قال ابن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى ولا يخرجن الا ان ياتين بفاحشة مبينة مهما بذت على زوجها و
آذته فهو فاحشة وهذا اريد به في العدة ولكنه تنبيه على المقصود وان كان الاذى من الزوج فلها ان تفتدي ببذل مال ويكره
للرجل ان ياخذ اكثر مما اعطى فان ذلك اجحاف بها وتحامل عليها وتجارة على البضع قال تعالى فلا جناح عليهما فيما افتدت
به فرد ما اخذته فما دونه لائق بالفداء فان سالت الطلاق بغير ما باس فهي آثمة قال رسول الله عليه السلام ايما امراة سالت زوجها طلاقها
من غير ما باس لم ترح رائحة الجنة وفي لفظ آخر فالجنة عليها حرام وقال عليه السلام المختلعات هن المنافقات ثم ليراع الزوج في
الطلاق اربعة امور الاول ان يطلقها في طهر لم يجامعها فيه فان الطلاق في الحيض والطهر الذي جامعها فيه بدعي حرام وان
كان واقعا لما فيه من تطويل العدة عليها فان فعل ذلك فليراجعها طلق ابن عمر رضي الله عنهما زوجته في الحيض فقال رسول الله صلعم
مره فليراجعها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم ان شاء طلقها وان شاء امسكها فتلك العدة التي امر الله ان يطلق لها النساء وانما امره بالصبر
بعد الرجعة في طهرين لئلا يكون مقصود الرجعة الطلاق فقط الثاني ان يقتصر على طلقة واحدة فلا يجمع بين الثلاث لان الطلقة
الواحدة بعد الدخول يفيد المقصود ويستفيد بها الرجعة ان ندم في العدة وتجديد النكاح ان اراد بعد العدة واذا طلق ثلثا
ربما ندم فيحتاج الى ان يتزوجها محلل او الى الصبر مدة وعقد المحلل منهي عنه ويكون هو الساعي فيه ثم يكون قلبه معلقا بزوجة
الغير وتطليقه اياها اعني زوجة المحلل بعد ان زوجت منه ثم يورث ذلك نفرة من الزوجة وكل ذلك ثمرة الجمع وفي الواحدة
كفاية في المقصود من غير محذور ولست اقول الجمع حرام ولكنه مكروه بهذه المعاني واعني بالكراهية تركه النظر لنفسه الثالث
ان يتلطف في التعلل بتطليقها من غير تعنيف واستخفاف وتطييب قلبها بهدية على سبيل الامتاع والجبر لما فجعها به من اذى الفراق
قال تعالى ومتعوهن وذلك واجب مهما لم يسم لها مهر في النكاح كان الحسن بن علي رضي الله عنهما منكاحا مطلاقا ووجه ذات
يوم بعض اصحابه بطلاق امراتين من نسائه وقال قل لهما اعتدا وامره ان يدفع الى كل واحدة عشرة آلاف درهم ففعل فلما رجع
اليه قال ماذا فعلتا فقال اما احداهما فنكست راسها وتنكست واما الاخرى فبكت وانتحبت وسمعتها تقول
متاع قليل من حبيب مفارق فاطرق الحسن وترحم لها وقال لو كنت مراجعا امراة بعد ما فارقتها لراجعتها ودخل الحسن
رضي الله عنه على رجل وهو عبد الرحمن بن الحرث بن هشام فقيه المدينة ورئيسها ولم يكن له نظير بالمدينة وبه ضربت المثل
عائشة رضي الله عنها حيث قالت لو لم اسر مسيري ذلك لكان احب الي من ان يكون لي ستة عشر ذكرا من رسول الله صلى الله عليه وسلم
مثل عبد الرحمن بن الحرث فدخل عليه في بيته فعظمه عبد الرحمن واجلسه في مجلسه فقال الا ارسلت الي فكنت اجيئك فقال الحاجة
لنا فقال وما هي قال جئتك خاطبا ابنتك فاطرق عبد الرحمن ثم رفع راسه وقال والله ما على وجه الارض احد يمشي عليها
اعز علي منك ولكنك تعلم ان ابنتي بضعة مني يسوءني ما ساءها ويسرني ما سرها وانت مطلاق فاخاف ان تطلقها وان فعلت
خشيت ان يتغير قلبي في محبتك واكره ان يتغير قلبي عليك لانك بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فان شرطت ان لا تطلقها
زوجتك فسكت الحسن رضي الله عنه وقام وخرج فقال بعض اهل بيته سمعته وهو يمشي يقول ما اراد عبد الرحمن الا ان يجعل
ابنته طوقا في عنقي وكان علي رضي الله عنه يضجر من كثرة تطليقه فكان يعتذر منه على المنبر ويقول في خطبته ان حسنا مطلاق فلا

تنكحوه حتى قام رجل من همدان فقال والله يا امير المؤمنين لننكحنه ما شاء فان احب امسك وان شاء ترك فسر ذلك عليا
فقال ولو كنت بوابا على باب جنة * لقلت لهمدان ادخلوا بسلام * وهذا تنبيه على ان من طعن في حبيبه من اهل وولد
لنوع حياء فلا ينبغي ان يوافق عليه فهذه الموافقة قبيحة بل الادب المخالفة ما امكن فان ذلك اسر لقلبه واوفق لباطن رايه و
القصد من هذا بيان ان الطلاق مباح وقد وعد الله تعالى الغنى في الفراق والنكاح جميعا فقال يغنهم الله من فضله وقال وان يتفرقا
يغن الله كلا من سعته الرابع ان لا يفشي سرها لا في النكاح ولا في الطلاق فقد ورد في افشاء سر النكاح في الخبر الصحيح وعيد عظيم
ويروى عن بعض الصالحين انه اراد طلاق امراة فقيل له ما الذي يريبك منها فقال العاقل لا يهتك ستر امراته فلما طلقها قيل له
لم طلقتها فقال ما لي وللمراة غيري فهذا بيان ما على الزوج **القسم الثاني** من هذا الباب النظر في حقوق الزوج عليها
والقول الشافي فيه ان النكاح نوع رق فهي رقيقة له فعليها طاعة الزوج مطلقا في كل ما طلب منها في نفسها مما لا معصية فيه وقد
ورد في تعظيم حق الزوج عليها اخبار كثيرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايما امراة ماتت وزوجها عنها راض
دخلت الجنة وكان رجل قد خرج الى سفر وعهد الى امراته ان لا تنزل من العلو الى السفل وكان ابوها في السفل فمرض فارسلت المراة الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم تستاذن في النزول الى ابيها فقال صلى الله عليه وسلم اطيعي زوجك فمات فاستامرته فقال
اطيعي زوجك فدفن ابوها فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم اليها يخبرها ان الله تعالى قد غفر لابيها بطاعتها لزوجها
وقال صلى الله عليه وسلم اذا صلت المراة خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها واطاعت زوجها دخلت جنة ربها فاضاف
طاعة الزوج الى مباني الاسلام وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء فقال حاملات والدات مرضعات رحيمات باولادهن
لولا ما ياتين الى ازواجهن دخل مصلياتهن الجنة وقال صلى الله عليه وسلم اطلعت في النار فاذا اكثر اهلها النساء فقلن لم يا رسول الله
قال يكثرن اللعن ويكفرن العشير يعني الزوج المعاشر وفي خبر آخر اطلعت في الجنة فاذا اقل اهلها النساء فقلت اين النساء
فقيل شغلهن الاحمران الذهب والزعفران يعني الحلي ومصبغات الثياب وقالت عائشة رضي الله عنها اتت فتاة الى النبي صلى
الله عليه وسلم فقالت يا نبي الله اني فتاة اخطب واني اكره التزويج فما حق الزوج على المراة فقال لو كان من فرقه الى قدمه
صديد فلحسته ما ادت شكره فقالت فلا اتزوج قال بلى تزوجي فانه خير وقال ابن عباس رضي الله عنه اتت امراة
من خثعم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت اني امراة ايم واريد ان اتزوج فما حق الزوج قال ان من حق الزوج على الزوجة
اذا ارادها على نفسها وهي على ظهر بعير لا تمنعه ومن حقه ان لا تعطي شيئا من بيته الا باذنه فان فعلت ذلك كان الوزر عليها
والاجر له ومن حقه ان لا تصوم تطوعا الا باذنه فان فعلت جاعت وعطشت ولم يتقبل منها ومن حقه ان لا تخرج من بيتها
الا باذنه فان فعلت لعنتها الملائكة حتى ترجع الى بيتها او تتوب وقال صلى الله عليه وسلم اقرب ما تكون المراة من وجه ربها
اذا كانت في قعر بيتها فان صلوتها في صحن دارها وصلوتها في مخدعها افضل من صلوتها في المسجد وصلوتها في بيتها افضل
والمخدع بيت في بيت وذلك للستر ولذلك قال عليه السلام المراة عورة فاذا خرجت استشرفها الشيطان وقال ايضا
للمراة عشر عورات فاذا تزوجت ستر الزوج عورة واحدة واذا ماتت ستر القبر العشر العورات وقال صلى الله عليه وسلم لو امرت
احدا ان يسجد لاحد لامرت المراة ان تسجد لزوجها من عظم حقه عليها والولد لابيه من عظم حقه عليه فحقوق الزوج
على الزوجة كثيرة واهمها امران احدهما الصيانة والستر والآخر ترك المطالبة بما وراء الحاجة والتعفف عن كسبه اذا كان حراما
وهكذا كانت عادة النساء في السلف كان الرجل اذا خرج من منزله تقول له امراته او ابنته اياك وكسب الحرام فانا نصبر

على الجوع والعري ولا نصبر على النار وتهم رجل من السلف بالسفر فكره جيرانه فقالوا لزوجته لم ترضين بسفره ولم يدع لك نفقة فقالت زوجي منذ عرفته اكالا وما عرفته رزاقا ولي رزاق يذهب الاكال ويبقى الرزاق وخطبت رابعة بنت اسمعيل احمد بن ابي الحواري فكره ذلك لما كان فيه من العبادة وقال لها والله ما لي همة في النساء لشغلي بحالي فقالت اني لاشغل بحالي منك وما لي شهوة ولكني ورثت مالا جزيلا من زوجي فاردت ان انفقه على اخوانك فاعرف بك الصالحين فيكون لي طريقا الى الله فقال حتى استاذن استاذي فرجع الى ابي سليمن الداراني قال وكان ينهاني عن التزوج ويقول ما تزوج احد من اصحابنا الا تغير فلما سمع قولها قال تزوج بها فانها ولية الله هذا كلام الصديقين قال فتزوجتها فكان في منزلها كر من جص ففني من غسل ايدي المستعجلين للخروج بعد الاكل فضلا عمن غسل بالاشنان قال وتزوجت عليها ثلث نسوة فكانت تطعمني الطيبات وتطيبني وتقول اذهب بنشاطك وقوتك الى ازواجك وكانت هذه تشبه في اهل الشام برابعة العدوية في البصرة ومن الواجبات عليها ان لا يفرط في ماله بل تحفظه عليه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل لها ان تطعم من بيته الا باذنه الا الرطب من الطعام الذي يخاف فساده فان اطعمت عن رضاه كانت له مثل اجره وان اطعمت بغير اذنه كان له الاجر وعليها الوزر ومن حقوقها على الوالدين تعليمها حسن المعيشة وآداب العشرة مع الزوج كما روي ان اسماء بنت خارجة الفزاري قالت لابنتها عند التزوج انك خرجت من العش الذي درجت وصرت الى فراش لا تعرفيه وقرين لم تالفيه فكوني له ارضا يكن لك سماء وكوني له مهادا يكن لك عمادا وكوني له امة يكن لك عبدا لا تلحقي به فيقلاك ولا تباعدي عنه فينساك ان دنا فاقربي منه وان نأى فابعدي عنه واحفظي انفه وسمعه وعينه لا يشم منك الا طيبا ولا يسمع منك الا حسنا ولا ينظر الا جميلا وقال رجل لزوجته شعر

خذي العفو مني تستديمي مودتي ۞ ولا تنطقي في سورتي حين اغضب ۞ ولا تنقريني نقرة الدف مرة ۞ فانك لا تدرين كيف المغيب ۞ واني رايت الحب في القلب والاذى ۞ اذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب ۞

والقول الجامع في آداب المراة من غير تطويل ان تكون قاعدة في قعر بيتها لازمة لمغزلها لا تكثر صعودها واطلاعها قليلة الكلام لجيرانها لا تدخل عليهم الا في حال يوجب الدخول تحفظ بعلها في غيبته وحضرته وتطلب مسرته في جميع امورها ولا تخونه في نفسها وماله لا تخرج من بيتها وان خرجت باذنه مختفية في هيئة رثة تطلب المواضع الخالية دون الشوارع والاسواق محترزة من ان يسمع غريب صوتها او يعرفها بشخصها لا يتعرف بصديق بعلها في حاجتها بل تتنكر على من تظن انه يعرفها همتها اصلاح شانها وتدبير بيتها مقبلة على صلاتها وصيامها واذا استاذن صديق لبعلها على الباب وليس البعل حاضرا لم تستفهمه ولم تعاوده في الكلام غيرة على نفسها وتكون قانعة من زوجها بما رزق الله وتقدم حقه على حق نفسها وحق سائر اقاربها متنظفة في نفسها مستعدة في الاحوال ليستمتع بها ان شاء مشفقة على اولادها حافظة للستر عليهم قصيرة اللسان عن سب الاولاد ومراجعة الزوج قال صلى الله عليه وسلم انا وامراة سفعاء الخدين كهاتين امراة آمت من زوجها وحبست نفسها على بناتها حتى بانوا او ماتوا وقال صلى الله عليه وسلم حرم الله على كل آدمي دخول الجنة قبلي غير اني انظر عن يميني فاذا امراة تبادرني الى باب الجنة فاقول ما هذه تبادرني فيقال لي يا محمد هذه امراة حسناء جميلة وكان عندها يتامى لها فصبرت عليهن حتى بلغ امرهن الذي بلغ فشكر الله لها ذلك ومن آدابها ان لا تتفاخر على الزوج بجمالها ولا تزدري زوجها لقبحه فقد روي ان الاصمعي قال دخلت البادية فاذا انا بامراة من احسن الناس وجها تحت رجل من اقبح الناس وجها فقلت لها اترضين لنفسك ان تكوني تحت مثله فقالت يا هذا اسكت اسات في قولك لعله احسن فيما بينه وبين خالقه فجعلني ثوابه ولعلي انا اسات فيما بيني وبين خالقي

فجعله عقوبتي افلا ارضى بما رضي الله لي فاسكتتني وقال الاصمعي رايت في البادية امراة عليها قميص احمر وهي مختضبة وبيدها سبحة فقلت ما ابعد هذا من هذا فقالت

ولله مني جانب لا اضيعه ۞ وللهو مني والبطالة جانب

ومن آداب المراة ملازمة الصلاح والانقباض في غيبة زوجها والرجوع الى اللهو والانبساط واسباب اللذة في حضور زوجها ولا ينبغي ان تؤذي زوجها بحال روي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تؤذي امراة زوجها في الدنيا الا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذيه قاتلك الله فانما هو عندك دخيل يوشك ان يفارقك الينا ومما يجب عليها من حقوق النكاح اذا مات عنها زوجها ان لا تحد عليه اكثر من اربعة اشهر وعشر وتجتنب الطيب والزينة في هذه المدة قالت زينب بنت ابي سلمة دخلت على ام حبيبة زوجة النبي صلى الله عليه وسلم توفي ابوها ابو سفين بن حرب فدعت بطيب فيه صفرة خلوق او غيره فدهنت به جارية ثم مست بعارضيها ثم قالت والله ما لي بالطيب من حاجة غير اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يحل لامراة تؤمن بالله واليوم الآخر ان تحد على ميت اكثر من ثلاثة ايام الا على زوج اربعة اشهر وعشرا ويلزمها لزوم المسكن الى آخر العدة وليس لها الانتقال الى اهلها ولا الخروج الا لضرورة ومن آدابها ان تقوم بكل خدمة في الدار تقدر عليها روي عن اسماء بنت الصديق رضي الله عنهما انها قالت تزوجني الزبير وما له في الارض من مال ولا مملوك ولا شيء غير فرسه وناضحه فكنت اعلف فرسه واكفيه مؤنته واسوسه وادق النوى لناضحه واعلفه واستقي الماء واخرز غربه واعجن وكنت انقل النوى على راسي من ثلثي فرسخ حتى ارسل الي ابو بكر بجارية فكفتني سياسة الفرس فكانما اعتقني ولقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخ اخ لينيخ ناقته ويحملني خلفه فاستحييت ان اسير مع الرجال وذكرت الزبير وغيرته وكان اغير الناس فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم اني قد استحييت فجئت الزبير فحكيت ما جرى فقال والله لحملك النوى على راسك اشد علي من ركوبك معه والله اعلم تم الكتاب الثاني من ربع العادات وهو كتاب النكاح رزقنا الله النجاح والفلاح ويتلوه الكتاب الثالث منه وهو كتاب آداب الكسب والمعاش والحمد لله اولا واخرا وظاهرا وباطنا وصلى الله وسلم وبارك على نبيه ورسوله وعبده محمد العربي الذي لا نبي من بعده

تم

الكتاب الثاني من ربع العادات وهو كتاب آداب الكسب والمعاش

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

نحمد الله حمد موحد يمحق في توحيده ما سوى الواحد الحق ويتلاشى ونمجده تمجيد من يصرح بان كل شيء ما سوى الله باطل ولا يتحاشى وان كل من في السموات والارض لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له ولا فراشا ونشكره اذ رفع السماء لعباده سقفا مبنيا ومهد لهم الارض بساطا وفراشا وكور الليل على النهار فجعل الليل لباسا وجعل النهار معاشا لينتشروا في ابتغاء فضله وينتعشوا عن ضرعة الحاجات انتعاشا ونصلي على رسوله الذي يصدر المؤمنون عن حوضه رواء بعد وروده عليه عطاشا وعلى آله واصحابه الذين لم يدعوا في نصرة دينه تشمرا وانكماشا وسلم تسليما كثيرا اما بعد

فان رب الارباب ومسبب الاسباب جعل الآخرة دار الثواب والعقاب والدنيا دار التمحل والاضطراب والتشمر والاكتساب وليس التشمر في الدنيا مقصورا على المعاد دون المعاش بل المعاش ذريعة الى المعاد ومعين عليه فالدنيا مزرعة الآخرة ومدرجة اليها والناس ثلاثة رجل شغله معاشه عن معاده فهو من الهالكين ورجل شغله معاده عن معاشه فهو من الفائزين والاقرب الى الاعتدال هو الثالث الذي شغله معاشه لمعاده وهو من المقتصدين ولن ينال رتبة الاقتصاد من لم يلازم في طلب المعيشة منهج السداد ولن ينتهض طلب الدنيا وسيلة الى الآخرة وذريعة ما لم يتأدب في طلبها بآداب الشريعة وها نحن نورد آداب التجارات والصناعات وضروب الاكتسابات وسننها ونشرحها في خمسة ابواب

الباب الاول في فضل الكسب والحث عليه الباب الثاني في علم صحيح البيع والشرى والمعاملات الباب الثالث في بيان العدل في المعاملات الباب الرابع في بيان الاحسان فيه الباب الخامس في شفقة التاجر على دينه

الباب الاول في فضل الكسب والحث عليه

اما من الكتاب فقوله تعالى وجعلنا النهار معاشا فذكره في معرض الامتنان وقال تعالى وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون فجعلها نعمة وطلب الشكر عليها وقال تعالى ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم وقال تعالى وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله وقال تعالى فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله

واما الاخبار فقد قال صلى الله عليه وسلم من الذنوب ذنوب لا يكفرها الا الهم بطلب المعيشة وقال التاجر الصدوق يحشر يوم القيمة مع الصديقين والشهداء وقال صلى الله عليه وسلم من طلب الدنيا حلالا تعففا عن المسئلة وسعيا على عياله وتعطفا على جاره لقى الله عز وجل ووجهه كالقمر ليلة البدر وكان صلى الله عليه وسلم جالسا مع اصحابه ذات يوم فنظروا الى شاب ذي جلدة وقوة وقد بكر يسعى فقالوا ويح هذا لو كان شبابه وجلده في سبيل الله فقال صلى الله عليه وسلم لا تقولوا هذا فانه ان كان يسعى على نفسه ليكفها عن المسئلة ويغنيها عن الناس فهو في سبيل الله وان كان يسعى على ابوين ضعيفين او ذرية ضعاف ليغنيهم ويكفيهم فهو في سبيل الله وان كان يسعى تفاخرا وتكاثرا فهو في سبيل الشيطان وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يحب العبد يتخذ المهنة ليستغني بها عن الناس ويبغض العبد يتعلم العلم يتخذه مهنة وفي الخبر ان الله تعالى يحب المؤمن المحترف وقال صلى الله عليه وسلم احل ما اكل الرجل من كسبه وكل بيع مبرور وفي خبر آخر احل ما اكل العبد من كسب يد الصانع اذا نصح وقال صلى الله عليه وسلم عليكم بالتجارة فان فيها تسعة اعشار الرزق وروي ان عيسى صلوات الله عليه راى رجلا فقال ما تصنع فقال اتعبد قال من يعولك قال اخي قال اخوك اعبد منك وقال صلى الله عليه وسلم اني لا اعلم شيئا يقربكم من الجنة ويبعدكم من النار الا امرتكم به ولا اعلم شيئا يبعدكم من الجنة ويقربكم من النار الا نهيتكم عنه وان الروح الامين نفث في روعي ان نفسا لن تموت حتى تستوفي رزقها وان ابطأ عنها فاتقوا الله واجملوا في الطلب امر بالاجمال في الطلب ولم يقل اتركوا الطلب ثم قال في الآخرة لا يحملنكم استبطاء شيء من الرزق على ان تطلبوه بمعصية الله عز وجل فان الله تعالى لا ينال ما عنده بمعصيته وقال صلى الله عليه وسلم الاسواق موائد الله تعالى فمن اتاها اصاب منها وقال صلى الله عليه وسلم لان ياخذ احدكم حبله فيحتطب على ظهره خير له من ان ياتي رجلا اعطاه الله من فضله فيساله اعطاه او منعه وقال صلى الله عليه وسلم من فتح على نفسه بابا من السؤال فتح الله عليه سبعين بابا من الفقر

واما الآثار فقد قال لقمان الحكيم لابنه يا بني استغن بالكسب الحلال عن الفقر فانه ما افتقر احد قط الا اصابه ثلاث خصال رقة في دينه وضعف في عقله وذهاب مروته واعظم من هذه الثلاث استخفاف الناس به وقال عمر رضي الله عنه لا يقعد احدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقني فقد علمتم ان السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة وكان زيد بن مسلمة يغرس في ارضه فقال له عمر اصبت استغن عن الناس يكن اصون لدينك واكرم لك عليهم كما قال صاحبكم احيحة شعر

فلن ازال على الزوراء اعمرها ... ان الكريم على الاخوان ذو المال

وقال ابن مسعود رضي الله عنه اني لاكره ان ارى الرجل فارغا لا في امر دنياه ولا في امر آخرته وسئل ابرهيم عن التاجر الصدوق اهو احب اليك او المتفرغ للعبادة قال التاجر الصدوق احب الي لانه في جهاد ياتيه الشيطان من طريق المكيال والميزان ومن قبل الاخذ والعطاء فيجاهده وخالفه الحسن البصري في هذا وقال عمر رضي الله عنه ما من موضع ياتيني الموت فيه احب الي من موطن اتسوق فيه لاهلي ابيع واشتري وقال الهيثم ربما يبلغني عن الرجل يقع فيّ فاذكر استغنائي عنه فيهون ذلك علي وقال ايوب كسب فيه شيء احب الي من سؤال الناس وجاءت ريح عاصفة في البحر فقال اهل السفينة لابرهيم بن ادهم ما ترى هذه الشدة فقال ليست هذه الشدة انما الشدة الحاجة الى الناس وقال ايوب قال لي ابو قلابة الزم السوق فان الغنى من العافية يعني الغنى من الناس وقيل لاحمد ما تقول فيمن جلس في بيته او مسجده وقال لا اعمل شيئا حتى ياتيني رزقي فقال احمد هذا رجل جهل العلم اما سمع قول النبي صلى الله عليه وسلم جعل رزقي تحت ظل رمحي وقوله صلى الله عليه وسلم حين ذكر الطير فقال تغدو خماصا وتروح بطانا فذكر انها تغدو في طلب الرزق وكان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتجرون في البر والبحر ويعملون في نخيلهم ثم قال والقدوة بهم وقال ابو قلابة لرجل لان اراك تطلب معاشك احب الي من ان اراك في زاوية المسجد وروي ان الاوزاعي لقي ابرهيم بن ادهم وعلى عنقه حزمة حطب فقال له يا ابا اسحق الى متى هذا اخوانك يكفونك هذا فقال دعني يا ابا عمرو فانه بلغني انه من وقف موقف مذلة في طلب الحلال وجبت له الجنة وقال ابو سليمان ليست العبادة عندنا ان تصف قدميك وغيرك يقوت لك ولكن ابدا برغيفيك فاحرزهما ثم تعبد وقال معاذ ... الشرع للسؤال والاتكال على كفاية الاغيار ومن ليس له مال موروث لا ينجيه عن ذلك الا الكسب والتجارة فان قلت فقد قال صلى الله عليه وسلم ما اوحي الي ان اجمع المال وكن من التاجرين ولكن اوحي الي ان سبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى ياتيك اليقين وقيل لسلمان الفارسي اوصنا

فقال من استطاع منكم ان يموت حاجًا او غازيًا او عامرًا لمسجد ربه فليفعل ولا يموتن تاجرًا ولا خائنًا الجواب ان وجه
الجمع بين هذه الاخبار تفصيل الاحوال فنقول لسنا نقول التجارة افضل مطلقًا من كل شيء ولكن التجارة اما ان تطلب
الكفاية او الثروة والزيادة على الكفاية فان طلب منها الزيادة على الكفاية لاستكثار المال وادخاره لا للصرف الى
الخيرات والصدقات فهي مذمومة لانه اقبال على الدنيا التي حبها راس كل خطيئة فان كان مع ذلك خائنًا فهو ظلم وفسق
وهذا ما اراده سلمان بقوله لا تاجرًا ولا خائنًا واراد بالتاجر فاما اذا طلب به الكفاية لنفسه واولاده وكان يقدر على كفايتهم
بالتجارة فالتجارة تعففًا عن السؤال افضل وان كان لا يحتاج الى السؤال وكان يعطى من غير سؤال فالكسب افضل لانه انما يعطى
لانه سائل بلسان حاله ومنادٍ بين الناس بفقره فالتعفف والتستر اولى من البطالة بل هو من الاشتغال بالعبادات البدنية
وترك الكسب افضل لاربعة عابد بالعبادات البدنية او رجل له سير بالباطن وعمل بالقلب في علوم الاحوال والمكاشفات
او عالم مشتغل بتربية علم الظاهر مما ينتفع به في دينهم كالمفتي والمفسر والمحدث وامثالهم ورجل مشتغل بمصالح المسلمين
كالسلطان والقاضي والشاهد فهؤلاء اذا كانوا يكفون من الاموال المرصدة للمصالح والاوقاف المسبلة على الفقراء والعلماء
فاقبالهم على ما هم فيه افضل من الاشتغال بالكسب ولهذا اوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان سبح بحمد ربك وكن من
الساجدين ولم يوح اليه ان يكون من التاجرين لانه كان جامعًا لهذه المعاني الاربعة الى زيادات لا يحيط بها الوصف ولهذا اشار
الصحابة الى ابي بكر رضي الله عنه بترك التجارة لما ولي الخلافة اذ كان ذلك يشغله عن المصالح وكان ياخذ كفايته عند ترك
الكسب من مال المصالح ورأى ذلك اولى ثم لما توفي اوصى برده الى بيت المال ولكنه رآه في الابتداء اولى ولهؤلاء الاربعة
حالتان احداهما ان تكون كفايتهم عند ترك الكسب من ايدي الناس وما يتصدق عليهم من زكاة او صدقة من غير حاجة الى
سؤال فترك الكسب والاشتغال بما هم فيه اولى اذ فيه اعانة للناس على الخيرات وقبول منهم لما هو حق عليهم وافضل لهم الحالة
الثانية الحاجة الى السؤال وهذا في محل النظر والتشديدات التي رويناها في السؤال وذمه يدل ظاهرًا على ان التعفف عن
السؤال اولى واطلاق القول فيه من غير ملاحظة الاحوال والاشخاص عسير بل هو موكول الى اجتهاد العبد ونظره لنفسه بل
يقابل ما يلقى في السؤال من المذلة وهتك المروءة والحاجة الى التثقيل والالحاح بما يحصل من اشتغاله بالعلم والعمل من
الفائدة له ولغيره فرب شخص تكثر فائدة الخلق وفائدته في اشتغاله بالعلم والعمل ويهون عليه بادنى تعرض في
السؤال تحصيل الكفاية وربما يكون بالعكس وربما يتقابل المطلوب والمحذور فينبغي ان يستفتي المريد نفسه وان افتاه المفتون
فان الفتاوى لا تحيط بتفاصيل الصور ودقائق الاحوال وقد كان في السلف من له ثلثمائة وستون صديقًا ينزل على كل واحد
في ليلة ومن له ثلاثون وكانوا يشتغلون بالعبادة لعلمهم بان المتكفلين بهم يتقلدون منه منة بقبولهم لمبراتهم فكان قبولهم لمبراتهم
خيرًا مضافًا الى عباداتهم فينبغي ان يدقق النظر في هذه الامور فان اجر الآخذ كاجر المعطي مهما كان الآخذ يستعين به على الدين
والمعطي يعطيه عن طيبة قلب ومن اطلع على هذه المعاني امكنه ان يتعرف حال نفسه ويستوضح من القلب ما هو الافضل له بالاضافة
الى حاله ووقته والله اعلم فهذه فضيلة الكسب وليكن العقد الذي به الاكتساب جامعًا لاربعة امور الصحة والعدل
والاحسان والشفقة على الدين ونحن نعقد في كل واحد بابًا ونذكر اولًا اسباب الصحة في الباب الثاني

الباب الثاني

في علم الكسب بطريق البيع والربا والسلم والاجارة والقراض والشركة وبيان شروط الشرع في صحة هذه التصرفات
التي هي مدار المكاسب في الشرع اعلم ان تحصيل هذا الباب واجب على كل مكتسب لان طلب العلم فريضة على كل مسلم وانما هو طلب العلم
المحتاج اليه والمكتسب محتاج الى علم الكسب ومهما حصل علم هذا الباب وقف على مفسدات المعاملة فيتقيها وما شذ عنه
من الفروع المشكلة فيقع على سبب اشكالها فيتوقف فيها الى ان يسأل فانه اذا لم يعلم اسباب الفساد بعلم جملي فلا يدري
متى يجب عليه التوقف والسؤال ولو قال لا اقدم العلم ولكني اصبر الى ان تقع الواقعة فعندها اتعلم واستفتي فيقال له وبم
تعلم وقوع الواقعة مهما لم تعلم جمل مفسدات العقود فانه يستمر في التصرفات ويظنها صحيحة مباحة فلا بد له من هذا القدر من
علم التجارة ليتميز له المباح عن المحظور وموضع الاشكال عن موضع الوضوح ولذلك روي عن عمر رضي الله عنه انه كان يطوف
في السوق ويضرب بعض التجار بالدرة ويقول لا يبيع في سوقنا الا من يفقه والا اكل الربا شاء ام ابى وعلم العقود لا ينفك المكاسب
عنها وهي البيع والربا والسلم والاجارة والشركة والقراض فلنشرح شروطها **العقد الاول** البيع وقد احله الله تعالى
وله ثلاثة اركان العاقد والمعقود عليه واللفظ **الركن الاول** في العاقد ينبغي للتاجر ان لا يعامل بالبيع اربعة الصبي والعبد
والمجنون والاعمى لان الصبي غير مكلف وكذا المجنون وبيعهما باطل فلا يصح بيع الصبي وان اذن فيه الولي عند الشافعي رضي
الله عنه وما اخذه منهما مضمون لهما وما سلمه في المعاملة فضاع في ايديهما فهو المضيع له واما العبد العاقل فلا يصح بيعه
وشراؤه الا باذن سيده فعلى البقال والقصاب والخباز وغيرهم ان لا يعاملوا العبيد ما لم ياذن لهم السيد في معاملتهم وذلك بان
يسمعه صريحًا او ينتشر في البلد انه مأذون في الشراء لسيده او البيع له فيعول على الاستفاضة او على قول عدل يخبره بذلك فان عامله
بغير اذن السيد فعقده باطل وما اخذه منه مضمون عليه لسيده واما الاعمى فانه يبيع ويشتري ما لا يرى فلا يصح فليأمره
بان يوكل وكيلًا بصيرًا ليشتري له او يبيع فيصح توكيله ويصح بيع وكيله فان عامله بنفسه فالمعاملة فاسدة وما اخذه منه مضمون
عليه بقيمته وما سلمه اليه مضمون بقيمته واما الكافر فتجوز معاملته ولكن لا يباع منه المصحف ولا العبد المسلم ولا يباع منه
السلاح ان كان من اهل الحرب فان فعل فهي معاملات مردودة وهو عاص بها لربه واما الجندي من الاتراك والتركمانية والعرب
والاكراد والسراق والخونة واكلة الربا والظلمة وكل من اكثر ماله حرام فلا ينبغي ان يتملك مما في ايديهم شيئًا لاجل انه حرام الا
اذا عرف بعينه انه حلال وسياتي تفصيل ذلك في كتاب الحلال والحرام **الركن الثاني** في المعقود عليه وهو المال المقصود نقله
من احد العاقدين الى الآخر ثمنًا كان او مثمنًا فيعتبر فيه ستة شروط الاول ان لا يكون نجسًا في عينه فلا يصح بيع الكلب
والخنزير ولا بيع زبل وعذرة ولا بيع العاج والاواني المتخذة منه فان العظم ينجس بالموت ولا يطهر الفيل بالذبح ولا يطهر
عظمه بالتذكية ولا يجوز بيع الودك النجس المستخرج من الحيوانات التي لا يؤكل وان كان يصلح للاستصباح وطلي السفن
ولا باس ببيع الدهن الطاهر في عينه الذي نجس بوقوع نجاسة او موت فارة فيه فانه يجوز الانتفاع به في غير الاكل وهو
في عينه ليس بنجس وكذلك لا ارى باسًا ببيع بزر القز فانه اصل حيوان ينتفع به وتشبيهه بالبيض وهو اصل حيوان
اولى من تشبيهه بالروث ويجوز بيع فارة المسك ويقضى بطهارتها اذا انفصلت من الظبي في حال الحياة الثاني
ان يكون منتفعًا به فلا يجوز بيع الحشرات والفار والحية ولا التفات الى انتفاع المشعوذ بالحية وكذلك انتفاع ارباب
الحلق في اخراجها من السلة وعرضها على الناس ويجوز بيع الهرة والنحل وبيع الاسد والفهد وما يصلح للصيد او ينتفع
بجلده الا الكلب والخنزير وما تولد منهما او من احدهما ويجوز بيع الفيل لاجل الحمل ويجوز بيع الطوطي وهي الببغاء والطيور
المليحة الصور وان كانت لا تؤكل فان التفرج باصواتها والنظر اليها غرض مقصود مباح وانما الكلب هو الذي لا يجوز ان يقتنى
اعجابًا بصورته لنهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه ولا يجوز بيع العود والصنج والمزامير والملاهي فلا منفعة لها شرعًا

وكذا بيع الصور المصنوعة من الطين كالحيوانات التي تباع في الأعياد للعب الصبيان فإن كسرها واجب شرعاً وصور الأشجار
يتسامح بها وأما الثياب والأطباق وعليها صور الحيوانات يصح بيعها وكذا الستور وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لعائشة رضي الله عنها اتخذي منها نمارق فلا يجوز استعمالها منصوبة ويجوز موضوعة وإذا جاز الانتفاع من وجه
صح البيع لذلك الوجه الثالث أن يكون المتصرف فيه مملوكاً للعاقد أو مأذوناً من جهة المالك فلا يجوز أن يشتري من
غير المالك انتظاراً للإذن من المالك بل لو رضي المالك بعد ذلك وجب استئناف العقد فلا ينبغي أن يشتري من الزوجة مال الزوج
ولا من الزوج مال الزوجة ولا من الولد مال الوالد ولا من الوالد مال الولد اعتماداً على أنه لو عرف لرضي به فإنه إذا لم يكن الرضا
متقدماً لم يصح البيع وأمثال ذلك مما يجري في الأسواق فواجب على العبد المتدين أن يحترز منه الرابع أن يكون المعقود عليه
مقدوراً على تسليمه شرعاً وحساً فما لا يقدر على تسليمه حساً لا يصح بيعه كالآبق والسمك في الماء والجنين في البطن وعسب الفحل
وكذلك بيع الصوف على ظهر الحيوان واللبن في الضرع لا يجوز فإنه يتعذر تسليمه لاختلاط غير المبيع بالمبيع والمعجوز عن تسليمه
شرعاً كالمرهون والموقوف والمستولدة فلا يصح بيعه أيضاً وكذا بيع الأم دون الولد إذا كان الولد صغيراً وكذا بيع الولد دون
الوالدة لأن تسليمه تفريق بينهما وهو حرام فلا يجوز التفريق بينهما بالبيع الخامس أن يكون المبيع معلوم العين والقدر والوصف
أما العلم بالعين فبأن يشير إليه بعينه فلو قال بعتك شاة من هذا القطيع أي شاة أردت أو ثوباً من هذه الثياب التي بين يديك
أو ذراعاً من هذا الكرباس وخذه من أي جانب شئت أو عشرة أذرع من هذه الأرض وخذها من أي طرف شئت فالبيع باطل
وكل ذلك مما يعتاده المتساهلون في الدين إلا أن يبيع شائعاً مثل أن يبيع نصف الشيء أو عشره فإن ذلك جائز وأما العلم بالمقدار
فإنما يحصل بالكيل والوزن والنظر إليه فلو قال بعتك هذا الثوب بما باع به فلان ثوبه وهما لا يعلمان ذلك فهو باطل ولو
قال بعتك هذه بزنة هذه الصنجة فهو باطل إذا لم تكن الصنجة معلومة ولو قال بعتك هذه الصبرة من الحنطة أو بعتك بهذه الصبرة
من الدراهم أو بهذه القطعة وهو يراها صح البيع وكان تخمينه بالنظر كافياً في معرفة مقدار المبيع وأما العلم بالوصف فيحصل
بالرؤية في الأعيان فلا يصح بيع الغائب إلا إذا سبقت رؤيته منذ مدة لا يغلب التغير فيها والوصف لا يقوم مقام العيان
هذا على أسد المذهبين فلا يجوز بيع الثوب في المنسوج اعتماداً على الرقوم ولا بيع الحنطة في سنبلها ويجوز بيع الأرز في قشرته
التي يدخر فيها وكذا بيع الجوز واللوز في القشرة السفلى ولا يجوز في القشرة العليا ولا يجوز بيع الذرة في القشرتين ويجوز بيع
الباقلي الرطب في قشرته للحاجة ويتسامح ببيع الفقاع بجريان عادة الأولين ولكن يجعله إباحة بعوض فلو اشتراه ليبيعه فالقياس
بطلانه لأنه ليس منشر الخلقة ولا يبعد أن يتسامح به إذ في إخراجه إفساد كالرمان وما يستتر بخلقته السادس أن يكون المبيع مقبوضاً
إن كان قد استفاد ملكه بمعاوضة وهذا شرط خاص وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيع ما لم يقبض ويستوي فيه العقار
والمنقول فكل ما اشتراه أو باعه قبل القبض فبيعه باطل وقبض المنقول بالنقل وقبض العقار بالتخلية وقبض ما ابتاعه بشرط الكيل
لا يتم إلا بأن يكتاله فأما بيع الميراث والوصية والوديعة وما لم يكن الملك حاصلاً فيه بمعاوضة فهو جائز قبل القبض
الركن الثالث لفظ العقد ولا بد من جريان إيجاب وقبول متصل به بلفظ دال على المقصود إما صريح أو كناية فلو قال
أعطيتك هذا بذاك بدل قوله بعتك وقال قبلت جاز مهما قصد به البيع فإنه يحتمل الإعارة إذا كان في الثوبين أو الدابتين والنية
تدفع الاحتمال والصريح أقطع للخصومة ولكن الكناية تفيد الملك والحل أيضاً فيما نختاره ولا ينبغي أن يقرن بالبيع شرط على
مقتضى العقد فلو شرط أن يزيد شيئاً آخر أو أن يحمل المبيع إلى داره أو اشترى الحطب بشرط النقل إلى بيته كل ذلك فاسد إلا

إلا إذا أفرد استئجاره على النقل بأجرة معلومة مفردة عن الشراء للمنقول ومهما لم يجر بينهما إلا المعاطاة بالفعل دون التلفظ
باللسان لم ينعقد البيع عند الشافعي رضي الله عنه وعند أبي حنيفة رضي الله عنه ينعقد إن كانت في المحقرات ثم ضبط المحقرات
عسير فإن رد الأمر إلى العادات فقد جاوز الناس المحقرات في المعاطاة بالفعل دون التلفظ إذ يتقدم الدلال إلى البزاز يأخذ
منه ثوب ديباج قيمته عشرة دنانير مثلاً ويحمله إلى المشتري ويعود إليه ويقول إنه ارتضاه فيقول له خذ عشرة فيأخذ من صاحبه
العشرة ويسلم إلى البزاز فيأخذه ويتصرف فيه ومشتري الثوب يقطعه ولم يجر بينهما إيجاب وقبول أصلاً وكذلك يجتمع المجهزون على حانوت البياع
فيعرض متاع قيمته مائة دينار مثلاً فيمن يزيد فيقول هذا علي بتسعين ويقول الآخر علي بخمسة وتسعين ويقول الآخر بمائة
فيقال له زن فيزن ويسلم ويأخذ المتاع من غير إيجاب وقبول فقد استمرت به العادات وهذه من المعضلات التي ليست تقبل
العلاج إذ الاحتمالات ثلاثة إما فتح باب المعاطاة مطلقاً في الحقير والنفيس وهو محال إذ فيه نقل الملك من غير لفظ دال عليه
وقد أحل الله البيع والبيع اسم للإيجاب والقبول ولم يجر ولا ينطلق اسم البيع على مجرد فعل بتسليم وتسلم فبماذا يحكم بانتقال
الملك من الجانبين لا سيما في الجواري والعقارات والدواب النفيسة وما يكثر التنازع فيها إذ للمسلم أن يرجع ويقول قد ندمت
وما بعته إذ لم يصدر مني إلا مجرد التسليم وذلك ليس ببيع الاحتمال الثاني أن نسد الباب كما قاله الشافعي رضي الله عنه وفيه
إشكال من وجهين أحدهما أنه يشبه أن يكون ذلك في المحقرات معتاداً في زمان الصحابة ولو كانوا يتكلفون بالإيجاب والقبول
مع البقال والخباز والقصاب لثقل عليهم فعله ولنقل ذلك نقلاً منتشراً ولكان يشتهر وقت الإعراض بالكلية عن تلك
العادة فإن الأعصار في مثل هذا تتقارب والثاني أن الناس الآن قد انهمكوا فيه فلا يشتري الإنسان شيئاً من الأطعمة
وغيرها إلا ويعلم أن البائع قد ملكه بالمعاطاة فأي فائدة في تلفظه بالعقد إذا كان الأمر كذلك الاحتمال الثالث
أن يفصل بين المحقرات وغيرها كما قاله أبو حنيفة وعند ذلك يعسر الضبط في المحقرات ويشكل نقل الملك من غير لفظ يدل عليه
وقد ذهب ابن سريج إلى تخريج قول للشافعي رضي الله عنه على وفقه وهو أقرب الاحتمالات إلى الاعتدال فلا بأس لو
ملنا إليه لمسيس الحاجات ولعموم ذلك بين الخلق ولما يغلب على الظن بأن ذلك كان معتاداً في الأعصار الأول فأما
الجواب عن الإشكالين فهو أن نقول أما الضبط في الفصل بين المحقرات وغيرها فليس علينا تكلفه بالتقدير فإن ذلك غير ممكن
بل له طرفان واضحان إذ لا يخفى أن شراء البقل وقليل من الفواكه والخبز واللحم من المعدود في المحقرات التي لا يعتاد فيه إلا
المعاطاة وطالب الإيجاب والقبول فيه يعد مستقصياً ويستبرد تكلفه لذلك ويستثقل وينسب إلى أنه يقيم الوزن لأمر حقير
لا وزن له فهذا طرف الحقارة والطرف الثاني الدواب والعبيد والعقارات والثياب النفيسة فذلك مما لا يستبعد
تكلف الإيجاب والقبول فيها وبينهما أوساط متشابهة نشك فيها هي في محل الشبهة فحق ذي الدين أن يميل فيها إلى الاحتياط
وجميع ضوابط الشرع فيما يعلم بالعادة كذلك ينقسم إلى أطراف واضحة وأوساط مشكلة وأما الثاني وهو طلب سبب لنقل
وهو أن يجعل الفعل باليد أخذاً وتسليماً سبباً إذ اللفظ لم يكن سبباً لعينه بل لدلالته وهذا الفعل قد دل على مقصود الملك دلالة
مستمرة في العادة وانضم إليه مسيس الحاجة وعادة الأولين واطراد العادات بقبول الهدايا من غير إيجاب وقبول مع التصرف فيها
وأي فرق بين أن يكون عوض أو لا يكون إذ الملك لا بد من نقله في الهبة أيضاً إلا أن العادة السالفة لم تفرق في الهدايا
بين الحقير والنفيس بل كان من يطلب الإيجاب والقبول يستقبح فيه كيف ما كان وفي البيع لم يستقبح في غير المحقرات هذا ما نراه
أعدل الاحتمالات وحق الورع المتدين أن لا يدع الإيجاب والقبول للخروج عن شبهة الخلاف ولا ينبغي أن يمتنع أن البائع

فقد تملكه بغير ايجاب وقبول فان ذلك لا يعرفه محققا فربما اشتراه بايجاب وقبول فان كان حاضرا عند شرائه او اقر البائع
به فليمتنع فيه من غيره فان كان الشيء محقرا وهو اليه محتاج فليتلفظ بالايجاب والقبول فانه يستفيد به قطع الخصومة
في المستقبل معه اذ الرجوع من اللفظ الصريح غير ممكن فان قلت ان امكن هذا فيما يشتريه فكيف يفعل اذا حضر في ضيافة او على
مائدة وهو يعلم ان اصحابها يقنعون بالمعاطاة في البيع والشراء او سمع منهم او رآه ايجب عليه الامتناع عن الاكل فاقول
يجب عليه الامتناع من الشراء اذا كان ذلك الذي اشتروه مقدارا نفيسا ولم يكن من المحقرات واما الاكل فلا يجب الامتناع
منه فاني اقول ان ترددنا في جعل الفعل دلالة على نقل الملك فلا ينبغي ان لا نجعله دليلا على الاباحة فان امر الاباحة اوسع
وامر نقل الملك اضيق فكل مطعوم جرى فيه معاطاة فتسليم البائع اذن في الاكل واذن في الاطعام لمن يريده المشتري
يعلم ذلك بقرينة الحال كاذن الحمامي في دخول الحمام والاذن البائع لمن يريده المشتري فهو بمنزلة ما لو قال ابحت لك ان
تاكل هذا الطعام او تطعم من اردت فانه يحل له ولو صرح وقال كل هذا الطعام ثم اغرم لي عوضه يحل الاكل ويلزمه الضمان بعد
الاكل هذا قياس الفقه عندي ولكنه بعد المعاطاة اكل ملكه ومتلف له فعليه الضمان وذلك في ذمته والثمن الذي سلمه
ان كان مثل قيمته فقد ظفر المستحق بمثل حقه فله ان يتملكه مهما عجز عن مطالبة من عليه وان كان قادرا على مطالبته فانه لا يتملك
ما ظفر به من ملكه لانه ربما لا يرضى بتلك العين ان يصرفها الى دينه فعليه المراجعة واما هاهنا فقد عرف رضاه بقرينة الحال
عند التسليم فلا يبعد ان يجعل الفعل دلالة على الرضى بان يستوفي دينه مما سلم اليه فيأخذه بحقه ولكن على الاحوال جانب البائع اغمض
لان ما اخذه فقد يريد الملك فيه ليتصرف ولا يمكنه التملك ثم يكون قد تملك بمجرد رضى استفاده من الفعل دون القول واما
جانب المشتري للطعام وهو لا يريد الا الاكل فهين فان ذلك يباح بالاباحة المفهومة من قرينة الحال ولكن ربما يلزم من سياق
هذا ان الضيف يضمن ما اتلفه وانما يسقط الضمان اذا تملك البائع ما اخذه من المشتري فيكون كالقاضي دينه والمتحمل عنه
فهذا ما نراه في قاعدة المعاطاة على غموضها والعلم عند الله وهذه احتمالات وظنون اوردناها ولا يمكن بناء الفتوى الا على
هذه الظنون واما الورع فانه ينبغي ان يستفتي قلبه ويتقي مواضع الشبهة **العقد الثاني** عقد الربوا وقد
حرمه الله تعالى وشدد الامر فيه ويجب الاحتراز منه على الصيارفة المتعاملين على النقدين وعلى المتعاملين على الاطعمة اذ
لا ربوا الا في نقد او طعام وعلى الصيرفي ان يحترز من النسيئة والفضل اما النسيئة فبان لا يبيع شيئا من جواهر النقدين بشيء من جواهر
النقدين الا يدا بيد وهو ان يجري التقابض في المجلس وهذا احتراز من النسيئة وتسليم الصيارفة الذهب الى دار الضرب وشرى
الدنانير المضروبة به حرام من حيث النساء ومن حيث ان الغالب انه يجري فيه تفاضل اذ لا يرد المضروب بمثل وزنه واما
الفضل فليحترز منه في ثلاثة امور في بيع المكسر بالصحيح فلا تجوز المعاطاة فيهما الا مع المماثلة وفي بيع الجيد بالردي فلا ينبغي ان يشتري
رديا بجيد دونه في الوزن او يبيع رديا بجيد فوقه في الوزن اعني اذا باع الذهب بالذهب والفضة بالفضة فان اختلف
الجنسان فلا حرج في الفضل والثالث في المركبات من الذهب والفضة بالدنانير المخلوطة من الذهب والفضة ان كان الذهب
مجهولا لم تصح المعاملة عليه اصلا الا اذا كان ذلك نقدا جاريا في البلد فانا نرخص في المعاملة عليه اذا لم يقابل بالنقد
وكذا الدراهم المغشوشة بالنحاس ان لم يكن رائجا في البلد لم تصح المعاملة عليه لان المقصود منه النقرة وهي مجهولة وان كان نقدا
جاريا في البلد رخصنا في المعاملة لاجل الحاجة وخروج النقرة عن ان يقصد استخراجها ولكن لا تقابل بالنقرة اصلا وكذلك
كل حلي مركب من ذهب وفضة فلا يجوز شراؤه لا بالذهب ولا بالفضة بل ينبغي ان يشتري بمتاع آخر ان كان قدر الذهب منه

منه معلوما الا اذا كان مموها بالذهب تمويها لا يحصل منه ذهب مقصود عند العرض على النار بالذهب ويجوز بالفضة
وغيرها ويجوز بيعها بمثلها من النقرة وبما اريد من غير النقرة وكذلك لا يجوز للصيرفي ان يشتري قلادة فيها خرز وذهب بذهب
ولا ان يبيعه بالفضة ان لم يكن لها فضة ولا يجوز شرى ثوب منسوج بذهب يحصل منه ذهب مقصود عند العرض على النار بالذهب
ويجوز بالفضة وغيرها واما المتعاملون على الاطعمة فعليهم التقابض في المجلس اختلف جنس الطعام المبيع والمشترى او لم
يختلف وان اتحد الجنس فعليهم التقابض ومراعاة المماثلة والمعتاد في هذا معاملة القصاب بان يسلم اليه الغنم ويشتري به اللحم
نقدا او نسيئة وهو حرام ومعاملة الخباز بان يسلم اليه الحنطة ويشتري به الخبز نسيئة او نقدا فهو حرام ومعاملة العصار ان يسلم اليه الجوز
والسمسم والزيتون او غير ذلك ليأخذ منه الادهان فهو حرام وكذا اللبان يعطى اللبن ليؤخذ منه الجبن والسمن والزبد وسائر
اجزاء اللبن فهو ايضا حرام فلا يباع الطعام بغير جنسه الا نقدا وبجنسه الا نقدا ومتماثلا وكل ما يتخذ من الشيء فلا يجوز ان
يباع به متماثلا او متفاضلا فلا يباع بالحنطة دقيق وخبز وسويق ولا بالعنب خل ودبس وعصير ولا باللبن سمن وزبد ومخيض
وجبن ومصل والمماثلة لا تفيد اذا لم يكن للطعام حالة الادخار فلا يباع الرطب بالرطب والعنب بالعنب متماثلا ومتفاضلا
فهذه جمل مقنعة في تعريف البيع والتنبيه على ما يشعر التاجر بمثارات الفساد حتى يستفتي فيها اذا تشكك والتبس عليه
واذا لم يعرف هذا لم يتفطن لمواضع السؤال واقتحم الربوا والحرام وهو لا يدري **العقد الثالث** السلم
وليراع التاجر فيه عشرة شروط الاول ان يكون راس المال معلوما على مثله حتى لو تعذر تسليم المسلم فيه امكن الرجوع
الى قيمة راس المال قبل تعذره فان اسلم كفا من الدراهم جزافا في كر حنطة لم يصح على احد القولين الثاني ان يسلم راس المال
في مجلس العقد قبل التفرق فلو تفرقا قبل القبض انفسخ السلم الثالث ان يكون المسلم فيه مما يمكن تعريف اوصافه كالحبوب
والحيوانات والمعادن والقطن والصوف والابريسم والالبان واللحوم ومتاع العطارين وما اشبهها ولا يجوز في المعجونات
والمركبات وما تختلف اجزاؤه كالقسي المصنوعة والنبل المعمول والخفاف والنعال المختلفة اجزاؤها وجلود الحيوانات ويجوز
السلم في الخبز وما يتطرق اليه اختلاف قدر الملح والماء بكثرة الخبز وقلته يعفى عنه ويتسامح فيه الرابع ان يستقصي وصف
هذه الامور القابلة للوصف حتى لا يبقى وصف يتفاوت يوم القيمة تفاوتا لا يتغابن الناس بمثله الا ذكره فان ذلك هو
القائم مقام الرؤية في البيع الخامس ان يجعل الاجل معلوما ان كان مؤجلا فلا يؤجل الى الحصاد ولا الى ادراك الثمار بل الى
الاشهر والايام فان الادراك قد يتقدم ويتأخر السادس ان يكون المسلم فيه مما يقدر على تسليمه وقت المحل ويؤمن فيه
وجوده غالبا فلا ينبغي ان يسلم في العنب الى اجل لا يدرك فيه وكذا سائر الفواكه فان كان الغالب وجوده وجاء المحل وعجز
عن التسليم بسبب آفة فله ان يمهله ان شاء او يفسخ ويرجع في راس المال ان شاء السابع ان يذكر مكان التسليم فيما يختلف الغرض
كيلا يثير ذلك نزاعا الثامن ان لا يعلقه بمعين فيقول من حنطة هذا البيت او من ثمرة هذا البستان فان ذلك يبطل كونه دينا
او من ثمرة بلدة او قرية كبيرة لم يضر التاسع ان لا يسلم في شيء نفيس عزيز الوجود مثل درة موصوفة يعز مثلها او جارية حسناء
معها ولدها او غير ذلك مما لا يقدر عليه غالبا العاشر ان لا يسلم في طعام مهما كان راس المال طعاما سواء كان من
جنسه او لم يكن ولا يسلم في نقد اذا كان راس المال نقدا وقد ذكرنا هذا في الربوا **العقد الرابع** الاجارة
وله ركنان الاجرة والمنفعة فاما العاقد واللفظ فيعتبر فيه ما ذكرناه في البيع والاجرة كالثمن فينبغي ان يكون معلوما
او موصوفا بكل ما شرطناه في المبيع ان كان عينا وان كان دينا فينبغي ان يكون معلوم الصفة والقدر وليحترز فيه عن امور

جرت العادة بها وهي كراء الدار بعمارتها فذلك باطل اذ قدر العمارة مجهول ولو قدر دراهم وشرط على المكري ان يصرفها
الى العمارة لم يجز لان عمله في الصرف الى العمارة مجهول ومنها استيجار السلاخ على ان ياخذ الجلد بعد السلخ واستيجار
حمال الجيف بجلد الجيف واستيجار الطحان بالنخالة او ببعض الدقيق فهو باطل وكذلك كل ما يتوقف الدقيق فهو باطل وكذلك
كل ما يتوقف حصوله وانفصاله على عمل الاجير فلا يجوز ان يجعل اجرة ومنها ان يقدر في اجارة الدور والحوانيت مبلغ الاجرة فلو
قال لكل شهر دينار ولم يقدر اشهر الاجارة كانت المدة مجهولة ولم تنعقد الاجارة الركن الثاني المنفعة المقصودة بالاجارة
وهي العمل وحده ان كل عمل مباح معلوم يلحق العامل فيه كلفة ويتطوع به الغير عن الغير فيجوز الاستيجار عليه وجملة فروع الباب
تندرج تحت هذه الرابطة ولكنا نطول بشرحها فقد طولنا القول فيها في الفقهيات وانما نشير الى ما تعم به البلوى فليراع
في العمل المستاجر عليه خمسة امور الاول ان يكون متقوما بان يكون فيه كلفة وتعب فلو استاجر طعاما ليزين به الدكان
او اشجارا ليجفف عليه الثياب او دراهم ليزين بها الدكان لم يجز فان هذه المنافع تجري مجرى حبة سمسم وتمرة من الاعيان وذلك
لا يجوز بيعها وهذا لو استاجر بياعا على ان يتكلم بكلمة يروج بها سلعته لم يجز وما ياخذه البياعون عوضا عن جاههم وحشمتهم
وقبول قولهم في ترويج السلع فهو حرام اذ ليس يصدر منهم الا كلمة لا تعب فيها ولا قيمة لها وانما يحل لهم ان تعبوا اما بكثرة
التردد واما بكثرة الكلام في التاليف او المعاملة ثم لا يستحقون الا اجر المثل فاما ما تواطا عليه الباعة فهو ظلم وليس ماخوذا
بالحق الثاني ان لا يتضمن الاجارة استيفاء عين مقصود فلا يجوز اجارة الكرم لارتفاعه واجارة المواشي للبنها واجارة البساتين
لثمارها ويجوز استيجار المرضعة ويكون اللبن تابعا لان افراده غير ممكن وكذا يتسامح بحبر الوراق وخيط الخياط لانهما لا يقصدان
على حيالهما الثالث ان يكون العمل مقدورا على تسليمه حسا وشرعا فلا يجوز استيجار الضعيف على عمل لا يقدر عليه ولا استيجار
الاخرس على التعليم ونحوه وما يحرم فعله فالشرع يمنع من تسليمه كالاستيجار على قلع سن سليمة او قطع عضو لا يرخص الشرع في
قطعه او استيجار الحائض على كنس المسجد او المعلم على تعليم السحر والفحش واستيجار زوجة الغير على الارضاع دون رضى زوجها
او استيجار المصور على تصوير الحيوانات او استيجار الصائغ على صنعة الاواني من الذهب والفضة فكل ذلك باطل الرابع
ان لا يكون العمل واجبا على الاجير او لا يكون بحيث لا يجري النيابة فيها عن المستاجر فلا يجوز اخذ الاجرة على الجهاد وعلى سائر
العبادات التي لا نيابة فيها اذ لا يقع ذلك عن المستاجر ويجوز على الحج وعلى غسل الميت وحفر القبور ودفن الموتى وحمل الجنائز
وفي اخذ الاجرة على امامة صلوة التراويح وعلى الاذان وعلى التصدي للتدريس واقراء القرآن فيه خلاف اما الاستيجار
على تعليم مسئلة بعينها او تعليم سورة بعينها لشخص معين صحيح الخامس ان يكون العمل والمنفعة معلوما فالخياط يعرف عمله بالثوب
والمعلم يعرف بتعليم السورة ومقدارها وحمل الدواب يعرف بمقدار المحمول وبمقدار المسافة فكل ما يثير خصومة في الغالب فلا
يجوز اهمالها وتفصيل ذلك يطول وانما ذكرنا هذا القدر ليعرف به جليات الاحكام ويتفطن به لمواقع الاشكال فيسال فان
الاستقصاء شان المفتي لا شان العوام **العقد الخامس** القراض وليراع فيه اركان ثلاثة الركن الاول راس المال و
شرطه ان يكون نقدا معلوما مسلما الى العامل فلا يجوز القراض على الفلوس وعلى العروض فان التجارة تضيق فيه ولا يجوز على صرة
من الدراهم لان قدر الربح لا يتبين ولو شرط المالك اليد لنفسه لم يجز لانه تضييق طريق التجارة الركن الثاني الربح وليكن معلوما
بالجزئية بان يشترط له الثلث او النصف او ما شاء فلو قال على ان لك من الربح مائة والباقي لي لم يجز لانه ربما لا يكون الربح اكثر من مائة
فلا يجوز تقديره بمقدار معين بل بمقدار شائع الركن الثالث العمل الذي على العامل وشرطه ان يكون تجارة غير مضيقة

مضيقة عليه بتعيين وتاقيت فلو شرط ان يشتري بالمال ماشية ليطلب نسلها فيقاسمان النسل او حنطة فيخبزها ويتقاسمان
الربح لم يصح لان القراض ماذون فيه في التجارة وهو البيع والشرى وما يقع من ضرورتهما فقط وهذه حرف اعني الخبز
ورعاية المواشي ولو ضيق عليه وشرط ان لا يشتري الا من فلان او لا يتجر الا في الخز الاحمر او شرط ما يضيق باب التجارة فسد
العقد ثم مهما انعقد العقد فالعامل وكيل فيتصرف بالغبطة تصرف الوكلاء ومهما اراد المالك الفسخ فله ذلك فاذا فسخ في حالة
والمال كله نقد لم يخف وجه القسمة وان كان عرضا ولا ربح فيه رد عليه ولم يكن للمالك تكليفه ان يرد الى النقد لان العقد قد
انفسخ وهو لم يلتزم شيئا وان قال العامل ابيعه وابى المالك فالمتبع راي المالك الا اذا راى العامل زبونا يظهر بسببه ربح في
المال ومهما كان ربح فعلى العامل بيع الفاضل على راس المال ومهما كان راس السنة فعليهم تعرف قيمة المال لاجل الزكوة
فاذا كان قد ظهر من الربح شيء فالاقيس ان زكوة نصيب العامل على العامل وانه يملك الربح بالظهور وليس للعامل ان يسافر
بمال القراض كما ان نفقته الوزن والكيل والحمل الذي لا يعتاد التاجر مثله على راس المال فاما نشر الثوب وطيه والعمل اليسير
المعتاد فليس له ان يبذل عليه اجرة وعلى العامل نفقته في السفر على مال القراض واذا رجع فعليه ان يرد بقايا الات السفر
من المطهرة والسفرة وغيرهما **العقد السادس** الشركة وهي اربعة انواع ثلثة منها باطلة الاولى شركة المفاوضة
وهي ان يقولا تفاوضنا لنشترك في كل ما لنا وعلينا وما لاهما متمايزان فهي باطلة الثانية شركة الوجوه وهي ان يكون لاحدهما
حشمة وقول مقبول فيكون من جهته التنفيذ ومن جهة غيره العمل وهي باطلة ايضا الثالثة شركة الابدان وهو ان يتشارطا الاشتراك
في اجرة العمل فهي باطلة ايضا واما الصحيح الرابعة المسماة شركة العنان وهي ان يخلطا مالاهما بحيث يتعذر التمييز الا
بقسمة وياذن كل واحد منهما صاحبه في التصرف ثم حكمها توزيع الربح والخسران على قدر المالين ولا يجوز ان يغير ذلك بالشرط
ثم بالعزل يمتنع التصرف على المعزول وبالقسمة ينفصل الملك عن الملك والصحيح انه يجوز عقد الشركة على العروض المشتركة
ولا يشترط النقد بخلاف القراض فهذا القدر من علم الفقه يجب تعلمه على كل مكتسب والا اقتحم الحرام من حيث لا يدري واما
معاملة القصاب والخباز والبقال فلا يستغني عنه المكتسب في الحلل فيه من ثلاثة وجوه من اهمال شروط البيع واهمال شروط
السلم والاقتصار على المعاطاة اذ العادات جارية بكتبة الخطوط على هؤلاء بحاجات كل يوم ثم المحاسبة في كل مدة ثم التقويم بحسب
ما يقع عليه التراضي وذلك مما يرى القضاء باباحته للحاجة ويحمل تسليمهم على اباحة التناول مع انتظار العوض فيحل اكله ولكن
يجب الضمان باكله ويلزم قيمته يوم الاتلاف فيجتمع في الذمة تلك القيم فاذا وقع التراضي على مقدار فينبغي ان يلتمس منهم الابراء
المطلق حتى لا يبقى عهدة ان تطرق اليه تفاوت في التقويم فهذا يجب القناعة به فان تكليف وزن الثمن بكل واحد من الحوائج
في كل يوم وفي كل ساعة تكليف شطط وكذلك تكليف الايجاب والقبول وتقدير ثمن كل قدر يسير منه عسير ولو اكثر كل نوع سهل تقويمه

الباب الثالث في بيان العدل واجتناب الظلم في المعاملة

اعلم ان المعاملة قد تجري على وجه
يحكم المفتي بصحتها وانعقادها ولكنها تشتمل على ظلم يتعرض به المعامل لسخط الله تعالى اذ ليس كل نهي يقتضي فساد العقد
وهذا الظلم اعني به ما يستضر به الغير وهو منقسم الى ما يعم ضرره والى ما يخص المعامل القسم الاول فيما يعم
ضرره وهو انواع الاول الاحتكار فبائع الطعام يدخر الطعام ينتظر به غلاء الاسعار وهو ظلم عام مذموم في الشرع قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من احتكر الطعام اربعين يوما ثم تصدق به لم يكن فقد برئ من الله وبرئ الله منه وقيل فكانما قتل الناس
وعن علي رضي الله عنه من احتكر الطعام اربعين يوما قسا قلبه وعنه انه احرق طعام محتكر بالنار وروي في فضل ترك

بيع مقدار راس المال بجنس راس المال الا بعقد اخر
حتى يتميز الفاضل ربحا فيشترك فيه ليس عليه بيع م

الاحتكار من جلب طعاماً فباعه بسعر يومه فكأنما تصدق به وفي لفظ آخر فكأنما اعتق رقبة وقيل في قوله تعالى ومن يرد
فيه بالحاد بظلم ان الاحتكار من الظلم وداخل تحته وعن بعض السلف انه كان بواسط فجهز سفينة حنطة الى البصرة فكتب
الى وكيله بع هذا الطعام يوم يدخل البصرة ولا تؤخره الى الغد فوافق سعة في السعر فقال له التجار ان اخرته جمعة ربحت فيه
اضعافه فاخره جمعة فربح فيه امثاله وكتب الى صاحبه بذلك فكتب اليه صاحب الطعام يا هذا انا كنا قنعنا بربح يسير مع سلامة
ديننا وانك قد خالفت وما نحب ان نربح اضعافه بذهاب شيء من الدين وقد جنيت علينا جناية فاذا اتاك كتابي هذا فخذ
المال كله وتصدق به على فقراء البصرة وليتني انجو من اثم الاحتكار كفافاً لا علي ولا لي واعلم ان النهي مطلق ويتعلق
النظر بالوقت والجنس اما الجنس فيطرد النهي في اجناس الاقوات اما ما ليس بقوت ولا معين على القوت كالادوية والعقاقير
والزعفران وامثاله فلا يتعدى النهي اليه وان كان مطعوماً واما ما يعين على القوت كاللحم والفواكه وما يسد مسداً يغني عن القوت
في بعض الاحوال وان كان لا يمكن المداومة عليه فهذا في محل النظر فمن العلماء من طرد التحريم في السمن والعسل والشيرج والجبن
والزيت وما يجري مجراه اما الوقت فيحتمل ايضاً طرد النهي في جميع الاوقات ويدل عليه الحكاية التي ذكرناها في الطعام
الذي صادف بالبصرة سعة السعر ويحتمل ان يخصص بوقت قلة الاطعمة وحاجة الناس اليه حتى يكون في تاخير بيعه ضرر فاما
اذا اتسعت الاطعمة وكثرت واستغنى الناس عنها ولم يرغبوا فيها الا بقيمة قليلة فانتظر صاحب الطعام ذلك ولم ينتظر قحطاً
فليس في هذا اضرار واذا كان الزمان زمان قحط كان في ادخار السمن والعسل والشيرج وامثالها اضرار فينبغي ان يقضى بتحريمه
وينزل في نفي التحريم واثباته على الضرار فانه مفهوم قطعاً من تخصيص الطعام واذا لم يكن ضرار فلا يخلو احتكار الاقوات عن كراهية
لانه ينتظر مبادي الضرار وهو ارتفاع الاسعار وانتظار مبادي الضرار محذور كانتظار عين الضرار ولكنه دونه وانتظار عين
الضرار ايضاً هو دون الاضرار فبقدر درجات الاضرار تتفاوت درجات الكراهية والتحريم وبالجملة التجارة في الاقوات مما لا
يستحب لانه طلب ربح والاقوات اصول خلقت قواماً والربح من المزايا فينبغي ان يطلب فيما خلقت من جملة المزايا التي لا ضرورة
للخلق اليها ولذلك اوصى بعض التابعين رجلاً وقال لا تسلم ولدك في بيعتين وفي صنعتين بيع الطعام وبيع الاكفان فانه يتمنى الغلاء وموت
الناس والصنعتان ان يكون جزاراً فانها صنعة تقسي القلب او صواغاً فانه يزخرف الدنيا بالذهب والفضة. النوع
الثاني ترويج الزيف من الدراهم في اثناء النقد فهو ظلم اذ يستضر به المعامل ان لم يعرف وان عرف فسيروجه على غيره وكذلك
على الثالث والرابع ولا يزال يتردد في الايدي ويعم الضرر ويتسع الفساد فيكون وزر الكل ووباله راجعاً اليه فانه هو الذي فتح
فتح ذلك الباب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سن سنة سيئة فعمل بها من بعده كان عليه وزرها ومثل وزر من عمل
بها لا ينقص من اوزارهم شيئاً وقال بعضهم انفاق درهم زيف اشد من سرقة مائة درهم لان السرقة معصية واحدة وقد تمت و
وانقطعت وانفاق الزيف بدعة اظهرها في الدين وسنة سيئة يعمل بها من بعده فيكون عليه وزرها من بعد موته الى مائة سنة
او مائتي او الى اكثر الى ان يفنى ذلك الدراهم ويكون عليه ما فسد ونقص من اموال الناس بسببه وطوبى لمن اذا مات ماتت معه
ذنوبه والويل الطويل لمن يموت ويبقى ذنوبه مائة سنة ومائتي سنة يعذب بها في قبره ويسئل عنها الى آخر انقراضها وقال تعالى
نكتب ما قدموا وآثارهم اي نكتب ايضاً ما اخروه من آثار اعمالهم كما نكتب ما قدموا وفي مثله قوله تعالى ينبؤ الانسان يومئذ
بما قدم واخر وانما اخر آثار اعماله من سنة سيئة عمل بها غيره وليعلم في الزيف خمسة امور الاول انه اذا رد عليه شيء
منه فينبغي ان يطرحه في بئر بحيث لا تمتد اليه اليد واياه ان يروجه في بيع آخر وان افسده بحيث لا يمكن التعامل به جاز الثاني انه

انه يجب على التاجر تعلم النقد لا ليستقصي لنفسه ولكن لئلا يسلم الى مسلم زيفاً وهو لا يدري فيكون آثماً بتقصيره في تعلم ذلك
العلم فلكل عمل علم يتم به نصح المسلمين فيجب تحصيله فلمثل هذا كان السلف يتعلمون علامات النقد نظراً لدينهم لا لدنياهم الثالث
انه ان سلم وعرف المعامل انه زيف لم يخرج عن الاثم لانه ليس ياخذه الا ليروجه على غيره ولا يخبره ولو لم يعزم على ذلك لكان لا يرغب
في اخذه اصلاً فانما يتخلص من اثم الضرر الذي يخص معامله فقط الرابع انه ان اخذ الزيف ليعمل بقوله صلى الله عليه وسلم
رحم الله سهل القضاء سهل الاقتضاء فهو داخل في بركة هذا الدعاء ان عزم على طرحه في بئر وان كان عازماً على ان يروجه في معاملة
فهذا شر روجه الشيطان عليه في معرض خير فلا يدخل تحت من تساهل في الاقتضاء الخامس ان الزيف نعني به ما لا نقرة فيه اصلاً
بل هو مموه او ما لا ذهب فيه اعني في الدنانير اما ما فيه نقرة فان كان مخلوطاً بالنحاس وهو نقد البلد فقد اختلف العلماء في المعاملة
عليه وقد راينا الرخصة فيه اذا كان ذلك نقد البلد سواء علم مقدار النقرة او لم يعلم وان لم يكن هو نقد البلد لم يجز الا اذا علم قدر النقرة
فان كان في ماله قطعة نقرتها ناقصة عن نقد البلد فعليه ان يخبر به معامله وان لا يعامل به الا من لا يستحل الترويج في جملة النقد
بطريق التلبيس فاما من يستحل ذلك فتسليمه اليه تسليط له على الفساد فهو كبيع العنب ممن يعلم انه يتخذ الخمر وذلك محظور واعانة على
الشر ومشاركة فيه وسلوك طريق الحق بامثال هذا في التجارة اشد من المواظبة على نوافل العبادات والتخلي لها ولذلك قال بعضهم التاجر
الصدوق افضل من المتعبد وقد كان السلف يحتاطون في مثل ذلك حتى روي عن بعض الغزاة في سبيل الله انه قال حملت على فرسي
لاقتل علجاً فقصر بي فرسي فرجعت ثم دنا مني العلج فحملت ثانية فقصر فرسي ثم حملت الثالثة فنفر مني فرسي وكنت لا اعتاد ذلك منه
فرجعت حزيناً منكس الراس منكسر القلب لما فاتني من العلج ولما ظهر لي من خلق الفرس فوضعت راسي على عمود الفسطاط وفرسي قائم
فرايت في النوم كان الفرس يخاطبني ويقول لي بالله عليك اردت ان تاخذ على العلج ثلاث مرات وانت بالامس اشتريت لي علفاً
ودفعت في ثمنه درهماً زائفاً لا يكون هذا ابداً قال فانتبهت فزعاً فذهبت الى العلاف وابدلت ذلك الدرهم فهذا مثال
ما يعم ضرره وليقس عليه امثاله **القسم الثاني** ما يخص ضرره المعامل فكل ما يستضر به المعامل فهو ظلم وانما العدل ان لا
يضر باخيه المسلم والضابط الكلي فيه ان لا يحب له الا ما يحب لنفسه فكل ما لو عومل به شق عليه وثقل على قلبه فينبغي ان لا
يعامل به غيره بل ينبغي ان يستوي عنده درهمه ودرهم غيره وقال بعضهم من باع اخاه شيئاً بدرهم وليس يصلح له لو اشتراه لنفسه
الا بخمسة دوانق فانه قد ترك النصح المامور به في المعاملة ولم يحب لاخيه ما يحب لنفسه هذه جملته فاما تفصيله ففي اربعة امور
ان لا يثني على السلعة بما ليس فيها وان لا يكتم من عيوبها ما لو عرفه المعامل لامتنع عنه اما الاول فهو ترك الثناء فان وصفه
للسلعة ان كان بما ليس فيها فهو كذب واسقاط مروة اذ الكذب الذي لا يروج قد يقدح في ظاهر المروة وان اثنى على السلعة
بما فيها فهو هذيان وتكلم بكلام لا يعنيه وهو محاسب على كل كلمة تصدر منه ويود انه لم يتكلم بها ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد
الا ان يثني على السلعة بما فيها ولا يعرفه المشتري ما لم يذكره كما يصفه من خفي اخلاق العبيد والجواري والدواب فلا باس بذكر القدر
الموجود منه من غير مبالغة واطناب وليكن قصده منه ان يعرفه اخوه المسلم فيرغب فيه وتنقضي بسببه حاجته ولا ينبغي ان يحلف
عليه البتة فانه ان كان كاذباً فقد جاء باليمين الغموس وهي من الكبائر التي تذر الديار بلاقع وان كان صادقاً فقد جعل الله عرضة
لايمانه وقد اساء فيه اذ الدنيا اخس من ان يقصد ترويجها بذكر اسم الله من غير ضرورة وفي الخبر ويل للتاجر من بلى والله ولا والله
وويل للصانع من غد وبعد غد وفي الخبر اليمين الكاذبة منفقة للسلعة ممحقة للكسب وروى ابو هريرة رضي الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاثة لا ينظر الله اليهم يوم القيمة عتل مستكبر ومنان بعطيته ومنفق سلعته بيمينه واذا كان الثناء

على السلعة مع الصدق مكروها من حيث انه فضول لا يزيد في الرزق فلا يخفى التغليظ في اليمين وقد روي عن يونس بن عبيد وكان خزازا انه طلب منه خز للشرى فاخرج غلامه سفط الخز للمشتري ونشره ونظر اليه قال اللهم ارزقنا الجنة فقال لغلامه رده الى موضعه ولم يبعه وخاف ان يكون ذلك تعريضا بالثناء عليه فمثل هؤلاء هم الذين اتجروا في الدنيا ولم يضيعوا دينهم في تجارتهم بل علموا ان ربح الآخرة اولى بالطلب من ربح الدنيا الثاني ان يظهر جميع عيوب المبيع خفيها وجليها ولا يكتم منها شيئا فذلك واجب فان اخفاه كان ظالما غاشا والغش حرام وكان تاركا للنصح في المعاملة والنصح واجب ومهما اظهر احسن وجهي الثوب واخفى الثاني كان غاشا وكذلك اذا عرض الثياب في المواضع المظلمة وكذلك اذا عرض احسن زوجي الخف والنعل وامثاله ويدل على تحريم الغش ما روي انه عليه الصلوة والسلام مر برجل يبيع طعاما فاعجبه فادخل يده فرأى بللا فقال ما هذا فقال اصابته السماء فقال هلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس من غشنا فليس منا ويدل على وجوب النصح باظهار العيوب ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما بايع جريرا على الاسلام ذهب لينصرف فجذب ثوبه واشترط عليه النصح لكل مسلم فكان جرير اذا قام الى السلعة يبيعها بصر عيوبها ثم خيره فقال ان شئت فخذ وان شئت فاترك فقيل له انك اذا فعلت هذا لم ينفذ لك بيع فقال انا بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصح لكل مسلم وكان واثلة بن الاسقع واقفا فباع رجل ناقة له بثلثمائة درهم فقال له واثلة رحمك الله افسدت علي بيعي فقال انا سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يحل لاحد ان يبيع بيعا الا يبين ما فيه ولا يحل لمن يعلم ذلك الا تبيينه فقد فهموا من النصح ان لا يرضى لاخيه الا ما يرضاه لنفسه ولا يعتقدوا ان ذلك من الفضائل وزيادة المقامات بل اعتقدوا انها من شروط الاسلام الداخلة تحت بيعته وهذا امر يشق على اكثر الخلق فلذلك يختارون التخلي للعبادة والاعتزال عن الناس لان القيام بحقوق الله مع المخالطة والمعاملة مجاهدة لا يقوم بها الا الصديقون ولن يتيسر ذلك على العبد الا بان يعتقد امرين احدهما ان يعلم ان تلبيسه العيوب وترويجه السلع لا يزيد في رزقه بل يمحقه ويذهب بركته وما يجمعه من متفرقات التلبيسات يهلكه الله دفعة واحدة فقد حكي ان واحدا كان له بقرة يحلبها ويخلط بلبنها الماء ويبيع فجاء السيل فغرق البقرة فقال بعض اولاده ان تلك المتفرقة التي صببناها في اللبن اجتمعت دفعة واحدة واخذت البقرة كيف وقد قال صلى الله عليه وسلم اذا صدقا ونصحا بورك لهما في بيعهما فاذا كذبا وكتما نزعت بركة بيعهما وفي الحديث يد الله على الشريكين ما لم يتخاونا فاذا تخاونا رفع يده عنهما فاذا لا يزيد مال من خيانة كما لا ينقص من صدقة ومن يعرف الزيادة والنقصان بالميزان لم يصدق بهذا الحديث ومن عرف ان الدرهم الواحد قد يبارك فيه حتى يكون سببا لسعادة الانسان في الدين والدنيا والآلاف المؤلفة قد ينزع البركة منها حتى يكون سببا لهلاك مالكه بحيث يتمنى الافلاس منه ويراه اصلح له في بعض احواله فيعرف ان الخيانة لا يزيد في المال والصدقة لا ينقص منه والمعنى الثالث لا بد من اعتقاده ليتم له النصح وتيسر عليه ان يعلم ربح الآخرة وغناه خير من ربح الدنيا وان فوائد امور الدنيا ينقضي بانقضاء العمر ويبقى مظالمها واوزارها فكيف يستجيز العاقل ان يستبدل الذي هو ادنى بالذي هو خير والخير كله في سلامة الدين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال لا اله الا الله يدفع عن الخلق سخط الله ما لم يؤثروا صفقة دنياهم على آخرتهم وفي لفظ آخر ما لم يبالوا ما نقص من دنياهم بسلامة دينهم فاذا فعلوا ذلك وقالوا لا اله الا الله قال الله تعالى كذبتم لستم بها صادقين وفي حديث آخر قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة قيل وما اخلاصها قال ان يحجز عما حرم الله وقال ايضا ما آمن بالقرآن من استحل محارمه ومن علم ان هذه الامور قادحة في ايمانه ان رأس ماله في تجارة الآخرة لم يضيع رأس المال لعمره لا آخر له بسبب ربح ينتفع به اياما معدودة وعن بعض التابعين انه قال لو دخلت الجامع وقيل لي من خير هؤلاء وهو غاص باهله لقلت من انصحهم لهم فاذا قالوا

هذا قلت هو خيرهم ولو قالوا من شرهم قلت من اغشهم لهم واذا قيل هذا قلت هو شرهم والغش حرام في البيوع و ايضا ثم يعمله على وجه لو عامله به غيره لما ارتضاه لنفسه بل ينبغي ان يحسن الصنعة ويحكمها ثم يبين عيبها ان كان فيها عيب فيه فيتخلص وسأل رجل محمد بن سالم فقال لي ان اسلم في بيع النعال فقال اجعل الوجهين سواء ولا تفضل اليمين على الاخرى وجود الحشو وليكن حشوا واحدا تاما وقارب بين الخرز ولا تطبق النعلين على الاخرى ومن هذا الفن ما سئل عنه احمد من الرفو بحيث لا يتبين قال لا يجوز لمن يبيعه ويخفيه وانما يحل للرفاء اذا علم انه يظهره او انه لا يريده للبيع فان قلت فلم يتم المعاملة بما وجب على الانسان ان يذكر عيوب المبيع فاقول ليس كذلك اذ شرط التاجر ان لا يشتري للبيع الا الجيد الذي يرتضيه لنفسه لو امسكه ثم يقنع في بيعه بربح يسير فيبارك الله فيه ولا يحتاج الى تلبيس وانما تعذر هذا لانهم لا يقنعون بالربح اليسير وليس يسلم الكثير الا بتلبيس فمن تعود هذا لم يشتر المعيب فان وقع في يده معيب نادرا فليذكره وليقنع بقيمته باع ابن سيرين رحمه الله شاة فقال للمشتري ابرأ اليك من كل عيب فيها انها تقلب العلف برجلها وباع الحسن بن صالح جارية فقال للمشتري انها تنخمت عندنا مرة دما فهكذا كان سيرة اهل الدين فمن لا يقدر عليه فليترك المعاملة او ليوطن نفسه على عذاب الآخرة الثالث انه لا يجوز في المقدار وذلك بتعديل الميزان والاحتياط فيه وفي الكيل فينبغي ان يكيل كما يكتال قال الله تعالى ويل للمطففين الآيات ولا يخلص من هذا الا بان يرجح اذا اعطى وينقص اذا اخذ اذ العدل الحقيقي قل ما يتصور فليستظهر بظهور الزيادة والنقصان فان من استقصى حقه بكماله يوشك ان يتعداه وكان بعضهم يقول لا اشتري الويل من الله بحبة جنة عرضها السموات والارض فما اخسر من باع طوبى بويل وانما بالغوا في الاحتراز منه لانها مظالم لا يمكن التوبة منها اذ لا يعرف اصحاب الحبات حتى يجمعوا ويؤدي حقوقهم ولذلك لما اشترى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للوزان لما كان يزن ثمنه زن وارجح ونظر فضيل الى ابنه وهو يغسل دينارا يريد ان يصرفه ويزيل تكحيله وينقيه حتى لا يزيد وزنه بسببه فقال يا بني فعلك هذا افضل من حجتين وعشرين عمرة قال بعض السلف عجبت للتاجر والبائع كيف ينجو يزن ويحلف بالنهار وينام بالليل قال سليمان صلوات الله عليه لابنه كما تدخل الحبة بين الحجرين كذلك يدخل الخطيئة بين المتبايعين وصلى بعض الصالحين على مخنث فقيل له انه كان فاسقا فسكت فاعيد عليه فقال كانك قلت صاحب ميزانين يعطي باحدهما ويأخذ بالآخر اشار الى ان فسقه مظلمة بينه وبين الله وهذا من مظالم العباد والمسامحة والعفو فيه ابعد والتشديد في امر الميزان اعظم والخلاص منه بحصول حبة ونصف حبة وفي قراءة لا تطغوا في الميزان واقيموا الوزن باللسان ولا تخسروا الميزان ان لسان الميزان فان النقصان والرجحان يظهر عليه وبالجملة كل من ينصف لنفسه من غيره ولا في كلمة ولا ينتصف لغيره بمثل ما ينتصف فهو داخل تحت قوله تعالى ويل للمطففين الآية فان تحريم ذلك في الكيل ليس لكونه كيلا بل لكونه امرا مقصودا تركت العدل والنصفة فيه فهو جار في جميع الاعمال فصاحب الميزان في خطر الويل وكل مكلف فهو صاحب موازين في افعاله واقواله وخطراته فالويل له ان عدل عن العدل ومال عن الاستقامة ولولا تعذر هذا واستحالته لما ورد قوله تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا فلا ينفك عبد ليس معصوما عن الميل عن الاستقامة الا ان درجات الميل تتفاوت تفاوتا عظيما فبذلك تتفاوت مدة مقامهم في النار الى اوان الخلاص حتى لا يبقى بعضهم الا بقدر تحلة القسم ويبقى بعضهم الفا والوف سنين فنسأل الله تعالى ان يقربنا من الاستقامة والعدل فان الاستعداد على متن الصراط المستقيم من غير ميل غير مطموع فيه فانه ادق من الشعر واحد من السيف ولولاه لكان المستقيم عليه لا يقدر على جواز الصراط الممدود على متن النار الذي من صفته انه ادق من الشعر واحد من السيف وبقدر الاستقامة على الصراط المستقيم يخف العبد يوم القيمة على الصراط فكل

من خلط بالطعام ترابا ثم كاله فهو من المطففين في الكيل وكل قصاب وزن مع اللحم عظما لم تجر العادة بمثله فهو من المطففين
في الوزن وقس على هذا سائر التقديرات حتى في الذرع الذي يتعاطاه البزاز فإنه إذا اشترى أرسل الثوب
في وقت الذرع ولم يمده مدا وإذا باعه مده في الذرع ليظهر تفاوتا في القدر وكل ذلك من التطفيف المعرض صاحبه للويل. الرابع
أن يصدق في سعر الوقت ولا يخفي منه شيئا فقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تلقي الركبان ونهى عن النجش أما تلقي الركبان
فهو أن يستقبل الرفقة ويتلقى المتاع ويكذب في سعر البلد فقال صلى الله عليه وسلم لا تتلقوا الركبان ومن تلقاها فصاحب
السلعة بالخيار بعد أن يقدم السوق وهذا الشراء منعقد ولكنه إن ظهر كذبه ثبت للبائع الخيار وإن كان صادقا ففي الخيار
خلاف لتعارض عموم الخبر مع زوال التلبيس ونهى أيضا أن يبيع حاضر لباد وهو أن يقدم البدوي البلد ومعه قوت يريد أن
يتسارع إلى بيعها فيقول له الحضري اتركه عندي حتى أغالي في ثمنه وأنتظر ارتفاع سعره وهذا في القوت محرم وفي سائر السلع
خلاف والأظهر تحريمه لعموم النهي ولأنه تأخير للتضييق على الناس من غير فائدة للفضولي المضيق ونهى عن النجش وهو أن يتقدم إلى البائع بين
يدي الراغب ويطلب السلعة بزيادة ولا يريدها وإنما يريد تحريك رغبة المشتري فيها فهذا إن لم يجر مواطأة مع البائع فهو فعل حرام
من صاحبه والبيع منعقد وإن جرى مواطأة ففي ثبوت الخيار خلاف والأولى إثبات الخيار لأنه تغرير بفعل يضاهي التغرير في المصراة
وتلقي الركبان فهذه المناهي تدل على أنه لا يجوز أن يلبس على البائع والمشتري سعر الوقت ويكتم منه أمرا لو علمه لما أقدم على العقد ففعل
هذا من الغش الحرام المضاد للنصح الواجب وقد حكي عن رجل من التابعين أنه كان بالبصرة وله غلام بالسوس يجهز إليه السكر فكتب
إليه غلامه إن قصب السكر قد أصابته آفة في هذه السنة فاشتر السكر قال فاشترى سكرا كثيرا فلما جاء وقته ربح فيه ثلاثين ألفا
فانصرف إلى منزله فأفكر ليلته فقال ربحت ثلاثين ألفا وخسرت نصح رجل من المسلمين فلما أصبح غدا إلى بائع السكر فدفع إليه الثلاثين
ألفا وقال بارك الله لك فيها قال ومن أين صارت لي فقال إني كتمتك حقيقة الحال وكان السكر قد غلا في ذلك الوقت فقال
رحمك الله قد أعلمتني الآن وقد طيبتها لك قال فرجع بها إلى منزله وتفكر وبات ساهرا وقال ما نصحته فلعله استحيى
مني فتركها لي فبكر إليه من الغد وقال عافاك الله خذ مالك إليك فهو أطيب لقلبي فأخذ منه ثلاثين ألفا فهذه الأخبار في
المناهي والحكايات تدل على أنه ليس له أن يغتنم فرصة وينتهز غفلة صاحب المتاع ويخفي من البائع غلاء السعر أو من المشتري
تراجع الأسعار فإن فعل كان ظالما تاركا للعدل والنصح للمسلمين ومهما باع مرابحة بأن يقول بعت بما قام علي أو بما اشتريته فعليه
أن يصدق ثم يجب أن يخبر بما حدث بعد العقد من عيب أو نقصان ولو اشترى إلى أجل وجب ذكره ولو اشترى مسامحة من صديقه
أو ولده يجب ذكره لأن المعامل يعول على عادته في الاستقصاء لأنه لا يترك النظر لنفسه فإذا تركه بسبب من الأسباب فيجب إخباره
إذ الاعتماد فيه على أمانته. الباب الرابع في الإحسان في المعاملة وقد أمر الله بالعدل والإحسان
جميعا والعدل سبب النجاة فقط وهو يجري من التجارة مجرى سلامة رأس المال والإحسان سبب الفوز ونيل السعادة فهو يجري
من التجارة مجرى الربح ولا يعد من العقلاء من قنع في معاملات الدنيا برأس ماله وكذلك في معاملات الآخرة
فلا ينبغي للمتدين أن يقتصر على العدل واجتناب الظلم ويدع أبواب الإحسان وقد قال الله تعالى وأحسن كما أحسن الله إليك
وقال إن الله يأمر بالعدل والإحسان وقال إن رحمة الله قريب من المحسنين ونعني بالإحسان فعل ما ينتفع به المعامل وهو
غير واجب عليه ولكنه تفضل منه فإن الواجب يدخل في باب العدل وترك الظلم وقد ذكرناه وتنال رتبة الإحسان بواحد
من ستة أمور. الأول في المغابنة فينبغي أن لا يغبن صاحبه بما لا يتغابن به في العادة فأما أصل المغابنة فمأذون فيه

لأن البيع للربح ولا يمكن ذلك إلا بغبن ما ولكن يراعى فيه التقريب فإن بذل المشتري زيادة على الربح المعتاد إما لشدة
رغبته أو لشدة حاجته في الحال فينبغي أن يمتنع من قبوله فذلك من الإحسان ومهما لم يكن تلبيس لم يكن أخذ الزيادة ظلما
وقد ذهب بعض العلماء إلى أن الغبن بما يزيد على الثلث يوجب الخيار ولسنا نرى ذلك ولكن من الإحسان أن يحط ذلك
الغبن يروى أنه كان عند يونس بن عبيد حلل مختلفة الأثمان ضرب قيمة كل حلة منها أربعمائة وضرب قيمتها مائتان
فمر إلى الصلاة وخلف ابن أخيه في الدكان ورد إليه مائتي درهم وخاصم ابن أخيه وقاتله فقال أما استحييت أما اتقيت
الله تربح مثل الثمن وتترك النصح للمسلمين فقال والله ما أخذه إلا وهو راض به قال فهلا رضيت له بما ترضاه لنفسك وهذا إن
كان فيه إخفاء سعر وتلبيس فهو من باب الظلم وقد سبق وفي الحديث غبن المسترسل حرام وكان الزبير بن عدي يقول أدركت ثمانية
عشر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحد منهم يحسن يشتري اللحم بدرهم فغبن هؤلاء المسترسلين ظلم وإن كان
من غير تلبيس فهو من ترك الإحسان وقلما يتم هذا إلا بنوع تلبيس وإخفاء لسعر الوقت وإنما الإحسان المحض ما نقل عن سري السقطي
رحمه الله أنه اشترى كر لوز بستين دينارا وكتب في روزنامجه ثلاثة دنانير ربحه فكأنه رأى أن يربح على العشرة نصف دينار فصار اللوز
بتسعين فأتاه الدلال وطلب اللوز فقال خذه فقال بكم فقال بثلاثة وستين فقال الدلال وكان من الصالحين فقد صار اللوز بتسعين
فقال السري قد عقدت عقدا لا أحله لست أبيعه إلا بثلاثة وستين فقال الدلال وأنا عقدت بيني وبين الله أن لا أغش مسلما لست
آخذ منك إلا بتسعين قال فلا الدلال اشترى منه ولا السري باعه فهذا محض الإحسان من الجانبين فإنه مع العلم بحقيقة الحال وروي
عن محمد بن المنكدر أنه كان له شقاق بعضها بخمسة وبعضها بعشرة فباع غلامه في غيبته شقة من الخمسيات بعشرة فلما عرف لم يزل
يطلب ذلك الأعرابي المشتري طول النهار حتى وجده فقال له إن الغلام قد غلط فباعك ما يساوي خمسة بعشرة فقال يا هذا
قد رضيت فقال وإن رضيت فإنا لا نرضى لك إلا ما نرضاه لأنفسنا فاختر إحدى ثلاث خصال إما أن تأخذ من العشريات بدراهمك
فقال أعطني خمسة فرد عليه خمسة فانصرف الأعرابي يسأل ويقول من هذا الشيخ فقيل هذا محمد بن المنكدر فقال لا إله إلا الله
هذا الذي نستسقي به في البوادي إذا قحطنا فهذا إحسان وإن لا يربح على العشرة إلا نصفا أو واحدا على ما جرت به العادة في مثل ذلك
المتاع في ذلك المكان ومن قنع بربح قليل كثرت معاملته واستفاد من تكررها ربحا كثيرا وبه تظهر البركة كان علي رضي الله عنه
يدور في سوق الكوفة بالدرة ويقول معاشر التجار خذوا الحق وأعطوا الحق تسلموا لا تردوا قليل الربح فتحرموا كثيره وقيل
لعبد الرحمن بن عوف ما سبب يسارك قال ثلاث ما رددت ربحا قط ولا طلب مني حيوان فأخرت بيعه ولا بعت بنسيئة ويقال
إنه باع ألف ناقة فما ربح إلا عقلها باع كل عقال بدرهم فربح فيها ألف درهم وربح من نفقته عليها ليومه ألفا. الثاني في
احتمال الغبن فإذا اشترى طعاما أو شيئا من فقير فلا بأس أن يحتمل الغبن ويتساهل ويكون به محسنا وداخلا في قوله عليه السلام
رحم الله سهل البيع سهل الشراء فأما إذا اشترى من غني تاجر يطلب الربح زيادة على حاجته فاحتمال الغبن ليس محمودا بل هو تضييع
مال من غير أجر ولا حمد وقد ورد في حديث من طريق أهل البيت المغبون لا محمود ولا مأجور وكان إياس بن معاوية قاضي البصرة
وكان من عقلاء التابعين يقول لست بخب والخب لا يغبنني ولا يغبن ابن سيرين ولكن يغبن الحسن ويغبن أبي يعني معاوية بن قرة والكمال
أن لا يغبن ولا يغبن كما وصف بعضهم عمر رضي الله عنه فقال كان أكرم من أن يخدع وأعقل من أن يخدع وكان الحسن والحسين رضي الله عنهما
وغيرهما من خيار السلف يستقصون في الشراء ثم يهبون مع ذلك الجزيل من المال فقيل لبعضهم تستقصي في شرائك على اليسير ثم
تهب الكثير ولا تبالي فقال إن الواهب يعطي فضله وإن المغبون يغبن عقله وقال بعضهم إنما أغبن عقلي وبصري فلا أمكن الغابن منه

وإذا وهبت فأعطى الله ولا استكثر له شيئا. الثالث في استيفاء سائر الديون والإحسان فيه مرة بالمسامحة وحط البعض
ومرة بالإمهال والتأخير ومرة بالمساهلة في طلب النقد وكل ذلك مندوب إليه محثوث عليه قال صلى الله عليه وسلم رحم الله
سهل البيع سهل الشرى سهل القضاء سهل الاقتضاء فليغتنم دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمح يسمح لك و
قال صلى الله عليه وسلم من أنظر معسرا أو ترك له حاسبه الله حسابا يسيرا وفي لفظ آخر أظله الله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا
ظله وذكر صلى الله عليه وسلم رجلا كان مسرفا على نفسه حوسب فلم يوجد له حسنة فقيل له هل عملت خيرا قط قال لا إلا أني كنت
رجلا أداين الناس فأقول لفتياني سامحوا الموسر وأنظروا المعسر وفي لفظ آخر وتجاوزوا عن المعسر فقال الله نحن أحق بذلك فتجاوز عنه وغفر له
وقال صلى الله عليه وسلم من أقرض دينا إلى أجل فله بكل يوم صدقة ومن السلف من لا يحب أن يقضي عنه الدين لأجل هذا الخبر حتى
يكون كالمتصدق بجميعه كل يوم وقال صلى الله عليه وسلم رأيت على باب الجنة مكتوبا الصدقة بعشر أمثالها والقرض بثمانية
عشر فقيل إن الصدقة قد تقع في يد المحتاج وغير المحتاج ولا يحتمل ذل الاستقراض إلا محتاج ونظر النبي صلى الله عليه وسلم
إلى رجل يلازم رجلا بدين فأومأ إلى صاحب الدين بيده ضع الشطر ففعل فقال للمديون قم فأعطه وكل من باع شيئا وترك
ثمنه في الحال ولم يرهق إلى طلبه فهو في معنى المقرض وروي أن الحسن رضي الله عنه باع بغلة له بأربعمائة
درهم فلما استوجب المال قال له المشتري اسمح يا أبا سعيد قال قد أسقطت عنك مائة قال أحسن يا أبا سعيد فقال قد وهبت
لك مائة أخرى فقبض من حقه مائتي درهم فقال له يا أبا سعيد هذا نصف الثمن فقال هكذا يكون الإحسان وإلا فلا وفي الخبر خذ
حقك في عفاف واف أو غير واف يحاسبك الله حسابا يسيرا. الرابع في توفية الدين ومن الإحسان فيه حسن القضاء
وذلك بأن يمشي إلى صاحب الحق ولا يكلفه أن يمشي إليه يتقاضاه فقال النبي صلى الله عليه وسلم خيركم أحسنكم قضاء ومهما قدر
على قضاء الدين فليبادر إليه ولو قبل وقته وليسلم أجود مما شرط عليه وأحسن وإن عجز فلينو قضاءه مهما قدر وقال صلى الله عليه
وسلم من ادان دينا وهو ينوي قضاءه وكل به ملائكة يحفظونه ويدعون له حتى يقضيه وكان جماعة من السلف يستقرضون من غير
حاجة لهذا الخبر ومهما كلمه مستحق الحق بكلام خشن فليحتمله وليقابله باللطف اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاءه صاحب
الدين عند حلول الحق ولم يكن قد اتفق قضاؤه فجعل الرجل يشدد الكلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم به أصحابه فقال دعوه فإن
لصاحب الحق مقالا ومهما دار الكلام بين المقرض والمستقرض فالإحسان أن يكون الميل الأكثر من المتوسط إلى من عليه الدين فإن المقرض
يقرض عن غنى والمستقرض يستقرض عن حاجة وكذا ينبغي أن تكون الإعانة للمشتري أكثر فإن البائع راغب عن السلعة يبغي ترويجها
والمشتري يحتاج إليها هذا هو الأحسن إلا أن يتعدى من عليه الدين حده فعند ذلك نصرته في منعه من تعديه وإعانة صاحبه
إذ قال صلى الله عليه وسلم انصر أخاك ظالما أو مظلوما فقيل كيف ننصره ظالما فقال منعك إياه من الظلم نصرة له. الخامس
أن يقيل من يستقيله فإنه لا يستقيل إلا متندم مستضر بالبيع فلا ينبغي أن يرضى لنفسه أن يكون سبب استضرار أخيه المسلم قال
صلى الله عليه وسلم من أقال نادما بيعته أقاله الله عثرته يوم القيامة أو كما قال. السادس أن يقصد في معاملته جماعة من الفقراء
بالنسيئة وهو في الحال عازم على أن لا يطالبهم إن لم تظهر لهم ميسرة فقد كان في صالحي السلف من له دفتران للحساب أحدهما
ترجمة مجهولة فيه أسامي من لا يعرف من الضعفاء والفقراء وذلك أن الفقير كان يرى الطعام أو الفاكهة فيشتهيه فيقول أحتاج
إلى خمسة أرطال مثلا من هذا وليس معي ثمنه فكان يقول خذه واقض ثمنه عند الميسرة ولم يكن يعد هذا من الخيار بل عد من الخيار من
لم يكن يثبت اسمه في الدفتر أصلا ولا يجعله دينا ولكن يقول خذ ما تريد فإن تيسر لك فاقض وإلا فأنت في حل منه وسعة فهذا

فهذه طرق تجارات السلف وقد اندرست والقيام به إحياء لهذه السنة وبالجملة التجارة محك الرجال وبها يمتحن دين الرجل
وورعه ولذلك قيل: لا يغرنك من المرء قميص رقعه ... أو إزار فوق كعب الساق منه رفعه ... ولدى الدرهم فانظر غيه أو ورعه
ولذلك قيل إذا أثنى على الرجل جيرانه في الحضر وأصحابه في السفر ومعاملوه في الأسواق فلا تشكوا في صلاحه وشهد عند عمر
رضي الله عنه شاهد فقال ائتني بمن يعرفك فأتاه برجل فأثنى عليه خيرا فقال له عمر رضي الله عنه أنت جاره الأدنى الذي
تعرف مدخله ومخرجه فقال لا فقال كنت رفيقه في السفر الذي يستدل به على مكارم الأخلاق فقال لا فقال عاملته بالدينار والدرهم
والدينار الذي يستبين ورع الرجل فقال لا قال أظنك رأيته قائما في المسجد يهمهم بالقرآن يخفض رأسه طورا ويرفعه
أخرى قال نعم قال اذهب فلست تعرفه وقال للرجل اذهب وائتني بمن يعرفك

الباب الخامس

في شفقة التاجر على دينه فيما يخصه ويعم آخرته لا ينبغي للتاجر أن يشغله معاشه عن معاده فيكون عمره ضائعا وصفقته خاسرة
وما يفوته من الربح في الآخرة لا يفي به ما يناله في الدنيا فيكون ممن اشترى الحياة الدنيا بالآخرة بل العاقل ينبغي أن يشفق
على نفسه وشفقته على نفسه بحفظ رأس ماله ورأس ماله دينه وتجارته فيه قال بعض السلف أولى الأشياء بالعاقل أحوجها إليه في
العاجل وأحوج شيء إليه في العاجل أحمده عاقبة في الآجل وقال معاذ بن جبل في وصيته إنه لا بد لك من نصيبك في الدنيا وأنت
وقال تعالى ولا تنس نصيبك من الدنيا أي لا تنس في الدنيا نصيبك من الآخرة فإنها مزرعة الآخرة وفيها تكتسب الحسنات وإنما تتم
شفقة التاجر على دينه بمراعاة سبعة أمور الأول حسن النية والعقيدة في ابتداء التجارة فلينو بها الاستعفاف عن السؤال
وكف الطمع عن الناس استغناء بالحلال عنهم واستعانة بما يكسبه على الدين وقياما بكفاية العيال ليكون من جملة المجاهدين
ولينو النصح للمسلمين وأن يحب لسائر الخلق ما يحب لنفسه ولينو اتباع طريق العدل والإحسان في معاملته كما ذكرناه ولينو الأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر في كل ما يراه في السوق فإذا أضمر هذه العقائد والنيات كان عاملا في طريق الآخرة فإن استفاد
مالا فهو مزيد وإن خسر في الدنيا ربح في الآخرة. الثاني أن يقصد القيام في صنعته أو تجارته بفرض من فروض الكفايات
فإن الصناعات والتجارات لو تركت بطلت المعايش وهلك الخلق فانتظام أمر الكل بتعاون الكل وتكفل كل فريق بعمل ولو أقبل
كلهم على صنعة واحدة لتعطلت البواقي وهلكوا وعلى هذا حمل قوله عليه السلام اختلاف أمتي رحمة على اختلاف هممهم في الصناعات
والحرف ومن الصناعات ما هي مهمة ومنها ما يستغنى عنها لرجوعها إلى طلب التنعم والتزين في الدنيا فليشتغل بصناعة مهمة
ليكون في قيامه بها كافيا عن المسلمين مهما في الدين وليجتنب صناعة النقش والصياغة وتشييد البنيان بالجص وجميع
ما تزخرف به الدنيا فكل ذلك كرهه ذوو الدين فأما عمل الملاهي والآلات التي يحرم استعمالها فاجتناب ذلك من
قبيل ترك الظلم ومن قبيل ذلك خياطة الخياط القباء من الإبريسم للرجال وصياغة الصائغ مراكب الذهب أو خواتيم الذهب
للرجال فكل ذلك من المعاصي والأجرة المأخوذة عليه حرام ولذلك أوجبنا الزكوة فيها وإن كنا لا نوجب الزكوة في الحلي
لأنها إذا قصدت للرجال فهي محرمة وكونها مهيأة للنساء لا يلحقها بالحلي المباح ما لم يقصد ذلك بها فيكتسب حكمها من
القصد وقد ذكرنا أن بيع الطعام وبيع الأكفان مكروه لأنه يوجب انتظار موت الناس وحاجاتهم بغلاء السعر ويكره أن يكون
جزارا لما فيه من قساوة القلب وأن يكون حجاما أو كناسا لما فيه من مخامرة النجاسة وكذا الدباغ وما في معناه وكره ابن سيرين
الدلالة وكره قتادة أجرة الدلالة ولعل السبب فيه قلة استغناء الدلال عن الكذب والإفراط في الثناء على السلعة لترويجها
ولأن العمل فيه لا يتقدر فقد يقل وقد يكثر ولا ينظر في مقدار الأجرة إلى عمله بل إلى قدر قيمة الثوب هذا هو العادة وهو ظلم بل

بل ينبغي ان ينظر الى قدر التعب وكرهوا شرى الحيوان للتجارة لان المشتري يكره قضاء الله فيه وهو الموت الذي بصدده لامحالة
بحلوله وقيل بع الحيوان واشتر الموتان وكرهوا الصرف لان الاحتراز فيه عن دقائق الربوا عسير ولانه طلب لدقائق الصفات
فيما لا يقصد اعيانها وانما يقصد رواجها وقل ما يتم للصيرفي ربح الا باعتماد جهالة معامله بدقائق النقد فقل ما يسلم
الصيرفي وان احتاط ويكره للصيرفي وغيره كسر الدراهم الصحيح والدنانير الا عند الشك في جودته او عند ضرورة قال
احمد بن حنبل رحمه الله ورد نهي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن اصحابه في الصياغة من الصحاح وانا اكره الكسر وقال يشتري
بالدينار دراهم ثم تشتري ذهبا ويصوغه واستحبوا تجارة البز قال سعيد بن المسيب ما من تجارة احب الي من البز ما لم يكن فيها ايمان
وروى خير تجارتكم البز وخير صنائعكم الخرز وفي حديث لو اتجر اهل الجنة لاتجروا والاتجروا في الصرف وقيل قد كان غالب
اعمال الاخيار من السلف عشر صنائع الخرز والتجارة والحمل والخياطة والقصارة وعمل الخفاف وعمل الحديد وعمل المغازل ومعالجة
صيد البر والبحر والوراقة وقال عبد الوهاب الوراق قال لي احمد بن حنبل ما صنعتك قلت الوراقة قال كسب طيب ولو كنت صانعا بيدي
لصنعت صنعتك ثم قال لي لا تكتب الا مواضعه واستبق الحواشي وظهور الاجزاء واربعة من الصناع موسومون عند الناس بضعف
الراي الحاكة والقطانون والمغازليون والمعلمون ولعل ذلك لان اكثر مخالطتهم مع النساء والصبيان ومخالطة ضعفاء العقول
تضعف العقل كما ان مخالطة العقلاء تزيد في العقل وعن مجاهد ان مريم عليها السلام خرجت في طلبها لعيسى عليه السلام فمرت بحاكة فطلبت
الطريق فارشدوها غير الطريق فقالت اللهم انزع البركة من كسبهم وامتهم فقرا وحقرهم في اعين الناس فاستجيب دعاؤها وكره
السلف اخذ الاجرة على ما هو من قبيل العبادات وفروض الكفايات كغسل الاموات ودفنهم وكالاذان وصلوة التراويح وان
حكم بصحة الاستيجار عليه وكذا تعليم القرآن وتعليم علم الشرع فان هذه اعمال حقها ان يتجر بها للاخرة واخذ الاجرة عليها استبدال
بالدنيا عن الاخرة فلا يستحب ذلك الثالث ان لا يمنعه سوق الدنيا عن سوق الاخرة واسواق الاخرة المساجد قال الله
تعالى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلوة وايتاء الزكوة وقال تعالى في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه
فينبغي ان يجعل اول النهار الى وقت دخول السوق لاخرته فيلازم المسجد ويواظب على الاوراد وكان عمر رضي الله عنه يقول
للتجار اجعلوا اول نهاركم لاخرتكم وما بعده لدنياكم وكان صالحوا السلف يجعلون اول النهار وآخره للاخرة والوسط للتجارة
فلم يكن يبيع الهريسة والرؤس بكرة الا الصبيان واهل الذمة لانهم كانوا الا انهم كانوا بعد في المسجد وفي الخبر ان الملائكة اذا صعدت
بصحيفة العبد في اول النهار وفي آخره ذكر وخير كفر الله عنه ما بينهما من سيء الاعمال وفي الخبر يلتقي ملائكة الليل والنهار عند طلوع
الفجر وعند صلوة العصر فيقول الله عز وجل كيف تركتم عبادي فيقولون تركناهم يصلون وجئناهم يصلون فيقول الله عز وجل اشهدكم
اني قد غفرت لهم ثم مهما سمع الاذان في وسط النهار للاولى والعصر فينبغي ان لا يعرج على شغل وينزعج عن مكانه ويدع كل ما كان
فيه فما يفوته من فضيلة التكبيرة مع الامام في اول الوقت لا توازيها الدنيا بما فيها ومهما لم يحضر الجماعة عصى عند بعض العلماء
وقد كان بعض السلف يبتدرون عند الاذان ويخلون الاسواق للصبيان واهل الذمة وكانوا يستأجرون بالقراريط لحفظ الحوانيت
في اوقات الصلوة وكان ذلك معيشة وجاء في تفسير قوله تعالى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله انهم كانوا حدادين وخرازين
فكان احدهم اذا رفع المطرقة او غرز الاشفى فسمع الاذان لم يخرج الاشفى من المغرز ولم يضع المطرقة ورمى بها وقام الى الصلوة
الرابع ان لا يقتصر على هذا بل يلازم ذكر الله تعالى في السوق ويشتغل بالتسبيح والتهليل فذكر الله تعالى في السوق بين الغافلين
افضل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاكر الله في الغافلين كالمقاتل في الفارين وكالحي بين الاموات وفي لفظ آخر كالشجرة الخضراء بين الهشيم

الهشيم وقال صلى الله عليه وسلم من دخل السوق وقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو
حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير كتب الله له الف الف حسنة وكان ابن عمر وسالم بن عبد الله ومحمد بن واسع وغيرهم
رضي الله عنهم يدخلون السوق قاصدين لنيل فضيلة هذا الذكر وقال الحسن رضي الله عنه ذاكر الله في السوق يجيء يوم القيمة له ضوء
كضوء القمر وبرهان كبرهان الشمس ومن استغفر الله في السوق غفر الله له بعدد اهلها فكان عمر رضي الله عنه اذا دخل السوق قال
يقول اللهم اني اعوذ بك من الكفر والفسوق ومن شر ما احاطت به السوق اللهم اني اعوذ بك من يمين فاجرة وصفقة خاسرة
وقال ابو جعفر الفرغاني كنا يوما عند الجنيد رحمه الله فجرى ذكر ناس يجلسون في المساجد ويتشبهون بالصوفية ويقصرون عما
يجب عليهم من حق الجلوس ويعيبون من يدخل السوق فقال الجنيد كم ممن هو في السوق حكمه ان يدخل المسجد ويأخذ باذن بعض من فيه
فيخرجه ويجلس مكانه اني لاعرف رجلا يدخل في السوق ورده كل يوم ثلثمائة ركعة وثلثون الف تسبيحة قال فسبق الي وهمي
انه يعني نفسه فهكذا كانت تجارة من يتجر لطلب الكفاية لا للتنعم في الدنيا فان من يطلب الدنيا للاستعانة بها على الاخرة كيف
يدع ربح الاخرة والسوق والمسجد والبيت له حكم واحد وانما النجاة بالتقوى قال صلى الله عليه وسلم اتق الله حيث كنت فوظيفة
التقوى لا ينقطع عن المتجردين للدين كيف ما تقلبت بهم الاحوال وبه يكون حياتهم وعيشهم اذ فيه يرون تجارتهم وربحهم وقد قيل
من احب الله عاش ومن احب الدنيا طاش والاحمق يغدو ويروح في لاش الخامس ان لا يكون شديد الحرص على السوق و
التجارة وذلك بان يكون اول داخل وآخر خارج وبان يركب البحر في التجارة فهما مكروهان فقيل من ركب البحر فقد استقصى في طلب
الرزق وفي الخبر لا يركب البحر الا لحج او عمرة او غزو وكان عمرو بن العاص يقول لا تكن اول داخل في السوق ولا آخر خارج منها فان بها
باض الشيطان وفرخ وروى معاذ بن جبل وعبد الله بن عمر رضي الله عنهم ان ابليس لعنه الله يقول لولده زلنبور سر بكتائبك فأت
صاحب الاسواق زين الكذب والحلف والخديعة والمكر والخيانة وكن مع اول داخل وآخر خارج منها وفي الخبر شر البقاع الاسواق وشر
اهلها اولهم دخولا وآخرهم خروجا وتمام هذا الاحتراز ان يراقب وقت كفايته فاذا حصلت كفاية وقته انصرف واشتغل بتجارة
الاخرة هكذا كان صالحوا السلف فقد كان منهم من اذا ربح حبتين رفع سفطه وانصرف وقال ابراهيم بن بشار قلت لابراهيم بن ادهم امر اليوم
اعمل في الطين فقال يا ابن بشار انك طالب ومطلوب يطلبك من لا تفوته وتطلب من لا يفوتك اما رأيت حريصا محروما وضعيفا مرزوقا
فقلت ان لي دانقا عند البقال فقال عزاء عليك تملك دانقا وتطلب العمل وقد كان فيهم من ينصرف بعد الظهر ومنهم بعد العصر
ومنهم من لا يعمل في الاسبوع الا يوما او يومين وكانوا يكتفون به السادس ان لا يقتصر على اجتناب الحرام بل يتقي
مواقع الشبه ومظان الريب ولا ينظر الى الفتاوى بل يستفتي قلبه فما وجد فيه حزازة اجتنبه واذا حمل اليه سلعة رابه
امرها سأل عنها حتى يعرف والا اكل الشبهة وقد حمل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لبن فقال من اين لكم هذا فقيل من
الشاة فقال ومن اين لكم هذه الشاة فقيل من موضع كذا فشرب منه ثم قال انا معاشر الانبياء امرنا ان لا نأكل الا طيبا ولا
نعمل الا صالحا وقال ان الله تعالى امر المؤمنين بما امر به المرسلين فقال تعالى يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم فسأل
صلى الله عليه عن اصل الشيء وعن اصل اصله ولم يزد لان ما وراء ذلك تعذر وسنبين في كتاب الحلال والحرام موضع وجوب
هذا السؤال فانه صلى الله عليه وسلم لا يسأل عن كل ما يحمل اليه وانما الواجب ان ينظر التاجر الى من يعامله وكل منسوب الى ظلم
او خيانة او سرقة او ربوا فلا يعامله وكذا الاجناد والظلمة لا يعاملهم البتة ولا يعامل اصحابهم واعوانهم لانه معين بذلك على الظلم
وحكي عن رجل انه تولى عمل سور لثغر من الثغور فقال وقع في نفسي من ذلك شيء وان كان ذلك من الخيرات بل من فرائض الاسلام ولكن

كان الامير الذي تولى عن جهته من الظلمة فسألت سفين فقال لا تكن عونا لهم على قليل ولا كثير فقلت هذا سور في سبيل الله عز وجل للمسلمين
فقال نعم ولكن اقل ما يدخل عليك ان تحب بقائهم ليوفوك اجرك فتكون قد احببت بقاء من يعصي الله تعالى وقد جاء في الخبر من دعا
لظالم بالبقاء فقد احب ان يعصى الله تعالى في ارضه وفي الحديث ان الله عز وجل ليغضب اذا مدح الفاسق وفي خبر آخر من اعان فاسقا
فقد اعان على هدم الاسلام وقال دخل سفين على المهدي وبيده درج ابيض فقال يا سفين اعطني الدواة حتى اكتب قال اخبرني اي شي
تكتب فان كان حقا اعطيتك وطلب بعض الامراء من بعض العلماء المحبوسين عنده ان يناوله طينا ليختم به الكتاب فقال ناولني الكتاب
اولا حتى انظر ما فيه وهكذا كانوا يحترزون عن معاونة الظلمة ومعاملتهم اشد انواع الاعانة فينبغي ان يجتنبه ذو الدين ما وجد اليه سبيلا

وبالجملة فينبغي ان ينقسم الناس عنده الى من
يعامل والى من لا يعامل فليكن من يعامل اقل
ممن لا يعامله وفي هذا الزمان قال بعضهم
اتى على الناس زمان كان الرجل يدخل
السوق ويقول من ترون لي ان اعامل
من الناس فيقال عامل من شئت ثم اتى زمان

آخر كان يقال عامل من شئت الا فلانا وفلانا ثم اتى وقت آخر وكان يقال لا تعامل احدا الا فلانا وفلانا واخشى ان يأتي زمان
يذهب هذا ايضا وكانه قد كان الذي لحاذر ان يكون انا الى الله راجعون السابع ينبغي ان يراقب جميع مجاري معاملاته

معاملاته مع كل واحد من معامليه فانه مراقب ومحاسب فليعد الجواب ليوم الحساب والعقاب في كل فعلة وقوله انه لم اقدم
عليه ولاجل ماذا فانه يقال انه يوقف التاجر يوم القيمة مع كل من باعه شيئا وقفة ويحاسب عن كل واحد محاسبة على عدد من عامله
قال بعضهم رايت بعض التجار في النوم فقلت ما ذا فعل الله بك فقال نشر على خمسين الف صحيفة فقلت هذه كلها ذنوب
فقال هذه معاملات الناس بعدد كل من كنت عاملته في الدنيا لكل انسان صحيفة مفردة فيما بينك وبينه من اول المعاملة
الى آخرها فهذا ما على المكتسب في معاملته من العدل والاحسان والشفقة على الدين فان اقتصر على العدل كان من
الصالحين وان اضاف اليه الاحسان كان من المقربين فان راعى مع ذلك وظائف الدين كما ذكرناه في الباب

الخامس كان من الصديقين والله اعلم
تم كتاب آداب الكسب
بعون الله تعالى وحسن توفيقه
ومنه وفضله وجوده والحمد لله
اولا واخرا ظاهرا وباطنا

وهو الكتاب الثالث من ربع العادات من كتب احياء علوم الدين نفعنا الله بمؤلفه برحمته يوم الدين
وصلى الله على سيد الاولين والآخرين والسابقين واللاحقين محمد المصطفى الامين وعلى آله وصحبه الطيبين وعترته الطاهرين

م

كتاب الحلال والحرام والشبهات وهو الرابع من ربع العادات

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذي خلق الانسان من الطين اللازب الصلصال ثم ركب صورته في احسن تقويم واتم اعتدال ثم غذاه في اول نشوه
بلبن استصفاه من بين فرث ودم سائغا كالماء الزلال ثم حماه بما آتاه من طيبات الرزق عن دواعي الضعف والانحلال ثم
قيد شهوته المعادية له عن السطوة والصيال وقهرها بما افترضه عليه من طلب القوت الحلال وهزم بكسرها جند الشيطان
المتشمر للاضلال فلقد كان يجري من ابن آدم مجرى الدم السيال فيضيق عليه لعزة الحلال المجرى والمجال اذ كان لا يبدو رقه الي
اعماق العروق الا الشهوات المائلة الى الغفلة والاسترسال فبقي لما زمته زمام الحلال خائبا خاسرا ما له من ناصر ولا وال
والصلوة على محمد الهادي من الضلال وعلى آله وصحبه خير صحب وآل وسلم كثيرا اما بعد فقد قال
صلى الله عليه وسلم طلب الحلال فريضة على كل مسلم رواه عنه ابن مسعود رضي الله عنه وهذه الفريضة من بين سائر الفرائض
اعصاها على العقول فهما واثقلها على الجوارح فعلا ولذلك اندرس بالكلية علما وعملا وصار غموض علمه سببا لاندراس عمله
اذ ظن الجهال ان الحلال مفقود وان السبيل دون الوصول اليه مسدود وانه لم يبق من الطيبات الا الماء الفرات والحشيش النابت
في الموات وما عداه فقد اخبثته الايدي العادية وافسدته المعاملات الفاسدة واذا تعذرت القناعة بالحشيش من النبات لم يبق
وجه سوى الاتساع في المحرمات فرفضوا هذا القطب من الدين اصلا ولم يدركوا بين الاموال فرقا وفصلا وهيهات هيهات فالحلال
بين والحرام بين وبينهما امور متشابهات ولا تزال هذه الثلثة مشتبهات كيفما تقلبت الحالات ولما كان هذا بدعة
عم في الدين ضررها واستطار في الخلق شررها وجب كشف الغطاء عن فسادها بالارشاد الى مدارك الفرق بين الحلال والحرام
والشبهة على وجه في التحقيق والبيان لا يخرجه التضييق عن حيز الامكان ونحن نوضح ذلك في سبعة ابواب

الباب الاول في فضيلة طلب الحلال ومذمة الحرام ودرجات الحلال والحرام الباب الثاني
في مراتب الشبهات ومثاراتها وتمييزها عن الحلال والحرام الباب الثالث في البحث والسؤال والهجوم والاهمال ومظانها في الحلال والحرام
الباب الرابع في كيفية خروج التائب عن المظالم المالية الباب الخامس
في ادرارات السلاطين وصلاتهم وما يحل منها وما يحرم الباب السادس في الدخول على السلاطين ومخالطتهم
الباب السابع في مسائل متفرقة الباب الاول

في الحلال والحرام وهو فضيلة الحلال ومذمة الحرام وبيان اصناف الحلال ودرجاته واصناف الحرام ودرجات الورع فيه فضيلة
الحلال والحرام قال الله تعالى كلوا من الطيبات واعملوا صالحا امر بالاكل من الطيبات قبل العمل الصالح وقيل ان المراد به الحلال
وقال تعالى ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل وقال تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربوا ثم قال فان
لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله ثم قال وان تبتم فلكم رؤس اموالكم ثم قال ومن عاد فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون
جعل آكل الربوا في اول الامر مؤذنا بمحاربة الله وفي آخره متعرضا للنار والآيات الواردة في الحلال والحرام لا تحصى الاخبار
روى ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال طلب الحلال فريضة على كل مسلم ولما قال صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على
كل مسلم قال بعض العلماء اراد به طلب علم الحلال والحرام وجعل المراد بالحديثين واحدا وقال صلى الله عليه وسلم من سعى على عياله
من حله فهو كالمجاهد في سبيل الله ومن طلب الدنيا حلالا في عفاف كان في درجة الشهداء وقال صلى الله عليه وسلم من اكل الحلال
اربعين يوما نور الله قلبه واجرى ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه وفي رواية زهده الله في الدنيا وروي ان سعدا سال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان يجعله مجاب الدعوة فقال له اطب طعمتك تستجب دعوتك ولما ذكر الحريص على الدنيا
قال رب اشعث اغبر مشرد في الاسفار مطعمه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام يرفع يديه فيقول يا رب يا رب فانى يستجاب لذلك
وفي حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم ان لله ملكا على بيت المقدس ينادي كل ليلة من اكل حراما لم يقبل منه صرف ولا
عدل فقيل الصرف النافلة والعدل الفريضة وقال صلى الله عليه وسلم من اشترى ثوبا بعشرة دراهم وفي ثمنه درهم حرام لم يقبل
الله صلوته ما دام عليه منه شيء وقال صلى الله عليه وسلم كل لحم نبت من الحرام فالنار اولى به وقال صلى الله عليه وسلم من لم يبال من
اين اكتسب المال لم يبال الله من اين ادخله النار وقال صلى الله عليه وسلم العبادة عشرة اجزاء فتسعة منها في طلب الحلال روي
هذا موقوفا على بعض الصحابة ومرفوعا وقال صلى الله عليه وسلم من امسى وانيا من طلب الحلال بات مغفورا له واصبح والله عنه راض
وقال صلى الله عليه وسلم من اصاب مالا من ماثم فوصل به رحما او تصدق به او انفقه في سبيل الله جمع الله ذلك جميعا ثم قذفه
في النار وقال عليه الصلوة والسلام خير دينكم الورع وقال صلى الله عليه وسلم من لقي الله ورعا اعطاه الله ثواب الاسلام كله
ويروى ان الله عز وجل قال واما الورعون فاني استحيي ان احاسبهم وقال صلى الله عليه وسلم درهم من الربوا اشد عند الله من
ثلثين زنية في الاسلام وفي حديث ابي هريرة المعدة حوض البدن والعروق اليها واردة فاذا صحت المعدة صدرت العروق بالصحة
واذا سقمت صدرت بالسقم ومثل الطعمة من الدين مثل الاساس من البنيان فاذا ثبت الاساس وقوي استقام البنيان وارتفع
واذا ضعف الاساس واعوج انهار البنيان ووقع وقد قال الله تعالى افمن اسس بنيانه على تقوى من الله الاية وفي الحديث
وفي الحديث من اكتسب مالا من حرام فان تصدق به لم يقبل منه وان تركه وراءه كان زاده الى النار وقد ذكرنا جملة من الاخبار
في كتاب آداب الكسب يكشف عن فضيلة كسب الحلال واما الآثار فقد روي ان الصديق رضي الله عنه شرب لبنا من
كسب عبده ثم سأله فقال تكهنت لقوم فاعطوني فادخل اصبعه في فيه وجعل يقي حتى ظننت ان نفسه ستخرج ثم قال اللهم اني
اعتذر اليك مما حملت العروق وخالط الامعاء وفي بعض الاخبار انه اخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال او ما علمت
ان الصديق لا يدخل جوفه الا طيبا وكذلك شرب عمر رضي الله عنه لبنا من ابل الصدقة غلطا فادخل اصبعه وتقيا وقالت عائشة
رضي الله عنها انكم لتغفلون عن افضل العبادة الورع وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما لو صليتم حتى تكونوا كالحنايا وصمتم
حتى تكونوا كالاوتار لم يقبل ذلك منكم الا بورع حاجز وقال ابرهيم بن ادهم ما ادرك من ادرك الا من كان يعقل ما يدخل
في جوفه وقال الفضيل رضي الله عنه من عرف ما يدخل جوفه كتبه الله صديقا فانظر عند من تفطر يا مسكين وقيل لابرهيم بن ادهم
الا تشرب من ماء زمزم فقال لو كان لي دلو لشربت وقال سفيان الثوري من انفق من الحرام في طاعة الله كان كمن طهر الثوب بالبول

والثوب لا يطهره الا الماء والذنب لا يكفره الا الحلال وقال يحيى بن معاذ رضي الله عنه الطاعة خزانة من خزائن الله تعالى ومفتاحها
الدعاء واسنانها اللقمة الحلال قال ابن عباس رضي الله عنهما لا يقبل الله صلوة امرئ في جوفه حرام وقال سهل التستري
رحمه الله لا يبلغ العبد حقيقة الايمان حتى يكون فيه اربع خصال اداء الفرائض بالسنة واكل الحلال بالورع واجتناب النهي من
الظاهر والباطن والصبر على ذلك الى الموت وقال من احب ان يكاشف بآيات الصديقين فلا ياكل الا حلالا ولا يعمل الا في سنة او
ضرورة ويقال من اكل الشبهة اربعين يوما اظلم قلبه وهو تاويل قوله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون
وقال ابن المبارك رد درهم من شبهة احب الي من ان اتصدق بمائة الف ومائة الف ومائة الف حتى بلغ ستمائة الف
وقال بعض السلف ان العبد ياكل اكلة فيتقلب قلبه فينغل كما ينغل الاديم فلا يعود الى حاله ابدا وقال سهل رحمه الله من اكل
الحرام عصت جوارحه شاء ام ابى علم او لم يعلم ومن كانت طعمته حلالا اطاعته جوارحه ووفقت للخيرات وقال بعض السلف ان اول
لقمة ياكلها العبد من حلال يغفر له بها ما سلف من ذنوبه ومن اقام نفسه مقام ذل في طلب الحلال تساقطت عنه ذنوبه كما
تساقط ورق الشجر وروي في آثار السلف ان الواعظ كان اذا جلس للناس قال العلماء تفقدوا منه ثلثا فان كان معتقدا لبدعة
فلا تجالسوه فانه عن لسان الشيطان ينطق وان كان سيئ المطعم فعن الهوى ينطق وان لم يكن مكين العقل فانه يفسد بكلامه اكثر مما
يصلح فلا تجالسوه وفي الآثار المشهورة عن علي رضي الله عنه وغيره ان الدنيا حلالها حساب وحرامها عذاب وزاد آخرون
وشبهتها عتاب وروي ان بعض الصالحين دفع طعاما الى بعض الابدال فلم ياكله فسأله عنه فقال نحن لا ناكل الا حلالا ولذلك
يستقيم قلوبنا ويدوم حالنا ونكاشف بالملكوت ونشاهد الآخرة ولو اكلنا مما تاكلون ثلاثة ايام لما رجعنا الى علم اليقين
من شيء ولذهب الخوف والمشاهدة من قلوبنا فقال له الرجل فاني اصوم الدهر واختم القرآن في كل شهر ثلثين ختمة فقال له هذه الشربة
من لبن الظبي بالليل التي شربتها احب الي من ثلثين ختمة في ثلثمائة ركعة من اعمالك وكانت شربته لبن ظبية وحشية وقد كان بين
احمد بن حنبل ويحيى بن معين صحبة طويلة فهجره احمد اذ سمعه يقول اني لا اسأل احدا ولو اعطاني الشيطان شيئا لاكلته حتى
اعتذر يحيى وقال كنت امزح فقال تمزح بالدين اما علمت ان الاكل من الدين قدمه الله تعالى على العمل الصالح فقال كلوا من الطيبات
واعملوا صالحا وفي الخبر انه مكتوب في التورية من لم يبال من اين مطعمه لم يبال الله من اي ابواب النار ادخله وعن علي رضي الله عنه
انه لم ياكل بعد قتل عثمان رضي الله عنه ونهب الدار طعاما الا مختوما حذرا من الشبهة واجتمع فضيل بن عياض وابن عيينة وابن
المبارك عند وهيب بن الورد رضي الله عنهم بمكة فذكروا الرطب فقال وهيب هو من احب الطعام الي الا اني لا آكله لاختلاط رطب
مكة ببساتين زبيدة وغيرها فقال ابن المبارك ما اردت الا ان اهون ان نظرت الى هذا ضاق عليك الخبز قال وما سببه قال ان اصول
الضياع اختلطت بالصوافي فغشي على وهيب فقال سفين قتلت الرجل فقال ابن المبارك ما اردت الا ان اهون عليه فلما افاق
قال لله علي ان لا آكل خبزا ابدا حتى القاه وكان يشرب اللبن فاتته امه بلبن فسألها فقالت هو من شاة بني فلان فسألها عن ثمنها و
انه من اين لهم فذكرت فلما ادناه من فيه قال بقي انها كانت من اين ترعى فسكتت فلم يشرب لانها كانت ترعى من موضع للمسلمين فيه
حق فقالت امه اشرب فان الله يغفر لك فقال ما احب ان يغفر لي وقد شربته فانال مغفرته بمعصيته وكان بشر الحافي
رحمه الله من الورعين فقيل له من اين تاكل فقال من حيث تاكلون ولكن ليس من ياكل ويبكي كمن ياكل ويضحك وقال يدي اقصر من يدي
ولقمة اصغر من لقمة فهكذا كانوا يحترزون عن الشبهات اصناف الحلال ومداخله اعلم ان تفصيل الحلال
والحرام انما يتولى بيانه كتب الفقه ويستغني المريد عن تطويله بان يكون له طعمة معينة يعرف بالفتوى حله وكان لا ياكل من غيره

فاما من يتوسع في الاكل من وجوه متفرقة فيفتقر الى علم الحلال والحرام انما يتولى بيانه كله كما فصلناه في كتب الفقه ونحن
نحن الآن نشير الى مجامعه في سياق تقسيم وهو ان المال انما يحرم اما لمعنى في عينه او لخلل في جهة اكتسابه القسم الاول
المحرم لصفة في عينه كالخمر والخنزير وغيرهما وتفصيله ان الاعيان الماكولة على وجه الارض لا تعدو ثلثة اقسام فانها اما ان تكون
من المعادن كالملح والطين وغيرهما او من النبات او من الحيوان فاما المعادن وهي اجزاء الارض وجميع ما يخرج منها فلا يحرم
اكله الا من حيث يضر بالآكل وفي بعضها ما يجري مجرى السم فالخبز لو كان مضرا حرم اكله والطين الذي يعتاد اكله لا يحرم
الا من حيث الضرر وفائدة قولنا انها لا تؤكل انه لو وقع شيء منها في مرقة او طعام لم يصر به حراما واما النبات فلا يحرم منه
الا ما يزيل العقل او يزيل الحيوة او يزيل الصحة فمزيل العقل البنج والخمر وسائر المسكرات ومزيل الحيوة السموم و
مزيل الصحة الادوية في غير وقتها وكان مجموع هذا يرجع الى الضرر الا الخمر والمسكرات فان الذي لا يسكر منها ايضا حرام
مع قلته لعينه ولصفته وهي الشدة المطربة واما السم فاذا خرج عن كونه مضرا لقلته او لعجنه بغيره فلا يحرم واما
الحيوانات فتنقسم الى ما يؤكل والى ما لا يؤكل وتفصيله في كتاب الاطعمة والنظر يطول في تفصيله لا سيما في الطيور الغريبة
وحيوانات البر والبحر وما يحل اكله فانما يحل اذا ذبح ذبحا شرعيا روعي فيه شروط الذابح والآلة والمذبح وذلك
مذكور في كتاب الصيد والذبائح وما لم يذبح ذبحا شرعيا او مات فهو حرام الا ميتتان السمك والجراد وفي معناهما ما يستحيل
من الاطعمة كدود التفاح والخل والجبن فان الاحتراز عنه غير ممكن فاما اذا افردت فحكمها حكم الذباب والخنفساء والعقرب وكل ما ليس
له نفس سائلة فلا سبب في تحريمها الا الاستقذار ولو لم يكن لكان لا يكره وان وجد شخص لا يستقذره لم يلتفت الى خصوص طبعه
فانه التحق بالخبائث لعموم الاستقذار فيكره اكله كما لو جمع المخاط وشربه كره ذلك وليست الكراهة لنجاستها فان الصحيح
انها لا تنجس بالموت اذ امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يمقل الذباب في الطعام اذا وقع فيه وربما يكون حارا ويكون
ذلك سبب موته ولو تهرت نملة او ذبابة في قدر لم يجب اراقتها اذ المستقذر جرمها اذا بقي له جرم ولم ينجس حتى يحرم
بالنجاسة وهذا يدل على ان تحريمه للاستقذار ولذلك نقول لو وقع جزء من آدمي ميت ولو قدر دانق حرم الكل لا للنجاسة
فان الصحيح ان الآدمي لا ينجس بالموت وذلك لان اكله محرم احتراما لا استقذارا واما الحيوانات الماكولة اذا ذبحت بشرط
الشرع فلا يحل جميع اجزائها بل يحرم منها الدم والفرث وكل ما يقضى بنجاسته منها بل تناول النجاسة مطلقا محرم ولكن ليس
في الاعيان شيء نجس الا من الحيوانات واما من النبات فالمسكرات فقط دون ما يزيل العقل ولا يسكر كالبنج فان نجاسة المسكر
تغليظ للزجر عنه لكونه في مظنة التشوق ومهما وقعت قطرة من النجاسة مطلقا في المائعات او جزء من نجاسة جامدة في مرقة او
او طعام او دهن حرم اكل جميعه ولا يحرم الانتفاع به لغير الاكل فيجوز الاستصباح بالدهن النجس وكذا طلاء السفن و
الحيوانات وغيرها فهذه مجامع ما يحرم لصفة في ذاته القسم الثاني ما يحرم لخلل في جهة اثبات اليد عليه وفيه
فنقول اخذ المال اما ان يكون باختيار المتملك او بغير اختياره فالذي يكون بغير اختياره كالارث والذي باختياره اما ان يكون
من مالك كنيل المعادن او لا يكون من مالك والذي يؤخذ من مالك فاما ان يؤخذ قهرا واما ان يكون تراضيا والماخوذ قهرا
اما ان يكون لسقوط عصمة المالك كالغنائم او لاستحقاق الاخذ كزكوة الممتنعين والنفقات الواجبة عليهم والماخوذ
تراضيا اما ان يؤخذ بعوض كالبيع والصداق والاجرة واما ان يؤخذ بغير عوض كالهبة والوصية فيحصل من هذا
السياق ستة اقسام الاول ما لا يؤخذ من مالك كنيل المعادن واحياء الموات والاصطياد والاحتطاب والاستقاء

من النهر والاحتشاش فهذا حلال بشرط ان لا يكون الماخوذ مختصا بذي حرمة من الادميين فاذا انفك عن هذه الا
ملكه اخذه وتفصيل ذلك في كتاب احياء الموات الثاني الماخوذ قهرا ممن لا حرمة له وهو الفيء والغنيمة وسائر اموال
الكفار والمحاربين وذلك حلال للمسلمين اذا اخرجوا منها الخمس وقسموها بين المستحقين بالعدل ولم ياخذوها من كافر له حرمة
وامان وعهد وتفصيل هذه الشروط في كتاب السير وكتاب الفيء والغنيمة الثالث ما يوخذ قهرا باستحقاق عند امتناع
من عليه فيوخذ دون رضاه وذلك حلال اذا تم سبب الاستحقاق وتم وصف المستحق الذي به استحقاقه واقتصر على
المستحق واستوفاه من يملك الاستيفاء من قاض وسلطان او مستحق وتفصيل ذلك في كتاب تفريق الصدقات وكتاب الوقف
وكتاب النفقات اذ فيه النظر الى صفة المستحقين للزكوة والوقف والنفقة وغيرها من الحقوق فاذا استوفيت بشرائطها
كان الماخوذ حلالا الرابع ما يوخذ تراضيا بمعاوضة وذلك حلال اذا روعي شروط العوضين وشرط العاقدين وشرط
اللفظين اعني الايجاب والقبول مع ما تعبد الشرع به من اجتناب الشروط المفسدة وبيان ذلك في كتاب البيع والسلم والاجارة
والحوالة والضمان والقراض والشركة والمساقات والشفعة والصلح والخلع والكتابة والصداق وسائر المعاوضات
الخامس ما يوخذ بالرضي من غير عوض وهو حلال اذا روعي شرط المعقود عليه وشرط العاقدين وشرط اللفظين ولم
يؤد الى ضرر بوارث او غيره وذلك مذكور في كتاب الهبات والوصايا والصدقات السادس ما يحصل بغير اختيار كالميراث
وهو حلال اذا كان الموروث قد اكتسب المال من بعض الجهات الخمس على وجه حلال ثم كان ذلك بعد قضاء الدين وتنفيذ الوصايا
وتعديل القسمة بين الورثة واخراج الزكوة والكفارة والحج ان كان واجبا وذلك مذكور في كتاب الوصايا والفرائض فهذه مجامع
مداخل الحلال اومانا الى جملتها ليعلم المريد انه ان كانت طعمته متفرقة لا من جهة معينة فلا يستغني عن علم هذه الامور فكل
ما ياكله من جهة من هذه الجهات ينبغي ان يستفتي فيه اهل العلم ولا يقدم عليه بالجهل فانه كما يقال للعالم لم خالفت علمك يقال
للجاهل لم لازمت جهلك ولم تتعلم بعد ان قيل لك طلب العلم فريضة على كل مسلم ؟ درجات الحلال والحرام اعلم
ان الحرام كله خبيث ولكن بعضه اخبث من بعض والحلال كله طيب ولكن بعضه اطيب واصفى من بعض فكما ان الطبيب يحكم على كل حلو
بالحرارة ولكن يقول بعضها حار في الدرجة الاولى كالسكر وبعضها في الثانية كالفانيذ وبعضها في الثالثة كالدبس وبعضها في
الرابعة كالعسل فكذلك الحرام بعضه خبيث في الدرجة الاولى وبعضه في الثانية او الثالثة او الرابعة وكذلك الحلال تتفاوت
درجات صفائه وطيبه ولنقتد باهل الطب في الاصطلاح على اربع درجات تقريبا وان كان التحقيق لا يوجب هذا الحصر ويتطرق الى
كل درجة من الدرجات ايضا لا ينحصر فكم من سكر اشد حرارة من سكر وكذا غيره وكذلك الورع عن الحرام على اربع درجات الاولى
ورع العدول وهو الذي يجب الفسق باقتحامه ويسقط العدالة به ويثبت اسم العصيان والتعرض للنار بسببه وهو الورع عن كل ما تحرمه
فتاوي الفقهاء الثانية ورع الصالحين وهو الامتناع عما يتطرق اليه احتمال التحريم ولكن المفتي يرخص في التناول بناء على الظاهر
فهو من مواقع الشبهة على الجملة ولنسم التحرج عن ذلك ورع الصالحين وهو في الدرجة الثانية الثالثة ما لا يحرمه المفتي
ولا شبهة في حله ولكن يخاف منه اداؤه الى محرم وهو ترك ما لا باس به مخافة ما به باس وهذا ورع المتقين قال صلى الله عليه وسلم
لا يبلغ درجة المتقين حتى يدع ما لا باس به مخافة ما به باس الرابعة ما لا باس به اصلا ولا يخاف ان يؤدي الى ما به باس
ولكنه يتناول لغير الله على غير نية التقوي به على عبادة الله او يتطرق الى اسبابه المسهلة له كراهية او معصية والامتناع منه
ورع الصديقين فهذه درجات الحلال جملة الى ان نفصلها بالامثلة والشواهد واما الحرام الذي ذكرناه في الدرجة الاولى
وهو الذي يشترط التورع عنه في العدالة واطراح سمة الفسق فهو ايضا على درجات في الخبث فالماخوذ بعقد فاسد
كالمعاطاة مثلا فيما لا يجوز فيه المعاطاة حرام ولكن ليس في درجة المغصوب على سبيل القهر بل المغصوب اغلظ اذ فيه ترك طريق
الشرع وعيده وتاكيده في بعض المناهي على ما سياتي في كتاب التوبة عند ذكر الفرق بين الصغيرة والكبيرة بل الماخوذ ظلما من
فقير او صالح او يتيم اخبث واغلظ من الماخوذ من قوي او غني او فاسق لان درجات الايذاء تختلف باختلاف درجات المؤذى
فهذه دقائق تفاصيل الخبائث لا ينبغي ان يذهل عنها فلولا اختلاف درجات العصاة لما اختلف دركات النار واذا عرفت مثارات
التغليظ فلا حاجة الى الحصر في درجات ثلث او اربع فان ذلك جار مجرى التحكم والتشهي وهو طلب حصر فيما لا حاصر فيه وبين ذلك
على اختلاف درجات الحرام في الخبث ما سياتي في تعارض المحذورات وترجيح بعضها على بعض حتى اذا اضطر الى اكل
الميتة او اكل طعام الغير او اكل صيد الحرام فانه يقدم بعض هذه على بعض امثلة الدرجات الاربع في الورع وشواهدها
اما الدرجة الاولى وهي ورع العدول فكل ما اقتضى الفتوى تحريمه مما يدخل من المداخل الستة التي ذكرناها من مداخل الحرام
بفقد شرط من الشروط وهو الحرام المطلق الذي ينسب مقتحمه الى الفسق والمعصية وهو الذي نريده بالحرام المطلق فلا يحتاج
الى امثلة وشواهد اما الدرجة الثانية فامثلتها كل شبهة لا توجب اجتنابها والورع عنه ورع الموسوسين كمن
يمتنع عن الاصطياد خوفا من ان يكون الصيد قد افلت من انسان اخذه وملكه ومنها ما يستحب اجتنابه ولا يجب
وهو الذي ينزل عليه قوله صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك الى ما لا يريبك ونحمله على نهي التنزيه وكذلك قوله صلى الله
عليه وسلم كل ما اصميت ودع ما انميت والانماء ان يجرح الصيد فيغيب عنه ثم يدركه ميتا اذ يحتمل انه مات بسقطة
او بسبب اخر فالذي نختاره كما سياتي ان هذا ليس بحرام ولكن تركه من ورع الصالحين وقوله دع امر تنزيه اذ ورد في بعض الروايات
كل منه وان غاب عنك ما لم تجد فيه اثر غير سهمك وكذلك قال صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم في الكلب المعلم وان اكل فلا
تاكل فاني اخاف ان يكون انما امسك على نفسه على سبيل التنزيه لاجل الخوف اذ قال لابي ثعلبة وهو فقير مكتسب لا يحتمل
هذا الورع وحال عدي كان يحتمله يحكى عن ابن سيرين رحمه الله انه ترك لشريك له اربعة الاف درهم لانه حاك في قلبه شيء
مع اتفاق العلماء على انه لا باس به وامثله هذه الدرجة نذكرها عند التعرض لدرجات الشبهة فكل ما هو شبهة ولا يجب اجتنابه
فهو مثال لهذه الدرجة اما الدرجة الثالثة وهي ورع المتقين فيشهد لها قوله صلى الله عليه وسلم لا يبلغ العبد
درجة المتقين حتى يدع ما لا باس به مخافة ما به باس وقال عمر رضي الله عنه كنا ندع تسعة اعشار الحلال مخافة ان نقع في الحرام
وقال ابو الدرداء رضي الله عنه ان تمام التقوى ان يتقي العبد في مثقال ذرة حتى يترك بعض ما يرى انه حلال خشية ان يكون
حراما فيكون حجابا بينه وبين النار ولهذا كان لبعضهم على انسان مائة درهم فحملها اليه فاخذ تسعة وتسعين وتورع عن
استيفاء الكل خيفة الزيادة وكان بعضهم يتحرى فكل ما يستوفيه ياخذه بنقصان حبة وما يعطيه يزنه مع زيادة حبة ليكون
ذلك حاجزا من النار ومن هذه الدرجة الاحتراز عما يتسامح الناس به فان ذلك حلال في الفتوى ولكن يخاف من فتح
بابه ان ينجر الى غيره وتالف النفس الاسترسال فيترك الورع فمن ذلك ما روي عن علي بن معبد قال كنت ساكنا في بيت بكري
فكتبت كتابا واردت ان اخذ من تراب الحائط لاتربه واجففه فقلت الحائط ليس لي فقالت لي نفسي وما قدر تراب من حائط
فاخذت من التراب فلما نمت فاذا بشخص واقف يقول يا علي سيعلم غدا الذين يقولون وما قدر من تراب من حائط ولعل معنى ذلك
انه يرى كيف يحط منزلته فان التقوى منزلة تفوت بفوات ورع المتقين وليس المراد انه يستحق عقوبة على فعله ومن ذلك

ما روي ان عمر رضي الله عنه لما وصله مسك من البحرين فقال وددت لو ان امراة وزنت حتى اقسمه بين الناس فقالت امراته عاتكة انا اجيد الوزن فقال لا اجدت خشيت ان تضعيه في الكفة ثم تقولي فيها اثر الغبار فتمسحين بها عنقك فاصبت بذلك فضلا على المسلمين وكان يوزن بين يدي عمر بن عبد العزيز مسك للمسلمين فاخذ بانفه حتى لا يصيبه الرائحة وقال وهل ينتفع الا بريحه لما استبعد ذلك منه واخذ الحسن رضي الله عنه تمرة من الصدقة وكان صغيرا فقال صلى الله عليه وسلم كخ كخ القها ومن ذلك ما روي عن بعضهم انه كان عند محتضر فمات ليلا فقال اطفئوا السراج فقد حدث للورثة حق في الدهن وروي سليمان التيمي عن نعيمة العطارة قالت كان عمر رضي الله عنه يدفع الى امراته طيبا من طيب المسلمين قال فتبيعه امراته فباعتني طيبا فجعلت تقوم وتزيد وتنقص وتكسر باسنانها فتعلق باصبعها شي منه فقالت به هكذا ثم مسحت به خمارها فدخل عمر رضي الله عنه يدخل الى امراته فقال ما هذا الريح فاخبرته فقال طيب المسلمين تاخذينه فانتزع الخمار من راسها واخذ جرا من ما فجعل يصب على الخمار ثم يدلكه في التراب ثم يشمه ثم يصب الما ثم يدلكه في التراب ثم يشمه ثم يصب الما ثم يدلكه في التراب ثم يشمه حتى لم يبق له ريح قالت ثم اتيتها مرة اخرى فلما وزنت باصبعها فادخلت اصبعها في فيها ثم مسحت به التراب فهذا من عمر رضي الله عنه ورع التقوى لخوف اداء ذلك الى غيره والا فغسل الخمار ما كان يعيد الطيب الى المسلمين ولكن اتلفه عليه زجرا وردعا واتقاء من يتعدى الاثر ومن ذلك ما سئل احمد بن حنبل عن رجل يكون في مسجد فيحمل مجمرة لبعض السلاطين ويبخر المسجد بالعود فقال ينبغي ان يخرج من المسجد فانه لا ينتفع من العود الا برائحته وهذا قد يقارب الحرام فان القدر الذي يعبق بثوبه من رائحة الطيب قد يقصد وقد يبخل به فلا يدري انه يتسامح به ام لا وسئل احمد بن حنبل عمن سقط ورقة عنه من احاديث فهل لمن وجدها ان يكتب منها ثم يردها فقال لا بل يستاذن ثم يكتب وهذا ايضا يشك في ان صاحبه هل يرضى به ام لا فما هو في محل الشك والاصل تحريمه فهو حرام وتركه من الدرجة الاولى ه ومن ذلك التورع عن الزينة فانه يخاف منها ان يدعو الى غيرها وان كانت الزينة مباحة في نفسها وقد سئل احمد بن حنبل رضي الله عنه عن النعال السبتية فقال اما انا فلا استعملها ولكن ان كان للطين فارجو واما من اراد الزينة فلا ومن ذلك ان عمر رضي الله عنه لما ولي الخلافة كانت له زوجة يحبها فطلقها خيفة ان تشير عليه بشفاعة في باطل فيطيعها ويطلب رضاها وهذا من ترك ما لا باس به مخافة ما به باس اي مخافة من ان يفضي اليه واكثر المباحات داعية الى المحظورات حتى استكثار الاكل واستعمال الطيب للمتعزب فانه يحرك الشهوة ثم الشهوة تدعو الى الفكرة والفكرة الى النظر والنظر الى غيره وكذلك النظر الى دور الاغنياء وتجملهم مباح في نفسه ولكن يهيج الحرص ويدعو الى طلب مثله ويلزم منه ارتكاب ما لا يحل في تحصيله وهكذا المباحات كلها اذا لم توخذ بقدر الحاجة في وقت الحاجة مع التحرز من غوائلها بالمعرفة اولا ثم بالحذر ثانيا فقلما تخلو عن خطر حتى كره احمد بن حنبل تجصيص الحيطان فقال اما تجصيص الارض فيمنع التراب واما تجصيص الحائط فزينة لا فائدة فيه حتى انكر تجصيص المسجد وتزيينه واستدل بما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل ان يكحل المسجد فقال لا عريش كعريش موسى وانما هو شي مثل الكحل يطلى به فلم يرخص رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وكره السلف الثوب الرقيق وقالوا من رق ثوبه تشتهيها شهوة واحده واذا عودت الشهوة المسامحة استرسلت فاقتضى خوف التقوى الورع من هذا كله فكل حلال انفك عن هذه المخافة فهو الحلال الطيب في الدرجة الثالثة وهو كل ما لا يخاف اداوه الى معصية البتة اما الدرجة الرابعة وهو ورع الصديقين فالحلال المطلق عندهم كل ما لا يتقدم في سببه معصية ولا يستعان به على معصية ولا يقصد منه في الحال والمآل قضاء وطر بل يتناول لله تعالى فقط وللتقوي على عبادته واستبقاء الحيوة لاجله وهؤلاء هم الذين يرون كل ما ليس لله حراما امتثالا لقوله تعالى قل الله ثم ذرهم وهذه رتبة الموحدين المتجردين عن حظوظ انفسهم المنفردين لله بالقصد ولا شك في ان من يتورع عما يوصل اليه او يستعان به على معصية فيتورع عما يقترن بسبب اكتسابه معصية او كراهية فمن ذلك ما روي عن يحيى بن يحيى انه شرب الدواء فقالت له امراته لو تمشيت في الدار قليلا حتى يعمل الدواء فقال هذه مشية لا اعرفها وانا احاسب نفسي منذ ثلثين سنة فكانه لم يحضره في هذه المشية نية تتعلق بالدين فلم يجوز الاقدام عليها وعن سري انه قال انتهيت الى حشيش في جبل وما يخرج منه فتناولت من ذلك الحشيش وشربت من ذلك الما وقلت في نفسي ان كنت قد اكلت يوما حلالا فهو هذا اليوم فهتف بي هاتف ان القوة التي وصلتك الى هذا الموضع من اين هي فرجعت وندمت ومن هذا ما روي عن ذي النون المصري انه كان جائعا محبوسا فبعثت اليه امراة صالحة طعاما على يد السجان فلم ياكل ثم اعتذر عنه وقال جاءني على طبق ظالم يعني ان القوة التي اوصلت الطعام الي لم تكن طيبة وهذه هي الغاية القصوى في الورع ومن ذلك ان بشرا رضي الله عنه كان لا يشرب الما من الانهار التي حفرها العلما فان النهر سبب جريان الما ووصوله اليه وان كان الما مباحا في نفسه فيكون كالمنتفع بالنهر المحفور باعمال الاجراء وقد اعطوهم اجرتهم من الحرام وكذلك امتنع بعضهم من العنب الحلال من كرم حلال وقال لصاحبه افسدته من ما يجري في النهر الذي حفر بالظلم وهذا ابعد عن الظلم من شرب الما لانه احتراز من استمداد العنب من ذلك الما وكان بعضهم اذا امر في طريق الحج لم يشرب من المصانع التي صنعته الظلمة مع ان الما مباح ولكنه بقي محفوظا بالمصنع والمصنع عمل بالحرام فكانه انتفع به وامتناع ذي النون رضي الله عنه من الطعام على يد السجان اعظم من هذا كله لان يد السجان لا توصف بانها حرام بخلاف الطبق المغصوب اذا حمل عليه ولكن وصل اليه بقوة اكتسبت بالغذاء الحرام ولذلك تقيا الصديق رضي الله عنه اللبن خيفة من ان يحدث الحرام فيه قوة مع انه شربه على جهل وكان لا يجب اخراجه ولكن تخلية البطن عن الخبيث من ورع الصديقين ومن ذلك التورع عن جلال الكتبة خياط يخيط في المسجد فان احمد رحمه الله كره جلوس الخياط في المسجد وسئل عن المغازلي يجلس في قبة في المقابر في وقت يخاف من المطر فقال المقابر انما هي من امر الاخرة واطفا بعضهم سراجا اشعله غلامه من قوم يكره ما لهم وامتنع من تسجير تنور للخبز وقد بقي فيه جمر من حطب مكروه وامتنع من ان يحكم شسع نعله في مشعلة سلطان فهذه دقائق الورع عند سالكي طريق الاخرة والتحقيق ان الورع له اول وهو الامتناع عما حرمه الفتوى وهو ورع العدول وله غاية وهو ورع الصديقين وذلك هو الامتناع عن كل ما ليس لله مما اخذ بشهوة او توصل اليه بمكروه او اتصل بسببه مكروه وبينهما درجات في الاحتياط فكلما كان العبد اشد تشديدا على نفسه كان اخف ظهرا يوم القيمة واسرع جوازا على ظهر الصراط وابعد من ان ترجح كفة سيئاته على كفة حسناته وتتفاوت المنازل في الاخرة بحسب تفاوت هذه الدرجات في الورع كما تتفاوت دركات النار في حق الظلمة بحسب تفاوت درجات الحرام في الخبث واذا علمت حقيقة الامر فاليك الخيرة فاستكثر من الاحتياط وان شئت فترخص فلنفسك تحتاط وعلى نفسك تترخص

الباب الثاني في مراتب الشبهات ومثاراتها وتمييزها عن الحلال والحرام

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحلال بين والحرام بين وبينهما مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرا لعرضه ودينه ومن وقع في الشبهات واقع الحرام كالراعي حول الحمى يوشك ان يقع فيه فهذا الحديث في اثبات الاقسام الثلثة والمشكل

منها القسم المتوسط الذي لا يعرفه كثير من الناس وهو الشبهة فلا بد من بيانها وكشف الغطاء عنها فان ما لا يعرفه الكثير
قد يعرفه القليل فنقول الحلال المطلق هو الذي خلا عن ذاته الصفات الموجبة للتحريم في عينه وانحل عن اسبابه ما تطرق
اليه تحريم او كراهية ومثاله الماء الذي ياخذه الانسان من المطر قبل ان يقع على ملك واحد ويكون هو واقفا عند اخذه
وجمعه من الهواء في ملك نفسه او في ارض مباحة والحرام المحض ما فيه صفة محرمة لا يشك فيها كالشدة في الخمر والنجاسة
في البول او حصل بسبب منهي عنه قطعا كالمحصل بالظلم والربوا ونظائره فهذان طرفان ظاهران ويلتحق بالطرفين ما تحقق
امره ولكن احتمل تغيره ولم يكن لذلك الاحتمال سبب يدل عليه فان صيد البر والبحر حلال ومن اخذ ظبية فيحتمل ان يكون قد ملكها صائد ثم
افلتت منه وكذلك السمك يتصور ان يكون قد تزلق من الصياد بعد وقوعه في يده وخريطته فمثل هذا الاحتمال لا يتطرق
الى ماء المطر المختطف من الهواء ولكنه في معنى ماء المطر والاحتراز منه وسواس فلنسم هذا النوع ورع الموسوسين حتى يلتحق به
امثاله وذلك لان هذا وهم مجرد لا دلالة عليه نعم لو دل عليه دليل فان كان قاطعا كما لو وجد حلقة في اذن السمكة او
كان محتملا كما لو وجد على الظبية جراحة يحتمل ان يكون كيا لا يقدر عليه الا بعد الضبط ويحتمل ان يكون جرحا فهذا موضع
الورع واذا انتفت الدلالة من كل وجه فالاحتمال المعدوم دلالته كالاحتمال المعدوم في نفسه ومن هذا الجنس من
يستعير دارا فيغيب عنه المعير فيخرج ويقول لعله مات وصار الحق للوارث فهذا وسواس اذا لم يدل على موته سبب قاطع
او مشكك اذ الشبهة المحذورة ما تنشا من الشك والشك عبارة عن اعتقادين متقابلين نشا عن سببين فما لا سبب
له لا يثبت عقده في النفس حتى يساوي العقد المقابل له فيصير شكا ولهذا نقول من شك انه صلى ثلاثا او اربعا اخذ
بالثلث اذ الاصل عدم الزيادة ولو سئل الانسان ان صلوة الظهر التي اداها قبل هذا بعشر سنين كانت ثلثا او اربعا لم يتحقق
قطعا انها اربع واذا لم يقطع جوز ان تكون ثلثا وهذا التجويز لا يكون شكا اذ لم يحضره سبب فهذا يلتحق بالحلال المطلق
ويلتحق بالحلال المحض ما تحقق تحريمه وامكن طريان محلل ولكن لم يدل عليه سبب كمن في يده طعام لمورثه الذي لا وارث له سواه
فغاب عنه فقال يحتمل انه مات وقد انتقل الملك الي فآكله فاقدامه عليه اقدام على حرام محض لانه احتمال لا مستند له فلا
ينبغي ان نعد هذا النمط من اقسام الشبهات وانما الشبهة نعني بها ما اشتبه علينا امره بان تعارض لنا فيه اعتقادان
صدرا عن سببين مقتضيين للاعتقادين ومثارات الشبهات خمسة المثار الاول الشك في السبب المحلل والمحرم
وذلك اما ان يكون متعادلا او غلب احد الاحتمالين فان تعادل الاحتمالان كان الحكم لما عرف قبله فيستصحب ولا يترك
بالشك وان غلب احد الاحتمالين عليه بان صدر عن دلالة معتبرة ولا يبين هذا الا بامثال وشواهد فلنقسمه الى اربعة اقسام

القسم الاول ان لا يعرف الحل ويشك في المحرم فالاصل الحل وله الحكم كما ان لا يكون الحل معلوما من قبل ثم يقع الشك
في المحلل فهذه شبهة يجب اجتنابها ويحرم الاقدام عليها مثاله ان يرمي الى صيد فيجرحه ويقع في الماء فيصادفه ميتا ولا
يدري انه مات بالغرق او بالجرح فهذا حرام لان الاصل التحريم الا اذا مات بطريق معين وقد وقع الشك في الطريق المعين فلا
يترك اليقين بالشك كما في الاحداث والنجاسات وركعات الصلوة وغيرها وعلى هذا ينزل قوله صلى الله عليه بن حاتم لا تاكله
فلعله قتله كلب غير كلبك ولذلك كان صلى الله عليه وسلم اذا اتي بشيء اشتبه عليه انه صدقة او هدية سال عنه حتى يعلم ايهما هي
وروي انه ارق ليلة فقال له بعض نسائه ارقت يا رسول الله قال اجل وجدت تمرة فخشيت ان تكون من الصدقة وفي رواية فاكلتها
فخشيت ومن ذلك ما روي عن بعضهم انه قال كنا في سفر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاصابنا الجوع فنزلنا منزلا كثير الضباب

الضباب فبينا القدور تغلي بها اذ قال صلى الله عليه وسلم امة مسخت من بني اسرائيل فاخاف ان تكون هذه فاكفانا القدور ثم
اعلمه الله تعالى بعد ذلك انه لم يمسخ الله خلقا فجعل له نسلا وكان امتناعه اولا لان الاصل عدم الحل وشك في كون الذبح محللا

القسم الثاني ان يعرف الحل ويشك في المحرم فالاصل الحل وله الحكم كما اذا نكح رجلان امراتين وطار طائر فقال احدهما
ان كان هذا غرابا فامراتي طالق وقال الآخر ان لم يكن غرابا فامراتي طالق والتبس امر الطائر فلا يقضى بالتحريم في واحدة منهما ولا يلزمهما
اجتنابهما ولكن الورع اجتنابهما وان طلقهما حتى يحل لسائر الازواج وقد امر مكحول بالاجتناب في هذه المسئلة وافتى الشعبي بالاجتناب
في رجلين كانا قد تنازعا فقال احدهما للآخر انت حسود فقال الآخر احسدنا زوجته طالق ثلثا فقال الآخر نعم واشكل الامر وهذا ان اراد
به اجتناب الورع فصحيح وان اراد التحريم المحقق فلا وجه له اذ ثبت في المياه والنجاسات والاحداث والصلوات ان اليقين لا يترك بالشك
وهذا في معناه فان قلت واي مناسبة بين هذا وبين ذلك فاعلم انه لا يحتاج الى المناسبة فانه لازم من غير ذلك في بعض الصور
فانه مهما تيقن الطهارة في الماء ثم شك في نجاسته جاز ان يتوضا به فكيف لا يجوز له ان يشرب واذا جوز الشرب فقد سلم ان اليقين لا يترك
بالشك الا ان هاهنا دقيقة وهو ان وزان الماء ان تشك في انه طلق زوجته ام لا فيقال الاصل انه ما طلق ووزان مسئلة الطائر
ان يتحقق نجاسة احد الاناءين ويشتبه عليه فلا يجوز له ان يستعمل احدهما بغير اجتهاد لانه قابل يقين النجاسة بيقين الطهارة فبطل الاستصحاب
فكذلك هاهنا قد وقع الطلاق على احد الزوجين قطعا والتبس عين المطلقة بغير المطلقة فنقول اختلف الاصحاب في الاناءين على ثلاثة
اوجه فقال قوم يستصحب بغير اجتهاد وقال قوم بعد حصول يقين النجاسة في مقابلة يقين الطهارة يجب الاجتناب ولا يغني الاجتهاد
وقال المقتصدون يجتهد وهو الصحيح ولكن وزانه ان يكون له زوجتان فيقول ان كان غرابا فزينب طالق وان لم يكن فعمرة طالق ولا جرم
لا يحل له غشيانهما بالاستصحاب ولا يجوز الاجتهاد اذ لا علامة في تحريمها عليه لانه لو وطئهما كان مقتحما للحرام وان وطئ احدهما
وقال اقتصر على هذه كان متحكما بتعيينها من غير ترجيح ففي هذا افترق حكم شخص واحد وشخصين لان التحريم على شخص واحد متحقق
بخلاف الشخصين اذ كل واحد يشك في التحريم في حق نفسه فان قيل لو كان الاناءان لشخصين فينبغي ان يستغني عن الاجتهاد
ويتوضا كل واحد باناءه لانه قد تيقن طهارته وقد شك الآن فيه فنقول هذا محتمل في الفقه والارجح في الظن المنع فان تعدد الشخص
هاهنا كاتحاده لان صحة الوضوء لا تستدعي ملكا فوضوء الانسان بماء غيره في دفع الحدث كوضوئه بمائه فلا يتبين لاختلاف الملك
واتحاده اثر بخلاف الوطي لزوجة الغير فانه لا يحل ولان للعلامات مدخلا في النجاسات فالاجتهاد فيه ممكن بخلاف الطلاق وفي جب
بقوة الاستصحاب بعلامة ليندفع به قوة يقين النجاسة المقابلة ليقين الطهارة وابواب الاستصحابات والترجيحات من غوامض
الفقه ودقائقه وقد استقصيناه في الكتب الفقهية ولسنا نقصد الآن الا التنبيه على قواعدها

القسم الثالث ان يكون الاصل التحريم ولكن طرا ما اوجب تحليله بظن غالب وهو مشكوك فيه والغالب حله فهذا ينظر فيه فان استند
غلبة الظن الى سبب معتبر شرعا فالذي نختار فيه انه يحل وان اجتنابه من الورع مثاله ان يرمي الى صيد فيغيب ثم يدركه
ميتا وليس عليه اثر سوى سهمه ولكن يحتمل انه مات بسقطه او بسبب آخر فان ظهر عليه اثر صدمة او جراحة اخرى التحق بالقسم
الاول وقد اختلف الشافعي رضي الله عنه في هذا القسم والمختار انه حلال لان الجرح سبب ظاهر وقد تحقق والاصل انه
لم يطرا غيره عليه وطريانه مشكوك فيه ولا يدفع اليقين بالشك فان قيل فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما كل ما اصميت ودع
ما انميت وروت عائشة رضي الله عنها ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم بارنب فقال رميتها فعرفت فيها سهمي فقال
اصميت ام انميت قال بل انميت قال ان الليل خلق من خلق الله لا يقدر قدره الا الذي خلقه لعله اعان على قتله وكذلك

قال صلى الله عليه وسلم لعدي في كلبه المعلم وان اكل فلا تاكل فاني اخاف ان يكون انما امسكه والغالب ان الكلب المعلم
لا يسيء خلقه ولا يمسك الا على صاحبه ومع ذلك نهى عنه وهذا التحقيق وهو ان الحل انما يتحقق اذا تحقق تمام السبب وتمام
السبب بان يفضي الى الموت سليما من طريان غيره وقد شك فيه وهو شك في تمام السبب حتى اشتبه ان موته على الحل او على
الحرمة فلا يكون هذا في معنى ما تحقق موته على الحل في ساعته ثم شك فيما يطرأ عليه فالجواب ان نهي ابن عباس ونهي
رسول الله صلى الله عليه وسلم محمول على الورع والتنزيه بدليل ما روي في بعض الروايات انه قال كل منه وان غاب عنك ما لم
تجد اثرا فيه غير سهمك وهذا تنبيه على المعنى الذي ذكرناه وهو انه ان وجد اثرا آخر فقد تعارض السبب فتعارض الظن واذا
لم يجد سوى جرحه حصل غلبة الظن فيحكم به على الاستصحاب كما يحكم على الاستصحاب بخبر الواحد والقياس المظنون والعمومات
المظنونة وغيرها واما قول القائل انه لم يتحقق موته على الحل في ساعته فيكون شكا في السبب فليس كذلك بل السبب قد تحقق
اذ الجرح سبب الموت وطريان الغير شك فيه ويدل على صحة هذا الاجماع على ان من جرح وغاب فوجد ميتا فيجب القصاص
على جارحه بل ان لم يغب يحتمل ان يكون موته بهيجان خلط في باطنه كما يموت الانسان فجأة فينبغي ان لا يجب القصاص الا بحز الرقبة
والجرح المذفف لان الجراحة في الباطن لا تؤمن ولاجلها يموت الصحيح فجأة ولا قائل بذلك مع ان القصاص مبناه على الشبهة
وكذلك جنين المذكى حلال ولعله مات قبل ذبح الاصل لا بسبب ذبحه او لم ينفخ فيه الروح وغرة الجنين تجب ولعل الروح لم تنفخ
فيه وان كان قد مات قبل الجناية بسبب اخر ولكن بنى على الاسباب الظاهرة فان الاحتمال الاخر اذا لم يستند الى دلالة تدل
عليه التحق بالوهم والوسواس كما ذكرناه فكذلك هذا واما قوله صلى الله عليه وسلم اخاف ان يكون انما امسكه لنفسه فللشافعي رضي
الله عنه في هذه الصورة قولان والذي نختاره الحكم بالتحريم لان السبب قد تعارض اذ الكلب المعلم كالآلة والوكيل يمسك
على صاحبه فيحل ولو استرسل المعلم بنفسه واخذ لم يحل لانه لا يتصور منه ان يصطاد لنفسه ومهما انبعث باشارته فاكل دل ابتداء
انبعاثه على انه مأذون بمنزلة الآلة وانه يسعى في وكالته ونيابته ودل اكله آخرا على انه امسك لنفسه لا لصاحبه وقد تعارض السبب
الدال فتعارض الاحتمال والاصل التحريم فيستصحب ولا يزال بالشك وهو كما لو وكل رجلا بان يشتري له جارية فاشترى جارية
ومات قبل ان يبين له انه اشتراها لنفسه او لموكله لم يحل للموكل وطؤها لان للوكيل قدرة على الشراء لنفسه ولموكله جميعا ولا مرجح
والاصل التحريم فهذا يلتحق بالقسم الاول لا بالقسم الثالث القسم الرابع ان يكون الحل معلوما ولكن
يغلب على الظن طريان محرم بسبب معتبر في غلبة الظن شرعا فيرفع الاستصحاب ويقضي بالتحريم اذ بان لنا ان الاستصحاب
ضعيف ولا يبقى له حكم مع غالب الظن فوجب تحريم شربه كما اوجب منع الوضوء ومثاله ان يؤدي اجتهاده الى نجاسة احد
الاناءين بالاعتماد على علامة معينة توجب غلبة الظن فوجب تحريم شربه كما اوجب منع الوضوء به وكذا اذا قال ان قتل
زيد عمرا او قتل زيد صيدا منفردا بقتله فامرأتي طالق فجرح وغاب ووجد ميتا حرمت زوجته لان الظاهر انه منفرد به
كما سبق وقد نص الشافعي رضي الله عنه ان من وجد في الغدران ماء متغيرا واحتمل ان يكون بالنجاسة او بطول المكث فيستعمله ولو
راى ظبية بالت فيه ثم وجده متغيرا واحتمل ان يكون بالبول وبطول المكث او بالنجاسة لم يجز له استعماله اقتصار البول
المشاهد دلالة مغلبة لاحتمال النجاسة وهو مثال لما ذكرناه وهذا في غلبة ظن استند الى علامة متعلقة بعين الشيء فاما غلبة
الظن لا من جهة علامة تتعلق بعين الشيء فقد اختلف قول الشافعي رضي الله عنه في ان اصل الحل هل يزال به اذا اختلف قوله
في التوضي من اواني المشركين ومدمني الخمر لان النجس لا يحل شربه فاذا ما خذ النجاسة والحل واحد فالتردد في احدهما يوجب

التردد في الاخر والذي اختاره ان الاصل هو المعتبر وان العلامة اذا لم تتعلق بعين المتناول لم توجب رفع الاصل
وسيأتي بيان ذلك وبرهانه في المثار الثاني للشبهة وهي شبهة الخلط فقد اتضح من هذا حكم حلال شك في طريان محرم عليه
او ظن وحكم حرام شك في طريان محلل عليه او ظن وبان فرق بين ما يستند الى علامة في عين الشيء وبين ما لا يستند اليه وكل ما حكمنا
في هذه الاقسام الاربعة بحله فهو حلال في الدرجة الاولى والاحتياط تركه فالمقدم عليه لا يكون من زمرة المتقين والصالحين
بل من زمرة العدول الذين لا يقضي في فتوى الشرع بفسقهم وعصيانهم واستحقاقهم للعقوبة الا ما الحقناه برتبة الوسواس
فان الاحتراز عنه ليس من الورع اصلا المثار الثاني للشبهة شك منشأه الاختلاط وذلك بان يختلط الحرام
بالحلال فيشتبه الامر ولا يتميز والخلط لا يخلو اما ان يكون بعدد لا يحصر من الجانبين او من احدهما او بعدد محصور فان
اختلط بمحصور فلا يخلو اما ان يكون مما يقصد عينه كالعروض او لا يقصد كالنقود فيخرج من هذا التقسيم خمسة اقسام
القسم الاول ان تشتبه العين بعدد محصور كما لو اختلطت الميتة بذكية او بعشر مذكيات او يختلط رضيعة بعشر
نسوة او يتزوج احدى الاختين ثم يلتبس فهذه شبهة يجب اجتنابها بالاجماع لانه لا مجال للاجتهاد والعلامات في هذا
واذا اختلط بعدد محصور صارت الجملة كالشيء الواحد فتقابل فيه يقين التحريم والتحليل ولا فرق في هذا بين ان يثبت حل
فيطرأ اختلاط بمحرم كما لو وقع الطلاق على احدى زوجتيه في مسألة الطائر او يختلط قبل الاستحلال كما لو اختلطت رضيعة
باجنبية فاراد الاستحلال وهذا قد يشكل في طريان التحريم على يقين الحل فيضعف الاستصحاب وجانب الحظر اغلب في نظر
الشرع فلذلك ترجح وهذا اذا اختلط حلال محصور بحرام محصور فان اختلط حلال غير محصور بحرام غير محصور فلا يخفى ان وجوب
الاجتناب اولى القسم الثاني حرام محصور بحلال غير محصور كما لو اختلطت رضيعة او عشر رواضع بنسوة بلد كبير فلا
يلزم من هذا اجتناب نكاح اهل البلد بل له ان ينكح من شاء منهن وهذا لا يجوز ان يعلل بكثرة الحلال اذ يلزم عليه ان يجوز النكاح
اذا اختلطت واحدة حرام بتسع حلال ولا قائل به بل العلة الغلبة والحاجة جميعا اذ كل من ضاع له رضيع او قريب او محرم
بمصاهرة او سبب من الاسباب لا يمكن ان يسد عليه باب النكاح وكذلك من علم ان مال الدنيا خالطه حرام قطعا لا يلزمه
ترك الشراء والاكل فان ذلك حرج وما في الدين من حرج ويعلم هذا بانه لما سرق في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم
مجن وغل واحد في الغنيمة عباءة لم يمتنع احد من شراء المجن والعباءة في الدنيا وكذلك كل ما سرق وكذلك يعرف
ان في الناس من يربي في الدراهم والدنانير وما ترك رسول الله ولا الناس الدراهم بالكلية وبالجملة انما تنفك الدنيا عن الحرام
اذا عصم الخلق كلهم عن المعاصي وهو محال واذا لم يشترط هذا في الدنيا لم يشترط ايضا في بلد الا اذا وقع بين جماعة محصورين
بل اجتناب هذا من ورع الموسوسين اذ لم ينقل ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن احد من اصحابه ولا يتصور الوفاء به
في ملة من الملل ولا في عصر من الاعصار فان قلت فكل عدد محصور عند الله فما حد المحصور ولو اراد الانسان ان يحصر اهل بلد
لقدر عليه ايضا ان مكن منه فاعلم ان تحديد امثال هذه الامور غير ممكن وانما يضبط بالتقريب فنقول كل عدد لو اجتمع
على صعيد واحد لعسر على الناظر عدهم بمجرد النظر كالالف والالفين فهو غير محصور وما سهل كالعشرة والعشرين فهو محصور
وبين الطرفين اوساط متشابهة تلحق باحد الطرفين بالظن وما وقع الشك فيه استفت فيه القلب فان الاثم حزاز القلوب
وفي مثل هذا المقام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوابصة استفت قلبك وان افتوك وافتوك وافتوك وكذلك
الاقسام الاربعة التي ذكرناها في المثار الاول يقع فيه اطراف متقابلة واضحة في النفي والاثبات واوساط متشابهة

فالمفتي يفتي بالظن وعلى المستفتي ان يستفتي قلبه فان حاك في صدره شيء فهو الآثم بينه وبين الله تعالى فلا ينجيه في الآخرة فتوى
المفتي فانه يفتي بالظاهر والله يتولى السرائر القسم الثالث ان يختلط حرام لا يحصر بحلال لا يحصر كحكم الاموال في
زماننا هذا فالذي يأخذ الاحكام من الصور قد يظن ان نسبة غير المحصور الى غير المحصور كنسبة المحصور وقد حكمنا ثم بالتحريم
فلنحكم ههنا والذي نختاره خلاف ذلك وهو انه لا يحرم بهذا الاختلاط ان يتناول شيئا بعينه احتمل انه حرام وانه حلال
الا ان يقترن بتلك العين علامة تدل على انه من الحرام فان لم يكن في العين علامة فتركه ورع واخذه حلال لا يفسق به آكله
ومن العلامات ان يأخذه من يد سلطان ظالم الى غير ذلك من العلامات التي سيأتي ذكرها ويدل عليه الاثر والقياس
فاما الاثر فما علم في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين بعده اذ كانت اثمان الخمور ودراهم من ايدي
اهل الذمة مختلطة بالاموال وكذلك غلول الغنيمة ومن الوقت الذي نهى صلى الله عليه وسلم عن الربوا من ايدي اهل الذمة
وقال اول ربوا اضعه ربوا العباس ما ترك الناس الربوا باجمعهم كما لم يتركوا شرب الخمر وسائر المعاصي حتى روي ان بعض
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم باع الخمر فقال عمر لعن الله فلانا هو اول من سن بيع الخمر اذ لم يكن قد فهم ان تحريم
الخمر تحريم لثمنها وقال صلى الله عليه وسلم ان فلانا يجر في النار عباءة قد غلها وقتل رجل ففتشوا متاعه فوجدوا فيه
خرزا من خرز اليهود لا يساوي درهمين قد غلها وكذلك ادرك اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الائمة الظلمة ولم يمتنع
احد منهم عن الشرى في السوق بسبب نهب المدينة وقد نهبها اصحاب يزيد ثلاثة ايام وكان من يمتنع من تلك الاموال مشارا
اليه في الورع والاكثرون لم يمتنعوا مع الاختلاط وكثرة الاموال المنهوبة في ايام الظلمة ومن اوجب ما لم يوجبه السلف
الصالحون وزعم انه تفطن من الشرع لما لم يتفطنوا به فهو موسوس مختل العقل ولو جاز ان يزاد عليهم في امثال هذا لجاز
مخالفتهم في مسائل لا مستند فيها سوى اتفاقهم كقولهم ان الجدة كالام في التحريم وابن الابن كالابن وشعر الخنزير وشحمه كاللحم
المذكور في القرآن والربوا جار فيما عدا الاشياء الستة وذلك محال فانهم اولى بفهم الشرع من غيرهم واما القياس فهو
انه لو فتح هذا الباب لانسد باب جميع التصرفات وخرب العالم اذ الفسق يغلب على الناس ويتساهلون بسببه في شروط
الشرع في العقود ويؤدي ذلك لا محالة الى الاختلاط فان قيل فقد نقلتم انه امتنع من الضب وقال اخشى ان يكون مما مسخه الله
تعالى وهو في اختلاط غير محصور قلنا يحمل ذلك على الورع والتنزه او يقول الضب شكل غريب ربما يدل على انه من المسخ فهي
دلالة في عين المتناول فان قيل فهذا معلوم من زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وزمان الصحابة بسبب الربوا والسرقة
والنهب وغلول الغنيمة وغيرها ولكن كانت هي الاقل بالاضافة الى الحلال فماذا تقول في زماننا وقد صار الحرام اكثر ما
في ايدي الناس لفساد المعاملات واهمال الشروط وكثرة الربوا وكثرة السلاطين الظلمة فمن اخذ مالا لم تشهد علامة معينة
في عينه للتحريم فهو حرام ام لا فاقول ليس ذلك حراما بل الورع تركه وهذا الورع اهم من الورع اذا كان قليلا ولكن الجواب
عن هذا ان قول القائل ان اكثر الاموال في زماننا حرام غلط محض ومنشأه الغلط عن الفرق بين الاكثر والكثير عن هذا ان قول
القائل ان اكثر الاموال في زماننا حرام فاكثر الناس بل اكثر الفقهاء يظنون ان ما ليس بنادر فهو الاكثر ويتوهمون انهما قسمان
متقابلان ليس بينهما ثالث وليس كذلك بل الاقسام ثلثة قليل وهو النادر وكثير واكثر ومثاله ان الخنثى فيما بين الخلق نادر
واذا اضيف اليه المريض وجد كثيرا وكذا السفر حتى يقال المرض والسفر من الاعذار العامة والاستحاضة من الاعذار النادرة
ومعلوم ان المرض ليس بنادر وليس بالاكثر ايضا بل هو كثير والفقيه اذا تساهل وقال المرض والسفر غالب وهو عذر عام

عام واراد انه ليس بنادر فان لم يرد هذا فهو غلط فالصحيح والمقيم هو الاكثر والمسافر والمريض كثير والمستحاضة والخنثى نادر
فاذا فهم هذا فنقول قول القائل الحرام اكثر باطل لان مستند هذا القائل اما ان يكون كثرة الظلمة والاجناد او كثرة
الربوا والمعاملات الفاسدة او كثرة الايدي التي تكررت من اول الاسلام الى زماننا على اصول الاموال الموجودة اليوم
اما المستند الاول فباطل فان الظالم كثير وليس هو بالاكثر فانهم الجندية اذ لا يظلم الا ذو شوكة وغلبة وهم
اذا اضيفوا الى كل العالم لم يبلغوا عشر عشيرهم فكل سلطان يجتمع عليه من الجنود مائة الف مثلا فيملك اقليما يجمع الف الف
وزيادة ولعل بلدة واحدة من بلاد مملكته يزيد عددهم على جميع عسكره ولو كان عدد جنود السلاطين اكثر من عدد الرعايا
لهلك الكل اذ كان يجب على كل واحد من الرعية ان يقوم بعشرة منهم مثلا مع تنعمهم في المعيشة ولا يتصور ذلك بل كفاية
الواحد منهم تجمع من الف وزيادة وكذا القول في السراق فان البلدة الكبيرة تشتمل منهم على عدد قليل واما المستند الثاني
وهو كثرة الربوا والمعاملات الفاسدة فهي ايضا كثيرة وليست بالاكثر اذ اكثر المسلمين يتعاملون بشروط الشرع فعدد هؤلاء
اكثر والذي يعامل بالربوا وغيره فلو عدت معاملاته وحده لكان عدد الصحيح منها يزيد على الفاسد الا ان يطلب بوهمه في البلد
مخصوصا بالمجانة والخبث وقلة الديانة حتى يتصور ان يقال معاملاته الفاسدة اكثر ومثل ذلك المخصوص نادر وان كان كثيرا
فليس بالاكثر لو كان معاملاته فاسدة كيف ولا يخلو هو ايضا عن معاملة صحيحة تساوي الفاسدة او تزيد عليها وهذا مقطوع به
لمن تأمله وانما غلب هذا على النفوس لاستكثار النفوس الفساد واستبعادها اياه واستعظامها له وان كان نادرا حتى يظن ان الربوا
وشرب الخمر قد شاع كما شاع الحرام فيتخيل انهم الاكثرون وهو خطأ فانهم الاقلون وان كان فيهم كثرة واما المستند الثالث
وهو اخيلها ان الاموال تحصل من المعادن والنبات والحيوان حاصل بالتوالد فاذا نظرنا الى شاة مثلا وهي تلد في كل سنة فيكون عدد
اصولها الى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم قريبا من خمسمائة ولا يخلو هذا من ان يتطرق الى واحد من تلك الاصول غصب او معاملة
فاسدة فكيف يقدر ان تسلم اصولها عن تصرف باطل الى زماننا هذا وكذا بذور الحبوب والفواكه يحتاج الى خمسمائة اصل او الف
اصل مثلا الى اول الشرع ولا يكون هذا حلالا ما لم يكن اصله واصل اصله وكذلك الى اول زمان النبوة حلالا واما المعادن فهي التي
يمكن نيلها على سبيل الابتداء وهي اقل الاموال واكثر ما يستعمل منها الدنانير والدراهم ولا يخرج الا من دار الضرب وهي في ايدي
الظلمة بل المعادن في ايدي الظلمة يمنعون الناس منها ويلزمون الفقراء استخراجها بالاعمال الشاقة ثم ياخذونها منهم غصبا فاذا
نظر الى هذا علم ان بقاء دينار واحد بحيث لم يتطرق اليه عقد فاسد او ظلم وقت النيل ولا وقت الضرب في دار الضرب ولا بعد في
معاملات الصرف والربوا بعيد نادر او محال فلا يبقى اذا حلال الا الصيد والحشيش في الصحاري والموات والحطب المباح ثم من يحصله
لا يقدر على اكله فيفتقر الى ان يشتري به الحبوب والحيوانات التي لا تحصل الا بالاستنبات والتوالد فيكون قد بذل حلالا في مقابلة
حرام فهذا هو اشد الطرق تخييلا والجواب ان هذه الغلبة لم تنشأ من كثرة الحرام المخلوط بالحلال فخرج عن النمط الذي نحن
فيه والتحق بما ذكرناه من قبل وهو تعارض الاصل والغالب اذ الاصل في هذه الاموال قبولها للتصرفات وجواز التراضي
عليها وقد عارضه سبب غالب يخرجه عن الصلاح فيضاهي هذا محل القولين للشافعي رضي الله عنه في حكم النجاسات والصحيح عندنا
انه يجوز الصلوة في الشوارع اذا لم ير بها نجاسة وان طين الشوارع طاهر وان الوضوء من اواني المشركين جائز وان الصلوة في المقابر المنبوشة
جائزة فلنثبت هذا اولا ثم نقيس عليه ما نحن فيه ويدل على ذلك توضؤ رسول الله صلى الله عليه وسلم من مزادة مشركة وتوضؤ عمر رضي الله
عنه من جرة نصرانية مع ان مشربهم الخمر ومطعمهم الخنزير ولا يحترزون عما نجسه شرعنا فكيف تسلم اوانيهم بل نقول نعلم قطعا

انهم كانوا يلبسون الفراء المدبوغة والثياب المصبوغة والمقصورة ومن تأمل احوال الدباغين والقصارين والصباغين علم ان الغالب
عليهم النجاسة فان الطهارة في تلك الثياب محال او نادر بل نقول نعلم انهم كانوا ياكلون خبز البر والشعير ولا يغسلونه مع
انها تداس بالبقر والدواب وهي تبول عليها وتروث وقل ما يخلص من ذلك وكانوا يركبون الدواب وهي تعرق وما كانوا
يغسلون ظهورها مع كثرة تمرغها في النجاسات بل كل دابة تخرج من بطن امها وعليها رطوبات نجسة قد يزيلها الامطار وقد لا
يزيلها وما كانوا يحترزون عن ذلك وكانوا يمشون حفاة في الطرق وبالنعال ويصلون معها ويجلسون على التراب ويمشون في الطين
من غير حاجة وكانوا لا يمشون في البول والعذرة ولا يجلسون عليه ويستنزهون منه ومتى تسلم الشوارع من النجاسات مع كثرة
الكلاب وابوالها وكثرة الدواب وارواثها ولا ينبغي ان يظن ان الاعصار والامصار تختلف في مثل هذا حتى يظن ان الشوارع
كانت تغسل في عصرهم او كانت تحرس عن الدواب هيهات فذلك معلوم استحالته بالعادة قطعا فدل انهم لم يحترزوا الا
من نجاسة مشاهدة او علامة على النجاسة دالة على العين فاما الظن الغالب الذي يستثار من رد الوهم الى مجاري الاحوال
فلم يعتبروه وهذا عند الشافعي رضي الله عنه وهو يرى ان الماء القليل ينجس من غير تغير اذ لم يزل الصحابة يدخلون الحمامات
ويتوضؤن من الحياض ومهما ثبت جواز التوضي من جرة نصرانية ثبت جواز الشرب منها والتحق حكم الحل بحكم النجاسة ٥
فان قيل لا يجوز قياس الحل على النجاسة اذ كانوا يتوسعون في امور الطهارة ويتحرزون في شبهات الحرام غاية التحرز فكيف يقاس عليه
فنقول ان اريد به انهم صلوا مع النجاسة والصلوة معها معصية وهي عماد الدين فبئس الظن بل يجب فيهم هذه الصورة
انهم احترزوا عن كل نجاسة وجب اجتنابها وانما تسامحوا حيث لم يجب وكان من محل تسامحهم هذه الصورة التي تعارض
فيها الاصل والغالب فبان ان الغالب الذي لا يستند الى علامة تتعلق بعين ما فيه النظر مطرح وانما تورعهم عن الحلال
فانه كان بطريق التقوى وهو ترك ما لا باس به مخافة مما به باس لان امر الاموال مخوف والنفس تميل اليها ان لم تضبط عنها وامر الطهارة
ليس كذلك فقد امتنع طائفة منهم عن الحلال المحض خيفة ان يشغل قلبه وهل حكي عن واحد انه احترز من الوضوء من ماء البحر وهو الطهور
المحض فالافتراق في ذلك لا يقدح الذي جمعنا فيه على انا نجري في هذا المسلك على الجواب الذي قدمناه في المسلكين السابقين
ولا نسلم ما ذكروه من ان الاكثر هو الحرام لان المال وان كثرت اصوله فليس بواجب ان يكون في اصوله حرام بل الاموال الموجودة اليوم
مما تطرق الظلم الى اصول بعضها دون بعض كما ان الذي يبتدأ غصبه اليوم هو الاقل بالاضافة الى ما لا يغصب ولا يسرق فهكذا
كل مال في كل عصر وفي كل اصل فالمغصوب من مال الدنيا والمتناول بالفساد في كل زمان بالاضافة الى غيره اقل ولسنا ندري
ان هذا الفرع بعينه من اي القسمين فلا نسلم ان الغالب تحريمه فانه كما يزيد المغصوب بالتوالد يزيد غير المغصوب فيكون فرع
الاكثر لا محالة اكثر في كل عصر وزمان بل الغالب ان الحبوب المغصوبة تغصب للاكل لا للبذر وكذلك الحيوانات المغصوبة
اكثرها توكل ولا تقتنى للتوالد فكيف يقال ان فروع الحرام اكثر ولم يزل اصول الحلال اكثر من اصول الحرام فليتفهم المسترشد
من هذا طريق معرفة الاكثر فانه مزلة قدم واكثر العلماء يغلطون فيه فكيف العوام هذا في المتولدات من الحبوب والحيوانات
واما المعادن فانها مخلاة ياخذها في بلاد الترك وغيرها من شاء ولكن قد ياخذ السلطان بعضها منهم او ياخذون الاقل لا محالة
لا الاكثر ومن حاز من السلاطين معدنا بظلمه يمنع الناس عنه فاما ما ياخذه الآخذ منه فياخذه من السلطان باجرة والصحيح انه يجوز الاستئجار
في اثبات اليد على المباحات والاستيجار عليها فالمستاجر على الاستقاء اذا دخل الماء في ملك المستقى له واستحق الاجرة فكذا النيل
فاذا فرعنا على هذا لم يحرم عين الذهب الا ان يقدر ظلمه بنقصان اجرة العمل وذلك قليل بالاضافة ثم لا يوجب تحريم عين

عين الذهب بل يكون ظالما ببقاء الاجرة في ذمته واما دار الضرب فليس الذهب الخارج منها من اعيان ذهب السلطان الذي
غصبه وظلم به الناس بل التجار يحملون اليهم الذهب المسبوك او النقد الردي ويستاجرونهم على السبك والضرب
وياخذون مثل وزن ما سلموه الا شيئا قليلا يتركونه اجرة لهم على العمل وذلك جائز وان فرض دنانير مضروبة من ذهب السلطان
فهي بالاضافة الى مال التجارة اقل لا محالة نعم السلطان يظلم اجراء دار الضرب بان ياخذ منهم ضريبة لانه خصصهم بها من
بين سائر الناس حتى توفر عليهم مال بالحشمة السلطان فما ياخذه عوض عن حشمته وذلك من باب الظلم وهو قليل بالاضافة
الى ما يخرج من دار الضرب فلا يسلم لاهل دار الضرب وللسلطان من جملة ما يخرج من دار الضرب من المائة واحد وهو
عشر العشر فكيف يكون هو الاكثر فهذه اغاليط سبقت الى القلوب بالوهم وتشمر لتزيينها جماعة ممن رق دينهم حتى تقبحوا
الورع وسدوا بابه واستقبحوا تمييز من يميز بين مال ومال وذلك عين البدعة والضلال فان قيل فلو قدر غلبة الحرام
وقد اختلط غير محصور بغير محصور فماذا تقولون فيه اذا لم يكن في العين المتناولة علامة خاصة فنقول الذي نراه ان
تركه ورع وان اخذه ليس بحرام لان الاصل الحل ولا يرفع بعلامة معينة كما في طين الشوارع ونظائره بل ازيد واقول
لو طبق الحرام الدنيا حتى علم يقينا انه لم يبق في الدنيا حلال لكنت اقول نستانف تمهيد الشروط من وقتنا ونعفو عما سلف
ونقول ما جاوز حده انعكس على ضده فمهما حرم الكل حل الكل وبرهانه انه اذا وقعت هذه الواقعة فالاحتمالات خمسة الاول ان يدع
الناس الاكل حتى يموتوا من عند آخرهم الثاني ان يقتصروا منها على قدر الضرورة وسد الرمق يزجون عليها اياما الى الموت ٥
الثالث ان يقال يتناولون قدر الحاجة كيف شاءوا سرقة وغصبا وتراضيا من غير تمييز بين مال ومال وجهة وجهة الرابع
ان يتبعوا شروط الشرع ويستانفوا قواعده من غير اقتصار على قدر الحاجة الخامس ان يقتصروا مع شروط الشرع على قدر الحاجة
اما الاول فلا يخفى بطلانه واما الثاني فباطل قطعا لانه اذا اقتصر الناس على سد الرمق وزجوا اوقاتهم مع الضعف فشا
فيهم الموتان وبطلت الاعمال والصناعات وخربت الدنيا بالكلية وفي خراب الدنيا خراب الدين لانها مزرعة الاخرة واحكام الخلافة
والقضاء والسياسات بل اكثر احكام الفقه مقصودها حفظ مصالح الدنيا ليتم بها مصالح الدين واما الثالث وهو الاقتصار
على قدر الحاجة من غير زيادة عليه مع التسوية بين مال ومال بالغصب والسرقة والتراضي وكيف ما اتفق فهو رفع لسد الشرع
بين المفسدين وبين انواع الفساد فتمتد الايدي بالغصب والسرقة وانواع الظلم ولا يمكن زجرهم عنه اذ يقولون ليس يتميز صاحب اليد
باستحقاق عنا فانه حرام عليه وعلينا وذو اليد له قدرة مع الحاجة فقط فان كان هو محتاجا فانا ايضا محتاجون وان كان
فيحق زائدا على الحاجة فقد سرقته ممن هو زائد على حاجة يومه واذا لم يراع حاجة اليوم او السنة فما الذي يراعى وكيف يضبط وهذا
يؤدي الى بطلان سياسة الشرع واغراء اهل الفساد بالفساد فلا يبقى الا الاحتمال الرابع وهو ان يبقى لكل ذي يد على ما في
يده وهو اولى به لا يجوز ان يؤخذ منه سرقة ولا غصبا بل يؤخذ برضاه والتراضي هو طريق الشرع واذا لم يجز الا بالتراضي فالتراضي
ايضا منهاج في الشرع يتعلق به المصالح فلم يعتبر اصل التراضي ويعطل تفصيله واما الاحتمال الخامس وهو الاقتصار على قدر
الحاجة مع الاكتساب بطريق الشرع من اصحاب الايدي فهو الذي نراه لائقا بالورع لمن يريد سلوك طريق الاخرة ولكن لا وجه لايجابه
على الكافة وادخاله في فتوى العامة لان ايدي الظلمة تمتد الى الزيادة على قدر الحاجة وانا محتاج فلا يبقى الا ان يجب
على السلطان ان يخرج كل زيادة على الحاجة من ايدي الملاك ويستوعب بها اهل الحاجة ويدر على الكل الاموال يوما فيوما
او سنة فسنة وفيه تكليف شطط وتضييع اموال اما تكليف الشطط فهو ان السلطان لا يقدر على القيام بها مع كثرة

الخلق بل لا يتصور ذلك اصلاً واما التضييع فهو ان ما فضل عن الحاجة من الفواكه واللحوم والحبوب ينبغي ان يلقى في البحر ويترك
حتى يعفن فان الذي خلقه الله من الفواكه والحبوب زائد على قدر توسع الخلق وترفههم فكيف يوزع على قدر حاجتهم ثم
يؤدي ذلك الى سقوط الحج والزكوة والكفارات المالية وكل عبادة نيطت بالغنى عن الناس اذا اصبح الناس لا يملكون الا قدر
حاجتهم وهو في غاية القبح بل اقول لو ورد نبي في مثل هذا الزمان ضرباً للمثل يوجب عليه ان يستانف الامر ويمهد تفصيل اسباب
الاملاك بالتراضي وسائر الطرق ويفعل ما يفعله لو وجد جميع الاموال حلالاً من غير فرق واعني بقولي يجب عليه اذا كان
النبي صلى الله عليه وسلم بعث لمصلحة الناس في دينهم ودنياهم ولا يتم الصلاح برد الكافة الى قلة الضرورة والحاجة اليه فان
لم يبعث للصلاح لم يجب هذا ونحن نجوز ان يقدر الله سبباً يهلك به الخلق عن آخرهم فيفوت دنياهم ويضلون في دينهم فانه يضل
من يشاء ويهدي من يشاء ويميت من يشاء ويحيي من يشاء ولكنا نقدر الامر جارياً على ما الف من سنة الله تعالى في بعثة
الانبياء لصلاح الدين والدنيا وما لي اقدر هذا وقد كان ما اقدره فلقد بعث نبينا صلى الله عليه وسلم على فترة من الرسل
وكان شرع عيسى صلوات الله عليه قد مضى عليه قريب من ستمائة سنة والناس منقسمون الى المكذبين من اليهود وعبدة الاوثان
والى المصدقين له قد شاع له قد شاع الفسق فيهم كما شاع في زماننا هذا والكفار مخاطبون بفروع الشريعة وكانت الاموال
في ايدي المكذبين له والمصدقين واما المكذبون فكانوا يتعاملون بغير شرع عيسى عليه السلم واما المصدقون فتساهلوا مع اصل
التصديق كما تساهل الآن المسلمون مع ان العهد بالنبوة اقرب فكانت الاموال كلها او اكثرها او كثير منها حراماً وعفى صلى الله عليه وسلم
عما سلف ولم يتعرض له وخصص اصحاب الايدي بالاموال ومهد الشرع وما ثبت تحريمه في شرع لا ينقلب حلالاً لبعثة رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولا ينقلب حلالاً بان يسلم الذي في يده الحرام فانا لا ناخذ في الجزية ما نعرف بعينه انه من خمر او مال ربوا
وقد كانت اموالهم في ذلك الزمان كاموالنا الحال وامر العرب كان اشد لعموم النهب والغارة فيهم فبان ان الاحتمال
الرابع متعين في الفتوى والاحتمال الخامس طريق الورع بل تمام الورع الاقتصار في المباح على قدر الحاجة وترك التوسع في الدنيا
بالكلية وذلك طريق الآخرة ونحن الآن نتكلم في الفقه المنوط بمصالح الخلق وفتوى الظاهر له حكم ومنهاج على حسب مقتضى
المصالح وطريق الدين لا يقدر على سلوكه الا الآحاد ولو اشتغل به الخلق كلهم لبطل النظام وخرب العالم فان ذلك طلب ملك
كبير في الآخرة ولو اشتغل كل الخلق بطلب ملك الدنيا وتركوا الحرف الدنية والصناعات الخسيسة بطل ثم يبطل ببطلانه الملك
ايضاً فالمحترفون انما سخروا لينتظم الملك للملوك وكذا المقبلون على الدنيا سخروا ليسلم طريق الآخرة لذوي الدين وهو ملك
الآخرة ولولاه لما سلم لذوي الدين ايضاً دينهم فشرط سلامة الدين لهم ان يعرض الاكثرون عن طريقهم ويشتغلوا
بامور الدنيا وتلك قسمة سبقت بها المشية الازلية واليه الاشارة بقوله تع ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات
ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً فان قيل لا حاجة الى تقدير عموم التحريم حتى لا يبقى حلال فان ذلك غير واقع وهو معلوم ولا شك
في ان البعض حرام وذلك البعض هو الاقل او الاكثر فيه نظر وما ذكرتموه من انه الاقل بالاضافة الى الكل جلي ولكن لا بد من دليل
يحصل على تجويزه ليس من المصالح المرسلة وما ذكرتموه من التقسيمات كانها مصالح مرسلة فلا بد لها من شاهد معين يقاس
عليه حتى يكون الدليل مقبولاً بالاتفاق فان بعض العلماء لا يقبل المصالح المرسلة فاقول ان سلم ان الحرام هو الاقل فيكفينا
برهاناً عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة مع وجود الربوا والسرقة والغلول والنهب وان قدر ما يكون الاكثر
هو الحرام فيحل التناول ايضاً وبرهانه ثلاثة امور الاول التقسيم الذي حصرناه وابطلنا منه اربعة اقسام واثبتنا القسم

القسم الخامس فان ذلك اذا جرى فيما اذا كان الكل حراماً كان احرى فيما اذا كان الحرام هو الاكثر او الاقل وقول القائل
هو مصلحة مرسلة هوس فان ذلك انما يخيل من تخيله في امور مظنونة وهذا مقطوع به فانا لا نشك في ان مصلحة الدين
والدنيا مراد الشرع وهو معلوم بالضرورة وليس بمظنون ولا نشك في ان رد كافة الناس الى قدر الضرورة والحاجة الى
الصيد والحشيش مخرب للدنيا اولاً وللدين بواسطة الدنيا ثانياً فما لا نشك فيه ولا يحتاج الى اصل يشهد له وانما
يستشهد على الخيالات المظنونة المتعلقة بالآحاد والاشخاص البرهان الثاني ان يقال قياس محرر مردود الى اصل تتفق
الفقهاء الا الشاذون بالاقيسة الجزئية اليه وان كانت الجزئيات مستحقرة عند المحصلين بالاضافة الى مثل ما ذكرناه من الامر الكلي
الذي هو ضرورة النبي لو بعث في زمان عم التحريم حتى لو احكم بغيره خرب العالم والقياس المحرر الجزوي هو انه قد تعارض
اصل وغالب فيما انقطعت فيه العلامات المعينة من الامور التي ليست محصورة فيحكم بالاصل لا بالغالب قياساً على طين الشوارع
وجرة النصرانية واواني المشركين وذلك قد اثبتناه من قبل بفعل الصحابة وقولنا انقطعت العلامات المعينة احتراز عن الاواني
التي يتطرق اليها الاجتهاد وقولنا ليست محصورة احتراز عن التباس الميتة والرضيعة بالمذكاة والاجنبية فان قيل كون الماء
طهوراً مستيقن وهو الاصل ونحن لا نسلم ان الاصل في الاموال الحل بل الاصل فيها التحريم فنقول الاموال التي لا تحرم
لصفة في عينها كحرمة الخمر والخنزير خلقت على صفة تستعد لقبول المعاملات بالتراضي كما خلق الماء مستعداً للوضوء وقد
وقع الشك في بطلان هذا الاستعداد منها فلا فرق بين الامرين فانها تخرج عن قبول المعاملة بالتراضي بدخول الظلم
عليها كما يخرج الماء عن قبول الوضوء بدخول النجاسة عليه فلا فرق والجواب الثاني ان اليد دلالة ظاهرة دالة
على الملك نازلة منزلة الاستصحاب ومن ادعى عليه ملك في يده فالقول ايضاً قوله اقامة لليد مقام الاستصحاب
واقوى منه بدليل ان الشرع الحقه به اذ من ادعى عليه دين فالقول قوله لان الاصل براءة ذمته وهذا استصحاب فكل ما وجد
في يد انسان فالاصل انه ملكه ما لم يدل على خلافه علامة معينة البرهان الثالث هو ان ما دل على جنس لا يحصر ولم يدل على
عين لم يعتبر فان كان قطعاً فبان لا يعتبر وان كان ظناً فبان لا يعتبر اذا دل بطريق الظن اولى بيانه ان ما علم انه ملك زيد فخفي
ان نمنع من التصرف فيه بغير اذنه ولو علم ان له مالكاً في العالم ولكن وقع الياس عن الوقوف عليه وعلى وارثه فهو مال مرصد
لمصالح المسلمين يجوز التصرف فيه بحكم المصلحة ولو دل على ان له مالكاً محصوراً في عشرة اشخاص مثلاً وعشرين مثلاً امتنع التصرف
والذي يشك في ان له مالكاً سوى صاحب اليد ام لا اولى به على الذي لا يشك قطعاً ان له مالكاً ولكن لا يعرف عليه فليجز التصرف
فيه بالمصلحة والمصلحة ما ذكرناه في الاقسام الخمسة فيكون هذا الاصل شاهداً له ويكفي لا وكل مال ضائع فقد مالكه
يصرفه السلطان الى المصالح ومن المصالح الفقراء وغيرهم فلو صرف الى فقير ملكه ونفذ تصرفه فيه ولو سرقه منه سارق
قطعت يده فكيف نفذ تصرفه في ملك الغير ليس ذلك الا لحكم بان المصلحة تقتضي ان ينقل الملك اليه ويحل له فقضينا
بموجب المصلحة فان قيل ولكن يختص بالتصرف فيه السلطان فنقول والسلطان لم يجوز التصرف في ملك غيره بغير
اذنه فان الاسباب لا المصلحة وهو انه لو ترك لضاع فهو مردد بين تضييعه وبين صرفه الى مهم والصرف الى مهم اصلح من
التضييع فرجح عليه والمصلحة فيما نشك فيه ولا نعلم تحريمه ان نحكم بدلالة اليد ونترك على ارباب الايدي اذ انتزاعها بالشك
وتكليفهم الاقتصار على قدر الحاجة يؤدي الى الضرر الذي ذكرناه وجهات المصلحة تختلف فان السلطان تارة يرى من المصلحة
ان يبني بذلك المال قنطرة وتارة ان يصرفه الى جند الاسلام وتارة الى الفقراء ويدورون مع المصلحة كيفما دارت فكذلك

تكذلك التشريح في مثل هذا يدور على المصلحة وقد خرج من هذا ان الخلق غير ماخوذين في اعيان الاموال بظنون لا يستند الى خصوص
دلالة في تلك الاعيان كما لو اخذ السلطان والفقراء الاخذون منه تعليمهم ان المال لمالك معين لم يتعلق العلم بعين تلك
مشار اليه ولا فرق بين عين المالك وبين عين الاملاك في هذا المعنى فهذا بيان شبهة الاختلاط ولم يبق الا النظر في امتزاج المايعات
او الدراهم او العروض في يد المالك الواحد وسياتي بيانه في باب طريق الخروج من المظالم المثار الثالث للشبهة ان
يتصل بالسبب المحلل معصية اما في قرائنه واما في لواحقه واما في سوابقه واما في عوضه وكانت من المعاصي التي لا توجب فساد
العقد وابطال السبب المحلل ومثال المعصية في القراين البيع في وقت النداء يوم الجمعة والذبح بالسكين المغصوب والاحتطاب
بالفاس المغصوب والبيع على بيع الغير والسوم على سومه وكل نهي ورد في العقود ولم يدل على فساد العقد فان الامتناع من جميع
ذلك ورع وان لم يكن المستفاد بهذه الاسباب محكوما بتحريمه وتسمية هذا النمط شبهة تسامح لان الشبهة في الغالب تطلق لارادة
الاشتباه والجهل ولا اشتباه ههنا بل العصيان بالذبح بسكين الغير معلوم وحل الذبيحة ايضا معلوم ولكن قد تشتق الشبهة
من المشابهة وتناول الحاصل من هذه الامور مكروه والكراهية تشبه التحريم فان اريد بالشبهة هذا فتسميته شبهة له وجه
والا فينبغي ان يسمى هذه كراهية لا شبهة واذا عرف المعنى فلا مشاحة في الاسامي فعادة الفقهاء التسامح في الاطلاقات ثم اعلم ان
هذه الكراهية لها ثلاث درجات الاولى منها ما يقرب من الحرام والورع عنه مهم والاخيرة تنتهي الى نوع من المبالغة تكاد تلتحق
بورع الموسوسين وبينهما اوساط نازعة الى الطرفين فالكراهية في صيد كلب مغصوب اشد منه في الذبيحة بسكين مغصوب او المقتنص
بسهم مغصوب اذ الكلب له اختيار وقد اختلف في ان الحاصل به لمالك الكلب او للصياد ويليه البذر المزروع في ارض مغصوبة
فان الزرع لمالك البذر ولكن فيه شبهة ولو اثبتنا حق الحبس لمالك الارض في الزرع لكان كالثمن الحرام ولكن الاقيس ان لا يثبت
حق حبس كما لو طحن بطاحونة مغصوبة او اقتنص بشبكة مغصوبة اذ لا يتعلق حق صاحب الشبكة في منفعتها بالصيد ويليه الاحتطاب
بالفاس المغصوب ثم ذبح ملك نفسه بالسكين اذ لم يذهب احد الى تحريم الذبيحة ويليه البيع في وقت النداء فانه ضعيف التعلق بمقصود
العقد وان ذهب قوم الى فساد العقد اذ ليس فيه الا انه اشتغل بالبيع عن واجب آخر كان عليه ولو افسد البيع بمثله لافسد بيع
كل من عليه زكوة درهم واحد او صلوة فائتة وجوبها على الفور في ذمته مظلمة دانق فان الاشتغال بالبيع مانع له عن القيام با
بالواجبات فليس للجمعة الا الوجوب بعد النداء ويجر ذلك الى ان لا يصح نكاح اولاد الظلمة وكل من في ذمته درهم لانه اشتغل بقوله
عن الفعل الواجب عليه الا انه من حيث ورد في يوم الجمعة نهي على الخصوص ربما يسبق الى الافهام خصوص فيه فيكون الكراهية
اشد ولا باس بالحذر منه ولكن قد يجر الى الوسواس حتى يتحرج عن نكاح بنات ارباب المظالم وساير معاملاتهم وحكي عن بعضهم انه
اشترى شيئا فسمع انه اشترى شيئا يوم الجمعة فرده خيفة ان يكون ذلك مما اشتراه وقت النداء غاية المبالغة لانه رد بالشك ومثل هذا الوهم في تقدير
المناهي والمفسدات لا ينقطع عن يوم السبت وساير الايام والورع حسن والمبالغة فيه احسن ولكن الى حد معلوم فقد قال صلى الله
عليه وسلم هلك المتنطعون فليحذر من امثال هذه المبالغات فانها وان كانت لا تضر صاحبها ربما اوهم عند الغير ان ذلك مهم ثم يعجز
عما هو ايسر منه فيترك اصل الورع وهو مستند اكثر الناس في زماننا هذا اذ ضيق عليهم الطريق فايسوا عن القيام به فاطرحوه فكما
ان الموسوسين في الطهارة قد يعجز عن الطهارة فيتركها فكذا بعض الموسوسين في الحلال سبق الى وهمه ان مال الدنيا كلها حرام فتوسعوا
وتركوا التمييز فهو عين الضلال واما امثلة اللواحق فهو كل تصرف يفضي في سياقه الى معصية واعلاه بيع العنب من الخمار وبيع الغلام
من المعروف بالفجور بالغلمان وبيع السيف من قطاع الطريق وقد اختلف العلماء في صحة ذلك وفي حل الثمن الماخوذ منه والاقيس ان ذلك

في م

ان ذلك صحيح والماخوذ حلال والرجل عاص بعقده كما يعصي بالذبح بالسكين المغصوب والذبيحة حلال فانه يعصي عصيان الاعانة على
المعصية ولا يتعلق بعين العقد فالماخوذ من هذا مكروه كراهية شديدة وتركه من الورع المهم وليس بحرام ويليه في الرتبة بيع العنب
ممن يشرب الخمر ولكن لم يكن خمارا او بيع السيف ممن يغزو ويظلم ايضا لان الاحتمال قد تعارض وقد كره السلف بيع السيف في
وقت الفتنة خوفا من ان يشتريه ظالم فهذا ورع فوق الاول والكراهة فيه اخف ويليه ما هو مبالغة ويكاد يلتحق بالوسواس وهو قول
جماعة انه لا يجوز معاملة الفلاحين بآلات الحرث لانهم يستعينون بها على الحراثة ويبيعون الطعام من الظلمة فلا يباع منهم البقر
والآت الحرث وهذا ورع الوسوسة اذ ينجر الى ان لا يباع من الفلاح طعام لانه يتقوى به على الحراثة ولا يسقى من الماء العام لذلك و
ينتهي الى حد التنطع المنهي عنه وكل متوجه الى شيء على قصد خير لا بد ان يسرف ان لم يزمه العلم المحقق وربما يقدم على ما يكون بدعة في الدين
ليستضر الناس بعدها وهو يظن انه مشغول بالخير ولهذا قال صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلي على ادناكم والمتنطعون هم
الذين يخشى ان يكون ممن قيل فيهم الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وبالجملة لا ينبغي ان يشتغل الانسان
بدقائق الورع الا بحضرة عالم متقن فانه اذا جاوز ما رسم له وتصرف بذهنه من غير سماع كان ما يفسده اكثر مما يصلحه وقد روي عن سعد بن
ابي وقاص انه احرق كرمه خوفا من ان يباع العنب ممن يتخذه خمرا وهذا لا اعرف له وجها ان لم يعرف هو سببا خاصا يوجب الاحراق
اذ ما احرق نخله وكرمه من كان ارفع قدرا منه من الصحابة ولو جاز هذا لجاز قطع الذكر خيفة من الزنا وقطع اللسان خيفة من الكذب
الى غير ذلك من الاتلافات واما المقدمات فلتطرق المعصية اليها ثلاث درجات الدرجة العليا التي تشتد الكراهة
فيها ما بقي اثره في المتناول كالاكل من شاة اعلفت بعلف مغصوب او رعيت في مرعى حرام فان ذلك معصية وقد كان سببا لبقائها
وربما يكون الباقي من لحمها ودمها واجزائها من ذلك العلف وهذا الورع مهم وان لم يكن واجبا عليه ونقل عن جماعة من السلف
وكان لابي عبد الله الطوسي التروغندي شاة يحملها كل يوم على رقبته الى الصحراء ويرعاها وهو يصلي وكان ياكل من لبنها فغفل
عنها ساعة فتناولت من ورق كرم على طرف بستان فتركها في البستان ولم يستحل اخذها فان قيل روي عن عبد الله وعبيد
الله ابني عمر رضي الله عنهم انهما اشتريا ابلا فبعثاها الى الحمى فرعت فيه ابلهما حتى سمنت فقال عمر رعيتها فقالا نعم في
الحمى فشاطرهما فهذا يدل على ان اللحم الحاصل من العلف لصاحب العلف فليوجب تحريمه قلنا ليس كذلك فان العلف
يفسد بالاكل واللحم خلق جديد وليس هو عين العلف فلا شركة لصاحب العلف شرعا ولكن عمر غرمهما قيمة الكلأ وراى ذلك
شطر الابل فاخذ الشطر بالاجتهاد كما شاطر سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه ماله لما ان قدم من الكوفة وكذلك شاطر
ابا هريرة رضي الله عنه اذ راى ان ذلك لا يستحقه العامل وراى شطر ذلك كافيا على حق عملهم وقدر بالشطر اجتهادا
والرتبة الوسطى ما نقل عن بشر رحمه الله من امتناعه عن ماء ساق في نهر احتفرته الظلمة لان النهر موصل اليه وقد عصى الله بحفره وامتناع
آخر عن عنب كرم يسقى بماء يجري في نهر حفر ظلما وهو ارفع منه وابلغ في الورع وامتناع آخر من الشرب من مصانع السلاطين في
الطرق واعلى من ذلك امتناع ذي النون من طعام حلال وصل اليه على يد السجان وقال انه جاءني على طبق ظالم ودرجات هذه الرتبة
لا تنحصر الرتبة الثالثة وهي قريب من الوسواس والمبالغة ان يمتنع من حلال يصل على يد رجل عصى الله بالزنا والقذف
وليس هذا كما لو عصى باكل الحرام فان الموصل قوته الحاصلة من الغذاء الحرام والزنا والقذف لا يوجب قوة يستعان بها على الحمل
بالامتناع من حلال وصل على يد كافر وسواس بخلاف اكل الحرام اذ الكفر لا يتعلق بحمل الطعام وينجر هذا الى ان يوخذ من يد من عصى الله
ولو بغيبة او كذبة وهو غاية التنطع والاسراف فليضبط ما عرف من ورع ذي النون وبشر بالمعصية في السبب الموصل كالنهر وقوة

اليه المستفادة بالغذاء الحرام ولو اشبع من الشرب من كوز لان النجاري الذي عمل الكوز كان قد عصى الله بضرب انسان او شتمه

لكان هذا وسواسا ولو اشبع من لحم شاة ساقها آكل الحرام فهذا ابعد من يد السجان لان الطعام يستقر بقوة السجان والشاة تمشي

بنفسها والسائق يمنعها عن العدول عن الطريق فقط فهذا قريب من الوسواس فانظر كيف تدرجنا فيها الى ما يتداعى اليه هذه الامور

واعلم ان كل هذا خارج عن فتوى الظاهر فان فتوى الفقيه يختص بالدرجة الاولى التي يمكن تكليف كافة الخلق بها ولو اجتمعوا

عليه لم يخرب العالم دون ما عداه من ورع الصالحين والمتقين والفتوى في هذه ما قاله صلى الله عليه وسلم لوابصة اذ قال له

استفت قلبك وان افتوك وان افتوك وعرفه ان الاثم حواز القلوب فكل ما حاك في صدر المريد من هذه الاسباب فلو اقدم

عليه مع حزازة القلب استضر واظلم قلبه بقدر الحزازة التي يجدها بل لو اقدم على حرام في علم الله وهو يظن انه حلال لم يؤثر

ذلك في قساوة القلب ولو اقدم على ما هو حلال في فتوى علماء الظاهر ولكنه يجد حزازة في قلبه فذلك يضره لانه ماخوذ في حق

نفسه بينه وبين الله تعالى بفتوى قلبه ولذلك يشدد على الموسوسين في الطهارة ونية الصلوة فانه اذا قلبه ان الماء

لم يصل الى جميع اجزاء عضو الطهارة ثلاث مرات لغلبة الوسوسة عليه فيجب عليه ان يستعمل الرابعة وصار ذلك حكما في حقه

وان كان مخطيا في نفسه واولئك قوم شددوا فشدد عليهم ولذلك شدد على اصحاب موسى عليه السلام لما استقصوا في السؤال

عن البقرة فلو اخذوا اولا بعموم لفظ البقرة وكل ما ينطلق عليه الاسم لاجزأهم فلا تغفل عن هذه الدقائق التي اوردناها

نفيا واثباتا فان من لا يطلع على كنه الكلام ولا يحيط بمجامعه يوشك ان يزل في درك مقاصده اما المعصية في العوض فلها

ايضا درجات الدرجة العليا التي تشتد الكراهة فيها ان يشتري شيئا في الذمة ويقضي ثمنه من غصب او مال حرام

فينظر فان سلم البائع اليه الطعام قبل قبض الثمن بطيبة قلب فاكله قبل قضاء الثمن فهو حلال وتركه ليس بواجب بالاجماع

اعني قبل قضاء الثمن ولا هو ايضا من الورع المؤكد فان قضى الثمن بعد الاكل من الحرام فكانه لم يقض الثمن ولو لم يقض الثمن اصلا لكان

متقلدا للمظلمة بترك ذمته مرتهنة بالدين ولا ينقلب ذلك حراما فان قضى الثمن من الحرام وابراه البائع مع العلم بانه حرام

فقد برئت ذمته ولم يبق عليه الا مظلمة تصرفه في الدراهم الحرام بصرفها الى البائع وان ابراه على ظن ان الثمن حلال فلا تحصل

البراءة لانه يبريه عما اخذه ابراء استيفاء ولا يصلح ذلك للايفاء فهذا حكم المشتري والاكل منه وحكم الذمة وان لم يسلم اليه

بطيبة قلب ولكن اخذه فاكله حرام سواء اكله قبل توفية الثمن او بعده لان الذي يرى الفتوى به ثبوت حق الحبس للبائع حتى يتعين

ملكه باقباض النقد كما تعين ملك المشتري وانما يبطل حق حبسه اما بالابراء او الاستيفاء ولم يجر شيء منهما ولكنه اكل ملك نفسه

وهو عاص به عصيان الراهن للطعام اذا اكله بغير اذن المرتهن وبينه وبين اكل طعام الغير فرق ولكن اصل التحريم شامل هذا كله اذا قبض

قبل توفية الثمن اما بطيبة قلب البائع او من غير طيبة قلبه فاما اذا اوفى الثمن الحرام اولا ثم قبض فان كان البائع عالما بان الثمن حرام

ومع هذا اقبضه بطل حقه من الحبس وبقي له الثمن في ذمته اذ ما اخذه ليس بثمن ولا يصير اكل المبيع حراما بسبب بقاء الثمن فاما

اذا لم يعلم انه حرام وكان بحيث لو علم لكان لا يرضى به ولما اقبض المبيع فحق حبسه لا يبطل بهذا التلبيس فاكله حرام تحريم اكل المرهون الى ان يبريه

او يوفي هو من حلال او يرضى هو بالحلال فيبري فيصح ابراؤه ولا يصح رضاه بالحرام فهذا مقتضى الفقه وبيان الحكم في الدرجة الاولى

من الحل والحرمة فاما الامتناع عنه فمن الورع المهم لان المعصية اذا تمكنت من السبب الموصل الى الشيء تشتد الكراهة فيه كما

سبق واقوى الاسباب الموصلة الثمن ولولا الثمن الحرام لما رضي البائع بتسليمه اليه فرضاه به لا يخرجه عن كونه مكروها كراهة

شديدة ولكن العدالة لا تنخرم به وتزول به درجة التقوى والورع فلو اشترى سلطان مثلا ثوبا بثمن في الذمة وقبضه برضى البائع

واما الذي يكون في النهي عن المبالغة اردنا بان القلب الصافي المعتدل هو الذي لا يجد حزازة في مثل تلك الامور فان مال القلب موسوس عن الاعتدال ووجد الحزازة فاقدم مع الحجة في قلبه سالك تضرره

علىعلي م

عجم الماء

البائع قبل توفية الثمن وسلمه الى فقيه او غيره صلة او خلعة وهو شاك انه سيقضي ثمنه من الحرام او الحلال فهذا اخف

اذ وقع الشك في تطرق المعصية الى الثمن وتفاوت خفته بتفاوت كثرة الحرام وقلته في مال ذلك السلطان وما يغلب

على الظن فيه وبعضه اشد من بعض والرجوع فيه الى ما يقدح في القلب الرتبة الوسطى ان لا يكون العوض غصبا وحراما ولكن

ينهتاج المعصية كما لو سلم عوضا عن الثمن عنبا والاخذ شارب خمر او سيفا وهو قاطع طريق فهذا لا يوجب تحريما في مبيع اشتراه

ولكن يقتضي فيه كراهية دون الكراهية التي في الغصب وتتفاوت درجات هذه الرتبة ايضا بتفاوت غلبة المعصية على قابض الثمن

وندورها ومهما كان العوض حلالا حراما فبذله حرام وان احتمل التحريم ولكن اباح بظن فبذله مكروه وعليه ينزل عندي النهي عن

كسب الحجام وكراهته اذ نهى صلى الله عليه وسلم عنه مرات ثم امر بان يعلف الناضح وما يسبق الى الوهم من ان سببه مباشرة النجاسة

وما يسبق الى الوهم والقذر فهو فاسد اذ يجب طرده في الدباغ والكناس ولا قائل به وان قيل به فلا يمكن طرده في القصاب اذ كيف يكون

كسبه مكروها وهو بدل عن اللحم واللحم في نفسه غير مكروه ومخامرة القصاب للنجاسة اكثر من الحجام والفصاد فان الحجام ياخذ الدم

بالمحجمة ويمسح بالقطنة ولكن السبب ان الحجامة والفصد جرح وهو تخريب لبنية الحيوان واخراج لدمه وبه قوام حياته والاصل

فيه التحريم وانما يحل بضرورة ويعلم الحاجة والضرورة بحدس واجتهاد وربما يظن نافعا ويكون ضارا فيكون حراما عند الله

ولكن يحكم بحله بالظن والحدس ولذلك لا يجوز للفصاد فصد عبد ولا صبي الا باذن وليه وقول طبيب ولولا انه حلال في الظاهر

لما اعطى صلى الله عليه وسلم اجرة الحجام ولولا انه يحتمل التحريم لما نهى فلا يمكن الجمع بين اعطائه ونهيه الا باستنباط هذا

هذا المعنى وهذا كان ينبغي ان يذكر في القرائن المقرونة فانه اقرب اليها الرتبة السفلى وهي درجة الوسواس وذلك في

ان يحلف انسان على ان لا يلبس من غزل امه فباع غزلها واشترى به ثوبا فهذا لا كراهية فيه والورع عنه وسوسة وروي عن المغيرة

انه قال في هذه الواقعة انه لا يجوز واستشهد بان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعن الله اليهود اذ حرمت عليهم الشحوم فباعوها

وهذا باطل لان بيع الشحم اذ ذاك باطل اذ لم يبق للشحم منفعة في الشرع وثمن البيع الباطل حرام وليس هذا من ذلك بل مثال هذا ان

يملك الرجل جارية هي اخته من الرضاع فباعها بجارية اجنبية فليس لاحد ان يتورع عنه وتشبيه ذلك ببيع الخمر فهذا غاية السرف

في هذا الطرف وقد عرفنا جميع الدرجات وكيفية التدريج فيها وان كان تفاوت هذه الدرجات لا ينحصر في ثلاث واربع

ولا في عدد ولكن المقصود من التعديد التقريب والتفهيم فان قيل فقد قال صلى الله عليه وسلم من اشترى ثوبا بعشرة دراهم فيها

درهم حرام لم يقبل له صلوة ما دام عليه ثم ادخل ابن عمر رضي الله عنهما اصبعيه في اذنيه وقال صمتا ان لم اكن سمعته من رسول الله

صلى الله عليه وسلم قلنا ذلك محمول على ما لو اشترى بعشرة بعينها لا في الذمة واذا اشترى في الذمة فقد حكمنا بالتحريم في اكثر

الصور فنحمل عليها ثم كم من ملك شيء تعذ عليه بمنع قبول الصلوة لمعصية تطرقت الى سببه وان لم يدل ذلك على فساد العقد كالمشتري

في وقت النداء وغيره المثار الرابع الاختلاف في الادلة فان ذلك كالاختلاف في السبب لان السبب سبب لحكم الحل و

الحرمة والدليل سبب لمعرفة الحل والحرمة فهو سبب في حق المعرفة وما لم يثبت في معرفة الغير فلا فائدة لثبوته في نفسه وان جرى

سببه في علم الله تعالى وهو اما ان يكون لتعارض ادلة الشرع او لتعارض العلامات الدالة او لتعارض التشابه القسم الاول

ان يتعارض ادلة الشرع مثل تعارض عمومين من القرآن او السنة المعلوم وان لم يكن ترجيح وظهر في جانب الحظر ترجيح وجب

الاخذ وان ظهر في جانب الحل جاز الاخذ به ولكن الورع تركه فاتقاء مواضع الخلاف مهم في الورع في حق المفتي والمقلد وان

كان المقلد يجوز له ان ياخذ بما افتى له مقلده الذي يظن انه افضل علماء بلده ويعرف ذلك بالتسامع كما يعرف افضل

اطباء البلد بالتسامع والقرآن وان كان لا يحسن الطب وليس للمفتي ان ينتقل من المذاهب اسهلها عليه واوسعها بل عليه
ان يجتهد حتى يغلب على ظنه الافضل ثم يتبعه فلا يخالف اصلاً نعم ان افتى له امامه بشيء ولامامه فيه مخالف فالفرار من
الخلاف الى الاجماع من الورع المؤكد وكذا المجتهد اذا تعارضت عنده الادلة ورجح جانب الحل بحدس وتخمين وظن
فالورع له الاجتناب فلقد كان المفتون يفتون بحل اشياء ولا يقدمون عليها قط تورعاً منها وحذاراً من الشبهة فيها
ولنقسم هذا ايضاً على ثلاث مراتب المرتبة الاولى ما يتاكد الاستحباب في التورع عنه وهو ما يقوى فيه دليل المخالف
ويدق فيه وجه ترجيح للمذهب الآخر عليه فمن المهمات التورع عن فريسة الكلب المعلم اذا اكل وان افتى المفتي بانه حلال
لان الترجيح فيه غامض وقد اخترنا ان ذلك حرام وهو اقيس قولي الشافعي رضي الله عنه فقول جديد موافق لمذهب
ابي حنيفة رضي الله عنه او غيره من الائمة كان الورع مهماً وان افتى المفتون بالقول الآخر ومن ذلك الورع عن متروك التسمية
وان لم يختلف فيه قول الشافعي رضي الله عنه لان الآية ظاهرة في ايجابها والاخبار متواترة فيها فانه صلى الله عليه وسلم
قال لكل من سأله عن الصيد اذا ارسلت كلبك المعلم وذكرت اسم الله عليه فكل ونقل ذلك على التكرر وقد شهد الذبح بالبسملة
وكل ذلك يقوي دليل الاشتراط ولكن لما صح قوله صلى الله عليه وسلم المؤمن يذبح على اسم الله تعالى سمى او لم يسم واحتمل
ان يخصص هذا بالناسي ويترك الظاهر ولا تأويل وكان حمله على الناسي ممكناً تمهيداً لعذره في ترك التسمية بالنسيان وكان
تعميمه وتأويل الآية ممكناً امكاناً اقرب يحمله ذلك ولا ننكر وقع الاحتمال المقابل له فالورع عن مثل هذا مهم واقع
في الدرجة الاولى. الثانية وهي متاخمة درجة الوسواس ان يتورع الانسان عن اكل الجنين الذي يصادف في بطن الحيوان
المذبوح وعن الضب وقد صح في الصحاح من الاخبار حديث الجنين ان ذكاته ذكاة امه صحة لا يتطرق احتمال الى متنه ولا ضعف
الى سنده وكذلك صح انه اكل الضب على مائدة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد نقل ذلك في الصحيحين فالظن بابي حنيفة رضي
الله عنه انه لم يبلغه هذه الاحاديث ولو بلغته لقال بها ان انصف وان لم ينصف منصف فيه كان خلافه غلطاً لا يعتد به
ولا يورث شبهة كما لو لم يخالف وعلم الشيء بخبر الواحد. الرتبة الثالثة ان لا يشتهر في المسألة خلاف اصلاً ولكن يكون الحل
معلوماً بخبر الواحد فيقول القائل قد اختلف الناس في خبر الواحد فمنهم من لا يقبله فانا اتورع فان النقلة وان كانوا عدولاً
فالغلط عليهم جائز والكذب لغرض خفي جائز عليهم فان العدل ايضاً قد يكذب والوهم جائز عليهم فانه قد يسبق الى وهمهم او سمعهم
خلاف ما يقوله القائل وكذا الى فهمهم فهذا ورع لم ينقل مثله عن الصحابة فيما كانوا يسمعونه من عدل تسكن نفوسهم اليه فاما
اذا تطرقت تهمة بسبب خاص ودلالة معينة في حق الراوي فللتوقف وجه ظاهر وان كان عدلاً وخلاف من خالف في اخبار
الآحاد غير معتد به وهو كخلاف النظام في اصل الاجماع وقوله انه ليس بحجة ولو جاز مثل هذا الورع لكان من الورع ان يمتنع
الانسان من ان ياخذ ميراث الجد ابي الاب ويقول ليس في كتاب الله تعالى ذكر الا للبنين والحاق ابن الابن بالابن من اجماع
الصحابة وهم غير معصومين والغلط عليهم جائز وقد خالف النظام فيه وهذا هوس ويتداعى الى ان يترك ما علم بعمومات القرآن
اذ من المتكلمين من ذهب الى ان العمومات لا صيغة لها وانما يحتج بما فهمه الصحابة منها بالقرائن والدلالات وكل ذلك وسواس
فاذاً لا طرف من اطراف الشبهة الا وفيه غلو واسراف فليفهم ذلك ومهما اشكل امر من هذه الامور فليستفت فيه القلب
وليدع الورع ما يريبه الى ما لا يريبه وليترك حزاز القلوب وما يحيك في الصدور وذلك يختلف بالاشخاص والوقائع و
لكن ينبغي ان يحفظ قلبه عن دواعي الوسواس حتى لا يحكم الا بالحق فلا ينطوي على حزازة في مظان الوسواس ولا يخلو عن الحزازة في

في مظان الكراهية وما اعز مثل هذا القلب ولذلك لم يرد صلى الله عليه وسلم كل احد الى فتوى القلب وانما قال ذلك
لوابصة لما كان قد عرف من حاله. القسم الثالث ان تتعارض العلامات الدالة على الحل والحرمة فانه قد ينهب نوع من المتاع
في وقت يندر وقوع مثله من غير المنهوب فيرى مثله في يد رجل من اهل الصلاح فيدل صلاحه على انه حلال ويدل نوع المتاع و
ندوره من غير المنهوب على انه حرام فيتعارض الامران وكذلك يخبر عدل بانه حرام وآخر بانه حلال او تتعارض شهادة فاسقين
او قول صبي وبالغ فان ظهر ترجيح حكم به والورع الاجتناب وان لم يظهر ترجيح وجب التوقف وسيأتي تفصيله في باب التعرف والبحث
والسؤال. القسم الثالث تعارض الاشباه في الصفات التي بها تناط الاحكام مثاله ان يوصي بمال للفقهاء فيعلم ان الفاضل
في الفقه داخل فيه وان الذي ابتدأ التعلم منذ يوم او شهر لا يدخل فيه وبينهما درجات لا تحصى يقع الشك فيها والمفتي يفتي بحسب
الظن والورع الاجتناب وهذا اغمض مثارات الشبهة فان فيها صوراً يتحير المفتي فيها تحيراً لازماً لا حيلة له فيه اذ يكون
المتصف بالصفة في درجة متوسطة بين الدرجتين المتقابلتين لا يظهر له ميله الى احدهما وكذلك الصدقات المصروفة الى المحتاجين
فان من لا شيء له معلوم انه محتاج ومن له مال كثير معلوم انه غني ويتصدى مسائل غامضة كمن له دار واثاث وثياب وكتب فان قدر
الحاجة منه لا يمنع من الصرف اليه والفاضل يمنع والحاجة ليست محدودة وانما تدرك بالتقريب ويتعدى منه النظر في مقدار
سعة الدار وابنيتها ومقدار قيمتها لكونها في وسط البلد ووقوع الاكتفاء بدار دونها وكذلك في نوع اثاث الدار اذا كان من
الصفريات لا من الخزف وكذلك في عددها وكذلك فيما يحتاج اليه كل يوم وما يحتاج اليه كل سنة كآلات الشتاء وما لا يحتاج اليه
الا في سنين وشيء من ذلك لا حد له والوجه في هذا ما قاله صلى الله عليه وسلم اذ قال دع ما يريبك الى ما لا يريبك وكل ذلك في محل
الريب فان توقف المفتي فلا وجه الا التوقف وان افتى المفتي بظن وتخمين فالورع التوقف وهو اهم مواضع الورع وكذلك ما يجب
بقدر الكفاية من نفقة الاقارب وكسوة الزوجات وكفاية الفقهاء والعلماء على بيت المال اذ فيه طرفان يعلم ان احدهما قاصر وان
الآخر زائد وبينهما امور متشابهة تختلف باختلاف الشخص والحال والمطلع على الحاجات هو الله سبحانه وتعالى وليس للبشر وقوف
على حدودها فما دون الرطل المكي في اليوم قاصر عن كفاية الرجل الضخم وما فوق ثلاثة ارطال زائد على الكفاية وما بينهما لا يتحقق
له حد فليدع الورع ما يريبه الى ما لا يريبه وهذا جار في كل حكم نيط بسبب يعرف ذلك السبب بلفظ العرب وسائر اهل اللغات
لم يقدروا متضمنات اللغات محدودة تنقطع اطرافها عن مقابلاتها كلفظ الستة فانه لا يحتمل ما دونها وما فوقها من الاعداد و
سائر الفاظ الحساب والمقدرات فليست الالفاظ اللغوية كذلك في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم الا ويتطرق
الشك الى اوساط في مقتضياتها تدور بين اطراف متقابلة ويعظم الحاجة الى هذا الفن في الوصايا والاوقاف فالوقف على الصوفية فيه
على الخصوص ليتعلم به طريق التصرف في الالفاظ والا فلا مطمع في استيفائها فهذه اشتباهات تثور من علامات متعارضة تجاذب الى
طرفين متقابلين وكل ذلك من الشبهات تجب اجتنابها اذا لم يترجح جانب الحل بدلالة تغلب على الظن او باستصحاب بموجب قوله صلى الله
عليه وسلم دع ما يريبك الى ما لا يريبك وبموجب سائر الادلة التي سبق ذكرها فهذه مثارات الشبهات وبعضها اشد من بعض
ولو تظاهرت شبهات شتى على شيء واحد كان الامر اغلظ مثل ان ياخذ طعاماً مختلفاً فيه عوضاً عن عنب باعه من خمار بعد النداء
يوم الجمعة والبائع قد خالط ماله حرام وليس هو اكثر ماله ولكنه صار مشتبهاً به فقد يؤدي ترادف الشبهات الى ان يشتد
الامر في اقتحامها فهذه مراتب عرفنا طريق الوقوف عليها وليس في قوة البشر حصرها فما اتضح من هذا الشرح اخذ به وما التبس فليجتنب
فان الاثم حزاز القلوب وحيث حكمنا باستفتاء القلب اردناه حيث اباح المفتي اما حيث حرمه فيجب الامتناع ثم لا يعول على

على كل قلب فرب موسوس ينفر عن كل شيء ورب شره متساهل يطمئن الى كل شيء فلا اعتبار بهذين القلبين وانما الاعتبار
بقلب العالم الموفق المراقب لدقائق الاحوال فهو المحك الذي يمتحن به خفايا الامور وما اعز هذا القلب في القلوب فمن
لم يثق بقلب نفسه فليلتمس النور من قلب بهذه الصفة وليعرض عليه واقعته وفي الزبور ان الله تعالى اوحى الى داود عليه
السلام قل لبني اسرائيل اني لا انظر الى صيامكم وصلواتكم ولكن انظر الى من شك في شيء فتركه لاجلي فذلك الذي ايده بنصري
واباهي به ملائكتي

الباب الثالث في البحث والسؤال والهجوم والاهمال ومظانهما في الحلال والحرام

اعلم ان كل من قدم اليك طعاما او هدية او اردت ان تشتري منه او تتهب فليس لك ان تفتش عنه وتسأل
وتقول هذا مما لا اتحقق حله فلا آخذه بل افتش عنه وليس لك ايضا ان تترك البحث فتاخذ من كل احد وتاكل كل ما لا تتيقن تحريمه
بل السؤال واجب مرة وحرام مرة ومندوب مرة ومكروه مرة فلا بد من تفصيله والقول الشافي فيه هو ان مظنة السؤال مواقع
الريبة ومنشأ الريبة ومثارها امر يتعلق بالمال او بصاحب المال **المثار الاول** احوال المالك وله بالاضافة الى
معرفته ثلاث احوال اما ان يكون مجهولا او مشكوكا فيه او معلوما بنوع ظن يستند الى دلالة **الحالة الاولى** ان يكون مجهولا
والمجهول هو الذي ليس معه قرينة تدل على فساده وظلمه كزي الاجناد ولا ما يدل على صلاحه كثياب اهل التصوف والتجارة والعلم
وغير ذلك من العلامات فاذا دخلت قرية لا تعرفها ورايت رجلا لا تعرف من حاله شيئا ولا عليه علامة تنسبه الى اهل صلاح او
الى اهل فساد فهو مجهول واذا دخلت بلدة غريبا ودخلت سوقا ووجدت رجلا خبازا او قصابا او غيره ولا علامة تدل على كونه
مريبا او خائنا ولا ما يدل على نفيه فهو مجهول لا يدرى حاله ولا نقول انه مشكوك فيه لان الشك عبارة عن اعتقادين
متقابلين لهما سببان متقابلان واكثر الفقهاء لا يدركون الفرق بين ما لا يدرى وبين ما يشك فيه وقد عرفت مما سبق ان الورع
ترك ما لا يدرى قال يوسف بن اسباط رضي الله عنه منذ ثلاثين سنة ما حاك في قلبي شيء الا تركته وتكلم جماعة في اشد الاعمال
فقالوا هو الورع فقال لهم حسان بن ابي سنان ما شيء عندي اسهل من الورع اذا حاك في صدري شيء تركته فهذا شرط الورع و
نذكر الان حكم الظاهر فنقول حكم هذه الحالة ان المجهول ان قدم اليك طعاما او حمل اليك هدية او اردت ان تشتري من
دكانه شيئا فلا يلزمك السؤال بل يده وكونه مسلما دلالتان كافيتان في الهجوم على اخذه وليس لك ان تقول الفساد
والظلم غالب على الناس فهذه وسوسة وسوء ظن بهذا المسلم بعينه وان بعض الظن اثم وهذا المسلم يستحق باسلامه عليك ان لا
تسيء الظن به في عينه لانك رايت فسادا من غيره فقد جنيت عليه واثمت به في الحال نقدا من غير شك ولو اخذت المال لكان
كونه حراما مشكوكا فيه ويدل عليه انا نعلم ان الصحابة في غزواتهم واسفارهم كانوا ينزلون في القرى ولا يردون القرى و
يدخلون البلاد ولا يحترزون من الاسواق وكان الحرام ايضا موجودا في زمانهم وما نقل عنهم سؤال الا عن ريبة اذ كان صلى
الله عليه وسلم لا يسأل عن كل ما يحمل اليه بل سأل في اول قدومه الى المدينة عما يحمل اليه اصدقة ام هدية لان قرينة الحال وهو دخول المهاجرين
المدينة وهم فقراء يغلب على الظن ان ما يحمل اليهم بطريق الصدقة ثم اسلام المعطي ويده لا يدل على انه ليس بصدقة وكان يدعى
الى الضيافات فيجيب ولا يسأل اصدقة ام هدية اذ العادة ما جرت بالتصدق بالضيافة ولذلك دعته ام سليم ودعاه الخياط
فيما رواه انس بن مالك رضي الله عنه وقدم اليه طعاما فيه قرع ودعاه الرجل الفارسي فقال صلى الله عليه وسلم انا وعائشة
فقال لا فقال صلى الله عليه وسلم فلا ثم اجابه بعده فذهب هو وعائشة رضي الله عنها يتساوقان فقرب اليهما اهالة ولم ينقل
السؤال في شيء من ذلك وسأل ابو بكر رضي الله عنه عبده عن كسبه لما رابه من امره شيء وسأل عمر رضي الله عنه الذي سقاه من

من ابل الصدقة اذ ارابه فانه اعجبه طعمه ولم يكن على ما كان يالفه كل ليلة وهذه اسباب الريبة فكل من وجد ضيافة عند رجل
مجهول لم يكن عاصيا باجابته من غير تفتيش بل لو راى في داره تجملا ومالا كثيرا فليس له ان يقول الحلال عزيز وهذا كثير فمن اين يجتمع
هذا من الحلال بل هذا الشخص بعينه اذا احتمل ان يكون ورث مالا او اكتسبه فهو بعينه يستحق احسان الظن به وازيد على هذا
فاقول ليس له ان يساله بل ان كان يتورع فلا يدخل جوفه الا ما يدري من اين هو فهو حسن فليتلطف في الترك وان كان لا بد له
من اكله فلياكل بغير سؤال اذ السؤال ايذاء وهتك ستر وايحاش وهو حرام بلا شك فان قلت لعله لا يتاذى فاقول
لعله يتاذى وانت تسال حذرا من لعل فان قنعت بلعل فلعل ماله حلال وليس الاثم المحذور في ايذاء مسلم باقل من الاثم في اكل
شبهة او حرام والغالب على الناس الاستيحاش بالتفتيش ولا يجوز له ان يسال من غيره من حيث يدري هو به لان الايذاء في ذلك
اكثر وان سال من حيث لا يدري هو ففيه اساءة ظن وهتك ستر وفيه تجسس وفيه تشبب بالغيبة وان لم يكن صريحا وكل
ذلك منهي عنه في اية واحدة قال الله تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا
وكم من زاهد جاهل يوحش القلوب بالتفتيش ويتكلم بالكلام الخشن المؤذي وانما يحسن الشيطان ذلك عنده طلبا للشهرة باكل الحلال
ولو كان باعثه محض الدين لكان خوفه على قلب مسلم ان يتاذى اشد من خوفه على بطنه ان يدخله ما لا يدري وهو غير مؤاخذ بما
لا يدريه اذا لم يكن ثم علامة توجب الاجتناب فليعلم ان طريق الورع الترك دون التجسس واذا لم يكن بد من الاكل فالاكل هو الورع و
احسان الظن هذا هو المالوف من الصحابة ومن زاد عليهم في الورع فهو ضال مبتدع وليس بمتبع فلن يبلغ احد مد احدهم ولا نصيفه لو انفق
ما في الارض جميعا كيف وقد اكل رسول الله صلى الله عليه وسلم طعام بريرة فقيل هو صدقة فقال هو لها صدقة ولنا هدية ولم يسال عن
المتصدق عليها وكان المتصدق مجهولا عنده ولم يمتنع **الحالة الثانية** ان يكون مشكوكا فيه بسبب دلالة اورثت
فلنذكر صورته ثم حكمه اما الصورة فهو ان يدل على تحريم ما في يده امر من خلقته او من زيه وثيابه او من فعله وقوله اما
الخلقة فان يكون على خلقة الاتراك والبوادي والمعروفين بالظلم وقطع الطريق وان يكون طويل الشوارب وان يكون الشعر مفرقا
على راسه على دأب اهل الفساد واما الثياب فالقباء والقلنسوة وزي اهل الفساد من الاجناد وغيرهم واما الفعل والقول فهو
ان يشاهد منه الاقدام على ما لا يحل فان ذلك يدل على انه يتساهل ايضا في المال وياخذ ما لا يحل فهذه مواضع الريبة فاذا اراد ان
يشتري من مثل هذا شيئا او ياخذ منه هدية او يجيبه في ضيافة وهو غريب مجهول عنده لم يظهر منه الا هذه العلامات فيحتمل
ان يقال اليد تدل على الملك وهذه الدلالات ضعيفة فالاقدام جائز والترك من الورع ويحتمل ان يقال اليد دلالة ضعيفة
وقد قابلها مثل هذه الدلالة فاورث ذلك ريبة فالهجوم غير جائز وهو الذي نختاره ونفتي به لقوله صلى الله عليه وسلم دع
ما يريبك الى ما لا يريبك فظاهره الامر وان كان يحتمل الاستحباب ولقوله عليه السلام الاثم حزاز القلوب وهذا له وقع في القلب لا ينكر
ولان النبي صلى الله عليه وسلم سال اصدقة او هدية وسال ابو بكر رضي الله عنه غلامه وسال عمر رضي الله عنه وكل ذلك كان في
موضع الريبة وحمله على الورع وان كان ممكنا ولكن لا يحمل عليه الا بقياس والقياس ليس يشهد لتحليل هذا فان دلالة اليد والاسلام
عارضتها هذه الدلالات فاورثت ريبة فاذا تقابلا فالاستحلال لا مستند له وانما ترك حكم اليد والاستصحاب بشك لا يستند الى دلالة كما اذا
وجد الماء متغيرا واحتمل ان يكون بطول المكث فان راى ظبية بالت فيه ثم احتمل التغير به وبغيره تركنا الاستصحاب وهذا قريب
منه ولكن بين هذه الدلالات تفاوت فان طول الشوارب ولبس القباء وهيئة الاجناد يدل على الظلم بالمال اما القول والفعل
المخالف للشرع ان تعلق بظلم المال فهو ايضا دليل ظاهر كما لو سمعه يامر بالغصب والظلم او يعقد عقد الربا فاما اذا راه شتم

في غضبه او اتبع نظره امراة مرت به فهذه دلالة ضعيفة فكم من انسان يتحرج في طلب المال ولا يكتسب الا الحلال وهو مع ذلك فلا يملك نفسه عند هيجان الغضب والشهوة فليتنبه لهذا التفاوت ولا يمكن ان يضبط هذا بحد فليستفت العبد في مثله قلبه واقول ان هذا اذا راه من مجهول فله حكم وان راه ممن عرفه بالورع في الطهارة والصلوة وقراة القرآن فله حكم آخر اذا تعارضت الدلالتان بالاضافة الى المال فتساقطتا وعاد الرجل كالمجهول اذ ليست احدى الدلالتين تناسب المال على الخصوص فكم من متحرج في المال فلا يتحرج في غيره وكم من محسن للصلوة والوضوء والقراءة ويأكل من حيث يجد فالحكم في مثل هذه المواقع ما يميل اليه القلب فان هذا امر بين العبد وبين الله فلا يبعد ان يناط بسبب خفي لا يطلع عليه الا هو ورب الارباب وهو حكم حزازة القلب ثم ليتنبه لدقيقة اخرى وهي ان هذه الدلالة ينبغي ان يكون بحيث تدل على ان اكثر ماله حرام بان يكون جنديا او عامل سلطان او نائحة او مغنية فان دل على ان في ماله حراما قليلا لم يكن السؤال واجبا بل كان السؤال من الورع **الحالة الثالثة** ان يكون الحال معلوما بنوع خبرة وممارسة بحيث يوجب ذلك ظنا في حل المال وتحريمه مثل ان يعرف صلاح الرجل وديانته وعدالته في الظاهر وجوز ان يكون الباطن بخلافه فهاهنا لا يجب السؤال ولا يجوز كما في المجهول بل اولى والاقدام هاهنا ابعد عن الشبهة من الاقدام على طعام المجهول فان ذلك بعيد عن الورع وان لم يكن حراما واما اكل طعام اهل الصلاح فدأب الانبياء والاولياء قال صلى الله عليه وسلم لا تأكل الا طعام تقي ولا يأكل طعامك الا تقي فاما اذا علم بالخبرة انه جندي او مغن او مرب واستغنى عن الاستدلال عليه بالهيئة والشكل والثياب فهاهنا السؤال واجب لا محالة كما في موضع الريبة بل اولى **المثار الثاني** ما يستند الشك فيه الى سبب في المال لا في حال المالك وذلك بان يختلط الحرام بالحلال كما اذا طرح في سوق احمال من طعام غصب واشتراها اهل السوق فليس يجب على من يشتري في تلك البلدة وذلك السوق ان يسأل عما يشتريه الا ان يظهر ان اكثر ما في ايديهم حرام فعند ذلك يجب السؤال فان لم يكن هو الاكثر فالتفتيش من الورع وليس بواجب والسوق الكبير حكمه حكم بلد والدليل على انه لا يجب السؤال والتفتيش اذا لم يكن الاغلب الحرام ان الصحابة رضوان الله عليهم لم يمتنعوا عن الشرى في الاسواق وفيها دراهم الربوا والغلول في الغنيمة وغيرها وكانوا لا يسألون في كل عقد وانما السؤال ينقل عن آحادهم نادرا في بعض الاحوال وهي محال الريبة في حق ذلك الشخص المعين وكذلك كانوا يأخذون الغنائم من الكفار الذين كانوا قد قاتلوا المسلمين وربما اخذوا اموالهم واحتمل ان يكون في تلك المغانم من الكفار الذين شيء مما اخذوه من المسلمين وذلك لا يحل اخذه مجانا بالاتفاق بل يرد على صاحبه عند الشافعي رضي الله عنه وعند ابي حنيفة رضي الله عنه صاحبه اولى بالثمن ولم ينقل قط التفتيش عن هذا وكتب عمر رضي الله عنه الى اذربيجان انكم في بلاد يباع فيها الميتة فانظروا ذكيه من ميته اذن في السؤال وامر به ولم يأمر بالسؤال عن الدراهم التي هي اثمانها لان اكثر دراهمهم لم يكن اثمان الجلود وان كانت هي ايضا تباع واكثر الجلود كان كذلك وكذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه انكم في بلاد اكثر قصابيها المجوس فانظروا الذكي من الميتة فخص بالامر الاكثر بالسؤال ولا يتضح امر هذا الباب الا بذكر صور وفرض مسائل يكثر وقوعها في العادات فلنفرضها **مسئلة** شخص معين خالط ماله الحرام مثل ان يباع على دكان يباع طعام مغصوب او مال منهوب ومثل ان يكون القاضي او الرئيس او العامل او الفقيه الذي له ادرار على سلطان ظالم وله ايضا مال موروث ودهقنة او تجارة او رجل تاجر يعامل بمعاملات صحيحة ويربي ايضا فان كان الاكثر من ماله حراما لا يجوز الاكل في ضيافته ولا قبول هديته وصدقته الا بعد التفتيش فان ظهر ان المأخوذ من وجه حلال فذاك والا ترك وان كان الحرام اقل والمأخوذ مشتبه فهذا في محل النظر لانه على رتبة بين الرتبتين اذ قضينا انه لو اشتبه ذكية بعشر ميتات مثلا وجب اجتناب الكل وهذا يشبهه من وجه من حيث ان مال

ان مال الرجل الواحد كالمحصور لا سيما اذا لم يكن كثيرا مثل السلطان ويخالفه من وجه اذ الميتة يعلم وجودها في الحال يقينا والحرام الذي خالط ماله يحتمل ان يكون قد خرج من يده وليس موجودا في الحال فان كان المال قليلا او علم قطعا ان الحرام موجود فهو ومسئلة اختلاط الذكية واحد وان كثر المال واحتمل ان يكون الحرام غير موجود في الحال فهذا اخف من ذلك ويشبه من وجه الاختلاط بغير محصور كما في الاسواق والبلاد لكنه اغلظ منه لاختصاصه بشخص واحد ولا نشك في ان المهجوم عليه بعيد من الورع جدا ولكن النظر في كونه فسقا منافيا للعدالة وهذا من حيث المعنى غامض لتجاذب الاشباه ومن حيث النقل غامض لان ما ينقل فيه عن الصحابة من الامتناع في مثل هذا وكذا عن السلف يمكن حمله على الورع ولا يصادف فيه نص على التحريم وما ينقل من اقدام على الاكل كاكل ابي هريرة رضي الله عنه طعام بعض الامراء مثلا ان قدر في جملة ما في يده حرام فذلك يحتمل ان يكون اقدامه بعد التفتيش واستبانة ان ما يأكله من وجه مباح فالافعال في هذا ضعيفة الدلالة ومذاهب العلماء المتأخرين مختلفة حتى قال بعضهم لو اعطاني السلطان شيئا لاخذته وطرد الاباحة فيما اذا كان حراما ايضا مهما لم تعرف عين المأخوذ واحتمل ان يكون حلالا واستدل باخذ بعض السلف جوائز السلاطين كما سيأتي في باب بيان اموال السلطان فاذا كان الحرام هو الاقل واحتمل ان لا يكون موجودا في الحال لم يكن الاكل حراما وان تحقق وجوده في الحال كما في مسئلة اشتباه الميتة بالمذكية فهذا مما لا ادري ما اقول فيه من المشابهات التي تتحير المفتي فيها لانها مترددة بين مشابهة المحصور وغير المحصور والرضيعة اذا اشتبهت بنسوة قرية فيها عشرة نسوة وجب الاجتناب وان كان ببلدة فيها عشرة الاف لم يجب وبينهما اعداد لو سئلت عنها لكنت لا ادري ما اقول فيها ولقد توقف العلماء في مسائل هي اوضح منها اذ سئل احمد بن حنبل عن رجل رمى صيدا فوقع في ملك غيره ان يكون الصيد للرامي او لمالك الارض فقال لا ادري فروجع فيه مرات فقال لا ادري وكثيرا من ذلك حكيناه عن السلف في كتاب العلم فليقطع المفتي طمعه عن درك الحكم في جميع الصور وقد سأل ابن المبارك صاحبه من البصرة عن معاملته قوما يعاملون السلاطين فقال ان لم يعاملوا سوى السلاطين فلا تعاملهم وان عاملوا السلطان وغيره فعاملهم وهذا يدل على المسامحة في الاقل ويحتمل على المسامحة في الاكثر ايضا وبالجملة ايضا فلم ينقل عن الصحابة انهم كانوا يهجرون بالكلية جازرا وقصابا وتاجرا لتعاطيه عقدا واحدا فاسدا او لمعاملته السلطان مرة وتقدير ذلك فيه بعد والمسئلة مشكلة في نفسها فان قيل فقد روي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه بالكرم في ذلك فقال للسائل رخص فيه وقال خذ ما يعطيك السلطان فانما يعطيك من الحلال وما يأخذ من الحلال اكثر من الحرام وسئل ابن مسعود رضي الله عنه انه رخص في ذلك فقال السائل ان لي جارا لا اعلمه الا خبيثا يدعونا فنجيبه ويحتاج فنستسلفه فقال اذا دعاك فاجبه واذا احتجت فاستسلفه فان لك المهنأ وعليه المأثم وافتى سلمان بمثل ذلك وقد علل علي رضي الله عنه بالكثرة وعلل ابن مسعود بطريق الاشارة بان عليه المأثم لانه يعرفه ولك المهنأ اي لك ما لا تعرفه وروي انه قال رجل لابن مسعود بطريق الاشارة ان لي جارا يأكل الربوا فيدعونا الى طعامه فنأتيه فقال نعم وروي ذلك عن ابن مسعود بروايات كثيرة مختلفة ولهذا الشافعي ومالك رضي الله عنهما جوائز الخلفاء والسلاطين مع العلم بانه قد خالط مالهم الحرام قلنا اما ما روي عن علي رضي الله عنه فقد اشتهر من ورعه ما يدل على خلاف ذلك فانه يمتنع من مال بيت المال حتى يبيع سيفه ولا يكون له الا قميص واحد في وقت الغسل لا يجد غيره ولست انكر ان رخصته صريح في الجواز وفعله محتمل للورع ولكنه ان صح فمال السلطان له حكم آخر فانه بحكم كثرته يكاد يلتحق بما لا يحصر وسيأتي بيان ذلك وكذلك فعل الشافعي ومالك رحمهما الله متعلق بمال السلطان وسيأتي حكمه وانما كلامنا

الاكثر

في آحاد الخلق وأموالهم قريبة من الحصر وإنما قول ابن مسعود رضي الله عنه إنما نقله خوات التيمي وهو ضعيف الحفظ و
المشهور منه ما يدل على توقي الشبهات إذ قال لا يقل أحدكم أخاف وأرجو فإن الحلال بين والحرام بين وبين ذلك أمور مشتبهات
فدع ما يريبك إلى ما لا يريبك وقال اجتنبوا الحكاكات فإنها الإثم فإن قيل فلم قلتم إذا كان الأكثر حراما لم يجز الأخذ
مع أن المأخوذ ليس له علامة على تحريمه على الخصوص واليد علامة الملك حتى أن من سرق مال مثل هذا الرجل قطعت يده و
الكثرة توجب ظنا مرسلا لا يتعلق بالعين فليكن كغالب الظن في طين الشوارع وغالب الظن في الاختلاط بغير محصور إذا كان
الأكثر هو الحرام ولا يجوز أن يستدل على هذا بعموم قوله صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك إلى ما لا يريبك لأنه مخصوص ببعض
المواضع بالاتفاق وهو أن يريبه لا لعلامة في عين المال بدليل اختلاط القليل بغير المحصور فإن ذلك يوجب ريبة ومع ذلك
قطعتم بأن ذلك لا يحرم والجواب أن اليد دلالة ضعيفة كالاستصحاب وإنما تؤثر إذا سلم عن معارض قوي فإذا تحققنا
الاختلاط وتحققنا أن الحرام المخالط موجود في الحال والمال غير خال عنه وتحققنا أن الأكثر هو الحرام وذلك في حق شخص
معين يقرب ماله من الحصر ظهر وجوب الإعراض عن مقتضى اليد وإن لم يحمل عليه قوله صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك إلى
ما لا يريبك لا يبقى له محمل إذ لا يمكن أن يحمل على اختلاط قليل بحلال غير محصور إذ كان ذلك موجودا في زمانه وكان لا يدعه
على أي موضع يحمل هذا كان ههنا في معناه وحمله على الشبهة يصرف له عن ظاهره بغير قياس فإن تحريمه ههنا غير بعيد عن قياس العلامات
والاستصحابات وللكثرة تأثير في تحقيق الظن وكذا للحصر وقد اجتمعا حتى قال أبو حنيفة رحمه الله لا يجتهد في الأواني إلا إذا
كان الطاهر هو الأكثر فاشترط اجتماع الاستصحاب والاجتهاد بالعلامة وقوة الكثرة ومن قال بالاجتهاد في آنيتين أراد بالاستصحاب
بنى على مجرد الاستصحاب فجوز الشرب أيضا فيلزمه التجويز ههنا بمجرد علامة اليد ولا يجري ذلك في بول اشتبه بماء إذ لا استصحاب
فيه ولا يطرد أيضا في ميتة اشتبهت بذكية إذ لا استصحاب في الميتة إذ لا تدل اليد على أنه غير ميتة وتدل في الطعام المباح
على أنه ماله فههنا أربع متعلقات استصحاب وقلة في المخلوط أو كثرة وانحصار أو انتشار في المخلوط به وعلامة خاصة
في عين الشيء يتعلق بها الاجتهاد فمن يغفل عن مجموع الأربعة ربما يغلط فيشبه بعض المسائل بما لا يشبهه فحصل مما ذكرناه أن
المختلط في يد شخص واحد إما أن يكون الحرام أكثر أو أقل وكل واحد إما أن يعلم بيقين أو ظن عن علامة أو توهم والسؤال
يجب في موضعين وهو أن يكون الحرام أكثر يقينا أو ظنا كما لو رأى تركيا مجهولا لا يحتمل أن يكون كل ماله من غنيمة وإن
كان الأقل معلوما باليقين فهو محل التوقف ويكاد يشير سير أكثر السلف وضرورة الأحوال إلى الميل إلى الرخصة وأما
الأقسام الثلاثة الباقية فالسؤال فيها غير واجب أصلا مسئلة إذا أحضر طعام إنسان علم أنه دخل في يده حرام من إدرار
كان قد أخذه أو وجه آخر ولا يدري أنه بقي إلى الآن أم لا فله الأكل ولا يلزمه التفتيش وإنما التفتيش فيه من الورع ولو
علم أنه قد بقي منه شيء ولكن لم يدر أنه الأكثر أم الأقل فله أن يأخذ بأنه الأقل وقد سبق أن أمر الأقل مشكل وهذا يقرب منه
مسئلة إذا كان في يد المتولي لسبيل الخيرات من الأوقاف والوصايا مالان يستحق هو أحدهما ولا يستحق الثاني
لأنه غير موصوف بتلك الصفة فهل له أن يأخذ ما يسلمه إليه من الوقف بنظر فإن كانت تلك الصفة ظاهرة يعرفها المتولي
وكان المتولي ظاهر العدالة فله أن يأخذ بغير بحث لأن الظن بالمتولي أنه لا يصرف إليه ما يصرفه إلا من المال الذي يستحقه
وإن كانت الصفة خفية أو كان المتولي ممن عرف من حاله أنه لا يحتاط ولا يبالي كيف يفعل فعليه السؤال إذ ليس ههنا
يد ولا استصحاب يعول عليه وهو نظير سؤال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصدقة والهدية عند تردده فيهما لأن اليد

لا تخصص الهدية عن الصدقة ولا الاستصحاب فلا ينجي منه إلا السؤال فإن السؤال حيث أسقطناه في المجهول ف
أسقطناه بعلامة اليد والإسلام حتى لو لم يعلم أنه مسلم وأراد أن يأكل من يده لحما من ذبيحته واحتمل أن يكون مجوسيا لم
يحل له ما لم يعرف أنه مسلم إذ اليد لا تدل في الميتة ولا الصورة تدل على الإسلام إلا إذا كان أكثر أهل البلد مسلمين فيجوز
أن يظن بالذي ليس عليه علامة الكفر أنه مسلم وإن كان الخطأ ممكنا فيه فلا ينبغي أن يلتبس المواضع التي تشهد فيها اليد والحال
بالتي لا تشهد مسئلة له أن يشتري في البلد دارا وإن علم أنها تشتمل على دور مغصوبة لأن ذلك اختلاط بغير محصور ولكن
السؤال احتياط وورع وإن كان في سكة عشر دور مثلا أحدها مغصوبة أو وقف لم يجز الشراء ما لم يتميز ويجب البحث عنها
ومن دخل بلدة وفيها رباطات خص بوقفها أرباب المذاهب وهو على مذهب واحد من جملة تلك المذاهب فليس له أن
يسكن أيها شاء ويأكل من وقفها بغير سؤال لأن ذلك من باب الاختلاط في المحصور فلا بد من التمييز ولا يجوز الهجوم مع
الإبهام لأن الرباطات والمدارس في البلد لا بد أن تكون محصورة مسئلة حيث جعلنا السؤال من الورع فليس له
أن يسأل صاحب الطعام والمال إذ لا يأمن غضبه ولا يأمن قط غضبه وإنما أوجبنا السؤال إذا تحقق أن أكثر ماله حرام
وعند ذلك لا يبالي بغضب مثله إذ يجب إيذاء الظالم بأكثر من ذلك والغالب أن مثل هذا لا يغضب من السؤال نعم إن
كان يأخذ من يد وكيله أو غلامه أو تلميذه أو بعض أهله ممن هو تحت رعايته فله أن يسألهم مهما استراب لأنهم لا يغضبون
من سؤاله ولأن عليه أن يسأل ليعلمهم طريق الحلال ولذلك سأل أبو بكر رضي الله عنه غلامه وسأل عمر من سقاه من إبل
الصدقة وسأل أبا هريرة رضي الله عنه أيضا لما أن قدم عليه بمال كثير وقال ويحك أكل هذا طيب من حيث أنه تعجب من
كثرته وكان هو من رعيته لا سيما وقد وقع عليه بمال كثير في صيغة السؤال ولذلك قال علي كرم الله وجهه ليس شيء أحب إلى
الله من عدل إمام ورفقه ولا شيء أبغض إلى الله من جوره وخرقه مسئلة قال الحارث المحاسبي لو كان له صديق أو أخ وهو
يأمن غضبه لو سأله فلا ينبغي أن يسأله لأجل الورع لأنه ربما يبدو له ما كان مستورا عنه فيكون قد حمله على هتك الستر
ثم يؤدي إلى البغضاء وما ذكره حسن لأن السؤال إذا كان من الورع لا من الوجوب فالورع في مثل هذه الأمور الترك احترازا
عن هتك الستر وإثارة البغضاء ثم وزاد على هذا وقال إن رابه شيء منه أيضا لم يسأله ويظن أنه يطعمه من الطيب
ويجنبه الخبيث فإن كان لا يطمئن قلبه إليه فيحترز متلطفا ولا يهتك ستره بالسؤال لأني لم أر أحدا من العلماء فعله هذا ما ذكره
مع ما شهر به من الزهد يدل على مسامحة فيما إذا خالط المال الحرام القليل وكره ذلك عند التوهم لا عند التحقيق لأن لفظ
الريبة يدل على الوهم بدلالة تدل عليه ولا توجب اليقين فليراع هذه الدقائق في السؤال مسئلة ربما يقول القائل أي
فائدة في بعض ماله حرام ومن يستحل المال الحرام ربما يكذب فإن وثق بأمانته فليثق بديانته في الحال فنقول مهما علم مخالطة
الحرام لمال إنسان وكان له غرض في حضورك ضيافته أو قبولك هديته فلا تحصل الثقة بقوله فلا فائدة في السؤال
منه فينبغي أن يسأل من غيره وكذا إن كان بياعا وهو يرغب في البيع لطلب الربح فلا تحصل الثقة بقوله إنه حلال
ولا فائدة في السؤال منه فإنما يسأل من غيره وإنما يسأل من صاحب اليد إذا لم يكن متهما كما يسأل المتولي عن المال الذي يسلمه
أنه من أي جهة وكما سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الهدية والصدقة فإن ذلك لا يؤذي ولا يتهم القائل فيه و
كذلك إذا اتهمه بأنه ليس يدري طريق الكسب الحلال فلا يتهم في قوله إذا أخبر عن طريق صحيح وكذلك يسأل عبده وخادمه
ليعرف طريق اكتسابه فههنا يفيد السؤال فإذا كان صاحب المال متهما فليسأل من غيره فإذا أخبره عدل واحد قبله وإن

وان اخبره فاسق يعلم من قرينة حاله انه لا يكذب حيث لا غرض له فيه ولا غرض فيه جاز قبوله لان هذا امر فيه بين الله والمطلو
ثقة النفس وقد يحصل من الثقة بقول فاسق ما لا يحصل بقول عدل في بعض الاحوال فليس كل فاسق يكذب ولا كل من ترى العدالة
في ظاهره يصدق وانما نيطت الشهادة بالعدالة الظاهرة لضرورة الحكم فان البواطن لا نطلع عليها وقد قبل ابو حنيفة رحمه الله
شهادة الفاسق وكم من شخص نعرفه ونعرف من حاله قد يقتحم المعاصي ثم اذا اخبر بشيء وثقت به وكذلك اذا اخبر به صبي مميز عرفته
بالتثبت فقد يحصل الثقة بقوله فيجب الاعتماد عليه اما اذا اخبر به مجهول لا يدرى من حاله شيء اصلا فهذا مما جوزنا الاكل من يده
لان يده دلالة ظاهرة على الملك ودعايته الاسلام دلالة ظاهرة على صدقه وهذا فيه نظر ولا يخلو قوله عن اثر ما في النفس حتى لو
اجتمع منهم جماعة افاد ذلك ظنا قويا الا ان اثر الواحد فيه في غاية الضعف فلينظر الى حد تاثيره في القلب فان المفتي هو القلب
في هذا الموضع وللقلب التفاتات الى قرائن خفية يضيق عنها نطاق النطق فليتامل فيه ويدل على وجوب الالتفات اليه ما روي عن
عقبة بن الحارث انه جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني تزوجت امراة فجاءت امة سوداء تزعم انها قد ارضعتنا فقال
دعها فقال انها سوداء تصغر من شانها فقال صلى الله عليه وسلم كيف وقد زعمت انها ارضعتكما لا خير لك فيها دعها عنك و
في لفظ آخر كيف وقد قيل ومهما لم يعلم كذب المجهول ولم يظهر امارة غرض له فيه كان له وقع في القلب لا محالة فلذلك يتاكد
الامر بالاحتراز فان اطمان اليه القلب كان الاحتراز حتما واجبا مسالة حيث يجب السؤال فلو تعارض قول عدلين تساقطا وكذا
قول فاسقين ويجوز ان يترجح في قلبه قول احد العدلين واحد الفاسقين ويجوز ان يرجح احد الجانبين بالكثرة او بالاختصاص بالخبرة
والمعرفة وذلك مما يتشعب تصويره مسالة لو نهب متاع مخصوص فصادف من ذلك النوع متاعا في يد انسان واراد ان يشتريه
واحتمل ان يكون من المغصوب فان كان ذلك الشخص معروفا بالصلاح جاز الشرى وان كان تركه من الورع وان كان الرجل مجهولا لا يعرف
منه شيء فان كان يكثر نوع ذلك المتاع من غير المغصوب فله ان يشتري وان كان لا يوجد ذلك المتاع في تلك البقعة الا نادرا وانما
كثرت بسبب الغصب وليس يدل على الحل الا اليد فقد عارضتها علامة خاصة من شكل المتاع ونوعه فالامتناع عن شراه من الورع
المهم ولكن الوجوب فيه نظر فان العلامة متعارضة ولست اقدر على ان احكم فيه بحكم الا ان ارده الى قلب المستفتي لينظر ما الاقوى
في نفسه فان كان الاقوى انه مغصوب لزمه تركه والا حل شراؤه واكثر هذه الوقائع تلتبس الاحكام فيها فهي من المتشابهات التي
لا يعرفها كثير من الناس فمن توقاها فقد استبرأ لعرضه ودينه ومن اقتحمها فقد حام حول الحمى وخاطر بنفسه مسالة
لو قال قائل قد سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن لبن قدم اليه فذكر انه من الشاة فسال عن الشاة من اين هي فذكر فترك السؤال
فيجب السؤال عن اصل المال ام لا وان وجب فعن اصل واحد او اثنين او ثلثة وما الضبط فيه فاقول لا ضبط فيه ولا تقدير
بل ينظر الى الريبة المقتضية للسؤال اما وجوبا او ورعا ولا غاية للسؤال الا حيث ينقطع الريبة المقتضية له وذلك يختلف باختلاف
الاحوال فان كان التهمة من حيث لا يدري صاحب اليد كيف طريق الاكتساب الحلال فان قال اشتريت انقطع بسؤال واحد وان
قال من شاة وقع الشك في الشاة فاذا قال اشتريت انقطع وان كانت الريبة من الظلم وذلك فيما بين العرب ويتوالد في ايديهم المغصوب
فلا ينقطع بقوله انه من شاة ولا بقوله ان الشاة ولدتها فان اسنده الى الوراثة من ابيه وحال ابيه مجهول انقطع السؤال وان كان
نعلم ان جميع مال ابيه حرام فقد ظهر التحريم وان كان نعلم ان اكثره حرام فبكثرة التوالد وطول الزمان وتطرق الارث اليه لا يتغير حكمه
فلينظر الى هذه المعاني مسالة سئل عن جماعة من سكان خانقاه الصوفية وفي يد خادمهم الذي يقدم الطعام اليهم وقف على اهل
المسكن ووقف آخر على جهة اخرى غير هؤلاء وهو يخلط وينفق الكل على هؤلاء فاكله حرام او حلال او شبهة فقلت هذا يلتفت على سبعة

على سبعة اصول الاصل الاول ان الطعام الذي يقدم اليهم في الغالب بالمعاطاة والذي اخترناه صحة
المعاطاة لا سيما في الاطعمة والمستحقرات فليس فيها الا شبهة الخلاف الاصل الثاني ان ينظر ان الخادم يشتري بعين المال
الحرام او في الذمة فان اشتراه بعين المال الحرام فهو حرام وان لم يعرف فالغالب انه يشتريه في الذمة ويجوز الاخذ بالغالب ولا ينشا
من هذا تحريم بل شبهة احتمال بعيد فهو شراؤه بعين مال حرام الاصل الثالث انه ممن يشتريه فان اشتراه ممن اكثر ماله حرام
لم يجز وان كان اقل ماله ففيه نظر قد سبق واذا لم يعرف جاز له الاخذ بانه يشتري ممن ماله حرام او ممن لا يدري فالمشتري حاله
كالمجهول وقد سبق جواز الشرى من المجهول لان ذلك هو الغالب فلا ينشا من هذا تحريم بل شبهة احتمال الاصل الرابع
انه يشتريه لنفسه او للقوم فان المتولي والخادم كالنائب ولهما ان يشتري لهم ولنفسه ولكن يكون ذلك بالنية او بصريح اللفظ و
اذا كان يجري بالمعاطاة فلا يجري اللفظ والغالب انه لا ينوي عند المعاطاة والقصاب والخباز ومن يعامله يعول عليه ويقصد البيع
منه لانه لا يحضر فيقع عن جهته ويدخل في ملكه وهذا الاصل ليس فيه تحريم ولا شبهة ولكن يثبت انهم ياكلون من ملك الخادم
الاصل الخامس ان الخادم يقدم اليهم ولا يمكن ان يجعل ضيافة وهدية بغير عوض فانه لا يرضى بذلك وانما تقدم اعتمادا
على عوضه من الوقف فهو معاوضة ولكن ليس ببيع ولا اقراض لانه لو اشترط طالبهم بالثمن استبعد ذلك وقرينة الحال
لا تدل عليه فاشبه اصل لانه عليه هذه الحالة الهبة بشرط الثواب اعني هدية لا تشترط فيها من شخص يقتضي قرينة حاله انه طمع
في ثواب وذلك صحيح والثواب لازم وههنا ما طمع الخادم في ان ياخذ ثوابا عما قدمه الا حقهم من الوقف فيقضي به دينه من الخباز
والبقال والقصاب وغيرهم فهذا لا شبهة فيه اذ لا يشترط لفظ في الهدية ولا في تقديم الطعام وان كان مع انتظار الثواب ولا مبالاة
بقول من لا يصحح هدية في انتظار ثواب الاصل السادس ان الثواب الذي يلزم فيه خلاف فقيل انه اقل متمول وقيل قدر القيمة
وقيل ما يرضى به الواهب حتى ان له ان لا يرضى باضعاف القيمة والصحيح انه يتبع رضاه فاذا لم يرض يرد عليه وههنا الخادم قد
رضي بما ياخذ من حق السكان على الوقف فان كان نصيبهم من الحق بقدر ما اكلوه فقد تم الامر وان كان ناقصا ورضي به الخادم ايضا صح ايضا
وان علم ان الخادم لا يرضى لولا ان في يده الوقف الآخر الذي ياخذ بقوة هؤلاء السكان فكانه رضي له الثواب بمقدار بعضه حلال
وبعضه حرام والحرام لم يدخل في يد السكان فهذا كالخلل المتطرق الى الثمن وقد ذكرنا حكمه من قبل وانه متى يقتضي التحريم ومتى يقتضي
الشبهة وهذا لا يقتضي تحريما على ما فصلناه فلا ينقلب الهدية حراما بتوصل المهدي بالهدية الى حرام الاصل السابع
انه يقضي دين الخباز والبقال والقصاب من ارتفاع الوقفين فان قضى وفى بما اخذ من حقهم بقيمة ما اطعمهم فقد صح الامر
وان قضى عنه ورضي القصاب والخباز باي ثمن كان حراما او حلالا فهذا خلل تطرق الى ثمن الطعام ايضا فيلتفت على ما قدمناه
من الشرى في الذمة ثم قضاء الثمن من حرام هذا اذا علم انه قضاه من حرام وان احتمل ذلك واحتمل غيره فالشبهة ابعد فقد خرج
من هذا ان اكل هذا ليس بحرام ولكنه اكل شبهة وهو بعيد من الورع لان هذه الاصول اذا كثرت وتطرق الى كل واحد احتمال
صار احتمال الحرام بكثرته اقوى في النفس كما ان الخبر اذا طال اسناده صار احتمال الكذب والغلط فيه اقوى مما اذا قرب اسناده
فهذا حكم هذه الواقعة وهي من الفتاوى وانما اوردناها ليعرف كيفية تخريج الوقائع الملتبسة المختلفة وانها كيف ترد الى الاصول
فان ذلك مما يعجز اكثر المفتين والله اعلم بالصواب

الباب الرابع

في كيفية خروج التائب عن المظالم المالية اعلم ان من تاب وفي يده مال مختلط فعليه وظيفة في تمييز الحرام واخراجه ووظيفة
اخرى في مصرف المخرج فلينظر فيهما النظر الاول في كيفية التمييز والاخراج اعلم ان كل من تاب وفي يده ما هو حرام معلوم العين

من غصب او وديعة او غيره فامره سهل فعليه تمييز الحرام فان كان ملتبسا مختلطا فلا يخلو اما ان كان في مال هو من ذوات الامثال كالحبوب والنقود والادهان واما ان كان في اعيان متميزة متغايرة كالعبيد والثياب والدور فان كان في المتماثلات او كان شائعا في المال كله كمن اكتسب بتجارة يعلم انه كذب في بعضها في المرابحة وصدق في بعضها او من غصب دهنا وخلطه بدهن نفسه او فعل ذلك في الحبوب او الدراهم والدنانير فلا يخلو اما ان كان معلوم القدر او مجهوله فان كان معلوم القدر مثل ان يعلم ان قدر النصف من جملة ماله حرام فعليه تمييز النصف وان اشكل فله طريقان احدهما الاخذ باليقين والاخر بغالب الظن وكلاهما قد قال به العلماء في اشتباه ركعات الصلوة ونحن لا نجوز في الصلوة الا الاخذ باليقين لان الاصل اشتغال الذمة فليستصحب ولا يغير الا بعلامة قوية وليست في اعداد الركعات علامات يوثق بها واما ههنا فلا يمكن ان يقال الاصل ان ما في يده حرام بل هو مشكل فيجوز الاخذ بغالب الظن اجتهادا ولكن الورع في الاخذ باليقين فان اراد الورع فطريق التحري والاجتهاد ان لا يستبقي الا القدر الذي يتيقن انه حلال وان اراد الاخذ بالظن فطريقه مثلا ان يكون في يده مال تجارة فسد بعضه فيتيقن ان النصف حلال وان الثلث مثلا حرام ويبقى سدس يشك فيه فيحكم فيه بغالب الظن وهكذى طريق التحري في كل مال وهو ان يقتطع القدر المستيقن من الجانبين في الحل والحرمة والقدر المتردد فيه ان غلب على ظنه التحريم اخرجه وان غلب الحل جاز امساكه والورع اخراجه وهذا الورع اوكد لانه صار مشكوكا فيه وكان امساكه اعتمادا على انه في يده ليكون الحل اغلب عليه وقد صار ضعيفا بعد تيقن اختلاط الحرام ويحتمل ان يقال الاصل التحريم فلا ياخذ الا ما يغلب على ظنه انه حلال وليس احد الجانبين باولى من الاخر وليس يتبين لي في الحلال ترجيح وهو من المشكلات فان قيل هب انه اخذ باليقين لكن الذي يخرجه ليس يدري انه عين الحرام فلعل الحرام ما بقي في يده فكيف يقدم هذا ولو جاز هذا لجاز ان يقال اذا اختلطت ميتة بتسع ذكيات وهي العشر فله ان يطرح واحدة اي واحدة كانت ويأخذ الباقي ويستحلها ولكن يقال لعل الميتة فيما استبقاه بل لو طرح التسع واستبقى واحدة لم يحل لاحتمال انها هي الحرام فنقول هذه الموازنة كانت تصح لولا ان المال يحل باخراج البدل لتطرق المعاوضة اليه واما الميتة فلا تتطرق المعاوضة اليها فينكشف عن هذا الاشكال بالفرض في درهم معين اشتبه بدرهم آخر لمن له درهمان احدهما حرام وقد اشتبه عينه فقد سئل احمد بن حنبل رحمه الله عن هذا فقال يدع الكل حتى يتبين وكان قد رهن آنية فلما قضى الدين حمل المرتهن آنيتين فقال لا ادري ايتهما آنيتك ايتهما فتركهما فقال المرتهن هذا هو الذي لك وانما كنت اجربك فقضى دينه ولم ياخذ الرهن فهذا ورع ولكنا نقول انه غير واجب فلنفرض في درهم له مالك معين حاضر فنقول اذا اراد احد الدرهمين عليه ورضي به مع العلم بحقيقة الحال حل له الدرهم الآخر لانه لا يخلو اما ان يكون الدرهم المردود في علم الله تعالى هو الماخوذ فقد حصل المقصود وان كان غير ذلك فقد حصل لكل واحد درهم في يد صاحبه فالاحتياط ان يتبايعا باللفظ فان لم يفعلا وقع التقاص والتبادل بمجرد المعاطاة وكان المغصوب منه فان له درهم في يد الغاصب وعسر الوصول الى عينه واستحق ضمانه فما اخذه وقع عن الضمان وهذا في جانبه واضح فان المضمون له يملك الضمان بمجرد القبض من غير لفظ والاشكال في الجانب الاخر انه لم يدخل في ملكه فنقول لانه ايضا ان كان قد سلم درهم نفسه فقد فات يضا درهم هو في يد الآخر وليس يمكن الوصول فهو كالفائت فيقع بدلا عنه في علم الله ان كان الامر كذلك ويقع هذا التبادل في علم الله كما يقع التقاص لو اتلف رجلان كل واحد درهما على صاحبه بل في عين مسئلتنا لو القى كل واحد ما في يده في البحر او احرقه كان قد اتلف ولم يكن عليه غرامة للآخر بطريق التقاص وكذا اذا لم يتلف فان القول بهذا اولى من المصير الى ما يأخذ دينا ويطرحه في الف درهم لرجل آخر يصير

كل المال محجورا عليه لا يجوز التصرف فيه وهذا المذهب يؤدي اليه فانظرها فهذا من البعد وليس فيما ذكرناه الا ترك اللفظ والمعاطاة بيع ومن لا يجعله بيعا فحيث يتطرق اليه احتمال اذا الفعل ضعيف الدلالة حيث لا يمكن التلفظ وههنا التسليم والتسليم للمبادلة قطعا والبيع غير ممكن لان المبيع غير مشار اليه ولا معلوم في عينه وقد يكون مما لا يقبل البيع كما لو خلط رطل دقيق بالف رطل دقيق لغيره وكذا الدبس والرطب وكل ما لا يباع البعض منه بالبعض فان قيل فاذا جوزتم تسليم قدر حقه في مثل هذه الصورة وجعلتموه بيعا قلنا لا نجعله بيعا بل نقول هو بدل عما فات في يده فيملكه كما يملك المتلف عليه من الرطب اذا اخذ مثله هذا اذا ساعده صاحب المال وان لم يساعده واصر وقال لا آخذ درهما اصلا لا عين ملكي فان استبهم فاتركه والا فهبه واعطل عليك مالك فاقول على القاضي ان ينوب عنه في القبض حتى يطيب للرجل ماله فان هذا محض التعنت والتضييق والشرع لا يرد به فان عجز عن القاضي ان ينوب عنه في القبض ولم يجده فيحكم رجلا متدينا ليقبض عنه فان عجز فيتولى هو بنفسه ويفرد على نية الصرف اليه درهما ويتعين ذلك له ويطيب له الباقي وهذا في خلط المائعات اظهر والزم فان قيل فينبغي ان يحل له الاخذ وينتقل الحق الى ذمته واي حاجة الى الاخراج ثم التصرف في الباقي قلنا قال قائلون يحل له ان ياخذ ما دام يبقى قدر الحرام ولا يجوز ان ياخذ الكل وقال آخرون ليس له ان ياخذ ما لم يخرج الحرام بالنية وقصد الابدال وقال آخرون يجوز للآخذ في التصرف ان ياخذ منه واما هو فلا يعطي وان اعطى عصى هو دون الآخذ واحد ما احوال اخذ الكل وذلك لان المالك لو ظهر فله ان يطلب حقه من هذه الجملة اذ يقول لعل المصروف الى يقع عن حقي فهذا المال يترجح بهذا الاحتمال على غيره وما هو اقرب الى الحق مقدم كما تقدم المثل على القيمة والعين على المثل فكذلك ما يحتمل فيه رجوع العين تقدم على ما لا يحتمل ولو جاز هذا لجاز ان يقول لصاحب الدرهم الآخر ان ياخذ الدرهمين ويتصرف فيهما ويقول على قضاء حقك في موضع آخر اذ الاختلاط من الجانبين وليس ملك احدهما بان يقدر فائتا باولى من الآخر الا ان ينظر الى الاقل ويقدر انه فات او ينظر الى الذي خلط فيجعل بفعله متلفا حق غيره وكلاهما بعيد ارجا وهذا واضح في ذوات الامثال فانها تقع عوضا في الاتلافات من غير عقد اما اذا اشتبه دار بدور او عبد بعبيد فلا سبيل الى المصالحة والتراضي فان ابى ان ياخذ الا عين حقه ولم يقدر عليه واراد ان يعوق عليه جميع ملكه فان كانت متماثلة القيم فالطريق ان يبيع القاضي جميع الدور ويوزع الثمن عليها بقدر النسبة وان كانت متفاوتة اخذ من طالب البيع قيمة انفس الدور وصرف الى الممتنع منه مقدار قيمة الاقل وتوقف في قدر التفاوت الى البيان والاصطلاح لانه مشكل وان لم يوجد القاضي فللذي في يده الخلاص وفي يده الكل ان يتولى ذلك بنفسه هذه هي المصلحة وما عداها من الاحتمالات ضعيفة لا نختارها وفيما سبق تنبيه على العلة وهذا في الخلط ظاهر في النقود دونه في العروض اعمض اذ لا يقع البعض بدلا عن البعض فلذلك احتيج الى البيع ولنرسم مسائل بها يتم بيان هذا الاصل مسئلة اذا ورث مع جماعة وكان السلطان قد غصب ضيعة لمورثهم فرد عليهم قطعة معينة فهي لجميع الورثة ولو رد من الضيعة نصفها وهو قدر حقه سالما للورثة فان النصف الذي لا يتميز حتى يقال هو المراد والباقي هو المغصوب ولا يصير مميزا بنية السلطان وقصده حصر العبد في نصيب مسئلة اذا وقع في يده مال اخذه من السلطان ظالم ثم تاب والمال عقار وقد يقتضي ان يحب اخرته لطول تلك المدة وكذلك كل مغصوب له منفعة او حصل منه زيادة فلا تصح توبته ما لم يخرج اجر المغصوب به وكل زيادة محصلة منه وتفريغ اجرة العبد والثياب وامثال ذلك مما لا يعتاد اجارتها مما يعسر ولا يدرك ذلك الا بالاجتهاد وهكذا كل المقومات يقع بالاجتهاد وطريق التورع الاخذ بالاقصى وما يجري على المال المغصوب في عقود عقدها على الذمة وقضى الثمن منه فهي في ملك له ولكن

ولكن فيه شبهة اذ كان ثمنه حراماً كما سبق حكمه باعيان تلك الاموال فالعقود كانت فاسدة وقيل ينفذ باجازة المغصوب
منه للمصلحة فيكون المغصوب منه اولى والقياس ان تلك العقود تنفسخ وتسترد الثمن وترد الاعواض فان عجز عنه لكثرته فهي
اموال حرام حصلت في يده فللمغصوب منه قدر راس ماله والفضل حرام يجب اخراجه ليتصدق به فلا يحل للغاصب ولا للمغصوب منه
بل حكمه حكم كل حرام يقع في يده مسألة من ورث مالاً ولم يدر ان مورثه من اين اكتسب امن الحلال والحرام بالتحري وان لم يعلم
ذلك ولكن علم ان مورثه كان يتولى اعمال السلاطين واحتمل انه لم يكن ياخذ في عمله شيئاً او كان قد اخذ ولم يبق في يده شيء منه لطول المدة
فهذه شبهة يحسن التورع عنها ولا يجب وان علم ان ماله كان بعضه فيلزمه اخراج ذلك القدر بالاجتهاد وقال بعض العلماء لا
يلزمه بل الاثم على المورث واستدل بما روي ان رجلاً ممن ولي عمل السلطان مات فقال صحابي الآن طاب ماله اي لوارثه وهذا ضعيف
لانه لم يذكر اسم الصحابي ولعله صدر من متساهل وقد كان في الصحابة من يتساهل ولكن لا يذكر لحرمة الصحبة وكيف يكون
موت الرجل مبيحاً للحرام المتيقن ومن اين يوجد هذا نعم اذا لم يتيقن يجوز ان يقال هو غير ماخوذ بما لا يدري فيطيب لوارث
لا يعلم ان فيه حراماً يقيناً النظر الثاني في المصرف فاذا اخرج الحرام فله ثلثة احوال اما ان يكون له مالك معين
فيجب الصرف اليه او الى الوارث وان كان غائباً فينتظر حضوره او الايصال اليه وان كان له زيادة ومنفعة فليجمع فوائده الى وقت
حضوره واما ان يكون لمالك غير معين وقع الياس عن الوقوف على عينه ولا يدري انه مات عن وارث ام لا وهذا لا يمكن الرد لكثرة الملاك
كغلول الغنيمة فانها بعد تفرق الغزاة كيف يقدر على جمعهم وان قدر فكيف يفرق ديناراً واحداً مثلاً على الف والفين فهذا
ينبغي ان يتصدق به واما ان يكون من اموال الفيء والاموال المرصدة لمصالح المسلمين كافة فيصرف ذلك الى القناطر والمساجد و
الرباطات ومصانع طريق مكة وامثال هذه الذي يشترك في الانتفاع بها كل من مر بها من المسلمين ليكون عاماً للمسلمين وحكم القسم الاول
لا شبهة فيه اما التصدق وبناء القناطر فينبغي ان يتولى ذلك القاضي فيسلم اليه المال ان وجد قاضياً متديناً وان كان
القاضي مستحلاً فهو بالتسليم اليه ضامن لو ابتدأ به فيما لا يضمنه فكيف يسقط عنه به ضمان قد استقر عليه بل يحكم من اهل البلد
عالماً متديناً فان التحكيم اولى من الانفراد فان عجز عن ذلك فليتول ذلك بنفسه فان المقصود الصرف واما عين الصارف فانما
يطلب لمصارف دقيقة في المصالح فلا يترك اصل الصرف بسبب العجز عن صارف هو اولى بالقدرة عليه فان قيل ما دليل
جواز التصدق بما هو حرام وكيف يتصدق بما لا يملك وقد ذهب جماعة الى ان ذلك غير جائز لانه حرام وحكي عن الفضيل رحمه الله
انه وقع في يده درهمان فلما علم انهما من غير وجهه رماهما بين الحجارة وقال لا اتصدق الا بالطيب ولا ارضى لغيري ما لا ارضاه
لنفسي فنقول نعم ذلك له وجه واحتمال وانما اخترنا خلافه للخبر والاثر والقياس اما الخبر فامر رسول الله صلى الله
عليه وسلم بالتصدق بالشاة المصلية التي قدمت اليه فكلمته بانها حرام اذ قال اطعموها الاسارى ولما نزل قوله تعالى الم غلبت
الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين كذبه المشركون وقال الصديق رضي الله عنه الا ترون ما يقول
صاحبكم يزعم ان الروم ستغلب فخاطرهم ابو بكر رضي الله عنه باذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في المخاطرة مع الكفار ٥ ٥
واما الآثار فما روي عن ابن مسعود انه اشترى جارية فلم يظفر بمالكها لينقده الثمن فطلبه كثيراً فلم يجده فتصدق
بالثمن وقال اللهم عنه ان رضي والا فالاجر لي وسئل الحسن رضي الله عنه عن توبة الغال بعد تفرق الجيش فقال يتصدق به وروي ان
رجلاً سولت له نفسه فغل مائة دينار من الغنيمة ثم اتى اميره ليردها عليه فابى ان يقبضها وقال تفرق الناس فاتى معاوية رضي الله عنه
فابى ان يقبضها فاتى بعض النساك فقال ادفع خمسه الى معاوية وتصدق بما بقي فبلغ معاوية قوله فتلهف اذ لم يخطر له ذلك وقد

فلما حقق الله صدقه جاء ابو بكر بما قامرهم به فقال عليه الصلوة هذا سحت فتصدق به وفرح بنصر الله تعالى وكان قد نزل تحريم القمار بعد اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم م

وقد ذهب احمد بن حنبل والحارث المحاسبي وجماعة من الورعين الى ذلك واما القياس فهو ان هذا المال مردد بين ان
يضيع وبين ان يصرف الى خير اذ قد وقع الياس عن مالكه وبالضرورة يعلم ان صرفه الى خير اولى من القائه في البحر فانا ان
رميناه في البحر فقد فوتناه على انفسنا وعلى المالك ولم يحصل منه فائدة واذا رميناه في يد فقير يدعو لمالكه حصل للمالك
بركة دعائه وحصل للفقير سد حاجته وحصول الاجر للمالك بغير اختياره في التصدق لا ينبغي ان ينكر فان في الخبر الصحيح ان
للزارع والغارس اجراً في كل ما يصيبه الناس والطيور من ثماره واما قول القائل لا نتصدق الا بالطيب فذلك اذا طلبنا
الاجر لانفسنا ونحن الان نطلب الخلاص من المظلمة لا الاجر وقد ترددنا بين التضييع والتصدق وقول القائل لا نرضى لغيرنا
ما لا نرضاه لانفسنا فهو كذلك ولكنه حرام علينا لاستغنائنا عنه وللفقير حلال اذ احله دليل الشرع واذا اقتضت المصلحة
التحليل وجب التحليل واذا حل فقد رضينا له الحلال ونقول ان له ان يتصدق على نفسه وعياله اذا كان فقيراً اما عياله واهله
فلا يخفى لان الفقر لا ينتفي بكونهم من اهله وعياله بل هم اولى من تصدق عليهم واما هو فله ان ياخذ منه ايضاً
قدر حاجته لانه ايضاً فقير ولو تصدق به على فقير جاز وكذا اذا كان هو الفقير ولنتبع في بيان هذا الاصل مسائل مسألة
اذا وقع في يده مال من يد سلطان قال قوم يرده الى السلطان فهو اعلم بما تولاه فيقلده ما تقلده وهو خير من ان يتصدق به
ولعل له مالكاً معيناً فلو جاز ذلك لجاز ان يسرق من السلطان ويتصدق به وقال قوم يتصدق به اذا علم ان السلطان لا يرده الى
المالك لان ذلك اعانة للظالم وتكثير لاسباب ظلمه فالرد اليه تضييع لحق المالك والمختار انه اذا علم من عادة السلطان انه لا يرده
الى مالكه فيتصدق به عن المالك فهو خير للمالك ان كان له مالك معين فالرد على السلطان تضييع واعانة للسلطان الظالم
وتفويت لبركة دعاء الفقير للمالك وهذا ظاهر فيما اذا وقع في يده من ميراث ولم يتعد هو بالاخذ من السلطان فانه شبيه باللقطة
التي ايس من معرفة صاحبها اذ له ان يتصرف فيها بالتصدق عن المالك ولكن له ان يتملكها ثم وان كان غنياً من حيث انه اكتسبه
بجهة مباحة وهي الالتقاط وههنا لم يحصل المال بجهة مباحة فيؤثر في منعه من التملك ولا يؤثر في المنع من التصرف ٥
مسألة الذي حصل في يده مال لا مالك له يجوز له ان ياخذ قدر حاجته لفقره ففي قدر حاجته نظر ذكرناه في كتاب
اسرار الزكوة فقال قوم ياخذ كفاية سنة لنفسه وعياله وان قدر على شري ضيعة او تجارة يكتسب بها لعياله فعل
وهذا ما اختاره المحاسبي ولكن قال الاولى ان يتصدق بالكل ان وجد من نفسه قوة التوكل وينتظر لطف الله تعالى في الحلال
فان لم يقدر وله ان يشتري ضيعة او يتخذ راس مال يتعيش بالمعروف منه وكل يوم وجد فيه حلالاً امسك ذلك اليوم عنه فاذا
فني عاد اليه فاذا وجد حلالاً معيناً يتصدق بمثل ما انفق من قبل او يكون ذلك قرضاً عنه ثم ياكل الخبز وياكل اللحم ان قوي عليه
والا اكل اللحم من غير شبع وتوسع وما ذكره لا مزيد عليه ولكن جعل ما انفقه قرضاً عنده فيه نظر ولا شك في الورع ان يجعله
قرضاً فاذا وجد حلالاً تصدق بمثله وهو مما لم يجب ذلك على الفقير الذي تصدق به عليه فلا يبعد ان لا يجب عليه ايضاً اذا اخذه
بفقره لا سيما اذا وقع في يده من ميراث ولم يكن متعدياً بغصبه وكسبه حتى تغلظ الامر عليه مسألة اذا كان في يده حلال
وحرام او شبهة وليس يفضل الكل عن حاجته فاذا كان له عيال فليخص نفسه بالحلال لان الحجة عليه اوكد في نفسه منه في عبده
وعياله واولاده الصغار والكبار من اولاده يحرسهم من الحرام ان كان لا يفضي بهم الى ما هو اشد منه فان افضى فيطعمهم
بقدر الحاجة وبالجملة كل ما يحذر في غيره فهو محذور في نفسه وزيادة وهي انه يتناول مع العلم والعيال ربما يعذر في نفسه
اذا لم يعلم ولم يتول الامر بنفسه فليبدأ بالحلال ثم بمن يعول واذا تردد في حق نفسه بين ما يخص قوته وكسوته وبين غيره من المؤن

كأجرة الحمام والصباغ والقصار والحمال والاطلاء بالنورة والدهن وعمارة المنزل وتعهد الدار وتسجير التنور وثمن الحطب
ودهن السراج فليخص بالحلال قوته ولباسه فان ما يتعلق ببدنه ولا غنى به عنه فهو اولى بان يكون طيبا واذا دار بين القوت واللباس
فيحتمل ان يقال يخص القوت بالحلال لانه يمتزج بلحمه ودمه وكل لحم نبت من الحرام فالنار اولى به واما الكسوة ففائدتها
ستر عورته ودفع الحر والبرد والابصار عن بشرته وهذا هو الاظهر عندي وقال الحارث المحاسبي يقدم اللباس لانه يبقى مدة
والطعام لا يبقى عليه لما روي انه لا يقبل صلوة من عليه ثوب اشتراه بعشرة فيها درهم حرام وهذا محتمل ولكن امثال هذا قد ورد فيمن
في بطنه حرام ونبت لحمه من حرام فمراعاة اللحم والعظم ان ينبت من الحلال اولى ولذلك تقيأ الصديق رضي الله عنه ما شربه مع
الجهل حتى لا ينبت منه لحم يثبت ويبقى فان قيل فاذا كان الكل منصرفا الى اغراضه فاي فرق بين نفسه وغيره وبين جهة و
جهة وما مدرك هذا الفرق قلنا عرف ذلك بما روي ان رافع بن خديج رضي الله عنه مات وخلف ناضحا وعبدا حجاما
فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فنهى عن كسب الحجام فروجع مرات فنهى فقيل ان له ايتاما فقال اعلفوا الناضح فهذا يدل على
الفرق وبين ما يأكل هو ودابته واذا انفتح سبيل الفرق فقس عليه التفصيل الذي ذكرناه مسئلة الحرام الذي في
يده لو تصدق به على الفقراء فله ان يوسع عليهم واذا انفق على نفسه فليضيق ما قدر وما انفق على عياله فليقتصد وليكن وسطا
بين التوسع والتضييق فيكون الامر على ثلاث مراتب وان انفق على ضيف قدم عليه وهو فقير فليوسع عليه وان كان غنيا فلا
يطعمه الا اذا كان في برية او قدم ليلا ولم يجد شيئا فانه في ذلك الوقت فقير وان كان الفقير الذي حضره ضيفه تقيا لو علم ذلك
لتورع عنه فليعرض الطعام وليخبره جميعا بين حق الضيافة وترك الخداع فلا ينبغي ان يكرم اخاه بما يكره ولا ينبغي ان يعول على
انه لا يدري فلا يضره لان الحرام اذا حصل في المعدة اثر في قساوة قلبه وان لم يعلم صاحبه ولذلك تقيأ ابو بكر وعمر
رضي الله عنهما وكانا قد شربا جهلا وهذا وان افتينا بانه حلال وان لم يعرف صاحبه للفقير احللناه بحكم الحاجة
وهو كالخنزير والخمر اذا احللناهما بالضرورة فلا يلتحقان بالطيبات فاذا كان الحرام او الشبهة في يد ابويه فليمتنع عن مواكلتهما
فان كانا يسخطان فلا يوافقهما على الحرام المحض بل ينهاهما فلا طاعة لمخلوق في معصية الله فان كان شبهة وان كان امتناعه
للورع فهذا قد عارضه ان الورع طلب رضاهما بل هو واجب فليتلطف في الامتناع فان لم يقدر فليوافق وليقلل الاكل بان
يصغر اللقمة ويطيل المضغ ولا يتوسع فان ذلك عدوان والاخ والاخت قريب من ذلك لان حقهما ايضا مؤكد وكذا اذا
البسته امه ثوبا من شبهة وكانت تسخط برده فليقبل وليلبس بين يديها ولينزع في غيبتها وليجتهد ان لا يصلي فيه الا
عند حضورها فيصلي فيه صلوة المضطر وعند تعارض اسباب الورع ينبغي ان تتفقد هذه الدقائق وحكي عن بشر انه سلمت اليه
امه رطبة وقالت بحقي عليك الا ما اكلتها وكان يكرهه فاكل ثم صعد غرفة وصعدت امه وراءه فرأته يتقيأ وانما فعل
ذلك لانه اراد ان يجمع بين رضاها وبين صيانة المعدة وقد قيل لاحمد سئل بشر هل للوالدين طاعة في الشبهة فقال لا فقال
احمد هذا شديد فقيل له سئل محمد بن مقاتل العباداني عنها فقال بر والديك فماذا تقول فقال احب ان تعفيني فقد سمعت ما قالا
ثم قال ما احسن ان يداريهم مسئلة من في يده حرام محض فلا حج عليه ولا يلزمه كفارة مالية لانه مفلس ولا يجب
عليه الزكوة اذ معنى الزكوة وجوب اخراج ربع العشر مثلا وهذا يجب عليه اخراج الكل اما ردا على المالك ان عرفه او صرفا الى الفقراء
ان لم يعرف المالك واما اذا كان ماله شبهة يحتمل انه حلال فاذا لم يخرجه من يده لزمه الحج لان كونه حلالا ممكن ولا يسقط الحج
الا بالفقر ولم يتحقق فقره وقد قال الله تعالى ولله على الناس حج البيت واذا وجب عليه التصدق بما يزيد على حاجته حيث

حيث يغلب تحريمه فالزكوة اولى بالوجوب وان لزمته كفارة فليجمع بين الصوم والاعتاق ليتخلص بيقين وقال قوم عليه
الجمع وقال قوم يلزمه الصوم دون الاطعام اذ ليس له يسار معلوم وقال المحاسبي يكفيه الاطعام والذي نختاره ان كل
شبهة حكمنا بوجوب اجتنابها والزمنا اخراجها من يده لكون احتمال الحرام اغلب على ما ذكرناه فعليه الجمع بين الصوم والاطعام
اما الصوم فلانه مفلس حكما واما الاطعام فلانه وجب عليه التصدق بالجميع ويحتمل ان يكون له فيكون اللزوم من جهة الكفارة
مسئلة
من في يده مال حرام امسكه للحاجة فاراد ان يتطوع بالحج فان كان ماشيا فلا بأس لان كل هذا المال في غير عبادة فاكله
في عبادة اولى وان كان لا يقدر على ان يمشي ويحتاج الى زيادة المركوب فلا يجوز الاخذ لمثل هذه الحاجة في الطريق كما لا يجوز
شرى المركوب في البلد فان كان يتوقع القدرة على حلال بحيث يستغني به ويستغني عن بقية الحرام فالاقامة في انتظاره
اولى من الحج ماشيا بالمال الحرام مسئلة من خرج لحج واجب بمال فيه شبهة فليجتهد ان يكون قوته من الطيب فان لم يقدر
فمن وقت الاحرام الى التحلل فان لم يقدر فليجتهد يوم عرفة ان لا يكون قيامه بين يدي الله ودعاؤه في وقت مطعمه حرام
وليجتهد ان لا يكون في بطنه حرام ولا على ظهره حرام فانا وان جوزنا هذا بالحاجة فهو نوع ضرورة وما الحقناه بالطيبات
فان لم يقدر فليلازم قلبه الخوف والهم لما هو مضطر اليه من تناول ما ليس بطيب فعساه ينظر اليه بعين الرحمة ويتجاوز
عنه بسبب حزنه وخوفه وكراهته لذلك مسئلة سئل احمد فقيل مات ابي وترك مالا وكان يعامل من يكره معاملته فقال
فتدعه محتبسا بدينه وما ذكره صحيح وهو يدل على انه راى التحري باخراج مقدار الحرام اذ قال يخرج قدر الربح وانه راى
ان اعيان ماله ملك له بدلا عما بذله في المعاوضات الفاسدة بطريق التقاص والتقابل مهما كثر التصرف وعسر الرد وعول
في قضاء دينه على انه يقين فلا يترك بسبب الشبهة

الباب الخامس

في ادرارات السلاطين وصلاتهم وما يحل منها وما يحرم اعلم ان من اخذ مالا من سلطان فلا بد له من النظر في ثلاثة
امور في مدخل ذلك المال الى يد السلطان من اين هو وفي صفته التي بها يستحق الاخذ وفي المقدار الذي يأخذه هل يستحقه اذا
اضيف الى حاله وحال شركائه في الاستحقاق النظر الاول في جهات الدخل للسلطان وكل ما يحل للسلطان
سوى الاحياء وما يشترك فيه الرعية قسمان قسم ماخوذ من الكفار وهو الغنيمة الماخوذة بالقهر والفيء هو الذي حصل من مالهم
في يده من غير قتال والجزية واموال المصالحة وهي التي تؤخذ بالشرط والمعاقدة والقسم الثاني الماخوذ من المسلمين فلا يحل
منه الا قسمان المواريث وسائر الاموال الضائعة التي لا يتعين لها مالك والاوقاف التي لا متولي لها اما الصدقات
فليست توجد في هذا الزمان وما عدا ذلك من الخراج المضروب على المسلمين والمصادرات وانواع الرشوة فكلها حرام
فاذا كتب لفقيه او غيره ادرارا او صلة او خلعة على جهة فلا يخلو من احوال ثمانية فانه اما ان يكتب له على الجزية او على المواريث
او على الاوقاف او على ملك احياه السلطان او على ملك اشتراه او على عامل خراج المسلمين او على بياع من جملة التجار
او على الخزانة فالاول هو الجزية واربعة اخماسها للمصالح وخمسها لجهات معينة فما يكتب على الخمس من تلك الجهات
او على الاخماس الاربعة لما فيه مصلحة وروعي فيه الاحتياط في القدر فهو حلال بشرط ان يكون الجزية المضروبة على
وجه شرعي ليس فيها زيادة على دينار او على اربعة دنانير فانه ايضا في محل الاجتهاد وللسلطان ان يفعل ما هو في محل الاجتهاد
وبشرط ان يكون الذمي الذي يؤخذ منه الجزية مكتسبا من وجه لا يعلم تحريمه فلا يكون عامل سلطان ظالم ولا بياع خمر ولا
صبيا ولا امراة اذ لا جزية عليهما فهذه امور يراعى في كيفية ضرب الجزية ومقدارها وصفة من يضرب عليه ومقدار ما يضرب

فيجب النظر في جميع ذلك ‌ـ الثاني المواريث والاموال الضائعة فهي للمصالح والنظر في ان الذي خلفه هل كان ماله كله حراما او اكثره او اقله وقد سبق حكمه فان لم يكن حراما فيبقى النظر في صفة من يصرف اليه بان يكون في الصرف اليه مصلحة ثم في المقدار ـ الثالث الاوقاف وكذا يجري النظر فيها كما يجري في الميراث مع زيادة امر وهو شرط الواقف حتى لا يكون الماخوذ لاموافقا له جميع شرائطه ـ الرابع ما احياه السلطان وهذا لا يعتبر فيه شرط اذ له ان يعطي من ملكه ما شاء لمن شاء اي قدر شاء وانما النظر في الغالب ان احياءه باكراه الاجراء وباداء اجرتهم من حرام فان الاحياء يحصل بحفر القني والانهار وبناء الجدران وتسوية الارض ولا يتولاه السلطان بنفسه فان كانوا مكرهين على الفعل لم يملكه سلطان وهو حرام وان كانوا مستاجرين ثم قضيت اجورهم من الحرام وهذا يورث شبهة وقد نبهنا عليه في تعلق الكراهية بالاعواض ـ الخامس ما اشتراه السلطان في الذمة من ارض او ثياب خلعة او فرس او غيره وهو ملكه وله ان يتصرف فيه ولكنه سيقضي ثمنه من حرام وذلك يوجب التحريم تارة والشبهة اخرى وقد سبق تفصيله ـ السادس ان يكتب على عامل خراج المسلمين او من يجمع اموال الغنيمة والمصادرة وهو الحرام السحت الذي لا شبهة فيه وهو اكثر الادرارات في هذا الزمان الا على اراضي العراق فانها وقف عند الشافعي رضي الله عنه على مصالح المسلمين ـ السابع ما يكتب على تاجر يعامل السلطان فان كان لا يعامل غيره فماله كمال خزانة السلطان وان كانت معاملته مع غير السلطان اكثر فما يعطيه قرض على السلطان وسياخذ بدله من الحرام فالخلل يتطرق الى العوض وقد سبق حكم الثمن الحرام ـ الثامن ما يكتب على الخزانة او على عامل يجتمع عنده من الحرام والحلال فان لم يعرف للسلطان دخل الا من جهة الحرام فهو سحت محض وان عرف ان الخزانة تشتمل على مال حلال ومال حرام واحتمل ان يكون ما سلم اليه بعينه من الحلال احتمالا قريبا له وقع في النفس احتمل ان يكون من الحرام وهو الاغلب لان اغلب اموال السلاطين حرام في هذه الاعصار والحلال في ايديهم معدوم او عزيز فقد اختلف الناس في هذا فقال قوم كل ما لا يتيقن انه حرام فله ان ياخذه وقال آخرون لا يحل ان يوخذ ما لا يتيقن انه حلال فلا يحل شبهة اصلا وكلاهما اسراف والاعتدال ما قدمنا ذكره وهو الحكم بان الاغلب اذا كان حراما فهو حرام وان كان الاغلب حلالا وفيه يقين حرام فهو موضع توقفنا فيه كما سبق ولقد احتج من جوز اخذ مال السلطان اذا كان فيه حلال وحرام مهما لم يتحقق ان عين الماخوذ حرام بما روي عن جماعة من الصحابة انهم ادركوا عبد الله وجابرا وابا سعيد وابا هريرة ايام الجور يقينا والمسور بن مخرمة رضي الله عنهم فاخذ ابو سعيد وابو هريرة عن مروان ويزيد بن عبد الملك واخذ ابن عمر وابن عباس من الحجاج واخذ كثير من التابعين منهم كالشعبي وابراهيم والحسن وابن ابي ليلى واخذ الشافعي رضي الله عنه من هرون الرشيد الف دينار في دفعة واخذ مالك من الخلفاء اموالا جمة وقال علي كرم الله وجهه خذ ما يعطيك السلطان فانما يعطيك من الحلال وما ياخذ من الحلال اكثر وانما ترك من ترك العطاء منهم تورعا مخافة على دينه ان يحمل ما لا يحل الا ترى قول ابي ذر للاحنف بن قيس خذ العطاء ما كان نحلة فاذا كان اثمان دينكم فدعوه وقال ابو هريرة اذا اعطينا قبلنا واذا منعنا لم نسال وعن سعيد بن المسيب عن ابي هريرة انه كان اذا اعطاه معوية سكت وان منعه وقع فيه وعن الشعبي عن ابن مسروق لا يزال العطاء باهل العطاء حتى يدخلهم النار اي يحملهم ذلك على الحرام لا انه في نفسه حرام وروى نافع عن ابن عمر ان المختار كان يبعث اليه المال فيقبله ثم يقول لا اسال احدا ولا ارد ما رزقني الله واهدى اليه ناقة فقبلها وكان يقال لها ناقة المختار ولكن هذا يعارضه ما روي ان ابن عمر لم يرد هدية احد الا هدية المختار والاسناد في ردها اثبت وعن نافع انه قال بعث ابن معمر الى ابن عمر بستين الفا فقسمها على الناس ثم جاءه

ثم جاءه سائل فاستقرض من بعض من اعطاه واعطى السائل ولما قدم الحسن بن علي على معوية رضي الله عنهم فقال لاجيزنك بجائزة لم اجزها احدا من العرب قبلك ولا اجيزها احدا من العرب بعدك قال فاعطاه اربعمائة الف فاخذها وعن حبيب بن ابي ثابت قال لقد رايت جائزة المختار لابن عمر وابن عباس رضي الله عنهما فقبلاها فقيل ما هي فقال مال وكسوة وعن الزبير بن عدي قال قال سلمان اذا كان لك صديق عامل او تاجر يقارف الربوا فدعاك الى طعام او نحوه او اعطاك شيئا فاقبل فان المهنا لك وعليه الوزر واذا ثبت هذا في المربي فالظالم في معناه وعن جعفر عن ابيه ان الحسن والحسين رضي الله عنهم كانا يقبلان جوائز معوية وقال حكيم بن جبير مررنا على سعيد بن جبير وقد جعل عاشرا من اسفل فرات فارسل الى العشار اطعمونا ما عندكم فارسلوا بطعام فاكل واكلنا معه وقال العلاء بن زهير الازدي اتى ابراهيم ابي وهو عامل على حلوان فاجازه فقبل وقال ابراهيم لا باس بجائزة العمال لان للعمال مؤنة ورزقا ويدخل بيت ماله الخبيث والطيب فما اعطاك فهو من طيب ماله فقد اخذ هؤلاء كلهم جوائز السلاطين الظلمة وكلهم طعنوا على من اطاعهم في معصية الله تعالى وزعمت هذه الفرقة انما ينقل من امتناع جماعة لا يدل على التحريم بل يدل على الورع كالخلفاء الراشدين وابي ذر وغيرهم من الزهاد فانهم امتنعوا من الحلال المطلق زهدا ومن الحلال الذي يخاف افضاؤه الى المحذور ورعا وتقوى فاقدام هؤلاء يدل على الجواز وامتناع اولئك لا يدل على التحريم وما نقل عن سعيد بن المسيب انه ترك عطاءه في بيت المال حتى اجتمع نيفا وثلثين الفا وما نقل عن الحسن من قوله لا اتوضا من ماء صيرفي وان ضاق وقت الصلوة لاني لا ادري اصل ماله كل ذلك ورع لا ينكر واتباعهم عليه حسن من اتباع غيرهم على الاتساع ولكن لا يحرم اتباعهم على الاتساع ايضا فهذه شبهة من يجوز الاخذ من مال السلطان الظالم ـ الجواب ان ما نقل من اخذهم محصور قليل بالاضافة الى ما نقل من ردهم وانكارهم فان كان يتطرق الى امتناعهم احتمال الورع فيتطرق الى اخذ من اخذ ثلث احتمالات متفاوتة فان للورع في حق السلاطين اربع درجات فالدرجة الاولى ان لا ياخذ من مالهم اصلا شيئا كما فعله الورعون منهم وكما كان يفعله الخلفاء الراشدون حتى ان ابا بكر رضي الله عنه حسب جميع ما كان اخذه من بيت المال فبلغ ستة آلاف درهم فغرمها لبيت المال وحتى ان عمر رضي الله عنه كان يقسم مال بيت المال فدخلت ابنة له واخذت درهما من المال فنهض عمر رضي الله عنه في طلبها حتى سقطت الملحفة عن احد منكبيه ودخلت الصبية الى بيت اهلها تبكي وجعلت الدرهم في فيها فادخل عمر اصبعه في فيها فاخرجه من فيها وطرحه على الخراج وقال ايها الناس ليس لعمر ولا لآل عمر الا ما للمسلمين قريبهم وبعيدهم وكسح ابو موسى الاشعري رضي الله عنه بيت المال فوجد درهما فمر بني لعمر فاعطاه اياه فرآه عمر في يد الغلام فقال له من اين لك هذا فقال اعطانيه ابو موسى فقال يا ابا موسى ما كان في اهل المدينة بيت اهون عليك من آل عمر اردت ان لا يبقى احد من امة محمد الا طلبنا بمظلمة ورد الدرهم الى بيت المال هذا مع ان المال كان حلالا ولكنه خاف ان لا يستحق هو ذلك القدر فكان يستبري لدينه ويقتصر على الاقل امتثالا لقوله صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك الى ما لا يريبك ولقوله عليه السلم من تركها فقد استبرا لدينه وعرضه ولما سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم من التشديدات في الاموال السلطانية حتى قال صلى الله عليه وسلم حين بعث عبادة بن الصامت الى الصدقة اتق الله يا ابا الوليد لا تجيء يوم القيمة ببعير تحمله على رقبتك له رغاء او بقرة لها خوار او شاة لها ثؤاج قال يا رسول الله اهكذا يكون قال نعم والذي نفسي بيده الا من رحم الله قال فوالذي بعثك بالحق نبيا لا اعمل على شيء ابدا وقال صلى الله عليه وسلم اني لا اخاف عليكم ان تشركوا بعدي انما اخاف عليكم ان

عمر رضى الله عنه

ان شاقصوا وانما خاف صلى الله عليه وسلم الشافى فى المال ولذلك قال صلى الله عليه وسلم فى حديث كثير طويل يذكر فيه
مال بيت المال انى لم اجد لنفسى فيه الا كالولى على مال اليتيم ان استغنيت استعففت وان افتقرت اكلت بالمعروف
وروى ان ابنا لطاوس افتعل كتابا عن لسانه الى عمر بن عبد العزيز فاعطاه ثلثمائة دينار فباع طاوس ضيعة له وبعث
به الى عمر هذا مع ان السلطان مثل عمر بن عبد العزيز فهذه هى الدرجة العليا فى الورع الدرجة الثانية ان ياخذ مال
السلطان وانما ياخذ اذا علم ان ما ياخذه من جهة حلال فاشتمال يد السلطان على حرام آخر لا يضره وعلى هذا تنزل جميع ما نقل
من الآثار او اكثرها او ما اختص منها باكابر الصحابة والورعين منهم مثل ابن عمر فانه كان من المبالغين فى الورع فكيف
يتوسع فى مال السلطان وقد كان من اشدهم انكارا عليهم واشدهم ذما لاموالهم وذلك انهم اجتمعوا عند ابن عامر وهو فى مرضه
واشفق على نفسه من ولايته وكونه ماخوذا عند الله بها فقالوا انا لنرجو لك الخير حفرت الآبار وسقيت الحاج وصنعت وابن عمر
ساكت فقال ماذا تقول يا ابن عمر فقال اقول ذلك اذا طاب المكسب وزكت النفقة وسترد فترى وفى حديث آخر انه قال ان الخبيث
لا يكفر الخبيث وانك قد وليت البصرة ولا احسبك الا وقد اصبت منها شرا فقال له ابن عامر الا تدعو لى فقال ابن عمر
رضى الله عنهما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يقبل الله صلوة بغير طهور ولا صدقة من غلول وقد وليت
البصرة فهذا قوله فيما صرف الى الخيرات وعن ابن عمر رضى الله عنه انه قال فى ايام الحجاج ما شبعت من الطعام منذ انتهبت
الدار الى يومى هذا وروى عن على رضى الله عنه انه كان له سويق فى اناء يشرب منه فقيل افعل هذا بالعراق مع كثرة طعامه فقال
اما انى لا اختمه بخلا به ولكنى اكره ان يجعل فيه ما ليس منه اكره ان يدخل بطنى غير طيب فهذا هو المالوف منهم وكان ابن عمر لا
يعجبه شئ الا خرج منه وطلب منه نافع بثلثين الفا فقال انى اخاف ان تفتننى دراهم ابن عامر وكان هو الطالب اذهب فانت حر
وقال ابو سعيد الخدرى رضى الله عنه ما منا احد الا وقد مالت به الدنيا الا ابن عمر فبهذا يتضح انه لا يظن به وبمن كان فى
منصبه انه اخذ ما لا يدرى انه حلال الدرجة الثالثة ان ياخذ ليتصدق به على الفقراء او يفرقه على المستحقين فان ما لا
يتعين مالكه هذا حكم الشرع فيه فان كان السلطان ان لم يوخذ منه لم يفرقه واستعان به على ظلم فقد نقول اخذه منه وتفرقته
اولى من تركه فى يده وهذا قد رآه بعض العلماء وسياتى وجهه وعلى هذا ينزل ما اخذه اكثرهم ولذلك قال ابن المبارك ان الذين ياخذون
الجوائز اليوم ويحتجون بابن عمر وعائشة ما يقتدون بهم لان ابن عمر فرق ما اخذ حتى استقرض فى مجلسه بعد تفرقة ستين
الفا وعائشة فعلت مثل ذلك وجابر بن زيد قبل فتصدق به وقال رايت ان آخذ منهم واتصدق احب الى من ان ادعها فى ايديهم
وهكذا فعل الشافعى رضى الله عنه بما قبله من هرون الرشيد فانه فرقه على قرب حتى لم يمسك لنفسه حبة الدرجة
الرابعة ان لا يتحقق انه حلال ولا يفرق بل يستبقى ولكن ياخذ من سلطان اكثر ماله حلال وهكذا كان الخلفاء فى زمان الصحابة والتابعين
بعد الخلفاء الراشدين ولم يكن اكثر مالهم حراما ويدل عليه تعليل على رضى الله عنه حيث قال فان ما ياخذه من الحلال وهذا مما
قد جوزه جملة من العلماء تعويلا على الاكثر ونحن توقفنا فيه فى حق آحاد الناس ومال السلطان اشبه بالخروج عن الحصر فلا يبعد ان
يودى اجتهاد مجتهد الى الاخذ ما لم يعلم انه حرام اعتمادا على الاغلب وانما منعنا اذا كان الاكثر حراما فاذا فهمت هذه الدرجات
تحققت ان ادرارات السلطان الظالم فى زماننا لا يجرى مجراه وانما يفارقه من وجهين قاطعين احدهما ان اموال السلاطين
فى عصرنا حرام كلها او اكثرها وكيف لا والحلال الفى والصدقات والغنيمة ولا وجود لها وليس يدخل منها شئ فى ايدى السلاطين ولم
يبق الا الجزية وانها توخذ بانواع الظلم لا يحل اخذها به فانهم يجاوزون حدود الشرع فى الماخوذ والماخوذ منه والوفاء له بالشرط ثم

ثم اذا استرسلت الى ما ينصب اليهم من الخراج المضروب على المسلمين ومن المصادرات والرشى وصنوف الظلم لم يسلم
عشر معشار عشيره الوجه الثانى ان الظلمة فى العصر الاول لقرب عهدهم بزمان الخلفاء الراشدين كانوا مستشعرين من
ظلمهم ومتشوفين الى استمالة قلوب الصحابة والتابعين وحريصين على قبولهم عطاياهم وجوائزهم وكانوا يبعثون اليهم من غير
سوال واذلال بل كانوا يتقلدون المنة بقبولهم ويفرحون به فكانوا ياخذون منهم ويفرقون لا يطيعون السلاطين فى اغراضهم
ولا يغشون مجالسهم ولا يكثرون جمعهم ولا يحبون بقاءهم بل يدعون عليهم ويطلقون اللسان فيهم فينكرون المنكرات منهم
فما كان يحذر ان يصيبوا من دينهم بقدر ما اصابوا من دنياهم فلم يكن بالاخذ باس واما الآن فلا تسمح نفوس السلاطين بعطية
الا لمن طمعوا فى استخدامه والتكثر بهم والاستعانة به على اغراضهم والتجمل بغشيان مجالسهم وتكليفهم المواظبة
على الدعاء والثناء والتزكية والاطراء فى حضورهم ومغيبهم فلو لم يذل الآخذ نفسه بالسوال اولا وبالتردد فى الخدمة
ثانيا وبالثناء والدعاء ثالثا وبالمساعدة له على اغراضه عند الاستعانة رابعا وبتكثير جمعه فى موكبه ومجلسه خامسا
وباظهار الحب والموالات والمناصرة له على اعدائه سادسا وبالستر على ظلمه ومقابحه ومساوى اعماله سابعا لم ينعم عليه
بدرهم واحد ولو كان فى فضل الشافعى مثلا فاذا لا يجوز ان يوخذ منهم فى هذا الزمان ما يعلم انه حلال لافضائه الى هذه المعانى
فكيف ما يعلم انه حرام او يشك فيه فمن استجرا على اموالهم وشبه نفسه بالصحابة والتابعين فقد قاس الملائكة بالحدادين
ففى اخذ الاموال منهم حاجة الى مخالطتهم ومراعاتهم وخدمة عمالهم واحتمال الذل منهم والثناء عليهم والتردد الى ابوابهم
وكل ذلك معصية على ما سنبين فى الباب الذى يلى هذا فاذا قد تبين مداخل اموالهم وما يحل منها وما لا يحل فلو تصور
ان ياخذ الانسان منها ما يحل بقدر استحقاقه وهو جالس فى بيته يساق اليه ذلك لا يحتاج فيه الى تفقد عامل وخدمته
ولا الى الثناء عليهم وتزكيتهم ولا الى مساعدتهم فلا يحرم الاخذ ولكن يكره لمعان سننبه عليها فى الباب الذى يلى هذا ان شاء الله
النظر الثانى من هذا الباب فى قدر الماخوذ وصفة الآخذ ولنفرض المال من اموال المصالح كاربعة اخماس
الفى والمواريث فان ما عداه مما قد تعين مستحقه ان كان من وقف او صدقة او خمس فى او خمس غنيمة وما كان من ملك السلطان
مما احياه او اشتراه فله ان يعطى ما شاء لمن شاء وانما النظر فى الاموال الضائعة ومال المصالح فلا يجوز صرفه الا الى من فيه
مصلحة عامة او هو محتاج اليه او عاجز عن الكسب فاما الغنى الذى لا مصلحة فيه فلا يجوز صرف مال بيت المال اليه
هذا هو الصحيح وان كان العلماء قد اختلفوا فيه وفى كلام عمر رضى الله عنه ما يدل على ان لكل مسلم حقا فى مال بيت المال
لكونه مسلما مكثرا جمع الاسلام ولكنه مع هذا ما كان يقسم المال على المسلمين كافة بل على مخصوص بصفات فاذا ثبت هذا
فكل من يتولى امرا يقوم به تتعدى مصلحته الى المسلمين ولو اشتغل بالكسب لتعطل عليه ما هو فيه فله فى بيت المال
حق الكفاية ويدخل فيه العلماء كلهم اعنى العلوم التى تتعلق بمصالح الدين من علم الفقه والحديث والتفسير والقراءة حتى
يدخل فيه المعلمون والموذنون وطلبة هذه العلوم ايضا فيه يدخلون فانهم ان لم يكفوا لم يتمكنوا من الطلب ويدخل فيه
العمال وهم الذين ترتبط مصالح الدنيا باعمالهم وهم الاجناد المرتزقة الذين يحرسون المملكة بالسيوف عن اهل العداوة
واهل البغى وعن اعداء الاسلام ويدخل فيهم الكتاب والحساب والوكلاء وكل من يحتاج اليه فى ترتيب ديوان الخراج
اعنى العمال على الاموال الحلال لا على الحرام فان هذا المال للمصالح والمصلحة اما ان تتعلق بالدين او الدنيا فبالعلماء حراسة
الدين وبالاجناد حراسة الدنيا والدين والملك توامان فلا يستغنى احدهما عن الآخر والطبيب وان كان لا يرتبط بعلمه امر

ديني ولكن يرتبط به صحة الجسد والدين يتبعه فيجوز ان يكون له ولمن يجري مجراه في العلوم المحتاج اليها في مصلحة الابدان ومصلحة البلاد ادرار من هذه الاموال ليتفرغوا لمعالجة المسلمين اعني من يعالج منهم بغير اجرة وليس يشترط في هؤلاء الحاجة بل يجب ان يعطوا مع الغنى فان الخلفاء الراشدين كانوا يعطون المهاجرين والانصار ولم يعرفوا بالحاجة وليس يتقدر ايضا بمقدار بل هو الى اجتهاد الامام فله ان يوسع ويغني وله ان يقتصر على الكفاية على ما يقتضيه الحال وسعة المال فقد اخذ الحسن من معوية رضي الله عنهما في دفعة اربعمائة الف درهم وكان عمر رضي الله عنه يعطي لجماعة اثني عشر الف درهم نقرة في السنة واثبت عائشة في هذه الجريدة ولجماعة عشرة الاف ولجماعة ستة الاف وهكذا فهذا المال لهؤلاء فيوزع عليهم حتى لا يبقى منه شي فان خص كل واحد مالا كثيرا فلا باس وكذلك للسلطان ان يخص من هذا المال ذوي الخصائص بالخلع والجوائز فقد كان يفعل ذلك في السلف ولكن ينبغي ان يلتفت فيه الى المصلحة ومهما خص عالم او شجاع بصلة كان فيه بعث للناس وتحريض للخلق على الاشتغال والتشبه به فهذه فائدة الخلع والصلات وضروب التخصيصات وكل ذلك منوط باجتهاد السلطان وانما النظر في السلاطين الظلمة في شيئين احدهما ان السلطان الظالم عليه ان يكف عن ولايته وهو اما معزول او واجب العزل فكيف يجوز ان ياخذ من يده وهو على التحقيق ليس بسلطان والثاني انه ليس يعمم بماله جميع المستحقين فكيف يجوز للآحاد ان ياخذوا من يده وهو على التحقيق فيجوز لهم الاخذ بقدر حصتهم ام لا يجوز اصلا ام يجوز ان ياخذ كل ما اعطي اما الاول فالذي نراه انه لا يمنع اخذ الحق لان السلطان الظالم الجاهل مهما ساعدته الشوكة وعسر خلعه وكان في الاستبدال به فتنة ثائرة لا تطاق وجب تركه ووجبت الطاعة له كما تجب طاعة الامراء وقد ورد في الامر بطاعة الامراء والمنع من سل اليد عن مساعدتهم اوامر وزواجر فالذي نراه ان الخلافة منعقدة للمتكفل بها من بني العباس وان الولاية نافذة للسلاطين في اقطار البلاد والمبايعين للخليفة وقد ذكرنا في كتاب المستظهري ما يشير الى وجه المصلحة والقول الوجيز انا نراعي الصفات والشروط في السلاطين تشوفا الى مزايا المصالح ولو قضينا ببطلان الولايات لبطلت المصالح راسا فكيف يفوت راس المال في طلب الربح بل الولاية الان لا تتبع الا الشوكة فمن بايعه صاحب الشوكة فهو الخليفة ومن استبد بالشوكة وهو مطيع للخليفة في اصل الخطبة والسكة فهو سلطان نافذ الحكم والقضاء في اقطار البلاد ولاة نافذو الاحكام وتحقيق هذا قد ذكرناه في احكام الامامة من كتاب الاقتصاد في الاعتقاد فلسنا نطول الان به واما الاشكال الاخر وهو ان السلطان اذا لم يعمم بالعطاء كل مستحق فهل يجوز للواحد ان ياخذ منه فهذا مما اختلف العلماء فيه على اربع مراتب فغلا بعضهم وقال كل ما ياخذه فالمسلمون كلهم فيه شركاء فلا يدري ان حصته منه دانق او حبة فليترك الكل وقال قوم له ان ياخذ قوت يومه فقط فان هذا القدر يستحقه بحاجته على المسلمين وقال قوم له قوت سنة فان اخذ الكفاية لكل يوم عسير وهو ذو حق في هذا المال فكيف يتركه وقال قوم انه ياخذ ما يعطى والمظلوم هم الباقون وهذا هو القياس لان المال ليس مشتركا بين المسلمين كالغنيمة بين الغانمين ولا كالميراث بين الورثة لان ذلك صار ملكا لهم وهذا لو لم يتفق قسمته حتى مات هؤلاء لم يجب التوزيع على ورثتهم بحكم الميراث بل هذا الحق غير متعين وانما يتعين بالقبض بل هو كالصدقات ومهما اعطي الفقراء حصتهم من الصدقات وقع ذلك ملكا لهم ولم يمتنع بظلم المالك بقية الاصناف بمنع حقهم هذا اذا لم يصرف اليه كل المال بل صرف اليه من المال ما لو صرف اليه بطريق الايثار والتفضيل مع تعميم الاخرين لجاز له ان ياخذه والتفضيل جائز في العطاء سوى ابو بكر رضي الله عنه فراجعه عمر رضي الله عنه فقال انما فضلهم عند الله وانما الدنيا بلاغ وفضل عمر في زمانه فاعطى لعائشة اثني عشر الفا ولزينب عشرة الاف ولجويرية ستة الاف وكذا صفية واقطع عمر لعلي رضي الله عنهما واقطع لعثمان ايضا من السواد خمس جنات واثر عثمان عليا رضي الله عنهما فقبل منه ولم ينكر فكل ذلك جائز فانه في محل الاجتهاد وهو من المجتهدات التي اقول فيها ان كل مجتهد مصيب وهي كل مسئلة لا نص على عينها ولا على مسئلة تقرب منها فيكون في معناها بقياس جلي كهذه المسئلة ومسئلة حد الشرب فانهم جلدوا اربعين وثمانين والكل سنة وحق وان كل واحد من ابي بكر وعمر رضي الله عنهما مصيب باتفاق الصحابة لان المفضول ما رد في زمان عمر رضي الله عنه شيئا الى الفاضل مما كان قد اخذه في زمان ابي بكر ولا الفاضل امتنع من قبول الفضل في زمان عمر واشترك في ذلك كل الصحابة واعتقدوا ان كل واحد من الرايين حق فليؤخذ هذا الجنس دستور الاختلافات التي نصوب فيها كل مجتهد فاما كل مسئلة شذ عن مجتهد فيها نص او قياس جلي لغفلة او سوء راي وكان في القوة بحيث ينقض به حكم المجتهد فلا نقول فيها ان كل واحد مصيب بل المصيب من اصاب النص او ما في معنى النص وقد تحصل من مجموع هذا ان من وجد من اهل الخصوص الموصوفين بصفة يتعلق بها مصالح الدين او الدنيا واخذ من السلطان خلعة او ادرارا على التركات او الجزية لم يصر فاسقا بمجرد اخذه وانما يفسق بخدمته لهم ومعاونته اياهم ودخوله عليهم وثنائه واطرائه لهم الى غير ذلك من لوازم لا يسلم المال الا بها كما سنبينه

الباب السادس

فيما يحل من مخالطة السلاطين الظلمة ويحرم وحكم غشيان مجالسهم والدخول عليهم والاكرام لهم اعلم ان لك مع الامراء والعمال الظلمة ثلاثة احوال الحالة الاولى وهي شرها ان تدخل عليهم والثانية وهي دونها ان يدخلوا عليك والثالثة وهي الاسلم ان تعتزل عنهم فلا تراهم ولا يرونك اما الحالة الاولى وهو الدخول عليهم فهو مذموم جدا في الشرع وفيه تغليظات وتشديدات تواردت بها الاخبار والاثار فننقلها لتعرف ذم الشرع لها ثم نتعرض لما يحرم منها وما يباح وما يكره على ما تقتضيه الفتوى في ظاهر العلم اما الاخبار فلما وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم الامراء الظلمة قال فمن نابذهم نجا ومن اعتزلهم سلم او كاد يسلم ومن وقع معهم في دنياهم فهو منهم وذلك لان من اعتزل سلم من اثمهم وذلك لان من اعتزل سلم من اثمهم ولكن لا يسلم من عذاب نقمته ان نزل بهم لتركه المنابذة والمنازعة وقال صلى الله عليه وسلم سيكون بعدي امراء يكذبون ويظلمون فمن صدقهم بكذبهم واعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه ولم يرد على الحوض وروى ابو هريرة رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم انه قال ابغض القراء الى الله تعالى الذين يزورون الامراء وفي الخبر خير الامراء الذين ياتون العلماء وشر العلماء الذين ياتون الامراء وفي الخبر العلماء امناء الرسل على عباد الله ما لم يخالطوا السلطان فاذا فعلوا ذلك فقد خانوا الرسل فاحذروهم واعتزلوهم رواه انس رضي الله عنه واما الاثار فقال حذيفة رضي الله عنه اياكم ومواقف الفتن قيل وما هي قال ابواب الامراء يدخل احدكم على الامير فيصدقه بالكذب ويقول ما ليس فيه وقال سفيان في جهنم واد لا يسكنه الا القراء الزوارون للملوك وقال الاوزاعي ما من شي ابغض الى الله سبحانه من عالم يزور عاملا وقال سمنون ما اسمج بالعالم ان يؤتى الى مجلسه فلا يوجد فيسال عنه فيقال انه عند الامير وكنت اسمع انه يقال اذا رايتم العالم يحب الدنيا فاتهموه على دينكم حتى جربت اذ ما دخلت قط على هذا السلطان الا وحاسبت نفسي بعد الخروج فارى عليها الدرك مع ما اواجههم به من الغلظة والمخالفة لهواهم وقال عبادة بن الصامت حب القاري الناسك للامراء نفاق وحبه للاغنياء رياء وقال ابو ذر من كثر سواد قوم فهو منهم اي كثر الظلمة وقال ابن مسعود ان الرجل ليدخل على السلطان

ومعه دينه يتبحبح ولا دين له قيل لانه يرضيه بسخط الله واستعمل عمر بن عبد العزيز رجلاً فقيل كان عاملاً للحجاج
فعزله فقال الرجل انما عملت له على شيء يسير فقال له عمر حسبك بصحبته يوماً او بعض يوم شؤماً وشراً وقال الفضيل
ما ازداد رجل من ذي سلطان قرباً الا ازداد من الله بعداً وكان سعيد بن المسيب يتجر في الزيت ويقول ان في هذا لغنى عن هؤلاء السلاطين
وجل من ه
وقال وهيب هؤلاء الذين يدخلون على الملوك لهم اضر على الامة من المقامرين وقال محمد بن مسلمة الذباب على العذرة احسن من قارئ على باب
هؤلاء ولما خالط الزهري السلطان كتب اخ له في الدين اليه عافانا الله واياك من الفتن فقد اصبحت بحال ينبغي لمن عرفك ان
انا نفتن
يدعو لك الله ويرحمك اصبحت شيخاً كبيراً على العلماء وقد اثقلتك نعم الله لما فهمك من كتابه وعلمك من سنة نبيه صلى الله عليه
وسلم وليس كذلك اخذ الله الميثاق على العلماء قال الله تعالى لتبيننه للناس ولا تكتمونه واعلم ان ايسر ما ارتكبت واخف
ما احتملت انك آنست وحشة الظالم وسهلت سبيل الغي بدنوك ممن لم يؤد حقاً ولم يترك باطلاً حين ادناك اتخذوك
قطباً تدور عليك رحى ظلمهم وجسراً يعبرون بك الى بلائهم وسلماً يصعدون فيه الى ضلالتهم يدخلون بك الشك
على العلماء ويقتادون بك قلوب الجهال فما ايسر ما عمروا لك في جنب ما خربوا عليك وما اكثر ما اخذوا منك فيما افسدوا
ما اكثر
عليك من دينك فما يؤمنك ان تكون ممن قال الله تعالى فيهم فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات
الاية وانك تعامل من لا يجهل ويحفظ عليك من لا يغفل فداو دينك فقد دخله سقم وهيئ زادك فقد حضر سفر بعيد
وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء والسلام فهذه الاخبار والآثار تدل على ما في مخالطة السلاطين من الفتن
وانواع الفساد ولكنا نفصل ذلك تفصيلاً فقهياً نميز فيه المحظور عن المكروه فنقول الداخل على السلطان متعرض
لان يعصي الله تعالى اما بفعله واما بسكوته واما بقوله واما باعتقاده ولا ينفك عن احد هذه الامور اما الفعل فالدخول
عليهم في غالب الاحوال يكون الى دور مغصوبة وتخطيها والدخول فيها بغير اذن الملاك حرام ولا يغرنك قول القائل ان
ذلك مما يتسامح به الناس كتمرة او فتات خبز فان ذلك صحيح في غير المغصوب اما المغصوب فلا لانه ان قيل ان كل جلسة خفيفة
لا تنقص الملك فهي في محل التسامح وكذلك الاجتياز فيجري هذا في كل واحد فيجري في المجموع والغصب انما تم بفعل الجميع
وانما يتسامح به اذا انفرد ولو علم المالك به ربما يكرهه فاما اذا كان ذلك طريقاً الى الاستغراق بالاشتراك فحكم التحريم
ينسحب على الكل فلا يجوز ان يؤخذ ملك الرجل طريقاً اعتماداً على ان كل واحد انما يخطو خطوة لا تنقص الملك لان المجموع
مفوت للملك وهو كضرب تخفيف في التعليم مباح ولكن بشرط الانفراد فلو اجتمع جماعة بضربات يوجب القتل وجب القصاص
على الجميع مع ان كل واحدة من الضربات لو انفردت لكان لا يوجب قصاصاً فان فرض الظالم في موضع غير مغصوب كالموات
مثلاً فان كان تحت خيمة او مظلة من ماله فهو حرام والدخول عليه غير جائز لانه انتفاع بالحرام واستظلال به فان فرض
كل ذلك حلالاً فلا يعصي بالدخول من حيث انه دخول ولا بقوله السلام عليك ولكن ان سجد او ركع او مثل قائماً في سلامه
وخدمته كان مكرماً للظالم بسبب ولايته التي هي آلة ظلمه والتواضع للظالم معصية بل من تواضع لغني ليس بظالم
لاجل غناه لا لمعنى آخر يقتضي التواضع ذهب ثلثا دينه فكيف اذا تواضع للظالم فلا يباح الا مجرد السلام فاما تقبيل اليد
والانحناء في الخدمة فهو معصية الا عند الخوف او لامام عادل او لعالم او لمن يستحق ذلك بامر ديني قبل ابو عبيدة الجراح
يد عمر رضي الله عنه لما ان لقيه بالشام فلم ينكر عليه وقد بالغ بعض السلف حتى امتنع عن رد جوابهم في السلام والاعراض عنهم استحقاقاً
لهم من محاسن القربات فاما السكوت عن رد السلام ففيه نظر لان ذلك واجب فلا ينبغي ان يسقط بالظلم فان ترك الداخل جميع ذلك

ذلك واقتصر على السلام فلا يخلو من الجلوس على بساطهم واذا كانت اغلب اموالهم حراماً فلا يجوز الجلوس على فرشهم هذا من حيث
الفعل واما السكوت فهو انه سيرى في مجلسهم من الفرش الحرير واواني الفضة والحرير الملبوس عليهم وعلى غلمانهم ما هو حرام و
كل من رأى سيئة وسكت عليها فهو شريك فيها بل يسمع في كلامهم ما هو فحش وكذب وشتم وايذاء والسكوت على جميع ذلك
حرام بل يراهم لابسين الثياب وآكلين الطعام وجميع ما في ايديهم حرام والسكوت على ذلك غير جائز فيجب عليه الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر بلسانه ان لم يقدر بفعله فان قلت انه يخاف على نفسه فهو معذور في السكوت فهذا حق ولكنه مستغنٍ عن
ان يعرض نفسه لارتكاب ما لا يباح الا بعذر فانه لو لم يدخل ولم يشاهد لم يتوجه عليه الخطاب بالحسبة حتى يسقط عنه بالعذر وعند
هذا اقول من علم فساداً في موضع وعلم انه لا يقدر على ازالته فلا يجوز له ان يحضر ليجري ذلك بين يديه وهو يشاهده ويسكت
بل ينبغي ان يحترز عن مشاهدته واما القول فهو ان يدعو للظالم او يثني عليه او يصدقه فيما يقول من باطل بصريح قوله او
بتحريك رأسه او باستبشار في وجهه او يظهر له الحب والموالاة والاشتياق الى لقائه والحرص على طول عمره وبقائه فانه
في الغالب لا يقتصر على السلام بل يتكلم ولا يعدو كلامه هذه الاقسام واما دعاؤه فلا يحل له الا ان يقول اصلحك الله او وفقك الله
للخيرات او طول الله عمرك في طاعته او ما يجري هذا المجرى فاما الدعاء بالحراسة وطول البقاء واسباغ النعمة مع الخطاب
بالمولى وما في معناه فغير جائز قال صلى الله عليه وسلم من دعا لظالم بالبقاء فقد احب ان يعصى الله في ارضه فان جاوز الدعاء
الى الثناء فسيذكر ما ليس فيه فيكون به كاذباً ومنافقاً ومكرماً للظالم وهذه ثلاث معاص وقد قال صلى الله عليه وسلم ان الله
ليغضب اذا مدح الفاسق وفي خبر آخر من اكرم فاسقاً فقد اعان على هدم الاسلام فان جاوز ذلك الى التصديق له فيما يقول
والتزكية على ما يعمل كان عاصياً بالتصديق وبالاعانة فان التزكية والثناء اعانة على المعصية وتحريك للرغبة فيه
كما ان التكذيب والمذمة والتقبيح زجر عنه وتضعيف لدواعيه والاعانة على المعصية معصية ولو بشطر كلمة ولقد سئل
سفيان رضي الله عنه عن ظالم اشرف على الهلاك في برية هل يسقى شربة فقال لا دعه حتى يموت فان ذلك اعانة له وقال غيره يسقى
الى ان يثوب الى نفسه ثم يعرض عنه فان جاوز ذلك الى اظهار الحب والشوق الى لقائه وطول بقائه فان كان كاذباً عصى معصية الكذب
والنفاق وان كان صادقاً عصى بحبه بقاء الظالم وحقه ان يبغضه في الله ويمقته فالبغض في الله واجب ومحب المعصية والراضي
بها عاص ومن احب ظالماً فان احبه لظلمه فهو عاص لمحبته وان احبه لسبب آخر فهو عاص من حيث انه لم يبغضه وكان الواجب
عليه ان يبغضه في الله وان اجتمع في شخص واحد خير وشر وجب ان يحب لاجل ذلك الخير ويبغض لاجل ذلك الشر وسيأتي في كتاب
الاخوة والمتحابين في الله وجه الجمع بين الحب والبغض فان سلم من ذلك كله وهيهات فلا يسلم من فساد يتطرق الى قلبه فانه ينظر
الى توسعه في النعمة ويزدري نعم الله عليه ويكون مقتحماً نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال يا معشر المهاجرين لا تدخلوا
على اهل الدنيا فانها مسخطة للرزق فهذا مع ما فيه من اقتداء غيره به في الدخول ومن تكثيره سواد الظلمة بنفسه وتجميله اياهم ان كان
ممن يتجمل به وكل ذلك اما مكروهات او محظورات وعن سعيد بن المسيب حين دعي الى البيعة للوليد وسليمان ابني عبد الملك
بن مروان فقال لا ابايع اثنين ما اختلف الليل والنهار فان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن بيعتين فقال ادخل من الباب واخرج
من الباب الآخر فقال لا والله لا يقتدي بي احد من الناس فجلد مائة والبس المسوح فلا يجوز الدخول عليهم الا بعذرين احدهما
ان يكون من جهتهم امر الزام لا امر اكرام وعلم انه لو امتنع اوذي او فسد عليهم طاعة الرعية واضطرب امر السياسة فيجب عليه الاجابة
طاعة لهم ومراعاة لمصلحة حتى لا تضطرب الولاية والثاني ان يدخل عليهم في دفع ظلم عن مسلم سواه او عن نفسه اما بطريق الحسبة

واما طريق التظلم فكذلك رخصة بشرط ان لا يكذب ولا يثني ولا يدع نصيحة يتوقع لها قبولا فهذا حكم الدخول

الحالة الثانية ان يدخل عليه السلطان الظالم زائرا فجواب السلام لا بد منه واما القيام والاكرام فلا يحرم مقابلة له على اكرامه فانه باكرام العلم والدين مستحق للاحماد كما انه مستحق للابعاد فالاكرام بالاكرام والجواب بالسلام ولكن الاولى ترك القيام ان كان معه في خلوة ليظهر له به عز الدين وحقارة الظلم ويظهر به غضبه للدين واعراضه عمن اعرض عن الله فاعرض الله عنه وان كان الداخل عليه في جمع فمراعاة حشمة ارباب الولايات فيما بين الرعايا مهم فلا باس بالقيام ان علم ان ذلك لا يؤدي الى فساد الرعية ولا الى احتقار بهم فان علم ذلك فالقيام اولى ثم يجب عليه بعد ان وقع اللقاء ان ينصحه فان كان يقارف ما لا يعرف تحريمه وهو يتوقع ان يتركه اذا عرف فليعرفه فذلك واجب واما ذكر تحريم ما يعلم تحريمه من الشرب والظلم فلا فائدة فيه بل عليه ان يخوفه فيما يرتكبه من المعاصي مهما ظن ان التخويف يؤثر فيه وعليه ان يرشده الى طريق المصلحة ان كان يعرف طريقا على وفق الشرع بحيث يحصل فيه غرض الظالم من غير معصية ليصده بذلك عن الوصول الى غرضه بالظلم فاذا يجب عليه التعريف في محل جهله والتخويف فيما هو مستجرئ عليه والارشاد الى ما هو غافل عنه مما يغنيه عن الظلم فهذه ثلاثة امور تلزمه اذا توقع للكلام فيه اثرا وهو ايضا لازم على كل من اتفق له دخول على السلطان بعذر او بغير عذر روى مقاتل بن صالح قال كنت عند حماد بن سلمة واذا ليس في البيت الا حصير وهو جالس عليه ومصحف يقرأ فيه وجراب فيه علمه ومطهرة يتوضأ منها فبينما انا عنده اذ دق داق الباب فاذا هو محمد بن سليمان فاذن له فدخل وجلس بين يديه ثم قال ما لي اذا رايتك امتلأت منك رعبا فقال حماد لانه عليه السلام قال ان العالم اذا اراد بعلمه وجه الله هابه كل شيء وان اراد ان يكنز به الكنوز هاب من كل شيء ثم عرض عليه اربعين الف درهم وقال تاخذها وتستعين بها فقال ارددها على من ظلمته بها قال والله ما اعطيتك الا مما ورثته قال لا حاجة لي فيها قال فتاخذها فتقسمها قال لعلي ان عدلت في قسمتها اخاف ان يقول بعض من لم يرزق منها انه لم يعدل في قسمتها فيأثم فازوها عني

الحالة الثالثة ان يعتزل عنهم فلا يراهم ولا يرونه وهو الواجب اذ لا سلامة الا فيه فعليه ان يعتقد بغضهم على ظلمهم ولا يحب بقاءهم ولا يثني عليهم ولا يستخبر عن احوالهم ولا يتقرب الى المتصلين بهم ولا يتأسف على ما يفوت بسبب مفارقتهم وذلك اذا خطر بباله امرهم وان غفل عنهم فهو الاحسن واذا خطر بباله تنعمهم فليذكر ما قال حاتم الاصم انما بيني وبين الملوك يوم واحد اما امس فلا يجدون لذته واني واياهم من غد على وجل وانما هو اليوم فما عسى ان يكون في اليوم وما قال ابو الدرداء اذ قال اهل الاموال ياكلون وناكل ويشربون ونشرب ويلبسون ونلبس ولهم فضول اموال ينظرون اليها وننظر اليها معهم وعليهم حسابها ونحن منها برآء وكل من احاط علمه بظلم ظالم او بمعصية عاص فينبغي ان يحط ذلك من درجته في قلبه فهذا واجب عليه لان من صدر منه ما يكره نقص من رتبته في القلب لا محالة والمعصية ينبغي ان تكره فانه اما ان يغفل عنها او يرضى بها او يكره ولا غفلة مع العلم ولا وجه للرضى فلا بد من الكراهة فلتكن جناية كل احد على حق الله كجنايته على حقك فان قلت الكراهة لا تدخل تحت الاختيار فكيف تجب قلنا ليس كذلك فان المحب يكره بضرورة الطبع ما هو مكروه عند محبوبه ومخالف له فانما لا يكره معصية الله من لا يحب الله وانما لا يحب الله من لا يعرفه والمعرفة واجبة والمحبة لله واجبة واذا احبه كره ما كرهه واحب ما احبه وسياتي تحقيق ذلك في كتاب المحبة والرضى ان شاء الله تعالى فان قيل فقد كان علماء السلف يدخلون على السلاطين فاقول نعم تعلم الدخول منهم ثم ادخل فقد حكي ان هشام بن عبد الملك قدم حاجا الى مكة فلما دخلها قال ائتوني برجل من الصحابة فقيل يا امير المؤمنين قد تفانوا فقال من التابعين فاتي بطاوس اليماني فلما دخل عليه خلع نعليه بحاشية بساطه ولم يسلم بامرة المؤمنين ولكن قال السلام عليك ولم يكنه وجلس بازائه وقال كيف انت يا هشام فغضب هشام غضبا شديدا حتى هم بقتله فقيل له انت في حرم الله وحرم رسوله

رسوله فلا يمكن ذلك فقال يا طاوس ما الذي حملك على ما صنعت قال وما الذي صنعت فازداد غضبا وغيظا فقال خلعت نعليك بحاشية بساطي ولم تقبل يدي ولم تسلم علي بامرة المؤمنين ولم تكنني وجلست بازائي بغير اذني وقلت كيف انت يا هشام فقال اما ما خلعت نعلي بحاشية بساطك فاني اخلعهما بين يدي رب العزة كل يوم خمس مرات ولا يعاقبني ولا يغضب علي واما قولك لم تقبل يدي فاني سمعت امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه يقول لا يحل لرجل ان يقبل يد احد الا امراته من شهوة او ولده من رحمة واما قولك لم تسلم علي بامرة المؤمنين فليس كل الناس راضين بامارتك فكرهت ان اكذب واما قولك لم تكنني فان الله تعالى سمى اولياءه فقال يا داود يا يحيى يا عيسى وكنى اعداءه فقال تبت يدا ابي لهب واما قولك جلست بازائي فاني سمعت امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه يقول اذا اردت ان تنظر الى رجل من اهل النار فانظر الى رجل جالس وحوله قوم قيام فقال له هشام عظني فقال سمعت من امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان في جهنم حيات كالقلال وعقارب كالبغال تلدغ كل امير لا يعدل في رعيته ثم قام فهرب وعن سفيان الثوري قال دخلت على ابي جعفر المنصور بمنى فقال لي ارفع الينا حاجتك فقلت انما انزلت هذه المنزلة بسيوف المهاجرين والانصار وابناؤهم يموتون جوعا فاتق الله واوصل اليهم حقوقهم قال فطأطأ راسه ثم رفع وقال ارفع الينا حاجتك فقلت حج عمر بن الخطاب وقال للخازن كم انفقت قال بضعة عشر درهما وارى ههنا امورا لا تطيقها الجمال فهكذا كانوا يدخلون على السلاطين اذا اكرهوا فكانوا يدخلون على السلاطين يغررون بارواحهم في الانتقام لله من ظلمهم ودخل ابن ابي شميلة على عبد الملك بن مروان فقال له تكلم فقال ان الناس لا ينجون في القيامة من غصصها ومرارتها ومعاينة الردى فيها الا من ارضى الله بسخط نفسه فبكى عبد الملك فقال لاجعلن هذه الكلمة مثالا نصب عيني ما عشت ولما استعمل عثمان بن عفان رضي الله عنه عبد الله بن عامر اتاه اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وابطأ عنه ابو ذر وكان له صديقا فعاتبه فقال ابو ذر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الرجل اذا ولي ولاية تباعد الله منه ودخل مالك بن دينار على امير البصرة فقال ايها الامير قرات في بعض الكتب ان الله تعالى يقول من احمق من سلطان ومن اجهل ممن عصاني ومن اعز ممن اعتز بي ايها الراعي السوء دفعت اليك غنما سمانا صحاحا فاكلت اللحم ولبست الصوف وتركتها عظاما تتقعقع فقال له والي البصرة اتدري ما الذي يجرئك علينا ويجنبك عنا قال لا قال قلة الطمع فينا وترك الامساك لما في ايدينا وكان عمر بن عبد العزيز واقفا مع سليمان بن عبد الملك فسمع سليمان صوت الرعد فجزع ووضع راسه على مقدمة الرحل فقال له عمر هذا صوت رحمته فكيف اذا سمعت صوت عذابه ثم نظر سليمان الى الناس فقال ما اكثر الناس فقال عمر خصماؤك يا امير المؤمنين فقال له سليمان ابتلاك الله بهم وحكي ان سليمان بن عبد الملك قدم المدينة وهو يريد مكة فارسل الى ابي حازم فدعاه فلما دخل قال له سليمان يا ابا حازم ما لنا نكره الموت فقال لانكم اخربتم اخرتكم وعمرتم دنياكم فكرهتم ان تنتقلوا من العمران الى الخراب فقال يا ابا حازم كيف القدوم على الله قال يا امير المؤمنين اما المحسن فكالغائب يقدم على اهله واما المسيء فكالآبق يقدم على مولاه فبكى سليمان وقال ليت شعري ما لي عند الله تعالى فقال ابو حازم اعرض نفسك على كتاب الله عز وجل حيث قال ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم قال سليمان فاين رحمة الله قال قريب من المحسنين فقال سليمان يا ابا حازم اي عباد الله اكرم قال اهل المروءة والتقى قال فاي الاعمال افضل قال اداء الفرائض مع اجتناب المحارم قال فاي الدعاء اسمع قال دعاء المحسن اليه للمحسن قال فاي الصدقة افضل قال للسائل البائس وجهد المقل ليس فيها من ولا اذى قال فاي القول اعدل قال قول الحق عند من تخافه او ترجوه قال فاي المؤمنين اكيس قال رجل عمل بطاعة الله ودعا الناس اليها قال فاي المؤمنين احمق قال رجل خطا في هوى اخيه وهو ظالم فباع آخرته بدنيا غيره قال سليمان ما تقول فيما نحن فيه قال او تعفيني قال لا ولكن نصيحة تلقيها الي قال يا امير المؤمنين ان اباءك قهروا الناس بالسيف واخذوا هذا الملك عنوة من غير مشورة

من المسلمين ولا رضى منهم حتى قتلوا قتلة عظيمة وقد ارتحلوا فلو شعرت ما قالوا وما قيل لهم فقال له رجل من جلسائه بئس ما
قلت قال ابو حازم ان الله قد اخذ الميثاق على العلماء ليبيننه للناس ولا يكتمونه قال فكيف لنا ان نصلح هذا الفساد قال ان
تاخذ من حله فتضعه في حقه فقال سليمن ومن يقدر عليه فقال من يطلب الجنة ويخاف من النار فقال سليمان ادع لي فقال ابو حازم
اللهم ان كان سليمن وليك فيسره لخير الدنيا والاخرة وان كان عدوك فخذ بناصيته الى ما تحب وترضى فقال سليمن اوصني فقال
اوصيك واوجز عظم ربك ونزهه ان يراك حيث نهاك او يفقدك حيث امرك قال عمر بن عبد العزيز لابي حازم رضى الله عنهما
عظني فقال اضطجع ثم اجعل الموت عند راسك ثم انظر ما تحب ان يكون فيك تلك الساعة فخذ به الان وما تكره ان يكون
لك فيك تلك الساعة فدعه الان فلعل تلك الساعة قريبة ودخل اعرابي على سليمن بن عبد الملك فقال تكلم يا اعرابي فقال
يا امير المومنين اني مكلمك بكلام فاحتمله وان كرهته فان وراءه ما تحب ان قبلته فقال يا اعرابي انا لنجود بسعة الاحتمال على من
لا نرجو نصحه ولا نامن غشه قال الاعرابي يا امير المومنين انه قد تكنفك رجال اساؤا الاختيار لانفسهم وابتاعوا دنياهم بدينهم
ورضاك بسخط ربهم خافوك في الله عز وجل ولم يخافوا الله عز وجل فيك حرب للاخرة سلم للدنيا فلا تامنهم على ما ائتمنك الله
عز وجل عليه فانهم لم يالوا في الامانة تضييعا وفي الامة خسفا وعسفا وانت مسؤل عما اجترحوا وليسوا مسؤلين عما
اجترحت فلا تصلح دنياهم بفساد اخرتك فان اعظم الناس غبنا من باع اخرته بدنيا غيره فقال سليمن اما انك يا اعرابي قد
سللت لسانك وهو اسيفك قال اجل يا امير المومنين ولكن لك لا عليك وحكى ان ابا بكرة دخل على معوية فقال اتق الله يا معوية واعلم
انك في كل يوم يخرج عنك وفي كل ليلة ياتي عليك لا تزداد من الدنيا الا بعدا ومن الاخرة الا قربا وعلى اثرك طالب لا تفوته
وقد نصب لك علم لا تجوزه فما اسرع ما تبلغ العلم وما اوشك ما يلحق بك وانا وما نحن فيه زائل وفي الذي نحن اليه صائرون باق
ان خيرا فخير وان شرا فشر فهكذا كان دخول اهل العلم على السلاطين اعني علماء الاخرة واما علماء الدنيا فيدخلون ليتقربوا الى
قلوبهم فيدلونهم على الرخص ويستنبطون بدقائق الحيل طرق السعة فيما يوافق اغراضهم وان تكلموا بمثل ما ذكرناه في معرض
الوعظ لم يكن قصدهم الاصلاح بل اكتساب الجاه والقبول عندهم وفي هذا غروران يغتر بهما الحمقى احدهما ان يظهر ان
قصدي في الدخول عليهم اصلاحهم بالوعظ وربما يلبسون على انفسهم ذلك وانما الباعث لهم شهوة خفية للشهرة
وتحصيل المعرفة عندهم وعلامة الصدق في طلب الاصلاح انه لو تولى ذلك الوعظ غيره ممن هو من اقرانه من العلماء ووقع موقع
القبول وظهر به اثر الصلاح فينبغي ان يفرح به ويشكر الله على كفايته هذا المهم كمن وجب عليه ان يعالج مريضا ضائعا فقام بعلاجه
غيره فانه يعظم به فرحه فان كان يصادف في قلبه ترجيحا لكلامه على كلام غيره فهو مغرور الثاني انه يزعم اني اقصد الشفاعة
لمسلم في دفع ظلامة وهذا ايضا مظنة الغرور ومعياره ما تقدم ذكره واذا ظهر طريق الدخول عليهم فلنرسم في الاحوال العارضة
في مخالطة السلاطين ومباشرة امورهم مسائل مسئلة اذا بعث اليك السلطان مالا لتفرقه على الفقراء فان كان له مالك
معين فلا يحل اخذه وان لم يكن بل كان حكمه انه يجب التصدق به على المساكين كما سبق فلك ان تاخذه وتتولى التفرقة ولا تعصي باخذه
ولكن من العلماء من امتنع منه فعند هذا يتصدى النظر في الاولى فنقول الاولى ان تاخذه ان امنت ثلاث غوائل الغائلة
الاولى ان يظن السلطان بسبب اخذك ان ماله حلال ولولاه لكنت لا تمد اليد اليه ولا تدخله في ضمانك فان كان كذلك فلا
تاخذه فان ذلك محذور ولا تفي الخير في مباشرتك التفرقة بما يحصل لك من الجراة على كسب الحرام الغائلة الثانية ان ينظر
اليه غيرك من العلماء والجهال فيعتقدوا انك في الاخذ ويستدلوا به على جوازه ثم لا يفرقون فهذا اعظم من الاول فان جماعة

انظر

يستدلون باخذ الشافعي رضى الله عنه على جواز الاخذ ويغفلون عن تفرقته واخذه على نية التفرقة فالمقتدي والمتشبه
به ينبغي ان يحترز من هذا غاية الاحتراز فانه يكون فعله سبب ضلال خلق كثير وقد حكى وهب بن منبه ان رجلا اتي به الى ملك على مشاهد
من الناس ليكرهه على اكل لحم الخنزير فاذا خرجت فلم ياكل فقدم اليه لحم غنم واكره بالسيف فلم ياكل فقال الناس قد اعتقدوا انى
طولبت باكل لحم الخنزير فاذا خرجت سالما وقد اكلت فلا يعلمون ماذا اكلت ودخل وهب بن منبه وطاوس على محمد بن يوسف
اخي الحجاج وكان عاملا وكان في غداة باردة فقال لغلامه هلم ذلك الطيلسان والقه على ابي عبد الرحمن اي طاوس وكان قد قعد على الكرسي
فالقى عليه فلم يزل يحرك كتفيه حتى القى الطيلسان عنه وغضب محمد بن يوسف فقال وهب كنت غنيا عن ان تغضبه لو اخذت الطيلسان
عنه وتصدقت به قال نعم لولا ان يقال بعدي اخذه طاوس ثم لا تصنع به ما اصنع اذا لفعلت ذلك الغائلة الثالثة
ان يتحرك قلبك الى حبه لتخصيصه اياك وايثاره لك بما انفذه اليك فان كان كذلك فلا تقبل فان ذلك هو السم القاتل والداء
الدفين اعني ما يحبب الظلمة اليك فان من احببته لا بد ان تحرص عليه وتداهن فيه وقالت عائشة رضى الله عنها جبلت القلوب
على حب من احسن اليها وقال عليه السلم اللهم لا تجعل لفاجر عندي يدا فيحبه قلبي بين ان القلب لا يكاد يمتنع وروى ان بعض الامراء
ارسل الى مالك بن دينار بعشرة الاف درهم فاخرجها كلها فاتاه محمد بن واسع وقال ما صنعت بما اعطاك هذا المخلوق فقال
سل اصحابي فقالوا اخرجه كله فقال انشدك الله اقلبك اشد حبا له الان ام قبل ان ارسل اليك فقال لا بل الان فقال انما كنت
اخاف هذا وقد صدق فانه اذا احبه احب بقاءه وكره عزله ونكبته وموته واحب اتساع ولايته وكثرة ماله وكل ذلك حب اسباب
الظلم وهو مذموم قال سلمان وابن مسعود رضى الله عنهما من رضي بامر وان غاب عنه كان كمن شهده وقال تعالى ولا تركنوا الى الذين
ظلموا فتمسكم النار قيل لا ترضوا باعمالهم فان كنت في القوة بحيث لا تزداد حبا بذلك فلا باس بالاخذ وقد حكي عن عباد البصرة انه
كان ياخذ اموالا ويفرقها فقيل له الا تخاف ان تحبهم فقال لو اخذ رجل بيدي فادخلني الجنة ثم عصى ربه ما احبه قلبي لان
الذي سخره للاخذ بيدي هو الذي ابغضه لاجله شكرا له على تسخيره اياه وبهذا يتبين ان اخذ الاموال الان منهم وان كان ذلك
المال بعينه من وجه حلال محذور ومذموم لانه لا ينفك عن الغوائل مسئلة ان قال قائل اذا جاز اخذ ماله وتفرقته فهل يجوز
ان يسرق ماله او يخفي وديعته وينكر ويفرق على الناس فنقول ذلك غير جائز لانه ربما يكون له مالك معين وهو على عزم ان يرده
وليس هذا كما لو بعثه اليك فان العاقل لا يظن به ان يتصدق بما يعلم مالكه فيدل تسليمه على انه لا يعرف مالكه فان كان ممن يشكل
عليه مثله فلا يجوز ان يقبل منه المال ما لم يعرف ذلك ثم كيف يعرف ويحتمل ان يكون ملكه وقد حصل له بشرى
في ذمته فان اليد دلالة على الملك فهذا لا سبيل اليه بل لو وجدت لقطة وظهر ان صاحبه جندي واحتمل ان يكون له بشرى
في الذمة فاسق او غيره توجب الرد عليه فاذا لا يجوز سرقة مالهم لا منهم ولا ممن اودع عندهم ولا يجوز انكار ودائعهم
ويجب الحد على سارق مالهم الا اذا ادعى السارق انه ليس ملكا لهم فعند ذلك يسقط الحد بالدعوى مسئلة
المعاملة معهم حرام لان اكثر مالهم حرام فما يؤخذ عوضا فهو حرام فان ادى الثمن من موضع يعلم حله فينبغي النظر فيما سلم اليهم
فان علم انهم يعصون الله به كبيع الديباج منهم وهو يعلم انهم يلبسونه فذلك حرام كبيع العنب من الخمار وانما الخلاف
في الصحة وان امكن ذلك وامكن ان يلبسها نساؤه فهو شبهة مكروهة هذا فيما يعصى في عينه من الاموال وفي معناه بيع الفرس
منهم لا سيما وقت ركوبهم الى قتال المسلمين او جباية اموالهم فان ذلك اعانة قريبة وهي محظورة فاما بيع الدراهم والدنانير
منهم وما يجري مجراهما مما لا يعصى في عينه بل يتوصل به فهو مكروه لما فيه من اعانتهم على الظلم لانهم يستعينون على ظلمهم بالاموال

والدواب وسائر الاسباب وهذه الكراهية جارية في الاهداء اليهم وفي العمل لهم من غير اجرة في تعليمهم وتعليم اولادهم
الكتابة والترسل والحساب واما تعليم القرآن فلا يكره الا من حيث اخذ الاجرة فان ذلك حرام الا من وجه يعلم حله ولو انتصب
وكيلا يشتري لهم في السوق من غير جعل واجرة فهو مكروه من حيث الاعانة وان اشترى لهم ما يعلم انهم يقصدون به المعصية
كالغلام للفجور والديباج للبس والفرس للركوب الى الظلم والقتل فذلك حرام فمهما ظهر قصد المعصية بالمتاع حصل التحريم ومهما
لم يظهر واحتمل بحكم الحال ودلالتها عليه حصلت الكراهية مسئلة الاسواق التي بنوها بالمال الحرام يحرم التجارة
فيها ولا يجوز سكناها فان سكنها باجرة واكتسب بطريق شرعي لم يحرم كسبه وكان عاصيا بسكناه وللناس ان يشتروا منه ولكن لو وجدوا
سوقا اخرى فالاولى الشراء منه فان ذلك اعانة لسكانهم وتكثير لكرى حوانيتهم وكذلك معاملة السوق التي لا خراج لهم عليها
احب من معاملة سوق لهم عليها خراج وقد بالغ قوم حتى لم يجوزوا معاملة الفلاحين واصحاب الاراضي التي عليها خراج لانهم ربما
يصرفون ما ياخذون الى الخراج فيحصل به الاعانة وهذا غلو في الدين وحرج على المسلمين فان الخراج قد عم الاراضي ولا غنى بالناس
عن ارتفاع الارض فلا معنى للمنع منه ولو جاز هذا لحرم على المالك زراعة الارض حتى لا يطلب خراجها وذلك مما يطول ويتداعى
الى حسم باب المعايش مسئلة معاملة قضاتهم وعمالهم وخدمهم حرام كمعاملتهم بل اشد اما القضاة فلانهم يأخذون
من اموالهم الحرام الصريح ويكثرون جمعهم ويغرون الخلق بزيهم فانهم على زي العلماء ويختلطون بهم وياخذون من اموالهم والطباع
مجبولة على التشبه والاقتداء بذوي الجاه والحشمة فهم سبب انقياد الخلق اليهم واما الخدم والحشم فاكثر اموالهم من
الغصب الصريح ولا يقع في ايديهم مال مصلحة وجزية وميراث ووجه حلال حتى يضعف الشبهة باختلاط الحلال بما لهم قال طاوس
لا اشهد عندهم وان تحققت لاني اخاف تعديهم على من شهدت عليه وبالجملة انما فسدت الرعية بفساد الملوك وفسدت الملوك
بفساد العلماء فلولا القضاة السوء والعلماء السوء لقل فسادهم خوفا من انكارهم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا تزال هذه
الامة تحت يد الله وكنفه ما لم يمال قراؤها امراءها وانما ذكر القراء لانهم كانوا هم العلماء وانما كان علمهم بالقرآن ومعانيه
المفهومة بالسنة وما وراء ذلك من العلوم محدثة بعدهم وقد قال سفين رحمه الله لا تخالط السلطان ولا من يخالطهم وقال اصحاب
وقال صاحب القلم وصاحب الدواة وصاحب القرطاس وصاحب الليطة بعضهم شركاء بعض ولقد صدق فان النبي صلى الله عليه وسلم
لعن في الخمر عشرة حتى العاصر والمعتصر وقال ابن مسعود رضي الله عنه آكل الربوا وموكله وشاهداه وكاتبه ملعونون على
لسان محمد صلى الله عليه وسلم وكذا رواه جابر وعمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن سيرين لا تحمل للسلطان كتابا
حتى تعلم ما فيه وامتنع سفين من مناولة الخليفة في زمانه دواة بين يديه وقال حتى اعلم ما تكتبه فكل من حواليهم من خدمهم
ظلمة مثلهم يجب بغضهم في الله جميعا وروي عن عثمن بن زائدة انه ساله واحد من الجند وقال اين الطريق فسكت واظهر انه
اصم وخاف ان يكون متوجها الى الظلم فيكون هو بارشاده الى الطريق معينا وهذه المبالغة لم تنقل من السلف مع الفساق من التجار
والحاكة والحجامين واهل الحمامات والصاغة والصباغين وارباب الحرف مع غلبة الكذب والفسق عليهم بل مع الكفار
من اهل الذمة وانما هذا في الظلمة خاصة الآكلين لاموال اليتامى والمساكين المواظبين على ايذاء المسلمين الذين تعاونوا على
طمس رسوم الشريعة وشعائرها وهذا لان المعصية منقسمة الى لازمة ومتعدية والفسق لازم لا يتعدى وكذا الكفر وهو
جناية على حق الله واما معصية الولاة بالظلم وهو متعد فانما تغلظ امرهم لذلك وبقدر عموم الظلم وعموم التعدي
يزدادون من الله مقتا فيجب ان يزداد منهم اجتنابا ومن معاملتهم احترازا فقد قال صلى الله عليه وسلم يقال للشرطي دع

دع شرطك وادخل النار وقال من اشراط الساعة رجال معهم سياط كاذناب البقر فهذا حكمهم ومن عرف بذلك فقد
عرف ومن لم يعرف فعلامته القباء وطول الشارب وسائر الهيئات المشهورة فمن رؤي على تلك الهيئة يجب اجتنابه
ولا يكون ذلك من سوء الظن الذي جنى على نفسه اذ تزيى بزيهم ومساواة الزي تدل على مساواة القلب ولا يتجانن الا
مجنون ولا يتشبه بالفساق الا فاسق نعم الفاسق قد يلبس فيتشبه باهل الصلاح فاما الصالح فليس له ان يتشبه باهل الفساد لان
ذلك تكثير لسوادهم وانما نزل قوله تعالى الذين توفيهم الملائكة ظالمي انفسهم في قوم من المسلمين كانوا يكثرون جماعة المشركين
بالمخالطة وقد روي ان الله اوحى الى يوشع بن نون اني مهلك من قومك اربعين الفا من خيارهم وستين الفا من شرارهم
فقال ما بال الاخيار فقال انهم لم يغضبوا لغضبي وكانوا يواكلونهم ويشاربونهم وبهذا يتبين ان بغض الظلمة والغضب
لله عليهم واجب وروى ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى لعن علماء بني اسرائيل اذ خالطوا
الظالمين في معايشهم مسئلة المواضع التي بناها الظلمة كالقناطر والرباطات والمساجد والسقايات ينبغي ان يحتاط
فيها اما القنطرة فيجوز العبور عليها للحاجة والورع الاحتراز ما امكن وان وجد عنه معدلا تاكد الورع وانما جوزنا العبور
وان وجد معدلا لانه اذا لم يعرف لتلك الاعيان مالكا كان حكمها ان ترصد للخيرات وهذا خير فاما اذا عرف ان الآجر والحجر قد نقل من دار معلومة
او مقبرة او مسجد معين فهذا لا يحل العبور اصلا الا لضرورة يحل بها مثل ذلك من مال الغير ثم يجب عليه الاستحلال من المالك
الذي يعرفه واما المسجد فان بني في ارض مغصوبة او بخشب مغصوب من مسجد آخر او ملك معين فلا يجوز دخوله اصلا ولا
للجمعة بل لو وقف الامام فيه فليصل هو خلف الامام وليقف خارج المسجد فان الصلوة في الارض المغصوبة تسقط الفرض وتنعقد
في حق الاقتداء وان عصى صاحبها بالوقوف في الغصب وان كان من مال لا يعرف مالكه فالاولى والورع العدول الى مسجد آخر
ان وجد فان لم يجد غيره فلا يترك الجمعة لانه يحتمل ان يكون من ملك الذي بناه ولو على بعد وان لم يكن له مالك معين فهو لمصالح
المسلمين ومهما كان في المسجد الكبير بناء السلطان الظالم فلا يعذر من يصلي فيه مع اتساع المسجد اعني في الورع قيل لاحمد
ابن حنبل ما حجتك في ترك الخروج الى الصلوة ونحن بالعسكر فقال حجتي ان الحسن وابرهيم التيمي خافا ان يفتنهما الحجاج وانا اخاف
ايضا واما الخلوق والتجصيص فلا يمنع من الدخول فانه غير منتفع بهما انما هي زينة والاولى ان لا ينظر اليه واما البواري التي
فروشها فان كان لها مالك معين فيحرم الجلوس عليها والا فبعد ان ارصد لمصلحة عامة يجوز افتراشه ولكن الورع العدول عنه
فانه محل شبهة واما السقاية فحكمها ما ذكرناه فليس من الورع الوضوء والشرب منها والدخول فيها الا اذا كان يخشى فوات
الصلوة فيتوضا وكذلك مصانع طريق مكة واما الرباطات والمدارس فان كانت رقبة الارض مغصوبة والآجر منقولا من
موضع معين يمكن الرد الى مستحقه فلا رخصة للدخول فيه وان التبس المالك فقد ارصد لجهة من الخير فالورع اجتنابه
ولكن لا يلزم الفسق بدخوله وهذه الابنية ان صدرت من خدم السلاطين فالامر فيه اشد اذ ليس لهم صرف الاموال الضائعة
الى المصالح ولان الحرام اغلب على اموالهم اذ ليس لهم اخذ مال المصالح وانما يجوز ذلك للولاة وارباب الامر
مسئلة الارض المغصوبة اذا جعلت شارعا لم يجز ان يتخطى البتة وان لم يكن لها مالك معين جاز والورع العدول
ان امكن فان كان الشارع مباحا وفوقه ساباط جاز العبور تحته ويجوز الجلوس تحت الساباط على وجه لا يحتاج فيه الى
السقف كما يقف في الشارع لشغل فان انتفع بالسقف في دفع حر الشمس واذى المطر او غيره فهو حرام فان السقف لا يراد
لذلك وهكذا حكم من يدخل مسجدا او ارضا مباحة سقف ذلك وحوطه بغصب فانه بمجرد التخطي لا يكون منتفعا بالحيطان

والسقف لا اذا كان له فائدة في الحيطان بحيث يزداد لستره عن لص وغيره فذلك حرام لانه انتفاع بالحرام اذ لم يحرم الجلوس على الغصب لما فيه من المماسة بل للانتفاع والارض تراد للاستقرار والسقف للاستظلال فلا فرق بينهما

الباب السابع في مسايل متفرقة يكثر مسيس الحاجة اليها وقد سئل عنها في الفتاوى

مسئلة سئل عن خادم الصوفية يخرج الى السوق ويجمع طعاما او نقدا يشتري به طعاما فمن الذي يحل له ان ياكل منه وهل يختص بالصوفية ام لا فقلت اما الصوفيه فلا شبهة في حقهم اذا اكلوا واما غيرهم فيحل لهم اذا اكلوه برضى الخادم لا يخلو عن شبهة اما الحل فلان ما يعطى خادم الصوفية انما يعطى بسبب الصوفية ولكن هو المعطى اليه لا الصوفية فهو كالرجل المعيل يعطى بسبب عياله لانه متكفل لهم وما ياخذه يقع ملكا له لا للعيال وله ان يطعم غير العيال الذين بسببهم نقال لم يخرج من ملك المعطي ولا يسلط الخادم على الشرى به والتصرف فيه لان ذلك يصير الى ان المعاطاة لا تكفي وهو ضعيف ثم لا يصار اليه في الصدقات والهدايا ويبعد ان يقال زال الملك الى الصوفية الحاضرين الذين هم وقت سؤاله في الخانقاه اذ لا خلاف ان له ان يطعم منه من يقدم بعدهم ولو ماتوا كلهم او واحد منهم لا يجب صرف نصيبه الى وارثه ولا يمكن ان يقال وقع لجهة التصوف ولا يتعين له مستحق لان ازالة الملك الى الجهة لا يوجب تسليط الاحاد على التصرف فان الداخلين فيه لا يحصرون بل يدخل فيه من يولد الى القيامة فانما يتصرف فيه الولاة لا يجوز ان ينتصب نائبا عن الجهة فلا وجه الا ان يقال هو ملكه وانما يطعم الصوفيه ووفا بشرط التصوف والمروة فان منعهم عنه منعوه عن ان يظهر نفسه في معرض التكفل بهم حتى ينقطع رفقه كما ينقطع عمن مات عياله مسئلة سئل عن مال اوصى به للصوفيه فمن الذي يجوز ان يصرف اليه فقلت التصوف امر باطن لا يطلع عليه فلا يمكن ربط الحكم بحقيقته بل بامور ظاهرة يعول عليها اهل العرف في اطلاق اسم الصوفي والضابط الكلي ان كل من هو بصفة اذا نزل في خانقاه الصوفيه لم يكن نزوله فيها واختلاطه بهم منكرا عندهم فهو داخل في غمارهم والتفصيل ان يلاحظ فيه خمس صفات الصلاح والفقر وزي الصوفية وان لا يكون مشتغلا بحرفة وان يكون مساكنا لهم في الخانقاهات ثم بعض هذه الصفات مما يوجب زوالها زوال الاسم وبعضها ينجبر بالبعض فالفسق يمنع هذا الاستحقاق فالدهقان والعامل والتاجر والصانع في حانوته او داره والاجير الذي يخدم باجرة كل هولاء لا يستحقون ولا ينجبر هذا بالزي والمخالطة فاما الوراقة والخياطة وما يقرب منهما مما لا يليق بالصوفية تعاطيها فاذا تعاطاها لا في حانوت ولا على جهة اكتساب وحرفة فذلك لا يمنع الاستحقاق وكان ينجبر بمساكنته اياهم مع بقية الصفات واما القدرة على الحرف من غير مباشرة لا تمنع واما الوعظ والتدريس فلا ينافي اسم التصوف اذا وجدت بقية الخصال من الزي والمساكنة والفقر اذ لا يتناقض ان يقال صوفي مقري وصوفي واعظ وصوفي عالم ومدرس وفقيه ويتناقض ان يقال صوفي دهقان وصوفي تاجر وصوفي عامل واما الفقر فان زال بغنى مفرط ينسب الرجل به الى الثروة الظاهرة فلا يجوز معه اخذ وصية الصوفية وان كان له مال قاصر عن وجوب الزكوة وان لم يكن له خرج وهذه امور لا دليل لها الا العادات واما المخالطة معهم ومساكنتهم فله اثر ولكن من لا يخالطه وهو في داره او في مسجد على زيهم ويتخلق باخلاقهم فهو شريك في سهمهم وكان ترك المخالطة يجبرها ملازمة الزي فان لم يكن على زيهم ووجد بقية الصفات فلا يستحق الا اذا كان مساكنا لهم في الرباط فينسحب عليه حكمهم بالتبعية فالمخالطة والزي كل واحد منهما على الاخر والفقيه الذي ليس على زيهم هذا حكمه فان كان خارجا لم يعد صوفيا وان كان ساكنا معهم ووجدت بقية الصفات لم يبعد ان ينسحب بالتبعية عليه حكمهم واما لبس المرقع من يد شيخ من مشايخهم فلا يشترط ذلك في الاستحقاق وعدمه لا يضره مع وجود الشرائط المذكورة واما

المتأهل المتردد بين الرباط والمسكن لا يخرج عن جملتهم مسئلة ما وقف على رباط الصوفيه وسكانه فالامر فيه اوسع مما اوصى به للصوفية لان معنى الوقف الصرف الى مصالحهم فلغير الصوفي ان ياكل معهم برضاهم على مائدتهم مرة او مرتين فان امر الاطعمة مبناه على التسامح حتى جاز الانفراد به في الغنائم المشتركه وللقوال ان ياكل معهم في دعوتهم من ذلك الوقف وكان ذلك من مصالح معايشهم وما اوصى به للصوفية لا يجوز ان يصرف الى القوال الصوفيه بخلاف الوقف وكذلك ما احضروه من العمال والتجار والقضاة والفقهاء ممن لهم غرض في استمالة قلوبهم يحل لهم الاكل برضاهم فان الواقف لا يقف الا معتقدا فيه ما جرت به العادات الصوفيه فينزل على العرف ولكن ليس هذا على الدوام فلا يجوز لمن ليس صوفيا ان يسكن معهم على الدوام وياكل وان رضوا به اذ ليس لهم تغيير شرط الواقف بمشاركة غير جنسهم واما الفقيه اذا كان في زيهم واخلاقهم فله النزول عليهم وكونه فقيها لا ينافي كونه صوفيا والجهل ليس بشرط في التصوف ولا يلتفت الى خرافات بعض الحمقى بان العلم حجاب فان الجهل هو الحجاب وذكرنا تاويل هذه الكلمة في كتاب العلم وان الحجاب هو العلم المذموم دون المحمود والمذموم وشرحهما واما الفقيه اذا لم يكن في زيهم واخلاقهم فلهم منعه من النزول عليهم وان رضوا بنزوله فيحل له الاكل معهم بطريق التبعية وكان عدم الزي يجبره المساكنة ولكن برضى اهل الزي وهذه امور يشهد لها العادات وفيها امور متقابلة لا يخفى اطرافها في النفي والاثبات ويشتبه اوساطها فمن احترز في موضع الاشتباه فقد استبرا كما نبهنا عليه في باب الشبهات مسئلة سئل عن الفرق بين الرشوة والهدية مع ان كل واحد منهما يصدر عن الرضى ولا يخلو عن غرض وقد حرم احدهما دون الاخرى قلت باذل المال لا يبذله الا لغرض اما اجل كالثواب واما عاجل والعاجل اما مال واما فعل واعانة على مقصود معين واما تقرب الى قلب المهدى اليه بطلب محبته اما للمحبة في عينها واما للتوصل بالمحبة الى غرض وراءها فالاقسام الحاصلة من هذه خمسة الاول ما غرضه الثواب في الاخرة وذلك اما يكون المصروف اليه محتاجا او عالما او منتسبا بنسب ديني او صالحا في نفسه متدينا فما علم الاخذ انه يعطى لحاجته لا يحل له اخذه ان لم يكن محتاجا وما علم انه يعطى لشرف نسبه فلا يحل له ان كان كاذبا في دعوى النسب وما يعطى لعلمه فلا يحل ان ياخذه الا ان يكون في العلم كما يعتقده المعطي فان كان خيل اليه كمالا في العلم حتى بعثه بذلك على التقرب ولم يكن كاملا لم يحل له وما يعطى لدينه وصلاحه لا يحل له ان ياكل وما يعطى لدينه وصلاحه لا يحل له ان ياخذه ان كان فاسقا في الباطن فسقا لو علمه المعطي لما اعطاه وقل ما يكون الصالح بحيث لو انكشف باطنه لبقيت القلوب مائلة اليه وانما ستر الله الجميل هو الذي يحبب الخلق الى الخلق والمتورعون وكلوا في الشرى من لا يعرف انه وكيلهم حتى لا يسامحوا في البيع خيفة من ان يكون ذلك اكلا بالدين فان ذلك مخطر والتقوى خفي لا كالعلم والنسب والفقر فينبغي ان يجتنب الاخذ بالدين ما امكن القسم الثاني ما يقصد به في العاجل غرض معين كالفقير يهدي الى الغني طمعا في خلعته فهذه هبة بشرط ثوابها ولا يخفى حكمها وانما تحل عند الوفاء بالثواب المطموع وعند شروط وجوبا لعقود الثالث ان يكون المراد اعانة بفعل معين كالمحتاج الى السلطان يهدي الى وكيل السلطان وخاصته ومن له مكانة عنده فهذه هبة بشرط ثواب يعرف بقرينة الحال فينظر في ذلك العمل الذي هو الثواب فان كان حراما كالسعي في تنجيز ادرار حرام او ظلم انسان وغيره حرم الاخذ وان كان واجبا كدفع ظلم متعين على كل من يقدر عليه او شهادة متعينة فيحرم ما ياخذه وهي الرشوة التي لا تشك في تحريمها وان كان مباحا لا واجبا ولا حراما وكان فيه تعب بحيث لو عرف جاز الاستيجار عليه فما ياخذه حلال مهما وفى بالغرض وهو جار مجرى الجعالة كقوله اوصل هذه القصة الى يد السلطان ولك دينار وكان بحيث يحتاج الى تعب وعمل متقوم او قال اقترح

اقترح على فلان ان يعينني في غرض كذا او ينعم علي بكذا او افتقر في تنجيز غرضه الى كلام طويل فذلك جعل كما ياخذه الوكيل بالخصومة بين يدي القاضي فليس بحرام وان كان مقصوده يحصل بكلمة لا تعب فيها ولكن تلك الكلمة من ذي الجاه او تلك الفعلة من ذي الجاه تفيد كقوله للبواب لا تغلق بابه دون السلطان او كوضعه قصته بين يدي السلطان فقط فهذا حرام لانه عوض عن الجاه ولم يثبت في الشرع جواز ذلك بل ثبت ما يدل على النهي عنه كما سياتي في هدايا الملوك واذا كان لا يجوز اخذ العوض عن اسقاط الشفعة والرد بالعيب ودخول الاغصان في هواء الملك وجملة من الاغراض مع كونها مقصودة فكيف يوخذ على الجاه ويقرب من هذا اخذ الطبيب العوض عن كلمة واحدة ينبه بها على دواء ينفرد بمعرفته كواحد ينفرد بالعلم بنبت يقلع البواسير او غيره فلا يذكره الا بعوض فان عمله في التلفظ به غير متقوم كحبة من سمسم فلا يجوز اخذ العوض عليه ولا على علمه اذ ليس ينتقل علمه الى غيره وانما يحصل لغيره مثل علمه ويبقى هو عالما به ودون هذا الحاذق في الصناعة كالصيقل مثلا الذي يزيل اعوجاج السيف او المراة بدقة واحدة لحسن معرفته بموقع الخلل ولحذقه باصابته فقد يزيد بدقة واحدة مالا كثيرا في قيمة السيف والمراة بدقة واحدة لحسن معرفته بموقع الخلل فهذا لا ارى باسا باخذ الاجرة عليه لان مثل هذه الصناعات يتعب الرجل في تعلمها ليكتسب بها ويخفف عن نفسه كثرة العمل

السابع ما يقصد به المحبة وجلبها من قلب المهدى اليه لا لغرض معين ولكن طلبا للاستيناس وتاكيدا للصحبة وتوددا الى القلوب فذلك مقصود العقلاء ومندوب اليه في الشرع قال صلى الله عليه وسلم تهادوا تحابوا وعلى الجملة فلا يقصد الانسان ايضا في الغالب محبة غيره لعين المحبة بل للفائدة في محبته ولكن اذا لم تتعين تلك الفائدة ولم يتمثل في نفسه غرض معين يبعثه في الحال والمال سمي ذلك هدية وحل اخذها

الثامن ان يطلب التقرب الى قلبه وتحصيل محبته لا لمحبته ولا للانس به من حيث انه انس فقط بل ليتوصل بجاهه الى اغراض له ينحصر جنسها وان لم يتخصص عينها ولولا جاهه وحشمته لكان لا يهدى اليه فان كان جاهه لاجل علم او نسب فالامر فيه اخف واخذه مكروه فان فيه مشابهة الرشوة ولكنها هدية في ظاهرها وان كان جاهه بولاية تولاها من قضاء او عمل او ولاية صدقة او جباية مال او غيره من الاعمال السلطانية حتى ولاية الاوقاف مثلا وكان لولا تلك الولاية لكان لا يهدى اليه فهذه رشوة عرضت في معرض الهدية اذ القصد بها في الحال طلب التقرب واكتساب المحبة ولكن لامر ينحصر جنسه اذ ما يمكن التوصل اليه بالولايات لا يخفى واية انه لا يبغي المحبة انه لو ولي في الحال غيره لسلم المال الى غيره فهذا مما اتفقوا على ان الكراهة فيه شديدة واختلفوا في كونه حراما والمعنى فيه متعارض فانه دائر بين الهدية المحضة وبين الرشوة المبذولة في مقابلة جاه محض في غرض معين فاذا تعارضت المشابهة القياسية وعضدت الاخبار والاثار احدهما تعين الميل اليه وقد دلت الاخبار والاثار على تشديد الامر فيها قال عليه السلام ياتي على الناس زمان يستحل فيه السحت بالهدية والقتل بالموعظة يقتل البريء ليوعظ به العامة وسئل ابن مسعود عن السحت فقال يقضي الرجل الحاجة فيهدى له الهدية ولعله اراد قضاء الحاجة بكلمة لا تعب فيها او تبرع بها لا على قصد اجرة فلا يجوز له ان ياخذ بعده شيئا في معرض العوض وشفع مسروق شفاعة فاهدي اليه جارية فغضب وردها وقال لو علمت ما في قلبك لما تكلمت في حاجتك ولا اتكلم فيما بقي منها وسئل طاوس عن هدايا السلطان فقال سحت واخذ عمر رضي الله عنه ربح مال القراض الذي اخذه ولداه من بيت المال وقال انما اعطيتما لمكانكما مني اذ علم انه اعطي لاجل جاه الولاية واهدت امراة ابي عبيدة بن الجراح الى خاتون ملكة الروم خلوقا فكافاتها بجوهر فاخذه عمر رضي الله عنه فباعه واعطاها ثمن خلوقها ورد باقيه في بيت المال وقال جابر وابو هريرة رضي الله عنهما هدايا الملوك غلول ولما رد عمر بن عبد العزيز الهدية قيل له قد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية فقال كان ذلك له هدية ولنا رشوة اي كان يتقرب اليه لنبوته لا لولايته ونحن انما نعطى للولاية واعظم من ذلك كله ما روى ابو حميد الساعدي رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث واليا الى صدقات الازد فلما جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم امسك بعض ما معه وقال هذا ما لكم وهذا لي هدية فقال صلى الله عليه وسلم الا جلست في بيت امك وبيت ابيك حتى تاتيك هديتك ان كنت صادقا ثم قال ما لي استعمل الرجل منكم فيقول هذا لكم وهذه هدية لي الا جلس في بيت امه ليهدى اليه والذي نفسي بيده لا ياخذ احد منكم شيئا بغير حقه الا اتى الله بحمله فلا ياتين احدكم يوم القيامة ببعير له رغاء او بقرة لها خوار او شاة تيعر ثم رفع يديه حتى رايت بياض ابطيه ثم قال اللهم هل بلغت

واذا ثبتت هذه التشديدات فالقاضي والوالي ينبغي ان يقدر نفسه في بيت امه وابيه فما كان يعطى بعد العزل وهو في بيت امه يجوز له ان ياخذ في ولايته وما يعلم انه يعطى لولايته فحرام اخذه وما اشكل عليه في اصدقائه انهم كانوا يعطونه ذلك لو كان معزولا فهو شبهة فليجتنبه والله اعلم

تم كتاب الحلال والحرام والشبهات بعون الله وحسن توفيقه وهو الكتاب الرابع من ربع العبادات

ويتلوه

الكتاب الخامس وهو كتاب اداب الصحبة والاخوة مع اصناف الخلق والحمد لله وحده والصلوة على خاتم النبوة محمد

بحرام اذا كان لانه

كتاب آداب الصحبة والأخوة وهو الخامس من ربع العادات

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذي عم صفوة عباده بلطائف التخصيص طولا وامتنانا وألف بين قلوبهم فأصبحوا بنعمته إخوانا ونزع الغل من قلوبهم فأصبحوا في الدنيا أصدقاء وأخدانا وفي الآخرة رفقاء وخلانا والصلوة على محمد المصطفى وعلى آله وأصحابه الذين اتبعوه واقتدوا به قولا وفعلا وعدلا وإحسانا أما بعد فإن التحاب في الله تعالى والأخوة في دينه من أفضل القربات وألطف ما يستفاد من الطاعات في مجاري العادات ولها شروط بها يلتحق المتصاحبون بالمتحابين في الله تعالى وفيها حقوق بمراعاتها تصفو الأخوة عن شوائب الكدورات ونزغات الشيطان فبالقيام بحقوقها يتقرب إلى الله زلفى وبالمحافظة عليها تنال الدرجات العلى ونحن نبين مقاصد هذا الكتاب في ثلاثة أبواب إن شاء الله تعالى

الباب الأول | الباب الثاني

في فضيلة الألفة والأخوة في الله وفي شروطها ودرجاتها وفوائدها | في حقوق الأخوة في الصحبة وآدابها ولوازمها

الباب الثالث | الباب الأول

في فضيلة حق المسلم والجوار والملك والرحم وكيفية المعاشرة | في فضيلة الألفة والأخوة في الله وشروطها ودرجاتها وفوائدها

فضيلة الأخوة والألفة اعلم أن الألفة ثمرة حسن الخلق والتفرق ثمرة سوء الخلق فحسن الخلق يوجب التحاب والتآلف والتوافق وسوء الخلق يثمر التباغض والتحاسد والتدابر ومهما كان المثمر محمودا كانت الثمرة محمودة وحسن الخلق لا يخفى في الدين فضيلته وهو الذي مدح الله سبحانه به نبيه صلى الله عليه وسلم إذ قال وإنك لعلى خلق عظيم وقال النبي صلى الله عليه وسلم أكثر ما يدخل الجنة تقوى الله وحسن الخلق وقال أسامة بن شريك قلنا يا رسول الله ما خير ما أعطي الإنسان فقال خلق حسن وقال صلى الله عليه وسلم بعثت لأتمم مكارم الأخلاق وقال صلى الله عليه وسلم أثقل ما يوضع في الميزان خلق حسن وقال صلى الله عليه وسلم ما حسن الله خلق امرئ وخلقه فيطعمه النار وقال صلى الله عليه وسلم يا أبا هريرة عليك بحسن الخلق قال أبو هريرة وما حسن الخلق يا رسول الله قال تصل من قطعك وتعفو عمن ظلمك وتعطي من حرمك ولا يخفى أن ثمرة حسن الخلق الألفة وانقطاع الوحشة ومهما طاب المثمر طابت الثمرة كيف وقد ورد في الثناء على نفس الألفة سيما إذا كانت الرابطة هي الدين والتقوى وحب الله من الآيات والأخبار والآثار ما فيه كفاية ومقنع قال الله سبحانه وتعالى مظهرا عظم منته على الخلق بنعمة الألفة لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم وقال فأصبحتم بنعمته إخوانا أي بالألفة ثم ذم التفرقة وزجر عنها فقال عز من قائل واعتصموا بحبل الله جميعا إلى قوله لعلكم تهتدون وقال صلى الله عليه وسلم إن أقربكم مني مجلسا

أحاسنكم أخلاقا الموطؤون أكنافا الذين يألفون ويؤلفون وقال صلى الله عليه وسلم المؤمن إلف مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف وقال صلى الله عليه وسلم في الثناء على الأخوة في الدين من أراد الله به خيرا رزقه خليلا صالحا إن نسي ذكره وإن ذكر أعانه وقال صلى الله عليه وسلم مثل الأخوين إذا التقيا مثل اليدين تغسل إحداهما الأخرى وما التقى مؤمنان قط إلا أفاد الله أحدهما من صاحبه خيرا وقال صلى الله عليه وسلم في الترغيب في الأخوة في الله من آخى أخا في الله رفعه الله درجة في الجنة لا ينالها بشيء من عمله وقال أبو إدريس الخولاني لمعاذ رضي الله عنهما إني أحبك في الله فقال له أبشر ثم أبشر فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ينصب لطائفة كراسي حول العرش يوم القيمة كالقمر ليلة البدر يفزع الناس ولا يفزعون ويخاف الناس وهم لا يخافون وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فقيل من هؤلاء يا رسول الله فقال هم المتحابون في الله ورواه أبو هريرة فقال إن حول العرش منابر من نور عليها قوم لباسهم نور ووجوههم نور ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم النبيون والشهداء فقالوا يا رسول الله صفهم لنا فقال هم المتحابون في الله والمتجالسون في الله والمتزاورون في الله وقال صلى الله عليه وسلم ما تحاب اثنان في الله إلا كان أحبهما إلى الله أشدهما حبا لصاحبه ويقال إن الأخوين في الله إذا كان أحدهما أعلى مقاما من الآخر رفع الآخر معه وإنه يلتحق به كما يلتحق الذرية بالأبوين والأهل بعضهم ببعض لأن الأخوة إذا اكتسبت في الله تعالى لم تكن دون أخوة الولادة وقد قال الله تعالى ألحقنا بهم ذرياتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء وقال صلى الله عليه وسلم إن الله عز وجل قال حقت محبتي للذين يتزاورون من أجلي وحقت محبتي للذين يتحابون من أجلي وحقت محبتي للذين يتباذلون من أجلي وحقت محبتي للذين يتناصرون من أجلي وقال صلى الله عليه وسلم إن الله عز وجل يقول يوم القيمة أين المتحابون بجلالي اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي وقال صلى الله عليه وسلم سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله إمام عادل وشاب نشأ في عبادة الله تعالى ورجل قلبه معلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ورجل دعته امرأة ذات حسب وجمال فقال إني أخاف الله تعالى ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه وقال صلى الله عليه وسلم ما زار رجل رجلا في الله شوقا إليه ورغبة في لقائه إلا ناداه ملك من خلفه طبت وطابت لك الجنة وقال عليه الصلوة والسلام إن رجلا زار أخا له في الله فأرصد الله له ملكا فقال أين تريد فقال أريد أن أزور أخي فلانا فقال لحاجة لك عنده قال لا قال فبم قال أحبه في الله قال فإن الله تعالى أرسلني إليك يخبرك بأنه يحبك بحبك إياه وقد أوجب لك الجنة وقال صلى الله عليه وسلم أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله فبهذا يجب أن يكون للرجل أعداء يبغضهم في الله كما يكون له أصدقاء وإخوان يحبهم في الله ويروى أن الله عز وجل أوحى إلى نبي من الأنبياء أما زهدك في الدنيا فقد تعجلت الراحة وأما انقطاعك إلي فقد تعززت بي ولكن هل عاديت في عدوا أو هل واليت في وليا وقال صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل لفاجر علي منة فترزقه مني محبة ويروى أن الله تعالى أوحى إلى عيسى عليه السلم لو أنك عبدتني بعبادة أهل السموات والأرض وحب في الله ليس وبغض في الله ليس ما أغنى عنك ذلك شيئا وقال عيسى عليه السلم تحببوا إلى الله ببغض أهل المعاصي وتقربوا إلى الله بالتباعد منهم والتمسوا رضا الله بسخطهم قالوا يا روح الله فمن نجالس قال جالسوا من يذكركم الله رؤيته ومن يزيد في علمكم كلامه ومن يرغبكم في الآخرة عمله وروي في الأخبار السالفة أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلم يا ابن عمران كن يقظانا وارتد لنفسك أخدانا فكل خدن لا يواتيك على مسرتي فهو لك عدو وأوحى الله إلى داود

فقال يا داود ما لي اراك منتبذا وحدانا قال الهي قليت الخلق من اجلك فقال يا داود كن يقظانا وارتد لنفسك اخدانا وكل خدن لا
يوافقك على مسرتي فلا تصحبه فانه لك عدو يقسي قلبك ويباعدك مني وفي اخبار داود عليه السلم انه قال يا رب كيف لي ان يحبني الناس
كلهم واسلم فيما بيني وبينك قال خالق الناس باخلاقهم واحسن فيما بيني وبينك وفي بعضها خالق اهل الدنيا باخلاق الدنيا
وخالق اهل الاخرة باخلاق الاخرة وقال صلى الله عليه وسلم ان احبكم الى الله الذين يالفون ويؤلفون وان ابغضكم الى الله المشاؤن
بالنميمة المفرقون بين الاخوان وقال صلى الله عليه وسلم ان لله تعالى ملكا نصفه من النار ونصفه من الثلج يقول اللهم
كما الفت بين الثلج والنار كذلك الف بين قلوب عبادك الصالحين وقال ايضا ما احدث عبد اخا في الله الا احدث الله له درجة
في الجنة وقال صلى الله عليه وسلم المتحابون في الله على عمود من ياقوتة حمراء على راس العمود سبعون الف غرفة يشرفون على اهل الجنة
يضيء حسنهم لاهل الجنة كما تضيء الشمس عليهم ثياب سندس خضر مكتوب على جباههم المتحابون في الله الاثار قال علي رضي
الله عنه عليكم بالاخوان فانهم عدة الدين والدنيا الا ترى الى قول اهل النار فما لنا من شافعين ولا صديق حميم وقال عبد الله بن عمر رضي الله
لو صمت النهار كله لا افطره وقمت الليل لا انامه وانفقت مالي علقا علقا في سبيل الله اموت يوم اموت وليس في قلبي حب لاهل
طاعة الله وبغض لاهل معصية الله ما نفعني ذلك شيا وقال ابن السماك عند موته اللهم انك تعلم اني اذا كنت اعصيك كنت احب من
يطيعك فاجعل ذلك قربة اليك وقال الحسن على ضده يا ابن ادم لا يغرنك قول من يقول المرء مع من احب فانك لن تلحق الابرار
الا باعمالهم فان اليهود والنصارى يحبون انبياءهم وليسوا معهم وهذا اشارة الى ان مجرد ذلك من غير موافقة في بعض الاعمال
او كلها لا ينفع وقال الفضيل في بعض كلامه هاه تريد ان تسكن الفردوس وتجاور الرحمن في داره مع النبيين والصديقين والشهداء
والصالحين باي عمل عملته باي شهوة تركتها باي غيظ كظمته باي رحم قاطع وصلتها باي زلة لاخيك غفرتها باي قريب باعدته
في الله باي بعيد قاربته في الله ويروى ان الله عز وجل اوحى الى موسى عليه السلم هل عملت لي عملا قط فقال الهي صليت لك
وصمت وتصدقت فقال ان الصلوة لك برهان والصوم لك جنة والصدقة ظل والذكر نور فاي عمل عملت لي قال موسى عليه
السلم الهي دلني على عمل هو لك قال يا موسى هل واليت لي وليا وهل عاديت لي عدوا قط فعلم موسى ان افضل الاعمال الحب في الله والبغض
في الله وقال ابن مسعود لو ان رجلا قام بين الركن والمقام يعبد الله سبعين سنة لبعثه الله تعالى يوم القيمة مع من يحب وقال
الحسن رضي الله عنه مصارمة الفاسق قربان الى الله وقال رجل لمحمد بن واسع اني لاحبك في الله فقال احبك الذي احببتني له ثم حول
وجهه وقال اللهم اني اعوذ بك ان احب فيك وانت لي مبغض ودخل رجل على داود الطائي فقال له ما حاجتك فقال زيارتك
فقال اما انت فقد عملت خيرا حين زرت ولكن انظر ماذا ينزل بي انا اذا قيل لي من انت فتزار امن الزهاد انت لا والله من العباد
انت لا والله من الصالحين انت لا والله ثم اقبل يوبخ نفسه ويقول كنت في الشبيبة فاسقا فلما شخت صرت مرائيا والله لمرائي
شر من الفاسق وقال عمر رضي الله عنه اذا اصاب احدكم ودا من اخيه فليتمسك به فقلما يصيب ذلك وقال مجاهد المتحابون
في الله تعالى اذا التقوا فكشر بعضهم الى بعض تتحات عنهم الخطايا كما يتحات ورق الشجر في الشتاء اذا يبس وقال الفضيل نظر الرجل
الى وجه اخيه على المودة والرحمة عبادة

بيان معنى الاخوة في الله وتمييزها عن الاخوة في الدنيا

اعلم ان الحب في الله والبغض في الله غامض وينكشف الغطاء عنه بما نذكره وهو ان الصحبة تنقسم الى ما يقع بالاتفاق كالصحبة بسبب الجوار او
بسبب الاجتماع في المكتب او في المدرسة او في السوق او على باب السلطان او في الاسفار والى ما ينشا اختيارا ويقصد وهو
الذي نريد بيانه اذ الاخوة في الدين واقعة في هذا القسم لا محالة اذ لا ثواب الا على الافعال الاختيارية ولا ترغيب الا فيها

الا فيها والصحبة عبارة عن المجالسة والمخالطة والمجاورة وهذه الامور لا يقصد الانسان بها غيره الا اذا احبه فان غير
المحبوب يجتنب ويباعد ولا يقصد مخالطته والذي يحب فاما ان يحب لذاته لا ليتوصل به الى محبوب ومقصود وراءه
واما ان يحب للتوصل الى مقصود وذلك المقصود اما ان يكون مقصورا على الدنيا وحظوظها واما ان يكون متعلقا بالاخرة
واما ان يكون متعلقا بالله تعالى فهذه اربعة اقسام اما القسم الاول وهو حبك الانسان لذاته فذلك ممكن
وهو ان يكون هو في ذاته محبوبا عندك على معنى انك تلتذ برؤيته ومعرفته ومشاهدة اخلاقه لاستحسانك له فان كل جميل
لذيذ في حق من ادرك جماله وكل لذيذ محبوب والذي يتبع الاستحسان والاستحسان يتبع المناسبة والملاءمة والموافقة بين
الطباع ثم ذلك المستحسن اما ان يكون هو الصورة الظاهرة اعني حسن الخلقة واما ان يكون هو الصورة الباطنة اعني كمال العقل
وحسن الخلق ويتبع حسن الاخلاق حسن الافعال لا محالة ويتبع كمال العقل غزارة العلم وكل ذلك مستحسن عند الطبع السليم
والعقل المستقيم وكل مستحسن فمستلذ به ومحبوب بل في ائتلاف القلوب امر اغمض من هذا فانه قد تستحكم المودة بين
شخصين من غير ملاحة في صورة وحسن في خلق وخلق ولكن لمناسبة باطنة توجب الالفة والموافقة فان شبه الشيء ينجذب
اليه بالطبع والاشباه الباطنة خفية ولها اسباب دقيقة ليس في قوة البشر الاطلاع عليها وعنه عبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
حيث قال الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف فالتناكر نتيجة التباين والائتلاف نتيجة
التناسب الذي عبر عنه بالتعارف وفي بعض الالفاظ تلتقي فتتشام في الهواء وكنى بعض العلماء عن هذا بان قال ان الله تعالى خلق الارواح
ففلق بعضها فلقا واطافها حول العرش فاي روحين من فلقتين تعارفا هناك فالتقيا تواصلا في الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم
ان ارواح المؤمنين لتلتقيان على مسيرة يوم وما راى احدهما صاحبه قط وروي ان امراة بمكة كانت تضحك النساء وكانت بالمدينة اخرى
فنزلت المكية على المدينة فدخلت على عائشة فاضحكتها فقالت اين نزلت فذكرت فقالت صدق الله ورسوله سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول الارواح جنود مجندة الحديث والحق في هذا ان المشاهدة والتجربة تشهد للائتلاف عند التناسب و
التناسب في الطباع والاخلاق باطنا وظاهرا امر مفهوم واما الاسباب التي اوجبت تلك المناسبة فليس في قوة البشر الاطلاع
عليها وغاية هذيان المنجم ان يقول اذا كان طالعه على تسديس طالع غيره او تثليثه فهذا نظر الموافقة والمودة فيقتضي التناسب
والتواد واذا كان على مقابلته او تربيعه اقتضى التباغض والعداوة وهذا لو صدق بكونه كذلك في مجاري سنة الله تعالى في
خلق السموات والارض لكان الاشكال اكثر من الاشكال في اصل التناسب فلا معنى للخوض فيما لم يكشف سره للبشر فما اوتينا من
العلم الا قليلا ويكفينا في التصديق بذلك التجربة والمشاهدة وقد ورد في الخبر قال النبي صلى الله عليه وسلم
لو ان مؤمنا دخل مجلسا فيه مائة منافق ومؤمن واحد لجاء حتى يجلس اليه وهذا يدل على ان شبه الشيء ينجذب اليه بالطبع
وان كان هو لا يشعر به وكان مالك بن دينار يقول لا يتفق اثنان في عشرة الا وفي احدهما وصف من الاخر فان اشكال الناس
كاجناس الطيور ولا يتفق نوعان من الطير في الطيران الا وبينهما مناسبة قال فراى يوما غرابا مع حمامة فعجب من ذلك
وقال اتفقا وليسا من شكل واحد ثم طارا فاذا هما اعرجان فقال من ههنا اتفقا ولذلك قال بعض الحكماء كل انسان
يانس الى شكله كما ان كل طير يطير مع جنسه واذا اصطحب اثنان برهة من زمان ولم يتشاكلا في الحال فلا بد ان يفترقا
وهذا معنى تفطن له الشعراء حتى قال قائلهم شعر

وقائل كيف تفرقتما ... فقلت قولا فيه انصاف
لم يك من شكلي ففارقته ... والناس اشكال والاف

فقد ظهر من هذا ان الانسان قد يحب لذاته لا لفائدة

ينال منه في حال ومآل بل بمجرد المجانسة والمناسبة في الطباع الباطنة والاخلاق الخفية ويدخل في هذا الباب
الحب للجمال اذا لم يكن المقصود قضاء الشهوة فان الصورة الجميلة مستلذة في عينها وان قدر فقد اصل الشهوة حتى
يستلذ النظر الى الفواكه والانوار والازهار والتفاح المشرب بالحمرة والى الماء والخضرة من غير غرض سوى
عينها وهذا الحب لا يدخل فيه الحب لله بل هو حب بالطبع وشهوة النفس ويتصور ذلك ممن لا يؤمن بالله الا انه
ان اتصل به غرض مذموم صار مذموما كحب الصور الجميلة لقضاء الشهوة حيث لا يحل قضاؤها وان لم يتصل به غرض مذموم
فهو مباح لا يوصف بحمد ولا ذم اذ الحب اما محمود واما مذموم واما مباح لا يحمد ولا يذم. القسم الثاني
ان يحبه لينال من ذاته غير ذاته فيكون وسيلة الى محبوب غيره والوسيلة الى المحبوب محبوب وما يحب لغيره كان ذلك الغير
هو المحبوب بالحقيقة ولكن الطريق الى المحبوب محبوب ولذلك احب الناس الذهب والفضة ولا غرض فيهما اذ لا يطعم ولا يلبس ولكنهما
وسيلة الى المحبوبات فمن الناس من يحب كما يحب الذهب والفضة من حيث انه وسيلة الى المقصود اذ يتوصل به الى نيل جاه او مال
او علم كما يحب الرجل سلطانا لانتفاعه بماله او جاهه ويحب خواصه لتحسينهم حاله عنده وتمهيدهم امره في قلبه فالمتوسل
اليه ان كان مقصود الفائدة على الدنيا لم يكن في جملة الحب في الله وان لم يكن مقصود الفائدة على الدنيا ولكن ليس يقصد به الا الدنيا
كحب التلميذ لاستاذه فهو ايضا خارج عن الحب لله فانه انما يحبه ليحصل منه العلم لنفسه فمحبوبه العلم فاذا كان لا يقصد العلم للتقرب
الى الله لينال به الجاه والمال والقبول عند الخلق فمحبوبه الجاه والقبول والعلم وسيلة اليه والاستاذ وسيلة الى العلم فليس شيء
من ذلك حبا لله اذ يتصور كل ذلك ممن لا يؤمن بالله تعالى اصلا ثم ينقسم هذا ايضا الى مذموم ومباح فان كان يقصد به التوصل
الى مقاصد مذمومة من قهر الاقران وحيازة اموال اليتامى وظلم اليتامى بولاية القضاء وغيره كان الحب مذموما وان كان
يقصد به التوصل الى مباح فهو مباح وانما تكتسب الوسيلة الحكم والصفة من المقصد المتوصل اليه فانها تابعة له غير قائمة بنفسها
القسم الثالث ان يحبه لا لذاته بل لغيره وذلك الغير ليس راجعا الى حظوظه في الدنيا بل يرجع الى حظوظه في الآخرة فهذا
من جملة المحبين ايضا ظاهر لا غموض فيه وذلك كمن يحب استاذه وشيخه لانه يتوسل به الى تحصيل العلم وتحسين العمل بالعلم ومقصوده
من العلم والعمل الفوز في الآخرة فهذا من جملة المحبين في الله وكذلك كل من يحب تلميذه لانه يتلقف منه العلم وينال بواسطته رتبة
التعليم ويرقى به الى درجة التعظيم في ملكوت السماء فهو محب في الله بل الذي يتصدق باموال الله ويجمع الضيفان ويهيئ لهم
الاطعمة اللذيذة الغريبة تقربا الى الله فاحب طباخا لحسن صنعته في الطبخ فهو في جملة المحبين في الله عز وجل وكذا لو احب من
من يتولى له ايصال الصدقة الى المستحقين فقد احبه في الله عز وجل بل نزيد على هذا ونقول اذا احب من يخدمه بنفسه في غسل
ثيابه وكنس بيته وطبخ طعامه ويفرغه بذلك للعلم والعمل ومقصوده من استخدامه في هذه الاعمال الفراغ للعبادة فهو محب
في الله بل نزيد عليه ونقول اذا احب من ينفق عليه ماله ويواسيه بكسوته وطعامه ومسكنه وجميع اغراضه التي يقصدها
في دنياه ومقصوده من جملة ذلك الفراغ للعلم والعمل للتقرب الى الله فهو محب في الله فقد كان جماعة من السلف تكفل بكفايتهم
جماعة من اولي الثروة وكان المواسي والمواسى جميعا من المتحابين في الله بل نزيد على ذلك ونقول من نكح امراة صالحة ليتحصن
بها عن وساوس الشيطان ويصون بها دينه او ليولد له ولد صالح يدعو له واحب زوجته لانها آلته وهذه المقاصد الدينية
فهو محب في الله ولذلك وردت الاخبار بوفور الاجر والثواب على الانفاق على العيال حتى اللقمة يضعها الرجل في في امراته
بل نقول كل من استهتر بحب الله وحب رضاه وحب لقائه في الدار الآخرة فاذا احب غيره كان محبا في الله لانه لا يتصور ان

يحب شيئا الا لمناسبته لما هو محبوب عنده وهو رضا الله بل ازيد على هذا واقول اذا اجتمع في قلبه محبتان محبة
الله ومحبة الدنيا واجتمع في شخص واحد المعنيان جميعا حتى صلح لان يتوسل به الى الله والى الدنيا بالمواساة كمن له مال فاذا احبه
لصلاحه للامرين فهو من المحبين في الله كمن يحب استاذه الذي يعلمه الدين ويكفيه مهمات الدنيا بالمواساة في المال فاحبه من
حيث ان في طبعه طلب الراحة في الدنيا والسعادة في الآخرة وهو وسيلة اليهما فهو محب لله وليس من شرط حب الله ان لا يحب
في العاجل حظا البتة اذ الدعاء الذي امر الانبياء فيه جمع بين الدنيا والآخرة فمن ذلك قولهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة
حسنة وقال عيسى صلوات الله عليه في دعائه اللهم لا تشمت بي عدوي ولا تسؤ بي صديقي ولا تجعل مصيبتي في ديني ولا تجعل
الدنيا اكبر همي ولا مبلغ علمي ولم يقل لا تجعل الدنيا اصلا من همي بل قال لا تجعلها اكبر همي وقال صلى الله عليه وسلم في دعائه
اللهم اني اسالك رحمة انال بها شرف كرامتك في الدنيا والآخرة وقال اللهم عافني من بلاء الدنيا وعذاب الآخرة وعلى الجملة
فاذا لم يكن حب السعادة في الآخرة مناقضا لحب الله تعالى فحب السلامة والصحة والكرامة في الدنيا كيف يكون مناقضا لحب الله
والدنيا والآخرة عبارتان عن حالتين احداهما اقرب من الاخرى فكيف يتصور ان يحب الانسان حظوظ نفسه غدا ولا يحبها اليوم
وانما يحبها غدا لان حظوظ الغد ستعد حظوظا راهنة وحظوظ الغد سيصير حالا راهنة فالحالة الراهنة لا بد ان تكون مطلوبة
ايضا الا ان الحظوظ العاجلة منقسمة الى ما يضاد حظوظ الآخرة ويمنع منها وهو الذي احترز عنها الانبياء والاولياء وامروا
بالاحتراز عنها والى ما لا يضاد وهو الذي لم يمتنعوا منه كالنكاح الصحيح واكل الحلال وغير ذلك فما يضاد حظوظ الآخرة
فحق العاقل ان يكرهه ولا يحبه اعني بانه يكرهه بعقله لا بطبعه كما يكره التناول من طعام لذيذ لملك من الملوك يعلم انه لو اقدم
عليه لقطعت يده او حزت رقبته لا بمعنى ان الطعام اللذيذ يصير بحيث لا يشتهيه بطبعه ولا يستلذ اكله فان ذلك محال
لكن على معنى انه يزجر عقله عن الاقدام عليه ويحصل فيه كراهة الضرر المتعلق به والمقصود من هذا انه لو احب استاذه لانه يواسيه
ويعلمه او تلميذه لانه يتعلم منه ويخدمه واحدهما حظ عاجل والآخر آجل فيكون في زمرة المتحابين في الله ولكن بشرط واحد وهو ان يكون
بحيث لو منعه العلم مثلا او تعذر عليه تحصيله منه لنقص حبه بسببه فالقدر الذي ينقص بسبب فقده هو لله تعالى وله على ذلك
القدر ثواب الحب في الله تعالى وليس بمستنكر ان يشتد حبك لانسان لجملة اغراض ترتبط لك به فان امتنع بعضها نقص حبك
وان زاد زاد الحب فليس حبك للذهب كحبك للفضة اذا تساوى مقدارهما لان الذهب يوصل الى اغراض اكثر مما يوصل اليه الفضة
فاذا يزيد الحب بزيادة الغرض فلا يستحيل اجتماع الاغراض الدنيوية والاخروية فهو داخل في جملة الحب لله وحده ان كل حب
لولا الايمان بالله واليوم الآخر لم يتصور وجوده فهو حب في الله فكذلك وان دق فهو عزيز وقال الجريري تعامل الناس
في القرن الاول بالدين حتى رق الدين فتعاملوا في القرن الثاني بالوفاء حتى ذهب الوفاء ثم تعاملوا في الثالث بالمروءة حتى ذهبت
المروءة ولم يبق الا الرهبة والرغبة. القسم الرابع ان يحب لله وفي الله لا لينال منه علما او عملا او يتوسل به الى امر
وراء ذاته وهو اعلى الدرجات وهو ادقها واغمضها وهذا القسم ايضا ممكن فان من آثار غلبة الحب ان يتعدى من المحبوب
الى كل من يتعلق بالمحبوب ويناسبه ولو من بعد فمن احب انسانا حبا شديدا احب محب ذلك الانسان واحب محبوبه واحب
من يخدمه واحب من يثني عليه واحب من يتسارع الى رضا محبوبه حتى قال بقية بن الوليد ان المؤمن اذا احب المؤمن احب كلبه
وهو كما قال ويشهد له التجربة في احوال العشاق ويدل عليه اشعار الشعراء ولذلك يحفظ ثوب المحبوب ويخفيه تذكرة من
جهته ويحب منزله ومحلته وجيرانه حتى قال المجنون بن عامر شعر امر على جدار ديار ليلى * اقبل ذا الجدار وذا الجدارا

وما حب الديار شغفن قلبي ... ولكن حب من سكن الديارا. فاذاً المشاهدة والتجربة تدل على ان الحب يتعدى من ذات المحبوب
الى ما يحيط به ويتعلق باسبابه ويناسبه ولو من بعد ولكن ذلك من خاصية فرط المحبة فاصل المحبة لا يكفي فيه ويكون اتساع
الحب في تعديه من المحبوب الى ما يحيط به ويتعلق الى ما يكتنفه ويحيط ويتعلق باسبابه بحسب افراط المحبة وقوتها فكذلك حب الله
سبحانه اذا قوي وغلب على القلب واستولى عليه حتى انتهى الى حد الاستهتار فيتعدى الى كل موجود فانه كل موجود سواه اثر
من آثار قدرته ومن احب انسانا احب خطه وصنعته وجميع افعاله ولذلك كان صلى الله عليه وسلم اذا حمل باكورة اليه مسح
بها عينيه واكرمها وقال انه قريب العهد بربنا وحب الله تعالى تارة يكون لصدق الرجاء في مواعيده وما يتوقع في الآخرة من نعيمه
وتارة لما سلف من اياديه وصنوف نعمه وتارة لذاته لا لامر آخر وهو ادق ضروب المحبة واعلاها وسيأتي تحقيق ذلك في كتاب
المحبة من ربع المنجيات وكيفية ما اتفق محبة الله فاذا قويت تعدت الى كل متعلق به ضربا من التعلق حتى يتعدى الى ما
هو في نفسه مؤلم مكروه لكن فرط الحب يضعف الاحساس بالالم والفرح بفعل المحبوب وقصده اياه بالايلام يغمر ادراك
الالم وذلك كالفرح بضربة من المحبوب او قرصة فيها نوع معاتبة فان قوة المحبة تثير فرحا يغمر الالم فيه وقد انتهت
محبة الله بقوم الى ان قالوا لا نفرق بين البلاء والنعمة فان الكل من الله ولا نفرح الا بما فيه رضاه حتى قال بعضهم لا اريد مغفرة
الله بمعصية الله وقال سمنون شعر: وليس لي في سواك حظ ... فكيفما شئت فاختبرني. وسيأتي تحقيق ذلك في
تحقيق المحبة ان شاء الله والمقصود ان حب الله اذا قوي اثمر حب كل من يقوم بحق عبادة الله في علم او عمل واثمر حب كل ما فيه
صفة هي مرضية الله من خلق حسن او تأدب بآداب الشرع وما من مؤمن محب للآخرة ومحب لله الا اذا اخبر عن حال رجلين احدهما
عالم عابد والآخر جاهل فاسق الا وجد في نفسه ميلا الى العالم العابد ثم يضعف ذلك الميل ويقوى بحسب ضعف ايمانه
وقوته وبحسب ضعف حبه لله وقوته وهذا الميل حاصل وان كانا غائبين عنه بحيث يعلم انه لا يصيبه منهما خير ولا شر في الدنيا
ولا في الآخرة فذلك الميل هو حب في الله ولله من غير حظ فانه انما يحبه لان الله يحبه ولانه مرضي عند الله ولانه يحب
الله تعالى ولانه مشغول بعبادة الله تعالى الا انه اذا ضعف لم يظهر اثره ولا يظهر به ثواب واجر فاذا قوي حمل على الموالاة والنصرة
والذب بالنفس والمال واللسان فيتفاوت الناس فيه بحسب تفاوتهم في حب الله ولو كان الحب مقصورا على حظ ينال
من المحبوب في الحال والمآل لما تصور حب الموتى من العلماء والعباد ومن الصحابة والتابعين بل من الانبياء المنقرضين صلوات الله عليهم
عليهم وحب جميعهم مكنون في قلب كل مسلم متدين ويتبين ذلك بغضبه عند طعن اعدائهم في واحد منهم وبفرحه عند
الثناء عليهم وذكر محاسنهم وكل ذلك حب لله لانهم خواص عباد الله ومن احب ملكا او شخصا جميلا احب خواصه وخدمه واحب
من احبه الا انه يمتحن الحب بالمقابلة بحظوظ النفس وقد يغلب بحيث لا يبقى للنفس حظ الا فيما هو حظ المحبوب وعنه عبر
قول من قال شعر: اريد وصاله ويريد هجري ... فاترك ما اريد لما يريد. وقول من قال: وما لجرح اذا ارضاكم الم
وقد يكون الحب بحيث يترك به بعض الحظوظ دون بعض كمن تسمح نفسه بان يشاطر محبوبه في نصف ماله او ثلثه او في عشره فمقادير
الاموال موازين المحبة اذ لا تعرف درجة المحبوب الا بمحبوب يترك في مقابلته فمن استغرق الحب جميع قلبه لم يبق له محبوب سواه فلا
يمسك لنفسه شيئا مثل ابي بكر الصديق رضي الله عنه فانه لم يترك لاهله اهلا ولا مالا فسلم ابنته التي هي قرة عينه وبذل
جميع ماله قال ابن عمر بينما النبي صلى الله عليه وسلم جالس وعنده ابو بكر الصديق رضي الله عنه عليه عباءة قد خللها على
صدره بخلال اذ جاء جبريل عليه السلام وعليه عباءة قد خللها على صدره بخلال فاقرأه من الله السلام وقال له يا رسول الله

عنده

يا رسول الله ما لي ارى ابا بكر عليه عباءة قد خللها على صدره بخلال فقال انفق ماله علي قبل الفتح فقال له فاقرأه من الله السلام
وقل له يقول لك ربك اراض انت عني في فقرك هذا ام ساخط قال فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم الى ابي بكر وقال يا ابا بكر
هذا جبريل يقرئك من الله السلام ويقول اراض انت عني في فقرك هذا ام ساخط فبكى ابو بكر وقال اعلى ربي اسخط انا عن ربي
راض انا عن ربي راض فحصل من هذا ان كل من احب عالما او عابدا او احب شخصا راغبا في عبادة او علم او في خير فانما احبه في
الله ولله وله فيه من الاجر والثواب بقدر قوة حبه فهذا شرح الحب في الله ودرجاته وبهذا يتضح البغض في الله ولكنا نزيد بيانا

بيان البغض في الله. اعلم ان كل من يحب في الله لابد ان يبغض في الله فانك ان احببت انسانا لانه مطيع لله و
محبوب عند الله فان عصاه فلابد ان تبغضه لانه عاص لله وممقوت عند الله ومن احب بسبب فبالضرورة يبغض لضده وهذان متلازمان
لا ينفصل احدهما عن الآخر وهو مطرد في الحب والبغض في العادات ولكن كل واحد من الحب والبغض دفين في القلب وانما يترشح
عند الغلبة ويترشح بظهور افعال المحبين والمبغضين في المقاربة والمباعدة وفي المخالفة والموافقة فاذا ظهر في الفعل سمي
موالاة ومعاداة ولذلك قال الله تعالى هل واليت في وليا وهل عاديت في عدوا كما نقلناه وهذا واضح في حق من لم يظهر لك الا طاعته اذ تقدر
على ان تحبه او لم يظهر لك الا فسقه وفجوره واخلاقه السيئة فتقدر على ان تبغضه وانما المشكل اذا اختلط الطاعات بالمعاصي
فانك تقول كيف اجمع بين البغض والمحبة فانهما متناقضان ولذلك تتناقض ثمرتهما من الموافقة والمخالفة والموالاة والمعاداة
فاقول ذلك غير متناقض في حق الله تعالى كما لا يتناقض في الحظوظ البشرية فانه مهما اجتمع في شخص واحد خصال يحب
بعضها ويكره بعضها فانك تحبه من وجه وتبغضه من وجه ويكون معه على حالة بين حالتين اذ لو فرض ثلاثة اولاد احدها ذكي
بار والآخر بليد عاق والآخر بليد بار او ذكي عاق فانه يصادف نفسه معهم على ثلاثة احوال متفاوتة بحسب تفاوت خصالهم
فكذلك ينبغي ان تكون حالك بالاضافة الى من غلب عليه الفجور ومن غلبت عليه الطاعة ومن اجتمع فيه كلاهما متفاوتة على ثلاث
مراتب وذلك بان تعطي كل صفة حظها من البغض والحب والاعراض والاقبال والصحبة والقطيعة وسائر الافعال الصادرة منه
فان قلت فكل مسلم فاسلامه طاعة منه فكيف ابغضه مع الاسلام فاقول تحبه لاسلامه وتبغضه لفسقه ومعصيته
وتكون معه على حالة لو قستها بحال كافر وفاجر ادركت تفرقة بينهما وتلك التفرقة حب للاسلام وقضاء لحقه وقدر الجناية
على حق الله والطاعة له كالجناية على حقك والطاعة لك فمن وافقك على غرض وخالفك في آخر فتكون معه على حالة متوسطة
بين الانقباض والاسترسال وبين الاقبال والاعراض وبين التودد اليه والتوحش منه فلا تبالغ في اكرامه مبالغتك في اكرام من
يوافقك على جميع اغراضك ولا تبالغ في اهانته مبالغتك في من خالفك في جميع اغراضك ثم ذلك التوسط تارة يكون ميله الى
طرف الاهانة عند غلبة الجناية وتارة الى طرف المجاملة والاكرام عند غلبة الموافقة فهكذا ينبغي ان تكون فيمن يطيع الله تعالى
ويعصيه ويتعرض لرضاه مرة ولسخطه اخرى فان قلت فبماذا يمكن اظهار البغض فاقول اما في القول فبكف اللسان عن
مكالمته ومحادثته مرة وبالاستخفاف والتغليظ في القول اخرى واما في الفعل فبقطع السعي في اعانته وبالسعي في اساءته وافساد
مآربه اخرى وبعض هذا اشد من بعض وهو بحسب درجات الفسق والمعصية الصادرة منه اما ما يجري مجرى الهفوة التي يعلم انه
متندم عليها ولا يصر عليها فالاولى فيه الاغماض والستر واما ما يصر عليها من صغيرة او كبيرة فان كان ممن تأكدت بينك وبينه
مودة وصحبة فله حكم آخر سيأتي وفيه خلاف بين العلماء واما اذا لم تتأكد اخوة او صحبة فلابد من اظهار اثر البغض اما في الاعراض
والتباعد عنه وقلة الالتفات اليه واما في الاستخفاف وتغليظ القول عليه وهذا اشد من الاعراض وهو بحسب غلظ المعصية و

ومن له زوجة حسناء فاجرة او ولد ذكي خدوم ولكنه فاسق فانه يحبه من وجه ويبغضه من وجه ه

وكذلك في الفعل ايضاً رتبتان احدهما قطع المعونة والرفق والنصرة عنه وهو اقل الدرجات والاخرى السعي في افساد
اغراضه عليه كفعل الاعداء المبغضين وهذا لابد منه ولكن فيما يفسد عليه المعصية واما ما لا يؤثر فيه فلا مثاله رجل
عصى الله تعالى بشرب الخمر وقد خطب امرأة لو تيسر له نكاحها لكان مغبوطاً فيها بالمال والجمال والجاه الا ان ذلك لا يؤثر
في منعه من شرب الخمر ولا في بعث وتحريض عليه فاذا قدرت على اعانته فيما يتم له مقصوده وقدرت على تشويشه ليفوته غرضه فليس
لك السعي في تشويشه واما الاعانة فلو تركتها اظهاراً للغضب عليه في فسقه فلا باس وليس يجب تركها اذ ربما يكون لك نية
في ان تتلطف باعانته واظهار الشفقة عليه ليعتقد مودتك ويقبل نصحك فهذا حسن وان لم يظهر لك ذلك ولكن رايت ان
تعينه على غرضه قضاء لحق اسلامه فذلك ليس بممنوع بل هو الاحسن ان كانت معصيته بالجناية على حقك او حق من يتعلق بك
وفيه نزل قوله تعالى ولا يأتل اولوا الفضل منكم والسعة الى قوله تعالى الا تحبون ان يغفر الله لكم اذ تكلم مسطح بن اثاثة في واقعة
الافك فحلف ابو بكر رضي الله عنه ان يقطع عنه رفقه وقد كان يواسيه بالمال فنزلت هذه الآية واية معصية تزيد على التعرض لحرم
رسول الله صلى الله عليه وسلم واطالة اللسان في مثل عائشة رضي الله عنها الا ان الصديق كان كالمجني عليه بنفسه بتلك الواقعة
والعفو عمن ظلم والاحسان الى من اساء من اخلاق الصديقين وانما يحسن الاحسان الى من ظلمك واما من ظلم غيرك وعصى الله فلا
يحسن الاحسان اليه لان في الاحسان الى الظالم اساءة الى المظلوم وحق المظلوم اولى بالمراعاة وتقوية قلبه بالاعراض عن الظالم
احب الى الله من تقوية قلب الظالم فاما اذا كنت انت المظلوم فالاحسن في حقك العفو والصفح وطرق السلف رضي الله عنهم
قد اختلفت في اظهار البغض مع اهل المعاصي وكلهم اتفقوا على اظهار البغض مع الظلمة والمبتدعة وكل من عصى الله تعالى بمعصية
متعدية منه الى غيره فاما من عصى الله بنفسه فمنهم من نظر بعين الرحمة الى العصاة كلهم ومنهم من شدد الانكار واختار المهاجرة
فقد كان احمد بن حنبل يهجر الاكابر في ادنى كلمة حتى هجر يحيى بن معين في قوله اني لا اسأل شيئاً احداً ولو حمل السلطان الي شيئاً اخذته وهجر
الحارث المحاسبي في تصنيفه في الرد على المعتزلة انك توردوا شبههم وتحمل الناس على التفكر فيها ثم ترد عليهم وهجر ابا ثور في
تاويله قوله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم على صورته وهذا امر يختلف باختلاف النية وتختلف النية باختلاف الحال فان كان
الغالب على القلب النظر الى اضطرار الخلق وعجزهم وانهم مسخرون لما قدروا له اورث هذا تساهلاً في المعاداة والبغض وله وجه
يلتبس به المداهنة فاكثر البواعث على الاغضاء على المعاصي المداهنة ومراعاة القلوب والخوف من وحشتها ونفارها وقد يلبس الشيطان
ذلك على الغبي الاحمق بانه نظر بعين الرحمة ومحك ذلك ان ينظر اليه بعين الرحمة ان جنى على خاص حقه ويقول انه قد سخر له و
القدر لا ينفع منه الحذر وكيف لا يفعله وقد كتب عليه فمثل هذا قد يصح له نية في الاغماض عن الجناية على حق الله وان كان
يغتاظ عند الجناية على حقه ويترحم عند الجناية على حق الله فهو مداهن مغرور بمكيدة من مكايد الشيطان فليتنبه فان قلت
فاقل الدرجات في اظهار البغض الهجر والاعراض وقطع الرفق والاعانة فهل يجب ذلك حتى يعصي العبد بتركه فاقول لا يدخل
ذلك في ظاهر العلم تحت التكليف والايجاب فانا نعلم ان الذين شربوا الخمر وتعاطوا الفواحش في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم
والصحابة ما كانوا يهجرون بالكلية بل كانوا منقسمين فيهم الى من يغلظ القول ويظهر البغض والى من يعرض عنه ولا يتعرض له و
الى من ينظر اليه بعين الرحمة ولا يؤثر المقاطعة والتباعد فهذه دقائق دينية تختلف فيها طرق السالكين لطريق الآخرة ويكون
عمل كل واحد على ما يقتضيه حاله ووقته ومقتضى الاحوال في هذه الامور اما مكروهة او مندوبة فيكون في رتبة الفضائل
ولا تنتهي الى التحريم والايجاب فان الداخل تحت التكليف اصل المعرفة لله واصل الحب وذلك لا يتعدى من المحبوب الى غيره

الى غيره وانما المتعدي افراط الحب واستيلاؤه وذلك لا يدخل في الفتوى تحت ظاهر التكليف في حق عوام الخلق اصلاً
الذين يبغضون في الله وكيفية معاملتهم فان قلت اظهار العداوة والبغض بالفعل ان لم يكن واجباً فلا
شك انه مندوب اليه والعصاة والفساق على مراتب مختلفة فكيف ينال الفضل بمعاملتهم وهل يسلك بجميعهم مسلكاً واحداً
اولا فاعلم ان المخالف لامر الله لا يخلو اما ان يكون مخالفاً في عقده او في عمله والمخالف اما مبتدع او كافر والمبتدع اما داع
الى بدعته او ساكت اما بعجزه او باختياره فاقسام الفساد في الاعتقاد ثلاثة الاول الكفر والكافر ان كان محارباً فهو
مستحق للقتل والارقاق وليس بعد هذين الامرين اهانة واما الذمي فانه لا يجوز ايذاؤه الا بالاعراض عنه والتحقير له بالاضطرار
الى اضيق الطرق وترك المفاتحة بالسلام فاذا قال السلام عليك قال وعليك والاولى الكف عن مخالطته ومعاملته ومواكلته
فاما الانبساط معه والاسترسال اليه كما يسترسل الى الاصدقاء فهو مكروه كراهة شديدة يكاد ينتهي ما يقوى منه الى حد التحريم
قال الله تعالى لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله الآية وقال تعالى يا ايها الذين آمنوا
لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء الآية وقال صلى الله عليه وسلم المؤمن والمشرك لا تتراءى ناراهما الثاني
المبتدع الذي يدعو الى بدعته فان كانت البدعة بحيث يكفر بها فامره اشد من الذمي لانه لا يقر بجزية ولا يسامح بعقد ذمة و
ان كان ممن لا يكفر به فامره بينه وبين الله اخف من امر الكافر لا محالة ولكن الامر في الانكار عليه اشد منه على الكافر لان شر
الكافر غير متعد فان المسلمين اعتقدوا كفره فلا يلتفتون الى قوله اذ لا يدعي لنفسه الاسلام واعتقاد الحق اما المبتدع الذي يدعو
الى البدعة ويزعم ان ما يدعو اليه حق فهو سبب لغواية الخلق فشره متعد فالاستحباب في اظهار بغضه ومعاداته والانقطاع
عنه وتحقيره والتشنيع عليه ببدعته وتنفير الناس عنه اشد وان سلم في خلوة فلا باس برد جوابه وان علم ان الاعراض عنه والسكوت
عن جوابه يقبح في نفسه بدعته ويؤثر في زجره فترك الجواب اولى لان جواب السلام وان كان واجباً فيسقط بادنى غرض حتى يسقط
بكون الانسان في الحمام او في قضاء حاجته وغرض الزجر اهم من هذه الاغراض وان كان في ملأ فترك الجواب اولى تنفيراً للناس وتقبيحاً
للبدعة في اعينهم وكذلك الاولى كف الاحسان والاعانة عنه لا سيما فيما يظهر للخلق قال عليه السلام من انتهر صاحب بدعة
ملأ الله قلبه امناً وايماناً ومن اهان صاحب بدعة آمنه الله يوم الفزع الاكبر ومن الان له واكرمه او لقيه ببشر فقد
استخف بما انزل الله على محمد الثالث المبتدع العامي الذي لا يقدر على الدعوة ولا يخاف الاقتداء به فامره اهون فالاولى ان
لا يفاتح بالتغليظ والاهانة بل يتلطف به في النصح فان قلوب العوام سريعة التقلب فان لم ينفع النصح وكان في الاعراض
عنه تقبيح لبدعته في عينه تاكد الاستحباب في الاعراض وان علم ان ذلك لا يؤثر فيه لجمود طبعه ورسوخ عقده في قلبه فالاعراض
اولى لان البدعة اذا لم يبالغ في تقبيحها شاعت بين الخلق وعم فسادها واما العاصي بفعله وعمله لا باعتقاده فلا يخلو اما
ان كان يتأذى به غيره كالظلم والغصب وشهادة الزور والغيبة والتضريب بين الناس والمشي بالنميمة وامثالها او كان مما
لا يقتصر عليه ويؤذي غيره وذلك ينقسم الى ما يدعو غيره الى الفساد كصاحب الماخور الذي يجمع بين الرجال والنساء ويهيئ
اسباب الشرب والفساد لاهل الفساد او لا يدعو غيره الى فعله كالذي يشرب او يزني وهذا الذي لا يدعو غيره اما ان يكون
عصيانه بكبيرة او صغيرة واما ان يكون مصراً عليه او غير مصر عليه فهذه التقسيمات يتحصل منها ثلاثة اقسام ولكل قسم
منها رتبة وبعضها اشد من بعض ولا يسلك بالكل مسلكاً واحداً القسم الاول وهو اشدها ما يتضرر به الناس
كالظلم والغصب وشهادة الزور والغيبة والنميمة فهؤلاء الاولى الاعراض عنهم وترك مخالطتهم والانقباض عن معاملتهم

لان المعصية شديدة فيما يرجع الى ايذاء الخلق ثم هؤلاء ينقسمون الى من يظلم في الدماء والى من يظلم في الاموال والى من يظلم في الاعراض
وبعضها اشد من بعض والاستحباب في اهانتهم والاعراض عنهم مؤكد جدا ومهما كان يتوقع من الاهانة زجرهم او زجر غيرهم كان
الامر فيه آكد واشد الثاني صاحب الماخور وهو الذي يهيئ اسباب الفساد ويسهل طريقه على الخلق فهذا لا يؤذي الخلق
في دنياهم ولكنه يختل بفعله دينهم فان كان على وفق رضاهم فهو قريب من الاول ولكنه اخف منه فان المعصية بين العبد وبين الله
الى العفو اقرب ولكنه من حيث انه متعد على الجملة الى غيره فهو شديد وهذا ايضا يقتضي الاهانة والاعراض والمقاطعة
وترك جواب السلام اذا ظن ان فيه نوعا من الزجر له او لغيره الثالث الذي يفسق في نفسه بشرب خمر او ترك واجب او
مقارفة محظور يخصه فالامر فيه اخف ولكنه في وقت مباشرته ان صودف يجب منعه بما يمتنع منه ولو بالضرب والاستخفاف
فان النهي عن المنكر واجب فاذا فرغ منه وعلم ان ذلك من عادته وهو مصر عليه فان تحقق ان نصحه يمنعه عن العود وجب النصح
وان لم يتحقق ولكنه كان يرجو فالافضل النصح والزجر بالتلطف او بالتغليظ ان كان هو الانفع فاما الاعراض عن جواب سلامه
والكف عن مخالطته حيث يعلم انه مصر وان النصح ليس ينفعه فهذا فيه نظر وسير العلماء فيه مختلفة والصحيح ان ذلك يختلف باختلاف
نية الرجل فعند هذا يقال الاعمال بالنيات اذ في الرفق والنظر بعين الرحمة الى الخلق نوع من التواضع وفي العنف والاعراض
نوع من الزجر والمستفتي فيه القلب فما يراه اميل الى هواه ومقتضى طبعه فالاولى ضده اذ قد يكون استخفافه وعنفه عن
كبر وعجب والتذاذ باظهار العلو والادلال بالصلاح وقد يكون رفقه عن مداهنة واستمالة قلب للوصول به الى غرض
او لخوف من تأثير وحشته ونفرته في جاه او مال بظن قريب او بعيد وكل ذلك متردد على اشارات الشيطان وبعيد عن اعمال اهل
الآخرة فكل راغب في اعمال الدين مجتهد مع نفسه في التفتيش عن هذه الدقائق ومراقبة هذه الاحوال والقلب هو المفتي فيه
وقد يصيب الحق في اجتهاده وقد يخطئ وقد يقدم على اتباع هواه وهو عالم به وقد يقدم وهو بحكم الغرور ظان انه عامل
لله وسالك طريق الآخرة وسيأتي بيان هذه الدقائق في كتاب الغرور من ربع المهلكات ويدل على تخفيف الامر في الفسق القاصر
الذي هو بين العبد وبين الله ما روي ان شارب خمر ضرب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يعود فقال
واحد من الصحابة لعنه الله ما اكثر ما يشرب فقال عليه الصلوة والسلام لا تكونوا عونا للشيطان على اخيك او لفظا هذا معناه وكان
هذا اشارة الى ان الرفق اولى من العنف والتغليظ

بيان الصفات المشروطة فيمن تختار صحبته

اعلم انه لا يصلح
للصحبة كل انسان قال النبي صلى الله عليه وسلم المرء على دين خليله فلينظر احدكم من يخالل فلا بد ان يتميز بخصال وصفات يرغب
بسببها في صحبته وتشترط تلك الخصال بحسب الفوائد المطلوبة من الصحبة اذ معنى الشرط ما لا بد منه للوصول الى المقصود فبالاضافة الى
المقصود تظهر الشروط ويطلب من الصحبة فوائد دينية ودنيوية اما الدنيوية فكالانتفاع بالمال او الجاه او مجرد الاستئناس
بالمشاهدة والمجاورة وليس ذلك من غرضنا اما الدينية فيجتمع فيها اغراض مختلفة اذ منها الاستفادة من العلم والعمل ومنها
الاستفادة من الجاه تحصنا به عن ايذاء من يشوش القلب ويصد عن العبادة ومنها استفادة المال للاكتفاء به عن تضييع الاوقات
في طلب القوت ومنها الاستعانة في المهمات ليكون عدة في المصائب وقوة في الاحوال ومنها التبرك بمجرد الدعاء ومنها انتظار
الشفاعة في الآخرة وقد قال بعض السلف استكثروا من الاخوان فان لكل مؤمن شفاعة فلعلك تدخل في شفاعة اخيك وروي
في غريب التفسير في قوله تعالى ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله قال يشفعهم في اخوانهم فيدخلهم الجنة
معهم وقال اذا غفر للعبد شفع في اخوانه ولذلك حث جماعة من السلف على الصحبة والالفة والمخالطة وكرهوا العزلة والانفراد

والانفراد فهذه فوائد تستدعي كل فائدة شروطا لا تحصل الا بها ولا يخفى تفصيلها اما على الجملة فينبغي ان يكون فيمن
تؤثر صحبته خمس خصال ان يكون عاقلا حسن الخلق غير فاسق ولا مبتدع ولا حريص على الدنيا اما العقل فهو رأس المال وهو
الاصل فلا خير في صحبة الاحمق فالى الوحشة والقطيعة ترجع عاقبتها وان طالت قال علي رضي الله عنه
فلا تصحب اخا الجهل وإياك وإياه * فكم من جاهل اردى حليما حين آخاه * يقاس المرء بالمرء اذا ما هو ماشاه * وللشيء من الشيء مقاييس واشباه
وللقلب الى القلب دليل حين يلقاه كيف والاحمق قد يضرك وهو يريد نفعك واعانتك من حيث لا يدري ولذلك قال
الشاعر * اني لآمن من عدو عاقل * واخاف خلا يعتريه جنون * فالعقل فن واحد وطريقه * ادري فارصد والجنون فنون
ولذلك قيل مقاطعة الاحمق قربان الى الله وقال الثوري النظر الى وجه الاحمق خطيئة مكتوبة ونعني بالعاقل الذي يفهم الامور
على ما هي عليه اما بنفسه واما اذا فهم علم واما حسن الخلق فلا بد منه اذ رب عاقل يدرك الاشياء على ما هي عليه ولكن اذا كان
تغلبه شهوة او غضب او بخل او جبن اطاع هواه وخالف ما هو المعلوم عنده لعجزه عن قهر صفاته وتقويم اخلاقه فلا خير في صحبته
واما الفاسق المصر على الفسق فلا فائدة في صحبته لان من يخاف الله لا يصر على كبيرة ومن لا يخاف الله لا تؤمن غائلته ولا يوثق بصداقته
بل يتغير بتغير الاغراض وقد قال الله تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وخالف ما هو المعلوم عند العجز عن قهر
صفاته وتقويم اخلاقه وقال تعالى ولا يصدنك عنها من لا يؤمن بها وقال فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا وقال
واتبع سبيل من اناب الي وفي مفهوم ذلك زجر عن الفاسق واما المبتدع ففي صحبته خطر سراية البدعة وتعدي شؤمها اليه
فالمبتدع مستحق للهجرة والمقاطعة فكيف تؤثر صحبته وقال عمر رضي الله عنه في الحث على طلب التدين في الصديق فيما
رواه سعيد بن المسيب قال عليك باخوان الصدق تعش في اكنافهم فانهم زينة في الرخاء وعدة في البلاء وضع امر اخيك
على احسنه حتى يجيئك ما يغلبك منه واعتزل عدوك واحذر صديقك الا الامين ولا امين الا من خشي الله تعالى ولا تصحب الفاجر
فتتعلم من فجوره ولا تطلعه على سرك واستشر في امرك الذين يخشون الله تعالى واما حسن الخلق فقد جمعه علقمة العطاردي في
وصيته لابنه لما حضرته الوفاة قال يا بني ان عرضت لك الى صحبة الرجال حاجة فاصحب من اذا خدمته صانك وان
صحبته زانك وان قعدت بك مؤنة مانك اصحب من اذا مددت يدك بخير مدها وان رأى منك حسنة عدها وان رأى
منك سيئة سدها اصحب من اذا سألته اعطاك وان سكت ابتداك وان نزلت بك نازلة واساك اصحب من اذا قلت صدق
قولك وان حاولت امرا امرك وان تنازعتما آثرك فكأنه جمع بهذا الكلام جميع حقوق الصحبة وشرط ان يكون قائما
بجميعها قال ابن اكثم قال المأمون فاين هذا فقيل له تدري لم اوصاه بذلك قال لا قال لانه اراد ان لا يصحب احدا وقال بعض الادباء
لا تصحب من الناس الا من يكتم سرك ويستر عيبك ويكون معك في النوائب ويؤثرك بالرغائب وينشر حسنتك ويطوي سيئتك
فان لم تجده فلا تصحب الا نفسك وقال علي رضي الله عنه رجزا * ان اخاك الحق من كان معك * ومن يضر نفسه لينفعك
ومن اذا ريب الزمان صدعك * شتت فيك شمله ليجمعك * وقال بعض العلماء لا تصحب الا احد رجلين رجل تتعلم منه شيئا من امر دينك
فينفعك او رجل تعلمه شيئا من امر دينه فيقبل منك والثالث فاهرب منه وقال بعضهم الناس اربعة فواحد حلو كله
فلا يشبع منه وآخر مر كله فلا يؤكل منه وآخر فيه حموضة فخذ من هذا قبل ان يأخذ منك وآخر فيه ملوحة فخذ منه وقت
الحاجة فقط وقال جعفر الصادق لا تصحب خمسة الكذاب فانك منه على غرور وهو مثل السراب يقرب منك البعيد ويبعد
عنك القريب والاحمق فانك لست منه على شيء يريد ان ينفعك فيضرك والبخيل فانه يقطع بك احوج ما يكون اليه والجبان

والجبان فانه يسلمك ويخلص نفسه عند الشدة والفاسق فانه يبيعك باكلة او اقل منها فقيل وما اقل منها قال الطمع فيها ثم لا ينالها وقال الجنيد لان يصحبني فاسق حسن الخلق احب الى من ان يصحبني قارئ سيئ الخلق وقال ابن ابي الحوارى قال لي استاذي ابو سليمان لا تصحب الا احد رجلين رجلا ترتفق به في دنياك او رجلا تزيد معه وتنتفع به في اخرتك والاشتغال بغير هذين حمق كبير وقال سهل بن عبد الله اجتنب صحبة ثلاثة من اصناف الناس الجبابرة الغافلين والقراء المداهنين والمتصوفة الجاهلين واعلم ان هذه الكلمات اكثرها غير محيطة بجميع اغراض الصحبة والمحيط ما ذكرناه من ملاحظة المقاصد ومراعاة الشروط بالاضافة اليها فليس ما يشترط للصحبة لمقاصد الدنيا مشروطا للصحبة في الآخرة والاخوة كما قاله بشر الاخوان ثلاثة اخ لآخرتك واخ لدنياك واخ لتأنس به وقلما يجتمع هذه المقاصد في واحد بل تفرق على جمع فتفرق الشروط فيهم لا محالة وقد قال المامون الاخوان ثلاثة احدهم مثله مثل الغذاء لا تستغنى عنه والاخر مثله مثل الدواء يحتاج اليه في وقت دون وقت والثالث مثله مثل الداء لا يحتاج اليه قط ولكن العبد قد يبتلى به وهو الذي لا انس فيه ولا نفع وقد قيل مثل جملة الناس مثل الشجر والنبات فمنه ما له ظل وليس له ثمرة وهو مثل الذي ينتفع في الدنيا دون الآخرة فان نفع الدنيا كالظل السريع الزوال ومنه ما له ثمرة وليس له ظل وهو مثل الذي يصلح للآخرة دون الدنيا ومنه ما له ثمرة وظل جميعا ومنه ما ليس له واحد منهما كام غيلان تمزق الثياب لا طعم فيه ولا شراب ومثاله من الحيوانات الفارة والعقرب كما قال تعالى يدعو لمن ضره اقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير وقال الشاعر

الناس شتى اذا ما انت ذقتهم ... لا يستوون كما لا يستوى الشجر

هذا له ثمر حلو مذاقته ... وذاك ليس له طعم ولا ثمر

فاذا من لم يجد رفيقا يواخيه ويستفيد به احد هذه المقاصد فالوحدة اولى به وقال ابو ذر الوحدة خير من جليس السوء والجليس الصالح خير من الوحدة واما الديانة وعدم الفسق فقد قال الله تعالى واتبع سبيل من اناب الي ولان مشاهدة الفسق والفساق يهون امر المعصية على القلب ويبطل نفرة القلب عنها قال سعيد بن المسيب لا تنظروا الى الظلمة الا بالانكار من قلوبكم لئلا تحبط اعمالكم الصالحة بل هولاء لا سلامة في مخالطتهم وانما السلامة في الانقطاع عنهم قال الله تعالى واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما اي سلامة والالف بدل من الهاء ومعناه انا سلمنا من اثمكم وانتم سلمتم من شرنا فهذا ما اردنا ان نذكره من معاني الاخوة وشروطها وفوائدها فلنبدأ في ذكر حقوقها ولوازمها وطرق القيام بحقها واما الحريص على الدنيا فصحبته سم قاتل لان الطباع مجبولة على التشبه والاقتداء بل الطبع يسرق من الطبع من حيث لا يدرى صاحبه فمجالسة الحريص تحرك الحرص ومجالسة الزاهد تزهد في الدنيا فلذلك يكره صحبة طلاب الدنيا ويستحب صحبة الراغبين عنها قال علي رضي الله عنه احيوا الطاعات بمجالسة من يستحيا منه قال احمد بن حنبل ما اوقعني في بلية الا صحبة من لا احتشم وقال لقمن لابنه يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك بان القلوب تحيى بالحكمة كما تحيى الميتة بوابل المطر ه ه ه

الباب الثاني في حقوق الاخوة والصحبة

اعلم ان عقد الاخوة رابطة بين الشخصين كعقد النكاح بين الزوجين وكما يقتضي النكاح حقوقا يجب الوفاء بها قياما بحق النكاح كما سبق ذكره في كتاب آداب النكاح فكذا عقد الاخوة فلاخيك عليك حق في المال وفي النفس وفي اللسان وفي القلب بالعفو وبالدعاء وبالاخلاص والوفاء وبالتخفيف وترك التكليف والتكلف وذلك يجمعه ثمان جمل الاول الحق في المال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الاخوين مثل اليدين يغسل احديهما الاخرى وانما شبههما باليدين لا باليد والرجل لانهما يتعاونان على غرض واحد فكذا الاخوان انما تتم اخوتهما اذا توافقا في مقصد واحد فهما من وجه كالشخص الواحد وهذا يقتضي المساهمة في السراء والضراء والمشاركة في

في الحال والمآل وارتفاع الاختصاص والاستيثار والمواساة بالمال مع الاخوة على ثلاث مراتب ادناها ان تنزله منزلة عبدك وخادمك فتقوم بحاجته من فضلة مالك فاذا سنحت له حاجة وكانت عندك فضلة على حاجتك اعطيته ابتداء ولم تحوجه الى السوال فان احوجته الى السوال فهو غاية التقصير في حق الاخوة الثانية ان تنزله منزلة نفسك وترضى من مشاركته اياك في مالك وتنزله منزلتك حتى تسمح بمشاطرته على المال قال الحسن كان احدهم يشق ازاره بينه وبين اخيه الثالثة وهي العليا ان توثره على نفسك وتقدم حاجته على حاجتك وهذه رتبة الصديقين ومنتهى درجة المتحابين ومن ثمار هذه الرتبة الايثار بالنفس ايضا كما روي انه سعي بجماعة من الصوفية الى بعض الخلفاء فامر بضرب رقابهم وفيهم ابو الحسين النوري فبادر الى السياف ليكون اول مقتول فقيل له في ذلك فقال احببت ان اوثر اخواني بالحيوة في هذه اللحظة فكان ذلك سبب نجاتهم في حكاية طويلة فان لم تصادف نفسك في رتبة من هذه الرتب مع اخيك فاعلم ان عقد الاخوة لم ينعقد بعد في الباطن وانما الجاري بينكما مخالطة رسمية لا وقع لها في العقل والدين فقد قال ميمون بن مهران من رضي من الاخوان بترك الافضال فليواخ اهل القبور واما الدرجة الدنيا وليست مرضية عند ذوي الدين روي ان عتبة الغلام جاء الى منزل رجل قد كان آخاه فقال احتاج من مالك الى اربعة الاف فقال خذ الفين فاعرض عنه وقال آثرت الدنيا على الله اما استحييت ان تدعي الاخوة في الله وتقول هذا ومن كان في الدرجة الدنيا من الاخوة ينبغي ان لا تعامله في الدنيا قال ابو حازم اذا كان لك اخ في الله فلا تعامله في امور دنياك وانما اراد به من في هذه الرتبة واما الرتبة العليا فهي التي وصف الله المؤمنين بها في قوله تعالى وامرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون اي كانوا خلطاء في الاموال لا يميز بعضهم رحله عن بعض وكان فيهم من لا يصحب من قال نعلي لانه اضافه الى نفسه وجاء فتح الموصلي الى منزل اخ له وكان غائبا فامر اهله فاخرجت صندوقه فاخرج حاجته فاخبرت الجارية مولاها فقال ان صدقت فانت حرة لوجه الله سرورا بما فعل وجاء رجل الى ابي هريرة وقال اني اريد ان اواخيك في الله فقال اتدري ما حق الاخاء قال عرفني قال ان لا تكون احق بدينارك ودرهمك مني فقال لم ابلغ هذه المنزلة بعد قال فاذهب عني قال علي بن الحسين رضي الله عنهما لرجل هل يدخل احدكم يده في كم اخيه او كيسه فياخذ منه ما يريد من غير اذن قال لا قال فلستم باخوان ودخل قوم على الحسن رضي الله عنه فقالوا يا ابا سعيد اصليت قال نعم قالوا فان اهل السوق لم يصلوا بعد قال ومن ياخذ دينه من اهل السوق بلغني ان احدهم يمنع اخاه الدرهم قاله كالمتعجب منه وجاء رجل الى ابرهيم بن ادهم وهو يريد بيت المقدس فقال له اني اريد ان ارافقك فقال له ابرهيم على ان اكون املك لشيك منك قال لا قال اعجبني صدقك وكان ابرهيم بن ادهم اذا رافقه رجل لم يخالفه وكان لا يصحب الا من يوافقه وصحبه رجل شراك فاهدى رجل الى ابرهيم في بعض المنازل قصعة من ثريد ففتح جراب رفيقه واخذ حزمة من شراك فجعلها في القصعة وردها الى صاحب الهدية فلما جاء رفيقه قال اين الشراك قال ذلك الثريد الذي اكلته ايش كان قال كنت تعطيه شراكين او ثلاثة فقال اسمح يسمح لك واعطى مرة حمارا كان لرفيقه بغير اذنه رجلا رآه راجلا فلما جاء رفيقه سكت ولم يكره ذلك وقال ابن عمر رضي الله عنهما اهدي لرجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم راس شاة فقال اخي فلان احوج مني اليه فبعث به اليه فبعثه ذلك الانسان الى اخر فلم يزل يبعث به واحد الى اخر حتى رجع الى الاول بعد ان تداوله سبعة وروي ان مسروقا ادان دينا ثقيلا وكان على اخيه خيثمة دين قال فذهب مسروق فقضى دين خيثمة وهو لا يعلم وذهب خيثمة فقضى دين مسروق وهو لا يعلم ولما آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع

اثره بالمال على النفس فقال سعد بارك الله لك فيهما فآثره بما آثره به فكانه قبله ثم آثره به وذلك مساواة والبداية ايثار
والايثار افضل من المساواة وقال ابو سليمان الداراني لو ان الدنيا كلها لي فجعلتها في فم اخ من اخواني لاستقللتها له وقال
ايضا اني لالقم لقمة اخا من اخواني فاجد طعمها في حلقي ولما كان الانفاق على الاخوان افضل من الصدقات على الفقراء قال
علي رضي الله عنه لعشرون درهما اعطيها اخي في الله احب الي من ان اتصدق بمائة درهم على المساكين وقال ايضا لان اصنع
صاعا من طعام واجمع عليه اخواني في الله احب الي من ان اعتق رقبة واقتدا الكل في الايثار برسول الله صلى الله عليه و
سلم فانه دخل غيضة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض اصحابه فاجتنى منها سواكين احدهما معوج والاخر مستقيم فدفع
المستقيم الى صاحبه فقال له يا رسول الله انت احق بالمستقيم مني فقال ما من صاحب يصحب صاحبا ولو ساعة من نهار الا عن
صحبته هل اقام فيها حق الله او اضاعه فاشار بهذا الى ان الايثار هو القيام بحق الله في الصحبة وخرج رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى بئر يغتسل ثم جلس حذيفة ليغتسل فتناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الثوب وقام يستر حذيفة من الناس فابى حذيفة
وقال بابي انت وامي يا رسول الله لا تفعل فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان يستره بالثوب حتى اغتسل وقال صلى الله
عليه وسلم ما اصطحب اثنان قط الا كان احبهما الى الله ارفقهما لصاحبه وروي ان مالك بن دينار ومحمد بن واسع دخلا
منزل الحسن وكان غائبا فاخرج محمد بن واسع سلة فيها طعام من تحت سرير البيت فجعل ياكل فقال له مالك كف يدك حتى يجيء
صاحب البيت فلم يلتفت محمد الى قوله واقبل على الاكل وكان ابسط منه واحسن خلقا فدخل الحسن فقال يا مويلك هكذا
كنا لا يحتشم بعضنا عن بعض حتى ظهرت انت واصحابك واشار بهذا الى ان الانبساط في بيوت الاخوان من الصفا في الاخوة كيف
وقد قال تعالى او صديقكم وقال او ما ملكتم مفاتحه اذ كان الاخ يدفع مفتاح الى اخيه ويفوض اليه التصرف كما يريد وكان
يتحرج عن الاكل بحكم التقوى حتى انزل الله تعالى هذه الآية واذن لهم في الانبساط في طعام الاخوان والاصدقاء ٥ الحق
الثاني في الاعانة بالنفس في قضاء الحاجات والقيام بها قبل السؤال وتقديمها على الحاجات الخاصة وهذه ايضا
لها درجات كما للمواساة بالمال فادناها القيام بالحاجة عند السؤال والقدرة ولكن مع البشاشة والاستبشار واظهار
الفرح وقبول المنة قال بعضهم اذا استقضيت اخاك الحاجة فلم يقضها فذكره ثانية فلعله ان يكون قد نسي فان لم يقضها
فكبر عليه واقرأ هذه الآية والموتى يبعثهم الله وقضى ابن شبرمة لبعض اخوانه حاجة كبيرة فجاء بهدية فقال ما هذا فقال
لما اسديته الي فقال خذ مالك عافاك الله اذا سألت اخاك حاجة فلم يجهد نفسه في قضائها فتوضأ للصلوة وكبر عليه
اربع تكبيرات وعده من الموتى وقال جعفر بن محمد اني لاتسارع الى حاجة قضاء اعدائي مخافة ان اردهم فيستغنوا عني هذا
في الاعداء فكيف في الاصدقاء وكان في السلف من يتفقد عيال اخيه واولاده بعد موته اربعين سنة يقوم بحاجاتهم ويتردد
كل يوم ويمونهم عياله فكانوا لا يفقدون من ابيهم الا عينه بل كانوا يرون منه ما لم يروه من ابيهم في حيوته وكان الواحد منهم
يتردد الى باب دار اخيه ويسأل ويقول هل لكم زيت هل لكم ملح هل لكم حاجة وكانوا يقومون بها من حيث لا يعرفه اخوه وبهذا
يظهر الشفقة والاخوة اذا لم يتم الشفقة حتى يشفق على اخيه كما يشفق على نفسه فلا خير فيها قال ميمون بن مهران من لم ينتفع
بصداقته لم يضرك عداوته وقال صلى الله عليه وسلم ان لله اواني في ارضه وهي القلوب فاحب الاواني الى الله
اصفاها واصلبها وارقها اصفاها من الذنوب واصلبها في الدين وارقها على الاخوان وبالجملة ينبغي ان يكون حاجة
اخيك مثل حاجتك وان يكون متفقدا لاوقات الحاجة غير غافل عن احواله كما لا يغفل عن احوال نفسك وتغنيه عن

عندها فامسك حذيفة بن اليمان الثوب على
رسول الله صلى الله عليه وسلم وستره حتى اغتسل صح

عن السؤال واظهار الحاجة الى استعانة بل تقوم بحاجته كانك لا تدري انك قمت بها ولا ترى لنفسك حقا بسبب
قيامك بل تتقلد منة بقبوله سعيك في حقه وقيامك بامره ولا ينبغي ان تقتصر على قضاء الحاجة بل تجتهد في البداية
بالاكرام في الزيارة والايثار والتقديم على الاقارب والولد وكان الحسن يقول اخواننا احب الينا من اهلينا واولادنا
لان اهلينا يذكروننا بالدنيا واخواننا يذكروننا بالآخرة وقال الحسن من شيع اخاه في الله بعث الله ملائكة من تحت
عرشه يوم القيمة يشيعونه الى الجنة وفي الاثر ما زار رجل اخاه في الله شوقا الى لقائه الا ناداه ملك من خلفه طبت وطابت
لك الجنة وقال عطاء تفقدوا اخوانكم بعد ثلاث فان كانوا مرضى فعودوهم او مشاغيل فاعينوهم او كانوا نسوا فذكروهم و
روي ان ابن عمر كان يلتفت يمينا وشمالا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله فقال احببت رجلا فانا اطلبه
ولا اراه فقال اذا احببت احدا فسأله عن اسمه واسم ابيه وعن منزله فان كان مريضا عدته وان كان مشغولا اعنته وفي رواية
عن اسم جده وعشيرته وقال الشعبي في الرجل يجالس الرجل فيقول اعرف وجهه ولا اعرف اسمه تلك معرفة النوكى وقيل لابن
عباس من احب الناس اليك قال جليسي وقال ما اختلف رجل الى مجلسي ثلاثا من غير حاجة الي فعلمت ما مكافاته من الدنيا
وقال سعيد بن العاص لجليسي علي ثلاث اذا دنا رحبت به واذا حدث اقبلت عليه واذا جلس اوسعت له وقد قال تعالى رحماء
بينهم اشارة الى الشفقة والاكرام ومن تمام الشفقة ان لا ينفرد بطعام لذيذ او لحضور في مسرة دونه بل يتنغص لفراقه
ويستوحش بانفراده عن اخيه ٥ الحق الثالث على اللسان بالسكوت مرة وبالنطق اخرى اما السكوت فهو ان يسكت عن
ذكر عيوبه في حضرته وغيبته بل يتجاهل عنه ويسكت عن الرد عليه فيما يتكلم به فلا يماريه ولا ينافسه وان يسكت عن التجسس و
السؤال عن احواله واذا رآه في طريق او حاجة ولم يفاتحه بذكر غرضه ومصدره ومورده فلا يسأله عنه فربما يثقل عليه
ذكره او يحتاج الى ان يكذب فيه وان يسكت عن اسراره التي بثها اليه فلا يبثها الى غيره البتة ولا الى اخص اصدقائه ولا
يكشف شيئا منها ولو بعد القطيعة والوحشة فان ذلك من لؤم الطبع وخبث الباطن وان يسكت عن القدح في احبابه واهله
وولده وان يسكت عن حكاية قدح غيره فيه فان الذي سبك من بلغك قال انس رضي الله عنه كان النبي صلى الله عليه وسلم
لا يواجه احدا بشيء يكرهه والتأذي يحصل اولا من المبلغ ثم من القائل نعم لا ينبغي ان يخفي ما يسمع من الثناء عليه فان السرور به
يحصل للمبلغ للمدح كما يحصل من القائل واخفاء ذلك من الحسد وبالجملة فليسكت عن كل كلام يكرهه جملة وتفصيلا الا اذا وجب
عليه النطق في امر بمعروف او نهي عن منكر ولم يجد رخصة في السكوت فاذ ذاك لا يبالي بكراهيته فان ذلك احسان اليه في التحقيق
وان كان يظن انه اساءة في الظاهر اما ذكر مساويه وعيوبه ومساوي اهله وهو من الغيبة وذلك حرام في حق كل مسلم ويزجرك عنه
امران احدهما ان تطالع احوال نفسك فان وجدت فيها شيئا واحدا مذموما فهون نفسك ما تراه من اخيك وقدر انه عاجز
عن قهر نفسه في تلك الخصلة الواحدة كما انك عاجز فيما انت مبتلى به فلا تستثقله بخصلة واحدة مذمومة فاي الرجال المهذب
وكل ما لا تصادفه من نفسك في حق الله فلا تنتظره من اخيك في حق نفسك فليس حقك عليه باكثر من حق الله عليك ٥
والامر الثاني انك تعلم انك ان طلبت منزها عن كل عيب اعتزلت عن الخلق كافة ولم تجد من تصاحبه اصلا فما من الناس
احد الا وله محاسن ومساوي فاذا غلبت المحاسن المساوي فهو الغاية والمنتهى فالمؤمن الكريم ابدا يحضر في نفسه محاسن اخيه
لينبعث من قلبه التوقير والود والاحترام اما المنافق اللئيم فانه ابدا يلاحظ المساوي والعيوب قال ابن المبارك المؤمن
يطلب المعاذير والمنافق يطلب العثرات وقال الفضيل الفتوة الصفح عن زلات الاخوان ولذلك قال صلى الله عليه وسلم

استعيذوا بالله من جار السوء الذي ان رأى خيرا ستره وان رأى شرا اظهره وما من شخص الا ويمكن تحسين حاله بخصال فيه ويمكن تقبيحه ايضا روي ان رجلا اثنى على رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان من الغد ذمه فقال عليه السلم انت بالامس تثني عليه واليوم تذمه فقال والله لقد صدقت عليه بالامس وما كذبت عليه اليوم انه ارضاني بالامس فقلت احسن ما علمت فيه واغضبني اليوم فقلت اقبح ما علمت فيه فقال صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا وكانه كره ذلك فشبهه بالسحر ولذلك قال في خبر آخر البذاء والبيان شعبتان من النفاق وفي حديث آخر ان الله يكره لكم البيان كل البيان ولذلك قال الشافعي رضي الله عنه ما يطيع الله فلا يعصيه ولا يعصي الله فلا يطيعه فمن كانت طاعته اغلب من معاصيه فهو عدل واذا جعل مثل هذا عدلا في حق الله فبان تراه عدلا في حق نفسك ومقتضى اخوتك اولى وكما يجب عليك السكوت بلسانك عن مساويه يجب عليك السكوت بقلبك وذلك بترك اساءة الظن فسوء الظن غيبة بالقلب وهو منهي عنه وحده ان لا تحمل فعله على وجه فاسد ما امكن ان تحمله على وجه حسن فاما ما انكشف بيقين ومشاهدة فلا يمكنك ان لا تعلمه وعليك ان تحمل ما تشاهده على سهو ونسيان ان امكن وهذا الظن ينقسم الى ما يسمى تفرسا وهو الذي يستند الى علامة فان ذلك يحرك الظن تحريكا ضروريا لا يقدر على دفعه والى ما منشؤه سوء اعتقادك فيه حتى يصدر منه فعل له وجهان فيحملك سوء الاعتقاد على ان تنزله على الوجه الاردى من غير علامة تخصه وذلك جناية عليه بالباطن وذلك حرام في حق كل مؤمن اذ قال صلى الله عليه وسلم ان الله قد حرم من المؤمن دمه وماله وعرضه وان يظن به ظن السوء وقال اياكم والظن فان الظن اكذب الحديث وسوء الظن يدعو الى التجسس والتحسس وقال صلى الله عليه وسلم لا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تقاطعوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا والتجسس في تطلع الاخبار والتحسس بالمراقبة بالعين فستر العيوب والتجاهل والتغافل عنها شيمة اهل الدين ويكفيك تنبيها على كمال الرتبة في ستر القبيح واظهار الجميل هو المرضي عند الله من تخلق باخلاقه فانه ستار للعيوب وغفار للذنوب ومتجاوز عن العبيد فكيف لا تتجاوز انت عمن هو مثلك او فوقك وما هو بكل حال عبدك ولا مخلوقك وقد قال عيسى عليه السلم كيف تصنعون اذا رأيتم اخاكم نائما وقد كشفت الريح ثوبه قالوا نستره ونغطيه قال بل تكشفون عورته قالوا سبحان الله من يفعل هذا فقال احدكم يسمع في اخيه بالكلمة فيزيد عليها ويشيعها باعظم منها واعلم انه لا يتم ايمان المرء ما لم يحب لاخيه ما يحب لنفسه واقل درجات الاخوة ان يعامل اخاه بما يحب ان يعامله به ولا شك في انه ينتظر منه ستر العورة والسكوت على المساوي والعيوب ولو ظهر له نقيض ما ينتظره لاشتد عليه غيظه وغضبه فما ابعده اذا كان ينتظره ما لم يضمره له ولا يعزم لاجله وويل له في نص كتاب الله حيث قال ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون فكل من يلتمس من الانصاف اكثر مما يسمح به نفسه فهو داخل تحت مقتضى هذه الآية ومنشأ التقصير في ستر العورة او السعي في كشفها الداء الدفين في الباطن وهو الحقد والحسد فان الحقود الحسود يملأ باطنه بالخبث ولكن يحبسه في باطنه ويخفيه ولا يبديه مهما لم يجد مجالا واذا وجد فرصة انحلت الرابطة وارتفع الحياء ويترشح الباطن بخبثه الدفين ومهما انطوى الباطن على حقد وحسد فالانقطاع اولى قال بعض الحكماء ظاهر العتاب خير من مكنون الحقد ولا يزيد لطف الحقود الا وحشة منه ومن في قلبه سخيمة على مسلم فايمانه ضعيف وامره مخطر وقلبه خبيث لا يصلح للقاء الله وقد روى عبد الرحمن بن جبير عن ابيه انه قال كنت باليمن ولي جار يهودي يخبرني عن التوراة فقدم علي اليهودي من سفر فقلت ان الله قد بعث فينا نبيا فدعانا الى الاسلام فاسلمنا وقد انزل علينا كتابا مصدقا للتوراة فقال اليهودي صدقت ولكنكم لا تستطيعون ان تقيموا بما جاءكم به

احد من المسلمين م

وانا نجد نعته ونعت امته انه لا يحل لامرئ ان يخرج من عتبة بابه وفي قلبه سخيمة على اخيه المسلم ومن ذلك ان يسكت عن افشاء سره الذي استودعه وله ان ينكره وان كان كاذبا فليس الصدق واجبا في كل مقام فانه كما يجوز للرجل ان يخفي عيوب نفسه واسراره وان احتاج الى الكذب فله ان يفعل ذلك في حق اخيه فان اخاه نازل منزلته وهما كشخص واحد لا يختلفان الا بالبدن هذه حقيقة الاخوة وكذلك لا يكون بالعمل بين يديه مرائيا وخارجا عن اعمال السر الى اعمال العلانية فان معرفة اخيه بعمله كمعرفته بنفسه من غير فرق وقد قال صلى الله عليه وسلم من ستر عورة اخيه ستره الله في الدنيا والآخرة وفي خبر آخر فكانما احيا موؤدة وقال صلى الله عليه وسلم اذا حدث الرجل بحديث ثم التفت فهو امانة وقال المجالس بالامانة الا ثلاث مجالس مجلس يسفك فيه دم حرام ومجلس يستحل فيه فرج حرام ومجلس يستحل فيه مال من غير حله وقال انما يتجالس المتجالسان بالامانة لا يحل لاحدهما ان يفشي على صاحبه ما يكره وقيل لبعض الادباء كيف حفظك للسر قال انا قبره وقد قيل صدور الاحرار قبور الاسرار وقيل ان قلب الاحمق في فيه ولسان العاقل في قلبه اي لا يستطيع الاحمق اخفاء ما في قلبه فيبديه من حيث لا يدري فمن هذا يجب مقاطعة الحمقى والتوقي عن صحبتهم بل عن مشاهدتهم وقد قيل لآخر كيف تحفظ السر فقال اجحد المخبر واحلف للمستخبر وقال آخر استره واستر اني استره وعبر عنه ابن المعتز فقال

ومستودعي سرا تبوأت كتمه — فاودعته صدري فصار له قبرا

وقال آخر واراد الزيادة عليه

وما السر في صدري كثاو بقبره — لاني ارى المقبور ينتظر النشرا
ولكنني انساه حتى كانني — بما كان منه لم احط ساعة خبرا
ولو جاز كتم السر بيني وبينه — عن السر والاحشاء لم يعلم السرا

وقال العباس لابنه عبد الله رضي الله عنهما وافشى بعضهم سرا له الى اخيه ثم قال له حفظت فقال بل نسيت وكان ابو سعيد الثوري يقول اذا اردت ان تؤاخي رجلا فاغضبه ثم دس عليه من يسأله عنك وعن اسرارك فان قال خيرا فاصحبه وقيل لابي يزيد من تصحب من الناس قال من يعلم منك ما يعلم الله ثم يستر عليك كما يستر الله وقال ذو النون لا خير في صحبة من لا يحب ان يراك الا معصوما ومن افشى السر عند الغضب فهو اللئيم لان اخفاءه عند الرضا تقتضيه الطباع السليمة كلها وقد قال بعض الحكماء لا تصحب من يتغير عليك عند اربع عند غضبه ورضاه وعند طمعه وهواه بل ينبغي ان يكون صدق الاخوة ثابتا على اختلاف هذه الاحوال ولذلك قيل

وترى الكريم اذا تصرم وصله — يخفي القبيح ويظهر الاحسانا
وترى اللئيم اذا تقضى وصله — يخفي الجميل ويظهر البهتانا

وقال العباس لابنه عبد الله رضي الله عنهما اني ارى هذا الرجل يعني عمر رضي الله عنه يقدمك على الاشياخ فاحفظ عني خمسا لا تفشين له سرا ولا تغتابن عنده احدا ولا تجرين عليه كذبا ولا تعصين له امرا ولا يطلعن منك على خيانة فقال الشعبي كل كلمة من هذه الخمس خير من الف ومن ذلك السكوت عن المماراة والمدافعة في كل ما يتكلم به اخوك قال ابن عباس لا تمار سفيها فيؤذيك ولا حليما فيقليك وقال صلى الله عليه وسلم من ترك المراء وهو مبطل بني له بيت في ربض الجنة ومن تركه وهو محق بني له بيت في اعلى الجنة هذا مع ان تركه مبطلا واجب وقد جعل ثواب المحق اعظم لان السكوت على الحق اشد على النفس من السكوت على الباطل وانما الاجر على قدر النصب واشد الاسباب لاثارة الحقد بين الاخوان المماراة والمنافسة فانها عين التدابر والتقاطع فان التقاطع يقع اولا بالآراء ثم بالاقوال ثم بالابدان وقد قال صلى الله عليه وسلم لا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله اخوانا المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يحرمه ولا يخذله بحسب المرء من الشر ان يحقر اخاه المسلم واشد الاسباب المماراة فان من رد على غيره كلامه فقد نسبه الى الجهل والحمق او الى الغفلة والسهو عن فهم الشيء

على ما هو عليه وكل ذلك استحقار وايغار للصدر وايحاش وفي حديث ابي امامة الباهلي قال خرج علينا رسول الله صلى الله
عليه وسلم ونحن نتمارى فغضب فقال ذروا المراء لقلة خيره ذروا المراء فان نفعه قليل وانه يهيج العداوة بين الاخوان
وقال بعض السلف من لاحى الاخوان وماراهم قلت مروته وذهبت كرامته وقال عبد الله بن الحسن اياك ومماراة الرجال
فانك لن تعدم مكر حليم او مفاجاة لئيم وقال بعض السلف اعجز الناس من قصر في طلب الاخوان واعجز منه من ضيع من ظفر
به منهم وكثرة المماراة توجب التضييع والقطيعة وتورث العداوة وقال الحسن لا تشتر عداوة رجل بمودة الف رجل وبالجملة
فلا باعث على المماراة الا اظهار التمييز بمزيد العقل والفضل واحتقار المردود عليه باظهار جهله وهذا يشتمل على التكبر
والاحتقار والايذاء والشتم بالحمق والجهل ولا معنى للعداوة الا هذا فكيف تضامه الاخوة والمصافاة وقد روى ابن عباس رضي الله عنهما
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا تمار اخاك ولا تمازحه ولا تعده موعدا فتخلفه وقد قال صلى الله عليه وسلم وقد قال
صلى الله عليه وسلم انكم لا تسعون الناس باموالكم ولكن ليسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق والمماراة مضادة لحسن الخلق وقد
انتهى السلف في الحذر عن المماراة الى حد لم يروا السؤال ايضا وقالوا اذا قلت لاخيك قم فقال الى اين فلا تصحبه بل ينبغي ان يقوم
ولا يسال قال ابو سليمان الداراني كان لي اخ بالعراق وكنت اجيئه في النوائب فاقول اعطني من مالك شيئا وكان يلقي الي كيسه فآخذ
منه ما اريد فجئته ذات يوم فقلت احتاج الى شيء فقال كم تريد فخرجت حلاوة اخائه من قلبي وقال آخر اذا طلبت من اخيك مالا
فقال ماذا تصنع به فقد ترك حق الاخاء ثم اعلم ان قوام الاخوة بالموافقة في الكلام والفعل والشفقة وقال ابو عثمن الحيري
موافقة الاخوان خير من الشفقة عليهم وهو كما قال

الحق الثالث على اللسان بالنطق فان الاخوة كما تقتضي السكوت
على المكاره تقتضي النطق ايضا بالمحاب بل هو اخص بالاخوة لان من قنع بالسكوت صحب اهل القبور وانما تراد الاخوان ليستفاد منهم
لا ليتخلص عن اذاهم والسكوت معناه كف الاذى فعليه ان يتودد اليه بلسانه ويتفقده في احواله التي يحب ان يتفقد فيها كالسؤال
عن عارض ان عرض له واظهار شغل القلب بسببه واستبطاء العافية عنه وكذا جملة احواله التي يكرهها ينبغي ان يظهر
بلسانه وافعاله كراهتها وجملة احواله التي يسر بها ينبغي ان يظهر بلسانه مشاركته له في السرور بها فمعنى الاخوة المساهمة
في السراء والضراء وقال صلى الله عليه وسلم اذا احب احدكم اخاه فليخبره وانما امر بالاخبار لان ذلك يوجب زيادة حب فان عرف
انك تحبه احبك بالطبع لا محالة فاذا عرفت انه يحبك ايضا زاد حبك لا محالة فلا يزال الحب يتزايد من الجانبين ويتضاعف
والتحاب بين المؤمنين مطلوب في الشرع ومحبوب في الدين ولذلك علم فيه الطريق فقال تهادوا تحابوا ومن ذلك ان يدعوه باحب
اسمائه اليه في غيبته وحضوره قال عمر رضي الله عنه ثلاث يصفين لك ود اخيك ان تسلم عليه اذا لقيته اولا
وتوسع له في المجلس وتدعوه باحب اسمائه اليه ومن ذلك ان تثني عليه بما تعرف من محاسن احواله عند من يؤثر الثناء
عنده فان ذلك من اعظم الاسباب في جلب المحبة وكذلك الثناء على اولاده واهله وصنعته وفعله حتى على عقله وخلقه
وهيئته وخطه وشعره وتصنيفه وجميع ما يفرح به وذلك من غير كذب وافراط ولكن تحسين ما يقبل التحسين ما
لا بد منه وآكد من ذلك ان تبلغه ثناء من اثنى عليه مع اظهار الفرح به فان اخفاء ذلك محض الحسد ومن ذلك ان تشكره
على صنيعه في حقك بل على نيته وان لم يتم ذلك قال علي رضي الله عنه من لم يحمد اخاه على حسن النية لم يحمده على حسن
الصنيعة واعظم من ذلك تاثيرا في جلب المحبة الذب عنه في غيبته مهما قصد بسوء او تعرض لعرضه بكلام صريح او
تعريض فحق الاخوة التشمر في الحماية والنصرة وتبكيت المتعنت وتغليظ القول عليه فالسكوت عن ذلك موغر للصدر

فى م

للصدر ومنفر للقلب وتقصير في حق الاخوة وانما شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم الاخوين باليدين تغسل احداهما
الاخرى لينصر احدهما الاخر وينوب عنه وقد قال صلى الله عليه وسلم المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يسلمه وهذا
من الاسلام والخذلان فان اهماله لتمزيق عرضه كاهماله لتمزيق لحمه واخسس باخ يراك والكلاب تفترسك وتمزق لحمك وهو
ساكن لا تحركه الشفقة والحمية للدفع عنك وتمزيق الاعراض اشد على النفوس من تمزيق اللحوم ولذلك شبهه الله تعالى
باكل لحم الميتة فقال ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا والملك الذي يمثل في المنام ما تطالع الروح من اللوح المحفوظ
بالامثلة المحسوسة يمثل الغيبة باكل لحم الميتة حتى ان من يرى انه ياكل لحم الميتة فانه يغتاب الناس لان ذلك الملك في
تمثيله يراعي المشاركة والمناسبة بين الشيء وبين مثاله في المعنى الذي يجري من المثال مجرى الروح لا في ظاهر الصورة فاذا حماية
الاخوة بدفع ذم الاعداء وتعنت المتعنتين واجب في عقد الاخوة فقد قال مجاهد لا تذكر اخاك في غيبته الا كما تحب ان
يذكر في غيبتك فاذا لك فيه معياران احدهما ان تقدر ان الذي قيل فيه لو قيل فيك وكان اخوك حاضرا ما الذي كنت
تحب ان يقوله فيك اخوك فينبغي ان تعامل المتعرض لعرضه به والثاني ان تقدر انه حاضر من وراء جدار يستمع عليك ويظن
انك لا تعرف حضوره فما كان يتحرك في قلبك من النصرة له بمسمع منه ومرأى ينبغي ان يكون في مغيبه كذلك فقد قال بعضهم
ما ذكر اخ لي بغيب الا تصورته جالسا فقلت فيه ما يحب ان يسمعه لو حضر وقال آخر ما ذكر اخ لي الا تصورت نفسي في صورته
فقلت فيه مثل ما احب ان يقال في وهذا من صدق الاسلام وهو ان لا يرى لاخيه الا ما يراه لنفسه وقد نظر ابو الدرداء
الى ثورين يحرثان في فدان فوقف احدهما يحك جسمه فوقف الاخر فبكى وقال هكذا الاخوان في الله يعملان لله فاذا
وقف احدهما وافقه الاخر بالموافقة يتم الاخلاص ومن لم يكن مخلصا في اخائه فهو منافق والاخلاص استواء الغيب والشهادة
واللسان والقلب والسر والعلانية والجماعة والخلوة والاختلاف والتفاوت في شيء من ذلك مماذقة في المودة وهو دخل
في الدين ووليجة في طريق المؤمنين ومن لا يقدر من نفسه على هذا فالانقطاع والعزلة اولى به من المواخاة والمصاحبة فان
فان حق الصحبة ثقيل لا يطيقه الا محقق لا جرم اجره جزيل لا يناله الا موفق ولذلك قال صلى الله عليه وسلم احسن مجاورة من
جاورك تكن مسلما واحسن مصاحبة من صاحبك تكن مؤمنا فانظر كيف جعل الايمان جزاء الصحبة والاسلام جزاء الجوار والفضل
بين فضل الايمان وفضل الاسلام على حد الفرق بين المشقة في القيام بحق الجوار والقيام بحق الصحبة فان حق الصحبة يقتضي
حقوقا كثيرة في احوال متقاربة مترادفة بل على الدوام والجوار لا يقتضي الا حقوقا قريبة في اوقات متباعدة لا تدوم ومن ذلك
التعليم والنصيحة فليس حاجة اخيك الى العلم باقل من حاجته الى المال فان كنت غنيا بالعلم فعليك مواساته من فضلك وارشاده الى
كل ما ينفعه في الدين والدنيا فان علمته وارشدته فلم يعمل بمقتضى العلم فعليك نصحه وذلك بان تذكر آفات ذلك الفعل وفوائد
تركه وتخوفه بما يكرهه في الدنيا والاخرة لينزجر عنه وتنبهه على عيوبه وتقبح القبيح في عينه وتحسن الحسن وينبغي ان يكون
ذلك في سر لا يطلع عليه احد فما كان على الملا فهو توبيخ وفضيحة وما كان في السر فهو شفقة ونصيحة اذ قال صلى الله
عليه وسلم المؤمن مرآة المؤمن اي يرى منه ما لا يرى من نفسه فيستفيد المرء باخيه معرفة عيوب نفسه ولو انفرد لم يستفد
كما يستفيد بالمرآة الوقوف على عيوب صورته الظاهرة قال الشافعي رضي الله عنه من وعظ اخاه سرا فقد نصحه وزانه
ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه وقيل لمسعر اتحب من يخبرك بعيوبك فقال ان نصحني فيما بيني وبينه فنعم وان قرعني
في الملا فلا وقد صدق فان النصح على الملا افتضاح والله تعالى يعاتب المؤمن يوم القيامة تحت كنفه وفي ظل ستره فيواقفه على ذنوبه

صدق

شيئاً وقد يدفع كتاب عمله مختوماً الى الملائكة الذين يحفون به الى الجنة واذا قاربوا باب الجنة اعطاه الكتاب مختوماً ليقرأه واما اهل المقت فينادون على رؤس الاشهاد وتستنطق جوارحهم بفضائحهم فيزدادون بذلك خزياً وافتضاحاً ونعوذ بالله من الخزي يوم العرض الاكبر فالفرق بين التوبيخ والنصيحة بالاسرار والاعلان كما ان الفرق بين المداراة والمداهنة بالغرض الباعث على الاغضاء فان اغضيت لسلامة دينك ولما ترى فيه من اصلاح اخيك بالاغضاء فانت مدار وان اغضيت لحظ نفسك واجتلاب شهواتك وسلامة جاهك فانت مداهن وقال ذو النون لا تصحب مع الله الا بالموافقة ولا مع الخلق الا بالمناصحة ولا مع النفس الا بالمخالفة ولا مع الشيطان الا بالعداوة فان قلت اذا كان في ذكر العيوب وفيه ايحاش القلب فكيف يكون ذلك من حق الاخوة فاعلم ان الايحاش انما يحصل بذكر عيب يعلمه اخوك من نفسه فاما تنبيهه على ما لا يعلمه فهو عين الشفقة وهو استمالة القلوب اعني قلوب العقلاء واما الحمقى فلا يلتفت اليهم فان من ينبهك على فعل مذموم تعاطيته او صفة مذمومة اتصفت بها لتزكي نفسك عنها كان كمن ينبهك على حية او عقرب تحت ذيلك وقد همت باهلاكك فان كنت تكره ذلك فما اشد حمقك والصفات الذميمة حيات وعقارب وهي في الآخرة مهلكات فانها تلدغ القلوب والارواح والمها اشد مما يلدغ الظواهر والاجساد وهي مخلوقة من نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة ولذلك كان عمر رضي الله عنه يستهدي ذلك من اخوانه ويقول رحم الله امرأ اهدى الى اخيه عيوبه ولذلك قال لسلمان وقد قدم عليه ما الذي بلغك عني مما تكره فاستعفى فالح عليه فقال بلغني ان لك حلتين تلبس احداهما بالنهار والاخرى بالليل وبلغني انك جمعت بين ادامين في مائدة واحدة فقال عمر رضي الله عنه اما هذان فقد كفيتهما فهل بلغك غيرهما فقال لا وكتب حذيفة المرعشي الى يوسف بن اسباط بلغني انك بعت دينك بحبتين وقفت على صاحب لبن فقلت بكم هذا فقال بسدس فقلت له لا بل بثمن فقال هو لك وكان يعرفك اكشف عن راسك قناع الغافلين وانتبه من رقدة الموتى واعلم ان من قرأ القرآن ولم يستغن وآثر الدنيا لم يامن ان يكون بآيات الله من المستهزئين وقد وصف الله الكاذبين ببغضهم للناصحين اذ قال ولكن لا تحبون الناصحين وهذا في عيب هو غافل عنه فاما ما علمت انه يعلمه من نفسه فانما هو مقهور عليه من طبعه فلا ينبغي ان يكشف فيه ستره ان كان يخفيه وان كان يظهره فلا بد من التلطف في النصح مرة بالتعريض واخرى بالتصريح الى حد لا يؤدي الى الايحاش فان علمت ان النصح غير مؤثر فيه وانه مضطر من طبعه الى الاصرار عليه فالسكوت عنه اولى وهذا كله فيما يتعلق بمصالح اخيك في دينه ودنياه اما ما يتعلق بتقصيره في حقك فالواجب فيه الاحتمال والعفو والصفح والتعامي عنه فالتعرض لذلك ليس من النصح في شيء نعم ان كان بحيث يؤدي استمراره عليه الى القطع فالعتاب في السر خير من القطيعة والتعريض خير من التصريح والمكاتبة خير من المشافهة والاحتمال خير من الكل اذ ينبغي ان يكون قصدك من اخيك اصلاح نفسك بمراعاتك اياه وقيامك بحقه واحتمالك تقصيره لا الاستعانة به والاسترفاق منه قال ابو بكر الكتاني صحبني رجل فكان على قلبي ثقيلاً فوهبت له يوماً شيئاً على ان يزول ما في قلبي وقال ابو علي الرباطي صحبت عبد الله الرازي وكان يدخل البادية فقال على ان تكون انت الامير او انا فقلت بل انت فقال وعليك الطاعة فاخذنا المطر ليلة فوقف على راسي الى الصباح وعليه كساء وانا جالس يمنع عني المطر فكنت اقول مع نفسي ليتني مت ولم اقل انت الامير

الحق الخامس العفو عن الزلات والهفوات وهفوة الصديق لا تخلو اما ان تكون بارتكاب معصية او في حقك بتقصيره في الاخوة اما ما يكون في الدين من ارتكاب معصية والاصرار عليها فعليه التلطف في نصحه بما يقيم اوده ويجمع شمله ويعيد الى الصلاح والورع حاله فان لم يقدر وبقي مصراً فقد اختلف طرق

في النصح

طرق الصحابة والتابعين في ادامة حق مودته او مقاطعته فذهب ابو ذر الى الانقطاع وقال اذا انقلب اخوك عما كان عليه فابغضه من حيث احببته ورأى ذلك من مقتضى الحب في الله اما ابو الدرداء وجماعة من الصحابة فذهبوا الى خلافه فقال ابو الدرداء اذا تغير اخوك وحال عما كان فلا تدعه لاجل ذلك فان اخاك يعوج مرة ويستقيم اخرى وقال ابراهيم النخعي لا تقطع اخاك ولا تهجره عند الذنب يذنبه فانه يرتكبه اليوم ويتركه غداً وقال ايضاً لا تحدثوا الناس بزلة العالم فان العالم يزل الزلة ثم يتركها وفي الخبر اتقوا زلة العالم ولا تقطعوه وانتظروا فيئته وفي حديث عمر رضي الله عنه وقد سأل عن اخ له كان آخاه فخرج الى الشام فسأل عنه بعض من قدم عليه وقال ما فعل اخي قال ذلك اخو الشيطان قال مه قال انه قارف الكبائر حتى وقع في الخمر قال اذا اردت الخروج فآذني فكتب عند خروجه اليه بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا اله الا هو اليه المصير ثم عاتبه بعد ذلك وعذله فلما قرأ الكتاب بكى وقال صدق الله ونصح لي عمر فتاب ورجع وحكي ان اخوين ابتلي احدهما بهوى فاظهر عليه لاخيه من هواه فطوى وقال اني قد اعتللت فان شئت ان لا تعقد على صحبتي لله فافعل فقال ما كنت لاحل عقد اخوتك لاجل خطيئتك ابداً ثم اعتقد اخوه بينه وبين الله تعالى ان لا ياكل ولا يشرب حتى يعافي الله اخاه من هواه فطوى اربعين يوماً في كلها يسأله عن هواه وكان يقول القلب مقيم على حاله وما زال هو من الجوع والغم حتى زال الهوى عن قلب اخيه بعد الاربعين فاخبره بذلك فاكل وشرب بعد ان كاد يتلف هزالاً وضراً وكذلك حكي عن اخوين من السلف انقلب احدهما عن الاستقامة فقيل لاخيه الا تقطعه وتهجره فقال احوج ما كان الي في هذا الوقت لما وقع في عثرته ان آخذ بيده واتلطف له في المعاتبة وادعو له بالعود الى ما كان عليه وروي في الاسرائيليات ان اخوين عابدين في جبل نزل احدهما ليشتري من المصر لحماً بدرهم فرأى بغية عند اللحام فرمقها فعشقها فواقعها ثم اقام عندها ثلاثاً واستحيا ان يرجع الى اخيه من جنايته فافتقده اخوه واهتم بشأنه فنزل الى المدينة فلم يزل يسأل عنه فدخل اليه وهو جالس معها فاعتنقه وجعل يقبله ويلزمه وانكر الآخر انه يعرفه لفرط الاستحياء منه فقال قم يا اخي فقد علمت شأنك وقصتك وما كنت احب الي قط ولا اعز من ساعتك هذه فلما رأى ان ذلك لم يسقطه عن عينه قام وانصرف معه فهذه طريقة قوم وهي الطف وافقه ومفارقة هذه المعصية من طريقة ابي ذر رضي الله عنه وطريقة ابي ذر احسن واسلم فان قلت ولم قلت هذا الطف وافقه ومقارفة هذه المعصية لا يجوز مواخاته ابتداء فيجب مقاطعته انتهاء لان الحكم اذا ثبت بعلة فالقياس ان يزول بزوالها وعلة عقد الاخوة التعاون في الدين ولا يستمر ذلك مع مقارفة المعصية فاقول اما كونه الطف فلما فيه من الرفق والاستمالة والتعطف المفضي الى الرجوع والتوبة لاستمرار الحياء عند دوام الصحبة ومهما قوطع وانقطع طمعه عن الصحبة اصر واستمر واما كونه افقه فمن حيث ان الاخوة عقد ينزل منزلة القرابة فاذا انعقدت تأكد الحق ووجب الوفاء بموجب العقد ومن الوفاء ان لا يهمل ايام حاجته وفقره وفقر الدين اشد من فقر المال وقد اصابته جائحة والمت به آفة افتقر بسببها في دينه فينبغي ان يراقب ويراعى ولا يهمل بل لا يزال يتلطف به ليعان على الخلاص من تلك الواقعة التي المت به فالاخوة عدة للنائبات وحوادث الزمان وهذا من اشد النوائب والفاجر اذا صحب تقياً وهو ينظر الى خوفه ومداومته فسيرجع على قرب ويستحيي من الاصرار بل الكسلان يصحب الحريص في العمل فيحرص حياء منه قال جعفر بن سليمان مهما فترت في العمل نظرت الى محمد بن واسع واقباله على الطاعة فيرجع نشاطي

الى العبادة وفارقني الكسل وعملت عليه اسبوعا وهذا التحقيق وهو ان الصداقة لحمة كلحمة النسب والقريب لا يجوز ان يهجر
بالمعصية ولذلك قال الله تعالى لنبيه في عشيرته فان عصوك فقل انى برئ مما تعملون ولم يقل انى برئ منكم مراعاة لحق القرابة و
لحمة النسب والى هذا اشار ابو الدرداء لما قيل له الا تبغض اخاك وقد فعل كذا فقال انما ابغض عمله والا فهو اخي واخوة الدين
اوكد من اخوة القرابة ولذلك قيل لحكيم ايما احب اليك اخوك او صديقك فقال انما احب اخي اذا كان صديقا وكان الحسن
يقول كم من اخ لم تلده امك ولذلك قيل القرابة تحتاج الى المودة والمودة لا تحتاج الى القرابة وقال جعفر بن الصادق مودة
يوم صلة ومودة شهر قرابة ومودة سنة رحم ماسة من قطعها قطعه الله فاذا الوفاء بعقد الاخوة اذا سبق انعقادها
واجب وهذا جوابنا عن ابتداء المواخاة والصحبة ابتداء ليس بمحذور ولا مكروه بل قال قائلون الانفراد اولى فاما قطع الاخوة في
دوامها فمنهي عنه ومذموم في نفسه ونسبته الى تركها ابتداء كنسبة الطلاق الى ترك النكاح والطلاق ابغض الى الله من ترك النكاح
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شرار امتي عباد الله المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الاحبة وقال بعض السلف في ستر زلات
الاخوان ود الشيطان ان يلقي على اخيكم مثل هذا حتى تهجروه وتقطعوه فماذا ابقيتم من محبة عدوكم وهذا لان التفريق بين الاحباب
من محاب الشيطان كما ان مقارفة العصيان من محابه فاذا حصل للشيطان احد غرضيه فلا ينبغي ان يضاف اليه الثاني والى هذا اشار
صلى الله عليه وسلم في الذي شتم الرجل الى فاحشة اذ قال مه وزبره لا تكونوا عونا للشيطان على اخيكم فبهذا يتبين الفرق بين الدوام
والابتداء لان مخالطة الفساق محذورة ومفارقة الاخوان والاحباب ايضا محذورة وليس من سلم عن معارضة غيره كالذي لم
يسلم وفي الابتداء قد سلم فرأينا ان المهاجرة والتباعد هو الاولى وفي الدوام تعارضا فكان الوفاء بحق الاخوة اولى هذا كله في
زلته في دينه اما زلته في حقه بما يوجب ايحاشه فلا خلاف ان الاولى العفو والاحتمال بل كل ما يحتمل تنزيله على وجه حسن
ويتصور تمهيد عذر فيه قريب او بعيد فهو واجب بحق الاخوة فقد قيل ينبغي ان تستنبط لزلة اخيك سبعين عذرا فان لم
يقبله قلبك فقل لقلبك ما اقساك يعتذر اليك اخوك بسبعين عذرا فلا تقبله فانت المعيب لا اخوك فان ظهر بحيث لم
يقبل التحسين فينبغي ان لا تغضب ان قدرت ولكن ذلك لا يمكن وقد قال الشافعي رضي الله عنه من استغضب فلم يغضب فهو
حمار ومن استرضي فلم يرض فهو شيطان فلا تكن حمارا ولا شيطانا واسترض قلبك بنفسك نيابة عن اخيك واحترز ان تكون
شيطانا ان لم تقبل قال الاحنف حق الصديق ان تحتمل منه ظلم الغضب وظلم الزلة وظلم الهفوة وقال آخر ما شتمت احدا قط
لانه ان شتمني كريم فانا احق من غفرها له او لئيم فلا اجعل عرضي له غرضا ثم تمثل وقال ※ واغفر عوراء الكريم ادخاره ※
واعرض عن ذات اللئيم تكرما ※ وقد قيل ※ خذ من خليلك ما صفا ※ ودع الذي فيه الكدر ※ فالعمر اقصر من معاتبة
الخليل على الغير ※ ومهما اعتذر اليك اخوك صادقا كان او كاذبا فاقبل عذره قال عليه الصلوة والسلم من اعتذر
اليه اخوه فلم يقبل عذره فعليه مثل اثم صاحب مكس وقد قال صلى الله عليه وسلم المؤمن سريع الغضب سريع الرضى فلم يصفه بانه
لا يغضب وكذلك قال الله تعالى والكاظمين الغيظ ولم يقل والفاقدين الغيظ وهذا لان العادة لا تنتهي الى ان يجرح الانسان
فلا يتألم بل تنتهي الى ان يصبر عليه ويحتمل وكما ان التألم بالجرح مقتضى طبع البدن فالتألم باسباب الغضب طبع القلب فلا يمكن قلعه
ولكن يمكنه ضبطه وكظمه والعمل بخلاف مقتضاه فانه يقتضي التشفي والانتقام والمكافاة وترك العمل بمقتضاه ممكن وقد
قال الشاعر ※ ولست بمستبق اخا لا تلمه ※ على شعث اي الرجال المهذب ※ وقال ابو سليمان لاحمد بن ابي الحواري اذا

مع الناس فانه لم يستقم له حقوق تقلبت له
قرابة فلا جرم لا ينبغي ان تقاطع بل يجامل والدليل عليه
ان ترك المواخاة

اذا واخيت احدا في هذا الزمان فلا تعاتبه على ما تكرهه فانك لا تأمن ان ترى في جوابك ما هو شر من الاول قال فجربته
فوجدته كذلك وقال بعضهم الصبر على مضض الاخ خير من معاتبته والمعاتبة خير من القطيعة والقطيعة خير من الوقيعة وينبغي
ان لا تبالغ في البغض عند الوقيعة قال الله تعالى عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة قال عليه السلم احبب
حبيبك هونا ما عسى ان يكون بغيضك يوما ما وابغض بغيضك هونا ما عسى ان يكون حبيبك يوما ما وقال عمر لا يكن حبك كلفا ولا
بغضك تلفا وهو ان تحب تلف صاحبك مع هلاكك ※ الحق السادس الدعاء للاخ في حيوته وبعد مماته بكل ما تحبه لنفسك
ولاهله وكل متعلق به فتدعو له كما تدعو لنفسك ولا تفرق بين نفسك وبينه فان دعاءك له دعاء لنفسك على التحقيق فقد قال صلى الله
عليه وسلم اذا دعا الرجل لاخيه بظهر الغيب قال الملك ولك مثل ذلك وفي لفظ آخر يقول الله تعالى بك ابدا وفي الحديث يستجاب
للرجل في اخيه ما لا يستجاب له في نفسه وفي الحديث دعوة الاخ لاخيه في الغيب لا ترد وكان ابو الدرداء يقول اني لادعو
لسبعين من اخواني في سجودي اسميهم باسمائهم وكان محمد بن يوسف الاصبهاني يقول واين مثل الاخ الصالح اهلك يقسمون
ميراثك ويتنعمون بما خلفت لهم وهو منفرد بحزنك مهتم بما قدمت يدعو لك في ظلمة الليل وانت تحت اطباق الثرى و
كان الاخ الصالح يقتدي بالملائكة اذ جاء في الخبر اذا مات العبد قال الناس ما خلف وقالت الملائكة ما قدم يفرحون بما قدم و
يسألون عنه ويشفقون عليه ويقال من بلغه موت اخيه فترحم عليه واستغفر له كتب له كانه شهد جنازته وصلى عليه وروي
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الميت في قبره مثل الغريق يتعلق بكل شيء ينتظر دعوة من ولد او والد او اخ او قريب وانه ليدخل
على قبور الاموات من دعاء الاحياء من الانوار مثل الجبال وقال بعض السلف الدعاء للاموات بمنزلة الهدايا للاحياء فيدخل الملك
على الميت معه طبق من نور عليه منديل من نور فيقول هذه هدية لك من عند اخيك فلان من عند قريبك فلان قال فيفرح بذلك
كما يفرح الحي بالهدية ※ الحق السابع الوفاء والاخلاص ومعنى الوفاء الثبات على الحب وادامته الى الموت معه وبعد الموت
مع اولاده واصدقائه فان الحب انما يراد للآخرة فان انقطع قبل الموت حبط العمل وضاع السعي ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
في السبعة الذين يظلهم الله تعالى تحت عرشه اخوين تحابا في الله عز وجل اجتمعا على ذلك وتفرقا وقال بعضهم قليل الوفاء بعد الوفاة
خير من كثيره في حال الحيوة ولذلك روي انه صلى الله عليه وسلم اكرم عجوزا دخلت عليه فقيل له في ذلك فقال انها كانت تأتينا
ايام خديجة وان كرم العهد من الدين فمن الوفاء مراعاة جميع اصدقائه واقاربه والمتعلقين به ومراعاتهم اوقع في قلب الصديق
من مراعاة الاخ في نفسه فان فرحه بتفقد من يتعلق به اكثر اذ لا يدل على قوة الشفقة والحب الا تعديهما من المحبوب الى كل ما
يتعلق به حتى الكلب الذي على باب داره ينبغي ان يميز في القلب عن سائر الكلاب ومهما انقطع الوفاء بدوام المحبة شمت به
الشيطان فانه لا يحسد متعاونين على بر كما يحسد متواخيين في الله ومتحابين فيه فانه يجهد نفسه لافساد ما بينهما قال الله تعالى
وقل لعبادي يقولوا التي هي احسن ان الشيطان ينزغ بينهم وقال مخبرا عن يوسف من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي و
يقال ما تواخى اثنان في الله فيفرق بينهما الا بذنب يرتكبه احدهما وكان بشر يقول اذا قصر العبد في طاعة الله تعالى سلبه الله من
كان يؤنسه وذلك لان الاخوان مسلاة للهموم وعون على الدين ولذلك قال ابن المبارك الذ الاشياء مجالسة الاخوان و
الانقلاب الى الكفاية والمودة الدائمة هي التي تكون في الله وما يكون لغرض يزول بزوال ذلك الغرض ومن ثمرات المودة
في الله ان لا تكون مع حسد في دين ولا دنيا وكيف يحسده وكل ما لاخيه فاليه يرجع فانه به وصف الله المحبين في الله

فقال ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ووجود الحاجة هو الحسد ومن الوفا ان لا يتغير حاله في التواضع
مع اخيه وان ارتفع شانه او اتسعت ولايته وعظم جاهه فالترفع على الاخوان بما يتجدد من الاحوال لوم قيل
إن الكرام اذا ما اسهلوا ذكروا ☙ من كان يألفهم في المنزل الخشن ☙ واوصى بعض السلف فقال يا بني لا تصحب الا من اذا افتقرت اليه
قرب منك وان استغنيت عنه لم يطمع فيك وان علت مرتبته لم يترفع عليك وقال بعض الحكما اذا ولي اخوك ولاية فثبت على
نصف مودته لك فهو كثير وحكى الربيع ان الشافعي رضي الله عنه آخى رجلا ببغداد ثم ان اخاه ولي الصيبين فتغير له عما كان
فكتب الشافعي رضي الله عنه اليه هذه الابيات ☙ ☙ ☙ اذهب فوادك من فوادي طالق ☙ ابدا وليس طلاق ذات البين
فان ارعويت فانها تطليقة ☙ ويدوم ودك لي على ثنتين ☙ وان امتنعت شفعتها بمثالها ☙ فيكون تطليقين في حيضين
فان الثلاث اتتك مني بتة ☙ لم يغن عنك ولاية الصيبين ☙ واعلم انه ليس من الوفا موافقة الاخ فيما يخالف الحق
في امر يتعلق بالدين بل من الوفا المخالفة فقد كان الشافعي رضي الله عنه آخى محمد بن عبد الحكم وكان يقربه ويقبل عليه و
يقول ما يقيمني بمصر غيره فاعتل محمد فعاده الشافعي فقال ☙ مرض الحبيب فعدته ☙ فمرضت من حذري عليه ☙
واتى الحبيب يعودني ☙ فبرئت من نظري اليه ☙ وظن الناس لصدق مودتهما انه يفوض امر حلقته بعد وفاته اليه فقيل
للشافعي رضي الله عنه في علته التي مات فيها الى من نجلس بعدك يا ابا عبد الله فاستشرف له محمد بن عبد الحكم وهو عند
راسه ليومي اليه فقال الشافعي سبحان الله ايشك في هذا ابو يعقوب البويطي فانكسر لها محمد ومال اصحابه الى البويطي مع ان
محمد كان قد حمل عنه مذهبه كله لكن كان البويطي افضل واقرب الى الزهد والورع فنصح الشافعي رضي الله عنه والمسلمين وترك
المداهنة ولم يؤثر رضى الخلق على رضى الله تعالى فلما توفي انقلب محمد بن عبد الحكم عن مذهبه ورجع الى مذهب ابيه ودرس كتب مالك
رحمه الله وهو من كبار اصحاب مالك وآثر البويطي الزهد والخمول ولم يعجبه الجمع والجلوس في الحلقة واشتغل بالعبادة و
صنف كتاب الامام الذي ينسب الى الربيع بن سليمان ويعرف به وانما صنفه البويطي ولكن لم يذكر نفسه فيه ولم ينسبه الى نفسه
فزاد الربيع فيه وتصرف واظهره والمقصود ان الوفا بالمحبة من تمامها قال الاحنف الاخا جوهرة رقيقة ان لم
تحرسها كانت معرضة للآفات فاحرسها بالكظم حتى تعتذر الى من ظلمك وبالرضى حتى لا تستكثر من نفسك الفضل ولا من
اخيك التقصير ومن آثار الصدق والاخلاص وتمام الوفا ان تكون شديد الجزع من المفارقة نفور الطبع من اسبابها كما قيل
☙ ☙ وجدت مصيبات الزمان جميعها ☙ سوى فرقة الاحباب هينة الخطب ☙ فانشد ابن عيينة هذا البيت وقال لقد
عهدت اقواما فارقتهم منذ ثلثين سنة ما يخيل الي ان حسرتهم ذهبت من قلبي ومن الوفا ان لا تسمع بلاغات الناس على
صديقه لا سيما من يظهر اولا انه محب لصديقه كيلا يتهم ثم يلقي الكلام عرضا وينقل عن الصديق ما يوغر القلب فذلك من دقائق
الحيل في التضريب ومن لا يحترز منه لم يدم مودته اصلا قال واحد لحكيم قد جئت خاطبا لمودتك فقال ان جعلت مهرها ثلاثا
فعلت قال وما هي قال ان لا تسمع علي بلاغة ولا تخالفني في امر ولا تعطيني عشوة ومن الوفا ان لا يصادق عدو صديقه قال
الشافعي رضي الله عنه اذا اطاع صديقك عدوك فقد اشتركا في عداوتك ☙ الحق الثامن التخفيف وترك التكلف و
التكليف وذلك بان لا يكلف اخاه ما يشق عليه بل يروح سره عن مهماته وحاجاته ويرفهه عن ان يحمله شيئا من اعبائه ولا
يستمد منه من مال ولا جاه ولا يكلفه التواضع له والتفقد لاحواله والقيام بحقوقه بل لا يقصد بمحبته الا الله تعالى

رضي الحاكي على ...

تبركا بدعائه واستيناسا بلقائه واستعانة به على دينه وتقربا الى الله بالقيام بحقوقه وتحمل مؤنته قال بعضهم من اقتضى
من اخوانه ما لم يقتضونه فقد ظلمهم ومن اقتضى منهم مثل ما يقتضونه فقد اتعبهم ومن لم يقتض فهو المتفضل عليهم قال بعض الحكما
من جعل نفسه عند الاخوان فوق قدره اثم واثموا ومن نفسه في قدره تعب واتعبهم ومن جعلها دون قدره سلم وسلموا
وتمام التخفيف بطي بساط التكليف حتى لا يستحي منه فيما لا يستحي من نفسه وقال الجنيد ما تواخى اثنان فاستوحش احدهما
احدهما من صاحبه او احتشم الا لعلة في احدهما وقال علي رضي الله عنه شر الاصدقاء من تكلف لك ومن احوجك الى مداراة
والجاتك الى اعتذار وقال الفضيل انما تقاطع الناس بالتكلف يزور احدهم اخاه فيتكلف له فيقطعه ذلك عنه وقالت
عايشة رضي الله عنها المومن اخو المومن لا يغتنمه ولا يحتشمه وقال الجنيد صحبت اربع طبقات من هذه الطائفة كل طبقة ثلثون
رجلا حارث المحاسبي وطبقته وحسن المسوحي وطبقته وسري السقطي وطبقته وابن الكريني وطبقته فما تواخى اثنان
في الله واحتشم احدهما من صاحبه او استوحش الا لعلة في احدهما وقيل لبعضهم من نصحب قال من يرفع عنك ثقل التكليف
ويسقط بينك وبينه مؤنة التحفظ وكان جعفر بن محمد يقول اثقل اخواني علي من يتكلف لي واتحفظ منه واخفهم على قلبي
من اكون معه كما اكون وحدي وقال بعض الصوفية لا تعاشر من الناس الا من لا تزيد عنده ببر ولا تنقص باثم يكون ذلك
لك وعليك وانت عنده سواء وانما قال هذا لان به يتخلص عن التكلف والتحفظ والا فالطبع يحمله على ان يتحفظ منه اذا
علم ان ذلك ينقصه عنده قال بعضهم كن مع ابناء الدنيا بالادب ومع ابناء الاخرة بالعلم ومع العارفين كيف شئت وقال اخر
لا تصحب الا من يتوب عنك اذا اذنبت ويعتذر عليك اذا اسات ويحمل عنك مؤنة نفسه فقائل هذا قد ضيق طريق الاخوة
على الناس وليس الامر كذلك بل ينبغي ان يواخي كل متدين عاقل ويعزم على ان يقوم بهذه الشروط حتى يكثر اخوانه اذ به يكون
مواخيا في الله والا كانت مواخاته لحظوظ نفسه فقط وكذلك قال رجل للجنيد قد عز الاخوان في هذا الزمان فاين اخ في الله
فاعرض الجنيد حتى اعاد ثلاثا فلما اكثر قال له الجنيد ان اردت اخا يكفيك مؤنتك ويتحمل اذاك فهذا لعمري قليل وان اردت
اخا في الله تحمل انت مؤنته وتصبر على اذاه فعندي جماعة اعرفهم لك فسكت الرجل واعلم ان الناس ثلاثة رجل
تنتفع به وتصحبه ورجل يقدر على ان تنفعه ولا تتضرر به ولكن لا تنتفع به ورجل لا تقدر ايضا على ان تنفعه وهو الاحمق او
السيء الخلق فهذا الثالث ينبغي ان يجتنب فاما الثاني فلا تجتنبه لانك تنتفع في الاخرة بدعائه وشفاعته وبثوابك
على القيام به وقد اوحى الله تعالى الى موسى ان اطعتني فما اكثر اخوانك وان واسيتهم واحتملت منهم [illegible] ولم تحسدهم
وقد قال بعضهم صحبت الناس منذ خمسين سنة فما وقع بيني وبينهم خلاف لاني كنت معهم على نفسي ومن هذا شيمته كثر
اخوانه ومن التخفيف وترك التكلف ان لا يعترض في نوافل العبادات كان طائفة من الصوفية يصطحبون على شرط المساواة
بين اربعة معان ان اكل احدهم النهار كله لم يقل له صاحبه صم وان صام الدهر كله لم يقل له افطر وان نام الليل كله لم يقل له
قم وان صلى الليل كله لم يقل له نم ويستوي حالاته بلا مزيد ولا نقصان لان ذلك تفاوت حرك الطبع الى الرياء والتحفظ
لا محالة وقد قيل من سقطت كلفته دامت الفته ومن خفت مؤنته دامت مودته وقال بعض الصحابة ان الله تعالى لعن المتكلفين
وقال صلى الله عليه وسلم انا والاتقياء من امتي برآء من التكلف وقال بعضهم اذا عمل الرجل في بيت اخيه اربع خصال فقد تم
انسه به اذا اكل عنده ودخل الخلاء ونام وصلى فذكر ذلك لبعض المشايخ فقال بقيت خامسة وهي ان يحضر بيت اخيه مع اهله

ويجامعها لان البيت يتخذ للاستخفا وهذه الامور الخمس والا فالمساجد اروح لقلوب المتعبدين فاذا فعل هذه الخمس فقد تم الاتحاد
وارتفعت الحشمة وتاكد الانبساط وقول العرب في تسليمهم يشير الى ذلك اذ يقول احدهم لصاحبه مرحبا واهلا وسهلا
اي لك عندنا مرحب وهو السعة في القلب والمكان ولك عندنا اهل تانس بهم بلا وحشة منا ولك علينا سهولة في
ذلك كله اي لا يشتد علينا ولا يتم التخفيف وترك التكلف الا بان يرى نفسه دون اخوانه ويحسن الظن بهم ويسيء الظن بنفسه فاذا
رآهم خيرا من نفسه فعند ذلك هو يكون خيرا منهم وقال ابو معوية الاسود اخواني كلهم خير مني قيل وكيف قال كلهم يرى الفضل لي
عليه ومن فضلني على نفسه فهو خير مني وقد قال صلى الله عليه وسلم المرء على دين خليله ولا خير في صحبة من لا يرى لك مثل ما ترى له
فهذه اقل الدرجات وهو النظر بعين المساواة والكمال في رؤية الفضل للاخ ولذلك قال سفيان اذا قيل لك يا شر الناس فغضبت
فانت شر الناس اي ينبغي ان يكون معتقدا ذلك في نفسه ابدا وسياتي وجه ذلك في كتاب العجب والكبر وقد قيل في معنى التواضع
ورؤية الفضل للاخوان ** تذلل لمن ان تذللت له ** يرى ذاك للفضل لا للبله ** وجانب صداقة من لا يزال
على الاصدقاء يرى الفضل له ** وقال آخر ** كم صديق عرفته بصديق ** صار احظى من الصديق العتيق
ورفيق رايته في طريق ** صار عندي هو الصديق الحقيقي ** ومهما راى الفضل لنفسه فقد احتقر اخاه وهذا في عموم المسلمين
مذموم قال صلى الله عليه وسلم بحسب امرئ من الشر ان يحقر اخاه المسلم ومن تتمة الانبساط وترك التكلف ان يشاور اخوانه
في كل ما يقصده ويقبل اشاراتهم فقد قال تعالى وشاورهم في الامر ولا ينبغي ان يخفي عنهم شيئا من اسراره كما روي عن
يعقوب ابن اخي معروف قال جاء اسود بن سالم الى عمي معروف وكان مواخيا له فقال ان بشر بن الحارث يحب مواخاتك وهو
يستحيي ان يشافهك بذلك وقد ارسلني اليك يسالك ان تعقد له فيما بينك وبينه اخوة يحتسبها ويعتد بها الا انه يشترط
فيها شروطا لا يحب ان تشتهر بذلك ولا يكون بينك وبينه مزاورة ولا ملاقاة فانه يكره كثرة الالتقاء فقال معروف اما انا
لو آخيت احدا لم احب مفارقته ليلا ولا نهارا ولزرته في كل وقت ولآثرته على نفسي في كل حال ثم ذكر من فضل الاخوة
والحب في الله احاديث كثيرة ثم قال فيها وقد آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا فشاركه في العلم وقاسمه البدن وانكحه افضل
بناته واحبهن اليه وخصه بذلك لمواخاته وانا اشهدك اني قد عقدت له اخوة بيني وبينه واخاء في الله لرسالتك و
لمسألته على ان لا يزورني ان كره ذلك ولكني ازوره متى احببت وامره ان يلقاني في مواضع نلتقي فيها وامره ان لا يخفي
علي شيئا من شانه وان يطلعني على جميع احواله فاخبر سالم بشرا بذلك فرضي بذلك وسر به فهذا جامع حقوق الصحبة وقد اجملناه
مرة وفصلناه اخرى ولا يتم ذلك الا بان تكون على نفسك للاخوان ولا تكون لنفسك عليهم وان تنزل نفسك منزلة الخادم لهم
فتقيد بحقوقهم جميع جوارحك اما البصر فبان تنظر اليهم نظر مودة يعرفونها منك وتنظر الى محاسنهم وتتعامى عن
عيوبهم ولا تصرف بصرك عنهم في وقت اقبالهم عليك وكلامهم معك وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعطي كل من
جلس اليه نصيبا من وجهه وما استصغاه احد الا ظن انه اكرم الناس عليه حتى كان مجلسه وسمعه وحديثه ولطيف مسألته
وتوجهه للجالس اليه وكان مجلسه مجلس حياء وتواضع وامانة وكان عليه السلام اكثر الناس تبسما وضحكا في وجوه اصحابه وتعجبا
مما تحدثوا به وكان ضحك اصحابه عنده التبسم اقتداء منهم بفعله وتوقيرا له عليه السلام واما السمع فبان تسمع كلامهم متلذذا
بسماعه ومصدقا به ومظهرا للاستبشار به ولا تقطع حديثهم عليهم بمراد ومنازعة ومداخلة واعتراض فان رهقك عارض

عارض اعتذرت اليهم وتحرس سمعك عن سماع ما يكرهون واما اللسان فقد ذكرنا حقوقه فان القول فيه يطول ومن
ذلك ان لا يرفع صوته عليهم ولا يخاطبهم الا بما يفهمون واما اليدان فان لا يقبضهما عن معونتهم في كل ما يتعاطى باليد
واما الرجلان فان يمشي بهما وراءهم مشي الاتباع لا مشي المتبوعين ولا يتقدمهم الا بقدر ما يقدمونه ولا يقرب منهم الا بقدر
ما يقربونه ويقوم لهم اذا اقبلوا ولا يقعد الا بقعودهم ويقعد حيث يقعد ومهما تم الاتحاد خف حمله من هذه الحقوق مثل
القيام والاعتذار والثناء فانها من حقوق الصحبة وفي ضمنها نوع من الاجنبية والتكلف فاذا تم الاتحاد انطوى بساط التكلف
بالكلية فلا يسلك به الا مسلك نفسه لان هذه الآداب الظاهرة عنوان آداب الباطن وصفاء القلب ومهما صفت القلوب
استغني عن التكلف باظهار ما فيها ومن كان نظره الى صحبة الخلق فتارة يعوج وتارة يستقيم ومن كان نظره الى الخالق لزم الاستقامة
ظاهرا وباطنا وزين باطنه بالحب لله ولخلقه وزين ظاهره بالعبادة لله والخدمة لعباده فانها اعلى انواع الخدمة لله اذ لا وصول
اليها الا بحسن الخلق ويدرك العبد بحسن الخلق درجة الصائم القائم وزيادة خاتمة لهذا الباب نذكر فيها جملة من
آداب العشرة والمجالسة مع اصناف الخلق ملتقطا من كلام بعض الحكماء ان اردت حسن العشرة فالق صديقك وعدوك
بوجه الرضى من غير ذلة لهم ولا هيبة منهم وتوقر في غير كبر وتواضع في غير مذلة وكن في جميع امورك في اوسطها فكلا
طرفي قصد الامور ذميم ولا تنظر في عطفيك ولا تكثر الالتفات ولا تقف على الجماعات واذا جلست فلا تستوفز وتحفظ من
تشبيك اصابعك والعبث بلحيتك وخاتمك وتخليل اسنانك وادخال اصبعك في انفك وكثرة بصاقك وتنخمك وطرد الذباب
عن وجهك وكثرة التمطي والتثاؤب في وجوه الناس وفي الصلوة وغيرها وليكن مجلسك هاديا وحديثك منظوما مرتبا
واصغ الى الكلام الحسن ممن حدثك بغير اظهار تعجب مفرط ولا تسأله اعادته واسكت عن المضاحك والحكايات ولا تحدث
عن اعجابك بولدك ولا جاريتك ولا شعرك وتصنيفك وسائر ما يخصك ولا تتصنع تصنع المراة في التزين ولا تتبذل
تبذل العبيد وتوق كثرة الكحل والاسراف في الدهن ولا تلح في الحاجات ولا تشجع احدا على الظلم ولا تعلم اهلك وولدك
فضلا عن غيرهم مقدار مالك فانهم ان راوه قليلا هنت عندهم وان كان كثيرا لم تبلغ قط رضاهم وخوفهم من غير عنف و
لن لهم من غير ضعف ولا تهازل امتك ولا عبدك فيسقط وقارك واذا خاصمت فتوقر وتحفظ من جهلك وتجنب عجلتك
وتفكر في حجتك ولا تكثر الاشارة بيدك ولا تكثر الالتفات الى ما وراءك ولا تجث على ركبتيك واذا هدا غضبك
فتكلم وان قربك سلطان فكن منه على حد السنان وان استرسل اليك فلا تامن انقلابه عليك وارفق به رفقك بالصبي وكلمه بما
بما يشتهيه ولا يحملنك لطفه ان تدخل بينه وبين اهله وولده وحشمه وان كنت لذلك مستحقا عنده فان سقطة الداخل
بين الملك واهله سقطة لا تنعش وزلة لا تقال واياك وصديق العافية فانه اعدا الاعداء ولا تجعل مالك اكرم من عرضك
واذا دخلت مجلسا فالادب البداية بالتسليم وترك التخطي لمن سبق والجلوس حيث اتسع وحيث يكون اقرب الى التواضع
وان تحيي بالسلام من قرب منك عند الجلوس ولا تجلس على الطريق فان جلست فادبه غض البصر ونصرة المظلوم واغاثة
الملهوف وعون الضعيف وارشاد الضال ورد السلام واعطاء السائل والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والارتياد
لموضع البصاق ولا تبصق في جهة القبلة ولا عن يمينك ولكن عن يسارك وتحت قدمك اليسرى ولا تجالس الملوك فان فعلت
فادبه ترك الغيبة ومجانبة الكذب وصيانة السر وقلة الحوائج وتهذيب الالفاظ والاعراب في الخطاب والمذاكرة
باخلاق الملوك وقلة المداعبة وكثرة الحذر منهم وان ظهرت مودتهم ولا تتجشأ بحضرتهم ولا تتخلل بعد الاكل عنده وعلى الملك

ان يحتمل كل شيء الا افشاء السر والقدح للملك والتعرض للحرم ولا تجالس العامة فان فعلت فادبه ترك الخوض في خوضهم
وقلة الاصغاء الى اراجيفهم والتغافل عما يجري من سوء الفاظهم وقلة اللقاء لهم مع الحاجة اليهم واياك ان تمازح
لبيبا او غير لبيب فان اللبيب يحقد عليك والسفيه يجترئ عليك لان المزاح يخرق الهيبة ويذهب بماء الوجه ويعقب الحقد
ويذهب بحلاوة الود ويشين فقه الفقيه ويجرئ السفيه ويسقط المنزلة عند الحكيم ويمقته المتقون وهو يميت القلب و
يباعد عن الرب تعالى ويكسب الغفلة ويورث الذلة وبه تظلم السرائر وتموت الخواطر وبه تكثر العيوب وتتبين الذنوب
وقد قيل لا يكون المزاح الا من سخف او بطر ومن بلي في مجلس بمزاح او لغط فليذكر الله عند قيامه قال النبي صلى الله عليه وسلم
من جلس في مجلس يكثر فيه لغطه فقال قبل ان يقوم من مجلسه ذلك سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت
استغفرك واتوب اليك غفر له ما كان في مجلسه ذلك

الباب الثالث

في حقوق المسلم والرحم والجوار والملك وكيفية المعاشرة مع من يدلي بهذه الاسباب اعلم ان الانسان اما ان يكون
وحده او مع غيره واذا تعذر عيش الانسان وحده ولا يتم الا بمخالطة من هو من جنسه لم يكن بد من تعلم ادب المخالطة وكل مخالط
ففي مخالطته ادب والادب على قدر حقه وحقه على قدر رابطته التي بها وقعت المخالطة وكل مخالط ففي مخالطته ادب
والرابطة اما القرابة وهي اخصها واخوة الاسلام وهي اعمها واما الجوار واما صحبة السفر والمكتب والدرس
واما الصداقة والاخوة ولكل واحد من هذه الروابط درجات فالقرابة لها حق ولكن حق الرحم المحرم اكد وللمحرم حق ولكن
حق الوالدين اكد وكذلك حق الجار يختلف بحسب قربه من الدار وبعده ويظهر التفاوت عند النسبة حتى ان البلدي في بلاد
الغربة يجري مجرى القريب في الوطن لاختصاصه بحق الجوار في البلد وكذلك حق المسلم يتاكد بتاكد المعرفة وللمعارف درجات فليس
حق الذي عرف بالمشاهدة كحق الذي عرف بالسماع بل آكد منه والمعرفة بعد وقوعها تتاكد بالاختلاط وكذلك الصحبة تتفاوت
درجاتها فحق الصحبة في الدرس والمكتب آكد منه والمعرفة من حق صحبة السفر وكذلك الصداقة تتفاوت فانها اذا قويت
صارت اخوة فاذا ازدادت صارت خلة والخليل اقرب من الحبيب والمحبة ما تتمكن من حبة القلب والخلة ما تتخلل سر القلب
فكل خليل حبيب وليس كل حبيب خليلا وتفاوت درجات الصداقة لا يخفى بحكم التجربة والمشاهدة فاما كون الخلة فوق الاخوة
فمعناه ان لفظ الخلة عبارة عن حالة هي اتم من الاخوة وتعرفه من قوله صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا
ولكن صاحبكم خليل الله اذ الخليل هو الذي يتخلل الحب جميع اجزاء قلبه ظاهرا وباطنا ويستوعبه ولم يكن يستوعب قلبه
صلى الله عليه وسلم سوى حب الله عز وجل وقد منعته الخلة عن الاشتراك فيه مع انه اتخذ عليا رضي الله عنه اخا فقال علي مني بمنزلة
هرون من موسى الا النبوة فعدل بعلي عن النبوة كما عدل بابي بكر عن الخلة فشارك ابو بكر عليا رضي الله عنهما في الاخوة وزاد عليه
بمقاربة الخلة واهليته لها لو كان للشركة في الخلة مجال فانه نبه على ذلك بقوله لاتخذت ابا بكر خليلا وكان صلى الله عليه
وسلم حبيب الله وخليله وقد روي انه صعد المنبر يوما مستبشرا فرحا فقال ان الله قد اتخذني خليلا كما اتخذ ابرهيم خليلا فانا
حبيب الله وانا خليل الله تعالى فاذا ليس قبل المعرفة رابطة ولا بعد الخلة وما سواهما من الدرجات بينهما وقد ذكرنا حق الصحبة و
الاخوة ويدخل فيه ما وراءها من المحبة والخلة وانما تتفاوت الرتب في تلك الحقوق كما تتفاوت بحسب تفاوت رتب المحبة والاخوة
حتى ينتهي اقصاها الى ان يوجب الايثار بالنفس والمال كما آثر ابو بكر رضي الله عنه نبينا صلى الله عليه وسلم وكما آثر طلحة
بدنه اذ جعل نفسه وقاية لشخصه وحق الملك اعني ملك اليمين فان ملك النكاح قد ذكرنا حقوقه في كتاب آداب النكاح حقوق

حقوق المسلم هي ان يسلم عليه اذا لقيه ويجيبه اذا دعاه ويشمته اذا عطس ويعوده اذا مرض ويشهد جنازته
اذا مات ويبر قسمه اذا اقسم عليه وينصح له اذا استنصحه ويحفظه بظهر الغيب اذا غاب ويحب له ما يحب لنفسه
ويكره له ما يكره لنفسه وورد جميع ذلك في الاخبار والآثار وقد روى انس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال اربع من حق المسلمين عليك ان تعين محسنهم وان تستغفر لمذنبهم وان تدعو لمدبرهم وان تحب تائبهم وقال ابن
عباس رضي الله عنهما في معنى قوله رحماء بينهم ان يدعو صالحهم لطالحهم وطالحهم لصالحهم اذا نظر الطالح
الى الصالح من امة محمد صلى الله عليه وسلم قال اللهم بارك له فيما قسمت له من الخير وثبته عليه وانفعنا به واذا نظر الصالح
الى الطالح قال اللهم اهده وتب عليه واغفر له ومنها ان يحب للكافة ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لنفسه قال النعمن بن
بشير سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد اذا اشتكى عضو منه تداعى
سائره بالحمى وروى ابو موسى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ومنها ان لا
يؤذي احدا من المسلمين بفعل ولا قول قال النبي صلى الله عليه وسلم المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده وقال صلى الله
عليه وسلم في حديث طويل يامر فيه بالفضائل فان لم تقدر فدع الناس من الشر فانها صدقة تصدقت بها على نفسك وقال ايضا افضل
المسلمين من سلم المسلمون من لسانه ويده وقال صلى الله عليه وسلم اتدرون من المسلم فقالوا الله ورسوله اعلم فقال المسلم
من سلم المسلمون من لسانه ويده قالوا فمن المؤمن قال من امنه المؤمنون على انفسهم واموالهم قالوا فمن المهاجر قال من
هجر السوء واجتنبه وقال رجل يا رسول الله ما الاسلام قال ان يسلم قلبك لله ويسلم المسلمون من لسانك ويدك وقال مجاهد
يسلط على اهل النار الجرب فيحتكون حتى يبدو عظم احدهم من جلده فينادي يا فلان هل يؤذيك هذا فيقول نعم فيقال هذا
بما كنت تؤذي المؤمنين وقال صلى الله عليه وسلم رايت رجلا يتقلب في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذي الناس
وقال ابو برزة يا رسول الله علمني شيئا انتفع به قال اعزل الاذى عن طريق المسلمين وقال صلى الله عليه وسلم من زحزح
عن طريق المسلمين شيئا يؤذيهم كتب الله له به حسنة ومن كتب له عنده حسنة اوجب له بها الجنة وقال صلى الله عليه وسلم لا يحل لمسلم ان
يروع مسلما وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يكره اذى المؤمن وقال الربيع بن خثيم الناس رجلان مؤمن فلا تؤذه وجاهل فلا تجاهله
ومنها ان يتواضع لكل مسلم ولا يتكبر فان الله لا يحب كل مختال فخور وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل اوحى
الي ان تواضعوا حتى لا يفخر احد على احد ثم ان تفاخر عليه غيره فليحتمل قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم خذ العفو وأمر بالعرف
واعرض عن الجاهلين وعن ابن ابي اوفى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يانف ولا يستكبر ان يمشي مع الارملة والمسكين فيقضي
حاجته ومنها ان لا يسمع بلاغات الناس بعضهم على بعض ولا يبلغ بعضهم ما يسمع من بعض قال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة قتات
وقال الخليل بن احمد من نم اليك نم عنك ومن اخبرك بخبر غيرك اخبر غيرك بخبرك ومنها ان لا يزيد في الهجرة لمن يعرفه على ثلاثة ايام
مهما غضب عليه قال ابو ايوب الانصاري قال صلى الله عليه وسلم لا يحل لمسلم ان يهجر اخاه فوق ثلاث يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا
وخيرهما الذي يبدأ بالسلام وقال صلى الله عليه وسلم من اقال مسلما عثرته اقاله الله يوم القيمة وقال عكرمة قال الله تعالى ليوسف
عليه السلام بعفوك عن اخوتك رفعت ذكرك في الذاكرين وقالت عائشة رضي الله عنها ما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه
قط الا ان تنتهك حرمة الله تعالى فينتقم لله وقال ابن عباس ما عفا رجل عن مظلمة الا زاده الله بها عزا وقال صلى الله عليه وسلم ما نقص
مال من صدقة وما زاد الله رجلا بعفو الا عزا وما من احد تواضع لله الا رفعه الله ومنها ان يحسن الى كل من قدر منهم ما استطاع لا يميز بين الاهل

وغير الاهل وروى علي بن الحسين عن ابيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصنع المعروف الى اهله فان لم تصب اهله
فانت اهله وباسناده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم راس العقل بعد الايمان التودد الى الناس واصطناع المعروف
الى كل بر وفاجر قال ابو هريرة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ياخذ احد بيده فينزع يده حتى يكون الرجل هو يرسله ولم تكن
ترى ركبته خارجة عن ركبة جليسه ولم يكن احد يكلمه الا اقبل عليه بوجهه ثم لم يصرفه عنه حتى يفرغ من كلامه ومنها ان لا يدخل
على احد منهم الا باذنه بل يستاذن ثلاثا فان لم يؤذن له انصرف قال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستئذان ثلاث
فالاولى يستنصتون والثانية يستصلحون والثالثة ياذنون او يردون ومنها ان يخالق الجميع بخلق حسن ويعامله بحسب طريقته
فانه ان اراد لقاء الجاهل بالعلم واللاهي بالفقه والعيي بالبيان آذى وتأذى ومنها ان يوقر المشايخ ويرحم الصبيان
قال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يوقر كبيرنا ولم يرحم صغيرنا والتلطف بالصبيان من عادة ر
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عليه السلم من اجلال الله اكرام ذي الشيبة المسلم ومن تمام توقير المشايخ ان لا يتكلم بين ايديهم
الا باذنهم قال جابر قدم وفد جهينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليتكلم فقال صلى الله عليه وسلم مه فاين الكبر وفي الخبر ما وقر
شاب شيخا لسنه الا قيض الله له في سنه من يوقره وهذه اشارة بدوام الحيوة فليتنبه له فلا يوفق لتوقير الشيوخ الا من قضى له
بطول العمر وقال عليه السلم لا تقوم الساعة حتى يكون الولد غيظا والمطر قيظا ويفيض اللئام فيضا ويغيض الكرام غيضا ويجترئ
الصغير على الكبير واللئيم على الكريم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقدم من السفر فيتلقاه الصبيان فيقف عليهم ثم يامر بهم فيرفعون
اليه فيرفع منهم بين يديه ومن خلفه ويامر اصحابه ان يحملوا بعضهم فربما تفاخر الصبيان بعد ذلك فيقول بعضهم لبعض حملني رسول الله
صلى الله عليه وسلم بين يديه وحملك خلفه ويقول بعضهم امر اصحابه ان يحملوك وراءهم وكان عليه السلم
يؤتى بالصبي الصغير ليدعو له بالبركة والتسمية فياخذه فيضعه في حجره فربما بال الصبي فيصيح به بعض من يراه فيقول لا تزرموا
الصبي فيدعه حتى يقضي بوله ثم يفرغ من دعائه له وتسميته ويبلغ سرور اهله فيه ولا يروا انه تاذى ببوله فاذا انصرفوا غسل ثوبه
بعد ذلك ومنها ان يكون مع كافة الخلق مستبشرا طلق الوجه رفيقا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم على من حرمت النار
قالوا الله ورسوله اعلم قال على اللين الهين السهل القريب وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دلني على عمل يدخلني
الجنة فقال ان من موجبات المغفرة بذل السلام وحسن الكلام وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما البر شيء هين ولسان لين وقال
اتقوا النار ولو بشق تمرة وان لم تجدوا فبكلمة طيبة وقال صلى الله عليه وسلم ان في الجنة غرفا يرى ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها
فقال اعرابي لمن هي يا رسول الله فقال لمن افشى السلام واطعم الطعام وصلى بالليل والناس نيام وقال معاذ بن جبل قال لي رسول الله
صلى الله عليه وسلم اوصيك بتقوى الله وصدق الحديث ووفاء العهد واداء الامانة وترك الخيانة وحفظ الجار ورحمة اليتيم
ولين الكلام وبذل السلام وخفض الجناح وقال انس رضي الله عنه عرضت للنبي صلى الله عليه وسلم امرأة وقالت لي معك شغل وكان
معه ناس من الصحابة فقال اجلسي في اي نواحي السكك شئت اجلس اليك ففعلت فجلس اليها حتى قضى حاجتها وقال وهب بن منبه
ان رجلا من بني اسرائيل صام سبعين سبتا يفطر في كل سبعة ايام يسأل الله تعالى ان يريه كيف يغوي الشيطان الناس فلما طال عليه
ذلك ولم يجب قال لو اطلعت على خطيئتي وذنبي الذي بيني وبين ربي لكان خيرا لي من هذا الامر الذي طلبته فارسل الله تعالى اليه
ملكا فقال له ان الله ارسلني اليك وهو يقول لك ان كلامك هذا الذي تكلمت به احب الي مما مضى من عبادتك وقد فتح الله بصرك
فانظر فاذا جنود ابليس قد احاطت بالارض واذا ليس احد من الناس الا وحوله الشياطين كالذئاب فقال اي رب من ينجو من هذا قال

الورع اللين ومنها ان لا يعد مسلما بوعد الا ويفي به قال صلى الله عليه وسلم العدة عطية وقال العدة دين وقال ثلث
في المنافق اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان وقال ثلث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وذكر ذلك ومنها
ان ينصف الناس من نفسه ولا ياتي اليهم الا بما يحب ان يؤتى اليه قال صلى الله عليه وسلم لا يستكمل العبد الايمان حتى يكون فيه ثلاث
خصال الانفاق من الاقتار والانصاف من نفسه وبذل السلام وقال صلى الله عليه وسلم من سره ان يزحزح عن النار فلتاته منيته
وهو يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وليات الى الناس ما يحب ان يؤتى اليه وقال صلى الله عليه وسلم يا ابا الدرداء احسن
مجاورة من جاورك تكن مؤمنا واحب لنفسك تكن مسلما وقال الحسن اوحى الله تعالى الى آدم صلوات الله عليه باربع فيهن جماع
الامر لك ولولدك واحدة لي وواحدة لك وواحدة بيني وبينك وواحدة بينك وبين الخلق فاما التي لي فتعبدني ولا تشرك بي شيئا و
اما التي لك فعملك اجزيك به افقر ما تكون اليه فاما التي بيني وبينك فمنك الدعاء وعلي الاجابة واما التي بينك وبين الناس فتصحبهم
بالذي تحب ان يصحبوك وسال موسى عليه السلم ربه تعالى فقال اي رب اي عبادك اعدل قال من انصف من نفسه ومنها ان
يزيد في توقير من يدل هيأته وثيابه على علو منزلته فينزل الناس منازلهم روي ان عائشة رضي الله عنها كانت في سفر فنزلت
منزلا فوضعت طعامها فجاء سائل فقالت عائشة رضي الله عنها ناولوا هذا المسكين قرصا ثم مر رجل على دابة فقالت ادعوه الى
الطعام فقيل لها تعطين المسكين قرصا وتدعين هذا الغني فقالت ان الله قد انزل الناس منازل لا بد لنا ان ننزلهم تلك المنازل
هذا المسكين يرضى بقرص وقبيح بنا ان نعطي هذا الغني على هذه الهيئة قرصا وروي انه عليه السلم دخل بعض بيوته فدخل عليه اصحابه
حتى دحس وامتلأ فجاء جرير بن عبد الله البجلي فلم يجد مكانا فقعد على الباب فلف رسول الله صلى الله عليه وسلم رداءه فالقاه اليه
فقال له اجلس على هذا فاخذه جرير ووضعه على وجهه وجعل يقبله ويبكي ثم لفه ورمى به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم و
قال ما كنت لاجلس على ثوبك اكرمك الله كما اكرمتني فنظر النبي صلى الله عليه وسلم يمينا وشمالا وقال اذا اتاكم كريم قوم فاكرموه
وكذلك كل من له عليه حق قديم فليكرمه روي ان ظئر رسول الله صلى الله عليه وسلم التي ارضعته جاءت اليه فبسط لها رداءه
ثم قال لها مرحبا بامي ثم اجلسها عليه ثم قال لها اشفعي تشفعي وسلي تعطي فقالت قومي فقال اما حقي وحق بني هاشم فهو لك فقام
الناس من كل ناحية وقالوا وحقنا يا رسول الله ثم وصلها بعد ذلك من الابل والغنم ووهبها لحديثها بحنين فبيع ذلك
من عثمان بن عفان بمائة الف درهم ولربما اتاه النبي صلى الله عليه وسلم من ياتيه وهو جالس على وسادة فلا يكون فيها سعة
يجلسه معه فينزعها ويضعها تحت الذي يجلس اليه فان ابى عزم عليه حتى يفعل ومنها ان يصلح ذات البين بين المسلمين مهما وجد
اليه سبيلا قال صلى الله عليه وسلم الا اخبركم بافضل من درجة الصيام والصلوة والصدقة قالوا بلى قال اصلاح
ذات البين وفساد ذات البين هي الحالقة وقال صلى الله عليه وسلم افضل الصدقة اصلاح ذات البين وعن النبي صلى الله عليه
وسلم فيما رواه انس بن مالك قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس اذ ضحك حتى بدت ثناياه فقال عمر يا رسول الله
بابي انت وامي ما الذي اضحكك قال رجلان من امتي جثيا بين يدي رب العزة فقال احدهما يا رب خذ لي مظلمتي من هذا
فقال الله عز وجل رد على اخيك مظلمته فقال يا رب لم يبق من حسناتي شيء فقال الله للطالب كيف تصنع باخيك لم يبق من حسناته
شيء فقال يا رب فليحمل عني من اوزاري ثم فاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبكاء ثم قال ان ذلك ليوم عظيم يوم
يحتاج الناس فيه الى ان يحمل عنهم اوزارهم قال فيقول الله تعالى اي للمتظلم ارفع بصرك فانظر في الجنان فقال يا رب ارى
مدائن من فضة وقصورا من ذهب مكللة باللؤلؤ لاي نبي هذا او لاي صديق او لاي شهيد هذا فيقول الله عز وجل هذا لمن

اعطى الثمن فقال يا رب ومن يملك ثمن ذلك قال فيقول انت تملكه قال بماذا يا رب فيقول بعفوك عن اخيك فيقول قد
عفوت عنه فيقول الله عز وجل خذ بيد اخيك فادخله الجنة ثم قال صلى الله عليه وسلم اتقوا الله واصلحوا ذات بينكم فان الله تعالى
يصلح بين المؤمنين يوم القيمة وقد قال صلى الله عليه وسلم ليس بكذاب من اصلح بين اثنين فقال خيرا وهذا يدل على وجوب الاصلاح لان
ترك الكذب واجب ولا يسقط الواجب الا بواجب اوكد منه وقال صلى الله عليه وسلم كل الكذب مكتوب الا ان يكذب الرجل
في الحرب فان الحرب خدعة او يكذب بين اثنين فيصلح بينهما او يكذب لامرأته ليرضيها ومنها ان يستر عورات المسلمين كلهم
قال صلى الله عليه وسلم من ستر على مسلم ستره الله في الدنيا والاخرة وقال لا يستر عبد عبدا الا ستره الله يوم القيمة وقال
ابو سعيد الخدري قال صلى الله عليه وسلم لا يرى امرؤ من اخيه عورة فيسترها عليه الا دخل الجنة وقال صلى الله عليه وسلم لماعز
لما اخبره لو سترته بثوبك كان خيرا لك فاذا على المسلم ان يستر عورة نفسه فحق اسلامه واجب عليه كاسلام غيره قال ابو بكر
رضي الله عنه لو اخذت سارقا لاحببت ان يستره الله ولو اخذت شاربا لاحببت ان يستره الله وروي ان عمر رضي الله عنه
كان يعس بالمدينة ذات ليلة فراى رجلا وامرأة على فاحشة فشاور الصحابة في ذلك وقال ما ترون في امامكم لو راى رجلا وامرأة
على فاحشة فاقام عليهما الحد ما كنتم فاعلين قالوا انما انت امام فقال علي رضي الله عنه ليس ذلك لك اذا يقام عليك الحد
ان الله لم يأمن على هذا الامر اقل من اربعة شهداء ثم تركهم ما شاء ان يتركهم ثم سالهم فقال القوم مثل مقالتهم الاولى فقال علي مثل
مقالته وهذا يشير الى ان عمر كان مترددا في ان الوالي هل له ان يقضي بعلمه في حدود الله فلذلك راجعهم في معرض التقدير لا في معرض
الاخبار خيفة من ان لا يكون له ذلك فيكون قاذفا باخباره ومال راى علي رضي الله عنه الى انه ليس له ذلك وهذا من اعظم الادلة
على طلب الشرع بستر الفواحش فان افحشها الزنا وقد نيط باربعة من العدول يشاهدون ذلك منه في ذلك منها كالمرود في المكحلة
وهذا قط لا يتفق وان علمه القاضي تحقيقا لم يكن له ان يكشف عنه فانظر الى الحكمة في حسم باب الفاحشة بايجاب الرجم الذي هو
اعظم العقوبات ثم انظر الى كثيف ستر الله كيف اسبله على العصاة من خلقه بتضييق الطريق في كشفه فنرجو ان لا نحرم هذا الكرم يوم
تبلى السرائر وفي الحديث ان الله تعالى اذا ستر على عبده عورته في الدنيا فهو اكرم من ان يكشفها في الاخرة وان كشفها في الدنيا فهو
اكرم من ان يكشفها مرة اخرى وعن عبد الرحمن بن عوف قال حرست مع عمر رضي الله عنه ليلة بالمدينة فبينا نحن نمشي اذا
ظهر لنا سراج فانطلقنا نؤمه فلما دنونا اذا باب مغلق على قوم لهم اصوات ولغط فاخذ عمر بيدي وقال اتدري بيت من هذا
قلت لا قال هذا بيت ربيعة بن امية بن خلف وهم الان شرب فما ترى قلت ارى انا قد اتينا ما نهانا الله عنه قال الله تعالى ولا
تجسسوا فرجع عمر وتركهم وهذا يدل على وجوب الستر وترك التتبع وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعوية انك ان اتبعت
عورات الناس افسدتهم او كدت تفسدهم وقال صلى الله عليه وسلم يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الايمان في قلبه لا تغتابوا
المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فانه من يتبع عورة اخيه المسلم يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو كان في جوف بيته وقال
ابو بكر رضي الله عنه لو رايت احدا على حد من حدود الله ما اخذته ولا دعوت له احدا حتى يكون معي غيري وقال بعضهم
كنت قاعدا مع عبد الله مسعود اذ جاءه رجل بناجر فقال هذا نشوان فقال عبد الله بن مسعود استنكهوه فاستنكهوه فوجدوه
نشوان فحبسه حتى ذهب سكره ثم دعا بسوط فكسر ثمره ثم قال اجلد وارفع يديك واعط كل عضو حقه فجلده وعليه قباء او مرط
فلما فرغ قال للذي جاء به ما انت منه قال عمه فقال عبد الله ما ادبت فاحسنت الادب ولا سترت الحرمة انه ينبغي للامام اذا
انتهى اليه الحد ان يقيمه وان الله عفو يحب العفو ثم قرأ وليعفوا وليصفحوا ثم قال اني لاذكر اول رجل قطعه رسول الله صلى الله عليه

كرهت

عليه وسلم اتي بسارق فقطعه فكانما اسف وجهه فقالوا يا رسول الله كانك كرهت قطعه قال وما يمنعني لا تكونوا عونا للشيطان
على اخيكم انه ينبغي للسلطان اذا انتهى اليه الحد ان يقيمه ان الله عفو يحب العفو وليعفوا وليصفحوا الا تحبون ان يغفر الله لكم والله
غفور رحيم وفي رواية فكانما سفي في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم رماد لشدة تغيره وروي ان عمر رضي الله عنه كان يعس
بالمدينة من الليل فسمع صوت رجل في بيت يتغنى فتسور عليه فوجد عنده امرأة وعنده خمر فقال يا عدو الله اظننت ان الله
يسترك وانت على معصيته فقال وانت يا امير المؤمنين فلا تعجل ان كنت عصيت الله واحدة فقد عصيت الله في ثلاث قال الله تعالى
ولا تجسسوا وقد تجسست وقال تعالى وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها وقد تسورت على الدار وقال تعالى لا تدخلوا
بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا وتسلموا الاية وقد دخلت بيتي بغير اذني ولا سلام قال هل عندكم من خير ان عفوت عنك قال نعم والله
يا امير المؤمنين لئن عفوت عني لا اعود لمثلها ابدا فعفا عنه وخرج وتركه وقال رجل لعبد الله بن عمر يا ابا عبد الرحمن كيف سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في النجوى يوم القيمة قال سمعته يقول ان الله ليدني منه المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره
من الناس ويقول اتعرف ذنب كذا فيقول يا رب نعم حتى اذا قرره بذنوبه وراى في نفسه انه قد هلك قال له يا عبدي
اني لم استرها عليك في الدنيا الا واني اريد ان اغفرها لك اليوم فيعطى كتاب حسناته واما الكافرون والمنافقون فيقول
الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين الكاذبين وقال صلى الله عليه وسلم كل امتي معافى الا المجاهرون
وان المجاهرة ان يعمل الرجل السوء ثم يخبر به وقال صلى الله عليه وسلم من استمع ستر قوم وهم له كارهون صب في اذنيه الآنك
يوم القيمة ومنها ان يتقي مواضع التهم صيانة لقلوب الناس عن سوء الظن ولالسنتهم عن الغيبة فانهم اذا عصوا الله بذكره
وكان هو السبب فيه كان شريكا قال الله تعالى ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم وقال صلى الله عليه وسلم
كيف ترون من يسب ابويه فقالوا وهل يسب احد ابويه فقال نعم يسب ابوي غيره فيسبون ابويه وقد روى انس ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كلم احدى نسائه فمر به رجل فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا فلان هذه زوجتي صفية فقال يا رسول الله
من كنت اظن فيه فاني لم اظن فيك فقال ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم وزاد في رواية اني خشيت ان يقذف في قلبكما شيئا و
كانا رجلين فقال على رسلكما انها صفية الحديث وكانت قد زارته في العشر الاواخر من رمضان وكان معتكفا وقال عمر من اقام نفسه
مقام التهم فلا يلومن من اساء به الظن ومر عمر رضي الله عنه برجل يكلم امرأة على ظهر الطريق فعلاه بالدرة فقال يا امير المؤمنين انها
امرأتي فقال هلا حيث لا يراك الناس ومنها ان يشفع لكل من له حاجة من المسلمين الى من له عنده منزلة ويسعى في قضاء حاجته بما يقدر
عليه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني اوتى واسأل وتطلب الي الحاجة وانتم عندي فاشفعوا لتؤجروا ويقضي الله على
يدي نبيه ما احب وقال معوية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشفعوا الي تؤجروا واني اريد الامر فاؤخره كي تشفعوا الي فتؤجروا
وقال صلى الله عليه وسلم ما من صدقة افضل من صدقة اللسان قيل وكيف ذلك قال الشفاعة يحقن بها الدم ويجر بها المنفعة الى
احد ويدفع بها المكروه عن اخر وروى عكرمة عن ابن عباس ان زوج بريرة كان عبدا يقال له مغيث كاني انظر اليه خلفها يبكي ودموعه
تسيل على لحيته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس الا تعجب من شدة حب مغيث بريرة وشدة بغض بريرة مغيثا فقال النبي
صلى الله عليه وسلم لو راجعته فانه ابو ولدك قالت يا رسول الله اتأمرني فافعل فقال لا انما انا شفيع ومنها ان يبدأ كل
مسلم بالسلام قبل الكلام ويصافحه عند السلام قال صلى الله عليه وسلم من بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه حتى يبدأ بالسلام وقال بعضهم
دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم استأذن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارجع وقل السلام عليكم وادخل وروى

جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخلتم على بيوتكم فسلموا على انفسكم الاية وقال الله تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا
باحسن منها او ردوها وقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا
الا ادلكم على عمل اذا عملتموه تحاببتم قالوا بلى يا رسول الله قال افشوا السلام بينكم وقال عليه السلام اذا سلم المسلم على المسلم فرد
عليه صلت عليه الملائكة سبعين مرة قال عليه السلام الملائكة تعجب من المسلم يمر على المسلم فلا يسلم عليه وقال عليه السلام يسلم
الراكب على الماشي واذا سلم من القوم واحد اجزأ عنهم وقال قتادة كانت التحية من قبلكم السجود فاعطى الله عز وجل هذه الامة السلام و
هي تحية اهل الجنة وكان ابو مسلم الخولاني يمر على قوم فلا يسلم ويقول ما يمنعني الا اني اخشى ان لا يردوا السلام فيلعنهم الملائكة والمصافحة
ايضا سنة مع السلام جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سلام عليكم فقال عليه السلام عشر حسنات فجاء اخر فقال سلام
عليكم ورحمة الله فقال عشرون حسنة فجاء اخر فقال سلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقال ثلثون وكان انس رضي الله عنه يمر على
الصبيان فيسلم ويروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل ذلك وروى عبد الحميد بن بهرام انه عليه السلام مر في المسجد يوما
وعصبة من النساء قعود فقال بيده للتسليم واشار عبد الحميد بيده للحكاية وقال عليه السلام لا تبدؤا اليهود والنصارى بالسلام واذا
لقيتم احدهم في الطريق فاضطروهم الى اضيقه وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصافحوا
اهل الذمة ولا تبدؤهم بالسلام واذا لقيتموهم في الطريق فاضطروهم الى اضيقه وقالت عائشة رضي الله عنها ان رهطا من اليهود
دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا السام عليك فقال عليه السلام عليكم قالت عائشة فقلت بل عليكم السام واللعنة
فقال صلى الله عليه وسلم يا عائشة ان الله تعالى يحب الرفق في كل شيء قالت عائشة فقلت الم تسمع ما قالوا قال فقد قلت وعليكم
وقال عليه السلام يسلم الراكب على الماشي والماشي على القاعد والقليل على الكثير والصغير على الكبير وقال عليه السلام يسلم الراكب
على الماشي لا تسلموا لا تشبهوا باليهود والنصارى فان تسليم اليهود الاشارة بالاصابع وتسليم النصارى الاشارة بالكف قال
ابو عيسى اسناده ضعيف وقال اذا انتهى احدكم الى مجلس فليسلم فان بدا له ان يجلس فليجلس ثم اذا قام فليسلم فليست الاولى
باحق من الاخرة وقال انس قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا التقى المؤمنان فتصافحا قسمت بينهما سبعون رحمة تسع وستون
لاحسنهما بشرا وقال عمر رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا التقى المسلمان فسلم كل واحد على صاحبه
وتصافحا نزلت بينهما مائة رحمة للبادي تسعون وللمصافح عشرة وقال الحسن المصافحة تزيد في الود وقال ابو هريرة قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم تمام تحياتكم بينكم المصافحة وقال صلى الله عليه وسلم قبلة المسلم اخاه المصافحة ولا باس بقبلة المعظم في الدين
تبركا به وتوقيرا روى ان ابن عمر قال قبلنا يد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن كعب بن مالك قال لما نزلت توبتي اتيت النبي
صلى الله عليه وسلم فقبلت يده وروي ان اعرابيا قال يا رسول الله ائذن لي فاقبل راسك ويدك فاذن له ففعل ولقي
ابو عبيدة عمر بن الخطاب رضي الله عنهما فصافحه وقبل يده وتنحيا يبكيان وعن البراء بن عازب انه سلم على رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو يتوضأ فلم يرد عليه حتى فرغ من وضوئه ورد عليه ومد يده اليه وصافحه فقال يا رسول الله ما كنت ارى
هذا الا من اخلاق الاعاجم فقال عليه السلام ان المسلمين اذا التقيا فتصافحا تحاتت ذنوبهما وعن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال اذا مر الرجل بالقوم فسلم عليهم فردوا عليه كان له عليهم فضل درجة لانه ذكرهم السلام وان لم يردوا عليه رد عليه ملأ
خير منهم واطيب وقالوا وافضلوا الانحناء عند السلام منهي عنه قال انس قلنا يا رسول الله اينحني بعضنا لبعض قال لا
قال فيقبل بعضنا بعضا قال لا قال فيتصافح قال نعم والالتزام والتقبيل قد ورد به الخبر عند القدوم من السفر قال

قال ابو ذر ما لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم الا صافحني وطلبني يوما فلم اكن في البيت فلما اخبرت جئت وهو
على سرير فالتزمني فكان اجود واجود والاخذ بالركاب في توقير العلماء ورد به الخبر فعل ابن عباس ذلك بركاب زيد بن ثابت
واخذ عمر بغرز زيد حتى رفعه وقال هكذا فافعلوا بزيد واصحاب زيد والقيام مكروه على سبيل الاعظام لا على سبيل الاكرام و
هو في المسجد اشد كراهة لان المسجد موضع الصلوة والقيام لله وحده فلا يشرك به احدا والجلوس في المسجد عبادة ويكره
القيام للداخل لانه اشراك عبادة بغيرها قال انس ما كان شخص احب الينا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا اذا راوه لم
يقوموا له لما يعلمون من كراهيته لذلك وروي انه عليه السلام قال مرة اذا رايتموني فلا تقوموا كما تصنع الاعاجم وقال
من سره ان يمثل له الرجال قياما بين يديه فليتبوأ مقعده من النار وقال عليه السلام لا يقيم الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن
توسعوا وتفسحوا وكانوا يحترزون عن ذلك لهذا النهي وقال صلى الله عليه وسلم اذا اخذ القوم مجالسهم فان دعا رجل اخاه فا
وسع له فلياته فانما هي كرامة اكرمه بها اخوه فان لم يوسع له فلينظر الى اوسع مكان يجده فيجلس فيه وروي انه سلم رجل على
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبول فلم يجب فيكره السلام على من يقضي حاجته ويكره ان يقول ابتداء عليك السلام تحية الميت
قاله ثلثا ثم قال اذا لقي احدكم اخاه فليقل السلام عليكم ورحمة الله ويستحب للداخل اذا سلم ولم يجد مجلسا ان لا ينصرف
بل يقعد وراء الصف كان صلى الله عليه وسلم جالسا في المسجد اذ اقبل ثلاثة نفر فاقبل اثنان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاما احدهما فوجد فرجة فجلس فيها واما الثاني فجلس خلفهم واما الاخر فادبر ذاهبا فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال الا اخبركم عن النفر الثلاثة اما احدهم فاوى الى الله فآواه الله واما الثاني فاستحيى فاستحيى الله منه واما الثاني فاعرض
فاعرض الله عنه وقال صلى الله عليه وسلم ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان الا غفر لهما قبل ان يتفرقا وسلمت ام هانئ على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال من هذه فقيل ام هانئ فقال عليه السلام مرحبا بام هانئ ومنها ان يصون عرض اخيه المسلم ونفسه
وماله عن ظلم غيره مهما قدر عليه ويرد عنه ويناضل دونه وينصره روى ابو الدرداء رضي الله عنه ان رجلا نال من رجل عند
رسول الله صلى الله عليه وسلم فرد عنه رجل فقال صلى الله عليه وسلم من رد عن عرض اخيه كان له حجابا من النار وقال صلى الله
عليه وسلم ما من امرئ مسلم يرد عن عرض اخيه الا كان حقا على الله ان يرد عنه نار جهنم يوم القيمة وعن انس ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال من ذكر عنده اخوه المسلم وهو يستطيع نصره فلم ينصره ولو بكلمة اذله الله بها في الدنيا والاخرة ومن ذكر عنده اخوه
المسلم فنصره نصره الله تعالى بها في الدنيا والاخرة وقال صلى الله عليه وسلم من حمى عرض اخيه المسلم في الدنيا بعث الله تعالى له
ملكا يحميه يوم القيمة وقال جابر وابو طلحة سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من امرئ مسلم ينصر مسلما في موضع ينتهك
فيه عرضه ويستحل حرمته الا نصره الله في موضع يحب فيه نصرته وما من امرئ مسلم خذل مسلما في موضع تنتهك فيه حرمته الا
خذله الله في موضع يحب فيه نصرته ومنها تشميت العاطس قال صلى الله عليه وسلم في العاطس يقول الحمد لله على كل حال
ويقول الذي يشمته يرحمكم الله ويرد عليه العاطس فيقول يهديكم الله ويصلح بالكم وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يعلمنا يقول اذا عطس احدكم فليقل الحمد لله رب العالمين فاذا قال ذلك فليقل من عنده يرحمك الله فاذا
قالوا ذلك فليقل يغفر الله لي ولكم وشمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عاطسا ولم يشمت آخر فساله عن ذلك فقال انه حمد الله
وانت سكت وقال صلى الله عليه وسلم يشمت المسلم اذا عطس ثلاثا فان زاد فهو زكام وروي انه عليه السلام شمت عاطسا
فعطس اخرى فقال انك مزكوم وقال ابو هريرة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا عطس غض صوته واستتر بثوبه او يده و

وروى خمر وجهه وقال ابو موسى الاشعري كان اليهود يتعاطسون عند النبي صلى الله عليه وسلم رجاء ان يقول يرحمكم الله
فكان يقول يهديكم الله وروى عبد الله بن عامر بن ربيعة عن ابيه ان رجلا عطس عند النبي صلى الله عليه وسلم في الصلوة فقال
الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يرضى ربنا وبعد ما يرضى والحمد لله على كل حال فلما سلم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من
صاحب الكلمات فقال انا يا رسول الله ما اردت بهن الا خيرا فقال لقد رايت اثني عشر ملكا كلهم يبتدرونها ايهم يكتبها وقال
صلى الله عليه وسلم من عطس عنده فسبق الى الحمد لم يشتك خاصرته وقال صلى الله عليه وسلم العطاس من الله والتثاؤب من الشيطان
فاذا تثاءب احدكم فليضع يده على فيه فاذا قال آه آه فان الشيطان يضحك من جوفه وقال ابرهيم النخعي اذا عطس على قضاء الحاجة فلا
باس بان يذكر الله وقال الحسن يحمد الله في نفسه وقال كعب قال موسى يا رب اقريب انت فاناجيك ام بعيد فاناديك فقال
انا جليس من ذكرني قال فانا نكون على حال نجلك ان نذكرك عليها كالجنابة والغائط فقال اذكرني على كل حال ومنها
انه اذا بلي بذي شر فينبغي ان يجامله ويتقيه وقال بعضهم خالص المؤمن مخالصة وخالق الفاجر مخالقة فان الفاجر يرضى بالخلق
الحسن في الظاهر وقال ابو الدرداء انا لنكشر في وجوه اقوام وان قلوبنا لتقليهم وهذا معنى المداراة وهو مع من يخاف شره
قال الله تعالى ادفع بالتي هي احسن وقال ابن عباس في معنى قوله ويدرءون بالحسنة السيئة اي الفحش والاذى بالمداراة والسلام
وقال في معنى قوله تعالى ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض قال بالرغبة والرهبة والحياء والمداراة وقالت عائشة رضي الله عنها
استاذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلم ايذنوا له فبئس رجل العشيرة فلما دخل الان له القول حتى ظننت ان
له عنده منزلة فلما خرج قلت له لما دخل قلت الذي قلته ثم النت له القول فقال يا عائشة ان شر الناس منزلة عند الله يوم
القيمة من تركه الناس اتقاء فحشه وفي الخبر ما وقى به المرء عرضه فهو له صدقة وفي الاثر خالطوا الناس باعمالهم وزايلوهم
بالقلوب وقال محمد بن الحنفية ليس بحليم من لم يعاشر بالمعروف من لا يجد من معاشرته بدا حتى يجعل الله له فرجا ومنها ان يجتنب
مخالطة الاغنياء ويختلط بالمساكين ويحسن الى الايتام كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا و
احشرني في زمرة المساكين وكان سليمن عليه السلام في ملكه اذا دخل المسجد فراى مسكينا جلس اليه وقال مسكين جالس مسكينا وقيل
ما كان من كلمة يقال لعيسى عليه السلم احب اليه من ان يقال يا مسكين وقال كعب الاحبار ما في القرآن من يا ايها الذين امنوا فهو في التورية
يا ايها المساكين وقال عبادة بن الصامت ان للنار سبعة ابواب ثلاثة للاغنياء وثلاثة للنساء وواحد للفقراء والمساكين وقال
الفضيل بلغني ان نبيا من الانبياء قال يا رب كيف لي ان اعلم رضاك عني فقال انظر كيف رضا المساكين عنك وقال عليه السلم
اياكم ومجالسة الموتى قيل ومن الموتى يا رسول الله قال الاغنياء وقال موسى يا رب الهي اين ابغيك قال عند المنكسرة قلوبهم وقال
صلى الله عليه وسلم لا تغبطن فاجرا بنعمته فانك لا تدري الى ما يصير بعد الموت فان من ورائه طالبا حثيثا واما اليتيم فقد
قال صلى الله عليه وسلم من ضم يتيما من ابوين مسلمين حتى يستغني له الجنة البتة وقال عليه السلم انا وكافل اليتيم في الجنة
كهاتين واشار باصبعيه وقال صلى الله عليه وسلم من وضع يده على راس يتيم ترحما كانت له بكل شعرة تمر عليها يده حسنة و
وقال عليه السلم خير بيت المسلمين بيت فيه يتيم يحسن اليه وشر بيت من المسلمين بيت فيه يتيم يساء اليه ومنها النصيحة
لكل مسلم والجهد في ادخال السرور على قلبه قال صلى الله عليه وسلم المؤمن يحب للمؤمن ما يحب لنفسه وقال عليه السلم لا يؤمن
احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه وقال صلى الله عليه وسلم ان احدكم مرآة اخيه فاذا راى به شيئا فليمط عنه وقال صلى الله
عليه وسلم من قضى حاجة لاخيه فكانما خدم الله عمره وقال صلى الله عليه وسلم من اقر عين مؤمن اقر الله عينه يوم القيمة وقال

خلف

وقال صلى الله عليه وسلم من مشى في حاجة اخيه ساعة من ليل او نهار قضاها او لم يقضها كان خيرا له من اعتكاف شهرين
وقال عليه السلم من فرج عن مغموم او اعان مظلوما غفر الله له ثلاثا وسبعين مغفرة وقال صلى الله عليه وسلم انصر اخاك ظالما
او مظلوما قال كيف ينصره ظالما قال تمنعه من الظلم اي تنصره على الشيطان وتمنعه ما يريبه له من الظلم وقال صلى الله عليه وسلم
من حمى مؤمنا من منافق يعنيه بعث الله اليه ملكا يحمي لحمه يوم القيمة من نار جهنم وقال صلى الله عليه وسلم من احب الاعمال
الى الله ادخال السرور على المؤمن وان يفرج عنه غما او يقضي عنه دينا او يطعمه من جوع وقال صلى الله عليه وسلم خصلتان ليس
فوقهما شيء من البر الايمان بالله والنفع لعباد الله وقال عليه السلم من لم يهتم للمسلمين فليس منهم وقال معروف الكرخي من
قال اللهم اصلح امة احمد اللهم ارحم امة احمد اللهم فرج عن امة احمد كل يوم ثلاث مرات كتبه الله من الابدال وبكى علي بن الفضيل
يوما فقيل له ما يبكيك فقال ابكي على من ظلمني اذا وقف غدا بين يدي الله تعالى وسئل عن ظلمه ولم يكن له حجة ومنها ان
يعود مرضاهم والمعرفة والاسلام كاف في اثبات هذا الحق ونيل فضله وادبه لعايده خفة الجلسة وقلة السؤال واظهار
الرقة والدعاء بالعافية وغض البصر عن عورات الموضع وادبه عند الاستيذان ان لا يقابل الباب ويدق برفق ولا يقول انا
اذا قيل من ولا يقول يا غلام بل يحمد ويسبح ويسلم وقال صلى الله عليه وسلم تمام عيادة المريض ان يضع احدكم يده على جبهته
او على يده ويساله كيف هو وتمام تحياتكم المصافحة وقال صلى الله عليه وسلم من عاد مريضا قعد في مخارف الجنة حتى اذا قام وكل
به سبعون الف ملك يصلون عليه حتى الليل وقال صلى الله عليه وسلم اذا عاد المريض خاض في الرحمة فاذا قعد عنده قرت فيه
وقال صلى الله عليه وسلم اذا عاد المسلم اخاه وزاره قال الله تعالى طبت وطاب ممشاك وتبوات منزلا في الجنة وقال صلى الله عليه
وسلم اذا مرض العبد بعث الله تبارك وتعالى ملكين فقال انظرا ماذا يقول لعواده فان هو اذا جاءوه حمد الله واثنى عليه رفعا ذلك
الى الله وهو اعلم فيقول لعبدي علي ان توفيته ان ادخله الجنة وان انا شفيته ان ابدل له لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه وان
اكفر عنه سيئاته وقال صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يصب منه وقال عثمان رضي الله عنه مرضت فعادني رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال بسم الله الرحمن الرحيم اعيذك بالله الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد من شر ما تجد مرارا
ودخل صلى الله عليه وسلم على علي بن ابي طالب رضي الله عنه وهو مريض فقال له قل اللهم اني اسئلك تعجيل عافيتك
او صبرا على بليتك او خروجا من الدنيا الى رحمتك فانك ستعطى احديهن ويستحب للعليل ايضا ان يقول اعوذ بعزة
الله وقدرته من شر ما اجد وقال علي بن ابي طالب اذا اشتكى احدكم بطنه فليسئل امراته شيئا من صداقها فيشتري به
عسلا ويشرب بماء السماء فيجتمع له الهنيء والمريء والشفاء والمبارك وقال صلى الله عليه وسلم يا ابا هريرة الا اخبرك بامر
هو حق من تكلم به في مضجعه في مرضه نجاه الله من النار قلت بلى يا رسول الله قال لا اله الا الله يحيي ويميت وهو حي لا يموت
سبحان الله رب العباد والبلاد والحمد لله كثيرا طيبا مباركا فيه على كل حال الله اكبر كبرياء ربنا وجلاله وقدرته بكل مكان
اللهم ان امرضتني لتقبض روحي في مرضي هذا فاجعل روحي في ارواح من سبقت لهم منك الحسنى وباعدني من النار كما
باعدت اولئك الذين سبقت لهم منا الحسنى وروى انه عليه السلم قال عيادة المريض فواق ناقة وقال طاوس افضل العيادة
اخفها قال ابن عباس عيادة المريض مرة سنة فما ازددت فنافلة وقال بعضهم عيادة المريض بعد ثلاث وقال عليه السلم
اغبوا في العيادة واربعوا وجملة اداب المريض حسن الصبر وقلة الشكوى والضجر والفزع الى الدعاء والتوكل بعد الدعاء
على خالق الدواء ومنها ان يشيع جنائزهم قال صلى الله عليه وسلم من شيع جنازة فله قيراط من الاجر فان وقف حتى

يدفن فله قيراطان وفي الخبر القيراط مثل احد ولما روى ابو هريرة هذا الحديث وسمعه ابن عمر قال لقد فرطنا الى الآن في
قراريط كثيرة والقصد من التشييع قضاء حق المسلمين والاعتبار كان مكحول الدمشقي اذا رأى جنازة قال اغدوا فانا رائحون
موعظة بليغة وغفلة سريعة يذهب الاول والآخر لا عقل له وخرج مالك بن دينار خلف جنازة اخيه وهو يبكي ويقول
والله لا تقر عيني حتى اعلم الى ما صرت ولا والله لا اعلمه ما دمت حيا وقال الاعمش كنا نشهد الجنائز فلا ندري من نعزي لحسن القوم
كلهم ونظر ابرهيم الزيات الى اناس يترحمون على ميت فقال لو ترحمون على انفسكم كان اولى انه نجا من اهوال ثلاثة وجه ملك الموت
فقد راى ومرارة الموت فقد ذاق وخوف الخاتمة فقد امن فقال عليه السلم يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى واحد يتبعه اهله وماله
وعمله فيرجع اهله وماله وعمله يبقى ومنها ان يزور قبورهم والمقصود من ذلك الدعاء والاعتبار وترقيق القلب قال
صلى الله عليه وسلم ما رايت منظرا الا والقبر افظع منه وقال عمر رضي الله عنه خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم واتى
المقابر فجلس الى قبر وكنت ادنى القوم منه فبكى وبكينا فقال ما يبكيكم قلنا بكينا لبكائك قال هذا قبر امنة بنت وهب
استأذنت ربي في زيارتها فاذن لي فاستأذنت ان استغفر لها فابى علي فادركني ما يدرك الولد من الرقة وكان عثمن رضي الله عنه
اذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته ويقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان القبر اول منزل من منازل الآخرة فان نجا
منه صاحبه فما بعده ايسر منه وان لم ينج منه فما بعده اشد وقال مجاهد اول ما يكلم ابن آدم حفرته فيقول انا بيت الدود وبيت
الوحدة وبيت الغربة وبيت الظلمة هذا ما اعددت لك فما اعددت لي قال ابو ذر الا اخبركم بيوم فقري يوم اوضع في قبري
وكان ابو الدرداء يقعد في القبور فقيل له في ذلك فقال اجلس الى قوم يذكرونني معادي وان قمت عنهم لم يغتابوني وقال حاتم
الاصم من مر بالمقابر فلم يتفكر لنفسه ولم يدع لهم فقد خان نفسه وخانهم وقال صلى الله عليه وسلم ما من ليلة الا ينادي مناد
يا اهل القبور من تغبطون فيقولون نغبط اهل المساجد لانهم يصومون ولا نصوم ويصلون ولا نصلي ويذكرون الله ولا نذكر وقال سفين
من اكثر ذكر القبر وجده روضة من رياض الجنة ومن غفل عن ذكره وجده حفرة من حفر النيران وكان الربيع بن خثيم قد حفر في داره
قبرا فكان اذا وجد في قلبه قساوة دخل فيه فاضطجع ومكث ساعة ثم قال رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت ثم يقول يا ربيع
قد رجعت فاعمل قبل ان لا ترجع وقال ميمون بن مهران خرجت مع عمر بن عبد العزيز الى المقبرة فلما نظر الى القبور بكى وقال يا ميمون
هذه قبور آبائي بني امية كانهم لم يشاركوا اهل الدنيا في لذاتهم اما تراهم صرعى قد حلت بهم المثلات واصاب الهوام من ابدانهم
ثم بكى وقال ما اعلم احدا انعم ممن صار الى هذه القبور وقد امن من عذاب الله وادب المعزي خفض الجناح واظهار الحزن وقلة الحديث
وترك التبسم وادب تشييع الجنائز لزوم الخشوع وترك الحديث وملاحظة الميت والتفكر في الموت والاستعداد له وان يمشي
امام الجنازة بقربها والاسراع بالجنازة سنة فهذه جمل تنبيه على آداب المعاشرة مع عموم الخلق والجملة الجامعة في ذلك ان لا
يستصغر منهم احدا حيا كان او ميتا فتهلك فانك لا تدري لعله خير منك فانه وان كان فاسقا فلعله يختم له بالصلاح ويختم
له بالصلاح ويختم لك بمثل حاله الآن ولا تنظر اليهم بعين التعظيم لهم في حال دنياهم فان الدنيا صغيرة عند الله صغير ما فيها
ومهما عظم اهل الدنيا في نفسك فقد عظمت الدنيا فتسقط من عين الله عز وجل ولا تبذل لهم دينك لتنال من دنياهم فتصغر
في اعينهم ثم تحرم دنياهم وان لم تحرم كنت قد استبدلت الذي هو ادنى بالذي هو خير ولا تعادهم بحيث تظهر العداوة فيطول
الامر عليك بالمعادات ويذهب دنياك ودينك فيهم ويذهب دينهم فيك الا اذا رأيت منكرا في الدين فتعادي افعالهم
القبيحة وتنظر اليهم بعين الرحمة لتعرضهم لمقت الله وعقوبته بعصيانهم فحسبهم جهنم يصلونها فما لك تحقد عليهم ولا تسكن

لا تسكن اليهم في مودتهم لك وثنائهم عليك في وجهك وحسن بشرهم لك فانك ان طلبت حقيقة ذلك لم تجد الا في المائة
واحدا وربما لم تجده ولا تشك اليهم احوالك فيكلك الله اليهم ولا تطمع فيما في ايديهم فتستعجل الذل ولا تنال الغرض ولا
تعل عليهم تكبرا لاستغنائك عنهم فان الله يلجئك اليهم عقوبة على التكبر باظهار الاستغناء واذا سألت اخا منهم حاجة فقضاها
فهو اخ مستفاد وان لم يقض فلا تعاتبه فيصير عدوا ويطول عليك مقاساته ولا تشتغل بوعظ من لا ترى فيه مخايل القبول
فلا يسمع منك ويعاديك وليكن وعظك عرضا وارسالا من غير تنصيص على شخص ومهما رأيت منهم كرامة وخيرا فاشكر الله الذي
سخرهم لك واستعذ بالله ان يكلك اليهم واذا بلغك منهم غيبة ورأيت منهم شرا او اصابك منهم ما يسوءك فكل امرهم الى الله
واستعذ بالله من شرهم ولا تشغل نفسك بالمكافاة فيزيد الضرر ويضيع العمر بذلك ولا تقل لهم لم تعرفوا موضعي واعتقد
انك لو استحققت ذلك لجعل الله لك موضعا في قلوبهم فالله المحبب والمبغض الى القلوب وكن فيهم سميعا لحقهم اصم عن
باطلهم نطوقا بحقهم سكوتا عن باطلهم واحذر صحبة اكثر الناس فانهم لا يقيلون عثرة ولا يغفرون زلة ولا يسترون عورة
ويحاسبون على النقير والقطمير ويحسدون على القليل والكثير ينتصفون ولا ينصفون ويؤاخذون على الخطأ والنسيان ولا يعفون
يغرون الاخوان بالاخوان بالنميمة والبهتان فصحبة اكثرهم خسران وقطيعتهم رجحان ان رضوا فظاهرهم الملق وان سخطوا فباطنهم
الحنق لا يؤمنون في حنقهم ولا يرجون في ملقهم ظاهرهم ثياب وباطنهم ذئاب يقطعون بالظنون ويتغامزون وراءك بالعيون
ويتربصون بصديقهم من الحسد ريب المنون يحصون عليك العثرات في صحبتهم ليجبهوك بها في غضبهم ووحشتهم ولا تعول على
مودة من لم تخبره حق الخبرة بان تصحبه مدة في دار او موضع واحد فتجربه في عزله وولايته وغناه وفقره او تسافر معه او تعامله
في الدينار والدرهم او تقع في شدة فتحتاج اليه فان رضيته في هذه الاحوال فاتخذه ابا لك ان كان كبيرا او ابنا ان كان صغيرا
او اخا ان كان مثلك فهذه جملة آداب العشرة مع اصناف الخلق اما حق الجوار فاعلم ان الجوار يقتضي حقا
وراء ما تقتضيه اخوة الاسلام فيستحق الجار المسلم ما يستحقه كل مسلم وزيادة اذ قال صلى الله عليه وسلم من الجيران جار له حق
وجار له ثلاثة حقوق فالجار الذي له ثلاثة حقوق الجار المسلم ذو الرحم فله حق الجوار وحق الاسلام وحق الرحم واما الذي
له حقان فالجار المسلم له حق الجوار وحق الاسلام واما الذي له حق واحد فالجار المشرك فانظر كيف اثبت للمشرك حقا بمجرد الجوار
وقال صلى الله عليه وسلم احسن مجاورة من جاورك تكن مسلما وقال عليه الصلوة والسلم ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت
انه سيورثه وقال عليه السلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره وقال عليه الصلوة والسلم لا يؤمن عبد حتى يامن جاره
بوائقه وقال صلى الله عليه وسلم اول خصمين يوم القيمة جاران وقال صلى الله عليه وسلم اذا انت رميت كلب جارك فقد اذيته
ويروى ان رجلا جاء الى ابن مسعود فقال له ان لي جارا يؤذيني ويشتمني ويضيق علي فقال له اذهب فان هو عصى الله فيك فاطع
الله فيه وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وتؤذي جيرانها فقال صلى الله عليه وسلم
هي في النار وجاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكو جاره فقال عليه الصلوة والسلم اصبر ثم قال له في الثالثة او الرابعة
اطرح متاعك في الطريق قال فجعل الناس يمرون به فيقولون ما لك فيقال آذاه جاره قال فجعلوا يقولون لعنه الله فجاءه رجل
فقال له رد متاعك فوالله لا اعود وروى الزهري ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم يشكو جاره فامر النبي صلى الله عليه
وسلم ان ينادي على باب المسجد الا ان اربعين دارا جار قال الزهري اربعون هكذا واربعون هكذا واربعون هكذا
واومى الى اربع جهات وقال صلى الله عليه وسلم اليمن والشوم في المرأة والمسكن والفرس فيمن المرأة خفة مهرها ويسر نكاحها

وحسن خلقها وشومها غلاء مهرها وعسر نكاحها وسوء خلقها ويمن المسكن سعته وحسن جوار اهله وشومه ضيقه وسوء
جوار اهله ويمن الفرس ذله وحسن خلقه وشومه صعوبته واعلم انه ليس حق الجوار كف الاذى فقط بل احتمال الاذى
فان الجار ايضا قد كف اذاه فليس في ذلك قضاء حق ولا يكفي احتمال الاذى بل لا بد من الرفق واسداء الخير والمعروف اذ يقال ان
الجار الفقير يتعلق بجاره الغني يوم القيامة ويقول يا رب سل هذا لم منعني معروفه وسد بابه دوني وبلغ ابن المقفع ان جارا له
يبيع داره في دين ركبه وكان يجلس في ظل داره فقال ما قمت اذا بحرمة ظل داره ان باعها معدما فدفع اليه ثمن الدار وقال
لا تبعها وشكى بعضهم كثرة الفار في داره فقيل له لو اقتنيت هرا فقال اخشى ان يسمع الفار صوت الهر فيهرب الى دور الجيران
فاكون قد احببت لهم ما لا احب لنفسي وجملة حق الجوار ان يبداه بالسلام ولا يطيل معه الكلام ولا يكثر عن حاله السوال ويعوده
في المرض ويعزيه في المصيبة ويقوم معه في العزاء ويهنيه في الفرح ويظهر الشركة في السرور معه ويصفح عن زلاته ولا يتطلع من
السطح الى عوراته ولا يضايقه في وضع الجذع على جداره ولا في مصب الماء في ميزابه ولا في مطرح التراب في فنائه ولا يضيق
طريقه الى الدار ولا يتبعه النظر فيما يحمله الى داره عند غيبته ولا يتسمع عليه كلامه ويغض بصره عن حرمته ولا يديم النظر الى
خادمته ويتلطف لولده في كلمته ويرشده الى ما يجهله من امر دينه ودنياه هذا جملة الحقوق الذي ذكرناها للمسلمين عامة وقد قال
صلى الله عليه وسلم ما حق الجار ان استعان بك اعنته وان استقرضك اقرضته وان افتقر عدت عليه وان مرض عدته وان مات
اتبعت جنازته وان اصابه خير هنأته وان اصابته مصيبة عزيته ولا تستطيل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح الا باذنه واذا اشتريت
فاكهة فاهد له فان لم تفعل فادخلها سرا ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده ولا توذه بقتار قدرك الا ان تغرف له
منها اتدرون ما حق الجار والذي نفسي بيده لا يبلغ حق الجار الا من رحمه الله هكذا رواه عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده عنه
صلى الله عليه وسلم وقال مجاهد كنت عند عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وغلام له يسلخ شاة فقال يا غلام اذا سلخت فابدا
بجارنا اليهودي حتى قال ذلك مرارا فقال له كم تقول هذا فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزل يوصينا بالجار حتى
خشينا انه سيورثه وقال هشام كان الحسن لا يرى باسا ان تطعم الجار اليهودي والنصراني من اضحيتك وقال ابو ذر اوصاني
خليلي صلى الله عليه وسلم وقال اذا طبخت قدرا فاكثر ماءها ثم انظر بعض اهل بيت من جيرانك فاغرف لهم منها وقالت
عائشة رضي الله عنها قلت يا رسول الله ان لي جارين احدهما مقبل علي ببابه والآخر ناء ببابه عني وربما كان الذي عندي لا يسعهما
فايهما اعظم حقا فقال المقبل عليك ببابه ورأى ابو بكر الصديق رضي الله عنه ولده عبد الرحمن وهو يناظر جارا له فقال
لا تناظر جارك فان هذا يبقى والناس يذهبون وقال الحسن بن عيسى النيسابوري سألت عبد الله بن المبارك قلت الرجل المجاور
ياتيني فيشكو غلامي انه اتى اليه امرا والغلام ينكره فاكره ان اضربه فلعله بريء واكره ان ادعه فيجد علي جاري فكيف اصنع قال
ان غلامك لعله ان يحدث حدثا فيستوجب فيه الادب فاحفظه عليه فاذا شكاه جارك فادبه على ذلك الحدث فتكون قد
ارضيت جارك وادبته على ذلك الحدث وهذا تلطف في الجمع بين الحقين قالت عائشة رضي الله عنها خلال المكارم عشر تكون
في الرجل ولا تكون في ابيه وتكون في العبد ولا تكون في سيده يقسمها الله تعالى لمن احب فقال ما هي يا ام المومنين فقالت صدق الحديث
وصدق الناس واعطاء السائل والمكافاة بالصنائع وصلة الرحم وحفظ الامانة والتذمم للجار والتذمم للصاحب وقرى
الضيف وراسهن الحياء قال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا نساء المسلمات لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة
وقال صلى الله عليه وسلم من سعادة المرء المسلم المسكن الواسع والجار الصالح والمركب الهني وقال عبد الله قال رجل يا رسول الله

يا رسول الله كيف لي ان اعلم اذا احسنت او اسات قال اذا سمعت جيرانك يقولون احسنت فقد احسنت واذا سمعتهم
يقولون اسات فقد اسات وقال جابر قال النبي صلى الله عليه وسلم من كان له جار في حائط او شريك فلا يبيعه
حتى يعرضه عليه وقال ابو هريرة قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الجار يضع جذوعه في حائط جاره شاء ام ابى وقال ابن عباس
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمنعن احدكم جاره ان يضع خشبة في حائطه وكان ابو هريرة يقول ما لي اراكم عنها
معرضين والله لارمين بها بين اكتافكم وقد ذهب بعض العلماء الى وجوب ذلك وقال صلى الله عليه وسلم من اراد الله به خيرا
عسله قبل موته قيل معناه يحببه الى جيرانه حقوق الاقارب والرحم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله
تعالى انا الرحمن وهذه الرحم شققت لها اسما من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته وقال صلى الله عليه وسلم من سره
ان ينسأ له في عمره ويوسع له في رزقه فليتق الله وليصل رحمه وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي الناس افضل فقال اتقاهم لله
واوصلهم للرحم وامرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر وقال ابو ذر اوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم بصلة الرحم وان ادبرت　خليلي
وامرني ان اقول الحق وان كان مرا وقال عليه السلام ان الرحم معلقة بالعرش وليس الواصل المكافي ولكن الواصل الذي اذا انقطعت
رحمه وصلها وقال صلى الله عليه وسلم ان اعجل الطاعة ثوابا صلة الرحم حتى ان اهل البيت ليكونون فجارا فتنمي اموالهم ويكثر
عددهم اذا وصلوا ارحامهم وقال زيد بن اسلم لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة عرض له رجل وقال ان كنت تريد
النساء البيض والنوق الادم فعليك ببني مدلج فقال صلى الله عليه وسلم ان الله منعني من بني مدلج بصلتهم الرحم وقالت
اسماء بنت ابي بكر رضي الله عنهما قدمت علي امي فقلت يا رسول الله ان امي قدمت علي وهي مشركة افاصلها فقال نعم وفي
رواية افاعطيها فقال نعم صليها وقال صلى الله عليه وسلم الصدقة على المساكين صدقة وعلى ذي الرحم ثنتان ولما اراد
ابو طلحة ان يتصدق بحائط له كان يعجبه عملا بقوله تعالى حتى تنفقوا مما تحبون قال يا رسول الله هي في سبيل الله والفقراء والمساكين
فقال وجب اجرك فاقسمه على اقاربك وقال صلى الله عليه وسلم افضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح وهو في معنى قوله افضل
الفضائل ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتصفح عمن ظلمك وروي ان ابن عمر رضي الله عنهما كتب الى عماله مروا الاقارب
ان يتزاوروا ولا يتجاوروا وانما قال ذلك لان التجاور يورث التزاحم على الحقوق وربما يورث ذلك الوحشة وقطيعة الرحم
حقوق الوالدين والولد لا يخفى انه اذا تاكد حق القرابة والرحم فاخص الارحام وامسها الولادة فيتضاعف
تاكد الحق فيها وقد قال صلى الله عليه وسلم لن يجزي ولد عن والده حتى يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه وقد قال صلى الله عليه
وسلم بر الوالدين افضل من الصلوة والصوم والحج والعمرة والجهاد في سبيل الله وقال صلى الله عليه السلام من اصبح مرضيا
لابويه اصبح له بابان مفتوحان الى الجنة ومن اصبح لابويه اصبح له بابان مفتوحان الى النار ومن امسى مثل ذلك وان كان واحدا فواحد　مسخطا
وان ظلما وان ظلما وقال صلى الله عليه وسلم ان الجنة يوجد ريحها من مسيرة خمسمائة عام ولا يجد ريحها عاق ولا
قاطع رحم وقال عليه السلام بر امك واباك واختك واخاك ثم ادناك فادناك ويروى ان الله عز وجل قال لموسى يا موسى
انه من بر والديه وعقني كتبته برا ومن برني وعق والديه كتبته عاقا وقيل لما دخل يعقوب على يوسف عليهما السلام لم
يقم له فاوحي اليه اتتعاظم ان تقوم لابيك وعزتي لا اخرجت من صلبك نبيا وقال صلى الله عليه وسلم ما على احد اذا اراد
ان يتصدق بصدقة ان يجعلها لوالديه اذا كانا مسلمين فيكون لوالديه اجرها ويكون له مثل اجورهما من غير ان ينقص من اجورهما شيء
وقال مالك بن ربيعة بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ جاءه رجل من بني سلمة وقال يا رسول الله هل بقي علي من بر ابوي

شيء ابر بهما بعد وفاتهما قال نعم الصلوة عليهما والاستغفار لهما وانفاذ عهدهما واكرام صديقهما وصلة الرحم التي لا توصل
الا بهما وقال صلى الله عليه وسلم من البر ان يصل الرجل اهل ود ابيه وقال صلى الله عليه وسلم بر الوالدة على الولد ضعفين
وقال عليه السلم دعاء الوالدة اسرع اجابة قيل يا رسول الله ولم ذلك قال هي ارحم من الاب ودعوة الرحم لا تسقط و
ساله رجل فقال من ابر قال بر والديك فقال ليس لي والدان فقال بر ولدك كما رحم الله والدا اعان ولده على بره اي لم يحمله
على العقوق بسوء عمله وقال عليه السلم للوالدين عليك حقا كذلك لولدك عليك حق وقال صلى الله عليه وسلم ساووا بين
اولادكم في العطية وقد قيل ولدك ريحانك سبعا وخادمك سبعا ثم عدوك او شريكك وقال انس قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم الغلام يعق عنه يوم السابع ويسمى ويماط عنه الاذى فاذا بلغ ست سنين ادب فاذا بلغ سبع سنين عزل فراشه
فاذا بلغ ثلاث عشرة سنة ضرب على الصلوة فاذا بلغ ست عشرة سنة زوجه ابوه ثم اخذ بيده وقال قد ادبتك وعلمتك وانكحتك
اعوذ بالله من فتنتك في الدنيا وعذابك في الاخرة وقال صلى الله عليه وسلم من حق الولد على الوالد ان يحسن ادبه ويحسن اسمه
وقال عليه السلام كل غلام رهين او رهينة بعقيقته يذبح يوم السابع ويحلق راسه وقال قتادة اذا ذبحت العقيقة اخذت
صوفة منها واستقبل بها اوداجها ثم توضع على يافوخ الصبي حتى يسيل منه مثل الخيط ثم يغسل راسه ويحلق بعد وجاء رجل
الى عبد الله بن المبارك فشكا اليه بعض ولده فقال هل دعوت عليه قال نعم قال انت افسدته ويستحب الرفق بالولد راى الاقرع
بن حابس النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقبل ولده الحسن فقال ان لي عشرة من الولد ما قبلت واحدا منهم فقال ان من لا يرحم
لا يرحم وقالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اغسلي وجه اسامة فجعلت اغسله وانا انفيه فضرب
وانا انفيه فضرب يدي ثم اخذه فغسل وجهه ثم قبله ثم قال قد احسن بنا اذ لم يكن جارية وتعثر الحسن والنبي صلى الله عليه
وسلم على منبره فنزل فحمله وقرا قوله تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة وقال عبد الله بن شداد بينما رسول الله صلى الله عليه
يصلي بالناس اذ جاءه الحسين فركب عنقه وهو ساجد فاطال السجود بالناس حتى ظنوا انه قد حدث امر فلما قضى صلوته قالوا
قد اطلت السجود حتى ظننا انه قد حدث امر فقال ان ابني كان قد ارتحلني فكرهت ان اعجله حتى يقضي حاجته وقال عليه السلم ريح
الولد من ريح الجنة وقال يزيد بن معوية ارسل ابي الى الاحنف بن قيس فلما صار اليه قال يا ابا بحر ما تقول في الولد فقال يا
امير المؤمنين ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا ونحن لهم ارض ذليلة وسماء ظليلة وبهم نصول على كل جليلة فان طلبوا فاعطهم وان
غضبوا فارضهم يمنحوك ودهم ويحبوك جهدهم ولا تكن عليهم ثقيلا فيملوا حياتك ويحبوا وفاتك ويكرهوا قربك فقال
له معوية لله انت يا احنف لقد دخلت علي واني لمملوء غضبا وغيظا على يزيد فلما خرج الاحنف من عنده رضي عن يزيد وبعث اليه
بمائتي الف درهم ومائتي ثوب فارسل يزيد الى الاحنف بمائة الف درهم ومائة ثوب فقاسمه على الشطر فهذه هي الاخبار
الدالة على تاكد الحق للوالدين وكيفية القيام بحقهما تعرف مما ذكرناه في حق الاخوة فان هذه الرابطة آكد من الاخوة بل يزيد
ههنا امران احدهما ان اكثر العلماء على ان طاعة الابوين واجبة في الشبهات وان لم تجب في الحرام المحض حتى اذا كانا يتنغصان
بانفرادك عنهما بالطعام فعليك ان تاكل معهما لان ترك الشبهة ورع ورضا الوالدين حتم وكذلك ليس لك ان تسافر في مباح
او نافلة الا باذنهما والمبادرة الى الحج الذي هو فرض الاسلام نفل لانه على التاخير والخروج لطلب العلم نفل الا اذا كان يخرج
لطلب علم الفرض من الصلوة والصوم ولم يكن في بلدك من يعلمك وذلك كمن يسلم ابتداء في بلد ليس فيه من يعلمه شرع الاسلام
فعليه الهجرة ولا يتقيد بحق الوالدين قال ابو سعيد الخدري هاجر رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليمن واراد الجهاد فقال

فقال عليه السلام هل باليمن ابواك قال نعم قال هل اذنا لك قال لا قال عليه السلام فارجع الى ابويك فاستاذنهما فان
فعلا فجاهد والا فبرهما ما استطعت فان ذلك خير ما تلقى الله به بعد التوحيد وجاء اخر اليه عليه السلم يستشيره في الغزو
فقال الك والدة قال نعم قال فالزمها فان الجنة تحت قدميها وجاء اخر يطلب البيعة على الهجرة وقال ما جئت حتى ابكيت
والدي فقال ارجع اليهما فاضحكهما كما ابكيتهما وقال صلى الله عليه وسلم حق كبير الاخوة على صغيرهم كحق الوالد على ولده وقال
عليه السلم اذا استصعبت على احدكم دابته او ساء خلق زوجته او احد من اهل بيته فليؤذن في اذنه

حقوق المملوك

اعلم ان ملك النكاح قد سبق حقوقه في اداب النكاح فاما ملك اليمين فهو ايضا يقتضي حقوقا في المعاشرة لا بد من مراعاتها فقد
كان في اخر ما اوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قال اتقوا الله فيما ملكت ايمانكم اطعموهم مما تاكلون واكسوهم مما تلبسون
ولا تكلفوهم من العمل ما لا يطيقون فما احببتم فامسكوا وما كرهتم فبيعوا ولا تعذبوا خلق الله فان الله ملككم اياهم ولو شاء لملكهم اياكم
وقال صلى الله عليه وسلم للمملوك طعامه وكسوته بالمعروف ولا يكلف من العمل ما لا يطيق وقال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة خب
ولا متكبر ولا خائن ولا سيء الملكة وقال عبد الله بن عمر جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل فقال يا رسول الله كم نعفو عن الخادم
فصمت عنه صلى الله عليه وسلم ثم قال اعف عنه كل يوم سبعين مرة وكان عمر رضي الله عنه يذهب الى العوالي كل يوم سبت فاذا
وجد عبدا في عمل لا يطيقه وضع عنه منه ويروى عن ابي هريرة انه راى رجلا على دابته وغلامه يسعى خلفه فقال يا عبد الله احمله
فانما هو اخوك روحه مثل روحك فحمله ثم قال لا يزال العبد يزداد من الله بعدا ما مشي خلفه وقالت جارية لابي الدرداء اني
سممتك منذ سنة وما عمل فيك شيئا فقال لم فعلت ذلك فقالت اردت الراحة منك قال اذهبي فانت حرة لوجه الله تعالى
وقال الزهري متى قلت للمملوك اخزاك الله فهو حر وقيل للاحنف بن قيس ممن تعلمت الحلم قال من قيس بن عاصم قيل فما بلغ من حلمه
قال بينما هو جالس في داره اذ اتته خادم له بسفود عليه شواء فسقط السفود من يدها على ابن له فعقره فمات فدهشت الجارية
فقال ليس يسكن روع هذه الجارية الا العتق انت حرة لا باس عليك وكان عون بن عبد الله اذا عصاه غلامه قال ما اشبهك بمولاك
مولاك يعصي مولاه وانت تعصي مولاك واغضبه يوما فقال انما تريد ان اضربك اذهب فانت حر وكان عند ميمون بن مهران
ضيف فاستعجل على جاريته بالعشاء فجاءت مسرعة ومعها قصعة مملوءة فعثرت فاراقتها على راس سيدها ميمون فقال يا جارية
احرقتني قالت يا معلم الخير ومؤدب الناس ارجع الى ما قال الله تعالى قال وما قال الله تعالى قالت والكاظمين الغيظ
قال كظمت غيظي قالت والعافين عن الناس قال قد عفوت عنك قالت زد فان الله يقول والله يحب المحسنين قال فانت
حرة لوجه الله وقال ابن المنكدر ان رجلا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عبدا له فجعل العبد يقول
اسالك بالله اسالك بوجه الله فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صياح العبد فانطلق اليه فلما راى رسول الله امسك
يده فقال عليه السلم سالك بوجه الله فلم تعفه فلما رايتني امسكت يدك قال فانه حر لوجه الله تعالى يا رسول الله فقال لو
لم تفعل لسفعت وجهك النار وقال صلى الله عليه وسلم العبد اذا نصح لسيده واحسن عبادة الله فله اجره مرتين
ولما اعتق ابو رافع بكى وقال كان لي اجران فذهب احدهما وقال صلى الله عليه وسلم عرض علي اول ثلاثة يدخلون الجنة
واول ثلاثة يدخلون النار فاما اول ثلاثة يدخلون الجنة فالشهيد وعبد مملوك احسن عبادة ربه ونصح لسيده وعفيف
متعفف ذو عيال واول ثلاثة يدخلون النار امير مسلط وذو ثروة لا يعطي حق الله وفقير فخور وعن ابي مسعود الانصاري
قال بينا اضرب غلاما لي فسمعت صوتا من خلفي اعلم يا ابا مسعود مرتين فالتفت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فالقيت

السوط فقال والله لله اقدر عليك منك عليه وقال صلى الله عليه وسلم اذا اشترى احدكم خادما فليكن اول
شي يطعمه الحلو فانه اطيب لنفسه رواه معاذ وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اتى احدكم خادمه

بطعام فليجلسه وليأكل معه فان لم يفعل
فليناوله وفي رواية اذا كفى احدكم مملوكه
صنيعه طعامه فكفاه حره وعلاجه وقربه
اليه فليأكل معه او ليأخذ اكلة
فليروغها واشار بيده فليضعها في يده
وليقل كل هذه ودخل على سلمان رجل وهو
فقال يا ابا عبد الله ما هذا فقال بعثنا
الخادم في شغل فكرهنا ان نجمع عليه عملين
وقال صلى الله عليه وسلم من كانت
عنده جارية فعالها واحسن اليها ثم
اعتقها وزوجها فذلك له اجران
وقال صلى الله عليه وسلم كلكم راع و
كلكم مسئول عن رعيته فجملة حق المملوك
ان يشركه في طعمته وكسوته ولا يكلفه فوق
طاقته ولا ينظر اليه بعين الكبر والازدراء
وان يعفو عن زلته ويتفكر عند غضبه
عليه بهفوته او بجنايته في معاصيه
وجنايته على حق الله وتقصيره في
طاعته مع ان قدرة الله عليه فوق قدرته
وروى فضالة بن عبيد ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال ثلاثة لا يسأل عنهم
رجل فارق الجماعة او عصى امامه
فمات عاصيا فلا يسأل عنه وامرأة
غاب عنها زوجها وقد كفاها مؤنة
الدنيا فتبرجت بعده فلا يسأل عنها

وثلاثة لا يسأل عنهم رجل ينازع الله رداءه ورداؤه الكبرياء او ازاره وازاره العز ورجل في شك
من الله والقنوط من الرحمة . . . . تم كتاب آداب الصحبة والاخوة بفضل الله تعالى

تعالى وحسن توفيقه والحمد لله على الآية الظاهرة المتكاثرة والصلوة والسلام على المؤيد بالمعجزات
الباهرة والتأييدات الساطعة الزاهرة
محمد النبي الامي القرشي وآله واولاده
وعترته الطيبة الطاهرة و
يتلوه كتاب آداب العزلة
وهو السادس
من ربع العادات

كتاب آداب العزلة وهو الكتاب السادس من ربع العادات

بسم الله الرحمن الرحيم تيمنا بذكر الله العليم

الحمد لله الذي أعظم النعمة على خيرة خلقه وصفوته بأن صرف هممهم إلى مؤانسته وأجزل حظهم من التلذذ بمشاهدة آلائه وعظمته وروّح أسرارهم بمناجاته وملاطفته وحقّر في قلوبهم النظر إلى متاع الدنيا وزهرتها حتى اغتبط بعزلته كل من طويت الحجب عن مجاري فكرته فاستأنس بمطالعة سبحات وجهه تعالى في خلوته واستوحش بذلك عن الأنس بالإنس وإن كان من أخص خاصته والصلاة على محمد سيد أنبياء الله وخيرته وعلى آله وأصحابه سادة الخلق وأئمته ٥

أما بعد فإن للناس اختلافا كثيرا في العزلة والمخالطة وتفضيل إحداهما على الأخرى مع أن كل واحدة منهما لا تنفك عن غوائل تنفر عنها وفوائد تدعو إليها وميل أكثر العباد والزهاد إلى اختيار العزلة وتفضيلها على المخالطة والمؤاخاة والمؤالفة يكاد يناقض ما مال إليه الأكثرون من اختيار الاستيحاش والخلوة وكشف الحق من ذلك مهم ويحصل ذلك ببابين

الباب الأول	الباب الثاني
في نقل المذاهب والحجج فيها	في كشف الغطاء عن الحق بحصر الفوائد والغوائل

الباب الأول

في نقل المذاهب والأقاويل وذكر حجج الفريقين في ذلك

أما المذاهب فقد اختلف الناس فيها وظهر هذا الاختلاف بين التابعين فذهب إلى اختيار العزلة وتفضيلها على المخالطة سفيان الثوري وإبراهيم بن أدهم وداود الطائي والفضيل بن عياض وسليمان الخواص ويوسف بن أسباط وحذيفة المرعشي وبشر الحافي وذهب أكثر التابعين إلى استحباب المخالطة واستكثار المعارف والإخوان للتألف والتحبب إلى المؤمنين والاستعانة بهم في الدين تعاونا على البر والتقوى ومال إلى هذا سعيد بن المسيب والشعبي وابن أبي ليلى وهشام بن عروة وابن شبرمة وشريح وشريك بن عبد الله وابن عيينة وابن المبارك والشافعي وأحمد بن حنبل وجماعة رضي الله عنهم والمأثور عن العلماء من الكلمات ينقسم إلى كلمات مطلقة تدل على الميل إلى أحد الرأيين وإلى كلمة مقرونة بما يشير إلى علة الميل فلننقل الآن مطلقات تلك الكلمات لتبين المذاهب فيها وما هو مقرون بذكر العلة نورده عند التعرض للغوائل والفوائد فنقول قد روي عن عمر رضي الله عنه أنه قال خذوا بحظكم من العزلة وقال ابن سيرين العزلة عبادة وقال الفضيل كفى بالله محبا وبالقرآن مؤنسا وبالموت واعظا اتخذ الله صاحبا ودع الناس جانبا وقال أبو الربيع الزاهد لداود الطائي عظني قال صم عن الدنيا واجعل فطرك الآخرة وفر من الناس فرارك من الأسد وقال الحسن كلمات أحفظهن من التوراة قنع ابن آدم فاستغنى اعتزل الناس فسلم ترك الشهوات فصار حرا ترك الحسد فظهرت مروءته صبر قليلا فتمتع طويلا وقال وهيب بن الورد بلغنا أن الحكمة عشرة أجزاء تسعة منها في الصمت والعاشر في عزلة الناس وقال يوسف بن مسلم لعلي بن بكار ما أصبرك على الوحدة وقد كان لزم البيت فقال كنت وأنا شاب أصبر على أشد من هذا كنت أجالس الناس ولا أكلمهم وقال سفيان الثوري هذا وقت السكوت وملازمة البيوت وقال بعضهم كنت في سفينة ومعنا شاب من العلوية فمكث معنا سبعا لا نسمع له كلاما فقلنا له يا هذا قد جمعنا الله وإياك منذ سبع ولا نراك تخالطنا ولا تكلمنا فأنشأ يقول

قليل الهم لا ولد يموت ... ولا أمر يحاذر أن يفوت

قضى وطر الصبا وأفاد علما ... فغايته التفرد والسكوت

وقال إبراهيم النخعي لرجل تفقه ثم اعتزل وكذا قال الربيع بن خثيم وقيل كان مالك بن أنس يشهد الجنائز ويعود المرضى ويعطي الإخوان حقوقهم فترك ذلك واحدا واحدا حتى تركها كلها وكان يقول لا يتهيأ للمرء أن يخبر بكل عذر له وقيل لعمر بن عبد العزيز لو تفرغت لنا فقال ذهب الفراغ فلا فراغ إلا عند الله عز وجل وقال الفضيل إني لأجد للرجل عندي يدا إذا لقيني أن لا يسلم علي وإذا مرضت أن لا يعودني وقال أبو سليمان الداراني بينما الربيع بن خثيم جالس على باب داره إذ جاءه حجر فصك جبهته فشجه فجعل يمسح الدم ويقول لقد وعظت يا ربيع فقام ودخل داره فما جلس بعد ذلك على باب داره حتى أخرجت جنازته وقال سعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد لزما بيوتهما بالعقيق فلم يكونا يأتيان المدينة لجمعة ولا لغيرها حتى ماتا بالعقيق وقال يوسف بن أسباط سمعت سفيان الثوري يقول والله الذي لا إله إلا هو لقد حلت العزلة وقال بشر بن عبد الله أقل من معرفة الناس فإنك لا تدري ما يكون يوم القيامة فإن تكن فضيحة كان من يعرفك قليلا ودخل بعض الأمراء على حاتم الأصم فقال له ألك حاجة فقال نعم فقال ما هي قال أن لا تراني ولا أراك وقال رجل لسهل أريد أن أصحبك فقال إذا مات أحدنا فمن يصحب الآخر فليصحبه الآن وقيل للفضيل إن علينا ابنك يقول لوددت أني في مكان أرى الناس ولا يرونني فبكى الفضيل وقال يا ويح علي أفلا أتمها فقال لا أراهم ولا يرونني وقال الفضيل أيضا من سخافة عقل الرجل كثرة معارفه وقال ابن عباس أفضل المجالس مجلس في قعر بيتك لا ترى ولا ترى فهذه أقاويل المائلين إلى العزلة ٥

ذكر حجج المائلين إلى المخالطة ووجه ضعفها

احتج هؤلاء بقوله تعالى ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا وبقوله تعالى فألف بين قلوبكم فامتن على الناس بالسبب المؤلف وهذا ضعيف لأن المراد به تفرق الآراء واختلاف المذاهب في معاني كتاب الله وأصول الشريعة والمراد بالألفة نزع الغوائل من الصدور وهي الأسباب المثيرة للفتن المحركة للخصومات والعزلة لا تنافي ذلك واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم المؤمن آلف مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف وهذا أيضا ضعيف لأنه إشارة إلى مذمة سوء الخلق الذي يمتنع بسببه المؤالفة ولا يدخل تحته الحسن الخلق الذي إن خالط ألف وألف ولكنه ترك المخالطة اشتغالا بنفسه وطلبا للسلامة من غيره واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم من فارق الجماعة فمات فميتته جاهلية وبقوله صلى الله عليه وسلم من شق عصا المسلمين والمسلمون في إسلام دامج فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه وهذا ضعيف لأن المراد به الجماعة التي اتفقت آراؤهم على إمام بعقد البيعة فالخروج عليهم بغي وذلك مخالفة بالرأي وخروج عليهم وذلك محظور لاضطرار الخلق إلى إمام مطاع يجمع رأيهم ولا يكون ذلك إلا بالبيعة من الأكثر فالمخالفة فيه تشويش مثير للفتنة فليس في هذا تعرض للعزلة واحتجوا بنهيه صلى الله عليه وسلم عن الهجرة فوق ثلاث إذ قال من هجر أخاه فوق ثلاث فمات دخل النار وقال لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث والسابق بالصلح يدخل الجنة وقال من هجر أخاه ستة أيام فهو كسافك دمه قالوا والعزلة هجرة بالكلية وهذا ضعيف لأن المراد به الغضب على الناس واللجاج فيه بقطع الكلام والسلام والمخالطة المعتادة فلا يدخل فيه ترك المخالطة أصلا من غير غضب مع أن الهجرة فوق ثلاث جائزة في موضعين أحدهما أن يرى فيه استصلاحا للمهجور في الزيادة والثاني أن يرى لنفسه سلامة فيه والنهي وإن كان عاما فهو

محمول على ما ورآء الموضعين المخصوصين بدليل ما روي عن عايشه ان النبي صلى الله عليه وسلم هجرها ذا الحجة والمحرم وبعض وبعض صفر وروي عن عمر رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم اعتزل نساءه وآلى منهن شهرا وصعد الى غرفة له وهي خزانته فلبث فيها تسعا وعشرين يوما فلما نزل قيل له انك كنت فيها تسعا وعشرين فقال الشهر قد يكون تسعا وعشرين وروت عايشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يحل لمسلم ان يهجر اخاه فوق ثلاثة ايام الا ان يكون ممن لا تؤمن بوائقه فهذا صريح في التخصيص وعلى هذا ينزل قول الحسن حيث قال هجران الاحمق قربة الى الله فان ذلك يدوم الى الموت اذ الحماقة لا ينتظر علاجها وذكر عند محمد بن عمر الواقدي رجل هجر رجلا حتى مات فقال هذا شي قد تقدم فيه قوم سعد بن ابي وقاص كان مهاجرا لعمار بن ياسر حتى ماتا وعثمان بن عفان كان مهاجرا لعبد الرحمن بن عوف وعايشه كانت مهاجرة لحفصة وكان طاوس مهاجرا لوهب بن منبه حتى مات وكل ذلك يحمل على رؤيتهم سلامتهم في المهاجرة احتجوا بما روي ان رجلا اتى الجبل ليتعبد فيه فجيء به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تفعل انت ولا احد منكم لصبر احدكم في بعض مواطن الاسلام خير من عبادة احدكم اربعين عاما والظاهر ان هذا انما كان لما فيه من ترك الجهاد مع شدة وجوبه في ابتداء الاسلام بدليل ما روي عن ابي هريرة انه قال غزونا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فمررنا بشعب فيه عيينة طيبة الماء فقال واحد من القوم لو اعتزلت الناس في هذا الشعب ولن افعل ذلك حتى اذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له فقال عليه السلم لا تفعل فان مقام احدكم في سبيل الله خير من صلاته في اهله ستين عاما الا تحبون ان يغفر الله لكم وتدخلون الجنة اغزوا في سبيل الله فانه من قاتل في سبيل الله فواق ناقة ادخله الله الجنة احتجوا بما روى معاذ بن جبل انه قال ان الشيطان ذئب الانسان كذئب الغنم ياخذ القاصية والناحية والشاذة اياكم والشعاب وعليكم بالعامة والجماعة والمساجد وهذا انما اراد به من اعتزل قبل تمام العلم وسياتي ان ذلك منهي عنه الا لضرورة

ذكر حجج المائلين الى تفضيل العزلة احتجوا بقوله تعالى حكاية عن ابرهيم واعتزلكم وما تدعون من دون الله وادعوا ربي الاية ثم قال فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا اشارة الى ان ذلك ببركة العزلة و هذا ضعيف لان مخالطة الكفار لا فائدة فيها الا دعوتهم الى الدين وعند الياس عن اجابتهم فلا وجه الا هجرهم وانما الكلام في مخالطة المسلمين وما فيها من البركة اذ روي انه عليه السلم قيل له الوضوء من جر مخمر احب اليك او من هذه المطاهر التي يتطهر منها الناس قال من هذه المطاهر التماسا لبركة ايدي المسلمين وروي انه لما طاف بالبيت عدل الى زمزم ليشرب منها فاذا التمر المنقع في الحياض الادم قد مغثه الناس بايديهم وهم يتناولون منه ويشربون فاستسقى منهم فقال اسقوني فقال العباس ان هذا الشراب نبيذ قد مغث وخيض بالايدي افلا آتيك بشراب انظف من هذا في جر مخمر في البيت فقال اسقوني من هذا الذي يشرب منه الناس التمس بركة ايدي المسلمين فشرب منه فاذا كيف يستدل باعتزال الكفار والاصنام على اعتزال المسلمين مع كثرة البركة فيهم واحتجوا ايضا بقول موسى عليه السلم وان لم تؤمنوا لي فاعتزلون وانه فزع الى العزلة عند الياس منهم وقال في اصحاب الكهف واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فاووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته امرهم بالعزلة وقد اعتزل نبينا صلى الله عليه وسلم قريشا لما آذوه وجفوه ودخل الشعب وامر اصحابه باعتزالهم والهجرة الى ارض الحبشة ثم تلاحقوا به الى المدينة بعد ان اعلا الله كلمته وهذا ايضا اعتزال الكفار عند الياس منهم فانه صلى الله عليه وسلم لم يعتزل المسلمين ولا من توقع اسلامه من الكفار واهل الكهف لم يعتزل بعضهم بعضا وهم مؤمنون وانما اعتزلوا الكفار وانما النظر في العزلة من المؤمنين و احتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عامر الجهني لما قال يا رسول الله ما النجاة ليسعك بيتك وامسك عليك دينك

دينك وابك على خطيئتك وروي انه قيل له اي الناس افضل فقال مؤمن مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله قيل ثم من قال رجل معتزل في شعب من الشعاب يعبد ربه ويدع الناس من شره وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يحب العبد التقي النقي الخفي وفي الاحتجاج بهذه الاحاديث نظر فاما قوله لعبد الله بن عامر فلا يمكن تنزيله الا على ما عرفه صلى الله عليه وسلم بنور النبوة من من حاله وان لزوم البيت كان اليق به واسلم من المخالطة فانه لم يامر جميع الصحابة بذلك ورب شخص يكون سلامته في العزلة لا في المخالطة كما قد يكون سلامته في القعود في البيت وان لا يخرج الى الجهاد وذلك لا يدل على ان ترك الجهاد افضل وفي مخالطة الناس مجاهدة ومقاساة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم الذي يخالط الناس ويصبر على اذاهم خير من الذي لا يخالط ولا يصبر على اذاهم وعلى هذا ينزل قوله عليه السلم رجل معتزل يعبد ربه ويدع الناس من شره فهذا اشارة الى شرير بطبعه تتأذى الناس بمخالطته وقوله ان الله يحب التقي الخفي اراد به اشارة الخمول وتوقي الشهرة وذلك لا يتعلق بالعزلة فكم من راهب معتزل تعرفه كافة الناس وكم من مخالط خامل لا ذكر له ولا شهرة فهذا تعرض لما لا يتعلق بالعزلة واحتجوا بما روي انه عليه السلم قال لاصحابه الا انبئكم بخير الناس قالوا بلى فاشار بيده نحو المغرب فقال رجل آخذ بعنان فرسه في سبيل الله ينتظر ان يغير او يغار عليه الا انبئكم بخير الناس بعده واشار بيده نحو الحجاز وقال رجل في غنمه يقيم الصلوة ويؤتي الزكوة ويعلم حق الله في ماله اعتزل شرور الناس فاذا ظهر ان هذه الادلة لا شفاء فيها من الجانبين فلا بد من كشف الغطاء بالتصريح بفوائد العزلة وغوائلها ومقايسة بعضها بالبعض ليتبين الحق فيها ان شاء الله

الباب الثاني في فوائد العزلة وغوائلها وكشف الحق في فضلها

اعلم ان اختلاف الناس في هذا يضاهي اختلافهم في فضيلة النكاح والعزوبة وقد ذكرنا ان ذلك يختلف بالاحوال والاشخاص بحسب ما فصلناه من آفات النكاح وفوائده فكذلك القول فيما نحن فيه فلنذكر اولا فوائد العزلة وهي تنقسم الى فوائد دينية ودنيوية والدينية تنقسم الى تمكن من تحصيل الطاعات في الخلوة بالمواظبة على العبادة والفكر وتربية العلم والى تخلص من ارتكاب المناهي التي يتعرض الانسان لها بالمخالطة كالرياء والغيبة والسكوت عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومسارقة الطبع من الاخلاق الرديئة والاعمال الخبيثة من جلساء السوء واما الدنيوية فتنقسم الى تمكن من التحصيل بالخلوة كتمكن المحترف في خلوته والى تخلص من محذورات يتعرض لها بالمخالطة والتأذي بسوء خلق الجليس في مرائه او سوء ظنه او نميمته او محاسدته او التأذي بثقله وتشوه خلقته والى هذا يرجع مجامع فوائد العزلة فلنحصرها في ست فوائد

الفائدة الاولى

الفراغ للعبادة و التفكر والاستيناس بمناجاة الله سبحانه عن مناجاة الخلق والاشتغال باستكشاف اسرار الله في امر الدنيا والآخرة وملكوت السموات والارض فان ذلك يستدعي فراغا ولا فراغ مع المخالطة فالعزلة وسيلة اليه ولهذا قال بعض الحكماء لا يتمكن احد من الخلوة الا بالتمسك بكتاب الله عز وجل والمتمسكون بكتاب الله هم الذين استراحوا من الدنيا بذكر الله الذاكرون الله بالله عاشوا بذكر الله وماتوا بذكر الله ولقوا الله بذكر الله ولا شك في ان هؤلاء يمنعهم المخالطة عن الفكر والذكر فالعزلة اولى بهم ولذلك كان صلى الله عليه وسلم في ابتداء الامر يتبتل في جبل حراء وينعزل اليه حتى قوي فيه نور النبوة فكان الخلق لا يحجبه عن الله فكان ببدنه مع الخلق وبقلبه مقبلا على الله تعالى حتى كان الناس يظنون ان ابا بكر رضي الله عنه خليله فاخبر عن استغراق همه بالله فقال لو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله ولن يتسع للجمع بين مخالطة الخلق ظاهرا والاقبال على الله تعالى سرا الا قوة النبوة فلا ينبغي ان يغتر كل ضعيف بنفسه فيطمع في ذلك ولا يبعد ان تنتهي درجة بعض الاولياء اليه فقد قيل فقد نقل عن الجنيد انه قال انا اكلم الله منذ ثلثين سنة والناس يظنون

اى اكلمهم وهذا انما يتيسر للمستغرق بحب الله استغراقا لا يبقى لغيره فيه متسع وذلك غير منكر ففى المستهترين بحب الخلق
من يخالط الناس ببدنه وهو لا يدرى ما يقول وما يقال له لفرط عشقه لمحبوبه بل الذى دهاه ملمة تشوش عليه امرا
من امور دنياه فلا يستغرقه الهم بحيث يخالط الناس ولا يحس بهم ولا يسمع اصواتهم لشدة استغراقه وامر الآخرة اعظم
عند العقلاء فلا يستحيل ذلك فيه ولكن الاولى بالاكثرين الاستعانة بالعزلة ولذلك قيل لبعض الحكماء ما الذى ارادوا بالخلوة
واختيار العزلة فقال يستدعون بذلك دوام الفكرة وتثبيت العلوم فى قلوبهم ليحيوا حياة طيبة ويذوقوا حلاوة المعرفة
وقيل لبعض الرهبان ما اصبرك على الوحدة فقال ما انا وحدى انا جليس الله تعالى اذا شئت ان يناجينى قرأت كتابه واذا
شئت ان اناجيه صليت وقيل لبعض الحكماء الى اى شىء افضى بكم الزهد والخلوة فقال الى الانس بالله وقال سفين بن عيينة
لقيت ابرهيم بن ادهم فى بلاد الشام فقلت له يا ابرهيم تركت خراسان فقال ما تهنأت بالعيش الا ههنا افر بدينى من شاهق
الى شاهق فمن رآنى يقول موسوس او حمال او ملاح وقيل لغزوان الرقاشى هبك لا تضحك فما يمنعك من مجالسة اخوانك
قال انى اصبت راحة قلبى فى مجالسة من عنده حاجتى وقيل للحسن يا ابا سعيد ههنا رجل ما رأيناه قط جالسا الا وحده
خلف سارية فقال الحسن اذا رأيتموه فاخبرونى به فنظروا اليه ذات يوم فقالوا للحسن هذا الرجل الذى اخبرناك به واشاروا
اليه فمضى اليه الحسن وقال يا عبد الله اراك قد حببت اليك العزلة فما يمنعك من مجالسة الناس فقال امر شغلنى عن الناس فقال
فما يمنعك ان تأتى هذا الرجل الذى يقال له الحسن فتجلس اليه فقال امر شغلنى عن الناس وعن الحسن فقال الحسن وما ذاك الشغل
يرحمك الله قال انى اصبح وامسى بين نعمة وذنب فرأيت ان اشغل نفسى بشكر الله على النعمة والاستغفار من الذنب فقال له
الحسن انت يا عبد الله افقه عندى من الحسن فالزم ما انت عليه وقال بينما اويس القرنى جالس اذ اتاه هرم بن حيان فقال له اويس
ما جاء بك قال جئت لآنس بك فقال ما كنت ارى احدا يعرف ربه فيأنس بغيره وقال الفضيل اذا رأيت الليل مقبلا فرحت به
وقلت اخلو بربى واذا رأيت الصبح ادركنى استرجعت كراهية لقاء الناس وان يجىء من يشغلنى عن ربى وقال عبد الله بن زيد
طوبى لمن عاش فى الدنيا وعاش فى الآخرة فقيل له وكيف ذلك قال يناجى الله فى الدنيا ويجاوره فى الآخرة وقال ذو النون
المصرى سرور المؤمن ولذته فى الخلوة بمناجاة ربه وقال مالك بن دينار من لم يأنس بمحادثة الله تعالى عن محادثة المخلوقين فقد قل علمه
وعمى قلبه وضيع عمره وقال ابن المبارك ما احسن حال من انقطع الى الله عز وجل ويروى عن بعض الصالحين قال بينما
انا اسير فى بعض بلاد الشام اذا انا بعابد خارج من بعض تلك الجبال فلما نظر الىّ تنحى الى اصل شجرة وتستر بها فقلت سبحان
الله تبخل علىّ بالنظر اليك فقال يا هذا انى اقمت فى هذا الجبل دهرا طويلا اعالج قلبى فى الصبر عن الدنيا واهلها فطال فى
ذلك تعبى وفنى فيه عمرى فسألت الله ان لا يجعل حظى من ايامى فى مجاهدة قلبى فسكنه الله عن الاضطراب وألفه الوحدة
والانفراد فلما نظرت اليك خفت ان اقع فى الامر الاول فاليك عنى فانى اعوذ من شرك برب العارفين وحبيب القانتين
ثم صاح واغماه من طول المكث فى الدنيا ثم حول وجهه عنى ثم نفض يديه وقال اليك عنى يا دنيا لغيرى فتزينى واهلك
فغرى ثم قال سبحان من اذاق قلوب العارفين من لذة الخلوة وحلاوة الانقطاع اليه ما الهى قلوبهم عن ذكر الجنان وعن
الحور الحسان فاذا فى الخلوة انس بذكر الله واستكثار من معرفته وفى ذلك قيل

وانى لاستغشى وما بى نعسة ... لعل خيالا منك يلقى خياليا
واخرج من بين البيوت لعلنى ... احدث عنك النفس بالسر خاليا

ولذلك قال بعض الحكماء انما يستوحش الانسان من نفسه لخلو ذاته عن الفضيلة فيكثر حينئذ ملاقاة الناس ويطرد الوحشة عن نفسه فاذا
كانت ذاته فاضلة طلب الوحدة ليستعين بها على الفكرة ويستخرج العلم والحكمة وقد قيل الاستيناس بالناس
من علامات الافلاس فاذا هذه فائدة جزيلة ولكن فى حق بعض الخواص ومن يتيسر له بدوام الذكر الانس بالله او بدوام
الفكر التحقق فى معرفة الله فالتجرد له افضل من كل ما يتعلق بالمخالطة فان غاية العبادات وثمرة المعاملات ان يموت الانسان
محبا لله عارفا بالله ولا محبة الا بالانس الحاصل بدوام الذكر ولا معرفة الا بدوام الفكر وفراغ القلب شرط كل واحد
منهما ولا فراغ مع المخالطة **الفائدة الثانية** التخلص بالعزلة عن المعاصى التى يتعرض الانسان لها غالبا بالمخالطة ويسلم منها
فى الخلوة وهى اربعة الغيبة والرياء والسكوت عن الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ومسارقة الطبع من الاخلاق الرديئة والاعمال
الخبيثة التى يوجبها الحرص على الدنيا اما الغيبة فاذا عرفت فى كتاب آفات اللسان من ربع المهلكات وجوهها عرفت
ان التحرز عنها مع المخالطة عظيم لا ينجو منها الا الصديقون فان عادة الناس كافة التمضمض باعراض الناس والتفكه بها
والتنقل بحلاوتها وهى طعمتهم ولذتهم واليها يستريحون من وحشتهم فى الخلوة فان خالطتهم ووافقتهم اثمت وتعرضت لسخط
الله وان سكت كنت شريكا والمستمع احد المغتابين وان انكرت ابغضوك وتركوا ذلك المغتاب واغتابوك فازدادوا غيبة
الى الغيبة وربما زادوا على الغيبة وانتهوا الى الاستخفاف والشتم واما الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فهو من اصول
الدين وهو واجب كما سيأتى بيانه فى آخر هذا الربع ان شاء الله تعالى ومن خالط الناس فلا يخلو عن مشاهدة المنكرات فان سكت عصى
الله به وان انكر تعرض لانواع من الضرر اذ ربما يجره طلب الخلاص منها الى معاص هى اكبر مما نهى عنه ابتداء وفى العزلة خلاص من هذا
فان الامر فى اهماله شديد والقيام به شاق وقد قام ابو بكر خطيبا وقال يا ايها الناس انكم تقرءون هذه الآية يا
ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم وانكم تضعونها فى غير مواضعها وانى سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا رأى الناس المنكر فلم يغيروه اوشك ان يعمهم الله بعقاب وقد قال صلى الله عليه وسلم ان الله ليسأل
العبد حتى يقول ما منعك اذا رأيت المنكر فى الدنيا ان تنكره فاذا لقن الله عبدا حجته قال يا رب رجوتك وخفت
الناس وهذا اذا خاف من ضرب او امر لا يطاق ومعرفة حدود ذلك مشكل وفيه خطر وفى العزلة خلاص وفى الامر بالمعروف
اثارة للخصومات وتحريك لغوائل الصدور كما قيل

وكم سقت فى آثاركم من نصيحة ... وقد يستفيد البغضة المتنصح

ومن جرب الامر بالمعروف ندم غالبا فانه كجدار مائل يريد الانسان ان يقيمه فيوشك ان يسقط عليه فاذا سقط لا يجد
الاعوان فدعهم ولج برأسك واما الرياء فهو الداء العضال الذى يعسر على الاوتاد والابدال الاحتراز عنه وكل من
خالط الناس داراهم ومن داراهم راياهم ومن راياهم وقع فيما وقعوا فيه وهلك كما هلكوا واقل ما يلزم فيه النفاق فانك
ان خالطت متعاديين ولم تلق كل واحد منهما بوجه يوافقه صرت بغيضا اليهما وان جاملتهما كنت من شرار الناس قال صلى الله
قال صلى الله عليه وسلم تجدون من شرار الناس ذا الوجهين الذى يأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه واقل ما يجب فى مخالطة
الناس اظهار الشوق والمبالغة فيه ولا يخلو ذلك عن كذب اما فى الاصل واما فى الزيادة واظهار الشفقة بالسؤال عن الاحوال
فقولك كيف انت وكيف اهلك وانت فى الباطن فارغ القلب عن همومه نفاق محض قال ابن مسعود ان الرجل ليخرج من
بيته فيلقى الرجل له اليه حاجة فيقول كيت وكيت فيمدح نفسه لا يحظى من حاجته بشىء فيرجع وقد اسخط الله عليه ما معه
من دينه شىء قال السرى لو دخل علىّ اخ لى فسويت لحيتى بيدى لدخوله خشيت ان اكتب فى جريدة المنافقين وكان الفضيل
رحمه الله جالسا وحده فى المسجد الحرام فجاء اليه اخ له فقال له ما جاء بك قال المؤانسة يا ابا على فقال هى والله بالموحشة

اشبه حال زيد الا ان تزينني لي وانزين لك وتكذب لي واكذب لك اما ان يقوم عني واما ان اقوم عنك وقال بعض العلماء ما احب الله الا احب ان لا يشعر به ودخل طاوس على الخليفة هشام فقال كيف انت يا هشام فغضب عليه فقال لم لا تخاطبني بامير المومنين فقال ان جميع المسلمين ما اتفقوا على خلافتك فخشيت ان اكون كاذبا فمن امكنه ان يحترز هذا الاحتراز فليخالط الناس والا فليرض باثبات اسمه في جريدة المنافقين فقد كان السلف يتلاقون ويحترزون في قولهم كيف اصبحت وكيف حالك وفي الجواب عنه وكان سؤالهم عن احوال الدين لا عن احوال الدنيا قال حاتم الاصم لحامد اللفاف كيف انت في نفسك قال سالم معافى فكره حاتم جوابه فقال يا حامد السلامة من وراء الصراط والعافية في الجنة وكان اذا قيل لعيسى عليه السلم كيف اصبحت قال اصبحت لا املك نفع ما ارجو ولا استطيع دفع ما احاذر واصبحت مرتهنا بعملي والخير كله بيد غيري فلا فقير افقر مني وكان الربيع بن خثيم اذا قيل له كيف اصبحت قال اصبحنا ضعفاء مذنبين نستوفي ارزاقنا وننتظر آجالنا وكان ابو الدرداء اذا قيل له كيف اصبحت قال اصبحت بخير ان نجوت من النار وكان سفيان الثوري اذا قيل له كيف اصبحت قال اصبحت اشكو ذا الى ذا واذم الى ذا وافر من ذا الى هذا وقيل لاويس القرني كيف اصبحت فقال كيف يصبح رجل اذا امسى لا يدري انه يصبح واذا اصبح لا يدري انه يمسي وقيل لمالك بن دينار كيف اصبحت قال اصبحت في عمر ينقص وذنوب تزيد وقيل لبعض الحكماء كيف اصبحت فقال اصبحت لا ارضى حياتي لمماتي ولا نفسي لربي وقيل لحكيم كيف قال اصبحت آكل رزق ربي واطيع عدوه ابليس وقيل لمحمد بن واسع كيف اصبحت قال ما ظنك برجل يرتحل الى الآخرة مرحلة وقيل لحامد اللفاف كيف اصبحت قال اصبحت اشتهي عافية يوم الى الليل فقيل له الست في عافية في كل الايام فقال العافية يوم لا اعصي الله فيه وقيل لرجل وهو يجود بنفسه ما حالك فقال ما حال من يريد سفرا بعيدا بلا زاد ويدخل قبرا موحشا بلا مونس وينطلق الى ملك عدل بلا حجة وقيل لحسان بن سنان ما حالك قال ما حال من يموت ثم يبعث ثم يحاسب وقال ابن سيرين لرجل كيف حالك فقال وما حال من عليه خمسمائة درهم دينا وهو معيل فدخل ابن سيرين منزله فاخرج له الف درهم فدفعها اليه وقال خمسمائة اقض بها دينك وخمسمائة عد بها على عيالك ولم يكن عنده غيرها ثم قال والله لا اسأل عن حاله ابدا وانما فعل ذلك لانه خشي ان يكون سؤاله على غير اهتمام بامره فيكون بذلك مرائيا منافقا فقد كان سؤالهم عن امور الدين واحوال القلب في معاملة الله وان سألوا عن امور الدنيا فعن اهتمام وعزم على القيام بما يظهر لهم من الحاجة قال بعضهم اني لاعرف اقواما كانوا لا يتلاقون ولو حكم احدهم على صاحبه بجميع ما يملكه لم يمنعه واري الآن اقواما يتلاقون ويتساءلون عن الدجاجة في البيت ولو انبسط احدهم لحبة من مال صاحبه لمنعه فهل هذا الا مجرد الرياء والنفاق وآية ذلك انك ترى هذا يقول كيف انت ويقول الآخر كيف انت والسائل لا ينتظر الجواب والمسؤول يشتغل بالسؤال ولا يجيب وذلك لمعرفتهم بان ذلك عن رياء وتكلف ولعل القلوب لا تخلو عن ضغائن واحقاد والالسنة تنطق بالسؤال قال الحسن انما كانوا يقولون السلام عليك اذا سلمت والله القلوب فاما الآن فكيف اصبحت عافاك الله كيف انت اصلحك الله فان اخذنا بقولهم كانت بدعة لا كرامة فان شاؤا غضبوا علينا وان شاؤا لا وانما قال ذلك لان البداية بقولك كيف اصبحت بدعة وقال رجل لابي بكر بن عياش كيف اصبحت فما اجابه وقال دعونا من هذه البدعة وقالوا انما حدث هذا في زمان الطاعون الذي كان يدعى طاعون عمواس بالشام من الموت الذريع كان الرجل يلقى اخاه غدوة فيقول كيف اصبحت من الطاعون ويلقاه عشية فيقول كيف امسيت والمقصود ان الالتقاء في غالب العادات ليس يخلو عن انواع من التصنع والرياء والنفاق وكل ذلك مذموم بعضه محظور وبعضه مكروه وفي العزلة

الخلاص من ذلك فان من لقي الخلق ولم يخالقهم باخلاقهم مقتوه واستثقلوه واغتابوه وتشمروا لايذائه فيذهب دينهم فيه ويذهب دينه ودنياه في الانتقام منهم واما مسارقة الطبع لما يشاهده من اخلاق الناس واعمالهم فهو داء دفين قلما يتنبه له العقلاء فضلا عن الغافلين فلا يجالس الانسان فاسقا مدة مع كونه منكرا عليه في باطنه الا ولو قاس نفسه الى ما قبل مجالسته ادرك فيها تفرقة في النفرة عن الفساد واستثقاله اذ يصير الفساد بكثرة المشاهدة هينا على الطبع ويسقط وقعه واستعظامه عنه وانما الوازع عنه شدة وقعه في القلب فاذا صار مستصغرا بطول المشاهدة اوشك ان تنحل القوة الوازعة ويذعن الطبع للميل اليه او لما دونه ومهما طالت مشاهدته الكبائر من غيره استحقر الصغائر من نفسه ولذلك يزدري الناظر نعم الله عليه مهما نظر الى الاغنياء فيؤثر مجالستهم في ان يستصغر ما عنده ويؤثر مجالسة الفقراء في استعظام ما اتيح له من النعم وكذلك النظر الى المطيعين والعصاة هذا تاثيره في الطبع فمن يقصر نظره على ملاحظة احوال الصحابة والتابعين في العبادة والتنزه عن الدنيا فلا يزال ينظر الى نفسه بعين الاستصغار والى عبادته بعين الاستحقار وما دام يرى نفسه مقصرا فلا يخلو عن داعية الاجتهاد رغبة في الاستكمال واستتماما للاقتداء ومن نظر الى الاحوال الغالبة على هذا الزمان واعراضهم عن الله واقبالهم على الدنيا واعتيادهم للمعاصي استعظم امر نفسه بان يرى نفسه ذا رغبة في الخير وذلك هو الهلاك ويكفي في تغيير الطبع مجرد سماع الخير والشر فضلا عن مشاهدته وبهذه الدقيقة يعرف سر قوله صلى الله عليه وسلم عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة فانما الرحمة دخول الجنة ولقاء الله تعالى وليس ينزل عند الذكر عين ذلك ولكن سببه وهو انبعاث الرغبة من القلب وحركة الحرص على الاقتداء بهم والاستنكاف عما هو ملابس له من القصور والتقصير ومبدأ الرحمة فعل الخير ومبدأ فعل الخير الرغبة ومبدأ الرغبة ذكر احوال الصالحين فهذا معنى نزول الرحمة والمفهوم من فحوى هذا الكلام عند الفطن كالمفهوم من نقيضه وهو ان عند ذكر الفاسقين تنزل اللعنة لان كثرة ذكرهم تهون على الطبع امر المعاصي واللعنة هو البعد ومبدأ البعد من الله المعاصي والاعراض عن الله بالاقبال على الحظوظ العاجلة والشهوات الحاضرة لا على الوجه المشروع ومبدأ المعاصي سقوط ثقلها وتفاحشها عن القلب ومبدأ سقوط ذلك وقوع الانس بها بكثرة السماع واذا كان هذا حال ذكر الصالحين والفاسقين فما ظنك بمشاهدتهم بل قد صرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال مثل الجليس السوء كمثل القين ان لم يحرقك بشرره علق بك من ريحه فكما ان الريح يعلق بالثوب ولا يشعر بها فكذلك يسهل الفساد على القلب وهو لا يشعر به وقال مثل الجليس الصالح مثل صاحب المسك ان لا يهب لك منه تجد ريحه ولهذا اقول من عرف من عالم زلة حرم عليه حكايتها لعلتين احدهما انها غيبة والثانية وهي اعظمهما ان حكايتها تهون على المستمعين امر تلك الزلة ويسقط من قلوبهم استعظامهم للاقدام عليها فيكون ذلك سببا لتهوين تلك المعصية فانه مهما وقع فيها واستنكر ذلك رفع الاستنكار فقال كيف يستبعد هذا منا وكلنا مضطرون الى مثله حتى العلماء والعباد ولو اعتقد ان مثل ذلك لا يقدم عليه عالم ويستبعد ولا يتعاطاه موفق معتبر يشق عليه الاقدام وكم من شخص يتكالب على الدنيا ويحرص على جمعها ويتهالك على حب الرياسة وتزيينها ويهون على نفسه قبحها بان الصحابة رضي الله عنهم لم ينزهوا عن الرياسة وربما يستشهد بقتال علي ومعاوية ويخمن في نفسه ان ذلك لم يكن لطلب الحق بل لطلب الرياسة فهذا الاعتقاد الخطأ يهون عليه امر الرياسة ولوازمها من المعاصي والطبع اللئيم يميل الى اتباع الهفوات والاعراض عن الحسنات بل الى تقدير الهفوة فيما لا هفوة فيه بالتنزيل على مقتضى الشهوة ليتعلل به وهذه من دقائق مكايد الشيطان ولذلك وصف الله تعالى المراغمين للشيطان فيها بقوله الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه وضرب صلى الله عليه وسلم لذلك مثلا وقال مثل الجليس الذي يسمع الحكمة ثم لا يحمل الا شر ما يسمع

المستمعين

كمثل رجل اتى راعيا فقال له يا راعي اجزرني شاة من غنمك فقال اذهب فخذ خير شاة فيها فذهب واخذ باذن كلب الغنم وكل
ما ينقل من هفوات الائمة فهذا مثاله ايضا ومما يدل على سقوط وقع الشيء عن القلب بسبب تكرره ومشاهدته ان اكثر الناس اذا
راوا مسلما افطر في نهار رمضان استبعدوه استبعادا يكاد يفضي اعتقادهم الى كفره وقد يشاهدون من يخرج الصلوات عن اوقاتها
فلا ينفر عنه طباعهم كنفرتهم عن تاخير الصوم مع ان صلوة واحدة يقتضي الكفر عند قوم وحز الرقبة عند قوم وترك صوم
رمضان كله لا يقتضيه ولا سبب له الا ان الصلوة تتكرر والتساهل فيها مما يكثر فيسقط وقعها بالمشاهدة عن القلب وكذلك
لو لبس الفقيه ثوبا من حرير او خاتما من ذهب او شرب من اناء فضة استبعدته النفوس واشتد انكارها وقد يشاهد في مجلس
طويل لا يتكلم الا بما هو اغتياب للناس ولا يستبعد منه ذلك والغيبة اشد من الزنا فكيف لا يكون اشد من لبس الحرير ولكن
كثرة سماع الغيبة ومشاهدة المغتابين اسقط عن القلب وقعها وهون على النفوس امرها فتفطن لهذه الدقائق وفر من الناس
فرارك من الاسد فانك لا تشاهد منهم الا ما يزيد في حرصك على الدنيا وغفلتك عن الاخرة ويهون عليك المعصية ويضعف
رغبتك في الطاعة فان وجدت جليسا يذكرك بالله صورته وسيرته فالزمه ولا تفارقه واغتنمه ولا تستحقره فانها غنيمة العاقل
وضالة المؤمن وتحقق ان الجليس الصالح خير من الوحدة وان الوحدة خير من الجليس السوء ومهما فهمت هذه المعاني ولاحظت
طبعك والتفت الى حال من اردت مخالطته لم يخف عليك ان الاولى التباعد عنه بالعزلة او التقرب اليه بالخلطة واياك
ان تحكم مطلقا على العزلة والخلطة بان احدهما اولى اذ كل مفصل فاطلاق القول فيه بلا او نعم خلف محض ولا حق في المفصل
الا التفصيل **الفائدة الثالثة** الخلاص من الفتن والخصومات وصيانة الدين والنفس عن الخوض فيها والتعرض لاخطارها
وقلما تخلو البلاد عن تعصبات وفتن وخصومات فالمعتزل عنهم في سلامة من ذلك قال عبد الله بن عمرو بن العاص لما ذكر رسول الله
صلى الله عليه وسلم الفتن ووصفها وقال اذا رايت الناس مرجت عهودهم وخفت اماناتهم وكانوا هكذا وشبك بين اصابعه
فقلت فما تامرني فقال الزم بيتك واملك عليك لسانك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر وعليك بامر الخاصة ودع عنك
امر العامة وروى ابو سعيد الخدري انه صلى الله عليه وسلم قال يوشك ان يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال و
مواقع القطر يفر بدينه من الفتن وروى عبد الله بن مسعود انه صلى الله عليه وسلم قال سياتي على الناس زمان لا يسلم لذي دين
دينه الا من فر من قرية الى قرية ومن شاهق الى شاهق ومن جحر الى جحر كالثعلب الذي يروغ قيل ومتى ذلك يا رسول الله وقد
امرتنا بالتزويج قال اذا كان ذلك الزمان كان هلاك الرجل على يدي ابويه فان لم يكن له ابوان فعلى يدي زوجته وولده
فان لم يكن فعلى يدي قرابته قالوا فكيف ذلك يا رسول الله قال يعيرونه بضيق اليد فيتكلف ما لا يطيق حتى يورده ذلك
موارد الهلكة وهذا الحديث وان كان في العزوبة فالعزلة مفهومة منها اذ لا يستغني المتاهل عن المعيشة والمخالطة ثم
لا ينال المعيشة الا بمعصية الله ولست اقول هذا اوان ذلك الزمان فلقد كان هذا باعصار قبل هذا العصر ولاجله قال
سفيان الثوري والله لقد حلت العزلة وقال ابن مسعود ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الفتنة وايام الهرج قلت
وما الهرج قال حين لا يامن الرجل جليسه قلت فبم تامرني ان ادركت ذلك الزمان قال كف نفسك ويدك وادخل دارك
قال قلت ارايت يا رسول الله ان دخل علي داري قال فادخل بيتك قلت ان دخل علي بيتي قال فادخل مسجدك واصنع هكذا
وقبض على الكوع وقل ربي الله حتى تموت وقال سعد لما دعي الى الخروج ايام معاوية فقال لا الا ان تعطوني سيفا له عينان
بصيرتان ولسان ينطق بالكافر فاقتله وبالمؤمن فاكف عنه وقال انما مثلنا ومثلكم كمثل قوم كانوا على محجة بيضاء فبيناهم كذلك

كذلك يسيرون اذ هاجت ريح عجاجة فضلوا الطريق والتبس عليهم فقال بعضهم الطريق ذات اليمين فاخذوا فيها وتاهوا
وضلوا وقال بعضهم ذات الشمال فاخذوا فيها وتاهوا واناخ اخرون وتوقفوا حتى ذهبت الريح وتبين الطريق فسعد جماعة
فاعتزلوا الفتن ولم يخالطوا الا بعد زوال الفتن وعن ابن عمر رضي الله عنه انه لما بلغه ان الحسين رضي الله عنه توجه
الى العراق لحقه على مسيرة ثلاثة ايام فقال له اين تريد فقال العراق واذا معه طوامير وكتب فقال هذه كتبهم وبيعتهم
فقال لا تنظر الى كتبهم ولا الى امرهم فابى فقال اني محدثك حديثا ان جبرئيل اتى النبي صلى الله عليه وسلم فخيره بين الدنيا
والاخرة فاختار الاخرة على الدنيا وانك بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لا يليها احد منكم ابدا وما صرفها
عنكم الا الذي هو خير لكم فابى ان يرجع فاعتنقه ابن عمر وبكى وقال استودعك الله من قتيل وكان في الصحابة عشرة الاف
فما خف ايام الفتنة اكثر من اربعين رجلا وجلس طاوس في بيته فقيل له في ذلك فقال فساد الزمان وحيف الائمة ولما
بنى عروة قصره بالعقيق لزمه فقيل له لزمت القصر وتركت مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رايت مساجدكم لاهية
واسواقكم لاغية والفاحشة في فجاجكم عالية وفيما هنالك عما انتم فيه عافية فاذا الحذر من الخصومات ومثارات
الفتن احدى فوائد العزلة **الفائدة الرابعة** الخلاص من شر الناس فانهم يؤذونك مرة بالغيبة ومرة بسوء الظن
والتهمة ومرة بالاقتراحات والاطماع الكاذبة التي يعسر الوفاء بها وتارة بالنميمة والكذب فربما يرون منك من الاعمال والاقوال
ما لا يبلغ عقولهم كنهه فيتخذون ذلك ذخيرة عندهم يدخرونها لوقت تظهر فيه فرصة للشر فاذا اعتزلتهم استغنيت
عن التحفظ عن جميع ذلك قال بعض الحكماء لغيره اعلمك بيتين خير من عشرة الاف درهم فقال ما هما فقال

اخفض الصوت ان نطقت بليل ۞ والتفت بالنهار قبل المقال
ليس للقول رجعة حين يبدو ۞ بقبيح يكون او بجمال

ولا شك ان من اختلط بالناس وشاركهم في اعمالهم لم ينفك من حاسد وعدو يسيء الظن به ويتوهم انه يستعد لمعاداته
ونصب المكيدة عليه وتدسيس غائلة وراءه فالناس مهما اشتد حرصهم على امر يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم
وقد اشتد حرصهم على الدنيا فلا يظنون بغيرهم الا الحرص عليها قال المتنبي

اذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه ۞ وصدق ما يعتاده من توهم
وعادى محبيه بقول عداته ۞ واصبح في ليل من الشك مظلم

وقد قيل معاشرة
الاشرار تورث سوء الظن بالاخيار وانواع الشر الذي يلقاه الانسان من معارفه وممن يختلط به كثيرة لسنا نطول
بتفصيلها وفيما ذكرناه اشارة الى مجامعها وفي العزلة خلاص عن جميعها والى هذا اشار اكثر من اختار العزلة فقال
ابو الدرداء اخبر تقله وقال الشاعر

من حمد الناس ولم يبلهم ۞ ثم بلاهم ذم من يحمد
وصار بالوحدة مستانسا ۞ يوحشه الاقرب والابعد

وقال عمر رضي الله عنه في العزلة راحة من القرين السوء وقيل لعبد الله بن الزبير الا تاتي
المدينة فقال ما بقي فيها الا حاسد نعمة او فرح بنقمة وقال ابن السماك كتب صاحب لنا اما بعد فان الناس كانوا دواء
يتداوى بهم فصاروا داء لا دواء لهم ففر منهم فرارك من الاسد وكان بعض الاعراب يلازم شجرة ويقول هو نديم فيه ثلاث خصال
ان سمع مني لم ينم علي وان تفلت في وجهه احتمل وان عربدت عليه لم يغضب فسمع الرشيد ذلك فقال زهدني في الندماء
وقال بعضهم قد لزم المقابر والدفاتر فقيل له في ذلك فقال لم ار اسلم من وحدة ولا اوعظ من قبر ولا جليسا امتع من دفتر
وقال الحسن اردت الحج فسمع ثابت البناني وكان ايضا من اولياء الله اني اخاف ان نصطحب فيرى بعضنا من بعض ما نتماقت عليه
وهذه اشارة الى فائدة اخرى في العزلة وهو بقاء الستر على الدين والمروة والاخلاق والفقر وسائر العورات وقد مدح الله سبحانه

المستترين فقال يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف وقال الشاعر ولا عار ان زالت عن الحر نعمة
ولكن عارا ان يزول التجمل ولا يخلو الانسان فى دينه ودنياه واخلاقه وافعاله عن عورات الاولى فى الدين والدنيا
سترها ولا يبقى السلامة مع انكشافها وقال ابو الدرداء كان الناس ورقا لا شوك فيه والناس اليوم شوك لا ورق فيه
واذا كان هذا حكم زمانه وهو فى آخر القرن الاول فلا ينبغى ان يشك فى ان الاخير شر وقال سفين بن عيينة قال لى سفين الثورى
فى اليقظة فى حيوته وفى المنام بعد موته اقل من معرفة الناس فان التخلص منهم شديد ولا احسب انى رايت ما اكره الا
ممن عرفت وقال بعضهم جئت الى مالك بن دينار وهو قاعد وحده واذا كلب قد وضع حنكه على ركبته فذهبت اطرده فقال
دعه يا هذا هذا لا يضر ولا يوذى وهو خير من الجليس السوء وقيل لبعضهم ما حملك على ان تعتزل الناس قال خشيت ان اسلب
دينى ولا اشعر وهذا اشارة الى مسارقة الطبع من اخلاق القرين السوء وقال ابو الدرداء اتقوا الله واحذروا الناس فانهم
ما ركبوا ظهر بعير الا ادبروه ولا ظهر جواد الا عقروه ولا قلب مومن الا خربوه وقال بعضهم اقلل المعارف فانه اسلم لدينك
وقلبك واخف لسقوط الحقوق عنك لانه كلما كثرت المعارف كثرت الحقوق وعسر القيام بالجميع وقال بعضهم
انكر من تعرف ولا تتعرف الى من لا تعرف الفائدة الخامسة ان ينقطع طمع الناس عنك وينقطع طمعك عن الناس فاما
انقطاع طمع الناس ففيه كل الجدوى فان رضاء الناس غاية لا تدرك فاشتغال المرء بصلاح نفسه اولى ومن اهون الحقوق
وايسرها حضور الجنازة وعيادة المريض وحضور الولائم والاملاكات وفيها تضييع الاوقات والتعرض للآفات ثم
يعوق عن بعضها عائق وتستقبل فيها المعاذير ولا يمكن اظهار كل الاعذار فيقولون قمت بحق فلان وقصرت فى حقى ويصير ذلك
سبب عداوة فقد قيل من لم يعد مريضا فى وقت العيادة اشتهى موته خيفة من تخجيله اذا صح على تقصيره ومن عمم الناس
كلهم بالحرمان رضوا عنه كلهم ولو خصص استوحشوا وتعميمهم بجميع الحقوق لا يقدر عليه المتجرد له طول الليل والنهار
فكيف من له مهم يشغله فى دينه او دنياه قال عمرو بن العاص كثرة الاصدقاء كثرة الغرماء وقال ابن الرومى شعر
عدوك من صديقك مستفاد فلا تستكثرن من الصحاب فان الداء اكثر ما تراه يكون من الطعام او الشراب
قال الشافعى رضى الله عنه اصل كل عداوة اصطناع المعروف الى اللئام واما انقطاع طمعك عنهم فهو ايضا فائدة جزيلة
فان من نظر الى زهرة الدنيا وزينتها تحرك حرصه وانبعث بقوة الحرص طمعه ولا ترى الا الخيبة فى اكثر الاطماع فيتاذى
وبه وجهها اعتزل لم يشاهد واذا لم يشاهد لم يشته ولم يطمع ولذلك قال تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم
وقال صلى الله عليه وسلم انظروا الى من دونكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم فانه اجدر ان لا تزدروا نعمة الله عليكم وقال عون
ابن عبد الله كنت اجالس الاغنياء فلم ازل مغموما كنت ارى ثوبا احسن من ثوبى ودابة افره من دابتى فجالست الفقراء واسترحت
وحكى ان المزنى خرج من باب جامع الفسطاط وقد اقبل ابن الحكم فى موكبه فبهره ما راى من حاله وحسن هيئته فتلا قوله و
جعلنا بعضكم لبعض فتنة اتصبرون ثم قال بلى اصبر وارضى وكان فقيرا مقلا فالذى هو فى بيته لا يبتلى بمثل هذه الفتنة فان
من شاهد زينة الدنيا فاما ان يقوى دينه ويقينه فيصبر فيحتاج الى ان يتجرع مرارة الصبر وهو امر من الصبر او ينبعث رغبته
فيحتال فى طلب الدنيا فيهلك هلاكا مؤبدا اما فى الدنيا فبالطمع الذى يخيب فى اكثر الاوقات فليس كل من يطلب
الدنيا تتيسر له واما فى الآخرة فبايثاره متاع الدنيا على ذكر الله تعالى والتقرب اليه ولذلك قال ابن الاعرابى شعر
اذا كان باب الذل من جانب الغنى سموت الى العليا من جانب الفقر اشار الى ان الطمع فى الحال يوجب ذلا الفائدة

الفائدة السادسة الخلاص من مشاهدة الثقلاء والحمقى ومقاساة خلقهم واخلاقهم فان الثقيل هو العمى الاصغر وقيل
وقيل للاعمش مم عمشت عيناك قال من النظر الى الثقلاء ويحكى انه دخل ابو حنيفة رحمة الله عليه فقال له فى الخبر من سلب الله
كريمتيه عوضه عنهما ما هو خير منهما فما الذى عوضك فقال فى معرض المطايبة عوضنى عنهما انه كفانى رؤية الثقلاء وانت منهم
وقال ابن سيرين سمعت رجلا يقول نظرت الى ثقيل مرة فغشى على وقال جالينوس لكل شئ حمى وحمى الروح النظر الى الثقلاء
وقال الشافعى رضى الله عنه ما جالست ثقيلا الا وجدت الجانب الذى يليه من بدنى كانه اثقل على من الجانب الآخر
وهذه الفوائد ما سوى الاولين متعلقة بالمقاصد الدنيوية الحاضرة ولكنها تتعلق ايضا بالدين فان الانسان مهما تاذى
برؤية ثقيل لم يلبث ان يغتابه وان يستبشع ما هو صنع الله فاذا تاذى من غيره بغيبة او سوء ظن او محاسدة او نميمة او غير ذلك
لم يصبر عن مكافاته وكل ذلك تنجر الى فساد الدين وفى العزلة سلامة عن جميع ذلك فليفهم آفات العزلة
اعلم ان من المقاصد الدينية والدنيوية ما يستفاد من الاستعانة بالغير ولا يحصل ذلك الا بالمخالطة فكل ما يستفاد من المخالطة
يفوت بالعزلة وفواته من آفات العزلة فانظر الى فوائد المخالطة والدواعى اليها ما هى وهى التعليم والتعلم والنفع والانتفاع
والتاديب والتادب والاستيناس والايناس ونيل الثواب وانالته فى القيام بالحقوق واعتياد التواضع واستفادة التجارب
من مشاهدة الاحوال والاعتبار بها فلنفصل ذلك فانها من فوائد المخالطة وهى سبعة الفائدة الاولى التعليم والتعلم وقد
ذكرنا فضلهما فى كتاب العلم وهما اعظم العبادات فى الدنيا ولا يتصور ذلك الا بالمخالطة الا ان العلوم كثيرة وعن بعضها مندوحة
وبعضها ضرورى فى الدنيا فالمحتاج الى التعلم لما هو فرض عليه عاص بالعزلة وان تعلم الفرض وكان لا يتاتى منه الخوض فى
العلوم وراى الاشتغال بالعبادة فليعتزل وان كان يقدر على التبرز فى علوم الشرع والعقل فالعزلة فى حقه قبل التعلم غاية
الخسران ولهذا قال النخعى تفقه ثم اعتزل ومن اعتزل قبل التعلم فهو فى الاكثر مضيع اوقاته بنوم او فكر فى هوس وغايته ان
يستغرق الاوقات باوراد يستوعبها فلا ينفك فى اعماله بالبدن والقلب عن انواع من الغرور يخيب سعيه ويبطل عمله من
حيث لا يدرى ولا ينفك فى اعتقاده فى الله وصفاته عن اوهام يتوهمها ويانس بها وعن خواطر فاسدة تعتريه فيها فيكون فى
اكثر احواله ضحكة للشيطان وهو يرى نفسه من العباد فالعلم هو اصل الدين فلا خير فى عزلة العوام والجهال اعنى من لا يحسن
العبادة فى الخلوة ولا يعرف جميع ما يلزم فيها فمثال النفس مثال مريض يفتقر الى طبيب متلطف ليعالجه فالمريض الجاهل اذا خلا
بنفسه عن الطبيب قبل ان يتعلم الطب تضاعف لا محالة مرضه فلا يليق العزلة الا بالعالم واما التعليم ففيه ثواب
عظيم مهما صحت نية المتعلم والمعلم ومهما كان القصد اقامة الجاه والاستكثار بالاصحاب والاتباع فهو هلاك الدين وقد ذكرنا
وجه ذلك فى كتاب العلم وحكم العالم فى هذا الزمان ان يعتزل ان اراد سلامة دينه فانه لا يرى مستفيدا يطلب فائدة لدينه
لا طالب الا لكلام مزخرف يستميل به العوام فى معرض الوعظ او لجدال معقد يتوصل به الى افحام الاقران ويتقرب به الى السلطان ويستعمل
فى معرض المنافسة والمباهاة واقرب علم مرغوب فيه المذهب ولا يطلب غالبا الا للتوصل الى التقدم على الامثال وتولى الولايات
واجتلاب الاموال فكل هؤلاء يقتضى الدين والحزم الاعتزال عنهم فان صودف طالب لله ومتقرب بالعلم الى الله فاكبر الكبائر الاعتزال
عنه وكتمان العلم منه وهذا لا يصادف فى بلد كبير اكثر من واحد واثنين ان صودف ولا ينبغى ان يغتر الانسان بقول سفين تعلمنا
العلم لغير الله فابى العلم ان يكون الا لله وان الفقهاء يتعلمون لغير الله ثم يرجعون الى الله وانظروا الى اواخر اعمار الاكثرين منهم
واعتبرهم انهم ماتوا وهم هلكى على طلب الدنيا ومتكالبون عليها او زاهدون فيها او راغبون عنها وليس الخبر كالمعاينة

واعلم ان العلم الذي اشار اليه سفين هو علم الحديث وتفسير القرآن ومعرفة سير الانبياء والصحابة والصالحين فان فيها التخويف
والتحذير وهو سبب لاثارة الخوف من الله فان لم يؤثر في الحال اثر في المآل فاما الكلام والفقه المجرد الذي يتعلق بفتاوى
المعاملات وفصل الخصومات المذهب منه والخلاف لا يرد فيه الراغب للدنيا الى الله بل لا يزال متماديا في حرصه الى آخر عمره ولعل
ما اودعناه هذا الكتاب ان تعلمه المتعلم رغبة في الدنيا فيجوز ان يرخص فيه اذ يرجى ان ينزجر في آخر عمره فانه مشحون بالتخويف بالله
وبالترغيب في الآخرة والتحذير من الدنيا وذلك مما يصادف في الاحاديث وتفسير القرآن ولا يصادف في كلام ولا خلاف
ولا في مذهب فلا ينبغي ان يخادع الانسان نفسه فان المقصر العالم بتقصيره اسعد حالا من الجاهل المغرور والمتجاهل المغبون وكل
عالم اشتد حرصه على التعليم يوشك ان يكون غرضه القبول والجاه وحظه تلذذ النفس في الحال باستشعار الادلال على الجهال
والتكبر عليهم فآفة العلم الخيلاء كما قال صلى الله عليه وسلم ولذلك حكي عن بشر انه دفن سبعة عشر قمطرا من كتب الاحاديث
التي سمعها وكان لا يحدث ويقول اني اشتهي ان احدث فلذلك لا احدث ولو اشتهيت ان لا احدث لحدثت ولذلك قال حدثنا باب من الدنيا واذا قال
الرجل حدثنا فانما يقول اوسعوا لي وقالت رابعة العدوية لسفين الثوري نعم الرجل انت لولا رغبتك في الدنيا قال وفيما
ذا رغبت قالت في الحديث ولذلك قال ابو سليمن الداراني من تزوج او كتب الحديث او اشتغل بالسفر
فقد ركن الى الدنيا وهذه آفات قد نبهنا عليها في كتاب العلم والحزم الاحتراز بالعزلة وترك الاستكثار من الاصحاب ما امكن
بل الذي يطلب الدنيا بتدريسه وتعليمه فالصواب له ان كان عاقلا في هذا الزمان ان يترك فلقد صدق ابو سليمن الخطابي حيث قال
دع الراغبين في صحبتك والتعلم منك فليس لك منهم مال ولا جمال اخوان العلانية اعداء السر اذا لقوك تملقوك واذا غبت عنهم
سلقوك من اتاك منهم كان عليك رقيبا واذا خرج كان عليك خطيبا اهل نفاق ونميمة وغل وخديعة فلا تغتر باجتماعهم عليك
فما غرضهم العلم بل الجاه والمال وان يتخذوك سلما الى اوطارهم وحمارا في حاجاتهم ان قصرت في غرض من اغراضهم كانوا اشد
اعدائك ثم يعدون ترددهم اليك دالة عليك ويرونه حقا واجبا لديك ويفرضون عليك ان تبذل عرضك وجاهك
ودينك لهم فتعادي عدوهم وتنصر قريبهم وخادمهم ووليهم وتنتهض لهم سفيها وقد كنت فقيها وتكون لهم تابعا
خسيسا بعد ان كنت متبوعا رئيسا ولذلك قيل اعتزال العامة مروءة تامة فهذا معنى كلامه وان خالف بعض الفاظه
وهو حق وصدق فانك ترى المدرسين في رق دائم وتحت حق لازم ومنة ثقيلة ممن يتردد اليهم فكأنه يهدي تحفة
اليه فيرى حقه واجبا عليه وربما لا يختلف اليه ما لم يتكفل برزق له على الادرار ثم المدرس المسكين قد يعجز عن القيام
بذلك من ماله فلا يزال يتردد الى ابواب السلاطين ويقاسي الذل والشدائد مقاساة الذليل المهين حتى يكتب له
على بعض وجوه السحت مال حرام ثم لا يزال العامل يستحقره ويستخدمه ويمتهنه ويستذله الى ان يسلم اليه ما يقدره نعمة
مستأنفة من عنده عليه ثم يبقى في مقاساة القسمة على اصحابه ان سوى بينهم مقته المبرزون ونسبوه الى الحمق وقلة التمييز والقصور
عن درك مصادفات الفضل والقيام في مقادير الحقوق بالعدل وان فاوت بينهم سلقه السفهاء بالسنة وثاروا عليه ثوران
الاساود والاسد فلا يزال في مقاساتهم في الدنيا وفي مظالم ما ياخذه ويفرقه في العقبى والعجب انه مع هذا البلاء كله يمنيه
بالاباطيل ويدليه بحبل الغرور ويقول له لا تفتر عن صنيعك فانما انت بما تفعله مريد وجه الله ومذيع شرع رسول الله
صلى الله عليه وسلم وناشر علم دين الله عز وجل وقائم بكفاية طلاب العلم من عباد الله واموال السلاطين لا مالك لها وهي مرصدة
للمصالح واي مصلحة اكبر من تكثير اهل العلم فبهم يظهر الدين ويتقوى اهله ولو لم يكن ضحكة للشيطان لعلم بادنى تأمل

تامل ان فساد الزمان لا سبب له الا كثرة امثال اولئك الفقهاء الذين ياكلون ما يجدون ولا يميزون بين الحلال والحرام
فتلحظهم اعين الجهال ويستجرؤن على المعاصي باستجرائهم اقتداء بهم واقتفاء لآثارهم ولذلك قيل ما فسدت الرعية
الا بفساد الملوك وما فسد الملوك الا بفساد العلماء فنعوذ بالله من الغرور والعمى فانه الداء الدفين الذي ليس له دواء الفايدة الثانية
النفع والانتفاع اما الانتفاع بالكسب والمعاملة وذلك لا يتاتى الا بالمخالطة والمحتاج اليه مضطر الى ترك العزلة فيقع
في جهاد من المخالطة ان طلب موافقة الشرع فيه كما ذكرناه في كتاب الكسب وان كان معه مال لو اكتفى به قانعا لاقنعه فالعزلة
افضل له اذا انسدت طرق المكاسب في الاكثر الا من المعاصي الا ان يكون غرضه الصدقة فيكسبه فاذا اكتسب من وجهه وتصدق
به فهو افضل من العزلة للاشتغال بالنافلة وليس بافضل من العزلة للاشتغال بالتحقيق في معرفة الله ومعرفة علوم الشرع فهو افضل
له من العزلة ايضا لكن لا يشتغل في عزلته الا بنوافل الصلوات والاعمال البدنية وان كان ممن انفتح له طريق العمل بالقلب بدوام ذكر
او فكر فذلك لا يعدل به غيره البتة الفايدة الثالثة التاديب والتادب ونعني به الارتياض بمقاساة الناس والمجاهدة في تحمل
اذاهم كسرا للنفس وقهرا للشهوات وهي من الفوائد التي تستفاد بالمخالطة وهو افضل من العزلة في حق من لم تتهذب بعد اخلاقه
ولم تذعن لحدود الشرع شهواته ولهذا انتدب خدام الصوفية في الرباطات فيخالطون الناس لخدمتهم واهل السوق للسؤال منهم
كسرا لرعونة النفس واستمدادا من بركة دعاء الصوفية المنصرفين بهممهم الى الله تعالى وكان هذا هو المبدأ في الاعصار الخالية
والآن قد خالطته الاغراض الفاسدة ومال ذلك عن القانون كما مالت سائر شعائر الدين فصار يطلب من التواضع بالخدمة التكثير
بالاستتباع والتودد الى جمع المال والاستظهار بكثرة الاتباع فان كانت النية هذه فالعزلة خير ولو الى القبر وان كانت
النية رياضة النفس فهو خير من العزلة في حق المحتاج الى الرياضة وذلك مما يحتاج اليه في بداية الارادة فبعد حصول
الارتياض ينبغي ان يفهم ان الدابة لا يطلب من رياضتها عينها بل المراد ان تتخذ مركبا يقطع به المراحل ويطوى على ظهره الطريق
والبدن مطية للقلب يركبها ليسلك بها طريق الآخرة وفيها شهوات ان لم يكسرها جمحت به في الطريق فمن اشتغل طول عمره
بالرياضة كان كمن اشتغل طول عمر الدابة برياضتها ولم يركبها فلا يستفيد بها الا الخلاص في الحال من عضها ورفسها
ورمحها وهي لعمري فائدة مقصودة ولكن مثلها حاصل من البهيمة الميتة والدابة تراد لفائدة تحصل من حيوتها فكذلك
الخلاص من الم الشهوات في الحال يحصل بالنوم والموت فلا ينبغي ان يقنع بها كالراهب الذي قيل له يا راهب فقال ما انا
راهب انما انا كلب حبست نفسي حتى لا اعقر الناس وهذا حسن بالاضافة الى من يعقر ولكن لا ينبغي ان يقتصر عليه فان من قتل
نفسه ايضا لم يعقر الناس بل ينبغي ان يتشوف الى الغاية المقصودة بها ومن فهم ذلك واهتدى الى الطريق وقدر على السلوك
استبان ان العزلة اعون عليه من المخالطة فالافضل لمثل هذا الشخص المخالطة اولا والعزلة آخرا واما التاديب
فانما نعني به ان يروض غيره وهو حال شيخ المتصوفة معهم فانه لا يقدر على تهذيبهم الا بمخالطتهم وحاله حال المعلم وحكمه
حكمه ويتطرق اليه من دقائق الآفات والرياء ما يتطرق الى نشر العلم الا ان مخايل طلب العلم اكثر فينبغي ان يقيس عليه ما تيسر
له من المخالطة وتهذيب القوم وليقابل احدهما بالآخر وليؤثر الافضل وذلك يدرك بدقيق الاجتهاد ويختلف بالاحوال
والاشخاص فلا يمكن الحكم عليه مطلقا بنفي ولا اثبات الفايدة الرابعة الاستيناس والايناس وهو غرض من يحضر
الولائم والدعوات ومواضع المعاشرات والانس وهذا يرجع الى حظ النفس في الحال وقد يكون ذلك فيمن يستانس
بمشاهدة احواله واقواله في الدين كالانس بالمشايخ الملازمين لسمت التقوى وقد يتعلق بحظ النفس ويستحب اذا كان

[illegible]

الغرض منه ترويح القلب لتهييج دواعي النشاط في العبادة فان القلوب اذا اكرهت عميت ومهما كان في الوحدة وحشة وفي المجالسة
انس يروح القلب فهي اولى اذ الرفق في العبادة من حزم العباد ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ان الله لا يمل حتى تملوا وهذا
امر لا يستغنى عنه فان النفس لا تألف الحق على الدوام ما لم تروح وفي تكليفها الملازمة تنفيرها ومن يشاد هذا الدين يغلبه فان
الدين متين والايغال فيه برفق داب المستبصرين ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنه لولا مخافة الوسواس لم اجالس الناس وقال
مرة دخلت بلادا لا انيس بها وهل يفسد الناس الا الناس فلا يستغني المعتزل ابدا عن رفيق يستأنس بمشاهدته ومحادثته في اليوم
والليلة ساعة فليجتهد في طلب من لا يفسد في ساعته تلك عليه سائر ساعاته فقد قال صلى الله عليه وسلم المرء على دين خليله
فلينظر احدكم من يخالل وليحرص ان يكون حديثه عند اللقاء في امور الدين وحكاية احوال القلب وشكواه وقصوره عن الثبات
على الحق والاهتداء الى الرشد ففي ذلك متنفس ومتروح للنفس وفيه مجال رحب لكل مشغول باصلاح نفسه فانه لا
ينقطع شكواه ولو عمر اعمارا طويلة والراضي عن نفسه مغرور قطعا فهذا النوع من الاستئناس في بعض اوقات النهار
ربما يكون افضل من العزلة في حق بعض الاشخاص فليتفقد فيه احوال القلب واحوال الجليس اولا ثم ليجالس **الفائدة الخامسة**
في نيل الثواب وانالته اما النيل فبحضور الجنائز وعيادة المرضى وحضور العيدين اما حضور الجمعة فلا بد منه وحضور
الجماعة في سائر الصلوات ايضا لا رخصة في تركه الا لخوف ضرر ظاهر يقاوم ما يفوت من فضيلة الجماعة ويزيد عليه وذلك
لا يتفق الا نادرا وكذلك في حضور الاملاكات والدعوات ثواب من حيث انه ادخال سرور على قلب مسلم واما انالته
فهو ان يفتح الباب ليعوده الناس او يعزوه في المصائب او يهنوه على النعم فانهم ينالون به ثوابا وكذلك اذا كان من
العلماء واذن لهم في الزيارة نالوا ثواب الزيارة وكان هو بالتمكين فيه سببا فينبغي ان يزن ثواب هذه المخالطات بآفاتها
التي ذكرناها وعند ذلك قد ترجح العزلة وقد ترجح المخالطة فقد حكي عن جماعة من السلف مثل مالك وغيره ترك اجابة
الدعوات وعيادة المرضى وحضور الجنائز بل كانوا احلاس بيوتهم لا يخرجون الا الى الجمعة او زيارة القبور وبعضهم
فارق الامصار وانحاز الى قلل الجبال تفرغا للعبادة وفرارا من الشواغل **الفائدة السادسة** من المخالطة التواضع فانه
من افضل المقامات ولا يقدر عليه في الوحدة وقد يكون الكبر سببا في اختيار العزلة فقد روي في الاسرائيليات ان حكيما
من الحكماء صنف ثلثمائة وستين مصحفا في الحكمة حتى ظن انه قد نال عند الله منزلة فاوحى الله الى نبيه قل لفلان انك قد
ملأت الارض نفاقا واني لا اقبل من نفاقك شيئا قال فتخلى وانفرد في سرب تحت الارض وقال الآن قد بلغت محبة ربي
فاوحى الله الى نبيه انك لم تبلغ رضاي قال فدخل الاسواق وخالط العامة وجالسهم وواكلهم واكل الطعام ومشى في الاسواق
معهم فاوحى الله اليه الآن قد بلغت رضاي فكم من معتزل في بيته وباعثه التكبر ومانعه عن المحافل ان لا يوقر ولا يقدم
او يرى الترفع عن مخالطتهم ارفع لمحله وابقى لطراوة ذكره بين الناس وقد يعتزل خيفة من ان تظهر مقابحه لو خالط الناس
فلا يعتقد فيه الزهد والاشتغال بالعبادة فيتخذ البيت سترا على مقابحه ابقاء على اعتقاد الناس في زهده وتعبده من
غير استغراق وقت في الخلوة بذكر وفكر وعلامة هؤلاء انهم يحبون ان يزاروا ولا يحبون ان يزوروا ويفرحون بتقرب العوام والسلاطين
اليهم واجتماعهم على بابهم وطرقهم وتقبيلهم ايديهم على سبيل التبرك ولو كان الاشتغال بنفسه هو الذي يبغض اليه المخالطة
وزيارة الناس لبغض اليهم زيارتهم له كما حكيناه عن الفضيل حيث قال وهل جئتني الا لاتزين لك وتتزين لي وعن
حاتم الاصم انه قال للامير الذي زاره حاجتي ان لا اراك ولا تراني فمن ليس مشغولا مع نفسه بذكر الله فاعتزاله عن الناس سببه شدة

شدة اشتغاله بالناس لان قلبه متجرد للالتفات الى نظرهم اليه بعين الوقار والاحترام والعزلة بهذا السبب جهل
من وجوه احدها ان التواضع والمخالطة لا ينقص من منصب من هو متكبر بعلمه او دينه اذ كان علي رضي الله عنه يحمل التمر و
الملح في ثوبه ويده ويقول: لا ينقص الكامل من كماله ... ما جر من نفع الى عياله. وكان ابو هريرة وحذيفة و
ابي وابن مسعود رضي الله عنهم يحملون حزم الحطب وجرب الدقيق وغيرها على ظهورهم واكتافهم وكان ابو هريرة يقول
وهو وال والحطب على راسه طرقوا لاميركم وكان سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم يشتري الشيء فيحمله الى بيته بنفسه فيقول له
صاحبه اعطني احمله فيقول صاحب المتاع احق بحمله وكان الحسن بن علي رضي الله عنهما يمر بالسؤال وبين ايديهم كسر فيقولون
هلم الى الغداء يا ابن رسول الله وكان ينزل ويجلس على الطريق ويأكل معهم ويقول ان الله لا يحب المستكبرين الوجه الثاني ان الذي
شغل نفسه بطلب رضا الناس عنه وتحسين اعتقادهم فيه مغرور لانه لو عرف حق المعرفة علم ان الخلق لا يغنون عنه من الله شيئا
وان ضرره ونفعه بيد الله فلا نافع ولا ضار سواه وان من طلب رضا الناس ومحبتهم بسخط الله سخط الله عليه وسخط عليه
الناس بل رضا الناس غاية لا تدرك فرضا الله اولى بالطلب ولذلك قال الشافعي رضي الله عنه ليونس بن عبد الاعلى والله
ما اقول لك الا نصحا انه ليس الى السلامة من الناس سبيل فانظر الى ما يصلحك فافعله ولذلك قيل **شعر**
من راقب الناس مات غما ... وفاز باللذة الجسور. ونظر سهل الى واحد من اصحابه فقال له اعمل كذا وكذا فقال يا استاذ
لا اقدر عليه لاجل الناس فالتفت الى اصحابه وقال لا ينال عبد حقيقة من هذا الامر حتى يكون باحد وصفين عبد
تسقط الناس من عينه فلا يرى في الدنيا الا خالقه وان احدا لا يقدر ان يضره ولا ينفعه وعبد سقطت نفسه عن قلبه فلا يبالي
باي حال يرونه قال الشافعي رضي الله عنه ما من احد الا وله محب ومبغض فاذا كان هكذا فكن مع اهل طاعة الله وقيل للحسن
يا ابا سعيد ان قوما يحضرون مجلسك ليس بغيتهم الا تتبع سقطات كلامك وتعنتك في السؤال فتبسم وقال للقائل هون على
نفسك فاني حدثت نفسي بسكنى الجنان ومجاورة الرحمن فطمعت وما حدثت نفسي بالسلامة من الناس لاني قد علمت ان خالقهم
ورازقهم ومحييهم ومميتهم لم يسلم منهم وقال موسى عليه السلام يا رب احبس عني السنة الناس فقال هذا شيء لم اصطنعه
لنفسي فكيف افعله بك واوحى الله تعالى الى عزير ان لم تطب نفسا بان اجعلك علكا في افواه الماضغين لم اكتبك عندي
من المتواضعين فاذن من حبس نفسه في البيت ليحسن اعتقادات الناس واقوالهم فيه فهو في عناء حاضر في الدنيا ولعذاب الآخرة
اكبر لو كانوا يعلمون فاذا لا تستحب العزلة الا لمستغرق الاوقات بربه ذكرا وفكرا وعبادة وعلما بحيث لو خالط الناس لضاعت
اوقاته او كثرت آفاته وتشوشت عليه عباداته فهذه غوائل خفية في اختيار العزلة ينبغي ان تتقى فانها مهلكات في صورة منجيات
الفائدة السابعة التجارب فانها تستفاد من مخالطة الخلق ومجاري احوالهم والعقل الغريزي ليس كافيا في تفهم مصالح
الدين والدنيا وانما تفيدها التجربة والممارسة ولا خير في عزلة من لم تحنكه التجارب فالصبي اذا اعتزل بقي غمرا جاهلا بل ينبغي
ان يشتغل بالتعلم ويحصل له في مدة التعلم ما يحتاج اليه من التجارب ويكفيه ذلك ويحصل بقية التجارب بسماع الاحوال
فلا يحتاج الى المخالطة ومن اهم التجارب ان يجرب نفسه واخلاقه وصفات باطنه وذلك لا يقدر عليه في الخلوة فان كل مجرب
في الخلاء يسر وكل غضوب او حقود او حسود اذا خلا بنفسه لم يترشح منه خبثه وهذه الصفات مهلكات في انفسها يجب
قلعها او قهرها ولا يكفي تسكينها بالتباعد عما يحركها فمثال القلب المشحون بهذه الخبائث مثال دمل ممتلئ بالقيح والمدة
وقد لا يحس صاحبه بالمه ما لم يتحرك او يمسه غيره فان لم يكن له يد تمسه او عين تبصر صورته ولم يكن معه من يحركه ربما

ظن بنفسه السلامة ولم يشعر بالبطر في نفسه واعتقد فقده ولكن لو حركه محركات اواصابه مشط حجام انفجر منه القيح وفار فوران
الشيء المحتقن اذا حبس عن الاسترسال وكذلك القلب المشحون بالبخل والحقد والغضب والحسد وسائر الاخلاق الذميمة
انما ينفجر منه خبائثه اذا حرك وعن هذا كان السالكون لطريق الآخرة الطالبون لتزكية القلوب يجربون انفسهم فمن كان
يستشعر في نفسه كبرا كان يحمل قربة ماء على ظهره بين الناس او حزمة حطب على رأسه ويتردد في الاسواق ليجرب به نفسه
فان غوائل النفس ومكائد الشيطان خفية قلما يتفطن لها ولذلك حكي عن واحد انه قال اعدت صلوة ثلاثين سنة مع اني كنت اصليها
في الصف الاول ولكن تخلفت يوما بعذر فما وجدت موضعا في الصف الاول فوقفت في الصف الثاني فوجدت نفسي خجلة تستشعر
من نظر الناس الي وقد سبقت بالصف الاول فعلمت ان جميع صلاتي كان مشوبا بالرياء ممزوجا بلذة نظر الناس الي ورؤيتهم اياي
في زمرة السابقين الى الخير فالمخالطة لها فائدة ظاهرة في استخراج الخبائث واظهارها ولذلك قيل السفر يسفر عن الاخلاق
فانه نوع من المخالطة دائمة وسيأتي غوائل هذه المعاني ودقائقها في ربع المهلكات فان بالجهل بها يحبط العمل الكثير وبالعلم
بها يزكو العمل القليل ولولا ذلك لما فضل العلم على العمل اذ يستحيل ان يكون العلم بالصلوة ولا يراد الا للصلوة افضل من الصلوة
فانا نعلم ان ما يراد لغيره فذلك الغير اشرف منه وقد قضى الشرع بتفضيل العالم على العابد حتى قال صلى الله عليه وسلم فضل العالم
على العابد كفضلي على ادنى رجل من اصحابي فمعنى تفضيل العلم يرجع الى ثلاثة وجوه احدها ما ذكرناه والثاني عموم نفعه اذ
يتعدى فائدته والعمل لا يتعدى والثالث ان يراد به العلم بالله وصفاته وافعاله فذلك افضل من كل عمل بل مقصود الاعمال
صرف القلوب عن الخلق الى الخالق لتنبعث بعد الانصراف اليه لمعرفته ومحبته فالعمل وعلم العمل مراد لهذا العلم وهذا العلم
غاية المريدين والعمل كالشرط له واليه الاشارة بقوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه فالكلم الطيب
هو هذا العلم والعمل كالحمال الرافع له الى مقصده فيكون المرفوع افضل من الرافع وهذا كلام معترض لا يليق بهذا الكلام
فلنرجع الى المقصود فنقول اذا عرفت فوائد العزلة وغوائلها تحققت ان الحكم عليها مطلقا بالتفضيل نفيا واثباتا
خطأ بل ينبغي ان ينظر الى الشخص وحاله والى الخليط وحاله والى الباعث على مخالطته والى الفائت بسبب مخالطته من هذه
الفوائد المذكورة فيه ويقاس الفائت بالحاصل فعند ذلك يتبين الحق ويتضح الافضل وكلام الشافعي رضي الله عنه هو
فصل الخطاب اذ قال يا يونس الانقباض عن الناس مكسبة للعداوة والانبساط اليهم مجلبة لقرناء السوء فكن بين المنقبض
والمنبسط فكذلك يجب الاعتدال في المخالطة والعزلة ويختلف ذلك بالاحوال وبملاحظة الفوائد والآفات يتبين الافضل
هذا هو الحق الصحيح وكل ما ذكر سوى هذا فهو قاصر وانما هو اخبار كل واحد عن حالة خاصة هو فيها فلا يجوز ان يحكم
بها على غيره المخالف في الحال والفرق بين العالم والصوفي في ظاهر العلم يرجع الى هذا وهو ان الصوفي لا يتكلم الا عن حاله
فلا جرم تختلف اجوبتهم في المسائل والعالم هو الذي يدرك الحق على ما هو عليه ولا ينظر الى حال نفسه فيكشف الحق فيه وذلك
مما لا يختلف فان الحق واحد ابدا والقاصر عن الحق كثير لا يحصى ولذلك سئل الصوفية عن الفقر فما من واحد الا واجاب
بجواب آخر وكل ذلك حق بالاضافة الى حاله وليس بحق في نفسه اذ الحق لا يكون الا واحدا ولذلك قال ابو عبد الله الجلاء وقد
سئل عن الفقر فقال اضرب بكمك الحائط وقل ربي الله فهو الفقر وقال الجنيد الفقير هو الذي لا يسأل ولا يعارض وان عورض
سكت وقال سهل بن عبد الله الفقير الذي لا يسأل ولا يدخر وقال ابرهيم الخواص هو ترك الشكوى واظهار اثر البلوى والمقصود انه
لو سئل منهم مائة لسمع منه مائة جواب مختلفة قلما يتفق منها اثنان وذلك كله حق من وجه فانه اخبر عن كل واحد عن حاله وما

ذلك

وما غلب على قلبه ولذلك لا ترى اثنين منهم يثبت احدهما لصاحبه قدما في التصوف او يثني عليه بل كل واحد يدعي انه الواصل
الى الحق والواقف عليه لان اكثر ترددهم على مقتضى الاحوال التي تعرض لقلوبهم فلا يشتغلون الا بانفسهم ولا يلتفتون الى غيرهم
ونور العلم اذا اشرق احاط بالكل وكشف الغطاء ورفع الاختلاف ومثال نظر هؤلاء ما رأيت من نظر قوم في ادلة الزوال بالنظر في الظل
فقال بعضهم هو في الصيف قدمان وحكي عن آخر انه نصف قدم وآخر يرده عليه وانه في الشتاء تسعة اقدام وحكي عن آخر خمسة اقدام
وآخر يرده عليه فهذا يشبه اجوبة الصوفية واختلافهم فان كل واحد من هؤلاء اخبر عن الظل الذي رآه ببلد نفسه فصدق في قوله
واخطأ في تخطئته صاحبه اذ ظن ان العالم كله بلده كما ان الصوفي لا يحكم على العالم الا بما هو حال نفسه والعالم بالزوال هو
الذي يعرف علة طول الظل وقصره وعلة اختلافه بالبلاد فيخبر باحكام مختلفة في بلاد مختلفة فنقول انما تطول النظر
في آداب المخالطة وقد ذكرناها في كتاب آداب الصحبة واما آداب العزلة فلا نطول فينبغي للمعتزل ان ينوي بعزلته كف شر نفسه
عن الناس اولا ثم طلب السلامة من شر الاشرار ثانيا ثم الخلاص من آفة القصور عن القيام بحقوق المسلمين ثالثا ثم التجرد بكنه الهمة
لعبادة الله رابعا فهذه آداب نيته ثم ليكن في خلوته مواظبا على العلم والعمل والذكر والفكر ليجتني ثمرة العزلة وليمنع الناس
عن ان يكثروا غشيانه وزيارته فيتشوش وقته وليكف عن السؤال عن اخبارهم وعن الاصغاء الى اراجيف البلد وما الناس
مشغولون به فان كل ذلك ينغرس في القلب حتى ينبعث في اثناء الصلوة والفكر من حيث لا يحتسب فوقوع الاخبار في السمع
كوقوع البذر في الارض فلا بد ان ينبت وتتفرع عروقها واغصانها ويتداعى بعضها الى بعض واحد مهمات المعتزل قطع الوساوس
الصارفة عن ذكر الله والاخبار ينابيع الوساوس واصولها وليقنع باليسير من المعيشة والا اضطره التوسع الى الناس واحتاج
الى مخالطتهم وليكن صبورا على ما يلقاه من اذى الجيران وليسد سمعه عن الاصغاء الى ما يقال فيه من ثناء عليه بالعزلة او قدح
فيه بترك الخلطة فان كل ذلك لا يؤثر في القلب ولو مدة يسيرة وحال اشتغال القلب به لا بد ان يكون واقفا عن سيره
في طريق الآخرة فان السير اما بالمواظبة على ورد وذكر مع حضور القلب واما بالفكر في صفات الله وجلاله وافعاله وملكوت
سمواته واما بالتأمل في دقائق الاعمال ومفسدات القلوب وطلب طرق التخلص منها وكل ذلك يستدعي الفراغ والاصغاء الى
جميع ذلك مما يشوش القلب في الحال وقد يتجدد ذكره في دوام الذكر من حيث لا ينتظر وليكن له اهل صالح او جليس صالح
ليستريح نفسه اليه في اليوم ساعة عن كد المواظبة ففيه عون على بقية الساعات ولا يتم له الصبر في العزلة الا بانقطاع الطمع
عن الدنيا وما الناس منهمكون فيه ولا ينقطع طمعه الا بقصر الامل بان لا يقدر لنفسه عمرا طويلا بل يصبح على انه لا يمسي ويمسي على
انه لا يصبح فيسهل عليه صبر يوم ولا يسهل عليه العزم على الصبر عشرين سنة ولو قدر تراخي الاجل وليكن كثير الذكر للموت
ووحدة القبر مهما ضاق قلبه من الوحدة وليتحقق ان من لم يحصل في قلبه من ذكر الله ومعرفته ما يأنس به فلا يطيق وحشة
الوحدة بعد الموت وان من انس بذكر الله ومعرفته فلا يزيل الموت انسه اذ لا يهدم الموت محل الانس والمعرفة بل يبقى حيا بمعرفته
وانسه فرحا بفضل الله تعالى عليه ورحمته كما قال تعالى في الشهداء ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء
عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله وكل متجرد لله في جهاد نفسه فهو شهيد مهما ادركه
الموت فالمجاهد من جاهد نفسه في هواه كما صرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم
الجهاد الاكبر جهاد النفس كما قال الصحابة رضوان الله عليهم رجعنا
من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر ٥ تم كتاب العزلة

ويقول في بعضها لا يبقى ظل وفي بعضها يطول وفي بعضها يقصر
فهذا ما اردنا ان نذكره من فضيلة العزلة والمخالطة فان قلت
فمن آثر العزلة ورآها افضل له واسلم فما آدابه في العزلة صح

كتاب آداب السفر وهو الكتاب السابع من ربع العادات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي فتح بصائر اوليائه بالحكم والعبر واستخلص هممهم بمشاهدة عجائب صنعه في الحضر والسفر فاصبحوا راضين بمجاري القدر متنزهين قلوبهم عن التلفت الى متنزهات البصر الا على سبيل الاعتبار بما يسنح في مسارح النظر ومجاري الفكر فاستوى عندهم البر والبحر والسهل والوعر والبدو والحضر والصلوة على محمد سيد البشر وعلى آله واصحابه المقتفين لآثاره في الاخلاق والسير **اما بعد** فان السفر وسيلة الى الخلاص عن مهروب عنه او الوصول الى مرغوب فيه والسفر سفران سفر بظاهر البدن عن المستقر والوطن الى الصحارى والفلوات وسفر بسير القلب عن اسفل السافلين الى ملكوت السموات واشرف السفرين السفر الباطن فان الواقف على الحالة التي نشا عليها عقيب الولادة الجامد على ما تلقنه بالتقليد من الآباء والاجداد لازم درجة القصور وقانع بمرتبة النقص ومستبدل بمتسع فضاء جنة عرضها السموات والارض ظلمة السجن وضيق الحبس فما احسن قول الشاعر

ولم ار في عيوب الناس عيبا — كنقص القادرين على التمام

الا ان هذا السفر لما كان مقتحمه في خطب خطير لم يستغن فيه عن دليل وخفير فاقتضى غموض السبيل وفقد الخفير والدليل وقناعة السالكين عن الحظ الجزيل بالنصيب النازل القليل اندراس مسالكه فانقطع فيه الرفاق وخلا عن الطائفين متنزهات الانفس والملكوت والآفاق واليه دعا الله سبحانه بقوله سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم وبقوله وفي الارض آيات للموقنين وفي انفسكم افلا تبصرون وعلى القعود عن هذا السفر وقع الانكار بقوله تعالى وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل افلا تعقلون وبقوله تعالى وكاين من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون فمن تيسر له هذا السفر لم يزل في سفره متنزها في جنة عرضها السموات والارض وهو ساكن بالبدن مستقر في الوطن وهو السفر الذي لا تضيق فيه المناهل والموارد ولا يضر فيه التزاحم والتوارد بل تزيد بكثرة المسافرين غنائمه وتتضاعف ثمراته وفوائده وغنائمه دائمة غير ممنوعة وثمراته متزايدة غير مقطوعة الا اذا بدا للمسافر فترة في سفره ووقفة في حركته فان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم الآية ومن لم يؤهل للجولان في هذا الميدان والتطواف في متنزهات هذا البستان ربما سافر بظاهر بدنه مدة مديدة فراسخ معدودة مغتنما بها تجارة للدنيا او ذخيرة للآخرة فان كان مطلبه العلم والدين او الكفاية للاستعانة على الدين كان من سالكي سبيل الآخرة وكان له في سفره شروط وآداب ان اهملها كان من عمال الدنيا واتباع الشيطان وان واظب عليها لم يخل سفره عن فوائد تلحقه بعمال الآخرة ونحن نذكر آدابه وشروطه في بابين ان شاء الله تعالى

الباب الاول في آداب من اول النهوض الى آخر الرجوع في نية السفر وفائدته وفيه فصلان

الفصل الاول فيما لا بد للمسافر من تعلمه من رخص السفر وادلة القبلة والاوقات

في الآداب من اول النهوض الى آخر الرجوع وفيه فصلان

في فوائد السفر وفضله ونيته اعلم ان السفر نوع حركة ومخالطة وفيه فوائد وله آفات كما ذكرناه في كتاب آداب الصحبة والعزلة والفوائد الباعثة على السفر لا تخلو من هرب او طلب فان المسافر اما ان يكون له مزعج من مقام ولولاه لما كان له مقصد يسافر اليه واما ان يكون له مقصد ومطلب والمهروب عنه اما امر له نكاية في الامور الدنيوية كالطاعون والوباء اذا ظهر ببلد او خوف سببه فتنة او خصومة او غلاء سعر وهو اما عام كما ذكرناه او خاص كمن يقصد باذية في بلده فيهرب منها واما امر له نكاية في الدين كمن ابتلي في بلده بجاه ومال واتساع اسباب تصده عن التجرد لله فيؤثر الغربة والخمول ويجتنب السعة والجاه او كمن يدعى الى بدعة قهرا او الى ولاية عمل لا تحل مباشرته فيطلب الفرار منه واما المطلوب فهو اما دنيوي كالمال والجاه او ديني والديني اما علم واما عمل والعلم اما علم من العلوم الدينية واما علم باخلاقه وصفاته على سبيل التجربة واما علم بآيات الارض وعجائبها كسفر ذي القرنين وطوافه في نواحي الارض والعمل اما عبادة واما زيارة والعبادة هو الحج والجهاد والزيارة ايضا من القربات وقد يقصد بها مكان كمكة والمدينة وبيت المقدس والثغور فان الرباط بها قربة وقد يقصد بها الاولياء والعلماء وهم اما موتى فتزار قبورهم واما احياء فيتبرك بمشاهدتهم ويستفاد من النظر الى احوالهم قوة الرغبة في الاقتداء بهم فهذه هي اقسام الاسفار ويخرج من هذه القسمة اربعة اقسام

القسم الاول السفر في طلب العلم وهو اما واجب واما نفل وذلك بحسب كون العلم واجبا او نفلا وذلك العلم اما علم بامور دينية او باخلاقه في نفسه او بآيات الله في ارضه وقد قال صلى الله عليه وسلم من خرج من بيته في طلب العلم فهو في سبيل الله عز وجل حتى يرجع وفي خبر آخر من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا الى الجنة وقال سعيد بن المسيب ان كان ليسافر الايام في طلب الحديث الواحد وقال الشعبي لو سافر رجل من الشام الى اقصى اليمن في كلمة تدله على هدى ما كان سفره ضائعا ورحل جابر بن عبد الله من المدينة الى مصر مع عشرة من الصحابة فساروا شهرا في حديث بلغه عن عبد الله بن انيس الانصاري يحدث به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعه وقل مذكور في العلم محصل له من الزمان لدن الصحابة الى زماننا الا وحصل العلم بالسفر وسافر لاجله واما علمه بنفسه واخلاقه فذلك ايضا مهم فان طريق الآخرة لا يمكن سلوكه الا بتحسين الخلق وتهذيبه ومن لا يطلع على اسرار باطنه وخبائث صفاته لا يقدر على تطهير القلب منها وانما السفر هو الذي يسفر عن الاخلاق وبه يخرج الله الخبء في السموات والارض وانما سمي السفر سفرا لانه يسفر عن الاخلاق ولذلك قال عمر رضي الله عنه للذي كان يعرف عنده بعض الشهود هل صحبته في السفر الذي يستدل به على مكارم الاخلاق فقال لا فقال ما اراك تعرفه وكان بشر يقول يا معشر القراء سيحوا تطيبوا فان الماء اذا كثر مقامه في موضع تغير وبالجملة فالنفس في الوطن مع مواتاة الاسباب لا يظهر خبائث اخلاقها لاستئناسها بما يوافق طبعها من المالوفات المعهودة فاذا حملت وعثاء السفر وصرفت عن مالوفاتها المعتادة وامتحنت بمشاق الغربة انكشفت غوائلها ووقع الوقوف على عيوبها فيمكن الاشتغال بعلاجها وقد ذكرنا في كتاب العزلة فوائد المخالطة والسفر مخالطة مع زيادة اشتغال واحتمال مشاق واما آيات الله في ارضه ففي مشاهدتها فوائد للمستبصر ففيها قطع متجاورات وفيها الجبال والبراري والبحار وانواع الحيوان والنبات وما من شيء منها الا وهو شاهد لله تعالى بالوحدانية ومسبح له بلسان ذلق لا يدركه الا من القى السمع وهو شهيد واما الجاحدون والغافلون والمغترون بلامع السراب من زهرة الدنيا فانهم لا يبصرون ولا يسمعون لانهم عن السمع لمعزولون

سيجيء

وعن آيات ربهم محجوبون يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون وما اريد بالسمع السمع الظاهر فان الذين
اريدوا به ما كانوا معزولين عنه وانما اريد به السمع الباطن ولا يدرك بالظاهر الا الاصوات وسائر الحيوان يشارك
الانسان فيه فاما السمع الباطن فيدرك به لسان الحال وهو نطق وراء نطق المقال يشبه قول القائل حكاية لكلام
الوتد والحائط قال الجدار للوتد لم تشقني فقال سل من يدقني فلم يتركني ورائي الحجر الذي ورائي وما من ذرة في السموات
والارض الا ولها انواع شهادات لله سبحانه بالوحدانية هي توحيدها وانواع شهادات لصانعها بالتقديس هي تسبيحها
ولكن لا يفقهون تسبيحها لانهم لم يسافروا من مضيق سمع الظاهر الى فضاء سمع الباطن ومن ركاكة لسان المقال الى فصاحة
لسان الحال ولو قدر كل عاجز على مثل هذا السير لما كان سليمن عليه السلم مختصا بفهم منطق الطير ولما كان موسى مختصا بسماع
كلام الله الذي يجب تقديسه عن مشابهة الحروف والاصوات ومن يسافر ليستقرئ هذه الشهادات من الاسطر المكتوبة بالخطوط
الالهية على صفحات الجمادات لم يطل سفره بالبدن بل يستقر في موضع ويفرغ قلبه للتمتع بسماع نغمات التسبيحات من آحاد
الذرات فماله وللتردد في الفلوات وله غنية في ملكوت السموات والشمس والقمر والنجوم مسخرات وهي الى ابصار ذوي البصائر
مسافرات في الشهر والسنة مرات بل هي دائبة في الحركة على توالي الاوقات فمن الغرائب ان يدأب في الطواف باحاد المساجد من
امرت الكعبة ان تطوف به ومن الغرائب ان يطوف في اكناف الارض من يطوف به اقطار السماء ثم ما دام المسافر مفتقرا الى ان يبصر
عالم الملك والشهادة بالبصر الظاهر فهو بعد في المنزل الاول من منازل السائرين الى الله والمسافرين الى حضرته وكانه معتكف
على باب الوطن لم يفض به السير الى متسع الفضاء ولا لطول سبب المقام في هذا المنزل الا الجبن والقصور ولذلك قال بعض ارباب
القلوب ان الناس ليقولون افتحوا اعينكم حتى تبصروا وانا اقول غمضوا اعينكم حتى تبصروا وكل واحد من القولين حق الا ان الاول
خبر عن المنزل الاول القريب من الوطن التي لا يطاها الا مخاطر بنفسه والمجاوز اليها ربما يتيه فيها سنين وربما يأخذ التوفيق
بيده فيرشده الى سواء السبيل والهالكون في التيه هم الاكثرون من ركاب هذه الطرق ولكن السائحين السالمين بنور التوفيق
فازوا بالنعيم والملك المقيم وهم الذين سبقت لهم منا الحسنى واعتبر هذا الملك بملك الدنيا فانه يقل بالاضافة الى كثرة
الخلق طلابه ومهما عظم المطلوب قل المساعد ثم الذي يهلك اكثر من الذي يملك ولا يتصدى لطلب الملك العاجز الجبان لعظم
الخطر وطول التعب * واذا كانت النفوس كبارا * تعبت في مرادها الاجسام * وما اودع العز والملك في الدين
والدنيا الا في متن الخطر وقد يسمي الجبان الجبن والقصور باسم الحزم والحذر نظم يرى الجبناء ان الجبن حزم *
وتلك خديعة النفس اللئيم * فهذا حكم السفر الظاهر اذا اريد به السفر الباطن بمطالعة آيات الارض فلنرجع الى الغرض
الذي كنا نقصده ولنبين القسم الثاني وهو ان يسافر لاجل العبادة اما لجهاد او حج وقد ذكرنا فضل ذلك وآدابه واعماله
الظاهرة والباطنة في كتاب اسرار الحج ويدخل في جملته زيارة قبور الانبياء وقبور الصحابة والتابعين وسائر العلماء والاولياء
وكل من يتبرك بمشاهدته في حيوته يتبرك بزيارته بعد وفاته ويجوز شد الرحال لهذا الغرض ولا يمنع من هذا قوله صلى الله
عليه وسلم لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الاقصى لان ذلك في المساجد وهي متماثلة
بعد هذه المساجد والا فلا فرق بين زيارة قبور الانبياء وبين الاولياء والعلماء في اصل الفضل وان كان يتفاوت في الدرجات
تفاوتا عظيما بحسب اختلاف درجاتهم عند الله وبالجملة زيارة الاحياء اولى من زيارة الاموات والفائدة من زيارة الاحياء طلب
بركة الدعاء وبركة النظر اليهم فان النظر الى وجوه العلماء والصلحاء عبادة وفيه ايضا تحريك للرغبة في الاقتداء بهم والتخلق

باخلاقهم وادابهم هذا سوى ما ينتظر من الفوائد العلمية المستفادة من انفاسهم وافعالهم كيف ومجرد زيارة الاخوان
في الله فيه فضل كما ذكرناه في كتاب الصحبة وفي التورية سر اربعة اميال زر اخا في الله واما البقاع فلا معنى لزيارتها
سوى المساجد الثلث وسوى الثغور للرباطات بها فالحديث ظاهر في انه لا تشد الرحال لطلب بركة البقاع الا الى المساجد
الثلثة وقد ذكرنا فضائل الحرمين في كتاب الحج وبيت المقدس ايضا له فضل كبير خرج ابن عمر رضي الله عنه من المدينة قاصدا
بيت المقدس حتى صلى فيه الصلوات الخمس ثم كر راجعا من الغد الى المدينة وقد سأل سليمن عليه السلم ربه عز وجل ان من قصد هذا المسجد
لا يعنيه الا الصلوة فيه الا تصرف نظرك عنه ما دام مقيما فيه حتى يخرج منه وان يخرجه من ذنوبه كيوم ولدته امه
فاعطاه الله ذلك * القسم الثالث ان يكون السفر للهرب من سبب مشوش للدين وذلك ايضا حسن فالفرار
مما لا يطاق من سنن الانبياء والمرسلين ومما يجب الهرب منه الولاية والجاه وكثرة العلائق والاسباب فان ذلك يشوش فراغ
القلب والدين لا يتم الا بقلب فارغ من غير الله فان لم يتم فراغه فبقدر فراغه يتصور ان يشتغل بالدين ولا يتصور فراغ القلب في
الدنيا عن مهمات الدنيا والحاجات الضرورية ولكن يتصور تخفيفها وتثقيلها وقد نجا المخفون وهلك المثقلون والحمد لله
الذي لم يعلق النجاة بالفراغ المطلق عن جميع الاوزار والاعباء بل قبل المخف بفضله وشمله بسعة رحمته والمخف هو الذي
ليست الدنيا اكبر همه وذلك لا يتيسر في الوطن لمن اتسع جاهه وكثرت علائقه فلا يتم مقصوده الا بالعزلة والخمول وقطع
العلائق التي له بدعنها حتى يروض نفسه مدة ثم ربما يمده الله بمعونته فينعم عليه بما يقوي به نفسه ويطمئن به قلبه فيستوي
عنده الحضر والسفر ويتقارب عنده وجود الاسباب والعلائق وعدمها فلا يصده شيء منها عما هو بصدده من ذكر الله وذلك
مما يعز وجوده جدا بل الغالب على القلوب الضعف والقصور عن الاتساع للخلق والخالق وانما يسعد بهذه القوة الانبياء
والاولياء والوصول اليها بالكسب شديد فان كان للاجتهاد والكسب فيه مدخل ايضا ومثال تفاوت القوة الباطنة فيه
تفاوت القوة الظاهرة في الاعضاء فرب رجل قوي ذي مرة سوي شديد الاعصاب محكم البنية يستقل بحمل ما وزنه الف رطل
مثلا فلو اراد الضعيف المريض ان ينال رتبته بممارسة الحمل والتدريج فيه قليلا قليلا لم يقدر عليه ولكن الممارسة والجهد
يزيد في قوته زيادة ما وان كان ذلك لا يبلغه درجته فلا ينبغي ان يترك الجهد عند اليأس عن الرتبة العليا فان ذلك غاية
الجهل ونهاية الضلال وكان من عادة السلف مفارقة الوطن خيفة من الفتن قال سفين الثوري هذا زمان سوء لا يؤمن فيه
على الخامل فكيف على المشهورين هذا زمان رجل ينتقل من بلد الى بلد كلما عرف في موضع تحول الى غيره وقال ابو نعيم رايت
سفين الثوري وقد علق قلته بيده ووضع جرابه على ظهره فقلت الى اين يا ابا عبد الله قال قد بلغني عن قرية فيها رخص اريد
ان اقيم بها قيل وتفعل هذا قال نعم اذا بلغك ان قرية فيها رخص فاقم بها فانه اسلم لدينك واقل لهمك وهذا هرب من
غلاء السعر وكان سري السقطي يقول للصوفية اذا خرج الشتاء اذار واورقت الاشجار وطاب الانتشار فانتشروا وكان ابراهيم
الخواص لا يقيم في بلد اكثر من اربعين يوما وكان من المتوكلين ويرى الاقامة اعتمادا على الاسباب قادحا في التوكل وسياتي
اسرار الاعتماد على الاسباب في كتاب التوكل ان شاء الله تعالى * القسم الرابع السفر هربا مما يقدح في البدن كالطاعون
او في المال كغلاء السعر وما يجري مجراه ولا حرج في ذلك بل ربما يجب الفرار في بعض المواضع وربما يستحب في بعض المواضع بحسب
وجوب ما يترتب عليه من الفوائد واستحبابه في ذلك ولكن يستثنى عنه الطاعون فلا ينبغي ان يفر منه لورود النهي فيه قال
اسامة بن زيد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذا الوجع والسقم رجز عذب به بعض الامم قبلكم ثم بقي بعد في الارض

فيذهب لمرة ويأتي الاخرى فمن سمع به في ارض فلا يقدم عليه ومن وقع بارض وهو بها فلا يخرجنه الفرار منه وقالت
عائشة رضي الله عنها قلت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فناء امتي بالطعن والطاعون فقلت هذا الطعن قد عرفنا
فما الطاعون قال غدة كغدة البعير تاخذهم في مراقهم المسلم الميت منه شهيد والمقيم عليه المحتسب كالمرابط في سبيل الله و
الفار منه كالفار من الزحف وان اصاب الناس موتان وانت فيهم فاثبت فيهم انفق من طولك على اهل بيتك ولا ترفع عصاك
عنهم اخفهم في الله فهذه الاحاديث تدل على ان الفرار من الطاعون وعن مكحول عن ام ايمن قالت اوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعض اهله لا تشرك بالله شيئا وان عذبت او خوفت اطع والديك وان امراك ان تخرج من كل شيء هو لك فاخرج منه لا تترك
الصلوة عمدا فان من ترك الصلوة عمدا فقد برئت منه ذمة الله اياك والخمر فانها مفتاح كل شر اياك والمعصية فانها
تسخط الله لا تفر من الزحف وان اصاب الناس موتان وانت فيهم فاثبت فيهم انفق من طولك على اهل بيتك ولا ترفع عصاك
عنهم اخفهم في الله فهذه الاحاديث تدل على ان الفرار من الطاعون منهي عنه وكذا القدوم عليه وسياتي شرح ذلك في كتاب
التوكل فهذه اقسام الاسفار وقد خرج منه ان السفر ينقسم الى مذموم والى محمود والى مباح والمذموم ينقسم الى حرام
كاباق العبد وسفر العاق والى مكروه كالخروج من بلد الطاعون والمحمود ينقسم الى واجب كالحج وطلب العلم الذي هو فريضة
على كل مسلم والى مندوب اليه كزيارة العلماء وزيارة مشاهدهم ومن هذه الاسباب تتبين النية في السفر فان معنى النية الانبعاث
للسبب الباعث والانتهاض لاجل الداعية ولتكن نيته الاخرة في جميع اسفاره وذلك ظاهر في الواجب والمندوب ومحال
في المكروه والمحظور واما المباح فمهما كان قصده طلب المال مثلا للتعفف عن السؤال ورعاية ستر المروة على الاهل والعيال
والتصدق بما فضل من مبلغ الحاجات صار هذا المباح بهذه النية من اعمال الاخرة ولو خرج الى الحج وباعثه الرياء والسمعة
خرج عن كونه من اعمال الاخرة ولو خرج الى الحج فقوله صلى الله عليه وسلم الاعمال بالنيات عام في الواجبات والمباحات دون
المحظورات فان النية لا تؤثر في اخراجها عن كونها محظورة وقد قال بعض السلف ان الله قد وكل بالمسافرين ملائكة ينظرون الى
مقاصدهم فيعطي كل واحد على نحو نيته فمن كانت نيته الدنيا اعطي منها ونقص من اخرته اضعافه وفرق عليه همه وكثر بالحرص
والرغبة شغله ومن كانت نيته الاخرة اعطي من البصيرة والفطنة وفتح له من التذكرة والعبرة بقدر نيته وجمع له همه ودعت
له الملائكة واستغفرت واما النظر في ان السفر هو الافضل او الاقامة فهو يضاهي النظر في ان الافضل هو العزلة او المخالطة
وقد ذكرنا منهاج طريق العزلة فليفهم هذا منه فان السفر نوع مخالطة مع زيادة تعب ومشقة يفرق الهم ويشتت القلب
في حق الاكثرين والاكثر هو الاعون على الدين ونهاية ثمرة الدين في الدنيا تحصيل معرفة الله وتحصيل الانس بذكر الله والانس يحصل
بدوام الذكر والمعرفة تحصل بدوام الفكر ومن لم يتعلم طريق الفكر والذكر لم يتمكن منهما والسفر هو المعين على التعلم في الابتداء والاقامة
هو المعينة على العمل بالعلم في الانتهاء فاما السياحة في الارض على الدوام فمن المشوشات للقلب تارة بالخوف الا في حق الاقوياء
فان المسافر وماله لعلى قلت الا ما وقى الله فلا يزال المسافر مشغول القلب تارة بالخوف على نفسه وماله وتارة بمفارقة ما الفه و
اعتاده في اقامته وان لم يكن معه مال يخاف عليه فلا يخلو عن الطمع والاستشراف الى الخلق فتارة يضعف قلبه بسبب الفقر وتارة
يقوى باستحكام اسباب الطمع ثم شغل الحط والترحال مشوش لجميع الاحوال فلا ينبغي ان يسافر المريد الا في طلب علم او مشاهدة شيخ يقتدى
به في سيرته ويستفاد الرغبة في الخير من مشاهدته فان اشتغل بنفسه واستبصر وانفتح له طريق الفكر او العمل فالسكون اولى به الا ان
اكثر متصوفة هذه الاعصار لما خلت بواطنهم عن لطائف الافكار ودقائق الاعمال ولم يحصل لهم انس بالله تعالى وبذكره في الخلوة

في الخلوة وكانوا بطالين غير محترفين ولا مشغولين قد الفوا البطالة واستثقلوا العمل واستوعروا طريق الكسب واستلانوا
جانب السؤال والكدية واستطابوا الرباطات المبنية لهم في البلاد واستسخروا الخدم المنتصبين للقيام بخدمة القوم و
استخفوا عقولهم واديانهم من حيث لم يكن قصدهم من الخدمة الا الرياء والسمعة وانتشار الصيت واقتناص الاموال بطريق
السؤال تعللا بكثرة الاتباع فلم يكن لهم في الخانقاهات حكم نافذ ولا تاديب للمسافرين نافع ولا حجر عليهم قاهر فلبسوا المرقعات و
اتخذوا من الخانقاهات متنزهات وربما تلقفوا الفاظا مزخرفة من الطامات فينظرون الى انفسهم وقد تشبهوا بالقوم في خرقتهم
وفي سياحتهم وفي لفظهم وعباراتهم وفي اداب ظاهرة من سيرتهم فيظنون بانفسهم خيرا ويتوهمون ان كل سوداء تمرة ويتوهمون
ان المشاركة في الظواهر توجب المساهمة في الحقائق وهيهات فما اغزر حماقة من لا يميز بين الشحم والورم فهؤلاء بغضاء الله فان
الله يبغض الشاب الفارغ ولا يحملهم على السياحة الا الشباب والفراغ الا من سافر لحج او عمرة في غير رياء وسمعة او سافر لمشاهدة
شيخ يقتدى به في علمه وسيرته وقد خلت البلاد عنه الان والامور الدينية كلها قد فسدت وضعفت الا التصوف فانه قد
امحق بالكلية وبطل لان العلوم لا تندرس بعد والعالم وان كان عالم سوء فانما فساده في سيرته لا في علمه فيبقى عالما غير عامل
بعلمه والعمل غير العلم واما التصوف فانه عبارة عن تجرد القلب لله والاستحقار لما سوى الله وحاصله يرجع الى عمل القلب
والجوارح ومهما فسد العمل فات الاصل وفي اسفارهم نظر للفقهاء من حيث انه اتعاب النفس بلا فائدة وقد يقال ان ذلك
ممنوع ولكن الصواب عندنا ان نحكم بالاباحة فان حظوظهم التفرج بالبلاد كالبهائم المترددة في الصحاري فلا باس بسياحتهم ما كفوا
عن الناس شرهم ولم يلبسوا على الخلق حالهم وانما عصيانهم في التلبيس والسؤال على اسم التصوف والاكل من الاوقاف
التي وقفت على الصوفية لان الصوفي عبارة عن رجل صالح عدل في دينه مع صفات اخرى وراء الصلاح ومن اقل احوال هؤلاء
اكلهم اموال السلاطين واكل الحرام من الكبائر فلا يبقى معه العدالة والصلاح ولو تصور صوفي فاسق لتصور صوفي كافر و
فقيه يهودي وكما ان الفقيه عبارة عن مسلم مخصوص فالصوفي عبارة عن عدل مخصوص لا يقتصر في دينه على القدر الذي
يحصل به العدالة فكذلك من نظر الى ظواهرهم ولم يعرف بواطنهم واعطاهم من ماله على سبيل التقرب الى الله حرم عليهم
الاخذ وكان ما اكلوه سحتا واعني به اذا كان المعطي بحيث لو عرف بواطن احوالهم ما اعطاهم واخذ المال باظهار التصوف
من غير اتصاف بحقيقته كاخذه باظهار نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل الدعوى ومن زعم انه علوي وهو كاذب
واعطاه مسلم مالا لحبه اهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو علم انه كاذب لم يعطه شيئا فاخذه عليه حرام وكذلك
الصوفي ولهذا احترز المحتاطون عن الاكل بالدين فان المبالغ في الاحتياط لدينه لا ينفك في باطنه عن عورات لو انكشفت
للراغبين في مواساته لفترت رغبتهم عن المواساة فلا جرم كانوا لا يشترون شيئا بانفسهم مخافة ان يتسامحوا لاجلهم فيكونوا
اكلين بالدين وكانوا يوكلون ويشترطون على الوكيل ان لا يظهر انه لمن يشتري نعم انما يحل اخذ ما يعطى لاجل الدين
اذا كان الاخذ بحيث لو علم المعطي من باطنه ما يعلمه الله لم يقتض ذلك فتورا في رايه فيه والعاقل المنصف يعلم ان ذلك
ممتنع او عزيز والمغرور الجاهل بنفسه احرى بان يكون جاهلا بامر دينه فان اقرب الاشياء الى قلبه قلبه فاذا التبس عليه
امر قلبه فكيف ينكشف له غيره ومن عرف هذه الحقيقة لزمه لا محالة ان لا ياكل الا من كسبه ليامن هذه الغائلة
او لا ياكل الا من مال من يعلم قطعا انه لو انكشف عورات باطنه لم يمنعه عن مواساته فان اضطر طالب الحلال ومريد طريق
الاخرة الى اخذ مال غيره فليصرح له وليقل انك ان كنت تعطيني لما تعتقده في من الدين فلست مستحقا لذلك ولو كشف الله

يزكي لم ترني بعين التوقير بل اعتقدت اني شر الخلق او من شر الخلق فان اعطاه مع ذلك فليأخذ فان زعمه يقتضي منه
هذه الخصلة وهو اعترافه على نفسه بركاكة الدين وعدم استحلاله لما يأخذه ولكن ههنا مكيدة للنفس ومخادعة فليتفطن
لها وهو انه قد يكون غرضه اظهار انه متشبه بالصالحين في ذمهم نفوسهم واستحقارهم لها ونظرهم اليها بعين المقت والازدراء فيكون صورة
الكلام صورة القدح والازدراء وباطنه وروحه هو المدح والاطراء فكم من ذام لنفسه وهو لها مادح بعين ذمه فذم النفس
في الخلوة مع النفس هو المحمود فاما الذم في الملأ فهو عين الرياء الا اذا اورده ايرادا يحصل للمستمع يقينا بانه مقترف للذنوب
ومعترف بها وذلك مما يمكن تفهيمه بقرائن الاحوال ويمكن تلبيسه بقرائن الاحوال والصادق فيما بينه وبين الله تعالى يعلم ان مخادعته
لله او مخادعته لنفسه محال فلا يتعذر الاحتراز عن امثال ذلك فهذا هو القول في اقسام السفر ونية المسافر الفصل
الثاني في آداب المسافر من اول نهوضه الى آخر رجوعه وهي احدى عشر ادبا الاول ان يبدأ برد المظالم وقضاء الديون
واعداد النفقة لمن تلزمه نفقته ويرد الودائع ان كانت عنده ولا يأخذ لزاده الا الطيب الحلال وليأخذ قدرا يوسع به على رفقائه
قال ابن عمر رضي الله عنهما من كرم الرجل طيب زاده في سفره ولا بد في السفر من طيب الكلام واطعام الطعام ومن اظهار مكارم
الاخلاق فان السفر يخرج خبايا الباطن ومن صلح لصحبته للسفر صلح لصحبة الحضر وقد يصلح في الحضر من لا يصلح في السفر
ولذلك قيل اذا اثنى على الرجل معاملوه في الحضر ورفقاؤه في السفر فلا تشكوا في صلاحه والسبب ان السفر من اسباب الضجر
ومن احسن خلقه في الضجر فهو الحسن الخلق والا فعند مساعدة الامور على وفق الغرض قلما يظهر سوء الخلق وقد قيل ثلاثة
لا يلامون على الضجر الصائم والمريض والمسافر وتمام حسن خلق المسافر بالاحسان الى المكاري ومعاونة الرفقة بكل ممكن وبالرفق بكل
منقطع بان لا يجاوزه الا باعانة بمركوب او زاد او توقف لاجله وتمام ذلك مع الرفقاء بمزاح ومطايبة في بعض الاوقات
من غير فحش ومعصية ليكون ذلك شفاء لضجر السفر ومشاقه الثاني ان يختار رفيقا فلا يخرج وحده والرفيق ثم الطريق
وليكن رفيقه ممن يعينه على الدين فيذكره اذا نسي ويعينه ويساعده اذا ذكر فان المرء على دين خليله ولا يعرف الرجل الا برفيقه
وقد نهى صلى الله عليه وسلم عن ان يسافر الرجل وحده وقال الثلاثة نفر وقال اذا كنتم ثلاثة في سفر فأمروا احدكم وكانوا
يفعلون ذلك ويقولون هو امير امره الله صلى الله عليه وسلم وليؤمروا احسنهم اخلاقا وارفقهم بالاصحاب واسرعهم الى الايثار
رسول
وطلب الموافقة وانما يحتاج الى الامير لان الآراء تختلف في تعيين المنازل والطرق ومصالح السفر ولا نظام الا في الوحدة
ولا فساد الا من الكثرة وانما انتظم امر العالم لان مدبر الكل واحد ولو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ومهما كان المدبر واحدا انتظم
التدبير واذا كثر المدبرون فسدت الامور في الحضر والسفر فلا يتعين له امير الا بالتأمير فلهذا وجب التأمير ليجتمع شتات الآراء
ثم على الامير ان لا ينظر الا مصلحة القوم وان يجعل نفسه وقاية لهم كما نقل عن عبد الله المروزي انه صحبه ابو علي الرباطي فقال
على ان تكون انت الامير ام انا فقال بل انت فلم يزل يحمل الزاد لنفسه ولابي علي على ظهره فامطرت السماء ذات ليلة فقام عبد الله
طول الليل على رأس رفيقه وفي يده كساء يمنع عنه المطر فكلما قال له عبد الله لا تفعل يقول الم تقل ان الامارة مسلمة لي فلا
تتحكم علي ولا ترجع عن قولك حتى قال ابو علي وددت اني مت ولم اقل له انت الامير فهكذا ينبغي ان يكون الامير وقد قال
صلى الله عليه وسلم خير الاصحاب اربعة وتخصيص الاربعة من بين سائر الاعداد لا بد ان يكون له فائدة والذي ينقدح فيه ان المسافر
لا يخلو عن رحل يحتاج الى حفظه وعن حاجة يحتاج الى التردد فيها ولو كانوا ثلاثة لكان المتردد فيها واحدا فيتردد في السفر بلا رفيق
فلا يخلو عن خطر وعن ضيق قلب لفقد انس الرفيق ولو تردد في الحاجة اثنان كان الحافظ للرحل واحدا فلا يخلو عن الخطر وعن ضيق الصدر

الصدر فاذا ما دون الاربعة لا يفي بالمقصود وما فوق الاربعة يزيد فلا يجمعهم رابطة واحدة فلا ينعقد بينهم الترافق
لان الخامس زيادة بعد الحاجة ومن يستغني عنه لا تنصرف اليه الهمة فلا تتم المرافقة معه نعم في كثرة الرفاق فائدة للامن من
المخاوف ولكن الاربعة خير للرفاقة الخاصة لا للرفاقة العامة وكم من رفيق في الطريق عند كثرة الرفاق لا يكلم ولا يخالط الى آخر الطريق للاستغناء
عنه الثالث ان يودع رفقاء الحضر والاهل والاصدقاء وليدع عند الوداع بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعضهم
صحبت عبد الله بن عمر رضي الله عنهما من مكة الى المدينة فلما اردت ان افارقه شيعني وقال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول قال لقمان ان الله عز وجل اذا استودع شيئا حفظه واني استودع الله دينك وامانتك وخواتيم عملك
وروى زيد بن ارقم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا اراد احدكم سفرا فليودع اخوانه فان الله تعالى جاعل لهم
في دعائهم البركة وعن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا ودع رجلا قال زودك الله
التقوى وغفر ذنبك ووجهك للخير حيث توجهت فهذا دعاء المقيم للمودع وقال موسى بن وردان اتيت ابا هريرة اودعه لسفر
اردته فقال الا اعلمك يا ابن اخي شيئا علمنيه رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الوداع فقلت بلى قال قل استودع الله الذي
لا تضيع ودائعه وعن انس بن مالك ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال اني اريد سفرا فاوصني فقال له في حفظ الله
وفي كنفه زودك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك للخير حيث كنت او اينما كنت شك الراوي وينبغي اذا استودع الله على
ما يخلفه ان يستودع الجميع ولا يخصص فقد روي ان عمر رضي الله عنه كان يعطي الناس عطاياهم اذ جاء رجل معه ابن له فقال له
عمر ما رايت احدا اشبه باحد من هذا بك فقال الرجل احدثك يا امير المؤمنين بامره اني اردت ان اخرج الى السفر وامه حامل به
فقالت تخرج وتدعني على هذه الحالة فقلت استودع الله ما في بطنك فخرجت ثم قدمت فاذا هي قد ماتت فجلسنا نتحدث فاذا
نار على قبرها فقلت للقوم ما هذه النار فقالوا هذا قبر فلانة نراها كل ليلة فقلت والله انها كانت صوامة قوامة
فاخذت المعول حتى انتهينا الى القبر فحفرنا فاذا سراج واذا هذا الغلام يدب فقيل لي ان هذه وديعتك ولو كنت استودعت
امه لوجدتها فقال عمر رضي الله عنه لهو اشبه بك من الغراب بالغراب الرابع ان يصلي قبل السفر صلاة الاستخارة كما
وصفناها في كتاب الصلاة ووقت الخروج يصلي لاجل السفر فقد روى انس بن مالك ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال اني نذرت سفرا وقد كتبت وصيتي فالى اي الثلاثة ادفعها الى ابي ام اخي ام ابني فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما استخلف
عبد في اهله من خليفة احب الى الله من اربع ركعات يصليهن في بيته اذا شد عليه ثياب سفره يقرأ فيهن بفاتحة الكتاب
وقل هو الله احد ثم يقول اللهم اني اتقرب بهن اليك فاخلفني بهن في اهلي ومالي فهي خليفته في اهله وماله وحرز حول داره
حتى يرجع الى اهله الخامس اذا حصل على باب الدار فليقل بسم الله توكلت على الله لا حول ولا قوة الا بالله رب اعوذ بك
ان اضل او اضل او ازل او ازل او اظلم او اظلم او اجهل او يجهل علي فاذا مشى قال اللهم بك انتشرت وعليك توكلت وبك اعتصمت
واليك توجهت اللهم انت ثقتي وانت رجائي فاكفني ما اهمني وما لا اهتم به وما انت اعلم به مني عز جارك وجل ثناؤك
ولا اله غيرك اللهم زودني التقوى واغفر لي ذنبي ووجهني للخير اينما توجهت وليدع بهذا الدعاء في كل منزل يرحل عنه
فاذا ركب الدابة فليقل بسم الله وبالله والله اكبر توكلت على الله ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ما شاء الله كان وما لم
يشأ لم يكن سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون فاذا استوت الدابة تحته فليقل الحمد لله الذي
هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله اللهم انت الحامل على الظهر وانت المستعان على الامور السادس

ان يرحل من المنازل بكرة روى جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم رحل يوم الخميس يريد تبوك وبكر وقال اللهم بارك لامتي
في بكورها ويستحب ان يبتدي بالخروج يوم الخميس فقد روى كعب بن مالك عن ابيه قال قلما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يخرج الى سفر الا يوم الخميس وروى انس انه صلى الله عليه وسلم قال اللهم بارك لامتي في بكورها يوم السبت وكان عليه السلام اذا
بعث سرية بعثها اول النهار وروى ابو هريرة رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال اللهم بارك لامتي في بكورها يوم خميسها
وقال عبد الله بن عباس اذا كانت لك الى رجل حاجة فاطلبها اليه نهارا ولا تطلبها ليلا واطلبها بكرة فاني سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم اللهم بارك لامتي في بكورها ولا ينبغي ان يسافر بعد طلوع الفجر من يوم الجمعة فيكون عاصيا بترك الجمعة واليوم منسوب اليها
فكان اوله من اسباب وجوبها والتشييع للوداع مستحب وهو سنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لان اشيع
مجاهدا في سبيل الله فاكنفه على رحله غدوة او روحة احب الي من الدنيا وما فيها السابع ان لا ينزل حتى يحمى النهار
فهو السنة ويكون اكثر سيره في الليل قال صلى الله عليه وسلم بالدلجة فان الارض تطوى بالليل ما لا تطوى بالنهار ومهما
اشرف على المنزل فليقل اللهم رب السموات السبع وما اظللن ورب الارضين السبع وما اقللن ورب الشياطين وما اضللن ورب الرياح
وما ذرين ورب البحار وما جرين اسالك خير هذا المنزل وخير اهله واعوذ بك من شر هذا المنزل وشر ما فيه اصرف عني شر
شرارهم فاذا نزل المنزل فليصل فيه ركعتين ثم ليقل اللهم اني اعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر
ما خلق فاذا جن عليه الليل يقول يا ارض ربي وربك الله اعوذ بالله من شرك وشر ما فيك وشر ما دب عليك اعوذ بالله
من شر كل اسد واسود وعقرب وحية ومن ساكن البلد ووالد وما ولد وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم ومهما
علا نشزا من الارض في وقت السير ينبغي ان يقول اللهم لك الشرف على كل شرف ولك الحمد على كل حال ومهما هبط سبح ومهما
خاف الوحشة في سفره قال سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح جللت السموات بالعزة والجبروت الثامن
ان يحتاط بالنهار فلا يمشي منفردا خارج القافلة لانه ربما يغتال او ينقطع ويكون بالليل متحفظا عند النوم كان صلى الله عليه وسلم
اذا نام في ابتداء الليل في السفر افترش ذراعه وان نام في اخر الليل نصب ذراعه نصبا وجعل راسه في كفه والغرض من ذلك
ان لا يستثقل في النوم فتطلع الشمس وهو نائم لا يدري فيكون ما يفوته من الصلوة مما يطلبه في سفره والمستحب بالليل ان
يتناوب الرفقاء في الحراسة فاذا نام واحد حرس اخر فهو السنة ومهما قصده سبع او عدو في ليل او نهار فليقرا اية الكرسي
وشهد الله انه لا اله الا هو وسورة الاخلاص والمعوذتين وليقل بسم الله ما شاء الله لا قوة الا بالله حسبي الله توكلت على الله
ما شاء الله لا ياتي بالخيرات الا الله ما شاء الله لا يصرف السوء الا الله حسبي الله وكفى سمع الله لمن دعا ليس وراء الله منتهى
ولا دون الله ملجا كتب الله لاغلبن انا ورسلي ان الله قوي عزيز تحصنت بالله العظيم واستعنت بالحي الذي لا يموت اللهم احرسنا
بعينك التي لا تنام واكنفنا بركنك الذي لا يرام اللهم ارحمنا بقدرتك علينا فلا نهلك وانت ثقتنا ورجاؤنا اللهم اعطف
علينا قلوب عبادك وامائك برافة ورحمة انك انت ارحم الراحمين التاسع ان يرفق بالدابة ان كان راكبا فلا يحملها
ما لا يطيق ولا يضربها في وجهها فانه منهي عنه ولا ينام عليها فانه يثقل بالنوم وتتاذى به الدابة كان اهل الورع لا ينامون على
الدابة الا غفوة وقال صلى الله عليه وسلم لا تتخذوا ظهور دوابكم كراسي ويستحب ان ينزل عن الدابة غدوة وعشية يروحها
بذلك فهو سنة وفيه اثار عن السلف وكان بعض السلف يكتري بشرط ان لا ينزل ويوفي الاجرة ثم كان ينزل ليكون بذلك محسنا الى
الدابة فيوضع في ميزان حسناته لا في ميزان المكاري ومن اذى بهيمة بضرب او حمل ما لا يطيق طولب به يوم القيامة اذ في كل كبد

كبد حرى اجر وقال ابو الدرداء لبعير له عند الموت ايها البعير لا تخاصمني الى ربك فاني لم اكن احملك فوق طاقتك وفي النزول
ساعة صدقتان احداهما ترويح الدابة والثاني ادخال السرور على قلب المكاري وفيه فائدة اخرى وهي رياضة البدن
وتحريك الرجلين والحذر من خدر الاعضاء بطول الركوب وينبغي ان يقرر مع المكاري ما يحمله شيئا شيئا ويعرضه عليه و
يستاجر الدابة بعقد صحيح لئلا يثور بينهما نزاع يؤذي القلب ويحمل على الزيادة في الكلام فما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد
فليحترز عن كثرة الكلام واللجاج مع المكاري ولا ينبغي ان يحمل فوق المشروط شيئا وان خف فان القليل يجر الى الكثير ومن حام
حول الحمى يوشك ان يقع فيه قال رجل لابن المبارك وهو على دابته احمل لي هذه الرقعة الى فلان فقال حتى استاذن الجمال فاني
لم اشارطه على هذه الرقعة فانظر كيف لم يلتفت الى قول الفقهاء ان هذا مما يتسامح به ولكن سلك طريق الورع العاشر
ينبغي ان يستصحب ستة اشياء قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سافر حمل معه خمسة اشياء المراة
والمكحلة والمدرى والسواك والمشط وقالت ام سعد الانصارية كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفارقه في السفر المراة
والمكحلة وقال صهيب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بالاثمد عند مضجعكم فانه مما يزيد في البصر وينبت الشعر وروي
انه يكتحل ثلاثا وفي رواية اخرى انه اكتحل لليمنى ثلاثا ولليسرى ثنتين وقد زاد الصوفية الركوة والحبل وقال بعض الصوفية اذا
لم يكن مع الفقير ركوة وحبل دل على نقصان دينه وانما زادوا هذه لما راوه من الاحتياط في طهارة الماء وكان الاولون يكتفون

وغسل الثياب في الركوة لحفظ الماء الطاهر والحبل لتجفيف الثوب المغسول ولنزح الماء

بالتيمم ويغنون انفسهم عن نقل الماء ولا يبالون بالوضوء من الغدران ومن المياه كلها ما لم يستيقنوا نجاستها حتى توضا عمر رضي الله عنه
من ماء في جرة نصرانية وكانوا يكتفون بالارض والجبال عن الحبل فيفرشون الثياب المغسولة عليها فهذه بدعة حسنة وانما البدعة
المذمومة ما يصادم السنن الثابتة اما ما يعين على الاحتياط في الدين فمستحسن وقد ذكرنا احكام المبالغة في الطهارات في كتاب
الطهارة وان المتجرد لامر الدين لا ينبغي ان يؤثر طريق الرخصة بل يحتاط في الطهارة ما لم يمنعه ذلك عن عمل افضل منه وقيل كان
الخواص من المتوكلين وكان لا يفارقه اربعة اشياء في السفر والحضر الركوة والحبل والابرة بخيوطها والمقراض وكان يقول هذه ليست
من الدنيا الحادي عشر في اداب الرجوع من السفر كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا قفل من غزو او حج او عمرة يكبر على كل
شرف ثلاث تكبيرات ويقول لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شي قدير ايبون تائبون عابدون
ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده واذا اشرف فليقل اللهم اجعل لنا بها قرارا ورزقا
حسنا ثم ليرسل الى اهله من يخبرهم بقدومه كيلا يقدم عليهم بغتة فيرى ما يكره ولا ينبغي ان يطرقهم ليلا وقد ورد النهي عنه
وكان صلى الله عليه وسلم دخل المسجد صلى ركعتين ثم دخل البيت واذا دخل قال توبا توبا لربنا اوبا لا يغادر علينا حوبا وينبغي ان يحمل

اذا قدم

لاهل بيته ولاقاربه تحفة من مطعوم او غيره على قدر امكانه فقد قيل هو سنة وقد روي انه ان لم يكن شيئا فليضع في مخلاته حجرا وكان
هذا مبالغة في الاستحباب على هذه المكرمة لان الاعين تمتد الى القادم من السفر والقلوب تفرح فيتاكد الاستحباب لتاكد فرحهم
واظهار النفاة بالقلب في السفر الذي ذكرناه مما يستحب في الطريق فهذه جملة من الاداب الظاهرة فاما الاداب الباطنة
ففي الفصل الاول بيان جملة منها وجملته ان لا يسافر الا اذا كان زيادة دينه في السفر ومهما وجد قلبه متغيرا الى نقصان فليقف
ولينصرف ولا ينبغي ان يجاوز همه منزله بل ينزل حيث ينزل قلبه وينوي في دخول كل بلدة ان يرى شيوخها ويجتهد ان يستفيد
من كل واحد ادبا او كلمة لينتفع بها لا ليحكي ذلك ويظهر انه لقي المشايخ ولا يقيم ببلدة اكثر من اسبوع او عشرة ايام الا ان
يامره الشيخ المقصود بذلك ولا يجالس في مدة الاقامة الا الفقراء الصادقين وان كان قصده زيارة اخ فلا يزيد على ثلاثة ايام

فهو حد الضيافة الا اذا شق على اخيه مفارقته واذا قصد زيارة شيخ فلا يقيم اكثر من يوم وليلة ولا يشتغل بالعشرة فان ذلك
يقطع بركة سفره وكلما دخل البلد فلا يشتغل بشيء سوى زيارة الشيخ بزيارة منزله فان كان في بيته فلا يدق عليه بابه ولا يستأذن
الا ان يخرج فاذا خرج تقدم بادب ولا يتكلم بين يديه الا ان يسأله فان سأله اجاب بقدر السؤال ولا يسأله عن مسألة ما لم يستأذن
اولا واذا كان في السفر فلا يكثر ذكر اطعمة البلدان واسخيائها ولا اصدقائه فيها وليذكر مشايخها وفقراءها ولا يهمل في سفره
زيارة قبور الصالحين بل يتفقدها في كل قرية وبلدة ولا يظهر حاجته الا بقدر الضرورة ومع من يقدر على ازالتها ويلازم في الطريق
الذكر وقراءة القرآن بحيث لا يسمع غيره فان كلمه انسان فليترك الذكر وليجبه ما دام يحدثه ثم ليرجع فان تبرمت نفسه بالسفر
او بالاقامة فليخالفها فالبركة في مخالفة النفس واذا تيسرت له خدمة قوم صالحين بل يتفقدها فلا ينبغي ان يسافر تبرما بالخدمة
فذلك كفران نعمة ومهما وجد نفسه في نقصان عما كان في الحضر فليعلم ان سفره معلول وليرجع اذ لو كان لحق لظهر اثره وقال رجل
لابي عثمان المغربي خرج فلان مسافرا فقال السفر غربة والغربة ذلة وليس للمؤمن ان يذل نفسه واشار به الى من ليس له في السفر
زيادة دين والا فعز الدين لا ينال الا بذل الغربة فليكن سفر المريد من وطن هواه ومراده وطبعه حتى يعز في هذه الغربة ولا
يذل فان من اتبع هواه في سفره ذل لا محالة اما عاجلا واما آجلا ه

الباب الثاني

فيما لا بد للمسافر من تعلمه من رخص السفر وادلة القبلة والاوقات اعلم ان المسافر يحتاج في اول سفره الى ان يتزود لدنياه
ولآخرته اما زاد الدنيا فالطعام والشراب وما يحتاج اليه من النفقة فان خرج متوكلا من غير زاد فلا بأس به اذا كان سفره
في قافلة او بين قرى متواصلة وان ركب البادية وحده او مع قوم لا طعام معهم ولا شراب فان كان ممن يصبر على الجوع اسبوعا
وعشرا مثلا ويقدر على ان يجتزي بالحشيش فله ذلك وان لم يكن له قوة الصبر على الجوع ولا القدرة على الاجتزاء بالحشيش
فخروجه من غير زاد معصية فانه القى بنفسه بيده الى التهلكة ولهذا سر سيأتي في كتاب التوكل وليس معنى التوكل التباعد عن الاسباب
بالكلية ولو كان كذلك لبطل التوكل بطلب الدلو ونزح الماء من البئر ولوجب ان يصبر حتى يسخر الله ملكا او شخصا آخر حتى
يصب الماء في فيه فان كان حفظ الدلو والحبل لا يقدح في التوكل وهو آلة الوصول الى المشروب فحمل عين المشروب
المطعوم حيث لا يتنظر له وجود اولى بان لا يقدح فيه وسيأتي حقيقة التوكل في موضعه فانه يلتبس الا على المحققين من علماء الدين
واما زاد الآخرة فهو العلم الذي يحتاج اليه في طهارته وصلاته وصومه وعبادته فلا بد ان يتزود منه اذ السفر تارة
يخفف عليه امورا كان مستقصيا فيحتاج الى معرفة القدر الذي يخففه السفر كالقصر والجمع والفطر وتارة يشدد عليه امورا كان
مستغنيا عنها في الحضر كالعلم بالقبلة واوقات الصلوة فانه في البلد مكتفى بغيره من محاريب المساجد واذان المؤذنين وفي السفر
قد يحتاج الى ان يتعرف بنفسه فاذا ما يفتقر الى تعلمه ينقسم الى قسمين ه

القسم الاول العلم برخص السفر

والسفر يفيد في الطهارة رخصتين اداؤه على الراحلة واداؤه ماشيا وفي الصوم رخصة واحدة وهو الفطر فهذه سبع رخص ه

الرخصة الاولى المسح على الخفين قال صفوان بن عسال امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كنا مسافرين او سفرا ان لا ننزع خفافنا ثلاثة ايام
ولياليهن فكل من لبس الخف على طهارة مبيحة للصلوة ثم احدث فله ان يمسح على خفه من وقت حدثه ثلاثة ايام
ولياليهن ان كان مسافرا ويوما وليلة ان كان مقيما ولكن بخمسة شروط الاول ان يكون اللبس بعد كمال الطهارة
فلو غسل الرجل اليمنى وادخلها الخف ثم غسل اليسرى وادخلها الخف لم يجز له المسح عند الشافعي رضي الله عنه حتى ينزع رجله
من الخف اليمنى ويعيد لبسه الثاني ان يكون الخف قويا يمكن المشي عليه ويجوز المسح على الخف وان لم يكن منعلا اذا العادة جارية
بالتردد عليه في المنازل لان فيه قوة على الجملة بخلاف جورب الصوفية فانه لا يجوز المسح عليه وكذا الجرموق الضعيف
الثالث ان لا يكون في موضع فرض الغسل خرق فان تخرق بحيث انكشف محل الفرض لم يجز المسح وللشافعي رضي الله عنه قول قديم
انه يجوز ما دام يستمسك على الرجل وهو مذهب مالك رحمه الله ولا بأس به لمسيس الحاجة اليه وتعذر الخرز في السفر في كل وقت
والمداس المنسوج يجوز المسح عليه مهما كان ساترا لا تبدو بشرة القدم من خلاله وكذا المشقوق الذي يشد على محل الشق شرج
لان الحاجة تمس الى جميع ذلك فلا يعتبر الا ان يكون ساترا الى فوق الكعبين كيف ما كان فاما اذا ستر بعض ظهر القدم وستر الباقي
باللفافة لم يجز المسح الرابع ان لا ينزع الخف بعد المسح عليه فان نزع فالاولى استئناف الوضوء وان اقتصر على غسل القدمين
جاز الخامس ان يمسح على الموضع المحاذي لمحل فرض الغسل لا على الساق واقله ما يسمى مسحا على ظهر القدم من الخف واذا مسح
بثلاث اصابع خرج من شبهة الخلاف واكمله ان يمسح على اعلاه واسفله دفعة واحدة من غير تكرار كذلك فعل رسول الله صلى الله
عليه وسلم ووجهه ان يبل اليدين ويضع رؤوس اصابع اليد اليمنى على رؤوس اصابع رجله اليمنى ويمسحه بان يجر اصابعه الى جهة نفسه
ويضع رؤوس اصابع يده اليسرى على عقبه من اسفل القدم ويمرها الى راس القدم ومهما مسح مقيما ثم سافر او مسافرا ثم اقام
غلب حكم الاقامة فليقتصر على يوم وليلة وعدد الايام الثلاثة محسوب من وقت حدثه بعد المسح على الخف فلو لبس الخف في الحضر
ولم يمسح في الحضر ثم خرج واحدث في السفر وقت الزوال مثلا مسح ثلاثة ايام ولياليهن من وقت الزوال الى الزوال من اليوم
الرابع فاذا زالت الشمس من اليوم الرابع لم يكن له ان يصلي الا بعد غسل الرجلين فيغسل رجليه ويعيد لبس الخف ويراعي وقت الحدث
ويستأنف الحساب من وقت الحدث ولو احدث بعد لبس الخف في الحضر ثم خرج بعد الحدث فله ان يمسح ثلاثة ايام لان العادة قد تقضي
اللبس قبل الخروج لكل من يريد ثم لا يمكن الاحتراز من الحدث فاما اذا مسح في الحضر ثم سافر اقتصر على مدة المقيمين ويستحب لكل من يريد
لبس خف في حضر او سفر ان ينكس الخف وينفض ما فيه حذرا من حية او عقرب او شوكة فقد روي عن ابي امامة انه دعا رسول الله
صلى الله عليه وسلم بخفيه فلبس احدهما فجاء غراب فاحتمل الآخر ثم رمى به فخرجت منه حية فقال صلى الله عليه من كان يؤمن بالله
واليوم الآخر فلا يلبس خفيه حتى ينفضهما ه

الرخصة الثانية التيمم والتراب بدل عن الماء عند العذر وانما يتعذر الماء بان
يكون بعيدا عن المنزل بعدا لو مشى اليه لم يلحقه غوث القافلة ان صاح واستغاث وهو البعد الذي لا يعتاده اهل المنزل في
ترددانهم لقضاء الحاجة المتردد اليه وكذا ان نزل على الماء عدو او سبع يجوز التيمم وان كان الماء قريبا وكذا ان احتاج اليه لعطشه
في يوم او بعض يوم لفقد الماء بين يديه فله التيمم وكذا ان احتاج لعطش احد رفقائه فلا يجوز له الوضوء ويلزمه بذله اما بثمن
او بغير ثمن ولو كان يحتاج اليه للمرق حتى يطبخ مرقا او لحما او بل فتيتا لم يجز له التيمم بل عليه ان يجتزي بالفتيت اليابس
ويترك شرب المرق ومهما وهب منه الماء وجب قبوله وان وهب منه ثمنه لم يجب قبوله لما فيه من المنة وان بيع بثمن المثل لزمه
الشراء وان بيع بغبن لم يلزمه فاذا لم يكن معه ماء واراد ان يتيمم فاول ما يلزمه طلب الماء مهما جوز الوصول اليه بالطلب فعليه
بالتردد حوالي المنزل وتفتيش الرحل وطلب البقايا من الاواني والمطاهر وان نسي الماء في رحله او نسي بئرا بالقرب منه لزمه اعادة
الصلوة لتقصيره في الطلب وان علم انه يجد الماء في آخر الوقت فالاولى ان يصلي بالتيمم في اول الوقت فان العمر لا يوثق به
واول الوقت رضوان الله تيمم ابن عمر رضي الله عنهما فقيل له اتتيمم وجدران المدينة تنظر اليك فقال او ابقى الى ان ادخلها
ومهما وجد الماء بعد الدخول في الصلوة لم تبطل صلوته ولم يلزمه الوضوء واذا وجد قبل الشروع في الصلوة لزمه الوضوء ومهما
طلب فلم يجد فليقصد صعيدا طيبا عليه تراب يثور منه غبار ويضرب كفيه عليه بعد ضم اصابعه ضربة فيمسح بهما وجهه

الشروع

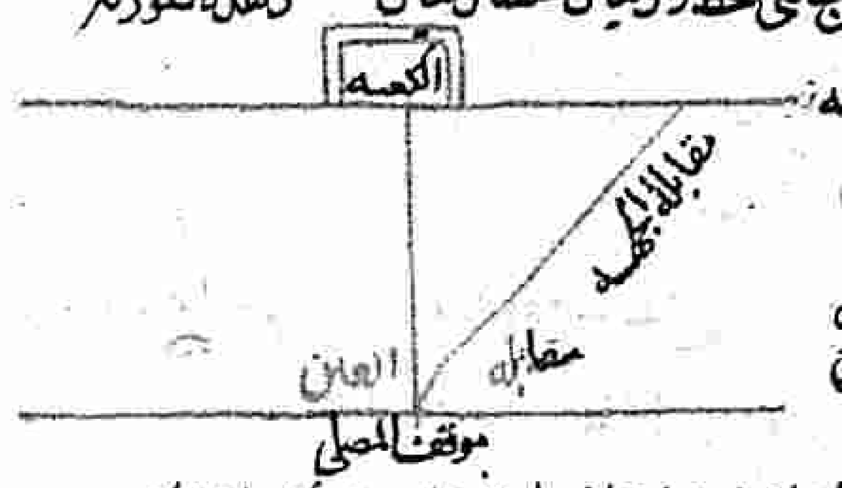
ويضرب بضربة اخرى بعد نزع الخاتم وتفريج الاصابع ويمسح بهما يديه الى مرفقيه فان لم يستوعب بضربة واحدة جميع ساعديه
ضرب ضربة اخرى وكيفية التلطف فيه ما ذكرناه في كتاب الطهارة فلا نعيده ثم اذا صلى به فريضة واحدة فله ان يتنفل
بذلك التيمم ما شاء وان اراد الجمع بين الفريضتين فعليه ان يعيد التيمم للصلاة الثانية ولا يصلي فريضتين الا بتيممين ولا ينبغي ان يتيمم
لصلاة قبل دخول وقتها فان فعل وجب عليه اعادة التيمم ولينو عند مسح الوجه استباحة الصلاة ولو وجد من الماء ما يكفيه لبعض
طهارته فليستعمله ثم ليتيمم بعده تيمما تاما. الرخصة الثالثة في الصلاة المفروضة القصر وله ان يقتصر في كل واحد من الظهر
والعصر والعشاء على ركعتين ولكن بشروط ثلاثة الاول ان يؤديها في اوقاتها فلو صارت قضاء فالاظهر لزوم الاتمام
الثاني ان ينوي القصر فلو نوى الاتمام لزمه الاتمام ولو شك في انه نوى القصر او الاتمام لزمه الاتمام الثالث
ان لا يقتدي بمقيم ولا بمسافر متم فان فعل لزمه الاتمام بل ان شك في ان امامه مقيم او مسافر متم لزمه الاتمام وان تيقن بعده انه
مسافر لان شعار المسافر لا يخفى فليكن متحققا عند النية وان شك في ان امامه هل نوى القصر ام لا بعد ان عرف انه مسافر لم يضره
ذلك لان النيات لا يطلع عليها وهذا كله اذا كان في سفر طويل مباح وحد السفر من جهة البداية والنهاية فيه اشكال
فلا بد من معرفته والسفر هو الانتقال من موضع الاقامة مع ربط القصد بمقصد معلوم فالهائم وراكب التعاسيف ليس له
الترخص وهو الذي لا يقصد موضعا معينا ولا يصير مسافرا ما لم يفارق عمران البلد ولا يشترط ان يجاوز خراب البلد وبساتينها
التي قد يخرج اهل البلد اليها للتنزه واما القرية فالمسافر منها ينبغي ان يجاوز البساتين المحوطة دون التي ليست بمحوطة ولو
رجع المسافر الى البلد لاخذ شيء نسيه لم يترخص ان كان ذلك وطنه ما لم يجاوز العمران وان لم يكن هو الوطن فله الترخص اذ
صار مسافرا بالانزعاج والخروج مرة واما نهاية السفر فباحد امور ثلاثة الاول الوصول الى العمران من البلد الذي عزم
على الاقامة به الثاني العزم على الاقامة ثلاثة ايام فصاعدا في بلد او صحراء الثالث صورة الاقامة وان لم يعزم كما اذا اقام
على موضع واحد ثلاثة ايام سوى يوم الدخول لم يكن له الترخص بعده وان لم يعزم على الاقامة وكان له شغل وهو يتوقع كل يوم انجازه
ولكنه يتعوق عليه ويتاخر فله ان يترخص وان طالت المدة اذ يقصر ولا يبين بان تاخر الخروج لمطر لا يعلم بقاؤه ثلاثة ايام او
لغيره اذ ترخص رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الغزوات ثمانية عشر يوما على موضع واحد وظاهره انه لو تمادى القتال لتمادى
ترخصه اذ لا معنى للتقدير بثمانية عشر يوما والظاهر ان قصره كان لكونه مسافرا لا لكونه غازيا مقاتلا هذا معنى السفر واما معنى
الطويل فهو ان يكون مرحلتين كل مرحلة ثمانية فراسخ كل فرسخ ثلاثة اميال وكل ميل اربعة الاف خطوة ومعنى المباح ان لا يكون
عاقا لوالديه هاربا منهما ولا هاربا من مالكه ولا تكون المراة هاربة من زوجها ولا ان يكون من عليه الدين هاربا من المستحق
مع اليسار ولا يكون متوجها في قطع طريق وقتل انسان وطلب ادرار حرام من سلطان او سعي بالفساد بين المسلمين وبالجملة فلا
يسافر الانسان الا لغرض والغرض هو المحرك فان كان تحصيل ذلك الغرض حراما ولولا ذلك الغرض لكان لا ينبعث لسفره فسفره معصية
ولا يجوز فيه الترخص واما الفسق في السفر بشرب الخمر وغيره لا يمنع الرخصة بل كل سفر ينهى الشرع عنه فلا يعين عليه
بالرخصة ولو كان له باعثان احدهما مباح والاخر محظور وكان بحيث لو لم يكن الباعث المحظور لكان المباح مستقلا بتحريكه
وكان لا محالة يسافر لاجله فله الترخص والمتصوفة الطوافون في البلاد من غير غرض صحيح سوى التفرج لمشاهدة البقاع المختلفة
ففي ترخصهم خلاف والمختار ان لهم الترخص. الرخصة الرابعة الجمع بين الظهر والعصر في وقتيهما وبين المغرب والعشاء
في وقتيهما وذلك ايضا جائز في كل سفر طويل مباح وفي جوازه في السفر القصير قول ثم اذا قدم العصر الى الظهر فلينو الجمع قبل الفراغ

الفراغ من الظهر وليؤذن للظهر وليقم وعند الفراغ يقيم للعصر ويجدد التيمم اولا ان كان فرضه التيمم ولا يفرق بينهما
باكثر من تيمم واقامة فان قدم العصر لم يجز وان نوى الجمع عند التحرم بصلاة العصر جاز عند المزني وله وجه في القياس اذ
لا مستند لايجاب تقديم النية بل الشرع جوز الجمع وهذا جمع وانما الرخصة في العصر فيكفي النية فيها واما الظهر فجار على
القانون ثم اذا فرغ من الصلاتين فينبغي ان يجمع بين سنتي الصلاتين واما العصر فلا سنة بعدها ولكن السنة التي بعد الظهر
يصليها بعد الفراغ من العصر اما راكبا او مقيما لانه لو صلى راتبة الظهر قبل العصر لقطع الموالاة وهي واجبة على وجه ولو اراد
ان يقيم الاربع المسنونة قبل الظهر والاربع المسنونة قبل العصر فليجمع بينهما قبل الفريضتين فيصلي سنة الظهر ثم سنة العصر
ثم فريضة الظهر ثم فريضة العصر ثم سنة الظهر اللتان هما بعد الفرض ولا يهمل النوافل في السفر فما يفوته من ثوابها اكثر مما يناله
من الربح لا سيما وقد خفف الشرع عليه وجوز له اداءها على الراحلة كيلا يتعوق عن الرفقة بسببها وان اخر الظهر الى العصر
فيجري على هذا الترتيب ولا يبالي بوقوع راتبة الظهر بعد العصر في الوقت المكروه لان ما له سبب لا يكره في هذا الوقت وكذلك
يفعل بالمغرب والعشاء والوتر اذا قدم او اخر فبعد الفراغ من الفرض يشتغل بجميع الرواتب ويختم الجميع بالوتر وان خطر له
ذكر الظهر قبل خروج وقته فليعزم على ادائه مع العصر جمعا وهو نية الجمع لانه انما يخلو عن هذه النية اما بنية الترك او بنية التاخير
عن وقت العصر وذلك حرام والعزم عليه وان لم يتذكر الظهر حتى خرج وقته اما لنوم او لشغل فله ان يؤدي الظهر مع
العصر ولا يكون عاصيا لان السفر كما يشغل عن فعل الصلاة فقد يشغل عن ذكرها ويحتمل ان يقال ان الظهر انما يقع اداء اذا
عزم على فعلها قبل خروج وقتها لكن الاظهر ان وقت الظهر والعصر صار مشتركا في السفر بين الصلاتين ولذلك يجب على الحائض
قضاء الظهر اذا طهرت قبل الغروب وكذلك ينقدح ان لا يشترط الموالاة ولا الترتيب بين الظهر والعصر عند تاخير الظهر اما
اذا قدم العصر على الظهر لم يجز لان ما بعد الفراغ من الظهر هو الذي جعل وقتا للعصر اذ يبعد ان يشتمل العصر من هو عازم
على ترك الظهر او على تاخيره وعذر المطر مجوز للجمع كعذر السفر وترك الجمعة ايضا من رخص السفر وهي متعلقة بفرائض الصلوات
ولو نوى الاقامة بعد ان صلى العصر فادرك وقت العصر في الحضر فعليه اداء العصر وما مضى انما كان مجزيا بشرط ان يبقى العذر
الى خروج وقت العصر. الرخصة الخامسة في التنفل راكبا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي على راحلته
اينما توجهت به دابته فاوتر صلى الله عليه وسلم على الراحلة وليس على المتنفل الراكب في الركوع والسجود الا الايماء
وينبغي ان يجعل سجوده اخفض من ركوعه ولا يلزمه الانحناء الى حد يتعرض لخطر بسبب الدابة فان كان في مرقد فليتم الركوع
والسجود فانه قادر عليه واما استقبال القبلة فلا يجب لا في ابتداء الصلاة ولا في دوامها لكن صوب الطريق بدل عن القبلة
فليكن في جميع صلاته اما مستقبلا للقبلة او متوجها في صوب الطريق ليكون له جهة يثبت فيها فلو حرف دابته عن الطريق
قصدا بطلت صلاته الا اذا حرفها الى القبلة ولو حرفها ناسيا وقصر الزمان لم يبطل وان طال ففيه خلاف وان جمحت به
الدابة فانحرفت فلا يبطل صلاته لان ذلك مما يكثر وقوعه وليس عليه سجود سهو اذ الجماح غير منسوب اليه بخلاف ما
لو حرف ناسيا فانه يسجد للسهو بالايماء. الرخصة السادسة التنفل للماشي جائز في السفر ويومئ بالركوع والسجود
ولا يقعد للتشهد لان ذلك يبطل فائدة الرخصة وحكمه حكم الراكب لكن ينبغي ان يتحرم بالصلاة مستقبلا لان الانحراف
في لحظة لا عسر فيه بخلاف الدابة وان في تحريفها وان كان العنان بيده نوع عسر وربما تكثر الصلاة فيطول عليه ذلك
ولا ينبغي ان يمشي في نجاسة رطبة عمدا فان فعل بطلت صلاته بخلاف ما لو وطئت الدابة نجاسة وليس عليه ان

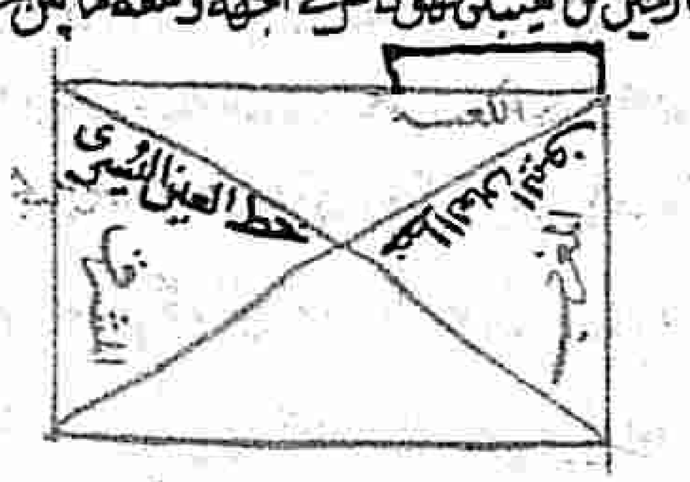
ان يشوش المشي على نفسه بالاحتراز عن النجاسات التي لا يخلو عنها الطريق غالباً وكل هارب من عدو او سيل او سبع فله ان
يصلي الفريضة راكباً وماشياً كما ذكرناه في التنفل الرخصة السابعة الفطر وهو في الصوم فللمسافر ان
يفطر الا اذا اصبح مقيماً ثم سافر فعليه اتمام ذلك اليوم وان اصبح مسافراً صائماً ثم اقام فعليه الاتمام وان اقام مفطراً
فليس عليه امساك بقية النهار وان اصبح مسافراً على عزم الصوم لم يلزمه بل له ان يفطر اذا اراد والصوم افضل من الفطر والقصر
افضل من الاتمام للخروج عن شبهة الخلاف ولانه ليس في عهدة القضاء بخلاف المفطر فانه في عهدة القضاء وربما يتعذر عليه
ذلك بعائق فيبقى في ذمته الا اذا كان الصوم يضر به فالافطار افضل فهذه سبع رخص تتعلق ثلاث منها بالسفر الطويل
وهي القصر والفطر والمسح ثلاثة ايام وتتعلق اثنان بالسفر طويلاً كان او قصيراً وهو سقوط الجمعة وسقوط قضاء الصلاة
عند ادائها بالتيمم واما الصلاة النافلة ماشياً وراكباً ففيه خلاف والاصح جوازه في القصير والجمع بين الصلاتين ففيه
خلاف والاظهر اختصاصه بالطويل واما صلاة الفرض راكباً وماشياً للخوف فلا يتعلق بالسفر وكذا اكل الميتة وكذا اداء
الصلاة في الحال بالتيمم عند فقد الماء بل يشترك فيها الحضر والسفر مهما وجدت اسبابها فان قلت فالعلم بهذه الرخص يجب على
المسافر تعلمه قبل السفر ام يستحب له ذلك فاعلم انه ان كان عازماً على ترك المسح والقصر والجمع والفطر وترك التنفل راكباً
وماشياً لم يلزمه علم شروط الترخص في ذلك لان الترخص ليس بواجب واما علم رخصة التيمم فيلزمه لان فقد الماء ليس اليه الا ان
يسافر على شط نهر يوثق ببقاء مائه او يكون معه في الطريق عالم يقدر على استفتائه عند الحاجة فله ان يؤخر الى وقت الحاجة
اما اذا كان يظن عدم الماء ولم يكن معه عالم فيلزمه التعلم لا محالة فان قلت التيمم يحتاج اليه للصلاة ولم يدخل عليه وقتها
فكيف يجب علم الطهارة لصلاة بعد لم تجب فاقول من بينه وبين الكعبة مسافة لا تقطع الا في سنة فيلزمه قبل اشهر الحج
ابتداء السفر ويلزمه تعلم المناسك لا محالة اذا كان يظن انه لا يجد في الطريق من يتعلم منه لان الاصل الحياة وما لا يتوصل الى الواجب
الا به فهو واجب وكل ما يتوقع وجوبه توقعاً ظاهراً غالباً على الظن وله شرط لا يتوصل اليه الا بتقديم ذلك الشرط على
وقت الوجوب فيجب تقديم الشرط لا محالة كتعلم المناسك قبل وقت الحج وقبل مباشرته فلا يحل للمسافر ان ينشئ السفر ما لم
يتعلم هذا القدر من علم التيمم وسائر الرخص فانه اذا لم يعلم القدر الجائز برخصة السفر لم يمكنه الاقتصار عليه فان قلت
انه لم يتعلم كيفية التنفل راكباً وماشياً ما يضره وغايته انه اذا صلى ان تكون صلاته فاسدة وهي غير واجبة فيكون علمها واجباً
فاقول من الواجب ان لا يصلي النفل على نعت الفساد فالتنفل مع الحدث والنجاسة والى غير القبلة ومن غير اتمام شروط و
اركانها حرام فعليه ان يتعلم ما يحترز به عن النافلة الفاسدة حذراً عن الوقوع في المحظور فهذا بيان علم ما خف على
المسافر في سفره القسم الثاني ما يتجدد من الوظيفة بسبب السفر وهو علم القبلة والاوقات وذلك ايضاً
واجب في الحضر ولكن في الحضر ما يكفيه من محراب متفق عليه يغنيه عن طلب القبلة ومؤذن يراعي الوقت فيغنيه عن طلب
علم الوقت والمسافر قد يشتبه عليه الوقت ويلتبس عليه القبلة فلا بد له من العلم بادلة القبلة والمواقيت اما ادلة القبلة
فهي ثلاثة اقسام ارضية كالاستدلال بالجبال والقرى والانهار وهوائية كالاستدلال بالرياح وجنوبها وصباها
ودبورها وسماوية وهي النجوم فاما الارضية والهوائية فتختلف بالبلاد فرب طريق فيه جبل مرتفع يعلم انه على يمين المستقبل
او شماله او وراءه او قدامه فليتعلم ذلك وليفهمه وكذلك الرياح قد تدل في بعض البلاد فليفهم ذلك ولسنا نقدر على استقصاء
ذلك اذ لكل بلد واقليم حكم آخر واما السماوية فادلتها تنقسم الى نهارية والى ليلية اما النهارية فالشمس فلا بد ان يراعي قبل

يجوز

الخروج من البلد ان الشمس عند الزوال اين تقع منه اهي بين الحاجبين او هي على العين اليسرى او اليمنى او تميل الى الجبين
ميلاً اكثر من ذلك فان الشمس لا تعدو في البلاد الشمالية هذه المواقع فاذا حفظ ذلك فمهما عرف الزوال بدليله الذي سنذكره
عرف القبلة به وكذلك يراعي موقع الشمس منه وقت العصر فانه في هذين الوقتين يحتاج الى القبلة بالضرورة وهذا ايضاً لما
كان يختلف بالبلاد فليس يمكن استقصاؤه واما القبلة وقت المغرب فانها تدرك بموضع الغروب وهو ان يحفظ ان
الشمس تغرب عن يمين المستقبل او هي مائلة الى وجهه او قفاه والشفق ايضاً يعرف القبلة للعشاء الآخرة وبمشرق الشمس
يعرف القبلة لصلاة الصبح فكان الشمس يدل على القبلة في الصلوات الخمس ولكن يختلف ذلك بالشتاء والصيف فان المشارق
والمغارب كثيرة وان كانت محصورة في جهتين فلا بد من تعلم ذلك ايضاً ولكن قد يصلي المغرب والعشاء بعد غيبوبة الشفق
فلا يمكنه ان يستدل على القبلة به فعليه ان يراعي مواقع القطب وهو الكوكب الذي يقال له الجدي فانه كوكب كالثابت
لا تظهر حركته عن موضعه وذلك اما ان يكون على قفا المستقبل فليتعلم ذلك وما عرفه في بلده فيعول عليه في الطريق كله الا
وعلى منكبه الايمن من ظهره او منكبه الايسر في البلاد الشمالية من مكة وفي البلاد الجنوبية كاليمن وما وراءها فيقع في مقابلة المستقبل
اذا طال السفر فان المسافة اذا بعدت اختلف موقع الشمس وموقع القطب وموقع المشارق والمغارب الا انه ينتهي في اثنائه
الى بلاد فينبغي ان يسأل اهل البصيرة او يراقب هذه الكواكب وهو مستقبل محراب جامع البلد حتى يتضح له ذلك فمهما تعلم هذه
الادلة فله ان يعول عليها فان بان له انه اخطأ من جهة القبلة الى جهة اخرى من الجهات الاربع فينبغي ان يقضي وان انحرف
عن حقيقة محاذاة القبلة ولكن لم يخرج عن جهتها لم يلزمه القضاء وقد اورد الفقهاء خلافاً في ان المطلوب جهة الكعبة او عينها
واشكل معناه على قوم اذ قالوا ان قلنا المطلوب العين فمتى يتصور هذا مع بعد الديار وان قلنا المطلوب الجهة فالواقف في
المسجد ان استقبل جهة الكعبة وهو خارج ببدنه عن موازاة الكعبة لا خلاف في انه لا تصح صلاته وقد طولوا في تأويل معنى
الخلاف في الجهة والعين ولا بد اولاً من فهم معنى مقابلة العين ومقابلة الجهة ومعنى مقابلة العين ان يقف موقفاً لو خرج
خط مستقيم من بين عينيه الى جدار الكعبة لاتصل به وحصل من جانبي الخط زاويتان متساويتان وهذه صورته



والخط الخارج من موقف المصلي يقدر انه خارج من بين عينيه
فهذه صورة مقابلة العين فاما مقابلة الجهة فيجوز فيها
ان يتصل طرفا الخط الخارج من بين العينين الى الكعبة من غير
ان تتساوى الزاويتان عن جنبتي الخط بل لا تتساوى الزاويتان
الا اذا انتهى الخط الى نقطة معينة هي واحدة فلو مد هذا الخط على الاستقامة الى سائر النقط من يمينها او شمالها كانت احدى
الزاويتين اضيق فيخرج ولكن لا يخرج عن مقابلة الجهة كالخط الذي كتبنا عليه مقابلة الجهة فانه لو قدرنا الكعبة على طرف ذلك
الخط كان الواقف مستقبلاً لجهة الكعبة لا لعينها وحد تلك الجهة ما يقع بين خطين يتوهمهما خارجين من العينين فيلتقي
طرفاهما في داخل الراس بين العينين على زاوية قائمة فما يقع بين الخطين الخارجين من العينين فهو داخل في الجهة وسعة ما بين الخطين
تتزايد بطول الخطين وبالبعد عن الكعبة وهذه صورته



فاما اذا فهم معنى الجهة والعين فاقول الذي يصح
عندنا في الفتوى ان المطلوب العين ان كانت الكعبة مما يمكن
رؤيتها وان كانت يحتاج الى الاستدلال عليها لتعذر رؤيتها

ويكفي استقبال الجهة فاما طلب العين عند المشاهدة فمجمع عليه واما الاكتفاء بالجهة عند تعذر المعاينة فيدل عليه الكتاب
والسنة وفعل الصحابة والقياس اما الكتاب فقوله تعالى وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره واما السنة فما روى
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لاهل المدينة ما بين المشرق والمغرب قبلة والمغرب يقع على يمين اهل المدينة والمشرق
على يسارهم فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم جميع ما بينهما قبلة ومساحة الكعبة لا تفي بما بين المشرق والمغرب وانما تفي
جهتها وروى هذا اللفظ ايضا عن عمر وعن ابن عمر رضي الله عنهما واما فعل الصحابة فما روي ان مسجد قبا كانوا في صلوة الصبح
بالمدينة مستقبلين لبيت المقدس مستدبرين للكعبة لان المدينة بينهما فقيل لهم قد حولت الكعبة فاستداروا في اثناء الصلوة من
غير طلب دلالة ولم ينكر عليهم وسمي مسجدهم ذا القبلتين ومقابلة العين من المدينة الى مكة لا تعرف الا بادلة هندسية
يطول النظر فيها فكيف ادركوه على البديهة في اثناء الصلوة وفي ظلمة الليل ويدل ايضا من فعلهم انهم بنوا المساجد حوالي مكة وفي
سائر البلاد الاسلام ولم يحضروا قط مهندسا عند تسوية المحاريب ومقابلة العين لا تدرك الا بدقيق نظر الهندسة واما
القياس فهو ان الحاجات تمس الى الاستقبال وبنا المساجد في جميع اقطار الارض ولا يمكن مقابلة العين الا بعلوم هندسية
لم يرد الشرع بالنظر فيها بل ربما يزجر عن التعمق في علمها فكيف ينبني امر الشرع عليها فيجب الاكتفاء بالجهة للضرورة واما
دليل صحة الصورة التي صورناها وهي حصر جهات العالم في اربع فقوله عليه السلام في ادب قضاء الحاجة لا تستقبلوا القبلة ولا
تستدبروها ولكن شرقوا او غربوا وقال هذا بالمدينة والمشرق على يسار المستقبل بها والمغرب على يمينها فنهى عن جهتين و
رخص في جهتين ومجموع ذلك اربع جهات ولم يخطر ببال احد ان جهات العالم يمكن ان يفرض ستا او سبعا او عشرا وكيف ما
كان فما حكم الباقي بل الجهات تثبت في الاعتقاد بناء على خلقة الانسان وليس له الا اربع جهات قدام وخلف ويمين وشمال
فكانت الجهات بالاضافة الى الانسان في ظاهر النظر اربعا والشرع لا ينبني الا على مثل هذه الاعتقادات فظهر ان المطلوب الجهة
وذلك يسهل امر الاجتهاد فيها وتعلم ادلة القبلة فاما مقابلة العين فانما يعرف بمعرفة مقدار عرض مكة عن خط الاستواء و
مقدار درجات طوله وهو بعده عن اول عمارة في المشرق ثم يعرف ذلك ايضا في موقف المصلي ثم يقابل احدهما بالاخر ويحتاج
فيه الى الات واسباب طويلة والشرع غير مبني عليها قطعا فاذا القدر الذي لا بد من تعلمه من ادلة القبلة موقع المشرق والمغرب
والزوال وموقع الشمس وقت العصر فبهذا يسقط الوجوب فان قلت فلو خرج المسافر من غير تعلم ذلك هل يعصي
فاقول ان كان طريقه على قرى متصلة فيها محاريب او كان معه في الطريق بصير بادلة القبلة موثوق بعدالته وبصيرته
يقدر على تقليده فلا يعصي فان لم يكن شيء من ذلك عصى لانه سيتعرض لوجوب الاستقبال ولم يكن قد حصل علمه فصار ذلك كعلم التيمم
وغيره فان تعلم هذه الادلة واستبهم عليه الامر بغيم مظلمة او ترك التعلم ولم يجد في الطريق من يقلده فعليه ان يصلي في الوقت على
حسب حاله ثم عليه القضاء سواء اصاب او اخطأ والاعمى ليس له الا التقليد فليقلد من يوثق بدينه وبصيرته ان كان مقلده مجتهدا
في القبلة وان كان القبلة ظاهرة فله اعتماد قول عدل يخبره بذلك في حضر او سفر وليس للاعمى ولا للجاهل ان يسافر في قافلة
ليس فيها من يعرف ادلة القبلة حيث يحتاج للاستدلال كما ليس للعامي ان يقيم ببلدة ليس فيها فقيه عالم بتفصيل الشرع بل يلزمه الهجرة
الى حيث يجد من يعلمه امر دينه وكذا ان لم يكن في البلد الا فقيه فاسق فعليه الهجرة اذ لا يجوز له اعتماد فتوى الفاسق بل العدالة شرط
لجواز قبول الفتوى كما في الرواية وان كان معروفا في الفقه مستور الحال في العدالة والفسق فله القبول مهما لم يجد من له عدالة
ظاهرة لان المسافر في البلاد لا يقدر ان يبحث عن عدالة المفتين فان رآه لابسا للحرير او ما يغلب عليه الابريسم او راكبا لفرس عليه مركب
ذهب فقد ظهر فسقه وامتنع عليه قبول قوله فليطلب غيره وكذلك اذا رآه ياكل على مائدة سلطان اغلب ماله حرام او ياخذ
منه ادرارا او صلة من غير ان يعلم ان الذي ياخذه من وجه حلال فكل ذلك فسق يقدح في العدالة ويمنع من قبول الفتوى والرواية
والشهادة واما معرفة اوقات الصلوة الخمس فلا بد منه ووقت الظهر يدخل بالزوال وكل شخص يقع له في ابتداء النهار ظل مستطيل في
جانب المغرب ثم لا يزال ينقص الى وقت الزوال ثم ياخذ في الزيادة في جهة المشرق ولا يزال يزيد الى الغروب فليقم المسافر في موضع او
لينصب عودا مستقيما وليعلم على راس الظل ثم لينظر بعد ساعة فان رآه في النقصان فلم يدخل بعد وقت الصلوة وطريقه ان ينظر في البلد
وقت اذان المؤذن المعتمد في البلد الى ظل قامته فان كان مثلا ثلاثة اقدام بقدمه فمهما صار كذلك في السفر واخذ في الزيادة صلى فاذا
زاد عليه ستة اقدام ونصف دخل وقت العصر اذ ظل كل شخص بقدمه ستة اقدام ونصف بالتقريب ثم ظل الزوال يزيد كل يوم وان
وان كان سفره من اول الصيف وان كان من اول الشتاء فينقص كل يوم واحسن ما يعرف به ظل الزوال الميزان فليستصحبه المسافر
وليتعلم اختلاف الظل به في كل وقت وان عرف موقع الشخص من مستقبل القبلة ووقت الزوال وكان في السفر في موضع ظهرت
القبلة فيه بدليل آخر يمكنه ان يعرف الوقت بالشمس ووقت الزوال وكان في بان يصير بين عينيه مثلا ان كان كذلك في البلد واما
وقت المغرب فيدخل بالغروب ولكن قد تحجب الجبال المغرب عنه فينبغي ان ينظر الى جانب المشرق فمهما ظهر سواد في الافق مرتفع من الارض
قيد رمح فقد دخل وقت المغرب واما العشاء فيعرف بغيبوبة الشفق وهو الحمرة فان كانت محجوبة عنه بجبال فيعرف بظهور الكواكب
الصغار وكثرتها فان ذلك يكون بغيبوبة الحمرة واما الصبح فيبدو في الاول مستطيلا كذنب السرحان فلا حكم له الا الى ان ينقضي
زمان ثم يظهر بياض معترض لا يعسر ادراكه بالعين لظهوره فهو اول الوقت قال صلى الله عليه وسلم ليس الصبح هكذا ووضع احدى
سبابتيه على الاخرى وفتحهما واشار الى انه معترض وقد يستدل عليه بالمنازل وهو تقريب لا تحقيق فيه بل الاعتماد على مشاهدة انتشار
البياض عرضا لان قوما ظنوا ان الصبح تطلع قبل الشمس باربع منازل وهذا خطا فان ذلك هو الصبح الكاذب والذي ذكره المحققون
انه متقدم على الشمس بمنزلتين وهذا تقريب ولكن لا اعتماد عليه فان بعض المنازل تطلع معترضة منحرفة فيقصر زمان طلوعها وبعضها تطلع
منتصبة فيطول زمان طلوعها ويختلف ذلك في البلاد اختلافا يطول ذكره نعم تصلح المنازل لان يعلم بها قرب وقت الصبح وبعده واما
حقيقة اول الصبح فلا يمكن ضبطه بمنزلتين اصلا وعلى الجملة فاذا بقيت اربع منازل الى طلوع الشمس فمقدار منزلة يتيقن انه الصبح الكاذب
واذا بقي قريب من منزلتين يتحقق طلوع الصبح الصادق ويبقى بين الصبحين قدر ثلثي منزلة بالتقريب يشك فيه انه من وقت الصادق او
الكاذب وهو مبدأ ظهور البياض وانتشاره قبل اتساع عرضه فمن وقت الشك ينبغي ان يترك الصائم السحور ويقدم القائم الوتر
عليه ولا يصلي صلوة الصبح حتى ينقضي مدة الشك فاذا تحقق صلى ولو اراد مريد ان يقدر على التحقيق وقتا معينا يشرب فيه متسحرا
ويقوم عقيبه ويصلي الصبح متصلا به فليس معرفة ذلك في قوة البشر اصلا بل لا بد من مهلة التوقف والشك ولا اعتماد الا على
ان يصير الضوء منتشرا في العرض حتى يبدو مبادي الصفرة وقد غلط في هذا جمع من الناس كثير يصلون قبل الوقت ويدل عليه ما روى
ابو عيسى الترمذي في جامعه باسناده عن طلق بن علي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كلوا واشربوا ولا يغرنكم الساطع المصعد كلوا واشربوا
حتى يعترض لكم الاحمر وهذا صريح في رعاية الحمرة قال ابو عيسى وفي الباب عن عدي بن حاتم وابي ذر وسمرة وهو حديث حسن غريب والعمل على هذا
عند اهل العلم وقال ابن عباس كلوا واشربوا ما دام الضوء ساطعا قال صاحب الغريبين اي مستطيلا فاذا لا ينبغي ان يعول الا على ظهور الصفرة وكانها
مبادي الحمرة وانما يحتاج المسافر الى معرفة الاوقات لانه قد يبادر بالصلوة قبل الرحيل حتى لا يشق عليه النزول او قبل النوم حتى يستريح فان
وطن نفسه على تاخير الصلوة الى ان يتيقن فيسبح بفوات فضيلة اول الوقت بفوات فضيلة اول الوقت او يتجشم كلفة النزول وكلفة تاخير النوم

كتاب آداب السماع والوجد وهو الثامن من ربع العادات

بسم الله الرحمن الرحيم وعليه نتوكل

الحمد لله الذي احرق قلوب اوليائه بنار محبته واسترق هممهم وارواحهم بالشوق الى لقائه ومشاهدته ووقف ابصارهم وبصائرهم
على ملاحظة جمال حضرته حتى اصبحوا من تنسم روح الوصال سكرى واصبحت قلوبهم من ملاحظة سبحات الجلال والهة حيرى
فلم يروا في الكونين شيئا سواه ولم يذكروا في الدارين الا اياه ان سنحت لابصارهم صورة عبرت الى المصور بصائرهم وان قرعت اسماعهم
نغمة سبقت الى المحبوب سرائرهم فان ورد عليهم صوت مزعج او مقلق او مطرب او محزن او مهيج او مشوق لم يكن انزعاجهم
الا اليه ولا طربهم الا به ولا قلقهم الا عليه ولا حزنهم الا فيه ولا شوقهم الا الى ما لديه ولا انبعاثهم الا له ولا ترددهم الا
حواليه فمنه سماعهم واليه استماعهم فقد اقفل عن غيره ابصارهم واسماعهم اولئك الذين اصطفاهم الله لولايته واستخلصهم
من بين اصفيائه وخاصته والصلوة والسلام على محمد المبعوث برسالته وعلى آله واصحابه ائمة الحق وقادته وسلم تسليما كثيرا

اما بعد فان القلوب والسرائر خزائن الاسرار ومعادن الجواهر وقد طويت فيها جواهرها كما طويت النار في الحديد والحجر
واخفيت كما اخفي الماء تحت التراب والمدر ولا سبيل الى استثارة خفاياها الا بقوادح السماع ولا منفذ الى القلوب الا من دهليز الاسماع فالنغمات
الموزونة المستلذة تخرج ما فيها وتظهر محاسنها ومساويها فلا يظهر من القلب عند التحريك الا ما يحويه كما لا يترشح الاناء الا
بما فيه فالسماع للقلب محك صادق ومعيار ناطق فلا يصل روح السماع اليه الا وقد تحرك فيه ما هو الغالب عليه واذا كانت
القلوب بالطباع مطيعة للاسماع حتى ابدت بوارداتها مكامنها وكشفت بها عن مساويها واظهرت محاسنها وجب شرح القول
في السماع والوجد وبيان ما فيهما من الفوائد والآفات وما يستحب فيهما من الآداب والهيئات وما يتطرق اليهما من خلاف العلماء
في انهما من المحظورات او المباحات ونحن نوضح ذلك في بابين ان شاء الله **الباب الاول**
في بيان اباحة السماع **الباب الثاني** في آدابه وآثاره في القلب بالوجد وفي الجوارح بالرقص والزعقة

الباب الاول في ذكر اختلاف العلماء في اباحة السماع وكشف الحق فيه

بيان اقاويل العلماء والمتصوفة في تحليله وتحريمه اعلم ان السماع هو اول الامر ويثمر السماع حالة في القلب تسمى الوجد ويثمر الوجد
تحريك الاطراف اما بحركة غير موزونة فتسمى الاضطراب واما موزونة فتسمى التصفيق والرقص فلنبدأ بحكم السماع وهو الاول
وننقل فيه الاقاويل المعربة عن المذاهب فيه ثم نذكر الدليل على اباحته ثم نردفه بالجواب عما تمسك به القائلون بتحريمه فاما
نقل المذاهب فقد حكى القاضي ابو الطيب الطبري عن الشافعي ومالك وابي حنيفة وسفيان وجماعة من العلماء الفاظا يستدل بها على
ان الغناء لهو مكروه يشبه الباطل ومن استكثر منه فهو سفيه ترد شهادته وقال في كتاب ادب القضا حكي عن القاضي ابو الطيب انه
استماعه من المرأة التي ليست بمحرم له لا يجوز بحال عند اصحاب الشافعي رضي الله عنهم سواء كانت مكشوفة او من وراء حجاب
كانت مكشوفة او من وراء حجاب وسواء كانت حرة او مملوكة وقد قال الشافعي صاحب الجارية اذا جمع الناس لسماعها فهو سفيه
ترد شهادته وقد روي عن الشافعي انه كان يكره الطقطقة بالقضيب ويقول وضعته الزنادقة ليشتغلوا به عن القرآن
وقال الشافعي رضي الله عنه ويكره من جهة الخبر اللعب بالنرد اكثر مما يكره من اللعب بشيء من الملاهي ولا احب اللعب بالشطرنج
واكره كل ما لعب به الناس لان اللعب ليس من صنعة اهل الدين ولا المروة واما مالك فقد نهى عن الغناء وقال اذا اشترى
جارية فوجدها مغنية كان له ردها وهو مذهب سائر اهل المدينة الا ابرهيم بن سعد وحده واما ابو حنيفة رحمه الله فانه كان يكره
ذلك ويجعل سماع الغناء من الذنوب وكذلك سائر اهل الكوفة سفين الثوري وحماد وابرهيم والشعبي وغيرهم فهذا كله
نقله القاضي ابو الطيب الطبري ونقل ابو طالب المكي رحمهما الله اباحة السماع عن جماعة وقال سمع من الصحابة عبد الله بن جعفر
وابن الزبير والمغيرة بن شعبة ومعوية وغيرهم وقال قد فعل ذلك كثير من السلف صحابي وتابعي باحسان قال ولم يزل الحجازيون عندنا
بمكة يسمعون السماع في افضل الايام في السنة وهي الايام المعدودات التي امر الله سبحانه عباده فيها بذكره وهي ايام التشريق ولم يزل
اهل المدينة مواظبين كاهل مكة على السماع الى زماننا هذا فادركنا ابا مروان القاضي وله جوار يسمعن التلحين قد اعدهن للصوفية
قال وكان لعطاء جاريتان تلحنان فكان اخوانه يستمعون اليهما قال وقيل لابي الحسين بن سالم كيف تنكر السماع وقد كان الجنيد
وسري السقطي وذو النون المصري يسمعون فقال كيف انكر السماع وقد اجازه وسمعه من هو خير مني فقد كان عبد الله بن جعفر الطيار
يسمع وانما انكر اللهو واللعب في السماع وروي عن يحيى بن معاذ انه قال فقدنا ثلثة اشيا فما نراها ولا اراها تزداد الا قلة
حسن الوجه مع الصيانة وحسن القول مع الديانة وحسن الاخا مع الوفا ورايت في بعض الكتب هذا بعينه محكيا عن الحرث المحاسبي
وفيه ما يدل على تجويزه السماع مع زهده وتصاونه وجده في الدين وتشمره قال وكان ابن مجاهد لا يجيب دعوة الا ان يكون فيها
سماع وحكى غير واحد انه قال اجتمعنا في دعوة ومعنا ابو القسم بن بنت منيع وابو بكر بن ابي داود وابن مجاهد في نظرائهم فحضر
سماع فجعل ابن مجاهد يحرض ابن بنت منيع على ابن ابي داود في ان يسمع فقال ابن ابي داود حدثني ابي عن احمد بن حنبل انه كره السماع
وكان ابي يكرهه وانا على مذهب ابي فقال ابو القسم بن بنت منيع اما جدي احمد بن منيع فحدثني عن صالح بن احمد ان اباه كان يسمع قول
ابن الخبازة فقال ابن مجاهد لابن ابي داود دعني انت من ابيك وقال لابن بنت منيع دعني انت من جدك ايش تقول يا ابا بكر فيمن
انشد بيت شعر فقال ابن ابي داود لا قال فان كان حسن الصوت حرم عليه انشاده قال لا قال فان انشده وطوله وقصر منه الممدود ومد
المقصور يحرم عليه فقال انا لم اقو بشيطان واحد فكيف اقوى بشيطانين قال وكان ابو الحسن العسقلاني الاسود من الاوليا
يسمع ويوله عند السماع وصنف فيه كتابا ورد فيه على منكريه وكذلك جماعة منهم صنفوا في الرد على منكريه وحكي عن بعض الشيوخ
انه قال رايت ابا العباس الخضر عليه السلم فقلت ما تقول في هذا السماع الذي اختلف فيه اصحابنا فقال هو الصفا الزلال الذي
لا يثبت عليه الا اقدام العلماء وحكي عن ممشاد الدينوري انه قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت يا رسول الله
هل تنكر من هذا السماع شيئا فقال ما انكر منه شيئا ولكن قل لهم يفتتحون قبله بالقرآن ويختمون بعده بالقرآن وحكي عن طاهر بن
بلال الهمداني الوراق وكان من اهل العلم انه قال كنت معتكفا في جامع جدة على البحر فرايت يوما طائفة يقولون في جانب منه قولا
ويسمعونه فانكرت ذلك بقلبي وقلت في بيت من بيوت الله يقولون الشعر قال فرايت النبي صلى الله عليه وسلم تلك الليلة
وهو جالس في تلك الناحية والى جنبه ابو بكر الصديق واذا ابو بكر يقول شيئا من القول والنبي يستمع اليه ويضع يده على صدره

كالواجد بذلك فعلت في نفسي ما كان ينبغي أن أنكر على أولئك الذين كانوا يستمعون وهذا رسول الله يسمع وأبو بكر يقول
فالتفت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال هذا حق بحق أو قال حق من حق أنا أشك فيه قال الجنيد تنزل الرحمة على هذه الطائفة
في ثلاث مواضع عند الأكل لأنهم لا يأكلون إلا عن فاقة وعند المحاورة لأنهم يتحاورون في مقامات الصديقين وعند السماع لأنهم
يستمعون بوجد ويشهدون حقا وعن ابن جريج أنه كان يرخص في السماع فقيل له أيؤتى به يوم القيمة في جملة حسناتك أو سيئاتك
فقال لا في الحسنات ولا في السيئات لأنه شبيه باللغو قال الله تعالى لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم هذا ما نقل من الأقاويل ومن
طلب الحق من التقليد فمهما استقصى تعارضت عنده الأقاويل فيبقى متحيرا أو مائلا الى بعض الأقاويل بالتشهي وكل ذلك قصور بل
ينبغي أن يطلب الحق بطريقه وذلك بالبحث عن مدارك الحظر والإباحة كما سنذكره **بيان الدليل على إباحة السماع** اعلم
أن قول القائل السماع حرام معناه أن الله يعاقب عليه وهذا أمر لا يعرف بمجرد العقل بل بالسمع ومعرفة الشرعيات محصورة في النص
أو القياس على المنصوص وأعني بالنص ما أظهره رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله أو فعله وبالقياس المعنى المفهوم من ألفاظه
وأفعاله فإن لم يكن فيه نص ولم يستقم فيه قياس على منصوص بطل القول بتحريمه وبقي فعلا لا حرج فيه كسائر المباحات ولا يدل
على تحريم السماع نص ولا قياس ويتضح ذلك في جوابنا عن أدلة المائلين الى التحريم ومهما تم الجواب عن أدلتهم كان ذلك مسلكا كافيا
في إثبات هذا الغرض لكن نستفتح ونقول قد دل النص والقياس جميعا على إباحته أما القياس فهو أن الغناء
اجتمع فيه معان ينبغي أن يبحث عن أفرادها ثم عن مجموعها فإن فيه سماع صوت طيب موزون مفهوم المعنى محرك للقلب فالوصف الأعم
أنه صوت طيب ثم الطيب ينقسم الى الموزون وغيره والموزون ينقسم الى المفهوم كالأشعار والى غير المفهوم كأصوات الجمادات
وسائر الحيوانات أما سماع الصوت الطيب من حيث إنه طيب فلا ينبغي أن يحرم بل هو حلال بالنص والقياس أما القياس
فهو أنه يرجع الى تلذذ حاسة السمع بإدراك ما هو مخصوص به وللإنسان عقل وخمس حواس ولكل حاسة إدراك وفي مدركات
تلك الحاسة ما يستلذ فلذة البصر في المبصرات الجميلة كالخضرة والماء الجاري والوجه الحسن وبالجملة سائر الألوان الجميلة
وهي في مقابلة ما يكره من الألوان الكدرة القبيحة وللشم الروائح الطيبة وهي في مقابلة الأنتان المستكرهة وللذوق
الطعوم اللذيذة كالدسومة والحلاوة والحموضة وهي في مقابلة المرارة المستبشعة وللمس لذة اللين والنعومة والملاسة
وهي في مقابلة الخشونة والضراسة وللعقل لذة العلم والمعرفة وهي في مقابلة الجهل والبلادة فكذلك الأصوات المدركة
بالسمع تنقسم الى مستلذة كصوت العنادل والمزامير ومستكرهة كنهيق الحمير وغيرها فما أظهر قياس هذه الحاسة ولذتها على
سائر الحواس ولذاتها وأما النص فيدل على إباحة سماع الصوت الحسن امتنان الله على عباده إذ قال يزيد في الخلق ما يشاء
فقيل هو حسن الصوت وفي الحديث ما بعث الله نبيا إلا حسن الصوت وقال صلى الله عليه وسلم لله أشد أذنا للرجل الحسن الصوت
بالقرآن من صاحب القينة الى قينته وفي الحديث في معرض المدح لداود عليه السلام أنه كان حسن الصوت في النياحة على نفسه وفي
تلاوة الزبور حتى كان يجتمع الإنس والجن والوحش والطير لسماع صوته وكان يحمل من مجلسه أربعمائة جنازة وما يقرب منها في
الأوقات وقال صلى الله عليه وسلم في مدح أبي موسى الأشعري لقد أعطي مزمارا من مزامير آل داود وقول الله تعالى إن أنكر الأصوات
لصوت الحمير يدل بمفهومه على مدح الصوت الحسن ولو جاز أن يقال إنما أبيح ذلك بشرط أن يكون في القرآن للزم أن يحرم صوت
العندليب لأنه ليس بقرآن وإذا جاز سماع صوت غفل لا معنى له فلم لا يجوز سماع صوت يفهم منه الحكمة والمعاني الصحيحة
وإن من الشعر لحكمة فهذا نظر في الصوت من حيث إنه طيب حسن **الدرجة الثانية** النظر في الصوت الطيب الموزون فإن

الوزن وراء الحسن فكم من صوت حسن خارج عن الوزن وكم من صوت موزون غير مستطاب والأصوات الموزونة باعتبار
مخارجها ثلاثة فإنها إما أن تخرج من جماد كصوت المزامير والأوتار وضرب القضيب والطبل وغيره وإما أن تخرج من حنجرة
حيوان وذلك الحيوان إما إنسان أو غيره كصوت العنادل والقماري وذوات السجع من الطيور فهي مع طيبها موزونة متناسبة
المقاطع والمطالع فلذلك يستلذ سماعها والأصل في الأصوات حناجر الحيوانات وإنما وضعت المزامير على صور الحناجر
وهو تشبيه للصنعة بالخلقة وما من شيء توصل أهل الصناعات بصناعاتهم الى تصويره إلا وله مثال في الخلقة التي استأثر
الله تعالى باختراعها فمنه تعلم الصناع وبه قصدوا الاقتداء وشرح ذلك يطول فسماع هذه الأصوات يستحيل أن يحرم لكونها
طيبة موزونة فلا ذاهب الى تحريم سماع صوت العندليب وسائر الطيور ولا فرق بين حنجرة وحنجرة ولا فرق بين جماد وحيوان
فينبغي أن يقاس على صوت العندليب الأصوات الخارجة من سائر الأجسام باختيار الآدمي كالذي يخرج من حلقه أو من القضيب
والدف والطبل وغيرها ولا يستثنى من هذه إلا الملاهي والمزامير والأوتار التي ورد الشرع بالمنع منها لا للذتها إذ لو كان للذة
لقيس عليها كل ما يلتذ به الإنسان ولكن حرمت الخمور واقتضت ضراوة الناس بها المبالغة في الفطام عنها حتى انتهى الأمر
في الابتداء الى كسر الدنان فحرم معها ما هو شعار أهل الشرب وهي الأوتار والمزامير فقط وكان تحريمها من قبيل تحريم الاتباع
كما حرمت الخلوة لأنها مقدمة الجماع وحرم النظر الى الفخذ لاتصاله بالسوأتين وحرم قليل الخمر وإن كان لا يسكر لأنه يدعو
الى السكر وما من حرام إلا وله حريم يطيف به وحكم الحرمة ينسحب على حريمه ليكون حمى للحرام ووقاية له وحظارا مانعا
حوله كما قال صلى الله عليه وسلم إن لكل ملك حمى وإن حمى الله محارمه فهي محرمة تبعا لتحريم الخمر لثلاث علل إحداها أنها تدعو
الى شرب الخمر فإن اللذة الحاصلة بها إنما تتم بالخمر ولمثل هذه العلة حرم قليل الخمر **الثانية** أنها في قريب العهد
بشرب الخمر تذكر مجالس الأنس بالشرب فهي سبب الذكر والذكر سبب انبعاث الشوق وانبعاث الشوق إذا قوي فهو سبب الإقدام
وبهذه العلة نهي في الابتداء عن المزفت والحنتم والنقير وهي الأواني التي كانت مخصوصة بها فمعنى هذا أن مشاهدة
صورها تذكر بها وهذه العلة تفارق الأولى إذ ليس فيها اعتبار لذة في الذكر إذ لا لذة في رؤية القنينة وأواني الشرب
لكن من حيث التذكر بها فإن كان السماع يذكر الشرب تذكيرا يشوق الى الخمر عند من ألف ذلك مع الشرب فهو منهي عن السماع
لخصوص هذه العلة فيه **الثالثة** الاجتماع عليها لما أن صار من عادة أهل الفسق فيمنع من التشبه بهم وبهذه العلة
يحرم ضرب الكوبة لأن من تشبه بقوم فهو منهم وبهذه العلة نقول بترك السنة مهما صارت شعارا لأهل البدعة خوفا
من التشبه بهم وبهذه العلة يحرم ضرب الكوبة وهي طبل مستطيل دقيق الوسط واسع الطرفين وضربها عادة المخنثين ولولا ما
فيه من التشبه لكان مثل طبل الحجيج والغزو وبهذه العلة نقول لو اجتمع جماعة وزينوا مجلسا وأحضروا آلات الشراب
وأقداحه وصبوا فيه السكنجبين ونصبوا ساقيا يدور عليهم ويسقيهم فيأخذون من الساقي ويشربون ويحيي بعضهم
بعضا بكلماتهم المعتادة بينهم حرم ذلك عليهم وإن كان المشروب مباحا في نفسه لأن ذلك تشبه بأهل الفساد بل لهذا ينهى عن لبس
القباء وعن ترك الشعر على الرأس قزعا في بلاد صار القباء من لباس أهل الفساد فيها ولا ينهى عن ذلك فيما وراء النهر لاعتياد أهل الصلاح
ذلك فيهم فبهذه المعاني حرم المزمار العراقي والأوتار كلها كالعود والرباب والبربط وغيرها وما عدا ذلك فليس في معناها
كشاهين الرعاة والحجيج وشاهين الطبالين وكالطبل والقضيب وكل آلة يستخرج منها صوت مستطاب موزون سوى ما يعتاده
أهل الشرب لأن كل ذلك لا يتعلق بالخمر ولا يذكرها ولا يشوق إليها ولا يوجب التشبه بأربابها فلم يكن في معناها فبقي على أصل الإباحة

قياسا على أصوات الطيور وغيرها بل أقول سماع الأوتار ممن يضرب بها على غير وزن متناسب مستلذ حرام أيضا وبهذا يتبين أن
العلة في تحريمه لم يكن مجرد اللذة والطيبة بل القياس تحليل الطيبات كلها من الرزق إلا ما في تحليله فساد قال الله تعالى
قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق الآية فهذه الأصوات لا تحرم من حيث إنها موزونة وإنما تحرم
بعارض آخر كما سيأتي في بيان العوارض المحرمة ❁ الدرجة الثالثة الموزون المفهوم وهو الشعر وذلك لا يخرج إلا من حنجرة الإنسان
فيقطع بإباحة ذلك لأنه ما زاد إلا كونه مفهوما والكلام المفهوم غير حرام والصوت الطيب الموزون غير حرام فإذا لم يحرم الآحاد
فمن أين يحرم المجموع نعم ينظر فيما يفهم منه فإن كان فيه أمر محظور حرم نثره ونظمه وحرم التصويت به سواء كان بألحان أو
لم يكن والحق فيه ما قال الشافعي رضي الله عنه إذ قال الشعر كلام فحسنه حسن وقبيحه قبيح ومهما جاز إنشاده بغير صوت و
ألحان جاز مع الألحان فإن أفراد المباحات إذا اجتمعت كان ذلك المجموع مباحا ومهما انضم مباح إلى مباح لم يحرم إلا إذا تضمن المجموع
محظورا لا تتضمنه الآحاد ولا محظور هاهنا وكيف ينكر إنشاد الشعر وقد أنشد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عليه السلام
إن من الشعر لحكمة وأنشدت عائشة رضي الله عنها ❁ ذهب الذين يعاش في أكنافهم ❁ وبقيت في خلف كجلد الأجرب
وروي في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وعك أبو بكر وبلال
وكان بها وباء فقلت يا أبت كيف تجدك فكان أبو بكر رضي الله عنه إذا أخذته الحمى يقول كل امرئ مصبح في أهله ❁ والموت أدنى من شراك نعله
وكان بلال إذا أقلعت عنه الحمى يرفع عقيرته ويقول ❁ ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة ❁ بواد وحولي إذخر وجليل
وهل أردن يوما مياه مجنة ❁ وهل يبدون لي شامة وطفيل ❁ قالت عائشة فأخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم
بذلك فقال اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة وقد كان صلى الله عليه وسلم ينقل اللبن مع القوم في بناء المسجد وهو يقول
هذا الحمال لا حمال خيبر ❁ هذا أبر ربنا وأطهر ❁ وقال مرة أخرى ❁ اللهم إن العيش عيش الآخره ❁ فارحم الأنصار والمهاجره
وهذا في الصحيحين وكان صلى الله عليه وسلم يضع لحسان منبرا في المسجد يقوم عليه قائما يفاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولما أنشده النابغة شعره قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفضض الله فاك وقالت عائشة رضي الله عنها كان أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم يتناشدون الأشعار وهو يتبسم وعن عمرو بن الشريد عن أبيه قال أنشدت للنبي صلى الله عليه وسلم
مائة قافية من قول أمية بن أبي الصلت كل ذلك يقول هيه هيه ثم قال إن كاد في شعره ليسلم وعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله
عليه وسلم كان يحدى له في السفر وإن أنجشة كان يحدو بالنساء والبراء بن مالك كان يحدو بالرجال فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يا أنجشة كذلك رويدا سوقك بالقوارير ولم يزل الحداء وراء الجمال من عادة العرب في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم
وزمان الصحابة وما هو إلا أشعار تؤدى بأصوات طيبة وألحان موزونة ولم ينقل عن أحد من الصحابة إنكاره بل ربما كانوا يلتمسون
ذلك تارة لتحريك الجمال وتارة للاستلذاذ فلا يجوز أن يحرم من حيث إنه كلام مفهوم مستلذ مؤدى بأصوات طيبة وألحان
موزونة ❁ الدرجة الرابعة النظر فيه من حيث إنه محرك للقلب ومهيج لما هو الغالب عليه فأقول لله تعالى سر
في مناسبة النغمات الموزونة للأرواح حتى إنها لتؤثر فيها تأثيرا عجيبا فمن الأصوات ما يفرح ومنها ما يحزن ومنها ما ينوم
ومنها ما يضحك ويطرب ومنها ما يستخرج من الأعضاء حركات على وزنها باليد والرجل والرأس ولا ينبغي أن يظن أن ذلك لفهم
معاني الشعر بل هو جار في الأوتار حتى قيل من لم يحركه الربيع وأزهاره والعود وأوتاره فهو فاسد المزاج ليس له علاج و
كيف يكون ذلك لفهم المعنى وتأثيره مشاهد في الصبي في مهده فإنه يسكته الصوت الطيب عن بكائه وتنصرف نفسه عما يبكيه إلى

الإصغاء إليه والجمل مع بلادة طبعه يتأثر بالحداء تأثرا يستخف معه الأحمال الثقيلة ويستقصر لقوة نشاطه في سماعه
المسافات الطويلة وينبعث فيه من النشاط ما يسكره ويولهه فتراها إذا طالت عليها البوادي واعتراها الإعياء تحت الأحمال
والمحامل إذا سمعت منادي الحداء تمد أعناقها وتصغي إلى الحادي ناصبة آذانها وتسرع في سيرها حتى تتزعزع عليها أحمالها و
محاملها وربما تتلف أنفسها من شدة السير وثقل الحمل وهي لا تشعر به لنشاطها فقد حكى أبو بكر محمد بن داود الدينوري المعروف
بالرقي قال كنت في البادية فوافيت قبيلة من قبائل العرب فأضافني رجل منهم وأدخلني خباءه فرأيت في الخباء عبدا أسود مقيدا
بقيد ورأيت جمالا قد ماتت بين يدي البيت وقد بقي منها جمل وهو ناحل ذابل كأنه ينزع روحه فقال لي الغلام أنت ضيف
ولك حق فتشفع في إلى مولاي فإنه مكرم لضيفه فلا يرد شفاعتك فعساه يحل القيد عني قال فلما أحضروا الطعام امتنعت
وقلت لا آكل ما لم أشفع في هذا العبد فقال إن هذا العبد قد أفقرني وأهلك جميع مالي فقلت ماذا فعل فقال إن له صوتا طيبا
وإني كنت أعيش من ظهور هذه الجمال فحملها أحمالا ثقالا وكان يحدو بها حتى قطعت مسيرة ثلاثة أيام في ليلة من طيب نغمته
فلما حطت أحمالها ماتت كلها إلا هذا الجمل الواحد ولكن أنت ضيفي فلكرامتك قد وهبته لك قال فأحببت أن أسمع صوته
فلما أصبحنا أمره أن يحدو على جمل يستقي الماء من بئر هناك فلما رفع صوته هام ذلك الجمل وقطع حباله ووقعت أنا على
وجهي فما أظن أني قط سمعت صوتا أطيب منه فإذا تأثير السماع في القلب محسوس ومن لم يحركه السماع فهو ناقص مائل
عن الاعتدال بعيد عن الروحانية زائد في غلظ الطبع وكثافته على الجمال والطيور بل على رأس داود عليه السلام لاستماع صوته
ومهما كان النظر في السماع باعتبار تأثيره في القلب لم يجز أن يحكم فيه مطلقا بإباحة ولا تحريم بل يختلف ذلك بالأحوال والأشخاص
واختلاف طرق النغمات فحكمه حكم ما في القلب قال أبو سليمان السماع لا يجعل في القلب ما ليس فيه لكن يحرك ما هو فيه فالترنم
بالكلمات المسجعة الموزونة معتاد في مواضع لأغراض مقصودة يرتبط بها آثار في القلب وهي سبعة مواضع الأول غناء الحجيج
فإنهم يدورون أولا في البلاد بالطبل والشاهين والغناء وذلك مباح لأنها أشعار نظمت في وصف الكعبة والمقام و
الحطيم وزمزم وسائر المشاعر ووصف البادية وتأثير ذلك تهييج الشوق إلى بيت الله تعالى واشتعال نيرانه إن كان ثم شوق
حاصل واستثارة الشوق واجتلابه إن لم يكن حاصلا وإذا كان الحج قربة والشوق إليه محمودا كان التشويق إليه بكل ما يشوق
محمودا وكما يجوز للواعظ أن ينظم كلامه في الوعظ ويزينه بالسجع ويشوق الناس إلى الحج بوصف البيت والمشاعر ووصف
الثواب عليه جاز لغيره ذلك على نظم الشعر فإن الوزن إذا انضاف إلى السجع صار الكلام أوقع في القلب فإذا أضيف إليه
صوت طيب ونغمات موزونة زاد وقعه فإن أضيف إليه الطبل والشاهين وحركات الإيقاع زاد التأثير وكل ذلك جائز
ما لم يدخل فيه المزامير والأوتار التي هي من شعار الأشرار نعم إن قصد به تشويق من لا يجوز له الخروج إلى الحج كالذي لا
يسقط الفرض عن نفسه ولم تأذن له أبواه في الخروج فهذا يحرم عليه الخروج فيحرم تشويقه إلى الخروج بالسماع و
بكل كلام يشوق فإن التشويق إلى الحرام حرام وكذا إذا كانت الطريق غير آمنة وكان الهلاك غالبا لم يجز تحريك القلوب
ومعالجتها بالتشويق ❁ والثاني ما يعتاده الغزاة لتحريض الناس على الغزو وذلك أيضا مباح كما للحاج ولكن ينبغي أن يخالف
أشعارهم وطرق ألحانهم أشعار الحاج وطرق ألحانهم لأن استثارة داعية الغزو بالتشجيع وتحريك الغيظ والغضب
فيه على الكفار وتحسين الشجاعة واستحقار النفس والمال بالإضافة إليه بالأشعار المشجعة ومثاله قول المتنبي ❁
فإن لا تمت تحت السيوف مكرما ❁ تمت وتقاسي الذل غير مكرم ❁ يرى الجبناء أن الجبن حزم ❁ وتلك خديعة النفس اللئيم

وامثال ذلك وطرق الاوزان المشجعة فى العروض مخالف الطرق المشوقة للحج فهذا ايضا مباح فى وقت يباح فيه الغزو ولكن
ومندوب اليه فى وقت يستحب فيه الغزو ولكن فى حق من يجوز له الخروج الثالث الرجزيات التى يستعملها الشجعان
فى وقت اللقاء والغرض منه التشجيع للنفس وللانصار وتحريك النشاط فيه للقتال وفيها التمدح بالشجاعة والنجدة و
ذلك اذا كان بلفظ رشيق وصوت طيب كان اوقع فى النفس وذلك مباح فى كل قتال مباح ومندوب فى كل قتال مندوب و
محظور فى قتال المسلمين واهل الذمة وكل قتال محظور لان تحريك الدواعى الى المحظور محظور وذلك منقول عن شجعان الصحابة
كعلى وخالد وغيرهما رضى الله عنهم ولذلك نقول ينبغى ان يمنع من الضرب بالشاهين فى معسكر الغزاة فان صوته مرقق محزن محلل
عقدة الشجاعة ومضعف صرامة النفس ومشوق الى الاهل والوطن ومورث الفتور فى القتال وكذا سائر الاصوات والالحان
المرققة المحزنة تباين الالحان المحركة المشجعة فمن فعل ذلك على قصد تغيير القلوب وتفتير الاراء عن القتال المندوب فهو عاص ومن
فعله على قصد التفتير عن القتال المحظور فهو به مطيع الرابع اصوات النياحة ونغماتها وتأثيرها فى تهييج الحزن والبكاء و
ملازمة الكآبة والحزن قسمان محمود ومذموم اما المذموم فكالحزن على ما فات قال الله تعالى لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا
بما آتاكم والحزن على الاموات من هذا القبيل فانه تسخط لقضاء الله وتأسف على ما لا تدارك له فهذا الحزن لما كان مذموما كان
تحريكه بالنياحة مذموما وقد ورد النهى الصريح فى النياحة واما الحزن المحمود فهو حزن الانسان على تقصيره فى امر دينه و
بكاؤه على خطاياه والبكاء والتباكى والحزن والتحازن على ذلك محمود وعليه بكاء آدم وتحريك هذا الحزن وتقويته محمود لانه
يبعث على التشمير للتدارك ولذلك كانت نياحة داود عليه السلام محمودة اذ كان ذلك مع دوام الحزن وطول البكاء بسبب الخطايا
والذنوب فقد كان يحزن ويحزن ويبكى ويبكى حتى كانت الجنائز ترفع من مجلس نياحته وكان يفعل ذلك بالفاظه والحانه وذلك
محمود لان المفضى الى المحمود محمود وعلى هذا لا يحرم على الواعظ الطيب الصوت ان ينشد على المنبر بالحانه الاشعار المحزنة المرققة
للقلب ولا ان يبكى ويتباكى ليتوصل به الى تبكية غيره واثارة حزنه الخامس السماع فى اوقات السرور تأكيدا للسرور وتهييجا
له وهو مباح ان كان ذلك السرور مباحا كالغناء فى ايام العيد وفى العرس وفى وقت قدوم الغائب وفى وقت الوليمة والعقيقة وذلك
عند ولادة الولد وعند ختانه وعند حفظه القرآن وكل ذلك معتاد لاجل اظهار السرور ووجه جوازه ان من الالحان ما يثير
الفرح والسرور والطرب فكل ما جاز السرور به جاز اثارة السرور به ويدل على هذا من النقل انشاد النساء بالدف والالحان
عند قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم — طلع البدر علينا من ثنيات الوداع — وجب الشكر علينا ما دعا لله داع
فهذا اظهار السرور لقدومه وهو سرور محمود فاظهاره بالشعر والنغمات والرقص والحركات ايضا محمود فقد نقل عن جماعة
من الصحابة انهم حجلوا فى سرور اصابهم كما سيأتى فى احكام الرقص وهو جائز فى قدوم كل قادم يجوز الفرح به وفى كل سبب مباح
من اسباب السرور ويدل على هذا ما روى فى الصحيحين عن عائشة انها قالت رأيت النبى صلى الله عليه وسلم يسترنى بردائه
وانا انظر الى الحبشة يلعبون فى المسجد حتى اكون انا الذى اسأمه فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو
اشارة الى طول مدة وقوفها وروى البخارى ومسلم فى حديث عقيل عن الزهرى عن عروة عن عائشة ان ابا بكر رضى الله عنه دخل
عليها وعندها جاريتان فى ايام منى تغنيان وتضربان والنبى صلى الله عليه وسلم متغش بثوبه فانتهرهما ابو بكر فكشف
النبى صلى الله عليه وسلم عن وجهه فقال دعهما يا ابا بكر فانها ايام عيد وقالت عائشة رضى الله عنها رأيت النبى صلى
الله عليه وسلم يسترنى وانا انظر الى الحبشة وهم يلعبون فى المسجد فزجرهم عمر رضى الله عنه فقال النبى صلى الله عليه وسلم يا

بنى ارفدة يعنى من الامن وفى حديث عمرو بن الحارث عن ابن شهاب بنحوه وفيه تغنيان وتضربان وفى حديث ابى الطاهر
عن ابن وهب والله لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم على باب حجرتى والحبشة يلعبون بحرابهم فى مسجد رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو يسترنى بردائه لكى انظر اليهم ثم يقوم من اجلى حتى اكون انا الذى انصرف وروى عن عائشة رضى الله
عنها قالت كنت العب بالبنات عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يأتينى صواحب لى وكن يتقنعن من رسول الله صلى الله
عليه وسلم وكان يسربهن الى فيلعبن معى وفى رواية ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لها ما هذا قالت بناتى قال فما هذا الذى فى وسطهن
قالت فرس قال ما هذا الذى عليه قالت جناحان قال فرس له جناحان قالت او ما سمعت ان لسليمان بن داود خيلا لها اجنحة قالت
فضحك النبى صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه والحديث محمول عندنا على عادة الصبيان فى اتخاذ اللعب من الخزف والرقاع
من غير تكميل صورة بدليل ما روى فى بعض الروايات ان الفرس كان له جناحان من رقع وقالت عائشة رضى الله عنها دخل
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندى جاريتان تغنيان بغناء بعاث فاضطجع على الفراش وحول وجهه ودخل ابو بكر فانتهرنى
وقال مزمارة الشيطان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال دعهما فلما غفل
غمزتهما فخرجتا وكان يوم عيد يلعب فيه السودان بالدرق والحراب فاما سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم
واما قال تشتهين تنظرين فقلت نعم فاقامنى وراءه وخدى على خده ويقول دونكم يا بنى ارفدة حتى اذا مللت قال حسبك قلت
نعم قال فاذهبى وفى حديث مسلم فوضعت رأسى على منكبه فجعلت انظر الى لعبهم حتى كنت انا الذى انصرفت فهذه الاحاديث
كلها فى الصحيحين فهو نصوص صريحة فى ان الغناء واللعب ليس بحرام وفيها دلالة على انواع من الرخص الاول اللعب
ولا يخفى عادة الحبشة فى الرقص واللعب الثانى فعل ذلك فى المسجد والثالث قوله صلى الله عليه وسلم دونكم يا بنى
ارفدة وهو امر باللعب والتماس له فكيف يقدر كونه حراما والرابع منعه لابى بكر وعمر عن الانكار والتغيير وتعليله بانه يوم عيد
اى هو وقت السرور وهذا من اسباب السرور والخامس وقوفه طويلا فى مشاهدة ذلك وسماعه لموافقة عائشة رضى الله عنها
وهذا دليل على ان حسن الخلق فى تطييب قلوب النساء والصبيان بمشاهدة اللعب احسن من خشونة الزهد والتقشف فى الامتناع
والمنع منه والسادس قوله صلى الله عليه وسلم ابتداء لعائشة اتشتهين ان تنظرى فلم يكن ذلك عن اضطرار الى مساعدة
الاهل خوفا من غضب او وحشة فان الالتماس اذا سبق ربما كان الرد سبب وحشة وهو محظور فيقدم محذور على محذور
فاما ابتداء السؤال فلا حاجة فيه السابع الرخصة فى الغناء والضرب بالدف من الجاريتين مع انه شبه ذلك بمزمار
الشيطان وفيه بيان ان المزمور المحرم غير ذلك والثامن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرع سمعه صوت الجاريتين
وهو مضطجع ولو كان يضرب بالاوتار فى موضع لما جوز الجلوس ثم ليقرع صوت الاوتار سمعه فيدل هذا على ان صوت النساء
غير محرم تحريم المزامير بل انما يحرم عند خوف الفتنة فهذه المقاييس والنصوص تدل على اباحة الغناء والرقص والضرب بالدف
واللعب بالدرق والحراب والنظر الى رقص الحبشة والزنوج فى اوقات السرور كلها قياسا على يوم العيد فانه وقت
سرور وفى معناه يوم العرس والوليمة والعقيقة والختان ويوم القدوم من السفر وسائر اسباب الفرح وهو كل ما يجوز الفرح
به شرعا ويجوز الفرح بزيارة الاخوان ولقائهم واجتماعهم فى موضع على طعام او كلام فهو ايضا مظنة السماع و
السادس سماع العشاق تحريكا للشوق وتهييجا للعشق وتسلية للنفس فان كان فى مشاهدة المعشوق فالغرض
تأكيد اللذة وان كان مع المفارقة فالغرض تهييج الشوق والشوق وان كان الما ففيه نوع لذة اذا انضاف اليه رجاء الوصال

فان الرجا لذيذ واليأس مولم وقوة لذة الرجا المقدر فى الوصال مع الاطناب فى وصف حسن المحبوب وهذا حلال
ان كان المشتاق اليه ممن يباح وصاله كمن يعشق زوجته او سرّيته فيصغى الى غنائها ليتضاعف لذته فى لقائها فيحظى
بالمشاهدة البصر وبالسماع الاذن ويفهم لطائف معنى الوصال والفراق القلب فتترادف اسباب اللذة فهذا انواع
متعة من جملة مباحات الدنيا ومتاعها وما الحيوة الدنيا كلها الا لعب ولهو وهذا منه وكذلك اذا غصبت منه
جارية او غابت او حيل بينه وبينها بسبب من الاسباب فله ان يحرك بالسماع شوقه وان يستثير به لذة رجاء الوصال
فان باعها او طلقها حرم عليه ذلك اذ لا يجوز تحريك الشوق حيث لا يجوز تحقيقه بالوصال واللقاء واما من
يتمثل فى نفسه صورة صبى او امراة لا يحل له النظر اليها وكان ينزل ما يسمع على ما تمثل فى نفسه فهذا حرام لانه محرك
للفكر فى الافعال المحظورة ومهيج الداعية الى ما لا يباح الوصول اليه واكثر العشاق والسفهاء من الشبان فى وقت
هيجان الشهوة لا ينفكون عن اضمار شىء من ذلك فذلك ممنوع فى حقهم لما فيهم من الداء الدفين لا لامر يرجع الى نفس السماع
ولذلك سئل حكيم عن العشق فقال دخان يصعد الى دماغ الانسان يزيله الجماع ويحركه السماع السابع سماع من
احب الله سبحانه وتعالى وعشقه واشتاق الى لقائه فلا ينظر الى شىء الا رآه فيه ومنه ولا يقرع سمعه قارع الا سمعه منه او
فيه فالسماع فى حقه مهيج لشوقه ومؤكد لعشقه وحبه ومورى زناد قلبه ومستخرج منه احوالا من المكاشفات والملاطفات
لا يحيط الوصف بها يعرفها من ذاقها وينكرها من كل حسه عن ذوقها وتسمى تلك الاحوال بلسان الصوفية وجدا ماخوذا
من الوجود والمصادفة اى صادف من نفسه احوالا لم يكن يصادفها قبل السماع ثم يكون تلك الاحوال اسبابا لروادف
وتوابع لها تحرق القلب بنيرانها وتنقيه عن الكدورات كما تنفى النار الجواهر المعروضة عليها من الخبث ثم يتبع الصفاء الحاصل
به مشاهدات ومكاشفات وهى غاية مطالب المحبين لله تعالى ونهاية ثمرة القربات كلها فالمفضى اليها من جملة القربات
لا من جملة المعاصى والمباحات وحصول هذه الاحوال للقلب بالسماع سببه سر الله فى مناسبة النغمات الموزونة للارواح و
تسخير الارواح لها وتاثرها بها شوقا وفرحا وحزنا وانبساطا وانقباضا ومعرفة السبب فى تاثر الارواح بالاصوات من دقائق
علوم المكاشفات والبليد الجامد القاسى القلب المحروم عن لذة السماع يتعجب من التذاذ المستمع ووجده واضطراب حاله وتغير
لونه تعجب البهيمة من لذة اللوزنيج وتعجب العنين من لذة المباشرة وتعجب الصبى من لذة الرياسة واتساع اسباب الجاه وتعجب
الجاهل من لذة معرفة الله ومعرفته جلاله وعظمته وعجائب صنعه ولكل ذلك سبب واحد وهو ان اللذة نوع ادراك و
الادراك يستدعى مدركا ويستدعى قوة مدركة فمن لم تكمل قوة ادراكه لم يتصور منه التلذذ فكيف يدرك لذة الطعوم من فقد
الذوق وكيف يدرك لذة الالحان من فقد السمع او لذة المعقولات من فقد العقل فكذلك ذوق السماع بالقلب بعد
وصول الصوت الى السمع يدرك بحاسة باطنة فى القلب من فقدها عدم لا محالة لذتها ولعلك تقول كيف يتصور العشق
فى حق الله تعالى حتى يكون السماع محركا له فاعلم ان من عرفه احبه لا محالة ومن تأكدت معرفته تأكدت محبته بقدر تأكد
معرفته والمحبة اذا تأكدت سميت عشقا فلا معنى للعشق الا محبة مؤكدة مفرطة ولذلك قالت العرب ان محمدا عشق
ربه لما رأوه يتخلى للعبادة فى جبل حراء واعلم ان كل جمال محبوب عند مدرك ذلك الجمال والله تعالى جميل يحب الجمال
ولكن الجمال ان كان بتناسب الخلقة وصفاء اللون ادرك بحاسة البصر وان كان الجمال بالجلال والعظمة وعلو الرتبة وحسن
الصفات والاخلاق وارادة الخيرات لكافة الخلق وافاضتها عليهم على الدوام الى غير ذلك من الصفات الباطنة ادرك

بحاسة القلب ولفظ الجمال قد يستعار لها ايضا فيقال ان فلانا جميل وحسن ولا يراد صورته وانما يعنى به انه جميل
الاخلاق محمود الصفات حسن السيرة حتى قد يحب الرجل لهذه الصفات الباطنة استحسانا لها كما يحب الصورة
الظاهرة وقد تتأكد هذه المحبة فتسمى عشقا فكم من الغلاة فى حب ارباب المذاهب كالشافعى ومالك وابى حنيفة رحمهم الله
عليهم حتى يبذلون ارواحهم واموالهم فى نصرتهم وموالاتهم ويزيدون على كل عاشق فى الغلو والمبالغة ومن العجب ان يعقل
عشق صورة لم تشاهد قط لصورته الجميلة هو ام قبيح وهو الآن ميت ولكن لجمال صورته الباطنة وسيرته المرضية والخيرات
الحاصلة من علمه لاهل الدين وغير ذلك من الخصال ثم لا يعقل عشق من لا خير ولا جمال ولا محبوب فى العالم الا وهو حسنة من حسناته
واثر من آثار كرمه وغرفة من بحر جوده بل كل حسن وجمال فى العالم ادرك بالعقول والابصار والاسماع وسائر الحواس من
مبتدأ العالم الى منقرضه من ذروة الثريا الى منتهى الثرى فهو ذرة من خزائن قدرته ولمعة من انوار حضرته فليت شعرى
كيف لا يعقل حب من هذا وصفه وكيف لا يتأكد عند العارفين باوصافه حبه حتى يجاوز حدا يكون اطلاق اسم العشق عليه ظلما
فى حقه لقصوره عن الانباء فى فرط محبته فسبحان من احتجب عن الظهور لشدة ظهوره واستتر عن الابصار باشراق نوره ولولا
احتجابه بسبعين حجابا من نوره لاحرقت سبحات وجهه ابصار الملاحظين لجمال حضرته ولولا ان ظهوره سبب خفائه لبهتت العقول
ودهشت العقول وتخاذلت القوى وتشابهت الاعضاء ولو ركبت الحجارة والحديد لاصبحت تحت مبادى انوار تجليه دكا دكا
فانى تطيق كنه نور الشمس ابصار الخفافيش وسيأتى تحقيق هذه الاشارة فى كتاب المحبة ويتضح ان محبة غير الله تعالى قصور وجهل
بل المتحقق بالمعرفة لا يعرف غير الله اذ ليس فى الوجود تحقيقا الا الله وافعاله ومن عرف الافعال من حيث انها افعال فلم يجاوز
معرفة الافعال الى غيره فمن عرف الشافعى رضى الله عنه وعلمه وتصنيفه من حيث انه تصنيفه لا من حيث انه بياض وجلد و
حبر وورق وكلام منظوم ولغة عربية فقد عرفه فلم يجاوز معرفة الشافعى رضى الله عنه الى غيره ولا جاوزت محبته الى
غيره وكل موجود سوى الله فهو تصنيف الله وفعله وبديع افعاله فمن عرفها من حيث هى صنع الله فرأى من الصنع صفات
الصانع كما يرى من حسن التصنيف فضل المصنف وجلالة قدره كانت معرفته ومحبته مقصورة على الله غير مجاوزة الى ما سواه
ومن حد العشق انه لا يقبل الشركة وكل ما سوى هذا العشق فهو قابل للشركة اذ كل محبوب سواه يتصور له نظير اما فى الوجود
واما فى الامكان فاما هذا الجمال فلا يتصور له ثان لا فى الوجود ولا فى الامكان فكان اسم العشق على حب غيره مجازا محضا
لا حقيقة نعم الناقص القريب فى نقصانه من البهيمة قد لا يدرك من لفظ العشق الا طلب الوصال الذى هو عبارة عن تماس
ظواهر الاجسام وقضاء شهوة الوقاع فمثل هذا الحمار ينبغى ان لا يستعمل معه لفظ العشق والشوق والوصال والانس بل يجتنب
هذه الالفاظ والمعانى كما يجتنب البهيمة النرجس والريحان ويخصص بالقت والحشيش واوراق القضبان فان الالفاظ
انما يجوز اطلاقها فى حق الله اذا لم يكن موهمة معنى تقدس الله عنه والابهام يختلف باختلاف الافهام فليتنبه لهذه الدقيقة
وليس لهذه الالفاظ بل لا يبعد ان ينشأ من مجرد السماع لصفات الله تعالى وجد غالب ينقطع بسببه نياط القلب فقد روى
روى ابو هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ذكر غلاما كان فى بنى اسرائيل على جبل فقال لامه من خلق السماء
فقالت الله فقال من خلق الارض قالت الله قال من خلق الجبل قالت الله قال فمن خلق هذه الغنم قالت الله فقال انى اسمع لله
شانا ثم رمى بنفسه من الجبل فتقطع وهذا كان سمع ما دل على جلال الله تعالى وتمام قدرته فطرب له ووجد فرمى بنفسه فى الوجد
وما انزلت الكتب الا ليطربوا بذكر الله تعالى رايت مكتوبا فى الانجيل غنينا لكم فلم تطربوا وزمرنا لكم فلم ترقصوا اى شوقناكم

نذكر الله فلم تشتاقوا فهذا ما اردنا ان نذكره من اقسام السماع وبواعثه ومقتضياته وقد ظهر على القطع اباحته في بعض
المواضع والندب اليه في مواضع فان قلت فهل له حالة يحرم فيها فاقول انه يحرم بخمسة عوارض عارض
في المسمع وعارض في آلة الاسماع وعارض في نظم الصوت وعارض في نفس المستمع او في مواظبته لان اركان السماع هي المسمع
والمستمع وآلة السماع **العارض الاول** ان يكون المسمع امرأة لا يحل النظر اليها وتخشى الفتنة من سماعها وفي معناها
الصبي الذي تخشى فتنته وهذا حرام لما فيه من خوف الفتنة وليس ذلك لاجل الغناء بل لو كانت المرأة بحيث يفتتن بصوتها في
المحاورة من غير الحان فلا يجوز محادثتها ولا سماع صوتها في القرآن ايضا وكذا الصبي الذي يخاف فتنته فان قلت فهل
تقول ان ذلك حرام بكل حال حسما للباب او لا يحرم الا حيث تخاف الفتنة في حق من يخاف الفتنة فاقول هذه المسألة محتملة
من حيث الفقه يتجاذبها اصلان احدهما ان الخلوة بالاجنبية والنظر اليها حرام سواء خيفت الفتنة ام لم تخف لانها مظنة الفتنة
على الجملة فقضى الشرع بحسم الباب من غير التفات الى الصور والثاني ان النظر الى الصبيان مباح الا عند خوف الفتنة
فلا يلحق الصبيان بالنساء في عموم الحسم بل يتبع فيه الحال وصوت المرأة دائر بين هذين الاصلين فان قسناه على النظر وجب
حسم الباب وهو قياس قريب ولكن بينهما فرق اذ الشهوة تدعو الى النظر في اول هيجانها ولا تدعو الى سماع الصوت
وليس تحريك النظر للشهوة المماسة كتحريك السماع بل هو اشد وصوت المرأة في غير الغناء ليس بعورة فلم تزل النساء في زمن الصحابة
تكلم الرجال في السلام والاستفتاء والسؤال والمشاورة وغير ذلك ولكن للغناء مزيد اثر في تحريك الشهوة فقياس هذا على النظر
الى الصبيان اولى لانهم لم يؤمروا بالاحتجاب كما لم يؤمر النساء بستر الاصوات فينبغي ان يتبع مثار الفتن ويقصر التحريم عليه
هذا هو الاقيس عندي ويتايد بحديث الجاريتين المغنيتين في بيت عائشة رضي الله عنها اذ يعلم انه صلى الله عليه وسلم كان
يسمع صوتهما ولم يحترز عنه ولكن لم يكن الفتنة مخوفة عليه فلذلك لم يحترز فاذا يختلف هذا باحوال المرأة واحوال الرجل
في كونه شابا او شيخا ولا يبعد ان يختلف الامر في مثل هذا بالاحوال فانا نقول للشيخ ان يقبل زوجته وهو صائم وليس للشاب
ذلك لان القبلة تدعو الى الوقاع في الصوم وهو محظور والسماع يدعو الى النظر والمقاربة وهو حرام ويختلف ذلك ايضا
بالاشخاص **العارض الثاني** في الآلة بان تكون من شعار اهل الشرب او المخنثين وهي المزامير والاوتار وطبل الكوبة فهذه ثلاثة
انواع وما عدا ذلك يبقى على اصل الاباحة كالدف وان كان فيه الجلاجل وكالطبل والشاهين والضرب بالقضيب وسائر الآلات
العارض الثالث في نظم الصوت وهو الشعر فان كان فيه شيء من الخنا والفحش والهجو او ما هو كذب على الله ورسوله او على
الصحابة كما رتبه الروافض في هجاء الصحابة وغيرهم فسماع ذلك حرام بالحان وغير الحان والمستمع شريك القائل وكذلك
ما فيه وصف امرأة بعينها فانه لا يجوز وصف المرأة بين يدي الرجال واما هجاء الكفار واهل البدعة فذلك جائز
فقد كان حسان بن ثابت ينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويهاجي الكفار وامره رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فاما
النسيب وهو التشبيب بوصف الخدود والاصداغ وحسن القد والقامة وسائر اوصاف النساء فهذا فيه نظر والصحيح انه
لا يحرم نظمه وانشاده بصوت وغير صوت وعلى المستمع ان لا ينزله على امرأة معينة وان نزله فلينزله على من يحل له من زوجته
وجاريته فان نزله على اجنبية فهو العاصي بالتنزيل واجالة الفكر فيه ومن هذا وصفه فينبغي ان يجتنب السماع راسا فان كل
من غلب عليه عشق نزل كل ما يسمعه عليه سواء كان اللفظ مناسبا له او لم يكن اذ ما من لفظ الا ويمكن تنزيله على معان بطريق
الاستعارة فالذي يغلب على قلبه حب الله تعالى يتذكر بسواد الصدغ مثلا ظلمة الكفر وبنضارة الخد نور الايمان ويذكر

وبذكر الوصال لقاء الله وبذكر الفراق الحجاب عن الله في زمرة المردودين وبذكر الرقيب المشوش لروح الوصال عوائق
الدنيا وآفاتها المشوشة لدوام الانس بالله ولا يحتاج في تنزيل ذلك عليه الى استنباط وتفكر ومهلة بل تسبق المعاني
الغالبة على القلب الى فهمه مع اللفظ كما روي عن بعض الشيوخ انه مر في السوق فسمع واحدا يقول الخيار عشرة بحبة فغلبه
الوجد فقال اذا كان الخيار عشرة بحبة فما قيمة الاشرار واجتاز بعضهم فسمع قائلا يقول يا سعتر بري فغلبه الوجد
على الابيات المنظومة بلغة العرب فان بعض حروفها يوازن الحروف العجمية فيفهم منها معان اخر انشد بعضهم
وما زارني في الليل الا خياله فتواجد عليه عجمي فسئل عنه فانه كان يقول ما زار يم وهو كما يقول فان لفظ زار في العجمية
يدل على المشرف على الهلاك فتوهم انه يقول كلنا مشرفون على الهلاك واستشعر عنده خطر هلاك الآخرة والمحترق في
حب الله وجده بحسب فهمه وفهمه بحسب تخيله وليس من شرط تخيله ان يوافق مراد الشاعر ولغته فهذا الوجد حق وصدق
ومن استشعر خطر هلاك دار الآخرة فجدير بان يتشوش عليه عقله وتضطرب عليه اعضاؤه فاذا ليس في تغيير اعيان الالفاظ
كثير فائدة بل الذي غلب عليه عشق مخلوق ينبغي ان يحترز عن السماع باي لفظ كان والذي غلب عليه حب الله فلا تضره الالفاظ ولا
تمنعه عن فهم المعاني اللطيفة المتعلقة بمجاري همته الشريفة **العارض الرابع** في المستمع وهو ان تكون الشهوة غالبة عليه
وكان في غرة الشباب وكانت هذه الصفة اغلب من غيرها عليه فالسماع عليه حرام سواء غلب على قلبه حب شخص معين او لم
يغلب فانه كيفما كان فلا يسمع وصف الصدغ والخد والوصال والفراق الا ويحرك ذلك شهوته وينزله على صورة معينة
ينفخ الشيطان بها في قلبه فيشتعل نار الشهوة فيه ويحتد بواعثه وذلك هو النصرة لحزب الشيطان والتخذيل للعقل
المانع منه الذي هو حزب الله تعالى والقتال في القلب دائم بين جنود الشيطان وهي الشهوات وبين حزب الله وهو نور العقل الا
في قلب قد فتحه احد الجندين واستولى عليه بالكلية وغالب القلوب قد فتحها جند الشيطان وغلب عليها فيحتاج الى ان يستأنف
اسباب القتال لازعاجه فكيف يجوز تكثير اسلحته وتشحيذ سيوفه واسنته والسماع مشحذ لاسلحة جند الشيطان في حق مثل
هذا الشخص فليخرج مثل هذا عن مجمع السماع فانه يستضر به **العارض الخامس** ان يكون الشخص من عوام الخلق ولم يغلب عليه
حب الله فيكون السماع له محبوبا ولا غلبت عليه الشهوة فيكون في حقه محذورا ولكنه ابيح في حقه كسائر انواع اللذات المباحة
الا انه اتخذه ديدنه وهجيراه وقصر عليه اكثر اوقاته فهذا هو السفيه الذي ترد شهادته فان المواظبة على اللهو جناية وكما ان الصغيرة
بالاصرار والمداومة تصير كبيرة فبعض المباحات بالمداومة تصير صغيرة وهو كالمواظبة على متابعة الزنوج والحبشة و
النظر الى لعبهم على الدوام فانه ممنوع وان لم يكن اصله ممنوعا اذ فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن هذا القبيل اللعب
بالشطرنج فانه مباح ولكن المواظبة عليه مكروه كراهة شديدة ومهما كان الغرض اللعب والتلذذ باللهو فذلك انما يباح
لما فيه من ترويح القلب اذ راحة القلب معالجة له في بعض الاوقات لتنبعث دواعيه فيشتغل في سائر الاوقات بالجد في الدنيا
كالكسب والتجارة او في الدين كالصلاة والقراءة واستحسان ذلك فيما بين تضاعيف الجد كاستحسان الخال على الوجه ولو استوعب
الخيلان الوجه لقبح ذلك فيعود الحسن قبحا بسبب الكثرة فما كل حسن يحسن كثيره ولا كل مباح يباح كثيره بل الخبز مباح و
الاستكثار منه حرام فهذا المباح كسائر المباحات فان قلت فقد ادى مساق هذا الكلام الى انه مباح في بعض الاحوال
دون البعض فلم اطلقت اولا القول بالاباحة اذ اطلاق القول في المفصل بلا او بنعم خلف وخطأ فاعلم ان هذا غلط لان الاطلاق
في القول انما يمتنع لتفصيل ينشأ من عين ما فيه النظر فاما ما ينشأ من الاحوال العارضة المتصلة به من خارج فلا يمنع الاطلاق

الا ترى انا اذا سألنا عن العسل اهو حلال ام لا قلنا انه حلال مع انه حرام على المحرور الذي يستضر به واذا سألنا عن الخمر
قلنا انه حرام مع انه يحل لمن غص بلقمة ان يشربها مهما لم يجد غيرها ولكن هو من حيث انه خمر حرام وانما ابيح بعارض الحاجة
والعسل من حيث انه عسل حلال وانما حرم بعارض الضرر وما يكون بعارض فلا يلتفت اليه فان البيع حلال ويحرم
بعارض الوقوع في وقت النداء يوم الجمعة وبالجملة من العوارض فالسماع من جملة المباحات من حيث انه سماع صوت
موزون طيب مفهوم وانما تحريمه بعارض خارج عن حقيقة ذاته واذا انكشف الغطاء عن دليل الاباحة فلا يبالي بمن يخالف
بعد ظهور الدليل واما الشافعي رضي الله عنه فليس تحريم الغناء من مذهبه وقد نص الشافعي فقال في الرجل يتخذه صناعة
لم تجز شهادته وذلك لانه من اللهو المكروه الذي يشبه الباطل ومن صنعه كان منسوبا الى السفاهة وسقوط المروة
وان لم يكن محرما بين التحريم وان كان لا ينسب نفسه الى الغناء ولا يؤتى لذلك ولا ياتي لاجله وانما يعرف بانه قد يطرب في الحال
فيترنم فيها لم يسقط هذا مروته ولم يبطل شهادته واستدل بحديث الجاريتين اللتين كانتا تغنيان في بيت عائشة رضي الله
عنها وقال يونس بن عبد الاعلى سالت الشافعي رضي الله عنه عن اباحة اهل المدينة للسماع فقال الشافعي رضي الله عنه
لا اعلم احدا من علماء الحجاز كره السماع الا ما كان منه في الاوصاف واما الحداء وذكر الاطلال والمرابع وتحسين الصوت
بالحان الاشعار فمباح وحيث قال انه لهو مكروه يشبه الباطل فقوله لهو صحيح ولكن اللهو من حيث انه لهو ليس بحرام فلعب
الحبشة ورقصهم لهو وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر اليه ولا يكرهه بل اللهو واللغو لا يواخذ الله به ان عني
به انه فعل لا فائدة فيه فان الانسان لو وظف على نفسه ان يضع يده على راسه في اليوم مرة فهذا عبث لا فائدة له ولا يحرم
بل قال الله تعالى لا يواخذكم الله باللغو في ايمانكم فاذا كان ذكر اسم الله على الشيء والمخالفة فيه مع انه لا فائدة فيه لا
يواخذ به فكيف يواخذ بالشعر والرقص واما قوله يشبه الباطل فهذا لا يدل على اعتقاد تحريمه بل لو قال هو باطل صريحا لما
دل على تحريمه وانما يدل على خلوه عن الفائدة فالباطل ما لا فائدة فيه فقول الرجل لزوجته مثلا بعت نفسي منك وقولها اشتريت
عقد باطل مهما كان القصد اللعب والمطايبة وليس بحرام الا اذا قصد التمليك المحقق الذي منع الشرع منه واما قوله مكروه
فينزل على بعض المواضع التي ذكرناها او ينزل على التنزيه فانه نص على اباحة لعب الشطرنج وذكر اني اكره كل لعب وتعليله يدل
عليه فانه قال ليس ذلك من عادة ذوي الدين والمروة فهذا يدل على التنزيه ورده الشهادة بالمواظبة عليه لا يدل على تحريمه ايضا
بل قد ترد شهادة المحترف بالحرف الخسيسة فتعليله يدل على انه اراد بالكراهة التنزيه وهذا هو الظن ايضا بغيره من كبار
الائمة وان ارادوا التحريم فما ذكرناه حجة عليهم

بيان حجة القائلين بتحريم السماع والجواب عنها

احتجوا بقوله تعالى ومن الناس من يشتري لهو الحديث قال ابن مسعود والحسن البصري والنخعي ان لهو الحديث هو الغناء وروت عائشة
رضي الله عنها ان تحريم القينة وبيعها وثمنها وتعليمها فنقول اما القينة فالمراد بها الجارية التي تغني للرجال في مجلس
الشرب وقد ذكرنا ان غناء الاجنبية للفساق ومن يخاف عليهم الفتنة حرام وهم لا يقصدون بالفتنة الا ما هو محظور فاما غناء الجارية
لمالكها فلا يفهم تحريمه من هذا الحديث بل لغير مالكها عند عدم الفتنة بدليل ما روي في الصحيح من الجاريتين في بيت عائشة
رضي الله عنها واما شراء لهو الحديث بالدين استبدالا به ليضل به عن سبيل الله فهو حرام مذموم وليس النزاع فيه وليس
كل غناء بدلا عن الدين مشترى به ومضلا عن سبيل الله وهو المراد بالاية ولو قرأ القرآن ليضل به عن سبيل الله لكان حراما حكي عن
بعض المنافقين انه كان يوم الناس ولا يقرأ الا سورة عبس لما فيها من العتاب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم

غناء

عمر رضي الله عنه بقتله فالاضلال بالشعر والغناء اولى بالتحريم احتجوا بقوله تعالى افمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون
ولا تبكون وانتم سامدون قال ابن عباس هو الغناء بلغة حمير يعني السمد فنقول فينبغي ان يحرم الضحك وعدم البكاء
ايضا لان الاية تشتمل عليه فان قيل ان ذلك مخصوص بالضحك على المسلمين لاسلامهم فهذا ايضا مخصوص باشعارهم وغنائهم
في معرض الاستهزاء بالمسلمين كما قال والشعراء يتبعهم الغاوون واراد به شعراء الكفار ولم يدل ذلك على تحريم نظم الشعر
في نفسه احتجوا بما روى جابر رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال كان ابليس اول من ناح واول من تغنى فقد جمع بين
النياحة والغناء قلنا لا جرم كما استثني منه نياحة داود عليه السلام ونياحة المذنبين على خطاياهم فكذلك يستثنى الغناء
الذي يراد به تحريكات السرور والحزن والشوق الى الله والسرور ربا لعيد او حدوث ولد او قدوم غائب فهذا كله يضاد
مراد الشيطان بدليل قصة الجاريتين والحبشة والاخبار التي نقلناها من الصحاح فالتجويز في موضع واحد نص في الاباحة و
المنع في الف موضع محتمل للتاويل ومحتمل للتنزيه اما الفعل فلا تاويل له اذ ما حرم فعله انما يحل بعارض الاكراه فقط
وما ابيح فعله يحرم بعوارض كثيرة حتى النيات والقصود احتجوا بما روى عقبة بن عامر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كل
شيء يلهو به الرجل فهو باطل الا تاديبه فرسه ورميه بقوسه وملاعبته امراته قلنا فقوله باطل لا يدل على التحريم بل يدل
على عدم الفائدة وقد يسلم ذلك على ان التلهي بالنظر الى الحبشة خارج عن هذه الثلثة وليس بحرام بل يلحق بالمحصور غير
المحصور قياسا كقوله صلى الله عليه وسلم لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلث كفر بعد ايمان وزنا بعد احصان الخبر
فانه يلحق به رابع وخامس فكذلك ملاعبته امراته لا فائدة له الا التلذذ وفي هذا دليل على ان التفرج في البساتين وسماع
اصوات الطيور وانواع المداعبات مما يلهو به الرجل لا يحرم شيء منها وان جاز وصفه بانه باطل احتجوا بقول عثمان رضي الله عنه
ما تغنيت ولا تمنيت ولا مسست ذكري بيميني منذ بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قلنا فليكن التمني ومس الذكر باليمين
حراما ان كان ذلك تحريم الغناء فمن اين ثبت ان عثمان لا يترك الا الحرام احتجوا بقول ابن مسعود الغناء ينبت النفاق في القلب
وزاد بعضهم كما ينبت الماء البقل ورفعه بعضهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غير صحيح قالوا ومر ابن عمر رضي الله
عنهما بقوم محرمين وفيهم رجل يتغنى فقال الا لا سمع الله لكم وعن نافع انه قال كنت مع ابن عمر في طريق فسمع زمارة راع
فوضع اصبعيه في اذنيه ثم عدل عن الطريق فلم يزل يقول يا نافع اتسمع ذلك حتى قلت لا فاخرج اصبعيه وقال هكذا رايت
رسول الله صلى الله عليه وسلم صنع وقال الفضيل بن عياض الغناء رقية الزنا وقال بعضهم الغناء رائد من رواد الفجور وقال
يزيد بن الوليد اياكم والغناء فانه يزيد الشهوة ويهدم المروة وانه لينوب عن الخمر ويفعل ما يفعله السكر فان كنتم لا بد فاعلين
فجنبوه النساء فان الغناء داعية الزنا فنقول قول ابن مسعود ينبت النفاق اراد به في حق المغني فانه في حقه ينبت النفاق
اذ غرضه كله ان يعرض نفسه على غيره ويروج صوته عليه ولا يزال ينافق ويتودد الى الناس ليرغبوا في غنائه وذلك ايضا لا يوجب
تحريما فان لبس الثياب الجميلة وركوب الخيول المهملجة وسائر انواع التفاخر والزينة بالحرث والانعام والزرع ينبت الرياء
والنفاق في القلب ولا يطلق القول بتحريم ذلك كله فليس السبب في ظهور النفاق في القلب المعاصي فقط بل المباحات
التي هي مواقع نظر الخلق اكثر تاثيرا ولذلك نزل عمر رضي الله عنه عن فرس هملج تحته وقطع ذنبه لانه استشعر في نفسه الخيلاء لحسن
مشيه فهذا النفاق من المباحات واما قول ابن عمر الا لا سمع الله لكم فلا يدل على التحريم من حيث انه غناء بل كانوا محرمين ولا يليق
بهم الرفث وظهر له من مخايلهم ان سماعهم لم يكن لوجد وشوق الى زيارة بيت الله بل لمجرد اللهو فانكر ذلك عليهم لكونه منكرا

بالاضافة الى احوالهم ومحال الاحرام وحكايات الاحوال يكثر فيها وجوه الاحتمالات واما وضعه اصبعيه فى اذنيه فيعارضه
انه لم يمنعه عنه ابن عمر ولم يامر بوضع الاصابع ولا انكر عليه سماعه لانه راى ان يتنزه فى الحال سمعه وقلبه عن صوت
ربما يحرك اللهو ويعارضه حديث الحبشة وسماعه من الجاريتين ثم يحتمل انه لم يكن يحرك اللهو ويمنعه عن فكر كان فيه او
ذكر هو اولى منه وكذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم مع انه لم يمنع ابن عمر لا يدل على التحريم ايضا بل يدل على ان الاولى
تركه ونحن نرى ان الاولى تركه فى اكثر الاحوال بل اكثر مباحات الدنيا الاولى تركها اذا علم ان ذلك يوثر فى القلب فقد خلع
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الفراغ من الصلوة ثوب ابى جهم اذ كان عليه اعلام شغلت قلبه افترى ان ذلك
يدل على تحريم الاعلام على الثوب فلعله رضى الله عنه كان فى حالة كان صوت زمارة الراعى شغله عن تلك الحالة كما
شغله العلم عن الصلوة بل الحاجة الى استثارة الاحوال الشريفة من القلب بحيلة السماع قصور بالاضافة الى من هو دائم الشهود
للحق وان كان كمالا بالاضافة الى غيره ولذلك قال الحصرى ماذا اعمل بسماع ينقطع اذا مات من يسمع منه اشارة الى ان السماع
من الله هو الدائم فالانبياء عليهم السلم على الدوام فى لذة السمع والشهود فلا يحتاجون الى التحريك بالحيلة واما قول الفضيل
هو رقية الزنا وكذلك ما عداه من الاقاويل القريبة منه فهو منزل على سماع الفساق والمغتلمين من الشبان ولو كان ذلك
عاما لما سمع من الجاريتين فى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واما القياس فغاية ما يذكر فيه ان يقاس على الاوتار وقد
سبق الفرق او يقال هو لهو ولعب وهو كذلك لكن الدنيا كلها لهو ولعب قال عمر رضى الله عنه لزوجته انما انت لعبة فى زاوية
البيت وجميع الملاعبة مع النساء لهو الا الحراثة التى هى سبب لوجود الولد وكذلك المزح الذى لا فحش فيه حلال نقل ذلك عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة كما سياتى تفصيله فى كتاب آفات اللسان واى لهو يزيد على لهو الحبشة والزنوج فى لعبهم
وقد ثبت بالنص اباحته على انى اقول اللهو مروح للقلب ومخفف عنه اعباء الفكر والقلوب اذا اكرهت عميت وترويحها
اعانة لها على الجد فالمواظب على التفقه مثلا ينبغى ان يتعطل يوم الجمعة لان عطلة يوم تبعث النشاط فى سائر الايام والمواظب
والمواظب على الصلوات فى سائر الاوقات ينبغى ان يتعطل يوم الجمعة لان عطلة يوم يبعث النشاط فى بعض الاوقات ولاجله
كرهت الصلوة فى بعض الاوقات فالعطلة معونة على العمل واللهو معين على الجد ولا يصبر على الجد المحض والحق المر الا نفوس الانبياء
فاللهو دواء القلب من داء الاعياء والملال فينبغى ان يكون مباحا ولكن لا ينبغى ان يستكثر منه كما لا يستكثر من الدواء فاذا اللهو
على هذه النية يصير قربة هذا فى حق من لا يحرك السماع من قلبه صفة محمودة يطلب تحريكها بل ليس له الا اللذة والاستراحة
المحضة فينبغى ان يستحب له ذلك ليتوصل به الى المقصود الذى ذكرناه نعم هذا يدل على نقصان عن ذروة الكمال بل الكامل
هو الذى لا يحتاج ان يروح نفسه بغير الحق ولكن حسنات الابرار سيئات المقربين ومن احاط بعلم علاج القلوب ووجوه التلطف
بها للسياقة الى الحق علم قطعا ان ترويحها بامثال هذه الامور دواء نافع لا غنى عنه ه

الباب الثانى

فى آثار السماع وآدابه اعلم ان درجة السماع فهم المسموع وتنزيله على معنى يقع للمستمع ثم يثمر الفهم
الوجد ويثمر الوجد الحركة بالجوارح فلينظر فى هذه المقامات الثلاثة **المقام الاول** فى الفهم وهو يختلف
باختلاف احوال المستمع وللمستمع اربعة احوال احدها ان يكون سماعه بمجرد الطبع اى لا حظ له فى السماع الا استلذاذ الالحان
والنغمات وهذا مباح وهو اخس رتب السماع اذ الابل شريكة له فيه وكذا سائر البهائم بل لا يستدعى هذا الذوق الا الحيوة فلكل
حيوان نوع تلذذ بالاصوات الطيبة ه الحالة الثانية ان يسمع بفهم ولكن ينزله على صورة مخلوق اما معين او غير معين وهو

سماع الشبان وارباب الشهوة ويكون تنزيلهم للمسموع على حسب شهواتهم ومقتضى احوالهم وهذه الحالة اخس
من ان نتكلم فيها الا ببيان خستها والنهى عنها ه الحالة الثالثة ان ينزل ما يسمعه على احوال نفسه فى معاملته لله وتقلب احواله
فى التمكن مرة والتعذر اخرى وهذا سماع المريدين لا سيما المبتدئين فان للمريد لا محالة مرادا هو مقصده ومقصده معرفة الله تعالى
ولقاؤه والوصول اليه بطريق المشاهدة بالسر وكشف الغطاء وله فى مقصده طريق هو سالكه ومعاملات هو مثابر عليها وحالات
تستقبله فى معاملاته فاذا سمع ذكر عتاب او خطاب او قبول او رد او وصل او هجر او قرب او بعد او تلهف على فائت او تعطش الى
منتظر او شوق او استيناس الى وارد او طمع او ياس او وحشة او وفاء بالعهد او نقض للعهد او خوف فراق او فرح بوصال
او ذكر ملاحظة الحبيب ومدافعة الرقيب او همول العبرات او ترادف الحسرات او طول الفراق او عدة الوصال او غير ذلك مما
يشتمل على وصفه الاشعار فلا بد ان يوافق بعضها حال المريد فى طلبه فيجرى ذلك مجرى القداح الذى يورى زناد قلبه فيشتعل
به نيرانه ويقوى به انبعاث الشوق وهيجانه ويهجم بسببه عليه احوال مخالفة لعادته ويكون له مجال رحب فى تنزيل الالفاظ
على احواله وليس على المستمع مراعاة مراد الشاعر من كلامه بل لكل كلام وجوه ولكل ذى فهم فى اقتباس المعنى منه حظ ولنضرب
لهذه التنزيلات والفهوم امثلة كيلا يظن الجاهل ان المستمع لابيات فيها ذكر الفم والخد والصدغ انما يفهم منها ظواهرها
ولا حاجة بنا الى ذكر كيفية فهم المعانى من الابيات ففى حكايات اهل السماع ما يكشف عن ذلك فقد حكى انه سمع بعضهم قائلا يقول
قال الرسول غدا تزور فقلت تدرى ما تقول فاستفزه القول واللحن وتواجد وجعل يكرر ذلك ويجعل مكان التاء نونا فيقول
قال الرسول غدا نزور حتى غشى عليه من شدة الفرح واللذة والسرور فلما افاق سئل عن وجده مم كان فقال ذكرت قول رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان اهل الجنة يزورون ربهم فى كل جمعة مرة وحكى عن الرقى عن ابن الدراج انه قال كنت انا وابن الفوطى مارين
على الدجلة بين البصرة والابلة فاذا بقصر حسن له منظر وعليه رجل بين يديه جارية تغنى وتقول كل يوم تتلون غير هذا بك اجمل
واذا شاب تحت المنظر وبيده ركوة وعليه مرقعة يستمع فقال يا جارية بالله وبحياة مولاك الا اعدت على هذا البيت
فاعادت وكان الشاب يقول والله هذا تلونى مع الحق فى حالى وشهق شهقة ومات قال فقلنا قد استقبلنا فرض فقال صاحب
القصر للجارية انت حرة لوجه الله قال ثم خرج اهل البصرة وصلوا عليه فلما فرغوا من دفنه قال صاحب القصر للجارية اشهدكم ان
كل شى لى فى سبيل الله وكل جوارى احرار وهذا القصر سبيل ثم قال رمى ثيابه واتزر بازار وارتدى باخر ومر على وجهه والناس
ينظرون اليه حتى غاب عن اعينهم ولم يسمع له بعد خبر والمقصود ان هذا الشخص كان مستغرق الوقت بحاله مع الله تعالى
ومعرفة عجزه عن الثبوت على حسن الادب فى المعاملة وتاسفه على تقلب قلبه وميله عن سنن الحق فلما قرع سمعه ما يوافق حاله
سمعه من الله تعالى كانه يخاطبه ويقول له كل يوم تتلون غير هذا بك اجمل ومن كان سماعه من الله وعلى الله وفيه فينبغى ان
يكون قد احكم قانون العلم فى معرفة الله ومعرفة صفاته والا خطر له فى السماع فى حق الله ما يستحيل عليه ويكفر به ففى سماع المريد
المبتدى خطر الا اذا كان لم ينزل ما يسمع الا على حاله من حيث لا يتعلق بوصف الله ومثال الخطا فيه هذا البيت بعينه لو سمعه فى
نفسه وهو مخاطب ربه فيضيف التلون الى الله فيكفر وهذا قد يقع عن جهل محض مطلق غير ممزوج بتحقيق وقد يكون عن جهل سائق
اليه نوع من التحقيق وهو ان يرى تقلب احوال قلبه بل تقلب سائر احوال العالم من الله وهو حق فانه تارة يبسط قلبه وتارة يقبضه
وتارة ينوره وتارة يقسيه وتارة يثبته على طاعته ويقويه عليها وتارة يسلط الشيطان عليه ليصرفه عن سنن الحق وهذا كله من الله ومن
يصدر عنه افعال مختلفة فى اوقات متقاربة فقد يقال فى العادة انه ذو بدوات انه متلون ولعل الشاعر لم يرد الا نسبة

حينئذ الى التلون في قبوله ورده وتقريبه وابعاده وهذا هو المعنى وسماع هذا كذلك في حق الله تعالى كفر محض بل ينبغي
ان يعلم انه سبحانه يلون ولا يتلون ويغير ولا يتغير بخلاف عباده وذلك علم يحصل للمريد اعتقادا بتقليد ايماني ويحصل
للعارف بيقين كشفي حقيقي وذلك من اعاجيب اوصاف الربوبية وهو المغير من غير تغير ولا يتصور ذلك الا في حق الله بل
كل مغير سواه فلا يغير ما لم يتغير ومن ارباب الوجد من يغلب عليه حال مثل السكر المدهش فيطلق لسانه بالعتاب مع الله تعالى
ويستنكر اقتهاره للقلوب وقسمته للاحوال الشريفة على تفاوت فانه المستصفي لقلوب الصديقين والمبعد لقلوب الجاحدين
والمغرورين فلا مانع لما اعطى ولا معطي لما منع ولا يقطع التوفيق عن الكفار لجناية متقدمة ولا امد الانبياء بتوفيقه ونور هدايته
لوسيلة سابقة ولكنه قال ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين وقال ولكن حق القول مني لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين
وقال ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون فان خطر ببالك انه لم اختلف السابقة وهم في ربقة العبودية
مشتركون نوديت من سرادقات الجلال لا تجاوز حد الادب فانه لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ولعمري تأدب اللسان
والظاهر مما يقدر عليه الاكثرون فاما تأدب السر عن اضمار الاستبعاد لهذه الاختلافات الظاهرة في التقريب والابعاد
والاشقاء والاسعاد مع بقاء السعادة والشقاوة ابد الاباد فلا يقوى عليه الا العلماء الراسخون في العلم ولهذا قال الخضر
عليه السلام لما سئل عن السماع في المنام انه الصفاء الزلال الذي لا يثبت عليه الا اقدام العلماء لانه محرك لاسرار القلوب و
مكامنها ومشوش لها تشويش السكر المدهش الذي يكاد يحل عقدة الادب عن السر الا من عصمه الله بنور هدايته ولطف عصمته
ولذلك قال بعضهم ليتنا نجونا من هذا السماع راسا براس ففي هذا الفن من السماع خطر السماع على مخلوق بالشهوة فان غايته
ذلك معصية وغاية الخطأ هاهنا كفر واعلم ان الفهم يختلف باحوال المستمع فيغلب الوجد على مستمعين لبيت واحد احدهما
مصيب في الفهم والاخر مخطئ او كلاهما مصيبان وقد فهما معنيين مختلفين متضادين ولكنه بالاضافة الى اختلاف احوالهما
لا يتناقض كما حكي عن عتبة الغلام انه سمع رجلا يقول سبحان جبار السماء ان المحب لفي عنا فقال صدقت وسمعه رجل آخر
فقال كذبت وقال بعض ذوي البصائر اصابا جميعا وهو الحق فالتصديق كلام محب غير ممكن من المراد بل مصدود ومتعب بالصد
والهجر والتكذيب كلام مستأنس بالحب مستلذ لما يقاسيه بسبب فرط حبه غير ممكن من المراد متأثر به او كلام محب غير ممكن
مصدود عن مراده في الحال ولا مستشعر بخطر الصد في المآل وذلك لاستيلاء الرجاء وحسن الظن على قلبه فباختلاف
هذه الاحوال يختلف الفهم وحكي عن ابي القاسم بن مروان وقد كان صحب ابا سعيد الخراز وترك حضور السماع سنين كثيرة
فحضر دعوة فقال بعضهم واقف في الماء عطشان ولكن ليس يسقى فقام فتواجدوا فلما سكنوا سألهم عن معنى ما وقع
لهم من معنى البيت فاشاروا الى التعطش الى الاحوال الشريفة والحرمان عنها مع حضور اسبابها فلم يقنعه ذلك فقيل
له فماذا عندك فيه فقال ان يكون في وسط الاحوال ويكرم بالكرامات ولا يعطى منها ذرة وهذا اشارة الى اثبات حقيقة وراء
الاحوال والكرامات الاحوال سوابقها والكرامات تسنح في مباديها والحقيقة بعد لم يقع الوصول اليها ولا فرق بين المعنى الذي
فهمه وبين ما ذكروه الا في تفاوت رتبة المتعطش اليه فان المحروم عن الاحوال الشريفة اولا يتعطش اليها فان مكن منها
يتعطش الى ما وراءها فليس بين المعنيين اختلاف في الفهم بل الاختلاف بين الرتبتين وكان الشبلي كثيرا ما يتواجد على هذا البيت

وداد كم هجر وحبكم قلى ... ووصلكم صرم وسلمكم حرب

وهذا البيت يمكن سماعه على وجوه مختلفة بعضها حق وبعضها
باطل واظهرها ان يفهم هذا في الخلق بل في الدنيا باسرها بل في كل شيء سوى الله فان الدنيا مكارة خداعة قتالة لاربابها
لاربابها معادية لهم في الباطن ومظهرة صورة الود فيما امتلأت منها دار حبرة الا امتلأت عبرة كما ورد في الخبر و
كما قال الثعالبي في وصف الدنيا

تنح عن الدنيا فلا تخطبنها ... ولا تخطبن قتالة من تناكح
فليس يفي مرجوها بمخوفها ... ومكروهها اما تأملت راجح
لقد قال فيها الواصفون فاكثروا ... وعندي لها وصف لعمري صالح
سلاف قصاراها ذعاف ومركب ... شهي اذا استلذذته فهو جامح
وشخص جميل يؤنق الناس حسنه ... ولكن له اسرار سوء قبائح

والمعنى الثاني ان ينزله على نفسه في حق الله تعالى فانه اذا تفكر فمعرفته جهل اذ ما قدروا الله حق قدره وطاعته رياء اذ
لا يتقي الله حق تقاته وحبه معلول اذ لا يدع شهوة من شهواته في حبه ومن اراد الله به خيرا بصره بعيوب نفسه فيرى
مصداق هذا البيت في نفسه وان بالرتبة بالاضافة الى الغافلين ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا احصي ثناء عليك
انت كما اثنيت على نفسك وقال اني لاستغفر الله في اليوم والليلة سبعين مرة وانما كان ذلك استغفاره عن درجات
قرب بالاضافة الى ما قبلها ولكنها بعد بالاضافة الى ما بعدها وان كانت قربا بالاضافة الى ما بعدها وان كانت قربا بالاضافة
الى الغافلين ما قبلها فلا قرب الا ويبقى وراءه قرب لا نهاية لها اذ سبيل السلوك الى الله غير متناه والوصول الى اقصى درجات
القرب محال المعنى الثالث ان ينظر في مبادي احواله فيرتضيها وينظر في عواقبها فيزدريها لاطلاعه على خفايا الغرور
فيها فيرى ذلك من الله فيسمع البيت في حق الله شكاية من القضاء والقدر وهذا كفر كما سبق بيانه وما من بيت الا ويمكن
تنزيله على معان وذلك بقدر غزارة علم المستمع وصفاء قلبه

الحالة الرابعة سماع من جاوز الاحوال و
المقامات فعزب عن فهم ما سوى الله حتى عزب عن نفسه واحوالها ومعاملاتها وكان كالمدهوش الغائص في عين الشهود
الذي يضاهي حال النسوة اللاتي قطعن ايديهن في جمال يوسف حتى بهتن وسقط احساسهن وعن مثل هذه الحالة يعبر الصوفية
بانه فني عن نفسه ومهما فني عن نفسه فهو عن غيره افنى فكأنه فني عن كل شيء الا عن الواحد المشهود فالمستهتر بالمرئي لا التفات
له في حالة استغراقه الى رؤيته ولا الى عينه التي بها رؤيته ولا الى قلبه الذي به لذته فالسكران لا خبر له من سكره والملتذ
لا خبر له من التذاذه فانما خبره من الملتذ به فقط ومثاله العلم بالشيء فانه مغاير للعلم بالعلم بذلك الشيء فالعالم بالشيء مهما ورد عليه العلم
بالعلم بالشيء كان معرضا عن الشيء ومثل هذه الحالة قد تطرأ في حق المخلوق وتطرأ ايضا في حق الخالق ولكنها في الغالب تكون
كالبرق الخاطف الذي لا يثبت ولا يدوم فان دام لم تطقه القوة البشرية فربما اضطرب تحت اعبائه اضطرابا تهلك به نفسه
كما روي عن ابي الحسين النوري انه حضر مجلسا فسمع هذا البيت

ما زلت انزل من ودادك منزلا ... تتحير الالباب عند نزوله

فقام
وتواجد وهام على وجهه فوقع في اجمة قصب قد قطع وبقي اصوله مثل السيوف وكان يعدو فيها ويعيد البيت الى الغداة
والدم يخرج من رجليه حتى ورمت قدماه وساقاه وعاش بعده اياما ومات رحمه الله فهذه درجة الصديقين في الفهم والوجد
وهي اعلى الدرجات لان السماع على الاحوال وهي ممتزجة بصفات البشرية نوع قصور وانما الكمال ان يفنى بالكلية عن نفسه واحواله
اعني انه ينساها فلا يبقى له التفات اليها كما لم يكن للنسوة التفات الى الايدي والسكاكين فيسمع بالله ولله وفي الله ومن الله وهذه رتبة
من خاض لجة الحقائق وعبر ساحل الاحوال والاعمال واتحد بصفاء التوحيد وتحقق بمحض الاخلاص فلم يبق فيه منه اصلا بل خمدت
بالكلية بشريته وفني التفاته الى صفات البشرية راسا ولست اعني بفنائه فناء جسده بل فناء قلبه ولست اعني بالقلب اللحم والدم
بل سر لطيف له الى القلب الظاهر نسبة خفية وراءها سر الروح الذي هو من امر الله عرفها من عرفها وجهلها من جهلها ولذلك
السر وجود وصورة ذلك الوجود ما يحضر فيه فاذا حضر فيه غيره فكأنه لا وجود الا للحاضر ومثاله المرآة المجلوة اذ ليس لها لون في نفسها

احواله هي

بل لونها لون الخاصر فيها وكذلك الزجاج فانها تحكي لون قرارها ولونها لون الحاصر فيها وليس لها في نفسها صورة بل صورتها قبول الصور ولونها هو تهيئه الاستعداد لقبول الالوان تعرب عن هذه الحقيقة وهي سر القلب بالاضافة الى ما يحصر فيه قول الشاعر

رق الزجاج ورقت الخمر ... فتشابها فتشاكل الامر
فكانما خمر ولا قدح ... وكانما قدح ولا خمر

وهذه معاصنة من مغاصات علوم المكاشفة منها نشا خيال من ادعى الحلول والاتحاد وقال انا الحق وحوله يدندن كلام النصارى في دعوى اتحاد اللاهوت بالناسوت او تدرعها بها او حلولها فيها على ما اختلفت فيه عباراتهم وهو غلط محض يضاهي غلط من يحكم على المراة بصورة الحمرة اذا ظهر فيها لون الحمرة من مقابلها واذا كان هذا غير لائق بالمعاملة فلنرجع الى الغرض فقد ذكرنا تفاوت الدرجات في فهم المسموعات

المقام الثاني بعد الفهم والتنزيل الوجد وللناس كلام طويل في حقيقة الوجد اعني للصوفية وللحكماء الناظرين في وجه مناسبة السماع للارواح فلننقل من اقوالهم الفاظا ثم لنكشف عن الحقيقة فيه اما الصوفية فقد قال ذو النون المصري في السماع انه وارد حق جاء يزعج القلوب الى الحق فمن اصغى اليه وهو الذي يجده عند ورود وارد السماع اذ سمى السماع وارد حق وقال ابو الحسين الدراج مخبرا عما وجده في السماع الوجد عبارة عما يوجد في السماع قال جال بي السماع في ميادين البهاء فاوجدني وجود الحق عند كشف الغطاء فسقاني بكاس الصفاء فادركت به منازل الرضى واخرجني الى رياض النزهة والفضاء وقال الشبلي السماع ظاهره فتنة وباطنه عبرة فمن عرف الاشارة حل له استماع العبرة والا فقد استدعى الفتنة وتعرض للبلية وقال بعضهم السماع غذاء الارواح لاهل المعرفة لانه وصف يدق عن سائر الاعمال ويدرك برقة الطبع لرقته وبصفاء السر لصفائه ولطفه عند اهله وقال عمرو بن عثمان المكي لا يقع على كيفية الوجد عبارة لانه سر الله عند المؤمنين الموقنين وقال بعضهم الوجد مكاشفات من الحق وقال ابو سعيد الاعرابي الوجد رفع الحجاب ومشاهدة الرقيب وحضور الفهم وملاحظة الغيب ومحادثة السر وايناس المفقود وهو فناؤك انت من حيث انت وقال ايضا الوجد اول درجات الخصوص وهو ميراث التصديق بالغيب فلما ذاقوه وسطع في قلوبهم نوره زال عنهم كل شك وريب وقال ايضا الذي يحجب عن الوجد رؤية آثار النفس والتعلق بالعلائق والاسباب لان النفس محجوبة باسبابها فاذا انقطعت الاسباب وخلص الذكر وصحا القلب ورق وصفا ونجعت الموعظة فيه وحل من المناجاة في محل قريب وخوطب وسمع الخطاب باذن واعية وقلب شاهد وسر طاهر فشاهد ما كان منه خاليا فذلك هو الوجد لانه وجد ما كان معدوما عنده وقال ايضا الوجد ما يكون عند ذكر مزعج او خوف مقلق او توبيخ على زلة او محادثة بلطيفة او اشارة الى فائدة او شوق الى غائب او اسف على فائت او ندم على ماض او استجلاب الى حال او داع الى واجب او مناجاة بسر وهو مقابلة الظاهر بالظاهر والباطن بالباطن والغيب بالغيب والسر بالسر واستخراج ما لك بما عليك مما سبق لك السعي فيه فيكتب ذلك لك بعد كونه منك فيثبت لك قدم بلا قدم وذكر بلا ذكر اذ كان هو المبتدي بالنعم والمتولي لها واليه يرجع الامر كله فهذا ظاهر علم الوجد واقوال الصوفية من هذا الجنس في الوجد كثيرة

واما الحكماء فقال بعضهم في القلب فضيلة شريفة لم تقدر قوة النطق على اخراجها باللفظ فاخرجتها النفس بالالحان فلما ظهرت سرت وطربت اليها فاستمعوا من النفس وناجوها ودعوا مناجاة الظواهر وقال بعضهم نتائج السماع استنهاض العاجز من الراي واستجلاب العازب من الافكار وحدة الكال من الافهام والآراء حتى يثوب ما عزب وينهض ما عجز ويصفو ما كدر ويمرح في كل راي ونية فيصيب ولا يخطئ وياتي ولا يبطئ وقال آخر كما ان الفكر يطرق العلم الى المعلوم فالسماع يطرق القلب الى العالم الروحاني

وقال بعضهم وقد سئل عن سبب حركة الاطراف بالطبع على وزن الالحان والايقاعات فقال ذلك عشق عقلي والعاشق العقلي لا يحتاج ان يناغي معشوقه بالمنطق الجرمي بل يناغيه ويناجيه بالتبسم واللحظ والحركة اللطيفة بالحاجب والجفن والاشارة وهذه نواطق جميعا الا انها روحانية واما العاشق البهيمي فانه يستعمل النطق الجرمي ليعبر به عن ظاهر شوقه الضعيف وعشقه الزائل وقال آخر من حزن فليستمع الالحان فان النفس اذا دخلها الحزن خمد نورها واذا فرحت اشتعل نورها وظهر فرحها فيظهر الحنين بقدر قبول القابل وذلك بقدر صفائه ونقائه من الغش والدنس والاقاويل المنتشرة في السماع والوجد كثيرة ولا معنى للاستكثار من ايرادها فلنشتغل بتفهيم المعنى الذي الوجد عبارة عنه فنقول انه عبارة عن حالة يثمرها السماع وهو وارد حق جديد عقيب السماع يجده المستمع من نفسه وتلك الحالة لا تخلو عن قسمين فانها اما ان ترجع الى مكاشفات ومشاهدات من قبيل العلوم والتنبيهات واما ان ترجع الى تغيرات واحوال ليست من العلوم بل هي كالشوق والخوف والحزن والقلق والسرور والاسف والندم والبسط والقبض وهذه الاحوال يهيجها السماع او يقويها فان ضعف بحيث لم يؤثر في تحريك الظاهر او تسكينه او تغيير حاله حتى يتحرك على خلاف عادته او يطرق او يسكن عن النظر والنطق والحركة على خلاف عادته لم يسم وجدا وان ظهر على الظاهر سمي وجدا اما ضعيفا او قويا بحسب ظهوره وتغييره للظاهر وتحريكه بحسب قوة وروده وحفظ الظاهر عن التغيير بحسب قوة الواجد وقدرته على ضبط جوارحه فقد يقوى الوجد في الباطن ولا يتغير الظاهر لقوة صاحبه وقد لا يظهر لضعف الوارد وقصوره عن التحريك وحل عقد التماسك والى المعنى الاول اشار ابو سعيد الاعرابي حيث قال في الوجد انه مشاهدة الرقيب وحضور الفهم وملاحظة الغيب ولا يبعد ان يكون السماع سبب الكشف لما لم يكن مكشوفا قبله فان الكشف يحصل باسباب منها التنبيه والسماع منبه ومنها تغير الاحوال ومشاهدتها وادراكها فان ادراكها نوع علم يفيد ايضاح امور لم تكن معلومة قبل الورود ومنها صفاء القلب والسماع يؤثر في تصفية القلب والصفاء سبب الكشف ومنها انبعاث نشاط القلب بقوة السماع فيقوى به على مشاهدة ما كان تقصر عنه قبل ذلك قوته كما يقوى البعير على حمل الاثقال فبواسطة هذه الاسباب يكون سببا للكشف بل القلب اذا صفا ربما يمثل له الحق في صورة مشاهدة او في لفظ منظوم يقرع سمعه يعبر عنه بصوت الهاتف اذا كان في اليقظة وبالرؤيا اذا كان في المنام وذلك جزء من النبوة وعلم تحقيق ذلك خارج عن علم المعاملة وذلك كما روي عن محمد بن مسروق البغدادي انه قال خرجت ليلة في ايام جاهليتي وانا نشوان وكنت اغني بهذا البيت

بطيزناباذ كرم ما مررت به ... الا تعجبت ممن يشرب الماء

فسمعت قائلا يقول

وفي جهنم ماء ما تجرعه ... خلق فابقى له في الجوف امعاء

فكان ذلك سبب توبتي واشتغالي بالعلم والعبادة فانظر كيف اثر الغناء في تصفية قلبه حتى تمثل له حقيقة الحق في صفة جهنم في لفظ موزون منظوم وقرع ذلك سمعه الظاهر وروي عن مسلم العباداني انه قال قدم علينا مرة صالح المري وعتبة الغلام وعبد الواحد بن زيد ومسلم الاسواري فنزلوا على الساحل قال فهيات لهم ذات ليلة طعاما فدعوتهم اليه فجاؤوا فلما وضعت الطعام بين ايديهم اذا قائل يقول رافعا صوته

وتلهيك عن دار الخلود مطاعم ... ولذة نفس غيها غير نافع

قال فصاح عتبة الغلام صيحة وخر مغشيا عليه وبكى القوم فرفعنا الطعام وما ذاقوا منه والله لقمة وكما يسمع صوت الهاتف عند صفاء القلب يشاهد ايضا بالبصر صورة الخضر عليه السلم فانه يتمثل لارباب القلوب بصور مختلفة وفي مثل هذه الحالة يتمثل الملائكة للانبياء عليهم السلم على حقيقة صورتها او على مثال يحكي صورتها بعض المحاكاة وقد راى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل مرتين في صورته واخبر عنه بانه كان قد سد الافق وهو المراد بقوله علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى وهو بالافق الاعلى الى آخر الآيات وفي مثل هذه الاحوال من الصفاء يقع الاطلاع على ضمائر القلوب وقد يعبر عن ذلك الاطلاع

ومنها تصفية القلب والصفاء سبب الكشف ومنها انبعاث نشاط القلب بقوة السماع م

بالتعريض ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله وقد حكي ان واحدا من المجوس كان يدور
على المسلمين ويقول ما معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم اتقوا فراسة المؤمن فكان يذكر له تفسيره ولا يقنعه حتى انتهى الى
بعض المشايخ من الصوفية فسأله فقال معناه ان تقطع الزنار الذي على وسطك تحت ثوبك فقال صدقت هذا معناه واسلم
وقال الآن عرفت انك مؤمن وان ايمانك حق وكما حكي عن ابرهيم الخواص قال كنت ببغداد في جماعة من الفقراء في الجامع فاقبل
شاب طيب الرائحة حسن الوجه فقلت لاصحابنا يقع لي انه يهودي فكلهم كرهوا ذلك فخرجت وخرج الشاب ثم رجع اليهم وقال
اي شيء قال الشيخ فاحتشموا فالح عليهم فقالوا قال انك يهودي فجاءني واكب على يدي واسلم وقال نجد في كتابنا ان الصديق لا يخطئ
فراسته فقلت امتحن المسلمين فتاملتهم فقلت ان كان فيهم صديق ففي هذه الطائفة لانهم يقولون حديثه سبحانه وتعالى فلبست عليكم
فلما اطلع علي الشيخ وتفرس في علمت انه صديق قال وصار الشاب من كبار الصحابة الصوفية والى مثل هذا الكشف الاشارة بقوله
عليه السلم لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الى ملكوت السماء وانما تحوم الشياطين على القلوب اذا كانت
اذا كانت مشحونة بالصفات المذمومة فانها مرعى الشيطان ومن خلص قلبه من تلك الصفات وصفاها لم يطف الشيطان حول قلبه
واليه الاشارة بقوله تعالى الا عبادك منهم المخلصين وبقوله ان عبادي ليس لك عليهم سلطان والسماع سبب لصفاء
القلب وهو شبكة للحق بواسطة الصفاء وعلى هذا يدل ما روي ان ذا النون المصري رحمه الله دخل بغداد فاجتمع اليه قوم من الصوفية
ومعهم قوال فاستأذنوه في ان يقول شيئا فاذن له فانشا يقول ... صغير هواك عذبني فكيف اذا احتنكا
وانت جمعت من قلبي هوى قد كان مشتركا ... فقام ذا النون وتخر على وجهه ثم قام رجل آخر فقال ذو النون الذي يراك حين
تقوم هل الخصم في قيام لغير الله ولو كان الرجل صادقا لما جلس فاذا قد رجع حاصل الوجد الى مكاشفات والى حالات واعلم
ان كل واحد منهما ينقسم الى ما يمكن التعبير عنه عند الافاقة منه والى ما لا يمكن العبارة عنه اصلا ولعلك تستبعد حالة او
علما لا يعلم حقيقته ولا يمكن التعبير عن حقيقته فلا تستبعد ذلك فانك تجد في احوالك القريبة لها شواهد اما العلم
فكم من فقيه يعرض عليه مسئلتان متشابهتان في الصورة ويدرك الفقيه بذوقه ان بينهما فرقا في الحكم واذا كلف ذكر وجه
الفرق لم يساعده اللسان على التعبير وان كان من افصح الناس فيدرك بذوقه الفرق ولا يمكنه التعبير عنه وادراكه الفرق علم يصادفه
في قلبه بالذوق ولا شك في ان لوقوعه في قلبه سببا وله عند الله حقيقة ولا يمكنه الاخبار عنه لا لقصور في نفسه بل لدقة
المعنى في نفسه عن ان تنالها العبارة وهذا مما تفطن له المواظبون على النظر في المشكلات واما الحال فكم من انسان يدرك في قلبه في الوقت
الذي يصبح قبضا او بسطا ولا يعلم سببه وقد يتفكر الانسان في شيء فيؤثر في نفسه اثرا فينسى ذلك السبب ويبقى الاثر في نفسه وهو
يحس به وقد يكون الحالة التي يحسها سرورا ثبت في نفسه بتفكره في سبب موجب السرور او الحزن فينسى المتفكر فيه ويحس بالاثر
عقيبه وقد يكون تلك الحالة حالة غريبة لا يعرب عنها لفظ السرور والحزن ولا يصادف العبارة مطابقة مفصحة عن المقصود
بل ذوق الشعر الموزون والفرق بينه وبين غير الموزون يختص به بعض الناس دون بعض وهي حالة يدركها صاحب الذوق بحيث
لا يشك فيها اعني التفرقة بين الموزون والمزحف ولا يمكنه التعبير عنها بما يتضح به مقصوده لمن لا ذوق له وفي النفس احوال
غريبة هذا وصفها بل المعاني المشهورة من الحزن والسرور والخوف انما يحصل من السماع عن غناء مفهوم فاما الاوتار
وسائر النغمات التي ليست مفهومة فانها تؤثر في النفس تاثيرا عجيبا ولا يمكن التعبير عن عجائب تلك الآثار وقد يعبر عنه بالشوق ولكن شوق
لا يعرف صاحبه المشتاق اليه فهو عجيب والذي اضطرب قلبه بسماع الاوتار والشاهين وما اشبهه ليس يدري الى ماذا يشتاق

نياق ويجد في نفسه حالة كانها تتقاضى امرا ليس يدري ما هو حتى يقع ذلك للعوام ومن لا يغلب على قلبه لا حب آدمي ولا حب الله
وهذا له سر وهو ان كل شوق فله ركنان احدهما صفة المشتاق وهو نوع مناسبة مع المشتاق اليه والثاني معرفة صورة الوصول
اليه فان وجدت الصفة التي بها الشوق ووجد العلم بصورة المشتاق اليه كان الامر ظاهرا وان لم يوجد العلم بالمشتاق و
وجدت الصفة التي بها الشوق ووجد العلم بصورة المشتاق اليه كان الامر ظاهرا وان لم يوجد العلم بالمشتاق ووجدت الصفة
وحركت تلك الصفة واشتعلت نارها اورث ذلك دهشة وحيرة لا محالة ولو نشأ آدمي وحده بحيث لم ير صورة النساء
ولا عرف صورة الوقاع ثم راهق الحلم وغلبت عليه الشهوة لكان يحس من نفسه بنار الشهوة ولا يدري انه يشتاق الى الوقاع لانه
ليس يدري صورة الوقاع ولا يدري صورة النساء فكذلك في نفس الآدمي مناسبة مع العالم الاعلى واللذات التي وعد بها في سدرة
المنتهى والفراديس العلى الا انه لم يتخيل من هذه الامور الا الصفات والاسماء كالذي سمع لفظ الوقاع واسم النساء ولم يشاهد صورة
امرأة ولا صورة رجل ولا صورة نفسه في المرآة ليعرف بالمقايسة فالسماع يحرك منه الشوق والجهل المفرط والاشتغال بالدنيا
قد انساه نفسه وانساه ربه ومستقره الذي اليه حنينه واشتياقه بالطبع فيتقاضاه قلبه امرا ليس يدري ما هو فيدهش ويتحير ويضطرب
ويكون كالمختنق الذي لا يعرف طريق الخلاص فهذا وامثاله من الاحوال التي لا يدرك تمام حقائقها ولا يمكن المتصف بها ان يعبر عنها
فقد ظهر انقسام الوجد الى ما يمكن اظهاره والى ما لا يمكن واعلم ايضا ان الوجد ينقسم الى هاجم والى متكلف يسمى التواجد و
هذا التواجد المتكلف فمنه مذموم وهو الذي يقصد به الرياء واظهار الاحوال الشريفة مع الافلاس عنها ومنها ما هو محمود
وهو التوصل الى استدعاء الاحوال الشريفة واكتسابها واجتلابها بالحيلة فان للكسب مدخلا في جلب الاحوال الشريفة
ولذلك امر رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يحضره البكاء في قراءة القرآن ان يتباكى ويتحازن فان الاحوال قد تتكلف مباديها ثم تتحقق
اواخرها وكيف لا يكون التكلف سببا في ان يصير المتكلف بالآخرة طبعا وكل من يتعلم القرآن اولا يحفظه تكلفا ويقرؤه تكلفا
مع تمام التامل واحضار الذهن ثم يصير ذلك ديدنا للسان مطردا حتى يجري به لسانه في الصلوة وغيرها وهو غافل فيقرأ تمام
السورة وتثوب نفسه اليها بعد انتهائه الى آخرها ويعلم انه قرأها في حالة غفلته وكذلك الكاتب يكتب في الابتداء بجهد شديد
ثم تتمرن عليه يده فيصير الكتابة له طبعا فيكتب اوراقا وهو مستوفي القلب بفكر آخر فجميع ما يحتمله النفس والجوارح من الصفات
لا سبيل الى اكتسابه الا بالتكلف والتصنع اولا ثم يصير بالعادة طبعا وهو المراد بقول بعضهم العادة طبيعة خامسة
فكذلك الاحوال الشريفة لا ينبغي ان يقع الياس عنها عند فقدها بل ينبغي ان يتكلف اجتلابها بالسماع وغيره فلقد شوهد
في العادات من اشتهى ان يعشق شخصا ولم يكن يعشقه فلم يزل يردد ذكره على نفسه ويديم النظر اليه ويقرر على نفسه الاوصاف
المحبوبة والاخلاق المحمودة فيه حتى عشقه ورسخ ذلك في قلبه رسوخا خرج عن حد اختياره واشتهى بعد ذلك الخلاص منه
ولم يتخلص فكذلك حب الله تعالى والشوق الى لقائه والخوف من سخطه وغير ذلك من الاحوال الشريفة اذا فقدها
الانسان فينبغي ان يتكلف اجتلابها بمجالسة الموصوفين بها ومشاهدة احوالهم وتحسين صفاتهم في النفس وبالجلوس
معهم في السماع وبالدعاء والتضرع الى الله تعالى في ان يرزقه تلك الحالة بان ييسر له اسبابها ومن اسبابها السماع
ومجالسة الصالحين والخائفين والمحبين والمشتاقين والخاشعين فمن جالس شخصا سرت اليه صفاته من حيث لا يدري ويدل
على امكان تحصيل الحب وغيره من الاحوال بالاسباب قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعائه اللهم ارزقني حبك وحب
من احبك وحب من يقربني الى حبك فقد فزع الى الدعاء في طلب الحب فهذا بيان انقسام الوجد الى مكاشفات واحوال

وانقسامه الى ما يمكن الافصاح عنه والى ما لا يمكن وانقسامه الى المتكلف والى المطبوع فان قلت فما بال هؤلاء لا يظهر
وجدهم عند سماع القرآن وهو كلام الله تعالى ويظهر على الغناء وهو كلام الشعراء فلو كان ذلك حقا من لطف الله تعالى ولم يكن
باطلا من غرور الشيطان لكان القرآن اولى به من الغناء فنقول الوجد الحق هو ما ينشأ من فرط حب الله وصدق ارادته والشوق
الى لقائه وذلك يهيج بسماع القرآن ايضا وانما الذي لا يهيج بالقرآن حب الخلق والعشق للمخلوق ويدل على ذلك قوله الا
بذكر الله تطمئن القلوب وقوله تعالى مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله
وكل ما يوجد عقيب السماع في النفس فهو وجد فالطمانينة والاقشعرار والخشية ولين القلب كل ذلك وجد وقد قال
الله تعالى انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم وقال تعالى لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرايته خاشعا متصدعا
من خشية الله فالوجل والخشوع وجد من قبيل الاحوال وان لم يكن من قبيل المكاشفات ولكن يصير سببا للمكاشفات و
التنبيهات ولهذا قال صلى الله عليه وسلم زينوا القرآن باصواتكم وقال لابي موسى لقد اوتي مزمارا من مزامير آل داود واما
الحكايات الدالة على ان ارباب القلوب ظهر عليهم الوجد عند سماع القرآن فكثيرة فقوله صلى الله عليه وسلم شيبتني
سورة هود خبر عن الوجد فان الشيب يحصل من الحزن والخوف وذلك وجد وروي ان ابن مسعود قرأ على رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلما انتهى الى قوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا قال حسبك وكانت عيناه تذرفان
بالدمع وفي رواية انه عليه السلام قرئ عنده ان لدينا انكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا اليما فصعق وفي رواية انه
عليه السلام قرأ ان تعذبهم فانهم عبادك فبكى وكان عليه السلام اذا مر باية رحمة دعا واستبشر والاستبشار وجد وقد اثنى الله تعالى
على اهل الوجد بالقرآن واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق وروي ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان يصلي ولصدره ازيز كازيز المرجل واما ما نقل بالقرآن من الصحابة والتابعين فكثير فمنهم من صعق ومنهم من بكى و
منهم من غشي عليه ومنهم من مات في غشيته سمع عمر رجلا يقرأ قوله تعالى ان عذاب ربك لواقع ما له من دافع فصاح صيحة
وخر مغشيا عليه فحمل الى بيته فلم يزل مريضا في بيته شهرا وروي ان زرارة بن ابي اوفى وكان من التابعين يؤم الناس
بالرقة فقرأ آية فصعق ومات في محرابه وكان ابو جهير من التابعين قرأ عليه صالح المري فشهق ومات وسمع الشافعي رحمه الله
قارئا يقرأ هذا يوم لا ينطقون فخر مغشيا عليه وسمع علي بن الفضيل قارئا يقرأ يوم يقوم الناس لرب العالمين فسقط مغشيا عليه فقال
الفضيل شكر الله لك ما قد علمه منك وكذلك نقل عن جماعة منهم وكذلك الصوفية فقد كان الشبلي في مسجده ليلة من
رمضان وهو يصلي خلف امام له فقرأ الامام ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك فزعق الشبلي زعقة ظن الناس انه طارت
روحه واحمر وجهه وارتعد وكان يقول بمثل هذا تخاطب الاحباب يردد ذلك مرارا وقال الجنيد دخلت على سري السقطي
فرايت بين يديه رجلا قد غشي عليه فقال لي هذا رجل قد سمع آية من القرآن فغشي عليه فقلت اقرؤا عليه تلك الآية فقرئت
فافاق فقال من اين قلت هذا فقلت رايت يعقوب كان عماه من اجل مخلوق فبمخلوق ابصر ولو كان عماه من اجل الحق ما ابصر بمخلوق
وهذا سمع من كلام القديم فحياته بالكلام القديم فاستحسن ذلك ويشير الى ما قاله الجنيد قول الشاعر

وكاس شربت على لذة ... واخرى تداويت منها بها

وقال بعض الصوفية كنت اقرأ ليلة كل نفس ذائقة الموت فجعلت
اردّدها واذا بهاتف يهتف بي كم تردد هذه الآية فقد قتلت اربعة من الجن لم يرفعوا رؤوسهم الى السماء منذ خلقوا وقال ابو علي المغازلي
للشبلي ربما تطرق سمعي آية من كتاب الله فتجذبني الى الاعراض عن الدنيا ثم ارجع الى احوالي والى الناس فلا ابقى على ذلك فقال

ما طرق سمعك من القرآن فاجتذبك به اليه فذلك عطف منه عليك ولطف منه بك واذا ردك الى نفسك
فهو شفقة منه عليك فانه لا يصلح لك الا التبري من الحول والقوة في التوجه اليه وسمع رجل من اهل التصوف قارئا يقرأ
يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية فاستعادها من القارئ وقال كم اقول لها ارجعي وليست ترجع وتواجد
وزعق زعقة فخرجت روحه وسمع بكر بن معاذ قارئا يقرأ وانذرهم يوم الآزفة الآية فاضطرب ثم صاح وقال ارحم
من انذرته ولم يقبل اليك بعد النذير بطاعتك ثم غشي عليه وكان ابراهيم بن ادهم اذا سمع احدا يقرأ اذا السماء انشقت
اضطربت اوصاله حتى كان يرتعد وعن محمد بن صبيح قال يغتسل في الفرات فمر به رجل على الشط يقرأ فاتى على آية
وامتازوا اليوم ايها المجرمون فلم يزل الرجل يضطرب حتى غرق ومات وذكر ان سلمان الفارسي ابصر شابا
يقرأ فاتى على آية فاقشعر جلده فاحبه سلمان وفقده فسأل عنه فقيل له انه مريض فاتاه يعوده فاذا هو في الموت فقال يا
عبد الله ارايت تلك القشعريرة التي كانت مني فانها اتتني في احسن صورة فاخبرتني ان الله تعالى قد غفر لي بها كل ذنب
وبالجملة لا يخلو صاحب القلب يؤثر فيه الكلمة من الحكمة يسمعها قال جعفر الخلدي دخل رجل من اهل خراسان على الجنيد وعنده
جماعة فقال متى يستوي عند العبد حامده وذامه فقال بعض الشيوخ اذا دخل المارستان وقيد بقيدين فقال الجنيد ليس هذا من شأنك
ثم اقبل على الرجل فقال اذا تحقق انه مخلوق فشهق الرجل شهقة ومات فان قلت فان كان سماع القرآن مفيدا للوجد فما لهم
يجتمعون على سماع الغناء من القوالين دون المقرئين وكان ينبغي ان يكون اجتماعهم وتواجدهم في حلق القراء لا حلق المغنين وكان
ينبغي ان يطلب عند كل اجتماع في كل دعوة قارئ لا قوال فان كلام الله افضل من الغناء فاعلم ان الغناء اشد تهييجا للوجد
من القرآن من سبعة اوجه الاول ان جميع آيات القرآن لا يناسب حال المستمع ولا يصلح لفهمه وتنزيله على ما هو ملابس
له فمن استولى عليه حزن او شوق او ندم فمن اين يناسب حاله قوله تعالى يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين
وقوله تعالى والذين يرمون المحصنات وكذلك جميع الآيات التي فيها بيان احكام الميراث والحدود وغيرها وانما المحرك لما
في القلب ما يناسبه والابيات انما يضعها الشعراء اعرابا بها عن احوال القلب فلا يحتاج في فهم الحال منه الى تكلف نعم
من يستولي عليه حالة غالبة قاهرة ولم يبق فيه متسع لغيرها ومعه تيقظ وذكاء ثاقب يتفطن به للمعاني البعيدة من الالفاظ
قد يخرج وجده على كل مسموع كمن يخطر له عند ذكر قوله يوصيكم الله في اولادكم حالة الموت المحوج الى الوصية وان كل انسان
لا بد ان يخلف ماله وولده وهما محبوباه من الدنيا فيترك احد المحبوبين للثاني ويهجرهما جميعا فيغلب عليه الخوف والجزع او يسمع
ذكر الله في قوله يوصيكم الله في اولادكم فيدهش بمجرد الاسم عما قبله وبعده او يخطر له رحمة الله على عباده وشفقته بان تولى
قسم مواريثهم بنفسه نظرا لهم في حياتهم وموتهم فيقول اذا نظر لاولادنا بعد موتنا فلا نشك في انه سينظر لنا فيهيج منه حال الرجاء
ويورثه ذلك استبشارا وسرورا او يخطر له من قوله للذكر مثل حظ الانثيين تفضيل الذكر بكونه رجلا على الانثى وان الفضل
في الآخرة لرجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وان من الهاه غير الله عن الله فهو من الاناث لا من الرجال تحقيقا فيخشى
ان يحجب او يؤخر في نعيم الآخرة كما اخرت الانثى في اموال الدنيا فامثال هذا قد يحرك الوجد ولكن لمن فيه وصفان احدهما حالة غالبة
مستغرقة قاهرة والاخرى تفطن بليغ وتيقظ كامل للتنبه بالامور القريبة على المعاني البعيدة وذلك مما يعز فلاجل
ذلك يفزع الى الغناء الذي هو الفاظ مناسبة للاحوال حتى يتسارع هيجانها روي انه كان ابو الحسين النوري مع جماعة
في دعوة فجرى بينهم مسألة في العلم وابو الحسين ساكت ثم رفع راسه وانشدهم

دبت ورقاء هتوف بالضحى ... ذات شجو صدحت في فنن ... ذكرت إلفا ودهرا صالحا ... فبكت حزنا فهاجت حزني
فبكائي ربما أرقها ... وبكاها ربما أرقني ... ولقد أشكو فما أفهمها ... ولقد تشكو فما تفهمني
غير أني بالجوى أعرفها ... وهي أيضا بالجوى تعرفني ۞ قال فما بقي في القوم أحد إلا قام وتواجد ولم يحصل لهم هذا
الوجد من العلم الذي خاضوا فيه وإن كان العلم حقا وجدا الوجه الثاني أن القرآن محفوظ للأكثرين ومتكرر على الأسماع
والقلوب وكلما سمع أولا عظم أثره في الكرة الثانية يضعف أثره وفي الثالثة يسقط أثره ولو كلف صاحب الوجد
الغالب أن يحضر وجده على بيت واحد على الدوام في مرات متقاربة من الزمان في يوم أو أسبوع لم يمكنه ذلك ولو أبدل
بيتا آخر يجدد له أثرا فإن كان معربا عن عين ذلك المعنى ولكن كون النظم واللفظ غريبا بالإضافة إلى الأول يحرك
النفس وإن كان المعنى واحدا وليس يقدر القارئ على أن يقرأ قرآنا غريبا في كل وقت ودعوة لأن القرآن محصور ولا يمكن
الزيادة عليه وكله محفوظ ومتكرر وإلى ما ذكرناه أشار الصديق رضي الله عنه حيث رأى الأعراب يقدمون فيسمعون
القرآن ويبكون فقال كنا كما كنتم ثم قست قلوبنا فلا تظنن أن قلب الصديق كان أقسى من قلب الأجلاف من الأعراب وأنه
كان أخلى عن حب الله تعالى وحب كلامه من قلوبهم ولكن التكرر على قلبه اقتضى المرون عليه وقلة التأثر به لما حصل له
من الأنس بكثرة سماعه إذ محال في العادة أن يسمع سامع آية لم يسمعها قبل فيبكي ثم يدوم بكاؤه عليها عشرين سنة يرددها
ويبكي ولا يفارق الأول الآخر إلا في كونه غريبا جديدا فلكل جديد لذة ولكل طارئ حلاوة ومع كل مألوف أنس يناقض الصدمة
ولهذا هم عمر رضي الله عنه أن يمنع الناس من كثرة الطواف وقال قد خشيت أن يتهاون الناس بهذا البيت أي يأنسوا به ومن قدم
حاجا فرأى البيت أولا بكى وزعق وربما غشي عليه إذا وقع عليه بصره وقد يقيم بمكة شهرا ولا يحس من ذلك في نفسه بأثر
فإذا المغني يقدر على الأبيات الغريبة في كل وقت ولا يقدر على ذلك في الآيات الوجه الثالث أن لوزن الكلام بذوق
الشعر تأثيرا في النفس فليس الصوت الموزون الطيب كالصوت الطيب الذي ليس بموزون وإنما يوجد الوزن في الشعر دون
الآيات ولو زحف المغني البيت الذي ينشده أو لحن فيه أو مال عن حد تلك الحالة والطريقة في اللحن اضطرب قلب المستمع
وبطل وجده وسماعه ونفر طبعه لعدم المناسبة وإذا نفر الطبع اضطرب القلب وتشوش فالوزن إذا مؤثر فلذلك طاب الشعر
الوجه الرابع أن الشعر الموزون يختلف تأثيره في النفس بالألحان التي تسمى الطرق والدستانات وإنما اختلاف تلك الطرق
بمد المقصور وقصر الممدود والوقف في أثناء الكلام والقطع والوصل فيه على خلاف ما تقتضيه التلاوة حرام أو مكروه وإذا
رتل القرآن كما نزل سقط عنه الأثر الذي سببه وزن الألحان وهو سبب مستقل بالتأثير وإن لم يكن مفهوما كما في الأوتار والمزمار
وسائر الأصوات التي لا تفهم الوجه الخامس أن الألحان الموزونة تعضد وتؤكد بإيقاعات وأصوات أخر موزونة خارج
الحلق كالضرب بالقضيب والدف وغيره لأن الوجد الضعيف لا يستثار إلا بسبب قوي وإنما يقوى بمجموع هذه الأسباب ولكل
واحد حظ في التأثير وواجب أن يصان القرآن عن مثل هذه القرائن لأن صورتها عند عامة الخلق صورة اللهو واللعب
والقرآن جد كله عند كافة الخلق فلا يجوز أن يمزج بالحق المحض ما هو لهو محض عند العامة وصورته صورة اللهو عند
الخاصة وإن كانوا لا ينظرون إليها من حيث إنها لهو بل ينبغي أن يوقر القرآن فلا يقرأ على شوارع الطرق بل في مجلس ساكن
ولا في حال الجنابة ولا على غير طهارة ولا يقدر على الوفاء بحق حرمة القرآن في كل حال فيعدل إلى الغناء الذي لا يستحق هذه
المراقبة والمراعاة ولذلك لا يجوز الضرب بالدف مع قراءة القرآن ليلة العرس وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بضرب

بضرب الدف بالعرس وقال أظهروا النكاح ولو بضرب الغربال أو بلفظ هذا معناه وذلك جائز مع الشعر دون القرآن
ولذلك لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت الربيع بنت معوذ وعندها جوار يغنين فسمع إحداهن تقول وفينا
نبي يعلم ما في غد على وجه الغناء فقال صلى الله عليه وسلم دعي هذا وقولي ما كنت تقولين وهذه شهادة بالنبوة فزجرها
عنها وردها إلى الغناء الذي هو لهو لأن هذا جد محض فلا يقرن بصورة اللهو فإذا يتعذر بسببه تقوية الأسباب
التي بها يصير السماع محركا للقلب فواجب في الاحترام العدول إلى الغناء عن القرآن كما وجب على تلك الجارية العدول
عن شهادة النبوة إلى الغناء الوجه السادس أن المغني قد يغني ببيت لا يوافق حال السامع فيكرهه وينهاه عنه و
يستدعي غيره فليس كل كلام موافقا لكل حال فلو اجتمعوا في الدعوات على القارئ فربما يقرأ آية لا توافق حالهم إذ القرآن
شفاء للناس كلهم على اختلاف الأحوال فآيات الرحمة شفاء الخائف وآيات العذاب شفاء المغرور بالأمن وتفصيل ذلك
مما يطول فإذن لا يؤمن أن لا يوافق المقروء الحال ويكرهه النفس فيتعرض به لخطر كراهة كلام الله تعالى من حيث لا يجد سبيلا
إلى دفعه فالاحتراز عن خطر ذلك حزم بالغ وحتم واجب إذ لا يجد الخلاص عنه إلا بتنزيله على وفق حاله ولا يجوز تنزيل
كلام الله تعالى إلا على ما أراده الله وأما قول الشاعر فيجوز تنزيله على غير مراده ففيه خطر الكراهة أو خطر التأويل
الخطأ لموافقة الحال فيجب توقير الله وصيانته عن ذلك هذا ما ينقدح في علة انصراف الشيوخ إلى سماع الغناء عن سماع
القرآن وفي حالة الجمع والاتفاق وههنا وجه سابع ذكره أبو نصر السراج الطوسي في الاعتذار عن ذلك فقال القرآن كلام
الله تعالى وصفة من صفاته وهو حق لا تطيقه البشرية لأنه غير مخلوق فلا تطيقه الصفات المخلوقة ولو كشف للقلوب
ذرة من معناه وهيبته لتصدعت ودهشت وتحيرت والألحان الطيبة مناسبة للطباع ونسبتها نسبة الحظوظ لا
نسبة الحقوق والشعر نسبته نسبة الحظوظ فإذا علقت الألحان والأصوات بما في الأبيات من الإشارات واللطائف شاكل
بعضها بعضا فكان أقرب إلى الحظوظ وأخف على القلوب لمشاكلة المخلوق المخلوق فما دامت البشرية باقية ونحن بصفاتنا وحظوظنا
نتنعم بالنغمات الشجية والأصوات الطيبة فانبساطنا لمشاهدة بقاء هذه الحظوظ إلى القصائد أولى من انبساطنا إلى كلام الله
الذي هو صفته وكلامه الذي منه بدأ وإليه يعود هذا حاصل المقصود من كلامه واعتذاره وقد حكي عن أبي الحسين الدراج
أنه قال قصدت يوسف بن الحسين الرازي من بغداد للزيارة والسلام فلما دخلت الري كنت أسأل عنه فكل قال إيش تعمل
بذلك الزنديق فضيقوا صدري حتى عزمت على الانصراف ثم قلت في نفسي قد جئت هذا الطريق كله فلا أقل من أن أراه
فلم أزل أسأل عنه حتى دخلت عليه في مسجد وهو قاعد في المحراب وبين يديه رجل بيده مصحف وهو يقرأ وإذا
شيخ بهي حسن الوجه واللحية فسلمت فأقبل علي فقال من أين أقبلت من بغداد فقال وما الذي جاء بك فقلت قصدتك
للسلام عليك فقال لو أن في بعض هذه البلدان قال لك إنسان أقم عندنا حتى نشتري لك دارا وجارية كان يقعدك
ذلك عن المجيء فقلت ما امتحنني الله بشيء من ذلك ولو امتحنني ما كنت أدري كيف أكون ثم قال أتحسن أن تقول شيئا فقلت
نعم فابتدأت أقول ... رأيتك تبني دائبا في قطيعتي ... ولو كنت ذا حزم لهدمت ما تبني ... كأني بكم والليت أفضل قولكم
ألا ليتنا كنا إذ الليت لا تغني ... قال فأطبق المصحف ولم يزل يبكي حتى ابتلت لحيته وابتل ثوبه حتى رحمته أنا من كثرة
بكائه ثم قال يا بني تلوم أهل الري يقولون أنا زنديق من صلاة هو ذا أقرأ من المصحف لم تقطر من عيني قطرة وقد قامت علي
القيامة بهذين البيتين فإذا القلوب وإن كانت محترقة في حب الله تعالى فإن البيت الغريب يهيج منها ما لا تهيج تلاوة

القرآن وذلك لوزن الشعر ومشاكلته للطباع ولكونه مشاكلا للطبع اقتدر البشر على نظم الشعر واما القرآن
فنظمه خارج عن اساليب الكلام ومنهاجه وهو لذلك معجز لا يدخل في قوة البشر لعدم مشاكلته لطبعه وروي ان اسرافيل
استاذ ذي النون المصري دخل عليه رجل فرآه وهو ينكت الارض باصبعه ويترنم ببيت فقال هل تحسن تترنم بشيء فقال لا
فقال انت بلا قلب اشارة الى ان من له قلب وعرف طباعه علم انه تحركه الابيات والنغمات تحريكا لا يصادف في غيره
فيتكلف طريق التحريك اما بصوت نفسه او غيره فقد ذكرنا حكم المقام الاول في المسموع وثمرته وحكم الثاني في الوجد الذي
نصادفه هل تحسن سهم في القلب فلنذكر الآن اثر الوجد اعني ما يترشح منه الى الظاهر من بكاء وضعف وبكاء وحركة وتمزيق ثوب وغيره
فنقول المقام الثالث من السماع نذكر فيه آداب السماع ظاهرا وباطنا وما يحمد من آثار الوجد وما يذم اما
الآداب فهي خمس جمل الاول مراعاة الزمان والمكان والاخوان قال الجنيد السماع يحتاج الى ثلاثة اشياء والا فلا
يسمع الزمان والمكان والاخوان ومعناه ان الاشتغال به في وقت حضور طعام او خصام او صلاة او صارف من الصوارف
مع اضطراب القلب لا فائدة فيه فهذا معنى مراعاة الزمان فيراعي حالة فراغ القلب والمكان قد يكون شارعا مطروقا او موضعا
كريه الصورة او فيه سبب يشغل القلب فيجتنب ذلك واما الاخوان فسببه انه اذا حضر غير الجنس من منكر السماع متزهد
الظاهر مفلس عن لطائف القلوب كان مستثقلا في المجلس واشتغل القلب به وكذا اذا حضر متكبر من اهل الدنيا يحتاج
الى مراقبته ومراعاته او متكلف متواجد من اهل التصوف يرائي بالوجد والرقص وتمزيق الثوب فكل ذلك مشوشات فترك السماع
عند فقد هذه الشروط اولى ففي هذه الشروط نظر للمستمع الثاني وهو نظر للحاضرين ان الشيخ اذا كان حوله مريدون
يضرهم السماع فلا ينبغي ان يسمع في حضورهم فان سمع فليشغلهم بشغل آخر والمريد الذي يستضر بالسماع احد ثلاثة واقلهم
درجة هو الذي لم يدرك من الطريق الا الاعمال الظاهرة ولم يكن له ذوق السماع فاشتغاله بالسماع اشتغال بما لا يعنيه
فانه ليس من اهل اللهو فيلهو ولا من اهل الذوق فيتنعم بذوق السماع فليشتغل بذكر او خدمة والا فهو تضييع لزمانه
الثاني هو الذي له ذوق السماع ولكن فيه بقية من الحظوظ والالتفات الى الشهوات والصفات البشرية ولم ينكسر
انكسارا يؤمن غوائله فربما يهيج السماع منه داعية اللهو والشهوة فيقطع عليه طريقه ويصده عن الاستكمال الثالث
ان يكون قد انكسرت شهوته وامنت غائلته وانفتحت بصيرته واستولى على قلبه حب الله ولكنه لم يحكم ظاهر العلم ولم يعرف اسماء الله
وصفاته وما يجوز عليه وما يستحيل فاذا فتح له باب السماع نزل المسموع في حق الله تعالى على ما يجوز وما لا يجوز فيكون
ضرره من تلك الخواطر التي هي كفر اعظم من نفع السماع قال سهل كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فهو باطل فلا
يصلح السماع لمثل هذا ولا لمن قلبه بعد ملوث بحب الدنيا او شهوة المحمدة والثناء ولا لمن يسمع لاجل التلذذ والاستطابة
بالطبع فيصير ذلك عادة له ويشغله ذلك عن عبادته ومراعاة قلبه وينقطع عليه طريقه فالسماع مزلة قدم يجب حفظ الضعفاء
عنه قال الجنيد رأيت ابليس في النوم فقلت له هل تظفر من اصحابنا بشيء قال نعم في وقتين وقت السماع ووقت النظر
فاني ادخل عليهم فقال بعض الشيوخ لو رأيته انا لقلت ما احمقك من سمع منه اذا سمع ونظر اليه اذا نظر كيف تظفر به قال
الجنيد صدقت الادب الثاني ان يكون مصغيا الى ما يقول له القائل حاضر القلب قليل الالتفات الى الجوانب متحرزا
من النظر الى وجوه المستمعين وما يظهر عليهم من احوال الوجد مشتغلا بنفسه ومراعاة قلبه ومراقبة ما يفتح الله له من
رحمته في سره متحفظا عن حركة تشوش على اصحابه قلوبهم بل يكون ساكن الظاهر هادي الاطراف متحرزا عن التنحنح والتثاؤب

والتثاؤب ويجلس مطرقا راسه كجلوسه في فكر مستغرق لقلبه متماسكا عن التصفيق والرقص وسائر الحركات على وجه التصنع
والتكلف والمراءاة ساكتا عن النطق في اثناء القول بكل ما عنه بد فان غلبه الوجد وحركه بغير اختياره فهو فيه معذور غير ملوم
ومهما رجع اليه الاختيار فليعد الى هدوه وسكونه ولا ينبغي ان يستديمه حياء من ان يقال انقطع وجده على القرب ولا ان يتواجد
خوفا من ان يقال هو قاسي القلب عديم الصفاء والرقة حكي ان شابا كان يصحب الجنيد فكان اذا سمع شيئا من الذكر يزعق فقال له الجنيد
يوما ان فعلت ذلك مرة اخرى لم تصحبني فكان بعد ذلك يضبط نفسه حتى يقطر من كل شعرة منه قطرة ولا يزعق فحكي انه يختنق يوما
لشدة ضبطه نفسه فشهق شهقة فانشق فؤاده وتلفت نفسه وروي ان موسى عليه السلام قص في بني اسرائيل فمزق واحد منهم ثوبه او
قميصه فاوحى الله تعالى الى موسى قل له مزق لي قلبك ولا تمزق ثيابك وقال ابو القاسم النصراباذي لابي عمرو بن نجيد انا
اقول اذا اجتمع القوم فيكون معهم قوال يقول خير من ان يغتابوا فقال ابو عمرو الرياء في السماع وهو ان ترى من نفسك حالا
ليست فيك شر من ان تغتاب ثلثين سنة او نحو ذلك فان قلت الافضل هو الذي لا يحركه السماع ولا يؤثر في ظاهره او الذي يظهر
عليه فاعلم ان عدم الظهور تارة يكون لضعف الوارد من الوجد فهو نقصان وتارة يكون مع قوة الوجد في الباطن ولكن
لكمال القوة على ضبط الجوارح وهو كمال وتارة يكون لكون حال الوجد ملازما ومصاحبا في الاحوال كلها فلا يتبين للسماع مزيد تاثير
وهو غاية الكمال فان صاحب الوجد في غالب الاحوال لا يدوم وجده فمن هو في وجد دائم فهو المرابط للحق والملازم لعين الشهود
فهذا لا يغيره طوارق الاحوال ولا يبعد ان يكون الاشارة بقول الصديق رضي الله عنه كنا كما كنتم ثم قست قلوبنا واشتدت
فصارت تطيق ملازمة الوجد في كل الاحوال فنحن في سماع معاني القرآن على الدوام فلا يكون القرآن جديدا في حقنا
طارئا علينا حتى نتاثر به فاذا قوة الوجد تحرك وقوة العقل والتماسك تضبط الظواهر وقد يغلب احدهما على الآخر اما لشدة قوته
واما لضعف ما يقابله ويكون النقصان والكمال بقدر ذلك فلا تظنن ان الذي يضطرب بنفسه على الارض اتم وجدا من الساكن
باضطرابه بل رب ساكن اتم وجدا من المضطرب فقد كان الجنيد يتحرك في السماع في بدايته ثم صار لا يتحرك فقيل له في ذلك فقال وترى
الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي اتقن كل شيء اشارة الى ان القلب مضطرب جائل في الملكوت والجوارح متادبة
في الظاهر ساكنة وقال ابو الحسين محمد بن احمد بن عبد الله وكان بالبصرة صحبت سهل بن عبد الله ستين سنة فما رايته تغير عند شيء كان
يسمعه من الذكر والقرآن فلما كان في آخر عمره قرأ رجل بين يديه فاليوم لا يؤخذ منكم فدية الآية فرايته قد ارتعد وكاد يسقط فلما
عاد الى حاله سألته عن ذلك فقال نعم يا حبيبي قد ضعفنا وكذلك سمع مرة قوله تعالى الملك يومئذ الحق للرحمن فاضطرب
فسأله ابن سالم وكان من اصحابه فقال قد ضعفت فقيل له فان كان هذا من الضعف فما قوة الحال فقال ان لا يرد عليه وارد الا وهو
يبتلعه بقوة حاله فلا تغيره الواردات وان كان قويا وسبب القدرة على ضبط الظاهر مع وجود الوجد استواء الاحوال
بملازمة الشهود كما حكي عن سهل انه قال حالي قبل الصلوة وبعدها واحد لانه كان مراعيا للقلب حاضر الذكر مع الله في كل
حال فكذلك يكون قبل السماع وبعده اذ يكون وجده دائما وعطشه متصلا وشربه مستمرا بحيث لا يؤثر السماع في زيادته كما
ان ممشاد الدينوري اشرف على جماعة فيهم قوال فسكتوا فقال ارجعوا الى ما كنتم فيه فلو جمعت ملاهي الدنيا في اذني ما شغل
همي ولا شفى بعض ما بي وقال الجنيد لا يضر نقصان الوجد مع فضل العلم وفضل العلم اتم من فضل الوجد فان قلت فمثل هذا
لم يحضر السماع فاعلم ان من هؤلاء من ترك السماع في كبره وكان لا يحضر الا نادرا لمساعدة اخ من الاخوان وادخالا للسرور على
قلبه وربما حضر ليعرف القوم كمال قوته فيعلمون انه ليس الكمال بالوجد الظاهر فيتعلمون ضبط الظاهر عن التكلف وان لم يقدروا

على الاقتداء به في صبره وثباته طبعاً وان اتفق حضورهم مع غير ابناء جنسهم فيكونون معهم بابدانهم بائنين عنهم بقلوبهم وبواطنهم
كما يجلسون في غير سماع مع غير جنسهم باسباب عارضة تقتضي الجلوس وبعض من نقل عنه ترك السماع وظن انه كرهه كان
سببه تركه استغناءه عن السماع بما ذكرناه وبعضهم كان من الزهاد ولم يكن له حظ روحاني في السماع ولا كان من اهل اللهو فتركه لئلا
يكون مشغولاً بما لا يعنيه وبعضهم تركه لفقد الاخوان قيل لبعضهم لم لا تسمع فقال ممن ومع من **الادب الرابع**
ان لا يقوم ولا يرفع صوته بالبكاء وهو يقدر على ضبط نفسه ولكن ان رقص وتباكى فهو مباح اذا لم يقصد به المراآة لان التباكي
استجلاب للحزن والرقص سبب في تحريك السرور والنشاط فكل سرور مباح فيجوز تحريكه ولو كان ذلك حراماً لما نظرت عائشة
رضي الله عنها الى الحبشة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يزفنون هذا لفظ عائشة في بعض الروايات وقد روي عن جماعة
من الصحابة انهم حجلوا لما ورد عليهم سرور اوجب ذلك وذلك في قصة ابنة حمزة لما اختصم فيها علي بن ابي طالب واخوه
جعفر وزيد بن حارثة رضي الله عنهم فتشاحوا في تربيتها فقال صلى الله عليه وسلم لعلي انت مني وانا منك فحجل علي وقال
لجعفر اشبهت خلقي وخلقي فحجل ايضاً وراء حجل علي وقال لزيد انت اخونا ومولانا فحجل وراء حجل جعفر ثم قال عليه السلام لجعفر
لان خالتها تحته والخالة والدة وفي بعض الروايات لها وذلك يفرح شوق فحكمه حكم مهيجه ان كان فرحه محموداً و
الرقص يزيده ويؤكده فهو محمود وان كان مباحاً فهو مباح وان كان مذموماً فهو مذموم نعم لا يليق اعتياد ذلك بمناصب الاكابر واهل
القدوة لانه في الاكثر يكون عن لهو ولعب وماله صورة اللعب واللهو في اعين الناس فينبغي ان يجتنبه المقتدى به لئلا يصغر في
اعين الخلق فيترك الاقتداء به واما تخريق الثوب فلا رخصة فيه الا عند خروج الامر عن الاختيار ولا يبعد ان يغلب الوجد
بحيث يمزق ثوبه وهو لا يدري لغلبة سكر الوجد عليه او يدري ولكن يكون كالمضطر الذي لا يقدر على ضبط نفسه ويكون صورته
صورة المكره اذ يكون له في الحركة او التمزيق متنفس فيضطر اليه اضطرار المريض الى الانين ولو كلف الصبر عنه لم يقدر عليه
مع انه فعل اختياري فليس كل فعل حصوله بالارادة يقدر الانسان على تركه والتنفس فعل يحصل بالارادة ولو كلف الانسان نفسه ان
يمسك النفس ساعة لاضطر من باطنه الى ان يختار التنفس فكذلك الزعقة وتمزيق الثياب قد يكون كذلك فهذا لا يوصف بالتحريم فقد
ذكر عند السري حديث الوجد الحاد الغالب فقال نعم يضرب وجهه بالسيف وهو لا يدري فروجع فيه واستبعد ان ينتهي
الى هذا الحد فاصر عليه فلم يرجع ومعناه انه ينتهي في بعض الاحوال الى هذا الحد في بعض الاشخاص فان قلت فما تقول في
تمزيق الصوفية الثياب الجديدة بعد سكون الوجد والفراغ من السماع فانهم يمزقونها قطعاً صغاراً ويفرقونها على القوم ويسمونها
الخرقة فاعلم ان ذلك مباح اذا قطع قطعاً مربعة تصلح لترقيع الثياب والسجادات فان الكرباس يمزق حتى يخاط منه القميص
ولا يكون ذلك تضييعاً لانه تمزيق لغرض وكذلك ترقيع الثياب لا يمكن الا بالقطع الصغار وذلك مقصود والتفرقة على الجمع
والتفرقة على الجميع ليعم ذلك الخير مقصود الكل فهو مباح ولكل مالك ان يقطع كرباسه عشر قطع ويعطيه لعشرة مساكين ولكن
ينبغي القطع بحيث يمكن الانتفاع بها في الرقاع وانما منعنا في السماع تمزيق الثوب للتقطيب الذي يهلك بعضه بحيث لا يبقى منتفعاً
فهو تضييع محض لا يجوز بالاختيار **الادب الخامس** موافقة القوم في القيام اذا قام واحد وقام له الجماعة فلابد
من الموافقة فذلك من آداب الصحبة وكذلك ان جرت عادة طائفة بتنحية العمامة على موافقة صاحب الوجد اذا سقطت عمامته
او خلع الثياب اذا خلع ثوبه بالتخريق فالموافقة في هذه الامور من حسن الصحبة والعشرة اذ المخالفة موحشة ولكل قوم رسم ولابد
من مخالقة الناس باخلاقهم كما ورد في الخبر لا سيما اذا كانت اخلاقاً فيها حسن العشرة والمجاملة وتطييب القلوب بالمساعدة

بالمساعدة وقول القائل ان ذلك بدعة لم تكن في الصحابة فليس كل ما يحكم باباحته منقولاً عن الصحابة وانما المحذور بدعة تراغم
سنة مأمورة بها ولم ينقل النهي عن شيء من هذا والقيام عند الدخول للداخل لم يكن من عادة العرب بل كان الصحابة لا يقومون
لرسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الاحوال كما رواه انس ولكن اذا لم يثبت فيه نهي عام فلا نرى به باساً في البلاد التي جرت
العادة فيها باكرام الداخل بالقيام فان القصد من القيام الاحترام والاكرام وتطييب القلب به وكذلك سائر
انواع المساعدة اذا قصد بها طيبة القلب واصطلح عليه جماعة فلا باس بمساعدتهم عليها بل الاحسن المساعدة الا فيما ورد فيه
نهي لا يقبل التأويل ومن الادب ان لا يقوم للرقص مع القوم ان كان يستثقل رقصه ولا يشوش عليهم احوالهم اذ الرقص من غير
اظهار التواجد مباح والمتواجد هو الذي يلوح للجمع منه اثر التكلف ومن يقوم عن صدق لا يستثقله الطباع فقلوب
الحاضرين اذا كانوا من ارباب القلوب محك للصدق والتكلف سئل بعضهم عن الوجد الصحيح فقال صحته قبول قلوب
الواجدين له اذا كانوا اشكالاً لا غير اضداد فان قلت فما بال الطباع تنفر عن الرقص ويسبق الى الاوهام انه باطل ولهو
ومخالف للدين فلا يراه ذو جد في الدين الا وينكره فاعلم ان الجد لا يزيد على جد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد رأى
الحبشة يزفنون في المسجد وما انكره لما كان في وقت لائق به وهو العيد ومن شخص لائق به وهم الحبشة نعم نفرة الطباع
عنه لانه يرى غالباً مقروناً باللهو واللعب واللهو واللعب مباح ولكن للعوام والزنوج والحبشة ومن اشبههم وهو مكروه
لذوي المناصب لانه لا يليق بهم وما كره لكونه غير لائق بمنصب ذي المنصب فلا يجوز ان يوصف بالتحريم فمن سأل فقيراً شيئاً
فاعطاه رغيفاً او رغيفين كان ذلك منكراً عند الناس كافة ومكتوباً في تواريخ الاخبار من جملة مساويه ويعير به
اعقابه واشياعه ومع هذا فلا يجوز ان يقال ما فعله حرام لانه من حيث انه اعطاء خبز لفقير حسن وكذلك الرقص
ومن حيث انه بالاضافة الى منصبه كالمنع بالاضافة الى الفقير مستقبح فكذلك الرقص وما يجري مجراه من المباحات
ومباحات العوام سيئات الابرار وحسنات الابرار سيئات المقربين ولكن هذا من حيث الالتفات الى المناصب فاما اذا
نظر اليه في نفسه وجب الحكم بانه في نفسه لا تحريم فيه والله اعلم فقد خرج من تفصيل السابق ان السماع قد يكون حراماً
محضاً وقد يكون مباحاً وقد يكون مستحباً وقد يكون مكروهاً اما الحرام فهو لاكثر الناس من الشبان
ومن غلبت عليهم شهوة الدنيا فلا يحرك السماع منهم الا ما هو الغالب على قلوبهم من الصفات
المذمومة واما المكروه فهو لمن لا ينزله على صورة المخلوقين ولكنه يتخذه عادة
في اكثر الاوقات على سبيل اللهو واما المباح فهو لمن لا حظ له
منه الا التلذذ بالصوت الحسن واما المندوب
فهو لمن غلب عليه حب الله ولم يحرك
منه الا الصفات المحمودة
والله اعلم
تم

تم كتاب آداب الوجد والسماع بحمد الله وحسن توفيقه والحمد لله على نعمه التي لا تحصى ونعمه التي لا تنسى
وصلى الله وسلم وبارك على النبي المؤيد عبده ورسوله ابي القاسم محمد وعلى آله واصحابه الى الابد ويتلوه كتاب الامر بالمعروف

كتاب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو التاسع من ربع العادات

بسم الله الرحمن الرحيم الملك القديم

الحمد لله الذي لا يستفتح الكتب الا بحمده ولا تستمنح النعم الا بواسطة كرمه ورفده والصلوة على سيد الانبياء محمد رسوله وعبده وعلى آله الطيبين واصحابه الطاهرين من بعده اما بعد فان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الاعظم في الدين وهو المهم الذي ابتعث الله تعالى له النبيين اجمعين ولو طوي بساطه واهمل علمه وعمله لتعطلت النبوة واضمحلت الديانة وعمت الفترة وفشت الضلالة وشاعت الجهالة واستشرى الفساد واتسع الخرق وخربت البلاد وهلك العباد وان لم يشعروا بالهلاك الا يوم التناد وقد كان الذي خفنا ان يكون انا لله وانا اليه راجعون اذ قد اندرس من هذا القطب عمله وعلمه وانمحى بالكلية حقيقته ورسمه واستولت على القلوب مداهنة الخلق وانمحت عنها مراقبة الخالق واسترسل الناس في اتباع الهوى والشهوات استرسال البهائم وعز على بساط الارض مؤمن صادق لا تأخذه في الله لومة لائم فمن سعى في تلافي هذه الفترة وسد هذه الثلمة اما متكفلا بعملها او متقلدا لتنفيذها مجددا لهذه السنة الداثرة ناهضا باعبائها ومتشمرا في احيائها كان مستأثرا من بين الخلق باحياء سنة افضى الزمان الى اماتتها ومستبدا بقربة تتضاءل درجات القرب دون ذروتها وها نحن نشرح علمه في اربعة ابواب الباب الاول في وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وفضيلته الباب الثاني في اركانه وشروطه الباب الثالث في مجاريه وبيان المنكرات المألوفة في العادة الباب الرابع في امر الامراء والسلاطين بالمعروف ونهيهم عن المنكر

الباب الاول في وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وفضيلته

والمذمة في اهماله وبدل عليه بعد اجماع الامة عليه واشارات العقول السليمة اليه الآيات والاخبار والآثار اما الآيات فقوله تعالى ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون ففي الآية بيان الايجاب فان قوله ولتكن امر وظاهر الامر الايجاب وفيها بيان ان الفلاح منوط به اذ حصر وقال واولئك هم المفلحون وفيها بيان انه فرض كفاية لا فرض عين وانه اذا قام به امة سقط الفرض عن الآخرين اذ لم يقل كونوا كلكم آمرين بالمعروف بل قال ولتكن منكم امة يدعون فاذا مهما قام به واحد او جماعة سقط الحرج عن الآخرين واختص الفلاح بالقائمين به المباشرين وان تقاعد الخلق اجمعون عم الحرج كافة القادرين عليه لا محالة وقال تعالى ليسوا سواء من اهل الكتاب امة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات

واولئك من الصالحين فلم يشهد لهم بالصلاح بمجرد الايمان بالله واليوم الآخر حتى اضاف اليه الامر بالمعروف وقال تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلوة فقد نعت المؤمنين بانهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فالذي هجر الامر بالمعروف خارج عن هؤلاء المؤمنين المنعوتين في هذه الآية وقال تعالى لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون وهذا غاية التشديد اذ علق استحقاقهم اللعنة بتركهم النهي عن المنكر وقال تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وهذا يدل على فضيلة الامر بالمعروف اذ بين انهم كانوا به خير امة وقال فلما نسوا ما ذكروا به انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون فبين انهم استفادوا النجاة بالنهي عن السوء ويدل ذلك على الوجوب ايضا وقال تعالى الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلوة وآتوا الزكوة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر فقرن ذلك بالصلوة والزكوة في نعت الصالحين والمؤمنين وقال تعالى وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان وهذا امر جزم ومعنى التعاون الحث عليه وتسهيل طرق الخير وسد سبل الشر والعدوان بحسب الامكان وقال تعالى لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون فبين انهم اثموا بترك النهي عن المنكر وقال تعالى فلولا كان من القرون من قبلكم اولوا بقية ينهون عن الفساد الآية فبين انه اهلك جميعهم الا قليلا منهم كانوا ينهون عن الفساد وقال تعالى يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين وذلك هو الامر بالمعروف للوالدين والاقربين وقال تعالى لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما وقال تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما الآية والاصلاح نهي عن البغي واعادة الى الطاعة فان لم يفعل فقد امر الله بقتاله فقال فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء وذلك هو النهي عن المنكر واما الاخبار فمنها ما روي عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه قال في خطبة خطبها ايها الناس انكم تقرؤن هذه الآية وتؤولونها على خلاف تأويلها يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من قوم عملوا بالمعاصي وفيهم من يقدر ان ينكر عليهم فلم يفعل الا يوشك ان يعمهم الله تعالى بعذاب من عنده وروي عن ابي ثعلبة الخشني انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله لا يضركم من ضل اذا اهتديتم فقال يا ثعلبة مر بالمعروف وانه عن المنكر فاذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا واعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بنفسك ودع العوام ان من ورائكم فتنا كقطع الليل المظلم للمتمسك فيها بمثل الذي انتم عليه اجر خمسين منكم قيل بل منهم يا رسول الله قال بل منكم لانكم تجدون على الخير اعوانا ولا يجدون عليه اعوانا وسئل ابن مسعود عن تفسير هذه الآية فقال ان هذا ليس زمانها انها اليوم مقبولة ولكن قد اوشك ان يأتي زمانها تأمرون بالمعروف فيصنع بكم كذا وكذا وتقولون فلا يقبل منكم فحينئذ عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليسلطن الله عليكم شراركم ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم معناه تسقط مهابتهم عن اعين الاشرار فلا يهابونهم وقال صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس ان الله تعالى يقول لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر قبل ان تدعوا فلا يستجيب لكم وقال صلى الله عليه وسلم ما اعمال البر عند الجهاد في سبيل الله الا كنفثة في بحر لجي وما جميع اعمال البر والجهاد في سبيل الله عند الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الا كنفثة في بحر لجي وقال صلى الله عليه وسلم

ان الله ليسأل العبد ما منعك اذا رايت المنكرات ان تنكرها فاذا لقن الله تعالى العبد حجته قال يا رب وثقت بك وفرقت من
الناس وقال صلى الله عليه وسلم اياكم والجلوس على الطرقات قالوا ما لنا بد منها انما مجالسنا نتحدث فيها قال فاذا
ابيتم الا ذلك فاعطوا الطريق حقه قالوا وما حق الطريق قال غض البصر وكف الاذى ورد السلام والامر بالمعروف والنهي
عن المنكر وقال صلى الله عليه وسلم كلام ابن آدم كله عليه لا له الا امرا بمعروف او نهيا عن منكر او ذكر الله وقال
وقال صلى الله عليه وسلم ان الله لا يعذب الخاصة بذنوب العامة حتى يرى المنكر بين اظهرهم وهم قادرون على ان ينكروه فلا ينكرونه
وروى ابو امامة الباهلي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كيف انتم اذا طغى نساؤكم وفسق شبابكم وتركتم جهادكم قالوا
وان ذلك لكائن يا رسول الله قال والذي نفسي بيده واشد منه سيكون قالوا وما اشد منه يا رسول الله قال كيف انتم اذا
لم تامروا بمعروف ولم تنهوا عن منكر قالوا وكائن ذلك يا رسول الله قال نعم والذي نفسي بيده واشد قالوا وما اشد منه
قال كيف انتم اذا رايتم المعروف منكرا ورايتم المنكر معروفا قالوا وكائن ذلك يا رسول الله قال نعم والذي نفسي بيده
واشد منه سيكون قالوا وما اشد منه يا رسول الله قال كيف انتم اذا امرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف قالوا وكائن
ذلك يا رسول الله قال نعم والذي نفسي بيده واشد منه سيكون يقول الله تعالى بي حلفت لاتيحن لهم فتنة يصير الحليم
فيها حيران وعن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقفن عند رجل يقتل مظلوما فان اللعنة
تنزل على من حضره قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لامرئ شهد مقاما فيه حق الا تكلم به فانه لن يقدم اجله
ولن يحرمه رزقا هو له وهذا الحديث يدل على انه لا يجوز دخول دور الظلمة والفسقة ولا حضور المواضع التي يشاهد المنكر
فيها ولا يقدر على تغييره فانه قال اللعنة تنزل على من حضر ولا يجوز له مشاهدة المنكر من غير حاجة اعتذارا بانه عاجز ولهذا
اختار جماعة من السلف العزلة لمشاهدتهم المنكرات في الاسواق والاعياد والمجامع وعجزهم عن التغيير وهذا يقتضي لزوم
الهجرة للخلق ولهذا قال عمر بن عبد العزيز ما ساح السواح وخلوا دورهم واولادهم الا لمثل ما نزل بنا او الشر قد ظهر
والخير اندرس وراوا انه لا يقبل ممن تكلم وراوا الفتن ولم يامنوا ان تعتريهم وان ينزل العذاب باولئك القوم فلا يسلمون
منه فراوا ان مجاورة السباع واكل البقول خير من مجاورة هؤلاء في نعيمهم ثم قرأ ففروا الى الله اني لكم منه نذير مبين قال
ففر قوم فلولا ما جعل الله جل ثناؤه في النبوة لقلنا ما هم بافضل من هؤلاء فيما بلغنا ان الملائكة لتلقاهم وتصافحهم والسباع
والسحاب تمر باحدهم فيناديها فتجيبه ويسالها اين امرت فتخبره وليس بنبي وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه
من حضر معصية وكرهها فكانه غاب عنها ومن غاب عنها واحبها فكانه حضرها ومعنى الحديث ان يحضر لحاجة او يتفق جريان ذلك بين يديه
فاما الحضور قصدا فممنوع بدليل الحديث الاول وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بعث الله نبيا الا
وله حواري فيمكث النبي بين اظهرهم ما شاء الله يعمل فيهم بكتاب الله وبامره حتى اذا قبض الله نبيه مكث الحواريون يعملون بكتاب
الله تعالى وبامره وسنة نبيهم فاذا انقرضوا كان من بعدهم قوم يركبون رؤوس المنابر يقولون ما يعرفون ويعملون ما ينكرون
فاذا رايتم ذلك فحق على كل مؤمن جهادهم بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وليس وراء ذلك اسلام وقال
ابن مسعود كان اهل قرية يعملون بالمعاصي وكان فيهم اربعة نفر ينكرون ما يعملون فقام احدهم فقال انكم تعملون كذا وكذا فجعل
ينهاهم ويخبرهم بقبيح ما يصنعون فجعلوا يردون عليه ولا يرعوون عن اعمالهم فسبهم فسبوه وقاتلهم فغلبوه فاعتزل وقال
اللهم اني نهيتهم فعصوني وسببتهم فسبوني وقاتلتهم فغلبوني ثم ذهب ثم قام الآخر فنهاهم فلم يطيعوه فسبهم فسبوه فاعتزل

فاعتزل ثم قال اللهم اني نهيتهم فلم يطيعوني وسببتهم فسبوني ولو قاتلتهم غلبوني ثم قال الثالث فنهاهم فلم يطيعوه
فاعتزل ثم قال اللهم اني قد نهيتهم فلم يطيعوني ولو سببتهم لسبوني ولو قاتلتهم غلبوني ثم قام الرابع وقال اللهم
اني لو نهيتهم لعصوني ولو سببتهم لسبوني ولو قاتلتهم غلبوني ثم ذهب قال ابن مسعود وكان الرابع ادناهم منزلة و
قليل فيكم مثله وقال ابن مسعود قيل يا رسول الله اتهلك القرية وفيها الصالحون قال نعم قال بم يا رسول الله قال بتهاونهم
وسكوتهم عن معاصي الله عز وجل وقال جابر بن عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اوحى الله تعالى الى ملك من
الملائكة اقلب مدينة كذا وكذا على اهلها قال فقال يا رب ان فيهم عبدك فلانا لم يعصك طرفة عين فقال اقلبها عليه و
عليهم فان وجهه لم يتمعر في ساعة قط وقالت عائشة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عذب اهل قرية فيها ثمانية عشر
الفا عملهم عمل الانبياء قالوا يا رسول الله كيف قال لم يكونوا يغضبون لله ولا يامرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر وعن عروة
عن ابيه قال قال موسى صلى الله عليه يا رب اي عبادك احب اليك قال الذي يتسرع الى هواي كما يتسرع النسر الى هواه
والذي يكلف بعبادي الصالحين كما يكلف الصبي بالثدي والذي يغضب اذا اتيت محارمي كما يغضب النمر لنفسه فان النمر اذا
غضب لنفسه لم يبال قل الناس ام كثروا وهذا يدل على فضيلة الحسبة مع شدة الخوف وقال ابو ذر الغفاري قال ابو بكر
الصديق رضي الله عنهما يا رسول الله هل من جهاد غير قتال المشركين فقال صلى الله عليه وسلم نعم يا ابا بكر ان لله مجاهدين
في الارض افضل من الشهداء احياء يرزقون يمشون على الارض يباهي الله بهم ملائكة السماء وتزين لهم الجنة كما تزينت ام سلمة
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر يا رسول الله من هم قال هم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والمحبون في
الله والمبغضون في الله قال والذي نفسي بيده ان العبد منهم ليكون في الغرفة فوق الغرفات فوق غرف الشهداء للغرفة منها ثلثمائة
الف باب من الياقوت والزمرد الاخضر على كل باب نور وان الرجل منهم ليزوج ثلثمائة الف حوراء قاصرات الطرف
عين كلما التفت الى واحدة منهن فنظر اليها تقول له اتذكر يوم كذا وكذا امرت بالمعروف ونهيت عن المنكر كلما التفت الى واحدة
منهن ذكرت له كل مقام امر فيه بمعروف ونهى فيه عن منكر وقال ابو عبيدة بن الجراح قلت يا رسول الله اي الشهداء اكرم
عند الله عز وجل قال رجل قام الى امام جائر فامره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله فان لم يقتله فان القلم لا يجري عليه بعد

فامره بالمعروف ص

ذلك وان عاش ما عاش وقال الحسن البصري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل شهداء امتي رجل قام الى امام جائر فامره
بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله على ذلك فذلك الشهيد مقعده في الجنة بين حمزة وجعفر وقال عمر بن الخطاب سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال بئس القوم قوم لا يامرون بالقسط وبئس القوم قوم لا يامرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر واما
الآثار فقد قال ابو الدرداء لتامرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر او ليسلطن الله عليكم سلطانا ظالما لا يجل كبيركم ولا
يرحم صغيركم ويدعو عليه خياركم فلا يستجاب لهم وتنتصرون فلا تنصرون وتستغفرون فلا يغفر لكم وسئل حذيفة عن
ميت الاحياء فقال الذي لا ينكر المنكر بيده ولا بلسانه ولا بقلبه وقال مالك بن دينار كان حبر من احبار بني اسرائيل يغشى منزله
الرجال والنساء يعظهم ويذكرهم بايام الله عز وجل فراى بعض بنيه يوما وقد غمز بعض النساء فقال مهلا يا بني مهلا قال وسقط
من سريره فانقطع نخاعه واسقطت امراته وقتل بنوه في الجيش فاوحى الله تعالى الى نبي زمانه ان اخبر فلانا الحبر اني لا اخرج
من صلبك صديقا ابدا اما كان من غضبك لي الا ان قلت مهلا يا بني مهلا وقال حذيفة ياتي على الناس زمان لان تكون فيهم جيفة
حمار احب اليهم من مؤمن يامرهم وينهاهم واوحى الله تعالى الى يوشع بن نون اني مهلك من قومك اربعين الفا من خيارهم

ويسقونها من شرابهم فقال هؤلاء الاشرار فما بال الاخيار فقال انهم لم يغضبوا لغضبي واكلوهم وشاربوهم وقال بلال بن
سعد ان المعصية اذا اخفيت لم تضر الا صاحبها فاذا اعلنت فلم تغير اضرت بالعامة وقال كعب الاحبار لابي مسلم الخولاني
كيف منزلتك من قومك قال حسنة قال كعب ان التوراة لتقول غير ذلك قال وما تقول قال تقول ان الرجل اذا امر بالمعروف ونهى
عن المنكر ساءت منزلته عند قومه فقال صدق التوراة وكذب ابو مسلم وكان عبد الله بن عمر ياتي العمال ثم قعد عنهم فقيل له لو اتيتهم
فلعلهم يجدون في انفسهم فقال ارهب ان تكلمت ان يروا ان الذي بي غير الذي بي وان سكت رهبت ان آثم وهذا يدل
على ان من عجز عن الامر بالمعروف فعليه ان يبعد عن ذلك الموضع ويستتر عنه حتى لا يجري بمشهد منه وقال علي رضي الله عنه
اول ما تغلبون عليه من الجهاد الجهاد بايديكم ثم الجهاد بالسنتكم ثم الجهاد بقلوبكم فاذا لم يعرف القلب المعروف ولم ينكر
المنكر نكس فجعل اعلاه اسفله وقال سهل بن عبد الله ايما عبد عمل في شيء من دينه بما امر به ونهى عنه وتعلق عند فساد الامور
وتنكرها وتشويش الزمان فهو ممن قد قام لله في زمانه بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومعناه انه اذا لم يقدر الا على نفسه فقام
بها وانكر احوال الغير بقلبه بما هو الغاية في حقه وقيل للفضيل الا تامر وتنهى فقال ان قوما امروا ونهوا فكفروا وذلك
انهم لم يصبروا على ما اصيبوا وقيل للثوري الا تامر بالمعروف وتنهى عن المنكر فقال اذا انشق البحر فمن يقدر ان يسكره
فقد ظهر بهذه الادلة ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب وان فرضه لا يسقط مع القدرة الا بقيام قائم به
فلنذكر الآن شروطه وشروط وجوبه ۞

الباب الثاني في اركان الامر بالمعروف وشروطه ۞

اعلم ان الاركان في الحسبة التي هي عبارة شاملة عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر اربعة المحتسب والمحتسب عليه
والمحتسب فيه ونفس الاحتساب فهذه اربعة اركان ولكل واحد منها شروط ۞ **الركن الاول المحتسب** وله شروط
وهو ان يكون مكلفا مسلما قادرا فيخرج منه المجنون والصبي والكافر ويدخل فيه آحاد الرعايا وان لم يكونوا ماذونين
لهم ويدخل فيه الفاسق والرقيق والمراة فلنذكر وجه اشتراط ما اشترطناه ووجه اطراح ما اطرحناه اما الشرط الاول
وهو التكليف فلا يخفى وجه اشتراطه فان غير المكلف لا يلزمه امر وما ذكرناه اردنا به انه شرط الوجوب فاما امكان الفعل
وجوازه فلا يستدعي الا العقل حتى ان الصبي المراهق للبلوغ المميز وان لم يكن مكلفا فله انكار المنكر وله ان يريق الخمر ويكسر
الملاهي واذا فعل ذلك نال به ثوابا ولم يكن لاحد منعه من حيث انه ليس بمكلف فان هذه قربة وهو من اهلها كالصلوة والامامة
فيها وسائر القربات وليس حكمه حكم الولايات حتى يشترط ولذلك اثبتناه للعبد وآحاد الرعية نعم في المنع بالفعل و
ابطال المنكر نوع ولاية وسلطنة ولكنها تستفاد بمجرد الايمان كقتل المشرك وابطال اسبابه وسلب اسلحته فان للصبي
ان يفعل ذلك حيث لا يستضر به فالمنع عن الفسق كالمنع عن الكفر ۞ واما الشرط الثاني وهو الايمان فلا يخفى وجه اشتراطه
لان هذه نصرة للدين فكيف يكون من اهلها من هو جاحد لاصل الدين وعدو له ۞ واما الشرط الثالث وهو العدالة فقد
اعتبرها قوم وقالوا ليس للفاسق ان يحتسب وربما استدلوا فيه بالنكير الوارد على من يامر بما لا يفعله مثل قوله تعالى
اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وقوله تعالى كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون وبما روي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال مررت ليلة اسري بي باقوام كانت تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت من انتم فقالوا كنا
نامر بالخير ولا ناتيه وننهى عن الشر وناتيه وبما روي ان الله تعالى اوحى الى عيسى ابن مريم عظ نفسك فان اتعظت
فعظ الناس والا فاستحي مني وربما استدلوا من طريق القياس بان هداية الغير فرع الاهتداء وكذلك تقويم الغير فرع

فرع الاستقامة والاصلاح زكاة عن نصاب الصلاح فمن ليس بصالح في نفسه كيف يصلح غيره ومتى يستقيم الظل
والعود اعوج وكل ما ذكروه خيالات وانما الحق ان للفاسق ان يحتسب وبرهانه هو ان نقول هل يشترط في الاحتساب
ان يكون متعاطيه معصوما عن المعاصي كلها فان شرط ذلك فهو خرق للاجماع ثم حسم لباب الاحتساب اذ لا عصمة للصحابة
فضلا عمن دونهم والانبياء قد اختلف في عصمتهم عن الخطايا والقرآن دل على نسبة آدم الى المعصية وكذا جماعة من الانبياء
ولهذا قال سعيد بن جبير ان لم يامر بالمعروف ولم ينه عن المنكر الا من لا يكون فيه شيء لم يامر احد بشيء
فاعجب مالكا ذلك من سعيد بن جبير وان زعموا ان ذلك لا يشترط عن الصغائر حتى يجوز للابس الحرير ان يمنع عن الزنا وشرب الخمر
فنقول وهل لشارب الخمر ان يغزو الكفار ويحتسب عليهم بالمنع عن الكفر فان قالوا لا خرقوا الاجماع اذ جنود المسلمين لم تزل
مشتملة على البر والفاجر وشارب الخمر وظالم الايتام ولم يمنعوا من الغزو لا في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا بعده وان
قالوا نعم فنقول شارب الخمر هل له المنع من القتل ام لا فان قالوا لا فما الفرق بينه وبين لابس الحرير اذ جاز له المنع من الخمر
والقتل كبيرة بالنسبة الى الشرب كالشرب بالنسبة الى لبس الحرير فلا فرق وان قالوا نعم وفصلوا الامر فيه بان كل مقدم
على شيء لا يمنع عن مثله ولا عما دونه وانما يمنع عما فوقه فهذا تحكم فانه كما لا يبعد ان يمنع الشارب من الزنا والقتل فمن
اين يبعد ان يمنع الزاني من الشرب بل من اين يبعد ان يشرب ويمنع غلمانه وخدمه ويقول يجب علي الانتهاء والنهي فمن اين يلزمني
بالعصيان في احدهما ان اعصي الله بالثاني فان النهي كان واجبا علي فمن اين يجب سقوطه باقدامي اذ يستحيل ان يقال
يجب النهي عن شرب الخمر على من لم يشرب فاذا شرب سقط عنه النهي فان قيل فيلزم على هذا ان يقول القائل الواجب
علي الوضوء والصلوة فانا اتوضا وان لم اصل واتسحر وان لم اصم لان المستحب لي السحور والصوم جميعا ولكن يقال
يترتب احدهما على الآخر فكذلك تقويم الغير مرتب على تقويمه نفسه فليبدا بنفسه ثم بمن يعول والجواب ان التسحر
يراد للصوم ولولا الصوم لما كان التسحر مستحبا وما يراد لغيره لا ينفك عن ذلك الغير واصلاح الغير لا يراد لاصلاح النفس
ولا اصلاح النفس لاصلاح الغير فالقول بترتب احدهما على الآخر تحكم واما الوضوء والصلوة فهو لازم فلا جرم من
توضا ولم يصل كان مؤديا امر الوضوء وكان عقابه اقل من عقاب من ترك الصلوة والوضوء جميعا فليكن من ترك النهي و
الانتهاء اكثر عقابا ممن نهى ولم ينته كيف والوضوء شرط لا يراد لنفسه بل للصلوة فلا حكم له دون الصلوة واما
الحسبة فليس شرطا في الانتهاء والائتمار فلا مشابهة بينهما فان قيل فيلزم على هذا ان يقال اذا زنى الرجل بامراة وهي
مكرهة في الزنا مستورة الوجه فكشفت وجهها باختيارها فاخذ الرجل يحتسب في اثناء الزنا ويقول انت مكرهة في الزنا
ومختارة في كشف الوجه لغير المحرم وانا لست بمحرم لك فاستري وجهك فهذا احتساب شنيع يستنكره قلب كل عاقل و
يستشنعه طبع سليم والجواب ان الحق قد يكون شنيعا وان الباطل قد يكون مستحسنا بالطبع والمتبع الدليل
دون نفرة الاوهام والخيالات فانا نقول قوله لها في تلك الحالة لا تكشفي وجهك واجب او مباح او حرام فان قلتم
انه واجب فهو الغرض لان الكشف معصية والنهي عن المعصية حق وان قلتم مباح فاذن له ان يقول ما هو مباح فما معنى قولكم
ليس للفاسق حسبة وان قلتم انه حرام فنقول كان هذا واجبا فمن اين حرم باقدامه على الزنا ومن الغرائب ان يصير الواجب حراما
بسبب ارتكابه حراما آخر واما نفرة الطباع عنه واستنكارها له فهو لسببين احدهما انه ترك الاهم واشتغل بما هو مهم
وكما ان الطباع تنفر عن ترك المهم الى ما لا يعني فتنفر ايضا عن ترك الاهم والاشتغال بالمهم كما تنفر عمن يتحرج عن تناول الطعام

مغصوب وهو مواظب على الزنا وكما ينفر عمن يتصاون عن الغيبة ويشهد بالزور لان الشهادة بالزور اشد واقبح من
الغيبة التي هي اخبار عن كائن يصدق فيه المخبر وهذا الاستبعاد في النفوس لا يدل على ان ترك الغيبة ليس بواجب وانه لو
اغتاب او اكل لقمة من حرام تزيد ذلك عقوبته فكذلك حسبته في الآخرة من معصية اكثر من معصية عزم واشتغاله
بالاقل عن الاكثر مستنكر بالطبع من حيث انه ترك الاكثر لا من حيث انه اتى بالاقل فمن غصب فرسه ولجام فرسه فاشتغل
بطلب اللجام وترك الفرس نفرت عنه الطباع وترى مساوي ما صدر منه غير طلب اللجام وهو غير منكر ولكن المنكر تركه لطلب
الفرس بطلب اللجام فاشتد الانكار عليه لتركه الاعم بما دونه فكذلك حسبة الفاسق يستبعد من هذا الوجه وهذا لا يدل
على ان حسبته من حيث انها حسبة مستنكرة الثاني ان الحسبة تارة تكون بالنهي بالوعظ وتارة بالقهر ولا ينجع
وعظ من لا يتعظ اولا ونحن نقول من علم ان قوله لا يقبل في الحسبة لعلم الناس بفسقه فليس عليه الحسبة بالوعظ اذ لا فائدة
في وعظه فالفسق يؤثر في اسقاط كلامه ثم اذا سقطت فائدة كلامه سقط وجوب الكلام فاما اذا كانت الحسبة بالمنع فالمراد
منه القهر وتمام القهر ان يكون بالفعل والحجة جميعا فاذا كان فاسقا فان قهر بالفعل فقد قهر بالحجة وذلك لا يخرج الفعل عن كونه
حقا كما ان من يذب الظالم عن آحاد المسلمين ويهمل اباه وهو مظلوم معهم ينفر الطبع عنه ولا يخرج دفعه عن المسلم عن كونه
حقا فخرج من هذا ان الفاسق ليس له عليه الحسبة بالوعظ على من يعرف فسقه لانه لا يتعظ واذا لم يكن عليه ذلك وعلم انه يفضي
الى تطويل اللسان في عرضه بالانكار فنقول ليس له ذلك ايضا فرجع الكلام الى ان احد نوعي الاحتساب وهو الوعظ قد بطل بالفسق
وصارت العدالة مشروطة فيه واما الحسبة القهرية فلا يشترط فيها ذلك فلا حرج على الفاسق في اراقة الخمور وكسر الملاهي
وغيرها اذا قدر عليه وهذا غاية الانصاف والكشف في المسألة واما الآيات التي استدلوا بها فهي انكار عليهم من حيث تركهم
المعروف لا من حيث امرهم ولكن امرهم دل على قوة علمهم وعقاب العالم اشد لانه لا عذر له مع قوة علمه وقوله تعالى لم تقولون ما لا تفعلون
المراد به الوعد الكاذب وقوله وتنسون انفسكم انكار من حيث انهم نسوا انفسهم لا من حيث امروا غيرهم ولكن ذكر امر الغير
استدلالا به على علمهم وتاكيدا للحجة عليهم وقوله يا ابن مريم عظ نفسك الحديث هو في الحسبة بالوعظ وقد سلمنا ان وعظ
الفاسق ساقط الجدوى عند من يعرف فسقه ثم قوله فاستحي مني لا يدل على تحريم وعظ الغير بل معناه استحي مني فلا تترك الاهم
وتشتغل بالمهم كما يقال احفظ ابيك ثم جارك والا فاستحي فان قيل فليجز للكافر الذمي ان يحتسب على المسلم اذا رآه يزني لان منعه
من الزنا حق في نفسه فمحال ان يكون حراما بل ينبغي ان يكون مباحا او واجبا قلنا الكافر ان منع المسلم بفعله فهو تسلط عليه
فيمنعه من حيث انه تسلط وما جعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا واما مجرد قوله لا تزن فليس بمحرم عليه من حيث انه
اظهار دلالة الاحتكام على المسلم وفيه اذلال للمحتكم عليه والفاسق يستحق الاذلال ولكن لا من الكافر الذي هو اولى بالذل منه
فهذا وجه منعنا اياه من الحسبة والا فلسنا نقول ان الكافر يعاقب بسبب قوله لا تزن من حيث انه نهي بل نقول اذا لم يقل لا
تزن يعاقب عليه ان رأينا خطاب الكفار بفروع الدين وفيه نظر استوفيناه في الفقهيات وليس يليق بغرضنا الان

(الشرط الرابع)

كونه ماذونا من جهة الامام والوالي فقد شرط قوم هذا الشرط ولم يثبتوا للآحاد من الرعية الحسبة وهذا الاشتراط فاسد
فان الآيات والاخبار التي رويناها تدل على ان كل من رأى منكرا فسكت عليه عصى اينما رآه وكيفما رآه على العموم والتخصيص
بشرط التفويض من الامام تحكم لا اصل له والعجب ان الروافض زادوا على هذا فقالوا لا يجوز الامر بالمعروف ما لم يخرج الامام
المعصوم وهو الامام الحق عندهم وهؤلاء اخس رتبة من ان يكلموا بل جوابهم ان يقال لهم اذا جاؤا الى القضاة طالبين لحقوقهم

لحقوقهم في دمائهم واموالهم ان نصرتكم امر بالمعروف واستخراج حقوقكم من يد من ظلمكم نهي عن المنكر وطلبكم لحقكم من
جملة المعروف وما هذا زمان النهي عن الظلم وطلب الحقوق لان الامام الحق بعد لم يخرج فان قيل في الامر بالمعروف
اثبات سلطنة وولاية واحتكام على المحكوم عليه ولذلك لم يثبت للكافر على المسلم مع كونه حقا فينبغي ان لا يثبت لآحاد
الرعية الا بتفويض من الوالي وصاحب الامر فنقول اما الكافر فممنوع لما فيه من السلطنة وعز الاحتكام والكافر ذليل
لا يستحق ان ينال عز الحكم على المسلم واما آحاد المسلمين فيستحقون هذا العز بالدين والمعرفة وما فيه من السلطنة والاحتكام
لا يحوج الى التفويض كعز التعليم والتعريف اذ لا خلاف في ان تعريف التحريم والايجاب لمن هو جاهل ومقدم على المنكر بجهله لا
يحتاج الى اذن الوالي وفيه عز الارشاد وعلى المعرف ذل التجهيل وذلك يكفي فيه مجرد الدين وكذلك النهي وشرح القول في
هذا ان الحسبة لها خمس مراتب كما سياتي بيانه الاولى التعريف والثانية الوعظ بالكلام اللطيف والثالثة السب والتعنيف
ولست اعني بالفحش بل ان يقول يا جاهل يا احمق الا تخاف من الله تعالى وما يجري هذا المجرى الرابعة المنع بالقهر بطريق المباشرة
ككسر الملاهي واراقة الخمر واختطاف الثوب الحرير من راسه واستلاب الثوب المغصوب ورده على صاحبه الخامسة التخويف و
التهديد بالضرب او مباشرة الضرب له حتى يمتنع عما هو عليه كالمواظب على الغيبة والقذف فان سلب لسانه غير ممكن ولكن
يحمل على اختيار السكوت بالضرب وهذا قد يحوج الى استعانة وجمع اعوان من الجانبين ويجر ذلك الى القتال وسائر المراتب لا يخفى
وجه استغنائها عن اذن الامام الا المرتبة الخامسة فان فيها نظرا سياتي بيانه اما التعريف والوعظ فكيف يحتاج الى اذن الامام
اما التجهيل والتحميق والنسبة الى الفسق وقلة الخوف من الله تعالى وما يجري مجراه فهو كلام صدق والصدق مستحق بل افضل
الدرجات كلمة حق عند امام جائر كما ورد في الحديث فاذا جاز الحكم على الامام على مراغمته فكيف يحتاج الى اذنه وكذلك كسر
الملاهي ومنع شرب الخمور فكيف يحتاج الى اذنه وكذلك كسر الملاهي ومنع شرب الخمور فانه تعاطي ما يعرف كونه حقا من غير
اجتهاد فلم يفتقر الى الامام واما جمع الاعوان وشهر الاسلحة فذلك قد يجر الى فتنة عامة ففيه نظر سياتي واستمرار عادات
السلف على الحسبة على الولاة قاطع باجماعهم على الاستغناء عن التفويض بل كل من امر بمعروف فان كان الوالي راضيا به فذاك
وان كان ساخطا فسخطه له منكر يجب الانكار عليه فكيف يحتاج الى اذنه في الانكار عليه ويدل على ذلك عادة السلف
في الانكار على الائمة رضي الله عنهم اجمعين كما روي ان مروان بن الحكم خطب قبل الصلوة في العيد فقال له رجل انما الخطبة بعد الصلوة
فقال مروان ترك ذلك يا ابا فلان فقال ابو سعيد اما هذا فقد قضى ما عليه قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من راى منكرا
فلينكره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان فلقد كانوا فهموا من هذه العمومات دخول السلاطين
تحتها فكيف يحتاج الى اذنهم وروي ان المهدي لما قدم مكة لبث ما شاء الله فلما اخذ في الطواف نحى الناس عن البيت فوثب
عبد الله بن مرزوق فلببه بردائه ثم هزه وقال له انظر ما تصنع من جعلك بهذا البيت احق ممن اتاه من البعد حتى اذا صار
عنده حلت بينه وبينه من جعل لك هذا فنظر في وجهه وكان يعرفه لانه من مواليهم فقال اعبد الله بن مرزوق قال نعم فاخذ
فجيء به الى بغداد فكره ان يعاقبه عقوبة يشنع بها في العامة فجعله في اصطبل الدواب ليسوس الدواب وضموا اليه فرسا عضوضا
سيء الخلق ليعقره الفرس فلين الله تعالى له الفرس ثم قال صيروه الى بيت واخذ المهدي المفتاح عنده فاذا هو قد خرج بعد ثلاثة الى البستان
ياكل البقل فاوذن به المهدي فقال له من اخرجك قال الذي حبسني فضج المهدي فصاح وقال ما اخلقني شيئا الا ان اقتلك
فرفع عبد الله اليه راسه فضحك وهو يقول لو كنت تملك حياة او موتا فرده الى الحبس فلم يزل محبوسا حتى مات المهدي ثم خلوا عنه

ورجع الى مكة قال وكان قد جعل على نفسه نذرا ان خلصه الله من ايديهم ان ينحر مائة بدنة فكان يعمل في ذلك حتى
نحر مائة بدنة وروي عن حبان بن عبد الله قال تنزه هرون الرشيد بالدوسر ومعه رجل من بني هاشم وهو سليمن بن
ابي جعفر فقال هرون قد كانت لك جارية تغني فتحسن فجئنا بها قال فجاءت فغنت فلم يحمد غناها فقال لها ما شانك قالت ليس
هذا عودي فقال للخادم جئها بعودها قال فذهب فجاء بالعود فوافق شيخا يلقط النوى فقال الطريق يا شيخ فرفع الشيخ
راسه فراى العود فاخذه فضرب به الارض فكسره فاخذه الخادم وذهب به الى صاحب الربع فقال احتفظ بهذا فانه طلبة امير المؤمنين
فقال له صاحب الربع ليس ببغداد اعبد من هذا فكيف يكون طلبة امير المؤمنين فقال له اسمع ما اقول ثم دخل الخادم على هرون الرشيد
فقال اني مررت على شيخ يلقط النوى فقلت يا شيخ الطريق فرفع راسه فراى العود فاخذه وضرب به على الارض فكسره فاستشاط
هرون وغضب واحمرت عيناه فقال له سليمن بن ابي جعفر ما هذا الغضب يا امير المؤمنين ابعث الى صاحب الربع يضرب عنقه
ويرمي به في دجلة قال لا ولكن نبعث اليه فنناظره اولا فجاء الرسول فقال اجب امير المؤمنين قال نعم قال اركب قال لا فجاء
يمشي حتى وقف على باب القصر فقيل لهرون قد جاء الشيخ فقال للندماء اي شيء ترون نرفع ما قدامنا من المنكر حتى يدخل هذا
الشيخ او نقوم الى مجلس آخر ليس فيه منكر فقالوا نقوم الى مجلس آخر اصلح فقاموا الى مجلس ليس فيه منكر ثم امر بالشيخ
فادخل وفي كمه الكيس الذي فيه النوى فقال له الخادم اخرج هذا وادخل على امير المؤمنين فقال هذا عشائي الليلة ان شاء الله قال
نحن نعشيك قال لا حاجة لي في عشائكم فقال له هرون الرشيد اي شيء تريد منه فقال في كمه النوى قلت له اطرحه وادخل
على امير المؤمنين فقال دعه لا نطرحه قال فدخل فسلم وجلس فقال له هرون يا شيخ ما حملك على ما صنعت قال واي شيء
صنعت وجعل هرون يستحيي ان يقول كسرت عودنا فلما اكثر عليه قال اني سمعت اباك واجدادك يقرؤن هذه الآية على
المنبر ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر ورايته منكرا فغيرته فقال فغيره فوالله
ما قال الا هذا فلما خرج اعطى رجلا بدرة فقال اتبع الشيخ فان رايته يقول قلت لامير المؤمنين فلا تعطه وان رايته لا
يكلم احدا فاعطه البدرة فلما خرج من القصر اذا هو بنواة في الارض قد غاصت فجعل يعالجها ولا يكلم احدا فقال له يقول لك
امير المؤمنين خذ هذه البدرة فقال قل لامير المؤمنين يردها من حيث اخذها ويروى انه اقبل بعد فراغه من كلامه على نواة -
يعالج قلعها من الارض وهو يقول
ارى الدنيا لمن هي في يديه ... هموما كلما كثرت لديه
تهين المكرمين لها بصغر ... وتكرم كل من هانت عليه
اذا استغنيت عن شيء فدعه ... وخذ ما كنت محتاجا اليه
ويروى عن سفين قال حج
المهدي في سنة ست وستين ومائة فرايته يرمي جمرة العقبة والناس يخبطون يمينا وشمالا بالسياط فوقفت فقلت
يا حسن الوجه حدثنا ايمن بن نابل عن قدامة بن عبد الله الكلابي قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرمي الجمرة يوم النحر
على جمل لا ضرب ولا طرد ولا جلد ولا اليك اليك وها انت يخبط الناس بين يديك يمينا وشمالا فقال لرجل من هذا قال
سفين الثوري فقال يا سفين لو كان المنصور ما احتملك على هذا فقلت لو اخبرك المنصور بما لقي لاقصرت عما انت فيه
قال فقيل له انه قال لك يا حسن الوجه ولم يقل لك يا امير المؤمنين فقال اطلبوه فطلبت سفين فاختفى وقد روي عن
المامون انه بلغه ان رجلا محتسبا يمشي في الناس يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر لم يكن مامورا من عنده بذلك
فامر بان يدخل عليه فلما صار بين يديه قال له انه بلغني انك رايت نفسك اهلا للامر بالمعروف وكان المامون جالسا
على كرسي ينظر في كتاب او قصة فاغفله فوقع منه فصار تحت قدمه من حيث لا يشعر فقال المحتسب ارفع قدمك عن اسماء الله

عن اسماء الله تعالى ثم قل ما شئت فلم يفهم المامون مراده فقال ماذا تقول حتى اعاده ثلاث مرات فلم يفهم فقال اما رفعت
واذنت لي حتى ارفع فقال قد اذنت فنظر المامون تحت قدمه فراى الكتاب فاخذه وقبله وخجل ثم قال لم تامر بالمعروف وقد
جعل الله ذلك الينا اهل البيت ونحن الذين قال الله عز وجل فيهم الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلوة وآتوا الزكوة وامروا
بالمعروف فقال صدقت يا امير المؤمنين انت كما وصفت نفسك من السلطان والتمكن غير انا اعوانك واولياؤك
فيه لا ينكر ذلك الا من جهل كتاب الله وسنة نبيه قال الله تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض يامرون بالمعروف
الآية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وقد مكنت في الارض وهذا كتاب الله وسنة
رسوله فان انقدت لهما شكرت لمن اعانك بحق منهما وان استكبرت عنهما ولما سقتهما لزمك منهما فان الذي اليه امرك
وبيده عزك وذلك قد شرط انه لا يضيع اجر من احسن عملا فقل الآن ما شئت فاعجب المامون بكلامه وسر به وقال مثلك
يجوز له ان يامر بالمعروف فامض على ما كنت عليه بامرنا وعن راينا فاستمر الرجل على هذه الحالات ففي سياق هذه الحكايات بيان
الدليل على الاستغناء عن الاذن فان قلت افيثبت ولاية الحسبة للولد على الوالد والعبد على السيد والزوجة على الزوج
والتلميذ على الاستاذ والرعايا على الوالي مطلقا كما يثبت للوالد على الولد والسيد على العبد والزوج على الزوجة والاستاذ
على التلميذ والسلطان على الرعية او بينهما فرق فاعلم ان الذي نراه انه يثبت اصل الولاية ولكن بينهما فرق في التفاصيل
ولنفرض ذلك في الوالد مع الولد فنقول قد رتبنا للحسبة خمس مراتب وللولد الحسبة بالرتبتين الاوليين وهو التعريف
ثم الوعظ والنصح باللطف وليس له الحسبة بالسب والتعنيف والتهديد ولا بمباشرة الضرب وهما الرتبتان الاخيرتان
وهل له الحسبة بالرتبة الثالثة حيث يؤدي الى اذى الوالد وسخطه هذا فيه نظر وهو بان يكسر مثلا عوده ويريق خمره ويحل الخيوط
من ثيابه المنسوجة بالحرير ويرد الى الملاك ما يجده في بيته من المال الحرام الذي غصبه او سرقه او اخذه عن ادرار ورزق من
ضريبة المسلمين اذا كان صاحبه متعينا ويبطل الصور المنقوشة على حيطانه والمنقورة في خشب بيته ويكسر اواني من
الذهب والفضة فان فعله في هذه الامور ليس يتعلق بذات الاب بخلاف الضرب والسب ولكن الوالد يتاذى به ويسخط بسببه
الا ان فعل الولد حق وسخط الاب منشاه حبه للباطل وللحرام والاظهر في القياس انه يثبت للولد ذلك بل يلزمه ان ينظر فيه الى
قبح المنكر والى مقدار الاذى والسخط فان كان المنكر فاحشا وسخطه عليه قريبا كاراقة خمر من لا يشتد غضبه فذلك ظاهر
وان كان المنكر قريبا والسخط شديدا كما لو كانت له آنية من بلور او زجاج على صورة حيوان وفي كسرها خسران مال كثير فهذا
مما يشتد فيه الغضب وليس يجري هذه المعصية مجرى الخمر وغيره فهذا كله مجال النظر فان قيل ومن اين قلتم ليس له الحسبة
بالتعنيف والضرب والارهاق الى ترك الباطل والامر بالمعروف في الكتاب والسنة ورد عاما من غير تخصيص واما النهي
عن التافيف والايذاء فقد ورد وهو خاص فيما لا يتعلق بارتكاب المنكرات فنقول قد ورد في الاب على الخصوص ما يوجب
الاستثناء عن العموم اذ لا خلاف في ان الجلاد ليس له ان يقتل اباه في الزنا حدا ولا له ان يباشر اقامة الحد عليه بل لا يباشر قتل ابيه
الكافر بل لو قطع يده لم يلزمه قصاص ولم يكن له ان يؤذيه في مقابلته وقد ورد في ذلك اخبار وثبت بعضها بالاجماع فاذا
لم يجز له ايذاؤه بعقوبة هي حق على جناية سابقة فلا يجوز ايذاؤه بعقوبة هي منع والسيد والزوج فهما قريبان من الوالد في
لزوم الحق وان كان ملك اليمين اكد من ملك النكاح ولكن في الخبر لو جاز السجود لمخلوق لامرت المراة بالسجود لبعلها وهذا يدل
على تاكد الحق ايضا واما الرعية مع السلطان فالامر فيه اشد من الوالد فليس له معه الا التعريف والنصح واما المرتبة الثالثة

فيها نظر من حيث ان الهجوم على اخذ الاموال من خزائنه وردها الى الملاك وتحليل الخيوط من ثيابه الحرير وكسر الملاهي و
اراقة الخمور من بيته يكاد يفضي الى خرق هيبته واسقاط حشمته وذلك محذور ورد النهي عنه كما ورد عن السكوت عن
المنكر فقد تعارض فيه ايضا محذورات والامر فيه موكول الى اجتهاد منشاؤه النظر في تفاحش المنكر ومقدار ما يسقط من
حشمته بسبب الهجوم عليه وذلك مما لا يمكن ضبطه واما التلميذ والاستاذ فالامر فيما بينهما اخف لان المحترم هو الاستاذ
المفيد للعلم من حيث الدين ولا حرمة لعالم لا يعمل بعلمه فله ان يعامله بموجب علمه الذي تعلمه منه وروي انه سئل الحسن عن الولد
كيف يحتسب على والده فقال يعظه ما لم يغضب فان غضب سكت عنه الشرط الخامس كونه قادرا ولا يخفى ان العاجز
ليس عليه حسبة الا بقلبه اذ كل من احب الله يكره معاصيه وينكرها قال ابن مسعود جاهدوا الكفار بايديكم فان لم تستطيعوا
الا ان تكفهروا في وجوههم فافعلوا واعلم انه لا يقف سقوط الوجوب على العجز الحسي بل يلتحق به ما يخاف عليه مكروها يناله
فذلك في معنى العجز وكذلك اذا لم يخف مكروها ولكن علم ان انكاره لا ينفع فليلتفت الى معنيين احدهما افادة الانكار امتناعا
والاخر خوف مكروه ويحصل من اعتبار المعنيين اربعة احوال احدها ان يجتمع المعنيان بان يعلم انه لا ينفع كلامه ويضرب ان تكلم
فلا يجب عليه الحسبة بل ربما يحرم في بعض المواضع نعم يلزمه ان لا يحضر مواضع المنكر ويعتزل في بيته حتى لا يشاهده ولا يخرج
الا لحاجة مهمة او واجب ولا يلزمه مفارقة البلدة والهجرة الا اذا كان يرهق الى الفساد او يحمل على مشاهدة السلاطين في الظلم
والمنكرات فيلزمه الهجرة ان قدر عليه فان الاكراه لا يكون عذرا في حق من يقدر على الهرب من الاكراه الحالة الثانية
ان ينتفي المعنيان جميعا بان يعلم ان المنكرات تزول بقوله وفعله ولا يقدر له على مكروه فيجب عليه الانكار وهذه هي القدرة المطلقة
الحالة الثالثة ان يعلم انه لا يفيد انكاره لكنه لا يخاف مكروها فلا تجب الحسبة لعدم فائدتها ولكن تستحب لاظهار شعائر
الاسلام وتذكير الناس بامر الدين الحالة الرابعة عكس هذه وهو ان يعلم انه يصاب بمكروه ولكن يبطل المنكر بفعله كما يقدر على ان يرمي
زجاجة الفاسق بحجر فيكسرها ويريق الخمر او يضرب العود الذي في يده ضربة مختطفة فيكسره في الحال ويتعطل عليه هذا
المنكر ولكنه يعلم انه يرجع اليه فيضرب راسه فهذا ليس بواجب وليس بحرام بل هو مستحب ويدل عليه الخبر الذي اوردناه
في فضل كلمة حق عند امام جائر ولا شك في ان ذلك مظنة الخوف ويدل عليه ما روي عن ابي سليمان الداراني انه قال سمعت من بعض
الخلفاء كلاما فاردت ان انكر عليه وعلمت اني اقتل ولم يمنعني القتل ولكن كان في ملا من الناس فخشيت ان يعتريني التزين للخلق
فاقتل من غير اخلاص في الفعل فان قيل فما معنى قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة قلنا لا خلاف في ان المسلم الواحد
له ان يهجم على صف الكفار ويقاتل وان علم انه يقتل وهذا ربما يظن انه مخالفة لموجب الاية وليس كذلك فقد قال ابن عباس ليس
التهلكة ذلك بل ترك النفقة في طاعة الله عز وجل اي من لم يفعل ذلك فقد اهلك نفسه وقال البراء بن عازب التهلكة هو ان يذنب
الذنب ثم يقول لا يتاب علي وقال ابو عبيدة هو ان يذنب ثم لا يعمل بعده خيرا حتى يهلك واذا جاز ان يقاتل الكفار حتى يقتل جاز ايضا
ذلك في الحسبة ولكن لو علم انه لا نكاية لهجومه على الكفار كالاعمى يطرح نفسه على الصف او العاجز فذلك حرام وداخل تحت عموم
اية التهلكة وانما جاز له الاقدام اذا علم انه يقاتل الى ان يقتل او علم انه يكسر قلوب الكفار بمشاهدتهم جراءته واعتقادهم في سائر المسلمين
قلة المبالاة وحبهم للشهادة في سبيل الله فيكسر بذلك شوكتهم فكذلك يجوز للمحتسب بل يستحب له ان يعرض نفسه للضرب والقتل
اذا كان لحسبته تاثير في رفع المنكر او في كسر جاه الفاسق او في تقوية قلوب اهل الدين فاما ان راى فاسقا متغلبا وحده وعنده
سيف وبيده قدح وعلم انه لو انكر عليه لشرب القدح وضرب رقبته فهذا مما لا ارى للحسبة فيه وجها وهو عين الاهلاك

الاهلاك فان المقصود من الحسبة ان يؤثر في الدين اثرا ويفديه بنفسه فاما تعريض النفس للهلاك من غير اثر فلا وجه له
في الدين بل ينبغي ان يكون هذا حراما وانما يستحب له الانكار اذا قدر على ابطال المنكر او ظهر لفعله فائدة وذلك بشرط
ان يقتصر المكروه عليه فان علم انه يضرب معه غيره من اصحابه او اقاربه او رفقائه فلا يجوز له الحسبة بل يحرم لانه عجز عن دفع المنكر
الا بان يفضي ذلك الى منكر آخر وليس ذلك من القدرة في شيء بل لو علم انه لو احتسب لبطل ذلك المنكر ولكن كان ذلك سببا لمنكر آخر
يتعاطاه غير المحتسب عليه فلا يحل له الانكار على الاظهر لان المقصود عدم مناكير الشرع مطلقا لا من زيد او عمرو وذلك
بان يكون مثلا مع الانسان شراب حلال نجس بسبب وقوع نجاسة فيه وعلم انه لو اراقه لشرب صاحبه الخمر او شرب اولاده
الخمر لاعوازهم الشراب الحلال فلا معنى لاراقة ذلك ويحتمل ان يقال انه يريق ذلك فيكون مبطلا للمنكر واما شربهما الاخر فهو
الملوم فيه والمحتسب غير قادر على منعه من ذلك المنكر وقد ذهب الى هذا ذاهبون وليس ببعيد فان هذه مسائل فقهية لا
يمكن فيها الحكم الا بظن ولا يبعد ان يفرق بين درجات المنكر والمغير والمنكر الذي يفضي اليه الحسبة والتغيير فانه اذا كان يذبح شاة
لغيره لياكلها وعلم انه لو منعه من ذلك لقتل انسانا واكله فلا معنى لهذه الحسبة نعم لو كان منعه عن ذبح انسان او قطع طرفه
يحمله على اخذ ماله فذلك له وجه فهذه دقائق واقعة في محل الاجتهاد وعلى المحتسب اتباع اجتهاده في ذلك كله ولهذه الدقائق
نقول العامي ينبغي ان لا يحتسب الا في الجليات المعلومة كشرب الخمر والزنا وترك الصلوة فاما ما يعلم كونه معصية بالاضافة
الى ما يطيف به من الافعال ويفتقر فيه الى اجتهاد فالعامي ان خاض فيه كان ما يفسده اكثر مما يصلحه وبهذا يتاكد
ظن من لا يثبت ولاية الحسبة الا بتعيين الوالي اذ ربما ينتدب لها من ليس اهلا لها لقصور معرفته او لقصور ديانته فيؤدي
الى وجوه من الخلل وسياتي كشف الغطاء عن ذلك ان شاء الله عز وجل فان قيل وحيث اطلقتم القول بانه يصيبه مكروه او انه
او انه لا يفيد حسبته فلو كان بدل العلم ظنا فما حكمه قلنا الظن الغالب في هذه الابواب في معنى العلم وانما يظهر الفرق عند
تعارض الظن والعلم اذ يرجح العلم اليقيني على الظني ويفرق بين العلم والظن في موضع آخر وهو انه يسقط الوجوب عنه حيث
علم قطعا انه لا يفيد فان كان غالب ظنه انه لا يفيد ولكن يحتمل ان يفيد وهو مع ذلك لا يتوقع مكروها فقد اختلفوا في وجوبه
والاظهر وجوبه اذ لا ضرر فيه وجدواه متوقعة وعمومات الامر بالمعروف تقتضي الوجوب بكل حال ونحن انما نستثني عنه
بطريق التخصيص ما اذا علم انه لا فائدة فيه اما بالاجماع او بقياس ظاهر وهو ان الامر ليس يراد لعينه بل للمامور فاذا علم الياس
عنه فلا فائدة فيه فاذا لم يكن ياس فينبغي ان لا يسقط الوجوب فان قيل فالمكروه الذي يتوقع اصابته ان لم يكن متيقنا
ولا معلوما بغالب الظن ولكن كان مشكوكا فيه او كان غالب ظنه انه لا يصاب بمكروه ولكن احتمل ان يصاب بمكروه فهذا الاحتمال
هل يسقط الوجوب حتى لا يجب الا عند اليقين بانه لا يصيبه مكروه ام يجب في كل حال الا اذا غلب على ظنه انه يصاب بمكروه
قلنا ان غلب على الظن انه يصاب بمكروه لم يجب وان غلب انه لا يصاب وجب ومجرد التجويز لا يسقط الوجوب فان ذلك
ممكن في كل حسبة وان شك فيه من غير رجحان فهذا محل النظر فيحتمل ان يقال الاصل الوجوب بحكم العمومات وانما يسقط بمكروه
والمكروه هو الذي يظن او يعلم حتى يكون متوقعا وهذا هو الاظهر ويحتمل ان يقال انه انما يجب عليه اذا علم انه لا ضرر عليه
والاول اصح نظرا الى قضية العمومات الموجبة للامر بالمعروف فان قيل فالتوقع للمكروه يختلف بالجبن والجراة فالجبان
الضعيف القلب يرى البعيد قريبا حتى كانه يشاهده ويرتاع منه والمتهور الشجاع يبعد وقوع المكروه بحكم ما جبل عليه
من حسن الامل حتى انه لا يصدق به الا بعد وقوعه فعلى ماذا التعويل فنقول التعويل على اعتدال الطبع وسلامة العقل والمزاج

فان الجبن مرض وهو ضعف في القلب سببه قصور في القوة وتفريط والتهور افراط في القوة وخروج عن الاعتدال
بالزيادة وكلاهما نقصان وانما الكمال في الاعتدال الذي يعبر عنه بالشجاعة وكل واحد من الجبن والتهور يصدر
تارة عن نقصان في العقل وتارة عن خلل في المزاج بتفريط او افراط فان من اعتدل مزاجه في صفة الجبن والجراءة قد
لا يتفطن لمدارك الشر فيكون سبب جرأته جهله وقد يكون عالما بحكم التجربة والممارسة بمداخل الشرور ودوافعها
ولكن يعمل الشر البعيد في تخذيله وتحليل قوته في الاقدام بسبب ضعف قلبه ما يعمله الشر القريب في حق الشجاع المعتدل
الطبع فلا التفات على الطرفين وعلى الجبان ان يتكلف ازالة الجبن بازالة علته وعلته جهل او ضعف ويزول الجهل بالتجربة
ويزول الضعف بممارسة الفعل المخوف منه تكلفا حتى يصير معتادا اذ المبتدي في المناظرة والوعظ مثلا قد يجبن عنه لضعفه
فاذا مارس ذلك واعتاد فارقه الضعف فان صار ذلك ضروريا غير قابل للزوال بحكم استيلاء الضعف على القلب فحكم ذلك الضعيف
يتبع حاله فيعذر كما يعذر المريض في التقاعد عن بعض ولذلك قد نقول على رأي لا يجب ركوب البحر لاجل حجة الاسلام
على من يغلب عليه الجبن في ركوب البحر ويجب على من لا يعظم خوفه منه فكذلك الامر في الحسبة فان قيل فالمكروه المتوقع
ما حده فان الانسان قد يكره كلمة وقد يكره ضربة وقد يكره طول لسان المحتسب عليه في حقه بالغيبة وما من شخص يؤمر بالمعروف
الا ويتوقع منه نوع من الاذى وقد يكون منه ان يكره السعاية الى سلطان او ان وما من شخص يؤمر بالمعروف الا ويتوقع يقدح فيه
في مجلس يتضرر بقطعه فما حد المكروه الذي يسقط الوجوب قلنا هذا ايضا نظر غامض وصورته منتشرة ومجاريه كثيرة ولكنا
نجتهد في ضم نشره وحصر اقسامه فنقول المكروه نقيض المطلوب ومطالب الخلق في الدنيا ترجع الى اربعة امور اما في النفس
فالعلم واما في البدن فالصحة والسلامة واما في المال فالثروة واما في قلوب الناس فقيام الجاه فاذا المطلوب العلم والصحة والثروة
والجاه ومعنى الجاه ملك القلوب كما ان معنى الثروة ملك الدراهم لان قلوب الناس وسيلة الى الاغراض كما ان ملك الدراهم وسيلة
الى قضاء الحاجات وسيأتي تحقيق معنى الجاه وسبب ميل الطبع اليه في ربع المهلكات وكل واحد من هذه الاربعة يطلبها الانسان
لنفسه ولاقاربه والمختصين به ويكره في هذه الاربعة امران احدهما زوال ما هو حاصل موجود والاخر امتناع ما هو منتظر مفقود
اعني اندفاع ما يتوقع وجوده فلا ضرر الا فوات حاصل وزواله او تعوق منتظر فان المنتظر عبارة عن الممكن حصوله والممكن
حصوله كانه حاصل وفوات امكانه كانه فوات حصوله فرجع المكروه الى قسمين احدهما خوف امتناع حصول المنتظر وهذا لا
ينبغي ان يكون مرخصا في ترك الامر بالمعروف اصلا ولنذكر امثاله في المطالب الاربعة اما العلم فمثاله تركه الحسبة على من
يختص باستاذه خوفا من ان يقبح عنده حاله فيمتنع من تعليمه واما الصحة فتركه الانكار على الطبيب الذي يدخل عليه مثلا
وهو لابس حريرا خوفا من ان يتأخر عنه فيمتنع بسببه صحته المنتظرة واما المال فتركه الحسبة على السلطان واصحابه وعلى
من يواسيه من ماله خيفة من ان يقطع ادراره في المستقبل ويترك مواساته واما الجاه فتركه الحسبة على من يتوقع منه نصرة و
جاها في المستقبل خيفة من ان لا يحصل له الجاه او خيفة من ان يقبح حاله عند السلطان الذي يتوقع منه ولاية وهذا كله لا يسقط
وجوب الحسبة فان هذه زيادات امتنعت وتسمية امتناع حصول الزيادات ضررا مجاز وانما الضرر الحقيقي فوات الحاصل ولا يستثنى
عن هذا شيء الا ما تمس اليه الحاجة ويكون في فواته محذور يزيد على محذور السكوت على المنكر كما اذا كان محتاجا الى الطبيب لمرض ناجز
والصحة منتظرة من معالجة الطبيب ويعلم ان في تاخره شدة الضنى وطول المرض وقد يفضي الى الموت واعني بالعلم الظن الذي
يجوز بمثله ترك استعمال الماء والعدول الى التيمم فاذا انتهى الى هذا الحد لم يبعد ان يرخص في ترك الحسبة واما في العلم فمثل ان يكون

ان يكون جاهلا بمهمات دينه ولم يجد الا معلما واحدا وعلم ان المحتسب عليه قادر على ان يسد عليه طريق الوصول اليه لكون العالم
مطيعا له او مستمعا لقوله فاذا الصبر على الجهل بمهمات الدين محذور والسكوت على المنكر محذور ولا يبعد ان يترجح احدهما
ويختلف ذلك بتفاحش المنكر وبشدة الحاجة الى العلم لتعلقه بمهمات الدين واما في المال فهو ان يعجز عن الكسب والسؤال
وليس هو قوي النفس في التوكل ولا منفق عليه سوى شخص معين واحد ولو احتسب عليه لقطع رزقه وافتقر في تحصيله
الى ادرار حرام او مات جوعا فهذا ايضا اذا اشتد الامر فيه لم يبعد ان يرخص له في السكوت واما في الجاه فهو
ان يؤذيه شرير ولا يجد سبيلا الى دفعه الا بجاه يكتسبه من سلطان ولا يقدر على التوصل اليه الا بواسطة شخص يلبس الحرير او
يشرب الخمر ولو احتسب عليه لم يكن له واسطة ووسيلة فيمتنع عليه حصول الجاه ويدوم بسببه اذى الشرير
فهذه كلها اذا ظهرت وقويت لم يبعد استثناؤها ولكن الامر فيها منوط باجتهاد المحتسب حتى يستفتي فيها قلبه ويزن احد
المحذورين بالاخر ويرجح بنظر الدين لا بموجب الهوى والطبع فان رجح بموجب الدين يسمى سكوته مداراة وان رجح بموجب
الهوى سمي سكوته مداهنة وهو امر باطن لا يطلع عليه الا بنظر دقيق ولكن الناقد بصير فحق على كل متدين فيها ان يراقب
قلبه ويعلم ان الله تعالى مطلع على باعثه وصارفه انه الدين او الهوى وستجد كل نفس ما عملت من سوء او خير محضرا عند الله
ولو في فلتة خاطر ولمحة ناظر من غير ظلم ولا جور فما الله بظلام للعبيد واما القسم الثاني وهو فوات الحاصل فهو
مكروه معتبر في جواز السكوت في الامور الاربعة الا العلم فان فواته غير مخوف الا بتقصير منه والا فلا يقدر احد على سلب
العلم من غيره وان قدر على سلب الصحة والسلامة والثروة والمال وهذا احد اسباب شرف العلم فانه يدوم في الدنيا ويدوم
ثوابه في الاخرة فلا انقطاع له ابد الاباد واما الصحة والسلامة ففواتها بالضرب فكل من علم انه يضرب ضربا مؤلما يتاذى
به في الحسبة لم تلزمه الحسبة وان كان يستحب له ذلك كما سبق واذا فهم هذا في الايلام بالضرب فهو بالجرح والقتل
والقطع اظهر واما الثروة فهو بان يعلم انه تنهب داره ويخرب بيته وتسلب ثيابه فهذا ايضا يسقط عنه الوجوب
ويبقى الاستحباب اذ لا بأس بان يفدي دينه بدنياه ولكل واحد من هذا الضرب والنهب حد في القلة لا يكترث به كالحبة
في المال واللطمة الخفيفة المؤلمة في الضرب وحد في الكثرة يتعين اعتباره ووسط يقع في محل الاشتباه والاجتهاد وعلى
المتدين ان يجتهد فيه ويرجح جانب الدين ما امكن واما الجاه ففواته بان يضرب ضربا غير مؤلم او يسب على ملأ من الناس
او يطرح منديله في رقبته ويدار به في البلد ويسود وجهه ويطاف به وكل ذلك من غير ضرب مؤلم للبدن وهو قادح
في الجاه ومؤلم للقلب فهذا له درجات فالصواب ان يقسم الى ما يعبر عنه بسقوط المروءة كالطواف به في البلد حاسرا حافيا
فهذا يرخص في السكوت لان المروءة مأمور بحفظها في الشرع وهذا مؤلم للقلب ألما يزيد على ألم ضربات معدودة وعلى فوات دريهمات
قليلة فهذه درجة الثانية ما يعبر عنه بالجاه المحض وعلو الرتبة فان الخروج في ثياب فاخرة تجمل وكذا ركوب الخيول فلو
علم انه لو احتسب كلف المشي في السوق في ثياب لا يعتاد هو مثلها او المشي راجلا وعادته الركوب فهذا من المزايا التي ليس
المواظبة على حفظها محمودا وحفظ المروءة محمود فلا ينبغي ان يسقط وجوب الحسبة بمثل هذا القدر وفي مثل هذا ما لو خاف
ان يتعرض له باللسان اما في حضرته بالتجهيل والتحميق والنسبة الى الرياء والنفاق واما في غيبته بانواع الغيبة فهذا لا يسقط
الوجوب اذ ليس فيه الا زوال فضلات الجاه التي ليس اليها كثير حاجة ولو تركت الحسبة بلوم لائم او باغتياب فاسق او شتمه و
تعنيفه او سقوط المنزلة عن قلبه وقلب امثاله لم يكن للحسبة وجوب اصلا اذ لا تنفك الحسبة عن ذلك الا اذا كان المنكر

طلب

بأس

هو الغيبة وعلم انه لو انكر لم يسكت المغتاب بل كان اضافه اليه وادخله معه في الغيبة فيحرم هذه الحسبة لانها سبب لزيادة المعصية
وان علم انه يترك تلك الغيبة ويقتصر على غيبته فلا يجب عليه لان غيبته ايضا معصية في حق المغتاب ولكن يستحب له ذلك
ليفدي عرض المذكور بعرض نفسه على سبيل الايثار وقد دلت العمومات على تاكد وجوب الحسبة وعظم الخطر في السكوت عنها
فلا يقابله الا ما عظم في الدين خطره والمال والنفس والمروة قد ظهر في الشرع خطرها واما مزايا الجاه والحشمة والدرجات
التجمل وطلب ثنا الخلق فكل ذلك لا خطر له فاما امتناعه لخوف شي من هذه المكاره في حق اولاده واقاربه فهو في حقه
دونه لان تاذيه بامر نفسه اشد من تاذيه بامر غيره ومن وجه الدين هو فوقه لان له ان يسامح في حقوق نفسه وليس له المسامحة
في حق غيره فاذا ينبغي ان يمتنع فانه ان كان ما يفوت من حقوقهم يفوت على طريق المعصية كالضرب والنهب فليس له هذه الحسبة
لانه يدفع منكر يفضي الى منكر وان كان يفوت لا بطريق المعصية فهو ايذا المسلم ايضا وليس له ذلك الا برضاهم فاذا كان
ذلك يودي الى اذى قومه فليتركه وذلك كالزاهد الذي له اقارب اغنيا فانه لا يخاف على ماله ان احتسب على السلطان و
لكنه يقصد اقاربه انتقاما منه بواسطتهم فاذا كان يتعدى الاذى من حسبته الى اقاربه وجيرانه فليتركها فان ايذا المسلمين
محظور كما ان السكوت على المنكر محظور نعم ان كان لا ينالهم اذى في مال ونفس ولكن ينالهم الاذى بالشتم والسب فهذا فيه
نظر ويختلف الامر فيه بدرجات المنكرات في تفاحشها ودرجات الكلام المحذور في نكايته في القلب وقدحه في العرض
فان قيل فلو قصد الانسان قطع طرف من نفسه وكان لا يمتنع عنه الا بقتال ربما يودي الى قتله فهل يقاتل عليه فان قلتم يقاتل
فهو محال لانه اهلاك نفس خوفا من اهلاك طرف وفي اهلاك الطرف ايضا قلنا يمنعه ويقاتله اذ ليس غرضه حفظ نفسه و
طرفه بل الغرض حسم سبيل المنكرات والمعاصي وقتله في الحسبة ليس بمعصية وقطعه طرف نفسه معصية وذلك كدفع الصائل على مال
مسلم بما ياتي على قتله فانه جائز لا على معنى انا نفدي درهما من مال مسلم بروح مسلم فان ذلك محال ولكن قصده لاخذ مال المسلمين معصية
وقتله في الدفع عن المعصية ليس بمعصية وانما المقصود دفع المعاصي فان قيل فان علمنا انه لو خلي بنفسه قطع طرف نفسه فينبغي ان نقتله
في الحال حسما لباب المعصية قلنا ذلك لا نعلمه يقينا ولا يجوز سفك دم بتوهم معصية ولكنا اذا رايناه في حالة مباشرة القطع دفعناه
فان قاتلنا قاتلناه ولم نبال بما ياتي على روحه فاذا المعصية لها ثلاث احوال احدها ان تكون متصرمة فالعقوبة على ما تصرم
منها حد او تعزير وهو الى الولاة لا الى الاحاد الثانية ان تكون راهنة وصاحبها مباشر لها كلبسه الحرير وامساكه العود
والخمر وابطال هذه المعصية واجب بكل ما يمكن ما لم يود الى معصية افحش منها او مثلها وذلك يثبت للاحاد والرعية الثالثة
ان يكون المنكر متوقعا كالذي يستعد بكنس المجلس وتزيينه وجمع الرياحين لشرب الخمر وبعد لم يحضر الخمر فهذا مشكوك فيه اذ ربما
يعوق عنه عائق فلا يثبت للاحاد سلطنة على العازم على الشرب الا بطريق الوعظ والنصح فاما بالتعنيف والضرب فلا يجوز لا
للاحاد ولا للسلطان الا اذا كانت تلك المعصية معلومة منه بالعادة المستمرة وقد اقدم على السبب الذي اليه ولم يبق لحصول
المعصية الا ما ليس له فيه الا الانتظار وذلك كوقوف الاحداث على ابواب حمامات النسا للنظر اليهن عند الدخول والخروج
فانهم يمنعون من ذلك وان لم يضيقوا الطريق لسعته فيجوز الحسبة عليهم باقامتهم من الموضع ومنعهم من الوقوف بالتعنيف و
الضرب وكان تحقيق هذا اذا بحث عنه يرجع الى ان هذا الوقوف في نفسه معصية وان كان مقصد العاصي وراءه كما ان الخلوة
في نفسها معصية لانها مظنة وقوع المعصية وتحصيل مظنة المعصية معصية ونعني بالمظنة ما يتعرض الانسان به لوقوع
المعصية غالبا بحيث لا يقدر على الانكفاف عنها فاذا هو على التحقيق حسبة على معصية راهنة لا على معصية منتظرة الركن

الثاني للحسبة ما فيه الحسبة وهو كل منكر موجود في الحال ظاهر للمحتسب بغير تجسس معلوم كونه منكرا بغير اجتهاد فهذه
اربعة شروط فلنبحث عنها الاول كونه منكرا ونعني به كونه محذور الوقوع في الشرع وعدلنا من لفظ المعصية الى هذا لان
المنكر اعم من المعصية اذ من راى صبيا او مجنونا يشرب الخمر فعليه ان يريق خمره ويمنعه وكذا ان راى مجنونا يزني بمجنونة او بهيمة
فعليه ان يمنعه منه وليس ذلك لتفاحش صورة الفعل وظهوره بين الناس بل لو صادف هذا المنكر في خلوة لوجب المنع منه وهذا
لا يسمى معصية في حق المجنون اذ معصية لا عاصي بها محال فلفظ المنكر ادل عليه واعم من لفظ المعصية اذ معصية لا عاصي بها محال
فلفظ المنكر ادل عليه واعم من لفظ المعصية وقد ادرجنا في عموم هذا الصغيرة والكبيرة فلا تختص الحسبة بالكبائر بل كشف
العورة في الحمام والخلوة بالاجنبية واتباع النظر للنسوة الاجنبيات كل ذلك من الصغائر ويجب النهي عنها وفي الفرق بين الصغيرة
والكبيرة نظر سياتي في كتاب التوبة الشرط الثاني ان يكون موجودا في الحال وهو احتراز عن الحسبة على من فرغ من
شرب الخمر فان ذلك ليس الى الاحاد بعد ان انقرض المنكر واحتراز عما سيوجد في ثاني الحال كمن يعلم بقرينة حاله انه عازم على الشرب
في ليلته فلا حسبة عليه الا بالوعظ وان انكر عزمه عليه لم يجز وعظه ايضا فان فيه اساءة ظن بالمسلم وربما صدق في
قوله وربما لا يقدم على ما عزم عليه لعائق وليتنبه للدقيقة التي ذكرناها وهو ان الخلوة بالاجنبية معصية ناجزة وكذا الوقوف
على باب حمام النسا وما يجري مجراه الشرط الثالث ان يكون المنكر ظاهرا للمحتسب بغير تجسس فكل من ستر معصية
في داره واغلق بابه لا يجوز ان يتجسس عليه وقد نهى الله تعالى عنه وقصة عمر وعبد الرحمن بن عوف رضي الله تسلق دار رجل فراه
على حالة مكروهة فانكر عليه فقال يا امير المؤمنين ان كنت قد عصيت الله من وجه فقد عصيته من ثلاثة اوجه فقال وما هي قال
قد قال الله تعالى ولا تجسسوا وقد تجسست وقال واتوا البيوت من ابوابها وقد تسورت من السطح وقال لا تدخلوا بيوتا
غير بيوتكم حتى تستانسوا وتسلموا على اهلها وما سلمت فتركه عمر رضي الله عنه وشرط عليه التوبة ولذلك شاور عمر الصحابة
رضي الله عنهم وهو على المنبر وسالهم عن الامام اذا شاهد بنفسه منكرا فهل له اقامة الحد فاشار علي رضي الله عنه
بان ذلك منوط بعدلين فلا يكفي فيه واحد وقد اوردنا هذه الاخبار في بيان حق المسلم من كتاب اداب الصحبة فان قلت
فما حد الظهور والاستتار فاعلم ان من اغلق باب داره وتستر بحيطانه فلا يجوز الدخول عليه بغير اذنه لتعرف المعصية
الا ان يظهر في الدار ظهورا يعرفه من هو خارج الدار كاصوات المزامير والاوتار اذا ارتفعت بحيث جاوز ذلك حيطان
الدار فمن سمع ذلك فله دخول الدار وكسر الملاهي وكذلك اذا ارتفعت اصوات السكارى بالكلمات المالوفة بينهم بحيث يسمعه
اهل الشوارع فهذا اظهار موجب للحسبة فاذا انما يدرك مع تخلل الحيطان صوت او رائحة فاذا فاحت رائحة الخمر فان احتمل
ان يكون ذلك من الخمور المحترمة فلا يجوز قصدها بالاراقة وان علم بقرينة الحال انها فاحت لتعاطيهم الشرب فهذا محتمل
والظاهر جواز الحسبة وقد يستر قارورة الخمر في الكم وتحت الذيل وكذلك الملاهي فاذا روي فاسق وتحت ذيله شي
لم يجز ان يكشف عنه ما لم يظهر بعلامة خاصة فان فسقه لا يدل على ان الذي معه خمر اذ الفاسق يحتاج الى الخل وغيره
ولا يجوز ان يستدل باخفائه وانه لو كان خلا لما اخفاه لان الاغراض في الاخفاء مما يكثر وان كانت الرائحة فائحة فهذا محل
النظر والظاهر ان له الاحتساب لان هذه علامة تفيد الظن والظن كالعلم في امثال هذه الامور وكذلك العود ربما يعرف
بشكله اذا كان الثوب الساتر له رقيقا فدلالة الشكل كدلالة الرائحة والصوت وما ظهرت دلالته فهو غير مستور
بل هو مكشوف وقد امرنا بان نستر ما ستر الله وننكر على من ابدى لنا صفحته والابداء له درجات فتارة يبدو لنا بحاسة السمع

وتارة بحاسة الشم وتارة بحاسة البصر وتارة بحاسة اللمس ولا يمكن ان يخصص ذلك بحاسة البصر بل المراد العلم وهذه الحواس ايضا
يفيد العلم فاذا انما يجوز ان يكسر ما تحت الثوب اذا علم انه خمر وليس له ان يقول ارني لاعلم ما فيه فان هذا تجسس ومعنى التجسس
طلب الامارات المعرفة فالامارات المعرفة ان حصلت واورثت المعرفة جاز العمل بمقتضاها فاما طلب الامارة المعرفة
فلا رخصة فيه اصلا الشرط الرابع ان يكون كونه منكرا معلوما بغير اجتهاد فكل ما هو في محل الاجتهاد
فلا حسبة فيه اصلا فليس للحنفي ان ينكر على الشافعي اكله الضب والضبع ومتروك التسمية ولا للشافعي ان ينكر على الحنفي
شربه النبيذ الذي ليس بمسكر وتناوله ميراث ذوي الارحام وجلوسه في دار اخذها بشفعة الجوار الى غير ذلك من مجاري
الاجتهاد نعم لو راى الشافعي شافعيا يشرب النبيذ وينكح بلا ولي ويطا زوجته فهذا في محل النظر والاظهر ان له الحسبة والانكار
اذ لم يذهب احد من المحصلين الى ان المجتهد يجوز له ان يعمل بموجب اجتهاد غيره ولا الذي ادى اجتهاده في التقليد الى شخص راه افضل
العلماء ان له ان ياخذ بمذهب غيره فينتقد من المذاهب اطيبها عنده بل على كل مقلد اتباع مقلده في كل تفصيل فاذا مخالفته
للمقلد متفق على كونه منكرا بين المحصلين وهو عاص بالمخالفة الا انه يلزم من هذا امر اغمض منه وهو انه يجوز للحنفي ان يعترض
على الشافعي اذا نكح بغير ولي بان يقول له الفعل في نفسه حق ولكن لا في حقك فانت مبطل بالاقدام عليه مع اعتقادك ان الصواب
مذهب الشافعي ومخالفة ما هو صواب عندك معصية في حقك وان لم يكن صوابا عند الله وكذلك الشافعي يحتسب على الحنفي
اذا شاركه في اكل الضب ومتروك التسمية وغيره ويقول له اما ان تعتقد ان الشافعي اولى بالاتباع ثم تقدم عليه او لا تقدم عليه على
خلاف معتقدك ثم ينجر هذا الى امر اخر في المحسوسات وهو ان يجامع الاصم مثلا امراة على قصد الزنا وعلم المحتسب ان هذه امراته
زوجها اباه ابوها في صغره ولكنه ليس يدري ويعجز عن تعريفه ذلك لصممه او لكونه غير عالم بلغته فهو في الاقدام مع اعتقاده
انها اجنبية عاص ومعاقب عليه في الدار الاخرة فينبغي ان يمنعه منه مع انها زوجته وهو بعيد من حيث انه حلال في علم الله قريب
من حيث انه حرام عليه بحكم غلطه وجهله ولا شك انه لو علق طلاق زوجته على صفة في قلب المحتسب مثلا من مشيئة او غضب او
غيره وقد وجدت الصفة في قلبه وعجز عن تعريف الزوجين ذلك ولكن علم وقوع الطلاق اذا راه يجامعها فعليه المنع
اعني باللسان لان ذلك زنا الا ان الزاني غير عالم به والمحتسب عالم بانها طلقت منه ثلاثا وكونهما غير عاصيين لجهلهما بوجود الصفة
لا يخرج الفعل عن كونه منكرا ولا يتفاوت ذلك عن زنا المجنون وقد بينا انه يمنع منه فاذا كان يمنع مما هو منكر عند الله وان لم يكن
عند الفاعل الا هو عاص به لعذر الجهل فيلزم من عكس هذا ان يقال ما ليس بمنكر عند الله وانما هو منكر عند الفاعل لجهله لا يمنع
منه وهذا هو الاظهر والعلم عند الله فيحصل من هذا ان الحنفي لا يعترض على الشافعي في النكاح بلا ولي فان الشافعي يعترض
على الشافعي لكون المعترض عليه منكرا باتفاق المحتسب والمحتسب عليه وهذه مسائل فقهية دقيقة والاحتمالات فيها متعارضة
وانما افتينا فيه بحسب ما ترجح عندنا في الحال ولسنا نقطع بخطا المخالف فيها ان راى ان لا يجري الاحتساب الا في معلوم
على القطع وقد ذهب اليه ذاهبون وقالوا لا حسبة الا في مثل الخمر والخنزير وما يقطع بكونه حراما ولكن الاشبه عندنا ان الاجتهاد
يؤثر في حق المجتهد اذ يبعد غاية البعد ان يجتهد في القبلة ويعترف بظهور القبلة عنده في جهة بالادلة الظنية ثم يستدبرها
ولا يمنع عنه لاجل ظن غيره ان الاستدبار هو الصواب وراي من يرى انه يجوز لكل مقلد ان يختار من المذاهب
ما اراد غير معتد به ولعله لا يصح ذهاب ذاهب اليه اصلا فهذا مذهب لا يثبت وان ثبت فلا يعتد به فان قلت اذا كان
لا يعترض على الحنفي في النكاح بلا ولي لانه يرى انه حق فينبغي ان لا يعترض على المعتزلي في قوله ان الله لا يرى ولا في قوله الخير من الله

من الله والشر ليس من الله وفي قوله كلام الله مخلوق ولا على الحشوي في قوله ان الله لا يرى ولا في قوله ان الله تعالى جسم وله صورة
وانه مستقر على العرش بل لا ينبغي ان يعترض على الفلسفي في قوله الاجساد لا تبعث وانما تبعث النفوس لان هؤلاء ايضا ادى اجتهادهم
الى ما قالوه وهم يظنون ان ذلك هو الحق قلنا بطلان مذاهب هؤلاء ظاهر فبطلان مذهب من يخالف نص الحديث الصحيح ايضا ظاهر
وكما ثبت بظواهر النصوص انه يرى والمعتزلي ينكره بالتاويل فكذلك ثبت بظواهر النصوص مسائل خالف فيها الحنفي كمسئلة النكاح
بلا ولي ومسئلة شفعة الجوار ونظائرها فاعلم ان المسائل تنقسم الى ما يتصور ان يقال فيها كل مجتهد مصيب وهي احكام الافعال
في الحل والحرمة وذلك هو الذي لا يعترض على المجتهدين فيه اذ لا يعلم خطؤهم قطعا بل ظنا والى ما لا يتصور ان يكون المصيب فيه
الا واحدا كمسئلة الرؤية والقدر وقدم الكلام ونفي الصورة الجسمية والاستقرار عن الله تعالى فهذا مما يعلم خطا المخطئ فيه
قطعا فلا يبقى لخطائه الذي هو جهل محض عذر فاذا البدع كلها ينبغي ان يحسم ابوابها وينكر على المبتدعين بدعهم وان اعتقدوا
انها الحق كما يرد على اليهود والنصارى كفرهم وان كانوا يعتقدون ان ذلك حق لان خطاهم معلوم على القطع بخلاف الخطا في
مظان الاجتهاد فان قلت فمهما اعترضت على القدري في قوله الشر ليس من الله اعترض عليك القدري ايضا في قولك الشر من الله
وكذلك في قولك ان الله يرى وفي سائر المسائل اذ المبتدع محق عند نفسه والمحق مبتدع عند المبتدع وكل يدعي انه محق وينكر كونه
مبتدعا فكيف يتم الاحتساب فاعلم انا لاجل هذا التعارض نقول ينظر الى البلدة التي فيها اظهرت تلك البدعة فان كانت البدعة
غريبة والناس كلهم على السنة فلهم الحسبة عليه بغير اذن السلطان وان انقسم اهل البلد الى اهل البدعة واهل
السنة كان في الاعتراض تحريك فتنة بالمقاتلة فليس للآحاد الحسبة في المذاهب الا بنصب السلطان فاذا راى السلطان الراي الحق
ونصره واذن لواحد ان يزجر المبتدعة عن اظهار البدعة كان له ذلك وليس لغيره فان ما يكون باذن السلطان لا يتقابل وما يكون
وما يكون من جهة الآحاد فيتقابل الامر فيه وعلى الجملة فالحسبة في البدع اهم من الحسبة في كل المنكرات ولكن ينبغي ان يراعى فيها
هذا التفصيل الذي ذكرناه كيلا يتقابل الامر فيه ولا ينجر الى تحريك الفتنة بل لو اذن السلطان مطلقا في منع كل من يصرح
بان القرآن مخلوق وان الله لا يرى وانه مستقر على العرش مماس له او غير ذلك من البدع تسلط الآحاد على المنع منه ولم يتقابل
الامر فيه وانما يتقابل عند عدم اذن السلطان فقط الركن الثالث المحتسب عليه وشرطه ان يكون بصفة يصير الفعل
الممنوع منه في حقه منكرا عليه واقل ما يكفي في ذلك ان يكون انسانا ولا يشترط كونه مكلفا اذ بينا ان الصبي لو شرب الخمر منع منه
واحتسب عليه وان كان قبل البلوغ ولا يشترط كونه مميزا اذ بينا ان المجنون لو كان يزني بمجنونة او ياتي بهيمة وجب منعه
منه نعم من الافعال ما لا يكون منكرا في حق المجنون كترك الصلوة والصوم وغيره ولكنا لسنا نلتفت الى اختلاف التفاصيل
فان ذلك ايضا مما يختلف فيه المقيم والمسافر والمريض والصحيح وغرضنا الاشارة الى الصفة التي بها يتهيا توجه اصل
الانكار عليه لا ما بها يتهيا للتفاصيل فان قلت فاكتف بكونه حيوانا ولا يشترط كونه انسانا فان البهيمة لو كانت تفسد
زرعا لانسان لكنا نمنعها منه كما نمنع المجنون من الزنا واتيان البهيمة فاعلم ان تسمية ذلك حسبة لا وجه له اذ الحسبة عبارة
عن المنع عن منكر لحق الله صيانة للممنوع عن مقارفة المنكر ومنع المجنون عن الزنا واتيان البهيمة لحق الله وكذا منع الصبي عن شرب
الخمر والانسان اذا اتلف زرع غيره منع منه لحقين احدهما حق الله تعالى بان فعله معصية والثاني حق المتلف عليه فهما علتان
تنفصل احديهما عن الاخرى فلو قطع طرف غيره باذنه فقد وجدت المعصية وسقط حق المجني عليه باذنه فتثبت الحسبة والمنع
باحدى العلتين والبهيمة اذا اتلفت فقد عدمت المعصية ولكن يثبت المنع باحدى العلتين وهو فيه دقيقة وهو انا لسنا

يقصد باخراج البهيمة منع البهيمة بل حفظ مال المسلم اذ البهيمة لو اكلت ميتة او شربت من اناء فيه خمر او ماء مشوب بخمر لم نمنعها
منه بل يجوز اطعام كلاب الصيد الجيف والميتات ولكن مال المسلم اذا تعرض للضياع وقدرنا على حفظه بغير تعب وجب علينا
حفظ ذلك المال بل لو وقعت جرة لانسان من علو وتحتها قارورة لغيره فيدفع الجرة لحفظ القارورة لا لمنع الجرة من
السقوط فانا لا نمنع الجرة وحراستها من ان تصير كاسرة للقارورة ونمنع المجنون من الزنا واتيان البهيمة وشرب الخمر وكذا الصبي
لا صيانة للبهيمة المأتية والخمر المشروب بل صيانة للمجنون عن شرب الخمر وتنزيها له من حيث انه انسان محترم فهذه لطائف
دقيقة لا يتفطن لها الا المحققون فلا ينبغي ان يغفل عنها ثم فيما يجب تنزيه الصبي والمجنون عنه نظر اذ قد يتردد في منعهما من لبس
الحرير وفي غير ذلك وسنتعرض فيما نشير اليه في الباب الثالث فان قلت فكل من راى بهائم قد استرسلت في زرع انسان
فهل يجب عليه اخراجها وكل من راى مالا لمسلم اشرف على الضياع هل يجب عليه حفظه فان قلتم ان ذلك واجب فهذا تكليف
شطط يؤدي الى ان يصير الانسان مسخرا لغيره طول عمره وان قلتم لا يجب فلم يجب الاحتساب على من يغصب مال غيره وليس له سبب
سوى مراعاة مال الغير فنقول هذا بحث دقيق غامض والقول الوجيز فيه ان نقول مهما قدر على حفظه عن الضياع من غير ان
يناله تعب في بدنه او خسران في ماله او نقصان في جاهه وجب عليه ذلك فذلك القدر عليه واجب في حقوق المسلم بل هو اقل
درجات الحقوق والادلة الموجبة لحقوق المسلم كثيرة وهذا اقل درجاتها وهو اولى بالايجاب من رد السلام فان الاذى في هذا
اكثر من الاذى في ترك رد السلام بل لا خلاف في ان مال الانسان اذا كان يضيع بظلم ظالم وكان عنده شهادة لو تكلم بها لرجع الحق
اليه وجب عليه ذلك وعصى بكتمان الشهادة فترك كل دفع لا ضرر على الدافع فيه فاما ان كان عليه تعب او ضرر في مال او
جاه لم يلزمه ذلك لان حقه مرعي في منفعة بدنه وفي ماله وجاهه كحق غيره فلا يلزمه ان يفدي غيره بنفسه نعم الايثار مستحب و
تجشم المصاعب لاجل المسلمين قربة فاما ايجابه فلا فاذا كان يتعب باخراج البهائم عن الزرع لم يلزمه السعي في ذلك ولكن
اذا كان لا يتعب بتنبيه صاحب الزرع من نومه او باعلامه وهو غافل يلزمه ذلك فاهمال تعريفه وتنبيهه كاهمال تعريف القاضي
بالشهادة وذلك لا رخصة فيه ولا يمكن ان يراعى فيه الاقل والاكثر حتى يقال ان كان لا يضيع من منفعته في مدة اشتغاله
باخراج البهائم الا قدر درهم مثلا وصاحب الزرع يفوته مال كثير فيترجح جانبه لان الدرهم الذي هو يستحق حفظه كما يستحق صاحب
الالف حفظ الالف فلا سبيل للمصير الى ذلك فاما اذا كان فوات المال بطريق هو معصية كالغصب او قتل عبد مملوك للغير فهذا
يجب المنع منه وان كان فيه تعب ما لان المقصود حق الشرع والغرض دفع المعصية وعلى الانسان ان يتعب نفسه في ترك المعاصي
كما عليه ان يتعب نفسه في ترك المعاصي والمعاصي كلها في تركها تعب وانما الطاعة كلها ترجع الى مخالفة النفس وهو غاية التعب ثم
لا يلزمه احتمال كل ضرر بل التفصيل فيه ما ذكرناه من درجات المحذورات التي يخافها المحتسب وقد اختلف الفقهاء في مسألتين تقرب
من غرضنا احداهما ان الالتقاط هل هو واجب واللقطة في موضع لو تركها فيه لم تضع بل يلتقطها من يعرفها او يتركها كما لو كان
في مسجد او رباط يتعين من يدخله وكلهم امناء فلا يلزم الالتقاط وان في مضيعة نظرت فان كان عليه تعب في حفظها كما
لو كانت بهيمة وتحتاج الى علف واصطبل فلا يلزمه ذلك لانه انما يجب الالتقاط لحق المالك وحقه بسبب كونه انسانا
محترما والملتقط ايضا انسان وله حق في ان لا يتعب لاجل غيره كما لا يتعب غيره لاجله وان كان ذهبا او ثوبا او شيئا لا ضرر عليه
فيه الا مجرد تعب التعريف فهذا ينبغي ان يكون في محل الوجهين فقائل يقول التعريف والقيام بشرطه فيه تعب فلا سبيل الى
الزامه ذلك الا ان يتبرع فيلتزم حينئذ طلبا للثواب وقائل يقول ان هذا القدر من التعب مستصغر بالاضافة الى مراعاة حقوق

المسلمين فينزل هذا منزلة تعب الشاهد في حضور مجلس الحكم فانه لا يلزمه السفر الى بلدة اخرى الا ان يتبرع به واذا
كان مجلس القاضي في جواره لزمه الحضور وكان هذا التعب بهذه الخطوات لا يعد تعبا في غرض اقامة الشهادة واداء
الامانة وان كان في الطرف الآخر من البلد واحوج الى الحضور في الهاجرة وعند شدة الحر فهذا قد يقع في محل الاجتهاد و
النظر فان الضرر الذي ينال الساعي في حفظ حق الغير له طرف في القلة لا يشك في انه لا يلزمه احتماله ووسط يتجاذبه
الطرفان ويكون ابدا في محل الشبهة والنظر وهي من الشبهات المزمنة التي ليس في مقدور البشر ازالتها اذ لا علة تفرق بين جوانبها
المتقابلة ولكن المتقي ينظر فيه لنفسه ويدع ما يريبه الى ما لا يريبه فهذا نهاية الكشف عن هذا الاصل

الركن الرابع

نفس الاحتساب وله درجات وآداب اما الدرجات فاولها التعرف ثم التعريف ثم النهي ثم الوعظ والنصح ثم السب
والتعنيف ثم التغيير باليد ثم التهديد بالضرب ثم ايقاع الضرب وتحقيقه ثم شهر السلاح ثم الاستظهار فيه بالاعوان وجمع الجنود
اما الدرجة الاولى وهي التعرف ونعني به طلب المعرفة بجريان المنكر وذلك منهي عنه وهو التجسس الذي ذكرناه فلا ينبغي
ان يسترق السمع على دار غيره ليسمع صوت الاوتار ولا ان يستنشق ليدرك رائحة الخمر ولا ان يمس ما في ثوبه ليعرف شكل المزمار
ولا ان يستخبر من جيرانه ليخبروه بما يجري في داره نعم لو اخبره عدلان ابتداء من غير استخبار بان فلانا يشرب الخمر في داره او
بان في داره خمرا اعده للشرب فله اذ ذاك ان يدخل داره ولا يلزمه الاستئذان ويكون تخطي ملكه بالدخول للتوصل الى دفع
المنكر ككسر راسه بالضرب للمنع مهما احتاج اليه وان اخبره عدلان او عدل واحد وبالجملة كل من تقبل روايته دون شهادته
ففي جواز الهجوم على داره بقولهم نظر واحتمال والاولى ان يمتنع لان له حقا في ان لا يتخطى داره بغير اذنه ولا يسقط حق المسلم
عما ثبت عليه حقه الا بشاهدين فهذا اولى ما يجعل مردا فيه وقد قيل انه كان نقش خاتم لقمان الستر لما عاينت احسن
من اذاعة ما ظننت الدرجة الثانية التعريف فان المنكر قد يقدم عليه المقدم لجهله واذا عرف انه منكر تركه
كالسوادي يصلي ولا يحسن الركوع والسجود فيعلم ان ذلك لجهله بان هذه ليست بصلاة ولو رضي بان لا يكون مصليا لترك الصلاة
فيجب تعريفه باللطف من غير عنف وذلك لان في ضمن التعريف نسبة الى الجهل والحمق والتجهيل ايذاء وقلما يرضى الانسان
بان ينسب الى الجهل بالامور الدينية لا سيما بالشرع ولذلك ترى الذي يغلب عليه الغضب كيف يغضب اذا نبه على الخطأ
والجهل وكيف يجتهد في مجاحدة الحق بعد معرفته خيفة من ان تنكشف عورة جهله والطباع احرص على ستر العورة الحقيقية لان
الجهل قبح في صورة النفس وسواد في وجهه وصاحبه ملوم عليه وقبح السوأتين يرجع الى صورة البدن والنفس اشرف من البدن
وقبحها اشد من قبح البدن ثم هو غير ملوم عليه لانه خلقة لم يدخل تحت اختياره حصوله ولا في اختياره ازالته وتحسينه
والجهل قبح يمكن ازالته وتبديله بحسن العلم فلذلك يعظم تألم الانسان بظهور جهله ويعظم ابتهاجه في نفسه بعلمه ثم لذته عند
ظهور جمال علمه لغيره واذا كان التعريف كشفا للعورة مؤذيا للقلب فلا بد ان يعالج دفع اذاه بلطف الرفق فنقول له ان
الانسان لا يولد عالما ولقد كنا جاهلين بامور الصلاة فعلمنا العلماء ولعل قريتك خالية عن اهل العلم او عالمها مقصر في شرح
الصلاة وايضاحها انما شرط الصلاة الطمأنينة في الركوع والسجود وهكذا يتلطف به ليحصل التعريف من غير ايذاء فان ايذاء
المسلم حرام محذور كما ان تقريره على المنكر محذور وليس من العقلاء من يغسل الدم بالدم او بالبول ومن اجتنب محذور السكوت
على المنكر واستبدل عنه محذور الايذاء للمسلم مع الاستغناء عنه فقد غسل الدم بالبول على التحقيق واما اذا وقفت على
خطأ في غير امر الدين فلا ينبغي ان ترده عليه فانه يستفيد منك علما ويصير لك عدوا الا اذا علمت انه يغتنم العلم وذلك عزيز جدا

الدرجة الثالثة النهي بالوعظ والنصح والتخويف بالله وذلك فيمن يقدم على الامر وهو عالم بكونه منكرا او فيمن اصر
عليه بعد ان عرف كونه منكرا كالذي يواظب على الشرب او على الظلم او على اغتياب المسلمين او ما يجري مجراه فينبغي ان يوعظ و
يخوف بالله ويورد عليه الاخبار الواردة بالوعيد في ذلك ويحكى له سيرة السلف وعادة المتقين وكل ذلك بشفقة ولطف
من غير عنف وغضب بل ينظر اليه نظر المترحم عليه ويرى اقدامه على المعصية مصيبة على نفسه اذ المسلمون كنفس واحدة وههنا آفة
عظيمة ينبغي ان يتوقاها فانها مهلكة وهو ان العالم يرى عند التعريف عز نفسه بالعلم وذل غيره بالجهل فربما يقصد بالتعريف الاذلال
واظهار التميز بشرف العلم واذلال صاحبه بالنسبة الى خسة الجهل فان كان الباعث هذا فهذا المنكر اقبح في نفسه من المنكر الذي
يعترض عليه ومثال هذا المحتسب مثال من يخلص غيره من النار باحراق نفسه وهو غاية الجهل وهذه مزلة عظيمة وغائلة هائلة وغرور
للشيطان يتدلى بحبله كل انسان الا من عرفه الله تعالى عيوب نفسه وفتح بصيرته بنور هدايته فان في الاحتكام على الغير لذة
للنفس عظيمة من وجهين احدهما من جهة دالة العلم والاخر من جهة دالة الاحتكام والسلطنة وذلك يرجع الى الرياء وطلب
الجاه وهو الشهوة الخفية الداعية الى الشرك الخفي وله محك ومعيار ينبغي ان يمتحن به المحتسب نفسه وهو ان يكون امتناع
ذلك الانسان عن المنكر بنفسه او باحتساب غيره احب اليه من امتناعه باحتسابه فان كانت الحسبة شاقة عليه ثقيلة على نفسه
وهو يود ان يكفى بغيره فليحتسب فان باعثه هو الدين فان كان اتعاظ ذلك العاصي بوعظه وانزجاره بزجره احب اليه من اتعاظه
بوعظ غيره فما هو الا متبع هوى نفسه ومتوسل الى اظهار جاه نفسه بواسطة حسبته فليتق الله وليحتسب اولا على نفسه وعند
هذا يقال له ما قيل لعيسى عليه السلام يا ابن مريم عظ نفسك فان اتعظت فعظ غيرك والا فاستحي مني وقيل لداود الطائي ارايت
رجلا دخل على هؤلاء الامراء فامرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر قال اخاف عليه السوط قال انه يقوى عليه قال اخاف عليه السيف
قيل انه يقوى نفسه قال اخاف عليه الداء الدفين العجب الدرجة الرابعة السب والتعنيف بالقول الغليظ
الخشن وذلك يعدل اليه عند العجز عن المنع باللطف وظهور مبادي الاصرار والاستهزاء بالوعظ والنصح وذلك مثل قول
ابرهيم صلى الله عليه وسلم اف لكم ولما تعبدون من دون الله افلا تعقلون ولسنا نعني بالسب الفحش بما فيه نسبة الى الزنا ومقدماته
ولا الكذب بل ان يخاطبه بما فيه مما لا يعد من جملة الفحش كقوله يا فاسق يا احمق يا جاهل الا تخاف الله وكقوله يا غبي يا سوادي
يا ابله وما يجري هذا المجرى فان كل فاسق فهو احمق وجاهل ولولا حمقه لما عصى الله بل كل من ليس بكيس فهو احمق والكيس من شهد
له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكياسة حيث قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها
وتمنى على الله ولهذه الرتبة ادبان احدهما ان لا يقدم عليه الا عند الضرورة والعجز عن اللطف والثاني ان لا ينطق الا بالصدق
ولا يسترسل فيه فيطلق لسانه الطويل بما لا يحتاج اليه بل يقتصر على قدر الحاجة فان علم ان خطابه بهذه الكلمات الزاجرة ليس يزجره
فلا ينبغي ان يطلقه بل يقتصر على اظهار الغضب والاستحقار له والازراء بمحله لاجل المعصية وان علم انه لو تكلم ضرب ولو اكفهر
واظهر الكراهة بوجهه لم يضرب لزمه ولم يكفه الانكار بالقلب بل يلزمه ان يقطب وجهه ويظهر الانكار له الدرجة الخامسة
التغيير باليد وذلك ككسر الملاهي واراقة الخمور وخلع الحرير من راسه وعن بدنه ومنعه من الجلوس عليه ودفعه عن الجلوس
على مال الغير واخراجه من الدار المغصوبة بالجر برجله واخراجه من المسجد اذا كان جالسا وهو جنب وما يجري مجراه ويتصور ذلك
في بعض المعاصي دون بعض فاما معاصي اللسان والقلب فلا يقدر على مباشرة تغييرها وكذلك كل معصية تقتصر على نفس العاصي
وجوارحه الباطنة وفي هذه الدرجة ادبان احدهما ان لا يباشر بيده التغيير ما لم يعجز عن تكليف المحتسب عليه فاذا امكنه ان

ان يكلفه المشي في الخروج عن الارض المغصوبة والمسجد فلا ينبغي ان يدفعه او يجره واذا قدر على ان يكلفه اراقة الخمر وكسر الملاهي وحل
دروز الثوب الحرير فلا ينبغي ان يباشر ذلك بنفسه فان في الوقوف على حد الكسر نوع عسر فاذا لم يتعاط ذلك بنفسه كفى الاجتهاد
فيه وتولاه من لا حجر عليه في فعله الثاني ان يقتصر في طريق التغيير على القدر المحتاج اليه وهو ان لا ياخذ بلحيته في الاخراج ولا برجله
اذا قدر على جره بيده فان زيادة الاذى فيه مستغنى عنه ولا يمزق الثوب الحرير بل يحل دروزه فقط ولا يحرق الملاهي والصليب
الذي اظهره النصارى بل يبطل صلاحيتها للفساد بالكسر وحد الكسر ان يصير الى حال يحتاج في استئناف اصلاحه الى تعب يساوي تعب
الاستئناف من الخشب ابتداء وفي اراقة الخمور يتوقى كسر الاواني ان وجد اليه سبيلا فان لم يقدر عليها الا بان يرمي ظروفها بحجر
فله ذلك وسقطت قيمة الظرف وتقومه بسبب الخمر اذ صار حائلا بينه وبين الوصول الى الخمر ولو ستر الخمر ببدنه لكنا نقصد بدنه بالضرب
والجرح لنتوصل الى اراقة الخمر فاذا لا تزيد حرمة ملكه في الظروف على حرمة نفسه ولو كان الخمر في قوارير ضيقة الرؤوس ولو اشتغل
باراقتها طال الزمان وادركه الفساق ومنعوه فله كسرها فهذا عذر وان كان لا يحذر ظفر الفساق به ومنعهم ولكن كان
يضيع فيه زمانه وتتعطل عليه اشغاله فله كسرها فليس عليه ان يضيع منفعة بدنه وغرضه من اشغاله لاجل ظروف الخمر
وحيث تكون الاراقة متيسرة بلا كسر فاذا كسر لزمه الضمان فان قلت فهلا جاز الكسر لاجل الزجر وهلا جاز الجر بالرجل في الاخراج
عن الارض المغصوبة ليكون ابلغ في الزجر فاعلم ان الزجر انما يكون عن المستقبل والعقوبة تكون على الماضي والدفع عن الحاضر الراهن وليس الى
آحاد الرعية الا الدفع وهو اعدام المنكر فما زاد على اعدام المنكر فهو اما عقوبة على جريمة سابقة او زجر عن لاحق وذلك الى الولاة لا
الى الرعية نعم الوالي له ان يفعل ذلك اذا راى المصلحة فيه واقول ان يامر بكسر الظروف التي فيها الخمور زجرا وقد فعل رسول الله
صلى الله عليه وسلم تاكيدا للزجر ولم يثبت نسخه ولكن كانت الحاجة الى الزجر والفطام شديدة فاذا راى الوالي باجتهاده مثل ذلك
واذا كان هذا منوطا بنوع اجتهاد دقيق لم يكن ذلك لآحاد الرعية فان قلت فليجز للسلطان زجر الناس عن المعاصي باتلاف
اموالهم وتخريب دورهم التي فيها يشربون ويعصون واحراق اموالهم التي بها يتوصلون الى المعاصي فاعلم ان ذلك لو ورد الشرع
به لم يكن خارجا عن سنن المصالح ولكنا لا نبتدع المصالح بل نتبع فيها وكسر ظروف الخمر قد ثبت عند شدة الحاجة وتركه بعد
ذلك لعدم شدة الحاجة لا يكون نسخا بل الحكم يزول بزوال العلة ويعود بعودها فانما جوزنا ذلك للامام بحكم الاتباع و
منعنا آحاد الرعية منه لخفاء وجه الاجتهاد فيه بل نقول لو اريقت الخمور اولا فلا يجوز كسر الاواني بعدها وانما جاز كسرها
تبعا للخمر فاذا خلت عنها فهو اتلاف مال الا ان تكون ضارية بالخمر لا تصلح الا لها فكان الفعل المنقول عن العصر الاول كان مقرونا
بمعنيين احدهما شدة الحاجة الى الزجر والاخر تبعية الظروف للخمر التي هي مشغولة بها وهما معنيان مؤثران لا سبيل الى حذفهما
ومعنى ثالث وهو صدوره عن راي صاحب الامر لعلمه بشدة الحاجة الى الزجر وهو ايضا مؤثر فلا سبيل الى الغائه فهذه تصرفات
دقيقة فقهية يحتاج المحتسب الى معرفتها الدرجة السادسة التهديد والتخويف كقوله دع هذا عنك او لاكسرن راسك
او لاضربن رقبتك او لآمرن بك وما اشبهه وهذا ينبغي ان يقدم على تحقيق الضرب اذا امكن تقديمه والادب في هذه الرتبة ان
لا يهدده بوعيد لا يجوز تحقيقه كقوله لانهبن دارك او لاضربن ولدك او لاسبين زوجتك وما يجري مجراه بل ان قال
ذلك عن عزم فهو حرام وان قاله عن غير عزم فهو كذب نعم اذا تعرض لوعيده بالضرب والاستخفاف فله العزم عليه
الى حد معلوم يقتضيه الحال وله ان يزيد في الوعيد على ما هو في عزم الباطن اذا علم ان ذلك يقمعه ويردعه وليس ذلك
من الكذب المحذور بل المبالغة في ذلك معتاد وهو في معنى مبالغة الرجل في اصلاحه بين شخصين وتاليفه بين الضرتين وذلك

ذلك وزماده

مما قد رخص فيه للحاجة وهذا في معناه فان القصد به اصلاح ذلك الشخص والى هذا المعنى اشار بعض الناس بانه لا يقبح من الله ان يتوعد بما لا يفعل لان الخلف في الوعيد كرم وانما يقبح ان يعد بما لا يفعل وهذا غير مرضي فان الكلام القديم لا يتطرق اليه الخلف وعدا كان او وعيدا وانما يتصور هذا في حق العباد وهو كذلك اذ الخلف في الوعيد ليس بحرام • الدرجة السابعة مباشرة الضرب باليد والرجل وغير ذلك مما ليس فيه شهر سلاح وذلك جائز للآحاد بشرط الضرورة والاقتصار على قدر الحاجة في الدفع فاذا اندفع المنكر فينبغي ان يكف والقاضي يرهق من ثبت عليه الحق الى الاداء بالحبس فان اصر المحبوس وعلم القاضي قدرته على اداء الحق وكونه معاندا فله ان يلزمه الاداء بالضرب على التدريج كما يحتاج اليه وكذلك المحتسب يراعي التدريج فان احتاج الى شهر سلاح وكان يقدر على دفع المنكر بشهر السلاح وبالجرح فله ان يتعاطى ذلك كما لو قبض فاسق مثلا على امراة وكان يضرب بمزمار معه وبينه وبين المحتسب نهر حائل او جدار مانع فياخذ قوسه ويقول له خل عنها او لارمينك فان لم يخل عنها فله ان يرميه وينبغي ان لا يقصد المقتل بل الساق والفخذ وما اشبهه ويراعي فيه التدريج وكذلك يسل السيف ويقول اترك هذا المنكر او لاضربنك فكل ذلك منكر دفع المنكر ودفعه واجب بكل ممكن ولا فرق في ذلك بين ما يتعلق بخاص حق الله تعالى وما يتعلق بالآدميين وقالت المعتزلة ما لا يتعلق بالآدميين فلا حسبة فيه الا بالكلام او بالضرب ولكن للامام لا للآحاد • الدرجة الثامنة ان لا يقدر عليه بنفسه ويحتاج فيه الى اعوان يشهرون السلاح وربما يستمد الفاسق باعوانه ويؤدي ذلك الى ان يتقابل الصفان ويتقاتلا فهذا قد ظهر الاختلاف في احتياجه الى اذن الامام فقال قائلون لا يستقل آحاد الرعية بذلك لانه يؤدي الى تحريك الفتن وهيجان الفساد وخراب البلاد وقال آخرون لا يحتاج الى الاذن وهو الاقيس لانه اذا جاز للآحاد الامر بالمعروف واوائل درجاته تجر الى ثوان تنتهي لا محالة الى التضارب والتضارب يدعو الى التعاون فلا ينبغي ان يبالي بلوازم الامر بالمعروف ومنتهاه تجنيد الجنود في رضا الله تعالى وطاعته ودفع معاصيه ونحن نجوز للآحاد من الغزاة ان يجتمعوا ويقاتلوا من ارادوا من فرق الكفار قمعا لاهل الكفر فكذلك قمع اهل الفسق جائز لان الكافر لا باس بقتله والمسلم ان قتل فهو شهيد فكذلك قمع اهل الفسق جائز لان الكافر الفاسق المناضل عن فسقه لا باس بقتله والمحتسب المحق ان قتل مظلوما فهو شهيد وعلى الجملة وانتهاء الامر الى هذا من النوادر في الحسبة فلا يغير به قانون القياس بل يقال كل من قدر على دفع منكر فله ان يدفع ذلك بيده وبسلاحه وبنفسه وباعوانه فالمسألة اذا محتملة كما ذكرناه فهذه درجات الاحتساب فلنذكر آدابها • بيان

آداب المحتسب قد ذكرنا تفاصيل الآداب في آحاد الدرجات ونذكر الآن جملها ومصادرها فنقول جميع آداب المحتسب مصدرها ثلاث صفات في المحتسب العلم والورع وحسن الخلق اما العلم فليعلم مواقع الحسبة وحدودها ومجاريها وموانعها ليقتصر على حد الشرع فيه واما الورع فليردعه عن مخالفة معلومه فلا كل من علم عمل بعلمه بل ربما يعلم انه مسرف في الحسبة وزائد على الحد المأذون فيه شرعا ولكن يحمله عليه غرض من الاغراض وليكن كلامه ووعظه مقبولا فان الفاسق يهزأ به اذا احتسب وذلك يورث جراءة واما حسن الخلق فليتمكن من اللطف والرفق وهو اصل الباب واساسه والعلم والورع لا يكفي فيه فان الغضب اذا هاج لم يكف مجرد العلم والورع في قمعه ما لم يكن في الطبع قبول له بحسن الخلق وعلى التحقيق فلا يتم الورع الا مع حسن الخلق والقدرة على ضبط الشهوة والغضب وبه يصبر المحتسب على ما اصابه في دين الله والا فاذا اصيب عرضه او نفسه بشتم او ضرب او سب بغى الحسبة ايضا منكرة لمجاوزة حد الشرع فيها ودل على هذه الآداب قوله صلى الله عليه وسلم لا يامر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر الا رفيق فيما يامر به رفيق فيما ينهى عنه حليم فيما يامر به بالمعروف وينهى عن المنكر وكذا الحلم قال الحسن اذا كنت ممن يامر بالمعروف فكن من آخذ الناس به والا هلكت وقد قيل

لا تلم المرء على فعله ... وانت منسوب الى مثله

من ذم شيئا واتى مثله ... فانما يزري على عقله

ولسنا نعني بهذا ان الامر بالمعروف يصير ممنوعا بالفسق ولكن يسقط اثره عن القلوب بظهوره للناس وقد روى انس قال قلنا يا رسول الله لا نامر بالمعروف حتى نعمل به كله ولا ننهى عن المنكر حتى نجتنبه كله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل مروا بالمعروف وان لم تعملوا به كله وانهوا عن المنكر وان لم تجتنبوه كله واوصى بعض السلف بنيه فقال ان اراد احدكم ان يامر بالمعروف فليوطن نفسه على الصبر وليثق بالثواب من الله فمن وثق بالثواب لم يجد مس الاذى فاذا من آداب الحسبة توطين النفس على الصبر ولذلك قرن الله سبحانه وتعالى الصبر بالامر بالمعروف فقال حاكيا عن لقمان عليه السلام يا بني اقم الصلوة وامر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك ومن الآداب تقليل العلائق حتى لا يكثر خوفه وقطع الطمع عن الخلائق حتى تزول عنه المداهنة فقد روي عن بعض المشايخ انه كان له سنور وكان ياخذ من قصاب في جواره كل يوم شيئا من الغدد لسنوره فراى على القصاب منكرا فدخل الدار اولا واخرج السنور ثم جاء واحتسب على القصاب فقال القصاب لا اعطيك بعد هذا شيئا لسنورك فقال ما احتسبت عليك الا بعد اخراج السنور وقطع الطمع منك وهو كما قال فمن لم يقطع الطمع من الخلق لم يقدر على الحسبة ومن طمع في ان قلوب الناس عليه طيبة والسنتهم بالثناء عليه مطلقة لم تتيسر له الحسبة قال كعب لابي مسلم الخولاني كيف منزلتك من قومك قال حسنة قال كعب ان التوراة تقول ان الرجل اذا امر بالمعروف ونهى عن المنكر ساءت منزلته عند قومه فقال ابو مسلم صدقت التوراة وكذب ابو مسلم ويدل على وجوب الرفق ما استدل به المامون رحمه الله اذ وعظه واعظ وعنف له في القول فقال يا رجل ارفق فقد بعث الله من هو خير منك الى من هو شر مني وامره بالرفق فقال فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى فليكن اقتداء المحتسب في الرفق بالانبياء عليهم السلام فقد روى ابو امامة ان غلاما شابا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اتاذن لي في الزنا فصاح الناس به فقال صلى الله عليه وسلم قربوه ادن فدنا حتى جلس بين يديه فقال عليه السلام اتحبه لامك فقال لا جعلني الله فداك قال كذلك الناس لا يحبونه لامهاتهم قال اتحبه لابنتك قال لا جعلني الله فداك قال كذلك لا يحبونه لبناتهم اتحبه لاختك وزاد ابن عوف انه ذكر العمة والخالة وهو يقول في كل لا جعلني الله فداك وهو صلى الله عليه وسلم يقول كذلك الناس لا يحبونه وقالا جميعا في حديثهما اعني ابن عوف والراوي الآخر فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على صدره وقال اللهم طهر قلبه واغفر ذنبه وحصن فرجه فلم يكن شيء ابغض اليه منه يعني من الزنا وقيل للفضيل بن عياض ان سفيان بن عيينة قبل جوائز السلطان فقال له الفضيل ما اخذ الا دون حقه ثم خلا به وعذله ووبخه فقال ها ها والله يا ابا علي فان لم نكن من الصالحين فانا لنحب الصالحين وقال حماد بن سلمة ان صلة بن اشيم مر عليه رجل قد اسبل ازاره فهم اصحابه ان ياخذوه بشدة فقال دعوني انا اكفيكم فقال يا ابن اخي ان لي اليك حاجة فقال وما حاجتك يا عم فقال احب ان ترفع من ازارك فقال نعم وكرامة فرفع لاصحابه لو اخذتموه بشدة لقال لا ولا كرامة وشتمكم وقال محمد بن زكريا الغلابي

ازاره فقال

شهدت عبيد الله بن محمد بن عائشة ليلة وقد خرج من المسجد بعد المغرب يريد منزله واذا في طريقه غلام من قريش سكران وقد قبض على امراة فجذبها فاستغاثت فاجتمع الناس عليه يضربونه فنظر اليه ابن عائشة فعرفه فقال للناس تنحوا عن ابن اخي ثم قال يا ابن اخي فاستحيى الغلام فجاء اليه فضمه الى نفسه ثم قال له امض معي فمضى معه حتى صار الى منزله فادخله الدار وقال لبعض غلمانه بيته عندك فاذا افاق من سكره فاعلمه بما كان منه ولا تدعه ينصرف حتى ياتيني به فلما افاق ذكر له ما جرى فاستحيى منه

وبكى فهمّ بالانصراف فقال الغلام قد امرت ان تاتيه فادخله عليه فقال له اما استحييت لنفسك اما استحييت لشرفك اما تحي من ولدك اتق الله وارجع عما انت عليه فبكى الغلام منكسا راسه ثم رفع راسه وقال عاهدت الله عهدا يسائلني عنه ان لا اعود لشرب النبيذ ولا لشيء مما كنت فيه وانا تائب فقال ادن مني فقبل راسه وقال احسنت يا بني فكان الغلام بعد ذلك يلزمه ويكتب الحديث وكان ذلك ببركة رفقه ثم قال ان الناس يامرون بالمعروف ويكون معروفهم منكرا عليكم بالرفق في جميع اموركم تنالون به ما تطلبون وعن الفتح بن شخرف قال تعلق رجل بامراة وتعرض لها بيده سكين لا يدنو احد منه الا عقره وكان الرجل شديد البدن فبينا الناس كذلك والمراة تصيح من يده اذ مر بشر بن الحارث فدنا منه وحك كتفه بكتف الرجل فوقع الرجل على الارض ومضى بشر فدنوا منه وهو يرشح عرقا كثيرا ومضت المراة بحالها فسالوه ما حالك فقال ما ادري ولكن شيخ وقال لي ان الله تعالى ناظر اليك والى ما تعمل فضعفت لقوله قدمي وهبته هيبة شديدة لا ادري من ذلك الرجل فقالوا له ذلك بشر بن الحارث فقال واسوأتاه كيف ينظر الي بعد اليوم وحم الرجل من يومه ومات يوم السابع فهكذا كانت عادة اهل الدين في الحسبة وقد نقلنا فيها اخبارا وآثارا في باب البغض في الله والحب في الله من كتاب آداب الصحبة فلا نطول بالاعادة فيها تمام النظر في درجات الاحتساب وآدابه

الباب الثالث

في المنكرات المالوفة في العادات فنشير الى جمل منها ليستدل بها على امثالها اذ لا مطمع في حصرها واستقصائها فمن ذلك منكرات المساجد اعلم ان المنكرات تنقسم الى مكروهة والى محظورة فاذا قلنا هذا منكر مكروه فاعلم ان المنع فيه مستحب والسكوت عليه مكروه وليس بحرام الا اذا لم يعلم الفاعل انه مكروه فيجب ذكره له لان الكراهة حكم في الشرع يجب تبليغه الى من لا يعرفه واذا قلنا منكر محظور او قلنا منكر مطلقا فنريد به المحظور ويكون السكوت عليه مع القدرة محظورا فمما يشاهد كثيرا في المساجد اساءة الصلوة بترك الطمانينة في ركوعها وسجودها وهو منكر مبطل للصلوة بنص الحديث فيجب النهي عنه الا عند الحنفي الذي يعتقد ان ذلك لا يمنع صحة الصلوة اذ لا ينفع النهي معه ومن راى مسيئا في صلوته فسكت عليه فهو شريكه هكذا ورد به الاثر وفي الخبر ما يدل عليه اذ ورد في الغيبة ان المستمع شريك القائل وكذلك كل ما يقدح في صحة الصلوة من نجاسة على ثوبه لا يراها او انحراف عن القبلة بسبب ظلام او عمى فكل ذلك تجب الحسبة فيه ومنها قراءة القرآن باللحن يجب النهي عنه ويجب تلقين الصحيح فان كان المعتكف في المسجد يضيع اكثر اوقاته في امثال ذلك ويشتغل به عن التطوع والذكر فليشتغل به فان هذا افضل له من ذكره وتطوعه لان هذا فرض وهي قربة تتعدى فائدتها فهي افضل من نافلة يقتصر عليه فائدتها وان كان ذلك يمنعه عن الوراقة مثلا او عن الكسب الذي هو طعمته فان كان معه مقدار كفايته لزمه الاشتغال بذلك ولم يجز له ترك الحسبة لطلب زيادة الدنيا وان كان يحتاج الى الكسب لقوت يومه فهو عذر له فيسقط الوجوب عنه لعجزه والذي يكثر اللحن في القرآن ان كان قادرا على التعلم فليمتنع عن القراءة قبل التعلم فانه عاص به وان كان لا يطاوعه اللسان فان كان اكثر ما يقرؤه لحنا فليتركه وليجتهد في تعلم الفاتحة وتصحيحها وان كان الاكثر صحيحا وليس يقدر على التسوية فلا باس له ان يقرا ولكن ينبغي ان يخفض به صوته حتى لا يستمع به غيره ولمنعه سرا منه ايضا وجه ولكن اذا كان ذلك منتهى قدرته وكان له انس بالقراءة وحرص عليها فلست ارى به باسا والله اعلم ومنها تراسل المؤذنين في الاذان وتطويلهم مده كلماته وانحرافهم عن صوب القبلة بجميع الصدر في الحيعلتين وانفراد كل واحد باذان ولكن من غير توقف الى انقطاع اذان الآخر بحيث يضطرب على الحاضرين جواب الاذان لتداخل الاصوات فكل ذلك منكرات مكروهة يجب تعريفها وان صدرت عن معرفة فيستحب المنع منها والحسبة فيها وكذلك اذا كان للمسجد مؤذن واحد وهو يؤذن قبل الصبح فينبغي ان يمنع منه فذلك مشوش للصوم والصلوة على الناس الا اذا عرف انه يؤذن قبل الصبح حتى لا يعول على اذانه في صلوة وترك السحور او كان معه مؤذن آخر معروف الصوت يؤذن مع الصبح ومن المكروهات ايضا تكثير الاذان مرة بعد اخرى بعد طلوع الصبح في مسجد واحد في اوقات متعاقبة متقاربة اما من واحد او من جماعة فانه لا فائدة فيه اذا لم يبق في المسجد نائم ولم يكن الصوت مما يخرج عن المسجد حتى ينبه غيره فكل ذلك من المكروهات المخالفة لسنة الصحابة والسلف ومنها ان يكون الخطيب لابسا لثوب اسود يغلب عليه الابريسم او ممسكا لسيف مذهب فهو فاسق والانكار عليه واجب فاما مجرد الثوب الاسود فليس بمكروه ولكنه ليس بمحبوب اذ احب الثياب الى الله تعالى البيض ومن قال انه مكروه او بدعة اراد به انه لم يكن معهودا في العصر الاول ولكن اذا لم يرد فيه نهي فلا ينبغي ان يسمى بدعة ومكروها ولكنه ترك للاحب ومنها كلام القصاص والوعاظ الذين يمزجون بكلامهم البدعة فالقاص ان كان يكذب في اخباره فهو فاسق والانكار عليه واجب وكذلك الواعظ المبتدع يجب منعه ولا يجوز حضور مجلسه الا على قصد اظهار الرد عليه اما للكافة ان قدر عليه او لبعض الخاصة من حواليه فان لم يقدر فلا يجوز سماع البدعة قال الله تعالى لنبيه فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره ومهما كان كلامه مائلا الى الارجاء وتجرئة الناس على المعاصي وكان الناس يزدادون بكلامه جراءة وبعفو الله وبرحمته وثوقا يزيد بسببه رجاؤهم على خوفهم فهو منكر ويجب منعه منه لان فساد ذلك عظيم بل لو رجح خوفهم على رجائهم فذلك اليق واقرب بطباع الخلق فانهم الى الخوف احوج وانما العدل تعديل الخوف والرجاء كما قال عمر رضي الله عنه لو نادى مناد يوم القيمة ليدخل النار كل الناس الا رجلا واحدا لخفت ان اكون انا ذلك الرجل ولو نادى مناد ليدخل الجنة كل الناس الا رجل واحد لرجوت ان اكون انا ذلك الرجل ولو نادى مناد لا يدخل الجنة الا رجل واحد لخفت ان لا اكون ذلك الرجل ومهما كان الواعظ شابا متزينا للنساء في ثيابه وهيئته كثير الاشعار والاشارات والحركات وقد حضر مجلسه النساء فهذا منكر يجب المنع منه فان الفساد فيه اكثر من الصلاح ويتبين ذلك بقرائن احواله بل ينبغي ان لا يسلم الوعظ الا لمن ظاهره الورع وهيئته السكينة والوقار وزيه زي الصالحين والا فلا يزداد الناس به الا تماديا في الضلال ويجب ان يضرب بين الرجال والنساء حائل يمنع من النظر فان ذلك ايضا مظنة الفساد والعادات تشهد لهذه المنكرات ويجب منع النساء من حضور المساجد للصلوة ومجالس الذكر اذا خيفت الفتنة بهن وقد منعتهن عائشة رضي الله عنها فقيل لها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منعهن من الجماعات فقالت لو علم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما احدث النساء بعده لمنعهن فاما اجتياز المراة بالمسجد مستترة فلا تمنع الا ان الاولى ان لا تتخذ المسجد مجازا اصلا وقراءة القرآن بين يدي الوعاظ مع التمديد والالحان على وجه يغير نظم القرآن ويجاوز حد التنزيل منكر مكروه شديد الكراهة انكره جماعة من السلف ومنها الحلق يوم الجمعة لبيع الادوية والاطعمة والتعويذات وكقيام السؤال وقراءتهم وانشادهم للاشعار وما يجري مجراه فهذه منها ما يكون حراما لكونه تلبيسا وكذبا كالكذابين من طرقية الاطباء وكاهل الشعوذة والتلبيسات وكذا ارباب التعويذات في الاغلب يتوصلون الى بيعها بالتلبيس على الصبيان والسوادية فهذا حرام في المسجد وخارج المسجد ويجب المنع منه بل كل بيع فيه كذب وتلبيس واخفاء عيب على المشتري فهو حرام ومنها ما هو مباح خارج المسجد كالخياطة وبيع الادوية والكتب والاطعمة فهذا في المسجد ايضا لا يحرم الا بعارض وهو ان يضيق المكان على المصلين ويشوش عليهم صلاتهم فان لم يكن شيء من ذلك فليس بحرام والاولى تركه ولكن شرط اباحته ان يجري في اوقات نادرة وايام معدودة فان اتخذ المسجد دكانا على الدوام حرم ذلك ومنع منه فمن المباحات ما يباح بشرط القلة فان كثر صار صغيرة كما ان من الذنوب ما يكون صغيرة بشرط عدم الاصرار فان

صحه

حضوره

قبل الصبح حتى لا يعول على اذانه في صلوة وترك السحور
وكان معه موذن آخر معروف الصوت يوذن ٤٥

فان كان القليل من هذا لو فتح بابه خيف ان يجر الى الكثير فليمنع منه ولكن هذا المنع الى الوالي والى القيم بمصالح المسجد
من جهة الوالي لانه يدرك ذلك بالاجتهاد وليس للآحاد المنع مما هو مباح في نفسه لخوفه ان ذلك يكثر ومنها
دخول المجانين والصبيان والسكارى في المسجد ولا بأس بدخول الصبي اذا لم يلعب ولا يحرم عليه اللعب في المسجد ولا السكوت
على لعبه الا ان يتخذ المسجد ملعبا ويصير ذلك عادة له فحينئذ يجب المنع منه فهذا مما يحل قليله دون كثيره ودليل حل قليله
ما روي في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف لاجل عائشة حتى نظرت الى الحبشة يلعبون بالدرق والحراب
يوم العيد في المسجد ولا بأس ان الحبشة لو اتخذوا المسجد ملعبا لمنعوا منه ولم ير ذلك على الندرة والقلة منكرا حتى نظر اليه
بل امرهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم لتبصرهم عائشة رضي الله عنها تطييبا لقلبها اذ قال دونكم يا بني ارفدة كما نقلناه
في كتاب السماع واما المجانين فلا بأس بدخولهم المسجد الا ان يخشى تلويثهم له او شتمهم ونطقهم بالفحش او تعاطيهم لما هو منكر
في صورته ككشف العورة وغيره فاما المجنون الهادي الساكت الذي قد علم بالعادة سكونه وسكوته فلا يجب اخراجه عن المسجد
والسكران في معنى المجنون فان خيف منه القذف اعني القيء او الايذاء باللسان وجب اخراجه وكذا اذا كان مضطرب العقل
فانه يخاف منه وان كان قد شرب ولم يسكر والرائحة منه فائحة فهو منكر مكروه شديد الكراهة وكيف لا وقد نهى
رسول الله صلى الله عليه وسلم من اكل الثوم والبصل عن حضور المساجد ولكن يحمل ذلك على الكراهة والامر في الخمر اشد فان
قال قائل ينبغي ان يضرب السكران ويخرج عن المسجد زجرا قلنا لا بل ينبغي ان يلزم القعود في المسجد ويدعى اليه ويؤمر بترك الشرب
مهما كان في الحال عاقلا فاما ضربه للزجر فليس ذلك الى الآحاد بل الى الولاة وذلك عند اقراره او شهادة شاهدين فاما
بمجرد الرائحة فلا نعم اذا كان يمشي بين الناس متمايلا بحيث يعرف سكره فيجوز ضربه في المسجد وغير المسجد منعا له
عن اظهار اثر السكر فان اظهار الفاحشة فاحشة والمعاصي يجب تركها وبعد الفعل يجب سترها وستر آثارها فان كان مستترا مخفيا
لاثره فلا يتجسس عليه والرائحة قد تفوح من غير شرب بالجلوس في موضع الخمر وبوصول الخمر الى الفم دون الابتلاع فلا
ينبغي ان يعول عليه

منكرات الاسواق

من المنكرات المعتادة في الاسواق الكذب في المرابحة واخفاء العيب فمن قال
اشتريت هذه السلعة مثلا بعشرة واربح فيها وكان كاذبا فهو فاسق وعلى من عرف ذلك ان يخبر المشتري بكذبه فان سكت مراعاة
لقلب البائع كان شريكا له في الخيانة وعصى بسكوته وكذا اذا علم به عيبا فيلزمه ان ينبه المشتري عليه والا كان راضيا بضياع
مال اخيه المسلم وهو حرام وكذلك التفاوت في الذراع والمكيال والميزان يجب على كل من عرفه تغييره بنفسه او رفعه الى الوالي حتى
يغيرها ومنها ترك الايجاب والقبول والاكتفاء بالمعاطاة ولكن ذلك في محل الاجتهاد فلا ينكر الا على من اعتقد وجوبه وكذلك في
الشروط الفاسدة المعتادة بين الناس يجب الانكار فيها فانها مفسدة للعقود وكذا في الربويات كلها وهي غالبة وكذلك سائر
التصرفات الفاسدة ومنها بيع الملاهي وبيع اشكال الحيوانات المصورة في ايام العيد لاجل الصبيان فذلك كسره والمنع
من بيعه كالملاهي وكذلك بيع الاواني المتخذة من الذهب والفضة وكذلك بيع ثياب الحرير وقلانس الذهب واعني بالحرير
ما لا يصلح الا للرجال ويعلم بعادة البلد انه لا يصلح ولا يلبسه الا الرجال فكل ذلك منكر محظور وكذلك بيع الاواني المتخذة
من الذهب والفضة ومن هذا تعاد الثياب المبتذلة للقصور التي يلبس على الناس بقصارتها ابتذالها واستعمالها ويزعم انها
جديدة فهذا الفعل حرام والمنع منه واجب وكذلك تلبيس انخراق الثوب بالرفو وما يؤدي الى الالتباس وكذلك جميع
انواع العقود المؤدية الى التلبيسات وذلك يطول احصاؤها فليقس بما ذكرناه ما لم نذكره

منكرات الشوارع

فمن المنكرات المعتادة في الشوارع وضع الاسطوانات وبناء الدكات متصلة بالابنية المملوكة وغرس الاشجار واخراج القوابل
والاجنحة ووضع الخشب واحمال الاطعمة وغيرها على الطرقات وكل ذلك منكر ان كان يؤدي الى تضييق الطرق واستضرار
المارة وان لم يؤد الى ضرر اصلا لسعة الطريق فلا يمنع منه نعم يجوز وضع الحطب واحمال الاطعمة في الطريق في القدر الذي
ينقل الى البيوت فان ذلك يشترك في الحاجة اليه الكافة ولا يمكن المنع منه وكذلك ربط الدواب على الطريق بحيث يضيق الطريق
وينجس المجتازين منكر يجب المنع منه الا بقدر الحاجة للنزول والركوب وهذا لان الشوارع مشتركة المنفعة وليس لاحد ان يختص
بها الا بقدر الحاجة والمرعي هي الحاجة التي تراد الشوارع لاجلها في العادة دون سائر الحاجات ومنها سوق الدواب
وعليها الشوك بحيث يمزق ثياب الناس فذلك منكر ان امكن شدها وضمها بحيث لا تمزق الثياب او امكن العدول بها الى موضع
واسع والا فلا منع اذ حاجة اهل البلد تمس الى ذلك نعم لا تترك ملقاة على الشوارع الا بقدر مدة نقلها وكذلك الدواب
من الاحمال ما لا يطيقه منكر يجب منع الملاك منه وكذلك ذبح القصاب على الطريق او على باب دكانه وتلويث الطريق بالدم
منكر يجب المنع منه بل حقه ان يتخذ في دكانه مذبحا فان في ذلك تضييقا للطريق واضرارا بالناس بسبب ترشيش النجاسة وبسبب
الاضرار استقذار الطباع ذلك وكذلك طرح الكناسة على جواد الطرق وتبديد قشور البطيخ او رش الماء بحيث يخشى منه
التزلق والسقوط فكل ذلك من المنكرات وكذلك ارسال الماء من الميازيب المخرجة من الحائط الى الطرق الضيقة فان ذلك ينجس
الثياب ويضيق الطرق ولا يمنع منه في الطرق الواسعة اذ العدول عنه ممكن فاما ترك مياه المطر والاوحال والثلوج في الطرق
من غير كسح فذلك منكر ولكن ليس يختص به شخص معين الا الثلج الذي يختص بطرحه على الطريق واحد والماء الذي يجتمع على
الطريق من ميزاب معين فعلى صاحبه على الخصوص كسح الطريق وان كان من المطر فذلك حسبة عامة فعلى الولاة تكليف الناس
القيام بها وليس للآحاد فيها الا القول والوعظ فقط وكذلك اذا كان له كلب عقور على باب داره يؤذي الناس فيجب منعه
منه وان كان لا يؤذي الا بتنجيس الطريق وكان يمكن الاحتراز عن نجاسته لم يمنع منه وان كان يضيق الطريق فكله اولى بالمنع

منكرات الحمامات

فمن ذلك الصور التي تكون على باب الحمام او داخل الحمام فذلك منكر يجب ازالته على كل من دخل
الحمام او رأى الصور ان قدر عليها فان قعد بموضع مرتفع لا يصل اليه يده فلا يجوز له الدخول الا لضرورة فليعدل الى حمام
آخر فان مشاهدة المنكر غير جائزة ويكفيه ان يشوه وجوهها بحيث يبطل به صورتها ولا منع من تصوير الاشجار وسائر النقوش
سوى صور الحيوانات ومنها كشف العورات والنظر اليها ومن جملتها كشف الدلاك عن الفخذ وما تحت السرة لتنحية
الوسخ بل من جملتها ادخال اليد تحت الازار فان مس عورة الغير حرام كالنظر ومنها الانبطاح على الوجه بين يدي الدلاك
لتغميز الاعجاز والافخاذ فهذا مكروه وان كان مع حائل ولكن لا يكون محظورا اذا لم يخش من حركة الشهوة وكذلك كشف
العورة للحجام من الفواحش فان المرأة لا يجوز لها ان تكشف بدنها للذمية في الحمام فكيف كشف العورة للرجال
ومنها غمس اليد والاواني النجسة في المياه القليلة وغسل الازار والطاس النجس في الحوض وماؤه قليل فانه منجس للماء
الا على مذهب مالك فلا يجوز الانكار فيه على المالكية ويجوز على الحنفية والشافعية وان اجتمع مالكي وشافعي في الحمام
فليس للشافعي منع المالكي من ذلك الا بطريق الالتماس واللطف وهو ان يقول له انا محتاج الى ان اغسل يدي اولا ثم اغمسها
في الاناء واما انت فمستغن عن ايذائي وتفويت الطهارة علي وما يجري مجراه فان مظان الاجتهاد لا يمكن الحسبة فيها بالقهر
ومنها ان يكون في مداخل بيوت الحمامات ومجاري المياه حجارة ملساء مزلقة يزلق بها الغافلون فهذا منكر ويجب

فلعه وازالته وينكر على الحمامي اهماله فانه يفضي الى ان يغسل بدنا ولا ثم بعينها السقطة وقد يؤدي السقطة الى
انكسار عضو وانخلاعه وكذلك ترك السدر والصابون المزلق على ارض الحمام منكر ومن فعل ذلك وخرج وتركه فزلق
به انسان وانكسر عضو من اعضائه وكان ذلك في موضع لا يظهر بحيث يتعذر الاحتراز عنه فالضمان متردد بين الذي تركه و
بين الحمامي اذ الحق عليه تنظيف الحمام والوجه ايجاب الضمان على تاركه في اليوم الاول وعلى الحمامي في اليوم الثاني اذ
عادة تنظيف الحمام يوم معتاد والرجوع في مواقيت اعادة التنظيف الى العادات فليعتبر بها وفي الحمامات امور
اخر مكروهة وقد ذكرناها في كتاب الطهارة باعادتها منكرات الضيافة فمن ذلك فرش الحرير للرجال فهو حرام
وكذلك تبخير البخور في مجمرة فضة او ذهب وكذلك الشرب منهما او استعمال ماء الورد منهما او ما رؤسه منهما وكذلك
تعليق الستور وعليها الصور ومنها سماع الاوتار وسماع القينات ومنها اجتماع النساء على السطح للنظر الى الرجال مهما
كان في الرجال شبان يخاف الفتنة منهم فكل ذلك محظور منكر يجب تغييره ومن عجز عن تغييره لزمه الخروج لم يجز له الجلوس
فلا رخصة في الجلوس في مشاهدة المنكرات واما الصور على النمارق والزرابي المفروشة فليس منكرا وكذلك على الاطباق
والقصاع لا الاواني المتخذة على شكل الصور فانه قد يكون بعض رؤس المجامر على شكل طائر فذلك حرام يجب كسر مقدار الصورة
منه وفي المكحلة الصغيرة من الفضة خلاف وقد حكى ان احمد بن حنبل رحمه الله خرج من الضيافة بسببها ومهما كان الطعام حراما
او كان الموضع مغصوبا او كانت الثياب المفروشة حراما فهو من اشد المنكرات فان كان فيها من يتعاطى شرب الخمر وحده فلا يجوز
الحضور اذ لا يحل حضور مجلس الشرب وان كان مع ترك الشرب ولا تجوز مجالسة الفاسق في حالة مباشرته للفسق وانما النظر
في مجالسته بعد ذلك وانه هل يجب بغضه في الله ومقاطعته كما ذكرناه في باب البغض والحب في الله وكذلك ان كان فيهم من يلبس
الحرير او خاتم الذهب فهو فاسق لا يجوز الجلوس معه من غير ضرورة فان كان الثوب على صبي غير بالغ فهذا في محل النظر والصحيح
ان ذلك منكر ويجب نزعه عنه ان كان مميزا لعموم قوله صلى الله عليه وسلم هذان حرامان على ذكور امتي وكما يجب منع الصبي من شرب
الخمر لا لكونه مكلفا ولكن لانه يأنس به فاذا بلغ عسر عليه الصبر عنه وكذلك شهوة التزين بالحرير يغلب عليه اذا اعتاده فيكون
ذلك بذر الفساد يبذر في صدره فينبت منه شجرة من الشهوة راسخة يعسر قلعها بعد البلوغ اما الصبي الذي لا يميز فيضعف معنى
التحريم في حقه ولا يخلو عن احتمال والعلم فيه عند الله والمجنون في معنى الصبي الذي لا يميز نعم يحل التزين بالذهب والفضة والحرير
للنساء من غير اسراف ولا ارى رخصة في تثقيب اذن الصبية لاجل تعليق حلق الذهب فيها فان ذلك جرح مؤلم ومثله موجب
للقصاص فلا يجوز الا لحاجة مهمة كالفصد والحجامة والختان والتزين بالحلق غير مهم بل في التقريط بتعليقه على الاذن وفي
المخانق والاسورة كفاية عنه فهذا وان كان معتادا فهو حرام والمنع منه واجب والاستئجار عليه غير صحيح والاجرة المأخوذة
عليه حرام الا ان يثبت من جهة النقل فيه رخصة ولم يبلغنا الى الآن فيه رخصة ومنها ان يكون في الضيافة مبتدع
يتكلم في بدعته فيجوز الحضور لمن يقدر على الرد عليه على عزم الرد فان كان لا يقدر عليه لم يجز الحضور وعند الحضور يجب الانكار
وان كان المبتدع لا يتكلم ببدعته فيجوز الحضور مع اظهار الكراهة عليه والاعراض كما ذكرناه في باب البغض في الله وان كان فيها
مضحك بالحكايات وانواع النوادر فان كان يضحك بالفحش والنوادر والكذب لم يجز الحضور وعند الحضور يجب الانكار وان
كان ذلك بمزح لا كذب فيه ولا فحش فهو مباح اعني ما يقل منه فاما اتخاذه صنعة وعادة فليس بمباح وكل كذب لا يخفى انه كذب
ولا يقصد منه التلبيس فليس من جملة المنكرات كقول الانسان مثلا قد طلبتك اليوم مائة مرة واعدت عليك الكلام مرة وما

وما يجري هذا المجرى مما يعلم انه ليس يقصد به التحقيق فذلك لا يقدح في العدالة ولا ترد به الشهادة وسيأتي حد المزح
المباح والكذب المباح في كتاب آفات اللسان من ربع المهلكات ومنها الاسراف في الطعام والبناء فانه منكر وفي المال
منكران احدهما الاضاعة والاخر الاسراف فالاضاعة تفويت مال بلا فائدة يعتد بها كاحراق الثوب وتمزيقه وهدم البناء
من غير غرض والقاء المال في البحر وفي معناه صرف المال الى النائحة والمطرب وفي انواع الفساد لانها فوائد محرمة شرعا
فصارت كالمعدومة واما الاسراف فقد يطلق لارادة صرف المال الى النائحة والمطرب والمنكرات وقد يطلق على الصرف
الى المباحات في جنسها ولكن مع المبالغة والمبالغة تختلف بالاضافة الى الاحوال فنقول من لم يملك الا مائة دينار مثلا
وله عيال واولاد ولا معيشة له ولا كسب سواه فانفق الجميع في وليمة فهو مسرف يجب منعه من ذلك قال الله تعالى
ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا نزل هذا في رجل كان بالمدينة قسم جميع ماله ولم يبق شيئا لعياله فطولب بالنفقة
فلم يقدر على شيء وقال الله تعالى ولا تبذر تبذيرا ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكذلك قال تعالى والذين اذا انفقوا
لم يسرفوا فمن يسرف هذا الاسراف ينكر عليه ويجب على القاضي ان يحجر عليه الا اذا كان الرجل وحده وكان له قوة في التوكل
صادقة فله ان ينفق جميع ماله في ابواب البر ومن له عيال او كان عاجزا عن التوكل فليس له ان يتصدق بجميع ماله وكذلك
لو صرف جميع ماله في ابواب البر وكذلك لو صرف جميع ماله الى تزويق حيطانه بالنقوش وتزيين بنيانه فهو اسراف محرم
وفعل ذلك ممن له مال كثير ليس بحرام لان التزيين من الاغراض الصحيحة ولم تزل المساجد تزين وتنقش ابوابها وسقوفها مع ان نقش
الباب والسقف لا فائدة فيه الا مجرد الزينة وكذا الدور وكذا القول في التجمل بالثياب والاطعمة فذلك مباح في جنسه
ويصير اسرافا باعتبار حال الرجل وثروته وامثال هذه المنكرات كثيرة لا يمكن حصرها فقس بهذه منكرات المجامع ومجالس القضاة
ودواوين السلاطين ومدارس الفقهاء ورباطات الصوفية وخانات الاسواق فلا تخلو بقعة عن منكر مكروه او محظور واستقصاء
جميع المنكرات يستدعي استيعاب تفاصيل الشرع اصولا وفروعا فلنقتصر على هذا القدر منها المنكرات العامة
اعلم ان كل قاعد في بيته اينما كان فليس خاليا في هذا الزمان عن منكر من حيث التقاعد عن ارشاد الناس وتعليمهم
وحملهم على المعروف فاكثر الناس جاهلون بالشرع في شروط الصلاة في البلاد فكيف في القرى والبوادي ومنهم الاعراب والاكراد
والتركمانية وسائر اصناف الخلق وواجب ان يكون في كل مسجد ومحلة من البلد فقيه يعلم الناس دينهم وكذا في كل قرية وواجب
على كل فقيه فرغ من فرض عينه وتفرغ لفرض الكفاية ان يخرج الى من يجاور بلده من اهل السواد ومن العرب والاكراد وغيرهم
ويعلمهم دينهم وفرائض شرعهم ويستصحب مع نفسه زادا ياكله ولا ياكل من اطعمتهم فان اكثرها يكون شبهة فان قام بهذا الامر
واحد سقط الحرج عن الآخرين والا عم الحرج الكافة اجمعين اما العالم فلتقصيره في الخروج واما الجاهل فلتقصيره
في التعلم وكل عامي عرف شروط الصلاة فعليه ان يعرف غيره والا فهو شريك في الاثم ومعلوم ان الانسان لا يولد عالما بالشرع
وانما يجب التبليغ على اهل العلم وكل من تعلم مسألة واحدة فهو من اهل العلم بها ولعمري الاثم على الفقهاء اشد لان قدرتهم
فيه اظهر وهو بصناعتهم اليق لان المحترفين لو تركوا حرفتهم لبطلت المعايش فهم قد تقلدوا امرا لا بد منه في صلاح
الخلق وشان الفقيه وحرفته تبليغ ما بلغه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فان العلماء هم ورثة الانبياء وليس للانسان
ان يقعد في بيته ولا يخرج الى المسجد لانه يرى الناس لا يحسنون الصلاة بل اذا علم ذلك وجب عليه الخروج للتعليم والنهي
وكذلك كل من تيقن ان في السوق منكرا يجري على الدوام او في وقت بعينه وهو قادر على تغييره فلا يجوز له ان يسقط ذلك

عن نفسه بالقعود في البيت بل يلزمه الخروج فان كان لا يقدر على التغيير للبعض وهو محترز عن مشاهدته ويقدر على البعض
لزمه الخروج لان خروجه اذا كان لاجل تغيير ما يقدر عليه فلا يضره مشاهدة ما لا يقدر على تغييره وانما يمنع الحضور
لمشاهدة المنكر من غير غرض صحيح فحق على كل مسلم ان يبدأ بنفسه فيصلحها بالمواظبة على الفرائض وترك المحرمات ثم يعلم ذلك
اهله واقاربه ثم يتعدى بعد الفراغ منهم الى جيرانه ثم الى اهل محلته ثم الى اهل بلده ثم الى السواد المكتنف لبلده ثم الى اهل
البوادي من الاكراد والعرب وغيرهم وهكذا الى اقصى العالم فان قام به الادنى سقط عن الابعد والا حرج به كل قادر عليه قريبا
كان او بعيدا ولا يسقط الحرج ما دام يبقى على وجه الارض جاهل بفرض من فروض دينه وهو قادر على ان يسعى اليه بنفسه او
بغيره فيعلمه فرضه وهذا شغل شاغل لمن يهمه امر دينه يشغله عن تزجية الاوقات في التفريعات النادرة والتعمق في دقائق
العلوم التي هي من فروض الكفايات ولا يتقدم على هذا الا فرض كفاية هو اهم منه والله اعلم

الباب الرابع

في امر الامراء والسلاطين بالمعروف ونهيهم عن المنكر ٥ قد ذكرنا درجات الامر بالمعروف وان اوله التعريف وثانيه الوعظ
وثالثه التخشين في القول ورابعه المنع بالقهر والحمل على الحق بالضرب والعقوبة والجائز من جملة مع السلاطين الرتبتان
الاوليان وهما التعريف والوعظ واما المنع بالقهر فليس ذلك لآحاد الرعية مع السلطان فان ذلك يحرك الفتنة ويهيج
الشر ويكون ما يتولد منه من المحذور اكثر واما التخشين في القول كقولك يا ظالم يا من لا يخاف من الله وما يجري مجراه
فذلك ان كان يحرك فتنة يتعدى شرها الى غيره لم يجز وان كان لا يخاف الا على نفسه فهو جائز بل مندوب اليه فلقد كان من عادة
السلف التعرض للاخطار والتصريح بالانكار من غير مبالاة بهلاك المهجة والتعرض لانواع العذاب لعلمهم بان ذلك شهادة
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الشهداء حمزة بن عبد المطلب ثم رجل قام الى امام فامره ونهاه في ذات الله تعالى
فقتله على ذلك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر ووصف النبي صلى الله عليه وسلم
عمر بن الخطاب فقال قرن من حديد لا تأخذه في الله لومة لائم ما تركه قوله الحق ما له من صديق ولما علم المتصلبون في الدين
ان افضل الكلام كلمة حق عند سلطان جائر وان صاحب ذلك ان قتل فهو شهيد كما وردت به الاخبار اقدموا على ذلك
موطنين انفسهم على الهلاك ومحتملين لانواع العذاب وصابرين عليه في ذات الله ومحتسبين لما يبذلونه من مهجهم عند الله
وطريق وعظ السلاطين وامرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ما نقل عن علماء السلف وقد اوردنا جملة من ذلك في باب الدخول
على السلاطين في كتاب الحلال والحرام ونقتصر الآن على حكايات تعرف وجه الوعظ وكيفية الانكار عليهم فمنها ما روي
من انكار ابي بكر رضي الله عنه على اكابر قريش حين قصدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسوء وذلك ما روي عن عروة قال قلت لعبد
الله بن عمرو رضي الله عنهما ما اكثر ما رأيت قريشا نالت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما كانت تظهر من عداوته فقال حضرتهم
وقد اجتمع اشرافهم يوما في الحجر فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل سفه
احلامنا وشتم آباءنا وعاب ديننا وفرق جماعتنا وسب آلهتنا ولقد صبرنا منه على امر عظيم وغير ذلك او كلاما هذا معناه
فبيناهم في ذلك اذ طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل يمشي حتى استلم الركن ثم مر بهم طائفا بالبيت فلما مر بهم غمزوه
ببعض القول قال فعرفت ذلك في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مضى فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها فعرفت ذلك في
وجهه ثم مضى بهم فمر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها حتى وقف ثم قال اتسمعون يا معشر قريش اما والذي نفس محمد بيده لقد جئتكم
بالذبح قال فاطرق القوم حتى ما منهم رجل الا كأنما على رأسه طائر واقع حتى ان اشدهم فيه وصاة قبل ذلك ليرفؤه باحسن ما يجد

ما يجد من القول حتى انه ليقول انصرف يا ابا القاسم راشدا فوالله ما كنت جهولا قال فانصرف رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى اذا كان من الغد اجتمعوا في الحجر وقال بعضهم لبعض ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم عنه حتى اذا باداكم
بما تكرهون تركتموه فبيناهم في ذلك طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم فوثبوا اليه وثبة رجل واحد فاحاطوا
به يقولون انت الذي تقول كذا وكذا لما كان بلغهم من عيب آلهتهم ودينهم قال فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم انا
الذي اقول ذلك قال ولقد رأيت منهم رجلا اخذ بمجامع ردائه قال وقام ابو بكر الصديق دونه وهو يقول وهو يبكي اتقتلون رجلا
ان يقول ربي الله قال ثم انصرفوا عنه فان ذلك اشد ما رأيت قريشا بلغت منه قط وفي رواية اخرى عن عبد الله بن عمرو
قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بفناء الكعبة اذ اقبل عقبة بن ابي معيط فاخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولف ثوبه في عنقه فخنقه خنقا شديدا فجاء ابو بكر رضي الله عنه فاخذ بمنكبه ودفعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وروي ان معاوية حبس العطاء مرة فقام اليه ابو مسلم الخولاني
فقال له يا معاوية انه ليس من كدك ولا كد ابيك ولا كد امك قال فغضب معاوية ونزل عن المنبر وقال لهم مكانكم ثم خرج
عليهم وقد اغتسل فقال ان ابا مسلم كلمني بكلام اغضبني واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الغضب من الشيطان و
الشيطان خلق من النار وانما تطفأ النار بالماء فاذا غضب احدكم فليغتسل واني دخلت فاغتسلت وصدق ابو مسلم انه
ليس من كدي ولا كد ابي فهلموا الى عطائكم وروي عن ضبة بن محصن العنزي قال كان علينا ابو موسى الاشعري اميرا بالبصرة
فكان اذا خطبنا حمد الله واثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وانشأ يدعو لعمر قال فغاظني ذلك منه فقمت اليه فقلت
له اين انت عن صاحبه تفضله عليه فصنع ذلك جمعا ثم كتب الى عمر يشكوني يقول ان ضبة بن محصن العنزي يتعرض لي في خطبتي
فكتب اليه عمر ان اشخصه الي قال فاشخصني اليه فقدمت فضربت عليه الباب فخرج الي فقال من انت فقلت انا ضبة بن محصن العنزي
قال فقال لي لا مرحبا ولا اهلا قلت اما المرحب فمن الله واما الاهل فلا اهل ولا مال فبما اذا استحللت يا عمر اشخاصي من
مصري بلا ذنب اذنبته ولا شيء اتيته قال وما الذي شجر بينك وبين عاملي قلت الآن اخبرك انه كان اذا خطبنا حمد الله واثنى عليه ثم انشأ يدعو لك
عليك فغاظني ذلك منه فقمت اليه فقلت له اين انت عن صاحبه تفضله عليه فصنع ذلك جمعا ثم كتب اليك يشكوني فقلت
قال فاندفع عمر باكيا وهو يقول انت والله اوفق منه وارشد فهل انت غافر لي ذنبي يغفر الله لك قال فقلت غفر الله لك يا امير
المؤمنين ثم اندفع باكيا وهو يقول والله لليلة من ابي بكر ويوم خير من عمر وآل عمر ثم قال عمر رضي الله عنه فهل لك ان احدثك
بليلة ويوم قلت نعم قال اما الليلة فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اراد الخروج من مكة هاربا من المشركين خرج ليلا فتبعه
ابو بكر فجعل يمشي مرة امامه ومرة خلفه ومرة عن يمينه ومرة عن يساره فقال له صلى الله عليه وسلم ما هذا يا ابا بكر ما اعرف هذا من فعالك
فقال يا رسول الله اذكر الرصد فاكون امامك واذكر الطلب فاكون خلفك ومرة عن يمينك ومرة عن يسارك لا آمن عليك قال
فمشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلته على اطراف اصابعه حتى حفيت فلما رآه ابو بكر رضي الله عنه انها قد حفيت حمله على عاتقه
وجعل يشتد به حتى اتى فم الغار فانزله فقال والذي بعثك بالحق لا تدخله حتى ادخله فان كان فيه شيء نزل بي قبلك قال فدخل
فلم ير فيه شيئا فحمله فادخله وكان في الغار خرق فيه حيات وافاع فالقمه ابو بكر رضي الله عنه قدمه مخافة ان يخرج منهن شيء الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيؤذيه فنهشته الحية وجعلت دموع ابي بكر تتحدر على خديه من الم ما يجده ورسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول يا ابا بكر لا تحزن ان الله معنا فانزل الله سكينته اي الطمأنينة لابي بكر فهذه ليلته واما يومه فلما توفي رسول الله

صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب فقال بعضهم نصلي ولا نزكي فاتيته لا آلوه نصحا فقلت يا خليفة رسول الله تألف الناس وارفق
بهم فقال اجبار في الجاهلية خوار في الاسلام فبماذا أتألفهم قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتفع الوحي فوالله
لو منعوني عقالا كانوا يعطونه رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه قال فقاتلنا عليه فكان والله رشيد الامر
فهذا يوهنه ثم كتب الى ابي موسى يلومه وعن الاصمعي قال دخل عطاء بن ابي رباح على عبد الملك بن مروان وهو جالس على سريره
وحواليه الاشراف من كل بطن وذلك بمكة في وقت حجه في خلافته فلما بصر به قام اليه واجلسه معه على السرير وقعد
بين يديه وقال له يا ابا محمد حاجتك قال يا امير المؤمنين اتق الله في حرم الله وحرم رسوله فتعاهده بالعمارة واتق الله
في اولاد المهاجرين والانصار فانك بهم جلست هذا المجلس واتق الله في اهل الثغور فانهم حصن المسلمين وتفقد
امور المسلمين فانك وحدك المسؤول عنهم واتق الله في اهل بابك فلا تغفل عنهم ولا تغلق بابك عليهم فقال له افعل
ان شاء الله ثم نهض وقام فقبض عليه عبد الملك فقال يا ابا محمد سألتنا حاجة لغيرك وقد قضيناها فما حاجتك قال ما لي الى
مخلوق حاجة ثم خرج فقال عبد الملك هذا وابيك الشرف هذا وابيك الشرف وروي ان الوليد بن عبد الملك قال لحاجبه يوما
قف على الباب فاذا مر بك رجل فادخله علي ليحدثني فخرج الحاجب فوقف على الباب مدة فمر به عطاء بن ابي رباح وهو لا يعرفه
فقال له يا شيخ ادخل الى امير المؤمنين فانه امرك بذلك فدخل عطاء على الوليد وعنده عمر بن عبد العزيز فلما دنا عطاء من
الوليد قال السلام عليك يا وليد وجلس قال فغضب الوليد على حاجبه فقال ويلك امرتك ان تدخل الي رجلا يحدثني ويسامرني
فادخلت الي رجلا لم يرض ان يسميني بالاسم الذي اختاره الله لي فقال له حاجبه ما مر بي غيره ثم قال لعطاء اجلس ثم اقبل عليه
يحدثه فكان فيما حدثه عطاء ان قال بلغنا ان في جهنم واديا يقال له هبهب اعده الله لكل امام جائر في حكمه فصعق الوليد من قوله
وكان جالسا بين يدي باب المجلس فوقع على قفاه الى جوف المجلس مغشيا عليه فقال عمر لعطاء قتلت امير المؤمنين فقبض عطاء على ذراع
عمر بن عبد العزيز فغمزه غمزة شديدة فقال يا عمر ان الامر جد فجد ثم قام عطاء وانصرف فبلغنا عن عمر بن عبد العزيز انه قال
مكثت سنة اجد الم غمزته في ذراعي وكان ابن شميلة يوصف بالعقل والادب فدخل على عبد الملك تكلم قال بم اتكلم وقد علمت
ان كل كلام يتكلم به المتكلم عليه وبال الا ما كان لله قال فبكى عبد الملك ثم قال يرحمك الله لم يزل الناس يتواعظون و
يتواصون فقال الرجل يا امير المؤمنين ان الناس في القيامة لا ينجون من غصص مرارتها ومعاينة الردى فيها الا من ارضى الله بسخط
نفسه فبكى عبد الملك ثم قال لا جرم لاجعلن هذه الكلمات مثالا نصب عيني ما عشت ابدا وروى عن ابن عائشة ان الحجاج دعا
بفقهاء البصرة وفقهاء الكوفة فدخلنا عليه ودخل الحسن آخر من دخل فقال الحجاج مرحبا بابي سعيد الي ثم دعا بكرسي فوضع
الى جنب سريره فقعد عليه فجعل الحجاج يذاكرنا ويسائلنا اذ ذكر علي بن ابي طالب رضي الله عنه فنال منه ونلنا منه مقاربة له
وفرقا من شره والحسن ساكت عاض على ابهامه فقال يا ابا سعيد ما لي اراك ساكتا قال ما عسيت ان اقول قال اخبرني برأيك في
ابي تراب قال سمعت الله جل ذكره يقول وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وان كانت
لكبيرة الا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع ايمانكم ان الله بالناس لرؤوف رحيم فعلي ممن هدى الله من اهل الايمان فاقول
ابن عم رسول الله وختنه على ابنته واحب الناس اليه وصاحب سوابق مباركات سبقت له من الله لن تستطيع انت ولا احد
من الناس ان يحظرها عليه ولا يحول بينه وبينها واقول ان كانت لعلي هنات فالله حسيبه والله ما اجد فيه قولا اعدل من هذا
فبسر وجه الحجاج وتغير وقام عن السرير مغضبا فدخل بيتا خلفه وخرجنا قال عامر الشعبي فاخذت بيد الحسن فقلت يا ابا سعيد

يا ابا سعيد اغضبت الامير واوغرت صدره قال اليك عني يا عامر يقول الناس عامر الشعبي عالم اهل الكوفة اتيت شيطانا من
شياطين الانس تكلمه بهواه وتقاربه في رأيه ويحك يا عامر هلا اتقيت ان سئلت فصدقت او سكت فسلمت قال يا ابا
سعيد وقد قلتها وانا اعلم ما فيها قال الحسن فذلك اعظم في الحجة عليك واشد في التبعة قال وبعث الحجاج الى
الحسن فلما دخل عليه قال انت الذي تقول قاتلهم الله قتلوا عباد الله على الدينار والدرهم قال نعم قال ما حملك على ذلك
قال ما اخذ الله على العلماء من المواثيق ليبيننه للناس ولا يكتمونه قال يا حسن امسك عليك لسانك واياك ان يبلغني عنك ما اكره فافرق
بين رأسك وجسدك وحكي ان حطيطا الزيات جيء به الى الحجاج فلما دخل قال انت حطيط قال نعم سل عما بدا لك فاني عاهدت
الله على المقام على ثلاث خصال ان سئلت لاصدقن وان ابتليت لاصبرن وان عوفيت لاشكرن قال فما تقول في قال انت من
عذاب الله في الارض تنتهك المحارم وتقتل بالظنة قال فما تقول في امير المؤمنين عبد الملك بن مروان قال انا اعظم جرما منك
وانما انت خطيئة من خطاياه قال فقال الحجاج ضعوا عليه العذاب قال فانتهى به العذاب الى ان شققوا له القصب ثم جعلوه
على لحمه ثم شدوه بالحبال ثم جعلوا يمدون قصبة قصبة حتى انتحلوا لحمه فما سمعوه يقول شيئا فقيل للحجاج انه في آخر رمق
قال اخرجوه فارموا به في السوق قال جعفر فاتيته انا وصاحب له فقلنا له حطيط الك حاجة قال شربة ماء فاتوه بشربة ثم مات
وكان ابن ثماني عشرة سنة رحمه الله وروي ان عمر بن هبيرة دعا بفقهاء اهل البصرة واهل الكوفة واهل المدينة واهل الشام
وقرائها فجعل يسألهم وكلم عامر الشعبي فجعل لا يسأله عن شيء الا وجد عنده فيه علما ثم اقبل على الحسن البصري فسأله ثم قال
هما هذان هذا رجل اهل الكوفة يعني الشعبي وهذا رجل اهل البصرة يعني الحسن البصري وامر الحاجب فاخرج الناس وخلا بالشعبي
والحسن فاقبل على الشعبي وقال يا ابا عمرو اني امير المؤمنين على العراق وعامله عليها ورجل مأمور على الطاعة ابتليت بالرعية
ولزمني حقهم فانا احب حفظهم وتعهدهم بما يصلحهم مع النصيحة لهم وقد يبلغني عن العصابة من اهل الديار الامر
واجد عليهم فيه فاقبض طائفة من عطائهم فاضعه في بيت المال ومن نيتي ان ارده عليهم فيبلغ امير المؤمنين اني قد قبضته على ذلك
النحو فيكتب الي ان لا ترده فلا استطيع رد امره ولا انفاذ كتابه وانما انا رجل مأمور على الطاعة فهل علي في هذا
تبعة وفي اشباهه من الامور والنية فيها على ما ذكرت فقال الشعبي اصلح الله الامير انما السلطان والد يخطئ ويصيب قال
فسر بقوله واعجب به ورأيت البشر في وجهه وقال فلله الحمد ثم اقبل على الحسن فقال ما تقول يا ابا سعيد قال قد سمعت
قول الامير يقول انا امير المؤمنين على العراق وعامله عليه ورجل مأمور على الطاعة ابتليت بالرعية ولزمني حقهم
والنصيحة لهم والتعهد لما يصلحهم وحق الرعية لازم لك وحق عليك ان تحوطهم بالنصيحة واني سمعت عبد الرحمن بن
سمرة القرشي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من استرعى رعية فلم يحطها
بالنصيحة حرم الله عليه الجنة ويقول اني قبضت من عطائهم ارادة صلاحهم واستصلاحهم وان يرجعوا الى طاعتهم فيبلغ
امير المؤمنين اني قبضتها على ذلك النحو فيكتب ان لا ترده فلا استطيع رد امره ولا استطيع انفاذ كتابه وحق الله الزم من حق
امير المؤمنين والله احق ان يطاع ولا طاعة لمخلوق في معصية الله فاعرض كتاب امير المؤمنين على كتاب الله عز وجل فان وجدته موافقا
لكتاب الله فخذ به وان وجدته مخالفا لكتاب الله فانبذه يا ابن هبيرة اتق الله فانه يوشك ان يأتيك رسول من رب العالمين
يزيلك عن سريرك ويخرجك من سعة قصرك الى ضيق قبرك فتدع سلطانك ودنياك خلف ظهرك وتقدم على ربك وتنزل
على عملك يا ابن هبيرة وان الله ليمنعك من يزيد وان يزيد لا يمنعك من الله وان امر الله فوق كل امر وانه لا طاعة في معصية الله

واني احذرك ما بين الله الذي لا يرده عن القوم المجرمين فقال ابن هبيرة اربع على ضلعك ايها الشيخ واعرض عن ذكر امير المومنين
فان امير المومنين صاحب العلم وصاحب الحكم وصاحب الفضل وانما ولاه الله ولاية امر هذه الامة لعلمه به وما يعلم من فضله و
نيته فقال الحسن يا ابن هبيرة انك ان تلقى من ينصح لك في دينك ويحملك على امر اخرتك خير من ان تلقى رجلا يغرك ويمنيك
يا ابن هبيرة فتدنس وجهه وتغير لونه قال الشعبي فقلت يا ابا سعيد اغضبت الامير واوغرت صدره وحرمتنا معروفه
وصلته فقال اليك عني يا عامر قال فخرجنا الى الحسن التحف والطرف وكانت له المنزلة واستخف بنا وجفينا فكان اهلا ان يفعل بنا
ذلك فما رايت مثل الحسن فيمن رايت من العلما الا مثل الفرس العربي بين المقاريف وما شهدنا مشهدا الا برز علينا وقلنا مقا برزتهم
قال عامر للشعبي وانا اعاهد الله لا اشهد سلطانا بعد هذا المجلس فاجابه ودخل محمد بن الواسع على بلال بن ابي بردة له ما
يقول في القدر قال جيرانك اهل القبور فتفكر فيهم فان فيهم شغلا عن القدر وعن الشافعي رضي الله عنه حدثنا عمي محمد بن علي
قال اني لحاضر مجلس امير المومنين هرون الرشيد ابي جعفر وفيه ابن ابي ذويب قال وكان والي المدينة الحسن بن زيد قال واتى
الغفاريون فشكوا الى ابي جعفر شيا من امر الحسن بن زيد فقال الحسن يا امير المومنين سل عنهم ابن ابي ذويب قال فساله فقال ما تقول
فيهم يا ابن ابي ذويب فقال اشهد انهم اهل تحطم في اعراض الناس كثير والاذى لهم فقال ابو جعفر قد سمعتم فقال الغفاريون يا امير
المومنين سله عن الحسن بن زيد فقال يا ابن ابي ذويب وهو الشيخ الصالح فقال يا امير المومنين سله عن نفسك فقال ما تقول في
فقال اعفني يا امير المومنين قال لا اخبرتني قال تسالني بالله كانك لا تعرف نفسك قال والله لتخبرني قال اشهد انك اخذت هذا المال من غير حقه
فجعلته في غير اهله واشهد ان الظلم ببابك فاش قال فجا ابو جعفر من موضعه حتى وضع يده في قفا ابن ابي ذويب فقبض عليه ثم قال
له اما والله لولا اني جالس ها هنا لاخذت فارس والروم والديلم والترك بهذا المكان منك قال فقال ابن ابي ذويب يا امير المومنين
اني لانصح لك من ابيك المهدي قال فبلغنا ان ابن ابي ذويب لما خرج قد ولي ابو بكر وعمر فاخذا الحق وقسما بالسوية واخذا
باقفاء فارس والروم واصغرا انافهم قال فخلى ابو جعفر قفاه وخلى سبيله وقال والله لولا اني اعلم انك صادق لقتلتك فقال ابن
ابي ذويب والله يا امير المومنين اني لانصح لك من ابيك المهدي قال فبلغنا ان ابن ابي ذويب لما خرج من مجلس المنصور لقيه سفين الثوري
فقال له يا ابا الحارث لقد سرني ما خاطبت به هذا الجبار ولكن ساني قولك له ابنك المهدي فقال يغفر الله لك يا ابا عبد الله كلنا
مهدي كلنا كان في المهد وعن الاوزاعي وهو عبد الرحمن قال بعث الي ابو جعفر المنصور امير المومنين وانا بالساحل فاتيته فلما
وصلت اليه وسلمت عليه بالخلافة رد علي واستجلسني ثم قال ما الذي ابطا بك عنا يا اوزاعي قال قلت وما الذي تريد يا امير المومنين
قال اريد الاخذ عنكم والاقتباس منكم قال قلت فانظر يا امير المومنين ان لا تجهل شيا مما اقول لك قال وكيف اجهله وانا
اسله عنك وفيه وجهت اليك واقدمتك له قال قلت له تجهله ان تسمعه ثم لا تعمل به قال فصاح بي الربيع واهوى
بيده الى السيف فانتهره المنصور وقال هذا مجلس مثوبة لا مجلس عقوبة فطابت نفسي وانبسطت في الكلام فقلت يا امير المومنين
حدثني مكحول عن عطية بن بسر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايما عبد جاته موعظة من الله في دينه فانها
نعمة من الله سيقت اليه فان قبلها بشكر والا كانت حجة من الله عليه ليزداد بها اثما ويزداد الله عليه بها سخطا يا امير المومنين
حدثني مكحول عن عطية بن بسر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايما وال غاش لرعيته حرم الله عليه الجنة يا امير
من كره الحق فقد كره الله ان الله هو الحق المبين ان الذي لين قلوب رعيتكم لكم حين ولاكم امورهم اقرابتكم من رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقد كان بهم روفا رحيما مواسيا لهم بنفسه في ذات يده محمودا عند الله وعند الناس فحقيق ان يقوم له بالحق

اسلك بالله الامر

وان يكون بالقسط له فيهم قائما ولعوراتهم ساترا لا تغلق عليك دونهم الابواب ولا يقيم دونهم الحجاب تبتهج بالنعمة عندهم
ويبتئس بما اصابهم من سو يا امير المومنين قد كنت في شغل شاغل من خاصة نفسك عن عامة الناس الذين اصبحت تملكهم
احمرهم واسودهم مسلمهم وكافرهم وكل له عليك نصيب من العدل فكيف بك اذا انبعث منهم فيام وراء فيام ليس منهم
احد الا وهو يشكو بلية ادخلتها عليه او ظلامة سقتها اليه يا امير المومنين حدثني مكحول عن عروة بن رويم قال كانت بيد رسول الله
صلى الله عليه وسلم جريدة يستاك بها ويروع بها المنافقين فاتاه جبريل عليه السلام فقال يا محمد ان الله لم يبعثك جبارا
ولا متكبرا فدعا النبي صلى الله عليه وسلم الاعرابي فقال اقتص مني فقال الاعرابي قد احللتك بابي انت وامي وما كنت لافعل
ذلك ابدا ولو اتيت على نفسي فدعا له بخير يا امير المومنين رض نفسك لنفسك وخذ لها الامان من ربك وارغب في جنة عرضها
السموات والارض التي يقول فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم لقيد قوس احدكم من الجنة خير من الدنيا وما فيها يا امير المومنين ان الملك
لو بقي لمن قبلك لم يصل اليك وكذا لا يبقى لك كما لم يبق لغيرك يا امير المومنين تدري ما جا في تاويل هذه الاية عن جدك ما لهذا الكتاب
لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها قال الصغيرة التبسم والكبيرة الضحك فكيف بما عملته الايدي وحصدته الالسن يا امير المومنين
بلغني عن عمر بن الخطاب قال لو ماتت سخلة على شاطي الفرات ضيعة لخشيت ان اسال عنها فكيف بمن حرم عدلك وهو على بساطك
يا امير المومنين تدري ما جا في تاويل هذه الاية عن جدك يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى
فيضلك عن سبيل الله وقال الله في الزبور يا داود اذا قعد الخصمان بين يديك فكان لك في احدهما هوى فلا تتمنين في نفسك ان يكون
الحق له فيفلج على صاحبه فامحوك عن نبوتي ثم لا تكون خليفتي ولا كرامة يا داود انما جعلت رسلي الى عبادي رعاة كرعاة الابل لعلمهم
بالرعاية ورفقهم بالسياسة ليجبروا الكسير ويدلوا الهزيل على الما والكلا يا امير المومنين انك بليت بامر لو عرض على السموات
والجبال لابين ان يحملنه واشفقن منه يا امير المومنين حدثني يزيد بن جابر عن عبد الله بن عمرة الانصاري ان عمر بن الخطاب استعمل رجلا
من الانصار على الصدقة فراه بعد ايام مقيما فقال له ما منعك من الخروج الى عملك اما علمت ان لك مثل اجر المجاهدين في
سبيل الله قال لا قال وكيف ذلك قال لانه بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من وال يلي شيا من امور الناس الا اتي به
يوم القيمة مغلولة يده الى عنقه فيوقف على جسر من النار فينقض به ذلك الجسر انتقاضة يزيل كل عضو منه عن موضعه ثم يعاد فيحاسب
فان كان محسنا نجا باحسانه وان كان مسيا انخرق به ذلك الجسر فيهوي به في النار سبعين خريفا فقال له عمر ممن سمعت هذا
قال من ابي ذر وسلمان فارسل اليهما فسالهما فقالا نعم سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر رضي الله عنه واعمراه
من يتولاها بما فيها فقال ابو ذر من سلب الله انفه والصق خده بالارض قال فاخذ المنديل فوضعه على وجهه وبكى وانتحب حتى ابكاني
ثم قلت يا امير المومنين قد سال جدك العباس النبي صلى الله عليه وسلم امارة على مكة والطايف واليمن فقال له رسول الله صلى الله عليه
وسلم يا عم النبي نفس تحييها خير من امارة لا تحصيها نصيحة منه لعمه وشفقة عليه واخبره انه لا يغني عنه من الله شيا اذ اوحى الله اليه
وانذر عشيرتك الاقربين فقال يا عباس ويا صفية عمتي النبي ويا فاطمة بنت محمد اني لست اغني عنكم من الله شيا لي عملي ولكم عملكم
وقال عمر رضي الله عنه لا يقيم امر الناس الا حصيف العقل اريب العقد لا يطلع منه على عورة ولا يحنق منه على جرة ولا ياخذه في الله
لومة لايم وقال الامرا اربعة فامير قوي ظلف نفسه وعماله فذلك كالمجاهد في سبيل الله يد الله باسطة عليه بالرحمة وامير ضعيف ظلف
نفسه وارتع عماله لضعفه وهو على شفا هلاك الا ان يرحمه الله وامير ظلف عماله وارتع نفسه فذلك الحطمة الذي قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم شر الرعاة الحطمة وهو الهالك وحده وامير ارتع نفسه وعماله فهلكوا جميعا وقد بلغني يا امير المومنين ان جبريل عليه السلام

اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني اتيتك حين امر الله بمنافخ النار فوضعت على النار تسعر ليوم القيمة فقال يا جبريل صف لي النار
فقال ان الله عز وجل امر بها فاوقد عليها الف عام حتى احمرت ثم اوقد عليها الف عام حتى اصفرت ثم اوقد عليها الف عام حتى اسودت فهي
فهي سوداء مظلمة لا تضيء جمرها ولا يطفأ لهبها والذي بعثك بالحق لو ان ثوبا من ثياب اهل النار اظهر لاهل الارض لماتوا جميعا ولو ان ذنوبا
من شرابها صب في مياه الارض جميعا لقتل من ذاقه ولو ان ذراعا من السلسلة التي ذكرها الله وضع على جبال الارض لذابت وما استقلت
ولو ان رجلا ادخل النار ثم اخرج منها لمات اهل الارض من نتن ريحه وتشويه خلقه وعظمه فبكى النبي صلى الله عليه وسلم وبكى جبريل
عليه السلام لبكائه فقال اتبكي يا محمد وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال افلا اكون عبدا شكورا ولم يبكي يا جبريل وانت
الروح الامين امين الله على وحيه قال اخاف ان ابتلى بما ابتلي به هاروت وماروت فهو الذي منعني من اتكالي على منزلتي عند ربي
فاكون قد امنت مكره فلم يزالا يبكيان حتى نوديا من السماء يا جبريل ويا محمد ان الله قد امنكما ان تعصياه فيعذبكما وفضل محمد على سائر
الانبيا كفضل جبريل على سائر ملائكة السماء. وقد بلغني يا امير المؤمنين ان عمر بن الخطاب قال اللهم ان كنت تعلم اني ابالي اذا قعد
الخصمان بين يدي على من مال الحق من قريب او بعيد فلا تمهلني طرفة عين يا امير المؤمنين ان اشد الشدة القيام لله بحقه وان اكرم الكرم
عند الله التقوى فانه من طلب العز بطاعة الله رفعه الله واعزه ومن طلبه بمعصية الله اذله الله ووضعه فهذه نصيحتي والسلام عليك
ثم نهضت فقال لي الى اين قلت الى الولد والوطن باذن امير المؤمنين ان شاء الله قال وقد اذنت لك وشكرت لك نصيحتك وقبلتها
بقبولها والله الموفق للخير والمعين عليه وبه استعين وعليه اتوكل وهو حسبي ونعم الوكيل فلا تخلني من مطالعتك اياي بمثل هذا
فانك المقبول القول غير المتهم في النصيحة قلت افعل ان شاء الله قال محمد بن مصعب فامر له بمال يستعين به على خروجه
فلم يقبله فقال انا في غنى عنه وما كنت لابيع نصيحتي بعرض من الدنيا وعرف المنصور مذهبه فلم يجد عليه في ذلك وعن ابن المهاجر
قال قدم امير المؤمنين المنصور مكة ونزل في دار الندوة وكان يخرج من دار الندوة الى الطواف في آخر الليل يطوف ويصلي ولا يعلم به
فاذا طلع الفجر رجع الى دار الندوة وجاء المؤذنون فسلموا عليه واقيمت الصلوة فصلى بالناس فخرج ذات ليلة حين اسحر فبينا هو
يطوف اذ سمع كلاما عند الملتزم وهو يقول اللهم اني اشكو اليك ظهور البغي والفساد في الارض وما يحول بين الحق واهله
من الظلم والطمع فاسرع المنصور في مشيه حتى ملأ مسامعه من قوله ثم رجع فجلس ناحية من المسجد فارسل اليه فاتاه فدعاه الرسول
فقال اجب امير المؤمنين فصلى ركعتين واستلم الركن واقبل مع الرسول فسلم عليه فقال له ما هذا الذي سمعتك تقوله من ظهور البغي
والفساد في الارض وما يحول بين الحق واهله من الظلم والطمع فوالله لقد حشوت مسامعي ما امرضني واقلقني فقال
يا امير المؤمنين ان امنتني على نفسي انبأتك بالامور من اصولها والا اقتصرت على نفسي ففيها لي شغل شاغل فقال له انت آمن
على نفسك فقال الذي دخله الطمع حتى حال بينه وبين الحق واصلاح ما ظهر من البغي والفساد في الارض انت قال وكيف يدخلني
الطمع والصفراء والبيضاء في يدي والحلو والحامض في قبضتي قال وهل دخل احدا من الطمع ما دخلك يا امير المؤمنين ان الله عز وجل
استرعاك امور المسلمين واموالهم فاغفلت امورهم واهتممت بجمع اموالهم وجعلت بينك وبينهم حجابا من الجص والآجر
وابوابا من الحديد وحجبة معهم السلاح ثم سجنت نفسك فيها منهم وبعثت عمالك في جمع الاموال وجبايتها واتخذت وزراء
ظلمة ان نسيت لم يذكروك وان ذكرت لم يعينوك وقويتهم على ظلم الناس بالاموال والكراع والسلاح وامرت بان لا يدخل عليك من
الناس الا فلان وفلان نفر سميتهم ولم تأمر بايصال المظلوم والملهوف والجائع ولا العاري ولا الضعيف الفقير ولا احد
الا وله في هذا المال حق فلما راك هؤلاء النفر الذين استخلصتهم لنفسك وآثرتهم على رعيتك وامرت ان لا يحجبوا ولا يقسموها

قالوا هذا قد خان الله فما لنا لا نخونه وقد سخر لنا فائتمروا على ان لا يصل اليك من علم اخبار الناس الا ما ارادوا ولا يخرج لك
عامل فيخالف امرهم الا اقصوه حتى يسقط منزلته ويصغر قدره فلما انتشر ذلك عنك وعنهم اعظمهم الناس وهابوهم وكان
اول من صانعهم عمالهم بالهدايا والاموال ليتقووا بهم على ظلم رعيتك ثم فعل ذوو القدرة والثروة من رعيتك لينالوا ظلم
من دونهم من الرعية فامتلأت بلاد الله بالطمع بغيا وفسادا وصار هؤلاء القوم شركاءك في سلطانك وانت غافل
فان جاء متظلم حيل بينه وبين الدخول اليك فان اراد رفع قصته اليك عند ظهورك وجدك قد نهيت عن ذلك ووقفت للناس
رجلا ينظر في مظالمهم فان جاء ذلك الرجل فبلغ بطانتك سألوا صاحب المظالم ان لا يرفع مظلمته وان كان للمتظلم به حرمة واجابة
لم يمكنه ما يريد خوفا منهم فلا يزال المظلوم يختلف اليه ويلوذ به ويشكو ويستغيث وهو يدفعه ويعتل عليه فاذا اجهد و
احرج وظهرت صرخ بين يديك فيضرب ضربا مبرحا ليكون نكالا لغيره وانت تنظر فلا تنكر ولا تغير فما بقاء الاسلام واهله
على هذا وقد كانت بنو امية وكانت العرب لا ينتهي اليهم المظلوم الا رفعت ظلامته اليهم فينصف ولقد كان الرجل يأتي من اقصى
البلاد حتى يبلغ باب سلطانهم فينادي يا اهل الاسلام فيبتدرونه ما لك ما لك فيرفعون مظلمته الى سلطانهم فينتصف له ولقد
كنت يا امير المؤمنين اسافر الى ارض الصين وبها ملك فقدمتها مرة وقد ذهب سمع ملكهم فجعل يبكي فقال له وزراؤه ما لك
تبكي لا بكت عيناك قال اما اني لست ابكي على المصيبة التي نزلت بي ولكن المظلوم بالباب يصرخ فلا اسمع صوته ثم قال اما ان كان قد ذهب
سمعي ولم يذهب بصري نادوا في الناس الا يلبس الثوب الاحمر الا مظلوم ثم كان يركب طرفي النهار فهل يرى مظلوما فينصفه هذا يا امير المؤمنين
مشرك بالله قد غلبت رأفته بالمشركين ورقته على شح نفسه في ملكه وانت مؤمن بالله وابن عم نبي الله لا تغلبك رأفتك بالمسلمين
على شح نفسك فانك لا تجمع الاموال الا لواحد من ثلاثة ان قلت اجمعها لولدي فقد اراك الله عبرا في الطفل الصغير يسقط من
بطن امه وما له على الارض مال وما من مال الا ودونه يد شحيحة تحويه فما يزال الله تعالى يلطف لذلك الطفل حتى تعظم رغبة
الناس اليه ولست الذي تعطي بل الله يعطي من يشاء وان قلت اجمع المال لاشيد سلطاني فقد اراك الله عبرا فيمن كان قبلك ما اغنى
عنهم ما جمعوا من الذهب والفضة وما اعدوا من الرجال والسلاح والكراع وما ضرك وولد ابيك ما كنتم فيه من قلة الجدة و
الضعف حين اراد بكم ما اراد وان قلت اجمع المال لطلب غاية هي اجسم من الغاية التي انت فيها فوالله ما فوق ما انت فيه الا منزلة
لا تدرك الا بالعمل الصالح يا امير المؤمنين هل تعاقب من عصاك من رعيتك باشد من القتل قال لا قال فكيف تصنع بالملك الذي
خولك الله وما انت فيه من ملك الدنيا وهو تعالى لا يعاقب من عصاه بالقتل ولكن يعاقب من عصاه بالخلود في العذاب الاليم
وهو الذي يرى منك ما عقد عليه قلبك واضمرته جوارحك فما تقول اذا انتزع الحق المبين ملك الدنيا من يدك ودعاك
الى الحساب هل يغني عنك عنده شيئا مما كنت فيه شحيحا عليه من ملك الدنيا فبكى المنصور بكاء شديدا حتى نحب وارتفع صوته
ثم قال يا ليتني لم اخلق ولم اك شيئا ثم قال كيف احتيالي فيما خولت ولم ار من الناس الا خائنا قال يا امير المؤمنين عليك بالائمة
الاعلام المرشدين قال ومن هم قال العلماء قال قد فروا مني قال هربوا منك مخافة ان يحملهم على ما ظهر من طريقتك من قبل
عمالك ولكن افتح الابواب وسهل الحجاب وانتصر للمظلوم من الظالم وامنع الظالم وخذ الشيء مما حل وطاب واقسمه بالحق والعدل
وانا ضامن عمن هرب منك ان يأتيك فيعاونك على صلاح امرك ورعيتك فقال المنصور اللهم وفقني ان اعمل بما قال
هذا الرجل وجاء المؤذنون فسلموا عليه واقيمت الصلوة فخرج وصلى بهم ثم قال للحرسي عليك بالرجل ان لم تأتني به لاضربن
عنقك واغتاظ عليه غيظا شديدا ان لم يوجد فخرج الحرسي يطلب الرجل فبينا هو يطوف فاذا بالرجل يصلي

وبعض الشباب فقعد حتى صلى ثم قال يا ذا الرجل ما تتقي الله قال بلى قال اما تعرفه قال بلى قال فانطلق معي فقعد الى ان قلتني
انلم تاثر بك قال ليس الى ذلك من سبيل قال تقتلني ولا اقتلك قال وكيف تحسن تقرأ قال لا فاخرج من خرقة كانت معه رقعا
فيه مكتوب شيئا قال خذه فاجعله في جيبك فان فيه دعاء الفرج قال وما دعاء الفرج قال لا يرزقه الا الشهداء قلت رحمك الله
قد احسنت الي فان رايت ان تخبرني ما هذا الدعاء وما فضله قال من دعا به مساء وصباحا هدمت ذنوبه ودام سروره ومحيت
خطاياه واستجيب دعاؤه وبسط له في رزقه واعطي امله واعين على عدوه وكتب عند الله صديقا ولا يموت الا شهيدا يقول
اللهم كما لطفت في عظمتك دون اللطفاء وعلوت بعظمتك على العظماء وعلمت ما تحت ارضك كعلمك بما فوق عرشك وكانت
وساوس الصدور كالعلانية عندك وعلانية القول كالسر في علمك وانقاد كل شيء لعظمتك وخضع كل ذي سلطان لسلطانك
وصار امر الدنيا والاخرة كله بيدك اجعل لي من كل هم امسيت فيه فرجا ومخرجا اللهم ان عفوك عن ذنوبي وتجاوزك عن خطيئتي
وسترك على قبيح عملي اطمعني ان اسالك ما لا استوجبه مما قصرت فيه ادعوك امنا واسالك مستانسا وانك المحسن الي واني المسيء
الى نفسي فيما بيني وبينك تتودد الي واتبغض اليك ولكن الثقة بك حملتني على الجراة عليك فعد بفضلك واحسانك علي انك انت
التواب الرحيم قال فاخذته فصيرته في جيبي ثم لم يكن لي هم غير امير المؤمنين ودخلت فسلمت عليه فرفع راسه فنظر الي وتبسم وقال ويلك
تحسن السحر فقلت لا والله يا امير المؤمنين ثم قصصت عليه امري مع الشيخ فقال هات الرق الذي اعطاك ثم جعل يبكي ويقول قد نجوت
وامر بنسخه واعطاني عشرة الاف درهم قال اتعرفه قلت لا قال ذلك الخضر عليه السلام وعن ابن عمران الحولاني قال لما ولي هرون الرشيد
الخلافة زاره العلماء فهنئوه بما صار اليه وفيه وفتح بيوت الاموال فاقبل يحبوهم بالجوائز السنية فكان قبل ذلك يجالس العلماء
والزهاد وكان يظهر النسك والتقشف وكان مواخيا لسفيان الثوري قديما فهجره سفيان فلم يزره فاشتاق هرون الرشيد
الى زيارته ليخلو به ويحدثه فلم يزره ولا عبأ بموضعه وبما صار اليه فاشتد ذلك على هرون الرشيد فكتب اليه كتابا يقول فيه
بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله هرون الرشيد امير المؤمنين الى اخيه سفيان اما بعد يا اخي قد علمت ان الله تعالى اخى بين المؤمنين
وجعل ذلك فيه وله فاعلم اني قد واخيتك مواخاة لم اصرم منها حبلك ولم اقطع منها ودك واني منطو لك على افضل المحبة
والارادة ولولا هذه القلادة التي قلدنيها الله لاتيتك ولو حبوا لما اجد لك في قلبي من المحبة والارادة واعلم يا ابا عبد الله
انه ما بقي من اخواني واخوانك احد الا وقد زارني وهناني بما صرت اليه وقد فتحت بيوت الاموال واعطيتهم من الجوائز السنية
ما فرحت به نفسي وقرت بها عيني واني استبطاتك فلم تاتني وقد كتبت اليك كتابا شوقا مني اليك شديدا وقد علمت يا ابا عبد الله
ما جاء من فضل المؤمنين وزيارته ومواصلته فاذا ورد عليك كتابي فالعجل العجل فلما كتب الكتاب التفت الى من عنده فاذا كلهم
يعرفون سفيان وخشونته فقال علي برجل من الباب فادخل عليه رجل يقال له عباد الطالقاني فقال يا عباد خذ كتابي هذا فانطلق
به الى الكوفة فاذا دخلتها فسل عن بني ثور ثم سل عن سفيان الثوري فاذا رايته فالق كتابي اليه واوع بسمعك وقلبك جميع ما يكون
فاحص عليه دقيق امره وجليله لتخبرني فاخذ عباد الكتاب وانطلق حتى ورد الكوفة فسال عن القبيلة فارشد اليها ثم سال عن سفيان
الثوري فارشد اليه فقيل له هو في المسجد قال عباد فاقبلت الى المسجد فلما رآني قام قائما وقال اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان
الرجيم واعوذ بك اللهم من طارق يطرقنا الا بخير قال عباد فوقعت الكلمة في قلبي فخرجت فلما رآني نزلت بباب المسجد قام يصلي
ولم يكن وقت الصلاة فربطت فرسي بباب المسجد ودخلت فاذا جلساؤه قعود قد نكسوا رؤوسهم كانهم لصوص قد ورد عليهم السلطان
فهم خائفون من عقوبته فسلمت فما رفع احد الي راسه وردوا السلام علي برؤوس الاصابع فبقيت واقفا فما منهم احد يعرض علي الجلوس

فربطت

الجلوس وعلاني من هيبتهم الرعدة ومددت عيني اليهم فقلت ان المصلي هو سفيان فرميت بالكتاب اليه فلما راى الكتاب
ارتعد وتباعد منه كانه حية عرضت له في محرابه فركع وسجد وسلم وادخل يده في كمه ولفه بعباءه واخذه وقلبه بيده
ثم رماه الى من كان خلفه وقال ياخذه بعضكم يقروه فاني استغفر الله ان امس شيئا مسه ظالم بيده قال عباد فمد بعضهم يده اليه
فحله كانه خائف من فم حية تنهشه ثم فضه وقراه واقبل سفيان يتبسم تبسم المتعجب فلما فرغ من قراءته قال اقلبوه واكتبوا الى الظالم
في ظهره فقيل يا ابا عبد الله انه خليفة فلو كتبت اليه في قرطاس نقي فقال اكتبوا الى الظالم في ظهر كتابه فان كان اكتسبه من حلال
فسوف يجزى به وان كان اكتسبه من حرام فسوف يصلى به ولا يبقى شيء مسه ظالم عندنا فيفسد علينا ديننا فقيل له ما نكتب فقال
اكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم من العبد الميت سفيان بن سعيد بن منذر الثوري الى العبد المغرور بالامال هرون الذي سلب حلاوة
الايمان اما بعد فاني قد كتبت اليك اعلمك اني قد صرمت حبلك وقطعت ودك وقليت موضعك وانك قد جعلتني
شاهدا عليك باقرارك على نفسك في كتابك بما هجمت على بيت مال المسلمين فانفقته في غير حقه وانفذته في غير حكمه ثم لم ترض
بما فعلته وانت ناء عني حتى كتبت الي تشهدني على نفسك اما اني قد شهدت عليك انا واخواني الذين شهدوا قراءة كتابك
وسنؤدي الشهادة غدا بين يدي الله عز وجل يا هرون هجمت على بيت مال المسلمين بغير رضاهم هل رضي بفعلك المؤلفة قلوبهم
والعاملون عليها في ارض الله والمجاهدون في سبيل الله ام ابن السبيل ام رضي حملة القرآن واهل العلم والارامل والايتام
ام هل رضي بذلك خلق من رعيتك فشد يا هرون مئزرك واعد للمسالة جوابا وللبلاء تجفافا واعلم بانك سوف تقف
بين يدي الحكم العدل في نفسك اذ سلبت حلاوة العلم والزهد ولذة قراءة القرآن ومجالسة الاخيار ورضيت لنفسك ان تكون ظالما
وللظالمين اماما يا هرون قعدت على السرير ولبست الحرير واسبلت سترا دون بابك وتشبهت بالحجبة لرب العالمين اقعدت
اجنادك الظلمة دون بابك وسترك يظلمون الناس ولا ينصفون يشربون الخمر ويضربون من يشربها ويزنون ويحدون الزاني
ويسرقون ويقطعون السارق افلا كانت هذه الاحكام عليك وعليهم قبل ان تحكم بها على الناس فكيف بك يا هرون غدا
اذا نادى مناد من قبل الله عز وجل احشروا الذين ظلموا وازواجهم اين الظلمة واعوان الظلمة فقدمت بين يدي الله عز وجل و
يداك مغلولتان الى عنقك لا يفكهما الا عدلك وانصافك والظالمون حولك وانت لهم سابق وامام الى النار كاني بك يا
هرون قد اخذت بضيق الخناق ووردت المساق وانت ترى حسناتك في ميزان غيرك وسيئات غيرك في ميزانك على سيئاتك
بلاء على بلاء وظلمة فوق ظلمة فاحتفظ بوصيتي واتعظ بموعظتي التي وعظتك بها واعلم اني قد نصحت لك وما ابقيت
لك في النصح غاية فاتق الله يا هرون في رعيتك واحفظ محمدا صلى الله عليه وسلم في امته واحسن الخلافة عليهم واعلم
ان هذا الامر لو بقي لغيرك لم يصل اليك وهو صائر الى غيرك وكذا الدنيا تنتقل باهلها واحدا بعد واحد فمنهم من تزود زادا
نفعه ومنهم من خسر دنياه وآخرته واني احسبك يا هرون ممن خسر دنياه وآخرته واياك اياك ان تكتب الي كتابا بعد هذا فلا
اجيبك عنه والسلام قال عباد فالقي الي الكتاب منشورا غير مطوي ولا مختوم فاخذته واقبلت الى سوق الكوفة وقد
وقعت الموعظة من قلبي فناديت يا اهل الكوفة فاجابوني فقلت لهم من يشتري رجلا هرب من الله الى الله فاقبلوا الي بالدنانير
والدراهم فقلت لا حاجة لي في هذا المال ولكن جبة صوف خشنة وعباءة قطوانية قال فاتيت بذلك فنزعت ما كان علي من اللباس
الذي كنت البسه مع امير المؤمنين فاقبلت اقود البرذون وعليه السلاح الذي كنت احمله حتى اتيت باب امير المؤمنين هرون حافيا
راجلا فهزئ بي من كان على باب الخليفة ثم استؤذن لي فلما دخلت مجلسه وبصر بي هرون على تلك الحالة قام وقعد ثم قام قائما

وجعل يلطم رأسه ووجهه ويدعو بالويل والحرب ويقول انقطع الوصول وخاب المأمول مالي وللدنيا مالي وللملك يزول
عني سريعا ثم ألقى الكتاب إليه منشورا كما دفع إليه فأقبل هرون يقرؤه ودموعه تنحدر من عينيه ويقرأ ويشهق فقال
بعض جلسائه يا أمير المؤمنين لقد اجترأ عليك سفيان فلو وجهت إليه فأثقلته بالحديد وضيقت عليه السجن كنت
تجعله عبرة لغيره فقال هرون اتركونا يا عبيد الدنيا المغرور من غررتموه والشقي من أهلكتموه إن سفيان أمة وحده فاتركوا
سفيان وشأنه ثم لم يزل كتاب سفيان إلى جنب هرون يقرؤه عند كل صلاة حتى توفي رحمه الله فرحم الله عبدا نظر لنفسه واتقى الله
فيما يقدم عليه غدا فإنه عليه يحاسب وبه يجازى والله ولي التوفيق وعن عبد الله بن مهران قال حج الرشيد فوافى الكوفة فأقام بها أياما
ثم ضرب البوق بالرحيل فخرج الناس وخرج بهلول فيمن خرج فجلس بالكناسة والصبيان يؤذونه ويولعون به إذ أقبلت هوادج
هرون فكف الصبيان عن الولوع فلما جاء هرون نادى بأعلى صوته يا أمير المؤمنين يا أمير المؤمنين فكشف هرون السجاف بيده
عن وجهه فقال لبيك يا بهلول فقال يا أمير المؤمنين حدثنا أيمن بن نابل عن قدامة بن عبد الله العامري قال رأيت
النبي صلى الله عليه وسلم منصرفا من عرفة على ناقة له صهباء لا ضرب ولا طرد ولا إليك إليك وتواضعك في سفرك هذا
خير لك من تكبرك وتجبرك قال فبكى هرون حتى سقطت دموعه على الأرض ثم قال يا بهلول زدنا رحمك الله قال نعم يا أمير
المؤمنين رجل آتاه الله مالا وجمالا فأنفق من ماله وعف في جماله كتب في خالص ديوان الله مع الأبرار قال أحسنت يا
بهلول ودفع له جائزة قال اردد الجائزة إلى من أخذتها منه فلا حاجة لي فيها قال يا بهلول فإن يكن عليك دين قضيناه قال يا أمير المؤمنين
هؤلاء أهل العلم بالكوفة متوافرون قد اجتمعت آراؤهم أن قضاء الدين بالدين لا يجوز قال يا بهلول فنجري عليك ما يقوتك أو يقيمك
قال فرفع بهلول رأسه إلى السماء ثم قال يا أمير المؤمنين أنا وأنت من عيال الله فمحال أن يذكرك وينساني قال فأسبل هرون السجاف
ومضى وعن أبي العباس الهاشمي عن صالح بن المأمون قال دخلت على الحارث المحاسبي رحمه الله فقلت له يا أبا عبد الله حاسبت
نفسك فقال هذا كان مرة فقلت له فاليوم قال أكاتم حالي إني لأقرأ آية من كتاب الله تعالى فأضن بها أن يسمعها نفسي ولولا
أن يغلبني فيها فرح ما أعلنت بها ولقد كنت ليلة قاعدا في محرابي فإذا أنا بفتى حسن الوجه طيب الرائحة فسلم علي ثم قعد بين يدي
فقلت له من أنت قال أنا واحد من السياحين أقصد المتعبدين في محاريبهم ولا أرى لك اجتهادا فأي شيء عملك قال قلت له كتمان
المصائب واستجلاب الفوائد قال فصاح وقال ما علمت أحدا بين جنبي المشرق والمغرب هذه صفته قال الحرث فأردت أن أزيد عليه
فقلت له أما علمت أن أهل القلوب يخفون أحوالهم ويكتمون أسرارهم ويسألون الله عز وجل كتمان ذلك عليهم فمن أين تعرفهم
قال فصاح صيحة غشي عليه فمكث عندي يومين لا يعقل ثم أفاق وقد أحدث في ثيابه فعلمت إزالة عقله فأخرجت له ثوبا
جديدا وقلت له هذا كفني قد آثرتك به فاغتسل وصل ثم التحف بالثوب وخرج فقلت له وأين تريد فقال لي قم فلم يزل يمشي
حتى دخل على المأمون أمير المؤمنين فسلم عليه وقال يا ظالم أنا ظالم إن لم أقل لك يا ظالم أستغفر الله من تقصيري فيك أما تتقي الله عز وجل
فيما قد ملكك وتكلم بكلام كثير ثم أقبل يريد الخروج وأنا جالس بالباب فأقبل عليه المأمون وقال من أنت قال أنا رجل من السياحين
فكرت فيما عمل الصديقون قبلي فلم أجد لنفسي فيه حظا فتعلقت بموعظتك لعلي ألحقهم فأمر بضرب عنقه فأخرج وأنا قاعد على
الباب ملفوفا في ذلك الثوب ومناد ينادي من ولي هذا فليأخذه قال الحرث فاختبأت عنه وأخذه أقوام غرباء فدفنوه وكنت
معهم لا أعلمهم بحاله فأقمت في مسجد في المقابر محزونا على الفتى فغلبتني عيناي فإذا هو بين وصائف ولم أر أحسن منهن وهو يقول
يا حرث والله أنت من الكاتمين الذين يخفون أحوالهم ويطيعون ربهم قلت وما فعلوا قال الساعة يلقونك فنظرت إلى جماعة ركبان

وكان فقلت من أين تعلم قال لو أخرج هذا الكلام لو لم يكن في قلبه مما وصفت شيء لخرج للأمر والنهي وإن الله عز وجل أثر له
معنا وغضب لعبده وعن أحمد بن إبراهيم المقري قال كان أبو الحسين النوري رجلا قليل الفضول لا يسأل عما لا يعنيه ولا يفتش
عما لا يحتاج إليه وكان إذا رأى منكرا غيره ولو كان فيه تلفه فنزل ذات يوم إلى مشرعة تعرف بمشرعة الفحامين يتطهر للصلاة إذ
رأى زورقا فيه ثلاثون دنا مكتوب عليها بالقار لطف فقرأه وأنكره لأنه لم يعرف في التجارات ولا في البيوع شيئا يعبر عنه بلطف
فقال للملاح إيش في هذه الدنان قال وأيش عليك امض في شغلك فلما سمع النوري من الملاح هذا القول ازداد تعطشا إلى معرفته
فقال له أحب أن تخبرني إيش في هذه الدنان فقال الملاح أنت والله صوفي فضولي هذا خمر للمعتضد يريد أن يتمم به مجلسه فقال النوري
وهذا خمر قال نعم فقال أحب أن تعطيني ذلك المردي فاغتاظ الملاح عليه وقال لغلامه أعطه المردي حتى أنظر ما يصنع فلما صار المردي
في يده صعد إلى الزورق فلم يزل يكسرها دنا دنا حتى أتى على آخرها إلا دنا واحدا والملاح يستغيث إلى أن ركب صاحب المعونة
وهو يومئذ يونس بن أفلح فقبض على النوري وأشخصه إلى حضرة المعتضد وكان المعتضد سيفه قبل كلامه ولم يشك الناس
أنه سيقتله قال أبو الحسين فأدخلت وهو جالس على كرسي حديد وبيده عمود يقلبه فلما رآني قال من أنت قلت محتسب قال ومن
ولاك الحسبة قلت الذي ولاك الإمامة ولاني الحسبة يا أمير المؤمنين قال فأطرق إلى الأرض ساعة ثم رفع رأسه إلي وقال
ما الذي حملك على ما صنعت قال شفقة مني عليك إذ بسطت يدي إلى صرف مكروه عنك فقصرت عنه قال فأطرق مفكرا في
كلامي ثم رفع رأسه قال كيف تخلص هذا الدن الواحد من جملة الدنان فقلت في تخلصه علة أخبر بها أمير المؤمنين إن أذن فقال
هات خبرني فقلت يا أمير المؤمنين إني أقدمت على الدنان بمطالبة الحق سبحانه وتعالى لي بذلك وغمر قلبي شاهد الإجلال للحق
وخوف المطالبة فغابت هيبة الخلق عني فأقدمت عليها بهذه الحال إلى أن صرت إلى هذا الدن فاستشعرت نفسي كبرا على أني قد أقدمت
على مثلك فمنعت فلو أقدمت عليه بالحال الأول وكانت ملء الدنيا دنانا لكسرتها ولم أبال فقال المعتضد اذهب
فقد أطلقنا يدك غير ما أحببت أن تغيره من المنكر قال أبو الحسين فقلت يا أمير المؤمنين بغض إلي التغيير لأني كنت أغير عن الله و
الآن أغير عن شرطي فقال المعتضد ما حاجتك قال أبو الحسين يا أمير المؤمنين تأمر بإخراجي سالما فأمر له بذلك وخرج إلى البصرة
وكان أكثر أيامه بها خوفا من أن يسأله أحد حاجة يسألها المعتضد فأقام بالبصرة إلى أن توفي المعتضد ثم رجع إلى بغداد فهذه
كانت سيرة العلماء وعادتهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقلة مبالاتهم بسطوة السلاطين لكنهم اتكلوا على فضل الله
أن يحرسهم ورضوا بحكم الله أن يرزقهم الشهادة فلما أخلصوا لله النية أثر كلامهم في القلوب القاسية فلينها وأزال
قساوتها وأما الآن فقد قيدت الأطماع ألسن العلماء فسكتوا وإن تكلموا لم تساعد أقوالهم أحوالهم فلم ينجحوا ولو صدقوا
الله وقصدوا حق العلم لأفلحوا ففساد الرعية بفساد الملوك وفساد الملوك بفساد العلماء وفساد
العلماء باستيلاء حب المال والجاه ومن استولى عليه حب الدنيا لم يقدر على الحسبة على
الأراذل فكيف على الملوك والأكابر والله المستعان على كل حال

تم كتاب آداب الأمر بالمعروف والنهي
عن المنكر بحمد الله تعالى وفضله و
الصلوة على نبيه وآله

ويتلوه كتاب أخلاق النبوة وآداب المعيشة وهو العاشر من ربع العادات من كتب إحياء علوم الدين ٥ ٥

كتاب اخلاق النبوة وآداب المعيشة وهو العاشر من ربع العادات

بسم الله الرحمن الرحيم تيمنا بكرمه العميم

الحمد لله الذى خلق كل شئ فاحسن خلقه وترتيبه وادب نبيه صلى الله عليه وسلم فاحسن تاديبه وزكى اوصافه واخلاقه
ثم اتخذه صفيه وحبيبه ووفق للاقتداء به من اراد تهذيبه وحرم عن التخلق باخلاقه من اراد تخييبه وصلى الله على محمد سيد
المرسلين وعلى آله الطيبين وصحبه الطاهرين وسلم كثيرا اما بعد فان آداب الظواهر عنوان آداب البواطن وحركات
الجوارح ثمرات الخواطر والاعمال نتيجة الاخلاق والآداب رشح المعارف وسرائر القلوب هى مغارس الافعال ومنابعها وانوار
السرائر هى التى تشرق على الظواهر فتزينها وتجليها وتبدل بالمحاسن مكارهها ومساويها ومن لم يخشع قلبه لم تخشع
جوارحه ومن لم يكن صدره مشكوة الانوار الالهية لم يفض على ظاهره جمال الآداب النبوية ولقد كنت عزمت ان اختم ربع العادات من
هذا الكتاب بكتاب جامع لآداب المعيشة لئلا يشق على طالبها استخراجها من جميع هذه الكتب ثم رايت كل كتاب من ربع العبادات
وربع العادات قد اتى على جملة من الآداب فاستثقلت تكريرها واعادتها فان كل الاعادة ثقيل والنفوس مجبولة على معاداة
المعادات فرايت ان اقتصر فى هذا الكتاب على ذكر آداب رسول الله صلى الله عليه وسلم واخلاقه المأثورة عنه بالاسناد فاسردها
مجموعة فصلا فصلا محذوفة الاسناد ليجتمع فيه جميع الآداب تجديد الايمان وتاكيده بمشاهدة اخلاقه الكريمة التى يشهد احادها
على القطع بانه اكرم خلق الله تعالى واعلاهم رتبة واجلهم قدرا فكيف مجموعها ثم اضيف الى ذكر اخلاقه ذكر خلقته ثم ذكر
معجزاته التى صحت بها الاخبار ليكون ذلك معربا عن مكارم الاخلاق والشيم ومنتزعا عن آذان الجاحدين لنبوته صمام الصمم والله تعالى
ولى التوفيق للاقتداء بسيد المرسلين فى الاخلاق والاحوال وسائر معالم الدين فانه دليل المتحيرين ومجيب دعوة المضطرين
ولنذكر فيه اولا بيان تاديب الله تعالى اياه بالقرآن ثم بيان جوامع من محاسن اخلاقه ثم بيان جملة من آدابه
واخلاقه ثم بيان كلامه وضحكه ثم بيان اخلاقه وآدابه فى الطعام ثم بيان آدابه واخلاقه فى اللباس ثم بيان عفوه
مع القدرة ثم بيان اغضائه عما كان يكره ثم بيان سخاوته وجوده ثم بيان شجاعته وباسه ثم بيان تواضعه
ثم بيان صورته وخلقته ثم بيان جوامع معجزاته وآياته صلوات الله وسلامه عليه

بيان تاديب الله تعالى صفيه وحبيبه محمدا صلى الله عليه وسلم بالقرآن

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير الضراعة والابتهال دائم السؤال
من الله تعالى ان يزينه بمحاسن الآداب ومكارم الاخلاق فكان يقول فى دعائه اللهم حسن خلقى وخلقى ويقول اللهم جنبنى منكرات
الاخلاق فاستجاب الله دعاءه وفاء بقوله ادعونى استجب لكم فانزل عليه القرآن وادبه فكان خلقه القرآن قال سعيد بن هشام
دخلت على عائشة رضى الله عنها فسألتها عن اخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت اما تقرأ القرآن قلت بلى قالت كان

خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن وانما ادبه بالقرآن بمثل قوله خذ العفو وامر بالمعروف واعرض عن الجاهلين
وقوله تعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى وبقوله واصبر على ما اصابك
ان ذلك من عزم الامور وقوله تعالى ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور وقوله تعالى فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين
وبقوله وليعفوا وليصفحوا الا تحبون ان يغفر الله لكم وبقوله تعالى ادفع بالتى هى احسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة
كانه ولى حميم وبقوله تعالى والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس وبقوله تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ولا
تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا ولما كسرت رباعيته يوم احد فجعل الدم يسيل على وجهه وهو يمسحه ويقول كيف يفلح قوم
خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى ربهم فانزل الله تعالى ليس لك من الامر شئ تاديبا له على ذلك وامثال هذا التاديب
فى القرآن لا يحصر وهو المقصود الاول بالتاديب والتهذيب ثم منه يشرق النور على كافة الخلق فانه ادب بالقرآن وادب
الخلق به ولذلك قال صلى الله عليه وسلم بعثت لاتمم مكارم الاخلاق ثم رغب الخلق فى محاسن الاخلاق بما اوردناه فى كتاب
رياضة النفس وتهذيب الخلق فلا نعيده ثم لما اكمل الله تعالى خلقه اثنى عليه فقال وانك لعلى خلق عظيم فسبحانه ما اعظم شانه
واتم امتنانه انظر الى عميم فضله كيف اعطى ثم اثنى عليه فهو الذى زينه بالخلق الكريم ثم اضاف اليه ذلك فقال وانك لعلى
خلق عظيم ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بين للخلق ان الله يحب مكارم الاخلاق ويبغض سفسافها قال على رضى الله عنه
يا عجبا لرجل مسلم يجيئه اخوه المسلم فى حاجة فلا يرى نفسه للخير اهلا فلو كان لا يرجو ثوابا ولا يخشى عقابا لقد كان ينبغى له
ان يسارع فى مكارم الاخلاق فانها مما يدل على سبيل النجاة فقال له رجل اسمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال نعم
وما هو خير منه لما اتى بسبايا طئ وقعت جارية فى السبى فقالت يا محمد ان رايت ان تخلى عنى ولا تشمت بى احياء العرب
فانى بنت سيد قومى وان ابى كان يحمى الذمار ويفك العانى ويشبع الجائع ويطعم الطعام ويفشى السلام ولم يرد طالب
حاجة قط انا ابنة حاتم طئ فقال النبى صلى الله عليه وسلم يا جارية هذه صفة المؤمنين حقا لو كان ابوك مسلما لترحمنا عليه
خلوها فان اباها كان يحب مكارم الاخلاق وان الله يحب مكارم الاخلاق فقام ابو بردة بن دينار فقال يا رسول الله الله يحب مكارم
الاخلاق فقال والذى نفسى بيده لا يدخل الجنة الا حسن الاخلاق وعن معاذ بن جبل عن النبى صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى
حف الاسلام بمكارم الاخلاق ومحاسن الاعمال ومن ذلك حسن المعاشرة وكرم الصنيعة ولين الجانب وبذل المعروف
واطعام الطعام وافشاء السلام وعيادة المريض المسلم برا كان او فاجرا وتشييع جنازة المسلم وحسن الجوار لمن جاورت
مسلما كان او كافرا وتوقير ذى الشيبة المسلم واجابة الداعى لدعوة الطعام والدعاء عليه والعفو والاصلاح والجود والكرم
والسماحة والابتداء بالسلام وكظم الغيظ والعفو عن الناس واذهب الاسلام اللهو والغناء والمعازف كلها وكل ذى وتر و
كل دخل الكذب والغيبة والبخل والشح والجفاء والمكر والخديعة والنميمة وسوء ذات البين وقطيعة الارحام وسوء الخلق
والتكبر والفخر والاختيال والاستطالة والمدح والفحش والحقد والحسد والطيرة والبغى والعدوان والظلم قال انس
فلم يدع رسول الله صلى الله عليه وسلم نصيحة جميلة الا دعانا اليها وامرنا بها ولم يدع غشا او قال عيبا او قال شيئا الا حذرناه
ونهانا عنه ويكفى من ذلك كله هذه الآية ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى الآية وقال معاذ اوصانى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال يا معاذ اوصيك باتقاء الله وصدق الحديث والوفاء بالعهد واداء الامانة وترك الخيانة و
حفظ الجار ورحمة اليتيم ولين الكلام وبذل السلام وحسن العمل وقصر الامل ولزوم الايمان والتفقه فى القرآن وحب الآخرة

والجزع من الحساب وخفض الجناح واياك ان تسب حكيما او تكذب صادقا او تطيع آثما او تعصى اماما عادلا او تفسد ارضا
واوصيك باتقاء الله عند كل شجر ومدر وحجر وان تحدث لكل ذنب توبة السر بالسر والعلانية بالعلانية فهكذا
ادب عباد الله ودعاهم الى مكارم الاخلاق ومحاسن الآداب **بيان** جملة من محاسن اخلاقه التى جمعها بعض العلماء
والفقهاء والتقطها من الاخبار وقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلم الناس واحلم الناس واشجع الناس واعدل الناس
واعف الناس لم تمس قط يده يد امراة لا يملك رقها او عصمة نكاحها او لا تكون ذات محرم منه وكان اسخى الناس لا يبيت عنده
دينار ولا درهم وان فضل ولم يجد من يعطيه وفجأه الليل لم يأو الى منزله حتى يبرأ منه الى من يحتاج اليه لا ياخذ مما آتاه الله
الا قوت عامه فقط من ايسر ما يجد من التمر والشعير ويضع سائر ذلك فى سبيل الله لا يسأل شيئا الا اعطاه ثم يعود على قوت عامه
فيؤثر منه حتى ربما احتاج قبل انقضاء العام ان لم يأته شىء وكان يخصف النعل ويرقع الثوب ويخدم فى مهنة اهله ويقطع اللحم
معهن وكان اشد الناس حياء لا يثبت بصره فى وجه احد ويجيب دعوة الحر والعبد ويقبل الهدية ولو انها جرعة لبن
او فخذ ارنب ويكافئ عليها ويأكلها ولا يأكل الصدقة ولا يستكبر عن اجابة الامة والمسكين يغضب لربه عز وجل ولا يغضب
لنفسه وينفذ الحق وان عاد ذلك بالضرر عليه وعلى اصحابه عرض عليه الانتصار بالمشركين على المشركين وهو فى قلة و
حاجة الى انسان واحد يزيد فى عدد من معه فابى وقال انا لا انتصر بمشرك ووجد من فضلاء اصحابه وخيارهم قتيلا بين اليهود فلم
يحف عليهم ولا زاد على مر الحق بل وداه بمائة ناقة وان باصحابه لحاجة الى بعير واحد يتقوون به وكان يعصب الحجر على بطنه
من الجوع ومرة يأكل ما حضر لا يرد ما وجد ولا يتورع من مطعم حلال ان وجد تمرا دون خبز اكله وان وجد شواء اكله وان وجد
خبز بر او شعير اكله وان وجد حلوا او عسلا اكله وان وجد لبنا دون خبز اكتفى به وان وجد بطيخا او رطبا اكله لا يأكل
متكئا ولا على خوان منديله باطن قدمه لم يشبع من خبز بر ثلاثة ايام متوالية حتى لقى الله تعالى ايثارا على نفسه لا فقرا ولا بخلا
يجيب الوليمة ويعود المرضى ويشهد الجنائز ويمشى بين اعدائه وحده بلا حارس اشد الناس تواضعا واسكنهم فى غير كبر
وابلغهم من غير تطويل واحسنهم بشرا لا يهوله شىء من امور الدنيا ويلبس ما وجد فمرة شملة ومرة برد حبرة يمانيا ومرة
جبة صوف ما وجد من المباح لبس وخاتمه فضة يلبسه فى خنصره الايمن والايسر يردف خلفه عبده او غيره يركب ما امكنه
مرة فرسا ومرة بعيرا ومرة بغلة شهباء ومرة حمارا ومرة يمشى راجلا حافيا بلا رداء ولا عمامة ولا قلنسوة يعود المرضى فى اقصى
المدينة يحب الطيب ويكره الروائح الرديئة ويجالس الفقراء ويؤاكل المساكين ويكرم اهل الفضل فى اخلاقهم ويتألف اهل
الشرف بالبر لهم يصل ذوى رحمه من غير ان يؤثرهم على من هو افضل منهم لا يجفو على احد يقبل معذرة المعتذر اليه يمزح ولا يقول
الا حقا يضحك من غير قهقهة يرى اللعب المباح فلا ينكره ويسابق اهله وترفع الاصوات عليه فيصبر وكان له لقاح وغنم يتقوت
هو واهله من البانها وكان له عبيد واماء لا يرتفع عليهم فى مأكل ولا ملبس لا يمضى له وقت فى غير عمل لله تعالى او فيما لا بد له
من صلاح نفسه يخرج الى بساتين اصحابه لا يحقر مسكينا لفقره وزمانته لا يهاب ملكا لملكه يدعو هذا وهذا الى الله دعاء
واحدا قد جمع الله تعالى له السيرة الفاضلة والسياسة التامة وهو امى لا يكتب ولا يقرأ نشأ فى بلاد الجهل والصحارى فى
فقر وفى رعاية الغنم يتيما لا اب له ولا ام فعلمه الله تعالى جميع محاسن الاخلاق والطرق الحميدة واخبار الاولين والآخرين
وما فيه النجاة والفوز فى الآخرة والغبطة والخلاص فى الدنيا ولزوم الواجب وترك الفضول وفقنا الله لطاعته
فى امره والتأسى به فى فعله آمين رب العالمين **بيان** جملة اخرى من آدابه واخلاقه مما رواه البخترى قالوا

قالوا ما شتم رسول الله صلى الله عليه وسلم احدا من المؤمنين بشتيمة الا جعل لها كفارة ورحمة وما لعن امرأة قط ولا خادما
بلعنة وقيل له وهو فى القتال لو لعنتهم يا رسول الله فقال انما بعثت رحمة ولم ابعث لعانا وكان اذا سئل ان يدعو على
احد مسلم او كافر عام او خاص عدل عن الدعاء عليه ودعا له وما ضرب صلى الله عليه وسلم بيده احدا الا ان يضرب بها فى سبيل الله
وما انتقم من شىء صنع اليه قط الا ان تنتهك حرمة الله تعالى وما خير بين امرين قط الا اختار ايسرهما الا ان يكون فيه اثم او
قطيعة رحم فيكون ابعد الناس من ذلك وما يأتيه احد حر كان او عبد او امة الا قام معه فى حاجته وقال انس والذى
بعثه بالحق ما قال لى فى شىء قط كرهته لم فعلته ولا لامنى احد من اهله الا قال دعوه انما كان هذا بكتاب وقدر قالوا وما عاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم مضجعا ان فرشوا له اضطجع وان لم يفرش له اضطجع على الارض وقد وصفه الله تعالى فى التوراة
قبل ان يبعثه فى السطر الاول فقال محمد رسول الله عبدى المختار لا فظ ولا غليظ ولا صخاب فى الاسواق ولا يجزى بالسيئة
السيئة ولكن يعفو ويصفح مولده بمكة وهجرته بطابة وملكه بالشام يأتزر على وسطه هو ومن معه رعاة القرآن والعلم يوضئ
على اطرافه وكذلك نعته فى الانجيل وكان من خلقه ان يبدأ من لقيه بالسلام ومن قاومه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف
وما اخذ احد بيده فيرسل يده حتى يرسلها الآخذ وكان اذا لقى احدا من اصحابه بدأه بالمصافحة ثم اخذ بيده فشابكه ثم شد
قبضته وكان لا يقوم ولا يجلس الا على ذكر الله تعالى وكان لا يجلس اليه احد وهو يصلى الا خفف صلاته واقبل وقال الك حاجة
فاذا فرغ من حاجته عاد الى صلاته وكان اكثر جلوسه ان ينصب ساقيه جميعا ويمسك بيديه عليهما شبه الحبوة ولم يكن يعرف
مجلسه من مجالس اصحابه لانه حيثما انتهى به المجلس جلس وما رئى قط مادا رجليه بين اصحابه حتى يضيق بهما على احد الا ان يكون
المكان واسعا لا ضيق فيه وكان اكثر ما يجلس مستقبل القبلة وكان يكرم من يدخل عليه ربما بسط ثوبه لمن ليست بينه وبينه قرابة
ولا رضاع يجلسه عليه وكان يؤثر الداخل عليه بالوسادة التى تكون تحته فان ابى ان يقبلها عزم عليه حتى يفعل وما استصفاه
احد الا ظن انه اكرم الناس عليه حتى يعطى كل من جلس اليه نصيبه من وجهه حتى كان مجلسه وسمعه وحديثه ولطف مجلسه
وتوجهه للجالس اليه ومجلسه مع ذلك مجلس حياء وتواضع وامانة قال الله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا
غليظ القلب لانفضوا من حولك وقد كان يدعو اصحابه بكناهم اكراما لهم واستمالة لقلوبهم ويكنى من لم يكن له كنية فكان يدعى
بما كناه به وكان يكنى ايضا النساء اللاتى لهن الاولاد واللاتى لم يلدن يبتدئ لهن بالكنى ويكنى للصبيان فيستلين به قلوبهم وكان
ابعد الناس غضبا واسرعهم رضى وكان ارأف الناس بالناس وانفع الناس للناس ولم تكن ترفع فى مجلسه الاصوات وكان اذا قام
من مجلسه قال سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك ثم يقول علمنيهن جبريل **بيان** كلامه
وضحكه صلى الله عليه وسلم كان صلى الله عليه وسلم افصح الناس منطقا واحلاهم كلاما ويقول انا افصح العرب وان اهل الجنة يتكلمون فيها
بلغة محمد وكان نزر الكلام سمح المقالة اذا نطق ليس بمهذار وكان كلامه كخرزات نظم قالت عائشة رضى الله عنها كان لا يسرد الكلام
كسردكم هذا كان كلامه نزرا وانتم تنثرون الكلام نثرا قالوا وكان اوجز الناس كلاما وبذلك جاءه جبريل عليه السلم وكان مع الايجاز
يجمع كل ما اراد وكان يتكلم بجوامع الكلم لا فضول ولا تقصير كلام يتبع بعضه بعضا بين تفصيله يحفظه سامعه ويعيه وكان جهير الصوت
احسن الناس نغمة وكان طويل السكوت لا يتكلم فى غير حاجة ولا يقول المنكر ولا يقول فى الرضى والغضب الا الحق ويعرض عمن تكلم بغير
جميل ويكنى عما اضطره الكلام اليه مما يكره ولا يقول فى الرضى وكان اذا سكت تكلم جلساؤه عنده واذا تكلم سكت جلساؤه ولا
يتنازع عنده فى الحديث ويعظ بالجد والنصيحة ويقول لا تضربوا القرآن بعضه ببعض فانه انزل على وجوه وكان اكثر الناس تبسما

واتوب ه

ضحكا في وجوه اصحابه وتعجبا مما تحدثوا به وخلطا لنفسه بهم ولربما ضحك حتى تبدو نواجذه وكان ضحك اصحابه عنده
التبسم اقتداء به وتوقيرا قالوا ولقد جاءه اعرابي يوما وهو عليه السلام متغير ينكره اصحابه فاراد ان يسأله فقالوا لا تفعل
يا اعرابي فانا ننكر لونه فقال دعوني فوالذي بعثه بالحق نبيا لا ادعه حتى يتبسم فقال يا رسول الله بلغنا ان المسيح يعني الدجال يأتي
على الناس بالثريد وقد هلكوا جوعا افترى لي بابي انت وامي ان اكف عن ثريده تعففا وتنزها حتى اهلك هزلا ام اضرب في
ثريده حتى اذا تضلعت شبعا آمنت بالله وكفرت به قالوا فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال لا بل يغنيك
بما يغني به المؤمنين قالوا وكان من اكثر الناس تبسما واطيبهم نفسا ما لم ينزل عليه القرآن او يذكر الساعة او يخطب بخطبة عظة وكان
اذا سر ورضي فهو احسن الناس رضا وان وعظ وعظ بجد وان غضب فلم يكن يغضب الا لله لم يقم لغضبه شيء وكذلك كان في اموره
كلها وكان اذا نزل به امر تبرأ من الحول والقوة واسترل الهدى فيقول اللهم ارني الحق حقا فاتبعه وارني الباطل باطلا وارزقني
اجتنابه واعذني من ان يشتبه علي فاتبع هواي بغير هدى منك واجعل هواي تبعا لطاعتك وخذ رضى نفسك من نفسي في عافية
واهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم [بيان] اخلاقه وآدابه صلى الله عليه وسلم
في الطعام كان صلى الله عليه وسلم يأكل ما وجد وكان احب الطعام اليه ما كان على ضفف والضفف ما كثرت عليه الايدي وكان
اذا وضعت المائدة قال بسم الله الرحمن الرحيم اللهم اجعلها نعمة مشكورة تصل بها نعيم الجنة وكان كثيرا اذا جلس يأكل يجمع
بين ركبتيه وبين قدميه كما يجلس المصلي الا ان الركبة تكون فوق الركبة والقدم فوق القدم كثيرا ما يفعل هكذا ويقول انما انا عبد
آكل كما يأكل العبيد واجلس كما يجلس العبيد وكان لا يأكل الحار ويقول انه غير ذي بركة وان الله تعالى لم يطعمنا نارا فابردوه وكان
يأكل مما يليه ويأكل باصابعه الثلاث وربما استعان بالرابعة ولم يأكل باصبعين ويقول ان ذلك اكلة الشياطين وجاءه عثمان
ابن عفان رضي الله عنه بفالوذج فاكل منه وقال ما هذا يا ابا عبد الله قال بابي انت وامي نجعل السمن والعسل في البرمة ونضعها على
النار ثم نغليه ثم ناخذ مخ الحنطة اذا طحنت فنلقيه على السمن والعسل ثم نسوطه حتى ينضج فيأتي كما ترى فقال صلى الله عليه وسلم
ان هذا الطعام طيب وكان يأكل خبز الشعير غير منخول وكان يأكل القثاء بالرطب والملح وكان احب الفواكه الرطبة اليه البطيخ والعنب
وكان يأكل البطيخ بالخبز والسكر وربما اكله بالرطب والملح ويستعين باليدين جميعا واكل يوما رطبا كان في يمينه وكان يحفظ النوى
في يساره فمرت شاة واشار اليها بالنوى فجعلت تأكل في كفه اليسرى وهو صلوات الله عليه يأكل بيمينه حتى فرغ وانصرفت الشاة
وكان ربما اكل العنب خرطا يرى زؤاله على لحيته كخرز اللؤلؤ وهو الماء الذي يتقطر منه وكان اكثر طعامه التمر والماء وكان يجمع
اللبن بالتمر ويسميهما الاطيبين وكان احب الطعام اليه اللحم ويقول هو يزيد في السمع وهو سيد الطعام في الدنيا والآخرة ولو
سألت ربي ان يطعمنيه كل يوم لفعل وكان يأكل الثريد باللحم والقرع وكان يحب القرع ويقول انها شجرة اخي يونس عليه السلام
قالت عائشة كان يقول يا عائشة اذا طبختم قدرا فاكثروا فيها الدباء فانه يشد قلب الحزين وكان يأكل لحم الطير الذي يصاد وكان
لا يتبعه ولا يصيده ويحب ان يصاد له ويؤتى به فيأكله وكان اذا اكل اللحم لم يطأطئ رأسه اليه ويرفعه الى فيه رفعا ثم ينتهسه انتهاسا
وكان يأكل الخبز والسمن وكان يحب من الشاة الذراع والكتف ومن القدر الدباء ومن الصباغ الخل ومن التمر العجوة ودعا في العجوة
بالبركة وقال هي من الجنة وشفاء من السم والسحر وكان يحب من البقول الهندباء والباذروج والبقلة الحمقاء التي يقال لها الرجلة
وكان يكره الكليتين لمكانهما من البول وكان لا يأكل من الشاة سبعا الذكر والانثيين والمثانة والمرارة والغدد والحياء والدم ويكره ذلك
وكان لا يأكل الثوم ولا البصل ولا الكراث وما ذم طعاما قط لكن ان اعجبه اكله وان كرهه تركه وان عافه لم يبغضه الى غيره وكان يعاف الضب

الضب والطحال ولا يحرمهما وكان يلعق الصحفة ويقول آخر الطعام اكثر بركة وكان يلعق اصابعه من الطعام حتى تحمر ولا يمسح يده
بالمنديل حتى يلعق اصابعه واحدة واحدة ويقول انه لا يدري في اي الطعام البركة واذا فرغ قال اللهم لك الحمد اطعمت واشبعت
وسقيت وارويت لك الحمد غير مكفور ولا مودع ولا مستغنى عنه وكان اذا اكل الخبز واللحم خاصة غسل يديه غسلا جيدا
ثم يمسح بفضل الماء على وجهه وكان يشرب في ثلاث دفعات له فيها ثلاث تسميات وفي اواخرها ثلاث تحميدات وكان يمص الماء مصا
ولا يعب عبا وربما كان يشرب بنفس واحد حتى يفرغ ولا يتنفس في الاناء بل ينحرف عنه وكان يدفع فضل سؤره الى من على يمينه فان
كان من على يساره اجل رتبة فان الذي على يمينه السنة ان يعطي وان احب آثرهم واتي باناء فيه عسل ولبن فابى ان يشربه وقال شربتان
في شربة وادامان في اناء واحد ثم قال صلى الله عليه وسلم لا احرمه ولكن اكره الفخر والحساب بفضول الدنيا غدا واحب التواضع فان من
تواضع لله رفعه الله وكان في بيته اشد حياء من العاتق لا يسألهم طعاما ولا يتشهاه عليهم ان اطعموه اكل وما اطعموه قبل وما سقوه
شرب وكان ربما قام فاخذ ما يأكل او يشرب بنفسه [بيان] آدابه واخلاقه صلى الله عليه وسلم في اللباس كان صلى الله عليه
وسلم يلبس من الثياب ما وجد من ازار او رداء او قميص او جبة او غير ذلك وكان يعجبه الثياب الخضر وكان اكثر لباسه البياض
ويقول البسوها احياءكم وكفنوا فيها موتاكم وكان يلبس القباء المحشو للحرب وغير المحشو وكان له قباء سندس فيلبسه فتحسن خضرته على
بياض لونه وكانت ثيابه كلها مشمرة فوق الكعبين ويكون الازار فوق ذلك الى نصف الساق وكان قميصه مشدود الازرار وربما
حل الازرار في الصلاة وغيرها وكانت له ملحفة مصبوغة بالزعفران وربما صلى بالناس فيها وحدها وربما لبس الكساء وحده ما
عليه غيره وكان له كساء ملبد يلبسه ويقول انما انا عبد البس كما يلبس العبد وكان له ثوبان لجمعته خاصة سوى ثيابه في غير الجمعة
وربما لبس الازار الواحد ليس عليه غيره ويعقد طرفيه بين كتفيه وربما ام به الناس على الجنائز وربما صلى في بيته في الازار الواحد
ملتحفا به مخالفا بين طرفيه ويكون ذلك الازار الذي جامع فيه يومئذ وكان ربما صلى بالليل في الازار ويرتدي ببعض الثوب مما
يلي هدبه ويلقي البقية على بعض نسائه فيصلي كذلك ولقد كان له كساء اسود فوهبه فقالت له ام سلمة بابي انت وامي ما فعل ذلك
الكساء الاسود فقال كسوته فقالت ما رأيت شيئا قط كان احسن من بياضك على سواده وقال انس ربما رأيته يصلي الظهر في شملة عاقدا
بين طرفيها وكان يتختم وربما خرج وفي خاتمه خيط مربوط يتذكر به الشيء وكان يختم به على الكتب ويقول الخاتم على الكتاب خير
من التهمة وكان يلبس القلانس تحت العمائم وبغير عمامة وربما نزع قلنسوته من رأسه فجعلها سترة بين يديه ثم يصلي اليها وربما
لم تكن العمامة فيشد العصابة على رأسه وعلى جبهته وكانت له عمامة تسمى السحاب فوهبها من علي رضي الله عنه فربما طلع علي فيها
فيقول صلى الله عليه وسلم اتاكم علي في السحاب وكان اذا لبس ثوبه لبسه من قبل ميامنه ويقول الحمد لله الذي كساني ما
اواري به عورتي واتجمل به في الناس واذا نزع ثوبه خرج من مياسره وكان اذا لبس جديدا اعطى خلق ثيابه مسكينا ثم يقول
ما من مسلم يكسو مسلما من سمل ثيابه لا يكسوه الا لله الا كان في ضمان الله وحرزه وخيره ما واراه حيا وميتا وكان له فراش من
ادم حشوه ليف طوله ذراعان او نحوه وعرضه ذراع وشبر او نحوه وكانت له عباءة تفرش له حيثما تنقل تثنى طاقين تحته
وكان ينام على الحصير ليس تحته شيء غيره وكان من خلقه تسمية دوابه وسلاحه ومتاعه وكان اسم رايته العقاب واسم سيفه الذي
يشهد به الحروب ذو الفقار وكان له سيف يقال له المخذم وآخر يقال له الرسوب وآخر يقال له القضيب وكانت قبيعة
سيفه محلاة بالفضة وكان يلبس المنطقة من ادم فيها ثلاث حلق من فضة وكان اسم قوسه الكتوم وجعبته الكافور وكان اسم ناقته
القصواء وهي التي يقال لها العضباء واسم بغلته الدلدل واسم حماره يعفور واسم شاته التي يشرب لبنها عينة وكان له مطهرة

من فخارة يتوضأ فيها ويشرب منها فيرسل الناس اولادهم الصغار الذين قد عقلوا فيدخلون على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلا يدفعون عنه فاذا وجدوا في المطهرة ماء شربوا منه ومسحوا على وجوههم وادبارهم يبتغون بذلك البركة
بيان عفوه صلوات الله عليه وسلم مع القدرة كان صلى الله عليه وسلم احلم الناس وارغبهم في العفو مع القدرة
حتى اوتي بقلائد من ذهب وفضة فقسمها بين اصحابه فقام رجل من اهل البادية فقال والله يا محمد لئن امرك الله ان تعدل فما
اراك تعدل فقال ويحك فمن يعدل عليك بعدي فلما ولى قال ردوه علي رويدا وروى جابر انه صلى الله عليه وسلم يقبض للناس يوم
حنين من ثوب بلال فقال له رجل يا رسول الله اعدل فقال صلى الله عليه وسلم ويحك فمن يعدل اذا لم اعدل فقد خبت اذا
وخسرت ان لم اعدل فقام عمر فقال الا اضرب عنقه فانه منافق فقال معاذ الله ان يتحدث الناس اني اقتل اصحابي وكان عليه السلم
في حرب فرأوا من المسلمين غرة فجاء رجل حتى قام على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف فقال من يمنعك مني فقال كن خير آخذ فقال
قال اتشهد ان لا اله الا الله فقال الاعرابي لا اقاتلك ولا اكون مع قوم يقاتلونك فخلى سبيله فجاء الى قومه فقال جئتكم من خير الناس
وروى انس ان يهودية اتت النبي صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة لياكل منها فجيء بها الى النبي صلى الله عليه وسلم فسألها
عن ذلك فقالت اردت قتلك فقال ما كان الله ليسلطك على ذلك قالوا افلا نقتلها قال لا وسحره رجل من اليهود فاخبره
جبرئيل بذلك حتى استخرجه وحل عقده فوجد لذلك خفة وما ذكر ذلك لليهودي ولا اظهره عليه قط وقال علي بعثني رسول الله
صلى الله عليه وسلم انا والزبير والمقداد فقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها فانطلقنا
حتى اتينا روضة خاخ فقلنا اخرجي الكتاب فقالت ما معي الكتاب فقلنا لتخرجن الكتاب او لتلقين الثياب فاخرجته من
عقاصها فاتينا به النبي صلى الله عليه وسلم فاذا فيه من حاطب ابن ابي بلتعة الى اناس من المشركين بمكة يخبرهم ببعض امر رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال يا حاطب ما هذا فقال يا رسول الله لا تعجل علي فاني كنت امرأ ملصقا في قريش وكان من معك من
المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون اهليهم فاحببت اذ فاتني ذلك منهم من النسب ان اتخذ فيهم يدا يحمون بها قرابتي ولم
افعل ذلك كفرا ولا رضى بالكفر بعد الاسلام ولا ارتدادا عن ديني فقال صلى الله عليه وسلم صدقكم فقال عمر دعني اضرب عنق
هذا المنافق فقال صلى الله عليه وسلم انه شهد بدرا وما يدريك لعل الله عز وجل قد اطلع على اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم
فقد غفرت لكم وقسم صلى الله عليه وسلم قسمة فقال رجل من الانصار هذه قسمة ما اريد بها وجه الله فذكر ذلك للنبي صلى الله
عليه وسلم فاحمر وجهه وقال رحم الله اخي موسى قد اوذي باكثر من هذا فصبر وكان صلى الله عليه وسلم يقول لا يبلغني احد منكم
عن احد من اصحابي شيئا فاني احب ان اخرج اليكم وانا سليم الصدر **بيان** اغضائه صلى الله عليه وسلم عما كان
يكره كان صلى الله عليه وسلم رقيق البشرة لطيف الظاهر والباطن يعرف في وجهه غضبه ورضاه وكان اذا اشتد وجده
اكثر من مس لحيته وكان لا يشافه احدا بما يكرهه دخل عليه رجل وعليه صفرة فكرهه فلم يقل شيئا حتى خرج فقال لبعض القوم
لو قلتم لهذا ان يدع هذه يعني الصفرة وبال اعرابي في المسجد بحضرته فهم به الاصحاب فقال لا تزرموه اي لا تقطعوا عليه البول
ثم قال ان هذه المساجد لا تصلح لشيء من القذر والبول والخلاء وفي رواية قربوا ولا تنفروا وجاءه اعرابي يوما يطلب منه شيئا
فاعطاه صلى الله عليه وسلم ثم قال له احسنت اليك فقال الاعرابي لا ولا اجملت فغضب المسلمون وقاموا اليه فاشار اليهم
ان كفوا ثم قام ودخل منزله وارسل الى الاعرابي فزاده شيئا ثم قال احسنت اليك فقال الاعرابي نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة
خيرا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم قلت ما قلت وفي نفس اصحابي شيء من ذلك فان احببت فقل بين ايديهم ما قلت بين يدي

بين يدي حتى يذهب من صدورهم ما فيها عليك قال نعم فلما كان من الغداة او من العشي جاء فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ان هذا الاعرابي قال ما قال فزدناه فزعم انه رضي اكذلك فقال الاعرابي نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة خيرا فقال
صلى الله عليه وسلم ان مثلي ومثل هذا الرجل الاعرابي كمثل رجل كانت له ناقة شردت عليه فاتبعها الناس فلم يزيدوها الا
نفورا فناداهم صاحب الناقة خلوا بيني وبين ناقتي فاني ارفق بها واعلم فتوجه لها صاحب الناقة بين يديها فاخذ لها من
قمام الارض فردها هونا هونا حتى جاءت واستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها واني لو تركتكم حيث قال الرجل
ما قال فقتلتموه دخل النار **بيان** سخاوته وجوده صلى الله عليه وسلم كان اجود الناس واسخاهم وكان في شهر
رمضان كالريح المرسلة لا يمسك شيئا وكان علي رضي الله عنه اذا وصف النبي صلى الله عليه وسلم قال اجود الناس كفا
واجرأ الناس صدرا واصدق الناس لهجة واوفاهم ذمة والينهم عريكة واكرمهم عشيرة من رآه بديهة هابه ومن
خالطه معرفة احبه يقول ناعته لم ار قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم وما سئل شيء على الاسلام قط الا اعطاه وان
رجلا اتاه فسأله فاعطاه غنما بين جبلين فرجع الى قومه وقال اسلموا فان محمدا يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة وما سئل
شيئا قط فقال لا وحمل اليه سبعون الف درهم فوضعها على حصير ثم قام اليها يقسمها فما رد سائلا حتى فرغ منها وجاءه
رجل فسأله فقال ما عندي شيء ولكن ابتع علي فاذا جاءنا شيء قضيناه فقال عمر يا رسول الله ما كلفك الله ما لا تقدر عليه
فكره صلى الله عليه وسلم ذلك فقال انفق ولا تخف من ذي العرش اقلالا فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم وعرف السرور في وجهه
ولما قفل من حنين جاءت الاعراب يسألونه حتى اضطروه الى سمرة فخطفت رداءه فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
اعطوني ردائي لو كان لي عدد هذه العضاه نعما لقسمته بينكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذابا ولا جبانا **بيان**
شجاعته صلى الله عليه وسلم كان صلى الله عليه وسلم انجد الناس واشجعهم قال علي رضي الله عنه لقد رأيتني يوم بدر ونحن
نلوذ بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو اقربنا الى العدو وكان من اشد الناس يومئذ بأسا وقال ايضا كنا اذا احمر البأس ولقي القوم
القوم اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون احد اقرب الى العدو منه وقيل كان عليه السلم قليل الحديث قليل الكلام
فاذا امر الناس بالقتال تشمر وكان من اشد الناس بأسا وكان الشجاع الذي يقرب منه في الحرب لقربه من العدو وقال عمران بن حصين
ما لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم كتيبة الا كان اول من يضرب قالوا وكان قوي البطش ولما غشيه المشركون نزل الجبل
يقول انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب فما رئي احد يومئذ كان اشد منه **بيان** تواضعه صلى الله عليه وسلم
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اشد الناس تواضعا في علو منصبه قال ابن عامر رأيته يرمي الجمرة على ناقة صهباء لا
ضرب ولا طرد ولا اليك اليك وكان يركب الحمار موكفا عليه قطيفة وكان مع ذلك يستردف وكان يعود المريض ويتبع الجنائز
ويجيب دعوة المملوك ويخصف النعل ويرقع الثوب وكان يصنع في بيته مع اهله في حاجتهم وكان اصحابه لا يقومون له لما
عرفوا من كراهته لذلك وكان يمر على الصبيان فيسلم عليهم واتي صلى الله عليه وسلم برجل فارعد من هيبته فقال هون عليك
فلست بملك انما انا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد وكان يجلس بين اصحابه مختلطا بهم كانه احدهم فياتي الغريب
فلا يدري ايهم هو حتى يسأل عنه حتى طلبوا اليه ان يجلس مجلسا يعرفه الغريب فبنوا له دكانا من الطين يجلس عليه وقالت له
عائشة رضي الله عنها كل جعلني الله فداك متكئا فانه اهون عليك قالت فاصغى براسه حتى كاد ان يصيب جبهته الارض ثم
قال بل آكل كما ياكل العبيد واجلس كما يجلس العبيد وكان لا ياكل على خوان ولا في سكرجة حتى لحق بالله عز وجل وكان لا يدعوه احد

من اصحابه وغيرهم الا قال لبيك وكان اذا جلس مع الناس ان تكلموا في معنى الآخرة اخذ معهم وان تحدثوا في طعام وشرب تحدث معهم وان تكلموا في الدنيا تحدث معهم رفقا بهم وتواضعا لهم وكانوا يتناشدون الشعر بين يديه احيانا ويذكرون اشيا من امر الجاهلية ويضحكون فيتبسم هو اذا ضحكوا ولا يزجرهم الا عن حرام **بيان** صورته وخلقته صلى الله عليه وسلم كان من صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في قامته انه لم يكن بالطويل البائن ولا القصير المتردد بل كان ينسب الى الربعة اذا مشى وحده ومع ذلك فلم يكن يماشيه احد من الناس ينسب الى الطول الا طاله رسول الله صلى الله عليه وسلم ولربما اكتنفه الرجلان الطويلان فيطولهما فاذا فارقاه نسبا الى الطول ونسب هو صلى الله عليه وسلم الى الربعة وجعل الخير كله في الربعة واما لونه صلى الله عليه وسلم فقد كان ازهر اللون ولم يكن بالآدم ولا الشديد البياض والازهر هو الابيض الناصع الذي لا يشوبه صفرة ولا حمرة ولا شي من الالوان ونعته عمه ابو طالب **فقال**

وابيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للارامل

ونعته بعضهم بانه مشرب حمرة فقال انما المشرب منه بالحمرة ما ظهر للشمس والرياح كالوجه والرقبة والازهر الصافي عن الحمرة ما تحت الثياب منه وكان عرقه صلى الله عليه وسلم في وجهه كاللؤلؤ اطيب من المسك الاذفر واما شعره فقد كان يضرب منكبيه واكثر الدوابة انه كان الى شحمة اذنيه وربما جعله غدائر اربعا يخرج كل اذن من بين غديرتين وربما جعل شعره على اذنيه فتبدو سوالفه تتلألأ وكان شيبه في الراس واللحية سبعة عشر شعرة ما زاد على ذلك وكان صلى الله عليه وسلم احسن الناس وجها وانورهم لم يصفه واصف الا شبهه بالقمر ليلة البدر وكان يرى رضاه وغضبه في وجهه لصفا بشرته وكانوا يقولون هو كما وصفه صاحبه ابو بكر حين **قال**

امين مصطفى للخير يدعو كضوء البدر زايله الظلام

وكان صلى الله عليه وسلم واسع الجبهة ازج الحاجبين سابغهما وكان ابلج ما بين الحاجبين كان ما بينهما الفضة المخلصة وكانت عيناه نجلاوين ادعجهما وكان في عينيه تمزج من حمرة وكان اهدب الاشفار حتى كادت تلتبس من كثرتها وكان اقنى العرنين اي مستوي الانف وكان مفلج الاسنان اي متفرقها وكان اذا افتر ضاحكا افتر عن مثل سنا البرق اذا تلألأ وكان من احسن عباد الله شفتين والطفهم ختم فم وكان سهل الخدين صلبهما ليس بالطويل الوجه ولا المكلثم كث اللحية وكان يعفي لحيته وياخذ شاربه وكان من احسن الناس عنقا لا ينسب الى الطول ولا الى القصر ما ظهر من عنقه للشمس والرياح فكانه ابريق فضة مشرب ذهبا يتلألأ في بياض الفضة وفي حمرة الذهب وكان صلى الله عليه وسلم عريض الصدر لا يعدو لحم بعضه بعضا كالمرايا في استوائه وكالقمر في بياضه موصول ما بين لبته وسرته بشعر منقاد كالقضيب لم يكن في صدره شعر غيره وكانت له عكن ثلاث يغطي الازار منها واحدة ويظهر اثنتان وكان عظيم المنكبين اشعرهما ضخم الكراديس اي رؤس العظام من المنكبين والمرفقين والوركين وكان واسع الظهر ما بين كتفيه خاتم النبوة وهو مما يلي منكبه الايمن فيه شامة سودا تضرب الى الصفرة حولها شعرات متواليات كانها من عرف فرس وكان عبل العضدين والذراعين طويل الزندين رحب الراحتين سائل الاطراف كان اصابعه قضبان الفضة كفه الين من الخز كان كفه كف عطار طيبا مسها بطيب او لم يمسها يصافحه المصافح فيظل يومه يجد ريحها ويضع يده على راس الصبي فيعرف من بين الصبيان بريحها على راسه وكان عبل ما تحت الازار من الفخذ والساق وكان معتدل الخلق في السمن بدن في آخر زمانه وكان لحمه متماسكا يكاد يكون على الخلق الاول لم يضره السن واما مشيه صلى الله عليه وسلم فكان يمشي كانما يتقلع من صخر ويحدر من صبب يخطو تكفيا ويمشي الهوينا يقارب الخطى وكان صلى الله عليه وسلم يقول انا اشبه الناس بآدم وكان ابي ابرهيم صلى الله عليه اشبه الناس خلقا وخلقا وكان يقول ان لي عند الله عشرة اسما انا محمد

انا محمد وانا احمد وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وانا العاقب الذي ليس بعده احد وانا الحاشر الذي يحشر العباد على قدمي وانا رسول الرحمة ورسول التوبة ورسول الملاحم والمقفي قفيت الناس جميعا وانا قثم قال ابو البختري القثم الكامل الجامع **بيان** معجزاته وآياته الدالة على صدقه اعلم ان من شاهد احواله صلى الله عليه وسلم واصغى الى سماع اخباره المشتملة على اخلاقه وافعاله واحواله وعاداته وسجاياه وسياسته لاصناف الخلق وهدايته الى ضبطهم وتاليفه اصناف الخلق وقوده اياهم الى طاعته مع ما يحكى من عجائب اجوبته في مضايق الاسولة وبدايع تدبيراته في مصالح الخلق ومحاسن اشاراته في تفصيل ظاهر الشرع التي يعجز الفقهاء والعقلاء عن ادراك اوائل دقائقها في طول اعمارهم ولم يبق له ولا شك في ان ذلك لم يكن مكتسبا بحيلة تقوم بها القوة البشرية بل لا يتصور ذلك الا بالاستمداد من تاييد سماوي وقوة الهية وان ذلك كله لا يتصور لكذاب ولا ملبس بل كانت شمائله واحواله شواهد قاطعة بصدقه حتى ان العربي القح كان يراه فيقول والله ما هذا وجه كذاب فكان يشهد له بالصدق بمجرد شمائله فكيف من شاهد اخلاقه ومارس احواله في جميع مصادره وموارده وانما اوردنا بعض اخلاقه ليعرف محاسن الاخلاق ولتنبيه لصدقه صلى الله عليه وسلم ولعلو منصبه ومكانته العظيمة عند الله اذ اتاه الله جميع ذلك وهو رجل امي لم يمارس العلم ولم يطالع الكتب ولم يسافر قط في طلب علم ولم يزل بين اظهر الجهال من الاعراب يتيما ضعيفا مستضعفا فمن اين حصل له من محاسن الاخلاق والاداب ومعرفة مصالح الفقه مثلا فقط دون غيره من العلوم فضلا عن معرفته بالله وملائكته وكتبه وغير ذلك من خواص النبوة لولا صريح الوحي فمن اين للبشر الاستقلال بذلك فلو لم يكن الا هذه الامور الظاهرة لكان فيه كفاية وقد ظهر من اياته ومعجزاته ما لا يستريب فيه محصل **فلنذكر** من جملتها ما استفاضت به الاخبار واشتملت عليه الكتب الصحاح اشارة الى مجامعها من غير تطويل بحكاية التفصيل فقد خرق الله تعالى العادة على يده غير مرة اذ شق له القمر بمكة لما سالته قريش اية واطعم النفر الكثير في منزل جابر وفي منزل ابي طلحة ويوم الخندق ومرة اطعم ثمانين من اربعة امداد شعير وعناق وهو من ولد المعز فوق العتود ومرة اكثر من ثمانين رجلا من اقراص شعير حملها انس في يده ومرة اهل الجيش من تمر يسير ساقته بنت بشير في يدها فاكلوا كلهم حتى شبعوا من ذلك وفضل لهم ونبع الما من اصابعه عليه السلم فشرب اهل العسكر كلهم وهم عطاش وتوضؤا من قدح صغير ضاق عن ان يبسط عليه السلم يده فيه واهراق عليه السلم وضوءه في عين تبوك ولا ماء فيها ومرة اخرى في بير حديبية فجاشتا بالما فشرب من عين تبوك اهل الجيش وهم الوف حتى رووا وشرب من بير الحديبية الف وخمسمائة ولم يكن فيها قبل ما. وامر صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب ان يزود اربعمائة راكب من تمر كان في اجتماعه كربضة البعير وهو موضع بروكه فزودهم كلهم منه وبقي بحسبه ورمى الجيش بقبضة من تراب فعميت عيونهم ونزل بذلك القرآن وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وابطل الله تعالى الكهانة بمبعثه صلى الله عليه فعدمت وكانت ظاهرة موجودة وحن الجذع الذي كان يخطب عليه لما عمل له المنبر حتى سمع منه جميع اصحابه مثل صوت الابل فضمه اليه فسكن ودعا اليهود الى تمني الموت واخبرهم بانهم لا يتمنونه فحيل بينهم وبين النطق بذلك وعجزوا عنه وهذه الاية مذكورة يقراتها في جميع جوامع اهل الاسلام من شرق الارض الى غربها يوم الجمعة جهرا تعظيما للاية التي فيها واخبر عليه السلم بالغيوب وانذر بان عثمان رضي الله عنه تصيبه بلوى بعدها الجنة وبان عمارا يقتله الفئة الباغية وان الحسن عليه السلم يصلح الله به بين فئتين من المسلمين واخبر عليه السلم عن رجل قاتل في سبيل الله انه من اهل النار فظهر ذلك بان قتل الرجل نفسه وهذه كلها اشيا لا يعرف البتة بشي من وجوه تقدمة المعرفة لا بنجوم ولا بكتف ولا بكهن ولا بخط ولا بزجر لكن باعلام الله تعالى له ووحيه اليه واتبعه سراقة بن جعشم فساخت قدما فرسه في الارض

واستعد خان حتى استغاثه وخلاله فاطلقت الفرس وانذره بان سيوضع في ذراعيه سوارا كسرى فكان ذلك واخبر بقتل
الاسود العنسي الكذاب ليلة قتله وهو بصنعاء اليمن واخبر عن قتله وخرج على مائة من قريش يتشظرونه فوضع التراب على
روسهم فلم يروه وشكا اليه البعير بحضرة اصحابه وتذلل له وقال لنفر من اصحابه مجتمعين احدكم في النار ضرسه مثل احد
فماتوا كلهم على استقامة وارتد منهم واحد فقتل مرتدا وقال لآخرين آخركم موتا في النار فسقط آخرهم موتا في النار فاحترق
فيها فمات ودعا شجرتين فاتتاه واجتمعتا ثم امرهما فافترقتا ودعا عليه السلام النصارى الى المباهلة فامتنعوا فاخبرهم ان
فعلوا هلكوا فعلموا صحة قوله فامتنعوا واتى عامر بن الطفيل بن مالك واربد بن قيس وهما فارسا العرب فاتكان عازمين

على قتله عليه السلام فحيل بينهما وبين ذلك ودعا عليهما فهلك
عامر بغدة وهلك اربد بصاعقة احرقته واخبر عليه السلام
انه يقتل ابي بن خلف الجمحي فخدشه يوم احد خدشا لطيفا
فكانت منيته واطعم عليه السلام السم فمات الذي اكل معه
وعاش النبي صلى الله عليه وسلم بعده اربع سنين وكلمه الذراع
المسموم واخبر عليه السلام يوم بدر بمصارع صناديد قريش
ووقفهم على مصارعهم رجلا رجلا فلم يتعد واحد منهم ذلك
الموضع وانذر عليه السلام بان طوائف من امته يغزون في البحر فكان
كذلك وزويت له الارض فاري مشارقها ومغاربها واخبر
ان ملك امته سيبلغ ما زوي له منها فكان ذلك كما اخبر فقد
بلغ ملكهم من اول المشرق من بلاد الترك الى آخر المغرب
من بحر الاندلس وبلاد البربر ولم يتسعوا في الجنوب ولا في
الشمال كما اخبر عليه السلام سواء بسواء واخبر عليه السلام واخبر
عليه السلام ابنته فاطمة رضي الله عنها بانها اول اهله لحاقا
به فكان كذلك واخبر نساءه بان اطولهن يدا اسرعهن لحاقا به
فكانت زينب بنت جحش الاسدية اطولهن يدا بالصدقة واولهن
لحاقا به ومسح ضرع شاة حائل لا لبن فيها فدرت فكان ذلك

سبب اسلام ابن مسعود وفعل ذلك مرة اخرى في خيمة ام معبد الخزاعية وندرت عين بعض اصحابه فسقطت فردها عليه السلام
بيده فكانت اصح عينيه واحسنهما وتفل في عين علي رضي الله عنه وهو ارمد يوم خيبر فصح في وقته وبعثه بالراية وكانوا
يسمعون تسبيح الطعام بين يديه صلى الله عليه وسلم واصيب رجل بعض اصحابه فمسحها بيده فبرأت من حينها وقل زاد جيش
كان معه عليه السلام فدعا بجميع ما بقي فاجتمع شيء يسير جدا فدعا فيه بالبركة ثم امرهم فاخذوا فلم يبق وعاء في العسكر الا ملئ
من ذلك وحكى الحكم بن العاص مشيته مستهزئا فقال صلى الله عليه وسلم كذلك فكن فلم يزل يرتعش حتى مات وخطب عليه السلام
امرأة فقال ابوها ان بها برصا امتناعا من خطبته واعتذارا ولم يكن بها برص فقال عليه السلام فلتكن كذلك فبرصت

وبرصت وهي ام شبيب الذي يعرف بابن البرصاء الشاعر الى غير ذلك من آياته ومعجزاته صلى الله عليه وسلم وانما اقتصرنا
على المستفيض ومن يستريب في انخراق العادة على يده ويزعم ان آحاد هذه الوقائع لم تنقل تواترا بل المتواتر هو القرآن كمن يستريب في شجاعة علي وسخاوة
حاتم ومعلوم ان آحاد وقائعهم غير متواترة ولكن مجموع الوقائع يورث علما ضروريا ثم لا يتمارى في تواتر القرآن وهو المعجزة الكبرى
الباقية بين الخلق وليس لنبي معجزة باقية سواه صلى الله عليه وسلم اذ تحدى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغاء الخلق
وفصحاء العرب وجزيرة العرب حينئذ مملوءة بالآلاف منهم والفصاحة صنعتهم وبها منافستهم ومباهاتهم وكان ينادي
بين اظهرهم ان يأتوا بمثله او بعشر سور مثله او بسورة من مثله ان شكوا وقال لهم لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا
بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا وقال ذلك تعجيزا لهم فعجزوا عن ذلك وصرفوا عنه حتى عرضوا انفسهم
للقتل ونساءهم وذراريهم للسبي وما استطاعوا ان يعارضوا ولا ان يقدحوا في جزالته وحسنه ثم انتشر ذلك بعده في اقطار
العالم شرقا وغربا قرنا بعد قرن وعصرا بعد عصر وقد انقرض اليوم قريب من خمسمائة سنة فلم يقدر احد على معارضته فاعظم
بغباوة من ينظر في احواله ثم في اقواله ثم في افعاله ثم في اخلاقه ثم في معجزاته ثم في استمرار شرعه الى الآن ثم في انتشاره في
اقطار العالم ثم في اذعان ملوك الارض له في عصره وبعد عصره مع ضعفه ويتمه ثم يتمارى بعد ذلك في صدقه وما اعظم توفيق
من آمن به وصدقه واتبعه في كل ما ورد وصدر فنسأل الله تعالى ان يوفقنا للاقتداء به في الاخلاق والافعال والاحوال و
الاقوال بمنه وسعة جوده انه سميع مجيب والله تعالى اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

تم ربع العادات وبتمامه تم النصف الاول من كتاب احياء علوم الدين الذي الفه الشيخ
الامام حجة الاسلام بحر العلوم سلطان العلماء الداعي الى الله تعالى
ابو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي شكر الله مساعيه
في الدين واسكن روحه وعلينا بفضله
والحمد لله اولا واخيرا
والصلوة على
محمد
صلى الله عليه وآله واصحابه باطنا وظاهرا جعله الله مباركا ميمونا لصاحبه وغفر لكاتبه وناظره ولجميع المؤمنين والمؤمنات

كتاب شرح عجائب القلب من ربع المهلكات

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذي تتحير دون ادراك جلاله القلوب والخواطر وتدهش في مبادي اشراق انواره الاحداق والنواظر المطلع على خفيات السرائر العالم بمكنونات الضمائر المستغني في تدبير مملكته عن المشاور والموازر مقلب القلوب وغفار الذنوب وستار العيوب ومفرج الكروب والصلوة على محمد سيد المرسلين وجامع شمل الدين وقاطع دابر الملحدين وعلى آله الطيبين

اما بعد فشرف الانسان وفضيلته التي بها فاق جملة من اصناف الخلق باستعداده لمعرفة الله تعالى التي في الدنيا جماله وكماله وفخره وفي الآخرة عدته وذخره وانما استعد للمعرفة بقلبه لا بجارحة من جوارحه فالقلب هو العالم بالله وهو المتقرب الى الله وهو العامل لله وهو الساعي الى الله وهو المتقرب اليه وهو الكاشف لما عند الله ولديه وانما الجوارح اتباع وخدم وآلات يستخدمها القلب ويستعملها استعمال المالك للعبد واستخدام الراعي للرعية والصانع للآلة فالقلب هو المقبول عند الله اذا سلم من غير الله وهو المحجوب عن الله اذا صار مستغرقا بغير الله وهو المطالب والمخاطب وهو المعاقب وهو المعاتب وهو الذي يسعد بالقرب من الله فيفلح اذا زكاه وهو الذي يخيب ويشقى اذا دنسه ودساه وهو المطيع بالحقيقة لله تعالى وانما الذي ينتشر على الجوارح من العبادات انواره وهو العاصي المتمرد على الله وانما الساري الى الاعضاء من الفواحش آثاره وباظلامه واستنارته تظهر محاسن الظاهر ومساويه اذ كل اناء يترشح بما فيه وهو الذي اذا عرفه الانسان فقد عرف نفسه واذا عرف نفسه فقد عرف ربه وهو الذي اذا جهله الانسان فقد جهل نفسه واذا جهل نفسه فقد جهل ربه ومن جهل بقلبه فهو بغيره اجهل واكثر الخلق جاهلون بقلوبهم ونفوسهم وقد حيل بينهم وبين انفسهم وان الله يحول بين المرء وقلبه وحيلولته بان يمنعه عن مشاهدته ومراقبته ومعرفة صفاته وكيفية تقلبه بين اصبعين من اصابع الرحمن وانه كيف يهوي مرة الى اسفل السافلين وينخفض الى افق الشياطين وكيف يرتفع اخرى الى اعلى عليين ويرتقي الى عالم الملائكة المقربين ومن لم يعرف قلبه ليراقبه ويراعيه ويترصد لما يلوح من خزائن الملكوت عليه وفيه فهو ممن قال الله تعالى فيه نسوا الله فانساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون فمعرفة القلب وحقيقة اوصافه اصل الدين واساس طريق السالكين واذ قد عرفنا في الشطر الاول من هذا الكتاب عن النظر فيما يجري على الجوارح من العبادات والعادات وهو العلم الظاهر ووعدنا ان نشرح في الشطر الثاني ما يجري على القلب من الصفات المهلكات والمنجيات وهو العلم الباطن ولابد وان نقدم عليه كتابين كتابا في شرح صفات القلب واخلاقه وكتابا في كيفية رياضة القلب وتهذيب اخلاقه ثم نشرع بعد ذلك في تفصيل المهلكات والمنجيات فنذكر الآن من شرح عجائب القلب بطريق ضرب الامثال ما يقرب من الافهام فان التصريح بعجائبه واسراره الداخلة في جملة عالم الملكوت مما يكل عن دركه اكثر الافهام وبالله التوفيق

بيان معنى النفس والروح والقلب والعقل وما هو المراد بهذه الاسامي

اعلم ان هذه اربعة اسامي تستعمل في هذه الابواب ويقل في فحول العلماء من يحيط بمعرفة هذه الاسامي واختلاف معانيها وحدودها ومسمياتها واكثر الاغاليط منشاؤه الجهل بمعنى هذه الاسامي واشتراكها بين مسميات مختلفة ونحن نشرح في معاني هذه الاسامي ما يتعلق بغرضنا

اللفظ الاول لفظ القلب وهو يطلق لمعنيين احدهما اللحم الصنوبري الشكل المودع في الجانب الايسر من الصدر وهو لحم مخصوص وفي باطنه تجويف وفي ذلك التجويف دم اسود وهو منبع الروح ومعدنه ولسنا نقصد الآن شرح شكله وكيفيته اذ لا يتعلق به الاغراض الدينية وانما يتعلق به غرض الاطباء وهذا القلب موجود للبهائم بل هو موجود للميت ونحن اذا اطلقنا لفظ القلب في هذا الكتاب لم نعن به ذلك فانه قطعة لحم لا قدر لها وهو من عالم الملك والشهادة اذ تدركه البهائم بحاسة البصر فضلا عن الآدميين والمعنى الثاني هو لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسماني تعلق وتلك اللطيفة هي حقيقة الانسان وهو المدرك العالم العارف من الانسان وهو المخاطب والمعاقب والمطالب والمعاتب وله علاقة مع القلب الجسماني وقد تحيرت عقول اكثر الخلق في ادراك وجه علاقته وان تعلقه به يضاهي تعلق الاعراض بالاجسام والاوصاف بالموصوفات او تعلق المستعمل للآلة بالآلة او تعلق المتمكن بالمكان وشرح ذلك مما نتوقاه لمعنيين احدهما انه متعلق بعلوم المكاشفة وليس غرضنا من هذا الكتاب الا علوم المعاملة والثاني ان تحقيقه يستدعي افشاء سر الروح ولم يتكلم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فليس لغيره ان يتكلم فيه والمقصود انا اذا اطلقنا القلب في هذا الكتاب اردنا به هذه اللطيفة وغرضنا ذكر اوصافها واحوالها لا ذكر حقيقتها في ذاتها وعلم المعاملة يفتقر الى معرفة صفاتها واحوالها ولا يفتقر الى ذكر حقيقتها

اللفظ الثاني الروح وهو ايضا يطلق فيما يتعلق بجنس غرضنا لمعنيين احدهما جسم لطيف منبعه تجويف القلب الجسماني وينتشر بواسطة العروق الضوارب الى سائر اجزاء البدن وجريانه في البدن وفيضان انوار الحيوة والحس والسمع والبصر والشم منه على اعضائه يضاهي فيضان النور من السراج الذي يدار في زوايا البيت فانه لا ينتهي الى جزء من البيت الا ويستنير به فالحيوة مثالها النور الحاصل في الحيطان والروح مثاله السراج وسريان الروح وحركته في الباطن مثال حركة السراج في جوانب البيت بتحريك محركه والاطباء اذا اطلقوا لفظ الروح ارادوا به هذا المعنى وهو بخار لطيف انضجته حرارة القلب وليس من غرضنا شرحه اذ المتعلق به غرض الاطباء الذين يعالجون الابدان فاما غرض اطباء الدين المعالجين للقلوب حتى تنساق الى جوار رب العالمين فليس يتعلق بشرح هذه الروح اصلا والمعنى الثاني هو اللطيفة المدركة من الانسان وهو الذي شرحناها في احد معاني القلب وهو الذي اراده تعالى بقوله ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي وهو امر عجيب رباني يعجز اكثر العقول والافهام عن درك كنه حقيقته

اللفظ الثالث النفس وهو ايضا مشترك بين معاني ويتعلق بغرضنا منه معنيان احدهما انه يراد به المعنى الجامع لقوة الغضب والشهوة في الانسان على ما سيأتي بيانه وهذا الاستعمال هو الغالب على الصوفية لانهم يريدون بالنفس الاصل الجامع للصفات المذمومة من الانسان فيقولون لا بد من مجاهدة النفس وكسرها واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك المعنى الثاني هي اللطيفة التي هي الانسان بالحقيقة وهي نفس الانسان وذاته ولكنها توصف باوصاف مختلفة بحسب اختلاف احوالها فاذا سكنت تحت الامر وزايلها الاضطراب بسبب معارضة الشهوات سميت النفس المطمئنة قال الله تعالى يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي

الى ربك راضية مرضية والنفس بالمعنى الاول لا يتصور رجوعها الى الله فانها مبعدة عن الله تعالى وهي من حزب الشيطان
واذا لم يتم سكونها ولكنها صارت مدافعة للنفس الشهوانية ومعترضة عليها سميت النفس اللوامة لانها تلوم صاحبها
عند تقصيره في عبادة مولاها قال الله تعالى ولا اقسم بالنفس اللوامة وان تركت الاعتراض واطاعت لمقتضى الشهوات
ودواعي الشيطان سميت النفس الامارة بالسوء قال الله تعالى وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء وقد يجوز ان يقال
المراد من الامارة بالسوء هي النفس بالمعنى الاول فاذا النفس بالمعنى الاول مذمومة غاية الذم وبالمعنى الثاني محمودة لانها
نفس الانسان اي ذاته وحقيقته العالمة بالله تعالى وسائر المعلومات * اللفظ الرابع وهو ايضا مشترك لمعان
مختلفة ذكرناها في كتاب العلم والمتعلق بغرضنا من جملتها معنيان احدهما انه قد يطلق ويراد به العلم بحقائق الامور فيكون
عبارة عن صفة العلم الذي محله القلب اعني تلك اللطيفة ونحن نعلم ان كل عالم فله في نفسه وجود هو اصل قائم بنفسه والعلم
صفة حالة فيه والصفة غير الموصوف والعقل قد يطلق ويراد به صفة العالم وقد يطلق ويراد به محل الادراك اعني المدرك
وهو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم اول ما خلق الله العقل فان العلم عرض لا يتصور اول مخلوق بل لا بد وان يكون المحل
مخلوقا قبله او معه لانه لا يمكن الخطاب معه وفي الخبر انه قال له اقبل فاقبل ثم قال له ادبر فادبر الحديث فاذا قد انكشف
لك ان معاني هذه الاسماء موجودة وهو القلب الجسماني والروح الجسماني والنفس الشهوانية والعلوم فهذه اربعة معان يطلق
عليها الالفاظ الاربعة ومعنى خامس وهي اللطيفة العالمة المدركة من الانسان والالفاظ الاربعة بجملتها تتوارد عليها
فالمعاني خمسة والالفاظ اربعة وكل لفظ اطلق لمعنيين واكثر العلماء قد التبس عليهم اختلاف معاني هذه الالفاظ وتواردها
فتراهم يتكلمون في الخواطر ويقولون هذا خاطر العقل وهذا خاطر الروح وهذا خاطر النفس وهذا خاطر القلب وليس
يدري الناظر اختلاف معاني هذه الاسماء فلاجل كشف الغطاء عن ذلك قدمنا شرح هذه الاسامي وحيث ورد في القرآن
والسنة لفظ القلب فالمراد به المعنى الذي يفقه من الانسان ويعرف حقيقة الاشياء وقد يكنى عنه بالقلب الذي في
الصدر لان بين تلك اللطيفة وبين جسم القلب علاقة خاصة فانها وان كانت متعلقة بسائر البدن ومستعملة له ولكنها تتعلق
به بواسطة القلب فتعلقها الاول بالقلب وكانه محلها ومملكتها وعالمها ومطيتها ولذلك شبه سهل التستري القلب بالعرش
والصدر بالكرسي فقال القلب هو العرش والصدر هو الكرسي ولا يظن به انه يرى انه عرش الله وكرسيه فان ذلك محال بل اراد به
مملكته والمجرى الاول لتدبيره وتصرفه فهما بالنسبة اليه كالعرش والكرسي بالنسبة الى الله تعالى ولا يستقيم هذا التشبيه ايضا
الا من بعض الوجوه وشرح ذلك ايضا لا يليق بغرضنا فلنجاوزه * بيان جنود القلب قال الله تعالى وما يعلم جنود ربك
الا هو فلله سبحانه وتعالى في القلوب والارواح وغيرها من العوالم جنود مجندة لا يعرف حقيقتها وتفصيل عددها الا هو
ونحن الآن نشير الى بعض جنود القلب فهو الذي يتعلق بغرضنا وله جندان جند يرى بالابصار وجند لا يرى الا بالبصائر
وهو في حكم الخدم والاعوان وهذا معنى الجند فاما جنده المشاهد بالعين فهو اليد والرجل والعين والاذن واللسان و
سائر الاعضاء الظاهرة والباطنة فان جميعها خادمة للقلب ومسخرة له وهو المتصرف فيها والمردد لها وقد خلقت مجبولة
على طاعة القلب لا تستطيع له خلافا ولا عليه تمردا فاذا امر العين بالانفتاح انفتحت واذا امر الرجل بالحركة تحركت واذا
امر اللسان بالكلام وجزم الحكم به تكلم وكذا سائر الاعضاء والحواس للقلب يشبه من وجه تسخير الملائكة لله تعالى فانهم جبلوا على
الطاعة لا يستطيعون له خلافا بل لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وانما يفترقان في شيء وهو ان الملائكة عالمة

عالمة بطاعتها وامتثالها والاجفان تطيع القلب في الانفتاح والانطباق على سبيل التسخير ولا خبر لها من نفسها
ومن طاعتها للقلب وانما افتقر القلب الى هذه الجنود من حيث افتقاره الى المركب والزاد لسفره الذي خلق لاجله
وهو السفر الى الله وقطع المنازل الى لقائه فلاجله خلقت القلوب قال الله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
وانما مركبه وزاده العلم وانما الاسباب التي توصله الى الزاد وتمكنه من التزود منه العمل الصالح وليس يمكن ان يصل العبد
الى الله ما لم يسكن البدن ولم يجاوز الدنيا فان المنزل الادنى لا بد من قطعه للوصول الى المنزل الاقصى فالدنيا مزرعة الآخرة
وهي منزل من منازل الهدى وانما سميت دنيا لانها ادنى المنزلتين فاضطر الى ان يتزود من هذا العالم فالبدن مركبه الذي
يصل به الى هذا العالم فافتقر الى تعهد البدن وحفظه وانما يحفظ البدن بان يجلب اليه ما يوافقه من الغذاء وغيره وان يدفع
عنه ما ينافيه ويهلكه من اسباب الهلاك فافتقر لاجل طلب الغذاء الى جندين باطن وهو الشهوة وظاهر وهو اليد الجالبة للغذاء
فخلق في القلب من الشهوات ما احتاج اليه وخلقت الاعضاء التي هي آلات الشهوة وافتقر لاجل دفع المهلكات الى جندين باطن وهو
الغضب الذي به يدفع المهلكات وينتقم من الاعداء وظاهر وهو اليد والرجل الذي بهما يعمل بمقتضى الغضب وكل ذلك
بامور خارجة عن البدن كالاسلحة وغيرها ثم المحتاج الى الغذاء اذا لم يعرف الغذاء لم ينفعه شهوة الغذاء وآلته فافتقر
للمعرفة الى جندين باطن وهو ادراك البصر والذوق والشم والسمع واللمس وظاهر وهو العين والاذن والانف وغيرها
وتفصيل وجه الحاجة اليها ووجه الحكمة فيها يطول ذكره ولا تحويه مجلدات كثيرة وقد اشرنا الى طرف يسير منها في كتاب الشكر
فلنقتنع به فجملة جنود القلب يحصرها ثلاثة اصناف صنف باعث ومستحث اما الى جلب الموافق النافع كالشهوة واما الى
دفع الضار المنافي كالغضب وقد يعبر عن هذا الباعث بالارادة والثاني هو المحرك للاعضاء الى تحصيل هذه المقاصد
ويعبر عن هذا الثاني بالقدرة وهي جنود مبثوثة في سائر الاعضاء لا سيما العضلات منها والاوتار والثالث هو
المدرك المتعرف للاشياء كالجواسيس وهي قوة البصر والشم والسمع والذوق وغيرها وهي مبثوثة في اعضاء معينة ويعبر عن هذا
بالعلم والادراك ومع كل واحد من هذه الجنود الباطنة جنود ظاهرة وهي الاعضاء المركبة من اللحم والشحم والعصب والدم
والعظم التي اعدت آلات لهذه الجنود فان قوة البطش انما تبطش بالاصابع وقوة البصر انما تبصر بالعين وكذا
سائر القوى ولسنا نتكلم في الجنود الظاهرة اعني الاعضاء فانها من عالم الملك والشهادة وانما نتكلم الآن فيما ايدت به من جنود
لم تروها وهذا الصنف الثالث وهو المدرك من هذه الجملة ينقسم الى ما قد اسكن المنازل الظاهرة وهي الحواس الخمس اعني السمع
والبصر والشم والذوق واللمس والى ما اسكن منازل باطنة وهي تجاويف الدماغ وهي ايضا خمسة فان الانسان بعد رؤية الشيء
يغمض عينيه فيدرك صورته في نفسه وهو الخيال ثم تبقى تلك الصورة معه بسبب شيء يحفظه وهو الجند الحافظ ثم يتفكر
فيما حفظه فيركب بعض ذلك الى بعض ثم يتذكر ما نسيه ويعود اليه ثم يجمع جملة معاني المحسوسات في خياله بالحس المشترك
بين المحسوسات ففي الباطن حس مشترك وتخيل وتفكر وتذكر وحفظ ولولا خلق الله تعالى قوة الحفظ والفكر والذكر والتخيل لكان
يخلو الدماغ عنه كما يخلو عنه اليد والرجل فتلك القوى ايضا جنود باطنة واماكنها ايضا باطنة فهذه هي اقسام جنود القلب
وشرح ذلك بحيث يدركه فهم الضعفاء يطول ومقصود مثل هذا الكتاب ان ينتفع به الاقوياء والفحول من العلماء ولكنا نجتهد في تفهيم
الضعفاء بضرب الامثلة ليقرب ذلك من افهامهم * بيان امثلة القلب مع جنوده الباطنة اعلم ان جندي الغضب و
الشهوة قد ينقادان للقلب انقيادا تاما فيعينه ذلك على طريقه الذي يسلكه ويحسن مرافقته في السفر الذي هو بصدده

وقد يستعصيان عليه استعصاء بغي وتمرد حتى يملكاه ويستعبداه وفيه هلاكه وانقطاعه عن سفره الذي به وصوله إلى
سعادة الأبد وللقلب جند آخر وهو العلم والحكمة والتفكر كما سيأتي شرحه وحقه أن يستعين بهذا الجند فإنه حزب الله
على الجندين الآخرين فإنهما قد يلتحقان بحزب الشيطان فإن ترك الاستعانة وسلط على نفسه جند الغضب والشهوة هلك
يقينا وخسر خسرانا مبينا وذلك حال أكثر الخلق فإن عقولهم صارت مسخرة لشهواتهم في استنباط الحيل لقضاء الشهوة وكان
ينبغي أن تكون الشهوة مسخرة لعقولهم فيما يفتقر العقل إليه ونحن نقرب هذا إلى فهمك بثلاثة أمثلة **المثال**
الأول أن نقول مثل نفس الإنسان في بدنه وأعني بالنفس اللطيفة المذكورة كمثل والٍ في مدينته ومملكته فإن البدن
مملكتها وعالمها ومستقرها ومدينتها وقواه وجوارحه بمنزلة الصناع والعملة والقوة العقلية المفكرة له كالمشير الناصح
والوزير العاقل والشهوة له كالعبد السوء يجلب الطعام والميرة إلى المدينة والغضب والحمية له كصاحب الشرطة والعبد الجالب للميرة
كذاب مكار خداع خبيث يتمثل بصورة الناصح وتحت نصحه الشر الهائل والسم القاتل وديدنه وعادته منازعة الوزير الناصح
في كل تدبير يدبره حتى لا يخلو عن منازعته ومعارضته في آرائه ساعة كما أن الوالي في مملكته متى استشار في تدبيراته بوزيره معرضا
عن إشارة هذا العبد الخبيث بل مستدلا بإشارته على أن الصواب في نقيض رأيه وأدب صاحب شرطته وساسه لوزيره
وجعله مؤتمرا له ومسلطا من جهته على هذا العبد الخبيث وأتباعه وأنصاره حتى يكون العبد مسوسا لا سائسا ومأمورا
لا أميرا مدبرا استقام أمر بلده وانتظم العدل بسببه فكذلك متى استعانت وأدبت الحمية الغضبية وسلطتها على الشهوة
واستعانت بإحداهما على الأخرى تارة بأن تقلل من نخوة الغضب وغلوائه بمخالفة الشهوة واستدراجها وتارة بقمع الشهوة و
بقهرها بتسليط الغضب والحمية عليها وتقبيح مقتضياتها اعتدلت قواه وحسنت أخلاقه ومن عدل عن هذه الطريقة
كان كمن قال الله تعالى أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وقال تعالى واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل الآية
وقال فيمن نهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى وسيأتي كيفية مجاهدة هذه وتسليط بعضها على بعض في كتاب رياضة النفس
المثال الثاني اعلم أن البدن كالمدينة والعقل أعني المدرك من الإنسان كملك مدبر لها وقواه المدركة من الحواس الظاهرة و
الباطنة كجنوده وأعوانه وأعضاؤه كرعيته والنفس الأمارة بالسوء التي هي الشهوة والغضب كعدو ينازعه في مملكته
ويسعى في إهلاك رعيته فصار بدنه كرباط وثغر ونفسه كمقيم فيه مرابط فإن جاهد عدوه وهزمه وقهره على ما يحب
حمد أثره إذا عاد إلى الحضرة كما قال تعالى فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وإن ضيع ثغره وأهمل رعيته
ذم أثره وانتقم منه عند لقاء الله تعالى فيقال له يوم القيامة يا راعي السوء أكلت اللحم وشربت اللبن ولم ترد الضالة ولم تجبر
الكسير اليوم أنتقم منك كما ورد في الخبر وإلى هذه المجاهدة الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم رجعنا من الجهاد الأصغر إلى
الجهاد الأكبر **المثال الثالث** مثل العقل مثل فارس متصيد وشهوته كفرسه وغضبه ككلبه فمتى كان الفارس حاذقا وفرسه
مروضا وكلبه مؤدبا معلما كان جديرا بالنجاح ومتى كان هو في نفسه أخرق وكان الفرس جموحا والكلب عقورا فلا فرسه ينبعث
تحته منقادا ولا يسترسل بإشارته مطيعا فهو خليق بأن يعطب فضلا من أن ينال ما طلب وإنما خرق الفارس مثال جهل الإنسان
وقلة حكمته وكلال بصيرته وجماح الفرس مثال غلبة الشهوة خصوصا شهوة البطن والفرج وعقر الكلب مثال غلبة الغضب
والحمية واستيلائه **بيان** خاصية قلب الإنسان اعلم أن جملة ما ذكرناه قد أنعم الله به على سائر الحيوانات
سوى الآدمي إذ للحيوانات الشهوة والغضب والحواس الظاهرة والباطنة أيضا حتى إن الشاة ترى الذئب بعينها فتعلم

فتعلم عداوته بقلبها فتهرب منه فذلك الإدراك الباطن ولنذكر ما يختص به قلب الإنسان ولأجله عظم شرفه واستأهل
للقرب من الله تعالى وهو راجع إلى علم وإرادة أما العلم فهو العلم بالأمور الدنيوية والأخروية والحقائق العقلية
فإن هذه أمور وراء المحسوسات ولا تشاركه فيها الحيوانات بل العلوم الكلية الضرورية من خواص العقل إذ يحكم
الإنسان بأن الشخص الواحد لا يتصور أن يكون في مكانين في حالة واحدة وهذا حكم منه على كل شخص ومعلوم أنه لم يدرك
بالحس إلا بعض الأشخاص فحكمه على جميع الأشخاص زائد على ما أدركه وإذا فهمت هذا في العلم الظاهر الضروري فهو في
سائر النظريات أظهر وأما الإرادة فهو أنه إذا أدرك بالعقل عاقبة الأمر وطريق الصلاح فيه انبعث من ذاته شوق
إلى جهة المصلحة وإلى تعاطي أسبابها والإرادة لها وهو غير إرادة الشهوة وإرادة الحيوانات بل يكون على ضد الشهوة
فإن الشهوة تنفر عن الفصد والحجامة والعاقل يريدهما ويطلبهما ويبذل المال عليهما والشهوة تميل إلى لذائذ الأطعمة
في المرض والعاقل يجد في نفسه زاجرا عنها فليس ذلك زاجر الشهوة ولو خلق الله تعالى العقل المعرف للعواقب ولم يخلق
هذا الباعث المحرك للأعضاء على مقتضى حكم العقل لكان حكم العقل ضائعا على التحقيق فإذا اختص قلب الإنسان بعلوم و
إرادات ينفك عنها سائر الحيوانات بل ينفك عنها الصبي في أول الفطرة وإنما يحدث ذلك فيه بعد البلوغ وأما الشهوة
والغضب والحواس الظاهرة والباطنة فإنها موجودة في حال الصبي ثم للصبي في حصول هذه العلوم الضرورية الأولية
كالعلم باستحالة المستحيلات وجواز الجائزات الظاهرة فيكون العلوم النظرية فيه غير حاصلة إلا أنها صارت
ممكنة قريبة الإمكان والحصول ويكون حاله بالإضافة إلى العلوم كحال الكاتب الذي لا يعرف من الكتابة إلا الدواة
والقلم والحروف المفردة دون المركبة فإنه قد قارب الكتابة ولم يبلغها بعد الثانية أن تحصل له العلوم المكتسبة بالتجارب
والفكر ويكون كالمخزونة عنده فإذا شاء رجع إليها وحاله حال الحاذق بالكتابة إذ يقال له كاتب وإن لم يكن مباشرا للكتابة
لقدرته عليها وهذه هي غاية درجة الإنسانية ولكن في هذه الدرجة لا يحصى تفاوت الخلق فيها بكثرة المعلومات
وقلتها وبشرف المعلومات وخستها وبطريق تحصيلها إذ تحصل لبعض القلوب بإلهام إلهي على سبيل المبادأة والمكاشفة
ولبعضها بتعلم واكتساب ثم قد يكون ذلك سريع الحصول وقد يكون بطيء الحصول وفي هذا المقام تتباين منازل العلماء
والحكماء والأولياء والأنبياء فدرجات الترقي فيه غير محصورة إذ معلومات الله تعالى لا نهاية لها وأقصى الرتب رتبة
النبي صلى الله عليه وسلم الذي تنكشف له كل الحقائق أو أكثرها من غير اكتساب وتكلف بل بكشف إلهي في أسرع وقت
وبهذه السعادة يقرب العبد من الله قربا بالمعنى والحقيقة والصفة لا بالمكان والمسافة ومراقي هذه الدرجات
هي منازل السائرين إلى الله تعالى ولا حصر لتلك المنازل وإنما يعرف كل سالك منزله الذي بلغه في سلوكه فيعرفه ويعرف
ما خلفه من المنازل فأما ما بين يديه فلا يحيط بحقيقته علما لكن قد يصدق به إيمانا بالغيب كما أنا نؤمن بالنبوة والنبي
ونصدق بوجوده ولكن لا يعرف حقيقة النبوة إلا النبي وكما لا يعرف الجنين حال الطفل ولا الطفل حال المميز وما انفتح
له من العلوم الضرورية ولا المميز حال العاقل وما اكتسبه من العلوم النظرية فلا يعرف العاقل ما انفتح على أولياء الله
وأنبيائه من مزايا لطفه ورحمته ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وهذه الرحمة مبذولة بحكم الجود والكرم من الله
غير مضنون بها على أحد ولكن إنما تظهر في القلوب المتعرضة لنفحات رحمة الله تعالى كما قال عليه الصلاة إن لربكم
في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها والتعرض لها بتطهير القلب وتزكيته عن الخبث والكدورة الحاصلة من الأخلاق

المذمومة كما سيأتي بيانه والى هذه الجود الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم ينزل الله كل ليلة الى السماء الدنيا فيقول
هل من داع فاستجيب له وبقوله حكاية عن ربه تعالى لقد طال شوق الابرار الى لقائي واني الى لقائهم اشد شوقا
وبقوله من تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا كل ذلك اشارة الى ان انوار العلوم لم تحتجب عن القلوب لبخل ومنع من جهة
المنعم تعالى عن المنع والبخل علوا كبيرا ولكن حجبت لخبث وكدورة وشغل من جهة القلوب فان القلوب كالاواني فما دامت ممتلئة
بالماء لا يدخلها الهواء فكذلك القلوب فالقلوب المشغولة بغير الله تعالى لا تدخلها المعرفة بجلال الله تعالى واليه الاشارة بقوله
صلى الله عليه وسلم لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الى ملكوت السماء ومن هذه الجملة يتبين ان خاصية الانسان
العلم والحكمة واشرف انواع العلوم هو العلم بالله تعالى وصفاته وافعاله فيه كمال الانسان وفي كماله سعادته وصلاحه لجوار
حضرة الجلال والكمال فالبدن مركب للنفس والنفس محل العلم والعلم هو مقصود الانسان وخاصيته التي لاجلها خلق وكما ان الفرس
يشارك الحمار في قوة الحمل ويتميز عنه بخاصية الكر والفر وحسن الهيئة فيكون الفرس مخلوقا لاجل تلك الخاصية فان
تعطلت منه نزل الى حضيض رتبة الحمار فكذلك الانسان يشارك الحمار والفرس وسائر الحيوان في امور ويفارقها في امور
وتلك الامور هي خاصيته وتلك الخاصية من خاصية الملائكة المقربين من الله فالانسان على رتبة بين الانسان والملائكة فان
الانسان من حيث يتغذى وينسل فنبات ومن حيث يحس ويتحرك بالاختيار فهو حيوان ومن حيث صورته وقامته فكالصورة
المنقوشة على الحائط وانما خاصيته معرفة حقائق الاشياء فمن استعمل جميع اعضائه وقواه على وجه الاستعانة بها على العلم و
العمل فقد تشبه بالملائكة فحقيق ان يلحق بهم وجدير بان يسمى ملكا وربانيا كما قال تعالى اخبارا عن صواحبات يوسف
ان هذا الا ملك كريم ومن صرف همته الى اتباع اللذات البدنية ياكل كما تاكل الانعام فقد انحط الى حضيض افق البهائم فيصير اما
غمرا كالثور واما شرها كالخنزير واما ضرعا كالكلب او حقودا كالجمل او متكبرا كالنمر او ذا روغان كالثعلب او يجمع ذلك
كله كالشيطان المريد وما من عضو من الاعضاء ولا حاسة من الحواس الا ويمكن الاستعانة به على طريق الوصول الى الله تعالى
كما سيأتي بيان طرف منه في كتاب الشكر فمن استعمله فيه فقد فاز ومن عدل عنه فقد خسر وخاب وجملة السعادات في ذلك
ان يجعل لقاء الله تعالى مقصده والدار الاخرة مستقره والدنيا منزله والبدن مركبه والاعضاء خدمه فيستقر هو اعني المدرك
من الانسان في القلب الذي هو وسط مملكته كالملك ويجري القوة الخيالية المودعة في مقدم الدماغ مجرى صاحب
بريده اذ يجتمع اخبار المحسوسات عنده ويجري القوة الحافظة التي مسكنها مؤخر الدماغ مجرى خازنه ويجري اللسان مجرى
ترجمانه ويجري الاعضاء المتحركة مجرى كتابه ويجري الحواس الخمس مجرى جواسيسه فيوكل كل واحد باخبار صقع من الاصقاع
فيوكل العين بعالم الالوان والسمع بعالم الاصوات والشم بعالم الروائح وكذلك سائرها فانها اصحاب اخبار يلتقطونها
من هذه العوالم ويؤدونها الى القوة الخيالية التي هي كصاحب البريد ويسلمها صاحب البريد الى الخازن وهي الحافظة فيعرضها
الخازن على الملك فيقتبس منها ما يحتاج اليه في تدبير مملكته واتمام سفره الذي هو بصدده وقمع عدوه الذي هو مبتلى
به ودفع قواطع الطريق عليه فاذا فعل ذلك كان موفقا سعيدا شاكرا نعمة الله تعالى واذا عطل هذه الجملة واستعملها في
مراعاة اعدائه وهي الشهوة والغضب وسائر الحظوظ العاجلة وفي عمارة طريقه دون منزله اذ الدنيا طريقه التي عليها
عبوره ووطنه ومستقره الاخرة كان مخذولا شقيا كافرا بنعمة الله تعالى مضيعا لجنود الله تعالى ناصرا لاعداء الله
مخذلا لحزب الله فيستحق المقت والابعاد في المنقلب والمعاد نعوذ بالله من ذلك والى المثال الذي ضربناه اشار

اشار كعب الاحبار وقال دخلت على عائشة فقلت الانسان عيناه هاد واذناه قمع ولسانه ترجمان ويداه جناحان ورجلاه
بريدان والقلب ملك فاذا طاب الملك طابت جنوده فقالت هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وقال
علي رضي الله عنه في تمثيله للقلوب ان لله تعالى في ارضه آنية وهي القلوب فاحبها اليه ارقها واصفاها واصلبها
ثم فسرها فقال اصلبها في الدين واصفاها في اليقين وارقها على الاخوان وهو اشارة الى قوله تعالى اشداء على الكفار
رحماء بينهم وقوله تعالى مثل نوره كمشكاة فيها مصباح قال ابي بن كعب معناه مثل نور المؤمن وقلبه وقوله او كظلمات
في بحر لجي مثل قلب المنافق وقال زيد بن اسلم في لوح محفوظ هو قلب المؤمن وقال سهل مثل القلب والصدر مثل العرش
والكرسي فهذه امثلة القلب والله تعالى الملهم للصواب **بيان مجامع اوصاف القلب ومثاله** اعلم ان
الانسان قد اصطحب في تركيبه وخلقته اربع شوائب فلذلك اجتمعت عليه اربعة انواع من الاوصاف وهي الصفات
السبعية والبهيمية والشيطانية والربانية فهو من حيث سلط عليه الغضب يتعاطى افعال السباع من العداوة
والبغضاء والتهجم على الناس بالضرب والشتم ومن حيث سلطت عليه الشهوة يتعاطى افعال البهائم من الشره والحرص
والشبق وغيره ومن حيث انه في نفسه امر رباني كما قال الله تعالى قل الروح من امر ربي فانه يدعي لنفسه الربوبية ويحب
الاستيلاء والاستعلاء والتخصص والاستبداد بالامور كلها والتفرد بالرياسة والانسلال عن ربقة العبودية والتواضع
ويشتهي الاطلاع على العلوم كلها بل يدعي لنفسه العلم والمعرفة والاحاطة بحقائق الامور ويفرح اذا نسب الى العلم ويحزن
اذا قذف بالجهل والاحاطة بجميع الحقائق والاستيلاء بالقهر على جميع الخلائق من اوصاف الربوبية وفي الانسان حرص
على ذلك ومن حيث يختص عن البهائم بالتمييز مع مشاركته لها في الغضب والشهوة حصلت فيه شيطانية فصار شريرا يستعمل
في استنباط وجوه الشر ويتوصل الى الاغراض بالمكر والحيلة والخداع ويظهر الشر في معرض الخير وهذه اخلاق الشياطين
وكل انسان ففيه شوب من الاصول الاربعة اعني الربانية والشيطانية والسبعية والبهيمية وكل ذلك مجموع
في القلب فكان المجموع في اهاب الانسان خنزير وكلب وشيطان وحكيم فالخنزير هو الشهوة فانه لم يكن الخنزير مذموما
للونه وشكله وصورته بل لجشعه وكلبه وحرصه والكلب هو الغضب فان السبع الضاري والكلب العقور ليسا كلبا
او سبعا باعتبار الصورة واللون والشكل بل روح معنى السبعية الضراوة والعدوان والعقر وفي باطن الانسان ضراوة
السبع وغضبه وحرص الخنزير وشبقه فالخنزير يدعو بالشره الى الفحشاء والمنكر والسبع بالغضب يدعو الى الظلم
والايذاء والشيطان لا يزال يهيج شهوة الخنزير وغيظ السبع ويغري احدهما بالاخر ويحسن لهما ما هما مجبولان عليه و
الحكيم الذي هو مثال العقل مامور بان يدفع كيد الشيطان ومكره بان يكشف عن تلبيسه ببصيرته النافذة ونوره المشرق
الواضح وان يكسر شره هذا الخنزير بتسليط الكلب عليه اذ بالغضب يكسر سورة الشهوة ويدفع ضراوة الكلب بتسليط
الخنزير عليه ويجعل الكل مقهورا تحت سياسته فان فعل ذلك وقدر عليه اعتدل الامر وظهر العدل في مملكة البدن
وجرى الكل على الصراط المستقيم وان عجز عن قهرها قهروه واستخدموه فلا يزال يستنبط الحيل ويدقق الفكر ليشبع
الخنزير ويرضي الكلب فيكون دائما في عبادة كلب وخنزير وهذا حال اكثر الناس مهما كان الغالب على همتهم البطن والفرج
ومنافسة الاعداء والعجب منه انه ينكر على عبدة الاصنام عبادتهم الحجارة ولو كشف الغطاء عنه وكوشف بحقيقة حاله
ومثل له حقيقة حاله كما يمثل للمكاشفين اما في النوم او في اليقظة لرأى نفسه ماثلا بين يدي خنزير ساجدا له مرة

وراكعًا اخرى ومنتظرًا لاشارته وامره فمهما هاج الخنزير لطلب شئ من شهواته انبعث على الفور فى خدمته واحضار
شهوته او راى نفسه ما لا يدرى كلب عقور عابدًا ام مطيعًا سامعًا لما يقتضيه ويلتمسه مدققًا للفكر فى حيل الوصول
الى طاعته وهو بذلك ساع فى مسرة شيطانه فانه الذى يهيج الخنزير ويثير الكلب ويبعثهما على استخدامه فهو من هذا الوجه
يعبد الشيطان بعبادتهما فليراقب كل عبد حركاته وسكناته ونطقه وقيامه وقعوده ولينظر بعين البصيرة فلا يرى ان انصف
نفسه الا ساعيًا طول النهار فى عبادة هؤلاء وهذا غاية الظلم اذ جعل المالك مملوكًا والرب مربوبًا والسيد عبدًا والقاهر
مقهورًا اذ العقل هو المستحق للسيادة والقهر والاستيلاء قد سخره لخدمة هؤلاء فلا جرم سرع الى قلبه من هؤلاء الثلثة صفات
تتراكم عليه حتى تصير طبعًا ورينًا مهلكًا للقلب ومميتًا له اما طاعة خنزير الشهوة فيصدر منها صفة الوقاحة
والخبث والتبذير والتقتير والريا والهتكة والمجانة والعبث والحرص والجشع والملق والحسد والشماتة وغيرها واما
طاعة الغضب فيسرى منها الى القلب صفة التهور والنذالة والتذلل والبذخ والصلف والاستشاطة والتكبر والعجب
والاستهزاء والاستخفاف وتحقير الخلق وارادة الشر وشهوة الظلم وغيرها واما طاعة الشيطان بطاعة الشهوة والغضب
فيحصل منه صفة المكر والخداع والحيلة والدها والجربزة والتلبيس بالتضريب والغش والخب وامثالها ولو عكس الامر
وقهر الجميع تحت الصفة الربانية لاستقر فى القلب من الصفات الربانية العلم والحكمة والاحاطة بحقائق الاشياء
ومعرفة الامور على ما هى عليه والاستيلاء على الكل بقوة العلم والبصيرة واستحقاق التقدم على الخلق بكمال العلم وجلاله
والاستغناء عن عبادة الغضب والشهوة ولانتشر اليه من ضبط خنزير الشهوة ورده الى حد الاعتدال صفات شريفة
مثل العفة والقناعة والزهد والورع والتقوى والانبساط وحسن الهيئة والحياء والظرف والمساعدة وامثالها
ويحصل فيه من ضبط قوة الغضب وقهرها وردها الى الحد الواجب صفة الشجاعة والكرم والنجدة وضبط النفس والصبر
والحلم والاحتمال والعفو والثبات والنبل والشهامة والوقار وغيرها فالقلب فى حكم مراة وقد اكتنفته هذه الامور المؤثرة فيه
وهذه الاثار على التوالى واصلة الى القلب واما الاثار المحمودة التى ذكرناها فانها تزيد مراة القلب جلاء واشراقا
ونورا وضياء حتى يتلالا فيه جلية الحق وينكشف فيه حقيقة الامر المطلوب فى الدين والى مثل هذا القلب الاشارة
بقوله عليه الصلوة والسلام اذا اراد الله بعبد خيرا جعل له واعظا من قلبه وبقوله من كان له من قلبه واعظ كان
عليه من الله حافظ وهذا القلب هو الذى يستقر فيه الذكر قال الله عز وجل الا بذكر الله تطمئن القلوب واما
الاثار المذمومة فانها مثل دخان مظلم يتصاعد الى مراة القلب ولا يزال يتراكم عليه مرة بعد اخرى الى ان يسود ويظلم
ويصير بالكلية محجوبًا عن الله تعالى وهو الطبع والران قال الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وقال تعالى
ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون فربط عدم السماع والطبع بالذنوب كما ربط السماع
بالتقوى فقال اتقوا الله واسمعوا واتقوا الله ويعلمكم الله ومهما تراكمت الذنوب طبع على القلب وعند ذلك يعمى القلب
عن ادراك الحق وصلاح الدين ويستهين بامر الاخرة ويستعظم امر الدنيا ويصير مقصور الهم عليها واذا قرع سمعه
امر الاخرة وما فيها من الاخطار دخل من اذن وخرج من الاخرى ولم يستقر فى القلب ولم يحركه الى التوبة والتدارك
اولئك الذين يئسوا من الاخرة كما يئس الكفار من اصحاب القبور وهذا هو معنى اسوداد القلب بالذنوب كما نطق به القرآن
والسنة قال ميمون بن مهران اذا اذنب العبد ذنبا نكت فى قلبه نكتة سوداء فان هو نزع وتاب صقل وان عاد زيد فيها حتى

نكت م

حتى يعلو قلبه فهو الرين وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم قلب المؤمن اجرد فيه سراج يزهر وقلب الكافر
اسود منكوس فطاعة الله تعالى بمخالفة الشهوات مصقلة للقلب ومعصيته مسودات له فمن اقبل على المعاصى
اسود قلبه ومن اتبع السيئة الحسنة ومحا اثرها لم يظلم قلبه ولكن ينقص نوره كالمراة التى يتنفس فيها ثم يمسح فانها لا
لا تخلو عن كدورة وقد قال عليه السلام القلوب اربعة قلب اجرد فيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن وقلب اسود منكوس
فذلك قلب الكافر وقلب اغلف مربوط على غلافه فذلك قلب المنافق وقلب مصفح فيه ايمان ونفاق فمثل الايمان فيه
كمثل البقلة يمدها الماء الطيب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والصديد فاى المدتين غلب حكم له بها وفى
رواية ذهبت به وقد قال تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون فاخبر ان جلاء
القلب وابصاره انما يحصل بالذكر وانه لا يتمكن منه الا الذين اتقوا فالتقوى باب الذكر والذكر باب للكشف والكشف
باب الفوز الاكبر وهو الفوز بلقاء الله تعالى بيان مثال القلب بالاضافة الى العلوم خاصة اعلم ان محل العلم
هو القلب اعنى اللطيفة المدبرة لجميع الجوارح المطاعة المخدومة من جميع الاعضاء وهى بالاضافة الى حقائق المعلومات كالمراة
بالاضافة الى صور المتلونات فكما ان للمتلون صورة ومثال تلك الصورة ينطبع فى المراة ويحصل بها فكذلك لكل معلوم حقيقة
وتلك الحقيقة صورة فينطبع فى مراة القلب وتتضح فيها وكما ان المراة غير وصور الاشخاص غير وحصول مثالها فى المراة
غير فهى ثلاثة امور فكذلك ههنا ثلاثة امور القلب وحقائق الاشيا وحصول نقش الحقائق فى القلب وحضورها فيه فالعالم
عبارة عن القلب الذى يحل فيه مثال حقائق الاشياء والمعلوم عبارة عن حقائق الاشيا والعلم عبارة عن حصول المثال المعلوم
فى القلب كحصول المثال فى المراة من المتلونات كما ان القبض مثلا يستدعى قابضًا كاليد ومقبوضًا كالسيف ووصولا بين
السيف واليد بحصول السيف فى اليد فكما ان حصول السيف فى اليد يسمى قبضًا فكذلك وصول مثال المعلوم الى القلب يسمى علمًا
وقد كانت الحقيقة موجودة والقلب موجودًا ولم يكن العلم حاصلا لان العلم عبارة عن وصول الحقيقة الى القلب كما ان السيف
كان موجودًا واليد موجودة ولم يكن اسم القبض والاخذ حاصلا لعدم وقوع السيف فى اليد نعم القبض عن حصول السيف بعينه
فى اليد والمعلوم بعينه لا يحصل فى القلب فمن علم النار لا يحصل عين النار فى قلبه ولكن الحاصل حدها وحقيقتها المطابق
لصورتها فتمثيله بالمراة اولى لان عين الانسان لا يحصل فى المراة وانما يحصل مثال مطابق له فكذلك حصول مثال مطابق
له فكذلك حصول مثال الحقيقة المعلوم فى القلب يسمى علمًا وكما ان المراة لا ينكشف فيها الصور لخمسة احدها نقصان
صورتها كجوهر الحديد قبل ان يدور ويشكل ويصقل والثانى لخبثه وصداه وكدورته وان كان تام الشكل والثالث لكونه
معدولا به عن جهة الصورة الى غيرها كما اذا كانت الصورة وراء المراة والرابع لحجاب مرسل بين المراة والصورة والخامس
للجهل بالجهة التى فيها الصورة المطلوبة حتى يتعذر بسببه ان يحاذى بها شطر الصورة وجهتها فكذلك القلب مستعد لان تنجلى
فيها حقيقة الحق فى الامور كلها وانما خلت القلوب عن العلوم التى خلت عنها لهذه الاسباب الخمسة اولها
نقصان فى ذاته كقلب الصبى فانه لا تنجلى له المعلومات لنقصانه والثانى لكدورة المعاصى والخبث الذى تراكم على وجه القلب
من كثرة الشهوات فان ذلك يمنع صفاء القلب وجلاءه فيمتنع ظهور الحق فيه بقدر ظلمته وتراكمه واليه الاشارة بقوله صلى
الله عليه وسلم من قارف ذنبا فارقه عقل لا يعود اليه ابدا اى حصل فى قلبه كدورة لا يزول اثرها ابدا اذ غايته ان يتبعه
بحسنة يمحوها فلو جاء بالحسنة ولم يتقدم السيئة لازداد لا محالة اشراق القلب فلما تقدمت السيئة سقط فائدة الحسنة لكن

لكن عادة القلب بها الى ما كان قبل السيئة ولم يزدد بها نورا وهذا خسران ونقصان لا حيلة له فليست المراة التي يتدنس ثم
يمسح بالمصقلة كالتي يمسح بالمصقلة لزيادة جلائها من غير دنس سابق والاقبال على طاعة الله تعالى والاعراض عن مقتضى
الشهوات هو الذي يجلو القلب ويصفيه ولذلك قال الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقال عيسى عليه السلم
من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم الثالث ان يكون معدولا به عن جهة الحقيقة المطلوبة فان قلب المطيع الصالح و
ان كان صافيا فانه ليس يتضح فيه جلية الحق لانه ليس يطلب الحق وليس يحاذي بمراته شطر المطلوب بل ربما يكون مستوعب
الهم بتفصيل الطاعات البدنية او بتهيئة اسباب المعيشة ولا يصرف فكره الى التامل في حضرة الربوبية والحقائق الخفية
الالهية فلا ينكشف له الا ما هو متفكر فيه من دقائق آفات الاعمال وخفايا عيوب النفس وان كان متفكرا فيها او مصالح
المعيشة ان كان متفكرا فيها وان كان تقييد الهم بالاعمال وتفصيل الطاعات مانعا عن انكشاف جلية الحق فما ظنك في
صرف الهم الى الشهوات الدنيا ولذاتها وعلائقها فكيف لا يمنع من الكشف الحقيقي الرابع الحجاب فان المطيع القاهر لشهواته
المتجرد للفكر في حقيقة من الحقائق قد لا ينكشف له ذلك لكونه محجوبا عنه باعتقاد سبق اليه منذ الصبى على سبيل التقليد
والقبول بحسن الظن فانه يحول ذلك بينه وبين حقيقة الحق ويمنع من ان ينكشف في قلبه خلاف ما تلقفه من ظاهر التقليد
وفيه ايضا حجاب عظيم به حجب اكثر الخلق من المتكلمين والمتعصبين للمذاهب بل اكثر الصالحين المتفكرين في ملكوت السموات
والارض لانهم محجوبون باعتقادات تقليدية جمدت في نفوسهم ورسخت في قلوبهم وصارت حجابا بينهم وبين درك الحقائق
الخامس الجهل بالجهة التي منها يقع العثور على المطلوب فان طالب العلم ليس يمكنه ان يحصل العلم بالمجهول الا بالتذكر للعلوم
التي تناسب مطلوبه حتى اذا تذكرها ورتبها في نفسه ترتيبا مخصوصا يعرفه العلماء بطرق الاعتبار فعند ذلك يكون قد عثر
على جهة المطلوب فتتجلى حقيقة المطلوب لقلبه فان العلوم المطلوبة التي ليست فطرية لا تقتنص الا بشبكة العلوم الحاصلة بل
كل علم فلا يحصل الا من علمين سابقين يأتلفان ويزدوجان على وجه مخصوص فيحصل من ازدواجهما علم ثالث على مثال ما
يحصل النتاج من ازدواج الفحل والانثى ثم كما ان من اراد من اراد ان يستنتج رمكة لا يمكنه ذلك من حمار وبقرة وانسان
بل من اصل مخصوص هو الفرس الذكر والانثى وذلك اذا وقع بينهما ازدواج مخصوص فكذلك كل علم فله اصلان مخصوصان
وبينهما طريق في الازدواج يحصل من ازدواجهما العلم المستفاد المطلوب فالجهل بتلك الاصول وبكيفية الازدواج
هو المانع من العلم ومثاله ما ذكرناه من الجهل بالجهة التي الصورة فيها بل مثاله ان يريد الانسان ان يرى قفاه مثلا
في المراة فانه اذا رفع المراة بازاء وجهه لم يكن حاذى بها شطر القفا فلا يظهر فيها القفا وان رفعها وراء القفا وحاذاه
كان قد عدل بالمراة عن عينه فلا يرى المراة ولا صورة القفا فيها فيحتاج الى مراة اخرى ينصبها وراء القفا وهذه في
مقابلتها بحيث يبصرها ويراعي مناسبة بين وضع المراتين حتى تنطبع صورة هذه المراة في المراة الاخرى التي في مقابلة العين
ثم يدرك العين صورة القفا فكذلك في اقتناص العلوم طرق عجيبة فيها ازورارات وتحريفات اعجب مما ذكرناه في المراة
ويعز على بسيط الارض من يهتدي الى كيفية الحيلة في تلك الازورارات فهذه هي الاسباب المانعة للقلوب من معرفة حقائق
الامور والا فكل قلب فهو بالفطرة صالح لمعرفة الحقائق لانه امر رباني شريف فارق سائر جواهر العالم بهذه الخاصية والشرف
واليه الاشارة بقوله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان
اشارة الى ان له خاصية تميز بها عن السموات والارض والجبال بها صار مطيقا لحمل امانة الله تعالى وتلك الامانة هي

هي المعرفة والتوحيد وقلب كل آدمي مستعد لحمل الامانة ومطيق لها في الاصل ولكن يثبطه عن النهوض باعبائها
والوصول الى تحقيقها الاسباب التي ذكرناها ولذلك قال صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة وانما ابواه
يهودانه وينصرانه ويمجسانه وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا
الى ملكوت السماء اشارة الى بعض هذه الاسباب التي هي الحجاب بين القلب والملكوت واليه الاشارة بما روي عن ابن عمر رضي الله
عنهما قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله اين الله في الارض قال في قلوب عباده المؤمنين وفي الخبر قال الله
تعالى لم يسعني ارضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن اللين الوادع وفي الخبر انه قيل يا رسول الله من خير الناس فقال
كل مؤمن مخموم القلب فقيل وما مخموم القلب فقال هو التقي النقي الذي لا غش فيه ولا بغي ولا غل ولا حسد ولذلك قال
عمر رأى قلبي ربي اذ كان قد رفع الحجاب بالتقوى ومن ارتفع الحجاب بينه وبين قلبه تجلى صورة الملك والملكوت في قلبه فيرى
جنة عرض بعضها السموات والارض اما جملتها فاكثر سعة من السموات والارض لان السموات والارض عبارة عن عالم الملك
والشهادة وهو وان كان واسع الاطراف متباعد الاكناف فهو متناه على الجملة واما عالم الملكوت وهو الاسرار الغائبة
عن مشاهدة الابصار المخصوصة بادراك البصائر فلا نهاية له نعم الذي يلوح للقلب منه مقدار متناه ولكنه في نفسه و
بالاضافة الى علم الله تعالى لا نهاية له وجملة عالم الملك والملكوت اذا اخذت دفعة واحدة تسمى الحضرة الربوبية لان
الحضرة الربوبية محيطة بكل الموجودات اذ ليس في الوجود شيء سوى الله تعالى وافعاله ومملكته وعبيده من افعاله فما
يتجلى من ذلك للقلب هو الجنة بعينها عند قوم وهو سبب استحقاق الجنة عند اهل الحق ويكون سعة ملكه في الجنة
بحسب سعة معرفته وبمقدار ما تجلى له من الله تعالى وصفاته وافعاله وانما مراد الطاعات واعمال الجوارح كلها تصفية
القلب وتزكيته وجلاؤه وقد افلح من زكاها ومراد تزكيته حصول انوار الايمان فيه اعني اشراق نور المعرفة وهو
المراد بقوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام وبقوله تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام فهو
على نور من ربه نعم هذا التجلي وهذا الايمان له ثلاث مراتب المرتبة الاولى ايمان العوام وهو ايمان التقليد المحض والثانية
ايمان المتكلمين وهو ممزوج بنوع استدلال والثالثة ايمان العارفين وهو المشاهدة بنور اليقين ونبين لك هذه المراتب
بمثال وهو ان تصديقك مثلا بكون زيد في الدار له ثلث درجات الاولى ان يخبرك من جربته بالصدق ولم تعرفه بالكذب
ولا اتهمته في القول فان قلبك يسكن اليه ويطمئن به بمجرد السماع وهذا هو الايمان بمجرد التقليد وهو مثل ايمان العوام فانهم
لما بلغوا سن التمييز سمعوا من آبائهم وامهاتهم وجود الله وعلمه وارادته وقدرته وسائر صفاته وبعثة الرسول وصدقه
وما جاء به وكما سمعوه قبلوه وثبتوا عليه واطمأنوا اليه ولم يخطر ببالهم خلاف ما قالوه لهم لحسن ظنهم بآبائهم وامهاتهم او
معلميهم وهذا الايمان سبب النجاة في الآخرة واهله من اوائل رتب اصحاب اليمين وليسوا من المقربين لانه ليس فيه بصيرة
وانشراح صدر بنور اليقين اذ الخطأ ممكن فيما يسمع من الآحاد بل من الاعداد فيما يتعلق بالاعتقاد وقلوب اليهود والنصارى
ايضا مطمئنة بما سمعوه من آبائهم الا انهم اعتقدوا ما اعتقدوه خطأ لانهم القي اليهم الخطأ والمسلمون اعتقدوا
الحق لا لاطلاعهم عليه ولكن القي اليهم كلمة الحق والرتبة الثانية ان تسمع كلام زيد وصوته من الدار ولكن من وراء
جدار فتستدل به على كونه في الدار فيكون ايمانك وتصديقك ويقينك بكونه في الدار اقوى من تصديقك بمجرد السماع
فانك اذا قيل لك انه في الدار ثم سمعت صوته ازددت به يقينا لان الصوت يدل على الشكل والصورة عند من يسمع الصوت

زيد و م

في حالة المشاهدة الصورة فقلبه يحكم بان هذا صوت ذلك الشخص وهذا ايمان ممزوج بدليل والخطأ ايضا ممكن ان يتطرق
اليه لان الصوت قد يشبه الصوت وقد يمكن التكلف بطريق المحاكاة الا ان ذلك قد لا يخطر ببال السامع لانه ليس يجعل للتهمة
موضعا ولا يقدر في هذا التلبيس والمحاكاة غرضا الرتبة الثالثة ان تدخل الدار فتنظر اليه بعينك وتشاهده فهذه
هي المعرفة الحقيقية والمشاهدة اليقينية وهي تشبه معرفة المقربين والصديقين لانهم يؤمنون عن مشاهدة فينطوي في
ايمانهم ايمان العوام والمتكلمين ويتميزون بمزية بينة يستحيل معها امكان الخطا نعم وهم ايضا يتفاوتون بمقادير العلوم وبدرجات
الكشف اما الدرجات فمثاله ان يبصر زيدا في الدار عن قرب وفي صحن الدار في وقت اشراق الشمس فيكمل له ادراكه والآخر في بيت
او من بعد او في وقت عشية فيتمثل له من صورته ما يستيقن معه انه هو ولكن لا يتمثل في نفسه الدقائق والخفايا من صورته ومثل هذا
متصور في تفاوت المشاهدة للامور الالهية واما مقادير العلوم فهو بان يرى في الدار زيدا وعمرا وبكرا وغير ذلك
وآخر لا يرى الا زيدا فمعرفة ذلك تزيد بكثرة المعلومات لا محالة فهذا حال القلب بالاضافة الى العلوم بيان

حال القلب بالاضافة الى اقسام العلوم العقلية والدينية والدنياوية والاخروية اعلم ان القلب بغريزته مستعد لقبول
حقائق المعلومات كما سبق ولكن العلوم التي تحل فيه تنقسم الى عقلية وشرعية اما العقلية فنعني بها ما تقتضي بها غريزة
العقل ولا توجد بالتقليد والسماع وهي تنقسم الى ضرورية لا يدرى من اين حصلت وكيف حصلت كعلم الانسان بان الشخص الواحد لا يكون
في مكانين والشيء الواحد لا يكون حادثا قديما موجودا معدوما معا فان هذه علوم يجد الانسان نفسه في الصبى مفطورا عليها
ولا يدري متى حصل له هذا العلم ومن اين حصل اعني لا يدري فيه سببا قريبا والا فليس يخفى عليه ان الله تعالى هو الذي
خلقه والى مكتسبة وهي المستفادة بالتعلم والاستدلال وكلا القسمين قد يسمى عقلا قال علي كرم الله وجهه العقل
عقلان فمطبوع ومسموع ولا ينفع مسموع اذا لم يك مطبوع كما لا ينفع الشمس وضوء العين ممنوع والاول هو المراد بقوله عليه
السلام لعلي رضي الله عنه اذا تقرب الناس الى الله بانواع البر فتقرب انت بعقلك اذ لا يمكن التقرب بالغريزة الفطرية
ولا بالعلوم الضرورية بل المكتسبة ولكن مثل علي هو الذي يقدر على التقرب باستعمال العقل في اقتناص العلوم التي بها ينال
القرب من رب العالمين فالقلب جار مجرى العين وغريزة العقل فيه جارية مجرى قوة البصر في العين وقوة الابصار لطيفة
تفقد بالعمى وتوجد في البصير وان كان قد غمض عينيه او جن عليه الليل والعلم الحاصل فيه جار مجرى ادراك البصر ورؤيته
لاعيان الاشياء وتاخر العلوم عن عين العقل في مدة الصبى الى اوان التمييز او البلوغ يضاهي تاخر الرؤية عن البصر الى
اوان اشراق الشمس وفيضان نورها على المبصرات والقلم الذي به سطر الله العلوم على صفحات القلوب يجري مجرى قرص الشمس
وانما لم يحصل العلم في قلب الصبي قبل التمييز لان لوح قلبه لم يتهيأ بعد لقبول نقش العلم والعلم عبارة عن خلق من خلق الله
تعالى جعله سببا لحصول نقش العلوم في قلوب البشر قال الله تعالى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم وقلم الله لا يشبه قلم
خلقه كما ان وصفه لا يشبه وصف خلقه فليس قلمه من قصب ولا خشب كما انه ليس ذاته من جوهر ولا عرض والموازنة الباطنة
وبين البصر الظاهر صحيحة من هذه الوجوه الا انه لا مناسبة بينهما في الشرف فان البصيرة الباطنة هي عين النفس التي
هي اللطيفة المذكورة وهي كالفارس والبدن كالفرس وعمى الفارس اضر على الفارس من عمى الفرس بل لا نسبة لاحد الضررين
الى الآخر ولموازنة البصيرة الباطنة للبصر الظاهر سماه الله تعالى باسمه في قوله ما كذب الفؤاد ما رأى سمى ادراك الفؤاد رؤية
وكذلك قوله تعالى وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض وما اراد به الرؤية الظاهرة فان ذلك غير مخصوص بابراهيم عليه

السلام حتى يذكر في معرض الامتنان وكذلك سمي ضد ادراكه عمى فقال الله تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى
القلوب التي في الصدور وقال تعالى ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى فهذا بيان العلم العقلي اما العلوم الدينية
وهي المأخوذة بطريق التقليد من الانبياء عليهم الصلوة والسلام وذلك يحصل بالتعلم لكتاب الله وسنة رسوله وفهم معانيهما
بعد السماع وبها كمال صفة القلب وبها سلامته عن الادواء والامراض فالعلوم العقلية غير كافية في سلامة القلب وان كان
محتاجا اليها كما ان العقل غير كاف في استدامة اسباب صحة البدن بل يحتاج الى معرفة خواص الادوية والعقاقير بطريق التعلم
من الاطباء اذ مجرد العقل لا يهتدي اليه ولكن لا يمكن فهمه بعد سماعه الا بالعقل فلا غنى بالعقل عن السماع ولا بالسماع عن
العقل فالداعي الى محض التقليد مع عزل العقل بالكلية جاهل والمكتفي بمجرد العقل عن انوار القرآن والسنة مغرور واياك
ان تكون من احد الفريقين وكن جامعا بين الاصلين فان العلوم العقلية كالاغذية والعلوم الشرعية كالادوية والشخص المريض
يتضرر بالغذاء مهما فاته الدواء فكذلك امراض القلب لا يمكن علاجها الا بالادوية المستفادة من الشريعة وهي وظائف العبادات
والاعمال التي ركبها الانبياء صلوات الله عليهم لاصلاح القلوب فمن لا يداوي قلبه المريض بمعالجات العبادات والاعمال
الشرعية واكتفى بالعلوم العقلية استضر بها كما يستضر بالغذاء المريض وظن من يظن ان العلوم العقلية مناقضة للعلوم
الشرعية وان الجمع بينهما غير ممكن هو ظن صادر عن عمى في عين البصيرة نعوذ بالله من ذلك بل هذا القائل ربما يناقض عنده
بعض العلوم الشرعية لبعض فيعجز عن الجمع بينهما فيظن انه تناقض في الدين فيتحير فيه فينسل من الدين انسلال الشعرة من
العجين وانما ذلك لان عجزه في نفسه خيل اليه نقصا في الدين وهيهات وانما مثاله الاعمى الذي دخل دار قوم فتعثر باواني
الدار فقال ما بال هذه الاواني تركت على الطريق لم لا ترد الى مواضعها فقيل له تلك الاواني في مواضعها وانما انت لست
تهتدي الى الطريق لعماك فالعجب منك انك لا تحيل عثرتك على عماك وتحيلها على تقصير غيرك فهذه نسبة العلوم
الدينية الى العقلية والعلوم العقلية تنقسم الى دنيوية واخروية فالدنيوية كعلم الطب والحساب والهندسة والنجوم
وسائر الحرف والصناعات والاخروية كعلم احوال القلب وآفات الاعمال والعلم بالله وصفاته وافعاله كما فصلناه في
كتاب العلم وهما علمان متنافيان اعني ان من صرف عنايته الى احدهما حتى تعمق فيه قصرت بصيرته عن الآخر على الاكثر
ولذلك ضرب علي رضي الله عنه للدنيا والآخرة ثلاثة امثلة فقال هما ككفتي الميزان وكالمشرق والمغرب وكالضرتين
اذا ارضيت احداهما اسخطت الاخرى ولذلك ترى الاكياس في امور الدنيا وفي علم الطب والهندسة والحساب
والفلسفة جهالا في امور الآخرة والاكياس في دقائق علوم الآخرة جهالا في اكثر علوم الدنيا لان قوة العقل لا تفي
بالامرين جميعا في الغالب فيكون احدهما مانعا من الكمال في الثاني ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اكثر اهل الجنة البله
اي البله في امور الدنيا وقال الحسن لقد ادركنا اقواما لو رأيتموهم لقلتم مجانين ولو ادركوكم لقالوا شياطين فمهما سمعت
امرا غريبا من امور الدنيا جحده اهل الكياسة في سائر العلوم فلا يغرنك جحودهم عن قبوله اذ من المحال ان يظفر سالك
طريق المشرق بما يوجد في المغرب فكذلك يجري امر الدنيا والآخرة ولذلك قال تعالى ان الذين
لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحيوة الدنيا واطمأنوا بها الآية وقال تعالى يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون
وقال تعالى فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم فالجمع بين كمال الاستبصار في مصالح
الدنيا والدين لا يكاد يتيسر الا لمن رسخه الله تعالى لتدبير عباده في معاشهم ومعادهم وهم الانبياء المؤيدون بروح القدس

المستمدون من قوة الهيبة تتسع لجميع الامور ولا يضيق عنها اما قلوب سائر الخلق فانها اذا شغلت بامر انصرفت عن
الاخر وقصرت عن الاستكمال فيه

بيان الفرق بين الالهام والتعلم والفرق بين طريق الصوفية في استكشاف الحق وطريق النظار

اعلم ان الامور التي ليست ضرورية وانما تحصل في القلب في بعض الاحوال تختلف الحال في حصولها
فتارة تهجم على القلب كانه القي فيه من حيث لا يدري وتارة تكتسب بطريق الاستدلال والتعلم فالذي يحصل لا بطريق الاكتساب
وحيلة الدليل يسمى الهاما والذي يحصل بالاستدلال يسمى اعتبارا واستبصارا ثم الواقع في القلب بغير حيلة وتعلم واجتهاد
من العبد ينقسم الى ما لا يدري العبد انه كيف حصل ومن اين حصل والى ما يطلع معه على السبب الذي منه استفيد ذلك العلم
وهو مشاهدة الملك الملقي في القلب والاول يسمى الهاما ونفثا في الروع والثاني يسمى وحيا ويختص به الانبيا والاول يختص
به الاوليا والاصفيا والذي قبله هو المكتسب بطريق الاستدلال يختص به العلما وحقيقة القول فيه ان القلب مستعد لان تنجلي
فيه حقيقة الحق في الاشيا كلها وانما حيل بينه وبينها بالاسباب الخمسة التي سبق ذكرها فهي كالحجاب المسدل الحائل بين مراة القلب
وبين اللوح المحفوظ الذي هو منقوش بجميع ما قضى الله به الى يوم القيمة وتجلي حقائق العلوم من مراة اللوح في مراة القلب
يضاهي انطباع صورة من مراة في مراة تقابلها والحجاب بين المراتين تارة تزال باليد واخرى يزول بهبوب الريح فكذلك
قد تهب رياح الالطاف فينكشف الحجب عن اعين القلوب فيتجلى فيها بعض ما هو مسطور في اللوح المحفوظ ويكون ذلك
تارة عند المنام فيظهر فيه ما يكون في المستقبل وتمام ارتفاع الحجاب بالموت فبه ينكشف الغطا وفي اليقظة قد ينقشع
الحجاب بلطف خفي من الله فيلمع في القلب من ورا ستر الغيب شي من غرائب العلم تارة كالبرق الخاطف واخرى على التوالي الى
حد ما ودوامه في غاية الندور فلم يفارق الالهام الاكتساب في نفس العلم ولا في محله ولا في سببه ولكن يفارقه من جهة زوال
الحجاب فان ذلك ليس باختيار العبد ولم يفارق الوحي الالهام في شي من ذلك بل في مشاهدة الملك المفيد للعلم فان العلوم
انما تحصل في قلوبنا بواسطة الملئكة واليه الاشارة بقوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من ورا حجاب او يرسل
رسولا فاذا عرفت هذا فاعلم ان ميل اهل التصوف الى العلوم الالهامية دون التعليمية فلذلك لم يحرصوا على دراسة العلم و
تحصيل ما صنفه المصنفون والبحث عن الاقاويل والادلة المذكورة بل قالوا الطريق تقديم المجاهدة ومحو الصفات المذمومة وقطع
العلائق كلها والاقبال بكنه الهمة على الله تعالى ومهما حصل ذلك كان الله تعالى هو المتولي لقلب عبده والمتكفل له بتنويره بانوار
العلم واذا تولى الله تعالى امر القلب فاضت الرحمة واشرق النور في القلب وانشرح الصدر وانكشف له سر الملكوت وانقشع عن
وجه القلب حجاب الغرة بلطف الرحمة وتلالات فيه حقائق الامور الالهية فليس على المريد الا الاستعداد بالتصفية المجردة واحضار
الهمة مع الارادة الصادقة والتعطش التام والترصد بدوام الانتظار لما يفتح الله من الرحمة اذ الانبيا والاوليا انكشف لهم الامور
وفاض على صدورهم النور لا بالتعلم والدراسة للكتب بل بالزهد في الدنيا والتبري عن علائقها وتفريغ القلب من شواغلها
والاقبال بكنه الهمة على الله تعالى فمن كان لله كان الله له وزعموا ان الطريق في ذلك اولا ان يقطع علائق الدنيا بالكلية ويفرغ
قلبه عنها ويقطع همته عن الاهل والمال والولد والوطن وعن العلم والولاية والجاه بل يصير قلبه الى حالة يستوي فيه وجود كل شي
وعدمه ثم يخلو بنفسه في زاوية مع الاقتصار على الفرائض والرواتب ويجلس فارغ القلب مجموع الهم ولا يفرق فكره بقراءة قران
ولا بالتامل في تفسير ولا بكتبة حديث ولا غيره بل يجتهد ان لا يخطر بباله شي سوى ذكر الله تعالى ولا يزال بعد جلوسه في الخلوة قائلا بلسانه
الله الله على الدوام مع حضور القلب الى ان ينتهي الى حالة يترك تحريك اللسان ويرى كان الكلمة جارية على اللسان ثم يصبر عليه الى ان

يمحي اثره عن اللسان فيصادف قلبه مواظبا على الذكر ثم يواظب عليه الى ان يمحي عن القلب صورة اللفظ وحروفه
وهيئة الكلمة ويبقى معنى الكلمة مجردا في قلبه حاضرا فيه كانه لازم له لا يفارقه وله اختيار الى ان ينتهي الى هذا الحد واختيار
في استدامة هذه الحالة بدفع الوساوس وليس له اختيار في استجلاب رحمة الله تعالى بل هو بما فعله قد تعرض لنفحات الرحمة
فلا يبقى الا الانتظار لما يفتح الله له من رحمة كما فتحها على الانبيا والاوليا بهذا الطريق وعند ذلك اذا صدقت ارادته وصفت
همته وحسنت مواظبته ولم تجاذبه شهواته ولم يشغله حديث النفس بعلائق الدنيا فيلمع لوامع الحق في قلبه ويكون في
ابتدائه كالبرق الخاطف لا يثبت ثم يعود وقد يتاخر وان عاد فقد يثبت وقد يكون مختطفا فان ثبت فقد يطول ثباته وقد
لا يطول وقد يتظاهر امثاله على التلاحق وقد يقتصر على فن واحد ومنازل اوليا الله فيه لا تحصى كما لا يحصى تفاوت
خلقهم واخلاقهم وقد رجع هذا الطريق الى تطهير محض من جانبك وتصفية وجلا ثم استعداد وانتظار فقط اما
النظار وذووا الاعتبار فلم ينكروا وجود هذا الطريق وامكانه وافضاءه الى المقصد على الندور فانه اكثر احوال الانبيا و
الاوليا ولكن استوعروا هذا الطريق واستبطاؤا ثمرته واستبعدوا اجتماع شروطه وزعموا ان محو العلائق الى ذلك الحد
كالمتعذر وان حصل في حالة فثباته ابعد منه اذ ادنى وسواس وخاطر يشوش القلب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
قلب المومن بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبها من القدر في غليانها وفي اثنا هذه المجاهدة قد يفسد المزاج ويختلط العقل
ويمرض البدن فاذا لم يتقدم رياضة النفس وتهذيبها بحقائق العلوم تشبثت بالقلب خيالات فاسدة تطمين النفس اليها
مدة طويلة الى ان تزول والعمر ينقضي دون النجاح فيها فكم من صوفي سلك هذا الطريق ثم بقي في خيال واحد عشرين سنة ولو
كان قد اتقن العلم من قبل لانفتح له وجه التباس ذلك الخيال في الحال فالاشتغال بطريق التعلم اوثق واقرب الى الغرض
وزعموا ان ذلك يضاهي ما لو ترك الانسان تعلم الفقه وزعم ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يتعلم ولكن صار بالوحي والالهام من غير
تكرار وتعليق فانا ايضا ربما انتهيت بالرياضة اليه ومن ظن ذلك فقد ظلم نفسه وضيع عمره بل هو كمن يترك طريق الكسب والحراثة رجاء
العثور على كنز من الكنوز فان ذلك ممكن ولكنه بعيد جدا فكذلك هذا فقالوا ولا بد من تحصيل ما حصله العلما وفهم ما قالوه
ثم لا باس بعد ذلك بالانتظار لما لم ينكشف لسائر العلما فعساه ينكشف بالمجاهدة بعد ذلك

بيان الفرق بين المقامين بمثال محسوس

اعلم ان عجائب القلب خارجة عن مدركات الحواس لان القلب ايضا خارج عن ادراك الحس وما ليس مدركا بالحواس
تضعف الافهام عن دركه الا بمثال محسوس ونحن نقرب ذلك الى افهام الضعفا بمثالين احدهما انا لو فرضنا حوضا
محفورا في الارض احتمل ان يساق الما اليه من فوقه بانهار تفتح فيه ويحتمل ان يحفر الحوض ويرفع منه التراب الى ان يقرب
من مستقر الما الصافي فينفجر الما من اسفل الحوض ويكون ذلك الما اصفى وادوم وقد يكون اغزر واكثر فكذلك القلب مثل الحوض
والعلم مثل الما والحواس الخمسة مثل الانهار وقد يمكن ان يساق العلوم الى القلب بواسطة انهار الحواس والاعتبار بالمشاهدات
حتى يمتلي علما ويمكن ان تسد عنه هذه الانهار بالخلوة والعزلة وغض البصر ويعمد الى عمق القلب بتطهيره ورفع طبقات
الحجب عنه حتى ينفجر ينبوع العلم من داخله فان قلت وكيف ينفجر العلم من ذات القلب وهو خال عنه فاعلم ان هذا من عجائب
اسرار القلب ولا يسمح بذكره في علم المعاملة والقدر الذي يمكن ذكره ان حقائق الاشيا مسطورة في اللوح المحفوظ بل في
قلوب الملائكة المقربين وكما ان المهندس يصور ابنية الدار في بياض ثم يخرجها الى الوجود على وفق تلك النسخة فكذلك
فاطر السموات والارض كتب نسخة العالم من اوله الى اخره في اللوح المحفوظ ثم اخرجها الى الوجود على وفق تلك النسخة

والعالم الذي خرج الى الوجود بصورته يتادى منه صورة اخرى الى الحواس والخيال فان من نظر الى السما والارض ثم غض
بصره يرى صورة السما والارض في خياله حتى كانه ينظر اليها ولو انعدم السما والارض وبقي هو في نفسه لوجد صورة السما
والارض في نفسه كانه يشاهدها وينظر اليها ثم يتادى من خياله اثر الى القلب فيحصل فيه حقايق الاشيا التي دخلت في
الحس والخيال فالحاصل في القلب موافق للعالم الحاصل في الخيال والحاصل موافق للعالم الموجود في نفسه خارجا عن
خيال الانسان وقلبه والعالم الموجود موافق للنسخة الموجودة في اللوح المحفوظ فكان للعالم اربع درجات في الوجود
وجود في اللوح المحفوظ وهو سابق على وجوده الجسماني ويتبعه وجوده الحقيقي ويتبع وجوده الحقيقي وجوده الخيالي اعني
وجود صورته في الخيال ويتبع وجوده الخيالي وجوده العقلي اعني وجود صورته في القلب وبعض هذه الوجودات روحانية
وبعضها جسمانية والروحانية بعضها اشد روحانية من بعض وهذا لطف من الحكمة الالهية اذ جعل حدقتك على صغر
حجمها بحيث ينطبع فيها العالم والسماوات والارض على اتساع اكنافها ثم يسري من وجودها في الحس وجود في الخيال
ثم منه وجود في القلب فانك ابدا لا تدرك الا ما هو واصل اليك ولو لم يجعل للعالم كله مثالا في ذاتك لما كان لك خبر
مما يباين ذاتك فسبحان من دبر هذه العجائب في القلوب والابصار ثم اعمى عن دركها القلوب والابصار حتى صارت قلوب اكثر
الخلق جاهلة بانفسها وبعجائبها فلنرجع الى المقصود فنقول القلب قد يتصور ان يحصل فيه حقيقة العالم وصورته تارة من الحواس
وتارة من اللوح المحفوظ كما ان العين يتصور ان يحصل فيها صورة الشمس تارة من النظر اليها وتارة من النظر الى الما الذي يقابل
الشمس ويحكي صورتها فمهما ارتفع الحجاب بينه وبين اللوح المحفوظ راى الاشيا فيه وتفجر اليه العلم منه فاستغنى عن الاقتباس
عن داخل الحواس فيكون ذلك كتفجر الما من عمق الارض ومهما اقبل على الخيالات الحاصلة من المحسوسات كان ذلك حجابا له
عن مطالعة اللوح المحفوظ كما ان الما اذا اجتمع من الانهار في الحوض منع ذلك عن التفجر من الارض وكما ان من نظر الى الما الذي
يحكي صورة الشمس لا يكون ناظرا الى نفس الشمس فاذا للقلب بابان باب مفتوح الى عالم الملكوت وهو اللوح المحفوظ وعالم الملائكة
وباب مفتوح الى الحواس الخمس المتمسكة بعالم الملك والشهادة وعالم الشهادة والملك ايضا يحاكي عالم الملكوت نوعا من
المحاكاة واما انفتاح باب القلب الى الاقتباس من الحواس فلا يخفى عليك واما انفتاح بابه الداخل الى عالم الملكوت ومطالعة
اللوح المحفوظ فتعلمه علما يقينا بالتامل في عجائب الرؤيا والاطلاع في النوم على ما سيكون في المستقبل او كان في الماضي
من غير اقتباس من جهة الحواس وانما يفتح ذلك الباب لمن انفرد بذكر الله تعالى قال النبي صلى الله عليه وسلم سبق المفردون
قيل ومن هم قال المتنزهون بذكر الله وضع الذكر عنهم اوزارهم فوردوا القيامة خفافا ثم قال في وصفهم اقبل عليهم
بوجهي اترى من واجهته بوجهي يعلم احد اي شي اريد ان اعطيه ثم قال اول ما اعطيهم ان اقذف من نوري في قلوبهم فيخبرون
عني كما اخبر عنهم ومدخل هذه الاخبار هو الباب الباطن فاذن الفرق بين علوم الانبيا والاوليا وبين علوم العلما والحكما هذا
وهو ان علومهم تاتي من داخل القلب من الباب المنفتح الى عالم الملك وعجائب عالم القلب وتردده بين عالمي الغيب والشهادة
لا يمكن ان يستقصى في علوم المعاملة وهذا مثال يعرفك الفرق بين مدخل العلمين المثال الثاني يعرفك الفرق بين العملين
اعني عمل العلما وعمل الاوليا فان العلما يعملون في اكتساب نفس العلوم واجتلابها الى القلب واوليا الصوفية يعملون في جلاء
القلب وتطهيره وتصفيته وتصقيله فقط وقد حكي ان اهل الصين واهل الروم تباهوا بين يدي بعض الملوك بحسن صناعة
النقش والصور واستقر راي الملك على ان يسلم اليهم صفة لينقش اهل الصين منها جانبا واهل الروم منها جانبا ويرخى بينهم

بينهم حجاب يمنع اطلاع كل فريق على الاخر ففعل ذلك فجمع اهل الروم من الاصباغ الغريبة ما لا ينحصر ودخل اهل الصين
من غير صبغ واقبلوا يجلون جانبهم ويصقلونه فلما فرغ اهل الروم ادعى اهل الصين ايضا انهم قد فرغوا فتعجب الملك
من قولهم وانهم كيف فرغوا من النقش من غير صبغ فقيل لهم وكيف فرغتم من غير صبغ فقالوا وما عليكم ارفعوا الحجاب
فرفعوه واذا جانبهم يتلالا فيه عجائب الصنائع الرومية مع زيادة اشراق وبريق اذ صار جانبهم كالمرآة المجلوة لكثرة
التصقيل فازداد حسن جانبهم بمزيد الصفا فكذلك عناية الاوليا بتطهير القلب وجلائه وتزكيته وصفائه حتى يتلالا فيه
جلية الحق بنهاية الاشراق كفعل اهل الصين وعناية العلما والحكما باكتساب علم الاصول وتحصيل نقشه في القلب وكيف
كان الامر فقلب المؤمن لا يموت وعلمه عند الموت لا ينمحي وصفاؤه لا يتكدر واليه اشار الحسن بقوله التراب لا ياكل محل
الايمان ويكون وسيلته المقربة له الى الله تعالى اما ما حصله من نفس العلم وما حصله من الصفا والاستعداد لقبول
نفس العلم ولا سعادة لاحد الا بالعلم والمعرفة وبعض السعادات اشرف من بعض كما انه لا غنى الا بالمال فصاحب الدرهم غني
وصاحب الخزاين المترعة غني وتتفاوت درجات السعدا بحسب تفاوت المعرفة والايمان كما تتفاوت درجات الاغنيا بحسب
قلة المال وكثرته والمعارف انوار ولا يسعى المؤمنون الى لقا الله تعالى الا بانوارهم قال تعالى يسعى نورهم بين ايديهم و
بايمانهم وقد ورد في الخبر ان بعضهم يعطى نورا مثل الجبل وبعضهم يعطى اصغر حتى يكون اخرهم رجلا يعطى نوره على ابهام قدميه
فيضي مرة ويطفى اخرى فاذا اضا قدم قدمه فمشى واذا طفى قام ومرورهم على الصراط على قدر نورهم فمنهم من يمشي كطرف العين
ومنهم من يمر كالبرق ومنهم كالسحاب ومنهم كانقضاض الكواكب ومنهم من يمر كشد الفرس والذي اعطي نوره على ابهام قدمه
يحبو على وجهه ويديه ورجليه يجر يدا ويعلق اخرى ويصيب جوانبه النار قال فلا يزال كذلك حتى يخلص الحديث
فبهذا يظهر تفاوت الناس في الايمان ولو وزن ايمان ابي بكر بايمان العالمين سوى النبيين والمرسلين لرجح وهذا يضاهي قول
القايل لو وزن نور الشمس بنور السرج كلها لرجح فايمان احاد العوام نوره مثل نور السراج وبعضهم نوره كنور
الشمعة وايمان نوره كنور النجوم والقمر وايمان الانبيا نوره كنور الشمس وكما ينكشف في نور الشمس صورة الافاق مع اتساع
اقطارها ولا ينكشف في نور السراج الا زاوية ضيقة من البيت فكذلك تفاوت انشراح الصدور بالمعارف وانكشاف
سعة الملكوت لقلوب العارفين ولذلك جا في الخبر انه يقال يوم القيمة اخرجوا من كان في قلبه مثقال من الايمان ونصف مثقال
من الايمان وربع مثقال وشعيرة وذرة وذلك تنبيه على تفاوت درجات الايمان وان هذه المقادير من الايمان لا يمنع دخول
النار وفي مفهومه ان من ايمانه يزيد على مثقال فانه لا يدخل النار اذ لو دخل لامر باخراجه اولا وان من في قلبه مثقال ذرة لا
يستحق الخلود في النار وان دخلها وكذلك قوله عليه الصلوة والسلم ليس شي خير من الف مثله الا الانسان او المومن
اشارة الى تفضيل قلب العارف المومن فانه خير من قلب الف من عوام الناس وقد قال تعالى وانتم الاعلون ان كنتم مومنين
تفضيلا للمومن على المسلم والمراد به المومن العارف دون المقلد وقد قال تعالى يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا
العلم درجات فاراد ههنا بالذين امنوا الذين صدقوا من غير علم وميزهم عن الذين اوتوا العلم ويدل ذلك على ان اسم المومن
يقع على المقلد وان لم يكن تصديقه عن بصيرة وكشف وفسر ابن عباس رضي الله عنهما والذين اوتوا العلم درجات فقال يرفع
العالم فوق المومن بسبعماية درجة بين كل درجتين كما بين السما والارض وقال عليه الصلوة والسلم اكثر اهل الجنة البله و
عليون لذوي الالباب وقال عليه السلام فضل العالم على العابد كفضلي على ادنى رجل من اصحابي وفي رواية كفضل القمر على

على سائر الكواكب فبهذه الشواهد يتضح تفاوت درجات اهل الجنة بحسب تفاوت قلوبهم ومعارفهم ولهذا كان
يوم القيمة يوم التغابن اذ المحروم من رحمة الله عظيم الغبن والخسران والمحروم يرى فوق درجته درجات عظيمة
فيكون نظره اليها كنظر الغني الذي يملك عشرة دراهم الى الغني الذي يملك الارض من المشرق الى المغرب وكل واحد منهما
غني ولكن ما اعظم الفرق بينهما وما اعظم الغبن على من يخس حظه من ذلك وللآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا
شواهد الشرع على صحة طريق اهل التصوف في اكتساب المعرفة لا من التعلم ولا من الطريق المعتادة اعلم ان من انكشف له
ولو الشيء اليسير بطريق الالهام والوقوع في القلب من حيث لا يدري فقد صار عارفا بصحة الطريق ومن لم يدرك ذلك
في نفسه قط فينبغي ان يؤمن به فان درجة المعرفة فيه عزيزة جدا ويشهد لذلك شواهد الشرع والتجارب والحكايات
اما الشواهد فقوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فكل حكمة تظهر في القلب بالمواظبة على العبادة
من غير تعلم فهو بطريق الكشف والالهام وقال النبي صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ووفقه
فيما يعمل حتى يستوجب الجنة ومن لم يعمل بما يعلم تاه فيما يعلم ولم يوفق فيما يعمل حتى يستوجب النار وقال تعالى ومن يتق الله
يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب قيل يجعل له مخرجا من الاشكالات ويرزقه من حيث لا يحتسب يعلمه علما من غير تعلم
ويفطنه بغير تجربة قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا قيل نورا يفرق به بين الحق والباطل
ويخرج به من الشبهات ولذلك كان يكثر رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعائه سؤال النور فقال اللهم اعطني نورا وزدني
نورا واجعل في قلبي نورا وفي سمعي نورا حتى قال في شعري نورا وسئل صلى الله عليه وسلم عن قوله افمن شرح الله صدره
للاسلام فهو على نور من ربه ما هذا الشرح فقال هو التوسعة ان النور اذا قذف به في القلب اتسع له الصدر وانشرح
وقال صلى الله عليه وسلم لابن عباس اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل وقال علي رضي الله عنه ما عندنا شيء اسره النبي
صلى الله عليه وسلم الينا الا ان يؤتي الله عبدا فهما في كتابه وليس هذا بالتعلم وقيل في تفسير قوله تعالى يؤتي الحكمة من يشاء
انه الفهم في كتاب الله وقال الله تعالى ففهمناها سليمان خص ما انكشف له باسم الفهم وكان ابو الدرداء يقول المؤمن
ينظر بنور الله من وراء ستر رقيق والله انه للحق يقذفه الله تعالى في قلوبهم ويجريه على السنتهم وقال بعض السلف ظن المؤمن
كهانة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله واليه يشير قوله تعالى ان في ذلك لآيات
للمتوسمين وقوله تعالى قد بينا الآيات لقوم يوقنون وروى الحسن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العلم علمان
فعلم باطن في القلب فذلك هو العلم النافع وسئل بعض العلماء عن العلم الباطن ما هو فقال هو سر من اسرار الله تعالى يقذفه في
قلوب احبائه لم يطلع عليه ملكا ولا بشرا وقد قال صلى الله عليه وسلم ان من امتي محدثين ومعلمين ومكلمين وان عمر منهم وقرأ ابن عباس
رضي الله عنهما وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدث يعني الصديقين والمحدث هو الملهم والملهم هو الذي انكشف
له في باطن قلبه من جهة الداخل لا من جهة المحسوسات الخارجة والقرآن مصرح بان التقوى مفتاح الهداية والكشف وذلك
علم من غير تعلم قال الله تعالى وما خلق الله في السموات والارض لآيات لقوم يتقون خصصها بهم وقال تعالى هذا بيان للناس
وهدى وموعظة للمتقين وكان ابو يزيد وغيره يقول ليس العالم الذي يحفظ من كتاب الله فاذا نسي ما حفظه صار جاهلا
انما العالم الذي يأخذ علمه من ربه اي وقت شاء بلا تحفظ ولا درس وهذا هو العالم الرباني واليه الاشارة بقوله تعالى وعلمناه
من لدنا علما مع ان كل علم من لدنه ولكن بعضها بوسائط تعليم الخلق فلا يسمى ذلك علما لدنيا بل العلم اللدني هو الذي ينفتح في سر القلب

سر القلب من غير سبب مألوف من خارج فهذه شواهد النقل ولو جمع كل ما ورد فيه من الآيات والاخبار والآثار
لخرج عن الحصر واما مشاهدة ذلك بالتجارب فذلك ايضا خارج عن الحصر اذ ظهر ذلك على الصحابة والتابعين ومن بعدهم
قال ابو بكر الصديق لعائشة رضي الله عنهما عند موته انما هما اخواك واختاك وكانت زوجته حاملة فولدت بنتا فكان قد عرف قبل
الولادة انها بنت وقال عمر رضي الله عنه يا سارية الجبل الجبل اذ انكشف له ان العدو قد اشرف عليه فحذره لمعرفته ذلك
ثم بلوغ صوته اليه من جملة الكرامات العظيمة وعن انس بن مالك رضي الله عنه قال دخلت على عثمان بن عفان وكنت قد
لقيت امرأة في الطريق فنظرت اليها نظرة شزرا وتأملت محاسنها فلما دخلت عليه قال عثمان رضي الله عنه يدخل علي احدكم
وآثار الزنى ظاهرة في عينيه اما علمت ان زنا العينين النظر لتتوبن او لاعزرنك فقلت له أوحي بعد النبي صلى الله عليه وسلم
قال لا ولكن تبصرة وبرهان وفراسة صادقة وعن ابي سعيد الخراز قال دخلت المسجد الحرام فرأيت فقيرا عليه خرقتان فقلت
في نفسي هذا واشباهه كل على الناس فناداني وقال واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه فاستغفرت الله في سري فناداني
وقال وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ثم غاب عني فلم اره وقال زكريا بن داود دخل ابو العباس بن مسروق على ابي الفضل الهاشمي
وهو عليل وكان ذا عيال ولم يعرف له سبب قال فلما قمت قلت في نفسي من اين يأكل هذا الرجل قال فصاح بي وقال يا ابا العباس
رد هذه الهمة الدنية فان لله الطافا خفية وعن احمد النقيب قال دخلت على الشبلي فقال مفتون يا احمد فقلت ما الخبر
فقال كنت جالسا فجرى بخاطري انك بخيل فقلت ما انا بخيل فعاد مني خاطري وقال بلى انت بخيل فقلت ما فتح اليوم
علي شيء الا دفعته الى اول فقير يلقاني قال فما استتم الخاطر حتى دخل علي صاحب لمؤنس الخادم ومعه خمسة الاف درهم فقال
اجعلها في مصالحك قال فاخذتها وقمت فخرجت فاذا انا بفقير مكفوف بين يدي مزين يحلق راسه فتقدمت اليه وناولته
الصرة فقال اعطها المزين فقلت انها دنانير فقال اوليس قلنا لك انك بخيل قال فناولتها المزين فقال عقدنا لما جلس الفقير
بين يدينا ان لا نأخذ عليه اجرا قال فرميت بها في دجلة وقلت ما اعزك احد الا واذله الله عز وجل وقال حمزة بن عبد الله
العلوي دخلت على ابي الخير التيناتي واعتقدت في نفسي ان اسلم عليه ولا آكل في داره طعاما فلما خرجت من عنده فاذا به يأتيني
خلفي وقد حمل طبقا عليه طعام فقال يا فتى كل هذا فقد خرجت الساعة من اعتقادك وكان ابو الخير التيناتي هذا مشهورا
بالكرامات وقال ابراهيم الرقي قصدته مسلما فصلى صلاة المغرب ولم يكد يقرأ سورة الفاتحة مستويا فقلت في نفسي ضاعت
سفرتي فلما سلمت خرجت للطهارة فقصدني السبع فعدت اليه وقلت ان الاسد قصدني فخرج وصاح على الاسد وقال الم
اقل لك لا تتعرض لضيفاني فتنحى الاسد فتطهرت فلما رجعت قال اشتغلتم بتقويم الظواهر فخفتم الاسد واشتغلنا بتقويم
القلب فخافنا الاسد وما حكي من تفرس المشايخ واخبارهم عن اعتقادات الناس وضمائرهم يخرج عن الحصر بل ما حكي عنهم من
مشاهدة الخضر والسؤال منه ومن سماع صوت الهاتف ومن فنون الكرامات خارج عن الحصر والحكاية لا تنفع الجاحد ما لم
يشاهد ذلك من نفسه ومن انكر الاصل انكر التفصيل والدليل القاطع الذي لا يقدر احد على جحده امران احدهما عجائب الرؤيا
الصادقة فانه ينكشف بها الغيب واذا جاز ذلك في النوم فلا يستحيل ايضا في اليقظة اذ لا فرق بين النوم واليقظة الا في
ركود الحواس وعدم اشتغالها بالمحسوسات وكم من متيقظ غائص لا يسمع ولا يبصر لاشتغاله بنفسه والثاني اخبار رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن الغيب وامور في المستقبل كما اشتمل عليه القرآن فاذا جاز ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم جاز لغيره اذ النبي
عبارة عن شخص كوشف بحقائق الامور وشغل باصلاح الخلق فلا يستحيل ان يكون في الوجود شخص مكاشف بالحقائق ولا يشتغل

بإصلاح الخلق وهذا لا يسمى نبياً بل يسمى ولياً فمن آمن بالأنبياء وصدّق بالرؤيا الصحيحة لزمه أن يقر بأن للقلب بابين
باب إلى الخارج وهو الحواس وباب إلى الملكوت من داخل القلب وهو باب الإلهام والنفث في الروع والوحي فإذا أقر بهما
جميعاً لم يمكنه أن يحصر العلوم بالتعلم ومباشرة الأسباب المألوفة بل يجوز أن تكون المجاهدة سبيلاً إليه فهذا ما ينبه على حقيقة
ما ذكرناه من عجائب تردد القلب بين عالم الشهادة وعالم الملكوت وأما السبب في انكشاف الأمور في المنام بالمثال المحوج إلى التأويل
وكذلك تمثل الملائكة بصور مختلفة للأنبياء والأولياء فذلك أيضاً من أسرار عجائب القلب ولا يليق ذلك إلا بعلم المكاشفة فلنقتصر
على ما ذكرناه فإنه كاف للاستحثاث على المجاهدة وطلب الكشف منها وقد قال بعض المكاشفين ظهر لي الملك فسألني أن أملي شيئاً
من الذكر الخفي عن مشاهدتي من التوحيد وقال ما نكتب لك عملاً ونحن نحب أن نصعد لك بعمل تتقرب به إلى الله فقلت ألستما
تكتبان الفرائض قالا بلى قلت فيكفيكما ذلك وهذا إشارة إلى أن الكرام الكاتبين لا يطلعون على أسرار القلب وإنما يطلعون على
الأعمال الظاهرة وقال بعض العارفين سألت بعض الأبدال عن مسألة من مشاهدة اليقين فالتفت إلى شماله فقال ما تقول رحمك
الله ثم التفت إلى يمينه فقال ما تقول رحمك الله ثم أطرق إلى صدره فقال ما تقول رحمك الله ثم أجاب بأغرب جواب سمعته فسألته
عن التفاته فقال لم يكن في المسألة عندي جواب عتيد فسألت صاحب الشمال فقال لا أدري فسألت صاحب اليمين وهو أعلم منه
فقال لا أدري فنظرت إلى قلبي فسألته فحدثني بما أجبتك وإذا هو أعلم منهما وكأن هذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم إن في أمتي
محدثين وإن عمر منهم وفي الأثر إن الله تعالى يقول أيما عبد اطلعت على قلبه فرأيت الغالب عليه التمسك بذكري توليت سياسته
وكنت جليسه ومحادثه وأنيسه وقال أبو سليمان الداراني القلب بمنزلة القبة المضروبة حولها أبواب مغلقة فأي باب فتح
له عمل فيه فقد ظهر انفتاح باب من أبواب القلب إلى جهة الملكوت والملأ الأعلى وينفتح ذلك الباب بالمجاهدة والورع و
الإعراض عن شهوات الدنيا ولذلك كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أمراء الأجناد احفظوا ما تسمعون من المطيعين
فإنهم يتجلى لهم أمور صادقة وقال بعض العلماء يد الله على أفواه الحكماء لا ينطقون إلا بما هيأ الله تعالى لهم من الحق وقال آخر
ولو شئت لقلت إن الله تعالى يطلع الخاشعين على بعض سره

بيان تسلط الشيطان على القلب بالوسواس ومعنى
الوسوسة وسبب غلبتها اعلم أن القلب كما ذكرناه في مثال قبة مضروبة لها أبواب تنصب إليه الأحوال من كل باب ومثاله
أيضاً مثال هدف تنصب إليه السهام من كل جانب أو هو مثال مرآة منصوبة تجتاز عليها أنواع الصور المختلفة فتتراءى فيها
صورة بعد صورة فلا تخلو عنها أو مثال حوض تنصب إليه مياه مختلفة من أنهار مفتوحة إليه وإنما مداخل هذه الآثار
المتجددة في القلب في كل حال إما من الظاهر فالحواس الخمس وإما من الباطن فالخيال والشهوة والغضب والأخلاق المركبة في مزاج
الإنسان فإنه إذا أدرك بالحواس شيئاً حصل منه أثر في القلب وكذلك إذا هاجت الشهوة مثلاً بسبب كثرة الأكل وبقوة في المزاج
حصل منها في القلب أثر وإن كف عن الإحساس فالخيالات الحاصلة في النفس تبقى وينتقل الخيال من شيء إلى شيء وبحسب انتقال الخيال
ينتقل القلب من حال إلى حال والمقصود أن القلب في التغير والتأثر دائماً من هذه الأسباب وأخص الآثار الحاصلة في القلب هي
الخواطر وأعني بالخواطر ما يعرض فيه من الأفكار والأذكار وأعني به إدراكاته علوماً إما على سبيل التجدد وإما على سبيل التذكر
فإنها تسمى خواطر من حيث إنها تخطر بعد أن كان القلب غافلاً عنها والخواطر هي المحركات للإرادات فإن النية والعزم والإرادة
إنما تكون بعد خطور المنوي بالبال لا محالة فمبدأ الأفعال الخواطر ثم الخاطر يحرك الرغبة والرغبة تحرك العزم والنية والنية
تحرك الأعضاء والخواطر المحركة للرغبة تنقسم إلى ما يدعو إلى الشر أعني ما يضر في العاقبة وإلى ما يدعو إلى الخير أعني ما ينفع

ما ينفع في الدار الآخرة فهما خاطران مختلفان فافتقرا إلى اسمين مختلفين فالخاطر المحمود يسمى إلهاماً والخاطر المذموم
أعني الداعي إلى الشر يسمى وسواساً ثم إنك تعلم أن هذه الخواطر حادثة وكل حادث فلا بد له من سبب ومهما اختلفت الحوادث
دل على اختلاف الأسباب هذا ما عرف من سنة الله تعالى في ترتيب المسببات على الأسباب فمهما استنارت حيطان البيت بنور
النار وأظلم سقفه واسود بالدخان علمت أن سبب السواد غير سبب الاستنارة وكذلك لأنوار القلب وظلماته سببان مختلفان
فسبب الخاطر الداعي إلى الخير يسمى ملكاً وسبب الخاطر الداعي إلى الشر يسمى شيطاناً واللطف الذي به يتهيأ القلب
لقبول إلهام الملك يسمى توفيقاً والذي به يتهيأ لقبول وسواس الشيطان يسمى إغواء وخذلاناً فإن المعاني المختلفة تفتقر
إلى أسامي مختلفة والملك عبارة عن خلق خلقه الله تعالى شأنه إفاضة الخير وإفادة العلم وكشف الحق والوعد بالمعروف
وقد خلقه الله تعالى وسخره لذلك والشيطان عبارة عن خلق شأنه ضد ذلك وهو الوعد بالشر والأمر بالفحشاء والتخويف عند
الهم في الخير بالفقر وهو الوسوسة فالوسوسة في مقابلة الإلهام والشيطان في مقابلة الملك والتوفيق في مقابلة الخذلان
وإليه الإشارة بقوله تعالى ومن كل شيء خلقنا زوجين فإن الموجودات كلها متقابلة مزدوجة إلا الله تعالى فإنه لا مقابل له
بل هو الواحد الحق الخالق للأزواج كلها فالقلب متجاذب بين الشيطان والملك وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
في القلب لمتان لمة من الملك إيعاد بالخير وتصديق بالحق ولمة من العدو إيعاد بالشر وتكذيب بالحق ونهي عن الخير وقال
الحسن إنما هما همان يجولان في القلب هم من الله تعالى وهم من العدو فرحم الله عبداً وقف عند همه فما كان من الله أمضاه
وما كان من عدوه جاهده ولتجاذب القلب بين هذين المسلطين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع
الرحمن والله سبحانه متعال عن أن يكون له إصبع مركبة من لحم ودم وعظم منقسمة بالأنامل ولكن روح الإصبع سرعة التقليب
والقدرة على التحريك والتغيير فإنك لا تريد إصبعك لشخصها بل لفعلها في التقليب والترديد كما أنك تتعاطى الأفعال بأصابعك
فالله تعالى إنما يفعل ما يفعله باستسخار الملك والشيطان وهما مسخران بقدرته في تقليب القلوب كما أن أصابعك مسخرة
لك في تقليب الأجسام مثلاً والقلب بأصل الفطرة صالح لقبول آثار الملائكة ولقبول آثار الشيطان صلاحاً متساوياً ليس
يترجح أحدهما على الآخر وإنما يترجح أحد الجانبين باتباع الهوى والإكباب على الشهوات والإعراض عنها ومخالفتها فإن اتبع [الإنسان]
مقتضى الشهوة والغضب ظهر تسلط الشيطان بواسطة الهوى وصار القلب عش الشيطان ومعدنه لأن الهوى هو مرعى الشيطان
ومرتعه وإن جاهد الشهوات ولم يسلطها على نفسه وتشبه بأخلاق الملائكة صار قلبه مستقر الملائكة ومهبطهم ولما كان
لا يخلو قلب عن شهوة وغضب وحرص وطمع وطول أمل إلى غير ذلك من صفات البشرية المنشعبة عن الهوى لا جرم لم يخل قلب
عن أن يكون للشيطان فيه جولان بالوسوسة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ما من أحد إلا وله شيطان قالوا وأنت
يا رسول الله قال وأنا إلا أن الله تعالى أعانني عليه فأسلم فلا يأمر إلا بخير وإنما كان هذا لأن الشيطان لا يتصرف إلا
بواسطة الشهوة فمن أعانه الله تعالى على شهوته حتى صار لا تنبسط إلا حيث ينبغي وإلى الحد الذي ينبغي فشهوته لا تدعو إلى الشر
فالشيطان المتدرع بها لا يأمر إلا بالخير ومهما غلب على القلب ذكر الدنيا ومقتضيات الهوى وجد الشيطان مجالاً فوسوس
ومهما انصرف القلب إلى ذكر الله تعالى ارتحل الشيطان وضاق مجاله وأقبل الملك وألهم والتطارد بين جندي الشياطين
والملائكة في معركة القلب دائم إلى أن ينفتح القلب لأحدهما فيستمكن ويستوطن ويكون اجتياز الثاني اختلاساً وأكثر القلوب قد
فتحها جند الشيطان وملكها فامتلأت بالوسواس الداعية إلى إيثار العاجلة واطراح الآخرة ومبدأ استيلائها اتباع

الشهوات والهوى ولا يمكن محوها بعد ذلك الا بتخلية القلب عن قوت الشيطان وهو الهوى والشهوات وعمارته بذكر الله
الذي هو مطرح اثر الملائكة وقال جابر بن عبيدة العدوي شكوت الى العلاء بن زياد ما اجد في صدري من الوسوسة فقال
انما مثل ذلك مثل البيت الذي يمر به اللصوص فان كان فيه شيء عالجوه والا مضوا وتركوه يعني ان القلب الخالي عن الهوى لا
يدخله الشيطان ولذلك قال تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وكل من اتبع الهوى فهو عبد الهوى لا عبد الله فلذلك
يسلط عليه الشيطان وقد قال الله تعالى افرايت من اتخذ الهه هواه اشارة الى ان الهوى الهه ومعبوده فهو عبد الهوى لا عبد الله
قال عمرو بن العاص يا رسول الله ان الشيطان حال بيني وبين صلاتي وقراءتي فقال ذلك شيطان يقال له خنزب فاذا احسسته
فتعوذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلاثا قال ففعلت ذلك فاذهبه الله تعالى عني وفي الخبر ان للوضوء شيطانا يقال له الولهان
فاستعيذوا بالله منه ولا يمحو وسوسة الشيطان عن القلب الا ذكر شيء سوى ما يوسوس به لانه اذا احضر في القلب ذكر شيء
انعدم عنه ما كان فيه من قبل ولكن كل شيء سوى الله وسوى ما يتعلق به فيجوز ان يكون ايضا مجالا للشيطان فذكر الله هو
الذي يؤمن جانبه ويعلم انه ليس للشيطان فيه مجال ولا يعالج الشيء الا بضده وضد وساوس الشيطان ذكر الله تعالى بالاستعاذة
والتبري عن الحول والقوة وهو معنى قولك اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وذلك لا يقدر
عليه الا المتقون الذين الغالب عليهم ذكر الله تعالى وانما الشيطان يطوف بقلوبهم في اوقات الفلتات على سبيل الخلسة قال الله تعالى
ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون وقال مجاهد في معنى قوله تعالى من شر الوسواس الخناس
قال هو منبسط على قلب الانسان فاذا ذكر الله خنس وانقبض واذا غفل انبسط على قلبه فالتطارد بين ذكر الله تعالى و
وسوسة الشيطان كالتطارد بين النور والظلام وبين الليل والنهار ولتضادهما قال الله تعالى استحوذ عليهم الشيطان
فانساهم ذكر الله وقال انس بن مالك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم فان هو ذكر
الله خنس وان نسي الله تعالى التقم قلبه وقال ابن وضاح في حديث ذكره اذا بلغ الرجل اربعين سنة ولم يتب مسح الشيطان
بيده وجهه وقال بابي وجه لا يفلح وكما ان الشهوات ممتزجة بلحم الآدمي ودمه فسلطنة الشيطان ايضا سارية في لحمه ودمه
ومحيطة بالقلب من جوانبه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ان الشيطان ليجري من الانسان مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع
وذلك لان الجوع يكسر الشهوة ومجرى الشيطان الشهوات ولاجل اكتناف الشهوات للقلب من جوانبه قال الله تعالى اخبارا
عن ابليس لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم ولا تجد اكثرهم شاكرين
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان قعد لابن آدم بطرق فقعد له بطريق الاسلام فقال اتسلم وتترك دينك ودين
آبائك فعصاه فاسلم ثم قعد له بطريق الهجرة فقال اتهاجر وتذر ارضك وسماءك فعصاه فهاجر ثم قعد له بطريق الجهاد فقال
اتجاهد وهو جهد النفس والمال فتقاتل فتقتل فتنكح نساؤك ويقسم مالك فعصاه فجاهد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فمن فعل ذلك فمات كان حقا على الله تعالى ان يدخله الجنة فذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم معنى الوسوسة وهو هذه الخواطر
التي تخطر للمجاهد انه يقتل وتنكح نساؤه وغير ذلك مما يصرفه عن الجهاد وهذه الخواطر معلومة فاذا الوسواس معلوم من
المشاهدة وكل خاطر فله سبب ويفتقر الى اسم يعرفه فاسم سببه الشيطان ولا يتصور ان ينفك عنه آدمي وانما يختلفون
بعصيانه ومتابعته ولذلك قال ما من احد الا وله شيطان فقد اتضح بهذا النوع من الاستبصار معنى الوسوسة والالهام
والملك والشيطان والتوفيق والخذلان فبعد هذا نظر من ينظر في ذات الشيطان وانه جسم لطيف ام ليس بجسم وان كان جسما

وان كان جسما فكيف يدخل بدن الانسان ما هو جسم فهذا الآن غير محتاج اليه في علم المعاملة بل مثال الباحث عن هذا كمثال
من دخل في ثيابه حية وهو محتاج الى ازالتها ودفع ضررها فاشتغل بالبحث عن طولها وعرضها وشكلها ولونها وذلك
عين الجهل فمصادمة الخواطر الباعثة على الشر قد علمت وذلك عن سبب لا محالة وعلم ان الداعي الى الشر المحذور في المستقبل عدو
فقد عرف العدو فينبغي ان يشتغل بمجاهدته وقد عرفه الله سبحانه وتعالى في مواضع كثيرة من كتابه ليتحقق به ويحترز منه فقال
تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير وقال تعالى الم اعهد اليكم يا بني آدم ان لا
تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين فينبغي للعبد ان يشتغل بدفع العدو عن نفسه لا بالسؤال عن نسبه واصله ومسكنه نعم
ينبغي ان يسال عن سلاحه ليدفعه عن نفسه وسلاح الشيطان الهوى والشهوات وذلك كاف للعاملين فاما المتغلغلون في علوم
المكاشفات ولا يحتاج في المعاملة الى معرفته نعم ينبغي ان يعلم ان الخواطر تنقسم الى ما يعلم قطعا انه داع الى الشر فلا يخفى كونه
وسوسة والى ما يعلم انه داع الى الخير فلا يشك في كونه الهاما والى ما يتردد فيه فلا يدري انه من لمة الملك او لمة الشيطان
فان من مكايد الشيطان ان يعرض الشر في معرض الخير والتمييز في ذلك غامض واكثر العباد به يهلكون فان الشيطان لا يقدر على
دعائهم الى الشر الصريح فيصور الشر بصورة الخير كما يقول للعالم بطريق الوعظ اما تنظر الى الخلق وهم موتى من الجهل هلكى
من الغفلة قد اشرفوا على النار اما لك رحمة على عباد الله تنقذهم من المعاطب بنصحك ووعظك وقد انعم الله عليك بقلب بصير
ولسان ذلق ولهجة مقبولة فكيف تكفر نعمة الله وتتعرض لسخطه وتسكت عن اشاعة العلم ودعوة الخلق الى الصراط المستقيم فلا يزال
يستجره بلطائف الحيل الى ان يشتغل بوعظ الناس ثم يدعوه الى ان يتزين لهم ويتصنع بتحسين اللفظ واظهار الخير ويقول له
ان لم تفعل ذلك سقط وقع كلامك من قلوبهم ولم يهتدوا الى الحق ولا يزال يقرر ذلك وهو في اثنائه يؤكد فيه شوائب الرياء و
قبول الخلق ولذة الجاه والتعزز بكثرة الاتباع والعلم والنظر الى الخلق بعين الاحتقار فيستدرج المسكين بالنصح الى الهلاك فيتكلم وهو يظن
ان قصده الخير وانما قصده الجاه والقبول فيهلك بسببه وهو يظن انه عند الله بمكان وهو ممن قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله
ليؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم وان الله تعالى ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر ولذلك روي ان ابليس تمثل لعيسى عليه السلام
فقال له قل لا اله الا الله فقال كلمة حق ولا اقولها بقولك لان له ايضا تحت الخير تلبيسات وتلبيسات الشيطان من هذا الجنس
لا تتناهى وبها يهلك العباد والعلماء والزهاد والفقراء والاغنياء واصناف الخلق ممن يكرهون ظاهر الشر ولا يرضون لانفسهم
الخوض في المعاصي المكشوفة وسنذكر جملة من مكايد الشيطان في كتاب الغرور في آخر هذا الربع ولعلنا ان امهل الزمان صنفنا
فيه كتابا على الخصوص نسميه تلبيس ابليس فانه قد انتشر الآن تلبيسه في البلاد والعباد لا سيما في المذاهب والاعتقادات
حتى لم يبق من الاسلام والخيرات الا رسمها كل ذلك اذعانا لتلبيسات الشيطان ومكايده فحق على العبد ان يقف عند كل هم يخطر
له ليعلم انه لمة الملك او لمة الشيطان وان يمعن النظر فيه بنور البصيرة لا بهوى الطبع ولا يطلع عليه الا بنور التقوى
وغزارة العلم كما قال ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا اي رجعوا الى نور العلم فاذا هم مبصرون اي
انكشف لهم الاشكال فاما من لم يروض نفسه بالتقوى فيميل طبعه الى الاذعان لتلبيسه بمتابعة الهوى فيكثر فيه غلطه و
تتعجل فيه هلاكه وهو لا يشعر وفي مثلهم قال الله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون قيل هي اعمال ظنوها حسنات فاذا
هي سيئات وبعض انواع علوم المعاملة الوقوف على خدع النفس ومكايد الشيطان وذلك فرض عين على كل عبد وقد اهمله
الخلق واشتغلوا بعلوم تستجر اليهم الوساوس وتسلط عليهم الشيطان وتنسيهم عداوته وطريق الاحتراز منه ولا ينجي من كثرة

واما معرفة صفة ذاته وحقيقته وحقيقة الملائكة فذلك ميدان للعارفين م

الوسواس الا سد ابواب الخواطر وابوابها من خارج الحواس الخمس وابوابها من داخل الشهوات وعلائق الدنيا والخلوة في بيت
مظلم يسد باب الحواس والتجرد عن المال والاهل يقلل مداخل الوسواس من الباطن ويبقى مع ذلك مداخل باطنة من التخيلات
الجارية في القلب ولا يدفع ذلك الا بشغل القلب بذكر الله تعالى ثم انه لا يزال يجاذب القلب وينازعه ويلهيه عن ذكر الله
فلا بد من مجاهدته وهذه مجاهدة لا آخر لها الا الموت اذ لا يتخلص احد عن الشيطان ما دام حيا نعم قد يقوى بحيث لا ينقاد له و
يدفع عن نفسه شره بالجهاد ولكن لا يستغني قط عن الجهاد والمدافعة ما دام الدم يجري في بدنه فانه ما دام حيا فابواب الشيطان
مفتوحة الى قلبه لا تنغلق وهي الشهوة والغضب والحسد والطمع والشره وغيرها كما سيأتي شرحها ومهما كان الباب مفتوحا
والعدو غير غافل لم يندفع الا بالحراسة والمجاهدة قال رجل للحسن يا ابا سعيد اينام ابليس فتبسم وقال لو نام لوجدنا راحة فلا خلاص
للمؤمن عنه نعم له سبيل الى دفعه وتضعيف قوته قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المؤمن ينضي شيطانه كما ينضي
احدكم بعيره في السفر وقال ابن مسعود شيطان المؤمن مهزول وقال قيس بن الحجاج قال لي شيطاني دخلت فيك وانا مثل الجزور
وانا الآن مثل العصفور قلت ولم ذاك قال تذيبني بذكر الله فاهل التقوى لا يتعذر عليهم سد ابواب الشياطين وحفظها
بالحراسة اعني الابواب الظاهرة والطرق الجلية التي تفضي الى المعاصي الظاهرة وانما يتعثرون في طرقه الغامضة فانهم لا يهتدون اليها
فيحرسونها كما اشرنا اليه في غرور العلماء والوعاظ والمشكل ان الابواب المفتوحة الى القلب للشيطان كثيرة وباب الملائكة باب واحد
وقد التبس ذلك الباب الواحد بهذه الابواب الكثيرة فالعبد فيه مثال المسافر الذي يبقى في بادية كثيرة الطرق غامضة المسالك في ليلة مظلمة فلا
يكاد يعلم الا بعين بصيرة وطلوع شمس مشرقة والعين البصيرة ههنا هو القلب المصفى بالتقوى والشمس المشرقة هو العلم الغزير المستفاد
من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فيها يهتدي الى غوامض طرقه والا فطرقه كثيرة غامضة قال عبد الله بن مسعود
خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما خطا فقال هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمين الخط وعن شماله فقال هذه سبل
على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ثم تلا وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل لتلك الخطوط فبين صلى الله عليه
وسلم كثرة طرقه وقد ذكرنا مثالا للطريق الغامض من طرقه وهو الذي يخدع به العلماء والعباد المالكين لشهواتهم الكافين
عن المعاصي الظاهرة فلنذكر مثالا لطريقه الواضح الذي لا يخفى الا ان يضطر الآدمي الى سلوكه وذلك كما روي عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال كان راهب في بني اسرائيل فاخذ الشيطان جارية فخنقها والقى في قلوب اهلها ان دواءها عند الراهب
فأتوا بها اليه فأبى ان يقبلها فلم يزالوا به حتى قبلها فكانت عنده ليعالجها فاتاه الشيطان فوسوس اليه وزين
له مقاربتها فلم يزل به حتى وقع عليها فحملت منه فوسوس اليه وقال الآن تفتضح يأتيك اهلها فاقتلها فان اتوك فقل ماتت
فقتلها ودفنها فاتى الشيطان اهلها فوسوس اليهم والقى في قلوبهم انه احبلها ثم قتلها ودفنها فاتاه اهلها فسألوه فقال
ماتت فاخذوه ليقتلوه بها فاتاه الشيطان فقال انا الذي اخذتها وانا الذي القيت في قلوب اهلها فاطعني تنج واسجد لي
سجدتين فسجد له سجدتين فهو الذي قال الله تعالى كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بريء منك فانظر الآن
الى حيلته واضطراره الراهب الى هذه الكبائر وكل ذلك لطاعته له في قبول الجارية للمعالجة وهو امر هين وربما يظن صاحبه
انه خير وحسن فيحسن ذلك في قلبه بخفي الهوى فيقدم عليه كالراغب في الخير فيخرج الامر بعد ذلك عن اختياره ويجره
البعض الى البعض بحيث لا يجد محيصا فنعوذ بالله من تضييع اوائل الامور واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم من حام
حول الحمى يوشك ان يقع فيه **بيان** تفصيل مداخل الشيطان الى القلب اعلم ان القلب مثال الحصن والشيطان

والشيطان عدو يريد ان يدخل الحصن ويملكه ويستولي عليه ولا يقدر على حفظ الحصن من العدو الا بحراسة ابواب
الحصن ومداخله ومواضع ثلمه ولا يقدر على حراسة ابوابه من لا يعرف ابوابه فحماية القلب عن فساد الشيطان واجب
وهو فرض عين على كل عبد مكلف وما لا يتوصل الى الواجب الا به فهو ايضا واجب ولا يتوصل الى دفع الشيطان الا بمعرفة مداخله
فصار مداخل الشيطان واجبا ومداخل الشيطان وابوابه صفات العبد وهي كثيرة ولكنا نشير الى الابواب العظيمة الجارية مجرى
الدروب التي لا تضيق عن كثرة جنود الشيطان فمن ابوابه العظيمة الحسد والحرص فمهما كان العبد حريصا على شيء اعماه حرصه
واصمه اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حبك الشيء يعمي ويصم ونور البصيرة هو الذي يعرف مداخل الشيطان فاذا غطاه
الحرص والحسد لم يبصر فيجد الشيطان فرصته فيحسن عند الحريص كل ما يوصله الى شهوته وان كان منكرا وفاحشا فقد روي
روي ان نوحا عليه السلام لما ركب البحر حمل في السفينة من كل زوجين اثنين كما امر فراى في السفينة شيخا لم يعرفه فقال له نوح
ما ادخلك فقال دخلت لاصيب قلوب اصحابك فيكون قلوبهم وابدانهم معك فقال له نوح اخرج منها يا عدو الله
معي
فانك رجيم فقال له ابليس خمس اهلك بهن الناس وساحدثك منها بثلث ولا احدثك بثنتين فاوحى الله تعالى الى نوح انه لا
حاجة بك الى الثلث فليحدثك بالثنتين فقال وما الثنتان فقال هما اللتان لا يكذباني هما اللتان لا يخلفاني بهما اهلك
الناس الحرص والحسد فبالحسد لعنت وجعلت شيطانا رجيما واما الحرص فانه ابيح لآدم الجنة كلها فاصبت حاجتي منه بالحرص
ومن ابوابه العظيمة الغضب والشهوة فان الغضب غول العقل واذا ضعف جند العقل هجم جند الشيطان ومهما غضب
الانسان لعب به الشيطان كما يلعب الصبي بالكرة فقد روي ان ابليس لقي موسى عليه السلام فقال يا موسى انت الذي اصطفاك
الله برسالته وكلمك تكليما وانا خلق من خلق الله اذنبت وانا اريد ان اتوب فاشفع لي الى ربي ان يتوب قال له موسى
نعم فدعا موسى ربه فقال تعالى يا موسى قد قضيت حاجتك فمره ان يسجد لقبر آدم فلقي موسى ابليس وقال قد امرت ان
تسجد لقبر آدم ليتاب عليك فاستكبر وغضب وقال لم اسجد له حيا اسجد له ميتا ثم قال ابليس يا موسى ان لك علي
حقا بما شفعت لي عند ربك فاذكرني عند ثلث لا اهلكك فيهن اذكرني حين تغضب فان روحي في قلبك وعيني في عينيك
واجري منك مجرى الدم واذكرني حين تلقى الزحف فاني آتي ابن آدم حين يلقى الزحف فاذكره ولده وزوجته واهله
حتى يولي واياك ان تجالس امراة ليست بذات محرم لك فاني رسولها اليك ورسولك اليها فقد اشار في هذا الى الشهوة
والغضب والحرص فان الفرار من الزحف حرص على الدنيا وامتناعه عن سجوده لآدم ميتا هو الحسد وهو من اعظم مداخله
وقال بعض الانبياء لابليس باي شيء تغلب ابن آدم قال آخذه عند الغضب وعند الهوى وظهر ابليس لراهب فقال
له الراهب اي اخلاق بني آدم اعون لك قال الحدة فان العبد اذا كان حديدا قلبناه كما يقلب الصبيان الكرة وقيل
ان الشيطان يقول كيف يغلبني ابن آدم واذا رضي جئت حتى اكون في قلبه واذا غضب طرت حتى اكون في راسه ومن ابوابه
العظيمة التزين في الثياب والاثاث والدار فان الشيطان اذا راى ذلك غالبا على قلب الانسان باض فيه وفرخ فلا يزال
يدعوه الى عمارة الدار وتزيين سقوفها وحيطانها وتوسيع ابنيتها ويدعوه الى التزين بالثياب والدواب ويستسخره فيها طول
عمره واذا اوقعه في ذلك فقد استغنى عن معاودته فان بعض ذلك يجره الى البعض فلا يزال يؤديه من شيء الى شيء الى ان يساق
اليه اجله فيموت وهو في سبيل الشيطان واتباع الهوى ومن ذلك يخشى سوء الخاتمة بالكفر نعوذ بالله منه ومن ابوابه العظيمة
الشبع من الطعام وان كان حلالا صافيا فان الشبع يقوي الشهوات والشهوات اسلحة الشيطان روي ان ابليس ظهر

ليحيى بن زكريا فراى عليه معاليق من كل شي فقال له يحيى يا ابليس ما هذه المعاليق قال هذه الشهوات التي اصيب بها بني آدم فقال فهل لي فيها شي فقال ربما شبعت فثقلناك عن الصلوة وعن الذكر فقال وهل غير ذلك قال لا قال لله علي ان لا املا بطني من طعام ابدا فقال ابليس ولله علي ان لا انصح مسلما ابدا ومن ابوابه العظيمة الطمع في الناس فانه اذا غلب الطمع على القلب لم يزل الشيطان يحسن التصنع والتزين لمن طمع فيه بانواع الرياء والتلبيس حتى يصير المطموع فيه كانه معبوده فلا يزال يتفكر في حيلة التودد والتحبب اليه ويدخل كل مدخل للوصول الى ذلك واقل احواله الثناء عليه بما ليس فيه والمداهنة معه بترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقد روى صفوان بن سليم ان ابليس تمثل لعبد الله بن حنظلة وقال له يا ابن حنظلة لا تسال احدا غير الله سؤال رغبة وانظر كيف يكون اذا غضبت ومن ابوابه العظيمة العجلة وترك التثبت في الامور قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العجلة من الشيطان والتاني من الله تعالى قال الله تعالى خلق الانسان من عجل وقال وكان الانسان عجولا وقال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه وهذا لان الاعمال ينبغي ان تكون بعد التبصرة والمعرفة والتبصرة يحتاج الى تامل ومهلة والعجلة تمنع من ذلك فعند الاستعجال يروج الشيطان شره على الانسان من حيث لا يدري فقد روي انه لما ولد عيسى عليه السلم اتت الشياطين ابليس فقالوا اصبحت الاصنام قد نكست رؤسها قال هذا حادث قد حدث مكانكم فطار حتى جاء خافقي الارض فلم يجد شيئا ثم وجد عيسى قد ولد واذا الملائكة قد حفت حوله فرجع اليهم فقال ان نبيا قد ولد البارحة ما حملت انثى قط ولا وضعت الا وانا بحضرتها الا هذا فايسوا من ان تعبد الاصنام بعد هذه الليلة ولكن ائتوا بني آدم من قبل العجلة والخفة ٥ ومن ابوابه العظيمة الدراهم والدنانير وساير اصناف الاموال من العروض والدواب والعقار وكل ما يزيد على قدر القوت والحاجة فهو مستقر الشيطان فان من معه قوته فهو فارغ القلب فلو وجد مائة دينار مثلا على طريق انبعث من قلبه عشر شهوات تحتاج كل شهوة منها الى مائة اخرى وقد كان قبل وجود المائة مستغنيا والآن وجد مائة وظن انه صار غنيا بها وقد صار محتاجا الى تسعماية ليشتري دارا ويعمرها ويشتري جارية ويشتري اثاث البيت ويشتري الثياب الفاخرة وكل شي من ذلك يستدعي شيئا آخر يليق به وذلك لا آخر له فيقع في هاوية آخرها عمقها جهنم ولا آخر لها سواه ٥ قال ثابت البناني لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم قال ابليس لقد حدث امر فانظروا ما هو فانطلقوا ثم جاؤوه وقالوا ما ندري قال ابليس انا آتيكم بالخبر فذهب وجاء الى اصحابه وقال لقد بعث محمد صلى الله عليه وسلم قال فجعل يرسل شياطينه الى اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فينصرفون خائبين ويقولون ما صحبنا قوما قط مثل هؤلاء نصيب منهم فيقومون الى صلوتهم فيمحى ذلك فقال ابليس رويدا بهم عسى الله ان يفتح لهم الدنيا فهنالك تصيبون حاجتكم منهم وروي ان عيسى عليه السلم توسد يوما حجرا فمر به ابليس فقال يا عيسى رغبت في الدنيا فاخذه من تحت راسه ورماه به وقال هذا لك مع الدنيا وعلى الحقيقة من يملك حجرا يتوسده عند النوم فقد ملك من الدنيا ما يمكن ان يكون عدة للشيطان عليه فان القائم بالليل مثلا للصلوة مهما كان بالقرب منه حجر يمكن ان يتوسده فلا يزال يدعوه الى النوم والى ان يتوسده ولو لم يكن ذلك لم يخطر باله ذلك ولا تحركت رغبته الى النوم هذا في حجر فكيف بمن يملك المخاد الكثيرة والفرش الوطيئة والمنتزهات الطيبة فانى ينشط لعبادة الله تعالى ٥ ومن ابوابه البخل وخوف الفقر فان ذلك هو الذي يمنع من الانفاق والتصدق ويدعو الى الادخار والكنز والعذاب الاليم الذي هو الموعود للكانزين كما نطق به القرآن قال خيثمة بن عبد الرحمن ان الشيطان يقول ما

فلا يمكنه ما وجده بل يحتاج الى تسعماية اخرى

غلبني عليه ابن آدم فلن يغلبني على ثلاث ان آمره باخذ المال من غير حقه وانفاقه في غير حقه ومنعه من حقه وقال سفيان ليس للشيطان سلاح مثل خوف الفقر فاذا قبل ذلك منه اخذ في الباطل ومنع من الحق وتكلم بالهوى وظن بربه ظن السوء ومن آفات البخل الحرص على ملازمة الاسواق لجمع والاسواق هي معشش الشيطان روي عن ابي امامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان ابليس لما انزل الى الارض قال يا رب انزلتني الى الارض وجعلتني رجيما فاجعل لي بيتا قال الحمام قال فاجعل لي مجلسا قال الاسواق ومجامع الطرق قال فاجعل لي طعاما قال ما لم يذكر اسم الله عليه قال اجعل لي شرابا قال كل مسكر قال اجعل لي موذنا قال المزامير قال اجعل لي قرآنا قال الشعر قال اجعل لي كتابا قال الوشم قال اجعل لي حديثا قال الكذب قال اجعل لي مصايد قال النساء ٥ ومن ابوابه التعصب للمذاهب والاهواء والحقد على الخصوم والنظر اليهم بعين الازدراء والاستحقاف وذلك مما يهلك الفساق والعباد جميعا فان الطعن في الناس والاشتغال بذكر نقصانهم صفة مجبولة في طبع الانسان من الصفات السبعية فاذا خيل الشيطان اليه ان ذلك هو الحق وكان موافقا للطبع غلبت حلاوته على قلبه فاشتغل به بكل همته وهو بذلك فرحان مسرور يظن انه يسعى في الدين وهو ساع في اتباع الشيطان فترى الواحد منهم يتعصب لابي بكر وهو آكل للحرام ومطلق اللسان بالفضول والكذب ومتعاط لانواع الفساد ولو رآه ابو بكر رضي الله عنه لكان اول عدو له اذ موالي ابي بكر من اخذ سبيله وسار بسيرته وحفظ ما بين لحييه وكان من سيرته ان يضع حصاة في فيه ليكف لسانه عن الكلام فيما لا يعنيه فاين لهذا الفضولي ان يدعي ولاه وحبه وترى فضوليا آخر يتعصب لعلي رضي الله عنه وكان من زهد علي وسيرته انه لبس في خلافته ثوبا اشتراه بثلثة دراهم راس الكمين الى الرسغ فترى الفاسق لابسا لثياب الحرير ومتجملا باموال اكتسبها من الحرام وهو يتعاطى حب علي رضي الله عنه وهو اول خصمائه يوم القيمة وليت شعري من اخذ ولدا عزيزا لانسان هو قرة عينه وحبة قلبه فاخذ يمزق يضربه وينتف شعره ويقطعه بالمقراض وهو مع ذلك يدعي حب ابيه وولاه وكيف يكون حاله عنده ومعلوم ان الدين والشرع كان احب الى ابي بكر وعلي وساير الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين من الاهل والولد بل من نفوسهم والمقتحمون لمعاصي الشرع هم الذين يمزقون الشرع ويقطعونه بمقاريض الشهوات ويتوددون به الى ابليس عدو الله وعدو اوليائه فترى كيف يكون حالهم يوم القيمة عند الصحابة وعند اولياء الله بل لو كشف الغطا وعرف هولا ما يحبه الصحابة في امة رسول الله صلى الله عليه وسلم لاستحيوا من ان يجروا على اللسان ذكرهم مع قبيح افعالهم ثم الشيطان يخيل اليهم ان من مات محبا لابي بكر وعمر رضي الله عنهما فالنار لا تحوم حوله ويخيل الى الآخر ان من مات محبا لعلي لم يكن عليه خوف وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لولده فاطمة رضي الله عنها وهي بضعة منه اعملي فاني لا اغني عنك من الله شيئا وهذا مثال اوردناه من جملة الاهواء وهكذا حكم المتعصبين للشافعي وابي حنيفة ومالك واحمد رضي الله عنهم وغيرهم من الائمة فكل من ادعى مذهب امام وهو ليس يسير بسيرته فذلك الامام هو خصمه يوم القيمة اذ يقول له كان مذهبي العمل دون الحديث باللسان وكان الحديث باللسان لاجل العمل لا لاجل الهذيان فما بالك خالفتني في العمل والسيرة التي هي مسلكي ومذهبي الذي سلكته وذهبت اليه ثم ادعيت مذهبي كاذبا فهذا مدخل عظيم من مداخل الشيطان قد اهلك به اكثر العالم وقد سلمت المنابر لاقوام قل من الله خوفهم وضعف في الدين بصيرتهم وقويت في الدنيا رغبتهم واشتد على الاستتباع حرصهم ولم يتمكنوا من الاستتباع واقامة الجاه الا بالتعصب فحبسوا ذلك في صدورهم ولم ينبهوهم على مكايده

الشيطان فيه بل باب من أبواب الشيطان في تنفيذ مكيدته فاستمر الناس على ذلك ونسوا مهمات دينهم وقد هلكوا وأهلكوا
والله يتوب علينا وعليهم وقال بلغنا أن إبليس قال سولت لأمة محمد المعاصي فقطعوا ظهري بالاستغفار فسولت لهم ذنوبا
لا يستغفرون الله تعالى منها وهي الأهواء وقد صدق الملعون فإنهم لا يعلمون أن ذلك من الأسباب التي تجر إلى المعاصي فكيف
يستغفرون عنها ٥ ومن عظيم حيل الشيطان أن يشغل الإنسان عن نفسه بالاختلافات الواقعة بين الناس في المذاهب
والخصومات قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قعد قوم يذكرون الله فأتاهم الشيطان ليقيمهم عن مجلسهم ويفرق بينهم
فلم يستطع فأتى رفقة أخرى يتحدثون بحديث الدنيا فأفسد بينهم فقاموا يقتتلون وليس إياهم يريد فقام الذين يذكرون الله
فاشتغلوا بهم يفصلون بينهم فتفرقوا عن مجلسهم وذلك مراد الشيطان منهم ٥ ومن أبوابه حمل العوام الذين لم يمارسوا
العلم ولم يتبحروا فيه على التفكر في ذات الله تعالى خيالا تعالى الله عنه فيصير به كافرا أو مبتدعا وهو به فرح مسرور مبتهج بما
وقع في صدره يظن أن ذلك هو المعرفة والبصيرة وأنه انكشف له ذلك بذكائه وزيادة عقله وأشد الناس حماقة أقواهم اعتقادا
في عقل نفسه وأثبت الناس عقلا أشدهم اتهاما لنفسه وظنه وأحرصهم على السؤال من العلماء قالت عائشة رضي الله عنها
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الشيطان يأتي أحدكم فيقول من خلقك فيقول الله تبارك وتعالى فيقول من خلق الله فإذا
وجد أحدكم ذلك في نفسه فليقل آمنت بالله ورسوله فإن ذلك يذهب عنه فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يأمر في علاج
هذا الوسواس بالبحث فإن هذا وسواس يجده عوام الناس دون العلماء وإنما حق العوام أن يؤمنوا ويسلموا ويشتغلوا بعباداتهم
ومعايشهم ويتركوا العلم إلى العلماء فالعامي لو يزني ويسرق كان خيرا له من أن يتكلم في العلم فإنه من تكلم من غير إتقان العلم في الله
تعالى وفي دينه وقع في الكفر من حيث لا يدري كمن يركب لجة البحر وهو لا يعرف السباحة ومكايد الشيطان فيما يتعلق بالعقائد
والمذاهب لا تحصر وإنما قصدنا بما أوردناه المثال ٥ ومن أبوابه سوء الظن بالمسلم ولذلك قال الله تعالى اجتنبوا كثيرا
من الظن إن بعض الظن إثم ومن يحكم بشر على غيره بالظن بعثه الشيطان على أن يطول فيه اللسان بالغيبة فيهلك أو يقصر
في القيام بحقوقه أو يتوانى في إكرامه أو ينظر إليه بعين الاحتقار فيرى نفسه خيرا منه وكل ذلك من المهلكات ولأجل
ذلك منع الشرع من التعرض للتهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا مواضع التهم حتى إن رسول الله احترز من ذلك
روى علي بن الحسين أن صفية بنت حيي أخبرته أن النبي صلى الله عليه وسلم كان معتكفا قالت فأتيته فتحدثت عنده فلما
أمسيت انصرفت فقام يمشي معي فمر به رجلان من الأنصار فسلما ثم مضيا فدعاهما فقال إنها صفية بنت حيي فقالا يا
رسول الله لا نظن بك إلا خيرا فقال إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم وإني خشيت أن يدخل عليكما فانظر كيف أشفق
على دينهما فحرسهما وكيف أشفق على أمته فعلمهم طريق الاحتراز من التهمة حتى لا يتساهل العالم الورع المعروف بالدين
في أحواله فيقول مثلي لا يظن به إلا الخير إعجابا منه بنفسه فإن أورع الناس وأتقاهم وأعلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولا ينظر الناس كلهم إليه بعين واحدة بل بعين الرضا بعضهم وبعين السخط بعضهم بالناس وعين الرضى عن كل عيب كليلة
ولكن عين السخط تبدي المساويا ٥ فيجب الاحتراز عن ظن السوء وعن تهمة الأشرار فإن الأشرار لا يظنون بالناس
كلهم إلا الشر فمهما رأيت إنسانا يسيء الظن بالناس طالبا للعيوب فاعلم أنه خبيث في الباطن وأن ذلك خبثه يترشح
منه وإنما يرى غيره من حيث هو فإن المؤمن يطلب المعاذير والمنافق يطلب العيوب والمؤمن سليم الصدر في حق كافة
الخلق فهذه بعض مداخل الشيطان إلى القلب ولو أردنا استقصاء جميعها لم نقدر عليه وفي هذا القدر ما ينبه على غيره فليس

فليس في الآدمي صفة مذمومة إلا وهي سلاح للشيطان ومدخل من مداخله فإن قلت فما علاج الشيطان وهل يكفي
في ذلك ذكر الله وقول الإنسان لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فاعلم أن علاج القلب في ذلك سد هذه
المداخل بتطهير القلب من هذه الصفات المذمومة وذلك يطول ذكرها وغرضنا في هذا الربع من الكتاب بيان علاج الصفات
المهلكات ويحتاج كل صفة إلى كتاب منفرد على ما سيأتي شرحه إن شاء الله تعالى نعم إذا قطعت من القلب أصول هذه الصفات
كان للشيطان بالقلب اجتيازات وخطرات ولم يكن له استقرار ويمنعه من الاجتياز ذكر الله تعالى لأن حقيقة الذكر لا تتمكن
من القلب إلا بعد عمارة القلب بالتقوى وتطهيره من الصفات المذمومة وإلا فيكون الذكر حديث نفس لا سلطان له على القلب
فلا يدفع سلطان الشيطان ولذلك قال تعالى إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا خصص ذلك بالمتقين
فمثال الشيطان مثال كلب جائع يقرب منك فإن لم يكن بين يديك لحم أو خبز فإنه ينزجر بأن تقول له اخسأ فمجرد الصوت
يدفعه وإن كان بين يديك شيء من ذلك وهو جائع فإنه يهجم عليه ولا يندفع بمجرد الكلام فالقلب الخالي عن قوت الشيطان
ينزجر عنه بمجرد الذكر فأما الشهوة إذا غلبت على القلب دفعت حقيقة الذكر إلى حواشي القلب فلم يتمكن من سويدائه
فيستقر الشيطان في سويداء القلب وأما قلوب المتقين الخالية عن الهوى والصفات المذمومة فإنه يطرقها
الشيطان لا للشهوات بل لخلوها بالغفلة عن الذكر فإذا عاد إلى الذكر خنس الشيطان ودليل ذلك قوله تعالى فاستعذ بالله
وسائر الأخبار الواردة والآيات في الذكر وقال أبو هريرة التقى شيطان المؤمن وشيطان الكافر فإذا شيطان الكافر سمين
دهين كاس وإذا شيطان المؤمن مهزول أشعث أغبر عار فقال شيطان الكافر لشيطان المؤمن سمى الله تعالى ما لك مهزول
فأظل عطشانا وإذا قال أنا مع رجل إذا أكل سمى الله تعالى فأظل جائعا وإذا شرب سمى الله تعالى فأظل عطشانا فإذا ادهن
وإذا سمى الله تعالى فأظل شعثا وإذا لبس سمى الله فأظل عريانا فقال شيطان الكافر لكني مع رجل لا يفعل شيئا مما ذكرت فأنا
أشاركه في طعامه وشرابه ولباسه وكان محمد بن واسع يقول كل يوم بعد صلاة الصبح اللهم إنك سلطت علينا عدوا
بصيرا بعيوبنا يرانا هو وقبيله من حيث لا نراهم اللهم فآيسه منا كما آيسته من رحمتك وقنطه منا كما قنطته من عفوك
وباعد بيننا وبينه كما باعدت بينه وبين جنتك إنك على كل شيء قدير فتمثل له إبليس يوما في طريق المسجد فقال يا ابن واسع
هل تعرفني قال ومن أنت قال أنا اللعين قال له وما تريد قال أريد أن لا تعلم أحدا هذه الاستعاذة قلت والله لا أمنعها
ممن أرادها فاصنع الآن ما شئت وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال كان شيطان يأتي النبي صلى الله عليه وسلم بيده شعلة
من نار فيقوم بين يديه وهو يصلي فيقرأ ويتعوذ فلا يذهب فأتاه جبريل فقال قل أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن
بر ولا فاجر من شر ما ذرأ في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها ومن فتن الليل والنهار ومن طوارق الليل إلا
طارقا يطرق بخير يا رحمن فقال ذلك فطفئت شعلته وخر على وجهه وقال الحسن نبئت أن جبريل أتى النبي صلى الله عليه و
سلم فقال إن عفريتا من الجن يكيدك فإذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي ثم قال صلى الله عليه وسلم لقد أتاني شيطان فنازعني
ثم نازعني فأخذت بحلقه فوالذي بعثني بالحق ما أرسلته حتى وجدت برد لسانه على يدي ولولا دعوة سليمان لأصبح طريحا وقال
صلى الله عليه وسلم ما سلك عمر فجا إلا سلك الشيطان فجا غير فجه وهذا لأن هذه كانت مطهرة عن مرعى الشيطان وقوته وهي الشهوات
فمهما طمعت في أن يندفع الشيطان عنك بمجرد الذكر كما اندفع عن عمر كان محالا وكنت كمن يطمع في أن يشرب دواء بغير احتماء
والمعدة مشحونة بغليظ الأطعمة ويطمع في أن ينفعه الدواء كما نفع الذي شربه بعد الاحتماء وتخلية المعدة فالذكر دواء والتقوى

احتماء وهو تخلي القلب عن الشهوات فاذا نزل الذكر قلبا فارغا من غير الذكر اندفع الشيطان كما يندفع العلة بنزول
الدواء في معدة خالية عن الاطعمة قال الله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب وقال تعالى كتب عليه انه من تولاه
فانه يضله ويهديه الى عذاب السعير ومن ساعد الشيطان بعمله فقد تولاه وان ذكر الله تعالى بلسانه وان كنت تقول الحديث
قد ورد مطلقا بان الذكر يطرد الشيطان ولم تفهم ان اكثر عمومات الشرع مخصوصة بشروط نقلها علماء الدين فانظر الى
نفسك فليس الخبر كالمعاينة وتأمل ان منتهى ذكرك وعبادتك صلواتك فراقب قلبك اذا كنت في صلواتك كيف يجاذبه
الشيطان الى الاسواق وحساب العاملين وجواب المعاندين وكيف يمر بك في اودية الدنيا ومهالكها حتى انك لا تذكر
ما نسيته من فضول الدنيا الا في صلواتك فلا يزدحم الشيطان على قلبك الا اذا صليت والصلوة محك القلوب فيها يظهر
مساويها ومحاسنها فالصلوة لا تقبل من القلوب المشحونة بشهوات الدنيا فلا جرم لا ينطرد عنك الشيطان بل ربما يزيد عليك
الوسواس كما ان الدواء قبل الاحتماء ربما يزيد عليك الضرر فان شئت الخلاص من الشيطان فقدم الاحتماء بالتقوى ثم اردفه
بدوام الذكر وقد فر الشيطان منك كما كان يفر من عمر رضي الله عنه ولذلك قال وهب بن منبه اتق الله ولا تسب الشيطان
في العلانية وانت صديقه في السر اي انت مطيع له وقال بعضهم يا عجبا لمن يعصي المحسن بعد معرفته باحسانه ويطيع اللعين
بعد معرفته بطغيانه وكما ان الله تعالى قال ادعوني استجب لكم وانت تدعوه ولا يستجيب لك فكذلك تذكر الله ولا يهرب
الشيطان منك لفقد شروط الذكر والدعاء قيل لابرهيم بن ادهم ما لنا ندعو ولا يستجاب لنا وقال الله تعالى ادعوني استجب لكم
قال لان قلوبكم ميتة قيل وما الذي اماتها قال ثمان خصال عرفتم حق الله تعالى فلم تقوموا بحقه وقرأتم القرآن فلم تعملوا
بحدوده وقلتم نحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركتم سنته وقلتم نخشى الموت فلم تستعدوا له وقال تعالى ان الشيطان
لكم عدو فاتخذوه عدوا فواطأتموه على المعاصي وقلتم نخاف النار وارهقتم ابدانكم فيها وقلتم نحب الجنة ولم تعملوا لها
واذا قمتم من فرشكم رميتم عيوبكم وراء ظهوركم وقدمتم عيوب الناس امامكم فاسخطتم ربكم فكيف يستجيب لكم فان قلت
فالداعي الى المعاصي المختلفة شيطان واحد او شياطين مختلفون فاعلم انه لا حاجة لك الى معرفة ذلك في المعاملة
فاشتغل بدفع العدو ولا تسأل عن صفته كل البقل ولا تسأل عن المبقلة لكن الذي يتضح بنور الاستبصار وشواهد الاخبار
انهم جنود مجندة وان لكل نوع من المعاصي شيطانا يخصه ويدعو اليه فاما طريق الاستبصار فذكره يطول ويكفيك القدر
الذي ذكرناه في نور النار وسواد الدخان واما الاخبار فقد قال مجاهد لابليس خمسة من الاولاد قد جعل كل واحد
منهم على شيء من امره وذكر ثبر ولعور ومسوط وداسم وزلنبور فاما ثبر فهو صاحب المصائب الذي يأمر بالثبور
وشق الجيوب ولطم الخدود ودعوى الجاهلية واما الاعور فهو صاحب الزنا يأمر به ويزينه واما مسوط فهو صاحب
الكذب واما داسم فيدخل مع الرجل الى اهله يريه العيب فيهم ويغضبه عليهم واما زلنبور فهو صاحب السوق فبسببه لا
يزالون متظالمين وشيطان الصلوة يسمى خنزب وشيطان الوضوء يسمى الولهان وقد ورد ذلك في اخبار كثيرة وكما ان
في الشياطين كثرة فكذلك في الملائكة كثرة وقد ذكرنا في كتاب الشكر السر في كثرة الملائكة واختصاص كل واحد منهم
بعمل يتفرد به وقد قال ابو امامة الباهلي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل بالمؤمن مائة وستون ملكا يذبون
عنه ما لم يقدر عليه من ذلك البصر عليه سبعة املاك يذبون عنها كما يذبون عن قصعة العسل الذباب في اليوم الصائف وما لو بدا
لكم لرأيتموه على كل سهل وجبل كلهم باسط يده فاغرفاه وما لو وكل العبد الى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين

الشياطين وقال ايوب بن يزيد بلغنا انه يولد مع ابناء الجن ابناء الانس ثم ينشؤن معهم وقال جابر بن عبد الله ان آدم عليه
السلام لما اهبط قال يا رب هذا العبد الذي جعلت بيني وبينه عداوة ان لا تعني عليه لا اقوى عليه قال لا يولد لك
ولد الا وكل به ملك قال رب زدني قال اجزي بالسيئة سيئة وبالحسنة عشرا الى ما اريد قال رب زدني قال باب التوبة مفتوح
ما دام في الجسد الروح وقال ابليس يا رب هذا العبد الذي كرمته علي ان لا تعني عليه لا اقوى عليه قال لا يولد له ولد الا ولد لك
ولد قال رب زدني قال تجري منهم مجرى الدم وتتخذون صدورهم بيوتا قال رب زدني قال اجلب عليهم بخيلك ورجلك
الى قوله الا غرورا وعن ابي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلق الله الجن ثلاثة اصناف صنف حيات
وعقارب وخشاش الارض وصنف كالريح في الهواء وصنف عليهم الحساب والعقاب وخلق الله الانس ثلاثة اصناف صنف
كالبهائم قال الله تعالى لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها الآية وصنف اجسادهم اجساد بني آدم و
ارواحهم ارواح الشياطين وصنف في ظل الله يوم لا ظل الا ظله وقال وهيب بن الورد بلغنا ان ابليس تمثل ليحيى بن زكريا صلى
الله عليه وسلم وقال له انصحك فقال لا اريد ذلك ولكن اخبرني عن بني آدم قال هم عندنا ثلاثة اصناف اما صنف منهم
فهم اشد الاصناف علينا نقبل عليه حتى نفتنه فنتمكن منه ثم يفزع الى الاستغفار والتوبة فيفسد علينا كل شيء ادركناه
ثم نعود اليه فيعود فلا نحن نيأس منه ولا نحن ندرك منه حاجتنا فنحن منه في عناء واما الصنف الآخر فهم في ايدينا بمنزلة الكرة في ايدي صبيانكم نتلقفهم كيف شئنا فقد كفونا انفسهم
فان قلت فكيف يتمثل الشيطان لبعض الناس دون البعض واذا رأى صورته فهل هو صورته الحقيقية او مثال يتمثل به وان كان
على صورته الحقيقية فكيف يرى بصور مختلفة وكيف يرى في وقت واحد في مكانين وعلى صورتين حتى يراه شخصان بصورتين
مختلفين فاعلم ان الملك والشيطان لهما صورتان هي حقيقة صورتهما ولا تدرك حقيقة صورتهما الا بانوار النبوة فما
رأى النبي جبريل عليهما السلام في صورته الا مرتين وذلك انه عليه السلام ساله ان يريه نفسه على صورته فواعده ذلك بحراء فطلع
جبريل عليه السلام فسد الافق من المشرق الى المغرب ورآه مرة اخرى على صورته ليلة المعراج عند سدرة المنتهى وانما كان يراه في
صورة الآدمي غالبا فكان يراه في صورة دحية الكلبي وكان رجلا حسن الوجه والاكثر انه يكاشف اهل المكاشفة من
ارباب القلوب بمثال صورته فيتمثل الشيطان في اليقظة فيراه بعينه ويسمع كلامه فيقوم ذلك مقام حقيقة صورته كما
ينكشف في المنام لاكثر الصالحين وانما المكاشف في اليقظة هو الذي انتهى الى رتبة لا يمنعه اشتغال الحواس بالدنيا عن
المكاشفة التي تكون في النوم فيرى في اليقظة ما يراه غيره في النوم كما روي عن عمر بن عبد العزيز ان رجلا سأل ربه ان يريه
موضع الشيطان من قلب ابن آدم فرأى في النوم جسد رجل يشبه البلور يرى داخله من خارجه ورأى الشيطان في صورة ضفدع
قاعد على منكبه الايسر بين منكبه واذنه له خرطوم طويل دقيق قد ادخله من منكبه الايسر الى قلبه يوسوس اليه فاذا
ذكر الله تعالى خنس ومثل هذا قد يشاهد بعينه في اليقظة وقد رآه بعض المكاشفين في صورة كلب جاثم على جيفة يدعو
الناس اليها وكانت الجيفة مثال الدنيا وهذا يجري مجرى صورته الحقيقية فان القلب لا بد وان يظهر فيه حقيقته من
الوجه الذي يقابل عالم الملكوت وعند ذلك يظهر اثره على وجهه الذي يقابل عالم الملك والشهادة لان احدهما
متصل بالآخر وقد بينا ان القلب له وجهان وجه الى عالم الغيب وهو مدخل الالهام والوحي ووجه الى عالم الشهادة
فالذي يظهر منه في الوجه الذي يلي جانب عالم الشهادة بالحس يجوز ان لا يكون الصورة على وفق المعنى حتى يرى شخص جميل الصورة

وهو خبيث الباطن قبيح السر لان عالم الشهادة عالم كثير التلبيس اما الصورة التي تحصل في الخيال من اشراق عالم الملكوت
على باطن سر القلب فلا يكون الا محاكية للصفة وموافقة لها لان الصورة في عالم الملكوت تابعة للصفة وموافقة لها
لان الصورة في عالم الملكوت تابعة للصفة فلاجرم لا يرى المعنى القبيح الا بصورة قبيحة فيرى الشيطان في صورة كلب و
ضفدع وخنزير وغيرها ويرى الملك في صورة جميلة فيكون تلك الصور عنوان المعاني ومحاكية لها بالصدق ولذلك
يدل القرد والخنزير في النوم على انسان خبيث وتدل الشاة على انسان سليم الصدر وهكذا جميع ابواب الرؤيا والتعبير وهذا
له اسرار عجيبة وهي من عجائب علوم القلب ولا يليق ذكرها بعلم المعاملة وانما المقصود ان تصدق بان الشيطان ينكشف
لارباب القلوب وكذلك الملك تارة بطريق التمثل والمحاكاة كما في النوم وتارة بطريق الحقيقة والاكثر هو التمثل بصورة محاكية
للمعنى هي مثال المعنى لا عين المعنى الا انه يشاهد مشاهدة محققة وينفرد بمشاهدتها المكاشف دون من حوله كالنائم بيان
ما يؤاخذ العبد به من وساوس القلوب وهمها وخواطرها وقصودها وما يعفى عنه ولا يؤاخذ به اعلم ان هذا امر غامض
وقد وردت فيه اخبار وآيات متعارضة يلتبس طريق الجمع بينها الا على سماسرة العلماء فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال عفي عن امتي ما حدثت به نفوسهم وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الحفظة اذا هم
عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه فان عملها فاكتبوها سيئة واذا هم بحسنة لم يعملها فاكتبوها حسنة فان عملها فاكتبوها
عشرا وقد اخرجه مسلم والبخاري في الصحيحين وهو دليل على العفو عن عمل القلب وهمه بالسيئة وفي لفظ آخر من هم
بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له الى سبعمائة ضعف ومن هم بسيئة ولم يعملها
لم يكتب عليه وان عملها كتبت وفي لفظ آخر واذا تحدث بان يعمل سيئة فانا اغفرها له ما لم يعملها وكل ذلك يدل على العفو
فاما ما يدل على المؤاخذة فقوله سبحانه ان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله وقال تعالى ولا تقف ما ليس لك به
علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولا فدل على ان عمل الفؤاد كعمل السمع والبصر فلا يعفى عنه وقال تعالى
ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه وقال تعالى لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم
والحق في هذه المسألة عندنا لا يوقف عليه ما لم يقع الاحاطة بتفصيل اعمال القلوب من مبدأ ظهورها الى ان يظهر العمل على
الجوارح فنقول اول ما يرد على القلب الخاطر كما لو خطر له مثلا صورة امرأة وانها وراءه في الطريق ولو التفت اليها لرآها
والثاني هيجان الرغبة الى النظر وهو حركة الشهوة التي في الطبع وهذا يتولد من الخاطر الاول ونسميه ميل الطبع ويسمى
الاول حديث النفس والثالث حكم القلب بان هذا ينبغي ان يفعل اي ينبغي ان ينظر اليها فان الطبع اذا مال لم تنبعث الهمة
والنية ما لم تندفع الصوارف فانه قد يمنعه حياء او خوف من الالتفات وعدم هذه الصوارف ربما يكون بتأمل وهو على
كل حال حكم من جهة العقل ويسمى هذا اعتقادا وهو يتبع الخاطر والميل والرابع تصميم العزم على الالتفات وجزم النية
فيه وهذا نسميه هما بالفعل ونية وقصدا وهذه الهمة قد يكون لها مبدأ ضعيف ولكن اذا اصغى القلب الى الخاطر الاول
حتى طالت مجاذبته للنفس تأكدت هذه الهمة وصارت ارادة مجزومة فاذا انجزمت الارادة فربما يندم بعد الجزم فيترك
العمل وربما يغفل بعارض فلا يعمل بها ولا يلتفت اليه وربما يعوقه عائق فيتعذر عليه العمل فههنا اربعة احوال للقلب قبل
العمل بالجارحة الخاطر وهو حديث النفس ثم الميل ثم الاعتقاد ثم الهم فنقول اما الخاطر فلا يؤاخذ به لانه لا يدخل
تحت الاختيار وكذلك الميل وهيجان الشهوة لانهما لا يدخلان ايضا تحت الاختيار وكذلك هما المرادان بقوله عليه الصلوة

والسلام عفي عن امتي ما حدثت به انفسها فحديث النفس عبارة عن الخواطر التي تهجس في النفس ولا يتبعها عزم
على الفعل واما العزم والهم فلا يسميان حديث نفس بل حديث النفس كما روي عن عثمان بن مظعون حيث قال يا رسول الله
نفسي تحدثني ان اطلق خولة قال مهلا فان من سنتي النكاح قال نفسي تحدثني ان اجب نفسي قال مهلا اخصاء امتي دؤوب الصيام
قال نفسي تحدثني ان اترهب قال مهلا ان رهبانية امتي الجهاد والحج قال نفسي تحدثني ان اترك اللحم قال مهلا فاني احبه ولو
اصبته لاكلته ولو سألت الله تعالى لاطعمنيه فهذه الخواطر التي ليس معها عزم على الفعل هي حديث النفس ولذلك شاور رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذ لم يكن معه عزم على الفعل وهم به واما الثالث وهو الاعتقاد وحكم القلب بانه ينبغي ان يفعل
فهذا مردد بين ان يكون اضطرارا او اختيارا والاحوال تختلف فيه فالاختياري يؤاخذ به والاضطراري لا يؤاخذ به واما
الرابع وهو الهم بالفعل فانه يؤاخذ به الا انه ان لم يفعل فان تركه خوفا من الله تعالى وندم على همه كتبت له حسنة
لان همه سيئة وامتناعه ومجاهدته نفسه حسنة والهم على وفق الطبع يحتاج الى قوة عظيمة فجده في مخالفة الطبع وهو العمل
لله اشد من جده في موافقة الشيطان بموافقة الطبع فكتبت له حسنة لانه رجح جهده في الامتناع وهمه به على همه بالفعل
وان تعوق الفعل بعائق او تركه لعذر لا خوفا من الله تعالى كتبت له سيئة فان همه فعل من القلب اختياري والدليل على هذا
التفصيل ما ورد في الصحيح مفصلا في لفظ الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت الملائكة رب ذاك
عبدك يريد ان يعمل سيئة وهو ابصر به فقال ارقبوه فان عملها فاكتبوها له بمثلها وان تركها فاكتبوها له حسنة انما تركها
من جرائي وحيث قال لم يعملها اراد به تركها لله تعالى فاما اذا عزم على فاحشة وتعذرت عليه بسبب او غفلة فكيف تكتب
له حسنة وقد قال صلى الله عليه وسلم انما يحشر الناس على نياتهم ونحن نعلم ان من عزم ليلا على ان يصبح ويقتل مسلما او يزني
بامرأة فمات تلك الليلة مات مصرا ويحشر على نيته وقد هم بسيئة ولم يعملها والدليل القاطع فيه ما روي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار فقيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول
قال لانه اراد قتل صاحبه وهذا نص في انه صار من اهل النار بمجرد الارادة مع انه قتل مظلوما فكيف يظن ان الله تعالى
لا يؤاخذ بالنية والهم بل كل ما دخل تحت اختيار العبد فهو مأخوذ به الا ان يكفره بحسنة ونقض العزم بالندم حسنة فلذلك
كتبت له حسنة ولما فوات المراد بعائق فليس بحسنة واما الخواطر وحديث النفس وهيجان الرغبة فكل ذلك لا يدخل تحت
الاختيار فالمؤاخذة به تكليف بما لا يطاق ولذلك لما نزل قوله تعالى وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله جاء
ناس من الصحابة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا كلفنا ما لا نطيق ان احدنا ليحدث نفسه بما لا يحب ان يثبت
في قلبه ثم يحاسب بذلك فقال صلى الله عليه وسلم لعلكم تقولون كما قالت اليهود سمعنا وعصينا قولوا سمعنا واطعنا
فانزل الله تعالى الفرج بقوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها وظهر به ان كل ما لا يدخل تحت الوسع من اعمال القلب هو الذي
لا يؤاخذ به فهذا هو كشف الغطاء عن هذا الالتباس وكل من يظن ان كل ما يجري على القلب يسمى حديث النفس ولم يفرق
بين هذه الاقسام فلا بد وان يغلط وكيف لا يؤاخذ باعمال القلب والكبر والعجب والرياء والنفاق والحسد وجملة الخبائث
من اعمال القلوب بل السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولا اي ما يدخل تحت الاختيار فلو وقع البصر بغير
اختيار على غير محرم لم يؤاخذ به فان اتبعها نظرة ثانية كان مؤاخذا بها لانه مختار وكذا خواطر القلب تجري هذا المجرى
بل القلب اولى بمؤاخذته لانه الاصل قال صلى الله عليه وسلم التقوى ههنا واشار الى القلب وقال تعالى لن ينال الله

لا يدل على عدم المؤاخذة على الهم
والامتناع بالمجاهدة على خلاف الطبع

لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم وقال عليه الصلاة والسلام الاثم حواز القلوب وقال البر ما اطمأن اليه القلب وان افتوك وافتوك حتى انا نقول اذا حكم قلب المفتي بايجاب شيء وكان مخطئا فيه صار مثابا على فعله بل من ظن انه متطهر فعليه ان يصلي فان صلى ثم تذكر انه لم يتوضأ كان له ثواب بفعله وان تذكر ثم تركه كان معاقبا ومن وجد على فراشه امرأة فظن انها زوجته فوطئها لم يعص بوطئها وان كانت اجنبية وان ظن انها اجنبية فوطئها عصي بوطئها وان كانت زوجته كل ذلك نظرا الى القلب دون الجوارح

بيان

ان الوسواس هل يتصور ان ينقطع بالكلية عند الذكر ام لا اعلم ان العلماء المراقبين للقلوب الناظرين في صفاتها وعجائبها اختلفوا في هذه المسألة على خمس فرق فقالت فرقة ان الوسوسة ينقطع بذكر الله لانه صلى الله عليه وسلم قال فاذا ذكر الله خنس والخنوس هو السكوت فكأنه يسكت وقالت فرقة لا ينعدم اصله ولكن يجري في القلب ولا يكون له اثر لان القلب اذا صار مستوعبا بالذكر صار محجوبا عن التأثر بالوسوسة كالمشغول بهمه فانه قد يكلم ولا يفهم وان كان الصوت يمر على سمعه وقالت فرقة لا يسقط الوسوسة ولا اثرها ايضا ولكن يسقط غلبتها للقلب فكأنه يوسوس من بعد وعلى ضعف وقالت فرقة ينعدم عند الذكر في لحظة وينعدم الذكر بها في لحظة ويتعاقبان في ازمنة متقاربة يظن لتقاربها انها متساوقة وهي كالكرة التي عليها نقط متفرقة فانها اذا ادبرت بسرعة رأيت النقط دوائر لسرعة تواصلها بالحركة واستدل هؤلاء بان الخنس قد ورد ونحن نشاهد الوسوسة مع الذكر ولا وجه له الا هذا وقالت فرقة ان الوسوسة والذكر يتساوقان في القلب على الدوام لا ينقطع وكما ان الانسان قد يرى شيئين في حالة واحدة بعينه فكذلك القلب قد يكون مجرى لشيئين وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من عبد الا وله اربعة اعين عينان في رأسه يبصر بهما امر دنياه وعينان في قلبه يبصر بهما امر دينه والى هذا ذهب المحاسبي والصحيح عندنا في هذا ان كل هذه المذاهب صحيحة ولكن كلها قاصرة عن الاحاطة باصناف الوساوس وانما نظر كل واحد الى صنف واحد من الوساوس واخبر عنه والوساوس اصناف الاول ان يكون من جهة التلبيس بالحق فان الشيطان قد يلبس بالحق فيقول للانسان لا تترك التنعم باللذات فان العمر طويل والصبر عن الشهوات طول العمر الم عظيم فعند هذا اذا ذكر العبد عظيم حق الله تعالى وعظيم ثوابه وعقابه وقال لنفسه الصبر عن الشهوات شديد ولكن الصبر على النار اشد منه ولا بد من احدهما فاذا ذكر العبد وعد الله ووعيده وجدد ايمانه ويقينه خنس الشيطان وهرب اذ لا يستطيع ان يقول له ليس النار اشد من الصبر عن المعاصي ولا يمكنه ان يقول له المعصية لا تفضي الى النار فان ايمانه بكتاب الله يدفعه عن ذلك فينقطع وسواسه وكذلك يوسوس اليه بالعجب في عمله ويقول اي عبد يعرف الله كما تعرفه ويعبده كما تعبده فما اعظم مكانك من الله تعالى فيتذكر العبد حينئذ ان معرفته وقلبه واعضاءه التي بها عمله وعلمه كل ذلك من خلق الله تعالى فمن اين يعجب به فيخنس الشيطان اذ لا يمكنه ان يقول ليس هذا من الله لان المعرفة والايمان يدفعه فهذا نوع من الوسواس ينقطع بالكلية عن العارفين المستبصرين بنور المعرفة والايمان الثاني ان يكون وسواسه بتحريك الشهوة وتهييجها وهذا ينقسم الى ما يعلم العبد يقينا انه معصية والى ما يظنه بغالب الظن فان علمه يقينا خنس الشيطان عن تهييج يؤثر في التحريك ولم يخنس عن التهييج وان كان مظنونا فربما يبقى مؤثرا بحيث يحتاج الى مجاهدة في دفعه فيكون الوسوسة موجودة ولكنها مدفوعة غير غالبة والصنف الثالث ان يكون وسوسته بمجرد الخواطر وتذكر الاحوال الغائبة والتفكر في غير امر الصلاة مثلا فاذا اقبل على الذكر تصور ان يندفع ساعة ويعود ويندفع فيتعاقب الذكر والوسوسة ويتصور ان تتساوقا جميعا حتى يكون الفهم

الفهم مشتملا على فهم معنى القراءة وعلى تلك الخواطر كأنهما في موضعين من القلب وبعيد جدا ان يندفع هذا الجنس بالكلية بحيث لا يخطر ولكنه ليس محالا اذ قال صلى الله عليه وسلم من صلى ركعتين لم يحدث نفسه بشيء من حديث الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه فلولا انه متصور لما ذكره الا انه لا يتصور ذلك الا في قلب استولى عليه الحب حتى صار كالمستهتر فانا قد نرى المستوعب القلب بعدو تأذى به قد يتفكر بمقدار ركعتين وركعات في مجادلة عدوه بحيث لا يخطر بباله غيره وكذا المستغرق بالحب قد يتفكر في محادثة محبوبه بقلبه ويغوص في فكره بحيث لا يخطر بباله غير حديث محبوبه ولو كلمه غيره لم يسمع ولو اجتاز واحد بين يديه كان كأنه لا يراه واذا تصور هذا في خوف عدو وعند الحرص على جاه ومال فكيف لا يتصور من خوف النار والحرص على الجنة ولكن ذلك عزيز لضعف الايمان بالله واليوم الآخر فاذا تأملت جملة هذه الاقسام واصناف هذه الوساوس علمت ان لكل مذهب من المذاهب وجها ولكن في محل مخصوص وبالجملة فالخلاص عن الشيطان في لحظة او ساعة غير بعيد ولكن الخلاص عنه عمرا طويلا بعيد جدا ومحال في الوجود ولو تخلص احد من وساوس الشيطان بالخواطر وهيج الرغبة لتخلص رسول الله وقد روي انه صلى الله عليه وسلم نظر الى علم ثوبه في الصلاة فلما سلم رمى بذلك الثوب وقال شغلني عن الصلاة وكان في يده خاتم من ذهب فنظر اليه على المنبر فرماه وقال نظرة اليه ونظرة اليكم وكان ذلك لوسوسة الشيطان بتحريك لذة النظر الى خاتم الذهب وطراز الثوب وكان ذلك قبل تحريم الذهب فلذلك لبسه ثم رماه ولا ينقطع وسوسة عرض الدنيا ونقدها الا بالرمي والمفارقة فما دام يملك شيئا وراء حاجته ولو دينارا واحدا فلا يخليه الشيطان في صلاته عن الفكر في ديناره كيف يحفظه وفيما ينفقه وكيف يخفيه حتى لا يعلم او كيف يظهره حتى يتباهى به الى غير ذلك من الوساوس فمن انشب مخالبه في الدنيا وطمع ان يتخلص من الشيطان كان كمن انغمس في العسل وظن ان الذباب لا يقع عليه وهو محال فالدنيا باب عظيم لوساوس الشيطان وليس له باب واحد بل ابواب قال حكيم من الحكماء الشيطان يأتي ابن آدم من قبل المعاصي فان ابى اتاه من وجه النصيحة حتى يلقيه في بدعة فان ابى امره بالتحرج والشدة حتى يحرم ما ليس بحرام فان ابى شككه في وضوئه وصلاته حتى يخرجه عن العلم فان ابى خفف عليه اعمال البر حتى يراه الناس صابرا عفيفا فيميل قلوبهم اليه فيعجب بنفسه وبه يهلكه وعنده يشتد الحاجة فانه آخر درجة ويعلم انه لو جاوزه افلت منه الى الجنة

بيان

سرعة تقلب القلب وانقسام القلوب في التغير والثبات اعلم ان القلب كما ذكرناه تكتنفه الصفات التي ذكرناها وتنصب اليه الآثار والاحوال من الابواب التي وصفناها فكأنه هدف مصاب على الدوام من كل جانب فاذا اصابه شيء يتأثر به اصابه من جانب آخر ما يضاده فتتغير صفته فان نزل الشيطان به فدعاه الى الهوى نزل به الملك وصرفه عنه وان جذبه شيطان الى شر جذبه شيطان آخر الى غيره وان جذبه ملك الى خير جذبه ملك آخر الى غيره فتارة يكون متنازعا بين ملكين وتارة بين شيطانين وتارة بين ملك وشيطان لا يكون قط مهملا واليه الاشارة بقوله تعالى ونقلب افئدتهم وابصارهم ولاطلاع رسول الله صلى الله عليه وسلم على عظيم صنع الله في عجائب القلب وتقلبه كان يحلف به ويقول لا ومقلب القلوب وكان كثيرا ما يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك قالوا او تخاف يا رسول الله قال وما يؤمنني والقلب بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء وفي لفظ آخر ان شاء ان يقيمه اقامه وان شاء ان يزيغه ازاغه وضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة امثلة فقال مثل القلب مثل العصفور يتقلب في كل ساعة وقال مثل القلب في تقلبه كالقدر اذا استجمعت غليا وقال مثل القلب كمثل ريشة في فلاة تقلبها الرياح ظهرا لبطن وهذه التقلبات وعجائب صنع الله تعالى في تقلبها من حيث لا يهتدي اليه فلا يعرفه الا المراقبون لقلوبهم والمراعون لاحوالهم مع الله تعالى والقلوب في الثبات على الخير والشر والتردد بينهما ثلثة

قلب عمر بالتقوى وزكى بالرياضة وطهر عن خبائث الاخلاق تنقدح فيه خواطر الخير من خزائن الغيب ومداخل
الملكوت فينصرف العقل الى التفكر فيما خطر له ليعرف دقائق الخير فيه ويطلع على اسرار فوائده فينكشف له بنور البصيرة
وجهه فيحكم بانه لا بد من فعله فيستحثه عليه ويدعوه الى العمل به فينظر الملك الى القلب فيجده طيبا في جوهره طاهرا
بتقواه مستنيرا بضياء العقل معمورا بانوار المعرفة فيراه صالحا لان يكون مستقرا له ومهبطا فعند ذلك يمده
بجنود لا ترى ويهديه الى خيرات اخرى حتى ينجر الخير الى الخير وكذلك على الدوام ولا يتناهى امداده بالترغيب في الخير
وتيسير الامر عليه واليه الاشارة بقوله تعالى فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وفي مثل هذا
القلب يشرق نور المصباح من مشكاة الربوبية حتى لا يخفى فيه الشرك الخفي الذي هو اخفى من دبيب النملة السوداء
في الليلة الظلماء ولا يخفى على هذا النور خافية ولا يروج عليه شيء من مكايد الشيطان بل يقف الشيطان ويوحي زخرف
القول غرورا ولا يلتفت اليه وهذا القلب بعد طهارته من المهلكات يصير على القرب معمورا بالمنجيات
التي سنذكرها من الصبر والشكر والخوف والرجاء والفقر والزهد والمحبة والرضا والشوق والتوكل والتفكر والمحاسبة
وغير ذلك وهو القلب الذي اقبل الله تعالى عليه بوجهه وهو القلب المطمئن المراد بقوله تع الا بذكر الله تطمئن القلوب
والمراد بقوله تعالى يا ايتها النفس المطمئنة القلب الثاني القلب المخذول المشحون بالهوى المدنس بالخبائث الملوث بالاخلاق
الذميمة المفتوح فيه ابواب الشياطين المسدودة عنه ابواب الملائكة ومبدأ الشر فيه ان ينقدح فيه خاطر من الهوى ويهجس
فيه فينظر القلب الى حاكم العقل ليستفتي منه ويستكشف وجه الصواب فيه فيكون العقل قد الف خدمة الهوى وانس به واستمر
على استنباط الحيل له وعلى مساعدة الهوى ومساعدته فتستولي النفس وتساعد عليه فينشرح الصدر بالهوى وتنبسط فيه
ظلماته لانحباس جند العقل عن مدافعته فيقوى سلطان الشيطان لاتساع مكانه بسبب انتشار الهوى فيقبل عليه فيقوى سلطان
بالتزيين والغرور والاماني ويوحي بذلك زخرفا من القول غرورا فيضعف سلطان الايمان بالوعد والوعيد ويخمد نور اليقين
لخوف الاخرة اذ يتصاعد من الهوى دخان مظلم الى القلب يملأ جوانبه حتى ينطفئ انواره فيصير العقل كالعين التي ملأ الدخان
اجفانها فلا يقدر على ان ينظر وهكذا يفعل غلبة الشهوة بالقلب حتى لا يبقى للقلب امكان للتوقف والاستبصار ولو بصره
واعظ واسمعه ما هو الحق فيه عمي عن الفهم وصم عن السمع وهاجت الشهوة وسطا الشيطان وتحركت الجوارح على وفق
الهوى فظهرت المعصية الى عالم الشهادة من خزائن الغيب بقضاء من الله تعالى وقدره والى مثل هذا القلب الاشارة بقوله تعالى
ارايت من اتخذ الهه هواه افانت تكون عليه وكيلا ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا
وبقوله تعالى سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون ورب قلب هذا حاله بالاضافة الى بعض الشهوات كالذي
يتورع عن بعض الاشياء ولكنه اذا راى وجها حسنا لم يملك عينه وقلبه وطاش عقله وسقط مساك قلبه او كالذي لا
يملك نفسه فيما فيه الجاه والرياسة والكبر ولا يبقى معه مسكة للتثبت عند ظهور اسبابه او كالذي لا يملك نفسه عند
الغضب مهما استحقر او ذكر عيب من عيوبه او كالذي لا يملك نفسه عند القدرة على اخذ درهم او دينار بل يتهالك عليه
تهالك الواله المستهتر فينسى فيه المروة والتقوى فكل ذلك لتصاعد دخان الهوى الى القلب حتى يظلم وينطفئ منه انوار البصيرة
فينطفئ نور الحياء والمروة والايمان ويسعى في تحصيل مراد الشيطان القلب الثالث قلب يبتدي فيه خاطر الهوى فيدعوه
الى الشر فيلحقه خاطر الايمان فيدعوه الى الخير فتنبعث النفس بشهوتها الى نصرة خاطر الشر فتقوى الشهوة وتحسن التمتع

والتنعم فينبعث العقل الى خاطر الخير ويدفع في وجه الشهوة ويقبح فعلها وينسبها الى الجهل ويشبهها بالبهيمة و
السبع في تهجمها على الشر وقلة اكتراثها بالعواقب فتميل النفس الى نصح العقل فيقوى داعي الهوى ويقول ما هذا التحرج
البارد ولم تمتنع عن هواك فتؤذي نفسك وهل ترى احدا من اهل عصرك يخالف هواه او يترك غرضه افتترك ملاذ الدنيا لهم
يتمتعون منها وتحجر على نفسك حتى تبقى محروما شقيا متعوبا يضحك عليك اهل الدنيا اتريد ان يزيد منصبك على فلان
وفلان وقد فعلوا مثل ما اشتهيت ولم يمتنعوا اما ترى العالم الفلاني ليس يحترز عن فعل ذلك ولو كان شرا لامتنع منه فتميل
النفس الى الشيطان وتنقلب اليه فيحمل الملك حملة على الشيطان ويقول هل هلك الا من اتبع لذة الحال ونسي العاقبة
افتقنع بلذة يسيرة وتترك لذة الجنة ونعيمها ابد الاباد ام تستثقل الم الصبر عن شهوة ولا تستثقل الم النار افتغتر
بغفلة الناس عن انفسهم واتباعهم هواهم ومساعدتهم الشيطان مع ان عذاب النار لا يخفف عنك بمعصية غيرك ارايت
لو كنت في صيف شديد الحر ووقف الناس كلهم في الشمس وكان لك بيت بارد اكنت تساعد الناس ام تطلب لنفسك
الخلاص فكيف تخالف الناس خوفا من حر الشمس ولا تخالفهم خوفا من حر النار فعند ذلك تميل النفس الى قول الملك فلا يزال
يتردد بين الجندين متجاذبا بين الحزبين الى ان يغلب على القلب ما هو اولى به فان كانت الصفات التي في القلب الغالب عليها
الصفات الشيطانية التي ذكرناها غلب الشيطان ومال القلب الى جنسه من احزاب الشياطين معرضا عن حزب الله تعالى واوليائه
ومساعدا لحزب الشيطان واوليائه وجرى على جوارحه بسابق القدر ما هو سبب بعده عن الله وان كان الاغلب على القلب الصفات
الملكية لم يصغ القلب الى اغواء الشيطان وتحريضه اياه على العاجلة وتهوينه امر الاخرة بل مال الى حزب الله تعالى وظهرت الطاعة
بموجب ما قد سبق من القضاء على جوارحه وقلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن اي بين تجاذب هذين الحزبين وهو الغالب
اعني التقلب والانتقال من حزب الى حزب اما الثابت على الدوام مع حزب الملائكة او حزب الشيطان فنادر من الجانبين وهذه الطاعات
والمعاصي تظهر من خزائن الغيب الى عالم الشهادة بواسطة خزانة القلب فانه من خزائن الملكوت وهي ايضا اذا ظهرت كانت علامات تعرف
ارباب القلوب سابق القدر فمن خلق للجنة يسرت له الطاعة واسبابها ومن خلق للنار يسرت له الطاعة واسبابها وسلط عليه اقران
المعاصي ح
السوء والقي في قلبه حكم الشيطان فانه بانواع الحكم يغر الحمقى بقوله ان الله رحيم فلا تبال وان الناس كلهم ما يخافون الله تعالى
فلا تخالفهم وان العمر طويل فاصبر حتى تتوب غدا يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا يعدهم بالتوبة ويمنيهم المغفرة
فيهلكهم باذن الله بهذه الحيل وما يجري مجراها فيوسع قلبه لقبول الغرور ويضيقه عن قبول الحق وكل ذلك بقضاء الله وقدره
فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء ان ينصركم الله فلا
غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده فهو الهادي والمضل يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه
خلق الجنة وخلق لها اهلا فاستعملهم بالطاعة وخلق النار وخلق لها اهلا فاستعملهم بالمعاصي وعرف الخلق علامة اهل النار
وعلامة اهل الجنة فقال ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم ثم قال الله تعالى فيما روي عنه نبينا صلى الله عليه وسلم هؤلاء في
الجنة ولا ابالي وهؤلاء في النار ولا ابالي فتعالى الله الملك الحق لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ولنقتصر على هذا القدر اليسير
من ذكر عجائب القلب فان استقصاءه لا يليق بعلم المعاملة وانما ذكرنا منه ما يحتاج اليه لمعرفة اغوار علوم المعاملة واسرارها
لينتفع بها من لا يقنع بالظواهر ولا يجتزي بالقشر عن اللباب بل يتشوق الى معرفة دقائق الاسباب وفيما ذكرناه كفاية له ومقنع
ان شاء الله تعالى ٥ تم كتاب شرح عجائب القلب بحمد الله وحسن توفيقه وصلى الله على محمد وآله واصحابه اجمعين

كتاب رياضة النفس وهو الكتاب الثاني من ربع المهلكات

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى

الحمد لله الذي صرف الامور بتدبيره وعدل تركيب الخلق فاحسن في تصويره وزين صورة الانسان بحسن تقويمه وتقديره وحرسه عن الزيادة والنقصان في شكله ومقاديره وفوض تحسين الاخلاق الى اجتهاد العبد وتشميره واستحثه على تهذيبها بتخويفه وتحذيره وسهل على خواص عباده تهذيب الاخلاق بتوفيقه وتيسيره وامتن عليهم بتسهيل عسيره والصلوة على محمد عبد الله ونبيه وحبيبه وصفيه وبشيره ونذيره الذي كان يلوح نور النبوة من بين اساريره ويستشرف حقيقة الحق من مخائله وتباشيره وعلى آله واصحابه الذين طهروا وجه الاسلام عن ظلمة الكفر وديَاجيره وحسموا مادة الباطل فلم يتدنسوا بقليله ولا بكثيره اما بعد فالخلق الحسن صفة سيد المرسلين وافضل اعمال الصديقين وهو على التحقيق شطر الدين وهو ثمرة مجاهدة المتقين ورياضة المتعبدين والاخلاق السيئة هي السموم القاتلة والمهلكات الدامغة والمخازي الفاضحة والرذائل الواضحة والخبائث المبعدة من جوار رب العالمين المنخرطة بصاحبها في سلك الشيطان اللعين وهي الابواب المفتوحة الى نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة كما ان الاخلاق الجميلة هي الابواب المفتوحة من القلب الى نعيم الجنان وجوار الرحمن والاخلاق الخبيثة امراض القلوب واسقام النفوس الا انه مرض يفوت حيوة الابد واين منه المرض الذي لا يفوت الا حيوة الجسد ومهما اشتدت عناية الاطباء بضبط قوانين العلاج للابدان وليس في مرضها الا فوت حيوة فانية فالعناية بضبط قوانين العلاج لامراض القلوب وفيها فوت حيوة باقية اولى وهذا النوع من الطب واجب تعلمه على كل ذي لب اذ لا يخلو قلب من القلوب عن اسقام لو اهملت تراكمت وترادفت العلل وتظاهرت فيحتاج العبد الى تأنق في معرفة عللها واسبابها ثم الى التشمير في معالجتها واصلاحها فمعالجتها هو المراد بقوله قد افلح من زكيها واهمالها هو المراد بقوله تعالى وقد خاب من دسيها ونحن في هذا الكتاب نشير الى جمل من امراض القلب وكيفية القول في معالجتها على الجملة من غير تفصيل العلاج خصوصا الامراض فان ذلك ياتي في بقية الكتب من هذا الربع وغرضنا الآن النظر الكلي في تهذيب الاخلاق وتمهيد منهاجه ونحن نذكر ذلك ونجعل علاج البدن مثالا له ليقرب من الافهام دركه ويتضح ذلك ببيان فضيلة حسن الخلق ثم بيان حقيقة حسن الخلق ثم بيان قبول الاخلاق للتغير بالرياضة ثم بيان السبب الذي به ينال حسن الخلق ثم بيان تفصيل الطرق الى تهذيب الاخلاق ورياضة النفوس ثم بيان العلامات التي بها يعرف مرض القلوب ثم بيان الطرق التي بها يعرف الانسان عيوب نفسه ثم بيان شواهد النقل على ان طريق المعالجة للقلوب بترك الشهوات لا غير ثم بيان علامات حسن الخلق ثم بيان الطريق في رياضة الصبيان في اول النشو ثم بيان شروط الارادة ومقدمات المجاهدة فهي احد عشر فصلا يجمع مقاصد هذا الكتاب ان شاء الله تعالى

بيان فضيلة حسن الخلق ومذمة سوء الخلق

ومذمة سوء الخلق قال الله سبحانه لنبيه وحبيبه صلى الله عليه وسلم مثنيا عليه ومظهرا نعمته لديه وانك لعلى خلق عظيم وقالت عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خلقه القرآن وقوله عز وجل خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال صلى الله عليه وسلم بعثت لاتمم مكارم الاخلاق وقال صلى الله عليه وسلم اثقل ما يوزن ويوضع في الميزان خلق حسن وجاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلس من بين يديه وقال يا رسول الله ما الدين فقال حسن الخلق ثم اتاه من قبل يمينه وقال يا رسول الله ما الدين قال حسن الخلق ثم اتاه من وراءه فقال يا رسول الله ما الدين فالتفت اليه وقال اما تفقه هو ان لا تغضب وقيل يا رسول الله ما الشوم قال سوء الخلق وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم اوصني فقال اتق الله حيث كنت قال زدني قال اتبع السيئة الحسنة تمحها قال زدني قال خالق الناس بخلق حسن وسئل صلى الله عليه وسلم اي الاعمال افضل فقال حسن الخلق وقال صلى الله عليه وسلم ما حسن الله خلق امرئ وخلقه فيطعمه النار وقال الفضيل قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وهي سيئة الخلق توذي جيرانها بلسانها قال لا خير فيها هي من اهل النار وقال ابو الدرداء سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اول ما يوضع في الميزان حسن الخلق والسخاء ولما خلق الله عز وجل الايمان قال اللهم قوني فقواه بحسن الخلق والسخاء ولما خلق الله عز وجل الكفر قال اللهم قوني فقواه بالبخل وسوء الخلق وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله استخلص هذا الدين لنفسه ولا يصلح لدينكم الا السخاء وحسن الخلق الا فزينوا دينكم بهما وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسن الخلق خلق الله الاعظم وقيل يا رسول الله اي المؤمنين افضلهم ايمانا قال احسنهم خلقا وقال صلى الله عليه وسلم انكم لن تسعوا الناس باموالكم فسعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق وقال ايضا سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل وعن جرير بن عبد الله قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم انك امرؤ حسن الله خلقك فاحسن خلقك وعن البراء بن عازب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن الناس وجها واحسنهم خلقا وعن ابي مسعود البدري قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه اللهم حسنت خلقي فحسن خلقي وعن عبد الله بن عمر قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر الدعاء يقول اللهم اني اسئلك الصحة والعافية وحسن الخلق وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كرم المؤمن دينه وحسبه خلقه ومروته عقله وعن اسامة بن شريك قال شهدت الاعاريب يسئلون النبي صلى الله عليه وسلم يقولون ما خير ما اعطي العبد قال خلق حسن وقال صلى الله عليه وسلم ان احبكم الي واقربكم مني مجلسا يوم القيمة احاسنكم اخلاقا وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث من لم يكن فيه او واحدة منهن فلا يعتدن بشيء من عمله تقوى تحجزه عن معاصي الله عز وجل او حلم يكف به السفيه او خلق يعيش به بين الناس وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم في افتتاح الصلوة اللهم اهدني لاحسن الاخلاق لا يهدي لاحسنها الا انت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها الا انت وقال انس بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما اذ قال ان حسن الخلق ليذيب الخطيئة كما تذيب الشمس الجليد وقال عليه الصلوة والسلام من سعادة المرء حسن الخلق وقال صلى الله عليه وسلم يا ابا ذر لا عقل كالتدبير ولا حسب كحسن الخلق وعن انس قال قالت ام حبيبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله ارايت المراة منا يكون لها زوجان في الدنيا فتموت ويموتان ويدخلان الجنة لايهما هي قال لاحسنهما خلقا كان عندها في الدنيا يا ام حبيبة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة وقال صلى الله عليه وسلم ان المسلم المسدد ليدرك درجة الصائم القائم وفي رواية درجة الظمآن في الهواجر بحسن خلقه وكرم ضريبته وقال عبد الرحمن بن سمرة كنا عند رسول الله صلى الله

فاحسن خلقك صح

عليه وسلم فقال في رايت البارحة عجبا رايت رجلا من امتي جاثيا على ركبتيه بينه وبين الله عز وجل حجاب فجا حسن خلقه فادخله
على الله تعالى وقال انس قال صلى الله عليه وسلم ان العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الاخرة وشرف المنازل وانه
لضعيف العبادة وروي ان عمر استاذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده نسآء من قريش يكلمنه ويستكثرنه
عالية اصواتهن على صوته فلما استاذن عمر تبادرن الحجاب فدخل عمر ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك فقال عمر
اضحك الله سنك بابي انت وامي يا رسول الله ما اضحكك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عجبت لهولآء اللاتي كن عندي لما سمعن
صوتك تبادرن الحجاب قال فانت كنت احق ان يهبن يا رسول الله فاقبل عليهن عمر وقال يا عدوات انفسهن اتهبنني ولا
تهبن رسول الله صلى الله عليه وسلم قلن نعم انت اغلظ وافظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان قط سالكا فجا الا سلك فجا غير فجك وقال صلى الله عليه وسلم سوء الخلق ذنب
لا يغفر وسوء الظن خطيئة تنوح وقال صلى الله عليه وسلم ان العبد ليبلغ من سوء خلقه اسفل درجة جهنم الآثار
قال لقمن الحكيم لابنه يا ابت اي الخصال من الانسان خير قال الدين قال فاذا كانت اثنتين قال الدين والمال قال فاذا كانت
ثلاثا قال الدين والمال والحيآء وحسن الخلق والسخآء قال فاذا كان اربعا قال الدين والمال والحيا وحسن الخلق قال فاذا كانت
خمسا قال الدين والمال والحيا وحسن الخلق والسخآء قال فاذا كانت ستا قال يا بني اذا اجتمعت فيه الخمس فهو تقي نقي ولله تعالى ولي
ومن الشيطان بري وقال الحسن من سآء خلقه عذب نفسه وقال انس بن مالك ان العبد ليبلغ بحسن الخلق اعلى درجة في الجنة
وهو غير عابد ويبلغ بسوء خلقه اسفل درك في جهنم وهو عابد وقال يحيى بن معاذ في سعة الاخلاق كنوز الارزاق وقال وهب
ابن منبه مثل السيئ الخلق كمثل الفخارة المكسورة لا ترقع ولا تعاد طينا وقال الفضيل لان يصحبني فاجر حسن الخلق احب الي من ان يصحبني
عابد سيئ الخلق وصحب ابن المبارك رجل سيئ الخلق في سفره فكان يحتمل منه ويداريه فلما فارقه بكا فقيل له في ذلك فقال ابكيه
رحمة له فارقته وخلقه لم يفارقه وقال الجنيد اربع ترفع العبد الى اعلى الدرجات وان قل عمله وعلمه الحلم والتواضع والسخآء
وحسن الخلق وهو كمال الايمان وقال الكتاني التصوف خلق فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في التصوف وقال عمر رضي الله عنه
خالطوا الناس بالاخلاق وزايلوهم بالاعمال وقال يحيى بن معاذ سوء الخلق سيئة لا ينفع معها كثرة الحسنات وحسن الخلق حسنة
لا يضر معها كثرة السيئات وسئل ابن عباس ما الكرم فقال ما بين الله في كتابه ان اكرمكم عند الله اتقاكم قيل له ما الحسب قال احسنكم
خلقا افضلكم حسبا وقيل لكل بنيان اساس واساس الاسلام حسن الخلق وقال ابن عطآء ما ارتفع من ارتفع الا بالخلق الحسن
ولم ينل احد كماله الا المصطفى صلى الله عليه وسلم واقرب الخلق الى الله السالكون آثاره بحسن الخلق **بيان حقيقة حسن الخلق**
وسوء الخلق اعلم ان الناس قد تكلموا في حقيقة حسن الخلق وانه ما هو وما تعرضوا لحقيقته وانما تعرضوا لثمرته ثم لم يستوعبوا جميع
ثمراته بل ذكر كل واحد من ثمراته ما خطر له وما كان حاضرا منه في ذهنه ولم يصرفوا العناية الى ذكر حده وحقيقته المحيطة بجميع
ثمراته على التفصيل والاستيعاب وذلك كقول الحسن حسن الخلق بسط الوجه وبذل الندى وكف الاذى وقال الواسطي هو
ان لا يخاصم ولا يخاصم من شدة معرفته بالله وقال شاه الكرماني هو كف الاذى واحتمال المؤن وقال بعضهم هو ان يكون من الناس
قريبا وفيما بينهم غريبا وقال الخاسبي مرة هو الرضا الخلق في الضرآء والسرآء وقال ابو عثمن هو الرضا عن الله تعالى وسئل
سهل عن الخلق الحسن فقال ادناه الاحتمال وترك المكافات والرحمة للظالم والاستغفار له والشفقة عليه وقال مرة
ان لا يتهم الحق في الرزق ويثق به ويسكن الى الوفآء بما ضمن ويطيع مولاه ولا يعصيه في جميع الامور فيما بينك وبين الله تعالى

تعالى وفيما بينك وبين الخلق وقال علي رضي الله عنه حسن الخلق في ثلث اجتناب المحارم وطلب الحلال والتوسعة
على العيال وقال الحسين بن منصور هو ان لا يؤثر فيك جفاء الخلق بعد مطالعتك للحق وقال الخراز هو ان لا يكون لك همة
غير الله فهذا وامثاله كثيرة وهي تعرض لثمرات حسن الخلق لا لنفسه ثم ذلك ليس محيطا بجميع الثمرات وكشف الغطاء
عن الحقيقة اولى من نقل الاقاويل المختلفة فنقول الخلق والخلق عبارتان مستعملتان معا يقال فلان حسن الخلق
اي حسن الظاهر والباطن ويراد بالخلق الصورة الظاهرة ويراد بالخلق الصورة الباطنة وذلك لان الانسان مركب من
جسد مدرك بالبصر ومن روح ونفس مدرك بالبصيرة ولكل واحد منهما هيئة وصورة اما قبيحة واما جميلة والنفس المدركة
بالبصيرة اعظم قدرا من الجسد المدرك بالبصر ولذلك عظم الله امره بالاضافة الى نفسه فقال اني خالق بشرا من طين
فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فنبه به على ان الجسد منسوب الى الطين والروح منسوب الى الله سبحانه والمراد
بالروح والنفس في هذا المقام واحد فالخلق عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الافعال بسهولة ويسر
من غير حاجة الى فكر وروية فان كانت الهيئة بحيث تصدر منها الافعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعا سميت الهيئة خلقا
حسنا وان كان الصادر منها الافعال القبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقا سيئا وانما قلنا انها هيئة راسخة لان من
يصدر منه بذل المال على الندور لحالة عارضة لا يقال خلقه السخآء ما لم يثبت ذلك في نفسه ثبوت رسوخ وانما اشترطنا
ان تصدر منه الافعال بسهولة من غير روية لان من تكلف بذل المال او السكوت عند الغضب بجهد وروية لا يقال خلقه
السخآء والحلم فههنا اربعة امور احدها فعل الجميل والقبيح والثاني القدرة عليهما والثالث المعرفة بهما والرابع هيئة
النفس بها تميل الى احد الجانبين ويتيسر عليه احد الامرين اما الحسن او القبيح وليس الخلق عبارة عن الفعل فرب شخص
خلقه السخآء ولا يبذل اما لفقد المال او لمانع وربما يكون خلقه البخل وهو يبذل لباعث او لريآء وليس عبارة عن القوة
لان نسبة القوة الى الامساك والاعطآء بل الى الضدين واحد وكل انسان خلق بالفطرة قادرا على الامساك وذلك لا
يوجب خلق البخل ولا خلق السخآء وليس عبارة عن المعرفة فان المعرفة تتعلق بالجميل والقبيح جميعا على وجه واحد بل هو عبارة
عن المعنى الرابع وهي الهيئة التي بها تستعد النفس لان يصدر منها الامساك والبذل فالخلق اذا عبارة عن هيئة النفس
وصورتها الباطنة وكما ان حسن الصورة الظاهرة مطلقا لا يتم بحسن العينين دون الانف فكذلك في الباطن اربعة
اركان لا بد من الحسن في جميعها حتى يتم حسن الخلق فاذا استوت الاركان الاربعة واعتدلت وتناسبت حصل
حسن الخلق وهي قوة العلم وقوة الغضب وقوة الشهوة وقوة العدل بين هذه القوى الثلث اما قوة العلم فحسنها وصلاحها
في ان تصير بحيث تسهل بها درك الفرق بين الصدق والكذب في الاقوال وبين الحق والباطل في الاعتقادات وبين الجميل
والقبيح في الافعال فاذا انصلحت هذه القوة حصل منها ثمرة الحكمة والحكمة راس الاخلاق الحسنة وهي التي قال تعالى
فيها ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا واما قوة الغضب فحسنها في ان يقتصر انقباضها وانبساطها على حد ما تقتضيه
الحكمة وكذلك الشهوة حسنها وصلاحها في ان تكون تحت اشارة الحكمة اعني اشارة الدين والعقل واما قوة
العدل فهو في ضبط قوة الغضب والشهوة تحت اشارة العقل والشرع فالعقل مثاله مثال الناصح المشير وقوة العدل
هي القدرة ومثالها مثال المنفذ الممضي لاشارة العقل والغضب وهو الذي تنفذ فيه الاشارة ومثاله مثال كلب الصيد
فانه يحتاج الى ان يؤدب حتى يكون استرساله وتوقفه بحسب الاشارة لا بحسب هيجان النفس والشهوة مثالها مثال

الفرس الذي يركب في طلب الصيد فانه تارة يكون مروضا مؤدبا وتارة يكون جموحا فمن استوت فيه هذه الصفات واعتدلت
فهو حسن الخلق مطلقا ومن اعتدل فيه بعضها دون البعض فهو حسن الخلق بالاضافة الى ذلك المعنى خاصة كالذي يحسن
بعض اجزاء وجهه دون بعض وحسن القوة الغضبية واعتدالها يعبر عنها بالعفة فان مالت قوة الغضب عن الاعتدال
الى طرف الزيادة سمي تهورا وان مال الى الضعف والنقصان سمي جبنا وخورا وان مالت قوة الشهوة الى طرف الزيادة
سميت شرها وان مالت الى النقصان سميت جمودا والمحمود هو الوسط وهو الفضيلة والطرفان رذيلتان مذمومتان والعدل
اذا فات فليس له طرفان زيادة ونقصان بل له ضد واحد وهو الجور واما الحكمة فيسمى افراطها عند الاستعمال في الاغراض
الفاسدة خبا وجربزة ويسمى تفريطها بلها والوسط هو الذي يختص باسم الحكمة فاذن امهات الاخلاق واصولها اربعة
الحكمة والشجاعة والعدل والعفة ونعني بالحكمة حالة للنفس بها يدرك الصواب من الخطا في جميع الافعال الاختيارية
ونعني بالعدل حالة للنفس وقوة بها تسوس الغضب والشهوة وتحملها على مقتضى الحكمة وتضبطها في الاسترسال والانقباض
على حسب مقتضاها ونعني بالشجاعة كون قوة الغضب منقادة للعقل في اقدامها واحجامها ونعني بالعفة تادب قوة الشهوة
بتاديب العقل والشرع فمن اعتدال هذه الاصول الاربعة تصدر الاخلاق الجميلة كلها اذ من اعتدال قوة العقل يصدر حسن
التدبير وجودة الذهن وثقابة الراي واصابة الظن والتفطن لدقائق الاعمال وخفايا افات النفوس ومن افراطها يصدر
الجربزة والمكر والخداع والدهاء ومن تفريطها يصدر البله والغمارة والحمق والجنون واعني بالغمارة قلة التجربة في الامور
مع سلامة التخيل فقد يكون الانسان غمرا في شيء دون شيء والفرق بين الحمق والجنون ان الاحمق مقصوده صحيح ولكن سلوكه الطريق
فاسد فلا يكون له روية صحيحة في طريق الوصول الى الغرض واما المجنون فانه يختار ما لا ينبغي ان يختار فيكون اصل
ايثاره واختياره فاسدا واما خلق الشجاعة فيصدر منه الكرم والنجدة والشهامة وكسر النفس والاحتمال والحلم والثبات
وكظم الغيظ والوقار والتودد وامثالها وهي اخلاق محمودة واما افراطها وهو التهور فيصدر منه الصلف والبذخ و
الاستشاطة والتكبر والعجب واما تفريطها فيصدر منه المهانة والذلة والجزع والخساسة وصغر النفس والانقباض عن تناول
الحق الواجب واما خلق العفة فيصدر منه السخاء والحياء والصبر والمسامحة والقناعة والورع واللطافة والمساعدة والظرف
وقلة الطمع واما ميلها الى الافراط والتفريط فيصدر منه الحرص والشره والوقاحة والخبث والتبذير والتقتير والرياء والهتكة
والمجانة والعبث والملق والحسد والشماتة والتذلل للاغنياء واستحقار الفقراء وغير ذلك فامهات محاسن الاخلاق هذه
الفضائل الاربع وهي الحكمة والشجاعة والعفة والعدل والباقي فروعها ولم يبلغ كمال الاعتدال في هذه الاربع الا رسول الله
صلى الله عليه وسلم والناس بعده متفاوتون في القرب والبعد منه فكل من قرب منه في هذه الاخلاق فهو قريب من الله بقدر
قربه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل من جمع كمال هذه الاخلاق استحق ان يكون بين الخلق ملكا مطاعا يرجع الخلق كلهم
اليه ويقتدون به في جميع الافعال ومن انفك عن جملة هذه الاخلاق كلها واتصف باضدادها استحق ان يخرج من بين العباد
والبلاد فانه قد قرب من الشيطان اللعين المبعد فينبغي ان يبعد كما ان الاول قريب من الملك المقرب فينبغي ان يقتدى به و
يتقرب اليه ولم يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ليتمم مكارم الاخلاق كما قال وقد اشار القرآن الى هذه الاخلاق
في اوصاف المؤمنين الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون
فالايمان بالله ورسوله من غير ارتياب هو قوة اليقين وهو ثمرة العقل ومنتهى الحكمة والمجاهدة بالمال هو السخاء الذي يرجع

يرجع الى ضبط قوة الشهوة والمجاهدة بالنفس هي الشجاعة التي ترجع الى استعمال قوة الغضب على شرط العقل وحد
الاعتدال وقد وصف الله سبحانه الصحابة فقال اشداء على الكفار رحماء بينهم اشارة الى ان للشدة موضعا وللرحمة موضعا
وليس الكمال في الشدة بكل حال فهذا بيان معنى الخلق وحسنه وقبحه وبيان اركانه وثمراته وفروعه

بيان

قبول الاخلاق للتغير بطريق الرياضة اعلم ان بعض من غلبت البطالة عليه استثقل المجاهدة والرياضة والاشتغال
بتزكية النفس وتهذيب الاخلاق ولم تسمح نفسه بان يكون ذلك لقصوره ونقصه وخبث دخلته فزعم ان الاخلاق لا يتصور
تغيرها فالطويل لا يمكن ان يجعل نفسه قصيرا ولا القصير يقدر ان يجعل نفسه طويلا ولا القبيح يقدر على تحسين صورته وكذلك
القبيح الباطن يجري هذا المجرى والثاني انهم قالوا حسن الخلق بقمع الغضب والشهوة وقد جربنا ذلك بطول المجاهدة
وعرفنا ان ذلك من مقتضى المزاج والطبع فانه قط لا ينقطع عن الادمي فاشتغاله به تضييع زمان بغير فائدة فان المطلوب
هو قطع التفات القلب الى الحظوظ العاجلة وذلك محال وجوده فنقول لو كانت الاخلاق لا تقبل التغير لبطلت الوصايا
والمواعظ والتاديبات ولما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسنوا اخلاقكم وكيف ينكر هذا في حق الادمي وتغير خلق
البهيمة ممكن اذ ينقل الصيد من التوحش الى الانس والكلب من الاكل الى التادب والفرس من الجماح الى السلاسة وكل ذلك
تغيير للاخلاق والقول الكاشف للغطاء عن ذلك ان نقول الموجودات منقسمة الى ما لا مدخل لاختيار الادمي في اصله و
تفصيله كالسماء والكواكب بل اعضاء البدن داخلا وخارجا وسائر اجزاء الحيوانات وبالجملة كل ما هو حاصل كامل وقع
الفراغ من وجوده وكماله والى ما وجد وجودا ناقصا وجعل فيه قوة لقبول الكمال بعد ان وجد شرطه وشرطه قد يرتبط
باختيار العبد فان النواة ليست بتفاح ولا نخل الا انها خلقت خلقة يمكن ان تصير نخلا ان انضاف اليه التربية ولا تصير تفاحا
اصلا ولا بالتربية فاذا صارت النواة متاثرة بالاختيار حتى تقبل بعض الاحوال دون بعض فكذلك الغضب والشهوة
لو اردنا قمعهما وقهرهما بالكلية حتى لا يبقى لهما اثر لم نقدر عليه اصلا ولو اردنا سلاستهما وقهرهما بالرياضة والمجاهدة
قدرنا عليه وقد امرنا بها وصار ذلك سبب نجاتنا ووصولنا الى الله تعالى نعم الجبلات مختلفة فبعضها سريعة القبول
وبعضها بطيء القبول ولاختلافها سببان احدهما قوة الغريزة في اصل الجبلة وامتداد مدة الوجود فان قوة الشهوة
والغضب والتكبر موجود في الانسان ولكن اصعبها امرا واعصاها على التغير قوة الشهوة فانها اقدم وجودا اذ الصبي
في مبدا الفطرة يخلق له الشهوة ثم بعد سبع سنين ربما يخلق له الغضب وبعد ذلك يخلق له قوة التمييز والسبب الثاني ان
الخلق قد يتاكد بكثرة العمل بمقتضاه والطاعة له وباعتقاد كونه حسنا ومرضيا والناس على اربع مراتب الاول وهو الانسان
الغفل الذي لا يميز بين الحق والباطل والجميل والقبيح بل بقي كما فطر عليه خاليا عن جميع الاعتقادات ولم تستتم ايضا
شهوته باتباع اللذات فهذا سريع القبول للعلاج جدا فلا يحتاج الا الى معلم مرشد والى باعث في نفسه يحمله على المجاهدة
فيحسن خلقه في اقرب زمان الثاني ان يكون قد عرف قبح القبيح لكنه لم يتعود العمل الصالح بل زين له سوء عمله فتعاطاه
انقيادا لشهواته واعراضا عن صواب رايه لاستيلاء الشهوة عليه لكن علم تقصيره في عمله فامره اصعب من الاول
اذ تضاعفت الوظيفة عليه اذ عليه قلع ما رسخ في نفسه من كثرة التعود للصلاح ولكنه بالجملة محل قابل للرياضة
ان انتهض لها بجد وتشمير وحزم الثالث ان يعتقد في الاخلاق القبيحة انها الواجبة المستحسنة وانها حق وجميل
وتربى عليها فهذا يكاد يمتنع معالجته ولا يرجى صلاحه الا على الندور وذلك لتضاعف اسباب الضلال والرابع

فان الطباع لا تتغير واستدل فيه بامرين احدهما ان الخلق هو الصورة الباطن كما ان الخلق هو صورة الظا والخلقة الظاهرة لا تقدر على تغييرها صح

شره الاكل صح

للفساد والاخر ان تغرس في نفسه صفة التعود صح

ان يكون مع وقوع نشوه على الرأى لفساد قريحته على العمل به يرى الفضيلة فى كثرة الشر واستهلاك النفوس ويباهى به
ويظن ان ذلك يرفع من قدره وهذا هو اصعب المراتب وفى مثله قيل من التعذيب تهذيب الذيب والاول من هو لا جاهل
فقط والثانى جاهل وضال والثالث جاهل وضال وفاسق والرابع جاهل وضال وفاسق وشرير واما الخيال الآخر وهو ان الآدمى ما دام حيا فلا ينقطع
عنه الغضب والشهوة وحب الدنيا وساير هذه الاخلاق فهذا غلط وقع لطائفة ظنوا ان المقصود من المجاهدة قمع
هذه الصفات بالكلية وهيهات فان الشهوة خلقت لفائدة وهى ضرورية فى الجبلة ولو انقطع شهوة الطعام لهلك الانسان
ولو انقطع شهوة الوقاع لانقطع النسل ولو انعدم الغضب بالكلية لم يدفع الانسان عن نفسه ما يهلكه ويهلك ومهما بقى
اصل الشهوة فيبقى لا محالة حب المال الذى يوصله الى الشهوة حتى يحمله ذلك على امساك المال وليس المطلوب اماطة ذلك
بالكلية بل المطلوب ردها الى الاعتدال الذى هو وسط بين الافراط والتفريط فالمطلوب فى صفة الغضب حسن الحمية وذلك
بان يخلو عن التهور وعن الجبن جميعا وبالجملة ان يكون فى نفسه قويا ومع قوته منقادا للعقل ولذلك قال تعالى اشداء على الكفار
رحماء بينهم فوصفهم بالشدة وانما تصدر الشدة عن الغضب ولو بطل الغضب لامتنع جهاد الكفار وكيف يقصد قلع
الغضب والشهوة بالكلية والانبياء لم ينفكوا عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما انا بشر اغضب كما يغضب البشر
وكان يتكلم بين يديه بما يكرهه فيغضب حتى تحمر وجنتاه ولكن لا يقول الا حقا فكان الغضب لا يخرجه عن الحق وقال تعالى
والكاظمين الغيظ ولم يقل والفاقدين الغيظ فرد الغضب والشهوة الى الاعتدال بحيث لا يقهر العقل ولا يغلبه بل يكون العقل
هو الضابط له والغالب عليه ممكن وهو المراد بقوله بتغير الخلق فانه ربما يستولى الشهوة على الانسان بحيث لا يقوى عقله
على دفعها عن الانبساط الى الفواحش وبالرياضة تعود الى حد الاعتدال فدل ان ذلك ممكن والتجربة والمشاهدة تدل
على ذلك دلالة لا يشك فيها والذى يدل على ان المطلوب هو الوسط فى الاخلاق دون الطرفين ان السخاء خلق مطلوب
شرعا وهو وسط بين طرفى التبذير والتقتير وقد اثنى الله تعالى عليه فقال والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا و
كان بين ذلك قواما وقال تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وكذلك المطلوب فى شهوة الطعام
الاعتدال دون الشره والجمود وقال تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا وقال فى الغضب اشداء على الكفار رحماء بينهم وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الامور اوسطها وهذا له سر وتحقيق وهو ان السعادة منوطة بسلامة القلب عن
عوارض هذا العالم قال تعالى الا من اتى الله بقلب سليم والبخل من عوارض الدنيا والجود ايضا من عوارض الدنيا وشرط
القلب ان يكون سليما منهما اى لا يكون ملتفتا الى المال فلا يكون حريصا على امساكه ولا حريصا على انفاقه فان الحريص
على الانفاق مصروف القلب الى الانفاق والحريص على الامساك مصروف القلب اليه وكان كمال القلب فى ان يصفو عن الوصفين
جميعا واذا لم يمكن ذلك فى الدنيا طلبنا ما هو الاشبه بعدم الوصفين وابعد عن الطرفين وهو الوسط فان الفاتر
لا حار ولا بارد بل هو وسط بينهما فكانه خالى عن الوصفين وكذلك السخاء بين التبذير والتقتير والشجاعة بين الجبن والتهور و
العفة بين الشره والجمود وكذلك ساير الاخلاق فكلا طرفى قصد الامور ذميم فهذا هو المطلوب وهو ممكن جدا نعم على
الشيخ المرشد للمريد ان يمنع من الغضب راسا وامساك المال راسا ولا يرخص فى شى منه فانه لو رخص فى ادنى شى
اتخذ ذلك عذرا فى استبقاء بخله وغضبه وظن انه القدر المرخص فيه واذا قصد قلع الاصل وبالغ فيه لم يتيسر له
الا كسر سورته بحيث يعود الى الاعتدال فالصواب له ان يطلب قلع الاصل حتى يتيسر له القدر المقصود فلا يكشف هذا

والرابع جاهل وضال وفاسق مع

وجحودها

واحد منهما

هذا السر للمريد فانه موضع غرور الحمقى اذ يظن بنفسه ان غضبه بحق وان امساكه بحق
السبب الذى به ينال حسن الخلق على الجملة قد عرفت ان حسن الخلق يرجع الى اعتدال قوة العقل بكمال الحكمة
والى اعتدال قوة الغضب والشهوة وكونها مطيعة للعقل والشرع وهذا الاعتدال يحصل على وجهين احدهما بجود
الهى وكمال فطرى بحيث يخلق الانسان ويولد كامل العقل حسن الخلق قد كفى سلطان الشهوة والغضب بل خلقتا معتدلتين
منقادتين للعقل والشرع فيصير بغير تعلم عالما وبغير تأديب مؤدبا كعيسى بن مريم ويحيى بن زكريا صلوات الله عليهم اجمعين
وكذا ساير الانبياء عليهم السلام ولا يبعد ان يكون فى الطبع والفطرة ما قد ينال بالاكتساب فرب صبى خلق صادق اللهجة سخيا
جريا وربما يخلق بخلافه فيحصل فيه ذلك بالتعود ومخالطة المتخلقين بهذه الاخلاق وربما يحصل بالتعلم والوجه الثانى
اكتساب هذه الاخلاق بالرياضة والمجاهدة واعنى بها حمل النفس على الاعمال التى يقتضيها الخلق المطلوب فمن اراد مثلا
ان يحصل لنفسه خلق الجود فطريقه ان يتكلف تعاطى فعل الجواد وهو بذل المال فلا يزال يواظب عليه تكلفا مجاهدا نفسه فيه
حتى يصير ذلك له طبعا ويتيسر عليه فيصير بنفسه جوادا وكذا من اراد ان يحصل لنفسه خلق التواضع وغلب عليه التكبر
فطريقه ان يواظب على افعال المتواضعين مدة مديدة وهو فيها مجاهد نفسه ومتكلف الى ان يصير ذلك له خلقا وطبعا
فيتيسر عليه وجميع الاخلاق المحمودة شرعا تحصل بهذا الطريق وغايتها ان يصير الفعل الصادر منه لذيذا فالسخى هو الذى
يستلذ بذل المال دون الذى يبذله عن كراهة والمتواضع هو الذى يستلذ التواضع ولن ترسخ اخلاق الدين فى النفس ما لم تتعود
النفس جميع العادات الحسنة وما لم تترك جميع العادات السيئة وما لم يواظب عليها مواظبة من يشتاق الى الافعال الجميلة و
يتنعم بها ويكره الافعال القبيحة ويتألم بها كما قال صلى الله عليه وسلم وجعلت قرة عينى فى الصلوة ومهما كانت العبادات وترك المحظورات
مع كراهة واستثقال فهو لنقصان ولا ينال كمال السعادة به نعم المواظبة عليه بالمجاهدة خير ولكن بالاضافة الى تركه لا
بالاضافة الى فعله عن طوع ولذلك قال تعالى وانها لكبيرة الا على الخاشعين وقال صلى الله عليه وسلم اعبد الله فى الرضا
فان لم تستطع ففى الصبر على ما تكره خير كثير ثم لا يكفى فى نيل السعادة الموعودة على حسن الخلق استلذاذ الطاعة واستكراه المعصية
فى زمان دون زمان بل ينبغى ان يكون كذلك على الدوام وفى جملة العمر وكلما كان العمر اطول كانت الفضيلة ارسخ واكمل و
لذلك لما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن السعادة فقال طول العمر فى طاعة الله ولذلك كره الانبياء والاولياء الموت
فان الدنيا مزرعة الآخرة وكلما كانت العبادات التى بطول العمر كان الثواب اجزل والنفس ازكى واطهر والاخلاق اقوى و
ارسخ وانما مقصود العبادات تاثيرها فى القلب وانما تأكد آثارها بكثرة المواظبة على العبادات وغاية هذه الاخلاق ان
ينقلع عن النفس حب الدنيا ويترسخ فيه حب الله فلا يكون شى احب اليه من لقاء الله فلا يستعمل جميع ماله الا على الوجه
الذى يوصله اليه وغضبه وشهوته من المسخرات له فلا يستعملها الا على الوجه الذى يوصله الى الله تعالى وذلك بان
يكون موزونا بميزان الشرع والعقل ثم يكون مع ذلك فرحا به ومستلذا ولا ينبغى ان يستبعد مصير الصلوة قرة عين ومصير
العبادات لذيذة فان العادة تقتضى فى النفس عجايب اعجب من ذلك وانا نرى الملوك المتنعمين فى احزان دائمة ونرى المقامر
المفلس قد يغلب عليه من اللذة والفرح بقماره وما هو فيه ما يستثقل معه فرح الناس بغير القمار مع ان القمار ربما سلب
ماله وخرب داره وتركه مفلسا ومع هذا فهو يحبه ويلتذ به وذلك لطول الفه وصرفه نفسه اليه مدة وكذلك اللاعب
بالحمام قد يقف طول نهاره فى حر الشمس قائما على رجليه وهو لا يحس بالمه لفرحه بالطيور وحركتها وطيرانها وتحليقها

بعد

في جو السماء بل ترى الفاجر العيار يفتخر بما يلقاه من الضرب والقطع والصبر على السياط وعلى ان يتقدم به الى الصلب وهو
مع ذلك متبجح بنفسه وبقوته في الصبر على ذلك حتى يرى ذلك فخرا لنفسه حتى يقطع الواحد منهم اربا اربا على ان يقر بما
تعاطاه او تعاطى غيره فيصبر على الانكار ولا يبالي بالعقوبات فرحا بما يعتقده كمالا وشجاعة ورجولية فقد صارت احواله
مع ما فيه من النكال قرة عينه وسبب افتخاره بل لا حالة اخس واقبح من حال المخنث في تشبهه بالاناث في نتف الشعر
ووشم الوجه ومخالطة النساء وترى المخنث في فرح بحاله وافتخار بكماله في تخنثه يتباهى به مع المخنثين حتى يجري بين
الحجامين والكناسين التفاخر والمباهاة كما يجري بين الملوك والعلماء وكل ذلك نتيجة العادة والمواظبة على نمط واحد
على الدوام مدة مديدة ومشاهدة ذلك من المخالطين والمعارف فاذا كانت النفس بالعادة تستلذ الباطل وتميل الى
القبائح فكيف لا تستلذ الحق لو ردت اليه مدة والزمت المواظبة عليه بل ميل النفس الى هذه الامور الشنيعة خارج
عن الطبع يضاهي الميل الى اكل الطين وقد يغلب على بعض الناس ذلك بالعادة فاما ميله الى الحكمة وحب الله تعالى
ومعرفته وعبادته فهو كالميل الى الطعام والشراب فهو مقتضى طبع القلب فانه امر رباني وميله الى مقتضيات الشهوات
غريب من ذاته وعارض على طبعه وانما غذاء القلب الحكمة والمعرفة وحب الله تعالى ولكن انصرف عن مقتضى طبعه لمرض
حل به كما يحل المرض بالمعدة فلا تشتهي الطعام والشراب وهما سببا حياتها فكل قلب مال الى حب شيء سوى حب الله
تعالى فلا ينفك عن مرض بقدر ميله الا اذا احب ذلك الشيء لكونه معينا له على حب الله وعلى دينه فعند ذلك
لا يدل ذلك على المرض فاذا قد عرفت بهذا قطعا ان هذه الاخلاق الجميلة يمكن اكتسابها بالرياضة وهي تكلف الافعال
الصادرة عنها ابتداء لتصير طبعا انتهاء وهذا من عجيب العلاقة بين القلب والجوارح اعني النفس والبدن فان كل صفة تظهر في القلب يفيض اثرها على الجوارح حتى لا تتحرك الا على وفقها
وكل فعل يجري على الجوارح فانه يرتفع منه اثر الى القلب والامر فيه دور ويعرف ذلك بمثال وهو ان من اراد ان يصير
الحذق في الكتابة له صفة نفسية حتى يصير كاتبا بالطبع فلا طريق له الا ان يتعاطى بجارحة اليد ما يتعاطاه الكاتب
الحاذق ويواظب عليه مدة طويلة وهو يحاكي الخط الحسن فان فعل الكاتب هو الخط الحسن فيتشبه بالكاتب تكلفا ثم لا يزال
يواظب عليه حتى يصير ذلك صفة راسخة في نفسه فيصدر منه بالآخر الخط الحسن طبعا كما كان يصدر منه في الابتداء تكلفا فكان الخط الحسن هو الذي جعل خطه حسنا ولكن
الاول بتكلف الا انه ارتفع منه الى النفس ثم انخفض من النفس اثر الى الجارحة فصار يكتب الخط الحسن طبعا وكذلك من
اراد ان يصير فقيه النفس فلا طريق له الا ان يتعاطى افعال الفقهاء وهو التكرار للفقه حتى تنعطف منه على قلبه صفة الفقه
فيصير فقيه النفس وكذلك من اراد ان يصير سخيا عفيفا حليما متواضعا فيلزمه ان يتعاطى افعال هؤلاء تكلفا حتى يصير له ذلك بالعادة
طبعا وتآلفا ولا علاج له الا ذلك وكما ان طالب فقه النفس لا ييأس من هذه الرتبة بتعطيل ليلة ولا ينالها بتكرار ليلة
وكذلك طالب تزكية النفس وتكميلها وتحليتها بالاخلاق الحسنة لا ينالها بعبادة يوم ولا يحرم عنها بعصيان يوم وهو معنى قولنا
ان الكبيرة الواحدة لا توجب الشقاوة المؤبدة ولكن العطلة في يوم واحد تدعو الى مثلها ثم تتداعى قليلا قليلا حتى تانس
النفس بالكسل وتهجر التحصيل اصلا فيفوتها فضيلة الفقه فكذلك صغائر المعاصي يجر بعضها الى بعض حتى يفوت اصل السعادة
بهدم اصل الايمان عند الخاتمة وكما ان تكرار ليلة لا يحس تاثيره في فقه النفس بل يظهر فقه النفس شيئا شيئا على التدريج
مثل نمو البدن وارتفاع القامة فكذلك الطاعة الواحدة فلا يحس تاثيرها في تزكية النفس وتطهيرها في الحال ولكن
لا ينبغي ان يستهان بقليل الطاعات فان الجملة الكثيرة منها مؤثرة وانما اجتمعت الجملة من الآحاد فلكل واحد تاثير فما من طاعة الا

اثره

الا ولها اثر وان خفي فله لا محالة ثواب لان الثواب بازاء الاثر وكذا المعصية وكم من فقيه يستهين بتعطيل يوم وليلة
وهكذا على التوالي يسوف نفسه يوما يوما الى ان يخرج طبعه عن قبول الفقه فكذا من يستهين بصغائر المعاصي ويسوف
نفسه بالتوبة على التوالي اما ان يختطفه الموت بغتة او تتراكم ظلمة الذنوب على قلبه وتتعذر عليه التوبة اذ القليل
يدعو الى الكثير ويصير القلب مقيدا بسلاسل الشهوات لا يمكن تخليصه من مخالبها وهو المعنى بانسداد باب التوبة وهو المراد
بقوله تعالى وجعلنا من بين ايديهم سدا الآية ولذلك قال علي رضي الله عنه ان الايمان ليبدو في القلب نكتة بيضاء كلما ازداد
الايمان ازداد ذلك البياض فاذا استكمل العبد الايمان ابيض القلب كله وان النفاق ليبدو في القلب نكتة سوداء كلما
ازداد النفاق اسود القلب كله فاذا قد عرفت ان الاخلاق الحسنة تارة تكون بالطبع والفطرة وتارة تكون باعتياد الافعال
الجميلة وتارة بمشاهدة ارباب الافعال الجميلة ومصاحبتهم وهم قرناء الخير واخوان الصلاح اذ الطبع يسرق من الطبع
الشر والخير جميعا فمن تظاهرت في حقه الجهات الثلاث حتى صار ذا فضيلة طبعا واعتيادا وتعلما فهو في غاية الفضيلة و
من كان رذلا بالطبع واتفق له اقران السوء فتعلم منهم وتيسرت له اسباب الشر حتى تعودها فهو في غاية البعد من الله
تعالى وبين الرتبتين من اختلفت به هذه الجهات ولكل درجة في القرب والبعد بحسب ما تقتضيه صفته وحالته ومن يعمل
مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وما ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم يظلمون بيان تفصيل الطريق
الى تهذيب الاخلاق قد عرفت من قبل ان الاعتدال في الاخلاق هو صحة النفس والميل عن الاعتدال في الاخلاق سقم
ومرض فيها كما ان الاعتدال في مزاج البدن هو صحة له والميل عن الاعتدال مرض فيه فلنتخذ البدن مثالا فنقول مثال
النفس في علاجها بمحو الرذائل والاخلاق الرديئة عنها وكسب الفضائل والاخلاق الجميلة اليها مثال البدن في علاجه بمحو
العلل عنه وكسب الصحة له وجلبها اليه وكما ان الغالب على اصل المزاج الاعتدال وانما تعتري المعدة المضرة بعوارض الاغذية
والاهوية والاحوال فكذلك كل مولود يولد معتدلا صحيحا على الفطرة وانما ابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه
بالتعليم والتعود يكسب الرذائل وكما ان البدن في الابتداء لا يخلق كاملا وانما يكمل ويقوى بالنشوء والتربية بالغذاء
فكذلك النفس تخلق ناقصة قابلة للكمال وانما تكمل بالتربية وتهذيب الاخلاق والتغذية بالعلم وكما ان البدن
ان كان صحيحا فشان الطبيب تمهيد القانون الحافظ للصحة وان كان مريضا فشانه جلب الصحة اليه فكذا النفس منك
ان كانت زكية طاهرة مهذبة الاخلاق فينبغي ان تسعى لحفظها وجلب مزيد قوة اليها واكتساب
زيادة صفائها وان كانت عديمة الكمال والصفاء فينبغي ان تسعى لجلب ذلك اليها وكما ان العلة المغيرة لاعتدال البدن
الموجبة للمرض لا تعالج الا بضدها فان كانت من حرارة فبالبرودة وان كانت من برودة فبالحرارة فكذلك الرذيلة التي
هي مرض القلب علاجها بضدها فيعالج مرض الجهل بالتعلم ومرض البخل بالتسخي ومرض الكبر بالتواضع ومرض الشره
بالكف عن المشتهى تكلفا وكما انه لا بد من احتمال مرارة الدواء وشدة الصبر عن المشتهيات لعلاج الابدان المريضة فلا بد
من احتمال مرارة المجاهدة والصبر لمداواة مرض القلب بل اولى فان مرض البدن يخلص منه بالموت ومرض القلب والعياذ
بالله عذاب يدوم بعد الموت ابد الآباد وكما ان كل مبرد لا يصلح لعلة سببها الحرارة الا اذا كان على حد مخصوص ويختلف
ذلك بالشدة والضعف والدوام وعدمه وبالكثرة وبالقلة ولا بد له من معيار يعرف به مقدار النافع منه فانه ان لم يحفظ
معياره زاد الفساد فكذلك النقائض التي تعالج بها الاخلاق لا بد لها من معيار وكما ان معيار الدواء ماخوذ من عيار العلة حتى ان

ان الطبيب لا يعالج ما لم يعرف ان العلة من حرارة او برودة فان كانت من حرارة فيعرف درجتها اهي ضعيفة او قوية
فاذا عرف التفت معه الى احوال البدن واحوال الزمان وصناعة المريض وسنه وساير احواله ثم يعالج بحسبها
فكذلك الشيخ المتبوع الذي يطبب نفوس المريدين ويعالج قلوب المسترشدين ينبغي ان لا يهجم عليهم بالرياضة والتكاليف في فن
مخصوص وطريق مخصوص ما لم يعرف اخلاقهم وامراضهم وكما ان الطبيب لو عالج جميع المرضى بعلاج واحد قتل اكثرهم فكذلك
الشيخ لو اشار على المريدين بنمط واحد من الرياضة اهلكهم وامات قلوبهم بل ينبغي ان ينظر المريد وفي حاله وسنه ومزاجه
وما يحتمله بنيته في الرياضة ويبني عليه رياضته فان كان المريد مبتديا جاهلا بحدود الشرع فيعلم اولا الطهارة
والصلوة وظواهر العبادات وان كان مشغولا بمال حرام او مقارفا لمعصية فيامره اولا بتركها فاذا تزين بالعبادات
ظاهره وطهرت عن المعاصي الظاهرة جوارحه نظر بقراين الاحوال الى باطنه ليتفطن لاخلاقه وامراض قلبه فان راى
معه مالا فاضلا عن قدر ضرورته اخذه منه وصرفه في الخيرات وفرغ قلبه منه حتى لا يلتفت اليه فان راى الرعونة
والكبر وعزة النفس غالبة عليه فيامره بان يخرج الى السوق للكدية والسؤال فان عزة الرياسة لا تنكسر الا بالذل ولا ذل
اعظم من ذل السؤال فيكلفه المواظبة على ذلك مدة حتى ينكسر كبره وعزه فان الكبر من الامراض المهلكة وكذا الرعونة وان راى
الغالب عليه النظافة في البدن والثياب وراى قلبه مايلا اليه فرحا به ملتفتا اليه استخدمه في تعهد بيت الماء وتنظيفه
وكنس المواضع القذرة او ملازمة المطبخ ومواضع الدخان حتى تتشوش عليه رعونته في النظافة فان الذين ينظفون
ثيابهم ويزينونها ويطلبون المرقعات الرفيعة والسجادات الملونة لا فرق بينهم وبين العروس التي تزين نفسها طول النهار
ولا فرق بين ان يعبد الانسان نفسه او يعبد صنما فمهما عبد غير الله فقد حجب عن الله ومن راعى في ثوبه شيا غير كونه حلالا طاهرا
مراعاة يلتفت اليه قلبه فهو مشغول بنفسه ومن لطايف الرياضة ان النفس اذا كانت لا تسخو بترك الرعونة راسا او
بترك صفة اخرى ولم تسمح بضدها دفعة فينبغي ان ينقل من الخلق المذموم الى مذموم اخر اخف منه كالذي يغسل الدم بالبول
ثم يغسل البول بالماء اذا كان الماء لا يزيل الدم كما يرغب الصبي في المكتب باللعب بالكرة والصولجان ثم ينقل من اللعب بالزينة وفاخر
الثياب ثم ينقل من ذلك بالترغيب بالرياسة وطلب الجاه ثم ينقل عن الجاه بالترغيب في الاخرة فكذلك من لم تسمح نفسه
بترك الجاه دفعة فلينقل الى جاه اخف مما هو فيه وكذلك ساير الصفات وكذلك ان راى شره الطعام غالبا عليه الزمه
الصوم وتقليل الطعام اولا ثم كلفه ان يهيا الاطعمة اللذيذة ويقدمها الى غيره وهو لا ياكل منها حتى يقوي به نفسه
فيتعود الصبر وينكسر شرهه وكذلك اذا راه شابا متشوقا الى النكاح وهو عاجز عن النكاح فيامره بالصوم وربما لا يسكن
ذلك شهوته فيامره بان يفطر ليلة على الماء دون الخبز وليلة على الخبز دون الماء ويمنعه اللحم والادم راسا حتى تذل نفسه
وتنكسر شهوته فلا علاج في مبادي الارادة انفع من الجوع وان راى الغضب غالبا عليه الزمه الحلم والسكوت وسلط عليه
من يصحبه ممن فيه سوء خلق ويلزمه خدمة من ساء خلقه حتى يمرن نفسه على الاحتمال فقد كان بعضهم يعود
نفسه الحلم ويزيل عن نفسه شدة الغضب فكان يستاجر من يشتمه على ملا من الناس ويكلف نفسه الصبر ويكظم غيظه حتى
صار الحلم عادة له بحيث كان يضرب به المثل وكان بعضهم يستشعر في نفسه الجبن وضعف القلب فاراد ان يحصل لنفسه
خلق الشجاعة فكان يركب البحر في الشتاء عند اضطراب الامواج وعباد الهند يعالجون الكسل عن العبادة بالقيام طول الليل
على نصبة واحدة وبعض الشيوخ في ابتداء ارادته كان يكسل نفسه عن القيام فالزم نفسه القيام على راسه طول الليلة

الليلة لتسمح بالقيام على الرجل عن طوع وعالج بعضهم حب المال بان باع جميع ماله ورماه في البحر اذ خاف من تفرقته
على الناس رعونة الجود ورياء البذل فهذه الامثلة تعرفك طريق معالجة القلوب فليس غرضنا ذكر دواء كل مرض فان ذلك
سياتي في بقية الكتب وانما الغرض الان التنبيه على ان الطريق الكلي فيه سلوك مسلك المضادة لكل ما تهواه النفس وتميل
اليه وقد جمع الله تعالى جميع ذلك في كلمة واحدة فقال واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي الماوى
والاصل المهم في المجاهدة الوفاء بالعزم فاذا عزم على ترك شهوة فقد تيسرت اسبابه ويكون ذلك من الله سبحانه ابتلاء وامتحانا
واختبارا فينبغي ان يصبر ويستمر فانه ان عود نفسه ترك العزم الفت ذلك وفسدت واذا اتفق منه نقض عزم فينبغي ان
يلزم نفسه عقوبة عليه كما ذكرناه في معاقبة النفس في كتاب المراقبة واذا لم يخوف النفس بعقوبة غلبته وحسنت عنده
تناول الشهوة وتفسد به الرياضة بالكلية

بيان علامات مرض القلب وعوده الى الصحة

كما ان كل عضو من
اعضاء البدن خلق لفعل خاص وانما مرضه ان يتعذر عليه فعله الذي خلق له حتى لا يصدر منه اصلا او يصدر مع نوع من
الاضطراب فمرض اليد ان يتعذر عليها البطش ومرض العين ان يتعذر عليها الابصار وكذلك مرض القلب بان يتعذر عليه
فعله الخاص به الذي خلق لاجله وهو العلم والحكمة والمعرفة وحب الله سبحانه وعبادته والتلذذ بذكره وايثار ذلك على كل
شهوة سواه والاستعانة والاعضاء عليه قال الله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ففي كل عضو فايدة وفايدة القلب
الحكمة والمعرفة وخاصيته التي للادمي ما يتميز بها عن البهائم ولم يتميز عنها بالقوة على الاكل والوقاع والابصار او غيرها
بل بمعرفة الاشياء على ما هي عليه واصل الاشياء وموجدها ومخترعها الذي جعلها اشياء هو الله تعالى فلو عرف كل شي ولم
يعرف الله فكانه لم يعرف شيا وعلامة المعرفة المحبة ان لا يوثر عليه الدنيا ولا غيرها من المحبوبات كما قال تعالى قل ان كان
اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها الى قوله
تعالى احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فمن عنده شي احب اليه من الله تعالى فقلبه مريض كما ان كل معدة صار الطين
احب اليها من الخبز والماء او سقطت شهوتها عن الخبز والماء فهي مريضة فهذه علامة المرض وبهذا يعرف ان القلوب كلها
مريضة الا ما شاء الله الا ان من الامراض ما لا يعرفها صاحبها ومرض القلب مما لا يعرفه صاحبه فلذلك يغفل عنه وان علمه
صعب عليه الصبر على مرارة دوائه فان دواءه مخالفة الشهوات وهو نزع الروح فان وجد من نفسه قوة الصبر عليه
لم يجد طبيبا حاذقا يعالجه فان الاطباء هم العلماء وقد استولى المرض عليهم والطبيب المريض قلما يلتفت الى علاجه
فلهذا صار الداء عضالا والمرض مزمنا واندرس هذا العلم وانكر بالكلية طب القلوب وانكر مرضها واقبل الخلق على
حب الدنيا وعلى اعمال ظاهرها عبادات وباطنها عادات ومراياة فهذه علامة اصل المرض فاما علامة عودها الى
الصحة بعد المعالجة فهو ان ينظر في العلة التي يعالجها فان كان يعالج داء البخل وانه المهلك المبعد من الله تعالى فانما
علاجه ببذل المال وانفاقه ولكنه قد يبذل المال الى حد يصير به مبذرا فيكون التبذير ايضا داء ويكون كمن يعالج البرودة
بالحرارة حتى تغلب الحرارة فهو ايضا داء بل المطلوب الاعتدال بين الحرارة والبرودة فكذلك المطلوب الاعتدال بين
الحرام التقتير والتبذير حتى يكون على الوسط وفي غاية البعد عن الطرفين فان اردت ان تعرف الوسط فانظر الى الفعل
الذي يوجبه الخلق المحذور فان كان اسهل عليك والذ من الذي يضاده فالغالب عليك ذلك الخلق الموجب له مثل
ان يكون امساك المال وجمعه الذ عندك وايسر عليك من بذله للمستحقه فاعلم ان الغالب عليك خلق البخل فزد في المواظبة

على البذل فان صار البذل على غير المستحق الذ عندك واخف عليك من الامساك بالحق فقد غلب عليك التبذير فارجع الى المواظبة على الامساك ولا تزال تراقب نفسك وتستدل على خلقك بتيسير الافعال وتعسيرها حتى تنقطع علاقة قلبك عن المال فلا تميل الى بذله ولا الى امساكه بل يصير عندك كالماء فلا تطلب منه الا امساكه لحاجة او بذله لحاجة محتاج ولا يترجح عندك البذل على الامساك فكل قلب صار كذلك فقد اتى الله بقلب سليم عن هذا المقام خاصة ويجب ان يكون سليما عن سائر الاخلاق حتى لا يكون له علاقة بشيء مما يتعلق بالدنيا حتى ترتحل النفس عن الدنيا منقطعة العلائق عنها غير ملتفتة اليها ولا متشوقة الى اسبابها فعند ذلك ترجع الى ربها رجوع النفس المطمئنة راضية مرضية داخلة في زمرة عباد الله من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا ولما كان الوسط الحقيقي بين الطرفين في غاية الغموض بل هو ادق من الشعر فلا جرم من استوى على هذا الصراط المستقيم في الدنيا جاز على مثل هذا الصراط في الاخرة وقلما ينفك العبد عن ميل عن الصراط المستقيم اعني الوسط حتى لا يميل الى احد الجانبين فيكون قلبه متعلقا بالجانب الذي مال اليه فلذلك لا ينفك عن عذاب ما واجتياز على النار وان كان مثل البرق قال الله تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا اي الذين كان قربهم الى الصراط المستقيم اكثر من بعدهم عنه ولاجل عسر الاستقامة وجب على كل عبد ان يدعو الله تعالى في كل يوم سبع عشرة مرة في قوله اهدنا الصراط المستقيم اذ وجب قراءة الفاتحة في كل ركعة وراى بعضهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال قد قلت يا رسول الله شيبتني سورة هود فلم قلت ذلك قال لقوله تعالى فاستقم كما امرت فالاستقامة على سواء السبيل في غاية الغموض ولكن ينبغي ان يجتهد الانسان في القرب من الاستقامة ان لم يقدر على حقيقة الاستقامة فكل من اراد النجاة فلا نجاة الا بالعمل الصالح ولا تصدر الاعمال الصالحة الا عن الاخلاق الحسنة فليتفقد كل عبد صفاته واخلاقه وليعددها و ليشتغل بعلاج واحد واحد منها على الترتيب

بيان الطريق الذي به يعرف الانسان عيوب نفسه اعلم ان الله تعالى اذا اراد بعبد خيرا بصره بعيوب نفسه فمن كانت بصيرته نافذة لم تخف عليه عيوبه فاذا عرف العيوب امكنه العلاج ولكن اكثر الخلق جاهلون بعيوب انفسهم يرون القذى في غيرهم ولا يرون في عين انفسهم فله اربعة طرق الاول ان يجلس بين يدي شيخ بصير بعيوب النفس مطلع على خفايا الآفات ويحكمه في نفسه ويتبع اشارته في مجاهدته وهذا شان المريد مع شيخه والتلميذ مع استاذه فيعرفه استاذه وشيخه عيوب نفسه ويعرفه طريق علاجه وهذا قد عز في هذا الزمان وجوده الثاني ان يطلب صديقا بصيرا متدينا وينصبه رقيبا على نفسه ليلاحظ احواله وافعاله فما يكره من اخلاقه وافعاله وعيوبه الباطنة والظاهرة ينبهه عليه فهكذا كان يفعل الاكابر من ائمة الدين كان عمر رضي الله عنه يقول رحم الله امرأ اهدى الي عيوبي وكان يسأل سلمان عن عيوبه فلما قدم عليه قال له ما الذي بلغك عني مما تكرهه فاستعفى فالح فقال سمعت انك جمعت بين ادامين على مائدة وان لك حلتين حلة بالنهار وحلة بالليل فقال وهل بلغك غير هذا فقال لا فقال اما هذان فقد كفيتهما وكان يسأل حذيفة ويقول له انت صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنافقين فهل ترى علي شيئا من آثار النفاق فهو على جلالة قدره وعلو منصبه هكذا كان تهمته لنفسه فكل من كان اوفر عقلا واعلى منصبا كان اقل اعجابا واعظم اتهاما لنفسه الا ان هذا ايضا قد عز فقل في الاصدقاء من يترك المداهنة فيخبر بالعيب او يترك الحسد فلا يزيد على قدر الواجب فلا تخلو في اصدقائك عن حسود او صاحب غرض يرى ما ليس بعيب عيبا او عن مداهن يخفي عنك بعض عيوبك ولهذا كان داود الطائي قد اعتزل عن الناس فقيل له لم لا تخالط الناس قال ماذا اصنع باقوام يخفون عني عيوبي فكانت شهوة ذوي الدين ان يتنبهوا لعيوبهم بتنبيه غيرهم وقد آل الامر في امثالنا الى ان ابغض

وابغض الخلق الينا من ينصحنا ويعرفنا عيوبنا ويكاد يكون هذا مفصحا عن ضعف الايمان فان الاخلاق السيئة حيات وعقارب لداغة ولو نبهنا منبه على ان تحت ثوبنا عقربا لتقلدنا منه منة وفرحنا به واشتغلنا بابعاد العقرب وقتله وانما نكايته على البدن ويدوم المه يوما فما دونه ونكاية الاخلاق الرديئة على صميم القلب ويخشى ان تدوم بعد الموت ابدا او الافا من السنين ثم انا لا نفرح بمن ينبهنا عليها ولا نشتغل بازالتها بل نشتغل بمقابلة الناصح بمثله فنقول وانت ايضا تصنع كيت وكيت وتشغلنا العداوة معه عن الانتفاع بنصحه ويشبه هذا ان يكون من قساوة القلب التي اثمرتها كثرة الذنوب واصل ذلك ضعف الايمان فنسأل الله تعالى ان يعرفنا رشدنا ويبصرنا بعيوب انفسنا ويشغلنا بمداواتها ويوفقنا للقيام بشكر من يطلعنا على مساوينا بمنه وفضله الطريق الثالث ان يستفيد عيوب نفسه من لسان اعدائه فان عين السخط تبدي المساوي ولعل انتفاع الانسان بعدو مشاحن يذكره عيوبه اكثر من انتفاعه بصديق مداهن يثني عليه ويمدحه ويخفي عنه عيوبه الا ان الطبع مجبول على تكذيب العدو وحمل ما يقوله على الحسد ولكن البصير لا يخلو عن الانتفاع بقول اعدائه فان مساويه لا بد وان تنتشر على لسانهم الطريق الرابع ان يخالط الناس فكل ما رآه مذموما فيما بين الخلق فليطالب نفسه به وينسب نفسه اليه فان المومن مرآة المومن فيرى في عيوب غيره عيوب نفسه ويعلم ان الطباع متقاربة في اتباع الهوى فما يتصف به واحد من الاقران لا ينفك القرين الآخر عن اصله او عن اعظم منه او عن شيء منه فيتفقد نفسه ويطهرها عن كل ما يذمه من غيره وناهيك بهذا تاديبا فلو ترك الناس كلهم ما يكرهونه من غيرهم لاستغنوا عن المؤدب قيل لعيسى صلى الله عليه السلام والصلوة من ادبك قال ما ادبني احد رايت جهل الجاهل فجانبته وهذا كله حيل من فقد شيخا عارفا زكيا بصيرا بعيوب النفس مشفقا ناصحا في الدين فارغا عن تهذيب نفسه مشغولا بتهذيب عباد الله نصحا لهم فمن وجد ذلك فقد الطبيب فليلازمه فهو الذي يخلصه من مرضه وينجيه من الهلاك الذي هو بصدده

بيان شواهد النقل من ارباب البصائر وشواهد الشرع على ان الطريق في معالجة امراض القلوب ترك الشهوات وان مادة امراضها في اتباع الشهوات اعلم ان ما ذكرناه ان تاملته بعين الاعتبار انفتحت بصيرتك وانكشفت لك علل القلوب وامراضها وادويتها بنور العلم واليقين فان عجزت عن ذلك فلا ينبغي ان يفوتك التصديق والايمان على سبيل التلقي والتقليد لمن يستحق التقليد فان للايمان درجة كما ان للعلم درجة والعلم يحصل بعد الايمان وهو وراءه قال الله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات فمن صدق بان مخالفة الشهوات هو الطريق الى الله ولم يطلع على سببه وسره فهو من الذين آمنوا واذا اطلع على ما ذكرناه من اعوان الشهوات واسرارها فهو من الذين اوتوا العلم درجات وكلا وعد الله الحسنى والذي يقتضي الايمان بهذا الامر في القرآن والسنة واقاويل العلماء اكثر من ان يحصى قال الله تعالى اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى قيل نزع عنها محبة الشهوات وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن بين خمس شدائد مؤمن يحسده ومنافق يبغضه وكافر يقاتله وشيطان يضله ونفس تنازعه فبين ان النفس عدو منازع يجب مجاهدتها ويروى ان الله عز وجل اوحى الى داود يا داود حذر وانذر اصحابك اكل الشهوات فان القلوب المتعلقة بشهوات الدنيا عقولها محجوبة عني وقال عيسى صلى الله عليه وسلم طوبى لمن ترك شهوة حاضرة لموعود غائب لم يره وقال صلى الله عليه وسلم لقوم قدموا من الجهاد مرحبا بكم قدمتم من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر فقالوا يا رسول الله وما الجهاد الاكبر قال جهاد النفس وقال صلى الله عليه وسلم المجاهد من جاهد نفسه في الله عز وجل وقال صلى الله عليه وسلم كف اذاك عن نفسك ولا تتابع هواها في معصية الله اذ تخاصمك يوم القيمة فيلعن

بعضك بعضا الا ان يغفر الله تعالى وبشر وقال سفين الثوري ما عالجت شيئا اشد من نفسي مرة لي ومرة علي وكان ابو العباس
الموصلي يقول لنفسه يا نفس لا في الدنيا مع ابناء الملوك تتنعمين ولا في طلب الآخرة مع العباد تجتهدين كاني بك بين الجنة
والنار تحبسين لا يا نفس الا يا لا تستحيين وقال الحسن ما الدابة الجموح باحوج الى اللجام الشديد من نفسك وقال يحيى بن معاذ
الرازي جاهد النفس باسياف الرياضة والرياضة على اربعة اوجه القوت من الطعام والغمض من المنام والحاجة من الكلام و
حمل الاذى من جميع الانام فيتولد من قلة الطعام موت الشهوات ومن قلة المنام صفو الارادات ومن قلة الكلام السلامة من
الآفات ومن احتمال الاذى البلوغ الى الغايات وليس على العبد شيء اشد من الحلم عند الجفاء والصبر على الاذى واذا تحركت من النفس
ارادة الشهوات والآثام وهاجت منها حلاوة فضول الكلام جردت عليها سيف قلة الطعام من غمد التهجد وقلة المنام
وضربتها بايدي الخمول وقلة الكلام حتى تنقطع من الظلم والانتقام فتأمن من بوائقها في ساير الايام وتصفيها من ظلمة شهواتها
فتنجو من غوائل آفاتها فتصير عند ذلك روحانية لطيفة نورانية خفيفة فتجول في ميدان الخيرات وتسير في مسالك الطاعات
كالفرس الفاره في الميدان وكالملك المتنزه في البستان وقال ايضا اعداء الانسان ثلاثة دنياه وشيطانه ونفسه فاحترز من
الدنيا بالزهد فيها ومن الشيطان بمخالفته ومن النفس بترك الشهوات وقال بعض الحكماء من استولت عليه النفس صار اسيرا
في حب شهواتها محصورا في سجن هواها ومنعت قلبه الفوائد وقال جعفر بن حميد اجمعت العلماء والحكماء على ان النعيم لا يدرك
الا بترك النعيم وقال ابو يحيى الوراق من ارضى الجوارح بالشهوات فقد غرس في قلبه شجر الندامات وقال وهب بن الورد ما
زيد على الخبز فهو شهوة وقال ايضا من احب شهوات الدنيا فليتهيأ للذل ويروى ان امرأة العزيز قالت ليوسف عليه السلم بعد ما
ملك خزائن الارض يا يوسف ان الحرص والشهوة صيرا الملوك عبيدا وان الصبر والتقوى صيرا العبيد ملوكا فقال يوسف
قال الله عز وجل انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين وقال الجنيد ارقت ليلة فقمت الى وردي فلم اجد الحلاوة التي
كنت اجدها فاردت ان انام فلم اقدر فقعدت فلم اطق القعود فخرجت فاذا رجل في عباءة مطروح على الطريق فلما احس قال
يا ابا القاسم الى الساعة فقلت يا سيدي من غير موعد فقال بلى سألت محرك القلوب ان يحرك الي قلبك فقلت قد فعل فما حاجتك
قال متى يصير داء النفس دواءها فقلت اذا خالفت النفس هواها فاقبل على نفسه وقال اسمعي قد اجبتك بهذا سبع مرات
فابيت الا ان تسمعيه من الجنيد ها قد سمعتيه قال فانصرفت وما عرفته وقال يزيد الرقاشي السلام على الماء البارد في الدنيا
لعلي لا احرمه في الآخرة وقال رجل لعمر بن عبد العزيز متى اتكلم قال اذا اشتهيت الصمت قال فمتى اصمت قال اذا اشتهيت ان تتكلم
وقال علي رضي الله عنه من اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات في الدنيا وكان مالك بن دينار يطوف في السوق فاذا رأى الشيء يشتهيه
قال لنفسه اصبري فوالله ما امنعك الا من كرامتك علي فاذن قد اتفق العلماء والحكماء على ان لا طريق الى سعادة الآخرة الا بنهي
النفس عن الهوى ومخالفة الشهوات فالايمان بهذا واجب واما علم تفصيل ما يترك من الشهوات وما لا يترك فينكشف مما
قدمناه وحاصل الرياضة وسرها ان لا تتمتع النفس بشيء مما لا يوجد في القبر الا بقدر الضرورة فيكون مقتصرا من الاكل و
النكاح واللباس والمسكن وكل ما هو مضطر اليه على قدر الحاجة والضرورة فانه لو تمتع بشيء منه انس به والف فاذا مات
تمنى الرجوع الى الدنيا ولا يتمنى الرجوع الى الدنيا الا من لا حظ له في الآخرة بحال ولا خلاص عن ذلك الا بان يكون القلب
مشغولا بمعرفة الله وحبه والتفكر فيه ويقتصر من الدنيا على ما يدفع عوائق الفكر والذكر فقط فمن لم يقدر على حقيقة ذلك
فليقرب منه فالناس فيه اربعة رجل استغرق ذكر الله تعالى قلبه فلا يلتفت الى الدنيا الا في ضروريات المعيشة فهو من الصديقين

من الصديقين ولا ينتهي الى هذه الرتبة الا بالرياضة الطويلة والصبر عن الشهوات مدة مديدة والثاني من استغرق الدنيا
قلبه فلم يبق لله ذكر في قلبه الا من حيث حديث النفس حيث يذكره باللسان وهذا من الهالكين والثالث رجل اشتغل بالدنيا
والدين لكن الغالب على قلبه هو الدين وهذا لا بد له من ورود النار الا انه ينجو منها سريعا بقدر غلبة ذكر الله على قلبه
والرابع رجل اشتغل بهما جميعا لكن الدنيا اغلب على قلبه فهذا يطول مقامه في النار لكن يخرج منها لا محالة لقوة ذكر الله
في قلبه وتمكنه من صميم فؤاده وان كان ذكر الدنيا اغلب عليه وربما يقول القائل ان التنعم بالمباح مباح فكيف يكون سبب
البعد من الله فهذا خيال ضعيف بل حب الدنيا راس كل خطيئة والمباح الخارج عن قدر الحاجة من الدنيا ايضا وسياتي ذلك
في كتاب الدنيا وقال ابراهيم الخواص كنت مرة في جبل اللكام فرأيت رمانا فاشتهيته فاخذت منه واحدة فشققتها فوجدتها
حامضا فمضيت وتركت الرمان فرأيت رجلا مطروحا قد اجتمع عليه الزنابير فقلت السلام عليك فقال وعليك السلام يا ابرهيم
فقلت كيف عرفتني قال من عرف الله لا يخفى عليه شيء فقلت ارى لك حالا مع الله فلو سألته ان يحميك من هذه الزنابير فقال
وارى لك حالا مع الله فلو سألته ان يحميك شهوة الرمان فان لدغ الرمان يجد الانسان المه في الآخرة ولدغ الزنابير يجد
المه في الدنيا فتركته ومضيت وقال السري منذ اربعين سنة تطالبني نفسي ان اغمس جزرة في دبس فما اطعمتها فاذن لا يمكن
اصلاح القلب لطريق سلوك الله ما لم يمنع النفس من التنعم بالمباح فان النفس اذا لم تمنع بعض المباحات طمعت في المحظورات فمن
اراد حفظ لسانه عن الغيبة والفضول فحقه ان يلزم السكوت الا عن مهمات حتى يموت منه شهوة الكلام فلا يتكلم الا بحق فيكون
سكوته عبادة وكلامه عبادة ومهما اعتادت العين رمي البصر الى كل شيء جميل لم تتحفظ عن النظر الى ما لا يحل وكذلك ساير الشهوات
لان الذي يشتهي به الحلال هو بعينه الذي يشتهي به الحرام فالشهوة واحدة وقد وجب على العبد منعها عن الحرام فان لم يعود
الاقتصار على قدر الضرورة في الشهوات غلبته الشهوة فهذه احدى آفات المباحات ووراء هذا آفة اعظم من هذه وهو ان النفس
تفرح بالتنعم بالدنيا وتركن اليها وتطمئن بها اشرا وبطرا حتى تصير ثملا كالسكران الذي لا يفيق من سكره وذلك الفرح
بالدنيا سم قاتل يسري في العروق فيخرج من القلب الخوف والحزن وذكر الموت واهوال القيامة وهذا هو موت القلب قال الله
تعالى وفرحوا بالحيوة الدنيا وما الحيوة الدنيا في الآخرة الا متاع وقال تعالى اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو الى قوله الا
متاع الغرور فاولوا الحزم من ارباب القلوب جربوا قلوبهم في حالة الفرح بمواتاة الدنيا فوجدوها قاسية بطرة بعيدة
من التأثر بذكر الله واليوم الآخر وجربوها في حالة الحزن فوجدوها لينة رقيقة صافية قابلة لاثر الذكر فعلموا ان
النجاة في الحزن الدائم والتباعد من اسباب البطر والفرح ففطموها عن ملاذها وعودوها الصبر عن شهواتها حلالها
وحرامها وعلموا ان حلالها حساب وهو نوع عذاب فمن نوقش الحساب في عرصات القيامة فقد عذب فخلصوا انفسهم
من عذابها وتوصلوا الى الحرية والملك الدائم في الدنيا والآخرة بالخلاص من اسر الشهوات ورقها والانس بذكر الله
تعالى والاشتغال بطاعته وفعلوا بها ما يفعل بالبازي اذا قصد تاديبه ونقله عن توثبه وتوحشه الى الانقياد والتأدب
فانه يحبس اولا في بيت فيخاط عيناه حتى يحصل به الفطام عن الطيران في جو الهواء وينسى ما كان قد الفه من طبع الاسترسال
ثم يرفق به باللحم حتى يانس بصاحبه ويالفه الفا اذا دعاه اجابه ومهما سمع صوته رجع اليه فكذلك النفس
لا تالف ربها ولا تانس بذكره الا اذا فطمت عن عاداتها بالخلوة والعزلة اولا ليحفظ السمع والبصر عن المالوفات ثم
عودت الثناء والذكر والدعاء ثانيا في الخلوة حتى يغلب عليها الانس بذكر الله عوضا عن الانس بالدنيا وساير الشهوات

وذلك يثقل عليه في البداية ثم يتنعم به في النهاية كالصبي يفطم من الثدي وهو شديد عليه اذ كان لا يصبر عنه ساعة
فلذلك يشتد عليه بكاؤه وجزعه عند الفطام ويشتد نفوره عن الطعام الذي يقدم اليه بدلاً عن اللبن ولكنه اذا منع
اللبن راساً يوماً وعظم تعبه في الصبر وغلبه الجوع تناول الطعام تكلفاً ثم يصير طبعاً له فلو رد بعد ذلك الى الثدي لم يرجع
اليه فيهجر الثدي ويعاف اللبن ويألف الطعام وكذلك الدابة في الابتداء تنفر عن السرج واللجام والركوب وكيف تحمل
على ذلك قهراً وتمنع عن السرح الذي الفته بالسلاسل والقيود اولاً ثم تانس به بحيث تترك في موضعها فتقف فيه من غير قيد
وكذلك يؤدب النفس كما يؤدب الطيور والدواب وتاديبها بان تمنع عن النظر والاشر والفرح بنعيم الدنيا بل بكل ما يزايله بالموت
اذ قيل له احبب ما احببت فانك مفارقه فاذا علم ان من احب شيئاً يلزمه فراقه ويشقى لا محالة بفراقه شغل قلبه بحب ما
لا يفارقه وهو ذكر الله تعالى فان ذلك يصحبه في القبر ولا يفارقه الى مدة حيوة الآخرة وما من عاقل الا وهو راض باحتمال
احتمال المشقة في سنة لتعلم صناعة وغيرها شهراً ليتنعم به سنة وكل العمر بالاضافة الى الابد اقل من الشهر بالاضافة الى
عمر الدنيا فلابد من الصبر والمجاهدة فعند الصباح يحمد القوم السرى وطريق الرياضة والمجاهدة لكل انسان تختلف بحسب
اختلاف احواله والاصل فيه ان يترك كل واحد ما به فرحه من اسباب الدنيا فالذي يفرح بالمال او بالجاه او بالقبول في
الوعظ او بالعز في القضاء والولاية او بكثرة الاتباع في التدريس والافادة فينبغي ان يترك اولاً ما به فرحه فانه ان منع
عن شيء من ذلك وقيل له ثوابك في الآخرة لم ينقص بالمنع فكره ذلك وتالم به فهو ممن فرح بالحيوة الدنيا واطمأن
اليها وذلك مهلك في حقه ثم اذا ترك اسباب الفرح فليعتزل الناس ولينفرد بنفسه وليراقب قلبه حتى لا يشتغل الا بذكر الله
والفكر فيه وليترصد لما يبدو في نفسه من شهوة ووسواس حتى يقمع مادته مهما ظهر فان لكل وسوسة سبباً ولا يزول الا
بقطع ذلك السبب والعلاقة وليلازم ذلك بقية العمر فليس للجهاد آخر الا الموت والسلام

بيان علامات حسن الخلق

اعلم ان كل انسان فهو جاهل بعيوب نفسه فاذا جاهد نفسه ادنى مجاهدة حتى ترك فواحش المعاصي ربما ظن بنفسه انه
قد هذب نفسه وحسن خلقه واستغنى عن المجاهدة فلابد من ايضاح علامات حسن الخلق فان حسن الخلق هو الايمان وسوء
الخلق هو النفاق وقد ذكر الله سبحانه صفات المؤمنين والمنافقين وهي بجملتها ثمرة حسن الخلق وسوء الخلق فنورد جملة
من ذلك ليعلم به حسن الخلق فقد قال الله تعالى قد افلح المؤمنون الذين هم في صلوتهم خاشعون الى قوله اولئك هم الوارثون
وقال التائبون العابدون الحامدون الى قوله وبشر المؤمنين وقال تعالى انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم
الى قوله اولئك هم المؤمنون حقاً وقال تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هوناً الى آخر السورة فمن اشكل عليه حاله فليعرض
نفسه على هذه الآيات فوجود جميع هذه الصفات علامة حسن الخلق وفقد جميعها علامة سوء الخلق ووجود بعضها دون بعض يدل
على وجود البعض دون البعض فليشتغل بتحصيل ما فقده وحفظ ما وجده وقد وصف رسول الله صلى الله عليه المؤمن
بصفات كثيرة واشار بجميعها الى محاسن الاخلاق فقال المؤمن يحب لاخيه ما يحب لنفسه وقال صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن
بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه وقال صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره وقال صلى الله عليه
وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً او ليصمت وذكر ان صفات الايمان هي حسن الخلق فقال اكمل المؤمنين ايماناً احسنهم
اخلاقاً وقال صلى الله عليه وسلم اذا رايتم المؤمن صموتاً وقوراً فادنوا منه فانه يلقن الحكمة وقال صلى الله عليه وسلم من سرته حسنته
وساءته سيئته فهو مؤمن وقال لا يحل للمؤمن ان يشير الى اخيه بنظرة تؤذيه وقال لا يحل لمسلم ان يروع مسلماً وقال انما يتجالس

المتجالسون بامانة الله فلا يحل لاحدهما ان يفشي على اخيه ما يكره وجمع بعضهم علامات حسن الخلق فقال
هو ان يكون كثير الحياء قليل الاذى كثير الصلاح صدوق اللسان قليل الكلام كثير العمل قليل الزلل قليل الفضول براً وصولاً
وقوراً صبوراً رضياً شكوراً حليماً رفيقاً عفيفاً شفيقاً لا لعاناً ولا سباباً ولا نماماً ولا مغتاباً ولا عجولاً ولا
حقوداً ولا بخيلاً ولا حسوداً هشاشاً بشاشاً يحب في الله ويبغض في الله فهذا هو حسن الخلق وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
المؤمن والمنافق فقال ان المؤمن همته في الصلوة والصيام والعبادة والمنافق همته في الطعام والشراب كالبهيمة وقال حاتم
الاصم المؤمن مشغول بالفكر والعبر والمنافق مشغول بالحرص والامل والمؤمن آيس من كل احد الا من الله والمنافق راج كل
احد الا الله والمؤمن آمن من كل احد الا من الله والمنافق خائف من كل احد الا من الله والمؤمن يقدم ماله دون دينه والمنافق
يقدم دينه دون ماله والمؤمن يحسن ويبكي والمنافق يسيء ويضحك والمؤمن يحب الخلوة والوحدة والمنافق يحب الخلطة
والمؤمن يزرع ويخشى الفساد والمنافق يقلع ويرجو الحصاد والمؤمن يامر وينهي للسياسة فيصلح والمنافق يامر وينهي
للرياسة فيفسد واولى ما يمتحن به حسن الخلق الصبر على الاذى واحتمال الجفاء ومن شكى من سوء خلق غيره فيدل على سوء خلقه
لان حسن الخلق احتمال الاذى فقد روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمشي ومعه انس فادركه اعرابي وجذبه جذباً
شديداً وكان عليه برد نجراني غليظ الحاشية قال انس حتى نظرت الى عنق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اثرت فيه حاشية
البرد من شدة جذبه ثم قال يا محمد هب لي من مال الله الذي عندك فالتفت اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك ثم امر
بعطائه ولما اكثرت قريش ايذاءه وضربه قال اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون فلذلك قال الله تعالى فيه وانك لعلى خلق
عظيم وحكي عن ابرهيم بن ادهم انه خرج الى بعض البراري فاستقبله رجل جندي فقال انت عبد قال نعم قال اين العمران فاشار
الى المقبرة فقال الرجل انما اردت العمران فقال هو المقبرة فغاظه ذلك فضرب راسه بالسوط فشجه شجة موضحة ورده
الى البلد فاستقبله اصحابه فقالوا ما هذا فاخبرهم الجندي فقالوا هذا ابرهيم بن ادهم فنزل الجندي عن دابته وقبل يديه
ورجليه وجعل يعتذر اليه فقيل له لم قلت انا عبد فقال انه لم يسألني انت عبد من بل قال انت عبد فقلت نعم لاني عبد الله
فلما ضرب راسي سالت الله سبحانه الجنة له فقال علمت اني اوجر على ما نالني منه فلم احب ان يكون نصيبي منه الخير ونصيبه مني
الشر ودعي ابو عثمن الحيري الى دعوة وكان الداعي يريد تجربته فلما بلغ منزله قال ليس لي وجه هذا فرجع ابو عثمن فلما ذهب غير بعيد
جاءه ثانياً وقال ارجع على ما توجب الوقت فلما بلغ الباب قال له مثل مقالته الاولى فرجع ابو عثمن ثم جاءه الثالثة حتى عامله
بذلك مرات وابو عثمن لم يتغير فاكب على رجليه وقال انما اردت ان اختبرك فما احسن خلقك فقال ابو عثمن الذي رايت مني هو خلق
الكلب اذا دعي اجاب واذا زجر انزجر وروي ابو عثمن اجتاز يوماً بسكة فطرحت عليه اجانة من رماد فنزل عن دابته وجعل ينفض
ذلك عن ثيابه ولم يقل شيئاً فقيل الا زبرتهم فقال ان من استحق النار فصولح بالرماد لم يجز ان يغضب وروي ان علي بن موسى الرضا كان
يميل لونه الى السواد اذ كانت امه سوداء وكان له بنيسابور على باب داره حمام وكان اذا دخل الحمام فرغ له الحمام فدخل ذات يوم
فدخل يوماً فاطبق الحمام باب الحمام ومر الحمامي الى بعض حوائجه فتقدم انسان رستاقي الى باب الحمام ففتحه ودخل ونزع ثيابه ودخل
الحمام فراى علي بن موسى الرضي فظن انه بعض خدم الحمام فقال له قم فاحمل الي الماء فقام علي بن موسى وامتثل جميع ما كان يامره فرجع
الحمامي فراى ثياب الرستاقي وسمع كلامه مع علي بن موسى فخاف وهرب وخلاهما فلما خرج علي بن موسى وسال عن الحمامي فقيل انه خاف
مما جرى فهرب فقال لا ينبغي ان يهرب انما الذنب لمن وضع ماءه عند امة سوداء وروي ان عبد الله الخياط كان يقعد على دكانه وكان

وكان له حريف مجوسي يستعمله في الخياطة وكان اذا خاط له المجوسي شيئا حمل اليه الدراهم زيوفا وكان عبد الله يأخذ منه
ولا يخبره بذلك ولا يردها عليه فقضي من الاتفاق ان عبد الله قام من الحانوت لبعض حوائجه فتقدم المجوسي الى تلميذه واسترجع منه
ما خاطه ودفع اليه درهما زائفا فلما نظر اليه التلميذ رده عليه فلما عاد عبد الله اخبره بذلك فقال بئسما فعلت هذا المجوسي
يعاملني بهذه المعاملة منذ مدة وانا اصبر عليه فآخذ الدراهم والقيها في البئر كيلا يغر بها مسلما وقال يوسف بن اسباط علامة
حسن الخلق عشرة اشياء قلة الخلاف وحسن الانصاف وترك طلب العثرات وتحسين ما يبدو من السيئات والتماس المعذرة و
احتمال الاذى والرجوع بالملامة على نفسه والتفرد بمعرفة عيوب نفسه دون عيوب غيره وطلاقة الوجه للصغير والكبير ولطف الكلام
لمن دونه ولمن فوقه وسئل سهل عن حسن الخلق فقال ادناه احتمال الاذى وترك المكافاة والرحمة للظالم والاستغفار له والشفقة عليه
وقيل للاحنف بن قيس ممن تعلمت حسن الخلق فقال من قيس بن عاصم قيل وما بلغ من خلقه قال بينما هو جالس في داره اذ جاءت خادمة
له بسفود عليه شواء فسقط من يدها فوقع على ابن له صغير ومات فدهشت الجارية فقال لا روع عليك انت حرة لوجه الله
وقيل كان اويس القرني اذا رآه الصبيان يرمونه بالحجارة وهو يقول ان كان ولا بد فارموني بالصغار كيلا تدموا ساقي فتمنعوني
من الصلاة وشتم رجل الاحنف بن قيس وهو يتبعه فلما قرب من الحي وقف وقال ان كان بقي في قلبك شيء فقله كيلا يسمع بعض سفهاء
الحي فيؤذوك وروي عن علي رضي الله عنه انه دعا غلاما له فلم يجبه فقام اليه فرآه مضطجعا فقال اما تسمع يا غلام فقال نعم قال
فما حملك على ترك جوابي فقال امنت عقوبتك فتكاسلت فقال امض فانت حر لوجه الله تعالى وقالت امرأة لمالك بن دينار يا
مرائي فقال يا هذه وجدت اسمي الذي اضله اهل البصرة وقيل ليحيى بن زياد الحارثي وكان له غلام سوء لم تمسك هذا
الغلام فقال لاتعلم عليه الحلم فهذه النفوس قد ذللت بالرياضة فاعتدلت اخلاقها ونقيت عن الغش والغل بواطنها
فاثمرت الرضا بكل ما قدره الله وهو منتهى حسن الخلق فان من يكره فعل الله ولا يرضى به فهو غاية سوء خلقه فهولاء ظهرت
العلامات على ظواهرهم كما ذكرناها فمن لم يصادف من نفسه هذه العلامات فلا ينبغي ان يغتر بنفسه فيظن بها حسن الخلق بل
ينبغي ان يشتغل بالرياضة والمجاهدة الى ان يبلغ درجة حسن الخلق بل ينبغي ان يشتغل بالرياضة والمجاهدة الى ان يبلغ درجة حسن
فانها درجة رفيعة لا ينالها الا المقربون والصديقون

بيان الطريق في رياضة الصبيان في اول النشو ووجه تاديبهم وتحسين اخلاقهم

اعلم ان الصبي امانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية عن كل نقش وصورة
وهو قابل لكل نقش ومائل الى كل ما يمال به اليه فان عود الخير وعلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة وشاركه في ثوابه ابواه
وكل معلم له ومؤدب وان عود الشر واهمل اهمال البهائم شقي وهلك وكان الوزر في رقبة القيم به والوالي عليه وقد قال الله
سبحانه قوا انفسكم واهليكم نارا ومهما كان الاب يصونه من نار الدنيا فبان يصونه من نار الآخرة اولى وصيانته بان يؤدبه
ويهذبه ويعلمه محاسن الاخلاق ويحفظه من القرناء السوء ولا يعوده التنعم ولا يحبب اليه الزينة واسباب الرفاهية فيضيع
عمره في طلبها اذا كبر فيهلك هلاك الابد بل ينبغي ان يراقبه من اول امره فلا يستعمل في حضانته وارضاعه الا امرأة
صالحة متدينة تأكل الحلال فان اللبن الحاصل من الحرام لا بركة فيه فاذا وقع عليه نشو الصبي انعجنت طينته من الخبث فيميل
طبعه الى ما يناسب الخبائث ومهما بدت فيه مخايل التمييز فينبغي ان يحسن مراقبته واول ذلك ظهور اوائل الحياء فاذا كان يستحيي
ويترك بعض الافعال فليس ذلك الا لاشراق نور العقل عليه حتى يرى بعض الاشياء قبيحة ومخالفة للبعض فصار يستحيي من
شيء دون شيء وهذه هدية من الله تعالى اليه وبشارة تدل على اعتدال الاخلاق وصفاء القلب وهو مبشر بكمال العقل عند

البلوغ فالصبي المستحيي لا ينبغي ان يهمل بل يستعان على تأديبه بحيائه وتمييزه واول ما يغلب عليه من الصفات شره
الطعام فينبغي ان يؤدب فيه مثل ان لا ياخذ الطعام الا بيمينه ويقول عليه بسم الله عند اخذه ويأكل مما يليه ولا يبادر الى
الطعام قبل غيره ولا يحدق النظر الى الطعام والى من يأكل ولا يسرع في الاكل ويمضغ الطعام مضغا جيدا ولا يوالي بين اللقم ولا يلطخ
يده ولا ثوبه ويعود الخبز القفار في بعض الاوقات حتى لا يصير بحيث يرى الادم حتما ويقبح عنده كثرة الاكل بان يشبه من يكثر
الاكل بالبهائم وبان يذم بين يديه الصبي الذي يكثر الاكل ويمدح بين يديه الصبي المتأدب القليل الاكل وان يحبب اليه الايثار
بالطعام وقلة المبالاة به والقناعة بالطعام الخشن اي طعام كان وان يحبب اليه من الثياب البيض دون الملون والابريسم
ويقرر عنده انه شأن النساء والمخنثين وان الرجال يستنكفون منه ويكرر عليه ذلك ومهما رأى ثوبا من ابريسم او ملون
فينبغي ان يستنكره ويذمه ويحفظ الصبي عن الصبيان الذين عودوا التنعم والرفاهية ولبس الثياب الفاخرة وعن مخالطة
كل من يسمعه ما يرغبه فيه فان الصبي اذا اهمل في ابتداء نشوه خرج في الاكثر رديء الاخلاق كذابا حسودا سروقا نماما لحوحا
ذا فضول وضحك وكياد ومجانة وانما يحفظ عن جميع ذلك بحسن التأديب ثم ينبغي ان يشغل في المكتب بتعلم القرآن والاحاديث
والاخبار وحكايات الابرار واحوالهم لينغرس في نفسه حب الصالحين ويحفظ من الاشعار التي فيها ذكر العشق واهله ويحفظ عن
مخالطة الادباء الذين يزعمون ان ذلك من الظرف ورقة الطبع فان ذلك يغرس في قلوب الصبيان بذر الفساد ثم مهما
ظهر من الصبي خلق جميل وفعل محمود فينبغي ان يكرم عليه ويجازى لاجل ذلك بما يفرح به ويمدح بين اظهر الناس فان خالف ذلك
في بعض الاحوال مرة واحدة فينبغي ان يتغافل عنه ولا يهتك ستره ولا يكاشفه ولا يظهر له انه يتصور ان يتجاسر احد على
مثله لا سيما اذا ستره الصبي واجتهد في اخفائه فان اظهار ذلك عليه ربما يفيده جسارة حتى لا يبالي بالمكاشفة فعند ذلك ان عاد
ثانيا فينبغي ان يعاتب سرا ويعظم الامر فيه ويقال له اياك ان يطلع عليك في مثل هذا فتفتضح بين يدي الناس ولا يكثر القول
عليه بالعتاب في كل حين فانه يهون عليه سماع الملامة وركوب القبائح ويسقط وقع الكلام من قلبه وليكن الاب حافظا
هيبة الكلام معه فلا يوبخه الا احيانا والام تخوفه بالاب وتزجره عن القبائح وينبغي ان يمنع النوم نهارا فانه يورث الكسل
ولا يمنع منه ليلا ولكن يمنع الفرش الوطيئة حتى تتصلب اعضاؤه ولا يسخف بدنه فلا يصبر عن التنعم بل يعود الخشونة في المفرش
والملبس والمطعم وينبغي ان يمنع من كل ما يفعله في خفية فانه لا يخفيه الا وهو يعتقد انه قبيح فاذا ترك تعود فعل القبيح ويعود
ان لا يكشف اطرافه ويعود في بعض النهار المشي والحركة والرياضة حتى لا يغلب عليه الكسل ولا يسرع المشي ولا يرخي يديه
بل يضمهما الى صدره ويمنع من ان يفتخر على اقرانه بشيء مما يملكه والداه او بشيء من مطاعمه وملابسه او لوحه ودواته بل يعود
التواضع والاكرام لكل من عاشره والتلطف في الكلام معهم ويمنع من ان يأخذ من الصبيان شيئا بدا له حشمته ان كان
من اولاد المحتشمين بل يعلم ان الرفعة في الاعطاء لا في الاخذ وان الاخذ لؤم وخسة وان كان من اولاد الفقراء فيعلم ان
الاخذ والطمع مهانة وذلة وان ذلك من دأب الكلب فانه يتبصبص في انتظار لقمة وبالجملة يقبح الى الصبيان حب
الذهب والفضة والطمع فيهما ويحذر منهما اكثر مما يحذر من الحيات والعقارب فان آفة حب الذهب والفضة والطمع
فيهما اكثر من آفة السموم على الصبيان بل على الاكابر ايضا وينبغي ان يعود ان لا يبزق في مجلسه ولا يتمخط ولا يتثاءب
بحضرة غيره ولا يستدبر غيره ولا يضع رجلا على رجل ولا يضع كفه تحت ذقنه ولا يعمد رأسه بساعده فان ذلك دليل
الكسل ويعلم كيفية الجلوس وينبغي ان يمنع كثرة الكلام ويبين له ان ذلك يدل على الوقاحة وانه فعل ابناء اللئام ويمنع

اليمين راسًا صدقا كان او كذبا حتى لا يتعوده في الصغر ويمنع من ان يبتدئ بالكلام ويعوّد ان لا يتكلم الا جوابا او بقدر
السؤال وان يحسن الاستماع مهما تكلم من هو اكبر منه سنا وان يقوم لمن فوقه ويوسع له المكان ويجلس بين يديه ويمنع من
لغو الكلام وفحشه ومن اللعن والسب ومن مخالطة من يجري على لسانه شيء من ذلك فان ذلك يسري لا محالة من القرناء السوء
واصل تاديب الصبيان الحفظ من القرناء السوء وينبغي اذا ضربه المعلم ان لا يكثر الصراخ والشغب ولا يستشفع باحد بل يصبر
ويذكر ان ذلك دأب الشجعان والرجال وان كثرة الصراخ دأب المماليك والنسوان وينبغي ان يؤذن له بعد الفراغ من المكتب
ان يلعب لعبا جميلا يستريح اليه من تعب الادب بحيث لا يتعب في اللعب فان منع الصبي من اللعب وارهاقه الى التعلم دائما
يميت قلبه ويبطل ذكاءه وينغص العيش عليه حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه راسا وينبغي ان يعلم طاعة والديه ومعلمه ومؤدبه
وكل من هو اكبر سنا منه من قريب واجنبي وان ينظر اليهم بعين الجلالة والتعظيم وان يترك اللعب بين ايديهم ومهما بلغ سن التمييز
ينبغي ان لا يسامح بترك الطهارة والصلاة ويؤمر بالصوم في بعض الايام من رمضان ويجنب لبس الحرير والذهب ويعلم كل ما يحتاج
اليه من حدود الشرع ويخوف من السرقة واكل الحرام ومن الكذب والخيانة والفحش وكل ما يغلب على الصبيان فاذا وقع نشوه
كذلك في الصبا فمهما قارب البلوغ امكن ان يعرف اسرار هذه الامور فيذكر له ان الاطعمة ادوية وانما المقصود منها ان
يقوى الانسان على عبادة الله وان الدنيا كلها لا اصل لها اذ لا بقاء لها وان الموت يقطع نعيمها وانها دار ممر لا دار مقر
وان الموت منتظر في كل ساعة وان الكيس العاقل من تزود من الدنيا للآخرة حتى تعظم عند الله درجته ويتسع في الجنان
نعيمه فاذا كان النشو صالحا كان هذا الكلام عند البلوغ واقعا مؤثرا ناجعا يثبت في قلبه كما يثبت النقش في الحجر وان وقع النشو
بخلاف ذلك حتى الف الصبي اللعب والفحش والوقاحة وشره الطعام واللباس والتزين والتفاخر نبا قلبه عن قبول الحق
نبوة الحائط عن التراب اليابس فاوائل الامور هي التي ينبغي ان تراعى فان الصبي بجوهره خلق قابلا للخير والشر جميعا وانما ابواه
يميلان به الى احد الجانبين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه
قال سهل التستري كنت ابن ثلاث سنين وكنت اقوم بالليل انظر الى صلاة خالي محمد بن سوار فقال لي خالي يوما الا تذكر الله
الذي خلقك فقلت كيف اذكره فقال قل بقلبك عند تقلبك في ثيابك ثلاث مرات من غير ان تحرك به لسانك الله معي
الله ناظر الي الله شاهدي فقلت ذلك ليالي ثم اعلمته فقال قل في كل ليلة سبع مرات فقلت ذلك ثم اعلمته فقال قل كل ليلة
احدى عشرة مرة فقلته فوقع في قلبي حلاوته فلما كان بعد سنة قال لي خالي احفظ ما علمتك ودم عليه الى ان تدخل القبر
فانه ينفعك في الدنيا والآخرة فلم ازل على ذلك سنين فوجدت لها حلاوة في سري ثم قال لي خالي يوما يا سهل من كان الله معه
وهو ناظر اليه وشاهده ايعصيه اياك والمعصية فكنت اخلو بنفسي فبعثوا بي الى المكتب فقلت اني لاخشى ان يتفرق علي همي
ولكن شارطوا المعلم اني اذهب اليه ساعة فاتعلم ثم ارجع فمضيت الى الكتاب فحفظت القرآن وانا ابن ست سنين او سبع سنين
وكنت اصوم الدهر وقوتي من خبز الشعير اثني عشرة سنة فوقعت لي مسألة وانا ابن ثلاث عشرة سنة فسألت ان يبعثوا بي
الى البصرة لاسال عنها فجئت البصرة وسألت علماءها فلم يشف عني احد شيئا فخرجت الى عبادان الى رجل يعرف بابي حبيب حمزة بن
عبد الله العباداني فسألته عنها فاجابني فاقمت عنده مدة انتفع بكلامه واتأدب بادبه ثم رجعت الى تستر فجعلت قوتي اقتصادا
على ان يشترى لي بدرهم من الشعير الفرق فيطحن ويخبز لي فافطر عند السحر كل ليلة على اوقية واحدة بحتا بغير ملح ولا
ادام وكان يكفيني ذلك الدرهم سنة ثم عزمت على ان اطوي ثلاث ليال ثم افطر ليلة ثم خمسا ثم سبعا ثم خمسا وعشرين ليلة

ليلة وكنت على ذلك عشرين سنة ثم خرجت اسيح في الارض سنين ثم رجعت الى تستر وكنت اقوم الليل كله

بيان شروط الارادة ومقدمات المجاهدة وتدريج المريد في سلوك سبيل الرياضة

اعلم ان من شاهد الآخرة بقلبه مشاهدة
يقين اصبح بالضرورة مريدا حرث الآخرة مشتاقا اليها سالكا سبيلها مستهينا بنعيم الدنيا ولذاتها فان من كانت معه خرزة فرأى
جوهرة نفيسة لم يبق له رغبة في الخرزة وقويت ارادته في بيعها بالجوهرة ومن ليس مريدا حرث الآخرة ولا طالبا للقاء الله تعالى
فهو لعدم ايمانه بالله واليوم الآخر ولست اعني بالايمان حديث النفس وحركة اللسان بكلمتي الشهادة من غير صدق واخلاص
فان ذلك يضاهي قول من صدق بان الجوهرة خير من الخرزة الا انه لا يدري من الجوهرة الا لفظها فاما حقيقتها فلا ومثل هذا
المصدق اذا الف الخرزة فلا يتركها ولا يعظم اشتياقه الى الجوهرة فاذن المانع من الوصول عدم السلوك والمانع من السلوك
عدم الارادة والمانع من الارادة عدم الايمان وسبب عدم الايمان عدم الهداة والمذكرين والعلماء بالله الهادين الى طريقه و
المنبهين على حقارة الدنيا وانقراضها وعظم امر الآخرة ودوامها فالخلق غافلون قد انهمكوا في شهواتهم وغاصوا في
رقدتهم وليس في علماء الدين من ينبههم فان تنبه منهم متنبه عجز عن سلوك الطريق لجهله فان طلب الطريق من العلماء وجدهم
مائلين الى الدنيا عادلين عن نهج الطريق فصار ضعف الارادة والجهل بالطريق ونطق العلماء بالهوى سببا لخلو طريق الله تعالى
عن السالكين ومهما كان المطلوب محجوبا والدليل مفقودا والهوى غالبا والطالب غافلا امتنع الوصول وتعطلت الطرق لا
محالة فان تنبه متنبه من نفسه او من تنبيه غيره وانبعث له ارادة في حرث الآخرة وتجارتها فينبغي ان يعلم ان له شروطا
لا بد من تقديمها في بداية الارادة وله معتصم لا بد من التمسك به وله حصن لا بد من التحصن به ليامن من الاعداء القطاع لطريقه
وله وظائف لا بد له من ملازمتها في وقت سلوك الطريق اما الشروط التي لا بد من تقديمها في الارادة فهو رفع السد
والحجاب الذي بينه وبين الحق فان حرمان الخلق عن الحق سببه تراكم الحجب ووقوع السد على الطريق قال الله تعالى وجعلنا
من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون والسد بين المريد وبين الحق اربعة المال والجاه والتقليد
والمعصية وانما يرفع حجاب المال بان يفرقه ويخرج عن ملكه حتى لا يبقى له الا قدر الضرورة فما دام يبقى له درهم يلتفت
اليه قلبه فهو مقيد به محجوب عن الله تعالى وانما يرتفع حجاب الجاه بالبعد عن موضع الجاه وبالتواضع وايثار الخمول
والهرب من اسباب الذكر وتعاطي اعمال تنفر قلوب الخلق وانما يرتفع حجاب التقليد بان يترك التعصب للمذاهب وان
يصدق بمعنى قوله لا اله الا الله محمد رسول الله تصديق ايمان ويحرص في تحقيق صدقه بان يرفع كل معبود له سوى الله
واعظم معبود له الهوى حتى اذا فعل ذلك انكشف له حقيقة الامر في معنى اعتقاده الذي تلقفه تقليدا فينبغي ان يطلب
كشف ذلك من المجاهدة لا من المجادلة فان غلب عليه التعصب لمعتقده ولم يبق في قلبه متسع لغيرها صار ذلك قيدا له وحجابا
اذ ليس من شرط المريد الانتماء الى مذهب معين اصلا واما المعصية فهي حجاب ولا يرفعها الا التوبة والخروج من المظالم
وتصميم العزم على ترك العود وتحقيق الندم على ما مضى ورد المظالم وارضاء الخصوم فان من لم يصحح التوبة ولم يهجر المعاصي الظاهرة
واراد ان يقف على اسرار الدين بالمكاشفة كان كمن يريد ان يقف على اسرار القرآن وتفسيره وهو لم يتعلم لغة العرب بعد فان
ترجمة عربية القرآن لا بد من تقديمها اولا ثم الترقي منه الى اسرار معانيه فكذا لا بد من تصحيح ظاهر الشريعة اولا وآخرا ثم
الترقي الى اسرارها واغوارها فاذا قدم اليه قلبه فهو مقيد به محجوب عن الله سبحانه وانما يرفع حجاب الجاه الى اسراره ومعانيه فكذا
لا بد من تصحيح ظاهر الشريعة اولا فاذا قدم هذه الشروط الاربعة وتجرد عن المال والجاه كان كمن تطهر وتوضأ ورفع الحدث

وصار صالحا للصلوة فيحتاج الى امام يقتدى به فكذلك المريد يحتاج الى شيخ واستاد يقتدى به لا محالة ليهديه الى سواء
السبيل فان سبيل الدين غامض وسبل الشيطان كثيرة ظاهرة ومن لم يكن له شيخ يهديه قاده الشيطان لا محالة الى طرقه فمن سلك
البوادى المهلكة بنفسه من غير خفير فقد خاطر بنفسه واهلكها ويكون المستقل بنفسه كالشجرة التى تنبت بنفسها فانها تجف على القرب
وان بقيت مدة واورقت لم يثمر فمعتصم المريد بعد تقديم الشروط المذكورة شيخه فليتمسك به تمسك الاعمى على شط النهر بالقائد
بحيث يفوض اليه امره بالكلية ولا يخالفه فى ورده ولا صدره ولا يبقى فى متابعته شيئا ولا يذر وليعلم ان نفعه فى خطأ شيخه لو اخطأ
اكثر من نفعه فى صواب نفسه لو اصاب فاذا وجد مثل هذا المعتصم وجب على معتصمه ان يحميه ويعصمه بحصن يدفع عنه قواطع
الطريق وهى اربعة امور الخلوة والصمت والجوع والسهر وهذا تحصن من القواطع فان مقصود المريد اصلاح قلبه ليشاهد
به ربه تعالى ويصلح لقربه اما الجوع فانه ينقص دم القلب فيبيضه وفى بياضه نوره ويذيب شحم الفواد وفى ذوبانه رقته
ورقته مفتاح المكاشفة كما ان قسوته سبب الحجاب ومهما نقص دم القلب ضاق منه مسلك العدو فان مجاريه العروق الممتلئة
بالشهوات قال عيسى عليه الصلوة والسلام يا معشر الحواريين جوعوا بطونكم لعل قلوبكم ترى ربكم وقال سهل ما صار الابدال
ابدالا الا باربع خصال اخماص البطون والسهر والصمت والاعتزال عن الناس ففائدة الجوع فى تنوير القلب ظاهرة تشهد
له التجربة وسياتى بيان وجه التدريج فى كتاب كسر الشهوتين واما السهر فانه يجلو القلب ويصفيه و
ينوره ويضاف الى الصفا الذى حصل من الجوع ويصير القلب كالكوكب الدرى والمرآة المجلوة فيلوح فيه جمال الحق
ويشاهد فيه رفيع الدرجات فى الآخرة وحقارة الدنيا وآفاتها فيتم به رغبته عن الدنيا واقباله على الآخرة والسهر
ايضا نتيجة الجوع فان السهر مع الشبع غير ممكن والنوم يقسى القلب ويميته الا اذا كان بقدر الضرورة فيكون سبب المكاشفة
لاسرار الغيب فقد قيل فى صفة الابدال ان اكلهم فاقة ونومهم غلبة وكلامهم ضرورة وقال ابرهيم الخواص اجتمع
راى سبعين صديقا على ان كثرة النوم من كثرة شرب الماء واما الصمت فانه تسهله العزلة ولكن المعتزل لا يخلو عن مشاهدة
من يقوم له بطعام وشراب وتدبير امر فينبغى ان لا يتكلم الا بقدر الضرورة فان الكلام يشغل القلب وشره القلب الى الكلام
عظيم فيستروح اليه ويستثقل التجرد والذكر ويستريح اليه فالصمت يلقح العقل ويجلب الورع ويعلم التقوى واما
الخلوة ففائدتها دفع الشواغل وضبط السمع والبصر فانهما دهليز القلب والقلب فى حكم حوض تنصب اليه مياه كريهة من
من انهار الحواس ومقصود الرياضة تفريغ القلب من تلك المياه ومن الطين الحاصل منها ليتفجر اصل الحوض فيتفجر منه الماء اللطيف
الطاهر فكيف يصح ان ينزح الماء من الحوض والانهار مفتوحة اليه فيتجدد فى كل حال اكثر مما ينقص فلا بد من ضبط الحواس الا عن قدر
الضرورة وليس يتم ذلك الا بالخلوة فى بيت مظلم وان لم يكن له مكان مظلم فيلف راسه فى جيبه او يتدثر بكساء او ازار ففى مثل هذه الحالة يسمع نداء الحق ويشاهد
جلال الحضرة الربوبية اما ترى ان نداء رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه وهو على هذه الصفة فقيل له يا ايها المزمل يا ايها
المدثر فهذه الاربعة جنة وحصن بها تدفع عنه القواطع وتمنع العوارض القاطعة للطريق فاذا فعل ذلك اشتغل بعده بسلوك
الطريق وانما سلوكه بقطع العقبات ولا عقبة على طريق الله الا صفات القلب التى سببها الالتفات الى الدنيا وبعض تلك
العقبات اعظم من بعض والترتيب فى قطعها ان يشتغل بالاسهل فالاسهل وهى اعنى تلك الصفات اسرار العلائق التى قطعها فى
اول الارادة وآثارها اعنى آثار المال والجاه وحب الدنيا والالتفات الى الخلق والتشوق الى المعاصى فلا بد ان يخلى الباطن
عن آثارها كما اخلى الظاهر عن اسبابها الظاهرة وفيه يطول المجاهدة وقد ذكرنا ان طريق المجاهدة مضادة الشهوة ومخالفة

الحوض ن

الهوى فى كل صفة غالبة على نفس المريد كما سبق ذكره فاذا كفى ذلك او ضعف بالمجاهدة ولم يبق فى قلبه علقة
شغله بعد ذلك بذكر يلزم قلبه على الدوام ويمنعه من تكثير الاوراد الظاهرة بل يقتصر على الفرائض والرواتب ويكون
ورده وردا واحدا وهو لباب الاوراد وثمرتها اعنى ملازمة القلب لذكر الله تعالى بعد الخلو عن ذكر غيره ولا يشغله
به ما دام قلبه ملتفتا الى علائقه قال الشبلى للحصرى ان كان يخطر على قلبك من الجمعة الى الجمعة التى تاتينى شئ غير الله
فحرام عليك ان تاتينى وهذا التجرد لا يتصور الا مع صدق الارادة واستيلاء حب الله على القلب حتى يكون فى صورة العاشق
المستهتر الذى ليس له الا هم واحد فاذا صار كذلك الزمه الشيخ زاوية ينفرد بها ويوكل به من يقوم له بقدر يسير من القوت
الحلال وان اصل طريق الدين القوت الحلال وعند ذلك يلقنه ذكرا من الاذكار حتى يشغل به لسانه وقلبه فيجلس ويقول مثلا
الله الله او سبحان الله او ما يراه الشيخ من الكلمات فلا يزال يواظب عليه حتى يسقط حركة لسانه وتكون الكلمة كانها جارية
على اللسان من غير تحريك ثم لا يزال يواظب حتى يسقط الاثر عن اللسان من غير تحريك ثم لا يزال ويبقى صورة اللفظ فى القلب
ثم لا يزال كذلك حتى يمحى عن القلب حروف اللفظ وصورته ويبقى حقيقة معناه لازما للقلب حاضرا معه غالبا عليه قد
فرغ القلب عن غيره لان القلب اذا شغل بشئ خلا عن غيره اى شئ كان فاذا شغل بذكر الله وهو المقصود خلا لا محالة عن
غيره وعند ذلك يلزمه ان يراقب وساوس القلب والخواطر التى تتعلق بالدنيا وما يتذكر فيه مما قد مضى من احواله واحوال
غيره فانه مهما اشتغل بشئ منه ولو فى لحظة خلا قلبه عن الذكر فى تلك اللحظة وكان ذلك ايضا نقصانا فليجتهد فى دفع ذلك
ومهما دفع الوساوس كلها ورد النفس الى هذه الكلمة ربما جاءته الوساوس من هذه الكلمة وانها ما هى وما معنى قولنا الله
ولاى معنى كان الها وكان معبودا ويعتريه عند ذلك خواطر تفتح عليه باب الفكر وربما يرد عليه من وساوس الشيطان ما هو
كفر وبدعة ومهما كان كارها لذلك ومتشمرا لاماطته عن القلب لم يضره ذلك وهى منقسمة الى ما يعلم قطعا ان الله تعالى
منزه عنه ولكن الشيطان يلقى ذلك فى قلبه ويجريه على خاطره فشرطه ان لا يبالى به ويفزع الى ذكر الله ويبتهل اليه ليدفعه
عنه كما قال تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا
هم مبصرون والى ما يشك فيه فينبغى ان يعرض ذلك على شيخه بل كل ما يجد فى قلبه من الاحوال من فترة او نشاط او التفات
الى علقة او صدق فى ارادة فينبغى ان يظهر ذلك لشيخه ويستره عن غيره فلا يطلع عليه احدا ثم ان شيخه ينظر فى حاله و
يتامل فى ذكائه وكياسته فان علم انه لو تركه وامره بالفكر تنبه من نفسه لحقيقة الحق فينبغى ان يحيله على الفكر ويامره بملازمته
حتى يقذف فى قلبه من النور ما يكشف له حقيقته وان علم ان ذلك مما لا يقوى عليه مثله رده الى الاعتقاد الصحيح
بما يحتمله قلبه من وعظ وذكر دليل قريب من فهمه وينبغى ان يتانق الشيخ ويتلطف به فان هذه مهالك الطريق ومواقع
اخطارها فكم من مريد اشتغل بالرياضة فغلب عليه خيال فاسد لم يقو على كشفه فانقطع عليه طريقه فاشتغل بالبطالة
وسلك طريق الاباحة وذلك هو الهلاك العظيم ومن تجرد للذكر ودفع العلائق الشاغلة عن قلبه لم يخل عن امثال هذه
الافكار فانه قد ركب سفينة الخطر فان سلم كان من ملوك الدين وان اخطأ كان من الهالكين ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
عليكم بدين العجائز وهو تلقى اصل الايمان وظاهر الاعتقاد بطريق التقليد والاشتغال باعمال الخير فان الخطر فى العدول
عن ذلك كثير ولهذا قيل يجب على الشيخ ان يتفرس فى المريد فان لم يكن ذكيا فطنا متمكنا من اعتقاد الظاهر لم يشغله بالذكر
والفكر بل يرده الى الاعمال الظاهرة والاوراد المتواترة او يشغله بخدمة المتجردين للفكر لتشمله بركتهم فان العاجز

عن المجاهدة في صف القتال ينبغي ان يسبق القوم ويتعهد دوابهم ليحشر يوم القيمة في زمرتهم وبنعمة بركتهم وان
كان لا يبلغ درجتهم ثم المريد المتجرد للذكر والفكر يقطعه قواطع كثيرة من العجب والريا والفرح بما ينكشف من
الاحوال وما يبدو من اوايل الكرامات ومهما التفت الى شي من ذلك وشغل به نفسه كان ذلك فتورًا في طريقه او وقوفًا
بل ينبغي ان يلازم حاله جملة عمره وملازمة العطشان الذي لا ترويه البحار ولو افيضت عليه ويدوم عليه وراس ماله
الانقطاع عن الخلق والخلوة قال بعض السايحين قلت لبعض الابدال المنقطعين عن الخلق كيف الطريق الى التحقيق وقال
مرّة قلت له دلني على عمل اعمله اجد فيه قلبي مع الله تعالى في كل وقت على الدوام فقال لي لا تنظر الى الخلق فان النظر اليهم
ظلمة قلت لا بد لي قال فلا تسمع كلامهم فان كلامهم قسوة من ذلك قلت لا بد لي من ذلك قال فلا تعاملهم فان معاملتهم وحشة قلت
انا بين اظهرهم ولا بد لي من معاملتهم قال فلا تسكن اليهم فان السكون اليهم هلكة قلت هذا لعله قال يا هذا تنظر الى الغافلين
وتسمع كلام الجاهلين وتعامل البطالين وتريد ان تجد قلبك مع الله عز وجل على الدوام هذا ما لا يكون ابدًا فاذا منتهى
الرياضة ان يجد قلبك مع الله ابدًا ولا يمكن ذلك الا بان يخلو عن غيره ولا من غيره الا بطول المجاهدة فاذا حصل قلبه مع الله
انكشف له جمال الحضرة الربوبية وتجلى له الحق وظهر له من لطايف رحمة الله ما لا يجوز ان يوصف بل لا يحيط الوصف
به اصلاً واذا انكشف للمريد شي من ذلك فاعظم القواطع عليه ان يتكلم به وعظًا ونصحًا ويتصدى للتذكير فيجد النفس
فيه لذة ليس وراها لذة فتدعوه تلك اللذة الى ان يتفكر في كيفية ايراد تلك المعاني وتحسين الالفاظ المعبرة عنها
وترتيب ذكرها وتزيينها بالحكايات وشواهد القرآن والاخبار وتحسين صورة الكلام لتميل اليه القلوب والاسماع
والشيطان ربما يخيل اليه ان هذا منك احيا لقلوب الموتى الغافلين عن الله وانما انت واسطة بين الله وبين الخلق
لدعوة عباده اليه وما لك فيه نصيب ولا لنفسك فيه لذة ويتضح كيد الشيطان بان يظهر في اقرانه من يكون
احسن كلامًا منه واجزل لفظًا واقدر على جلب قلوب العوام فانه تتحرك في باطنه عقرب الحسد لا محالة ان كان محركه
لذة القبول وان كان محركه هو الحق حرصًا على دعوة عباد الله تعالى الى صراطه المستقيم فيعظم به فرحه فيقول الحمد لله
الذي عضدني وايدني بمن يوازرني على اصلاح عباده كالذي وجب عليه مثلاً ان يحمل ميتًا ليدفنه اذ وجده ضايعًا و
تعين عليه ذلك شرعًا فجاءه من اعانه عليه فانه يفرح عليه ولا يحسد معينه والغافلون موتى والوعاظ هم
المنبهون والمحيون ففي كثرتهم استرواح وتناصر فينبغي ان يكون المريد على حذر منه فانه اعظم حبايل الشيطان في
قطع الطريق فان ايثار الحيوة الدنيا طبع غالب على الانسان ولذلك قال تعالى بل تؤثرون الحيوة الدنيا ثم بين ان
الشر قديم في الطباع وان ذلك مذكور في الكتب السالفة فقال ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابرهيم وموسى فهذا
منهاج رياضة المريد وتربيته في التدرج الى لقاء الله تعالى اما تفصيل الرياضة في كل صفة فسياتي فان اغلب الصفات على
الانسان بطنه وفرجه ولسانه اعني الشهوات المتعلقة بها ثم الغضب الذي هو كالجند لحماية الشهوات ثم مهما
احب الانسان شهوة البطن والفرج وانس بهما احب الدنيا ولم يتمكن منها الا بالمال والجاه واذا طلب المال والجاه
حدث فيه الكبر والعجب والرياسة واذا ظهر ذلك فلم تسمح نفسه بترك الدين راسًا تمسك من الدين بما فيه الرياسة
وغلب عليه الغرور فلهذا وجب علينا بعد تقديم هذين الكتابين ان نستكمل ربع المهلكات بثمانية كتب كتاب
في كسر شهوة البطن والفرج وكتاب في كسر الغضب والحسد والحقد وكتاب في كسر شره الكلام وكتاب

من ذلك ثم

وكتاب في ذم الدنيا وتفصيل خدعها وكتاب في ذم حب المال وذم البخل وكتاب في ذم الريا وحب الجاه
وكتاب في ذم الكبر والعجب وكتاب في بيان مواقع الغرور وبذكر هذه المهلكات وتعليم طريق المعالجة فيها
يتم غرضنا من ربع المهلكات ان شا الله تعالى فان ما ذكرناه في الكتاب الاول هو شرح لصفات القلب الذي هو معدن
المهلكات والمنجيات وما ذكرناه في الكتاب الثاني هو اشارة كلية الى طريق تهذيب الاخلاق ومعالجة امراض القلوب
اما تفصيلها فانما ياتي في هذه الكتب ان شا الله تعالى ٥ ٥ ٥ ٥

تم الكتاب الثاني من الربع الثالث من كتاب احيا علوم الدين والحمد لله
حق حمده والصلوة والسلام على من لا نبي من بعده
وعلى آله واصحابه الموفين بعهده
وعلى سائر اتباعه
ووفده
م

كتاب كسر الشهوتين وهو الكتاب الثالث من ربع المهلكات

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله المنفرد بالجلال في كبريائه وتعاليه المستحق للتحميد والتقديس والتنزيه القائم بالعدل فيما يبرمه ويقضيه
المتطول بالفضل فيما ينعم به ويسديه المتكفل بحفظ عبده في جميع موارده ومجاريه المنعم عليه بما يزيد على مهمات
مقاصده بل بما يفي بأمانيه فهو الذي يرشده ويهديه وهو الذي يميته ويحييه واذا مرض فهو يشفيه واذا ضعف فهو
يقويه وهو الذي يوفقه للطاعة ويرتضيه وهو الذي يطعمه ويسقيه ويحفظه عن الهلاك ويحميه ويحرسه بالطعام
والشراب عما يهلكه ويرديه ويمكنه من القناعة بقليل القوت ويقويه حتى يضيق به مجاري الشيطان الذي يناويه ويكسر به
سطوة النفس التي تعاديه فيدفع شرها ثم يعبد ربه ويتقيه هذا بعد ما يوسع عليه مما يلتذ به ويشتهيه ويكثر عليه مما
يهيج بواعثه ودواعيه كل ذلك يمتحنه به ويبتليه فينظر كيف يؤثره على ما يهواه وينتحيه وكيف يحفظ اوامره و
ينتهي عن نواهيه ويواظب على طاعته وينزجر عن معاصيه والصلوة والسلام على محمد عبده النبيه ورسوله الوجيه صلوة
تزلفه وتحظيه وترفع منزلته وتعليه وعلى الابرار من عترته واقربيه والاخيار من صحابته وتابعيه أما بعد

فاعظم المهلكات لابن آدم شهوة البطن فبها اخرج آدم وحوا من دار القرار الى دار الذل والافتقار اذ نهيا عن الشجرة فغلبتهما
شهوتهما حتى اكلا منها فبدت لهما سوآتهما والبطن على التحقيق ينبوع الشهوات ومنبت الادواء والآفات اذ يتبعها شهوة الفرج
وشدة الشبق الى المنكوحات ثم تتبع شهوة المطعم والمنكح شدة الرغبة في المال والجاه اللذين هما الوسيلة الى التوسع
في المطعومات والمنكوحات ثم يتبع استكثار المال والجاه انواع الرعونات وضروب المنافسات والمحاسدات ثم يتولد منهما
آفة الريا وغائلة التفاخر والتكاثر والكبريا ثم يتداعى ذلك الى الحسد والحقد والعداوة والبغضا ثم يفضي بصاحبه الى
اقتحام البغي والمنكر والفحشا وكل ذلك ثمرة اهمال المعدة وما يتولد منها من بطر الشبع والامتلا ولو ذلل العبد نفسه
بالجوع وضيق به مجاري الشيطان لاذعنت لطاعة الله ولم تسلك سبيل البطر والطغيان ولم ينجر به ذلك الى الانهماك في
الدنيا وايثار العاجلة على العقبى ولم يتكالب كل هذا التكالب على الدنيا واذا عظمت آفة شهوة البطن الى هذا الحد وجب
شرح غوائلها وآفاتها تحذيرا منها ووجب ايضاح طريق المجاهدة لها والتنبيه على فضلها ترغيبا فيها وكذلك و
كذلك شرح شهوة الفرج فانها تابعة لها ونحن نوضح ذلك بعون الله تعالى في فصول يجمعها وهو بيان فضيلة الجوع
ثم طريق الرياضة في كسر شهوة البطن بالتقليل من الطعام والتأخير ثم بيان اختلاف حكم الجوع ثم طريق الرياضة في كسر
شهوة البطن وفضيلته باختلاف احوال الناس ثم بيان الريا في ترك الشهوة ثم القول في شهوة الفرج ثم بيان ما على
المريد في ترك التزويج وفعله ثم بيان فضيلة من يخالف شهوة الفرج والعين

بيان فضيلة الجوع وذم الشبع

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جاهدوا انفسكم بالجوع والعطش فان الاجر في ذلك كاجر المجاهد في سبيل الله
وانه ليس من عمل احب الى الله تعالى من جوع وعطش وقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخل ملكوت
السما من ملأ بطنه وقيل يا رسول الله اي الناس افضل قال من قل طعمه وضحكه ورضي بما يستر به عورته وقال صلى
الله عليه وسلم سيد الاعمال الجوع وذل النفس لباس الصوف وقال ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
البسوا واشربوا وكلوا في انصاف البطون فانه جزء من النبوة وقال الحسن قال النبي صلى الله عليه وسلم الفكر نصف العبادة
وقلة الطعام هي العبادة وقال الحسن قال صلى الله عليه وسلم افضلكم منزلة عند الله اطولكم جوعا وتفكرا وابغضكم الى
الله تعالى كل نؤوم اكول شروب وفي الخبر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يجوع من غير عوز اي مختارا لذلك وقال صلى الله عليه
وسلم ان الله يباهي الملائكة بمن قل طعمه في الدنيا يقول انظروا الى عبدي ابتليته بالطعام والشراب في الدنيا فتركهما اشهدوا
يا ملائكتي ما من اكلة يدعها الا ابدلته بها درجات في الجنة وقال صلى الله عليه وسلم لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام و
الشراب فان القلب كالزرع يموت اذا كثر عليه الما وقال صلى الله عليه وسلم ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطنه حسب ابن
آدم لقيمات يقمن صلبه وان كان لا بد فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه وفي حديث اسامة بن زيد وحديث ابي هريرة
ذكر فضيلة الجوع اذ قال فيه ان اقرب الناس من الله تعالى يوم القيمة من طال جوعه وعطشه وحزنه في الدنيا الاحفيا
الاتقيا الذين ان شهدوا لم يعرفوا وان غابوا لم يفتقدوا تعرفهم بقاع الارض وتحف بهم ملائكة السما نعم الناس بالدنيا
ونعموا بطاعة الله افترش الناس الفرش وافترشوا الجباه والركب ضيع الناس فعل النبيين واخلاقهم وحفظوها تبكي
الارض اذا فقدتهم ويسخط الله تعالى على كل بلدة ليس فيها منهم احد لم يتكالبوا على الدنيا تكالب الكلاب على الجيف اكلوا
العلق ولبسوا الخرق تراهم شعثا غبرا يراهم الناس فيظنون ان بهم داء وما بهم داء ويقال قد خولطوا وذهبت عقولهم وما
ذهبت عقولهم ولكن نظر القوم بقلوبهم الى امر الله الذي اذهب عنهم الدنيا فهم عند اهل الدنيا يمشون بلا عقول عقلوا حيث
ذهبت عقول الناس لهم الشرف في الآخرة يا اسامة اذا رأيتهم في بلدة فاعلم انهم امان لتلك البلدة لا يعذب الله تعالى قوما
هم فيهم الارض بهم فرحة والجبار عنهم راض اتخذهم لنفسك اخوانا عسى ان تنجو بهم فان استطعت ان يأتيك الموت
وبطنك جائع وكبدك ظمآن فافعل فانك تدرك بذلك شرف المنازل وتحل مع النبيين وتفرح بقدوم روحك الملائكة
ويصلي عليك الجبار وروى الحسن عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال البسوا الصوف وشمروا وكلوا في انصاف
البطون تدخلوا في ملكوت السما وقال عيسى صلوات الله عليه اجيعوا اكبادكم واعروا اجسادكم لعل قلوبكم ترى الله عز وجل
وروي عن نبينا صلى الله عليه وسلم ايضا رواية عن طاوس وفي التورية مكتوب ان الله تعالى ليبغض الحبر السمين لان
السمن يدل على الغفلة وكثرة الاكل وذلك قبيح خصوصا بالحبر ولاجله قال ابن مسعود ان الله يبغض القارئ السمين وفي
خبر مرسل ان الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع والعطش وفي الخبر ان الاكل على الشبع
يورث البرص وقال صلى الله عليه وسلم المؤمن يأكل في معى واحد والمنافق يأكل في سبعة امعا اي يأكل سبعة اضعاف
اكل المؤمن او تكون شهوته سبعة اضعاف شهوته ويكون المعى كناية عن الشهوة لان الشهوة هي التي تقبل الطعام وتأخذه
كما يأخذ المعى وليس المعنى زيادة عدد معى المنافق على معى المؤمن وروى الحسن عن عائشة رضي الله عنها قالت سمعت

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اديموا قرع باب الجنة يفتح لكم قلت وكيف نديم قرع باب الجنة قال بالجوع
والظمأ وروي ان ابا جحيفة تجشأ في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له اقصر من جشائك فان اطول الناس
جوعا يوم القيامة اكثرهم شبعا في الدنيا وكانت عائشة تقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمتلئ قط شبعا و
ربما بكيت له مما ارى به من الجوع وامسح بطنه بيدي واقول نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بقدر ما يقوتك ويمنعك
من الجوع فيقول يا عائشة اخواني من اولي العزم من الرسل قد صبروا على ما هو اشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على
ربهم فاكرم مآبهم واجزل ثوابهم فاجدني استحيي ان ترفهت في معيشتي ان يقصر بي دونهم فالصبر اياما يسيرة
احب الي من ان ينقص حظي غدا في الآخرة وما من شيء احب الي من اللحوق باخواني واخلائي قالت عائشة فوالله ما استكمل
بعد ذلك جمعة الا قبضه الله وعن انس قال جاءت فاطمة عليها السلام بكسرة خبز لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما
حتى
هذه الكسرة قالت قرص خبزته ولم تطب نفسي حتى اتيتك بهذه الكسرة قال اما انه اول طعام دخل فم ابيك منذ ثلاثة
ايام وقال ابو هريرة ما اشبع النبي صلى الله عليه وسلم اهله ثلاثة ايام تباعا من خبز الحنطة حتى فارق الدنيا وقال صلى الله
عليه وسلم ان اهل الجوع في الدنيا هم اهل الشبع في الآخرة وان ابغض الناس الى الله المتخمون الملأى وما ترك عبد اكلة
يشتهيها الا كانت له درجة في الجنة واما الآثار فقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه اياكم والبطنة فانها ثقل في الحياة
نتن في الممات وقال شقيق العبادة حرفة حانوتها الخلوة وآلتها المجاعة وقال لقمان لابنه اذا امتلأت المعدة نامت الفكرة
وخرست الحكمة وقعدت الاعضاء عن العبادة وقال الفضيل بن عياض لنفسه اي شيء تخافين اتخافين ان تجوعي لا تخافي ذلك
انت اهون على الله من ذلك انما يجوع محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه وكان كهمس يقول الهي اجعتني واعريتني وفي ظلم
الليالي اجلستني فبأي وسيلة بلغتني ما بلغتني وكان فتح الموصلي اذا اشتد مرضه وجوعه يقول الهي ابتليتني بالمرض والجوع
وكذلك تفعل باوليائك فبأي عمل اؤدي شكر ما انعمت به علي وقال مالك بن دينار قلت لمحمد بن واسع يا ابا عبد الله طوبى لمن
كانت له غليلة تقوته وتغنيه عن الناس فقال لي يا ابا يحيى طوبى لمن اصبح جائعا وامسى جائعا وهو عن الله راض وقال الفضيل
اجعتني واجعت عيالي وتركتني في ظلم الليل بلا مصباح وانما تفعل هذا باوليائك فبأي منزلة نلت هذا منك وقال يحيى
ابن معاذ جوع الراغبين منبهة وجوع التائبين تجربة وجوع المجتهدين كرامة وجوع الصابرين سياسة وجوع الزاهدين
حكمة وفي التوراة اتق الله واذا شبعت فاذكر الجياع وقال ابو سليمان لان اترك لقمة من عشائي احب الي من قيام ليلة
الى الصبح وقال ايضا الجوع عند الله في خزائنه لا يعطيه الا من احبه وكان سهل بن عبد الله التستري يطوي نيفا وعشرين يوما لا يأكل
وكان يكفيه للطعام في السنة درهم وكان يعظم الجوع ويبالغ فيه حتى قال لا يوافي القيامة عمل بر افضل من ترك فضول
الطعام والاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في اكله وقال لم ير الاكياس شيئا انفع من الجوع للدين والدنيا وقال لا اعلم
شيئا اضر على طلاب الآخرة من الاكل وقال وضعت الحكمة والعلم في الجوع وجعل الجهل والمعصية في الشبع وقال ما
عبد الله بشيء افضل من مخالفة الهوى في ترك الحلال وقال في الحديث ثلث الطعام فمن زاد عليه فانما يأكل من حسناته وسئل
عن الزيادة فقال لا يجد الزيادة حتى يكون الترك احب اليه من الاكل ويكون اذا جاع ليلة سأل الله تعالى ان يجعلها ليلتين فاذا
كان كذلك وجد الزيادة وقال ما صار الابدال ابدالا الا باخماص البطون والصمت والسهر والخلوة وقال رأس كل بر نزل من السماء
الى الارض الجوع ورأس كل فجور بينهما الشبع وقال من جوع نفسه انقطعت عنه الوساوس وقال اقبال الله على العبد

العبد بالجوع والسقم والبلاء الا من شاء الله وقال اعلموا ان هذا زمان لا ينال احد النجاة الا بذبح نفسه وقتلها بالجوع
والصبر والجهد وقال ما مر على وجه الارض احد شرب من هذا الماء حتى روي فسلم من المعصية وان شكر الله فكيف الشبع
من الطعام وسئل حكيم باي قيد اقيد نفسي قال قيدها بالجوع والعطش وذللها باخمال الذكر وترك العز وصغرها بوضعها
تحت ارجل ابناء الآخرة واكسرها بترك زي القراء عن ظاهرها وانج من آفاتها بدوام سوء الظن بها واصحبها بخلاف هواها
وكان عبد الواحد بن زيد يقسم بالله ان الله تعالى ما صافى احدا الا بالجوع ولا مشوا على الماء الا بالجوع ولا طويت لهم الارض
الا بالجوع وقال ابو طالب المكي مثل البطن مثل المزهر وهو العود المجوف ذو الاوتار انما حسن صوته لخفته ورقته ولانه
اجوف غير ممتلئ فكذلك الجوف اذا خلا كان اعذب للتلاوة وادوم للقيام واقل للمنام وقال بكر بن عبد الله ثلاثة يحبهم الله
عز وجل رجل قليل الاكل قليل النوم قليل الراحة وروي ان عيسى عليه السلام مكث يناجي ربه عز وجل ستين صباحا لم يأكل
فخطر بباله الخبز فانقطع عن المناجاة فاذا رغيف موضوع فقعد يبكي لفقد المناجاة فاذا شيخ قد اظله فقال له عيسى يا
ولي الله ادع الله تعالى لي فاني كنت في حالة فخطر ببالي الخبز فانقطعت عني فقال الشيخ ان كان الخبز خطر ببالي منذ عرفته
فلا تغفر لي وروي ان موسى عليه السلام لما قربه الله تعالى نجيا كان قد ترك الاكل اربعين يوما

بيان فوائد الجوع وآفات الشبع

لعلك تقول هذا الفضل العظيم للجوع من اين هو وما سببه وليس فيه الا ايلام المعدة ومقاساة الاذى
فان كان كذلك فينبغي ان يعظم الفضل في كل ما يتأذى به الانسان من ضربه نفسه وقطعه لحمه وتناوله الاشياء الكريهة
وما يجري مجراه فاعلم ان هذا يضاهي قول من شرب دواء فانتفع به فظن ان منفعته لمرارة الدواء وكراهيته فاخذ يتناول
كل ما هو مكروه في المذاق وهو غلط بل نفعه في خاصية في الدواء وليس لكونه مرا وانما يقف على تلك الخاصية الاطباء فكذلك
لا يقف على علة نفع الجوع الا سماسرة العلماء ومن جوع نفسه مصدقا بما جاء في الشرع من مدح الجوع انتفع به وان لم يعرف
علة المنفعة كما ان من شرب الدواء وجد كونه نافعا ولكنا نشرح لك ذلك ان اردت ان ترتقي من درجة الايمان الى درجة العلم
يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات فنقول في الجوع عشر فوائد الفائدة الاولى صفاء القلب و
ايقاد القريحة ونفاذ البصيرة فان الشبع يورث البلادة ويعمي القلب ويكثر البخار في الدماغ كشبه السكر حتى يحتوي
على معادن الفكر فيثقل القلب بسببه عن الجريان في الافكار وعن سرعة الادراك قال ابو سليمان عليك بالجوع فانه مذلة للنفس
ورقة للقلب ويورث العلم السماوي وقال صلى الله عليه وسلم احيوا قلوبكم بقلة الضحك وطهروها بالجوع تصفو وترق
ويقال مثل الجوع مثل الرعد والقناعة كالسحاب والحكمة كالمطر وقال صلى الله عليه وسلم من اجاع بطنه عظمت فكرته
وفطن قلبه وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شبع ونام قسى قلبه ثم قال ان لكل شيء زكوة وان زكوة
البدن الجوع وقال الشبلي ما جعت لله تعالى يوما الا رأيت في قلبي بابا من الحكمة والعبرة ما رأيته قط وليس يخفى ان غاية
المقصود من العبادات الفكر الموصل الى المعرفة والاستبصار بحقائق الحق والشبع يمنع منه والجوع يفتح بابه والمعرفة باب
من ابواب الجنة فبالحري ان تكون ملازمة الجوع قرعا لباب الجنة ولهذا قال لقمان لابنه يا بني اذا امتلأت المعدة نامت الفكرة
وخرست الحكمة وقعدت الاعضاء عن العبادة وقال ابو يزيد الجوع سحاب فاذا جاع العبد امطر القلب الحكمة وقال صلى الله عليه
وسلم نور الحكمة الجوع والتباعد من الله الشبع والقربة الى الله حب المساكين والدنو منهم لا تشبعوا فيطفئ نور المعرفة
من قلوبكم ومن بات يصلي في خفة من الطعام باتت الحور حوله حتى يصبح الفائدة الثانية رقة القلب وصفاؤه

الذي به تهيأ لادراك لذة المناجاة والتأثر بالذكر فكم من ذكر يجري على اللسان مع حضور القلب ولكن القلب لا يلتذ
به ولا يتأثر عنه حتى كان بينه وبينه حجاب من قساوة القلب وقد يرق في بعض الاحوال فيعظم تأثره بالذكر وتلذذه
بالمناجاة وخلو المعدة هو السبب الاظهر فيه قال ابو سليمن احلى ما يكون الى العبادة اذا التصق ظهري ببطني وقال الجنيد
يجعل احدهم بينه وبين الله مخلاة من الطعام ويريد ان يجد حلاوة المناجاة وقال ابو سليمن القلب اذا عطش وجاع صفا
ورق واذا شبع عمي ومات فاذن تأثر القلب بلذة المناجاة امر وراء تيسر الفكر واقتناص المعرفة به فهي فائدة ثانية
الفائدة الثالثة الانكسار والذل وزوال البطر والفرح والاشر الذي هو مبدأ الطغيان والغفلة عن الله تعالى ولا
تنكسر النفس ولا تذل بشيء كما تذل بالجوع فعنده تسكن لربها وتخشع له وتقف على عجزها وذلها اذا ضعفت منتها وضاقت
حيلتها بلقمة طعام فاتتها واظلمت عليها الدنيا بشربة ماء تأخرت عنها وما لم يشاهد ذل نفسه وعجزه لا يرى عزة مولاه ولا قهره
وانما سعادته في ان يكون دائما مشاهدا نفسه بعين الذل والعجز ومولاه بعين العز والقدرة والقهر فليكن دائما جائعا مضطرا
الى مولاه مشاهدا للاضطرار بالذوق ولذلك لما عرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا وخزائنها قال لا بل اجوع
يوما واشبع يوما فاذا جعت صبرت وتضرعت واذا شبعت شكرت او كما قال فالبطن والفرج باب من ابواب النار واصله
الجوع ومن اغلق بابا من ابواب النار فقد فتح بابا من ابواب الجنة بالضرورة لانهما متقابلان كالمشرق والمغرب فالقرب من
احدهما بعد من الآخر الفائدة الرابعة ان لا ينسى بلاء الله وعذابه ولا ينسى اهل البلاء فان الشبعان ينسى الجائعين وينسى الجوع
والعبد الفطن لا يشاهد بلاء الا ويتذكر بلاء الآخرة فيتذكر من عطشه عطش الخلق في عرصات القيامة ومن جوعه جوع اهل
النار حين يجوعون فيطعمون الزقوم والضريع ويسقون الغساق والمهل فلا ينبغي ان يغيب عن العبد عذاب الآخرة وآلامها
فانه الذي يهيج الخوف ومن لم يكن في ذلة ولا قلة ولا علة ولا بلاء نسي عذاب الآخرة ولم يتمثل في نفسه ولم يغلب على قلبه
فينبغي ان يكون العبد في مقاساة بلاء او مشاهدة بلاء واولى ما تقاسيه من البلاء الجوع فان فيه فوائد جمة سوى تذكر عذاب
الآخرة وهذا احد الاسباب التي اقتضت اختصاص البلاء بالانبياء والاولياء والامثل فالامثل ولذلك قيل ليوسف صلوات
الله عليه لم تجوع وفي يدك خزائن الارض فقال اخاف ان اشبع فانسى الجائع فذكر الجائعين والمحتاجين احد فوائد الجوع
فان ذلك يدعو الى الرحمة والاطعام والشفقة على خلق الله تعالى والشبعان في غفلة عن الم الجائع الفائدة الخامسة
وهي من اكبر الفوائد كسر شهوات المعاصي كلها والاستيلاء على النفس الامارة بالسوء فان منشأ المعاصي الشهوات والقوى و
مادة القوى والشهوات لا محالة الاطعمة فتقليلها يضعف كل شهوة وقوة وانما السعادة كلها في ان يملك الرجل نفسه
والشقاوة كلها في ان تملكه نفسه وكما انك لا تملك الدابة الجموح الا بضعف الجوع فاذا شبعت قويت وشردت وجمحت فكذلك النفس كما قيل
لبعضهم ما بالك مع كبرك لا تتعهد بدنك وقد انهد فقال لانه سريع المرح فاحش الاشر فاخاف ان يجمح بي فيورطني فلأن
احمله على الشدائد احب الي من ان يحملني على الفواحش وقال ذو النون ما شبعت قط الا وقد عصيت او هممت بمعصية و
قالت عائشة رضي الله عنها اول بدعة حدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الشبع ان القوم لما شبعت بطونهم جمحت
بهم نفوسهم الى الدنيا وهذه ليست فائدة واحدة بل هي خزائن الفوائد ولذلك قيل الجوع خزانة من خزائن الله واقل ما يندفع
بالجوع شهوة الفرج وشهوة الكلام فان الجائع لا يتحرك عليه شهوة فضول الكلام فيتخلص به من آفات اللسان كالغيبة والفحش
والكذب والنميمة وغيرها فيمنعه الجوع من كل ذلك واذا شبع افتقر الى فاكهة فيتفكه لا محالة باعراض الناس ولا يكب الناس

الناس على مناخرهم الا حصائد السنتهم واما شهوة الفرج فلا تخفى غائلتها والجوع يكفي شرها واذا شبع الرجل لم يملك
فرجه وان منعته التقوى فلا يملك عينه والعين تزني كما ان الفرج يزني فان ملك عينه بغض الطرف فلا يملك فكره فيخطر
له من الافكار الردية وحديث النفس باسباب الشهوة ما يتشوش به المناجاة وربما عرض له ذلك في اثناء الصلوة وانما ذكرنا
آفة اللسان والفرج مثلا والا فجميع معاصي الاعضاء السبعة سببها القوة الحاصلة من الشبع وقال حكيم كل مريد صبر على السياسة
فيصبر على الخبز البحت سنة لا يخلط به شيئا من الشهوات ويأكل نصف بطنه رفع الله عنه مؤنة النساء الفائدة السادسة
دفع النوم ودوام السهر فان من شبع شرب كثيرا ومن كثر شربه كثر نومه ولذلك كان يقول بعض الشيوخ على راس السفرة معاشر
المريدين لا تأكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا فتخسروا كثيرا واجمع سبعون صديقا على ان كثرة النوم من كثرة الشرب
وفي كثرة النوم ضياع العمر وفوت التهجد وبلادة الطبع وقساوة القلب والعمر انفس الجواهر وهو راس مال العبد فيه يتجر والنوم
موت فتكثيره ينقص من العمر ثم فضيلة التهجد لا تخفى وفي النوم فواته ومهما غلب النوم فان تهجد لم يجد حلاوة العبادة ثم
المتعزب اذا نام على الشبع احتلم ويمنعه ذلك ايضا من التهجد ويحوجه الى الغسل اما بالماء البارد فيتأذى به او يحتاج الى
الحمام وربما لا يقدر عليه بالليل فيفوته الوتر ان كان قد اخره الى التهجد ثم يحتاج الى مؤنة الحمام وربما يقع عينه على عورة
في دخول الحمام فان فيه اخطارا ذكرناها في كتاب الطهارة وكل ذلك اثر الشبع وقد قال ابو سليمن الاحتلام
عقوبة وانما قال ذلك لانه يمنع من عبادات كثيرة لتعذر الغسل في كل حال فالنوم منبع الآفات والشبع مجلبة له والجوع
مقطعة له الفائدة السابعة تيسير المواظبة على العبادة فان الاكل يمنع من كثرة العبادات لانه يحتاج الى زمان يشتغل
فيه بالاكل وربما احتاج الى زمان في شراء الطعام او طبخه ثم يحتاج الى غسل اليد والخلال ثم يكثر ترداده الى بيت الماء
لكثرة شربه والاوقات المصروفة الى هذه لو صرفها الى الذكر والمناجاة وسائر العبادات لكثر ربحه قال السري رأيت مع علي
الجرجاني سويقا يستف منه فقلت ما دعاك الى هذا قال اني حسبت ما بين المضغ الى الاستفاف سبعين تسبيحة فما مضغت
الخبز منذ اربعين سنة فانظر كيف اشفق على وقته ولم يضيعه في المضغ وكل نفس من العمر جوهرة نفيسة لا قيمة لها فينبغي ان يستوفى
منه خزانة باقية في الآخرة لا آخر لها وذلك بصرفه الى ذكر الله وطاعته ومن جملة ما يتعذر بكثرة الاكل الدوام على الطهارة
وصرف اوقات ملازمة المسجد فانه يحتاج الى الخروج لشرب الماء واراقته ومن جملته الصوم فانه يتيسر لمن تعود الجوع والصوم
ودوام الاعتكاف ودوام الطهارة وصرف اوقات شغل الاكل واسبابه الى العبادة ارباح عظيمة انما يستحقرها الغافلون
الذين لم يعرفوا قدر الدين لكن رضوا بالحيوة الدنيا واطمأنوا بها يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون
وقد اشار ابو سليمن الداراني الى ست آفات في الشبع وقال من شبع دخل عليه ست آفات فقد حلاوة العبادة وتعذر حفظ الحكمة
وحرمان الشفقة على الخلق لانه اذا شبع ظن الخلق كلهم شباعا وثقل العبادة وزيادة الشهوات وان سائر المؤمنين يدورون حول
المساجد والشباع يدورون حول المزابل الفائدة الثامنة من قلة الاكل صحة البدن ودفع الامراض فان سببها كثرة الاكل
وحصول فضلة الاخلاط في المعدة والعروق ثم المرض يمنع من العبادات ويشوش القلب ويمنع من الذكر والفكر وينغص العيش
ويحوج الى الفصد والحجامة والدواء والطبيب وكل ذلك يحتاج الى مؤن وتبعات لا يخلو الانسان فيها بعد التعب عن انواع
من المعاصي واقتحام الشهوات وفي الجوع ما يدفع عنه كل ذلك حكي ان الرشيد جمع اربعة اطباء هندي ورومي وعراقي و
سوادي وقال ليصف كل واحد منكم الدواء الذي لا داء فيه فقال الهندي الدواء الذي لا داء فيه عندي هو الاهليلج الاسود

وقال الرومي هو حب الرشاد الابيض وقال العراقي عندي هو الماء الحار وقال السوادي وكان اعلمهم الاهليلج يعفص
المعدة وهذا داء وحب الرشاد يرق المعدة وهذا داء والماء الحار يرخي المعدة وهو داء قالوا فما هو عندك قال الدواء الذي
لا داء فيه عندي ان لا تاكل الطعام حتى تشتهيه وان ترفع يدك عنه وانت تشتهيه فقالوا صدقت وذكر لبعض الفلاسفة
من اطباء اهل الكتاب قول النبي صلى الله عليه وسلم ثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس فتعجب منه وقال ما سمعت كلاما
في قلة الاكل احكم من هذا وانه لكلام حكيم وقال صلى الله عليه وسلم البطنة اصل الداء والحمية اصل الدواء وعودوا
كل بدن ما اعتاد واظن ان تعجب الطبيب جرى من هذا الخبر لا من ذلك وقال ابن سالم من اكل خبز الحنطة نادبا لم يعتل الا
علة الموت قيل له وما الادب قال ان تاكل بعد الجوع وترفع قبل الشبع وقال بعض افاضل الاطباء في ذم الاستكثار ان انفع
ما ادخل الانسان معدته الرمان واضر ما ادخل معدته المالح ولان يقلل المالح خير من ان يستكثر من الرمان وفي الخبر المشهور
صوموا تصحوا ففي الصوم والجوع وتقليل الاكل صحة الاجسام من الاسقام وصحة القلوب من سقم الطغيان والبطر وغيرهما

الفائدة التاسعة خفة المؤنة فان من تعود قلة الاكل كفاه من المال قدر يسير والذي تعود الشبع صار بطنه غريما
ملازما له يأخذ بمخنقه كل يوم فيقول ماذا تاكل اليوم فيحتاج الى ان يدخل المداخل فيكتسب من الحرام فيعصي او من الحلال
فيذل ويتعب وربما احتاج الى ان يمد عين الطمع الى الخلق وهو غاية الذل والقماءة والمؤمن خفيف المؤنة قال بعض
الحكماء اني لاقضي عامة حوائجي بالترك فيكون اروح لقلبي وقال آخر اذا اردت ان استقرض من غيري لشهوة او زيادة
استقرضت من نفسي فتركت الشهوة فهي خير غريم لي وكان ابرهيم بن ادهم يسال اصحابه عن الشيء من الماكولات فيقال انه
غال فيقول ارخصوه بالترك قال سهل الاكول مذموم في ثلاثة احوال ان كان من اهل العبادة فيكسل وان كان مكتسبا لا يسلم
من الآفات وان كان ممن يدخل عليه شيء فلا ينصف الله تعالى من نفسه وبالجملة سبب هلاك الناس حرصهم على الدنيا و
سبب حرصهم على الدنيا البطن والفرج وسبب شهوة الفرج شهوة البطن وفي تقليل الاكل ما يحسم هذه الاحوال كلها
وهي ابواب النار وفي حسمها فتح ابواب الجنة كما قال صلى الله عليه وسلم اديموا قرع باب الجنة بالجوع فمن قنع برغيف
في كل يوم قنع في سائر الشهوات ايضا وصار حرا واستغنى عن الناس واستراح من التعب وتخلى لعبادة الله وتجارة الآخرة
فيكون من الرجال الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله فانما لا تلهيهم لاستغنائهم عنها بالقناعة فاما المحتاج فتلهيه لا
محالة **الفائدة العاشرة** ان يتمكن من الايثار والتصدق بما فضل من الاطعمة على اليتامى والمساكين فيكون يوم
القيامة في ظل صدقته كما ورد الخبر فما ياكله فخزانته الكنيف وما يتصدق به فخزانته فضل الله فليس للعبد من ماله الا ما
تصدق فابقى او اكل فافنى او لبس فابلى فالتصدق بفضلات الطعام اولى من التخمة والشبع كان الحسن اذا قرأ قوله تعالى
انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال الآية قال عرضها على السموات السبع الطباق والطرائق اللاتي زينها بالنجوم
وحملة العرش العظيم فقال لها هل تحملين هذه الامانة بما فيها قالت وما فيها قال ان احسنت جزيت وان اسأت عوقبت
قالت لا ثم عرضها على الارض كذلك فابت ثم عرضها على الجبال الصم الشوامخ البواذخ الصعاب الصلاب فقال لها هل
تحملين الامانة بما فيها قيل وما فيها فذكر الجزاء والعقوبة فقالت لا ثم عرضها على الانسان فحملها انه كان ظلوما لنفسه جهولا
بامر ربه عز وجل فقد رايناهم والله اشتروا الامانة باموالهم فاصابوا الافا فماذا صنعوا فيها وسعوا بها دورهم وضيقوا
بها قبورهم واسمنوا براذينهم واهزلوا دينهم واتعبوا انفسهم بالغدو والرواح الى باب هذا السلطان يتعرضون للبلاء

للبلاء وهم من الله في عافية يقول احدهم تبيعني ارض كذا وكذا وازيدك كذا وكذا يتكئ على شماله وياكل من غير ماله
حديثه سخرة وماله حرام حتى اذا اخذته الكظة ونزلت به البطنة قال يا غلام ائتني بشيء يهضم طعامي يا لكع اطعاما
تهضم انما دينك تهضم اين الفقير اين الارملة اين اليتيم اين المسكين الذي امرك الله به وهذه اشارة الى هذه الفائدة وهي
صرف فاضل الطعام الى الفقراء ليدخر به الاجر فذلك خير من ان ياكله حتى يتضاعف عليه الوزر ونظر رسول الله صلى الله عليه
ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى رجل سمين البطن فاومى الى بطنه باصبعه وقال لو كان هذا في غير هذا لكان خيرا
لك اي لو قدمته لآخرتك وآثرت به غيرك وعن الحسن قال والله ادركنا اقواما كان الرجل منهم يمسي وعنده من الطعام
ما يكفيه ولو شاء لاكله كله فيقول والله لا اجعل هذا كله في بطني حتى اجعل بعضه لله فهذه عشر فوائد للجوع يتشعب
عن كل واحدة فوائد لا ينحصر عددها ولا تتناهى فوائده فالجوع خزانة عظيمة لفوائد الآخرة ولهذا قال بعض السلف الجوع مفتاح
الآخرة وباب الزهد والشبع مفتاح الدنيا وباب الرغبة بل ذلك صريح في الاخبار التي رويناها وبالوقوف على تفصيل هذه
الفوائد تدرك معاني تلك الاخبار ادراك علم وبصيرة واذا لم تعرف هذا وصدقت بفضل الجوع كان لك رتبة المقلدين في الايمان

بيان طريق الرياضة في كسر شهوة البطن اعلم ان على المريد في بطنه وماكوله اربع وظائف الاولى ان لا ياكل الا حلالا فان العبادة مع
اكل الحرام كالبناء على امواج البحر وقد ذكرنا ما يجب عليه من درجات الورع في كتاب الحلال والحرام وتبقى ثلث وظائف
خاصة للاكل وهو تقدير قدر الطعام في القلة والكثرة وتقدير وقته في الابطاء والسرعة وتعيين الجنس الماكول في تناول
المشتهيات وتركها **اما الوظيفة الاولى** في تقليل الطعام وسبيل الرياضة فيه التدريج فمن تعود الاكل الكثير
وانتقل دفعة الى القليل لم يحتمله مزاجه وضعف وعظمت مشقته فينبغي ان يتدرج اليه قليلا قليلا وذلك بان ينقص قليلا قليلا
من طعامه المعتاد فان كان ياكل رغيفين مثلا واراد ان يرد الى واحد فينقص في كل يوم ربع سبع رغيف وهو ان ينقص جزءا من ثمانية
وعشرين جزءا او جزءا من ثلاثين جزءا فيرجع الى رغيف في شهر ولا يتضرر به ولا يظهر اثره فان شاء فعل ذلك بالوزن وان شاء
بالمشاهدة فيترك كل يوم مقدار لقمة وينقصه عما اكله بالامس ثم هذا فيه اربع درجات اقصاها ان يرد نفسه الى قدر القوام الذي
لا يبقى دونه وهو عادة الصديقين وهو اختيار سهل التستري اذ قال ان الله استعبد الخلق بثلاث بالحياة والعقل والقوة فان خاف
العبد على اثنين منها وهو العقل والحياة اكل وافطر ان كان صائما وتكلف الطلب ان كان فقيرا وان لم يخف عليهما بل على القوة قال ينبغي
ان لا يبالي ولو ضعف حتى يصلي قاعدا ورأى ان صلاته قاعدا مع ضعف الجوع افضل من صلاته قائما مع قوة الاكل وسئل عن
بدايته وما كان يقوت به فقال كان قوتي في كل سنة ثلاثة دراهم كنت آخذ بدرهم دبسا وبدرهم سمنا وبدرهم دقيقا مخلطا ثم
وستين كرة آخذ كل ليلة بكرة افطر عليها فقيل له الساعة كيف تفعل فقال آكل بلا وقت وبلا حد ويحكى عن الرهابين انهم قد يردون
انفسهم الى مقدار درهم من الطعام **الدرجة الثانية** ان يرد نفسه في اليوم والليلة الى نصف مد وهو رغيف وشيء
وشيء مما يكون الاربعة منه منا ويشبه ان يكون هذا ثلث البطن في حق الاكثر كما ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فوق
اللقيمات لان هذه الصيغة في الجمع للقلة فهو لما دون العشرة وكان ذلك عادة عمر رضي الله عنه اذ كان ياكل سبع لقم او تسع
لقم **الدرجة الثالثة** ان يرد الى مقدار المد وهو رغيفان ونصف وهذا يزيد على ثلث البطن في حق الاكثر ويكاد ينتهي
الى ثلثي البطن ويبقى ثلث للشراب ولا يبقى شيء للذكر وفي بعض الالفاظ ثلث للذكر بدل قوله للنفس **الدرجة الرابعة** ان يزيد
على المد الى المن ويشبه ان يكون ما وراء المن اسرافا ومخالفا لقوله تعالى ولا تسرفوا اعني في حق الاكثر فان مقدار الحاجة الى الطعام

يختلف بالشخص والسن والعمل الذي يشتغل به وهاهنا طريق خامس لا تقدير فيه ولكنه موضع غلط وهو ان يأكل اذا صدق جوعه ويقبض يده وهو على شهوة صادقة بعد ولكن الغالب ان من لم يقدر مع نفسه رغيفا او رغيفين فلا يتبين له حد الجوع الصادق وتشتبه ذلك بالشهوة الكاذبة وقد ذكر للجوع الصادق علامات احدها ان لا يطلب النفس الادم بل يأكل الخبز وحده بشهوة اي خبز كان فمهما طلبت نفسه خبزا بعينه وطلب ادما فليس ذلك بجوع وقيل ان يبزق فلا يقع الذباب عليه اي لا يبقى فيه دهنية ودسومة فيدل ذلك على خلو المعدة ومعرفة ذلك غامض فالصواب للمريد ان يقدر مع نفسه القدر الذي لا يضعفه عن العبادة التي هو بصددها فاذا انتهى اليه وقف وان بقيت شهوته وعلى الجملة فتقدير الطعام لا يمكن لانه يختلف بالاحوال والاشخاص صاعا من حنطة في كل جمعة فاذا اكلوا التمر اقتاتوا صاعا ونصفا وصاع الحنطة اربعة امداد فيكون كل يوم قريبا من نصف مد وهو ما ذكرنا انه قدر ثلث البطن وفي التمر احتيج الى زيادة لسقوط النوى منه وقد كان ابوذر يقول طعامي في كل جمعة صاع من شعير على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لا ازيد عليه شيئا حتى القاه فاني سمعته يقول اقربكم مني مجلسا يوم القيمة واحبكم الي من مات على ما هو عليه اليوم وكان يقول في انكاره على الصحابة قد غيرتم نخلتم الشعير ولم يكن ينخل وخبزتم المرقق وجمعتم بين ادمين واختلف عليكم بالوان الطعام وغدا احدكم في ثوب وراح في آخر ولم تكونوا هذا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان قوت اهل الصفة مدا من تمر بين اثنين في كل يوم والمد رطل وثلث ويسقط منه النوى وكان الحسن يقول المؤمن مثل العنيزة ويكفيه الكف من الحشف والقبضة من السويق والجرعة من الماء والمنافق مثل السبع الضاري بلعا بلعا وسرطا سرطا لا يطوي بطنه لجاره ولا يؤثر اخاه بفضله وجهوا هذه الفضول امامكم وقال سهل لو كانت الدنيا دما عبيطا كان قوت المؤمن منها حلالا لان اكل المؤمن عند الضرورة بقدر القوام فقط

الوظيفة الثانية في وقت الاكل ومقدار تاخيره وفيه ايضا درجة **الدرجة العليا** ان يطوي ثلاثة ايام فما فوقها وفي المريدين من رد الرياضة الى الطي لا الى المقدار حتى انتهى بعضهم الى ثلاثين يوما واربعين يوما وانتهى اليه جماعة من العلماء يكثر عددهم منهم محمد بن عمرو القرني وعبد الرحمن بن ابراهيم دحيم وابراهيم التيمي وحجاج بن فرافصة وحفص العابد المصيصي والمسلم بن سعيد وزهير وسليمان الخواص وسهل بن عبد الله التستري وابراهيم بن احمد الخواص وقد كان ابوبكر الصديق رضي الله عنه يطوي ستة ايام وكان عبد الله بن الزبير يطوي سبعة ايام وكان ابو الجوزا صاحب ابن عباس يطوي سبعا وروي ان الثوري وابراهيم بن ادهم كانا يطويان ثلثا ثلثا كل ذلك كانوا يستعينون بالجوع على طريق الآخرة قال بعض العلماء من طوى لله اربعين يوما ظهرت له قدرة من الملكوت اي كوشف ببعض الاسرار الالهية وقد حكي ان بعض اهل هذه الطائفة مر على راهب فذاكره بحاله فطمع في اسلامه وترك ما هو عليه من الغرور وكلمه في ذلك بكلام كثير الى ان قال له الراهب ان المسيح كان يطوي اربعين يوما وانه معجزة لا يكون الا لنبي صادق فقال له الصوفي فان طويت خمسين يوما تترك ما انت عليه وتدخل في دين الاسلام وتعلم انه حق وانك على باطل قال نعم فقعد لا يبرح الا حيث راه حتى طوى خمسين يوما ثم قال وازيدك ايضا فطوى تمام الستين فتعجب الراهب منه وقال ما كنت اظن ان احدا يجاوز المسيح وكان ذلك سبب اسلامه وهذه درجة عظيمة قل من يبلغها الا مكاشف محمول شغل بمشاهدة ما قطعه عن طبعه وعادته واستوفى نفسه في لذته وانساه جوعه وحاجته **الدرجة الثانية** ان يطوي يومين الى ثلث وليس ذلك خارجا عن العادة بل هو قريب يمكن الوصول اليه بالجد والمجاهدة **الدرجة الثالثة** وهي ادناها ان يقتصر في اليوم والليلة على اكلة واحدة وهذا هو الاقل وما جاوز ذلك اسراف ومداومة للشبع حتى لا يكون

له حالة جوع وذلك فعل المترفين وهو بعيد من السنة روى ابو سعيد الخدري انه صلى الله عليه وسلم كان اذا تغدى لم يتعش واذا تعشى لم يتغد وكان السلف يأكلون في كل يوم اكلة وقال صلى الله عليه وسلم اياك والاسراف فان اكلتين في كل يوم من السرف اكلة واحدة في يومين اقتار واكلة في كل يوم قوام بين ذلك وهو المحمود في كتاب الله تعالى ومن اقتصر في اليوم على اكلة واحدة فيستحب ان يأكلها سحرا قبل طلوع الصبح فيكون اكله بعد التهجد وقبل الصبح فيحصل له جوع النهار للصيام وجوع الليل للقيام وخلو القلب لفراغ المعدة ورقة الفكر واجتماع الهم وسكون النفس الى المعلوم فلا ينازعه قبل وقته وفي حديث عاصم بن كليب عن ابيه عن ابي هريرة قال ما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم قيامكم هذا قط وانه ليقوم حتى تورم قدماه وما واصل وصالكم هذا قط غير انه قد اخر الفطر الى السحر وفي حديث عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يواصل الى السحر فان كان يلتفت قلب الصائم بعد المغرب الى الطعام وكان يشغله عن حضور القلب في التهجد فالاولى ان يقسم طعامه بنصفين ان كان رغيفين مثلا اكل رغيفا عند الفطر ورغيفا عند السحر لتسكن نفسه ويخف عند التهجد بدنه ولا يشتد بالنهار جوعه لاجل تسحره فيستعين بالرغيف الاول على التهجد وبالثاني على الصوم ومن كان يصوم يوما ويفطر يوما فلا بأس ان يأكل يوم فطره وقت الظهر ويوم صومه وقت السحر فهذه هي الطرق في مواقيت الاكل وتقاربه وتباعده **الوظيفة الثالثة** في نوع الطعام وترك الادام واعلى الطعام مخ البر فان نخل فهو غاية الترفه واوسطه شعير منخول وادناه شعير لم ينخل واعلى الادام اللحم والحلاوة وادناه الملح والخل واوسطه المزورات بالادهان من غير لحم وعادة سالكي طريق الآخرة الامتناع عن الادام على الدوام بل الامتناع عن الشهوات فان كل لذيذ يشتهيه الانسان واكله اقتضى ذلك بطرا في نفسه وقسوة في قلبه وانسا له بلذات الدنيا حتى يألفها ويكره الموت ولقاء الله وتصير الدنيا جنة في حقه ويكون الموت سجنا له واذا منع نفسه شهواتها وضيق عليها وحرمها لذاتها صارت الدنيا سجنا عليه ومضيقا واشتهت الافلات منها فيكون الموت اطلاقها واليه اشار يحيى بن معاذ حيث قال معاشر الصادقين جوعوا انفسكم لوليمة الفردوس فان شهوة الطعام على قدر تجويع النفس فكل ما ذكرناه من آفات الشبع فانها يجري في اكل الشهوات وتناول اللذات فلا نطول باعادته فلذلك يعظم الثواب في ترك الشهوات من المباحات ويعظم الخطر في تناولها حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شرار امتي الذين يأكلون مخ الحنطة وهذا ليس بتحريم بل هو مباح على ان من اكله مرة ومرتين لم يعص ومن داوم عليه ايضا فلا يعصي بتناوله ولكن يتربى نفسه بالنعيم ويأنس بالدنيا ويألف اللذات ويسعى في طلبها فيجر ذلك الى المعاصي فهم شرار الامة لان مخ الحنطة يقودهم الى اقتحام امور تلك الامور معاصي وقال صلى الله عليه وسلم شرار امتي الذين غذوا بالنعيم ونبتت عليه اجسامهم وانما همتهم الوان الطعام وانواع اللباس ويتشدقون في الكلام واوحى الله تعالى الى موسى بن عمران عليه السلام اذكر انك ساكن القبر فليمنعك ذلك عن كثير من الشهوات وقد اشتد خوف السلف من تناول لذيذ الاطعمة وتمرين النفس عليها وراوا ان ذلك علامة الشقاوة وراوا منع الله تعالى عنه غاية السعادة حتى روي ان وهب بن منبه قال التقى ملكان في السماء الرابعة فقال احدهما للآخر من اين قال امرت بسوق حوت من البحر اشتهاه فلان اليهودي لعنه الله وقال الآخر امرت باهراق زيت اشتهاه فلان العابد وهذا تنبيه على ان تيسر اسباب الشهوات ليس من علامات الخير ولهذا امتنع عمر من شرب ماء بارد بعسل وقال اعزلوا عني حسابها فلا عبادة لله اعظم من مخالفة الشهوات وترك اللذات كما اوردناه في كتاب رياضة

النفس وقد روى نافع ان ابن عمر كان مريضا فاشتهى سمكة طرية فالتمست له فى المدينة فلم توجد ثم وجدت بعد كذا وكذا
فاشتريت له بدرهم ونصف فشويت وحملت اليه على رغيف فقام سائل على الباب فقال للغلام لفها برغيفها
وادفعها اليه فقال له الغلام اصلحك الله قد اشتهيتها منذ كذا وكذا فلم نجدها حتى وجدتها فاشتريتها بدرهم
ونصف فشويت وحملت اليه على رغيف فقام سائل على الباب فقال للغلام لفها برغيفها وادفعها اليه ونحن نعطيه ثمنها
فقال لفها وادفعها اليه فقال الغلام للسائل هل لك ان تاخذ درهما وتترك السمكة فاخذها ووضعها بين يديه وقال قد
فقال نعم فاعطاه وردها
اعطيته درهما واخذتها منه فقال لفها وادفعها اليه ولا تاخذ منه الدرهم فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ايما امرئ اشتهى شهوة فرد شهوته وآثر بها على نفسه غفر الله له وقال صلى الله عليه وسلم اذا سددت كلب الجوع برغيف
وكوز من الماء القراح فعلى الدنيا واهلها الدمار اشار به الى ان المقصود رد الم الجوع ودفع ضرره دون التنعم بلذات الدنيا
وبلغ عمر رضى الله عنه ان يزيد بن ابى سفيان ياكل انواع الطعام فقال عمر رضى الله عنه لمولى له اذا علمت انه حضر عشاؤه
فاعلمنى فاعلمه فدخل عليه فقرب عشاؤه فجاؤه بثريد ولحم فاكل معه عمر ثم قرب الشواء وبسط يزيد يده وكف عمر يده
وقال الله الله يا يزيد بن ابى سفيان اطعام بعد طعام والذى نفس عمر بيده لئن خالفتم عن سنتهم ليخالفن بكم عن طريقهم وعن
يسار بن عمير قال ما نخلت لعمر دقيقا قط الا وانا له عاص وروى ان عتبة الغلام كان يعجن دقيقه ويجففه فى الشمس
ثم ياكله ويقول كسرة وملح حتى يتهيا فى الدار الاخرة الشواء والطعام الطيب وكان ياخذ الكوز فيغرف به من حب كان فى الشمس نهاره
فيقول مولاة له يا عتبة لو اعطيتنى دقيقك فخبزته لك وبردت لك الماء فيقول لها يا ام فلان قد سددت عنى كلب الجوع ه
وروى عن مالك بن دينار انه بقى اربعين سنة يشتهى لبنا فلم ياكل واهدى اليه يوما رطب فقال لاصحابه كلوا
فما ذقته منذ اربعين سنة قال احمد بن ابى الحوارى اشتهى ابو سليمان الدارانى رغيفا حارا بملح فجئت به اليه فعض منه عضة ثم
طرح الرغيف واقبل يبكى وقال عجلت الى شهوتى بعد اطالة جهدى وشقوتى قد عزمت على التوبة فاقلنى قال احمد فما رايته
اكل الملح حتى لقى الله وقال مالك بن ضيغم مررت على سوق بالبصرة خمسين سنة ما اكلت رطبة لاهل البصرة ولا بسرة قط وقال
يا اهل البصرة عشت فيكم خمسين سنة فما اكلت لكم رطبة ولا بسرة فما زاد فيكم ما نقص منى ولا نقص منى ما زاد فيكم وقال مالك
ابن دينار طلقت الدنيا منذ خمسين سنة اشتهت نفسى لبنا منذ اربعين سنة فوالله لا اطعمها حتى الحق بالله وقال حماد بن ابى حنيفه
اتيت داود الطائى والباب عليه مغلق فسمعته يقول اشتهيت جزرا فاطعمتك جزرا ثم اشتهيت تمرا فآليت
ان لا تاكله ابدا فسلمت ودخلت فاذا هو وحده ومر ابو حازم بسوق فراى فيها من الفاكهة فاشتهاها فقال لابنه اشتر لنا من هذه
الفاكهة المقطوعة الممنوعة لعلنا نذهب الى الفاكهة التى لا مقطوعة ولا ممنوعة فلما اشتراها واتى به قال لنفسه قد خدعتنى حتى
نظرت واشتهيت وغلبتنى حتى اشتريت والله لا ذقته فبعث به الى يتامى من الفقراء وعن موسى الاشج انه قال نفسى تشتهى ملحا
جريشا منذ عشرين سنة وعن احمد بن خليفة قال نفسى منذ عشرين سنة ما طلبت منى الا الماء حتى تروى فما رويتها وروى ان
عتبة الغلام اشتهى لحما سبع سنين فلما كان بعد ذلك قال قد استحييت من نفسى ان ادفعها منذ سبع سنين سنة سنة
فاشترى قطعة لحم وشواها فلقى صبيا فقال له الست انت فلان بن فلان وقد مات ابوك قال بلى فناوله اياه واقبل يبكى ويقول
ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا ثم لم يذقه بعد ذلك ومكث عتبة الغلام يشتهى تمرا سنين فلما كان ذات ليلة
اشترى تمرا ورفعه حتى يفطر عليه قال فهبت ريح واظلمت الدنيا ففزع الناس فقال عتبة الغلام وهذا من جراتى عليك وشرائى

وشرائى التمر بالقيراط وقال لنفسه ما اظن اخذوا الا بذنبك على ان لا ذقته وترك التمر واشترى داود الطائى بنصف
فلس بقلا وبفلس خلا فاقبل ليلته كلها يقول لنفسه ويلك يا داود ما اطول حسابك يوم القيامة ثم لم ياكل بعده ولم يكن
ياكل الا قفارا وقال عتبة الغلام لعبد الواحد بن زيد ان فلانا يصف من قلبه منزلة ما اعرفها قال لانك تاكل مع خبزك تمرا
وهو لا يزيد على الخبز شيئا فقال انا ان تركت التمر عرفت تلك المنزلة قال نعم وغيرها فاخذ يبكى فقال له بعض اصحابه ابكى الله
عينك اعلى التمر تبكى فقال عبد الواحد دعه فان نفسه قد عرفت صدق عزمه فى الترك وهو اذا ترك شيئا لم يعد فيه ابدا
وقال جعفر بن نصير امرنى الجنيد ان اشترى له التين الوزيرى فاشتريته فلما افطر اخذ واحدة ووضعها فى فمه ثم القاها
وبكى وقال احمله فقلت له فى ذلك فقال هتف بى فى قلبى هاتف اما تستحيى تركته من اجلى ثم تعود اليه وقال صالح المرى
قلت لعطاء السليمى انى متكلف لك شيئا فلا ترد على كرامتى قال افعل ما تريد قال فبعثت اليه مع ولدى شربة من سويق قد
لتته بسمن وعسل فقلت له لا تبرح حتى يشربها فلما كان من الغد جئت بها فردها ولم يشربها فعاتبته ولمته على
ذلك وقلت سبحان الله رددت على كرامتى فلما راى وجدى لذلك قال لا يسوءك هذا انى قد شربتها اول مرة وقد راودت
نفسى فى المرة الثانية على شربها فلم اقدر على ذلك كلما اردت ذلك ذكرت قول الله تعالى يتجرعه ولا يكاد يسيغه وياتيه الموت
من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ قال صالح فبكيت وقلت فى نفسى انا فى واد وانت فى واد آخر وقال السرى
ان نفسى تطالبنى منذ ثلاثين سنة ان اغمس جزرة فى دبس فما اطعمتها وقال ابو بكر الجلاء اعرف انسانا تقول له نفسه انا اصبر
لك على طى عشرة ايام واطعمنى بعد ذلك شهوة اشتهيها فيقول لها لا اريد ان تطوى عشرة ايام ولكن اترك هذه الشهوة
وروى ان عابدا دعا بعض اخوانه فقرب اليه رغيفا فجعل اخوه يقلب بعض الارغفة ليختار اجودها فقال له العابد
مه اى شئ تصنع اما علمت ان فى الرغيف الذى رغبت عنه كذا وكذا حكمة وعمل فيه كذا وكذا صانع حتى استدار من السحاب
الذى يحمل الماء والماء الذى يسقى الارض والرياح والارض والبهائم وبنى آدم حتى صار اليك ثم انت بعد هذا تقلبه ولا ترضى به
وفى الخبر لا يستدير الرغيف ويوضع بين يديك حتى يعمل فيه ثلثمائة وستون صانعا اولهم ميكائيل الذى يكيل الماء من خزائن
الرحمة ثم الملائكة التى تزجى السحاب والشمس والقمر والافلاك وملائكة الهواء ودواب الارض وآخرهم الخباز وان تعدوا
نعمة الله لا تحصوها وقال بعضهم اتيت قاسم الجوعى فسالته عن الزهد اى شئ هو فقال اى شئ سمعت فيه فعددت اقوالا فسكت
فقلت وانت اى شئ تقول فقال اعلم ان البطن دنيا العبد فبقدر ما يملك من بطنه يملك من الزهد وبقدر ما يملكه بطنه
تملكه الدنيا وكان بشر بن الحارث قد اعتل مرة فسال عبد الرحمن المتطبب عن شئ يوافقه من الماكولات فقال تسالنى فاذا
وصفت لك لم تقبل منى قال بشر صف لى حتى اسمع قال تشرب سكنجبينا وتمص سفرجلا وتاكل بعد ذلك اسفيذباجا فقال
له بشر تعلم شيئا اقل من السكنجبين ثمنا يقوم مقامه قال لا قال بشر فانا اعرف قال ما هو قال الهندبا بالخل ثم قال اتعرف شيئا
اقل ثمنا من السفرجل يقوم مقامه قال لا قال انا اعرف قال ما هو قال الخرنوب الشامى قال فتعرف اقل ثمنا من الاسفيذباج
يقوم مقامه قال لا قال انا اعرف ماء الحمص بسمن البقر فى معناه فقال له عبد الرحمن فانت اعرف منى بالطب فلم تسالنى فقد
عرفت بهذا ان هؤلاء كيف امتنعوا من الشهوات ومن الشبع من الاقوات وكان امتناعهم للفوائد التى ذكرناها وفى بعض الاوقات
لانه كان لا يصفو لهم حلال فلم يرخصوا لانفسهم الا فى قدر الضرورة والشهوات ليست من الضرورات حتى قال ابو سليمان
الملح شهوة لانه زيادة على الخبز وما وراء الخبز شهوة وهذه هى النهاية فمن لم يقدر على ذلك فينبغى ان لا يغفل عن نفسه ولا ينهمك

في الشهوات نكفى بالمرء اسرافا ان ياكل كل ما يشتهيه ويفعل كل ما يهواه فينبغي ان لا يواظب على اكل اللحم قال علي رضي الله
عنه من ترك اللحم اربعين يوما ساء خلقه ومن داوم عليه اربعين يوما قسا قلبه وقيل ان للمداومة على اللحم ضراوة
كضراوة الخمر ومهما كان جائعا وتاقت نفسه الى الجماع فلا ينبغي ان ياكل فيعطي نفسه شهوتين فتقوى عليه وربما
طلبت النفس الاكل لتنشط في الجماع ويستحب ان لا ينام على الشبع فيجمع بين غفلتين فيعتاد الفتور فيقسو قلبه
بذلك ولكن ليصلي او يجلس فيذكر الله تعالى فانه اقرب الى الشكر وفي الحديث اذيبوا طعامكم بالصلوة والذكر ولا
تناموا عليه فتقسوا قلوبكم واقل ذلك ان يصلي اربع ركعات او يسبح مائة تسبيحة او يقرأ جزءا من القرآن عقيب اكله
وكان سفيان الثوري اذا شبع ليلة احياها واذا شبع في يوم واصله بالصلوة والذكر وكان يقول اشبع الزنجي وكده و
مرة يقول اشبع الحمار وكده ومهما اشتهى شيئا من الطعام وطيبات الفواكه فينبغي ان يترك الخبز وياكلها بدلا عنه ليكون
قوتا ولا يكون تفكها لئلا يجمع للنفس بين عادة وشهوة ونظر سهل الى ابن سالم وفي يده خبز وتمر فقال له ابدأ
بالتمر فان قامت كفايتك به والا اخذت من الخبز بعده بقدر حاجتك ومهما وجد طعاما لطيفا وغليظا فليقدم اللطيف فانه
لا يشتهي الغليظ بعده ولو اكل الغليظ لاكل اللطيف ايضا للطافته وكان بعضهم يقول لاصحابه لا تأكلوا الشهوات وان اكلتموها
فلا تطلبوها فان طلبتموها فلا تحبوها وطلب بعض انواع الخبز شهوة قال عبد الله بن عمر ما يأتينا من العراق فاكهة احب
الينا من الخبز فرأى له الخبز فاكهة وعلى الجملة لا سبيل الى اهمال النفس في الشهوات واتباعها بكل حال فبقدر ما يستوفي
العبد من شهوته يخشى ان يقول يوم القيمة اذهبتم طيباتكم في حيوتكم الدنيا وبقدر ما يجاهد نفسه ويترك شهوته يتمتع
في الآخرة بشهواته وقال بعض اهل البصرة نازعتني نفسي خبز ارز وسمكا فمنعتها فقويت مطالبتها واشتدت مجاهدتي
عشرين سنة فلما مات قال بعضهم رأيته في المنام فقلت ما فعل الله بك فقال لا احسن اصف لك ما تلقاني به ربي عز وجل
من النعيم والكرامة وكان اول شيء استقبلني به خبز ارز وسمكا فقال كل شهوتك اليوم هنيئا بغير حساب وقد قال الله تعالى كلوا
واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية وكانوا قد اسلفوا ترك الشهوات ولهذا قال ابو سليمن ترك شهوة من شهوات النفس
انفع للقلب من صيام سنة وقيامها

بيان اختلاف حكم الجوع وفضيلته باختلاف احوال الناس

اعلم ان المطلوب
الاقصى في جميع الاحوال والاخلاق الوسط اذ خير الامور اوساطها وكلا طرفي قصد الامور ذميم وما اوردناه في فضائل
الجوع ربما يومي الى ان الافراط فيه مطلوب وهيهات ولكن من اسرار حكمة الشريعة ان كل ما يطلب الطبع فيه الطرف الاقصى وكان
فيه فساد جاء الشرع بالمبالغة في المنع منه على وجه يومي عند الجاهل الى ان المطلوب مضادة ما يقتضيه الطبع بغاية الامكان
والعالم يدرك ان المقصود الوسط لان الطبع اذا طلب غاية الشبع فالشرع ينبغي ان يمدح غاية الجوع حتى يكون الطبع باعثا
والشرع مانعا فيتقاومان ويحصل الاعتدال فان من يقدر على قمع الطبع بالكلية بعيد فيعلم انه لا ينتهي الى الغاية فان
اسرف مسرف في مضادة الطبع كان في الشرع ايضا ما يدل على اسائته كما ان الشرع في الثناء على قيام الليل وصيام النهار ثم
لما علم النبي صلى الله عليه وسلم من حال بعضهم انه يصوم الدهر كله ويقوم الليل كله نهى عنه فاذا عرفت هذا فاعلم ان الافضل
بالاضافة الى الطبع المعتدل ان ياكل بحيث لا يحس بثقل المعدة ولا يحس بالم الجوع بل ينسى بطنه فلا يؤثر فيه اصلا فان مقصود
الاكل بقاء الحيوة وقوة العبادة وثقل المعدة يمنع من العبادة والم الجوع ايضا يشغل القلب ويمنع منه فالمقصود ان ياكل
اكلا لا يبقى للاكل فيه اثر ليكون متشبها بالملائكة فانهم مقدسون عن ثقل الطعام وعن الم الجوع وغاية الانسان الاقتداء
بهم واذا لم يكن للانسان خلاص من الشبع والجوع فابعد الاحوال عن الطرفين الوسط وهو الاعتدال ومثال
طلب الآدمي البعد عن هذه الاطراف المتقابلة بالرجوع الى الوسط مثال نملة القيت في وسط حلقة محمية على النار
مطروحة على الارض فان النملة تهرب من حرارة الحلقة وهي محيطة بها لا تقدر على الخروج فلا تزال تهرب حتى تستقر على المركز
الذي هو الوسط ولو ماتت ماتت على الوسط لان الوسط هو ابعد المواضع عن الحرارة التي في الحلقة المحيطة فكذلك الشهوات
محيطة بالانسان احاطة تلك الحلقة بالنملة والملائكة خارجون عن الحلقة ولا مطمع للانسان في الخروج وهو يريد ان يتشبه بالملائكة في
الخلاص فاشبه احواله بهم البعد وابعد المواضع عن الاطراف الوسط فصار الوسط مطلوبا في جميع هذه الاخلاق المتقابلة وعنه
عبر قوله صلى الله عليه وسلم خير الامور اوساطها واليه اشار قوله تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا ومهما لم يحس الانسان
بجوع ولا شبع تيسرت له العبادة والفكر وخف في نفسه وقوي على العمل مع خفته ولكن هذا بعد اعتدال الطبع اما في
بداية الامر اذا كانت النفس جموحا متشوقة الى الشهوات مائلة الى الافراط فالاعتدال لا ينفعها بل لا بد من المبالغة في ايلامها
بالجوع كما يبالغ في ايلام الدابة التي ليست مروضة بالجوع والضرب وغيره الى ان تعتدل فاذا ارتاضت واستوت رجع الى
الاعتدال فترك تعذيبها وايلامها ولهذا السر يأمر الشيخ مريده بما لا يتعاطاه هو في نفسه فيأمره بالجوع وهو لا يجوع و
يمنعه الفواكه والشهوات وقد لا يمتنع منها لانه قد فرغ عن تأديب نفسه فاستغنى عن التعذيب ولما كان اغلب احوال النفس
الشره والشهوة والجماح عن العبادة كان الاصلح له الجوع الذي يحس بالمه في اكثر الاحوال لتنكسر والمقصود ان تنكسر حتى
تعتدل فيرد بعد ذلك في الغذاء ايضا الى الاعتدال وانما يمتنع عن ملازمة الجوع من سالكي طريق الآخرة اما صديق واما
مغرور احمق اما الصديق فلاستقامة نفسه على الصراط المستقيم واستغنائه عن ان يساق بسياط الجوع الى الحق واما المغرور
فلظنه بنفسه انه الصديق المستغني عن تأديب نفسه الظان بنفسه خيرا وهذا غرور عظيم وهو الغالب فان النفس قلما تتأدب
تأدبا كاملا وكثيرا ما تغتر فتنظر الى الصديق ومسامحته نفسه في ذلك فيسامح نفسه كالمريض ينظر الى من صح من مرضه
فيتناول ما يتناوله ويظن بنفسه الصحة حتى يهلك والذي يدل على ان تقدير الطعام بمقدار يسير ووقت مخصوص ونوع
مخصوص ليس في نفسه وانما هو مجاهدة نفس متنائية عن الحق غير بالغة رتبة الكمال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن
له تقدير وتوقيت لطعامه قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى
نقول لا يصوم وكان يدخل على اهله فيقول هل عندكم من شيء فان قالوا نعم اكل وان قالوا لا قال اذن اني صائم وقد كان يقدم
اليه الشيء فيقول اما اني صائم فقالت له عائشة قد اهدي الينا حيس فقال كنت اردت الصوم ولكن قربيه ولذلك حكي ان سهلا
قيل له كيف كنت في بدايتك فاخبر بضروب من الرياضات منها انه كان يقتات بورق النبق مدة ومنها انه كان ياكل دقاق
التبن ثلث سنين ثم ذكر انه اقتات بثلثة دراهم في ثلث سنين فقيل له فكيف انت في وقتك قال آكل بلا حد ولا توقيت وليس
المراد بقوله بلا حد اني آكل كثيرا بل اني لا اقدر بمقدار واحد ما آكله وقد كان معروف الكرخي يهدى اليه طيبات الطعام
فياكل فقيل له ان اخاك بشرا لا يأكل مثل هذا فقال ان اخي بشرا قبضه الورع وانا بسطتني المعرفة ثم قال انما انا ضيف
في دار مولاي اذا اطعمني اكلت واذا جوعني صبرت مالي والاعتراض والتمييز ودفع ابرهيم بن ادهم الى بعض اخوانه دراهم
فقال خذ لنا بهذه زبدا وعسلا وخبز حوارى فقال يا ابا اسحق بهذا كله فقال ويحك اذا وجدنا اكلنا اكل الرجال واذا
عدمنا صبرنا صبر الرجال واصلح ذات يوم طعاما فاكثر ودعا نفرا يسيرا فيهم الاوزاعي والثوري فقال له الثوري اما

تخاف ان تكون اسرافا فقال ليس في الطعام اسراف انما الاسراف في اللباس والاثاث فالذي ياخذ العلم من السماع والنقل تقليدا يرى هذا من ابرهيم بن ادهم ويسمع من مالك بن دينار انه قال ما دخل الملح منذ عشرين سنة وعن سري السقطي انه منذ اربعين سنة اشتهى ان اغمس جزرة في دبس فلم افعل فيراه متناقضا فيتحير او يقطع بان احدهما مخطئ والبصير باسرار العلم يعلم ان كل ذلك حق ولكن بالاضافة الى اختلاف الاحوال ثم هذه الاحوال المختلفة يسمعها الفطن المحتاط والغبي المغرور فيقول المحتاط ما انا من جملة العارفين حتى اسامح نفسي فليس نفسي باطوع من نفس السري السقطي ومالك بن دينار وهؤلاء من الممتنعين من الشهوات فيقتدي بهم والمغرور يقول ما نفسي باعصى علي من نفس معروف الكرخي وابرهيم بن ادهم فاقتدي بهم وارفع التقدير عن ماكولي وانا ايضا ضيف في دار مولاي فما لي وللاعتراض ثم انه لو قصر احد في حقه وفي توقيره او في ماله وجاهه بتطرفة واحدة قامت القيامة عليه واشتغل بالاعتراض وهذا مجال رحب للشيطان مع الحمقى بل ترك التقدير في الطعام والصيام واكل الشهوات لا يسلم الا لمن ينظر من مشكوة الولاية والنبوة فيكون بينه وبين الله تعالى علامة في استرساله وانقباضه ولا يكون ذلك الا بعد خروج النفس عن طاعة الهوى والعادة بالكلية حتى يكون اكله اذا اكل على نية كما يكون امساكه بنية فيكون ... عاملا لله في اكله وافطاره وينبغي ان يتعلم الحزم من عمر رضي الله عنه فانه كان يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب العسل وياكله ثم لم يقس نفسه عليه بل لما عرض عليه ماء مبرد بالعسل جعل يدير الاناء في كفه ويقول اشربها فيذهب حلاوتها وتبقى تبعتها اعزلوا عني حسابها فتركها وهذا اسرار لا ينبغي ان يكاشف الشيخ بها مريده بل يقتصر على مدح الجوع فقط ولا يدعوه الى الاعتدال فانه يقصر لا محالة عما يدعوه اليه فينبغي ان ان يدعوه الى غاية الجوع حتى يتيسر له الاعتدال ولا يذكر له ان العارف الكامل يستغني عن الرياضة فان الشيطان يجد متعلقا من قلبه فيلقي اليه كل ساعة انك عارف كامل وما الذي فاتك من المعرفة والكمال بل كان من عادة ابرهيم الخواص ان يخوض مع المريد في كل رياضة كان يامره بها كيلا يخطر بباله ان الشيخ لم يامره بما لا يفعله فيتنفر ذلك في رياضته و والقوي اذا اشتغل بالرياضة واصلاح الغير لزمه النزول الى حد الضعفاء تشبها بهم وتلطفا في سياقهم الى السعادة وهذا ابتلاء عظيم للانبياء والاولياء عليهم الصلوة والسلام واذا كان حد الاعتدال خفيا في حق كل حال ولذلك ادب عمر رضي الله عنه ولده عبد الله اذ دخل عليه فوجده ياكل لحما مادوما بسمن فعلاه بالدرة وقال لا ام لك كل يوما خبزا ولحما ويوما خبزا ولبنا ويوما خبزا وسمنا ويوما خبزا وزيتا ويوما خبزا وملحا ويوما خبزا قفارا وهذا هو الاعتدال فاما المواظبة على اللحم و الشهوات فافراط واسراف ومهاجرة اللحم اقتار وهذا قوام بين ذلك

بيان افة الرياء المتطرق الى من ترك اكل الشهوات وقلل الاكل

اعلم انه يدخل على تارك الشهوات افتان احديهما الا يقدر النفس على ترك بعض الشهوات فيشتهيها ولكن لا يريد ان يعرف بانه يشتهيها فيخفي الشهوة وياكل في الخلوة ما لا ياكل في الجماعة وهذا هو الشرك الخفي سئل بعض العلماء عن بعض الزهاد فسكت عنه فقيل هل تعلم به باسا فقال ياكل في الخلوة ما لا ياكل في الجماعة وهذه افة عظيمة بل حق العبد اذا ابتلي بالشهوات وحبها ان يظهرها فان هذا صدق الحال وهو بدل عن فوات المجاهدة بالاعمال فان اخفاء النقص واظهار ضده من الكمال هو نقصان مضاعفان والكذب مع الاخفاء كذبان فيكون مستحقا لمقتين ولا يرضى منه الا بتوبتين ولذلك شدد امر المنافقين فقيل ان المنافقين في الدرك الاسفل لان الكافر كفر واظهر وهذا كفر وستر فكان فكان ستره الكفر كفرا اخر لانه استخف بنظر الله الى قلبه وعظم نظر المخلوقين فمحا الكفر عن ظاهره فالعارفون يبتلون بالشهوات

بالشهوات بل بالمعاصي ولا يبتلون بالرياء والغش والاخفاء بل كمال العارف ان يترك الشهوات لله ويظهر من نفسه الشهوة اسقاطا لمنزلته عن قلوب الخلق وقد كان بعضهم يشتري الشهوات ويعلقها في بيته وهو فيها من الزاهدين ولكن يعني بها تلبيس حاله ليصرف عن نفسه قلوب الغافلين حتى لا يشوش عليه حاله فنهاية الزهد الزهد في الزهد باظهار ضده وهذا عمل الصديقين فانه جمع بين صدقين كما ان الاول جمع بين كذبين فهذا قد حمل على النفس ثقلين وجرعها كاس الصبر مرتين مرة بشربه ومرة بقذفه فلا جرم اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا وهذا يضاهي طريق من يعطي ما يعطي جهرا ويرد سرا ليكسر نفسه بالذل جهرا وبالفقر سرا فمن فاته هذا فلا ينبغي ان يفوته اظهار شهوته ونقصانه والصدق فيه ولا ينبغي ان يغره قول الشيطان انك اذا اظهرت اقتدى بك غيرك فاستره اصلاحا لغيرك لانه لو قصد اصلاح غيره لكان اصلاح نفسه اهم له من غيره فهو انما يقصد الرياء المجرد ويروجه الشيطان في معرض اصلاح غيره ولذلك يثقل عليه ظهور ذلك منه وان علم ان من اطلع عليه لا يقتدي به في الفعل ولا ينزجر باعتقاده انه تارك للشهوات

الافة الثانية ان يقدر على ترك الشهوة ولكن يفرح ان يعرف به فيشتهر بالتعفف عن الشهوات فقد خالف شهوة ضعيفة وهي شهوة الاكل واطاع شهوة هي شر منها وهي شهوة الجاه وذلك هي الشهوة الخفية فمهما احس بذلك من نفسه فكسر هذه الشهوة اهم من كسر شهوة الطعام فلياكل فهو اولى له ابو سليمان اذا قدمت اليك شهوة وقد كنت تاركا لها فاصب منها شيئا يسيرا ولا تعط نفسك مناها فتكون قد اسقطت عن نفسك الشهوة وتكون قد تنغصت على نفسك شهوتها وقال جعفر بن محمد الصادق اذا قدمت الي شهوة نظرت الى نفسي فان اظهرت شهوتها اطعمتها منها وكان ذلك افضل من منعها وان اخفت شهوتها واظهرت العزوف عنها عاقبتها بالترك ولم انلها منها شيئا وهذه طريقة في عقوبة النفس على هذه الشهوة الخفية وبالجملة من ترك شهوة الطعام ووقع في شهوة الرياء كان كمن هرب من عقرب وفزع الى حية لان شهوة الرياء اضر كثيرا من شهوة الطعام

القول في شهوة الفرج

اعلم ان شهوة الوقاع سلطت على الانسان لفائدتين احديهما ان يدرك لذته فيقيس به لذات الاخرة فان لذة الوقاع لو دامت لكانت اقوى لذات الاجساد كما ان النار والمها اعظم الام الجسد والترغيب والترهيب يسوق الخلق الى سعاداتهم وليس ذلك الا بالم محسوس ولذة محسوسة مدركة فان ما لم يدرك بالذوق لا يعظم اليه الشوق الفائدة الثانية بقاء النسل ودوام الوجود فهذه فائدتها ولكن فيها من الافات ما يهلك الدين والدنيا ان لم تضبط ولم تقهر ولم ترد الى حد الاعتدال وقد قيل في قوله تعالى ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به معناه الغلمة وعن ابن عباس في قوله ومن شر غاسق اذا وقب هو قيام الذكر وقد وقد اسنده بعض الرواة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال في تفسيره الذكر اذا دخل وقد قيل اذا قام ذكر الرجل ذهب ثلث عقله وكان صلى الله عليه وسلم يقول اعوذ بك من شر سمعي وبصري وقلبي ومنيي وقال النساء حبائل الشيطان ولولا هذه الشهوة لما كان للنساء سلطنة على الرجال وروي ان موسى عليه السلام كان جالسا في بعض مجالسه اذ اقبل اليه ابليس وعليه برنس يتلون فيه الوانا فلما دنا منه خلع البرنس فوضعه ثم اتاه فقال السلام عليك فقال له موسى من انت قال انا ابليس قال فلا حياك الله ما جاء بك قال جئت لاسلم عليك لمنزلتك من الله تعالى ومكانك منه قال فما الذي رايت عليك قال به اختطف قلوب بني ادم قال فما الذي اذا فعله الانسان استحوذت عليه قال اذا اعجبته نفسه واستكثر عمله ونسي ذنوبه واحذرك ثلثا لا تخل بامراة لا تحل لك فانه ما خلا رجل بامراة لا تحل له الا كنت صاحبه حتى افتنه بها ولا تعاهد الله عهدا الا وفيت به ولا تخرجن صدقة الا امضيتها فانه ما اخرج رجل صدقة فلم يمضها الا كنت صاحبه دون اصحابي

حتى يحول بينه وبين الوقاع بهائم ولي وهو يقول يا ويلتاه علم موسى ما يحذر به بني آدم وعن سعيد بن المسيب قال ما بعث
الله نبيا فيما خلا الا لم ييأس ابليس ان يهلكه بالنساء ولا شيء اخوف عندي منهن وما بالمدينة بيت ادخله الا بيتي وبيت ابنتي
اغتسل فيه يوم الجمعة ثم اروح وقال بعضهم ان الشيطان قال للمرأة انت نصف جندي وانت سهمي الذي ارمي به فلا اخطي
وانت موضع سري وانت رسولي في حاجتي فنصف جنده الشهوة ونصف جنده الغضب واعظم الشهوات شهوة النساء وهذه الشهوة
لها افراط وتفريط واعتدال فالافراط ما يقهر العقل حتى يصرف همة الرجال الى التمتع بالنساء والجواري فيحرم عن سلوك طريق
الآخرة او يقهر الدين حتى يجر الى اقتحام الفواحش وقد ينتهي افراطها بطائفة الى امرين شنيعين احدهما ان يتناولوا ما
يقوي شهوتهم للاستكثار من الوقاع كما قد يتناول بعض الناس ادوية تقوي المعدة لتعظم شهوة الطعام وما مثال ذلك الا
كمن بلي بسباع ضارية وبهائم عادية فينام عنه في بعض الاوقات فيحتال لاثارتها وتهييجها ثم يشتغل بعلاجها واصلاحها
فان شهوة الطعام والوقاع على التحقيق آلام يريد الانسان الخلاص منها فيدرك لذة بسبب الخلاص فان قلت فقد روي في غريب
الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال شكوت الى جبريل ضعف الوقاع فامرني باكل الهريسة فاعلم انه كان تحته تسع نسوة ووجب
تحصينهن بالامتاع وحرم على غيره نكاحهن ان طلقهن وكان طلبه القوة لهذا لا للتنعم والامر الثاني انه قد ينتهي هذه
الشهوة ببعض الضلال الى العشق وهو غاية الجهل بما وضع له الوقاع وهو مجاوزة في البهيمية لحد البهائم لان المتعشق ليس
يقنع باراقة شهوة الوقاع وهي اقبح الشهوات واجدرها بان يستحيى منه حتى اعتقد ان الشهوة لا تنقضي الا من محل واحد
والبهيمة تقضي الشهوة اين اتفق فيكتفي به وهذا لا يكتفي الا بواحد معين حتى يزداد به ذلا الى ذل وعبودية الى عبودية وحتى يستسخر
العقل لخدمة الشهوة وقد خلق ليكون مطاعا لا ليكون خادما للشهوة محتالا لاجلها وما العشق الا سعة افراط الشهوة
وهو مرض قلب فارغ لا هم له وانما يجب الاحتراز من اوائله بترك معاودة النظر والفكر والا فاذا استحكم عسر دفعه وكذلك
عشق المال والجاه والعقار والاولاد حتى حب اللعب بالطيور والنرد والشطرنج فان هذه الامور قد تستولي على طائفة
بحيث تنغص عليهم الدين والدنيا ولا يصبرون عنها البتة ومثال من يكسر سورة العشق في اول انبعاثه مثال من يصرف عنان
الدابة عند توجهها الى باب لتدخله وما اهون منعها بصرف عنانها ومثال من يعالجها بعد استحكامها مثال من يترك
الدابة حتى تدخل وتجاوز الباب ثم ياخذ بذنبها ويجرها الى وراء وما اعظم التفاوت بين الامرين في العسر واليسر فليكن الاحتياط
في بدايات الامور فاما في اواخرها فلا تقبل العلاج الا بجهد شديد يكاد يوازي نزع الروح فاذن افراط الشهوة ان يغلب العقل
الى هذا الحد وهو مذموم جدا وتفريطها بالعنة او بالضعف عن امتاع المنكوحة وهو ايضا مذموم وانما المحمود ان تكون معتدلة
ومطيعة للعقل والشرع في انبساطها وانقباضها ومهما افرطت فكسرها بالجوع وبالنكاح قال عليه السلام معاشر الشبان
عليكم بالباءة ومن لم يستطع فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء بيان ما على المريد في ترك التزويج وفعله
اعلم ان المريد في ابتداء امره لا ينبغي ان يشغل نفسه بالتزويج فان ذلك شغل شاغل يمنعه عن السلوك ويستجره الى الانس بالزوجة
ومن انس بغير الله شغل عن الله ولا يغرنه كثرة نكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه كان لا يشغل قلبه جميع ما في الدنيا عن الله
فلا تقاس الملائكة بالحدادين ولذلك قال ابو سليمان الداراني من تزوج فقد ركن الى الدنيا وقال ما رايت مريدا تزوج فثبت على
على ما كان عليه وقيل له مرة ما احوجك الى امرأة تستأنس بها فقال لا آنسني الله بها اي ان الانس بها يمنع الانس بالله وقال ايضا ما
شغلك عن الله من اهل ومال وولد فهو عليك مشئوم وكيف يقاس غير رسول الله صلى الله عليه وسلم به وكان استغراقه بحب الله

الله بحيث يخاف احتراقه منه الى حد يخشى في بعض الاحوال ان يسري ذلك الى قالبه فيهدمه فلذلك كان يضرب بيده على فخذ
عائشة احيانا ويقول كلميني يا عائشة لتشغله بكلامها عن عظيم ما هو فيه لقصور طاقة قالبه عنه فقد كان طبعه
الانس بالله وكان انسه بالخلق عارضا رفقا ببدنه ثم انه كان لا يطيق الصبر مع الخلق اذا جالسهم فاذا ضاق
صدره قال ارحنا يا بلال حتى يعود الى ما هو قرة عينه فالضعيف اذا لاحظ احواله صلى الله عليه وسلم في مثل هذا
فهو مغرور لان الافهام تقصر عن الوقوف على اسرار افعاله فشرط المريد العزوبة في الابتداء الى ان يقوى في المعرفة وهذا
اذا لم تغلبه الشهوة فان غلبته الشهوة فليكسرها بالجوع الطويل والصوم الدائم فان لم تنقمع الشهوة وكان بحيث
لا يقدر على حفظ العين مثلا وان قدر على حفظ الفرج فالنكاح له اولى لتسكن الشهوة والا فانه لم يحفظ عينه لم يحفظ فكره
ويتفرق عليه همه وربما يقع في بلية لا يطيقها وزنا العين من كبائر الصغائر وهي تؤدي على القرب الى الكبيرة الفاحشة وهي
زنا الفرج ومن لم يقدر على غض بصره لم يقدر على حفظ دينه قال عيسى عليه السلام اياكم والنظرة فانها تزرع في القلب
شهوة وكفى بها فتنة وقال سعيد بن جبير انما جاءت الفتنة داود من قبل النظرة ولذلك قال داود عليه السلام لابنه يا بني
امش خلف الاسد والاسود ولا تمش خلف المراة وقيل ليحيى بن زكريا ما بدو الزنا قال النظر والتمني وقال الفضيل يقول
ابليس هي قوسي القديمة وسهمي الذي لا اخطي به يعني النظرة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم النظرة سهم مسموم من
سهام ابليس فمن تركها خوفا من الله اعطاه الله ايمانا يجد حلاوته في قلبه وقال صلى الله عليه وسلم ما تركت بعدي فتنة
اضر على الرجال من النساء وقال اتقوا فتنة الدنيا وفتنة النساء فان اول فتنة بني اسرائيل كانت من قبل النساء وقال تعالى
قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم وقال صلى الله عليه وسلم لكل ابن آدم حظ من الزنا فالعينان تزنيان وزناهما النظر واليدان
تزنيان وزناهما البطش والرجلان تزنيان وزناهما المشي والفم يزني وزناه القبلة والقلب يهم او يتمنى ويصدق
ذلك الفرج او يكذبه وقالت ام سلمة استاذن ابن ام مكتوم الاعمى وانا وميمونة جالستان فقال صلى الله عليه وسلم احتجبا
فقلنا اليس باعمى لا يبصرنا فقال وانتما لا تبصرانه وهذا يدل على انه لا يجوز للنساء مجالسة العميان كما جرت العادات به في المآتم
والولائم فيحرم على الاعمى الخلوة بالنساء ويحرم على المراة مجالسة الاعمى وتحديق النظر اليه لغير حاجة وانما جوز للنساء محادثة
الرجال والنظر اليهم لاجل عموم الحاجة وان قدر على حفظ عينه عن النساء ولم يقدر على حفظها عن الصبيان فالنكاح اولى به
فان الشر في الصبيان اكثر فانه لو مال قلبه الى امراة امكنه الوصول الى استباحتها بالنكاح والنظر الى وجه الصبي بالشهوة حرام
بل كل من يتاثر قلبه بجمال صورة الامرد بحيث يدرك التفرقة بينه وبين الملتحي لم يحل له النظر فان قلت كل ذي حس يدرك
التفرقة بين الجميل والقبيح لا محالة ولم تزل وجوه الصبيان مكشوفة فاقول لست اعني تفرقة العين فقط بل ينبغي ان يكون
ادراكه التفرقة كادراكه التفرقة بين شجرة خضراء ويابسة وبين ماء صاف وماء كدر وشجرة عليها ازهارها وانوارها
وشجرة تساقطت اوراقها فانه يميل الى احدهما بعينه وطبعه ولكن ميلا خاليا عن الشهوة ولذلك لا يشتهي ملامسة الازهار
والانوار وتقبيلها ولا تقبيل الماء الصافي وكذلك الشيبة الحسنة قد تميل العين اليها وتدرك التفرقة بينها وبين الوجه القبيح
ولكنها تفرقة لا شهوة فيها ويعرف ذلك بميل النفس الى القرب والملامسة فمهما وجد ذلك الميل في قلبه وادرك التفرقة
بين الوجه الجميل وبين النباتات الحسنة والاثواب المنقشة والسقوف المزخرفة فنظره نظر شهوة وهو حرام وهذا مما يتهاون
به الناس ويجرهم ذلك الى المعاطب وهم لا يشعرون وقال بعض التابعين ما انا باخوف على الشاب الناسك من سبع ضاري

من غلام امرد يجلس اليه وقال سفين لو ان رجلا عبث بغلام بين اصبعين من اصابع رجله يريد الشهوة لكان لواطا وعن بعض
السلف قال سيكون في هذه الامة ثلاثة اصناف لوطيون صنف ينظرون وصنف يصافحون وصنف يعملون فآفة النظر الى
الاحداث عظيم فمهما عجز المريد عن غض بصره وضبط فكره فالصواب له ان يكسر شهوته بالنكاح فرب نفس لا يسكن توقانها بالجوع
قال بعضهم غلبت علي شهوتي في بدو ارادتي بما لم اطق فاكثرت الضجيج الى الله سبحانه وتعالى فرايت شخصا في المنام فقال ما لك
تشكو فقال تقدم الي فتقدمت اليه فوضع يده على صدري فوجدت بردها في فؤادي وجميع جسدي فاصبحت وقد زال
وبقيت معافى سنة ثم عاودني ذلك فاكثرت الاستغاثة فجاءني شخص في المنام فقال اتحب ان يذهب ما تجد واضرب عنقك قلت
نعم فقال مد رقبتك فمددتها فجرد سيفا من نور وضرب به عنقي فاصبحت وقد زال ما بي فبقيت معافى سنة ثم عاودني
ذلك واشد منه فرايت كان شخصا يخاطبني فيما بين صدري وجنبي ويقول ويحك كم تسال الله تعالى رفع ما لا يحب رفعه
قال فتزوجت فانقطع ذلك عني وولد لي ومهما احتاج الى النكاح فلا ينبغي شرط الارادة في ابتداء النكاح ودوامه
اما في ابتدائه فبالنية الحسنة وفي دوامه بحسن الخلق وسداد السيرة والقيام بالحقوق الواجبة كما فصلنا جميع ذلك في آداب
النكاح فلا نطول باعادته وامارة صدق ارادته ان ينكح فقيرة متدينة ولا يطلب الغنية وقال بعضهم من تزوج الغنية كان
له منها خمس خصال مغالاة الصداق وتسويف الزفاف وفوت الخدمة وكثرة النفقة واذا اراد طلاقها لم يقدر خوفا من
ذهاب مالها والفقيرة بخلاف ذلك وقد قال بعضهم ينبغي ان تكون المراة دون الرجل باربع والا استحقرته بالسن والطول
والمال والحسب وان تكون فوقه باربع بالجمال والادب والخلق والورع وعلامة صدق الارادة في دوام النكاح حسن الخلق
تزوج بعض المريدين امراة فلم يزل يخدمها حتى استحيت المراة وشكت الى الاب وقالت قد تحيرت في هذا الرجل انا في منزله
منذ سنين ما ذهبت الى الخلاء قط الا وحمل الماء قبلي اليه وتزوج بعضهم امراة ذات جمال فلما قرب الزفاف اصاب المراة
الجدري فاشتد حزن اهلها لذلك خوفا من ان يستقبحها فاراهم الرجل انه به رمدا ثم اظهر ان بصره ذهب حتى زفت المراة
اليه وزال عن اهل بيتها ذلك الحزن فبقيت معه عشرين سنة ثم توفيت ففتح عينيه فقيل له في ذلك فقال تعمدت لاجل
اهل بيتها حتى لا يحزنوا فقيل قد سبقت اخوانك بهذا الخلق وتزوج بعض الصوفية امراة سيئة الخلق فكان يصبر عليها
فقيل له لم لا تطلقها فقال اخشى ان يتزوجها من لا يصبر على خلقها فيتاذى بها فان نكح المريد فهكذا ينبغي ان يكون وان
قدر على الترك فهو له اولى اذا لم يمكنه الجمع بين فضل النكاح وسلوك الطريق وعلم ان ذلك يشغله عن حاله كما روي ان محمد بن
سليمان الهاشمي ملك الدنيا من غلة ثمانين الف درهم في كل يوم ثم كتب الى اهل البصرة وعلمائهم في امراة يتزوجها فاجمعوا
كلهم على رابعة العدوية رحمها الله فكتب اليها بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فان الله تعالى قد ملكني من غلة الدنيا في كل يوم
ثمانين الف درهم وليس تمضي الايام والليالي حتى اتمها مائة الف وانا اصير لك مثلها ومثلها فاجيبيني فكتبت اليه
بسم الله الرحمن اما بعد فان الزهد في الدنيا راحة القلب والبدن والرغبة فيها تورث الهم والحزن فاذا اتاك كتابي هذا
فهيئ زادك وقدم لمعادك وكن وصي نفسك ولا تجعل الرجال اوصياءك فيقتسموا تراثك وصم الدهر واجعل فطرك الموت
واما انا فلو ان الله عز وجل خولني امثال الذي خولك واضعافه ما سرني ان اشتغل عن الله عز وجل طرفة عين وهذا اشارة
الى ان كل ما شغل عن الله عز وجل فهو نقصان فلينظر المريد الى حاله وقلبه فان وجده في العزوبة فهو الاقرب وان عجز فالنكاح
اولى به فدواء هذه الشهوة ثلث الجوع وغض البصر والاشتغال بشغل يستولي على القلب فان لم تنفع هذه الثلاثة فالنكاح

فالنكاح هو الذي يستاصل مادتها فقط ولهذا كان السلف يبادرون الى النكاح والى تزويج البنات قال ابن المسيب
ما ايس الشيطان من شيء الا واتاه من قبل النساء وقال سعيد وهو ابن اربع وثمانين سنة وقد ذهبت احدى عينيه وهو
يعشو بالاخرى ما شيء اخوف عندي من النساء وعن ابي وداعة قال كنت اجالس سعيد بن المسيب ففقدني اياما فلما جئته قال
اين كنت قلت توفيت اهلي فاشتغلت بها فقال الا اخبرتنا فشهدناها قال ثم اردت ان اقوم فقال هل استحدثت امراة
فقلت يرحمك الله ومن يزوجني وما املك الا درهمين او ثلاثة فقال انا فقلت وتفعل قال نعم فحمد الله وصلى على النبي صلى
الله عليه وسلم وزوجني على درهمين او قال ثلاثة قال فقمت وما ادري ما اصنع من الفرح فصرت الى منزلي وجعلت اتفكر ممن
آخذ وممن استدين فصليت المغرب وانصرفت الى منزلي وكنت وحدي صائما فقدمت عشائي افطر وكان خبزا وزيتا
فاذا بابي يقرع فقلت من هذا فقال سعيد قال فافكرت في كل انسان اسمه سعيد الا سعيد بن المسيب فظننت انه قد بدا له
فقلت يا ابا محمد الا ارسلت الي فآتيك قال لا انت احق ان تؤتى قلت فما تامر قال انك كنت رجلا عزبا فتزوجت فكرهت
ان ابيتك الليلة وحدك وهذه امراتك فاذا هي قائمة خلفه في طوله ثم اخذ بيدها فدفعها في الباب ورد الباب فسقطت
المراة من الحياء فاستوثقت من الباب ثم تقدمت الى القصعة التي فيها الزيت والخبز فوضعتها في ظل السراج لكي لا تراه
ثم صعدت الى السطح فرميت الجيران فجاؤوني وقالوا ما شانك قلت ويحكم زوجني سعيد بن المسيب ابنته اليوم وقد جاء
بها الليلة على غفلة فقالوا اسعيد زوجك قلت نعم قالوا وهي في الدار قلت نعم فنزلوا اليها وبلغ ذلك امي فجاءت
وقالت وجهي من وجهك حرام ان مسستها قبل ان اصلحها الى ثلاثة ايام قال فاقمت ثلاثا ثم دخلت بها فاذا هي من اجمل النساء
واذا هي احفظ الناس لكتاب الله تعالى واعلمهم بسنة رسول الله واعرفهم بحق الزوج قال فمكثت شهرا لا ياتيني سعيد
ولا آتيه فلما كان قرب الشهر اتيت سعيدا وهو في حلقته فسلمت عليه فرد علي السلام ولم يكلمني حتى تفرق اهل المجلس فقال
ما حال ذلك الانسان قلت خير يا ابا محمد على ما يحب الصديق ويكره العدو فقال ان رابك شيء فالعصا فانصرفت الى منزلي
فوجه الي بعشرين الف درهم قال عبد الله بن سليمن وكانت بنت سعيد بن المسيب خطبها عبد الملك بن مروان لابنه الوليد
بن عبد الملك حين ولاه العهد فابى سعيد ان يزوجه حتى ضربه مائة سوط في يوم بارد وصب عليه جرة ماء والبسه جبة
صوف فاستعجال سعيد في الزفاف في تلك الليلة يعرفك غائلة الشهوة ووجوب المبادرة في الدين الى تطفئة نارها بالنكاح

بيان فضيلة من يخالف شهوة الفرج والعين

اعلم ان هذه الشهوة اغلب الشهوات على الانسان واعصاها عند
الهيجان على العقل الا ان مقتضاها قبيح يستحيا منه ويخشى من اقتحامه وامتناع اكثر الناس عن مقتضاها اما لعجز
او خوف او حياء او محافظة على حشمة وليس في شيء من ذلك ثواب فانه ايثار حظ من حظوظ النفس على حظ آخر نعم من العصمة
ان لا يقدر ففي هذه العوائق فائدة وهو دفع الاثم فان من ترك الزنا اندفع عنه اثمه باي سبب كان تركه وانما الفضل والثواب
الجزيل في تركه خوفا من الله تعالى مع القدرة وارتفاع الموانع وتيسر الاسباب لا سيما عند صدق الشهوة وهذه درجة
الصديقين ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من عشق فعف فكتم فمات فهو شهيد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
سبعة يظلهم الله يوم لا ظل الا ظله وعد منهم رجل دعته امراة ذات حسب وجمال الى نفسها فقال اني اخاف الله رب العالمين
وقصة يوسف وامتناعه عن زليخا مع القدرة ومع رغبتها معروفة وقد اثنى الله سبحانه عليه بذلك في كتابه وهو امام
كل من وفق لمجاهدة الشيطان في هذه الشهوة العظيمة روي ان سليمان بن يسار كان من احسن الناس وجها فدخلت عليه

امراة فسالته نفسه فامتنع عليها وخرج هاربا عن منزله وتركها فيه قال سليمان اني رايت شيئا فالعصا فانصرفت الى منزلي
فرايت في المنام يوسف عليه السلام وكاني اقول له انت يوسف قال نعم انا يوسف الذي هممت وانت سليمان الذي لم تهم اشارة
الى قوله ولقد همت به وهم بها لولا ان راى برهان ربه وعن سليمان ايضا ما هو اعجب منه وهو انه خرج حاجا من المدينة ومعه رفيق
له حتى نزلا فقام رفيقه واخذ السفرة وانطلق الى السوق ليبتاع شيئا وقعد سليمان في الخيمة وكان من اجمل الناس وجها واورع الناس
فبصرت به اعرابية من قلة الجبل فلما رات حسنه وجماله انحدرت وعليها البرقع والقفازان فجاءت فوقفت بين يديه فاسفرت
عن وجهها كانه فلقة قمر فقالت اهنئني فظن انها تريد طعاما فقام الى فضل السفرة ليعطيها فقالت لست اريد هذا
انما اريد ما يكون من الرجل الى اهله فقال جهزك الي ابليس ثم وضع راسه بين كميه واخذ في النحيب فلم يزل يبكي فلما رات ذلك
سدلت البرقع على وجهها ورجعت راجلة حتى رجعت الى خيمتها فجاء رفيقه فراه قد انتفخت عيناه من البكاء وانقطع حلقه
قال ما يبكيك قال خير ذكرت صبيتي فقال لا ان لك قصة انما عهدك بصبيتك منذ ثلث او نحوها فلم يزل به رفيقه حتى
اخبره بشان الاعرابية فوضع رفيقه السفرة وجعل يبكي بكاء شديدا فقال له سليمان وانت فما يبكيك قال انا احق بالبكاء
منك لاني اخشى اني لو كنت مكانك لما صبرت عنها فلم يزالا يبكيان فلما انتهى سليمان الى مكة وطاف وسعى اتى الحجر واحتبى
بثوبه فاخذته عينه فنام واذا رجل وسيم جميل طوال له شارة حسنة ورائحة طيبة فقال له سليمان من انت رحمك الله
قال انا يوسف قال يوسف الصديق قال نعم قال ان في شانك وامراة العزيز لعجبا فقال له يوسف شانك وصاحبة الابواء
اعجب منه وروي عن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انطلق ثلثة نفر ممن كان قبلكم حتى اواهم
المبيت الى غار فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا انه لا ينجيكم من هذه الصخرة الا ان تدعوا الله
بصالح اعمالكم فقال رجل منهم اللهم كان لي ابوان شيخان كبيران وكنت لا اغبق قبلهما اهلا ولا مالا فناى بي طلب الشجر يوما فلم
اروح عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين فكرهت ان اغبق قبلهما اهلا او مالا فلبثت والقدح في يدي
انتظر استيقاظهما حتى طلع الفجر والصبية يتضاغون حول قدمي فاستيقظا فشربا غبوقهما اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك
ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة فانفرجت شيئا لا يستطيعون الخروج وقال الاخر اللهم انه كانت لي ابنة عم من احب الناس
الي فراودتها عن نفسها فامتنعت مني حتى المت بها سنة من السنين فجاءتني فاعطيتها مائة وعشرين دينارا على ان تخلي بيني وبين
نفسها ففعلت حتى اذا قدرت عليها قالت لا يحل لك ان تفض الخاتم الا بحقه فتحرجت من الوقوع عليها فانصرفت عنها وهي
احب الناس الي وتركت الذهب الذي اعطيتها اللهم ان كنت فعلته ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة
عنهم غير انهم لا يستطيعون الخروج منها وقال الثالث اللهم استاجرت اجراء فاعطيتهم اجرهم غير رجل واحد ترك
الذي له وذهب فثمرت اجره حتى كثرت منه الاموال فجاءني بعد حين فقال يا عبد الله هات اجرتي فقلت كل ما ترى من
اجرك من الابل والبقر والغنم والرقيق فقال يا عبد الله لا تستهزئ بي فقلت اني لا استهزئ بك فاخذه كله فاستاقه فلم يترك
منه شيئا اللهم فان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون فهذا فضل
من تمكن من قضاء هذه الشهوة فعف ويقرب منه من تمكن من قضاء شهوة العين فان النظر مبدا الزنا فحفظه مهم وهو عسير
من حيث انه قد يستهان به ولا يعظم الخوف منه والافات كلها تنشا منه والنظرة الاولى اذا لم يقصد بها لا يؤاخذ بها
والمعاودة يؤاخذ بها قال صلى الله عليه وسلم لك الاولى وعليك الثانية اي النظرة وقال العلاء بن زياد لا تتبع بصرك

بصرك رداء المراة فان النظر يجعل في القلب شهوة وقلما يخلو الانسان في تردداته عن وقوع البصر على النساء والصبيان
ومهما تخايل اليه الحسن اقتضى الطبع المعاودة وعنده ينبغي ان يقرر على نفسه ان هذه المعاودة عين الجهل لانه ان حقق
النظر واستحسن ثارت الشهوة وعجز عن الوصول ولا يحصل له الا التحسر وان استقبح لم يتلذذ به وياثم لانه قصد التلذذ
فقد فعل ما اثم فيه فلا يخلو في كلتا حالتيه عن معصية وعن تالم وتحسر ومهما حفظ العين بهذا الطريق اندفع عن قلبه كثير من
الافات وان اخطات عينه وحفظ الفرج مع التمكن فذلك يستدعي غاية القوة ونهاية التوفيق وروي عن بكر بن عبد الله
المزني ان قصابا اولع بجارية لبعض جيرانه فارسلها اهلها في حاجة لهم الى قرية اخرى فتبعها فراودها عن نفسها فقالت
لا تفعل لانا اشد حبا لك منك لي ولكني اخاف الله تعالى قال فانت تخافينه وانا لا اخافه فرجع تائبا فاصابه العطش
حتى كاد ينقطع عنقه فاذا هو برسول لبعض انبياء بني اسرائيل فساله فقال ما لك قال العطش قال تعال حتى ندعو الله
حتى تظلنا سحابة حتى ندخل القرية فقال ما لي من عمل قال فانا ادعو وامن انت على دعائي فدعا الرسول وامن هو فاظلتهما سحابة حتى انتهيا الى القرية فاخذ القصاب الى مكانه ومالت السحابة معه فقال الرسول زعمت ان ليس لك
عمل وانا الذي دعوت وانت الذي امنت فاظلتنا سحابة ثم تبعتك لتخبرني بامرك فقال التائب عند الله
بمكان ليس احد من الناس بمكانه وعن احمد بن سعيد العابد عن ابيه قال كان عندنا بالكوفة شاب متعبد لازم المسجد الجامع
لا يكاد يفارقه وكان حسن الوجه حسن القامة حسن السمت فنظرت اليه امراة ذات جمال وعقل فشغفت به وطال ذلك
عليها فلما كان ذات يوم وقفت له على طريقه وهو يريد المسجد فقالت له يا فتى اسمع مني كلمات اكلمك بها ثم اعمل
ما شئت فمضى ولم يكلمها ثم وقفت له بعد ذلك على طريقه وهو يريد منزله فقالت له يا فتى اسمع مني كلمات اكلمك
بها فاطرق مليا وقال لها هذا موضع التهمة وانا اكره ان اكون للتهمة موضعا فقالت له والله ما وقفت موقفي هذا
جهالة مني بامرك ولكن معاذ الله ان يتشوف العباد الى مثل هذا مني والذي حملني على ان لقيتك في هذا الامر بنفسي لمعرفتي
ان القليل من هذا عند الناس كثير وانتم معاشر العباد في مثال القوارير ادنى شيء يعيبه وجملة ما اكلمك به ان جوارحي
كلها مشغولة بك فالله الله في امري وامرك قال فمضى الشاب الى منزله واراد ان يصلي فلم يعقل كيف يصلي فاخذ قرطاسا
وكتب كتابا ثم خرج به من منزله فاذا بالمراة واقفة في موضعها فالقى اليها الكتاب ورجع الى منزله وكان في الكتاب
بسم الله الرحمن الرحيم اعلمي ايتها المراة ان الله سبحانه اذا عصي حلم واذا عاد العبد في المعصية ستره الله فاذا لبس لها
ملابسها غضب الله عز وجل لنفسه غضبة تضيق منها السموات والارضون والجبال والشجر والدواب فمن ذا يطيق
غضبه فان كان ما ذكرت باطلا فاني اذكرك يوم تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن وتجثو الامم لصولة الجبار
العظيم فاني والله قد ضعفت عن اصلاح نفسي فكيف باصلاح غيري وان كان ما ذكرت حقا فاني ادلك على طبيب هو
يداوي الكلوم الممرضة والاوجاع المرمضة ذلك هو الله رب العالمين فاقصديه على صدق المسئلة فاني مشغول عنك بقوله
يوم الازفة اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور
فاين المهرب من هذه الاية ثم جاءت بعد ذلك بايام فوقفت له على طريقه فلما راها من بعيد اراد الرجوع الى منزله لئلا يراها
فقالت يا فتى لا ترجع فلا كان الملتقى بعد هذا ابدا الا بين يدي الله عز وجل وبكت بكاء كثيرا وقالت اسال الله تعالى الذي بيده
مفاتيح قلبك ان يسهل ما قد عسر من امرك ثم تبعته فقالت امنن علي بموعظة احملها عنك واوصني بوصية اعمل
عليها فقال لها الفتى اوصيك بحفظ نفسك من نفسك واذكرك قوله عز وجل وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم

كتاب آفات اللسان وهو الكتاب الرابع من ربع المهلكات

بسم الله الرحمن الرحيم تيمنا بذكره الحكيم العليم

الحمد لله الذي أحسن خلق الانسان وعدله والهمه نور الايمان فزينه به وجمله وعلمه البيان فقدمه به وفضله وافاض
على قلبه خزائن العلوم فاكمله ثم ارسل عليه سترا من رحمته واسبله ثم امده بلسان يترجم عما حواه القلب وتقبله ويكشف
عنه ستره الذي ارسله واطلق بالحق مقوله وافصح بالشكر عما اولاه وخوله من علم حصله ونطق سهله ونشهد ان لا اله الا
الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده الذي كرمه وبجله ونبيه الذي ارسله بكتاب انزله وتبيان فصله ودين حمله صلى
الله عليه وعلى آله واصحابه ومن قبله ما كبر عبد الله وهلله

أما بعد فان اللسان من نعم الله العظيمة ولطائف
صنعه الغريبة فانه صغير جرمه وعظيم طاعته وجرمه اذ لا يستبين الكفر والايمان الا بشهادة اللسان وهما غاية الطاعة والطغيان
ثم انه ما من موجود او معدوم خالق او مخلوق متخيل او معلوم مظنون او موهوم الا واللسان يتناوله ويتعرض له باثبات
او نفي فان كل ما يتناوله العلم يعرب عنه اللسان اما بحق او باطل ولا شيء الا والعلم متناول له وهذه خاصية لا توجد في سائر
الاعضاء فان العين لا تصل الى غير الالوان والصور والاذن لا تصل الى غير الاصوات واليد لا تصل الى غير الاجسام وكذا سائر
الاعضاء واللسان رحب الميدان ليس له مرد ولا لمجاله منتهى وحد له في الخير مجال وله في الشر ذيل سحب فمن اطلق عذبة اللسان
واهمله مرخى العنان سلك به الشيطان في كل ميدان وساقه الى شفا جرف هار الى ان يضطره الى البوار ولا يكب الناس في النار
على مناخرهم الا حصائد السنتهم ولا ينجي من شر اللسان الا ان يقيد بلجام الشرع فلا يطلقه الا فيما ينفعه في الدنيا والآخرة ويكف
عن كل ما يخشى غائلته في عاجله وآجله وعلم ما يحمد اطلاق اللسان فيه او يذم غامض عزيز والعمل بمقتضاه على من عرفه ثقيل
عسير واعصى الاعضاء على الانسان اللسان فانه لا تعب في تحريكه ولا مؤنة في اطلاقه وقد تساهل الخلق في الاحتراز عن آفاته و
غوائله والحذر من مصائده وحبائله فانه اعظم آلة الشيطان في استغواء الانسان ونحن بتوفيق الله وحسن تيسيره نفصل مجامع
آفات اللسان ونذكرها واحدة واحدة بحدودها واسبابها وغوائلها ونعرف طريق الاحتراز منها ونورد ما ورد من الاخبار
والآثار في ذمها ونذكر اولا فضل الصمت ونردفه بذكر آفة الكلام فيما لا يعنيك ثم آفة فضول الكلام ثم آفة الخوض في
الباطل ثم آفة المراء والمجادلة ثم آفة الخصومة ثم آفة التقعر في الكلام بالتشدق وتكلف السجع والفصاحة والتصنع فيه و
غير ذلك مما جرت به عادة المتفاصحين المدعين للخطابة ثم آفة الفحش والسب وبذاءة اللسان ثم آفة اللعن اما لحيوان او
جماد او لانسان ثم آفة الغناء والشعر وقد ذكرنا في كتاب السماع ما يحرم من الغناء وما يحل فلا نعيده ثم آفة المزاح ثم آفة
السخرية والاستهزاء ثم آفة افشاء السر ثم آفة الوعد الكاذب ثم آفة الكذب في القول واليمين ثم آفة الغيبة ثم آفة النميمة ثم

آفة ذي اللسانين الذي يتردد بين المتعاديين فيكلم كل واحد بكلام يوافقه ثم آفة المدح ثم آفة الغفلة عن دقائق الخطأ في فحوى الكلام لا سيما
فيما يتعلق بالله وصفاته ويرتبط باصول الدين ثم آفة السؤال اعني سؤال العوام عن صفات الله تعالى وعن كلامه وعن الحروف
وانها قديمة او حادثة وهي آخر تمام الآفات وجملتها عشرون آفة

بيان عظم خطر اللسان وفضيلة الصمت اعلم
ان خطر اللسان عظيم ولا نجاة من خطره الا بالصمت فلذلك مدح الشرع الصمت وحث عليه وقال صلى الله عليه وسلم من صمت نجا
وقال ايضا الصمت حكم وقليل فاعله اي هو حكمة وحزم وروى عبد الله بن سفيان عن ابيه قال قلت يا رسول الله اخبرني عن الاسلام
بامر لا اسأل عنه احدا بعدك قال قل آمنت بالله ثم استقم قلت فما اتقي فاومى بيده الى لسانه وقال عقبة بن عامر قلت يا رسول الله
ما النجاة قال امسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك وقال سهل بن سعد الساعدي قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من يتكفل لي بما بين لحييه ورجليه اتكفل له بالجنة وقال صلى الله عليه وسلم من وقي شر قبقبه وذبذبه ولقلقه فقد
وقي والقبقب البطن والذبذب الفرج واللقلق اللسان فهذه الشهوات الثلاثة بها يهلك اكثر الخلق ولذلك اشتغلنا بذكر آفات
اللسان لما فرغنا من ذكر آفة الشهوتين البطن والفرج وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اكثر ما يدخل الجنة فقال تقوى الله
وحسن الخلق وسئل عن اكثر ما يدخل النار فقال الاجوفان الفم والفرج فيحتمل ان يكون المراد بالفم آفة اللسان لانه محله ويحتمل ان
يكون المراد به البطن لانه منفذه وقال معاذ قلت يا رسول الله انؤاخذ بما نقول فقال ثكلتك امك يا ابن جبل وهل يكب الناس
على مناخرهم الا حصائد السنتهم وقال عبد الله الثقفي قلت يا رسول الله حدثني بامر اعتصم به قال قل ربي الله ثم استقم قال قلت
يا رسول الله ما اخوف ما تخاف علي فاخذ بلسانه ثم قال هذا وروي ان معاذا قال يا رسول الله اي الاعمال افضل فاخرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم لسانه ثم وضع عليه اصبعه وقال انس بن مالك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يستقيم ايمان
العبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه ولا يدخل الجنة رجل لا يأمن جاره بوائقه وقال صلى الله عليه وسلم
من سره ان يسلم فليلزم الصمت وعن سعيد بن جبير مرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا اصبح ابن آدم اصبحت
الاعضاء كلها تكفر اللسان اي تقول اتق الله فينا فانك ان استقمت استقمنا وان اعوججت اعوججنا وروي ان عمر
اطلع على ابي بكر رضي الله عنهما وهو يمد لسانه فقال ما تصنع يا خليفة رسول الله قال ان هذا اوردني الموارد ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ليس شيء من الجسد الا يشكو الى الله تعالى اللسان على حدته وعن ابن مسعود انه كان على الصفا يلبي ويقول يا لسان
قل خيرا تغنم او انصت تسلم من قبل ان تندم فقيل له يا ابا عبد الرحمن هذا شيء تقوله او شيء سمعته فقال لا بل سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول ان اكثر خطايا ابن آدم في لسانه وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كف لسانه ستر الله عورته ومن ملك
غضبه وقاه الله عذابه ومن اعتذر الى الله قبل الله عذره وروي ان معاذ بن جبل قال يا رسول الله اوصني قال اعبد الله كانك
تراه واعدد نفسك في الموتى وان شئت انبأتك بما هو املك لك من هذا كله واشار بيده الى لسانه وعن صفوان بن سليم
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اخبركم بايسر العبادة واهونها على البدن الصمت وحسن الخلق وقال ابو هريرة
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا او ليصمت وقال الحسن ذكر لنا ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال رحم الله عبدا تكلم فغنم او سكت فسلم وقال سفين قالوا لعيسى صلى الله عليه دلنا على عمل ندخل به الجنة قال لا تنطقوا
ابدا قالوا لا نستطيع ذلك قال فلا تنطقوا الا بخير وقال سليمان بن داود صلى الله عليهما وسلم ان الكلام من فضة فالصمت من ذهب
وعن البراء قال جاء اعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال دلني على عمل يدخلني الجنة قال اطعم الجائع واسق الظمآن

وامر بالمعروف ونهي عن المنكر فان لم تطق فكف لسانك الا من خير وقال صلى الله عليه وسلم اخزن لسانك الا من خير فانك بذلك تغلب الشيطان وقال ان الله تعالى عند لسان كل قائل فليتق الله امرؤ علم ما يقول وقال صلى الله عليه وسلم اذا رايتم المؤمن صموتا وقورا فادنوا منه فانه يلقي الحكمة وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس ثلاثة غانم وسالم وشاحب فالغانم الذي يذكر الله والسالم الساكت والشاحب الذي يخوض في الباطل وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان لسان المؤمن وراء قلبه فاذا اراد ان يتكلم بشيء تدبره بقلبه ثم امضاه بلسانه وان لسان المنافق امام قلبه فاذا هم بالشيء امضاه بلسانه ولم يتدبره بقلبه وقال عيسى عليه السلام العبادة عشرة اجزاء تسعة منها في الصمت وجزء في الفرار من الناس وقال النبي صلى الله عليه وسلم من كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه ومن كثرت ذنوبه كانت النار اولى به الآثار كان الصديق رضي الله عنه يضع حجرا في فيه يمنع بها نفسه من الكلام وكان يشير الى لسانه ويقول هذا اوردني الموارد وقال ابن مسعود والله الذي لا اله الا هو ما من شيء احوج الى طول سجن من لسان وقال طاوس لساني سبع ان ارسلته اكلني وقال وهب بن منبه في حكمة آل داود حق على العاقل ان يكون عارفا بزمانه حافظا للسانه مقبلا على شانه وقال الحسن ما عقل دينه من لم يحفظ لسانه وقال الاوزاعي كتب الينا عمر بن عبد العزيز اما بعد فانه من اكثر ذكر الموت رضي من الدنيا باليسير ومن عد كلامه من عمله قل كلامه فيما لا يعنيه وقال بعضهم الصمت يجمع للرجل فضيلتين السلامة في دينه والفهم عن صاحبه وقال محمد بن واسع لمالك بن دينار يا ابا يحيى حفظ اللسان اشد على الناس من حفظ الدنانير والدراهم وقال يونس بن عبيد ما من الناس احد يكون لسانه منه على بال الا رايت صلاح ذلك في سائر عمله وقال الحسن تكلم قوم عند معوية والاحنف ساكت فقالوا ما لك لا تتكلم يا ابا بحر فقال اخشى الله ان كذبت واخشاكم ان صدقت وقال ابو بكر بن عياش اجتمع ملوك اربعة ملك الهند وملك الصين وكسرى وقيصر فقال احدهم انا اندم على ما قلت ولا اندم على ما لم اقل وقال الآخر اني اذا تكلمت بكلمة ملكتني ولم املكها واذا لم اتكلم بها ملكتها ولم تملكني وقال الثالث عجبت للمتكلم ان رجعت عليه كلمته ضرته وان لم ترجع لم تنفعه وقال الرابع انا على رد ما لم اقل اقدر مني على رد ما قلت وقيل ان المنصور ابن المعتمر لم يتكلم بعد العشاء الآخرة اربعين سنة وقيل ما تكلم الربيع بن خثيم بكلام الدنيا عشرين سنة وكان اذا اصبح وضع قرطاسا ودواة وقلما فكل ما تكلم به كتبه ثم يحاسب نفسه عند المساء فان قلت فهذا الفضل الكبير للصمت ما سببه فاعلم ان سببه كثرة آفات اللسان من الخطا والكذب والنميمة والغيبة والريا والنفاق والفحش والمراء وتزكية النفس والخصومة والفضول والخوض في الباطل والتحريف والزيادة والنقصان وايذاء الخلق وهتك العورات فهذه آفات كثيرة وهي سياقة الى اللسان لا تثقل على اللسان ولها حلاوة في القلب وعليها بواعث من الطبع ومن الشيطان فالخائض فيها قلما يقدر على ان يزم اللسان فيطلقه بما يحب ويكفه عما لا يحب فان ذلك من غوامض العلم كما سياتي تفصيله ففي الخوض خطر وفي الصمت سلامة فلذلك عظم فضله هذا مع ما فيه من جمع الهم ودوام الوقار والفراغ للفكر والعبادة والذكر والسلامة من تبعات القول في الدنيا ومن حسابه في الآخرة فقد قال تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد ويدلك على لزوم الصمت امر وهو ان الكلام اربعة اقسام قسم هو ضرر محض فيجب السكوت عنه وقسم هو نفع محض وقسم فيه ضرر ومنفعة وقسم ليس فيه ضرر ولا منفعة اما الذي هو ضرر محض فيجب السكوت عنه وكذلك ما فيه ضرر ومنفعة لا تفي المنفعة بالضرر واما ما لا منفعة فيه ولا ضرر فهو فضول والاشتغال به تضييع زمان وهو عين الخسران فلا يبقى الا القسم الرابع فقد سقط ثلثة ارباع الكلام وبقي ربع وهذا الربع فيه خطر اذ يمتزج به ما فيه من دقائق الريا والتصنع والغيبة وتزكية

النفس وفضول الكلام امتزاجا يخفى مدركه فيكون الانسان به مخاطرا ومن عرف دقائق آفات اللسان على ما سنذكره علم قطعا ان ما ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم هو فصل الخطاب حيث قال من صمت نجا فلقد اوتي والله جواهر الحكم وجوامع الكلم ولا يعرف ما تحت آحاد كلماته من بحار المعاني الا خواص العلماء وفيما سنذكره من الآفات وعسر الاحتراز عنها ما يعرفك حقيقة ذلك ان شاء الله تعالى ونحن الآن نعد آفات اللسان ونبتدئ باخفها ونترقى الى الاغلظ قليلا ونؤخر الكلام في الغيبة والنميمة والكذب فان النظر فيها اطول وهي عشرون آفة **الآفة الاولى الكلام فيما لا يعنيك** اعلم ان احسن احوالك ان تحفظ الفاظك عن جميع الآفات التي ذكرناها من الغيبة والكذب والمراء والنفاق وغيره وتتكلم بما هو مباح لا ضرر فيه عليك ولا على مسلم اصلا الا انك تتكلم بما انت مستغن عنه ولا حاجة لك اليه فانك به مضيع زمانك ومحاسب على عمل لسانك ومستبدل الذي هو ادنى بالذي هو خير لانك لو صرفت زمان الكلام الى الفكر ربما ينفتح لك من نفحات رحمة الله عند الفكر ما يعظم جدواه ولو هللت الله وسبحته وذكرته لكان خيرا لك فكم من كلمة يبنى بها قصر في الجنة ومن قدر على ان ياخذ كنزا من الكنوز فاخذ بدله مدرة لا ينتفع بها كان خاسرا خسرانا مبينا وهذا مثال من ترك ذكر الله واشتغل بمباح لا يعنيه فانه وان لم ياثم فقد خسر حيث فاته الربح العظيم بذكر الله فان المؤمن لا يكون صمته الا فكرا ونظره الا عبرة ونطقه الا ذكرا هكذا قال النبي صلى الله عليه وسلم بل راس مال العبد اوقاته ومهما صرفها الى ما لا يعنيه ولم يدخر بها ثوابا في الآخرة فقد ضيع راس ماله ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه بل ورد ما هو اشد من هذا قال انس استشهد غلام منا يوم احد فوجدنا على بطنه صخرة مربوطة من الجوع فمسحت امه التراب عن وجهه وقالت هنيئا لك الجنة يا بني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدريك لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه ويمنع ما لا يضره وفي حديث آخر ان النبي صلى الله عليه وسلم فقد كعبا فسال عنه فقالوا مريض فخرج يمشي حتى اتاه فلما دخل عليه قال ابشر يا كعب فقالت امه هنيئا لك الجنة يا كعب فقال من هذه المتالية على الله قال هي امي يا رسول الله قال وما يدريك يا ام كعب لعل كعبا قال ما لا يعنيه او منع ما يغنيه ومعناه انه انما تتهنا الجنة لمن لا يحاسب ومن تكلم فيما لا يعنيه حوسب عليه وان كان كلامه مباحا فلا تتهنا له الجنة مع المناقشة في الحساب فانه نوع من العذاب وعن محمد بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اول من يدخل من هذا الباب رجل من اهل الجنة فدخل عبد الله بن سلام فقام اليه ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه بذلك وقالوا اخبرنا باوثق عمل في نفسك ترجو به فقال اني لضعيف وان اوثق ما ارجو به سلامة الصدر وترك ما لا يعنيني وقال ابو ذر قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اعلمك بعمل خفيف على البدن ثقيل في الميزان قلت بلى يا رسول الله قال هو الصمت وحسن الخلق وترك ما لا يعنيك وقال مجاهد سمعت ابن عباس يقول خمس لهن احب من الدهم الموقفة لا تتكلم فيما لا يعنيك فانه فضل ولا آمن عليك الوزر ولا تتكلم فيما يعنيك حتى تجد له موضعا فانه رب متكلم في امر يعنيه قد وضعه في غير موضعه فعنت ولا تمار حليما ولا سفيها فان الحليم يقليك وان السفيه يؤذيك واذكر اخاك اذا غاب عنك بما تحب ان يذكرك به واعفه مما تحب ان يعفيك منه وعامل اخاك بما تحب ان يعاملك به واعمل عمل رجل يرى انه مجازى بالاحسان ماخوذ بالاجرام وقيل للقمان الحكيم ما حكمتك قال لا اسال عما كفيت ولا اتكلف ما لا يعنيني وقال مورق العجلي امر انا في طلبه منذ عشر سنين لم اقدر عليه ولست بتارك طلبه قالوا وما هو قال الصمت عما لا يعنيني وقال عمر رضي الله عنه لا تتعرض لما لا يعنيك واعتزل عدوك واحذر صديقك من القوم الا الامين ولا امين الا من خشي الله ولا تصحب الفاجر فتتعلم من فجوره ولا تطلعه على سرك واستشر في امرك الذين يخشون الله تعالى وحد

الكلام فيما لا يعنيك ان تتكلم بكل ما لو سكت عنه لم تأثم ولم تتضرر في حال ولا مال مثاله ان تجلس مع قوم فتحكي معهم اسفارك وما رأيت فيها من جبال وانهار وما وقع لك من الوقائع وما استحسنته من الاطعمة والثياب وما تعجبت منه من مشايخ البلاد ووقائعهم فهذه امور لو سكت عنها لم تأثم ولم تتضرر واذا بالغت في الاجتهاد حتى لم تمتزج بحكايتك زيادة ونقصان ولا تزكية نفس من حيث التفاخر بمشاهدة الاحوال العظيمة ولا اغتياب لشخص ولا مذمة لشيء مما خلقه الله فانت مع ذلك كله مضيع زمانك وانى تسلم من الآفات التي ذكرناها ومن جملته ان تسأل غيرك عما لا يعنيك فانت بالسؤال مضيع وقتك وقد الجأت صاحبك ايضا بالجواب الى التضييع هذا اذا كان الشيء مما لا يتطرق الى السؤال عنه آفة واكثر الاسئلة فيها آفات لانك تسأل غيرك عن عبادته فتقول هل انت صائم فان قال نعم كان مظهرا لعبادته فيدخل عليه الرياء وان لم يدخل سقطت عبادته عن ديوان السر وعبادة السر تفضل عبادة الجهر بدرجات وان قال لا كان كاذبا وان سكت كان مستحقرا اياك وتأذيت به وان احتال لمدافعة الجواب افتقر الى جهد وتعب فيه فقد عرضته بالسؤال اما للرياء او للكذب او للاستحقار او للتعب في حيلة الدفع وكذلك سؤالك عن سائر عباداته وكذلك سؤالك عن المعاصي وعن كل ما يخفيه ويستحيي منه وسؤالك عما يحدث به غيرك فتقول له ماذا تقول وفيم انتم وكذلك ترى انسانا في الطريق فتقول من اين فربما يمنعه مانع من ذكره فان ذكره تأذى واستحيا وان لم يصدق وقع في الكذب وكنت السبب فيه وكذلك تسأل عن مسئلة لا حاجة بك اليها والمسؤل ربما لم تسمح نفسه بان يقول لا ادري فيجيب عن غير بصيرة ولست اعني بالتكلم فيما لا يعني هذه الاجناس فان هذا يتطرق اليه اثم او ضرر وانما مثال ما لا يعني ما روي ان لقمن دخل على داود صلى الله عليه وسلم وهو يسرد الدرع ولم يكن رآها قبل ذلك فجعل يتعجب مما يرى فاراد ان يسأله عن ذلك فمنعته حكمته فامسك نفسه ولم يسأله فلما فرغ قام داود ولبسه ثم قال نعم الدرع للحرب فقال لقمن الصمت حكم وقليل فاعله اي حصل العلم به من غير سؤال فاستغنى عن السؤال وقيل انه كان يتردد اليه سنة وهو يريد ان يعلم ذلك من غير سؤال فهذا وامثاله من الاسئلة اذا لم يكن فيه ضرر وهتك ستر وتوريط في رياء وكذب فهو مما لا يعني وتركه من حسن الاسلام فهذا حده واما سببه الباعث عليه فالحرص على ما لا حاجة به اليه او المباسطة بالكلام على سبيل التودد او تزجية الوقت بحكايات احوال لا فائدة فيها وعلاج ذلك كله ان يعلم ان الموت بين يديه وانه مسئول عن كل كلمة وان انفاسه رأس ماله وان لسانه شبكة يقدر على ان يقتنص بها الحور العين فاهماله ذلك وتضييعه خسران هذا علاجه من حيث العلم واما من حيث العمل فالعزلة او ان يضع حجرا في فيه وان يلزم نفسه السكوت عن بعض ما يعنيه ليتعود اللسان ترك ما لا يعنيه وضبط اللسان في هذا على غير المعتزل شديد جدا

الآفة الثانية فضول الكلام وهو ايضا مذموم وهو يتناول الخوض فيما لا يعني والزيادة فيما يعني على قدر الحاجة فان من يعنيه امر يمكنه ان يذكره بكلام مختصر ويمكنه ان يجسمه ويقرره ومهما تأدى مقصوده بكلمة واحدة فذكر كلمتين فالثانية فضول اي فضل على الحاجة وهو ايضا مذموم لما سبق وان لم يكن فيه اثم ولا ضرر قال عطاء بن ابي رباح ان من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام كانوا يعدون فضول الكلام ما عدا كتاب الله تعالى او امر بمعروف او نهيا عن منكر او تنطق بحاجتك في معيشتك التي لا بد لك منها اتنكرون ان عليكم حافظين كراما كاتبين عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد اما يستحي احدكم انه لو نشرت صحيفته التي املاها صدر نهاره كان اكثر ما فيها ليس من امر دينه ولا دنياه وعن بعض الصحابة قال ان الرجل ليكلمني بالكلام لجوابه اشهى الي من الماء البارد الى الظمآن فاترك جوابه خيفة ان يكون فضولا وقال مطرف ليعظم جلال الله في قلوبكم فلا تذكروه عند مثل قول احدكم للكلب والحمار اللهم اخزه وما اشبه ذلك واعلم ان فضول الكلام لا ينحصر بل المهم محصور في كتاب الله تعالى قال الله تعالى لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس وقد قال صلى الله عليه وسلم طوبى لمن امسك الفضل من لسانه وانفق الفضل من ماله فانظر كيف قلب الناس الامر في ذلك فامسكوا فضل المال واطلقوا فضل اللسان وعن مطرف بن عبد الله عن ابيه قال قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في رهط بني عامر فقالوا انت والدنا وانت سيدنا وانت افضلنا علينا فضلا وانت اطولنا علينا طولا وانت الجفنة الغراء وانت وانت فقال قولوا بقولكم ولا يستهوينكم الشيطان اشارة الى ان اللسان اذا اطلق في الثناء ولو بالصدق فيخشى ان يستهويه الشيطان الى الزيادة المستغنى عنها وقال ابن مسعود انذركم فضول الكلام حسب امرئ ما بلغ حاجته وعن مجاهد قال ان الكلام ليكتب حتى ان الرجل ليسكت ابنه فيقول ابتاع لك كذا وكذا فيكتب له كذبة وقال الحسن يا ابن آدم بسطت لك صحيفة ووكل بك ملكان كريمان يكتبان عملك فاعمل ما شئت واقلل او اكثر وروي ان سليمن بن داود عليهما السلام بعث بعض عفاريته وبعث نفرا ينظرون ما يقول ويخبرونه فاخبروه انه مر على السوق فرفع رأسه الى السماء ثم نظر الى الناس وهز رأسه فسأله سليمن فقال عجبت من الملائكة على رؤس الناس ما اسرع ما يكتبون ومن الذين اسفل منهم ما اسرع ما يملون وقال ابرهيم التيمي المؤمن اذا اراد ان يتكلم نظر فان كان له تكلم والا امسك والفاجر انما لسانه رسلا رسلا وقال الحسن من كثر كلامه كثر كذبه ومن كثر ماله كثرت ذنوبه ومن ساء خلقه عذب نفسه وقال عمرو بن دينار تكلم رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم دون لسانك باب فقال شفتاي واسناني قال افما كان في ذلك ما يرد كلامك وفي رواية انه قال ذلك في رجل اثنى عليه فاستهتر في الكلام ثم قال ما اوتي رجل شرا من فضل في لسانه وقال عمر بن عبد العزيز انه ليمنعني من كثير من الكلام مخافة المباهاة وقال بعض الحكماء اذا كان المرء في مجلس فاعجبه الحديث فليسكت وان كان ساكتا فاعجبه السكوت فليتحدث وقال يزيد بن ابي حبيب من فتنة العالم ان يكون الكلام احب اليه من الاستماع وان وجد من يكفيه فان في الاستماع سلامة وفي الكلام تزيين وزيادة ونقصان وقال ابن عمر ان احق ما طهر الرجل لسانه ورأى ابو الدرداء امرأة سليطة فقال لو كانت هذه خرساء كان خيرا لها وقال ابرهيم يهلك الناس في خصلتين فضول المال وفضول الكلام فهذه مذمة كثرة الكلام وفضوله وسببه الباعث عليه وعلاجه ما سبق في الكلام فيما لا يعني

الآفة الثالثة الخوض في الباطل وهو الكلام في المعاصي كحكاية احوال النساء ومجالس الخمر ومقامات الفساق وتنعم الاغنياء وتجبر الملوك ومراسمهم المذمومة واحوالهم المكروهة فان كل ذلك مما لا يحل الخوض فيه فهو حرام واما الكلام فيما لا يعني او اكثر مما يعني فهو ترك الاولى ولا تحريم فيه نعم من يكثر الكلام فيما لا يعني لا يؤمن عليه الخوض في الباطل واكثر الناس يتجالسون للتفرج بالحديث ولا يعدو كلامهم التفكه باعراض الناس او الخوض في الباطل وانواع الباطل لا يمكن ان يحصى لكثرتها وتفننها فلذلك لا مخلص منه الا بالاقتصار على ما يعني من مهمات الدين والدنيا وفي هذا الجنس تقع من الكلمات ما يهلك صاحبها وهو يستحقرها فقد قال بلال بن الحرث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن ان تبلغ به ما بلغت يكتب الله عليه بها سخطه الى يوم القيامة قال وكان علقمة يقول كم من كلام قد منعنيه حديث بلال بن الحرث وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوي بها ابعد من الثريا وقال ابو هريرة ان الرجل ليتكلم بالكلمة ما يلقي لها بالا يهوي بها في جهنم وان الرجل ليتكلم بالكلمة ما يلقي لها بالا يرفعه الله بها في الجنة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعظم الناس خطايا يوم القيمة اكثرهم خوضا في الباطل

واليه الاشارة بقوله وكنا نخوض مع الخائضين وبقوله فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره وقال سلمان اكثر
الناس ذنوبا يوم القيامة اكثرهم كلاما في معصية الله وقال ابن سيرين كان رجل من الانصار يمر بمجلس لهم فيقول لهم
توضأوا فان بعض ما تقولون شر من الحدث فهذا هو الخوض في الباطل وهو وراء ما سيأتي من الغيبة والنميمة والفحش وغيره بل هو
الخوض في ذكر محظورات سبق وجودها او تدبر في التوصل اليها من غير حاجة دينية الى ذكرها ويدخل فيه ايضا الخوض في حكاية البدع
والمذاهب الفاسدة وحكاية ما جرى من قتال الصحابة على وجه يوهم الطعن في بعضهم وكل ذلك باطل والحديث فيه خوض في الباطل

الآفة الرابعة المراء والمجادلة

وذلك منهي عنه نقد قال صلى الله عليه وسلم لا تمار اخاك ولا تمازحه ولا تعده موعدا
فتخلفه وقال صلى الله عليه وسلم ذروا المراء فانه لا يفهم حكمته ولا تؤمن فتنته وقال صلى الله عليه وسلم من ترك المراء وهو محق
بني له بيت في اعلى الجنة ومن ترك المراء وهو مبطل بني له بيت في ربض الجنة وعن ام سلمة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان اول ما عهد الي ربي ونهاني عنه بعد عبادة الاوثان وشرب الخمر ملاحاة الرجال وقال ايضا ما ضل قوم الا اوتوا الجدل
وقال لا يستكمل عبد حقيقة الايمان حتى يدع المراء وان كان محقا وقال ايضا ست من كن فيه بلغ حقيقة الايمان الصيام في الصيف
وضرب اعداء الله بالسيف وتعجيل الصلوة في يوم الدجن والصبر على المصيبات واسباغ الوضوء على المكاره وترك المراء وهو صادق
وقال الزبير لابنه لا تجادل الناس بالقرآن فانك لا تستطيعهم ولكن عليك بالسنة وقال عمر بن عبد العزيز من جعل دينه غرضة
للخصومات اكثر التنقل وقال مسلم بن يسار اياكم والمراء فانها ساعة جهل العالم وعندها يبتغي الشيطان زلته وقيل ما ضل قوم
بعد اذ هداهم الله الا بالجدال وقال مالك بن انس ليس هذا الجدال من الدين بشيء وقال ايضا المراء يقسي القلوب ويورث الضغائن
وقال لقمان لابنه يا بني لا تجادل العلماء فيمقتوك قال بلال بن سعد اذا رايت الرجل لجوجا مماريا معجبا برايه فقد تمت خسارته
وقال سفين لو خالفت اخي في رمانة فقال حلوة وقلت حامضة لسعى بي الى السلطان وقال سفين صاف من شئت ثم اغضبه بالمراء
فليرمينك بداهية تمنعك من العيش قال ابن ابي ليلى لا اماري صاحبي فاما ان اكذبه واما ان اغضبه وقال ابو الدرداء كفى بك
اثما ان لا تزال مماريا وقال صلى الله عليه وسلم تكفير كل لحاء ركعتان وقال عمر رضي الله عنه لا تتعلم العلم لثلث لا تتعلم لتماري
به ولا لتباهي به ولا لترائي به ولا تتركه حياء من طلبه ولا زهادة فيه ولا رضى بالجهل منه وقال عيسى صلى الله عليه وسلم
من كثر كذبه ذهب جماله ومن لاحى الرجال سقطت مروته ومن كثر همه سقم جسمه ومن ساء خلقه عذب نفسه وقيل لميمون
ابن مهران ما لك لا تفارق لك فقال لاني لا اشاريه ولا اماريه وما ورد في ذم المراء والجدال اكثر وحد المراء هو كل اعتراض
على كلام الغير باظهار خلل فيه اما في اللفظ واما في المعنى واما في قصد المتكلم وترك المراء بترك الانكار والاعتراض فكل كلام
سمعته فان كان حقا فصدق به وان كان باطلا ولم يكن متعلقا بامور الدين فاسكت عنه والطعن في كلام الغير تارة يكون في
لفظه باظهار خلل فيه وتارة من جهة النحو او من جهة اللغة والعربية او من جهة النظم والترتيب بسوء تقديم وتاخير وذلك
تارة يكون بطغيان اللسان وكيف ما كان فلا وجه لاظهار خلله واما في المعنى بان يقول ليس كما تقول وقد اخطأت فيه لكذا وكذا واما
في قصده مثل ان يقول هذا الكلام حق ولكن ليس قصدك منه الحق وانما انت فيه صاحب غرض وما يجري مجراه وهذا الجنس
ان جرى في مسألة علمية ربما خص باسم الجدل وهو ايضا مذموم بل الواجب السكوت او السؤال في معرض الاستفادة لا على صيغة
العناد ربما خص باسم الجدل والنكارة او التلطف في التعريف لا في معرض الطعن وانما المجادلة عبارة عن قصد افحام الغير
وتعجيزه وتنقيصه بالقدح في كلامه ونسبته الى القصور والجهل فيه وآية ذلك ان يكون تنبهه للحق من جهة اخرى مكروها عند

المجادل بل يحب ان يكون هو المظهر له خطأه ليتبين به فضل نفسه ونقصان صاحبه ولا نجاة من هذا الا بالسكوت عن كل ما
لم ياثم به لو سكت واما الباعث على هذا هو الترفع باظهار الفضل والتهجم على الغير باظهار نقصه وهما شهوتان باطنتان
للنفس قويتان اما اظهار الفضل فمن قبيل تزكية وهي من مقتضى ما في العبد من طغيان دعوى العلو والكبرياء وهي من صفات الربوبية
واما تنقيص الاخر فهو مقتضى طبع السبعية فانه يقتضي ان يمزق غيره ويقصمه ويصدمه ويؤذيه وهاتان صفتان مذمومتان
مهلكتان وانما قوتهما بالمراء والجدال فالمواظب على المراء والجدال مقو لهذه الصفات المهلكة وهذا مجاوز حد الكراهية بل هو
معصية مهما حصل فيه ايذاء الغير ولا تنفك المماراة عن الايذاء وتهييج الغضب وحمل المعترض عليه على ان يعود فينصر كلامه بما
يمكنه من حق او باطل ويقدح في قائله بكل ما يتصور فيثور الشجار بين المتماريين كما يثور التهارش بين الكلبين يقصد كل واحد منهما
ان يعض صاحبه بما هو اعظم نكاية واقوى في افحامه والجامه واما علاجه فهو ان يكسر الكبر الباعث له على اظهار فضله
والسبعية الباعثة له على تنقيص غيره كما سياتي ذلك في كتاب الكبر وكتاب الغضب فان علاج كل علة باماطة سببها وسبب
المراء ما ذكرناه ثم المواظبة عليه تجعله عادة وطبعا حتى يتمكن من النفس ويعسر الصبر عنه وروي ان ابا حنيفة قال
لداود الطائي لم آثرت الانزواء فقال لاجاهد نفسي بترك الجدال فقال احضر المجالس واسمع ما يقال ولا تتكلم قال ففعلت
ذلك فما رايت مجاهدة اشد علي منه وهو كما قال لان من يسمع من غيره الخطأ وهو قادر على كشفه يعسر عليه الصبر عنه جدا
ولذلك قال عيسى عليه السلام من ترك المراء وهو محق بني له بيت في اعلى الجنة لشدة ذلك على النفس واكثر ما يغلب ذلك في المذاهب
والعقائد فان المراء طبع فاذا ظن ان له عليه ثوابا اشتد عليه حرصه وتعاون الطبع والشرع وذلك خطأ محض بل ينبغي للانسان
ان يكف لسانه عن اهل القبلة واذا راى مبتدعا تلطف في نصحه على خلوة لا بطريق المجادلة فان المجادلة تخيل اليه انها حيلة منه
في التلبيس وان ذلك صنعة يقدر المجادلون من اهل مذهبه على امثالها لو ارادوا فتستمر البدعة في قلبه بالجدل وتتاكد
واذا عرف ان النصح لا ينفع اشتغل بنفسه وتركه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله من كف لسانه عن اهل القبلة
الا باحسن ما يقدر عليه قال هشام بن عروة كان يردد قوله هذا سبع مرات وكل من تعود المجادلة مدة واثنى الناس عليه ووجد
لنفسه بسببه عزا وقبولا قويت فيه هذه المهلكات فلا يستطيع عنها نزوعا اذا اجتمع عليه سلطان الكبر والغضب
والرياء وحب الجاه والتعزز بالفضل وآحاد هذه الصفات يشق مجاهدتها فكيف بمجموعها

الآفة الخامسة الخصومة

وهي ايضا
مذمومة وهو وراء المراء والجدال فالمراء طعن في كلام الغير لاظهار خلل فيه من غير ان يرتبط به غرض سوى تحقير الغير واظهار
مزية الكياسة والجدال عبارة عن امر يتعلق باظهار المذاهب وتقريرها والخصومة لجاج في الكلام ليستوفي به مال او حق
مقصود وذلك تارة يكون ابتداء وتارة يكون اعتراضا والمراء لا يكون الا باعتراض على كلام سبق فقد قالت عائشة قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابغض الرجال الى الله عز وجل الالد الخصم وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من جادل في خصومة بغير علم لم يزل في سخط الله حتى ينزع وقال بعضهم اياك والخصومة فانها تمحق الدين ويقال ما خاصم قط
ورع في الدين وقال ابن قتيبة مر بي بشر بن عبد الله بن ابي بكرة فقال ما يجلسك قلت خصومة بيني وبين ابن عم لي فقال ان لابيك
عندي يدا واني اريد ان اجزيك بها واني والله ما رايت شيئا اذهب للدين ولا انقص للمروة ولا اضيع للذة ولا اشغل للقلب
من خصومة قال فقمت لارجع فقال لي خصمي ما لك قلت لا اخاصمك قال عرفت انه حق قلت لا ولكني اكرم نفسي عن هذا قال فاني
لا اطلب شيئا هو لك فان قلت اذا كان للانسان حق فلا بد له من الخصومة في طلبه او في حفظه مهما ظلمه ظالم فكيف يكون حكمه

وكيف يذم خصومته فاعلم ان هذا الذم يتناول الذي يخاصم بالباطل والذي يخاصم بغير علم مثل وكيل القاضي فانه قبل ان
يعرف ان الحق في اي جانب هو يخاصم بغير علم ويتناول الذي يطلب حقه ولكنه لا يقتصر على قدر الحاجة بل يظهر اللدد في
الخصومة على قصد التسلط او على قصد الايذاء ويتناول الذي يمزج بالخصومة كلمات مؤذية ليس يحتاج اليها في نصرة الحجة واظهار
الحق ويتناول الذي يحمله على الخصومة محض العناد لقهر الخصم وكسره مع انه قد يستحقر ذلك القدر من المال وفي الناس من يصرح
به ويقول انما قصدي عناده وكسر عرضه واني ان اخذت منه هذا المال ربما رميته في بئر ولا ابالي فهذا مقصوده اللدد واللجاج
وهو مذموم جدا اما المظلوم الذي ينصر حجته بطريق الشرع من غير لدد واسراف وزيادة لجاج على قدر الحاجة من غير قصد
عناد وايذاء ففعله ليس بحرام ولكن الاولى تركه ما وجد اليه سبيلا فان ضبط اللسان في الخصومة على حد الاعتدال متعذر و
الخصومة توغر الصدور وتهيج الغضب واذا هاج الغضب نسي المتنازع فيه وبقي الحقد بين المتخاصمين حتى يفرح كل واحد بمساءة
صاحبه ويحزن بمسرته ويطلق اللسان في عرضه فمن ابتدا بالخصومة فقد تعرض لهذه المحظورات واقل ما فيه تشويش خاطره حتى
انه في صلوته يشتغل بمحاجة خصمه فلا يبقى الامر على حد الواجب والخصومة مبدأ كل شر وكذا الجدل والمراء فينبغي ان لا يفتح بابه
الا لضرورة وعند الضرورة ينبغي ان يحفظ اللسان والقلب عن تبعات الخصومة وذلك متعذر جدا فمن اقتصر على الواجب
في خصومته فيسلم عن الاثم ولا يذم خصومته الا انه ان كان مستغنيا عن الخصومة فيه لان معه ما يكفيه فيكون تاركا للاولى
ولا يكون آثما نعم اقل ما يفوته في الخصومة والمراء والجدل طيب الكلام وما ورد فيه من الثواب اذ اقل درجات طيبة الكلام
اظهار الموافقة ولا خشونة في الكلام اعظم من الطعن والاعتراض الذي حاصله اما تجهيل واما تكذيب فان من جادل غيره
او ماراه او خاصمه فقد جهله او كذبه فيفوت به طيب الكلام وقد قال صلى الله عليه وسلم يمكنكم من الجنة طيب الكلام واطعام
الطعام وقد قال الله تعالى وقولوا للناس حسنا وقال ابن عباس من سلم عليكم من خلق الله فاردد عليه وان كان مجوسيا لان الله
تعالى يقول واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها وقال ايضا لو قال لي فرعون خيرا لرددت عليه وقال انس قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة لغرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها اعدها الله تعالى لمن اطعم الطعام
واطاب الكلام وروي ان عيسى صلوات الله عليه مر به خنزير فقال اخرج بسلام فقيل يا روح الله اتقول هذا للخنزير فقال اكره ان
اعود لساني الشر وقال نبينا صلى الله عليه وسلم الكلمة الطيبة صدقة وقال اتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم يكن فبكلمة طيبة
وقال عمر رضي الله عنه البر شيء هين وجه طليق وكلام لين وقال بعض الحكماء الكلام لا يسخط ربك الا انك ترضي به جليسك
فلا تكن به بخيلا فلعله يعوضك منه ثواب المحسنين وقال الكلام اللين يغسل الضغائن المستكنة في الجوارح فهذا كله في فضل
الكلام الطيب ويضاده الخصومة والمراء واللجاج والجدال فانه الكلام المستكره الموحش المؤذي للقلب المنغص للعيش المهيج
للغضب الموغر للصدر **الآفة السابعة** التقعر في الكلام بالتشدق وتكلف السجع والفصاحة والتصنع فيه بالتشبيبات و
المقدمات وما جرت به عادة المتفاصحين المدعين للخطابة وكل ذلك من التصنع المذموم ومن التكلف الممقوت الذي قال فيه
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابغضكم الي وابعدكم مني مجلسا المتفيهقون المتشدقون وقالت فاطمة رضي الله عنها قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم شرار امتي الذين غذوا بالنعيم ياكلون انواع الطعام ويلبسون الوان الثياب ويتشدقون في
الكلام وقال صلى الله عليه وسلم الا هلك المتنطعون ثلاث مرات والتنطع هو التعمق والاستقصاء وقال عمر رضي الله عنه
ان شقاشق الكلام من شقاشق الشيطان وجاء عمر بن سعد الى ابيه سعد يسأله حاجة فتكلم بين يدي حاجته بكلام فقال له سعد ما كنت

ما كنت من حاجتك ابعد منك اليوم اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ياتي على الناس زمان يتخللون الكلام كما
تتخلل البقرة الكلأ بالسنتها وكأنه انكر عليه ما قدمه على الكلام من التشبيب والمقدمة المصنوعة المتكلفة وهذا ايضا من آفات
اللسان ويدخل فيه كل سجع متكلف وكذلك التفاصح الخارج عن حد العادة وكذلك التكلف بالسجع في المحاورات اذ قضى رسول الله
صلى الله عليه وسلم بغرة الجنين فقال بعض قوم الجاني كيف ندي من لا شرب ولا اكل ولا صاح ولا استهل ومثل ذلك يطل فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اسجعا كسجع الجاهلية وانكر ذلك لان اثر التكلف والتصنع بين عليه بل ينبغي ان يقتصر في كل شيء على
مقصوده ومقصود الكلام التفهيم للغرض وما وراء ذلك تصنع مذموم ولا يدخل في هذا تحسين الفاظ الخطابة والتذكير من غير افراط
واغراب لان المقصود منها تحريك القلوب وتشويقها وقبضها وبسطها ولرشاقة اللفظ تاثير فيه فهو لائق به فاما المحاورات
التي تجري في قضاء الحاجات فلا يليق بها السجع والتشدق فالاشتغال به من التكلف المذموم ولا باعث عليه الا الرياء واظهار
الفصاحة والتميز بالبراعة وكل ذلك مذموم يكرهه الشرع ويزجر عنه **الآفة الثامنة** الفحش والسب وبذاءة اللسان وهو
مذموم ومنهي عنه ومصدره الخبث واللؤم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والفحش فان الله لا يحب الفحش ولا
التفحش ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ان يسب قتلى بدر من المشركين وقال لا تسبوا هؤلاء فانه لا يخلص اليهم شيء مما تقولون
وتؤذون الاحياء الا ان البذاء لؤم وقال صلى الله عليه وسلم ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفحاش ولا البذي وقال
صلى الله عليه وسلم الجنة حرام على كل فاحش ان يدخلها وقال صلى الله عليه وسلم اربعة يؤذون اهل النار على ما بهم من الاذى
يسعون بين الحميم والجحيم يدعون بالويل والثبور رجل يسيل فوه قيحا ودما فيقال له ما بال الابعد قد آذانا على ما بنا من الاذى
فيقول ان الابعد كان ينظر الى كل كلمة قذعة خبيثة فيستلذها كما يستلذ الرفث وقال صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها
يا عائشة لو كان الفحش رجلا لكان رجل سوء وقال صلى الله عليه وسلم البذاء والبيان شعبتان من شعب النفاق ويحتمل ان يكون
البيان هو كشف ما لا يجوز كشفه ويحتمل ايضا المبالغة في الايضاح حتى ينتهي الى حد التكلف ويحتمل ايضا البيان في امور
الدين وفي صفات الله تعالى فان القاء ذلك مجملا الى اسماع العوام اولى من المبالغة في بيانه اذ قد يثور من غاية البيان فيه شكوك
ووساوس واذا اجملت بادرت القلوب الى القبول ولم تضطرب ولكن ذكره مقرونا بالبذاء يشبه ان يكون المراد به المجاهرة
بما يستحيي الانسان من بيانه فان الاولى في مثله الاغماض والتغافل دون الكشف والبيان وقال صلى الله عليه وسلم ان الله
لا يحب الفاحش المتفحش الصياح في الاسواق وقال جابر بن سمرة كنت جالسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي
امامي فقال صلى الله عليه وسلم ان الفحش والتفاحش ليسا من الاسلام في شيء وان احسن الناس اسلاما احسنهم اخلاقا و
قال ابراهيم بن ميسرة يقال الفاحش المتفحش يوم القيامة في صورة كلب او في جوف كلب وقال الاحنف بن قيس الا اخبركم
بادوأ الداء اللسان البذي والخلق الدني فهذه مذمة الفحش فاما حده وحقيقته فهو التعبير عن الامور المستقبحة
بالعبارات الصريحة ويجري اكثر ذلك في الفاظ الوقاع وما يتعلق به فان لاهل الفساد عبارات صريحة فاحشة
يستعملونها فيه واهل الصلاح يتحاشون عن التعرض لها بل يكنون عنها ويدلون عليها بالرموز ويذكرون ما يقاربها ويتعلق
بها قال ابن عباس ان الله حيي كريم يعفو ويكني كنى باللمس عن الجماع فالمس واللمس والدخول والصحبة كنايات عن الوقاع ليست
بفاحشة وهناك عبارات فاحشة يستقبح ذكرها ويستعمل اكثرها في الشتم والتعيير وهذه العبارات متفاوتة في
الفحش وبعضها افحش من بعض وربما اختلف ذلك بعادة البلاد واوائلها مكروهة واواخرها محظورة وبينهما درجات

يتردد فيها وليس يختص هذا بالوقاع بل الكناية بقضاء الحاجة عن البول والغائط اولى من لفظ التغوط والخراءة وغيرها
فان هذا ايضا مما يخفى وكل ما يخفى ويستحيى منه فلا ينبغي ان يذكر الفاظه الصريحة فانه فحش ولذلك لا يستحسن في العادة
الكناية عن النسآء فلا يقال قالت زوجتك كذا بل يقال قيل في الحجرة او قيل من ورآء الستر وقالت ام الاولاد فكذا في
التلطف في هذه الالفاظ محمود والتصريح فيها يفضي الى الفحش وكذلك من به عيوب يستحيي منها فلا ينبغي ان يعبر عنها
بصريح لفظه كالبرص والقرع والبواسير بل يقال العارض الذي يشكوه وما يجري مجراه فالتصريح بذلك داخل في الفحش و
جميع ذلك من آفات اللسان قال العلاء بن هرون كان عمر بن عبد العزيز يتحفظ في منطقه فخرج تحت ابطه خراج فاتيناه نسأله
ما ذا يقول فقلنا من اين خرج فقال من باطن اليد والباعث على الفحش اما قصد الايذاء واما الاعتياد الحاصل من مخالطة
الفساق واهل الخبث واللؤم ومن عادتهم السب وقال اعرابي لرسول الله صلى الله عليه وسلم اوصني فقال عليك
بتقوى الله وان امرؤ عيرك بشيء يعلمه فيك فلا تعيره بشيء تعلمه فيه يكن وباله عليه واجره لك ولا تسبن شيئا قال فما سببت
بعده شيئا وقال عياض بن حمار قلت يا رسول الله الرجل من قومي يسبني وهو دوني هل علي باس ان انتصر منه فقال المستبان
شيطانان يتكاذبان ويتهاتران وقال صلى الله عليه وسلم المستبان ما قالا فعلى البادي حتى يعتدي المظلوم وقال صلى الله
عليه وسلم سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر وقال ايضا ملعون من يسب والديه وفي رواية من اكبر الكبائر ان يسب الرجل
والديه قالوا يا رسول الله وكيف يسب والديه قال يسب الرجل فيسب اباه فيسب الآخر اباه اللعن اما
لحيوان او جماد او انسان وكل ذلك مذموم قال النبي صلى الله عليه وسلم المؤمن ليس بلعان وقال صلى الله عليه وسلم
لا تلاعنوا بلعنة الله ولا بغضبه ولا بجهنم وقال حذيفة ما تلاعن قوم قط الا حق عليهم القول وقال عمران بن حصين بينما
رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره اذا امرأة من الانصار على ناقة لها فضجرت منها فلعنتها فقال صلى الله عليه وسلم
خذوا ما عليها واعروها فانها ملعونة قال فكاني ارى تلك الناقة تمشي بين الناس لا يعرض لها احد وقال ابو الدردآء ما
لعن احد الارض الا قالت لعن الله اعصانا لله وعن عائشة قالت سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر وهو يلعن بعض رقيقه
فالتفت اليه فقال يا ابا بكر اللعانين وصديقين كلا ورب الكعبة مرتين او ثلاثا فاعتق ابو بكر يومئذ بعض رقيقه وجآء الى النبي
صلى الله عليه وسلم وقال لا اعود وقال صلى الله عليه وسلم ان اللعانين لا يكونون شفعآء ولا شهدآء يوم القيمة وقال انس كان
رجل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على بعير فلعن بعيره فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا عبد الله لا تسر معنا على بعير ملعون
وقال ذلك انكارا واللعن عبارة عن الطرد والابعاد عن الله وذلك غير جائز الا على من يتصف بصفة تبعده عن الله
هو الكفر والظلم بان يقول لعنة الله على الظالمين وعلى الكافرين وينبغي ان يتبع فيه لفظ الشرع فان في اللعنة خطرا لانه حكم
على الله بانه ابعد الملعون وذلك غيب لا يطلع عليه ويطلع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اطلعه الله عليه والصفات
المقتضية للعن ثلاثة الكفر والبدعة والفسق وللعن في كل واحد ثلاث مراتب الاولى اللعن بالوصف الاعم كقولك لعنة الله
على الكافرين والمبتدعة والفسقة والثانية اللعن باوصاف اخص منه كقولك لعنة الله على اليهود والنصارى والمجوس
وعلى القدرية والخوارج والروافض وعلى الزناة والظلمة واكلي الربا وكل ذلك جائز ولكن في لعن اوصاف المبتدعة خطر
لان معرفة البدعة غامض فما لم يرد لفظ ماثور فيه فينبغي ان يمنع منه العوام لان ذلك يستدعي المعارضة بمثله ويثير نزاعا
بين الناس وفسادا والثالثة اللعن على الشخص وهذا فيه نظر كقولك فلان لعنه الله وهو كافر او فاسق او مبتدع والتفصيل

فيه ان كل شخص ثبتت لعنته شرعا فتجوز لعنته كقولك فرعون لعنه الله وابو جهل لعنه الله لانه ثبت ان هؤلاء ماتوا
على الكفر وعرف ذلك شرعا واما شخص بعينه في زماننا كقولك زيد لعنه الله وهو يهودي مثلا فهذا فيه خطر لانه ربما
يسلم فيموت مقربا عند الله فكيف يحكم بكونه ملعونا فان قلت يلعن لكونه كافرا في الحال كما يقال للمسلم رحمه الله لكونه مسلما
في الحال وان كان يتصور ان يرتد فاعلم ان معنى قولنا رحمه الله اي ثبته الله على الاسلام الذي هو سبب الرحمة وعلى الطاعة
ولا يمكن ان يقال ثبت الله الكافر على ما هو سبب اللعنة فان هذا سؤال الكفر وهو في نفسه كفر بل الجائز ان يقال لعنه الله ان مات
على الكفر ولا لعنه الله ان مات على الاسلام وذلك غيب لا يدرى والمطلق متردد بين الجهتين ففيه خطر وليس في ترك اللعن خطر
واذا عرفت هذا في الكافر فهو في زيد الفاسق والمبتدع اولى فلعن الاعيان فيه خطر لان الاحوال تتقلب على الاعيان
الا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه يعلم من يموت على الكفر ولذلك كان يعين قوما باللعن فقال اللهم عليك بابي جهل
بن هشام وعتبة بن ربيعة وذكر جماعة قتلوا على الكفر ببدر حتى ان من لم يعلم عاقبته كان يلعنه فنهي عنه اذ روي انه كان
يلعن الذين قتلوا اصحاب بئر معونة في قنوته شهرا فنزل قوله تعالى ليس لك من الامر شيء او يتوب عليهم او يعذبهم يعني انهم
ربما يتوبون فمن اين تعلم انهم ملعونين وكذلك من بان لنا كفره وموته على الكفر جاز لعنته وجاز ذمه ان لم يكن فيه اذى
على مسلم فان كان لم يجز كما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل ابا بكر عن قبر مر به وهو يريد الطائف وقال
هذا قبر رجل كان عاتيا على الله ورسوله وهو سعيد بن العاص فغضب ابنه عمرو بن سعيد وقال يا رسول الله هذا
قبر رجل كان اطعم للطعام واضرب للهام من ابي قحافة فقال ابو بكر ا يكلمني هذا يا رسول الله بمثل هذا الكلام فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اكفف عن ابي بكر ثم اقبل النبي صلى الله عليه وسلم على ابي بكر فقال يا ابا بكر اذا ذكرتم الكفار
فعمموا فانكم اذا خصصتم غضب الابناء للآباء فكف الناس عن ذلك وشرب نعيمان الخمر فحد مرات في مجلس رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال بعض الصحابة لعنه الله ما اكثر ما يؤتى به فقال صلى الله عليه وسلم لا تكن عونا للشيطان على
اخيك وفي رواية لا تقل هذا فانه يحب الله ورسوله فنهاه عن ذلك فهذا يدل على ان لعنة فاسق بعينه غير جائزة وعلى
الجملة في لعنة الاشخاص خطر فليجتنب ولا خطر في السكوت عن لعنة ابليس فضلا عن غيره فان قيل هل يجوز لعنة يزيد
لكونه قاتل الحسين رضي الله عنه او آمرا بقتله قلنا هذا لم يثبت اصلا فلا يجوز ان يقال انه قتله او امر بقتله ما لم
يثبت فضلا عن اللعنة لانه لا يجوز نسبة مسلم الى كبيرة من غير تحقيق نعم يجوز ان يقال قتل ابن ملجم عليا رضي الله عنه
وقتل ابو لؤلؤة عمر رضي الله عنه فان ذلك ثبت متواترا فلا يجوز ان يرمى مسلم بفسق او كفر من غير تحقيق قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم والله لا يرمي رجل رجلا بالكفر ولا يرميه بالفسق الا ارتدت عليه ان لم يكن صاحبه كذلك وقال صلى
الله عليه وسلم ما شهد رجل على رجل بالكفر الا باء به احدهما ان كان كافرا فهو كما قال وان لم يكن كافرا فقد كفر بتكفيره اياه
وهذا معناه ان يكفره وهو يعلم انه مسلم فان ظن انه كافر ببدعة او غيرها كان مخطئا لا كافرا وقال معاذ قال لي رسول الله
صلى الله عليه وسلم انهاك ان تشتم مسلما او تعصي اماما عادلا والتعرض للاموات اشد قال مسروق دخلت على عائشة
رضي الله عنها فقالت ما فعل فلان لعنه الله فقلت توفي قالت رحمه الله قلت وكيف هذا قالت قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا تسبوا الاموات فانهم قد افضوا الى ما قدموا وقال ايضا لا تسبوا الاموات فتؤذوا به الاحيآء وقال
ايضا ايها الناس احفظوني في اصحابي واخواني واصهاري ولا تسبوهم ايها الناس اذا مات الميت فاذكروا منه خيرا

فان قيل فهل يجوز ان يقال قاتل حسين لعنه الله او الآمر بقتله لعنه الله قلنا الصواب ان يقال قاتل حسين ان مات قبل التوبة
لعنه الله لانه يحتمل ان يموت بعد التوبة فان وحشي قاتل حمزة عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قتله وهو كافر ثم تاب عن
الكفر والقتل جميعا ولا يجوز ان يلعن والقتل كبيرة ولا تنتهي الى رتبة الكفر فاذا لم يقيد بالتوبة واطلق كان فيه خطر وليس
في السكوت خطر فهو اولى وانما اوردنا هذا لتهاون الناس باللعنة واطلاق اللسان به والمؤمن ليس بلعان فلا ينبغي ان يطلق
اللسان باللعنة الا على من مات على الكفر او على الاجناس المعروفين باوصافهم دون الاشخاص المعينين فالاشتغال بذكر الله اولى
فان لم يكن ففي السكوت سلامة قال مكي بن ابرهيم كنا عند ابن عون فذكروا بلال بن ابي بردة فجعلوا يلعنونه ويقعون فيه وابن عون
ساكت فقالوا يا ابن عون انما نذكره لما ارتكب منك فقال ابن عون انما هما كلمتان تخرجان من صحيفتي يوم القيمة لا اله الا الله
ولعن الله فلانا فلان يخرج من صحيفتي لا اله الا الله احب الي من ان يخرج منها لعن الله فلانا وقال رجل لرسول الله صلى
الله عليه وسلم اوصني فقال اوصيك ان لا تكون لعانا وقال ابن عمر ان ابغض عباد الله الى الله كل طعان لعان وقال بعضهم لعن المؤمن
يعدل قتله وقال حماد بن زيد بعد ان روى هذا الحديث ولو قلت انه مرفوع لم ابال وعن ابي قتادة قال كان يقال من لعن مؤمنا
فهو مثل ان يقتله وقد نقل ذلك مرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقرب من اللعن الدعا على الانسان بالشر حتى الدعا
على الظالم كقول الانسان لا صحح الله جسمه ولا سلمه الله وما يجري مجراه فكل ذلك مذموم وفي الخبر ان المظلوم ليدعو على الظالم
حتى يكافئه ثم يبقى للظالم عنده فضلة يوم القيمة

الآفة التاسعة الغنا والشعر

وقد ذكرنا في كتاب السماع ما يحرم
من الغنا وما يحل فلا نعيده واما الشعر فكلام حسنه حسن وقبيحه قبيح الا ان التجرد له مذموم قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لان يمتلي بطن احدكم قيحا حتى يريه خير من ان يمتلي شعرا وعن مسروق انه سئل عن بيت من الشعر فكرهه فقيل له في ذلك
فقال انا اكره ان يوجد في صحيفتي شعر وسئل بعضهم عن شي من الشعر فقال اجعل مكان هذا ذكرا فان ذكر الله خير من الشعر وعلى الجملة
فانشاد الشعر ونظمه ليس بحرام اذا لم يكن فيه كلام مكروه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من الشعر لحكمة نعم مقصود الشعر المدح
والذم والتشبيب وقد يدخلها الكذب وقد امر رسول الله صلى الله عليه وسلم حسانا بهجو الكفار والتوسع في المدح وان
كان كذبا فانه لا يلتحق في التحريم بالكذب كقول الشاعر

ولو لم يكن في كفه غير روحه * لجاد بها فليتق الله سائله

فان هذه عبارة عن الوصف بنهاية السخاء فان لم يكن صاحبه سخيا كان كاذبا وان كان سخيا فالمبالغة من صنعة الشعر ولا يقصد منه
ان يعتقد صورته وقد انشد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم اشعار لو تتبعت لوجد فيها مثل ذلك ولم يمنع منها قالت
عايشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخصف نعله وكنت اغزل فنظرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل جبينه
يعرق وجعل عرقه يتولد نورا قالت فبهت قالت فنظر الي وقال ما لك بهت فقلت يا رسول الله نظرت اليك فجعل جبينك يعرق
وجعل عرقك يتولد نورا فلو رآك ابو كبير الهذلي لعلم انك احق بشعره قال وما يقول يا عايشة ابو كبير الهذلي فقلت يقول

ومبرا من كل غبر حيضة * وفساد مرضعة وداء مغيل
واذا نظرت الى اسرة وجهه * برقت كبرق العارض المتهلل

قالت فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان في يده وقام الي فقبل ما بين عيني وقال جزاك الله يا عايشة خيرا ما سررت مني
كسروري منك ولما قسم الغنايم امر للعباس بن مرداس السلمي باربع قلايص فاندفع يشكو في شعر له وفي آخره

وما كان بدر ولا حابس * يفوقان مرداس في المجمع
وما كنت دون امري منهما * ومن تضع اليوم لا يرفع

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقطعوا عني لسانه فذهب به ابو بكر حتى اختار مائة من الابل ثم رجع وهو من ارضى الناس فقال
له رسول الله صلى الله عليه وسلم تقول الشعر فجعل يعتذر ويقول بابي انت وامي اني لاجد للشعر دبيبا على لساني
مثل دبيب النمل ثم يقرصني كما يقرص النمل فلا اجد بدا من ان اقول فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا تدع العرب الشعر
حتى تدع الابل الحنين

الآفة العاشرة المزاح

واصله مذموم منهي عنه الا قدرا يسيرا منه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تمار اخاك ولا تمازحه فان قلت المماراة ايذاء لان فيه تكذيبا للاخ والصديق او تجهيلا اما المزاح فمطايبة وفيه
انبساط وطيبة قلب فلم ينهى عنه فاعلم ان المنهي عنه الافراط فيه او المداومة عليه اما المداومة فلانه اشتغال باللعب
والهزل واللعب مباح ولكن المواظبة عليه مذموم واما الافراط فيه فانه يورث كثرة الضحك وكثرة الضحك تميت القلب
ويورث الضغينة في بعض الاحوال ويسقط المهابة والوقار فما يخلو عن هذه الامور فلا يذم كما روي عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال اني امزح ولا اقول الا حقا ومثله يقدر ان يمزح ولا يقول الا حقا واما غيره فاذا فتح باب المزاح كان غرضه ان
يضحك الناس كيف كان وقد قال صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه فيهوي بها ابعد
من الثريا وقال عمر رضي الله عنه من كثر ضحكه قلت هيبته ومن مزح استخف به ومن اكثر من شي عرف به ومن كثر كلامه كثر
سقطه ومن كثر سقطه قل حياؤه ومن قل حياؤه قل ورعه ومن قل ورعه مات قلبه ولان الضحك يدل على الغفلة عن الآخرة
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وقال رجل لاخيه يا اخي هل اتاك انك
وارد على النار قال نعم قال فهل اتاك انك خارج منها فقال لا قال ففيم الضحك قال فما روي ضاحكا حتى مات وقال يوسف
ابن اسباط اقام الحسن ثلثين سنة لم يضحك وقيل ان عطاء السلمي لم يضحك اربعين سنة ونظر وهيب بن الورد الى قوم يضحكون
في يوم فطر فقال ان كان هولاء غفر لهم فما هذا فعل الشاكرين وان لم يغفر لهم فما هذا فعل الخائفين وكان عبد الله بن ابي يعلى
يقول اتضحك ولعل اكفانك قد خرجت من عند القصار وقال ابن عباس من اذنب ذنبا وهو يضحك دخل النار وهو يبكي
وقال محمد بن واسع اذا رايت في الجنة رجلا يبكي الست تعجب من بكائه قيل بلى قال فالذي يضحك في الدنيا ولا يدري
الى ما يصير هو اعجب منه فهذه آفة الضحك والمذموم منه ان يستغرب ضحكا والمحمود التبسم الذي ينكشف فيه السن
ولا يسمع له صوت كذلك كان ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال القسم مولى معوية اقبل اعرابي الى النبي
صلى الله عليه وسلم على قلوص له صعب فسلم فجعل كلما دنا من النبي صلى الله عليه وسلم ليساله نفر به فجعل اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم يضحكون ففعل ذلك ثلث مرات ثم وقصه فقتله فقيل يا رسول الله ان الاعرابي قد صرعه
قلوصه فهلك فقال نعم وافواهكم ملاء من دمه واما اداء المزاح الى سقوط الوقار فقد قال عمر من مزح استخف به
وقال محمد بن المنكدر قالت لي امي يا بني لا تمازح الصبيان فتهون عليهم وقال سعيد بن العاص لابنه يا بني لا تمازح الشريف
فيحقد عليك ولا الدني فيجتري عليك وقال عمر بن عبد العزيز اتقوا الله واياكم والمزاح فانه يورث الضغينة ويجر
الى القبيح تحدثوا بالقرآن وتجالسوا به فان ثقل عليكم فحديث حسن من حديث الرجال وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه
اتدرون لم سمي المزاح مزاحا قالوا لا قال لانه ازاح صاحبه عن الحق وقيل لكل شي بذر وبذر العداوة المزاح ويقال
المزاح مسلبة للنهى ومقطعة للاصدقاء فان قلت فقد نقل المزاح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فكيف ينهى عنه
فاقول ان قدرت على ما قدر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ان يمزح ولا يقول الا حقا ولا يوذي قلبا ولا
يفرط فيه ويقتصر عليه احيانا وعلى الندور فلا حرج عليك فيه ولكن من الغلط العظيم ان يتخذ الانسان المزاح حرفته

ويواظب عليه ويفرط فيه ثم يتمسك بفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو كمن يدور مع الزنوج ابدا لينظر الى رقصهم ويتمسك
بان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذن لعايشة في النظر الى رقص الزنوج في يوم عيد وهو خطا اذ من الصغاير ما يصير كبيرة
بالاصرار ومن المباحات ما يصير صغيرة بالاصرار فلا ينبغي ان يغفل عن هذا نعم روى ابو هريرة انهم قالوا يا رسول الله انك
تداعبنا فقال اني وان داعبتكم فلا اقول الا حقا وقال ان رجلا سال ابن عباس فقال اكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يمزح فقال ابن عباس نعم فقال الرجل فما كان مزاحه فقال ابن عباس ثوبا واسعا فقال لها البسيه واحمدي ربك وجري
منه ذيلا كذيل العروس وروى انس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان من افكه الناس وروي انه كان عليه الصلوة والسلام
كثير التبسم وعن الحسن قال اتت عجوز الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة عجوز
فبكت فقال انك لست يومئذ بعجوز قال الله تعالى انا انشاناهن انشاء فجعلناهن ابكارا وروى زيد بن اسلم ان
امراة يقال لها ام ايمن جاءت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت ان زوجي يدعوك فقال ومن هو اهو الذي بعينه بياض فقالت
والله ما بعينه بياض فقال بلى ان بعينه بياضا فقالت لا والله فقال صلى الله عليه وسلم ما من احد الا بعينه بياض واراد به
البياض المحيط بالحدقة وجاءت امراة اخرى فقالت يا رسول الله احملني على بعير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحملك
على ابن البعير فقالت وما اصنع به انه لا يحملني فقال صلى الله عليه وسلم وهل من بعير الا وهو ابن بعير وكان يمزح به وقال انس
كان لابي طلحة ابن يقال له ابو عمير وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ياتيه فيقول يا ابا عمير ما فعل النغير لنغير كان يلعب
به وهو ولد العصفور وقالت عايشة خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعالى حتى اسابقك فشددت درعي على بطني
ثم خططنا خطا فقمنا عليه فاستبقنا فسبقني فقال هذه مكان ذي المجاز وكان جاء يوما ونحن بذي المجاز وانا جارية قد بعثني
ابي بشيء فقال اعطينيه فابيت وسعيت فسعى على اثري فلم يدركني وقالت عايشة سابقني رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبقته
فلما حملت اللحم سابقني فسبقني فقال هذه بتلك وقالت عايشة كان عندي رسول الله صلى الله عليه وسلم وسودة بنت زمعة
وصنعت خزيرا او جئت به لتاكلي او لالطخن وجهك فقالت ما انا بذايقته فاخذت بيدي من الصحيفة شيا فلطخت وجهها
به ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس بيني وبينها فخفض لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستقيد مني فتناولت من الصحفة
فمسحت به وجهي وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك ه وروي ان الضحاك بن سفين الكلابي كان رجلا دميما قبيحا
فلما بايعه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال ان عندي امراتين احسن من هذه الحميرا افلا انزل لك عن احديهما فتزوجها وعايشة
جالسة تسمع قبل ان يضرب الحجاب فقالت اهي احسن ام انت فقال بل انا احسن منها واكرم فضحك رسول الله صلى الله عليه
وسلم من مسالة عايشة اياه لانه كان دميما وروى عن علقمة عن ابي سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدلع لسانه
للحسين بن علي فيرى الصبي لسانه فيهش له فقال عيينة بن بدر الفزاري والله ليكون لي الابن رجلا قد خرج وجهه وما
قبلته قط فقال صلى الله عليه وسلم ان من لا يرحم لا يرحم فاكثر هذه المطايبات منقولة مع النسا والصبيان وكان
ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم معالجة لضعف قلوبهن من غير ميل الى هزل وقال صلى الله عليه وسلم مرة لصهيب
وبه رمد وهو ياكل التمر اتاكل التمر وانت رمد فقال انما اكل بالشق الآخر فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعض
الرواة حتى نظرت الى نواجذه وروي ان خوات بن جبير كان جالسا الى نسوة من بني كعب بطريق مكة فطلع عليه رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال يا ابا عبد الله ما لك مع النسوة فقال يفتلن ضفيرا لجمل لي شرود قال فمضى رسول الله صلى الله عليه

وسلم لحاجته ثم اطلع فقال يا ابا عبد الله اما ترك ذلك الجمل الشراد بعد قال فسكت فاستحييت قال فكنت بعد
ذلك اتفرر منه كلما رايته حياء منه حتى قدمت المدينة وبعد ما قدمت المدينة حتى طلع علي وانا اصلي في المسجد
فجلس الي فطولت فقال لا تطول فاني انتظرك فلما فرغت قال يا ابا عبد الله اما ترك ذلك الجمل الشراد بعد قال فسكت
واستحييت فقام فكنت اتفرر منه حتى لقيني وهو على حمار وقد جعل رجليه من شق واحد فقال يا ابا عبد الله اما
ترك ذلك الجمل الشراد فقلت والذي بعثك بالحق ما شرد منذ اسلمت فقال الله اكبر الله اكبر اللهم اهد ابا عبد الله
قال فحسن اسلامه وهداه الله وكان نعيمان الانصاري رجلا مزاحا وكان يشرب فيوتى به الى النبي صلى الله عليه وسلم فيضربه
بنعليه ويامر اصحابه فيضربونه بنعالهم فلما كثر ذلك منه قال له رجل من الاصحاب لعنك الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم
لا تفعل فانه يحب الله ورسوله قال وكان لا يدخل المدينة رسل ولا طرفة الا اشترى منها ثم جاء به الى النبي صلى الله عليه
وسلم فيقول هذا اهديته لك فاذا جاء صاحبه يطلب نعيمان بثمنه جاء به الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله
اعط هذا ثمن متاعه فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم اولم تهده لنا فيقول يا رسول الله انه لم يكن والله عندي ثمنه و
احببت ان تاكله فيضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ويامر لصاحبه بثمنه فهذه مطايبات يباح مثلها على الندور
لا على الدوام والمواظبة عليها هزل مذموم وسبب للضحك المميت للقلب ه الآفة الحادية عشر السخرية والاستهزاء وهذا
محرم مهما كان موذيا قال الله تعالى لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ومعنى السخرية الاستحقار والاستهانة والتنبيه
على العيوب والنقايص على وجه يضحك منه وقد يكون ذلك بالمحاكاة في الفعل والقول وقد يكون بالاشارة والايماء واذا كان
بحضرة المستهزا به لم يسم ذلك غيبة وفيه معنى الغيبة قالت عايشة حكيت انسانا فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما احب
اني حكيت انسانا ولي كذا وكذا وقال ابن عباس في قوله تعالى يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها
الصغيرة التبسم بالاستهزاء بالمومن والكبيرة القهقهة بذلك وهو اشارة الى ان الضحك على الناس من الجرايم والذنوب
وعن عبد الله بن زمعة انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يخطب فوعظهم في ضحكهم من الضرطة وقال علام يضحك احدكم
مما يفعل وقال صلى الله عليه وسلم ان المستهزئين بالناس يفتح لاحدهم باب من الجنة فيقال هلم هلم فيجي بكربه وغمه فاذا جاء اغلق دونه
ثم يفتح له باب اخر فيقال هلم هلم فيجي بكربه وغمه فاذا اتاه اغلق دونه فما يزال كذلك حتى ان الرجل ليفتح له الباب فيقال هلم هلم
فما ياتيه وقال معاذ بن جبل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عير اخاه بذنب قد تاب منه لم يمت حتى يعمله وكل ذلك يرجع
الى استحقار الغير والضحك عليه استهانة به واستصغارا له وعليه نبه قوله تعالى عسى ان يكونوا خيرا منهم اي لم يستحقر
به استصغارا فلعله خير منك وهذا انما يحرم في حق من يتاذى به فاما من جعل نفسه مسخرة وربما فرح بان يسخر به كانت السخرية
من جملة المزاح وقد سبق ما يذم منه وما يمدح وانما المحرم استصغار يتاذى به المستهزا به لما فيه من التحقير والتهاون
وذلك تارة بان يضحك على كلامه اذا تخبط ولم ينتظم او على افعاله اذا كانت مشوشة كالضحك على خطه وعلى صنعته
او على صورته وخلقته اذا كان قصيرا او ناقصا لعيب من العيوب فالضحك من جملة ذلك اذا دخل في السخرية المنهي عنها
الآفة الثانية عشر افشاء السر وهو منهي عنه لما فيه من الايذاء والتهاون بحق المعارف والاصدقاء قال رسول الله
اذا حدث الرجل الحديث ثم التفت فهي امانة وقال مطلقا الحديث بينكم امانة وقال الحسن ان من الخيانة ان تحدث
بسر اخيك وروي ان معوية اسر الى الوليد بن عتبة حديثا فقال لابيه يا ابة ان امير المومنين اسر الي حديثا وما اراه يطوي

منك ما بسطه الى غيرك قال فلا تحدثني به فان من كتم سره كان الخيار له ومن افشاه كان الخيار قلت يا ابه وان هذا ليدخل
بين الرجل وبين ابيه قال لا والله يا بني ولكن احب ان لا تذلل لسانك باحاديث السر قال فاتيت معوية فحدثته فقال يا
ولبيد اعتقك اخي من رق الخطا فافشاء السر خيانة وهو حرام اذا كان فيه اضرار ولوم ان لم يكن فيه اضرار وقد ذكرنا
ما يتعلق بكتمان السر في كتاب آداب الصحبة فلا نعيده الآفة الحادية عشر الوعد الكاذب فان اللسان سباق الى الوعد ثم النفس
ربما لا تسمح بالوفاء فيصير الوعد خلفا وذلك من امارات النفاق وقال الله سبحانه يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود وقال صلى
الله عليه وسلم العدة عطية وقال الوأي مثل الدين او افضل والوأي الوعد وقد اثنى الله تعالى على نبيه اسمعيل صلوات الله عليه
فقال انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا يقال انه واعد انسانا في موضع فلم يرجع اليه فبقي اثنين وعشرين يوما في انتظاره
ولما حضرت عبد الله بن عمر الوفاة قال انه كان خطب الي ابنتي رجل من قريش وقد كان مني اليه شبه الوعد فوالله لا القى الله
بثلث النفاق اشهدوا اني قد زوجته ابنتي وعن عبد الله بن ابي الحسماء قال بايعت النبي صلى الله عليه وسلم فوعدته ان آتيه بها
في مكانه ذلك فنسيت يومي والغد فاتيته اليوم الثالث وهو في مكانه فقال يا فتى لقد شققت علي انا ههنا منذ ثلث انتظرك
وقيل لابرهيم بن ادهم الرجل يواعد الرجل الميعاد فلا يجي قال ينتظره ما بينه وبين ان يدخل وقت الصلوة التي تجي وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا وعد وعدا قال عسى وكان ابن مسعود لا يعد وعدا الا ويقول ان شاء الله وهو الاولى ثم اذا
فهم مع ذلك في الوعد فلا بد من الوفاء الا ان يتعذر فان كان الوعد عازما على ان لا يفي فهذا هو النفاق وقال ابو هريرة
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم اذا حدث كذب واذا
وعد اخلف واذا اؤتمن خان وقال عبد الله بن عمرو قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اربع من كن فيه كان منافقا ومن كانت فيه
خلة منهن كانت فيه خلة من النفاق حتى يدعها اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا عاهد غدر فامن عزم على الوفاء
واذا خاصم فجر وهذا ينزل على من وعد وهو على عزم الخلف او ترك الوفاء من غير عذر فاما من عزم على الوفاء فعن له عذر منعه من
الوفاء من غير عذر لم يكن منافقا وان جرى عليه ما هو صورة النفاق ايضا كما يحترز من حقيقته ولا ينبغي ان يجعل نفسه معذورا
من غير ضرورة حاجزة فقد روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان وعد ابا الهيثم بن التيهان خادما فاتى بثلثة من السبي
فاعطى اثنين وبقي واحد فاتت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تطلب خادما وتقول الا ترى اثر الرحا يا
رسول الله في يدي فذكر موعده لابي الهيثم فجعل يقول كيف بموعدي لابي الهيثم فآثره به على فاطمة لما سبق من موعده له مع انها
كانت تدير الرحى بيدها الضعيفة ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا يقسم غنائم هوازن بحنين فوقف عليه رجل
من الناس فقال ان لي عندك موعدا يا رسول الله فقال صدقت فاحتكم ما شئت فقال احتكم ثمانين ضائنة وراعيها فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم هي لك ولقد احتكمت يسيرا ولصاحبة موسى التي دلته على عظام يوسف كانت احزم واجزل حكما
منك حين حكمها موسى عليه السلم فقالت حكمي ان تردني شابة وادخل معك الجنة قيل فكان الناس يضعفون ما احتكم به حتى جعل
مثلا فيقولون اشح من صاحب الثمانين والراعي وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ليس الخلف ان يعد الرجل الرجل وفي نيته ان يفي
وفي لفظ آخر اذا وعد الرجل اخاه وفي نيته ان يفي فلم يجد فلا اثم عليه الآفة الثانية عشر الكذب في القول واليمين
وهو من قبائح الذنوب وفواحش العيوب وقال اسمعيل بن اوسط سمعت ابا بكر الصديق يخطب بعد وفاة رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقامي هذا عام اول ثم بكى وقال اياكم والكذب فانه مع الفجور وهما في النار

الجزم

في النار وقال ابو امامة قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الكذب باب من ابواب النفاق وقال الحسن كان يقال ان من النفاق
اختلاف السر والعلانية والقول والعمل والمدخل والمخرج وان الاصل الذي بني عليه النفاق الكذب وقال عليه الصلوة و
السلم كبرت خيانة ان تحدث اخاك حديثا هو لك مصدق وانت به كاذب وقال ابن مسعود قال النبي صلى الله عليه وسلم
لا يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجلين يتبايعان شاة ويتحالفان
يقول احدهما والله لا انقصك من كذا وكذا فتبايعا الشاة وقد اشتراها احدهما فقال اوجب احدهما بالاثم والكفارة وقال النبي
صلى الله عليه وسلم ينقص الرزق وقال صلى الله عليه وسلم ان التجار هم الفجار فقيل يا رسول الله اليس الله قد احل البيع قال نعم ولكنهم
يحلفون فيأثمون ويحدثون فيكذبون وقال صلى الله عليه وسلم ثلث نفر لا يكلمهم الله يوم القيمة ولا ينظر اليهم المنان بعطيته
والمنفق سلعته بالحلف الفاجر والمسبل ازاره وقال صلى الله عليه وسلم ما حلف حالف بالله فادخل فيه مثل جناح بعوضة الا
كانت نكتة في قلبه الى يوم القيمة وقال ابو ذر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثة يحبهم الله رجل كان في فئة فنصب
نحره حتى يقتل او يفتح الله عليه او على اصحابه ورجل كان له جار سوء يؤذيه فيصبر على اذاه حتى يفرق بينهما موت او ظعن ورجل
كان مع قوم في سفر او سرية فاطالوا السرى حتى اعجبهم ان يمسوا الارض فنزلوا فتنحى يصلي حتى يوقظ اصحابه للرحيل وثلثة
يشنأهم الله التاجر او البياع الحلاف والفقير المختال والبخيل المنان وقال صلى الله عليه وسلم ويل للذي يحدث فيكذب
ليضحك به القوم ويل له ويل له وقال صلى الله عليه وسلم رايت كان رجلا جاءني فقال لي قم فقمت معه فاذا انا برجلين احدهما
قائم والآخر جالس بيد القائم كلوب من حديد يلقمه في شدق الجالس فيجذبه حتى يبلغ كاهله ثم يجذبه فيلقمه الجانب الآخر
فيمده فاذا مده رجع الآخر كما كان فقلت للذي اقامني ما هذا قال رجل كذاب يعذب في قبره الى يوم القيمة وعن عبد الله بن
جراد انه سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله هل يزني المؤمن فقال قد يكون ذلك قال يا نبي الله هل يكذب المؤمن فقال
لا ثم اتبعها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذه الكلمة انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بالله وقال ابو سعيد سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يدعو ويقول اللهم طهر قلبي من النفاق وفرجي من الزنا ولساني من الكذب وقال صلى الله عليه وسلم
ثلثة لا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم شيخ زان وملك كذاب وعائل مستكبر وقال عبد الله بن عامر
جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيتنا وانا صبي صغير فذهبت لالعب فقالت امي يا عبد الله تعال حتى اعطيك فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم وما اردت ان تعطيه فقالت تمرا فقال اما انك لو لم تفعلي لكتبت عليك كذبة وقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لو افاء الله تعالى علي نعما عدد هذه الحصى لقسمتها بينكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذابا ولا جبانا و
قال صلى الله عليه وسلم وكان متكئا الا انبئكم باكبر الكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين ثم قعد فقال الا وقول الزور
وقال ابن عمر قال النبي صلى الله عليه وسلم ان العبد ليكذب الكذبة فيتباعد الملك عنه مسيرة ميل من نتن ما جاء به وقال انس
قال النبي صلى الله عليه وسلم تقبلوا لي بست اتقبل لكم بالجنة قالوا وما هي قال اذا حدث احدكم فلا يكذب واذا وعد فلا يخلف
واذا ائتمن فلا يخن وغضوا ابصاركم وكفوا ايديكم واحفظوا فروجكم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للشيطان
كحلا ولعوقا ونشوقا فاما لعوقه فالكذب واما نشوقه فالغضب واما كحله فالنوم وخطب عمر بن الخطاب يوما بالجابية
فقال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم كمقامي فيكم فقال احسنوا الى اصحابي ثم الذين يلونهم ثم يفشو الكذب حتى
يحلف الرجل على اليمين ولم يستحلف ويشهد ولم يستشهد وقال صلى الله عليه وسلم من حدث بحديث وهو يرى انه كذب فهو

احد الكاذبين وقال من حدث عني حديثا يرى انه كذب فهو احد الكاذبين وقال صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين باثم ليقتطع بها
مال امرئ مسلم بغير حق لقي الله يوم القيمة وهو عليه غضبان وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم رد شهادة رجل في كذبة
كذبها وقال صلى الله عليه وسلم على كل خصلة يطبع او يطوى عليها المؤمن الا الخيانة والكذب وقالت عايشة ما كان من خلق اشد
على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلع على رجل من اصحابه على الكذب
فما ينحل من صدره حتى يعلم انه قد احدث لله عز وجل منها توبة وقال موسى صلى الله عليه وسلم يا رب اي عبادك خير عملا قال من لا يكذب
لسانه ولا يفجر قلبه ولا يزني فرجه وقال لقمن يا بني اياك والكذب فانه شهي كلحم العصفور عما قليل يقلاه صاحبه وقال صلى
الله عليه وسلم في مدح الصدق اربع اذا كن فيك فلا يضرك ما فاتك من الدنيا صدق حديث وحفظ امانة وحسن خليقة
وعفة طعمة وقال ابو بكر رضي الله عنه في خطبته بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم قام فينا رسول الله صلى الله عليه
وسلم مقامي هذا عام اول ثم بكا فقال عليه الصلوة والسلام عليكم بالصدق فانه مع البر وهما في الجنة وقال معاذ قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اوصيك بتقوى الله وصدق الحديث والوفا بالعهد وبذل السلام وخفض الجناح واما الاثار فقال
علي رضي الله عنه اعظم الخطايا عند الله عز وجل اللسان الكذوب وشر الندامة ندامة يوم القيمة وقال عمر بن عبد العزيز ما كذبت
كذبة منذ شددت على ازاري وقال عمر رضي الله عنه احبكم الينا ما لم نركم احسنكم اسما فاذا رايناكم فاحبكم الينا احسنكم
خلقا فاذا اختبرناكم فاحبكم الينا اصدقكم حديثا واعظمكم امانة وعن ميمون بن ابي شبيب قال قعدت اكتب فمررت
بحرف ان انا كتبته زينت الكتاب وكنت قد كذبت فعزمت على تركه فناداني مناد من جانب البيت يثبت الله الذين امنوا بالقول
الثابت في الحيوة الدنيا وفي الاخرة وقال الشعبي ما ادري ايهما ابعد غورا في النار الكذب او البخل وقال ابن السماك ما اراني
اوجر على ترك الكذب لاني انما ادعه انفة وقيل لخالد بن صبيح من يكذب كذبة واحدة هل يسمى فاسقا قال نعم وقال مالك
ابن دينار قرات في بعض الكتب ما من خطيب الا عرضت خطبته على عمله فان كان صادقا صدق وان كان كاذبا قرضت شفتاه
بمقاريض من نار كلما قرضتا نبتتا وقال مالك بن دينار الصدق والكذب يعتركان في القلب حتى يخرج احدهما صاحبه وكلم
عمر بن عبد العزيز الوليد في شي فقال له كذبت فقال عمر ما كذبت منذ علمت ان الكذب يشين صاحبه بيان
ما رخص فيه من الكذب اعلم ان الكذب ليس حراما لعينه بل لما فيه من الضرر على المخاطب او على غيره فان اقل درجاته ان يعتقد المخبر
الشي على خلاف ما هو عليه فيكون جاهلا وقد يتعلق به ضرر غيره ورب جهل فيه منفعة ومصلحة فالكذب محصل لذلك الجهل فيكون
ماذونا فيه وربما كان واجبا قال ميمون بن مهران الكذب في بعض المواطن خير من الصدق ارايت لو ان رجلا سعى
واحد وراه بالسيف فدخل دارا فانتهى اليك فقال ارايت فلانا ما كنت قايلا الست تقول لم اره وما تصدق بهذا الكذب
واجب فنقول الكلام وسيلة الى المقاصد فكل مقصود محمود يمكن التوصل اليه بالصدق والكذب جميعا فالكذب فيه حرام
وان امكن التوصل بالكذب دون الصدق فالكذب فيه مباح ان كان تحصيل ذلك مباحا وواجب ان كان المقصود واجبا
كما ان عصمة دم المسلم واجب كان المقصود واجبا فمهما كان في الصدق سفك دم مسلم قد اختفى من ظالم فالكذب فيه
واجب ومهما كان لا يتم مقصود الحرب او اصلاح ذات البين او استمالة قلب المجني عليه الا بكذب فالكذب مباح الا انه
ينبغي ان يحترز عنه ما امكن لانه اذا فتح باب الكذب فيخشى ان يتداعى الى ما يستغنى عنه والى ما لا يقتصر على حد الضرورة
فكان الكذب حراما في الاصل الا لضرورة والذي يدل على الاستثنا ما روي عن ام كلثوم قالت ما سمعت رسول الله صلى الله

عليه وسلم يرخص في شي من الكذب الا في ثلث الرجل يقول القول يريد الاصلاح والرجل يقول القول في الحرب والرجل
يحدث امراته والمراة تحدث زوجها وقالت ايضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بكذاب من اصلح بين اثنين فقال خيرا
او نمى خيرا وقالت اسماء بنت يزيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل الكذب يكتب على ابن آدم الا رجل كذب بين رجلين
يصلح بينهما وروي عن ابي كاهل قال وقع بين رجلين من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلام حتى تصارما فلقيت احدهما
فقلت ما لك ولفلان فقد سمعته يحسن عليك الثنا ولقيت الاخر فقلت له مثل ذلك حتى اصطلحا ثم قلت اهلكت
نفسي واصلحت بين هذين فاخبرت النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا ابا كاهل اصلح بين الناس ولو يعني بالكذب وقال عطا
بن يسار قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم اكذب اهلي قال لا خير في الكذب قال اعدها واقول لها قال لا جناح عليك
ويروى ان ابن ابي عذرة الدولي وكان في خلافة عمر يخلع النسا التي يتزوج فطار له من ذلك في الناس احدوثة يكرهها
فلما علم بذلك اخذ بيد عبد الله بن ارقم حتى ادخله بيته فقال لامراته انشدك الله هل تبغضيني قالت لا تنشدني قال
انشدك بالله قالت نعم فقال لابن الارقم اتسمع ثم انطلقنا الى عمر فقال انكم لتحدثون اني اظلم الناس واخلعهن
فسل ابن ارقم فساله فاخبره فارسل الى امراة ابن ابي عذرة فجات هي وعمتها فقال انت التي تحدثين لزوجك انك
تبغضينه فقالت اني لاول من تاب وراجع امر الله انه ناشدني فتحرجت ان اكذب افاكذب يا امير المومنين قال نعم
فاكذبي فان كانت احداكن لا تحب احدنا فلا تحدثه بذلك فان اقل البيوت الذي يبنى على الحب ولكن الناس
يتعاشرون بالاسلام والاحساب وعن النواس بن سمعان الكلابي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما لي اراكم تتهافتون في الكذب تهافت الفراش في النار كل الكذب مكتوب على ابن آدم الا ان يكون الرجل في الحرب فان الحرب
خدعة او يكون بين رجلين شحنا فيصلح بينهما او يحدث امراته يرضيها وقال ثوبان الكذب كله اثم الا ما نفع به مسلم او
دفع عنه وقال علي رضي الله عنه اذا حدثتكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلان اخر من السما احب الي من
ان اكذب عليه واذا حدثتكم فيما بيني وبينكم فالحرب خدعة فهذه الثلث ورد فيها صريح الاستثنا وفي معناها ما عداها
اذا ارتبط به مقصود صحيح له او لغيره اما ماله فمثل ان ياخذه ظالم ويساله عن ماله فله ان ينكر او ياخذه السلطان
فيساله عن فاحشة بينه وبين الله ارتكبها فله ان ينكر فيقول ما زنيت ولا شربت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
ارتكب شيئا من هذه القاذورات فليستتر بستر الله وذلك لان اظهار الفاحشة فاحشة اخرى فللرجل ان يحفظ دمه
وماله الذي يوخذ ظلما وعرضه بلسانه وان كان كاذبا واما عرض غيره فبان يسال عن سر اخيه فله ان ينكره وان يصلح
بين اثنين وان يصلح بين الضرات من نسائه بان يظهر لكل واحدة انها احب اليه وان كانت امراته لا تطيعه الا بوعد لا
يقدر عليه فيعدها في الحال تطييبا لقلبها او يعتذر الى انسان وكان لا يطيب قلبه الا بانكار ذنب وزيادة تودد فلا
باس به ولكن الحد فيه ان الكذب محذور ولو صدق في هذه المواضع تولد منه محذور فينبغي ان يقابل احدهما بالاخر ويزنه
بالميزان القسط فاذا علم ان المحذور الذي يحصل بالصدق اشد وقعا من الكذب فله الكذب وان كان ذلك المقصود
اهون من مقصود الصدق فيجب الصدق وقد يتقابل الامران بحيث يتردد فيه وعند ذلك الميل الى الصدق اولى
لان الكذب يباح بضرورة او حاجة مهمة فاذا شك في كون الحاجة مهمة فالاصل التحريم فيرجع اليه ولاجل غموض
ادراك مراتب المقاصد ينبغي ان يحذر الانسان من الكذب ما امكنه وكذلك مهما كانت الحاجة له فيستحب له ان يترك اغراضه

ويتجر الكذب فاما اذا تعلق بغرض صحيح فلا يجوز المسامحة بحق الغير والاضرار به واكثر كذب الناس انما هي لحظوظ انفسهم ثم هي لزيادة
المال والجاه ولامور ليس فواتها محذورا حتى ان المراة لتحكي عن زوجها ما تفاخر به وتكذب لاجل مراغمة الضرات وذلك حرام
قالت اسماء سمعت امراة سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت ان لي ضرة واني اتكثر من زوجي بما لا يفعل اضارها بذلك
فهل علي فيه شي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور يوم القيمة وقال النبي صلى الله عليه وسلم
من تطعم بما لم يطعم وقال لي وليس له واعطيت ولم يعط كان كلابس ثوبي زور يوم القيمة ويدخل في هذا فتوى العالم
بما لم يتحققه وروايته الحديث الذي ليس يثبت فيه اذ غرضه ان يظهر فضل نفسه فهو لذلك يستنكف من ان يقول لا ادري
وهذا حرام ومما يلتحق بالنسا الصبيان فان الصبي اذا كان لا يرغب في المكتب الا بوعد او وعيد وتخويف كاذب كان ذلك
مباحا نعم روينا في الاخبار ان ذلك يكتب كذبة ولكن الكذب المباح ايضا يكتب ويحاسب عليه ويطالب بتصحيح قصده فيه ثم
يعفى عنه لانه انما قصد به الاصلاح ويتطرق اليه غرور كبير فانه قد يكون الباعث له حظه وغرضه الذي هو مستغن عنه وانما يتعلل
ظاهرا بالاصلاح فهذا يكتب وكل من اتى بكذبة فقد وقع في خطر الاجتهاد ليعلم ان المقصود الذي كذب له هل هو اهم في الشرع
من الصدق ام لا وذلك غامض جدا فالحزم في تركه الا ان يصير واجبا بحيث لا يجوز تركه كما يؤدي الى سفك دم او ارتكاب معصية كيف
كان وقد ظن ظانون انه يجوز وضع الاخبار في فضائل الاعمال وفي التشديد في المعاصي وزعموا ان القصد منه صحيح وهو خطا محض
اذ قال صلى الله عليه وسلم من كذب علي متعمدا فليتبوا مقعده من النار وهذا لا يرتكب الا لضرورة ولا ضرورة اذ في الصدق مندوحة
عن الكذب ففيما ورد من الايات والاخبار كفاية عن غيرها وقول القائل ان ذلك قد تكرر على الاسماع وسقط وقعه وما هو جديد فوقعه
اعظم فهو هوس اذ ليس هذا من الاغراض التي تقاوم محذور الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى الله تعالى ويؤدي فتح بابه الى
امور تشوش الشريعة فلا يقاوم خير هذا شره اصلا فالكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر التي لا يقاومها شي

بيان الحذر من الكذب بالمعاريض

وقد نقل عن السلف ان في المعاريض مندوحة عن الكذب قال عمر رضي الله عنه اما في المعاريض ما
يكفي الرجل من الكذب وروي ذلك عن ابن عباس وغيره وانما ارادوا بذلك اذا اضطر الانسان الى الكذب فاما اذا لم تكن حاجة
وضرورة فلا يجوز التعريض والتصريح جميعا ولكن التعريض اهون ومثال المعاريض ما روي ان مطرفا دخل على زياد فاستبطاه
فتعلل بمرض وقال ما رفعت جنبي منذ فارقت الامير الا ما رفعني الله وقال ابرهيم اذا بلغ الرجل عنك شي فكرهت ان تكذب
فقل ان الله يعلم ما قلت من ذلك من شي فيكون قوله ما حرف النفي عند المستمع وعنده للابهام وكان معاذ عاملا لعمر فلما
رجع قالت امراته ما جئت به مما ياتي به العمال من عراضة اهليهم وما كان قد جاء به فقال كان معي ضاغط قالت كنت امينا
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر فبعث عمر معك ضاغطا فقامت بذلك في نسائه واشتكت عمر فلما سمع
عمر دعا معاذا وقال بعثت معك ضاغطا قال لم اجد ما اعتذر به اليها الا ذلك فضحك عمر واعطاه شيا فقال
ارضها به وقوله ضاغطا يعني ربه تعالى وكان النخعي لا يقول لابنته اشتري لك سكرا بل يقول ارايت لو اشتريت لك
سكرا فانه ربما لا يتفق وكان ابرهيم اذا طلبه في الدار من يكرهه قال للجارية قولي اطلبه في المسجد وكان لا يقول ليس ههنا
كيلا يكون كاذبا وكان الشعبي اذا طلب في البيت وهو يكرهه يخط دائرة ويقول للجارية ضعي الاصبع فيها وقولي ليس
ههنا وهذا كله في موضع الحاجة فاما في غير موضع الحاجة فلا لان هذا تفهيم الكذب وان لم يكن اللفظ كذبا فهو مكروه
على الجملة كما روي عن عبد الله بن عتبة قال دخلت مع ابي على عمر بن عبد العزيز فخرجت وعلي ثوب فجعل الناس يقولون هذا

كساكه امير المؤمنين فكنت اقول جزى الله امير المؤمنين خيرا فقال لي ابي يا بني اتق الكذب اياك والكذب وما اشبهه
فنهاه عن ذلك لان فيه تقريرا لهم على ظن كاذب لاجل غرض المفاخرة وهذا غرض باطل لا فائدة فيه نعم المعاريض تباح
لغرض خفيف كتطييب قلب الغير بالمزاح كقوله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة عجوز وفي عين زوجك بياض ونحملك على ولد
البعير واما الكذب الصريح كما فعله نعيمان الانصاري مع عثمان في قصة الضرير اذ قال له انه نعيمان وكما يعتاده الناس
من ملاعبة الحمقى بتغريرهم بان امراة قد رغبت في تزويجك فان كان فيه ضرر يؤدي الى ايذا قلب فهو حرام وان لم يكن الا
مطايبة فلا يوصف صاحبها بالفسق ولكنه ينقص ذلك من درجة ايمانه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يستكمل المرء الايمان حتى
يحب لاخيه ما يحب لنفسه وحتى يجتنب الكذب في مزاحه واما قوله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليتكلم بالكلمة ليضحك بها الناس
يهوي بها ابعد من الثريا اراد به ما فيه غيبة مسلم او ايذا قلب دون محض المزاح ومن الكذب الذي لا يوجب الفسق ما جرت
العادة به في المبالغة كقوله قلت لك كذا مائة مرة وطلبتك مائة مرة فانه لا يراد به تفهيم المرات بعددها بل تفهيم المبالغة
فان لم يكن طلبه الا مرة واحدة كان كاذبا وان طلبه مرات لا يعتاد مثلها في الكثرة فلا ياثم وان لم تبلغ مائة وبينهما درجات
يتعرض مطلق اللسان بالمبالغة فيه لخطر الكذب ومما يعتاد الكذب فيه ويتساهل به ان يقال للرجل كل الطعام فيقول لا اشتهيه
وذلك منهي عنه وهو حرام ان لم يكن فيه غرض صحيح قال مجاهد قالت اسماء بنت عميس كنت صاحبة عائشة رضي الله عنها
في الليلة التي هياتها وادخلتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعي نسوة قالت فوالله ما وجدنا عنده قرى الا
قدحا من لبن فشرب ثم ناوله عائشة رضي الله عنها قالت فاستحيت الجارية فقلت لا تردي يد رسول الله صلى الله
عليه وسلم خذي منه قالت فاخذته على حيا فشربت ثم قال ناولي صواحبك فقلن لا نشتهيه فقال لا تجمعن جوعا وكذبا قالت
فقلت يا رسول الله ان قالت احدانا لشي تشتهيه لا اشتهيه ايعد ذلك كذبا قال ان الكذب ليكتب حتى تكتب الكذيبة كذيبة
فقد كان اهل الورع يحترزون عن التسامح بمثل هذا الكذب قال الليث بن سعد كانت ترمص عينا سعيد بن المسيب حتى
يبلغ الرمص خارج عينيه فيقال له لو مسحت هذا الرمص خارج عينيك فاين قول الطبيب وهو يقول لي لا تمس عينيك فاقول
لا افعل وهذه مراقبة اهل الورع ومن تركه انسل لسانه في الكذب عن اختياره فيكذب ولا يشعر وعن خوات التيمي قال جاءت
اخت الربيع بن خثيم عائدة لبني له فانكبت عليه فقالت كيف انت يا بني فجلس ربيع فقال ارضعتيه قالت لا قال ما عليك
لو قلت يا ابن اخي فصدقت ومن العادة ان يقول الرجل يعلم الله فيما لا يعلمه قال عيسى صلوات الله عليه ان من اعظم الذنوب عند الله
ان يقول العبد ان الله يعلم لما لا يعلم وربما يكذب في حكاية المنام والاثم فيه عظيم اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان من اعظم الفرى ان يدعى الرجل الى غير ابيه او يري عينيه في المنام ما لم تر او يقول علي ما لم اقل وقال عليه الصلوة والسلام
من كذب في حلمه كلف يوم القيمة ان يعقد شعيرة

الآفة الخامسة عشرة الغيبة

والنظر فيها طويل فلنذكر اولا مذمة الغيبة
وما ورد فيها من شواهد الشرع وقد نص الله سبحانه على ذمها في كتابه وشبه صاحبها باكل لحم الميتة فقال ولا يغتب بعضكم
بعضا ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه وقال صلى الله عليه وسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه
والغيبة تتناول العرض وقد جمع الله سبحانه بينه وبين الدم والمال وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحاسدوا
ولا تباغضوا ولا يغتب بعضكم بعضا وكونوا عباد الله اخوانا وعن جابر وابي سعيد قالا قال النبي صلى الله عليه وسلم اياكم
والغيبة فان الغيبة اشد من الزنا ان الرجل قد يزني فيتوب فيتوب الله عليه وان صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له

صاحبه قال انس رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مررت ليلة اسري بي على قوم يخمشون وجوههم باظافيرهم فقلت
يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء الذين يغتابون الناس ويقعون في اعراضهم وقال سليمان بن جابر اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقلت علمني خيرا ينفعني الله به قال لا تحقرن من المعروف شيئا ولو ان تصب من دلوك في اناء المستقي وان تلقى اخاك ببشر حسن
واذا ادبر فلا تغتبه وقال البراء خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اسمع العواتق في بيوتها فقال يا معشر من آمن
بلسانه ولم يؤمن بقلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فان من يتبع عورة اخيه يتبع الله عورته ومن يتبع الله
عورته يفضحه في جوف بيته واوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام من مات تائبا من الغيبة فهو آخر من يدخل الجنة ومن مات
مصرا عليها فهو اول من يدخل النار وقال انس امر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بصوم يوم وقال لا يفطرن احد حتى آذن
له فصام الناس حتى اذا امسوا جعل الرجل يجيء فيقول يا رسول الله ظللت صائما فأذن لي لافطر فيأذن له والرجل والرجل
حتى جاء رجل وقال يا رسول الله فتاتان من اهلك ظلتا صائمتين وانهما تستحييان ان تأتياك فأذن لهما فلتفطرا فاعرض عنه
ثم عاوده فاعرض عنه ثم عاوده فقال انهما لم تصوما وكيف صام من ظل هذا اليوم يأكل لحوم الناس اذهب فمرهما ان كانتا صائمتين
ان تستقيئا فرجع اليهما فاخبرهما فاستقاءتا فقاءت كل واحدة منهما علقة من دم فرجع الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال
والذي نفس محمد بيده لو بقيتا في بطونهما لاكلتهما النار وفي رواية لما اعرض عنه جاءه بعد ذلك فقال يا رسول الله انهما
والله لقد ماتتا او كادتا ان تموتا فقال النبي صلى الله عليه وسلم ائتوني بهما فجاءتا فدعا بعس او قدح فقال لاحداهما قيئي
فقاءت من قيح ودم وصديد حتى ملأت القدح وقال للاخرى قيئي فقاءت كذلك فقال ان هاتين صامتا عما احل الله لهما
وافطرتا على ما حرم الله عليهما جلست احداهما الى الاخرى فجعلتا تأكلان لحوم الناس وقال انس خطبنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فذكر الربوا وعظم شأنه فقال ان الدرهم يصيبه الرجل من الربوا اعظم عند الله في الخطيئة من ست وثلثين
زنية يزنيها الرجل واربى الربوا عرض الرجل المسلم وقال جابر كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسير فاتى على قبرين
يعذب صاحباهما فقال اما انهما لا يعذبان في كبيرة اما احدهما فكان يغتاب الناس واما الآخر فكان لا يستنزه من بوله ودعا
بجريدة رطبة او جريدتين فكسرهما ثم امر بكل كسرة منهما فغرست على قبر فقال صلى الله عليه وسلم اما انه سيهون من عذابهما
ما كانتا رطبتين او ما لم ييبسا ولما رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل في الزنا قال رجل لصاحبه هذا اقعص
كما يقعص الكلب فمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهما معه بجيفة فقال انهشا منها فقالا يا رسول الله ننهش جيفة
فقال ما اصبتما من اخيكما انتن من هذه وكان الصحابة يتلاقون بالبشر ولا يغتابون عند الغيبة ويرون ذلك افضل الاعمال
ويرون خلافه عادة المنافقين وقال ابو هريرة من اكل لحم اخيه في الدنيا قرب اليه لحمه في الآخرة فقيل له كله ميتا كما
اكلته حيا فيأكله ويضج ويكلح وروي مرفوعا كذلك وروي ان رجلين كانا قاعدين عند باب من ابواب المسجد فمر بهما
رجل كان مخنثا وترك ذلك فقالا لقد بقي فيه منه شيء فاقيمت الصلوة فدخلا فصليا مع الناس فجال في انفسهما ما قالا فاتيا
عطاء فسألاه فامرهما ان يعيدا الوضوء والصلوة وان كانا صائمين امرهما ان يقضيا صيام ذلك اليوم وعن مجاهد قال
ويل لكل همزة لمزة الهمزة الطعان في الناس واللمزة الذي يأكل لحوم الناس وقال قتادة ذكر لنا ان عذاب القبر ثلاثة اثلاث
ثلث من الغيبة وثلث من البول وثلث من النميمة وقال الحسن والله للغيبة في دين المؤمن اسرع من الاكلة في جسده وقال
بعضهم ادركنا السلف وهم لا يرون العبادة في الصوم ولا في الصلوة ولكن في الكف عن اعراض الناس وقال ابن عباس اذا

اذا اردت ان تذكر عيوب صاحبك فاذكر عيوبك وقال ابو هريرة يبصر احدكم القذى في عين اخيه ولا يبصر الجذع
في عين نفسه وكان الحسن يقول ابن آدم انك لن تصيب حقيقة الايمان حتى لا تعيب الناس بعيب هو فيك وحتى تبدأ باصلاح
ذلك العيب فتصلحه من نفسك فاذا فعلت ذلك كان شغلك في خاصة نفسك واحب العباد الى الله من كان هكذا وقال
مالك بن دينار مر عيسى بن مريم عليهما السلام والحواريون على جيفة كلب فقال الحواريون ما انتن ريح هذا الكلب
فقال عيسى ما اشد بياض اسنانه كانه نهاهم عن غيبة الكلب ونبههم على انه لا يذكر شيء من خلق الله الا احسنه وسمع
علي بن حسين رجلا يغتاب آخر فقال اياك والغيبة فانها ادام كلاب النار وقال عمر رضي الله عنه عليكم بذكر الله فانه
شفاء واياكم وذكر الناس فانه داء. بيان معنى الغيبة وحدها اعلم ان حد الغيبة ان تذكر اخاك بما يكرهه لو بلغه
سواء ذكرت نقصانا في بدنه او في نسبه او في خلقه او في فعله او في قوله او في دينه او في دنياه وحتى في ثوبه وداره
ودابته اما البدن فكذكرك العمش والحول والقرع والقصر والطول والسواد والصفرة وجميع ما يتصور ان يوصف به
مما يكرهه واما النسب فان تقول ابوه نبطي او هندي او فاسق او خسيس او اسكاف او زبال او شيء مما يكرهه كيف كان
واما الخلق فان يقول انه سيء الخلق بخيل متكبر مراء شديد الغضب جبان عاجز ضعيف القلب متهور وما يجري مجراه
واما في افعاله المتعلقة بالدين فكقولك سارق وكذاب وشارب خمر وخائن وظالم ومتهاون بالصلوة والزكوة لا يحسن
الركوع والسجود ولا يحترز عن النجاسات وليس بارا بوالديه ولا يضع الزكوة مواضعها ولا يحسن قسمتها ولا يحرس صومه
من الرفث والغيبة والتعرض لاعراض الناس واما في فعله المتعلق بالدنيا فكقولك انه قليل الادب يتهاون بالناس
ولا يرى لاحد حقا على نفسه ويرى لنفسه حقا وانه كثير الكلام كثير الاكل وانه نؤوم وينام في غير وقته ويجلس في غير موضعه
واما في ثوبه فكقولك انه واسع الكم طويل الذيل وسخ الثياب وقد قال قوم لا غيبة في الدين لانه ذم ما ذمه الله سبحانه
فذكره بالمعاصي وذمه بها يجوز بدليل ما روي انه ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة وكثرة صومها وصلوتها ولكنها
تؤذي جيرانها فقال هي في النار وذكر عنده امرأة اخرى بانها بخيلة فقال فما خيرها اذن وهذا فاسد لانهم كانوا يذكرون
ذلك لحاجتهم الى تعرف الاحكام بالسؤال ولم يكن غرضهم التنقص ولا يحتاج اليه في غير مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم و
الدليل عليه اجماع الامة ان من ذكر غيره بما يكرهه فهو مغتاب لانه داخل فيما ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم في حد
الغيبة فكل هذا وان كنت صادقا فيه فانت مغتاب عاص لربك وآكل لحم اخيك بدليل ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال هل تدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله اعلم قال ذكرك اخاك بما يكره قيل أرأيت ان كان في اخي ما اقول قال ان كان
فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته وقال معاذ بن جبل ذكر رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما اعجزه
فقال صلى الله عليه وسلم اغتبتم صاحبكم قالوا يا رسول الله قلنا ما فيه قال ان قلتم ما ليس فيه فقد بهتموه وعن حذيفة
عن عائشة انها ذكرت امرأة فقالت انها قصيرة فقال صلى الله عليه وسلم اغتبتيها وقال الحسن ذكر الغير ثلاثة الغيبة
والبهتان والافك وكل في كتاب الله فالغيبة ان تقول ما فيه وذكر ابن سيرين رجلا فقال ذلك الرجل الاسود ثم قال
استغفر الله اني اراني قد اغتبته وذكر ابن سيرين ابرهيم النخعي ولم يقل الاعور وقالت عائشة لا يغتابن منكم احد احدا
فاني قلت لامرأة مرة وانا عند النبي صلى الله عليه وسلم ان هذه لطويلة الذيل فقال الفظي الفظي فلفظت بضعة من لحم
بيان ان الغيبة لا تقتصر على اللسان اعلم ان الذكر باللسان انما حرم لان فيه تفهيم الغير نقصان اخيك

وتعريفه بما يكرهه فالتعريض فيه كالتصريح والفعل فيه كالقول والاشارة والايماء والغمز والهمز والكتابة والحركة وكل ما يفهم المقصود فهو داخل في الغيبة وهو حرام ومن ذلك قول عائشة دخلت علينا امراة فلما ولت اومأت بيدي اي قصيرة فقال عليه الصلوة والسلام قد اغتبتها ومن ذلك المحاكاة بان يمشي متعارجا وكما يمشي فهو غيبة بل هو اشد من الغيبة لانه اعظم في التصوير والتفهيم ولما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة حكت امراة فقال صلى الله عليه وسلم ما يسرني اني حاكيت ولي كذا وكذا وكذلك الغيبة بالكتابة فان القلم احد اللسانين وذكر المصنف شخصا معينا وتهجين كلامه في الكتاب غيبة الا ان يقترن به شيء من الاعذار المحوجة الى ذكره كما سياتي واما قوله قال قوم كذا فليس ذلك بغيبة انما الغيبة التعرض لشخص معين اما حي واما ميت ومن الغيبة ان تقول بعض من مر بنا اليوم او بعض من رايناه اذا كان المخاطب يفهم منه شخصا معينا لان المحذور تفهيمه دون ما به التفهيم فاما اذا لم يفهم عينه جاز كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كره من انسان شيئا قال ما بال اقوام يفعلون كذا وكذا وكان لا يعين فقولك بعض من قدم من السفر وبعض من يدعي العلم اذا كان معه قرينة تفهم عين الشخص فهو غيبة واخبث انواع الغيبة غيبة القراء المرائين فانهم يفهمون المقصود على صفة اهل الصلاح ليظهروا من انفسهم التعفف عن الغيبة ويفهمون المقصود ولا يدرون بجهلهم انهم جمعوا بين فاحشتين الرياء والغيبة وذلك مثل ان يذكر عنده انسان فيقول الحمد لله الذي لم يبتلنا بالدخول على السلطان والتبذل في طلب الحطام او يقول نعوذ بالله من قلة الحياء نسال الله ان يعصمنا منه وانما قصده ان يفهم العيب فيذكره بصيغة الدعاء وكذلك قد يقدم مدح من يريد غيبته فيقول ما احسن احوال فلان ما كان يقصر في العبادات ولكن قد اعتراه فتور وابتلي بما نبتلي به كلنا وهو قلة الصبر فيذكر نفسه ومقصوده ان يذم غيره وان يمدح نفسه بالتشبه بالصالحين في ذم انفسهم فيكون مغتابا ومرائيا ومزكيا نفسه فيجمع بين ثلث فواحش وهو يظن بجهله انه من الصالحين المتعففين عن الغيبة وكذلك يلعب باهل الجهل اذا اشتغلوا بالعبادة من غير علم فانه يتبعهم ويحبط بمكايده عملهم ويضحك عليهم ويسخر منهم ومن ذلك ان يذكر عيب انسان فلا يتنبه له بعض الحاضرين فيقول سبحان الله ما اعجب هذا حتى يصغي الى المغتاب ويعلم ما يقوله فيذكر الله ويستعمل اسمه آلة له في تحقيق خبثه وهو يمن على الله بذكره جهلا منه وغرورا وكذلك يقول لقد ساءني ما جرى على صديقنا من الاستخفاف فنسال الله ان يروح سره ويكون كاذبا في دعوى الاغتمام وفي اظهار الدعاء لاخوانه في خلوة عقيب صلوته ولو كان يغتم به لاغتم ايضا باظهار ما يكرهه وكذلك يقول ذلك المسكين قد بلي بآفة عظيمة تاب الله علينا وعليه فهو في كل ذلك يظهر الدعاء والله مطلع على خبث ضميره وخفي قصده وهو لجهله لا يدري انه قد تعرض لمقت اعظم مما تعرض له الجهال اذا جاهروا ومن ذلك الاصغاء الى الغيبة على سبيل التعجب فانه انما يظهر التعجب ليزيد نشاط المغتاب في الغيبة منه بهذا الطريق فيقول عجبا ما علمت انه كذلك ما عرفته الى الآن الا بالخير وكنت احسب فيه غير هذا عافانا الله من بلائه فان كل ذلك تصديق للمغتاب والتصديق بالغيبة غيبة بل الساكت شريك المغتاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المستمع للغيبة احد المغتابين فقد روي عن ابي بكر وعمر ان احدهما قال لصاحبه فلان لنؤوم ثم طلبا ادما من رسول الله صلى الله عليه وسلم لياكلا مع الخبز فقال عليه الصلوة والسلام قد ائتدمتما فقالا ما نعلمه فقال بلى انما اكلتما من لحم صاحبكما فانظر كيف جمعهما وكان القائل احدهما والآخر مستمع وقال للرجلين اللذين قال احدهما اقعص الرجل كما يقعص الكلب انهشا من هذه الجيفة فجمع بينهما فالمستمع لا يخرج من اثم الغيبة الا بان ينكر

بلسانه وان خاف فبقلبه وان قدر على القيام او قطع الكلام بكلام آخر فلم يفعله اثم وان قال بلسانه اسكت وهو مشته لذلك بقلبه فذلك نفاق ولا يخرج عن الاثم ما لم يكرهه بقلبه ولا يكفي ان يشير باليد اي اسكت او يشير بحاجبه وجبينه فان ذلك استحقار للمذكور بل ينبغي ان يعظمه فيذب عنه صريحا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اذل عنده مؤمن وهو يقدر على ان ينصره ولم ينصره اذله الله يوم القيمة على رؤس الخلائق وقال ابو الدرداء قال النبي صلى الله عليه وسلم من رد عن عرض اخيه بالغيب كان حقا على الله ان يرد عن عرضه يوم القيامة وقال ايضا من ذب عن عرض اخيه بالغيب كان حقا على الله ان يعتقه من النار وقد ورد في نصرة المسلم في الغيبة وفضل ذلك اخبار كثيرة اوردناها في كتاب آداب الصحبة وحقوق المسلمين فلا نطول بالاعادة

بيان الاسباب الباعثة على الغيبة

اعلم ان البواعث على الغيبة كثيرة ولكن يجمعها احد عشر شيئا ثمانية تطرد في حق العامة وثلاثة تختص باهل الدين والخاصة اما الثمانية فالاول تشفي الغيظ وذلك اذا جرى سبب غضب عليه فانه اذا هاج غضبه تشفى بذكر مساويه وسبق اللسان اليه بالطبع ان لم يكن دين وازع وقد يمتنع تشفي الغيظ عند الغضب فيحتقن الغضب في الباطن ويصير حقدا ثابتا فيكون سببا دائما لذكر المساوي فالحقد والغضب من البواعث العظيمة على الغيبة الثاني موافقة الاقران ومجاملة الرفقاء ومساعدتهم على الكلام فانهم اذا كانوا يتفكهون بذكر الاعراض فيرى انه لو انكر عليهم او قطع المجلس استثقلوه ونفروا عنه فيساعدهم ويرى ذلك من حسن المعاشرة ويظن انه مجاملة في الصحبة وقد يغضب رفقاؤه فيحتاج الى ان يغضب لغضبهم اظهارا للمساهمة في السراء والضراء فيخوض معهم في ذكر العيوب والمساوي الثالث ان يستشعر من انسان انه سيقصده ويطول لسانه فيه او يقبح حاله عند محتشم او يشهد عليه بشهادة فيبادره قبل ان يقبح هو حاله ويطعن فيه ليسقط اثر شهادته او يبتدي بذكر ما فيه صادقا ليكذب بعده فيروج كذبه بالصدق الاول ويستشهد به ويقول ما من عادتي الكذب فاني اخبرتكم بكذا وكذا من احواله فكان كما قلت الرابع ان ينسب الى شيء فيتبرأ منه فيذكر الذي فعله ولا ينسب غيره اليه ويذكر غيره انه كان مشاركا له في الفعل ليمهد بذلك عذر نفسه في فعله الخامس ارادة التصنع والمباهاة وهو ان يرفع نفسه بتنقيص غيره فيقول فلان جاهل وفهمه ركيك وكلامه ضعيف وغرضه ان يثبت في ضمن ذلك نفسه ويريهم انه افضل منه او يحذر ان يعظم مثل تعظيمه فيقدح فيه لذلك السادس الحسد وهو انه ربما يحسد من يثني الناس عليه ويحبونه ويكرمونه فيريد زوال تلك النعمة عنه فلا يجد سبيلا اليه الا بالقدح فيه فيريد زوال تلك النعمة عنه ان يسقط ماء وجهه عند الناس حتى يكفوا عن كرامته والثناء عليه وهذا هو الحسد وهو غير الغضب والحقد فان ذلك يستدعي جناية من المغضوب عليه والحسد قد يكون مع الصديق المحسن والقريب الموافق السابع اللعب والهزل والمطايبة وتزجية الوقت بالضحك فيذكر غيره بما يضحك الناس على سبيل المحاكاة والتعجب والتعجيب الثامن السخرية والاستهزاء استحقارا له فان ذلك قد يجري في الحضور ويجري ايضا في الغيبة ومنشأه التكبر واستصغار المستهزأ به واما الاسباب الثلثة التي في الخاصة فهي اغمضها وادقها لانها شرور خبأها الشيطان في معرض الخيرات وفيها خير ولكن شاب الشيطان بها الشر الاول ان تنبعث من الدين داعية التعجب من انكار المنكر والخطاء في الدين فيقول ما اعجب ما رايت من فلان فانه قد يكون صادقا وتعجبه من المنكر ولكن كان حقه ان يتعجب ولا يذكر اسمه فيسهل الشيطان عليه ذكر اسمه في اظهار تعجبه فصار به مغتابا آثما من حيث لا يدري ومن ذلك قول الرجل تعجبت من فلان كيف يحب جاريته وهي قبيحة وكيف يجلس بين يدي فلان وهو جاهل الثاني الرحمة وهو ان يغتم بسبب ما يبتلى به فيقول مسكين فلان قد غمني امره وما ابتلي به فيكون صادقا في اغتمامه ويلهيه الغم

الحسد

عن الحذر عن ذكر اسمه ليسلم فيذكره فيصير به مغتابا فيكون غمه ورحمته خيرا وكذا تعجبه ولكنه ساقه الى شر من حيث
لا يدري والترحم والتغمم ممكن دون ذكر اسمه فيهيجه الشيطان على ذكر اسمه ليبطل به ثواب اغتمامه وترحمه الثالث
الغضب لله فانه قد يغضب على منكر قارفه انسان اذا رآه او سمعه فيظهر غضبه ويذكر اسمه وكان الواجب ان يظهر غضبه عليه
بالامر بالمعروف ولا يظهره على غيره ويستر اسمه ولا يذكره بالسوء فهذه الثلثة مما يغمض دركها على العلماء فضلا عن العوام
فانهم يظنون ان التعجب والغضب والترحم اذا كان لله كان عذرا في ذكر الاسم وهو خطأ بل المرخص في الغيبة حاجات مخصوصة
لا مندوحة فيها عن ذكر الاسم كما سيأتي وروي عن عامر بن واثلة ان رجلا مر على قوم في حيوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم عليهم
فردوا السلام فلما جاوزهم قال رجل منهم اني لابغض هذا لله فقال اهل المجلس والله لبئس ما قلت والله لننبئنه ثم قالوا يا فلان
لرجل منهم قم فادركه فاخبره بما قال فادركه رسولهم فاخبره فاتى الرجل رسول الله صلى الله عليه وسلم وحكى له ما قال وسأله
ان يدعوه فدعاه وسأله فقال قد قلت ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تبغضه فقال انا جاره وانا به خابر والله ما
رأيته يصلي صلوة قط الا هذه المكتوبة قال فسله يا رسول الله هل رآني اخرتها عن وقتها او اسأت الوضوء لها والركوع والسجود
فسأله فقال لا فقال والله ما رأيته يصوم شهرا قط الا هذا الشهر الذي يصومه البر والفاجر قال فسله يا رسول الله هل
رآني قط افطرت فيه او نقصت في حقه شيئا فسأله فقال لا قال والله ما رأيته يعطي سائلا او مسكينا وما رأيته ينفق من ماله
شيئا في سبيل الخير الا هذه الزكوة التي يؤديها البر والفاجر قال فسله هل رآني نقصت منها او ماكست فيها طالبها الذي
يسألها فسأله فقال لا فقال صلى الله عليه وسلم قم لعله خير منك

بيان العلاج الذي به يمنع اللسان عن الغيبة

اعلم ان مساوي الاخلاق كلها انما يعالج بمعجون العلم والعمل وانما علاج كل علة بمضادة سببها فلنفحص عن سببها وعلاج
كف اللسان عن الغيبة على وجهين احدهما على الجملة والآخر على التفصيل اما على الجملة فهو ان يعلم تعرضه لسخط الله بغيبته
بهذه الاخبار التي رويناها وان يعلم انها تحبط حسناته فانه تنقل في القيامة حسناته الى من اغتابه بدلا عما استباحه من عرضه
فان لم يكن له حسنات نقل اليه سيئاته وهو مع ذلك متعرض لمقت الله ومشبه عنده باكل الميتة بل العبد يدخل النار بان يترجح
كفة سيئاته على كفة حسناته وربما ينقل اليه سيئة واحدة ممن اغتابه فيحصل به الرجحان فيحصل به النار وانما اقل الدرجات
ان ينقص من ثواب عمله وذلك بعد المخاصمة والمطالبة والسؤال والجواب والحساب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما النار في اليبس باسرع من الغيبة في حسنات العبد وروي ان رجلا قال للحسن بلغني انك تغتابني فقال ما بلغ من قدرك
عندي ان احكمك في حسناتي فمهما امن العبد بما ورد من الاخبار لم يطلق لسانه بالغيبة خوفا من ذلك وينفعه ايضا ان يتدبر
في نفسه فان وجد فيها عيبا اشتغل بعيب نفسه وذكر قوله صلى الله عليه وسلم طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس
ومهما وجد عيبا فينبغي ان يستحي من ان يترك نفسه ويذم غيره بل ينبغي ان يعلم ان عجز غيره عن نفسه في التنزه عن ذلك العيب
كعجزه ان كان ذلك عيبا يتعلق بفعله واختياره وان كان امرا خلقيا فالذم له ذم للخالق فان من ذم صنعة فقد ذم الصانع
وقال رجل لبعض الحكماء يا قبيح الوجه فقال ما كان خلق وجهي الي فاحسنه وان لم يجد العبد عيبا في نفسه فليشكر الله ولا يلوثن
نفسه باعظم العيوب فان ثلب الناس واكل لحم الميتة من اعظم العيوب بل لو انصف لعلم ان ظنه بنفسه انه بريء من كل عيب
جهل بنفسه وهو من اعظم العيوب وينفعه ان يعلم ان تألم غيره بغيبته كتألمه بغيبة غيره له فاذا كان لا يرضى لنفسه ان يغتاب
لغيره ما لا يرضاه لنفسه فهذه معالجات جملية واما التفصيل فهو ان ينظر في السبب الباعث له على الغيبة فان علاج العلة

بقطع سببها وقد قدمنا الاسباب اما الغضب فيعالجه بما سيأتي في كتاب آفة الغضب وهو ان يقول اني امضيت غضبي
عليه لعل الله يمضي غضبه علي بسبب الغيبة اذ نهاني عنه فاستجرأت على نهيه واستخففت بزجره وقد قال صلى الله عليه وسلم
ان لجهنم لا يدخله الا من شفى غضبه بمعصية الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم من اتقى ربه كل لسانه ولم يشف غيظه وقال
صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو يقدر على ان يمضيه دعاه الله يوم القيامة على رؤس الخلائق حتى يخيره في اي الحور شاء وفي
بعض كتب الله يا ابن آدم اذكرني حين تغضب اذكرك حين اغضب فلا امحقك فيمن امحق واما الموافقة فبان تعلم ان الله يغضب عليك
اذا طلبت سخطه في رضا المخلوقين فكيف ترضى لنفسك ان توقر غيرك وتحقر مولاك فتترك رضاه لرضاهم الا ان يكون غضبك
لله وذلك لا يوجب ان تذكر المغضوب عليه بسوء بل ينبغي ان تغضب لله ايضا على رفقائك اذا ذكروه بالسوء فانهم عصوا ربك
بافحش الذنوب وهو الغيبة واما تنزيه النفس بنسبة الخيانة الى الغير حيث يستغنى عن ذكر الغير فيعالجه بان يعرف ان التعرض
لمقت الله اشد من التعرض لمقت الخلق وانت بالغيبة متعرض لسخط الله تعالى يقينا ولا تدري انك تتخلص من سخط الناس
ام لا فتخلص نفسك في الدنيا بالتوهم وتهلك في الآخرة اذ تخسر حسناتك بالحقيقة ويحصل ذم الله لك نقدا وتنتظر
دفع ذم الخلق نسيئة وهذا غاية الجهل والخذلان واما عذرك بقولك اني ان اكلت الحرام ففلان ياكل وان قبلت مال السلطان
ففلان يقبل فهذا جهل لانك تعتذر بالاقتداء بمن لا يجوز الاقتداء به فان من خالف امر الله لا يقتدى به كائنا من كان ولو دخل
غيرك النار وانت تقدر على ان لا تدخلها لم توافقه ولو وافقته لسفه عقلك ففيما ذكرته غيبة وزيادة معصية اضفتها
الى ما اعتذرت عنه وسجلت مع الجمع بين المعصيتين على جهلك وغباوتك وكنت كالشاة تنظر الى المعزى تردي نفسها
من الجبل فهي ايضا تردي نفسها ولو كان لها لسان ينطق وصرحت بالعذر وقالت العنز اكيس مني وقد اهلكت نفسها فكذلك
افعل لكنت تضحك من جهلها وحالك مثل حالها ثم لا تعجب ولا تضحك من نفسك واما قصدك المباهاة وتزكية النفس
بزيادة الفضل بان تقدح في غيرك فينبغي ان تعلم انك بما ذكرته ابطلت فضلك عند الله وانت من اعتقاد الناس فضلك
على خطر وربما نقص اعتقادهم فيك اذا عرفوك بثلب الناس فتكون قد بعت ما عند الخالق يقينا بما عند المخلوق وهما
ولو حصل لك من المخلوقين اعتقاد الفضل لكانوا لا يغنون عنك من الله شيئا واما الغيبة للحسد فهو جمع بين عذابين لانك حسدته
على نعمة الدنيا وكنت معذبا بالحسد فما قنعت بذلك حتى اضفت اليه عذابا في الآخرة فكنت خاسرا في الدنيا فجعلت نفسك
ايضا خاسرا في الآخرة لتجمع بين النكالين فقد قصدت محسودك فاصبت نفسك واهديت اليه حسنتك فاذن انت صديقه وعدو نفسك
اذ لا يضره غيبتك ويضرك وتنفعه اذ تنقل اليه حسنتك او ينقل اليك سيئته ولا ينفعك فقد جمعت الى خبث الحسد جهل الحماقة
وربما يكون حسدك وقدحك سبب انتشار فضل محسودك فقد قيل واذا اراد الله نشر فضيلة طويت اتاح لها لسان حسود
واما الاستهزاء فمقصودك منه اخزاء غيرك عند الناس باخزاء نفسك عند الله تعالى وعند الملائكة والنبيين فلو تفكرت
في خزيك وخجلتك وحسرتك وخيبتك يوم تحمل سيئات من استهزأت به وتساق الى النار لادهشك ذلك عن اخزاء صاحبك
ولو عرفت حالك لكنت اولى ان تضحك منك فانك سخرت به عند نفر قليل وعرضت نفسك لان يأخذ بيدك في القيامة
على ملأ من الناس ويسوقك تحت سيئاته كما يساق الحمار الى النار مستهزئا بك وفرحا بخزيك ومسرورا بنصرة الله اياه
وتسليطه على الانتقام منك واما الرحمة له على اثمه فهو حسن ولكن حسدك ابليس فاستنطقك بما ينقل من حسناتك
اليه ما هو اكثر من رحمتك فيكون جبرا لاثم المرحوم فيخرج عن كونه مرحوما وتنقلب انت مستحقا لان تكون مرحوما

اذ يحبط اجرك وينقص من حسناتك وكذلك الغضب لله لا يوجب الغيبة وانما حبب اليك الشيطان الغيبة ليحبط
اجر غضبك وتصير متعرضا لمقت الله تعالى بالغيبة واما التعجب اذا اخرجك الى الغيبة فتعجب من نفسك انك كيف
اهلكت دينك بدين غيرك او بدنياه وانت مع ذلك لا تامن عقوبة الدنيا وهو ان يهتك الله سترك كما هتكت بالتعجب ستر اخيك
فاذن علاج جميع ذلك المعرفة فقط والتحقق بهذه الامور التي هي من ابواب الايمان فمن قوي ايمانه بجميع ذلك انكف عن الغيبة
لا محالة **بيان تحريم الغيبة بالقلب** اعلم ان سوء الظن حرام مثل سوء القول وكما يحرم عليك ان تحدث غيرك بلسانك
بمساوي الغير فليس لك ان تحدث نفسك وتسيء الظن باخيك ولست اعني به الا عقد القلب وحكمه على غيره بالسوء فاما الخواطر
وحديث النفس فهو معفو عنه بل الشك ايضا معفو عنه ولكن المنهي عنه ان تظن والظن عبارة عما تركن اليه النفس ويميل اليه القلب
وقد قال تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم وسبب تحريمه ان اسرار القلوب لا يعلمها الا الله علام الغيوب فليس لك
ان تعتقد في غيرك سوءا الا اذا انكشف لك بعيان لا يحتمل التاويل فعند ذلك لا يمكنك الا ان تعتقد ما علمته وشاهدته وما
لم تشاهده بعينك ولم تسمعه باذنك ثم وقع في قلبك فانما الشيطان يلقيه اليك فينبغي ان تكذبه فانه افسق الفسقة وقد
قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فلا يجوز تصديق ابليس فان كان ثم مخيلة
تدل على فساد واحتمل خلافه لم يجز ان تصدق به لان الفاسق يتصور ان يصدق في خبره ولكن لا يجوز لك ان تصدق به حتى ان
من استنكه فوجد منه رائحة الخمر لا يجوز ان يحد اذ يقال يمكن ان يكون قد تمضمض بالخمر ومجه وما شربه او حمل عليه قهرا
فكل ذلك دلالة محتملة فلا يجوز تصديقها بالقلب واساءة الظن بالمسلم بها وقد قال صلى الله عليه وسلم ان الله حرم من المسلم
دمه وماله وان يظن به ظن السوء فلا يستباح سوء الظن الا بما يستباح به المال وهو بعين مشاهدة او بينة عادلة فاذا
لم يكن كذلك وخطر لك سوء الظن فينبغي ان تدفعه عن نفسك وتقرر عليها ان حاله عندك مستور كما كان فان ما رايته منه يحتمل
الخير والشر فان قلت فبماذا يعرف عقد الظن والشكوك تختلج والنفس تحدث فاقول امارة عقد الظن ان يتغير القلب
معه عما كان فينفر عنه نفورا ما ويستثقله ويفتر عن مراعاته وتفقده واكرامه والاغتمام بسببه فهذه امارات عقد الظن وتحقيقه
وقد قال صلى الله عليه وسلم ثلاث في المؤمن وله منهن مخرج فمخرجه من سوء الظن ان لا يحققه اي لا يحقق في نفسه بعقد ولا فعل
لا في القلب ولا في الجوارح اما في القلب فبتغيره الى النفرة والكراهة وفي الجوارح بالعمل بموجبه والشيطان قد يقرر على القلب
بادنى مخيلة مساءة الناس ويلقي اليه ان هذا من فطنتك وسرعة تنبهك وذكائك وان المؤمن ينظر بنور الله وهو على التحقيق ناظر
بغرور الشيطان وظلمته فاما اذا اخبرك به عدل فمال ظنك الى تصديقه كنت معذورا لانك لو كذبته لكنت جانيا على هذا
العدل اذ ظننت به الكذب وذلك ايضا من سوء الظن فلا ينبغي ان تحسن الظن بواحد وتسيء بالاخر نعم ينبغي ان تبحث هل
بينهما عداوة ومحاسدة وتعنت فيتطرق التهمة بسببه فقد رد الشرع شهادة الاب العدل للتهمة ورد شهادة العدو
فلك عند ذلك ان تتوقف وان كان عدلا فلا تصدقه ولا تكذبه ولكن تقول في نفسك المذكور حاله كان في ستر الله عندي
وكان امره محجوبا وقد بقي كما كان لم ينكشف لي شيء من امره وقد يكون الرجل ظاهره العدالة ولا محاسدة بينه وبين المذكور
ولكن يكون من عادته التعرض للناس وذكر مساويهم فهذا قد يظن انه عدل وليس بعدل فان المغتاب فاسق واذا كان ذلك من
عادته ردت شهادته الا ان الناس لكثرة الاعتياد تساهلوا في امر الغيبة ولم يكترثوا بتناول اعراض الخلق ومهما خطر لك
خاطر بسوء على مسلم فينبغي ان تزيد في مراعاته وتدعو له بالخير فان ذلك يغيظ الشيطان ويدفعه عنك فلا يلقي اليك الخاطر

الخاطر السوء خيفة من اشتغالك بالدعاء والمراعاة ومهما عرفت هفوة مسلم بحجة فانصحه في السر ولا يخدعنك
الشيطان فيدعوك الى اغتيابه واذا وعظته فلا تعظه وانت مسرور باطلاعك على نقصه لينظر اليك بعين التعظيم وتنظر اليه
بعين الاستصغار وترتفع عنه بدالة الوعظ وليكن قصدك تخليصه من الاثم وانت حزين كما تحزن على نفسك اذا دخل
عليك نقصان وينبغي ان يكون تركه ذلك من غير نصيحتك احب اليك من تركه بالنصيحة فاذا انت فعلت ذلك كنت قد
جمعت بين اجر الوعظ واجر الغم بمصيبته واجر الاعانة له على دينه ومن ثمرات سوء الظن التجسس وهو ايضا منهي عنه
قال الله سبحانه ولا تجسسوا فالغيبة وسوء الظن والتجسس منهي عنه في اية واحدة ومعنى التجسس ان لا تترك عباد الله تحت
ستر الله فتتوصل الى الاطلاع وهتك الستر حتى ينكشف لك ما لو كان مستورا عنك كان اسلم لقلبك ولدينك وقد ذكرنا في كتاب
الامر بالمعروف حكم التجسس وحقيقته **بيان الاعذار المرخصة في الغيبة** اعلم ان المرخص في ذكر مساءة الغير هو غرض
صحيح في الشرع لا يمكن التوصل اليه الا به فيدفع ذلك اثم الغيبة وهي ستة امور الاول التظلم فان من ذكر قاضيا بالظلم
والخيانة واخذ الرشوة كان مغتابا عاصيا اما المظلوم من جهة القاضي فله ان يتظلم الى السلطان وينسبه الى الظلم اذ
لا يمكنه استيفاء حقه الا به وقد قال صلى الله عليه وسلم لصاحب الحق مقال وقال مطل الغني ظلم وقال لي الواجد ظلم
يحل عرضه وعقوبته الثاني الاستعانة على تغيير المنكر ورد العاصي الى منهج الصلاح كما روي ان عمر مر على عثمان
وقيل على طلحة رضي الله عنهم فسلم عليه فلم يرد فذهب الى ابي بكر فذكر له ذلك فجاء ابو بكر اليه ليصلح ذلك ولم يكن
ذلك غيبة عندهم وكذلك قيل لعمر رضي الله عنه ان ابا جندل قد عاقر الخمر بالشام فكتب اليه عمر بسم الله الرحمن الرحيم
حم تنزيل من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب الاية فتاب ولم ير عمر فيما قاله ذلك غيبة اذ كان قصده ان ينكر عليه
عمر فينفعه نصحه ما لم ينفعه نصح غيره وانما اباح هذا القصد الصحيح فان لم يكن ذلك هو المقصود كان حراما الثالث
الاستفتاء كما يقول للمفتي ظلمني ابي او زوجتي او اخي فكيف طريقي في الخلاص والاسلم التعريض بان يقول ما قولك في رجل ظلمه
ابوه او زوجته ولكن التعيين مباح بهذا القدر لما روي عن هند بنت عتبة انها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم ان ابا
سفيان رجل شحيح لا يعطيني ما يكفيني وولدي فذكرت الظلم والشح لها ولولدها ولم يزجرها رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذ كان قصدها الاستفتاء الرابع تحذير المسلمين من الشر فاذا رايت متفقها يتردد الى مبتدع او فاسق وخفت ان تتعدى
اليه بدعته وفسقه فلك ان تكشف له بدعته وفسقه مهما كان الباعث لك الخوف على سراية البدعة والفسق لا غيره وذلك موضع
الغرور اذ قد يكون الحسد هو الباعث ويلبس الشيطان ذلك باظهار الشفقة على الخلق وكذلك من اشترى مملوكا وقد
عرف المملوك بالسرقة او بالفسق او بعيب اخر فلك ان تذكر له ذلك فان في سكوتك ضرره وفي ذكرك ضرر العبد والمشتري
اولى بمراعاة جانبه وكذلك اذا سئل عن الشاهد فله الطعن فيه وكذلك المستشار في التزويج وايداع الامانة له ان يذكر
ما يعرفه على قصد النصح للمستشير لا على قصد الوقيعة وان علم انه يترك التزويج بمجرد قوله لا يصلح لك فهو الواجب فان علم
انه لا ينزجر الا بالتصريح بعيبه فله ان يصرح به قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اترعون عن ذكر الفاجر حتى يعرفه الناس اذكروه
بما فيه يحذره الناس وكانوا يقولون ثلاثة لا غيبة لهم الامام الجائر والمبتدع والمجاهر بفسقه الخامس ان يكون الانسان
معروفا باسم يعرب عن عيبه كالاعرج والاعمش فلا اثم على من يقول روى ابو الزناد عن الاعرج وسليمان عن الاعمش وما يجري
مجراه فقد فعل العلماء ذلك لضرورة التعريف ولانه صار ذلك بحيث لا يكرهه صاحبه لو علمه بعد ان صار مشهورا به نعم لو وجد

عنه معدلاً وامكنه التعريف بعبارة اخرى فهو اولى ولذلك يقال للاعمى البصير عدولاً عن اسم النقص السادس ان يكون
مجاهراً بالفسق كالمخنث وصاحب الماخور والمجاهر بشرب الخمر ومصادرة الناس وكان ممن يتظاهر بالفسق بحيث لا يستنكف
من ان يذكر به ولا يكره ان يذكر به فاذا ذكرت منه ما يتظاهر به فلا اثم عليك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من القى جلباب
الحياء عن وجهه فلا غيبة له وقال عمر بن الخطاب ليس لفاجر حرمة واراد به المجاهر بفسقه دون المستتر اذ المستتر لا بد من مراعاة
حرمته وقال الصلت بن طريف قلت للحسن الرجل الفاجر المعلن بفجوره ذكري له بما فيه غيبة له قال لا ولا كرامة وقال الحسن
ثلاثة لا غيبة لهم صاحب الاهواء والفاسق المعلن بالفسق والامام الجائر وهؤلاء الثلثة يجمعهم انهم يتظاهرون به وربما يتفاخرون
به فكيف يكرهون ذلك فهم يقصدون اظهاره نعم لو ذكره بغير ما يتظاهر به اثم قال دخلت على ابن سيرين فتناولت الحجاج
فقال ابن سيرين ان الله حكم عدل ينتقم للحجاج ممن اغتابه كما ينتقم من الحجاج لمن ظلمه وانك اذا لقيت الله غداً كان اصغر ذنب اصبته
اشد عليك من اعظم ذنب اصابه الحجاج بيان كفارة الغيبة اعلم ان الواجب على المغتاب ان يندم ويتوب ويتأسف
على ما فعله ليخرج من حق الله ثم يستحل المغتاب ليحله فيخرج عن مظلمته وينبغي ان يستحله وهو حزين متأسف نادم على فعله
اذ المرائي قد يستحل ليظهر من نفسه الورع وفي الباطن لا يكون نادماً فيكون قد قارف معصية اخرى وقال الحسن يكفيه الاستغفار
دون الاستحلال وربما يحتج في ذلك بما روى انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كفارة من اغتبته ان تستغفر
له وقال مجاهد كفارة اكلك لحم اخيك ان تثني عليه وتدعو له بالخير وسئل عطاء بن ابي رباح عن التوبة من الفرية فقال تمشي
الى صاحبك فتقول كذبت فيما قلت وظلمت واسأت فان شئت اخذت بحقك وان شئت عفوت وهذا هو الاصح وقول
القائل العرض لا عوض له فلا يجب الاستحلال منه بخلاف المال كلام ضعيف اذ قد وجب في العرض وتثبت المطالبة
به بل في الحديث الصحيح ما روي انه صلى الله عليه وسلم قال من كانت لاخيه عنده مظلمة في عرض او مال فليستحللها منه من قبل
ان يأتي يوم ليس هناك دينار ولا درهم يؤخذ من حسناته فان لم تكن له حسنات اخذ من سيئات صاحبه فزيدت على سيئات
صاحبه وقالت عائشة رضي الله عنها لامرأة قالت لاخرى انها طويلة الذيل قد اغتبتيها فاستحليها فلا بد من الاستحلال
ان قدر عليه فان كان غائباً او ميتاً فينبغي ان يكثر الاستغفار له والدعاء ويكثر من الحسنات فان قلت فالتحليل هل يجب
فاقول لا لانه تبرع والتبرع ليس بواجب ولكنه مستحسن وسبيل المعتذر ان يبالغ في الثناء عليه والتودد اليه ويلازم
ذلك حتى يطيب قلبه فان لم يطب قلبه كان اعتذاره وتودده حسنة محسوبة له يقابل بها سيئة الغيبة في القيامة وكان
بعض السلف لا يحلل قال سعيد بن المسيب لا احلل من ظلمني وقال ابن سيرين اني لم احرمها عليه فاحللها ان الله حرم الغيبة
عليه وما كنت لاحلل ما حرمه الله ابداً فان قلت ينبغي ان يستحلها وتحليل ما حرمه الله غير ممكن فنقول المراد به العفو عن المظلمة
لا ان ينقلب الحرام حلالاً وما ذكره ابن سيرين حسن في التحليل قبل الغيبة فانه لا يجوز له ان يحلل لغيره الغيبة فان قلت فما
معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم ايعجز احدكم ان يكون كابي ضمضم كان اذا خرج من بيته قال اللهم اني قد تصدقت بعرضي على الناس
فكيف يتصدق بالعرض ومن تصدق به فهل يباح تناوله فان كان لا ينفذ صدقته فما معنى الحث عليه فنقول معناه اني لا
اطلب منه مظلمة في القيامة منه ولا اخاصمه والا فلا تصير الغيبة حلالاً به ولا تسقط المظلمة به لانه عفو قبل الوجوب
الا انه وعد وله العزم على الوفاء بان لا يخاصم وان رجع وخاصم كان القياس كسائر الحقوق ان له ذلك بل وصرح الفقهاء
بان من اباح القذف لم يسقط حقه من حد القذف ومظلمة الآخرة مثل مظلمة الدنيا وعلى الجملة فالعفو افضل قال الحسن اذا

اذا جثت الامم بين يدي الله تعالى يوم القيمة نودوا ليقم من كان له اجر على الله فلا يقوم الا من عفا في الدنيا وقد قال تعالى
خذ العفو الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبريل ما هذا فقال ان الله امرك ان تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك و
تعطي من حرمك وقد روي عن الحسن ان رجلاً قال له ان فلاناً قد اغتابك فبعث اليه طبقاً من الرطب وقال بلغني انك قد
اهديت الي حسناتك فاردت ان اكافيك عليها فاعذرني فاني لا اقدر ان اكافيك على التمام الآفة الثالثة عشر
النميمة وقد قال الله تعالى همّاز مشاء بنميم عتل بعد ذلك زنيم قال عبد الله بن المبارك الزنيم ولد الزنا الذي لا يكتم الحديث
واشار به الى ان كل من لم يكتم الحديث ومشى بالنميمة دل على انه ولد الزنا استنباطاً من قوله تعالى عتل بعد ذلك زنيم والزنيم
هو الدعي وقد قال تعالى ويل لكل همزة لمزة قيل الهمزة النمام وقال تعالى حمالة الحطب كانت نمامة حمالة للحديث وقال تعالى
فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً قيل كانت امرأة لوط تخبر بالضيفان وامرأة نوح كانت تخبر بانه مجنون وقد قال النبي صلى
الله عليه وسلم لا يدخل الجنة نمام وفي حديث لا يدخل الجنة قتات والقتات هو النمام وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم احبكم الى الله احسنكم اخلاقاً الموطؤون اكنافاً الذين يألفون ويؤلفون وان ابغضكم الى الله المشاؤون بالنميمة المفرقون
بين الاخوان الملتمسون للبرآء العثرات وقال صلى الله عليه وسلم الا اخبركم بشراركم قالوا بلى قال المشاؤون بالنميمة المفسدون
بين الاحبة الباغون للبرآء العيب وقال ابو ذر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اشاع على مسلم كلمة ليشينه بها بغير
حق شانه الله في النار يوم القيمة وقال ابو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايما رجل اشاع على رجل كلمة
واحدة وهو منها برئ ليشينه بها في الدنيا كان حقاً على الله تعالى ان يذيبه بها يوم القيمة في النار وقال ابو هريرة قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من شهد على مسلم بشهادة ليس لها باهل فليتبوأ مقعده من النار ويقال ان ثلث عذاب القبر من النميمة
وعن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى لما خلق الجنة قال لها تكلمي فقالت سعد من دخلني قال الجبار جل جلاله
وعزتي وجلالي لا يسكن فيك ثمانية نفر من الناس مدمن خمر ولا مصر على الزنا ولا قتات وهو النمام ولا ديوث ولا الشرطي
ولا المخنث ولا قاطع رحم ولا الذي يقول علي عهد الله ان لم افعل كذا ثم لم يف به وروي كعب انه اصاب بني اسرائيل قحط
فاستسقى موسى مرات فما اجيب فاوحى الله تعالى اليه اني لا استجيب لك ولمن معك وفيكم نمام قد اصر على النميمة فقال موسى
يا رب من هو فدلني عليه حتى اخرجه من بيننا فقال يا موسى انهاكم عن النميمة واكون نماماً فتابوا باجمعهم فسقوا ويقال
اتبع رجل حكيماً سبعمائة فرسخ في سبع كلمات فلما قدم عليه قال اني جئتك للذي آتاك الله من العلم اخبرني عن السماء وما اثقل
منها وعن الارض وما اوسع منها وعن الحجر وما اقسى منه وعن النار وما احر منها وعن الزمهرير وما ابرد منه وعن البحر
وما اغنى منه وعن اليتيم وما اذل منه فقال له الحكيم البهتان على البرئ اثقل من السموات والحق اوسع من الارض والقلب القانع
اغنى من البحر والحرص والحسد احر من النار والحاجة الى القريب اذا لم تنجح ابرد من الزمهرير وقلب الكافر اقسى من الحجر
والنمام اذا بان امره اذل من اليتيم بيان حد النميمة وما يجب في ردها اعلم ان اسم النميمة انما يطلق في الاكثر على من
ينم قول الغير الى المقول فيه كما يقال فلان كان يتكلم فيك بكذا وكذا وليست النميمة مخصوصة به بل حدها كشف ما يكره كشفه
سواء كرهه المنقول عنه او المنقول اليه او كرهه ثالث وسواء كان الكشف بالقول او بالكتابة او بالرمز او بالايماء وسواء كان
المنقول من الاعمال او من الاقوال وسواء كان ذلك عيباً ونقصاناً على المنقول عنه او لم يكن بل حقيقة النميمة افشاء السر
وهتك الستر عما يكره كشفه بل كل ما رآه الانسان من احوال الناس فينبغي ان يسكت عنه الا ما في حكايته فائدة لمسلم

او دفع لمعصية كما اذا راى من يتناول مال غيره فعليه ان يشهد بمراعاة لحق المشهود عليه فاما اذا رآه يخفي مالا
لنفسه فذكره فهو نميمة وافشاء للسر فان كان ما ينم به نقصانا وعيبا في المحكي عنه كان قد جمع بين الغيبة والنميمة
والباعث على النميمة اما ارادة السوء للمحكي عنه او اظهار الحب للمحكي له او التفرج بالحديث او الخوض في الفضول وكل من
حملت اليه النميمة وقيل له ان فلانا قال فيك كذا وكذا او فعل فيك كذا وكذا وهو يدبر في افساد امرك او في ممالأة عدوك
او في تقبيح حالك او ما يجري مجراه فعليه ستة امور الاول ان لا يصدقه لان النمام فاسق وهو مردود الشهادة قال
الله تعالى ان جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة الثاني ان ينهاه عن ذلك وينصحه ويقبح له فعله قال
تعالى وأمر بالمعروف وانه عن المنكر الثالث ان يبغضه في الله فانه بغيض عند الله ويجب بغض من يبغضه الله الرابع
ان لا تظن باخيك الغائب السوء لقوله تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن الخامس ان لا يحملك ما حكي لك على التجسس والبحث لتحقق
لقوله تعالى ولا تجسسوا السادس ان لا ترضى لنفسك ما نهيت النمام عنه فلا تحكي نميمته فتقول فلان قد حكى لي كذا
وكذا فتكون به نماما ومغتابا وتكون قد اتيت ما عنه نهيت وقد روي عن عمر بن عبد العزيز انه دخل عليه رجل فذكر
عنده عن رجل شيئا فقال له عمر ان شئت نظرنا في امرك فان كنت كاذبا فانت من اهل هذه الآية ان جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا
وان كنت صادقا فانت من اهل هذه الآية هماز مشاء بنميم وان شئت عفونا عنك فقال العفو يا امير المؤمنين لا اعود اليه ابدا
وذكر ان حكيما من الحكماء زاره بعض اخوانه واخبره بخبر عن غيره فقال له الحكيم قد ابطأت في الزيارة وأتيتني بثلث جنايات
بغضت الي اخي وشغلت قلبي الفارغ واتهمت نفسك الامينة وروي ان الخليفة سليمن بن عبد الملك كان جالسا وعنده
الزهري فجاء رجل فقال له سليمان بلغني انك وقعت في وقلت كذا وكذا فقال الرجل ما فعلت ولا قلت فقال سليمن
ان الذي اخبرني لصادق فقال له الزهري لا يكون النمام صادقا فقال سليمان صدقت اذهب بسلام وقال الحسن من نم اليك
نم عليك وهذا اشارة الى ان النمام ينبغي ان يبغض ولا يوثق بصداقته وكيف لا يبغض وهو لا ينفك عن الكذب والغيبة والغدر
والخيانة والغل والحسد والنفاق والافساد بين الناس والخديعة وهو ممن قد سعى في قطع ما امر الله به ان يوصل ويفسدون
في الارض وقال تعالى انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الارض بغير الحق والنمام منهم وقال صلى الله عليه وسلم
ان من شر الناس من اتقاه الناس لشره والنمام منهم وقال لا يدخل الجنة قاطع قيل قاطع بين الناس وهو النمام وقيل قاطع الرحم
وروي عن علي رضي الله عنه ان رجلا اتاه يسعى اليه برجل فقال يا هذا نحن نسأل عما قلت فان كنت صادقا مقتناك وان كنت كاذبا
عاقبناك وان شئت اقلناك قال اقلني يا امير المؤمنين وقيل لمحمد بن كعب القرظي اي خصال المؤمن اوضع له قال كثرة الكلام
وافشاء السر وقبول قول كل احد وقال رجل لعبد الله بن عامر وكان اميرا بلغني ان فلانا اعلم الامير اني ذكرته بسوء قال قد كان
ذلك قال فاخبرني بما قال لك حتى اظهر كذبه عندك قال ما احب ان اشتم نفسي بلساني وحسبي اني لم اصدقه فيما قال ولا
اقطع عنك الوصال وذكرت السعاية عند بعض الصالحين فقال ما ظنكم بقوم يحمد الصدق من كل طائفة من الناس الا منهم وقال
مصعب بن الزبير نحن نرى ان قبول السعاية شر من السعاية لان السعاية دلالة والقبول اجازة وليس من دل على شيء فاخبر به كمن
قبله واجازه فاتقوا الساعي فلو كان في قوله صادقا لكان في صدقه لئيما اذ لم يحفظ الحرمة ولم يستر العورة والسعاية هي
النميمة الا انها اذا كانت الى من يخاف جانبه سميت سعاية وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم الساعي بالناس الى الناس لغير رشدة
يعني ليس بولد الحلال ودخل رجل على سليمن بن عبد الملك فاستأذنه في الكلام وقال اني مكلمك يا امير المؤمنين بكلام فاحتمله

وان كرهته فان وراءه ما تحب ان قبلته فقال قل فقال يا امير المؤمنين قد اكتنفك رجال ابتاعوا دنياك بدينهم
ورضاك بسخط ربهم خافوك في الله ولم يخافوا الله فيك فلا تأمنهم على ما ائتمنك الله عليه ولا تصخ اليهم فيما استحفظك
الله اياه فانهم لن يألوا الامة خسفا والامانة تضييعا والاعراض قطعا وانتهاكا اعلى قربهم البغي والنميمة واجل وسائلهم
الغيبة والوقيعة وانت مسؤول عما اجترحوا وليسوا بمسؤولين عما اجترحت فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك فان اعظم الناس
غبنا من باع آخرته بدنيا غيره وسعى رجل بزياد الاعجم الى سليمان بن عبد الملك فجمع بينهما للموافقة فاقبل زياد على الرجل
يقول فانت امرؤ اما ائتمنتك خاليا فخنت واما قلت قولا بلا علم فانت من الامر الذي كان بيننا بمنزلة بين الخيانة والاثم
وقال رجل لعمرو بن عبيد ان الاسواري ما يزال يذكرك في قصصه بشر فقال له عمرو ما راعيت حق مجالسة الرجل حيث نقلت
الينا حديثه ولا اديت حقي حين اعلمتني عن اخي ما اكره ولكن اعلمه ان الموت يعمنا والقبر يضمنا والقيامة تجمعنا والله يحكم بيننا
وهو خير الحاكمين ورفع بعض السعاة الى الصاحب بن عباد رقعة نبه فيها على مال يتيم يحمله على اخذه لكثرته فكتب على ظهرها
السعاية قبيحة وان كانت صحيحة والميت رحمه الله واليتيم جبره الله والمال ثمره الله والساعي لعنه الله وقال لقمن الحكيم لابنه
يا بني اوصيك بخلال ان تمسكت بهن لم تزل سيدا ابسط خلقك للقريب والبعيد وامسك جهلك عن الكريم
واللئيم واحفظ اخوانك وصل اقاربك وآمنهم من قبول قول ساع او سماع باغ يريد فسادك ويروم خداعك و
ليكن اخوانك من اذا فارقتهم وفارقوك لم تعبهم ولم يعيبوك وقال بعضهم النميمة مبنية على الكذب والحسد والنفاق
وهي اثافي الذل وقال بعضهم لو صح ما نقله النمام اليك لكان هو المجتري بالشتم عليك والمنقول عنه اولى بحلمك
لانه لم يقابلك بشتمك وعلى الجملة فشر النمام عظيم ينبغي ان يتوقى وقال حماد بن سلمة باع رجل عبدا وقال للمشتري ما
فيه عيب الا النميمة قال قد رضيت فاشتراه فمكث الغلام اياما ثم قال لزوجة مولاه ان زوجك لا يحبك وهو يريد ان
يتسرى عليك فخذي الموسى واحلقي من شعر قفاه عند نومه شعرات حتى اسحره عليها فيحبك ثم قال للزوج ان امرأتك اتخذت خليلا
وتريد ان تقتلك فتناوم لها حتى تعرف فجاءت المرأة بالموسى فظن انها تقتله فقام وقتلها فجاء اهل المرأة وقتلوا الزوج
فوقع القتال بين القبيلتين وطال الامر الآفة السابعة عشر كلام ذي اللسانين الذي يتردد بين المتعاديين ويكلم كل
واحد بكلام يوافقه وقل ما يخلو عنه من يشاهد متعاديين وذلك عين النفاق وقال عمار بن ياسر قال النبي صلى الله
عليه وسلم من كان له وجهان في الدنيا كان له لسانان من نار يوم القيمة وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم تجدون من شر عباد الله يوم القيمة ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بحديث هؤلاء وهؤلاء بحديث هؤلاء وفي
لفظ الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه وقال ابو هريرة لا ينبغي لذي الوجهين ان يكون امينا عند الله وقال مالك
ابن دينار قرأت في التورية بطلت الامانة والرجل مع صاحبه بشفتين مختلفتين يهلك الله يوم القيمة كل شفتين مختلفتين
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابغض خليقة الله اليه يوم القيمة الكذابون والمستكبرون والذين يكثرون البغضاء
لاخوانهم في صدورهم فاذا لقوهم تملقوا لهم والذين اذا دعوا الى الله ورسوله كانوا بطاء واذا دعوا الى الشيطان
وامره كانوا سراعا وقال ابن مسعود لا يكونن احدكم امعة قالوا وما الامعة قال الذي يجري مع كل ريح واتفقوا على ان ملاقاة
الاثنين بوجهين نفاق وللنفاق علامات كثيرة وهذه من جملتها وقد روي ان رجلا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم مات فلم يصل عليه حذيفة فقال عمر يموت رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تصلي عليه فقال يا امير المؤمنين

انه منهم فقال نشدتك الله انا منهم ام لا فقال اللهم لا ولا اؤمن منها احدا بعدك فان قلت فبماذا يصير الرجل
ذا الوجهين وما حد ذلك فاقول اذا دخل على متعاديين وجامل كل واحد منهما وكان صادقا فيه لم يكن منافقا ولا ذا
اللسانين فان الواحد قد يصادق متعاديين ولكن صداقة ضعيفة لا تنتهي الى حد الاخوة اذ لو تحققت الصداقة لاقتضت معاداة
الاعداء كما ذكرناه في كتاب الصحبة والاخوة نعم لو نقل كلام كل واحد الى الآخر فهو ذو لسانين وذلك شر من النميمة اذ يصير نماما
بان ينقل من احد الجانبين فقط وان لم ينقل كلاما ولكن حسن لكل واحد منهما ما هو عليه من المعاداة مع صاحبه فهذا ذو لسانين
وكذلك اذا وعد كل واحد منهما ان ينصره وكذلك اذا اثنى على كل واحد منهما وكان اذا خرج من عنده يذمه فهو ذو لسانين
بل ينبغي ان يسكت او يثني على المحق من المتعاديين ويثني في حضوره وفي غيبته وبين يدي عدوه قيل لابن عمر انا ندخل
على امرائنا فنقول القول فاذا خرجنا قلنا غيره فقال كنا نعد ذلك نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا
نفاق مهما كان مستغنيا عن الدخول على الامير وعن الثناء فلو استغنى عن الدخول ولكن اذا دخل يخاف ان لم يثن فهو نفاق
لانه الذي احوج نفسه اليه وان كان يستغني عن الدخول لو قنع بالقليل وترك المال والجاه فدخل لضرورة الجاه والغنى
واثنى فهو منافق وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم حب المال والجاه ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل لانه
يحوج الى الامراء والى مراعاتهم ومراآتهم فاما اذا ابتلي به لضرورة وخاف ان لم يثن فهو معذور فان اتقاء الشر جائز
قال ابو الدرداء انا لنكشر في وجوه اقوام وان قلوبنا لتلعنهم وقالت عائشة مر رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال بئس رجل العشيرة فلما دخل عليه الان له القول فلما خرج قالت عائشة قد قلت بئس رجل العشيرة ثم النت له القول
فقال يا عائشة ان شر الناس الذي يكرم اتقاء لشره ولكن هذا ورد في الاقبال وفي الكشر والتبسم فاما الثناء فهو كذب
صريح فلا يجوز الا لضرورة او اكراه يباح الكذب بمثلها كما ذكرناه في آفة الكذب بل لا يجوز الثناء ولا التصديق
ولا تحريك الراس في معرض التقرير على كل كلام باطل فان فعل ذلك فهو منافق بل ينبغي ان ينكر فان لم يقدر فليسكت بلسانه
وينكر بقلبه ه الآفة الثامنة عشر المدح وهو منهي عنه في بعض المواضع اما الذم فهو الغيبة والوقيعة وقد
ذكرنا حكمها فالمدح يدخله ست آفات اربع في المادح واثنان في الممدوح فاما المادح فهو انه قد يفرط فينتهي به
الى الكذب قال خالد بن معدان من مدح اماما او واحدا بما ليس فيه على رؤس الاشهاد بعثه الله يوم القيامة يتعثر بلسانه
الثانية انه قد يدخله الرياء فانه بالمدح مظهر للحب وقد لا يكون مضمرا له ولا معتقدا لجميع ما يقوله فيصير به مرائيا
الثالثة انه قد يقول ما لا يتحققه ولا سبيل له الى الاطلاع عليه وروي ان رجلا مدح رجلا عند النبي صلى الله عليه
وسلم فقال صلى الله عليه وسلم ويحك قطعت عنق صاحبك لو سمعها ما افلح ثم قال ان كان لا بد احدكم مادحا اخاه
فليقل احسب فلانا ولا ازكي على الله احدا حسيبه الله ان كان يرى انه كذلك وهذه الآفة تتطرق الى المدح بالاوصاف
المطلقة التي تعرف بالادلة كقوله انه متق وورع وزاهد وخير وما يجري مجراه اما اذا قال رايته يصلي بالليل ويتصدق
ويحج فهذه امور مستيقنة ومن ذلك قوله انه عدل ورضي فان ذلك خفي فلا ينبغي ان يجزم القول به الا بعد خبرة باطنه
سمع عمر رجلا يثني على رجل فقال اسافرت معه قال لا قال اخالطته قال لا قال والله الذي لا اله الا هو لا تعرفه الرابع
انه قد يفرح الممدوح وهو ظالم او فاسق وذلك غير جائز قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يغضب اذا
مدح الفاسق وقال الحسن من دعا لظالم بالبقاء فقد احب ان يعصى الله فالظالم الفاسق ينبغي ان يذم ولا يمدح فيفرح واما

الممدوح فيضره من وجهين احدهما انه يحدث فيه كبرا واعجابا وهما مهلكان وقال الحسن كان عمر رضي الله عنه
قاعدا ومعه الدرة والناس حوله اذ اقبل الجارود فقال رجل هذا سيد ربيعة فسمعها عمر ومن حوله وسمعها الجارود
فلما دنا منه خفقه بالدرة فقال ما لي ولك يا امير المؤمنين قال ما لي ولك اما لقد سمعتها قال سمعتها قال خشيت ان يخالط قلبك
منها شيء فاحببت ان اطاطئ منك الثاني انه اذا اثني عليه بالخير فرح به وفتر ورضي عن نفسه ومن اعجب بنفسه قل تشمره وانما
يتشمر للعمل من يرى نفسه مقصرا فاما اذا انطلقت الالسنة بالثناء عليه ظن انه قد ادرك ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم قطعت
عنق صاحبك لو سمعها ما افلح وقال صلى الله عليه وسلم اذا مدحت اخاك في وجهه فكانما امررت على حلقه موسى رميضا وقال
ايضا لمن مدح رجلا عقرت الرجل عقرك الله وقال مطرف ما سمعت ثناء او مدحة الا تصاغرت الى نفسي وقال زياد بن ابي مسلم
ليس احد يسمع ثناء عليه او مدحة الا تراءى له شيطان ولكن المؤمن يراجع قال ابن المبارك لقد صدق كلاهما اما ما ذكره زياد فذلك
قلب العوام واما ما ذكره مطرف فذلك قلب الخواص وقال صلى الله عليه وسلم لو مشى رجل الى رجل بسكين مرهف كان خيرا له
من ان يثني عليه في وجهه وقال عمر رضي الله عنه المدح الذبح وذلك لان المذبوح هو الذي يفتر عن العمل والمدح يوجب
الفتور او لان المدح يورث العجب والكبر وهما مهلكان كالذبح فلذلك شبهه به فان سلم المدح عن هذه الآفات في حق
المادح والممدوح لم يكن به باس بل ربما كان مندوبا اليه ولذلك اثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصحابة حتى قال
لو وزن ايمان ابي بكر بايمان العالمين لرجح وقال في عمر لو لم ابعث لبعثت يا عمر واي ثناء يزيد على هذا ولكنه قال عن صدق
وبصيرة وكانوا اجل رتبة من ان يورثهم ذلك كبرا وعجبا وفتورا بل مدح الرجل نفسه قبيح لما فيه من الكبر والتفاخر و
قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم ولا فخر اي لست اقول هذا تفاخرا كما يقصده الناس بالثناء على
انفسهم لان افتخاره كان بالله وبالقرب من الله لا بولد آدم وتقدمه عليهم كما ان المقبول عند الملك قبولا عظيما انما يفتخر
بقبوله اياه وبه يفرح لا بتقدمه على بعض رعاياه وبتفصيل هذه الآفات تقدر على الجمع بين ذم المدح وبين الحث عليه
اذ قال صلى الله عليه وسلم وجبت لما اثنوا على بعض الموتى وقال مجاهد ان لبني آدم جلساء من الملائكة فاذا ذكر اخاه المسلم
بخير قالت الملائكة ولك مثله واذا ذكره بسوء قالت الملائكة يا ابن آدم المستور عورته اربع على نفسك واحمد الله اذ ستر عورتك
فهذه آفات المدح بيان ما على الممدوح ان يكون شديد الاحتراز عن آفة الكبر والعجب وآفة الفتور ولا ينجو عنه الا
بان يعرف نفسه ويتامل في خطر الخاتمة ودقائق الرياء وآفات الاعمال وانه يعرف من نفسه ما لا يعرفه المادح ولو انكشف
له جميع اسراره وما يجري على خواطره لكف المادح عن مدحه وعليه ان يظهر كراهة المدح باذلال المادح واليه الاشارة
بقوله صلى الله عليه وسلم احثوا التراب في وجوه المداحين وقال سفيان بن عيينة لا يضر المدح من عرف نفسه واثني على رجل
من الصالحين فقال اللهم ان هؤلاء لا يعرفوني وانت تعرفني وقال آخر لما اثني عليه اللهم ان عبدك هذا تقرب الي بمقتك
وانا اشهدك على مقته وقال علي رضي الله عنه لما اثني عليه اللهم اغفر لي ما لا يعلمون ولا تؤاخذني بما يقولون واجعلني
خيرا مما يظنون واثنى رجل على عمر فقال اتهلكني وتهلك نفسك واثنى رجل على علي في وجهه وكان قد بلغه انه يقع فيه
فقال علي رضي الله عنه انا دون ما قلت وفوق ما في نفسك ه الآفة التاسعة عشر الغفلة عن دقائق الخطا في
فحوى الكلام لا سيما فيما يتعلق بالله وصفاته ويرتبط بامور الدين فلا يقدر على تقويم اللفظ في امور الدين الا العلماء
الفصحاء فمن قصر في علم او فصاحة لم يخل كلامه عن الزلل لكن الله يعفو لجهله مثاله ما قال حذيفة قال النبي صلى الله عليه وسلم

لا يقل احدكم ما شاء الله وشئت ولكن ليقل ما شاء الله ثم شئت وذلك لان في العطف المطلق تشريكا وتسوية وهو على
خلاف الاحترام وقال ابن عباس جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يكلمه في بعض الامر فقال ما شاء الله وشئت فقال
صلى الله عليه وسلم اجعلتني لله عدلا ما شاء الله وحده وخطب رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من يطع الله
ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى فقال قل ومن يعص الله ورسوله فقد غوى فكره قوله ومن يعصهما لانه تسوية
وجمع وكان ابرهيم يكره ان يقول الرجل اعوذ بالله وبك ويجوز ان يقول اعوذ بالله ثم بك وان يقول لولا الله ثم فلان ولا تقول لولا الله وفلان وكره بعضهم ان
يقول اعتقنا الله من النار وكان يقول العتق يكون بعد الورود وكانوا يستجيرون من النار وقال رجل اللهم اجعلني
ممن تصيبه شفاعة محمد فقال حذيفة ان الله يغني المؤمنين عن شفاعة محمد ويكون شفاعته للمذنبين من المسلمين وقال ابرهيم
اذا قال الرجل للرجل يا حمار يا خنزير قيل له يوم القيمة احمارا رايتني خلقته خنزيرا رايتني خلقته وعن ابن عباس ان
احدكم ليشرك حتى يشرك بكلبه يقول لولاه لسرقنا الليلة وقال عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ينهاكم ان تحلفوا
بآبائكم قال عمر والله ما حلفت بها منذ سمعت وقال صلى الله عليه وسلم لا تسموا العنب الكرم انما الكرم الرجل المسلم
وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقولن احدكم عبدي وامتي كلكم عبيد الله وكل نسائكم اماء الله
ولكن ليقل غلامي وجاريتي وفتاي وفتاتي ولا يقول المملوك ربي ولا ربتي ولكن سيدي وسيدتي فكلكم عبيد والرب الله وقال صلى الله
عليه وسلم لا تقولوا للفاسق سيدنا فانه ان يكن سيدكم فقد اسخطتم ربكم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال انا بريء
من الاسلام فان كان صادقا فهو كما قال وان كان كاذبا فلن يرجع الى الاسلام سالما فهذا وامثاله مما يدخل في الكلام ولا
يمكن حصره ومن تامل جميع ما اوردناه من آفات اللسان علم انه اذا اطلق لسانه لم يسلم وعند ذلك يعرف سر قوله صلى الله عليه
وسلم من صمت نجا لان هذه الآفات كلها مهالك ومعاطب وهي على طريق المتكلم فان سكت سلم من الكل وان تكلم خاطر بنفسه
الا ان يوافقه لسان فصيح وعلم غزير وورع حافظ ومراقبة لازمة ويقلل من الكلام فعساه يسلم عند ذلك وهو مع جميع
ذلك لا ينفك عن الخطر فان كنت لا تقدر على ان تكون ممن تكلم فغنم فكن ممن سكت فسلم فالسلامة احدى الغنيمتين الآفة
العشرون سؤال العوام عن صفات الله تعالى وعن كلامه وعن الحروف وانها قديمة او حادثة ومن حقهم الاشتغال بالعمل بما في القرآن
الا ان ذلك ثقيل على النفوس والفضول خفيف على القلب والعامي يفرح بان يخوض في العلم اذ الشيطان يخيل اليه انك من العلماء
واهل الفضل فلا يزال يحبب اليه ذلك حتى يتكلم بما هو كفر وهو لا يدري وكل كبيرة يرتكبها العامي فهي اسلم له من ان يتكلم بما
هو كفر في العلم لا سيما فيما يتعلق بالله وصفاته وانما شأن العوام الاشتغال بالعبادات والايمان بما ورد به القرآن والتسليم لما جاء به
الرسل من غير بحث وسؤالهم عن غير ما يتعلق بالعبادة سوء ادب منهم يستحقون به المقت من الله ويتعرضون لخطر الكفر وهو كسؤال
ساسة الدواب عن اسرار الملوك وهو موجب للعقوبة وكل من سأل عن علم غامض ولم يبلغ فهمه تلك الدرجة فهو مذموم فانه
بالاضافة اليه عامي ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذروني ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم
على انبيائهم ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما امرتكم به فأتوا منه ما استطعتم وقال انس سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوما حتى اكثروا عليه واغضبوه فصعد المنبر فقال سلوني فلا تسألوني عن شيء الا انبأتكم به فقام اليه رجل فقال يا رسول الله من
ابي فقال ابوك حذافة فقام اليه شابان اخوان فقالوا يا رسول الله من ابونا قال ابوكما من تدعيان اليه ثم قام اليه رجل فقال
يا رسول الله افي الجنة انا ام في النار فقال لا بل في النار فلما رأى غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم امسكوا فقام اليه

اليه عمر فقال رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا فقال اجلس يا عمر رحمك الله انك ما علمت
لموفق وفي الحديث نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القيل والقال وكثرة السؤال واضاعة المال وقال صلى الله عليه
وسلم يوشك الناس يتساءلون بينهم حتى يقولوا هذا الله خلق الخلق فمن خلق الله فاذا قالوا ذلك فقولوا قل هو الله احد حتى تختموا السورة
ثم ليتفل احدكم عن يساره ثلاثا وليستعذ بالله من الشيطان الرجيم ما نزلت آية البلاء وكان من قبلكم الا لكثرة السؤال وفي قصة
موسى عليه السلام والخضر تنبيه على المنع من السؤال قبل اوان استحقاقه اذ قال فان اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى احدث
لك منه ذكرا فلما سأل على السفينة انكر عليه حتى اعتذر وقال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من امري عسرا فلما لم يصبر
حتى سأل ثلاثا قال هذا فراق بيني وبينك وفارقه فسؤال العوام عن غوامض الدين من اعظم الآفات وهو من المثيرات للفتن
فيجب زجرهم ومنعهم وخوضهم في حروف القرآن يضاهي اشتغال من كتب اليه الملك كتابا رسم له فيه
امورا فلم يشتغل بشيء منه وضيع زمانه في ان قرطاس الكتاب عتيق او حديث فيستحق به
العقوبة لا محالة فكذا تضييع العامي حدود القرآن واشتغاله بحروفه
انها قديم او حادث وكذا سائر صفات الله تعالى ٥ ٥ ٥

تم كتاب آفة اللسان وهو الكتاب الرابع من ربع
المهلكات ٥ والحمد لله حق حمده
والصلوة على من لا نبي
من بعده

كتاب ذم الغضب والحقد والحسد من ربع المهلكات

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذي لا يتكل الا على عفوه ورحمته الراجون ولا يحذر سوى غضبه وسطوته الخائفون الذي استدرج
عباده من حيث لا يعلمون وسلط عليهم الشهوات وامرهم بترك ما يشتهون وابتلاهم بالغضب وكلفهم كظم الغيظ فيما
يغضبون ثم حفهم بالمكاره واللذات واملى لهم لينظر كيف يعملون وامتحن به حبهم ليعلم صدقهم فيما يدعون وعرفهم
انه لا يخفى عليه شيء مما يسرون ويعلنون وحذرهم ان ياخذهم وهم لا يشعرون فقال ما ينظرون الا صيحة واحدة تاخذهم
وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون والصلوة على محمد رسوله الذي يحت لوائه النبيون وعلى
آله واصحابه الذين هم الائمة المهديون والسادة المرضيون صلوة توازي عدد ما كان من خلق الله وما سيكون ويحظى
ببركتها الاولون والآخرون وسلم كثيرا اما بعد فان الغضب شعلة نار من نار الله الموقدة الا انها لا تطلع الا على
الافئدة وانها المستكنة في الفؤاد استكنان الجمر تحت الرماد ويستخرجها الكبر الدفين من قلب كل جبار عنيد كما يستخرج
الحجر النار من الحديد وقد انكشف للناظرين بنور اليقين ان الانسان ينزع منه عرق الى الشيطان اللعين فمن استفزته نار الغضب
فقد قويت فيه قرابة الشيطان حيث قال خلقتني من نار وخلقته من طين فان شان الطين السكون والوقار وشان النار التلظي
والاشتعال والحركة والاضطراب ومن نتائج الغضب الحقد والحسد وبهما هلك من هلك وفسد من فسد ومغيضهما مضغة
اذا صلحت صلح بها سائر الجسد واذا كان الحقد والحسد والغضب مما يسوق العبد الى مواطن العطب فما احوجه الى معرفة معاطبه
ومساويه ليحذر ذلك ويتقيه ويميطه عن القلب ان كان وينفيه ويعالجه ان رسخ في قلبه ويداويه فان من لا يعرف الشر
يقع فيه ومن عرفه فالمعرفة لا تكفيه ما لم يعرف الطريق الذي به يدفع الشر ويقصيه ونحن نذكر ذم الغضب وآفات الحقد
والحسد في هذا الكتاب ويجمعها بيان ذم الغضب ثم بيان حقيقة الغضب ثم بيان ان الغضب هل يمكن ازالة اصله بالرياضة
ام لا ثم بيان الاسباب المهيجة للغضب ثم بيان علاج الغضب بعد هيجانه ثم بيان فضيلة كظم الغيظ ثم بيان فضيلة الحلم ثم بيان القدر
الذي يجوز الانتصار والتشفي به من الكلام ثم القول في معنى الحقد ونتائجه وفضيلة العفو والرفق ثم القول في ذم الحسد
وفي حقيقته واسبابه ومعالجته وغاية الواجب في ازالته ثم بيان السبب في كثرة الحسد بين الامثال والاقران والاخوة
وبني العم والاقارب وتاكده وقلته في غيرهم وضعفه ثم بيان الدواء الذي به ينفي مرض الحسد عن القلب ثم بيان القدر
الواجب في نفي الحسد عن القلب

بيان ذم الغضب

قال الله تعالى اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية
فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المومنين الآية فذم الكفار بما تظاهروا به من الحمية الصادرة عن الغضب بالباطل ومدح

المومنين بما انعم الله عليهم من السكينة وروى ابو هريرة ان رجلا قال يا رسول الله مرني بعمل واقلل قال لا تغضب
ثم اعاد عليه فقال لا تغضب وقال ابن عمر قلت يا رسول الله قل لي قولا واقلل لعلي اعقله فقال لا تغضب فاعدت عليه
مرتين كل ذلك يرجع الى لا تغضب وعن عبد الله بن عمرو انه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذا يبعدني من غضب الله
قال لا تغضب وقال ابن مسعود قال النبي صلى الله عليه وسلم ما تعدون الصرعة فيكم قلنا الذي لا تصرعه الرجال قال
ليس ذلك ولكن الذي يملك نفسه عند الغضب وقال ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم ليس الشديد بالصرعة انما الشديد
الذي يملك نفسه عند الغضب وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كف غضبه ستر الله عورته وقال
سليمان بن داود اياك وكثرة الغضب فان كثرة الغضب تستخف فؤاد الرجل الحكيم وعن عكرمة في قوله تعالى وسيدا وحصورا
قال السيد الذي لا يغلبه الغضب وقال ابو الدرداء قلت يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة قال لا تغضب وقال يحيى
لعيسى صلوات الله عليهما لا تغضب قال لا استطيع ان لا اغضب انما انا بشر قال لا تقتن مالا قال هذا عسى وقال النبي صلى
الله عليه وسلم الغضب يفسد الايمان كما يفسد الصبر العسل وقال صلى الله عليه وسلم ما غضب احد الا اشفى على جهنم وقال له
رجل اي شيء اشد قال غضب الله قال فما يبعدني من غضب الله قال لا تغضب الآثار قال الحسن يا ابن آدم كلما غضبت
وثبت يوشك ان تثب وثبة تقع في النار وعن ذي القرنين انه لقي ملكا من الملائكة فقال علمني علما ازداد به ايمانا ويقينا
قال لا تغضب فان الشيطان اقدر ما يكون على ابن آدم حين يغضب فرد الغيظ بالكظم وسكنه بالتؤدة واياك والعجلة فانك
اذا عجلت اخطات حظك وكن سهلا لينا للقريب والبعيد ولا تكن جبارا عنيدا وعن وهب بن منبه ان راهبا كان في صومعة
فاراد الشيطان ان يضله فلم يستطع فجاءه حتى ناداه فقال له افتح فلم يجبه فقال افتح فاني ان ذهبت ندمت فلم يلتفت اليه
فقال اني انا المسيح فقال الراهب وان كنت المسيح فما اصنع بك اليس قد امرتنا بالعبادة والاجتهاد ووعدتنا القيامة
فلو جئتنا اليوم بغيره لم نقبله فقال انا الشيطان وقد اردت ان اضلك فلم استطع فجئتك لتسالني عما شئت
فاخبرك قال وما اريد ان اسالك عن شيء قال فولى مدبرا فقال الراهب الا تسمع قال بلى قال اخبرني اي اخلاق بني آدم اعون
لك عليهم قال الحدة فان الرجل اذا كان حديدا قلبناه كما يقلب الصبيان الكرة وقال خيثمة الشيطان يقول كيف يغلبني ابن
آدم واذا رضي جئت حتى اكون في قلبه واذا غضب طرت حتى اكون في راسه وقال جعفر بن محمد الغضب مفتاح كل شر
وقال بعض الانصار راس الحمق الحدة وقائده الغضب ومن رضي بالجهل استغنى عن الحلم والحلم زين ومنفعة والجهل
شين ومضرة والسكوت عن جواب الاحمق جوابه وقال مجاهد قال ابليس ما اعجزني بنو آدم فلن يعجزوني في ثلث اذا
سكر احدهم اخذنا بخزامته فقدناه حيث شئنا وعمل لنا بما احببنا واذا غضب قال بما لا يعلم وعمل بما يندم ونبخله بما
في يديه ونمنيه بما لا يقدر عليه وقيل لحكيم ما املك فلانا لنفسه قال اذا لا تذله الشهوة ولا يصرعه الهوى ولا يغلبه
الغضب وقال بعضهم اياك والغضب فانه يصيرك الى ذل الاعتذار وقيل اتقوا الغضب فانه يفسد الايمان كما يفسد
الصبر العسل وقال عبد الله بن مسعود انظروا الى حلم الرجل عند غضبه وامانته عند طمعه وما علمك بحلمه اذا لم يغضب
وما علمك بامانته اذا لم يطمع وكتب عمر بن عبد العزيز الى عامله ان لا تعاقب عند غضبك واذا غضبت على رجل
فاحبسه فاذا سكن غضبك فاخرجه وعاقبه على قدر ذنبه ولا تجاوز به خمسة عشر سوطا وقال علي بن زيد اغلظ رجل
من قريش لعمر بن عبد العزيز فاطرق عمر طويلا ثم قال اردت ان يستفزني الشيطان بعز السلطان فانال منك اليوم ما

ثالثة مني غضبا وقال بعضهم لابنه يا بني لا يثبت العقل عند الغضب كما لا يثبت روح الحي في التنانير المسجورة فاقل الناس
غضبا اعقلهم فان كان للدنيا كان دهاء ومكرا وان كان للآخرة كان حلما وعلما وقد قيل الغضب عدو العقل وقيل
الغضب غول العقل وكان عمر رضي الله عنه اذا خطب قال في خطبته افلح منكم من حفظ عن الهوى والطمع والغضب وقال
بعضهم من اطاع غضبه وشهوته قاداه الى النار وقال الحسن من علامات المسلم قوة في دين وحزم في لين وايمان في يقين
وعلم في حلم وكيس في رفق واعطاء في حق وقصد في غنى وتجمل في فاقة واحسان في قدرة وصبر في شدة لا يغلبه الغضب
ولا تجمح به الحمية ولا تغلبه شهوة ولا تفضحه بطنه ولا يستخفه حرصه ولا تقصر به نيته ولا يسرف ولا يقتر يغفر اذا ظلم ويعفو
عن الجاهل نفسه منه في عناء والناس منه في رخاء وقيل لعبد الله بن المبارك اجمل لنا حسن الخلق في كلمة واحدة فقال ترك
الغضب وقال نبي من الانبياء لمن كان معه من يتكفل لي ان لا يغضب يكون معي في درجتي ويكون بعدي خليفتي فقال شاب من
القوم انا ثم اعاد عليه فقال الشاب انا ووفى به فلما مات كان في منزلته بعده وهو ذو الكفل سمي به لانه تكفل بالغضب ووفى به
وقال وهب بن منبه للكفر اربعة اركان الغضب والشهوة والخرق والطمع

بيان حقيقة الغضب

اعلم ان الله سبحانه
لما خلق الحيوان معرضا للفساد والموتان باسباب في داخل بدنه واسباب خارجة منه انعم عليه بما يحميه عن الفساد ويدفع
عنه الهلاك الى اجل معلوم سماه في كتابه اما السبب الداخل فهو انه ركبه من الرطوبة والحرارة وجعل بين الحرارة والرطوبة
عداوة ومضادة فلا تزال الحرارة تحلل الرطوبة وتجففها وتبخرها حتى تفشي اجزاؤها بخارا تتصاعد منها فلو لم يتصل بالرطوبة
مدد من الغذاء يجبر ما انحل وتبخر من اجزائها لفسد الحيوان فخلق الله الغذاء الموافق لبدن الحيوان وخلق في الحيوان شهوة
تبعثه على تناول الغذاء كالموكل به في جبر ما انكسر وسد ما انثلم ليكون ذلك حافظا له من الهلاك بهذا السبب واما
الاسباب الخارجة التي يتعرض لها الانسان كالسيف والسنان وسائر المهلكات التي يقصد بها فافتقر الى قوة وحمية
تثور من باطنه فتدفع المهلكات عنه فخلق الله تعالى الغضب من النار وغرزها في الانسان وعجنها بطينته فمهما قصد
في غرض من اغراضه ومقصود من مقاصده اشتعلت نار الغضب وثارت ثورانا يغلي به دم القلب وينتشر في العروق ويرتفع الى
اعلى البدن كما ترتفع النار وكما يرتفع الماء الذي يغلي في القدر فلذلك ينصب الى الوجه فيحمر الوجه والعين والبشرة لصفائها تحكي
لون ما وراءها من حمرة الدم كما تحكي الزجاجة لون ما فيها وانما ينبسط الدم اذا غضب على من دونه واستشعر القدرة عليه
فان صدر الغضب ممن فوقه وكان معه يأس من الانتقام تولد منه انقباض الدم من ظاهر الجلد الى جوف القلب وصار حزنا ولذلك
يصفر اللون وان كان على نظير يشك فيه تولد منه تردد الدم بين انقباض وانبساط فيحمر ويصفر اللون ويضطرب
وبالجملة فقوة الغضب محلها القلب ومعناها غليان دم القلب لطلب الانتقام وانما تتوجه هذه القوة عند ثورانها الى دفع
المؤذيات قبل وقوعها والى التشفي والانتقام بعد وقوعها والانتقام قوت هذه القوة وشهوتها وبه
لذتها فلا تسكن الا به ثم الناس في هذه القوة على درجات ثلاث في اول الفطرة من التفريط والافراط والاعتدال اما
التفريط فبفقد هذه القوة او ضعفها وذلك مذموم وهو الذي يقال فيه انه لا حمية له ولذلك قال الشافعي
رضي الله عنه من استغضب فلم يغضب فهو حمار فمن فقد قوة الحمية والغضب اصلا فهو ناقص جدا وقد وصف الله سبحانه
الصحابة بالشدة والحمية فقال اشداء على الكفار وقال جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وانما الغلظة والشدة من آثار قوة الحمية وهو
الغضب واما الافراط فهو ان تغلب هذه الصفة حتى تخرج من سياسة العقل والدين وطاعته ولا يبقى للمرء معه بصيرة

بصيرة ولا نظر ولا فكر ولا اختيار بل يصير في صورة المضطر وسبب غلبته امور غريزية وامور اعتيادية فرب انسان
هو بالفطرة مستعد لسرعة الغضب حتى كأن صورته في الفطرة صورة غضبان ويعين على ذلك حرارة مزاج القلب لان
الغضب من النار كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فبرودة المزاج تطفئه وتكسر سورته واما الاسباب الاعتيادية
فهي ان يخالط الانسان قوما يتبجحون بتشفي الغيظ وطاعة الغضب ويسمون ذلك شجاعة ورجولية فيقول الواحد منهم انا الذي
لا اصبر على المحال ولا احتمل من احد امرا ومعناه لا عقل لي ولا حلم ثم يذكره في معرض الفخر لجهله فمن سمعه يترسخ في نفسه حسن الغضب
وحب التشبه بالقوم فيقوى به الغضب ومهما اشتدت نار الغضب وقوي اضطرامها اعمت صاحبها واصمته عن كل موعظة فاذا
وعظ لم يسمع بل زاده غضبا وان استضاء بنور العقل وراجع نفسه لم يقدر اذ ينطفئ نور العقل وينمحي في الحال بدخان الغضب
فان معدن الفكر الدماغ ويتصاعد عند شدة الغضب من غليان دم القلب دخان الى الدماغ مظلم يستولي على معادن
الفكر وربما يتعدى الى معادن الحس فيظلم عينه حتى لا يرى بعينه وتسود عليه الدنيا باسرها ويكون دماغه على مثال
كهف اضرمت فيه نار فاسود جوه وحمي مستقره وامتلأ بالدخان جوانبه وكان فيه سراج ضعيف فانطفأ
وانمحى فلا تثبت فيه قدم ولا يسمع فيه كلام ولا ترى فيه صورة ولا يقدر على اطفائه لا من داخل ولا من خارج بل ينبغي ان
يصبر الى ان يحترق جميع ما يقبل الاحتراق فكذلك يفعل الغضب بالقلب والدماغ وربما تقوى نار الغضب فتفني
الرطوبة التي بها حياة القلب فيموت صاحبه غيظا كما تقوى النار في الكهف فيتشقق وينهدم اعاليه على اسافله
وذلك لابطال النار ما في جوانبه من القوة الممسكة الجامعة لاجزائه فهكذا حال القلب مع الغضب وبالحقيقة
فالسفينة في ملتطم الامواج عند اضطراب الرياح في لجة البحر احسن حالا وارجى سلامة من النفس المضطربة غيظا
اذ في السفينة من يحتال لتسكينها وتدبيرها وينظر لها ويسوسها واما القلب فهو صاحب السفينة وقد سقطت
حيلته اذ اعماه الغضب واصمه ومن آثار هذا الغضب في الظاهر تغير اللون وشدة الرعدة في الاطراف وخروج الافعال
عن الترتيب والنظام واضطراب الحركة والكلام حتى يظهر الزبد على الاشداق وتحمر الاحداق وتنقلب المناخر
وتستحيل الخلقة ولو رأى الغضبان في نفسه حال غضبه قبح صورته لسكن غضبه حياء من قبح صورته واستحالة خلقته
وقبح باطنه اعظم من قبح ظاهره فان الظاهر عنوان الباطن وانما قبح صورة الباطن اولا ثم انتشر قبحها الى الظاهر
ثانيا فتغير الظاهر ثمرة تغير الباطن فقس المثمر بالثمرة فهذا اثره في الجسد واما اثره في اللسان فانطلاقه بالشتم والفحش
وقبائح الكلام الذي يستحيي منه ذو العقل ويستحيي منه قائله عند فتور الغضب وذلك مع تخبط النظم واضطراب
الغضب واما اثره على الاعضاء فالضرب والتهجم والتمزيق والقتل والجرح عند التمكن من غير مبالاة فان هرب منه
المغضوب عليه او فاته بسببه وعجز عن التشفي رجع الغضب على صاحبه فيمزق ثوب نفسه ويلطم نفسه وقد يضرب
يده على الارض ويعدو عدو الواله السكران والمدهوش المتحير وربما يسقط صريعا لا يطيق العدو والنهوض لشدة
الغضب ويعتريه مثل الغشية وربما يضرب الجمادات والحيوانات فيضرب القصعة على الارض وقد يكسر المائدة اذا
غضب عليها ويتعاطى افعال المجانين فيشتم البهيمة والحمار ويخاطبه ويقول الى متى منك يا كيت وكيت كأنه يخاطب عاقلا
حتى ربما رفسته دابة فيرفس الدابة ويقابلها به واما اثره في القلب مع المغضوب عليه فالحقد والحسد واضمار السوء
والشماتة بالمساءة والحزن بالسرور والعزم على افشاء السر وهتك الستر والاستهزاء وغير ذلك من القبائح فهذه ثمرة

الغضب المفرط واما ثمرة الحمية الضعيفة فقلة الانفة مما يؤنف منه من التعرض للحرم والزوجة والام واحتمال الذل
من الاخساء وصغر النفس والقماءة وهو ايضا مذموم اذ من ثمراته عدم الغيرة على الحرم وهي خنوثة النفس قال صلى الله
عليه وسلم ان سعدا لغيور وانا اغير من سعد والله اغير مني وان من غيرته حرم الفواحش وانما خلقت الغيرة لحفظ الانساب
ولو تسامح الناس به لاختلطت الانساب ولذلك قيل كل امة وضعت الغيرة في رجالها وضعت الصيانة في نسائها
ومن ضعف الغضب الخور والسكوت عند مشاهدة المنكرات وقد قال صلى الله عليه وسلم خيار امتي احداؤها يعني في الدين
وقال تعالى ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله بل من فقد الغضب عجز عن رياضة نفسه اذ لا تتم الرياضة الا بتسليط الغضب على
الشهوة حتى يغضب على نفسه عند الميل الى الشهوات الخسيسة ففقد الغضب مذموم وانما المحمود غضب ينتظر اشارة
العقل والدين فينبعث حيث تجب الحمية وينطفئ حيث يحسن الحلم وحفظه على حد الاعتدال هو الاستقامة التي كلف الله تعالى
عباده وهو الوسط الذي وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال خير الامور اوساطها فمن مال غضبه الى الفتور
حتى احس من نفسه بضعف الغيرة وخسة النفس في احتمال الضيم والذل في غير محله فينبغي ان يعالج نفسه حتى يقوى
غضبه ومن مال غضبه الى الافراط حتى جره الى التهور واقتحام الفواحش فينبغي ان يعالج نفسه لينقص من سورة الغضب
ويقف على الوسط الحق بين الطرفين فهو الصراط المستقيم وهو ادق من الشعر واحد من السيف فان عجز عنه فليطلب
القرب منه قال الله تعالى ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة فليس كل
من عجز عن الاتيان بالخير كله ينبغي ان ياتي بالشر كله ولكن بعض الشر اهون من بعض وبعض الخير ارفع من بعض فهذه حقيقة
الغضب ودرجاته

بيان ان الغضب هل يمكن ازالة اصله بالرياضة ام لا اعلم انه ظن ظانون انه يتصور محو الغضب
بالكلية وزعموا ان الرياضة اليه تتوجه واياه تقصد وظن آخرون انه اصل لا يقبل العلاج وهذا رأي من ظن ان الخلق كالخلق
وكلاهما لا يقبل التغيير وكلا الرأيين ضعيف بل الحق فيه ما نذكره وهو انه ما بقي الانسان يحب شيئا ويكره شيئا فلا يخلو
عن الغيظ والغضب وما دام يوافقه شيء ويخالفه آخر فلا بد وان يحب ما يخالفه والغضب يتبع ذلك مهما اخذ منه
محبوبه غضب لا محالة واذا قصد بمكروه غضب لا محالة الا ان ما يحبه الانسان ينقسم الى ثلثة اقسام الاول ما هو ضرورة
في حق الكافة وهو القوت والملبس والمسكن وصحة البدن فمن قصد بدنه بالضرب والجرح فلا بد وان يغضب وكذلك
اذا اخذ منه ثوبه الذي يستر عورته وكذلك اذا اخرج من داره التي هي مسكنه او اريق ماؤه الذي هو لعطشه فهذه ضرورات
لا يخلو الانسان من كراهة زوالها ومن غيظ على من يتعرض لها القسم الثاني ما ليس ضروريا لاحد من الخلق كالجاه
والمال الكثير والغلمان والدواب فان هذه الامور صارت محبوبة بالعادة والجهل بمقاصد الامور حتى صار الذهب
والفضة محبوبين في انفسهما فيكنزان ويغضب على من يسرقهما وان كان مستغنيا عنهما في الوقت فهذا الجنس مما يتصور
ان ينفك الانسان عن اصل الغيظ عليه فاذا كانت له دار زائدة على مسكنه فهدمها ظالم فيجوز ان لا يغضب اذ يجوز ان
يكون بصيرا بامر الدنيا فيزهد في الزيادة على الحاجة فلا يغضب باخذها فانه يحب وجودها ولو احب وجودها لغضب
على الضرورة باخذها واكثر غضب الناس على ما هو غير ضروري كالجاه والصيت والتصدر في المجالس والمباهاة
بالعلم فمن غلب هذا الحب عليه فلا محالة يغضب اذا زاحمه مزاحم على الصدر في المحافل ومن لا يحب ذلك ولا يبالي لو
جلس في صف النعال فلا يغضب اذا جلس غيره فوقه وهذه العادات الرديئة هي اكثرت محاب الانسان ومكارهه فاكثرت

غضبه وكلما كانت الارادات والشهوات اكثر كان صاحبها احط رتبة وانقص لان الحاجة صفة نقص فمهما كثرت
كثر النقص والجاهل ابدا جهده في ان يزيد في حاجاته وفي شهواته وهو لا يدري انه مستكثر من اسباب الغم والحزن
حتى ينتهي بعض الجهال بالعادات الرديئة ومخالطة قرناء السوء الى ان يغضب لو قيل له انه لا يحسن اللعب بالطيور واللعب بالشطرنج
ولا يقدر على شرب الخمر الكثير وتناول الطعام الكثير وما يجري مجراه من الرذائل والغضب على هذا الجنس ليس بضروري لان حبه
ليس بضروري القسم الثالث ما يكون ضروريا في حق بعض الناس دون البعض كالكتاب مثلا للعالم فانه مضطر اليه
فيحبه فيغضب على من يحرقه ويغرقه وكذلك ادوات الصناعات في حق المكتسب الذي لا يمكنه التوصل الى القوت الا بها
فان ما هو وسيلة الى الضروري والمحبوب يصير ضروريا ومحبوبا وهذا يختلف بالاشخاص وانما الحب الضروري ما اشار
اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله من اصبح آمنا في سربه معافى في بدنه وله قوت يومه فكانما حيزت له الدنيا
بحذافيرها ومن كان بصيرا بحقائق الامور وسلمت له هذه الثلث يتصور ان لا يغضب في غيرها فهذه ثلاثة اقسام فلنذكر
غاية الرياضة في كل واحد منها اما القسم الاول فليست الرياضة فيها لينعدم غيظ القلب ولكنه لكي يقدر على
ان لا يطيع الغضب ولا يستعمله في الظاهر الا على حد يستحبه الشرع ويستحسنه العقل وذلك ممكن بالمجاهدة وتكلف الحلم
والاحتمال مدة حتى يصير الحلم والاحتمال خلقا راسخا فاما قمع اصل الغيظ من القلب وذلك مقتضى الطبع فهو غير ممكن نعم
يمكن كسر سورته وتضعيفه حتى لا يشتد هيجان الغيظ في الباطن وينتهي ضعفه الى ان لا يظهر اثره في الوجه ولكن ذلك شديد
جدا وهذا حكم القسم الثالث ايضا لان ما صار ضروريا في حق شخص فلا يمنعه من الغيظ لاستغناء غيره عنه فالرياضة تمنع
العمل به وتضعف هيجانه في الباطن حتى لا يشتد التألم بالصبر عليه واما القسم الثاني فيمكن التوصل بالرياضة الى الانفكاك
عن الغضب عليه اذ يمكن اخراج حبه من القلب وذلك بان يعلم الانسان ان وطنه القبر ومستقره الآخرة وانما الدنيا
معبر يعبر عليها ويتزود منها قدر الضرورة وما وراء ذلك وبال عليه في وطنه ومستقره فيزهد في الدنيا ويمحو حبها عن
القلب ولو كان للانسان كلب لا يحبه لم يغضب اذا ضربه غيره فالغضب تبع الحب فالرياضة في هذا قد تنتهي الى اصل قمع الغضب
وهو نادر جدا وقد تنتهي الى المنع من استعمال الغضب والعمل بموجبه وهو اهون فان قلت الضروري من القسم الاول
بفوات المحتاج اليه دون الغضب فمن له شاة مثلا وهي قوته فماتت لا يغضب على احد وان كان يحصل فيه كراهة وليس من
ضرورة كل كراهة غضب فالانسان يتألم بالفصد والحجامة ولا يغضب على الفصاد والحجام فمن غلب عليه التوحيد حتى
يرى الاشياء كلها من الله فلا يغضب على احد من خلقه اذ يراهم مسخرين في قبضة قدرته كالقلم في يد الكاتب ومن وقع ملك بضرب
رقبته لم يغضب على القلم فلا يغضب على من يذبح شاته التي هي قوته كما لا يغضب على موتها اذ يرى الموت والذبح من الله تعالى
فيندفع الغضب بغلبة التوحيد ويندفع ايضا بحسن الظن بالله وهو انه يرى ان الكل من الله وان الله لا يقدر له الا ما فيه
الخيرة وربما يكون الخيرة في جوعه ومرضه وجرحه وقتله فلا يغضب كما لا يغضب على الفصاد لانه يرى ان الخيرة فيه
فنقول هذا على هذا الوجه غير محال ولكن غلبة التوحيد الى هذا الحد انما يكون كالبرق الخاطف يغلب على القلب في
احوال مختلفة ولا يدوم ويرجع القلب الى الالتفات الى الوسائط رجوعا طبيعيا لا يندفع عنه ولو تصور ذلك على
الدوام لبشر لتصور لرسول الله صلى الله عليه وسلم وانه كان يغضب حتى تحمر وجنتاه حتى قال اللهم انما انا بشر اغضب
كما يغضب البشر فايما مسلم سببته او لعنته او ضربته فاجعلها مني صلوة وزكوة وقربة تقربه بها اليك يوم القيمة

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص يا رسول الله اكتب عنك كل ما قلت في الغضب والرضا فقال اكتب فوالذي بعثني بالحق ما يخرج منه الا حق واشار بيده الى لسانه فلم يقل اني لا اغضب ولكن قال ان الغضب لا يخرجني عن الحق اي لا اعمل بموجب الغضب وغضبت عائشة مرة فقال صلى الله عليه وسلم ما لك جاءك شيطانك فقالت وما لك شيطان فقال بلى ولكن دعوت الله فاعانني عليه فاسلم فلا يأمرني الا بالخير فلم يقل لا شيطان لي واراد شيطان الغضب لكن قال لا يحملني على الشر وقال علي رضي الله عنه كان صلى الله عليه وسلم لا يغضب للدنيا فاذا اغضبه الحق لم يعرفه احد ولم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له فكان يغضب على الحق وان كان غضبه لله تعالى فهو التفات الى الوسائط على الجملة بل كل من غضب على من يأخذ ضرورة قوته وحاجته التي لا بد له منها في دينه فانما غضب لله ولا يمكن الانفكاك عنه نعم قد يفقد اصل الغيظ فيما هو ضروري اذا كان القلب مشغولا بضروري اهم منه فلا يكون في القلب متسع للغضب لاشتغاله بغيره فان استغراق القلب ببعض المهمات يمنع الاحساس بما عداه وهذا كما ان سلمان لما شتم قال ان خفت موازيني فانا شر مما تقول وان ثقلت موازيني لم يضرني ما تقول فقد كان همه مصروفا الى الآخرة فلم يتأثر قلبه بالشتم وكذلك شتم الربيع بن خثيم فقال يا هذا قد سمع الله كلامك وان دون الجنة عقبة ان قطعتها لم يضرني ما تقول وان لم اقطعها فانا شر مما تقول وسب رجل ابا بكر رضي الله عنه فقال ما ستر الله عنك اكثر فكأنه كان مشغولا في تقصير نفسه عن ان يتقي الله حق تقاته ويعرفه حق معرفته فلم يغضبه عزو غيره اياه الى نقصان اذ كان ينظر الى نفسه بعين النقصان وذلك لجلالة قدره وقالت امرأة لمالك بن دينار يا مرائي فقال يا هذه ما عرفني غيرك فكأنه كان مشغولا بان ينفي عن نفسه آفة الرياء ومنكرا على نفسه ما يلقيه الشيطان اليه فلم يغضب لما نسب اليه وسب رجل الشعبي فقال ان كنت صادقا فغفر الله لي وان كنت كاذبا فغفر الله لك فهذه الاقاويل دالة في الظاهر على انهم لم يغضبوا لاشتغال قلوبهم بمهمات دينهم ويحتمل ان يكون قد اثر ذلك في قلبهم ولكنهم لم يشتغلوا به واشتغلوا بما هو الاغلب على قلوبهم فاذن اشتغال القلب ببعض المهمات لا يبعد ان يمنع هيجان الغضب عند فوات بعض المحاب فاذن يتصور فقد الغيظ اما باشتغال القلب بمهم او بغلبة التوحيد او بسبب ثالث وهو ان يعلم ان الله يحب منه ان لا يغتاظ فتطفئ شدة حبه لله تعالى غيظه وذلك غير محال في احوال نادرة وقد عرفت بهذا ان الطريق الخلاص من نار الغضب محو حب الدنيا عن القلب وذلك بمعرفة آفات الدنيا وغوائلها كما سيأتي في كتاب حب الدنيا فمن اخرج حب الدنيا عن القلب تخلص من اكثر اسباب الغضب وما لا يمكن محوه فيمكن كسره وتضعيفه فيضعف الغضب بسببه ويهون دفعه

بيان الاسباب المهيجة للغضب قد عرفت ان علاج كل علة بحسم مادتها وازالة اسبابها فلا بد من معرفة اسباب الغضب وقد قال يحيى لعيسى صلوات الله عليهما اي شيء اشد قال غضب الله قال فما يقرب من غضب الله قال ان تغضب قال فما يبدي الغضب وما ينبته قال الكبر والفخر والتعزز والحمية والاسباب المهيجة للغضب هي الزهو والعجب والمزاح والهزل والتعيير والمماراة والمضادة والغدر وشدة الحرص على فضول المال والجاه وهي باجمعها اخلاق رديئة مذمومة شرعا ولا خلاص عن الغضب مع بقاء هذه الاسباب فلا بد من ازالة هذه الاسباب باضدادها فينبغي ان تميت الزهو بالتواضع وتميت العجب بالمعرفة بنفسك كما سيأتي في كتاب العجب والكبر وتزيل الفخر بانك من جنس عبدك اذ الناس يجمعهم في الانتساب اب واحد وانما اختلفوا بالفضل اشتاتا فبنو آدم جنس واحد وانما الفخر بالفضائل والفخر والعجب والكبر اكبر الرذائل وهي رأسها واصلها فاذا لم تخل عنها فلا فضل لك على غيرك فلم تفتخر وانت من جنس عبدك من حيث البنية والنسب والاعضاء الظاهرة والباطنة واما المزاح فتزيله بالتشاغل بالمهمات الدينية التي تستوعب العمر وتفضل عنه اذا عرفت ذلك واما الهزل فتزيله بالجد في طلب الفضائل والاخلاق الحسنة والعلوم الدينية التي تبلغك الى سعادة الآخرة واما الهزء فتزيله بالتكرم عن ايذاء الناس وبصيانة النفس عن ان يستهزأ بك ابدا واما التعيير فبالحذر عن القول القبيح وصيانة النفس عن مر الجواب واما شدة الحرص على فضول العيش فتزال بالقناعة بقدر الضرورة طلبا لعز الاستغناء وترفعا عن ذل الحاجة وكل خلق من هذه الاخلاق وصفة من هذه الصفات يفتقر في علاجها الى رياضة وتحمل مشقة وحاصل رياضتها يرجع الى معرفة غوائلها لترغب النفس عنها وتنفر عن قبحها ثم المواظبة على مباشرة اضدادها مدة مديدة حتى تصير بالعادة مألوفة هينة على النفس فاذا انمحت عن النفس فقد زكت وتطهرت عن هذه الرذائل وتخلصت ايضا عن الغضب الذي يتولد منها ومن اشد البواعث على الغضب عند اكثر الجهال تسميتهم الغضب شجاعة ورجولية وعزة نفس وكبر همة وتلقيبهم اياه بالالقاب المحمودة غباوة وجهلا حتى تميل النفس اليه وتستحسنه وقد يتأكد ذلك بحكاية شدة الغضب عن الاكابر في معرض المدح بالشجاعة والنفوس مائلة الى التشبه بالاكابر فيهيج الغضب في القلب بسببه وتسمية هذا عزة وشجاعة جهل بل هو مرض قلب ونقصان عقل وهو لضعف النفس ونقصانها وآية ذلك ان المريض اسرع غضبا من الصحيح والمرأة اسرع غضبا من الرجل والصبي اسرع غضبا من الكبير والشيخ الضعيف اسرع غضبا من الكهل وذو الخلق السيء والرذائل القبيحة اسرع غضبا من صاحب الفضائل فالرذل يغضب لشهوته اذا فاتته اللقمة ولبخله اذا فاتته الحبة حتى يغضب على اهله وولده واصحابه بل القوي من يملك نفسه عند الغضب كما قال صلى الله عليه وسلم ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب بل ينبغي ان يعالج هذا الجاهل بان تتلى عليه حكايات اهل الحلم والعفو وما استحسن منهم من كظم الغيظ فان ذلك منقول عن الانبياء والحكماء والعلماء واكابر الملوك والفضلاء وضد ذلك منقول عن الاتراك والاكراد والجهلة والاغبياء الذين لا عقل لهم ولا فضل

بيان علاج الغضب بعد هيجانه اعلم ان ما ذكرناه هو حسم لمادة الغضب وقطع لاسبابه حتى لا يهيج فاذا جرى سبب هيجه فعنده يجب التثبت حتى لا يضطر صاحبه الى العمل به على الوجه المذموم وانما يعالج الغضب عند هيجانه بمعجون العلم والعمل اما العلم فهو ستة امور الاول ان يتفكر في الاخبار التي سنوردها في فضل كظم الغيظ والعفو والحلم والاحتمال فيرغب في ثوابه فتمنعه شدة الحرص على ثواب الكظم عن التشفي والانتقام وينطفئ عنه غيظه قال مالك بن اوس بن الحدثان غضب عمر على رجل وامر بضربه فقلت يا امير المؤمنين خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين فكان عمر يقول خذ العفو وأمر بالعرف وكان يتأمل الآية وكان وقافا عند كتاب الله مهما تلي عليه كثير التدبر فيه فتدبر فيه وخلى الرجل وامر عمر بن عبد العزيز بضرب رجل ثم قرأ قوله تعالى والكاظمين الغيظ وقال لغلامه خل عنه الثاني ان يخوف نفسه بعقاب الله تعالى وهو ان يقول قدرة الله علي اعظم من قدرتي على هذا الانسان فلو امضيت غضبي عليه لم آمن ان يمضي الله غضبه علي يوم القيامة احوج ما اكون الى العفو وقد قال الله تعالى في بعض الكتب يا ابن آدم اذكرني حين تغضب اذكرك حين اغضب فلا امحقك فيمن امحق وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وصيفا الى حاجة فابطأ عليه فلما جاء قال لولا القصاص لاوجعتك اي القصاص في القيامة وقيل ما كان في بني اسرائيل ملك الا ومعه رجل حكيم اذا غضب اعطاه صحيفة فيها ارحم المسكين واخش الموت واذكر الآخرة فكان يقرؤها حتى يسكن غضبه الثالث ان يحذر نفسه عاقبة العداوة والانتقام وتشمر العدو لمقابلته والهدم في اعراضه

والشماتة بمصائبه وهو لا يخلو عن المصائب فيخوف نفسه بعواقب الغضب في الدنيا ان كان لا يخاف من الآخرة وهذا يرجع
الى تسليط شهوة على غضب وليس هذا من اعمال الآخرة ولا ثواب عليه لانه متردد على حظوظه العاجلة فيقدم بعضها على البعض
الا ان يكون محذوره ان يتشوش عليه في الدنيا فراغه للعلم والعمل وما يعينه على الآخرة فيكون مثابا عليه الرابع
ان يتفكر في قبح صورته عند غضبه بان يتذكر صورة غيره في حالة الغضب ويتفكر في قبحها في نفسه ومشابهة صاحبه
للكلب الضاري والسبع العادي ومشابهة الحليم الهادي التارك للغضب بالانبياء والعلماء والحكماء ويخير نفسه بين ان يتشبه
بالكلاب والسباع واراذل الناس وبين ان يتشبه بالعلماء والانبياء في عاداتهم لتميل نفسه الى حب الاقتداء بهؤلاء ان كان قد بقي
معه مسكة من عقل الخامس ان يتفكر في السبب الذي يدعوه الى الانتقام ويمنعه من كظم الغيظ ولا بد وان يكون له سبب
مثل قول الشيطان له ان هذا يحمل منك على العجز وصغر النفس والذلة والمهانة وتصير حقيرا في اعين الناس فليقل لنفسه
عند ذلك ما اعجبك تأنفين من الاحتمال الآن ولا تأنفين من خزي يوم القيمة والافتضاح اذا اخذ هذا بيدك
وانتقم منك وتحذرين من ان تصغري في اعين الناس ولا تحذرين من ان تصغري في اعين الناس عند الله وعند الملائكة و
النبيين فمهما كظم الغيظ فينبغي ان يكظمه لله وذلك يعظمه عند الله فما له وللناس وذل من ظلمه يوم القيمة اشد من ظلمه
لو انتقم الآن افلا يحب ان يكون هو القائم اذا نودي يوم القيمة ليقم من اجره على الله فلا يقوم الا من عفا فهذا وامثاله
من معارف الايمان ينبغي ان يكرره على قلبه السادس ان يعلم ان غضبه من تعجبه من جريان الشيء على وفق مراد الله لا على
وفق مراده فكيف يقول مرادي اولى من مراد الله ويوشك ان يكون غضب الله اعظم من غضبه واما العمل فان يقول بلسانه
اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقال عند الغضب والغيظ وكان صلى الله عليه وسلم
اذا غضبت عائشة اخذ بانفها وقال يا عويش قولي اللهم رب النبي محمد اغفر لي ذنبي واذهب غيظ قلبي واجرني من مضلات
الفتن فيستحب ان تقول ذلك فان لم يزل بذلك فاجلس ان كنت قائما واضطجع ان كنت جالسا واقرب من الارض التي منها
خلقت لتعرف بذلك ذل نفسك واطلب بالجلوس والاضطجاع السكون فان سبب الغضب الحرارة وسبب الحرارة الحركة ف
وقد قال صلى الله عليه وسلم ان الغضب جمرة توقد في القلب الم تروا الى انتفاخ اوداجه وحمرة عينيه فاذا وجد احدكم
من ذلك شيئا فان كان قائما فليجلس وان كان جالسا فلينم فان لم يزل ذلك فليتوضأ بالماء البارد او يغتسل فان النار لا
يطفئها الا الماء فقد قال صلى الله عليه وسلم اذا غضب احدكم فليتوضأ بالماء فانما الغضب من النار وفي رواية ان الغضب
من الشيطان وان الشيطان خلق من النار وانما يطفأ النار بالماء فاذا غضب احدكم فليتوضأ وقال ابن عباس قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا غضبت فاسكت وقال ابو هريرة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غضب وهو قائم جلس
واذا غضب وهو جالس اضطجع فيذهب غضبه وقال ابو سعيد الخدري قال النبي صلى الله عليه وسلم الا ان الغضب
جمرة في قلب ابن آدم الا ترون الى حمرة عينيه وانتفاخ اوداجه فمن وجد من ذلك شيئا فليلصق خده بالارض وكان
هذا اشارة الى السجود وتمكين اعز الاعضاء من اذل المواضع وهو التراب لتستشعر به النفس الذل وتزايل به العزة والزهو
الذي هو سبب الغيظ وروي ان عمر غضب يوما فدعا بماء فاستنشق وقال ان الغضب من الشيطان وهذا يذهب الغضب
وقال عروة بن محمد لما استعملت على اليمن قال لي ابي اوليت قلت نعم قال اذا غضبت فانظر الى السماء فوقك والى الارض
تحتك ثم اعظم خالقهما وروي ان ابا ذر قال لرجل يا ابن الحمراء في خصومة بينهما فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال

يا ابا ذر بلغني انك اليوم عيرت رجلا بامه فقال بلى فانطلق ابو ذر ليرضي صاحبه فسبقه الرجل فسلم عليه فذكر
ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابا ذر ارفع راسك فانظر ثم اعلم انك لست بافضل من احمر فيها ولا
اسود الا ان تفضله بعمل ثم قال اذا غضبت فان كنت قائما فاقعد وان كنت قاعدا فاتكئ وان كنت متكئا فاضطجع وقال
المعتمر بن سليمان كان رجل ممن كان قبلكم يغضب فيشتد غضبه فكتب ثلث صحائف فاعطى كل صحيفة رجلا وقال للاول
اذا غضبت فاعطني هذه وقال للثاني اذا سكن بعض غضبي فاعطني هذه وقال للثالث اذا ذهب غضبي فاعطني هذه فاشتد
غضبه يوما فاعطي الصحيفة الاولى فاذا فيها ما انت وهذا الغضب انك لست باله انما انت بشر يوشك ان ياكل
بعضك بعضا فسكن بعض غضبه فاعطي الثانية فاذا فيها ارحم من في الارض يرحمك من في السماء فاعطي الثالثة فاذا
فيها خذ الناس بحق الله فانه لا يصلحهم الا ذلك اي لا تعطل الحدود وغضب المهدي على رجل فقال له لا تغضب يا امير المؤمنين
لله باشد من غضبه لنفسه فقال خلوا عنه فضيلة كظم الغيظ قال الله تعالى والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس
وذكر ذلك في معرض المدح وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كف غضبه كف الله عنه عذابه ومن اعتذر الى الله
قبل الله عذره ومن خزن لسانه ستر الله عورته وقال صلى الله عليه وسلم اشدكم من غلب نفسه عند الغضب واحلمكم من عفا
عند القدرة وقال صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا ولو شاء ان يمضيه امضاه ملأ قلبه يوم القيمة رضى وفي رواية
ملأ الله قلبه امنا وايمانا وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جرع عبد جرعة اعظم اجرا من جرعة غيظ
كظمها ابتغاء وجه الله وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لجهنم بابا لا يدخله الا من شفى غيظه بمعصية
الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم ما من جرعة احب الى الله تعالى من جرعة غيظ يكظمها عبد وما كظمها عبد الا ملأ الله جوفه
ايمانا وقال صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو يقدر على ان ينفذه دعاه الله على رؤس الخلائق ويخيره في اي الحور شاء
الآثار قال عمر رضي الله عنه من اتقى الله لم يشف غيظه ومن خاف الله لم يفعل ما يريد ولولا يوم القيمة لكان غير
ما ترون وقال لقمان لابنه يا بني لا تذهب ماء وجهك بالمسألة ولا تشف غيظك بفضيحتك واعرف قدرك تنفعك معيشتك
وقال ايوب حلم ساعة يدفع شرا كثيرا واجتمع سفين الثوري وابو خزيمة اليربوعي والفضيل بن عياض
فتذاكروا الزهد فاجمعوا على ان افضل الاعمال الحلم عند الغضب والصبر عند الطمع وقال رجل لعمر رضي الله عنه ما تقضي
بالعدل ولا تعطي الجزل فغضب عمر حتى عرف ذلك في وجهه فقال له رجل يا امير المؤمنين الم تسمع ان الله تعالى يقول خذ العفو
وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين فهذا من الجاهلين فقال عمر صدقت فكانما كانت نارا فاطفئت وقال محمد بن كعب ثلث من
كن فيه استكمل الايمان بالله اذا رضي لم يدخله رضاه في الباطل واذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق واذا قدر لم يتناول
ما ليس له وجاء رجل الى سلمان فقال يا عبد الله اوصني قال لا تغضب قال لا اقدر قال فان غضبت فامسك لسانك ويدك

بيان فضيلة الحلم اعلم ان الحلم افضل من كظم الغيظ لان كظم الغيظ عبارة عن التحلم اي تكلف الحلم ولا يحتاج الى كظم
الغيظ الا من هاج غيظه ويحتاج فيه الى مجاهدة شديدة ولكن اذا تعود ذلك مدة صار ذلك اعتيادا فلا يهيج الغيظ وان هاج
فلا يكون في كظمه تعب وهو الحلم الطبيعي وهو دليل كمال العقل واستيلائه وانكسار قوة الغضب وخضوعها
للعقل ولكن ابتداؤه التحلم وكظم الغيظ تكلفا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم ومن يتحر
الخير يعطه ومن يتوق الشر يوقه اشار بهذا الى ان اكتساب الحلم طريقه التحلم اولا وتكلفه كما ان اكتساب العلم طريقه التعلم

وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلبوا العلم واطلبوا مع العلم السكينة والحلم لينوا لمن تعلمون ولمن تتعلمون منه ولا تكونوا من جبابرة العلماء فيغلب جهلكم علمكم اشار بهذا الى ان التكبر هو الذي يهيج الغضب ويمنع من الحلم واللين وكان من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اغنني بالعلم وزيني بالحلم واكرمني بالتقوى وجملني بالعافية وقال ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم ابتغوا الرفعة عند الله قالوا وما هي يا رسول الله قال تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتحلم عمن جهل عليك وقال صلى الله عليه وسلم خمس من سنن المرسلين الحياء والحلم والحجامة والسواك والتعطر وقال علي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل المسلم ليدرك بالحلم درجة الصائم القائم وانه ليكتب جبارا عنيدا وما يملك الا اهل بيته وقال ابو هريرة ان رجلا قال يا رسول الله ان لي قرابة اصلهم ويقطعوني واحسن اليهم ويسيئون الي ويجهلون علي واحلم عنهم قال لئن كان كما تقول فكانما تسفهم المل ولا يزال معك من الله ظهير ما دمت على ذلك المل يعني الرمل وقال رجل من المسلمين اللهم عندي صدقة اتصدق بها فايما رجل اصاب من عرضي شيا فهو عليه صدقة فاوحى الله تعالى الى النبي صلى الله عليه وسلم اني قد غفرت له وقال صلى الله عليه وسلم ايعجز احدكم ان يكون كابي ضمضم قالوا ومن ابو ضمضم قال رجل كان فيمن قبلكم اذا اصبح يقول اللهم اني تصدقت اليوم بعرضي على من ظلمني وقيل في قوله تعالى ولكن كونوا ربانيين اي حلماء وعلماء وعن الحسن في قوله تعالى واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما قال حلماء ان جهل عليهم لم يجهلوا وقال عطاء بن ابي رباح في قوله تعالى يمشون على الارض هونا اي حلما وقال ابن ابي حبيب في قوله وكهلا قال الكهل منتهى الحلم وقال مجاهد في قوله تعالى واذا مروا باللغو مروا كراما اي اذا اوذوا صفحوا وروي ان ابن مسعود مر بلغو معرضا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصبح ابن مسعود وامسى كريما ثم تلا ابراهيم بن ميسرة وهو الراوي قوله تعالى واذا مروا باللغو مروا كراما وقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم لا يدركني ولا ادركه زمان لا يتبعون فيه العليم ولا يستحيون فيه من الحليم قلوبهم قلوب العجم والسنتهم السنة العرب وقال صلى الله عليه وسلم ليليني منكم ذوو الاحلام والنهى ثم الذين يلونهم ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم واياكم وهيشات الاسواق وروي انه وفد الى النبي صلى الله عليه وسلم الاشج فاناخ راحلته ثم عقلها ثم طرح ثوبين كانا عليه واخرج من العيبة ثوبين حسنين فلبسهما على مرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يصنع ثم اقبل يمشي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم يا اشج ان فيك خلقين يحبهما الله ورسوله فقال ما هما بابي انت وامي قال الحلم والاناة فقال خلقان تخلقتهما او خلقان جبلت عليهما قال بل خلقان جبلك الله عليهما فقال الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما الله ورسوله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب الحليم الحيي الغني المتعفف ويبغض الفاحش البذي السائل الملحف وقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم ثلث من لم يكن فيه واحدة منهن فلا يعتد بشئ من عمله تقوى تحجزه عن معاصي الله وحلم يكف به السفيه وخلق يعيش به في الناس وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جمع الله الخلائق يوم القيمة نادى مناد اين اهل الفضل فيقوم ناس وهم يسير فينطلقون سراعا الى الجنة فتتلقاهم الملائكة فيقولون انا نراكم سراعا الى الجنة فيقولون نحن اهل الفضل فيقولون ما كان فضلكم فيقولون كنا اذا ظلمنا صبرنا واذا اسيء الينا عفونا واذا جهل علينا حلمنا فيقال لهم ادخلوا الجنة فنعم اجر العاملين

الآثار قال عمر رضي الله عنه تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والحلم وقال علي رضي الله عنه ليس الخير ان يكثر مالك وولدك ولكن الخير ان يكثر علمك ويعظم حلمك وان لا تباهي الناس بعبادة ربك فاذا احسنت حمدت الله واذا اسأت استغفرت الله وقال الحسن اطلبوا العلم وزينوه بالوقار والحلم وقال اكثم بن صيفي دعامة العقل الحلم وجماع الامر الصبر وقال ابو الدرداء ادركت الناس ورقا لا شوك فيه فاصبحوا شوكا لا ورق فيه ان نقدتهم نقدوك وان تركتهم لم يتركوك قالوا فكيف نصنع قال تقرضهم من عرضك ليوم فقرك وقال علي رضي الله عنه ان اول عوض الحليم ان الناس كلهم اعوانه على الجاهل وقال معوية لا يبلغ الرجل مبلغ الراي حتى يغلب حلمه جهله وصبره شهوته ولا يبلغ ذلك الا بقوة العلم وقال معوية لعمرو بن الاهتم اي الرجال اشجع قال من رد جهله بحلمه فقال اي الرجال اسخى قال من بذل دنياه لصلاح دينه وقال انس بن مالك في قوله تعالى فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم الى قوله عظيم هو الرجل يشتمه اخوه فيقول ان كنت كاذبا فغفر الله لك وان كنت صادقا فغفر الله لي وعن بعضهم قال شتمت فلانا من اهل البصرة فحلم علي فاستعبدني بها زمانا وسب رجل ابن عباس فلما فرغ قال يا عكرمة هل للرجل حاجة فنقضيها فنكس الرجل راسه واستحيى وقال رجل لعمر بن عبد العزيز اشهد انك من الفاسقين فقال ليس تقبل شهادتك وشتم علي بن الحسين بن علي رجل فرمى اليه خميصة كانت عليه وامر له بالف درهم فقال بعضهم جمع فيه خمس خصال الحلم واسقاط الاذى وتخليص الرجل مما يبعد عن الله وحمله على الندم والتوبة ورجوعه الى المدح بعد الذم اشترى جميع ذلك بشئ من الدنيا يسير وقال معوية لعرابة بن اوس بم سدت قومك يا عرابة قال يا امير المومنين كنت احلم عن جاهلهم واعطي سائلهم واسعى في حوائجهم فمن فعل فعلي فهو مثلي ومن جاوزني فهو افضل مني ومن قصر عني فانا خير منه وقال رجل لجعفر بن محمد انه قد وقع بيني وبين قوم منازعة في امر واني اريد ان اتركه فاخشى ان يقال لي ان تركك له ذل فقال جعفر انما الذليل الظالم وقال الخليل بن احمد كان يقال من اساء فاحسن اليه فقد جعل له حاجز من قلبه يردعه عن مثل اساءته وقال الاحنف بن قيس لست بحليم ولكني اتحالم وقال وهب بن منبه من يرحم يرحم ومن يصمت يسلم ومن يجهل يغلب ومن يعجل يخطئ ومن يحرص على الشر لا يسلم ومن لا يدع المراء يشتم ومن لا يكره الشر ياثم ومن يكره الشر يعصم ومن يتبع وصية الله يحفظ ومن يحذر الله يامن ومن يتول الله يمنع ومن لا يسال الله يفتقر ومن يامن مكر الله يخذل ومن يستعن بالله يظفر وقال رجل لمالك بن دينار بلغني انك ذكرتني بسوء قال انت اذا اكرم علي من نفسي اني اذا فعلت ذلك اهديت اليك حسناتي وقال بعض العلماء الحلم ارفع من العقل لان الله عز وجل تسمى به وقال رجل لبعض الحكماء والله لاسبنك سبا يدخل معك في قبرك قال معك يدخل لا معي ومر المسيح ابن مريم صلى الله عليه وسلم بقوم من اليهود فقالوا له شرا فقال لهم خيرا فقيل له انهم يقولون شرا وانت تقول خيرا فقال كل واحد ينفق مما عنده وقال لقمن ثلاثة لا يعرفون الا عند ثلثة لا يعرف الحليم الا عند الغضب ولا الشجاع الا عند الحرب ولا الاخ الا عند حاجتك اليه ودخل على بعض الحكماء صديق له فقدم الطعام فخرجت امراة الحكيم وهي سيئة الخلق فرفعت المائدة واقبلت على شتم الحكيم فخرج الصديق مغضبا فتبعه الحكيم وقال اتذكر يوما كنا في منزلك نطعم فسقطت دجاجة على المائدة وافسدت ما عليها فلم يغضب احدنا فقال نعم قال فاحسب ان هذه مثل الدجاجة فسري عن الرجل وانصرف وقال صدق الحكيم شفاء من كل الم وضرب رجل قدم حكيم فاوجعه فلم يغضب فقيل له في ذلك فقال اقمته مقام حجر تعثرت به فذبحت الغضب وقال محمود الوراق

سالزم نفسي الصفح عن كل مذنب وان كثرت منه علي الجرائم

وما الناس الا واحد من ثلاثة شريف ومشروف ومثل مقاوم

فاما الذي فوقي فاعرف قدره واتبع فيه الحق والحق لازم

واما الذي دوني فان قال صنت عن اجابته عرضي وان لام لائم

واما الذي مثلي فان زل او هفا تفضلت ان الفضل بالحلم حاكم

بيان القدر الذي يجوز الانتصار والتشفي به من الكلام

اعلم ان كل ظلم صدر من شخص فلا يجوز مقابلته بمثله فلا يجوز مقابلة الغيبة بالغيبة ولا مقابلة التجسس بالتجسس ولا مقابلة السب بالسب وكذا سائر المعاصي وانما القصاص والغرامة على ما ورد الشرع به وقد فصلناه في الفقه واما السب فلا يقابل بمثله قال

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن امرؤ عيرك بما فيك فلا تعيره بما فيه وقال المستبان شيطانان يتهاتران
وشتم رجل ابا بكر وهو ساكت فلما ابتدأ ينتصر منه قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انك كنت
ساكتا لما شتمني فلما تكلمت قمت قال لان الملك كان يجيب عنك فاذا تكلمت ذهب الملك وجاء الشيطان فلم اكن لاجلس
في مجلس فيه الشيطان وقال قوم يجوز المقابلة بما لا كذب فيه ونهيه صلى الله عليه وسلم عن التعيير بمثله نهي تنزيه
والافضل تركه ولكنه لا يعصي به والذي يرخص فيه ان يقول له من انت وهل انت الا من بني فلان كما قال سعد لابن مسعود
وهل انت الا من بني هذيل فقال ابن مسعود وهل انت الا ابن امية ومثل قوله يا احمق قال مطرف كل الناس احمق فيما بينه وبين
ربه الا ان بعض الناس اقل حماقة من بعض وقال ابن عمر في حديث طويل حتى ترى الناس كلهم حمقى في ذات الله
وكذلك قوله يا جاهل اذ ما من احد الا وفيه جهل فقد آذاه بما ليس بكذب وكذلك قوله يا سيء الخلق يا صفيق الوجه
يا ثلابا للاعراض وكان ذلك فيه وكذلك قوله لو كان فيك حياء ما تكلمت وما احقرك في عيني بما فعلت واخزاك الله و
انتقم منك فاما النميمة والغيبة والكذب وسب الوالدين فحرام بالاتفاق لما روي انه كان بين خالد بن الوليد وسعد
كلام فذكر رجل خالدا عند سعد فقال سعد مه ان ما بيننا لم يبلغ ديننا يعني ان يأثم بعضنا في بعض فلم يسمع السوء فكيف يجوز
ان يقوله والدليل على جواز ما ليس بكذب ولا حرام كالنسبة الى الزنا والسب والفحش ما روت عائشة رضي الله عنها ان ازواج
النبي صلى الله عليه وسلم ارسلن اليه فاطمة عليها السلام فجاءت فقالت يا رسول الله ارسلني ازواجك يسألنك العدل في
ابنة ابي قحافة والنبي صلى الله عليه وسلم فقال يا بنية أتحبين ما احب قالت نعم قال فأحبي هذه فرجعت اليهن واخبرت
بذلك فقلن ما اغنيت عنا شيئا فارسلن زينب بنت جحش قالت وهي التي تساميني في الحب فجاءت فقالت بنت ابي بكر
وبنت ابي بكر فما زالت تذكرني وانا ساكتة انتظر ان يأذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجواب فأذن لي فسببتها حتى
جف لساني فقال صلى الله عليه وسلم كلا انها بنت ابي بكر يعني انك لا تقاومينها في الكلام وقولها سببتها ليس المراد به
الفحش بل الجواب عن كلامها بالحق ومقابلتها بالصدق وقال النبي صلى الله عليه وسلم المستبان ما قالا فعلى البادي منهما
حتى يعتدي المظلوم فاثبت للمظلوم انتصارا الى ان يعتدي فهذا القدر هو الذي اباحه هؤلاء وهو رخصة في الايذاء جزاء
على ايذائه السابق ولا يبعد الرخصة في هذا القدر ولكن الافضل تركه فانه يجره الى ما وراءه ولا يمكن الاقتصار على مقدار الحق فيه
والسكوت عن اصل الجواب لعله ايسر من الشروع في الجواب والوقوف على حد الشرع فيه ولكن من لا يقدر على ضبط نفسه في فورة
الغضب ولكن يعود سريعا ومنهم من يكف نفسه في الابتداء ولكن يحقد في الدوام والناس في الغضب اربعة فبعضهم كالحلفاء
سريع الخمود وبعضهم كالغضا بطيء الوقود بطيء الخمود وبعضهم بطيء الوقود سريع الخمود وهو الاحمد ما لم ينته الى فتور
الحمية والغيرة وبعضهم سريع الوقود بطيء الخمود وهذا هو شرهم وفي الخبر المؤمن سريع الغضب سريع الرضا فهذه بتلك
وقال الشافعي من استغضب فلم يغضب فهو حمار ومن استرضي فلم يرض فهو شيطان وقد قال ابو سعيد الخدري قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان بني آدم خلقوا على طبقات منهم سريع الغضب بطيء الرضى ومنهم سريع الغضب سريع الرضى
فتلك بتلك ومنهم سريع الغضب بطيء الخمود الا فان خيرهم البطيء الغضب السريع الرضى وشرهم السريع الغضب البطيء الرضى
ولما كان الغضب في الحال يهيج ويؤثر في كل انسان وجب على السلطان ان لا يعاقب احدا في حال غضبه عليه لانه ربما
يتعدى الواجب ولانه يكون متشفيا غيظه ومريحا نفسه فيكون صاحب حظ فيه وينبغي ان يكون انتقامه وانتصاره لله

لله لا لنفسه رأى عمر رضي الله عنه سكرانا فأراد ان يأخذه ويعزره فشتمه السكران فرجع عمر فقيل له يا امير المؤمنين
لما شتمك تركته قال لانه اغضبني ولو عزرته لكان ذلك لغضبي لنفسي ولم احب ان اضرب مسلما حمية لنفسي وقال عمر بن عبد
العزيز لرجل اغضبه لولا انك اغضبتني لعاقبتك **القول** في معنى الحقد ونتائجه وفضيلة العفو والرفق اعلم
ان الغضب اذا لزم كظمه لعجزه عن التشفي في الحال رجع الى الباطن واحتقن فيه فصار حقدا ومعنى الحقد ان يلزم
قلبه استثقاله والبغضة له والنفار منه وان يدوم ذلك ويبقى وقد قال صلى الله عليه وسلم المؤمن ليس بحقود فالحقد ثمرة
الغضب والحقد يثمر ثمانية امور الاول الحسد وهو ان يحملك الحقد على ان تتمنى زوال النعمة عنه فتغتم بنعمة ان اصابها
وتسر بمصيبة ان نزلت به وهذا من فعل المنافقين على الحسد وسيأتي ذمه الثاني ان تزيد على اضمار الحسد في الباطن فتشمت
بما يصيبه من البلاء الثالث ان تهجره وتصارمه وتنقطع عنه وان اقبل عليك الرابع وهو دونه ان تعرض عنه استصغارا
له الخامس ان تتكلم فيه بما لا يحل من كذب وغيبة وافشاء سر وهتك ستر ونحوه السادس ان تحاكيه استهزاء به
وسخرية منه السابع ايذاؤه بالضرب وما يؤلم بدنه الثامن ان تمنعه حقه من صلة رحم او قضاء دين او رد مظلمة وكل
ذلك حرام واقل درجات الحقد ان تحترز من الآفات الثمانية المذكورة ولا تخرج بسبب الحقد الى ما تعصي الله به ولكن تستثقله
بالباطن ولا تنتهي قلبك عن بغضه حتى تمتنع عما كنت تتطوع به من البشاشة والرفق والعناية والقيام بحاجاته والمجالسة معه
على ذكر الله والمعاونة على المنفعة له او تترك الدعاء له والثناء عليه والتحريض على بره ومواساته فهذا كله مما ينقص درجتك
في الدين ويحول بينك وبين فضل عظيم وثواب جزيل وان كان لا يعرضك لعقاب ولما حلف ابو بكر ان لا ينفق على مسطح وكان
قريبه وكان تكلم في واقعة الافك نزل قوله تعالى ولا يأتل اولوا الفضل منكم الى قوله الا تحبون ان يغفر الله لكم فقال ابو بكر نعم
نحب ذلك وعاد الى الانفاق عليه فالاولى ان يبقى على ما كان فان امكنه ان يزيد في الاحسان مجاهدة للنفس وارغاما للشيطان
فذلك هو مقام الصديقين وهو من فضائل اعمال المقربين فللمحقود ثلاثة احوال عند القدرة احدها ان يستوفي حقه الذي يستحقه
من غير زيادة ونقصان وهو العدل الثاني ان يحسن اليه بالعفو والصلة وذلك هو الفضل الثالث ان يظلمه بما لا
يستحقه وذلك هو الجور وذلك اختيار الاراذل والثاني هو اختيار الصديقين والاول هو منتهى درجة الصالحين ولنذكر
الآن فضيلة العفو والاحسان **فضيلة** العفو اعلم ان معنى العفو ان يستحق حقا فيسقطه ويبرأ عنه من قصاص او غرامة
وهو غير الحلم وكظم الغيظ فلذلك افردناه وقد قال الله تعالى خذ العفو الآية وقال تعالى فمن تصدق به فهو كفارة له و
ان تعفوا اقرب للتقوى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث والذي نفسي بيده ان كنت لحالفا عليهن ما نقصت
صدقة من مال فتصدقوا ولا عفا رجل عن مظلمة يبتغي بها وجه الله الا زاده الله بها عزا يوم القيامة ولا فتح رجل باب مسألة
الا فتح الله عليه باب فقر وقال صلى الله عليه وسلم التواضع لا يزيد العبد الا رفعة فتواضعوا يرفعكم الله والعفو لا يزيد
العبد الا عزا فاعفوا يعزكم الله وقالت عائشة ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها قط ما لم
ينتهك من محارم الله تعالى فاذا انتهك من محارم الله شيء كان اشدهم في ذلك غضبا وما خير بين امرين قط الا اختار ايسرهما
ما لم يكن مأثما وقال عقبة بن عامر لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فبدرته فاخذت بيده او بدرني فاخذ بيدي
فقال يا عقبة الا اخبرك بافضل اخلاق اهل الدنيا والآخرة تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال موسى يا رب اي عبادك اعز عليك قال الذي اذا قدر عفا وكذلك سئل ابو الدرداء من

من اعز الناس فقال الذي يعفو اذا قدر فاعفوا يعزكم الله وجاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم يشكو مظلمة فامره النبي
صلى الله عليه وسلم ان يجلس واراد ان ياخذ له بمظلمته فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المظلومين هم المفلحون يوم القيمة
فابى ان ياخذها حين سمع الحديث وقالت عايشة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دعا على من ظلمه فقد انتصر وعن انس قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بعث الله الخلايق يوم القيمة نادى مناد من تحت العرش ثلاثة اصوات يا معشر
الموحدين ان الله قد عفا عنكم فليعف بعضكم عن بعض وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة طاف بالبيت
وصلى ركعتين ثم اتى الكعبة فاخذ بعضادتي الباب وقال ما تقولون وما تظنون قالوا نقول اخ كريم وابن عم حليم رحيم قالوا
ذلك ثلاثا فقال صلى الله عليه وسلم اقول كما قال يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين قال فخرجوا كانما نشروا
من القبور فدخلوا في الاسلام وعن سهيل بن عمرو قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عام الفتح وضع يديه على باب الكعبة
والناس حوله فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم قال يا معشر قريش ما
تقولون وما تظنون قال قلت يا رسول الله نقول خيرا ونظن خيرا اخ كريم وابن اخ كريم وقد قدرت فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اقول كما قال اخي يوسف عليه السلام لا تثريب عليكم اليوم وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا وقف
العباد يوم القيمة نادى مناد ليقم من اجره على الله فليدخل الجنة قيل ومن ذا الذي اجره على الله قال العافون عن الناس فقام كذا
وكذا الفا فدخلوها بغير حساب وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لوالي امر ان يؤتى بحد الا اقامه والله عفو
يحب العفو ثم قرأ وليعفوا وليصفحوا الاية وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث من جاء بهن مع ايمان دخل
من اي ابواب الجنة شاء وزوج من الحور العين حيث شاء من ادى دينا خفيا وقرأ في دبر كل صلوة قل هو الله احد عشر مرات وعفا
عن قاتله فقال ابو بكر او احدهن يا رسول الله قال او احدهن

الآثار

قال ابرهيم التيمي ان الرجل ليظلمني فارحمه وهذا
احسان وراء العفو لانه يشتغل قلبه بتعرضه لمعصية الله بالظلم وانه يطالب يوم القيمة فلا يكون له جواب وقال بعضهم اذا
اراد الله ان يتحف عبدا قيض له من يظلمه ودخل رجل على عمر بن عبد العزيز فجعل يشكو اليه رجلا ظلمه ويقع فيه فقال له عمر
انك ان تلقى الله ومظلمتك كما هي لك خير من ان تلقاه وقد اقتصصتها وقال يزيد بن ميسرة ان ظللت تدعو على من ظلمك فان الله
يقول ان اخر يدعو عليك انك ظلمته فان شئت استجبنا لك واجبنا عليك وان شئتما اخرتكما الى يوم القيمة فيسعكما عفوي
وقال مسلم بن يسار لرجل دعا على ظالمه كل الظالم الى ظلمه فانه اسرع اليه من دعائك الا ان يتداركه بعمل وقمن ان لا يفعل وعن
ابن عمر عن ابي بكر انه قال بلغنا ان الله عز وجل يامر مناديا يوم القيمة فينادي من كان له عند الله شيء فليقم فيقوم اهل العفو
فيكافئهم الله بما كان من عفوهم عن الناس وعن هشام بن محمد قال اتي النعمان بن المنذر برجلين احدهما قد اذنب ذنبا عظيما فعفا عنه
والاخر اذنب ذنبا صغيرا فعاقبه وقال تعفو الملوك عن العظيم من الذنوب لفضلها ولقد تعاقب وليس ذلك لجهلها الا ليعرف
حلمها ويخاف شدة بطشها وعن مبارك بن فضالة قال وفد سوار بن عبد الله في وفد من اهل البصرة الى ابي جعفر المنصور فكنت
عنده اذ اتي برجل فامر بقتله فقلت يقتل رجل من المسلمين وانا حاضر فقلت يا امير المؤمنين الا احدثكم حديثا سمعته من الحسن قال وما
هو قلت سمعته يقول اذا كان يوم القيمة جمع الناس في صعيد واحد حيث يسمعهم الداعي وينفذهم البصر فيقوم مناد فيقول
من له عند الله يد فليقم فلا يقوم الا من عفا قال والله لسمعته من الحسن فقلت والله لسمعته من الحسن فقال خليا عنه
وقال معاوية عليكم بالحلم والاحتمال حتى تمكنكم الفرصة فاذا امكنتكم فعليكم بالصفح والافضال وروي ان راهبا دخل على هشام

ابن عبد الملك فقال له هشام ارايت ذا القرنين اكان نبيا فقال لا ولكنه انما اعطي ما اعطي باربع خصال كن فيه
كان اذا قدر عفا واذا وعد وفى واذا حدث صدق ولا يجمع شغل اليوم لغد وقال بعضهم ليس الحليم من ظلم فحلم حتى اذا قدر
انتقم ولكن الحليم من ظلم فحلم ثم قدر فعفا وقال زياد الهدنة تذهب الحفيظة يعني الحقد والغضب واتي هشام برجل
بلغه عنه امر فلما اقيم بين يديه جعل يتكلم بحجته فقال له هشام وتتكلم ايضا فقال الرجل يا امير المؤمنين قال الله عز وجل يوم تاتي كل
نفس تجادل عن نفسها افنجادل الله ولا نتكلم بين يديك كلاما قال هشام بلى ويحك تكلم وروي ان سارقا دخل خباء عمار بن ياسر
بصفين فقيل له اقطعه فانه من اعدائنا فقال بل استر عليه لعل الله ان يستر علي يوم القيمة وجلس ابن مسعود في السوق يبتاع
طعاما فابتاع ثم طلب الدراهم وكانت في عمامته فوجدها قد حلت فقال لقد جلست وانها لمعي فجعلوا يدعون على من
اخذها ويقولون اللهم اقطع يد السارق الذي اخذها فقال عبد الله اللهم ان كان حمله على اخذها حاجة فبارك له فيها وان كان حملته
جراءة على الذنب فاجعله اخر ذنوبه وقال الفضيل ما رايت قط رجلا ازهد من رجل من اهل خراسان جلس الي في المسجد الحرام
ثم قام ليطوف فسرقت دنانير كانت معه فجعل يبكي فقلت اعلى الدنانير تبكي قال لا ولكن مثلتني واياه بين يدي الله فاشرف
عقلي على ادحاض حجته فبكائي رحمة له وقال مالك بن دينار اتينا منزل الحكم بن ايوب ليلا وهو على البصرة وجاء الحسن
وهو خائف فدخلنا معه عليه فما كنا مع الحسن الا بمنزلة الفراريج فذكر الحسن قصة يوسف وما صنع به اخوته
من بيعهم اياه وطرحهم له في الجب فقال باعوا اخاهم واحزنوا اباهم وذكر ما لقي من كيد النساء ومن الحبس ثم قال
ايها الامير ماذا صنع الله به اداله منهم ورفع ذكره واعلى كلمته وجعله على خزائن الارض فماذا صنع حين اكمل له امره
وجمع له اهله قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم يعرض للحكم بالعفو عن اصحابه فقال الحكم وانا اقول لا تثريب عليكم اليوم
ولو لم اجد الا ثوبي هذا لواريتكم تحته وكتب ابن المقفع الى صديق له يسأله العفو عن بعض اخوانه فلان هارب من زلته الى عفوك
ولائذ منك بك واعلم انه لن يزداد الذنب عظما الا ازداد العفو فضلا واتي عبد الملك بن مروان باسارى من اصحاب ابن الاشعث فقال
لرجاء بن حيوة ما ترى قال ان الله قد اعطاك ما تحب من الظفر فاعط الله ما يحب من العفو فعفا عنهم وروي ان زيادا
اخذ رجلا من الخوارج فافلت منه فاخذ اخا له فقال ان جئت باخيك والا ضربت عنقك فقال ارايت ان جئتك
بكتاب من امير المؤمنين تخلي سبيلي قال نعم قال فانا اتيك بكتاب من العزيز الحكيم واقيم عليه شاهدين ابرهيم وموسى ام لم ينبأ بما
في صحف موسى وابرهيم الذي وفى الا تزر وازرة وزر اخرى فقال زياد خلوا سبيله هذا رجل لقن حجته وقيل مكتوب في التوراة
من استغفر لمن ظلمه فقد هزم الشيطان

فضيلة الرفق

اعلم ان الرفق محمود وضده العنف والحدة والعنف نتيجة
الغضب والفظاظة والرفق واللين نتيجة حسن الخلق والسلامة وقد يكون سبب الحدة الغضب وقد يكون سببه شدة
الحرص واستيلاؤه بحيث يدهش عن التفكر ويمنع من التثبت فالرفق في الامور ثمرة لا يثمرها الا حسن الخلق ولا يحسن الخلق
الا بضبط قوة الغضب وقوة الشهوة وحفظهما على حد الاعتدال ولاجل هذا اثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرفق
وبالغ فيه فقال يا عايشة انه من اعطي حظه من الرفق اعطي حظه من خير الدنيا والاخرة ومن حرم حظه من الرفق حرم
حظه من خير الدنيا والاخرة وقال صلى الله عليه وسلم اذا احب الله اهل بيت ادخل عليهم الرفق وقال صلى الله عليه وسلم
ان الله ليعطي على الرفق ما لا يعطي على الخرق واذا احب الله عبدا اعطاه الرفق وما من اهل بيت يحرمون الرفق الا قد
حرموا وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى رفيق يحب الرفق ويعطي عليه ما لا يعطي على العنف وقال صلى الله عليه وسلم

يا عائشة ارفقي فإن الله إذا أراد بأهل بيت كرامة دلهم على باب الرفق وقال صلى الله عليه وسلم من يحرم الرفق يحرم الخير كله
وقال صلى الله عليه وسلم أيما وال ولي أمرا فلان ورفق رفق به يوم القيمة وقال صلى الله عليه وسلم تدرون من
يحرم النار كل لين هين سهل قريب وقال صلى الله عليه وسلم الرفق يمن والخرق شؤم وقال صلى الله عليه وسلم التأني
من الله والعجلة من الشيطان وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه رجل فقال يا رسول الله إن الله تعالى قد بارك لجميع المسلمين
فيك فاخصصني منك بخير فقال الحمد لله الحمد لله مرتين أو ثلاثا ثم أقبل عليه فقال هل أنت مستوص هل أنت مستوص مرتين
أو ثلاثا قال نعم قال إذا أردت أمرا فتدبر عاقبته فإن كان رشدا فأمضه وإن كان سوى ذلك فانته عنه وعن عائشة
أنها كانت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر على بعير صعب فجعلت تصرفه يمينا وشمالا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا عائشة عليك بالرفق فإنه لا يدخل في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه الآثار بلغ عمر بن الخطاب أن جماعة من عماله
اشتكوا فأمرهم أن يوافوه فلما أتوه قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الرعية إن لنا عليكم حقا النصيحة بالغيب والمعاونة
على الخير أيها الرعاة إن للرعية عليكم حقا فاعلموا أنه لا حلم أحب إلى الله ولا أعم من حلم إمام ورفقه وليس جهل أبغض إلى
الله سبحانه ولا أعم من جهل إمام وخرقه واعلموا أنه من يأخذ بالعافية فيمن بين ظهريه يرزق العافية فيمن هو دونه وقال وهب بن
منبه الرفق ثني الحلم وفي الخبر مرفوعا وموقوفا العلم خليل المؤمن والحلم وزيره والعقل دليله والعمل قيمه والرفق والده و
اللين أخوه والصبر أمير جنوده وقال بعضهم ما أحسن الإيمان يزينه العلم وما أحسن العلم يزينه العمل وما أحسن العمل يزينه الرفق
وما أضيف شيء إلى شيء مثل حلم إلى علم وقال عمرو بن العاص لابنه عبد الله ما الرفق قال أن تكون ذا أناة وتلاين الولاة قال
فما الخرق قال معاداة إمامك ومناواة من يقدر على ضررك وقال سفيان لأصحابه أتدرون ما الرفق قالوا قل يا أبا محمد قال
أن تضع الأمور مواضعها الشدة في مواضعها واللين في موضعه والسيف في موضعه والسوط في موضعه وهذه إشارة
إلى أنه لا بد من مزج الغلظة باللين والفظاظة بالرفق كما قيل ووضع الندى في موضع السيف بالعلى مضر كوضع السيف في موضع الندى
فالمحمود وسط بين العنف واللين كما في سائر الأخلاق ولكن لما كانت الطباع إلى الحدة والعنف أميل كانت الحاجة إلى ترغيبهم
في جانب الرفق أكثر فلذلك كثر ثناء الشرع على جانب الرفق دون العنف وإن كان العنف في محله حسنا كما أن الرفق في محله حسن
فإذا كان الواجب هو العنف فقد وافق الحق الهوى وهو ألذ من الزبد بالشهد وهكذا قال عمر بن عبد العزيز وروي أن
عمرو بن العاص كتب إلى معاوية يعاتبه في التأني فكتب إليه معاوية أما بعد فإن التفهم في الخير زيادة ورشد وإن الرشيد
من رشد عن العجلة وإن الخائب من خاب عن الأناة وإن المتثبت مصيب أو كاد أن يكون مصيبا وإن العجل مخطئ أو كاد أن يكون
مخطئا وإن من لا ينفعه الرفق يضره الخرق ومن لا تنفعه التجارب لا يدرك المعالي وعن أبي عون الأنصاري قال ما تكلم الناس
بكلمة صعبة إلا وإلى جانبها كلمة ألين منها تجري مجراها وقال أبو حمزة الكوفي لا تتخذ من الخدم إلا ما لا بد منه فإن مع كل إنسان
شيطانا واعلم أنه لا يعطون بالشدة شيئا إلا أعطوك باللين ما هو أفضل منه وقال الحسن المؤمن وقاف
متأن وليس كحاطب ليل فهذا ثناء أهل العلم على الرفق وذلك لأنه محمود ومفيد في أكثر الأحوال وأغلب الأمور والحاجة إلى
العنف فيعطي كل أمر حقه فإن كان قاصر البصيرة أو أشكل عليه حكم واقعة من الوقائع فليكن ميله إلى الرفق فإن النجح معه
في الأكثر

القول في ذم الحسد وحقيقته وأسبابه ومعالجته وغاية الواجب في إزالته

القول في ذم الحسد اعلم أن
الحسد أيضا من نتائج الحقد والحقد من نتائج الغضب فهو فرع فرعه والغضب أصل أصله ثم للحسد من الفروع الذميمة ما
لا يكاد يحصى وقد ورد في ذم الحسد خاصة أخبار كثيرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسد يأكل الحسنات كما
تأكل النار الحطب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في النهي عن الحسد وأسبابه وثمراته لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا
ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله إخوانا وقال أنس كنا يوما جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يطلع عليكم الآن
من هذا الفج رجل من أهل الجنة قال فطلع رجل من الأنصار ينطف لحيته من وضوئه قد علق نعليه في يده الشمال فسلم فلما
كان من الغد قال صلى الله عليه وسلم مثل ذلك فطلع الرجل وقاله في اليوم الثالث فطلع الرجل فلما قام النبي صلى الله عليه
وسلم تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص فقال إني لاحيت أبي فأقسمت أن لا أدخل عليه ثلاثا فإن رأيت أن تؤويني إليك حتى
تمضي فعلت فقال نعم فبات عنده ثلاث ليال فلم يره يقوم من الليل شيئا غير أنه إذا انقلب على فراشه ذكر الله تعالى ولم يقم
حتى يقوم لصلاة الفجر قال غير أني لم أسمعه يقول إلا خيرا فلما مضت الثلاث وكدت أن أحتقر عمله قلت يا عبد الله لم يكن بيني وبين
والدي غضب ولا هجرة ولكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا وكذا فأردت أن أعرف عملك فلم أرك تعمل عملا كثيرا
فما الذي بلغ بك ذلك قال ما هو إلا ما رأيت فلما وليت دعاني فقال ما هو إلا ما رأيت غير أني لا أجد على أحد من المسلمين
في نفسي غشا ولا حسدا على خير أعطاه الله إياه قال عبد الله هي التي بلغت بك وهي التي لا نطيق وقال النبي صلى الله عليه وسلم
ثلاث لا ينجو منهن أحد الظن والطيرة والحسد وسأحدثكم بالمخرج من ذلك إذا ظننت فلا تحقق وإذا تطيرت فامض و
إذا حسدت فلا تبغ وفي رواية ثلاث لا ينجو منهن أحد وقل من ينجو منهن فأثبت في هذه الرواية إمكان النجاة وقال صلى الله
عليه وسلم دب إليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء والبغضة هي الحالقة لا أقول حالقة الشعر ولكن حالقة الدين
والذي نفس محمد بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولن تؤمنوا حتى تحابوا ألا أنبئكم بما يثبت ذلك لكم أفشوا السلام
بينكم وقال صلى الله عليه وسلم كاد الفقر أن يكون كفرا وكاد الحسد أن يغلب القدر وقال صلى الله عليه وسلم إنه سيصيب
أمتي داء الأمم قالوا وما داء الأمم قال الأشر والبطر والتكاثر والتنافس في الدنيا والتباعد والتحاسد حتى يكون البغي
ثم يكون الهرج القتل وقال صلى الله عليه وسلم لا تظهر الشماتة لأخيك فيعافيه الله ويبتليك وروي أن موسى لما تعجل إلى ربه
رأى في ظل العرش رجلا فغبطه بمكانه وقال إن هذا لكريم على ربه فسأل ربه أن يخبره باسمه فلم يخبره باسمه وقال أحدثك
من عمله بثلاث كان لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله وكان لا يعق والديه ولا يمشي بالنميمة وقال زكريا صلوات الله عليه
قال الله تعالى الحاسد عدو لنعمتي متسخط لقضائي غير راض بقسمتي التي قسمت بين عبادي وقال نبينا صلى الله عليه وسلم أخوف
ما أخاف على أمتي أن يكثر لهم المال فيتحاسدون ويقتتلون وقال صلى الله عليه وسلم استعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان
فإن كل ذي نعمة محسود وقال صلى الله عليه وسلم إن لنعم الله أعداء فقيل وما أولئك قال الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله
وقال صلى الله عليه وسلم ستة يدخلون النار قبل الحساب بستة قيل يا رسول الله من هم قال الأمراء بالجور والعرب
بالعصبية والدهاقين بالتكبر والتجار بالخيانة وأهل الرستاق بالجهالة والعلماء بالحسد الآثار قال بعض السلف
أول خطيئة كانت هي الحسد حسد إبليس آدم أن يسجد له فحمله الحسد على المعصية وحكي أن عون بن عبد الله دخل على الفضل
بن المهلب وكان يومئذ على واسط فقال إني أريد أن أعظك بشيء فقال وما ذاك قال إياك والكبر فإنه أول ذنب عصي
الله به ثم قرأ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس الآية وإياك والحرص فإنه أخرج آدم من الجنة أسكنه الله جنة
عرضها السموات والأرض يأكل منها إلا شجرة واحدة نهاه الله عنها فأكلها فأخرجه الله ثم قرأ اهبطا منها جميعا إلى آخر الآية

واياك والحسد فانه قتل ابن آدم حين حسده ثم قرأ واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق واذا ذكر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فامسكوا واذا ذكر القدر فاسكتوا واذا ذكر النجوم فاسكتوا وقال بكر بن عبد الله كان رجل يغشى بعض الملوك فيقوم بحذاء الملك
فيقول احسن الى المحسن باحسانه والمسيء سيكفيكه اساءته فحسده رجل على ذلك المقام والكلام فسعى به الى الملك فقال ان هذا
الرجل الذي يقوم بحذائك ويقول ما يقول زعم ان الملك ابخر فقال الملك وكيف يصح ذلك عندي قال تدعوه اليك فاذا دنى منك
وضع يده على انفه لئلا يشم ريح البخر فقال له انصرف حتى انظر فخرج الرجل من عند الملك فدعا الرجل الى منزله فاطعمه طعاما فيه
ثوم فخرج الرجل من عنده وقام بحذاء الملك فقال احسن الى المحسن باحسانه والمسيء سيكفيكه اساءته فقال له الملك ادن مني فدنا
منه فوضع يده على فيه مخافة ان يشم الملك ريح الثوم فقال الملك في نفسه ما ارى فلانا الا وقد صدق قال وكان الملك لا يكتب
بخطه الا بجائزة او صلة فكتب له كتابا بخطه الى عامل من عماله اذا اتاك صاحب كتابي هذا فاذبحه واسلخه واحش جلده تبنا
وابعث به ثم عاد الرجل الى الملك كعادته وقال مثل قوله فتعجب الملك الى فاخذ الكتاب وخرج فلقيه الرجل الذي سعى به فقال
ما هذا الكتاب فقال خط الملك لي بصلة فقال هبه لي فقال هو لك فاخذه ومضى به الى العامل فقال العامل في كتابك ان
اذبحك واسلخك واحشو جلدك تبنا فقال ان الكتاب ليس هو لي فالله الله في امري حتى اراجع الملك فقال ههنا ليس
لكتاب الملك مراجعة فذبحه وسلخه وحشا جلده تبنا وبعث به ثم عاد الرجل الى الملك كعادته وقال مثل قوله فتعجب
الملك فقال ما فعل الكتاب فقال لقيني فلان فاستوهبه مني فوهبته منه فقال له الملك انه ذكر لي انك تزعم اني ابخر فقال
معاذ الله ما قلت قال فلم وضعت يدك على انفك لما دعوتك قال كان اطعمني طعاما فيه ثوم فكرهت ان تشمه قال صدقت
ارجع الى مكانك فقد كفاك المسيء اساءته وقال ابن سيرين ما حسدت احدا على شيء من امر الدنيا لانه ان كان من اهل النار
فكيف احسده على امر الدنيا وهو يصير الى النار وان كان من اهل الجنة فكيف احسده على الدنيا وهي حقيرة في الجنة وقال
رجل للحسن هل يحسد المؤمن قال ما انساك بني يعقوب نعم ولكن غمه في صدرك فانه لا يضرك ما لم تعد به يدا ولا لسانا
وقال ابو الدرداء ما اكثر عبد ذكر الموت الا قل فرحه وقل حسده وقال معاوية كل الناس اقدر على رضاه الا حاسد نعمة
فانه لا يرضيه الا زوالها ولذلك قيل كل العداوة قد ترجى اماتتها الا عداوة من عاداك عن حسد وقال بعض
الحكماء الحسد جرح لا يبرأ وحسب الحسود ما يلقى وقال اعرابي ما رأيت ظالما اشبه بمظلوم من حاسد فانه يرى النعمة عليك
نقمة عليه وقال الحسن يا ابن آدم لم تحسد اخاك فان كان الذي اعطاه الله لكرامته عليه فلم تحسد من اكرمه الله وان
كان غير ذلك فلم تحسد من مصيره الى النار وقال بعضهم الحاسد لا ينال من المجالس الا مذمة وذلا ولا ينال من الملائكة الا
لعنة وبغضا ولا ينال من الخلق الا جزعا وغما ولا ينال عند النزع الا شدة وهولا ولا ينال عند الموقف الا فضيحة ونكالا

بيان حقيقة الحسد وحكمه واقسامه ومراتبه اعلم انه لا حسد الا على نعمة فاذا انعم الله على اخيك بنعمة فلك فيها
حالتان احداهما ان تكره تلك النعمة وتحب زوالها وهذه الحالة تسمى حسدا فالحسد حده كراهة النعمة وحب زوالها من
المنعم عليه الحالة الثانية ان لا تحب زوالها ولا تكره وجودها ودوامها ولكنك تشتهي لنفسك مثلها وهذا لا يسمى
غبطة وقد يخص باسم المنافسة وقد يسمى المنافسة حسدا والحسد منافسة ويوضع احد اللفظين بدل الآخر ولا حجر في الاسامي
بعد فهم المعاني وقد قال صلى الله عليه وسلم المؤمن يغبط والمنافق يحسد فاما الاول فهو حرام بكل حال الا نعمة اصابها فاجر او
كافر وهو يستعين بها على تهييج الفتنة وافساد ذات البين وايذاء الخلق فلا يضرك كراهتك لها ومحبتك لزوالها فانك

فانك لا تحب زوالها من حيث انها نعمة بل من حيث هي آلة للفساد ولو امنت فساده لم يغمك بنعمته ويدل على تحريم الحسد
الاخبار التي نقلناها فان هذه الكراهة تسخط لقضاء الله تعالى في تفضيل بعض عباده على بعض وذلك لا عذر فيه ولا
رخصة واي معصية تزيد على كراهتك لراحة مسلم من غير ان يكون لك فيه مضرة والى هذا اشار القرآن بقوله ان
تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها وهذا الفرح شماتة والحسد والشماتة يتلازمان وقال تعالى ود كثير
من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا فاخبر ان حبهم زوال نعمة الايمان حسد وقال ودوا لو تكفرون كما كفروا
فتكونون سواء وقد ذكر الله تعالى حسد اخوة يوسف وعبر عما في قلوبهم بقوله تعالى اذ قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا
منا ونحن عصبة ان ابانا لفي ضلال مبين اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا يخل لكم وجه ابيكم فلما كرهوا حب ابيه له وساءهم
ذلك واحبوا زواله عنه غيبوه عنه وقال تعالى ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا اي لا يضيق به صدورهم ولا
يغتمون فاثنى عليهم بعدم الحسد وقال تعالى في معرض الانكار ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله وقال كان
الناس امة واحدة الى قوله الا الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم قيل في التفسير حسدا وقال وما تفرقوا
الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم فانزل الله العلم ليجمعهم ويؤلف بينهم على طاعته فامرهم ان يتألفوا بالعلم
فتحاسدوا واختلفوا اذ اراد كل واحد ان ينفرد بالرياسة وقبول القول فرد بعضهم على بعض قال ابن عباس كانت اليهود
قبل ان يبعث النبي صلى الله عليه وسلم اذا قاتلوا قوما قالوا نسألك بالنبي الذي وعدتنا ان ترسله وبالكتاب الذي
تنزله الا ما نصرتنا فكانوا ينصرون فلما جاء النبي صلى الله عليه وسلم من ولد اسمعيل عرفوه وكفروا به بعد معرفتهم فقال تعالى
وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به الى قوله ان يكفروا بما انزل الله بغيا اي حسدا وقالت
صفية بنت حيي للنبي صلى الله عليه وسلم جاء ابي وعمي من عندك يوما فقال ابي لعمي ما تقول فيه قال اقول انه النبي
الذي بشر به موسى قال فما ترى قال ارى معاداته ايام الحيوة فهذا حكم الحسد في التحريم واما المنافسة فليست بحرام
بل هي اما واجبة واما مندوبة واما مباحة وقد يستعمل لفظ المنافسة بدل الحسد والحسد بدل المنافسة قال قثم بن العباس
لما اراد هو واخوه الفضل ان يأتيا النبي صلى الله عليه وسلم فيسألاه ان يؤمرهما على الصدقة قالا لعلي حين قال لهما علي
لا تذهبا اليه فانه لا يؤمركما عليها فقالا له ما هذا منك الا نفاسة والله لقد زوجك ابنته فما نفسنا ذلك عليك
اي هذا منك حسد وما حسدناك على تزويجه اياك فاطمة فالمنافسة مشتقة في اللغة من النفاسة والذي يدل على اباحة
المنافسة قوله تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون وقال سابقوا الى مغفرة من ربكم وانما المسابقة عند خوف الفوت
وهو كالعبدين يتسابقان الى خدمة مولاهما اذ يجزع كل واحد منهما ان يسبقه صاحبه فيحظى عند مولاه بمنزلة لا يحظى
هو بها فكيف وقد صرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال لا حسد الا في اثنين رجل آتاه الله مالا فسلطه
على هلكته في الحق ورجل آتاه الله علما فهو يعمل به ويعلمه الناس ثم فسر ذلك في حديث ابي كبشة الانصاري فقال مثل هذه الامة
مثل اربعة رجل آتاه الله مالا وعلما فهو يعمل بعلمه في ماله ورجل آتاه الله علما ولم يؤته مالا فيقول رب لو ان لي مثل
ما لفلان لكنت اعمل فيه بمثل ما عمله فهما في الاجر سواء وهذا منه حب لان يكون له مثل ما كان له من غير حب زوال النعمة
عنه قال ورجل آتاه الله مالا فهو ينفق في معاصي الله ورجل لم يعطه الله مالا فيقول لو ان لي مثل مال فلان لكنت اعمل
بمثل عمله فهما في الوزر سواء فذمه رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهة تمنيه للمعصية لا من جهة حبه ان يكون له من النعمة

بل ماله فاذًا لا حرج على من يغبط غيره في نعمة ويشتهي لنفسه مثلها مهما لم يحب زوالها منه ولم يكره دوامها له نعم
ان كانت تلك النعمة نعمة دينية واجبة كالايمان والصلوة والزكوة فهذه المنافسة واجبة وهو ان يحب ان يكون مثله لانه
اذا لم يحب ذلك فيكون راضيا بالمعصية وذلك حرام وان كانت النعمة من الفضائل كانفاق الاموال في المكارم والصدقات
فالمنافسة فيها مندوب اليها وان كانت نعمة يتنعم فيها على وجه مباح فالمنافسة فيها مباحة وكل ذلك يرجع الى ارادة مساواته و
اللحوق به في النعمة وليس فيها كراهة النعمة الا ان تحتها امران احدهما راحة المنعم عليه والاخر ظهور نقصان غيره وتخلفه عنه وهو يكره
احد الوجهين وهو تخلف نفسه ويحب مساواته له ولا حرج على من يكره تخلف نفسه ونقصانها في المباحات نعم ذلك
ينقص من الفضل ويناقض الزهد والتوكل والرضا ويحجب عن المقامات الرفيعة ولكنه لا يوجب العصيان وها هنا دقيقة
غامضة وهو انه اذا ايس من ان ينال مثل تلك النعمة وهو يكره تخلفه ونقصانه فلا محالة يحب زوال النقصان وانما يزول النقصان
اما بان ينال مثله او بان يزول نعمة المحسود فاذا انسد احد الطريقين فيكاد القلب لا ينفك عن شهوة الطريق الاخر حتى اذا زالت
النعمة من المحسود كان ذلك اشهى عنده من دوامها اذ بزوالها يزول تخلفه وتقدم غيره وهذا لا يكاد ينفك القلب عنه فان
كان بحيث لو القي الامر اليه ورد الى اختياره لسعى في ازالة النعمة عنه فهو حسود حسدا مذموما وان كان يزعه التقوى عن ازالة
ذلك فيعفى عنه ما يجده في طبعه من ارتياح الى زوال النعمة عن محسوده مهما كان كارها لذلك من نفسه بعقله ودينه ولعله المعنى
بقوله صلى الله عليه وسلم ثلث لا ينفك المؤمن عنها الحسد والظن والطيرة ثم قال وله منهن مخرج فاذا حسدت فلا تبغ اي
ان وجدت في قلبك شيئا فلا تعمل به وبعيد ان يكون الانسان مريدا للحاق باخيه في النعمة فيعجز عنها ثم ينفك عن ميل الى زوال
النعمة اذ يجد لا محالة ترجيحا على دوامها فهذا الحد من المنافسة يزاحم الحسد الحرام فينبغي ان يحتاط له فانه موضع الخطر
ولا انسان الا وهو يرى فوق نفسه من معارفه واقرانه من يحب ان يساويه ويكاد يجره ذلك الى الحسد المحظور ان لم يكن قوي الايمان
رزين التقوى ومهما كان محركه ذلك وهو خوف التفاوت وظهور نقصانه عن غيره جره الى الحسد المذموم والى ميل الطبع
الى زوال النعمة عن اخيه حتى ينزل هو الى مساواته اذ لم يقدر هو ان يرتقي الى مساواته بادراك النعمة وذلك لا رخصة فيه اصلا
بل هو حرام سواء كان في مقاصد الدين او مقاصد الدنيا ولكن يعفى عنه ما لم يعمل به ان شاء الله ويكون كراهته لذلك
من نفسه كفارة له فهذه حقيقة الحسد واحكامه اما مراتبه فاربعة الاولى ان يحب زوال النعمة عنه وان كانت لا تنتقل
اليه وهذا غاية الخبث الثانية ان يحب زوال النعمة لرغبته في عين تلك النعمة مثل رغبته في دار حسنة او امرأة جميلة او
ولاية نافذة او سعة نالها غيره وهو يحب ان يكون له ومطلوبه تلك النعمة لا زوالها عنه ومكروهه فقد النعمة لا تنعم غيره
بها الثالثة ان لا يشتهي عينها بل يشتهي لنفسه مثلها فان عجز عن مثلها احب زوالها كي لا يظهر التفاوت بينهما الرابعة
ان يشتهي لنفسه مثلها فان لم يحصل فلا يحب زوالها منه وهذا الاخير هو المعفو عنه ان كان في الدنيا والمندوب اليه ان كان
في الدين والثالثة والاولى مذموم محض وتسمية الثانية حسدا فيه تجوز وتوسع ولكنه مذموم اذ قال الله سبحانه
ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض فتمنيه لمثل ذلك غير مذموم واما تمنيه عين ذلك فهو مذموم بيان اسباب
الحسد والمنافسة فان كان ذلك لامر ديني فسببه حب الله تعالى وحب طاعته وان كان دنيويا فسببه حب مباحات الدنيا و
التنعم فيها وانما نظرنا الآن في الحسد المذموم ومداخله كثيرة جدا ولكن يحصر جملته سبعة اسباب العداوة والتعزز والكبر والتعجب
والخوف من فوت المقاصد المحبوبة وحب الرياسة وخبث النفس وبخلها فانه انما يكره النعمة عليه اما لانه عدوه فلا يريد

له الخير وهذا لا يختص بالامثال بل يحسد الخسيس الملك بمعنى انه يحب زوال نعمته لكونه مبغضا له بسبب اساءته
اليه او الى من يحبه واما ان يكون من حيث يعلم انه يستكبر بالنعمة عليه وهو لا يطيق احتمال كبره وتفاخره لعزة نفسه وهو
المراد بالتعزز واما ان يكون في طبعه ان يتكبر على المحسود ويمتنع ذلك عليه بنعمته وهو المراد بالتكبر واما ان تكون النعمة
عظيمة والمنصب كبيرا فيتعجب من فوز مثله بمثل تلك النعمة وهو التعجب واما ان يخاف من فوات مقاصده بسبب نعمته
بان يتوصل بها الى مزاحمته في اغراضه واما ان يكون يحب الرياسة التي تنبني على الاختصاص بنعمة لا يساوى فيها و
اما ان لا يكون بسبب من هذه الاسباب بل بخبث النفس وشحها بالخير لعباد الله سبحانه ولا بد من شرح هذه الاسباب السبب
الاول العداوة والبغضاء وهذا اشد اسباب الحسد فان من آذاه انسان بسبب من الاسباب وخالفه في غرضه بوجه
من الوجوه ابغضه قلبه وغضب عليه ورسخ في نفسه الحقد والحقد يقتضي التشفي والانتقام فان عجز المبغض عن ان
يتشفى بنفسه احب ان يتشفى منه الزمان وربما يحيل ذلك على كرامة نفسه عند الله فمهما اصابت عدوه بلية فرح
بها وظنها مكافاة من جهة الله له على بغضه وانه لاجله ومهما اصابته نعمة ساءه ذلك لانه ضد مراده وربما
يخطر له انه لا منزلة له عند الله حيث لم ينتقم له من عدوه الذي آذاه بل انعم عليه وبالجملة فالحسد يلزم البغض و
العداوة ولا يفارقهما وانما غاية التقي ان لا يبغي وان يكره ذلك من نفسه واما ان يبغض انسانا ثم يستوي عنده مسرته
ومساءته فهذا غير ممكن وهذا مما وصف الله به الكفار اعني الحسد بالعداوة اذ قال واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا
عضوا عليكم الانامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة
يفرحوا بها وكذلك قال تعالى ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من افواههم والحسد بسبب البغض ربما يفضي الى التنازع و
التقاتل واستغراق العمر في ازالة النعمة بالحيل وبالسعاية وهتك الستر وما يجري مجراه السبب الثاني التعزز وهو
ان يثقل عليه ان يترفع عليه غيره فاذا اصاب بعض امثاله ولاية او علما او مالا خاف ان يتكبر عليه وهو لا يطيق تكبره
ولا تسمح نفسه باحتمال صلفه وتفاخره عليه فليس من غرضه ان يتكبر بل غرضه ان يدفع كبره فانه قد رضي بمساواته مثلا
ولكن لا يرضى بترفعه عليه السبب الثالث ان يكون في طبعه ان يتكبر عليه ويستصغره ويستخدمه ويتوقع منه
الانقياد له والمتابعة في اغراضه فاذا نال نعمة خاف ان لا يحتمل تكبره ويترفع عن متابعته او ربما يتشوف الى مساواته
او الى ان يترفع عليه فيعود متكبرا بعد ان كان متكبرا عليه ومن التعزز والتكبر كان حسد اكثر الكفار لرسول الله صلى الله
عليه وسلم حيث قالوا كيف يتقدم علينا غلام يتيم وكيف نطأطئ له رؤسنا فقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين
عظيم اي كان لا يثقل علينا ان نتواضع له ونتبعه اذا كان عظيما وقال الله تعالى يصف قول قريش اهؤلاء من الله عليهم من
بيننا كالاستحقار لهم والانفة منهم السبب الرابع التعجب كما اخبر الله تعالى عن الامم الماضية اذ قالوا ما انتم
الا بشر مثلنا وقالوا انؤمن لبشرين مثلنا ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون فتعجبوا من ان يفوز برتبة الرسالة
والوحي والقرب من الله بشر مثلهم فحسدوهم واحبوا زوال النبوة عنهم جزعا من ان يفضل عليهم من هو مثلهم في الخلقة
لا عن قصد تكبر وطلب رياسة وتقدم عداوة او سبب آخر من سائر الاسباب وقالوا متعجبين ابعث الله بشرا رسولا وقالوا
لولا انزل علينا الملائكة فقال تعالى او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم السبب الخامس الخوف من فوت المقاصد
وذلك يختص بالمتزاحمين على مقصود واحد فان كل واحد يحسد صاحبه في كل نعمة تكون عونا له في الانفراد بمقصوده ومن هذا

تحاسد الضرات في التزاحم على مقاصد الزوجية وتحاسد الاخوة التزاحم على نيل المنزلة في قلب الابوين للتوصل
به الى مقاصد الكرامة والمال وكذلك تحاسد التلميذين لاستاذ واحد على نيل المنزلة في قلب الاستاذ وتحاسد ندماء
الملك وخواصه في نيل المنزلة في قلبه للتوصل به الى الجاه والمال وكذلك تحاسد الواعظين المتزاحمين على اهل بلدة
واحدة اذا كان غرضهما نيل المال من القبول عندهم وكذلك تحاسد العالمين المتزاحمين على طائفة من المتفقهة محصورين
اذ يطلب كل واحد منزلة في قلوبهم للتوصل بهم الى اغراضه السبب السادس حب الرياسة وطلب الجاه نفسه من
غير توصل به الى المقصود وذلك كالرجل الذي يريد ان يكون عديم النظير في فن من الفنون اذا غلب عليه حب الثناء واستفزه
الفرح بما يمدح به من انه واحد الدهر وفريد العصر في فنه وانه لا نظير له فانه لو سمع بنظير له في اقصى العالم لساءه ذلك
واحب موته او زوال النعمة التي بها يشاركه في المنزلة من شجاعة او علم او عبادة او صناعة او جمال او ثروة او غير ذلك
مما يتفرد هو به ويفرح بسبب تفرده وليس السبب في هذا عداوة ولا تعزز ولا تكبر على المحسود ولا خوف من فوات مقصود
سوى محض الرياسة بدعوى الانفراد وهذا وراء ما بين آحاد العلماء من طلب الجاه والمنزلة في قلوب الناس للتوصل الى مقاصد
سوى الرياسة وقد كان علماء اليهود ينكرون معرفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يؤمنون به خيفة من ان تبطل رياستهم
واستتباعهم مهما نسخ علمهم السبب السابع خبث النفس وشحها بالخير على عباد الله تعالى فانك تجد من لا يشتغل برياسة
وتكبر ولا طلب مال اذا وصف عنده حسن حال عبد من عباد الله فيما انعم به عليه شق عليه ذلك واذا وصف له اضطراب
امور الناس وادبارهم وفوات مقاصدهم وتنغص عيشهم فرح به فهو ابدا يحب الادبار لغيره ويبخل بنعمة الله على عباده
حتى كانهم ياخذون ذلك من ملكه وخزانته ويقال البخيل من يبخل بمال نفسه والشحيح هو الذي يبخل بمال غيره فهذا يبخل
بنعمة الله على عباده الذين ليس بينه وبينهم عداوة ولا رابطة وهذا ليس له سبب ظاهر الا خبث في النفس ورذالة
في الطبع عليه وقعت الجبلة ومعالجته شديدة لان الحسد الثابت بسائر الاسباب اسبابه عارضة يتصور زوالها فيطمع
في ازالتها وهذا خبث في الجبلة لا عن سبب عارض فتعسر ازالته ويستحيل في العادة مداواته فهذه هي اسباب الحسد وقد يجتمع
بعض هذه الاسباب او اكثرها او جميعها في شخص واحد فيعظم فيه الحسد لذلك ويقوى قوة لا يقدر معها على الاخفاء
والمجاملة بل ينهتك حجاب المجاملة وتظهر العداوة بالمكاشفة واكثر المحاسدات يجتمع فيها جملة من هذه الاسباب وقلما
يتجرد سبب واحد منها

بيان السبب في كثرة الحسد بين الامثال والاقران والاخوة وبني العم والاقارب و
تاكده وقلته في غيرهم وضعفه اعلم ان الحسد انما يكثر بين قوم تكثر بينهم الاسباب التي ذكرناها وانما يقوى بين قوم يجتمع
فيهم جملة من هذه الاسباب وتتظاهر اذ الشخص الواحد يجوز ان يحسد لانه يمتنع عن قبول التكبر ولانه يتكبر ولانه عدو الى
غير ذلك من الاسباب وهذه الاسباب انما تكثر بين اقوام تجمعهم روابط يجتمعون بسببها في مجالس المخاطبات ويتواردون
على الاغراض فاذا خالف واحد صاحبه في غرض من اغراضه نفر طبعه عنه وابغضه وثبت الحقد فيه فعند ذلك يريد ان
يستحقره ويتكبر عليه ويكافئه على مخالفته لغرضه ويكره تمكنه من النعمة التي توصله الى اغراضه ويترادف جملة الاسباب
اذ لا رابطة بين شخصين في بلدتين متنائيتين فلا يكون بينهما محاسدة وكذلك في محلتين نعم اذا تجاورا في مسكن او سوق او
مسجد او مدرسة تواردا على مقاصد تتناقض فيها اغراضهم فيثور من التناقض التنافر والتباغض ومنه تثور بقية اسباب
الحسد ولذلك ترى العالم يحسد العالم دون العابد والعابد يحسد العابد دون العالم والتاجر يحسد التاجر بل الاسكاف

يحسد الاسكاف ولا يحسد البزاز الا بسبب اخر سوى الاجتماع في الحرفة وكذا يحسد الرجل اخاه وابن عمه اكثر مما يحسد
الاجانب والمراة تحسد ضرتها وسرية زوجها اكثر مما تحسد ام الزوج وابنته لان مقصد البزاز اذ مقصد البزاز
الثروة ولا يحصلها الا بكثرة الزبون وانما ينازعه فيه بزاز اخر اذ حريف البزاز لا يطلبه الاسكاف بل يطلبه البزاز ثم مزاحمة
البزاز المجاور له اكثر من مزاحمة البعيد عنه الى طرف السوق فلا جرم يكون حسده للجار اكثر وكذلك الشجاع يحسد الشجاع و
لا يحسد العالم لان مقصده ان يذكر بالشجاعة ويشتهر بها وينفرد بهذه الخصلة ولا يزاحمه العالم على هذا الغرض وكذلك يحسد
العالم العالم ولا يحسد الشجاع ثم حسد الواعظ للواعظ اكثر من حسده للفقيه والطبيب لان التزاحم بينهما على مقصود اخص
فاصل هذه المحاسدات العداوة واصل العداوة التزاحم على غرض واحد والغرض الواحد لا يجمع المتباعدين بل لا يجمع متناسبين
فلذلك يكثر الحسد بينهم نعم من اشتد حرصه على الجاه واحب الصيت في جميع اطراف العالم بما هو فيه فانه يحسد كل من هو
في العالم وان بعد ممن يساهمه في الخصلة التي يتفاخر بها ومنشأ جميع ذلك حب الدنيا فان الدنيا هي التي تضيق على
المتزاحمين اما الاخرة فلا ضيق فيها وانما مثال الاخرة نعمة العلم فلا جرم من يحب معرفة الله ومعرفة صفاته وملائكته و
انبيائه وملكوت ارضه وسمائه لم يحسد غيره اذا عرف ذلك ايضا لان المعرفة لا تضيق عن العارفين بل المعلوم الواحد يعرفه
الف الف عالم ويفرح بمعرفته ويلتذ به ولا تنقص لذة كل واحد بسبب غيره بل يحصل بكثرة العارفين زيادة الانس وثمرة
الافادة والاستفادة فلذلك لا يكون بين علماء الدين محاسدة لان مقصودهم معرفة الله وهو بحر لا ضيق فيه وغرضهم
المنزلة عند الله ولا ضيق ايضا فيما عند الله لان اجل ما عند الله من النعيم لذة لقائه وليس فيه ممانعة ومزاحمة ولا يضيق بعض
الناظرين على بعض بل يزيد الانس بكثرتهم نعم اذا قصد العلماء بالعلم المال والجاه تحاسدوا لان المال اعيان واجسام
اذا وقعت في يد واحد خلت عنها يد الاخر ومعنى الجاه ملك القلوب ومهما امتلأ قلب شخص بتعظيم عالم انصرف عن تعظيم
الاخر ونقص منه لا محالة فيكون ذلك سببا للمحاسدة واذا امتلأ قلب بالفرح بمعرفة الله لم يمنع ذلك ان يمتلئ قلب غيره به
وان يفرح به فالفرق بين العلم والمال ان المال لا يحل في يد ما لم يرتحل عن اليد الاخرى والعلم في قلب العالم مستقر ويحل
في قلب غيره بتعليمه من غير ان يرتحل عن قلبه والمال اجسام واعيان ولها نهاية فلو ملك الانسان جميع ما في الارض لم
يبق بعده مال يملكه غيره والعلم لا نهاية له ولا يتصور استيعابه فمن عود نفسه الفكر في جلال الله وعظمته وملكوت
ارضه وسمائه صار ذلك الذ عنده من كل نعيم ولم يكن ممنوعا عنه ولا مزاحما فيه فلا يكون في قلبه حسد لاحد من الخلق
لان غيره ايضا لو عرف مثل معرفته لم ينقص من لذته بل زادت لذته بمؤانسته فيكون لذة هؤلاء في مطالعة عجائب الملكوت
على الدوام اعظم من لذة من ينظر الى اشجار الجنة وبساتينها بالعين الظاهرة فان نعيم العارف وجنته معرفته التي هي صفة
ذاته يامن زوالها وهو ابدا يجتني ثمارها فهو بروحه وقلبه متغذ بفاكهة علمه وهي فاكهة غير مقطوعة ولا ممنوعة بل قطوفها
دانية فهو وان غمض العين الظاهرة فروحه ابدا ترتع في جنة عالية ورياض زاهرة فان فرض كثرة في العارفين لم يكونوا
متحاسدين بل كانوا كما قال فيهم رب العالمين ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين فهذا حالهم وهو بعد في
الدنيا فماذا يظن بهم عند انكشاف الغطاء ومشاهدة المحبوب في العقبى فاذن لا يتصور ان يكون في الجنة محاسدة
ولا ان يكون بين اهل الجنة في الدنيا محاسدة لان الجنة لا مضايقة فيها ولا مزاحمة فيها ولا تنال الا بمعرفة الله التي لا مزاحمة
فيها في الدنيا ايضا فاهل الجنة بالضرورة براء عن الحسد في الدنيا والاخرة جميعا بل الحسد من صفات المبعدين عن سعة

علينا الى مضيق السجين ولذلك وسم به الشيطان اللعين وذكر من صفاته انه حسد آدم على ما خصه به من الاجتبا ولما دعي
الى السجود استكبر وابى وتمرد وعصى فقد عرفت انه لا حسد الا للتوارد على مقصود يضيق عن الوفا بالكل ولهذا لا ترى
الناس يتحاسدون على النظر الى زينة السماء ويتحاسدون على البساتين التي هي جزء يسير من جملة الارض وكل الارض لا وزن لها
بالاضافة الى السماء لكن السماء لسعة الاقطار وافية بجميع الابصار فلم يكن فيها تزاحم وتحاسد اصلاً فعليك ان كنت بصيراً
وعلى نفسك مشفقاً ان تطلب نعيماً لا زحمة فيه ولذة لا مكدر لها ولا يوجد ذلك في الدنيا الا في معرفة الله وفي معرفة صفاته
وافعاله وعجائب ملكوت السموات والارض ولا ينال ذلك في الآخرة الا بهذه المعرفة ايضاً فان كنت لا تشتاق الى معرفة الله
ولم تجد لذته وقصر عنه رايك وضعفت فيه رغبتك فانت فيه معذور فالعنين لا يشتاق الى لذة الوقاع والصبي لا يشتاق
الى لذة الملك فان هذه يختص بادراكها الرجال دون الصبيان والمخنثين فكذلك لذة المعرفة يختص بادراكها رجال لا تلهيهم
تجارة ولا بيع عن ذكر الله فلا يشتاق الى هذه اللذة غيرهم لان الشوق بعد الذوق ومن لم يذق لم يعرف ومن لم يعرف لم يشتق
ومن لم يشتق لم يطلب ومن لم يطلب لم يدرك ومن لم يدرك بقي مع المحرومين في اسفل السافلين ومن يعش عن ذكر الرحمن
نقيض له شيطاناً فهو له قرين بيان الدواء الذي به ينفى مرض الحسد عن القلب اعلم ان الحسد من الامراض العظيمة
للقلوب ولا تداوى امراض القلوب الا بالعلم والعمل والعلم النافع لمرض الحسد هو ان تعرف تحقيقاً ان الحسد ضرر عليك
في الدنيا والدين وانه لا ضرر فيه على المحسود في الدنيا والدين بل ينتفع بها في الدنيا والدين ومهما عرفت هذا عن بصيرة ولم تكن
عدو نفسك وصديق عدوك فارقت الحسد لا محالة اما كونه ضرراً عليك في الدين فهو انك بالحسد سخطت قضاء الله
تعالى وكرهت نعمته التي قسمها لعباده وعدله الذي اقامه في ملكه بخفي حكمته واستنكرت ذلك واستبشعته وهذه
جناية على حدقة التوحيد وقذى في عين الايمان وناهيك بها جناية على الدين وقد انضاف اليه انك غششت
رجلاً من المؤمنين وتركت نصيحته وفارقت اولياء الله وانبياءه في حبهم الخير لعباد الله وشاركت ابليس وسائر
الكفار في محبتهم للمؤمنين البلايا وزوال النعم عنهم وهذه خبائث في القلب تاكل حسنات القلب كما تاكل النار الحطب و
تمحوها كما يمحو الليل النهار واما كونه ضرراً في الدنيا عليك فهو انك تتألم بحسدك وتتعذب به ولا تزال في كمد وغم اذ
اعداؤك لا يخليهم الله عن نعم يفيضها عليهم ولا تزال تتعذب بكل نعمة تراها وتتألم بكل بلية تنصرف عنهم فتبقى مغموماً محروماً
متشعب القلب ضيق النفس كما تشتهيه لاعدائك وكما يشتهي اعداؤك لك فقد كنت تريد المحنة لعدوك فتنجزت في الحال
محنتك وغمك نقداً ولا تزول النعمة عن المحسود بحسدك ولو لم تكن تؤمن بالبعث والحساب لكان مقتضى الفطنة ان كنت عاقلاً
ان تحذر من الحسد لما فيه من الم القلب ومساءته مع عدم النفع فكيف وانت عالم بما في الحسد من العذاب الشديد في الآخرة فما
اعجب من العاقل ان يتعرض لسخط الله من غير نفع يناله بل مع ضرر يحتمله والم يقاسيه فيهلك دينه ودنياه من غير جدوى
ولا فائدة واما انه لا ضرر على المحسود في دينه ودنياه فواضح لان النعمة لا تزول عنه بحسدك بل ما قدره الله من اقبال ونعمة
فلا بد وان يدوم الى اجل قدره الله فلا حيلة في دفعه بل كل شيء عنده بمقدار ولكل اجل كتاب ولذلك شكا نبي من الانبياء من امرأة
ظالمة مستولية على الخلق فاوحى الله تعالى اليه فر من قدامها حتى تنقضي ايامها اي ما قدرناه في الازل لا سبيل الى تغييره فاصبر حتى
تنقضي المدة التي سبق القضاء بدوام اقبالها فيها ومهما لم تزل النعمة بالحسد لم يكن على المحسود ضرر في الدنيا ولا يكون عليه اثم
في الآخرة ولعلك تقول ليت النعمة كانت تزول عن المحسود بحسدي وهذا غاية الجهل فانه بلاء تشتهيه اولاً لنفسك فانك

فانك لا تخلو عن عدو يحسدك فلو كانت النعم تزول بالحسد لم يبق لله عليك نعمة ولا على الخلق ولا نعمة الايمان لان الكفار
يحسدون المؤمنين على الايمان وقال تعالى ودت طائفة لو يضلونكم وما يضلون الا انفسهم وما يشعرون اذ ما يريده الحسود
لا يكون نعم هو يضل بارادته الضلال لغيره فان ارادة الكفر كفر فمن اشتهى ان تزول النعمة عن المحسود بالحسد فكانما يريد ان يسلب
نعمة الايمان بحسد الكفار وكذا سائر النعم وان اشتهيت ان تزول النعمة عن الخلق بحسدك ولا يزول عنك بحسد غيرك فهذا
غاية الجهل والغباوة فان كل واحد من حمقى الحساد ايضاً يشتهي ان يخص بهذه الخاصية ولست باولى من غيرك فنعمة الله
عليك في ان لم تزل النعمة بالحسد مما يجب عليك شكرها وانت بجهلك تكرهها واما ان المحسود ينتفع به في الدين والدنيا
فواضح اما منفعته في الدين فهو انه مظلوم من جهتك لا سيما اذا اخرجك الحسد الى القول والفعل بالغيبة والقدح فيه وهتك
ستره وذكر مساويه فهي هدايا تهديها اليه اعني انك تهدي حسناتك حتى تلقاه يوم القيامة مفلساً محروماً عن النعمة كما حرمت
في الدنيا عن النعمة فكانك اردت زوال النعمة عنه فلم تزل نعم كان لله نعمة اذ وفقك للحسنات فنقلتها اليه فاضفت اليه نعمة الى
نعمة واضفت لنفسك شقاوة الى شقاوة واما منفعته في الدنيا فهو ان اهم اغراض الخلق مساءة الاعداء وغمهم وشقاوتهم و
كونهم معذبين مغمومين ولا عذاب اعظم مما انت فيه من الم الحسد وهو غاية اماني اعدائك ان يكونوا في نعمة وان تكون في غم
وحسرة بسببهم وقد فعلت بنفسك ما هو مرادهم ولذلك لا يشتهي عدوك موتك بل يشتهي ان تطول حياتك ولكن في عذاب الحسد
لتنظر الى نعمة الله عليه فينقطع قلبك حسداً ولذلك قيل لا مات اعداؤك بل خلدوا حتى يروا فيك الذي يكمدهم لا زلت محسوداً
على نعمة فانما الكامل من يحسد ففرح عدوك بغمك وحسدك اعظم من فرحه بنعمته ولو علم خلاصك من الم الحسد وعذابه لكان
اعظم مصيبة وبلية عنده فما انت فيما تلازمه من غم الحسد الا كما يشتهيه عدوك فاذا تاملت هذا عرفت انك عدو نفسك
وصديق عدوك اذ تعاطيت ما تضررت به في الدنيا والآخرة وانتفع به عدوك في الدنيا والآخرة وصرت مذموماً عند
الخالق والخلق شقياً في الحال والمآل ونعمة المحسود دائمة شئت ام ابيت ثم لم تقتصر على تحصيل مراد عدوك حتى توصلت
الى ادخال اعظم السرور على ابليس الذي هو اعدى اعدائك لانه لما رآك محروماً عن نعمة العلم والورع والجاه والمال الذي اختص
به عدوك عنك خاف ان تحب ذلك له فتشاركه في الثواب بسبب المحبة لان من احب الخير للمسلمين كان شريكاً في الخير ومن فاته
اللحاق بدرجة الاكابر في الدين لم يفته ثواب الحب لهم مهما احب ذلك فخاف ابليس ان تحب ما انعم الله به على عبده في دينه
ودنياه فتفوز بثواب الحب فبغضه اليك حتى لا تلحقه بحبك كما لم تلحقه بعملك وقد قال اعرابي للنبي صلى الله عليه وسلم الرجل
يحب القوم ولما يلحق بهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم هو مع من احب وقام اعرابي ورسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب فقال
ما اعددت لها فقال ما اعددت لها كثير صلوة ولا صيام الا اني احب الله ورسوله فقال النبي صلى الله عليه وسلم انت مع من
احببت قال انس فما فرح المسلمون بعد اسلامهم كفرحهم يومئذ اشارة الى ان اكثر بغيتهم كان حب الله ورسوله قال انس فنحن
نحب الله ورسوله وابا بكر وعمر ولا نعمل مثل عملهم ونرجو ان نكون معهم وقال ابو موسى وقال ابو موسى قلت يا رسول الله
الرجل يحب المصلين ولا يصلي ويحب الصوام ولا يصوم حتى عد اشياء فقال النبي صلى الله عليه وسلم هو مع من احب وقال
رجل لعمر بن عبد العزيز انه كان يقال ان استطعت ان تكون عالماً فكن عالماً فان لم تستطع ان تكون عالماً فكن متعلماً فان لم تستطع
ان تكون متعلماً فاحبهم فان لم تستطع فلا تبغضهم فقال سبحان الله لقد جعل الله له مخرجاً فانظر الآن كيف حسدك ابليس
ففوت عليك ثواب الحب ثم لم يقنع به حتى بغض اليك اخاك وحملك على الكراهة حتى اثمت وكيف لا وعساك تحاسد رجلاً

من اهل العلم وتحب ان يخطئ في دين الله فينكشف خطاه ليفتضح وتحب ان يخرس لسانه حتى لا يتكلم او يمرض حتى لا يعلم ولا يتعلم
واي اثم يزيد على ذلك فليتك اذ فاتك اللحاق به ثم اغتممت بسببه سلمت من الاثم وعذاب الآخرة وقد جاء في الحديث اهل
الجنة ثلثة المحسن والمحب له والكاف عنه اي من يكف عنه الاذى والحسد والبغض والكراهة فانظر كيف ابعدك ابليس
عن جميع المداخل الثلثة حتى لا تدور بها البتة فقد نفذ عليك حسد ابليس وما نفذ حسدك على عدوك بل على نفسك بل
لو كوشفت بحالك في يقظة او منام لرايت نفسك ايها الحاسد في صورة من يرمي حجرة الى عدوه ليصيب بها مقتله فلا
يصيبه بل يرجع على حدقته اليمنى فيقلعها فيزيد غضبه ثانيا فيعود ويرميها اشد من الاول فيرجع على عينه الاخرى فيعميها
فيزداد غيظه فيعود ثالثة فيعود على راسه فيشجه وعدوه سالم في كل حال وهو اليه راجع مرة بعد اخرى واعداؤه حواليه
يفرحون ويضحكون عليه وهذا حال الحسود وسخرية الشيطان منه لا بل حالك في الحسد اقبح من هذا لان الحجرة العائدة لم تفوت
الا العين ولو بقيت لفاتت بالموت لا محالة يعني بالاثم والاثم لا يفوت بالموت ولعله يسوقه الى غضب الله والى النار
فلان يذهب عينه في الدنيا خير من ان تبقى له عين يدخل بها النار فيقلعها لهيب النار فانظر كيف انتقم الله من الحاسد
اذ اراد زوال النعمة عن المحسود فلم يزلها عنه ثم ازالها من الحاسد اذ السلامة من الاثم والسلامة من الغم والكمد نعمة وقد زالتا
منه تصديقا لقوله تعالى ولا يحيق المكر السيئ الا باهله وربما يبتلى بعين ما يشتهيه لعدوه وقل ما يشمت شامت بمساءة الا
ويبتلى بمثلها حتى قالت عائشة ما تمنيت لعثمن شيا الا نزل بي حتى لو تمنيت له القتل لقتلت فهذا اثم الحسد نفسه
فكيف بما يجر اليه الحسد من الاختلاف وجحود الحق واطلاق اللسان واليد بالفواحش والتشفي من الاعداء وهو الداء
الذي فيه هلكت الامم فهذه هي الادوية العلمية فمهما تفكر الانسان فيها بذهن صاف وقلب حاضر انطفت من قلبه
نار الحسد وعلم انه مهلك نفسه ومفرح عدوه ومسخط ربه ومنغص عيشه واما العمل النافع فيه ان يحكم الحسد
فكل ما يتقاضاه الحسد من قول وفعل فينبغي ان يكلف نقيضها فان بعثه الحسد على القدح فيه كلف لسانه المدح له و
الثناء عليه وان حمله على التكبر عليه الزم نفسه التواضع له والاعتذار اليه وان بعثه على كف الانعام عنه الزم نفسه
الزيادة في الانعام فمهما فعل ذلك عن تكلف وعرفه المحسود طاب قلبه واحبه ومهما ظهر حبه عاد الحاسد فاحبه وتولد
منه الموافقة التي تقطع مادة الحسد لان التواضع والثناء والمدح واظهار السرور بالنعمة يستميل قلب المنعم عليه ويسترقه
ويستعطفه ويحمله على مقابلة ذلك بالاحسان ثم ذلك الاحسان يعود الى الاول فيطيب قلبه ويصير ما تكلفه اولا طبعا
اخرا ولا يصدنه عن ذلك قول الشيطان له لو تواضعت واثنيت عليه حمله العدو على العجز او على النفاق والخوف وان
ذلك مذلة ومهانة فان ذلك من خدع الشيطان ومكايده بل المجاملة تكلفا كان او طبعا تكسر سورة العداوة
من الجانبين وتعود القلوب الى التآلف والتحاب وبه تستريح القلوب من الم الحسد وغم التباغض فهذه هي ادوية
الحسد وهي نافعة جدا الا انها مرة جدا ولكن النفع في الدواء المر فمن لم يصبر على مرارة الدواء اعني التواضع للاعداء
والتقرب اليهم بالمدح والثناء بقوة العلم بالمعاني التي ذكرناها وقوة الرغبة في ثواب الرضا بقضاء الله وحب ما احبه
وعزة النفس وترفعها عن ان يكون في العالم شي على خلاف مرادها وعند ذلك تريد ما يكون اذ لا مطمع في ان يكون ما تريد
وفوات المراد ذل وخسة ولا طريق الى الخلاص من هذا الذل الا باحد امرين اما ان يكون ما تريد او بان تريد ما يكون
الاول ليس اليك ولا مدخل للتكلف والمجاهدة فيه واما الثاني فللمجاهدة فيه مدخل وتحصيله بالرياضة ممكن فيجب

تحصيله على كل عاقل وهذا هو الدواء الكلي فاما الدواء المفصل فهو تتبع اسباب الحسد من الكبر وعزة النفس وشدة
الحرص على ما لا يغني وسياتي تفصيل مداواة هذه الاسباب في مواضعها فانها مواد هذا المرض ولا ينقمع المرض الا بقمع المادة
فان لم تقمع المادة لم يحصل بما ذكرناه الا تسكين وتطفية ولا يزال يعود مرة بعد اخرى ويطول الجهد في تسكينه مع بقاء مواده
فانه ما دام محبا للجاه فلا بد ان يحسد من استاثر بالجاه والمنزلة في قلوب الناس دونه ويغمه ذلك لا محالة وانما غايته ان يهون
الغم على نفسه ولا يظهره بلسانه ويده فاما الخلو عنه راسا فلا يمكنه

بيان القدر الواجب في نفي الحسد عن القلب

اعلم ان المؤذي ممقوت بالطبع ومن اذاك فلا يمكنك ان لا تبغضه غالبا فاذا تيسرت له نعمة فلا يمكنك ان لا تكرهها حتى يستوي
عندك حسن حال عدوك وسوء حاله بل لا تزال تدرك في النفس بينهما تفرقة ولا يزال الشيطان ينازعك الى الحسد له ولكن
ان قوي ذلك فيك حتى يبعثك على اظهار الحسد بقول او فعل بحيث يعرف ذلك من ظاهرك بافعالك الاختيارية فانت حسود
عاص بحسدك وان كففت ظاهرك بالكلية الا انك بباطنك تحب زوال النعمة وليس في نفسك كراهة لهذه الحالة فانت
ايضا حسود عاص لان الحسد صفة القلب لا صفة الفعل قال الله تعالى ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا وقال ودوا لو تكفرون
وقال ان تمسسكم حسنة تسؤهم واما الفعل فهو غيبة وكذب وهو عمل صادر عن الحسد وليس هو عين الحسد بل محل الحسد القلب
دون الجوارح نعم هذا الحسد ليست مظلمة يجب الاستحلال منها بل هي معصية بينك وبين الله تعالى وانما يجب الاستحلال
من الاسباب الظاهرة على الجوارح فاما اذا كففت ظاهرك والزمت مع ذلك قلبك كراهة ما يترشح منه بالطبع من حب
زوال النعمة حتى كانك تمقت نفسك على ما في طبعها فتكون تلك الكراهة من جهة العقل في مقابلة الميل من جهة الطبع
فقد اديت الواجب عليك ولا يدخل تحت اختيارك في اغلب الاحوال اكثر من هذا فاما تغيير الطبع حتى يستوي عنده المؤذي
والمحسن ويكون فرحه وغمه بما يتيسر لهما من نعمة او ينصب عليهما من بلية سواء فهذا مما لا يطاوع الطبع عليه ما دام
ملتفتا الى حظوظ الدنيا الا ان يكون مستغرقا بحب الله تعالى مثل السكران الواله فقد ينتهي امره الى ان لا يلتفت قلبه الى
تفاصيل احوال العباد بل ينظر الى الكل بعين واحدة وهي عين الرحمة ويرى الكل عباد الله وافعالهم افعالا لله ويراهم مسخرين
وذلك ان كان فهو كالبرق الخاطف لا يدوم ويرجع القلب بعد ذلك الى طبعه ويعود العدو الى منازعته اعني الشيطان فانه
ينازع بالوسوسة فمهما قابل ذلك بكراهية الزم قلبه فقد ادى ما كلفه وذهب ذاهبون الى انه لا ياثم اذا لم يظهر الحسد
على جوارحه لما روي عن الحسن انه سئل عن الحسد فقال غمه فانه لا يضرك ما لم تبده وروي عنه موقوفا ومرفوعا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاثة في المؤمن له منهن مخرج ومخرجه من الحسد يدل ظاهره ان كل حاسد آثم والحسد عبارة عن صفة القلب

ان لا يبغي والاولى ان يحمل هذا على ما ذكرنا من ان يكون فيه كراهة من جهة الدين والعقل في مقابلة حب الطبع
لزوال نعمة العدو وتلك الكراهة تمنعه من البغي والايذاء فان جميع ما ورد من الاخبار في ذم الحسد

لا عن الافعال وكل من يحب مساءة المسلمين فهو حاسد فاذن كونه آثما بمجرد حسد القلب من غير فعل هو في محل الاجتهاد والاظهر ما
ذكرناه من حيث ظواهر الآيات والاخبار ومن حيث المعنى اذ يبعد ان يعفى عن العبد في ارادته مساءة مسلم واشتماله بالقلب عليه
من غير كراهة وقد عرفت من هذا ان لك في اعدائك ثلاثة احوال احدها ان تحب مساءتهم بطبعك وتكره حبك لذلك وميل
قلبك اليه بعقلك وتمقت نفسك عليه وتود لو كانت لك حيلة في ازالة ذلك الميل منك وهذا معفو عنه قطعا لانه لا يدخل
تحت الاختيار اكثر منه الثانية ان تحب ذلك وتظهر الفرح بمساءته اما بلسانك او بجوارحك فهذا هو الحسد المحظور قطعا الثالثة
وهي بين الطرفين ان تحسد بالقلب من غير مقتك لنفسك على حسدك ومن غير انكار منك على قلبك ولكن تحفظ جوارحك عن طاعة الحسد
في مقتضاها وهذا محل الخلاف والظاهر انه لا يخلو عن اثم بقدر قوة ذلك الحب وضعفه ٭ تم والحمد لله رب العالمين والصلوة على محمد

كتاب ذم الدنيا وهو الكتاب السادس من ربع المهلكات

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذي عرّفنا وليائه غوائل الدنيا وآفاتها وكشف لهم عن عيوبها وعوراتها حتى نظروا في شواهدها وآياتها ووزنوا بحسناتها وسيئاتها فعلموا انه يزيد منكرها على معروفها ولا يفي مرجوها بمخوفها ولا يسلم طلوعها من كسوفها ولكنها في صورة امرأة مليحة تستميل الناس بجمالها ولها اسرار سوء قبائح تهلك الراغبين في وصالها ثم هي فرارة عن طلابها شحيحة باقبالها واذا اقبلت لم تؤمن شرها ووبالها ان احسنت ساعة اساءت سنة وان اساءت مرة جعلتها سنة فدوائر اقبالها على التقارب دائرة وتجارة بنيها خاسرة بائرة وسهام آفاتها على التوالي لصدور طلابها راشقة ومجاري احوالها بذل طالبيها ناطقة فكل مغرور بها الى الذل مصيره وكل متكبر بها الى التحسر مسيره شأنها الهرب من طالبيها والطلب لهاربها من خدمها فاتته ومن اعرض عنها واتته لا يخلو صفوها عن شوائب الكدورات ولا ينفك سرورها عن المنغصات سلامتها تعقب السقم وشبابها لا يسوق الا الى الهرم ونعيمها لا يثمر الا الحسرة والندم فهي خداعة مكارة طيارة فرارة لا تزال تتزين لطلابها حتى اذا صاروا وامن احبابها كشرت لهم عن انيابها وشوشت عليهم مناظم اسبابها وكشفت لهم مكنون عجائبها فاذاقتهم قواتل سمومها ورشقتهم بصوائب سهامها بينما اصحابها منها في سرور وانعام اذ ولت عنهم كانها اضغاث احلام ثم عكرت عليهم بدواهيها فطحنتهم طحن الحصيد ووارتهم في اكفانهم تحت الصعيد ان ملكت واحدا جميع ما طلعت عليه الشمس جعلته حصيدا كان لم تغن بالامس تمنى اصحابها سرورا وتعدهم غرورا حتى يأملون كثيرا ويبنون قصورا فتصبح قصورهم قبورا وجمعهم بورا وسعيهم هباء منثورا وكان امر الله قدرا مقدورا والصلوة على محمد عبده ورسوله المرسل الى العالمين بشيرا ونذيرا وعلى من كان من اصحابه له في الدين ظهيرا وعلى الظالمين نصيرا وسلم تسليما كثيرا اما بعد فان الدنيا عدوة لله تعالى عدوة لاولياء الله عدوة لاعداء الله اما عداوتها لله فانها قطعت الطريق على عباد الله ولذلك لم ينظر الله اليها منذ خلقها واما عداوتها لاولياء الله فانها تزينت لهم بزينتها وعمتهم بزهرتها ونضارتها حتى تجرعوا مرارة الصبر في مقاطعتها واما عداوتها لاعداء الله تعالى انها استدرجتهم بمكرها ومكيدتها واقتنصتهم بشبكها ومصيدتها حتى وثقوا بها وعولوا عليها فخذلتهم احوج ما كانوا اليها فاجتنوا منها حسرة تتقطع دونها الاكباد ثم حرمتهم عن السعادة ابد الاباد فهم على فراقها يتحسرون ومن مكائدها يستغيثون ولا يغاثون بل يقال لهم اخسئوا فيها ولا تكلمون اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون واذا عظمت غوائل الدنيا وشرورها فلا بد اولا من معرفة حقيقة الدنيا ما هي وما الحكمة في خلقها مع عداوتها وما مداخل غرورها وشرورها فان من لا يعرف الشر لا يتقيه ويوشك ان يقع فيه ونحن نذكر ذم الدنيا وامثلتها وحقيقتها وتفصيل معانيها واصناف الاشغال المتعلقة بها ووجه الحاجة الى اصولها وسبب انصراف الخلق عن الله بسبب التشاغل بفضولها

بيان ذم الدنيا

الآيات الواردة في ذم الدنيا وامثلتها كثيرة واكثر القرآن مشتمل على ذم الدنيا وصرف الخلق عنها ودعوتهم الى الآخرة بل هو مقصود الانبياء ولم يبعثوا الا لذلك فلا حاجة الى الاستشهاد بآيات القرآن لظهورها وانما نورد بعض الاخبار الواردة فيها فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه مر على شاة ميتة فقال اترون هذه الشاة هينة على صاحبها قالوا نعم والذي نفسي بيده الدنيا اهون على الله عز وجل من هذه على صاحبها ولو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء وقال صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وقال صلى الله عليه وسلم الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ما كان لله عز وجل منها وقال ابو موسى الاشعري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احب دنياه اضر باخرته ومن احب اخرته اضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى وقال صلى الله عليه وسلم حب الدنيا رأس كل خطيئة وقال زيد بن ارقم كنا مع ابي بكر الصديق رضي الله عنه فدعا بشراب فأتي بماء وعسل فلما ادناه من فيه بكى وبكى حتى ابكى اصحابه فسكتوا وما سكت ثم عاد وبكى حتى ظنوا انهم لم يقدروا على مسألته قال ثم مسح عينيه قالوا يا خليفة رسول الله ما ابكاك قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيته يدفع عن نفسه شيئا ولم ار معه احدا فقلت يا رسول الله ما الذي تدفع عن نفسك قال هذه الدنيا مثلت لي فقلت لها اليك عني ثم رجعت فقالت انك ان افلت مني لم يفلت مني من بعدك وقال صلى الله عليه وسلم يا عجبا كل العجب للمصدق بدار الخلود وهو يسعى لدار الغرور وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف على مزبلة فقال هلموا الى الدنيا واخذ خرقا قد بليت على تلك المزبلة وعظاما قد نخرت فقال هذه الدنيا وهذه اشارة الى ان زينتها ستخلق مثل تلك الخرق وان الاجسام التي ترى فيها ستصير عظاما بالية وقال صلى الله عليه وسلم ان الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون ان بني اسرائيل لما بسطت لهم الدنيا ومهدت تاهوا في الحلية والنساء والطيب والثياب وقال عيسى صلوات الله عليه لا تتخذوا الدنيا ربا فتتخذكم الدنيا عبيدا اكنزوا كنزكم عند من لا يضيعه فان صاحب كنز الدنيا يخاف عليه الآفة وصاحب كنز الله لا يخاف عليه الآفة وقال ايضا يا معشر الحواريين اني قد كببت لكم الدنيا على وجهها فلا تنعشوها بعدي فان من خبث الدنيا ان الله عصي فيها وان من خبث الدنيا ان الآخرة لا تدرك الا بتركها الا فاعبروا الدنيا ولا تعمروها واعلموا ان اصل كل خطيئة حب الدنيا ورب شهوة اورثت اهلها حزنا طويلا وقال ايضا بطحت لكم الدنيا وجلستم على ظهرها فلا ينازعنكم فيها الملوك والنساء فاما الملوك فلا تنازعوهم الدنيا فانهم لن يتعرضوا لكم ما تركتموهم ودنياهم واما النساء فاتقوهن بالصوم والصلاة وقال ايضا الدنيا طالبة ومطلوبة فطالب الآخرة تطلبه الدنيا حتى يستكمل فيها رزقه وطالب الدنيا تطلبه الآخرة حتى يجيء الموت فيأخذ بعنقه وقال موسى بن يسار قال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى لم يخلق خلقا ابغض عليه من الدنيا وانه منذ خلقها لم ينظر اليها وروي ان سليمن بن داود عليه السلم مر في موكبه والطير تظله والجن والانس عن يمينه ويساره قال فمر بعابد من عباد بني اسرائيل فقال والله يا ابن داود لقد آتاك الله ملكا عظيما قال فسمعه سليمن فقال لتسبيحة واحدة في صحيفة مؤمن خير مما اعطي ابن داود فان ما اعطي ابن داود يذهب والتسبيحة تبقى وقال صلى الله عليه وسلم الهاكم التكاثر يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما تصدقت فامضيت او اكلت فافنيت او لبست فابليت وقال صلى الله عليه وسلم الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له وعليها يعادي من لا علم له وعليها يحسد من لا فقه له ولها يسعى من لا يقين له وقال صلى الله عليه وسلم من اصبح والدنيا اكبر همه فليس من الله في شيء والزم الله قلبه اربع خصال

هما لا ينقطع عنه ابدا وشغلا لا يفرغ منه ابدا وفقرا لا يبلغ غناه ابدا واملا لا يبلغ منتهاه ابدا وقال ابو هريرة رضي الله عنه قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا هريرة الا اريك الدنيا جميعا بما فيها قلت بلى يا رسول الله فاخذ بيدي واتى بي واديا من اودية المدينة فاذا مزبلة فيها رؤس اناس وعذرات وخرق وعظام ثم قال يا ابا هريرة هذه الرؤس كانت تحرص كحرصكم وتامل املكم ثم هي اليوم عظام بلا جلد ثم صائرة رمادا وهذه العذرات الوان اطعمتكم اكتسبوها من حيث اكتسبوها ثم قذفوها من بطونهم فاصبحت والناس يتحامونها وهذه الخرق البالية كانت رياشهم ولباسهم واصبحت والرياح تصفقها وهذه العظام عظام دوابهم التي كانوا ينتجعون عليها اطراف البلاد فمن كان باكيا على الدنيا فليبك قال فما برحنا حتى اشتد بكاؤنا ويروى ان الله عز وجل لما اهبط آدم الى الارض قال ابن للخراب ولد للفناء وقال داود بن هلال مكتوب في صحف ابرهيم عليه السلم يا دنيا ما اهونك على الابرار الذين تصنعت لهم وتزينت لهم اني قذفت في قلوبهم بغضك والصدود عنك وما خلقت خلقا اهون علي منك كل شانك صغير والى الفناء تصيرين قضيت عليك يوم خلقتك الا تدومي لاحد ولا يدوم احد لك وان بخل بك صاحبك وشح عليك طوبى للابرار الذين اطلعوني من قلوبهم على الرضا ومن ضميرهم على الصدق والاستقامة فطوبى لهم ما لهم عندي من الجزاء اذا وفدوا الي من قبورهم الا النور يسعى امامهم والملائكة حافون بهم حتى ابلغهم ما يرجون من رحمتي وقال صلى الله عليه وسلم الدنيا موقوفة بين السماء والارض منذ خلقها الله تعالى لا ينظر اليها فتقول يوم القيمة يا رب اجعلني لادنى اوليائك نصيبا اليوم فيقول اسكتي يا لا شيء اني لم ارضك لهم في الدنيا ارضاك لهم اليوم وروي في اخبار آدم صلى الله عليه وسلم انه لما اكل من الشجرة تحركت معدته لخروج الثفل ولم يكن ذلك مجعولا في شيء من اطعمة الجنة الا في هذه الشجرة فلذلك نهيا عن اكلها قال فجعل يدور في الجنة فامر الله تعالى ملكا يخاطبه فقال له قل له اي شيء تريد قال آدم اريد ان اضع ما في بطني من الاذى فقيل للملك قل له في اي مكان تضعه أعلى الفرش ام على السرر ام على الانهار ام تحت ظلال الاشجار انظر هل ترى ههنا موضعا يصلح لذلك ولكن اهبط الى الدنيا وقال النبي صلى الله عليه وسلم ليجيئن اقوام يوم القيمة واعمالهم كجبال تهامة فيؤمر بهم الى النار قالوا يا رسول الله امصلين قال نعم كانوا يصلون ويصومون ويأخذون هنية من الليل فاذا عرض لهم شيء من الدنيا وثبوا عليه وقال صلى الله عليه وسلم في بعض خطبه المؤمن بين مخافتين بين اجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه وبين اجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه فليتزود العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته ومن حياته لموته ومن شبابه لهرمه فان الدنيا خلقت لكم وانتم خلقتم للآخرة والذي نفسي بيده ما بعد الموت من مستعتب ولا بعد الدنيا دار الا الجنة او النار وقال عيسى صلى الله عليه وسلم لا يستقيم الدنيا والآخرة في قلب مؤمن كما لا يستقيم الماء والنار في اناء واحد ويروى ان جبريل عليه السلام قال لنوح عليه وسلم يا اطول الانبياء عمرا كيف وجدت الدنيا قال كدار لها بابان دخلت من احدهما وخرجت من الآخر وقيل لعيسى عليه السلم لو اتخذت بيتا فقال يكفينا خلقان من كان قبلنا وقال نبينا صلى الله عليه وسلم احذروا الدنيا فانها اسحر من هاروت وماروت وعن الحسن قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم على اصحابه فقال هل منكم من يريد ان يذهب الله عنه العمى ويجعله بصيرا الا انه من رغب في الدنيا وطال امله فيها اعمى الله قلبه على قدر ذلك ومن زهد في الدنيا وقصر امله فيها اعطاه الله علما بغير تعلم وهدى بغير هداية الا انه سيكون بعدكم قوم لا يستقيم لهم الملك الا بالقتل والتجبر ولا الغنى الا بالفخر والبخل ولا المحبة الا باتباع الهوى الا فمن ادرك ذلك الزمان منكم فصبر للفقر وهو يقدر على الغنى وصبر للبغضاء وهو يقدر على المحبة وصبر على الذل وهو يقدر

على العز لا يريد بذلك الا وجه الله تعالى اعطاه الله ثواب ستين صديقا وروي ان عيسى عليه السلم اشتد به المطر والرعد والبرق يوما فجعل يطلب شيئا يلجأ اليه فوقعت عينه على خيمة من بعيد فاتاها فاذا فيها امرأة فحاد عنها فاذا هو بكهف في جبل فاتاه فاذا فيه اسد فوضع يده عليه وقال الهي لكل شيء ماوى ولم تجعل لي ماوى فاوحى الله اليه ماواك في مستقر من رحمتي لازوجنك يوم القيمة مائة حوراء خلقتها بيدي ولاطعمن في عرسك اربعة آلاف عام يوم منها كعمر الدنيا ولآمرن مناديا ينادي اين الزهاد في الدنيا زوروا عرس الزاهد عيسى بن مريم وقال عيسى صلى الله عليه وسلم ويل لصاحب الدنيا كيف يموت ويتركها ويأمنها وتغره ويثق بها وتخذله ويل للمغترين كيف ارتهم ما يكرهون وفارقهم ما يحبون وجاءهم ما يوعدون ويل لمن الدنيا همه والخطايا عمله كيف يفتضح غدا بذنبه عند الله وقيل اوحى الله الى موسى يا موسى ما لك ولدار الظالمين انها ليست لك بدار اخرج منها همك وفارقها بعقلك فبئست الدار هي الا لعامل يعمل فيها فنعمت الدار هي يا موسى اني مرصد للظالم حتى آخذ منه للمظلوم وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث ابا عبيدة بن الجراح فجاء بمال من البحرين فسمعت الانصار بقدوم ابي عبيدة فوافوا صلوة الفجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف فتعرضوا له فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآهم ثم قال اظنكم سمعتم ان ابا عبيدة قدم بشيء قالوا اجل يا رسول الله قال فابشروا واملوا ما يسركم فوالله ما الفقر اخشى عليكم ولكن اخشى ان تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما اهلكتهم وقال ابو سعيد الخدري رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اكثر ما اخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الارض فقيل ما بركات الارض قال زهرة الدنيا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اكثر ما اخاف عليكم لا تشغلوا قلوبكم بذكر الدنيا فنهى عن ذكرها فضلا من اصابة عينها وقال عمار بن سعيد مر عيسى عليه الصلوة والسلم بقرية فاذا اهلها موتى في الافنية والطرق فقال لهم يا معشر الحواريين ان هؤلاء ماتوا عن سخطة ولو ماتوا عن غير ذلك لتدافنوا فقالوا يا روح وددنا انا علمنا خبرهم فسال ربه فاوحى الله تعالى اليه اذا كان الليل فنادهم يجيبوك فلما كان الليل اشرف على نشز ثم نادى يا اهل القرية فاجابه مجيب لبيك يا روح الله فقال ما حالكم وما قصتكم قالوا بتنا في عافية واصبحنا في الهاوية قال وكيف ذاك قال بحبنا الدنيا وطاعتنا اهل المعاصي قال وكيف كان حبكم للدنيا قال كحب الصبي لامه اذا اقبلت فرحنا واذا ادبرت حزنا وبكينا قال فما بال اصحابك لا يجيبوني قال لانهم ملجمون بلجم من نار بايدي ملائكة غلاظ شداد قال فكيف اجبتني من بينهم قال لاني كنت فيهم ولم اكن منهم فلما نزل بهم العذاب اصابني معهم فانا معلق على شفير جهنم لا ادري انجو منها ام اكبكب فيها فقال المسيح للحواريين لاكل خبز الشعير بالملح الجريش ولبس المسوح والنوم على المزابل كثير مع عافية الدنيا والآخرة وقال انس كانت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم العضباء لا تسبق فجاء اعرابي بناقة له فسبقها فشق ذلك على المسلمين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه حق على الله ان لا يرفع شيئا من الدنيا الا وضعه وقال عيسى صلى الله عليه وسلم من ذا الذي يبني على موج البحر دارا تلكم الدنيا فلا تتخذوها قرارا وقيل لعيسى صلى الله عليه وسلم علمنا علما واحدا يحبنا الله عليه قال ابغضوا الدنيا يحببكم الله وقال ابو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا ولهانت عليكم الدنيا ولآثرتم الآخرة ثم قال ابو الدرداء من قبل نفسه لو تعلمون ما اعلم لخرجتم الى الصعدات تبكون على انفسكم ولتركتم اموالكم لا حارس لها ولا راجع اليها الا ما لا بد لكم منه ولكن يغيب عن قلوبكم ذكر الآخرة وحضرها الامل فصارت الدنيا املك باعمالكم وصرتم كالذين لا يعلمون فبعضكم شر من البهائم التي لا تدع هواها مخافة مما في عاقبته

ما لكم لا تحابون ولا تناصحون وانتم اخوان على دين ما فرق بين اهوائكم الا خبث سرائركم ولو اجتمعتم على البر لتحاببتم ما لكم
تناصحون في امر الدنيا ولا يملك احدكم النصيحة لمن يحبه ويعينه على امر آخرته ما هذا الا من قلة الايمان في قلوبكم لو كنتم
توقنون بخير الاخرة وشرها كما توقنون بالدنيا لآثرتم طلب الاخرة لانها املك باموركم فان قلتم حب العاجلة غالب
فانا نراكم تدعون العاجل من الدنيا للآجل منها تكدون انفسكم بالمشقة والاحتراف في طلب امر لعلكم لا تدركونه فبئس القوم
انتم ما حققتم ايمانكم بما يعرف به الايمان البالغ فيكم فان كنتم في شك مما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فائتونا فلنبين لكم و
لنريكم من النور ما يطمئن به قلوبكم والله ما انتم بالمنقوصة عقولكم فنعذركم انكم تستبينون صواب الرأي في دنياكم وتأخذون
بالحزم في اموركم ما لكم تفرحون باليسير من الدنيا تصيبونه وتحزنون على اليسير منها يفوتكم حتى يتبين ذلك في وجوهكم ويظهر
على السنتكم وتسمونها المصائب وتقيمون فيها المآتم وعامتكم قد تركوا كثيرا من دينهم ثم لا يتبين ذلك في وجوههم ولا يتغير حال بكم
اني لارى الله قد تبرأ منكم يلقى بعضكم بعضا بالسرور وكلكم يكره ان يستقبل صاحبه بما يكره مخافة ان يستقبله صاحبه بمثله
فاصطحبتم على الغل ونبتت مراعيكم على الدمن وتصافيتم على رفض الاجل ولوددت ان الله اراحني منكم والحقني بمن احب رؤيته
ولو كان حيا لم يصابركم فان كان فيكم خير فقد اسمعتكم وان تطلبوا ما عند الله تجدوه يسيرا والله استعين على نفسي وعليكم
وقال عيسى صلوات الله عليه يا معشر الحواريين ارضوا بدني الدنيا مع سلامة الدين كما رضي اهل الدنيا بدني الدين مع سلامة
الدنيا وفي معناه قيل ** ارى رجالا بادنى الدين قد قنعوا ** ولا اراهم رضوا في العيش بالدون ** فاستغن بالدين عن دنيا الملوك
كما استغنى الملوك بدنياهم عن الدين ** وقال عيسى صلى الله عليه يا طالب الدنيا لتبر تركك للدنيا ابر وقال نبينا صلى الله عليه وسلم
لتأتينكم بعدي دنيا تأكل ايمانكم كما تأكل النار الحطب واوحى الله تعالى الى موسى ان يا موسى لا تركنن الى حب الدنيا فلن تأتيني
بكبيرة هي اشد عليك منها ومر موسى صلى الله عليه وسلم برجل وهو يبكي ورجع وهو يبكي فقال موسى يا رب عبدك يبكي من مخافتك
فقال يا ابن عمران لو نزل دماغه مع دموع عينيه ورفع يديه حتى تسقطا لم اغفر له وهو يحب الدنيا ** الآثار
قال علي رضي الله عنه من جمع ست خصال لم يدع للجنة مطلبا ولا عن النار مهربا اولها من عرف الله فاطاعه وعرف الشيطان
فعصاه وعرف الحق فاتبعه وعرف الباطل فاتقاه وعرف الدنيا فرفضها وعرف الاخرة فطلبها وقال الحسن رحم الله اقواما
كانت الدنيا عندهم وديعة فادوها الى من ائتمنهم عليها ثم راحوا خفافا وقال ايضا من نافسك في دينك فنافسه ومن نافسك في دنياك فالقها في نحره و
قال لقمان لابنه يا بني ان الدنيا بحر عميق وقد غرق فيها ناس كثير فلتكن سفينتك فيها تقوى الله عز وجل وحشوها الايمان بالله تعالى
وشراعها التوكل على الله لعلك تنجو وما اراك ناجيا وقال الفضيل طال فكري في هذه الآية انا جعلنا ما على الارض زينة لها
لنبلوهم ايهم احسن عملا وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا وقال بعض الحكماء انك لن تصبح في شيء من الدنيا الا وقد كان له اهل
قبلك ويكون له اهل بعدك وليس لك من الدنيا الا عشاء ليلة وغداء يوم فلا تهلك في اكلة وصم عن الدنيا وافطر على الاخرة
فان رأس مال الدنيا الهوى وربحها النار وقيل لبعض الرهبان كيف ترى الدهر قال يخلق الابدان ويجدد الآمال ويقرب المنية
ويبعد الامنية قيل فما حال اهله قال من ظفر به تعب ومن فاته نصب وقد قيل ** ومن يحمد الدنيا لعيش يسره ** فسوف لعمري عن قليل يلومها
اذا ادبرت كانت على المرء حسرة ** وان اقبلت كانت كثيرا همومها ** وقال بعض الحكماء كانت الدنيا ولم اكن فيها وتذهب الدنيا ولا
اكون فيها فلا اسكن اليها فان عيشها نكد وصفوها كدر واهلها منها على وجل اما بنعمة زائلة او بلية نازلة او منية قاضية
وقال بعضهم من عيب الدنيا انها لا تعطي احدا ما يستحق لكنها اما ان تزيد واما ان تنقص وقال سفيان رضي الله عنه اما ترى

النعم كلها كأنها مغضوب عليها قد وضعت في غير اهلها وقال ابو سليمان الداراني من طلب الدنيا على المحبة
لها لم يعط فيها شيئا الا اراد اكثر ومن طلب الاخرة على المحبة لها لم يعط منها شيئا الا اراد اكثر وليس لهذا غاية ولا لذاك
نهاية وقال رجل لابي حازم اشكو اليك حب الدنيا وليست لي بدار فقال انظر ما آتاك الله عز وجل منه فلا تأخذه الا من حله ولا
تضعه الا في حقه ولا يضرك حب الدنيا وانما قال هذا لانه لو واخذ نفسه بذلك لاتعبه حتى يتبرم بالدنيا ويطلب الخروج
منها وقال يحيى بن معاذ رحمه الله الدنيا حانوت الشيطان فلا تسرق من حانوته شيئا فيجيء في طلبه فيأخذك وقال الفضيل رحمه الله
لو كانت الدنيا من ذهب يفنى والاخرة من خزف يبقى لكان ينبغي لنا ان نختار خزفا يبقى على ذهب يفنى فكيف وقد اخترنا خزفا يفنى
على ذهب يبقى وقال ابو حازم اياكم والدنيا فانه بلغني انه يوقف العبد يوم القيامة اذا كان معظما للدنيا فيقال هذا الذي
عظم ما حقره الله وقال ابن مسعود ما اصبح احد الا وهو ضيف وماله عارية والضيف مرتحل والعارية مردودة وفي ذلك قيل
وما المال والاهلون الا ودائع ** ولا بد يوما ان ترد الودائع ** وزار رابعة اصحابها فذكروا الدنيا فاقبلوا على ذمها فقالت
اسكتوا عن ذكرها فلولا موقعها من قلوبكم ما اكثرتم من ذكرها الا من احب شيئا اكثر ذكره وقيل لابراهيم بن ادهم رحمه الله كيف
انت فقال ** نرقع دنيانا بتمزيق ديننا ** فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع ** فطوبى لعبد آثر الله ربه ** وجاد بدنياه لما يتوقع
وقيل ** ارى طالب الدنيا وان طال عمره ** ونال من الدنيا سرورا وانعما ** كبان بنى بنيانه فاقامه ** فلما استوى ما قد بناه تهدما
وقيل ** هب الدنيا تساق اليك عفوا ** اليس مصير ذاك الى انتقال ** وما دنياك الا مثل فيء ** اظلك ثم آذن بالزوال
وقال لقمان لابنه يا بني بع دنياك باخرتك تربحهما جميعا وقال مطرف بن الشخير لا تنظر الى خفض عيش الملوك ولين رياشهم
ولكن انظر الى سرعة ظعنهم وسوء منقلبهم وقال ابن عباس ان الله جعل الدنيا ثلاثة اجزاء جزء للمؤمن وجزء للمنافق وجزء للكافر
فالمؤمن يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع وقال بعضهم الدنيا جيفة فمن اراد منها شيئا فليصبر على معاشرة الكلاب
وقيل ** يا خاطب الدنيا الى نفسها ** تنح عن خطبتها تسلم ** ان التي تخطب غدارة ** قريبة العرس من المأتم ** وقال ابو
الدرداء من هوان الدنيا على الله انه لا يعصى الا فيها ولا ينال ما عنده الا بتركها ** وقيل ** اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت
له عن عدو في ثياب صديق ** وقيل ** يا راقد الليل مسرورا باوله ** ان الحوادث قد يطرقن اسحارا ** افنى القرون التي كانت منعمة
كر الليالي اقبالا وادبارا ** يا من يعانق دنيا لا بقاء لها ** يمسي ويصبح في دنياه سفارا ** هلا تركت من الدنيا معانقة
حتى تعانق في الفردوس ابكارا ** ان كنت تبغي جنان الخلد تسكنها ** فينبغي لك ان لا تأمن النارا ** وقال ابو امامة الباهلي
لما بعث محمد صلى الله عليه وسلم اتت ابليس جنوده فقالوا قد بعث نبي واخرجت امة قال يحبون الدنيا قالوا نعم قال لئن
كانوا يحبونها ما ابالي ان لا يعبدوا الاوثان وانا اغدو عليهم واروح بثلاث اخذ المال من غير حقه وانفاقه في غير حقه
وامساكه عن حقه والشر كله لهذا تبع وقال رجل لعلي يا امير المؤمنين صف لنا الدنيا قال ما اصف لك من دار من صح فيها
ما امن ومن سقم فيها ندم ومن افتقر فيها حزن ومن استغنى فيها فتن في حلالها الحساب وفي حرامها العذاب وقيل له
ذلك مرة فقال اطول ام اقصر فقيل اقصر فقال حلالها حساب وحرامها عذاب وقال مالك بن دينار اتقوا السحارة فانها تسحر
قلوب العلماء يعني الدنيا وقال ابو سليمان اذا كانت الاخرة في القلب جاءت الدنيا تزحمها واذا كانت الدنيا في القلب
لم تزحمها الاخرة لان الاخرة كريمة والدنيا لئيمة وهذا تشديد عظيم ونرجو ان يكون ما ذكره سيار بن الحكم اصح اذ قال
الدنيا والاخرة يجتمعان في القلب فايهما غلب كان الاخر تبعا له وقال مالك بن دينار بقدر ما تحزن للدنيا يخرج هم الاخرة

من قلبك وبقدر ما تحزن للآخرة يخرج هم الدنيا من قلبك وهذا اقتباس مما قاله عيسى صلوات الله عليه الدنيا والآخرة ضرتان
فبقدر ما ترضي احديهما تسخط الاخرى وقال الحسن والله لقد ادركت اقواما كانت الدنيا اهون عليهم من التراب الذي تمشون
عليه ما يبالون اشرقت الدنيا ام غربت اذهبت الى ذا ام الى ذا وقال رجل للحسن ما تقول لرجل اتاه الله مالا فهو يتصدق
منه ويصل منه ويحسن فيه اله ان تعيش فيه يعني التنعم فقال لا لو كانت الدنيا له كلها ما كان له منها الا الكفاف ويقدم
ذلك ليوم فقره وقال الفضيل لو ان الدنيا بحذافيرها عرضت علي حلالا لا احاسب بها في الآخرة لكنت اتقذرها كما يتقذر احدكم
الجيفة اذا مر بها ان تصيب ثوبه وقيل قدم عمر رضي الله عنه الشام فاستقبله ابو عبيدة بن الجراح على ناقة مخطومة بحبل
فسلم عليه وسائله ثم اتى منزله فلم ير فيه الا سيفه وترسه ورحله فقال له عمر رضي الله عنه لو اتخذت متاعا فقال يا امير
المؤمنين ان هذا يبلغنا المقيل وقال سفين خذ من الدنيا لبدنك ومن الآخرة لقلبك وقال الحسن والله لقد عبدت بنو
اسرائيل الاصنام بعد عبادتهم الرحمن لحبهم الدنيا وقال وهب بن منبه قرات في بعض الكتب الدنيا غنيمة الاكياس وغفلة
الجهال لم يعرفوها حتى خرجوا منها فسالوا الرجعة فلم يرجعوا وقال لقمن لابنه يا بني انك استدبرت الدنيا من يوم نزلتها
واستقبلت الآخرة فانت الى دار تقرب منها اقرب من دار تتباعد عنها وقال سعد بن مسعود اذا رايت العبد تزداد دنياه و
تنقص آخرته وهو به راض فذلك المغبون الذي يلعب بوجهه وقال عمرو بن العاص يوما على المنبر والله ما رايت قوما قط
ارغب فيما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزهد فيه منكم والله ما مر برسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث الا والذي عليه
اكثر من الذي له وقال الحسن بعد ما قرا قوله تعالى فلا تغرنكم الحيوة الدنيا من قال ذا من خلقها من هو اعلم بها اياكم وما شغل
من الدنيا فان الدنيا كثيرة الاشغال لا يفتح رجل على نفسه باب شغل الا اوشك ذلك الباب ان يفتح عليه عشرة ابواب وقال
ايضا مسكين ابن آدم رضي بدار حلالها حساب وحرامها عذاب ان اخذه من حرام عذب به ابن آدم يستقل ماله ولا يستقل عمله
يفرح بمصيبته في دينه ويجزع عن مصيبته في دنياه وكتب الحسن الى عمر بن عبد العزيز سلام عليك اما بعد فكانك آخر من كتب
عليه الموت قد مات فاجابه عمر سلام عليك كانك بالدنيا لم تكن وكانك بالآخرة لم تزل وقال الفضيل بن عياض الدخول في الدنيا
هين ولكن التخلص منها شديد وقال بعضهم عجبا لمن يعرف ان الموت حق كيف يفرح وعجبا لمن يعلم ان النار حق كيف يضحك وعجبا لمن
يرى تقلب الدنيا باهلها كيف يطمئن اليها وعجبا لمن يعلم ان القدر حق كيف ينصب وقدم على معوية رجل من نجران عمره مائتا سنة
فساله عن الدنيا كيف وجدها فقال سنيات بلاء وسنيات رخاء يوم فيوم وليلة فليلة يولد ولد ويهلك هالك فلولا المولود
باد الخلق ولولا الهالك ضاقت الدنيا بمن فيها فقال له سل ما شئت قال عمر مضى فترده او اجل حضر فتدفعه قال لا املك
ذلك فقال لا حاجة لي اليك وقال داود الطائي يا ابن آدم فرحت ببلوغ املك وانما بلغته بانقضاء اجلك ثم سوفت بعملك
كان منفعته لغيرك وقال بشر من سال الله الدنيا فانما يساله طول الوقوف بين يديه وقال ابو حازم ما في الدنيا شيء يسرك الا
وقد الزق به شيء يسوءك وقال الحسن لا يخرج نفس ابن آدم من الدنيا الا بحسرات ثلاثة انه لم يشبع مما جمع ولم يدرك ما امل ولم يحسن
الزاد لما قدم عليه وقيل لبعض الزهاد قد نلت الغنا فقال انما نال الغنى من عتق من رق الدنيا وقال ابو سليمان لا يصبر عن
شهوات الدنيا الا من كان في قلبه ما يشغله بالآخرة وقال مالك بن دينار اصطلحنا على حب الدنيا فلا يامر بعضنا بعضا
ولا ينهى بعضنا بعضا ولا يدعنا الله على هذا فليت شعري اي عذاب الله ينزل وقال ابو حازم يسير الدنيا يشغل عن كثير الآخرة
وقال الحسن رحمه الله اهينوا الدنيا فوالله ما هي لاحد باهنا منها لمن اهانها وقال ايضا اذا اراد الله بعبد خيرا اعطاه من

من الدنيا عطية ثم يمسك فاذا نفد اعاد عليه واذا هان عليه عبد بسط له الدنيا بسطا وكان بعضهم يقول يا ممسك السماء ان
تقع على الارض امسك الدنيا عني وقال محمد بن المنكدر ارايت لو ان رجلا صام الدهر لا يفطر وقام الليل لا ينام وتصدق
بماله وجاهد في سبيل الله واجتنب محارم الله غير انه يحب الدنيا يؤتى به يوم القيمة فيقال ان هذا عظم في عينه ما صغره الله
وصغر في عينه ما عظمه الله كيف ترى يكون حاله فمن منا ليس هكذا الدنيا عظيمة عنده مع ما اقترفنا من الذنوب والخطايا
وقال ابو حازم اشتدت مؤنة الدنيا والآخرة اما مؤنة الآخرة فانك لا تجد عليها اعوانا واما مؤنة الدنيا فانك لا تضرب بيدك
الى شيء منها الا وجدت فاجرا قد سبقك اليه وقال ابو هريرة الدنيا موقوفة بين السماء والارض كالشن البالي تنادي ربها منذ
خلقها الى يوم يفنيها يا رب يا رب لم تبغضني فيقول لها اسكتي يا لا شيء اسكتي يا لا شيء وقال عبد الله بن المبارك حب الدنيا
والذنوب في القلب قد احتوشته فمتى يصل الخير اليه وقال وهب بن منبه من فرح قلبه بشيء من الدنيا فقد اخطا الحكمة ومن
جعل شهوته تحت قدميه فرق الشيطان من ظله ومن غلب عقله هواه فهو الغالب وقيل لبشر مات فلان فقال جمع الدنيا وذهب الى الآخرة
وضيع نفسه قيل انه كان يفعل ويفعل وذكروا ابوابا من البر فقال وما ينفع هذا وهو يجمع الدنيا وقال بعضهم الدنيا تبغض الينا
نفسها ونحن نحبها فكيف لو تحببت الينا وقيل لحكيم الدنيا لمن هي فقال لمن تركها وقيل الآخرة لمن هي قال لمن طلبها وقال حكيم
الدنيا دار خراب واخرب منها قلب من يعمرها والجنة دار عمران واعمر منها قلب من يطلبها وقال الجنيد كان الشافعي رضي الله عنه
من المريدين الناطقين بلسان الحق في الدين وعظ اخا له في الله وخوفه بالله فقال يا اخي ان الدنيا دحض مزلة ودار مذلة عمرانها
الى الخراب وساكنها الى القبور زائر وشملها الى الفرقة موقوف وغناها الى الفقر مصروف الاكثار فيها اعسار والاعسار
منها يسار فافزع الى الله وارض برزق الله ولا تستسلف من دار بقائك في دار فنائك فان عيشك فيء زائل وجدار مائل
اكثر من عملك واقصر من املك وقال ابراهيم بن ادهم لرجل ادرهم في المنام احب اليك ام دينار في اليقظة فقال دينار في
اليقظة فقال كذبت لان الذي تحبه في الدنيا كانك تحبه في المنام والذي لا تحبه في الآخرة كانك لا تحبه في اليقظة و
عن اسمعيل بن عياش قال كان اصحابنا يسمون الدنيا خنزيرة فيقولون اليك عنا يا خنزيرة ولو وجدوا لها اسما اقبح
من هذا لسموها به وقال كعب لتحببن اليكم الدنيا حتى تعبدوها واهلها وقال يحيى بن معاذ الرازي رضي الله عنه العقلاء
ثلاثة من ترك الدنيا قبل ان تتركه وبنى قبره قبل ان يدخله وارضى خالقه قبل ان يلقاه وقال ايضا الدنيا بلغ من شومها
ان تمنيك لها يلهيك عن طاعة الله فكيف الوقوع فيها وقال بكر بن عبد الله من اراد ان يستغني عن الدنيا بالدنيا
كان كمطفي النار بالتبن وقال بندار اذا رايت ابناء الدنيا يتكلمون في الزهد فاعلم انهم في سخرة الشيطان وقال ايضا
من اقبل على الدنيا احرقته نيرانها يعني الحرص حتى يصير رمادا ومن اقبل على الآخرة صفته نيرانها فصار سبيكة ذهب
ينتفع به ومن اقبل على الله عز وجل احرقته نار التوحيد فصار جوهرا لا حد لقيمته وقال علي رضي الله عنه انما الدنيا
ستة اشيا مطعوم ومشروب وملبوس ومركوب ومنكوح ومشموم فاشرف المطعومات العسل وهو مذقة ذباب و
اشرف المشروبات الماء يستوي فيه البر والفاجر واشرف الملبوسات الحرير وهو نسج دودة واشرف المركوبات الفرس
وعليه يقتل الرجال واشرف المنكوحات المراة وهي مبال في مبال والله ان المراة لتزين احسن شيء منها ويراد اقبح شيء منها
بيان المواعظ في ذم الدنيا وصفتها قال بعضهم يا ايها الناس اعملوا على مهل وكونوا من الله على وجل ولا تغتروا
بالامل ونسيان الاجل ولا تركنوا الى الدنيا فانها غدارة خداعة قد تزخرفت لكم بغرورها وفتنتكم باما نيها وتزينت

خطابها فاصبحت كالعروس المجلية العيون اليها ناظرة والقلوب عليها عاكفة والنفوس لها عاشقة فكم من عاشق لها قتلته ومطمئن اليها خذلته فانظروا اليها بعين الحقيقة فانها دار كثرت بوائقها وذمها خالقها جديدها يبلى وملكها يفنى وعزيزها يذل وكثيرها يقل ودودها يموت وخيرها يفوت فاستيقظوا من غفلتكم وانتبهوا من رقدتكم قبل ان يقال فلان عليل او مدنف ثقيل فهل على الدواء من دليل او الى الطبيب من سبيل فيدعى لك الاطباء ولا يرجى لك الشفاء ثم يقال فلان اوصى وماله قد احصى ثم يقال قد ثقل لسانه فما يكلم اخوانه ولا يعرف جيرانه وعرق عند ذلك جبينك وتتابع انينك وثبت يقينك وطمحت جفونك وصدقت ظنونك وتلجلج لسانك وبكى اخوانك وقيل لك هذا ابنك فلان وهذا اخوك فلان ومنعت الكلام وختم على لسانك فلا ينطلق ثم حل بك القضاء وانتزعت نفسك من الاعضاء ثم عرج بها الى السماء فاجتمع عند ذلك اخوانك واحضرت اكفانك فغسلوك وكفنوك فانقطع عوادك واستراح حسادك وانصرف اهلك الى مالك وبقيت مرتهنا باعمالك وقال بعضهم لبعض الملوك ان احق الناس بذم الدنيا وقلاها من بسط له فيها واعطي حاجته منها لانه يتوقع آفة تعدو على ماله فتجتاحه او على جمعه فتفرقه او تاتي على سلطانه فتهدمه من القواعد او تدب الى جسمه فتسقمه او تفجعه بشيء هو ضنين به من احبابه فالدنيا باصحابها احق بالذم هي الآخذة ما تعطي الراجعة فيما تهب بينا هي تضحك صاحبها اذ اضحكت منه غيره وبينا هي تبكي له اذ ابكت عليه وبينا هي تبسط كفها بالاعطاء اذ بسطتها بالاسترداد تعقد التاج على راس صاحبها اليوم وتعفره في التراب غدا سواء عليها ذهاب ما ذهب وبقاء ما بقي تجد من الباقي من الذاهب خلفا وترضى بكل من كل بدلا وكتب الحسن البصري الى عمر بن عبد العزيز اما بعد فان الدنيا دار ظعن ليست بدار اقامة وانما انزل آدم عليه السلم عقوبة فاحذرها يا امير المؤمنين فان الزاد منها تركها والغنى منها فقرها لها في كل حين قتيل تذل من اعزها وتفقر من جمعها هي كالسم ياكله من لا يعرفه وهو حتفه فكن فيها كالمداوي جراحته يحتمي قليلا مخافة ما يكره طويلا ويصبر على شدة الدواء مخافة طول البلاء فاحذر هذه الدار الغدارة الختالة الخداعة التي قد تزينت بخدعها وفتنت بغرورها وختلت بامالها وتشوفت لخطابها فاصبحت كالعروس المجلية فالعيون اليها ناظرة والقلوب عليها والهة والنفوس لها عاشقة وهي لازواجها كلهم قاتلة فلا الباقي بالماضي معتبر ولا الآخر بالاول مزدجر ولا العارف بالله عز وجل حين اخبره عنها مدكر فمن عاشق لها قد ظفر منها بحاجته فاغتر وطغى ونسي المعاد فشغل فيها لبه حتى زلت عنها قدمه فعظمت ندامته وكثرت حسرته واجتمعت عليه سكرات الموت بالمه وحسرات الفوت بغصته ومن راغب فيها لم يدرك منها ما طلب ولم يروح نفسه من التعب فخرج بغير زاد وقدم على غير مهاد فاحذرها يا امير المؤمنين وكن اسر ما تكون فيها احذر ما تكون لها فان صاحب الدنيا كلما اطمان منها الى سرور اشخصته الى مكروه السار فيها لاهلها غار والنافع فيها غدا ضار وقد وصل الرخاء منها بالبلاء وجعل البقاء فيها الى فناء فسرورها مشوب بالاحزان لا يرجع منها ما ولى وادبر ولا يدرى ما هو آت فينتظر اما نيها كاذبة وآمالها باطلة وصفوها كدر وعيشها نكد وابن آدم فيها ان عقل ونظر وهو من النعماء على خطر ومن البلاء على حذر فلو كان الخالق لم يخبر عنها خبرا ولم يضرب لها مثلا لكانت الدنيا قد ايقظت النائم ونبهت الغافل فكيف وقد جاء من الله عز وجل عنها زاجر وفيها واعظ فما لها عند الله جل ثناؤه قدر وما نظر اليها منذ خلقها ولقد عرضت على نبيك محمد صلى الله عليه وسلم بمفاتيحها وخزائنها لا ينقصه عند الله جناح بعوضة فابى ان يقبلها اذ كره ان يخالف على الله امره او يحب ما ابغضه خالقه او يرفع ما وضع مليكه فزواها عن الصالحين اختيارا وبسطها لاعدائه اغترارا فيظن المغرور بها المقتدر عليها انه اكرم بها ونسي ما صنع الله عز وجل بمحمد صلى الله عليه وسلم حين كان

كان يشد الحجر على بطنه من الجوع ولقد جاءت الرواية عنه صلى الله عليه وسلم عن ربه تبارك وتعالى انه قال لموسى صلى الله عليه وسلم اذا رايت الغنى مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته واذا رايت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين وان شئت اقتديت بصاحب الروح والكلمة عيسى بن مريم عليه وسلم كان يقول ادامي الجوع وشعاري الخوف ولباسي الصوف وصلاتي في الشتاء مشارق الشمس وسراجي القمر ودابتي رجلاي وطعامي وفاكهتي ما انبتت الارض ابيت وليس لي شيء واصبح وليس لي شيء وليس على الارض اغنى مني وقال ابن منبه لما بعث الله عز وجل موسى وهرون عليهما السلام الى فرعون قال لا يروعنكما لباسه الذي لبس من الدنيا فان ناصيته بيدي ليس ينطق ولا يطرف ولا يتنفس الا باذني ولا يعجبنكما ما متع به منها فانما هي زهرة الحيوة الدنيا وزينة المترفين فلو شئت ان ازينكما بزينة من الدنيا يعرف فرعون حين يراها ان مقدرته تعجز عما اوتيتماه لفعلت ولكني ارغب بكما عن ذلك فازوي عنكما وكذلك افعل باوليائي اني لاذودهم عن نعيمها كما يذود الراعي الشفيق غنمه عن مراتع الهلكة واني لاجنبهم سلوتها كما يجنب الراعي الشفيق ابله عن مبارك الغرة وما ذاك لهوانهم علي ولكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتي سالما موفرا انما يتزين لي اوليائي بالذل والخشوع والتقوى والخوف تثبت في قلوبهم فيظهر على اجسادهم فهي ثيابهم التي يلبسون ودثارهم التي يظهرون وضميرهم الذي يستشعرون ونجاتهم التي بها يفوزون ورجاؤهم الذي اياه يؤملون ومجدهم الذي به يفتخرون وسيماهم الذي بها يعرفون فاذا لقيتهم فاخفض لهم جناحك وذلل لهم قلبك ولسانك واعلم انه من اخاف لي وليا فقد بارزني بالمحاربة ثم انا الثائر له يوم القيمة وخطب علي رضي الله عنه فقال فيها اعلموا انكم ميتون ومبعوثون من بعد الموت وموقوفون على اعمالكم ومجزيون بها فلا تغرنكم الحيوة الدنيا فانها بالبلاء محفوفة وبالفناء معروفة وبالغدر موصوفة وكل ما فيها الى زوال وهي بين اهلها دول وسجال لا يدوم احوالها ولن يسلم من شرها نزالها بينا اهلها منها في رخاء وسرور اذ هم منها في بلاء وغرور احوال مختلفة وتارات متصرفة العيش فيها مذموم والرخاء فيها لا يدوم وانما اهلها فيها اغراض مستهدفة ترميهم بسهامها وتقصمهم بحمامها وكل حتفه فيها مقدور وحظه منها غير موفور واعلموا عباد الله انكم وما انتم فيه من هذه الدنيا على سبيل من قد مضى ممن كان اطول منكم اعمارا واشد بطشا واعمر ديارا وابعد آثارا فاصبحت اصواتهم خامدة هامدة من بعد طول تقلبها واجسادهم بالية وديارهم خالية وآثارهم عافية استبدلوا بالقصور المشيدة والسرر والنمارق الممهدة الصخور والاحجار المسندة في القبور اللاطئة الملحدة فمحلها مقترب وساكنها مغترب بين اهل عمارة موحشين واهل محلة متشاغلين لا يستانسون بالعمران ولا يتواصلون تواصل الجيران والاخوان على ما بينهم من قرب الجوار ودنو الدار وكيف يكون بينهم تواصل الجيران والاخوان على ما بينهم وقد طحنهم بكلكله البلاء واكلتهم الجنادل والثرى واصبحوا بعد الحيوة امواتا وبعد غضارة العيش رفاتا فجع بهم الاحباب وسكنوا التراب وظعنوا فليس لهم اياب هيهات هيهات كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون فكان قد صرتم الى ما صاروا اليه من البلى والوحدة في دار المثوى وارتهنتم في ذلك المضجع وضمكم ذلك المستودع فكيف بكم لو عاينتم الامور وبعثر من القبور وحصل ما في الصدور واوقفتم للتحصيل بين يدي الملك الجليل فطارت القلوب لاشفاقها من سالف الذنوب وهتكت عنكم الحجب والاستار وظهرت منكم العيوب والاسرار هنالك تجزى كل نفس بما كسبت ان الله عز وجل يقول ليجزي الذين اساؤا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسنى وقال ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه الآية جعلنا الله واياكم عاملين بكتابه ومتبعين لاوليائه حتى يحلنا واياكم دار المقامة من فضله انه حميد مجيد وقال بعض الحكماء الايام سهام والناس اغراض والدهر يرميك بسهامه

ويحزنك بلياليه وايامه حتى يستغرق جميع اجزائك فكم بقاء سلامتك مع وقوع الايام بك وسرعة الليالي في بدنك لو
كشف لك عما احدثت الايام في بدنك من النقص لاستوحشت من كل يوم ياتي عليك واستثقلت مر الساعات بك ولكن
تدبير الله فوق الاعتبار وبالسلو عن غوائل الدنيا وجد طعم لذاتها وانها لامر من العلقم اذ عجمها الحكيم وقد اعيت
الواصف لعيوبها بظاهر افعالها وما تاتي به من العجائب اكثر مما يحيط به الواعظ فنستوهب الله رشدا الى الصواب وقال
بعض الحكماء وقد استوصف الدنيا وقدر بقائها الدنيا وقتك الذي يرجع اليك فيه طرفك لان ما مضى عنك فقد فاتك
ادراكه وما لم يات فلا علم لك به والدهر يوم مقبل تنعاه ليلته وتطويه ساعته واحداثه تتوالى على الانسان بالتغير والنقصان
والدهر موكل بتشتيت الجماعات وانخرام السمات وتنقل الدول والامل طويل والعمر قصير والى الله تصير الامور وخطب
عمر بن عبد العزيز فقال ايها الناس انكم خلقتم لامر ان كنتم تصدقون به فانكم حمقى وان كنتم تكذبون به فانكم هلكى انما خلقتم
للابد ولكنكم من دار الى دار تنقلون عباد الله انكم في دار لكم فيها من طعامكم غصص ومن شرابكم شرق ولا تصفو لكم نعمة تسرون
بها الا بفراق اخرى تكرهون فراقها فاعملوا لما انتم صائرون اليه وخالدون فيه ثم غلبه البكاء ونزل وقال علي رضي الله عنه
في خطبته اوصيكم بتقوى الله والترك للدنيا التاركة لكم وان كنتم لا تحبون تركها المبلية اجسامكم وان كنتم تريدون تجديدها
فانما مثلكم ومثلها كمثل سفر سلكوا طريقا وكانهم قد قطعوه وافضوا الى علم فكانهم وصلوه وكم عسى ان يجري المجري حتى ينتهي
الى الغاية وكم عسى ان يبقى من له يوم في الدنيا وطالب حثيث يطلبه حتى يفارقها فلا تجزعوا لبؤسها وضرائها فانها الى
انقطاع ولا تفرحوا بنعمائها فانها الى زوال وقال عجبت لطالب الدنيا والموت طالبه وغافل وليس بمغفول عنه وقال محمد بن
الحسين لما علم اهل الفضل والعلم والمعرفة والادب ان الله تعالى قد اهان الدنيا وانه لم يرضها لاوليائه وانها عنده قليلة
حقيرة وان رسول الله صلى الله عليه وسلم زهد فيها وحذر اصحابه من فتنتها اكلوا منها قصدا وقدموا فضلا واخذوا منها
ما يكفي وتركوا منها ما يلهي لبسوا من الثياب ما ستر العورة واكلوا من الطعام ادناه مما سد الجوع نظروا الى الدنيا بعين انها
فانية والى الاخرة بعين انها باقية فتزودوا من الدنيا كزاد الراكب فخربوا الدنيا وعمروا بها الاخرة نظروا الى الاخرة بقلوبهم
فعلموا انهم سينظرون اليها باعينهم فارتحلوا اليها بقلوبهم لما علموا انهم سيرتحلون اليها بابدانهم صبروا قليلا وتنعموا طويلا
كل ذلك بتوفيق الله مولاهم الكريم احبوا ما احب الله وكرهوا ما كره الله لهم بيان صفة الدنيا بالامثلة اعلم ان الدنيا
سريعة الفناء قريبة الانقضاء تعد بالبقاء ثم تخلف في الوفاء تنظر اليها فتراها ساكنة مستقرة وهي سائرة سيرا عنيفا ومرتحلة
ارتحالا سريعا ولكن الناظر اليها قد لا يحس بحركتها فيطمئن اليها وانما يحس عند انقضائها ومثالها الظل فانه متحرك ساكن متحرك
في الحقيقة ساكن في الظاهر لا يدرك حركته بالبصر الظاهر بل بالبصيرة الباطنة ولما ذكرت الدنيا عند الحسن البصري
انشد وقال احلام نوم او كظل زائل ان اللبيب بمثلها لا يخدع وكان الحسن بن علي رضي الله عنه يتمثل ويقول
يا اهل لذات دنيا لا بقاء لها ان اغترارا بظل زائل حمق وكان يرى انه من قوله ويقال نزل اعرابي بقوم فقدموا اليه طعاما
فاكل ثم قام الى ظل خيمة لهم فنام هناك فاقتلعوا الخيمة فاصابته الشمس فانتبه وقام وهو يقول الا انما الدنيا كظل بنيته
ولا بد يوما ان ظلك زائل وبذلك قيل وان امرأ دنياه اكبر همه لمستمسك منها بحبل غرور مثال اخر للدنيا
من حيث التغرير بخيالاتها ثم الافلاس عنها انها تشبه خيالات المنام واضغاث الاحلام وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم الدنيا حلم واهلها عليها مجازون ومعاقبون وقال يونس بن عبيد ما شبهت نفسي والدنيا الا كرجل راى في منامه

ما يكره وما يحب فبينما كذلك اذ انتبه فكذلك الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا فاذا ليس بايديهم شيء مما ركنوا اليه وفرحوا
به وقيل لحكيم اي شيء اشبه بالدنيا قال احلام النائم مثال اخر للدنيا في عداوتها لاهلها بينها اعلم ان طبع الدنيا
التلطف في الاستدراج اولا والتوصل الى الاهلاك اخرا وهي كامراة تتزين للخطاب حتى اذا نكحتهم ذبحتهم فقد روي ان عيسى
صلوات الله عليه كوشف بالدنيا فراها في صورة عجوز هتماء عليها من كل زينة فقال لها كم تزوجت قالت لا احصيهم قال فكلهم
مات عنك او كلهم طلقك قالت بل كلهم قتلت فقال عيسى صلى الله عليه وسلم بؤسا لازواجك الباقين كيف لا يعتبرون
بازواجك الماضين كيف تهلكينهم واحدا واحدا ولا يكونون منك على حذر مثال اخر للدنيا في مخالفة باطنها لظاهرها اعلم
ان الدنيا مزينة الظواهر قبيحة السرائر وتشبه عجوزا متزينة تخدع الناس بظاهرها فاذا وقفوا على باطنها وكشفوا القناع
عن وجهها تمثل لهم قبائحها فندموا على اتباعها وخجلوا من ضعف عقولهم في الاغترار بظاهرها قال العلاء بن زياد رايت
في النوم عجوزا كبيرة متغضنة الجلد عليها كل زينة والناس عكوف عليها يعجبون ينظرون اليها فجئت ونظرت وتعجبت
نظرهم اليها واقبالهم عليها وقلت ويلك من انت قالت او ما تعرفني قلت لا ما ادري من انت قالت انا الدنيا فقلت اعوذ بالله
من شرك قالت فان احببت ان تعاذ من شري فابغض الدرهم وقال ابو بكر بن عياش رايت الدنيا في النوم عجوزا مشوهة شمطاء
تصفق بيديها وخلفها خلق يتبعونها يصفقون ويرقصون فلما كانت بحذائي اقبلت علي فقالت لو ظفرت بك لصنعت بك
ما صنعت بهؤلاء ثم بكى ابو بكر وقال رايت هذا قبل ان اقدم الى بغداد وقال الفضيل بن عياض قال ابن عباس رضي الله عنه يؤتى
بالدنيا يوم القيمة في صورة عجوز شمطاء زرقاء انيابها بادية مشوه خلقها فتشرف على الخلائق فيقال لهم اتعرفون هذه
فيقولون نعوذ بالله من معرفة هذه فيقال هذه الدنيا التي تشاجرتم عليها بها تقاطعتم الارحام وبها تحاسدتم وتباغضتم
واغتررتم ثم يقذف في جهنم فتنادي اي رب اين اتباعي واشياعي فيقول الله عز وجل الحقوا بها اتباعها واشياعها وقال
الفضيل بلغني ان رجلا عرج بروحه فاذا امراة على قارعة الطريق عليها من كل حلية من الحلي والثياب واذا لا يمر بها احد الا
جرحته فاذا هي ادبرت كانت احسن شيء راه الناس واذا اقبلت كانت اقبح شيء راه الناس عجوز شمطاء زرقاء عمشاء قال قلت
اعوذ بالله منك قالت لا والله لا يعيذك الله مني حتى تبغض الدرهم قال قلت من انت قالت انا الدنيا مثال اخر للدنيا
وعبور الانسان بها اعلم ان الاحوال ثلاثة حالة لم تكن فيها شيئا وهو ما قبلك الى الازل وحالة لا تكون فيها مشاهدا
للدنيا وهو ما بعد موتك الى الابد وحالة بين الابد والازل وهي ايام حياتك في الدنيا فانظر الى مقدار طولها وانسبه الى
طرفي الازل والابد حتى تعلم انه اقل من منزل قصير في سفر طويل ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ما لي وللدنيا انما مثلي ومثل
الدنيا كمثل راكب سار في يوم صائف فرفعت له شجرة فقال تحت ظلها ساعة ثم راح وتركها ومن راى الدنيا بهذه العين لم يركن اليها
ولم يبال كيف انقضت ايامها في ضر وضيق او في سعة ورفاهية بل لا يبني لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة توفي رسول الله صلى الله
عليه وسلم وما وضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة وراى بعض الصحابة يبني بيتا من جص فقال ما ارى الامر الا اعجل من هذا
وانكر ذلك والى هذا اشار عيسى عليه السلم حيث قال الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها وهو مثال واضح فان الحيوة الدنيا
معبر الى الاخرة والمهد هو الميل الاول على راس القنطرة واللحد هو الميل الثاني وبينهما مسافة محدودة فمن الناس من قطع
نصف القنطرة ومنهم من قطع ثلثها ومنهم من قطع ثلثيها ومنهم من لم يبق له الا خطوة واحدة وهو غافل عنها وكيف ما كان فلا بد
له من العبور فالبناء على القنطرة وتزيينها باصناف الزينة وانت عابر عليها غاية الجهل والخذلان مثال اخر للدنيا

في لين ملمسها وخشونة مصدرها اعلم ان اوائل امور الدنيا تبدو هينة لينة يظن الخائض فيها ان حلاوة حفظها كحلاوة
الخوض فيها وهيهات فالخوض في الدنيا سهل والخروج منها مع السلامة شديد وقد كتب علي رضي الله عنه الى سلمان الفارسي
رضي الله عنه فقال مثل الدنيا مثل الحية يلين مسها ويقتل سمها فاعرض عما يعجبك منها لقلة ما يصحبك منها وضع
عنك همومها لما ايقنت من فراقها وكن اسر ما تكون فيها احذر ما تكون لها فان صاحبها كلما اطمان منها الى سرور
اشخصه عنه مكروه مثال آخر للدنيا في تعذر الخلاص من تبعاتها بعد الخوض فيها قال النبي صلى الله عليه وسلم انما
مثل صاحب الدنيا كمثل الماشي في الماء هل يستطيع الذي يمشي على الماء ان لا تبتل قدماه وهذا يعرفك جهالة قوم ظنوا
انهم يخوضون في نعيم الدنيا بابدانهم وقلوبهم عنها مطهرة وعلائقها عن بواطنهم منقطعة وذلك مكيدة الشيطان
بل لو اخرجوا مما هم فيه لكانوا اعظم المتفجعين بفراقها فكما ان المشي في الماء يقتضي لا محالة بللا يلتصق بالقدم فكذلك ملابسة
الدنيا يقتضي علاقة وظلمة في القلب بل علاقة القلب مع الدنيا تمنع حلاوة العبادة قال عيسى صلى الله عليه وسلم بحق اقول لكم
كما ينظر المريض الى الطعام فلا يلتذ من شدة الوجع كذلك صاحب الدنيا لا يلتذ بالعبادة ولا يجد حلاوتها مع ما يجد من
حلاوة الدنيا بحق اقول لكم ان الدابة اذا لم تركب وتمتهن تصعب ويتغير خلقها كذلك القلوب اذا لم ترقق بذكر الموت
ونصب العبادة تقسو وتغلظ بحق اقول لكم ان الزق ما لم يتخرق يوشك ان يكون وعاء للعسل كذلك القلوب ما لم
تخرقها الشهوات او يدنسها الطمع او يقسيها النعيم فسوف تكون اوعية الحكمة وقال نبينا صلى الله عليه وسلم الدنيا
بلاء وفتنة وانما مثل عمل احدكم كمثل الوعاء اذا طاب اعلاه طاب اسفله واذا خبث اعلاه خبث اسفله مثال آخر لما بقي
من الدنيا وقلته بالاضافة الى ما سبق قال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل هذه الدنيا مثل ثوب شق من اوله
الى آخره فبقي معلقا بخيط في آخره فيوشك ذلك الخيط ان ينقطع مثال آخر لتادية علائق الدنيا بعضها الى بعض
حتى الهلاك قال عيسى صلوات الله عليه مثل طالب الدنيا مثل شارب ماء البحر كلما ازداد شربا ازداد عطشا حتى يقتله
مثال آخر لمخالفة آخر الدنيا في القلب لذيذة كشهوات الاطعمة في المعدة وسيجد العبد عند الموت لشهوات الدنيا
في قلبه من الكراهة والنتن والقبح ما يجده للاطعمة اللذيذة اذا بلغت في المعدة غايتها وكما ان الطعام كلما كان الذ طعما
واكثر دسما واظهر حلاوة كان رجيعه اقذر واشد نتنا فكذلك كل شهوة في القلب هي اشهى والذ واقوى فنتنها وكراهتها
والتاذي بها عند الموت اشد بل هي في الدنيا مشاهدة فان من نهبت داره واخذ اهله وولده وماله فيكون مصيبته
والمه وتفجعه في كل ما فقده بقدر لذته فيها وحبه لها وحرصه عليها وكل ما كان عند الوجود اشهى عنده والذ فهو عند
الفقد ادهى وامر وما للموت معنى الا فقد ما في الدنيا وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال للضحاك بن سفيان الكلابي
الست تؤتى بطعامك وقد ملح وقزح ثم تشرب عليه اللبن والماء قال بلى قال فالى ماذا يصير قال الى ما قد علمت يا رسول الله
قال فان الله عز وجل ضرب مثل الدنيا بما يصير اليه طعام ابن آدم وقال ابي بن كعب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الدنيا ضربت
مثلا لابن آدم فانظر الى ما يخرج من ابن آدم وان قزحه وملحه الى ما يصير وقال صلى الله عليه وسلم ان الدنيا ضربت مثلا لابن
آدم مطعمه وضرب مطعم ابن آدم للدنيا مثلا وان قزحه وملحه وقال الحسن قد رايتهم يطيبونها بالافاويه والطيب ثم يرمون
بها حيث رايتم وقد قال صلى الله عليه وسلم فلينظر الانسان الى طعامه قال ابن عباس الى رجيعه وقال رجل لابن عمر اني ان اسالك
واستحيي قال فلا تستحيي وسل قال اذا قضى احدنا حاجته فقام ينظر الى ذلك منه قال نعم ان الملك يقول انظر هذا ما بخلت

بخلت به انظر الى ماذا صار وكان بشر بن كعب يقول انطلقوا حتى اريكم الدنيا فيذهب بهم الى مزبلة فيقول انظروا الى
ثمارهم ودجاجهم وعسلهم وسمنهم مثال آخر في نسبة الدنيا الى الآخرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الدنيا
في الآخرة الا كمثل ما يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بما يرجع اليه مثال آخر للدنيا واهلها في اشتغالهم بنعيم
الدنيا وغفلتهم عن الآخرة وخسرانهم العظيم بسببها اعلم ان اهل الدنيا في غفلتهم مثلهم مثل قوم ركبوا سفينة فانتهت
بهم الى جزيرة فامرهم الملاح بالخروج لقضاء الحاجة وحذرهم المقام وخوفهم مرور السفينة واستعجالها فتفرقوا في نواحي
الجزيرة فقضى بعضهم الحاجة وبادر الى السفينة فصادف المكان خاليا فاخذ اوسع الاماكن والينها واوفقها لمراده وبعضهم توقف
في الجزيرة ينظر الى انوارها وازهارها العجيبة وغياضها الملتفة ونغمات طيورها الطيبة والحانها الموزونة الغريبة
وصار يلحظ من تربتها الوانها احجارها وجواهرها ومعادنها المختلفة الالوان والاشكال الحسنة المنظر العجيبة
النقوش السالبة اعين الناظرين بحسن زبرجها وعجائب صورها ثم تنبه لخطر فوات السفينة فرجع اليها فلم يصادف الا
مكانا ضيقا حرجا فاستقر فيه وبعضهم اكب على تلك الاصداف والاحجار واعجبه حسنها ولم تسمح نفسه باهمالها فاستصحب
منها جملة فلم يجد الا مكانا ضيقا وزادته الحجارة ضيقا وصارت ثقلا عليه ووبالا فندم على اخذها ولم يقدر على رميها
ولم يجد مكانا لوضعها فحملها في السفينة على عنقه وهو متاسف على اخذها وليس ينفعه التاسف وبعضهم تولج الغياض
ونسي المركب وبعد في متفرجه ومتنزهه منه حتى لم يبلغه نداء الملاح لاشتغاله باكل تلك الثمار والتشمم لتلك الانوار
والتفرج بين تلك الاشجار وهو مع ذلك خائف على نفسه من السباع وغير خال من السقطات والنكبات ولا منفك عن شوك ينشب
بثيابه وغصن يجرح بدنه وشوكة تدخل في رجله وصوت هائل يفزع سمعه ويفزع منه وعوسج يخرق ثيابه ويهتك عورته
ويمنعه عن الانصراف لو اراده فلما بلغه نداء السفينة انصرف مثقلا بما معه ولم يجد في المركب موضعا فبقي
على الشط حتى مات جوعا وبعضهم لم يبلغه النداء وسارت السفينة فمنهم من افترسته السباع ومنهم من تاه على وجهه
حتى هلك ومنهم من مات في الاوحال ومنهم من نهشته الحيات وتفرقوا كالجيف المنتنة واما من وصل الى المركب بثقل ما اخذ
من الحجارة المبرجة فقد استرقته وشغله الحزن بحفظها والخوف من فوتها وقد ضيقت عليه مكانه فلم يلبث ان ذبلت تلك
الازهار وكمدت الوان الاحجار فظهر نتن رائحتها فصار مع كونها مضيقا عليه مؤذيا بنتنها ووحشتها فلم يجد حيلة الا ان القاها
في البحر هربا منها وقد اثر فيه ما اكل منها فلم ينته الى الوطن الا بعد ان ظهرت عليه من الاسقام بتلك الروائح فبلغ سقيما مدبرا
ومن رجع قريبا ما فاته الا سعة المحل فتاذى بضيق المكان مدة ولكن لما وصل الى الوطن استراح ومن رجع اولا وجد المكان الاوسع
ووصل الى الوطن سالما فهذا مثال اصناف اهل الدنيا في اشتغالهم بحظوظهم العاجلة ونسيانهم موردهم ومصدرهم
وغفلتهم عن عاقبة امورهم وما اقبح بمن يزعم انه بصير عاقل ان تغره احجار الارض وهي الذهب والفضة وهشيم النبت وهي
زينة الدنيا وشيء منه لا يصحبه عند الموت بل يصير كلا ووبالا عليه وهو في الحال شاغل له بالحزن والخوف عليه وهذا حال
الخلق كلهم الا من عصمه الله مثال آخر لاغترار الخلق بالدنيا وضعف ايمانهم بقول الله تعالى في تحذيره اياهم عواقب
الدنيا قال الحسن بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه انما مثلي ومثلكم ومثل الدنيا كمثل قوم سلكوا مفازة
غبراء حتى اذا لم يدروا ما سلكوا منها اكثر او ما بقي انفدوا الزاد وحسروا الظهر وبقوا بين ظهراني المفازة بلا زاد ولا حمولة
فايقنوا بالهلكة فبينا هم كذلك اذ خرج عليهم رجل في حلة يقطر راسه ماء فقالوا هذا قريب عهد بريف وما جاءكم

هذا الامر قريب فلما انتهى اليهم قال يا هؤلاء قالوا يا هذا قال على ما انتم فقالوا على ما ترى قال ارايتكم ان هديتكم الى ماء
رواء ورياض خضر ما تعملون قالوا لا نعصيك شيئا قال عهودكم ومواثيقكم بالله فاعطوه عهودهم ومواثيقهم بالله
ان لا يعصونه شيئا قال فاوردهم ماء رواء ورياضا خضرا فمكث فيهم ما شاء الله ثم قال يا هؤلاء قالوا يا هذا قال الرحيل قالوا
الى اين قال الى ماء ليس كمائكم والى رياض ليس كرياضكم فقال اكثرهم والله ما وجدنا هذا حتى ظننا انا لن نجده وما نصنع بعيش
خير من هذا قال وقالت طائفة وهم اقلهم الم تعطوا هذا الرجل عهودكم ومواثيقكم بالله ان لا تعصوه شيئا وقد صدقكم في اول
حديثه فوالله ليصدقنكم في آخره فراح فيمن اتبعه وتخلف بقيتهم فبدرهم عدو فاصبحوا من بين اسير وقتيل مثال آخر
لتنعم الناس بالدنيا ثم تفجعهم على فراقها اعلم ان مثل الناس فيما اعطوا من الدنيا مثل رجل هيا دارا وزينها وهو يدعو
الناس الى داره على الترتيب واحدا بعد واحد فدخل واحد داره فقدم اليه طبق ذهب عليه بخور ورياحين ليشمه ويتركه لمن يلحقه لا ليتملكه وياخذه فجهل رسمه فظن انه قد
وهب ذلك له فتعلق به قلبه لما ظن انه له فلما استرجع منه ضجر وتفجع ومن كان عالما برسمه انتفع به وورده بطيبة
قلب وانشراح صدر وكذلك من عرف سنة الله في الدنيا علم انها دار ضيافة سبلت على المجتازين لا على المقيمين ليتزودوا
منها وينتفعوا بما فيها كما ينتفع المسافرون بالعواري ولا يصرفون اليها كل قلوبهم حتى تعظم مصيبتهم عند فراقها فهذه امثلة
الدنيا وآفاتها وغوائلها

بيان حقيقة الدنيا وماهيتها في حق العبد

اعلم ان معرفة ذم الدنيا لا يكفيك ما لم تعرف الدنيا
المذمومة ما هي وما الذي ينبغي ان يجتنب منها وما الذي لا يجتنب فلا بد وان نبين الدنيا المذمومة المامور باجتنابها
لكونها عدوة لله تعالى قاطعة لطريق الله فنقول دنياك وآخرتك عبارتان عن حالتين من احوال قلبك فالقريب
الداني منهما تسمى دنيا وهي كل ما قبل الموت والمتراخي المتاخر تسمى آخرة وهي ما بعد الموت وكل ما لك فيه حظ
وغرض ونصيب وشهوة ولذة في عاجل الحال قبل الوفاة فهي الدنيا في حقك الا ان جميع ما لك اليه ميل وفيه نصيب
وحظ فليس بمذموم بل هي ثلاثة اقسام القسم الاول ما يصحبك في الآخرة ويبقى معك ثمرته بعد الموت وهو شيئان العلم
والعمل فقط واعني بالعلم العلم بالله وصفاته وافعاله وملائكته وكتبه ورسله وملكوت ارضه وسمائه والعلم بشريعة النبي
صلى الله عليه وسلم واعني بالعمل العبادة الخالصة لوجه الله تعالى وقد يانس العالم بالعلم حتى يصير ذلك الذ الاشياء عنده
فيهجر النوم والمنكح والمطعم في لذته لانه اشهى عنده من جميعها فقد صار حظا عاجلا في الدنيا ولكنا اذا ذكرنا الدنيا المذمومة
لم نعد هذا من الدنيا اصلا بل قلنا انه من الآخرة وكذلك العابد قد يانس بعبادته فيستلذها بحيث لو منع عنها لكان ذلك اعظم العقوبات
عليه حتى قال بعضهم ما اخاف من الموت الا من حيث يحول بيني وبين قيام الليل وكان الحسن يقول اللهم ارزقني قوة الصلوة والركوع
والسجود في القبر فهذا قد صارت الصلوة من حظوظه العاجلة وكل حظ عاجل فاسم الدنيا ينطلق عليه من حيث الاشتقاق من الدنو
ولكنا لسنا بالدنيا المذمومة ذلك وقد قال صلى الله عليه وسلم حبب الي من دنياكم ثلث الطيب والنساء وقرة عيني في الصلوة
فجعل الصلوة في جملة ملاذ الدنيا وذلك لان كل ما يدخل في الحس والمشاهدة فهو من عالم الشهادة وهو من الدنيا والتلذذ بتحريك
الجوارح بالسجود والركوع انما يكون في الدنيا فلذلك اضافها الى الدنيا الا انا في هذا الكتاب لسنا نتعرض الا للدنيا المذمومة
فنقول هذه ليست من الدنيا القسم الثاني وهو المقابل له على الطرف الاقصى كل ما فيه حظ عاجل ولا ثمرة له في الآخرة
اصلا كالتلذذ بالمعاصي كلها والتنعم بالمباحات الزائدة على قدر الضرورات والحاجات الداخلة في جملة الرفاهية والرعونات
كالتلذذ بالقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث والغلمان والجواري والخيول والمواشي

والمواشي والقصور والدور ورفيع الثياب ولذائذ الاطعمة فحظ العبد من هذه كلها هي الدنيا المذمومة وفيما يعد فضولا او في محل
الحاجة نظر طويل اذ روي ان عمر رضي الله عنه استعمل ابا الدرداء على حمص فاتخذ كنيفا انفق عليه درهمين فكتب اليه من
عمر بن الخطاب امير المؤمنين الى عويمر قد كان لك في بناء فارس والروم ما تكتفي به عن عمران الدنيا حين اذن الله بخرابها فاذا
اتاك كتابي هذا فقد سيرتك انت واهلك الى دمشق فلم يزل بها حتى مات فهذا راه فضولا من الدنيا فتامل فيه القسم الثالث
وهو متوسط بين الطرفين كل حظ معين على اعمال الآخرة كقدر القوت من الطعام والقميص الواحد الخشن وكل ما لا بد منه ليتاتى
للانسان البقاء والصحة التي بها يتوصل الى العلم والعمل وهذا ليس من الدنيا كالقسم الاول لانه معين على القسم الاول ووسيلة اليه
فمهما تناوله العبد بقصد الاستعانة على العلم والعمل لم يكن به متناولا للدنيا ولم يصر به من ابناء الدنيا وان كان باعثه الحظ العاجل
دون الاستعانة على التقوى التحق بالقسم الثاني وصار من جملة الدنيا ولا يبقى مع العبد عند الموت الا ثلث صفات صفاء القلب
اعني طهارته عن ادناس الدنيا وانسه بذكر الله تعالى وحبه لله تعالى وصفاء القلب وطهارته لا يحصلان الا بالكف عن شهوات
الدنيا والانس لا يحصل الا بكثرة ذكر الله تعالى والمواظبة عليه والحب لا يحصل الا بالمعرفة ولا تحصل معرفة الله الا بدوام الفكر
وهذه صفات القلب هي المنجيات المسعدات بعد الموت وهي الباقيات الصالحات اما طهارة القلب عن شهوات الدنيا فهي من
المنجيات اذ يكون جنة بين العبد وبين عذاب الله كما ورد في الاخبار ان اعمال العبد تناضل عنه فاذا جاء العذاب من جهة رجليه
جاء قيام الليل يدفع عنه الحديث واما الانس والحب فهما من المسعدات وهما موصلان للعبد الى لذة اللقاء والمشاهدة
وهذه السعادة تتعجل عقيب الموت الى ان يدخل اوان الرؤية في الجنة فيصير القبر روضة من رياض الجنة وكيف لا يكون القبر
روضة ولم يكن له الا محبوب واحد وكانت العوائق تعوقه عن الانس بدوام ذكره ومطالعة جماله فارتفعت العوائق وافلت
من السجن وخلي بينه وبين محبوبه فقدم عليه مسرورا سليما من الموانع آمنا من الفراق وكيف لا يكون محب الدنيا عند الموت
معذبا ولم يكن له محبوب الا الدنيا وقد غصب منه وحيل بينه وبينه وسدت عليه طرق الحيلة في الرجوع اليه فما حال
من كان له واحد يؤخذ منه ذلك الواحد وليس الموت عدما انما هو فراق المحاب الدنيوية وقدوم على الله فاذا سالك طريق
الآخرة هو المواظب على اسباب هذه الصفات الثلث وهو الذكر والفكر والعمل الذي يفطمه عن شهوات الدنيا ويبغض اليه
ملاذها ويقطعه عنها وكل ذلك لا يمكن الا بصحة البدن وصحة البدن لا تنال الا بقوت وملبس ومسكن ويحتاج كل واحد
الى اسباب فالقدر الذي لا بد منه من هذه الثلثة اذا اخذه العبد من الدنيا للآخرة لم يكن من ابناء الدنيا وكانت الدنيا في
حقه مزرعة الآخرة وان اخذ ذلك لحظ النفس وعلى قصد التنعم صار من ابناء الدنيا والراغبين في حظوظها الا ان الرغبة في
حظوظ الدنيا تنقسم الى ما يعرض صاحبه لعذاب في الآخرة ويسمى ذلك حراما والى ما يحول بينه وبين الدرجات العلى
ويعرضه لطول الحساب ويسمى ذلك حلالا والبصير يعلم ان طول الموقف في عرصات القيمة لاجل المحاسبة ايضا عذاب فمن نوقش
في الحساب فقد عذب اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حلالها حساب وحرامها عذاب فقد قال ايضا حلالها عذاب الا انه عذاب
اخف من عذاب الحرام بل لو لم يكن الحساب لكان ما يفوت من الدرجات العلى في الجنة وما يرد على القلب من التحسر على تفويتها بحظوظ
حقيرة خسيسة لا بقاء لها هو ايضا عذاب وقس به حالك في الدنيا اذا نظرت الى اقرانك وقد سبقوك بسعادات دنيوية كيف
يتقطع قلبك عليها حسرة مع علمك بانها سعادات متصرمة لا بقاء لها ومنغصة بكدورات لا صفاء لها فما حالك في فوات سعادة
لا يحيط الوصف بعظمتها وينقطع الدهر دون غايتها فكل من تنعم في الدنيا ولو بسماع صوت من طائر او بنظر الى خضرة او شربة ماء

فانه ينقص من حظه في الآخرة اضعافه وهو المعني بقوله صلى الله عليه وسلم لعمر هذا من النعيم الذي تسئل عنه اشار الى الماء
البارد والتعرض لجواب السؤال فيه ذل وخوف وخطر ومشقة وانتظار وكل ذلك من نقصان الحظ ولذلك قال عمر
رضي الله عنه اعزلوا عني حسابها حيث كان به عطش فعرض عليه ماء بارد بعسل فادار الاناء في كفه ثم امتنع عن شربه والدنيا
قليلها وكثيرها حلالها وحرامها ملعونة الا ما اعان على تقوى الله فان ذلك القدر ليس من الدنيا وكل من كان معرفته اقوى واتقن
كان حذره من نعيم الدنيا اشد حتى ان عيسى صلى الله عليه وسلم وضع راسه على حجر لما نام ثم رماه اذ تمثل له ابليس فقال رغبت
في الدنيا وحتى ان سليمان صلوات الله عليه في ملكه كان يطعم الناس لذائذ الاطعمة وهو ياكل خبز الشعير فجعل الملك على نفسه
بهذا الطريق امتحانا وشدة فان الصبر عن لذائذ الاطعمة مع القدرة عليها ووجودها اشد ولهذا روي ان الله تعالى زوى الدنيا عن نبينا
صلى الله عليه وسلم وكان يطوي اياما وكان يشد الحجر على بطنه من الجوع ولهذا سلط الله البلايا والمحن على الاولياء والانبياء
ثم الامثل فالامثل كل ذلك نظرا لهم وامتنانا عليهم ليتوفر من الآخرة حظهم كما يمنع الوالد الشفيق ولده الفواكه ويلزمه
الم الفصد والحجامة شفقة عليه وحبا له لا بخلا عليه وقد عرفت بهذا ان كل ما ليس لله تعالى فهو من الدنيا وما هو لله
فليس من الدنيا فان قلت فما الذي هو لله فاقول الاشياء ثلاثة اقسام منها ما لا يتصور ان يكون لله وهو الذي يعبر عنه
بالمعاصي والمحظورات وانواع التنعمات في المباحات وهي الدنيا المحض المذمومة وهي الدنيا صورة ومعنى ومنها ما صورتها
لله ويمكن ان يجعل لغير الله وهي ثلاثة الفكر والذكر والكف عن الشهوات فان هذه الثلث اذا جرت سرا ولم يكن عليها باعث
سوى امر الله واليوم الآخر فهي لله وليست من الدنيا وان كان الغرض من الفكر طلب العلم للتشرف به وطلب القبول بين الخلق
باظهار المعرفة او كان الغرض من ترك الشهوة حفظ المال او الحمية لصحة البدن او الاشتهار بالزهد فقد صار هذا من
الدنيا بالمعنى وان كان يظن بصورتها انه لله تعالى ومنها ما صورته لحظ النفس ويمكن ان يجعل معناه لله تعالى ومنها
ما صورته لحظ النفس وذلك كالاكل والنكاح وكل ما يرتبط به بقاؤه وبقاء ولده فان كان القصد حظ النفس فهو من الدنيا
وان كان القصد الاستعانة به على التقوى فهو لله بمعناه وان كانت صورته صورة الدنيا قال صلى الله عليه وسلم من طلب
الدنيا حلالا مكاثرا مفاخرا لقي الله وهو عليه غضبان ومن طلبها استعفافا عن المسئلة وصيانة لنفسه جاء يوم القيمة
ووجهه كالقمر ليلة البدر فانظر كيف اختلف ذلك بالقصد فاذن الدنيا حظ نفسك العاجل الذي لا حاجة اليه لامر الآخرة
ويعبر عنه بالهوى واليه الاشارة بقوله تعالى ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى ومجامع الهوى خمسة امور وهي ما
جمعه الله تعالى في قوله انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد والاعيان الذي منها يحصل
منها يحصل هذه الخمسة سبعة يجمعها قوله تعالى زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب
والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحيوة الدنيا فقد عرفت ان كل ما هو لله فليس من الدنيا وقدر ضرورة
القوت وما لا بد منه من مسكن وملبس فهو لله ان قصد به وجه الله والاستكثار منه تنعم وهو لغير الله وبين التنعم
والضرورة درجة يعبر عنها بالحاجة ولها طرفان وواسطة طرف يقرب من حد الضرورة فلا يضر فان الاقتصار على حد الضرورة
غير ممكن وطرف يتاخم جانب التنعم ويقرب منه وينبغي ان يحذر وبينهما وسائط متشابهة ومن حام حول الحمى يوشك ان
يقع فيه والحزم في الحذر والتقوى والتقرب من حد الضرورة ما امكن اقتداء بالاولياء والانبياء اذ كانوا يردون انفسهم الى حد
الضرورة حتى ان اويس القرني كان يظن اهله انه مجنون لشدة تضييقه على نفسه فبنوا له بيتا على باب دارهم فكان تاتي عليهم

السنة والسنتان والثلث لا يرى له وجها وكان يخرج اول الاذان الى المسجد ويأتي الى منزله بعد العشاء الآخرة وكان
طعامه ان يلتقط فكلما اصاب الحشفة خبأها للافطار فان اصاب ما يقوته من الحشف تصدق بالنوى وان لم يصب ما يقوته
من الحشف تصدق بالنوى واشترى ما يقوته وكان لباسه مما يلتقط من المزابل فيلتقط قطع الاكسية فيغسلها في الفرات ويلفق
بعضها الى بعض ثم يلبسها فكان ذلك لباسه وكان ربما مر بالصبيان فيرجمونه ويظنون انه مجنون فيقول لهم يا اخوتاه
ان كنتم ترموني فارموني باحجار صغار فاني اخاف ان تدموني فتحضر الصلوة ولا اصيب الماء فهكذا كانت سيرته ولهذا اعظم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني لاجد نفس الرحمن من قبل اليمن اشارة اليه ولما ولي عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال
يا ايها الناس من كان منكم من اهل العراق فليقم فقاموا فقال اجلسوا الا من كان من اهل الكوفة فجلسوا فقال اجلسوا الا
من كان من مراد فجلسوا فقال اجلسوا الا من كان من قرن فجلسوا كلهم الا رجل واحد فقال له عمر اقرني انت فقال نعم
فقال اتعرف اويس بن عامر القرني فوصفه له فقال نعم وما تسئل عن ذلك يا امير المؤمنين فوالله ما فينا احمق منه ولا اجن
منه ولا احوج منه ولا ادون منه فبكى عمر ثم قال الذي قلت ما قلت الا اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
يدخل في شفاعته مثل ربيعة ومضر فقال هرم بن حيان لما سمعت هذا القول من عمر بن الخطاب فيرجمونه ويظنون انه مجنون
رضي الله عنه قدمت الكوفة فلم يكن لي هم الا ان اطلب اويس القرني واسأل عنه حتى سقطت عليه جالسا على شاطئ الفرات
نصف النهار وهو يتوضأ ويغسل ثوبه قال فعرفته بالنعت الذي نعت لي فاذا رجل لحيم شديد الادمة محلوق الرأس كث اللحية
عليه ازار من صوف ورداء من صوف بغير حذاء كبير الوجه مهيب المنظر قال فسلمت عليه فرد علي ونظر الي فقلت حياك
الله من رجل ومددت يدي لاصافحه فابى ان يصافحني فقلت رحمك الله يا اويس وغفر لك كيف انت رحمك الله ثم خنقتني
العبرة من حبي اياه ورقتي عليه اذ رايت من حاله ما رايت حتى بكيت وبكى قال وانت فحياك الله يا هرم بن حيان كيف انت
يا اخي ومن دلك علي قال قلت الله فقال لا اله الا الله سبحان الله ان كان وعد ربنا لمفعولا قال فتعجبت حين عرفني ولا والله
ما رايته قبل ذلك ولا راني فقلت من اين عرفت اسمي واسم ابي وما رايتك قبل اليوم قال نبأني العليم الخبير وعرفت روحي روحك
حين كلمت نفسي نفسك ان الارواح لها انفس كانفس الاجساد وان المؤمنين ليعرف بعضهم بعضا ويتحابون بروح الله وان
لم يلتقوا يتعارفون ويتكلمون وان نأت بهم الدار وتفرقت المنازل قال قلت حدثني رحمك الله عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم بحديث اسمعه منك قال اني لم ادرك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن لي معه صحبة بابي وامي رسول الله صلى
الله عليه وسلم ولكن رايت رجالا قد صحبوه وبلغني من حديثه نحو مما بلغك ولست احب ان افتح هذا الباب على نفسي
ان اكون محدثا او مفتيا او قاصا في نفسي شغل عن الناس يا هرم بن حيان فقلت يا اخي اقرأ علي آية من القرآن اسمعها وادع لي
بدعوات واوصني بوصية احفظها عنك فاني احبك في الله حبا قال فقام واخذ بيدي على شاطئ الفرات ثم قال اعوذ بالله من
الشيطان الرجيم ثم بكى ثم قال قال ربي والحق قول ربي واصدق الحديث حديثه واصدق الكلام كلامه وما خلقنا السموات
والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق ولكن اكثر الناس لا يعلمون حتى انتهى الى قوله انه هو العزيز الرحيم فشهق
شهقة انه قد غشي عليه ثم قال يا ابن حيان مات ابوك آدم وماتت امك حوا ومات نوح ومات ابراهيم خليل الرحمن ومات
موسى نجي الرحمن يا ابن حيان ومات داود خليفة الرحمن ومات ابوك حيان واوشك ان تموت فاما الى الجنة واما الى
النار ومات محمد صلى الله عليه وسلم رسول رب العالمين ومات ابو بكر خليفة المسلمين ومات عمر بن الخطاب اخي وصفيي

ثم قال واعمراه واعمراه قال فقلت رحمك الله ان عمر لم يمت قال فقد نعاه الى ربي ونعاني الى نفسي ثم قال انا وانت
في الموتى كأن قد كان ثم صلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم دعا بدعوات خفيات ثم قال هذه وصيتي لك يا هرم بن حيان
كتاب الله ونعي الصالحين المؤمنين فقد نعيت الي نفسي ونفسك عليك بذكر الموت لا يفارق قلبك طرفة عين ما بقيت
وانذر قومك اذا رجعت اليهم وانصح الامة جميعا واياك ان تفارق الجماعة قيد شبر فتفارق دينك وانت لا تعلم فتدخل
النار يوم القيامة ادع لي ولنفسك ثم قال اللهم ان هذا يزعم انه يحبني فيك وزارني من اجلك فعرفني وجهه في الجنة و
ادخله علي في دارك دار السلام واحفظه ما دام في الدنيا حيث ما كان وضم عليه ضيعته وارضه من الدنيا باليسير وما
اعطيته من الدنيا فيسره له تيسيرا واجعله لما اعطيته من نعمائك من الشاكرين واجزه عني خير الجزاء ثم قال استودعك الله
يا هرم بن حيان والسلام عليك ورحمة الله لا اراك بعد اليوم رحمك الله تطلبني فاني اكره الشهرة والوحدة احب الي اني
كثير الهم شديد الغم مع هؤلاء الناس في الدنيا فلا تسأل عني ولا تطلبني واعلم انك مني على بال وان لم ارك وترني فاذكرني
وادع لي فاني سأذكرك وادعو لك ان شاء الله تعالى انطلق انت ههنا حتى انطلق انا ههنا فحرصت ان امشي معه ساعة
فابى علي وفارقته فبكى وابكاني وجعلت انظر في قفاه حتى دخل بعض السكك ثم سألت عنه بعد ذلك فما وجدت احدا
يخبرني عنه بشيء رحمه الله وغفر له فهكذا كانت سيرة ابناء الآخرة المعرضين عن الدنيا وقد عرفت مما سبق في بيان ذم الدنيا
ومن سيرة الانبياء والاولياء ان حد الدنيا كل ما اظلته الخضراء واقلته الغبراء الا ما كان لله عز وجل من ذلك وضد الدنيا
الآخرة وهو كل ما اريد به الله عز وجل مما يؤخذ بقدر الضرورة من الدنيا لاجل تقوية طاعة الله فذلك ليس من الدنيا ويتبين هذا
بمثال وهو ان الحاج اذا حلف انه في طريق الحج لا يشتغل بغير الحج بل يتجرد له ثم اشتغل بحفظ الزاد وعلف الجمل وخرز الراوية
وكل ما لا بد للحج منه لم يحنث في يمينه ولم يكن مشغولا بغير الحج فكذلك البدن مركب النفس يقطع به مسافة العمر فتعهد
البدن بما يبقى به قوته على سلوك الطريق بالعلم والعمل هو من الآخرة لا من الدنيا نعم اذا قصد تلذذ البدن وتنعمه بشيء من هذه
الاسباب كان منحرفا عن الآخرة ويخشى على قلبه القسوة قال الطنافسي كنت على باب بني شيبة في المسجد الحرام سبعة ايام
طاويا فسمعت الليلة الثامنة مناديا وانا بين اليقظة والنوم الا من اخذ من الدنيا اكثر مما يحتاج اليه اعمى الله تعالى
عين قلبه فهذا بيان حقيقة الدنيا في حقك

بيان ماهية الدنيا في نفسها واشغالها التي استغرقت هموم الخلق حتى
انستهم انفسهم وخالقهم ومصدرهم وموردهم اعلم ان الدنيا عبارة عن اعيان موجودة وللانسان فيها حظ وله في
اصلاحها شغل فهذه ثلاثة امور قد يظن ان الدنيا عبارة عن آحادها وليس كذلك اما الاعيان الموجودة التي الدنيا
عبارة عنها فهي الارض وما عليها قال الله تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا
فالارض فراش للآدميين ومهاد ومسكن ومستقر وما عليها لهم ملبس ومطعم ومشرب ومنكح ويجمع ما على الارض ثلاثة
اقسام المعادن والنبات والحيوان اما النبات فيطلبه الآدمي للاقتيات والتداوي واما المعادن فيطلبها الآدمي
للآلات والاواني كالنحاس والرصاص او للنقد كالذهب والفضة ولغير ذلك من المقاصد واما الحيوان فينقسم
الى الانسان والبهائم اما البهائم فيطلب لحومها للمآكل وظهورها للمركب والزينة واما الانسان فقد يطلب
الآدمي ان يملك ابدان الناس ليستخدمهم ويستسخرهم كالغلمان او ليتمتع بهم كالجواري والنسوان ويطلب قلوب
الناس ليملكها بان يغرس فيها التعظيم والاكرام وهو الذي يعبر عنه بالجاه اذ معنى الجاه ملك قلوب الآدميين فهذه

فهذه هي الاعيان التي يعبر عنها بالدنيا وقد جمعها الله تعالى في قوله زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين وهذا
من الانس والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة وهذا من الجواهر والمعادن وفيه تنبيه على غيرها من اللآلي واليواقيت
والخيل المسومة والانعام وهي البهائم والحيوانات والحرث وهو النبات والزرع فهذه هي اعيان الدنيا الا ان لها مع العبد
علاقتين علاقة مع القلب وهو حبه لها وحظه منها وانصراف همه اليها حتى يصير القلب كالعبد او المحب المستهتر بالدنيا
ويدخل في هذه العلاقة جميع صفات القلب المتعلقة بالدنيا كالكبر والغل والحسد والرياء والسمعة وسوء الظن والمداهنة
وحب الثناء وحب التكاثر والتفاخر وهذه هي الدنيا الباطنة واما الظاهرة فهي الاعيان التي ذكرناها العلاقة الثانية
مع البدن وهو اشتغاله باصلاح هذه الاعيان لتصلح لحظوظه وحظوظ غيره وهي جملة الصناعات والحرف التي الخلق مشغولون
بها والخلق انما نسوا انفسهم ومآبهم ومنقلبهم بالدنيا لهاتين العلاقتين علاقة القلب بالحب وعلاقة البدن بالشغل ولو عرف
نفسه وعرف ربه وعرف حكمة الدنيا وسرها علم ان هذه الاعيان التي سميناها دنيا لم تخلق الا لعلف الدابة التي يسير بها الى الله
تعالى واعني بالدابة البدن فانه لا يبقى الا بها كما لا تبقى الابل في طريق الحج الا بعلف وماء وجلال ومثال العبد في نسيانه نفسه ومقصده
مثال الحاج الذي يقف في منازل الطريق ولا يزال يعلف الناقة ويتعهدها وينظفها ويكسوها الوان الثياب ويحمل
اليها انواع الحشيش ويبرد لها الماء بالثلج حتى تفوته القافلة وهو غافل عن الحج وعن مرور القافلة وعن بقائه في البادية
فريسة للسباع هو وناقته والحاج البصير لا يهمه من امر الجمل الا القدر الذي يقوى به على المشي فيتعهده وقلبه الى الكعبة والحج
وانما يلتفت الى الناقة بقدر الضرورة فكذلك البصير في سفر الآخرة لا يشتغل بتعهد البدن الا بالضرورة كما لا يدخل بيت الماء
الا بالضرورة ولا فرق بين ادخال الطعام في البطن وبين اخراجه من البطن في ان كل واحد منهما ضرورة البدن ومن همته ما
يدخل في بطنه فقيمته ما يخرج من بطنه واكثر ما شغل الناس عن الله هو البطن فان القوت ضروري وامر المسكن والملبس اهون
ولو عرفوا سبب الحاجة الى هذه الامور واقتصروا عليها لم تستغرقهم اشغال الدنيا وانما استغرقتهم لجهلهم بالدنيا وحكمتها وحظوظهم
منها ولكنهم جهلوا وغفلوا وتتابعت اشغال الدنيا عليهم واتصل بعضها ببعض وتداعت الى غير نهاية محدودة فتاهوا
في كثرة الاشغال ونسوا مقصودها ونحن نذكر تفاصيل اشغال الدنيا وكيفية حدوث الحاجة اليها وكيفية غلط الناس في
مقاصدها حتى يتضح لك ان اشغال الدنيا كيف صرفت الخلق عن الله وكيف انستهم عاقبة امورهم فنقول الاشغال الدنيوية
هي الحرف والصناعات والاعمال التي ترى الخلق مكبين عليها وسبب كثرة الاشغال هو ان الانسان مضطر الى ثلاث القوت
والمسكن والملبس فالقوت للغذاء والبقاء والملبس لدفع الحر والبرد والمسكن لدفع الحر والبرد ولدفع اسباب الهلاك عن المال
والاهل ولم يخلق الله القوت والمسكن والملبس مصلحا بحيث يستغني عن صنعة الانسان فيه نعم خلق ذلك للبهائم فان النبات
يغذي الحيوان من غير طبخ والحر والبرد لا يؤثر في بدنها فتستغني عن البناء وتقنع بالصحراء ولباسها شعورها وجلودها
فتستغني عن اللباس والانسان ليس كذلك فحدثت الحاجة لذلك الى خمس صناعات هي اصول الصناعات واوائل الاشغال
الدنيوية الفلاحة والرعاية والاقتناص والحياكة والبناء اما البناء فللمسكن والحياكة وما يكتنفها من الغزل والخياطة فللملبس
والفلاحة للمطعم والرعاية للمواشي والخيل ايضا للمطعم والمركب والاقتناص نعني به تحصيل ما خلقه الله من صيد او
معدن او حشيش او حطب فالفلاح يحصل النبات والراعي يحفظ الحيوانات ويستنتجها والمقتنص يحصل ما نبت ونتج بنفسه
من غير صنع آدمي ونعني بالاقتناص ذلك ويدخل تحته صناعات واشغال عدة ثم هذه الصناعات افتقرت الى ادوات وآلات

كالحياكة والفلاحة والبناء والاقتناص والآلات اما ان يوخذ اما من النبات وهي الاخشاب او من المعادن كالحديد والرصاص وغيره
او من جلود الحيوانات فحدثت الحاجة الى ثلاثة انواع اخر من الصناعات النجارة والحدادة والخرز وهؤلاء هم عمال الآلات
ونعني بالنجار كل عامل على الخشب كيفما كان وبالحداد كل من عمل على جواهر المعادن حتى النحاس والابري وغيرهما وغرضنا ذكر
الاجناس فاما آحاد الحرف فكثيرة واما الخراز فنعني به كل عامل على جلود الحيوانات واجزائها فهذه امهات الصناعات ثم ان الانسان
خلق بحيث لا يعيش وحده بل يضطر الى الاجتماع مع غيره من جنسه وذلك لسببين احدهما حاجته الى النسل لبقاء جنس الانسان ولا
يكون ذلك الا باجتماع الذكر والانثى وعشرتهما والثاني التعاون على تهيئة اسباب المطعم والملبس وتربية الولد فان الاجتماع
يفضي الى الولد لا محالة والواحد لا يشتغل بحفظ الولد وتهيئة اسباب القوت ثم ليس يكفيه الاجتماع مع الاهل والولد في المنزل
بل لا يمكنه ان يعيش كذلك حتى يجتمع طائفة كثيرة ليتكفل كل واحد منهم بصناعة فان الشخص الواحد كيف يتولى الفلاحة وحده
وهو يحتاج الى آلاتها ويحتاج الآلة الى حداد ونجار ويحتاج الطعام الى طحان وخباز وكذلك كيف ينفرد بتحصيل الملبس
وهو يفتقر الى حراسة القطن وآلات الحياكة والخياطة واعمال كثيرة فلذلك امتنع عيش الانسان وحده وحدثت الحاجة الى
الاجتماعات ثم لو اجتمعوا في صحراء مكشوفة لتاذوا بالحر والبرد واللصوص فافتقروا الى ابنية محكمة ومنازل ينفرد بها كل
اهل بيت بما معه من الآلات والاثاث والمنازل لدفع الحر والبرد ولدفع الجيران عن اذى اللصوصية ولكن جميع المنازل
قد تقصدها جماعة من اللصوص خارج المنازل فافتقر اهل المنازل الى التناصر والتعاون والتحصن بسور يحيط بجميع المنازل
فحدثت البلاد لهذه الضرورة ثم مهما اجتمع الناس في المنازل والبلاد وتعاملوا تولدت بينهم خصومات اذ تحدث رياسة
للزوج على الزوجة وولاية للابوين على الولد لانه ضعيف يحتاج الى القوام به ومهما حصلت الولاية على عاقل افضى ذلك
الى الخصومة بخلاف الولاية على البهائم اذ ليس لها قوة المخاصمة وان ظلمت واما المراة فتخاصم الزوج والولد يخاصم
الابوين هذا في المنزل واما اهل البلد ايضا فيتعاملون في الحاجات ويتنازعون فيها ولو تركوا كذلك لتقاتلوا وهلكوا
وكذلك الرعاة وارباب الفلاحة يتواردون على المراعي والاراضي والمياه وهي لا تفي باغراضهم فيتنازعون لا محالة ثم قد
يعجز بعضهم عن الفلاحة والصناعة لعمى او مرض او هرم وتعرض عوارض مختلفة ولو ترك ضائعا لهلك ولو وكل تفقده الى
الجميع لتخاذلوا ولو خص واحد من غير سبب يخصه لكان لا يذعن له فحدث بالضرورة من هذه العوارض الحاصلة بالاجتماع
صناعات اخرى فمنها صناعة المساحة التي بها يعرف مقادير الارض فيمكن القسمة بينهم بالعدل ومنها صناعة الجندية لحراسة البلد
بالسيف ودفع اللصوص عنهم ومنها الحكم والتوسط لفصل الخصومة ومنها الحاجة الى الفقه وهو معرفة القانون الذي ينبغي ان
يضبط به الخلق ويلزموا الوقوف على حدوده حتى لا يكثر النزاع وهو معرفة حدود الله في المعاملات وشروطها فهذه امور
سياسية لا بد منها ولا يشتغل بها الا مخصوصون بصفات مخصوصة من التمييز والعلم والهداية واذا اشتغلوا بها لم يتفرغوا لصناعة
اخرى ويحتاجون الى المعاش ويحتاج اهل البلد اليهم ولو اشتغل اهل البلد بالحرب مع الاعداء مثلا تعطلت الصناعات ولو اشتغل
اهل الحرب والسلاح بالصناعات لطلب القوت تعطلت البلاد عن الحراس واستضر الناس فمست الحاجة الى ان يصرف الى معايشهم
الاموال الضائعة التي لا مالك لها ان كانت او تصرف اليهم الغنائم ان كانت العداوة مع الكفار وان كانوا اهل ديانة وورع
وتقوى قنعوا بالقليل من اموال المصالح وان ارادوا التوسع فتمس الحاجة لا محالة الى ان يمدهم اهل البلد باموالهم ليمدوهم
بالحراسة فتحدث الحاجة الى الخراج ثم يتولد بسبب الحاجة الى الخراج الحاجات الى الصناعات اخر اذ يحتاج الى من يوظف الخراج

بالعدل على الفلاحين وارباب الاموال وهم العمال والى من يستوفي منهم بالرفق وهم الجباة والمستخرجون والى من يجمع
عنده ليحفظه الى وقت التفرقة وهم الخزان والى من يفرقه عليهم بالعدل وهو العارض للعساكر وهذه الاعمال لو تولاها
عدد لا يجمعهم رابطة انخرم النظام فيحدث منه الحاجة الى ملك يدبرهم وامير مطاع يعين لكل عمل شخصا ويختار لكل واحد
ما يليق به ويراعي النصفة في اخذ الخراج واعطائه واستعماله الجند في الحرب وتوزيع اسلحتهم وتعيين جهات الحرب ونصب
الامير والقائد على كل طائفة منهم الى غير ذلك من صناعات الملك فيحدث من ذلك بعد الجند الذين هم اهل السلاح وبعد
الملك الذي يراقبهم بالعين الكالئة ويدبرهم الكاتب والخزان والحساب والجباة والعمال ثم هؤلاء ايضا يحتاجون الى معيشة
ولا يمكنهم الاشتغال بالحرف فيحدث الحاجة الى مال الفرع مع مال الاصل وهو المسمى فرع الخراج وعند هذا يكون الناس في
الصناعات ثلث طوائف الاولى الفلاحون والرعاة والمحترفون والثاني الجندية الحماة لهم بالسيوف والثالثة المترددون
بين الطائفتين في الاخذ والاعطاء وهم العمال والجباة وامثالهم فانظروا كيف ابتداء الامر من حاجة القوت والمسكن والملبس والى
ماذا انتهى وهكذا امور الدنيا لا يفتح منها باب الا وينفتح بسببه عشرة ابواب اخر وهكذا اشياء الى غير حد محصور وكانها
هاوية لا نهاية لعمقها من وقع في مهواة منها سقط منها الى اخرى وهكذا على التوالي فهذه هي الحرف والصناعات الا انها لا تتم
الا بالاموال والآلات والمال عبارة عن اعيان الارض وما عليها مما ينتفع بها واعلاها الاغذية ثم الامكنة التي ياوي
الانسان اليها وهي الدور ثم الامكنة التي يسعى فيها للتعيش كالحوانيت والاسواق والمزارع ثم الكسوة ثم اثاث البيت و
آلاته ثم آلات الآلات ما هو حيوان كالكلب آلة للصيد والبقر آلة للحراثة والفرس آلة الحرب ثم يحدث من ذلك حاجة البيع
فان الفلاح ربما يسكن قرية ليس فيها آلة الفلاحة والحداد والنجار يسكنان قرية لا يمكن فيها الزراعة فبالضرورة يحتاج اليهما
الفلاح ويحتاجان الى الفلاح فيحتاج احدهما الى ان يبذل ما عنده للآخر حتى ياخذ منه غرضه وذلك بطريق المعاوضة الا
ان النجار مثلا اذا طلب من الفلاح الغذاء بآلته ربما لا يحتاج الفلاح في ذلك الوقت الى الآلة فلا يبيعه والفلاح اذا طلب
الآلة من النجار بالطعام ربما كان عنده طعام في ذلك الوقت فلا يحتاج اليه فتتعوق الاغراض فاضطروا الى حانوت يجمع
آلة كل صناعة ليترصد بها صاحبها ارباب الحاجات والى ابنية يجمع اليها ما يحمله الفلاحون فيشتريها منهم صاحب الابنية
ليترصد بها ارباب الحاجة فظهرت لذلك الاسواق والمخازن فيحمل الفلاح الحبوب فاذا لم يصادف محتاجا باعها بثمن رخيص
من الباعة فيخزنونها لانتظار ارباب الحاجات طمعا في الربح وكذلك في جميع الامتعة والاموال ثم يحدث لا محالة بين البلاد والقرى
تردد فيتردد الناس يشترون من القرى الاطعمة ومن البلاد الآلات وينقلون ذلك ويتعيشون به لينتظم امور البلاد بسببهم
اذ كل بلد ربما لم يوجد فيه كل آلة وكل قرية لا يوجد فيها كل طعام فالبعض يحتاج الى البعض فيحوج الى النقل فيحدث التجار
المتكفلون بالنقل وباعثهم عليه حرص جمع المال فيتعبون طول الليل والنهار في الاسفار لاغراض غيرهم اما قاطع طريق واما
سلطان ظالم ولكن جعل الله في غفلتهم وجهلهم نظاما للبلاد ومصلحة للعباد بل جميع امور الدنيا انتظمت بالغفلة وخسة
الهمة ولو عقل الناس وارتفعت هممهم لزهدوا في الدنيا ولو فعلوا ذلك لبطلت المعايش ولو بطلت لهلكوا ولهلك الزهاد
ايضا ثم هذه الاموال التي تنقل لا يقدر الانسان على حملها فيحتاج الى دواب تحملها وصاحب المال قد لا يملك الدابة فيحدث
معاملة بينه وبين مالك الدابة تسمى الاجارة ويصير الكراء نوعا من الاكتساب ايضا ثم يحدث بسبب البياعات الحاجة الى
النقدين فان من يريد ان يشتري طعاما بثوب فمن اين يدري المقدار الذي يساويه من الطعام كم هو والمعاملة تجري

في اجناس مختلفة كما يباع ثوب بطعام وحيوان بثوب وهذه امور لا تتناسب فلا بد من حاكم عدل يتوسط بين المتبايعين
يعدل احدهما بالآخر فيطلب ذلك العدل من اعيان الاموال ثم يحتاج الى مال يطول بقاؤه لان الحاجة اليه تدوم لان الحاجة
اليه تدوم وابقى الاموال المعادن فاتخذت النقود من الذهب والفضة والنحاس ثم مست الحاجة الى الضرب والنقش والتقدير
فحدثت الحاجة الى دار الضرب والى الصيارفة وهكذا تتداعى الاشغال والاعمال بعضها الى بعض حتى انتهى الى ما تراه فهذه
اشغال الخلق وهي معايشهم ولا يمكن شيء من هذه الحرف الا بنوع تعلم وتعب في الابتداء وفي الناس من يغفل عن ذلك
في الصبى فلا يشتغل به او يمنعه عنه مانع فيبقى عاجزا عن الاكتساب لعجزه عن الحرف فيحتاج الى ان ياكل مما سعى فيه غيره
فيحدث منه حرفتان خسيستان اللصوصية والكدية اذ يجمعهما انهما ياكلان من سعي غيرهما ثم ان الناس يحترزون من اللصوص
والمكدين ويحفظون عنهم اموالهم فافتقروا الى صرف عقولهم في استنباط الحيل والتدليس اما اللصوص فمنهم من يطلب اعوانا
ويكون في يديه قوة وشوكة فيجتمعون ويقطعون الطريق كالاعراب والاكراد واما الضعفاء منهم فيفزعون الى الحيل اما بالنقب
والتسلق عند انتهاز فرصة الغفلة واما بان يكون طرارا او سلالا الى غير ذلك من انواع التلصص الحادثة بحسب ما انتجته الافكار
المصروفة الى استنباطها واما المكدي فانه اذا طلب ما سعى فيه غيره قيل له اتعب واعمل كما عمل غيرك فما لك والبطالة فلا يعطى
فافتقروا الى حيلة في استخراج الاموال وتمهيد العذر في البطالة فاحتالوا للتعلل بالعجز اما بالحقيقة كجماعة يعمون اولادهم
وانفسهم بالحيلة ليعذروا بالعمى فيعطون واما بالتعامي والتفالج والتجانن والتمارض واظهار ذلك بانواع من الحيل
مع بيان ان تلك محنة قد اصابت من غير استحقاق ليكون ذلك سبب الرحمة وجماعة يلتمسون اقوالا وافعالا يتعجب الناس منها
حتى تنبسط قلوبهم عند مشاهدتها فيسخوا برفع اليد عن قليل من المال في حال التعجب ثم قد يندم بعد زوال التعجب ولا ينفع الندم
وذلك قد يكون بالتمسخر والمحاكاة والشعبذة والافعال المضحكة وقد يكون بالاشعار الغريبة والكلام المنثور المسجع مع حسن الصوت
والشعر الموزون اشد تاثيرا في النفس لا سيما اذا كان فيه تعصب يتعلق بالمذاهب كاشعار مناقب الصحابة وفضائل اهل البيت
او الذي يحرك داعية العشق من اهل المجانة كصنعة الطبالين في الاسواق او تسليم ما يشبه العوض وليس بعوض كبيع التعويذات
والحشائش التي يتخيل بائعها انها ادوية فيخدع بها الصبيان وكاصحاب القرعة والفال من المنجمين ويدخل في هذا الجنس الوعاظ المكدون
على رؤس المنابر اذا لم يكن وراءهم طائل علمي وكان غرضهم استمالة قلوب العوام واخذ اموالهم وانواع الكدية تزيد على الالف
والالفين وكل ذلك استنبط بدقيق الفكر لاجل المعيشة فهذه هي اشغال الخلق واعمالهم التي قد اكبوا عليها وجرهم
الى ذلك كله الحاجة الى القوت والكسوة ولكن نسوا في اثناء ذلك انفسهم ومقصودهم ومنقلبهم ومآبهم فضلوا وتاهوا
وسبق الى عقولهم الضعيفة بعد ان كدرها زحمة اشغال الدنيا خيالات فاسدة فانقسمت مذاهبهم واختلفت آراؤهم على عدة اوجه
فطائفة غلبهم الجهل والغفلة فلم تنفتح اعينهم للنظر الى عاقبة امرهم فقالوا المقصود ان نعيش اياما في الدنيا فنجتهد حتى نكتسب
القوت ثم ناكل حتى نقوى على الكسب ثم نكسب حتى ناكل فياكلون ليكسبوا ويكسبون لياكلوا وهذا مذهب الفلاحين والمحترفين
ومن ليس له تنعم في الدنيا ولا قدم في الدين فانه يتعب نهارا لياكل ليلا وياكل ليلا ليتعب نهارا وذلك كسير السواني فهو سفر
لا ينقطع الا بالموت وطائفة اخرى زعموا انهم تفطنوا للامر وهو انه ليس المقصود ان يشقى الانسان بالعمل ولا يتنعم في الدنيا
بل السعادة في ان يقضي وطره من شهوة الدنيا وهي شهوة البطن والفرج فهؤلاء نسوا انفسهم وصرفوا هممهم الى اتباع النسوان
وجمع لذائذ الاطعمة ياكلون كما تاكل الانعام ويظنون انهم اذا نالوا ذلك فقد ادركوا غاية السعادات فشغلهم ذلك عن الله

عن الله واليوم الآخر وطائفة ظنوا ان السعادة في كثرة المال والاستغناء بكثرة الكنوز فاسهروا ليلهم وانفقوا نهارهم
في الجمع فهم يتعبون في الاسفار طول الليل والنهار ويترددون في الاعمال الشاقة ويكتسبون ويجمعون ولا ياكلون
الا قدر الضرورة شحا وبخلا عليها ان تنقص وهذه لذتهم وفي ذلك دابهم وحركتهم الى ان يدركهم الموت فيبقى تحت الارض
او يظفر به من ياكله في الشهوات واللذات فيكون للجامع تعبها ووبالها وللآكل لذتها ثم الذين يجمعون ينظرون الى امثال ذلك
ولا يعتبرون وطائفة ظنوا ان السعادة في حسن الاسم وانطلاق الالسنة بالثناء والمدح بالتجمل والمروءة فهؤلاء يتعبون في
كسب المعاش ويضيقون على انفسهم في المطعم والمشرب ويصرفون جميع اموالهم الى الملابس الحسنة والدواب النفيسة و
يزخرفون ابواب الدور وما يقع عليه ابصار الناس حتى يقال انه غني وانه ذو ثروة ويظنون ان ذلك هو السعادة فهمتهم في
ليلهم ونهارهم في تعهد موقع نظر الناس وطائفة اخرى ظنوا ان السعادة في الجاه والكرامة بين الناس وانقياد
الخلق لهم بالتواضع والتوقير فصرفوا هممهم الى استجرار الناس الى الطاعة بطلب الولايات وتقلد الاعمال السلطانية
لينفذ امرهم بها على طائفة من الناس ويرون انهم اذا اتسعت ولايتهم وانقادت لهم رعاياهم فقد سعدوا سعادة عظيمة
وان ذلك غاية المطلب وهذا اغلب الشهوات على قلوب الغافلين من الناس فهؤلاء شغلهم حب تواضع الناس لهم
عن التواضع لله وعن عبادته وعن التفكر في آخرتهم ومعادهم ووراء هؤلاء طوائف يطول حصرها تزيد على نيف وسبعين
فرقة كلهم ضلوا واضلوا عن سواء السبيل وانما جرهم الى جميع ذلك حاجة المطعم والملبس والمسكن فنسوا ما تراد له هذه
الامور الثلاثة والقدر الذي يكفي منها وانجرت بهم اوائل اسبابها الى اواخرها وتداعى بهم ذلك الى مهاو لم يمكنهم
الرقي منها فمن عرف وجه الحاجة الى هذه الاسباب والاشغال وعرف غاية المقصود منها فلا يخوض في شغل وحرفة وعمل الا
وهو عالم بمقصوده تعهد بدنه بالقوت والكسوة حتى لا يهلك وذلك ان سلك فيه سبيل التقليل اندفعت الاشغال و
فرغ القلب وغلب ذكر الآخرة وانصرفت الهمة الى الاستعداد له وان تعدى به قدر الضرورة كثرت الاشغال وتداعى
البعض الى البعض وتسلسل الى غير نهاية فتتشعب به الهموم ومن تشعبت به الهموم في اودية الدنيا فلا يبالي الله في اي
واد اهلكه فهذا شان المنهمكين في اشغال الدنيا فحسدهم الشيطان ولم يتركهم واضلهم في الاعراض ايضا حتى انقسموا الى طوائف
وتنبهت لذلك طايفه فاعرضوا عن الدنيا
فظنت طائفة ان الدنيا دار بلاء ومحنة وان الآخرة دار سعادة لكل من وصل اليها سواء تعبد في الدنيا او لم يتعبد فراوا
ان يقتلوا انفسهم للخلاص من محنة الدنيا واليه ذهبت طوائف من الهند يتهجمون على النار ويقتلون انفسهم بالاحراق
ويظنون ان ذلك خلاص لهم من محن الدنيا وظنت طائفة اخرى ان القتل لا يخلص بل لا بد اولا من اماتة الصفات البشرية
وقلعها عن النفس بالكلية وان السعادة في قطع الشهوة والغضب ثم اقبلوا على المجاهدة وشددوا على انفسهم حتى هلك بعضهم
بشدة الرياضة وبعضهم فسد عقله وجن وبعضهم مرض وانسد عليه طريق الرياضة والعبادة وبعضهم عجز عن قمع الصفات
بالكلية فظن ان ما كلفه الشرع محال وان الشرع تلبيس لا اصل له فوقع في الالحاد وظهر لبعضهم ان هذا التعب كله لله وان الله
مستغن عن عبادة العباد لا ينقصه عصيان عاص ولا يزيده عبادة عابد فعادوا الى الشهوات وسلكوا مسلك الاباحة وطووا
بساط الشرع والاحكام وزعموا ان ذلك من صفاء توحيدهم حيث اعتقدوا ان الله غني عن عبادة العباد وظنت طائفة اخرى
ان المقصود من العبادات المجاهدة حتى يصل العبد بها الى معرفة الله تعالى فاذا حصلت المعرفة فقد وصل وبعد الوصول يستغني
عن الوسيلة والحيلة فتركوا السعي والعبادة وزعموا انه ارتفع محلهم في معرفة الله عز وجل عن ان يمتهنوا بالتكاليف وانما التكليف

على عوام الخلق وورآء هذه المذاهب باطلة وضلالات هالكة يطول احصاؤها الى ان يبلغ نيفًا وسبعين فرقة واما الناجي منها فرقة واحدة وهي السالكة ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه واصحابه وهو ان لا يترك الدنيا بالكلية ولا يقمع الشهوات

اما الدنيا فيؤخذ منها قدر الزاد واما الشهوات فيقمع منها ما يخرج بها عن طاعة الشرع والعقل ولا يتبع كل شهوة ولا يترك كل شهوة بل يتبع العدل ولا يترك كل شي من الدنيا ولا يطلب كل شي من الدنيا بل يعلم مقصود كل ما خلق من الدنيا ويحفظه على قدر مقصوده فيأخذ من القوت ما يقوى به البدن على العبادة ومن المسكن ما يحفظ عن اللصوص والحر والبرد ومن الكسوة كذلك حتى اذا فرغ القلب من شغل البدن اقبل على الله بكنه همته واشتغل بالذكر والفكر طول العمر وبقي ملازمًا لسياسة الشهوات ومراقبًا لها حتى لا يجاوز حدود الورع والتقوى ولا يعلم تفصيل ذلك الا بالاقتداء بالفرقة الناجية وهم الصحابة فانه صلى الله عليه وسلم لما قال الناجي منها واحدة قالوا يا رسول الله ومن هم قال اهل السنة والجماعة فقيل وما اهل السنة والجماعة قال ما انا عليه واصحابي وقد كانوا على المنهج القصد وعلى السبيل الذي فصلناه من قبل فانهم ما كانوا يأخذون الدنيا للدنيا وما كانوا يترهبون فيهجرون الدنيا بالكلية وما كان لهم من الامور تفريط وافراط بل كان امرهم بين ذلك قوامًا وذلك هو العدل والوسط بين الطرفين وهو احب الامور الى الله تعالى كما سبق ذكره في مواضع

تم كتاب ذم الدنيا من ربع المهلكات ويتلوه كتاب ذم المال وهو السابع من ربع المهلكات من كتب احياء علوم الدين والحمد لله اولًا واخرًا والصلوة على حبيبه محمد واله واصحابه باطنًا وظاهرًا

كتاب ذم المال والبخل وهو السابع من ربع المهلكات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مستوجب الحمد برزقه المبسوط وكاشف الضر بعد القنوط الذي خلق الخلق ووسع الرزق وافاض على العالمين اصناف الاموال وابتلاهم فيها بتقليب الاحوال وردّدهم فيها بين العسر واليسر والغنى والفقر والطمع واليأس والثروة والافلاس والعجز والاستطاعة والحرص والقناعة والبخل والجود والفرح بالموجود والاسف على المفقود والايثار والانفاق والتوسع والاملاق والتبذير والتقتير والرضا بالقليل واستحقار الكثير كل ذلك ليبلوهم ايهم احسن عملا وينظر ايهم آثر الدنيا على الآخرة بدلا وابتغى عن الآخرة عدولا وحولا واتخذ الدنيا ذخيرة وخولا والصلوة على محمد الذي نسخ بملته مللا وطوى بشريعته اديانا ونحلا وعلى آله واصحابه الذين سلكوا سبيل ربهم ذللا وسلم كثيرا اما بعد فان فتن الدنيا كثيرة والشعب والاطراف واسعة الارجاء والاكناف ولكن الاموال اعظم فتنها واطم محنها واعظم فتنة فيها انه لا غنى لاحد عنها ثم اذا وجدت فلا سلامة منها فان فقد المال حصل منه الفقر الذي يكاد ان يكون كفرا وان وجد حصل منه الطغيان الذي لا يكون عاقبة امره الا خسرا وبالجملة فهي لا تخلو من الفوائد والآفات وفوائدها من المنجيات وآفاتها من المهلكات وتمييز خيرها عن شرها من المعوصات التي لا يقوى عليها الا ذوو البصائر في الدين من العلماء الراسخين دون المترسمين المغترين وشرح ذلك مهم على الانفراد فان ما ذكرناه في كتاب ذم الدنيا لم يكن نظرا في المال خاصة بل في الدنيا عامة والدنيا تتناول كل حظ عاجل والمال بعض اجزاء الدنيا والجاه بعضها واتباع شهوة البطن والفرج بعضها وتشفي الغيظ بحكم الغضب والحسد بعضها والكبر وطلب العلو بعضها ولها ابعاض كثيرة ويجمعها كل ما للانسان فيه حظ عاجل ونظرنا الآن في هذا الكتاب في المال وحده اذ فيه آفات وغوائل وللانسان من فقده صفة الفقر ومن وجوده وصف الغنى وهما حالتان يحصل بهما الاختبار والامتحان ثم للفاقد حالتان القناعة والحرص واحدهما مذمومة والاخرى محمودة وللحريص حالتان طمع فيما في ايدي الناس وتشمر للحرف والصناعات مع اليأس عن الخلق والطمع شر الحالتين وللواجد حالتان امساك بحكم البخل والشح وانفاق واحدهما مذمومة والاخرى محمودة وللمنفق حالتان تبذير واقتصاد والمحمود هو الاقتصاد وهذه امور متشابهة وكشف الغطاء عن الغموض فيها مهم ونشرحه في فصول وهي اربعة عشر فصلا وهو بيان ذم المال ثم مدحه ثم تفصيل فوائد المال وآفاته ثم ذم الحرص والطمع ثم علاج الحرص والطمع ثم فضيلة السخاء ثم حكايات الاسخياء ثم ذم البخل ثم حكايات البخلاء ثم الايثار وفضله ثم حد السخاء والبخل ثم علاج البخل ثم مجموع الوظائف في المال ثم ذم الغنى ومدح الفقر

بيان ذم المال وكراهية حبه

قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم الآية وقال تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة وقال من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها وقال تعالى الهاكم التكاثر وقال ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حب المال والشرف ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل وقال صلى الله عليه وسلم ما ذئبان ضاريان ارسلا في زريبة غنم باكثر فسادا فيها من حب المال والجاه في دين الرجل المسلم وقال صلى الله عليه وسلم هلك الاكثرون الا من قال به في عباد الله هكذا وهكذا وقليل ما هم وقيل له يا رسول الله اي امتك شر قال الاغنياء وقال صلى الله عليه وسلم سيأتي بعدكم قوم يأكلون اطايب الدنيا والوانها وينكحون اجمل النساء والوانها ويلبسون الين الثياب والوانها ويركبون فره الخيل والوانها لهم بطون من القليل لا تشبع وانفس بالكثير لا تقنع عاكفين على الدنيا يغدون ويروحون اليها اتخذوها آلهة من دون الههم وربا دون ربهم الى امرهم ينتهون وهواهم يتبعون فعزيمة من محمد بن عبد الله لمن ادرك ذلك الزمان من عقب عقبكم وخلف خلفكم ان لا يسلم عليهم ولا يعود مرضاهم ولا يتبع جنائزهم ولا يوقر كبيرهم فمن فعل ذلك فقد اعان على هدم الاسلام وقال صلى الله عليه وسلم دعوا الدنيا لاهلها من اخذ من الدنيا فوق ما يكفيه اخذ حتفه وهو لا يشعر وقال صلى الله عليه وسلم يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما تصدقت فامضيت او اكلت فافنيت او لبست فابليت وقال رسول الله ما لي لا احب الموت فقال هل معك من مال قال نعم يا رسول الله قال قدم مالك فان قلب المؤمن مع ماله ان قدمه احب ان يلحقه وان خلفه احب ان يتخلف معه وقال صلى الله عليه وسلم اخلاء ابن آدم ثلاثة واحد يتبعه الى قبض روحه والثاني الى قبره والثالث الى محشره فالذي يتبعه الى قبض روحه فماله والذي الى قبره فاهله والذي يتبعه الى محشره فعمله وقال الحواريون لعيسى عليه السلام ما لك تمشي على الماء ولا نقدر على ذلك فقال لهم ما منزلة الدينار والدرهم عندكم قالوا حسنة قال لكنهما عندي والمدر سواء وكتب سلمان الى ابي الدرداء يا اخي اياك ان تجمع من الدنيا ما لا تؤدي شكره فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يجاء بصاحب الدنيا الذي اطاع الله فيها وماله بين يديه كلما تكفأ به الصراط قال له ماله امض فقد اديت حق الله في ثم يجاء بصاحب الدنيا الذي لم يطع الله فيها وماله بين كتفيه كلما تكفأ به الصراط قال له ماله ويلك الا اديت حق الله في فما زال كذلك حتى يدعو بالثبور والويل وكل ما اوردناه في كتاب الزهد والفقر من ذم الغنى ومدح الفقر يرجع جميعه الى ذم المال فلا نطول بتكريره وكذى ما ذكرناه في ذم الدنيا فيتناول ذم المال بحكم العموم لان المال اعظم اركان الدنيا وانما نذكر الآن ما ورد في المال خاصة وقال صلى الله عليه وسلم اذا مات العبد قالت الملائكة ما قدم وقال الناس ما خلف وقال صلى الله عليه وسلم لا تتخذوا الضيعة فتحبوا الدنيا

الآثار

روي ان رجلا نال من ابي الدرداء واراه سوءا فقال اللهم من فعل بي سوءا فاصح جسمه واطل عمره واكثر ماله فانظر كيف راى كثرة المال غاية البلاء مع صحة الجسم وطول العمر لانه لا بد وان يفضي الى الطغيان ووضع علي كرم الله وجهه درهما على كفه ثم قال اما انك ما لم تخرج عني لم تنفعني وروي ان عمر ارسل الى زينب بنت جحش بعطائها فقالت ما هذا قالوا ارسل اليك عمر بن الخطاب قالت غفر الله له ثم حلت سترا كان لها فقطعته وجعلته صررا وقسمته في اهل رحمها وايتامها ثم رفعت يديها وقالت اللهم لا يدركني عطاء عمر بعد عامي هذا فكانت اول نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم لحوقا به وقال الحسن والله ما اعز الدرهم احد الا اذله الله وقيل ان اول ما ضرب الدينار والدرهم رفعهما ابليس ثم وضعهما على جبهته ثم قبلهما وقال من احبكما فهو عبدي حقا وقال سميط بن عجلان ان الدنانير والدراهم ازمة المنافقين يقادون بها الى النار وقال يحيى بن معاذ الدرهم عقرب فان لم تحسن رقيته فلا تأخذه فانه ان لدغك قتلك سمه قيل ما رقيته قال اخذه من حله ووضعه في حقه وقال العلاء بن زياد تمثلت لي الدنيا وعليها من كل زينة فقلت اعوذ بالله من شرك قالت فابغض الدرهم وذلك لان الدينار والدرهم هي الدنيا كلها اذ يتوصل بهما الى جميع اصنافها فمن صبر عنهما صبر عن الدنيا ولذلك اني وجدت فلا

فلا تظنوا عن هذا التورع عند هذا الدرهم فاذا قدرت عليه ثم تركته فاعلم بان يقينك تقوى المسلم وقيل لا يغرك من المرء قميص رقعه او ازار فوق كعب الساق منه رفعه ولدى الدرهم فانظر غيه او ورعه وروي عن مسلمة بن عبد الملك انه دخل على عمر بن عبد العزيز عند موته فقال يا امير المؤمنين صنعت صنيعا لم يصنعه احد قبلك تركت ولدك ليس لهم دينار ولا درهم وكان عنده ثلاثة عشر من الولد فقال عمر اقعدوني فاقعدوه فقال اما قولك لم ادع لهم دينارا ولا درهما فاني لم امنعهم حقا هو لهم ولم اعطهم حقا هو لغيرهم وانما ولدي احد رجلين اما مطيع لله فالله كافيه والله يتولى الصالحين واما عاص لله فلا ابالي على ما وقع وروي ان محمد بن كعب القرظي اصاب مالا كثيرا فقيل له لو ادخرته لولدك من بعدك قال لا ولكني ادخره لنفسي عند ربي وادخر ربي لولدي وروي ان رجلا قال لابي عبد ربه يا اخي لا تذهب بشر وتترك اولادك بخير فخرج ابو عبد ربه من ماله مائة الف درهم وقال يحيى بن معاذ مصيبتان لم يسمع الاولون والاخرون بمثلهما للعبد في ماله عند موته قيل وما هما قال يؤخذ منه كله ويسأل عنه كله

بيان مدح المال والجمع بينه وبين الذم اعلم ان الله تعالى قد سمى المال خيرا في مواضع قال الله تعالى ان ترك خيرا الآية وقال صلى الله عليه وسلم نعم المال الصالح للرجل الصالح وكل ما جاء في ثواب الصدقة والحج فهو ثناء على المال اذ لا يمكن الوصول اليه الا به وقال تعالى ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وقال تعالى ممتنا على عباده ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا وقال عليه السلام كاد الفقر ان يكون كفرا وهو ثناء على المال ولا تقف على وجه الجمع بين المدح والذم الا ان تعرف حكمة المال ومقصوده وآفاته وغوائله حتى ينكشف لك انه خير من وجه وشر من وجه وانه محمود من حيث هو خير ومذموم من حيث هو شر فانه ليس بخير محض ولا بشر محض بل هو سبب للامرين جميعا وما هذا وصفه فيمدح لا محالة مرة ويذم اخرى ولكن البصير المميز يدرك ان المحمود منه غير المذموم وبيانه بالاستمداد مما ذكرناه في كتاب الشكر من بيان الخيرات وتفصيل درجات النعم والقدر المقنع فيه هو ان مقصد الاكياس وارباب البصائر سعادة الاخرى التي هي النعيم الدائم والملك المقيم والقصد لهذا آداب الكرام والاكياس اذ قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم من اكرم الناس واكيسهم فقال اكثرهم للموت ذكرا واشدهم له استعدادا وهذه السعادة لا تنال الا بثلاث وسائل في الدنيا وهي الفضائل النفسية كالعلم وحسن الخلق والفضائل البدنية كالصحة والسلامة والفضائل الخارجة عن البدن كالمال وسائر الاسباب واعلاها النفسية ثم البدنية ثم الخارجة فالخارجة اخسها والمال من جملة الخارجات وادناها الدراهم والدنانير فانهما خادمان ولا خادم لهما ويرادان لغيرهما ولا يرادان لذاتهما اذ النفس هي الجوهر الشريف المطلوب سعادتها وانما تخدم العلم والمعرفة ومكارم الاخلاق لتحصلها صفة في ذاتها والبدن يخدم النفس بواسطة الحواس والاعضاء والمطاعم والملابس تخدم البدن وقد سبق ان المقصود من المطاعم ابقاء البدن ومن المناكح ابقاء النسل ومن البدن تكميل النفس وتزكيتها وتزيينها بالعلم والخلق ومن عرف هذا الترتيب فقد عرف قدر المال ووجه شرفه وانه من حيث هو ضرورة المطاعم والملابس التي هي ضرورة بقاء البدن الذي هو ضرورة كمال النفس خير ومن عرف فائدة الشيء وغايته ومقصده واستعمله لتلك الغاية ملتفتا اليها غير ناس لها فقد احسن وانتفع وكان ما حصل له الغرض محمودا في حقه فاذن المال آلة ووسيلة الى مقصود صحيح ويصلح ان يتخذ آلة ووسيلة الى مقاصد فاسدة وهي المقاصد الصادة عن سعادة الآخرة وتسد سبيل العلم والعمل فهو اذن محمود مذموم محمود بالاضافة الى المقصود المحمود ومذموم بالاضافة الى المقصود المذموم فمن اخذ من الدنيا اكثر مما يكفيه فقد اخذ حتفه وهو لا يشعر كما ورد في الخبر ولما كانت الطباع مائلة الى اتباع الشهوات القاطعة لسبيل الله وكان المال مسهلا لها وآلة اليها عظم الخطر فيما يزيد على قدر الكفاية فاستعاذ الانبياء من شره حتى قال نبينا صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا فلم يطلب من الدنيا الا ما يتمحض خيره

وقال اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا واستعاذ ابراهيم صلى الله عليه وسلم فقال اجنبني وبني ان نعبد الاصنام وعنى به هذين الحجرين الذهب والفضة اذ رتبة النبوة اجل من ان يخشى عليها ان تعتقد الالهية في شيء من الحجارة وانما معنى عبادتهما حبهما والاغترار بهما والركون اليهما قال نبينا صلى الله عليه وسلم تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس ولا انتعش واذا شيك فلا انتقش فبين ان محبهما عابد لهما ومن عبد حجرا فهو عابد صنم بل كل من كان عبدا لغير الله فهو عابد صنم وهو شرك الا ان الشرك شركان شرك خفي لا يوجب الخلود في النار وقل ما ينفك عنه المؤمنون فانه اخفى من دبيب النملة وشرك جلي يوجب الخلود في النار

بيان تفصيل آفات المال وفوائده اعلم ان المال مثل حية فيها سم وترياق ففوائده ترياقه وغوائله سمومه فمن عرف غوائله وفوائده امكنه ان يحترز من شرها ويستدر منها خيرها اما الفوائد فهي تنقسم الى دنيوية ودينية اما الدنيوية فلا حاجة الى ذكرها فان معرفتها مشتركة بين اصناف الخلق ولولا ذلك لم يتهالكوا على طلبها واما الدينية فتنحصر جميعها في ثلاثة انواع النوع الاول ان ينفقه على نفسه اما في عبادة او في الاستعانة به على عبادة اما في العبادة كالاستعانة على الحج والجهاد فانه لا يتوصل اليها الا بالمال وهما من امهات القربات والفقير محروم عن فضلهما واما في تقويته على العبادة وذلك هو المطعم والمسكن والملبس والمنكح وضرورات المعيشة فان هذه الحاجات اذا لم تتيسر كان القلب مصروفا الى تدبيرها فلا يتفرغ للدين وما لا يتوصل الى العبادة الا به فهو عبادة فاخذ الكفاية من الدنيا لاجل الاستعانة على الدين من الفوائد الدينية ولا يدخل في هذا التنعم والزيادة على الحاجة فان ذلك من حظوظ الدنيا فقط النوع الثاني ما يصرفه الى الناس وهو اربعة اقسام الصدقة والمروءة ووقاية العرض والاستخدام اما الصدقة فلا يخفى ثوابها وانها لتطفئ غضب الرب وقد ذكرنا فضائلها واما المروءة فنعني بها صرف المال الى الاغنياء والاشراف في ضيافة وهدية واعانة وما يجري مجراها فان هذه لا تسمى صدقة بل الصدقة ما يسلم الى المحتاج الا ان هذا ايضا من الفوائد الدينية اذ به يكتسب العبد الاخوان والاصدقاء وبه يكتسب صفة السخاء ويلتحق بزمرة الاسخياء فلا يوصف بالجود الا من يصطنع المعروف ويسلك سبيل الفتوة والمروءة وهذا ايضا مما يعظم الثواب فيه فقد وردت اخبار كثيرة في الهدايا والضيافات واطعام الطعام من غير اشتراط الفاقة في مصارفها واما وقاية العرض فنعني به بذل المال لدفع هجو الشعراء وثلب السفهاء وقطع السنتهم ودفع شرهم وهو ايضا مع تنجز فائدته في العاجلة من الحظوظ الدينية ايضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما وقى به المرء عرضه فهو له صدقة وكيف لا وفيه منع المغتاب عن معصية الغيبة والاحتراز عما يثور من كلامه من العداوة التي تحمل في المكافأة والانتقام على مجاوزة حدود الشريعة واما الاستخدام فهو ان الاعمال التي يحتاج اليها الانسان لتهيئة اسبابه كثيرة ولو تولاها بنفسه ضاعت اوقاته وتعذر عليه سلوك سبيل الآخرة بالفكر والذكر الذي هو اعلى مقامات السالكين ومن لا مال له فيفتقر الى ان يتولى بنفسه خدمة نفسه من شراء الطعام وطبخه وكنس البيت حتى نسخ الكتاب الذي يحتاج اليه وكل ما يتصور ان يقوم به غيرك ويحصل غرضك فانت مغبون اذا اشتغلت به اذ عليك من العلم والعمل والفكر والذكر ما لا يتصور ان يقوم به غيرك فتضييع الوقت في غيره خسران النوع الثالث ما لا يصرفه الى انسان معين ولكن يحصل به خير عام كبناء المساجد والقناطر والرباطات ودور المرضى ونصب الحباب في الطرق وغير ذلك من الاوقاف المرصدة للخيرات وهي من الخيرات المؤبدة الدارة بعد الموت المستجلبة بركة ادعية الصالحين الى اوقات متمادية وناهيك به خيرا فهذه جملة فوائد المال في الدين سوى ما يتعلق بالحظوظ العاجلة من الخلاص من ذل السؤال وحقارة الفقر والوصول الى العز والمجد بين الخلق وكثرة الاخوان والاعوان والاصدقاء والوقار والكرامة في القلوب فكل ذلك مما يقتضيه المال

من الحظوظ الدنيوية واما الافات فدينية ودنيوية اما الدينية فثلثة الاولى انه يجر الى المعاصي فان الشهوات متقاضية
والعجز قد يحول بين المرء وبين المعصية ومن العصمة ان لا يقدر فمهما كان الانسان آيسا عن نوع من المعصية فمهما كان الانسان
لم تتحرك داعيته واذا استشعر القدرة عليه انبعثت والمال نوع من القدرة يحرك داعية المعاصي وارتكاب الفجور فان اقتحم
ما اشتهاه هلك وان صبر وقع في الشدة اذ الصبر مع القدرة اشد وفتنة السراء اعظم من فتنة الضراء الثانية انه
يجر الى التنعم في المباحات وهذا اول الدرجات فمتى يقدر صاحب المال على ان يتناول خبز الشعير ويلبس الثوب الخشن ويترك لذائذ
الدنيا من الاطعمة كما كان يقدر عليه سليمان عليه السلم في ملكه واحسن احواله ان يتنعم بالدنيا ويمرن عليها نفسه فيصير التنعم
مالوفا عنده ومحبوبا لا يصبر عنه ويجره البعض منه الى البعض واذا اشتد انسه به ربما لا يقدر على التوصل اليه بالكسب
الحلال فيقتحم الشبهات ويخوض في المرايات والمداهنة والكذب والنفاق وسائر الاخلاق الرديئة لينتظم له امر دنياه
ويتيسر له تنعمه فان من كثر ماله كثرت حاجته الى الناس ومن احتاج الى الناس فلا بد ان ينافقهم ويعصي الله في طلب رضاهم
فان سلم الانسان من الآفة الاولى وهي مباشرة المحظورات فلا يسلم عن هذه اصلا ومن الحاجة الى الخلق تثور العداوة والصداقة
وينشأ عليه الحسد والحقد والريا والكبر والغيبة والنميمة وسائر المعاصي التي تختص القلب واللسان ولا يخلو عن التعدي
ايضا الى سائر الجوارح وكل ذلك يلزم من شوم المال والحاجة الى حفظه واصلاحه الثالثة وهي التي لا ينفك عنها احد
وهو انه يلهيه اصلاح ماله عن ذكر الله وكل ما يشغل العبد عن الله فهو خسران ولذلك قال عيسى عليه السلم في المال ثلث
ان ياخذه من غير حله فقيل ان اخذه من حله فقال يضعه في غير حقه فقيل ان وضعه في حقه فقال يشغله اصلاحه عن الله
وهذا هو الداء العضال فان اصل العبادات ومخها وسرها ذكر الله والفكر في جلاله ويستدعي ذلك قلبا فارغا وصاحب
الضيعة يمسي ويصبح متفكرا في خصومة الفلاح ومحاسبته وخصومة الشركاء ومنازعتهم في الحدود وخصومة اعوان السلطان
في الخراج وخصومة الاجراء في التقصير في العمارة وخصومة الفلاحين في خيانتهم وسرقتهم وصاحب التجارة يكون متفكرا
في خيانة شريكه وانفراده بالربح وتقصيره في العمل وتضييعه للمال وكذلك صاحب المواشي وهكذا سائر اصناف الاموال و
ابعدها عن كثرة الشغل النقد المكنوز تحت الارض ولا يزال الفكر مترددا فيما يصرف اليه وفي كيفية حفظه وفي الخوف مما
يعثر عليه وفي دفع المطامع الناس عنه واودية افكار اهل الدنيا لا نهاية لها والذي معه قوت في سلامة عن جميع ذلك فهذه
جملة الافات الدينية سوى ما يقاسيه ارباب الاموال في الدنيا من الخوف والحزن والهم والتعب في دفع الحساد وتجشم المصاعب
في حفظ الاموال وكسبها فاذن ترياق المال اخذ القوت وصرف الباقي الى الخيرات وما عداه سموم وآفات ـــ بيان

ذم الحرص والطمع ومدح القناعة واليأس فيما ايدي الناس اعلم ان الفقر محمود كما اوردناه في كتاب الفقر ولكن ينبغي ان يكون
الفقير قانعا منقطع الطمع عن الخلق غير ملتفت الى ما في ايديهم ولا حريصا على اكتساب المال كيف كان ولا يمكنه ذلك الا بان
يقنع بقدر الضرورة من المطعم والملبس والمسكن ويقتصر منه على اقله قدرا واخسه نوعا ويرد امله الى يومه او الى شهره ولا
يشغل قلبه بما بعد شهر فان تشوق الى الكثير او طول الامل فاته عز القناعة وتدنس لا محالة بالطمع وذل الحرص وجره الطمع و
الحرص الى مساوي الاخلاق وارتكاب المنكرات الخارقة للمروات وقد جبل الآدمي على الحرص والطمع وقلة القناعة قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى ورآءهما ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب
وعن ابي واقد الليثي قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اوحي اليه اتيناه يعلمنا مما اوحي اليه قال فجئته ذات يوم فقال لي

ان الله تعالى يقول انا انزلنا المال لاقام الصلوة وايتآء الزكوة ولو ان لابن آدم واديا من ذهب لاحب ان يكون اليه الثاني
ولو كان له الثاني لاحب ان يكون له الثالث ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب وقال ابو موسى الاشعري
نزلت سورة نحو براءة ثم رفعت وحفظت منها ان الله تعالى يؤيد هذا القوم باقوام لا اخلاق لها ولو ان لابن آدم واديان من مال
لتمنى واديا ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب وقال صلى الله عليه وسلم منهومان لا يشبعان
منهوم بالمال ومنهوم بالعلم وقال صلى الله عليه وسلم يهرم ابن آدم ويشب منه اثنان الحرص والامل وقيل الامل وحب المال او كما قال
ولما كانت هذه جبلة للآدمي مضلة وغريزة مهلكة اثنى الله تعالى ورسوله على القناعة فقال صلى الله عليه وسلم طوبى لمن هدي
للاسلام وكان عيشه كفافا وقنع به وقال صلى الله عليه وسلم ما من احد غني ولا فقير الا ود يوم القيمة انه كان اوتي قوتا في الدنيا
وقال صلى الله عليه وسلم ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس ونهى عن شدة الحرص والمبالغة في الطلب فقال الا
ايها الناس اجملوا في الطلب فانه ليس لعبد الا ما كتب له ولن يذهب عبد من الدنيا الا ياتيه ما كتب له في الدنيا وهي راغمة
وروي ان موسى سأل ربه فقال اي عبادك اغنى فقال اقنعهم بما اعطيته قال فايهم اعدل قال من انصف عن نفسه وقال ابن مسعود
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان روح القدس نفث في روعي ان نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله واجملوا في الطلب وقال
ابو هريرة اذا اشتد بك الجوع فعليك برغيف وكوز ماء وعلى الدنيا الدمار وقال ابو هريرة قال صلى الله عليه وسلم يا ابا هريرة كن ورعا
تكن اعبد الناس وكن قنعا تكن اشكر الناس واحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنا ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطمع
فيما رواه ابو ايوب الانصاري ان اعرابيا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله عظني واوجز فقال صلى الله عليه وسلم
اذا صليت فصل صلوة مودع ولا تحدثن بحديث تعتذر منه غدا واجمع اليأس مما في ايدي الناس وقال عوف بن مالك الاشجعي
كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة او ثمانية او سبعة فقال صلى الله عليه وسلم الا تبايعون رسول الله ثم قال الا
تبايعون رسول الله فبسطنا ايدينا فبايعناه فقال قائل منا اما قد بايعناك يا رسول الله فعلى ما نبايعك فقال على ان تعبدوا
الله ولا تشركوا به شيئا والصلوات الخمس وتسمعوا وتطيعوا واسر كلمة خفية ولا تسألوا الناس شيئا قال فلقد كان بعض اولئك
النفر يسقط سوطه فما يسأل احدا ان يناوله اياه الآثار قال عمر رضي الله عنه ان الطمع فقر وان اليأس غنى وانه
من يئس مما عند الناس استغنى عنهم وقيل لبعض الحكماء ما الغنى قال قلة تمنيك ورضاك بما يكفيك ولذلك قيل
العيش ساعات تمر ❊ وخطوب ايام تكر ❊ اقنع بعيشك ترضه ❊ واترك هواك تعيش حر ❊ فلرب حتف ساقه ❊ ذهب وياقوت ودر
وكان محمد بن واسع يبل الخبز اليابس بالماء وياكله ويقول من قنع بهذا لم يحتج الى احد وقال سفيان خير دنياكم ما لم تبتلوا بها وخير ما
ابتليتم بها ما خرج عن ايديكم وقال ابن مسعود ما من يوم الا وملك ينادي يا ابن آدم قليل يكفيك خير من كثير يطغيك وقال
سميط بن عجلان انما بطنك يا ابن آدم شبر في شبر فلم يدخلك النار وقيل لحكيم ما مالك قال التجمل في الظاهر والقصد في الباطن
واليأس مما في ايدي الناس وروي ان الله تعالى قال يا ابن آدم لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها الا القوت فاذا انا اعطيتك
منها القوت وجعلت حسابها على غيرك فانا اليك محسن وقال ابن مسعود اذا طلب احدكم الحاجة فليطلبها طلبا يسيرا ولا ياتي
الرجل فيقول انك انك فيقطع ظهره فانما ياتيه ما قسم له او ما رزق وكتب بعض بني امية الى ابي حازم يعزم عليه الا رفع اليه
حوائجه فكتب اليه رفعت حوائجي الى مولاي فما اعطاني منها قبلت وما امسك عني قنعت وقيل لبعض الحكماء اي شيء اسر للعاقل
وايها اعون على دفع الحزن قال اسرها ما قدم من عمل صالح واعونها له على دفع الحزن الرضا بمحتوم القدر وقال بعض الحكماء وجدت

اطول الناس غما الحسود واهنأهم عيشا القنوع واصبرهم على الاذى الحريص اذا طمع واخفضهم عيشا ارفضهم للدنيا واعظمهم ندامة
العالم المفرط وقد قيل ارفه ببال فتى امسى على ثقة ان الذى قسم الارزاق يرزقه فالعرض منه مصون لا يدنسه
والوجه منه جديد ليس يخلقه ان القناعة من يحلل بساحتها لا يلق فى دهره شيئا يؤرقه وقيل
حتى متى انا فى حل وترحال وطول سعى وادبار واقبال ونازح الدار لا انفك مغتربا عن الاحبة لا يدرون ما حالى
بمشرق الارض طورا ثم مغربها لا يخطر الموت من حرصى على بالى ولو قنعت اتانى الرزق فى دعة ان القنوع الغنى لا كثرة المال
وقال عمر بن الخطاب الا اخبركم بما استحل من مال الله حلتان لشتائى وصيفى وما يسعنى من الظهر لحجى وعمرتى وقوتى بعد ذلك
كقوت رجل من قريش لست بارفعهم ولا باوضعهم فوالله ما ادرى ايحل ذلك لى ام لا كانه شك فى ان هذا القدر زيادة على الكفاية
التى تجب القناعة بها وعاتب اعرابى اخاه على الحرص فقال يا اخى انت طالب ومطلوب يطلبك من لا تفوته وتطلب انت ما قد
كفيته وكأن ما غاب عنك قد كشف لك وما انت فيه قد نقلت عنه كأنك يا اخى لم تر حريصا محروما وزاهدا مرزوقا وقيل
اراك يزيدك الاثراء حرصا على الدنيا كانك لا تموت فهل لك غاية ان صرت يوما اليها قلت حسبى قد رضيت
وقال الشعبى حكى ان رجلا صاد قبرة فقالت ما تريد ان تصنع بى قال اذبحك فآكلك قالت والله ما اشفى من قرم ولا اشبع
من جوع ولكن اعلمك ثلاث خصال هى خير لك من اكلى اما الواحدة فاعلمك اياها وانا فى يدك واما الثانية فاذا صرت على الشجرة
قال هات الثانية قالت لا تصدقن بما لا يكون انه يكون ثم طارت فصارت على الجبل فقالت يا شقى لو ذبحتنى لاخرجت من حوصلتى
درتين كل واحدة عشرون مثقالا قال فعض على شفتيه وتلهف وقال هات الثالثة قالت انت قد نسيت الثنتين فكيف اخبرك بالثالثة
الم اقل لك لا تصدقن بما لا يكون انه يكون انا ولحمى ودمى وريشى لا يكون عشرين مثقالا فكيف يكون فى حوصلتى درتان كل واحدة عشرون
مثقالا ثم طارت وذهبت وهذا مثال لفرط طمع الآدمى فانه يعميه عن درك الحق حتى يقدر ما لا يكون انه يكون وقال ابن السماك ان الرجاء حبل
فى قلبك قيد فى رجلك فاخرج الرجاء من قلبك يخرج القيد من رجلك وقال ابو محمد اليزيدى دخلت على الرشيد فوجدته ينظر
فى ورقة مكتوب فيها بالذهب فلما رآنى تبسم فقلت فائدة اصلح الله امير المؤمنين قال نعم وجدت هذين البيتين فى بعض خزائن بنى امية
فاستحسنتهما وقد اضفت اليهما ثالثا وانشدنى اذا سد باب عنك من دون حاجة فدعه لاخرى ينفتح لك بابها
فان قراب البطن يكفيك ملؤه ويكفيك سوآت الامور اجتنابها ولا تك مبذالا لعرضك واجتنب ركوب المعاصى يجتنبك عقابها
وقال عبد الله بن سلام لكعب ما يذهب العلوم من قلوب العلماء بعد اذ وعوها وعقلوها قال الطمع وشره النفس وطلب الحوائج وقال
رجل للفضيل فسر لى قول كعب قال يطمع الرجل فى الشئ فيطلبه فيذهب عليه دينه واما الشره فشره النفس فى هذا وفى هذا حتى لا يحب
ان يفوتها شئ والحاجة ان يكون لك الى هذا حاجة والى هذا حاجة فاذا قضاها لك خزم انفك وقادك حيث شاء واستمكن منك
وخضعت له فمن حبك للدنيا سلمت عليه اذا مررت به وعدته اذا مرض لم تسلم عليه لله تعالى ولم تعده لله فلو لم يكن لك اليه حاجة
كان خيرا لك ثم قال هذا خير لك من مائة حديث عن فلان وفلان وقال بعض الحكماء من عجيب امر الانسان انه لو نودى بدوام البقاء
فى ايام الدنيا لم يكن فى قوى خلقته من الحرص على الجمع اكثر مما قد استعمله مع قصر مدة التمتع وتوقع الزوال وقال عبد الواحد بن زيد
مررت براهب فقلت من اين تأكل فقال من بيدر اللطيف الخبير الذى خلق الرحى هو يأتيها بالطحين واومى بيده الى اضراسه بيان
علاج الحرص والطمع والدواء الذى يكتسب به صفة القناعة اعلم ان هذا الدواء مركب من ثلاثة اركان الصبر والعلم والعمل
ومجموع ذلك خمسة امور الاول وهو العمل الاقتصاد فى المعيشة والرفق فى الانفاق فمن اراد عز القناعة فينبغى ان يسد على نفسه

على نفسه ابواب الخرج ما امكنه ويرد نفسه الى ما لا بد منه فمن كثر خرجه واتسع انفاقه لم تمكنه القناعة بل ان كان وحده فينبغى
ان يقنع بثوب واحد خشن ويقنع باى طعام كان ويقلل من الادام ما امكنه ويوطن نفسه عليه وان كان له عيال فيرد كل
واحد الى هذا القدر فان هذا القدر يتيسر بادنى جهد ويمكن معه الاجمال فى الطلب فالاقتصاد فى المعيشة هو الاصل فى
القناعة ونعنى به الرفق فى الانفاق وترك الخرق فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب الرفق
فى الامر كله وقال صلى الله عليه وسلم ما عال من اقتصد وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث منجيات خشية الله فى السر والعلانية والقصد
فى الغنى والفقر والعدل فى الرضا والغضب وروى ان رجلا رأى ابا الدرداء يلتقط حبا من الارض وهو يقول ان من فقهك
رفقك فى معيشتك وقال ابن عباس قال النبى صلى الله عليه وسلم الاقتصاد وحسن السمت والهدى الصالح جزء من بضع وعشرين
جزءا من النبوة وفى الخبر التدبير نصف المعيشة وقال عليه السلام من اقتصد اغناه الله ومن بذر افقره الله ومن ذكر الله احبه الله وقال
عليه السلام اذا اردت امرا فعليك بالتؤدة حتى يجعل الله لك فرجا ومخرجا والتؤدة فى الانفاق من اهم الامور الثانى
اذا تيسر له فى الحال ما يكفيه فينبغى ان لا يكون شديد الاضطراب لاجل المستقبل ويعينه على ذلك قصر الامل والتحقق بان الرزق الذى قدر
له لابد وان يأتيه وان لم يشتد حرصه وان شدة الحرص ليست هى السبب لوصول الارزاق بل ينبغى ان يكون واثقا بوعد الله اذ قال وما من دابة
فى الارض الا على الله رزقها وذلك لان الشيطان يعده الفقر ويأمره بالفحشاء ويقول له انك ان لم تحرص على الجمع والادخار فربما تمرض
وربما تعجز وتحتاج الى احتمال الذل فى السؤال فلا يزال طول العمر يتعبه فى الطلب خوفا من الفقر ويضحك عليه فى احتماله التعب نقدا
مع الغفلة عن الله لتوهم تعب فى ثانى الحال وربما لا يكون وفى مثله قيل ومن ينفق الساعات فى جمع ماله مخافة فقر فالذى فعل الفقر
وقد دخل ابنا خالد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهما لا تيأسا من الرزق ما تهزهزت رؤوسكما فان الانسان تلده امه احمر
ليس عليه قشر ثم يرزقه الله تعالى ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم بابن مسعود وهو حزين فقال لا تكثر همك ما يقدر يكن وما
ترزق يأتك وقال صلى الله عليه وسلم الا ايها الناس اجملوا فى الطلب فانه ليس لعبد الا ما كتب الله له ولن يذهب عبد من الدنيا
حتى يأتيه ما كتب له من الدنيا وهى راغمة ولا ينفك الانسان عن الحرص الا بحسن ثقته بتدبير الله تعالى فى تقدير ارزاق العباد وان
ذلك يحصل لا محالة مع الاجمال فى الطلب بل ينبغى ان يعلم ان رزق الله للعبد من حيث لا يحتسب اكثر قال الله تعالى ومن يتق الله
يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وقال سفيان اتق الله فما رأيت تقيا محتاجا اى لا يترك التقى فاقدا لضرورته بل يلقى
الله فى قلوب المسلمين ان يوصلوا اليه رزقه وقال المفضل الضبى قلت لاعرابى من اين معاشك قال نذر الحاج قلت فاذا صدروا فبكى
وقال لو لم نعش الا من حيث ندرى لم نعش وقال ابو حازم وجدت الدنيا شيئين شيئا منهما هو لى فلن اعجله قبل اجله ولو طلبته بقوة
السموات والارض وشيئا منهما هو لغيرى فذلك لم انله فيما مضى ولا ارجوه فيما بقى يمنع الذى لغيرى منى كما يمنع الذى لى من غيرى ففى
اى هذين افنى عمرى فهذا دواء من جهة المعرفة لا بد منه لدفع تخويف الشيطان وانذاره بالفقر الثالث ان يعرف ما فى القناعة
من عز الاستغناء وما فى الطمع والحرص من الذل فاذا تحقق عنده ذلك انبعثت رغبته الى القناعة لانه فى الحرص لا يخلو من تعب
وفى الطمع لا يخلو من ذل وليس فى القناعة الا الم الصبر عن الشهوات والفضول وهذا الم لا يطلع عليه احد الا الله وفيه ثواب الآخرة
وذلك مما يضاف اليه نظر الناس وفيه الوبال والمآثم ثم يفوته عز النفس والقدرة على متابعة الحق فان من كثر طمعه وحرصه كثرت
حاجته الى الناس فلا يمكنه دعوتهم الى الحق ويلزمه المداهنة وذلك يهلك دينه ومن لا يؤثر عز النفس على شهوة البطن فهو ركيك
العقل ناقص الايمان قال النبى صلى الله عليه وسلم عز المؤمن استغناؤه عن الناس ففى القناعة الحرية والعز ولذلك قيل

استغن عمن شئت فانت نظيره واحتج الى من شئت فانت اسيره واحسن الى من شئت فانت اميره السابع ان يكثر تامله فى
تنعم اليهود والنصارى واراذل الناس والحمقى من الاكراد والاعراب ومن لا دين لهم ولا عقل ثم ينظر الى احوال الانبيا
والاوليا والى سمت الخلفا الراشدين وسائر الصحابة والتابعين ويستمع احاديثهم ويطلع احوالهم ويخير عقله بين ان يكون
على مشابهة اراذل الخلق او على الاقتدا بمن هو اعز اصناف الخلق عند الله حتى يهون عليه بذلك الصبر على القليل والقناعة
باليسير فانه ان تنعم فى البطن فالحمار اكثر اكلا منه وان تنعم فى الوقاع فالخنزير اعلى رتبة منه وان تزين فى
الملبس والخيل ففى اليهود من هو اعلى رتبة منه وان قنع بالقليل ورضى به لم يساهمه فى رتبته الا الاوليا والانبيا الخامس
ان يفهم ما فى جمع المال من الخطر كما ذكرناه من آفات المال وما فيه من خوف السرقة والنهب والضياع وما فى خلو اليد من الامن
والفراغ ويتامل ما ذكرناه من آفات المال مع ما يفوته من المدافعة عن باب الجنة الى خمسمائة عام فانه اذا لم يقنع بما يكفيه التحق بزمرة الاغنيا
واخرج من جريدة الفقرا ويتم له ذلك بان ينظر ابدا الى من هو دونه فى الدنيا لا الى من فوقه فان الشيطان ابدا يصرف نظره فى الدنيا
الى من فوقه فيقول لم تفتر عن الطلب وارباب الاموال يتنعمون فى المطاعم والملابس ويصرف نظره فى الدين الى من دونه فيقول
له ولم تضيق على نفسك وتخاف الله وفلان اعلم منك وهو لا يخاف الله والناس كلهم مشغولون بالتنعم فلم تريد ان تتميز
عنهم قال ابو ذر اوصانى خليلى عليه الصلوة والسلم ان انظر الى من هو دونى لا الى من هو فوقى اى فى الدنيا قال ابو هريرة قال
صلى الله عليه وسلم اذا نظر احدكم الى من فضله الله عليه فى المال والخلق فلينظر الى من هو اسفل منه ممن فضل عليه فبهذه الامور
يقدر على اكتساب خلق القناعة وعماد الامر الصبر وقصر الامل وان يعلم ان غاية صبره فى الدنيا ايام قلائل ليتمتع دهورا طويلا فيكون
فيكون كالمريض الذى يصبر على مرارة الدوا لشدة طمعه فى انتظار الشفا **بيان** فضيلة السخا اعلم ان المال اذا كان مفقودا
فينبغى ان يكون حال العبد القناعة وقلة الحرص وان كان موجودا فينبغى ان يكون حاله الايثار والسخا واصطناع المعروف و
التباعد من الشح والبخل فان السخا من اخلاق الانبيا عليهم الصلوة والسلام وهو اصل من اصول النجاة وعنه عبر النبى صلى الله عليه وسلم
حيث قال السخا شجرة فى الجنة اغصانها متدلية الى الارض فمن اخذ منها غصنا قاده ذلك الغصن الى الجنة وقال جابر قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال جبريل عليه السلم قال الله تعالى ان هذا دين ارتضيته لنفسى ولن يصلحه الا السخا وحسن الخلق فاكرموه بهما
ما استطعتم وفى رواية فاكرموه بهما ما استطعتم وفى رواية فاكرموه بهما ما صحبتموه وعن عايشة قالت قال النبى صلى الله عليه
وسلم ما جبل الله وليا له الا على السخا وحسن الخلق وعن جابر قال قيل يا رسول الله اى الاعمال افضل قال الصبر والسماحة وقال عبد الله بن
عمر قال النبى عليه السلم خلقان يحبهما الله تعالى وخلقان يبغضهما الله تعالى فاما اللذان يحبهما الله فحسن الخلق والسخا واما
اللذان يبغضهما الله فسوء الخلق والبخل واذا اراد الله بعبد خيرا استعمله على قضاء حوائج الناس وروى المقدام بن شريح عن ابيه عن
جده قال قلت يا رسول الله دلنى على عمل يدخلنى الجنة قال ان موجبات المغفرة بذل الطعام وافشاء السلام وحسن الكلام وقال
ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم السخا شجرة فى الجنة فمن كان سخيا اخذ بغصن منها فلم يتركه الغصن حتى يدخله
الجنة والشح شجرة فى النار فمن كان شحيحا اخذ بغصن منها فلم يتركه ذلك الغصن حتى يدخله النار وقال ابو سعيد الخدرى قال
النبى صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى اطلبوا الفضل من الرحما من عبادى تعيشوا فى اكنافهم فانى جعلت فيهم رحمتى ولا
تطلبوها من القاسية قلوبهم فانى جعلت فيهم سخطى وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تجافوا عن ذنب السخى فان
الله اخذ بيده كلما عثر وقال ابن مسعود قال النبى عليه الصلوة والسلم الرزق الى مطعم الطعام اسرع من السكين الى ذروة البعير

البعير وان الله تعالى ليباهى بمطعم الطعام الملائكة وقال صلى الله عليه وسلم ان الله جواد يحب الجود ويحب معالى الامور
ويكره سفسافها وقال انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يسئل عن الاسلام شيئا الا اعطاه فاتاه رجل فسأله
فامر له بشاء كثيرة بين جبلين من شاء الصدقة فرجع الى قومه فقال يا قوم اسلموا فان محمدا يعطى عطاء من لا يخشى الفاقة وقال
ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله تعالى عبادا يخصهم بالنعم لمنافع العباد فمن بخل بتلك المنافع عن العباد
نقلها الله تعالى عنه وحولها الى غيره وعن الهلالى اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم باسرى من بنى العنبر فامر بقتلهم وافرد منهم رجلا
فقال على بن ابى طالب يا رسول الله الرب واحد والدين واحد والذنب واحد فما بال هذا من بينهم فقال النبى صلى الله عليه وسلم نزل
على جبرئيل فقال اقتل هؤلاء واترك هذا فان الله تعالى شكر له سخاء فيه وقال صلى الله عليه وسلم ان لكل شئ ثمرة وثمرة المعروف تعجيل
السراح وعن نافع عن ابن عمر قال قال النبى صلى الله عليه وسلم طعام الجواد دواء وطعام البخيل داء وقال صلى الله عليه وسلم
من عظمت نعمة الله عليه عظمت مؤنة الناس عليه فمن لم يحتمل تلك المؤنة فقد عرض تلك النعمة للزوال وقال عيسى عليه السلم استكثروا
من شئ لا تاكله النار قيل وما هو قال المعروف وقالت عايشة رضى الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان السخى قريب
من الله قريب من الخلق قريب من الجنة بعيد من النار وان البخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار وجاهل
سخى احب الى الله من عابد بخيل وادوأ الداء البخل وقال صلى الله عليه وسلم اصنع المعروف الى من هو اهله والى من ليس باهله فان اصبت
اهله فقد اصبت اهله وان لم تصب اهله فانت اهله وقال عليه الصلوة والسلم ان بدلاء امتى لم يدخلوا الجنة بصلاة ولا صيام ولكن دخلوها
بسخاء النفس وسلامة الصدور والنصح للمسلمين وقال ابو سعيد الخدرى قال النبى صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى جعل للمعروف وجوها
من خلقه حبب اليهم المعروف وحبب اليهم فعاله ووجه طلاب المعروف اليهم ويسر عليهم اعطاءه كما يسر الغيث الى البلدة الجدبة فيحييها
ويحيى بها اهلها وقال صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة وكل ما انفق الرجل على نفسه واهله كتب له صدقة وما وقى الرجل به عرضه
فهو له صدقة وما انفق الرجل من نفقة فعلى الله خلفها وقال صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة والدال على الخير كفاعله والله يحب
اغاثة اللهفان وقال صلى الله عليه وسلم كل معروف فعلته الى غنى او فقير صدقة وروى ان الله تعالى اوحى الى موسى عليه السلم لا تقتل
السامرى فانه سخى وقال جابر بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثا امر عليهم قيس بن سعد بن عبادة فجهدوا فنحر لهم قيس تسع ركائب
فحدثوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الجود لمن شيمة اهل ذلك البيت **الآثار** قال على رضى الله عنه اذا اقبلت الدنيا
فانفق منها فانها لا تفنى واذا ادبرت فانفق منها فانها لا تبقى وانشد

لا تبخلن بدنيا وهى مقبلة ... فليس ينقصها التبذير والسرف
فان تولت فاحرى ان تجود بها ... فالحمد منها اذا ما ادبرت خلف

وسال معوية الحسن بن على رضى الله عنهم عن المروة والنجدة و
الكرم فقال اما المروة فحفظ الرجل دينه وحرزه نفسه وحسن ضيافته وحسن المنازعة والاقدام فى الكراهية اما النجدة فالذب
عن الجار والصبر فى المواطن واما الكرم فالتبرع بالمعروف قبل السؤال والاطعام فى المحل والرافة بالسائل مع بذل النائل ورفع رجل
الى الحسين بن على رضى الله عنهما رقعة فقال حاجتك مقضية فقيل يا ابن رسول الله لو نظرت فى رقعته ثم رددت الجواب بقدر ذلك فقال
يسالنى الله عز وجل عن ذل مقامه بين يدى حتى اقرا رقعته وقال ابن السماك عجبت لمن يشترى المماليك بماله ولا يشترى
الاحرار بمعروفه وسئل بعض الاعراب من سيدكم فقال من احتمل شتمنا واعطى سائلنا واغضى عن جاهلنا وقال على بن الحسين من وصف
بالبذل لم يكن سخيا وانما السخى من يبتدى بحقوق الله تعالى فى اهل طاعته ولا تنازعه نفسه الى حب الشكر عليه اذا كان يقينه بثواب الله
تاما وقيل للحسن البصرى ما السخا قال ان تجود بمالك فى الله تعالى قيل فما البخل قال ان ترى ما انفقته فى سبيل الله اتلافا

لحب الرياسة وقال جعفر الصادق لا مال اعود من العقل ولا مصيبة اعظم من الجهل ولا مظاهرة كالمشاورة الا وان الله تعالى يقول
اني جواد كريم لا يجاورني لئيم واللوم من الكفر واهل الكفر في النار والجود والكرم من الايمان واهل الايمان في الجنة وقال حذيفة
رب فاجر في دينه اخرق في معيشته يدخل الجنة بسماحته ورأى الاحنف بن قيس رجلا وفي يده درهم فقال لمن هذا الدرهم فقال
لي فقال اما انه ليس لك حتى يخرج من يدك كما قيل — انت للمال الذي امسكته — واذا انفقته فالمال لك وسمي عطا بن واصل
الغزال لانه كان يجلس الى الغزالين فاذا رأى امرأة ضعيفة اعطاها شيئا وقال الاصمعي كتب الحسن بن علي الى الحسين بن علي يعتب
اليه في اعطاء الشعراء فكتب خير المال ما وقى العرض وقيل لسفيان بن عيينة ما السخاء فقال السخاء البر بالاخوان والجود بالمال و
ورث ابي خيثمة الف درهم فبعث بها الى اخوانه صررا وقال قد كنت اسأل الله تعالى لاخواني الجنة في صلاتي افأبخل عليهم بالدنيا
وقال الحسن بذل المجهود في بذل الموجود منتهى الجود وقيل لبعض الحكماء من احب الناس اليك قال من كثرت اياديه عندي قيل
فان لم يكن قال من كثرت اياديّ عنده وقال عبد العزيز بن مروان اذا الرجل امكنني من نفسه حتى اصنع معروفي عنده فيده عندي كمثل
يدي عنده وقال المهدي لشبيب بن شيبة كيف رأيت الناس في داري فقال يا امير المؤمنين ان الرجل منهم يدخل راجيا ويخرج راضيا قيل
تمثل عند عبد الله بن جعفر فقال ان الصنيعة لا تكون صنيعة حتى يصاب بها طريق المصطنع فاذا اصطنعت صنيعة فاعمد بها لله
او لذوي القرابة او دع وقال عبد الله بن جعفر ان هذين البيتين ليبخلان الناس ولكن امطر المعروف مطرا فان اصاب الكرام كانوا له اهلا
وان اصاب اللئام انت له اهلا

حكايات الاسخياء

عن محمد بن المنكدر عن ام درة وكانت جارية تخدم عائشة
رضي الله عنها قالت ان ابن الزبير بعث اليها بمال في غرارتين ثمانين ومائة الف درهم فدعت بطبق فجعلت تقسمه بين الناس فلما امست قالت
يا جارية هلمي فطوري فجائتها بخبز وزيت فقالت لها ام درة ما استطعت فيما قسمت اليوم ان تشتري لنا بدرهم لحما نفطر عليه فقالت
لو كنت ذكرتيني لفعلت وعن ابان بن عثمان قال اراد رجل ان يضار عبد الله بن عباس فاتى وجوه قريش فقال لهم يقول لكم عبد الله
تغدوا عندي اليوم فاتوه حتى ملؤا عليه الدار فقال ما هذا فاخبر بالخبر فامر ابنه عبد الله بشرى الفاكهة وامر قوما فطبخوا وخبزوا وقدمت
الفاكهة اليهم فلم يفرغوا منها حتى وضعت الموائد فاكلوا حتى صدروا وانصرفوا فقال عبد الله لوكلائه اموجود كلما اردت في السوق مثل
هذا قالوا نعم قال فليتغد عندنا هؤلاء كل يوم وقال مصعب بن الزبير حج معوية فلما انصرف مر بالمدينة فقال الحسين بن علي لاخيه الحسن
عليهم السلام لا تلقاه ولا تسلم عليه فلما خرج معوية قال الحسن ان علينا دينا ولا بد لنا من اتيانه فركب في اثره ولحقه فسلم عليه
واخبره بدينه فمروا عليه بختي عليه ثمانون الف دينار وقد اعيا وتخلف عن الابل وقوم يسوقونه فقال معوية ما هذا فذكر له
فقال اصرفوه بما عليه الى ابي محمد وعن واقد بن محمد الواقدي قال حدثني ابي انه رفع رقعة الى المامون يذكر فيها كثرة الدين وقلة
صبره عليه فوقع على ظهر رقعته انك رجل قد اجتمع فيك خصلتان سخاء وحياء فاما السخاء فهو الذي اطلق ما في يدك واما الحياء
فهو الذي منعك عن تبليغنا ما انت عليه وقد امرت لك بمائة الف درهم فان كنت قد اصبت فازدد في بسط يدك وان لم اكن
قد اصبت فجنايتك على نفسك وانت حدثتني وكنت على قضاء الرشيد عن محمد بن اسحق عن الزهري عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال للزبير بن العوام يا زبير اعلم ان مفاتيح ارزاق العباد بازاء العرش يبعث الله عز وجل الى كل عبد بقدر نفقته فمن كثر كثر له
ومن قلل قلل له وانت اعلم قال الواقدي فوالله لمذاكرة المامون اياي الحديث احب الي من الجائزة وهي مائة الف وسال رجل
الحسين بن علي رضي الله عنه حاجة فقال له يا هذا حق سؤالك اياي يعظم لدي ومعرفتي بما يجب لك تكبر علي ويدي تعجز عن نيلك
بما انت اهله والكثير في ذات الله تعالى قليل وما في ملكي وفاء لشكرك فان قبلت الميسور ودفعت عني مؤنة الاحتيال والاهتمام

والاهتمام لما اتكلفه من واجبك فعلت فقال يا ابن رسول الله اقبل واشكر العطية واعذر على المنع فدعا الحسن عليه السلام بوكيله
وجعل يحاسبه على نفقاته حتى استقصاها فقال هات الفاضل من الثلثمائة الف فاحضر خمسين الفا قال فما فعلت الخمسمائة دينار قال
هي عندي قال احضرها فدفع الدراهم والدنانير الى الرجل فقال هات من يحملها لك فاتاه بحمالين فدفع اليهما عليه السلام رداءه
لكراء الحمالين فقال له مواليه والله ما عندنا درهم فقال ولكني ارجو ان يكون لي عند الله اجر عظيم اجتمع قراء البصرة الى ابن عباس
وهو عامل البصرة فقالوا لنا جار صوام قوام يتمنى كل واحد منا ان يكون مثله وقد زوج بنيته من ابن اخيه وهو فقير وليس عنده
ما يجهزها به فقام عبد الله بن عباس فاخذ بايديهم وادخلهم داره وفتح صندوقا فاخرج منه ست بدر فقال احملوا فحملوا فقال
ابن عباس ما انصفناه اعطيناه ما يشغله عن قيامه وصيامه ارجعوا بنا نكن اعوانه على تجهيزها فليس للدنيا من القدر ما يشغل مؤمنا
عن عبادة ربه وما بنا من الكبر ما لا نخدم اولياء الله تعالى ففعل وفعلوا وحكي انه لما اجدب الناس بمصر وعبد الحميد بن سعيد اميرهم
فقال والله لاعلمن الشيطان اني عدوه فعال محاويجهم الى ان رخصت الاسعار ثم عزل عنهم فرحل عنها وللتجار عليه الف
الف درهم ورهنهم بها حلي نسائه وقيمتها خمسمائة الف الف فلما تعذر عليه ارتجاعها كتب اليهم ببيعها ودفع الفاضل منها عن حقوقهم
الى من لم تنله صلاته وكان ابو طالب بن كثير شيعيا فقال له رجل بحق علي بن ابي طالب لما وهبت لي نخلتك بموضع كذا فقال قد فعلت وحقه
لاعطينك ما يليها فكان ذلك اضعاف ما طلب الرجل وكان ابو مرثد احد الكرماء فمدحه بعض الشعراء فقال للشاعر والله ما عندي
ولكن قدمني الى القاضي وادع علي عشرة الاف درهم حتى اقر لك بها ثم احبسني فان اهلي لا يتركوني محبوسا ففعل ذلك فلم
يمس حتى دفعت اليه عشرة الاف درهم واخرج ابو مرثد من الحبس وكان معن بن زائدة عاملا على العراقين فحضر باب داره شاعر فاقام
مدة واراد الدخول على معن بن زائدة فلم يتهيأ له الوصول اليه فقال يوما لبعض خدم معن اذا دخل الامير البستان فعرفني فلما
دخل اعلمه فكتب الشاعر بيتا على خشبة والقاها في الماء الذي يدخل بستان معن وكان معن على راس الماء فلما ابصر بالخشبة اخذها وقرأها
واذا فيها مكتوب — ايا جود معن ناج معنا بحاجتي — فما لي الى معن سواك شفيع — فقال من صاحب هذه فدعي بالرجل فقال له
كيف قلت فقاله فامر له بعشرة بدر فاخذها ووضع الامير الخشبة تحت بساطه فلما كان اليوم الثاني اخرجها من تحت البساط
وقرأ ما فيها ودعا بالرجل فدفع اليه مائة الف درهم فلما اخذها الرجل تفكر وخاف ان ياخذ ما اعطاه فخرج فلما كان في اليوم الثالث
قرأ ما فيها ودعا بالرجل فطلب فلم يوجد فقال معن حق علي ان اعطيه حتى لا يبقى في بيت مالي درهم ولا دينار وقال ابو الحسن المدائني
خرج الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر حجاجا ففاتهم اثقالهم فجاعوا وعطشوا فمروا بعجوز في خباء لها فقالوا هل من شراب
فقالت نعم فاناخوا اليها وليس لها الا شويهة في كسر الخيمة فقالت دونكم احلبوها وامتذقوا لبنها ففعلوا ذلك ثم قالوا لها
هل من طعام قالت لا الا هذه الشاة فليذبحها احدكم حتى اهيئ لكم ما تاكلون فقام اليها احدهم وذبحها وكشطها ثم هيأت لهم طعاما
فاكلوا واقاموا عنده حتى ابردوا فلما ارتحلوا قالوا لها نحن نفر من قريش نريد هذا الوجه فاذا رجعنا سالمين فالمي بنا فانا
صانعون لك خيرا ثم ارتحلوا واقبل زوجها فاخبرته بخبر القوم والشاة فغضب الرجل وقال ويلك تذبحين شاتي لقوم لا تعرفينهم
ثم تقولين نفر من قريش قال ثم بعد مدة الجأتهما الحاجة الى دخول المدينة فدخلاها وجعلا ينقلان البعر اليها ويبيعانه ويعيشان
بثمنه فمرت العجوز في بعض سكك المدينة فاذا الحسن بن علي عليه السلام جالس على باب داره فعرف العجوز وهي له منكرة فبعث
الحسن غلامه ودعا العجوز فقال لها يا امة الله اتعرفيني قالت لا قال انا ضيفك يوم كذا وكذا قالت العجوز بابي انت وامي انت هو
قال نعم ثم امر الحسن فاشتروا من شاء الصدقة الف شاة وامر لها معها بالف دينار وبعث بها مع غلامه الى الحسين فقال لها الحسين

بكم وصلت اخي فقالت بالف شاة وبالف دينار فامر لها الحسين بمثل ذلك ثم بعث بها مع غلامه الى عبد الله بن جعفر رضي الله
عنهم فقال لها بكم وصلت الحسن والحسين فقالت بالفي شاة والفي دينار فامر لها عبد الله بالفي شاة والفي دينار وقال لها
لو بدأت بي لاتعبتهما فرجعت العجوز الى زوجها باربعة الاف شاة واربعة الاف دينار وخرج عبد الله بن عامر بن كريز من
المسجد يريد منزله وهو وحده فقام اليه غلام من ثقيف فمشى الى جانبه فقال له عبد الله ألك حاجة يا غلام قال صلاحك وفلاحك
رأيتك تمشي وحدك فقلت اقيك بنفسي واعوذ بالله ان طار بجنابك مكروه فاخذ عبد الله بيده ومشى معه الى منزله ثم دعا بالف دينار
فدفعها الى الغلام فقال استنفقوها فنعم ما ادبك اهلك حكي ان قوما من الاعراب جاؤا الى قبر بعض اسخيائهم للزيارة فنزلوا
عند قبره وجاؤا من سفر بعيد فباتوا عند قبره فرأى رجل منهم في النوم صاحب القبر وهو يقول له هل لك ان تبادل بعيرك بنجيبي
وكان قد خلف السخي الميت نجيبا معروفا به ولهذا الرجل بعير سمين فقال له في النوم نعم وباع في النوم بعيره بنجيبه فلما وقع بينهما العقد
عمد هذا الرجل الى بعيره فنحره في النوم بعيره فانتبه من نومه ينبع الدم من نحر بعيره فقام الرجل من النوم فنحره وقسم لحمه فطبخه
وقضوا حاجتهم ثم رحلوا وساروا فلما كان اليوم الثاني استقبلهم ركب فقال رجل منهم من فلان بن فلان منكم باسم ذلك الرجل
فقال انا فقال هل بعت من فلان شيئا وذكر الميت صاحب القبر قال نعم بعت منه بعيري بنجيبه في النوم فقال خذ هذا نجيبه
ثم قال هو ابي وقد رأيته في النوم وهو يقول لي ان كنت ابني فادفع نجيبي الى فلان وسماه وقدم رجل من قريش من السفر فمر برجل
من الاعراب على قارعة الطريق قد اقعده الدهر واضر به المرض فقال يا هذا اعنا على الدهر فقال الرجل ما بقي من النفقة ادفعه
اليه فصب الغلام في حجر الاعرابي اربعة الاف درهم فذهب لينهض فلم يقدر من الضعف فبكى فقال له الرجل ما يبكيك لعلك
استقللت ما اعطيناك قال لا ولكن ذكرت ما ياكل الارض من كرمك فابكاني واشترى عبد الله بن عامر من خالد بن عقبة بن ابي
معيط داره التي في السوق بتسعين الف درهم فلما كان الليل سمع بكاء اهل خالد فقال لاهله ما لهؤلاء قالوا يبكون لدارهم قال
يا غلام ائتهم فاعلمهم ان الدار والمال لهم جميعا وقيل انفذ هرون الرشيد الى مالك بن انس رضي الله عنه خمسمائة دينار فبلغ
ذلك الليث بن سعد فانفذ اليه الف دينار فغضب هرون وقال اعطيته خمسمائة وتعطيه الفا وانت من رعيتي فقال يا امير المؤمنين
ان لي كل يوم من غلتي الف دينار واستحييت ان اعطي مثله اقل من دخل يوم وحكي انه لم تجب عليه الزكوة مع ان دخله كل يوم الف
دينار وروي ان امرأة سألت الليث بن سعد شيئا من عسل فامر لها بزق فقيل انها قنعت بدون هذا فقال انها سألت على قدرها
ونعطيها على قدر النعمة علينا وكان الليث بن سعد لا يتكلم كل يوم حتى يتصدق على ثلثمائة وستين مسكينا وقال الاعمش اشتكت شاة
عندي فكان خيثمة بن عبد الرحمن يعودها بالغداة والعشي ويسألني هل استوفت علفها وكيف صبر الصبيان منذ فارقوا لبنها وكان
تحتي لبد اجلس عليه فاذا خرج قال خذ ما تحت اللبد حتى وصل الي في علة الشاة اكثر من ثلثمائة دينار من بره حتى تمنيت ان الشاة
لم تبرأ وقال عبد الملك بن مروان لاسماء بن خارجة بلغني عنك خصال فحدثني بها فقال هي من غيري احسن منها مني فقال عزمت
عليك الا حدثتني بها فقال يا امير المؤمنين ما مددت رجلي بين يدي جليسي قط ولا صنعت طعاما فدعوت عليه قوما الا
كانوا امن مني عليهم ولا نصب لي رجل وجهه قط يسألني شيئا فاستكثرت شيئا اعطيته اياه ودخل سعيد بن خالد
على سليمان بن عبد الملك وكان سعيد رجلا جوادا فاذا لم يجد شيئا كتب لمن سأله الصكاك على نفسه حتى يخرج عطاؤه فلما
نظر اليه سليمان تمثل بهذا البيت ≈ اني سمعت مع الصباح مناديا ≈ يا من يعين على الفتى المعوان ≈ ثم قال حاجتك قال
ديني قال وكم قال هو ثلثون الف دينار قال لك دينك ومثله وقيل مرض قيس بن سعد بن عبادة فاستبطأ اخوانه فقيل انهم

اعلام ...

انهم يستحيون مما لك عليهم من الدين فقال اخزى الله مالا يمنع الاخوان من الزيارة ثم امر مناديا فنادى من كان لقيس عليه
حق فهو منه في حل قال فكسرت درجته بالعشي لكثرة من عاده وعن ابي اسحق السبيعي قال صليت الفجر في مسجد الاشعث بالكوفة
اطلب غريما لي فلما صليت وضع بين يدي حلة ونعلان فقلت لست من اهل هذا المسجد فقيل لي ان الاشعث بن قيس الكندي قدم
البارحة من مكة فامر لكل من صلى في المسجد بحلة ونعلين قال الشيخ ابو سعد الخركوشي النيسابوري سمعت محمد بن محمد الحافظ
يقول سمعت الشافعي المجاور بمكة قال كان بمصر رجل عرف بان يجمع للفقراء شيئا فولد لبعضهم ولد قال فجئت اليه فقلت ولد لي
مولود وليس معي شيء فقام معي ودخل على جماعة فلم يفتح له شيء فجاء الى قبر رجل وجلس اليه وقال رحمك الله لقد كنت تفعل
وتصنع واني درت اليوم وكلفت جماعة دفع شيء لمولود فلم يتفق لي شيء قال ثم قام واخرج دينارا فكسره بنصفين وناولني نصفه
وقال هذا دين عليك الى ان يفتح لك شيء قال فاخذته وانصرفت فاصلحت ما اتفق لي به فرأى ذلك المحتسب تلك الليلة
ذلك الشخص في منامه فقال سمعت جميع ما قلت وليس لنا اذن بالجواب ولكن احضر منزلي فقل لاولادي يحفروا مكان الكانون
ويخرجوا قرابة فيها خمسمائة دينار واحملها الى هذا الرجل قال فلما كان من الغد تقدم الى منزل الميت وقص القصة فقالوا له اجلس
وحفروا الموضع واخرجوا الدنانير وجاؤا بها فوضعوها بين يديه فقال هذا مالكم وليس لرؤياي فيه حكم فقالوا هو يتسخى ميتا
ونحن لا نتسخى احياء فلما الحوا عليه حمل الدنانير الى الرجل صاحب المولود وذكر له القصة قال فاخذ منها دينارا فكسره بنصفين
فاعطاه النصف الذي اقرضه اياه وحمل النصف الآخر وقال يكفيني هذا فتصدق به على الفقراء فقال ابو سعيد فلا ادري هؤلاء اسخى
وروي عن الشافعي انه لما مرض مرض موته قال مروا فلانا يغسلني فلما توفي بلغه خبر وفاته فحضر وقال ائتوني بتذكرته قال فاتي بها
فنظر فيها فاذا على الشافعي سبعون الف درهم دين فكتبها على نفسه وقضاها عنه وقال هذا غسلي اياه اي اراد به هذا قال ابو سعيد
الواعظ الخركوشي رحمه الله لما قدمت مصر طلبت ذلك الرجل فدلوني عليه فرأيت جماعة من احفاده وزرتهم ورأيت فيهم سيما
الخير وآثار الفضل فقلت بلغ اثره في الخير اليهم وظهرت بركته عليهم مستدلا بقوله تعالى وكان ابوهما صالحا وقال الشافعي
لا ازال احب حماد بن سليمان لشيء بلغني عنه انه كان راكبا حماره فحركه فانقطع زره فمر على خياط فاراد ان ينزل اليه ليسوي زره
فقال الخياط والله لا نزلت فقام الخياط اليه فسوى زره فاخرج صرة فيها عشرة دنانير فدفعها الى الخياط واعتذر اليه على قلتها
وانشد الشافعي لنفسه ≈ يا لهف نفسي على مال اجود به ≈ على المقلين من اهل المروات ≈ ان اعتذاري الى من جاء يسألني ≈
ما ليس عندي لمن احدى المصيبات ≈ وعن الربيع بن سليمان قال اخذ رجل بركاب الشافعي فقال يا ربيع اعطه ما عندك فاعطاه اربعة
دنانير واعتذر اليه عنه وقال الربيع سمعت الحميدي يقول قدم الشافعي من صنعاء الى مكة بعشرة آلاف دينار فضرب خباءه في موضع خارج
مكة فنثرها على ثوب ثم اقبل على كل من دخل عليه فقبض منه قبضة يعطيه حتى صلى الظهر ونفض الثوب وليس عليه شيء وعن ابي ثور قال
اراد الشافعي الخروج الى مكة ومعه مال وكان قلما يمسك شيئا من سماحته فقلت له ينبغي ان تشتري بهذا المال ضيعة ليكون لك
ولعقبك قال فخرج ثم قدم علينا بعد ذلك فسألته عن ذلك المال فقال ما وجدت بمكة ضيعة يمكنني ان اشتريها لمعرفتي باصلها
وقد وقف اكثرها ولكن بنيت بمنى مضربا يكون لاصحابنا اذا حجوا ان ينزلوا فيها وانشد الشافعي رحمه الله ≈ ارى نفسي تتوق الى امور ≈
ويقصر دون مبلغهن مالي ≈ فنفسي لا تطاوعني لبخل ≈ ومالي لا يبلغني فعالي ≈ وقال محمد بن عباد المهلبي دخل ابي على المامون فوصله
بمائة الف درهم فلما قام من عنده تصدق بها فاخبر به المامون فلما عاد اليه عاتبه المامون فقال يا امير المؤمنين منع الموجود سوء الظن
بالمعبود فوصله بمائة الف اخرى وقام رجل الى سعيد بن العاص فسأله فامر له بمائة الف درهم فبكى فقال سعيد ما يبكيك فقال

ابكي على الارض ان تاكل مثلك فامر له بمائة الف اخرى ودخل ابو تمام على ابرهيم بن شكله بابيات امتدحه بها فوجده عليلا
فقبل منه المدحة وامر حاجبه بنيله بما يصلحه وقال عسى ان اقوم من مرضي فاكافيه فاقام شهرين فاوحشه طول المقام فكتب اليه
ان حراما قبول مدحتنا ... وترك ما نرتجي من الصفد ... كما الدراهم والدنانير في الـ ... ـبيع حرام الا يدا بيد فلما وصل
الى ابراهيم البيتان قال للحاجب كم اقام بالباب قال شهرين قال اعطه ثلثين الفا وايتني بدوات فكتب اليه اعجلتنا فاتاك عاجل برنا
قلا ولو امهلتنا لم يقلل فخذ القليل وكن كانك لم تسل ونكون نحن كاننا لم نفعل ويروى انه كان لعثمان على طلحة رضي
الله عنهما خمسون الف درهم فخرج عثمان الى المسجد يوما فقال له طلحة قد تهيأ مالك فاقبضه فقال هو لك معونة لك على
مروتك وقالت سعدى بنت عوف دخلت على طلحة فرايت منه ثقلا فقلت له ما لك فقال اجتمع عندي مال قد غمني فقلت
ما يغمك ادع قومك فقال يا غلام ادع قومي فقسمه عليهم فسألت الخادم كم كان فقال اربعمائة الف وجاء اعرابي الى طلحة فسأله
وتقرب اليه برحم فقال ان هذه الرحم ما سألني بها احد قبلك ان ارضا قد اعطانيها عثمان رضي الله عنه ثلثمائة الف فان
شئت فاقبضها وان شئت بعتها من عثمن ودفعت اليك الثمن فقال الثمن فباعها من عثمن ودفع اليه الثمن وقيل بكى علي بن ابي
طالب رضي الله عنه فقيل له ما يبكيك قال لم ياتني ضيف منذ سبعة ايام اخاف ان يكون الله قد اهانني واتى رجل صديقا
ودق عليه الباب فقال ما جاء بك قال لاربع مائة درهم دين فوزن اربعمائة درهم واخرجها وعاد يبكي فقالت امراته لم اعطيته
اذا شق عليك فقال اني ابكي لاني لم اتفقد حاله حتى احتاج الى مفاتحتي **بيان** ذم البخل قال الله تعالى ومن يوق شح نفسه فاولئك
هم المفلحون وقال تعالى ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم وقال الذين يبخلون ويامرون الناس
بالبخل الاية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والشح فانه اهلك من كان قبلكم حملهم على ان سفكوا دماءهم واستحلوا
محارمهم وقال صلى الله عليه وسلم اياكم والشح فانه دعا من كان قبلكم فسفكوا دماءهم ودعاهم فاستحلوا محارمهم ودعاهم
فقطعوا ارحامهم وقال عليه الصلوة والسلام لا يدخل الجنة بخيل ولا خب ولا خائن ولا سيئ الملكة وفي رواية ولا جبار وفي
رواية ولا منان وقال صلى الله عليه وسلم ثلث مهلكات وثلث منجيات الخبر وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يبغض ثلاثة الشيخ الزاني
والبخيل المنان والمعيل المختال وقال صلى الله عليه وسلم مثل المنفق والبخيل كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد من لدن ثدييهما الى تراقيهما فاما
المنفق فلا ينفق شيئا الا سبغت او وفرت على جلده حتى تخفي بنانه واما البخيل فلا يريد ان ينفق شيئا الا قلصت ولزمت كل
حلقة مكانها حتى اخذت بتراقيه فهو يوسعها ولا تتسع وقال صلى الله عليه وسلم خصلتان لا يجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق
وقال صلى الله عليه وسلم اللهم اني اعوذ بك من البخل واعوذ بك من الجبن واعوذ بك ان ارد الى ارذل العمر وقال صلى الله عليه
وسلم اياكم والظلم فان الظلم ظلمات يوم القيمة واياكم والفحش فان الله لا يحب الفاحش ولا المتفحش واياكم والشح فانما اهلك
من كان قبلكم الشح امرهم بالكذب فكذبوا وامرهم بالظلم فظلموا وامرهم بالقطيعة فقطعوا وقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم شر ما في الرجل شح هالع وجبن خالع وقتل شهيد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكته باكية فقالت واشهيداه
فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما يدريك انه شهيد فلعله قد كان يتكلم فيما لا يعنيه او يبخل بما لا ينقصه وقال جبير بن مطعم
بينا نحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه الناس مقفلين من حنين علقت برسول الله صلى الله عليه وسلم الاعراب
يسالونه حتى اضطروه الى سمرة فخطفت رداءه فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اعطوني ردائي فوالذي نفسي بيده
لو كان لي عدد هذه العضاة نعما لقسمته بينكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذوبا ولا جبانا وقال عمر قسم النبي صلى الله عليه وسلم قسما

قسما فقلت غير هؤلاء كان احق به منهم فقال انهم يخيروني بين ان يسألوني بالفحش او يبخلوني ولست بباخل وقال ابو سعيد الخدري
دخل رجلان على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالاه ثمن بعير فاعطاهما دينارين فخرجا من عنده فلقيهما عمر بن الخطاب فاثنيا
وقالا معروفا وشكرا ما صنع بهما فدخل عمر بن الخطاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بما قالا فقال له رسول الله صلى
الله عليه وسلم لكن فلانا اعطيته ما بين عشرة الى مائة ولم يقل ذلك ان احدكم ليسألني فينطلق في مسألته متابطها وهي نار فقال
عمر فلم تعطيهم ما هو نار فقال يأبون الا ان يسألوني ويأبى الله لي البخل وعن ابن عباس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم الجود من
جود الله تعالى فجودوا يجد الله لكم الا ان الله خلق الجود فجعله في صورة شجرة وجعل راسه راسخا في اصل شجرة طوبى وشد اغصانها
باغصان سدرة المنتهى ودلى بعض اغصانها الى الدنيا فمن تعلق بغصن منها ادخله الجنة الا ان السخا من الايمان والايمان في الجنة
وخلق البخل في صورة شجرة وخلق اغصانها من مقته وجعل راسه راسخا في اصل شجرة الزقوم ودلى بعض اغصانها الى الدنيا فمن تعلق
بغصن منها ادخله النار الا ان البخل من الكفر والكفر في النار وقال صلى الله عليه وسلم السخا شجرة تنبت في النار ولا يلج النار
الا بخيل وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سيدكم يا بني لحيان قالوا سيدنا جد بن قيس الا انه رجل فيه بخل فقال
صلى الله عليه وسلم واي داء ادوأ من البخل ولكن سيدكم عمرو بن الجموح وفي رواية انهم قالوا سيدنا جد بن قيس فقال لهم بم تسودونه
قالوا انه اكثرنا مالا وانا على ذلك لنرميه بالبخل فقال صلى الله عليه وسلم اي داء ادوى من البخل ليس ذلك سيدكم قالوا فمن سيدنا
يا رسول الله قال سيدنا بشر بن البراء وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم السخي الجهول احب الى الله
من العابد البخيل وقال ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يبغض البخيل في حيوته السخي عند موته وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا يجتمع الشح والايمان في قلب عبد وقال ايضا خصلتان لا يجتمعان في المؤمن البخل وسوء الخلق وقال صلى الله
عليه وسلم لا ينبغي للمؤمن ان يكون بخيلا ولا جبانا وقال صلى الله عليه وسلم يقول قائلكم الشحيح اعذر من الظالم واي ظلم اظلم
عند الله من الشح حلف الله تعالى بعزته وعظمته وجلاله لا يدخل الجنة شحيح ولا بخيل وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يطوف
بالبيت فاذا رجل متعلق باستار الكعبة وهو يقول بحرمة هذا البيت الا غفرت لي قال النبي صلى الله عليه وسلم وما ذنبك صفه لي
قال هو اعظم من ان اصفه لك قال ويحك ذنبك اعظم ام الارضون قال بل ذنبي اعظم يا رسول الله قال ويحك ذنبك اعظم ام
الجبال قال بل ذنبي اعظم ام الجبال يا رسول الله قال فذنبك اعظم ام البحار قال بل ذنبي اعظم يا رسول الله قال فذنبك اعظم ام
السموات قال بل ذنبي اعظم ام السموات قال بل ذنبي اعظم يا رسول الله قال فذنبك اعظم ام العرش قال بل ذنبي اعظم واعلا قال
فصف لي ذنبك قال يا رسول الله اني رجل ذو ثروة من المال وان السائل لياتيني يسالني فكانما يستقبلني بشعلة من نار قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اليك عني لا تحرقني بنارك فوالذي بعثني بالهداية والكرامة لو قمت بين الركن والمقام ثم صليت
الف عام وبكيت حتى تجري من دموعك الانهار ثم مت وانت لئيم لاكبك الله في النار ويحك اما علمت ان الله تعالى يقول ومن
يبخل فانما يبخل عن نفسه ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون **الآثار** قال ابن عباس لما خلق الله تعالى جنة عدن
قال لها تزيني فتزينت ثم قال لها اظهري انهارك فاظهرت عين السلسبيل وعين الكافور وعين التسنيم فتفجر منها في الجنان
انهار الخمر وانهار العسل واللبن ثم قال لها اظهري سررك وحجالك وكراسيك وحليك وحللك وحور عينك فاظهرت
فنظر اليها فقال تكلمي فقالت طوبى لمن دخلني فقال الله تعالى وعزتي وجلالي لا اسكنتك بخيلا وقالت اخت عمر بن عبد العزيز اف
للبخيل لو كان البخل قميصا ما لبسته ولو كان طريقا ما سلكته وقال طلحة بن عبد الله انا لنجد باموالنا ما يجد البخلاء ولكننا

وقال محمد بن المنكدر يقال اذا اراد الله بقوم شرا امّر عليهم شرارهم وجعل ارزاقهم بايدي بخلائهم وقال علي بن طالب
رضي الله عنه في خطبته انه سياتي على الناس زمان عضوض يعض المومن على ما في يديه ولم يومر بذلك قال الله تعالى ولا
تنسوا الفضل بينكم وقال عبد الله بن عمرو الشح اشد من البخل لان الشحيح الذي يشح على ما في يدي غيره حتى ياخذه ويشح على ما
في يديه وقال الشعبي لا ادري ايهما ابعد غورا في نار جهنم البخل او الكذب وقيل ورد على نوشروان حكيم الهند وفيلسوف الروم فقال
للهندي تكلم فقال خير الناس من لقي سخيا وعند الغضب وقورا وفي القول متانيا وفي الرفعة متواضعا وعلى كل ذي رحم مشفقا
فقام الرومي وقال من كان بخيلا ورث عدوه ماله ومن قل شكره لم ينل النجح واهل الكذب مذمومون واهل النميمة يموتون فقرا
ومن لم يرحم سلط الله تعالى عليه من لا يرحمه وقال الضحاك في قوله تعالى انا جعلنا في اعناقهم اغلالا قال البخل امسك الله تعالى ايديهم
عن النفقة في سبيل الله فهم لا يبصرون الهدى وقال كعب ما من صباح الا وقد وكل به ملكان يناديان اللهم اجعل لممسك تلفا
ولمنفق خلفا وقال الاصمعي سمعت اعرابيا وقد وصف رجلا فقال لقد صغر فلان في عيني لعظم الدنيا في عينيه وكانما يرى
السائل اذا راه ملك الموت اذا اتاه وقال ابو حنيفة لا ارى ان اعدل بخيلا لانه يحمله البخل على الاستقصا فياخذه فوق حقه
خيفة من ان يغبن فمن كان هكذا لا يكون مامون الامانة وقال علي كرم الله وجهه والله ما استقصى كريم قط قال الله تعالى عرف
بعضه واعرض عن بعض وقال الجاحظ ما بقي من اللذات الا ثلث ذم البخلا واكل القديد وحك الجرب وقال بشر بن الحارث البخيل
لا غيبة له قال النبي صلى الله عليه وسلم وقد مدحت امراة عند النبي صلى الله عليه وسلم صوامة قوامة الا ان فيها بخلا قال
فما خيرها اذا وقال بشر النظر الى البخيل يقسي القلب ولقا البخلا كرب على قلوب المومنين وقال يحيى بن معاذ ما في القلب للاسخيا الا حبا
ولو كانوا فجارا وللبخلا الا بغضا ولو كانوا ابرارا وقال ابن المعتز ابخل الناس بماله اجودهم بعرضه ولقي يحيى بن زكريا ابليس
في صورته فقال يا ابليس اخبرني باحب الناس اليك قال احب الناس الي المومن البخيل وابغض الناس الي الفاسق السخي قال
لم قال لان البخيل كفاني بخله والفاسق السخي اتخوف ان يطلع الله عليه في سخائه فيقبله ثم ولى وقال لولا انك يحيى لما اخبرتك
حكايات البخلا قيل كان بالبصرة رجل موسر بخيل فدعاه بعض جيرانه وقدم اليه طباهجة ببيض فاكل منها فاكثر
وجعل يشرب الماء فانتفخ بطنه ونزل به الكرب فجعل يتلوى فلما اجهده الامر وصف حاله فقال لا باس عليك تقيا ما اكلت
فقال هاه اتقيا طباهجة ببيض الموت ولا اتقيا طباهجة ببيض وقيل اقبل اعرابي يطلب رجلا وبين يديه تين فغطا التين
بكسائه فجلس الاعرابي فقال له الرجل هل تحسن شيا من القران فقال نعم وقرا والزيتون وطور سينين فقال الرجل فاين التين فقال هو
تحت كسائك ودعا بعضهم اخا له ولم يطعمه الى العصر حتى اشتد جوعه واخذه مثل الجنون واخذ صاحب البيت العود وقال
بحياتي اي صوت تشتهي قال صوت المقلى ويحكى ان محمد بن يحيى وخالد بن برمك كان بخيلا قبيح البخل فسيل نسيب له صف لنا
مائدته فقال فتر في فتر وصحافه منقورة من حب الخشخاش قيل فمن يحضرها قال الكرام الكاتبون قال اما ياكل معه احد قال بلى
الذباب فقال سوءة له انت من خواصه وثوبك مخرق قال اي والله ما اقدر على ابرة اخيط بها قال فهلا استوهبت منه قال لو ملك
محمد بيتا من بغداد الى النوبة مملوا ابرا ثم جاءه جبريل وميكائيل ومعهما يعقوب النبي صلى الله عليه وسلم يستعيرون منه ابرة ليخيطوا بها
قميص يوسف الذي قد من دبر ما اعطا وما اعاد وقيل كان مروان بن ابي حفصة لا ياكل اللحم بخلا حتى يقرم اليه فاذا قرم
ارسل غلامه فاشترى له راسا فاكله فقيل له نراك لا تاكل الا الروس في الصيف والشتا فلم تختار ذلك قال
نعم الراس اعرف سعره فامن من خيانة الغلام ولا يستطيع ان يغبني فيه وليس بلحم يطبخه الغلام فيقدر ان ياكل منه واما الراس

واما الراس ان مس عينا او اذنا او خدا وقفت عليه واكل منه الوانا اكل عينيه لونا واذنيه لونا ودماغه لونا ولسانه لونا واكفى
مونة طبخه فقد اجتمعت لي مرافق وخرج يوما يريد الخليفة المهدي فقالت له امراة من اهله ما لي من المال عليك ان رجعت بالجائزة
قال ان اعطيت مائة الف اعطيتك درهما فاعطي ستين الفا فاعطاها اربعة دوانق واشترى لحما بدرهم فدعاه صديق له فرد
اللحم الى القصاب بنقصان دانق وقال اكره الاسراف وكان للاعمش جار كان لا يزال يعرض عليه المنزل يقول لو دخلت واكلت كسرة
وملحا فيابى عليه الاعمش فقال لحرمنا فدخل منزله فقرب اليه كسرة وملحا اذ سال سايل فقال له رب المنزل بورك فيك فاعاد عليه
المسلة فقال بورك فيك فاعاد عليه المسلة فقال بورك فيك فسال الثالث فقال له اذهب والا والله خرجت عليك بالعصا
فناداه الاعمش فقال اذهب ويحك فوالله ما رايت احدا اصدق وعدا منه منذ مدة يعدني كسرة وملحا فلا والله ما زادني عليهما
بيان الايثار وفضله اعلم ان السخا والبخل كل واحد منهما ينقسم الى درجات فارفع درجات السخا الايثار وهو ان يجود
بالمال مع الحاجة اليه فاما السخا فبذل ما لا يحتاج اليه لمحتاج والبذل مع الحاجة اشد وكما ان السخاوة تنتهي الى ان يسخو على غيره
مع الاحتياج فالبخل قد ينتهي الى ان يبخل على نفسه مع الحاجة فكم من بخيل يمسك المال ويمرض فلا يتداوى ويشتهي الشهوة فلا يمنعه
منها الا البخل بالثمن ولو وجدها مجانا لاكلها فهذا يبخل على نفسه مع الحاجة وذلك يوثر على نفسه غيره مع انه محتاج الى ذلك
فانظر ما بين الرجلين فان الاخلاق عطايا يضعها الله حيث يشا وليس بعد الايثار درجة في السخا وقد اثنى الله تعالى على الصحابة
وقال ويوثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة وقال ايما امرئ اشتهى شهوة فرد شهوته واثر على نفسه غفر له وقالت
عائشة ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة ايام متوالية حتى فارق الدنيا ولو شينا لشبعنا ولكنا كنا نوثر انفسنا
ونزل برسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فلم يجد عند اهله شيا فدخل عليه رجل من الانصار فذهب الى اهله فوضع بين يديه الطعام
وامر امراته باطفا السراج وجعل يمد يده الى الطعام كانه ياكل ولا ياكل حتى اكل الضيف الطعام فلما اصبح قال له رسول الله صلى
الله عليه وسلم لقد عجب الله تعالى من صنيعكم الى ضيفكم ونزلت ويوثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة فالسخا خلق
من اخلاق الله والايثار اعلى درجات السخا وكان ذلك من ادب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سماه الله تعالى عظيما فقال وانك
لعلى خلق عظيم وقال سهل بن عبد الله قال موسى عليه السلم يا رب ارني بعض درجات محمد عليه الصلوة والسلم وامته قال يا موسى
انك لن تطيق ذلك ولكن اريك منزلة من منازله جليلة عظيمة فضلته بها عليك وعلى جميع خلقي قال فكشفت له عن ملكوت
السما فنظر الى منزلة كادت تتلف نفسه من انوارها وقربها من الله تعالى قال يا رب بماذا بلغت به الى هذه الكرامة قال بخلق خصصته
به من بينهم وهو الايثار يا موسى لا ياتيني احد منهم قد عمل به وقتا من عمره الا استحييت من محاسبته وبوات من جنتي حيث يشا
وقيل خرج عبد الله بن جعفر الى ضيعة له فنزل على نخيل قوم وفيها غلام اسود يعمل فيها اذ اتى الغلام بقوته ودخل الحائط
كلب فدنا من الغلام فرمى اليه الغلام بقرص فاكله ثم رمى اليه بالثاني والثالث فاكله وعبد الله ينظر اليه فقال يا غلام كم قوتك
كل يوم قال ما رايت قال فلم اثرت به هذا الكلب قال ما هي بارض كلاب انه جا من مسافة بعيدة جايعا فكرهت رده قال فما انت
صانع اليوم قال اطوي يومي هذا فقال عبد الله بن جعفر الام على السخا ان هذا الاسخى مني فاشترى الحائط والغلام وما فيها من الالات
فاعتق الغلام ووهبه منه وقال عمر اهدي الى رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم راس شاة فقال ان اخي كان احوج مني
اليه فبعث اليه فلم يزل يبعث به الواحد الى اخر حتى تداولته سبعة ابيات حتى رجع الى الاول وبات علي بن ابي طالب على فراش النبي
عليه الصلوة والسلام ليلة الغار فاوحى الله الى جبريل وميكائيل عليهما السلام اني اخيت بينكما وجعلت عمر احدكما اطول من الاخر

فايكما يؤثر صاحبه بالحيوة فاختار كلاهما الحيوة واحباها فاوحى الله تعالى اليهما افلا كنتما مثل علي بن ابي طالب آخيت بينه وبين
نبيي محمد صلى الله عليه وسلم فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحيوة اهبطا الى الارض واحفظاه من عدوه فكان جبرئيل
عند راسه وميكائيل عند رجليه وجبرئيل يقول بخ بخ من مثلك يا ابن ابي طالب يباهي الله بك الملائكة فانزل الله تعالى ومن الناس من يشري
نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤف بالعباد وعن ابي الحسن الانطاكي انه اجتمع عنده نيف وثلثون نفسا وكانوا في قرية بقرب الري
لهم ارغفة معدودة لم تسع جميعهم فكسروا الرغفان واطفاوا السراج وجلسوا للطعام فلما رفع فاذا الطعام بحاله ولم ياكل واحد
منهم شيئا ايثارا لصاحبه على نفسه وروي ان شعبة جاءه سائل ولم يكن عنده شيء فنزع خشبة من سقف بيته فاعطاه ثم اعتذر اليه
وقال حذيفة العدوي انطلقت يوم اليرموك اطلب ابن عم لي ومعي شيء من ماء وانا اقول ان كان به رمق سقيته ومسحت به وجهه
فاذا انا به فقلت اسقيك فاشار اليّ نعم فاذا رجل يقول آه فاشار الي ابن عمي انطلق به اليه فاتيته به فاذا هو هشام بن العاص
فقلت اسقيك فسمع به آخر فقال آه فاشار هشام فاذا هشام ان انطلق به اليه فجئته فاذا قد مات فرجعت الى هشام فاذا
هشام قد مات فرجعت الى ابن عمي فاذا هو قد مات وقال عباس بن دهقان ما خرج احد من الدنيا كما دخلها الا بشر بن الحارث
فانه اتاه رجل في مرضه فشكى اليه الحاجة فنزع قميصه فاعطاه واستعار ثوبا فمات فيه وعن بعض الصوفية قال كنا بطرسوس ف
فاجتمعنا جماعة وخرجنا الى باب الجهاد فتبعنا كلب من البلد فلما بلغنا باب الجهاد اذا نحن بدابة ميتة فصعدنا الى موضع خال ف
قعدنا فلما نظر الكلب الى الميتة رجع الى البلد ثم رجع بعد ساعة ومعه مقدار عشرين كلبا فجاء الى تلك الميتة وقعد ناحية و
وقعت الكلاب في الميتة فما زالت تاكلها وذلك الكلب قاعد ينظر اليها حتى اكل الميتة وبقي ذلك العظم ورجعت الكلاب الى البلد
فقام ذلك الكلب وجاء الى تلك العظام فاكل ما بقي على العظم قليلا ثم انصرف وقد ذكرنا جملة من الاخبار للايثار واحوال
الاولياء فيه في كتاب الفقر والزهد فلا نعيده

بيان حد السخاء والبخل وحقيقتهما

لعلك تقول عرف بشواهد الشرع
ان البخل من المهلكات ولكن ما حد البخل وبماذا يصير الانسان بخيلا وما من انسان الا وهو يرى نفسه سخيا وربما يراه غيره بخيلا وقد
يصدر فعل من انسان فيختلف فيه الناس فيقول قوم هذا بخل ويقول غيره ليس هذا ببخل وما من انسان الا ويجد في نفسه حب المال
ولاجله يحفظ المال ويمسكه فان كان يصير بامساك المال بخيلا فاذا لا ينفك احد من البخل واذا كان الامساك مطلقا لا يوجب
البخل فلا معنى للبخل الا الامساك فما البخل الذي يوجب الهلاك وما حد السخاء الذي يستحق العبد به صفة السخاء وثوابها فنقول
قد قال قائلون حد البخل منع الواجب فكل من ادى ما يجب عليه فليس ببخيل وهذا غير كاف فان من يرد اللحم مثلا الى القصاب
والخبز الى الخباز لنقصان حبة او نصف حبة فانه يعد بخيلا بالاتفاق وكذلك من يسلم الى عياله القدر الذي يفرضه القاضي
ثم يضايقهم في لقمة زادوا عليها او تمرة اكلوها من ماله عد بخيلا ومن كان بين يديه رغيف فحضر من يظن انه ياكل معه فاخفاه
عد بخيلا وقال قائلون البخيل هو الذي يستصعب العطية وهو ايضا قاصر فانه ان اريد به انه يستصعب كل عطية فكم من بخيل لا يستصعب
العطية القليلة كالحبة وما يقرب منها ويستصعب ما فوقه وان اريد به انه يستصعب بعض العطايا فما من جواد الا ويستصعب
بعض العطايا وهو ما يستغرق جميع ماله والمال العظيم وهذا لا يوجب الحكم بالبخل وكذا تكلموا في الجود فقيل الجود عطاء بلا من
واسعاف على غير روية وقيل الجود عطاء من غير مسئلة على رؤية التقليل وقيل الجود السرور بالسائل والفرح بالعطاء لما امكن
وقيل الجود عطاء على رؤية ان المال لله تعالى والعبد لله تعالى فيعطي عبد الله مال الله على غير رؤية الفقر وقيل من اعطى البعض وابقى
البعض فهو صاحب السخاء ومن بذل الاكثر وابقى لنفسه شيئا فهو صاحب جود ومن قاسى الضر وآثر غيره بالبلغة فهو صاحب ايثار

ايثار ومن لم يبذل شيئا فهو صاحب بخل وجملة هذه الكلمات غير محيطة بحقيقة البخل والجود بل نقول المال خلق لحكمة
ومقصود وهو صلاحه لحاجات الخلق ويمكن امساكه عن الصرف الى ما خلق للصرف اليه ويمكن بذله بالصرف الى ما لا يحسن
الصرف اليه ويمكن التصرف فيه بالعدل وهو ان يحفظ حيث يجب الحفظ ويبذل حيث يجب البذل فالامساك حيث يجب
البذل بخل والبذل حيث يجب الامساك تبذير وبينهما وسط وهو المحمود وينبغي ان يكون السخاء والجود عبارة عنه اذ لم يؤمر رسول الله
صلى الله عليه وسلم الا بالسخاء فقيل له ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وقال والذين اذا انفقوا
لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما فالجود وسط بين الاقتار والاسراف وبين البسط والقبض وهو ان يقدر بذله
وامساكه بقدر الواجب ولا يكفي ان يفعل ذلك بجوارحه ما لم يكن قلبه طيبا به غير منازع له فيه فان بذل في محل وجوب البذل
ونفسه تنازعه وهو يصابرها فهو متسخ وليس بسخي بل ينبغي ان لا يكون لقلبه علاقة مع المال الا من حيث يراد المال له وهو صرفه
الى ما يجب صرفه اليه فان قلت فقد صار هذا موقوفا على معرفة الواجب فما الذي يجب بذله فاقول ان الواجب قسمان الواجب بالشرع و
الواجب بالمروة والعادة والسخي هو الذي لا يمنع واجب الشرع ولا واجب المروة فان منع واحدا منهما فهو بخيل والذي يمنع واجب
الشرع ابخل كالذي يمنع واجب اداء الزكوة ويمنع اهله وعياله النفقة او يؤديها ولكن يشق عليه فانه بخيل بالطبع وانما يتسخى
بالتكلف او الذي يتيمم الخبيث من ماله ولا يطيب له ان يعطي من اطيب ماله او وسطه فهذا كله بخل واما الواجب بالمروة
فهو ترك المضايقة والاستقصاء في المحقرات فان ذلك مستقبح واستقباح ذلك يختلف بالاحوال والاشخاص فمن كثر ماله
يستقبح منه ما لا يستقبح من الفقير المضايقة ويستقبح من الرجل المضايقة مع اهله واقاربه ومماليكه ما لا يستقبح مع الاجانب
ويستقبح مع الجار ما لا يستقبح مع البعيد ويستقبح في الضيافة من المضايقة ما لا يستقبح اقل منه في المبايعة والمعاملة و
عابه المضايقة من طعام او ثوب اذ يستقبح في الاطعمة ما لا يستقبح في غيرها ويستقبح في شراء الكفن مثلا او في شراء الاضحية
او شراء خبز الصدقة ما لا يستقبح في غيره من المضايقة وكذلك يختلف بمن معه المضايقة من صديق واخ وقريب وزوجة
وولد واجنبي وبمن منه المضايقة من صبي وامراة وشيخ وشاب وعالم وجاهل وموسر ومعسر فالبخيل هو الذي يمنع حيث ينبغي
ان لا يمنع اما بحكم الشرع واما بحكم المروة وذلك لا يمكن التنصيص على مقداره ولعل حد البخل هو امساك المال عن غرض ذلك
الغرض هو اهم من حفظ المال فان صيانة الدين اهم من حفظ المال فمانع الزكوة والنفقة بخيل وصيانة المروة اهم من حفظ المال
فالمضايق في الدقائق مع من لا يحسن المضايقة معه هاتك ستر المروة لحب المال فهو بخيل ثم تبقى درجة اخرى وهو ان يكون الرجل
ممن يؤدي الواجب ويحفظ المروة ولكن معه مال كثير قد جمعه وليس يصرفه الى الصدقات والى المحتاجين فقد تقابل غرض حفظ المال
ليكون له عدة على نوائب الزمان وغرض الثواب ليكون رافعا لدرجاته في الآخرة وامساك المال عن هذا الغرض بخل عند الاكياس
وليس ببخل عند عوام الخلق وذلك لان نظر العوام مقصور على حظوظ الدنيا فيرون لدفع نوائب الزمان مهما وربما ظهر
عند العوام ايضا سمة البخل ان كان في جواره محتاج فمنعه وقال قد اديت الزكوة الواجبة وليس علي غيره ويختلف استقباح
ذلك باختلاف مقدار ماله وباختلاف شدة حاجة المحتاج وصلاحه ودينه واستحقاقه فمن ادى واجب الشرع وواجب المروة
اللائقة به فقد تبرأ من البخل نعم لا يتصف بصفة الجود والسخاء ما لم يبذل زيادة على ذلك لطلب الفضيلة ونيل الدرجات
فاذا اتسعت نفسه لبذل المال حيث لا يوجبه الشرع ولا يتوجه عليه الملامة في العادة فهو جواد بقدر ما تتسع له نفسه
من قليل او كثير ودرجات ذلك لا تحصى وبعض اجود من بعض واصطناع المعروف وراء ما توجبه العادة والمروة هو الجود ولكن

بشرط ان يكون عن طيبة نفس ولا يكون عن طمع وبعاجل جزاء او مكافاة او شكر او ثنا فان من طمع في الشكر والثنا فهو بايع
وليس بجواد لشتري المديح بماله والمدح لذيذ وهو مقصود في نفسه والجود هو بذل الشي من غير عوض هذا هو الحقيقة ولا
يتصور ذلك الا من الله تعالى فاما الادمي فاسم الجواد عليه مجاز اذ لا يبذل الشي الا لغرض ولكنه اذا لم يكن غرضه الا الثواب
في الاخرة او اكتساب فضيلة الجود وتطهير النفس عن رذالة فيسمى جوادا فان كان الباعث عليه الخوف من الهجا مثلا او من ملامة
الخلق وما يتوقعه من نفع ينال من المنعم عليه فكل ذلك ليس من الجود لانه مضطر اليه بهذه البواعث فهي اعواض معجلة له
عليها فهو معتاض لا جواد كما روي عن بعض المتعبدات انها وقفت على حبان بن هلال وهو جالس مع اصحابه فقالت هل
فيكم من اساله عن مسئلة فقالوا لها سلي عما شئت فاشاروا الى حبان بن هلال فقالت ما السخا عندكم قالوا العطا و
البذل والايثار قالت هو السخا في الدنيا فما السخا في الدين قالوا ان نعبد الله سخية بها انفسنا غير مكرهة قالت فتريدون
على ذلك اجرا قالوا نعم قالت لم قالوا لان الله تعالى وعدنا بالحسنة عشر امثالها قالت سبحان الله اذا اعطيتم واحدة واخذتم
عشرة فباي شي تسخيتم عليه قالوا لها فما السخا عندك رحمك الله قالت السخا عندي ان تعبدوا الله متنعمين متلذذين بطاعته
غير كارهين لا تريدون على ذلك اجرا حتى يكون مولاكم يفعل بكم ما يشا الا تستحيون من الله يطلع على قلوبكم فيعلم منها انكم
تريدون شيئا بشي ان هذا في الدنيا لقبيح وقالت بعض المتعبدات اتحسب ان السخا في الدرهم والدينار فقط قالوا فما قالت
السخا عندي في المهج وقال المحاسبي السخا في الدين ان تسخو نفسك بتلفها لله عز وجل وتسخو قلبك ببذل مهجتك واهراق دمك
لله تعالى بسماحة من غير اكراه لا تريد بذلك ثوابا عاجلا ولا آجلا وان كنت غير مستغن عن الثواب ولكن يغلب على قلبك من كمال السخا
ترك الاختيار على الله حتى يكون مولاك هو الذي يفعل بك ما لا تحسن ان تختاره لنفسك

بيان علاج البخل

اعلم ان البخل سببه حب المال ولحب المال سببان احدهما حب الشهوات التي لا وصول اليها الا بالمال مع طول الامل فان الانسان
لو علم انه يموت بعد يوم ربما كان لا يبخل بماله اذ القدر الذي يحتاج اليه في يوم او في شهر او في سنة قريب وان كان قصير
الامل ولكن كان له اولاد قام الولد مقام طول الامل فانه يقدر بقاهم كبقا نفسه فيمسك لاجلهم ولذلك قال النبي صلى
الله عليه وسلم الولد مبخلة مجبنة مجهلة فاذا انضاف الى ذلك خوف الفقر وقلة الثقة بمجي الرزق قوي البخل لا محالة والسبب
الثاني ان يحب عين المال فمن الناس من معه ما يكفيه لبقية عمره اذا اقتصر على ما جرت به عادته بنفقته ويفضل الاف وهو
الشيخ ولا ولد له ومعه اموال كثيرة ولا تسمح نفسه عند المرض بل صار محبا للدنانير عاشقا لها يلتذ بوجودها في يده و
بقدرته عليها فيكنزها تحت الارض وهو يعلم انه يموت فتضيع او ياخذها اعداوه ومع هذا فلا تسمح نفسه بان ياكل او يتصدق
وهذا مرض للقلب عظيم عسير العلاج لا سيما في كبر السن وهو مرض مزمن ولا يرجى علاجه ومثال صاحبه مثال رجل عشق
شخصا فاحب رسوله لنفسه ثم نسي محبوبه واشتغل برسوله فان الدنانير رسول يبلغ الى الحاجات فصار محبوبا لذلك لان الموصل
الى اللذيذ لذيذ ثم قد ينسي الحاجات ويصير الذهب كانه محبوب في نفسه وهو غاية الضلال بل من راى بينه وبين الحجر فرقا فهو جاهل
الا من حيث قضا حاجته به فالفاضل عن قدر حاجته والحجر بمثابة واحدة فهذه اسباب حب المال وانما علاج كل علة بمضادة
سببها فيعالج حب الشهوات بالقناعة باليسير وبالصبر ويعالج طول الامل بكثرة ذكر الموت والنظر في موت الاقران وطول
تعبهم في جمع المال وضياعه بعدهم ويعالج التفات القلب الى الولد بان الذي خلقه خلق معه رزقه فكم من ولد لم يرث من ابيه شيئا
وحاله احسن ممن ورث وبان يعلم انه يجمع المال لولده يريد ان يترك ولده بخير وينقلب هو الى شر وان ولده ان كان تقيا صالحا

صالحا فيكفيه الله وان كان فاسقا فيستعين بماله على المعصية ويرجع مظلمته عليه ويعالج ايضا قلبه بكثرة التامل في
الاخبار الواردة في ذم البخل ومدح السخا وما توعد الله به على البخل من العقاب العظيم ومن الادوية النافعة كثرة التامل في احوال
البخلا ونفرة الطبع عنهم واستقباحهم فانه ما من بخيل الا ويستقبح البخل من غيره ويستثقل كل بخيل من اصحابه فيعلم انه مستثقل
ومستقذر في قلوب الناس مثل سائر البخلا في قلبه ويعالج ايضا قلبه بان يتفكر في مقاصد المال وانه لماذا خلق فلا يحفظ من المال
الا بقدر حاجته والباقي يدخره لنفسه بان يحصل ثواب بذله فهذه ادوية من جهة المعرفة والعلم فاذا عرف بنور البصيرة ان البذل
خير له من الامساك في الدنيا والاخرة هاجت رغبته في البذل ان كان عاقلا فاذا تحركت الداعية فينبغي ان يجيب الخاطر الاول
ولا يتوقف لان الشيطان يعده الفقر ويخوفه ويصده عنه [كان] ابو الحسن البوشنجي في الخلا فدعا تلميذا وقال انزع عني القميص وادفعه
الى فلان فقال هلا صبرت حتى تخرج قال لم آمن على نفسي ان تتغير وكان قد خطر لي بذله ولا تزول صفة البخل الا بالبذل تكلفا
كما لا يزول العشق الا بمفارقة المعشوق بالسفر عن مستقره حتى اذا سافر وفارق تكلفا وصبر عليه مدة تسلى عنه قلبه فكذلك
الذي يريد علاج البخل ينبغي ان يفارق المال تكلفا بان يبذله بل لو رماه في الما كان اولى به من امساكه اياه مع الحب له ومن لطائف
الحيل فيه ان يخدع نفسه بحسن الاسم والاشتهار بالسخا فيبذل على قصد الريا حتى تسمح نفسه بالبذل طمعا في حشمة الجود فيكون قد
ازال عن نفسه خبث البخل واكتسب خبث الريا ولكن ينعطف بعد ذلك على الريا ويزيله بعلاجه ويكون طلب الاسم كالتسلية للنفس
عند فطامها عن المال كما قد يسلى الصبي عند الفطام عن الثدي باللعب بالعصافير وغيرها لا ليخلى واللعب ولكن لينقل عن
الثدي اليه ثم ينقل عنه الى غيره فكذلك هذه الصفات الخبيثة ينبغي ان يسلط بعضها على بعض كما يسلط الشهوة على الغضب وتكسر
سورتها ويسلط الغضب على الشهوة ويكسر رعونتها به الا ان هذا مفيد في حق من كان البخل اغلب عليه من حب الجاه والريا
فيبدل الاقوى بالاضعف فان كان الجاه محبوبا عنده كالمال فلا فايدة فيه فانه يقلع علة ويزيد في اخرى مثلها الا ان علامة
ان لا يثقل عليه البذل لاجل الريا فبذلك يتبين ان الريا اغلب عليه فان كان البذل يشق عليه مع الريا فينبغي ان يبذل فان ذلك
يدل على ان المرض البخل اغلب على قلبه ومثال دفع بعض هذه الصفات ببعض ما يقال من ان الميت يستحيل جميع اجزائه دودا ثم
ياكل بعض الديدان البعض حتى يقل عددهم ويكبرون ثم ياكل بعضهم بعضا حتى يرجع الى اثنين قويين عظيمين ثم لا يزالان يتقاتلان
الى ان يغلب احدهما الاخر فياكله ويسمن به ثم لا يزال يبقى وحده جايعا الى ان يموت فكذلك هذه الصفات الخبيثة يمكن ان تسلط
بعضها على بعض حتى يقمعها فيجعل الاضعف قوتا للاقوى الى ان لا يبقى الا واحدة ثم تقع العناية بمحوها واذابتها بالمجاهدة وهو
منع القوت منها ومنع القوت من الصفات ان لا يعمل بمقتضاها فانها تقتضي لا محالة اعمالا فاذا خولفت خمدت الصفات وماتت
مثل البخل فانه يقتضي امساك المال فاذا امتنع مقتضاه وبذل المال مع الجهد مرة بعد اخرى ماتت صفة البخل وصار البذل طبعا وسقط
التعب فيه فاذا علاج البخل بعلم وعمل فالعلم يرجع الى معرفة آفة البخل وفايدة الجود والعمل يرجع الى البذل على سبيل التكلف ولكن
قد يقوى البخل بحيث يعمي ويصم فيمنع تحقق المعرفة بآفته واذا لم يتحقق المعرفة لم تتحرك الرغبة فلم يتيسر العمل فتبقى العلة مزمنة كالمرض
الذي يمنع معرفة الدوا وامكان استعماله فانه لا حيلة فيه الا الصبر الى الموت وكان من عادة بعض الشيوخ من الصوفية في معالجة
علة البخل في المريدين ان يمنعهم من الاختصاص بزواياهم فكان اذا توهم في مريد فرحه بزاويته وبما فيه نقله الى زاوية غيره ونقل
زاوية غيره اليه واخرجه عن جميع ملكه واذا راه يلتفت الى ثوب جديد يلبسه او سجادة يفرح بها يامره بتسليمها الى غيره ويلبسه
ثوبا خلقا لا يميل اليه قلبه فبهذا يتجافى القلب عن متاع الدنيا فمن لم يسلك هذا السبيل انس بالدنيا واحبها فان كان له الف متاع

كان له الف محبوب ولذلك اذا سرق كل واحد منه الم به مصيبة بقدر حبه له فاذا مات نزلت به الف مصيبة دفعة واحدة
لانه كان يحب الكل وقد سلب بل هو في حياته على خطر المصيبة بالفقد والهلاك حمل الى بعض الملوك قدح من فيروزج مرصع بالجواهر
لم ير له نظير ففرح الملك بذلك فرحا شديدا فقال لبعض الحكماء عنده كيف ترى قال اراه مصيبة او فقرا قال كيف ذلك
قال ان انكسر كان مصيبة لا جبر لها وان سرق صرت فقيرا اليها ولم تجد مثله وقد كنت قبل ان حمل اليك في امن من المصيبة و
الفقر ثم اتفق انه انكسر يوما وعظمت مصيبة الملك فيه وقال صدق الحكيم ليته لم يحمل الينا وهذا شان جميع اسباب الدنيا فان
الدنيا عدوة لاعداء الله اذ تسوقهم الى النار وعدوة لاولياء الله اذ تغمهم بالصبر عنها وعدوة لله تعالى اذ تقطع طريقه على
عباده وعدوة نفسها فانها تاكل نفسها فان المال لا يحفظ الا بالحراس ولا يمكن تحصيلهم الا بالمال وهو بذل الدراهم و
الدنانير فالمال ياكل نفسه ويضاده حتى يفنى ومن عرف آفة المال لم يانس به ولم ياخذ منه الا بقدر حاجته ومن قنع بقدر الحاجة
فلا يبخل لان ما امسكه لحاجته فليس ببخل وما لا يحتاج اليه فلا يتعب نفسه بحفظه فيبذله بل هو كالماء على شط الدجلة اذ لا
يبخل به احد لقناعة الناس منه بمقدار الحاجة ه **بيان** مجموع الوظائف التي على العبد في ماله اعلم ان المال
كما وصفناه خير من وجه وشر من وجه ومثاله مثال حية ياخذها الراقي ويستخرج منها الترياق وياخذها الغافل فيقتله
سمها من حيث لا يدري ولا يخلو احد عن سم المال الا بالمحافظة على خمس وظائف الاولى ان يعرف مقصود المال وانه لماذا
خلق وانه لم يحتاج اليه حتى لا يكتسب ولا يحفظ منه الا قدر الحاجة ولا يعطيه من همته فوق ما يستحقه الثانية ان
يراعي جهة دخل المال فيجتنب الحرام المحض وما الغالب عليه الحرام كمال السلاطين ويجتنب الجهات المكروهة القادحة في
المروة كالهدايا التي فيها شوائب الرشوة والسوال الذي فيه الذل وهتك المروة وما يجري مجراه الثالثة في المقدار
الذي يكتسبه فلا يستكثر منه ولا يستقل بل القدر الواجب ومعياره الحاجة والحاجة ملبس ومسكن ومطعم ولكل واحد
ثلاث درجات ادنى واوسط واعلى وما دام مائلا الى جانب القلة ومتقربا من حد الضرورة كان محقا ويجا في جملة المحقين فان
جاوز ذلك وقع في هاوية لا آخر لعمقها وقد ذكرنا تفصيل هذه الدرجات في كتاب الزهد الرابعة ان يراعي جهة الخرج
ويقتصد في الانفاق غير مبذر ولا مقتر كما ذكرناه فيضع ما اكتسبه من حله في حقه ولا يضعه في غير حقه فان الاثم في الاخذ
من غير حقه والوضع في غير حقه سواء الخامسة ان يصلح نيته في الاخذ والترك والانفاق والامساك فياخذ ما ياخذ
ليستعين به على العبادة ويترك ما يترك زهدا فيه واستحقارا له واذا فعل ذلك لم يضره وجود المال ولذلك قال علي عليه
السلام لو ان رجلا اخذ جميع ما في الارض واراد به وجه الله فهو زاهد ولو انه ترك الجميع ولم يرد به وجه الله فليس بزاهد فلتكن
جميع حركاتك وسكناتك لله مقصورة على عبادة او ما يعين على العبادة فان ابعد الحركات عن العبادة الاكل وقضاء الحاجة
وهما معينان على العبادة فاذا كان ذلك قصدك بهما صارتا عبادة في حقك وكذلك ينبغي ان تكون نيتك في كل ما يحفظه من
قميص وازار وفراش وآنية لان كل ذلك مما قد يحتاج اليه في الدين وما فضل عن الحاجة ينبغي ان يقصد به ان ينتفع به عبد من
عباد الله ولا يمنعه منه عند حاجته اليه فمن فعل ذلك فهو الذي اخذ من حية المال جوهرها وترياقها واتقى سمها فلا تضره
كثرة المال ولكن لا يتاتى ذلك الا لمن رسخ في الدين قدمه وعظم فيه علمه والعامي اذا تشبه بالعالم في الاستكثار من المال وزعم
انه يشبه اغنياء الصحابة شابه الصبي الذي يرى المعزم الحاذق ياخذ الحية ويتصرف فيها فيخرج ترياقها فيقتدي به ويظن
انه اخذها مستحسنا صورتها وشكلها ومستلينا جلدها فاخذها اقتداء به فيقتله في الحال الا ان قتيل الحية يدري انه

يدري انه قتيل وقتيل المال قد لا يعرف وقد شبهت الدنيا بالحية فقيل هي دنيا كحية تنفث السم وان كانت المجسة
لانت وكما يستحيل ان يتشبه الاعمى بالبصير في تخطي قلل الجبال واطراف البحار والطرق المشوكة فمحال ان يتشبه العامي بالعالم
الكامل في تناول المال **بيان** ذم الغنى ومدح الفقر اعلم ان الناس قد اختلفوا في تفضيل الغني الشاكر على الفقير
الصابر وقد اوردنا ذلك في كتاب الفقر والزهد وكشفنا عن حقيقته ولكنا في هذا الكتاب ندل على ان الفقر افضل واعلى من الغنى
على الجملة من غير التفات الى تفصيل الاحوال ونقتصر فيه على حكاية فصل ذكره المحاسبي رحمه الله في بعض كتبه في الرد على بعض العلماء
من الاغنياء حيث احتج باغنياء الصحابة وبكثرة مال عبد الرحمن بن عوف وشبه نفسه بهم والمحاسبي رحمه الله حبر هذه الامة في علم
المعاملة وله السبق على جميع الباحثين عن عيوب النفس وآفات الاعمال واغوار العبادات وكلامه جدير بان يحكى على وجهه وقد
قال بعد كلام له في الرد على العلماء السوء بلغنا ان عيسى صلوات الله عليه قال يا علماء السوء تصومون وتصلون وتصدقون
ولا تفعلون ما تؤمرون وتدرسون ما لا تعملون فيا سوء ما تحكمون تتوبون بالقول والاماني وتعملون بالهوى وما يغني عنكم ان
تنقوا جلودكم وقلوبكم دنسة بحق اقول لا تكونوا كالمنخل يخرج منه الدقيق الطيب ويبقى فيه النخالة كذلك انتم تخرجون الحكم
من افواهكم ويبقى الغل في صدوركم يا عبيد الدنيا كيف يدرك الآخرة من لا تنقضي من الدنيا شهوته ولا تنقطع منها رغبته بحق اقول
ان قلوبكم تبكي من اعمالكم جعلتم الدنيا فوق رؤسكم والعمل تحت اقدامكم بحق اقول افسدتم آخرتكم فصلاح الدنيا احب اليكم
من صلاح الآخرة فاي الناس اخسر منكم لو تعلمون ويلكم حتى متى تصفون الطريق للمدلجين وتقيمون في محل المتحيرين كانكم تدعون
اهل الدنيا ليتركوها لكم مهلا مهلا ويلكم ماذا يغني عن البيت المظلم ان يوضع السراج فوق ظهره وجوفه وحش مظلم كذلك
لا يغني عنكم ان يكون نور العلم بافواهكم واجوافكم منه وحشة معطلة يا عبيد الدنيا لا كعبيد اتقياء ولا احرار كرام يوشك
الدنيا ان تقلعكم عن اصولكم فتلقيكم على وجوهكم ثم تكبكم على مناخركم ثم تاخذ خطاياكم بنواصيكم ثم يدفعكم العلم من خلفكم
حتى يسلمكم الى الملك الديان عراة فرادى فيوقفكم على سواتكم ثم يجزيكم بسوء اعمالكم ثم قال الحارث المحاسبي اخواني فهؤلاء علماء
السوء شياطين الانس وفتنة على الناس رغبوا في عرض الدنيا ورفعتها وآثروها على الآخرة واذلوا الدين للدنيا فهم في العاجل
عار وشين وفي الآخرة هم الاخسرون او يعفو الكريم بفضله وبعد فاني رايت الهالك المؤثر للدنيا سروره ممزوج بالتنغيص
فيتفجر منه انواع الهموم وفنون المعاصي والى التلف والبوار مصيره فرح الهالك برجائه فلم تسلم له دنياه ولم يسلم له دينه خسر
الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين الا فراقبوا الله اخواني ولا يغرنكم الشيطان واولياؤه من الانس بالحجج الداحضة عند
ربهم فانهم يتكالبون على الدنيا ثم يطلبون لانفسهم المعاذير والحجج ويزعمون ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت لهم
اموال فيتزين المغرور بذكر الصحابة ليعذره الناس على جمع المال ولقد دهاهم الشيطان وما يشعرون ويحك ايها المفتون
ان احتجاجك بمال عبد الرحمن بن عوف مكيدة من الشيطان ينطق بها على لسانك لتهلك لانك متى زعمت ان اخيار الصحابة
ارادوا المال للتكاثر والشرف والزينة فقد اغتبت السادة ونسبتهم الى امر عظيم ومتى زعمت ان جمع المال الحلال اعلى
وافضل من تركه فقد ازريت صلى الله عليه وسلم ونسبتهم الى قلة الورع والزهد فهذا الخير الذي رغبت فيه انت واصحابك
من جمع المال ونسبتهم الى الجهل اذ لم يجمعوا المال كما جمعت ومتى زعمت ان جمع المال الحلال اعلى رتبة من تركه فقد زعمت
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينصح الامة اذ نهاهم عن جمع المال وقد علم ان جمع المال خير للامة فقد غشهم بزعمك حين
نهاهم عن جمع المال كذبت ورب السماء على رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد كان للامة ناصحا وعليهم مشفقا وبهم رؤفا

ويحك ان زعمت ان جمع المال افضل فقد زعمت ان الله تعالى لم ينظر لعباده حين نهاهم عن جمع المال وقد علم ان جمع المال خير لهم
وقد زعمت ان الله تعالى لم يعلم ان الفضل في الجمع فلذلك نهاهم عنه وانت عليم بما في المال من الخير والفضل فلذلك
رغبت في الاستكثار كانك اعلم بموضع الفضل والخير من ربك تعالى الله عن جهلك ايها المفتون تدبر بما دهاك به
الشيطان حين زين لك الاحتجاج بمال عبد الرحمن بن عوف وود عبد الرحمن بن عوف في القيامة انه لم يؤت من الدنيا
الا قوتا ولقد بلغني انه لما توفي عبد الرحمن بن عوف قال اناس من اصحاب النبي عليه الصلوة والسلم انا نخاف على عبد الرحمن
بما ترك فقال كعب سبحان الله وما تخافون على عبد الرحمن كسب طيبا وانفق طيبا وترك طيبا فبلغ ذلك ابا ذر فخرج مغضبا
يريد كعبا فمر بلحي عظم بعير فاخذه بيده ثم انطلق يطلب كعبا فقيل لكعب ان ابا ذر يطلبك فخرج هاربا حتى دخل
على عثمان رضي الله عنه يستغيث به واخبره الخبر فاقبل ابو ذر يقتص الاثر في طلب كعب حتى انتهى الى دار عثمان فلما
دخل قام كعب فجلس خلف عثمان هاربا من ابي ذر فقال له ابو ذر هيه يا ابن اليهودية تزعم ان لا باس بما تركه عبد الرحمن بن عوف
لقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما نحو احد وانا معه فقال يا ابا ذر فقلت لبيك يا رسول الله فقال الاكثرون
هم الاقلون يوم القيمة الا من قال هكذا وهكذا عن يمينه وشماله وقدامه وخلفه وقليل ما هم ثم قال يا ابا ذر قلت نعم يا رسول الله
بابي وامي قال ما يسرني ان لي مثل احد انفقه في سبيل الله يوم اموت ابقي منه قيراطين ثم قال يا ابا ذر وانت تريد الاكثر
وانا اريد الاقل فرسول الله صلى الله عليه وسلم يريد هذا وانت تقول يا ابن اليهودية لا باس بما ترك عبد الرحمن بن عوف كذبت
وكذب من قال ذلك فلم يرد عليه حرفا حتى خرج وبلغنا ان عبد الرحمن بن عوف قدمت عليه عير من اليمن فضجت المدينة ضجة
واحدة فقالت عائشة رضي الله عنها ما هذا فقيل عير قدمت لعبد الرحمن بن عوف قالت صدق الله ورسوله صلى الله عليه وسلم
فبلغ ذلك عبد الرحمن بن عوف فاتاها فسالها فقالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اني رايت فرايت فقراء
المهاجرين والمسلمين يدخلون الجنة سعيا ولم ار احدا من الاغنياء يدخلها معهم الا عبد الرحمن بن عوف رايته يدخلها
معهم الا عبد الرحمن بن عوف رايته يدخلها معهم حبوا فقال عبد الرحمن ان العير وما عليها في سبيل الله وان ارقاءها
احرار لعلي ادخلها معهم سعيا وبلغنا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعبد الرحمن اما انك اول من يدخل الجنة من اغنياء
امتي وما كدت ان تدخلها الا حبوا له ويحك ايها المفتون فما احتجاجك بالمال وهذا عبد الرحمن في فضله وتقواه و
صنائعه المعروف وبذله الاموال في سبيل الله مع صحبته لرسوله وبشراه اياه بالجنة يوقف في عرصات القيمة واهوالها
بسبب مال كسبه من حلال للتعفف ولصنائع المعروف وانفق منه قصدا في سبيل الله منع من السعي الى الجنة مع الفقراء
المهاجرين وصار يحبو في اثارهم حبوا فما ظنكم بامثالنا الغرقى في فتن الدنيا وبعد فالعجب كل العجب لك يا مفتون تتمرغ
في تخاليط الشبهات والسحت تتكالب على اوساخ الناس وتتقلب في الشهوات والزينة والمباهاة وتتقلب في فتن
الدنيا ثم تحتج بعبد الرحمن بن عوف وتزعم انك ان جمعت المال فقد جمعه الصحابة كانك اشبهت السلف وفعلهم ويحك
ان هذا من قياس ابليس ومن فتياه لاوليائه وساصف لك احوالك واحوال الصحابة لتعرف فضائحك وفضل الصحابة ولعمري
لقد كان لبعض الصحابة اموال ارادوها للتعفف والبذل في سبيل الله فكسبوا حلالا واكلوا طيبا وانفقوا قصدا وقدموا
فضلا ولم يمنعوا منها حقا ولم يبخلوا بها لكنهم جادوا لله باكثرها وجاد بعضهم بجميعها وفي الشدة آثروا الله على انفسهم كثيرا
فبالله اكذلك انت والله انك لبعيد الشبه بالقوم وبعد فان اخيار الصحابة كانوا للمسكنة محبين ومن خوف الفقر آمنين و

وبالله في ارزاقهم واثقين وبمقادير الله مسرورين وفي البلاء راضين وفي الرخاء شاكرين وفي الضراء صابرين وفي السراء
حامدين وكانوا لله متواضعين وعن حب العلو والتكاثر ورعين لم ينالوا من الدنيا الا المباح لهم ورضوا بالبلغة منها و
زجوا الدنيا وصبروا على مكارهها وتجرعوا مرارتها وزهدوا في نعيمها وزهراتها فبالله اكذاك انت ولقد بلغنا انهم كانوا
اذا اقبلت الدنيا عليهم حزنوا وقالوا ذنب عجلت عقوبته من الله واذا راوا الفقر مقبلا قالوا مرحبا بشعار الصالحين
وبلغنا ان بعضهم كان اذا اصبح وعند عياله شيء اصبح كئيبا حزينا واذا لم يكن عندهم شيء اصبح فرحا مسرورا فقيل له ان الناس
اذا لم يكن عندهم شيء حزنوا واذا كان عندهم شيء فرحوا وانت لست كذلك فقال اني اذا اصبحت وليس عند عيالي شيء فرحت
ان كانت لي بمحمد صلى الله عليه وسلم اسوة واذا كان عند عيالي شيء اغتممت اذ لم يكن لي بآل محمد صلى الله عليه وسلم اسوة
وبلغنا انهم كانوا اذا سلك بهم سبيل الرخاء حزنوا واشفقوا وقالوا ما لنا وللدنيا وما يراد بها فكانهم على جناح خوف واذا
سلك بهم سبيل البلاء فرحوا واستبشروا وقالوا الآن تعاهدنا ربنا فهذه احوال السلف ونعتهم وفيهم من الفضل اكثر مما وصفنا
فبالله اكذلك انت انك لبعيد الشبه بالقوم وساصف لك احوالك ايها المفتون ضدا لاحوالهم وذلك انك تطغى عند الغنى
وتبطر عند الرخاء وتمرح عند السراء وتغفل عن شكر النعماء وتقنط عند الضراء وتسخط عند البلاء ولا ترضى بالقضاء نعم وتبغض الفقر
وتانف من المسكنة وذلك فخر المرسلين وانت تانف من فخرهم وتدخر المال وتجمعه خوفا من الفقر وذلك من سوء الظن بالله تعالى
وقلة اليقين بضمانه وكفى به اثما وعساك تجمع المال لنعيم الدنيا وزهرتها وشهواتها ولذاتها وبلغنا ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال شرار امتي الذين غذوا بالنعيم ونبتت عليه اجسامهم وبلغنا ان بعض اهل العلم قال ليجيئن يوم القيمة قوم يطلبون
حسنات لهم فيقال لهم اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فانت في غفلة قد حرمت نعيم الآخرة بسبب نعيم الدنيا
فيا لها مصيبة وحسرة نعم وعساك تجمع المال للتكاثر والعلو والفخر والزينة في الدنيا وقد بلغنا ان من طلب الدنيا ليكاثر بها
او ليفاخر لقي الله وهو عليه غضبان وانت غير مكترث لما حل بك من غضب الله تعالى حين اردت التكاثر والعلو نعم وعساك
المكث في الدنيا احب اليك من النقلة الى جوار الله تعالى وانت تكره لقاء الله والله للقائك اكره وانت في غفلة وعساك
تاسف على ما فاتك من عرض الدنيا وقد بلغنا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من اسف على دنيا فاتته اقترب من النار مسيرة سنة
وانت تاسف على ما فاتك غير مكترث بقربك من عذاب الله نعم ولعلك تخرج من دينك احيانا لتوفير دنياك وتفرح باقبال
الدنيا عليك وترتاح لذلك سرورا بها وقد بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احب الدنيا وسر بها ذهب وقد بلغنا
ذهب خوف الآخرة من قلبه وبلغنا ان بعض اهل العلم قال انك تحاسب على التحزن على ما فاتك من الدنيا وتحاسب بفرحك
في الدنيا اذا قدرت عليها وانت فرح بدنياك وقد سلبت الخوف من الله تعالى وعساك تعنى بامور دنياك اضعاف ما تعنى
به من امور آخرتك وعساك ترى ان مصيبتك في معاصيك اهون من مصيبتك في انتقاص دنياك نعم وخوفك من
ذهاب مالك اكثر من خوفك من الذنوب وعساك تبذل للناس ما جمعت من الاوساخ كلها للعلو والرفعة في الدنيا وعساك
ترضي المخلوقين مساخطا لله تعالى كيما تكرم وتعظم ويحك فكان احتقار الله لك في القيمة اهون عليك من احتقار الناس
اياك وعساك تخفي من المخلوقين مساويك ولا تكترث باطلاع الله عليك فيها فكان الفضيحة عند الله اهون عليك من الفضيحة
في الناس وكان العبيد اعلى عندك قدرا من الله تعالى عن جهلك فكيف تنطق عند ذوي الالباب وهذه المثالب فيك اف لك
متلوث في الاقذار تحتج بمال الابرار هيهات هيهات ما ابعدك عن السلف والله لقد بلغني انهم كانوا فيما احل لهم ازهد منكم فيما حرم عليكم

ان الذي لا بأس به عندكم كان كالموبقات عندهم وكانوا للزلة الصغيرة اشد استعظاما منكم لكبائر المعاصي فليت اطيب مالك واحله مثل شبهات اموالهم وليتك اشفقت من سيئاتك كما اشفقوا على حسناتهم ان لا تقبل منهم وليت صومك على مثل افطارهم وليت اجتهادك في العبادة مثل فتورهم ونومهم وليت جميع حسناتك مثل واحدة من سيئاتهم وقد بلغني عن بعض الصحابة انه قال غنيمة الصديقين ما فاتهم من الدنيا ونهمتهم ما زوي عنهم منها فمن لم يكن كذلك فليس معهم في الدنيا ولا معهم في الآخرة فسبحان الله كم بين الفريقين من التفاوت فريق خيار الصحابة في العلو عند الله وفريق امثالكم في السفالة او يعفو الله الكريم بفضله وبعد فان زعمت انك متأس بالصحابة في جمع المال للتعفف والبذل في سبيل الله فتدبر امرك ويحك هل تجد من الحلال في دهرك كما وجدوا في دهرهم او تحسب انك محتاط في طلب الحلال كما احتاطوا لقد بلغني ان بعض الصحابة قال كنا ندع سبعين بابا من الحلال مخافة ان نقع في باب من الحرام افتطمع في نفسك مثل هذا الاحتياط لا ورب الكعبة ما احسبك كذلك ويحك كن على يقين ان جمع المال لاعمال البر مكر من الشيطان ليوقعك في البر في اكتساب الشبهات الممزوجة بالسحت والحرام وقد بلغنا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من اجترى على الشبهات اوشك ان يقع في الحرام ويحك اما علمت ان خوفك من اقتحام الشبهات اعلى وافضل واعظم لقدرك عند الله من اكتساب الشبهات وبذلها في سبيل الله و سبيل البر بلغنا ذلك عن بعض اهل العلم قال لأن تدع درهما واحدا مخافة ان لا يكون حلالا خير لك من ان تتصدق بالف دينار من شبهة لا تدري ايحل لك ام لا فان زعمت انك اتقى واورع من ان تتلبس بالشبهات وانما تجمع المال بزعمك من الحلال للبذل في سبيل الله ويحك ان كنت كما زعمت بالغا في الورع فلا تتعرض للحساب فان خيار الصحابة خافوا المسألة بلغنا ان بعض الصحابة قال ما سرني ان اكتسب كل يوم الف دينار من حلال وانفقه في طاعة الله ولم يشغلني الكسب عن صلوة الجماعة قالوا ولم ذاك رحمك الله قال لاني غني عن مقام يوم القيمة فيقول الله عبدي من اين اكتسبت وفي اي شيء انفقت فهؤلاء المتقون كانوا في جدة الاسلام والحلال موجود لديهم تركوا المال وجلا من الحساب مخافة ان لا يقوم خير المال بشره وانت بغاية الامن والحلال في دهرك مفقود تتكالب على الاوساخ ثم تزعم انك تجمع المال من الحلال ويحك واين الحلال حتى تجمعه وبعد فلو كان الحلال موجودا لديك اما تخاف ان يتغير عند الغنى قلبك وقد بلغنا ان بعض الصحابة كان يرث المال الحلال موجودا فتركه مخافة ان يفسد قلبه افتطمع ان يكون قلبك انقى من قلب الصحابة فلا يزول عنه شيء من الحق في امرك واحوالك لئن ظننت ذلك لقد احسنت الظن بنفسك الامارة بالسوء ويحك اني لك ناصح ارى لك بالبلغة ولا تجمع المال لاعمال البر ولا تتعرض للحساب فانه بلغنا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من نوقش الحساب عذب وقال عليه السلام يؤتى بالرجل يوم القيمة وقد جمع مالا من حرام وانفقه في حرام فيقال اذهبوا به الى النار ويؤتى برجل قد جمع مالا من حلال و انفقه في حرام فيقال اذهبوا به الى النار ويؤتى برجل قد جمع مالا من حرام وانفقه في حلال فيقال اذهبوا به الى النار ويؤتى برجل قد جمع مالا من حلال وانفقه في حلال فيقال له قف لعلك ضيعت في طلب هذا شيئا مما فرضت عليك من صلوة لم تصلها لوقتها وفرطت في شيء من ركوعها وسجودها ووضوئها فيقول لا يا رب كسبت من حلال وانفقت في حلال ولم اضيع شيئا مما فرضت فيقال لعلك اختلت في هذا المال في شيء من مركب او ثوب او ما هيت به فيقول لا يا رب لم اختل ولم اباه في شيء فيقال لعلك منعت حق احد امرتك ان تعطيه فيأتي من ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل فيقول لا يا رب كسبت من حلال وانفقت في حلال ولم اضيع شيئا مما فرضت علي ولم اختل ولم اباه ولم اضيع حق احد امرتني ان اعطيه فيخاصمونه فيقول يا رب اعطيته واغنيته

واغنيته وجعلته بين ظهرنا وامرته ان يعطينا فان كان اعطاهم وما ضيع مع ذلك شيئا من الفرائض ولم يختل في شيء فيقال قف الآن هات شكر نعمة انعمتها عليك من اكلة او شربة او لقمة او لذة فلا يزال يسأل ويحك فمن ذا الذي يتعرض لهذه المسألة فمن الذي يتعرض لهذه المسألة التي كانت لهذا الرجل الذي تقلب في الحلال وقام بالحقوق كلها وادى الفرائض بحدودها حوسب هذه المحاسبة فكيف ترى يكون امثالنا الغرقى في فتن الدنيا وتخاليطها وشبهاتها وشهواتها وزينتها ويحك لاجل هذه المسألة يخاف المتقون ان يتلبسوا بالدنيا فرضوا بالكفاف منها وعملوا بانواع البر من كسب المال فلك ويحك بهؤلاء الاخيار اسوة فان ابيت ذلك وزعمت انك بالغ في الورع والتقوى ولم تجمع المال الا من حلال بزعمك للتعفف والبذل في سبيل الله ولم تنفق شيئا من الحلال الا بحق ولم يتغير بسبب المال قلبك عما يحب الله ولم تسخط الله في شيء من سرائرك وعلانيتك ويحك فان كنت كذلك ولست كذلك فقد ينبغي لك ان ترضى بالبلغة وتعتزل ذوي الاموال اذا وقفوا للسؤال وتسبق مع الرعيل الاول في زمرة المصطفى صلى الله عليه وسلم لا حبس عليك للمسألة والحساب فاما سلامة واما عطب فانه بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يدخل صعاليك المهاجرين قبل اغنيائهم الجنة بخمسمائة عام وقال عليه الصلوة والسلام يدخل فقراء المؤمنين الجنة قبل اغنيائهم الجنة بخمسمائة عام فيتمتعون ويأكلون والآخرون جثاة على ركبهم فيقول قبلكم طلبتي انتم حكام الناس وملوكهم فأروني ماذا صنعتم فيما اعطيتكم وبلغنا ان بعض اهل العلم قال ما يسرني ان لي حمر النعم ولا اكون في الرعيل الاول مع محمد صلى الله عليه وسلم وحزبه يا قوم فاستبقوا السباق مع المخفين في زمرة المرسلين وكونوا وجلين من التخلف والانقطاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما وجل المتقون لقد بلغني ان بعض الصحابة عطش فاستسقى فاتي بشربة من ماء وعسل فلما ذاقه خنقته العبرة ثم بكى وابكى ثم مسح الدموع عن وجهه وذهب ليتكلم فعاد في البكاء فلما اكثر البكاء قيل له اكل هذا من اجل هذه الشربة قال نعم بينا انا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وما معه في البيت احد غيري فجعل يدفع عن نفسه ويقول اليك عني فقلت له فداك ابي وامي ما ارى بين يديك احدا من تخاطب فقال هذه الدنيا تطاولت علي بعنقها وراسها فقالت لي يا محمد خذني فقلت لها اليك عني فقالت ان تنج مني يا محمد فانه لا ينجو مني من بعدك فاخاف ان تكون هذه الشربة قد لحقتني تقطعني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يا قوم هؤلاء الاخيار بكوا وجلا ان تقطعهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شربة من حلال ويحك انت في انواع النعم والشهوات من مكاسب السحت والشبهات لا تخشى الانقطاع اف لك ما اعظم جهلك ويحك فان تخلفت في القيمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد المصطفى لتنظرن الى اهوال جزعت منها الملائكة والانبياء ولئن قصرت عن السباق فليطولن عليك اللحاق ولئن اردت الكثرة لتصيرن الى حساب عسير ولئن لم تقنع بالقليل لتصيرن الى وقوف طويل وصراخ وعويل ولئن رضيت باحوال المختلفين لتنقطعن عن اصحاب اليمين وعن رسول رب العالمين ولتبطئن عن نعيم المتنعمين ولئن خالفت احوال المتقين لتكونن من المحتبسين في اهوال يوم الدين تدبر ويحك ما سمعت وبعد فان زعمت انك في مثال خيار السلف قنع بالقليل زاهد في الحلال بذول لماله مؤثر على نفسه لا تخشى الفقر ولا تدخر شيئا لغدك مبغض للتكاثر والغنى راض بالفقر والبلاء فرح بالقلة والمسكنة مسرور بالذل والضعة كاره للعلو والرفعة قوي في امرك لا يتغير عن الرشد قلبك قد حاسبت نفسك في الله واحكمت امورك كلها على ما وافق رضوان الله ولن توقف في المسألة ولا يحاسب مثلك من المتقين وانما تجمع المال الحلال للبذل في سبيل الله ويحك ايها المغرور وتدبر الامر فاحسن النظر اما علمت ان ترك الاشتغال بالمال وفراغ القلب بالذكر والتذكر والتذكار والفكر والاعتبار اسلم للدين وايسر للحساب واخف للمسألة وآمن من روعات القيمة واجزل

للثواب واعلى لقدرك عند الله اضعافا فقد بلغنا عن بعض الصحابة انه قال لو ان رجلا في حجره دنانير يعطيها والاخر يذكر
الله لكان الذاكر افضل وسئل بعض اهل العلم عن الرجل يجمع لاعمال البر فقال تركه ابر به وبلغنا ان بعض خيار التابعين
سئل بعض اهل العلم عن الرجل يجمع خيار التابعين عن رجلين احدهما طلب الدنيا حلالا فاصابها فوصل بها رحمه وقدم لنفسه
واما الاخر فانه جانبها فلم يطلبها ولم يتناولها فايهما افضل قال بعيد والله ما بينهما الذي جانبها افضل كما بين مشارق الارض
ومغاربها ويحك فهذا الفضل لك بترك الدنيا على من طلبها ولك في العاجل انك لو تركت الاشتغال بالمال ان ذلك اروح لقلبك
واقل لتعبك وانعم لعيشك وارضى لبالك واقل لهمومك فما عذرك في جمع المال وانت بترك المال افضل ممن ترك المال
لاعمال البر نعم وشغلك بذكر الله افضل من بذل المال في سبيل الله فاجتمع لك راحة العاجل مع السلامة والفضل في الاخرة
وبعد فلو كان في جمع المال فضل عظيم لوجب عليك في مكارم الاخلاق ان تتاسى بنبيك اذ هداك الله به وترضى ما اختاره
لنفسه من مجانبة الدنيا ويحك تدبر ما سمعت وكن على يقين ان السعادة والفوز في مجانبة الدنيا وامش مع لواء المصطفى
صلى الله عليه وسلم سابقا الى جنة الماوى فانه بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سادات المؤمنين في الجنة من اذا
تغدى لم يجد عشاء واذا استقرض لم يجد قرضا وليس له فضل كسوة الا ما يواريه ولم يقدر على ان يكتسب ما يغنيه يمسي مع ذلك
ويصبح راضيا عن ربه فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء الاية الا يا اخي متى جمعت هذا المال
من بعد هذا البيان فانك مبطل فيما ادعيت انك للبر والفضل تجمعه لا ولكنك خوفا من الفقر تجمعه وللتنعم والزينة والتكاثر
والفخر والعلو والرياء والسمعة والتعظم والتكرم تجمعه ثم تزعم انك لاعمال البر تجمع المال ويحك راقب الله واستحي
من دعواك ايها المغرور ويحك ان كنت مفتونا بحب المال والدنيا فكن مقرا ان الخير والفضل في الرضا بالبلغة ومجانبة الفضول
نعم وكن عند جمع المال مزريا على نفسك معترفا باساءتك وجلا من الحساب فذلك انجى لك واقرب الى الفضل من طلب الحجج
لجمع المال اخي اعلم ان دهر الصحابة كان الحلال فيه موجودا وكانوا مع ذلك من اورع الناس وازهدهم في المباح لهم
ونحن في دهر الحلال فيه مفقود فكيف لنا من الحلال بمبلغ القوت وستر العورة فاما جمع المال في دهرنا فاعاذنا الله واياكم من ذلك
وبعد فاين لنا مثل تقوى الصحابة وورعهم وزهدهم واحتياطهم واين لنا مثل ضمائرهم وحسن نياتهم دهينا ورب السماء
بادواء النفوس واهوائها وعن قريب يكون الورود فيا لسعادة المخفين يوم النشور وحزن طويل لاهل التكاثر والتخاليط
وقد نصحت لكم ان قبلتم والقابلون لهذا قليل وفقنا الله واياكم لكل خير برحمته هذا اخر كلامه وفيه كفاية في اظهار فضل الفقر
على الغنى ولا مزيد عليه ويشهد لذلك جميع الاخبار التي اوردناها في كتاب ذم الدنيا وفي كتاب الفقر والزهد ويشهد له ايضا
ما روي عن ابي امامة الباهلي ان ثعلبة بن حاطب قال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا فقال يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير
من كثير لا تطيقه قال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا قال يا ثعلبة اما لك في اسوة اما ترضى ان تكون مثل نبي الله اما
والذي نفسي بيده لو شئت ان تسير معي الجبال ذهبا وفضة لسارت قال والذي بعثك بالحق لئن دعوت الله ان يرزقني مالا
لاعطين كل ذي حق حقه ولافعلن ولافعلن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارزق ثعلبة مالا فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود
فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها ونزل واديا من اوديتها حتى جعل يصلي الظهر والعصر في الجماعة ويدع ما سواهما ثم نمت وكثرت
فتنحى حتى ترك الصلوات في الجماعة الا الجمعة وهي تنمو كما ينمو الدود حتى ترك الجمعة وطفق يلقى الركبان يوم الجمعة فيسالهم
عن الاخبار وسال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما فعل ثعلبة بن حاطب فقيل يا رسول الله اتخذ غنما فضاقت عليه

المدينة فتنحى عنها فاخبر بامره كله فقال يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة يا ويح قال فانزل الله تعالى خذ من اموالهم صدقة
تطهرهم وتزكيهم بها الاية وانزل الله تعالى فرائض الصدقة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من جهينة ورجلا من
بني سليم على الصدقة وكتب لهما كتابا باخذ الصدقة وامرهما ان يخرجا فياخذا الصدقة من المسلمين وقال لهما مرا بثعلبة بن حاطب
وبفلان رجل من بني سليم وخذا صدقاتهما فخرجا حتى اتيا ثعلبة فسالاه الصدقة واقرآه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا جزية ما هذه الا اخت الجزية ما هذا انطلقا حتى تفرغا ثم تعودا الي فانطلقا نحو السلمي
فسمع بهما فقام الى خيار اسنان ابله فعزلها للصدقة ثم استقبلهما بها فلما راياها قالا لا يجب عليك هذا وما نريد ان ناخذ
هذا منك قال بلى خذاها نفسي بها طيبة وانما هي لنا خذاها فلما فرغا من صدقاتهما رجعا حتى مرا بثعلبة فسالاه الصدقة فقال
اروني كتابكما فنظر فيه فقال هذا اخت الجزية انطلقا حتى ارى رايي فانطلقا حتى اتيا النبي صلى الله عليه وسلم فلما راهما
قال يا ويح ثعلبة قبل ان يكلماه ودعا للسلمي فاخبراه بالذي صنع ثعلبة وبالذي صنع السلمي فانزل الله تعالى في ثعلبة
ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فاعقبهم
نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما اخلفوا الله وبما كانوا يكذبون وكان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من اقارب ثعلبة
فسمع ما انزل الله تعالى فيه فخرج حتى جاء ثعلبة فقال لا ام لك يا ثعلبة قد انزل الله فيك كذا فخرج ثعلبة حتى اتى النبي
صلى الله عليه وسلم فساله ان يقبل منه صدقته فقال ان الله تعالى منعني ان اقبل منك صدقتك فجعل يحثو التراب على راسه
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم هذا عملك امرتك فلم تطعني فلما ابى ان يقبل منه شيئا رجع الى منزله فلما قبض رسول الله
صلى الله عليه وسلم جاء بها الى ابي بكر الصديق رضي الله عنه فابى ان يقبلها منه وجاء الى عمر بن الخطاب فابى ان يقبلها وتوفي
ثعلبة بعد في خلافة عثمان فهذا طغيان المال وشؤمه وقد عرفته من هذا الحديث ولاجل بركة الفقر وشؤم الغنى آثر رسول الله صلى الله
عليه وسلم الفقر لنفسه ولاهل بيته حتى روي عن عمران بن الحصين انه قال كانت لي من رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلة
وجاه فقال يا عمران ان لك عندنا منزلة وجاها فهل لك في عيادة فاطمة بنت رسول الله فقلت نعم بابي انت وامي
فقام وقمت معه حتى وقف بباب فاطمة عليها السلام فقرع الباب وقال السلام عليكم اادخل فقالت ادخل بابي انت وامي
يا رسول الله قال انا ومن معي قالت ومن معك يا رسول الله قالت والذي بعثك نبيا ما علي الا عباءة قال اصنعي بها هكذا و
هكذا واشار بيده فقالت هذا جسدي قد واريته فكيف براسي فالقى اليها ملاءة كانت عليه خلقة فقال شدي بها على
راسك ثم اذنت له فدخل فقال السلام عليك يا ابنتاه كيف اصبحت فقالت اصبحت والله وجعة وزادني وجعا على ما بي
اني لست اقدر على طعام آكله فقد اضر بي الجوع فبكى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا تجزعي يا ابنتاه فوالله ما ذقت
طعاما منذ ثلاث واني لاكرم على الله منك ولو سالت ربي لاطعمني ولكن آثرت الاخرة على الدنيا ثم ضرب بيده على منكبها
وقال لها ابشري فوالله انك لسيدة نساء اهل الجنة فقالت فاين آسية امراة فرعون ومريم بنت عمران فقال آسية سيدة
نساء عالمها ومريم سيدة نساء عالمها وخديجة سيدة نساء عالمها وانت سيدة نساء عالمك انكن في بيوت من قصب لا اذى فيها
ولا صخب ثم قال لها اقنعي بابن عمك فوالله لقد زوجتك سيدا في الدنيا سيدا في الاخرة فانظر الان الى حال فاطمة وهي بضعة
من رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف آثرت الفقر وتركت المال ومن راقب احوال الانبياء والاولياء واقوالهم وما ورد
من اخبارهم وآثارهم لم يشك في ان فقد المال افضل من وجوده وان صرف الى الخيرات اذ اقل ما فيه مع اداء الحقوق

والتوقي من الشبهات والصرف الى الخيرات اشتغال الهم باصلاحه وانصرافه عن ذكر الله اذ لا ذكر الا مع الفراغ ولا فراغ
مع شغل القلب وقد روي عن جرير عن ليث قال صحب رجل عيسى بن مريم عليهما السلام فقال اكون معك واصحبك فانطلقا
الى شط نهر فجلسا يتغديان ومعهما ثلاثة ارغفة فاكلا رغيفين وبقي رغيف فقام عيسى عليه الصلوة والسلام الى النهر فشرب
ثم رجع فلم يجد الرغيف فقال للرجل من اخذ الرغيف فقال لا ادري قال فانطلق معه صاحبه فراى ظبية معها خشفان لها
قال فدعا احدهما فاتاه فذبحه فاشتوى منه فاكل هو وذلك الرجل ثم قال للخشف قم باذن الله فقام فذهب فقال للرجل
اسألك بالذي اراك هذه الاية من اخذ الرغيف فقال ما ادري ثم انتهيا الى وادي ماء فاخذ عيسى بيد الرجل ومشيا على
الماء فلما جاوزا قال اسألك بالذي اراك هذه الاية من اخذ الرغيف قال لا ادري قال فانتهيا الى مفازة فجلسا فاخذ
عيسى عليه السلم يجمع ترابا او كثيبا ثم قال كن ذهبا باذن الله فصار ذهبا فقسمه ثلثة اثلاث فقال ثلث لي وثلث لك
وثلث لمن اخذ الرغيف قال فانا اخذت الرغيف قال فكله لك قال وفارقه عيسى صلى الله عليه وسلم فانتهى اليه رجلان وهو
في المفازة ومعه المال فارادا ان ياخذاه منه ويقتلاه فقال هو بيننا اثلاث قال فابعثوا احدكم الى القرية حتى يشتري طعاما
قال فبعثوا احدهم فقال الذي بعث لاي شيء اقاسم هؤلاء هذا المال لكني اضع في هذا الطعام سما فاقتلهما قال نفعل وقال
هؤلاء لاجل اي شيء نجعل لهذا ثلث المال ولكن اذا رجع قتلناه واقتسمنا بيننا فلما رجع اليهما قتلاه واكلا الطعام فماتا
فبقي ذلك المال في المفازة واولئك قتلى عنده فمر بهم عيسى عليه الصلوة والسلم على تلك الحال فقال لاصحابه هذه الدنيا
فاحذروها وحكي ان ذا القرنين اتى على امة من الامم ليس في ايديهم شيء مما يستمتع به الناس من دنياهم قد احتفروا قبورا فاذا
اصبحوا تعهدوا تلك القبور وكنسوها وصلوا عندها ورعوا البقل كما ترعى البهائم وقد قيض الله تعالى لهم في ذلك معايش
من نبات الارض فارسل ذو القرنين الى ملكهم فقال له اجب ذا القرنين فقال ما لي اليه حاجة فاقبل اليه ذو القرنين وقال
ارسلت اليك لتاتيني فابيت فها انا قد جئت اليك فقال له لو كان لي اليك حاجة لاتيتك فقال له ذو القرنين ما لي اراكم
على الحال الذي لم ار احدا من الامم عليها قالوا وما ذاك قال ليس لكم دنيا ولا شيء افلا اتخذتم الذهب والفضة فاستمتعتم
بها قالوا انا كرهناها لان احدا لم يعط منها شيئا الا تاقت نفسه ودعته الى ما هو افضل منه فقال ما بالكم قد احتفرتم قبورا
فاذا اصبحتم تعهدتموها فكنستموها وصليتم عندها قالوا اردنا اذا نظرنا اليها واملنا الدنيا منعتنا قبورنا من الامل
قال واراكم لا طعام لكم الا البقل من الارض افلا اتخذتم البهائم من الانعام فاحتلبتموها وركبتموها واستمتعتم بها فقالوا
كرهنا ان نجعل بطوننا قبورا لها ورأينا في نبات الارض بلاغا وانما يكفي ابن آدم ادنى العيش من الطعام وانما جاوز
الحنك من الطعام لم نجد له طعما كائنا ما كان من الطعام ثم بسط ملك تلك الارض يده خلف ذي القرنين فتناول جمجمة فقال
يا ذا القرنين اتدري من هذا قال لا ومن هو قال ملك من ملوك الارض اعطاه الله سلطانا على اهل الارض فغشم وظلم وعتا
فلما راى الله تعالى ذلك منه حسمه بالموت فصار كالحجر الملقى قد احصى الله عليه عمله حتى يجزيه في اخرته ثم تناول جمجمة اخرى
بالية فقال يا ذا القرنين هل تدري من هذا قال لا ومن هو قال هذا ملك ملكه الله بعده قد كان يرى ما يصنع الذي قبله
بالناس من الغشم والظلم والتجبر فتواضع وخشع لله تعالى وامر بالعدل في اهل مملكته فصار كما ترى قد احصى الله عليه
عمله حتى يجزيه في آخرته ثم اهوى الى جمجمة ذي القرنين فقال وهذه الجمجمة كان قد صارت كهاتين فانظر يا ذا القرنين
ما انت صانع فقال له يا ذا القرنين هل لك في صحبتي فاتخذك اخا ووزيرا وشريكا فيما اتاني الله من هذا المال قال ما اصلح

ما اصلح انا وانت في مكان ولا ان نكون جميعا قال ذو القرنين ولم قال من اجل ان الناس كلهم عدو لك ولي صديق
قال ولم ذلك قال يعادونك لما في يديك من الملك والمال والدنيا ولا اجد احدا يعاديني
لرفضي لذلك ولما عندي من الحاجة وقلة الشيء قال فانصرف عنه ذو القرنين
متعجبا منه ومتعظا به فهذه الحكايات تدلك على آفات الغنى
مع ما قدمناه من قبل ه ه ه ه

تم كتاب ذم المال والبخل
بفضل الله ومنه

والحمد لله تعالى حق حمده والصلوة والسلام على نبيه وعبده محمد واله وصحبه وذرياته ووفده

كتاب ذم الجاه والرياء وهو الكتاب الثامن من ربع المهلكات

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله علام الغيوب المطلع على سرائر القلوب المتجاوز عن كبائر الذنوب العالم بما تجنه الضمائر من خفايا الغيوب البصير بسرائر النيات وخفايا الطويات الذي لا يقبل من الأعمال إلا ما كان وافيا وخلص عن شوائب الرياء والشرك صافيا فإنه المنفرد بالملكوت والملك وهو أغنى الأغنياء عن الشرك والصلوة على محمد وآله وأصحابه المبرئين من الخيانة والإفك

أما بعد فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أخوف ما أخاف على أمتي الرياء والشهوة الخفية والرياء من الشهوة الخفية التي هي أخفى من دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء ولذلك عجز عن الوقوف على غوائلها سماسرة العلماء فضلا عن عامة العباد والأتقياء وهو من أواخر غوائل النفس وبواطن مكائدها وإنما يبتلى بها العلماء والعباد والمشمرون عن ساق الجد لسلوك سبيل الآخرة فإنهم مهما قهروا أنفسهم وجاهدوها وفطموها عن الشهوات وصانوها عن الشبهات وحملوها بالقهر على أصناف العبادات عجزت نفوسهم عن الطمع في المعاصي الظاهرة الواقعة على الجوارح وطلبت الاستراحة إلى التظاهر بالخير وإظهار العمل والعلم فوجدت مخلصا من مشقة المجاهدة إلى لذة القبول عند الخلق ونظرهم إليه بعين الوقار والتعظيم فسارعت إلى إظهار الطاعة وتوصلت إلى اطلاع الخلق ولم تقنع باطلاع الخالق وفرحت بحمد الناس ولم تقنع بحمد الله وحده وعلمت أنهم إذا عرفوا تركه للشهوات وتوقيه للشبهات وتحمله مشاق العبادات أطلقوا ألسنتهم بالمدح والثناء وبالغوا في التقريظ والإطراء ونظروا إليه بعين التوقير والاحترام وتبركوا بمشاهدته ولقائه ورغبوا في بركة دعائه وحرصوا على اتباع رأيه وفاتحوه بالخدمة والسلام وأكرموه في المحافل غاية الإكرام وسامحوه وتشوقوا إليه في قضاء الحاجات وقدموه في المجالس وآثروه من المطاعم والملابس وتصاغروا له متواضعين وانقادوا له في أغراضه موقرين وأصابت النفس في ذلك لذة هي أعظم اللذات وشهوة هي أغلب الشهوات فاستحقرت فيه ترك المعاصي والهفوات واستلانت خشونة المواظبة على الطاعات والعبادات لإدراكها في الباطن لذة اللذات وشهوة الشهوات وهو يظن أن حياته بالله وبعباداته المرضية وإنما حياته بهذه الشهوة الخفية التي تعمى عن دركها إلا العقول الناقدة القوية ويرى أنه مخلص في طاعة الله ومجتنب لمحارم الله والنفس قد أبطنت هذه الشهوة تزيينا للعباد وتصنعا للخلق وفرحا بما نالت من المنزلة والوقار وأحبطت بذلك ثواب الطاعات وأجور الأعمال وقد أثبت اسمه في ديوان المنافقين وهو يظن أنه عند الله من المقربين وهذه مكيدة للنفس لا يسلم منها إلا الصديقون ومهواة لا يرقى منها إلا المقربون ولذلك قيل آخر ما يخرج من رؤوس الصديقين حب الرياسة وإذا كان الرياء هو الداء الدفين الذي هو أعظم شبكة للشياطين وجب شرح القول في سببه وحقيقته ودرجاته وأقسامه وطرق معالجته والحذر منه ويتضح الغرض منه في ترتيب الكتاب على شطرين الشطر الأول

في حب الجاه والشهرة وفيه بيان ذم الشهرة وبيان فضيلة الخمول وبيان ذم الجاه وبيان معنى الجاه وحقيقته وبيان السبب في كونه محبوبا أشد من حب المال وبيان أن الجاه كمال وهمي وليس بكمال حقيقي وبيان ما يحمد من حب الجاه وما يذم وبيان السبب في حب المدح والثناء وكراهة الذم وبيان اختلاف أحوال الناس في المدح والذم فهي اثنا عشر فصلا منها تنشأ معاني الرياء فلا بد من تقديمها

بيان ذم الشهرة وانتشار الصيت

اعلم أن أصل الجاه هو انتشار الصيت والاشتهار وهو مذموم بل المحمود الخمول إلا من شهره الله لنشر دينه من غير تكلف طلب الشهرة منه قال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسب امرئ من الشر إلا من عصمه الله أن يشير الناس إليه بالأصابع في دينه ودنياه وقال جابر بن عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بحسب المرء من الشر إلا من عصمه الله من الشر أن يشير الناس إليه بالأصابع في دينه ودنياه إن الله تعالى لا ينظر إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم وإلى أعمالكم ولقد ذكر الحسن للحديث تأويلا لا بأس به إذ روى هذا الحديث فقيل له يا أبا سعيد إن الناس إذا رأوك أشاروا إليك بالأصابع فقال إنه لم يعن هذا إنما عنى به المبتدع في دينه والفاسق في دنياه وقال علي رضي الله عنه تبذل ولا تشتهر ولا ترفع شخصك لتذكر بعلم واكتم واصمت تسلم تسر الأبرار وتغيظ الفجار وقال إبراهيم بن أدهم ما صدق الله من أحب الشهرة وقال أيوب والله ما صدق الله عبد إلا سره أن لا يشعر بمكانه وعن خالد بن معدان أنه كان إذا كثرت حلقته قام مخافة الشهرة وعن أبي العالية أنه كان إذا جلس إليه أكثر من ثلاثة قام ورأى طلحة قوما يمشون معه نحوا من عشرة فقال ذباب طمع وفراش نار وقال سليمان بن حنظلة بينا نحن حول أبي بن كعب نمشي خلفه إذ رآه عمر فعلاه بالدرة فقال انظر يا أمير المؤمنين ما تصنع فقال إن هذا ذلة للتابع وفتنة للمتبوع وعن الحسن قال خرج ابن مسعود يوما من منزله فاتبعه الناس فالتفت إليهم فقال علام تتبعوني فوالله لو تعلمون ما أغلق عليه بابي ما اتبعني منكم رجلان وقال الحسن إن خفق النعال حول الرجال قل ما تلبث معه قلوب الحمقى وخرج الحسن ذات يوم فاتبعه قوم فقال هل لكم من حاجة وإلا فما عسى أن يبقى هذا من قلب المؤمن وروي أن رجلا صحب ابن محيريز في سفر فلما فارقه قال أوصني فقال إن استطعت أن تعرف ولا تعرف وتمشي ولا يمشى معك وتسأل ولا تسأل فافعل وخرج أيوب في سفر فشيعه ناس كثيرون فقال والله لولا أني أعلم أن الله تعالى يعلم من قلبي أني لهذا كاره لخشيت المقت من الله سبحانه وقال معمر عاتبت أيوب على طول قميصه فقال إن الشهرة فيما مضى كانت في طوله وهي اليوم في تشميره وقال بعضهم كنت مع أبي قلابة إذ دخل عليه رجل عليه أكسية فقال إياكم وهذا الحمار الناهق يشير به إلى طلب الشهرة وقال الثوري كانوا يكرهون الشهرتين الثياب الجيدة والثياب الرديئة إذ الأبصار تمتد إليهما جميعا وقال رجل لبشر بن الحارث أوصني فقال أخمل ذكرك وأطب مطعمك وكان حوشب يبكي ويقول بلغ اسمي مسجد الجامع وقال بشر ما أعرف رجلا أحب أن يعرف إلا ذهب دينه وافتضح وقال أيضا لا يجد حلاوة الآخرة رجل يحب أن يعرفه الناس

بيان فضيلة الخمول

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رب أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن مالك وقال ابن مسعود قال النبي صلى الله عليه وسلم رب ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره لو قال اللهم إني أسألك الجنة لأعطاه الجنة ولم يعطه من الدنيا شيئا وقال صلى الله عليه وسلم ألا أدلكم على أهل الجنة كل ضعيف مستضعف لو أقسم على الله لأبره وأهل النار كل متكبر جواظ وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أهل الجنة كل أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له الذين إذا استأذنوا على الأمراء لم يؤذن لهم وإذا خطبوا النساء لم ينكحوا وإذا قالوا لم ينصت لقولهم حوائج أحدهم تتلجلج في صدره لو قسم نوره يوم القيامة بين الناس لوسعهم وقال صلى الله عليه وسلم إن من أمتي من لو أتى أحدكم فسأله دينارا لم يعطه إياه ولو سأله درهما

لم يعطه اياه ولو ساله فلسا لم يعطه اياه ولو سال الله تعالى الجنة اعطاها اياه ولو ساله الدنيا لم يعطها اياه وما منعها
اياه لهوانه عليه ذو طمرين لا يؤبه له لو اقسم على الله لابره وروي ان عمر دخل المسجد فاذا هو بمعاذ بن جبل يبكي عند قبر رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال ما يبكيك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان اليسير من الرياء شرك وان الله تعالى يحب
الاتقياء الاخفياء الذين ان غابوا لم يفتقدوا وان حضروا لم يعرفوا قلوبهم مصابيح الهدى ينجون من كل غبراء مظلمة وقال محمد بن
سويد قحط اهل المدينة وكان بها رجل صالح ملازم لمسجد النبي صلى الله عليه وسلم فبيناهم في دعائهم اذ جاءهم رجل عليه طمران
خلقان فصلى ركعتين اوجز فيهما ثم بسط يديه فقال يا رب اقسمت عليك الا امطرت علينا الساعة فلم يرد يديه ولم يقطع دعاءه
حتى تغشت السماء بالغيم ومطروا حتى صاح اهل المدينة من مخافة الغرق فقال يا رب ان كنت تعلم انهم قد اكتفوا فارفع عنهم
فسكن المطر وتبع الرجل صاحب المطر حتى عرف منزله ثم بكر اليه فخرج اليه فقال اني اتيتك في حاجة قال ما هي قال تخصني بدعوة
قال سبحان الله انت انت وتسالني ان اخصك بدعوة قال ما الذي بلغك ما رايت قال اطعت الله فيما امرني ونهاني فسالت
الله فاعطاني وقال ابن مسعود كونوا ينابيع العلم مصابيح الهدى احلاس البيوت سرج الليل جدد القلوب خلقان الثياب تعرفون
في اهل السماء وتخفون في اهل الارض وقال ابو امامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اغبط اوليائي عبد مؤمن خفيف الحاذ
ذو حظ من صلوة احسن عبادة ربه واطاعه في السر وكان غامضا في الناس لا يشار اليه بالاصابع فصبر على ذلك فله الجنة
قال ثم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده فقال عجلت منيته وقل تراثه وقلت بواكيه وقال عبد الله بن عمر احب عباد الله
الى الله الغرباء قيل ومن الغرباء قال الفارون بدينهم يجتمعون يوم القيمة الى عيسى بن مريم وقال الفضيل بلغني ان الله تعالى
يقول في بعض ما يمن به على عبده الم انعم عليك الم استرك الم اخمل ذكرك وكان الخليل بن احمد يقول اللهم اجعلني عندك من ارفع
خلقك واجعلني في نفسي من اوضع خلقك واجعلني عند الناس من اوسط خلقك وقال الثوري وجدت قلبي يصلح بمكة و
المدينة مع قوم غرباء اصحاب قوت وعباء وقال ابرهيم بن ادهم ما قرت عيني يوما في الدنيا قط الا مرة وذلك اني بت ليلة
في بعض مساجد قرى الشام وكان بي وجع البطن فجرني المؤذن برجلي حتى اخرجني من المسجد وقال الفضيل ان قدرت
على ان لا تعرف فافعل وما عليك ان لا تعرف وما عليك ان لا يثنى عليك وما عليك ان تكون مذموما عند الناس اذا كنت
محمودا عند الله فهذه الاخبار والاثار تعرفك مذمة الشهرة وفضيلة الخمول وانما المطلوب بالشهرة وانتشار الصيت
هو الجاه والمنزلة في القلوب وحب الجاه هو منشا كل فساد فان قلت فاي شهرة تزيد على شهرة الانبياء والخلفاء الراشدين
وائمة العلماء فكيف فاتتهم فضيلة الخمول فاعلم ان المذموم طلب الشهرة فاما وجودها من جهة الله سبحانه وفعله من غير تكلف
من العبد فليس بمذموم نعم فيه فتنة على الضعفاء دون الاقوياء وهو كالغريق الضعيف اذا كان معه جماعة من الغرقى فالاولى
به ان لا يعرفه احد منهم فانهم يتعلقون به فيضعف عنهم فيهلك معهم واما القوي فالاولى ان يعرفه الغرقى ليتعلقوا به فينجيهم
ويثاب عليه **بيان** ذم حب الجاه قال الله تعالى تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا
جمع بين ارادة الفساد والعلو وبين ان الدار الاخرة للخالي عن الارادتين وقال تعالى من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف
اليهم اعمالهم وهم فيها لا يبخسون اولئك الذين ليس لهم في الاخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون
وهذا ايضا متناول بعمومه لحب الجاه فانه اعظم لذة من لذات الحيوة الدنيا واكثر زينة من زينتها وقال صلى الله عليه وسلم
حب الجاه والمال ينبتان النفاق كما ينبت الماء البقل وقال صلى الله عليه وسلم ما ذئبان ضاريان ارسلا في زريبة غنم باكثر

فسادا من حب الشرف والمال في دين الرجل المسلم وقال صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه انما هلاك الناس
باتباع الهوى وحب الثناء **بيان** معنى الجاه وحقيقته اعلم ان الجاه والمال هما ركنا الدنيا ومعنى المال ملك
الاعيان المنتفع بها ومعنى الجاه ملك القلوب المطلوب تعظيمها وطاعتها وكما ان الغني هو الذي يملك الدراهم والدنانير
اي يقدر عليهما ليتوصل بهما الى الاغراض والمقاصد وقضاء الشهوات وسائر حظوظ النفس فكذلك ذو الجاه هو الذي يملك قلوب
الناس اي يقدر على ان يتصرف فيها ليستعمل بواسطتها اربابها في اغراضه ومآربه وكما ان رب المال يكتسب الاموال بانواع
من الحرف والصناعات فكذلك طالب الجاه يكتسب قلوب الخلق بانواع من المعاملات ولا تصير القلوب مسخرة الا بالمعارف
والاعتقادات فكل من اعتقد القلب فيه وصفا من اوصاف الكمال انقاد له وتسخر له بحسب قوة اعتقاده وبحسب درجة
ذلك الكمال عنده وليس يشترط ان يكون الوصف كمالا في نفسه بل يكفي ان يكون كمالا عنده وفي اعتقاده وقد يعتقد ما ليس
كمالا كمالا ويذعن قلبه للموصوف به انقيادا ضروريا بحسب اعتقاده فان انقياد القلب حال للقلب واحوال القلوب تابعة لاعتقادات
القلوب وعلومها وتخيلاتها وكما ان محب المال يطلب ملك الارقاء والعبيد فطالب الجاه يطلب ان يسترق الاحرار و
يستعبدهم ويملك رقابهم ويملك قلوبهم بل الرق الذي يطلبه صاحب الجاه اعظم لان المالك يملك العبد قهرا والعبد متاب
بطبعه ولو خلي ورايه انسل عن الطاعة وصاحب الجاه يطلب الطاعة طوعا ويبغي ان يكون الاحرار عبيدا بالطبع والطوع
مع الفرح بالعبودية والطاعة له فما يطلبه فوق ما يطلبه مالك الرق بكثير فاذن معنى الجاه قيام المنزلة في قلوب الناس
اي اعتقاد القلوب لنعت من نعوت الكمال فيه فبقدر ما يعتقدون من كماله تذعن له قلوبهم وبقدر اذعان القلوب يكون
قدرته على القلوب وبقدر قدرته يكون فرحه وحبه للجاه فهذا هو الجاه وحقيقته وله ثمرات كالمدح والاطراء فان
المعتقد للكمال لا يسكت عن ذكر ما يعتقده فيثني عليه وكالخدمة والاعانة فانه لا يبذل نفسه في طاعته بقدر اعتقاده فيكون
سخره له مثل العبد في اغراضه وكالايثار وترك المنازعة والتعظيم والتوقير بالمفاتحة بالسلام وتسليم الصدر في المحافل و
التقديم في جميع المقاصد فهذه آثار تصدر عن قيام الجاه في القلب ومعنى قيام الجاه اشتمال القلب على اعتقاد صفات الكمال
في الشخص اما بعلم او عبادة او حسن خلق او نسب او ولاية او جمال في صورة او قوة في بدن او شيء مما يعتقده الناس كمالا فان هذه
الاوصاف كلها تعظم محله في القلوب فتكون سببا لقيام الجاه **بيان** سبب كون الجاه محبوبا بالطبع حتى لا يخلو عنه
قلب الا بشدة المجاهدة اعلم ان السبب الذي يقتضي كون الذهب والفضة وسائر انواع الاموال محبوبا هو بعينه يقتضي
كون الجاه محبوبا بل يقتضي ان يكون الذهب احب من الفضة مهما تساويا في المقدار وهو انك تعلم ان الدراهم والدنانير لا غرض
في اعيانهما اذ لا تصلح لمطعم ولا منكح ولا ملبس وانما هي والحصباء بمثابة ولكنهما محبوبتان لانهما وسيلة الى المحاب وذريعة الى قضاء
الشهوات فكذلك الجاه لان معنى الجاه ملك القلوب وكما ان ملك الذهب والفضة يفيد قدرة يتوصل الانسان بها الى
سائر اغراضه فكذلك ملك قلوب الاحرار والقدرة على استسخارها يفيد قدرة على التوصل الى جميع الاغراض فالاشتراك
في السبب اقتضى الاشتراك في المحبة وترجيح الجاه على المال اقتضى ان يكون الجاه احب من المال ولملك الجاه ترجيح على ملك
المال من ثلاثة اوجه الاول ان التوصل بالجاه الى المال ايسر من التوصل بالمال الى الجاه فالعالم او الزاهد الذي تقرر له جاه
في القلوب لو قصد اكتساب المال تيسر له فان اموال ارباب القلوب مسخرة للقلوب ومبذولة لمن اعتقد فيه الكمال واما
الرجل الخسيس الذي لا يتصف بصفة كمال اذا وجد كنزا ولم يكن له جاه يحفظ ماله واراد ان يتوصل بالمال الى الجاه لم يتيسر له

يبخل

احب من المال كما يقتضي ان يكون

فاذن الجاه آلة الى المال فمن ملك الجاه فقد ملك المال ايضا ومن ملك المال لم يملك الجاه بكل حال فلذلك صار
الجاه احب الثاني هو ان المال معرض للتلف بان يسرق ويغصب ويطمع فيه الملوك والظلمة ويحتاج فيه الى الحفظة
والحراس والخزائن ويتطرق اليه اخطار كثيرة واما القلوب اذا ملكت لم تتعرض لهذه الآفات فهي على الحقيقة خزائن عتيدة لا
يقدر عليها السراق ولا يتناولها ايدي الغصاب واثبت الاموال العقار ولا يؤمن فيه الغصب والظلم ولا يستغني عن
المراقبة والحفظ واما خزائن القلوب فهي محفوظة بانفسها وذو الجاه في امن وامان من الغصب والسرقة فيها نعم انما
تغصب القلوب بالتصنيف وتقبيح الحال وتغيير الاعتقاد فيما صدق به من اوصاف الكمال وذلك مما يهون دفعه ولا يتيسر
على محاوله فعله الثالث ان ملك القلوب يسري وينمو ويتزايد من غير حاجة الى تعب ومقاساة فان القلوب اذا
اذعنت لشخص واعتقدت كماله بعلم او عمل او غيره افصحت الالسنة لا محالة بما فيها فتصف ما تعتقده لغيرها وتقتنص
ذلك القلب له ولهذا المعنى يحب الطبع الصيت وانتشار الذكر لان ذلك اذا استطار في الاقطار اقتنص القلوب
ودعاها الى الاذعان والتعظيم فلا يزال يسري من واحد الى واحد ويتزايد وليس له مرد معين واما المال فمن ملك منه شيئا
فهو مالكه ولا يقدر على استنمائه الا بتعب ومقاساة والجاه ابدا في النماء بنفسه ولا مرد لموقعه والمال واقف ولهذا اذا
عظم الجاه وانتشر الصيت وانطلقت الالسنة بالثناء استحقرت الاموال في مقابلته فهذه مجامع ترجيحات الجاه على المال
واذا فصلت كثرت وجوه الترجيح فان قلت فالاشكال قائم في المال والجاه جميعا فلا ينبغي ان يحب الانسان المال
والجاه نعم القدر الذي يتوصل به الى جلب الملاذ ودفع المضار معلوم كالمحتاج الى الملبس والمسكن والمطعم وكالمبتلي
بمرض او بعقوبة اذا كان لا يتوصل الى دفع العقوبة عن نفسه الا بمال او جاه فحبه للمال والجاه معلوم اذ كل ما لا يتوصل
الى المحبوب الا به فهو محبوب وفي الطباع امر عجيب وراء هذا وهو حب جمع الاموال وكنز الكنوز وادخار الذخائر و
استكثار الخزائن وراء جميع الحاجات حتى لو كان للعبد واديان من ذهب لابتغى لهما ثالثا وكذلك يحب الانسان اتساع الجاه
وانتشار الصيت الى اقاصي البلاد التي يعلم قطعا انه لا يطؤها ولا يشاهد اصحابها ليعظموه او ليبروه بمال او ليعينوه
على غرض من اغراضه ومع اليأس من ذلك فانه يلتذ به غاية الالتذاذ وحب ذلك ثابت في الطبع ويكاد يظن ان ذلك
جهل فانه حب لما لا فائدة فيه لا في الدنيا ولا في الآخرة فنقول نعم هذا الحب لا تنفك عنه القلوب وله سببان احدهما
جلي يدركه الكافة والآخر خفي وهو اعظم السببين ولكنه ادقهما واخفاهما وابعدهما عن افهام الاذكياء فضلا عن الاغبياء
وذلك لاستمداده من عرق خفي في النفس وطبيعة مستكنة في الطبع لا يكاد يقف عليها الا الغواصون فاما السبب الاول فهو
دفع الم الخوف لان الشفيق بسوء الظن مولع والانسان وان كان مكفيا في الحال فانه طويل الامل ويخطر بباله ان المال الذي
الذي فيه كفايته ربما يتلف فيحتاج الى غيره فاذا خطر ذلك بباله هاج الخوف من قلبه ولا يدفع الم الخوف الا الامن
الحاصل بوجود مال آخر يفزع اليه ان اصابت هذا المال جائحة فهو ابدا لشفقته على نفسه وحبه للحياة يقدر طول الحياة
ويقدر هجوم الحاجات ويقدر امكان تطرق الآفات الى الاموال ويستشعر الخوف من ذلك فيطلب ما يدفع خوفه وهو
كثرة المال حتى ان اصيب بطائفة من ماله استغنى بالآخر وهذا خوف لا موقف له عند مقدار مخصوص من المال
فلذلك لم يكن لمطلبه موقف الى ان يملك جميع ما في الدنيا ولذلك قال صلى الله عليه وسلم منهومان لا يشبعان منهوم
بالعلم ومنهوم بالمال ومثل هذه العلة تطرد في حبه قيام المنزلة والجاه في قلوب الاباعد عن وطنه وبلده فانه لا يخلو عن

عن تقدير سبب يزعجه عن الوطن او يزعج اولئك عن اوطانهم الى وطنه ويحتاج الى الاستعانة بهم ومهما كان ذلك
ممكنا ولم يكن احتياجه اليهم مستحيلا احالة ظاهرة كان للنفس فرح ولذة بقيام الجاه في قلوبهم لما فيه من الامن من هذا
الخوف واما السبب الثاني وهو الاقوى ان الروح امر رباني به وصفه الله تعالى اذ قال ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي
ومعنى كونه ربانيا من اسرار علوم المكاشفة ولا رخصة في اظهاره اذ لم يظهره رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنك قبل
معرفة ذلك تعلم ان للقلب ميلا الى صفات بهيمية كالاكل والوقاع والى صفات سبعية كالقتل والضرب والايذاء والى صفات
شيطانية كالمكر والخديعة والاغواء والى صفات ربوبية كالكبر والعز والتجبر وطلب الاستعلاء وذلك لانه مركب من اصول
مختلفة يطول تفصيلها فهو لما فيه من الامر الرباني يحب الربوبية بالطبع ومعنى الربوبية التوحد بالكمال والتفرد بالوجود
على سبيل الاستقلال فصار الكمال من صفات الالهية وصار محبوبا بالطبع للانسان والكمال في التفرد بالوجود فان المشاركة
في الوجود نقص لا محالة فكمال الشمس في انها موجودة وحدها فلو كان معها شمس اخرى كان ذلك نقصانا في حقها اذ لم تكن منفردة
بكمال معنى الشمسية والمنفرد بالوجود هو الله تعالى اذ ليس معه موجود سواه فان ما سواه اثر من آثار قدرته لا قوام له بذاته بل هو
قائم به فلم يكن موجودا معه لان المعية توجب المساواة في الرتبة والمساواة في الرتبة نقصان في الكمال بل الكامل من لا
نظير له في رتبته وكما ان اشراق نور الشمس في الآفاق ليس نقصانا في الشمس بل هو من جملة كمالها وانما نقصان الشمس بوجود
شمس اخرى تساويها في الرتبة مع الاستغناء عنها فكذلك وجود كل ما في العالم يرجع الى اشراق انوار القدرة فيكون تابعا ولا يكون
لا قوام له بذاته بل هو قائم به فلم يكن موجودا معه لان المعية توجب المساواة في الرتبة والمساواة في الرتبة نقصان في
الكمال بل الكامل لا نظير له في رتبته معا فلان الربوبية التفرد بالوجود وهو الكمال وكل انسان فانه بطبعه محب لان يكون هو
المنفرد بالكمال ولذلك قال بعض مشايخ الصوفية ما من انسان الا وفي باطنه ما صرح به فرعون من قوله انا ربكم الاعلى
ولكنه ليس يجد له مجالا وهو كما قال فان العبودية قهر على النفس والربوبية محبوبة بالطبع وذلك للنسبة الربانية التي رمز
اليها قوله تعالى قل الروح من امر ربي ولكن لما عجزت النفس عن درك منتهى الكمال لم يسقط شهوتها للكمال فهي محبة للكمال ومشتهية
له وملتذة به لذاته لا لمعنى آخر وراء الكمال فكل موجود فهو محب لذاته ولكمال ذاته ومبغض للهلاك الذي هو عدم ذاته او عدم
صفات الكمال من ذاته وانما الكمال بعد ان يسلم له التفرد بالوجود في الاستيلاء على كل الموجودات فان اكمل الكمال ان يكون وجود
غيرك منك فان لم يكن منك فان تكون مستوليا عليه فصار الاستيلاء على الكل محبوبا بالطبع لانه نوع كمال وكل موجود يعرف
ذاته فانه يحب ذاته وكمال ذاته ويلتذ به الا ان الاستيلاء على الشيء بالقدرة على التأثير فيه وعلى تغييره بحسب الارادة وكونه
مسخرا لك تردده كيف تشاء فاحب الانسان ان يكون له الاستيلاء على كل الاشياء الموجودة معه الا ان الموجودات منقسمة
الى ما لا يقبل التغيير في نفسه كذات الله تعالى وصفاته والى ما يقبل التغيير ولكن لا يستولي عليها قدرة الخلق كالافلاك والكواكب
وملكوت السماوات ونفوس الملائكة والجن والشياطين وكالجبال والبحار وما تحت الجبال والبحار والى ما يقبل التغيير بقدرته
كالارض واجزائها وما عليها من المعادن والنبات والحيوان ومن جملتها قلوب الناس فانها قابلة للتأثر والتغير مثل اجسادهم
واجساد الحيوانات فاذا انقسمت الموجودات الى ما يقدر الانسان على التصرف فيه كالارضيات والى ما لا يقدر كالسماويات
بالعلم والاحاطة والاطلاع على اسرارها فان ذلك نوع استيلاء اذ المعلوم المحاط به كالداخل تحت العلم والعالم كالمستولي
عليه فلذلك احب ان يعرف الله والملائكة والافلاك والكواكب وجميع عجائب السموات وعجائب البحار وغيرها لان ذلك

نوع استيلاء عليها والاستيلاء نوع كمال وهذا ايضاهى اشيا ومن عجز عن وضعة عجيبة الى معرفة طريق الصنعة فيها لكن يعجز عن
وضع الشطرنج فانه قد يشتهي ان يعرف اللعب به انه كيف يوضع وكمونه صنعة عجيبة في الهندسة او الشعبذة او جر
الثقيل وغيره وهو مستشعر في نفسه نقص العجز والقصور عنه لكنه يشتاق الى معرفة كيفية فهو متالم بنقص العجز ومتلذذ بكمال
العلم واما القسم الثاني وهو ان الارضيات التي يقدر الانسان عليها فانه يحب بالطبع ان يستولي عليها بالقدرة على التصرف
فيها كيف يريد وهو قسمان اجساد وارواح الاجساد الدراهم والدنانير والامتعة فيجب ان يكون قادرا عليها يفعل فيها ما شاء
من الرفع والوضع والتسليم والمنع فان ذلك قدرة والقدرة كمال والكمال من صفات الربوبية والربوبية محبوبة بالطبع
فلذلك احب الاموال وان كان لا يحتاج اليها في ملبسه ومطعمه وفي شهوات نفسه ولذلك طلب استرقاق العبيد واستعباد
اشخاص الاحرار ولو بالقهر والغلبة حتى يتصرف في اجسادهم واشخاصهم بالاستسخار وان لم يملك قلوبهم فانه ربما لم
يعتقد كماله حتى يصير محبوبا ويقوم منزلته فيها فالحشمة القهرية ايضا لذيذة لما فيه من القدرة ٥ القسم الثاني نفوس
الادميين وقلوبهم وهي انفس ما على وجه الارض فهو يحب ان يكون له استيلاء وقدرة عليها لتكون مسخرة له ومتصرفة تحت
اشارته وارادته لما فيه من كمال الاستيلاء والتشبه بالصفات الربوبية والقلوب انما تسخر بالحب ولا تحب الا باعتقاد
الكمال فان كل كمال محبوب لان الكمال من الصفات الالهية والصفات الالهية كلها محبوبة بالطبع للمعنى الرباني في جملة معاني
الانسان وهو الذي لا يبليه الموت فيعدمه ولا يتسلط عليه التراب فياكله فانه محل الايمان والمعرفة وهو الواصل الى لقاء
الله تعالى والساعي اليه فاذن معنى الجاه تسخر القلوب ومن تسخرت القلوب له كانت له قدرة واستيلاء عليها والقدرة و
الاستيلاء كمال وهو من اوصاف الربوبية فاذن محبوب القلب بطبعه الكمال بالعلم والقدرة والمال والجاه من اسباب القدرة
ولا نهاية للمعلومات ولا نهاية للمقدورات وما دام يبقى معلوم ومقدور فالشوق لا يسكن والنقصان لا يزول
ولذلك قال عليه الصلوة والسلام منهومان لا يشبعان فاذن مطلوب القلب الكمال والكمال بالعلم والقدرة وتفاوت
الدرجات فيه غير محصور فسرور كل انسان ولذته بقدر ما يدركه من الكمال فهذا هو السبب في كون العلم والمال والجاه محبوبا
وهو امر وراء كونه محبوبا لاجل التوصل الى قضاء الشهوات فان هذه العلة قد تبقى مع سقوط الشهوات بل يحب الانسان
من العلم ما لا يصلح للتوصل به الى الاغراض بل ربما يفوت عليه جملة من الاغراض والشهوات ولكن الطبع يتقاضى طلب العلم
في جميع العجائب والمشكلات لان في العلم استيلاء على المعلوم وهو نوع من الكمال الذي هو من صفات الربوبية فكان محبوبا
بالطبع الا ان في حب كمال العلم والقدرة اغاليط لا بد من بيانها

بيان الكمال الحقيقي والكمال الوهمي الذي لا حقيقة له

قد عرفت انه لا كمال بعد فوات التفرد بالوجود الا في العلم والقدرة ولكن الكمال الحقيقي فيه ملتبس بالكمال الوهمي وبيانه ان كمال
العلم لله سبحانه وذلك من ثلاثة اوجه احدها من حيث كثرة المعلومات وسعتها فانه محيط بجميع المعلومات فلذلك كلما كانت
علوم العبد اكثر كانت اقرب الى الله تعالى والثاني من حيث تعلق العلم بالمعلوم على ما هو به وكون المعلوم مكشوفا به كشفا
تاما فان المعلومات مكشوفة لله تعالى باتم انواع الكشف على ما هي عليه فكذلك مهما كان علم العبد اوضح واتقن واصدق واوفق
للمعلوم في تفاصيل صفات المعلوم كان اقرب الى الله سبحانه والثالث من حيث بقاء العلم ابد الاباد لا يتغير ولا يزول فان
علم الله تعالى باق لا يتصور ان يتغير فكذلك مهما كان علم العبد بمعلومات لا تقبل التغير والانقلاب كان اقرب الى الله سبحانه
والمعلومات قسمان متغيرات وازليات اما المتغيرات فمثاله العلم بكون زيد في الدار فانه علم له معلوم ولكن يتصور ان يخرج

ان يخرج زيد من الدار ويبقى اعتقاد كونه في الدار كما كان فينقلب جهلا فيكون نقصانا لا كمالا فكل ما اعتقدته اعتقادا
موافقا له وتصور ان ينقلب المعتقد فيه عما اعتقدته كنت بصدد ان ينقلب كمالك نقصانا ويعود علمك جهلا ويلتحق بهذا
المثال جميع متغيرات العالم كعلمك مثلا بارتفاع جبل ومساحة ارض وتعدد البلاد وتباعد ما بينها من الاميال والفراسخ
وسائر ما يذكر في المسالك والممالك وكذلك العلم باللغات التي هي اصطلاحات تتغير بتغير الاعصار والامم والعادات
فهذه علوم معلومها مثل الزيبق يتغير من حال الى حال فليس فيه كمال الا في الحال ولا يبقى كمالا في القلب ٥ والقسم الثاني
هي المعلومات الازلية وهي جواز الجائزات ووجوب الواجبات واستحالة المستحيلات فان هذه معلومات ازلية ابدية
اذ لا يستحيل الواجب قط جائزا ولا الجائز محالا ولا المحال واجبا وكل هذه الاقسام داخل في معرفة الله وما يجب له وما يستحيل
في صفاته ويجوز في افعاله فالعلم بالله وبصفاته وافعاله وحكمته في ملكوت السماء والارض وترتيب الدنيا والاخرة وما
يتعلق به هو الكمال الحقيقي الذي يقرب من يتصف به من الله تعالى ويبقى كمالا للنفس بعد الموت فتكون هذه المعرفة نورا للعارفين
بعد الموت يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا اي تكون هذه المعرفة نورا للعارفين راس مال يوصل لتما
نورنا اي تكون هذه المعرفة الى الكشف ما لم ينكشف في الدنيا كما ان من معه سراج خفي فانه يجوز ان يصير ذلك سببا لزيادة النور
بسراج اخر يقتبس منه فيكمل النور بذلك النور الخفي على سبيل الاستتمام ومن ليس معه اصل السراج لا مطمع له في ذلك
فمن ليس له اصل معرفة الله تعالى لم يكن له مطمع في هذا النور فيبقى كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها بل كظلمات في بحر لجي
يغشه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض فاذن لا سعادة الا في معرفة الله تعالى واما ما عدا ذلك
من المعارف فمنها ما لا فائدة لها اصلا كمعرفة الشعر وانساب العرب وغيرهما ومنها ما له فائدة في الاعانة على معرفة الله كمعرفة لغة
العرب والتفسير والفقه والاخبار فان معرفة لغة العرب تعين على معرفة تفسير القرآن ومعرفة التفسير تعين على معرفة ما في القرآن
من كيفية العبادات والاعمال التي تفيد تزكية النفس ومعرفة طريق تزكية النفس تفيد في استعداد النفس لقبول الهداية الى
معرفة الله سبحانه كما قال الله سبحانه قد افلح من زكيها وقال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فتكون جملة هذه المعارف
كالوسائل الى تحقيق معرفة الله تعالى وانما الكمال في معرفة الله ومعرفة صفاته وافعاله وينطوي فيه جميع المعارف المحيطة
بالموجودات اذ الموجودات كلها من افعاله فمن عرفها من حيث هي فعل الله تعالى ومن حيث ارتباطها بالقدرة والارادة
والحكمة فهي من تكملة معرفة الله تعالى هذا حكم كمال العلم الذي ذكرناه ان لم يكن لائقا باحكام الجاه والرياء ولكن اوردناه لاستيفاء
اقسام الكلام واما القدرة فليس فيها كمال حقيقي للعبد بل للعبد علم حقيقي وليس له قدرة حقيقية وانما القدرة
الحقيقية لله وما يحدث من الاشياء عقيب ارادته وقدرته وحركته فهي حادثة باحداث الله كما حررناه في كتاب الصبر
والشكر وكتاب التوكل وفي مواضع شتى من ربع المنجيات فكمال العلم يبقى معه بعد الموت ويوصله الى الله سبحانه فاما
كمال القدرة فلا نعم له كمال من جهة القدرة بالاضافة الى الحال وهي وسيلة له الى كمال العلم كسلامة اطرافه وقوة يده
للبطش ورجله للمشي وحواسه للادراكات فان هذه القوى آلة للوصول بها الى حقيقة كمال العلم وقد يحتاج في استبقاء هذه
القوى الى القدرة بالمال والجاه للتوصل به الى المطعم والملبس والمسكن وذلك الى قدر معلوم فان لم يستعمله للوصول به الى معرفة
الله تعالى فلا خير فيه البتة الا من حيث اللذة الحالية التي تنقضي على القرب ومن ظن ذلك كمالا فقد جهل والخلق كلهم هالكون في
غمرة هذا الجهل فانهم يظنون ان القدرة على الاجساد بقهر الحشمة وعلى اعيان الاموال بسعة الغنى وعلى تعظيم القلوب

بسعة الجاه كمال فلما اعتقدوه ذلك احبوه ولما احبوه طلبوه شغلوا به وتهالكوا عليه فنسوا الكمال الحقيقي الذي يوجب القرب
من الله تعالى ومن ملائكته وهو العلم والحرية اما العلم فما ذكرناه من معرفة الله تعالى واما الحرية فالخلاص من اسر الشهوات وغموم
الدنيا والاستيلاء عليها بالقهر تشبها بالملائكة الذين لا تستفزهم الشهوة ولا يستهويهم الغضب فان دفع اثار الغضب والشهوة
عن النفس من الكمال الذي هو من صفات الملائكة ومن صفات الكمال لله تعالى استحالة التغير والتاثر عليه فمن كان عن
التغير والتاثر بالعوارض ابعد كان الى الله اقرب وبالملائكة اشبه ومنزلته عند الله اعظم وهذا كمال ثالث سوى كمال العلم والقدرة
وانما لم نورده في اقسام الكمال لانه حقيقته ترجع الى عدم نقصان فان التغير نقصان اذ هو عبارة عن عدم صفة كائنة وهلاكها
والهلاك نقص في الذات وفي صفات الكمال للذات فاذن الكمالات ثلاثة ان عددنا عدم التغير بالشهوات وعدم الانقياد لها
كمالا كمال العلم وكمال القدرة وكمال الحرية واعني به عدم العبودية للشهوات وارادات الاسباب الدنيوية وللعبد طريق الى اكتساب
كمال القدرة العلم وكمال الحرية ولا طريق له الى اكتساب كمال القدرة الباقية بعد موته اذ قدرته على اعيان الاموال وعلى استخدام
القلوب والابدان تنقطع بالموت ومعرفته وحريته لا تنعدم بالموت بل تبقى كمالا فيه ووسيلة الى القرب من الله تعالى
فانظر كيف انقلب الجاهلون واكبوا على وجوههم انكباب العميان فاقبلوا على طلب كمال القدرة بالجاه والمال وهو الكمال
الذي لا يسلم وان سلم فلا بقاء له واعرضوا عن كمال الحرية والعلم الذي اذا حصل كان ابديا لا انقطاع له وهؤلاء هم الذين
اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة فلا جرم لا يخفف عنهم العذاب ولا ينصرون وهم الذين لم يفهموا قوله تعالى المال والبنون زينة
الحيوة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا فالعلم والحرية هي الباقيات الصالحات التي تبقى كمالا في النفس
والمال والجاه هو الذي ينقضي على القرب وهو كما مثله الله تعالى حيث قال انما مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء الاية
وقوله تعالى واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا الى قوله فاصبح هشيما تذروه الرياح فكل ما تذروه رياح الموت فهو الباقيات
الصالحات فقد عرفت بهذا ان كمال القدرة بالمال والجاه كمال ظني لا اصل له وان من قصر الوقت على طلبه وظنه مقصودا
فهو جاهل والى هذا اشار ابو الطيب المتنبي بقوله ... ومن ينفق الساعات في جمع ماله ... مخافة فقر فالذي فعل الفقر ...
 ...
فهو جاهل الا قدر البلغة منه الى الكمال الحقيقي بيان ما يحمد من حب المال والجاه وما يذم منهما عرفت ان معنى الجاه ملك
القلوب والقدرة عليها فحكمها حكم ملك الاموال فانه عرض من اعراض الحيوة الدنيا وينقطع بالموت كالمال والدنيا مزرعة الاخرة
بكل ما خلق في الدنيا فيمكن ان يتزود منه للاخرة وكما انه لا بد من ادنى مال لضرورة المطعم والملبس فلا بد من ادنى جاه لضرورة المعيشة
مع الخلق والانسان كما لا يستغني عن طعام يتناوله فيجوز ان يحب الطعام او المال الذي يبتاع به الطعام فكذلك لا يخلو
من الحاجة الى خادم يخدمه ورفيق يعينه وسلطان يحرسه ويدفع عنه ظلم الاشرار فحبه لان يكون له في قلب خادمه من المحل ما
يدعوه الى الخدمة ليس بمذموم وحبه لان يكون في قلب رفيقه من المحل ما يحسن به مرافقته ومعاونته ليس بمذموم وحبه لان يكون
له في قلب استاذه من المحل ما يحسن به ارشاده وتعليمه والعناية به ليس بمذموم وحبه لان يكون له من المحل في قلب سلطانه ما
يحثه ذلك على دفع الشر عنه ليس بمذموم فان الجاه وسيلة الى الاغراض كالمال فلا فرق بينهما الا ان التحقيق في هذا يفضي الى ان
لا يكون المال والجاه في اعيانهما محبوبا بل ينزل ذلك منزلة حب الانسان ان يكون في داره بيت ماء لانه مضطر اليه لقضاء حاجته
ويود لو استغنى عن قضاء الحاجة حتى يستغني عن بيت الماء فكل ما يراد للتوسل الى محبوب فالمحبوب به المقصود المتوسل
اليه وتدرك التفرقة بمثال وهو ان الرجل قد يحب زوجته من حيث انه يدفع بها فضلة الشهوة كما يدفع ببيت الماء فضلة
الطعام ولو كفي مؤنة الشهوة لكان يهجر زوجته كما انه لو كفي قضاء حاجته لكان لا يدخل بيت الماء ولا يدور به وقد يحب الرجل زوجته
لزوجته لذاتها حب العشاق ولو كفي الشهوة لبقي مستصحبا لنكاحها فهذا هو الحب دون الاول فكذلك الجاه والمال
قد يحب كل واحد منهما على هذين الوجهين فحبهما لاجل التوصل الى مهمات البدن غير مذموم وحبهما لاعيانهما فيما يجاوز ضرورة
البدن وحاجته مذموم ولكنه لا يوصف صاحبه بالفسق والعصيان ما لم يحمله الحب على مباشرة معصية وما لم يتوصل
الى اكتسابه بكذب وخداع وارتكاب محظور وما لم يتوصل الى اكتسابه بعبادة فان التوصل الى الجاه والمال بالعبادة جناية
على الدين وهو حرام واليه يرجع معنى الرياء المحظور كما سياتي فان قلت طلب الجاه والمنزلة في قلب استاذه وخادمه ورفيقه و
سلطانه ومن يرتبط به امره مباح على الاطلاق كيف ما كان او يباح الى حد مخصوص وعلى وجه مخصوص فاقول يطلب ذلك
على ثلاثة اوجه وجهان منها مباح ووجه منها محظور اما الوجه المحظور فهو ان يطلب قيام المنزلة في قلوبهم باعتقادهم صفة
هو منفك عنها مثل العلم والورع والنسب فيظهر لهم انه علوي او عالم او ورع ولا يكون كذلك فهذا حرام لانه تلبيس وكذب
اما بالقول واما بالمعاملة واما المباح فهو ان يطلب المنزلة في قلوبهم بصفة هو متصف بها كقول يوسف عليه السلام
فيما اخبر عنه الرب سبحانه اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم فانه طلب المنزلة في قلبه بكونه حفيظا عليما وكان محتاجا
اليه وكان صادقا فيه والثاني ان يطلب اخفاء عيب من عيوبه ومعصية من معاصيه حتى لا يعلم فلا تزول منزلته به فهو ايضا
مباح لان حفظ الستر على القبائح جائز ولا يجوز هتك الستر واظهار القبيح وهذا ليس فيه تلبيس بل هو سد لطريق العلم
بما لا فائدة في العلم به كالذي يخفي عن السلطان انه يشرب الخمر ولا يلقي اليه انه ورع فان قوله اني ورع تلبيس وعدم
اقراره بالشرب لا يوجب اعتقاده الورع بل يمنع العلم بالشرب ومن جملة المحظورات تحسين الصلوة م ... بين يديه ليحسن فيه اعتقاده فان ذلك رياء وهو تلبيس اذ يخيل اليه انه من المخلصين
الخاشعين لله وهو مراء بما يفعله فكيف يكون مخلصا فطلب الجاه بهذا الطريق حرام وكذا بكل معصية وذلك يجري مجرى
اكتساب المال الحرام من غير فرق وكما لا يجوز له ان يملك مال غيره بتلبيس في عوض وغيره فلا يجوز له ان يملك قلبه بتزوير وخداع
فان ملك القلوب اعظم من ملك الاموال بيان السبب في حب المدح والثناء وارتياح النفس به وميل الطباع اليه و
بغضها للذم ونفرتها منه اعلم ان لحب المدح والتلذذ به اربعة اسباب الاول وهو الاقوى شعور النفس بالكمال
فانا قد بينا ان الكمال محبوب وكل محبوب فادراكه لذيذ فمهما شعرت النفس بكمالها ارتاحت واهتزت وتلذذت والمدح
يشعر نفس الممدوح بكمالها فان الوصف الذي به مدح لا يخلو اما ان يكون جليا ظاهرا او يكون مشكوكا فيه فان كان جليا
ظاهرا او يكون محسوسا كانت اللذة فيه اقل ولكنه لا يخلو عن لذة كالثناء عليه بانه طويل القامة ابيض اللون فان هذا
نوع كمال ولكن النفس تغفل عنه فتخلو عن لذته فاذا استشعرته لم يخل حدوث الشعور عن حدوث لذة وان كان ذلك الوصف
مما يتطرق اليه الشك فاللذة فيه اعظم كالثناء عليه بكمال العلم وكمال الورع او بالحسن المطلق فان الانسان ربما يكون
شاكا في كمال حسنه وكمال ورعه وكمال علمه ويكون مشتاقا الى زوال هذا الشك بان يصير مستيقنا لكونه عديم النظير في
هذه الامور اذ تطمئن نفسه اليه فاذا ذكره غيره اورث ذلك طمانينة وثقة باستشعار ذلك الكمال فيعظم لذته وانما
تعظم اللذة بهذه العلة مهما صدر الثناء من بصير بهذه الصفات خبير بها لا يجازف في الكلام ولا يقول الا عن تحقيق
وذلك كفرح التلميذ بثناء استاذه عليه بالكياسة والذكاء وغزارة الفضل فانه في غاية اللذة وان صدر ممن يجازف في
الكلام او لا يكون بصيرا في ذلك الوصف ضعفت اللذة وبهذه العلة يبغض الذم ايضا ويكرهه لانه يشعره بنقصان
نفسه والنقصان ضد الكمال المحبوب فهو ممقوت والشعور به مولم ولذلك يعظم الالم اذا صدر الذم من بصير موثوق به

كما ذكرناه في المدح **السبب الثاني** ان المدح يدل على ان قلب المادح مملوك للممدوح وانه مريد له ومعتقد فيه ومسخر تحت مشيئته وملك القلوب محبوب والشعور بحصوله لذيذ وبهذه العلة تعظم اللذة مهما صدر الثناء ممن تتسع قدرته وينتفع باقتناص قلبه كالملوك والاكابر ويضعف مهما كان المثني ممن لا يؤبه له ولا يقدر على شيء فان القدرة عليه بملك قلبه قدرة على امر حقير فلا يدل المدح الا على قدرة قاصرة وبهذه العلة ايضا يكره الذم ويتألم به القلب واذا كان من الاكابر كانت نكايته اعظم لان الفائت به اعظم **السبب الثالث** ان ثناء المثني ومدح المادح سبب لاصطياد قلب كل من يسمعه لا سيما اذا كان ذلك ممن يلتفت الى قوله ويعتد بثنائه وهذا يختص بثناء يقع على الملأ فلا جرم كلما كان الجمع اكثر والمثني اجدر بان يلتفت الى قوله كان المدح الذ والذم اشد على النفس **السبب الرابع** ان المدح يدل على حشمة الممدوح واضطرار المادح الى اطلاق اللسان بالثناء عليه اما عن طوع واما عن قهر فان الحشمة ايضا لذيذة لما فيها من القهر والقدرة وهذه اللذة تحصل وان كان المادح لا يعتقد في الباطن ما مدح به ولكن كونه مضطرا الى ذكره نوع قهر واستيلاء عليه فلا جرم تكون لذته بقدر تمنع المادح وقوته فيكون لذة ثناء القوي الممتنع عن التواضع بالثناء اشد فهذه الاسباب الاربعة قد تجتمع في مدح مادح واحد فيعظم به الالتذاذ وقد تفترق فتنقص اللذة اما العلة الاولى وهي استشعار الكمال فتندفع بان يعلم الممدوح انه غير صادق في مدحه كما اذا مدح بانه نسيب وسخي وعالم بعلم او متورع عن المحظورات وهو يعلم من نفسه ضد ذلك فتزول اللذة التي سببها استشعار الكمال وتبقى لذة الاستيلاء على قلبه ولسانه وبقية اللذات فان كان يعلم ان المادح ليس يعتقد ما يقوله ويعلم خلوه عن هذه الصفات بطلت اللذة الثانية وهو استيلاؤه على قلبه وتبقى لذة الاستيلاء بالحشمة على اضطرار لسانه على النطق بالثناء فان لم يكن ذلك عن خوف بل كان بطريق اللعب بطلت اللذات كلها فلم يكن فيه اصلا لذة لفوات الاسباب الثلاثة فهذا ما يكشف الغطاء عن علة التذاذ النفس بالمدح وتألمها بسبب الذم وانما ذكرنا ذلك ليعرف طريق العلاج لحب الجاه وحب المحمدة وخوف المذمة فان ما لا يعرف سببه لا يمكن معالجته اذ العلاج عبارة عن حل اسباب المرض

بيان علاج حب الجاه

اعلم ان من غلب على قلبه حب الجاه صار مقصور الهم على مراعاة الخلق مشغوفا بالتودد اليهم والمراءاة لاجلهم ولا يزال في اقواله وافعاله ملتفتا الى ما يعظم منزلته عندهم وذلك بذر النفاق واصل الفساد ويجر ذلك لا محالة الى التساهل في العبادات والمراءاة بها والى اقتحام المحظورات للتوصل الى اقتناص القلوب ولذلك شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم حب الشرف والمال وافسادهما للدين بذئبين ضاريين وقال انه ينبت النفاق كما ينبت الماء البقل اذ النفاق هو مخالفة الظاهر للباطن بالقول او الفعل وكل من طلب المنزلة في قلوب الناس فيضطر الى النفاق معهم والى التظاهر بخصال حميدة هو خالية عنها وذلك عين النفاق فحب الجاه اذا من المهلكات فيجب علاجه وازالته عن القلب فانه طبع جبل القلب عليه كما جبل على حب المال وعلاجه مركب من علم وعمل اما العلم فهو ان يعلم السبب الذي لاجله احب الجاه وهو كمال القدرة على اشخاص الناس وعلى قلوبهم وقد بينا ان ذلك ان صفا وسلم فآخره الموت فليس من الباقيات الصالحات بل لو سجد لك كل من على بسيط الارض من المشرق الى المغرب فالى خمسين سنة لا يبقى الساجد والمسجود ويكون حالك كحال من مات قبلك من ذوي الجاه مع المتواضعين لك فهذا لا ينبغي ان يترك به الدين الذي هو الحياة الابدية التي لا انقطاع لها ومن فهم الكمال الحقيقي والكمال الوهمي كما سبق صغر الجاه في عينه الا ان ذلك انما يصغر في عين من ينظر الى الآخرة كأنه يشاهدها ويستحقر العاجلة ويكون الموت كالحاصل عنده ويكون حاله كحال الحسن البصري حين كتب الى عمر بن عبد العزيز اما بعد فكأنك بآخر من كتب عليه الموت وقد مات فانظر كيف يمد نظره نحو المستقبل ويقدره كائنا

وكذلك حال عمر بن عبد العزيز حين كتب في جوابه اما بعد فكأنك بالدنيا لم تكن وكأنك بالآخرة لم تزل فهؤلاء كان التفاتهم الى العاقبة فكان عملهم لها بالتقوى اذ علموا ان العاقبة للمتقين فاستحقروا الجاه والمال في الدنيا وابصار اكثر الخلق ضعيفة مقصورة على العاجلة لا يمتد نورها الى مشاهدة العواقب ولذلك قال تعالى بل تؤثرون الحيوة الدنيا والآخرة خير وابقى وقال كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة فمن هذا حده فينبغي ان يعالج قلبه من حب الجاه بالعلم بالآفات العاجلة وهو ان يتفكر في الاخطار التي يستهدف لها ارباب الجاه في الدنيا فان كل ذي جاه محسود ومقصود بالايذاء وخائف على الدوام على جاهه ومحترز من ان تتغير منزلته في القلوب والقلوب اشد تغيرا من القدر في غليانها وهي مترددة بين الاقبال والاعراض فكل ما يبنى على قلوب الخلق يضاهي ما يبنى على امواج البحر فانه لا ثبات له والاشتغال بمراعاة القلوب وحفظ الجاه ودفع كيد الحساد ومنع اذى الاعداء كل ذلك هموم عاجلة ومكدرة للذة فلا يفي في الدنيا مرجوها بمخوفها فضلا عما يفوت في الآخرة فبهذا ينبغي ان يعالج البصيرة الضعيفة واما من نفذت بصيرته وقوي ايمانه فلم يلتفت الى الدنيا فهذا هو العلاج من حيث العلم واما من حيث العمل فاسقاط الجاه عن قلوب الخلق بمباشرة افعال يلام عليها حتى يسقط من اعين الخلق وتفارقه لذة القبول ويأنس بالخمول ويرد الخلق ويقنع بالقبول من الخالق وهذا هو مذهب الملامتية اذ اقتحموا الفواحش في صورتها ليسقطوا انفسهم عن اعين الناس فيسلموا من آفة الجاه وهذا غير جائز لمن يقتدى به فانه يوهن الدين في قلوب المسلمين واما الذي لا يقتدى به فلا يجوز له ان يقدم على محظور لاجل ذلك بل له ان يفعل من المباحات ما يسقط قدره عند الناس كما روي ان بعض الملوك قصد بعض الزهاد فلما علم بقربه منه استدعى طعاما وبقلا واخذ يأكل بشره ويعظم اللقمة فلما نظر اليه الملك سقط من عينه وانصرف فقال الزاهد الحمد لله الذي صرفك عني ومنهم من شرب شرابا حلالا في قدح لونه لون الخمر حتى يظن به انه يشرب الخمر فيسقط عن الاعين وهذا في جوازه نظر من حيث الفقه الا ان ارباب الاحوال ربما يعالجون انفسهم بما لا يفتي به الفقيه مهما رأوا اصلاح قلوبهم فيه ثم يتداركون ما فرط منهم فيه من صورة التقصير كما فعل بعضهم فانه عرف بالزهد واقبل الناس عليه فدخل حماما ولبس ثوب غيره وخرج ووقف في الطريق فاخذوه وضربوه واستردوا منه الثياب وقالوا انه طرار وهجروه واقوى الطرق في قطع الجاه الاعتزال عن الناس والهجرة الى موضع الخمول فان المعتزل في بيته في البلدة التي هو بها مشهور لا يخلو عن حب المنزلة التي ترسخ له في القلوب بسبب عزلته وربما يظن انه ليس محبا لذلك الجاه وهو مغرور وانما سكنت نفسه لانها قد ظفرت بمقصودها ولو تغير الناس عما اعتقدوه فيه وذموه او نسبوه الى امر غير لائق به جزعت نفسه وتألمت وربما توصلت الى الاعتذار عن ذلك واماطة ذلك الغبار عن قلوبهم وربما يحتاج في ازالة ذلك عن قلوبهم الى كذب وتلبيس ولا يبالي به وبه يتبين انه بعد محب للجاه والمنزلة ومن احب الجاه والمنزلة فهو كمن احب المال بل هو شر منه فان فتنة الجاه اعظم ولا يمكنه ان لا يحب المنزلة في قلوب الناس ما دام يطمع في الناس فاذا احرز قوته من كسبه او من جهة اخرى وقطع طمعه عن الناس راسا اصبح الناس كلهم عنده كالارذال فلا يبالي بذلك في قلوب الذين هم منه في اقصى المشرق لانه لا يراهم ولا يطمع فيهم ولا ينقطع الطمع عن الناس الا بالقناعة فمن قنع استغنى عن الناس واذا استغنى عنهم لم يشتغل قلبه بالناس ولم يكن لقيام منزلته في القلوب عنده وزن ولا يتم ترك الجاه الا بالقناعة وقطع الطمع ويستعين على جميع ذلك بالاخبار الواردة في ذم الجاه ومدح الخمول والذل مثل قولهم المؤمن لا يخلو من ذلة او قلة او علة وينظر في احوال السلف وايثارهم الذل على العز ورغبتهم في ثواب الآخرة

بيان وجه العلاج لحب المدح وكراهة الذم

اعلم ان اكثر الناس انما هلكوا لخوف مذمة الناس وحب مدحهم

فصارت حركاتهم كلها موقوفة على ما يوافق رضا الناس رجاء للمدح وخوفا من الذم وذلك من المهلكات فيجب معالجته وطريقه
ملاحظة الاسباب التي لاجلها يحب المدح ويكره الذم اما السبب الاول فهو استشعار الكمال بسبب قول المادح وطريقك
فيه ان ترجع الى عقلك وتقول لنفسك هذه الصفة التي يمدحك بها انت متصف بها ام لا فان كنت متصفا بها فهي اما صفة تستحق
بها الفرح كالعلم والورع واما صفة لا تستحق كالثروة والجاه والاعراض الدنيوية فان كان من الاعراض الدنيوية فالفرح
بها كالفرح بنبات الارض التي تصير على القرب هشيما تذروه الرياح وهذا من قلة العقل بل العاقل يقول اشد الغم عندي في سرور
تيقن عنه صاحبه انتقالا فلا ينبغي ان يفرح الانسان بعروض الدنيا وان فرح فلا ينبغي ان يفرح بمدح المادح بها بل بوجودها والمدح
ليس هو سبب وجودها وان كانت الصفة مما يستحق الفرح بها كالعلم والورع فينبغي ان لا يفرح بها لان الخاتمة غير
معلومة وهذا انما يقتضي الفرح بها لانه يقرب عند الله زلفى وخطر الخاتمة باق ففي الخوف من الخاتمة شغل عن الفرح بكل ما
في الدنيا بل الدنيا دار احزان وغموم لا دار فرح وسرور ثم ان كنت تفرح بها على رجاء حسن الخاتمة فينبغي ان يكون فرحك بفضل الله
عليك بالعلم والتقوى لا بمدح المادح فان اللذة في استشعار الكمال والكمال موجود من فضل الله تعالى لا من المدح والمدح
تابع له فلا ينبغي ان تفرح بالمدح والمدح لا يزيدك فضلا وان كانت الصفة التي مدحت بها انت خال عنها ففرحك
بالمدح غاية الجنون ومثالك مثال من يهزأ به انسان ويقول له سبحان الله ما اكثر العطر الذي في احشائه وما اطيب الروائح
التي تفوح منه اذا قضى حاجته وهو يعلم ما تشتمل عليه امعاؤه من الاقذار والانتان ثم يفرح به والله مطلع على خبائث باطنك
وغوائل سريرتك واقذار صفاتك كان ذلك من غاية الجهل فاذن المادح ان صدق فليكن فرحك بصفتك التي هي من فضل الله
عليك وان كذب فينبغي ان يغمك ذلك فلا تفرح به واما السبب الثاني وهو الدلالة للمدح على تسخير قلب المادح
وكونه سببا لتسخير قلب آخر فهذا يرجع الى حب الجاه والمنزلة في القلوب وقد سبق وجه معالجته وذلك بقطع الطمع
وطلب المنزلة عند الله تعالى وبان تعلم ان طلبك المنزلة في قلوب الناس وفرحك به يسقط منزلتك عند الله فكيف تفرح به
واما السبب الثالث وهو الحشمة التي اضطرت المادح الى المدح فهو ايضا يرجع الى قوة عارضة لا ثبات لها
ولا تستحق الفرح بها بل ينبغي ان يغمك مدح المادح وتكرهه وتغضب به كما نقل ذلك عن السلف لان آفة المدح على الممدوح عظيمة
كما ذكرناه في كتاب آفات اللسان قال بعض السلف من فرح بمدح فقد امكن الشيطان من ان يدخل في بطنه وقال بعضهم اذا
قيل لك نعم الرجل انت فكان احب اليك من ان يقال بئس الرجل انت فانت والله بئس الرجل وروي في بعض الاخبار فان صح
فهو قاصم للظهر ان رجلا اثنى على رجل خيرا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو كان صاحبك حاضرا ورضي بالذي قلت
له فمات على ذلك دخل النار وقال صلى الله عليه وسلم مرة للمادح ويحك قطعت ظهره لو سمعك ما افلح الى يوم القيامة
وقال الا لا تمادحوا واذا رايتم المادحين فاحثوا في وجوههم التراب فلهذا كانت الصحابة على وجل عظيم من المدح وفتنته
وما يدخل على القلب من السرور حتى ان بعض الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم سال رجلا عن شيء فقال انت يا امير المؤمنين
خير مني واعلم فغضب وقال اني لم آمرك بان تزكيني وقيل لبعض الصحابة لا يزال الناس بخير ما ابقاك الله فغضب وقال
اني لاحسبك عراقيا وقال بعضهم لما مدح اللهم ان عبدك تقرب الي بمقتك فاشهدك على مقته وانما كرهوا المدح
خيفة من ان يفرحوا بمدح الخلق وهم ممقوتون عند الخالق وكان اشتغال قلبهم بحالهم عند الله يبغض اليهم مدح الخلق
لان الممدوح هو المقرب الى الله سبحانه والمذموم بالحقيقة هو المبعد من الله الملقى في النار مع الاشرار فهذا الممدوح ان كان

ان كان عند الله من اهل النار فما اعظم جهله اذا فرح بمدح غيره وان كان من اهل الجنة فلا ينبغي ان يفرح الا بفضل الله تعالى وثنائه
عليه اذ ليس امره بيد الخلق ومهما علم ان الآجال والارزاق بيد الله تعالى قل التفاته الى مدح الخلق وذمهم وسقط من قلبه
حب المدح واشتغل بما يهمه من امر دينه

بيان علاج كراهة الذم

قد سبق ان العلة في كراهة الذم هو ضد العلة في حب
المدح فعلاجه ايضا يفهم منه والقول الوجيز فيه ان من ذمك لا يخلو من ثلاثة احوال اما ان يكون قد صدق فيما قال وقصد
النصح والشفقة واما ان يكون صادقا ولكن قصده الايذاء والتعنت او يكون كاذبا فان كان صادقا فلا ينبغي ان تذمه و
تغضب عليه وتحقد بسببه بل ينبغي ان تتقلد منه المنة فان من اهدى اليك عيوبك فقد ارشدك الى المهلك حتى تتقيه فينبغي ان
تفرح به وتشتغل بازالة الصفة المذمومة عن نفسك ان قدرت عليه فاما اغتمامك بسببه وكراهتك له وذمك اياه
فهو غاية الجهل وان كان قصده التعنت فانت قد انتفعت بقوله اذ ارشدك الى عيبك ان كنت جاهلا به او ذكرك عيبك
ان كنت غافلا عنه او قبحه في عينك لينبعث حرصك على ازالته ان كنت قد استحسنته وكل ذلك اسباب سعادتك وقد
استفدته منه فاشتغل بطلب السعادة فقد اتيح لك اسبابها بسبب ما سمعته من المذمة فمهما قصدت الدخول على ملك
وثوبك ملوث بالعذرة وانت لا تدري ولو دخلت عليه كذلك لخفت ان تحز رقبتك لتلويثك مجلسه بالعذرة
فقال لك قائل ايها الملوث بالعذرة طهر نفسك فينبغي ان تفرح به لان تنبيهك بقوله غنيمة وجميع مساوي الاخلاق
مهلكة في الآخرة والانسان انما يعرفها من قول اعدائه فينبغي ان تغتنمه فاما قصد العدو التعنت له فجناية منه على دين
نفسه وهو نعمة منه عليك فلم تغضب عليه بقول انتفعت به وتضرر هو به الحالة الثالثة ان يفتري عليك بما انت بريء
منه عند الله فينبغي ان لا تكره ذلك ولا تشتغل بذمه بل تتفكر في ثلاثة امور احدها انك ان خلوت من ذلك العيب فلا تخلو عن
امثاله واخواته وما ستره الله سبحانه من عيوبك اكثر فاشكر الله اذ لم يطلعه على عيوبك ودفعه عنك بذكر ما انت بريء
عنه والثاني ان ذلك كفارة لبقية مساويك وذنوبك فكانه رماك بعيب انت بريء منه وطهرك عن ذنوب انت ملوث
بها وكل من اغتابك فقد اهدى اليك حسناته وكل من مدحك فقد قطع ظهرك فما بالك تفرح بقطع الظهر وتحزن بهدايا
الحسنات التي تقربك الى الله تعالى وانت تزعم انك تحب القرب من الله تعالى واما الثالث فهو ان المسكين
جنى على دينه حتى سقط من عين الله تعالى واهلك نفسه بافترائه وتعرض لعقابه الاليم فلا ينبغي ان تغضب عليه مع
غضب الله عليه فتشمت الشيطان به وتقول اللهم اهلكه بل ينبغي ان تقول اللهم اصلحه اللهم تب عليه اللهم ارحمه
كما قال صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون لما ان ضربوه ودعا ابراهيم بن ادهم لمن شج راسه بالمغفرة وقال اني اعلم
اني ماجور بسببه فلا ارضى ان يكون هو معاقبا بسببي ومما يهون عليك كراهة المذمة قطع الطمع فان من استغنيت عنه مهما
ذمك لم يعظم اثر ذلك في قلبك واصل الدين القناعة وبها ينقطع الطمع عن الجاه والمال وما دام الطمع قائما كان حب الجاه
والمدح في قلب من طمعت فيه غالبا وكانت همتك الى تحصيل المنزلة في قلبه مصروفة ولا ينال ذلك الا بهدم الدين
فلا ينبغي ان يطمع طالب المال والجاه ومحب المدح ومبغض الذم في سلامة دينه فان ذلك بعيد جدا

بيان اختلاف احوال الناس في المدح والذم

اعلم ان للناس اربعة احوال بالاضافة الى الذام والمادح ويشكر المادح ويغضب من
الذم ويحقد على الذام ويكافئه او يحب مكافاته وهذا حال اكثر الخلق وهو غاية درجات المعصية في هذا الباب الثانية
ان يمتعض في الباطن على الدوام ولكن يمسك لسانه وجوارحه عن مكافاته ويفرح باطنه ويرتاح للمادح ولكن يحفظ

على إظهار السرور وهذا من النقصان إلا أنه بالإضافة إلى ما قبله كمال. الثالثة وهي أول درجات الكمال أن يستوي عنده
ذامه ومادحه فلا تغمه المذمة ولا تسره المدحة وهذا قد يظنه بعض العباد بنفسه ويكون مغرورا إن لم يمتحن نفسه بعلاماته
وعلاماته أن لا يجد في نفسه استثقالا للذام عند تطويله الجلوس عنده أكثر مما يجده في المادح وأن لا يجد في نفسه زيادة
هزة ونشاط في قضاء حوائج المادح فوق ما يجده في قضاء حاجة الذام وأن لا يكون انقطاع الذام عن مجلسه أهون عليه من انقطاع المادح وأن
لا يكون موت المادح المطري له أشد نكاية في قلبه من موت الذام وأن لا يكون غمه بمصيبة المادح وما يناله من أعدائه
أكثر مما يكون بمصيبة الذام وأن لا يكون زلة المادح أخف على قلبه وفي عينه من زلة الذام فمهما خف الذام على قلبه
كما خف المادح واستويا من كل وجه فقد نال هذه الرتبة وما أبعد ذلك وما أشده على القلوب وأكثر العباد فرحهم
بمدح مستبطن في قلبهم وهم لا يشعرون حيث لا يمتحنون أنفسهم بهذه العلامات وربما شعر العابد بميل قلبه إلى المادح
دون الذام والشيطان يحسن له ذلك ويقول الذام قد عصى الله تعالى بمذمتك والمادح قد أطاع الله بمدحك فكيف
تسوي بينهما وإنما استثقالك للذام من الدين المحض وهذا محض التلبيس فإن العابد لو تفكر علم أن في الناس من ارتكب من
كبائر المعاصي أكثر مما ارتكبه الذام في مذمته ثم إنه لا يستثقلهم ولا ينفر عنهم ويعلم أن المادح الذي هو يمدحه لا يخلو عن مذمة
غيره ولا يجد في نفسه نفرة عنه لمذمة غيره كما يجد لمذمة نفسه والمذمة من حيث إنها معصية لا تختلف بأن يكون هو المذموم
أو غيره فإذن العابد المغرور لنفسه يغضب ولهواه يمتعض ثم الشيطان يخيل إليه أنه من الدين حتى يعتقد على الله بهواه
فيزيده ذلك بعدا من الله ومن لم يطلع على مكايد الشيطان وآفات النفوس فأكثر عباداته تعب ضائع تفوت عليه الدنيا
ويخسر في الآخرة وفيهم قال الله تعالى قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم
يحسنون صنعا. الحالة الرابعة وهو الصدق في العبادة أن يكره المدح ويمقت المادح إذ يعلم أنه فتنة عليه
قاصمة للظهر مضرة له في الدين ويحب الذام إذ يعلم أنه مهد إليه عيبه ومرشد له إلى مهمه ومهد إليه حسناته
وقد قال صلى الله عليه وسلم رأس التواضع أن يكره الرجل أن يذكر بالبر والتقوى وقد روي في بعض الأخبار ما هو قاصم لظهور
أمثالنا إن صح إذ روي أنه صلى الله عليه وسلم قال ويل للصائم وويل للقائم وويل لصاحب الصوف إلا من فقيل يا رسول الله
إلا من قال إلا من تنزهت نفسه عن الدنيا وأبغض المدحة واستحب المذمة وهذا شديد جدا وغاية أمثالنا الطمع في الحالة
الثانية وهو أن يضمر الفرح والكراهية على الذام والمادح ولا يظهر ذلك بالقول والعمل فأما الحالة الثالثة وهي التسوية بين
المادح والذام فلسنا نطمع فيه ثم إن طالبنا أنفسنا بعلامات الحالة الثانية ما وفت بها فإنها لا بد وأن تسارع إلى
إكرام المادح وقضاء حاجته وتتثاقل عن إكرام الذام والثناء عليه وقضاء حوائجه ولا نقدر على أن نسوي بينهما في الفعل الظاهر
كما لا نقدر عليه في سريرة القلب ومن قدر على التسوية بين الذام والمادح في ظاهر الفعل فهو جدير بأن يتخذ قدوة في هذا
الزمان فإن وجد فإنه الكبريت الأحمر يتحدث به ولا يرى فكيف بما بعده من المراتب ولكل واحد من هذه الرتب أيضا درجات
أما الدرجات في المدح فهو أن من الناس من يتمنى المدحة والثناء وانتشار الصيت فيتوصل إلى نيلها بكل ممكن حتى يرائي بالعبادات
ولا يبالي بمقارفة المحظورات لاستمالة قلوب الناس واستنطاق ألسنتهم بالمدح وهذا من الهالكين ومنهم من يريد ذلك
ويطلبه بالمباحات ولا يطلبه بالعبادات ولا بمباشرة المحظورات وهذا على شفا جرف هار فإن حدود الكلام التي يستميل
بها القلوب وحدود الأعمال لا يمكنه أن يضبطها فيوشك أن يقع فيما لا يحل لنيل الحمد فهو قريب من الهالكين جدا ومنهم

وأن لا يكون انقطاع
الذام عن مجلسه م

ومنهم من لا يريد المدحة ولا يسعى لطلبها ولكن إذا مدح سبق السرور إلى قلبه فإن لم يقابل ذلك بالمجاهدة ولم يتكلف الكراهة
فهو قريب من أن يستجره فرط السرور إلى الرتبة التي قبله فإن جاهد نفسه في ذلك وكلف قلبه الكراهة ونغص السرور عليه
بالتفكر في آفات المدح فهو في خطر المجاهدة فتارة يكون اليد له وتارة يكون عليه ومنهم من إذا سمع المدح لم يسر به ولم
يغتم به ولم يؤثر فيه وهذا على خير وإن كان قد بقي عليه بقية من الإخلاص ومنهم من يكره المدح إذا سمعه ولكن لا ينتهي به إلى أن يغضب على
المادح وينكر عليه وأقصى درجاته أن يكره ويغضب ويظهر الغضب وهو صادق فيه لا أن يظهر الغضب وقلبه محب له
فإن ذلك عين النفاق لأنه يظهر من نفسه الإخلاص والصدق وهو مفلس عنه وكذلك بالضد من هذا يتفاوت الأحوال في
حق الذام وأول درجاته إظهار الغضب وآخرها إظهار الفرح ولا يكون الفرح وإظهاره إلا ممن في قلبه حنق وحقد على نفسه
لتمردها عليه ولكثرة عيوبها ومواعيدها الكاذبة وتلبيساتها الخبيثة فيبغضها بغض العدو والإنسان يفرح بمن يذم عدوه
وهذا شخص عدوه نفسه فهو يفرح إذا سمع ذمها ويشكر الذام عليها ويعتقد فطنته وذكاءه لما وقف على عيوبها فيكون ذلك
كالتشفي له من نفسه ويكون غنيمة عنده إذ صار بالمذمة أوضع في أعين الناس حتى لا يبتلى بفتنة الجاه وإذا سيقت إليه حسنات
لم يتعب فيها فعساه يكون جبرا لعيوبها التي هو عاجز عن إماطتها ولو جاهد المريد نفسه طول عمره في هذه الخصلة الواحدة وهو
أن يستوي عنده ذامه ومادحه لكان له شغل شاغل فيه لا يتفرغ معه لغيره وبينه وبين السعادة عقبات كثيرة هذه إحداها
ولا يقطع شيء منها إلا بالمجاهدة الشديدة في العمر الطويل.

الشطر الثاني من الكتاب في طلب الجاه والمنزلة بالعبادات وهو الرياء

وفيه بيان ذم الرياء وبيان حقيقة الرياء وما به يراءى وبيان درجات الرياء وبيان الرياء الخفي
وبيان ما يحبط العمل من الرياء وما لا يحبط وبيان دواء الرياء وعلاجه وبيان الرخصة في إظهار الطاعات وبيان الرخصة في
كتمان الذنوب وبيان ترك الطاعات خوفا من الرياء والآفات وبيان ما يصح من نشاط العبد للعبادة بسبب رؤية الخلق و
بيان ما يجب على المريد أن يلزم قلبه قبل الطاعة وبعدها وهي عشرة فصول.

بيان ذم الرياء

اعلم أن الرياء حرام والمرائي
عند الله ممقوت وقد شهد بذلك الآيات والأخبار والآثار أما الآيات فقوله تعالى فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون
الذين هم يراءون ويمنعون الماعون وقوله تعالى والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور قال مجاهد هم أهل
الرياء وقال تعالى إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا فمدح المخلصين بنفي كل إرادة سوى وجه الله والرياء ضده و
قال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا نزلت فيمن يطلب الأجر والحمد بعبادته وأعماله و
غير ذلك من الآيات وأما الأخبار فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم حين سأله رجل فقال يا رسول الله فيم النجاة فقال
أن لا يعمل العبد بطاعة الله يريد بها الناس وروى أبو هريرة في حديث الثلاثة المقتول في سبيل الله والمتصدق بماله والقارئ لكتاب الله
كما أوردناه في كتاب الإخلاص وأن الله تعالى يقول لكل واحد منهم كذبت بل أردت أن يقال فلان جواد كذبت بل أردت أن يقال
فلان شجاع كذبت بل أردت أن يقال فلان قارئ فأخبر صلى الله عليه وسلم أنهم لم يثابوا وأن رياءهم هو الذي أحبط أعمالهم
وقال ابن عمر قال النبي صلى الله عليه وسلم من راءى راءى الله به ومن سمع سمع الله به وفي حديث آخر طويل أن الله تعالى يقول
للملائكة إن هذا لم يردني بعمله فاجعلوه في سجين وقال عليه الصلاة والسلام إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر قالوا
وما الشرك الأصغر يا رسول الله قال الرياء يقول الله تعالى يوم القيامة إذا جازى العباد بأعمالهم اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون
في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء وقال صلى الله عليه وسلم استعيذوا بالله من جب الحزن قيل وما هو يا رسول الله قال

قال وادٍ في جهنم اعدت للقرّاء المرائين وقال صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى من عمل عملا اشرك فيه غيري فهو له كله وانا
منه بريّ وانا اغنى الاغنياء عن الشرك وقال عيسى عليه السلم اذا كان يوم صوم لاحدكم فليدهن راسه ولحيته ويمسح شفتيه
لئلا يرى الناس انه صائم واذا اعطى صدقة بيمينه فليخف عن شماله واذا صلى فليرخ ستر بابه فان الله يقسم الريا كما يقسم الرزق
وقال نبينا صلى الله عليه وسلم لا يقبل عملا فيه مقدار ذرة من رياء وقال عمر لمعاذ بن جبل حين رآه يبكي ما يبكيك قال حديث
سمعته من النبي صلى الله عليه وسلم يقول لنا ان ادنى الريا شرك وقال صلى الله عليه وسلم اخوف ما اخاف عليكم الريا والشهوة
الخفية وهي ايضا ترجع الى خفايا الريا ودقائقه وقال صلى الله عليه وسلم ان في ظل العرش يوم لا ظل الا ظله رجلا تصدق بيمينه
فكاد ان يخفيها عن شماله ولذلك ورد ان فضل عمل السر على عمل الجهر سبعين ضعفا وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان المرائي
ينادى به يوم القيمة يا فاجر يا غادر يا مرائي ضل عملك وحبط اجرك اذهب فخذ اجرك ممن كنت تعمل له وقال شداد بن اوس رايت النبي صلى الله
عليه وسلم فقلت ما يبكيك قال اني اخوف على امتي الشرك اما انهم لا يعبدون صنما ولا شمسا ولا قمرا ولا حجرا ولكن يراؤن
باعمالهم وقال صلى الله عليه وسلم لما خلق الله تعالى الارض فمادت باهلها فخلق الجبال فصيرها اوتاد الارض فقالت الملائكة ما
خلق ربنا خلقا هو اشد من الجبال فخلق الله الحديد فقطع الجبل ثم خلق النار فاذابت الحديد وخلق الله الماء فاطفأ النار
ثم امر الريح فركدت الماء فاختلفت الملائكة فقالت نسال الله تعالى قالت يا رب ما اشد ما خلقت من خلقك قال الله تعالى
لم اخلق شيئا هو اشد من ابن ادم حين تصدق بيمينه فيخفيها عن شماله فهذا اشد خلق خلقته وروى عبد الله بن المبارك باسناده
عن رجل انه قال لمعاذ حدثني حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فبكى معاذ حتى ظننت انه لا يسكت ثم سكت ثم قال
سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قال لي يا معاذ قلت لبيك بابي انت وامي قال اني محدثك حديثا ان انت حفظته نفعك
وان انت ضيعته ولم تحفظه انقطعت حجتك عند الله سبحانه يوم القيمة يا معاذ ان الله تعالى خلق سبعة املاك قبل ان
خلق السموات والارض ثم خلق السموات فجعل لكل سماء من السبعة ملكا بوابا عليها قد جللها عظما فتصعد الحفظة بعمل العبد
من حين اصبح الى ان امسى له نور كنور الشمس حتى اذا طلعت به الى السماء الدنيا ذكرته فكثرته فيقول الملك للحفظة اضربوا بهذا العمل
وجه صاحبه انا صاحب الغيبة امرني ربي ان لا ادع عمل من اغتاب الناس يجاوزني الى غيري قال ثم تاتي الحفظة بعمل صالح
من اعمال العبد فتمر فتزكيه وتكثره حتى تبلغ به الى السماء الثانية فيقول لهم الملك الموكل بالسماء الثانية قفوا واضربوا بهذا
العمل وجه صاحبه انه اراد بعمله هذا عرض الدنيا امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري انه كان يفتخر على الناس في
مجالسهم قال وتصعد الحفظة بعمل العبد يبتهج نورا من صدقة وصيام وصلوة قد اعجب الحفظة فيجاوزون به الى السماء
الثالثة فيقول لهم الملك الموكل قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انا ملك الكبر امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني
انه كان متكبرا يتكبر على الناس في مجالسهم قال وتصعد الحفظة بعمل العبد يزهر كما يزهر الكوكب الدري له دوي من تسبيح
وصلوة وحج وعمرة حتى يجاوزوا به الى السماء الرابعة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل ظهره وبطنه
انا صاحب العجب امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري انه كان اذا عمل عملا ادخل العجب في عمله قال وتصعد الحفظة
بعمل العبد حتى يجاوزوا به الى السماء الخامسة كانه العروس المزفوفة الى اهلها فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا
بهذا العمل وجه صاحبه واحملوه على عاتقه انا ملك الحسد انه كان يحسد الناس من يتعلم ويعمل بمثل عمله كل من كان ياخذ
فضلا من العبادة يحسدهم ويقع فيهم امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري قال وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلوة

من صلوة وزكوة وحج وعمرة وصيام فيجاوزون به الى السماء السادسة فيقول لهم الملك الموكل قفوا واضربوا بهذا العمل
وجه صاحبه انه كان لا يرحم انسانا قط من عباد الله اصابه بلاء او ضر بل كان يشمت به انا ملك الرحمة امرني ربي ان لا ادع
عمله يجاوزني الى غيري قال وتصعد الحفظة بعمل العبد الى السماء السابعة من صوم وصلوة ونفقة واجتهاد وورع
لها دوي كدوي الرعد وضوء كضوء الشمس معها ثلاثة الاف ملك فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل
وجه صاحبه اضربوا به جوارحه اقفلوا على قلبه اني احجب عن ربي كل عمل لم يرد به وجه ربي انه اراد بعمله غير الله انه اراد
رفعة عند الفقهاء وذكرا عند العلماء وصيتا في المدائن امرني ربي ان لا ادعه يجاوزني الى غيري وكل عمل لم يكن لله خالصا فهو
رياء ولا يقبل الله عمل المرائي قال وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلوة وزكوة وصيام وحج وعمرة وخلق حسن وصمت
وذكر لله وتشيعه ملائكة السموات حتى يقطعوا الحجب كلها الى الله تعالى فيقفون بين يديه ويشهدون له بالعمل الصالح المخلص
لله قال فيقول الله سبحانه لهم انتم الحفظة على عمل عبدي وانا الرقيب على نفسه انه لم يردني بهذا العمل واراد به غيري
فعليه لعنتي فيقول الملائكة كلها عليه لعنتك ولعنتنا وتلعنه السموات السبع ومن فيهن قال معاذ قلت يا رسول الله
رسول الله وانا معاذ قال اقتد بي وان كان في عملك نقص يا معاذ حافظ على لسانك من الوقيعة في اخوانك من حملة القرآن
واحمل ذنوبك عليك ولا تحملها عليهم ولا تزك نفسك بذمهم ولا ترفع نفسك عليهم ولا تدخل عمل الدنيا في عمل الاخرة
ولا تتكبر في مجلسك لكي تحذر الناس من سوء خلقك ولا تناج رجلا وعندك اخر ولا تتعظم على الناس فينقطع عنك خير الدنيا وتمزقك كلاب
النار يوم القيمة في النار قال الله سبحانه والناشطات نشطا اتدري ما هي يا معاذ قلت ما هي بابي انت وامي قال كلاب
النار تنشط اللحم والعظم قلت بابي انت وامي فمن يطيق هذه الخصال ومن ينجو منها قال يا معاذ انه يسير على من يسره الله
عليه قال الراوي فما رايت اكثر تلاوة للقرآن من معاذ للحذر مما في الحديث فاما الاثار فروي ان عمر رضي الله عنه راى
رجلا يطاطي رقبته فقال يا صاحب الرقبة ارفع رقبتك ليس الخشوع في الرقاب انما الخشوع في القلب وراى ابو امامة
رجلا في المسجد يبكي في سجوده فقال انت انت لو كان هذا في بيتك وقال علي رضي الله عنه للمرائي ثلاث علامات يكسل
اذا كان وحده وينشط اذا كان في الناس ويزيد في العمل اذا اثني عليه وينقص اذا ذم وقال رجل لعبادة بن الصامت اقاتل
بسيفي في سبيل الله اريد وجه الله ومحمدة الناس قال لا شيء لك فساله ثلاث مرات كل ذلك يقول لا شيء لك ثم قال
في الثالثة ان الله سبحانه يقول انا اغنى الاغنياء عن الشرك الحديث وسال رجل سعيد بن المسيب فقال احدنا
يصنع المعروف يحب ان يحمد ويوجر فقال اتحب ان تمقت قال لا قال فاذا عملت لله عملا فاخلصه وقال الضحاك
لا يقولن احدكم هذا لوجه الله ولوجهك ولا تقل هذا لله وللرحم فان الله تعالى لا شريك له وضرب عمر رجلا بالدرة
ثم قال اقتص مني فقال لا بل ادعها لله ولك فقال له عمر ما صنعت شيئا اما ان تدعها لي فاعرف ذلك او تدعها لله وحده
فقال ادعها لله وحده قال فنعم اذن قال الحسن لقد صحبت اقواما ان كان احدهم لتعرض له الحكمة لو نطق بها لنفعته
ونفعت اصحابه وما يمنعه منها الا مخافة الشهرة وان كان احدهم ليمر فيرى الاذى على الطريق فما يمنعه ان ينحيه الا
مخافة الشهرة ويقال ان المرائي ينادى يوم القيمة باربعة اسماء يا مرائي يا غادر يا فاجر يا خاسر اذهب فخذ اجرك ممن
عملت له فلا اجر لك عندنا وقال الفضيل كانوا قبل اليوم يراؤن بما يعملون وصار الناس اليوم يراؤن بما لا يعملون
وقال عكرمة ان الله تعالى يعطي العبد على نيته ما لا يعطيه على عمله لان النية لا رياء فيها وقال الحسن المرائي يريد ان يغلب

قدر الله تعالى هو رجل سوء يريد ان يقول الناس هو صالح وكيف يقولون وقد حل من ربه محل الاردياء فلا بد لقلوب المؤمنين
ان تعرفه وقال قتادة اذا راءى العبد يقول الله تعالى انظروا الى عبدي يستهزئ بي وقال مالك بن دينار القراء ثلاثة قراء
الدنيا وقراء الملوك وقراء الرحمن وان محمد بن واسع من قراء الرحمن وقال الفضيل من اراد ان ينظر الى مراء فلينظر الى
وقال محمد بن المبارك الصوري اظهر السمت بالنهار للمخلوقين والسمت بالليل لرب العالمين وقال ابو سليمان التوقي على العمل
اشد من العمل وقال ابن المبارك ان كان الرجل ليطوف بالبيت وهو بخراسان قيل كيف ذاك قال يحب ان يذكر انه مجاور بمكة
وقال ابراهيم بن ادهم ما صدق الله من اراد ان يشتهر بيان حقيقة الريا وما يراءى به اعلم ان الريا مشتق من الرؤية
والسمعة مشتقة من السماع وانما الريا اصله طلب المنزلة في قلوب الناس بايرائهم خصال الخير الا ان الجاه والمنزلة تطلب في
القلب باعمال سوى العبادات وتطلب بالعبادات واسم الريا مخصوص بحكم العادة بطلب المنزلة في القلوب بالعبادات و
اظهارها فحد الريا هو ارادة العباد بطاعة الله تعالى فالمرائي هو العابد والمراءى هو الناس المطلوب رؤيتهم لطلب المنزلة
في قلوبهم والمراءى به هو الخصال التي قصد المرائي اظهارها والريا هو قصده اظهار ذلك فالمراءى به كثير يجمعه خمسة
اقسام هي مجامع ما يتزين العبد به للناس وهو البدن والزي والقول والعمل والاتباع والاشياء الخارجة وكذا اهل الدنيا
يراءون بهذه الاسباب الخمسة الا ان طلب الجاه وقصد الريا باعمال ليست من جملة الطاعات اهون من الريا بالطاعات
الاول الريا في الدين من جهة البدن وذلك باظهار النحول والصفار ليوهم بذلك شدة الاجتهاد وعظم الحزن
على امر الدين وغلبة خوف الاخرة ليدل بالنحول على قلة الاكل وبالصفار على سهر الليل وكثرة الحزن في الدين وكذا يراءى
بتشعث الشعر ليدل على استغراق الهم بالدين وعدم التفرغ لتسريح الشعر وهذه اسباب مهما ظهرت استدل الناس بها على
الامور وارتاحت النفس لمعرفتهم فلذلك تدعو النفس الى اظهارها لنيل تلك الراحة ويقرب من هذا خفض الصوت وباغارة
العينين وذبول الشفتين ليستدل بذلك على انه مواظب على الصوم وان وقار الشرع هو الذي خفض من صوته او ضعف الجوع
هو الذي ضعف من قوته وعن هذا قال عيسى عليه السلم اذا صام احدكم فليدهن راسه ويرجل شعره ويكحل عينيه وكذلك يروى
عن ابي هريرة وذلك كله لما يخاف عليه من نزغ الشيطان بالريا ولذلك قال ابن مسعود اصبحوا صياما مدهنين فهذه مراءاة
اهل الدين بالبدن فاما اهل الدنيا فيراءون باظهار السمن وصفاء اللون واعتدال القامة وحسن الوجه ونظافة البدن
وقوة الاعضاء وتناسبها الثاني الريا بالزي والهيئة اما الهيئة فتشعيث شعر الراس وحلق الشارب واطراق الراس
في المشي والهدوء في الحركة وابقاء اثر السجود على الوجه وغلظ الثياب ولبس الصوف وتشميرها الى نصف الساق وقصر الاكمام
وترك تنظيف الثوب وتركه مخرقا كل ذلك يرائي به ليظهر من نفسه انه متبع للسنة فيه ومقتد فيه بعباد الله الصالحين
ومنه لبس المرقع والصلوة على السجادة ولبس الثياب الزرق تشبها بالصوفية مع الافلاس عن حقائق التصوف في الباطن
ومنه التقنع بالازار فوق العمامة ليرى به انه انتهى تقشفه الى الحذر من غبار الطريق ولتنصرف اليه الاعين بسبب تميزه
بتلك العلامة ومنه الدراعة والطيلسان يلبسه من هو خال عن العلم ليوهم انه من اهل العلم والمراءون بالزي على طبقات منهم
من يطلب المنزلة عند اهل الصلاح باظهار الزهد فيلبس الثياب المخرقة الوسخة القصيرة الغليظة ليراءى بغلظها وقصرها
ووسخها وتخرقها ولو كلف ان يلبس ثوبا وسطا نظيفا مما كان السلف يلبسه لكان عنده بمنزلة الذبح وذلك لخوفه ان يقول
الناس قد بدا له من الزهد ورجع عن تلك الطريق ورغب في الدنيا وطبقة اخرى يطلبون القبول عند اهل الصلاح وعند

بالليل فانه اشرف من عمله بالنهار لان السمت بالنهار صح

وعند اهل الدنيا من الملوك والتجار ولو لبسوا الثياب الفاخرة ردتهم القراء ولو لبسوا الثياب المخرقة البذلة ازدرتهم
اعين الملوك والاغنياء فهم يريدون القبول بين اهل الدين والدنيا فلذلك يطلبون الاصواف الدقيقة والاكسية الرقيقة
والمرقعات المصبوغة والفوط الرفيعة فيلبسونها ولعل قيمة ثوبهم قيمة ثوب الاغنياء ولونه وهيئته لون ثياب الصلحاء
فيلتمسون القبول عند الفريقين وهؤلاء لو كلفوا لبس ثوب خشن او وسخ لكان عندهم كالذبح خوفا من السقوط عن اعين الملوك
والاغنياء ولو كلفوا لبس الديبقي والكتان الدقيق الابيض والقصب المعلم وان كان قيمته دون قيمة ثيابهم لعظم عليهم
خوفا من ان يقول اهل الصلاح قد رغب في زي اهل الدنيا وكل طبقة منهم راى منزلته في زي مخصوص فيثقل عليه الانتقال
الى ما دونه او ما فوقه وان كان مباحا خيفة من المذمة فاما اهل الدنيا فمراءاتهم بالثياب النفيسة والمراكب الرفيعة و
انواع التوسع والتجمل في الملبس والمسكن واثاث البيت وفره الخيول وبالثياب المصبغة والطيالسة النفيسة وذلك
ظاهر بين الناس فانهم يلبسون في بيوتهم الثياب الخشنة ويشتد عليهم لو برزوا للناس على تلك الثياب ما لم يبالغوا في
الزينة ه الثالث الريا بالقول ورياء اهل الدين بالوعظ والتذكير والنطق بالحكمة وحفظ الاخبار
والاثار لاجل الاستعمال في المحاورة اظهارا لغزارة العلم ودلالة على شدة العناية باحوال السلف الصالحين وتحريك
الشفتين بالذكر في محضر الناس والامر بالمعروف والنهي عن المنكر بمشهد الخلق واظهار الغضب للمنكرات واظهار الاسف
على مقارفة الناس للمعاصي وتضعيف الصوت في الكلام وترقيق الصوت بقراءة القران ليدل بذلك على الحزن والخوف
وادعاء حفظ الحديث ولقاء الشيوخ والدق على من يروي الحديث ببيان خلل في لفظه ليعرف الناس انه بصير بالاحاديث
والمبادرة الى ان الحديث صحيح او غير صحيح لاظهار الفضل فيه والمجادلة على قصد افحام الخصم ليظهر للناس قوته في علم الدين
والريا بالقول كثير وانواعه لا تحصى واما اهل الدنيا فمراءاتهم بالقول بحفظ الاشعار والامثال والتفاصح في العبارات
وحفظ النحو الغريب للاغراب به على اهل الفضل واظهار التودد الى الناس لاستمالة القلوب ه الرابع الريا بالعمل
كمراءاة المصلي بطول القيام ومده وتطويل السجود والركوع واطراق الراس وترك الالتفات واظهار الهدوء والسكون وتسوية
القدمين واليدين وكذلك بالصوم والغزو والحج وبالصدقة وباطعام الطعام وبالاخبات في المشي عند اللقاء كارخاء الجفون
وتنكيس الراس والوقار في الكلام حتى ان المرائي قد يسرع في المشي الى حاجته فاذا اطلع عليه واحد من اهل الدين رجع الى
الوقار واطراق الراس خوفا من ان ينسب الى العجلة وقلة الوقار فان غاب الرجل عاد الى عجلته فاذا راه عاد الى خشوعه
ولم يحضره ذكر الله حتى يكون يجدد الخشوع له بل هو لاطلاع انسان عليه يخشى لئلا يعتقد فيه انه من العباد والصلحاء ومنهم
من اذا سمع هذا استحيى من ان تخالف مشيته في الخلوة مشيته بمرأى من الناس فيكلف نفسه المشية الحسنة في الخلوة
حتى اذا راه الناس لم يفتقر الى التغيير ويظن انه يتخلص به عن الريا وقد تضاعف به رياؤه فانه صار في خلوته ايضا مرائيا فانه
انما يحسن مشيته في الخلوة ليكون كذلك في الملا لا لخوف من الله وحياء منه واما اهل الدنيا فمراءاتهم بالتبختر والاختيال
وتحريك اليدين وتقريب الخطى والاخذ باطراف الذيل وادارة العطفين ليدلوا بذلك على الجاه والحشمة ه الخامس
المراءاة بالاصحاب والزائرين والمخالطين كالذي يتكلف ان يستزير عالما من العلماء ليقال ان فلانا قد زار فلانا او عابدا من العباد
ليقال ان اهل الدين يتبركون بزيارته ويترددون اليه او ملكا من الملوك او عاملا من عمال السلطان ليقال انهم يتبركون
به لعظم رتبته في الدين وكالذي يكثر ذكر الشيوخ ليرى انه لقي شيوخا كثيرة واستفاد منهم فيباهي بشيوخه ومباهاته

ومرايا به يتبجح منه عند مخاصمته فيقول لغيره ومن لقيت من الشيوخ وانا قد لقيت فلانا وفلانا ودرت البلاد وخدمت
الشيوخ وما يجري مجراه فهذه مجامع ما يرائي به المراؤون وكلهم يطلبون به الجاه والمنزلة في قلوب العباد ومنهم من يقنع
بحسن الاعتقادات فيه فكم من راهب انزوى الى ديره سنين كثيرة وكم من عابد اعتزل الى قلة جبل مدة مديدة وانما خبأته
من حيث علمه بقيام جاهه في قلوب الخلق ولو عرف انهم نسبوه الى جريمة في ديره او صومعته لتشوش عليه امره ولم يقنع بعلم الله
ببراءة ساحته بل يشتد لذلك غمه ويسعى بكل حيلة في ازالة ذلك من قلوبهم مع انه قد قطع طمعه عن اموالهم ولكنه يحب مجرد الجاه فانه
لذيذ كما ذكرناه في اسبابه فانه نوع قدرة وكمال في الحال وان كان سريع الزوال لا يغتر به الا الجهال وان كان سريع الزوال ولكن اكثر الناس
جهال ومن المرائين من لا يقنع بقيام منزلته بل يلتمس مع ذلك اطلاق اللسان بالثناء والحمد ومنهم من يريد انتشار الصيت في البلاد
لتكثر الرحلة اليه ومنهم من يريد الاشتهار عند الملوك لتقبل شفاعته وتنجز الحوائج على يديه فيقوم له به جاه عند العامة ومنهم
من يقصد التوصل بذلك الى جمع حطام وكسب مال ولو من الاوقاف واموال اليتامى وغير ذلك من الحرام وهؤلاء شر طبقات
المرائين الذين يراؤون بالاسباب التي ذكرناها فهذه حقيقة الرياء وما به يقع الرياء فان قلت فالرياء حرام او مكروه او مباح او فيه تفصيل
فاقول فيه تفصيل فان الرياء هو طلب الجاه وهو اما ان يكون بالعبادات او بغير العبادات فان كان بغير العبادات فهو كطلب
المال فلا يحرم من حيث انه طلب منزلة في قلوب العباد ولكن كما يمكن كسب المال بتلبيسات واسباب محظورة فكذلك الجاه وكما
ان كسب قليل المال وهو ما لا يحتاج الانسان اليه محمود فكسب قليل من الجاه وهو ما يسلم به عن الآفات محمود وهو الذي طلبه يوسف
عليه السلام حيث قال فيما اخبر عنه الرب تعالى اني حفيظ عليم وكما ان المال فيه سم ناقع فكذلك الجاه وكما ان كثرة المال تلهي
وتطغي وتنسي ذكر الله والدار الآخرة فكذلك كثرة الجاه بل اشد وفتنة الجاه اعظم من فتنة المال وكما انا لا نقول تملك المال الكثير
حرام فلا نقول ايضا تملك القلوب الكثيرة حرام الا اذا حملته كثرة المال وكثرة الجاه على مباشرة ما لا يجوز نعم انصراف الهم الى
سعة الجاه مبدأ الشرور كانصراف الهم الى كثرة المال ولا يقدر محب الجاه والمال على ترك المعاصي القلب واللسان وغيرها واما
سعة المال من غير حرص منك على طلبه ومن غير اغتمام بزواله ان زال فلا ضرر فيه ولا جاه اوسع من جاه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وجاه الخلفاء الراشدين ومن بعدهم من علماء الدين ولكن انصراف الهم الى طلب الجاه نقصان في الدين ولا يوصف بالتحريم فعلى هذا
نقول تحسين الثوب الذي يلبسه الانسان عند الخروج الى الناس مراءاة وهو ليس بحرام لانه ليس رياء بالعبادة بل بالدنيا
وقس على هذا كل تجمل للناس وتزين لهم والدليل عليه ما روي عن عائشة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد ان يخرج على اصحابه
وكان ينظر في حب الماء ويسوي عمامته وشعره فقالت اوتفعل ذلك يا رسول الله قال نعم ان الله تعالى يحب من العبد ان يتزين لاخوانه
اذا خرج اليهم نعم هذا كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم عبادة لانه كان مأمورا بدعوة الخلق وترغيبهم في الاتباع واستمالة قلوبهم
ولو سقط عن اعينهم لم يرغبوا في اتباعه وكان يجب عليه ان يظهر لهم محاسن احواله لئلا تزدريه اعينهم فان اعين عوام الخلق تمتد
الى الظواهر دون السرائر فكان ذلك قصد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن لو قصد قاصد به ان يحسن نفسه في اعينهم حذرا
من ذمهم ولومهم واسترواحا الى توقيرهم واحترامهم كان قد قصد امرا مباحا اذ للانسان ان يحترز من الم المذمة ويطلب راحة الانس
بالاخوان ومهما استثقلوه واستقذروه لم يأنسوا به فاذا المراءاة بما ليس من العبادات قد يكون مباحا وقد يكون طاعة وقد يكون
مذموما وذلك بحسب الغرض المطلوب به وكذلك نقول الرجل اذا انفق ماله على جماعة من الاغنياء لا في معرض العبادة والصدقة
ولكن ليعتقد الناس انه سخي فهذا مراءاة وليس بحرام وكذلك امثاله اما العبادات كالصدقة والصلاة والغزو والحج فللمرائي فيه حالتان

قائل [illegible]

احداهما ان لا يكون له قصد الا الرياء المحض دون الاجر وهذا يبطل عبادته لان الاعمال بالنيات وهذا ليس يقصد العبادة
ثم لا يقتصر على احباط عبادته حتى نقول صار كما كان قبل العبادة بل يعصي بذلك ويأثم لما دل عليه الاخبار والآيات والمعنى فيه
ان احدهما يتعلق بالعباد وهو التلبيس والمكر لانه خيل اليهم انه مخلص مطيع لله وانه من اهل الدين وليس كذلك والتلبيس ايضا
في امر الدنيا حرام حتى لو قضى دين جماعة وخيل الى الناس انه متبرع عليهم ليعتقدوا سخاوته اثم فيه لما فيه من التلبيس وتملك
القلوب بالخداع والمكر والثاني يتعلق بالله سبحانه وهو انه مهما قصد بعبادة الله تعالى خلق الله فهو مستهزئ بالله ولذلك
قال قتادة اذا راءى العبد قال الله تعالى لملائكته انظروا اليه كيف يستهزئ بي ومثاله ان يتمثل بين يدي ملك من الملوك طول النهار
كما جرت عادة الخدمة وانما وقوفه لملاحظة جارية من جواري الملك او غلاما من غلمانه فان هذا استهزاء بالملك اذ لم يقصد
التقرب الى الملك بالخدمة بل قصدت به عبدا من عباده فاي استحقار يزيد على ان يقصد العبد بطاعة الله تعالى مراءاة عبد
ضعيف لا يملك ضرا ولا نفعا وهل ذلك الا انه يظن ان ذلك العبد الضعيف اقدر على تحصيل اغراضه من الله وانه اولى بالتقرب
اليه من الله اذ آثره على ملك الملوك فجعله مقصود عبادته واي استهزاء يزيد على رفع العبد فوق المولى فهذا من كبائر المهلكات
ولهذا سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الشرك الاصغر نعم بعض درجات الرياء اشد من بعض كما سيأتي في درجات الرياء ولا يخلو شيء منه
عن اثم غليظ او خفيف بحسب ما به المراءاة ولو لم يكن في الرياء الا انه يسجد ويركع لغير الله لكان فيه كفاية فانه وان
لم يقصد التقرب الى الله تعالى فقد قصد غير الله لعمري لو عظم غير الله بالسجود لكفر كفرا جليا الا ان الرياء هو الكفر الخفي لان المرائي
عظم في قلبه الناس فاقتضت تلك العظمة ان يسجد ويركع وكان الناس هم المعظمون بالسجود وبقي تعظيم الخلق كان ذلك قريبا من
الشرك الا انه قصد تعظيم نفسه في قلب من عظم عنده باظهار من نفسه صورة التعظيم لله فعن هذا كان شركا خفيا
لا شركا جليا وهذا غاية الجهل ولا يقدم عليه الا من خدعه الشيطان واوهم عنده ان العباد يملكون من نفعه وضره ورزقه واجله
ومصالح حاله وماله اكثر مما يملكه الله فلذلك عدل بوجهه عن الله تعالى اليهم واقبل بقلبه عليهم ليستميل بذلك قلوبهم ولو
وكله الله اليهم في الدنيا والآخرة لكان ذلك اقل مكافاة له على صنيعه فان العباد كلهم عاجزون عن انفسهم لا يملكون لانفسهم
ضرا ولا نفعا فكيف لغيرهم هذا في الدنيا فكيف في يوم لا يجزي والد عن ولده شيئا بل يقول الانبياء فيه نفسي نفسي فكيف يستبدل
الجاهل عن ثواب الآخرة ونيل القرب عند الله ما يترقبه بطمعه الكاذب في الدنيا من الناس ولا ينبغي ان تشك في ان المرائي
بطاعة الله في سخط الله من حيث النقل والقياس جميعا هذا اذا لم يقصد الاجر فاما اذا قصد الاجر والحمد جميعا في صدقته وصلاته
فهو الشرك الذي يناقض الاخلاص وقد ذكرنا حكمه في كتاب الاخلاص ويدل على ما ذكرناه في الآثار من قول سعيد بن المسيب وعبادة
بن الصامت انه لا اجر فيه اصلا

بيان درجات الرياء

اعلم ان بعض ابواب الرياء اشد واغلظ من بعض واختلافه باختلاف
اركانه وتفاوت الدرجات فيه واركانه ثلاثة المرائى به والمرائى لاجله ونفس قصد الرياء

الركن الاول نفس قصد الرياء
وذلك لا يخلو اما ان يكون مجردا دون ارادة الله تعالى والثواب واما ان يكون مع ارادة الثواب فان كان كذلك فلا يخلو اما ان
تكون ارادة الثواب اقوى واغلب او اضعف او مساويا لارادة العباد فتكون الدرجات اربعا

الدرجة الاولى وهي
اغلظها ان لا يكون مراده الثواب اصلا كالذي يصلي بين اظهر الناس ولو انفرد لكان لا يصلي بل ربما يصلي من غير طهارة مع الناس
وهو لا يقصد الثواب فهذا جرد قصده الى الرياء فهو الممقوت عند الله وكذلك من يخرج الصدقة خوفا من مذمة الناس وهو
لا يقصد الثواب ولو خلا بنفسه لما اداها فهذه الدرجة العليا من الرياء

الدرجة الثانية ان يكون له قصد الثواب ايضا ولكن

قصداً ضعيفاً بحيث لو كان في الخلوة لكان لا يفعله ولا يحمله ذلك القصد على العمل ولو لم يكن الثواب لكان قصد الرياء يحمله على
العمل فهذا قريب مما قبله وما فيه من شائبة قصد الثواب لا يستقل بحمله على العمل لا ينفي عنه المقت والاثم الدرجة الثالثة
ان يكون قصد الثواب وقصد الرياء متساويين بحيث لو كان كل واحد منهما خالياً عن الآخر لم يبعثه على العمل فلما اجتمعا
انبعثت الرغبة او كان كل واحد منهما لو انفرد لاستقل بحمله على العمل فهذا قد افسد مثل ما اصلح فيرجى ان يسلم راساً براس لا له
ولا عليه او يكون له من الثواب مثل ما عليه من العقاب وظواهر الاخبار تدل على انه لا يسلم وقد تكلمنا عليه في كتاب الاخلاص
الدرجة الرابعة ان يكون اطلاع الناس مرجحاً ومقوياً لنشاطه ولو لم يكن لكان لا يترك العبادة ولو كان قصد الرياء وحده لما اقدم
فالذي نظنه والعلم عند الله انه لا يحبط اصل الثواب ولكنه ينقص منه او يعاقب على مقدار قصد الرياء ويثاب على مقدار قصد الثواب
واما قوله تعالى انا اغنى الاغنياء عن الشرك فهو محمول على ما اذا تساوى القصدان او كان قصد الرياء ارجح الركن الثاني
المرائي به وهو الطاعات وذلك ينقسم الى الرياء باصول العبادات والى الرياء باوصافها ٥ القسم الاول وهو الاغلظ
الرياء بالاصول وهو على ثلاث درجات الدرجة الاولى الرياء باصل الايمان وهذا اغلظ ابواب الرياء وصاحبه مخلد في النار
وهو الذي يظهر كلمتي الشهادة وباطنه مشحون بالتكذيب ولكنه يرائي بظاهر الاسلام وهو الذي ذكره الله تعالى في كتابه
في مواضع شتى كقوله تعالى اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله الى قوله لكاذبون اي في دلالتهم بقولهم على
ما في ضمائرهم وقال تعالى ومن الناس من يعجبك قوله في الحيوة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه الى قوله لا يحب الفساد وقال
تعالى واذا لقوكم قالوا امنا واذا خلوا الى اخره وقوله تعالى يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلاً والآيات فيهم كثيرة وكان
النفاق كثيراً في ابتداء الاسلام ممن يدخل في ظاهر الاسلام ابتداءً لغرض وذلك مما يقل في زماننا ولكن يكثر نفاق من ينسل عن الدين
باطناً فيجحد الجنة والنار والدار الاخرة ميلاً الى قول الملحدة او يعتقد طي بساط الاحكام ميلاً الى الاباحة او يعتقد كفراً
او بدعة وهو يظهر خلافه فهو من المنافقين المرائين المخلدين في النار وليس وراء هذا الرياء رياء وحال هؤلاء اشد من حال الكفار
المجاهرين فانهم جمعوا بين كفر الباطن ونفاق الظاهر الثانية الرياء باصول العبادات مع التصديق باصل الدين وهذا ايضاً
عظيم عند الله ولكنه دون الاول بكثير ومثاله ان يكون مال الرجل في يد غيره فيامره باخراج الزكوة خوفاً من ذمه والله تعالى يعلم منه
انه لو كان في يده لما اخرجها او يدخل وقت الصلوة وهو في جمع وعادته ترك الصلوة في الخلوة وكذلك يصوم رمضان وهو يشتهي خلوة
خلوة من الخلق ليفطر وكذلك يحضر الجمعة ولولا خوف المذمة لكان لا يحضرها او يصل رحمه او يبر والديه لا عن رغبة ولكن خوفاً
من الناس او يغزو او يحج لذلك فهذا مراء معه اصل الايمان بالله يعتقد انه لا معبود سواه ولو كلف ان يعبد غير الله او يسجد لغير الله
لم يفعل ولكنه يترك العبادات للكسل وينشط عند اطلاع الناس فيكون منزلته عند الخلق احب اليه من منزلته عند الخالق وخوفه
من مذمة الناس اعظم من خوفه من عقاب الله ورغبته في محمدتهم اشد من رغبته في ثواب الله وهذا غاية الجهل وما اجدر
صاحبه بالمقت وان كان غير منسل عن اصل الايمان من حيث الاعتقاد الثالثة ان لا يرائي بالايمان ولا بالفرائض ولكن
يرائي بالنوافل والسنن التي لو تركها لا يعصي ولكنه يكسل عنها في الخلوة لفتور رغبته في ثوابها ولايثار لذة الكسل على ما يرجو
ثم يبعثه الرياء على فعله وذلك كحضور الجماعة في الصلوة وعيادة المريض واتباع الجنازة وغسل الميت وكالتهجد بالليل وصيام
عرفة وعاشوراء ويوم الاثنين والخميس فقد يفعل المرائي جملة ذلك خوفاً من المذمة او طلباً للمحمدة ويعلم الله تعالى منه انه لو خلا
بنفسه لما زاد على اداء الفرائض فهذا عظيم ولكن دون ما قبله فان الذي آثر حمد الخلق اعظم عنده من عقاب الله واما هذا فلم يفعل

لم يفعل ذلك لانه لم يخف عقاباً على ترك النافلة لو تركها وكانه على الشطر من الاول وعقابه نصف عقابه فهذه هو الرياء
باصول العبادات القسم الثاني الرياء باوصاف العبادات لا باصولها وهو ايضاً على ثلاث درجات الدرجة الاولى
ان يرائي بفعل ما في تركه نقصان العبادة كالذي غرضه ان يخفف الركوع والسجود ولا يطول القراءة فاذا راه الناس احسن
الركوع والسجود وترك الالتفات وتمم القعود بين السجدتين وقد قال ابن مسعود من فعل ذلك فهو استهانة يستهين بها
ربه اي انه ليس يبالي باطلاع الله عليه في الخلوة فاذا اطلع آدمي عليه احسن الصلوة ومن جلس بين يدي انسان متربعاً او متكئاً فدخل
غلامه فاستوى جالساً واحسن الجلسة كان ذلك تقديماً للغلام على السيد واستهانة بالسيد لا محالة وهذا حال المرائي بتحسين
الصلوة في الملأ دون الخلوة وكذلك يعتاد اخراج الزكوة من الدنانير الرديئة ومن الحب الردي فاذا اطلع عليه غيره اخرجه
من الجيد خوفاً من المذمة وكذلك الصائم يصون صومه عن الغيبة والرفث لا لاكمال العبادة الصوم خوفاً من المذمة فهذا
ايضاً من الرياء المحظور لان فيه تقديماً للمخلوق على الخالق ولكنه دون الرياء باصول التطوعات فان قال المرائي انما فعلت
ذلك لصيانة السنتهم عن الغيبة فانهم اذا راوا تخفيف الركوع والسجود وكثرة الالتفات اطلقوا اللسان بالذم و
الغيبة فانما قصدت صيانتهم عن هذه المعصية فيقال له هذه مكيدة للشيطان عندك وتلبيس وليس الامر كذلك فان
ضررك من نقصان صلوتك وهي خدمة منك لمولاك اعظم من ضررك من غيبة غيرك فلو كان باعثك الدين لكان شفقتك
على نفسك اكثر من شفقتك على غيرك وما انت في هذا الا كمن يهدي وصيفة الى ملك لينال منه ولاية يتقلدها فيهديها
اليه وهي عوراء قبيحة مقطوعة الاطراف ولا يبالي به اذا كان الملك وحده واذا كان عنده بعض غلمانه امتنع خوفاً من مذمة
غلمانه وذلك محال بل من يراعي جانب غلام الملك ينبغي ان يكون مراقبته للملك اكثر نعم للمرائي فيه حالتان احداهما ان يطلب
بذلك المنزلة والمحمدة عند الناس وذلك حرام قطعاً والثانية ان يقول ليس يحضرني الاخلاص في الركوع والسجود ولو
خففت كانت صلوتي عند الله ناقصة وآذاني الناس بذمهم وغيبتهم ولا ارجو عليه ثواباً فهو خير من ان ترك تحسين الصلوة فيفوت الثواب
وتحصل المذمة فهذا فيه ادنى نظر والصحيح ان الواجب عليه ان يحسن ويخلص فان لم يحضره النية فينبغي ان يستمر على عادته في
الخلوة فليس له ان يدفع الذم بالمراياة بطاعة الله فان ذلك استهزاء كما سبق الدرجة الثانية ان يرائي بفعل ما لا نقصان
في تركه ولكن في حكم التكملة والتتمة لعبادته كالتطويل في الركوع والسجود ومد القيام وتحسين الهيئة في رفع اليدين
والمبادرة الى التكبيرة الاولى وتحسين الاعتدال والزيادة في القراءة على السورة المعتادة وكذلك كثرة الخلوة في صوم
رمضان وطول الصمت وكاختيار الاجود على الجيد في الزكوة واعتاق الرقبة الغالية في الكفارة وكل ذلك مما لو خلي
ونفسه لكان لا يقدم عليه ٥ الدرجة الثالثة ان يرائي بزيادات خارجة عن نفس النوافل ايضاً كحضوره الجماعة قبل القوم
وقصده الصف الاول وتوجهه الى يمين الامام وما يجري مجراه وكل ذلك مما يعلم الله منه انه لو خلا بنفسه لكان لا يبالي
اين وقف ومتى يحرم بالصلوة فهذه درجات الرياء بالاضافة الى ما يرائي به وبعضه اشد من بعض والكل مذموم الركن الثالث
المراءى لاجله فان للمرائي مقصوداً لا محالة فانما يرائي لادراك مال او جاه او غرض من الاغراض لا محالة وله ايضاً ثلاث درجات
الدرجة الاولى وهي اشدها واعظمها ان يكون مقصوده التمكن من معصية كالذي يرائي بعباداته ويظهر التقوى
والورع بكثرة النوافل والامتناع عن اكل الشبهات وغرضه ان يعرف بالامانة فيولى القضاء او الاوقاف او الوصايا او
مال الايتام فياخذها او يسلم اليه تفرقة الزكوات والصدقات ليستأثر بما يقدر عليه منها او يودع الودائع فياخذها

بحمدها او يسلم اليه الاموال التى تنفق فى طريق الحج فيختزل بعضها او كلها او يتوصل بها الى استتباع الحجيج ويتوصل بقوتهم الى مقاصده الفاسدة فى المعاصى وقد يظهر بعضهم زى التصوف وهيأة الخشوع وكلام الحكمة على سبيل الوعظ والتذكير وانما قصده التحبب الى امراة او غلام لاجل الفجور وقد يحضرون مجالس العلم والتذكير وحلق القرآن يظهرون الرغبة فى سماع العلم والقرآن او يخرج الى الحج ومقصوده الظفر بمن فى الرفقة من امراة او غلام وهؤلاء ابغض المرائين الى الله تعالى لانهم جعلوا طاعة ربهم سلما الى معصيته واتخذوه آلة ومتجرا وبضاعة لهم فى فسقهم ويقرب من هؤلاء وان كان دونهم من هو مقترف جريمة اتهم بها وهو مصر عليها ويريد ان ينفى التهمة عن نفسه فيظهر التقوى لنفى التهمة كالذى جحد وديعة واتهمه الناس بها فيتصدق بالمال ليقال انه يتصدق بمال نفسه فكيف يستحل مال غيره وكذلك من ينسب الى الفجور بامراة او غلام فيدفع التهمة عن نفسه بالخشوع واظهار التقوى

الرتبة الثانية ان يكون غرضه نيل حظ مباح من حظوظ الدنيا من مال او نكاح امراة جميلة او شريفة كالذى يظهر الحزن والبكاء ويشتغل بالوعظ والتذكير لتبذل له الاموال ويرغب فى نكاحه النساء فيقصد اما امراة بعينها لينكحها او امراة شريفة على الجملة والذى يرغب فى ان يتزوج بنت عالم عابد فيظهر له العلم والعبادة ليرغب فى تزويجه ابنته فهذا رياء محظور لانه طلب بطاعة الله متاع الحياة الدنيا ولكنه دون الاول فان المطلوب بهذا مباح فى نفسه

الرتبة الثالثة ان لا يقصد نيل حظ وادراك مال او نكاح ولكن يظهر عبادته خيفة من ان ينظر اليه بعين النقص ولا يعد من الخاصة والزهاد ويعتقد انه من جملة العامة كالذى يمشى فيطلع عليه الناس فيحسن المشى ويترك العجلة كيلا يقال انه من اهل اللهو والسهو لا من اهل الوقار وكذلك يسبق الى الضحك او يبدر منه المزاح فيخاف ان ينظر اليه بعين الاحتقار فيتبع ذلك بالاستغفار وتنفس الصعداء واظهار الحزن ويقول ما اعظم غفلة الآدمى عن نفسه والله يعلم منه انه لو كان فى خلوة لما يثقل عليه ذلك وانما اخاف ان لا ينظر اليه بعين التوقير وكالذى يرى جماعة يصلون التراويح او يتهجدون او يصومون الاثنين والخميس ويتصدقون فيوافقهم خيفة ان ينسب الى الكسل فيلحق بالعوام ولو خلا بنفسه لكان لا يفعل شيئا منه وكالذى يعطش فى يوم عرفة او يوم عاشوراء او فى الاشهر الحرم فلا يشرب خوفا من ان يعلم الناس انه غير صائم فاذا ظنوا به الصوم امتنع عن الاكل او يدعى الى طعام فيمتنع ليظن انه صائم وقد لا يصرح بانه صائم ولكن يقول لى عذر وهذا جمع بين خبثين فانه يرى انه صائم ثم يرى انه مخلص ليس بمراء وانه يحترز من ان يذكر عبادته للناس فيكون مرائيا ويريد ان يقال انه ساتر لعبادته وان اضطر الى شرب لم يصبر عن ان يذكر لنفسه فيه عذرا تصريحا او تعريضا او يتعلل بمرض يقتضى فرط العطش ويمنع من الصوم او يقول افطرت تطييبا لقلب فلان ثم قد لا يذكر ذلك متصلا بشربه كيلا يظن انه يعتذر رياء ولكن يصبر ثم يذكر عذره فى معرض حكاية عرضا مثل ان يقول ان فلانا محب للاخوان شديد الرغبة فى ان ياكل الانسان من طعامه وقد الح اليوم على ولم اجد بدا من تطييب قلبه ومثل ان يقول ان امى ضعيفة القلب مشفقة على تظن انى لو صمت يوما مرضت فلا تدعنى اصوم فهذا وما يجرى مجراه علامات الرياء فلا يسبق الى اللسان الا لرسوخ عرق الرياء فى الباطن اما المخلص فانه لا يبالى كيف نظر اليه الخلق فان لم يكن له رغبة فى الصوم وقد علم الله تعالى ذلك منه ولا يريد ان يعتقد غيره ما يخالف علم الله فيكون ملبسا وان كان له رغبة فى الصوم لله قنع بعلم الله ولم يشرك فيه غيره وقد يخطر له ان فى اظهاره اقتداء غيره به وتحريك رغبة الناس فيه ففيه مكيدة وغرور وسياتى شرح ذلك وشروطه فهذه درجات الرياء ومراتب اصناف المرائين وجميعهم تحت مقت الله وغضبه وهو من اشد المهلكات وان من شدته ان فيه شوائب هى اخفى من دبيب النملة كما ورد به الخبر يزل فيه فحول العلماء فضلا عن العباد الجهلة بآفات

النفوس وغوائل القلوب

بيان الرياء الخفى الذى هو اخفى من دبيب النمل

اعلم ان الرياء جلى وخفى فالجلى هو الذى يبعث على العمل ويحمل عليه ولو قصد الثواب وهو اجلاه واخفى منه قليلا هو ما لا يحمل على العمل بمجرده الا انه يخفف العمل الذى اريد به وجه الله تعالى كالذى يعتاد التهجد كل ليلة ويثقل عليه فاذا نزل عنده الضيف نشط له وخف عليه وعلم انه لولا رجاء الثواب لكان لا يصلى لمجرد رياء الضيفان واخفى من ذلك ما لا يؤثر فى العمل ولا بالتسهيل والتخفيف ايضا ولكنه مع ذلك مستبطن فى القلب ومهما لم يؤثر فى الدعاء الى العمل لم يمكن ان يعرف الا بالعلامات واجلى علاماته ان يسر باطلاع الناس على طاعته فرب عبد يخلص فى عمله ولا يعتقد الرياء بل يكرهه ويرده ويتمم العمل كذلك ولكن اذا اطلع عليه الناس سره ذلك وارتاح له وروح ذلك عن قلبه شدة العبادة وهذا السرور يدل على رياء خفى منه يرشح السرور ولولا التفات القلب الى الناس لما ظهر سروره عند اطلاع الناس فلقد كان الرياء مستكنا فى القلب استكنان النار فى الحجر فاظهر فيه اطلاع الخلق اثر الفرح والسرور ثم اذا استشعر لذة السرور بالاطلاع ولم يقابل ذلك بكراهية فيصير ذلك قوتا وغذاء للعرق الخفى من الرياء حتى يتحرك على نفسه حركة خفية فيتقاضى تقاضيا خفيا ان يتكلف سببا يطلع عليه بالتعريض والقاء الكلام عرضا وان كان لا يدعو الى التصريح وقد يخفى فلا يدعو الى الاظهار بالنطق تعريضا وتصريحا ولكن بالشمائل كاظهار النحول والصفار وخفض الصوت ويبس الشفتين وجفاف الريق وآثار الدموع وغلبة النعاس الدال على طول التهجد واخفى من ذلك ان يختفى بحيث لا يريد الاطلاع ولا يسر بظهور طاعته ولكن مع ذلك اذا رأى الناس احب ان يبدؤه بالسلام وان يقابلوه بالبشاشة والتوقير وان يثنوا عليه وان ينشطوا فى قضاء حوائجه وان يسامحوه فى البيع والشراء وان يوسعوا له المكان فان قصر فيه مقصر ثقل ذلك على قلبه ووجد لذلك استبعادا فى نفسه كان نفسه تتقاضى الاحترام على الطاعة التى اخفاها مع انه لم يطلع عليه ولو لم يكن قد سبق منه تلك الطاعة لما كان يستبعد تقصير الناس فى حقه ومهما لم يكن وجود العبادة كعدمها فى كل ما يتعلق بالخلق لم يكن قد قنع بعلم الله ولم يكن خاليا عن شوب خفى من الرياء اخفى من دبيب النمل وكل ذلك يوشك ان يحبط الاجر ولا يسلم منه الا الصديقون وقد روى عن على عليه السلام انه قال ان الله سبحانه يقول للقراء يوم القيامة الم يكن يرخص عليكم السعر الم تكونوا تبتدؤن بالسلام الم يكن يقضى لكم الحوائج وفى الحديث الآخر لا اجر لكم قد استوفيتم اجوركم وقال عبد الله بن المبارك روى عن وهب بن منبه انه قال ان رجلا من السياح قال لاصحابه انا انما فارقنا الاموال والاولاد مخافة الطغيان فنخاف ان يكون قد دخل علينا فى امرنا هذا من الطغيان اكثر مما دخل على اهل الاموال فى اموالهم ان احدنا اذا لقى احب ان يعظم لمكان دينه وان سأل حاجة احب ان تقضى له لمكان دينه وان اشترى شيئا احب ان يرخص عليه لمكان دينه فبلغ ذلك ملكهم فركب فى موكب من الناس فاذا السهل والجبل قد امتلأ بالناس فقال السائح ما هذا قيل هذا الملك قد اظلك فقال للغلام ائتنى بطعام فاتاه ببقل وزيت وقلوب الشجر فجعل يحشو شدقيه وياكل اكلا عنيفا فقال الملك اين صاحبكم فقالوا هذا قال كيف انت قال كالناس وفى حديث آخر بخير فقال الملك ما عند هذا من خير فانصرف عنه فقال السائح الحمد لله الذى صرفك عنى وانت لى ذام فلم يزل المخلصون خائفين من الرياء الخفى يجتهدون لذلك فى مخادعة الناس عن اعمالهم الصالحة ويحرصون على اخفائها اعظم مما يحرص الناس على اخفاء فواحشهم كل ذلك رجاء ان يخلص عملهم لله فيجازيهم الله فى القيامة على ملأ من الخلق اذ علموا ان الله لا يقبل فى القيامة الا الخالص وعلموا شدة حاجتهم وفاقتهم فى القيامة وانه يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم ولا يجزى والد عن ولده ويشتغل فيه الصديقون بانفسهم فيقول كل واحد نفسى نفسى فضلا عن غيرهم فكانوا كزوار بيت الله اذا توجهوا الى مكة فانهم يستصحبون مع انفسهم

المذهب المغرور الخالص لعلمهم بان ارباب النواقد لا يروج عندهم الزيف والبهرج والحاجة تشتد في البادية ولا وطن يفزع
اليه ولا حميم يتمسك به فلا ينجي الا الخالص من النقد فهكذا يشاهد ارباب القلوب يوم القيمة والزاد الذي يتزودونه من
التقوى فاذن شوائب الريا الخفي كثيرة لا تنحصر ومهما ادرك من نفسه تفرقة بين ان يطلع على عبادته انسان او بهيمة ففيه شعبة
من الريا فانه لما قطع طمعه عن البهائم والصبيان الرضع اطلعوا على حركته او لم يطلعوا فلو كان مخلصا قانعا بعلم الله لاستحقر
عقلاء العباد كما استحقر صبيانهم ومجانينهم وعلم ان العقلاء لا يقدرون عليه كالبهائم والصبيان والمجانين فاذا لم يجد ذلك ففيه
شوب من الريا خفي ولكن ليس كل شوب محبطا للاجر ومفسدا للعمل بل فيه تفصيل فان قلت فما نرى احدا ينفك عن السرور اذا عرفت طاعاته
فالسرور مذموم كله او بعضه محمود وبعضه مذموم فنقول اولا كل سرور ليس مذموما بل السرور منقسم الى محمود والى مذموم فاما
المحمود فاربعة اقسام الاول ان يكون قصده اخفاء الطاعة والاخلاص لله ولكن لما اطلع عليه الخلق علم ان الله تعالى اطلعهم واطلعهم عليها
واظهر الجميل من احواله فيستدل به على حسن صنع الله ونظره له والطافه به فانه يستر الطاعة والمعصية ثم الله يستر عليه المعصية
ويظهر الطاعة ولا لطف اعظم من ستر القبيح واظهار الجميل فيكون فرحه بجميل نظر الله له لا بحمد الناس وقيام المنزلة فبذلك فليفرحوا
فكانه اظهر له انه عند الله مقبول ففرح به الثاني ان يستدل باظهار الجميل وستر القبيح عليه في الدنيا انه كذلك يفعله في الآخرة
اذ قال النبي صلى الله عليه وسلم ما ستر الله على عبد في الدنيا ذنبا الا ستره الله عليه في الآخرة فيكون الاول فرحا بالقبول في الحال
من غير ملاحظة المستقبل وهذا التفات الى المستقبل والثالث ان يظن رغبة المطلعين على الاقتداء به في الطاعة فتتضاعف
بذلك اجره فيكون له اجر العلانية بما اظهر آخرا واجر السر بما قصده اولا ومن اقتدى به في طاعة فله اجر اعمال المقتدين به من
غير ان ينقص من اجورهم شيء وتوقع ذلك جدير بان يكون سبب السرور فان ظهور مخايل الربح لذيذ وموجب للسرور لا محالة
والرابع ان يحمده المطلعون على طاعته فيفرح بطاعتهم لله في مدحهم وبحبهم للمطيع وبميل قلوبهم الى الطاعة اذ من اهل الايمان
من يرى اهل الطاعة فيمقته ويحسده او يذمه ويهزأ به او ينسبه الى الريا ولا يحمده عليه فهذا فرح بحسن ايمان عباد الله وعلامة
الاخلاص في هذا النوع ان يكون فرحه بحمدهم غيره مثل فرحه بحمدهم اياه واما المذموم فهو الخامس وهو ان يكون فرحه لقيام
منزلته في قلوب الناس حتى يمدحوه ويعظموه ويقوموا بقضاء حوائجه ويقابلوه بالاكرام في مصادره وموارده فهذا مكروه

بيان ما يحبط العمل من الريا الخفي والجلي وما لا يحبط فنقول اذا عقد العبد العبادة على الاخلاص ثم ورد عليه
بعد فراغه من العمل او قبل الفراغ فان ورد بعد الفراغ سرور مجرد بالظهور من غير اظهار فهذا لا يحبط العمل اذ العمل قد تم
على نعت الاخلاص سالما عن الريا فما يطرأ عليه بعده فنرجو ان لا ينعطف عليه اثره لا سيما اذا لم يتكلف هو اظهاره والتحدث به
ولم يتمن ذكره واظهاره ولكن اتفق ظهوره باظهار الله ولم يكن منه الا ما دخل من السرور والارتياح على قلبه نعم لو تم العمل على الاخلاص
من غير عقد ريا ولكن ظهرت له بعده رغبة في الاظهار فتحدث به واظهره فهذا مخوف وفي الآثار والاخبار ما يدل على انه
محبط فقد روي عن ابن مسعود انه سمع رجلا يقول قرات البارحة سورة البقرة فقال ذلك حظه منها وروي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال لرجل قال له صمت الدهر يا رسول الله فقال له ما صمت ولا افطرت فقال بعضهم قال ذلك
لانه اظهره وقيل هو اشارة الى كراهة صوم الدهر وكيف ما كان فيحتمل ان يكون ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ابن مسعود
استدلالا على ان قلبه عند العبادة لم يخل عن عقد الريا وقصده لما ان ظهر منه التحدث به اذ يبعد ان يكون ما يطرأ على العبد من
العمل مبطلا لثواب العمل بل الاقيس ان يقال انه مثاب على عمله الذي مضى ومعاقب على مراياته بطاعة الله بعد الفراغ من الصلوة فان

بعد الفراغ منه بخلاف ما لو تغير عقده الى الريا قبل الفراغ من الصلوة فان ذلك قد يبطل الصلوة ويحبط العمل اما اذا
ورد وارد الريا قبل الفراغ من الصلوة مثلا وكان قد عقد على الاخلاص ولكن ورد في اثنائها وارد الريا قبل الفراغ
فلا يخلو اما ان يكون مجرد سرور لا يؤثر في العمل واما ان يكون ريا باعثا على العمل فان كان باعثا على العمل وختم العبادة به حبط
اجره ومثاله ان يكون في تطوع فتجددت له نظارة او حضر ملك من الملوك وهو يشتهي ان ينظر اليه او يذكر شيئا نسيه
من ماله وهو يريد ان يطلبه ولولا الناس لقطع الصلوة فاستتمها خوفا من مذمة الناس فقد حبط اجره وعليه الاعادة
ان كان في فريضة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العمل كالوعاء اذا طاب آخره طاب اوله اي النظر الى خاتمته وروي
من رايا بعمله ساعة حبط عمله الذي كان قبله وهو منزل على الصلوة في هذه الصورة لا على الصدقة ولا على القراءة فان كل جزء
منها منفرد فما يطرأ يفسد الباقي دون الماضي والصوم والحج من قبيل الصلوة فاما اذا كان وارد بحيث لا يمنعه من قصد الاتمام
لاجل الثواب كما لو حضر جماعة في اثناء صلوته ففرح بحضورهم وانعقد الريا وقصد تحسين الصلوة لاجل نظرهم وكان لولا
حضورهم لكان يتمها ايضا فهذا ريا قد اثر في العمل وانتهض باعثا على الحركات فان غلب حتى انمحق معه الاحساس بقصد العبادة
والثواب وصار قصد العبادة مغمورا فهذا ايضا ينبغي ان يفسد العبادة مهما مضى ركن من اركانها على هذا الوجه لانا نكتفي
بالنية السابقة عند الاحرام بشرط ان لا يطرأ عليها ما يغلبها ويغمرها ويحتمل ان يقال لا يفسد العبادة نظرا الى حالة العقد والى بقاء
اصل قصد الثواب وان ضعف بهجوم قصد هو اغلب منه ولقد ذهب الحارث المحاسبي الى الاحتياط في امر اهون منه
فقال اذا لم يرد به الا مجرد السرور باطلاع الناس يعني سرورا هو حب المنزلة والجاه قال قد اختلف الناس في هذا فصارت
فرقة الى انها تحبط لانه قد نقض العزم الاول وركن الى حمد المخلوقين ولم يختم عمله بالاخلاص وانما يتم العمل بخاتمته ثم قال ولا
اقطع عليه بالحبط وان لم يتزيد في العمل ولا آمن عليه وقد كنت اقف فيه لاختلاف الناس والاغلب على قلبي انه يحبط اذا ختم عمله
بالريا ثم قال فان قيل قد قال الحسن انهما حالتان فاذا كانت الاولى لله لم تضره الثانية وقد روي ان رجلا قال لرسول الله صلى
الله عليه وسلم يا رسول الله اسر العمل لا احب ان يطلع عليه فيطلع عليه فيسرني قال لك اجران اجر السر واجر العلانية ثم
تكلم على الاثر والخبر فقال اما الحسن فانما اراد بقوله لا تضره اي لا يدع العمل ولا تضره الخطرة وهو يريد الله ولم يقل اذا عقد
الريا بعد عقد الاخلاص لم يضره واما الحديث فتكلم عليه بكلام طويل يرجع حاصله الى ثلاثة اوجه احدها انه يحتمل انه اراد ظهور
عمله بعد الفراغ وليس في الحديث انه قبل الفراغ والثاني انه اراد ان يسر به للاقتداء الناس به او يسر به لحمدهم له بما ذكرنا
من قبل لا سرورا به بسبب حب المحمدة والمنزلة بدليل انه جعل له به اجرا ولا ذاهب من الامة الى ان في السرور بالمحمدة اجرا
وغايته ان يعفى عنه فكيف يكون للمخلص اجر وللمرائي اجران والثالث انه قال اكثر من يروي الحديث يرويه غير متصل الى ابي هريرة
بل اكثرهم يوقفه على ابي صالح ومنهم من يرفعه فالحكم بالعمومات الواردة في الريا اولى هذا ما ذكره ولم يقطع به بل اظهر ميله
الى الاحباط والاقيس عندنا ان هذا القدر اذا لم يظهر اثره في العمل بل بقي العمل صادرا عن باعث الدين وانما انضاف اليه
سرور بالاطلاع فلا يفسد العمل لانه لم ينعدم به اصل نيته وبقيت تلك النية باعثة على العمل وحاملة على الاتمام واما
الاخبار التي وردت في الريا فهي محمولة على ما اذا لم يرد به الا الخلق واما ما ورد في الشركة فهو محمول على ما اذا كان قصد الريا
مساويا لقصد الثواب او اغلب منه اما اذا كان ضعيفا بالاضافة اليه فلا يحبط بالكلية ثواب الصدقة وسائر الاعمال ولا
ينبغي ان يفسد الصلوة ولا يبعد ايضا ان يقال ان الذي اوجب عليه صلوة خالصة لوجه الله والخالص ما لا يشوبه شيء فلا يكون

مؤديًا للواجب مع هذا الشوب والعلم عند الله فيه وقد ذكرنا في كتاب الاخلاص كلامًا اوفى مما اوردناه الآن فليرجع اليه
فهذا حكم الرياء الطارى بعد عقد العبادة اما قبل الفراغ او بعد الفراغ **القسم الثالث** الذي يقارن حال العقد بان
يبتدئ الصلوة على قصد الرياء فان تم عليه حتى سلم فلا خلاف في انه يقضي ولا يعتد بصلوته وان ندم عليه في اثناء ذلك واستغفر
ورجع قبل التمام ففيما يلزمه ثلاثة اوجه قالت فرقة لم تنعقد صلوته مع قصد الرياء فليستأنف وقالت فرقة يلزمه اعادة الافعال
كالركوع والسجود ويفسد افعاله دون تحريمة الصلوة لان التحريم عقد والرياء خاطر في قلبه لا يخرج التحريم عن كونه عقدًا وقالت
فرقة لا يلزمه اعادة شيء بل يستغفر الله بقلبه ويتم العبادة على الاخلاص وختم بالرياء لكان يفسد عمله وشبهوا ذلك بثوب
ابيض لطخ بنجاسة عارضة فاذا ازيل العارض عاد الى الاصل فقالوا ان الصلوة والركوع والسجود لا يكون الا لله ولو سجد
لغير الله لكان كافرًا ولكن اقترن به عارض الرياء ثم زال بالندم والتوبة وصار الى حالة لا يبالي بحمد الناس وذمهم فتصح صلوته
ومذهب الفريقين الاخيرين خارج عن قياس الفقه جدًا خصوصًا من قال يلزمه اعادة الركوع والسجود دون الافتتاح
لان الركوع والسجود ان لم يصح صارت افعالًا زائدة في الصلوة فتبطل الصلوة وكذلك قول من يقول لو ختم بالاخلاص صح
نظرًا الى الآخر فهو ايضًا ضعيف لان الرياء يقدح في النية واولى الاوقات بمراعاة النية حالة الافتتاح فالذي يستقيم على
قياس الفقه هو ان يقال ان كان باعثه مجرد الرياء في ابتداء العقد دون طلب الثواب وامتثال الامر لم ينعقد
افتتاحه ولم يصح ما بعده وذلك فيمن اذا خلا بنفسه لم يصل ولما رأى الناس تحرم بالصلوة وكان بحيث لو كان الثوب نجسًا ايضًا
كان يصلي لاجل الناس فهذه صلوة لا نية فيها اذ النية عبارة عن اجابة باعث الدين وههنا لا باعث ولا اجابة فاما اذا كان
بحيث لولا الناس ايضًا لكان يصلي الا انه ظهر له الرغبة في المحمدة ايضًا فاجتمع الباعثان فهذا اما ان يكون في صدقة وقراءة
وما ليس فيه تحليل وتحريم او في عقد صلوة وحج فان كان في صدقة فقد عصى الله باجابة باعث الرياء واطاعه باجابة باعث الثواب
فمن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرًا يره فله ثواب بقدر قصده الصحيح وعقاب بقدر قصده الفاسد ولا يحبط
احدهما الآخر وان كان في صلوة تقبل الفساد بتطرق خلل الى النية فلا يخلو اما ان يكون نفلًا او فرضًا فان كان نفلًا فحكمه ايضًا
حكم الصدقة فقد عصى من وجه واطاع من وجه اذ اجتمع في قلبه الباعثان ولا يمكن ان يقال صلوته فاسدة والاقتداء به باطل
ان من يصلي التراويح وتبين من قرائن حاله ان قصده الرياء باظهار حسن القراءة ولولا اجتماع الناس خلفه وخلا في البيت وحده
لما صلى لا يصح الاقتداء به فان المصير الى هذا بعيد جدًا بل يظن بالمسلم انه يقصد الثواب ايضًا بتطوعه فيصح باعتبار ذلك القصد صلوته
ويصح الاقتداء به وان اقترن به قصد آخر هو به عاص فاما اذا كان في فرض واجتمع الباعثان وكان كل واحد لا يستقل وانما يحصل
الانبعاث بمجموعهما فهذا لا يسقط الواجب عنه لان الايجاب لم ينتهض باعثًا في حقه بمجرده واستقلاله وان كان كل باعث
مستقلًا حتى لو لم يكن باعث الرياء لادى الفرض ولو لم يكن باعث الفرض لانشأ صلوة تطوعًا لاجل الرياء فهذا في محل النظر
وهو محتمل جدًا فيحتمل ان يقال ان الواجب صلوة خالصة ولم يؤد الواجب الخالص ويحتمل ان يقال الواجب امتثال الامر بباعث
مستقل بنفسه وقد وجد فاقتران غيره به لا يمنع سقوط الفرض عنه كما لو صلى في دار مغصوبة فانه وان كان عاصيًا بايقاع
الصلوة في الدار المغصوبة فانه مطيع باصل الصلوة ومسقط للفرض عن نفسه وتعارض الاحتمال في تعارض البواعث في اصل
الصلوة اما اذا كان الرياء في المبادرة مثلًا دون اصل الصلوة مثل من بادر الى الصلوة في اول الوقت لحضور جماعة ولو خلا
لاخر الى وسط الوقت ولولا الفرض لكان لا يبتدئ صلوة لاجل الرياء فهذا مما يقطع بصحة صلوته وسقوط الفرض به لان باعث

اصل الصلوة من حيث انها صلوة لم يعارضها غيره بل من حيث تعيين الوقت فهذا ابعد عن القدح في النية هذا في رياء
يكون باعثًا على العمل وحاملًا عليه فاما مجرد السرور باطلاع الناس اذا لم يبلغ اثره الى حيث يؤثر في العمل فبعيد ان
يفسد الصلوة فهذا ما نراه لائقًا بقانون الفقه والمسئلة غامضة من حيث ان الفقهاء لم يتعرضوا لها في فن الفقه و
الذين خاضوا فيها وتصرفوا لم يلاحظوا قوانين الفقه ومقتضى فتاوى الفقهاء في صحة الصلوة وفسادها بل حملهم الحرص على تصفية
القلوب وطلب الاخلاص على افساد العبادات بادنى الخواطر وما ذكرناه هو الاقصد فيما نراه والعلم عند الله فيه **بيان
دواء الرياء المحض وطريق معالجة القلب فيه** اعلم انك قد عرفت مما سبق ان الرياء المحبط للاعمال وسبب المقت عند الله وانه
من كبائر المهلكات وما هذا وصفه فجدير بالتشمير عن ساق الجد في ازالته ولو بالمجاهدة وتحمل المشاق فلا شفاء الا في شرب
الادوية المرة البشعة وهذه مجاهدة يضطر اليها العباد كلهم اذ الصبي خلق ضعيف العقل والعقد والتمييز ممتد العين
الى الخلق كثير الطمع فيهم فيرى الناس يتصنع بعضهم لبعض فيغلب عليه حب التصنع بالضرورة فيرسخ ذلك في نفسه وانما
يشعر بكونه ذلك مهلكًا بعد كمال عقله وقد انغرس الرياء في قلبه وترسخ فيه فلا يقدر على قلعه الا بمجاهدة شديدة بقية
من الشهوات فلا ينفك احد عن الحاجة الى هذه المجاهدة ولكنها تشق اولًا وتخف آخرًا وفي علاجه مقامان احدهما قلع
عروقه واصوله التي منها انشعابه والثاني دفع ما يخطر منه في الحال **المقام الاول** في قلع عروقه واستيصال
اصوله واصله حب المنزلة والجاه واذا فصل رجع الى ثلاثة اصول وهو لذة الحمد والفرار من الم الذم والطمع فيما
في ايدي الناس ويشهد للرياء بهذه الاسباب وانها الباعثة للمرائي ما روى ابو موسى ان اعرابيًا سأل النبي صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله ان الرجل يقاتل حمية ومعناه انه يأنف ان يقهر او يذم بانه مقهور مغلوب وقال والرجل يقاتل
ليرى مكانه وهذا هو طلب لذة الجاه والقدر في القلوب والرجل يقاتل للذكر وهذا هو الحمد باللسان فقال صلى الله
عليه وسلم من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله وقال ابن مسعود اذا التقى الصفان نزلت الملائكة فكتبت الناس
على مراتبهم فلان يقاتل للذكر وفلان يقاتل للملك والقتال للملك اشارة الى الطمع في الدنيا وقال عمر يقولون فلان شهيد
ولعله ان يكون قد ملأ دفتي راحلته ورقًا وقال صلى الله عليه وسلم من غزا لا يبتغي الا عقالا فله ما نوى وهذه اشارة الى
الطمع وقد لا يشتهي الحمد ولا يطمع فيه ولكن يحذر من الم الذم كالبخيل بين الاسخياء وهم يتصدقون بالمال الكثير وانه يتصدق
بالقليل كيلا يبخل وهو لا يطمع في الحمد وقد سبقه غيره وكالجبان بين الشجعان لا يفر من الزحف خوفًا من الذم وهو لا يطمع
في الحمد وقد هجم غيره على صف القتال ولكن اذا ايس من الحمد كره الذم وكالرجل بين قوم يصلون جميع الليل فيصلي ركعات
معدودة كي لا يذم بالكسل وهو لا يطمع في الحمد وقد يقدر الانسان على الصبر على الم الذم وكذلك من ترك السوال عن علم هو
يحتاج اليه خيفة من ان يذم بالجهل ويفتي بغير علم ويدعي العلم بالحديث وهو به جاهل كل ذلك حذارًا من الذم فهذه الامور
الثلثة هي التي تحرك المرائي الى الرياء وعلاجه ما ذكرناه في الشطر الاول من الكتاب على الجملة ولكنا نذكر الآن ما يخص الرياء
وليس يخفى ان الانسان انما يقصد الشيء ويرغب فيه لظنه انه خير له ونافع ولذيذ اما في الحال واما في المآل فان علم انه لذيذ
في الحال ولكنه ضار في المآل سهل عليه قطع الرغبة عنه كمن يعلم ان العسل لذيذ ولكن اذا بان له ان فيه سمًا اعرض عنه فكذلك
طريق قطع هذه الرغبة ان يعلم ما فيها من المضرة ومهما عرف العبد مضرة الرياء وما يفوته من صلاح قلبه وما يحرم عنه في الحال
من التوفيق وفي الآخرة من المنزلة عند الله وما يتعرض له من العقاب العظيم والمقت الشديد والخزي الظاهر حيث ينادى على

على رؤس العباد يا فاجر يا علوي يا مرائي اما استحييت اذا اشتريت بطاعة الله عرض الدنيا راقبت قلوب العباد واستهزأت بطاعة الله وتحببت الى العباد بالتبغض الى الله وتزينت لهم بالشين عند الله وتقربت اليهم بالبعد عن الله وتحمدت اليهم بالتذمم عند الله وطلبت رضاهم بالتعرض لسخط الله اما كان احد اهون عليك من الله فمهما تفكر العبد في هذا الخزي وقابل ما يحصل له من العباد والتزين لهم في الدنيا بما يفوته في الاخرة من الاجر له من العباد والتزين لهم في الدنيا وبما يحبط عليه من ثواب الاعمال مع ان العمل الواحد ربما كان يترجح به ميزان حسناته لو خلص فاذا افسد بالرياء حول الى كفة السيئات فترجح به ويهوي الى النار فلو لم يكن في الرياء الا احباط عبادة واحدة لكان ذلك كافيا في معرفة ضرره وان كان مع ذلك سائر حسناته راجحة فقد كان ينال بهذه الحسنة علو الرتبة عند الله في زمرة النبيين والصديقين وقد حط عنهم بسبب الرياء ورد الى صف النعال من مراتب الاولياء هذا مع ما يتعرض له في الدنيا من تشتت الهم بسبب ملاحظة قلوب الخلق فان رضا الناس غاية لا تدرك فكل ما يرضى به فريق يسخط به فريق ورضا بعضهم في سخط بعضهم ومن طلب رضاهم في سخط الله سخط الله عليه واسخطهم ايضا عليه ثم اي غرض له في مدحهم وايثار ذم الله لاجل حمدهم ولا يزيده مدحهم رزقا واجلا ولا ينفعه يوم فقره وفاقته وهو يوم القيمة واما الطمع لما في ايديهم فبان يعلم ان الله هو المسخر للقلوب بالمنع والاعطاء وان الخلق مضطرون فيه ولا رازق الا الله ومن طمع في الخلق لم يخل من الذل والخيبة وان وصل الى المراد لم يخل عن المنة والمهانة فكيف يترك ما عند الله برجاء كاذب ووهم فاسد وقد يصيب وقد يخطي واذا اصاب فلا يفي لذته بالم منته ومذلته واما ذمهم فلم يحذر منه ولا يزيده ذمهم شيئا ما لم يكتبه الله عليه ولا يعجل اجله ولا يؤخر رزقه ولا يجعله من اهل النار ان كان من اهل الجنة ولا يبغضه الى الله ان كان محمودا عند الله ولا يزيده مقتا ان كان ممقوتا عند الله فالعباد كلهم عجزة لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا ولا يملكون موتا ولا حيوة ولا نشورا فاذا قرر في قلبه آفة هذه الاسباب وضررها فترت رغبته واقبل على الله بقلبه فان العاقل لا يرغب فيما يكثر ضرره ويقل نفعه ويكفيه من ذلك ان الناس لو علموا ما في باطنه من قصد الرياء واظهار الاخلاص لمقتوه وسيكشف الله تعالى عن سره حتى يبغضه الى الناس ويعرفهم انه مراء ممقوت عند الله ولو اخلص لله ليكشف الله تعالى لهم اخلاصه وحببهم اليه وسخرهم له واطلق السنتهم بحمده والثناء عليه مع انه لا كمال في مدحهم ولا نقصان في ذمهم كما قال شاعر من بني تميم ان مدحي زين وان ذمي شين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبت ذلك والله الذي لا اله الا هو اذ لا زين الا في حمده ولا شين الا في ذمه فاي خير لك في مدح الناس وانت عند الله مذموم ومن اهل النار واي شر لك من ذم الناس وانت عند الله محمود في زمرة المتقين المقربين فمن احضر في قلبه الاخرة ونعيمها المؤبد والمنازل الرفيعة عند الله استحقر ما يتعلق بالخلق ايام الحيوة مع ما فيه من الكدورات والمنغصات واجتمع همه وانصرف الى الله عز وجل قلبه وتخلص من مذلة الرياء ومقاساة قلوب الخلق وانعطف من اخلاصه انوار على قلبه ويشرح بها صدره وينفتح له من لطائف المكاشفات ما يزيد به انسه بالله ووحشته للخلق واستحقاره للدنيا واستعظامه للاخرة وسقط محل الخلق من قلبه وانحلت عنه داعية الرياء وتذلل له منهج الاخلاص وهذا وما قدمناه في الشطر الاول هي الادوية العلمية القالعة مغارس الرياء فاما الدواء العملي فهو ان يعود نفسه اخفاء العبادات واغلاق الابواب دونها كما تغلق الابواب دون الفواحش حتى يقنع قلبه بعلم الله تعالى واطلاعه على عباداته ولا تنازعه النفس الى طلب علم غير الله به وقد روي ان بعض اصحاب ابي حفص الحداد ذم الدنيا واهلها فقال له ابو حفص اظهرت ما كان سبيلك ان تخفيه لا تجالسنا بعدها فلم يرخص في اظهار هذا القدر لان في ذم الدنيا دعوى الزهد فيها فلا

دواء للرياء مثل الاخفاء وذلك يشق في بداية المجاهدة واذا صبر عليه مدة بالتكلف سقط عنه ثقله وهان عليه ذلك بتواصل الطاف الله وما يمد به عباده من حسن التوفيق والتأييد ولكن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم فمن العبد المجاهدة ومن الله الهداية ومن العبد قرع الباب ومن الله فتح الباب والله لا يضيع اجر المحسنين وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما

بيان الشق الثاني في دفع العارض منه في اثناء العبادة وذلك ما لا بد من تعلمه ايضا فان من جاهد نفسه وقلع مغارس الرياء من قلبه بالقناعة وقطع الطمع واسقاط نفسه من عين المخلوقين واستحقار مدح المخلوقين وذمهم فالشيطان لا يتركه في اثناء العبادة بل يعارضه بخطرات الرياء ولا ينقطع عنه نزعاته وهوى النفس وميله لا ينمحي بالكلية فلا بد وان يتشمر لدفع ما يعرض من خاطر الرياء وخواطر الرياء ثلاثة قد تخطر دفعة واحدة كالخاطر الواحد وقد تترادف على التدريج فالاول العلم باطلاع الخلق ورجاء اطلاعهم ثم يتلوه هيجان الرغبة من النفس في حمدهم وحصول المنزلة عندهم ثم يتلوه قبول النفس له والركون اليه وعقد الضمير على تحقيقه فالاول معرفة والثاني حالة تسمى الشهوة والرغبة والثالث فعل يسمى العزم وتصميم العقد وانما كمال القوة في دفع الخاطر الاول ورده قبل ان يتلوه الثاني فاذا خطر له معرفة اطلاع الخلق او رجاء اطلاعهم دفع ذلك بان قال ما لك وللخلق علموا او لم يعلموا والله عالم بحالك فاي فائدة في علم غيره فان هاجت الرغبة الى لذة الحمد تذكر ما رسخ في قلبه من قبل من آفة الرياء وتعرضه للمقت عند الله تعالى في القيامة وخيبته في احوج اوقاته الى اعماله فكما ان معرفة اطلاع الناس تثير شهوة ورغبة في الرياء فمعرفة آفة الرياء تثير كراهة له تقابل تلك الشهوة اذ يتفكر في تعرضه لمقت الله وعقابه الاليم والشهوة تدعوه الى القبول والكراهة تدعوه الى الاباء والنفس تطاوع لا محالة اقواهما واغلبهما فاذن لا بد في رد الرياء من ثلثة امور المعرفة والكراهة والاباء وقد يشرع العبد في العبادة على عزم الاخلاص ثم يرد خاطر الرياء فيقبله ولا تحضره المعرفة ولا الكراهة التي كان الضمير منطويا عليه وانما سبب ذلك امتلاء القلب بخوف الذم وحب الحمد واستيلاء الحرص عليه بحيث لا يبقى في القلب متسع لغيره فيعزب عن القلب المعرفة السابقة بآفات الرياء وشؤم عاقبته اذ لم يبق موضع في القلب خال عن شهوة الحمد وخوف الذم وهو كالذي يحدث نفسه بالحلم وذم الغضب ثم يجري من الاسباب ما يشتد به غضبه فينسى سابق عزمه ويمتلي قلبه غيظا يمنع من تذكر آفة الغضب واليه اشار جابر بقوله بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة على ان لا نفر ولم نبايعه على الموت فانسيناها يوم حنين حتى نودي يا اصحاب الشجرة فرجعوا وذلك لان القلوب امتلأت بالخوف فنسيت العهد السابق حتى ذكروا واكثر الشهوات التي تهجم فجاءة هكذا يكون اذ ينسى معرفة مضرتها الداخلة في عقد الايمان ومهما نسي المعرفة لم يظهر الكراهة فان الكراهة ثمرة المعرفة وقد يتذكر فيعلم ان الذي خطر له هو خاطر الرياء الذي يعرضه لسخط الله تعالى ولكنه يستمر عليه لشدة شهوته فيغلب هواه عقله ولا يقدر على ترك لذة الحال فيسوف بالتوبة او يتشاغل عن التفكر في ذلك لشدة الشهوة فكم من عالم يحضره كلام لا يدعوه الى فعله الا رياء الخلق وهو يعلم ذلك ولكنه يستمر عليه فيكون الحجة عليه اوكد اذ قبل داعي الرياء مع علمه بغائلته وكونه مذموما عند الله تعالى ولا ينفعه معرفته اذ خلت المعرفة عن الكراهة وقد تحضر المعرفة والكراهة ولكن مع ذلك يقبل داعي الرياء ويعمل به لكون الكراهة ضعيفة بالاضافة الى قوة الشهوة وهذا ايضا لا ينتفع بالكراهة اذ الغرض من الكراهة ان تصرف عن الفعل فاذن لا فائدة الا في اجتماع الثلث وهي المعرفة والكراهة والاباء فالاباء ثمرة الكراهة والكراهة ثمرة المعرفة وقوة المعرفة بحسب قوة الايمان ونور العلم وضعف المعرفة بحسب الغفلة وحب الدنيا ونسيان الاخرة وقلة التفكر فيما عند الله وقلة التأمل في آفات الحيوة الدنيا وعظم نعيم الاخرة

وبعض ذلك ينتج بعضاً ويثمره وأصل ذلك كله حب الدنيا وغلبة الشهوات فهو رأس كل خطيئة ومنبع كل ذنب لأن حلاوة
حب الدنيا وحب الجاه والمنزلة ونعيم الدنيا هي التي تغضب العقل وتسلبه وتحول بينه وبين التفكر في العاقبة والاستضاءة
بنور الكتاب والسنة وأنوار العلوم فإن قلت فمن صادف من نفسه كراهة الرياء وحمله الكراهة على الإباء ولكنه مع ذلك
غير خال عن ميل الطبع إليه وحبه له ومنازعته إياه إلا أنه كاره لحبه ولميله وغير مجيب إليه فهل يكون في زمرة المرائين
فاعلم أن الله تعالى لم يكلف العبد إلا ما يطيق وليس في طاقة العبد منع الشيطان عن نزغاته ولا قمع الطبع حتى لا يميل إلى الشهوات
ولا ينازع إليها وإنما غايته أن يقابل شهوته بكراهة استثارها من معرفة العواقب وعلم الدين وأصول الإيمان بالله واليوم الآخر
فإذا فعل ذلك فهو الغاية في أداء ما كلفه الله تعالى ويدل على ذلك من الأخبار ما روي أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
شكوا إليه وقالوا تعرض لقلوبنا أشياء لأن نخر من السماء فتخطفنا الطير أو تهوي بنا الريح في مكان سحيق أحب إلينا من أن
نتكلم به قال صلى الله عليه وسلم وقد وجدتموه قالوا نعم قال ذلك صريح الإيمان ولم يجدوا إلا الوسواس والكراهة له ولا يمكن أن
يقال أراد بصريح الإيمان الوسوسة فلم يبق إلا حمله على الكراهة المساوقة للوسوسة والرياء وإن كان عظيماً فهو دون الوسوسة في حق الله
فإذا اندفع ضرر الأعظم بالكراهة فبأن يندفع ضرر الأصغر أولى وكذلك يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ابن
عباس أنه قال الحمد لله الذي رد كيد الشيطان إلى الوسوسة وقال أبو حازم ما كان من نفسك فكرهته نفسك لنفسك فلا
يضرك ما هو من عدوك وما كان من نفسك فرضيته نفسك لنفسك فعاتبها عليه فإذن وسوسة الشيطان ومنازعة
النفس لا تضرك مهما رددت مرادهما بالإباء والكراهة والخواطر التي هي العلوم والتذكرات والتخيلات للأسباب المهيجة
للرياء هي من الشيطان والرغبة والميل بعد تلك الخواطر من النفس والكراهة من الإيمان ومن آثار العقل إلا أن للشيطان ههنا
مكيدة وهو أنه إذا عجز عن حمله على قبول الرياء خيل إليه أن صلاح قلبه في الاشتغال بمجادلة الشيطان ومطاولته في الرد والجدال
حتى يسلبه ثواب الإخلاص وحضور القلب لأن الاشتغال بمجادلة الشيطان ومدافعته انصراف عن سر المناجاة مع الله
تعالى فيوجب ذلك نقصاناً في منزلته عند الله والمتخلصون عن الرياء في دفع خواطر الرياء على أربع مراتب الأولى أن يرد على
الشيطان مكيدته ولا يقتصر عليه بل يشتغل بمجادلته ويطيل الجدال معه لظنه أن ذلك أسلم لقلبه وهو على التحقيق نقصان لأنه
اشتغل عن مناجاة الله تعالى وعن الخير الذي هو بصدده وانصرف إلى قتال قطاع الطريق والتعريج على قتال قطاع الطريق نقصان
في السلوك الرتبة الثانية أن يعرف أن القتال والجدال نقصان في السلوك فيقتصر على تكذيبه أيضاً لأن ذلك وقفة وإن
قلت بل يكون قد قرر في عقد ضميره كراهة الرياء وكذب الشيطان فيستمر على ما كان عليه مستصحباً للكراهة غير مشتغل بالتكذيب
ولا بالمخاصمة الرابعة أن يكون قد علم أن الشيطان سيحسده عند جريان أسباب الرياء فيكون قد عزم على أنه مهما نزغ الشيطان زاد فيما هو فيه
من الإخلاص والاشتغال بالله تعالى وإخفاء الصدقة والعبادة غيظاً للشيطان وذلك هو الذي يغيظ الشيطان ويقمعه
فيوجب يأسه وقنوطه حتى لا يرجع يروى عن الفضيل بن غزوان أنه قيل له إن فلاناً ذكرك بسوء قال والله لأغيظن من أمره
قيل ومن أمره قال الشيطان ثم قال اللهم اغفر له أي لأغيظنه بأن أطيع الله فيه ومهما عرف الشيطان من عبد هذه العادة
كف عنه خيفة من أن يزيد في حسناته وقال إبراهيم التيمي إن الشيطان ليدعو العبد إلى باب من الإثم فلا تطعه وليحدث
عند ذلك خيراً فإذا رآه كذلك تركه وقال أيضاً إذا رآك الشيطان متردداً طمع فيك وإذا رآك مداوماً ملك وقلاك وضرب
الحارث المحاسبي رضي الله عنه لهذه الأربعة مثالاً أحسن فيه فقال مثالهم كأربعة قصدوا مجلساً من العلم والحديث لينالوا به فائدة

فائدة وفضلاً وهداية ورشداً فحسدهم على ذلك ضال مبتدع وخاف أن يعرفوا الحق فتقدم إلى واحد منهم فمنعه وصرفه عنه
ودعاه إلى مجلس ضال فأبى فلما عرف إباءه شغله بالمجادلة فاشتغل معه ليرد ضلالته وهو يظن أن ذلك مصلحة له وهو غرض الضال
ليفوت عليه بقدر تأخره فلما مر الثاني عليه نهاه واستوقفه فوقف ليدفع في نحر الضال ولم يشتغل بالقتال واستعجل ففرح
منه الضال بقدر توقفه للدفع فيه ومر به الثالث فلم يلتفت إليه ولم يشتغل بدفعه ولا بقتاله بل استمر على ما كان فخاب منه
رجاؤه بالكلية ثم مر به الرابع فلم يتوقف له وأراد أن يغيظه فزاد في عجلته وترك التأني في المشي فيوشك إن عادوا ومروا عليه
مرة أخرى أن يعاود الجميع إلا هذا الأخير فإنه لا يعاوده خيفة من أن يزداد فائدة باستعجاله فإن قلت فالشيطان إذا كان
لا يؤمن من نزغاته فهل يجب الترصد له قبل حضوره للحذر منه انتظاراً لوروده أم يجب التوكل على الله ليكون هو الدافع له
أو يجب الاشتغال بالعبادة والغفلة عنه قلنا اختلف الناس فيه على ثلاثة أوجه فذهبت فرقة من أهل البصرة إلى أن
الأقوياء قد استغنوا عن الحذر من الشيطان لأنهم انقطعوا إلى الله تعالى واشتغلوا بحبه فاعتزلهم الشيطان وأيس منهم وخنس
عنهم كما أيس من ضعفاء العباد في الدعوة إلى الخمر والزنا فصار ملاذ الدنيا عندهم وإن كان مباحاً كالخمر والخنزير وإذ خلوا
منها بالكلية لم يبق للشيطان إليهم سبيل فلا حاجة بهم إلى الحذر وذهبت فرقة من أهل الشام إلى أن الترصد إنما يحتاج إليه
من قل يقينه ونقص توكله فمن أيقن بأن لا شريك لله في تدبيره فلا يحذر غيره ويعلم أن الشيطان ذليل مخلوق ليس له أمر ولا يكون إلا
ما أراده الله تعالى فهو الضار والنافع والعارف يستحيي منه أن يحذر غيره فاليقين بالوحدانية يغنيه عن الحذر وقالت
فرقة من أهل العلم لا بد من الحذر من الشيطان وما ذكره البصريون أن الأقوياء قد استغنوا عن الحذر وخلت قلوبهم عن حب الدنيا
بالكلية وهو وسيلة للشيطان فكاد أن يكون غروراً والأنبياء عليهم السلام لم يتخلصوا من وساوس الشيطان ونزغاته فكيف يتخلص
غيرهم وليس كل وساوس الشيطان من الشهوات وحب الدنيا بل في صفات الله تعالى وأسمائه وفي تحسين البدع والضلال وغيره
ولا يخلو أحد من الخطر فيه ولذلك قال الله سبحانه وتعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في
أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته وقال صلى الله عليه وسلم إنه ليغان على قلبي مع أنه شيطانه قد أسلم ولا يأمر
إلا بالخير فمن ظن أن اشتغاله بحب الله تعالى أكثر من اشتغال رسول الله صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء عليهم السلام فهو
مغرور ولم يؤمنه ذلك من كيد الشيطان ولذلك لم يسلم منه آدم صلوات الله عليه وحواء في الجنة التي هي دار الأمن والسرور
بعد أن قال الله تعالى لهما إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا
تظمأ فيها ولا تضحى ومع أنه لم ينه إلا عن شجرة واحدة وأطلق له وراء ذلك ما أراد فإذا لم يأمن نبي من الأنبياء وهو في الجنة
دار الأمن والسعادة من كيد الشيطان فكيف يجوز لغيره أن يأمن في دار الدنيا وهي منبع الفتن والمحن ومعدن الملاذ والشهوات
المنهي عنها وقال موسى صلى الله عليه وسلم فيما أخبر الله عنه هذا من عمل الشيطان ولذلك حذر الله منه جميع الخلق فقال يا
بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة وقال إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم والقرآن من أوله إلى آخره
تحذير من الشيطان فكيف يدعي الأمن منه وأخذ الحذر حيث أمر الله تعالى به لا ينافي الاشتغال بحب الله فإن من الحب له امتثال
أمره وقد أمر بالحذر من العدو كما أمر بالحذر من الكفار فقال وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم وقال وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة
ومن رباط الخيل فإذا لزمك بأمر الله تعالى الحذر من العدو الكافر وأنت تراه فبأن يلزمك الحذر من عدو يراك ولا تراه أولى
ولذلك قال ابن محيريز صيد تراه ولا يراك يوشك أن يظفر به وصيد يراك ولا تراه يوشك أن يظفر بك وأشار إلى الشيطان

ودفعه ولا يشتغل بمجادلته
الثالثة أن لا يشتغل بتكذيبه

المرتبة الرابعة

التعرض

كيف وليس في الغفلة عن عداوة الكافر الاقل وهو شهادة وفي اهمال الحذر من الشيطان النار والعقاب الاليم فليس من الاشتغال بالله الاعراض عما حذر الله منه وبه يبطل مذهب الفرقة الثانية في ظنهم ان ذلك قادح في التوكل فان اخذ الترس والسلاح وجمع الجنود وحفر الخندق لم يقدح في توكل رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يقدح في التوكل الخوف مما خوف الله به والحذر مما امر بالحذر عنه وقد ذكرنا في كتاب التوكل ما يبين غلط من ظن ان معنى التوكل النزوع عن الاسباب بالكلية وقوله تعالى واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل لا ينافي امتثاله التوكل مهما اعتقد القلب ان الضار والنافع والمحيي والمميت هو الله تعالى فكذلك يحذر الشيطان ويعتقد ان المضل والهادي هو الله تعالى ويرى الاسباب وسائط مسخرة كما ذكرنا في كتاب التوكل وهذا ما اختاره المحاسبي وهو الصحيح الذي يشهد له نور العلم وما قبله يشبه ان يكون من كلام العباد الذين لا يغزر علمهم فيظنون ان ما يهجم عليهم من الاحوال في بعض الاوقات من الاستغراق بالله يستمر على الدوام وهو بعيد ثم اختلفت هذه الفرقة على ثلاثة اوجه في كيفية الحذر فقال قوم اذا حذرنا الله تعالى العدو فلا ينبغي ان يكون شيء اغلب على قلبنا من ذكره والحذر منه والترصد له فانا اذا غفلنا عنه لحظة فيوشك ان يهلكنا وقال قوم ان ذلك يؤدي الى خلو القلب عن ذكر الله تعالى واشتغال الهم كله بالشيطان وذلك مراد الشيطان منا بل نشتغل بالعبادة وبذكر الله تعالى ولا ننسى الشيطان وعداوته والحاجة الى الحذر منه فنجمع بين الامرين فانا ان نسيناه ربما عرض لنا من حيث لا نحتسب وان تجردنا لذكره كنا قد اهملنا ذكر الله فالجمع اولى وقال العلماء المحققون غلط الفريقان اما الاول فقد تجرد لذكر الشيطان ونسي ذكر الله تعالى ولا يخفى غلطه وانما امرنا بالحذر من الشيطان كيلا يصدنا عن الذكر فكيف نجعل ذكره اغلب الاشياء على قلوبنا وهو منتهى غرض العدو ثم يؤدي ذلك الى خلو القلب عن نور ذكر الله تعالى فاذا قصد الشيطان مثل هذا القلب وليس فيه نور ذكر الله فانا قصد الشيطان مثل هذا القلب وليس فيه نور ذكر الله تعالى وقوة الاشتغال به فيوشك ان يظفر به ولا يقوى على دفعه فلم نؤمر بانتظار الشيطان ولا بادمان ذكره واما الفرقة الثالثة فقد شاركت الاولى اذ جمعت في القلب بين ذكر الله وذكر الشيطان وبقدر ما يشتغل القلب بذكر الشيطان ينقص من ذكر الله وقد امر الله تعالى الخلق بذكره ونسيان ما عداه ابليس وغيره فالحق ان يلزم العبد قلبه الحذر من الشيطان ويقرر على نفسه عداوته فاذا اعتقد ذلك وصدق به وسكن الحذر فيه فيشتغل بذكر الله ويكب عليه بكل الهمة ولا يخطر بباله امر الشيطان فانه اذا اشتغل بذلك بعد عداوته ثم خطر الشيطان له تنبه له وعند التنبه يشتغل بدفعه والاشتغال بذكر الله لا يمنع التيقظ عند نزغة الشيطان بل الرجل ينام وهو خائف ان يفوته مهم عند طلوع الفجر فيلزم نفسه الحذر وينام على ان ينتبه في ذلك الوقت فينتبه في الليل مرات قبل اوانه لما استكن في قلبه من الحذر مع انه بالنوم غافل عنه فاشتغاله بذكر الله تعالى كيف يمنع تنبهه ومثل هذا القلب هو الذي يقوى على دفع العدو اذ كان اشتغاله بمجرد ذكر الله تعالى قد اماتت عنه الهوى واحيى فيه نور العلم والعقل واماطت ظلمة الشهوات فاهل البصيرة اشعروا قلوبهم عداوة الشيطان وترصده والزموها الحذر فلم يشتغلوا بذكره بل بذكر الله سبحانه ودفعوا بالذكر شر العدو واستضاؤا بنور الذكر حتى بصروا خواطر العدو فمثال القلب مثال بئر يراد تطهيرها من الماء القذر ليتفجر منها الماء الصافي فالمشتغل بذكر الشيطان قد ترك فيه الماء القذر والذي جمع بين ذكر الشيطان وذكر الله تعالى قد نزح الماء القذر من جانب ولكن تركه جاريا اليه من جانب آخر فيطول تعبه ولا يجف البئر عن الماء القذر والبصير هو الذي يجري الماء القذر ويملأه بالماء الصافي فاذا جاء الماء القذر دفعه بالشكر والسد من غير كلفة ومؤنة وزيادة تعب

بيان الرخصة في قصد اظهار الطاعات

اعلم ان في اسرار الاعمال فائدة الاخلاص والنجاة من الرياء وفي الاظهار فائدة الاقتداء وترغيب الناس في الخير ولكن فيه آفة الرياء قال الحسن قد علم المسلمون ان السر احرز العملين ولكن في الاظهار ايضا فائدة ولذلك اثنى الله تعالى على السر والعلانية فقال ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم والاظهار قسمان احدهما في نفس العمل والآخر بالتحدث بما عمل القسم الاول اظهار نفس العمل كالصدقة في الملأ ليرغب الناس فيه كما روي عن الانصاري الذي جاء بالصرة فتتابع الناس بالعطية لما رأوه فقال النبي صلى الله عليه وسلم من سن سنة حسنة فعمل بها كان له اجرها واجر من اتبعه ويجري سائر الاعمال هذا المجرى من الصلوة والحج والغزو وغيره ولكن الاقتداء على الطباع في الصدقة اغلب نعم الغازي اذا هم بالخروج فاستعد وشد الرحل قبل القوم تحريضا لهم على الحركة فذلك افضل له لان الغزو في نفسه من اعمال العلانية لا يمكن اسراره فالمبادرة اليه ليس من الاعلان بل هو تحريض مجرد وكذلك الرجل قد يرفع صوته في صلوة الليل لينبه جيرانه واهله فيقتدون به فكل عمل لا يمكن اسراره كالحج والجمعة والجهاد فالافضل المبادرة اليه واظهار الرغبة فيه للتحريض بشرط ان لا يكون فيه شوائب الرياء واما ما يمكن اسراره كالصدقة والصلوة فان كان اظهار الصدقة يؤذي المتصدق عليه ويرغب الناس في الصدقة فالسر افضل لان الايذاء حرام وان لم يكن فيه ايذاء فقد اختلف الناس في الافضل فقال قوم السر افضل من العلانية وان كان في العلانية قدوة وقال قوم السر افضل من علانية لا قدوة فيها اما العلانية للقدوة افضل من السر ويدل على ذلك ان الله تعالى امر انبياءه باظهار العمل للاقتداء وخصهم بمنصب النبوة ولا يجوز ان يظن انهم حرموا افضل العملين ويدل عليه قوله له اجرها واجر من عمل بها وقد روي في بعض الحديث ان عمل السر يضاعف على عمل العلانية سبعين ضعفا ويضاعف عمل العلانية اذا استن به على عمل السر سبعين ضعفا وهذا لا وجه للخلاف فيه فانه مهما انفك القلب عن شوائب الرياء وتم الاخلاص على وجه واحد في الحالين فما يقتدى به افضل لا محالة وانما يخاف من ظهور الرياء ومهما حصل شائبة الرياء لم ينفعه اقتداء غيره وهلك به فلا خلاف في ان السر افضل منه ولكن على من يظهر العمل وظيفتان احدهما ان يظهره حيث يعلم انه يقتدى به او يظن ذلك ظنا ورب رجل يقتدي به جيرانه دون اهل السوق وربما يقتدي به اهل محلته وانما العالم المعروف هو الذي يقتدي به الناس كافة فغير العالم اذا اظهر بعض الطاعات ربما ينسب الى الرياء والنفاق وذموه ولم يقتدوا به فليس له الاظهار من غير فائدة وانما يصح الاظهار بنية القدوة ممن هو في محل القدوة على من هو في محل الاقتداء به والوظيفة الثانية ان يراقب قلبه فانه ربما يكون فيه حب الرياء الخفي فيدعوه الى الاظهار بعذر الاقتداء وانما يشتهي التجمل بالعمل وبكونه مقتدى به وهذا حال كل من يظهر اعماله الا الاقوياء المخلصون وقليل ما هم فلا ينبغي ان يخدع الضعيف نفسه بذلك فيهلك وهو لا يشعر فان الضعيف مثاله مثال الغريق الذي يحسن سباحة ضعيفة فنظر الى جماعة من الغرقى فرحمهم فاقبل عليهم حتى تشبثوا به فهلكوا وهلك والغرق بالماء في الدنيا المه ساعة وليت كان الهلاك بالرياء مثله لا بل عذابه دائم مدة مديدة وهذه مزلة قدم العباد والعلماء فانهم يتشبهون بالاقوياء في الاظهار ولا يقوى قلوبهم على الاخلاص فيحبط اجورهم بالرياء والتفطن لذلك غامض ومحك ذلك ان يعرض على نفسه انه لو قيل له اخف العمل حتى يقتدي الناس بعابد آخر من اقرانك ويكون لك في السر مثل اجر الاعلان فان مال قلبه الى ان يكون هو المقتدى به وهو المظهر للعمل فباعثه الرياء دون طلب الاجر واقتداء الناس به ورغبتهم في الخير فانهم قد رغبوا في الخير بالنظر الى غيره واجره قد توفر عليه مع اسراره فما بال قلبه يميل الى الاظهار لولا ملاحظته لاعين الخلق ومراءاتهم فليحذر العبد خدع النفس فان النفس خدوع والشيطان

مترصد وحب الجاه على القلب غالب وقل ما يسلم الاعمال الظاهرة عن الآفات فلا ينبغي ان يعدل بالسلامة شيئا والسلامة
في الاخفاء وفي الاظهار من الاخطار ما لا يقوى عليها امثالنا فالحذر اولى بنا وبجميع الضعفاء القسم الثاني
ان يتحدث بما فعله بعد الفراغ وحكمه حكم اظهار العمل نفسه والخطر في هذا اشد لان مؤنة النطق خفيفة على اللسان وقد يجري
في الحكاية زيادة ومبالغة وللنفس لذة في اظهار الدعاوي عظيمة الا انه لو تطرق اليه الرياء لم يؤثر في افساد العبادة الماضية
بعد الفراغ منها فهو من هذا الوجه اهون والحكم فيه ان من قوي قلبه وتم اخلاصه وصغر الناس في عينه واستوى عنده مدحهم
وذمهم وذكر ذلك عند من يرجو الاقتداء به والرغبة في الخير بسببه فهو جائز بل هو مندوب اليه ان صفت النية وسلمت عن
جميع الآفات لانه ترغيب في الخير والترغيب في الخير خير وقد نقل مثل ذلك عن جماعة من السلف الاقوياء قال سعد بن معاذ
ما صليت صلوة منذ اسلمت فحدثت نفسي بغيرها ولا تبعت جنازة فحدثت نفسي بغير ما هي قائلة وما هو مقول لها ولا سمعت
النبي صلى الله عليه وسلم يقول قولا قط الا علمت انه حق وقال عمر رضي الله عنه ما ابالي اصبحت على عسر او على يسر لاني
لا ادري ايهما خير لي وقال ابن مسعود ما اصبحت على حال فتمنيت ان اكون على غيرها وقال عثمان رضي الله عنه ما تغنيت ولا
تمنيت ولا مسست ذكري بيميني منذ بايعت النبي صلى الله عليه وسلم وقال شداد بن اوس ما تكلمت بكلمة منذ اسلمت حتى ازمها
واخطمها غير هذه الكلمة وكان قد قال لغلامه ايتنا بالسفرة نعبث بها حتى ندرك الغداء وقال ابو سفيان لاهله حين حضره الوفاة
لا تبكوا علي فاني ما احدثت ذنبا منذ اسلمت وقال عمر بن عبد العزيز ما قضى الله في بقضاء قط فسرني ان يكون قضى لي بغيره وما
اصبح لي هوى الا في مواقع قدر الله تعالى فهذا كله اظهار لاحوال شريفة وفيه غاية المراءاة اذا صدر ممن يرائي به وفيه غاية
الترغيب اذا صدر ممن يقتدى به فذلك على قصد الاقتداء جائز للاقوياء بالشروط التي ذكرناها فلا ينبغي ان يسد باب
اظهار الاعمال والطباع مجبولة على التشبه والاقتداء بل اظهار المرائي للعبادة اذا لم يعلم الناس انه رياء فيه خير كثير للناس
ولكنه شر للمرائي فكم من مخلص كان سبب اخلاصه الاقتداء بمن هو مراء عند الله تعالى وقد روي انه كان يجتاز الانسان
في سكك البصرة عند الصبح فيسمع اصوات المصلين بالقرآن من البيوت فصنف بعضهم كتابا في دقائق الرياء فتركوا ذلك
وترك الناس رغبة فيه فكانوا يقولون ليت ذلك الكتاب لم يصنف فاظهار المرائي فيه خير كثير لغيره اذا لم يعرف رياؤه فان الله
يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وباقوام لا خلاق لهم كما ورد في الاخبار وبعض المرائين ممن يقتدى به منهم بيان
الرخصة في كتمان الذنوب وكراهة اطلاع الناس عليه وكراهة ذمهم له اعلم ان الاصل في الاخلاص استواء السريرة والعلانية
كما قال عمر رضي الله عنه لرجل عليك بعمل العلانية قال يا امير المؤمنين وما عمل العلانية قال ما اذا اطلع عليه لم تستحي منه وقال ابو مسلم
الخولاني ما عملت عملا ابالي ان يطلع الناس عليه الا اتياني اهلي والبول والغائط الا ان هذه درجة عظيمة لا ينالها كل احد
ولا يخلو الانسان عن ذنوب بقلبه او بجوارحه وهو يخفيها ويكره اطلاع الناس عليها لا سيما ما تختلج به الخواطر
في الشهوات والاماني والله مطلع على جميع ذلك فارادة العبد لاخفائها عن العبيد ربما يظن انه رياء محظور وليس كذلك بل المحظور
ان يستر ذلك ليرى الناس انه ورع وانه خائف من الله تعالى مع انه ليس كذلك فهذا هو ستر المرائي واما الصادق الذي لا يرائي
فله ستر المعاصي ويصح قصده فيه ويصح اغتمامه باطلاع الناس عليه من سبعة اوجه الاول هو ان يفرح بستر الله عليه واذا افتضح
اغتم بهتك الله ستره وخاف ان يهتك ستره في القيامة اذ ورد في الخبر ان من ستر الله عليه في الدنيا ستره عليه في الآخرة وهذا غم
ينشأ من قوة الايمان الثاني انه قد علم ان الله تعالى يكره ظهور المعاصي ويحب سترها كما قال صلى الله عليه وسلم من ارتكب شيئا

شيئا من هذه القاذورات فليستتر بستر الله تعالى فهو وان عصى الله تعالى بالذنب فلم يخل قلبه عن محبة ما احبه الله وهذا
ينشأ من قوة الايمان بكراهة الله تعالى لظهور المعاصي واثر الصدق فيه ان يكره ظهور الذنب من غيره ايضا ويغتم بسببه الثالث
ان يكره ذم الناس له به من حيث ان ذلك يغمه ويشغل قلبه وعقله عن طاعة الله تعالى فان الطبع يتأذى بالذم وينازع العقل
ويشغل عن الطاعة وبهذه العلة ايضا ينبغي ان يكره الحمد الذي يشغله عن الله تعالى ويستغرق قلبه ويصرفه عن الذكر وهذا
ايضا من قوة الايمان اذ صدق الرغبة في فراغ القلب لاجل الطاعة من الايمان الرابع ان يكون ستره ورغبته فيه لكراهته
لذم الناس من حيث يتأذى طبعه فان الذم مؤلم للقلب كما ان الضرب مؤلم للبدن وتألم القلب بالذم ليس بحرام ولا الانسان به عاص
وانما يعصي اذا جزعت نفسه من ذم الناس ودعته الى ما لا يجوز حذرا من ذمهم وليس يجب على الانسان ان لا يغتم بذم الخلق ولا يتألم
به نعم كمال الصدق في ان تزول عنه رؤية الخلق فيستوي عنده ذامه ومادحه لعلمه ان الضار والنافع هو الله تعالى وان العباد كلهم
عاجزون وذلك قليل جدا واكثر الطباع تتألم بما فيه من الشعور بالنقصان ورب تألم بالذم محمود اذا كان الذام من اهل البصيرة
في الدين فانهم شهداء الله تعالى وذمهم يدل على ذم الله تعالى وعلى نقصان في الدين فكيف لا يغتم به بل الغم المذموم هو ان يغتم
بفوات الحمد بالورع كانه يحب ان يحمد بالورع ولا يجوز ان يحب ان يحمد بطاعة الله تعالى فيكون قد طلب بطاعة الله ثوابا من
غيره فان وجد ذلك في نفسه وجب عليه ان يقابله بالكراهة والرد واما كراهته للذم بالمعصية من حيث الطبع فليس بمذموم
فله الستر حذرا من ذلك ويتصور ان يكون العبد بحيث لا يحب الحمد ولكن يكره الذم وانما مراده ان يتركه الناس حمدا وذما
فكم من صابر عن لذة الحمد لا يصبر على الم الذم اذ الحمد يطلب اللذة وعدم اللذة لا يؤلم واما الذم فانه مؤلم فحب الحمد على الطاعة
طلب ثواب على الطاعة في الحال واما كراهة الذم على المعصية فلا محذور فيه الا امر واحد وهو ان يشغله غمه باطلاع الخلق على
ذنبه عن اطلاع الله تعالى فان ذلك غاية النقصان في الدين بل ينبغي ان يكون غمه باطلاع الله تعالى وذمه له اكثر وقد يكره الذم
من حيث ان الذام قد عصى الله تعالى به وهذا من الايمان وعلامته ان يكره ذمه لغيره ايضا فهذا التوجع لا يفرق فيه بينه وبين غيره
بخلاف التوجع من جهة الطبع الخامس ان يستر كيلا يقصد بشر اذا عرف ذنبه وهذا وراء الم الذم فان الذم مؤلم من حيث
يشعر القلب بنقصانه وخسته وان كان ممن يؤمن شره وقد يخاف شر من يطلع على ذنبه بسبب من الاسباب فله ان يستر ذلك
حذرا منه السادس مجرد الحياء فانه نوع الم وراء الم الذم والقصد بالشر وهو خلق كريم يحدث في اول الصبى مهما اشرق
عليه نور العقل فيستحيي من القبائح اذا شوهدت منه وهو وصف محمود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحياء خير كله
وقال الحياء شعبة من الايمان وقال الحياء لا يأتي الا بخير وقال ان الله تعالى يحب الحيي الحليم فالذي يفسق ولا يبالي بان يظهر
فسقه للناس جمع الى الفسق التهتك والوقاحة وفقد الحياء فهو اشد حالا ممن يستر ويستحيي الا ان الحياء ممتزج بالرياء ومشتبه
به اشتباها عظيما قل من يتفطن له ويدعي كل مراء انه مستحي وان سبب تحسينه العبادات هو الحياء من الناس وذلك كذب بل
الحياء خلق ينبعث من الطبع الكريم وتهيج عقيبه داعية الرياء وداعية الاخلاص ويتصور ان يخلص معه ويتصور ان يرائي معه
وبيانه ان الرجل يطلب من صديق له قرضا ونفسه لا تسخو باقراضه الا انه يستحيي من رده وعلم انه لو راسله على لسان
غيره لكان لا يستحيي ولا يقرض رياء ولا لطلب ثواب فله عند ذلك احوال احدها ان يشافهه بالرد الصريح ولا يبالي
فينسب الى قلة الحياء وهذا فعل من لا حياء له فان المستحيي اما ان يتعلل او يقرض فان اعطى فيتصور له ثلاثة احوال احدها
ان يمزج الرياء بالحياء بان يهيج الحياء فيقبح عنده الرد فيهيج خاطر الرياء ويقول ينبغي ان تعطي حتى يثني عليك ويحمدك وينشر اسمك

بالسخاء وينبغي ان يعطي حتى لا يذمك ولا ينسبك الى البخل فاذا اعطى بالرياء وكان المحرك للرياء هو هيجان الحياء الثاني
ان يتعذر رد سائل بالحياء ويبقى في نفسه البخل فيتعذر الاعطاء فيهيج باعث الاخلاص ويقول له ان الصدقة بالواحدة والقرض
بثمانية عشر ففيه اجر عظيم وادخال سرور على قلب صديق وذلك محمود عند الله تعالى فتسخو النفس بالاعطاء لذلك فهذا
مخلص هيج الحياء اخلاصه والثالث ان لا يكون له رغبة في الثواب ولا خوف من مذمته ولا حب لمحمدته لانه لو طلبه بمراسلة
كان لا يعطيه فاعطاه بمحض الحياء وهو ما يجده في قلبه من الم الحياء ولولا الحياء لرده ولو جاءه من لا يستحيي منه من الاجانب
او الاراذل لكان يرده وان كثر الحمد والثواب فيه فهذا مجرد الحياء ولا يكون هذا الا في القبائح كالبخل ومقارفة الذنوب
والمرائي يستحيي من المباحات ايضا حتى انه يرى مستعجلا في المشي فيعود الى الهدو او ضاحكا فيرجع الى الانقباض ويزعم
ان ذلك حياء وهو عين الرياء وقد قيل ان بعض الحياء ضعف وهو صحيح والمراد به الحياء مما ليس بقبيح كالحياء من الوعظ وامامة
الناس في الصلوة وهو في الصبيان والنساء محمود وفي العقلاء غير محمود وقد تشاهد معصية من شيخ فتستحيي من شيبته ان تنكر
عليه لان من اجلال الله تعالى اجلال ذي الشيبة المسلم وهذا الحياء حسن واحسن منه ان تستحيي من الله فلا تضيع الامر
بالمعروف فالقوي يؤثر الحياء من الله تعالى على الحياء من الناس والضعيف قد لا يقدر عليه فهذه هي الاسباب التي تجوز
لاجلها ستر القبائح والذنوب السابع ان يخاف من ظهور ذنبه ان يستجرئ عليه غيره ويقتدي به وهذه العلة الواحدة
فقط هي الجارية في اظهار الطاعة وهو القدوة ويختص ذلك بالائمة او بمن يقتدى به وبهذه العلة ولاجله لانهم يتعلمون
منه ففي ستر الذنب هذه الاعذار السبعة وليس في اظهار الطاعة عذر الا هذا الواحد ومهما قصد بستر المعصية ان يخيل الى
الناس انه ورع كان مرائيا كما اذا قصد ذلك باظهار الطاعة فان قلت فهل يجوز للعبد ان يحب حمد الناس له بالصلاح
وحبهم اياه بسببه فقد قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم دلني على ما يحبني الله عليه ويحبني الناس قال ازهد في الدنيا يحبك
الله وانبذ اليهم هذا الحطام يحبوك فنقول حبك لحب الناس لك قد يكون مباحا وقد يكون محمودا وقد يكون مذموما
فالمحمود ان تحب ذلك لتعرف به حب الله تعالى لك فانه اذا احب عبدا حببه في قلوب عباده والمذموم ان تحب حبهم وحمدهم
على حجك وغزوك وصلواتك وعلى طاعة بعينها فان ذلك طلب عوض على طاعة الله عاجلا سوى ثواب الله تعالى والمباح
ان تحب ان يحبوك لصفات محمودة سوى الطاعات المحدودة المعينة فحب ذلك كحب المال لان ملك القلوب وسيلة
الى الاغراض كملك الاموال فلا فرق بينهما

بيان ترك الطاعات خوفا من الرياء ودخول الآفات

اعلم ان من الناس
من يترك العمل خوفا من ان يكون مرائيا وذلك غلط وموافقة للشيطان بل الحق فيما يترك من الاعمال وما لا يترك لخوف الآفات
ما نذكره وهو ان الطاعات تنقسم الى ما لا لذة في عينها كالصلوة والصوم والحج والغزو فانها مقاساة ومجاهدات انما تصير
لذيذة من حيث انها توصل الى حمد الناس وحمد الناس لذيذ وذلك عند اطلاع الناس عليه والى ما هو لذيذ وهو
اكثر ما لا يقتصر على البدن بل يتعلق بالخلق كالخلافة والقضاء والولايات والحسبة وامامة الصلوة والتذكير والتدريس
وانفاق المال على الخلق وغير ذلك مما يعظم الآفة فيه لتعلقه بالخلق ولما فيه من اللذة

القسم الاول

الطاعات اللازمة للبدن التي لا تتعلق بالغير ولا لذة في عينها كالصلوة والصوم والحج فخطرات الرياء فيها ثلاث احدها
ما يدخل قبل العمل فيبعث على الابتداء لرؤية الناس وليس معه باعث الدين فهذا مما ينبغي ان يترك لانه معصية لا طاعة فانه
تدرع بصورة الطاعة الى طلب المنزلة فان قدر الانسان على ان يدفع عن نفسه باعث الرياء ويقول لها الا تستحيين من مولاك

من مولاك لا تسخين بالعمل لاجله وتسخين بالعمل لاجل عباده حتى يندفع باعث الرياء وتسخو النفس بالعمل لله عقوبة
للنفس على خاطر الرياء وكفارة له فليشتغل بالعمل الثانية ان ينبعث لاجل الله تعالى ولكن يعترض الرياء مع
عقد العبادة واولها فلا ينبغي ان يترك لانه وجد باعثا دينيا فليشرع في العمل وليجاهد نفسه في دفع الرياء وتحصيل
الاخلاص بالمعالجة التي ذكرناها من الزام النفس كراهة الرياء والاباء عن القبول الثالثة ان يعقد على الاخلاص ثم يطرأ الرياء
ودواعيه فينبغي ان يجاهد نفسه في الدفع ولا يترك العمل لكي يرجع الى عقد الاخلاص ويرد اليه نفسه قهرا حتى يتمم
العمل لان الشيطان يدعوك اولا الى ترك العمل فاذا لم تجب واشتغلت يدعوك الى الرياء فاذا لم تجب ودفعت بقي يقول هذا
العمل ليس بخالص وانت مراء وتعبك ضائع فاي فائدة لك في عمل لا اخلاص فيه حتى يحملك بذلك على ترك
العمل فاذا تركته فقد حصلت غرضه ومثال من يترك العمل لخوفه ان يكون مرائيا كمن سلم اليه مولاه حنطة فيها تراب وقال خلصها
من التراب ونقها تنقية بالغة فيترك اصل العمل ويقول اخاف ان اشتغلت به لم تخلص خلاصا صافيا نقيا فترك العمل من اصله
هو ترك الاخلاص مع اصل العمل فلا معنى له ومن هذا القبيل ان يترك العمل خوفا على الناس ان يقولوا انه مراء فيعصون الله به فهذا
من مكائد الشيطان لانه اولا اساء الظن بالمسلمين وما كان من حقه ان يظن بهم ذلك ثم ان كان فلا يضره قولهم ويفوته ثواب
العبادة وترك العمل خوفا من قولهم انه مراء هو عين الرياء فلولا حبه لمحمدتهم وخوفه من مذمتهم فما له ولقولهم انه مراء او انه مخلص
واي فرق بين ان يترك العمل خوفا من ان يقولوا انه مراء وبين ان يحسن العمل خوفا من ان يقال انه غافل مقصر بل ترك العمل اشد من ذلك
فهذه كلها مكائد الشيطان على العباد الجهال وكيف يطمع في ان يتخلص من الشيطان بان يترك العمل والشيطان لا يخليه بل يقول
له الآن يقول الناس انك تركت العمل ليقال انك مخلص لا تشتهي الشهرة فيضطرك بذلك الى ان تهرب فان هربت ودخلت
سربا تحت الارض القى في قلبك حلاوة معرفة الناس بزهدك وهربك منهم وتعظيمهم اياك بقلوبهم على ذلك فكيف تتخلص
بل لا نجاة الا بان تلزم قلبك معرفة آفة الرياء وهو انه ضرر في الآخرة ولا نفع في الدنيا ليلزم الكراهة والاباء قلبك وتستمر مع ذلك
على العمل ولا تبالي وان نزغ العدو ونازع الطبع فان ذلك لا ينقطع وترك العمل لاجل ذلك يجر الى البطالة وترك الخيرات فما
دمت تجد باعثا دينيا على العمل فلا تترك العمل وجاهد خاطر الرياء والزم قلبك الحياء من الله تعالى اذ دعتك نفسك ان تستبدل
بحمده حمد المخلوقين وهو مطلع على قلبك ولو اطلع الخلق على قلبك وانك تريد حمدهم لمقتوك بل ان قدرت على ان تزيد في العمل حياء
من ربك وعقوبة من نفسك فافعل فان قال لك الشيطان انت مراء فاعلم كذبه بما تصادف في قلبك من كراهة الرياء وابائه
وخوفك منه وحيائك من الله تعالى فان لم تجد له في قلبك كراهية منه خوفا ولم يبق باعث ديني بل تجرد باعث الرياء فاترك العمل
عند ذلك وهو بعيد ممن شرع في العمل لله تعالى فانه لا بد وان يبقى معه اصل قصد الثواب فان قلت فقد نقل عن اقوام ترك العمل
مخافة الشهرة روي ان ابراهيم النخعي دخل عليه انسان وهو يقرأ في المصحف فاطبق المصحف وترك القراءة وقال لا يرى
هذا انا نقرأ كل ساعة وقال ابراهيم التيمي اذا اعجبك الكلام فاسكت واذا اعجبك السكوت فتكلم وقال الحسن كان احدهم يمر بالاذى
ما يمنعه من دفعه الا كراهة الشهرة وكان احدهم يأتيه البكاء فيصرفه الى الضحك مخافة الشهرة وقد ورد فيه آثار كثيرة قلنا هذا
يعارضه ما ورد من اظهار الطاعات مما لا يحصى واظهار الحسن البصري هذا الكلام في معرض الوعظ اقرب الى خوف الشهرة من البكاء
واماطة الاذى عن الطريق نقل ثم لم يترك وبالجملة ترك النوافل جائز والكلام في الافضل والافضل انما يقدر عليه الاقوياء دون
الضعفاء فالافضل ان يتمم العمل ويجتهد في الاخلاص ولا يتركه وارباب الاعمال قد يعالجون انفسهم بخلاف الافضل لشدة الخوف

والاقتداء ينبغي ان يكون بالاقوياء واما انطباق ابرهيم النخعي المصحف فيمكن ان يكون لعلمه بانه سيحتاج الى ترك القراءة عند
دخوله واستينافها بعد خروجه للاشتغال بمكالمته فراى ان لا يراه في القراءة ابعد عن الرياء وهو عازم على الترك للاشتغال به
حتى يعود اليه بعد ذلك واما ترك رفع الاذى عن الطريق فذلك مما يخاف على نفسه اثر الشهرة واقبال الناس عليه وشغلهم
اياه عن عبادات هي اكبر من رفع خشبة من الطريق فيكون ترك ذلك للمحافظة على عبادات اكثر منها لا لمجرد خوف الرياء واما قول التيمي
اذا اعجبك الكلام كالفصاحة في الحكايات وغيرها فان ذلك يورث العجب وكذلك بالسكوت المباح محذور وهو عدول من مباح
الى مباح حذرا من العجب فاما الكلام الحق المندوب اليه فلم ينص عليه على ان الافة مما يعظم في الكلام فهو واقع في القسم الثاني
وانما كلامنا في العبادات الخاصة ببدن العبد مما لا يتعلق بالناس ولا يعظم فيه الافات ثم كلام الحسن في ترك كهم البكاء واماطة
الاذى لخوف الشهرة ربما كان حكاية احوال الضعفاء الذين لا يعرفون الافضل ولا يدركون هذه الدقائق وانما ذكره تخويفا للناس
من افة الشهرة وزجرا عن طلبها القسم الثاني ما يتعلق بالخلق وتعظم فيه الافات والاخطار واعظمها الخلافة ثم القضاء
ثم التذكير ثم التدريس والفتوى ثم انفاق المال اما الخلافة والامارة فهي من افضل العبادات اذا كان ذلك مع العدل والاخلاص
وقد قال صلى الله عليه وسلم ليوم من امام عادل خير من عبادة الرجل وحده ستين عاما فاعظم بعبادة يوازي يوم منها عبادة
ستين سنة وقال صلى الله عليه وسلم اول من يدخل الجنة ثلاثة الامام المقسط احدهم وقال ابو هريرة رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم
ثلاثة لا ترد دعوتهم الامام العادل احدهم وقال صلى الله عليه وسلم اقرب الناس مني مجلسا يوم القيمة امام عادل رواه ابو سعيد
الخدري رضي الله عنه فالامارة والخلافة من اعظم العبادات ولم يزل المتقون يتركونها ويحترزون منها ويهربون من تقلدها
وذلك لما فيها من عظم الخطر اذ تتحرك بها الصفات الباطنة ويغلب على النفس حب الجاه ولذة الاستيلاء ونفاذ الامر وهو اعظم
ملاذ الدنيا واذا صارت الولاية محبوبة كان الوالي ساعيا في حظ نفسه فيوشك ان يتبع هواه فيمتنع من كل ما يقدح في جاهه
وولايته وان كان حقا ويقدم على ما يزيد في مكانته وان كان باطلا وعند ذلك يهلك ويكون يوم من سلطان جائر شرا
من فسق ستين سنة بمفهوم الحديث الذي ذكرناه ولهذا الخطر العظيم كان يقول عمر رضي الله عنه من ياخذها بما فيها وكيف لا
وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ما من والي عشرة الا جاء يوم القيمة مغلولة يده الى عنقه اطلقه عدله او اوبقه جوره رواه
معقل بن يسار وولاه عمر ولاية فقال يا امير المؤمنين اشر علي قال اجلس واكتم علي وروى الحسن ان رجلا ولاه النبي صلى الله عليه وسلم
فقال للنبي صلى الله عليه وسلم خر لي قال اجلس وكذلك حديث عبد الرحمن بن سمرة اذ قال له النبي صلى الله عليه وسلم يا عبد الرحمن
لا تسال الامارة فانك ان اوتيتها عن غير مسئلة وان اوتيتها عن مسئلة وكلت اليها وقال ابو بكر لرافع بن عمير لا تامر على اثنين
ثم ولي هو الخلافة فقام بها فقال له رافع الم تقل لي لا تامر على اثنين وانت قد وليت امر امة محمد صلى الله عليه وسلم قال بلى
وانا اقول لك ذلك فمن لم يعدل فيها فعليه بهلة الله يعني لعنة الله ولعل القليل البصيرة يرى ما ورد من فضل الامارة مع ما
ورد من النهي عنها متناقضا وليس كذلك بل الحق فيه ان الخواص الاقوياء في الدين لا ينبغي ان يمتنعوا من تقلد الولايات وان
الضعفاء لا ينبغي ان يتعرضوا لها فيهلكوا واعني بالقوي الذي لا تميله الدنيا ولا يستفزه الطمع ولا تاخذه في الله لومة لائم
وهم الذين سقط الخلق عن اعينهم وزهدوا في الدنيا وتبرموا بها وبمخالطة الخلق وقهروا انفسهم وملكوها وقمعوا الشيطان
فايس منهم فهؤلاء لا يحركهم الا الحق ولا يسكنهم الا الحق ولو زهقت فيه ارواحهم فهم اهل نيل الفضل في الامارة و
الخلافة ومن علم انه ليس بهذه الصفة فيحرم عليه الخوض في الولايات ومن جرب نفسه فراها صابرة على الحق كافة عن الشهوات

عن الشهوات وغير الولاية وان تستحلي الجاه وتستلذ نفاذ الامر فيكره العزل فيداهن خيفة من العزل فهذا قد اختلف العلماء
في انه هل يلزمه الهرب من تقلد الولاية فقال قائلون لا يجب لان هذا خوف امر في المستقبل وهو في الحال لم يعهد نفسه الا
قويا في ملازمة الحق وترك لذات النفس والصحيح ان عليه الاحتراز لان النفس خداعة مدعية للحق واعدة بالخير فلو وعدت
بالخير جزما لكان يخاف عليها ان تتغير عند الولاية فكيف اذا اظهرت التردد والامتناع عن قبول الولاية اهون من العزل بعد
الشروع فالعزل مؤلم وهو كما قيل طلاق الرجال فاذا شرع لا تسمح نفسه بالعزل وتميل نفسه الى المداهنة واهمال الحق و
تهوي به في قعر جهنم ولا يستطيع النزوع منه الى الموت الا ان يعزل قهرا وكان فيه عذاب عاجل على كل محب للولاية
ومهما مالت النفس الى طلب الولاية وحملت على السؤال والطلب فهو امارة الشر ولذلك قال صلى الله عليه وسلم انا لا نولي امرنا
من سالنا فاذا فهمت اختلاف حكم الضعيف والقوي عرفت ان نهي ابي بكر لرافع عن الولاية
ثم تقلده لها ليس بمتناقض واما القضاء فهو وان كان دون الخلافة والامارة فهو في معناها فان كل ذي ولاية امير اي
له امر نافذ والامارة محبوبة بالطبع والثواب في القضاء عظيم مع اتباع الحق والعقاب فيه ايضا عظيم مع العدول عن الحق
وقد قال صلى الله عليه وسلم القضاة ثلاثة واحد في الجنة واثنان في النار وقال من استقضي فقد ذبح بغير سكين فحكمه حكم
الامارة ينبغي ان يتركه الضعفاء وكل من للدنيا ولذاتها وزن في عينه ويتقلدها الاقوياء الذين لا تاخذهم في الله لومة
لائم ومهما كان السلاطين ظلمة ولم يقدر القاضي على القضاء الا بمداهنتهم واهمال بعض الحقوق لاجلهم ولاجل المتعلقين بهم اذ
يعلم انه لو حكم عليهم بالحق لعزلوه او لم يطيعوه فليس له ان يتقلد القضاء وان تقلده فعليه ان يطالبهم بالحق ولا يكون خوف
العزل عذرا مرخصا له في الاهمال اصلا بل اذا عزل سقطت العهدة عنه فينبغي ان يفرح بالعزل ان كان يقضي لله وان لم تسمح
به نفسه فهو اذا يقضي لاتباع الهوى والشيطان فكيف يترقب عليه ثوابا وهو مع الظلمة في الدرك الاسفل من النار
واما الوعظ والفتوى والتدريس ورواية الحديث وجمع الاسانيد العالية وكل ما يتسع بسببه الجاه ويعظم به القدر
فافته عظيمة مثل افات الولايات وقد كان الخائفون من السلف يتدافعون الفتوى ما وجدوا اليه سبيلا وكانوا
يقولون حدثنا باب من ابواب الدنيا ومن قال حدثنا فقد قال اوسعوا لي ودفن بشر كذا قمطرا من الحديث وقال اني اشتهي
ان احدث ولو اشتهيت ان لا احدث لحدثت والواعظ يجد في وعظه وتاثر قلوب الناس به وتلاحق بكائهم و
زعقاتهم واقبالهم عليه لذة لا توازيها لذة فاذا غلب ذلك على قلبه مال طبعه الى كل كلام مزخرف يروج عند العوام
وان كان باطلا ويفر عن كل كلام حق يستثقله العوام ويصير مصروف الهمة بالكلية الى ما يحرك قلوب العوام ويعظم منزلته
في قلوبهم فلا يسمع حديثا وحكمة الا ويكون فرحه من حيث انه يصلح لان يذكره على راس المنبر وكان ينبغي ان يكون فرحه به من
حيث انه عرف طريق السعادة وطريق سلوك سبيل الدين ليعمل به اولا ثم يقول اذا انعم الله علي بهذه النعمة ونفعني بهذه
الحكمة فافيضها ليشاركني في نفعها اخواني المسلمون فهذا ايضا مما يعظم فيه الخوف والفتنة فحكمه حكم الولايات
فمن لا باعث له الا طلب الجاه والمنزلة والاكل بالدين والتفاخر والتكاثر به فينبغي ان يتركه ويخالف الهوى فيه الى ان
ترتاض نفسه وتقوى في الدين منته ويامن على نفسه الفتنة فعند ذلك يعود اليه فان قلت مهما حكم بذلك على
اهل العلم تعطلت العلوم واندرست وعم الجهل كافة الخلق فنقول قد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن طلب
الامارة وتوعد عليها حتى قال انكم لتحرصون على الامارة وانها حسرة يوم القيمة وندامة الا من اخذها بحقها وقال

نعمت المرضعة وبئست الفاطمة ومعلوم ان السلطنة والامارة لو تعطلت لبطل الدنيا والدين جميعا وثار القتال بين الخلق
وزال الامن وخربت البلاد وتعطلت المعايش فلم نهى عنها مع ذلك وضرب عمر رضي الله عنه ابي بن كعب حين راى قوما
يتبعونه وهو في ذلك يقول ابي سيد المسلمين وكان يقرا عليه القرآن فمنع ان يتبعوه وقال ان ذلك فتنة على المتبوع
ومذلة على التابع وعمر رضي الله عنه كان بنفسه يخطب ويعظ ولا يمتنع منه واستاذن رجل عمر ان يعظ الناس اذا
فرغ من الصلوة الصبح فمنعه فقال اتمنعني من نصح الناس فقال اخشى ان تنتفخ حتى تبلغ الثريا اذ راى فيه مخايل الرغبة
في جاه الوعظ وقبول الخلق والقضاء والخلافة مما يحتاج الناس اليه في دينهم كالوعظ والتدريس والفتوى وفي كل واحد
منها فتنة ولذة فلا فرق بينهما فاما قول القائل نهيك عن ذلك يؤدي الى اندراس العلم فهو غلط اذ نهى رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن القضاء لم يؤد الى تعطيل القضاء بل الرياسة وحبها يضطر الخلق الى طلبها وكذلك حب الرياسة لا يترك
العلوم تندرس بل لو حبس الناس وقيدوا بالسلاسل والاغلال عن طلب العلوم التي فيها القبول والرياسة لافلتوا من الحبس
وكسروا السلاسل وطلبوها وقد وعد الله تعالى ان يؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم فلا تشغل قلبك بامر الناس فان الله لا
يضيعهم وانظر لنفسك ثم اني اقول مع هذا اذا كان في البلد جماعة يقومون بالوعظ مثلا فليس في النهي عنه الخوف الا
امتناع بعضهم والا فتعلم ان كلهم لا يمتنعون ولا يتركون لذة الرياسة فان لم يكن في البلد الا واحد وكان وعظه
نافعا للناس من حيث حسن كلامه وحسن سمته في الظاهر وتخييله الى العوام انه انما يريد الله بوعظه وانه تارك للدنيا
ومعرض عنها فلا نمنعه منه ونقول له اشتغل وجاهد نفسك فان قال لست اقدر على نفسي فنقول له اشتغل وجاهد لانا نعلم
انه لو ترك لهلك الناس كلهم اذ لا قائم به غيره ولو واظب وغرضه الجاه فهو الهالك وحده وسلامة دين الجميع احب عندنا
من سلامة دينه وحده فنجعله فداء للقوم ونقول لعل هذا هو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يؤيد هذا الدين باقوام
لا خلاق لهم ثم الواعظ هو الذي يرغب في الآخرة ويزهد في الدنيا بكلامه وبظاهر سيرته فاما ما احدثه الوعاظ في هذه
الاعصار من الكلمات المزخرفة والالفاظ المسجعة المقرونة بالاشعار مما ليس فيه تعظيم لامر الدين وتخويف للمسلمين بل فيه الترجية
والتجرئة على المعاصي بطيارات النكت فيجب اخلاء البلاد منهم فانهم نواب الدجال وخلفاء الشيطان وانما كلامنا في واعظ
حسن الوعظ جميل الظاهر يبطن في نفسه حب القبول ولا يقصد غيره وفيما اوردناه في كتاب العلم من الوعيد الوارد في
حق علماء السوء ما يبين لزوم الحذر من فتن العلم وغوائله قال عيسى عليه السلام يا علماء السوء تصومون وتصلون وتصدقون
ولا تفعلون ما تأمرون وتدرسون ما لا تعملون فيا سوء ما تحكمون تتوبون بالقول من الاماني وتعملون بالهوى وما يغني عنكم ان
تنقوا جلودكم وقلوبكم دنسة بحق اقول لكم لا تكونوا كالمنخل يخرج منه الدقيق الطيب ويبقى فيه النخالة كذلك انتم تخرجون
الحكمة من افواهكم ويبقى الغل في صدوركم يا عبيد الدنيا كيف يدرك الآخرة من لا تنقضي من الدنيا شهوته ولا تنقطع منها
رغبته بحق اقول لكم ان قلوبكم تبكي من اعمالكم جعلتم الدنيا تحت السنتكم والعمل تحت اقدامكم بحق اقول افسدتم آخرتكم فصلاح
الدنيا احب اليكم من صلاح الآخرة فاي الناس اخس منكم لو كنتم تعلمون ويلكم حتى متى تصفون الطريق للمدلجين وتقيمون في
محلة المتحيرين كانكم تدعون اهل الدنيا ليتركوها لكم مهلا مهلا ويلكم ماذا يغني عن البيت المظلم ان يوضع السراج فوق ظهره
وجوفه وحش مظلم كذلك لا يغني عنكم ان يكون نور العلم بافواهكم واجوافكم منه وحشة معطلة يا عبيد الدنيا لا كعبيد
اتقياء ولا كاحرار كرام توشك الدنيا ان تقلعكم عن اصولكم فتنكسكم على وجوهكم ثم تكبكم على مناخركم ثم ياخذ خطاياكم

خطاياكم بنواصيكم ثم يدفعكم العلم من خلفكم ثم يسلمكم الى الملك الديان عراة فرادى فيوقفكم على سوآتكم ثم يجزيكم بسوء اعمالكم
فقد روى الحارث المحاسبي رضي الله عنه هذا الحديث في بعض كتبه ثم قال هؤلاء علماء السوء شياطين الانس وفتنة على الناس
رغبوا في عرض الدنيا ورفعتها وآثروها على الآخرة واذلوا الدين للدنيا فهم في العاجل عار وشين وفي الآخرة هم الخاسرون
فان قلت فهذه الآفات ظاهرة ولكن قد ورد في فضل العلم والوعظ رغائب كثيرة حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لان
يهدي الله بك رجلا خير لك من الدنيا وما فيها وقال صلى الله عليه وسلم ايما داع دعا الى هدى واتبع عليه كان له اجره
واجر من اتبعه عليه الى غير ذلك من فضل العلم فينبغي ان يقال للعالم اشتغل بالعلم واترك مراياة الخلق كما يقال لمن خالجه
الرياء في الصلوة لا تترك العمل ولكن اتمم العمل وجاهد نفسك فاعلم ان فضل العلم كبير وخطره عظيم كفضل الخلافة والامارة ولا نقول
لاحد من عباد الله اترك العلم اذ ليس في نفس العلم آفة انما الآفة في اظهاره بالتصدي للوعظ والتدريس ورواية الاحاديث
ولا نقول له ايضا اتركه ما دام يجد في نفسه باعثا دينيا ممزوجا بباعث الرياء فاما اذا لم يحركه الا الرياء فترك الاظهار انفع
له واسلم وكذلك نوافل الصلوات اذا تجرد فيها باعث الرياء وجب تركها اما اذا خطرت له وساوس الرياء في اثناء الصلوة
وهو له كاره فلا يترك الصلوة لان آفة الرياء في العبادات ضعيفة وانما تعظم الآفات في الولايات وفي التصدي للمناصب
الكبيرة في الجملة فالمراتب ثلاثة الاولى الولايات والآفات فيها عظيمة وقد تركها جماعة من السلف خوفا من الآفة الثانية
الصوم والصلوة والحج والغزو وقد تعرض لها اقوياء السلف وضعفاؤهم ولم يؤثر عنهم الترك لخوف الآفة وذلك
لضعف الآفات الداخلة فيها والقدرة على نفيها مع اتمام العمل لله بادنى قوة الرتبة الثالثة وهي متوسطة بين الرتبتين
وهو التصدي لمنصب الوعظ والفتوى والرواية والتدريس والآفات فيها اقل مما في الولايات واكثر مما في الصلوات
فالصلوات ينبغي ان لا يتركها الضعيف والقوي ولكن يدفع خاطر الرياء والولايات ينبغي ان يتركها الضعفاء راسا دون
الاقوياء ومناصب العلم بينهما ومن جرب آفات مناصب العلم علم انها بالولايات اشبه وان الحذر منها في حق الضعيف
اسلم والله اعلم وههنا رتبة رابعة وهو جمع المال واخذه للتفرقة على المستحقين فان في الانفاق واظهار السخاء
استجلاب للثناء وفي ادخال السرور على قلوب الناس لذة للنفس والآفات فيها ايضا كثيرة ولذلك سئل الحسن عن رجل
طلب القوت ثم امسك وآخر طلب فوق قوته ثم تصدق به فقال القاعد افضل لما تعرفون من قلة السلامة في الدنيا
وان من الزهد تركها قربة الى الله تعالى وقال ابو الدرداء ما يسرني اني اقمت على درج مسجد دمشق اصيب كل يوم خمسين
دينارا اتصدق بها اما اني لا احرم البيع والشراء ولكني اريد ان اكون من الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وقد اختلف
العلماء فقال قوم اذا طلب الحلال من الدنيا وسلم منها وتصدق به فهو افضل من ان يشتغل بالعبادات والنوافل وقال قوم الجلوس
في دوام ذكر الله تعالى افضل والاخذ والاعطاء يشغل عن ذكر الله تعالى وقد قال عيسى عليه السلام يا طالب الدنيا ليبر بها
تركك لها ابر وقال اقل ما فيه ان يشغله اصلاحه عن ذكر الله وذكر الله افضل واكبر وهذا فيمن سلم من الآفات فاما من يتعرض
لآفة الرياء فتركه لها والاشتغال بالذكر لا خلاف في انه افضل وبالجملة كل ما يتعلق بالخلق وللنفس فيه لذة فهو منشا الآفات
والاحب ان يعمل ويدفع الآفة فان عجز فلينظر وليجتهد وليستفت قلبه وليزن ما فيه من الخير بما فيه من الشر وليفعل ما يدل
عليه نور العلم دون ما يميل اليه الطبع وبالجملة ما يجده اخف على قلبه فهو في الاكثر اضر عليه لان النفس لا تشير الا بالشر
وقلما تستلذ الخير وتميل اليه وان كان لا يبعد ذلك ايضا في بعض الاحوال وهذه امور لا يمكن الحكم على تفاصيلها بنفي واثبات

العلوم

فهو موكول الى اجتهاد القلب لينظر فيه لدينه ويدع ما يريبه الى ما لا يريبه ثم قد يقع مما ذكرناه غرور للجاهل فيمسك
المال ولا ينفقه خيفة من الآفة وهو عين البخل ولا خلاف في ان تفرقة المال في المباحات فضلا من الصدقات افضل من امساكه
وانما الخلاف فيمن يحتاج الى الكسب ان الافضل ترك الكسب والانفاق او التجرد للذكر وذلك لما في الكسب من الآفات
فاما المال الحاصل الحلال فتفرقته افضل بكل حال من امساكه فان قلت فباي علامة يعرف العالم او الواعظ انه صادق مخلص
في وعظه غير مريد رياء الناس فاعلم ان لذلك علامات احديها انه لو ظهر من هو احسن منه وعظا واغزر منه علما والناس له اشد
قبولا فرح به ولم يحسده نعم لا باس بالغبطة وهو ان يتمنى لنفسه مثل علمه والاخرى ان الاكابر اذا حضروا مجلسه لم يتغير كلامه بل بقي
كما كان عليه فينظر الى الخلق بعين واحدة والاخرى انه لا يحب اتباع الناس له في الطريق والمشي خلفه في الاسواق ولذلك
علامات كثيرة يطول احصاؤها وقد روي عن سعيد بن ابي مروان قال كنت جالسا الى جنب الحسن اذ دخل عليه الحجاج ومعه
الحرس وهو على برذون اصفر فدخل المسجد على برذونه فجعل يلتفت في المسجد فلم ير حلقة احفل من حلقة الحسن فتوجه نحوها
حتى بلغ قريبا منها ثم ثنى وركه فنزل ومشى نحو الحسن فلما رآه الحسن متوجها اليه تجافى له عن ناحية مجلسه قليلا قال
سعيد وتجافيت له ايضا عن مجلسي حتى صار بيني وبين الحسن فرجة ومجلس للحجاج فجاء الحجاج حتى جلس بيني وبين الحجاج و
الحسن يتكلم بكلام له يتكلم به كل يوم فما قطع الحسن كلامه قال سعيد فقلت في نفسي لابلون الحسن اليوم ولانظرن هل
يحمل الحسن جلوس الحجاج اليه ان يزيد في كلامه يتقرب به اليه او يحمل الحسن هيبة الحجاج ان ينقص من كلامه فتكلم الحسن كلاما
واحدا نحوا مما يتكلم به كل اليوم حتى انتهى الى آخر كلامه فلما فرغ الحسن وهو غير مكترث به رفع الحجاج يده فضرب منكب الحسن
صدق الشيخ وبر فعليكم بهذه المجالس واشباهها فاتخذوها خلقا وعادة فانه بلغني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
مجالس الذكر رياض الجنة ولولا ما حملناه من امر الناس ما غلبتمونا على هذه المجالس لمعرفتنا بفضلها قال ثم افتر الحجاج فتكلم حتى
عجب الحسن ومن حضر من بلاغته فلما فرغ طفق فقام فجاء رجل من اهل الشام الى مجلس الحسن حيث قام الحجاج فقال عباد الله المسلمين
الا تعجبون اني رجل شيخ كبير واني اغزى فاكلف فرسا وبغلا واكلف فسطاطا واني بثلثمائة درهم من العطاء وعلي سبع بنات
من العيال فشكى من حاله حتى رق له الحسن واصحابه والحسن مكب فلما فرغ الرجل من كلامه فقال ما لهم قاتلهم الله
اتخذوا عباد الله خولا ومال الله دولا وقتلوا الناس على الدينار والدرهم فاذا غزا عدو الله غزا في الفساطيط الهفافة وعلى
البغال السباقة واذا اغزى اخاه اغزاه طاويا راجلا فما فتر الحسن حتى ذكرهم باقبح العيب واشده فقام رجل من اهل الشام
كان جالسا الى الحسن فسعى به الى الحجاج وحكى له كلامه فلم يلبث الحسن ان اتاه رسل الحجاج فقام الحسن واشفقنا عليه من
شدة كلامه الذي تكلم به فلم يلبث الحسن ان رجع الى مجلسه وهو يتبسم فاقبل حتى جلس في مجلسه فعظم الامانة وقال انما
تجالسون بالامانة كانكم تظنون ان الخيانة ليست الا في الدينار والدرهم ان اشد الخيانة ان يجالسنا الرجل
فنطمئن الى جانبه ثم ينطلق فيسعى بنا الى شرارة من نار اني اتيت هذا فقال اقصر عليك من لسانك وقولك اذا
غزا عدو الله غزا كذا واذا اغزى اخاه اغزاه كذا لا ابا لك تحرض علينا الناس لانا على ذلك فاقصر علينا من لسانك
فقال ودفعه الله عني فركب الحسن حمارا له يريد المنزل فبينما هو يسير اذ التفت فرأى قوما يتبعونه فوقف فقال هل لكم من حاجة
او تسألون عن شيء والا فارجعوا فما يبقى هذا من قلب العبد فبهذه العلامات وامثالها تتبين سريرة الباطن ومهما رايت العلماء
يتغايرون ويتحاسدون ولا يتوانسون ولا يتعاونون فاعلم انهم قد اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فهم الخاسرون

لانهم نصحاله

بيان ما يصح من نشاط العبد للعبادة بسبب رؤية الخلق وما لا يصح اعلم ان الرجل قد يبيت مع القوم في موضع فيقومون
للتهجد او يقوم بعضهم فيصلون الليل كله او بعضه وهو ممن يقوم في بيته ساعة قريبة فاذا رآهم انبعث نشاطه للموافقة
حتى يزيد على ما كان يعتاده او يصلي مع انه كان لا يعتادها اصلا وكذلك قد يقع في موضع يصوم فيه اهل الموضع فينبعث له
نشاط في الصوم ولولاهم لما انبعث منه هذا النشاط فهذا ربما يظن انه رياء وان الواجب ترك الموافقة وليس كذلك على
الاطلاق بل فيه تفصيل لان كل مؤمن راغب في عبادة الله تعالى وفي قيام الليل وصيام النهار ولكن قد يعوقه العوائق ويمنعه
الاشتغال وتغلبه التمكن من الشهوات وتستهويه الغفلة فربما يكون مشاهدة الغير سبب زوال الغفلة او يندفع العوائق
والاشغال في بعض المواضع فينبعث النشاط فقد يكون الرجل في منزله فيقطعه الاسباب عن التهجد مثل تمكنه من النوم
على فراش وثير او تمكنه من التمتع بزوجته او المحادثة مع اهله واقاربه او الاشتغال باولاده او مطالعة حساب له مع معامليه
فاذا وقع في منزل غريب اندفعت هذه الشواغل التي تفتر رغبته الخير وحصلت له اسباب باعثة على الخير كمشاهدته اياهم وقد اقبلوا
على الله تعالى واعرضوا عن الدنيا فانه ينظر اليهم فينافسهم ويشق عليه ان يسبقوه بطاعة الله فيتحرك داعيته للدين لا
للرياء او ربما يفارقه النوم لاستنكاره الموضع او بسبب آخر فيغتنم زوال النوم وفي منزله ربما يغلبه النوم وربما ينضاف اليه انه
في منزله على الدوام والنفس لا تسمح بالتهجد دائما وتسمح بالتهجد وقتا قليلا فيكون ذلك سبب هذا النشاط مع اندفاع سائر
العوائق وقد يعسر عليه الصوم في منزله ومعه اطايب الاطعمة ويشق عليه الصبر عنها فاذا اعوزته تلك الاطعمة لم يشق عليه
فينبعث داعية الدين للصوم فان الشهوات الحاضرة عوائق ودوافع تغلب باعث الدين فاذا سلم عنها قوي الباعث فهذا
وامثاله من الاسباب يتصور وقوعه ويكون السبب فيه مشاهدة الناس وكونه معهم والشيطان عند ذلك ربما يصد عن العمل
ويقول لا تعمل فانك تكون مرائيا اذ كنت لا تعمل في بيتك ولا تزيد على صلواتك المعتادة وقد يكون رغبته في الزيادة لاجل
رؤيتهم وخوفا من ذمهم ونسبتهم اياه الى الكسل لا سيما اذا كانوا يظنون به انه يقوم الليل فان نفسه لا تسمح بان يسقط
من اعينهم فيريد ان يحفظ منزلته وعند ذلك قد يقول له الشيطان صل فانك مخلص ولست تصلي لاجلهم بل لله وانما كنت
لا تصلي كل ليلة لكثرة العوائق وانما داعيتك لزوال العوائق لا لاطلاعهم وهذا امر مشتبه الا على ذوي البصائر فاذا عرف
ان المحرك هو الرياء فلا ينبغي ان يزيد على ما كان يعتاده ولو ركعة واحدة لانه يعصي الله تعالى بطلب محمدة الناس بطاعة الله
وان كان انبعاثه لدفع العوائق وتحرك الغبطة والمنافسة بسبب عبادتهم لله فليوافق وعلامة ذلك ان يعرض على نفسه
انه لو راى هؤلاء يصلون من حيث لا يرونه بل من وراء حجاب وهو في ذلك الموضع بعينه هل كانت تسخو نفسه بالصلوة
وهم لا يرونه فان سخت نفسه فليصل فان باعثه الحق وان كان يثقل ذلك على نفسه لو غاب عن اعينهم فليترك فان باعثه الرياء
وكذلك قد يحضر الانسان يوم الجمعة في الجامع من نشاط الصلوة ما لا يحضره كل يوم ويمكن ان يكون ذلك لحب حمدهم
ويمكن ان يكون سببه تحرك نشاطه بسبب نشاطهم وزوال غفلته بسبب اقبالهم على الله تعالى وقد يتحرك بذلك باعث الدين
ويقارنه نزوع في النفس الى حب الحمد فمهما علم ان الغالب على قلبه ارادة الدين فلا ينبغي ان يترك العمل بما يجده من حب الحمد
بل ينبغي ان يرد ذلك على نفسه بالكراهة ويشتغل بالعبادة وكذلك قد يبكي جماعة فينظر اليهم فيحضره البكاء خوفا من الله سبحانه
لا من الرياء ولو سمع ذلك الكلام وحده لما بكى ولكن بكاء الناس يؤثر في ترقيق القلب وقد لا يحضره البكاء فيتباكى تارة رياء
وتارة من الصدق اذ يخشى على نفسه قساوة القلب حين يبكون ولا تدمع عينه فيتباكى تكلفا وذلك محمود وعلامة الصدق فيه

ان يعرض على نفسه انه لو سمع بكاءهم من حيث لا يرونه هل كان يخاف على نفسه القساوة فيتباكى ام لا فان لم يجد ذلك عند
تقدير الاختفاء عن اعينهم فانما خوفه من ان يقال انه قاسي القلب فينبغي ان يترك التباكي قال لقمن لابنه لا ترى الناس
انك تخشى الله ليكرموك وقلبك فاجر وكذلك الصيحة والتنفس والانين عند سماع القرآن او الذكر او بعض مجاري
الاحوال تارة يكون من الصدق والحزن والخوف والندم والتأسف وتارة يكون لمشاهدة حزن غيره وقساوة نفسه
فيتكلف التنفس والانين ويتحازن وذلك محمود وقد تقترن به الرغبة فيه لدلالته على انه كثير الحزن ليعرف بذلك فان تجردت
هذه الداعية فهي الرياء وان اقترنت بداعية الحزن فان اباها بقلبه ولم يقبلها وكرهها سلم بكاؤه وتباكيه وان قبل
ذلك وركن اليه بقلبه حبط اجره وضاع سعيه وتعرض لسخط الله تعالى وقد يكون اصل الانين عن الحزن ولكن يمده ويزيده
في رفع الصوت فتلك الزيادة رياء وهو محظور لانها في حكم الابتداء بمجرد الرياء فهذا قد يهيج من الخوف ما لا يملك العبد معه
نفسه ولكن يسبق خاطر الرياء فيقبله ويدعوه الى زيادة تحزين الصوت او رفع له او حفظ الدمعة على الوجه حتى يبصر بعد
ان استرسلت لخشية الله تعالى ولكن يحفظ اثرها على الوجه لاجل الرياء وقد يسمع الذكر فيضعف قواه من الخوف فيسقط ثم يستحيي ان
يقال انه سقط من غير زوال عقل وحالة شديدة فيزعق ويتواجد تكلفا ليرى انه سقط لكونه مغشيا عليه وقد كان ابتداء السقطة
عن صدق وقد يزول عقله فيسقط ولكن يفيق سريعا فيجزع نفسه ان يقال حالته غير ثابتة وانما هي كبرق خاطف فيستديم الزعقة
والرقص ليرى دوام حاله وكذلك قد يفيق بعد الضعف ولكن يزول ضعفه سريعا فيجزع ان يقال لم تكن غشيته صحيحة ولو كانت
صحيحة لدام ضعفه فيستديم اظهار الضعف والانين فيتكئ على غيره يرى انه يضعف عن القيام ويتمايل في المشي ويقرب الخطى
ليظهر انه ضعيف عن سرعة المشي فهذه كلها مكائد الشيطان ونزغات النفس فاذا خطرت فعلاجها ان يتفكر ان الناس لو عرفوا نفاقه
في الباطن واطلعوا على ضميره لمقتوه وان الله تعالى مطلع على ضميره وهو له اشد مقتا كما روي عن ذي النون انه قام وزعق فقام معه شيخ
راى فيه اثر التكلف فقال يا شيخ الذي يراك حين تقوم فجلس الشيخ وكل ذلك من اعمال المنافقين وقد جاء في الخبر تعوذوا بالله من خشوع
النفاق وانما خشوع النفاق ان تخشع الجوارح والقلب غير خاشع ومن ذلك الاستغفار والاستعاذة بالله عز وجل من عذابه
وغضبه فان ذلك قد يكون لخاطر خوف وتذكر ذنب وتندم عليه وقد يكون للمراءاة فهذه خواطر ترد على القلب متضادة مترادفة
متقاربة وهي مع تقاربها متشابهة فراقب قلبك في كل ما يخطر لك وانظر ما هو ومن اين هو فان كان لله فامضه واحذر مع ذلك
ان يكون قد خفي عليك شيء من الرياء الذي هو كدبيب النمل وكن على وجل من عبادتك اهي مقبولة ام لا لخوفك على الاخلاص فيها
واحذر ان يتجدد لك الركون الى حمدهم بعد الشروع بالاخلاص فان ذلك مما يكثر جدا فاذا خطر لك فتفكر في اطلاع الله عليك
ومقته لك وتذكر ما قاله احد الثلثة النفر الذين حاجوا ايوب عليه السلام اذ قال يا ايوب اما علمت ان العبد تضل عنه علانيته
التي كان يخادع بها عن نفسه ويجزى بسريرته وقول بعضهم اعوذ بك ان يرى الناس اني اخشاك وانت لي ماقت وكان من دعاء
علي بن الحسين رضي الله عنهم اللهم اني اعوذ بك ان تحسن في لامعة العيون علانيتي وتقبح لك فيما اخلو سريرتي محافظا على
رياء الناس من نفسي ومضيعا لما انت مطلع عليه مني ابدي للناس احسن امري وافضي اليك باسوء عملي تقربا الى الناس بحسناتي
وفرارا منهم اليك بسيئاتي فيحل بي مقتك ويجب علي غضبك اعذني من ذلك يا رب العالمين وقد قال احد الثلثة لايوب عليه السلم
يا ايوب الم تعلم ان الذين حفظوا علانيتهم واضاعوا سرائرهم عند طلب الحاجات الى الرحمن تسود وجوههم فهذه جمل آفات الرياء
فليراقب العبد قلبه ليقف عليه ففي الخبر ان الرياء سبعون بابا وقد عرفت ان بعضه اغمض من بعض حتى ان بعضه مثل دبيب النمل

النمل وكيف يدرك ما هو اخفى من دبيب النمل الا بشدة التفقد والمراقبة وليته ادرك بعد بذل المجهود فكيف يطمع في ادراكه
من غير تفقد القلب وامتحان النفس وتفتيش عن خدعها **بيان** ما ينبغي للمريد ان يلزم نفسه قبل العمل وبعده وفيه اعلم
ان اولى ما يلزم المريد قلبه في سائر اوقاته القناعة بعلم الله تعالى في جميع طاعاته ولا يقنع بعلم الله الا من لا يخاف الا الله تعالى
ولا يرجو الا الله فاما من خاف غيره وارتجاه اشتهى اطلاعه على محاسن احواله فان كان في هذه الرتبة فليلزم كراهة ذلك من جهة
العقل والايمان لما فيه من خطر التعرض للمقت وليراقب نفسه عند الطاعات العظيمة الشاقة التي لا يقدر عليها غيره فان النفس
عند ذلك تكاد تغلي حرصا على الافشاء وتقول مثل هذا العمل العظيم او الخوف العظيم او البكاء العظيم لو عرفه الخلق منك لسجدوا
لك فما في الخلق من يقدر على مثله فكيف ترضى باخفائه فيجهل الناس محلك وينكرون قدرك ويحرمون عن الاقتداء بك ففي مثل
هذا الامر ينبغي ان يثبت قدمه ويتذكر في مقابلة عظم عمله عظم ملك الآخرة ونعيم الجنة ودوامها ابد الآباد وعظم غضب
الله ومقته على طلب بطاعته ثوابا من عباده ويعلم ان اظهاره لغيره تحبب اليهم وسقوط عند الله تعالى واحباط للعمل
العظيم فيقول وكيف اتبع مثل هذا العمل بحمد الخلق وهم عاجزون لا يقدرون على رزق ولا اجل فيلزم ذلك قلبه ولا ينبغي ان
ييأس عنه فيقول انما يقدر على الاخلاص الاقوياء فاما المخلطون فليس ذلك من شانهم فيترك المجاهدة في الاخلاص لان
المخلط الى ذلك احوج من المتقي لان المتقي ان فسدت نوافله بقيت فرائضه كاملة تامة والمخلط لا تخلو فرائضه عن النقصان
والحاجة الى الجبران بالنوافل فان لم تسلم صار ماخوذا بالفرائض وهلك فالمخلط الى الاخلاص احوج وقد روى تميم الداري
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يحاسب العبد يوم القيمة فان نقص فرضه قيل انظروا هل من تطوع فان كان له تطوع
اكمل به فرضه وان لم يكن له تطوع اخذ بطرفيه فالقي في النار فياتي المخلط يوم القيمة وفرضه ناقص وعليه ذنوب كثيرة
فاجتهاده في جبر الفرائض وتكفير السيئات ولا يمكن ذلك الا بخلوص النوافل واما المتقي فجهده في زيادة الدرجات فان حبط تطوعه
بقي من حسناته ما يترجح على السيئات فيدخل الجنة فاذن ينبغي ان يلزم قلبه خوف اطلاع غير الله تعالى عليه لتصح نوافله ثم يلزم قلبه ذلك
بعد الفراغ حتى لا يتحدث به ولا يظهره فاذا فعل جميع ذلك فينبغي ان يكون وجلا من عمله خائفا انه ربما دخله من الرياء الخفي ما لم
يقف عليه فيكون شاكا في قبوله ورده مجوزا ان يكون الله قد احصى عليه من نيته الخفية ما مقته بها ورد عمله بسببها ويكون
هذا الشك والخوف في دوام عمله وبعده لا في ابتداء العقد بل ينبغي ان يكون متيقنا في الابتداء انه مخلص ما يريد بعمله الا
الله حتى يصح عمله فاذا شرع ومضت لحظة يمكن فيها الغفلة والنسيان كان الخوف من الغفلة عن شائبة خفية احبطت
عمله من رياء او عجب اولى به ولكن يكون رجاؤه اغلب من خوفه لانه قد استيقن انه دخل بالاخلاص وشك في انه هل افسده برياء
فيكون رجاء القبول اغلب وبذلك تعظم لذته في المناجاة والطاعات فالاخلاص يقين والرياء شك وخوفه لاجل ذلك الشك
جدير بان يكفر خاطر الرياء ان كان قد سبق وهو غافل عنه والذي يتقرب الى الله بالسعي في حوائج الناس وافادة العلم ينبغي ان يلزم
نفسه رجاء الثواب على ادخال السرور على قلب من قضى حاجته فقط ورجاء الثواب على عمل المتعلم بعلمه فقط دون شكر ومكافاة
وحمد وثناء من المتعلم مساعدة في شغل وخدمة او مرافقة في المشي في الطريق ليستكثر باستتباعه فلا ثواب له غيره نعم ان لم
يتوقع هو ولم يقصد الا الثواب على عمله بعلمه ليكون له مثل اجره ولكن خدم التلميذ بنفسه فقبل خدمته فنرجو ان لا يحبط
ذلك عمله اجره اذا كان لا ينتظره ولا يريده منه ولا يستبعده فيه لو قطعه ومع هذا فقد كان العلماء يحذرون ذلك حتى ان
بعضهم وقع في بئر فجاء قوم وادلوا الحبل ليأخذوه فحلف عليهم ان لا يقف معهم من قرأ عليه آية من القرآن او سمع منه حديثا

خيفة من ان يحبط اجره وقال شقيق البلخي رحمه الله اهديت لسفين الثوري رحمه الله ثوبا فرده علي فقلت له يا باعبد الله
لست انا ممن سمع الحديث حتى ترده علي قال علمت ذلك ولكن اخوك سمع مني الحديث فاخاف ان يلين قلبي لاخيك اكثر مما
يلين لغيره وجاء رجل الى سفين ببدرة او بدرتين وكان ابوه صديقا لسفين وكان سفين ياتيه كثيرا فقال له يا باعبد الله في نفسك
من ابي شي فقال يرحم الله اباك كان وكان فاثنى عليه ثم قال يا باعبد الله قد عرفت كيف صار الي هذا المال فاحب ان
ان تاخذ هذه تستعين بها على عيالك قال فقبل سفيان ذلك فلما خرج فقال لولده يا مبارك الحقه فرده علي فرجع فقال
احب ان تاخذ مالك فلم يزل به حتى رده اليه وكانه كانت اخوته مع الله في الله فكره ان ياخذ ذلك قال ولده فلما خرج لم املك
ان جئت اليه فقلت له ويلك اي شي قلبك هذا حجارة هب انه ليس لك عيال اما ترحمني اما ترحم اخوتك اما ترحم عيالنا
فاكثرت عليه فقال الله يا مبارك تاكلها هنيئا مريا واسال عنها فاذن يجب على العالم ان يلزم قلبه طلب حمد الله وثوابه ونيل
المنزلة عنده لا عند المعلم وعند الخلق وربما يظن ان له ان يرائي بطاعته لينال عند المعلم رتبة فيتعلم منه وهو خطا لان ارادته
غير الله بطاعته خسران في الحال والعلم ربما يفيد وربما لا يفيد فكيف يخسر في الحال عملا نقدا على توهم علم وذلك غير جائز
بل ينبغي ان يتعلم لله ويعبد لله ويخدم المعلم لله لا ليكون له في قلبه منزلة فان كان يريد ان يكون تعلمه طاعة فان العباد امروا
بان لا يعبدوا الا الله ولا يريدوا بطاعتهم غيره وكذلك من يخدم ابويه لا ينبغي ان يخدم لطلب المنزلة عندهما الا من حيث
ان رضا الله تعالى في رضا الوالدين ولا يجوز له ان يرائي بطاعته لينال بها منزلة عند الوالدين فان ذلك معصية في الحال
وسيكشف عن ريائه ويسقط منزلته من قلب الوالدين ايضا واما الزاهد المعتزل عن الناس فينبغي ان يلزم قلبه ذكر الله تعالى
والقناعة بعلمه ولا يخطر بقلبه معرفة الناس زهده واستعظامهم لمحله فان ذلك يغرس الرياء في صدره حتى تتيسر عليه العبادات
في خلوته وانما سلوته معرفة الناس باعتزاله واستعظامهم لمحله وهو لا يدري انه المخفف للعمل عليه قال ابرهيم بن ادهم تعلمت
المعرفة من راهب يقال له سمعان دخلت عليه في صومعته فقلت له يا سمعان منذ كم انت في صومعتك فقال منذ سبعين سنة
قلت فما طعامك قال يا حنيفي وما دعاك الى هذا فقلت احببت ان اعلم ذلك قال في كل ليلة حمصة قلت فما الذي يهيج من قلبك حتى يكفيك
هذه الحمصة قال ترى الدير الذي بحذائك قلت نعم قال انهم ياتوني في كل سنة يوما واحدا فيزينون صومعتي ويطوفون حولها ويعظموني
فكلما تثاقلت نفسي عن العبادة ذكرتها عز تلك الساعة فانا احتمل جهد سنة لعز ساعة فاحتمل يا حنيفي جهد ساعة لعز الابد فوقر
في قلبي المعرفة فقال حسبك او ازيدك قلت زدني قال انزل عن الصومعة فنزلت فادلى الي ركوة فيها عشرون حمصة فقال لي ادخل
الدير فقد راوا ما ادليت اليك فلما دخلت الدير اجتمعت النصارى علي فقالوا يا حنيفي ما الذي ادلى اليك الشيخ قلت من قوته
قالوا وما تصنع به نحن احق به قالوا ساوم قلت عشرين دينارا فاعطوني عشرين دينارا فرجعت الى الشيخ فقال يا حنيفي ما الذي
صنعت قلت بعته منهم قال بكم قلت بعشرين دينارا قال اخطات لو ساومتهم بعشرين الف دينار لاعطوك هذا عز من لا تعبده
فكيف عز من تعبده يا حنيفي اقبل على ربك ودع الذهاب والجية والمقصود ان استشعار النفس عز العظمة في القلوب يكون
باعثا في الخلوة وقد لا يشعر به فينبغي ان يلزم نفسه الحذر منه وعلامة سلامته ان يكون الخلق عنده والبهائم بمثابة واحدة
فلو تغيروا عن اعتقادهم فيه لم يجزع ولم يضق به ذرعا الا كراهة ضعيفة ان وجدها في قلبه فيردها في الحال بعقله
وايمانه فانه لو كان في عبادة فاطلع الناس كلهم عليه لم يزده ذلك خشوعا ولم يداخله سرور بسبب اطلاعهم عليه فان دخله سرور يسير فهو
دليل ضعفه ولكن اذا قدر على رده بكراهة العقل والايمان وبادر الى ذلك ولم يقبل السرور بالركون اليه فيرجى له ان لا يخيب سعيه

الثواب من الله في اقتداء الناس به فقط
ويجب على المتعلم ان يلزم قلبه طلب

سعيه الا ان يزيد عند مشاهدتهم في الخشوع والانقباض كيلا ينبسطوا اليه فذلك لا باس به ولكن فيه غرور اذ النفس قد يكون
شهوتها الخفية اظهار الخشوع وتتعلل بطلب الانقباض فليطالبها في دعواه قصد الانقباض بموثق من الله غليظ وهو انه
عن ثقة من الله عليه فهو انه لو علم ان انقباضهم عنه انما يحصل بان يعدو ويسرع او ياكل كثيرا او يضحك فتسمح نفسه بذلك فاذا
لم تسمح به وسمحت بالعبادة فيشبه ان يكون مرادها المنزلة عندهم ولا ينجو عن ذلك الا من تقرر في قلبه انه ليس في الوجود احد سوى الله
فيعمل عمل من لو كان على وجه الارض وحده لكان يعمله ولا يلتفت قلبه الى الخلق الا خطرات ضعيفة يسهل عليه ازالتها واذا كان كذلك
لم يتغير بمشاهدة الخلق ومن علامة الصدق فيه انه لو كان له صاحبان احدهما غني والاخر فقير فلا يجد عند اقبال الغني زيادة هزة
في نفسه لاكرامه الا اذا كان في الغني زيادة علم او زيادة ورع فيكون مكرما له بذلك الوصف لا بالغنى فمن كان استرواحه الى مشاهدة
الاغنياء اكثر فهو مراء او طامع والا فالنظر الى الفقراء يزيد رغبة الاخرة ويحبب الى القلب المسكنة والنظر الى الاغنياء بخلافه
فكيف يستروح الى الغني اكثر مما يستروح الى الفقير وقد روي ان الاغنياء لم يروا في مجلس اذل منهم في مجلس الثوري كان يجلسهم وراء الصف
ويقدم الفقراء حتى كانوا يتمنون انهم فقراء في مجلسه نعم لك زيادة اكرام للغني اذا كان اقرب اليك او كان بينك وبينه حق وصداقة
سابقة وذلك يكون بحيث لو وجدت تلك العلاقة في فقير لكنت لا تقدم الغني عليه في اكرام على الله من الغني فايثارك له لا
فايثارك له لا يكون الا طمعا ورياء ثم اذا سويت بينهما في المجالسة فيخشى عليك ان تظهر الحكمة والخشوع للغني اكثر مما تظهره للفقير
وانما ذلك لرياء خفي او طمع خفي كما قال ابن السماك لجارية له ما لي اذا اتيت بغداد فتحت لي الحكمة فقالت الطمع يشحذ لسانك
وقد صدقت فان اللسان ينطلق عند الغني بما لا ينطلق عند الفقير وكذلك يحضر من الخشوع عنده ما لا يحضر عند الفقير ومكايد النفس
وخباياها في هذا الفن لا تنحصر ولا ينجيك منها الا ان تخرج ما سوى الله من قلبك وتتجرد للشفقة على نفسك بقية عمرك ولا ترضى
لها بالنار بسبب شهوات منغصة في ايام متقاربة منقضية وتكون في الدنيا كملك من ملوك الارض قد امكنته الشهوات وساعدته اللذات
ولكن في بدنه سقم يخاف منه الهلاك على نفسه في كل ساعة لو اتسع في الشهوات وعلم انه لو احتمى وجاهد شهوته عاش ودام ملكه
فلما عرف ذلك جالس الاطباء وحارف الصيادلة وعود نفسه شرب الادوية المرة فصبر على بشاعتها وهجر جميع اللذات وصبر على مفارقتها
فبدنه كل يوم يزداد نحولا لقلة اكله ولكن سقمه كل يوم يزداد نقصانا لشدة احتمائه فمهما نازعته نفسه تفكر في توالي الالام والاوجاع
عليه واداء ذلك الى الموت المفرق بينه وبين ملكه الموجب لشماتة اعدائه ومهما اشتد عليه شرب دواء تفكر فيما يستفيده من الشفاء
الذي هو سبب التمتع بملكه ونعمه في عيش هني وبدن صحيح وقلب رخي وامر نافذ فيخف عليه مهاجرة اللذات ومصابرة المكروهات
فكذلك المؤمن المريد لملك الاخرة احتمى عن كل مهلك له في اخرته وهي لذات الدنيا وزهرتها واجتزى منها بالقليل واختار النحول والذبول
والوحشة والحزن وترك المؤانسة بالخلق خوفا من ان يحل عليه غضب الله فيهلك ورجاء لان ينجو من عذابه فخف ذلك كله عليه عند شدة يقينه
وايمانه بعاقبة امره بما اعد له من النعيم المقيم في جوار الله تعالى ابد الاباد ثم علم ان الله تعالى رحيم كريم لم يزل لعباده المريدين لمرضاته عونا وبهم رفيقا
وعليهم عطوفا ولو شاء لاغناهم عن التعب والنصب والعبادة ولكن اراد ان يبلوهم ويعرف صدق ارادتهم حكمة منه وعدلا ثم اذا تحمل التعب في بدايته اقبل
الله عليه بالمعونة والتيسير وحط عنه الاعباء وسهل عليه الصبر وحبب اليه الطاعة ورزقه فيها من لذة المناجاة ما يلهيه عن سائر اللذات
يقويه على اماتة الشهوات وتولى سياسته وتقويته وامده بمعونته فان الكريم لا يضيع سعي الراجي ولا يخيب امل المحب وهو الذي
يقول من تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا ويقول لقد طال شوق الابرار الى لقائي واني الى لقائهم لاشد شوقا فليظهر العبد في البداية
جده وصدقه واخلاصه فلا يعوزه من الله على القرب ما هو اللائق بجوده وكرمه ورحمته اه تم كتاب ذم الجاه والريا بحمد الله وفضله

وتوقيره فان الفقير اكرم

كتاب ذم الكبر والعجب وهو التاسع من ربع المهلكات

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي

الحمد لله الخالق البارى المصور العزيز الجبار المتكبر العلى الذى لا يضعه عن مجده واضع الجبار الذى كل جبار له ذليل خاضع وكل متكبر فى جناب عزه مسكين متواضع القهار الذى لا يدفعه عن مراده دافع الغنى الذى ليس له فى ملكه شريك ولا منازع القادر الذى بهر ابصار الخلائق جلاله وبهاؤه وقهر العرش المجيد استواؤه واستيلاؤه واستعلاؤه وحصر السن الانبياء وصفه وثناؤه وارتفع عن حد قدرتهم احصاؤه واستقصاؤه واعترف بالعجز عن وصف كنه جلاله ملائكته وانبياؤه وكسر ظهور الاكاسرة عزه وعلاؤه وقصر ايدى القياصرة عظمته وكبرياؤه فالعظمة ازاره والكبرياء رداؤه ومن نازعه فيهما قصمه بداء الموت فاعجزه دواؤه جل جلاله وتقدست اسماؤه والصلوة على محمد الذى انزل معه النور المستنير ضياؤه حتى اشرقت بنوره اكناف العالم وارجاؤه وعلى آله واصحابه الذين هم احباء الله واولياؤه وخيرته واصفياؤه وسلم كثيرا **اما بعد** فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى العظمة ازارى والكبرياء ردائى فمن نازعنى فيهما قصمته وقال ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه فالكبر والعجب داءان مهلكان والمتكبر والمعجب سقيمان مريضان وهما عند الله ممقوتان بغيضان واذا كان القصد فى هذا الربع من كتاب احياء علوم الدين شرح المهلكات وجب ايضاح الكبر والعجب فانهما من قبائح المرديات ونحن نستقصى بيانهما من الكتاب فى شطرين شطر فى الكبر وشطر فى العجب **الشطر الاول** من الكتاب فى الكبر وفيه بيان ذم الكبر وبيان ذم الاختيال وبيان فضيلة التواضع وبيان حقيقة الكبر وآفته وبيان من يتكبر عليه ودرجات الكبر وبيان ما به التكبر وبيان البواعث على التكبر وبيان اخلاق المتواضعين وبيان ما فيه يظهر التكبر وبيان علاج الكبر وبيان امتحان النفس فى خلق الكبر وبيان المحمود من خلق التواضع والمذموم منه

بيان ذم الكبر قد ذم الله تعالى الكبر فى مواضع من كتابه وذم كل جبار متكبر فقال تعالى ساصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق وقال تعالى كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار وقال تعالى واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد وذم الكبر فى القرآن كثير وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من كبر ولا يدخل النار رجل مثقال حبة من خردل من ايمان وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى الكبرياء ردائى والعظمة ازارى فمن نازعنى واحدا منهما القيته فى جهنم وعن ابى سلمة بن عبد الرحمن قال التقى عبد الله بن عمرو وعبد الله بن عمر على المروة فتواقفا فمضى ابن عمرو واقام ابن عمر يبكى قالوا ما يبكيك يا ابا عبد الرحمن قال هذا يعنى عبد الله بن عمرو زعم انه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من كبر اكبه الله فى النار على وجهه وقال النبى صلى الله عليه وسلم لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب فى الجبارين فيصيبه ما اصابهم من العذاب وقال سليمان بن داود صلى الله

عليهما وسلم يوما للطير والجن والانس والبهائم اخرجوا فخرجوا فى مائتى الف من الانس ومائتى الف من الجن فرفع حتى سمع زجل الملائكة بالتسبيح فى السموات ثم خفض حتى مست قدماه البحر فسمع صوتا يقول لو كان فى قلب صاحبكم مثقال ذرة من كبر لخسفت به ابعد مما رفعته وقال صلى الله عليه وسلم يخرج من النار عنق له اذنان تسمعان وعينان تبصران ولسان ينطق يقول وكلت بثلثة بكل جبار عنيد وبكل من دعا مع الله الها آخر وبالمصورين وقال لا يدخل الجنة جبار ولا بخيل ولا سيئ الملكة وقال صلى الله عليه وسلم تحاجت الجنة والنار فقالت النار اوثرت بالمتكبرين والمتجبرين وقالت الجنة ما لى لا يدخلنى الا ضعفاء الناس وسقاطهم وعجزتهم فقال الله تعالى للجنة انما انت رحمتى ارحم بك من اشاء من عبادى وقال للنار انما انت عذابى اعذب بك من اشاء ولكل واحدة منكما ملؤها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بئس العبد عبد تجبر واعتدى ونسى الجبار الاعلى بئس العبد عبد تجبر واختال ونسى الكبير المتعال بئس العبد عبد سها ولها ونسى المقابر والبلى بئس العبد عبد بغى وعتى ونسى المبدأ والمنتهى وعن ثابت قال بلغنا انه قيل يا رسول الله ما اعظم كبر فلان فقال اليس بعده الموت وقال عبد الله بن عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان نوحا صلى الله عليه وسلم لما حضرته الوفاة دعا ابنيه وقال انى آمركما باثنين وانهاكما عن اثنين انهاكما عن الشرك والكبر وآمركما بلا اله الا الله فان السموات والارض وما فيهن لو وضعت فى كفة الميزان ووضعت لا اله الا الله فى كفة اخرى كانت ارجح منهما ولو ان السموات والارض وما فيهن كانت حلقة فوضع لا اله الا الله عليها لقصمتها وآمركما بسبحان الله وبحمده فانها صلوة كل شئ وبها يرزق كل شئ وقال عيسى صلى الله عليه وسلم طوبى لمن علمه الله كتابه ثم لم يمت جبارا وقال النبى صلى الله عليه وسلم اهل النار كل جعظرى جواظ متكبر جماع مناع واهل الجنة الضعفاء المقلون وقال صلى الله عليه وسلم يحشر المتكبرون يوم القيمة ذرا فى مثل صور الرجال يعلوهم كل شئ من الصغار ثم يساقون الى سجن فى جهنم يقال له بولس يعلوهم نار الانيار يسقون من طين الخبال عصارة اهل النار وقال ابو هريرة قال النبى صلى الله عليه وسلم يحشر الجبارون والمتكبرون يوم القيمة فى صور الذر يطأهم الناس لهوانهم على الله وعن محمد بن واسع قال دخلت على بلال بن ابى بردة فقلت يا بلال ان اباك حدثنى عن ابيه عن جده عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان فى جهنم واديا يقال له هبهب حق على الله ان يسكنه كل جبار فاياك يا بلال ان تكون ممن يسكنه وقال صلى الله عليه وسلم ان فى النار قصرا يجعل فيه المتكبرون ويطبق عليهم فقال صلى الله عليه وسلم اللهم انى اعوذ بك من نفخة الكبرياء وقال من فارق روحه جسده وهو برئ من ثلاث دخل الجنة الكبر والدين والغلول **الآثار** قال ابو بكر الصديق رضى الله عنه لا يحقرن احد احدا من المسلمين فان صغير المسلمين عند الله كبير وقال وهب لما خلق الله جنة عدن نظر اليها فقال انت حرام على كل متكبر وكان الاحنف بن قيس يجلس مع مصعب بن الزبير على سريره فجاء يوما ومصعب ماد رجليه فلم يقبضهما وقعد الاحنف فزحمه بعض الزحمة فراى اثر ذلك فيه فقال عجبا لابن آدم يتكبر وقد خرج من مجرى البول مرتين وقال الحسن العجب لابن آدم يغسل الخرء بيده كل يوم مرة او مرتين ثم يتكبر يعارض جبار السموات وقد قيل وفى انفسكم افلا تبصرون هو سبيل الغائط والبول وقال محمد بن الحسين بن على رضى الله عنهم ما دخل قلب امرئ شئ من الكبر قط الا نقص من عقله بقدر ما دخل من ذلك قل او كثر وسئل سلمان عن السيئة التى لا ينفع معها حسنة فقال الكبر وقال النعمان بن بشير على المنبر ان للشيطان مصالى وفخوخا وان من مصالى الشيطان وفخوخه البطر بانعم الله والفخر باعطاء الله والكبر على عباد الله واتباع الهوى فى غير ذات الله

بيان ذم الاختيال واظهار آثار الكبر فى المشى وجر الثياب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله الى رجل يجر ازاره بطرا وقال عليه السلم بينما رجل يتبختر فى برديه قد اعجبته نفسه خسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى القيمة

وقال صلى الله عليه وسلم من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله اليه يوم القيمة وقال زيد بن اسلم دخلت على ابن عمر فمر به عبد الله بن واقد
وعليه ثوب جديد يجره فسمعته يقول اي بني ارفع ازارك فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا ينظر الله الى من
جر ازاره خيلاء وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بزق يوما في كفه ووضع اصبعه عليه وقال يقول الله تعالى ابن آدم اتعجزني وقد
خلقتك من مثل هذه حتى اذا سويتك وعدلتك مشيت في بردين وللارض منك وئيد جمعت ومنعت حتى اذا بلغت التراقي
قلت اتصدق واني اوان الصدقة وقال صلى الله عليه وسلم اذا مشت امتي المطيطاء وخدمتهم فارس والروم سلط الله بعضهم على
بعض وقال ابن الاعرابي هي مشية فيها اختيال وقال صلى الله عليه وسلم من تعظم في نفسه واختال في مشيته لقي الله وهو عليه غضبان
الآثار عن ابي بكر الهذلي قال بينما نحن مع الحسن اذ مر علينا ابن الاهتم يريد المقصورة وعليه جباب خز
قد نضد بعضها فوق بعض على ساقه وانفرج عنها قباؤه وهو يمشي يتبختر اذ نظر اليه الحسن نظرة فقال اف اف شامخ بانفه
ثاني عطفه مصعر خده ينظر في عطفيه اي حميق ينظر في عطفيه في نعم غير مشكورة ولا مذكورة غير المأخوذ بامر الله فيها ولا
المؤدي حق الله منها والله ان يمشي احدهم طبيعته ان يتخلج تخلج المجنون في كل عضو من اعضائه لله نعمة وللشيطان به لعنة فسمع
ابن الاهتم فرجع يعتذر اليه فقال لا تعتذر الي وتب الى ربك اما سمعت قول الله تعالى ولا تمش في الارض مرحا انك لن
تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا ومر بالحسن شاب عليه بزة له حسنة فدعاه فقال ابن آدم معجب بشبابه معجب بجماله كأن القبر قد
وارى بدنك وكانك قد لاقيت عملك ويحك داو قلبك فان حاجة الله الى العباد صلاح قلوبهم وروي ان عمر بن عبد العزيز
حج قبل ان يستخلف فنظر اليه طاوس وهو يختال في مشيته فغمز جنبه باصبعه ثم قال ليست هذه مشية من في بطنه خرء فقال
عمر كالمعتذر اليه يا عم لقد ضرب كل عضو مني على هذه المشية حتى تعلمتها وراى محمد بن واسع ولده يختال فدعاه فقال اتدري
من انت اما امك فاشتريتها بمائتي درهم واما ابوك فلا كثر الله في المسلمين مثله وراى ابن عمر رجلا يجر ازاره فقال ان للشيطان
اخوانا كررها مرتين او ثلاثا ويروى ان مطرف بن عبد الله بن الشخير راى المهلب وهو يتبختر في جبة خز فقال يا عبد الله هذه
مشية يبغضها الله ورسوله فقال له المهلب اما تعرفني فقال بلى اعرفك اولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة وتحمل فيما
بين ذلك عذرة فمضى المهلب وترك مشيته تلك وقال مجاهد في قوله تعالى ثم ذهب الى اهله يتمطى اي يتبختر واذ قد ذكرنا
ذم الكبر والاختيال فلنذكر فضيلة التواضع

بيان فضيلة التواضع

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما
زاد الله عبدا بعفو الا عزا وما تواضع احد لله الا رفعه الله وقال صلى الله عليه وسلم ما من احد الا ومعه ملكان وعليه حكمة
يمسكانه بها فان هو رفع نفسه جبذاها ثم قالا اللهم ضعه وان وضع نفسه قالا اللهم ارفعه وقال صلى الله عليه وسلم طوبى
لمن تواضع في غير مسكنة وانفق مالا جمعه في غير معصية ورحم اهل الذل والمسكنة وخالط اهل الفقه والحكمة وعن ابي سلمة
المديني عن ابيه عن جده قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عندنا بقباء وكان صائما فاتيناه عند افطاره بقدح من لبن و
جعلنا فيه شيئا من عسل فلما رفعه وذاقه وجد حلاوة العسل فقال ما هذا قلنا يا رسول الله جعلنا فيه شيئا من عسل فلما رفعه
فوافقه فوضعه وقال اما اني لا احرمه ومن تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله ومن اقتصد اغناه الله ومن بذر افقره الله
ومن اكثر ذكر الله احبه الله وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان في نفر من اصحابه في بيته ياكلون فقام سائل على الباب وبه
زمانة يتكره منها فاذن له فلما دخل اجلسه رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذه ثم قال اطعم فكان رجلا من قريش اشمأز منه
وتكرهه فما مات ذلك الرجل حتى كانت به زمانة مثلها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرني ربي بين امرين عبدا رسولا او
ملكا نبيا فلم ادر ايهما اختار وكان صفيي من الملائكة جبرئيل فرفعت راسي فقال تواضع لربك فقلت عبدا رسولا
واوحى الله تعالى الى موسى صلى الله عليه انما اقبل صلاة من تواضع لعظمتي ولم يتعاظم على خلقي والزم قلبه خوفي وقطع النهار
بذكري وكف نفسه عن الشهوات من اجلي وقال صلى الله عليه وسلم الكرم التقوى والشرف التواضع واليقين الغنى وقال عيسى
صلى الله عليه وسلم طوبى للمتواضعين في الدنيا هم اصحاب المنابر يوم القيمة طوبى للمصلحين بين الناس في الدنيا هم الذين يرثون
الفردوس يوم القيمة طوبى للمطهرة قلوبهم في الدنيا هم الذين ينظرون الى الله عز وجل يوم القيمة وقال بعضهم بلغني ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال اذا هدى الله عبدا للاسلام وحسن صورته وجعله في موضع غير شائن له ورزقه مع ذلك تواضعا
فذلك من صفوة الله وقال صلى الله عليه وسلم اربع لا يعطيهن الله الا من يحب الصمت وهو اول العبادة والتوكل على الله
والتواضع والزهد في الدنيا وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تواضع العبد رفعه الله الى السماء
السابعة وقال صلى الله عليه وسلم ان التواضع لا يزيد العبد الا رفعة فتواضعوا يرحمكم الله وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يطعم فجاء رجل اسود به جدري قد تقشر فجعل لا يجلس الى احد الا قام من جنبه فاجلسه النبي صلى الله عليه وسلم وقال صلى
الله عليه وسلم انه ليعجبني ان يحمل الرجل الشيء في يده يكون مهنة لاهله يدفع به الكبر عن نفسه وقال صلى الله عليه وسلم
لاصحابه ما لي لا ارى عليكم حلاوة العبادة قالوا وما حلاوة العبادة قال التواضع وقال صلى الله عليه وسلم اذا رايتم المتواضعين
من امتي فتواضعوا لهم واذا رايتم المتكبرين فتكبروا عليهم فان ذلك لهم مذلة وصغار الآثار قال عمر رضي الله عنه
ان العبد اذا تواضع لله تعالى رفع الله حكمته وقال انتعش رفعك الله واذا تكبر وعدا طوره رهصه الله الى الارض وقال اخسأ
اخساك الله فهو في نفسه كبير وفي اعين الناس حقير حتى انه لاحقر عندهم من الخنزير وقال جرير بن عبد الله انتهيت مرة الى شجرة
تحتها رجل نائم قد استظل بنطع له فسويته عليه ثم ان الرجل استيقظ فاذا هو سلمان الفارسي فذكرت له ما صنعت فقال لي
تواضع لله في الدنيا فانه من تواضع لله في الدنيا رفعه الله يوم القيمة يا جرير اتدري ما ظلمات النار يوم القيمة قلت لا
قال فانه ظلم الناس بعضهم بعضا في الدنيا وقالت عائشة رضي الله عنها انكم لتغفلون عن افضل العبادة التواضع وقال يوسف بن
اسباط يجزي قليل الورع من كثير العمل ويجزي قليل التواضع من كثير الاجتهاد وقال الفضيل وقد سئل عن التواضع فقال
هو ان تخضع للحق وتنقاد له ولو سمعته من صبي قبلته منه ولو سمعته من اجهل الناس قبلته وقال ابن المبارك راس التواضع
ان تضع نفسك عند من هو دونك في نعمة الدنيا حتى تعلمه انه ليس لك بدنياك عليه فضل وان ترفع نفسك عمن هو فوقك
في الدنيا حتى تعلمه انه ليس له بدنياه عليك فضل وقال قتادة من اعطي مالا او جمالا او ثيابا او علما ثم لم يتواضع فيه كان عليه
وبالا يوم القيمة وقيل اوحى الله تعالى الى عيسى صلوات الله عليه اذا انعمت عليك بنعمة فاستقبلها بالاستكانة اتممها عليك
وقال كعب ما انعم الله على عبد من نعمة في الدنيا فشكرها لله وتواضع بها لله الا اعطاه الله نفعها في الدنيا ورفع له بها درجة
في الآخرة وما انعم الله على عبد من نعمة في الدنيا فتح له طبقا من النار يعذبه ربه بها ان شاء او يتجاوز عنه وقيل لعبد الملك
ابن مروان اي الرجال افضل قال من تواضع عن قدرة وزهد عن قدرة وترك الانتصار عن قدرة ودخل ابن السماك على هرون فقال
يا امير المؤمنين ان تواضعك في شرفك اشرف لك من شرفك فقال ما احسن ما قلت فقال يا امير المؤمنين ان امرأ آتاه الله جمالا
في خلقته وموضعا في حسبه وبسط له في ذات يده فعف في جماله وواسى من ماله وتواضع في حسبه كتب في ديوان الله
من خالص الله فدعا هرون بدواة وقرطاس وكتبه بيده وكان سليمان بن داود صلى الله عليهما اذا اصبح تصفح وجوه الاغنياء

والاشراف حتى يجيء الى المساكين فيقعد معهم ويقول مسكين مع مساكين وقال بعضهم كما تكره ان تراك الاغنياء في الثياب الدون
فكذلك فاكره ان تراك الفقراء في الثياب المرتفعة وروي انه خرج يونس وايوب والحسن يتذاكرون التواضع فقال لهما الحسن
اتدرون ما التواضع التواضع ان تخرج من منزلك فلا تلقى مسلما الا رايت له عليك فضلا وقال مجاهد ان الله تعالى لما اغرق
قوم نوح شمخت الجبال وتطاولت وتواضع الجودي فرفعه الله فوق الجبال وجعل قرار السفينة عليه وقال ابو سليمان ان
الله عز وجل اطلع على قلوب الادميين فلم يجد قلبا اشد تواضعا من قلب موسى عليه السلم فخصه من بينهم بالكلام وقال
يونس بن عبيد وقد انصرف من عرفات لم اشك في الرحمة لولا اني كنت معهم اني اخشى انهم حرموا بسببي ويقال ارفع ما يكون
المؤمن عند الله اوضع ما يكون عند نفسه وقال زياد النميري الزاهد بغير تواضع كالشجرة التي لا تثمر وقال مالك بن دينار لو ان
مناديا ينادي بباب المسجد ليخرج شركم الي والله ما كان يسبقني احد الى الباب الا رجل بفضل قوة او سعي قال فلما بلغ ابن المبارك
قوله قال بهذا صار مالك مالكا وقال الفضيل من احب الرياسة لم يفلح ابدا وقال موسى بن القاسم كانت عندنا زلزلة وريح
شديدة حمراء فذهبت الى محمد بن مقاتل فقلت يا ابا عبد الله انت امامنا فادع الله عز وجل لنا فبكى ثم قال ليتني لم اكن سبب هلاككم
قال فرايت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال ان الله عز وجل دفع عنكم بدعاء محمد بن مقاتل وجاء رجل الى الشبلي فقال له الشبلي
ما انت وكان هذا دابه وعادته فقال انا النقطة التي تحت الباء فقال له الشبلي ابادك الله تعالى شاهدك تجعل لنفسك مكانا
وقال الشبلي في بعض كلامه ذلي عطل ذل اليهود ويقال من راى لنفسه قيمة فلا قيمة له وليس له من التواضع نصيب وعن
الفتح بن شخرف قال رايت علي بن ابي طالب رضي الله عنه في المنام فقلت يا ابا الحسن عظني فقال ما احسن التواضع بالاغنياء في
مجالس الفقراء رغبة منهم في ثواب الله واحسن من ذلك تيه الفقراء على الاغنياء ثقة منهم بالله عز وجل وقال ابو سليمان
لا يتواضع العبد حتى يعرف نفسه وقال ابو يزيد ما دام العبد يظن ان في الخلق من هو شر منه فهو متكبر فقيل متى يكون متواضعا
فقال اذا لم ير لنفسه مقاما ولا حالا وتواضع كل انسان على قدر معرفته بربه عز وجل ومعرفته بنفسه وقال ابو سليمان
لو اجتمع الخلق على ان يضعوني كاتضاعي عند نفسي ما قدروا عليه وقال عروة بن الورد التواضع احد مصايد الشرف وكل
نعمة محسود عليها صاحبها الا التواضع وقال يحيى بن خالد البرمكي الشريف اذا تنسك تواضع والسفيه اذا تنسك تواضع
وقال يحيى بن معاذ التكبر على ذي التكبر عليك بماله تواضع ويقال التواضع في الخلق كلهم حسن وفي الاغنياء احسن والكبر في
الخلق كلهم قبيح وفي الفقراء اقبح ويقال لا عز الا لمن تذلل لله عز وجل ولا رفعة الا لمن تواضع لله عز وجل ولا امن الا لمن خاف الله
عز وجل ولا ربح الا لمن ابتاع نفسه من الله عز وجل وقال ابو علي الجوزجاني النفس معجونة بالكبر والحرص والحسد فمن اراد الله تعالى
هلاكه منع منه التواضع والنصيحة والقناعة واذا اراد الله تعالى به خيرا لطف به فاذا هاجت في نفسه نار الكبر ادركها
التواضع مع نصرة الله تعالى واذا هاجت في نفسه نار الحسد ادركته النصيحة مع توفيق الله عز وجل واذا هاجت في نفسه نار
الحرص ادركتها القناعة مع عون الله عز وجل وكان الحسن يقول يوم الجمعة في مجلسه لولا انه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال يكون في آخر الزمان زعيم القوم ارذلهم ما تكلمت عليكم وقال الجنيد التواضع عند اهل التوحيد تكبر ولعل مراده
ان المتواضع يثبت نفسه ثم يضعها او يرفعها وعن عمر بن شيبة انه قال كنت بمكة بين الصفا والمروة فرايت رجلا راكبا بغلة
وبين يديه غلمان واذا هم يعنفون الناس قال ثم عدت بعد حين فدخلت بغداد وكنت على الجسر فاذا انا برجل حاف حاسر
طويل الشعر قال فجعلت انظر اليه واتامله فقال لي ما لك تنظر الي فقلت له شبهتك برجل رايته بمكة ووصفت له الصفة

فقال لي انا ذاك الرجل فقلت ما فعل الله بك قال اني ترفعت في موضع يتواضع فيه الناس فوضعني الله حيث
يترفع فيه الناس وقال المغيرة كنا نهاب ابراهيم النخعي هيبة الامير وكان يقول ان زمانا صرت فيه فقيه الكوفة لزمان سوء
وكان عطاء السلمي اذا سمع صوت الرعد قام وقعد واخذ ببطنه كانه امراة ماخض واشتد الامر عليه وقال هذا من اجلي يصيبكم
لو مات عطاء لاستراح الناس وكان بشر الحافي يقول سلموا على ابناء الدنيا بترك السلام عليهم ودعا رجل لعبد الله بن المبارك
فقال اعطاك الله ما ترجوه فقال ان الرجاء بعد المعرفة فاين المعرفة وتفاخرت قريش عند سلمان رضي الله عنه يوما فقال سلمان
لكني خلقت من نطفة قذرة ثم اعود الى جيفة منتنة ثم الى الميزان فان ثقل فانا كريم وان خف فانا لئيم وقال ابو بكر رضي الله عنه
وجدت الكرم في التقوى والغنى في اليقين والشرف في التواضع

بيان حقيقة الكبر وآفته

اعلم ان الكبر ينقسم الى باطن
وظاهر فالباطن هو خلق في النفس والظاهر اعمال تصدر من الجوارح واسم الكبر بالخلق الباطن احق واما الاعمال فانها ثمرات لذلك
الخلق وخلق الكبر موجب للاعمال ولذلك اذا ظهر على الجوارح يقال تكبر واذا لم يظهر يقال في نفسه كبر فالاصل هو الخلق
في النفس وهو الاسترواح والركون الى رؤية النفس فوق المتكبر عليه فان الكبر يستدعي متكبرا عليه ومتكبرا به وبه ينفصل
الكبر عن العجب كما سياتي فان العجب لا يستدعي غير المعجب بل لو لم يخلق الانسان الا وحده تصور ان يكون معجبا ولا يتصور ان يكون متكبرا الا
ان يكون مع غيره وهو يرى نفسه فوق ذلك الغير في صفات الكمال فعند ذلك يكون متكبرا ولا يكفي ان يستعظم نفسه ليكون
متكبرا فانه قد يستعظم نفسه ولكن يرى غيره اعظم من نفسه او مثل نفسه فلا يتكبر عليه ولا يكفي ان يستحقر غيره فانه مع ذلك
لو راى نفسه احقر لم يتكبر ولو راى غيره مثل نفسه لم يتكبر بل ينبغي ان يرى لنفسه مرتبة ولغيره مرتبة ثم يرى مرتبة نفسه
فوق مرتبة غيره فعند هذه الاعتقادات الثلث يحصل فيه خلق الكبر لا ان هذه الرؤية هي الكبر بل هذه الرؤية وهذه العقيدة
ينفخ فيه فيحصل في قلبه اعتداد وهزة وفرح وركون الى ما اعتقده وعز في نفسه بسبب ذلك فتلك الهزة والعزة والركون الى المعتقد
هو خلق الكبر ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اعوذ بك من نفخة الكبرياء وكذلك قال عمر اخشى ان تنتفخ حتى تبلغ الثريا للذي
استاذنه ان يعظ الناس بعد صلوة الصبح فكان الانسان مهما راى نفسه بهذه العين وهو الاستعظام كبر وانتفخ وتعزز فالكبر
عبارة عن الحالة الحاصلة في النفس من هذه الاعتقادات ويسمى ايضا عزة وتعظما ولذلك قال ابن عباس في قوله تعالى ان في صدورهم
الا كبر ما هم ببالغيه قال عظمة لم يبلغوها ففسر الكبر بتلك العظمة ثم هذه العزة تقتضي اعمالا في الظاهر والباطن هي ثمرات ويسمى
ذلك تكبرا فانه مهما عظم عنده قدره بالاضافة الى غيره حقر من دونه وازدراه واقصاه عن نفسه وابعده وترفع عن مجالسته
ومواكلته وراى ان حقه ان يقوم ماثلا بين يديه ان اشتد كبره فان كان اشد من ذلك استنكف عن استخدامه ولم يجعله اهلا
للقيام بين يديه ولا لخدمة عتبته وان كان دون ذلك فيانف من مساواته ويتقدم عليه في مضايق الطرق ويرتفع عليه في المحافل
وانتظر ان يبداه بالسلام واستبعد ان يقصر في قضاء حوائجه وتعجب منه وان حاج او ناظر انف ان يرد عليه وان وعظ استنكف
من القبول وان وعظ عنف في النصح وان رد عليه شيء من قوله غضب وان علم لم يرفق بالمتعلمين واستذلهم وانتهرهم وامتن
عليهم واستخدمهم وينظر الى العامة كانه ينظر الى الحمير استجهالا لهم واستحقارا والاعمال الصادرة من خلق الكبر كثيرة وهي اكثر من ان تحصى فلا حاجة
الى احصائها فانها مشهورة فهذا هو الكبر وآفته عظيمة وغائلته هائلة وفيه تهلك الخواص من الخلق وقلما ينفك عنه العباد
والزهاد والعلماء فضلا عن عوام الناس وكيف لا تعظم آفته وقد قال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة
من كبر وانما صار حجابا عن الجنة لانه يحول بين العبد وبين اخلاق المؤمنين كلها وتلك الاخلاق هي ابواب الجنة والكبر وعز النفس

تعالى تلك الابواب كلها لانه لا يقدر ان يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه وفيه شيء من العز ولا يقدر على التواضع وهو رأس اخلاق
المؤمنين وفيه العز ولا يقدر على ترك الحقد وفيه العز ولا يقدر على ان يدوم على الصدق وفيه العز ولا يقدر على ترك الحسد وفيه العز
ولا يقدر على ترك الغضب وفيه العز ولا يقدر على كظم الغيظ وفيه العز ولا يقدر على اللطف وفيه العز ولا يقدر على قبول النصح
وفيه العز ولا يسلم من الازدراء بالناس ومن اغتيابهم وفيه العز ولا معنى للتطويل فما من خلق ذميم الا وصاحب العز والكبر محتاج اليه
ليحفظ به عزه وما من خلق محمود الا وهو عاجز عنه خوفا من ان يفوته عزه فمن هذا لم يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة منه و
الاخلاق الذميمة متلازمة والبعض منها داع الى البعض لا محالة وشر انواع الكبر ما يمنع من استفادة العلم وقبول الحق والانقياد
له وفيه وردت الآيات التي فيها ذم المتكبرين قال الله سبحانه والملائكة باسطوا ايديهم الى قوله وكنتم عن آياته تستكبرون
ثم قال ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين ثم اخبر ان اشد اهل النار عذابا اشدهم عتيا على الله تعالى
فقال ثم لننزعن من كل شيعة ايهم اشد على الرحمن عتيا وقال فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون وقال يقول الذين
استضعفوا للذين استكبروا لولا انتم لكنا مؤمنين وقال ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين وقال سأصرف
عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق قيل في التفسير سأرفع فهم القرآن عن قلوبهم وفي بعض التفاسير سأحجب قلوبهم عن الملكوت
قال ابن جريج سأصرفهم عن ان يتفكروا فيها ويعتبروا بها ولذلك قال عيسى صلوات الله عليه ان الزرع ينبت في السهل ولا ينبت على
الصفا كذلك الحكمة تعمل في قلب المتواضع ولا تعمل في قلوب المتكبرين الا ترون ان من شمخ برأسه الى السقف شجه ومن طأطأ
اظله واكنه فهذا مثل ضربه للمتكبرين وانهم كيف يحرمون الحكمة ولذلك ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم جحود الحق في حد الكبر والكشف
عن حقيقته وقال من سفه الحق وغمص الناس بيان المتكبر عليه واقسامه ودرجاته وثمرات الكبر فيه اعلم ان المتكبر عليه
هو الله تعالى او رسله او سائر الخلق وقد خلق الانسان ظلوما جهولا فتارة يتكبر على الخالق فاذا التكبر باعتبار المتكبر عليه
ثلاثة اقسام ك القسم الاول التكبر على الله تعالى وذلك هو افحش انواع الكبر ولا مثار له الا الجهل المحض والطغيان
مثل ما كان من نمرود فانه كان يحدث نفسه بان يقاتل رب السماء كما يحكى عن جماعة من الجهلة بل ما يحكى عن كل من ادعى الربوبية مثل
فرعون وغيره فانه لتكبره قال انا ربكم الاعلى اذ استنكف ان يكون عبدا لله تعالى ولذلك قال تعالى ان الذين يستكبرون عن عبادتي
سيدخلون جهنم داخرين وقال تعالى لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر الآية
وقال تعالى واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن انسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا الثاني التكبر على الرسل من حيث
تعزز النفس وترفعها عن الانقياد لبشر مثل سائر الناس وذلك تارة يصرف عن الفكر والاستبصار فيبقى في ظلمة الجهل بكبره فيمتنع
عن الانقياد وهو ظان انه محق فيه وتارة يمتنع مع المعرفة ولكن لا تطاوعه نفسه للانقياد للحق والتواضع للرسول كما ذكر الله تعالى
عن قولهم انؤمن لبشرين مثلنا ان انتم الا بشر مثلنا ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون وقالوا لولا انزل علينا الملائكة او نرى
ربنا لقد استكبروا في انفسهم وقالوا لولا انزل عليه ملك وقال فرعون فيما اخبر الله عنه او جاء معه الملائكة مقترنين قال الله تعالى
واستكبر هو وجنوده في الارض بغير الحق فتكبر هو على الله وعلى رسوله جميعا قال وهب قال له موسى عليه السلام آمن ولك ملكك
قال حتى اشاور هامان فشاور هامان فقال هامان بينما انت رب تعبد فاستنكف من عبودية الله ومن اتباع موسى صلى الله عليه
وقالت قريش لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم قال المغيرة وابو مسعود الثقفي طلبوا من هو اعظم رياسة من النبي صلى الله
عليه وسلم اذ قالوا غلام يتيم كيف بعثه الله الينا فقال الله اهم يقسمون رحمة ربك وقال تعالى ليقولوا اهؤلاء من الله عليهم من بيننا

قادة هو الوليد بن

بيننا استحقارا لهم واستبعادا لتقدمهم وقال قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف نجلس عندك وهؤلاء اشاروا الى فقراء
المسلمين مثل عمار وبلال وصهيب فازدروهم باعينهم وتكبروا عن مجالستهم فانزل الله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم الآية ولا
تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ثم اخبر الله تعالى عن تعجبهم حين دخلوا جهنم اذ لم يروا فيها الذين ازدروهم فقالوا ما لنا
لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار قيل يعني عمارا وبلالا وصهيبا والمقداد رضي الله عنهم ثم كان منهم من منعه الكبر عن الفكر والمعرفة
فجهل كونه صلى الله عليه وسلم محقا ومنهم من عرف ومنعه الكبر عن الاعتراف وقال تعالى فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وقال تعالى
وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا وهذا الكبر قريب من التكبر على الله تعالى وان كان دونه ولكنه تكبر عن قبول امر الله
والتواضع لرسوله ك القسم الثالث التكبر على العباد وذلك بان يستعظم نفسه ويستحقر غيره فتأبى نفسه عن الانقياد
لهم وتدعوه الى الترفع عليهم فيزدريهم ويصغرهم ويأنف من مساواتهم وهذا وان كان دون الاول والثاني فهو ايضا عظيم من
وجهين احدهما ان الكبر والعز والعظمة والعلاء لا يليق الا بالملك القادر فاما العبد المملوك الضعيف العاجز الذي لا يقدر على شيء
فمن اين يليق به الكبر فمهما تكبر العبد فقد نازع الله في صفة لا يليق الا بجلاله ومثاله ان يأخذ الغلام قلنسوة الملك فيضعها على
رأسه ويجلس على سريره فما اعظم استحقاقه للمقت وما اعظم تهدفه للخزي والنكال وما اشد استجراءه على مولاه وما اقبح ما تعاطاه
والى هذا المعنى الاشارة بقوله تعالى العظمة ازاري والكبرياء ردائي فمن نازعني فيهما قصمته اي انه خاص صفتي ولا يليق الا بي والمنازع
والمنازع فيه منازع في صفة من صفاتي واذا كان الكبر على عباده لا يليق الا به فمن تكبر على عباده فقد جنى عليه اذ الذي يسترذل
خواص غلمان الملك ويستخدمهم ويترفع عليهم ويستأثر بما حق الملك ان يستأثر به منهم فهو منازع له في بعض امره وان لم يبلغ درجته
درجة من اراد الجلوس على سريره والاستبداد بملكه فالخلق كلهم عباد الله وله العظمة والكبرياء عليهم فمن تكبر على عبد من عباد الله
فقد نازع الله في حقه نعم الفرق بين هذه المنازعة وبين منازعة نمرود وفرعون ما هو الفرق بين منازعة الملك في استصغار بعض عبيده
واستخدامهم وبين منازعته في اصل الملك ك الوجه الثاني الذي تعظم به رذيلة الكبر انه يدعو الى مخالفة الله تعالى في اوامره
لان المتكبر اذا سمع الحق من عبد من عباد الله تعالى استنكف من قبوله وتشمر لجحده ولذلك ترى المناظرين في مسائل الدين يزعمون
انهم يتباحثون عن اسرار الدين ثم انهم يتجاحدون تجاحد المتكبرين ومهما اتضح الحق على لسان واحد منهم انف الآخر من قبوله وتشمر
لجحده واحتال لدفعه بما يقدر عليه من التلبيس وذلك من اخلاق الكافرين والمنافقين اذ وصفهم الله تعالى فقال وقال الذين
كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون فكل من يناظر للغلبة والافحام لا ليغتنم الحق اذا ظفر به فقد شاركهم في
هذا الخلق وكذلك يحمل ذلك على الانفة من قبول الوعظ كما قال الله تعالى واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم وروي عن
عمر رضي الله عنه انه قرأها فقال انا لله وانا اليه راجعون قام رجل يأمر بالمعروف فقتل فقام آخر فقال تقتلون الذين
يأمرون بالقسط من الناس فقتل به المتكبر الذي خالفه والذي امره كبرا وقال ابن مسعود كفى بالرجل اثما اذا قيل له اتق الله قال
عليك نفسك وقال صلى الله عليه وسلم لرجل كل بيمينك قال لا استطيع فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا استطعت فما منعه
الا كبره قال فما رفعها بعد ذلك اي اعتلت يده فاذن تكبره على الخلق عظيم لانه سيدعوه الى التكبر على امر الله وانما ضرب ابليس
مثلا لهذا وما حكاه من احواله الا ليعتبر به فانه قال انا خير منه وهذا الكبر بالنسب لانه قال خلقتني من نار وخلقته من طين
فحمله ذلك على ان يمتنع من السجود الذي امره الله تعالى وكان ذلك سبب هلاكه ابد الآباد فهذه آفة من آفات الكبر على العباد عظيمة
ولذلك شرح رسول الله صلى الله عليه وسلم الكبر بهاتين الآفتين اذ سأله ثابت بن قيس بن شماس فقال يا رسول الله اني امرؤ

قد حُبب الي من الجمال ما ترى افمن الكبر ذلك قال صلى الله عليه وسلم لا ولكن الكبر من بطر الحق وغمص الناس وفي حديث آخر من سفه
الحق وقوله غمص الناس اي ازدراهم واستحقرهم وهم عباد الله امثاله او خير منه وهذه الآفة الاولى وسفه الحق هو رده
وهي الآفة الثانية فكل من رأى انه خير من اخيه واحتقر اخاه وازدراه ونظر اليه بعين الاستصغار او رد الحق وهو يعرفه فقد
تكبر فيما بينه وبين الخلق ومن انف من ان يخضع لله تعالى ويتواضع له بطاعته واتباع رسله فقد تكبر بينه وبين الله تعالى ورسله

بيان ما به التكبر اعلم انه لا يتكبر الا من استعظم نفسه ولا يستعظمها الا وهو يعتقد لها صفة من صفات الكمال
ومجامع ذلك يرجع الى كمال ديني او دنيوي فالديني هو العلم والعمل والدنيوي هو النسب والجمال والقوة والمال وكثرة الانصار
فهذه سبعة اسباب الاول العلم وما اسرع الكبر الى العلماء ولذلك قال صلى الله عليه وسلم آفة العلم الخيلاء فلا يلبث
العالم ان يتعزز بعز العلم ويستشعر في نفسه جمال العلم وكماله ويستعظم نفسه ويستحقر الناس وينظر اليهم نظره الى البهائم و
يستجهلهم ويتوقع ان يبدأوه بالسلام فان بدأ احدا منهم بالسلام او رد عليه ببشر او قام له او اجاب له دعوة رأى ذلك صنيعة
عنده ويدا عليه يلزمه شكرها واعتقد انه اكرمهم وفعل بهم ما لا يستحقون من مثله وانه ينبغي ان يرقوا له ويخدموه
شكرا له على صنيعه بل الغالب انهم يبرونه فلا يبرهم ويزورونه فلا يزورهم ويعودونه ولا يعودهم ويستخدم من خالطه منهم و
يستسخره في حوائجه فان قصر فيه استنكره كانهم عبيده او اجراؤه وكان تعليمه العلم صنيعة منه لديهم ومعروف اليهم واستحقاق
حق عليهم هذا فيما يتعلق بالدنيا اما في امر الآخرة فتكبره عليهم اكثر مما يخاف على نفسه ويرجو لنفسه اكثر مما يرجو لهم وهذا بان
يسمى جاهلا اولى من ان يسمى عالما بل العلم الحقيقي هو الذي يعرف الانسان به نفسه وربه وخطر الخاتمة وحجة الله على العلماء وعظم
خطر العلم فيه كما سيأتي في طريق معالجة الكبر بالعلم وهذه العلوم تزيد خوفا وتواضعا وتخشعا وتقتضي ان يرى كل الناس خيرا
منه لعظم حجة الله عليه بالعلم وتقصيره في القيام بشكر نعمة العلم ولهذا قال ابو الدرداء من ازداد علما ازداد وجعا وهو كما قال

فان قلت فما بال بعض الناس يزداد بالعلم كبرا وامنا فاعلم ان له سببين احدهما ان يكون اشتغاله بما يسمى علما وليس بعلم حقيقي
وانما العلم الحقيقي ما يعرف العبد به نفسه وربه وخطر امره في لقاء الله والحجاب منه وهذا يورث الخشية والتواضع دون
الكبر والامن قال الله سبحانه انما يخشى الله من عباده العلماء فاما ما وراء ذلك كعلم الطب والحساب واللغة والشعر والنحو وفصل
الخصومات وطرق المجادلات اذا تجرد الانسان لها حتى امتلأ بها امتلأ كبرا ونفاقا فان ذلك بان تسمى صناعات اولى من ان
تسمى علوما بل العلم هو معرفة العبودية والربوبية وطريق العبادة وهذا يورث التواضع غالبا السبب الثاني ان يخوض
العبد في العلم وهو خبيث الدخلة ردي النفس سيء الاخلاق فلم يشتغل اولا بتهذيب نفسه وتزكية قلبه بانواع المجاهدات
ولم يرض نفسه في عبادة ربه فبقي خبيث الجوهر فاذا خاض في العلم اي علم كان صادف العلم من قلبه منزلا خبيثا فلم يطب ثمره
ولم يظهر في الخير اثره وقد ضرب وهب لهذا مثلا فقال العلم كالغيث ينزل من السماء حلوا صافيا فتشربه الاشجار بعروقها فتحوله
على قدر طعومها فيزداد المر مرارة والحلو حلاوة فكذلك يحفظه الرجال فتحوله على قدر هممها واهوائها فيزيد المتكبر كبرا و
المتواضع تواضعا وهذا لان من كانت همته الكبر وهو جاهل فاذا حفظ العلم وجد ما يتكبر به فازداد كبرا واذا كان الرجل خائفا
مع جهله فاذا ازداد علما علم ان الحجة قد تأكدت عليه فيزداد خوفا واشفاقا وذلا وتواضعا فالعلم من اعظم ما يتكبر به ولاجل
ذلك قال الله تعالى لنبيه واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين وقال ولو كنت فظا غليظ القلب
لانفضوا من حولك ووصف اولياءه فقال اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما

يرويه العباس يكون قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم يقولون قد قرأنا القرآن فمن اقرأ منا ومن اعلم منا ثم التفت
الى اصحابه فقال اولئك منكم ايها الامة اولئك هم وقود النار ولذلك قال عمر رضي الله عنه لا تكونوا جبابرة العلماء فلا يفي
علمكم بجهلكم وكذلك استأذن تميم الداري عمر في القصص فابى ان يأذن له وقال انه الذبح واستأذنه رجل كان امام قوم انه اذا
سلم عن صلاته ذكرهم فقال اني اخاف ان تنتفخ حتى تبلغ الثريا وصلى حذيفة بقوم فلما سلم قال لتلتمسن اماما غيري او لتصلن
وحدانا اني رأيت في نفسي انه ليس في القوم افضل مني فاذا كان مثله لا يسلم فكيف يسلم الضعفاء من متأخري هذه الامة فما اعز على
بسيط الارض عالما يستحق ان يقال له انه عالم ثم انه لا يحركه عز العلم وخيلاؤه فان وجد ذلك فهو صديق زمانه فلا ينبغي ان يفارق
بل يكون النظر اليه عبادة فضلا عن الاستفادة من انفاسه واحواله ولو عرفنا ذلك ولو في اقصى الصين لسعينا اليه رجاء ان
يشملنا بركته ويسري الينا سيرته وسجيته وهيهات فانه يشح آخر الزمان بمثلهم فهم ارباب الاقبال واصحاب الدول قد انقرضوا
في القرن الاول ومن يليهم بل يعز في زماننا عالم يختلج في نفسه الاسف والحزن على فوات هذه الخصلة فذلك ايضا اما معدوم
واما عزيز ولولا بشارة رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله سيأتي على الناس زمان من تمسك فيه بعشر ما انتم عليه نجا لكان جديرا بنا
ان نقتحم والعياذ بالله ورطة اليأس والقنوط مع ما نحن عليه من سوء اعمالنا ومن لنا ايضا بالتمسك بعشر ما كانوا عليه وليتنا
تمسكنا بعشر عشره فنسأل الله تعالى ان يعاملنا بما هو اهله وان يستر علينا قبائح اعمالنا كما يقتضيه كرمه وفضله السبب
الثاني العمل والعبادة وليس يخلو عن رذيلة العز والكبر واستمالة قلوب الناس الزهاد والعباد ويترشح الكبر منهم في الدين
والدنيا اما الدنيا فانهم يرون غيرهم بزيارتهم اولى منهم بزيارة غيرهم ويتوقعون قيام الناس بقضاء حوائجهم و
توقيرهم والتوسيع لهم في المجالس وذكرهم بالورع والتقوى وتقديمهم على سائر الناس في الحظوظ الى جميع ما ذكرناه في حق العلماء
وكانهم يرون عبادتهم منة على الخلق واما في الدين فهو ان يرى الناس هالكين ويرى نفسه ناجيا وهو الهالك تحقيقا مهما
رأى ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا سمعتم الرجل يقول هلك الناس فهو اهلكهم وانما قال ذلك لان هذا القول
وانما قال ذلك لان هذا القول يدل على انه مزدر بخلق الله تعالى مغتر بالله آمن من مكره غير خائف من سطوته وكيف لا يخاف و
يكفيه شرا احتقاره لغيره قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كفى بالمرء شرا ان يحقر اخاه المسلم وكم من الفرق بينه وبين من يحبه
لله ويعظمه لعبادته ويستعظمه ويرجو له ما لا يرجوه لنفسه فالخلق يدركون النجاة بتعظيمهم اياه لله تعالى فهم يتقربون الى الله تعالى
بالدنو منه وهو يتمقت الى الله سبحانه بالتنزه عنهم والتباعد منهم كانه مترفع عن مجالستهم فما اجدرهم اذا احبوه لصلاحه
ان ينقلهم الله الى درجته في العمل وما اجدره اذا ازدراهم بعينه ان ينقله الله الى حد الاهمال كما روي ان رجلا من بني اسرائيل
يقال له خليع بني اسرائيل لكثرة فساده مر برجل آخر يقال له عابد بني اسرائيل وكان على رأس العابد غمامة تظله فلما مر الخليع به
فقال الخليع في نفسه انا خليع بني اسرائيل وهذا عابد بني اسرائيل فلو جلست اليه لعل الله يرحمني فجلس اليه فقال العابد
في نفسه انا عابد بني اسرائيل وهذا خليع بني اسرائيل فكيف يجلس الي فانف منه وقال له قم عني فاوحى الله تعالى الى نبي ذلك الزمان
مرهما فليستأنفا العمل فقد غفرت للخليع واحبطت عمل العابد وفي حديث آخر فتحولت الغمامة الى رأس الخليع وهذا يعرفك ان
الله تعالى انما يريد من العباد قلوبهم فالجاهل والعاصي اذا تواضع وذل هيبة لله تعالى خوفا منه فقد اطاع الله بقلبه فهو اطوع
لله من العالم المتكبر والعابد المعجب وكذلك روي ان رجلا في بني اسرائيل اتى عابدا من عباد بني اسرائيل فوطئ رقبته وهو ساجد فقال
ارفع فوالله لا يغفر الله لك فاوحى الله اليه ايها المتألي علي بل انت لا يغفر الله لك ولذلك قال الحسن حتى ان صاحب الصوف

اشد كبرا من صاحب المطرف الخز اي ان صاحب الخز يذل لصاحب الصوف ويرى له الفضل ويرى صاحب الصوف الفضل لنفسه
وهذه الآفة ايضا قلما ينفك عنه العباد وهو انه لو استخف به مستخف او آذاه موذ استبعد ان يغفر الله له ولا يشك في انه صار
ممقوتا عند الله سبحانه ولو آذى مسلما آخر لم يستنكر ذلك الاستنكار وذلك لعظم قدر نفسه عنده وهو جهل وجمع بين الكبر
والعجب والاغترار بالله وقد ينتهي الحمق والغباوة ببعضهم الى ان يتحدى ويقول سترون ما يجري عليه واذا اصيب بنكبة زعم
انه من كراماته وان الله ما اراد به الا شفاء غليله والانتقام منه مع انه يرى طبقات من الكفار يسبون الله تعالى ورسوله وعرف جماعة
آذوا الانبياء صلوات الله عليهم فمنهم من ضربهم ومنهم من قتلهم ثم ان الله تعالى امهل اكثرهم ولم يعاقبهم في الدنيا بل ربما اسلم بعضهم
فلم يصبه مكروه في الدنيا والآخرة ثم المغرور يظن انه اكرم على الله من انبيائه وانه قد ينتقم له ما لا ينتقم لانبيائه ولعله في
مقت الله باعجابه وكبره وهو غافل عن هلاك نفسه فهذه عقيدة المغترين واما الاكياس من العباد فيقولون ما كان يقوله
عطاء السلمي حين كانت تهب ريح او صاعقة ما يصيب الناس ما يصيبهم الا بسببي ولو مات عطاء لتخلصوا وما قاله الآخر بعد
انصرافه من عرفات كنت ارجو الرحمة لجميعهم لولا كوني فيهم فانظر الى الفرق بين الرجلين هذا يتقي الله ظاهرا وباطنا وهو وجل على
نفسه مزدري لعمله وسعيه وذلك ربما يضمر من الرياء والكبر والحسد والغل ما هو ضحكة للشيطان ثم انه يمتن على الله بعمله
ومن اعتقد جزما انه فوق احد من عباد الله فقد احبط بجهله جميع عمله فان الجهل افحش المعاصي واعظم شيء يبعد العبد عن الله وحكمه لنفسه
بانه خير من غيره جهل محض وامن من مكر الله ولا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون ولذلك روي ان رجلا ذكر بخير للنبي صلى الله عليه
وسلم فاقبل ذات يوم فقالوا يا رسول الله هذا الذي ذكرناه لك فقال اني ارى في وجهه سفعة من الشيطان فسلم ووقف على
النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اسألك بالله حدثتك نفسك انه ليس في القوم افضل منك
قال اللهم نعم فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنور النبوة ما استكن في قلبه سفعة في وجهه وهذه آفة لا ينفك عنه
احد من العباد الا من عصمه الله تعالى لكن العلماء والعباد في آفة الكبر على ثلث درجات الدرجة الاولى ان يكون الكبر مستقرا
في قلبه ويرى نفسه خيرا من غيره الا انه يجتهد ويتواضع ويفعل فعل من يرى غيره خيرا من نفسه وهذا قد رسخت في قلبه شجرة
الكبر ولكنه قطع اغصانها بالكلية الثانية ان يظهر ذلك على افعاله بالترفع في المجالس والتقدم على الاقران واظهار الانكار
على من يقصر في حقه وادنى ذلك في العالم ان يصعر خده للناس كانه معرض عنهم وفي العابد ان يعبس وجهه ويقطب جبينه كانه متنزه
عن الناس مستقذر لهم او غضبان عليهم وليس يعلم المسكين ان الورع ليس في الجبهة حتى تقطب ولا في الوجه حتى يعبس ولا في
الخد حتى يصعر ولا في الرقبة حتى تطأطأ ولا في الذيل حتى يضم انما الورع في القلوب قال صلى الله عليه وسلم الورع ههنا
واشار الى القلب فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اكرم الخلق واتقاهم وكان اوسعهم خلقا واكثرهم بشرا وتبسما وانبساطا
ولذلك قال الحارث بن جزء الزبيدي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبني من القراء كل طلق مضحاك فاما الذي تلقاه
ببشر ويلقاك بعبوس يمن عليك بعمله فلا اكثر الله في المسلمين مثله ولو كان الله يرضى ذلك لما قال لنبيه صلى الله عليه وسلم
واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين الآية وهؤلاء الذين يظهر اثر الكبر على وجوههم واحوالهم اخف حالا ممن هو في الرتبة
الثالثة وهو يظهر الكبر على لسانه حتى يدعوه الى الدعوى والمفاخرة والمباهاة وتزكية النفس وحكايات الاحوال والمقامات والتشمر
لغلبة الغير في العلم والعمل اما العابد فانه يقول في معرض التفاخر لغيره من العباد من هو وما عمله ومن اين زهده فيطول اللسان
فيهم بالتنقص ثم يثني على نفسه ويقول اني لم افطر منذ كذا ولا انام بالليل واختم القرآن في كل يوم وفلان ينام سحرا ولا يكثر القراءة

القراءة وما يجري مجراه وقد يزكي نفسه ضمنا فيقول قصدني فلان فهلك ولده او اخذ ماله او مرض وما يجري مجراه يدعي
الكرامة لنفسه واما مباهاته فهو انه لو وقع مع قوم يصلون بالليل قام وصلى اكثر مما كان يصلي وان كانوا يصبرون على الجوع
فيكلف نفسه الصبر حتى يغلبهم ويظهر لهم قوته وعجزهم وكذلك يشتد في العبادة خوفا من ان يقال غيره اعبد منه او اقوى منه
في دين الله واما العالم فانه يتفاخر ويقول انا متفنن في العلوم ومطلع على الحقائق ورأيت من الشيوخ فلانا وفلانا ومن انت
وما فضلك ومن لقيت وما الذي سمعت من الحديث كل ذلك ليصغره ويعظم نفسه واما مباهاته فهو انه يجتهد في المناظرة
ان يغلب ولا يغلب ويسهر طول الليل والنهار في تحصيل علوم يتجمل بها في المحافل كالمناظرة والجدل وتحسين العبارة
وتسجيع الالفاظ وحفظ العلوم الغريبة ليغرب بها على الاقران ويتعظم عليهم ويحفظ الاحاديث والفاظها واسانيدها
حتى يرد على من اخطأ فيها فيظهر فضله ونقصان اقرانه ويفرح مهما اخطأ واحد ليرد عليه ويسوءه اذا اصاب واحسن خيفة
من ان يرى انه اعظم منه فهذا كله اخلاق الكبر وآثاره التي يثمرها التعزز بالعلم والعمل واين من يخلو عن جميع ذلك او عن بعضه
فليت شعري من عرف هذه الاخلاق من نفسه وسمع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال
حبة من خردل من كبر كيف يستعظم نفسه ويتكبر على غيره وفيه يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل النار وانما العظيم من
خلا عن هذا ومن خلا عنه لم يكن فيه تعظم وتكبر والعالم هو الذي فهم ان الله تعالى قال له ان لك عندنا قدرا ما لم تر لنفسك
قدرا فان رأيت لها قدرا فلا قدر لك عندنا ومن لم يعلم هذا من الدين فاسم العالم عليه كذب ومن علمه لزمه ان لا يتكبر ولا يرى
لنفسه قدرا فهذا هو التكبر بالعلم والعمل السبب الثالث التكبر بالنسب فالذي له نسب شريف يستحقر
من ليس له ذلك النسب وان كان ارفع منه عملا وعلما وقد يتكبر بعضهم فيرى ان الناس له موال وعبيد ويأنف من مخالطتهم
ومجالستهم وثمرته على اللسان التفاخر به فيقول لغيره يا نبطي ويا هندي ويا ارمني من انت ومن ابوك وانا فلان بن فلان واني
لمثلك ان يكلمني او ينظر الي ومع مثلي تتكلم وما يجري مجراه وذلك عرق دفين في النفس لا ينفك عنه نسيب وان كان صالحا
وعاقلا الا انه قد لا يترشح منه عند اعتدال الاحوال فان غلبه غضب اطفأ ذلك نور بصيرته وترشح منه كما روي عن ابي ذر
انه قال قاولت رجلا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا ابن السوداء فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ابا ذر طف الصاع
طف الصاع ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل قال ابو ذر فاضطجعت وقلت للرجل قم فطأ على خدي فانظر كيف نبهه رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه رأى لنفسه فضلا بكونه ابن بيضاء وان ذلك خطأ وجهل وانظر كيف تاب وكيف قلع من نفسه شجرة الكبر
بأخمص قدم من تكبر عليه اذ عرف ان العز لا يقمعه الا الذلة ومن ذلك ما روي ان رجلين تفاخرا عند النبي صلى الله عليه وسلم
فقال احدهما للآخر انا فلان بن فلان فمن انت لا ام لك فقال النبي صلى الله عليه وسلم افتخر رجلان عند موسى عليه السلام
فقال احدهما انا فلان بن فلان حتى عد تسعة فاوحى الله تعالى الى موسى عليه وسلم قل للذي افتخر التسعة من اهل النار وانت عاشرهم
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدعن قوم الفخر بآبائهم وقد صاروا فحما في جهنم او ليكونن اهون على الله من الجعلان الذين
تدور بانافها القذر السبب الرابع التفاخر بالجمال وذلك يجري اكثره بين النساء ويدعو ذلك الى التنقص والثلب والغيبة
وذكر عيوب الناس ومن ذلك ما روي عن عائشة رضي الله عنها انها قالت دخلت امرأة على النبي صلى الله عليه وسلم فقلت
بيدي هكذا اي انها قصيرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد اغتبتيها وهذا منشأه خفي الكبر لانها لو كانت ايضا قصيرة لما
ذكرتها بالقصر فكأنها اعجبت بقامتها واستقصرت المرأة في جنب نفسها فقالت ما قالت السبب الخامس

الكبر بالمال وذلك يجري بين الملوك في الخزائن وبين التجار في بضائعهم وبين الدهاقين في اراضيهم وبين المتجملين في لباسهم ومراكبهم فيستحقر الغني الفقير ويتكبر عليه ويقول له انت مكدي ومسكين وانا لو اردت لاشتريت مثلك واستخدمت من هو فوقك ومن انت وما معك واثاث بيتي يسوى اكثر من جميع مالك وانا انفق في اليوم ما لا تاكله في السنة كل ذلك لاستعظامه الغنى واستحقاره الفقر وكل ذلك جهل منه بآفة الغنى وفضيلة الفقر وكل ذلك جهل منه بآفة الغنى واليه الاشارة بقوله تعالى فقال لصاحبه انا اكثر منك مالا واعز نفرا حتى اجابه فقال ان ترن انا اقل منك مالا وولدا فعسى ربي ان يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا او يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا فكان ذلك تكبرا منه بالمال والولد ثم بين الله عاقبة امره وهو قوله يا ليتني لم اشرك بربي احدا ومن ذلك تكبر قارون اذ قال تعالى فخرج على قومه في زينته حتى قال القوم يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون السادس الكبر بالقوة وشدة البطش والتكبر به على اهل الضعف السابع الكبر بالاتباع والانصار والتلامذة والغلمان وبالعشيرة والاقارب والبنين ويجري ذلك بين الملوك في المكاثرة بالجنود وبين العلماء في المكاثرة بالمستفيدين وبالجملة فكل ما هو نعمة وامكن ان يعتقد كمالا وان لم يكن في نفسه كمالا امكن ان يتكبر به حتى ان المخنث ليتكبر على اقرانه بزيادة معرفته وقدرته في صنعة المخنثين لانه يرى ذلك كمالا فيفتخر به وان لم يكن فعله الا نكالا وكذلك الفاسق قد يفتخر بكثرة الشرب وكثرة الفجور بالنسوان والغلمان ويتكبر به لظنه ان ذلك كمال وان كان مخطئا فيه فهذه مجامع ما يتكبر به العباد بعضهم على بعض فيتكبر من يدلي بشيء منه على من لا يدلي به او على من يدلي بما هو دونه في اعتقاده وربما كان مثله او فوقه عند الله تعالى كالعالم الذي يتكبر بعلمه على من هو اعلم منه لظنه انه الاعلم ولحسن اعتقاده في نفسه

بيان البواعث على التكبر واسبابه المهيجة له اعلم ان الكبر خلق باطن واما ما يظهر من الاخلاق والافعال فهو ثمرتها ونتيجتها وينبغي ان تسمى تكبرا ويخص اسم الكبر بالمعنى الباطن الذي هو استعظام النفس ورؤية قدرها فوق قدر الغير وهذا الباطن له موجب واحد وهو العجب كما سياتي معناه فانه اذا اعجب بنفسه وبعلمه وبعمله او بشيء من اسبابه استعظم نفسه وتكبر واما التكبر الظاهر فاسبابه ثلاثة سبب في المتكبر وسبب في المتكبر عليه وسبب يتعلق بغيرهما اما السبب الذي في المتكبر فهو العجب والذي يتعلق بالمتكبر عليه هو الحقد والحسد والريا اما العجب فقد ذكرنا انه يورث الكبر الباطن والكبر الباطن يثمر التكبر الظاهر في الاعمال والاقوال والاحوال واما الحقد فانه قد يحمله على التكبر من غير عجب كالذي يتكبر على من يرى انه مثله او فوقه ولكن قد غضب عليه بسبب سبق منه فاورثه الغضب حقدا ورسخ في قلبه بغضه فهو لذلك لا تطاوعه نفسه ان يتواضع له وان كان عنده مستحقا للتواضع فكم من رذل لا تطاوعه النفس على التواضع لواحد من الاكابر لحقده عليه او بغضه له ويحمله ذلك على رد الحق ان جاء من جهته وعلى الانفة من قبول نصحه وعلى ان يجتهد في التقدم عليه وان علم انه لا يستحق ذلك وعلى ان لا يستحله وان ظلمه ولا يعتذر اليه وان جنى عليه ولا يساله عما هو جاهل به واما الحسد فانه ايضا يوجب البغض للمحسود وان لم يكن من جهته ايذاء وسبب يقتضي الغضب والحقد ويدعو الحسد ايضا الى جحد الحق حتى يمنع من قبول النصيحة وتعلم العلم فكم من جاهل يشتاق الى العلم وقد بقي في رذيلة الجهل لاستنكافه ان يستفيد من واحد من اهل بلده او اقاربه حسدا او بغيا عليه فهو يعرض عنه ويتكبر عليه مع معرفته بانه يستحق التواضع بفضل علمه ولكن الحسد يبعثه على ان يعامله باخلاق التكبر وان كان في باطنه ليس يرى نفسه فوقه واما الرياء فهو ايضا يدعو الى اخلاق المتكبرين حتى ان الرجل ليناظر من يعلم انه افضل منه وليس بينه وبينه معرفة ولا محاسدة ولا حقد ولكن يمتنع من قبول الحق منه ولا يتواضع له في الاستفادة خيفة

خيفة من ان يقول الناس انه افضل منه فيكون باعثه على التكبر عليه الرياء المجرد ولو خلا معه بنفسه لكان لا يتكبر واما الذي يتكبر بالعجب او الحسد او الحقد فانه يتكبر ايضا عند الخلوة به مهما لم يكن معهما ثالث وكذلك قد ينتمي الى نسب شريف كاذبا وهو يعلم انه كاذب ثم يتكبر به على من ليس ينتسب الى ذلك النسب ويترفع عليه في المجالس ويتقدم عليه في الطريق ولا يرضى بمساواته في الكرامة والتوقير وهو عالم باطنا بانه لا يستحق ذلك ولا كبر في باطنه لمعرفته بانه كاذب في دعوى النسب ولكن يحمله الرياء على افعال المتكبرين وكان اسم المتكبر انما يطلق في الاكثر على من يفعل هذه الافعال عن كبر في الباطن صادر عن العجب والنظر الى الغير بعين الاستحقار وهو ان سمي متكبرا فلاجل التشبه بافعال المتكبرين

بيان اخلاق المتواضعين ومجامع ما يظهر فيه اثر التواضع والتكبر اعلم ان التكبر يظهر في شمائل الرجل كصعر في وجهه ونظره شزرا واطراقه راسه وجلوسه متربعا ومتكئا وفي اقواله حتى في صوته ونغمته وصيغته في الايراد ويظهر في مشيته وتبختره وقيامه وجلوسه وفي حركاته وسكناته وفي تعاطيه لافعاله وفي سائر تقلباته وفي احواله واقواله واعماله فمن المتكبرين من يجمع ذلك كله ومنهم من يتكبر في بعض ويتواضع في بعض فمنها التكبر بان يحب قيام الناس له او بين يديه وقد قال علي رضي الله عنه من اراد ان ينظر الى رجل من اهل النار فلينظر الى رجل قاعد وبين يديه قوم قيام وقال انس لم يكن شخص احب اليهم من رسول الله وكانوا اذا راوه لم يقوموا له لما يعلمون من كراهته ومنها ان لا يمشي الا ومعه غيره يمشي خلفه قال ابو الدرداء لا يزال العبد يزداد من الله بعدا ما مشي خلفه وكان عبد الرحمن بن عوف لا يعرف من عبيده اذ كان لا يتميز عنهم في صورة ظاهرة ومشى قوم خلف الحسن البصري فمنعهم فقال ما يبقى هذا من قلب العبد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الاوقات يمشي مع الاصحاب فيامرهم بالتقدم ويمشي في غمارهم اما لتعليم غيره واما لينفي عن نفسه وساوس الشيطان بالكبر والعجب كما خلع واخرج الثوب الجديد في الصلوة وابدله بالخليع لاحد هذين المعنيين ومنها ان لا يزور غيره وان كان يحصل من زيارته خير لغيره في الدين وهو ضد التواضع روي ان سفين الثوري قدم الرملة فبعث اليه ابرهيم ابن ادهم ان تعال فحدثنا فجاء سفيان فقيل له يا ابا اسحق تبعث اليه بمثل هذا فقال اردت ان انظر كيف تواضعه ومنها ان يستنكف من جلوس غيره بالقرب منه الا ان يجلس بين يديه والتواضع خلافه قال ابن وهب جلست الى عبد العزيز بن ابي رواد فمست فخذي فخذه فنحيت نفسي عنه فاخذ ثيابي فجرني الى نفسه وقال لي لم تفعلون بي ما تفعلون بالجبابرة واني لا اعرف منكم رجلا شرا مني وقال انس كانت الوليدة من ولائد المدينة تاخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا ينزع يده منها حتى تذهب به حيث شاءت ومنها ان يتوقى من مجالسة المرضى والمعلولين ويتحاشى عنهم وهو كبر دخل رجل وعليه جدري قد تقشر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده اصحابه ياكلون فما جلس عند احد الا قام من جنبه فاجلسه النبي صلى الله عليه وسلم بجنبه وكان عبد الله بن عمر لا يحبس عن طعامه مجذوما ولا ابرص ولا مبتلى الا اقعدهم على مائدته ومنها ان لا يتعاطى بيده شغلا في بيته والتواضع خلافه روي ان عمر بن عبد العزيز اتاه ليلة ضيف وكان يكتب فكاد السراج يطفى فقال الضيف اقوم الى المصباح فاصلحه فقال ليس من كرم الرجل ان يستخدم ضيفه قال افانبه الغلام فقال هي اول نومة نامها فقام واخذ البطة وملأ المصباح زيتا فقال له الضيف قمت انت بنفسك يا امير المؤمنين فقال ذهبت وانا عمر ورجعت وانا عمر وخير الناس من كان عند الله متواضعا ومنها ان لا ياخذ متاعه ويحمله الى بيته وهو خلاف عادة المتواضعين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك وقال علي رضي الله عنه لا ينقص الرجل الكامل من كماله ما حمل من شيء الى عياله وكان ابو عبيدة بن الجراح وهو امير يحمل سطلا له من خشب الى الحمام وقال ثابت بن مالك رايت ابا هريرة اقبل من السوق يحمل حزمة حطب وهو يومئذ خليفة لمروان فقال اوسع الطريق للامير

يا ابن ابي مالك وعن الاصبغ بن نباتة قال كاني انظر الى عمر معلقا لحما في يده اليسرى وفي يده اليمنى الدرة يدور في الاسواق

حتى دخل رحله وقال بعضهم رايت عليا اشترى لحما بدرهم فحمله في ملحفته فقلت له احمل عنك يا امير المومنين قال لا ابو العيال

احق ان يحمل ومنها اللباس اذ يظهر به التكبر والتواضع وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم البذاذة من الايمان وقال هرون

سالت معنا عن البذاذة فقال هو الدون من اللباس وقال زيد بن وهب رايت عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج الى السوق وبيده

الدرة وعليه ازار فيه اربعة عشر رقعة بعضها من ادم وعوتب علي رضي الله عنه في ازار مرقوع كان عليه فقال يقتدي به المومن

ويخشع له القلب وقال عيسى صلى الله عليه وسلم جودة الثياب خيلاء القلب وقال طاوس اني لاغسل ثوبي هذين فانكر قلبي

ما داما نقيين ويروى ان عمر بن عبد العزيز كان قبل ان يستخلف يشترى له الحلة بالف دينار فيقول ما اجودها لولا خشونة

فيها فلما استخلف كان يشترى له الثوب بخمسة دراهم فيقول ما اجوده لولا لينه فقيل له اين لباسك ومركبك وعطرك فقال

ان لي نفسا ذواقة تواقة وانها لم تذق من الدنيا طبقة الا تاقت الى الطبقة التي فوقها حتى اذا ذاقت الخلافة وهي ارفع الطبقات

تاقت الى ما عند الله عز وجل وقال سعيد بن سويد صلى بنا عمر بن عبد العزيز الجمعة ثم جلس وعليه قميص مرقوع الجيب من بين يديه و

من خلفه فقال له رجل يا امير المومنين ان الله قد اعطاك فلو لبست فنكس مليا ثم رفع راسه فقال ان افضل القصد عند الجدة

والعفو عند القدرة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ترك زينة لله تعالى زينة الدنيا ووضع ثيابا حسنة تواضعا

لله وابتغاء وجهه كان حقا على الله ان يدخر له عبقري الجنة فان قلت فقد قال عيسى صلوات الله عليه جودة الثياب خيلاء

القلب وقد سئل نبينا صلى الله عليه وسلم عن الجمال في الثياب هل هو من الكبر فقال لا ولكن من سفه الحق وغمص الناس فكيف

طريق الجمع بينهما فاعلم ان الثوب الجيد ليس من ضرورته ان يكون من التكبر في حق كل واحد في كل حال وهو الذي اشار اليه

رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذي عرفه رسول الله صلى الله عليه وسلم من حال ثابت بن قيس اذ قال اني امرؤ حبب الي

الجمال فعرف ان ميله الى النظافة وجودة الثياب لا ليتكبر على غيره فانه ليس من ضرورته ان يكون من الكبر وقد يكون ذلك من

الكبر كما ان الرضا بالثوب الدون قد يكون من التواضع وعلامة المتكبر ان يطلب التجمل اذا راه الناس ولا يبالي اذا انفرد بنفسه

كيف يكون وعلامة طالب الجمال ان يحب الجمال في كل شيء ولو في خلوته وحتى في ستور داره فذلك ليس من الكبر فاذا انقسمت

الاحوال نزل قول عيسى عليه السلام على بعض الاحوال على ان قوله هو خيلاء القلب يعني قد يورث خيلاء في القلب وقول نبينا

صلى الله عليه وسلم انه ليس بالكبر يعني ان الكبر لا يوجبه ويجوز ان لا يوجبه الكبر ثم يكون هو موروثا للكبر وعلى الجملة فالاحوال

تختلف في مثل هذا والمحبوب الوسط من اللباس الذي لا يوجب شهرة بالجودة ولا بالرذالة وقد قال صلى الله عليه وسلم

كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا في غير سرف ولا مخيلة ان الله يحب ان يرى اثر نعمته على عبده وقد قال بكر بن عبد الله

المزني البسوا ثياب الملوك والينوا قلوبكم بالخشية وانما خاطب بهذا قوما يطلبون التكبر بثياب اهل الصلاح وقد قال

عيسى صلى الله عليه ما لكم تاتوني وعليكم ثياب الرهبان وقلوبكم قلوب الذئاب الضواري البسوا ثياب الملوك والينوا قلوبكم

بالخشية ومنها ان يتواضع باحتمال الاذى اذا سب واوذي واخذ حقه فذلك هو الاصل وقد اوردنا ما ذكر عن

السلف من احتمال الاذى في كتاب افة الغضب والحسد وبالجملة فمجامع حسن الاخلاق والتواضع سيرة رسول الله صلى الله عليه

وسلم فبه ينبغي ان يقتدى ومنه ينبغي ان يتعلم وقد قال ابن ابي سلمة قلت لابي سعيد الخدري ما ترى فيما احدث الناس من الملبس

والمشرب والمركب والمطعم قال يا ابن اخي كل لله واشرب لله والبس لله وكل شيء من ذلك دخله زهو او مباهاة او رياء او سمعة فهو

معصية وسرف وعالج في بيتك من الخدمة ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعالج في بيته كان يعلف الناضح ويعقل البعير

ويقم البيت ويحلب الشاة ويخصف النعل ويرقع الثوب وياكل مع خادمه ويطحن عنه اذا اعيا ويشتري الشيء من السوق ولا

يمنعه الحياء ان يعلقه بيده او يجعله في طرف ثوبه فينقلب الى اهله يصافح الغني والفقير والصغير والكبير ويسلم مبتديا على

كل من استقبله من صغير او كبير اسود او احمر حر او عبد من اهل القبلة ليس له حلة لمدخله ولا حلة لمخرجه لا يستحيي من ان يجيب

اذا دعي وان كان اشعث اغبر ولا يحقر ما دعي اليه وان لم يجد الا حشف الدقل لا يدخر غداء لعشاء ولا عشاء لغداء هين المؤنة لين

الخلق كريم الطبيعة جميل المعاشرة طليق الوجه بسام من غير ضحك محزون من غير عبوس شديد في غير عنف متواضع من غير مذلة

جواد من غير سرف رحيم لكل ذي قربى ومسلم رقيق القلب دائم الاطراق لم يتبشم قط من شبع ولم يمد يده الى طمع قال ابن ابي سلمة

فدخلت على عائشة ام المومنين فحدثتها بكلها عن ابن سعيد فقالت ما اخطا حرفا ولقد قصر اذ ما اخبرك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

لم يمتلئ قط شبعا ولم يبث الى احد شكوى وكانت الفاقة احب اليه من اليسار والغنى وان كان ليظل جائعا يلتوي ليلته حتى

يصبح فما يمنعه ذلك عن صيام يومه ولو شاء ان يسال ربه فيؤتى بكنوز الارض وثمارها ورغد عيشها من مشارقها ومغاربها

لفعل وربما بكيت رحمة له مما اوتي من الجوع فامسح بطنه بيدي فاقول نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بقدر ما يقوتك

ويمنعك من الجوع فيقول يا عائشة اخواني من اولي العزم من الرسل قد صبروا على اشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على

ربهم فاكرم مابهم واجزل ثوابهم فاجدني استحيي ان ترفهت في معيشتي ان يقصر بي دونهم فاصبر اياما يسيرة احب الي من

ان ينقص حظي غدا في الاخرة وما من شيء احب الي من اللحوق باخواني واخلائي قالت عائشة فوالله ما استكمل بعد ذلك جمعة

حتى قبضه الله فما نقل عن احواله صلى الله عليه وسلم يجمع جملة اخلاق المتواضعين فمن طلب التواضع فليقتد به ومن راى نفسه

فوق محله صلى الله عليه وسلم ولم يرض لنفسه بما هو به فما اشد جهله فلقد كان اعظم خلق الله منصبا في الدين والدنيا فلا عز ولا

رفعة الا في الاقتداء به ولذلك قال عمر رضي الله عنه انا قوم اعزنا الله بالاسلام فلا نطلب العز في غيره لما عوتب في بذاذة

هيئته عند دخوله الشام وقال ابو الدرداء اعلم ان لله عبادا يقال لهم الابدال خلف من الانبياء هم اوتاد الارض فلما انقضت النبوة

ابدل الله مكانهم قوما من امة محمد صلى الله عليه وسلم لم يفضلوا الناس بكثرة صوم ولا صلاة ولا حسن حلية ولكن بصدق الورع

وحسن النية وسلامة الصدر لجميع المسلمين والنصيحة لهم ابتغاء مرضاة الله بصبر وتحلم ولب وتواضع في غير مذلة وهم قوم اصطفاهم الله

واستخلصهم لنفسه وهم اربعون صديقا ثلاثون رجلا قلوبهم على مثل يقين ابراهيم خليل الرحمن عليه الصلاة والسلام لا يموت الرجل منهم

حتى يكون الله تعالى قد انشا من يخلفه واعلم يا اخي انهم لا يلعنون شيئا ولا يوذونه ولا يحقرونه ولا يتطاولون عليه ولا يحسدون

ولا يحرصون على دنيا هم اطيب الناس خبرا والينهم عريكة واسخاهم نفسا علامتهم السخاء وسجيتهم البشاشة وصفتهم السلامة ليسوا

اليوم في خشية وغدا في غفلة ولكن مداومين على حالهم الظاهر وهم فيما بينهم وبين ربهم لا تدركهم الرياح العواصف ولا الخيل

المجراة قلوبهم تصعد ارتياحا الى الله تعالى واشتياقا الى الله تعالى وقدما في استباق الخيرات اولئك حزب الله الا ان حزب الله

هم المفلحون قال الراوي فقلت يا ابا الدرداء ما سمعت بصفة اشد علي من هذه الصفة وكيف لي ان ابلغها قال ما بينك وبين ان تكون

في اوسعها الا ان تبغض الدنيا فانك اذا ابغضت الدنيا اقبلت على حب الاخرة وبقدر رغبتك للاخرة تزهد في الدنيا وبقدر

ذلك تبصر ما ينفعك واذا علم الله من عبد حسن الطلب افرغ عليه السداد واكتنفه بالعصمة واعلم يا ابن اخي ان ذلك في كتاب

الله المنزل ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون قال يحيى ابن ابي كثير فنظرنا في ذلك فما تلذذ المتلذذون بمثل حب الله وطلب

مرضاته **بيان** الطريق في معالجة الكبر واكتساب التواضع اعلم ان الكبر من المهلكات ولا يخلو احد من الخلق عن شيء منه و
ازالته فرض عين ولا يزول بمجرد التمني بل بالمعالجة واستعمال الادوية القامعة له وفي معالجته مقامان احدهما
استيصال اصله من سنخه وقطع شجرته من مغرسها في القلب والثاني دفع العوارض منه بالاسباب الخاصة التي يتكبر بها الانسان
على غيره المقام الاول في استيصال اصله وعلاجه علمي وعملي ولا يتم الشفاء الا بمجموعهما اما العلمي فهو ان يعرف نفسه
ويعرف ربه سبحانه ويكفيه ذلك في ازالة الكبر فانه مهما عرف نفسه حق المعرفة علم انه اذل من كل ذليل واقل من كل قليل وانه لا يليق
به الا التواضع والذلة والمهانة واذا عرف ربه علم انه لا يليق العظمة والكبرياء الا بالله واما معرفته ربه وعظمته ومجده فالقول
فيه يطول وهو منتهى علم المكاشفة واما معرفته نفسه فهو ايضا يطول ولكنا نذكر منه ما ينفع في اثارة التواضع والمذلة ويكفيه
ان يعرف معنى آية واحدة في كتاب الله تعالى فان علم الاولين والآخرين لمن فتحت بصيرته وقد قال تعالى قتل الانسان ما اكفره من
اي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم اماته فاقبره ثم اذا شاء انشره فقد اشارت الآية الى اول خلق الانسان
والى آخر امره والى وسطه فلينظر الانسان ذلك ليفهم معنى هذه الآية اما اول الانسان فهو انه لم يكن شيئا مذكورا وقد كان في كتم العدم
دهورا بل لم يكن لعدمه اول واي شيء اقل واخس من المحو والعدم وقد كان كذلك في القدم ثم خلقه الله من اول الاشياء ثم اقذرها
اذ خلقه من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة ثم جعله عظما ثم كسا العظم لحما فقد كان هذا بداية وجوده حيث صار
شيئا مذكورا الا وهو على اخس الاوصاف والنعوت اذ لم يخلق في ابتدائه كاملا بل خلقه جمادا ميتا لا يسمع ولا يبصر ولا يحس
ولا يتحرك ولا ينطق ولا يبطش ولا يدرك ولا يعلم فبدأ بموته قبل حياته وبضعفه قبل قوته وبجهله قبل علمه وبعماه قبل بصره
وبصممه قبل سمعه وببكمه قبل نطقه وبضلالته قبل هداه وبفقره قبل غناه وبعجزه قبل قدرته فهذا معنى قوله من اي شيء خلقه
من نطفة خلقه فقدره ومعنى قوله هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه
كذلك خلقه ثم امتن عليه فقال ثم السبيل يسره وهذه اشارة الى ما تيسر له في مدة حياته الى الموت ولذلك قال من نطفة امشاج
نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا انا هديناه السبيل ومعناه انه احياه بعد ان كان جمادا ميتا ترابا اولا ونطفة ثانيا واسمعه بعد
ما كان اصم وابصره بعد ما كان فاقد البصر وقواه بعد الضعف وعلمه بعد الجهل وخلق له الاعضاء بما فيها من العجائب والآيات
بعد الفقد واشبعه بعد الجوع وكساه بعد العري وهداه بعد الضلال فانظر كيف دبره وصوره والى السبيل كيف يسره والى طغيان
الانسان ما اكفره والى جهله كيف اظهره فقال اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين ومن آياته ان خلقكم من تراب
ثم اذا انتم بشر تنتشرون فانظر الى نعمة الله عليه كيف نقله من تلك الذلة والقلة والخسة والقذارة الى هذه الرفعة والكرامة
فصار موجودا بعد العدم وحيا بعد الموت وناطقا بعد البكم وبصيرا بعد العمى وقويا بعد الضعف وعالما بعد الجهل وهاديا
بعد الضلال وقادرا بعد العجز وغنيا بعد الفقر فكان من ذاته لا شيء واي شيء اخس من لا شيء واي قلة اقل من العدم المحض ثم صار بالله
شيئا وانما خلقه من التراب الذليل والنطفة القذرة بعد العدم المحض ليعرفه خسة ذاته فيعرف به نفسه وانما اكمل النعمة عليه ليعرف
به ربه ويعلم به عظمته وجلاله وانه لا يليق الكبرياء الا به ولذلك امتن عليه فقال الم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين
وعرف خسته اولا فقال الم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة ثم ذكر منته فقال فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى
ليدوم وجوده بالتناسل كما حصل وجوده ابتداء بالاختراع فمن كان هذا بدوه وهذه احواله فمن اين له البطر والكبرياء والفخر
والخيلاء وهو على التحقيق اخس الاشياء واضعف الضعفاء نعم لو اكمله وفوض اليه امره وادام له الوجود باختياره لجاز ان يطغى

وينسى المبدأ والمنتهى ولكنه سلط عليه في دوام وجوده الامراض الهائلة والاسقام العظيمة والآفات المختلفة والطبائع
المتضادة من المرة والبلغم والريح والدم يهدم البعض من اجزائه البعض شاء ام ابى رضي ام سخط فيجوع كرها ويعطش كرها ويمرض
كرها ويموت كرها لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا ولا خيرا ولا شرا يريد ان يعلم الشيء فيجهله ويريد ان يذكر الشيء فينساه ويريد ان ينسى
الشيء ويغفل عنه فلا يغفل عنه ويريد ان يصرف قلبه الى ما يهمه فيجول في اودية الوساوس والافكار بالاضطرار فلا يملك قلبه قلبه
ولا نفسه نفسه يشتهي الشيء وربما يكون هلاكه فيه ويكره الشيء ويكون حياته فيه يستلذ الاطعمة وتهلكه وترديه ويستبشع
الادوية وتنفعه وتحييه لا يأمن في لحظة من ليله ونهاره ان يسلب سمعه وبصره وتفلج اعضاؤه ويختلس عقله ويختطف روحه
ويسلب جميع ما يهواه في دنياه فهو مضطر ذليل ان ترك بقي وان اختطف فني عبد مملوك لا يقدر على شيء من نفسه ولا غيره فاي شيء اذل
منه لو عرف نفسه واني يليق الكبر به لولا جهله فهذا اوسط احواله فليتأمله واما آخره ومورده فهو الموت المشار اليه بقوله
تعالى ثم اماته فاقبره ثم اذا شاء انشره ومعناه انه يسلب روحه وسمعه وبصره وعلمه وقدرته وحسه وادراكه وحركته فيعود
جمادا كما كان اول مرة لا يبقى الا شكل اعضائه وصورته لا حس فيه ولا حركة ثم يوضع في التراب فيصير جيفة منتنة قذرة كما كان
في الاول نطفة مذرة ثم تبلى اعضاؤه وتتفتت اجزاؤه وتنخر عظامه فيصير رميما ورفاتا وياكل الدود اجزاءه فيبتدئ بحدقتيه
فيقلعهما وبخديه فيقطعهما وبسائر اجزائه فيصير روثا في اجواف الديدان ويكون جيفة يهرب منه الحيوان ويستقذره كل انسان ويهرب
منه لشدة الانتان واحسن احواله ان يعود الى ما كان عليه فيصير ترابا يعمل منه الكيزان او يعمر به البنيان ويصير مفقودا بعد ما كان
موجودا وصار كان لم يغن بالامس حصيدا كما كان في اول امره امدا مديدا وليته بقي كذلك فما احسنه لو ترك ترابا لا بل يحييه بعد
طول البلى ليقاسي شدائد البلاء فيخرج من قبره بعد جمع اجزائه المتفرقة الى اهوال القيامة فينظر الى قيامة قائمة وسماء ممزقة مشققة
وارض مبدلة وجبال مسيرة ونجوم منكدرة وشمس منكسفة واحوال مظلمة وملائكة غلاظ شداد وجحيم تزفر وجنة ينظر اليها
المجرم فيتحسر ويرى صحائف منشورة فيقال له اقرأ كتابك فيقول وما هو فيقال كان قد وكل بك في حياتك التي كنت تفرح
بها وتتكبر بنعيمها وتفتخر باسبابها ملكان رقيبان يكتبان عليك ما تنطق به او تعمله من قليل وكثير ونقير وقطمير واكل وشرب وقيام
وقعود قد نسيت ذلك واحصاه الله تعالى فهلم الى الحساب واستعد للجواب او تساق الى دار العذاب فينقطع قلبه فزعا من
هول هذا الخطاب قبل ان تنتشر الصحيفة ويشاهد ما فيها من مخازيه فاذا شاهده قال يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة
ولا كبيرة الا احصاها فهذا آخر امره وهو معنى قوله تعالى ثم اذا شاء انشره فما لمن هذا حاله وللتكبر بل ما له وللفرح في لحظة
فضلا عن البطر والتجبر فقد ظهر له اول حاله ووسطه ولو ظهر له آخره والعياذ بالله ربما اختار ان يكون كلبا او خنزيرا
ليصير مع البهائم ترابا ولا يكون انسانا يسمع خطابا او يلقى عذابا وان كان عند الله مستحقا للنار فالخنزير اشرف منه واطيب
وارفع اذ اوله التراب وآخره التراب وهو بمعزل عن الحساب والعذاب والكلب والخنزير لا يهرب منه الخلق ولو رأى
اهل الدنيا العبد المذنب في النار لصعقوا من وحشة خلقته وقبح صورته ولو وجدوا ريحه لماتوا من نتنه ولو وقعت
قطرة من شرابه الذي يسقى به في بحار الدنيا لصارت انتن من الجيفة فمن هذا حاله في العاقبة الا ان يعفى عنه وهو في شك
من العفو فكيف يتكبر وكيف يرى نفسه شيئا حتى يعتقد له فضلا واي عبد لم يذنب ذنبا يستحق به العقوبة الا ان يعفو
الكريم بفضله ارايت من جنى على بعض الملوك بما استحق به الف سوط فحبس في السجن وهو ينتظر ان يخرج الى العرض ويقام
عليه العقوبة على ملأ من الخلق وليس يدري ايعفى عنه ام لا كيف يكون ذله في السجن افترى انه يتكبر على من في السجن وما

وما من عبد مذنب الا والدنيا سجنه وقد استحق العقوبة من الله تعالى ولا يدري كيف يكون امره فيكفيه ذلك حزنا وخوفا
واشفاقا ومهانة وذلا فهذا هو العلاج العلمي القالع لاصل الكبر واما العلاج العملي فهو التواضع بالفعل لله ولسائر
الخلق بالمواظبة على اخلاق المتواضعين كما وصفناه وحكيناه من احوال الصالحين ومن احوال رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى
انه كان يأكل على الارض ويقول انما انا عبد آكل كما يأكل العبد وقيل لسلمان لم لا تلبس ثوبا جيدا فقال انما انا عبد فاذا
اعتقت يوما لبست اشار به الى العتق في الآخرة ولا يتم التواضع بعد المعرفة الا بالعمل ولذلك امر العرب الذين تكبروا على
الله وعلى رسوله بالايمان وبالصلاة جميعا وقيل الصلاة عماد الدين وفي الصلاة اسرار لاجلها كانت عمادا ومن جملتها ما فيه
من التواضع بالمثول قائما وبالركوع والسجود وقد كانت العرب قديما يأنفون من الانحناء فكان يسقط من يد الواحد سوطه فلا
ينحني لاخذه وينقطع شراك نعله فلا ينكس رأسه لاصلاحه حتى قال الحكيم بن حزام بايعت النبي صلى الله عليه وسلم ان لا اخر الا
قائما فبايعه النبي صلى الله عليه وسلم ثم فقه وكمل ايمانه بعد ذلك فلما كان السجود عندهم هو منتهى المذلة والضعة امروا
به لينكسر بذلك خيلاؤهم ويزول كبرهم ويستقر التواضع في قلوبهم وبه امر سائر الخلق فان الركوع والسجود والمثول قائما
هو العمل الذي يقتضيه التواضع فكذلك من عرف نفسه فلينظر كل ما يتقاضاه الكبر من الافعال فليواظب على نقيضها حتى يصير
التواضع له خلقا فان القلوب لا تتخلق بالاخلاق المحمودة الا بالعلم والعمل جميعا وذلك لخفي العلاقة التي بين القلب والجوارح
وسر الارتباط الذي بين عالم الملك وعالم الملكوت والقلب من عالم الملكوت

المقام الثاني فيما يعرض من التكبر بالاسباب

السبعة المذكورة وقد ذكرنا في كتاب ذم الجاه ان الكمال الحقيقي هو العلم والعمل فاما ما عداه مما يفنى بالموت فكمال وهمي
فمن هذا يعسر على العالم ان لا يتكبر ولكنا نذكر طريق العلاج من العلم والعمل في جميع الاسباب السبعة

الاول النسب فمن
يعتريه الكبر من جهة النسب فليداو قلبه بمعرفة امرين احدهما ان هذا جهل من حيث انه تعزز بكمال غيره ولذلك قيل

لئن فخرت بآباء ذوي شرف ... لقد صدقت ولكن بئسما ولدوا

فالمتكبر بالشرف ان كان خسيسا في صفات ذاته فمن اين يجبر خسته بكمال غيره
بل لو كان الذي ينتسب اليه حيا لكان له ان يقول الفضل لي ومن انت وانما انت دودة خلقت من بولي افترى ان الدودة التي من
بول الانسان اشرف من الدودة التي من بول فرس هيهات فهما متساويان والشرف للانسان لا للدودة **الثاني** ان يعرف نسبه
الحقيقي فيعرف اباه وجده فان اباه القريب نطفة قذرة وجده البعيد تراب ذليل وقد عرفه الله تعالى نسبه الحقيقي فقال الذي
احسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين فمن اصله من التراب المهين الذي يداس بالاقدام
ثم خمر طينه حتى صار حمأ مسنونا كيف يتكبر واخس الاشياء ما اليه نسبه اذ يقال يا اذل من التراب ويا انتن من الحمأ ويا اقذر من المضغة
فان كان كونه من ابيه اقرب من كونه من التراب فيقول افتخر بالقريب دون البعيد فالنطفة والمضغة اقرب اليه من الاب
فليحقر نفسه به ثم ان كان ذلك يوجب رفعة لقربه فالاب الاعلى من التراب فمن اين رفعته واذا لم يكن له رفعة فمن اين جاءت
الرفعة لولده فاذن اصله من التراب وفصله من النطفة فلا اصل له ولا فصل وهذا غاية خسة النسب فالاصل يوطأ
بالاقدام والفصل يغسل منه الابدان فهذا هو النسب الحقيقي للانسان ومن عرفه لم يتكبر بالنسب ويكون حاله بعد هذه المعرفة
وانكشاف الغطاء عن حقيقة اصله كرجل لم يزل عند نفسه من بني هاشم وقد اخبره بذلك والداه فلم يزل فيه نخوة الشرف فبينما هو كذلك
اذ اخبره عدول لا يشك في قولهم انه ابن هندي حجام يتعاطى القذر وكشفوا له وجه التلبيس عليه فلم يبق له شك في صدقهم
افترى ان ذلك يبقي شيئا من كبره لا بل يصير عند نفسه احقر الناس واذلهم فهو من استشعار الخزي لخسته في شغل عن ان يتكبر على

غيره فهكذا حال البصير اذا تفكر في اصله وعلم انه من النطفة والمضغة والتراب اذ لو كان ابوه ممن يتعاطى نقل التراب او يتعاطى
الدم بالحجامة وغيرها لكان يعلم به خسة نفسه لمماسة اعضاء ابيه التراب والدم فكيف اذا عرف انه في نفسه من التراب والدم
والاشياء القذرة التي يتنزه عنها هو في نفسه

السبب الثاني التكبر بالجمال ودواؤه ان ينظر الى باطنه نظر العقلاء ولا ينظر
الى الظاهر نظر البهائم ومهما نظر الى باطنه رأى من القبائح ما يكدر عليه تعززه بجماله فانه وكل به الاقذار في جميع اجزائه الرجيع
في امعائه والبول في مثانته والمخاط في انفه والبزاق في فيه والوسخ في اذنيه والدم في عروقه والصديد تحت بشرته والصنان تحت ابطيه يغسل الغائط
كل يوم مرتين ويتردد الى الخلاء مرة ليخرج من باطنه ما لو رآه بعينه لاستقذره فضلا من ان يمسه او يشمه كل ذلك ليعرف قذارته
وذلته هذا في حاله وفي اول امره خلق من الاقذار الشنيعة الصور من النطفة ودم الحيض واخرج من مجرى الاقذار اذ خرج
من الصلب ثم من الذكر مجرى البول ثم الى الرحم مغيض دم الحيض ثم خرج من مجرى القذر قال انس كان ابو بكر رضي الله عنه يخطبنا
يخطبنا فيقذر الينا انفسنا فيقول خرج احدكم من مجرى البول مرتين ولذلك قال طاوس لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنهم ما هذه
بمشية من في بطنه خرء واذ رآه يتبختر قبل ان يلي الخلافة هذا اوله ووسطه ولو ترك نفسه في حياته يوما لم يتعهد بالتنظيف
والغسل لثارت منه الانتان والاقذار وصار انتن واقذر من الدواب المهملة التي لا تتعهد نفسها قط فاذا رأى انه خلق من الاقذار
واسكن في الاقذار وسيموت فيصير جيفة اقذر من سائر الاقذار لم يفتخر بجماله الذي هو كخضراء الدمن وكلون الازهار في البوادي
فبينما هو كذلك اذ صار هشيما تذروه الرياح كيف ولو كان جماله باقيا وعن هذه القبائح خاليا لكان يجب ان لا يتكبر على
القبيح اذا لم يكن قبح القبيح اليه فينفيه ولا كان جماله اليه حتى يحمد عليه كيف ولا بقاء له بل هو في كل حالة بصدد ان يزول
بمرض او جدري او قرحة وسبب من الاسباب فكم من وجوه جميلة قد سمجت بهذه الاسباب فمعرفة هذه الامور تنزع من القلب
داء الكبر بالجمال لمن اكثر تأملها

السبب الثالث التكبر بالقوة والايدي وعلاجه من ذلك ان يعلم ما سلط عليه من العلل
والامراض وانه لو توجع عرق واحد في يده لصار اعجز من كل عاجز واذل من كل ذليل وانه لو سلبه الذباب شيئا لم يستنقذه
منه وان بقة لو دخلت انفه او نملة دخلت اذنه لقتلته وان شوكة لو دخلت رجله لاعجزته وان حمى يوم تحلل من قوته ما لا
ينجبر في مدة فمن لا يطيق شوكة ولا يقاوم بقة ولا يقدر على ان يدفع عن نفسه ذبابة فلا ينبغي ان يفتخر بقوته ثم ان قوي الانسان
فلا يكون اقوى من حمار او بقرة او فيل او جمل واي افتخار في صفة يسبقك البهائم فيها

السبب الرابع الغنى وكثرة المال
وفي معناها كثرة الاتباع والانصار والتكبر بولاية السلاطين والتمكن من جهتهم وهو السبب الخامس وكل ذلك تكبر بمعنى خارج
عن ذات الانسان لا كالجمال والقوة والعلم وهذا اقبح انواع الكبر فان المتكبر بماله كانه متكبر بفرسه وداره ولو مات فرسه وانهدم
داره لعاد ذليلا والمتكبر بتمكين السلطان وولايته لا بصفة في نفسه بنى امره على قلب هو اشد غليانا من القدر فان تغير
عليه كان اذل الخلق وكل متكبر بامر خارج عن ذاته فهو ظاهر الجهل كيف والمتكبر بالغنى لو تأمل لرأى في اليهود من يزيد عليه في الغنى
والثروة والتجمل فأف لشرف يسبقك به اليهودي وأف لشرف يأخذه السارق في لحظة فيعود صاحبه ذليلا
مفلسا فهذه اسباب ليست في ذاتك وما هو في ذاتك ليس اليك دوام وجوده وهو في الآخرة وبال ونكال فالتفاخر به غاية الجهل
وكل ما ليس اليك فليس لك وشيء من هذه الامور ليس اليك بل الى واهبه ان ابقاه بقي وان استرجعه زال وما انت الا عبد
مملوك لا تقدر على شيء ومن عرف ذلك لا بد وان يزول كبره ومثاله ان يفتخر الغافل بقوته وجماله وماله وحريته واستقلاله
وسعة منازله وكثرة خيوله وغلمانه اذ شهد عليه شاهدان عدلان عند حاكم منصف بانه رقيق لفلان وان ابواه كانا

مملوك له فعلم ذلك وحكم به الحاكم فجاء مالكه فاخذه واخذ جميع ما في يده وهو يخشى مع ذلك ان يعاقبه وينكل به لافراطه
في امواله وتقصيره في طلب مالكه ليعرف ان له مالكا ثم نظر العبد فرأى نفسه محبوسا في منزل احدقت به الحيات والعقارب
والهوام وهو في كل حال على وجل من كل واحدة منها وقد بقي لا يملك نفسه ولا ماله ولا يعرف طريقا في الخلاص البتة افترى ان
من هذا حاله هل يفتخر بقدرته وثروته وقوته وكماله ام يذل في نفسه ويخضع وهذا حال كل عاقل بصير فانه يرى نفسه كذلك
فانه لا يملك رقبته وماله وبدنه واعضاءه وهو مع ذلك بين آفات وشهوات وامراض واسقام هي كالعقارب والحيات يخاف
منها الهلاك فمن هذا حاله لا يتكبر بقدرته وقوته اذ يعلم انه لا قدرة له ولا قوة فهذا طريق علاج التكبر بالاسباب وهو اهون من علاج
الكبر بالعلم والعمل فانهما كمالان في النفس جديران بان يفرح بهما ولكن في التكبر بهما ايضا نوع من الجهل خفي كما سنذكره السبب
السادس الكبر بالعلم وهذا اعظم الآفات واغلب الادواء وابعدها عن قبول العلاج الا بشدة شديدة وجهد جهيد وذلك لان
قدر العلم عظيم عند الله عظيم عند الناس وهو اعظم من قدر المال والجمال وغيرهما بل لا قدر لهما اصلا الا اذا كان معهما علم وعمل ولذلك
قال كعب ان للعلم طغيانا كطغيان المال ولذلك قال عمر العالم اذا زل زل بزلته عالم فيعجز العالم عن ان لا يستعظم نفسه بالاضافة
الى الجاهل لكثرة ما نطق الشرع بفضائل العلم ولن يقدر العالم بدفع الكبر الا بمعرفة امرين احدهما ان يعلم ان حجة الله على اهل العلم
اوكد وانه يحتمل من الجاهل ما لا يحتمل عشره من العالم وان من عصى الله عن معرفة وعلم فجنايته افحش اذ لم يقض حق نعمة الله عليه
في العلم ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم يؤتى بالعالم يوم القيمة فيلقى في النار فتندلق اقتابه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى
فيطيف به اهل النار فيقولون ما لك فيقول كنت آمر بالخير ولا آتيه وانهى عن الشر وآتيه وقد مثل الله سبحانه من يعلم ولا يعمل
بالحمار والكلب فقال مثل الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا اراد به علماء اليهود وقال في بلعم بن باعورا
واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها حتى بلغ فمثله كمثل الكلب قال ابن عباس اوتي بلعم بن باعورا كتابا فاخلد
الى شهوات الارض ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث اي سواء آتيته الحكمة او لم اوته فلا يدع شهوته ويكفي العالم هذا
الخطر فاي عالم لم يتبع شهوته واي عالم لم يأمره بالخير الذي لا يأتيه فمهما خطر للعالم عظم قدره بالاضافة الى الجاهل فليتفكر
في الخطر العظيم الذي هو بصدده فان خطره اعظم من خطر غيره كما ان قدره اعظم من قدر غيره فهذا بذاك وهو كالملك المخاطر بروحه
في ملكه لكثرة اعدائه فانه اذا اخذ وقهر اشتهى ان يكون قد كان فقيرا فكم من عالم يشتهي في الآخرة سلامة الجهال والعياذ بالله منه
فهذا الخطر يمنع التكبر لانه ان كان من اهل النار فالخنزير افضل منه فكيف يتكبر من هذا حاله فلا ينبغي ان يكون العالم اكبر في
نفسه من الصحابة رضي الله عنهم وقد كان بعضهم يقول يا ليتني لم تلدني امي ويأخذ الآخر تبنة من الارض ويقول يا ليتني كنت
طيرا كل ذلك خوفا من خطر العاقبة وكانوا يرون انفسهم اسوأ حالا من الطير والتراب ومهما اطال فكره في الخطر الذي هو بصدده
زال بالكلية كبره ورأى نفسه كانه شر الخلق ومثاله عبد امره سيده باموره فشرع فيها وترك بعضها وادخل النقصان في بعضها
او شك في بعضها انه هل اداها كما يرتضيه مولاه ام لا فاخبره مخبر ان مولاه ارسل اليه رسولا يخرجه من كل ما هو فيه عريانا ذليلا
ويلقيه على بابه في الشمس والحر زمانا طويلا حتى اذا ضاق عليه الامر وبلغ به المجهود امر برفع حسابه وفتش عن جميع احواله قليلها
وكثيرها ثم امر به الى سجن ضيق وعذاب دائم لا يروح عنه ساعة وقد علم ان سيده قد فعل بطوائف العبيد مثل ذلك وعفا عن بعضهم
وهو لا يدري انه من اي الفريقين يكون فاذا تفكر في ذلك انكسرت نفسه وذل وبطل عزه وكبره وظهر حزنه وخوفه ولم يتكبر على احد
من الخلق بل تواضع رجاء ان يكون هو من شفعائه عند نزول العذاب فكذلك العالم اذا تفكر فيما ضيعه من اوامر ربه بجنايات على
جوارحه

على جوارحه وبذنوب في باطنه من الرياء والحسد والعجب والنفاق وغيره وعلم ما هو بصدده من الخطر العظيم فارقه كبره
لا محالة الامر الثاني ان العالم يعرف ان الكبر لا يليق الا بالله عز وجل وحده وانه اذا تكبر صار ممقوتا عند الله بغيضا وقد
وقد احب الله منه ان يتواضع وقال له ان لك عندي قدرا ما لم تر لنفسك قدرا فان رأيت لنفسك قدرا فلا قدر لك عندي
فلا بد وان يكلف نفسه ما يحبه مولاه وهذا يزيل التكبر عن قلبه وان كان يستيقن انه لا ذنب له مثلا او تصور ذلك وبهذا
زال الكبر عن الاولياء والانبياء اذ علموا ان من نازع الله في رداء الكبرياء قصمه وقد امرهم الله ان يستصغروا انفسهم حتى يعظموا عند الله
فهذا ايضا مما يبعثه على التواضع لا محالة فان قلت فكيف يتواضع للفاسق المتظاهر بالفسق والمبتدع وكيف يرى نفسه دونهم وهو
عالم عابد وكيف يجهل فضل العلم والعبادة عند الله وكيف يمكنه ان يخطر بباله خطر العلم وهو يعلم ان خطر الفاسق والمبتدع اكثر فاعلم
ان ذلك انما يمكن بالتفكر في خطر الخاتمة بل لو نظر الى كافر لم يمكنه ان يتكبر عليه اذ يتصور ان يسلم الكافر فيختم له بالايمان ويضل
هذا العالم ويختم له بالكفر والكبير من هو كبير عند الله في الآخرة والكلب والخنزير اعلى رتبة ممن هو عند الله من اهل النار وهو
لا يدري ذلك فكم من مسلم نظر الى عمر رضي الله عنه قبل اسلامه فاستحقره وازدراه لكفره وقد رزقه الله الاسلام وفاق جميع
المسلمين الا ابا بكر وحده فالعواقب مطوية على العباد وجميع الفضائل في الدنيا يراد للعاقبة فاذن من حق العبد ان لا يتكبر على احد بل
ان نظر الى جاهل قال انما عصى الله بجهل وانا عصيت الله بعلم فهو اعذر مني وان نظر الى عالم فيقول انه قد علم ما لم اعلم فكيف اكون
مثله وان نظر الى كبير هو اكبر منه قال انه اطاع الله قبلي فكيف اكون مثله وان نظر الى صغير قال اني عصيت الله قبله فكيف اكون
مثله وان نظر الى مبتدع او كافر قال ما يدريني لعله يختم له بالاسلام ويختم لي بما هو عليه فليس دوام الهداية الي كما لم يكن ابتداؤها
الي فبملاحظة الخاتمة يقدر على ان ينفي الكبر عن نفسه وكل ذلك بان يعلم بان الكمال في سعادة الآخرة والقرب من الله لا فيما يظهر
في الدنيا مما لا بقاء له ولعمري هذا الخطر مشترك بين المتكبر والمتكبر عليه ولكن حق على كل واحد ان يكون مصروف الهم الى نفسه
مشغول القلب بخوف عاقبته لا ان يشتغل بخوف غيره وان الشفيق بسوء الظن مولع وشفقة كل انسان على نفسه واذا حبس جماعة
في جناية ووعدوا بان تضرب رقابهم لم يتفرغ المتكبر بعضهم على بعض بان عمهم الخطر اذ شغل كل واحد منهم نفسه عن الالتفات
الى هم غيره حتى كان كل واحد هو وحده في مصيبته وخطره فان قلت فكيف ابغض المبتدع في الله وابغض الفاسق وقد
امرت ببغضهما ثم مع ذلك اتواضع لهما والجمع بينهما متناقض فاعلم ان هذا امر مشتبه يلتبس على اكثر الخلق اذ يمتزج غضبك
لله في انكار البدعة والفسق بكبر النفس والادلال بالعلم والورع فكم من عابد جاهل وعالم مغرور اذا رأى فاسقا جلس بجنبه ازعجه
من عنده وتنزه منه بكبر بطن في نفسه وهو ظان انه قد غضب لله كما وقع لعابد بني اسرائيل مع خليعهم وذلك لان الكبر على المطيع
ظاهر كونه شرا والحذر عنه ممكن والكبر على الفاسق والمبتدع يشبه الغضب لله وهو خير فان الغضبان ايضا يتكبر على من غضب
عليه والمتكبر يغضب واحدهما يثمر الآخر ويوجبه وهما ممتزجان ملتبسان لا يميز بينهما الا الموفقون والذي يخلصك عن هذا
ان يكون الحاضر على قلبك عند مشاهدة المبتدع او الفاسق او امرهما بالمعروف ونهيهما عن المنكر ثلاثة امور احدها التفاتك
الى ما سبق من ذنوبك وخطاياك ليصغر عند ذلك قدرك في عينك والثاني ان يكون ملاحظتك لما انت متميز به من العلم
واعتقاد الحق والعمل الصالح من حيث انها نعمة من الله تعالى عليك فله المنة فيه لا لك فترى ذلك منه حتى لا تعجب بنفسك
واذا لم تعجب لم تتكبر والثالث ملاحظة ابهام عاقبتك وعاقبته انه ربما يختم لك بالسوء ويختم له بالحسنى حتى يشغلك
الخوف عن التكبر فان قلت فكيف اغضب مع هذه الاحوال فاقول تغضب لمولاك وسيدك اذ امرك بان تغضب له لا لنفسك وانت

في غضبك لا ترى نفسك ناجيا وصاحبك هالكا بل يكون خوفك على نفسك بما علم الله من خفايا ذنوبك اكثر من خوفك عليه
مع الجهل بالخاتمة واعرفك ذلك بمثال لتعلم انه ليس من ضرورة الغضب لله ان تتكبر على المغضوب عليه وترى قدرك فوق قدره
فاقول اذا كان لملك غلام وولد هو قرة عينه وقد وكل الغلام بالولد ليراقبه وامره بان يضربه مهما اساء ادبه واشتغل
بما لا يليق به ويغضب عليه فان كان الغلام مطيعا محبا لمولاه فلا يجد بدا من ان يغضب مهما راى ولده قد اساء الادب وانما يغضب
عليه لمولاه لا لنفسه ولانه امره به ولانه يريد التقرب بامتثال امره اليه ولانه جرى من ولده ما يكرهه مولاه فيضرب ولده ويغضب
من غير تكبر عليه بل هو متواضع له يرى قدره عند مولاه فوق قدر نفسه لان الولد اعز لا محالة من الغلام فاذن ليس من ضرورة الغضب
التكبر وعدم التواضع فكذلك يمكنك ان تنظر الى المبتدع والفاسق وتظن انه ربما كان قدرهما عند الله في الآخرة اعظم لما
سبق لهما من الحسنى في الازل ولما سبق لك من سوء القضاء في الازل ولما سبق لك من سوء القضاء وانت غافل عنه ومع ذلك فتغضب
بحكم الامر محبة لمولاك اذ جرى ما يكرهه مع التواضع لمن يجوز ان يكون عنده اقرب منك في الآخرة فهكذا يكون بعض العلماء
الاكياس فينضم اليه الخوف والتواضع فاما المغرور فانه يتكبر ويرجو لنفسه اكثر مما يرجو لغيره مع جهله بالعاقبة وذلك غاية
الغرور فهذا سبيل التواضع لمن عصى الله او اعتقد البدعة مع الغضب عليه ومجانبته بحكم الامر السبب السابع التكبر بالورع
والعبادة وذلك ايضا فتنة عظيمة على العباد وسبيله ان يلزم قلبه التواضع لسائر العبادات وهو ان يعلم ان من يتقدم عليه
بالعلم لا ينبغي ان يتكبر عليه بالعلم كيفما كان لما عرفه من فضيلة العلم وقد قال تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلي على ادنى رجل من اصحابي الى غير ذلك مما ورد في فضل العلم فان قال العابد
ذلك لعالم عامل بعلمه وهذا عالم فاجر فيقال له اما عرفت ان الحسنات يذهبن السيئات وكما ان العلم يمكن ان يكون حجة على العالم
يمكن ان يكون وسيلة له وكفارة لذنوبه وكل واحد منهما ممكن وقد وردت الاخبار بما يشهد لذلك واذا كان هذا امرا غائبا عنه
لم يجز له ان يحتقر عالما بل وجب عليه ان يتواضع له فان قلت فان صح هذا فينبغي ان يكون للعالم ان يرى نفسه فوق العابد لقوله
صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلي على ادنى رجل من اصحابي فاعلم ان ذلك كان ممكنا لو علم العالم عاقبة امره و
خاتمة الامر مشكوك فيها فيحتمل ان يموت بحيث يكون حاله عند الله اشد من حال الجاهل الفاسق لذنب واحد كان يحسبه هينا
وهو عند الله عظيم وقد مقته به واذا كان هذا ممكنا كان على نفسه خائفا فاذن كل واحد من العالم والعابد خائف على نفسه وقد
كلف امر نفسه لا امر غيره فينبغي ان يكون الغالب عليه في حق نفسه الخوف وفي حق غيره الرجا وذلك يمنعه من التكبر بكل حال فهذا
حال العابد مع العالم فاما مع غير العالم فهم منقسمون في حقه الى مستورين والى مكشوفين فينبغي ان لا يتكبر على المستور فلعله اقل
منه ذنبا واكثر منه عبادة واشد منه حبا لله واما المكشوف حاله فانه لم يظهر لك من الذنوب الا ما تزيد عليه ذنوبك في طول
عمرك فلا ينبغي ان تتكبر عليه ولا يمكن ان يقول هو اكثر مني ذنبا لان عدد ذنوبك وذنوب غيرك في طول العمر لا تقدر على احصائه
حتى تعلم الاكثر نعم يمكن ان تعلم ان ذنوبه اشد كما لو رايت منه القتل والشرب والزنا ومع ذلك فلا ينبغي ان تتكبر اذ ذنوب القلوب
من الكبر والحسد والريا والغل واعتقاد الباطل والوسوسة في عذاب الله تعالى وتخيل الخطأ فيه كل ذلك شديد عند الله فربما
جرى عليك في باطنك من خفايا الذنوب ما صرت به عند الله ممقوتا وقد جرى للفاسق الظاهر الفسق من طاعات القلوب من
حب الله واخلاص وخوف وعلم وتعظيم ما انت خال عنه وقد كفر ذلك سيئاته فينكشف الغطا يوم القيمة فتراه فوق نفسك
بدرجات فهذا ممكن والامكان البعيد فيما عليك ينبغي ان يكون قريبا عندك ان كنت مشفقا على نفسك فلا تتفكر فيما هو ممكن

ممكن لغيرك بل ما هو ممكن مخوف في حقك فانه لا تزر وازرة وزر اخرى وعذاب غيرك لا يخفف شيئا من عذابك فاذا تفكرت
في هذا الخطر كان بصددك شغل شاغل عن التكبر وعن ان ترى نفسك فوق غيرك وقد قال وهب بن منبه ما تم عقل عبد حتى
يكون فيه عشر خصال فعدد تسعة حتى بلغ العاشرة فقال العاشرة وما العاشرة بها ساد مجده وبها علا ذكره ان يرى الناس كلهم
خيرا منه وانما الناس عنده فرقتان فرقة هي افضل منه وارفع وفرقة هي شر منه وادنى وهو متواضع للفرقتين جميعا بقلبه
فان راى من هو خير منه كبره وتمنى ان يلحق به وان راى من هو شر منه قال لعل هذا ينجو واهلك انا ولا تراه الا خائفا من العاقبة
ويقول لعل بر هذا باطن فذلك خير له ولا ادري لعل فيه خلقا كريما بينه وبين الله يرحمه الله ويتوب عليه ويختم له باحسن
الاعمال وبري ظاهر فذلك شر لي فلا يامن فيما اظهر من الطاعة ان يكون دخلتها الآفات فاحبطتها ثم قال فحينئذ كمل عقله
وساد اهل زمانه فهذا آخر كلامه وبالجملة من جوز ان يكون عند الله شقيا وقد سبق القضاء الازلي بشقوته فما له سبيل الى التكبر
بحال من الاحوال نعم اذا غلبه الخوف راى كل احد خيرا من نفسه وذلك هو الفضيلة كما روي ان عابدا اوى الى جبل فقيل له
في النوم ايت فلانا الاسكاف فسله ان يدعو لك فاتاه فساله عن عمله فاخبره انه يصوم النهار ويكتسب فيتصدق ببعضه
ويطعم عياله ببعضه فرجع وهو يقول ان هذا لحسن ولكن ليس كالتفرغ لطاعة الله فاتي في النوم ثانيا وقيل له ايت الاسكاف فقل
له ما هذا الصفار بوجهك فاتاه فساله فقال له ما رايت احدا من الناس الا وقع لي انه سينجو واهلك انا فقال العابد بهذه
والذي يدل على فضيلة هذه الخصلة قوله تعالى والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة اي يؤتون الطاعات وهم على وجل عظيم
من قبولها وقال تعالى ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون وقال انا كنا قبل في اهلنا مشفقين وقد وصف الله تعالى الملائكة
مع تقدسهم عن الذنوب ومواظبتهم على العبادة على الدؤوب بالاشفاق فقال يسبحون الليل والنهار لا يفترون وقال تعالى
ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون فمتى زال الاشفاق والحذر بسبق القضاء في الازل وينكشف عند خاتمة الاجل غلبه الامن
من مكر الله وذلك يوجب الكبر وهو سبب الهلاك فالكبر دليل الامن والامن مهلك والتواضع دليل الخوف وهو مسعد فاذن
ما يفسده العابد باضمار الكبر واحتقار الخلق والنظر اليهم بعين الاستصغار اكثر مما يصلحه بظاهر الاعمال فهذه معارف بها يزال داء
الكبر عن القلب لا غير الا ان النفس بعد هذه المعرفة قد تضمر التواضع وتدعي البراءة من الكبر وهو كاذبة واذا وقعت الواقعة
عادت الى طبعها ونسيت وعدها فعن هذا لا ينبغي ان يكتفي في المداواة بمجرد المعرفة بل ينبغي ان يكمل بالعمل ويجرب بافعال المتواضعين
في مواقع هيجان الكبر من النفس وبيانه ان يمتحن النفس بخمس امتحانات هي ادلة على استخراج ما في الباطن وان كانت الامتحانات
كثيرة الامتحان الاول ان يناظر في مسئلة مع واحد من اقرانه فان ظهر شيء من الحق على لسان صاحبه فثقل عليه قبوله
والانقياد له والاعتراف به والشكر له على تنبيهه وتعريفه واخراجه الحق فذلك يدل على ان فيه كبرا دفينا فليتق الله فيه و
ليشتغل بعلاجه اما من حيث العلم فبان يذكر نفسه خسة نفسه وخطر عاقبته وان الكبر لا يليق الا بالله تعالى واما بالعمل فبان
يكلف نفسه ما ثقل عليه من الاعتراف بالحق فليطلق اللسان بالحمد والثناء ويقر على نفسه بالعجز ويشكره على الاستفادة
ويقول ما احسن ما فطنت له وقد كنت غافلا عنه فجزاك الله خيرا كما نبهتني عليه فالحكمة ضالة المؤمن فاذا وجدها
ينبغي ان يشكر من دله عليها فاذا واظب على ذلك مرات متوالية صار ذلك طبعا له وسقط ثقل الحق عن قلبه وطاب له قبوله
ومهما ثقل عليه الثناء على اقرانه بما فيهم ففيه كبر فان كان ذلك لا يثقل عليه في الخلوة ويثقل في الملا فليس فيه كبر وانما فيه
ريا فليعالج الريا بما ذكرناه من قطع الطمع عن الناس وتذكير القلب بان منفعته في كماله في ذاته وعند الله لا عند الخلق الى غير ذلك

معارف م

من ادوية الرياء وان ثقل عليه في الخلوة والملا جميعا ففيه الكبر والرياء جميعا ولا ينفعه الخلاص من احدهما ما لم يتخلص من الثاني فليعالج كلا الداءين فانهما جميعا مهلكان الامتحان الثاني ان يجتمع مع الاقران والامثال في المحافل ويقدمهم على نفسه ويمشي خلفهم ويجلس في الصدور تحتهم فان ثقل ذلك عليه تكلفه حتى يسقط عنه ثقله فبذلك يزايله الكبر وههنا للشيطان مكيدة وهو ان يجلس في صف النعال او يجعل بينه وبين الاقران بعض الارذال فيظن ان ذلك تواضع وهو عين الكبر فان ذلك يخف على نفوس المتكبرين اذ يوهمون انهم تركوا مكانهم بالاستحقاق والتفضل فيكون قد تكبر وتكبر باظهار التواضع ايضا بل ينبغي ان يقدم اقرانه ويجلس تحتهم ولا ينحط عنهم الى صف النعال فذلك هو الذي يخرج خبث الكبر من الباطن ٥ الامتحان الثالث ان يجيب دعوة الفقير ويمر الى السوق في حاجة الرفقاء والاقارب فان ثقل ذلك عليه فهو كبر فان هذه الافعال من مكارم الاخلاق والثواب عليها جزيل فنفور النفس عنها ليس الا لخبث الكبر في الباطن فليشتغل بازالته بالمواظبة عليه مع تذكر جميع ما ذكرناه من المعارف التي تزيل داء الكبر الامتحان الرابع ان يحمل حاجة نفسه وحاجة اهله ورفقائه من السوق الى البيت فان ابت نفسه ذلك فهو كبر او رياء فان كان يثقل ذلك مع خلو الطريق فهو كبر وان كان لا يثقل الا عند مشاهدة الناس فهو رياء وكل ذلك من امراض القلب وعللها المهلكة له ان لم يتدارك وقد اهمل الناس طب القلوب واشتغلوا بطب الاجساد مع ان الاجساد قد كتب عليها الموت لا محالة والقلوب لا تدرك السعادة الا بسلامتها اذ قال تعالى الا من اتى الله بقلب سليم ويروى عن سلام انه حمل حزمة حطب فقيل له يا ابا يوسف قد كان في غلمانك وبنيك ما يكفونك قال اجل ولكن اردت ان اجرب نفسي هل تنكر ذلك فلم يقنع عنها بما اعطته من العزم على ترك الانفة حتى جربها اهي صادقة ام كاذبة وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه حمل قربة على عنقه فقال له اصحابه يا امير المؤمنين ما حملك على هذا فقال ان نفسي اعجبتني فاردت ان اذلها وفي الخبر من حمل الفاكهة او الشي فقد برئ من الكبر الامتحان الخامس ان يلبس ثياب بذلة فان نفور النفس عن ذلك في الملا رياء وفي الخلوة كبر وكان عمر بن عبد العزيز له مسح يلبسه بالليل وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم من اعتقل البعير ولبس الصوف فقد برئ من الكبر وقال صلى الله عليه وسلم انما انا عبد اكل بالارض والبس الصوف واعتقل البعير والعق اصابعي واجيب دعوة المملوك فمن رغب عن سنتي فليس مني وروي ان ابا موسى الاشعري قيل له ان اقواما يتخلفون عن الجمعة بسبب ثيابهم فلبس عباءة فصلى فيها بالناس وهذه مواضع يجتمع فيها الرياء وما يكون في الخلوة فهو كبر فليعرف فان من لا يعرف الشر لا يتقيه ومن لا يدرك المرض لا يداويه

بيان غاية الرياضة في خلق التواضع

اعلم ان هذا الخلق كسائر الاخلاق له طرفان ووسط فطرفه الذي يميل الى الزيادة يسمى تكبرا وطرفه الذي يميل الى النقصان يسمى تخاسسا ومذلة والوسط يسمى تواضعا والمحمود ان يتواضع في غير مذلة ومن غير تخاسس فان كلا طرفي قصد الامور ذميم واحب الامور الى الله اوساطها فمن يتقدم على امثاله فهو متكبر ومن تاخر عنهم فهو متواضع اي وضع شيئا من قدره الذي يستحقه والعالم اذا دخل عليه اسكاف فتنحى له عن مجلسه واجلسه فيه ثم تقدم وسوى نعله وعدا الى باب الدار خلفه فقد تخاسس وتذلل وهذا ايضا غير محمود بل المحمود عند الله العدل وهو ان يعطي كل ذي حق حقه فينبغي ان يتواضع بمثل هذا لامثاله ولمن يقرب منه درجته فاما تواضعه للسوقي فبالقيام والبشر في الكلام والرفق واجابة دعوته والسعي في حاجته وامثال ذلك وان لا يرى نفسه خيرا منه بل يكون على نفسه اخوف منه على غيره فلا يحتقره ولا يستصغره فانه لا يعرف خاتمة امره وخاتمته فان سبيله في اكتساب التواضع ان يتواضع للاقران ولمن دونهم حتى يخف عليه التواضع المحمود في محاسن العادات ليزول به الكبر عنه فان خف عليه وهو يفعل فهو متكلف لا متواضع بل الخلق ما يصدر عنه الفعل بسهولة من غير ثقل ومن غير روية فان خف عليه ذلك وصار بحيث يثقل عليه رعاية قدره حتى احب التملق والتخاسس فقد خرج الى الخطر والنقصان فليرفع نفسه اذ ليس للمؤمن ان يذل نفسه الى ان يعود الى الوسط الذي هو الصراط المستقيم وذلك غامض في هذا الخلق وفي سائر الاخلاق والميل عن الوسط الى طرف النقصان وهو التملق اهون من الميل الى طرف الزيادة بالتكبر كما ان الميل الى طرف التبذير في المال احمد عند الناس من الميل الى طرف البخل فنهاية التبذير ونهاية البخل مذمومان واحدهما افحش وكذلك نهاية التكبر ونهاية التنقص والتذلل مذمومان واحدهما اقبح من الاخر والمحمود المطلق هو العدل ووضع الامور مواضعها كما يجب وعلى ما يجب على ما يعرف ذلك بالشرع والعادة ولنقتصر على هذا من بيان اخلاق الكبر والتواضع ٥ اللهم اسئلك حسن الخاتمة

الشطر الثاني من الكتاب

في العجب وفيه بيان ذم العجب وآفته وبيان حقيقة العجب والادلال وحدهما وبيان علاج العجب على الجملة وبيان اقسام ما به العجب وتفصيل علاجه

بيان ذم العجب وآفاته

اعلم ان العجب مذموم في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم ذكر ذلك في معرض الانكار وقال تعالى وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا فرد على الكفار في اعجابهم بحصونهم وشوكتهم وقال تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وهذا ايضا يرجع الى العجب بالعمل وقد يعجب الانسان بعمل هو مخطئ فيه كما يعجب بعمل هو فيه مصيب وقال النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وقال لابي ثعلبة حيث ذكر اخر هذه الامة فقال اذا رايت شحا مطاعا وهوى متبعا واعجاب كل ذي راي برايه فعليك نفسك وقال ابن مسعود الهلاك في اثنين القنوط والعجب وانما جمع بينهما لان السعادة لا تنال الا بالسعي والطلب والجد والتشمر والقانط لا يسعى ولا يطلب والمعجب يعتقد انه قد سعد وقد ظفر بمراده فلا يسعى ولا يطلب فالموجود لا يطلب والمحال لا يطلب والسعادة موجودة في اعتقاد المعجب حاصلة له ومستحيلة في اعتقاد القانط فمن ثم جمع بينهما وقد قال تعالى فلا تزكوا انفسكم وقال ابن جريج معناه اذا عملت خيرا فلا تقل عملت وقال زيد بن اسلم لا تبروها اي لا تعتقدوا انها بارة وهو معنى العجب ووقى طلحة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد بنفسه فاكب عليه حتى اصيبت كفه فكانه اعجبه فعله العظيم اذ فداه بروحه حتى جرح فتفرس ذلك فيه عمر فقال ما زال يعرف في طلحة نأو منذ اصيبت اصبعه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والنأو هو العجب في اللغة الا انه لم ينقل منه انه اظهره او احتقر مسلما ولما كان وقت الشورى قال ابن عباس اين انت من طلحة قال ذاك رجل فيه نخوة فاذا كان لا يتخلص من العجب امثالهم فكيف يتخلص الضعفاء ان لم ياخذوا حذرهم وقال مطرف لان ابيت نائما واصبح نادما احب الي من ان ابيت قائما واصبح معجبا وقال النبي صلى الله عليه وسلم لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو اكبر من ذلك العجب العجب فجعل العجب اكبر من الذنوب وكان بشر بن منصور من الذين اذا رؤوا ذكر الله سبحانه وتعالى والدار الاخرة لمواظبته على العبادة والصلاة فاطال الصلاة يوما ورجل خلفه ينظر ففطن له بشر فلما انصرف عن الصلاة قال لا يعجبنك ما رايت مني فان ابليس لعنه الله قد عبد الله مع الملائكة مدة طويلة ثم صار الى ما صار اليه وقيل لعائشة متى يكون الرجل مسيئا قالت اذا ظن انه محسن وقد قال تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى والمن نتيجة استعظام الصدقة واستعظام العمل هو العجب فظهر بهذا ان العجب مذموم جدا

بيان آفة العجب

اعلم ان آفات العجب كثيرة فان العجب يدعو الى الكبر لانه احد اسبابه كما ذكرناه فيتولد من العجب الكبر ومن الكبر الآفات الكثيرة التي لا تخفى هذا مع العباد واما

قلت فقد حصل له خلق التواضع وان كان يثقل عليه

مع الله فالعجب يدعو الى نسيان الذنوب واهمالها فبعض ذنوبه لا يذكرها ولا يتفقدها لظنه انه مستغنٍ عن تفقدها فينساها
وما يتذكر منها فيستصغرها ولا يستعظمها فلا يجتهد في تداركها وتلافيها بل يظن انها تغفر له فاما العبادات والاعمال
فيستعظمها ويتبجح بها ويمن على الله بفعلها وينسى نعمة الله عليه بالتوفيق والتمكين منها ثم اذا اعجب بها عمي عن آفاتها ومن
لم يتفقد آفات الاعمال كان اكثر سعيه ضائعاً فان الاعمال الظاهرة اذا لم تكن خالصة نقية عن الشوائب قل ما تنفع وانما
يتفقدها من يغلب عليها الاشفاق والخوف دون العجب والمعجب يغتر بنفسه وبربه ويأمن مكر الله وعذابه ويظن انه عند الله بمكان وان
له عند الله منة وحقاً باعماله التي هي نعمة من نعمه وعطية من عطاياه ويخرجه العجب الى ان يثني على نفسه ويحمدها ويزكيها وان اعجب
برأيه وعلمه وعقله منع ذلك من الاستفادة ومن الاستشارة والسؤال فيستبد بنفسه ورأيه ويستنكف من سؤال من هو اعلم
منه وربما يعجب بالرأي الخطاء الذي خطر له فيفرح بكونه من خواطره ولا يفرح بخواطر غيره فيصر عليه ولا يقبل نصح ناصح
ولا وعظ واعظ بل ينظر الى غيره بعين الاستجهال ويصر على خطائه فان كان رأيه في امر دنيوي فيحقق فيه وان كان في امر ديني لا
سيما فيما يتعلق باصول العقائد فيهلك به ولو اتهم نفسه ولم يثق برأيه واستضاء بنور القرآن واستعان بعلماء الدين وواظب
على مدارسة العلم وتابع سؤال اهل البصيرة لكان ذلك يوصله الى الحق فهذا واشباهه من آفات العجب فلذلك كان من المهلكات
ومن اعظم آفاته انه يفتر في السعي لظنه انه فاز وقد استغنى وهو الهلاك الصريح الذي لا شبهة فيه

بيان حقيقة العجب والادلال وحديهما

اعلم ان العجب انما يكون بوصف هو كمال لا محالة وللعالم بكمال نفسه في علم وعمل ومال وغيره
حالتان احديهما ان يكون خائفاً على زواله مشفقاً على تكدره او سلبه من اصله فهذا ليس بمعجب والاخرى ان لا يكون خائفاً
من زواله ولكن يكون فرحاً به من حيث انه نعمة من الله عليه لا من حيث اضافته الى نفسه وهذا ايضاً ليس بمعجب وله حالة
ثالثة هي العجب وهو ان يكون غير خائف عليه بل يكون فرحاً به مطمئناً اليه ويكون فرحه به من حيث انه كمال ونعمة ورفعة وخير
لا من حيث انه عطية من الله تعالى ونعمة فيكون فرحه به من حيث انه صفته ومنسوب اليه بانه له لا من حيث انه منسوب
الى الله تعالى بانه منه فمهما غلب على قلبه انه نعمة من الله مهما شاء سلبه زال العجب بذلك عن نفسه فاذن العجب هو استعظام
النعمة والركون اليها مع نسيان اضافتها الى المنعم فان انضاف الى ذلك ان غلب على نفسه ان له عند الله حقاً وانه منه بمكان
حتى توقع بعمله كرامة في الدنيا واستبعد ان يجري عليه مكروه استبعاداً يزيد على استبعاد ما يجري على الفساق سمي هذا ادلالاً
بالعمل فكانه يرى لنفسه على الله دالة وكذلك قد يعطي غيره شيئاً فيستعظمه ويمن عليه فيكون معجباً فان استخدمه او اقترح
عليه الاقتراحات واستبعد تخلفه عن حقوقه كان مدلاً عليه وقال قتادة في قوله تعالى ولا تمنن تستكثر اي لا تدل بعملك
وفي الخبر ان صلوة المدل لا ترتفع فوق رأسه ولأن تضحك وانت معترف بذنبك خير من ان تبكي وانت مدل بعملك والادلال
وراء العجب فلا مدل الا وهو معجب لا يدل اذ العجب يحصل بالاستعظام ونسيان النعمة دون توقع جزاء عليه والادلال
لا يتم الا مع توقع جزاء عليه فان توقع اجابة دعوته واستنكر ردها بباطنه وتعجب من كان مدلاً بعمله فانه لا يتعجب من
رد دعاء الفساق لذلك فهذا هو العجب والادلال وهو من مقدمات الكبر واسبابه

بيان علاج العجب على الجملة

اعلم ان علاج كل علة هو مقابلة سببها بضدها وعلة العجب الجهل المحض وعلاجه فعلاجه المعرفة المضادة لذلك
الجهل فقط فلنفرض العجب بفعل داخل تحت اختيار العبد كالعبادة والصدقة والغزو وسياسة الخلق واصلاحهم فان العجب
بهذا اغلب من العجب بالجمال والقوة والنسب وما لا يدخل تحت اختياره ولا يراها من نفسه فنقول الورع والتقوى
والتقوى والعبادة والعمل الذي به يعجب انما يعجب به من حيث انه فيه وهو محله ومجراه او من حيث انه منه وبسببه
وبقدرته وقوته فان كان يعجب به من حيث انه فيه وهو محله ومجراه يجري فيه وعليه من جهة غيره فهذا جهل لان المحل مسخر
ومجرى لا مدخل له في الايجاد والتحصيل فكيف يعجب بما ليس اليه وان كان يعجب به من حيث هو منه واليه وباختياره حصل و
بقدرته وقوته تم فينبغي ان يتأمل في قدرته وارادته واعضائه وسائر الاسباب التي بها يتم عمله انها من اين كانت له فان كان جميع
ذلك نعمة من الله اليه من غير حق سبق له وسيلة يدلي بها فينبغي ان يكون اعجابه بجود الله تعالى وكرمه وفضله اذ افاض عليه ما لا
يستحقه وآثره به على غيره من غير سابقة ووسيلة فمهما برز الملك لغلمانه ونظر اليهم فخلع من جملتهم على واحد منهم لا لصفة
فيه ولا لوسيلة ولا لجمال ولا لخدمة فينبغي ان يتعجب المنعم عليه من فضل الملك وحكمه وايثاره من غير استحقاق واعجابه بنفسه
من اين وما سببه ولم ينبغي ان يعجب هو بنفسه نعم يجوز ان يعجب العبد فيقول الملك حكيم عدل لا يظلم ولا يقدم ولا يؤخر الا لسبب
فلولا انه تفطن فيّ من الصفات المحمودة الباطنة ما اقتضى الايثار بالخلعة لما آثرني بها فيقال وتلك الصفة ايضاً هي من
خلعة الملك وعطيته التي خصصك بها دون غيرك من غير وسيلة او هي عطية غيره فان كان من عطية الملك ايضاً لم يكن
لك ان تعجب بل كان كما لو اعطاك فرساً فلم تعجب به فاعطاك غلاماً فصرت تعجب به وتقول انما اعطاني غلاماً لاني صاحب
فرس وليس لغيري فرس فيقال وهو الذي اعطاك الفرس فلا فرق بين ان يعطيك الفرس والغلام معاً او يعطي احدهما بعد الآخر
فاذا كان الكل منه فينبغي ان يعجبك جوده وفضله لا نفسك واما ان كانت تلك الصفة من غيره فلا يبعد ان تعجب بتلك
الصفة وهذا يتصور في حق ملوك الدنيا ولا يتصور في حق الجبار ملك الملوك المتفرد باختراع الجميع المتوحد بايجاد
الموصوف والصفة فانك ان اعجبت بعبادتك وقلت قد وفقني الله تعالى للعبادة لحبي له فيقال ومن خلق الحب في قلبك
فستقول هو فيقال فالحب والعبادة كلاهما نعمتان من عنده ابتدأك بهما من غير استحقاق من جهتك اذ لا وسيلة لك ولا علاقة
فيكون الاعجاب بجوده اذ انعم بوجودك ووجود صفاتك وبوجود اعمالك واسباب اعمالك فاذن لا معنى لعجب العابد بعبادته
وعجب العالم بعلمه وعجب الجميل بجماله وعجب الغني بغناه لان كل ذلك من فضل الله وانما هو محل لفيضان فضل الله وجوده والمحل ايضاً
من جوده وفضله فان قلت لا يمكنني ان اجهل اعمالي واني عملتها فاني انتظر عليها ثواباً ولولا انها عملي لما انتظرت الثواب
فان كانت الاعمال مخلوقة لله على سبيل الاختراع فمن اين لي الثواب وان كانت الاعمال مني وبقدرتي فكيف لا اعجب بها فاعلم
ان جوابك من وجهين احدهما هو صريح الحق والآخر فيه مسامحة اما صريح الحق فهو انك وقدرتك وارادتك وحركاتك
جميع ذلك من خلق الله واختراعه فما عملت اذ عملت وما صليت اذ صليت وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى هذا هو الحق
الذي انكشف لارباب القلوب بمشاهدة اوضح من ابصار العين بل خلقك وخلق اعضائك وخلق فيها القوة والقدرة والصحة
وخلق لك العلم والعقل وخلق الارادة ولو اردت ان تنفي شيئاً من هذا عن نفسك لم تقدر عليه ثم خلق الحركات في اعضائك
مستبداً باختراعها من غير مشاركة من جهتك معه في الاختراع الا انه خلقها على ترتيب فلم يخلق الحركة ما لم يخلق في العضو
قوة وفي القلب ارادة ولم يخلق ارادة ما لم يخلق علماً بالمراد ولم يخلق العلم ما لم يخلق القلب الذي هو محل العلم فتدريجه
في الخلق شيئاً بعد شيء هو الذي يخيل اليك انك اوجدت عملك وقد غلطت وايضاح ذلك وكيفية الثواب على عمل من خلق الله
سبق في تحريره في كتاب الشكر فانه اليق به فارجع اليه ونحن الآن نزيل اشكالك بالجواب الثاني الذي فيه مسامحة ما وهو ان
تحسب ان العمل حصل بقدرتك فمن اين قدرتك ولا يتصور العمل الا بوجودك وبوجود عملك وارادتك وقدرتك وسائر

اسباب عملك وكل ذلك من الله تعالى لا منك فان كان العمل بالقدرة فالقدرة مفتاحه وهذا المفتاح بيد الله ومهما لم
يعطك المفتاح فلا يمكنك العمل فالعبادات خزائن بها يتوصل الى السعادات ومفاتيحها القدرة والارادة والعلم فهي
بيد الله تعالى لا محالة ارأيت لو رأيت خزائن الدنيا مجموعة في قلعة حصينة ومفتاحها بيد خازن ولو جلست على بابها وحول
حيطانها الف سنة لم يمكنك النظر الى دينار مما فيها ولو اعطاك المفتاح لاخذته من قريب بان تبسط يدك اليه فتاخذه فقط
فاذا اعطاك الخازن المفاتيح وسلطك عليها ومكنك منها فمددت اليد اليها واخذتها كان اعجابك باعطاء الخازن المفاتيح
او بما اليك من مد اليد اليها واخذها فلا تشك في انك ترى ذلك نعمة من الخازن لان المؤنة في تحريك اليد باخذ المال قريبة وانما
الشان كله في تسليم المفاتيح فكذلك مهما خلقت القدرة وسلطت الارادة الجازمة وحركت الدواعي والبواعث وصرف عنك
الموانع والصوارف حتى لم يبق صارف الا دفع ولا باعث الا وكل بك فالعمل هين عليك وتحريك البواعث وصرف العوائق و
تهيئة الاسباب كلها من الله تعالى ليس شيء منها اليك فمن العجائب ان تعجب بنفسك ولا تعجب بمن اليه الامر كله ولا تعجب بجوده
وفضله وكرمه في ايثاره اياك على الفساق من عباده اذ سلط دواعي الفساد على الفساق وصرفها عنك وصرف اخدان السوء
ودعاة الشر عنك وصرفهم عنك ومكنهم من اسباب الشهوات واللذات وزواها عنك وصرف عنهم بواعث الخير ودواعيه
وسلطها عليك حتى تيسر لك الخير وتيسر له الشر ففعل ذلك كله بك من غير وسيلة سابقة منك ولا جريمة سابقة من الفاسق
العاصي واسفاه بعدله فما اعجب اعجابك بنفسك اذ عرفت ذلك فاذا لا تنصرف قدرتك الى المقدور الا بتسليط الله عليك
داعية لا تجد سبيلا الى مخالفتها فكانه الذي اضطرك الى الفعل ان كنت فاعلا تحقيقا فله الشكر والمنة لا لك وسياتي في كتاب التوحيد
والتوكل من بيان تسلسل الاسباب والمسببات ما يستبين به انه لا فاعل الا الله ولا خالق سواه والعجب ممن يتعجب اذا رزقه الله عقلا
وافقره ممن افاض الله عليه المال من غير علم فيقول كيف منعني قوت يومي وانا العاقل الفاضل وافاض عليه نعيم الدنيا وهو الجاهل
الغافل حتى يكاد يرى هذا ظلما ولا يدري المغرور انه لو جمع له بين العقل والمال جميعا لكان ذلك بالظلم اشبه في ظاهر الحال اذ
يقول الجاهل الفقير يا رب لم جمعت له بين العقل والغنى وحرمتني عنهما فهلا جمعتهما لي او هلا رزقتني احدهما والى هذا اشار علي
رضي الله عنه حيث قيل له ما بال العقلاء فقراء فقال ان عقل الرجل محسوب عليه من رزقه ومن العجب ان العاقل الفقير ربما يرى
الجاهل الغني احسن حالا من نفسه ولو قيل له هل تؤثر جهله وغناه عوضا من عقلك وفقرك لامتنع عنه فاذن ذلك يدل
على ان نعمة الله عليك اكثر فلم تتعجب منه والمرأة الحسناء الفقيرة ترى الحلي والجواهر على الدميمة القبيحة فتتعجب منه وتقول
كيف يحرم مثل هذا الجمال من الزينة ويخصص مثل ذلك القبح بها ولا تدري المغرورة ان الجمال محسوب عليها من رزقها وانها لو
خيرت بين الجمال فاذن نعم الله عليها اكثر وقول الحكيم العاقل الفقير بقلبه يا رب لم حرمتني الدنيا واعطيت الجهال كقول من اعطاه
الملك فرسا فيقول للملك لم لا تعطيني غلاما وانا صاحب فرس فيقول له كنت لا تتعجب من هذا لو لم اعطك فهب اني ما اعطيتك
اسار نعمتي عليك وسيلة لك وحجة تطلب بها نعمة اخرى فهذه اوهام لا تخلو الجهال عنها ويزال ذلك بالعلم المحقق بان العبد وعمله
واوصافه كل ذلك من عند الله نعمة ابتدأه بها قبل الاستحقاق وهذا ينفي العجب والادلال ويورث الخضوع والشكر والخوف
من زوال النعمة ومن عرف هذا لم يتصور ان يعجب بعلمه وعمله اذ يعلم ان ذلك من الله تعالى ولذلك قال داود صلى الله عليه وسلم
يا رب ما تاتي ليلة الا انسان من آل داود قائم ولا ياتي يوم الا وانسان من آل داود صائم وفي رواية وما تمر ساعة من ليل او نهار
الا وعابد من آل داود يعبدك اما يصلي واما يصوم واما يذكرك فاوحى الله يا داود ومن اين لهم ذلك ان ذلك لم يكن الا بي ولولا

ولولا عوني اياك ما قويت وساكلك الى نفسك قال ابن عباس انما اصاب داود ما اصابه من الذنب بعجبه بعمله اذ
اضافه الى آل داود مدلا به حتى وكل الى نفسه فاذنب ذنبا اورثه الحزن والندم وقال داود يا رب ان بني اسرائيل يسئلونك
بابراهيم واسحق ويعقوب فقال اني ابتليتهم فصبروا فقال يا رب وانا ان ابتليتني صبرت فادل بالعمل قبل وقته فقال الله تعالى اما
اني لم اخبرهم باي شيء ابتليهم ولا في اي شهر ولا في اي يوم وانا مخبرك انك في سنتك وشهرك ابتليك غدا بامرأة فاحذر نفسك
فوقع فيما وقع فيه وكذلك لما اتكل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين على قوتهم وكثرتهم ونسوا فضل الله عليهم
وقالوا لا نغلب اليوم على قلة وكلوا الى انفسهم فقال تعالى ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض
بما رحبت ثم وليتم مدبرين وروى ابن عيينة ان ايوب عليه السلام قال الهي انك ابتليتني بهذا البلاء وما ورد علي امر الا آثرت
هواك على هواي فنودي من غمامة بعشرة آلاف صوت يا ايوب انى لك ذلك اي من اين لك ذلك قال فاخذ رمادا فوضعه
على رأسه وقال منك يا رب فرجع عن نسيانه الى اضافة ذلك الى الله ولهذا قال الله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى
منكم من احد ابدا وقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه وهم خير الناس ما منكم من احد ينجيه عمله قالوا ولا انت يا رسول الله قال
ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته ولقد كان اصحابه من بعده يتمنون ان يكونوا ترابا وتبنا وطيرا مع صفاء اعمالهم وقلوبهم فكيف يكون
لذي بصيرة ان يعجب بعمله او ان يدل به ولا يخاف على نفسه فاذن هذا هو العلاج القامع لمادة العجب من القلب ومهما غلب ذلك
على القلب شغله خوف سلب هذه النعمة عن الاعجاب بها بل هو ينظر الى الكفار والفساق وقد سلبوا نعمة الايمان و
الطاعة بغير ذنب اذنبوه من قبل فيخاف من ذلك فيقول ان من لا يبالي ان يحرم من غير جناية ويعطي من غير وسيلة لا يبالي
ان يعود ويسترجع ما وهب فكم من مؤمن قد ارتد ومطيع قد فسق وختم له بالسوء وهذا لا يبقى معه عجب بحال بيان
اقسام ما به العجب وتفصيل علاجه اعلم ان العجب بالاسباب التي بها يتكبر كما ذكرناه وقد يعجب بما لا يتكبر به كعجبه بالرأي
الخطأ الذي يزين له بجهله فما به العجب ثمانية اقسام الاول ان يعجب ببدنه في جماله وهيئته وقوته وتناسب اشكاله
وحسن صورته وبالجملة تفصيل خلقته فيلتفت الى جمال نفسه وينسى انه نعمة من الله وهو بعرضة الزوال في كل حال وعلاجه
ما ذكرناه في الكبر بالجمال وهو التفكر في اقذار باطنه وفي اول امره وآخره وفي الوجوه الجميلة والابدان الناعمة انها
كيف تمزقت في التراب وانتنت في القبور حيث استقذرتها الطباع الثاني البطش والقوة كما حكي عن قوم عاد حين قالوا
من اشد منا قوة وكما اتكل عوج على قوته واعجب بها فاقتلع جبلا ليطبقه على عسكر موسى عليه السلام فثقب الله تعالى تلك
الطبقة حتى صارت في عنقه وقد يتكل المؤمن على قوته كما روي عن سليمان عليه السلام انه قال لاطوفن الليلة ولم يقل ان شاء الله
فحرم ما اراد من الولد وكذلك ان ابتليتني صبرت اعجابا بالقوة ويورث العجب بالقوة الهجوم في الحروب والقاء النفس في التهلكة
والمبادرة الى الضرب والقتل لكل من قصده بالسوء وعلاجه ما ذكرناه وهو ان يعلم ان حمى يوم تضعف قوته وانه اذا اعجب بها
ربما سلبها الله بادنى آفة يسلطها عليه الثالث العجب بالعقل والكياسة والتفطن لدقائق الامور من مصالح الدين والدنيا وثمرته الاستبداد بالرأي
وترك المشورة واستجهال الناس المخالفين له ولرأيه ويخرج الى قلة الاصغاء الى اهل العلم اعراضا عنهم بالاستغناء بالرأي و
العقل واستحقارا لهم واهانة وعلاجه ان يشكر الله تعالى على ما رزق من العقل ويتفكر انه بادنى مرض يصيب دماغه كيف
يوسوس ويجن بحيث يضحك الناس منه فلا يامن ان يسلب عقله اذا اعجب به ولم يقم بشكره وليستقصر عقله وعلمه وليعلم
انه ما اوتي من العلم الا قليلا وان اتسع علمه وان ما جهله مما عرفه الناس اكثر مما علمه فكيف بما لم يعرفه الناس من علم الله تعالى

وان يتهم عقله وينظر الى الحمقى كيف يعجبون بعقولهم ويضحك الناس منهم فيحذر ان يكون منهم وهو لا يدري فان قاصر العقل
قط لا يعلم قصور عقله فينبغي ان يعرف مقدار عقله من غيره لا من نفسه ومن اعدائه لا من اصدقائه فان من يداهنه يثني عليه
فيزيده عجبا وهو لا يظن بنفسه الا الخير ولا يفطن لجهل نفسه فيزداد به عجبا الرابع العجب بالنسب الشريف كعجب الهاشمية
حتى يظن بعضهم انه ينجو بشرف نسبه ونجاة آبائه وانه مغفور له ويتخيل بعضهم ان جميع الخلق لهم موالي وعبيد وعلاجه ان
يعلم انه مهما خالف آباءه في افعالهم واخلاقهم وظن انه ملحق بهم فقد جهل وان اقتدى بآبائه فما كان من اخلاقهم العجب بل الخوف والازراء
على النفس واستعظام الخلق ومذمة النفس ولقد شرفوا بالطاعة والعلم والخصال الحميدة لا بالنسب فليتشرف بما شرفوا به وقد
ساواهم في النسب وشاركهم في القبائل من لا يؤمن بالله فكانوا عند الله شرا من الكلاب واخس من الخنازير ولذلك قال الله تعالى
يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا اي لا تفاوت في انسابكم لاجتماعكم الى اصل واحد ثم ذكر فائدة النسب
فقال وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ثم بين ان الشرف بالتقوى لا بالنسب فقال ان اكرمكم عند الله اتقاكم ولما قيل لرسول الله
صلى الله عليه وسلم من اكرم الناس ومن اكيس الناس لم يقل من ينتمي الى نسبي ولكن قال اكثرهم للموت ذكرا واشدهم له استعدادا
وانما نزلت الآية حين اذن بلال يوم الفتح على الكعبة فقال الحارث بن هشام وسهيل بن عمرو وخالد بن اسيد هذا العبد
الاسود يؤذن على الكعبة فقال تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله قد اذهب عنكم عبية
الجاهلية اي كبرها كلكم من آدم وآدم من تراب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر قريش لا ياتي الناس بالاعمال يوم القيمة
وتاتون بالدنيا تحملونها على رقابكم وتقولون يا محمد يا محمد فاقول هكذا اي اعرض عنكم فبين انهم ان مالوا الى الدنيا لم ينفعهم
نسب قريش ولما نزل قوله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين ناداهم بطنا بعد بطن حتى قال يا فاطمة بنت محمد يا صفية بنت
عم رسول الله صلى الله عليه وسلم اعملا لانفسكما فاني لا اغني عنكما من الله شيئا فمن عرف هذه الامور وعلم ان شرفه بقدر
تقواه وقد كان من عادة آبائه التواضع اقتدى بهم في التقوى والتواضع والا كان طاعنا في نسب نفسه بلسان حاله مهما
انتمى اليهم ولا يشبههم في التواضع والتقوى والخوف والاشفاق فان قلت فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعد قوله لفاطمة وصفية اني لا اغني عنكما من الله شيئا الا ان لكما رحما سابلها ببلالها وقال اترجو سليم شفاعتي ولا يرجوها بنو
عبد المطلب فذلك يدل على انه سيخص قرابته بالشفاعة فاعلم ان كل مسلم فهو منتظر شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم
والنسيب ايضا جدير بان يرجوها ولكن بشرط ان يتقي الله ان يغضب عليه فلا يأذن لاحد في شفاعته فان الذنوب منقسمة الى ما يوجب
المقت فلا يؤذن له في الشفاعة والى ما يعفى عنه بسبب الشفاعة كالذنوب عند ملوك الدنيا فان كل ذي مكانة عند
الملك لا يقدر على الشفاعة فيما اشتد عليه غضب الملك فمن الذنوب ما لا تنجي منه الشفاعة وعنه العبارة بقوله تعالى
ولا يشفعون الا لمن ارتضى وبقوله تعالى من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه وبقوله تعالى يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له
الرحمن ورضي له قولا وبقوله تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين واذا انقسمت الذنوب الى ما يشفع فيها والى ما يشفع فيها والى
ما لا يشفع فيها وجب الخوف والاشفاق لا محالة ولو كان كل ذنب تقبل فيه الشفاعة لما امر قريشا بالطاعة ولما نهى فاطمة
عن المعصية ولكان يأذن لها في اتباع الشهوات لتكمل لذتها في الدنيا ثم يشفع لها في الآخرة لتكمل لذتها في الآخرة فالانهماك
في الذنوب وترك التقوى اعتمادا على رجاء الشفاعة يضاهي انهماك المريض في شهواته اعتمادا على طبيب حاذق قريب مشفق
من اب او اخ او غيره وذلك جهل لان سعي الطبيب وهمته وحذقه تنفع في ازالة بعض الامراض لا في كلها فلا يجوز ترك

ترك الحمية مطلقا اعتمادا على مجرد الطب بل للطب اثر على الجملة ولكن في الامراض الخفيفة وعند غلبة اعتدال المزاج فهكذا ينبغي ان
يفهم عناية الشفعاء من الانبياء والاولياء والصلحاء للاقارب والاجانب فانه كذلك قطعا وكذلك لا يزيل الخوف وكيف يزيل وخير
الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه وقد كانوا يتمنون ان يكونوا بهائم من خوف الآخرة مع كمال تقواهم وحسن اعمالهم وصفاء قلوبهم
وما سمعوا من وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم اياهم بالجنة وسائر المسلمين بالشفاعة عامة ولم يتكلوا عليه ولم يفارق قلوبهم الخشوع والخوف
فكيف يعجب بنفسه ويتكل على الشفاعة من ليس له مثل صحبتهم وسابقتهم الخامس العجب بنسب السلاطين الظلمة واعوانهم دون نسب اهل الدين والعلم
وهذا غاية الجهل وعلاجه ان يتفكر في مخازيهم وما جرى لهم من الظلم على عباد الله والفساد في دين الله وانهم ممقوتون عند الله تعالى ولو نظر الى
صورهم في النار وانتانهم واقذارهم لاستنكف منهم ولتبرأ من الانتساب اليهم ولانكر على من نسبه اليهم استحقارا لهم ولو انكشف له
ذلهم في القيمة وقد تعلق الخصماء بهم والملائكة آخذون بنواصيهم يجرونهم على وجوههم الى جهنم في مظالم العباد لتبرأ الى الله منهم ولكان
انتسابه الى الكلب والخنزير احب اليه من الانتساب اليهم فحق اولاد الظلمة ان عصمهم الله عن ظلمهم ان يشكروا الله على سلامة دينهم ويستغفروا
لآبائهم ان كانوا مسلمين فاما العجب بنسبهم فجهل محض السادس العجب بكثرة العدد من الاولاد والخدم والغلمان والعشيرة والاقارب والانصار
كما قال الكافرون نحن اكثر اموالا واولادا وكما قال المؤمنون نحن اليوم لا نغلب عن قلة وعلاجه ما ذكرناه في الكبر وهو ان يتفكر في ضعفه وضعفهم
وان كلهم عبيد عجزة لا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ثم كيف يعجب بهم وانهم سيفترقون عنه اذا مات
فيدفن في قبره ذليلا مهينا وحده لا يرافقه ولد ولا اهل ولا قريب فيسلمونه الى البلى والى الحيات والعقارب والديدان ولا يغنون عنه شيئا وهو في
احوج اوقاته اليهم وكذلك يهربون منه يوم القيمة يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه فاي خير فيمن يفارقك
في اشد الاحوال ويهرب منك وكيف تعجب به ولا ينفعك في القبر والقيمة وعلى الصراط الا عملك وفضل الله تعالى فكيف تتكل على
من لا ينفعك وتنسى نعم من يملك ضرك ونفعك وموتك وحياتك السابع العجب بالمال كما قال تعالى اخبارا عن صاحب الجنتين اذ
قال انا اكثر منك مالا واعز نفرا ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا غنيا جلس بجنبه فقير فانقبض منه وجمع ثيابه فقال
عليه السلام اخشيت ان يعدو اليك فقره وذلك للعجب بالغنى وعلاجه ان يتفكر في آفات المال وكثرة حقوقه وعظيم غوائله والى فضيلة
الفقراء وسبقهم الى الجنة في القيمة والى ان المال غاد ورائح ولا اصل له والى ان في اليهود من يزيد عليه في المال والى قوله صلى الله عليه
وسلم بينما رجل يتبختر في حلة له قد اعجبته نفسه اذ امر الله الارض فاخذته فهو يتجلجل فيها الى يوم القيمة اشار به الى عقوبة اعجابه بماله
وبنفسه وقال ابو ذر كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد فقال لي يا ابا ذر ارفع راسك فرفعت راسي فاذا رجل عليه
ثياب جياد ثم قال ارفع راسك فرفعت راسي فاذا رجل عليه ثياب خلقان فقال يا ابا ذر هذا عند الله خير من قراب الارض مثل هذا
وجميع ما ذكرناه في كتاب ذم الدنيا والمال يبين حقارة الاغنياء وشرف الفقراء عند الله فكيف يتصور من المؤمن ان يعجب بثروته بل
لا يخلو المؤمن عن الخوف من تقصيره في القيام بحقوق المال واخذه من حله ووضعه في حقه ومن لا يفعل ذلك فمصيره الى الخزي والبوار
فكيف يعجب بماله الثامن العجب بالرأي الخطأ قال الله تعالى افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا وقال وهم يحسبون انهم يحسنون
صنعا وقد اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ذلك يغلب على آخر هذه الامة وبذلك هلكت الامم اذ افترقت فرقا وكل معجب برأيه
وكل حزب بما لديهم فرحون وجميع اهل البدع والضلال انما اصروا عليها لعجبهم بآرائهم والعجب بالبدعة هو استحسان ما يسوق اليه
الهوى والشهوة مع ظن كونه حقا وعلاج هذا العجب اشد من علاج غيره لان صاحب الرأي الخطأ جاهل بخطائه ولو عرفه لتركه ولا
يعالج الداء الذي لا يعرف والجهل داء لا يعرف فيعسر مداواته جدا الا ان العارف يقدر على ان يبين للجاهل جهله ويزيله عنه

الا اذا كان معجبا برايه وجهله فانه لا يصغي الى العارف ويتهم فقد سلط الله عليه بلية تهلكه وهو يظنها نعمة فكيف على علاج
وكيف يطلب الهرب مما هو سبب سعادته في اعتقاده وانما علاجه على الجملة ان يكون متهما لرايه ابدا لا يغتر به الا ان يشهد له قاطع
من كتاب او سنة او دليل عقلي صحيح جامع لشروط الادلة ولن يعرف الانسان ادلة الشرع والعقل وشروطها ومكامن الغلط
فيها الا بقريحة تامة وعقل ثاقب وجد وتشمر في الطلب وممارسة الكتاب والسنة ومجالسة لاهل العلم طول العمر ومدارسة
العلوم ومع ذلك فلا يؤمن عليه الغلط في بعض الامور والصواب لمن لم يتفرغ لاستغراق عمره في العلم ان لا يخوض في المذاهب ولا يصغي
اليها ولا يسمعها ولكن يعتقد ان الله واحد لا شريك له وانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وان رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم
صادق فيما اخبر ويتبع سنة السلف ويؤمن بجملة ما جاء به الكتاب والسنة من غير بحث وتنقير وسؤال عن تفصيل بل يقول امنا وصدقنا
ويشتغل بالتقوى واجتناب المعاصي واداء الطاعات والشفقة على المسلمين وساير الاعمال فان خاض في المذاهب والبدع والتعصب
في العقايد هلك من حيث لا يشعر هذا حق كل
من عزم على التجرد للعلم فاول مهم له معرفة الدليل
وشروطه وذلك مما يطول الامر فيه والوصول
الى اليقين والمعرفة في اكثر المطالب شديد لا يقدر
الا الاقوياء المويدون بنور الله تعالى وهو عزيز
الوجود جدا فنسأل الله تعالى العصمة من الضلال
ونعوذ به من الاغترار بخيالات الجهال

تم كتاب آفات الكبر والعجب والفخر
ويتلوه كتاب ذم الغرور ان شاء
الله وحده
وصلى الله
وسلم وبارك على خير خلقه ومظهر حقه محمد وآله الطيبين وصحبه الطاهرين والحمد لله رب العالمين

كتاب ذم الغرور وهو العاشر من ربع المهلكات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بيده مقاليد الامور وبقدرته مفاتيح الخيرات والشرور مخرج اوليائه من الظلمات الى النور ومورد اعدائه ورطات الغرور والصلوة على محمد مخرج الخلائق من الديجور وعلى اله واصحابه الذين لم تغرهم الدنيا ولم يغرهم بالله الغرور صلوة تتوالى على ممر الدهور وكر الساعات والشهور اما بعد فمفتاح السعادة التيقظ والفطنة ومنبع الشقاوة الغرور والغفلة فلا نعمة لله على عباده اعظم من الايمان والمعرفة ولا وسيلة اليه سوى انشراح الصدر بنور البصيرة ولا نقمة اعظم من الكفر ولا داعي اليهما سوى عمى القلب بظلمة الجهالة فالاكياس وارباب البصائر قلوبهم كمشكوة فيها مصباح في زجاجة الزجاجة كانها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور الآية والمغترون قلوبهم كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا اخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور فالاكياس هم الذين اراد الله ان يهديهم فشرح صدورهم للاسلام والهدى والمغترون هم الذين اراد الله ان يضلهم فجعل صدورهم ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء والمغرور هو الذي لم تنفتح بصيرته ليكون بهداية نفسه كفيلا وبقي في العمى فاتخذ الهوى قائدا والشيطان دليلا ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى واضل سبيلا واذا عرف ان الغرور هو ام الشقاوات ومنبع المهلكات فلا بد من شرح مداخله ومجاريه وتفصيل ما يكثر وقوع الغرور فيه ليحذره المريد بعد معرفته فيتقيه فالموفق من العباد من عرف مداخل الآفات والفساد فاخذ منها حذره وبنى على الحزم والبصيرة امره ونحن نشرح اجناس مجاري الغرور واصناف المغترين من العصاة والعلماء والصالحين الذين اغتروا بمبادي الامور الجميلة ظواهرها القبيحة سرائرها ونشير الى وجه اغترارهم بها وغفلتهم عنها فان ذلك وان كان اكثر من ان يحصى ولكن يمكن التنبيه على امثلة تغني عن الاستقصاء وفرق المغترين كثيرة ولكن يجمعهم اربعة اصناف الصنف الاول من العلماء الصنف الثاني من العباد الصنف الثالث من المتصوفة الصنف الرابع من ارباب الاموال والمغترون من كل صنف فرق كثيرة وجهات غرورهم مختلفة فمنهم من راى المنكر معروفا كالذي يتخذ المساجد ويزخرفها من المال الحرام ومنهم من لم يميز بين ما يسعى فيه لنفسه وبين ما يسعى فيه لله كالواعظ الذي غرضه القبول والجاه ومنهم من يترك الاهم ويشتغل بغيره ومنهم من يترك الفرض ويشتغل بالنافلة ومنهم من يترك اللباب ويشتغل بالقشر كالذي يكون همه في الصلوة مقصورا على تصحيح مخارج الحروف الى غير ذلك من مداخل لا تتضح الا بتفصيل الفرق وضرب الامثلة ولنبدأ بذكر غرور العلماء ولكن بعد بيان ذم الغرور وبيان حقيقته وحده

بيان ذم الغرور وحقيقته وامثلته

اعلم ان قوله تعالى ولكنكم فتنتم انفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الاماني كاف في ذم الغرور وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حبذا نوم الاكياس وفطرهم كيف يغبنون سهر الحمقى واجتهادهم ولمثقال ذرة من صاحب تقوى ويقين افضل من ملء الارض من المغترين وقال صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله وكل ما ورد في فضل العلم وذم الجهل فهو دليل على ذم الغرور لان الغرور عبارة عن بعض انواع الجهل اذ الجهل هو ان يعتقد الشيء ويراه على خلاف ما هو عليه والغرور هو جهل الا ان كل جهل ليس بغرور بل يستدعي الغرور مغرورا فيه مخصوصا ومغرورا به هو الذي يغره فمهما كان المجهول المعتقد شيئا يوافق الهوى وكان السبب الموجب للجهل شبهة ومخيلة فاسدة يظن انها دليل ولا يكون دليلا سمي الجهل الحاصل به غرورا فالغرور هو سكون النفس الى ما يوافق الهوى ويميل اليه الطبع عن شبهة وخدعة من الشيطان فمن اعتقد انه على خير اما في العاجل او في الآجل عن شبهة فاسدة فهو مغرور واكثر الناس يظنون بانفسهم الخير وهم مخطئون فيه فاكثر الناس اذن مغرورون وان اختلفت اصناف غرورهم واختلفت درجاتهم حتى كان غرور بعضهم اظهر واشد من بعض واظهرها واشدها غرور الكفار وغرور العصاة والفساق فنورد لهما امثلة لحقيقة الغرور

المثال الاول غرور الكفار فمنهم من غرتهم الحيوة الدنيا ومنهم من غرهم بالله الغرور اما الذين غرتهم الحيوة الدنيا فهم الذين قالوا النقد خير من النسيئة والدنيا نقد والآخرة نسيئة فاذن هي خير فلا بد من ايثارها وقالوا اليقين خير من الشك ولذات الدنيا يقين ولذات الآخرة شك فلا نترك اليقين بالشك وهذه اقيسة فاسدة تشبه قياس ابليس حيث قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين والى هؤلاء الاشارة بقوله تعالى اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون وعلاج هذا الغرور اما بتصديق الايمان واما بالبرهان اما بتصديق الايمان فهو ان يصدق الله تعالى في قوله وما عند الله خير وفي قوله تعالى والآخرة خير وابقى وبقوله تعالى وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور وبقوله تعالى فلا تغرنكم الحيوة الدنيا وقد اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك طوائف من الكفار فقلدوه وصدقوه وآمنوا به ولم يطالبوه بالبرهان ومنهم من قال نشدتك الله ابعثك الله رسولا فكان يقول نعم فيصدق وهذا ايمان العامة وهو يخرج من الغرور وينزل هذا منزلة تصديق الصبي والده في ان حضور المكتب خير من حضور الملعب مع انه لا يدري وجه كونه خيرا واما المعرفة بالبيان والبرهان فهو ان يعرف وجه فساد هذا القياس الذي نظمه في قلبه الشيطان فان كل مغرور فلغروره سبب وذلك السبب هو دليل وكل دليل فهو نوع قياس يقع في النفس ويورث السكون اليه وان كان صاحبه لا يشعر به ولا يقدر على نظمه بالفاظ العلماء فالقياس الذي نظمه الشيطان فيه اصلان احدهما ان الدنيا نقد والآخرة نسيئة وهذا صحيح والآخر قوله ان النقد خير من النسيئة وهذا محل التلبيس فليس الامر كذلك بل ان كان النقد مثل النسيئة في المقدار والمقصود فهو خير وان كان اقل منه فالنسيئة خير فان هذا الكافر المغرور يبذل في تجارته درهما ليأخذ عشرة نسيئة ولا يقول النقد خير من النسيئة فلا اتركه واذا حذره الطبيب الفواكه ولذائذ الاطعمة تركها في الحال خوفا من ألم المرض في المستقبل فقد ترك النقد ورضي بالنسيئة والتجار كلهم يركبون البحار ويتعبون في الاسفار نقدا لاجل الراحة والربح نسيئة فان كان عشرة في ثاني الحال خيرا من واحد في الحال فانسب لذة الدنيا من حيث مدتها الى مدة الآخرة فان اقصى عمر الانسان مائة سنة وليس هو عشر عشير جزء من الف الف جزء من الآخرة فكانه ترك واحدا ليأخذ الف الف بل ليأخذ ما لا نهاية له ولا حد وان نظر من حيث النوع راى لذات الدنيا مكدرة مشوبة بالمنغصات ولذات الآخرة صافية غير مكدرة فاذن قد غلط في قوله النقد خير من النسيئة فهذا غرور منشأه قبول لفظ عام مشهور اطلق واريد به خاص فغفل المغرور عن خصوص معناه فان من قال النقد خير من النسيئة اراد به خيرا من نسيئة هو مثلها وان لم يصرح به وعند هذا يفزع الشيطان الى القياس الآخر وهو قوله اليقين خير من الشك والآخرة شك وهذا القياس اكثر فسادا من الاول لان كلا اصليه باطل اذ اليقين خير من الشك اذا كان مثله فالتاجر في تعبه على يقين وفي ربحه على شك والمتفقه في اجتهاده على يقين وفي ادراكه

رقبة العلم على شك والصياد في تردده في المقتنص على يقين وفي الظفر بالصيد على شك وكذلك الحزم داب العقلاء بالاتفاق
وكل ذلك ترك اليقين بالشك ولكن التاجر يقول ان لم اتجر بقيت جائعا وعظم ضرري وان اتجرت كان تعبي قليلا وربحي كثيرا
وكذلك المريض يشرب الدواء البشع الكريه وهو من الشفاء على شك ومن مرارة الدواء على يقين ولكن يقول ضرر مرارة الدواء
قريب بالاضافة الى ما اخافه من المرض والموت فكذلك من شك في الاخرة فواجب عليه بحكم الحزم ان يقول الصبر اياما
قلائل الى ما يقال من امر الاخرة فان كان ما قيل فيه كذبا فما يفوتني الا التنعم ايام حيوتي وقد كنت في العدم من الازل الى الآن
لا اتنعم فاحسب اني بقيت في العدم وان كان ما قيل صدقا فابقى في النار ابد الاباد وهذا لا يطاق ولذلك قال علي رضي الله
عنه لبعض الملحدين ان كان ما قلته حقا فقد تخلصت وتخلصنا وان كان ما قلنا حقا فقد تخلصنا وهلكت وما قال هذا
عن شك منه في الاخرة ولكن كلم الملحد على قدر عقله وبين انه ان لم يكن متيقنا فهو مغرور واما الاصل الثاني من كلامه وهو ان
الاخرة شك وهو ايضا خطا بل ذلك يقين عند المؤمنين وليقينه مدركان احدهما الايمان والتصديق تقليدا للانبياء والعلماء
وذلك ايضا يزيل الغرور وهو مدرك يقين العوام واكثر الخواص ومثاله مثال مريض لا يعرف دواء علته وقد اتفق الاطباء اهل
الصناعة من عند اخرهم على ان دواءه النبت الفلاني فانه تطمئن نفس المريض الى تصديقهم ولا يطالبهم بتصحيح ذلك بالبراهين
الطبية بل يثق بقولهم ويعمل به ولو بقي سوادي او معتوه يكذبهم في ذلك وهو يعلم بالتواتر وقرائن الاحوال انهم اكثر منه عددا
واغزر منه فضلا واعلم بالطب منه بل لا علم له بالطب فيعلم كذبه بقولهم ولا يعتقد كذبهم بقوله ولا يفتر في عمله بسببه ولو اعتمد
قوله وترك قول الاطباء كان معتوها مغرورا فكذلك من نظر الى المقرين بالاخرة والمخبرين عنها والقائلين بان التقوى هو الدواء النافع
في الوصول الى سعادتها وجدهم خير خلق الله واعلاهم رتبة في البصيرة والمعرفة والعقل فهم الانبياء والاولياء والعلماء والحكماء و
اتبعهم عليه الخلق على اصنافهم وشذ منهم آحاد من البطالين غلبت عليهم الشهوة ومالت نفوسهم الى التمتع فعظم عليهم الشهوة وتركت
وعظم عليهم الاعتراف بانهم من اهل النار فجحدوا الاخرة وكذبوا الانبياء فكما ان قول الصبي وقول السوادي لا يزيل طمانينة القلب
الا ما اتفق عليه الاطباء فكذلك قول هذا الغبي الذي استرقته الشهوات لا يشكك في صحة اقوال الانبياء والعلماء وهذا القدر
من الايمان كاف لجملة الخلائق وهو يقين جازم يستحث على العمل لا محالة والغرور يزول به واما المدرك الثاني لمعرفة الاخرة فهو
الوحي والالهام الوحي للانبياء والالهام للاولياء ولا تظنن ان معرفة النبي لامر الاخرة ولامور الدين تقليد لجبرئيل بالسماع منه
كما ان معرفتك تقليد للنبي صلى الله عليه وسلم حتى يكون معرفتك كمعرفته وانما يختلف المقلد فقط هيهات هيهات فان التقليد
ليس بمعرفة بل هو اعتقاد صحيح والانبياء عارفون ومعنى معرفتهم انه كشف لهم حقيقة الاشياء كما هي عليها فشاهدوها بالبصيرة الباطنة
كما تشاهد انت المحسوسات بالبصيرة الظاهرة فيخبرون عن مشاهدة لا عن سماع وتقليد وذلك بان يكشف لهم عن حقيقة الروح
وانه من امر الله وليس المراد بكونه من امر الله الذي يقابل النهي لان ذلك الامر كلام والروح ليس بكلام وليس المراد بالامر الشان
حتى يكون المراد به انه من خلق الله فقط لان ذلك عام في جميع المخلوقات بل العالم عالمان عالم الخلق وعالم الامر ولله الامر والخلق
فالاجسام ذوات الكمية والمقادير من عالم الخلق اذ الخلق عبارة عن التقدير في وضع اللسان وكل موجود منزه عن الكمية و
المقدار فانه من عالم الامر وشرح ذلك سر الروح ولا رخصة في ذكره لاستضرار اكثر الخلق بسماعه كسر القدر الذي منع من افشائه
فمن عرف سر الروح فقد عرف نفسه واذا عرف نفسه عرف ربه واذا عرف نفسه وعرف ربه عرف انه امر رباني بطبعه وفطرته وانه
في العالم الجسماني غريب وان هبوطه اليه لم يكن بمقتضى طبعه في ذاته بل بامر عارض غريب له من خارج وذلك العارض الغريب ورد

ورد على آدم صلوات الله عليه وعبر عنه بالمعصية وهي التي حطته عن الجنة التي هي اليق به بمقتضى ذاته فانها في جوار الرب
تعالى وانه امر رباني وحنينه الى جوار الرب تعالى له طبيعي ذاتي الا ان يصرفه عن مقتضى طبعه عوارض الغربة من ذاته فينسى
عند ذلك نفسه وربه ومهما فعل ذلك فقد ظلم نفسه اذ قيل له ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون
اي الخارجون عن مقتضى طبعهم ومظنة استحقاقهم يقال فسقت الرطبة عن كمامها اذا خرجت عن معدنها الفطري وهذه اشارة
الى اسرار يهتز لاستنشاق روائحها العارفون ويشمئز من سماع الفاظها القاصرون فانها تضرهم كما تضر رياح الورد بالجعل وتبهر
اعينهم الضعيفة كما تبهر الشمس ابصار الخفافيش وانفتاح هذا الباب من سر القلب الى عالم الملكوت يسمى معرفة وولاية ويسمى صاحبه وليا
عارفا وهي مبادي مقامات الانبياء واخر مقامات الاولياء ولنرجع الى الغرض فالمقصود ان غرور الشيطان بان الاخرة شك
يدفع اما بيقين تقليدي واما ببصيرة ومشاهدة من جهة الباطن والمؤمنون بالسنتهم وبعقائدهم اذا ضيعوا اوامر الله وهجروا
الاعمال الصالحة ولابسوا الشهوات والمعاصي فهم يشاركون الكفار في هذا الغرور لانهم آثروا الحيوة الدنيا على الاخرة نعم
امرهم اخف لان اصل الايمان يعصمهم عن عقاب الابد فيخرجون من النار ولو بعد حين ولكنهم ايضا من المغرورين فانهم اعترفوا
بان الاخرة خير من الدنيا ولكنهم مالوا الى الدنيا وآثروها ومجرد الايمان لا يكفي للفوز قال الله تعالى واني لغفار لمن تاب وامن
وعمل صالحا ثم اهتدى وقال ان رحمة الله قريب من المحسنين وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان تعبد الله كانك تراه وقال
تعالى والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين امنوا وعملوا الصالحات فوعد المغفرة في جميع كتاب الله منوط بالايمان والعمل الصالح
جميعا لا بالايمان وحده فهؤلاء ايضا مغرورون الى الدنيا الفرحين بها المترفهين بنعيمها المحبين لها الكارهين للموت خيفة فوات
لذات الدنيا دون الكارهين له خيفة لما بعده فهذا مثال الغرور بالدنيا من الكفار والمؤمنين جميعا ولنذكر للغرور بالله مثالين
من غرور الكافرين والعاصين فاما غرور الكفار بالله فمثاله قول بعضهم في انفسهم او بالسنتهم انه لو كان لله من معاد فنحن احق به
من غيرنا ونحن اوفر حظا فيه واسعد حالا كما اخبر الله تعالى عنهم من قول الرجلين المتحاورين اذ قال وما اظن الساعة قائمة ولئن
رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا وجملة امرهما كما نقل في التفسير ان الكافر بنى قصرا بالف دينار واشترى بستانا بالف دينار
وخدما بالف دينار واشترى بستانا بالف دينار وتزوج امراة على الف دينار وفي ذلك كله يعظه المؤمن ويقول اشتريت قصرا
يخرب ويفنى الا اشتريت قصرا في الجنة واشتريت بستانا يخرب ويفنى الا اشتريت بستانا في الجنة لا يفنى وخدما لا يفنون ولا يموتون
وزوجة من الحور العين لا تموت وفي كل ذلك يرد عليه الكافر ويقول ما هناك شيء وما قيل من ذلك فهو كذب وان كان فليكونن
لي في الاخرة خير من هذا وكذلك وصف الله قول العاص بن وائل اذ يقول لاوتين مالا وولدا قال الله تعالى ردا عليه اطلع الغيب
ام اتخذ عند الرحمن عهدا كلا وروي عن خباب بن الارت انه قال كان لي على العاص بن وائل دين فجئت اتقاضاه فلم يقض فقلت
اني آخذه في الاخرة فقال لي اذا صرت الى الاخرة فان لي هناك مالا وولدا فقال تعالى فاقضيك منه فانزل الله تعالى افرايت
الذي كفر باياتنا وقال لاوتين مالا وولدا وقال تعالى ولئن اذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي وما اظن
الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وهذا كله من الغرور بالله وسببه قياس من اقيسة ابليس وذلك لانهم ينظرون مرة
الى نعم الله عليهم في الدنيا فيقيسون عليه نعم الاخرة وينظرون مرة الى تاخير العذاب عنهم فيقيسون عليه عذاب الاخرة
كما قال تعالى ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير ومرة ينظرون الى المؤمنين وهم
فقراء شعث غبر فيزدرونهم ويستحقرونهم فيقولون اهؤلاء من الله عليهم من بيننا ويقولون لو كان خيرا ما سبقونا اليه و

وترتيب القياس الذي نظم في قلوبهم انهم يقولون قد احسن الله الينا بنعيم الدنيا وكل محسن فهو محب وكل محب فانه يحسن
في المستقبل ايضا كما قال الشاعر لقد احسن الله فيما مضى كذلك يحسن فيما بقى فانما يقيس المستقبل على الماضي بواسطة الكرم
والحب اذ يقول لولا اني كريم عند الله ومحبوب لما احسن الي والتلبيس تحت ظنه ان كل محسن محب لا بل تحت ظنه ان انعامه
عليه في الدنيا احسان فقد اغتر بالله تعالى اذ ظن انه كريم عنده بدليل لا يدل على الكرامة بل عند ذوي البصائر يدل على الهوان
ومثاله ان يكون للرجل عبدان صغيران يبغض احدهما ويحب الآخر فالذي يحبه يمنعه من اللعب ويلزمه المكتب ويحبسه فيه
ليعلمه الادب ويمنعه من الفواكه وملاذ الاطعمة التي تضره ويسقيه الادوية التي تنفعه والذي يبغضه يهمله ليعيش كيف يريد
فيلعب ولا يدخل المكتب وياكل كل ما يشتهي فيظن هذا الصبي المهمل انه عند سيده محبوب كريم لانه مكنه من شهواته
ولذاته وساعده على جميع اغراضه فلم يحجر عليه وذلك محض الغرور وهكذا نعيم الدنيا فانها مهلكات ومبعدات من الله سبحانه
وان الله يحمي عبده الدنيا وهو يحبه كما يحمي احدكم مريضه الطعام والشراب وهو يحبه هكذا ورد في الخبر وكان ارباب
البصائر اذا اقبل عليهم الدنيا حزنوا وقالوا ذنب عجلت عقوبته ورأوا ذلك امارة المقت والاهمال واذا اقبل عليهم الفقر
قالوا مرحبا بشعار الصالحين والمغرور اذا اقبلت عليه الدنيا ظن انه كرامة من الله واذا صرفت عنه ظن انه هوان كما اخبر الله تعالى
عنه اذ قال فاما الانسان اذا ما ابتليه ربه فاكرمه ونعمه فيقول ربي اكرمن واما اذا ما ابتليه فقدر عليه رزقه فيقول ربي
اهانن كلا فاجاب الله عن ذلك كلا فقال الحسن كذبهما جميعا بقوله كلا يقول ليس هذا باكرامي ولا هذا بهواني ولكن الكريم من اكرمته
بطاعتي غنيا كان او فقيرا وهذا الغرور علاجه معرفة دلائل الكرامة والهوان اما بالبصيرة فبان يعرف وجه كون الالتفات
الى شهوات الدنيا مبعدا عن الله ووجه كون التباعد عنها مقربا الى الله ويدرك ذلك بالالهام في منازل السالكين والعارفين
والاولياء وشرحه من جملة علوم المكاشفة ولا يليق بعلم المعاملة واما بطريق التقليد والتصديق فهو ان يؤمن بكتاب الله تعالى ويصدق
رسوله وقد قال تعالى ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون وقال تعالى سنستدرجهم من
حيث لا يعلمون وقد فتحنا عليهم ابواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون وفي تفسير قوله سنستدرجهم
من حيث لا يعلمون انهم كلما احدثوا ذنبا احدثنا لهم نعمة ليزيد غرورهم وقال تعالى انما نملي لهم ليزدادوا اثما وقال تعالى ولا
تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار الى غير ذلك مما ورد في كتاب الله وسنة رسوله فمن
آمن به تخلص من هذا الغرور فان منشأ هذا الغرور الجهل بالله وبصفاته فان من عرفه لا يأمن مكره ولا يغتر بامثال هذه الخيالات
وينظر الى فرعون وقارون والى ملوك الارض كيف احسن الله تعالى اليهم ابتداء ثم دمرهم تدميرا وقد حذر الله تعالى مكره واستدراجه
وقال فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون وقال تعالى ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وقال تعالى والله خير الماكرين وقال تعالى
انهم يكيدون كيدا واكيد كيدا فمهل الكافرين امهلهم رويدا فكما لا يجوز للعبد المهمل ان يستدل باهمال السيد اياه وتمكينه من
النعم على حب السيد بل ينبغي ان يحذر ان يكون ذلك مكرا منه مع ان السيد لم يحذره مكر نفسه فبان يجب ذلك في حق الله تعالى
مع تحذيره استدراجه اولى فاذن من امن مكر الله فهو مغتر ومنشأ هذا الغرور انه استدل بنعيم الدنيا على انه كريم عند المنعم
واحتمل ان يكون ذلك دليل الهوان ولكن ذلك الاحتمال لا يوافق الهوى فالشيطان بواسطة الهوى يميل بالقلب الى ما
يوافقه وهو التصديق بدلالته على الكرامة وهذا هو حد الغرور المثال الثاني غرور العصاة من المؤمنين
بالله بقولهم ان الله كريم وانا نرجو عفوه واتكالهم على ذلك واهمالهم الاعمال وتحسين ذلك بتسمية تمنيهم واغترارهم

رجاء وظنهم ان الرجاء مقام محمود وان نعمة الله واسعة ورحمته شاملة وكرمه عميم واين معاصي العباد في بحار رحمته
وانا موحدون ومؤمنون فنرجوه بوسيلة الايمان وربما كان مستند رجائهم التمسك بصلاح الآباء وعلو رتبتهم كاغترار
العلوية بنسبهم ومخالفتهم سيرة آبائهم في الخوف والتقوى والورع وظنهم انهم اكرم على الله من آبائهم اذ آباؤهم مع غاية
الورع كانوا خائفين وهم مع غاية الفجور والفسق آمنون وذلك نهاية الاغترار بالله فقياس الشيطان للعلوية ان من احب انسانا
احب اولاده وان الله قد احب اباكم فيحبكم فلا تحتاجون الى الطاعة وينسى المغرور ان نوحا صلوات الله عليه اراد ان يستصحب ولده
في السفينة فقال ان ابني من اهلي فقال تعالى انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح وان ابراهيم استغفر لابيه فلم ينفعه وان نبينا صلى الله
عليه وسلم استأذن في ان يزور قبر امه ويستغفر لها فاذن في الزيارة دون الاستغفار وجلس يبكي على قبر امه لرقته لها
بسبب القرابة فهذا ايضا اغترار بالله وهذا لان الله تعالى يحب المطيع ويبغض العاصي فكما انه لا يبغض الاب المطيع ببغض الولد
العاصي فكذلك لا يحب الولد العاصي بحبه الاب المطيع ولو كان الحب يسري من الاب الى الولد لاوشك ان يسري البغض
ايضا بل الحق ان لا تزر وازرة وزر اخرى ومن ظن انه ينجو بتقوى ابيه كمن ظن انه يشبع باكل ابيه ويروى بشرب ابيه ويصير عالما
بتعلم ابيه فالتقوى فرض عين فلا يجزي والد فيه عن ولده شيئا وعند جزاء التقوى يفر المرء من اخيه وامه وابيه الا على سبيل
الشفاعة لمن لم يشتد غضب الله عليه فاذن له في الشفاعة له كما سبق في كتاب الكبر والعجب فان قلت فاين الغلط في قول العصاة
والفجار ان الله كريم وانا نرجو عفوه ومغفرته ورحمته فاظهر الا كلام صحيح مقبول في القلوب فاعلم ان الشيطان لا يغوي
الانسان الا بكلام مقبول الظاهر مردود الباطن ولولا حسن ظاهره لما انخدعت به القلوب ولكن النبي صلى الله عليه وسلم
كشف ذلك فقال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله هذا هو التمني على الله تعالى
غير الشيطان اسمه فسماه رجاء حتى خدع به الجهال وقد شرح الله الرجاء فقال تعالى ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا
في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله يعني ان الرجاء بهم يليق وهذا لانه ذكر ان ثواب الآخرة اجر وجزاء على الاعمال فقال تعالى
جزاء بما كانوا يعملون وقال وانما توفون اجوركم يوم القيامة افترى ان من استؤجر على اصلاح اوان وشرط له اجرة عليها
وكان الشارط كريما يفي بالوعد مهما وعد ولا يخلفه بل يزيد فجاء الاجير وكسر الاواني وافسد جميعها ثم جلس ينتظر الاجر
ويزعم ان المستأجر كريم لا يخلف الوعد افيراه العقلاء في انتظاره متمنيا مغرورا او راجيا وهذا للجهل بالفرق بين الرجاء وبين
الغرور قيل للحسن قوم يرجون الله ويضيعون العمل فقال هيهات هيهات تلك امانيهم يترجحون فيها من رجا شيئا طلبه ومن خاف
شيئا هرب منه وقال مسلم بن يسار لقد سجدت البارحة حتى سقطت ثنيتاي فقال له رجل انا لنرجو الله فقال مسلم من رجا
شيئا طلبه ومن خاف شيئا هرب منه وكما ان الذي يرجو في الدنيا ولدا وهو بعد لم ينكح او نكح ولم يجامع او جامع ولم ينزل
فهو معتوه فكذلك من رجا رحمة الله وهو لم يؤمن او آمن ولم يعمل صالحا او عمل ولم يترك المعاصي فهو مغرور وكما انه اذا نكح ووطئ
وانزل بقي مترددا في حصول الولد يخاف ويرجو فضل الله في خلق الولد يخاف ويرجو فضل الله في خلق الولد ودفع الآفات
عن الرحم وعن الام الى ان يتم فهو كيس فكذلك اذا آمن وعمل الصالحات وترك السيئات وبقي مترددا بين الخوف والرجاء يخاف
ان لا يقبل منه وان لا يدوم عليه وان يختم له بالسوء ويرجو من فضل الله تعالى ان يثبته بالقول الثابت ويحفظ دينه من صواعق
سكرات الموت حتى يموت على التوحيد ويحرس قلبه عن الميل الى الشهوات بقية عمره حتى لا يميل الى المعاصي فهو كيس ومن
عدا هؤلاء فهم المغرورون بالله وسوف يعلمون حين يرون العذاب من اضل سبيلا ولتعلمن نبأه بعد حين وعند ذلك يقولون

ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا اي علمنا انه كما لا يولد الا بوقاع ونكاح ولا ينبت زرع الا بحراثة وبث
بذر فكذلك لا يحصل في الآخرة ثواب واجر الا بعمل صالح فارجعنا نعمل صالحا فقد علمنا الآن صدقك في قولك وان ليس للانسان
الا ما سعى وان سعيه سوف يرى كلما القي فيها فوج سالهم خزنتها الم يأتكم نذير الم يسمعكم سنة الله تعالى في عباده وانه توفى كل
نفس ما كسبت وان كل نفس بما كسبت رهينة فما الذي غركم بالله بعد ان سمعتم وعقلتم قالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب
السعير فان قلت فاين مظنة الرجاء وموضعه المحمود فاعلم انه محمود في موضعين احدهما في العاصي المنهمك اذا خطرت له التوبة
فقال الشيطان وانى تقبل توبتك ويقنطه من رحمة الله فيجب عند هذا ان يقمع القنوط بالرجاء ويتذكر ان الله كريم يقبل التوبة
عن عباده وان التوبة طاعة تكفر الذنوب قال تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب
جميعا انه هو الغفور الرحيم وانيبوا الى ربكم امرهم بالانابة وقال تعالى واني لغفار فاذا توقع المغفرة مع التوبة فهو راج وان توقع
المغفرة مع الاصرار فهو مغرور كما ان من ضاق عليه وقت الجمعة وهو في السوق فخطر له ان يسعى الى الجمعة فقال له الشيطان انك لا تدرك
الجمعة فاقم على موضعك فكذب الشيطان فقام يعدو وهو يرجو ادراك الجمعة فهو راج وان استمر على التجارة واخذ يرجو تاخير الامام
الصلوة لاجله الى وسط الوقت او لاجل غيره او بسبب من الاسباب التي لا يعرفها فهو مغرور الثاني ان تفتر نفسه عن
فضائل الاعمال ويقتصر على الفرائض فيرجي نفسه نعيم الله تعالى وما وعد به الصالحين حتى ينبعث من الرجاء نشاط العبادة فيقبل
على الفضائل ويتذكر قوله تعالى قد افلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون الى قوله اولئك هم الوارثون الذين يرثون
الفردوس هم فيها خالدون فالرجاء الاول يقمع القنوط المانع من التوبة والرجاء الثاني يقمع الفتور المانع من النشاط والتشمر
فكل توقع حث على توبة او على تشمر في العبادة فهو رجاء وكل توقع اوجب فتورا في العبادة وركونا الى البطالة فهو غرور كما
اذا خطر له ان يترك الذنب ويشتغل بالعمل فيقول له الشيطان ما لك ولايذاء نفسك وتعذيبها ولك رب كريم غفور رحيم فيفتر
به عن التوبة والعبادة فهو الغرة وعند هذا واجب على العبد ان يستعمل الخوف فيخوف نفسه بغضب الله وعظيم عقابه ويقول له
انه مع انه غافر الذنب شديد العقاب وانه مع انه كريم خلد الكفار في النار ابد الآباد مع انه لم يضره كفرهم بل سلط العذاب والمحن والامراض
والعلل والفقر والجوع على جملة من عباده في الدنيا وهو قادر على ازالتها فمن هذه سنته في عباده وقد خوفني عقابه فكيف لا اخافه
واغتر به فالخوف والرجاء قائدان سائقان يبعثان على العمل فما لا يبعث على العمل فهو تمن وغرور ورجاء كافة الخلق هو سبب فتورهم
وسبب اقبالهم على الدنيا واعراضهم عن الله تعالى واهمالهم السعي للآخرة فذلك غرور وقد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم وذكر
ان الغرور سيغلب على آخر هذه الامة وقد كان ما وعد به صلى الله عليه وسلم فقد كان الناس في الاعصار الاول يواظبون على العبادات
ويؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة يخافون على انفسهم وهم طول الليل والنهار في طاعة الله يبالغون في التقوى والحذر من الشبهات
والشهوات ويبكون على انفسهم في الخلوات واما الآن فترى الخلق آمنين مسرورين مطمئنين غير خائفين مع اكبابهم على المعاصي وانهماكهم
في الدنيا واعراضهم عن الله زاعمين انهم واثقون بكرم الله وفضله راجون لعفوه ومغفرته كانهم يزعمون انهم عرفوا من كرم الله وفضله
ما لم يعرفه الانبياء والصحابة والسلف الصالحون فان كان هذا الامر يدرك بالمنى وينال بالهوينا فعلى ماذا كان بكاء اولئك
وخوفهم وحزنهم فقد ذكرنا تحقيق هذه الامور في كتاب الرجاء والخوف وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه معقل
ابن يسار ياتي على الناس زمان يخلق فيه القرآن في قلوب الرجال كما تخلق الثياب على الابدان يكون امرهم كله طمعا لا خوف معه ان
احسن احدهم قال يتقبل مني وان اساء قال يغفر لي فاخبر انهم يضعون الطمع موضع الخوف لجهلهم بتخويفات القرآن وما فيه

وبمثله اخبر عن النصارى اذ قال فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا
ومعناه انهم ورثوا الكتاب اي هم علماء ويأخذون عرض هذا الادنى اي شهواتهم من الدنيا حلالا كان او حراما وقد قال
تعالى ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد والقرآن من اوله الى آخره تحذير وتخويف لا يتفكر فيه متفكر الا ويطول حزنه ويعظم
خوفه ان كان مؤمنا بما فيه وترى الناس يهذونه هذا يخرجون الحروف من مخارجها ويتناظرون على رفعها وخفضها ونصبها
كانهم يقرؤون شعرا من اشعار العرب لا يهمهم الالتفات الى معانيه والعمل بما فيه وهل في العالم غرور يزيد على هذا فهذه امثلة
الغرور بالله تعالى وبيان الفرق بين الرجاء والغرور ويقرب منه غرور طوائف لهم طاعات ومعاص الا ان معاصيهم اكثر وهم
يتوقعون المغفرة ويظنون انه ترجح كفة حسناتهم مع ان ما في كفة السيئات اكثر وهذا غاية الجهل فترى الواحد منهم يتصدق بدراهم
معدودة من الحلال والحرام ويكون ما يتناول من اموال الناس والشبهات اضعافه ولعل ما تصدق به هو من مال المسلمين وهو يتكل
عليه ويظن ان اكل الف درهم حرام يقاومه التصدق بعشرة من الحلال والحرام وما هو الا كمن وضع عشرة دراهم في كفة ميزان
وفي الكفة الاخرى الف درهم واراد ان تشيل الكفة الثقيلة وذلك غاية الجهل نعم ومنهم من يظن ان طاعاته اكثر من معاصيه لانه
لا يحاسب نفسه ولا يتفقد معاصيه واذا عمل طاعة حفظها واعتد بها كالذي يستغفر الله بلسانه ويسبحه في اليوم مائة مرة
ثم يغتاب المسلمين ويمزق اعراضهم ويتكلم بما لا يرضاه الله طول النهار من غير حصر وعد ويكون نظره الى عدد سبحته انه استغفر مائة
مرة وغفل عن هذيانه طول نهاره الذي لو كتبه لكان مثل تسبيحه مائة مرة او الف مرة وكتبها الكرام الكاتبون وقد اوعده الله العقاب
على كل كلمة وقال ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد فهو ابدا يتأمل في فضائل التسبيحات والتهليلات ولا يلتفت الى
ما ورد في عقوبة المغتابين والكذابين والنمامين والمنافقين الى غير ذلك من آفات اللسان وذلك محض الغرور
ولعمري لو كان الكرام الكاتبون يطلبون منه اجرة النسخ لما يكتبونه من هذيانه الذي زاد على تسبيحه لكان عند ذلك يكف لسانه
حتى عن جملة من مهماته وما نطق به في فترته كان يعدها ويحسبها ويوازنها بتسبيحاته حتى لا يفضل عليه اجرة نسخه
فيا عجبا لمن يحاسب ويحتاط خوفا على قيراط يفوته في الاجرة على النسخ ولا يحتاط خوفا من فوات الفردوس الاعلى ونعيمها
ما هذه الا مصيبة عظيمة لمن تفكر فيها وقد دفعنا الى امر ان شككنا فيه كنا من الكفرة الجاحدين وان صدقنا به كنا من الحمقى المغرورين
فما هذه اعمال من يصدق بما جاء به القرآن وانا نبرأ الى الله تعالى ان نكون من اهل الكفران فسبحان من صدنا عن التنبه واليقين
بهذا البيان وما اجدر من يقدر على تسليط مثل هذه الغرور على القلوب ان يخشى ويتقى ولا يغتر بما يتكل الا على اباطيل المنى و
تماثيل الشيطان والهوى **بيان** اصناف المغترين واقسام فرق كل صنف وهم اربعة اصناف الصنف الاول
اهل العلم والمغترون منهم فرق ففرقة منهم احكموا العلوم الشرعية والعقلية وتعمقوا فيها واشتغلوا بها واهملوا تفقد الجوارح
وحفظها عن المعاصي والزامها الطاعات واغتروا بعلمهم وظنوا انهم عند الله بمكان وانهم قد بلغوا من العلم مبلغا لا يعذب
الله مثلهم بل يقبل في الخلق شفاعتهم ولا يطالبهم بذنوبهم وخطاياهم لكرامتهم على الله وهم مغرورون فانهم لو نظروا بعين البصيرة
علموا ان العلم علمان علم معاملة وعلم مكاشفة وهو العلم بالله وبصفاته المسمى بالعادة علم المعرفة واما العلم بالمعاملة كمعرفة
الحلال والحرام ومعرفة اخلاق النفس المذمومة والمحمودة وكيفية علاجها والفرار منها فهي علوم لا يراد الا للعمل ولولا الحاجة
الى العمل لم يكن لهذه العلوم قيمة فكل علم يراد للعمل فلا قيمة له دون العمل فمثال هذا كمريض به علة لا يزيلها الا دواء مركب
من اخلاط كثيرة لا يعرفها الا حذاق الاطباء فسعى في طلب الطبيب بعد ان هاجر عن وطنه حتى عثر على طبيب حاذق فعلمه

الدواء وفصل له الاخلاط وانواعها ومقاديرها ومعادنها التي منها تجلب وعلمه كيفية دق كل واحد منها وكيفية خلطها
والعجن فتعلم منه ذلك وكتب منه نسخة حسنة بخط حسن ورجع الى بيته وهو يكررها ويقرؤها ويعلمها المرضى ولم يشتغل
بشربها واستعمالها أفترى ان ذلك يغني عنه من مرضه شيئا هيهات لو كتب الف نسخة وعلم الف مريض حتى شفي جميعهم وكرر
كل ليلة الف مرة لم يغنه ذلك من مرضه شيئا الا ان يزن الذهب ويشتري الدواء ويخلطه كما تعلم ويشربه ويصبر على مرارته
ويكون شربه في وقته وبعد تقديم الاحتماء وجميع شروطه واذا فعل ذلك فهو على خطر من شفائه فكيف اذا لم يشربه اصلا فمهما
ظن ان ذلك يكفيه ويشفيه فقد ظهر غروره وهكذا الفقيه الذي احكم علم الطاعات ولم يعملها واحكم علم المعاصي ولم يجتنبها
واحكم علم الاخلاق المذمومة وما زكى نفسه منها واحكم علم الاخلاق المحمودة ولم يتصف بها فهو مغرور اذ قال تعالى قد افلح
من زكاها ولم يقل قد افلح من تعلم كيفية تزكيتها وكتب علمها وعلمها الناس وعند ذلك يقول له الشيطان لا يغرنك هذا المثال
فان العلم بالدواء لا يزيل المرض وانما مطلبك القرب من الله تعالى وثوابه والعلم يجلب الثواب ويتلو عليه الاخبار الواردة
في فضائل العلم فان كان المسكين معتوها مغرورا ووافق ذلك هواه فاطمأن اليه واهمل العمل وان كان كيسا فيقول للشيطان
اتذكرني فضائل العلم وتنسيني ما ورد في العالم الفاجر الذي لا يعمل بعلمه كقوله تعالى فمثله كمثل الكلب وكقوله تعالى مثل
الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا فاي خزي اعظم من التمثيل بالكلب والحمار وقال صلى الله عليه وسلم
من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد من الله الا بعدا وقال يلقى العالم في النار فتندلق اقتابه فيدور بها كما يدور الحمار في
الرحى وكقوله شر الناس العلماء السوء وقول ابي الدرداء ويل للذي لا يعلم مرة ولو شاء الله لعلمه وويل للذي يعلم ولا يعمل سبع مرات
اي ان العلم حجة عليه اذ يقال له ماذا عملت فيما علمت وكيف قضيت شكر الله وقال صلى الله عليه وسلم ان اشد الناس عذابا
في القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه فهذا وامثاله مما اوردناه في كتاب العلم في باب علامة علماء الآخرة اكثر من ان يحصى الا انه لا
يوافق هوى العالم الفاجر وما ورد في فضائل العلم يوافقه فيميل الشيطان قلبه الى ما يهواه وذلك عين الغرور فانه ان نظر
بعين البصيرة فمثاله ما ذكرناه وان نظر بعين الايمان فالذي اخبره بفضيلة العلم هو الذي اخبره بذم العلماء السوء وان حالهم
اشد عند الله من حال الجهال فبعد ذلك اعتقاده انه على خير مع تأكد حجة الله عليه غاية الغرور واما الذي يدعي علم المكاشفة
كالعلم بالله وصفاته واسمائه وهو مع ذلك يهمل العمل ويضيع امر الله تعالى وحدوده فغروره اشد ومثاله مثال من اراد خدمة
ملك فعرف الملك وعرف اخلاقه واوصافه ولونه وشكله وطوله وعرضه وعادته ومجلسه ولم يتعرف ما يحبه ويكرهه وما
يغضب عليه وما يرضى به او عرف ذلك الا انه قصد خدمته وهو ملابس لجميع ما يغضب به وعاطل عن جميع ما يحبه من زي وهيئة
وكلام وحركة وسكون فورد الملك وهو يريد التقرب منه والاختصاص به متلطخا بجميع ما يكرهه الملك عاطلا عن جميع ما يحبه
متوكلا اليه بمعرفته له ولنسبه واسمه وبلده وشكله وصورته وعادته في سياسة غلمانه ومعاملة رعيته فهذا مغرور جدا اذ لو ترك
جميع ما عرفه واشتغل بمعرفته فقط وبمعرفة ما يحبه ويكرهه لكان ذلك اقرب الى نيله المراد من قربه والاختصاص به بل تقصيره
في التقوى واتباعه للشهوات يدل على انه لم ينكشف له من معرفة الله الا الاسامي دون المعاني اذ لو عرف الله حق معرفته لخشيه
واتقاه فلا يتصور ان يعرف الاسد عاقل ثم لا يتقيه ولا يخافه وقد اوحى الله تعالى الى داود يا داود خفني كما تخاف السبع الضاري
نعم من يعرف من الاسد لونه وشكله واسمه ثم لا يخافه فكانه ما عرف الاسد فمن عرف الله عرف من صفاته انه يهلك العالمين
ولا يبالي ويعلم انه مسخر في قدرة من لو اهلك مثله الآفا وابد عليهم العذاب ابد الآباد لم يؤثر ذلك فيه ولم تأخذه عليهم رقة

رقة ولا جزع ولهذا قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وفاتحة الزبور رأس الحكمة خشية الله وقال ابن مسعود كفى
بخشية الله علما وكفى بالاغترار بالله جهلا واستفتي الحسن في مسئلة فاجاب عنها فقيل له ان فقهاءنا لا يقولون ذلك فقال للسائل وهل
رأيت فقيها قط انما الفقيه القائم ليله الصائم نهاره الزاهد في الدنيا وقال مرة الفقيه يدري ولا يماري ينشر حكمة الله
فان قبلت منه حمد الله وان ردت حمد الله فاذن الفقيه من فقه عن الله امره ونهيه وعلم من صفاته ما احبه وما كرهه
وهو العالم ومن يرد الله به خيرا يفقهه في الدين فاذا لم يكن بهذه الصفة فهو من المغرورين و فرقة اخرى احكموا
العلم والعمل فواظبوا على الطاعات الظاهرة وتركوا المعاصي الا انهم لم يتفقدوا قلوبهم ليمحوا عنها الصفات المذمومة عند
الله من الكبر والحسد والرياء وطلب الرياسة والعلاء وارادة السوء للاقران والشركاء وطلب الشهرة في البلاد والعباد وربما لم يعرف
بعضهم ان ذلك مذموم فهو مكب عليها غير محترز منها ولا يلتفت الى قوله صلى الله عليه وسلم ادنى الرياء الشرك والى قوله عليه
الصلاة والسلام لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر والى قوله الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب والى قوله
حب المال والشرف ينبتان النفاق كما ينبت الماء البقل الى غير ذلك من الاخبار التي اوردناها في جميع ربع المهلكات في
الاخلاق المذمومة فهؤلاء زينوا ظواهرهم واهملوا بواطنهم ونسوا قوله صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينظر الى صوركم ولا الى
اموالكم وانما ينظر الى قلوبكم واعمالكم فتعهدوا الاعمال وما تعهدوا القلوب والقلب هو الاصل اذ لا ينجو الا من اتى
الله بقلب سليم ومثال هؤلاء كبئر الحش ظاهرها جص وباطنها نتن وكقبور الموتى ظاهرها مزينة وباطنها جيفة وكبيت مظلم باطنه
وضع السراج على سطحه حتى استنار ظاهره وكرجل قصد ضيافة الملك الى داره فجصص باب داره وترك المزابل في صدر داره
ولا يخفى ان ذلك غرور بل اقرب مثال اليه رجل زرع زرعا فنبت ونبت معه حشيش يفسده فامر بتنقية الزرع من الحشيش
بقلعه من اصله فاخذ يجز رأسه ويقطعه فلا يزال يقوى اصله وينبت لان مغارس المعاصي هي الاخلاق الذميمة في القلب
فمن لا يطهر القلب عنه لم تتم له الطاعات الظاهرة الا مع الآفات الكثيرة بل هو كمريض ظهر به الجرب فقد امر بالطلاء وشرب الدواء
ليزيل الطلاء ما على ظاهره والدواء ليقلع مادته من باطنه فقنع بالطلاء وترك الدواء وبقي يتناول ما يزيد في المادة فلا يزال
يطلي الظواهر والجرب دائم به يتفجر من المادة التي في الباطن و فرقة اخرى علموا ان هذه الاخلاق الباطنة مذمومة من
جهة الشرع الا انهم لعجبهم بانفسهم يظنون انهم منفكون عنها وانهم ارفع عند الله من ان يبتليهم بذلك وانما يبتلى به العوام
دون من بلغ مبلغهم في العلم فاما هم فهم اعظم عند الله من ان يبتليهم ثم اذا ظهرت عليه مخايل الكبر والرياسة وطلب العلو و
الشرف قال ما هذا كبر وانما هو طلب عز الدين واظهار شرف العلم ونصرة دين الله وارغام انف المخالفين من المبتدعين واني لو
لبست الدون من الثوب وجلست في الدون من المجلس شمتت بي اعداء الدين وفرحوا بي وكان ذلي ذلا على الاسلام ونسي المغرور ان عدوه
الذي حذره مولاه الشيطان وانه يفرح بما يفعله ويسخر به وينسى ان النبي صلى الله عليه وسلم بماذا نصر الدين وبماذا
ارغم الكافرين وينسى ما روي عن الصحابة من التواضع والتبذل والقناعة بالفقر والمسكنة حتى عوتب عمر في بذاذة زيه عند
قدومه الى الشام فقال انا قوم اعزنا الله بالاسلام فلا نطلب العز في غيره ثم هذا المغرور يطلب عز الدين بالثياب الرقيقة من
القصب والدبيقي والابريسم المحرم والخيول والمراكب ويزعم انه يطلب به عز الدين وشرف الدين وكذلك مهما اطلق اللسان
بالحسد في اقرانه او فيمن رد عليه شيئا من كلامه لم يظن بنفسه ان ذلك حسد ولكن قال انما هذا غضب للحق ورد على المبطل في عدوانه
وظلمه ولم يظن بنفسه ان ذلك حسد حتى يعتقد انه لو طعن في غيره من اهل العلم او منع غيره من رياسته وزوحم فيها هل كان غضبه

وعداوته مثل غضبه الآن فيكون غضبه لله ام لا يغضب مهما طعن في عالم آخر ومنع بل ربما يفرح به فيكون غضبه لنفسه
وحسده لاقرانه من خبث باطنه وهكذا يرائي باعماله وعلومه فاذا خطر له خاطر الرياء قال هيهات انما غرضي من اظهار
العلم والعمل اقتداء الخلق بي ليهتدوا الى دين الله ويتخلصوا من عقاب الله ولا يتأمل المغرور انه ليس يفرح باقتداء الناس بغيره كما
يفرح باقتدائهم به فلو كان غرضه صلاح الخلق لفرح بصلاحهم على يد من كان كمن كان له عبيد مرضى يريد معالجتهم لم يفرق بين
ان يحصل شفاؤهم على يده او على يد طبيب آخر وربما يذكر هذا له فلا يخليه الشيطان ايضا ويقول انما ذلك لانهم اذا اهتدوا بي كان
الاجر لي والثواب لي فانما فرحي بثواب الله لا بقبول الخلق هذا ما يظنه بنفسه والله يطلع من ضميره على انه لو اخبره نبي بان ثوابه في
الخمول والاخفاء للعلم اكثر من ثوابه في الاظهار وحبسه مع ذلك في سجن وقيد بالسلاسل لاحتال في هدم السجن وحل السلاسل حتى
يرجع الى موضعه الذي به يظهر رياسته من تدريس او وعظ او غيره وكذلك يدخل على السلطان ويتودد اليه ويثني عليه ويتواضع
له واذا خطر له ان التواضع للسلاطين الظلمة حرام قال له الشيطان هيهات انما ذلك عند الطمع في مالهم فاما انت فغرضك
ان تشفع للمسلمين فتدفع الضرر عنهم وتدفع شر اعدائك عن نفسك والله تعالى يعلم من باطنه انه لو ظهر لبعض اقرانه قبول عند
ذلك السلطان فصار يشفع في كل مسلم حتى دفع الضرر عن جميع المسلمين ثقل ذلك عليه ولو قدر على ان يقبح حاله عند السلطان
بالطعن فيه والكذب عليه لفعل وكذلك قد ينتهي غرور بعضهم الى ان ياخذ من مالهم واذا خطر له انه حرام قال له الشيطان هذا مال
لا مالك له وهو لمصالح المسلمين وانت امام المسلمين وعالمهم وبك قوام دين الله افلا يحل لك ان تاخذ منه قدر حاجتك فيغتر
بهذا التلبيس في ثلاثة امور احدها في انه مال لا مالك له فانه يعرف انه ياخذ الخراج من المسلمين واهل السواد والذين اخذ منهم احياء
قيام واولادهم وورثتهم احياء وغاية الامر وقوع الخلط في اموالهم ومن غصب مائة دينار من عشرة انفس وخلطها عال بنفسه فلا
خلاف في انه مال حرام ولا يقال هو مال لا مالك له ويجب ان يقسم بين العشرة ويرد الى كل واحد عشرة وان كان مال كل واحد قد اختلط
بالآخر الثاني في قوله انك من مصالح المسلمين وبك قوام الدين ولعل الذين فسد دينهم واستحلوا اموال السلاطين ورغبوا في
طلب الدنيا والاقبال على الرياسة والاعراض عن الآخرة بسببه اكثر من الذين زهدوا في الدنيا ورفضوها واقبلوا على الله فهو على
التحقيق دجال الدين وقوام مذهب الشياطين لا امام الدين اذ الامام هو الذي يقتدى به في الاعراض عن الدنيا والاقبال على الله
كالانبياء صلوات الله عليهم والصحابة وعلماء السلف رضي الله عنهم والدجال هو الذي يقتدى به في الاعراض عن الله والاقبال على
الدنيا فلعل موت هذا انفع للمسلمين من حياته وهو يزعم انه قوام الدين ومثله كما قال عيسى صلوات عليه العالم السوء انه كصخرة وقعت
في فم الوادي فلا هي تشرب الماء ولا هي تترك الماء يخلص الى الزرع واصناف غرور اهل العلم في هذه الاعصار المتأخرة خارج عن
الحصر وفيما ذكرناه تنبيه بالقليل على الكثير **فرقة** اخرى احكموا العلوم وطهروا الجوارح وزينوها بالطاعات واجتنبوا ظاهر
المعاصي وتفقدوا اخلاق النفس وصفات القلب من الرياء والحسد والكبر والحقد وطلب العلو وجاهدوا انفسهم في التبري منها
وقلعوا من القلوب منابتها الجلية القوية ولكنهم مغرورون اذ بقيت في زوايا القلب من خفايا مكايد الشيطان وخبايا خداع النفس
ما دق وغمض مدركه فلم يفطنوا لها واهملوها وانما مثاله مثال من يريد تنقية الزرع من الحشيش فدار عليه وفتش عن كل حشيش
رآه فقلعه الا انه لم يفتش عما لم يخرج رأسه بعد من تحت الارض وظن ان الكل قد ظهر وبرز وكان قد نبتت من اصول الحشيش
شعب لطاف فانبسطت تحت التراب فاهملها وهو يظن انه قد قلعها وطهرها فاذا هو بها في غفلته وقد نبتت وقويت
وافسدت اصول الزرع من حيث لا يدري فكذلك العالم قد يفعل جميع ذلك ويذهل عن المراقبة للخفايا والتفقد للزوايا والكمين

والدقائق وقرائه يسهر ليله ونهاره في جميع العلوم وترتيبها وتحسين الفاظها وجمع التصانيف فيها وهو يرى ان باعثه الحرص
على اظهار دين الله ونشر شريعته ولعل باعثه الخفي هو طلب الذكر وانتشار الصيت في الاطراف وكثرة الرحلة اليه من الآفاق
وانطلاق الالسنة عليه بالثناء والمدح بالزهد والورع والعلم والتقديم له في المهمات وايثاره في الاغراض والاجتماع حوله
للاستفادة والتلذذ بحسن الاصغاء عند حسن اللفظ والايراد والتمتع بتحريك الرؤوس على كلامه والبكاء عليه والتعجب منه والفرح
بكثرة الاصحاب والمستفيدين والسرور بهذه الخاصية من بين سائر الاقران والاشكال بالجمع بين العلم والورع وظاهر الزهد
والتمكن فيه من اطلاق اللسان بالطعن في الكافة المقبلين على الدنيا لا عن تفجع بمصيبة الدين ولكن عن ادلال بالتميز واعتداد بالتخصص
ولعل هذا المسكين المغرور حيوته في الباطن بما انتظم له من امر وامارة وعز وانقياد وتوقير بالزهد بما يظهر من اعماله فعساه
يتشوش عليه قلبه ويختلط عليه اوراده ووظائفه وعساه يستنبط بكل حيلة لنفسه دفع ذلك وربما يحتاج الى ان يكذب
في تغطية عيبه وعساه يؤثر بالكرامة والمراعاة من اعتقد فيه الزهد والورع وان كان قد اعتقد فيه فوق قدره وينبو به
عن من عرف حد فضله وورعه وان كان ذلك على وفق حاله وعساه يؤثر بعض اصحابه على بعض وهو يرى انه يؤثره لتقدمه في الفضل
والورع وانما ذلك لانه اطوع له واتبع لمراده واكثر ثناء عليه واشد اصغاء اليه واحرص على خدمته ولعلهم يستفيدون
منه ويرغبون في العلم وهو يظن ان قبولهم له لاخلاصه وصدقه وقيامه بحق علمه فيحمد الله تعالى على ما يسر على لسانه من منافع خلقه
ويرى ان ذلك مكفر لذنوبه ولم يتفقد مع ذلك في نفسه تصحيح النية فيه وعساه لو وعد بمثل ذلك الثواب في ايثار الخمول و
العزلة والاخفاء للعلم لم يرغب فيه لفقده في العزلة والاختفاء لذة القبول وعزة الرياسة ولعل مثل هذا هو المراد بقول الشيطان
من علم من بني آدم انه بعلمه امتنع مني فبجهله وقع في حبائلي وعساه يصنف ويجتهد فيه ظانا انه يجمع علم الله تعالى لينتفع به وانما
يريد به استطارة اسمه بحسن التصنيف فلو ادعى مدع تصنيفه ومحي عنه اسمه ونسبه الى نفسه ثقل عليه ذلك مع علمه بان ثواب
الاستفادة من التصنيف انما يرجع الى المصنف والله تعالى عالم بانه المصنف لا من ادعاه ولعله في تصنيفه لا يخلو عن الثناء على
نفسه اما صريحا بالدعاوى الطويلة العريضة واما ضمنا بالطعن في غيره ليستبين من طعنه في غيره انه افضل ممن طعن فيه واعظم
منه علما ولقد كان في غنية عن الطعن فيه ولعله يحكي من الكلام المزيف ما يريد تزييفه فيعزيه الى قائله وما يستحسنه لعله لا
يعزيه اليه ليظن انه من كلامه فينقله بعينه كالسارق له او يغيره ادنى تغيير كالذي يسرق قميصا فيتخذه قباء حتى لا يعرف انه
مسروق ولعله يجتهد في تزيين الفاظه وتسجيعه وتحسين نظمه كيلا ينسب الى الركاكة ويرى ان غرضه ترويج الحكمة وتحسينها
وتزيينها ليكون اقرب الى نفع الناس وعساه غافل عما روي ان بعض الحكماء وضع ثلثمائة مصحف في الحكمة فاوحى الله تعالى الى نبي
زمانه قل له قد ملأت الارض نفاقا واني لا اقبل من نفاقك شيئا ولعل جماعة من هذا الصنف المغترين اذا اجتمعوا ظن كل واحد
بنفسه السلامة عن عيوب القلب وخفاياه فلو افترقوا واتبع كل واحد منهم فرقة من اصحابه نظر كل واحد الى كثرة من تبعه وانه
اكثر تبعا او غيره فيفرح ان كان اتباعه اكثر وان علم ان غيره احق بكثرة الاتباع منه ثم اذا تفرقوا واشتغلوا بالافادة تغايروا وتحاسدوا
ولعل من يختلف الى واحد منهم اذا انقطع عنه الى غيره ثقل على قلبه ووجد في نفسه نفرة منه فبعد ذلك لا يهتز باطنه لاكرامه
ولا ينشمر لقضاء حوائجه كما كان ينشمر من قبل ولا يحرص على الثناء عليه كما اثنى قبل ذلك مع علمه بانه مشغول بالاستفادة ولعل التحيز
منه الى فئة اخرى كان انفع له في دينه لآفة من الآفات كانت تلحقه في هذه الفئة وسلامته عنها في تلك الفئة ومع ذلك فلا
يزول عن قلبه النفار ولعل واحدا منهم اذا تحركت فيه مبادي الحسد لم يقدر على اظهاره فيتعلل بالطعن في دينه وفي ورعه ليحمل غضبه على ذلك

ويقول انما غضبت لدين الله لا لنفسي ومهما ذكرت عيوبه بين يديه ربما فرح وان اثني عليه به ربما ساءه وكرهه وربما قطب وجهه
اذا ذكرت عيوبه فيظهر انه كراهته لغيبة للمسلمين وسر قلبه راض به ومريد له والله تعالى مطلع عليه في ذلك فهذا وامثاله من خفايا
العيوب لا يتفطن لها الا الاكياس ولا يتنزه منها الا الاقوياء ولا مطمع فيه لامثالنا من الضعفاء الا ان اقل الدرجات ان يعرف الانسان
عيوب نفسه ومن سرته حسنته وساءته سيئته فهو مرجو الحال وامره اقرب من المغرورين المزكي لنفسه المتمني بعلمه على الله تعالى
بعلمه وعمله الظان انه من خيار خلقه فنعوذ بالله من الغفلة والاغترار من المعرفة بخفايا العيوب مع الاهمال هذا غرور الذين
حصلوا العلوم المهمة ولكن قصروا في العلم بالعمل ولنذكر الآن غرور الذين قنعوا من العلوم بما لا يهمهم وتركوا المهم وهم مغترون
اما لاستغنائهم عن اصل ذلك العلم واما لاقتصارهم عليه فمنهم فرقة اقتصروا على علم الفتاوى في الحكومات والخصومات
وتفاصيل المعاملات الدنيوية الجارية بين الخلق لمصالح المعايش وخصصوا اسم الفقه بها وسموه الفقه وعلم المذهب وربما
ضيعوا مع ذلك الاعمال الظاهرة والباطنة فلم يتفقدوا الجوارح عن المعاصي ولم يحرسوا اللسان عن الغيبة والبطن عن الحرام
والرجل عن المشي الى السلاطين وكذا سائر الجوارح ولم يحرسوا قلوبهم عن الكبر والرياء والحسد والمهلكات فهؤلاء مغرورون
من وجهين احدهما من حيث العمل والآخر من حيث العلم اما من حيث العمل فقد ذكرنا وان مثالهم مثال المريض اذا تعلم نسخة الدواء
واشتغل بتكراره وتعليمه لا بل مثالهم مثال من به علة البواسير والبرسام وهو مشرف على الهلاك يحتاج الى الدواء واستعماله فاشتغل
بتعلم دواء الاستحاضة وبتكرار ذلك ليلا ونهارا مع علمه بانه رجل لا يحيض ولا يستحيض ولكن يقول ربما يقع علة الاستحاضة
لامرأة وتسألني عنه وذلك غاية الغرور وكذلك المتفقه المسكين قد تسلط عليه حب الدنيا واتباع الشهوات والحسد والكبر
والرياء وسائر المهلكات الباطنة وربما يختطفه الموت قبل التوبة والتلافي فيلقى الله وهو عليه غضبان فترك ذلك كله واشتغل
بعلم الاجارة والظهار واللعان والجراحات والديات والدعاوي والبينات وكتاب الحيض ولا يحتاج الى شيء من ذلك قط
في عمره لنفسه واذا احتاج غيره كان في المفتين كثرة فيشتغل بذلك ويحرص عليه لما فيه من الجاه والمال والرياسة وقد دهاه
الشيطان وما يشعر اذ يظن المغرور بنفسه انه مشغول بفرض دينه وليس يدري ان الاشتغال بفرض الكفايات قبل الفراغ عن فرض العين
معصية هذا لو كانت نيته صحيحة كما قال تعالى فانه وان قصد وجه الله فهو باشتغاله به معرض عن فروض عينه في جوارحه
وقلبه فهذا غروره من حيث العمل واما غروره من حيث العلم فحيث اقتصر على علم الدنيا وظن انه علم الدين وترك علم كتاب الله وسنة
رسوله وربما طعن على المحدثين وقال انهم نقلة وحملة اسفار لا يفقهون وترك ايضا علم تهذيب الاخلاق وترك الفقه عن الله تعالى
بادراك جلاله وعظمته فهو العلم الذي يورث الخوف والهيبة والخشوع ويحمل على التقوى فتراه آمنا
من الله مغترا به متكلا على انه لا بد وان يرحمه فانه قوام دينه وانه لو لم يشتغل بالفتاوى لتعطل الحلال والحرام فقد ترك العلوم
التي هي اهم وهو غافل مغرور وسبب غروره ما سمع في الشرع من تعظيم الفقه ولم يدر ان ذلك الفقه هو الفقه عن الله تعالى ومعرفة
صفاته المخوفة والمرجوة ليستشعر القلب الخوف ويلازم التقوى اذ قال فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا
قومهم اذا رجعوا اليهم والذي يحصل الانذار غير هذا العلم فان مقصود هذا العلم حفظ الاموال بشروط المعاملات
وحفظ الابدان بالاموال وبدفع القتل والجراحات والمال في طريق الله آلة والبدن مركب وانما العلم المهم هو معرفة سلوك الطريق
وقطع عقبات القلب التي هي الصفات المذمومة فهي الحجاب بين العبد وبين الله تعالى واذا مات ملوثا بتلك الصفات كان محجوبا عن
الله تعالى فمثاله في الاقتصار على علم الفقه مثال من اقتصر من سلوك طريق الحج على علم خرز الراوية والخف ولا شك في انه لو

لم يكن لتعطل الحج ولكن المقتصر عليه ليس من الحاج في شيء ولا بسبيل وقد ذكرنا شرح ذلك في كتاب العلم ومن هؤلاء من اقتصر
من علم الفقه على الخلافيات ولم يهمه الا تعلم طريق المجادلة والالزام وافحام الخصوم ودفع الحق لاجل الغلبة والمباهاة
فهو طول الليل والنهار في التفتيش عن مناقضات ارباب المذاهب والتفقد لعيوب الاقران والتلقف لانواع التشبيهات
المؤذية وهؤلاء هم سباع الانس طبعهم الايذاء وهمهم السفه ولا يقصدون العلم الا لضرورة ما يلزمهم لمباهاة الاقران
فكل علم لا يحتاجون اليه في المباهاة كعلم القلب وعلم سلوك الطريق الى الله تعالى بمحو الصفات المذمومة وتبديلها بالمحمودة فانهم
يستحقرونه ويسمونه التزويق وكلام الوعاظ وانما التحقيق عندهم معرفة تفاصيل العربدة التي تجري بين المتصارعين في الجدل
وهؤلاء قد جمعوا ما جمعه الذين قبلهم في علم الفتاوى لكن زادوا على ذلك اذ اشتغلوا بما ليس من فروض الكفايات ايضا
بل جميع دقائق الجدل في الفقه بدعة لم يعرفها السلف واما ادلة الاحكام فيشتمل عليه علم المذهب وهو كتاب الله وسنة
رسوله صلى الله عليه وسلم وفهم معانيهما واما حيل الجدل من الكسر والقلب وفساد الوضع والتركيب والتعدية فانما ابدع
لاظهار الغلبة والافحام واقامة سوق الجدل به فغرور هؤلاء اشد كثيرا واقبح من غرور من قبلهم وفرقة اخرى اشتغلوا
بعلم الكلام والمجادلة في الاهواء والرد على المخالفين وتتبع مناقضاتهم واستكثروا من معرفة المقالات المختلفة واشتغلوا بطريق
التعلم في المناظرة اولئك ولافحامهم وافترقوا في ذلك فرقا كثيرة واعتقدوا انه لا يكون لعبد عمل الا بايمان ولا يصح الايمان
الا بان يتعلم جدلهم وما سموه ادلة عقائدهم وظنوا انه لا احد اعرف بالله وبصفاته منهم وانه لا ايمان لمن لم يعتقد مذهبهم
ولم يتعلم علمهم ودعت كل فرقة منهم الى نفسها ثم هم فرقتان ضالة ومحقة فالضالة هي التي تدعو الى غير السنة والمحقة هي التي
تدعو الى السنة والغرور شامل لجميعهم اما الضالة فلغفلتها عن ضلالها وظنها بنفسها النجاة وهم فرق كثيرة يكفر بعضهم
بعضا وانما اوتيت من حيث انها لم تتهم رأيها ولم تحكم بها اولا شروط الادلة ومنهاجها فرأت الدليل شبهة والشبهة دليلا
واما الفرقة المحقة فانما اغترارها من حيث انها ظنت بالجدل انه اهم الامور وافضل القربات في دين الله وزعمت انه لا يتم لاحد
دينه ما لم يفحص ولم يبحث وان من صدق الله ورسوله من غير بحث وتحرير دليل فليس بمؤمن وليس بكامل ولا يقرب عند الله تعالى
فلهذا الظن الفاسد قطعت اعمارها في تعلم الجدل والبحث عن المقالات وهذيانات المبتدعة ومناقضاتهم واهملوا انفسهم وقلوبهم
حتى عميت عليهم ذنوبها وخطاياها الظاهرة والباطنة وهي تظن ان اشتغالها بالجدل اولى واقرب عند الله تعالى وافضل لكنها
لالتذاذها بالغلبة والافحام ولذة الرياسة وعز الانتماء الى الذب عن دين الله عميت بصيرتها فلم يلتفت الى القرن الاول وان
النبي صلى الله عليه وسلم شهد لهم بانهم خير الخلق وانهم قد ادركوا كثيرا من اهل البدع والاهواء فما جعلوا دينهم غرضا
للخصومات والمجادلة وما اشتغلوا بذلك عن تفقد قلوبهم وجوارحهم واحوالهم بل لم يتكلموا فيه الا من حيث رأوا حاجة وتوسموا
مخايل قبول فذكروا بقدر الحاجة ما يدل الضال على ضلالته واذا رأوا مصرا على ضلالته هجروه واعرضوا عنه وابغضوه في الله و
لم يلزموا الملاحاة معه طول العمر بل قالوا ان الحق هو الدعوة الى السنة ومن السنة ترك الجدل في الدعوة الى السنة اذ روى ابو
امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما ضل قوم قط بعد هدى الا اوتوا الجدل وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما
على اصحابه وهم يتجادلون ويختصمون فغضب عليهم حتى كانه فقئ في وجهه حب الرمان حمرة من الغضب فقال الهذا خلقتم
ابهذا امرتم ان تضربوا كتاب الله بعضه ببعض انظروا الى ما امرتم به فاعملوا والى ما نهيتم عنه فانتهوا فقد زجرهم عن ذلك
وكانوا اولى خلق الله بالحجاج والجدل ثم انهم رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بعث الى كافة الملل فلم يقعد معهم في مجلس مجادلة

لا لزام والافحام وتحقيق حجة ودفع سوال وايراد الزام فما جادلهم الا بتلاوة القرآن المنزل عليهم ولم يزد في المجادلة عليهم لان
ذلك يشوش القلوب ويستخرج منها الاشكالات والشبه ثم لا يقدر على محوها عن قلوبهم وما كانوا يعجزون عن مجادلتهم بالتقسيمات
ودقائق الاقيسة وان نعلم اصحابه كيفية الجدل والالزام ولكن الاكياس واهل الحزم لم يغتروا بهذا وقالوا لو هلك اهل الارض
وهلكنا لم ينفعنا نجاتهم ولو نجونا وهلكوا لم يضرنا هلاكهم وليس هلاكهم علينا في المجادلة اكثر مما كان على الصحابة مع اليهود
والنصارى واهل الملل وما ضيعوا العمر بتحبير مجادلتهم فما لنا نضيع العمر ولا نصرفه الى ما ينفعنا في يوم فقرنا وفاقتنا ولم
نخوض فيما لا نامن على انفسنا الخطا في تفاصيله ثم نرى ان المبتدع ليس يترك بدعته بجدله بل يزيده التعصب والخصومة
تشددا في بدعته فاشتغالي بمخاصمة نفسي ومجادلتها ومجاهدتها لتترك الدنيا للآخرة اولى هذا لو كنت لم انه عن الجدل
والخصومة فكيف وقد نهيت عنه فكيف ادعو الى السنة بترك السنة فالاولى بي ان اتفقد نفسي وانظر من صفاتها ما يبغضه
الله وما يحبه لاتنزه عما يبغضه الله تعالى واتمسك بما يحبه و فرقة اخرى اشتغلوا بالوعظ واعلاهم رتبة من يتكلم في
اخلاق النفس وصفات القلب من الخوف والرجا والصبر والشكر والتوكل والزهد واليقين والاخلاق والصدق ونظائره وهم
مغرورون بانفسهم انهم اذا تكلموا بهذه الصفات ودعوا الخلق اليها فقد صاروا موصوفين بهذه الصفات وهم منفكون عنها
عند الله الا عن قدر يسير لا ينفك عنه عوام المسلمين وغرور هولا اشد الغرور لانهم يعجبون بانفسهم غاية الاعجاب ويظنون
ما تبحروا في علم المحبة الا وهم محبون لله تعالى وما قدروا على تحقيق دقائق الاخلاص الا وهم مخلصون وما وقفوا على خفايا عيوب
النفس الا وهم عنها منزهون ولولا انه مقرب عند الله تعالى لما عرف معنى القرب والبعد وعلم السلوك الى الله وكيفية قطع
المنازل في طريق الله فالمسكين بهذه الظنون يرى انه من الخائفين وهو امن من الله تعالى ويرى انه من الراجين وهو من اهل الغرور
ويرى انه من الراضين بقضاء الله تعالى وهو من الساخطين ويرى انه من المتوكلين على الله تعالى وهو من المتكلين على العز والجاه والمال و
والاسباب ويرى انه من المخلصين وهو من المرائين بل يصف الاخلاص فيترك الاخلاص في الوصف ويصف الريا ويذكره وهو يرائي
بذكره ليعتقد فيه انه لولا انه مخلص لما اهتدى الى دقائق الريا ويصف الزهد في الدنيا لشدة حرصه على الدنيا وقوة رغبته فيها
فهو يظهر الدعا الى الله تعالى وهو منه فار ويخوف بالله تعالى وهو منه امن ويذكر بالله تعالى وهو له ناس ويقرب الى الله تعالى
وهو منه متباعد ويحث على الاخلاص وهو غير مخلص ويذم الصفات المذمومة وهو بها متصف ويصرف الناس عن الخلق وهو
اشدهم حرصا عليهم لو منع عن مجلسه الذي يدعو فيه الناس الى الله تعالى لضاقت عليه الارض بما رحبت ويزعم ان غرضه
اصلاح الخلق ولو ظهر من اقبل الخلق عليه وصلحوا على يديه لمات غما وحسدا ولو اثنى واحد من المترددين اليه على اقرانه لكان
ابغض خلق الله اليه فهولا اعظم الناس غرورا وابعدهم عن التنبه والرجوع الى الله لان المرغب في الاخلاق المحمودة والمنفر
عنها هو العلم بغوائلها وفوائدها وهذا قد علم ذلك ولم ينفعه وشغله حب دعوة الخلق عن العمل به فبعد ذلك بماذا يعالج وكيف
سبيل تخويفه وانما المخوف ما يتلوه على عباده فيخافون وهو ليس بخائف نعم ان ظن بنفسه انه موصوف بهذه الصفات المحمودة
يمكنه ان يدل على طريق الامتحان والتجربة وهو انه يدعي مثلا حب الله تعالى فما الذي تركه من محاب النفس لاجله ويدعي الخوف
من الله تعالى فما الذي امتنع منه بالخوف ويدعي الزهد في الدنيا فما الذي تركه مع القدرة عليه لوجه الله تعالى ويدعي الانس
بالله تعالى فمتى طابت له الخلوة ومتى استوحش من مشاهدة الخلق لا بل يرى قلبه ممتلئا بالحلاوة اذا احدق به المريدون فيراه
يستوحش اذا خلا بالله تعالى فهل رايت محبا انيسا يستوحش من محبوبه ويستروح منه الى غيره فالاكياس يمتحنون انفسهم فمن

من هذه الصفات ويطالبونها بالحقيقة ولا يقنعون منها بالتزويق بل بموثق من الله تعالى غليظ والمغترون يحسنون بانفسهم
الظنون فاذا كشف الغطا عنهم في الاخرة يفتضحون بل يطرحون في النار فتندلق اقتابهم فيدورون بها كما يدور الحمار بالرحا
كما ورد به الخبر ولا يامرون وينهون عن الشي وياتونه وانما وقع الغرور لهولا من حيث انهم يصادفون في قلوبهم شيئا ضعيفا
من اصول هذه المعاني وهو حب الله والخوف منه والرضا بفعله ثم قدروا مع ذلك على وصف المنازل العالية وهذه المعاني
فظنوا انهم ما قدروا على وصف ذلك وما رزقهم الله تعالى علمه وما نفع الناس بكلامهم فيها الا لاتصافهم بها وذهب عنهم
ان القبول للكلام والكلام للمعرفة وجريان اللسان والمعرفة للتعلم وان ذلك كله غير الاتصاف بالصفة فلم يفارقوا احاد
المسلمين في الاتصاف بصفة الخوف والحب بل في القدرة على الوصف بل ربما زاد امنه وقل خوفه وظهر الى الخلق ميله وضعف
في قلبه حب الله تعالى وانما مثاله مثال المريض يصف المرض ويصف دواءه بفصاحته ويصف الصحة والشفا وغيره
من المرضى لا يقدر على وصف الصحة والشفا واسبابه ودرجاته واصنافه فهو لا يفارقهم في صفة المرض والاتصاف به وانما
يفارقهم في الوصف والعلم بالطب فظنه عند علمه بحقيقة الصحة انه صحيح غاية الجهل فكذلك العلم بالخوف والحب والتوكل
والزهد وسائر هذه الصفات غير الاتصاف بحقائقها ومن التبس عليه وصف الحقائق بالاتصاف بالحقائق فهو مغرور فهذه
حالة الوعاظ الذين لا عيب في كلامهم بل منهاج وعظهم منهاج وعظ القرآن والاخبار ووعظ الحسن البصري وامثاله
فرقة اخرى منهم عدلوا عن المنهاج الواجب في الوعظ وهم وعاظ اهل الزمان كافة الا من عصمه الله تعالى على الندور
في بعض اطراف البلاد ان كان ولسنا نعرفه فاشتغلوا بالطامات والشطح وتلفيق كلمات خارجة عن قانون الشرع والعقل طلبا
للاغراب وطائفة شغفوا بطيارات النكت وتسجيع الالفاظ وتلفيقها فاكثر همهم في الاسجاع والاستشهاد باشعار
الوصال والفراق وغرضهم ان يكثر في مجلسهم الزعقات والتواجد ولو على اغراض فاسدة فهولا شياطين الانس ضلوا واضلوا
وضلوا عن سواء السبيل فان الاولين ان لم يصلحوا انفسهم فقد اصلحوا غيرهم وصححوا كلامهم ووعظهم واما هولا فانهم
يصدون عن سبيل الله ويجرون الخلق الى الغرور بالله بلفظ الرجا فيزيدهم كلامهم جراة على المعاصي ورغبة في الدنيا لا سيما
اذا كان الواعظ متزينا بالثياب والخيل والمراكب فانه يشهد من فرقه الى قدمه بشدة حرصه على الدنيا فيفسد هذا المغرور
اكثر مما يصلح بل لا يصلح اصلا ويضل خلقا كثيرا فلا يخفى وجه كونه مغرورا و فرقة اخرى منهم قنعوا بحفظ كلام الزهاد
واحاديثهم في ذم الدنيا فهم يحفظون كلامهم على وجهها ويؤدونها من غير احاطة بمعانيها فبعضهم يفعل ذلك على المنابر وبعضهم
في المحاريب وبعضهم في الاسواق مع الجلساء وكل منهم يظن انه اذا تميز بهذا القدر عن السوقية والجندية اذ حفظ كلام الزهاد
واهل الدين دونهم فقد افلح ونال الغرض وصار مغفورا له وامن من عقاب الله تعالى من غير ان يحفظ ظاهره وباطنه عن الاثام
ولكنه يظن ان حفظ الكلام اهل الدين يكفيه وغرور هولا اظهر من غرور من قبلهم و فرقة اخرى استغرقوا اوقاتهم
في علم الحديث اعني في سماعه وجمع الروايات الكثيرة منه وطلب الاسانيد الغريبة العالية فهمة احدهم ان يدور في البلاد ويرى
الشيوخ ليقول انا اروي عن فلان وقد لقيت فلانا ومعي من الاسناد فانهم لا يصرفون العناية الى فهم معاني السنة فعلمهم
قاصر وليس معهم الا النقل ويظنون ان ذلك يكفيهم ومنها انهم اذا لم يفهموا معانيها لا يعملون بها وقد يفهمون بعضها
ايضا ولا يعملون بها ومنها انهم يتركون العلم الذي هو فرض عين وهو معرفة معالجة القلب ويشتغلون بتكثير الاسنادات
وطلب الاسانيد العالية ولا حاجة بهم الى شي من ذلك ومنها السماع وهو الذي اكب عليه اهل الزمان انهم ايضا لا يفهمون

بشرط السماع بمجرده وان لم يكن له فائدة ولكنه مهم في نفسه للوصول به الى اثبات الحديث اذ التفهم بعد الاثبات والعمل
بعد التفهم فالاول السماع ثم الفهم ثم الحفظ ثم العمل ثم النشر وهؤلاء اقتصروا من الجملة على السماع ثم تركوا حقيقة السماع
فترى الصبي يحضر في مجلس الشيخ والحديث يقرأ والشيخ ينام والصبي يلعب ثم يكتب اسم الصبي في السماع فاذا كبر تصدى ليسمع
منه والبالغ الذي يحضر ربما يغفل ولا يسمع ولا يصغي ولا يضبط وربما يشتغل بحديث او ينسخ والشيخ الذي يقرأ عليه لو
صحف وغير ما يقرأ عليه لم يشعر به ولم يعرفه وكل ذلك جهل وغرور اذ الاصل في الحديث ان تسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم
فتحفظه كما تسمعه فترويه كما حفظته فتكون الرواية عن الحفظ والحفظ عن السماع فان عجزت عن سماعه من رسول الله صلى الله عليه
وسلم سمعته من الصحابة او التابعين وصار سماعك عن الراوي كسماع من سمع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ان تصغي
لتحفظ فتروي كما حفظت وتحفظ كما سمعت بحيث لا تغير منه حرفا ولو غير غيرك حرفا او اخطأ علمت خطأه وللحفظ
طريقان احدهما ان تحفظ بالقلب وتستديمه بالتكرار كما تحفظ ما جرى على سمعك في مجاري الاحوال الثاني ان تكتب
كما تسمع وتصحح المكتوب وتحفظه حتى لا يصل اليه يد من يغيره ويكون حفظك الكتاب معك وفي خزانتك فانه لو امتدت
اليه يد غيرك ربما غيره واذا لم تحفظه لم تشعر بتغيره فيكون محفوظا بقلبك او بكتابك فيكون كتابك مذكرا لما سمعته وتأمن
فيه من التغيير والتحريف فاذا لم تحفظ لا بالقلب ولا بالكتاب وجرى على سمعك صوت غفل وفارقت المجلس ثم رأيت نسخة
لذلك وجوزت ان يكون ما فيه مغيرا او يفارق حرف منه النسخة التي سمعتها لم يجز لك ان تقول سمعت هذا الكتاب
فانك لا تدري لعلك لم تسمع فيه بل سمعت هذا الكتاب فانك لا تدري لعلك لم تسمع فيه بل سمعت شيئا يخالف ما فيه
ولو في كلمة فاذا لم يكن معك حفظ بقلبك ولا نسخة صحيحة استوثقت عليها للتقابل بها فمن اين علمت انك سمعت ذلك وقد
قال الله تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم وقول الشيوخ كلهم في هذا الزمان انا سمعنا ما في هذا الكتاب اذا لم يوجد الشرط الذي
ذكرناه كذب صريح واقل شروط السماع ان يجري الجميع على السمع مع نوع من الحفظ يشعر بالتغيير ولو جاز ان يكتب سماع الصبي
والغافل والنائم والذي ينسخ لجاز ان يكتب سماع الصبي في المهد وسماع المجنون ثم اذا بلغ الصبي وافاق المجنون يسمع عليه ولا
خلاف في عدم جوازه ولو جاز ذلك لجاز ان يكتب سماع الجنين في البطن فان كان لا يكتب سماع الجنين في البطن فان كان لا يكتب سماع
الصبي في المهد لانه لا يفهم ولا يحفظ فالصبي الذي يلعب والغافل والمشغول بالنسخ عن السماع ليس يفهم ولا يحفظ ولا
يسمع فان استجرأ جاهل فقال يكتب سماع الصبي في المهد فليكتب سماع الجنين في البطن فان فرق بينهما بان الجنين لا يسمع الصوت
وهذا يسمع الصوت فما ينفع هذا وهو انما ينقل الحديث دون الصوت فليقتصر اذا صار شيخا على ان يقول سمعت بعد بلوغي اني
في صباي حضرت مجلسا يروى فيه حديث كان يقرع سمعي صوته ولا ادري ما هو ولا خلاف في ان الرواية كذلك لا تصح وما زاد عليه
فهو كذب صريح ولو جاز اثبات سماع التركي الذي لا يفهم العربية لانه سمع صوتا غفلا لجاز اثبات سماع الصبي وذلك غاية
الجهل ومن اين يؤخذ هذا وهل للسماع مستند الا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها
فاداها كما سمعها وكيف يؤدي كما سمع من لا يدري ما سمع فهذا اخس انواع الغرور وقد بلي به اهل هذا الزمان ولو احتاط
اهل الزمان لم يجدوا شيوخا الا الذين سمعوا في الصبى على هذا الوجه مع الغفلة الا ان للمحدثين في ذلك جاها وقبولا فخاف
المساكين ان يشترطوا ذلك فيقل من يجتمع في حلقتهم فينقص جاههم ويقل احاديثهم التي قد سمعوها بهذا الشرط بل ربما عدموا
ذلك وافتضحوا فاصطلحوا على انه ليس يشترط الا ان يقرع سمعه دمدمة وان كان لا يدري ما يجري وصحة السماع لا يعرف من قول

من قول المحدثين لانه ليس من علمهم بل من علم العلماء باصول الفقه وما ذكرناه مقطوع به في قوانين اصول الفقه فهذا غرور
هؤلاء ولو سمعوا على الشرط لكانوا ايضا مغرورين في اقتصارهم على النقل وافنائهم اعمارهم في جمع الروايات والاسانيد واعراضهم
عن مهمات الدين ومعرفة معاني الاخبار بل الذي من الحديث سلوك طريق الله تعالى ربما يكفيه الحديث الواحد عمره كما روي
عن بعض الشيوخ انه حضر مجلس السماع فكان اول حديث روي قوله صلى الله عليه وسلم من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه
فقام فقال يكفيني هذا حتى افرغ منه ثم اسمع غيره فهكذا يكون سماع الاكياس الذين يحذرون الغرور وفرقة اخرى
اشتغلوا بعلم النحو والشعر وغريب اللغة فاغتروا وزعموا انه قد غفر لهم وانهم من علماء الدين اذ قوام الدين بالكتاب والسنة
وقوام الكتاب والسنة بعلم النحو وفي صناعة الشعر وفي غرائب اللغة ومثالهم كمن يفني جميع العمر في تعلم الخط وتصحيح الحروف
وتحسينها ويزعم ان العلوم لا يمكن حفظها الا بالكتابة فلا بد من تعلمه وتصحيحه ولو عقل لعلم انه يكفيه ان يتعلم اصل الخط
بحيث يمكن ان يقرأ كيفما كان والباقي زيادة على الكفاية وكذلك الاديب لو عقل لو عقل ان لغة العرب كلغة الترك والمضيع
عمره في لغة العرب كالمضيع عمره في لغة الترك والهند وانما فارقتها لغة العرب لاجل ورود الشريعة بها فيكفي من اللغة علم
الغريبين في الاحاديث ومن النحو ما يتعلق بالحديث والكتاب فاما التعمق فيه الى درجات لا تتناهى فضول يستغنى عنه ثم لو اقتصر
عليه واعرض عن معرفة المعاني الشرعية والعمل بها فهو ايضا مغرور بل مثاله من ضيع العمر في تصحيح مخارج الحروف في القرآن
واقتصر عليه وهو غرور اذ المقصود من الحروف المعاني والحروف ظروف وادوات ومن احتاج الى ان يشرب السكنجبين ليزول
ما به من الصفراء وضيع اوقاته في تحسين القدح الذي يشرب فيه السكنجبين فهو من جهال المغرورين فكذلك غرور اهل النحو
واللغة والادب والقراءات والتدقيق في مخارج الحروف مهما تعمقوا فيها وتجردوا لها وعرجوا عليها اكثر مما يحتاج اليه
في تعلم العلوم التي هي فرض العين فاللب الاقصى هو العمل والذي فوقه هو معرفة العمل وهو كالقشر للعمل وكاللب بالاضافة الى
ما فوقه وهو سماع الالفاظ وحفظها بطريق الرواية وهو قشر بالاضافة الى المعرفة ولب بالاضافة الى ما فوقه وما فوقه هو
العلم باللغة والنحو وفوق ذلك وهو القشر الاعلى العلم باللغة والنحو وفوق ذلك بمخارج الحروف والقانعون بهذه الدرجات
كلهم مغترون الا من اتخذ هذه الدرجات منازل فلم يعرج عليها الا بقدر حاجته فتجاوز الى ما وراءه حتى وصل الى لباب العمل
فطالب بحقيقة العمل قلبه وجوارحه وزجى عمره في حمل النفس عليه وتصحيح الاعمال وتصفيتها عن الشوائب والآفات
فهذا هو المقصود المخدوم من جملة علوم الشرع وسائر العلوم خدم له ووسائل اليه وقشور له ومنازل بالاضافة اليه
وكل من لم يبلغ المقصد فقد خاب سواء كان في المنزل القريب او في المنزل البعيد وهذه العلوم لما كانت متعلقة بعلوم الشرع
اغتر بها اربابها فاما علم الطب والحساب والصناعات وما يعلم انه ليس من علوم الشرع فلا يعتقد اصحابها انهم ينالون
المغفرة بها من حيث انها علوم فكان الغرور فيها اقل من الغرور بعلوم الشرع لان العلوم الشرعية مشتركة في انها محمودة
كما يشارك القشر اللب في كونه محمودا ولكن المحمود منه لعينه هو المنتهى والباقي محمود ولكن المحمود منه لعينه هو المنتهى
والباقي محمود للوصول به الى المقصود الاقصى فمن اتخذ القشر مقصودا وعرج عليه فقد اغتر به وفرقة اخرى عظم غرورهم
في فن الفقه فظنوا ان حكم العبد بينه وبين الله يتبع حكمه في مجلس القضاء فوضعوا الحيل في دفع الحقوق وتأولوا في
الالفاظ المبهمة واغتروا بالظواهر واخطأوا فيها وهذا من قبيل الخطأ في الفتوى والغرور فيه والخطأ في الفتاوى مما
يعم وهذا يعم الكافة الا الاكياس منهم فلنشر الى امثلة له فمن ذلك فتواهم بان المرأة مهما ابرأت عن الصداق برئ الزوج

فيما بينه وبين الله وغير ذلك من خطابات الزوج قد يُسِيء الى الزوجة بحيث يُضيِّق عليها الامور ويسوء الخُلق فيضطر الى طلب الخلاص
فتبري الزوج لتتخلص منه فهو ابرآ لا عن طيبة نفس وقد قال تعالى فان طبن لكم عن شيء منه نفسا وطيبة النفس غير طيبة القلب
فالقلب قد يريد ما لا تطيب به النفس فان الانسان يريد الحجامة بقلبه ولكن يكرهها النفس فاطيبة النفس ان تسمح نفسها بابرآء
عن ضرورة تقابله حتى اذا ترددت بين ضررين اختارت اهونهما فهذه مصادرة على التحقيق باكراه الباطن نعم القاضي في الدنيا
لا يطلع على القلوب والاغراض فينظر الى الابرآء الظاهر وانها لم تكره بسبب ظاهر والاكراه الباطن ليس يطلع عليه الخلق ولكن
مهما تصدى القاضي الاكبر في صعيد القيامة للقضاء لم يكن هذا محسوبا ولا مفيدا في تحصيل الابرآء وكذلك لا يحل مال الانسان
ان يوخذ الا بطيبة منه فلو طلب من انسان مالا على ملاء من الناس فاستحيى ويعطيه وكان يود ان يكون سواله في خلوة حتى
لا يعطيه ولكن خاف الم مذمة الناس وخاف الم تسليم المال فتردد النفس بينهما فاختار اهون الالمين وهو الم التسليم فسلم فلا
فرق بين هذا وبين المصادرة اذ معنى المصادرة ايلام البدن بالسوط حتى يصير ذلك اقوى من الم القلب ببذل المال فيختار اهون
الالمين والسوال في محل الحيآء والرياء ضرب للقلب بالسوط ولا فرق بين ضرب الظاهر وضرب الباطن عند الله فان الباطن عند الله
ظاهر وانما حاكم الدنيا يحكم بظاهر قوله وهبت لانه لا يمكنه الوقوف على ما في القلب وكذلك من يعطي اتقاء لشر لسانه او شر
سعايته فهو عليه حرام وكذلك كل مال يوخذ على هذا الوجه فهو حرام الا انه يحل الى ما جاء في قصة داود عليه السلم حيث قال بعد ان
غفر يا رب كيف لي بخصمي فامر بالاستحلال منه وكان ميتا فامر بندآء في صخرة بيت المقدس فنادي يا اوريا فاجاب لبيك
يا نبي الله اخرجتني من الجنة فماذا تريد قال اني اسات اليك في امر فهبها لي فقال قد فعلت ذلك يا نبي الله فانصرف وقد
ركن الى ذلك فقال جبريل هل ذكرت له ما فعلت قال لا قال فارجع اليه وبين له فرجع فناداه فقال لبيك يا نبي الله فقال
اني اذنبت اليك ذنبا فقال الم اهبه لك فقال اولا تسالني ما ذلك قال ما هو يا نبي الله قال كذا وكذا وذكر شان المراة فانقطع
الجواب فقال يا اوريا الا تجيبني قال يا نبي الله ما هكذي يفعل الانبيآء حتى اقف معك بين يدي الله فاستقبل داود الصياح والبكا
من الراس حتى وعده الله ان يستوهبه منه في القيمة فهذا ينبهك ان الهبة من غير طيبة القلب لا تفيد وان طيبة القلب لا تفيد
تحصل الا بالمعرفة فكذلك طيبة القلب لا يكون في الامر والهبة وغيرها حتى اذا خلي الرجل واختياره حتى ينبعث الدواعي من ذات نفسه لا ان
يضطر بواعثه الى الحركة بالحيل والالزام ومن ذلك هبة الرجل مال الزكوة في اخر الحول من زوجته واتهابه من ماله لاسقاط الزكوة
فالفقيه يقول سقط الزكوة فان اراد به ان مطالبة السلطان والساعي قد سقطت عنه فقد صدق فيه فان مطمح نظرهم ظاهر الملك
فقد زال وان ظن انه يسلم في القيمة ويكون كمن لم يملك المال او كمن باع لحاجته الى البيع لا على هذا القصد فما اعظم جهله بفقه
الدين وسر الزكوة فان سر الزكوة تطهير القلب عن رذيلة البخل فان البخل مهلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث مهلكات
شح مطاع وانما صار شحه مطاعا بما فعله ولم يكن مطاعا قبله لم يكن مطاعا قبله فقد تم هلاكه بما يظن ان فيه خلاصه فان الله تعالى
مطلع على قلبه وحبه للمال وحرصه عليه وانه قد بلغ من حرصه على المال ان استنبط الحيل حتى يسد على نفسه طريق الخلاص من البخل
بالجهل والغرور ومن ذلك اباحة الله مال المصالح للفقيه وغيره بقدر الحاجة والفقهاء المغرورون لا يميزون بين المعاني والفضول
والشهوات وبين الحاجات بل كل ما لا يتم رعونتهم الا به يرونه حاجة وهو محض الغرور بل الدنيا خلقت لحاجة العباد اليها في العبادة
وسلوك طريق الله تعالى فكل ما يتناوله العبد للاستعانة به على الدين والعبادة فهو حاجة وما عداه ذلك فهو فضول وشهوة ولو
ذهبنا نصف غرور الفقهاء في امثال هذا لملانا فيه مجلدات والغرض التنبيه على امثلة تعرف الاجناس لا الاستيعاب فان ذلك يطول

الصنف الثاني ارباب العبادة والعمل والمغرورون منهم فرق كثيرة منهم من غروره في الصلوة ومنهم في تلاوة القرآن ومنهم في الحج
ومنهم في الغزو ومنهم في الزهد وكذلك كل مشغول بمنهج من مناهج العمل فليس خاليا عن غرور الا الاكياس وقليل ما هم فمنهم فرقة
قد اهملوا الفرائض واشتغلوا بالفضائل والنوافل وربما تعمقوا في الفضائل حتى خرجوا الى العدوان والسرف كالذي يغلب عليه
الوسوسة في الوضوء فيبالغ فيه ولا يرتضي الماء المحكوم بطهارته في فتوى الشرع ويقدر الاحتمالات البعيدة قريبة في النجاسة
واذا آل الامر الى اكل الحلال قدر الاحتمالات القريبة بعيدة وربما اكل الحرام المحض ولو انقلب هذا الاحتياط من الماء الى الطعام
لكان اشبه بسيرة الصحابة اذ توضأ عمر بماء في جرة نصرانية مع ظهور احتمال النجاسة وكان يدع ابوابا من الحلال خوفا من الوقوع
في الحرام ثم في هولاء من يخرج الى الاسراف في صب الماء وذلك منهي عنه وقد يطول الامر حتى يضيع الصلوة ويخرجها وان لم يخرجها
ايضا عن وقتها فهو مغرور لما فاته من فضيلة اول الوقت وان لم يسرف فهو مغرور لتضييعه العمر الذي هو اعز الاشياء فيما له مندوحة عنه
الا ان الشيطان يصد الخلق عن الله بطرق ولا يقدر على صد العباد الا بما يخيل اليهم انه عبادة فيبعدهم عن الله بمثل ذلك وفرقة
اخرى غلبت عليها الوسوسة في نية الصلوة فلا يدعها الشيطان حتى يعقد نية صحيحة بل يشوش عليه حتى تفوته الجماعة
ويخرج الصلوة عن الوقت وان تم تكبيره فيكون في قلبه بعد تردد في صحة نيته وقد يوسوسون في التكبير حتى قد يغيرون صيغة
التكبير لشدة الاحتياط فيه يفعلون ذلك في اول الصلوة ثم يغفلون في جميع الصلوة ولا يحضرون قلوبهم ويغترون بذلك
ويظنون انهم اذا اتعبوا انفسهم في تصحيح النية في اول الصلوة وتميزوا عن العامة بهذا الجهد والاحتياط فهم على خير عند ربهم
وفرقة اخرى تغلب عليها الوسوسة في اخراج حروف الفاتحة وسائر الاذكار من مخارجها فلا يزال يحتاط في التشديدات
والفرق بين الضاد والظاء وتصحيح مخارج الحروف في جميع صلوته لا يهمه غيره ولا يتفكر فيما سواه ذاهلا عن معنى القرآن
والاتعاظ به وصرف الفهم الى اسراره وهذا من اقبح انواع الغرور فانه لم يكلف الخلق في تلاوة القرآن من تحقيق مخارج الحروف
الا بما جرت به عادتهم في الكلام ومثال هولاء مثال من حمل رسالة الى مجلس سلطان وامر ان يوديها على وجهها فاخذ
يودي الرسالة ويتانق في مخارج الحروف ويكررها ويعيدها مرة بعد اخرى في ذلك عن مقصود الرسالة ومراعاة حرمة
المجلس فما احراه بان تقام عليه السياسة ويرد الى دار المجانين ويحكم عليه بفقد العقل وفرقة اخرى اغتروا بقرآءة القرآن
فيهذونه هذا وربما يختمونه في اليوم والليلة ولسانهم يجري به وقلبهم يتردد في اودية الاماني اذ لا يتفكر في معاني القرآن
لينزجر بزواجره ويتعظ بمواعظه ويقف عند اوامره ونواهيه ويعتبر بمواضع الاعتبار منه الى غير ذلك مما ذكرناه في كتاب
تلاوة القرآن من مقاصد التلاوة فهو مغرور يظن ان المقصود من انزال القرآن الهمهمة به مع الغفلة عن معانيه ومثاله عبد
كتب اليه مالكه كتابا واشار عليه فيه بالاوامر والنواهي فلم يصرف عنايته الى فهمه والعمل به ولكن اقتصر على حفظه فهو مستمر
على خلاف ما امره به مولاه الا انه يكرر الكتاب بنغمته وصوته كل يوم مائة مرة فهو مستحق للعقوبة ومهما ظن ان ذلك هو المراد
منه فهو مغرور نعم تلاوته انما يراد لكيلا ينسى بل لحفظه وحفظه يراد لمعناه ومعناه يراد للعمل به والانتفاع بمعانيه
وقد يكون له صوت طيب فهو يقرأه ويلتذ به ويغتر بالتذاذه ويظن ان ذلك لذة مناجاة الله وسماع كلامه وانما هي لذته
بحسن صوته ولو ردد الحانه بشعر او كلام اخر لالتذ به ذلك الالتذاذ فهو مغرور اذ لم يتفقد قلبه فيعرفه ان لذته بكلام
الله من حيث نظمه ومعانيه او باصواته وفرقة اخرى منهم اغتروا بالصوم وربما صاموا الدهر او صاموا الايام الشريفة
وهم فيها لا يحفظون السنتهم من الغيبة وخواطرهم من الرياء وبطونهم من الحرام عند الافطار ولسانهم من الهذيان وانواع

لما فاته من فضيلة اول الوقت وان لم يفته فهو مغرور

وانواع الفضول طول النهار وهو مع ذلك يظن بنفسه الخير يهمل الفرض ويطلب النفل ثم لا يقوم بحقه وذلك غاية الغرور
وفرقة اخرى غرها الحج فيخرجون الى الحج من غير خروج عن المظالم وقضاء الديون وطلب الزاد الحلال وقد يفعلون
ذلك بعد سقوط حج الاسلام ويضيعون في الطريق الصلوة والفرائض ويعجزون عن طهارة الثوب والبدن ويتعرضون لمكس
الظلمة حتى يوخذ منهم ولا يحذرون في الطريق من الرفث والخصام وربما جمع بعضهم الحرام وانفقه على الرفقاء في الطريق وهو
يطلب به السمعة والرياء فيعصي الله في كسب الحرام اولا وفي انفاقه بالرياء ثانيا فلا هو اخذه من حله ولا هو وضعه في حقه ثم
يحضر البيت بقلب ملوث برذائل الاخلاق وذميم الصفات لم يقدم تطهيره على حضوره وهو مع ذلك يظن انه على خير من ربه وهو مغرور
وفرقة اخرى اخذت في طريق الحسبة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ينكر على الناس ويامرهم بالخير وينسى نفسه واذا
امرهم بالخير عنف وطلب الرياسة والعزة واذا باشر منكرا ورد عليه غضب وقال انا المحتسب فكيف تنكر علي وقد يجمع الناس
الى مسجده ومن تاخر عنه اغلظ القول عليه وانما غرضه الرياء والرياسة ولو قام بتعهد المسجد غيره لحرد عليه بل منهم من يوذن
ويظن انه يوذن لله ولو جاء غيره واذن في وقت غيبته قامت عليه القيامة وقال لم اخذ حقي وزوحمت على مرتبتي وكذلك قد
يتقلد امامة مسجد ويظن انه على خير وانما غرضه ان يقال انه امام المسجد فلو تقدم غيره وان كان اورع واعلم منه ثقل عليه
وفرقة اخرى جاوروا بمكة او المدينة واغتروا بهما ولم يراقبوا قلوبهم ولم يطهروا بواطنهم فقلوبهم معلقة ببلادهم ملتفتة
الى قول الناس ان فلانا مجاور بمكة تراه يتحدث ويقول قد جاورت بمكة كذى وكذى سنة واذا سمع ان ذلك قبيح ترك
صريح التحدث واحب ان يعرفه الناس بذلك ثم انه يجاور ويمد العين الى اوساخ اموال الناس واذا جمع منه شيئا شح
عليه وامسكه ولم تسمح نفسه بلقمة يتصدق بها على فقير فيظهر فيه الرياء والبخل والطمع وجملة من المهلكات كان عنها بمعزل
لو ترك المجاورة ولكن حب المحمدة وان يقال انه من المجاورين الزمه الجوار مع التضمخ بهذه الرذائل فهو ايضا مغرور وما من عمل
من الاعمال وعبادة من العبادات الا وفيها آفات فمن لم يعرف مداخل آفاتها واعتمد عليها فهو مغرور ولا يعرف شرح ذلك
الا من جملة كتاب احياء العلوم فيعرف مداخل الغرور في الصلوة من كتاب الصلوة وفي الحج والزكوة والتلاوة وسائر القربات
من الكتب التي رتبناها فيها وانما الغرض الآن الاشارة الى ما سبق في الكتب وفرقة اخرى زهدت في المال وقنعت من
اللباس والطعام بالدون ومن المسكن بالمساجد وظنت به انها ادركت رتبة الزهاد وهو مع ذلك راغب في الرياسة
والجاه اما بالعلم او بالوعظ او بمجرد الزهد فقد ترك اهون الامرين وباء باعظم المهلكين فان الجاه اعظم من المال ولو ترك الجاه
واخذ المال كان الى السلامة اقرب فهذا مغرور اذ ظن انه من الزهاد في الدنيا وهو لم يفهم معنى الدنيا ولم يدر ان منتهى لذتها
الرياسة وان الراغب فيها لا بد ان يكون منافقا وحسودا ومتكبرا ومرائيا ومتصفا بجميع خبائث الاخلاق نعم وقد يترك
الرياسة ويوثر الخلوة والعزلة وهو مع ذلك مغرور اذ يتطاول بذلك على الاغنياء ويخشن معهم الكلام وينظر اليهم بعين الاستحقار
ويرجو لنفسه اكثر مما يرجو لهم ويعجب بعمله ويتصف بجميع خبائث القلوب وهو لا يدري وربما يعطى المال فلا ياخذ خيفة
من ان يقال بطل زهده ولو قيل له انه حلال فخذه في الظاهر ورده في الخفية لم تسمح به نفسه خوفا من ذم الناس فهو راغب
في حمد الناس وهو من الذ ابواب الدنيا ويرى نفسه انه زاهد وهو مغرور ومع ذلك فربما لا يخلو عن توقير الاغنياء وتقديمهم
على الفقراء والميل الى المريدين له والمثنين عليه والنفرة عن المائلين الى غيره من الزهاد وكل ذلك خدعة وغرور من الشيطان
وفي العباد من قد يشدد على نفسه في اعمال الجوارح حتى يصلي في اليوم لا يخطر له مراعاة القلب وتفقده وتطهيره من الرياء
والكبر والعجب وسائر المهلكات فلا يدري ان ذلك مهلك وان علم فلا يظن بنفسه ذلك وان ظن بنفسه ذلك
توهم انه مغفور له لعمله الظاهر وانه غير مواخذ باحوال القلب وان توهم فيظن ان العبادات الظاهرة تترجح بها كفة حسناته
وهيهات ومثقال ذرة من ذي تقوى وخلق واحد من اخلاق الاكياس افضل من امثال الجبال عملا بالجوارح ثم لا يخلو هذا المغرور مع سوء خلقه
مع الناس وخشونته وتلوث باطنه عن الرياء وحب الثناء فاذا قيل له انت من اوتاد الارض واولياء الله واحبائه فرح
المغرور بذلك وصدق به وزاده ذلك غرورا وظن ان تزكية الناس له دليل على كونه مرضيا عند الله ولا يدري ان ذلك لجهل
الناس بخبائث باطنه وفرقة اخرى حرصت على النوافل ولم يعظم اعتدادها بالفرائض ترى احدهم يفرح بصلوة الضحى وبصلوة
الليل وامثال هذه النوافل ولا يجد للفريضة لذة ولا يشتد حرصه على المبادرة بها في اول الوقت وينسى قوله صلى الله عليه
وسلم فيما يرويه عن ربه تقدس وتعالى ما تقرب الى المتقربون بمثل ما افترضت عليهم وترك الترتيب بين الخيرات من جملة الشرور
بل قد يتعين على الانسان فرضان احدهما يفوت والآخر لا يفوت او نفلان احدهما يضيق وقته والآخر يتسع وقته فان لم يحفظ
الترتيب فيه كان مغرورا ونظائر ذلك اكثر من ان تحصى فان المعصية ظاهرة والطاعة ظاهرة وانما الغامض تقديم بعض الطاعات على البعض
كتقديم الفرائض كلها على النوافل وتقديم فروض الاعيان على فروض الكفايات وتقديم فرض كفاية لا قائم به على ما قام به غيره
وتقديم الاهم من فروض الاعيان على ما دونه وتقديم ما يفوت على ما لا يفوت وهذا كما يجب ان يقدم حاجة الوالدة على حاجة
الوالد اذ سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل من ابر فقال امك ثم قال من ابر قال امك ثم من قال امك قال ثم من قال
اباك قال ثم من قال ادناك فادناك فينبغي ان يبدا في الصلة بالاقرب فان استويا فبالاحوج فان استويا فبالاتقى والاورع وكذلك
من لا يفي ماله بنفقة الوالدين والحج فربما يحج وهو مغرور بل ينبغي ان يقدم حقهما على الحج وهذا من تقديم فرض اهم على فرض هو دونه
وكذلك اذا كان على العبد ميعاد ودخل وقت الجمعة والجمعة تفوت فالاشتغال بالوفاء بالوعد معصية وان كان هو طاعة في نفسه
وكذلك تصيب ثوبه نجاسة فيغلظ القول على ابويه واهله بسببه فالنجاسة محذورة وايذاؤهم محذور والحذر من الايذاء اهم
من الحذر من النجاسة وامثلة تقابل المحذورات والطاعات لا تحصر ومن ترك الترتيب في جميع ذلك فهو مغرور وهذا غرور
في غاية الغموض لان المغرور فيه في طاعة الا انه لا يفطن لغروره لصيرورة الطاعة معصية حتى ترك بها طاعة واجبة هي اهم
منها ومن جملته الاشتغال بالمذهب والخلاف من الفقه في حق من بقي عليه شغل في الطاعات والمعاصي الظاهرة والباطنة
المتعلقة بالجوارح والمتعلقة بالقلب لان مقصود الفقه معرفة ما يحتاج اليه غيره في حوائجه فمعرفة ما يحتاج هو اليه في قلبه
اولى به الا ان حب الرياسة والجاه ولذة المباهات وقهر الاقران والتقدم عليهم يعمي عليه حتى يغتر به مع نفسه ويظن انه
مشغول بمهم دينه المتصوفة وما اغلب الغرور عليهم والمغترون منهم فرق ففرقة منهم وهم متصوفة اهل الزمان الا من عصمه
الله اغتروا بالزي والمنطق والهيئة فساعدوا الصادقين من الصوفية في زيهم وهيئتهم والفاظهم وآدابهم ومراسمهم واصطلاحاتهم
وفي احوالهم الظاهرة في السماع والرقص والطهارة والصلوة والجلوس على السجادات مع اطراق الراس وادخاله في الجيب
كالمتفكر وفي تنفس الصعداء وفي خفض الصوت في الحديث الى غير ذلك من الشمائل والهيئات فلما تكلفوا هذه الامور وتشبهوا
بهم فيها ظنوا انهم ايضا صوفية ولم يتعبوا انفسهم قط في المجاهدة والرياضة ومراقبة القلب وتطهير الباطن والظاهر
من الآثام الخفية والجلية وكل ذلك من اوائل منازل التصوف ولو انهم فرغوا عن جميعها لما جاز لهم ان يعدوا انفسهم شيئا
منها بل يتكالبون على الحرام والشبهات واموال السلاطين ويتنافسون في الرغيف والفلس والحبة ويتحاسدون على النقير

ويميز بعضهم اعراض بعض مهما خالفه في شيء من غرضه وهؤلاء غرورهم ظاهرة ومثالهم مثال امرأة عجوز سمعت ان الشجعان ليعرفوا قدر عنائها في الشجاعة فلما جردت عن المغفر والدرع فاذا هي عجوز ضعيفة زمنة لا تطيق حمل الدرع والمغفر فقيل لها اجئت للاستهزاء بالملك او للاستهزاء باهل حضرته والتلبيس عليه خذوها فالقوها الى قدام الفيل ليخبطها فالقيت الى قدام الفيل وهكذا يكون حال المدعين للتصوف في القيامة اذا كشف عنهم الغطاء وعرضوا على القاضي الاكبر الذي لا ينظر الى الزي والمرقع بل ينظر الى سر القلب وفرقة اخرى زادت على هؤلاء في الغرور اذ شق عليهم الاقتداء بهم في بذاذة الثياب والرضا بالدون وارادت ان تتظاهر بالتصوف فلم تجد بدا من التزين بزيهم فتركوا الخز والابريسم وطلبوا المرقعات النفيسة والفوط الرفيعة والسجادات المصبوغة فلبسوا من الثياب ما هو ارفع قيمة من الخز والابريسم وظن ان مع ذلك انهم متصوفة بمجرد لون الثوب وكونه مرقعا ونسوا انهم انما لونوا الثياب بما هو ارفع قيمة من الخز لئلا يطول عليهم غسله كل ساعة لازالة الوسخ وانما لبسوا المرقع اذا كانت ثيابهم مخرقة فكانوا يرقعونها ولا يلبسون الجديد فاما تقطيع الفوط الرفيعة قطعة قطعة وخياطة المرقعات منها فمن اين يشبه ما اعتادوه فهؤلاء اظهر حماقة من كافة المغرورين فانهم يتنعمون بنفيس الثياب ولذيذ الاطعمة ويطلبون رغد العيش وياكلون اموال السلاطين ولا يجتنبون المعاصي الظاهرة فضلا من الباطنة وهم مع ذلك يظنون بانفسهم الخير وشر هؤلاء مما يتعدى الى الخلق اذ يهلك من يقتدي بهم ومن لا يقتدي بهم يفسد عقيدته في اهل التصوف كافة ويظن ان جميعهم كانوا من جنسه فيطول اللسان في الصادقين منهم وكل ذلك من شؤم المتشبهين وشرهم وفرقة اخرى ادعت علم المعرفة ومشاهدة الحق ومجاوزة المقامات والاحوال والملازمة في عين الشهود والوصول الى القرب ولا يعرف هذه الامور الا بالاسامي والالفاظ الا انه تلقف من الفاظ الطامات كلمات فهو يرددها ويظن ان ذلك اعلى من علم الاولين والآخرين فهو ينظر الى الفقهاء والمفسرين والمحدثين واصناف العلماء بعين الازدراء فضلا عن العوام حتى ان الفلاح يترك فلاحته والحائك يترك حياكته ويلازمهم اياما معدودة ويتلقف منهم تلك الكلمات المزيفة فهو يرددها كانه يتكلم عن الوحي ويخبر عن سر الاسرار ويستحقر بذلك جميع العباد والعلماء فيقول في العباد انهم اجراء متعوبون ويقول في العلماء انهم بالحديث عن الله محجوبون ويدعي لنفسه انه الواصل الى الحق وانه من المقربين وهو عند الله من الفجار المنافقين وعند ارباب القلوب من الحمقى الجاهلين لم يحكم قط علما ولم يهذب خلقا ولم يرتب عملا ولم يراقب قلبا سوى اتباع الهوى وتلقف الهذيان وحفظه وفرقة اخرى منهم وقعت في الاباحة وطووا بساط الشرع والاحكام ورفضوا الفصل بين الحلال والحرام وبعضهم يزعم ان الله مستغن عن عملي فلم اتعب نفسي وبعضهم يقول قد كلف الناس تطهير القلب عن الشهوات وحب الدنيا وذلك محال فقد كلفوا ما لا يمكن وانما يغتر به من لم يجرب واما نحن فقد جربنا وعلمنا ان ذلك محال ولا يعلم الاحمق ان الناس لم يكلفوا قلع الشهوة والغضب من اصلهما بل تاديبهما بحيث ينقاد كل واحد منهما بحكم العقل والشرع وبعضهم يقول الاعمال بالجوارح لا وزن لها وانما النظر الى القلوب وقلوبنا والهة بحب الله وواصلة الى معرفة الله وانما نخوض في الدنيا بابداننا وقلوبنا عاكفة في الحضرة الربوبية فنحن مع الشهوات بالظواهر لا بالقلوب ويزعمون انهم قد ترقوا عن رتبة العوام واستغنوا عن تهذيب النفس بالاعمال البدنية وان الشهوات لا تصدهم عن طريق الله لقوتهم فيها ويرفعون درجة انفسهم عن درجة الانبياء اذ كان يصدهم عن طريق الله خطيئة واحدة حتى يبكون عليها ويبكون سنين متوالية واصناف غرور هؤلاء اعني اهل الاباحة من المتشبهين بالصوفية لا يحصى وكل ذلك بناء على اغاليط ووساوس خدعهم الشيطان بها لاشتغالهم بالمجاهدة قبل احكام

كانوا ه

احكام العلم ومن غير اقتداء بشيخ متقن في الدين والعلم والعمل الصالح للاقتداء واحصاء اصنافهم يطول وفرقة اخرى جاوزت هؤلاء فاحسنت الاعمال وطلبت الحلال واشتغلت بتفقد القلب وصارت تدعي المقامات من الزهد والتوكل والرضا والحب من غير وقوف على حقيقة هذه المقامات وشروطها وعلاماتها وآفاتها فمنهم من يدعي الوجد والحب لله تعالى ويزعم انه واله بالله تعالى ولعله قد تخيل في الله تعالى خيالات هي بدعة او كفر فيدعي حب الله قبل معرفته ثم انه لا يخلو عن مقارفة ما يكره الله وعن ايثار هوى نفسه على امر الله تعالى وعن ترك بعض الامور حياء من الخلق ولو خلا لما تركه حياء من الله تعالى وليس يدري ان كل ذلك يناقض الحب وبعضهم ربما يميل الى القناعة والتوكل فيخوض البوادي من غير زاد ليصحح دعوى التوكل وليس يدري ان ذلك بدعة قط لم تنقل من السلف والصحابة وقد كانوا اعرف بالتوكل المخاطرة بالروح وترك الزاد بل كانوا ياخذون الزاد وهم متوكلون على الله لا على الزاد وهذا ربما ترك الزاد وهو متوكل على سبب من الاسباب واثق به وما من مقام من المقامات المنجيات الا وفيها غرور وقد اغتر به قوم وقد ذكرنا مداخل الآفات في ربع المنجيات من الكتاب فلا يمكن اعادتها وفرقة اخرى ضيقت على نفسها في امر القوت حتى طلبت منه الحلال الخالص المحض واهملت تفقد القلب والجوارح في غير هذه الخصلة الواحدة ومنهم من اهمل الحلال في مطعمه وملبسه ومكسبه واخذ يتعمق في غير ذلك وليس يدري المسكين ان الله تعالى لم يرض من عبده بطلب الحلال ولا يرضيه الا تفقد جميع الطاعات والمعاصي فمن ظن ان بعض هذه الامور يكفيه وينجيه فهو مغرور وفرقة اخرى منهم ادعوا حسن الخلق والتواضع والسماحة فتصدوا لخدمة الصوفية فجمعوا قوما وتكلفوا بخدمتهم واتخذوا ذلك شبكة للرياسة وجمع المال وانما غرضهم التكبر وهم يظهرون الخدمة والتواضع وغرضهم الارتفاق وهم يظهرون ان غرضهم الارفاق وغرضهم الاستتباع وهم يظهرون ان غرضهم الخدمة والتبعية ثم انهم يجمعون من الحرام والشبهات وينفقون عليهم ليكثر اتباعهم وينتشر بالخدمة اسمهم وبعضهم ياخذ اموال السلاطين وينفق عليهم وبعضهم ياخذها لينفق في طريق الحج على الصوفية ويزعم ان غرضه البر والارفاق وباعث جميعهم الرياء والسمعة وآية ذلك اهمالهم لجميع اوامر الله تعالى عليهم ظاهرا وباطنا ورضاهم باخذ الحرام والانفاق منه ومثال من ينفق الحرام في طريق الحج لارادة الخير كمن يعمر مساجد الله فيطينها بالعذرة ويزعم ان قصده العمارة وفرقة اخرى منهم اشتغلوا بالمجاهدة وتهذيب الاخلاق وتطهير النفس من عيوبها وصاروا يتعمقون فيها فاتخذوا البحث عن عيوب النفس ومعرفة خدعها علما وحرفة فهم في جميع احوالهم مشغولون بالفحص عن عيوب النفس واستنباط دقيق الكلام في آفاتها فيقولون هذا في النفس عيب والغفلة عن كونه عيبا عيب والالتفات الى كونه عيبا عيب ويشغفون فيه بكلمات مسلسلة تضيع الاوقات في تلفيقها ومن جعل طول عمره في التفتيش عن العيوب وتحرير علم علاجها كان كمن اشتغل بالتفتيش عن عوائق الحج وآفاته ولم يسلك طريق الحج فذلك لا يغنيه وفرقة اخرى جاوزوا هذه الرتبة وابتدوا سلوك الطريق وانفتحت لهم ابواب المعرفة فكلما تشمموا من مبادي المعرفة رائحة تعجبوا منها وفرحوا بها واعجبهم غرابتها فتقيدت قلوبهم بالالتفات اليها والتفكر فيها وفي كيفية انفتاح بابها عليهم وانسداده على غيرهم وكل ذلك غرور لان عجائب طريق الله تعالى ليس لها نهاية فلو وقف مع كل اعجوبة وتقيد بها قصرت خطاه وحرم عن الوصول الى المقصد وكان مثاله من قصد ملكا فرأى على بابه ميدانا روضة فيها ازهار وانوار لم يكن قد رأى قبل ذلك مثلها فوقف ينظر اليها حتى فاته الوقت الذي يمكن فيه لقاء الملك وفرقة اخرى جاوزوا هؤلاء ولم يلتفتوا الى ما يفيض عليهم من الانوار في الطريق والى ما تيسر لهم من العطايا الجزيلة فلم يعرجوا على الفرح والالتفات اليها جادين في السير حتى قاربوا فوصلوا الى حد القربة الى الله تعالى فظنوا انهم وصلوا الى الله فوقفوا وغلطوا فان لله سبعين حجابا

من نور ولا يصل السالك الى حجاب من تلك الحجب الا ويظن انه قد وصل واليه الاشارة بقول ابرهيم صلى الله عليه وسلم اذ قال
تعالى اخبارا عنه فلما جن عليه الليل راى كوكبا قال هذا ربى وليس المعنى بهذه الاجسام المضيئة فانه كان يراها فى الصغر ويعلم
انها ليست آلهة وهى كثيرة وليست واحدة والجهال من الناس يعلمون ان الكواكب ليست بآلهة فمثل ابرهيم لا يغره الكوكب
الذى لا يغر السوادية ولكن المراد به نور من الانوار التى هى من حجب الله وهى على طريق السالك ولا يتصور الوصول الى الله الا
بالوصول الى هذه الحجب وهى حجب من النور بعضها اعظم من بعض واصغر النيرات الكواكب فاستعير له لفظها واعظمها الشمس
وبينهما رتبة القمر فلم يزل ابرهيم لما ارى ملكوت السموات حيث قال وكذلك نرى ابرهيم ملكوت السموات والارض يصل الى نور بعد نور
ويتخايل اليه فى اول ما يلقاه انه قد وصل ثم كان ينكشف له ما وراءه حتى وصل الى الحجاب الاقرب الذى لا وصول الا بعده فقال
هذا اكبر فلما ظهر له انه مع عظمه غير خال عن الهوى فى حضيض والانحطاط عن ذروة الكمال قال لا احب الآفلين انى وجهت وجهى
للذى فطر السموات والارض وسالك هذا الطريق قد يغتر فى الوقوف على بعض هذه الحجب وقد يغتر بالحجاب الاول واول الحجب
بين الله وبين العبد هو نفسه فانه ايضا امر ربانى وهو نور من انوار الله اعنى سر القلب الذى يتجلى فيه حقيقة الحق كله حتى انه ليتسع
لجملة العالم ويحيط به ويتجلى فيه صورة الكل وعند ذلك يشرق نوره اشراقا عظيما اذ يظهر فيه الوجود كله على ما هو عليه وهو
فى اول الامر محجوب بمشكاة هى كالساتر له فاذا تجلى نوره وانكشف حجاب القلب بعد اشراق نور الله تعالى عليه ربما التفت صاحب القلب
الى القلب فيرى من جماله الفائق ما يدهشه فربما يسبق لسانه فى هذه الدهشة فيقول انا الحق فان لم يتضح له ما وراء ذلك اغتر به
ووقف عليه وهلك وكان قد اغتر بكوكب صغير من انوار الحضرة الالهية ولم يصل بعد الى القمر فضلا عن الشمس فهو مغرور وهذا محل
الالتباس اذ المتجلى يلتبس بالمتجلى فيه كما يلتبس لون ما يتراءى فى المرآة فيظن انه لون المرآة وكما يلتبس ما فى الزجاج بالزجاج كما قيل
رق الزجاج ورقت الخمر فتشابها فتشاكل الامر فكانما خمر ولا قدح وكانما قدح ولا خمر وبهذه العين نظرت النصارى
الى المسيح فراوا اشراق نور الله قد تلالا فيه فغلطوا فيه كمن يرى كوكبا فى مرآة او فى ماء فيظن ان الكوكب فى المرآة او فى الماء فيمد اليد اليه
ليأخذه وهو مغرور وانواع الغرور فى طريق السلوك الى الله لا تحصى فى مجلدات ولا تستقصى الا بعد شرح جميع علوم المكاشفة وذلك مما لا
رخصة فى ذكره ولعل القدر الذى ذكرناه كان الاولى تركه اذ السالك لهذا الطريق لا يحتاج الى ان يسمعه من غيره والذى لم يسلكه
لا ينتفع بسماعه بل ربما يستضر به اذ يورثه ذلك دهشة من حيث انه يسمع ما لا يفهمه ولكن فيه فائدة وهو اخراجه من الغرور الذى هو
فيه فائدة وهو اخراجه من الغرور الذى هو فيه اذ ربما يصدق بان الامر اعظم مما يظنه ومما يتخيله بذهنه المختصر وخياله القاصر وجدله
المزخرف ويصدق ايضا بما يحكى من المكاشفات التى اخبر عنها اولياء الله تعالى ومن عظم غروره ربما اصر مكذبا بما يسمعه الآن كما
يكذب بما سمعه من قبل **الصنف الرابع** ارباب الاموال والمغترون منهم فرق ففرقة منهم يحرصون على بناء المساجد والمدارس
والرباطات والقناطر وما يظهر للناس كافة ويكتبون اساميهم بالآجر ولحض عليها ليتخلد ذكرهم ويبقى بعد الموت اثرهم وهم يظنون
انهم قد استحقوا المغفرة بذلك وقد اغتروا فيه من وجهين احدهما انهم يبنونها من اموال اكتسبوها من الظلم والنهب والرشى
والجهات المحظورة فهم قد تعرضوا لسخط الله فى كسبها وتعرضوا لسخطه فى انفاقها وكان الواجب عليهم الامتناع عن كسبها
فاذ قد عصوا الله بكسبها كان الواجب عليهم التوبة والرجوع الى الله تعالى وردها الى ملاكها اما باعيانها واما برد بدلها
عند العجز فان عجزوا عن الملاك فكان الواجب ردها الى الورثة فان لم يبق للمظلوم وارث فالواجب صرفها الى اهم المصالح وربما يكون
الاهم التفرقة على المساكين وهم لا يفعلون ذلك خيفة من ان لا يظهر ذلك للناس فيبنون الابنية بالآجر وغرضهم من بنائها الرياء وجلب

الثناء وحرصهم على بقائها لبقاء اسمهم بها لا لبقاء الخير والوجه الثانى انهم يظنون بانفسهم الاخلاص وقصد الخير فى الانفاق
على الابنية ولو كلف واحد منهم ان ينفق دينارا ولا يكتب اسمه على الموضع الذى انفق عليه لشق عليه ولم تسمح به نفسه والله مطلع
عليه كتب اسمه او لم يكتب فلولا انه يريد به وجه الناس لا وجه الله لما افتقر الى ذلك وفرقة اخرى ربما اكتسبت المال
من الحلال وانفقت على المساجد وهى ايضا مغرورة من وجهين احدهما الرياء وطلب الثناء فانه ربما يكون فى جواره او فى بلده فقراء
وصرف المال اليهم اهم من الصرف الى المساجد ليظهر ذلك بين الناس والثانى انه يصرف الى زخرفة المسجد وتزيينه بالنقوش
التى هى منهى عنها وشاغلة قلوب المصلين ومختطفة اعينهم والمقصود من الصلوة الخشوع وحضور القلب وذلك يفسد قلوب
المصلين ويحبط ثوابهم بذلك ووبال ذلك كله يرجع اليه وهو مع ذلك يغتر به ويرى انه من الخيرات ويعتد ذلك وسيلة له الى الله
تعالى وهو بذلك قد تعرض لسخط الله وهو يظن انه مطيع لله وممتثل لامره وقد شوش قلوب عباد الله بما زخرفه من المسجد وربما
شوقهم به الى زخارف الدنيا فيشتهون مثل ذلك فى بيوتهم ويشتغلون بطلبه ووبال ذلك كله فى رقبته اذ المسجد للتواضع
ولحضور القلب مع الله قال مالك بن دينار دخل رجلان مسجدا فوقف احدهما على الباب وقال مثلى يدخل بيت الله وهولاء يدخلونه
فكتب على المكان عند الله صديقا فهكذا ينبغى ان تعظم المساجد وهو ان يرى تلويث المسجد بنفسه جناية على المساجد لا ان يرى تلويث
المسجد بالحرام او بزخرف الدنيا منة على الله وقال الحواريون للمسيح صلوات الله انظر الى هذا المسجد ما احسنه فقال امتى امتى
بحق اقول لكم لا يترك الله من هذا المسجد حجرا قائما على حجر الا اهلكه بذنوب اهله ان الله لا يعبا بالذهب والفضة ولا بهذه الحجارة
التى تعجبكم شيئا وان احب الاشياء الى الله تعالى القلوب الصالحة بها يعمر الله الارض وبها يخرب اذا كانت على غير ذلك وقال ابو الدرداء
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اراد ان يبنى مسجد المدينة اتاه جبريل عليه السلم فقال ابنه سبعة اذرع طولا فى السماء
ولا تزخرفه ولا تنقشه فغروره هذا من حيث انه راى المنكر معروفا واتكل عليه **وفرقة** اخرى ينفقون الاموال فى الصدقات
وعلى الفقراء والمساكين ويطلبون به المحافل الجامعة ومن الفقراء من عادته الشكر والافشاء للمعروف ويكرهون التصدق فى السر
ويرون اخفاء الفقير لما اخذ منهم جناية عليهم وكفرانا وربما يحرصون على انفاق المال فى الحج فيحجون مرة بعد اخرى وربما تركوا جيرانهم
جياعا ولذلك قال ابن مسعود فى آخر الزمان يكثر الحاج بلا سبب يهون عليهم السفر ويبسط لهم فى الرزق ويرجعون محرومين
مسلوبين يهوى باحدهم بعيره بين القفار والرمال وجاره ماسور الى جنبه لا يواسيه وروى ابو نصر التمار ان رجلا جاء يودع بشر بن
الحارث وقال قد عزمت على الحج فتامرنى بشىء فقال له بشر كم اعددت فقال الفى درهم للنفقة فقال بشر واى شىء تبتغى بحجك تنزها
او اشتياقا الى البيت او ابتغاء مرضات الله تعالى قال ابتغاء مرضات الله قال فان اصبت رضاء الله وانت فى منزلك تنفق الفى درهم
وتكون على يقين من مرضات الله تعالى افتفعل ذلك قال نعم قال اذهب فاعطها عشرة انفس مديون يقضى دينه وفقير يرم شعثه
ومعيل يغنى عياله ومربى يتيم يفرحه وان قوى قلبك ان تعطيها واحدا فافعل فان ادخالك السرور على قلب المسلم واغاثة اللهفان
وكشف الضر واعانة الضعيف افضل من مائة حجة بعد حجة الاسلام قم فاخرجها كما امرناك والا فقل لنا ما فى قلبك فقال يا
ابا نصر سفرى اقوى فى قلبى فتبسم بشر واقبل عليه فقال له ان المال اذا جمع من وسخ التجارات والشبهات اقتضت النفس ان
يقضى به وطرا فاظهرت الاعمال الصالحات وقد آلى الله تعالى على نفسه ان لا يقبل الا عمل المتقين **وفرقة** اخرى من ارباب
الاموال يحفظون الاموال ويمسكونها بحكم البخل ثم يشتغلون بالعبادات البدنية التى لا يحتاج فيها الى نفقة كصيام النهار
وقيام الليل وختم القران وهم مغرورون لان البخل المهلك قد استولى على باطنهم فهم يحتاجون الى قمعه باخراج المال فقد اشتغل بطلب

فضائل هو مستغنٍ عنها ومثال من دخلت في ثوبه حية وقد اشرف على الهلاك وهو مشغول بطبخ السكنجبين ليسكن به الصفراء ومن
قتلته الحية متى يحتاج الى السكنجبين ولذلك قيل لبشر ان فلانا الغني كثير الصوم والصلوة فقال المسكين ترك حاله ودخل في حال
غيره انما حال هذا اطعام الطعام للجياع والانفاق على المساكين فهذا افضل له من تجويعه نفسه ومن صلوته لنفسه مع جمعه الدنيا
ومنعه الفقراء وفرقة اخرى غلبهم البخل فلا تسمح نفوسهم الا باداء الزكوة فقط ثم انهم يخرجون من المال الخبيث الردي
الذي يرغبون عنه ويطلبون من الفقراء من يخدمهم ويتردد في حاجاتهم او من يحتاجون اليه في المستقبل للاستسخار في خدمة
او من لهم فيه على الجملة غرض او يسلمون الى من يعينه واحد من الاكابر ممن يستظهر بحشمته لينال بذلك عنده منزلة فيقوم بحاجاته
وكل ذلك مفسدات للنية ومحبطات للعمل وصاحبه مغرور يظن انه مطيع لله وهو فاجر اذ طلب بعبادة الله عوضا من غيره فهذا
واشباهه من غرور ارباب الاموال ايضا لا يحصى وانما ذكرنا هذا القدر للتنبيه على اجناس الغرور وفرقة اخرى من عوام
الخلق وارباب الاموال والفقراء اغتروا بحضور مجالس الذكر واعتقدوا ان ذلك يغنيهم ويكفيهم واتخذوا ذلك عادة ويظنون
ان لهم على مجرد سماع الوعظ دون العمل ودون الاتعاظ اجرا وهم مغرورون لان فضل مجلس الذكر لكونه مرغبا في الخير فان لم يهيج
الرغبة فلا خير فيه والرغبة محمودة لانها تبعث على العمل فان ضعفت عن الحمل على العمل فلا خير فيها وما يراد لغيره فاذا
قصر عن الاداء الى ذلك الغير فلا قيمة له وربما يغتر بما يسمعه من الواعظ في فضل حضور المجلس وفضل البكاء وربما يدخله
رقة كرقة النساء فيبكي وربما يسمع كلاما مخوفا فلا يزيد على ان يصفق بيديه ويقول يا سلام سلم او نعوذ بالله او سبحان الله
ويظن انه قد اتى بالخير كله وهو مغرور وانما مثاله مثال المريض يحضر مجالس الاطباء فيسمع ما يجري او الجائع يحضر عند من يصف
له الاطعمة اللذيذة الشهية ثم ينصرف وذلك لا يغني عنه من مرضه وجوعه شيئا فكذلك سماع وصف الطاعات دون العمل
بها لا يغني من الله تعالى شيئا وكل وعظ لم يغير منك صفة تغييرا يغير افعالك حتى تقبل على الله وتعرض عن الدنيا اقبالا
قويا او ضعيفا فذلك الوعظ زيادة حجة عليك فاذا رايته وسيلة لك كنت مغرورا فان قلت فما ذكرته من مداخل الغرور
امر لا يتخلص عنه احد ولا يمكن الاحتراز عنه وهذا يوجب الياس اذ لا يقوى احد من البشر على الحذر من خفايا هذه الآفات
فاقول الانسان اذا فترت همته من شيء اظهر الياس منه واستعظم الامر واستوعر الطريق اليه واذا صح منه الهوى اهتدى
الى الحيل واستنبط بدقيق النظر خفايا الطرق في الوصول الى الغرض حتى ان الانسان ان اراد ان يستنزل الطير المحلق في جو
السماء مع بعده منه فاستنزله واذا اراد ان يستصعد الحوت من اعماق البحار استصعده واذا اراد ان يستخرج الذهب او الفضة
استخرجها واذا اراد ان يقتنص الوحوش المطلقة في البراري والصحاري اقتنصها واذا اراد ان يستسخر السباع والفيلة
وعظيم الحيوانات استسخرها واذا اراد ان ياخذ الافاعي والحيات ويعبث بها واستخرج الترياق من اجوافها واذا اراد ان
يتخذ الديباج الملون من ورق التوت فاتخذه واذا اراد ان يعرف مقادير الكواكب وطولها وعرضها فاستخرج بدقيق الهندسة
وهو مستقر على الارض وكل ذلك باستنباط الحيل واعداد الآلات فسخر الفرس للركوب والكلب للصيد والبازي لاقتناص
الطيور وهيأ الشبكة لاقتناص السمك الى غير ذلك من دقائق حيل الآدمي كل ذلك لانه همه امر دنياه وذلك معين له على
دنياه فلو كان همه امر دينه وآخرته فليس عليه الا شغل واحد وهو تقويم قلبه فعجز عن تقويم قلبه وتخاذل وقال هذا محال
ومن الذي يقدر عليه وليس ذلك بمحال لو اصبح وهمه هذا الهم الواحد بل هو كما يقال لو صح منك الهوى ارشدت للحيل
فهذا شيء لم يعجز عنه ايضا من صدقت ارادته وقويت همته بل لا يحتاج الى عشر تعب الخلق في استنباط حيل الدنيا ونظم

اسبابها فان قلت فقد قربت الامر فيه بعد ان اكثرت في ذكر مداخل الغرور فبم ينجو العبد من الغرور فاعلم انه ينجو منه بثلث
امور بالعقل والعلم والمعرفة فهذه ثلاثة امور لا بد منها اما العقل فاعني به الفطرة الغريزية والنور الاصلي الذي به يدرك
الانسان حقائق الاشياء فالفطنة والكيس فطرة والحمق والبلادة فطرة والبليد لا يقدر على التحفظ عن الغرور فصفاء العقل
وذكاء الفهم لا بد منه في اصل الفطرة واذا لم يفطر عليه فاكتسابه غير ممكن نعم اذا حصل اصله امكن تقويته بالممارسة فاساس
السعادات كلها العقل والكياسة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تبارك الذي قسم العقل بين عباده اشتاتا ان
الرجلين ليستوي عملهما وبرهما وصومهما وصلوتهما ولكنهما يتفاوتان في العقل كالذرة في جنب احد وما قسم الله لخلقه
حظا هو افضل من العقل واليقين وعن ابي الدرداء انه قيل يا رسول الله ارايت الرجل يصوم النهار ويقوم الليل ويحج ويعتمر ويتصدق
به ويغزو في سبيل الله ويعود المريض ويشيع الجنائز ويعين الضعيف ما يعلم منزلته عند الله يوم القيامة فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم انما يجزى على قدر عقله وقال انس اثني على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا خيرا فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم كيف عقله قالوا يا رسول الله نقول من عبادته وفضله ومن خلقه فقال كيف عقله فان الاحمق يصيب بحمقه اعظم من فجور
الفاجر وانما يقرب الناس على قدر عقولهم وقال ابو الدرداء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بلغه عن رجل شدة عبادته
سال عن عقله فاذا قالوا حسن قال ارجوه فان قالوا غير ذلك قال لن يبلغ قال وذكر له شدة عبادة رجل فقال كيف عقله قالوا
ليس بشيء قال لن يبلغ صاحبكم حيث تظنون فالذكاء وصحة غريزة العقل نعمة من الله تعالى في اصل الفطرة فان فاتت بلادة
وحماقة فلا تدارك لها الثاني المعرفة واعني به ان يعرف اربعة امور يعرف نفسه ويعرف ربه ويعرف الدنيا ويعرف الآخرة
فيعرف نفسه بالعبودية والذل وبكونه غريبا في هذا العالم واجنبيا من هذه الشهوات البهيمية وانما الموافق له طبعا هو
معرفة الله والنظر الى وجهه الكريم فقط ولا يتصور ان يعرف هذا ما لم يعرف نفسه ولم يعرف ربه وليستعن على هذا بما
ذكرناه في كتاب المحبة وفي كتاب شرح عجائب القلب وكتاب التفكر وكتاب الشكر اذ فيها اشارات الى وصف النفس والى وصف جلال
الله تعالى فيحصل به التنبه على الجملة وكمال المعرفة وراءه فان هذا من علوم المكاشفة ولم نطنب في هذا الكتاب الا في علوم المعاملة
واما معرفة الدنيا والآخرة فيستعين عليها بما ذكرناه في كتاب ذم الدنيا وفي كتاب ذكر الموت ليتبين به ان لا نسبة للدنيا الى الآخرة
فاذا عرف نفسه وربه والدنيا والآخرة ثار من قلبه بمعرفة الله حب الله وبمعرفة الآخرة شدة الرغبة فيها وبمعرفة الدنيا الرغبة عنها
فيصير اهم اموره ما يوصله الى الله وينفعه في الآخرة واذا غلبت هذه الارادة على قلبه صحت نيته في الامور كلها فان اكل مثلا او اشتغل
بقضاء الحاجة كان قصده منها الاستعانة بها على سلوك طريق الآخرة وصحت نيته واندفع عنه كل غرور منشاه تجاذب الاغراض
والنزوع الى الدنيا والجاه والمال فان ذلك هو المفسد للنية وما دامت الدنيا احب اليه من الآخرة وهوى نفسه احب اليه من
رضاء الله تعالى فلا يمكنه الخلاص من الغرور فاذا غلب حب الله على قلبه بمعرفته بالله وبنفسه الصادرة عن كمال عقله فيحتاج الى المعنى
الثالث وهو العلم اعني العلم بكيفية سلوك الطريق الى الله والعلم بما يقربه من الله وما يبعده عنه والعلم بآفات الطريق وعقباته وغوائله
وجميع ذلك قد اودعناه في كتاب احياء علوم الدين فيعرف من ربع العبادات اسرار العبادات واغوارها وشروطها فيراعيها وآفاتها
فيتقيها ومن ربع العادات اسرار المعايش وما هو مضطر اليه فياخذه بادب الشرع وما هو مستغن عنه ومن ربع المهلكات يعلم جميع العقبات
المانعة في طريق الله فان المانع من الله الصفات المذمومة في الخلق فيعلم المذموم ويعلم طريق علاجه ويعرف من ربع المنجيات الصفات
المحمودة التي لا بد وان توضع خلفا عن المذمومة بعد محوها واذا احاط بجميع ذلك امكنه الحذر عن الانواع التي اشرنا اليها

من الغرور وأصل ذلك كله أن يغلب حب الله على القلب ويسقط حب الدنيا منه حتى يقوى به الإرادة وتصح منه النية
ولا يحصل ذلك إلا بالمعرفة التي ذكرناه فإن قلت فإذا فعل جميع ذلك فما الذي يخاف عليه أن يخدعه الشيطان ويدعوه إلى
نصح الخلق ونشر العلم ودعوة الناس إلى ما عرفه من دين الله فإن المريد المخلص إذا فرغ عن تهذيب الأخلاق وراقب القلب
حتى صفا عن جميع الكدورات واستوى على الصراط المستقيم وصغرت الدنيا في عينه فتركها وانقطع طمعه عن الخلق فلم يلتفت إليهم
ولم يبق له إلا هم واحد وهو الله تعالى والتلذذ بذكره ومناجاته والشوق إلى لقائه وقد عجز الشيطان عن إغوائه إذ يأتيه من جهة الدنيا
وشهوات النفس فلا يطيعه فيأتيه من جهة الدين ويدعوه إلى الرحمة على خلق الله والشفقة على دينهم بالنصح لهم والدعاء إلى الله فينظر
العبد برحمته إلى العبيد فيراهم حيارى في أمرهم سكارى في دينهم صمّاً عمياً قد استولى عليهم المرض وهم لا يشعرون وقد فقدوا الطبيب
وأشرفوا على العطب فغلب على قلبه الرحمة لهم وقد كان عنده حقيقة المعرفة بما يهديهم ويبين لهم ضلالهم ويرشدهم إلى سعاداتهم
وهو يقدر على ذكرها من غير تعب ومؤنة ولزوم غرامة وكان مثله كرجل كان به داء عظيم لا يطاق ألمه وقد كان لذلك يسهر ليله ويقلق
نهاره ولا يأكل ولا يشرب ولا يتحرك ولا يتصرف لشدة ضربان الألم فوجد له دواء عفواً صفواً من غير ثمن ولا تعب ولا مرارة في تناوله
فاستعمله فبرئ وصح وطاب نومه بالليل بعد طول سهره وهدأ بالنهار بعد شدة القلق وطابت عيشته بعد نهاية الكرب وأصاب
لذة العافية بعد طول السقام ثم نظر إلى عدد كثير من المسلمين وإذا بهم تلك العلة بعينها وقد طال سهرهم واشتد قلقهم وارتفع إلى
السماء أنينهم فيذكر أن دواءهم هو الذي يعرفه ويقدر فأخذته الرحمة والرقة ولم يجد فسحة من نفسه في التراخي عن الاشتغال بعلاجهم
فكذلك العبد المخلص بعد أن اهتدى إلى الطريق وشفي من أمراض القلوب شاهد الخلق وقد مرضت قلوبهم وأعضل داؤهم وقرب هلاكهم
وشقاؤهم وسهل عليه دواؤهم فانبعث من ذات نفسه عزم جازم في الاشتغال بنصحهم وحرضه الشيطان على ذلك رجاء أن يجد
مجالاً للفتنة فلما اشتغل به وجد الشيطان مجالاً فدعى إلى الرياسة دعاء خفياً أخفى من دبيب النمل لا يشعر به المريد فلم يزل ذلك الدبيب
في قلبه حتى دعاه إلى التصنع والتزين للخلق بتحسين الألفاظ والنغمات والحركات والتصنع في الهيئة فأقبل الناس عليه يعظمونه ويبجلونه
ويوقرونه توقيراً يزيد على توقير الملوك إذ رأوه لذاتهم بمحض الشفقة والرحمة من غير طمع فصار أحب إليهم من آبائهم وأمهاتهم وأقاربهم فآثروه
بأبدانهم وأموالهم وصاروا له خولاً كالخدم والعبيد يخدمونه ويقدمونه في المحافل ويحكمونه على الملوك والسلاطين فعند ذلك انتشر الطبع وارتاحت
النفس وذاقت لذة وأصابت من الدنيا شهوة يستحقر معها كل شهوة وكان قد ترك الدنيا فوقع في أعظم لذاتها فعند ذلك وجد الشيطان فرصته
وامتدت إلى قلبه يده فهو يستعمله في كل ما يحفظ عليه تلك اللذة وأمارة انتشار الطمع وركون النفس إلى الشيطان أنه لو أخطأ فرد عليه
بين يدي الخلق غضب فإذا أنكر على نفسه ما وجده من الغضب بادر الشيطان فخيل إليه أن ذلك لله لأنه إذا لم يحسن اعتقاد المريدين فيه انقطعوا
عن طريق الله فوقع في الغرور وربما أخرجه ذلك إلى الوقيعة فيمن يرد عليه فوقع في الغيبة المحظورة بعد تركه للحلال المتسع ووقع في الكبر
الذي هو تمرد عن قبول الحق والشكر عليه بعد أن كان يحذر من طوارق الخطرات وكذلك إذا سبقه الضحكات وفتر عن بعض الأوراد خشي
أن يطلعوا عليه فيسقط قبوله أتبع ذلك الاستغفار وتنفس الصعداء وربما زاد في الأعمال والأوراد لأجلهم والشيطان
يخيل إليه أنك إنما تفعل ذلك لئلا يفتر داعيهم عن طريق الله فيتركون الطريق بتركه وإنما ذلك خدعة وغرور بل هي جذع وجزع من النفس
خيفة فوات الرياسة ولذلك لا يجزع نفسه من اطلاع على مثل ذلك من أقرانه بل ربما يحب ذلك ويستبشر به ولو ظهر من أقرانه من مالت
القلوب إلى قبوله وزاد أثر كلامه في القبول على كلامه شق ذلك عليه ولولا أن النفس قد استشرت واستلذت الرياسة لكان يغتنم ذلك
إذ مثاله أنه يرى الرجل جماعة من إخوانه وقد وقعوا في بئر وقد تغطى رأس البئر بصخرة كبيرة فعجزوا عن الترقي ونسيها فرق قلبه لأخوانه

فجاء ليرفع الصخرة من رأس البئر فشق عليه فجاء من أعانه على ذلك حتى تيسر عليه أو كفاه ذلك ونحاه بنفسه فيعظم بذلك
فرحه إذ غرضه خلاص إخوانه من البئر فإن كان غرض الناصح خلاص إخوانه من النار فإذا ظهر من أعانه أو كفاه ذلك فلم يثقل عليه
أرأيت لو اهتدوا جميعهم بأنفسهم لم كان ينبغي أن يثقل إذ كان غرضه هدايتهم فإذا اهتدوا بغيره فلم يثقل عليه ومهما وجد ذلك
في نفسه دعاه الشيطان إلى جميع كبائر القلوب وفواحش الجوارح وأهلكه فنعوذ بالله من زيغ القلوب بعد الهدى ومن اعوجاج النفس
بعد الاستواء فإن قلت فمتى يصح له أن يشتغل بنصح الناس فأقول إذا لم يكن قصد سوى هدايتهم لله تعالى وكان يود لو وجد من يعينه
أو اهتدوا بأنفسهم وانقطع بالكلية طمعه عن ثنائهم وعن أموالهم فاستوى عنده حمدهم وذمهم فلم يبال بذمهم إذا كان الله يحمده
ولم يفرح بحمدهم إذا لم يقترن به حمد الله تعالى ونظر إليهم كما ينظر إلى السادات وإلى البهائم أما إلى السادات فمن حيث أنه لا يتكبر عليهم
ويرى كلهم خيراً من نفسه لجهله بالخاتمة وأما إلى البهائم فمن حيث انقطاع طمعه عن طلب المنزلة في قلوبهم فإنه لا يبالي كيف تراه البهائم
فلا يتزين لها ولا يتصنع بل راعي الماشية غرضه رعاية الماشية ودفع الذئب عنها دون نظر الماشية إليه فما لم ير سائر الناس كالماشية
لا يلتفت إلى نظرها ولا يبالي بها لا يسلم من الاشتغال بإصلاحهم نعم ربما يصلحهم ولكن يفسد نفسه بإصلاحهم فيكون كالشمع الذي يضيء
غيره ويحترق في نفسه فإن قلت فلو ترك الوعاظ الوعظ إلا مثل هذه الدرجة خلت الدنيا عن الوعظ وخربت القلوب فأقول
وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حب الدنيا رأس كل خطيئة ولو لم يحب الناس الدنيا لهلك العالم وبطلت المعايش وهلكت
القلوب والأبدان جميعاً إلا أنه صلى الله عليه وسلم علم أن حب الدنيا مهلك وأن ذكر كونه مهلكاً لا ينزع الحب من قلب الأكثرين إلا
الأقلين الذين لا تخرب الدنيا بتركهم فلم يترك النصح وذكر ما في حب الدنيا من الخطر ولم يترك ذكره خوفاً من أن يترك ثقة بالشهوة
المهلكة التي سلطها الله على عباده ليسوقهم بها إلى جهنم تصديقاً لقوله ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين
فكذلك لا تزال ألسنة الوعاظ مطلقة بحب الرياسة ولا يدعونها بقول من يقول إن الوعظ لحب الدنيا والرياسة حرام كما لم يدع
الخلق الشرب والزنا والسرقة والربوا والظلم وسائر المعاصي بقول الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم أن ذلك حرام فانظر لنفسك
وكن فارغاً عن حديث الناس فإن الله يصلح خلقاً كثيراً بإفساد شخص واحد وأشخاص ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض
وإن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم فإنما يخشى الطالب أن ينسد طريق الاتعاظ فأما أن يخرس ألسنة الوعاظ وورائهم باعث
الرياسة وحب الدنيا فلا يكون ذلك أبداً فإن قلت فإن علم المريد هذه المكيدة من الشيطان فاشتغل بنفسه وترك النصح أو
نصح وراعى شرط الصدق والإخلاص فيه فما الذي يخاف عليه وما الذي بقي بين يديه من الأخطار وحبائل الاغترار فاعلم أنه بقي عليه
أعظم وهو أن الشيطان يقول له قد أعجزتني وأفلت مني بذكائك وكمال عقلك وقد قدرت على جملة من الأولياء والأنبياء والكبراء وما
قدرت عليك فما أصبرك وما أعظم عند الله محلك إذ قواك على قهري ومكنك من التفطن بجميع مداخل غروري فيصغي إليه ويصدقه
ويعجب بنفسه في فراره من الغرور كله فيكون إعجابه بنفسه غاية الغرور وهو المهلك الأكبر والعجب أعظم من كل ذنب ولذلك
قال الشيطان يا ابن آدم إذا ظننت أنك بعلمك تخلصت مني فبجهلك قد وقعت في حبائلي فإن قلت فلو لم يعجب بنفسه إذ علم أن
ذلك من الله سبحانه لا منه وأن مثله لا يقوى على دفع الشيطان إلا بتوفيق الله ومعونته ومن عرف ضعف نفسه وعجزه عن أقل القليل
فإذا قدر على مثل هذا الأمر العظيم علم أنه لم يقو عليه بنفسه بل بالله تعالى فما الذي يخاف عليه بعد نفي العجب فأقول يخاف عليه
الغرور بفضل الله والثقة بكرمه والأمن من مكره حتى يظن أنه يبقى على هذه الوتيرة في المستقبل ولا يخاف من الفترة والانقلاب فيكون
حاله الاتكال على فضل الله فقط دون أن يقارنه الخوف من مكره ومن أمن مكر الله فهو خاسر جداً بل طريقه أن يكون شاهداً جملة ذلك

من فضل الله ثم خائفا على نفسه ان يكون قد شذت عنه صفة من صفات قلبه من حب الدنيا والريا والنفاق الى غير ذلك وهو غافل

عنه ويكون خائفا ان يسلب حاله في كل نظرة وطرفة غير آمن من مكر الله ولا غافل عن خطر الخاتمة وهذا خطر لا محيص عنه وخوف لا نجاة

منه الا بعد مجاوزة الصراط وقد نقل ان الشيطان قال لبعض الاولياء في وقت النزع وقد بقي له نفس فقال افلت مني يا فلان فقال

لا بعد ولذلك قيل الناس كلهم هلكى الا العالمون والعالمون كلهم هلكى الا العاملون والعاملون كلهم هلكى الا المخلصون

والمخلصون على خطر عظيم فاذن المغرور هالك والمخلص الفار من الغرور على خطر فلذلك لا يفارق الخوف

والحذر قلوب اولياء الله ابدا فنسال الله سبحانه حسن الخاتمة فان الامور بخواتيمها

تم كتاب ذم الغرور وبه تم ربع المهلكات من كتاب احياء علوم

الدين والحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان

الا على الظالمين وصلى الله وسلم وبارك على خير خلقه

محمد وآله الطيبين واصحابه الطاهرين

ورضي الله تعالى عن مولفه

حجة الاسلام

الامام

محمد بن محمد بن محمد الغزالي شكر الله مساعيه ويتلوه ربع المنجيات انجانا الله من المخاوف في العرصات وادخلنا الجنات

كتاب التوبة وهو الكتاب الاول من ربع المنجيات

بسم الله الرحمن الرحيم عليه توكلت واليه انيب

الحمد لله الذي بتحميده يستفتح كل كتاب وبذكره يصدر كل خطاب وبحمده يتنعم اهل النعيم في دار الثواب وباسمه
يتسلى الاشقيا وان ارخي دونهم الحجاب وضرب بينهم وبين السعدا بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب
ونتوب اليه توبة من يوقن انه رب الارباب ومسبب الاسباب ونرجوه رجا من يعلم انه الملك الغفور التواب ونمزج برجائنا
الخوف مزج من لا يرتاب انه مع كونه غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ونصلي على نبيه محمد وصحبه الاكرمين صلوة
تنقذنا من هول المطلع يوم العرض والحساب وتمهد لنا عند الله زلفى وحسن مآب **اما بعد** فان التوبة عن الذنوب
بالرجوع الى ستار العيوب علام الغيوب مبدا طريق السالكين وراس مال الفائزين واول اقدام المريدين ومفتاح استقامة
المائلين ومطلع الاصطفا والاجتبا للمقربين ولابينا آدم صلى الله عليه وعلى سائر الانبيا اجمعين وما اجدر بالاولاد الاقتدا
بالآبا والاجداد فلا غرو ان اذنب الآدمي واجترم فهي شنشنة يعرفها من اخزم ومن اشبه اباه فما ظلم ولكن الاب اذا جبر بعد ما كسر
وعمر بعد ان هدم فليكن النزوع اليه في كلا طرفي النفي والاثبات والوجود والعدم ولقد قرع آدم سن الندم وتندم على ما سبق منه
وتقدم فمن اتخذه قدوة في الذنب دون التوبة فقد زلت به القدم بل التجرد لمحض الخير داب الملائكة المقربين والتجرد للشر دون
الخير والتلافي سجية الشياطين والرجوع الى الخير بعد الوقوع في الشر ضرورة الآدميين فالمتجرد للخير ملك مقرب عند الملك الديان
والمتجرد للشر شيطان والمتلافي للشر بالرجوع الى الخير بالحقيقة انسان فقد ازدوج في طينة الانسان شائبتان واصطحبت فيه
سجيتان وكل عبد مصحح نسبه اما الى الملك واما الى آدم او الى الشيطان فالتائب قد اقام البرهان على صحة نسبه الى آدم بملازمة
حد الانسان والمصر على الطغيان مسجل على نفسه بنسب الشيطان فاما تصحيح النسب بالتجرد لمحض الخير الى الملائكة فخارج عن
حيز الامكان فان الشر معجون مع الخير في طينة آدم عجنا محكما لا يخلصه الا احدى النارين نار الندم او نار جهنم فالاحراق
بالنار ضروري في تخليص جوهر الانسان عن خبائث الشيطان واليك الآن اختيار اهون الشرين والمبادرة الى اخف النارين
قبل ان يطوى بساط الاختيار ويساق الى دار الاضطرار اما الى الجنة او الى النار واذا كانت التوبة موقعها من الدين هذا
الموقع وجب تقديمها في صدر ربع المنجيات لشرح حقيقتها وشروطها وسببها وعلامتها وثمرتها والآفات المانعة منها
والادوية الميسرة لها ويتضح ذلك بذكر اربعة اركان **الركن الاول** في نفس التوبة وبيان حدها وحقيقتها وانها واجبة على
على الفور والدوام وعلى جميع الاشخاص وفي جميع الاحوال وانها اذا صحت كانت مقبولة **الركن الثاني** فيما عنه التوبة
وهي الذنوب وبيان انقسامها الى صغائر وكبائر وما يتعلق بالعباد وما يتعلق بحق الله تعالى وبيان كيفية توزع الدرجات
والدركات على الحسنات والسيئات وبيان الاسباب التي بها تعظم الصغائر **الركن الثالث** في بيان شروط التوبة ودوامها
وكيفية تدارك ما مضى من المظالم وكيفية تكفير الذنوب وبيان اقسام التائبين في دوام التوبة **الركن الرابع** في السبب الباعث
على التوبة وكيفية العلاج في حل عقدة الاصرار من المذنبين ويتم المقصود بهذه الاركان الاربعة

الركن الاول

في نفس التوبة **بيان** حقيقة التوبة وحدها اعلم ان التوبة عبارة عن معنى ينتظم ويلتئم من ثلاثة امور مرتبة علم وحال وفعل
فالعلم اول والحال ثاني والفعل ثالث والاول موجب للثاني والثاني موجب للثالث ايجابا اقتضاه اطراد سنة الله تعالى في
الملك والملكوت واما العلم فهو معرفة عظم ضرر الذنوب وكونها حجابا بين العبد وبين كل محبوب فاذا عرف ذلك معرفة محققة
بيقين غالب على قلبه ثار من هذه المعرفة تالم للقلب بسبب فوات المحبوب فان القلب مهما شعر بفوات محبوبه تالم فان كان فواته
بفعله تاسف على ذلك الفعل المفوت فيسمى تالمه بسبب فعله المفوت لمحبوبه ندما فاذا غلب هذا الالم على القلب واستولى انبعث
من هذا الالم في القلب حالة اخرى تسمى ارادة وقصدا الى فعل له تعلق بالحال وبالماضي وبالاستقبال اما تعلقه بالحال فبالترك
للذنب الذي كان ملابسا واما بالاستقبال فبالعزم على ترك الذنب المفوت للمحبوب الى آخر العمر واما بالماضي فبتلافي ما فات
بالجبر والقضا ان كان قابلا للجبر فالعلم هو الاول وهو مطلع هذه الخيرات واعني بهذا العلم الايمان واليقين فان الايمان
عبارة عن التصديق بان الذنوب سموم مهلكة واليقين عبارة عن تاكد هذا التصديق وانتفا الشك عنه واستيلائه على القلب
فيثمر نور هذا الايمان مهما اشرق على القلب نار الندم فيتالم بها القلب حيث يبصر باشراق نور الايمان انه صار محجوبا عن محبوبه
كمن يشرق عليه نور الشمس وقد كان في ظلمة فيطلع النور عليه بانقشاع سحاب او انحسار حجاب فراى محبوبه وقد اشرف
على الهلاك فتشتعل نيران الحب في قلبه وتنبعث تلك النيران بارادته للانتهاض للتدارك فالعلم والندم والقصد المتعلق
بالترك في الحال والاستقبال والتلافي للماضي ثلاثة معان مترتبة في الحصول فيطلق اسم التوبة على مجموعها وكثيرا ما يطلق اسم التوبة
على معنى الندم وحده ويجعل العلم كالسابق والمقدمة والترك كالثمرة والتابع المتاخر وبهذا الاعتبار قال صلى الله عليه وسلم
الندم توبة اذ لا يخلو الندم عن علم اوجبه واثمره وعن عزم يتبعه ويتلوه فيكون الندم محفوفا بطرفيه اعني ثمرته ومثمره وبهذا
الاعتبار قيل في حد التوبة انه ذوبان الحشا لما سبق من الخطا فان هذا يعرض لمجرد الالم ولذلك قيل هو نار في القلب
تلتهب وصدع في الكبد لا ينشعب وباعتبار معنى الترك قيل في حد التوبة انه خلع لباس الجفا ونشر بساط الوفا وقال سهل التستري
التوبة تبديل الحركات المذمومة بالحركات المحمودة ولا يتم ذلك الا بالخلوة والصمت واكل الحلال وكانه اشار الى المعنى الثالث
من التوبة والاقاويل في حدود التوبة لا تنحصر واذا فهمت هذه المعاني الثلاثة وتلازمها وترتيبها عرفت ان جميع ما قيل في حدودها
قاصر عن الاحاطة بجميع معانيها وطلب العلم بحقائق الامور اهم من طلب الالفاظ المجردة **بيان** وجوب التوبة وفضلها
اعلم ان وجوب التوبة ظاهر بالآيات والاخبار والآثار وهو واضح بنور البصيرة عند من انفتحت بصيرته وشرح بنور الايمان
صدره حتى اقتدر على ان يسعى بنوره الذي بين يديه في ظلمات الجهل مستغنيا عن قائد يقوده في كل خطوة فالسالك اما اعمى
لا يستغني عن قائد في كل خطوة واما بصير يهدى الى اول الطريق ثم يهتدي بنفسه وكذلك الناس في طريق الدين ينقسمون هذا الانقسام
فمن قاصر لا يقدر على مجاوزة التقليد في خطوة فيفتقر الى ان يسمع في كل قدم نصا من كتاب الله تعالى او سنة رسوله صلى الله عليه وسلم

وربما يفوزه ذلك ويتحير فيه هذا وان طال عمره وعظم جده محضره وخطاه قاصرة ومن سعد شرح الله صدره للاسلام فهو
على نور من ربه تنبه بادنى اشارة لسلوك طرق معوصة وقطع عقبات متعبة فيشرق في قلبه نور القرآن ونور الايمان
وهو لشدة نور باطنه يجتزي بادنى بيان وكانه يكاد زيته يضيء ولو لم تمسسه نار فاذا مسته نار فهو نور على نور يهدي الله لنوره
من يشاء فهذا لا يحتاج الى نص منقول في كل واقعة فمن كان هذا حاله اذا اراد ان يعرف وجوب التوبة فينظر اولا بنور البصيرة
الى التوبة ما هي ثم الى الوجوب ما معناه ثم يجمع بين معنى الوجوب والتوبة فلا يشك في ثبوته لها وذلك بان يعلم ان معنى الواجب
ما هو واجب في الوصول الى سعادة الابد والنجاة من هلاك الابد وانه لولا تعلق السعادة والشقاوة بفعل الشيء وتركه لم يكن
لوصفه بكونه واجبا معنى معقول وقول القائل صار واجبا بالايجاب حديث محض فان ما لا غرض لنا عاجلا واجلا في فعله وتركه
فلا معنى لاشتغالنا به اوجبه علينا غيرنا او لم يوجبه فاذا عرف معنى الوجوب وانه هو الوسيلة الى سعادة الابد وعلم انه
لا سعادة في دار البقاء الا في لقاء الله تعالى وان كل محجوب عنه فشقي لا محالة محول بينه وبين ما يشتهيه محترق بنار الفراق
ونار جهنم وعلم انه لا مبعد عن لقاء الله الا اتباع الشهوات والانس بهذا العالم الفاني والاكباب على حب ما لا بد من فراقه قطعا
وعلم انه لا مقرب من لقاء الله الا قطع علاقة القلب عن زخرف هذا العالم والاقبال بالكلية على الله تعالى طلبا للانس بدوام ذكره والمحبة
له بمعرفة جلاله وجماله على قدر طاقته وعلم ان الذنوب التي هي اعراض عن الله واتباع لمحاب الشياطين اعداء الله المبعدين عن حضرته
سبب كونه محجوبا مبعدا عن الله تعالى فلا يشك في ان الانصراف عن طريق البعد واجب للوصول الى القرب وانما يتم الانصراف
بالعلم والندم والعزم فانه ما لم يعلم ان الذنوب اسباب للبعد عن المحبوب لم يندم ولم يتوجع فلا يرجع ومعنى الرجوع الترك
بسبب سلوكه في طريق البعد وما لم يتوجع
والعزم فلا يشك في ان المعاني الثلاثة ضرورية في الوصول الى المحبوب وهكذا يكون الايمان الحاصل عن نور البصيرة واما
من لم يترشح لمثل هذا المقام المرتفع ذروته عن حدود اكثر الخلق ففي التقليد والاتباع له مجال رحب يتوصل به الى النجاة من الهلاك
فليلاحظ فيه قول الله تعالى وقول رسوله صلى الله عليه وسلم وقول السلف الصالحين فقد قال الله تعالى وتوبوا الى الله جميعا
ايها المؤمنون لعلكم تفلحون وهذا امر على العموم وقال تعالى يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم ان يكفر
عنكم الاية ومعنى النصوح الخالص لله خاليا عن الشوائب ماخوذا من النصح ويدل على فضل التوبة قوله تعالى ان الله يحب التوابين
ويحب المتطهرين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم التائب حبيب الله والتائب من الذنب كمن لا ذنب له وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لله افرح بتوبة عبده المؤمن من رجل نزل في ارض دوية مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه فوضع رأسه
فنام نومة فاستيقظ وقد ذهبت راحلته فطلبها حتى اذا اشتد عليه الحر والعطش او ما شاء الله قال ارجع الى مكاني الذي
كنت فيه فانام حتى اموت فوضع رأسه على ساعده ليموت فاستيقظ فاذا راحلته عنده عليها زاده وشرابه فالله اشد فرحا
بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وفي بعض الالفاظ قال من فرحه اذا اراد شكر الله انا ربك وانت عبدي ويروى عن الحسن قال
لما تاب الله عز وجل على آدم عليه الصلاة والسلام هنأته الملائكة فهبط عليه جبريل وميكائيل ودردائيل فقالوا يا آدم قرت
عينك بتوبة الله عز وجل عليك فقال آدم عليه السلام يا جبريل فان كان بعد هذه التوبة سؤال فاين مقامي فاوحى الله تعالى اليه
يا آدم ورثت ذريتك التعب والنصب وورثتهم التوبة فمن دعاني منهم لبيته كتلبيتك ومن سألني المغفرة لم ابخل عليه
بها لاني قريب مجيب يا آدم واحشر التائبين من القبور مستبشرين ضاحكين ودعاؤهم مستجاب والاخبار والآثار في ذلك لا تحصى
والاجماع منعقد من الامة على وجوبها اذ معناه العلم بان الذنوب والمعاصي مهلكات ومبعدات من الله وهذا داخل في وجوب الايمان

الايمان ولكن قد تدهش الغفلة عنه فمعنى هذا العلم ازالة هذه الغفلة ولا خلاف في وجوبها ومن معانيها ترك المعاصي
في الحال والعزم على تركها في الاستقبال وتدارك ما سبق من التقصير في سابق الاحوال وذلك لا يشك في وجوبه واما الندم
على ما سبق والتحزن عليه فواجب وهو روح التوبة وبه تمام التلافي فكيف لا يكون واجبا بل هو نوع الم يحصل لا محالة
عقيب حقيقة المعرفة بما فات من العمر وضاع في سخط الله فان قلت تألم القلب امر ضروري لا يدخل تحت الاختيار فكيف
يوصف بالوجوب فاعلم ان سببه تحقيق العلم بفوات المحبوب وله سبيل الى تحصيل سببه وبمثل هذا المعنى دخل تحت الوجوب
لا بمعنى ان العلم يخلقه العبد ويحدثه في نفسه فان ذلك محال بل العلم والندم والفعل والارادة والقدرة والقادر والكل
من خلق الله وفعله والله خلقكم وما تعملون هذا هو الحق عند ذوي البصائر وما سوى هذا ضلال فان قلت فليس للعبد اختيار
في الفعل والترك قلنا نعم وذلك لا يناقض قولنا ان الكل من خلق الله بل الاختيار ايضا من خلق الله والعبد مضطر في الاختيار الذي
له فان الله اذا خلق اليد الصحيحة وخلق الطعام اللذيذ وخلق الشهوة للطعام في المعدة وخلق العلم في القلب بان هذا الطعام يسكن
الشهوة وخلق الخواطر المتعارضة في ان هذا الطعام هل فيه مضرة مع انه يسكن الشهوة وهل دون تناوله مانع يتعذر معه تناوله
ام لا ثم خلق العلم بانه لا مانع ثم عند اجتماع هذه الاسباب تنجزم الارادة الباعثة على التناول فانجزام الارادة بعد تردد الخواطر
المتعارضة وبعد وقوع الشهوة للطعام يسمى اختيارا ولا بد من حصوله عند تمام اسبابه فاذا حصل انجزام الارادة بخلق الله تعالى
اياها تحركت اليد الصحيحة الى جهة الطعام لا محالة اذ بعد تمام الارادة والقدرة يكون حصول الفعل ضروريا فتحصل الحركة
فتكون الحركة بخلق الله بعد حصول القدرة وانجزام الارادة وهما من خلق الله وانجزام الارادة يحصل بعد صدق الشهوة والعلم
بعدم الموانع وهما ايضا من خلق الله ولكن بعض هذه المخلوقات يترتب على البعض ترتبا جرت به سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا
فلا يخلق الله حركة اليد بكتابة منظومة ما لم يخلق فيها صفة تسمى قدرة وما لم يخلق فيها حياة وما لم يخلق ارادة جازمة ولا يخلق
الارادة الجازمة ما لم يخلق شهوة وميلا في النفس ولا ينبعث هذا الميل انبعاثا تاما ما لم يخلق علما بانه موافق للنفس اما في الحال
او في المآل ولا يخلق العلم ايضا الا باسباب اخر ترجع الى حركة وارادة وعلم فالعلم والميل الطبعي ابدا يستتبع الارادة الجازمة و
الارادة والقدرة ابدا يستردف الحركة وهكذا الترتيب في كل فعل والكل من اختراع الله تعالى ولكن بعض مخلوقاته شرط للبعض
فلذلك يجب تقدم البعض وتأخر البعض كما لا يخلق الارادة الا بعد العلم ولا يخلق العلم الا بعد الحياة ولا يخلق الحياة الا بعد الجسم
ويكون خلق الجسم شرطا لحدوث الحياة لا ان الحياة تتولد من الجسم ويكون خلق الحياة شرطا لخلق العلم الا اذا كان حيا ويكون خلق
العلم شرطا لجزم الارادة لا ان العلم يولد الارادة ولكن لا يقبل الارادة الا جسم حي عالم ولا يدخل في الوجود الا ممكن وللامكان ترتيب
لا يقبل التغير لان تغيره محال فمهما وجد شرط الوصف استعد المحل به لقبول الوصف فحصل ذلك الوصف من الجود الالهي والقدرة
الازلية عند حصول الاستعداد ولما كان للاستعداد بسبب الشروط ترتيب كان لحصول الحوادث بفعل الله ترتب فالعبد مجرى
هذه الحوادث المرتبة وهي مرتبة في قضاء الله الذي هو واحد كلمح البصر ترتيبا كليا لا يتغير وظهورها بالتفصيل مقدر بقدر
لا يتعداها وعنه العبارة بقوله تعالى انا كل شيء خلقناه بقدر وعن القضاء الكلي الازلي العبارة بقوله تعالى وما امرنا الا واحدة
كلمح بالبصر واما العباد فانهم مسخرون تحت مجاري القضاء والقدر ومن جملة القدر خلق حركة في يد الكاتب بعد خلق صفة
مخصوصة في يده تسمى القدرة وبعد خلق ميل قوي جازم في نفسه يسمى القصد وبعد علم بما اليه ميله يسمى الادراك والمعرفة
فاذا ظهرت من باطن الملكوت هذه الامور الاربعة على جسم عبد مسخر تحت قهر التقدير سبق اهل عالم الملك والشهادة المحجوبون

عن عالم الغيب والملكوت وقالوا يا ايها الزجاج قد تحركت وكتبت ورميت ونودي من وراء حجب الغيب وسرادقات
الملكوت وما رميت اذ رميت ونودي من وراء حجب الغيب ولكن الله رمى وما قتلت اذ قتلت ولكن الله قتلهم وقاتلهم
قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم وعند هذا تتحير عقول القاعدين في بحبوحة عالم الشهادة فمن قائل انه جبر محض ومن قائل انه اختراع
صرف ومن متوسط الى انه كسب ولو فتح لهم ابواب السماء فنظروا الى عالم الغيب والملكوت لظهر لهم ان كل واحد صادق
من وجه وان القصور شامل لجميعهم فلم يدرك واحد منهم كنه هذا الامر ولم يحط علما بجوانبه وتمام علمه ينال باشراق النور من
كوة نافذة الى عالم الغيب والله تعالى عالم الغيب والشهادة لا يطلع على غيبه احدا الا من ارتضى وقد يطلع على الشهادة من لم
يدخل في حيز الارتضاء ومن حرك سلسلة الاسباب والمسببات وعلم تسلسلها ووجه ارتباط مناط سلسلتها بمسبب الاسباب انكشف
له سر القدر وعلم علما يقينا ان لا خالق الا الله ولا مبدع سواه فان قلت فقد قضيت على كل واحد من القائلين بالجبر والاختراع
والكسب بانه صادق من وجه وهو مع صدقه قاصر وهذا تناقض فكيف يمكن فهم ذلك وهل يمكن ايصال ذلك الى الافهام بمثال فاعلم
ان جماعة من العميان قد سمعوا انه قد حمل الى البلدة التي هم بها حيوان عجيب يسمى الفيل وما كانوا قد شاهدوا صورته ولا سمعوا اسمه
فقالوا لا بد لنا من مشاهدته ومعرفته باللمس الذي نقدر عليه فطلبوه فلما وصلوا اليه لمسوه فوقع يد بعض العميان على رجله ووقع
يد بعضهم على نابه ووقع يد بعضهم على اذنه فقالوا قد عرفناه فلما انصرفوا سألهم بقية العميان فاختلفت اجوبتهم فقال الذي
لمس الرجل ان الفيل ما هو الا مثل اسطوانة خشنة الظاهر الا انه الين منها وقال الذي لمس الناب ليس كما تقول بل هو صلب لا لين
فيه ولا خشونة فيه ولا غلظ الاسطوانة اصلا بل هو مثل عمود وقال الذي لمس الاذن لعمري هو لين وفيه خشونة فصدق احدهما فيه
ولكن قال ما هو مثل عمود ولا هو مثل اسطوانة وانما هو مثل جلد عريض غليظ فكل واحد من هؤلاء صدق من وجه اذ اخبر كل
واحد عما اصابه من معرفة الفيل ولم يخرج واحد في خبره عن وصف الفيل ولكنهم بجملتهم قصروا عن الاحاطة بكنه
صورة الفيل فاستبصر بهذا المثال واعتبر به فانه مثال اكثر ما اختلف الناس فيه وان كان هذا كلاما يناطح علوم المكاشفة
ويحرك امواجها وليس ذلك من غرضنا فلنرجع الى ما كنا بصدده وهو بيان ان التوبة واجبة بجميع اجزائها الثلاثة العلم والندم
والترك وان الندم داخل في الوجوب لكونه واقعا في جملة افعال الله المحصورة بين علم العبد وارادته وقدرته المتخللة بينهما وما
هذا وصفه فاسم الوجوب يشمله بيان وجوب التوبة على الفور اما وجوبها على الفور فلا يستراب فيه اذ معرفة كون المعاصي
مهلكات من نفس الايمان وهو واجب على الفور والمتقصي عن وجوبه هو الذي عرفه معرفة زجره ذلك عن الفعل فان هذه المعرفة ليست
من علوم المكاشفات التي لا تتعلق بعمل بل من علوم المعاملة وكل علم يراد ليكون باعثا على عمل فلا يقع التفصي عن عهدته ما لم يصر
باعثا فالعلم بضرر الذنوب انما اريد ليكون باعثا على تركها فمن لم يتركها فهو فاقد لهذا الجزء من الايمان وهو المراد بقوله عليه السلم
لا يزني الزاني وهو مؤمن حين يزني وما اراد به نفي الايمان الذي يرجع الى علوم المكاشفة كالعلم بالله ووحدانيته وصفاته وكتبه
ورسله فان ذلك لا ينافيه الزنا والمعاصي وانما اراد به نفي الايمان بكون الزنا مبعدا عن الله تعالى وموجبا للمقت كما اذا قال الطبيب
هذا سم فلا تتناوله فاذا تناوله يقال تناول وهو غير مؤمن لا بمعنى انه غير مؤمن بوجود الطبيب وكونه طبيبا وغير مصدق به
بل المراد انه غير مصدق بقوله انه سم مهلك فان العالم بالسم لا يتناوله اصلا فالعاصي بالضرورة ناقص الايمان وليس الايمان بابا
واحدا بل هو نيف وسبعون بابا اعلاها شهادة ان لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق ومثاله قول القائل
ليس الانسان موجودا واحدا بل هو نيف وسبعون موجودا اعلاها القلب والروح وادناها اماطة الاذى عن البشرة بان يكون

بان يكون مقصوص الشارب مقلوم الاظفار نقي البشرة عن الخبث حتى يتميز عن البهائم المرسلة الملوثة بارواثها المستكرهة الصور
بطول مخالبها واظلافها وهذا مثال مطابق فالايمان كالانسان وفقد شهادة التوحيد يوجب البطلان بالكلية كفقد الروح
والذي ليس له الا شهادة التوحيد والرسالة فهو كانسان مقطوع الاطراف مفقوء العين فاقد لجميع اعضائه الظاهرة والباطنة
الا اصل الروح وكما ان من هذا حاله قريب من ان يموت فيزايله الروح الضعيفة المنفردة التي تخلف عنها الاعضاء
التي تمدها وتقويها فكذلك من ليس له الا اصل الايمان وهو مقصر في الاعمال قريب من ان تنقلع شجرة ايمانه اذا صدمتها الرياح
العاصفة المحركة للايمان في مقدمة قدوم ملك الموت وورود سكراته فكل ايمان لم يثبت في النفس اصله ولم تنتشر في الاعمال فروعه
لم يثبت على عواصف الاهوال عند ظهور ناصية ملك الموت ويخاف عليه سوء الخاتمة الا ما سقي بماء الطاعات على توالي الايام و
الساعات حتى رسخ وثبت وقول العاصي للمطيع اني مؤمن كما انك مؤمن كقول شجرة القرع لشجرة الصنوبر انا شجرة وانت شجرة وما
احسن جواب شجرة الصنوبر اذ قالت ستعرف اغترارك بشمول الاسم اذا عصفت رياح الخريف فعند ذلك تنقلع اصولك وتتناثر
اوراقك وينكشف غرورك بالمشاركة في اسم الشجر مع الغفلة عن اسباب ثبات الاشجار وسوف ترى اذا انجلى الغبار افرس تحتك ام حمار

ام حماد

فهذا امر يظهر عند الخاتمة وانما انقطع نياط العارفين خوفا من دواهي الموت ومقدماته الهائلة التي لا يثبت عليها الا الاقلون
فالعاصي اذا كان لا يخاف الخلود في النار بسبب ايمانه كالصحيح المنهمك في الشهوات المضرة اذا كان لا يخاف الموت بسبب الصحة
ان الموت غالبا لا يقع فجاءة فيقال له الصحيح يخاف المرض ثم اذا مرض خاف الموت فكذلك العاصي يخاف سوء الخاتمة ثم اذا ختم له
بالسوء وجب الخلود في النار فالمعاصي للايمان كالماكولات المضرة للابدان فلا تزال تجتمع في الباطن حتى تغير مزاج الاخلاط وهو لا
يشعر بها الى ان يفسد المزاج فيمرض دفعة ثم يموت دفعة فكذلك المعاصي فان كان الخائف من الهلاك في هذه الدنيا المنقضية
يجب عليه ترك السموم وما يضره من الماكولات في كل حال وعلى الفور فالخائف من هلاك الابد اولى بان يجب عليه ذلك وان كان
متناول السم اذا ندم يجب عليه ذلك وان كان متناول السم اذا ندم يجب عليه ان يتقيأ ويرجع عن تناوله بابطاله واخراجه من المعدة
على سبيل الفور والمبادرة تلافيا لبدنه المشرف على الهلاك لا يفوت عليه الا هذه الدنيا الفانية فمتناول سموم الدين وهي
الذنوب اولى بان يجب عليه الرجوع عنها بالتدارك الممكن ما دام يبقى للتدارك مهلة وهو العمر فان المخوف من هذا السم فوات
الآخرة الباقية التي فيها النعيم المقيم والملك العظيم وفي فواتها نار الجحيم والعذاب الاليم الذي تتصرم اضعاف اعمار الدنيا
دون عشر عشير مدته اذ ليس لمدته آخر البتة فالبدار البدار الى التوبة قبل ان تعمل سموم الذنوب بروح الايمان عملا يجاوز
الامر فيه اختيار الاطباء ولا ينفع بعده الاحتماء فلا ينجع بعد ذلك نصح الناصحين ووعظ الواعظين وتحق الكلمة عليه بانه
من الهالكين ويدخل تحت عموم قوله تعالى انا جعلنا في اعناقهم اغلالا فهي الى الاذقان فهم مقمحون وجعلنا من بين ايديهم
سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون وسواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون ولا يغرنك لفظ الايمان فتقول
المراد به الكافرون اذ بين لك ان الايمان بضع وسبعون بابا وان الزاني وهو مؤمن فالمحجوب عن الايمان الذي هو شعب
وفروع سيحجب في الخاتمة عن الايمان الذي هو اصل كما ان الشخص الفاقد لجميع الاطراف التي هي فروع سيساق الى الموت المعدم
للروح التي هي اصل فلا بقاء للاصل دون الفرع ولا وجود للفرع دون الاصل ولا فرق بين الاصل والفرع الا في شيء واحد وهو
ان وجود الفرع وبقاءه جميعا يستدعي وجود الاصل واما وجود الاصل فلا يستدعي وجود الفرع فبقاء الاصل بالفرع ووجود
الفرع بالاصل فعلوم المكاشفة وعلوم المعاملة اذا لم يكن باعثة على العمل فعدمها خير من وجودها فانها لم تعمل عملها الذي

تُوادله ثم قامت مؤكدة للحجة على صاحبها ولذلك تزاد في عذاب العالم الفاجر كما اوردناه من الاخبار في كتاب العلم

بيان ان وجوب التوبة عام في الاشخاص والاحوال فلا ينفك عنه احد البتة اعلم ان ظاهر الكتاب قد دل على هذا
اذ قال تعالى وتوبوا الى الله جميعا فعمم الخطاب ونور البصيرة ايضا يرشد اليه اذ معنى التوبة الرجوع عن الطريق المبعد عن الله تعالى
المقرب الى الشيطان ولا يتصور ذلك الا من عاقل ولا يكمل غريزة العقل الا بعد كمال غريزة الشهوة والغضب وسائر الصفات
المذمومة التي هي وسائل الشيطان الى اغواء الانسان اذ كمال العقل انما يكون عند مقاربة الاربعين واصله انما يتم عند مراهقة
البلوغ ومباديه تظهر بعد سبع سنين والشهوات جنود الشيطان والعقول جنود الملائكة واذا اجتمعا قام القتال بين الجندين
بالضرورة اذ لا يثبت احدهما للآخر فانهما ضدان فالتطارد بينهما كالتطارد بين الليل والنهار والنور والظلمة ومهما غلب احدهما
ازعج الآخر بالضرورة واذا كانت الشهوة تكمل في الصبى والشباب قبل كمال العقل فقد سبق جند الشيطان واستولى على المكان
ووقع للقلب به انس والف لا محالة بمقتضيات الشهوات بالعادة وغلب ذلك عليه ويعسر عليه النزوع عنه ثم يلوح العقل الذي
هو حزب الله وجنده ومنقذ اوليائه من ايدي اعدائه شيئا شيئا على التدريج فان لم يقو ولم يكمل سلمت مملكة القلب للشيطان
وانجز اللعين موعوده حيث قال لاحتنكن ذريته الا قليلا وان كمل العقل وقوي كان اول شغله قمع جنود الشيطان بكسر الشهوات
ومفارقة العادات ورد الطبع على سبيل القهر الى العبادات ولا معنى للتوبة الا هذا وهو الرجوع عن طريق دليله الشهوة وخفيره
الشيطان الى طريق الله تعالى وليس في الوجود آدمي الا وشهوته سابقة على عقله وغريزته التي هي عدة الشيطان متقدمة على غريزته
التي هي عدة الملائكة فكان الرجوع عما سبق اليه على مساعدة الشهوات ضروريا في حق كل انسان نبيا كان او غبيا فلا تظنن ان
هذه الضرورة اختصت بآدم صلوات الله عليه .. يقولون لي هند لها الغدر وحدها .. سجية نفس كل غانية هند .. بل هو
حكم ازلي مكتوب على جنس الانس لا يمكن فرض خلافه ما لم تتبدل السنة الالهية التي لا مطمع في تبديلها فاذن كل من بلغ كافرا جاهلا
فعليه التوبة من كفره وجهله فان بلغ مسلما تبعا لابويه غافلا عن حقيقة اسلامه فعليه التوبة عن غفلته بتفهم معنى الاسلام
فانه لا يغني عنه اسلام ابويه شيئا ما لم يسلم بنفسه فان فهم ذلك فعليه الرجوع عن عادته والفه للاسترسال وراء الشهوات
من غير صارف بالرجوع الى قالب حدود الله في المنع والاطلاق والكف والاسترسال وهو من اشق ابواب التوبة وفيه هلك الاكثرون
اذ عجزوا عنه وكل هذا رجوع وتوبة فدل ان التوبة فرض عين في حق كل شخص لا يتصور ان يستغني عنه احد من البشر كما لم يستغن عنه
آدم صلى الله عليه وسلم فخلقة الولد لا تتسع لما لم يتسع له خلقة الوالد اصلا واما بيان وجوبها على الدوام وفي كل حال فهو
ان كل بشر فلا يخلو عن معصية بجوارحه اذ لم يخل عنه الانبياء كما ورد في القرآن والاخبار من خطايا الانبياء وتوبتهم وبكائهم على
خطاياهم فان خلا في بعض الاوقات عن معصية الجوارح فلا يخلو عن الهم بالذنوب بالقلب فان خلا عن الهم فلا يخلو عن الوسواس
بايراد الخواطر المتفرقة المذهلة عن ذكر الله تعالى فان خلا عنه فلا يخلو عن غفلة وقصور في العلم بالله وبصفاته وافعاله وكل ذلك
نقص وله اسباب وترك اسبابه بالتشاغل باضداده رجوع عن طريق الى ضده والمراد بالتوبة الرجوع ولا يتصور الخلو في حق الآدمي
عن هذا النقص وانما يتفاوتون في المقادير فاما الاصل فلا بد منه ولهذا قال صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي في اليوم
والليلة سبعين مرة فاستغفر الله الحديث ولذلك اكرمه الله تعالى بان قال ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر واذا كان هذا حاله
فكيف حال غيره فان قلت لا يخفى ان ما يطرأ على القلب من الهموم والخواطر نقص وان الكمال في الخلو عنه وان القصور عن
معرفة كنه جلال الله نقص وانه كلما ازدادت المعرفة زاد الكمال وان الانتقال الى الكمال من اسباب النقصان رجوع والرجوع توبة ولكن

هذه فضائل لا فرائض وقد اطلقت القول بوجوب التوبة في كل حال والتوبة عن هذه الامور ليست واجبة اذ ادراك
الكمال غير واجب في الشرع فما المراد بقولك التوبة واجبة في كل حال فاعلم انه قد سبق ان الانسان لا يخلو في مبدأ خلقته عن
اتباع الشهوات اصلا وليس معنى التوبة تركها فقط بل تمام التوبة بتدارك ما مضى وكل شهوة اتبعها الانسان ارتفعت منها
ظلمة الى القلب كما يرتفع من نفس الانسان ظلمة الى وجه المرآة الصقيلة فان تراكمت ظلمة الشهوات صار رينا كما يصير بخار
النفس في وجه المرآة عند تراكمه خبثا كما قال الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون فاذا تراكم الرين صار طبعا
فيطبع على قلبه كالخبث على وجه المرآة اذا تراكم وطال زمانه غاص في جرم الحديد وافسده وصار لا يقبل التصقيل بعده وصار
كالمطبوع من الخبث ولا يكفي في تدارك اتباع الشهوات تركها في المستقبل بل لا بد من محو تلك الآثار التي انطبعت في القلب
كما لا يكفي في ظهور الصورة في المرآة قطع الانفاس والبخارات المسودة لوجهها في المستقبل ما لم يشتغل بمحو ما انطبع
فيها من الآثار وكما يرتفع الى القلب ظلمة من المعاصي والشهوات فيرتفع اليه نور من الطاعات وترك الشهوات فتنمحي ظلمة المعصية
بنور الطاعة واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم اتبع السيئة الحسنة تمحها فاذن لا يستغني العبد في حال من احواله عن محو
آثار السيئات عن قلبه بمباشرة حسنات تضاد آثارها آثار تلك السيئات هذا في قلب حصل اولا صفاؤه وجلاؤه ثم اظلم
باسباب عارضة فاما التصقيل الاول ففيه يطول الشغل اذ ليس شغل الصيقل في ازالة الصدأ عن المرآة كشغله
في عمل اصل المرآة فهذه اشغال طويلة لا ينقطع اصلا وكل ذلك يرجع الى التوبة فاما قولك ان هذا لا يسمى واجبا بل هو فضل وطلب
كمال فاعلم ان الواجب له معنيان احدهما ما يدخل في فتوى الشرع ويشترك فيه كافة الخلق وهو القدر الذي لو اشتغل كافة
الخلق به لم يخرب العالم ولو كلف الناس كلهم ان يتقوا الله حق تقاته لتركوا المعايش ورفضوا الدنيا بالكلية ثم يؤدي ذلك الى بطلان
التقوى بالكلية فانه مهما فسدت المعايش لم يتفرغ احد للتقوى بل شغل الحياكة والحراثة والخبز يستغرق جميع عمر كل واحد فيما
يحتاج اليه فجميع هذه الدرجات ليست واجبة بهذا الاعتبار والواجب الثاني هو الذي لا بد منه للوصول الى القربات
المطلوبة من رب العالمين والمقام المحمود بين الصديقين والتوبة عن جميع ما ذكرناه واجب في الوصول اليه كما يقال الطهارة
واجبة في صلاة التطوع اي لمن يريدها فانه لا يتوصل اليه الا بها فاما من رضي بالنقصان والحرمان عن فضل صلاة التطوع فالطهارة
ليست واجبة عليه لاجلها وكما يقال العين والاذن واليد والرجل شرط في وجود الانسان يعني انه شرط لمن يريد ان يكون
انسانا كاملا ينتفع بانسانيته ويتوصل بها الى الدرجات العلى في الدنيا فاما من قنع باصل الحياة ورضي بان يكون كلحم على وضم
وكخرقة مطروحة فليس يشترط لمثل هذه الحياة عين ويد ورجل فاصل الواجبات الداخلة في فتوى العامة لا يوصل الا الى اصل النجاة
واصل النجاة كاصل الحياة وما وراء اصل النجاة من السعادات التي بها تنتهي النجاة يجري مجرى الاعضاء والآلات التي بها تتهيأ
الحياة وفيه سعي الانبياء والاولياء والعلماء والامثل فالامثل وعليه كان حرصهم وحواليه كان تطوافهم ولاجله كان رفضهم
لملاذ الدنيا بالكلية حتى انتهى عيسى عليه السلام الى ان توسد حجرا في منامه فجاء اليه الشيطان فقال اما كنت تركت الدنيا
للآخرة فقال نعم وما الذي حدث فقال توسدك لهذا الحجر تنعم بالدنيا فلم لا تضع راسك على الارض فرمى عيسى عليه الصلاة
والسلام بالحجر ووضع راسه على الارض وكان رميه الحجر توبة عن ذلك التنعم افترى ان عيسى عليه الصلاة والسلام لم يعلم ان
وضع الراس على الارض لا يسمى واجبا في فتاوى العامة افترى ان نبينا صلى الله عليه وسلم لما شغله الثوب الذي عليه علم
في صلاته حتى نزعه وشغله شراك نعله الذي جدده حتى اعاد الشراك الخليع ما علم ان ذلك ليس واجبا في شرع الذي شرعه

لكافة العباد فاذا علم ذلك فلم تاب عنه بتركه وهل كان ذلك الا لانه راه مؤثرا في قلبه اثرا يمنعه عن بلوغ المقام المحمود
الذي كان قد رشح له او ترى ان الصديق بعد ان شرب اللبن وعرف انه من غير وجهه ادخل اصبعه في حلقه ليخرجه حتى كاد
يخرج معه روحه ما علم من الفقه هذا القدر وهو ان ما اكله عن جهل فهو غير آثم به ولا يجب في فتوى الفقه اخراجه فلم تاب عن
اكله بالتدارك على حسب امكانه بتخلية المعدة عنه وهل كان ذلك الا لسر وقر في صدره عرفه ذلك السر ان فتوى العامة
حديث اخر وان خطر طريق الاخرة لا يعرفه الا الصديقون فتأمل احوال هؤلاء الذين هم اعرف خلق الله بالله وبطريقه وبمكر الله و
بمكامن الغرور بالله واياك مرة واحدة ان تغرك الحيوة الدنيا واياك ثم اياك الف مرة ان يغرك بالله الغرور فهذه اسرار
من استنشق مبادي روائحها علم ان لزوم التوبة النصوح ملازم للعبد السالك في كل نفس من انفاسه ولو عمر عمر نوح وان ذلك واجب
على الفور من غير مهلة ولقد صدق ابو سليمان الداراني حيث قال لو لم يبك العاقل فيما بقي من عمره الا على فوت ما مضى منه في غير الطاعة
لكان خليقا ان يحزنه ذلك الى الممات فكيف من يستقبل ما بقي من عمره بمثل ما مضى من جهله وانما قال هذا لان العاقل اذا ملك جوهرة
نفيسة فضاعت منه بغير فائدة بكى عليها لا محالة وان ضاعت منه وصار ضياعها سبب هلاكه كان بكاؤه منه اشد وكل ساعة
من العمر بل كل نفس جوهرة نفيسة لا خلف لها ولا بدل منها وانها صالحة لان توصلك الى سعادة الابد واي جوهر انفس من هذا
فاذا اضعتها في الغفلة فقد خسرت خسرانا مبينا وان صرفتها الى معصية فقد هلكت هلاكا فاحشا فان كنت لا تبكي على هذه
المعصية فذلك لجهلك ومصيبتك بجهلك اعظم من كل مصيبة لكن الجهل مصيبة لا يعرف المصاب بها انه صاحب مصيبة فان
نوم الغفلة يحول بينه وبين معرفته والناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا فعند ذلك ينكشف لكل مفلس افلاسه ولكل مصاب مصيبته وقد
وقع الياس عن التدارك قال بعض العارفين ان ملك الموت اذا ظهر للعبد اعلمه انه قد بقي من عمرك ساعة وانك لا تستاخر عنها
طرفة عين فيبدو للعبد من الاسف والحسرة ما لو كانت له الدنيا بحذافيرها لخرج منها على ان يضم الى تلك الساعة ساعة اخرى
ليستعتب فيها ويتدارك تفريطه فلا يجد اليه سبيلا وهو اول ما يظهر من معاني قوله تعالى وحيل بينهم وبين ما يشتهون واليه الاشارة
بقوله تعالى من قبل ان ياتي احدكم الموت فيقول رب لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق واكن من الصالحين ولن يؤخر الله نفسا
اذا جاء اجلها فقيل الاجل القريب الذي يطلبه معناه انه يقول العبد عند كشف الغطاء يا ملك الموت اخرني يوما اعتذر فيه
الى ربي واتوب واتزود صالحا لنفسي فيقول فنيت الايام فلا يوم فيقول اخرني ساعة فيقول فنيت الساعات فلا ساعة فيغلق
فيغلق عليه باب التوبة فيغرغر بروحه ويتردد انفاسه في شراسيفه ويتجرع غصة الياس عن التدارك وحسرة الندامة على تضييع
العمر فيضطرب اصل ايمانه في صدمات تلك الاهوال فاذا زهقت نفسه فان كانت قد سبقت له من الله الحسنى خرجت روحه على
التوحيد فذلك حسن الخاتمة وان سبق له القضاء بالشقوة والعياذ بالله خرجت روحه على الشك والاضطراب وذلك سوء الخاتمة
ولهذا يقال وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الان انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة
ثم يتوبون من قريب ومعناه عن قرب عهد بالخطيئة بان يتندم عليها ويمحو اثرها بحسنة يردفها بها قبل ان يتراكم الرين
على القلب فلا يقبل المحو ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اتبع السيئة الحسنة تمحها وكذلك قال لقمن لابنه يا بني لا تؤخر
التوبة فان الموت ياتي بغتة ومن ترك المبادرة الى التوبة بالتسويف كان بين خطرين عظيمين احدهما ان تتراكم الظلمة على قلبه
من المعاصي حتى يصير رينا وطبعا فلا يقبل المحو والثاني ان يعاجله المرض او الموت فلا يجد مهلة للاشتغال بالمحو ولذلك
ورد في الخبر ان اكثر صياح اهل النار من التسويف فما هلك من هلك الا بالتسويف فيكون تسويده للقلب نقدا وجلاؤه

وجلاؤه بالطاعة نسيئة الى ان يختطفه الاجل فياتي الله بقلب غير سليم ولا ينجو الا من اتى الله بقلب سليم فالقلب امانة الله
تعالى عند عبده والعمر امانة الله عنده وكذا سائر اسباب الطاعة فمن خان في الامانة ولم يتدارك خيانته فامره مخطر قال
بعض العارفين ان لله تعالى الى عبده سرين يسرهما اليه على سبيل الالهام احدهما اذا خرج من بطن امه يقول له عبدي قد
اخرجتك الى الدنيا طاهرا نظيفا واستودعتك عمرك وائتمنتك عليه فانظر كيف تحفظ الامانة وانظر كيف تلقاني والثاني
عند خروج روحه يقول عبدي ماذا صنعت في امانتي عندك هل حفظتها حتى تلقاني على العهد فالقاك على الوفاء او اضعتها
فالقاك بالمطالبة والعقاب واليه الاشارة بقوله تعالى والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون

بيان ان التوبة اذا استجمعت شرائطها فهي مقبولة لا محالة

اعلم انك اذا فهمت معنى القبول لم تشك في ان كل توبة صحيحة فهي مقبولة فالناظرون بنور
البصائر المستمدون من انوار القران علموا ان كل قلب سليم مقبول عند الله ومتنعم في الاخرة في جوار الله ومستعد لان ينظر
بعينه الباقية الى وجه الله تعالى وعلموا ان القلب خلق سليما في الاصل وكل مولود يولد على الفطرة وانما تفوته السلامة بكدورة
ترهق وجهه من غبرة الذنوب وظلمتها وعلموا ان نار الندم تحرق تلك الغبرة وان نور الحسنة يمحو عن وجه القلب ظلمة السيئة
وانه لا طاقة لظلام المعاصي مع نور الحسنات كما لا طاقة لظلام الليل مع نور النهار بل كما لا طاقة لكدورة الوسخ لا يقبله الملك
لان يكون لباسه فالقلب المظلم لا يقبله الله تعالى لان يكون في جواره وكما ان استعمال الثوب في الاعمال الخسيسة يوسخ الثوب
وغسله بالصابون والماء الحار ينظفه لا محالة فاستعمال القلب في الشهوات يوسخ القلب وغسله بماء الدموع وحرقة الندم
ينظفه ويطهره ويزكيه وكل قلب زكي طاهر فهو مقبول كما ان كل ثوب نظيف فهو مقبول فانما عليك التزكية والتطهير
واما القبول فمبذول قد سبق به القضاء الازلي الذي لا مرد له وهو المسمى فلاحا في قوله تعالى قد افلح من زكيها ومن لم يعرف
على سبيل التحقيق معرفة اقوى واجلى من المشاهدة بالبصر ان القلب يتاثر بالمعاصي والطاعات تاثرا متضادا يستعار لاحدهما
لفظ الظلمة كما يستعار للجهل ويستعار للاخر لفظ النور كما يستعار للعلم وان بين النور والظلمة تضادا ضروريا لا يتصور الجمع
بينهما فكانه لم يعرف من الدين الا قشوره ولم يعلق به الا اسماؤه وقلبه في غطاء كثيف عن حقيقة الدين بل عن حقيقة نفسه وصفات
ومن جهل نفسه فهو بغيرها اجهل وصفات نفسه ومن جهل نفسه فهو بغيره اجهل واعني به قلبه اذ بقلبه يعرف غيره فكيف
يعرف غيره وهو لا يعرف قلبه فمن يتوهم ان التوبة تصح ولا تقبل كمن يتوهم ان الشمس تطلع والظلام لا يزول والثوب يغسل
بالصابون والوسخ لا يزول الا ان يغوص الوسخ لطول تراكمه في تجاويف الثوب وخلله فلا يقوى الصابون على قلعه فمثال
ذلك ان تتراكم الذنوب حتى تصير طبعا ورينا على القلب فمثل هذا القلب لا يتوب ولا يرجع نعم قد يقول باللسان تبت فيكون ذلك
كقول القصار بلسانه قد غسلت الثوب وذلك لا ينظف الثوب اصلا ما لم يغير صفة الثوب باستعمال ما يضاد الوصف المتمكن
فيه فهذا حال امتناع اصل التوبة وهو غير بعيد بل هو الغالب على كافة الخلق المقبلين على الدنيا المعرضين عن الله بالكلية فهذا
البيان كاف عند ذوي البصائر في قبول التوبة ولكنا نعضد جناحه بنقل الايات والاخبار والاثار فكل استبصار لا
يشهد له الكتاب والسنة لا يوثق به وقد قال الله تعالى وهو الذي يقبل التوبة عن عباده وقال غافر الذنب وقابل التوب
الى غير ذلك من الايات وقال النبي صلى الله عليه وسلم لله افرح بتوبة العبد الحديث والفرح وراء القبول فهو دليل على
القبول وزيادة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يبسط يده بالتوبة لمسيء الليل الى النهار ولمسيء النهار
الى الليل حتى تطلع الشمس من مغربها فبسط اليد كناية عن طلب التوبة والطالب وراء القابل فرب قابل ليس بطالب ولا

وهو تائب وقال صلى الله عليه وسلم لو عملتم الخطايا حتى تبلغ السماء ثم ندمتم لتاب الله عليكم وقال ايضا صلى الله عليه وسلم
ان العبد ليذنب الذنب فيدخل به الجنة قيل كيف ذلك يا رسول الله قال يكون نصب عينيه تائبا فارا حتى يدخل الجنة وقال
صلى الله عليه وسلم كفارة الذنب الندامة وقال التائب من الذنب كمن لا ذنب له ويروى ان حبشيا قال يا رسول الله انى
كنت اعمل الفواحش فهل لى من توبة قال نعم فولى ثم رجع فقال يا رسول الله اكان يرانى وانا اعملها قال نعم فصاح الحبشى
صيحة فيها خرجت نفسه ويروى ان الله تعالى لما لعن ابليس سأله النظرة فانظره الى يوم القيمة فقال وعزتك لا خرجت من قلب
ابن آدم ما دام فيه الروح وقال صلى الله عليه وسلم والاخبار في هذا مما لا يحصى واما الآثار فقد قال سعيد بن المسيب انزل
قوله تعالى انه كان للاوابين غفورا في الرجل يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب وقال الفضيل قال الله تعالى بشر المذنبين انهم ان
تابوا قبلت منهم توبتهم وحذر الصديقين انى ان وضعت عليهم عدلى عذبتهم وقال الطلق بن حبيب ان حقوق الله اعظم من
ان يقوم بها العبد ولكن اصبحوا تائبين وامسوا تائبين وقال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما من ذكر خطيئة الم بها فوجل منها
قلبه محيت عنه في ام الكتاب ويروى ان نبيا من انبياء بنى اسرائيل اذنب فاوحى الله اليه وعزتى لئن عدت لاعذبنك فقال
يا رب انت انت وانا انا وعزتك لئن لم تعصمنى لاعودن فعصمه الله سبحانه وقال بعضهم ان العبد ليذنب الذنب فلا يزال نادما
حتى يدخل الجنة فيقول ابليس ليتنى لم اوقعه في الذنب وقال حبيب بن ثابت يعرض على الرجل ذنوبه يوم القيمة فيمر بالذنب
فيقول اما انى قد كنت مشفقا منك فيغفر الله له ويروى ان رجلا سأل ابن مسعود عن ذنب الم به هل له من توبة فاعرض عنه
ابن مسعود ثم التفت اليه فرأى عينيه تذرفان فقال له ان للجنة ثمانية ابواب كلها تفتح وتغلق الا باب التوبة فان عليه
ملكا موكلا به لا يغلق فاعمل ولا تيأس وقال عبد الرحمن بن ابى القاسم تذاكرنا مع عبد الرحيم توبة الكافر وقول الله تعالى ان
ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف فقال انى لارجو ان يكون المسلم احسن حالا عند الله تعالى وقد بلغنى ان توبة المسلم كاسلام بعد اسلام
وقال عبد الله بن سلام لا احدثكم الا عن نبى مرسل او كتاب منزل ان العبد اذا عمل ذنبا ثم ندم عليه طرفة عين سقط عنه اسرع من
طرفة عين وقال عمر رضى الله عنه اجلسوا الى التوابين فانهم ارق افئدة ويروى انه كان في بنى اسرائيل شاب عبد الله عشرين
سنة ثم عصاه عشرين سنة ثم نظر في المرآة فرأى الشيب في لحيته فساءه ذلك فقال الهى اطعتك عشرين سنة ثم عصيتك
عشرين سنة فان رجعت اليك اتقبلنى فسمع قائلا يقول ولا يرى شخصا احببتنا فاحببناك وتركتنا فتركناك وعصيتنا
فامهلناك وان رجعت الينا قبلناك وقال بعضهم انا اعلم متى يغفر الله لى قيل ومتى قال اذا تاب على وقال آخر انا من ان احرم التوبة
اخوف من ان احرم المغفرة اى المغفرة من لوازم التوبة وتوابعها لا محالة وقال ذو النون المصرى ان لله عبادا نصبوا اشجار
الخطايا نصب روامق القلوب وسقوها بماء التوبة فاثمرت ندما وحزنا فجنوا من غير جنون وتبلدوا من غير عى ولا بكم وانهم
لهم البلغاء الفصحاء العارفون بالله ورسوله ثم شربوا بكأس الصفا فورثوا الصبر على طول البلاء ثم تولهت قلوبهم في الملكوت
وجالت فكرهم بين سرايا حجب الجبروت واستظلوا تحت رواق الندم وقرأوا صحيفة الخطايا فاورثوا انفسهم الجزع
حتى وصلوا الى علو الزهد بسلم الورع فاستعذبوا مرارة الترك للدنيا واستلانوا خشونة المضجع حتى ظفروا بحبل النجاة
وعروة السلامة وسرحت في العلى حتى اناخوا في رياض النعيم وخاضوا في بحر الحيوة وردموا خنادق الجزع وعبروا جسور
الهوى حتى نزلوا بفناء العلم واستقوا من غدير الحكمة وركبوا سفينة الفطنة واقلعوا بريح النجاة في بحر السلامة حتى
وصلوا الى رياض الراحة ومعدن العز والكرامة فهذا القدر كاف في بيان ان كل توبة صحيحة فمقبولة لا محالة فان قلت

قال الله سبحانه وعزتى لا احجب عنه التوبة ما دام فيه الروح

فان قلت افتقول ما قاله المعتزلة من ان قبول التوبة واجب على الله فاقول لا اعنى بما ذكرته من وجوب قبول التوبة
على الله الا ما يريده القائل بقوله ان الثوب اذا غسل بالصابون وجب زوال الوسخ وان العطشان اذا شرب الماء وجب
زوال العطش وانه اذا منع من شرب الماء مدة وجب العطش وانه اذا دام العطش يجب الموت وليس في شىء من ذلك ما يريده المعتزلة
بالايجاب على الله تعالى بل اقول خلق الله تعالى الطاعة مكفرة للمعصية والحسنة ماحية للسيئة كما خلق الماء مزيلا للعطش والقدرة
متسعة لخلافه لو سبقت به المشية فلا واجب على الله ولكن ما سبقت به ارادته الازلية فواجب كونه لا محالة فان قلت
فما من تائب الا وهو شاك في قبول توبته والشارب لا يشك في زوال عطشه فلم يشك فيه فاقول شكه في القبول كشكه في وجود
شرائط الصحة فان للتوبة اركانا وشروطا دقيقة كما سيأتى وليس يتحقق وجود جميع شروطها كالذى يشك في دواء شربه للاسهال
في انه يسهل وذلك لشكه في حصول شروط الاسهال في الدواء باعتبار الحال والوقت وكيفية خلط الدواء باعتبار الحال والوقت
وجودة عقاقيره وادويته فهذا وامثاله موجب للخوف بعد التوبة وهى الذنوب صغائرها وكبائرها اعلم ان التوبة ترك الذنب
ولا يمكن ترك الشىء الا بعد معرفته واذا كانت التوبة واجبة كان ما لا يتوصل اليها الا به واجبا فمعرفة الذنوب اذا واجبة والذنب
عبارة عن كل ما هو مخالف لامر الله من ترك او فعل وتفصيل ذلك يستدعى شرح التكليفات من اولها الى آخرها وليس ذلك من
غرضنا ولكنا نشير الى مجامعها وروابط اقسامها بيان اقسام الذنوب بالاضافة الى صفات العبد اعلم ان للانسان
اخلاقا واوصافا كثيرة على ما عرف شرحه في كتاب عجائب القلب وغوائله ولكن تنحصر مثارات الذنوب في اربع صفات
صفات ربوبية وصفات شيطانية وصفات بهيمية وصفات سبعية وذلك لان طينة الانسان عجنت من اخلاط مختلفة
فاقتضى كل واحد من الاخلاط في المعجون منه اثرا من الآثار كما يقتضى السكر والزعفران والخل في السكنجبين آثارا مختلفة
فاما ما يقتضيه النزوع الى الصفات الربوبية فمثل الكبر والفخر والجبرية وحب المدح والثناء والعز والغناء وحب دوام
البقاء وطلب الاستعلاء على الكافة حتى كانه يريد ان يقول انا ربكم الاعلى وهذا يتشعب منه جملة من كبائر الذنوب يغفل عنها الخلق
ولم يعدوها ذنوبا وهى المهلكات العظيمة التى هى كالامهات لاكثر المعاصى كما استقصيناه في ربع المهلكات الثانية
هى الصفة الشيطانية التى منها يتشعب الحسد والبغى والحيلة والخداع والامر بالفساد والمكر وفيه يدخل الغش والنفاق
والدعوة الى البدع والضلال الثالثة الصفة البهيمية ومنها يتشعب الشره والكلب والحرص على قضاء شهوة البطن
والفرج ومنه يتشعب الزنا واللواط والسرقة واكل مال الايتام وجمع الحطام لاجل الشهوات الرابعة الصفة السبعية
ومنها يتشعب الغضب والحقد والتهجم على الناس بالضرب والشتم والقتل واستهلاك الاموال ويتفرع عنها جمل من الذنوب
وهذه الصفات لها تدريج في الفطرة فالصفة البهيمية هى التى تغلب اولا ثم تتلوها الصفة السبعية ثانيا ثم اذا اجتمعا استعملا العقل في الخداع والمكر والحيلة وهى الصفة
الشيطانية ثم بالآخرة تغلب الصفات الربوبية وهى الفخر والعز والعلو وطلب الكبرياء وقصد الاستيلاء على جميع الخلق فهذه
امهات الذنوب ومنابعها ثم تتفجر الذنوب من هذه المنابع على الجوارح فبعضها في القلب خاصة كالكفر والبدعة والنفاق
واضمار السوء للناس وبعضها على العين والسمع وبعضها على اللسان وبعضها على البطن والفرج وبعضها على اليدين والرجلين
وبعضها على جميع البدن ولا حاجة الى بيان تفصيل ذلك فانها واضحة قسمة ثانية اعلم ان الذنوب تنقسم الى
ما بين العبد وبين الله والى ما يتعلق بحقوق العباد فما يتعلق بالعبد خاصة كترك الصلوة والصوم والواجبات الخاصة به وما يتعلق
بحقوق العباد كتركه الزكوة وقتله الانفس وغصبه الاموال وشتمه الاعراض وكل متناول من حق الغير فاما نفس او طرف او مال

موجب الشك في قبولها لا محالة على ما سياتى في الشروط الركن الثانى فيما عنه التوبة

او عوض او دين او جاه وتناول الدين بالاهواء والدعاء الى البدعة والترغيب فى المعاصى وتهييج اسباب الجرأة على الله كما
يفعله بعض الوعاظ بتغليب جانب الرجاء على جانب الخوف وما يتعلق بالعباد فالامر فيه اغلظ وما بين العبد وبين الله اذا لم يكن
شركا فالعفو فيه ارجى واقرب وقد جاء فى الخبر الدواوين ثلاثة ديوان يغفر وديوان لا يغفر وديوان لا يترك فالديوان الذى
يغفر ذنوب العباد بينه وبين الله تعالى واما الديوان الذى لا يغفر فالشرك واما الديوان الذى لا يترك فمظالم العباد اى لا بد
ان يطالب به حتى يقضى عنها ⁂ قسمة ثالثة ⁂ اعلم ان الذنوب تنقسم الى صغائر وكبائر وقد كثر اختلاف الناس فيه فقال
قائلون لا صغيرة بل كل مخالفة لله فهى كبيرة وهذا ضعيف اذ قال الله تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم
وقال تعالى الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم وقال صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة كفارات
لما بينهن الا الكبائر وفى لفظ آخر تكفر ما بينهن ان اجتنبت الكبائر وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم فيما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص
الكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس واختلف الصحابة والتابعون فى عدد الكبائر من اربع الى
سبع الى تسع الى احدى عشرة فما فوق ذلك فقال ابن مسعود هن اربع وقال ابن عمر هن سبع وقال عبد الله بن عمرو هن تسع وكان
ابن عباس اذا بلغه قول ابن عمر الكبائر سبع يقول هى الى سبعين اقرب منها الى سبع وقال مرة كل ما نهى الله عنه فهو كبيرة وقال
غيره كل ما اوعد الله عليه بالنار فهو من الكبائر وقال بعض السلف كل ما اوجب الحد فى الدنيا فهو كبيرة وقيل انها مبهمة لا يعرف
عددها كليلة القدر وساعة يوم الجمعة وقال ابن مسعود لما سئل عنه اقرأ من اول سورة النساء الى رأس ثلاثين آية منها عند
قوله ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه فكل ما نهى الله عنه فى هذه السورة الى ههنا فهو كبيرة وقال ابو طالب المكى الكبائر
سبع عشرة جمعتها من جملة الاخبار وجملة ما اجتمع من قول ابن عباس وابن مسعود وابن عمر وغيرهم اربعة فى القلب
وهى الشرك بالله تعالى والاصرار على معصيته والقنوط من رحمته والامن من مكره واربعة فى اللسان وهى شهادة الزور
وقذف المحصن واليمين الغموس وهى التى يحق بها باطلا او يبطل بها حقا وقيل هى التى يقتطع بها مال امرئ مسلم باطلا ولو سواكا من اراك
وسميت غموسا لانها تغمس صاحبها فى النار والسحر وهو كل كلام يغير الانسان وسائر الاجسام عن موضوعات الخلقة وثلاثة
فى البطن وهو شرب الخمر والمسكر من كل شراب واكل مال اليتيم ظلما واكل الربا وهو يعلم واثنتان فى الفرج وهو الزنا
واللواط واثنتان فى اليدين وهو القتل والسرقة وواحدة فى الرجلين وهو الفرار من الزحف الواحد من اثنين والعشرة
من عشرين وواحدة فى جميع الجسد وهو عقوق الوالدين قال وجملة عقوقهما ان يقسما عليه فى حق فلا يبر قسمهما وان يسألاه
حاجة فلا يعطيهما وان يسباه فيضربهما ويجوعان فلا يطعمهما هذا ما قاله ابو طالب رحمه الله وهو قريب ولكن ليس يحصل به تمام
الشفاء اذ يمكن الزيادة عليه والنقصان منه فانه جعل اكل الربا ومال اليتيم من الكبائر وهى جناية على الاموال ولم يذكر فى
كبائر النفوس الا القتل فاما فقء العينين وقطع اليدين وغير ذلك من تعذيب المسلمين بالضرب وانواع العذاب لم يتعرض له
وضرب اليتيم وتعذيبه وقطع اطرافه لا شك فى انه اكبر من اكل ماله كيف وفى الخبر من الكبائر السبتان بالسبة ومن الكبائر استطالة
الرجل فى عرض اخيه المسلم وهذا زائد على قذف المحصن وقال ابو سعيد الخدرى وغيره من الصحابة انكم لتعملون اعمالا هى ادق فى
اعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر وقالت طائفة كل عمد كبيرة وكل ما نهى الله عنه فهو
كبيرة وكشف الغطاء عن هذا ان نظر الناظر فى ان السرقة كبيرة ام لا لا يصح ما لم يفهم معنى الكبيرة والمراد بها كقول القائل
السرقة حرام ام لا ولا مطمع فى معرفته الا بعد تقرير معنى الحرام اولا ثم البحث عن وجوده فى السرقة فالكبيرة من حيث اللفظ مبهم ليس

لها موضوع خاص فى اللغة ولا فى الشرع وذلك لان الصغيرة والكبيرة من المضافات وما من ذنب الا وهو كبيرة بالاضافة
الى ما دونه وصغيرة بالاضافة الى ما فوقه فالمضاجعة مع الاجنبية كبيرة بالاضافة الى النظر صغيرة بالاضافة الى الزنا و
قطع يد المسلم كبيرة بالاضافة الى ضربه صغيرة بالاضافة الى قتله نعم للانسان ان يطلق على ما توعد بالنار على فعله خاصة اسم
الكبيرة وله ان يطلق ذلك على ما اوجب الحد عليه مصيرا الى ان ما عجل عليه فى الدنيا عقوبة واجبة عظيم وله ان يطلق على ما ورد
فى نص الكتاب النهى عنه فيقول تخصيصه بالذكر فى القرآن يدل على عظمه ثم يكون عظيما وكبيرة لا محالة بالاضافة اذ منصوصات
القرآن ايضا تتفاوت درجاتها فهذه الاطلاقات لا حرج فيها وما نقل من الفاظ الصحابة يتردد بين هذه الجهات ولا يبعد
تنزيلها على شئ من هذه الاحتمالات نعم من المهمات ان تعلم معنى قول الله تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه وقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم الصلوات كفارات لما بينهن الا الكبائر فان هذا اثبات حكم الكبائر والحق فى ذلك ان الذنوب منقسمة فى نظر الشرع الى ما
نعلم استعظامه اياها والى ما نعلم انها معدودة فى الصغائر والى ما نشك فيه فلا ندرى حكمه فالطمع فى معرفة حد حاصر وعدد
جامع مانع طلب لما لا يمكن فان ذلك لا يمكن الا بالسماع من رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يقول انى اردت بالكبائر عشرا او خمسة
ويفصلها فاذا لم يرد هذا بل ورد فى بعض الالفاظ ثلاث من الكبائر وفى بعضها سبع من الكبائر ثم ورد ان السبتين بالسبة الواحدة
من الكبائر وهو خارج عن السبع والثلاث علم انه لم يقصد به العدد الحصر فكيف يطمع فى عدد ما لم يعدده الشرع وربما قصد
الشرع ابهامه ليكون العباد منه على وجل كما ابهم ليلة القدر ليعظم جد الناس فى طلبها نعم لنا سبيل كلى يمكننا ان نعرف به اجناس
الكبائر وانواعها بالتحقيق واما اعيانها فنعرفها بالظن والتقريب ونعرف ايضا اكبر الكبائر فاما اصغر الصغائر فلا سبيل الى معرفته
وبيانه انا نعلم بشواهد الشرع وانوار البصائر جميعا ان مقصود الشرائع كلها سياقة الخلق الى جوار الله تعالى وسعادة لقائه وانه
لا وصول لهم الى ذلك الا بمعرفة الله ومعرفة صفاته وكتبه ورسله واليه الاشارة بقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
اى ليكونوا عبيدا لى ولا يكون العبد عبدا ما لم يعرف ربه بالربوبية ونفسه بالعبودية فلا بد ان يعرف نفسه وربه فهذا هو المقصود الاقصى
ببعثة الانبياء ولكن لا يتم هذا الا فى الحياة الدنيا وهو المعنى بقوله عليه السلام الدنيا مزرعة الآخرة فصار حفظ الدنيا ايضا مقصودا
تابعا للدين لانه وسيلة اليه والمتعلق من الدنيا بالآخرة شيئان النفوس والاموال فكل ما يسد باب معرفة الله تعالى فهو اكبر الكبائر
ويليه ما يسد باب الحياة للنفوس ويلى ذلك ما يسد باب المعايش التى بها حياة النفوس فهذه ثلاث مراتب فحفظ المعرفة على القلوب والحياة
على الابدان والاموال على الاشخاص ضرورى فى مقصود الشرائع كلها وهذه ثلاثة امور لا يتصور ان تختلف فيها الملل فلا يجوز ان يبعث
الله نبيا يريد ببعثه اصلاح الخلق فى دينهم ودنياهم ثم يأمرهم بما يمنعهم عن معرفته ومعرفة رسله او يأمرهم باهلاك النفوس واهلاك
الاموال فحصل من هذا ان الكبائر على ثلاث مراتب الاولى ما يمنع من معرفة الله ومعرفة رسله وهو الكفر فلا كبيرة فوق الكفر اذ الحجاب بين
العبد وبين الله هو الجهل والوسيلة المقربة اليه هو العلم والمعرفة وقربه بقدر معرفته وبعده بقدر جهله ويتلو الجهل الذى يسمى كفرا
الامن من مكر الله تعالى والقنوط من رحمته فان هذه ايضا عين الجهل فمن عرف الله لم يتصور ان يكون آمنا ولا ان يكون آيسا ويتلو هذه الرتبة
البدع كلها المتعلقة بذات الله وصفاته وافعاله وبعضها اشد من بعض وتفاوتها على حسب تفاوت الجهل بها وعلى حسب تعلقها
بذات الله سبحانه وبافعاله وبشرائعه وباوامره ونواهيه ومراتب ذلك لا تنحصر وهى تنقسم الى ما يعلم انها داخلة تحت الكبائر المذكورة
فى القرآن والى ما يعلم انه لا يدخل والى ما يشك فيه وطلب رفع الشك فى القسم المتوسط طمع فى غير مطمع ⁂ الرتبة الثانية النفوس
اذ ببقائها وحفظها تدوم الحياة ويحصل المعرفة بالله فقتل النفس لا محالة من الكبائر وان كان دون الكفر لان ذلك يصدم عين المقصود

وهذا تصدم وسيلة المقصود اذ الحيوة الدنيا لا تراد الا للآخرة والتوصل اليها بمعرفة الله وتبلوا هذه الكبيرة قطع الاطراف وكل
ما يفضي الى الهلاك حتى الضرب وبعضها اكبر من بعض ويقع في هذه الرتبة تحريم الزنا واللواط لانه لو اجتمع الناس على الاكتفاء بالذكور
في قضاء الشهوات انقطع النسل ودفع الوجود قريب من قطع الوجود واما الزنا فانه لا يفوت اصل الوجود ولكن يشوش
الانساب ويبطل التوارث والتناصر وجملة من الامور التي لا ينتظم العيش الا بها بل كيف يتم النظام مع اباحة الزنا ولا ينتظم
امور البهائم ما لم يتميز الفحل منها باناث يختص بها عن سائر الفحول ولذلك لا يتصور ان يكون الزنا مباحا في شرع قصد به الاصلاح
وينبغي ان يكون الزنا في الرتبة دون القتل لانه ليس يفوت دوام الوجود ولا يمنع اصله ولكنه يفوت تميز الانساب ويحرك
من الاسباب ما يكاد يفضي الى التقاتل وينبغي ان يكون الزنا اشد من اللواط لان الشهوة داعية اليه من الجانبين فيكثر وقوعه
ويعظم اثر الضرر بكثرته المرتبة الثالثة الاموال فانها معايش الخلق فلا يجوز تسليط الناس على تناولها كيف
شاؤا حتى بالاستيلاء والسرقة وغيرهما بل ينبغي ان تحفظ لتبقى ببقائها النفوس الا ان الاموال اذا اخذت امكن استردادها
وان اكلت امكن تغريمها فليس يعظم الامر فيها نعم اذا جرى تناولها بطريق يعسر التدارك فيها فينبغي ان يكون ذلك من الكبائر
وذلك باربعة طرق احدها الخفية وهي السرقة فانه اذا لم يطلع عليه غالبا فكيف يتدارك والثاني اكل مال اليتيم وهذا
ايضا من الخفية واعني به في حق الولي والقيم فانه مؤتمن فيه وليس له خصم سوى اليتيم وهو صغير لا يعرفه فتعظيم الامر فيه
واجب بخلاف الغصب فانه ظاهر يعرف وبخلاف الخيانة في الوديعة فان المودع خصم فيه ينتصف منه الثالث تفويتها
بشهادة الزور والرابع اخذ الوديعة وغيرها باليمين الغموس فان هذه طرق لا يمكن فيها التدارك ولا يجوز ان تختلف الشرائع
في تحريمها اصلا وبعضها اشد من بعض وكلها دون الرتبة الثانية المتعلقة بالنفوس وهذه الاربعة جديرة بان تكون مرادة
بالكبائر وان لم يوجب الشرع الحد في بعضها ولكن كثر الوعيد عليها وعظم في مصالح الدنيا تأثيرها واما اكل الربوا فليس فيه
الا اكل مال الغير بالتراضي مع الاخلال بشرط وضعه الشرع ولا يبعد ان تختلف الشرائع في مثله واذا لم يجعل الغصب الذي
هو اكل مال الغير بغير رضاه وبغير رضا الشرع من الكبائر فاكل الربوا اكل برضا المالك ولكن دون رضا الشرع وان عظم
الشرع الربوا بالزجر عنه فقد عظم ايضا الظلم بالغصب وغيره وعظم الخيانة والمصير الى ان اكل دانق بالخيانة والمصير
الى ان اكل دانق بالخيانة او الغصب من الكبائر فيه نظر وذلك واقع في مظنة الشك واكثر ميل الظن الى انه غير داخل تحت
الكبائر بل ينبغي ان تختص الكبيرة بما لا يجوز اختلاف الشرائع فيه ليكون ضروريا في الدين فيبقى مما ذكره ابو طالب المكي
القذف والشرب والسحر والفرار من الزحف وعقوق الوالدين اما الشرب لما يزيل العقل فهو جدير بان يكون من الكبائر
وقد دل عليه تشديدات الشرع وطريق النظر ايضا لان العقل محفوظ كما ان النفس محفوظ بل لا خير في النفس دون العقل فازالة
العقل من الكبائر ولكن هذا لا يجري في قطرة من الخمر ولا شك في انه لو شرب ماء فيه قطرة من الخمر لم يكن ذلك كبيرة وانما هو شرب
ماء نجس والقطرة وحدها في محل الشك وايجاب الشرع الحد به يدل على تعظيم امره فيعد ذلك من الكبائر بالشرع وليس في قوة
البشرية الوقوف على جميع اسرار الشرع فان ثبت اجماع في انه كبيرة وجب الاتباع والا فللتوقف فيه مجال واما القذف
فليس فيه الا تناول الاعراض والاعراض دون الاموال في الرتبة ولتناولها مراتب واعظمها التناول بالاضافة الى فاحشة
الزنا وقد عظم الشرع امره واظن ظنا غالبا ان الصحابة كانوا يعدون كل ما يجب الحد به كبيرة فهو بهذا الاعتبار لا تكفره
الصلوات الخمس وهو الذي نريده بالكبيرة الآن ولكن من حيث انه يجوز ان تختلف فيه الشرائع فالقياس بمجرده لا يدل على كبره

كبره وعظمه بل كان يجوز ان يرد الشرع بان العدل الواحد اذا رأى انسانا يزني فله ان يشهد ويجلد المشهود عليه بمجرد شهادته
فان لم يقبل شهادته فتحديده ليس ضروريا في مصالح الدنيا وان كان على الجملة من المصالح الظاهرة الواقعة في رتبة الحاجات
فاذن هذا ايضا ملحق بالكبائر في حق من عرف حكم الشرع فاما من ظن ان له ان يشهد وحده او ظن انه يساعده على الشهادة غيره
فلا ينبغي ان يجعل في حقه من الكبائر واما السحر فان كان فيه كفر فكبيرة والا فعظمته بحسب الضرر الذي يتولد منه من هلاك نفس
او مرض او غيره واما الفرار من الزحف وعقوق الوالدين فهذا ايضا ينبغي ان يكون من حيث القياس في محل التوقف واذا قطع
بان سب الناس بكل شيء سوى الزنا وضربهم والظلم عليهم بغصب اموالهم واخراجهم من مساكنهم وبلادهم وجلائهم من اوطانهم
ليس من الكبائر اذ لم ينقل ذلك في السبعة عشرة كبيرة وهو اكثر ما قيل فيه فالتوقف في هذا غير بعيد ولكن الحديث يدل على تسميتها
كبيرة فليلحق بالكبائر فاذا رجع حاصل الامر الى انا نعني بالكبيرة ما لم تكفرها الصلوات الخمس بحكم الشرع وذلك مما انقسم الى
ما علم انه لا يكفره قطعا والى ما ينبغي ان يكفره والى ما يتوقف فيه والمتوقف فيه بعضه مظنون بالنفي والاثبات وبعضه
مشكوك فيه وهو شك لا يزيله الا نص كتاب او سنة فاذن لا مطمع فيها فطلب رفع الشك فيه محال فان قلت فهذا اقامة
برهان على استحالة معرفة حده فكيف يرد الشرع بما يستحيل معرفته فاعلم ان كل ما لا يتعلق به حكم في الدنيا فيجوز ان يتطرق اليه
الابهام لان دار التكليف هي دار الدنيا والكبيرة على الخصوص لا حكم لها في الدنيا من حيث انها كبيرة بل موجبات الحدود معلومة
باساميها كالسرقة والزنا وغيرهما وانما حكم الكبيرة ان الصلوات الخمس لا تكفرها وهذا امر يتعلق بالآخرة والابهام اليق به حتى
يكون الناس على وجل وحذر فلا يتجرؤن على الصغائر اعتمادا على الصلوات وكذلك اجتناب الكبائر يكفر الصغائر بموجب قوله تع
ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ولكن اجتناب الكبيرة انما يكفر الصغيرة اذا اجتنبها مع القدرة والارادة كمن يتمكن من امرأة ومن
مواقعتها فيكف نفسه عن الوقاع ويقتصر على نظر او لمس فان مجاهدته نفسه في الكف عن الوقاع اشد تأثيرا في تنوير القلب
من اقدامه على النظر في اظلامه فهذا معنى تكفيره فان كان عنينا او لم يكن امتناعه الا بالضرورة للعجز او كان قادرا ولكن
امتنع لخوف امر آخر فهذا لا يصلح للتكفير اصلا وكل من لا يشتهي الخمر بطبعه ولو ابيح له لما شربه فاجتنابه لا يكفر عنه الصغائر
التي هي من مقدماته كسماع الملاهي والاوتار نعم من يشتهي الخمر وسماع الاوتار فيمسك نفسه بالمجاهدة عن الخمر ويطلقها في
السماع فمجاهدته النفس بالكف ربما تمحو عن قلبه الظلمة التي ارتفعت اليه من معصية السماع فكل هذه احكام اخروية ويجوز ان
يبقى بعضها في محل الشك وتكون من المتشابهات فلا يعرف تفصيلها الا بالنص ولم يرد النص بعد ولا حد جامع بل ورد
بالفاظ مختلفة فقد روى ابو هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال الصلوة الى الصلوة كفارة ورمضان الى رمضان كفارة الا
من ثلث اشراك بالله وترك السنة ونكث الصفقة ان تبايع رجلا ثم تخرج عليه بالسيف تقاتله فهذا وامثاله من الالفاظ
لا يحيط بالعدد كله ولا يدل على حد جامع فيبقى لا محالة مبهما فان قلت الشهادة لا تقبل الا ممن يجتنب الكبائر والورع
عن الصغائر ليس شرطا في قبول الشهادة وهذا من احكام الدنيا فاعلم انا لا نخصص رد الشهادة بالكبائر فلا خلاف في
ان من يسمع الملاهي ويلبس الديباج ويتختم بخاتم الذهب ويشرب في اواني الذهب والفضة لا تقبل شهادته ولم يذهب احد الى
ان هذه الامور من الكبائر وقال الشافعي اذا شرب الحنفي النبيذ حددته ولم ارد شهادته فقد جعله كبيرة بايجاب الحد عليه ولم يرد
به الشهادة فدل على ان الشهادة نفيا واثباتا لا يدور على الصغائر والكبائر بل كل الذنوب تقدح في العدالة الا ما لا يخلو عنه الانسان
غالبا بضرورة مجاري العادات كالغيبة والتجسس وسوء الظن والكذب في بعض الاقوال وسماع الغيبة وترك الامر بالمعروف

واكل الشبهات وسب الولد والغلام وضربهما بحكم الغضب زائدا على حد المصلحة واكرام السلاطين الظلمة ومصادقة الفجار والتكاسل عن تعليم الاهل والولد جميع ما يحتاجون اليه في امر الدين فهذه ذنوب لا يتصور ان ينفك الشاهد عن قليلها او كثيرها الا بان يعتزل الناس ويتجرد لامر الآخرة ويجاهد نفسه مدة بحيث يبقى على سمته مع المخالطة بعد ذلك ولو لم يقبل الا قول مثله لعز وجوده وبطلت الاحكام والشهادات ولبس الحرير وسماع الملاهي واللعب بالنرد ومجالسة الشرب في وقت الشرب والخلوة بالاجنبيات وامثال هذه الصغائر من هذا القبيل فالى مثل هذا المنهاج ينبغي ان ينظر في قبول الشهادة وردها لا الى الكبيرة والصغيرة ثم آحاد هذه الصغائر التي لا ترد الشهادة بها لو واظب عليه اثر في رد الشهادة كمن اتخذ الغيبة وثلب الناس عادة وكذلك مجالسة الفجار ومصادقتهم والصغيرة تكبر بالمواظبة كما ان المباح يصير صغيرة بالمواظبة كاللعب بالشطرنج والترنم بالغناء على الدوام وغيره فهذا بيان حكم الصغائر والكبائر

بيان كيفية توزع الدرجات والدركات في الآخرة على الحسنات والسيئات في الدنيا

اعلم ان الدنيا من عالم الملك والشهادة والآخرة من عالم الغيب والملكوت واعني بالدنيا حالتك قبل الموت وبالآخرة حالتك بعد الموت فدنياك وآخرتك صفاتك واحوالك يسمى القريب الداني منها دنيا والبعيد المتأخر آخرة ونحن الآن نتكلم من الدنيا في الآخرة فانا الآن في الدنيا وهو عالم الملك وغرضنا شرح الآخرة وهي عالم الملكوت ولا يتصور شرح عالم الملكوت في عالم الملك الا بضرب الامثال ولذلك قال تعالى وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون وهذا لان عالم الملك نوم بالاضافة الى عالم الملكوت ولذلك قال صلى الله عليه وسلم الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا وما سيكون في اليقظة لا يتبين لك في النوم الا بضرب الامثال المحوجة الى التعبير فكذلك ما سيكون في يقظة الآخرة لا يتبين في نوم الدنيا الا في كسوة الامثال واعني بكسوة الامثال ما تعرفه من علم التعبير ويكفيك منه ان كنت فطنا ثلاثة امثلة فقد جاء رجل الى ابن سيرين وقال رايت كان في يدي خاتما اختم به افواه الرجال وفروج النساء فقال انك مؤذن تؤذن في رمضان قبل الفجر فقال صدقت وجاء آخر فقال رايت كاني اصب الزيت في الزيتون فقال ان كان تحتك جارية اشتريتها ففتش عن حالها فانها امك لان الزيتون اصل الزيت فهو رد الى الاصل فنظر فاذا جاريته كانت امه وقد سبيت في صغره وقال آخر رايت كاني اقلد الدر في اعناق الخنازير فقال انك تعلم الحكمة غير اهلها فكان كما قال والتعبير من اوله الى آخره امثال تعرفك طريق ضرب الامثال وانما نعني بالمثل اداء المعنى في صورة ان نظر الى معناه وجد صادقا وان نظر الى صورته وجد كاذبا فالمؤذن ان نظر الى صورة الخاتم والختم به على الفروج راه كاذبا فانه لم يختم به قط وان نظر الى معناه وجده صادقا اذ قد صدر منه روح الختم ومعناه وهو المنع الذي يراد الختم له وليس للانبياء ان يتكلموا مع الخلق الا بضرب الامثال لانهم كلفوا ان يكلموا الناس على قدر عقولهم وقدر عقولهم انهم في النوم والنائم لا يكشف له شيء الا بمثل فاذا ماتوا انتبهوا وعرفوا ان المثل صادق ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن وهو من المثال الذي لا يعقله الا العالمون فاما الجاهل فلا يجاوز قدره ظاهر المثال لجهله بالتفسير الذي يسمى تاويلا كما يسمى تفسير ما يرى من الامثلة في النوم تعبيرا فيثبت لله تعالى يدا واصبعا تعالى الله عن قوله علوا كبيرا وكذلك في قوله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم على صورته فانه لا يفهم من الصورة الا اللون والشكل والهيئة فيثبت لله مثله تعالى عن ذلك علوا كبيرا ومن ههنا زل من زل في صفات الالهية حتى في الكلام وجعلوه صوتا وحرفا الى غير ذلك من الصفات والقول فيه يطول وكذلك قد يرد في امر الآخرة ضرب امثلة يكذب بها الملحد بجمود نظره على ظاهر المثال وتناقضه عنده كقوله صلى الله عليه وسلم يؤتى

بالموت يوم القيمة في صورة كبش املح فيذبح فيثور الملحد الاحمق ويكذب به ويستدل به على كذب الانبياء ويقول يا سبحان الله الموت عرض والكبش جسم فكيف ينقلب العرض جسما وهل هذا الا محال ولكن الله تعالى عزل هؤلاء الحمقى عن معرفة اسراره فقال وما يعقلها الا العالمون ولا يدري المسكين ان من قال رايت في منامي انه جيء بكبش وقيل هو هذا الوباء الذي في البلد وذبح فقال المعبر صدقت والامر كما رايت وهذا يدل على ان هذا الوباء ينقطع ولا يعود قط لان المذبوح وقع الياس عنه فاذن المعبر صادق في تصديقه وهو صادق في رؤيته ويرجع حقيقته الى ان الملك الموكل بالرؤيا وهو الذي يطلع الارواح عند النوم على ما في اللوح المحفوظ عرفه ما في اللوح المحفوظ بمثال ضربه له لان النائم انما يحتمل المثال فكان مثاله صادقا وكان معناه صحيحا فالرسل ايضا انما يكلمون الناس في الدنيا وهي بالاضافة الى الآخرة نوم فيوصلون المعاني الى افهامهم بالامثلة حكمة من الله ولطفا بعباده وتيسيرا لادراك ما يعجزون عن ادراكه دون ضرب المثل فقوله يؤتى بالموت في صورة كبش املح مثال ضربه ليوصل الى الافهام حصول الياس عن الموت وقد جبلت القلوب على التأثر بالامثلة وثبوت المعاني فيها بواسطتها ولذلك عبر القرآن بقوله كن فيكون عن نهاية القدرة وعبر صلى الله عليه وسلم بقوله قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن عن سرعة التقليب وقد اشرنا الى الحكمة في ذلك في كتاب قواعد العقائد من ربع العبادات فلنرجع الآن الى الغرض فالمقصود ان تعريف توزع الدرجات والدركات على الحسنات والسيئات لا يمكن الا بضرب الامثال فليفهم من المثل الذي نضربه معناه لا صورته فنقول الناس في الآخرة ينقسمون اصنافا وتتفاوت درجاتهم في السعادة والشقاوة تفاوتا لا يدخل تحت الحصر كما تفاوتوا في سعادة الدنيا وشقاوتها ولا تفارق الآخرة الدنيا في هذا المعنى اصلا والبتة فان مدبر الملك والملكوت واحد لا شريك له وسنته الصادرة عن ارادته الازلية مطردة لا تبديل لها الا انا ان عجزنا عن احصاء آحاد الدرجات فلا نعجز عن احصاء الاجناس فنقول الناس في الآخرة ينقسمون بالضرورة الى اربعة اقسام الهالكون والمعذبون والناجون والفائزون ومثاله في الدنيا ان يستولي ملك من الملوك على اقليم فيقتل بعضهم وهم الهالكون ويعذب بعضهم مدة ولا يقتلهم فهم المعذبون ويخلي بعضهم فهم الناجون ويخلع بعضهم فهم الفائزون فان كان الملك عادلا لم يقسمهم كذلك الا باستحقاق فلا يقتل الا جاحدا لاستحقاق الملك معاندا له في اصل الدولة ولا يعذب الا من قصر في خدمته مع الاعتراف بملكه وعلو درجته ولا يخلي الا معترفا برتبة الملك لكنه لم يقصر ليعذب ولم يخدم ليخلع عليه ولا يخلع الا من ابلى عذره في الخدمة والنصرة ثم ينبغي ان يكون خلع الفائزين متفاوتة الدرجات بحسب درجاتهم في الخدمة واهلاك الهالكين اما تحقيقا بحز الرقبة او تنكيلا بالمثلة بحسب درجاتهم في المعاندة وتعذيب المعذبين في الخفة والشدة وطول المدة وقصرها واتحاد انواعها واختلافها بحسب درجات تقصيرهم فينقسم كل رتبة من هذه الرتب الى درجات لا تنحصر فكذلك فافهم ان الناس في الآخرة هكذا يتفاوتون فمن هالك ومن معذب مدة ومن ناج يحل في دار السلامة ومن فائز والفائزون ينقسمون الى من يحلون في جنات عدن او جنات المأوى او جنات الفردوس والمعذبون ينقسمون الى من يعذب قليلا والى من يعذب الف سنة الى سبعة آلاف سنة وذلك آخر من يخرج من النار كما ورد في الخبر وكذلك الهالكون الآيسون عن رحمة الله تتفاوت درجاتهم وهذه الدركات بحسب اختلاف الطاعات والمعاصي فلنذكر كيفية توزعها عليها

الرتبة الاولى وهي الهلاك ونعني بالهالكين الآيسين من رحمة الله اذ الذي قتله الملك في المثال الذي ضربناه آيس من رضا الملك واكرامه فلا تغفل عن معاني المثال وهذه الدرجة لا تكون الا للجاحدين والمعرضين المتجردين للدنيا المكذبين بالله ورسله وكتبه فان السعادة الاخروية في القرب من الله والنظر الى وجهه وذلك لا ينال اصلا الا بالمعرفة التي يعبر عنها بالايمان والتصديق والجاحدون هم المنكرون المكذبون فهم الآيسون

عن رحمة الله ابد الاباد وهم الذين يكذبون برب العالمين وبانبيائه المرسلين وهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون لا محالة وكل محجوب عن محبوبه فمحول بينه وبين ما يشتهيه فهو لا محالة يكون محترقا نار جهنم بنار الفراق ولذلك قال العارفون ليس خوفنا من نار جهنم ولا رجاؤنا الحور العين انما مطلبنا اللقاء ومهربنا من الحجاب فقط وقالوا من يعبد الله بعوض فهو لئيم اذ يعبده لطلب جنته او لخوف ناره بل العارف يعبده لذاته فلا يطلب الا ذاته فقط واما الحور والفواكه فقد لا يشتهيها واما النار فقد يتقيها اذ نار الفراق اذا استولت ربما غلبت النار المحرقة للاجسام فان نار الفراق نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة ونار جهنم لا شغل لها الا مع الاجساد والم الاجساد يستحقر مع الم الفؤاد ولذلك قيل

وفي فؤاد المحب نار هوى احر نار الجحيم ابردها

ولا ينبغي ان ننكر هذا في عالم الاخرة اذ له نظير مشاهد في عالم الدنيا فقد رأى من غلب عليه الوجد فعدا على النار وعلى اصول القصب الجارحة للقدم وهو لا يحس به لفرط غلبة ما في قلبه وترى الغضبان يستولي عليه الغضب في القتال فيصيبه جراحات وهو لا يشعر بها في الحال لان الغضب قطعة من النار واحتراق الفؤاد اشد من احتراق الاجساد والاشد يبطل الاحساس بالاضعف كما تراه فليس الهلاك من النار والسيف الا من حيث انه يفرق بين جزء وجزء يرتبط احدهما بالاخر برابطة التاليف الممكن في الاجسام فالذي يفرق بين القلب وبين محبوبه المرتبط به برابطة تاليف اشد احكاما من تاليف الاجسام فهو اشد ايلاما ان كنت من ارباب البصائر وارباب القلوب ولا يبعد ان لا يدرك من لا قلب له شدة هذا الالم ويستحقره بالاضافة الى الم الجسم فالصبي لو خير بين الم الحرمان عن الكرة والصولجان وبين الم الحرمان عن رتبة السلطان لم يحس بالم الحرمان عن رتبة السلطان اصلا ولم يعد ذلك الما وقال العدو في الميدان مع الصولجان احب الي من سرير الف سلطان مع الجلوس عليه بل من تغلبه شهوة البطن لو خير بين الهريسة والحلوا وبين فعل جميل يقهر به الاعداء ويفرح به الاصدقاء لاثر الهريسة والحلوا وهذا كله لفقد المعنى الذي بوجوده يصير الجاه محبوبا ووجود المعنى الذي بوجوده يصير الطعام لذيذا وذلك لمن استرقته صفات البهائم والسباع ولم تظهر فيه الصفات الملكية التي لا يناسبه ولا يلذها الا القرب من رب العالمين ولا يولمها الا البعد منه كما لا يكون الذوق الا في اللسان والسمع الا في الاذان فلا يكون بهذه الصفة الا في القلب فمن لا قلب له ليس له هذا الحس كمن لا سمع له ولا بصر له ليس له لذة الالحان وحسن الصورة والالوان وليس لكل انسان قلب ولو كان لما صح قوله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب فجعل من لم يتذكر بالقرآن مفلسا من القلب ولست اعني بالقلب هذا اللحم الذي يكتنفه عظام الصدر من عالم الخلق بل اعني به السر الذي هو من عالم الامر وهذا اللحم الذي هو من عالم الخلق عرشه والصدر كرسيه وسائر الاعضاء عالمه ومملكته ولله الخلق والامر جميعا ولكن ذلك السر الذي قال الله تعالى فيه قل الروح من امر ربي هو الملك والامير لان بين عالم الامر وبين عالم الخلق ترتيبا وعالم الامر امير على عالم الخلق وهي اللطيفة التي اذا صلحت صلح لها سائر الجسد من عرفها فقد عرف نفسه ومن عرف نفسه عرف ربه وعند ذلك يشم العبد مبادي روائح المعنى المطوي تحت قوله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى خلق ادم على صورته وينظر بعين الرحمة الى الجامدين على ظاهر لفظه والى المتعسفين في طرق تاويله وان كانت رحمته على الجامد على اللفظ اكثر من رحمته على المتعسف في التاويل لان الرحمة على قدر المصيبة ومصيبته اولئك اكثر وان اشتركوا في مصيبة الحرمان عن حقيقة الامر فالحقيقة فضل الله سبحانه يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم وهي حكمة يختص بها من يريد ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ولنعد الى الغرض فقد ادرجنا الطول وطولنا النفس في امر هو اعلى من علوم المعاملة التي نقصده في هذا الكتاب فقد ظهر ان رتبة الهلاك ليس الا للجهال المكذبين وشهادة ذلك من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله لا تدخل تحت الحصر ولذلك لم نورده

الرتبة الثانية رتبة المعذبين وهذه رتبة من تحلى باصل الايمان ولكن قصر في الوفاء بمقتضاه فان راس الايمان هو التوحيد وهو ان لا يعبد الا الله ومن اتبع هواه فقد اتخذ الهه هواه فهو موحد بلسانه لا بالحقيقة بل معنى قولك لا اله الا الله معنى قوله تعالى قل الله ثم ذرهم وهو ان تذر بالكلية غير الله ومعنى قوله ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ولما كان الصراط الذي لا يكمل التوحيد الا بالاستقامة عليه ادق من الشعر واحد من السيف مثل الصراط الموصوف في الاخرة فلا ينفك بشر عن ميل عن الاستقامة ولو في امر يسير ولا يخلو عن اتباع الهوى ولو في فعل قليل وذلك قادح في كمال التوحيد بقدر ميله عن الصراط المستقيم فذلك يقتضي لا محالة نقصانا في درجة القرب ومع كل نقصان ناران نار الفراق لذلك الكمال الفائت بالنقصان ونار جهنم كما وصفها القرآن فيكون كل مائل عن الصراط المستقيم معذبا مرتين من وجهين ولكن شدة ذلك العذاب وخفته وتفاوته بحسب طول المدة انما يكون بسبب امرين احدهما قوة الايمان وضعفه والثاني كثرة اتباع الهوى وقلته واذ لا يخلو بشر في غالب الامر عن واحد من الامرين قال الله تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ولذلك قال الخائفون من السلف انما خوفنا لانا تيقنا انا على النار واردون وشككنا في النجاة ولما روى الخبر الوارد فيمن يخرج من النار بعد الف عام وانه ينادي يا حنان يا منان قال الحسن يا ليتني كنت ذلك الرجل واعلم ان في الاخبار ما يدل على ان اخر من يخرج من النار بعد سبعة الاف سنة وان الاختلاف في المدة بين اللحظة وبين سبعة الاف سنة حتى قد يجوز بعضهم على النار كالبرق الخاطف ولا يكون له فيه لبث وبين اللحظة وسبعة الاف سنة درجات متفاوتة من اليوم والاسبوع والشهر وسائر المدد وان الاختلاف بالشدة لا نهاية لها وادناها التعذيب بالمناقشة في الحساب كما ان الملك قد يعذب بعض المقصرين في الاعمال بالمناقشة في الحساب ثم يعفو وقد يضرب بالسياط وقد يعذب بانواع اخر من العذاب ويتطرق الى العذاب اختلاف ثالث في غير المدة والشدة وهو اختلاف الانواع اذ ليس من يعذب بمصادرة المال فقط كمن يعذب بالمال وبقتل الولد واستباحة الحريم وتعذيب الاقارب والضرب وقطع اللسان واليد والانف والاذن وغيرها فهذه الاختلافات ثابتة في عذاب الاخرة دل عليه قواطع الشرع وهي بحسب قوة الايمان وضعفه وكثرة الطاعات وقلتها وكثرة السيئات وقلتها اما شدة العذاب فبشدة قبح السيئات وكثرتها واما كثرته فبكثرتها واما اختلاف انواعه فباختلاف انواع السيئات وقد انكشف هذا لارباب القلوب مع شواهد القرآن بنور الايمان وهو المعنى بقوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد وبقوله تعالى اليوم تجزى كل نفس بما كسبت وبقوله وان ليس للانسان الا ما سعى وبقوله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره الى غير ذلك مما ورد في الكتاب والسنة من كون العقاب والثواب جزاء على الاعمال وكل ذلك بعدل لا ظلم فيه وجانب العفو والرحمة ارجح فقد قال تعالى فيما حكاه عنه رسوله صلى الله عليه وسلم سبقت رحمتي غضبي وقال وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما فاذن هذه الامور الكلية من ارتباط الدرجات والدركات بالحسنات والسيئات معلومة بقواطع الشرع ونور المعرفة فاما التفصيل فلا يعرف الا ظنا ومستنده ظواهر الاخبار ونوع حدس يستمد من انوار الاستبصار بعين الاعتبار فنقول كل من احكم اصل الايمان واجتنب جميع الكبائر واحسن جميع الفرائض اعني الاركان الخمسة ولم يكن منه الا صغائر متفرقة لم يصر عليها فيشبه ان يكون عذابه بالمناقشة في الحساب فقط فانه اذا حوسب رجحت حسناته على سيئاته اذ ورد في الاخبار ان الصلوات الخمس والجمعة وصوم رمضان كفارات لما بينهن وكذلك اجتناب الكبائر بحكم نص القرآن مكفر للصغائر واقل درجات التكفير ان يدفع العذاب ان لم يدفع الحساب وكل من هذا حاله فقد ثقلت موازينه فينبغي ان يكون بعد ظهور الرجحان في الميزان وبعد الفراغ من الحساب في عيشة راضية نعم التحاقه باصحاب اليمين او بالمقربين ونزوله في جنات عدن او في الفردوس الاعلى فذلك يتبع اصناف الايمان لان الايمان ايمانان ايمان تقليدي كايمان العوام يصدقون بما يسمعون ويستمرون عليه

وايمان كشفي يحصل بانشراح الصدر بنور الله حتى ينكشف فيه الوجود كله على ما هو عليه فيتضح له ان الكل الى الله مرجعه ومصيره اذ
ليس في الوجود الا الله وصفاته وافعاله فهذا الصنف هم المقربون النازلون في الفردوس الاعلى وهم على غاية القرب
من الملأ الاعلى وهم ايضا على اصناف فمنهم السابقون ومنهم من دونهم وتفاوتهم بحسب تفاوت معرفتهم بالله ودرجات
العارفين بالله ودرجات العارفين بالله تعالى في المعرفة لا تنحصر اذ الاحاطة بكنه جلال الله غير ممكن وبحر المعرفة ليس له ساحل
وعمق وانما يغوص فيها الغواصون بقدر قوتهم وبقدر ما سبق لهم من الله في الازل فالطريق الى الله لا نهاية لمنازله والسالكون
لسبيل الله لا نهاية لدرجاتهم واما المؤمن ايمانا تقليديا فهو من اصحاب اليمين ودرجته دون درجة المقربين وهم ايضا على درجات
فالاعلى من درجات اصحاب اليمين تقارب رتبته رتبة الادنى من درجات المقربين هذا حال من اجتنب كل الكبائر وادى كل الفرائض
اعني الاركان الخمس التي هي النطق بكلمة الشهادة باللسان والصلوة والزكوة والصوم والحج فاما من ارتكب كبيرة او كبائر او
اهمل بعض اركان الاسلام فان تاب توبة نصوحا قبل قرب الاجل التحق بمن لم يرتكب لان التائب من الذنب كمن لا ذنب له فالثوب
المغسول كالذي لم يتوسخ اصلا وان مات قبل التوبة فهذا امر مخطر عند الموت اذ ربما يكون موته على الاصرار سببا لتزلزل
ايمانه فيختم له بسوء الخاتمة لا سيما اذا كان ايمانه تقليديا فان التقليد وان كان جزما فهو قابل للانحلال بادنى شك و
خيال والعارف البصير ابعد من ان يخاف عليه سوء الخاتمة وكلاهما ان ماتا على الايمان يعذبان الا ان يعفو الله عذابا يزيد
على عذاب المناقشة في الحساب ويكون كثرة العقاب من حيث المدة بحسب مدة الاصرار ومن حيث الشدة بحسب قبح الكبائر
ومن حيث اختلاف النوع بحسب اختلاف اصناف السيئات وعند انقضاء مدة العقاب ينزل البله المقلدون في درجات
اصحاب اليمين والعارفون المستبصرون في اعلى عليين ففي الخبر آخر من يخرج من النار يعطى مثل الدنيا كلها عشرة اضعاف فلا
تظنن ان المراد به تقديره بالمساحة لاطراف الاجسام بان يقابل فرسخ بفرسخين او عشرة فان هذا جهل بطريق ضرب الامثال
بل هذا كقول القائل اخذ منه جملا واعطاه عشرة امثاله وكان الجمل يسوى عشرة دنانير فاعطاه مائة دينار فان لم يفهم من المثل
الا المثل في الوزن والثقل فلا يكون مائة دينار ولو وضع في كفة الميزان والجمل في الكفة الاخرى كان عشر عشيره بل هو موازنة معاني
الاجسام وارواحها دون اشخاصها وهياكلها فان الابل لا يقصد لثقله وطوله وعرضه ومساحته بل لماليته فروحه الماليته
وجسمه اللحم والدم ومائة دينار عشرة امثاله بالموازنة الروحانية لا بالموازنة الجسمانية وهذا صادق عند من يعرف روح
المالية من الذهب والابل بل لو اعطاه جوهرة وزنها مثقال وقيمتها مائة دينار وقال اعطيته عشرة امثاله كان صادقا
ولكن لا يدرك صدقه الا الجوهري فان روح الجوهر لا يدرك بمجرد البصر بل بفطنة اخرى وراء البصر فلذلك يكذب بها الصبي
بل القروي والبدوي ويقول ما هذه الجوهرة الا حجر وزنها مثقال ووزن الابل الف مثقال فقد كذب في قوله اني اعطيته
عشرة امثاله والكاذب بالتحقيق هو الصبي ولكن لا سبيل الى تحقيق ذلك عنده الا بان ينتظر به البلوغ والكمال وان يحصل في
قلبه النور الذي به يدرك ارواح الجواهر وسائر الاموال فعند ذلك ينكشف له الصدق والعارف عاجز عن تفهيم المقلد
القاصر صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الموازنة اذ يقول الجنة في السموات كما ورد في الاخبار فالسموات من الدنيا فكيف
يكون عشرة امثال الدنيا في الدنيا وهكذا كما يعجز البالغ عن تفهيم الصبي تلك الموازنة وكذلك عن تفهيم البدوي وكما ان الجوهري
مرحوم اذا بلي بالبدوي والقروي في تفهيم تلك الموازنة فالعارف مرحوم اذا بلي بالبليد الابله في تفهيم هذه الموازنة ولذلك
قال صلى الله عليه وسلم ارحموا ثلاثا عالما بين الجهال وعزيز قوم ذل وغني قوم افتقر والانبياء مرحومون بين الامة بهذا السبب وبمقاساتهم

نقصانا بهم المعطوف عقولهم الا متنبالاختيار اليهم فتنة لهم وامتحان وابتلاء من الله وبلاء موكل بهم سبق به القضاء الازلي وهو
المعني بقوله صلى الله عليه وسلم البلاء موكل بالانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل فلا تظنن ان البلاء بلاء ايوب عليه السلام
وهو الذي يرجع الى البدن فان بلاء نوح عليه السلام ايضا من البلاء العظيم اذ بلي بجماعة كان لا يزيدهم دعاؤه الى الله الا فرارا ولذلك
لما أوذي رسول الله صلى الله عليه وسلم بكلام بعض الناس قال رحم الله اخي موسى لقد اوذي باكثر من هذا فصبر فاذن كما لا يخلو الانبياء
عليهم الصلوة والسلام من الابتلاء بالجاحدين فلا يخلو الاولياء والعلماء عن الابتلاء بالجاهلين ولذلك قلما انفك الاولياء عن ضروب
الايذاء وانواع البلايا بالاخراج من البلاد والسعاية بهم الى السلاطين والشهادة عليهم بالكفر والخروج عن الدين ويجب
ان يكون اهل المعرفة عند اهل الجهل من الكافرين كما يجب ان يكون المعتاض عن الابل الكثيرة جوهرة صغيرة عند الجاهلين من المبذرين
المضيعين فاذا عرفت هذه الدقائق فآمن بقوله صلى الله عليه وسلم انه يعطى اخر من يخرج من النار مثل الدنيا عشر مرات واياك
ان تقتصر بتصديقك على ما يدركه البصر والحواس فقط فتكون حمارا برجلين لان الحمار يشاركك في الحواس وانما انت مفارق للحمار
بسر الهي عرض على السموات والارض فابين ان يحملنها واشفقن منها فادراك ما يخرج عن عالم الحواس والحس لا يصادف الا في عالم السر
الذي به فارقت الحمار وسائر البهائم فمن ذهل عن ذلك وعطله واهمله وقنع بدرجة البهائم ولم يجاوز المحسوسات فهو الذي اهلك
نفسه بتعطيلها ونسيها بالاعراض عنها فلا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم انفسهم فكل من لم يعرف الا المدركات بالحواس
فقد نسي الله اذ ليست ذات الله مدركة في هذا العالم المحسوس بالحواس الخمس وكل من نسي الله انساه الله لا محالة نفسه ونزل الى افق البهائم
وترك الترقي الى افق الملأ الاعلى وخان في الامانة التي اودعه الله تعالى وانعم بها عليه وكان كافر النعمة ومتعرضا للنقمة الا انه اسوء
حالا من البهيمة فان البهيمة تتخلص بالموت واما هذا فعنده امانة سترجع لا محالة الى مودعها فاليه مرجع الامانة ومصيرها
وتلك الامانة كالشمس الزاهرة وانما هبطت الى هذا القلب الفاني وغربت فيه وستطلع هذه الشمس عند خراب القلب من
مغربها وتعود الى بارئها وخالقها اما مظلمة منكسفة واما زاهرة مشرقة والزاهرة المشرقة غير محجوبة عن الحضرة الربوبية والمظلمة
ايضا راجعة الى الحضرة اذ المرجع والمصير للكل اليه الا انها ناكسة رأسها عن جهة اعلى عليين الى جهة اسفل السافلين ولذلك
قال تعالى ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم فبين انهم عند ربهم الا انهم منكوسون منحوسون قد انقلبت وجوههم الى اقفيتهم
وانتكست رؤسهم عن جهة فوق الى جهة اسفل وذلك حكم الله تعالى فيمن حرمه ولم يهده طريقه فنعوذ بالله من الضلال والنزول
في منازل الجهال فهذا حكم انقسام من يخرج من النار ويعطى مثل عشرة امثال الدنيا او اكثر ولا يخرج من النار الا موحد ولست
اعني بالتوحيد ان يقول بلسانه لا اله الا الله فان اللسان من عالم الملك والشهادة فلا ينفع الا في عالم الملك فيدفع السيف عن رقبته
وايدي الغانمين عن ماله ومدة الرقبة والمال مدة الحيوة بحيث لا يبقى رقبة ولا مال لا ينفع القول باللسان بل ينفع الصدق في التوحيد
وكمال التوحيد ان لا يرى الامور كلها الا من الله وعلامته ان لا يغضب على احد من الخلق بما يجري عليه اذ لا يرى الوسائط وانما يرى
مسبب الاسباب كما سيأتي تحقيقه في التوكل وهذا التوحيد متفاوت فمن الناس من له من التوحيد مثل الجبال ومنهم من له مثقال
ومنهم من له مثقال خردلة وذرة فمن في قلبه مثقال دينار فهو اول من يخرج من النار وفي الخبر يقال اخرجوا من النار من في قلبه
مثقال دينار من ايمان واخر من يخرج من في قلبه مثقال ذرة من الايمان وما بين المثقال والذرة على تفاوت درجاتهم يخرجون بين
طبقة المثقال وبين طبقة الذرة والموازنة بالمثقال بين اعيان الاموال وبين النقود واكثر ما يدخل الموحدين النار مظالم العباد فديوان
العباد هو الديوان الذي لا يترك فاما بقية السيئات فيتسارع العفو والتكفير اليها ففي الاثر ان العبد ليوقف بين يدي الله وله

وله من الحسنات امثال الجبال لو سلمت له لكان من اهل الجنة فيقوم اصحاب المظالم فيكون قد سب هذا واخذ مال هذا وضرب هذا فيقتص من حسناته حتى لا يبقى له حسنة فتقول الملائكة يا ربنا قد فنيت حسناته وبقي طالبون كثير فيقال القوا من سيئاتهم على سيئاته وصكوا له صكا الى النار وكما يهلك هو بسيئة غيره بطريق القصاص فكذلك ينجو المظلوم بحسنة الظالم اذ ينقل اليه عوضا عما ظلم به وقد حكي عن ابن الجلاء ان بعض اخوانه اغتابه ثم ارسل اليه يستحله فقال لا افعل ليس في صحيفتي حسنة افضل منها فكيف امحوها وقال هو وغيره ذنوب اخواني من حسناتي اريد ان ازين بها صحيفتي فهذا ما اردنا ان نذكره من اختلاف احوال العباد في المعاد في درجات السعادة والشقاوة وكل ذلك حكم بظاهر الاسباب يضاهي حكم الطبيب على مريض بانه يموت لا محالة ولا يقبل العلاج وعلى مريض اخر بان عارضه خفيف وعلاجه هين فان ذلك ظن يصيب في اكثر الاحوال ولكن قد يشرف المشرف على الهلاك بنفسه من حيث لا يشعر الطبيب وقد يساق الى ذي العارض الخفيف اجله من حيث لا يطلع عليه وذلك من اسرار الله تعالى الخفية في ارواح الاحياء وغوامض الاسباب التي رتبها مسبب الاسباب بقدر معلوم اذ ليس في قوة البشر الوقوف على كنهها فكذلك النجاة والفوز في الاخرة لها اسباب خفية ليس في قوة البشر الاطلاع عليها يعبر عن ذلك السبب الخفي المفضي الى النجاة بالعفو والرضا وعما يفضي الى الهلاك بالغضب والانتقام ووراء ذلك سر المشيئة الازلية التي لا يطلع الخلق عليها فلذلك يجب علينا ان نجوز العفو عن العاصي وان كثرت سيئاته الظاهرة والغضب على المطيع وان كثرت طاعته الظاهرة فان الاعتماد على التقوى والتقوى محله القلب وهو اغمض من ان يطلع عليه صاحبه فكيف غيره ولكن قد انكشف لارباب القلوب انه لا عفو عن عبد الا بسبب خفي فيه يقتضي العفو ولا غضب الا بسبب باطن يقتضي البعد من الله تعالى ولولا ذلك لم يكن العفو والغضب جزاء على الاعمال والاوصاف ولو لم يكن جزاء لم يكن عدلا ولو لم يكن عدلا لم يصح قوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد ولا قوله ان الله لا يظلم مثقال ذرة وكل ذلك صحيح فليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى وكل نفس بما كسبت رهينة فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم ولما غيروا انفسهم غير الله ما بهم تحقيقا لقوله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم وهذا كله قد انكشف لارباب القلوب انكشافا اوضح من المشاهدة بالبصر اذ البصر يمكن الغلط فيها اذ قد يرى البعيد قريبا والكبير صغيرا ومشاهدة القلب لا يمكن الغلط فيها وانما الشان في انفتاح بصيرة القلب والا فما يرى بها بعد الانفتاح فلا يتصور فيه الكذب واليه الاشارة بقوله تعالى ما كذب الفؤاد ما راى

الرتبة الثالثة

رتبة الناجين واعني بالنجاة السلامة فقط دون السعادة والفوز وهم قوم لم يخدموا فيخلع عليهم ولم يقصروا فيعذبوا ويشبه ان يكون هذا حال المجانين والصبيان من الكفار والمعتوهين والذين لم تبلغهم الدعوة في اطراف البلاد وعاشوا على البله وعدم المعرفة فلم يكن لهم معرفة ولا جحود ولا طاعة ولا معصية ولا وسيلة تقربهم ولا جناية تبعدهم فما هم من اهل الجنة ولا من اهل النار بل ينزلون في منزلة بين المنزلتين ومقام بين المقامين عبر الشرع عنه بالاعراف وحلول طائفة من الخلق فيه معلوم يقينا من الايات والاخبار ومن انوار الاعتبار فاما الحكم على المعين كالحكم مثلا بان الصبيان منهم فهذا مظنون وليس بمستيقن والاطلاع تحقيقا من عالم النبوة ويبعد ان يرتقي اليه رتبة الاولياء والعلماء والاخبار في حق الصبيان ايضا متعارضة حتى قالت عائشة لما مات بعض الصبيان عصفور من عصافير الجنة فانكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ما يدريك فاذن الاشكال والاشتباه اغلب في هذا المقام

الرتبة الرابعة

رتبة الفائزين وهم العارفون المقربون السابقون دون المقلدين فان المقلد وان كان له فوز على الجملة بمقام في الجنة فهو من اصحاب اليمين وهؤلاء هم المقربون وما يلقى هؤلاء يجاوز حد البيان والقدر الممكن ذكره ما فصله القرآن فليس بعد بيان الله بيان والذي لا يمكن التعبير عنه في هذا العالم فهو الذي اجمله قوله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وقوله اعددت لعبادي الصالحين

الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر والعارفون مطلبهم تلك الحالة التي لا يتصور ان تخطر على قلب بشر في هذا العالم فاما الحور والقصور والفواكه واللبن والعسل والخمر والحلي والاساور فانهم لا يحرصون عليها ولو اعطوها لم يقنعوا بها ولا يطلبون الا لذة النظر الى وجه الله الكريم فهو غاية السعادات ونهاية اللذات ولذلك قيل لرابعة العدوية كيف رغبتك في الجنة فقالت الجار ثم الدار فهؤلاء قوم شغلهم حب رب الدار عن الدار وزينتها بل عن كل شيء سواه حتى عن انفسهم ومثالهم العاشق المستهتر بمعشوقه المستوفي همه بالنظر الى وجهه والفكر فيه فانه في حال الاستغراق غافل عن نفسه لا يحس بما يصيبه في بدنه ويعبر عن هذه الحالة بانه فني عن نفسه ومعناه انه صار مستغرقا بغيره وصار همه هما واحدا وهو محبوبه ولم يبق فيه متسع لغير محبوبه حتى يلتفت اليه لا نفسه ولا غير نفسه وهذه الحالة هي التي توصل في الاخرة الى قرة عين لا يتصور ان تخطر في هذا العالم على قلب بشر كما لا يتصور ان تخطر صورة الالوان والالحان على قلب الاصم والاكمه الا ان يرفع الحجاب عن سمعه وبصره فعند ذلك يدرك حالة يعلم قطعا انه لم يتصور ان يخطر بباله قبل ذلك صورتها فالدنيا حجاب على التحقيق وبرفعه ينكشف الغطاء فعند ذلك يدرك ذوق الحياة الطيبة وان الدار الاخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون فهذا القدر كاف في توزيع الدرجات على الحسنات

بيان ما تعظم به الصغائر من الذنوب

اعلم ان الصغيرة تكبر باسباب منها الاصرار والمواظبة ولذلك قيل لا صغيرة مع اصرار ولا كبيرة مع استغفار فكبيرة واحدة تنصرم ولا يتبعها مثلها لو تصور ذلك كان العفو عنها ارجى من صغيرة يواظب العبد عليها ومثال ذلك قطرات من الماء تقع على الحجر على توال فتؤثر فيه وذلك القدر من الماء لو صب عليه دفعة لم يؤثر ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الاعمال ادومها وان قل والاشياء تستبان باضدادها فان كان النافع من العمل هو الدائم وان قل فالكثير المنصرم قليل النفع في تنوير القلب وتطهيره وكذلك القليل من السيئات اذا دام عظم تاثيره في اظلام القلب الا ان الكبيرة قلما يتصور الهجوم عليها بغتة من غير سوابق ولواحق من جملة الصغائر فقلما يزني الزاني بغتة من غير مراودة ومقدمات وقلما يقتل بغتة من غير مشاحنة سابقة ومعاداة فكل كبيرة تكتنفها صغائر سابقة ولاحقة ولو تصورت كبيرة وحدها بغتة ولم يتفق اليها عود ربما كان العفو فيها ارجى من صغيرة واظب الانسان عليها عمره ومنها ان يستصغر الذنب فان الذنب كلما استعظمه العبد من نفسه صغر عند الله وكلما استصغره كبر عند الله لان استعظامه يصدر عن نفور القلب عنه وكراهته له وذلك النفور يمنع من شدة تاثره به واستصغاره يصدر عن الالف به وذلك يوجب شدة الاثر في القلب والقلب هو المطلوب تنويره بالطاعات والمحذور تسويده بالسيئات ولذلك لا يؤاخذ بما يجري عليه في الغفلة فان القلب لا يتاثر بما يجري في الغفلة عنه وقد جاء في الخبر المؤمن يرى ذنبه كالجبل فوقه يخاف ان يقع عليه والمنافق يرى ذنبه كذباب مر على انفه فاطاره وقال بعضهم الذنب الذي لا يغفر قول العبد ليت كل شيء عملته مثل هذا وانما يعظم الذنب في قلب المؤمن لعلمه بجلال الله فاذا نظر الى عظم من عصاه به رأى الصغيرة كبيرة وقد اوحى الله تعالى الى بعض انبيائه لا تنظر الى قلة الهدية وانظر الى عظم مهديها ولا تنظر الى صغر الخطيئة وانظر الى كبرياء من واجهته بها وبهذا الاعتبار قال بعض العارفين لا صغيرة بل كل مخالفة فهي كبيرة ولذلك قال بعض الصحابة للتابعين انكم لتعملون اعمالا هي ادق في اعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الموبقات اذ كانت معرفة الصحابة بجلال الله اتم فكانت الصغائر عندهم بالاضافة الى جلال الله كبائر وبهذا السبب يعظم من العالم ما لا يعظم من الجاهل ويتجاوز عن العامي في امور لا يتجاوز في امثالها عن العارف لان الذنب والمخالفة يكبر بقدر معرفة المخالف ومنها السرور بالصغيرة والفرح والتبجح بها واعتداد التمكن من ذلك نعمة والغفلة عن كونه سبب الشقاوة فكلما غلبت حلاوة الصغيرة

عند العبد كبرت الصغيرة وعظم اثرها في تسويد القلب حتى ان من المذنبين من يتمدح بذنبه ويتبجح به لشدة فرحه بمقارفته
اياه كما يقول اما رأيتني كيف مزقت عرضه ويقول المناظر اما رأيتني كيف فضحته وكشفت مساويه حتى خجلته وكيف استخففت به
وكيف لبست عليه ويقول المعامل في التجارة اما رأيت كيف روجت عليه الزيف وكيف خدعته وكيف غبنته في ماله وكيف استحمقته
وامثاله يكبر بها الصغائر فان الذنوب مهلكات واذا العبد دفع اليها وظفر الشيطان به في الحمل عليها فينبغي ان يكون في مصيبة وتأسف
بسبب غلبة العدو عليه وبسبب بعده من الله فالمريض الذي يفرح بان ينكسر اناؤه الذي فيه دواؤه حتى يتخلص من الم شربه لا يرجى
شفاؤه ومنها ان يتهاون بستر الله عليه وحلمه عنه وامهاله ولا يدري انه انما امهل مقتا ليزداد بالامهال اثما فيظن ان
تمكينه من المعاصي عناية من الله تعالى به فيكون ذلك لامنه من مكر الله وجهله بمكامن الغرور كما قال تعالى ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا
الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير ومنها ان يأتي الذنب ويظهره بان يذكره بعد اتيانه او يأتيه في مشهد غيره
وتحريك رغبة الشر فيمن اسمعه ذنبه او اشهده فعله فهما جنايتان انضمتا الى جنايته فغلظت به فان انضاف الى ذلك الترغيب
للغير فيه والحمل عليه وتهيئة الاسباب له صارت جناية رابعة وتفاحش الامر وفي الخبر كل الناس معافى الا المجاهرين يبيت احدهم
على ذنب قد ستره الله فيصبح فيكشف ستر الله ويتحدث بذنبه وهذا لان من صفات الله ونعمه انه يظهر الجميل ويستر القبيح ولا يهتك الستر
فالاظهار كفران لهذه النعمة وقال بعضهم لا تذنب فان كان ولا بد فلا ترغب فيه غيرك فتذنب ذنبين ولذلك قال تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم
من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف وقال بعض السلف ما انتهك المرء من اخيه حرمة اعظم من ان يساعده على معصيته ثم
يهونها عليه ومنها ان يكون المذنب عالما يقتدى به فاذا فعله بحيث يرى ذلك منه كبر ذنبه كلبس العالم الابريسم و
ركوبه مراكب الذهب واخذه مال الشبهة من اموال السلاطين ودخوله على السلاطين وتردده اليهم ومساعدته اياهم بترك
الانكار عليهم واطلاقه اللسان في الاعراض وتعديه باللسان في المناظرة وقصده الاستخفاف واشتغاله من العلوم بما لا
يقصد منه الا الجاه كعلم الجدل والمناظرة فهذه ذنوب يتبع العالم عليها فيموت العالم ويبقى شره مستطيرا في العالم اماما
متطاولة فطوبى لمن اذا مات ماتت معه ذنوبه وفي الخبر من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها لا ينقص من اوزارهم
شيئا وقال تعالى ونكتب ما قدموا وآثارهم والآثار ما يلحق الاعمال بعد انقضاء العمل والعامل وقال ابن عباس ويل للعالم من الاتباع
يزل زلة فيرجع عنها ويحملها الناس فيذهبون بها في الآفاق وقال بعضهم مثل زلة العالم مثل انكسار السفينة تغرق ويغرق
اهلها وفي الاسرائيليات ان عالما كان يضل الناس بالبدعة ثم ادركته توبة فعمل في الاصلاح دهرا فاوحى الله تعالى الى نبيهم قل له ان
ذنبك لو كان فيما بيني وبينك لغفرته لك ولكن كيف بمن اضللت من عبادي فادخلتهم النار فبهذا اتضح ان امر العلماء مخطر وعليهم وظيفتان احدهما
ترك الذنب والاخرى اخفاؤه وكما تتضاعف اوزارهم على الذنب فكذلك تتضاعف ثوابهم على الحسنات اذا اتبعوا فاذا ترك التجمل والميل
الى الدنيا وقنع منها باليسير ومن الطعام بالقوت ومن الكسوة بالخلق فيتبع عليه ويقتدي العلماء والعوام به فيكون له مثل ثوابهم
وان مال الى التجمل مالت الطباع ممن دونه الى التشبه به ولا يقدرون على التجمل الا بخدمة السلاطين وجمع الحطام من الحرام ويكون هو السبب
في جميع ذلك فحركات العلماء في طوري الزيادة والنقصان تتضاعف آثارها اما بالربح واما بالخسران وهذا القدر في تفاصيل الذنوب
التي التوبة توبة عنها **الركن الثالث** في تمام التوبة وشروطها ودوامها الى آخر العمر قد ذكرنا ان التوبة عبارة عن ندم يورث عزما
وقصدا وذلك الندم اورثه العلم بكون المعاصي حائلة بينه وبين محبوبه ولكل واحد من العلم والندم والعزم دوام وتمام ولتمامها
علامة ولدوامها شرط فلا بد من بيانها واما العلم فالنظر فيه نظر في سبب التوبة وسيأتي واما الندم فهو توجع القلب عند شعوره

شعوره بفوات المحبوب وطول الحسرة علامته والحزن وانسكاب الدمع وطول البكاء فمن يستشعر عقوبة نازلة بولده او بعض اعزته
طال عليه مصيبته بكاؤه واي عزيز اعز عليه من نفسه واي عقوبة اشد من النار واي سبب ادل على نزول العقوبة من المعاصي
واي مخبر اصدق من الله ورسوله ولو حدثه انسان واحد يسمى طبيبا ان مرض ولده لا يبرأ وانه سيموت طال في الحال حزنه
وليس ولده باعز من نفسه ولا الطبيب باعلم ولا اصدق من الله ورسوله ولا الموت باشد من النار ولا المرض بادل على
الموت من المعاصي على سخط الله والتعرض بها للنار فالم الندم كلما كان اشد كان تكفير الذنوب به ارجى فعلامة صحة الندم رقة
القلب وغزارة الدمع وفي الخبر جالسوا التوابين فانهم ارق افئدة ومن علامته ان تتمكن مرارة تلك الذنوب في قلبه بدلا عن
حلاوتها فيستبدل بالميل كراهية وبالرغبة نفرة وفي الاسرائيليات ان الله سبحانه قال لبعض انبيائه وقد سأله قبول توبة
عبد بعد ان اجتهد سنين في العبادة ولم ير قبول توبته فقال وعزتي لو شفع فيه اهل السموات والارض ما قبلت توبته وحلاوة
ذلك الذنب الذي تاب منه في قلبه فان قلت فالذنوب هي اعمال مشتهاة بالطبع فكيف يجد مرارتها فاقول من تناول
عسلا كان فيه سم ولم يدركه بالذوق واستلذه ثم مرض وطال مرضه وتناثر شعره وفلجت اعضاؤه فاذا قدم اليه عسل فيه مثل
ذلك السم وهو في غاية الجوع والشهوة للحلاوة فهل تنفر نفسه عن ذلك العسل ام لا فان قلت لا فهو جحد للمشاهدة بل ربما ينفر
عن العسل الذي فيه سم ايضا لمشابهته به فوجدان التائب مرارة الذنب كذلك يكون وذلك لعلمه بان كل ذنب فذوقه ذوق العسل
وعمله عمل السم ولا تصح التوبة ولا تصدق الا بمثل هذا الايمان ولما عز مثل هذا الايمان عزت التوبة وقل التائبون فلا ترى الا
معرضا عن الله متهاونا بالذنوب مصرا عليها فهذا شرط تمام الندم وينبغي ان يدوم الى الموت وينبغي ان يجد هذه المرارة في
جميع الذنوب وان لم يكن قد ارتكبها من قبل كما يجد هذه المرارة متناول السم في العسل النفرة من الماء البارد مهما علم ان فيه مثل
ذلك السم اذ لم يكن ضرره من العسل بل مما فيه ولم يكن ضرر التائب من سرقته وزناه من حيث انه زنا وسرقة بل من حيث مخالفته
امر الله وذلك جار في كل ذنب واما القصد الذي ينبعث منه وهو ارادة التدارك فله تعلق بالحال وهو موجب ترك كل محظور
هو ملابس له واداء كل فرض هو متوجه عليه في الحال وله تعلق بالماضي وهو تدارك ما فرط وله تعلق بالمستقبل وهو دوام الطاعة
ودوام ترك المعصية الى الموت وشرط صحة التوبة فيما يتعلق بالماضي ان يرد فكره الى اول يوم بلغ فيه بالسن او الاحتلام ويفتش
عما مضى من عمره سنة سنة وشهرا شهرا ويوما يوما ونفسا نفسا وينظر الى الطاعات ما الذي قصر فيها والى المعاصي ما الذي
قارفها فان كان قد ترك صلوة او صلاها مع ثوب نجس او صلاها بنية غير صحيحة لجهله بشرط النية فيقضيها من آخرها فان شك
في عدد ما فات منها حسب من مدة بلوغه وترك القدر الذي يستيقن انه اداه ويقضي الباقي وله ان يأخذ فيه بغالب الظن
ويصل اليه على سبيل التحري والاجتهاد واما الصوم فان كان قد تركه في سفر ولم يقضه او افطر عمدا او نسي النية بالليل ولم يقض
فيتعرف مجموع ذلك بالتحري والاجتهاد ويشتغل بقضائه واما الزكوة فيحسب جميع ماله وعدد السنين من اول ملكه لا من زمان
البلوغ فان الزكوة واجبة على الصبي فيؤدي ما علم بغالب الظن انه في ذمته وان اداه لا على وجه يوافق مذهبه بان لم يصرف
الى الاصناف الثمانية او اخرج البدل وهو على مذهب الشافعي فيقضي جميع ذلك فان ذلك لا يجزيه اصلا وحساب الزكوة
ومعرفة ذلك يطول ويحتاج فيه الى تأمل شاف ويلزمه ان يسأل كيفية الخروج عنه من العلماء واما الحج فان كان قد استطاع
في بعض السنين ولم يتفق له خروجه والآن قد افلس فعليه الخروج فان لم يقدر مع الافلاس فعليه ان يكتسب من الحلال قدر الزاد
فان لم يكن له كسب ولا مال فعليه ان يسأل الناس ليصرف عليه من الزكوات والصدقات ما يحج به فانه ان مات قبل الحج مات

عاصيا قال عليه الصلوة والسلام من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا والعجز الطاري بعد القدرة لا
يسقط عنه الحج فهذا طريق تفتيشه عن الطاعات وتداركها واما المعاصي فينبغي ان يفتش من اول بلوغه عن سمعه وبصره
ولسانه وبطنه ويده ورجله وفرجه وسائر جوارحه ثم ينظر في جميع ايامه وساعاته ويفصل عند نفسه ديوان معاصيه
حتى يطلع على جميعها صغائرها وكبائرها ثم ينظر فيها فما كان من ذلك بينه وبين الله من حيث لا يتعلق بمظلمة العباد كنظر الى
غير محرم وقعود في مسجد مع الجنابة ومس مصحف بغير وضوء واعتقاد بدعة وشرب خمر وسماع ملاهي وغير ذلك مما
لا يتعلق بمظالم العباد فالتوبة عنها بالندم والتحسر عليها فيحسب مقدارها من حيث الكثرة ومن حيث المدة ويطلب لكل
معصية منها حسنة تناسبها فيأتي من الحسنات بمقدار تلك السيئات من حيث الكثرة ومن حيث المدة ويطلب لكل معصية
منها حسنة تناسبها اخذا بقوله صلى الله عليه وسلم اتق الله حيث كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها بل من قوله تعالى ان
الحسنات يذهبن السيئات فيكفر سماع الملاهي بسماع القران ومجالس الذكر ويكفر القعود في المسجد جنبا بالاعتكاف فيه
مع الاشتغال بالعبادة ويكفر مس المصحف جنبا باكرام المصحف وكثرة قراءة القران منه وكثرة تقبيله وبان يكتب مصحفا
ويجعله وقفا ويكفر شرب الخمر بالتصدق بكل شراب حلال هو اطيب واحب اليه وعد جميع المعاصي غير ممكن وانما المقصود سلوك
طريق المضادة فان المرض يعالج بضده وكل ظلمة ارتفعت الى القلب بمعصية فلا يمحوها الا نور يرتفع اليها بحسنة تضادها من
جنسها والمتضادات هي المتناسبات فلذلك ينبغي ان يمحو كل سيئة بحسنة من جنسها لكن تضادها فان البياض يزال بالسواد
لا بالحرارة والبرودة وهذا التدريج والتحقيق من التلطف في طريق المحو فالرجاء فيه اصدق والثقة به اكثر من ان يواظب على
نوع واحد من العبادات وان كان ذلك ايضا مؤثرا في المحو فهذا حكم ما بينه وبين الله سبحانه ويدل على ان الشيء يكفر بضده ان حب الدنيا
راس كل خطيئة واثر اتباع الدنيا في القلب السرور بها والانس له والحنين اليه فلا جرم كان كل اذى يصيب المسلم ينبو بسببه
قلبه عن الدنيا كفارة له اذ القلب يتجافى بالهموم والغموم عن دار الهموم قال صلى الله عليه وسلم من الذنوب ذنوب لا يكفرها
الا الهموم وفي لفظ اخر الا الهم بطلب المعيشة وفي حديث عائشة اذا كثرت ذنوب العبد ولم يكن له اعمال تكفرها ادخل الله تعالى
عليه الغموم فتكون كفارة لذنوبه ويقال ان الهم الذي يدخل على القلب والعبد لا يعرفه هو ظلمة الذنوب والهم بها وشعور
القلب بوقفة الحساب وهول المطلع فان قلت هم الانسان غالبا بماله وولده وجاهه وهي خطيئة فكيف يكون كفارة فاعلم
ان الحب له خطيئة والحرمان عنه كفارة ولو تمتع به لتمت الخطيئة فقد روي ان جبرئيل عليه السلم دخل على يوسف في السجن فقال له
كيف تركت الشيخ الكئيب فقال قد حزن عليك حزن مائة ثكلى قال فما له عند الله من الاجر قال اجر مائة شهيد فاذن الهموم
ايضا مكفرات حقوق الله واما مظالم العباد ففيها ايضا معصية وجناية على حق الله تعالى فان الله تعالى نهى عن ظلم العباد
فما يتعلق منها بحق الله تعالى يتداركه بالندم والتحسر وترك مثله في المستقبل والاتيان بالحسنات التي هي اضدادها فيقابل ايذاءه
الناس بالاحسان اليهم ويكفر غصب اموالهم بالتصدق بماله الحلال ويكفر تناول اعراضهم بالغيبة والقدح بالثناء على اهل الدين
واظهار ما يعرف من خصال الخير من اقرانه وامثاله ويكفر قتل النفوس باعتاق الرقاب لان ذلك احياء اذ العبد مفقود لنفسه
موجود لسيده فالاعتاق ايجاد لا يقدر الانسان على اكثر منه فيقابل الاعدام بالايجاد وبهذا تعرف ان ما ذكرناه من سلوك
طريق المضادة في التكفير والمحو مشهود له في الشرع حيث كفر القتل باعتاق رقبة ثم اذا فعل ذلك كله لم ينجه ولم يكفه ما لم
يخرج عن مظالم العباد ومظالم العباد اما في النفوس والاعراض والاموال او القلوب اعني به الايذاء المحض اما النفوس فان

جرى عليه قتل خطاء فتوبته بتسليم الدية وايصالها الى المستحق اما منه او من عاقلته وهو في عهدة ذلك قبل الوصول
اليه وان كان عمدا موجبا للقصاص فبالقصاص فان لم يعرف فيجب عليه ان يعترف عند ولي الدم ويحكمه في نفسه فان شاء
عفى عنه وان شاء قتله فلا يسقط عنه عهدته الا بهذا ولا يجوز له الاخفاء وليس هذا كما لو زنى او سرق او شرب او قطع الطريق
او باشر ما يجب فيه حد الله تعالى فانه لا يلزمه في التوبة ان يفضح نفسه ويهتك ستره ويلتمس من الوالي استيفاء حق الله بل عليه
ان يستتر بستر الله تعالى ويقيم حد الله على نفسه بانواع المجاهدة والتعذيب فالعفو في محض حقوق الله قريب من التائبين النادمين
واما القصاص وحد القذف فلا بد من تحكيم المستحق فيه فان كان المتناول مالا تناوله بغصب او خيانة او غبن في معاملة
بنوع تلبيس كترويج زيف او ستر عيب من المبيع او نقص اجرة اجير او منع اجرته فكل ذلك يجب ان يفتش عنه لا من حد بلوغه
بل من مدة وجوده فان ما يجب في مال الصبي يجب على الصبي اخراجه بعد البلوغ ان كان الولي قد قصر فيه فان لم يفعل كان
كان ظالما مطالبا به اذ يستوي في الحقوق المالية الصبي والبالغ وليحاسب نفسه على الحبات والذرات من اول يوم حياته
الى يوم توبته قبل ان يحاسب في القيمة وليناقش قبل ان يناقش فمن لم يحاسب نفسه في الدنيا طال في الاخرة حسابه فاذا حصل
مجموع ما عليه بظن غالب ونوع من الاجتهاد ممكن فليكتبه وليكتب اسامي اصحاب المظالم واحدا واحدا وليطف في نواحي العالم
ليطلبهم وليستحلهم او ليؤد حقوقهم وهذه التوبة تشق على الظلمة وعلى التجار فانهم لا يقدرون على طلب المعاملين كلهم
ولا على طلب ورثتهم ولكن على كل واحد منهم ان يفعل منه ما يقدر عليه فان عجز فلا يبقى له طريق الا ان يكثر من الحسنات
حتى تفيض منه يوم القيمة فيؤخذ حسناته وتوضع في موازين ارباب المظالم ولتكن كثرة حسناته بقدر كثرة مظالمه فانه ان لم تف
بها حسناته حمل من سيئات ارباب المظالم فيهلك بسيئات غيره فهذا طريق كل تائب في رد المظالم وهذا يوجب استغراق العمر في الحسنات
لو طال العمر بحسب طول مدة الظلم فكيف وذلك مما لا يعرف وربما يكون الاجل قريبا فينبغي ان يكون تشمره للحسنات والوقت
ضيق اشد من تشمره الذي كان في المعاصي في متسع الاوقات هذا حكم المظالم الثابتة في ذمته اما امواله الحاضرة فليرد الى المالك
ما يعرف له مالكا معينا وما لا يعرف له مالكا فعليه ان يتصدق به فان اختلط الحرام بالحلال عرف قدر الحرام بالاجتهاد
وتصدق بذلك المقدار كما سبق تفصيله في كتاب الحلال والحرام فاما الجناية على القلوب بمشافهة الناس بما يسوءهم
او يعيبهم في الغيبة فليطلب كل من تعرض له بلسانه او آذى قلبه بفعل من افعاله وليستحل واحدا واحدا منهم ومن مات او غاب
فقد فات امره ولا يتدارك الا بتكثير الحسنات لتؤخذ عوضا في القيمة واما من وجده واحله بطيبة قلب فذلك كفارة له وعليه
ان يعرفه قدر جنايته وتعرضه له فالاستحلال المبهم لا يكفيه وربما لو عرف ذلك وكثرة تعديه عليه لم تطب نفسه بالاحلال
وادخر ذلك في القيمة ذخيرة يأخذ من حسناته او يحمله من سيئاته فان كان في جملة جنايته عليه ما لو ذكره وعرفه لتأذى
بمعرفته كزناه بجاريته او اهله او نسبته باللسان الى عيب من خفايا عيوبه يعظم ايذاؤه مهما شوفه به فقد انسد عليه
طريق الاستحلال فليس له الا ان يستحل منها ثم تبقى له مظلمة فليجبره بالحسنات كما يجبر مظلمة الميت والغائب واما
الذكر والتعريف فهو سيئة جديدة يجب الاستحلال منها ومهما ذكر جنايته وعرفها المجني عليه فلم تسمح نفسه بالاحلال بقيت
المظلمة عليه فان هذا حقه فعليه ان يتلطف به ويسعى في مهماته واغراضه ويظهر من حبه والشفقة عليه ما يستميل به قلبه
فان الانسان عبد الاحسان وكل من نفر بسيئة مال بحسنة فاذا طاب قلبه بكثرة تودده وتلطفه سمحت نفسه بالاحلال فان ابى
الا الاصرار فيكون تلطفه به واعتذاره اليه من جملة حسناته التي يمكن ان يجبر بها في القيمة جنايته وليكن قدر سعيه في فرحه

وسرور قلبه بتودده وتلطفه بقدر سعيه في اساءته حتى اذا قاوم احدهما الاخر وزاد عليه اخذ ذلك منه عوضاً في القيمة
يحكم الله به عليه كمن اتلف في الدنيا مالاً فجاء بمثله فامتنع من له ذلك عن القبول وعن الابراء فان الحاكم ان يحكم عليه بالقبض
عنه شاء ام ابى فكذلك يحكم في صعيد القيمة احكم الحاكمين واعدل المقسطين وفي المتفق عليه من الصحيحين عن ابي سعيد الخدري
ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً فسال عن اعلم اهل الارض فدل على راهب
فاتاه فقال اني قتلت تسعة وتسعين نفساً فهل لي من توبة فقال لا فقتله فكمل مائة ثم سال عن اعلم اهل الارض فدل على رجل عالم
فقال انه قتل مائة نفس فهل له من توبة فقال نعم ومن يحول بينه وبين التوبة انطلق الى ارض كذا وكذا فان بها اناساً يعبدون
الله سبحانه فاعبد الله معهم ولا ترجع الى ارضك فانها ارض سوء فانطلق حتى اذا بلغ نصف الطريق اتاه الموت فاختصمت
فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة جاء تائباً مقبلاً بقلبه الى الله وقالت ملائكة العذاب انه لم يعمل خيراً
قط فاتاهم ملك في صورة ادمي فجعلوه حكماً بينهم فقال قيسوا ما بين الارضين فالى ايتهما كان ادنى فهو لها فقاسوا فوجدوه ادنى
الى الارض التي اراد فقبضته ملائكة الرحمة وفي رواية وكان ادنى الى القرية الصالحة اقرب منها بشبر فجعل من اهلها وفي رواية
فاوحى الله تعالى الى هذه ان تباعدي والى هذه ان تقربي وقال قيسوا ما بينهما فوجدوه الى هذه اقرب بشبر فغفر له فبهذا تعرف انه
لا خلاص الا برجحان ميزان الحسنات هذا حكم القصد المتعلق بالماضي فاما العزم المرتبط بالاستقبال فهو ان يعقد مع الله
تعالى عقداً مؤكداً ويعاهده بعهد وثيق انه لا يعود الى تلك الذنوب ولا الى امثالها كالذي يعلم في مرضه ان الفاكهة تضره
مثلاً فيعزم جزماً انه لا يتناول الفاكهة ما لم يزل مرضه فان هذا العزم يتأكد في الحال وان كان يتصور ان تغلبه الشهوة في ثاني
ولكن لا يكون تائباً ما لم يتأكد عزمه في الحال ولا يتصور ان يتم ذلك للتائب في اول امره الا بالعزلة والصمت وقلة الاكل والنوم واحراز
قوت حلال فان كان له مال موروث حلال او كانت له حرفة يكتسب بها على قدر الكفاية فليقتصر عليه فان راس المعاصي اكل الحرام
فكيف يكون تائباً مع الاصرار عليه ولا يكتفي بالحلال من ترك الشبهات ومن لا يقدر على ترك الشهوات في الماكولات والملبوسات
قال بعضهم من صدق في ترك شهوة وجاهد نفسه لله سبع مرات لم يبتل بها وقال اخر من تاب من ذنب واستقام عليه سبع سنين
لم يعد اليه ابداً ومن مهمات التائب اذا لم يكن عالماً ان يتعلم ما يجب عليه في المستقبل وما يحل له وما يحرم عليه حتى يمكنه الاستقامة
وان لم يؤثر العزلة لم يتم له الاستقامة المطلقة الا ان يتوب عن بعض الذنوب كالذي يتوب عن الشرب والزنا والغصب
مثلاً وليس هذه توبة مطلقة وقد قال بعض الناس ان هذه التوبة لا تصح وقال قائلون تصح ولفظ الصحة في هذا المقام مجمل بل
نقول لمن قال لا تصح ان عنيت به ان ترك بعض الذنوب لا يفيد اصلاً بل وجوده كعدمه فما اعظم خطاك فانا نعلم ان كثرة الذنوب
سبب لكثرة العقاب وقلتها سبب لقلته ونقول لمن قال يصح ان اردت به ان التوبة عن بعض الذنوب توجب قبولاً يوصل الى النجاة او الفوز
ترك الجميع هذا حكم الظاهر ولسنا نتكلم في خفايا اسرار عفو الله فان قال من ذهب الى انه لا يصح اني اردت به ان التوبة عبارة عن
الندم وانما يندم على سرقة مثلاً لكونها معصية لا لكونها سرقة ويستحيل ان يندم عليه دون الزنا ان كان توجعه لاجل المعصية
فان العلة شاملة لهما اذ من يتوجع على قتل ولده بالسيف يتوجع على قتله بالسكين فكذلك توجع العبد بفوات محبوبه وذلك
بالمعصية سواء عصى بالسرقة او بالزنا فكيف يتوجع على البعض دون البعض فالندم حالة توجبها العلم بكون المعصية مفوتاً للمحبوب
من حيث انه معصية فلا يتصور ان يكون على بعض المعاصي دون بعض ولو جاز هذا لجاز ان يتوب من شرب الخمر من احد الدنين دون
الاخر فان استحال ذلك من حيث ان المعصية في الخمرين واحد وانما الدنان ظروف فكذلك اعيان المعاصي الات للمعصية والمعصية

والمعصية من حيث مخالفة الامر واحدة فاذن معنى عدم الصحة ان الله تعالى وعد التائبين رتبة وتلك الرتبة لا تنال الا
بالندم ولا يتصور الندم على بعض المتماثلات فهو كالملك المترتب على الايجاب والقبول فانه اذا لم يتم الايجاب والقبول يقال
ان العقد لم يصح اي لا يترتب عليه الثمرة وهو الملك وتحقيق هذا ان ثمرة مجرد الترك ان ينقطع عنه عقاب ما تركه وثمرة الندم
تكفير ما سبق فترك السرقة لا يكفر السرقة بل الندم عليها لكونها معصية ولا يتصور الندم الا لكونها معصية وذلك
يعم جميع المعاصي وهذا كلام مفهوم رائق يستنطق المنصف بتفصيل به ينكشف الغطاء فنقول التوبة عن بعض الذنوب لا يخلو
اما ان يكون عن الكبائر دون الصغائر او عن الصغائر دون الكبائر او عن كبيرة دون كبيرة اما التوبة عن الكبائر دون الصغائر فممكن
لانه يعلم ان الكبائر اعظم عند الله واجلب لسخط الله ومقته والصغائر اقرب الى تطرق العفو اليه فلا يستحيل ان يتوب عن الاعظم
ويندم عليه كالذي يجني على اهل الملك وحرمه ويجني على دابته فيكون خائفاً من الجناية على الاهل مستحقراً للجناية على الدابة
واعتقاد كونه مستبعداً عن الله تعالى وهذا ممكن وجوده في الشرع فقد كثر التائبون في الاعصار ولم يكن احد منهم معصوماً فلا
يستدعي التوبة العصمة والطبيب قد يحذر المريض العسل تحذيراً شديداً ويحذره السكر تحذيراً اخف منه على وجه يشعر
معه بانه ربما لا يظهر ضرر السكر اصلاً فيتوب المريض بقوله عن العسل دون السكر وهذا غير محال وجوده فان اكلهما جميعاً
بحكم شهوة ندم على اكل العسل دون السكر الثاني ان يتوب عن بعض الكبائر دون بعض وهذا ايضاً ممكن لاعتقاده ان
بعض الكبائر اشد واغلظ من بعض عند الله كالذي يتوب عن القتل والنهب والظلم ومظالم العباد لعلمه بان ديوان العباد
لا يترك وما بينه وبين الله يتسارع العفو اليه فهذا ايضاً ممكن كما في تفاوت الصغائر والكبائر لان الكبائر ايضاً متفاوتة
في انفسها وفي اعتقاد مرتكبها وكذلك قد يتوب عن بعض الكبائر التي لا تتعلق بالعباد كما يتوب عن شرب الخمر دون الزنا مثلاً
اذ يتضح له ان الخمر مفتاح الشرور وانه اذا زال عقله ارتكب جميع المعاصي وهو لا يدري فيحسب ترجح شرب الخمر عنده ينبعث
منه خوف يوجب ذلك تركاً في المستقبل وندماً على الماضي الثالث ان يتوب عن صغيرة او صغائر وهو مصر على كبيرة
يعلم انها كبيرة كالذي يتوب عن الغيبة او عن النظر الى غير المحرم وما يجري مجراه وهو مصر على شرب الخمر وهو ايضاً ممكن وجه
امكانه انه ما من مؤمن الا وهو خائف على معاصيه ونادم على فعله ندماً اما ضعيفاً واما قوياً ولكن تكون لذة نفسه في تلك
المعصية اقوى من الم قلبه في الخوف منه لاسباب توجب ضعف الخوف من الجهل والغفلة واسباب توجب قوة الشهوة فيكون الندم
موجوداً ولكن لا يكون مليئاً بتحريك العزم ولا قوياً عليه فان سلم عن شهوة اقوى منه او لم يعارضه الا ما هو اضعف قهر الخوف
الشهوة وغلبها واوجب ذلك ترك المعصية وقد تشتد ضراوة الفاسق بالخمر فلا يقدر على الصبر عنه ويكون له ضراوة ما
بالغيبة وثلب الناس والنظر الى غير المحرم وخوفه من الله قد بلغ مبلغاً يقمع هذه الشهوات الضعيفة دون القوية فيوجب
عليه جند الخوف انبعاث العزم للترك بل يقول هذا الفاسق في نفسه ان قهرني الشيطان بواسطة غلبة الشهوة في بعض المعاصي
فلم ينبغي ان اخلع العذار وارخي العنان بالكلية بل اجاهده في بعض المعاصي عساني اغلبه فيكون قهري له في البعض كفارة
لبعض ذنوبي ولو لم يتصور هذا لما تصور من الفاسق ان يصلي ويصوم ولقيل له ان كان صلواتك لغير الله فلا يصح وان كان لله
فاترك الفسق لله فان امر الله فيه واحد فلا يتصور ان تقصد بصلواتك التقرب الى الله ما لم تتقرب بترك الفسق وهذا
محال بل يقول لله علي امران ولي على المخالفة فيهما عقوبتان وانا ملي في احدهما بقهر الشيطان عاجز عنه في الاخر فانا اقهره
بما اقدر عليه وارجو بمجاهدتي فيه ان يكفر عني ما عجزت عنه لفرط شهوتي فكيف لا يتصور هذا وهو حال كل مسلم

اذ لا مسلم الا وهو جامع بين طاعة الله ومعصيته ولا سبب له الا هذا وإذا فهم هذا فهم ان غلبة الخوف للشهوة في بعض الذنوب
ممكن ووجوده والخوف اذا كان من فعل ماض اورث الندم والندم يورث العزم وقد قال صلى الله عليه وسلم الندم توبة ولم يشترط
الندم على كل ذنب وقال التائب من الذنب كمن لا ذنب له ولم يقل التائب من الذنوب كلها وبهذه المعاني يتبين ان التوبة عن بعض الذنوب
غير ممكن لانها متماثلة في حق الشهوة وفي حق التعرض لسخط الله تعالى نعم يجوز ان يتوب عن الخمر دون النبيذ لتفاوتهما في اقتضاء السخط
ويتوب عن الكثير دون القليل لان لكثرة المعصية تاثيرا في كثرة العقوبة فيساعد الشهوة بالقدر الذي يعجز عنه ويترك بعض شهوته
لله تعالى كالمريض الذي حذره الطبيب الفاكهة فانه قد يتناول قليلها ولكن لا يستكثر منها فقد حصل من هذا انه لا يمكن ان يتوب عن شيء
ولا يتوب عن مثله بل لا بد وان يكون ما تاب عنه مخالفا لما بقي عليه اما في شدة المعصية واما في غلبة الشهوة واذا حصل هذا التفاوت
في اعتقاد التائب تصور اختلاف حاله في الخوف والندم فيتصور اختلاف حاله في الترك فيندم على ذلك الذنب ووفاؤه بعزمه
على الترك يلحقه بمن لم يذنب وان لم يكن قد اطاع الله في جميع الاوامر والنواهي فان قلت فهل يصح توبة العنين من الزنا الذي
قارفه قبل طريان العنة فاقول لا لان التوبة عبارة عن الندم يبعث العزم على الترك فيما يقدر على فعله وما لا يقدر على فعله انعدم
نفسه لا بتركه اياه ولكني اقول لو طرأ عليه بعد العنة كشف ومعرفة تحقق بها ضرر الزنا الذي قارفه وثار منه احتراق وتحسر وندم
بحيث لو كانت شهوة الوقاع باقية لكانت حرقة الندم تقمع تلك الشهوة وتغلبها فاني ارجو ان يكون ذلك مكفرا لذنبه وماحيا عنه
سيئته اذ لا خلاف في انه لو تاب قبل طريان العنة ومات عقيبه كان من التائبين وان لم تطرأ عليه حالة تهيج فيها الشهوة وتتيسر
فيها اسباب القضاء للشهوة ولكنه تائب باعتبار ان ندمه بلغ مبلغا اوجب صرف قصده عن الزنا لو ظهر قصده فاذا لا يستحيل ان
يبلغ قوة الندم في حق العنين هذا المبلغ الا انه لا يعرفه من نفسه فان كان من لا يشتهي شيئا يقدر نفسه فان كل من لا يشتهي قادرا
على تركه بادنى خوف والله تعالى مطلع على ضميره وعلى مقدار ندمه فعساه يقبله منه بل الظاهر انه يقبله والتحقيق في هذا يرجع
الى ان ظلمة المعصية تنمحي عن القلب بشيئين احدهما حرقة الندم والآخر شدة المجاهدة بالترك في المستقبل وقد امتنعت المجاهدة
بزوال الشهوة ولكن ليس محالا ان يقوى الندم بحيث يقوى على محوها دون المجاهدة ولولا هذا لقلنا ان التوبة لا تقبل ما لم يعش
التائب بعد التوبة مدة يجاهد نفسه في عين تلك الشهوة مرات كثيرة وذلك مما لا يدل ظاهر الشرع على اشتراطه اصلا فان قلت
اذا فرضنا تائبين احدهما سكنت نفسه عن النزوع الى الذنب والآخر بقي في نفسه نزوع اليه وهو يجاهدها نفسه ويمنعها فايهما
افضل فاعلم ان هذا مما اختلف العلماء فيه فقال احمد بن ابي الحواري واصحاب ابي سليمان الداراني ان المجاهد افضل لان له مع التوبة
فضل الجهاد وقال علماء البصرة ذلك الآخر افضل لانه لو فتر في توبته كان اقرب الى السلامة من المجاهد الذي هو في عرضة الفتور
عن المجاهدة وما قاله كل واحد من الفريقين لا يخلو عن حق وعن قصور عن كمال الحقيقة والحق فيه ان الذي انقطع نزوع نفسه له حالتان
احداهما ان يكون انقطاع نزوعه اليه لفتور في نفس الشهوة فقط فالمجاهد افضل من هذا اذ تركه بالمجاهدة قد دل على قوة يقينه
واستيلاء دينه على شهوته فهو دليل قاطع على قوة اليقين وعلى قوة الدين واعني بقوة الدين قوة الارادة التي تنبعث باشارة اليقين
وتقمع الشهوة المنبعثة باشارة الشياطين فهما قوتان تدل المجاهدة عليهما قطعا وقول القائل ان هذا اسلم اذ لو فتر لا يعود
الى الذنب فهذا صحيح ولكن استعمال لفظ الافضل فيه خطأ وهو كقول القائل العنين افضل فانه امن من خطر الشهوة والصبي افضل من
البالغ لانه اسلم والمفلس لا عدو له والملك ربما يغلب مرة وان غلب مرات وهذا كلام رجل سليم القلب قاصر النظر على الظواهر
غير عالم بان العز في الاخطار وان العلو شرطه اقتحام الاغوار بل هو كقول القائل ان الصياد الذي ليس له فرس وكلب افضل في صناعة

في صناعة الاصطياد واعلى رتبة من صاحب الكلب والفرس لانه آمن من ان يجمح به فرسه فينكسر اعضاؤه عند السقوط على الارض
وآمن من ان يعضه الكلب ويعتدي عليه وهذا خطأ بل صاحب الفرس والكلب اذا كان قويا عالما بطريق تاديبهما اعلى رتبة
واحرى بدرك سعادة الصيد الحالة الثانية ان يكون بطلان النزوع بسبب قوة اليقين وصدق المجاهدة السابقة
اذ بلغ مبلغا قمع هيجان الشهوة حتى تادبت بادب الشرع فلا تهيج الا باشارة الدين وقد سكنت بسبب استيلاء الدين عليها فهذا
اعلى رتبة من المجاهد المقاسي لهيجان الشهوة وقمعها وقول القائل ان ذلك فضل الجهاد قصور عن الاحاطة بمقصود الجهاد فان
الجهاد ليس مقصودا لعينه بل المقصود قطع ضراوة العدو حتى لا يستجرك الى شهواته وان عجز عن استجرارك فلا يصدك عن
سلوك طريق الدين فاذا قهرته وحصلت المقصود فقد ظفرت في المجاهدة فانت تعدو في طلب الظفر ومثالك كحال من
قهر العدو واسترقه بالاضافة الى من هو مشغول بالجهاد في صف القتال ولا يدري كيف يسلم ومثاله ايضا من علم كلب
الصيد وراض الفرس وهما ناعمان عنده بعد ترك الكلب الضراوة والفرس الجماح بالاضافة الى من هو مشغول بمقاساتهما
بعد ولقد ذل في هذا فريق فظنوا ان الجهاد هو المقصود الاقصى ولم يعلموا ان ذلك طلب الخلاص من عوائق الطريق وظن آخرون ان
قمع الشهوات واماطتها بالكلية مقصود حتى جرب بعضهم فعجز عنه فقال هذا محال فكذب بالشرع وسلك سبيل الاباحة
واسترسل في اتباع الشهوات وكل ذلك جهل وضلال وقد قررنا ذلك في كتاب رياضة النفس من ربع المهلكات فان قلت
فما قولك في تائبين احدهما نسي الذنب ولم يشتغل بالتفكر فيه والآخر جعله نصب عينه ولا يزال يتفكر فيه ويحترق ندما عليه
ايهما افضل فاعلم ان هذا ايضا قد اختلفوا فيه فقال بعضهم حقيقة التوبة ان تنصب ذنبك بين عينيك وقال آخرون حقيقة
التوبة ان تنسى ذنبك وكل واحد من المذهبين عندنا حق ولكن بالاضافة الى حالين وكلام المتصوفة ابدا يكون قاصرا فان عادة
كل واحد ان يخبر عن حال نفسه فقط ولا يهمه حال غيره فيختلف الاجوبة لاختلاف الاحوال وهذا نقصان بالاضافة الى
العلم فان معرفة الاشياء على ما هي عليه افضل واعلى ولكنه كمال بالاضافة الى الهمة والارادة والجد حيث يكون صاحبه
مقصور النظر على حال نفسه لا يهمه امر غيره اذ طريقه الى الله نفسه ومنازله احواله وقد يكون طريق العبد الى الله العلم و
التعليم الى الله كثيرة وان كانت مختلفة في القرب والبعد والله اعلم بمن هو اهدى سبيلا مع الاشتراك في اصل الهداية فاقول
حضور الذنب وذكره والتفجع عليه كمال في حق المبتدي لانه اذا نسيه لم يكثر احتراقه عليه فلا يقوى ارادته وانبعاثه
لسلوك الطريق ولان ذلك يستخرج منه الحزن والخوف الوازع عن الرجوع الى مثله فهو بالاضافة الى سالك الطريق
نقصان فانه شغل مانع من سلوك الطريق بل سالك الطريق ينبغي ان لا يعرج على غير السلوك فان ظهر له مبادي الوصول وانكشفت
له انوار المعرفة ولوامع الغيب استغرقته ذلك ولم يبق فيه متسع للالتفات الى ما سبق من احواله وهو الكمال بل لو عاق
عن الطريق الى بلد من البلاد نهر [illegible] في عبوره من حيث انه كان قد خرب جسره من قبل فجلس على شاطئ
النهر بعد عبوره يبكي متأسفا على تخريبه الجسر كان ذلك مانعا آخر تجدد له بعد القلع عن ذلك المانع نعم ان لم يكن الوقت
وقت الرحيل بان كان ليلا فتعذر السلوك وكان على طرف النهار وهو يخاف على نفسه ان يعود اليها فليطل بالليل بكاءه وحزنه
على تخريب الجسر ليتأكد بطول الحزن عزمه على ان لا يعود الى مثله فان حصل له من التنبه ما وثق بنفسه انه لا يعود الى مثله
فسلوك الطريق اولى به من الاشتغال بذكر تخريب الجسر والبكاء عليه وهذا لا يعرفه الا من عرف الطريق والمقصد والعائق وطريق
السلوك وقد اشرنا الى تلويحات منه في كتاب العلم وفي ربع المهلكات بل نقول شرط دوام التوبة ان يكون كثير الفكر في النعيم

في الآخرة ليزيد رغبته ولكن ان كان شابا فلا ينبغي ان يطيل الفكر في كل ما له نظير في الدنيا كالحور والقصور فان ذلك الفكر
ربما يحرك رغبته فيطلب العاجلة ولا يرضى بالآجلة بل ينبغي ان يتفكر في لذة النظر الى وجه الله تعالى فقط فذلك لا نظير له
في الدنيا فكذلك تذكر الذنب قد يكون محركا للشهوة فالمبتدي ربما قد يستضر به فيكون النسيان افضل له عند ذلك ولا
يصدنك من التصديق بهذا التحقيق ما يحكى لك من بكاء داود عليه السلام ونياحته فان قياسك على الانبياء قياس في غاية الاعوجاج
لانهم قد ينزلون في اقوالهم واعمالهم الى الدرجات اللائقة باممهم فانهم ما بعثوا الا لارشادهم فعليهم التلبيس بما ينتفع
اممهم بمشاهدته وان كان ذلك نازلا عن ذروة مقاماتهم فلقد كان من الشيوخ من لا يشير على مريده بنوع رياضة الا ويخوض
معه فيها وقد كان مستغنيا عنها لفراغه عن المجاهدة وتأديب النفس ولكن تسهيلا للامر على المريد ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
انما اني لا انسى ولكني انسى لاشرع ولا تتعجب من هذا فان الامم في كنف شفقة الانبياء كالصبيان في كنف شفقة الآباء وكالمواشي
في كنف الرعاة اما ترى الاب اذا اراد ان يستنطق ولده الصبي كيف ينزل الى درجة نطق الصبي كما قال صلى الله عليه وسلم
للحسن عليه السلام كخ كخ لما اخذ تمرة من الصدقة ووضعها في فيه وما كانت فصاحته تقصر عن ان يقول ارم هذه التمرة
فانها حرام ولكنه اذ علم انه لا يفهم منطقه ترك فصاحته ونزل الى لكنته بل الذي يعلم شاة او طيرا يصوت رغاء وصفيرا
تشبها بالبهيمة والطير تلطفا في تعليمه فاياك ان تغفل عن امثال هذه الدقائق فانها مزلة اقدام العارفين فضلا عن الغافلين

بيان اقسام العباد في دوام التوبة اعلم ان التائبين في التوبة على اربع طبقات الطبقة الاولى ان يتوب العاصي ويستقيم على التوبة
الى آخر عمره فيتدارك ما فرط من امره ولا يحدث نفسه بالعود الى ذنوبه الا الزلات التي لا ينفك البشر عنها في العادات مهما
لم يكن في رتبة النبوة فهذا هو الاستقامة في التوبة وصاحبها هو السابق بالخيرات المستبدل بالسيئات حسنات ويسمى هذه التوبة
النصوح واسم هذه النفس الساكنة المطمئنة التي ترجع الى ربها راضية مرضية وهؤلاء هم الذين اليهم الاشارة بقوله صلى الله عليه
وسلم سبق المفردون المستهترون بذكر الله سبحانه وضع الذكر اوزارهم فوردوا على القيامة خفافا فان فيه اشارة الى انهم
كانوا تحت اوزار وضعها الذكر عنهم واهل هذه الطبقة على رتب من حيث النزوع الى الشهوات فمن تائب سكنت شهواته تحت
قهر المعرفة ففتر نزاعها ولم يشغله عن السلوك صرفها والى من لا ينفك عن منازعة النفس ولكنه ملي بمجاهدتها وردها ثم
يتفاوت درجات النزاع ايضا بالكثرة والقلة وباختلاف المدة وباختلاف الانواع وكذلك يختلفون من حيث طول العمر فمن مختطف
قريب من توبته يغبط على ذلك لسلامته وموته قبل الفترة ومن ممهل طال جهاده وصبره وتمادت استقامته وكثرت حسناته
وحال هذا اعلى وافضل اذ كل سيئة فانما يمحوها حسنة حتى قال بعض العلماء انما يكفر الذنب الذي ارتكبه العاصي عشر حسنات
ان يتمكن منها عشر مرات مع صدق الشهوات ثم يصبر عنه ويكسر شهوته خوفا من الله تعالى واشتراط هذا بعيد وان كان لا ينكر عظم
اثره لو وقع لكن لا ينبغي للمبتدي الضعيف ان يسلك هذا الطريق فيهيج الشهوة ويحضر الاسباب حتى يتمكن ثم يطمع في الانكفاف
فانه لا يؤمن خروج عنان الشهوة من يد اختياره فيقدم على المعصية وينقض توبته بل طريقه الفرار من ابتداء اسبابه الميسرة
له حتى يسد طرقها على نفسه ويسعى مع ذلك في كسر شهوته بما يقدر عليه فبه تسلم توبته في الابتداء الطبقة الثانية تائب
سلك طريق الاستقامة في امهات الطاعات وكبائر الفواحش كلها الا انه ليس ينفك عن ذنوب تعتريه لا عن عمد وتجريد قصد
ولكن يبتلى بها في مجاري احواله من غير ان يقدم عزما على الاقدام عليه ولكنه كلما اقدم عليه لام نفسه وندم وتأسف
وجدد عزمه على ان يتشمر للاحتراز من اسبابه التي تعرضه لها وهذه النفس جديرة بان تكون هي النفس اللوامة اذ تلوم صاحبها على

على ما يستهدف لها من الاحوال الذميمة لا عن تصميم عزم وتخمير رأي وقصد وهذه ايضا رتبة عالية وان كانت نازلة عن
الطبقة الاولى وهي اغلب احوال التائبين لان الشر معجون بطينة الآدمي فقلما ينفك عنه وانما غاية سعيه ان يغلب
خيره شره حتى يثقل ميزانه فترجح كفة الحسنات فاما ان تخلو بالكلية كفة السيئات فذلك في غاية البعد وهؤلاء لهم حسن الوعد من الله
اذ قال الله تعالى الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم ان ربك واسع المغفرة فكل المام يقع بالصغيرة لا عن توطين نفس عليه
فهو جدير بان يكون من اللمم المعفو عنه وقد قال تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم فاثنى
عليهم مع ظلمهم انفسهم لتندمهم ولومهم انفسهم عليه والى مثل هذه الرتبة الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه علي رضي الله عنه
خياركم كل مفتن تواب وفي خبر آخر المؤمن كالسنبلة تفيء احيانا وتميل احيانا وفي الخبر لا بد للمؤمن من ذنب يأتيه الفينة بعد الفينة
اي الحين بعد الحين فكل ذلك ادلة قاطعة على ان هذا القدر لا ينقض التوبة ولا يلحق صاحبها بدرجة المصرين ومن يؤيس مثل هذا
عن درجة التائبين كالطبيب الذي يؤيس الصحيح عن دوام الصحة بما يتناوله من الفواكه والاطعمة الحارة مرة بعد اخرى من غير مداومة
واستمرار وكالفقيه الذي يؤيس المتفقه عن نيل درجة الفقهاء بفتوره عن التكرار والتعليق في اوقات نادرة غير متطاولة ولا كثيرة
وذلك يدل على نقصان الطبيب والفقيه بل الفقيه في الدين هو الذي لا يؤيس الخلق عن درجات السعادات بما يتفق لهم من الفترات
ومقارفة السيئات المختطفات قال صلى الله عليه وسلم كل بني آدم خطاء وخير الخطائين المستغفرون وقال ايضا المؤمن واه راقع
فخيرهم من مات على رقعه اي واه بالذنوب راقع بالتوبة والندم وقال تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤن
بالحسنة السيئة فما وصفهم بعدم السيئة الطبقة الثالثة ان يتوب ويستمر على الاستقامة مدة ثم تغلبه شهوته في بعض الذنوب
فيقدم عليها عن صدق وقصد شهوة لعجزه عن قهر الشهوة الا انه مع ذلك مواظب على الطاعات وتارك جملة من الذنوب مع القدرة
والشهوة وانما قهرته هذه الشهوة الواحدة او الشهوتان وهو يود لو اقدره الله تعالى على قمعها وكفاه شرها هذه امنيته في حال
قضاء الشهوة وعند الفراغ يتندم ويقول ليتني لم افعله وسأتوب عنه واجاهد نفسي في قهرها لكنه تسول نفسه ويسوف
توبته مرة بعد اخرى ويوما بعد يوم فهذه النفس هي التي تسمى النفس المسولة وصاحبها من الذين قال الله تعالى وآخرون اعترفوا
بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا فامره من حيث مواظبته على الطاعات وكراهته لما يتعاطاه مرجو فعسى الله ان يتوب
عليه وعاقبته مخطرة من حيث تسويفه وتأخيره فربما يختطف قبل التوبة ويقع امره في المشيئة فان تداركه الله بفضله وجبر
كسره وامتن عليه بالتوبة التحق بالسابقين وان غلبته شقوته وقهرته شهوته فيخشى ان يحق عليه في الخاتمة ما سبق عليه في الازل
لانه مهما تعذر على المتفقه مثلا الاحتراز عن شواغل التعلم دل تعذره على انه سبق له في الازل ان يكون من الجاهلين فيضعف الرجاء
في حقه واذا تيسرت له اسباب المواظبة على التحصيل دل على انه سبق في الازل ان يكون من جملة العالمين فكذلك ارتباط سعادة
الآخرة ودركاتها بالحسنات والسيئات بحكم تقدير مسبب الاسباب كارتباط المرض والصحة بتناول الاغذية والادوية و
ارتباط حصول فقه النفس الذي يستحق المناصب العلية في الدنيا بترك الكسل والمواظبة على تفقيه النفس وكما لا يصلح لمنصب
القضاء والتقديم بالعلم الا نفس صارت فقيهة بطول التفقه فلا يصلح لملك الآخرة ونعيمها ولا للقرب من رب العالمين الا
قلب سليم صار طاهرا بطول التزكية والتطهير هكذا سبق في الازل بتدبير رب الارباب ولذلك قال تعالى ونفس وما سواها
فالهمها فجورها وتقواها قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها فمهما وقع العبد في ذنب فصار الذنب نقدا والتوبة نسيئة
كان هذا من علامات الخذلان قال صلى الله عليه وسلم ان العبد ليعمل بعمل اهل الجنة سبعين سنة حتى يقول الناس انه من اهلها

ولا يبقى بينه وبينها الا شبر فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل النار فيدخلها فاذاً الخوف من الخاتمة قبل التوبة وكل نفس فهي
خاتمة اذ يمكن ان يكون الموت متصلاً به فليراقب الانفاس وليتق المحذور ويدم الحسنات حتى لا يقع التحسر الطبقة
ان يتوب ويجري مدة على الاستقامة ثم يعود الى مقارفة الذنب او الذنوب من غير ان يحدث نفسه بالتوبة ومن غير ان يتأسف
على فعله بل ينهمك انهماك الغافل في اتباع شهوته فهذا من جملة المصرين وهذه النفس هي النفس الامارة بالسوء الفارة من الخير
ويخاف على هذا سوء الخاتمة وامره في مشية الله فان ختم له بالسوء شقي شقاوة لا آخر لها وان ختم له بالحسنى حتى مات على التوحيد
فينتظر له الخلاص من النار ولو بعد حين ولا يستحيل ان يشمله عموم العفو بسبب خفي لا يطلع عليه كما لا يستحيل ان
يدخل الانسان خراباً ليجد كنزاً فيتفق ان يجده ولا ان يجلس في البيت ليجعله الله عالماً بالعلوم من غير تعلم كما كان للانبياء
صلوات الله عليهم اجمعين فطلب المغفرة بالطاعات كطلب العلم بالمجاهدة والتكرار وطلب المال بالتجارة وركوب البحار وطلبه
بمجرد الرجاء مع خراب الاعمال كطلب الكنوز في المواضع الخربة وطلب العلوم من تعليم الملائكة وليت من اجتهد وتعب وتعلم
وليت من اتجر استغنى وليت من صام وصلى غفر له فالناس كلهم محرومون الا العالمون والعالمون محرومون الا العاملون
والعاملون محرومون الا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم وكما ان من خرب بيته وضيع امواله وترك نفسه وعياله جياعاً
يزعم انه ينتظر فضل الله بان يرزقه كنزاً يجده تحت الارض في بنية الخربة يعد عند ذوي البصائر من الحمقى والمغرورين وان
كان ما ينتظره غير مستحيل في قدرة الله وفضله فكذلك من ينتظر المغفرة من فضل الله وهو مصر على الذنوب غير سالك سبيل
المغفرة معدود عند ارباب القلوب من المعتوهين والعجب من عقل هذا المعتوه وترويجه حماقته في صيغة حسنة اذ يقول ان الله كريم
وجنته ليست تضيق عن مثلي ومعصيتي ليست تضره ثم تراه يركب البحار ويقتحم الاغوار في طلب الدنيا واذا قيل له ان الله كريم
ودنانير خزائنه ليست تقصر عن فقرك وكسلك بترك التجارة ليس يضره فاجلس في بيتك فعساه يرزقك من حيث لا يحتسب
فيستحمق قائل هذا الكلام ويستهزئ به ويقول ما هذا الهوس السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة وانما ينال ذلك بالكسب هكذا قدره
رب الارباب واجرى به سنته ولا تبديل لسنة الله ولا يعلم المغرور ان رب الآخرة ورب الدنيا واحد وان سنته لا تبديل لها
فيهما جميعاً وانه قد اخبر اذ قال وان ليس للانسان الا ما سعى فكيف يعتقد انه كريم في الآخرة وليس بكريم في الدنيا وكيف يقول ليس
مقتضى الكرم الفتور عن كسب المال ومقتضاه الفتور عن الملك المقيم والنعيم الدائم وان ذلك بحكم الكرم يعطيه من غير جهد
وهذه يمنعه مع شدة الاجتهاد في غالب الامر فنعوذ بالله من العمى والضلال فما هذا الا انتكاس على ام الرأس وانغماس في
ظلمات الجهل وصاحبه بان يكون داخلاً تحت قوله تعالى ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم ربنا ابصرنا وسمعنا
فارجعنا نعمل صالحاً اي ابصرنا انك صدقت اذ قلت وان ليس للانسان الا ما سعى فارجعنا نسعى وعند ذلك لا يمكن من الانقلاب
ويحق عليه العذاب فنعوذ بالله من دواعي الجهل والشك والارتياب السائق بالضرورة الى سوء المنقلب والمآب بيان
ما ينبغي ان يبادر اليه التائب ان جرى عليه ذنب اما عن قصد وشهوة غالبة او عن المام بحكم الاتفاق اعلم ان الواجب
عليه التوبة والندم والاشتغال بالتكفير بحسنة تضادها كما ذكرنا طريقه فان لم تساعده النفس على العزم على الترك لغلبة
الشهوة فقد عجز عن احد الواجبين فلا ينبغي ان يترك الواجب الثاني وهو ان يدرأ بالحسنة السيئة ليمحوها فيكون ممن خلط عملاً
صالحاً وآخر سيئاً والحسنات المكفرة للسيئات اما بالقلب واما باللسان واما بالجوارح ولتكن الحسنة في محل السيئة
وفيما يتعلق باسبابها فاما بالقلب فيكفره بالتضرع الى الله تعالى في سؤال المغفرة والعفو ويتذلل تذلل العبد الآبق ويكون حركته

ذليلاً بحيث يظهر لسائر العباد وذلك بنقصان كبره فيما بينهم فما للعبد الآبق المذنب وجه للتكبر على سائر العباد وكذلك يضمر بقلبه الخيرات
للمسلمين والعزم على الطاعات واما باللسان فبالاعتراف بالظلم والاستغفار فيقول ظلمت نفسي وعملت سوءاً فاغفر لي ذنوبي وكذلك
يكثر من ضروب الاستغفار كما اوردناه في كتاب الدعوات والاذكار واما بالجوارح فبالطاعات والصدقات وانواع
العبادات وفي الآثار ما يدل على ان الذنب اذا اتبع بثمانية اعمال كان العفو عنه مرجواً اربعة من اعمال القلوب وهي التوبة
او العزم على التوبة وحب الاقلاع عنه وخوف العقاب عليه ورجاء المغفرة له واربعة من اعمال الجوارح وهو ان يصلي عقيب الذنب
ركعتين ثم يستغفر الله بعدهما سبعين مرة ويقول سبحان الله العظيم وبحمده مائة مرة ثم يتصدق بصدقة ثم يصوم يوماً وفي بعض الآثار
يسبغ الوضوء ويدخل المسجد ويصلي ركعتين وفي بعض الاخبار يصلي اربع ركعات وفي الخبر اذا عملت سيئة فاتبعها حسنة تكفرها السر
بالسر والعلانية بالعلانية ولذلك قيل صدقة السر تكفر ذنوب الليل وصدقة الجهر تكفر ذنوب النهار وفي الخبر الصحيح ان رجلاً قال لرسول الله
صلى الله عليه وسلم اني عالجت امرأة فاصبت منها كل شيء الا المسيس فاقض علي بحكم الله فقال صلى الله عليه وسلم او ما صليت معنا صلاة الغداة
فقال نعم فقال ان الحسنات يذهبن السيئات وهذا يدل على ان ما دون الزنا من معالجة النساء صغيرة اذ جعل الصلاة كفارة له بمقتضى قوله
الصلوات الخمس كفارات لما بينهن الا الكبائر فعلى الاحوال كلها ينبغي ان يحاسب نفسه كل يوم ويجمع سيئاته ويجتهد في دفعها بالحسنات
بالحسنات فان قلت فكيف يكون الاستغفار نافعاً من غير حل عقدة الاصرار وفي الخبر المستغفر من الذنب وهو مصر عليه كالمستهزئ بآيات
الله وكان بعضهم يقول استغفر الله من قولي استغفر الله وقيل الاستغفار باللسان توبة الكذابين وقالت رابعة العدوية استغفارنا يحتاج الى
استغفار كثير فاعلم انه قد ورد في فضل الاستغفار سوى الرسول اخبار خارجة عن الحصر ذكرناها في كتاب الاوراد والدعوات حتى قرن الله
الاستغفار ببقاء الرسول فقال عز من قائل وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون وكان بعض الصحابة يقول
كان لنا امانان ذهب احدهما وهو كون الرسول فينا وبقي الاستغفار فان ذهب هلكنا فنقول الاستغفار الذي هو توبة الكذابين هو الاستغفار
بمجرد اللسان من غير ان يكون للقلب فيه شركة كما يقول الانسان بحكم العادة وعن رأس الغفلة استغفر الله وكما يقول اذا سمع صفة النار نعوذ بالله منها من غير
ان يتأثر به قلبه وهذا يرجع الى مجرد حركة اللسان ولا جدوى له فاما اذا انضاف اليه تضرع القلب الى الله تعالى وابتهاله في
سؤال المغفرة عن صدق ارادة وخلوص نية فهذه حسنة في نفسها فتصلح لان يدفع بها السيئة وعلى هذا تحمل الاخبار الواردة في فضل
الاستغفار حتى قال صلى الله عليه وسلم ما اصر من استغفر الله ولو عاد في اليوم سبعين مرة وهو عبارة عن الاستغفار بالقلب وللتوبة والاستغفار
درجات واوائلها لا تخلو عن الفائدة وان لم تنته الى اواخرها ولذلك قال سهل لا بد للعبد في كل حال من مولاه فاحسن احواله ان يرجع الى الله
في كل شيء فان عصى قال يا رب استر علي فاذا فرغ من المعصية قال يا رب تب علي فاذا تاب قال يا رب ارزقني العصمة واذا عمل قال يا رب تقبل مني
وسئل ايضاً عن الاستغفار الذي يكفر الذنوب فقال اول الاستجابة ثم الانابة ثم التوبة والاستجابة اعمال الجوارح والانابة اعمال
القلوب والتوبة اقباله على مولاه بان يترك الخلق ثم يستغفر من تقصيره الذي هو فيه ومن الجهل بالنعمة وترك الشكر فعند ذلك
يغفر له ويكون عنده مأواه ثم التنقل الى الانفراد ثم الثبات ثم البيان ثم القرب ثم المعرفة ثم المناجاة ثم المصافاة ثم الموالاة ثم
محادثة السر وهي الخلة ولا يستقر هذا في قلب عبد حتى يكون العلم غذاؤه والذكر قوامه والرضا زاده والتوكل صاحبه ثم ينظر الله
اليه فيرفعه الى العرش فيكون مقامه مقام حملة العرش وسئل ايضاً عن قوله صلى الله عليه وسلم التائب حبيب الله فقال انما يكون حبيباً
اذا كان فيه جميع ما ذكر في قوله تعالى التائبون العابدون الآية وقال الحبيب هو الذي لا يدخل فيما يكرهه حبيبه والمقصود ان للتوبة
ثمرتين احدهما تكفير السيئات حتى يصير كمن لا ذنب له والثانية نيل الدرجات حتى يصير حبيباً وللتكفير ايضاً درجات فبعضها

محو لاصل الذنب بالكلية وبعضها مخفف له وتتفاوت ذلك بتفاوت درجات التوبة والاستغفار بالقلب والتدارك بالحسنات
وان خلى عن حل عقدة الاصرار من اوائل الدرجات وليس يخلو عن الفائدة ايضا فلا ينبغي ان تظن ان وجودها كعدمها بل عرف اهل
المشاهدة وارباب القلوب معرفة لا ريب فيها ان قول الله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره صدق وانه لا يخلو ذرة من الخير عن اثر
كما لا يخلو شعيرة تطرح في الميزان عن اثر ولو خلت الشعيرة الاولى عن اثر لكانت الثانية مثلها وكان لا يرجح الميزان باحمال الذر وذلك بالضرورة
محال بل ميزان الحسنات يترجح بذرات الخيرات الى ان يثقل فيشيل كفة السيئات فاياك وان تستصغر ذرات الطاعات فلا تأتيها وذرات
المعاصي فلا تتقيها كالمرأة الخرقاء تكسل عن الغزل تعللا بانها لا تقدر كل ساعة الا على خيط واحد وتقول اي غنى يحصل بخيط وما وقع ذلك
في الثياب ولا تدري المعتوهة ان ثياب الدنيا اجتمعت خيطا خيطا وان اجسام العالم مع اتساع اقطاره اجتمعت ذرة ذرة فاذا
التضرع والاستغفار بالقلب حسنة لا يضيع عند الله اصلا بل اقول الاستغفار باللسان ايضا حسنة اذ حركة اللسان بها عن غفلة خير
من حركة اللسان في تلك الساعة بغيبة مسلم او فضول كلام بل هو خير من السكوت عنه فيظهر فضله بالاضافة الى السكوت عنه وانما
يكون نقصا بالاضافة الى عمل القلب ولذلك قال بعضهم لشيخه ابي عثمان المغربي ان لساني في بعض الاحوال يجري بالذكر والقرآن وقلبي
غافل فقال اشكر الله اذ استعمل جارحة من جوارحك في خير وعوده الذكر ولم تستعمله في الشر ولم تعوده الفضول وما ذكره حق
فان تعود الجوارح للخيرات حتى يصير لها ذلك كالطبع يدفع جملة من المعاصي فمن تعود لسانه الاستغفار اذا سمع من غيره كذبا سبق لسانه
فقال استغفر الله ومن تعود الفضول سبق لسانه الى ان يقول ما احمقك وما اقبح كذبك ومن تعود الاستعاذة اذا حدث بظهور
مبادي الشر قال بحكم سبق اللسان نعوذ بالله ومن تعود الفضول قال لعنه الله فيعصي في احدى الكلمتين ويسلم في الاخرى وسلامته اثر
اعتياد لسانه الخير وهو من جملة معاني قوله تعالى وان تك حسنة يضاعفها اذ جعل الاستغفار في الغفلة عادة اللسان حتى دفع
تلك العادة شر العصيان بالغيبة واللعن والفضول هذا تضعيف في الدنيا لادنى الطاعات وتضعيف الاخرة اكبر لو كانوا
يعلمون فاياك ان تلمح في الطاعات مجرد الآفات فيفتر رغبتك في العبادات فان هذه مكيدة روجها الشيطان بلعنته على المغرورين
وخيل اليهم انكم ارباب البصائر واهل التفطن للخفايا والسرائر فاي خير في ذكرك باللسان مع غفلة القلب فانقسم الخلق في هذه
المكيدة الى ثلاثة اقسام ظالم لنفسه ومقتصد وسابق اما السابق فقال صدقت يا ملعون ولكن هي كلمة حق اردت بها باطلا فلا جرم اعذبك
مرتين وارغم انفك من وجهين فاضيف الى حركة اللسان حركة القلب فكان كالذي داوى جرح الشيطان بنثر الملح عليه ومثاله
الظالم المغرور فاستشعر في نفسه خيلاء الفطنة لهذه الدقيقة ثم عجز عن الاخلاص بالقلب فترك مع ذلك تعويد اللسان بالذكر
فاسعف الشيطان وتدلى بحبل غروره فتمت بينهما المشاكلة والموافقة كما يقال وافق شن طبقه وافقه فاعتنقه واما المقتصد
لم يقدر على ارغامه باشراك القلب في العمل وتفطن لنقصان حركة اللسان بالاضافة الى القلب ولكن اهتدى الى كماله بالاضافة
الى السكوت والفضول فاستمر عليه وسأل الله تعالى ان يشرك القلب مع اللسان في اعتياد الخير فكان السابق كالحائك ذمت حياكته
فتركها واصبح كاتبا والظالم المتخلف كالذي ترك الحياكة واصبح كناسا والمقتصد كالذي عجز عن الكتابة فقال لا انكر مذمة الحياكة
ولكن الحائك مذموم بالاضافة الى الكاتب لا بالاضافة الى الكناس فان عجزت عن الكتابة فلا اترك الحياكة قالت رابعة العدوية
استغفارنا يحتاج الى استغفار فلا تظن انها تذم حركة اللسان من حيث انه ذكر الله بل تذم غفلة القلب فهو محتاج الى الاستغفار
من غفلة قلبه لا من حركة لسانه فان سكت عن الاستغفار باللسان ايضا احتاج الى استغفارين لا الى استغفار واحد فكذا ينبغي ان تفهم
ذم ما يذم وحمد ما يحمد والا جهلت معنى ما قال القائل الصادق حسنات الابرار سيئات المقربين فان هذه امور تثبت بالاضافة فلا

فلا ينبغي ان يؤخذ من غير اضافة بل ينبغي ان لا يستحقر ذرات الطاعات والمعاصي ولذلك قال جعفر الصادق
عليه السلم ان الله تعالى خبأ ثلاثا في ثلاث رضاه في طاعته فلا تحقروا منها شيئا فلعل غضبه فيه وخبأ اولياءه في عباده فلا
تحقروا منهم احدا فلعله ولي الله

الركن الرابع في دواء التوبة وطريق العلاج لحل عقدة الاصرار

اعلم ان التائبين قسمان شاب
لا نزاع له نشأ على الخير واجتناب الشر وهو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجب ربك من شاب ليس له صبوة وهذا عزيز نادر
القسم الثاني هو الذي لا يخلو عن مقارفة الذنوب ثم هم ينقسمون الى مصرين والى تائبين وغرضنا ان نبين العلاج في حل عقدة الاصرار
ونذكر الدواء فيه واعلم ان شفاء التوبة لا يحصل الا بالدواء ولا يقف على الدواء من لا يقف على الداء اذ لا معنى للدواء الا مناقضة
اسباب الداء فكل داء حصل من سبب فدواؤه حل ذلك السبب ورفعه وابطاله ولا يبطل الشيء الا بضده ولا سبب للاصرار الا الغفلة
والشهوة ولا يضاد الغفلة الا العلم ولا يضاد الشهوة الا الصبر على قطع الاسباب المحركة للشهوة والغفلة راس الخطايا قال الله تعالى
اولئك هم الغافلون لا جرم انهم في الآخرة هم الخاسرون فلا دواء للتوبة اذا الا معجون يعجن من حلاوة العلم ومرارة الصبر كما يجمع في السكنجبين
بين حلاوة السكر وحموضة الخل ويقصد بكل واحد منهما غرض اخر في العلاج فيجموعهما يقمع الاسباب المهيجة للصفراء فهكذا ينبغي ان تفهم
علاج القلب عما به من مرض الاصرار فاذا لهذا الدواء اصلان احدهما العلم والاخر الصبر فلا بد من بيانهما فان قلت اينتفع كل
علم لحل عقدة الاصرار ولا بد من علم مخصوص فاعلم ان العلوم بجملتها ادوية لامراض القلب ولكن لكل مرض علم يخصه كما ان علم الطب نافع في علاج
الامراض بالجملة ولكن يخص كل علة علم مخصوص فكذلك داء الاصرار فلنذكر خصوص ذلك العلم على موازنة مرض الابدان ليكون اقرب الى
الفهم فنقول يحتاج المريض الى التصديق بامور اربعة الاول ان يصدق على الجملة بان للمرض والصحة اسبابا يتوصل اليها بالاختيار على ما
سبب الاسباب وهذا هو الايمان باصل الطب فان من لا يؤمن به لا يشتغل بالعلاج ويحق عليه الهلاك وهذا وزانه مما نحن فيه الايمان
باصل الشرع وهو ان للسعادة في الآخرة سببا وهو الطاعة وللشقاوة سببا وهو المعصية وهو الايمان باصل الشرائع وهذا لا بد من
حصوله اما عن تحقيق او تقليد وكلاهما من جملة الايمان الثاني انه لا بد وان يعتقد المريض في طبيب معين انه عالم بالطب حاذق فيه
صادق فيما يعبر عنه لا يلبس ولا يكذب فان ايمانه باصل الطب لا ينفعه بمجرده دون هذا الايمان ووزانه مما نحن فيه العلم بصدق الرسول
صلى الله عليه وسلم والايمان بان كل ما يقوله حق وصدق لا كذب فيه ولا خلف الثالث انه لا بد وان يصغي الى الطبيب فيما يحذره من
تناول الفواكه والاسباب المضرة على الجملة حتى يغلب عليه الخوف في ترك الاحتماء ووزانه من الدين الاصغاء الى الآيات والاخبار
المشتملة على الترغيب في التقوى والتحذير من ارتكاب الذنوب واتباع الهوى والتصديق بجميع ما يلقى الى سمعه من ذلك من غير شك
وارتياب حتى ينبعث به الخوف المقوي على الصبر الذي هو الركن الآخر في العلاج الرابع ان يصغي الى الطبيب فيما يخص مرضه وفيما
يلزمه في نفسه الاحتماء عنه ليعرفه اولا تفصيل ما يضره من افعاله واحواله وماكوله ومشروبه فليس على كل مريض الاحتماء على كل شيء ولا
ينفعه كل دواء بل لكل علة خاصة علم خاص وعلاج خاص ووزانه من الدين ان كل عبد فليس يبتلى بكل شهوة وارتكاب كل ذنب بل
لكل مؤمن ذنب مخصوص او ذنوب مخصوصة وانما حاجته في الحال الى معرفة العلم بانها ذنوب ثم الى العلم بآفاتها وقدر ضررها
في الدين ثم الى العلم بكيفية التوصل الى الصبر عنها ثم الى العلم بكيفية تكفير ما سبق منها فهذه علوم يختص بها اطباء الدين وهم العلماء
الذين هم ورثة الانبياء فالعاصي ان علم عصيانه فعليه طلب العلاج من الطبيب وهو العالم وان كان لا يدري ان ما ارتكبه ذنب
فعلى العالم ان يعرفه وذلك بان يتكفل كل عالم باقليم او بلدة او محلة او مسجد فيعلم اهلها دينهم ويميز ما يضرهم عما ينفعهم وما يشقيهم
عما يسعدهم ولا ينبغي ان يصبر الى ان يسأل عنه بل ينبغي ان يتصدى لدعوة الناس الى نفسه فانهم ورثة الانبياء والانبياء ما تركوا الناس

فيكون شدة الخوف به
باعثا له على ترك الاحتماء

على جهلهم بل كانوا ياتونهم في مجامعهم ويدورون على ابواب دورهم في الابتداء ويطلبون واحدا واحدا فيرشدونهم
فان مرضى القلوب لا يعرفون مرضهم كما ان الذي ظهر على وجهه برص ولا مرآة معه لا يعرف برصه ما لم يعرفه غيره وهذا فرض عين
على العلماء كافة وعلى السلاطين كافة ان يرتبوا في كل قرية وفي كل محلة فقيها متدينا يعلم الناس دينهم فان الخلق لا يولدون الا
جهالا فلا بد من تبليغ الدعوة اليهم في الاصل والفرع فالدنيا دار المرضى اذ ليس في بطن الارض الا ميت ولا على ظهرها الا سقيم
ومرضى القلوب اكثر من مرضى الابدان والعلماء اطباء للقلوب والسلاطين قوام دار المرضى فكل مريض لم يقبل العلاج بمداواة العالم يسلم
الى السلطان ليكف شره كما يسلم الطبيب المريض الذي لا يحتمي او الذي غلب عليه الجنون الى القيم ليقيده بالسلاسل والاغلال
ويكف شره عن سائر الناس وانما صار مرض القلوب اكثر من مرض الابدان لثلث علل احديها ان المريض الذي به مرض القلب لا يدري
انه مريض والثانية ان عاقبته غير مشاهدة في هذا العالم بخلاف مرض البدن فان عاقبته موت مشاهد تنفر الطباع منه وما بعد
الموت غير مشاهد فقلت النفرة عن الذنوب وان علمها مرتكبها فلذلك تراه يتكل على فضل الله ويجتهد في علاج مرض البدن من غير
اتكال والثالثة وهو الداء العضال فقد الطبيب فان الاطباء هم العلماء وقد مرضوا في هذه الاعصار مرضا شديدا عجزوا عن
علاجه وصارت لهم سلوة في عموم المرض حتى لا يظهر نقصانهم فاضطروا الى اغواء الخلق والاشارة عليهم بما يزيدهم مرضا لان
الداء المهلك هو حب الدنيا وقد غلب هذا الداء على الاطباء فلم يقدروا على تحذير الخلق منه استنكافا من ان يقال لهم فما بالكم تامرون
بالعلاج وتنسون انفسكم فبهذا السبب عم الداء وعظم الوباء وانقطع الدواء وهلك الخلق لفقد الاطباء بل اشتغل الاطباء بفنون
الاغواء فليتهم اذ لم ينصحوا لم يغشوا وليتهم سكتوا وما نطقوا فانهم اذا تكلموا لم يهمهم في مواعظهم الا ما يرغب العوام ويستميل قلوبهم
ولا يتوصلون الى ذلك الا بالارجاء وتغليب اسباب الرجاء وذكر دلائل الرحمة لان ذلك الذ في الاسماع واخف على الطباع فينصرف
الخلق عن مجالس الوعظ وقد استفادوا مزيد جراءة على المعاصي ومزيد ثقة بفضل الله ومهما كان الطبيب جاهلا او خائنا اهلك
بالدواء حيث يضعه في غير موضعه فالرجاء والخوف دواءان ولكن لشخصين متضادي العلة اما الذي غلب عليه الخوف حتى هجر الدنيا
بالكلية وكلف نفسه ما لا يطيق وضيق العيش على نفسه بالكلية فتكسر سورة اسرافه في الخوف بذكر اسباب الرجاء ليعود الى الاعتدال
وكذا المصر على الذنوب المشتهي للتوبة فيمتنع عنها بحكم القنوط واليأس استعظاما لذنوبه التي سبقت فيعالج ايضا باسباب الرجاء
حتى يطمع بقبول التوبة فيتوب فاما معالجة المغرور المسترسل في المعاصي بذكر اسباب الرجاء فيضاهي معالجة المحرور بالعسل طلبا للشفاء
وذلك من دأب الجهال والاغبياء فاذن فساد الاطباء هو المعضلة التي لا تقبل الدواء اصلا فان قلت فاذكر الطريق الذي ينبغي ان يسلكه
الواعظ في وعظه مع الخلق فاعلم ان ذلك يطول ولا يمكن استقصاؤه نعم نشير الى الانواع النافعة في حل عقدة الاصرار وحمل الناس على
ترك الذنوب وهي اربعة النوع الاول ان يذكر ما في القرآن من الآيات المخوفة للمذنبين والعاصين وكذلك ما ورد من الاخبار والآثار
مثل قوله صلى الله عليه وسلم ما من يوم طلع فجره ولا ليل غاب شفقه الا وملكان يتجاوبان باربعة اصوات يقول احدهما
يا ليت هؤلاء الخلق لم يخلقوا ويقول الآخر يا ليتهم اذ خلقوا علموا لماذا خلقوا فيقول الآخر ويا ليتهم اذ لم يعلموا لماذا خلقوا عملوا بما علموا
وفي بعضها تجالسوا فتذاكروا ما علموا فيقول الآخر ويا ليتهم اذ لم يعملوا بما علموا تابوا مما عملوا وقال بعض السلف اذا اذنب العبد امر صاحب
اليمين صاحب الشمال وهو امير عليه ان يرفع القلم عنه ست ساعات فان تاب واستغفر لم يكتبها عليه وان لم يستغفر كتبها عليه وقال بعض
السلف ما من عبد يعصي الا استأذن مكانه من الارض ان يخسف به واستأذن سقفه من السماء ان يسقط عليه كسفا فيقول الله تعالى للارض
والسماء كفا عن عبدي وامهلاه فانكما لم تخلقاه ولو خلقتماه لرحمتماه لعله يتوب الي فاغفر له لعله يستبدل صالحا فابدله له حسنات

حسنات فذلك معنى قوله تعالى ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده وفي حديث عمر الطابع
معلق بقائمة العرش فاذا انتهكت الحرمات واستحلت المحارم ارسل الله الطابع فيطبع على القلوب بما فيها وفي حديث مجاهد القلب
مثل الكف المفتوح كلما اذنب ذنبا انقبضت اصبع حتى تنقبض الاصابع كلها فيسد على القلب فذلك هو القفل وقال الحسن ان بين العبد
وبين الله تعالى حدا من المعاصي معلوما اذا بلغه العبد طبع الله على قلبه فلم يوفقه بعدها لخير والاخبار والآثار في ذم المعاصي ومدح التائبين
لا تحصى فينبغي ان يستكثر الواعظ منها ان كان وارث رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه ما خلف دينارا ولا درهما انما خلف العلم
والحكمة ويورثه كل عالم بقدر ما اصابه النوع الثاني حكايات الانبياء والسلف وما جرى عليهم من المصائب بسبب ذنوبهم فذلك شديد
الوقع ظاهر النفع في قلوب الخلق مثل احوال آدم في عصيانه وما لقيه من الاخراج من الجنة حتى روي انه لما اكل الشجرة تطايرت الحلل عن جسده
وبدت عورته فاستحيا التاج والاكليل من وجهه ان يرتفعا عنه فجاء جبريل عليه السلام فاخذ التاج عن راسه وحل الاكليل عن جبينه ونودي
من فوق العرش اهبطا من جواري فانه لا يجاورني من عصاني فالتفت آدم الى حواء باكيا وقال هذا اول شؤم المعصية اخرجنا من جوار الحبيب
وروي ان سليمان صلى الله عليه وسلم لما عوقب على خطيئته لاجل التمثال الذي عبد في داره اربعين يوما وقيل ان المرأة سألته ان يحكم
لابيها فقال نعم ولم يفعل وقيل بل احب بقلبه ان يكون الحكم لابيها على خصمه لمكانها منه فسلب ملكه اربعين يوما فهرب تائها على وجهه وكان يسأل
بكفه فلا يطعم فاذا قال اطعموني فاني سليمان بن داود شج وضرب وحكي انه استطعم من بيت امرأة فطردته وبزقت في وجهه وفي رواية اخرجت
عجوز جرة فيها بول فصبت على راسه الى ان اخرج له الخاتم من بطن الحوت فلبسه بعد انقضاء الاربعين ايام العقوبة فجاءت الطيور
فعكفت على راسه وجاءت الجن والشياطين والوحوش فاجتمعت حوله واعتذر اليه بعض من كان تجنى فقال لا الومكم فيما فعلتم من قبل
ولا احمدكم في عذركم الآن هذا امر كان من السماء ولا بد منه وروي في الاسرائيليات ان رجلا تزوج امرأة من بلدة وارسل عبده ليحملها اليه
فراودته عن نفسه وطالبته بها فجاهدها واعتصم قال فنبأه الله تعالى ببركة تقواه فكان نبيا في بني اسرائيل وفي قصص موسى انه قال للخضر عليهما السلام
بم اطلعك الله على علم الغيب قال بتركي المعاصي لاجل الله تعالى وروي ان سليمان كان الريح تسير به فنظر الى قميصه نظرة وكان عليه قميص جديد
فكأنه اعجبه فوضعته الريح فقال لم فعلت ولم آمرك قالت انما نطيعك اذا اطعت الله تعالى وروي ان الله تعالى اوحى الى يعقوب اتدري
ما فرقت بينك وبين ولدك يوسف قال لا يا رب قال لقولك لاخوته اخاف ان يأكله الذئب لم خفت عليه الذئب ولم ترجني له وكذلك
لما قال يوسف اذكرني عند ربك قال تعالى فانساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين وامثال هذه الحكايات لا تنحصر ولم يرد بها
القرآن والاخبار ورود الاسمار بل الغرض بها الاعتبار والاستبصار لتعلم ان الانبياء لم يتجاوز عنهم في الذنوب الصغار فكيف يتجاوز عن غيرهم نعم
كانت سعادتهم في ان عوجلوا بالعقوبة ولم يؤخروا الى الآخرة والاشقياء يمهلون ليزدادوا اثما ولان عذاب الآخرة اشد واكبر فهذا ايضا
مما ينبغي ان يكثر جنسه على اسماع المصرين فانه نافع في تحريك دواعي التوبة النوع الثالث ان يقرر عندهم ان تعجيل العقوبة في الدنيا متوقع على
الذنب وان كل ما يصيب العبد من المصائب فهو بسبب جناياته فرب عبد يتساهل في امر الآخرة ويخاف من عقوبة الله في الدنيا اكثر لفرط
جهله فينبغي ان يخوف به فان الذنوب كلها يتعجل في الدنيا شؤمها في غالب الامر كما حكي في قصة داود وسليمان عليهما السلام حتى قد يضيق
على العبد رزقه بسبب ذنبه وقد يسقط منزلته عن القلوب ويستولي عليه اعداؤه قال صلى الله عليه وسلم ان العبد ليحرم الرزق
بالذنب يصيبه وقال ابن مسعود اني لاحسب ان العبد ينسى العلم بذنب يصيبه وهو معنى قوله صلى الله عليه وسلم من قارف ذنبا فارقه عقل
لا يعود اليه ابدا وقال بعض السلف ليست اللعنة سوادا في الوجه ونقصا في المال انما اللعنة ان لا تخرج من ذنب الا وقعت في مثله
او شر منه وهو كما قاله لان اللعنة هي الطرد والابعاد فاذا لم يوفق للخير ويسر له الشر فقد لعن والحرمان من رزق التوفيق اعظم

حرمان وكل ذنب فانه يدعو الى ذنب اخر ويتضاعف فيحرم العبد به عن رزقه النافع فى مجالسة العلماء المنكرين للذنوب
وعن مجالسة الصالحين بل يمقته الصالحون يحكى عن بعض العارفين انه كان يمشى فى الوحل جامعا ثيابه محترزا حتى زلقت رجله
وسقط فقام وهو يمشى فى وسط الوحل ويبكى ويقول هذا مثل العبد لا يزال يتوقى الذنوب ويجانبها حتى يقع فى ذنب وذنبين
فعندها يخوض الذنوب خوضا وهو اشارة الى ان الذنوب يتعجل عقوبته بالانجرار الى ذنب اخر ولذلك قال الفضيل ما انكرت
من تغير الزمان وجفاء الاخوان فذنوبك ورثت ذلك وقال بعضهم انى لاعرف عقوبة ذنبى فى سوء خلق حمارى وقال اخر اعرف
العقوبة حتى فى فار بيتى وقال بعض صوفية الشام نظرت الى غلام نصرانى حسن الوجه فوقفت انظر اليه فمر بى ابن الجلاء الدمشقى فاخذ
بيدى فاستحييت منه فقلت يا ابا عبد الله سبحان الله تعجبت من هذه الصورة الحسنة وهذه الصنعة المحكمة كيف خلقت للنار فقال تجدن
عقوبتها بعد حين قال فعوقبت بعد ثلثين سنة وقال ابو سليمن الدارانى الاحتلام عقوبة وقال لا يفوت احدا صلوة جماعة الا بذنب
يذنبه وفى الخبر ما انكرتم من زمانكم فبما غيرتم من اعمالكم وفى الخبر يقول الله تعالى ان ادنى ما اصنع بالعبد اذا اثر شهوته على طاعتى ان احرمه
لذيذ مناجاتى وحكى عن ابن عمر وابن علوان فى قصة يطول قال فيها فكنت قائما اصلى ذات يوم فخامر قلبى هوى طال ولته فكرى حتى تولد
منه شهوة الرجال فوقعت الى الارض واسود جسدى كله واستترت فى البيت فلم اخرج ثلاثة ايام وكنت اعالج غسله فى الحمام بالصابون
فلا يزداد الا سوادا حتى انكشف بعد ثلث فلقيت الجنيد وكان قد وجه الى فاشخصنى من الرقة فلما اتيته قال لى اما استحييت من الله تعالى
كنت قائما بين يديه فاجريت نفسك شهوة حتى استولت عليك واخرجتك من بين يدى الله تعالى فلولا انى دعوت الله لك وتبت
اليه عنك للقيت الله تعالى بذلك اللون قال فعجبت كيف علم ذلك وهو ببغداد واعلم انه لا يذنب العبد ذنبا الا ويسود وجه
قلبه فان كان سعيدا اظهر السواد على ظاهره لينزجر وان كان شقيا اخفى عنه حتى ينهمك ويستوجب النار والاخبار فى افات الذنوب
فى الدنيا على الجملة ان يكتسب ما بعده صنعه فان ابتلى بشئ كان عقوبة له ويحرم جميل الرزق حتى يتضاعف شقاوة وان اصابه نعمة كان
استدراجا له ويحرم جميل الشكر حتى يعاقب على كفرانه واما المطيع فمن بركة طاعته ان يكون كل نعمة فى حقه جزاء على طاعته ويوفق
لشكرها وكل بلية فكفارة لذنوبه وزيادة فى درجاته النوع الرابع ذكر ما ورد من العقوبات على احاد الذنوب كالخمر والزنا والسرقة
والقتل والغيبة والحسد والكبر وذلك مما لا يمكن حصره وذكره مع غير اهله وضع للدواء فى غير موضعه بل ينبغى ان يكون العالم كالطبيب
الحاذق يستدل اولا بالنبض والسحنة ووجوه الحركات على العلل الباطنة ويشتغل بعلاجها وليستدل بقرائن الاحوال على خفايا الصفات
وليتعرض لما وقف عليه اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال له رجل اوصنى ولا تكثر على فقال لا تغضب وقال له عليه السلام
اخر اوصنى فقال عليك باليأس مما فى ايدى الناس فان ذلك هو الغنى واياك والطمع فانه الفقر الحاضر وصل صلوة مودع واياك وما
يعتذر منه وقال رجل لمحمد بن واسع اوصنى فقال اوصيك ان تكون ملكا فى الدنيا والاخرة فقال كيف لى بذلك قال الزم الزهد
فى الدنيا فكانه صلى الله عليه وسلم توسم فى السائل الاول مخايل الطمع فى الناس وطول الامل وتخيل محمد بن واسع فى السائل الحاصل الحرص
على الدنيا وقال رجل لمعاذ اوصنى فقال كن رحيما اكن لك الجنة زعيما فكانه تفرس فيه اثار الفظاظة والغلظة وقال رجل لابراهيم بن
ادهم اوصنى فقال اياك والناس وعليك بالناس ولا بد من الناس فان الناس هم الناس وليس كل الناس بالناس ذهب الناس وبقى النسناس
بل وما اراهم بالناس بل غمسوا فى ماء الناس وكانه تفرس فيه افة المخالطة او اخرجها هو كان الغالب على حاله فى وقته وكان الغالب
آذاه بالناس والكلام على قدر حال السائل اولى من ان يكون بحسب حال القائل وكتب معوية الى عائشة رضى الله عنهما ان اكتبى لى
كتابا توصينى فيه ولا تكثرى فكتبت اليه من عائشة الى معوية سلام عليك اما بعد فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول

يقول من التمس رضا الناس بسخط الله وكله الله الى الناس ومن التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس والسلام عليك
فانظر الى فقهها كيف تعرضت للافة التى تكون الولاة بصددها وهو مراعاة الناس وطلب رضاهم وكتبت مرة
اخرى اليه اما بعد فاتق الله فانك اذا اتقيت الله كفاك الناس واذا اتقيت الناس لم يغنوا عنك من الله شيئا والسلام
فاذن على كل ناصح ان يكون عنايته مصروفة الى تعرف الصفات الخفية وتوسم الاحوال اللائقة ليكون اشتغاله بالمهم فان حكاية جميع
مواعظ الشرع مع كل واحد غير ممكن والاشتغال بوعظه عما هو مستغن عن الوعظ فيه تضييع زمان فان قلت فان كان الواعظ
يتكلم فى جمع او سأله من لا يدرى باطن حاله فان يعظه بما يشترك كافة الخلق فى الحاجة اليه اما على العموم واما على الاكثر فان
فى علوم الشرع اغذية وادوية والاغذية للكافة والادوية لارباب العلل ومثاله ما روى ان رجلا قال لابى سعيد الخدرى
اوصنى فقال عليك بتقوى الله عز وجل فانه رأس كل خير وعليك بالجهاد فانه رهبانية الاسلام وعليك بالقرآن فانه نور لك
فى اهل الارض وذكر لك فى اهل السماء وعليك بالصمت الا من خير فانك بذلك تغلب الشيطان وقال رجل للحسن اوصنى فقال
اعز امر الله يعزك الله وقال لقمن لابنه يا بنى زاحم العلماء بركبتيك ولا تجادلهم فيمقتوك وخذ من الدنيا بلاغك وانفق فضول
كسبك لاخرتك ولا ترفض الدنيا كل الرفض فتكون عيالا وعلى اعناق الرجال كلا وصم صوما يكسر شهوتك ولا تصم صوما يضر
صلوتك فان الصلوة افضل من الصوم ولا تجالس السفيه ولا تخالطن ذا الوجهين وقال ايضا لابنه يا بنى لا تضحك من غير عجب
ولا تمش من غير ارب ولا تسئل عما لا يعنيك ولا تضيع مالك وتصلح مال غيرك فان مالك ما قدمت ومال غيرك ما تركت يا
بنى ان من يرحم يرحم ومن يصمت يسلم ومن يقل الخير يغنم ومن يقل الشر يأثم ومن لا يملك لسانه يندم وقال رجل لابى حازم اوصنى
فقال كل ما لو جاءك الموت عليه رأيته غنيمة فالزمه وكل ما لو جاءك الموت عليه رأيته مصيبة فاجتنبه وقال موسى للخضر عليهما
السلام اوصنى فقال كن بساما ولا تكن غضابا وكن نفاعا ولا تكن ضرارا وانزع عن اللجاجة ولا تمش فى غير حاجة ولا تضحك من غير
عجب ولا تعير الخطائين بخطاياهم وابك على خطيئتك يا ابن عمران وقال رجل لمحمد بن كرام اوصنى فقال اجتهد فى رضا خالقك
بقدر ما تجتهد فى رضا نفسك وقال رجل لحامد اللفاف اوصنى فقال اجعل لدينك غلافا كغلاف المصحف كى لا تدنسه
الافات قال وما غلاف الدين قال ترك طلب الدنيا الا ما لا بد منه وترك كثرة الكلام الا فيما لا بد منه وترك مخالطة الناس
الا فيما لا بد منه وكتب الحسن الى عمر بن عبد العزيز اما بعد فخف ما خوفك الله واحذر ما حذرك الله وخذ مما فى يديك
لما بين يديك فعند الموت يأتيك الخبر اليقين والسلام وكتب عمر بن عبد العزيز الى الحسن يسأله ان يعظه فكتب اليه اما بعد فان
الهول الاعظم والامور المفظعات امامك ولا بد لك من مشاهدة ذلك اما بالنجاة واما بالعطب واعلم ان من حاسب نفسه ربح ومن
غفل عنها خسر ومن نظر فى العواقب نجا ومن اطاع هواه ضل ومن حلم غنم ومن خاف امن ومن امن اعتبر ومن اعتبر ابصر ومن ابصر
فهم ومن فهم علم فاذا زللت فارجع واذا ندمت فاقلع واذا جهلت فسل واذا غضبت فامسك وكتب مطرف بن عبد الله
الى عمر بن عبد العزيز اما بعد فان الدنيا دار عقوبة ولها يجمع من لا عقل له وبها يغتر من لا علم له فكن فيها يا امير المؤمنين كالمداوى
جرحه يصبر على شدة الدواء لما يخاف من عاقبة الداء وكتب عمر بن عبد العزيز الى عدى بن ارطاة اما بعد فان الدنيا عدوة
اولياء الله وعدوة اعداء الله اما اولياؤه فغمتهم واما اعداؤه فغرتهم وكتب ايضا الى بعض عماله اما بعد فقد امكنتك المقدرة
من ظلم العباد فاذا هممت بظلم احد فاذكر قدرة الله عليك واعلم انك لا تأتى الى الناس شيئا الا كان زائلا عنهم باقيا عليك
واعلم ان الله عز وجل اخذ للمظلومين من الظالمين والسلام فهكذا ينبغى ان يكون فى وعظ العامة ووعظ من لا يدرى خصوص حاله

فهذه المواعظ مثل الاغذية التي تشترك الكافة في الانتفاع بها ولاجل فقد مثل هؤلاء الوعاظ انحسم باب الاتعاظ وغلبت المعاصي
واستشرى الفساد وبلي الخلق بوعاظ يزخرفون اسجاعا وينشدون ابياتا ويتكلفون ذكر ما ليس في سعة علمهم ويتشبهون
بحال غيرهم فسقط عن قلوب العامة وقارهم ولم يكن كلامهم صادرا من القلب ليصل الى القلب بل القائل متكلف والمستمع متصلف
وكل واحد منهما مدبر ومتخلف واذا كان طلب الطبيب او علاج المرضى فطلب العلماء او علاج العاصين فهذا احد اركان
العلاج واصوله الاصل الصبر وجه الحاجة اليه ان المريض انما يطول مرضه لتناوله ما يضره وانما يتناول ذلك
اما لغفلة عن ضرره واما لشدة غلبة شهوته فله سببان فما ذكرناه علاج الغفلة فيبقى علاج الشهوة وطريق علاجها قد ذكرناه في
كتاب رياضة النفس وحاصله ان المريض اذا اشتدت ضراوته بما كول مضر فطريقه ان يستشعر عظم ضرره ثم يغيب ذلك عن عينه
فلا يحضره ثم يتسلى عنه بما يقرب منه في صورته ولا يكثر ضرره ثم يصبر بقوة الخوف على الالم الذي يناله في تركه فلا بد على كل حالة
من مرارة الصبر فكذلك يعالج الشهوة في المعاصي كالشاب مثلا اذا غلبته الشهوة فصار لا يقدر على حفظ عينه وحفظ قلبه او حفظ
جوارحه في السعي وراء شهوته فينبغي ان يستشعر ضرر ذنبه بان يستقري المخوفات التي جاءت فيه من كتاب الله وسنة رسوله فاذا
اشتد خوفه تباعد عن الاسباب المهيجة لشهوته ومهيج الشهوة من خارج هو حضور المشتهى والنظر اليه وعلاجه الهرب والعزلة
ومن داخل تناول لذائذ الاطعمة وعلاجه الجوع والصوم الدائم وكل ذلك لا يتم الا بصبر ولا يصبر الا عن خوف ولا يخاف الا عن علم
ولا يعلم الا عن بصيرة وافتكار او عن سماع وتقليد فاول الامر حضور مجالس الذكر ثم الاستماع عن قلب مجرد عن سائر الشواغل مصروف
الى السماع ثم التفكر فيه لتمام الفهم وينبعث من تمامه لا محالة خوفه واذا قوي الخوف تيسر بمعونته الصبر وانبعثت الدواعي لطلب العلاج
وتوفيق الله وتيسيره من وراء ذلك فمن اعطى من قلبه حسن الاصغاء واستشعر الخوف فاتقى وانتظر الثواب وصدق بالحسنى فسييسره الله
لليسرى واما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى ثم لا يغني عنه ما اشتغل به من ملاذ الدنيا مهما هلك وتردى وما
على الانبياء عليهم الصلوة والسلم الا شرح طرق الهدى ولله الاخرة والاولى فان قلت فقد رجع الامر كله الى الايمان لان ترك
ترك الذنب لا يمكن الا بالصبر والصبر لا يمكن الا بمعونة الخوف والخوف لا يحصل الا بالعلم بعظم ضرر الذنوب والتصديق بعظم ضرر
الذنوب هو تصديق الله ورسوله فهو الايمان وكان من اصر على الذنوب لم يصر الا لانه غير مؤمن فاعلم ان هذا لا يكون لفقد
الايمان بل يكون لضعف الايمان اذ كل مؤمن مصدق بان المعصية سبب البعد من الله وسبب العقاب في الاخرة ولكن سبب وقوعه
في الذنب امور احدها ان العقاب الموعود غيب ليس بحاضر والنفس جبلت متأثرة بالحاضر فتأثرها بالموعود ضعيف بالاضافة
الى تأثرها بالحاضر الثاني ان الشهوات الباعثة على الذنوب لذاتها ناجزة وهي في الحال آخذة بالمخنق وقد قوي واستولت
بسبب الاعتياد والالف والعادة طبيعة خامسة والنزوع عن العاجل لخوف الآجل شديد على النفس ولذلك قال تعالى كلا بل تحبون
العاجلة وتذرون الاخرة وقال بل تؤثرون الحيوة الدنيا والاخرة خير وابقى وقد عبر عن شدة الامر قول رسول الله صلى الله عليه و
سلم حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات وقوله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق النار فقال لجبرئيل عليه السلم اذهب
فانظر اليها فذهب فنظر اليها فقال وعزتك لا يسمع بها احد فيدخلها فحفها بالشهوات ثم قال اذهب فانظر اليها فنظر اليها
فقال وعزتك لقد خشيت ان لا يبقى احد الا دخلها وخلق الجنة فقال لجبرئيل اذهب فانظر اليها فنظر اليها فقال وعزتك لا يسمع
بها احد الا دخلها فحفها بالمكاره ثم قال اذهب فانظر اليها فذهب فنظر اليها فقال وعزتك لقد خشيت ان لا يدخلها احد فاذن
كون الشهوة مرهقة في الحال وكون العقاب متأخرا الى المآل سببان ظاهران في الاسترسال مع حصول اصل الايمان فليس كل من يشرب في

في مرضه ما يلتذ لشدة عطشه مكذبا باصل الطب ولا مكذبا بان ذلك مضر في حقه ولكن الشهوة تغلبه والم الصبر عنه ناجز
فيهون عليه الالم المنتظر الثالث انه ما من مذنب مؤمن الا وهو في الغالب عازم على التوبة وتكفير السيئات بالحسنات وقد وعد
بان ذلك يجبره الا ان طول الامل غالب على الطباع فلا يزال يسوف التوبة والتكفير فمن حيث رجاؤه توفيق التوبة ربما يقدم عليه
مع الايمان الرابع انه ما من مؤمن الا وهو معتقد ان الذنب لا يوجب العقوبة ايجابا لا يمكن العفو عنها فهو يذنب وينتظر العفو
اتكالا على فضل الله فهذه اسباب اربعة موجبات للاصرار مع بقاء اصل الايمان نعم قد يقدم المذنب بسبب خامس يقدح في اصل ايمانه
وهو كونه شاكا في صدق الرسل وهذا هو الكفر كالذي يحذره الطبيب تناول ما يضره في المرض وكان المحذر ممن لا يعتقد فيه
انه عالم بالطب فيكذبه او يشك فيه فلا يبالي به فهذا هو الكفر فان قلت فما علاج الاسباب الخمسة فاقول علاجها الفكر وذلك
بان يقرر على نفسه في السبب الاول وهو تأخر العقاب ان كل ما هو آت آت وان غدا للناظرين قريب وان الموت اقرب الى كل احد من شراك
نعله فما يدريه لعل الساعة قريب والمتأخر اذا وقع صار ناجزا ويذكر نفسه انه ابدا في دنياه يتعب في الحال لخوف امر في الاستقبال اذ
يركب البحار ويقاسي الاسفار لاجل الربح الذي يظن انه قد يحتاج اليه في ثاني الحال بل لو مرض واخبره نصراني طبيب ان الماء البارد
يضره ويسوقه الى الموت وكان الماء البارد الذ الاشياء عنده تركه مع ان الموت الم لحظة اذا لم يخف ما بعده ومفارقته للدنيا لا بد
منه فكم نسبة وجوده في الدنيا الى عدمه ازلا وابدا فلينظر كيف يبادر الى ترك ملاذه بقول ذمي لم يقم معجزة على طبه فيقول كيف يليق
بعقلي ان يكون قول الانبياء المؤيدين بالمعجزات دون قول نصراني يدعي الطب لنفسه بلا معجزة ولا تشهد له الا عوام الخلق وكيف يكون عذاب
النار اخف عندي من عذاب المرض وكل يوم في الاخرة بمقدار خمسين الف سنة من ايام الدنيا وبهذا التفكر بعينه يعالج اللذة الغالبة
عليه ويكلف نفسه تركها ويقول اذا كنت لا اقدر على ترك لذات ايام العمر وهي ايام قلائل فكيف اقدر على ذلك ابد الاباد واذا كنت
لا اطيق الم الصبر فكيف اطيق الم النار واذا كنت لا اصبر عن زخارف الدنيا مع كدوراتها وتنغصها وامتزاج صفوها بكدرها
فكيف اصبر عن نعيم الاخرة واما تسويف التوبة فيعالجه بالفكر في ان اكثر اهل النار من التسويف لان المسوف يبني الامر على ما
ليس اليه وهو البقاء فلعله لا يبقى وان بقي فلا يقدر على الترك غدا كما لا يقدر عليه اليوم فليت شعري هل عجز في الحال الا لغلبة
الشهوة والشهوة ليست تفارقه غدا بل تتضاعف اذ تتأكد بالاعتياد فليست الشهوة التي اكدها الانسان بالعادة كالتي لم يؤكدها
وعن هذا هلك المسوفون لانهم يظنون الفرق بين المتماثلين ولا يظنون ان الايام متشابهة في ان ترك الشهوات فيها ابدا شاق وما مثال
المسوف الا مثال من احتاج الى قلع شجرة فرآها قوية لا تنقلع الا بمشقة شديدة فقال اؤخرها سنة ثم اعود اليها وهو يعلم ان الشجرة
كلما بقيت ازداد رسوخها وهو كلما طال عمره ازداد ضعفه فلا حماقة في الدنيا اعظم من حماقته اذ عجز مع قوته عن مقاومة ضعيف
فاخذ ينتظر الغلبة عليه اذا ضعف هو في نفسه وقوي الضعيف واما المعنى الرابع وهو انتظار عفو الله
تعالى فعلاجه ما سبق وهو كمن ينفق جميع امواله ويترك نفسه وعياله فقراء ينتظر من فضل الله ان يرزقه العثور في ارض خربة
على كنز فان امكان العفو عن الذنب مثل هذا الامكان وهو مثل من توقع النهب من الظلمة في بلده وذخائر امواله في صحن داره وقدر على دفنها
واخفائها فلم يفعل وقال انتظر من فضل الله ان يسلط غفلة على الظالم الناهب حتى لا يتفرغ الى داري او اذا انتهى الى داري مات
على باب الدار فان الموت ممكن والغفلة ممكنة وقد حكي في الاسمار ان مثل ذلك وقع وانا انتظر من فضل الله مثله فمنتظر هذا
امر ممكن ولكنه في غاية الحماقة واما الخامس وهو الشك فهذا كفر وعلاجه الاسباب التي تعرفه صدق الرسل وذلك يطول ولكن
ان يعالج بعلم قريب يليق بحد عقله لم يؤكدها وعن هذا هلك المسوفون لانهم يظنون الفرق بين المتماثلين ولا يظنون ان الايام متشابهة

فى ترك الشهوات فيها ابدا شاق فما مثال المسوف الا مثال من احتاج الى قلع شجرة فراها قوية لا تنقلع الا بمشقة شديدة فقال اوخرها سنة ثم اعود عليها وهو يعلم ان الشجرة كلما بقيت ازداد رسوخها وهو كلما طال عمره ضعفت قوته فلا حماقة فى الدنيا اعظم من حماقته اذ عجز مع قوته عن مقاومة ضعيف فاخذ ينتظر الغلبة عليه اذا ضعف هو فى نفسه وقوى الضعيف واما المعنى الرابع وهو انتظار عفو الله تعالى فعلاجه ما سبق فيقال له ما قاله الانبياء المؤيدون بالمعجزات صدقة هل هو ممكن او تقول اعلم انه محال كما اعلم استحالة كون شخص واحد فى مكانين فى حالة واحدة فان قال اعلم استحالته كذلك فهو احمق معتوه وكانه لا وجود لمثل هذا فى العقلاء وان قال انا شاك فيقال له لو اخبرك شخص واحد مجهول عندك ان طعاما فى البيت لحظة اسرفته لعنت فيه حية والقت سمها فيه وجوزت صدقه فهل تاكله ام تتركه وان كان الذ الاطعمة فستقول اتركه لا محالة لانى اقول ان كذب فلا يفوتنى الا هذا الطعام والصبر عنه وان كان شديدا فهو قريب وان صدق ففوتنى الحيوة والموت بالاضافة الى الم الصبر عن الطعام وان ضاع عنه شديد فيقال سبحان الله كيف تاخر صدق الانبياء كلهم مع ما ظهر عليهم من المعجزات وصدق كافة العلماء والاولياء والحكماء بل جميع اصناف العقلاء ولست اعنى بهم جهال العوام بل ذوو الالباب عن صدق رجل واحد مجهول لعل له غرضا فيما يقول فليس فى العقلاء الا من صدق باليوم الاخر واثبت ثوابا وعقابا وان اختلفوا فى كيفيته فان صدقوا فقد اشرفت على عذاب يبقى ابد الاباد وان كذبوا فلا يفوتك الا بعض شهوات هذه الدنيا الفانية المكدرة فلا يبقى له توقف ان كان عاقلا مع هذا الفكر اذ لا نسبة لمدة العمر الى ابد الاباد فلو قدرنا الدنيا مملوة ذرة وقدرنا طائرا يختطف فى كل الف سنة منها واحدة لفنيت الذرة ولم ينقص من ابد الاباد شىء فكيف يفتر راى العاقل فى الصبر راى العاقل فى الصبر عن الشهوات مائة سنة مثلا لاجل سعادة تبقى ابد الاباد ولذلك قال ابو العلا المعرى رحمه الله قال المنجم والطبيب كلاهما لا تحشر الموتى قلت اليكما ان كان صدقا استراح جميعنا او كان كذبا فالخسار عليكما ه ولذلك قال على رضى الله عنه لبعض من قصر عقله عن فهم تحقيق الامور وكان شاكا ان صح ما قلت فقد تخلصنا جميعا والا فقد تخلصنا وهلكت اذ اى العاقل طريق الامن فى جميع الاحوال فان قلت هذه امور جلية ولكنها ليست تنال الا بالفكر فما بال القرون هجرت الفكر واستثقلته وما علاج القلوب لردها الى الفكر لا سيما من امن باصل الشرع وتفصيله فاعلم ان المانع من الفكر امران احدهما ان الفكر النافع هو الفكر فى عقاب الاخرة واهوالها وشدائدها وحسرات العاصين فى الحرمان من النعيم المقيم وهذا ذكر لداغ مولم للقلب فينفر القلب عنه ويتلذذ بالفكر فى امور الدنيا على سبيل التفرج والاستراحة والثانى ان الفكر شغل فى الحال مانع من لذائذ الدنيا وقضاء الشهوات وما من انسان الا وله فى كل حالة من احواله وكل نفس من انفاسه شهوة قد تسلطت عليه واسترقته فصار عقله مسخر الشهوته فهو مشغول بتدبير حيلته وصارت لذته فى طلب الحيلة فيه او فى مباشرة قضاء الشهوة والفكر يمنعه من ذلك واما علاج هذين المانعين فهو ان يقول لقلبه ما اشد غباوتك فى الاحتراز من الفكر فى الموت وما بعده تالما بذكره مع استحقار الم وقوعه فكيف تصبر على مقاساته اذا وقع وانت عاجز عن الصبر على تقدير الموت وما بعده ومتالم به واما الثانى وهو كون الفكر مفوتا للذات الدنيا فهو ان يتحقق ان فوات لذات الاخرة اشد واعظم فانها لا اخر لها ولا كدورة فيها ولذات الدنيا سريعة الدثور وهى مشوبة بالكدورات فما فيها لذة صافية عن كدر وكيف وفى التوبة عن المعاصى والاقبال على الطاعة تلذذ بمناجاة الله تعالى واستراحة بمعرفته وطاعته وطول الانس به ولم يكن للمطيع جزاء على عمله الا ما يجده من حلاوة الطاعة وروح الانس بمناجاة الله لكان ذلك كافيا فكيف بما ينضاف اليه من نعيم الاخرة نعم هذه اللذة لا تكون فى ابتداء التوبة ولكنه يصبر عليه مدة مديدة وقد صار الخير ديدنا كما كان الشر ديدنا

فالنفس قابلة ما عودتها تتعود والخير عادة والشر لجاجة فاذن هذه الافكار هى المهيجة للخوف المهيج لقوة الصبر عن اللذات ويهيج هذه الافكار وعظ الوعاظ وتنبيهات تقع للقلب باسباب تتفق لا تدخل فى الحصر فيصير القلب موافقا للطبع فيميل القلب اليه ويعبر عن السبب الذى وقع الموافقة بين الطبع وبين الفكر الذى هو سبب الخير بالتوفيق اذ التوفيق هو التأليف بين الارادة وبين المعنى الذى هو طاعة نافعة فى الاخرة وقد روى فى حديث طويل انه قام عمار بن ياسر فقال اخبرنا عن الكفر على ما ذا بنى فقال على اربع دعائم على الجفاء والعمى والغفلة والشك فمن جفا احتقر الحق وجهر بالباطل ومقت العلماء ومن عمى نسى الذكر ومن غفل حاد عن الرشد وغرته الامانى فاخذته الحسرة والندامة وبدا له من الله ما لم يكن يحتسب فما ذكرناه بيان لبعض افات الغفلة عن التفكر وهذا القدر كاف فى التوبة واذا كان الصبر ركنا من اركان دوام التوبة فلا بد من بيان الصبر فنذكره فى كتاب مفرد ان شاء الله تعالى ه ه تم كتاب التوبة وهو الكتاب الاول من ربع المنجيات من احياء علوم الدين اسكن الله مولفها فى عليين ويتلوه كتاب الصبر والشكر والحمد لله حق حمده والصلوة والسلام على محمد رسوله وعبده وعلى الصحابة والتابعين ومن اقتفى اثارهم من بعده وهو حسبنا ونعم الوكيل ونساله ان يتوب علينا ويهدينا سواء السبيل

كتاب الصبر والشكر وهو الكتاب الثاني من المنجيات

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله اهل الحمد والثناء المتوحد برداء الكبرياء المتفرد بصفات المجد والعلاء المويد صفوة الاولياء بقوة الصبر على السراء والضراء والشكر على البلاء والصلوة على محمد سيد الانبياء وعلى اصحابه سادة الاصفياء وعلى اله قادة البررة الاتقياء صلوة محروسة بالدوام عن الفناء مصونة بالتعاقب عن التصرم والانقضاء اما بعد فان الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر كما وردت به الاثار وشهدت له الاخبار وهما ايضا وصفان من اوصاف الله تعالى واسمان من اسمائه الحسنى اذ سمى نفسه صبورا وشكورا فالجهل بحقيقة الصبر جهل بكلا شطرى الايمان ثم هو غفلة عن وصفين من اوصاف الرحمن ولا سبيل للوصول الى القرب الى الله تعالى الا بالايمان وكيف يتصور سلوك سبيل الايمان دون معرفة ما به ومن الايمان والتقاعد عن معرفة الصبر والشكر تقاعد عن معرفة الايمان وعن ادراك ما به الايمان فما احوج كلا الشطرين الى الايضاح والبيان ونحن نوضح كلا الشطرين فى كتاب واحد لارتباط احدهما بالاخر

الشطر الاول فى الصبر وفيه بيان فضيلة الصبر وبيان حده وحقيقته وبيان كونه نصف الايمان وبيان اختلاف اساميه باختلاف متعلقاته وبيان اقسامه وبيان اختلاف القوة والضعف وبيان مظان الحاجة الى الصبر وبيان دواء الصبر وما يستعان به عليه فهى سبعة فصول شاملة على جميع مقاصده

بيان فضيلة الصبر قد وصف الله سبحانه الصابرين باوصاف وذكر الصبر فى القران فى نيف وسبعين موضعا واضاف اكثر الخيرات والدرجات الى الصبر وجعلها ثمرة له فقال عز من قائل وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا وقال ولنجزين الذين صبروا اجرهم باحسن ما كانوا يعملون وقال اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا وقال انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب فما من قربة الا واجرها بتقدير وحساب الا الصبر ولاجل كون الصوم من الصبر فانه نصف الصبر قال تعالى الصوم لى وانا اجزى به فاضافه الى نفسه من بين سائر العبادات ووعد الصابرين بانه معهم فقال واصبروا ان الله مع الصابرين وعلق النصر على الصبر فقال بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملائكة وجمع للصابرين بين امور لم يجمعها لغيرهم فقال اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون فالهدى والصلوات والرحمة مجموعة للصابرين واستقصاء جميع الايات فى مقام الصبر يطول واما الاخبار فقال صلى الله عليه وسلم الصبر نصف الايمان على ما سيأتى وجه كونه نصفا وقال صلى الله عليه وسلم من اقل ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن اعطى حظه منهما لم يبال ما فاته من قيام الليل وصيام النهار ولان تصبروا على مثل ما انتم عليه احب الى من ان يوافينى كل امرئ منكم بمثل عمل جميعكم ولكنى اخاف ان يفتح عليكم الدنيا بعدى فينكر بعضكم بعضا وينكركم اهل السماء عند ذلك فمن صبر واحتسب ظفر بكمال ثوابه ثم تلا قوله تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا الاية وروى جابر انه صلى الله عليه وسلم سئل عن الايمان فقال الصبر والسماحة وقال ايضا عليه الصلوة والسلام الصبر كنز من كنوز الجنة وسئل مرة ما الايمان فقال

فقال الصبر وهذا يشبه قوله صلى الله عليه وسلم الحج عرفة وقال ايضا افضل الاعمال ما اكرهت عليه النفوس وقيل اوحى الله الى داود تخلق باخلاقى وان من اخلاقى انى انا الصبور وفى حديث عطاء عن ابن عباس لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الانصار فقال أمؤمنون انتم فسكتوا فقال عمر نعم يا رسول الله فقال وما علامة ايمانكم فقالوا نشكر على الرخاء ونصبر على البلاء ونرضى بالقضاء فقال مؤمنون ورب الكعبة وقال صلى الله عليه وسلم فى الصبر على ما تكره خير كثير وقال المسيح صلوات الله عليه انكم لا تدركون ما تحبون الا بصبركم على ما تكرهون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان الصبر رجلا لكان كريما والله يحب الصابرين والاخبار فى هذا مما لا يحصى واما الاثار فقد كتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى ابى موسى الاشعرى عليك بالصبر واعلم ان الصبر صبران احدهما افضل من الاخر الصبر فى المصيبات حسن وافضل منه الصبر عما حرم الله تعالى واعلم ان الصبر ملاك الايمان وذلك بان التقوى افضل البر والتقوى هو الصبر وقد قال على رضى الله عنه بنى الايمان على اربع دعائم اليقين والصبر والجهاد والعدل وقال ايضا الصبر من الايمان بمنزلة الراس من الجسد لا جسد لمن لا راس له ولا ايمان لمن لا صبر له وكان عمر رضى الله عنه يقول نعم العدلان ونعمت العلاوة للصابرين يعنى بالعدلين الصلوة والرحمة وبالعلاوة الهدى والعلاوة ما يحمل فوق العدلين على البعير واشار به الى قوله تعالى اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون وكان حبيب بن ابى حبيب اذا قرأ هذه الاية انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب بكى وقال واعجباه اعطى واثنى اى هو المعطى للصبر وهو المثنى عليه وقال ابو الدرداء ذروة الايمان الصبر للحكم والرضا بالقدر هذا بيان فضيلته من حيث النقل فاما من حيث النظر بعين الاعتبار فلا تفهمه الا بعد فهم حقيقة الصبر ومعناه اذ معرفة الفضيلة والرتبة معرفة صفة فلا تحصل قبل معرفة الموصوف فلنذكر حقيقته ومعناه ان شاء الله

بيان حقيقة الصبر ومعناه اعلم ان الصبر مقام من مقامات الدين ومنزل من منازل السالكين وجميع مقامات الدين انما تنتظم من ثلاثة امور معارف واحوال واعمال فالمعارف هى الاصول وهى تورث الاحوال والاحوال تثمر الاعمال فالمعارف كالاشجار والاحوال كالاغصان والاعمال كالثمار وهذا مطرد فى جميع منازل السالكين الى الله واسم الايمان تارة يختص بالمعارف وتارة يطلق على الكل كما ذكرناه فى اختلاف اسم الايمان والاسلام فى كتاب قواعد العقائد فكذلك الصبر لا يتم الا بمعرفة سابقة وبحالة قائمة فالصبر على التحقيق عبارة عنها والعمل هو كالثمرة يصدر منها ولا يعرف هذا الا بمعرفة كيفية الترتيب بين الملائكة والانس والبهائم فان الصبر خاصية الانس ولا يتصور ذلك فى البهائم والملائكة اما فى الملائكة فلكمالها واما فى البهائم فلنقصانها وبيانه ان البهائم سلطت عليها الشهوات وصارت مسخرة لها فلا باعث لها على الحركة والسكون الا الشهوة وليس فيها قوة تصادم الشهوة وتردها عن مقتضاها حتى يسمى ثبات تلك القوة فى مقابلة مقتضى الشهوة صبرا واما الملائكة فانهم جردوا للشوق الى الحضرة الربوبية والابتهاج بدرجة القرب منها ولم يسلط عليها شهوة صارفة صادة عنها حتى يحتاج الى مصادمة ما يصرفها عن حضرة الجلال بجند اخر يغلب الصوارف واما الانسان فانه خلق فى ابتداء الصبا ناقصا مثل البهيمة لم يخلق فيها الا شهوة الغذاء الذى هو محتاج اليه ثم يظهر فيه شهوة اللعب والزينة ثم شهوة النكاح على الترتيب وليس له قوة الصبر البتة اذ الصبر عبارة عن ثبات جند فى مقابلة جند اخر قام القتال بينهما لتضاد مقتضياتهما ومطالبهما وليس فى الصبى الا جند الهوى كما فى البهائم ولكن الله بفضله وسعة جوده اكرم بنى ادم ورفع درجته عن درجة البهائم فوكل به عند كمال شخصه بمقاربة البلوغ ملكين احدهما يهديه والاخر يقويه فتميز بمعونة الملكين عن البهائم واختص بصفتين احدهما معرفة الله ومعرفة رسوله صلى الله عليه وسلم ومعرفة المصالح المتعلقة بالعواقب وكل ذلك حاصل من الملك الذى اليه الهداية والتعريف فالبهيمة لا هداية لها الى مصلحة

العواقب بل الى مقتضى شهوتها فى الحال فقط فلذلك لا يطلب الا اللذائذ فاما الدواء النافع مع كونه مضرا فى الحال فلا يعرفه
ولا يطلبه فصار الانسان بنور الهداية يعرف ان اتباع الشهوات لها مغبات مكروهة فى العاقبة ولكن لم يكن له هذه الهداية نافعة
ما لم يكن له قدرة على ترك ما هو مضر فكم من مضر يعرفه الانسان كالمرض النازل به مثلا ولكن لا قدرة له على دفعه فافتقر الى قوة وقدرة
يدفع بها فى نحر الشهوات فيجاهدها بتلك القوة حتى يقطع عداوتها عن نفسه فوكل الله تعالى به ملكا آخر يسدده ويؤيده ويقويه
بجنود لم تروها وامر هذا الجند بقتال جنود الشهوة فتارة يضعف على الجند وتارة يقوى وذلك بحسب امداد الله تعالى عبده
بالتأييد كما ان نور الهداية ايضا يختلف فى الخلق اختلافا لا ينحصر فلنسم هذه الصفة التى بها فارق الانسان البهائم فى قمع الشهوات
وقهرها باعثا دينيا ولنسم مطالبة الشهوات بمقتضياتها باعث الهوى وليفهم ان القتال قائم بين باعث الدين وباعث الهوى
والحرب بينهما سجال ومعركة هذا القتال قلب العبد ومدد باعث الدين من الملائكة الناصرين لحزب الله ومدد باعث الشهوة
من الشياطين الناصرين لاعداء الله فالصبر عبارة عن ثبات باعث الدين فى مقابلة باعث الشهوة فان ثبت حتى قهره واستمر على
مخالفة الشهوة فقد نصر حزب الله والتحق بالصابرين وان تخاذل وضعف حتى غلبت الشهوة ولم يصبر فى دفعها التحق باتباع
الشياطين فاذن ترك الافعال المشتهاة عمل يثمره حال تسمى الصبر وهو ثبات باعث الدين فى مقابلة باعث الشهوة وثبات
باعث الدين حال يثمرها المعرفة بعداوة الشهوات ومضادتها لاسباب السعادات فى الدنيا والآخرة فاذا قوى يقينه اعنى المعرفة
التى تسمى ايمانا وهو اليقين بكون الشهوة عدوا قاطعا لطريق الله قوى ثبات باعث الدين واذا قوى ثباته تمت الافعال على خلاف
ما تتقاضاه الشهوة فلا يتم ترك الشهوة الا بقوة باعث الدين المضاد لباعث الشهوة وقوة المعرفة والايمان تقبح مغبة الشهوات
وسوء عاقبتها وهذان الملكان هما المتكفلان بهذين الجندين باذن الله تعالى وتسخيره اياهما وهما من الكرام الكاتبين وهما الموكلان
بكل شخص من الآدميين واذ عرفت ان رتبة الهادى اعلى من رتبة الملك المقوى لم يخف عليك ان جانب اليمين الذى هو اشرف الجانبين
من جنبتى الدست ينبغى ان يكون مسلما له اليه فاذن هو صاحب اليمين والآخر صاحب الشمال وللعبد طوران فى الغفلة والفكر
وفى الاسترسال والمجاهدة فهو بالغفلة معرض عن صاحب اليمين ومسىء اليه فيكتبان اعراضه سيئة وبالفكر يقبل عليه ليستفيد منه
الهداية فهو به محسن فيكتب له حسنة وكذا بالاسترسال معرض عن صاحب اليسار تارك للاستمداد منه فهو به مسىء اليه فيكتب له عليه
سيئة وبالمجاهدة مستمد من جنوده فيكتب له به حسنة وانما تثبت هذه الحسنات والسيئات باثباتهما فلذلك سميا كراما
كراما كاتبين اما الكرام فلانتفاع العبد بكرمهما ولان الملائكة كلهم كرام بررة واما الكاتبون فلاثباتهما الحسنات والسيئات وانما
يكتبان فى صحائف مطوية فى سر القلب ومطوية عن سر القلب حتى لا يطلع عليها فى هذا العالم فانهما وكتبتهما وخطهما وصحائفهما
وجملة ما يتعلق بهما من عالم الغيب والملكوت لا من عالم الشهادة وشىء من عالم الملكوت لا تدركه الابصار فى هذا العالم ثم تنشر
هذه الصحائف المطوية عنه مرتين مرة فى القيامة الصغرى حالة الموت اذ قال صلى الله عليه وسلم من مات فقد قامت قيامته وفى
هذه القيامة يكون العبد وحده وعندها يقال له لقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة وفيها يقال كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا
اما فى القيامة الكبرى الجامعة لكافة الخلائق لا يكون وحده بل ربما يحاسب على ملأ من الخلق وفيها يساق المتقون والمجرمون الى الجنة
والنار زمرا لا احادا والهول الاول هو هول القيامة الصغرى ولجميع اهوال القيامة الكبرى نظير فى القيامة الصغرى مثل زلزلة الارض
مثلا فان ارضك الخاصة بك تتزلزل فى الموت فانك تعلم ان الزلزلة اذا نزلت ببلد صدق ان يقال قد زلزلت ارضهم وان لم تزلزل
البلاد المحيطة بها بل لو زلزل مسكن الانسان وداره فقد حصلت الزلزلة فى حقه لانه انما يتضرر عند زلزلة جميع الارض بزلزلة

مسكنه لا بزلزلة مسكن غيره فحصته من الزلزلة قد توفرت من غير نقصان واعلم انك ارض مخلوق من التراب وحظك
الخاص من التراب بدنك فقط واما بدن غيرك فليس بحظك والارض التى انت جالس عليها بالاضافة الى بدنك ظرف ومكان
انما تخاف من تزلزلها ان يتزلزل بدنك بسببه والا فالهواء ابدا متزلزل وانت لا تخشاه اذ ليس يتزلزل به بدنك فحظك من زلزلة
الارض كلها زلزلة بدنك فقط فهى ارضك وترابك الخاص بك وعظامك جبال ارضك وراسك سماء ارضك وقلبك شمس ارضك
وسمعك وبصرك وسائر حواسك نجوم سمائك ومغيض العرق من بدنك بحر ارضك وشعورك نبات ارضك واطرافك اشجار
ارضك وهكذا الى جميع اجزائك فاذا انهدم بالموت اركان بدنك فقد زلزلت الارض زلزالها واذا انفصل العظام من اللحوم فقد
حملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة فاذا رمت العظام فقد نسفت الجبال نسفا فاذا اظلم قلبك عند الموت فقد كورت الشمس
تكويرا فاذا بطل سمعك وبصرك وسائر حواسك فقد انكدرت النجوم انكدارا فاذا انشق دماغك فقد انشقت السماء انشقاقا
فاذا انفجر من هول الموت عرق جبينك فقد فجرت البحار تفجيرا فاذا التفت احدى ساقيك بالاخرى وهما مطيتاك فقد عطلت العشار
تعطيلا فاذا فارق الروح الجسد فقد حملت الارض فمدت حتى القت ما فيها وتخلت ولست اطول بموازنة جميع الاحوال والاهوال
ولكنى اقول بمجرد الموت تقوم عليك هذه القيامة ولا يفوتك من القيامة الكبرى شىء مما يخصك بل ما يخص غيرك فان بقاء الكواكب فى حق
فى حق غيرك ما ذا ينفعك وقد انتثرت حواسك التى بها تنتفع بالكواكب والاعمى يستوى عنده الليل والنهار وكسوف الشمس وانجلاؤها
لانه قد كسفت فى حقه دفعة واحدة وهو حصته منها فالانجلاء بعد ذلك حصة غيره ومن انشق راسه فقد انشقت سماؤه اذ السماء
عبارة عما يلى جهة الراس فمن لا راس له لا سماء له فمن ينفعه بقاء السماء لغيره فهذه هى القيامة الصغرى والخوف بعد اسفل والهول
بعد متاخر وذلك اذا جاءت الطامة الكبرى وارتفع الخصوص وبطلت السموات والارض ونسفت الجبال وتمت الاهوال وهذه الصغرى
وان طولنا فى وصفها فانا لم نذكر عشر عشير اوصافها وهى بالنسبة الى القيامة الكبرى كالولادة الصغرى بالنسبة الى الولادة الكبرى
فان للانسان ولادتين احداهما الخروج من الصلب والترائب الى مستودع الارحام وهى فى الرحم فى قرار مكين الى قدر معلوم وله
فى سلوكه الى الكمال منازل واطوار من نطفة الى علقة ومضغة وغيرها الى ان يخرج من مضيق الرحم الى فضاء العالم فنسبة عموم
القيامة الكبرى الى خصوص القيامة الصغرى كنسبة فضاء العالم الى سعة فضاء الرحم ونسبة سعة العالم الذى يقدم عليه العبد بالموت
الى سعة فضاء الدنيا كنسبة فضاء الدنيا ايضا الى الرحم بل اوسع واعظم فقس الآخرة بالاولى فما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة
وما النشأة الثانية الا على وفق النشأة الاولى بل اعداد النشآت ليست محصورة فى اثنين واليه الاشارة بقوله تعالى وننشئكم
فيما لا تعلمون فالمقر بالقيامتين مؤمن بعالم الغيب والشهادة وموقن بالملك والملكوت والمقر بالقيامة الصغرى دون الكبرى
ناظر بالعين العوراء الى احد العالمين وذلك هو الجهل والضلال والاقتداء بالاعور الدجال فما اعظم غفلتك يا مسكين وكلنا ذلك
المسكين وبين يديك هذه الاهوال فان كنت لا تؤمن بالقيامة الكبرى بالجهل والضلال افلا يكفيك القيامة الصغرى او ما سمعت
قول سيد الانبياء صلى الله عليه وسلم كفى بالموت واعظا او ما سمعت كربه فى وقت الموت حتى قال اللهم هون على محمد سكرات الموت
او ما تستحى من استبطائك هجوم الموت اقتداء برعاع الغافلين الذين لا ينظرون الا صيحة واحدة تاخذهم وهم يخصمون
فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون فياتيهم المرض نذيرا من الموت فلا ينزجرون وياتيهم المشيب رسولا منه فما يعتبرون
فيا حسرة على العباد ما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن فيظنون انهم فى الدنيا خالدون او لم يروا كم اهلكنا قبلهم من القرون
انهم اليهم لا يرجعون ام يحسبون ان الموتى سافروا من عندهم فهم معدومون كلا ان كل لما جميع لدينا محضرون ولكن ما ياتيهم من آية

من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين وذلك لانا جعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون وسواء عليهم أأنذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون ولنرجع الى الغرض المقصود فان هذه تلويحات تشير الى امور هي اعلى من علوم المعاملة فنقول قد ظهر ان الصبر عبارة عن ثبات باعث الدين في مقاومة باعث الهوى وهذه المقاومة من خاصية الآدميين لما وكل بهم من الكرام الكاتبين ولا يكتبان شيئا على الصبيان والمجانين اذ ذكرنا ان الحسنة في الاقبال على الاستفادة منهما والسيئة في الاعراض عنهما وما للصبيان والمجانين سبيل الى الاستفادة فلا يتصور منهما اقبال ولا اعراض وهما لا يكتبان الا الاقبال والاعراض من القادرين على الاقبال والاعراض ولعمري انه يظهر مبادي اشراق نور الهداية عند سن التمييز وينمو على التدريج الى سن البلوغ كما يبدو نور الصبح الى ان يطلع قرص الشمس لكنها هداية قاصرة لا ترشد الى مضار الآخرة بل الى مضار الدنيا فلذلك يضرب على ترك الصلوات ناجزا ولا يعاقب في الآخرة ولا يكتب عليه في الصحائف ما ينشر في الآخرة بل على القيم العدل والولي البر الشفيق ان كان من الابرار وكان على سمت الكرام البررة الاخيار ان يكتب على الصبي سيئة وحسنة على صحيفة قلبه فيكتبه عليه بالحفظ ثم ينشرها عليه بالتعريف ثم يعذبه عليه بالضرب فكل ولي هذا صفته ونيته في حق الصبي فينال بها درجة القرب من رب العالمين كما نالته الملائكة فيكون مع النبيين والمقربين من الصديقين واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم انا وكافل اليتيم كهاتين

بيان كون الصبر نصف الايمان

اعلم ان الايمان تارة يختص في اطلاقه بالتصديقات باصول الدين وتارة يختص بالاعمال الصالحة الصادرة منها وتارة يطلق عليهما جميعا وللمعارف ابواب وللاعمال ابواب ولاشتمال لفظ الايمان على جميعها كان الايمان نيفا وسبعين بابا واختلاف هذه الاطلاقات ذكرناه في كتاب قواعد العقائد من ربع العبادات ولكن الصبر نصف الايمان باعتبارين وعلى مقتضى اطلاقين احدهما ان يطلق على التصديقات والاعمال جميعا فيكون للايمان ركنان احدهما اليقين والآخر الصبر والمراد باليقين المعارف القطعية الحاصلة بهداية الله عبده الى اصول الدين والمراد بالصبر العمل بمقتضى اليقين اذ اليقين يعرفه ان المعصية والمواظبة على الطاعة ضارة والطاعة نافعة ولا يمكن ترك المعصية والمواظبة على الطاعة الا بالصبر وهو استعمال باعث الدين في قهر باعث الهوى والكسل فيكون الصبر نصف الايمان بهذا الاعتبار ولهذا جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما فقال من اقل ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر الحديث الى آخره الاعتبار الثاني ان يطلق على الاحوال المثمرة للاعمال لا على المعارف وعند ذلك ينقسم جميع ما يلاقيه العبد الى ما ينفعه في الدنيا والآخرة او يضره فيهما وله بالاضافة الى ما يضره حال الصبر وبالاضافة الى ما ينفعه حال الشكر فيكون الشكر احد شطري الايمان بهذا الاعتبار كما كان اليقين احد الشطرين بالاعتبار الاول وبهذا النظر قال ابن مسعود رضي الله عنه الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر وقد يرفع ايضا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما كان الصبر صبرا عن بواعث الهوى بثبات باعث الدين وكان باعث الهوى قسمين باعث من جهة الشهوة وباعث من جهة الغضب فالشهوة لطلب اللذيذ والغضب للهرب من المؤلم وكان الصوم صبرا عن مقتضى الشهوة فقط وهي شهوة البطن والفرج دون مقتضى الغضب قال صلى الله عليه وسلم بهذا الاعتبار الصوم نصف الصبر لان كمال الصبر بالصبر عن دواعي الشهوة ودواعي الغضب جميعا فيكون الصوم بهذا الاعتبار ربع الايمان فهكذا ينبغي ان تعرف تقديرات الشرع لحدود الاعمال والاحوال ونسبتها الى الايمان والاصل فيه ان يعرف كثرة ابواب الايمان فان اسم يطلق على وجوه مختلفة

بيان الاسامي التي تتجدد للصبر بالاضافة الى ما عنه الصبر

اعلم ان الصبر ضربان ضرب بدني كتحمل المشاق بالبدن والثبات عليه وهو اما بالفعل كتعاطي الاعمال الشاقة اما من العبادات او من غيرها واما بالاحتمال كالصبر على الضرب الشديد والمرض العظيم والجراحات الهائلة وذلك قد يكون محمودا اذا وافق الشرع ولكن

المحمود التام هو الضرب الآخر وهو الصبر النفسي عن مشتهيات الطبع ومقتضيات الهوى ثم هذا الضرب ان كان صبرا عن شهوة البطن والفرج سمي عفة وان كان على احتمال مكروه اختلفت اساميه عند الناس باختلاف المكروه الذي غلب عليه الصبر فان كان في مصيبة اقتصر على اسم الصبر وتضاده حالة تسمى الجزع والهلع وهو اطلاق داعي الهوى ليسترسل في رفع الصوت وضرب الخدود وشق الجيوب وغيرها وان كان في احتمال الغنى سمي ضبط النفس وتضاده حالة تسمى البطر وان كان في حرب ومقاتلة يسمى شجاعة ويضاده الجبن وان كان في كظم الغيظ والغضب يسمى حلما ويضاده التذمر وان كان في نائبة من نوائب الزمان مضجرة يسمى سعة الصدر ويضاده الضجر والتبرم وضيق الصدر وان كان في اخفاء كلام يسمى كتمان السر ويسمى صاحبه كتوما وان كان عن فضول العيش يسمى زهدا ويضاده الحرص وان كان صبرا على قدر يسير من الحظوظ سمي قناعة ويضاده الشره فاكثر اخلاق الايمان داخل في الصبر فلذلك لما سئل عليه الصلاة والسلام مرة عن الايمان قال هو الصبر لانه اكثر اعماله واعزها كما قال عليه السلام الحج عرفة وقد جمع الله اقسام ذلك وسمى الكل صبرا فقال تعالى والصابرين في البأساء اي المصيبة والضراء اي الفقر وحين البأس اي المحاربة اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون فاذن هذه اقسام الصبر باختلاف متعلقاتها ومن يأخذ المعاني من الاسامي يظن ان هذه الاحوال مختلفة في ذواتها وحقائقها من حيث رأى الاسامي مختلفة والذي يسلك الطريق المستقيم وينظر بنور الله يلحظ المعاني اولا فيطلع على حقائقها ثم يلاحظ الاسامي فانها وضعت دالة على المعاني فالمعاني هي الاصول والالفاظ هي التوابع لا بد وان يزل والى الفريقين الاشارة بقوله تعالى افمن يمشي مكبا على وجهه اهدى امن يمشي سويا على صراط مستقيم فان الكفار لم يغلطوا فيما غلطوا فيه الا بمثل هذه الانعكاسات

بيان انقسام الصبر بحسب اختلاف القوة والضعف

اعلم ان باعث الدين بالاضافة الى باعث الهوى له ثلاثة احوال احدها ان يقهر داعي الهوى فلا يبقى له قوة المنازعة ويتوصل اليه بدوام الصبر وعند هذا يقال من صبر ظفر والواصلون الى هذه الرتبة هم الاقلون فلا جرم هم الصديقون المقربون الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فهؤلاء لازموا الطريق المستقيم واستووا على الصراط القويم واطمأنت نفوسهم على مقتضى باعث الدين واياهم ينادي المنادي يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية الحالة الثانية ان تغلب دواعي الهوى وتسقط بالكلية منازعة باعث الدين فيسلم نفسه الى جند الشيطان ولا لياسه عن المجاهدة وهؤلاء هم الغافلون وهم الاكثرون وهم الذين استرقتهم شهواتهم وغلبت عليهم شقوتهم فحكموا اعداء الله في قلوبهم التي هي سر من اسرار الله وامر من امور الله واليهم الاشارة بقوله تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين وهؤلاء هم الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فخسرت صفقتهم وقال تعالى فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم وهذه الحالة علامتها اليأس والقنوط والغرور بالاماني وهو غاية الحمق كما قال صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى وصاحب هذه الحالة اذا وعظ قال انا مشتاق الى التوبة ولكنها قد تعذرت علي فلست اطمع فيها او لم يكن مشتاقا الى التوبة ولكن قال ان الله غفور رحيم فلا حاجة بي الى توبتي وهذا المسكين قد صار عقله رقيقا لشهوته فلا يستعمل عقله الا في استنباط دقائق الحيل التي بها يتوصل الى قضاء شهوته فقد صار عقله في يد شهوته كمسلم اسير في ايدي الكفار يستسخرونه في رعاية الخنازير وحفظ الخمور ومحله عند الله محل من يقهر مسلما ويسلمه الى الكفار ويجعله اسيرا عندهم لانه بفاحش جنايته يشبه انه سخر ما حقه ان يستسخر وسلط ما حقه ان يتسلط عليه وانما استحق المسلم ان يكون متسلطا عليهم لما فيه من معرفة الدين وباعث الدين وانما استحق الكافر ان يكون متسلطا عليه لما فيه من الجهل بالدين وباعث الشياطين وحق المسلم على نفسه اوجب من حق غيره عليه فمهما سخر المعنى الشريف الذي هو من حزب الله

وجند الملائكة لمعنى الخسيس الذي هو حزب الشيطان المبعد عن الله كان كمن استرق مسلما للكافر بل هو كمن قصد الملك المنعم عليه فأخذ
أعز أولاده وسلمه الى بعض أعدائه فانظر كيف يكون كفرانه لنعمته واستيجابه لنقمته لان الهوى أبغض اله عُبد في الارض والعقل
أعز موجود خلق في الارض الحالة الثالثة أن يكون الحرب سجالا بين الجندين فتارة له اليد عليها وتارة لها عليه
من المجاهدين يُعد لا من الظافرين وأهل هذه الحالة هم الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم هذا باعتبار
القوة والضعف ويتطرق إليه أيضا ثلاثة أحوال باعتبار عدد ما يصبر عنه فانه إما أن يغلب جميع الشهوات أو لا يغلب شيئا منها
أو يغلب بعضها دون بعض وتنزيل قوله خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا على من عجز عن بعض الشهوات دون بعض أولى والتاركون المجاهدة
مع الشهوات مطلقا يشبهون بالانعام بل هم أضل إذ البهيمة لم تخلق لها المعرفة والقدرة التي بها يجاهد مقتضى الشهوات وهذا
قد خلق له وعطله فهو الناقص حقا المدبر يقينا ولذلك قيل ولم أر في عيوب الناس عيبا كنقص القادرين على التمام وينقسم الصبر
أيضا باعتبار اليسر والعسر الى ما يشق على النفس فلا يمكن الدوام عليه الا بجهد جهيد وتعب شديد ويسمى ذلك تصبرا والى ما يكون من غير
شدة تعب بل يحصل بأدنى تحامل على النفس فيخص ذلك باسم الصبر واذا دام التقوى وقوي التصديق بما في العاقبة من الحسنى تيسر
الصبر ولذلك قال تعالى فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى ومثال هذه القسمة قدرة المصارع على غيره فان الرجل
القوي يقدر على أن يصرع الضعيف بأدنى حملة وأيسر قوة بحيث لا يلقاه في مصارعته إعياء ولغوب ولا تضطرب فيه نفسه ولا
ينبهر ولا يقوى على أن يصرع الشديد الا بتعب ومزيد جهد وعرق جبين فهكذا يكون المصارعة بين باعث الدين وباعث الهوى فانه على
التحقيق صراع بين جنود الملائكة وجنود الشياطين ومهما أذعنت الشهوات وانقمعت وتسلط باعث الدين واستولى وتيسر الصبر بطول
المواظبة أورث ذلك مقام الرضا كما سيأتي في كتاب الرضا والرضا أعلى من الصبر ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اعبد الله على الرضا
فان لم تستطع ففي الصبر على ما تكره خير كثير قال بعض العارفين أهل الصبر على ثلاث مقامات أولها ترك الشكوى وهذه درجة التائبين
وثانيها الرضا بالمقدور وهذه درجة الزاهدين وثالثها المحبة لما يصنع به مولاه وهذه درجة الصديقين وسنبين في كتاب المحبة أن مقام المحبة
أعلى من مقام الرضا كما أن مقام الرضا أعلى من مقام الصبر وكأن هذا الانقسام يجري في صبر خاص وهو الصبر على المحظورات [illegible]
وعن المكاره المصائب والبلايا واعلم أن الصبر ينقسم أيضا باعتبار حكمه الى فرض ونفل ومكروه ومحرم فالصبر على المحظورات فرض وعلى المكاره
نفل والصبر على الأذى المحظور محظور كمن تقطع يده أو يد ولده وهو يصبر عليه ساكتا وكمن يقصد حريمه بشهوة محظورة فتهيج غيرته فيصبر
عن اظهار الغيرة ويسكت على ما يجري على أهله والصبر المكروه هو الصبر على أذى يناله بجهة مكروهة في الشرع فليكن الشرع محك الصبر فكون
الصبر نصف الايمان لا ينبغي أن يخيل اليك أن جميعه محمود بل المراد به أنواع من الصبر مخصوصة

بيان مظان الحاجة الى الصبر وأن العبد لا يستغني عنه في حال من الاحوال

اعلم أن جميع ما يلقى العبد في هذه الحياة لا يخلو من نوعين أحدهما هو الذي يوافق
هواه والآخر هو الذي لا يوافقه بل يكرهه وهو محتاج الى الصبر في كل واحد منهما وهو في جميع الاحوال لا يخلو عن أحد هذين النوعين
أو كليهما فهو اذن لا يستغني قط عن الصبر النوع الأول ما يوافق الهوى وهو الصحة والسلامة والمال والجاه وكثرة العشيرة و
اتساع الأسباب وكثرة الأتباع والأنصار وجميع ملاذ الدنيا وما أحوج العبد الى الصبر على هذه الأمور فانه ان لم يضبط نفسه عن
الاسترسال والركون اليها والانهماك في ملاذها المباحة منها أخرجه ذلك الى البطر والطغيان فان الانسان ليطغى أن رآه استغنى
حتى قال بعض العارفين البلاء يصبر عليه المؤمن والعافية لا يصبر عليها الا صديق وقال سهل الصبر على العافية أشد من الصبر على البلاء
ولما فتحت أبواب الدنيا على الصحابة قالوا ابتلينا بفتنة الضراء فصبرنا وابتلينا بفتنة السراء فلم نصبر ولذلك حذر الله تعالى

تعالى عباده من فتنة المال والزوج والولد فقال يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله وقال تعالى يا
أيها الذين آمنوا ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم وقال صلى الله عليه وسلم الولد مجبنة مبخلة محزنة ولما نظر الى ابنه
الحسن يتعثر في قميصه نزل من المنبر واحتضنه ثم قال صدق الله تعالى انما أموالكم وأولادكم فتنة اني لما رأيت ابني يتعثر في قميصه
لم أملك نفسي أن أخذته ففي ذلك عبرة لأولي الأبصار فالرجل كل الرجل من يصبر على العافية ومعنى الصبر عليها أن لا يركن اليها ويعلم
أن كل ذلك مستودع عنده وعسى يسترجع على القرب ولا يرسل نفسه في الفرح بها ولا ينهمك في التنعم واللذة واللهو واللعب وأن
يرعى حقوق الله في ماله بالانفاق وفي بدنه ببذل المعونة للخلق وفي لسانه ببذل الصدق وكذلك في سائر ما أنعم الله عليه وهذا الصبر
متصل بالشكر فلا يتم الا بالقيام بحق الشكر كما سيأتي وانما كان الصبر على السراء أشد لأنه مقرون بالقدرة ومن
العصمة أن لا تقدر والصبر على الحجامة والفصد اذا تولاه غيرك أيسر من الصبر على فصدك نفسك وحجامتك نفسك والجائع عند غيبة
الطعام أقدر على الصبر منه اذا حضرته الأطعمة الطيبة اللذيذة وقدر عليها فلهذا عظمت فتنة السراء النوع الثاني ما لا يوافق
الهوى والطبع وذلك لا يخلو اما أن يرتبط باختيار العبد كالطاعات والمعاصي أو لا يرتبط باختياره كالمصائب والنوائب أو لا يرتبط
أوله باختياره ولكن له اختيار في ازالته كالتشفي من المؤذي بالانتقام منه فهي على ثلاثة أقسام القسم الأول ما يرتبط
باختياره وهو سائر أفعاله التي توصف بكونها طاعة أو معصية وهما ضربان الضرب الأول الطاعة والعبد يحتاج الى الصبر
عليها فالصبر على الطاعة شديد لأن النفس بطبعها تنفر عن العبودية وتشتهي الربوبية ولذلك قال بعض العارفين ما من نفس الا وهي
مضمرة ما أظهره فرعون من قوله أنا ربكم الأعلى ولكن فرعون وجد له مجالا وقبولا فأظهره اذ استخف قومه فأطاعوه وما من أحد الا
وهو يدعي ذلك مع عبده وخادمه وأتباعه وكل من هو تحت قهره وطاعته وان كان ممتنعا من اظهاره فان امتعاضه وغيظه عند تقصيرهم
في خدمته واستبعاده ذلك ليس يصدر الا من اضمار الكبر ومنازعة الربوبية في رداء الكبرياء فاذن العبودية شاقة على النفس
مطلقا ثم من العبادات ما يكره بسبب الكسل كالصلاة ومنها ما يكره بسبب البخل كالزكاة ومنها ما يكره بسببهما جميعا كالحج والجهاد
فالصبر على الطاعة صبر على الشدائد ويحتاج المطيع الى الصبر على طاعته في ثلاثة أحوال الأولى قبل الطاعة وذلك في تصحيح
النية والاخلاص والصبر عن شوائب الرياء ودواعي الآفات وعقد العزم على الاخلاص والوفاء وذلك من الصبر الشديد عند من يعرف
حقيقة النية والاخلاص وآفات الرياء ومكايد النفس وقد نبه عليه صلوات الله وسلامه عليه اذ قال انما الأعمال بالنيات وانما لكل
امرئ ما نوى وقال الله تعالى وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ولهذا المعنى قدم الله الصبر على العمل فقال الا الذين
صبروا وعملوا الصالحات الحالة الثانية حالة العمل كي لا يغفل عن الله تعالى في أثناء عمله ولا يتكاسل عن تحقيق آدابه وسننه ويدوم
ويدوم على شرط الأدب الى الآخر فيلازم الصبر عن دواعي الفتور الى الفراغ وهذا أيضا من شدائد الصبر ولعله المراد بقوله تعالى نعم
أجر العاملين الذين صبروا أي صبروا الى تمام العمل الحالة الثالثة بعد الفراغ من العمل اذ يحتاج الى الصبر عن افشائه والتظاهر به
للسمعة والرياء والصبر عن النظر اليه بعين العجب وعن كل ما يبطل عمله ويحبط أجره كما قال تعالى ولا تبطلوا أعمالكم وكما قال لا تبطلوا
صدقاتكم بالمن والأذى فمن لم يصبر بعد الصدقة عن المن والأذى فقد أبطل عمله وأما الطاعات فتنقسم الى فرض ونفل وهو محتاج الى
الصبر عليهما جميعا وقد جمعهما الله تعالى في قوله ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى هي المروءة وصلة الرحم وكل
ذلك يحتاج الى الصبر الضرب الثاني المعاصي فما أحوج العبد الى الصبر عنها وقد جمع الله سبحانه أنواع المعاصي في قوله وينهى
عن الفحشاء والمنكر والبغي وقال صلى الله عليه وسلم المهاجر من هجر السوء والمجاهد من جاهد هواه والمعاصي مقتضى باعث الهوى وأشد

واشد انواع الصبر عن المعاصي الصبر عن المعاصي التي صارت مالوفة بالعادة فان العادة طبيعة خامسة فاذا انضافت الى الشهوة تظاهر جندان من جنود الشيطان على جند الله تعالى فلا يقوى باعث الدين على قمعهما ثم ان كان الفعل مما تيسر فعله كان الصبر عنه اثقل على النفس كالصبر عن معاصي اللسان من الغيبة والكذب والمراء والثناء على النفس تعريضا وتصريحا وانواع المزح المؤذي للقلوب وضروب الكلمات التي يقصد بها الازراء والاستحقار وذكر الموتى والقدح فيهم وفي علومهم وسيرهم ومناصبهم فان في ظاهره غيبة وفي باطنه ثناء على النفس فللنفس فيه شهوتان احداهما نفي الغير والاخرى اثبات نفسه وبها تتم له الربوبية التي في طبعه وهي ضد ما امر به من العبودية ولاجتماع الشهوتين وتيسير تحريك اللسان ومصير ذلك معتادا في المحاورات يعسر الصبر عنها حتى بطل استنكارها واستقباحها من القلوب لكثرة تكررها وعموم الانس بها فترى الانسان يلبس حريرا مثلا فيستبعد ذلك منه غاية الاستبعاد ويطلق لسانه طول النهار في اعراض الناس فلا يستنكر ذلك مع ما ورد في الخبر ان الغيبة اشد من الزنا ومن لم يملك لسانه في المحاورات ولم يقدر على الصبر فيجب عليه العزلة والانفراد فلا ينجيه غيره فالصبر على الانفراد اهون من الصبر على السكوت مع المخالطة وتختلف شدة الصبر في احاد المعاصي باختلاف داعية تلك المعصية في قوتها وضعفها وايسر من حركة اللسان حركة الخواطر باختلاج الوسواس فلا جرم يبقى حديث النفس في العزلة ولا يمكن الصبر عنه اصلا الا بان يغلب على القلب هم اخر في الدين يستغرقه كمن اصبح وهمومه هم واحد والا لم يستعمل الفكر في شيء معين لم يتصور فتور الوسواس عنه القسم الثاني ما لا يرتبط هجومه باختياره وله اختيار في دفعه كما لو اوذي بفعل او قول او جني عليه في نفسه او ماله فالصبر على ذلك بترك المكافاة تارة يكون واجبا وتارة يكون فضيلة قال بعض الصحابة ما كنا نعد ايمان الرجل ايمانا اذا لم يصبر على الاذى وقال تعالى ولنصبرن على ما اذيتمونا وعلى الله فليتوكل المومنون وقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم مالا فقال بعض الاعراب من المسلمين هذه قسمة ما اريد بها وجه الله فاخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحمرت وجنتاه ثم قال رحم الله اخي موسى قد اوذي باكثر من هذا فصبر وقال تعالى ودع اذاهم وتوكل على الله وقال واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا وقال ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وقال ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور اي تصبروا عن المكافات ولذلك مدح الله تعالى العافين عن حقوقهم في القصاص وغيره فقال وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين وقال صلى الله عليه وسلم صل من قطعك واعط من حرمك واعف عمن ظلمك ورايت في الانجيل قال عيسى لقد قيل لكم من قبل ان السن بالسن والانف بالانف وانا اقول لكم لا تقاوموا السن بالسن بل من ضرب خدك الايمن فحول اليه الايسر ومن اخذ رداءك فاعطه ازارك ومن سخرك لتسير معه ميلا فسر معه ميلين وكل ذلك امر بالصبر على الاذى فالصبر على اذى الناس من اعلى مراتب الصبر لانه يتعاون فيه على باعث الدين باعث الشهوة والغضب جميعا القسم الثالث ما لا يدخل تحت الاختيار اوله واخره كالمصائب مثل موت الاعزة وهلاك الاموال وزوال الصحة بالمرض وعمى العين وفساد الاعضاء وبالجملة فسائر انواع البلاء والصبر على ذلك من اعلى مقامات الصبر قال ابن عباس رضي الله عنهما الصبر في القران على ثلاثة اوجه صبر على اداء فرائض الله فله ثلثمائة درجة وصبر عن محارم الله وله ستمائة درجة وصبر في المصيبة عند الصدمة الاولى فله تسعمائة درجة وانما فضلت هذه الرتبة مع انها من الفضائل على ما قبلها وهي من الفرائض لان كل مومن يقدر على الصبر عن المحارم واما الصبر على بلاء الله فلا يقدر الا ببضاعة الصديقين فان ذلك شديد على النفس ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اسالك من اليقين ما تهون به علي مصائب الدنيا فهذا استمد من حسن اليقين وقال عليه الصلوة والسلام يقول الله تعالى اذا ابتليت عبدي ببلاء فصبر ولم يشكني الى عواده ابدلته لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه فان ابرأته ابرأته ولا ذنب له وان توفيته فالى رحمتي وقال داود عليه السلام في مناجاته يا رب ما جزاء الذي يصبر على المصائب ابتغاء مرضاتك قال تعالى جزاؤه ان البسه لباس الايمان فلا انزعه عنه ابدا وقال ابو سليمان والله ما نصبر على ما نحب فكيف نصبر على ما نكره وقال صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل اذا وجهت الى عبد من عبيدي مصيبة في بدنه او ماله او ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه يوم القيمة ان انصب له ميزانا او انشر له ديوانا وقال صلى الله عليه وسلم انتظار الفرج بالصبر عبادة وقال ايضا من اصيب بمصيبة فقال كما امره الله عز وجل انا لله وانا اليه راجعون اللهم اجرني في مصيبتي واعقبني خيرا منها الا فعل ذلك به وقال انس حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل قال يا جبريل ما جزاء من سلبت كريمتيه قال سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا قال جزاؤه الخلود في داري والنظر الى وجهي وقال عمر بن عبد العزيز في خطبته ما انعم الله على عبد نعمة فانتزعها منه وعوضه منها الصبر الا كان ما عوضه منها افضل مما انتزع منه وقرا انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وسئل فضيل عن الصبر فقال هو الرضا بقضاء الله تعالى قيل وكيف ذلك قال الراضي لا يتمنى فوق منزلته وقيل حبس الشبلي في المارستان فدخل عليه جماعة فقال من انتم قالوا احباؤك جاؤوا زائرين فاخذ يرميهم بالحجارة فاخذوا يهربون فقال لو كنتم احبائي لصبرتم على بلائي وكان بعض العارفين في جيبه رقعة يخرجها كل ساعة ويطالعها وكان فيها واصبر لحكم ربك فانك باعيننا ويقال ان امراة فتح الموصلي عثرت فانقطع ظفرها فضحكت فقيل لها اما تجدين الوجع فقالت ان لذة ثوابه ازالت عن قلبي الم وجعه وقال داود لسليمن عليهما السلام يستدل على تقوى المومن بثلث حسن التوكل فيما لم ينل وحسن الرضا فيما قد نال وحسن الصبر فيما قد فات وقال نبينا صلى الله عليه وسلم من اجلال الله ومعرفة حقه ان لا تشكو وجعك ولا تذكر مصيبتك ويروى عن بعض الصالحين انه خرج يوما وفي كمه صرة فافتقدها فاذا هي قد اخذت من كمه فقال بارك الله له لعله احوج اليها مني وروي عن بعضهم انه قال مررت على سالم مولى ابي حذيفة في القتلى وبه رمق فقلت له اسقيك ماء فقال جرني قليلا الى العدو واجعل الماء في الترس فاني صائم فان عشت الى الليل شربته فهكذا كان صبر سالكي طريق الاخرة على بلاء الله فان قلت فبماذا تنال درجة الصبر في المصائب وليس الامر الى اختياره فهو مضطر شاء ام ابى فان كان المراد ان لا يكون في نفسه كراهة للمصيبة فذلك غير داخل في الاختيار وانما هو مضطر شاء ام ابى فان كان المراد ان لا يكون في نفسه كراهة للمصيبة فذلك غير داخل في الاختيار فاعلم انه انما يخرج عن مقام الصابرين بالجزع وشق الجيوب وضرب الخدود والمبالغة في الشكوى واظهار الكآبة وتغيير العادة في الملبس والمفرش والمطعم وهذه الامور داخلة تحت اختياره فينبغي ان يجتنب جميعها ويظهر الرضا بقضاء الله ويبقى مستمرا على عادته ويعتقد ان ذلك كان وديعة فاسترجعت وقد قيل الصبر الجميل هو ان لا يعرف صاحب المصيبة من غيره اذ يشبه غيره ولا يخرجه عن حد الصابرين توجع القلب ولا فيضان العين بالدمع على الميت فان ذلك مقتضى البشرية ولا يفارق الانسان الى الموت ولذلك لما مات ابرهيم ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاضت عيناه فقيل له اما نهيتنا عن هذا فقال انما هذه رحمة وانما يرحم الله من عباده الرحماء بل ذلك ايضا لا يخرج من مقام الرضا فالمقدم على الفصد والحجامة راض به وهو متالم بسببه لا محالة وقد تفيض عينه اذا عظم المه وسياتي ذلك في كتاب الرضا وكتب ابن ابي نجيح يعزي بعض الخلفاء ان احق من عرف حق الله تعالى فيما اخذ منه من عظم حق الله تعالى عنده فيما ابقاه واعلم ان الماضي قبلك هو الباقي لك والباقي بعدك هو الماجور فيك واعلم ان اجر الصابرين فيما يصابون به اعظم من النعمة عليهم فيما يعافون فيه فان ذهبتما دفع الكراهة بالتفكر في نعمة الله عليه بالثواب نال درجة الصابرين نعم من كمال الصبر كتمان المرض والفقر وساير المصائب وقد قيل من كنوز البر كتمان الاوجاع والافتقار فان الذي كفي الشهوات

واعقبني

كلها واعتزل وحده فلا يستغني عن الصبر على العزلة والانفراد ظاهرا وعن الصبر عن وساوس الشيطان باطنا فان اختلاج
الخواطر لا يسكن واكثر جولان الخاطر انما يكون لا تدارك له او في مستقبل لا بد وان يحصل منه ما هو مقدر فهو كيف ما كان
تضييع زمان وآلة العبد قلبه وبضاعته عمره فاذا غفل القلب في نفس واحد عن ذكر الله تعالى لم يستفد به انسا بالله او
عن فكر لم يستفد به معرفة بالله ليستفيد بالمعرفة محبة لله فهو مغبون هذا ان كان فكره ووسواسه في المباحات مقصورة عليه
عليه ولا يكون كذلك غالبا بل يتفكر في وجوه الحيل لقضاء الشهوات اولا اذ لا يزال ينازع على كل من تحرك على خلاف غرضه في جميع
عمره او من يتوهم بانه ينازعه ويخالف غرضه بظهور امارة له منه بل يقدر المخالفة من اخلص الناس في محبته حتى في اهله وولده
ويتوهم مخالفتهم له ثم يتفكر في كيفية زجرهم وكيفية قهرهم وجوابهم عما يتعللون به في مخالفته ولا يزال في شغل دائم فللشيطان
جندان جند يطير وجند يسير والوسواس عبارة عن حركة جنده الطيار والشهوة عبارة عن حركة جنده السيار وهذا لان الشيطان
خلق من النار وخلق (الانسان) من صلصال كالفخار وقد اجتمع فيه مع النار الطين والطين طبعه السكون والنار طبعها الحركة فلا يتصور
نار مشتعلة لا تتحرك بل لا تزال تتحرك بطبعها وقد كلف الملعون المخلوق من النار ان يطمئن عن حركته ساجدا لما خلق من الطين
فابى واستكبر واستعصى وعبر عن سبب استعصائه بان قال خلقتني من نار وخلقته من طين فاذن حيث لم يسجد الملعون لآدم ابينا صلوات
الله عليه فلا ينبغي ان نطيعه في سجوده لاولاده وعنها كف عن القلب وساوسه وعدوانه وطيرانه وجولانه فقد ظهر انقياده واذعانه
وانقياده بالاذعان سجود منه فهو روح السجود وانما وضع الجبهة على الارض قالبه وعلامته الدالة بالاصطلاح عليه ولو جعل
وضع الجبهة على الارض علامة استخفاف بالاصطلاح لتصور ذلك كما ان الانبطاح بين يدي المعظم المحتشم يرى استخفافا بالعادة فلا
ان يدهشك صدف الجوهر عن الجوهر وقالب الروح عن الروح وقشر اللب عن اللب فتكون ممن قيدته عالم الشهادة بالكلية عن
عالم الغيب وتحقق ان الشيطان من المنظرين فلا يتواضع لك بالكف عن الوسواس الى يوم الدين الا ان تصبح وهمومك هم واحد فتشغل
قلبك بالله وحده فلا يجد الملعون مجالا فيك فعند ذلك تكون من عباد الله المخلصين الداخلين في الاستثناء عن سلطنة هذا اللعين ولا تظنن
انه يخلو عنه قلب فارغ بل هو سيال يجري من ابن آدم مجرى الدم وسيلانه مثل الهواء في القدح فان اردت ان يخلو عن الهواء من غير ان تشغله
بالماء او بغيره فقد طمعت في غير مطمع بل بقدر ما يخلو من الماء يدخل فيه الهواء لا محالة فكذلك القلب المشغول بفكر مهم في الدين
يخلو عن جولان الشياطين والا فمن غفل عن الله ولو في لحظة فليس له في تلك اللحظة قرين الا الشيطان ولذلك قال تعالى ومن يعش عن ذكر
الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يبغض الشاب الفارغ وهذا لان الشاب اذا تعطل عن عمل يشغل
باطنه بمباح يستعين به على دينه كان ظاهره فارغا ولم يبق قلبه فارغا بل يعشش فيه الشيطان ويبيض ويفرخ ثم تزدوج فروخها
ايضا وتبيض مرة اخرى وتفرخ وهكذا يتوالد نسل الشيطان توالدا اسرع من توالد سائر الحيوانات لان طبعه من النار واذا وجد
الحلفاء اليابسة كثر توالده فلا تزال تتولد النار من النار ولا ينقطع البتة فيسري شيئا فشيئا على الاتصال والشهوة في نفس الشاب
للشيطان كالحلفاء اليابسة للنار وكما لا تبقى النار اذا لم يبق لها قوت وهو الحطب فلا يبقى للشيطان مجال اذا لم يكن شهوة فاذن اذا
تأملت علمت ان اعدى عدوك شهوتك وهي صفة نفسك ولذلك قال الحسين بن منصور الحلاج حين كان يصلب وقد سئل عن
التصوف فقيل ما هو فقال هي نفسك ان لم تشغلها شغلتك فاذن حقيقة الصبر وكماله الصبر عن كل حركة مذمومة وحركة الباطن
اولى بالصبر عنها وهذا صبر دائم لا يقطعه الا الموت

دواء الصبر وما يستعان به عليه

اعلم ان الذي انزل الداء انزل
الدواء ووعد الشفاء فالصبر وان كان شاقا او ممتنعا فتحصيله ممكن بمعجون العلم والعمل فالعلم والعمل هما الاخلاط التي منها يركب
الادوية لامراض القلوب كلها ولكن يحتاج كل مرض الى علم آخر وعمل آخر وكما ان اقسام الصبر مختلفة فاذا اختلفت العلل اختلف
العلاج اذ معنى العلاج مضادة العلة وقمعها واستيفاء ذلك مما يطول ولكنا نعرف الطريق في بعض الامثلة فنقول اذا افتقر
الى الصبر عن شهوة الوقاع مثلا وقد غلبت عليه بحيث ليس يملك معها فرجه او يملك فرجه وليس يملك عينه او يملك عينه ولكن
ليس يملك قلبه ونفسه اذ لا يزال يحدثه بمقتضيات الشهوة ويصرفه ذلك عن المواظبة على الذكر والفكر والاعمال الصالحة فنقول
قد قدمنا ان الصبر عبارة عن مصارعة باعث الدين مع باعث الهوى وكل متصارعين اردنا ان يغلب احدهما الآخر فلا طريق لنا فيه
الا تقوية من اردنا ان تكون له اليد العليا وتضعيف الآخر فلزمنا ههنا تقوية باعث الدين وتضعيف باعث الشهوة فاما باعث
الشهوة فسبيل تضعيفها ثلاثة امور احدها ان ينظر الى مادة قوتها وهي الاغذية الطيبة المحركة للشهوة من حيث نوعها
ومن حيث كثرتها فلا بد من قطعها بالصوم الدائم مع الاقتصار عند الافطار على طعام قليل في نفسه ضعيف في جنسه فيحترز عن
اللحم والاطعمة المهيجة للشهوة والثاني قطع اسبابه المهيجة له في الحال فانه انما يهيج بالنظر الى مظان الشهوة اذ النظر
يحرك القلب والقلب يحرك الشهوة وهذا يحصل بالعزلة والاحتراز عن مظان وقوع البصر على الصور المشتهاة والفرار منها
بالكلية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم النظرة سهم مسموم من سهام ابليس وهو سهم يسدده الملعون ولا ترس يمنعه الا تغميض
الاجفان او الهرب من صوب رميه فانه انما يرمي هذا السهم عن قوس الصور فاذا انقلبت عن صوب الصور لم يصبك سهمه والثالث
تسلية النفس بالمباح من الجنس الذي تشتهيه وذلك بالنكاح فان كل ما يشتهيه الطبع ففي المباحات ما يغني عنها عن المحظورات
وهذا هو العلاج الانفع في حق الاكثر فان قطع الغذاء يضعف عن سائر الاعمال ثم قد لا يقمع الشهوة في حق اكثر الرجال ولذلك
قال صلى الله عليه وسلم عليكم بالباءة فمن لم يستطع فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء فهذه ثلاثة اسباب فالعلاج الاول وهو قطع
الطعام يضاهي قطع العلف عن البهيمة الجموح وعن الكلب الضاري ليضعف فيسقط قوته والثاني يضاهي تغييب اللحم عن الكلب
وتغييب الشعير عن البهيمة حتى لا تتحرك بواطنها بسبب مشاهدتها والثالث يضاهي تسليتها بشيء قليل مما يميل اليه طبعها حتى
يبقى معها من القوة ما يصبر على التاديب فاما تقوية باعث الدين فانما يكون بطريقين احدهما اطماعه في فوائد المجاهدة وثمراتها
في الدين والدنيا وذلك بان يكثر فكره في الاخبار التي اوردناها في فضل الصبر وفي حسن عواقبه في الدنيا والآخرة وفي الاثر
ان ثواب الصبر على المصيبة اكثر مما فات وانه بسبب ذلك مغبوط بالمصيبة اذ فاته ما لا يبقى معه الا مدة الحياة وحصل له ما
يبقى بعد موته ابد الاباد ومن اسلم خسيسا في نفيس فلا ينبغي ان يحزن لفوات الخسيس في الحال وهذا من باب المعارف وهو من
الايمان فتارة يضعف وتارة يقوى فان قوي قوي باعث الدين وهيجه تهييجا شديدا وان ضعف ضعفه وانما قوة الايمان
يعبر عنه باليقين وهو المحرك لعزيمة الصبر واقل ما اوتي الناس اليقين وعزيمة الصبر والثاني ان يعود هذا الباعث مصارعة
باعث الهوى تدريجا قليلا قليلا حتى يدرك لذة الظفر بها فيستجري عليها ويقوى منته في مصارعتها فان الاعتياد والممارسة
للاعمال الشاقة تقوي القوى التي تصدر منها تلك الاعمال ولذلك يزيد قوة الحمالين والفلاحين والمقاتلين وبالجملة الممارسين
للاعمال الشاقة على قوة الخياطين والعطارين والفقهاء والصالحين وذلك لان قواهم لم تتأكد بالممارسة فالعلاج الاول يضاهي
اطماع المصارع في الخلعة عند الغلبة ووعده بانواع الكرامة كما وعد فرعون سحرته عند اغرائه اياهم بموسى عليه الصلوة
حيث قال انكم لمن المقربين والثاني يضاهي تعويد الصبي الذي يراد منه المصارعة والمقاتلة مباشرة اسباب ذلك منذ الصبى
حتى يأنس به ويستجرئ عليه ويقوى فيه منته فمن ترك بالكلية المجاهدة بالصبر ضعف فيه باعث الدين ولا يقوى على الشهوة

وان ضعفت ومن عود نفسه مخالفة الهوى غلبهما مهما اراد فهذا منهاج العلاج فى جميع انواع الصبر ولا يمكن استيفاؤها
وانما اشدها كف الباطن عن حديث النفس وانما يشتد ذلك على من تفرغ له بان قمع الشهوات الظاهرة وآثر العزلة وجلس
للمراقبة والذكر والفكر فان الوسواس لا يزال يجاذبه من جانب الى جانب وهذا لا علاج له البتة الا قطع العلائق كلها ظاهرا
وباطنا بالفرار عن الاهل والولد والمال والجاه والرفقاء والاصدقاء والاعتزال الى زاوية بعد احراز قدر يسير من القوت
وبعد القناعة به ثم كل ذلك لا يكفى ما لم تصر الهموم هما واحدا وهو الله تعالى ثم اذا غلب ذلك على القلب ولا يكفى ذلك
ما لم يكن له مجال فى الفكر وسير بالباطن فى ملكوت السماء والارض وعجائب صنع الله وسائر ابواب معرفة الله حتى اذا استولت
ذلك على قلبه دفع اشتغاله بذلك مجاذبة الشيطان فى وسواسه وان لم يكن له سير بالباطن فلا ينجيه الا الاوراد المتواصلة
المترتبة فى كل لحظة من القراءة والاذكار والصلوة ويحتاج مع ذلك الى تكليف القلب الحضور فان الفكر بالباطن هو الذى يستغرق
القلب دون الاوراد الظاهرة ثم اذا فعل ذلك كله لم يسلم له من الاوقات الا بعضها اذ لا يخلو فى جميع اوقاته عن حوادث تتجدد
فتشغله عن الفكر والذكر من مرض وخوف وايذاء من انسان وطغيان من مخالط اذ لا يستغنى عن مخالطة من يعينه فى بعض اسباب
المعيشة فهذا احد الانواع الشاغلة واما النوع الثانى فهو ضرورى اشد ضرورة من الاول وهو اشتغاله بالمطعم والملبس
واسباب المعاش فان تهيئة ذلك ايضا يحوج الى شغل ان تولاه بنفسه وان تولاه غيره فلا يخلو عن شغل قلب بمن يتولاه ولكن
بعد قطع العلائق كلها يسلم له اكثر الاوقات ان لم يهجم به ملمة او واقعة وفى تلك الاوقات يصفو القلب ويتيسر الفكر وينكشف له
فيه من اسرار الله فى ملكوت السموات والارض ما لا يقدر على عشر عشيره فى زمان طويل لو كان مشغول القلب بالعلائق والانتهاء
الى هذا هو اقصى المقامات التى يمكن ان ينال بالاكتساب والجهد فاما مقادير ما ينكشف ومبالغ ما يرد من لطف الله فى الاحوال
والاعمال فذلك يجرى مجرى الصيد وهو بحسب الرزق فقد يقل الجهد ويجل الصيد وقد يطول الجهد ويقل الحظ والمعول وراء
وراء هذا الاجتهاد على جذبة من جذبات الرحمن فانها توازى اعمال الثقلين وليس ذلك باختيار العبد فى ان يتعرض لتلك
الجذبة بان يقطع عن قلبه جواذب الدنيا فان المجذوب الى اسفل السافلين لا ينجذب الى اعلى عليين وكل مهموم بالدنيا فهو منجذب
اليها فقطع العلائق الجاذبة هو المراد بقوله عليه الصلوة والسلام ان لله فى ايام دهركم نفحات الا فتعرضوا لها وذلك لان تلك
النفحات والجذبات لها اسباب سماوية اذ قال تعالى وفى السماء رزقكم وما توعدون وهذا من اعلى انواع الرزق والامور السماوية
غائبة عنا فلا ندرى متى ييسر الله تعالى اسباب الرزق فما علينا الا تفريغ المحل والانتظار لنزول الرحمة وبلوغ الكتاب اجله
كالذى يصلح الارض وينقيها من الحشيش ويبث البذر وكل ذلك لا ينفعه الا بمطر ولا يدرى متى يقدر الله اسباب المطر الا انه يثق
بفضل الله انه لا يخلى سنة عن مطر فكذلك قل ما يخلو سنة وشهر ويوم عن جذبة من الجذبات ونفحة من النفحات فينبغى ان يكون
العبد قد طهر القلب عن حشيش الشهوات وبذر فيها بذر الارادة والاخلاص وعرضه لمهاب رياح الرحمة وكما يقوى انتظار
الامطار فى اوقات الربيع وعند ظهور الغيم فيقوى انتظار تلك النفحات فى الاوقات الشريفة وعند اجتماع الهمم وتساعد
القلوب كما فى يوم عرفة ويوم الجمعة وايام رمضان فان الهمم والانفاس اسباب بحكم تقدير الله تعالى لاستدرار رحمة الله
حتى يستدر بها الامطار فى اوقات الاستسقاء وهى لاستدرار امطار المكاشفات ولطائف المعارف من خزائن الملكوت
اشد مناسبة منها لاستدرار قطرات الماء واستجرار الغيوم من اقطار الجبال والبحار بل الاحوال والمكاشفات حاضرة
معك فى قلبك وانما انت مشغول عنها بعلائقك وشهواتك فصار ذلك حجابا بينك وبينها فلا تحتاج الا ان تكسر

تكسر الشهوة وترفع الحجاب فتشرق انوار المعارف من باطن القلب وانفجار مآء الارض بحفر القنى اسهل واقرب من استنزال
الماء اليها من مكان بعيد منخفض عنه ولكونه حاضرا فى القلب ومنسيا بالشغل عنه سمى الله سبحانه جميع معارف الايمان
تذكرا فقال وليتذكر اولوا الالباب وقال ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر فهذا هو علاج الصبر عن الوساوس
والشواغل وهذا آخر درجات الصبر وانما الصبر عن العلائق كلها مقدم على الصبر عن الخواطر قال الجنيد المسير من الدنيا الى الآخرة
سهل على المؤمن وهجران الخلق فى جنب الحق شديد والمسير من النفس الى الله صعب شديد والصبر مع الله اشد فذكر شدة
الصبر عن شواغل القلب ثم شدة هجران الخلق واشد العلائق على النفس علاقة الخلق وحب الجاه فان لذة الرياسة والغلبة
والاستعلاء والاستتباع اغلب اللذات فى الدنيا على نفوس العقلاء وكيف لا يكون اغلب اللذات ومطلوبها صفة من صفات الله
تعالى وهى الربوبية وهى مطلوبة محبوبة بالطبع للقلب لما فيه من المناسبة للامور الربوبية وعنه العبارة بقوله تعالى قل الروح من امر
ربى وليس القلب مذموما على حبه ذلك وانما هو مذموم على غلطة وقعت له بسبب تغرير الشيطان اللعين المبعد عن عالم الامر
فاضله فاغواه وكيف يكون مذموما عليه وهو يطلب سعادة الآخرة فليس يطلب الا بقاء لا فناء فيه وعزا لا ذل فيه وغنى
لا فقر فيه وكمالا لا نقصان فيه وهذه كلها من اوصاف الربوبية وليس مذموما على طلب ذلك بل حق كل عبد ان يطلب ملكا عظيما
لا آخر له وطالب الملك طالب العلو والعز والكمال لا محالة ولكن الملك ملكان ملك مشوب بانواع الآلام ومحفوف بسرعة
الانصرام ولكنه عاجل وهو فى الدنيا وملك مخلد دائم لا يشوبه كدر والم ولا يقطعه قاطع ولكنه آجل وقد خلق الانسان عجولا
راغبا فى العاجلة فجاء الشيطان وتوسل اليه بواسطة العجلة التى فى طبعه فاستغواه بالعاجلة وزين له الحاضرة وتوسل
اليه بواسطة الحمق فوعده بالغرور فى الآخرة ومناه مع ملك الدنيا ملك الآخرة كما قال صلى الله عليه وسلم الاحمق من
اتبع نفسه هواها وتمنى على الله فانخدع المخذول واشتغل بطلب عز الدنيا وملكها على قدر امكانه ولم يتدل الموفق بحبل غروره
اذ علم مداخل مكره فاعرض عن العاجلة فعبر عن المخذولين وقال كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة وقال تعالى فاعرض عمن
تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم ولما استطار مكر الشيطان فى كافة الخلق ارسل الله الملائكة الى
الرسل فاوحوا اليهم ما تم على الخلق من اهلاك العدو واغوائه فاشتغلوا بدعوة الخلق الى الملك الحقيقى عن الملك المجازى
الذى لا اصل له ان سلم ولا دوام له اصلا فنادوا فيهم يا ايها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الارض
ارضيتم بالحيوة الدنيا من الآخرة فما متاع الحيوة الدنيا فى الآخرة الا قليل فالتورية والانجيل والزبور والقرآن وصحف موسى
وكل كتاب منزل ما انزل الا لدعوة الخلق الى الملك الدائم المخلد والمراد منهم ان يكونوا ملوكا فى الدنيا ملوكا فى الآخرة اما ملك الدنيا
فبالزهد والقناعة باليسير منها واما ملك الآخرة فبالقرب من الله تعالى بدرك بقاء لا فناء فيه وعز لا ذل فيه وقرة عين اخفيت
فى هذا العالم لا يعلمها نفس من النفوس والشيطان يدعوهم الى ملك الدنيا لعلمه بان ملك الآخرة يفوت به اذ الدنيا والآخرة ضرتان
ولعلمه بان الدنيا لا تسلم ايضا ولو كان تسلم لكان يحسده ايضا ولكن ملك الدنيا لا يخلو عن المنازعات والمكدرات وطول الهموم
فى التدبيرات وكذلك سائر اسباب الجاه ثم كما تسلم وتتم الاسباب تنقضى العمر حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت وظن اهلها
انهم قادرون عليها اتاها امرنا ليلا او نهارا فجعلناها حصيدا كان لم تغن بالامس فضرب الله لهم مثلا وقال تعالى واضرب لهم مثلا
مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فاصبح هشيما تذروه الرياح والزهد فى الدنيا لما كان ملكا حاضرا
حسده الشيطان عليه فصده عنه ومعنى الزهد ان يملك العبد شهوته وغضبه فينقادا لباعث الدين واشارة الايمان وهذا

ملك بالاستحقاق اذ به يصير صاحبه حرًا وباستيلاء الشهوة عليه يصير عبد البطن والفرج وسائر اعضائه فيكون مسخرًا مثل
البهيمة مملوكا يستسخره زمام الشهوة آخذًا بمخنقه الى حيث يريد ويهوى فما اعظم اغترار الانسان اذ ظن انه ينال الملك بان يصير مملوكا
وينال الربوبية بان يصير عبدًا ومثل هذا هل يكون الا معكوسًا في الآخرة ولهذا قال بعض الملوك لبعض الزهاد
هل من حاجة قال كيف اطلب منك حاجة وملكي اعظم من ملكك فقال كيف ذلك قال من انت عبده فهو عبد لي فقال
كيف قال انت عبد شهوتك وغضبك وفرجك وبطنك وقد ملكت هذه كلها وكلها عبيد لي فهذا اذا هو
الملك في الدنيا وهو الذي يسوق الى الملك في الآخرة فالمخدوعون بغرور الشيطان خسروا الدنيا والآخرة جميعًا
والذين وفقوا للاستقامة على الصراط المستقيم فازوا بالدنيا والآخرة جميعًا فاذا عرفت الآن معنى الملك والربوبية ومعنى التسخير
والعبودية ومدخل الغلط فيه وكيفية تعمية الشيطان وتلبيسه فيسهل عليك النزوع عن الملك والجاه والاعراض عنه والصبر
عند فوته اذ تصير بتركه ملكا في الحال وترجو به ملكا في الآخرة ومن كوشف بهذه الامور بعد ان الف الجاه وانس به ورسخ فيه
بالعادة مباشرة اسبابه فلا يكفيه في العلاج مجرد العلم والكشف بل لا بد ان يضيف اليه العمل وعمله في ثلاثة ابواب احدها ان يهرب عن موضع
الجاه كيلا يشاهد اسبابه فيعسر عليه الصبر مع الاسباب كما يهرب من غلبته الشهوة عن مشاهدة الصور المحركة ومن لم يفعل هذا فقد
كفر نعمة الله تعالى في الارض اذ قال تعالى الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها الثاني ان يكلف نفسه في اعماله افعالا تخالف ما
اعتاده فيتبدل التكلف بالتبذل وزي الحشمة بزي التواضع وكذلك كل هيئة وحال وفعل في مسكن ومطعم وملبس وقيام وقعود كان يعتاده
وفاء بمقتضى جاهه فينبغي ان يبدلها بنقائضها حتى يترسخ باعتياد ذلك ضد ما ترسخ فيه من قبل باعتياد ضده فلا معنى للمعالجة الا المضادة
الثالث ان يراعي في ذلك التلطف والتدريج فلا ينتقل دفعة واحدة الى الطرف الاقصى من التبذل فان الطبع نفور ولا يمكن نقله
عن اخلاقه التي قد اعتادها الا بالتدريج فيترك البعض ويسلي نفسه الا بالتدريج بالبعض ثم اذا قنعت نفسه بذلك البعض ابتدا وترك
البعض من ذلك البعض الى ان يقنع بالبقية وهكذا يفعل شيئا شيئا الى ان يقمع تلك الصفات التي رسخت فيه والى هذا التدريج الاشارة
بقوله صلى الله عليه وسلم ان هذا الدين متين فاوغل فيه برفق ولا تبغض الى نفسك عبادة الله واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم
لا تشاد هذا الدين فان من يشاده يغلبه فاذن ما ذكرناه في علاج الصبر عن الوسواس وعن الشهوة وعن الجاه اضفه الى ما ذكرناه من
تدابير طرق المجاهدة في كتاب رياضة النفس من ربع المهلكات واتخذه دستورا لتعرف به علاج الصبر في جميع الاقسام التي فصلناها من قبل
فان تفصيل الآحاد يطول ومن راعى التدريج ترقى به الصبر الى حالة يشق الصبر عنها كما كان يشق عليه الصبر معها فينعكس اموره فيصير ما
كان محبوبا عنده ممقوتا وما كان مكروها عنده مشربا هنيا لا يصبر عنه وهذا لا يعرف الا بالتجربة والذوق وله نظير في العادات فان الصبي
يحمل على التعلم في الابتداء قهرا فيشق عليه الصبر عن اللعب والصبر مع العلم حتى اذا انفتحت بصيرته وانس بالعلم انقلب الامر فصار يشق عليه
الصبر عن العلم والصبر على اللعب والى هذا يشير ما حكي عن بعض العارفين انه سال الشبلي عن الصبر الصبر لله والصبر في الله ايهما اشد
فقال الصبر في الله فقال لا فقال الصبر لله فقال لا قال الصبر مع الله قال لا قال فايش قال الصبر عن الله فصرخ الشبلي صرخة كادت روحه تتلف
وقد قيل في معنى قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا اصبروا في الله وصابروا بالله ورابطوا مع الله وقيل الصبر لله
غناء والصبر بالله بقاء والصبر مع الله وفاء والصبر عن الله جفاء وقيل: الصبر عنك فمذموم عواقبه والصبر في سائر الاشياء محمود
وقيل: الصبر يجمل في المصائب كلها الا عليك فانه لا يجمل ٥ هذا آخر ما اردنا شرحه من علوم الصبر واسراره ٥ ٥

العلم

الشطر الثاني من الكتاب في الشكر

وله ثلاثة اركان الركن الاول في فضيلة الشكر وحقيقته واقسامه واحكامه الركن الثاني في حقيقة النعمة واقسامها الخاصة والعامة الركن الثالث في بيان الافضل من الصبر والشكر

الركن الأول في نفس الشكر

بيان فضيلة الشكر اعلم ان الله تعالى قرن الشكر بالذكر في كتابه مع انه قال ولذكر الله اكبر
فقال فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون وقال تعالى ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم وقال تعالى وسنجزي الشاكرين
وقال تعالى لاقعدن لهم صراطك المستقيم قيل هو طريق الشكر ولعلو رتبة الشكر طعن اللعين في الخلق فقال ولا تجد اكثرهم شاكرين
وقال تعالى وقليل من عبادي الشكور وقد قطع الله تعالى بالمزيد مع الشكر ولم يستثن فقال لئن شكرتم لازيدنكم واستثنى في خمسة
في الاغناء والاجابة والرزق والمغفرة والتوبة فقال فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء وقال فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وقال
يرزق من يشاء وقال يغفر لمن يشاء وقال ويتوب الله على من يشاء وهو خلق من اخلاق الربوبية اذ قال تعالى والله شكور حليم وجعل الله الشكر
مفتاح اهل الجنة فقال تعالى وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الارض وقال وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين ٥
واما الاخبار فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر وروي عن عطاء انه قال دخلت على عائشة
فقلت يا ام المؤمنين اخبرينا باعجب ما رايته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكت وقالت واي شانه لم يكن عجبا انه اتاني في ليلة فدخل
معي في فراشي او قالت في لحافي حتى مس جلدي جلده ثم قال يا ابنة ابي بكر ذريني اتعبد لربي قالت قلت اني احب قربك فاذنت له فقام
الى قربة ماء فتوضا فلم يكثر صب الماء ثم قام يصلي فبكى حتى سالت دموعه على صدره ثم ركع فبكى ثم سجد فبكى ثم رفع راسه فبكى فلم يزل
كذلك حتى جاء بلال فآذنه بالصلاة فقلت يا رسول الله وما يبكيك وقد غفر الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر قال افلا اكون
عبدا شكورا ولم لا افعل وقد انزل الله تعالى علي ان في خلق السموات والارض الآية وهذا يدل على ان البكاء لا ينقطع ابدا والى هذا السر
يشير ما روي انه مر بعض الانبياء بحجر صغير يخرج منه ماء كثير فتعجب فانطقه الله تعالى فقال منذ سمعت قوله تعالى وقودها
الناس والحجارة انا ابكي من خوفه فسال الله تعالى ان يجيره من النار فاجاره ثم رآه بعد مدة مثل ذلك فقال له لم تبكي الآن فقال
ذلك بكاء الخوف وهذا بكاء الشكر والسرور وقلب العبد كالحجارة او اشد قسوة ولا تزول قسوتها الا بالبكاء في حال الخوف والشكر
جميعا وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ينادي يوم القيامة ليقم الحمادون فيقوم زمرة فينصب لهم لواء فيدخلون الجنة قيل
ومن الحمادون قال الذين يشكرون الله على كل حال وفي لفظ آخر على السراء والضراء وقال صلى الله عليه وسلم الحمد رداء الرحمن
واوحى الله الى ايوب عليه السلام اني رضيت بالشكر مكافاة من اوليائي في كلام طويل واوحى الله ايضا في صفة الصابرين ان دارهم دار
السلام اذا دخلوها الهمتهم الشكر وهو خير الكلام وعند الشكر استزيدهم وبالنظر الي ازيدهم ولما نزل في الكنوز ما نزل قال عمر اي المال
نتخذ يا رسول الله فقال عليه الصلاة والسلام ليتخذ احدكم لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا امرا باقتناء القلب الشاكر بدلا عن المال وقال ابن
مسعود رضي الله عنه الشكر نصف الايمان **بيان حد الشكر وحقيقته** اعلم ان الشكر من جملة مقامات السالكين وهو ايضا
ينتظم من علم وحال وعمل فالعلم هو الاصل فيورث الحال والحال يورث العمل اما العلم فهو معرفة النعمة من المنعم والحال هو الفرح الحاصل
بانعامه والعمل هو القيام بما هو مقصود المنعم ومحبوبه ويتعلق ذلك العمل بالقلب وبالجوارح وباللسان ولا بد من بيان جميع ذلك ليحصل
بمجموعه الاحاطة بحقيقة الشكر فان كل ما قيل في حد الشكر قاصر عن الاحاطة بكمال معانيه فالاصل الاول العلم وهو علم ثلاثة امور
بعين النعمة ووجه كونها نعمة في حقه وبذات المنعم ووجود صفاته التي بها يتم الانعام ويصدر الانعام منه عليه فانه لا بد من نعمة
ومنعم ومنعم عليه يصل اليه النعمة من المنعم بقصد وارادة فهذه الامور لا بد من معرفتها هذا في حق غير الله فاما في حق الله فلا يتم الا بان يعرف
ان النعم كلها من الله وانه هو المنعم والوسائط مسخرون من جهته وهذه المعرفة وراء التقديس والتوحيد اذ دخل التقديس والتوحيد فيها

بل الرتبة الاولى من معارف الايمان التقديس ثم اذا عرف ذاتا مقدسة فيعرف انه لا مقدس الا واحد وما عداه غير مقدس
وهو التوحيد ثم يعلم ان كل ما في العالم فهو موجود من ذلك الواحد فقط والكل نعمة منه فيقع هذه المعرفة في الرتبة الثالثة
اذ ينطوي فيها مع التقديس والتوحيد كمال القدرة والانفراد بالفعل وعن هذا عبر رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال من قال سبحان
الله فله عشر حسنات ومن قال لا اله الا الله فله عشرون ومن قال الحمد لله فله ثلثون حسنة وقال افضل الذكر لا اله الا الله وافضل الدعاء
الحمد لله وقال ليس شيء من الاذكار يضاعف ما يضاعف الحمد لله ولا تظنن ان هذه الحسنات بازاء تحريك اللسان بهذه الكلمات من غير
حصول معانيها في القلب فسبحان الله كلمة تدل على التقديس ولا اله الا الله تدل على التوحيد والحمد لله تدل على معرفة النعمة من الواحد الحق
فالحسنات بازاء هذه المعارف التي هي من ابواب الايمان واليقين واعلم ان هذه المعرفة تنفي الشرك في الافعال فمن انعم عليه ملك من الملوك
بشيء فان راى لوزيره او لوكيله دخلا في ايصال ذلك واتصاله اليه فهو اشراك له في النعمة فلا يرى النعمة من الملك من كل وجه بل منه
بوجه ومن غيره بوجه فيتوزع فرحه عليهما فلا يكون موحدا في حق الملك نعم لا ينقص عن توحيده في حق الملك وكمال شكره ان يرى النعمة
الواصلة اليه بتوقيعه الذي كتبه بقلمه وبالكاغد الذي كتبه عليه فانه لا يفرح بالقلم والكاغد ولا يشكرهما لانه لا يثبت لهما دخلا
من حيث هما موجودان في نفسهما بل من حيث هما مسخران تحت قدرته وقد يعلم ان الوكيل الموصل والخازن ايضا مضطر من جهة الملك
في الايصال وانه لو رد الامر اليه ولم يكن من جهة الملك ارهاق وامر جزم يخاف عاقبته لما سلمه فاذا عرف كان نظره الى الخازن الموصل
كنظره الى القلم والكاغد فلا يورث ذلك شركا في توحيده من اضافة النعمة الى الملك فكذلك من عرف الله وعرف افعاله علم ان الشمس
والقمر والنجوم مسخرات بامره كالقلم مثلا في يد الكاتب فان الحيوانات التي لها اختيار مسخرات بامره في نفس اختيارها فان الله هو
المسلط للدواعي عليها لتفعل شاءت ام ابت كالخازن المضطر الذي لا يجد سبيلا الى مخالفة الملك ولو خلي ونفسه لما اعطاك ذرة
مما في يده فكل من وصلت نعمة الله اليك على يده فهو مضطر اذ سلط الله عليه الارادة وهيج عليه الدواعي والقى في قلبه ان خيره في الدنيا
والاخرة في ان يعطيك ما اعطاك وان غرضه المقصود عنده في الحال والمال لا يحصل الا به وبعد ما خلق الله تعالى له هذا الاعتقاد
لا يجد له سبيلا الى تركه فهو اذن انما يعطيك لغرض نفسه لا لغرضك ولو لم يكن غرضه في العطاء لما اعطاك ولو لم يعلم ان منفعته
في منفعتك لما نفعك فهو اذن انما يطلب نفع نفسه بنفعك فليس منعما عليك بل اتخذك وسيلة الى نعمة اخرى هو يرجوها وانما
الذي انعم عليك هو الذي سخره لك والقى في قلبه من الاعتقادات والارادات ما صار به مضطرا الى الايصال اليك فان عرفت الامور
كذلك فقد عرفت الله وعرفت فعله وكنت موحدا وقدرت على شكره بل كنت بهذه المعرفة بمجردها شاكرا ولذلك قال موسى في مناجاته
الهي خلقت ادم بيدك وفعلت وفعلت فكيف شكرك فقال علم ان ذلك مني فكانت معرفته شكرا فاذن لا تشكر الا بان تعرف ان الكل منه
وان خالجك ريب في هذا لم تكن عارفا لا بالنعمة ولا بالمنعم ولا تفرح بالمنعم وحده بل بغيره فبنقصان معرفتك ينقص حالك في الفرح و
بنقصان فرحك ينقص عملك فهذا بيان هذا الاصل الاصل الثاني الحال المستمدة من اصل المعرفة وهو الفرح بالمنعم مع
هيئة الخضوع والتواضع وهو ايضا في نفسه شكر على تجرده كما ان المعرفة شكر ولكن انما يكون شكرا اذا كان جامعا شروطه وشرطه ان
يكون فرحك بالمنعم لا بالنعمة ولا بالانعام ولعل هذا مما يتعذر عليك فهمه فنضرب لك مثلا فنقول الملك الذي يريد الخروج الى سفر
فانعم بفرس على انسان يتصور ان يفرح المنعم عليه بالفرس من ثلاثة اوجه احدها ان يفرح بالفرس من حيث انه فرس وانه مال ينتفع به
ومركوب يوافق غرضه وانه جواد نفيس وهذا فرح من لا حظ له في الملك بل غرضه الفرس فقط ولو وجده في صحراء واخذه لكان فرحه
مثل هذا الفرح والحال الثاني ان يفرح به لا من حيث انه فرس بل من حيث يستدل به على عناية الملك به وشفقته عليه واهتمامه بجانبه

حتى لو وجد هذا الفرس في صحراء او اعطاه اياه غير الملك لكان لا يفرح به اصلا لاستغنائه عن الفرس اصلا او استحقاره
له بالاضافة الى مطلوبه من نيل المحل في قلب الملك الوجه الثالث ان يفرح به ليركبه فيخرج في خدمة الملك ويحتمل مشقة
السفر لينال بخدمته رتبة القرب منه وربما يرتقي الى درجة الوزارة من حيث انه ليس يقنع بان يكون محله في قلب الملك ان يعطيه فرسا
ويعتني به هذا القدر من العناية بل هو طالب لان لا ينعم الملك بشيء من ماله على احد الا بواسطته ثم انه ليس يريد من الوزارة الوزارة
ايضا بل مشاهدة الملك والقرب منه حتى لو خير بين القرب دون الوزارة وبين الوزارة دون القرب لاختار القرب فهذه
ثلث درجات فالاولى لا يدخل فيه معنى الشكر اصلا لان نظر صاحبه مقصور على الفرس فهو فرح بالفرس لا بالمعطي وهذا حال كل
من فرح بنعمة من حيث انها لذيذة وموافقة لغرضه فهو بعيد عن معنى الشكر والثاني داخل في معنى الشكر من حيث انه فرح بالمنعم
ولكن لا من حيث ذاته بل من حيث معرفة عنايته التي تستحثه على الانعام في المستقبل وهذا حال
الصالحين الذين يعبدون الله ويشكرونه خوفا من عقابه ورجاء لثوابه وانما الشكر التام في الفرح الثالث وهو ان يكون
فرح العبد بنعمة الله من حيث انه بها يقدر على التوصل الى القرب منه والنزول في جواره والنظر الى وجهه على الدوام فهذا هو
الرتبة العليا وامارته انه لا يفرح من الدنيا الا بما هو مزرعة الاخرة ويعينه عليه ويحزن بكل نعمة تلهيه عن ذكر الله وتصده
عن سبيله لانه ليس يريد النعمة لانها لذيذة كما لم يرد صاحب الفرس الفرس لانه جواد ومهملج بل من حيث يحمله في صحبة الملك حتى
تدوم مشاهدته له وقربه منه ولذلك قال الشبلي الشكر رؤية المنعم لا رؤية النعمة وقال الخواص شكر العامة على المطعم
والملبس وشكر الخاصة على واردات القلوب وهذه رتبة لا يدركها كل من انحصرت عنده اللذات في البطن والفرج ومدركات
الحواس من الالوان والاصوات وخلا عن لذة القلب فان القلب لا يلتذ في حالة الصحة الا بذكر الله ومعرفته ولقائه
وانما يلتذ بغيره اذا مرض بسوء العادات كما يلتذ بعض الناس باكل الطين وكما يستبشع بعض المرضى الاشياء الحلوة ويستحلي
الاشياء المرة حتى قيل ومن يك ذا فم مر مريض يجد مرا به الماء الزلالا فاذن هذا شرط الفرح بنعمة الله فان لم يكن اهل
نعمى وان لم يكن هذا فالدرجة الثانية اما الاولى فخارجة عن كل حساب فكم من فرق بين من يريد الملك للفرس وبين من يريد الفرس
للملك وكم من فرق بين من يريد الله لينعم عليه وبين من يريد نعم الله ليصل بها اليه الاصل الثالث العمل بموجب الفرح الحاصل
من معرفة المنعم وهذا العمل يتعلق بالقلب وباللسان والجوارح اما بالقلب فقصد الخير واضماره لكافة الخلق واما باللسان
فاظهار الشكر لله بالتحميدات الدالة عليه واما بالجوارح فاستعمال نعم الله في طاعته والتوقي من الاستعانة بها على
معصيته حتى ان شكر العينين ان يستر كل عيب يراه لمسلم وشكر السمع ان يستر كل عيب يسمعه لمسلم فيدخل هذا في شكر نعمة هذه الاعضاء
والشكر باللسان لاظهار الرضا عن الله وهو مامور به وقد قال صلى الله عليه وسلم لرجل كيف اصبحت فقال بخير فاعاد السؤال
فاعاد الجواب حتى قال في الثالثة بخير احمد الله واشكره فقال هذا الذي اردت منك وكان السلف يتساءلون ونيتهم استخراج
الشكر عن الله ليكون الشاكر مطيعا والمستنطق له به مطيعا وما كان قصدهم الرياء باظهار الشوق فكل عبد يسئل عن حال
فهو بين ان يشكر او يشكو او يسكت فالشكر طاعة والشكوى معصية قبيحة من اهل الدين وكيف لا تقبح الشكوى من ملك الملوك
وبيده كل شيء الى عبد مملوك لا يقدر على شيء فالاحرى بالعبد ان لم يحسن الصبر على البلاء والقضاء وافضى به الضعف الى الشكوى ان
تكون شكواه الى الله تعالى فهو المبلي وهو القادر على ازالة البلاء فذل العبد لمولاه عز والشكوى الى غيره ذل واظهار الذل للعبد مع كونه
مثله قبيح قال الله سبحانه ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق وقال ان الذين

تدعون من دون الله عباد امثالكم فالشكر باللسان من جملة الشكر وقد روى ان وفدا قدموا على عمر بن عبد العزيز فقام شاب
منهم ليتكلم فقال عمر الكبر الكبر فقال يا امير المؤمنين لو كان الامر بالسن لكان في المسلمين من هو اسن منك فقال تكلم فقال لسنا
وفد الرغبة ولا وفد الرهبة اما الرغبة فقد اوصلها الينا فضلك واما الرهبة فقد امننا منها عدلك وانما نحن وفد الشكر
جئناك نشكرك باللسان وننصرف فهذه هي اصول معاني الشكر المحيطة بمجموع الشكر حقيقته واما قول من قال ان الشكر هو الاعتراف
بنعمة المنعم على وجه الخضوع فهو نظر الى فعل اللسان مع بعض احوال القلب وقول من قال ان الشكر هو الثنا على المحسن بذكر احسانه نظر
الى مجرد عمل اللسان وقول القائل ان الشكر هو اعتكاف على بساط الشهود بادامة حفظ الحرمة جامع لاكثر معاني الشكر لا يشذ منه الا
عمل اللسان وقول حمدون القصار شكر النعمة ان ترى نفسك فيها طفيليا اشارة الى معنى المعرفة من معاني الشكر فقط وقول
الجنيد الشكر ان لا ترى نفسك اهلا للنعمة اشارة الى حال من احوال القلب على الخصوص وهولاء اقوالهم تعرب عن احوالهم ولذلك
تختلف اجوبتهم ولا تتفق ثم قد تختلف جواب كل واحد في حالتين لانهم لا يتكلمون الا عن حالهم الغالبة عليهم اشتغالا بما يهمهم عما
لا يهمهم او تكلموا بما يرونه لائقا بحال السائل اقتصارا على ذكر القدر الذي يحتاج اليه واعراضا عما لا يحتاج اليه فلا ينبغي
ان تظن ان ما ذكرناه طعن عليهم وانه لو عرض عليهم جوامع المعاني التي شرحناها كانوا ينكرونها بل لا يظن ذلك بعاقل اصلا
الا ان تعرض منازعة من حيث اللفظ في ان اسم الشكر في وضع اللسان هل يشمل جميع المعاني ام يتناول بعضها مقصودا وبقية
المعاني يكون من توابعها ولوازمها ولسنا نقصد في هذا الكتاب شرح موضوعات اللغات فليس ذلك من علم طريق الآخرة في شي

بيان طريق كشف الغطاء عن الشكر في حق الله تعالى لعله يخطر ببالك ان الشكر انما يعقل في حق منعم هو صاحب حظ في الشكر
فانا نشكر الملوك اما بالثناء ليزيد محلهم في القلوب ويظهر كرمهم عند الناس فيزيد به صيتهم وجاههم او بالخدمة التي هي اعانة
لهم على بعض اغراضهم او بالمثول بين ايديهم في صورة الخدم وذلك تكثير لسوادهم وسبب لزيادة جاههم فلا يكون شاكرا لهم الا بشي من
من ذلك وهذا محال في حق الله تعالى من وجهين احدهما ان الله سبحانه منزه عن الحظوظ والاغراض مقدس عن الحاجة الى الخدمة والاعانة
وعن نشر الجاه والحشمة بالثنا والاطراء وعن تكثير سواد الخدم بالمثول بين يديه راكعا وساجدا فشكرنا اياه على ما لا حظ له فيه يضاهي
شكرنا الملك المنعم علينا بان ننام في بيوتنا او نسجد او نركع اذ لا حظ للملك فيه ولا حظ لله تعالى في افعالنا كلها. والوجه الثاني
ان جميع ما نتعاطاه باختيارنا فهو نعمة اخرى من نعم الله تعالى علينا اذ جوارحنا وقدرتنا وارادتنا وداعيتنا وسائر الامور التي هي
اسباب حركتنا من خلق الله تعالى ونعمته فكيف نشكر نعمة بنعمته ولو اعطانا الملك مركوبا فاخذنا مركوبا اخر له وركبناه او اعطانا
مركوبا اخر له وركبناه لم يكن شكرا للاول بل كان الثاني يحتاج الى الشكر كما يحتاج الاول ثم لا يمكن الشكر الا بنعمة اخرى فيؤدي
ذلك الى ان يكون الشكر محالا في حق الله تعالى من هذين الوجهين ولسنا نشك في الامرين جميعا والشرع قد ورد به فكيف السبيل الى
الجمع فاعلم ان هذا الخاطر قد خطر لداود صلى الله عليه وسلم وكذلك لموسى صلى الله عليه وسلم فقال يا رب كيف اشكرك وانا لا
استطيع ان اشكرك الا بنعمة ثانية من نعمك وفي لفظ اخر وشكري لك نعمة اخرى منك توجب علي الشكر لك فاوحى الله تعالى اليه
اذا عرفت هذا فقد شكرتني وفي خبر اخر اذا عرفت ان النعم مني فقد رضيت منك بذلك شكرا فان قلت فقد فهمت السؤال وفهمي قاصر
عن ادراك معنى ما اوحي اليهم فاني اعلم استحالة الشكر لله فاما كون العلم باستحالة الشكر شكرا فلا افهمه فان هذا العلم ايضا نعمة
فكيف صار شكرا وكان الحاصل يرجع الى ان من لم يشكر فقد شكر وان قبول الخلعة الثانية من الملك شكر للخلعة الاولى والفهم
قاصر عن درك السر فان امكن تعريف ذلك بمثال فهو مهم في نفسه فاعلم ان هذا قرع باب من المعارف هي اعلى من علوم المعاملة ولكنا

نشير منها الى ملامح ونقول ههنا نظران نظر بعين التوحيد المحض وهذا النظر يعرفك قطعا انه الشاكر وانه المشكور وانه المحب
وانه المحبوب وهذا نظر من عرف انه ليس في الوجود غيره وان كل شي هالك الا وجهه وان ذلك صدق في كل حال ازلا وابدا لان
الغير هو الذي يتصور ان يكون له بنفسه قوام ومثل هذا الغير لا وجود له بل هو محال ان يوجد اذ الموجود المحقق هو القائم بنفسه
وما ليس له بنفسه قوام فليس له بنفسه وجود بل هو قائم بغيره فهو موجود بغيره فان اعتبر ذاته ولم يلتفت الى غيره لم يكن له وجود
البتة وانما الموجود هو القائم بنفسه والقائم بنفسه هو الذي لو قدر عدم غيره فهو قيوم ولا قيوم الا واحد ولا يتصور ان
يكون غير ذلك فاذا ليس في الوجود غير الحي القيوم وهو الواحد الصمد فان نظرت من هذا المقام علمت ان الكل منه مصدره واليه
مرجعه فهو الشاكر وهو المشكور وهو المحب وهو المحبوب ومن هذا نظر حبيب بن ابي حبيب حيث قرأ قوله تعالى انا وجدناه
صابرا نعم العبد فقال واعجباه اعطى واثنى اشارة الى انه اذا اثنى على عطائه فعلى نفسه اثنى فهو المثني وهو المثنى عليه ومن نظر الشيخ
ابو سعيد الميهني حيث قرئ بين يديه يحبهم ويحبونه فقال لعمري يحبهم ودعه يحبهم فبحق يحبهم لانه انما يحب نفسه اشارة الى
انه المحب وانه المحبوب وهذه رتبة عالية لا تفهمها الا بمثال على حد عقلك ولا يخفى عليك ان المصنف اذا احب تصنيفه فقد
احب نفسه والصانع اذا احب صنعته فقد احب نفسه وكل ما في الوجود سوى الله فهو تصنيف الله وصنعه فان احبه
فما احب الا نفسه واذا لم يحب الا نفسه فبحق احب ما احب وهذا كله نظر بعين التوحيد وتعبر الصوفية عن هذه الحالة بفناء
النفس اي فني عن نفسه وعن غير الله فلم ير الا الله تعالى فمن لا يفهم هذا ينكر عليهم ويقول كيف فني وطول ظله اربع اذرع ولعله
ياكل في يوم ارطالا من الخبز فيضحك عليهم الجهال لجهلهم بمعاني كلامهم وصورة العارفين ان يكونوا ضحكة للجاهلين واليه
الاشارة بقوله تعالى ان الذين اجرموا كانوا من الذين امنوا يضحكون واذا مروا بهم يتغامزون واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فكهين
وما ارسلوا عليهم حافظين ثم بين ان ضحك العارفين عليهم اعظم اذ قال فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون وكذلك امة
نوح كانوا يضحكون عليه عند اشتغاله بعمل السفينة فقال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون فهذا احد النظرين
النظر الثاني نظر من لم يبلغ الى مقام الفناء عن نفسه وهؤلاء قسمان قسم لم يثبتوا الا وجود انفسهم وانكروا ان يكون
لهم رب يعبد فهؤلاء هم العميان المنكوسون وعماهم في كلتا العينين لانهم نفوا ما هو الثابت تحقيقا وهو القيوم الذي هو قائم بنفسه
وقائم على كل نفس بما كسبت وكل قائم فقائم به ولم يقتصروا على هذا حتى اثبتوا انفسهم ولو عرفوا لعلموا انهم من حيث هم لا ثبات لهم
ولا وجود لهم وانما وجودهم من حيث اوجدوا لا من حيث وجدوا وفرق بين الموجود وبين الموجد وليس في الوجود الا موجود
واحد وموجد فالموجود حق والموجد باطل من حيث هو هو والموجود قائم وقيوم والموجد هالك وفان واذا كان كل من
عليها فان فلا يبقى الا وجه ربك ذي الجلال والاكرام. الفريق الثاني ليس بهم عمى ولكن بهم عور لانهم يبصرون باحدى العينين
وجود الموجود الحق فلا ينكرونه والعين الاخرى ان تم عماها لم يبصر بها فناء غير الموجود الحق فاثبت موجودا اخر مع الله
وهذا مشرك تحقيقا كما كان الذي قبله جاحدا تحقيقا فان جاوز حد العمى الى العمش ادرك تفاوتا بين الموجودين فاثبت عبدا
وراى فيه هذا القدر من اثبات التفاوت والنقص من الموجود الاخر دخل في حد التوحيد ثم ان اكتحل بصره بما يزيد في انواره فيقل
عمشه وبقدر ما يزيد في بصره يظهر له من نقصان ما اثبته سوى الله تعالى فكذلك فلا يزال يفضي به النقصان الى المحق فينمحي عن رؤيته
ما سوى الله فلا يرى الا الله فيكون قد بلغ كمال التوحيد ومن حيث ادرك نقصا في وجود ما سوى الله دخل في اوائل التوحيد وبينهما
درجات لا تحصى فيها تتفاوت درجات الموحدين وكتب الله تعالى المنزلة على لسان رسله هي الكحل الذي به تحصيل انوار الابصار

بل من وجود فان كان من قيامه بنفسه فيقوم بوجوده وجود غيره

والانبياء هم الكاملون وقد جاؤا داعين الى التوحيد المحض وترجمته قول لا اله الا الله ومعناه انه لا يرى الا الواحد الحق والواصلون
الى كمال التوحيد هم الاقلون والجاحدون والمشركون ايضاً قليلون وهم على الطرف الاقصى المقابل لطرف التوحيد اذ
عبدة الاوثان قالوا انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى فكانوا داخلين في اوائل ابواب التوحيد دخولاً ضعيفاً والمتوسطون
هم الاكثرون وفيهم من تنفتح بصيرته في بعض الاحوال فتلوح له حقائق التوحيد ولكن كالبرق الخاطف لا يثبت وفيهم من يلوح
له ذلك ويثبت زماناً ولكن لا يدوم والدوام فيه عزيز — لكل الى شأو العلى حركات ... ولكن عزيز في الرجال ثبات
ولما امر صلى الله عليه وسلم بطلب القرب في قوله واسجد واقترب قال في سجوده اعوذ بعفوك من عقابك واعوذ برضاك
من سخطك واعوذ بك منك لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك فقوله اعوذ بعفوك من عقابك كلام عن مشاهدة
فعل الله فقط فكانه لم ير الا الله وافعاله فاستعاذ بفعله من فعله ثم اقترب ففني عن مشاهدة الافعال وهي الصفات فقال اعوذ
برضاك من سخطك وهما صفتان ثم رأى ذلك نقصاناً في التوحيد فاقترب وترقى من مشاهدة الصفات الى مشاهدة الذات فقال
اعوذ بك منك وهذا فرار منه اليه من غير رؤية فعل وصفة ولكنه رأى نفسه فاراً منه اليه ومستعيذاً ومثنياً ففني عن مشاهدة
نفسه اذ رأى ذلك نقصاً واقترب فقال لا احصي ثناء عليك فقوله لا احصي خبر عن فناء نفسه وخروجه
عن مشاهدتها وقوله انت كما اثنيت على نفسك بيان انه المثني والمثنى عليه وان الكل منه بدأ واليه يعود وان كل شيء هالك الا
وجهه فكان اول مقامه نهاية مقام الموحدين وهو ان لا يرى الا الله وافعاله فيستعيذ من فعل الى فعل وانظر الى ما انتهى
نهايته اذ انتهى الى الواحد الحق حتى ارتفع من نظره ومشاهدته سوى الذات الحق ولقد كان صلى الله عليه وسلم لا يترقى من
رتبة الى اخرى الا ويرى الاولى بعداً بالاضافة الى الثانية فكان يستغفر الله من الاولى ويرى ذلك نقصاً في سلوكه وتقصيراً
في مقامه واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي في اليوم والليلة حتى استغفر الله سبعين مرة فكان
ذلك لترقيه الى سبعين مقاماً بعضها ابعد من بعض واولها وان كان مجاوزاً اقصى غايات الخلق ولكن كان نقصاناً بالاضافة
الى اواخرها فكان استغفاره لذلك ولما قالت له عائشة وراته يبكي في السجود قد غفر الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فما هذا البكاء
في السجود وما هذا الجهد الشديد قال افلا اكون عبداً شكوراً معناه افلا اكون طالباً للمزيد في المقامات فان الشكر سبب الزيادة
حيث قال تعالى لئن شكرتم لازيدنكم واذ قد تغلغلنا في بحار علوم المكاشفة فلنقبض العنان ولنرجع الى ما يليق بعلوم المعاملة
فنقول الانبياء بعثوا لدعوة الخلق الى كمال التوحيد الذي وصفناه ولكن بينهم وبين الوصول اليه مسافة بعيدة وعقبات شديدة
فانما الشرع كله تعريف طريق سلوك تلك المسافة وقطع تلك العقبات وعند ذلك يكون النظر عن مشاهدة اخرى ومقام اخر
ينطق في ذلك المقام وبالاضافة الى تلك المشاهدة الشكر والشاكر والمشكور ولا يعرف ذلك الا بالمثال فاقول يمكنك
ان تفهم ان ملكاً من الملوك يرسل الى عبد وقد بعد منه مركوباً وملبوساً ونقداً لاجل زاده في الطريق حتى يقطع به مسافة البعد
ويقرب من حضرة الملك ثم يكون له حالتان احداهما ان يكون قصده من وصول العبد الى حضرته ان يقوم ببعض مهماته ويكون له عناء
في خدمته والثانية ان لا يكون حظ في العبد ولا حاجة به اليه بل حضوره لا يزيد في ملكه لانه لا يقوى على القيام بخدمة تغني
منه غنى وغيبته لا تنقص ملكه فيكون قصده من الانعام عليه بالمركوب والزاد ان يحظى العبد بالقرب منه وينال سعادة حضرته
لينتفع هو في نفسه لا لينتفع الملك به وباشتغاله فينزل العباد من الله في المنزلة الثانية لا في المنزلة الاولى فان الاولى
فان الاولى محال على الله تعالى والثانية غير محال ثم اعلم ان العبد لا يكون شاكراً في الحالة الاولى بمجرد الركوب والوصول الى حضرته ما

ما لم يقم بخدمته التي اراده الملك منه واما الحالة الثانية فلا يحتاج الى الخدمة اصلاً ومع ذلك يتصور ان يكون
شاكراً وكافراً ويكون شكره بان يستعمل ما انفذه اليه مولاه فيما احبه لاجله لا لاجل نفسه وكفره ان لا يستعمل ذلك فيه بان يعطله
او يستعمله فيما يزيد في بعده منه فمهما لبس العبد وركب المركوب ولم ينفق الزاد الا في الطريق فقد شكر مولاه اذا استعمل نعمته في محبته
اي فيما احبه لعبده لا لنفسه وان ركبه واستدبر حضرته واخذ يبعد منه فقد كفر نعمته اي استعملها فيما كرهه مولاه لعبده لا لنفسه وان
جلس ولم يركب لا في طلب القرب ولا في طلب البعد فقد كفر ايضاً نعمته اذ اهملها وعطلها وان كان هذا دون ما لو تبعد منه فكذلك خلق الله سبحانه
الخلق وهم في ابتداء فطرتهم يحتاجون الى استعمال الشهوات لتكمل بها ابدانهم فيبعدون بها عن حضرته وانما سعادتهم في القرب منها فاعد لهم
من النعم ما يقدرون على استعمالها في نيل درجة القرب وعن قربهم وبعدهم عبر تعالى اذ قال لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ثم رددناه
اسفل سافلين الا الذين امنوا الاية فاذن نعم الله آلات يترقى بها العبد عن اسفل سافلين الى اعلى عليين خلقها الله تعالى لاجل العبد حتى ينال
بها سعادة القرب فالله غني عنه قرب او بعد والعبد فيه اما ان يستعمله في الطاعة فيكون قد شكر لموافقته محبة مولاه واما ان يستعمل في
معصيته فقد كفر لاقتحامه ما يكرهه مولاه ولا يرضاه فان الله لا يرضى لعباده الكفر والمعصية وان عطله فلم يستعمل في طاعة ولا في معصية
فهو كفران النعمة بالتضييع وكل ما خلق في الدنيا انما خلق آلة للعبد ليتوصل بها الى سعادة الاخرة ونيل القرب من الله فكل مطيع فهو بقدر
طاعته شاكر نعمة الله في الاسباب التي استعملها في الطاعة وكل كسلان ترك الاستعمال او عاص استعمل في طريق البعد فهو كافر جاحد
في غير محبة الله فالمعصية والمعصية والطاعة تشملهما المشيئة ولا تشملهما المحبة والكراهة بل رب مراد محبوب ورب مراد مكروه ووراء
بيان هذه الدقيقة سر القدر الذي منع من افشائه وقد انحل بهذا الاشكال الاول فكيف يكون الشكر وبهذا ايضاً ينحل الثاني فانا لم نعن بالشكر
الا انصراف نعمة الله في جهة محبة الله فاذا انصرفت النعمة في جهة المحبة بفعل الله تعالى فقد حصل المراد وفعلك عطاء من الله سبحانه وحيث
انت محله فقد اثنى عليك وثناؤه نعمة اخرى منه اليك فهو الذي اعطى وهو الذي اثنى وصار احد فعليه سبباً لانصراف فعله الثاني الى جهة محبته
فله الشكر على كل حال وانت موصوف بانك شاكر بمعنى انك موجد له كما انك موصوف بانك عارف وعالم لا بمعنى انك محل له وجد
بالقدرة الازلية فيك فوصفك بانك شاكر اثبات شيئية لك وانت شيء نجعلك خالق الاشياء وانما انت لا شيء اذا كنت انت انت
لنفسك شيئية من ذاتك فاما باعتبار النظر الى الذي جعل الاشياء شيئاً فانت شيء اذ جعلك شيئاً فان قطعت النظر عن جعله كنت لا شيء
تحقيقاً والى هذا اشار صلى الله عليه وسلم حيث قال اعملوا فكل ميسر لما خلق له لما قيل له ففيم العمل اذا كانت الاشياء قد فرغ منها من
قبل فتبين ان الخلق مجاري قدرة الله تعالى ومحل افعاله وان كانوا هم ايضاً من افعاله ولكن بعض افعاله محل للبعض فقوله اعملوا وان كان
جارياً على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم فهو فعل من افعاله وهو سبب لعلم الخلق بان العمل نافع وعلمهم فعل من افعاله والعلم سبب
لانبعاث داعية جازمة الى الحركة والطاعة وانبعاث الداعية ايضاً من افعال الله وهو سبب لحركة الاعضاء وهي ايضاً من افعال الله تعالى
ولكن بعض افعاله سبب لبعض اي الاول شرط للثاني كما كان خلق الجسم سبباً لخلق العرض اذ لا يخلق العرض قبله وخلق العبد شرط
لخلق العلم وخلق العلم شرط لخلق الارادة فالكل من افعال الله وبعضها سبب للبعض اي شرط ومعنى كونه شرطاً انه لا يستعد لقبول العلم
الحيوة الا جوهر ولا يستعد لقبول العلم الا ذو حيوة ولا لقبول الارادة الا ذو علم فيكون بعض افعاله سبباً للبعض بهذا المعنى لا بمعنى ان بعض
افعاله موجد لغيره بل ممهد شرط الحصول لغيره وهذا اذا حقق ارتقى الى درجة التوحيد الذي ذكرناه فان قلت فلم قال الله تعالى
اعملوا والا فانتم معاقبون ومذمومون على العصيان وما الينا شيء فكيف نذم وانما الكل الى الله فاعلم ان هذا القول من الله سبب
لحصول اعتقاد فينا والاعتقاد سبب لهيجان الخوف وهيجان الخوف سبب للوصول الى جوار الله والله تعالى مسبب الاسباب وهو مرتبها

خالق العلم وموجده ولكن بمعنى انك

ومن سبق له في الازل السعادة تيسر له هذه الاسباب بسلسلتها الى الجنة ويعبر عن مثله بان كلاً ميسر لما خلق له ومن لم يسبق له من
الله الحسنى بعد عن سماع كلام الله وكلام رسوله وكلام العلماء فاذا لم يسمع لم يعلم فاذا لم يعلم لم يخف فاذا لم يخف لم يترك الركون
الى الدنيا فاذا لم يترك الركون بقي في حزب الشيطان وان جهنم لموعدهم اجمعين فاذا عرفت تعجبت من قوم يقادون الى الجنة بالسلاسل
فما من احد الا وهو مقود الى الجنة بسلاسل الاسباب وهو تسليط العلم والخوف عليه وما من مخذول الا وهو مقود الى النار بالسلاسل
وهو تسليط الغفلة والغرور عليه فالمتقون يساقون الى الجنة قهراً والمجرمون يقادون الى النار قهراً ولا قاهر الا الواحد
القهار ولا قادر الا الملك الجبار واذا انكشف الغطاء عن اعين الغافلين فشاهدوا الامر كذلك سمعوا عند ذلك نداء المنادي
لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ولقد كان الملك لله الواحد القهار كل يوم لا ذلك اليوم فهو نبأ عما يتجدد للغافلين من كشف
الاحوال حيث لا ينفعهم الكشف فنعوذ بالله من الجهل والعمى فانه اصل اسباب الهلاك بيان تمييز ما يحبه الله عما يكرهه اعلم
ان فعل الشكر وترك الكفر لا يتم الا بمعرفة ما يحبه الله اذ معنى الشكر استعمال نعمه في محابه ومعنى الكفران نقيض ذلك اما بترك
الاستعمال او باستعماله في مكارهه ولتمييز ما يحبه الله عما يكرهه مدركان احدهما السمع ومستنده الآيات والاخبار
والثاني بصيرة القلب وهو النظر بعين الاعتبار وهذا الاخير عسير وهو لاجل ذلك عزيز فلذلك ارسل الله الرسل عليهم الصلوة
والسلام وسهل بهم الطريق على الخلق ومعرفة ذلك تنبني على معرفة جميع احكام الشرع في افعال العباد فمن لم يطلع على حكم
الشرع في جميع افعاله لم يمكنه القيام بحق الشكر اصلاً واما الثاني فهو النظر بعين الاعتبار فهو ادراك حكمة الله تعالى
في كل موجود خلقه اذ ما خلق شيئاً الا وفيه حكمة وتحت الحكمة مقصود وذلك المقصود هو المحبوب وتلك الحكمة منقسمة الى جلية
والى خفية اما الجلية فكالعلم بان الحكمة الحكم في خلق الشمس ان يحصل بها الليل والنهار فيكون النهار معاشاً والليل لباساً
فيتيسر الحركة عند الابصار والسكون عند الاستتار فهذا من جملة حكم الشمس لا كل الحكم بل فيها حكم اخرى كثيرة دقيقة وكذلك معرفة
الحكمة في الغيم ونزول الامطار وذلك لانشقاق الارض بانواع النبات مطعماً للخلق ومرعى للانعام وقد انطوى القرآن على جملة
من الحكمة الجلية التي تحتملها افهام الخلق دون الدقيق الذي يقصرون عن فهمه اذ قال تعالى انا صببنا الماء صباً ثم شققنا الارض شقاً
فانبتنا فيها حباً وعنباً واما الحكمة في سائر الكواكب السيارة منها والثوابت فخفية لا يطلع عليها كافة الخلق والقدر الذي
يحتمله فهم الخلق انها زينة للسماء لتستلذ العين بالنظر اليها واشار اليه قوله تعالى انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب
فجميع اجزاء العالم سماءها وكواكبها ورياحها وبحارها وجبالها ومعادنها ونباتها وحيواناتها واعضاء حيواناتها لا تخلو ذرة من
ذراتها عن حكم كثيرة من حكمة واحدة الى عشرة الى الف وكذلك اعضاء الحيوان تنقسم الى ما يعرف حكمتها كالعلم بان العين للابصار لا
للبطش واليد للبطش لا للمشي والرجل للمشي لا للشم واما الاعضاء الباطنة من الامعاء والمرارة والكلية والكبد وآحاد العروق
والاعصاب والعضلات وما فيها من التجاويف والالتفاف والاشتباك والانحراف والدقة والغلظ وسائر الصفات فلا تعرف
الحكمة فيها كافة الناس والذين يعرفونها لا يعرفون منها الا قدراً يسيراً بالاضافة الى ما في علم الله وما اوتيتم من العلم الا قليلا
فاذن كل من استعمل شيئاً في جهة غير الجهة التي خلق له ولا على الوجه الذي اريد به فقد كفر نعمة الله فيه فمن ضرب غيره بيده فقد
كفر نعمة الله تعالى في اليد اذ خلقت له اليد ليدفع بها عن نفسه ما يهلكه ويأخذ بها ما ينفعه لا ليهلك بها غيره ومن نظر الى وجه غير
محرم فقد كفر نعمة العين ونعمة الشمس اذ الابصار يتم بهما وانما خلقتا ليبصر بهما ما ينفعه في دينه ودنياه ويتقي بهما ما يضره
فيهما فقد استعملهما في غير ما اريد بهما وهذا لان المراد من خلق الارض والسماء وخلق الدنيا واسبابها ان يستعين الخلق بها على

على الوصول الى الله ولا وصول الى الله الا بمحبته والانس به في الدنيا والتجافي عن غرور الدنيا ولا انس الا بدوام الذكر ولا
محبة الا بالمعرفة الحاصلة بدوام الفكر ولا يمكن دوام الذكر والفكر الا بدوام البدن ولا يبقى البدن الا بالارض والماء والهواء
والغذاء ولا يتم ذلك الا بخلق السماء والارض وخلق سائر الاعضاء ظاهراً وباطناً فكل ذلك لاجل البدن والبدن مطية النفس والراجع
الى الله هي النفس المطمئنة بطول العبادة والمعرفة ولذلك قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فكل من استعمل شيئاً في غير
طاعة الله فقد كفر نعمة الله في جميع الاسباب التي لا بد منها لاقدامه على تلك المعصية ولنذكر مثالاً واحداً للحكمة الخفية التي ليست
في غاية الخفاء حتى تعتبر وتعلم بطريق الشكر والكفران على النعم فنقول من نعم الله تعالى خلق الدراهم والدنانير وبهما قوام الدنيا
وهما حجران لا منفعة في اعيانهما ولكن يضطر الخلق اليهما من حيث ان كل انسان محتاج الى اعيان كثيرة في مطعمه وملبسه وسائر حاجاته
وقد يعجز عما يحتاج اليه ويملك ما يستغني عنه كمن يملك الزعفران مثلاً وهو يحتاج الى جمل يركبه ومن يملك الجمل ربما يستغني عنه
ويحتاج الى الزعفران فلا بد بينهما من معاوضة ولا بد في مقدار العوض من تقدير اذ لا يبذل صاحب الجمل جمله بكل مقدار من الزعفران
ولا مناسبة بين الزعفران والجمل حتى يقال يعطى منه مثله في الوزن او الصورة وكذا من يشتري داراً بثياب او عبداً بخف او دقيقاً
بحمار فهذه الاشياء لا تناسب فيها فلا يدري ان الجمل كم يسوى بالزعفران فتتعذر المعاملات جداً فافتقرت هذه الاعيان المتنافرة
المتباعدة الى متوسط بينهما يحكم فيها بحكم عدل فيعرف من كل واحد رتبته ومنزلته حتى اذا تقررت المنازل وترتبت الرتب
علم بعد ذلك المساوي من غير المساوي فخلق الله الدنانير والدراهم حاكمين ومتوسطين بين سائر الاموال حتى تقدر الاموال
بهما فيقال هذا الجمل يسوى مائة وهذا القدر من الزعفران يسوى مائة فهما من حيث انهما مساويان لشيء واحد اذن متساويان
وانما امكن التعديل بالنقدين اذ لا غرض في اعيانهما ولو كان في اعيانهما غرض ربما اقتضى خصوص ذلك الغرض في حق صاحب الغرض
ترجيحاً ولم يقتض ذلك في حق من لا غرض له فلا ينتظم الامر فاذن خلقهما الله تعالى لتتداولهما الايدي ويكونا حاكمين بين الاموال
بالعدل ولحكمة اخرى وهو التوسل بهما الى سائر الاشياء لانهما عزيزان في انفسهما ولا غرض في اعيانهما ونسبتهما الى سائر الاموال
الاموال نسبة واحدة فمن ملكهما فكأنه ملك كل شيء لا كمن ملك ثوباً فانه لم يملك الا الثوب فلو احتاج الى طعام ربما لم يرغب
صاحب الطعام في الثوب اذ لا غرض له فيه فاحتاج الى شيء هو في صورته كانه ليس بشيء وهو في معناه كانه كل الاشياء والشيء انما تستوي
نسبته الى المختلفات اذا لم يكن له صورة خاصة يفيدها بخصوصها كالمرآة لا لون لها وتحكي كل لون فكذلك النقد لا غرض
فيه وهو وسيلة الى كل غرض وكالحرف لا معنى له في نفسه وتظهر به المعاني في غيره وهذه هي الحكمة الثانية وفيهما ايضاً حكم
يطول ذكرها فكل من عمل فيهما عملاً لا يليق بالحكمة بل يخالف الغرض المقصود بالحكمة فقد كفر نعمة الله فيهما وكان كمن حبس حاكم المسلمين يمتنع
عليه الحكم بسببه لانه اذا كنز فقد ضيع ولا يحصل الغرض المقصود به وما خلقت الدراهم لزيد خاصة ولعمرو خاصة اذ لا غرض
للآحاد في اعيانهما فانهما حجران انما خلقا لتتداولهما الايدي فيكونا حاكمين بين الناس وعلامة معرفة للمقادير مقومة للمراتب
فاخبر الله الذين يعجزون عن قراءة الاسطر الالهية المكتوبة على صفحات الموجودات بخط الهي لا حرف فيه ولا صوت الذي
لا يدرك بعين البصر بل بعين البصيرة اخبرهم بكلام سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى وصل اليهم بواسطة الحرف والصوت
المعنى الذي عجزوا عن ادراكه فقال والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم فكل من اتخذ
من الدراهم والدنانير آنية من فضة او ذهب فقد كفر النعمة وكان اسوأ حالاً ممن كنزها لان مثال هذا مثال من استسخر حاكم البلد في الحياكة

والكتب والاعمال التي يقوم بها آحاد الناس فالجنس اهون منه وذلك ان الخزف والحديد والرصاص والنحاس ينوب مناب الذهب
والفضة في حفظ المائعات عن ان تتبدد وانما الاواني لحفظ المائعات ولا يكفي الخزف والحديد في المقصود الذي اريد به
النقود فمن لم ينكشف له هذا انكشف له بالترجمة الالهية وقيل له من شرب في آنية ذهب او فضة فانما يجرجر في بطنه نار جهنم
وكل من عامل معاملة الربا على الدراهم والدنانير فقد كفر النعمة وظلم لانهما خلقا لغيرهما لا لانفسهما اذ لا غرض في عينهما
فاذا اتجر في عينهما فقد اتخذهما مقصودا على خلاف وضع الحكمة اذ طلب النقد لغير ما وضع له ظلم ومن معه ثوب ولا نقد معه فقد
لا يقدر على ان يشتري به طعاما ودابة اذ ربما لا يباع الطعام والدابة بالثوب فهو معذور في بيعه بنقد آخر ليحصل النقد فيتوصل
به الى مقصوده فانهما وسيلتان الى الغير لا غرض في اعيانهما وموقعهما من الاموال كموقع الحرف من الكلام كما قال النحويون الحرف
هو الذي جاء لمعنى في غيره وكموقع المرآة من الالوان فاما من معه نقد فلو جاز له ان يبيعه بالنقد فيتخذ التعامل على النقد غاية
عمله فيبقى النقد مقيدا عنده وينزل منزلة المكنوز وتقييد الحاكم والبريد الموصل الى الغير ظلم كما ان حبسه ظلم فلا معنى
لبيع النقد بالنقد الا اتخاذ النقد مقصودا للادخار وهو ظلم فان قلت فلم جاز بيع احد النقدين بالاخر ولم جاز بيع الدرهم
بمثله فاعلم ان احد النقدين يخالف الاخر في مقصود التوصل اذ قد يتيسر التوصل باحدهما من حيث كثرته كالدراهم تتفرق في
الحاجات قليلا قليلا ففي المنع منه ما يشوش المقصود الخاص به وهو تيسير التوصل به الى غيره واما بيع الدرهم بدرهم يماثله فجائز
من حيث ان ذلك لا يرغب فيه عاقل مهما تساويا ولا يشتغل به تاجر فانه عبث يجري مجرى وضع الدرهم على الارض واخذه
ونحن لا نخاف على العقلاء ان يصرفوا اوقاتهم الى وضع الدراهم على الارض واخذها بعينها ولا نمنع مما لا تتشوق النفوس اليه الا ان
ان يكون احدهما اجود من الاخر وذلك ايضا لا يتصور جريانه اذ صاحب الجيد لا يرضى بمثله من الرديء فلا ينتظم العقد وان طلب
زيادة في الرديء فذلك مما يقصده ولا جرم نمنعه ونحكم بان جيدها ورديها سواء لان الجودة والرداءة ينبغي ان ينظر اليهما فيما
يقصد في عينه وما لا غرض في عينه فلا ينبغي ان ينظر الى مصارفات دقيقة في صفاته وانما الذي ظلم هو الذي ضرب النقود مختلفة
في الجودة والرداءة حتى صارت مقصودة في اعيانها وحقها ان لا تقصد واما اذا باع درهما بدرهم مثله نسيئة فانما لم يجز لانه لا
يقدم على هذا الا مسامح قاصد للاحسان وهو القرض وهو مكرمة مندوحة عنه لتبقى صورة المسامحة فيكون له حمد واجر والمعاوضة
لا حمد فيها ولا اجر فهو ايضا ظلم لانه اضاعة خصوص المسامحة واخراجها في معرض المعاوضة وكذلك الاطعمة خلقت ليتغذى بها
او يتداوى بها فلا ينبغي ان تصرف عن جهتها فان فتح باب المعاملة فيها يوجب تقييدها في الايدي ويؤخر عنها الاكل الذي اريد له
فما خلق الطعام الا ليؤكل والحاجة الى الاطعمة شديدة فينبغي ان تخرج عن يد المستغني عنها الى يد المحتاج ولا يتعامل على الاطعمة الا
الا مستغن عنها اذ من معه طعام فلم لا يأكله ان كان محتاجا ولم يجعله بضاعة تجارة فان جعله بضاعة تجارة فليبعه ممن يطلبه
بعوض غير الطعام ليكون محتاجا اليه فاما من يطلبه بعوض ذلك الطعام فهو ايضا مستغن عنه فلاجل هذا ورد في الشرع
لعن المحتكر وورد فيه من التشديدات ما ذكرناه في كتاب آداب الكسب نعم بائع البر بالتمر معذور اذ لا يسد احدهما مسد الاخر في
الغرض وبائع صاع من البر بصاع منه غير معذور ولكنه عابث فلا يحتاج الى منع لان النفوس لا تسمح به الا عند التفاوت في الجودة
ومقابلة الجيد بمثله من الرديء لا يرضى بها صاحب الجيد واما جيد برديئين فقد يقصد ولكن لما كانت الاطعمة من الضروريات والجيد
يساوي الرديء في اصل الفائدة ويخالفه في وجوه التنعم اسقط الشرع غرض التنعم فيما هو القوام فهذه حكمة الشرع في تحريم الربا وقد
انكشف لنا بعد الاعراض عن فن الفقه فليلحق هذا بفن الفقهيات فانه اقوى من جميع ما اوردناه في الخلافيات وبهذا يتضح

رجحان مذهب الشافعي في التخصيص بالاطعمة دون المكيلات اذ لو دخل الجص فيه لكان الثياب والدواب اولى بالدخول
ولولا الملح لكان مذهب مالك اقوى المذاهب فيه اذ خصصه بالاقوات ولكن كل معنى يرعاه الشرع فلا بد ان ينضبط
بحد وتحديد هذا كان ممكنا بالقوت وكان ممكنا بالمطعوم فرأى الشرع التحديد بجنس المطعوم احرى لكل ما هو ضرورة البقاء وتحديدات
الشرع قد تحيط باطراف لا يقوى فيها اصل المعنى الباعث على الحكم ولكن التحديد يقع كذلك بالضرورة ولو لم يحد لتحير الخلق في اتباع
جوهر المعنى مع اختلافه بالاحوال والاشخاص فمن المعنى بكمال قوته يختلف بالاحوال والاشخاص فيكون الحد ضروريا ولذلك
قال الله تعالى ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه ولان اصول هذه المعاني لا تختلف فيها الشرائع وانما تختلف في وجوه التحديد
كما يحد شرع عيسى تحريم الخمر بالسكر وقد حده شرعنا بكونه من جنس المسكر لان قليله يدعو الى كثيره والداخل في الحد وداخل
في التحريم بحكم الجنس كما دخل اصل المعنى بالحكمة الاصلية فهذا مثال واحد لحكمة خفية من حكم النقدين فينبغي ان يعتبر شكر النعمة
وكفرانها بهذا المثال فكل ما خلق لحكمة فلا ينبغي ان يصرف عنها ولا يعرف هذا الا من عرف الحكمة ومن اوتي الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا
ولكن لا تصادف جواهر الحكمة في قلوب هي مزابل الشهوات وملاعب الشياطين بل لا يتذكر الا اولوا الالباب ولذلك قال صلى الله عليه
وسلم لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الى ملكوت السماء واذا عرفت هذا المثال فقس عليه حركاتك وسكناتك وكل
فعل صادر منك فانه اما شكر واما كفران لا يتصور ان ينفك عنهما ونصف بعض ذلك في لسان الفقه الذي ينطق به عوام الخلق
بالكراهة وبعضه بالحظر وكل ذلك عند ارباب القلوب موصوف بالحظر فاقول مثلا لو استنجيت باليمين فقد كفرت نعمة اليدين
اذ خلق الله لك اليدين وجعل احدهما اقوى من الاخرى واستحق الاقوى بمزيد رجحان في الغالب التشريف والتفضيل اذ
تفضيل الناقص عدول عن العدل والله لا يأمر الا بالعدل ثم احوجك ان تعاطي اليدين الى اعمال بعضها شريفة كاخذ المصحف
وبعضها خسيسة كازالة النجاسة فاذا اخذت المصحف باليسار وازلت النجاسة باليمين فقد خصصت الشريف بما هو خسيس
فغضضت من حقه وظلمته وعدلت عن العدل وكذلك اذا بزقت مثلا في جهة القبلة او استقبلتها في قضاء الحاجة فقد
كفرت نعمة الله تعالى في خلق الجهات وخلق سعة العالم لانه خلق الجهات ليكون متسعك في حركاتك وقسم الجهات الى ما لم يشرفها
والى ما شرفها بان وضع فيها بيتا اضافه الى نفسه استمالة لقلبك اليه ليتقيد به قلبك فيتقيد بسببه بدنك في تلك الجهة
على هيئة الثبات والوقار اذا عبدت ربك وكذلك انقسمت افعالك الى ما هي شريفة كالطاعات والى ما هي خسيسة كقضاء
الحاجة ورمي البصاق فاذا رميته الى جهة القبلة فقد ظلمتها وكفرت نعمة الله تعالى عليك بوضع القبلة التي بوضعها
كمال عبادتك وكذلك اذا لبست خفك فابتدأت باليسرى فقد ظلمت لان الخف وقاية للرجل فللرجل فيه حظ والبداية في
الحظوظ ينبغي ان تكون بالاشرف فهو العدل والوفاء بالحكمة ونقيضه ظلم وكفران لنعمة الرجل والخف وهذا عند العارفين
كبيرة وان سماه الفقيه مكروها حتى ان بعضهم جمع اكرارا من الحنطة وكان يتصدق بها فسئل عن سببه فقال لبست المداس مرة فابتدأت
بالرجل اليسرى سهوا فاردت ان اكفره بالصدقة نعم الفقيه لا يقدر على تفخيم الامر في هذه الامور لانه مسكين بلي باصلاح العوام
الذين تقرب درجتهم من درجة الانعام وهم منغمسون في ظلمات اطم واعظم من ان تظهر امثال هذه الظلمات بالاضافة اليها
فقبيح ان يقال الذي شرب الخمر واخذ القدح بيساره فقد تعدى من وجهين احدهما الشرب والاخر الاخذ باليسار ومن باع
خمرا في وقت النداء يوم الجمعة فقبيح ان يقال خالف من وجهين احدهما بيع الخمر والاخر البيع في وقت النداء ومن قضى حاجته
في محراب المسجد مستدبرا للقبلة فقبيح ان يذكر ترك للادب في قضاء الحاجة من حيث لم يجعل القبلة على يمينه فالمعاصي كلها

لبعضها فوق بعض فيمحق بعضها في جنب البعض فالسيد قد يعاقب عبده اذا استعمل سكينه بغير اذنه ولكن لو قتل بذلك
السكين اعز اولاده لم يبق لاستعمال السكين بغير اذنه حكم ونكاية في نفسه فكل ما راعاه الانبياء عليهم الصلوة والاولياء من الادب
ونسامحنا به في الفقه مع العوام فسببه هذه الضرورة والا فكل هذه المكاره عدول عن العدل وكفران للنعمة ونقصان
عن الدرجة المبلغة للعبد الى درجات القرب نعم بعضها يؤثر في البعد بنقصان القرب والانحطاط المنزلة وبعضها يخرج بالكلية عن
القرب الى عالم البعد الذي هو مستقر الشياطين وكذلك من كسر غصنا من شجر من غير حاجة ناجزة مهمة ومن غير غرض صحيح فقد كفر
نعمة الله تعالى في خلق الاشجار وخلق اليد اما اليد فانها لم تخلق للعبث بل للطاعة والاعمال المعينة على الطاعة واما الشجر فانما خلقه الله
تعالى وخلق له العروق وساق اليه الماء وخلق فيه قوة الاغتذاء والنماء ليبلغ منتهى نشوه فينتفع به عباده فكسره قبل منتهى نشوه لا على وجه ينتفع
به عباده مخالفة لمقصود الحكمة وعدول عن العدل فان كان له غرض صحيح فله ذلك اذ الشجر والحيوان جعلا فداء لاغراض الانسان فانهما
جميعا فانيان هالكان فافناء الاخس في بقاء الاشرف مدة ما اقرب الى العدل من تضييعهما جميعا واليه الاشارة بقوله تعالى وسخر لكم
ما في الارض جميعا نعم ان كسر ذلك من ملك غيره فهو ظالم ايضا وان كان محتاجا اليه لان كل شجرة بعينها لا تفي لحاجات عباد الله كلهم
بل تفي لحاجة واحد ولو خصص واحد به من غير رجحان واختصاص كان ظلما وصاحب الاختصاص هو الذي حصل البذر ووضعه في الارض وساق
اليه الماء وقام بالتعهد فهو اولى من غيره فيترجح جانبه بذلك فان نبت ذلك في موات لا بسعي آدمي اختص بغرسه فلا بد من طلب
اختصاص آخر وهو السبق الى اخذه فللسابق خاصية السبق فالعدل ان يكون هو اولى به وعبر الفقهاء عن هذا الترجيح بالملك وهو مجاز محض اذ لا ملك
الا لملك الملوك الذي له ما في السموات والارض وكيف يكون العبد مالكا وهو في نفسه ليس يملك نفسه بل هو ملك غيره نعم الخلق عباد
الله والارض مائدة الله وقد اذن لهم بالاكل من مائدته بقدر حاجتهم كالملك ينصب مائدة لعبيده فمن اخذ لقمة بيده واحتوت عليها
براجمه فجاء عبد آخر واراد اخراجها من يده لم يمكن منه لا لان اللقمة صارت ملكا له بالاخذ باليد فان اليد وصاحب اليد ايضا مملوك
ولكن اذا كانت كل لقمة بعينها لا تفي بحاجة العبيد فالعدل في التخصيص عند حصول ضرب من الترجيح والاختصاص والاخذ اختصاص
فيه دبر العبد فمنع من لا يدلي بذلك الاختصاص عن مزاحمته عدل فهكذا ينبغي ان يفهم من الله في عباده ولذلك نقول من اخذ من اموال الدنيا
اكثر من حاجته وكنزه وامسكه وفي عباد الله من يحتاج اليه فهو ظالم وهو من الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله
وانما سبيل الله طاعته وزاد الخلق في طاعته اموال الدنيا اذ بها تندفع ضروراتهم وترتفع حاجاتهم نعم لا يدخل هذا في حد فتاوى
الفقه لان مقادير الحاجات خفية والنفوس في استشعار الفقر في الاستقبال مختلفة واواخر العمر غير معلوم فتكليف العوام ذلك
يجري مجرى تكليف الصبيان الوقار والتؤدة والسكوت عن كل كلام غير مهم وهم بحكم نقصانهم لا يطيقون فتركنا الاعتراض عليهم في اللعب
واللهو فيه اباحتنا اياهم ذلك لا يدل على ان اللهو واللعب حق فكذلك اباحتنا للعوام حفظ الاموال والاقتصار في الانفاق على قدر الزكوة
لضرورات ما جبلوا عليه من البخل لا يدل على انه غاية الحق وقد اشار اليه اذ قال ان يسألكموها فيحفكم تبخلوا اذ الحق الذي لا كدورة فيه
والعدل الذي لا ظلم فيه ان لا ياخذ احد من عباد الله من مال الله الا بقدر زاد الراكب فكل عباد الله ركاب لمطايا الابدان الى حضرة الملك
الديان فمن اخذ زيادة عليه ومنعه عن راكب آخر محتاج اليه فهو ظالم تارك للعدل وخارج عن مقصود الحكمة وكافر بنعمة الله تعالى عليه
بالقرآن والرسول عليه الصلوة والسلام والعقل وسائر الاسباب التي بها عرف ان ما سوى الله زاد الراكب ومال عليه في الدنيا فالآخرة
فمن فهم نعمة الله تعالى في جميع انواع الموجودات قدر على القيام بوظيفة الشكر واستقصاء ذلك يحتاج الى مجلدات ثم لا يفي الا بالقليل وانما
اوردنا هذا القدر ليعلم علة الصدق في قوله تعالى وقليل من عبادي الشكور وفرح ابليس لعنه الله بقوله ولا تجد اكثرهم شاكرين فلا يعرف

فلا يعرف معنى هذه الآية من لم يعرف هذا كله وامور اخر وراء هذه تستقصي الاعمار دون استقصاء مباديها واما تفسير الآية
ومعنى لفظها فيعرفه كل من يعرف اللغة وبهذا يتبين لك الفرق بين المعنى والتفسير فان قلت فقد رجع حاصل الكلام الى ان لله
تعالى حكمة في كل شيء وانه جعل بعض افعال العباد سببا لتمام تلك الحكمة وبلوغها غاية المراد منها وجعل بعض افعال العباد مانعا
من الحكمة تكمل وان مقتضى الحكمة حتى انساقت الحكمة الى غايتها فهو شكر وكلما خالفت ومنعت الاسباب من ان تنساق الى الغاية
المرادة بها فهو كفران وهذا كله مفهوم ولكن الاشكال باق وهو ان فعل العبد المنقسم الى ما تتم الحكمة والى ما يدفعها هو ايضا من
فعل الله فاين العبد في البين حتى يكون شاكرا مرة وكافرا اخرى فاعلم ان تمام التحقيق في هذا يستمد من بحر عظيم من علوم
المكاشفات وقد رمزنا فيما سبق الى تلويحات لمباديها ونحن الآن نعبر بعبارة وجيزة عن آخرها وغايتها يفهمها من عرف
منطق الطير ويجحدها من عجز عن الايضاع في السير فضلا عن ان يجول في جو الملكوت جولان فنقول ان لله سبحانه في جلاله وكبريائه
صفة عنها يصدر الخلق والاختراع حتى يعبر عنها بعبارة تدل على كنه جلالها وخصوص حقيقتها فلم يكن في العالم لها عبارة لعلو
شأنها وانحطاط رتبة واضعي اللغات عن ان يمتد طرفهم الى مبادي اشراقها فانخفض عن ذروتها ابصارهم كما تنخفض ابصار الخفافيش
عن نور الشمس لا لغموض في نور الشمس ولكن لضعف في ابصار الخفافيش فاضطر الذين فتحت ابصارهم لملاحظة جلالها الى ان يستعيروا
من حضيض عالم المتناطقين باللغات عبارة تفهم من مبادي حقائقها شيئا ضعيفا جدا فاستعاروا لها اسم القدرة فتجاسرنا
بسبب استعارتهم على النطق فقلنا لله تعالى صفة هي القدرة وعنها يصدر الخلق والاختراع ثم الخلق ينقسم في الوجود الى اقسام
وخصوص صفات ومصدر انقسامها واختصاصها بخصوص صفاتها صفة اخرى استعير لمثل الضرورة التي سبقت عبارة
المشيئة فهي توهم منها امرا مجملا عند المتناطقين باللغات التي هي حروف واصوات المتفاهمين بها وقصور لفظ المشيئة عن الدلالة
على كنه تلك الصفة وحقيقتها كقصور لفظ القدرة ثم انقسمت الافعال الصادرة من القدرة الى ما ينساق الى المنتهى الذي
هو غاية حكمتها والى ما يقف دون الغاية وكان لكل واحد نسبة الى صفة المشيئة لرجوعها الى الاختصاصات التي بها تتم القسمة
والاختلاف فاستعير لنسبة الواقف دون غايته عبارة الكراهة وقيل انهما جميعا داخلان في وصف المشيئة ولكن لكل واحد منهما
خاصية اخرى في النسبة توهم لفظ المحبة والكراهة امرا مجملا عند طالبي الفهم من الالفاظ واللغات ثم انقسم عباده الذين هم ايضا
من خلقه واختراعه الى من سبقت لهم في المشيئة الازلية ان يستعملهم لاستيفاء حكمته دون غايتها ويكون ذلك قهرا في حقهم
بتسليط الدواعي والبواعث عليهم والى من سبقت لهم في الازل ان يستعملهم لسياقة حكمته الى غايتها في بعض الامور فكان لكل واحد من
الفريقين نسبة الى المشيئة خاصة فاستعير لنسبة المستعملين في اتمام الحكمة بهم عبارة الرضا واستعير للذين استوقفهم اسباب
الحكمة دون غايتها عبارة الغضب وظهر على من غضب عليه في الازل فعل وقفت الحكمة به دون غايتها فاستعير له الكفران
واردف ذلك بنقمة اللعن والمذمة زيادة في النكال وظهر على من ارتضاه في الازل فعل انساقت بسببه الحكمة الى غايتها
فاستعير له عبارة الشكر واردف بخلعة الثناء والاطراء زيادة في الرضا والقبول والاقبال فكان الحاصل انه اعطى الجمال ثم اثنى
واعطى النكال ثم قبح وارذى وكان مثاله ان ينظف الملك عبده الوسخ عن اوساخه ثم يلبسه من محاسن لباسه فاذا تمم زينته
قال له يا جميل ما اجملك واجمل ثيابك وانظف وجهك فيكون بالحقيقة هو المجمل وهو المثني على الجمال وهو المثني عليه بكل حال
فكانه لم يثن من حيث المعنى الا على نفسه فانما العبد هدف الثناء من حيث الظاهر والصورة فهكذا كانت الامور في ازل الآزال
وهكذا تسلسلت الاسباب والمسببات بتقدير رب الارباب ومسبب الاسباب ولم يكن ذلك عن اتفاق وبخت بل عن ارادة وحكمة

وحكم حكماً جزماً استعير له لفظ القضاء وقيل انه كلمح البصر ففاضت بحار المقادير بحكم ذلك القضاء الجزم بما سبق به التقدير فاستعير لترتيب آحاد المقدرات بعضها على بعض لفظ القدر فكان لفظ القضاء بازاء الامر الواحد الكلي ولفظ القدر بازاء التفصيل المتمادي الى غير نهاية وقيل ان شيئاً من ذلك ليس خارجاً عن القضاء والقدر فخطر لبعض العباد ان القسمة لماذا اقتضت هذا التفصيل وكيف انتظم العدل مع هذا التفاوت والتفصيل وكان بعضهم لقصوره لا يطيق ملاحظة كيفية هذا الاجراء والاحتواء على مجامعه فالجموا عن عالم لم يطيقوا خوض غمرته بلجام المنع وقيل لهم اسكتوا فما لهذا خلقتم لا يسأل عما يفعل وهم يسألون وامتلأت بعضهم نوراً مقتبساً من نور الله في السموات والارض وكان زيتهم اولاً صافياً يكاد يضيء ولو لم تمسسه نار فمسته نار فاشتعل نوراً على نور فاشرقت اقطار الملكوت بين ايديهم بنور ربها فادركوا الامور كما هي عليه فقيل لهم تأدبوا بآداب الله واسكتوا واذا ذكر القدر فامسكوا فان للحيطان آذاناً وحولكم ضعفاء الابصار فسيروا بسير اضعفكم ولا تكشفوا حجاب الشمس لابصار الخفافيش فيكون ذلك سبب هلاككم فتخلقوا باخلاق الله وانزلوا الى سماء الدنيا من منتهى علوكم ليأنس بكم الضعفاء ويقتبسوا من بقايا انواركم المشرقة من وراء حجابكم كما يقتبس الخفافيش من بقايا نور الشمس والكواكب في جنح الليل فيحيا به حياة يحتملها شخصه وحاله وان كان لا يحيى به حياة المترددين في كمال نور الشمس وكونوا كمن قيل فيهم

شربنا شراباً طيباً عند طيب ... كذاك شراب الطيبين يطيب

شربنا واهرقنا على الارض فضله ... وللارض من كأس الكرام نصيب

فهكذا كان اول هذا الامر وآخره ولا تفهمه الا اذا كنت اهلاً له فتحت العين وابصرت فلا تحتاج الى قائد يقودك والاعمى يمكن ان يقاد ولكن الى حد ما فاذا ضاق الطريق وصار احد من السيف وادق من الشعر قدر الطير على ان يطير عليه ولم يقدر على ان يستجر وراءه اعمى واذا دق المجال ولطف كالماء ولم يمكن العبور الا بالسباحة فقد يقدر الماهر بالسباحة ان يعبر بنفسه وربما لم يقدر على ان يستجر وراءه اعمى فهذه نسبة المسير عليها الى السير على ما هو مجال لجماهير الخلق كنسبة المشي على الماء الى المشي على الارض والسباحة يمكن ان يتعلم فاما المشي على الماء فلا يكتسب بالتعلم بل ينال بقوة اليقين ولذلك قيل للنبي صلى الله عليه وسلم ان عيسى صلوات الله عليه كان يمشي على الماء فقال لو ازداد يقيناً لمشى على الهواء فهذه رموز واشارات الى معنى الكراهة والمحبة والرضا والغضب والشكر والكفران لا يليق بعلم المعاملة اكثر منه وقد ضرب الله مثلاً لذلك تقريباً الى افهام الخلق اذ عرف انه ما خلق الجن والانس الا ليعبدوه فكانت غاية الحكمة في حقهم ثم اخبر ان له عبدين يحب احدهما واسمه جبريل وروح القدس والامين وهو عنده محبوب مطاع مكين ويبغض الآخر واسمه ابليس وهو اللعين المنظر الى يوم الدين ثم احال الارشاد الى جبريل فقال قل نزله روح القدس من ربك بالحق وقال يلقي الروح من امره على من يشاء من عباده واحال الاغواء على ابليس فقال ليضلهم عن سبيله والاغواء هو استيفاء للعباد دون غاية الحكمة فانظر كيف نسب الاغواء الى العبد الذي غضب عليه والارشاد وسياقتهم الى الغاية فانظر كيف نسبه الى العبد الذي احبه وعندك في العادة لها امثال فالملك اذا احتاج الى من يسقيه الشراب والى من يحجمه من تنظيف فناء داره عن التراب وكان له عبدان فلا يعين للتنظيف الا اقبحهما واخسهما ولا يفوض حمل الشراب الطيب اليه الا الى احسنهما وكلا واكملهما واحبهما اليه ولا ينبغي ان تقول هذا فعلي ولم يكون فعله على وزان فعله فانك اخطأت اذ اضفت الى نفسك بل هو الذي صرف داعيتك لتخصيص الفعل المكروه بالشخص المكروه والفعل المحبوب بالشخص المحبوب اتماماً للعدل فان عدله تارة يتم بامور لا مدخل لك فيها وتارة يتم بك فانك ايضاً من افعاله فداعيتك وقدرتك وعلمك وسائر اسباب حركاتك في التعيين هو فعله الذي رتبه بالعدل ترتيباً تصدر منه الافعال المعتدلة الا انك لا ترى الا نفسك فتظن ان ما يظهر عليك في عالم الشهادة ليس

ليس له سبب من عالم الغيب والملكوت فلذلك تضيفه الى نفسك وانما انت مثل الصبي الذي ينظر ليلاً الى لعب المشعبذ الذي يخرج صوراً من وراء حجاب ترقص وتزعق وتقوم وتقعد وهي مؤلفة من خرق لا تتحرك بانفسها بل تحركها خيوط شعرية دقيقة لا تظهر في ظلام الليل ورؤوسها في يد المشعبذ وهو محتجب عن ابصار الصبيان فيفرحون ويتعجبون لظنهم ان تلك الخرق ترقص وتلعب وتقوم وتقعد واما العقلاء فانهم يعلمون ان ذلك تحريك وليس بتحرك ولكنهم ربما لا يعلمون تفصيله والذي يعلم بعض تفصيله لا يعلم كما يعلمه المشعبذ الذي الامر اليه والجاذب بيده وكذلك صبيان اهل الدنيا والخلق كلهم صبيان الا العلماء ينظرون الى هذه الاشخاص فيظنون انها المتحركة والعلماء يعلمون انهم محركون الا انهم لا يعلمون كيفية التحريك وهم الاكثرون الا العارفون والعلماء الراسخون فانهم ادركوا بحدة ابصارهم خيوطاً دقيقة عنكبوتية بل ادق منها بكثير معلقة من السماء متشبثة الاطراف باشخاص الارض لا تدرك تلك الخيوط لدقتها بهذه الابصار الظاهرة ثم شاهدوا رؤوس تلك الخيوط في مناطات لها هي معلقة منها وشاهدوا لتلك المناطات مقابض في ايدي الملائكة المحركين للسموات وشاهدوا ابصار ملائكة السموات مصروفة الى حملة العرش ينتظرون منهم ما ينزل عليهم من الامر من حضرة الربوبية كيلا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وعبر عن هذه المشاهدات في القرآن فقيل وفي السماء رزقكم وما توعدون وعبر عن انتظار ملائكة السموات لما ينزل اليهم من الامر والقدر فقيل خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علماً وهذه امور لا يعلم تأويلها الا الله والراسخون في العلم وعبر ابن عباس رضي الله عنه عن اختصاص الراسخين في العلم بعلوم لا يحتملها افهام الخلق حيث قرأ قوله تعالى يتنزل الامر بينهن فقال لو ذكرت ما اعرفه من معنى هذه الآية لرجمتموني وفي لفظ لقلتم انه كافر ولنقتصر على هذا القدر فقد خرج عنان الكلام عن قبضة الاختيار وامتزج بعلم المعاملة ما ليس منها فلنرجع الى مقاصد الشكر فنقول اذا رجع حقيقة الشكر الى كون العبد مستعملاً في اتمام حكمة الله تعالى فاشكر العباد احبهم الى الله سبحانه واقربهم اليه واقربهم الى الله الملائكة ولهم ايضاً ترتيب وما منهم الا له مقام معلوم واعلاهم في رتبة القرب من اسمه جبريل وميكائيل واسرافيل وما على درجتهم لانهم في انفسهم كرام بررة وقد اصلح الله بهم الانبياء وهم اشرف مخلوق على وجه الارض ويلي درجتهم درجة الانبياء فانهم في انفسهم اخيار وقد هدى الله بهم سائر الخلق واتم بهم واعلاهم رتبة نبينا صلى الله عليه وسلم اذ اكمل به الدين وختم به النبيين ويليهم العلماء الذين هم ورثة الانبياء فانهم في انفسهم صالحون وقد اصلح الله بهم سائر الخلق ودرجة كل واحد بقدر ما اصلح من نفسه ومن غيره ثم يليهم السلاطين بالعدل لانهم اصلحوا دنيا الخلق كما اصلح العلماء دينهم وللسلطان بهذا يقوم الدين فلا ينبغي ان يستحقر وان كان ظالماً فاسقاً قال عمرو بن العاص امام غشوم خير من فتنة تدوم وقال النبي صلى الله عليه وسلم سيكون عليكم امراء يفسدون وما يصلح الله بهم اكثر فان احسنوا فلهم الاجر وعليكم الشكر وان اساءوا فعليهم الوزر وعليكم الصبر وقال سهل من انكر امامة السلطان فهو زنديق ومن دعاه السلطان فلم يجب فهو مبتدع ومن اتاه من غير دعوة فهو جاهل وسئل اي الناس خير فقال السلطان فقيل كنا نرى ان شر الناس سلطان فقال مهلاً ان لله سبحانه كل يوم نظرتين نظرة الى سلامة اموال المسلمين ونظرة الى سلامة ابدانهم فيطلع في صحيفته فيغفر له جميع ذنوبه وكان يقول الخشبات السود المعلقة على ابوابهم خير من سبعين قاصاً يقصون

الركن الثاني من اركان الشكر ما عليه الشكر وهو النعمة ولنذكر فيه حقيقة النعمة واقسامها ودرجاتها واصنافها ومجامعها فيما يخص وما يعم فان احصاء نعم الله تعالى على عباده خارج عن مقدور البشر كما قال الله سبحانه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها فنقدم اموراً كلية تجري مجرى القوانين في معرفة النعم ثم نشتغل بذكر الآحاد

بيان حقيقة النعمة واقسامها

اعلم ان كل خير ولذة وسعادة بل كل مطلوب ومؤثر فانه يسمى نعمة ولكن النعمة بالحقيقة هي السعادة

الاخروية وتسمية ما عداها نعمة وسعادة اما غلط واما مجاز كتسمية السعادة الدنيوية التي لا تعين على الآخرة نعمة فان ذلك
غلط محض وقد يكون اسم النعمة للشيء صدقا ولكن يكون اطلاقه على السعادة الاخروية اصدق فكل سبب يوصل الى سعادة الآخرة
ويعين عليه اما بواسطة واحدة او بوسائط فان تسميته نعمة صحيح وصدق لاجل انه يفضي الى النعمة الحقيقية والاسباب المعينة
واللذات المسماة نعمة نشرحها بتقسيمات القسمة الاولى ان الامور كلها بالاضافة الينا تنقسم الى ما هو نافع في الدنيا والآخرة جميعا كالعلم وحسن الخلق والى ما هو ضار فيهما جميعا
كالجهل وسوء الخلق والى ما ينفع في الحال الضار في المآل بلاء محض عند ذوي الابصار ويظنه الجهال نعمة ومثاله الجائع اذا وجد
عسلا فيه سم فانه يعده نعمة ومثاله الجائع واذا علمه علم ان ذلك بلاء سيق اليه والضار في الحال النافع في المآل نعمة عند ذوي الالباب
بلاء عند الجهال ومثاله الدواء البشع في الحال المر مذاقه الا انه شاف للامراض والاسقام وجالب للصحة والسلامة فالصبي
الجاهل اذا كلف شربه ظنه بلاء والعاقل يعده نعمة ويتقلد المنة ممن يهديه اليه ويهيئ له اسبابه فلذلك تمنع الام ولدها
من الحجامة والاب يدعوه اليها فان الاب لكمال عقله يلحظ العاقبة والام لقصورها وفرط حبها تلحظ الحال والصبي لجهله
يتقلد منة من امه دون ابيه ويأنس اليها والى شفقتها ويقدر الاب عدوا له ولو عقل لعلم ان الام عدو باطن في صورة صديق لان
منعها اياه من الحجامة يسوقه الى امراض والام اشد عليه من الحجامة ولكن الصديق الجاهل شر من العدو العاقل وكل انسان فانه صديق
نفسه ولكنه صديق جاهل فلذلك يعمل به ما لا يعمل به العدو ٥ قسمة ثانية اعلم ان الاسباب الدنيوية مختلطة قد امتزج خيرها
بشرها فقل ما يصفو خيرها كالمال والاهل والولد والاقارب والجاه وسائر الاسباب والى ما ضره اكثر من نفعه في حق اكثر
الاشخاص كالمال الكثير والجاه الواسع والى ما يكافئ ضرره نفعه وهذه امور تختلف بالاشخاص فرب انسان صالح ينتفع
بالمال الصالح ينتفع بالمال الصالح وان كثر فينفقه في سبيل الله ويصرفه الى الخيرات فهو مع هذا التوفيق نعمة في حقه ورب
انسان يستضر بالقليل ايضا اذ لا يزال مستصغرا له شاكيا من ربه طالبا للزيادة عليه فيكون ذلك مع هذا الخذلان بلاء في حقه
قسمة ثالثة اعلم ان الخيرات باعتبار آخر تنقسم الى ما هو مؤثر لذاتها والى ما هو مؤثر لغيرها والى ما هو مؤثر لذاتها ولغيرها
فالاول ما يؤثر ~~لذاتها لا لغيرها~~ لذاته لا لغيره كلذة النظر الى وجه الله تعالى وسعادة لقائه وبالجملة سعادة الآخرة التي لا انقضاء لها
فانها لا تطلب ليتوصل بها الى غاية اخرى مقصودة وراءها بل تطلب لذاتها الثاني ما يقصد لغيره ولا غرض اصلا في ذاته
كالدراهم والدنانير فان الحاجات لو كانت لا تنقضي بها لكانت هي والحصباء بمثابة واحدة ولكن لما كانت وسيلة الى اللذات سريعة
الايصال اليها صارت عند الجهال محبوبة في انفسها حتى يجمعوها ويكنزوها ويتصارفوا عليها بالربوا ويظنون انها مقصودة
ومثال هؤلاء مثال من يحب شخصا فيحب بسببه رسوله الذي يجمع بينه وبينه ثم ينسى في محبة الرسول محبة الاصل فيعرض عنه طول عمره
فلا يزال مشغولا بتعهد الرسول ومراعاته وتفقده وهو غاية الجهل والضلال الثالث ما يقصد لذاته ولغيره كالصحة والسلامة
فانها تقصد ليقدر بسببها على الفكر والذكر الموصلين الى لقاء الله تعالى وليتوصل بها الى استيفاء لذات الدنيا وتقصد ايضا لذاتها
فان الانسان وان استغنى عن المشي الذي يراد سلامة الرجل لاجله يريد ايضا سلامة الرجل من حيث انها سلامة فاذن المؤثر لذاته فقط
هو الخير والنعمة تحقيقا وما يؤثر لذاته ولغيره ايضا فهو نعمة ولكن دون الاول فاما ما لا يؤثر الا لغيره كالنقدين فلا يوصفان في
انفسهما من حيث هما جوهران بانهما نعمة بل من حيث هما وسيلتان فيكونان نعمة في حق من يقصد امرا ليس يمكنه ان يتوصل اليه الا بهما
فلو كان مقصوده العلم والعبادة ومعه الكفاية التي هي ضرورة حياته استوى عنده الذهب والمدر فكان وجودهما وعدمهما
بمثابة واحدة بل ربما شغله وجودهما عن الفكر والذكر والعبادة فيكون بلاء في حقه ولم يكن نعمة ٥ قسمة رابعة اعلم

ان الخيرات باعتبار آخر تنقسم الى نافع وجميل ولذيذ فاللذيذ هو الذي يدرك راحته في الحال والنافع هو الذي يفيد
في المآل والجميل هو الذي يستحسن في سائر الاحوال والشرور ايضا تنقسم الى ضار وقبيح ومؤلم وكل واحد من القسمين ضربان
مطلق ومقيد فالمطلق هو الذي اجتمع فيه الاوصاف الثلاثة اما في الخير فكالعلم والحكمة فانهما نافعة وجميلة ولذيذة عند اهل
العلم والحكمة واما في الشر فكالجهل فانه ضار وقبيح ومؤلم وانما يحس الجاهل بالم جهله اذا عرف انه جاهل فانه يرى غيره عالما
ويرى نفسه جاهلا فيدرك الم النقص فينبعث منه شهوة العلم اللذيذ ثم قد يمنعه الحسد والشهوات البدنية عن التعلم فيتجاذبه
متضادان فيعظم المه فانه ان ترك التعلم تألم بالجهل ودرك النقصان وان اشتغل بالتعلم تألم بترك الشهوات او بترك الكبر وذل التعلم
هذا الشخص لا يزال في عذاب دائم لا محالة والضرب الثاني مقيد وهو الذي جمع بعض هذه الاوصاف دون بعض فرب نافع
مؤلم كقطع الاصبع الزائدة والسلعة الخارجة من البدن ورب نافع قبيح كالحمق فانه بالاضافة الى بعض الاحوال نافع اذ قيل
استراح من لا عقل له فانه لا يهتم بالعاقبة فيستريح في الحال الى ان يجيء وقت هلاكه ورب نافع من وجه ضار من وجه كالقاء المال
في البحر عند خوف الغرق فانه ضار من وجه للمال نافع للنفس في نجاتها والنافع قسمان ضروري كالايمان وحسن الخلق في الايصال الى
سعادة الآخرة واعني بهما العلم والعمل اذ لا يقوم مقامهما البتة غيرهما والى ما لا يكون ضروريا كالسكنجبين في تسكين الصفراء فانه قد يمكن
تسكينها بما يقوم مقامه ٥ قسمة خامسة اعلم ان النعمة يعبر بها عن كل لذيذ واللذات بالاضافة الى الانسان من حيث
اختصاصه به او مشاركة غيره ثلاثة انواع عقلية وبدنية مشتركة مع بعض الحيوانات وبدنية مشتركة مع جميع الحيوانات اما
فكلذة العلم والحكمة اذ ليس يستلذها السمع والبصر والشم ولا البطن ولا الفرج وانما يستلذها الا حكيم وما اقل اهل العلم والحكمة
وما اكثر المتسمين باسمهم والمترسمين برسومهم واما شرفها فلانها لازمة لا تزول ابدا لا في الدنيا ولا في الآخرة ودائمة لا تمل فالطعام
يشبع منه فيمل وشهوة الوقاع يفرغ منها فيستثقل والعلم قط لا يتصور ان يمل ويستثقل ومن قدر على الشريف الباقي ابد الاباد
اذا رضي بالخسيس الفاني في اقرب الاماد فهو مصاب في عقله محروم بشقاوته وادباره واقل الامر فيه ان العلم والعقل لا يحتاج
الى اعوان وحفظة بخلاف المال اذ العلم يحرسك وانت تحرس المال والعلم يزيد بالانفاق والمال ينقص بالانفاق والمال يسرق والولاية يعزل
عنها والعلم لا تمتد اليه ايدي السراق بالاخذ ولا ايدي السلاطين بالعزل فيكون صاحبه في روح الامن ابدا وصاحب المال والجاه في كرب
الخوف ابدا ثم العلم نافع ولذيذ وجميل في كل حال ابدا والمال تارة يجذب الى الهلاك وتارة يجذب الى النجاة ولذلك ذم الله تعالى
المال في القرآن في مواضع وان سماه خيرا في مواضع واما قصور اكثر الخلق عن ادراك لذة العلم فاما لعدم الذوق واما لفساد امزجتهم
ومرض قلوبهم بسبب اتباع الشهوات كالمريض الذي لا يدرك حلاوة العسل ويراه مرا واما لقصور فطرتهم اذ لم يخلق لهم بعد الصفة
التي بها يستلذ العلم كالصبي الرضيع الذي لا يدرك لذة العسل والطيور السمان ولا يستلذ الا اللبن وذلك لا يدل على انها ليست
لذيذة ولا استطابته اللبن يدل على انه الذ الاشياء فالقاصرون عن درك لذة العلم والحكمة ثلاثة اما من لم يحي بعد باطنه كالصبي واما
من مات بعد الحياة باتباع الشهوات واما من مرض بسبب اتباع الشهوات وقوله تعالى في قلوبهم مرض اشارة الى مرض العقول وقوله
لينذر من كان حيا اشارة الى الحياة الباطنة وكل حي بالبدن ميت بالقلب فهو عند الله من الموتى وان كان عند الجهال من الاحياء ولذلك
كان الشهداء احياء عند ربهم يرزقون فرحين وان كانوا موتى بالابدان الثانية لذة يشارك الانسان فيها بعض الحيوانات كلذة
الرياسة والغلبة والاستيلاء وذلك موجود في الاسد والنمر وبعض الحيوانات والثالثة ما يشارك فيها سائر الحيوانات
كلذة البطن والفرج وهذا اكثرها وجودا وهي اخسها ولذلك اشترك فيها كل ما دب ودرج حتى الديدان والحشرات ومن جاوز هذه الرتبة تشبثت

به لذة الغلبة وهي اشدها التحاقا بالمتغافلين فان جاوز ذلك ارتقى الى الثالثة فصار اغلب اللذات عليه لذة العلم والحكمة
لا سيما لذة معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وافعاله وهذه رتبة الصديقين ولا ينال تمامها الا بخروج استيلاء حب الرياسة
من القلب واخر ما يخرج من رؤس الصديقين حب الرياسة واما شره البطن والفرج فكسره مما يقوى عليه الصالحون وشهوة
الرياسة لا يقوى على قهرها الا الصديقون فاما قمعها بالكلية حتى لا يقع بها الاحساس على الدوام في اختلاف الاحوال فيشبه
ان يكون خارجا عن مقدور البشر نعم تغلب لذة معرفة الله في احوال لا يقع معها الاحساس بلذة الرياسة والغلبة ولكن ذلك لا يدوم
طول العمر بل تعتريها الفترات فتعود اليه الصفات البشرية فتكون موجودة ولكن تكون مقهورة لا تقوى على حمل النفس على العدول
عن العدل وعند هذا تنقسم القلوب الى اربعة اقسام قلب لا يحب الا الله ولا يستريح الا بزيادة المعرفة به والفكر فيه وقلب لا يدري
ما لذة المعرفة وما معنى الانس بالله وانما لذته بالجاه والرياسة والمال وسائر الشهوات البدنية وقلب اغلب احواله الانس
بالله والتلذذ بمعرفته والفكر فيه ولكن قد يعتريه في بعض الاحوال الرجوع الى اوصاف البشرية وقلب اغلب احواله التلذذ بالصفات
البشرية ويعتريه في بعض الاحوال التلذذ بالعلم والمعرفة اما الاول فان كان ممكنا في الوجود فهو في غاية البعد واما الثاني
فالدنيا طافحة به واما الثالث والرابع فموجود ولكن على غاية الندور ويتفاوت في القلة والكثرة وانما يكون كثيرا في الاعصار
القريبة من اعصار الانبياء عليهم الصلوة ولا يزال يزداد العهد طولا ويزداد مثل هذه القلوب قلة الى ان تقوم الساعة ويقضي الله امرا
كان مفعولا وانما وجب ان يكون هذا نادرا لانه مبادي ملك الاخرة والملك عزيز والملوك لا يكثرون فكما لا يكون الفائق في الملك
الاخرة فان الدنيا مرآة الاخرة فانها عالم الشهادة والاخرة عبارة عن عالم الغيب وعالم الشهادة تابع لعالم الاخرة كما ان الصورة
في المرآة تابعة لصورة الناظر في المرآة والصورة في المرآة وان كان هو الثاني في رتبة الوجود فانه اول في حق رؤيتك فانك لا
ترى نفسك وترى صورتك في المرآة اولا فتعرف صورتك التي هي قائمة بك ثانيا على سبيل المحاكاة فانقلب التابع في الوجود متبوعا
في حق المعرفة وانقلب المتأخر متقدما وهذا نوع من الانعكاس ولكن الانعكاس والانتكاس من ضرورة هذا العالم فكذلك عالم الملك
والشهادة محاكية لعالم الغيب والملكوت فمن الناس من يتيسر له نظر الاعتبار فلا ينظر في شيء من عالم الملك الا ويعبر به الى عالم الملكوت
فيسمى عبوره عبرة وقد امر الخلق به فقيل فاعتبروا يا اولي الابصار ومنهم من عميت بصيرته فلم يعتبر فاحتبس في عالم الملك والشهادة
وسيفتح الى حبسه ابواب جهنم وهذا الحبس مملوء نارا شأنها ان تطلع على الافئدة الا ان بينه وبين ادراك المها حجابا فاذا رفع الحجاب
بالموت ادرك وعن هذا اظهر الله الحق على لسان قوم استنطقهم بالحق فقالوا الجنة والنار مخلوقتان ولكن الجحيم يدرك مرة
بادراك يسمى علم اليقين ومرة بادراك اخر يسمى عين اليقين وعين اليقين لا يكون الا في الاخرة وعلم اليقين قد يكون في الدنيا ولكن للذين
قد وفر حظهم من نور اليقين فلذلك قال الله تعالى كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم اي في الدنيا ثم لترونها عين اليقين اي في
الاخرة فاذن قد ظهر ان القلب الصالح لملك الاخرة لا يكون الا عزيزا كالشخص الصالح لملك الدنيا ه تتمة سادسة
حاوية لمجامع النعم اعلم ان النعم تنقسم الى ما هي غاية مطلوبة لذاتها والى ما هي مطلوبة لاجل الغاية اما الغاية فانها سعادة الاخرة
ويرجع حاصلها الى اربعة امور بقاء لا فناء له وسرور لا غم فيه وعلم لا جهل معه وغنى لا فقر معه وهي النعمة الحقيقية ولذلك
قال صلى الله عليه وسلم لا عيش الا عيش الاخرة وقال ذلك مرة في الشدة تسلية للنفس وذلك وقت حفر الخندق في شدة الضر
ومرة في السرور منعا للنفس من الركون الى سرور الدنيا وذلك عند احداق الناس به في حجة الوداع وقال رجل اللهم اني اسألك
تمام النعمة فقال صلى الله عليه وسلم وهل تعلم ما تمامها قال لا قال دخول الجنة واما الوسائل فتنقسم الى الاقرب الاخص كفضائل

ولا يتصور ان يكون الا نادرا شاذا وهو ح المذور ه

كفضائل البدن وهو الثاني والى ما يليه في القرب ويجاوزه الى غير البدن كالاسباب المطيفة بالبدن من المال والاهل والعشيرة
والى ما يجمع بين هذه الاسباب الخارجة عن النفس وبين الحاصلة للنفس كالتوفيق والهداية فهي اذن اربعة انواع النوع الاول
وهو اخص الفضائل النفسية ويرجع حاصلها مع انشعاب اطرافها الى الايمان وحسن الخلق وينقسم الايمان الى علوم المكاشفة
وهو العلم بالله وملائكته ورسله عليهم الصلوة والى علوم المعاملة وحسن الخلق ينقسم الى قسمين ترك مقتضى الشهوة والغضب واسمه
العفة ومراعاة العدل في الكف عن مقتضى الشهوات والاقدام عليها حتى لا يمتنع اصلا ولا يقدم كيف شاء بل يكون اقدامه واحجامه
بالميزان العدل الذي انزله الله تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم وقال الا تطغوا في الميزان واقيموا الوزن بالقسط
ولا تخسروا الميزان فمن خصى نفسه لترك شهوة النكاح او ترك النكاح مع القدرة والامن من الآفات او ترك الاكل حتى ضعف
عن العبادة والذكر والفكر فقد اخسر الميزان ومن انهمك في شهوة البطن والفرج فقد طغى في الميزان وانما العدل ان يخلو وزنه
وتقديره عن الطغيان والخسران فيعتدل به كفتا الميزان فاذن الفضائل الخاصة بالنفس المقربة الى الله تعالى اربعة علم مكاشفة و
علم معاملة وعفة وعدالة ولا يتم هذا في غالب الامر الا بالنوع الثاني وهي الفضائل البدنية وهي ايضا اربعة الصحة والقوة والجمال
وطول العمر ولا يكفي هذه الاربعة الا بالنوع الثالث وهي النعم الخارجة المطيفة بالبدن وهي اربعة المال والاهل والجاه و
كرم العشيرة ولا ينتفع بشيء من هذه الاسباب الخارجة والبدنية الا بالنوع الرابع وهي الاسباب التي تجمع بينها وبين ما يناسب
الفضائل النفسية الداخلة وهي اربعة هداية الله تعالى ورشده وتسديده وتأييده فمجموع هذه النعم ستة عشرة اذ قسمناها الى
اربعة وقسمنا كل واحد الى اربعة وهذه الجملة يحتاج البعض منها الى البعض اما حاجة ضرورية او نافعة اما الحاجة الضرورية
كحاجة سعادة الاخرة الى الايمان وحسن الخلق اذ لا سبيل الى الوصول الى سعادة الاخرة البتة الا بهما فليس للانسان الا ما سعى
وليس لاحد في الاخرة الا ما تزود من الدنيا وكذلك حاجة الفضائل النفسية كسب العلوم وتهذيب الاخلاق الى صحة البدن ضروري
واما الحاجة النافعة على الجملة فكحاجة هذه النعم النفسية والبدنية الى النعم الخارجة مثل المال والعز والاهل فان ذلك
لو عدم ربما تطرق الخلل الى بعض النعم الداخلة فان قلت فما وجه الحاجة لطريق الاخرة الى النعم الخارجة من المال والاهل و
الجاه والعشيرة فاعلم ان هذه الاسباب جارية مجرى الجناح المبلغ والآلة المسهلة للمقصود واما المال فالفقير في
طلب العلم والكمال وليس معه كفاية كساع الى الهيجاء بغير سلاح وكباز يروم الصيد بلا جناح ولذلك قال صلى الله عليه وسلم نعم
المال الصالح للرجل الصالح وقال نعم العون على تقوى الله المال وكيف ومن عدم المال صار مستغرق الاوقات في طلب الاقوات
وفي تهيئة اللباس والمسكن وضرورات المعيشة ثم يتعرض لانواع من الاذى تشغله عن الفكر والذكر ولا تندفع الا بسلاح المال
ثم مع ذلك يحرم عن فضيلة الحج والزكوة والصدقات وافاضة الخيرات وقيل لبعض الحكماء ما النعم قال الغنى فاني رأيت الفقير
لا عيش له قيل زدنا قال العافية فاني رأيت المريض لا عيش له قيل زدنا قال الامن فاني رأيت الخائف لا عيش له قيل زدنا
قال الشباب فاني رأيت الهرم لا عيش له فكان ما ذكره اشارة الى نعيم الدنيا ولكنه من حيث انه معين على الاخرة فهو نعمة
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من اصبح معافى في بدنه آمنا في سربه وعنده قوت يومه فكانما حيزت له الدنيا بحذافيرها
واما الاهل والولد الصالح فلا يخفى وجه الحاجة اليهما اذ قال صلى الله عليه وسلم نعم العون على الدين المرأة الصالحة وقال
صلى الله عليه وسلم في الولد اذا مات الرجل انقطع عمله الا من ثلاث ولد صالح يدعو له وقد ذكرنا فوائد الاهل والولد في
كتاب النكاح واما الاقارب فمهما كثروا الاولاد والرجال واقارب كانوا له مثل الاعين والايدي فيتيسر له بسببهم من الامور الدنيوية

المهمة في دينه ما لو انفرد به لطال شغله وكل ما يفرغ قلبك عن ضرورات الدنيا فهو معين على الدين فهو اذن نعمة واما العز والجاه
فبه يدفع الانسان عن نفسه الضيم والذل ولا يستغني عنه مسلم فانه لا ينفك المسلم عن عدو يؤذيه وظالم يشوش عليه علمه وعمله
وفراغه ويشغل قلبه وقلبه رأس ماله وانما يندفع هذه الشواغل بالعز والجاه ولذلك الدين والسلطان توأمان قال الله تعالى
ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولا معنى للجاه الا ملك القلوب كما لا معنى للغنى الا ملك الدراهم ومن ملك القلوب
تسخرت له ارباب القلوب لدفع الاذى عنه فكما يحتاج الانسان الى سقف يدفع عنه المطر وجبة يدفع عنه البرد وكلب يدفع
الذئب عن ماشيته فيحتاج ايضا الى من يدفع الشر عن نفسه وعلى هذا القصد كان الانبياء الذين لا ملك لهم ولا سلطنة يراعون
السلاطين ويطلبون عندهم الجاه وكذلك علماء الدين لا على قصد التناول من خزائنهم والاستيثار والاستكثار في الدنيا
عما يعتهم فلا تظنن ان نعمة الله تعالى على رسوله عليه الصلوة والسلام حيث نصره واكمل دينه واظهره على جميع اعدائه ومكن له
في القلوب حتى اتسع به عزه وجاهه كان اقل من نعمته عليه حيث يؤذى ويضرب ويفتقر الى الهرب والهجرة فان قلت فكرم العشيرة
وشرف الآباء هل هي من النعم ام لا فاقول نعم ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الائمة من قريش ولذلك كان صلى الله عليه
وسلم من اكرم ارومة في نسب آدم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم تخيروا لنطفكم وقال اياكم وخضراء الدمن فقيل ما خضراء الدمن فقال المرأة الحسناء في
المنبت السوء فهذا ايضا من النعم ولست اعني به الانتساب الى الظلمة وارباب الدنيا بل الانتساب الى شجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم
والى الائمة العلماء والى الصالحين والابرار المترسمين بالعلم والعمل فان قلت فما معنى الفضائل البدنية فاقول لا خفاء بشدة
الحاجة الى الصحة والى القوة والى طول العمر اذ لا يتم علم وعمل الا بها ولذلك قال صلى الله عليه وسلم افضل السعادات طول العمر
في طاعة الله وانما يستحقر من جملتها امر الجمال فيقال يكفي ان يكون البدن سليما من الامراض الشاغلة عن تحري الخيرات ولعمري
الجمال قليل الغناء ولكنه من الخيرات ايضا اما في الدنيا فلا يخفى نفعه فيها واما في الاخرة فمن وجهين احدهما ان القبيح مذموم
والطباع عنه نافرة وحاجات الجميل الى الاجابة اقرب وجاهه في الصدور اوسع فكانه من هذا الوجه جناح مبلغ كالمال والجاه اذ
هو نوع قدرة اذ يقدر الجميل الوجه على تنجز حاجات لا يقدر على القبيح وكل معين على قضاء حاجات الدنيا فمعين على الاخرة بواسطته
والثاني ان الجمال في الاكثر يدل على فضيلة النفس لان نور النفس اذا تم اشراقه تأدى الى البدن فالمنظر والمخبر كثيرا ما يتلازمان
ولذلك عول اصحاب الفراسة في معرفة مكارم النفس على هيئات البدن وقالوا الوجه والعين مرآة الباطن ولذلك يظهر فيه اثر الغضب
والسرور والغم ولذلك قيل طلاقة الوجه عنوان ما في النفس وقيل ما في الارض قبيح الا ووجهه احسن ما فيه واستعرض المأمون
جيشا فعرض عليه رجل قبيح فاستنطقه فاذا هو الكن فاسقط اسمه من الديوان وقال الروح اذا اشرقت على الظاهر فصباحة او على
الباطن ففصاحة وهذا ليس له ظاهر ولا باطن وقد قال صلى الله عليه وسلم اطلبوا الخير عند حسان الوجوه وقال عمر رضي الله عنه
اذا بعثتم رسولا فاطلبوا حسن الوجه حسن الاسم وقال الفقهاء اذا تساوت درجات المصلين فاحسنهم وجها اولاهم بالامامة وقال
تعالى ممتنا به وزاده بسطة في العلم والجسم ولسنا نعني بالجمال ما يحرك الشهوة فان ذلك انوثة وانما نعني به ارتفاع القامة على الاستقامة
مع الاعتدال في اللحم وتناسب الاعضاء وتناسب خلقة الوجه بحيث لا تنبو الطباع عن النظر اليها فان قلت فقد ادخلت المال
والجاه والنسب والاهل والولد في حيز النعم وقد ذم الله تعالى المال والجاه وكذا رسوله صلى الله عليه وسلم وكذا العلماء
قال الله سبحانه ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم وقال انما اموالكم واولادكم فتنة وقال علي رضي الله عنه في ذم النسب
الناس ابناء ما يحسنون وقيمة كل امرئ ما يحسنه وقيل المرء بنفسه لا بابيه فما معنى كونها نعمة مع كونها مذمومة شرعا فاعلم

فاعلم ان من يأخذ العلوم من الالفاظ المنقولة المأولة والعمومات المخصصة كان الضلال عليه اغلب ما لم يهتد بنور الله تعالى
الى ادراك الامور على ما هي عليه ثم تنزيل النقل على وفق ما ظهر له منها بالتأويل مرة وبالتخصيص اخرى فهذه نعم معينة على امر
الاخرة لا سبيل الى جحدها الا ان فيها فتنا ومخاوف فمثال المال مثال الحية التي فيها ترياق نافع وسم ناقع فان اصابها المعزم الذي
يعرف وجه الاحتراز عن سمها وطريق استخراج ترياقها النافع كانت له نعمة وان اصابها السوادي الغمر فهي عليه بلاء وهلاك وهو
مثل البحر الذي تحته اصناف الجواهر واللآلي فمن ظفر بالبحر فان كان عالما بالسباحة وطريق الغوص وطريق الاحتراز عن مهلكات البحر
فقد ظفر بنعمة وان خاضه جاهلا بذلك فقد هلك ولذلك مدح الجاه والغنى اذ من الله على رسوله صلى الله عليه وسلم بان اظهره
على الدين كله وحببه في قلوب الخلق وهو المعني بالجاه ولكن المنقول في مدحهما قليل والمنقول في ذم المال والجاه كثير وحيث
ذم الرياء فهو ذم الجاه اذ الرياء مقصوده اجتلاب القلوب ومعنى الجاه ملك القلوب وانما كثر هذا وقل ذلك لان الناس اكثرهم
جهال بطريق الرقية لحية المال وبطريق الغوص في بحر الجاه فوجب تحذيرهم فانهم يهلكون بسم المال قبل الوصول الى ترياقه
ويهلكهم تمساح بحر الجاه قبل العثور على جواهره ولو كانا في اعيانهما مذمومين بالاضافة الى كل احد لما تصور ان ينضاف الى النبوة
الملك كما كان لرسولنا صلى الله عليه وسلم ولا ان ينضاف اليها الغنى كما كان لسليمان صلى الله عليه والناس كلهم صبيان
والاموال حيات والانبياء والعارفون معزمون وقد يضر الصبي ما لا يضر المعزم نعم المعزم لو كان له ولد يريد بقاءه واصلاحه
وقد وجد حية وعلم انه لو اخذها لاجل ترياقها لاقتدى به ولده واخذ الحية اذا رآها ليلعب بها فيهلك فله غرض في الترياق
وله غرض في حفظ الولد فاذا كان يقدر على الصبر عن الترياق ولا يستضر به ضررا لو اخذه لاخذه الصبي ويعظم ضرره بهلاكه
فواجب عليه ان يهرب عن الحية اذا رآها ويشير على الصبي بالهرب ويقبح صورتها في عينه ويعرفه ان فيها سما قاتلا لا ينجو منه
احد فلا يحدثه اصلا بما فيه من نفع الترياق فان ذلك ربما يغره فيقدم عليها من غير اتمام المعرفة وكذلك الغواص لو علم انه لو غاص
في البحر بمرأى من ولده لاتبعه وهلك فواجب عليه ان يحذر الصبي ساحل البحر والنهر فان كان لا ينزجر الصبي بمجرد الزجر مهما
رأى اباه يحوم حول الساحل فواجب عليه ان يبعد من الساحل مع الصبي ولا يقرب منه بين يديه فكذلك الامة في حجر الانبياء
كالصبيان الاغبياء ولذلك قال صلى الله عليه وسلم انما انا لكم مثل الوالد لولده وقال انكم تتهافتون على النار تهافت الفراش
وانا آخذ بحجزكم وحظ الانبياء في حفظ اولادهم عن المهالك فانهم لم يبعثوا الا لذلك وليس حظهم في المال حظ الا بقدر القوت
فلا جرم اقتصروا على قدر القوت وما فضل فلم يمسكوه بل انفقوه فان الانفاق فيه هو الترياق والامساك فيه هو السم ولو
فتح للناس باب كسب المال ورغبوا فيه لمالوا الى سم الامساك ورغبوا عن ترياق الانفاق فلذلك قبحت الاموال والمعني به
تقبيح امساكها والحرص عليها للاستكثار منها والاستئثار بها والتوسع في نعيمها بما يوجب الركون الى الدنيا ولذاتها
فاما اخذها بقدر الكفاية وصرف الفاضل الى الخيرات فليس بمذموم وحق كل مسافر ان لا يحمل الا بقدر زاده في السفر اذا
صمم العزم على ان يختص بما يحمله فاما ان سمحت نفسه باطعام الطعام وتوسيع الزاد على الرفقاء فلا بأس بالاستكثار وقوله
صلى الله عليه وسلم لا تأخذوا من الدنيا الا بقدر زاد الراكب معناه لانفسكم خاصة والا فقد كان فيمن روى هذا الحديث
ويعمل به من يأخذ مائة الف درهم في موضع واحد ويفرقها في موضعه ولا يمسك منه حبة ولما ذكر رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان الاغنياء يدخلون الجنة بعد الفقراء استأذن عبد الرحمن بن عوف في ان يخرج عن جميع ما يملكه فأذن له فنزل جبريل
عليه السلام فقال مره بان يطعم المسكين ويكسو العاري ويقري الضيف الحديث فاذن النعم الدنيوية مشوبة قد امتزج دواؤها

فواجب عليه ان يدر غرضه في الترياق لغرضه في حفظ الولد

بدو آبائها ومن جيرانها ومحبوبها ويفعل بها ما يضرها فمن وثق ببصيرته وكمال معرفته فله ان يقرب منها متقيا داءها مستخرجا دواءها
ومن لا فالبعد البعد والفرار الفرار عن مظان الاخطار فلا تعدل بالسلامة شيئا في حق هؤلاء وهم الخلق كلهم الا من عصمه الله
تعالى وهداه لطريقه فان قلت فما معنى النعم التوفيقية الراجعة الى الهداية والرشد والتأييد والتسديد فاعلم
ان التوفيق لا يستغني عنه احد وهو عبارة عن التأليف والتلفيق بين ارادة العبد وبين قضاء الله وقدره وهذا يشمل الشر
والخير وما هو سعادة وما هو شقاوة ولكن جرت العادة بتخصيص الاسم بما يوافق السعادة من جملة قضاء الله وقدره كما ان
الالحاد عبارة عن الميل فخصص بمن مال الى الباطل عن الحق وكذا الارتداد ولا خفاء بالحاجة الى التوفيق ولذلك قيل
اذا لم يكن عون من الله للفتى فاكثر ما يجني عليه اجتهاده فاما الهداية فلا سبيل لاحد الى طلب السعادة الا بها لان داعية
الانسان قد تكون مائلة الى ما فيه صلاح آخرته ولكن اذا لم يعلم ما فيه صلاح آخرته حتى يظن الفساد صلاحا فمن اين ينفعه مجرد
الارادة فلا فائدة في الارادة والقدرة والاسباب الا بعد الهداية ولذلك قال الله تعالى ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه
ثم هدى وقال تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا ولكن الله يزكي من يشاء وقال صلى الله عليه وسلم
ما من احد يدخل الجنة الا برحمة الله تعالى اي بهدايته فقيل ولا انت يا رسول الله فقال ولا انا وللهداية ثلاث منازل الاولى
معرفة طريق الخير والشر المشار اليه بقوله تعالى وهديناه النجدين وقد انعم الله تعالى به على كافة عباده بعضه بالعقل وبعضه
على لسان الرسل عليهم الصلوة والسلام ولذلك قال واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فاسباب الهدى هي الكتب والرسل
عليهم الصلوة وبصائر العقول وهي مبذولة ولا يمنع منها الا الحسد والكبر وحب الدنيا والاسباب التي تعمي القلوب وان كانت
لا تعمي الابصار ومن جملة المعميات الالف والعادة وحب استصحابها وعنه العبارة بقوله تعالى انا وجدنا اباءنا على امة
وعن الكبر والحسد بقوله تعالى وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين وقوله تعالى ابشرا منا واحدا نتبعه فهذه المعميات
هي التي منعت الاهتداء والهداية الثانية وراء الهداية العامة وهي التي يمد الله العبد بها حالا على حال فهي ثمرة المجاهدة حيث
قال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وهو المراد بقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى والهداية الثالثة وراء الثانية
هو النور الذي يشرق في عالم النبوة والولاية بعد كمال المجاهدة فيهتدي بها الى ما لا يهتدى اليه بالعقل الذي يحصل به التكليف
وامكان تعلم العلوم به وهو الهدى المطلق وما عداه حجاب ومقدمات له وهو الذي شرفه الله تعالى بتخصيص الاضافة وان كان الكل
من جهته فقال قل ان هدى الله هو الهدى وهو المسماة حياة في قوله او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس وبقوله
افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه واما الرشد فنعني به العناية الالهية التي تعين الانسان عند توجهه الى مقاصده
فتقويه على ما فيه صلاحه وتفتره عما فيه فساده ويكون ذلك من الباطن كما قال الله سبحانه ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به
عالمين فالرشد عبارة عن هداية باعثة الى جهة السعادة محركة اليها فالصبي اذا بلغ خبيرا بحفظ المال وطرق التجارة والاستنماء
ولكنه مع ذلك يبذر ولا يريد الاستنماء لا يسمى رشيدا لا لعدم هدايته بل لقصور هدايته عن تحريك داعيته فكم من شخص يقدم
على ما يعلم انه يضره فقد اعطي الهداية وتميز بها عن الجاهل الذي لا يدري انه يضره ولكن ما اعطي الرشد فالرشد بهذا الاعتبار اكمل
من مجرد الهداية الى وجوه الاعمال وهي نعمة عظيمة واما التسديد فهو توجيه حركاته الى صوب المطلوب وتيسيرها عليه ليشتد في صوب
الصواب في اسرع وقت فان الهداية بمجردها لا تكفي بل لا بد من تيسير الحركات بمساعدة الاعضاء والآلات حتى يتم المراد بما انبعثت
الداعية اليه فالهداية محض التعريف والرشد هو تنبيه الداعية لتستيقظ وتتحرك والتسديد اعانة ونصرة

بتحريك الاعضاء في صوب السداد واما التأييد فكأنه جامع للكل وهو عبارة عن تقوية امره بالبصيرة من داخل وبقوة البطش
ومساعدة الاسباب من خارج وهو المراد بقوله تعالى اذ ايدتك بروح القدس ويقرب منه العصمة وهي عبارة عن جود الهي يسبح
في الباطن يقوى به الانسان على تحري الخير وتجنب الشر حتى يصير كمانع من باطنه غير محسوس واياه عنى بقوله هي مجامع النعم ولن يتيسر
الا بما يخوله الله من الفهم الثاقب الصافي والسمع الواعي والقلب البصير المتواضع المراعي والعلم الناصح والمال الزائد على ما يقصر
عن المهمات بقلته القاصر عما يشغل عن الدين بكثرته والعز الذي يصونه عن سفه السفهاء وظلم الاعداء ويستدعي كل واحد من هذه الاسباب
الستة عشر اسبابا ويستدعي تلك الاسباب الى ان تنتهي بالآخرة الى دليل المتحيرين وملجأ المضطرين رب الارباب ومسبب الاسباب واذ
كانت الاسباب طويلة لا يحتمل مثل هذا الكتاب استقصاءها فلنذكر منها انموذجا ليعلم به معنى قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها

بيان وجه الانموذج في كثرة نعم الله تعالى وتسلسلها وخروجها عن الحصر والاحصاء اعلم انا حصرنا النعم في ستة عشر ضربا
وجعلنا صحة البدن نعمة من النعم الواقعة في الرتبة الثانية فهذه النعمة الواحدة لو اردنا ان نستقصي الاسباب التي بها تتم هذه النعمة لم نقدر عليها
ولكن الاكل احد اسباب الصحة فلنذكر نبذة من جملة الاسباب التي بها تتم نعمة الاكل ولا يخفى ان الاكل فعل وكل فعل من هذا النوع فهو حركة
وكل حركة فلا بد لها من جسم متحرك هو آلتها ولا بد لها من قدرة على الحركة ولا بد لها من ارادة للحركة ولا بد من علم بالمراد وادراك له
ولا بد للاكل من مأكول ولا بد للمأكول من اصل منه يحصل ولا بد له من صانع يصلحه فلنذكر اسباب الادراك ثم اسباب الارادة ثم اسباب
القدرة ثم اسباب المأكول على سبيل التلويح لا على سبيل الاستقصاء **الطرف الاول** في نعم الله تعالى في خلق اسباب الادراك اعلم
ان الله تعالى خلق النبات وهو اكمل وجودا من الحجر والمدر والحديد والنحاس وسائر الجواهر التي لا تنمو ولا تتغذى فان النبات خلق فيه
قوة بها يجتذب الغذاء الى نفسه من جهة اصله وعروقه وهي العروق التي تراها في كل ورقة تغلظ اصولها ثم تتشعب ولا تزال تستدق
وتتشعب الى عروق شعرية تنبسط في اجزاء الورق حتى تغيب عن البصر الا ان النبات مع هذا الكمال ناقص فانه لو اعوزه غذاء يساق اليه
ويماس اصله جف ويبس ولم يمكنه طلب الغذاء من موضع آخر فان الطلب انما يكون بمعرفة المطلوب وبالانتقال اليه والنبات عاجز
عن ذلك فمن نعم الله تعالى عليك ان خلق لك آلة الاحساس وآلة الحركة في طلب الغذاء فانظر الى ترتيب حكمة الله تعالى في خلق الحواس
الخمس التي هي آلة الادراك فاولها حاسة اللمس وانما خلقت لك حتى اذا مستك نار محرقة او سيف جارح تحس به فتهرب منه
وهذا اول حس يخلق للحيوان ولا يتصور حيوان الا وان يكون له هذا الحس لانه ان لم يحس اصلا فليس بحيوان واقل درجات الحس
ان يحس بما يلاصقه ويماسه فان الاحساس بما يبعد عنه احساس اتم لا محالة وهذا الحس موجود لكل حيوان حتى الدودة التي في
الطين فانها اذا غرز فيها ابرة انقبضت للهرب لا كالنبات فان النبات يقطع فلا ينقبض اذ لا يحس بالقطع الا انك لو لم تخلق
لك الا هذا الحس لكنت ناقصا كالدودة لا تقدر على طلب الغذاء من حيث يبعد عنك بل ما يمس بدنك فتحس به فتجذبه
الى نفسك فقط فافتقرت الى حس تدرك به ما بعد عنك فخلق الله تعالى لك الشم الا انك تدرك به الرائحة ولا تدري
انها جاءت من اي ناحية فتحتاج الى ان تطوف كثيرا من الجوانب فربما تعثر على الغذاء الذي شممت ريحه وربما لا تعثر فتكون في غاية
النقصان لو لم يخلق لك الا هذا فخلق لك البصر لتدرك به ما بعد عنك وتدرك جهته فتقصد تلك الجهة بعينها الا انه لو
لم يخلق لك الا هذا لكنت ناقصا اذ لا تدرك ما وراء الجدران والحجب فتبصر غذاء ليس بينك وبينه حجاب وتبصر عدوا لا حجاب
بينك وبينه وقد لا ينكشف لك الا بعد قرب العدو فتعجز عن الهرب فخلق لك السمع حتى تدرك به الاصوات من وراء الجدران عند
جريان الحركات ولانك لا تدرك بالبصر الا شيئا حاضرا واما الغائب فلا يمكنك معرفته الا بكلام ينتظم من حروف واصوات

واصوات تدرك بحس السمع فاشتدت اليه حاجتك فخلق لك ذلك وميزت بفهم الكلام عن سائر الحيوانات وكل ذلك لا
يغنيك لو لم يكن لك حس الذوق اذ يصل الغذاء اليك فلا تدرك انه موافق لك او مخالف فتاكله فتهلك كالشجرة يصب في اسفلها
كل مائع ولا ذوق لها فتجذبه وربما يكون ذلك سبب جفافها ثم كل ذلك لا يكفيك لو لم يخلق في مقدمة دماغك ادراك
آخر يسمى حسا مشتركا تتادى اليه هذه المحسوسات الخمس وتجتمع فيه ولولاه لطال الامر عليك فانك اذا اكلت شيئا اصفر مثلا
فوجدته مرا مخالفا لك فتركته فاذا رايته مرة اخرى فلا تعرف انه مر مضر ما لم تذقه ثانيا لولا الحس المشترك اذ العين تبصر الصفرة
ولا تدرك المرارة فكيف يمتنع عنه والذوق يدرك المرارة ولا يدرك الصفرة فلا بد من حاكم يجتمع عنده الصفرة والمرارة جميعا
حتى اذا ادرك الصفرة حكم بانه مر فيمتنع عن تناوله ثانيا وهذا كله يشاركك فيه الحيوانات اذ للشاة هذه الحواس كلها فلو لم يكن
لك الا ذلك لكنت ناقصا فان البهيمة يحتال عليها فتؤخذ فلا تدري كيف تدفع الحيلة وكيف تتخلص اذا قيدت وقد تلقي نفسه
في البئر ولا تدري ان ذلك يهلكها وكذلك قد تاكل البهيمة ما تستلذه في الحال ويضرها في ثاني الحال فتمرض وتموت اذ ليس
لها الا الاحساس بالحاضر فاما ادراك العواقب فلا فميزك الله تعالى واكرمك بصفة اخرى هي اشرف من الكل وهي العقل
فبه تدرك الاطعمة ومنفعتها وما يضر في المآل وبه تدرك كيفية طبخ الاطعمة وتاليفها واعداد اسبابها فتنتفع بعقلك في الاكل
الذي هو سبب صحتك وهو اخس فوائد العقل واقل الحكم فيه بل الحكمة الكبرى فيه معرفة الله ومعرفة افعاله ومعرفة الحكمة
في عالمه وعند ذلك تنقلب فائدة الحواس في حقك فتكون الحواس الخمس كالجواسيس واصحاب الاخبار المتوكلين بنواحي المملكة فقد وكلت
واحدة منها باخبار الالوان والاخرى باخبار الاصوات والاخرى باخبار الروائح والاخرى باخبار الطعوم والاخرى باخبار الحر
والبرد والخشونة والملاسة واللين والصلابة وغيرها وهؤلاء البرد والجواسيس يقتنصون الاخبار من اقطار المملكة ويسلمونها
الى الحس المشترك القاعد في مقدمة الدماغ مثل صاحب القصص والكتب على باب الملك يجمع القصص والكتب الواردة من نواحي
العالم فياخذها وهي مختومة اذ ليس له الا اخذها وحفظها واما حقائق ما فيها فلا ولكن اذا صادف القلب العاقل الذي هو الامير
والملك سلم الانهاءات اليه مختومة فيفتشها الملك ويطلع فيها على اسرار المملكة ويحكم فيها باحكام عجيبة لا يمكن استقصاؤها
في هذا المقام وبحسب ما يلوح له من الاحكام والمصالح يحرك الجنود وهي الاعضاء مرة في الطلب ومرة في الهرب ومرة في اتمام
التدبيرات التي تعن له فهذه سياق نعمة الله تعالى عليك في الادراكات ولا تظنن انا استوفيناها فان الحواس الظاهرة هي بعض
الادراكات والبصر واحد من جملة الحواس والعين آلة واحدة له وقد ركبت العين من عشر طبقات مختلفة بعضها رطوبات و
بعضها اغشية وبعض الاغشية كانها نسج العنكبوت وبعضها كالمشيمة وبعض تلك الرطوبات كانها بياض البيض وبعضها
كانها الجمد ولكل واحد من الطبقات العشر صفة وصورة وشكل وهيئة وتدوير وتركيب لو اختلفت طبقة واحدة من جملة العشر
او صفة واحدة من صفات تلك الطبقة لاختل البصر وعجز عنها الاطباء والكحالون كلهم فهذا حاسة واحدة فقس بها حاسة
السمع وسائر الحواس بل لا يمكن ان تستوفي حكم الله تعالى وانواع نعمه في جسم البصر وطبقاته في مجلدات كثيرة مع ان جملته لا تزيد
على جوزة صغيرة فكيف الظن بجميع البدن وجميع اعضائه وعجائبها فهذه مرامز الى نعم الله تعالى في خلق الادراكات ٥ ٥

الطرف الثاني في اصناف النعم في خلق الارادات اعلم انه لو خلق لك البصر حتى تدرك الغذاء من بعد ولم يخلق
لك ميل في الطبع وشوق اليه وشهوة له تستحثك على الحركة لكان البصر والادراك معطلة فكم من مريض يرى الطعام وهو انفع
الاشياء له وقد سقطت شهوته فلا يتناوله فيبقى البصر والادراك معطلا في حقه فاضطررت الى ان يكون لك ميل الى ما يوافقك

يوافقك يسمى شهوة ونفرة عما يخالفك تسمى كراهة لتطلب بالشهوة وتهرب بالكراهة فخلق الله سبحانه فيك شهوة
الطعام وسلطها عليك ووكلها بك كالمتقاضي الذي يضطرك الى التناول حتى تتناول وتغتذي فتبقى بالغذاء وهذا مما
يشاركك فيه الحيوان دون النبات ثم هذه الشهوة لو لم تسكن اذا اخذت مقدار الحاجة اسرفت واهلكت نفسك فخلق الله
لك الكراهة عند الشبع لتترك الاكل بها كالزرع فانه لا يزال يجتذب الماء اذا انصب في اسافله حتى يفسد فيحتاج الى
آدمي يقدر غذاءه بقدر الحاجة فيسقيه مرة ويقطع عنه الماء اخرى وكما خلقت لك هذه الشهوة لتاكل فيبقى به بدنك خلق لك
شهوة الوقاع حتى تجامع فيبقى به نسلك ولو قصصنا عليك عجائب صنع الله تعالى في خلق الرحم وخلق دم الحيض وتاليف الجنين
من النطفة وكيفية انصباب ماء المراة وكيفية خلق الانثيين والعروق السالكة اليه من الفقار الذي هو مستقر النطفة وكيفية
انصباب ماء المراة من الترائب بواسطة العروق وكيفية انقسام مقعر الرحم الى قوالب تقع النطفة في بعضها فتتشكل
بشكل الذكور وتقع في بعضها فتتشكل بشكل الاناث وكيفية ادارتها في اطوار خلقها [illegible]
فلا بد من الآلات للحركة وقدرة في تلك الآلات على الحركة لتكون حركتها بمقتضى الشهوة طلبا وبمقتضى الكراهة هربا فلذلك
خلق الله سبحانه لك الاعضاء التي تنظر الى ظاهرها ولا تعرف اسرارها فمنها ما هو للطلب كالرجل للانسان والجناح للطير
والقوائم للدواب ومنها ما هو للدفع كالاسلحة للانسان والقرن للحيوانات وفي هذا تختلف الحيوانات اختلافا كثيرا فمنها
ما يكثر اعداؤه ويبعد غذاؤه فيحتاج الى سرعة الحركة فخلق له الجناح ليطير بسرعة ومنها ما خلق له اربع قوائم ومنها ما له
رجلان ومنها ما يدب وذكر ذلك يطول فلنذكر الاعضاء التي بها يتم الاكل فقط ليقاس عليها غيرها فنقول رؤيتك
الطعام من بعد وحركتك اليه لا يكفي ما لم تاخذه فافتقرت الى آلة باطشة فانعم الله تعالى عليك بخلق اليدين وهما طويلتان
تمتدان الى الاشياء ومشتملتان على مفاصل كثيرة لتتحرك في الجهات وتمتد وتنثني اليك فلا تكون كخشبة منصوبة ثم جعل راس اليد عريضا
بخلق الكف ثم قسم راس الكف بخمسة اقسام هي الاصابع وجعلها في صفين بحيث يكون الابهام في جانب ويدور على الاربعة الباقية
ولو كانت مجتمعة او متراكمة لم يحصل بها تمام غرضك فوضعها وضعا ان بسطتها كانت لك مجرفة وان ضممتها وثنيتها كانت لك
مغرفة وان جمعتها كانت لك آلة للضرب واذا نشرتها ثم قبضتها كانت لك آلة في القبض ثم خلق لها اظفارا واسند اليها رؤس
الاصابع حتى لا تتفتت وحتى تلتقط بها الاشياء الدقيقة التي لا تحويها الاصابع فتاخذها برؤس اظفارك ثم هب انك اخذت الطعام
باليد فمن اين يكفيك هذا ما لم يصل الى المعدة وهي في الباطن فلا بد وان يكون من الظاهر دهليز اليها حتى يدخل الطعام منه فجعل
الفم منفذا الى المعدة مع ما في الفم من الحكم الكثيرة سوى كونه منفذا للطعام الى المعدة ثم ان وضعت الطعام في الفم وهو قطعة واحدة
فلا يتيسر ابتلاعها فيحتاج الى طاحونة تطحن بها الطعام فخلق لك اللحيين من عظمين وركب فيهما الاسنان وطبق الاضراس من العليا
على السفلى لتطحن به الطعام طحنا ثم الطعام تارة يحتاج الى الكسر وتارة الى القطع ثم يحتاج الى الطحن بعد ذلك فقسم الاسنان
الى عريضة طواحن كالاضراس والى حادة قواطع كالرباعيات والى ما يصلح للكسر كالانياب ثم جعل مفصل اللحيين متخلخلا بحيث
يتقدم الفك الاسفل ويتاخر حتى يدور على الفك الاعلى دوران الرحا ولولا ذلك لما تيسر الا ضرب احدهما على الاخر مثل
تصفيق اليدين مثلا وبذلك لا يتم الطحن فجعل اللحي الاسفل متحركا حركة دورية واللحي الاعلى ثابتا لا يتحرك فانظر الى عجيب صنع الله
فان كل رحى بناه الخلق فيثبت منه الحجر الاسفل ويدور الاعلى الا هذه الرحا الذي بناه الله تعالى اذ يدور منه الاسفل على
الاعلى فسبحانه ما اعظم شانه واتم برهانه واوسع امتنانه ثم هب انك وضعت الطعام في فضاء الفم فكيف يتحرك الى ما تحت

الاسنان او كيف يستجره الاسنان الى نفسها او كيف يتصرف باليد في داخل الفم فلينظر كيف انعم الله تعالى عليك بخلق اللسان فانه يطوف في جوانب الفم ويرد الطعام من الوسط الى الاسنان بحسب الحاجة كالمجرفة التي ترد الطعام الى الرحا مع ما فيه من فائدة الذوق وعجائب قوة النطق التي لسنا نطنب في ذكرها ثم هب انك قطعت الطعام وطحنته وهو يابس فلا تقدر على الابتلاع الا ان يتزلق الى الحلق بنوع رطوبة فانظر كيف خلق الله تعالى تحت اللسان عينا يفيض اللعاب وينصب بقدر الحاجة حتى ينعجن به الطعام ثم انظر كيف سخرها لهذا الامر فانك ترى الطعام من بعيد فيثور الحنكان للخدمة وينصب اللعاب حتى تتحلب اشداقك والطعام بعد بعيد منك ثم هذا الطعام المطحون المعجون من يوصله الى المعدة وهو في الفم ولا تقدر على ان تدفعه باليد ولا يد في المعدة حتى تمتد فتجذب الطعام فانظر كيف هيأ الله المرئ والحنجرة وجعل على رأسها طبقات تنفتح لاخذ الطعام ثم تنطبق وتنضغط حتى يتقلب الطعام بضغطه فيهوى الى المعدة في دهليز المرئ فاذا ورد الطعام على المعدة وهو خبز وفاكهة مقطعة فلا يصلح لان يصير لحما وعظما ودما على هذه الهيئة بل لابد وان يطبخ طبخا تاما حتى تتشابه اجزاؤه فخلق الله تعالى المعدة على هيئة قدر فيقع فيها الطعام فتحتوي عليه وتنغلق عليه الابواب فلا يزال لابثا فيه حتى يتم الهضم والنضج بالحرارة التي تحيط بالمعدة من الاعضاء الباطنة اذ من جانبه الايمن الكبد ومن الايسر الطحال ومن قدامه الترائب ومن خلفه لحم الصلب فتتعدى الحرارة اليها من تسخين هذه الاعضاء من الجوانب حتى ينطبخ الطعام ويصير مائعا متشابها يصلح للنفوذ في تجاويف العروق وعند ذلك يشبه ماء الشعير في تشابه اجزائه ورقته وهو بعد لا يصلح للتغذية فخلق الله بينها وبين الكبد مجاري من العروق وجعل لها فوهات كثيرة حتى ينصب الطعام فيها فينتهي الى الكبد والكبد معجون من طينة الدم حتى كأنه دم وفيه عروق كثيرة شعرية منتشرة في اجزائها حتى يستولي عليها قوة الكبد فيصبغها بلون الدم فيستقر فيها ريثما يحصل له نضج آخر ويحصل له هيئة الدم الصافي الصالح لغذاء الاعضاء الا ان حرارة الكبد هي التي تنضج هذا الدم فيتولد من هذا الدم فضلتان كما يتولد في جميع ما يطبخ احداهما شبيهة بالدردي والعكر وهو الخلط السوداوي والاخرى شبيهة بالرغوة وهي الصفراء ولو لم تفصل عنه الفضلتان فسد مزاج الاعضاء فخلق الله تعالى المرارة والطحال وجعل لكل واحد منهما عنقا ممدودا الى الكبد داخلا في تجويفه فتجذب المرارة الفضلة الصفراوية ويجذب الطحال العكر السوداوي فيبقى الدم صافيا ليس فيه الا زيادة رقة ورطوبة لمائيته ولولاها لما انتشرت في تلك العروق الشعرية ولا خرجت منها صاعدة الى الاعضاء فخلق الله تعالى الكليتين واخرج من كل واحدة عنقا طويلا الى الكبد ومن عجائب حكمة الله تعالى ان عنقهما لم يدخل في تجويف الكبد حتى ياتيها بعد الطلوع من العروق الدقيقة التي في الكبد اذ لو اجتذب قبل ذلك لغلظ ولم يخرج من العروق فاذا انفصلت منها المائية فقد صار الدم صافيا من الفضلات الثلاث نقيا من كل ما يفسد الغذاء ثم اطلع الله تعالى من الكبد عروقا ثم قسمها بعد الطلوع اقساما وشعب كل قسم بشعب وانتشر ذلك في البدن كله من الفرق الى القدم ظاهرا وباطنا فيجري الدم الصافي فيها ويصل الى سائر الاعضاء حتى يصير العروق المنقسمة صغيرة كعروق الاوراق والاشجار فيصل منها الغذاء بالرشح الى سائر الاعضاء ولو حلت بالمرارة آفة فسد الدم وحصلت الامراض الصفراوية كاليرقان والبثور والحمرة وان حلت بالطحال آفة فلم يجذب الخلط السوداوي حدثت الامراض السوداوية كالبهق والجذام والماليخوليا وغيرها وان لم تندفع المائية نحو الكلى حدث منه الاستسقاء وغيره ثم انظر الى حكمة الفاطر الحكيم كيف رتب منافع هذه الفضلات الثلاث الخسيسة اما المرارة فانها تجذب باحد عنقيها وتقذف بالعنق الآخر الى الامعاء ليحصل لها في ثفل الطعام رطوبة مزلقة ويحدث في الامعاء لذعا يحركها للدفع فتنضغط حتى يندفع الثفل وتنزلق فيكون صفرته لذلك

لذلك اما الطحال فانه يحيل تلك الفضلة احالة يحصل بها فيه حموضة وقبض ثم يرسل كل يوم شيئا الى فم المعدة فيحرك الشهوة بحموضته وينبهها ويثيرها ويخرج الباقي مع الثفل واما الكلية فانها تتغذى بما في تلك المائية من دم وترسل الباقي الى المثانة ولنقتصر على هذا القدر من نعم الله تعالى في الاسباب التي اعدت للاكل ولو ذكرنا كيفية احتياج الكبد الى القلب والدماغ واحتياج كل واحد من هذه الاعضاء الرئيسة الى صاحبه وكيفية انشعاب العروق الضوارب من القلب الى سائر البدن التي بواسطتها يصل الى الروح وكيفية انشعاب الاعصاب من الدماغ الى سائر البدن وبواسطتها يصل الى الحس والحيوة وكيفية انشعاب العروق من الكبد الى سائر البدن ثم كيفية تركيب الاعضاء وعدد اعظامها وعضلاتها وعروقها واوتارها ورباطاتها وغضاريفها ورطوباتها لطال الكلام فكل ذلك محتاج اليه للاكل ولامور اخر سواه بل في الآدمي آلاف من العضلات والعروق والاعصاب مختلفة في الصغر والكبر والدقة والغلظ وكثرة الانقسام وقلتها ولا شيء منها الا وفيها حكمة او ثلث او اربع الى عشر وزيادة وكل ذلك نعم من الله تعالى عليك لو سكن من جملتها عرق متحرك او تحرك عرق ساكن لهلكت يا مسكين فانظر الى نعمة الله تعالى اولا لتقوى بعدها على الشكر فانك لا تعرف من نعم الله تعالى الا الاكل وهو اخسها ثم لا تعرف منها الا انك تجوع فتاكل والحمار ايضا يعلم انه يجوع فياكل ويتعب فينام ويشتهي فيجامع ويستريح فيرمح فاذا لم تعرف انت من نفسك الا ما يعرفه الحمار فكيف تقوم بشكر الله تعالى وهذا الذي رمزنا اليه على الاجمال مما اجملنا من جملة ما عرفناه حذرا من التطويل وجملة ما عرفناه وعرفه الخلق كلهم بالاضافة الى ما لم نعرفه من نعم الله تعالى اقل من قطرة في بحر لجي الا ان من علم شيئا من هذا ادرك شمة من معاني قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ثم انظر كيف ربط الله تعالى قوام هذه الاعضاء وقوام منافعها وادراكاتها وقواها ببخار لطيف يتصاعد من الاخلاط الاربعة مستقره القلب ويجري في جميع البدن بواسطة العروق الضوارب فلا ينتهي الى جزء من اجزاء البدن الا ويحصل عند وصوله في تلك الاجزاء ما يحتاج اليها من قوة حس وادراك وقوة حركة وغيرها كالسراج الذي يدار في اطراف البيت فلا يصل الى جزء من البيت الا ويحصل بسبب وجوده ضوء على اجزاء البيت من خلق الله تعالى واختراعه ولكنه جعل السراج سببا له بحكمته وهذا البخار اللطيف تسميه الاطباء الروح ومحله القلب ومثاله جرم نار السراج والقلب له كالمسرجة والدم الاسود الذي في باطن القلب له كالفتيلة والغذاء له كالزيت والحيوة الظاهرة في سائر اعضاء البدن بسببه كالضوء للسراج في جملة البيت فكما ان السراج اذا انقطع زيته انطفئ فسراج الروح ايضا ينطفئ مهما انقطع غذاؤه وكما ان الفتيلة قد تحترق وتصير رمادا بحيث لا تقبل الزيت فينطفئ السراج مع كثرة زيته فكذلك الدم الذي تشبث به هذا البخار في القلب قد يحترق لفرط حرارة القلب فينطفئ مع وجود الغذاء فانه لا يقبل الغذاء الذي يبقى به الروح كما لا يقبل الرماد الزيت قبولا تتشبث النار به وكما ان السراج تارة ينطفئ بسبب من داخل كما ذكرنا وتارة بسبب من خارج كريح عاصفة فكذلك الروح تارة ينطفئ بسبب من داخل وتارة بسبب من خارج وهو القتل وكما ان انطفاء السراج بنفاد الزيت او بفساد الفتيلة او بريح عاصفة او بتطفئة انسان لا يكون الا باسباب مقدرة في علم الله تعالى مرتبة ويكون كل ذلك بقدر فكذلك انطفاء الروح وكما ان انطفاء السراج هو منتهى وقت وجوده فيكون ذلك اجله الذي اجل له في ام الكتاب فكذلك انطفاء الروح وكما ان السراج اذا انطفئ اظلم البيت كله فالروح اذا انطفئ اظلم البدن كله وفارقته انوارها التي كانت تستفيد من الروح وهي انوار الاحساسات والقدر والارادات وسائر ما يجمعها معنى لفظ الحيوة فهذا ايضا رمز وجيز الى عالم آخر من عوالم نعم الله تعالى وعجائب حكمته ليعلم انه لو كان البحر مدادا لكلماته لنفد البحر قبل ان تنفد كلماته فتعسا لمن كفر بالله تعسا وسحقا

لمن كمن نعمه سحقًا فان قلت فقد وصفت الروح ومثلته ورسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عليه السلم عن الروح
فلم يزد على ان قال الروح من امر ربي فلم لم يصفه لهم على هذا الوجه فاعلم ان هذه غفلة عن الاشتراك الواقع في لفظ الروح
فان الروح يطلق لمعان كثيرة لا نطول بذكرها ونحن انما وصفنا من جملتها جسما لطيفا تسميه الاطبا روحا وقد عرفوا صفتها
ووجودها وكيفية سريانها في الاعضا وكيفية حصول الاحساس والقوى في الاعضا حتى اذا خدر بعض الاعضا علموا ان ذلك
لوقوع شدة في مجرى هذا الروح فلا يعالجون موضع الخدر بل منابت الاعصاب ومواقع الشدة فيها ويعالجونها بما يفتح السدد
فان هذا الجسم بلطفه ينفذ في شباك العصب وبواسطته يتادى من القلب الى سائر الاعضا وما يرتقي اليه معرفة الاطبا فامره سهل
نازل واما الروح الالهي التي هي الاصل وهي التي اذا فسدت فسد لها سائر البدن فذلك سر من اسرار الله تعالى لم نصفه ولا رخصه
في وصفه الا بان يقال هو امر رباني كما قال الله تعالى قل الروح من امر ربي والامور الربانية لا تحمل العقول وصفها بل تتحير فيها عقول
اكثر الخلق واما الاوهام والخيالات فقاصرة عنها بالضرورة قصور البصر عن ادراك الاصوات وتتزلزل في ذكر مبادي وصفها
معاقد العقول المقيدة بالجوهر والعرض المحبوسة في مضيقها فلا يدرك بالعقل شيء من وصفه بل نور اخر اعلى واشرف من العقل يشرق ذلك النور
في عالم الولاية والنبوة نسبته الى العقل نسبة العقل الى الوهم والخيال وقد خلق الله الخلق اطوارا فكما يدرك الصبي المحسوسات ولا يدرك
المعقولات التي يدركها البالغ ولا يدرك ما وراءه لان ذلك طور لم يبلغه بعد وانه لمقام شريف ومشرب عذب ورتبة عالية فيها
يلحظ جناب الحق بنور الايمان واليقين وذلك المشرب اعز من ان يكون شريعة لكل وارد بل لا يطلع عليه الا واحد بعد واحد ولجناب الحق صدر
له في مقدمة الصدر مجال وميدان رحب وعلى اول الميدان عتبة هي مستقر ذلك الامر الرباني فمن لم يكن له على العتبة جواز ولا لحافظ العتبة
مشاهدة استحال ان يصل الى الميدان فكيف الانتها الى ما وراءه من المشاهدات العالية ولذلك قيل من لم يعرف نفسه لم يعرف ربه فانى
يصادف هذا في خزانة الاطبا ومن اين للطبيب ان يلاحظه بل المعنى المسمى روحا عند الطبيب بالاضافة الى هذا الامر الرباني كالكرة
التي يحركها صولجان الملك بالاضافة الى الملك فمن عرف الروح الطبي فظن انه ادرك الامر الرباني كان كمن راى الكرة فظن انه راى الملك
ولا يشك انه خطاه فاحش وهذا الخطا الخطر منه جدا ولما كانت العقول التي بها يحصل التكليف وبها يدرك مصالح الدنيا عقولا
قاصرة عن ملاحظة كنه هذا الامر بل ما اذن الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم ان يتحدث عنه بل امره ان يكلم الناس على قدر عقولهم ولم يذكر
الله تعالى في كتابه من حقيقة هذا الامر شيا لكن ذكر نسبته وفعله ولم يذكر ذاته اما نسبته ففي قوله تعالى قل الروح من امر ربي واما فعله
فقد ذكره في قوله تعالى يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي فلنرجع الان الى الغرض المقصود
فان المقصود ذكر نعم الله في الاكل فقد ذكرنا بعض نعم الله تعالى في الالات الاكل **الطرف الرابع** في نعم الله تعالى في الاصول التي منها تحصل
الاطعمة وتصير صالحة لان يصلحها الادمي بعد ذلك بصنعته اعلم ان الاطعمة كثيرة ولله تعالى في خلقها عجائب كثيرة لا تحصى واسباب متوالية
لا تتناهى وذكر ذلك في كل طعام مما يطول فان الاطعمة اما ادوية واما فواكه واما اغذية فلناخذ الاغذية فانها الاصل ولناخذ من جملتها
حبة من البر وندع سائر الاغذية فنقول اذا وجدت حبة او حبات فلو اكلتها فنيت وبقيت جائعا فما احوجك الى ان تنمو الحبة
في نفسها وتزداد وتتضاعف حتى تفي بتمام حاجتك فخلق الله تعالى في حبة الحنطة من القوى ما يغتذي به كما خلق فيك فان النبات انما
يفارقك في الحس والحركة ولا يخالفك في الاغتذاء لانه يغتذي بالماء ويجتذب الى باطنه بواسطة العروق كما تغتذي انت وتجتذب
ولسنا نطنب في ذكر الات النبات واجتذابه الغذاء الى نفسه ولكن نشير الى غذائه فنقول كما ان الخشب والتراب لا يغذيك بل تحتاج
الى طعام مخصوص فكذلك الحبة لا تغتذي بكل شيء بل يحتاج الى طعام مخصوص بدليل انها لو تركتها في البيت لم تزد لانه ليس يحيط به الا

الا الهواء المجرد والهواء لا يصلح لغذائه ولو تركته في الماء لم يزد ولو تركته في ارض لا ماء فيه لم يزد بل لا بد من ارض فيها ماء يمتزج
ماؤها بالارض فيصير طينا واليه الاشارة بقوله تعالى فلينظر الانسان الى طعامه انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا
ثم لا يكفي الماء والتراب اذ لو تركت في ارض ندية صلبة متراكمة لم ينبت لفقد الهواء فيحتاج الى تركه في ارض رخوة متخلخلة
يتغلغل الهواء اليها ثم الهواء لا يتحرك اليه بنفسه فيحتاج الى ريح تحرك الهواء وتضربه بقهر وعنف على الارض حتى ينفذ فيه واليه
الاشارة بقوله تعالى وارسلنا الرياح لواقح وانما القاحها في ايقاع الازدواج بين الهواء والماء والارض ثم كل ذلك لا يغنيك
لو كان في برد مفرط وشتاء شاتي فيحتاج الى حرارة الربيع والصيف فقد بان احتياج غذائك الى هذه الاربعة فانظر الى ما ذا يحتاج
كل واحد انه يحتاج الماء ليساق الى ارض الزراعة الى البحار والعيون والانهار والسواقي فانظر كيف خلق الله تعالى البحار وفجر
العيون واجرى منها الانهار ثم الارض ربما تكون مرتفعة والمياه لا ترتفع اليها فانظر كيف خلق الغيوم وكيف سلط الرياح
عليها لتسوقها باذنه الى اقطار العالم وهي سحاب ثقال حوامل بالماء ثم انظر كيف يرسله مدرارا على الارض في وقت الربيع و
الخريف على حسب الحاجة ثم انظر كيف خلق الجبال حافظة للمياه تتفجر منها العيون تدريجا فان خرجت دفعة لغرقت البلاد
وهلكت الزرع والمواشي ونعم الله تعالى في الجبال والسحاب والبحار والامطار لا يمكن احصاؤها واما الحرارة فانها لا
تحصل بين الماء والارض وكلاهما باردان فانظر كيف سخر الشمس وكيف خلقها مع بعدها عن الارض مسخنة للارض في وقت
دون وقت ليحصل البرد عند الحاجة الى البرد والحر عند الحاجة الى الحر فهذا احدى حكم الشمس والحكم فيها اكثر من ان يحصى
ثم النبات اذا ارتفع عن الارض كان في الفواكه انعقاد وصلابة فتفتقر الى رطوبة تنضجها فانظر كيف خلق القمر وجعل من خاصيتها
الترطيب كما جعل من خاصية الشمس التسخين فهو ينضج الفواكه ويصبغها بتقدير الفاطر الحكيم ولذلك لو كانت الاشجار في ظلل
يمنع اشراق الشمس والقمر وسائر الكواكب عليها لكانت فاسدة ناقصة حتى ان الشجرة الصغيرة تفسد اذا اظلتها شجرة كبيرة و
تعرف ترطيب القمر بان تكشف راسك له في الليل فيغلب على راسك الرطوبة التي يعبر عنها بالزكام فكما يرطب راسك
يرطب الفواكه ايضا ولا نطول فيما لا مطمع في استقصائه بل نقول كل كوكب في السماء فقد سخر لنوع فائدة كما سخرت الشمس للتسخين
والقمر للترطيب فلا يخلو واحد منها عن حكم كثيرة لا تفي قوة البشر باحصائها ولو لم يكن كذلك لكان خلقها عبثا وباطلا ولم يصح
قوله تعالى ربنا ما خلقت هذا باطلا وقوله وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين وكما انه ليس في اعضاء بدنك
عضو الا لفائدة فليس في اعضاء بدن العالم عضو الا لفائدة والعالم كله كشخص واحد واحاده اجسام كالاعضاء له وهي تتعاون
تعاون اعضائك في جملة بدنك وشرح ذلك يطول ولا ينبغي ان تظن ان الايمان بان النجوم والشمس والقمر مسخرات بامر الله
في امور جعلت اسبابا لها بحكم الحكمة مخالف للشرع لما ورد فيه النهي عن تصديق المنجمين وعن علم النجوم بل المنهي عنه في
النجوم امران احدهما ان تصدق بانها فاعلة لاثارها مستقلة بها وانها ليست مسخرة تحت تدبير مدبر خلقها وقهرها وهذا
كفر والثاني تصديق المنجمين في تفصيل ما يخبرون عنه من الاثار التي لا تشترك كافة الخلق في دركها لانهم يقولون ذلك عن جهل
فان علم احكام النجوم كان معجزة لبعض الانبياء ثم اندرس ذلك العلم فلم يبق الا ما هو مختلط لا يتميز فيه الصواب عن الخطا فاعتقاد
كون الكواكب اسبابا لاثار تحصل بخلق الله تعالى في الارض وفي النبات والحيوان ليس قادحا في الدين بل هو الحق ولكن دعوى
العلم بتلك الاثار على التفصيل مع الجهل قادح في الدين ولذلك اذا كان معك ثوب غسلته وتريد تجفيفه فقال لك غيرك
اخرج الثوب وابسطه في الشمس فان الشمس قد طلع وحمي الهواء لا يلزمك تكذيبه ولا يلزمك الانكار عليه بحوالته حمي الهوا

على طلوع الشمس وإذا سألت عن تغير وجه الإنسان فقال ضربتني الشمس في الطريق فاسود وجهي لم يلزمك تكذيبه في
قس بهذا سائر الآثار إلا أن الآثار بعضها معلومة والمجهولة لا يجوز دعوى العلم فيها والمعلومة بعضها معلوم للناس
كافة كحصول الضياء والحرارة بطلوع الشمس وبعضها لبعض الناس كحصول الزكام لشروق القمر فإذن الكواكب ما خلقت عبثاً
بل فيها حكم كثيرة لا تحصى ولهذا نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماء وقرأ قوله تعالى ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك
فقنا عذاب النار ثم قال عليه الصلاة والسلام ويل لمن قرأ هذه الآية ثم مسح بها سبلته ومعناه أن يقرأ ويترك التأمل و
يقتصر من فهم ملكوت السموات على أن يعرف لون السماء وضوء الكواكب وذلك مما تعرفه البهائم أيضاً فمن قنع منه بمعرفة
ذلك فهو الذي مسح بها سبلته فلله في ملكوت السموات والآفاق والأنفس والحيوانات والنبات عجائب يطلب معرفتها المحبون
لله فإن من أحب عالماً فلا يزال مشغوفاً بطلب تصانيفه ليزداد بمزيد الوقوف على عجائب صنع الله تعالى فإن العالم كله من صنع الله
تعالى وتصنيفه بل تصنيف المصنفين من تصنيفه الذي صنفه بواسطة قلوب عباده فإن تحيرت من تصنيف فلا تتعجب من المصنف
بل من الذي سخر المصنف لتأليفه بما أنعم الله عليه من هدايته وتسديده وتعريفه كما إذا رأيت لعب المشعبذ يرقص ويحرك حركات
موزونة متناسبة فلا تتعجب من اللعب فإنها خرق محركة لا متحركة ولكن تعجب من حذق المشعبذ المحرك لها بروابط دقيقة
خفية عن الأبصار فإذن المقصود أن غذاء النبات لا يتم إلا بالماء والهواء والشمس والقمر والكواكب ولا تتم الأفلاك إلا بحركاتها
ولا تتم حركاتها إلا بملائكة سماوية يحركونها وكذلك تتمادى إلى أسباب بعيدة تركنا ذكرها تنبيهاً بما ذكرنا على ما أهملناه و
لنقتصر على هذا من ذكر أسباب غذاء النبات **الطرف الخامس** في نعم الله تعالى في الأسباب الموصلة للأطعمة إليك اعلم
أن هذه الأطعمة كلها لا توجد في كل مكان بل لها شروط مخصوصة لأجلها توجد في بعض الأماكن دون بعض والناس منتشرون على
وجه الأرض وقد يبعد عنهم الأطعمة ويحول بينهم وبينه البحار والبراري فانظر كيف سخر الله تعالى التجار وسلط عليهم
حرص المال وشره الربح مع أنه لا يغنيهم في غالب الأمر شيئاً بل يجمعون فإما أن يغرق بها السفن وإما أن ينهبها قطاع الطريق و
يموتون في بعض البلاد فيأخذها السلاطين وأحسن أحوالهم أن يأخذها ورثتهم وهم أشد أعدائهم لو عرفوهم فانظر كيف سلط
الله تعالى الجهل والغفلة عليهم حتى يقاسوا الشدائد في طلب الربح ويركبون الأخطار ويغررون بالأرواح في ركوب البحار
فيحملون الأطعمة وأنواع الحوائج من أقصى الشرق والغرب إليك وانظر كيف علمهم الله صناعة السفن وكيفية الركوب فيها
وانظر كيف خلق الحيوانات وسخرها للركوب والحمل في البراري وانظر إلى الإبل كيف خلقت وإلى الفرس كيف أيدت بسرعة الحركة
وإلى الحمار كيف جعل صبوراً على التعب وإلى الجمال كيف تقطع البراري وتطوي المراحل تحت الأعباء الثقيلة على الجوع والعطش
وانظر كيف سخرهم الله بواسطة السفن والحيوانات في البر والبحر ليحملوا إليك الأطعمة وسائر الحوائج وتأمل ما تحتاج إليه
الحيوانات من أسبابها وأدواتها وعلفها وما تحتاج إليه السفن فقد خلق الله تعالى جميع ذلك غير ممكن ويتمادى هذا
إلى أمور خارجة عن الحصر تركها للإيجاز **الطرف السادس** في إصلاح الأطعمة اعلم أن الذي ينبت من الأرض من النبات
وما يخلق من الحيوانات لا يمكن أن يقضم ويؤكل وهو كذلك بل لا بد في كل واحد من إصلاح وطبخ وتركيب وتنظيف بإلقاء البعض
وإبقاء البعض إلى أمور أخر لا تحصى واستقصاء ذلك في كل طعام يطول فلنعين رغيفاً واحداً ولننظر إلى ما يحتاج إليه الرغيف
الواحد حتى يستدير ويصلح للأكل من بعد إلقاء البذر في الأرض فأول ما يحتاج إليه الحراث ليزرع ويصلح الأرض والثور الذي
يثير الأرض والفدان وجميع أسبابه ثم بعد ذلك التعهد بسقي الماء مدة ثم تنقية الأرض من الحشيش ثم الحصاد ثم الفرك والتنقية

والتنقية ثم الطحن ثم العجن ثم الخبز فتأمل عدد هذه الأفعال التي ذكرناها وما لم نذكرها وعدد الأشخاص القائمين بها وعدد الآلات
التي يحتاج إليها من الحديد والخشب والحجر وغيره وانظر إلى أعمال الصناع في إصلاح آلات الحراثة والطحن والخبز من نجار
وحداد وغيره وانظر إلى حاجة الحداد إلى الحديد والرصاص والنحاس وانظر كيف خلق الله تعالى الجبال والأحجار والمعادن وكيف
جعل الأرض قطعاً متجاورات مختلفة فإن فتشت علمت أن رغيفاً واحداً لا يستدير بحيث يصلح لأكلك يا مسكين ما لم يعمل عليه أكثر
من ألف صانع فابتدئ من الملك الذي يزجي السحاب لينزل الماء إلى آخر أعمال الملائكة حتى ينتهي النوبة إلى عمل الإنسان فإذا استدار
رغيف فقد عمل عليه قريب من سبعة آلاف صانع كل صانع أصل من أصول الصنائع التي بها تتم مصلحة الخلق ثم تأمل كثرة أعمال الإنسان
في تلك الآلات حتى أن الإبرة التي هي آلة صغيرة فائدتها خياطة اللباس الذي يمنع البرد عنك لا تكمل صورتها من حديدة
تصلح للإبرة إلا بعد أن تمر على يد الإبري خمساً وعشرين مرة يتعاطى في كل مرة منها عملاً فلو لم يجمع الله البلاد ولم يسخر العباد
وافتقرت إلى عمل المنجل الذي تحصد به البر مثلاً بعد نباته لنفد عمرك وعجزت عنه أفلا ترى كيف هدى الله عبده الذي خلقه
من نطفة قذرة لأن يعمل هذه الأعمال العجيبة والصنائع الغريبة وانظر إلى المقراض مثلاً وهما جلمان متطابقان ينطبق أحدهما
على الآخر فيتناولان الشيء معاً ويقطعانه بسرعة ولو لم يكشف الله تعالى طريق اتخاذه بفضله وكرمه لمن قبلنا وافتقرنا إلى استنباط
الطريق فيه بفكرنا ثم إلى استخراج الحديد من الحجر وإلى تحصيل الآلات التي بها يعمل المقراض وعمر الواحد منا عمر نوح وأوتي أكمل
العقول لقصر عمره عن استنباط الطريق في إصلاح هذه الآلة وحدها فضلاً عن غيرها فسبحانه من الحق ذوي الأبصار بالعميان لكان
من منع التيسير مع هذا البيان فانظر الآن لو خلا بلدك عن الطحان مثلاً أو عن الحداد أو عن الحجام الذي هو أخس العمال أو
عن الحائك أو عن واحد من جملة الصناع ماذا يصيبك من الأذى وكيف تضطرب عليك أمورك فسبحان من سخر بعض العباد
لبعض حتى نفذت به مشيئته وتمت به حكمته ولنوجز القول في هذه الطبقة أيضاً فإن الغرض التنبيه على النعم دون الاستقصاء
الطرف السابع في إصلاح المصلحين اعلم أن هؤلاء الصناع المصلحين للأطعمة وغيرها لو تفرقت آراؤهم وتنافرت
طباعهم تنافر طباع الوحش لتبددوا وتباعدوا ولم ينتفع بعضهم بالبعض بل كانوا كالوحوش لا يجمعهم مكان واحد ولا
يجمعهم غرض واحد فانظر كيف ألف الله تعالى بين القلوب وسلط الأنس والمحبة عليهم ولو أنفقت ما في الأرض جميعاً
ما ألفت بين قلوبهم فلأجل الألف وتعارف الأرواح اجتمعوا وائتلفوا وبنوا المدن والبلاد ورتبوا المساكن والدور متقاربة
متجاورة ورتبوا الأسواق والخانات وسائر أصناف البقاع مما يطول إحصاؤه ثم هذه المحبة تزول بأغراض يتزاحمون عليها
ويتنافسون فيها ففي جبلة الإنسان الغيظ والحسد والمنافسة وذلك يؤدي إلى التقاتل والتنافر فانظر كيف سلط الله
السلاطين وأمدهم بالقوة والعدة والأسباب وألقى رعبهم في قلوب الرعايا حتى أذعنوا لهم طوعاً وكرهاً وكيف هدى السلاطين
إلى طريق إصلاح البلاد حتى رتبوا أجزاء البلاد كأنها أجزاء شخص واحد يتعاون على غرض واحد ينتفع البعض منها بالبعض فرتبوا
الرؤساء والقضاة والسجن وزعماء الأسواق واضطروا الخلق إلى قانون العدل وألزموهم التساعد والتعاون حتى صار
الحداد ينتفع بالقصاب والخباز وسائر أهل البلد وكلهم ينتفعون بالحداد والحراث بالحجام وينتفع كل واحد بكل واحد
بسبب ترتيبهم واجتماعهم وانضباطهم تحت ترتيب السلطان وجمعه كما يتعاون جميع أعضاء البدن وينتفع بعضها ببعض
وانظر كيف بعث الله الأنبياء حتى أصلحوا السلاطين المصلحين للرعايا وعرفوهم قوانين الشرع في حفظ العدل بين الخلق وقوانين
السياسة في ضبطهم وكشفوا من أحكام الإمامة والسلطنة وأحكام الفقه ما اهتدوا به إلى إصلاح الدنيا فضلاً عما

عما ارشدوهم اليه من اصلاح الدين وانظر كيف اصلح الله الانبياء بالملائكة وكيف اصلح الله الملائكة بعضهم ببعض الى ان ينتهي
الى الملك المقرب الذي لا واسطة بينه وبين الله تعالى فالخباز يخبز العجين والطحان يصلح الحب بالطحن والحراث يصلحه
بالحصاد والحداد يصلح آلات الحراث والنجار يصلح آلات الحداد وكذا جميع ارباب الصناعات المصلحين لآلات الاطعمة والسلطان
يصلح الصناع والانبياء يصلحون العلماء الذين هم ورثتهم والعلماء يصلحون السلاطين والملائكة يصلحون الانبياء الى ان ينتهي الى
حضرة الربوبية التي هي ينبوع كل نظام ومطلع كل حسن وجمال ومنشأ كل تأليف وترتيب وكل ذلك نعم من رب الارباب
ومسبب الاسباب ولولا فضله وكرمه اذ قال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا لما اهتدينا الى معرفة هذه النبذة
اليسيرة من نعم الله تعالى ولولا عزله ايانا عن ان نطمع بعين الطمع الى الاحاطة بكنه نعمه لتشوقنا الى طلب الاحاطة و
الاستقصاء ولكنه عزلنا بحكم القهر والقدرة وقال وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها فان تكلمنا فباذنه انبسطنا وان
سكتنا فبقهره انقبضنا اذ لا معطي لما منع ولا مانع لما اعطى لانا في كل لحظة من لحظات العمر قبل الموت نسمع بسمع القلوب
نداء الملك الجبار لمن الملك اليوم لله الواحد القهار فالحمد لله الذي ميزنا واسمعنا هذا النداء قبل انقضاء الاعمار

الطرف الثامن في بيان نعمة الله تعالى في خلق الملائكة وليس يخفى عليك ما سبق من نعمة في الملائكة باصلاح الانبياء
صلوات الله عليهم اجمعين وهدايتهم وتبليغ الوحي اليهم ولا تظنن انهم مقتصرون في افعالهم على ذلك القدر بل طبقات الملائكة
مع كثرتها وتفاوت مراتبها تنحصر بالجملة في ثلاث طبقات الملائكة الارضية والسماوية وحملة العرش فانظر كيف وكلهم الله
بك فيما يرجع الى الاكل والغذاء الذي ذكرناه دون ما يجاوز ذلك من الهداية والارشاد وغيرهما واعلم ان كل جزء من اجزاء
بدنك بل من اجزاء النبات لا يغتذي الا بان يوكل به سبع من الملائكة وهو اقله الى عشرة الى مائة الى ما وراء ذلك وبيانه ان
معنى الغذاء ان يقوم جزء من الغذاء مقام جزء وقد تلف وذلك الغذاء يصير دما في آخر الامر ثم يصير لحما وعظما فاذا صارت لحما
وعظما تم اغتذاؤك والدم واللحم اجسام ليس لها قدرة ومعرفة واختيار فهي لا تتحرك بانفسها ولا تتغير بانفسها ومجرد
الطبع لا يكفي في ترددها في اطوارها كما ان البر بنفسه لا يصير طحينا ثم عجينا ثم خبزا مستديرا ثم مطبوخا الا بالصناع فكذلك
الدم بنفسه لا يصير لحما وعظما وعروقا وعصبا الا بالصناع والصناع في الباطن هم الملائكة كما ان الصناع في الظاهر هم اهل
البلد وقد اسبغ الله عليكم نعمه ظاهرة وباطنة فلا ينبغي ان تغفل عن نعمه الباطنة فاقول لا بد من ملك يجذب الغذاء
الى جوار اللحم والعظم فان الغذاء لا يتحرك بنفسه ولا بد من ملك آخر يمسك الغذاء في جواره ولا بد من ثالث يخلع عنه
صورة الدم ولا بد من رابع يكسوه صورة اللحم والعظم او العروق ولا بد من خامس يدفع الفضل الفاضل من حاجة الغذاء
ولا بد من سادس يلصق ما اكتسب صفة العظم بالعظم وما اكتسب صفة اللحم باللحم حتى لا يكون منفصلا ولا بد من سابع يراعي
المقادير في الالصاق فيلحق بالمستدير ما لا يبطل استدارته وبالعريض ما لا يزيل عرضه وبالمجوف ما لا يبطل تجويفه ويحفظ
على كل واحد قدر حاجته فانه لو جمع مثلا من الغذاء على انف الصبي ما يجمع على فخذه لكبر انفه وبطل تجويفه وتشوهت صورته
بل ينبغي ان يسوق الى الاجفان مع رقتها والى الحدقة مع صفائها والى الافخاذ مع غلظها والى العظم مع صلابته ما يليق بكل
واحد منها من حيث القدر والشكل والا بطلت الصورة وربما بعض المواضع وضعف بعض المواضع بل لو لم يراع هذا الملك
العدل في القسمة والتقسيط فساق الى راس الصبي وسائر بدنه من الغذاء ما يسوقه الا احدى الرجلين مثلا لبقيت تلك الرجل
كما كانت في حد الصغر وكبر جميع البدن فكنت ترى شخصا في ضخامة رجل وله رجل واحدة كانها رجل صبي فلا ينتفع

ولا ينتفع بنفسه البتة فمراعاة هذه الهندسة في القسمة مفوض الى ملك من الملائكة ولا تظنن ان الدم بطبعه يهندس شكل نفسه
فان من يحيل هذه الامور على الطبع جاهل لا يدري ما يقول فهؤلاء هم الملائكة الارضية وقد شغلوا بك وانت في النوم تستريح وفي
الغفلة تتردد وهم يصلحون الغذاء في الباطن ولا خبر لك منهم وذلك في كل جزء من اجزائك الذي لا يتجزى حتى يفتقر بعض الاجزاء كالعين
والقلب الى اكثر من مائة ملك تركنا تفصيل ذلك والملائكة الارضية مددهم من الملائكة السماوية على ترتيب معلوم لا يحيط بكنهها
الا الله ومدد الملائكة السماوية من حملة العرش والمنعم على جميعهم بالتأييد والهداية والتسديد القدوس المهيمن المتفرد بالملك والملكوت
والعزة والجبروت جبار السموات والارض مالك الملك ذو الجلال والاكرام سبحانه وتعالى وتقدس والاخبار الواردة في الملائكة
الموكلين بالسموات والارضين واجزاء النبات والحيوانات حتى كل قطرة من المطر وحتى كل سحاب ينجر من جانب الى جانب اكثر من ان تحصى
فلذلك تركنا الاستشهاد فان قلت فهلا فوضت هذه الافعال الى ملك واحد ولم افتقر الى سبعة املاك والحنطة
ايضا تحتاج الى من يطحن اولا ثم الى من يميز عنه النخالة ويدفع الفضلة ثانيا ثم الى من يصب الماء عليه ثالثا ثم الى من يعجن رابعا
ثم الى من يقطعها كرات مدورة خامسا ثم الى من يرققها سادسا ثم الى من يلصقها بالتنور سابعا ولكن قد يتولى جميع ذلك رجل واحد
ويستقل به فهلا كانت اعمال الملائكة باطنا كاعمال الانس ظاهرا فاعلم ان خلقة الملائكة تخالف خلقة الانس وما من واحد
منهم الا وهو وحداني الصفة ليس فيه خلط وتركيب البتة فلا يكون لكل واحد منهم الا فعل واحد واليه الاشارة بقوله تعالى وما
منا الا له مقام معلوم ولذلك ليس بينهم تنافس وتقاتل بل مثالهم في تعيين مرتبة كل واحد وفعله عليه مثال الحواس الخمس فان
البصر لا يزاحم السمع في ادراك الاصوات ولا الشم يزاحمها ولا هما ينازعان الشم وليس كاليد والرجل فانك قد تبطش باصابع
الرجل بطشا ضعيفا فتزاحم بها اليد وقد تضرب غيرك براسك فتزاحم اليد التي هي آلة الضرب ولا كالانسان الواحد الذي
يتولى بنفسه الطحن والخبز فان هذا نوع من الاعوجاج والعدول عن العدل سببه اختلاف صفات الانسان واختلاف دواعيه
فانه ليس وحداني الصفة فلم يكن وحداني الفعل ولذلك ترى الانسان يطيع الله مرة ويعصيه اخرى لاختلاف دواعيه وصفاته
وذلك غير ممكن في طباع الملائكة بل هم مجبولون على الطاعة لا مجال للمعصية في حقهم فلا جرم لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون
ما يؤمرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون والراكع منهم راكع ابدا والساجد ساجد ابدا والقائم قائم ابدا لا اختلاف في
افعالهم ولا فتور ولكل واحد مقام معلوم لا يتعداه وطاعتهم لله تعالى من حيث لا مجال للمخالفة فيهم يمكن ان تشبه بطاعة
اطرافك لك فانك مهما جزمت الارادة بفتح الاجفان لم يكن للجفن الصحيح تردد واختلاف في طاعتك مرة ومعصيتك اخرى
بل كانه منتظر لامرك ونهيك ينفتح وينطبق متصلا باشارتك فهذا يشبه باراداتك من وجه ولكن يخالفه من وجه اذ الجفن لا علم
له بما يصدر منه من الحركة فتحا واطباقا والملائكة احياء عالمون بما يفعلون فاذن هذه نعمة الله عليك في الملائكة الارضية
والسماوية وحاجتك اليها في غرض الاكل فقط دون ما عداها من الحركات والحاجات كلها فانا لم نطول بذكرها فهذه طبقة اخرى
من طبقات النعم ومجامع الطبقات لا يمكن احصاؤها فكيف آحادها ولا يدخل تحت مجامع الطبقات فكيف اذن ما يدخل تحت مجامع
الطبقات فاذن قد اسبغ الله عليك نعمه ظاهرة وباطنة ثم قال وذروا ظاهر الاثم وباطنه فترك باطن الاثم مما لا يعرفه الخلق
من الحسد وسوء الظن والبدعة واضمار الشر للناس الى غير ذلك من آثام القلوب هو شكر النعم الباطنة وترك الاثم الظاهر بالجوارح
شكر للنعم الظاهرة بل اقول كل من عصى الله تعالى ولو في تطريفة واحدة بان فتح جفنه مثلا حيث يجب غض البصر فقد كفر كل
نعمة لله تعالى عليه في السموات والارضين وما بينهما فان كل ما خلقه الله تعالى حتى الملائكة والسموات والحيوانات والنبات بجملته

نعم قصور البصر

نعمة على كل واحد من العباد تقدم بها استغاثة وان اشفع غيره ان شابه فان لله في كل طرفة نعما في الجفن اذ خلق تحت كل جفن عضلات ولها اوتار ورباطات متصلة باعصاب الدماغ بها يتم انخفاض الجفن الاعلى وارتفاع الجفن الاسفل وعلى كل جفن شعور سود ونعمة الله تعالى في سوادها انه يجمع ضوء العين اذ البياض يفرقه والسواد يجمعه ونعمة الله تعالى في ترتيبها صفا واحدا انها تمنع الهوام من الدبيب الى العين وتتشبث بالاقذاء التي تتناثر في الهواء وله في كل شعرة منها نعمتان من حيث لين اصلها ومع اللين تقوم نصبها وله في اشتباك الاهداب نعمة اعظم من الكل وهو ان غبار الهواء قد يمنع من فتح العين ولو طبقت لم يبصر فيجمع الاجفان مقدار ما تتشابك الاهداب فينظر من وراء شباك الشعر فيكون شباك الشعر مانعا من وصول القذى من خارج العين وغير مانع من امتداد البصر من داخل ثم ان اصاب الحدقة غبار فقد خلق اطراف الاجفان حادة منطبقة على الحدقة كالمصقلة للمرآة فيطبقها مرة او مرتين وقد انصقلت الحدقة عن الغبار وخرجت الاقذاء الى زوايا العين والاجفان والذباب لما لم يكن لحدقته جفن خلق له يدين فتراه على الدوام يمسح بهما حدقته ليصقلهما عن الغبار واذ تركنا الاستقصاء لتفاصيل النعم لافتقاره الى تطويل يزيد على اصل هذا الكتاب ولعلنا نستأنف له كتابا مقصودا ان امهل الزمان وساعد التوفيق فنسميه عجائب صنع الله تعالى فلنرجع الى غرضنا فنقول قد كفر من يفتح معصية نعم الله في الاجفان اذ لا يقوم الا بعين ولا العين الا برأس ولا الرأس الا بجميع البدن ولا جميع البدن الا بالغذاء ولا الغذاء الا بالماء والارض والهواء والمطر والغيم والشمس والقمر ولا يقوم شيء من ذلك الا بالسموات ولا السموات الا بالملائكة فان الكل كالشيء الواحد يرتبط البعض منه بالبعض ارتباط اعضاء البدن بعضها ببعض فاذن كفر كل نعمة الله تعالى في الوجود من منتهى الثريا الى منتهى الثرى فلم يبق فلك ولا ملك ولا حيوان ولا نبات ولا جماد الا ويلعنه ولذلك ورد في الاخبار ان البقعة التي يجتمع فيها الناس اما ان تلعنهم اذا تفرقوا او تستغفر لهم وكذلك ان العالم يستغفر له كل شيء حتى الحوت في البحر وان الملائكة يلعنون العصاة في الفاظ كثيرة لا يمكن احصاؤها وكل ذلك اشارة الى ان العاصي بطرفة واحدة جنى على جميع ما في الملك والملكوت وقد اهلك نفسه الا ان يتبع السيئة بحسنة تمحوها فيتبدل اللعن بالاستغفار فعسى الله تعالى يتوب عليه ويتجاوز عنه واوحى الله تعالى الى ايوب ما من عبد لي من الآدميين الا ومعه ملكان فاذا شكرني على نعمائي قال الملكان اللهم زده نعما على نعم فانك اهل الحمد والشكر فلم يزل من الشاكرين قريبا فكفى بالشاكرين علو رتبة عندي اني اشكر شكرهم وملائكتي يدعون لهم والبقاع تحبهم والآثار تبكي عليهم وكما عرفت ان في كل طرفة عين نعما كثيرة فاعلم ان في كل نفس ينبسط وينقبض نعمتان اذ بانبساطه يخرج الدخان المحترق من القلب ولو لم يخرج لهلك بل اليوم والليلة اربع وعشرون ساعة وفي كل ساعة قريب من الف نفس وكل نفس قريب من عشر لحظات فعليه في كل لحظة آلاف آلاف نعم في كل جزء من اجزاء بدنه بل في كل جزء من اجزاء العالم فانظر هل يتصور احصاء ذلك ام لا ولما انكشف لموسى صلى الله عليه حقيقة قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها قال الهي كيف اشكرك ولك في كل شعرة من جسدي نعمتان ان لينت اصلها وان طمست رأسها وكذلك ولذلك ورد في الاثر من لم يعرف نعم الله تعالى الا في مطعمه ومشربه فقد قل علمه وحضر عذابه وجميع ما ذكرناه يرجع الى المطعم والمشرب فاعتبر ما سواه من النعم به فان البصير لا يقع بصره في العالم على شيء ولا يلم خاطره بموجود الا ويتحقق ان لله سبحانه فيه نعمة عليه فلنترك الاستقصاء والتفصيل فانه طمع في غير مطمع بيان السبب الصارف للخلق عن الشكر اعلم انه لم يقصر بالخلق عن شكر النعمة الا الجهل والغفلة فانهم منعوا بالجهل والغفلة عن معرفة النعم ولا يتصور شكر النعمة الا بعد معرفتها ثم ان عرفوا نعمة ظنوا ان الشكر عليها ان يقولوا بالسنتهم الحمد لله والشكر لله ولم يعرفوا ان معنى الشكر ان يستعمل النعمة في اتمام الحكمة التي اريد بها وهي طاعة الله فلا يمنع من الشكر بعد حصول هاتين المعرفتين الا غلبة الشهوة واستيلاء الشيطان اما الغفلة عن النعم فلها اسباب

اسباب واحد اسبابها ان الناس بجهلهم لا يعدون ما يعم الخلق ويسلم لهم في جميع احوالهم نعمة فلذلك لا يشكرون على جملة ما ذكرناه من النعم لانها عامة للخلق مبذولة لهم في جميع احوالهم فلا يرى كل واحد لنفسه اختصاصا به فلا يعده نعمة فلا تراهم يشكرون الله على روح الهواء ولو اخذ بمخنقهم لحظة حتى انقطع الهواء عنهم ماتوا ولو حبسوا في بيت حمام فيه هواء حار او في بئر فيه هواء ثقيل من رطوبة الماء ماتوا غما فان ابتلي واحد منهم بشيء من ذلك ثم نجا ربما قدر ذلك نعمة وشكر الله تعالى عليه وهذا غاية الجهل اذ صار شكرهم موقوفا على ان تسلب عنهم النعمة ثم ترد عليهم في بعض الاحوال والنعمة في جميع الاحوال اولى بان تشكر من النعمة في بعضها فلا ترى البصير يشكر صحة بصره الا ان تعمى عينه فعند ذلك لو اعيد عليه احس به وشكره وعده نعمة ولما كانت رحمة الله واسعة عمم الخلق بها وبذلها لهم في جميع الاحوال فلم يعدها الجاهلون نعمة وهذا الجاهل مثل العبد السوء حقه ان يضرب دائما حتى اذا ترك ضربه ساعة تقلد به منة فان ترك ضربه على الدوام غلبه البطر وترك الشكر فصار الناس لا يشكرون الا المال الذي يتطرق الاختصاص اليه من حيث الكثرة والقلة وينسون جميع نعم الله تعالى اليهم كما شكا بعضهم فقره الى بعض ارباب البصائر واظهر شدة اغتمامه به فقال له ايسرك انك اعمى ولك عشرة آلاف درهم فقال لا فقال ايسرك انك اخرس ولك عشرة آلاف درهم فقال لا فقال ايسرك انك اقطع اليدين والرجلين ولك عشرون الف درهم فقال لا فقال ايسرك انك مجنون ولك عشرة آلاف درهم فقال لا فقال اما تستحي ان تشكو مولاك وله عندك عروض بخمسين الفا وحكي ان بعض القراء اشتد به الفقر حتى ضاق به ذرعا فرأى في المنام كأن قائلا يقول له اتود انا انسيناك من القرآن سورة الانعام ولك الف دينار قال لا قال فسورة هود قال لا قال فسورة يوسف قال لا قال فمعك قيمة مائة الف دينار وانت تشكو فاصبح وقد سري عنه ودخل ابن السماك على بعض الخلفاء وفي يده كوز ماء يشربه فقال له عظني فقال لو لم تعط هذه الشربة الا ببذل جميع اموالك والا بقيت عطشان فهل كنت تعطيه قال نعم فقال لو لم تعط الا بملكك كله فهل كنت تتركه قال نعم قال فلا تفرح بملك لا يساوي شربة ماء فبهذا تبين ان نعمة الله تعالى على العبد في شربة ماء عند العطش اعظم من ملك الارض كلها واذا كانت الطباع مائلة الى اعتداد النعمة الخاصة نعمة دون العامة وقد ذكرنا النعم العامة فلنذكر اشارة وجيزة الى النعم الخاصة فنقول ما من عبد الا ولو امعن النظر في احواله رأى من الله تعالى نعمة او نعما كثيرة تخصه لا يشاركه فيها الناس كافة بل يشاركه فيها عدد من الناس وربما لا يشاركه فيها احد وذلك يعترف به كل عبد في ثلاثة امور في العقل والخلق والعلم اما العقل فما من عبد لله تعالى الا وهو راض عن الله تعالى في العقل يعتقد انه اعقل الناس وقل من يسأل الله العقل وان من شرف العقل ان يفرح به الخالي عنه كما يفرح به المتصف به فاذا كان اعتقاده انه اعقل الناس فواجب عليه ان يشكر لانه ان كان كذلك فالشكر واجب وان لم يكن ولكنه يعتقد انه كذلك فهو نعمة من الله تعالى في حقه فمن وضع كنزا في الارض فهو يفرح به ويشكر عليه فان اخذ الكنز من حيث لا يدري فيبقى فرحه بحسب اعتقاده ويبقى شكره لانه في حقه كالباقي واما الخلق فما من عبد الا ويرى من غيره عيوبا يكرهها واخلاقا يذمها وانما يذمها من حيث انه يرى نفسه بريئا عنه فاذا لم يشتغل بذم الغير فينبغي ان يشتغل بشكر الله تعالى اذ حسن خلقه وابتلى غيره بالخلق السيء واما العلم فما من احد الا ويعرف من بواطن امور نفسه وخفايا افكاره وما هو منفرد به ولو كشف الغطاء حتى اطلع عليه احد من الخلق لافتضح فكيف لو اطلع الناس كافة فاذن لكل عبد علم بامر خاص لا يشاركه فيه احد من عباد الله تعالى فلم لا يشكر ستر الله الجميل الذي ارسله على وجه مساويه فاظهر الجميل وستر القبيح واخفى ذلك عن اعين الخلق وخصص علمه به حتى لا يطلع عليه احد فهذه ثلاثة من النعم خاصة يعترف بها كل عبد اما مطلقا واما في بعض الامور فلننزل عن هذه الطبقة الى طبقة اخرى اعم منها قليلا فنقول ما من عبد الا وقد رزقه الله تعالى في صورته او شخصه او اخلاقه او صفاته او اهله او ولده او مسكنه او بلده او رفيقه او اقاربه او عزه وجاهه

اذ في سائر محابه امورا لو سلبها عنه واعطي ما خصص به غيره لكان لا يرضى به وذلك مثل ان جعله مؤمنا لا كافرا وحيا لا جمادا
وانسانا لا بهيمة وذكرا لا انثى وصحيحا لا مريضا وسليما لا معيبا فان كل هذه خصائص وان كان فيها عموم ايضا فان هذه
الاحوال لو بدلت باضدادها لم يرض بها بل له امور لا يبدلها باحوال الادميين ايضا وذلك اما ان يكون بحيث لا يبدل بما خص به
احد من الخلق او لا يبدله بما خص به احد من الخلق ولا يبدله بما خص به الاكثر فاذا كان لا يبدل حال نفسه بحال غيره فاذن حاله
احسن من حال غيره فان كان لا يعرف شخصا يرتضي لنفسه حاله بدلا عن حال نفسه اما على الجملة واما في امر خاص فاذن لله عليه نعمة ليست له
على احد من عباده سواه وان كان يبدل حال نفسه بحال بعضهم دون البعض فلينظر الى عدد المغبوطين عنده فانه لا محالة
يراهم اقل بالاضافة الى غيرهم فيكون من دونه في الحال اكثر بكثير ممن هو فوقه فما باله ينظر الى من فوقه ليزدري نعم الله تعالى
وما باله لا يسوي دنياه بدينه اليس اذا لامته نفسه على سيئة يقارفها يعتذر اليها بان في الفساق كثرة فينظر ابدا في الدين
الى من دونه لا الى من فوقه فلم لا يكون نظره في الدنيا كذلك فاذا كان حال اكثر الخلق في الدين خيرا منه وحاله في الدنيا خير من
حال اكثر الخلق فكيف لا يلزمه الشكر ولهذا قال صلى الله عليه وسلم من نظر في الدنيا الى من هو دونه ونظر في الدين الى من هو فوقه
كتبه الله صابرا شاكرا ومن نظر في الدنيا الى من فوقه وفي الدين الى من دونه لم يكتبه الله تعالى صابرا ولا شاكرا فاذن كل من
اعتبر حال نفسه وفتش عما خص به وجد لله تعالى على نفسه نعما كثيرة لا سيما من خص بالسنة والايمان والعلم والقرآن ثم الفراغ في
الصحة والامن وغير ذلك ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من لم يتغن بايات الله فلا اغناه الله وهذا اشارة الى نعمة العلم وقال
ان القرآن هو الغنى الذي لا غنى بعده ولا فقر معه وقال من آتاه الله القرآن فظن ان احدا اغنى منه فقد استهزأ بايات الله وقال النبي
ليس منا من لم يتغن بالقرآن وقال كفى باليقين غنى وقال بعض السلف يقول الله تعالى ان عبدا اغنيته عن ثلث لقد اتممت عليه نعمتي
عن سلطان يأتيه وطبيب يداويه وعما في يد اخيه وعبر الشاعر عن هذا فقال اذا القوت يأتي لك والصحة والامن فاصبحت
اخا حزن فلا فارقك الحزن بل ارشق العبارات وافصح الكلمات كلام افصح من نطق بالضاد حيث عبر صلى الله عليه وسلم عن هذا
المعنى فقال من اصبح امنا في سربه معافى في بدنه وله قوت يومه فكانما حيزت له الدنيا بحذافيرها ومهما تاملت الناس
كلهم وجدتهم يشكون ويتالمون من امور وراء هذه الثلث مع انها وبال عليهم ولا يشكرون نعمة الله في هذه الثلث ولا
يشكرون نعمة الله عليهم في الايمان الذي به وصولهم الى النعيم المقيم والملك العظيم بل البصير ينبغي ان لا يفرح الا بالمعرفة
واليقين والايمان بل نحن نعلم من العلماء من لو سلم اليه جميع ما دخل تحت قدرة الاكاسرة من المشرق الى المغرب من الاموال والاتباع
والانصار وقيل له خذ هذا عوضا عن علمك بل عن عشر عشير علمك لم ياخذه وذلك لعلمه بان نعمة العلم تفضي به الى قرب الله
تعالى في الاخرة بل لو قيل له لك في الاخرة ما ترجوه بكماله فخذ هذه اللذات في الدنيا بدلا عن التذاذك بالعلم في الدنيا وفرحك
به لكان لا ياخذه لعلمه بان لذة العلم دائمة لا تنقطع وباقية لا تسرق ولا تغصب ولا تنافس فيها وانها صافية لا كدورة فيها
ولذات الدنيا كلها ناقصة ومكدرة ومشوشة ولا يفي مرجوها بمخوفها ولا لذتها بالمها ولا فرحها بغمها هكذا كانت الى الآن وهكذا تكون
فيما بقي من الزمان اذ ما خلقت لذات الدنيا الا ليجتلب بها العقول الناقصة وتخدع حتى اذا انخدعت وتقيدت بها
ابت عليها واستعصت كالمرأة الجميلة الظاهر تتزين للشباب الشبق الغني حتى اذا قيدت بها قلبه استعصت عليه واحتجبت
عنه فلا يزال معها في تعب دائم وعناء قائم وكل ذلك لاغتراره بلذة النظر اليها في لحظة ولو عقل وغض البصر واستهان
بتلك اللذة سلم جميع العمر فهكذا وقعة ارباب الدنيا في شبكات الدنيا وحبائلها ولا نعني بقولنا ان المعرض عن الدنيا متالم

متالم بالصبر عنها فان المقبل عليها ايضا متالم بالصبر عليها وبحفظها وتحصيلها ودفع اللصوص عنها وتالم المعرض يفضي الى
لذة في الآخرة وتالم المقبل يفضي الى الالم في الآخرة فليقرأ المعرض عن الدنيا على نفسه قوله تعالى ولا تهنوا في ابتغاء القوم ان
تكونوا تالمون فانهم يالمون كما تالمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله الآية فاذن انما انسد طريق الشكر على الخلق لجهلهم
بضروب النعم الظاهرة والباطنة والخاصة والعامة فان قلت فما علاج هذه القلوب الغافلة حتى تشعر بنعمة الله تعالى فعساها
تشكر فاقول اما القلوب البصيرة فعلاجها التامل فيما رمزنا اليه من اصناف نعم الله العامة واما القلوب البليدة التي
لا تعد النعمة نعمة الا اذا خصتها او شعر بالبلاء معه فسبيله ان ينظر ابدا الى من دونه ويفعل ما كان يفعله بعض الصوفية فانه كان
يحضر كل يوم دار المرضى والمقابر والمواضع التي تقام فيها الحدود فيشاهد انواع بلاء الله عليهم ثم يتامل في صحته وسلامته
فيشعر قلبه بنعمة الصحة عند شعوره ببلاء المرضى ومشاهدة الجناة الذين يقتلون ويقطع اطرافهم ويعذبون بانواع العذاب
ليشكر الله سبحانه على عصمته من الجنايات ومن تلك العقوبات وليشكر على نعمة الامن ويحضر المقابر فيعلم ان احب الاشياء الى الموتى
ان يردوا الى الدنيا ولو يوما واحدا اما من عصى فليتدارك واما من اطاع فليزيد في طاعته فان يوم القيامة يوم التغابن فالمطيع
مغبون اذ يرى جزاء طاعته فيقول كنت اقدر على اكثر من هذه الطاعات فما اعظم غبني اذ ضيعت بعض الاوقات في المباحات
واما العاصي فغبنه ظاهر فاذا شاهد المقابر وعلم ان احب الاشياء اليهم ان يكون قد بقي لهم من العمر مثل ما بقي له فيصرف
بقية العمر الى ما يشتهي اهل القبور العود لاجله ليكون ذلك معرفة لنعمة الله تعالى في بقية العمر بل في الامهال في كل نفس من الانفاس
واذا عرف تلك النعمة شكر بان يصرف العمر الى ما خلق العمر لاجله وهو التزود من الدنيا للاخرة فهذا علاج هذه القلوب الغافلة
لتشعر بنعم الله تعالى فعساها تشكر ولقد كان الربيع بن خثيم مع تمام استبصاره يستعين بهذا الطريق تاكيدا للمعرفة فكان حفر
في داره قبرا وكان يضع غلا في عنقه وينام في لحده ثم يقول رب ارجعون لعلي اعمل صالحا ثم يقوم ويقول يا ربيع قد اعطيت ما سالت
فاعمل قبل ان تسال الرجوع فلا تعطى ومما ينبغي ان يعالج به القلوب البعيدة عن الشكر ان تعرف ان النعمة اذا لم تشكر زالت ولم تعد ولذلك
كان الفضيل يقول عليكم بمداومة الشكر على النعم فقل نعمة زالت عن قوم فعادت اليهم وقال بعض السلف النعم وحشية فقيدوها
بالشكر وفي الخبر ما عظمت نعمة الله على عبد الا كثرت حوائج الناس اليه فمن تهاون بهم عرض تلك النعمة للزوال وقال سبحانه ان الله
لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم فهذا تمام هذا الركن **الركن الثالث** من كتاب الصبر والشكر فيما يشترك
فيه الصبر والشكر ويرتبط احدهما بالاخر **بيان** وجه اجتماع الصبر والشكر على شيء واحد لعلك تقول ما ذكرته في النعم اشارة الى
ان لله تعالى في كل موجود نعمة وهذا يشير الى ان البلاء لا وجود له اصلا فما معنى الصبر وان كان البلاء موجودا فما معنى الشكر على
البلاء وقد ادعى مدعون انا نشكر على البلاء فضلا عن الشكر على النعمة فكيف يتصور الشكر على البلاء وكيف يشكر على ما يصبر عنه والصبر
يستدعي الما والشكر يستدعي فرحا وهما متضادان وما معنى ما ذكرتموه من ان لله تعالى في كل ما اوجده نعمة على عباده فاعلم
ان البلاء موجود كما ان النعمة موجودة فالقول باثبات النعمة يوجب القول باثبات البلاء لانهما متضادان فان
فقد البلاء نعمة وفقدان النعمة بلاء ولكن قد سبق ان النعمة تنقسم الى نعمة مطلقة من كل وجه اما في الاخرة فكسعادة العبد بالنزول
في جوار الله واما في الدنيا فالايمان وحسن الخلق وما يعين عليهما والى نعمة مقيدة من وجه دون وجه كالمال الذي يصلح الدين
من وجه ويفسده من وجه وكذلك البلاء ينقسم الى مطلق ومقيد اما المطلق في الاخرة فالبعد من الله تعالى اما مدة
واما ابدا واما في الدنيا فالكفر وسوء الخلق وهو الذي يفضي الى البلاء المطلق واما المقيد فكالفقر والمرض والخوف وسائر

وسائر انواع البلاء التي لا يكون بلاء في الدين بل في الدنيا فالشكر المطلق للنعمة المطلقة اما البلاء المطلق في الدنيا فقد لا
يؤمر بالصبر عليه لان الكفر بلاء ولا معنى للصبر عليه وكذا المعصية بل حق الكافر ان يترك كفره وكذا حق العاصي نعم الكافر قد
لا يعرف انه كافر فيكون كمن به علة وهو لا يتألم بها بسبب غشية او غيرها فلا صبر عليه والعاصي يعرف انه عاص فعليه تركه بل
كل بلاء يقدر الانسان على دفعه فلا يؤمر بالصبر عليه فلو ترك الانسان الماء مع طول العطش حتى عظم المه فلا يؤمر بالصبر بل بازالة
الالم وانما الصبر على الم ليس الى العبد ازالته فاذن يرجع الصبر في الدنيا الى ما ليس ببلاء مطلق بل يجوز ان يكون نعمة من وجه فلذلك يتصور ان
يجتمع عليه وظيفة الصبر والشكر فان الغنى مثلا يجوز ان يصير سبب هلاك الانسان حتى يقصد بسبب ماله فيقتل ويقتل اولاده
والصحة ايضا كذلك فما من نعمة من هذه النعم الدنيوية الا ويجوز ان يصير بلاء ولكن بالاضافة اليه فكذلك ما من بلاء الا ويجوز ان يصير
نعمة ولكن بالاضافة اليه فرب عبد يكون الخيرة له في الفقر والمرض ولو صح بدنه وكثر ماله لبطر وطغى وبغى قال الله تعالى
ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض وقال ان الانسان ليطغى ان راه استغنى وقال صلى الله عليه وسلم ان الله سبحانه
ليحمي عبده الدنيا وهو يحبه كما يحمي احدكم مريضه وكذلك الزوجة والولد والقريب وكل ما ذكرناه في الاقسام الستة عشر
من النعم سوى الايمان وحسن الخلق فانما يتصور ان يكون بلاء في حق بعض الناس فتكون اضدادها اذن نعمة في حقهم اذ قد سبق
ان المعرفة كمال ونعمة فانه صفة من صفات الله سبحانه ولكن قد يكون على العبد في بعض الامور بلاء ويكون فقده نعمة مثاله جهل الانسان
باجله فانه نعمة عليه اذ لو عرف ربما تنغص عليه العيش وطال بذلك غمه وكذلك جهله بما يضمره الناس عليه من معارفه واقاربه
نعمة عليه اذ لو رفع الستر واطلع عليه طال المه وحقده وحسده واشتغاله بالانتقام وكذلك جهله بالصفات المذمومة من غيره
نعمة عليه اذ لو عرفه ابغضه واذاه وكان ذلك وبالا عليه في الدنيا والاخرة بل جهله بالخصال المحمودة في غيره قد يكون نعمة عليه
فانه ربما يكون وليا لله وهو يضطر الى ايذائه واهانته ولو عرف وآذى كان اثمه اعظم لا محالة فليس من اذى نبيا او وليا وهو يعرف
كمن آذى وهو لا يعرف ومنها ابهام الله تعالى امر القيامة وابهامه ليلة القدر وساعة يوم الجمعة وابهامه بعض الكبائر فكل ذلك
نعمة لان هذا الجهل يوفر دواعيك على الطلب والاجتهاد فهذه وجوه نعم الله في الجهل فكيف في العلم وحيث قلنا ان لله تعالى
في كل موجود نعمة فهو حق وذلك مطرد في حق كل احد ولا يستثنى عنه بالظن الا الالام التي يخلقها في بعض الناس وهي ايضا قد تكون
نعمة في حقه كالالم الحاصل من المعصية كقطعه يده وشجه لبدنه وبشرته فانه يتألم به وهو عاص به والام الكفار في النار هي
ايضا نعمة ولكن في غيرهم من العباد لا في حقهم فمصائب قوم عند قوم فوائد ولولا ان الله تعالى خلق العذاب وعذب به طائفة لما عرف
المتنعمون قدر نعمه ولا كثر فرحهم به ففرح اهل الجنة ايضا يتضاعف اذا تفكروا في الام اهل النار اما ترى اهل الدنيا ليس
يشتد فرحهم بنور الشمس مع شدة حاجتهم اليها من حيث انها عامة مبذولة ولا يشتد فرحهم بالنظر الى زينة السماء وهي احسن من كل بستان
في الارض يجتهدون في عمارتها ولكن زينة السماء لما عمت لم يشعروا بها ولم يفرحوا بسببها فاذن قد صح ما ذكرناه من ان الله تعالى لم
يخلق شيئا الا وفيه حكمة ولا خلق شيئا الا وفيه نعمة اما على جميع عباده او على بعضهم فاذن في خلق الله البلاء ايضا نعمة اما على المبتلى
واما على غير المبتلى فاذن كل حالة لا توصف بانها بلاء مطلق ولا نعمة مطلقة فيجتمع فيها على العبد وظيفتان الصبر والشكر جميعا
فان قلت فهما متضادان فكيف يجتمعان اذ لا صبر الا على غم ولا شكر الا على فرح فاعلم ان الشيء الواحد قد يغتم به من وجه
ويفرح به من وجه اخر فيكون الصبر من حيث الاغتمام والشكر من حيث الفرح ففي كل فقر ومرض وخوف وبلاء في الدنيا خمسة
امور ينبغي ان يفرح العاقل بها ويشكر عليها احدها ان كل مصيبة ومرض فيتصور ان يكون اكثر منها اذ مقدورات الله لا تتناهى فلو

ضعفها الله تعالى وزاده ماذا كان يحجزه فليشكر الله اذ لم يكن اعظم منها في الدنيا الثانية انه كان يمكن ان تكون مصيبته
في دينه قال رجل لسهل دخل اللص بيتي واخذ متاعي فقال اشكر الله تعالى لو دخل الشيطان قلبك واخذ التوحيد ماذا كنت تصنع
ولذلك استعاذ عيسى صلى الله عليه وسلم في دعائه اذ قال اللهم لا تجعل مصيبتي في ديني وقال عمر رضي الله عنه ما ابتليت ببلاء الا
كان لله علي فيه اربع نعم اذ لم يكن في ديني اذ لم يكن اعظم منه واذ لم احرم الرضا به واذ ارجو الثواب عليه وكان لبعض ارباب القلوب
صديق السلطان فارسل اليه فقال له اشكر فضرب فقال اشكر الله تعالى فجيء بمجوسي مبطون وقيد وجعل حلقة من قيده على
رجل المجوسي فارسل اليه فقال اشكر فكان يحتاج المجوسي ان يقوم مرات وهو يحتاج ان يقوم معه ويقف على راسه حتى يقضي حاجته فكتب
اليه ذلك فقال اشكر الله فقال حتى متى هذا واي بلاء اعظم من هذا فقال لو وضع الزنار الذي في وسطه على وسطك ماذا صنعت فاذا
ما من انسان قد اصيب ببلاء الا ولو تامل حق التامل في سوء ادبه ظاهرا او باطنا في حق مولاه لكان يستحق اكثر مما اصيب به عاجلا وآجلا
ومن استحق عليك ان يضربك مائة سوط فاقتصر على عشرة اسواط فهو مستحق للشكر ومن استحق ان يقطع يديك فترك يدا فهو مستحق
للشكر ولذلك مر بعض الشيوخ في شارع فصب على راسه طست من رماد فسجد لله تعالى سجدة الشكر فقيل له ما هذه السجدة فقال كنت
انتظر ان تصب علي النار فالاقتصار على الرماد نعمة وقيل لبعضهم الا تخرج للاستسقاء فقد احتبست الامطار فقال انتم تستبطئون المطر
وانا استبطئ الحجر فان قلت كيف افرح وارى جماعة ممن زادت معصيتهم على معصيتي ولم يصابوا بما اصبت به حتى الكفار فاعلم ان الكافر
قد خبئ له ما هو اكثر وانما امهل حتى يستكثر من الاثم ويطول عليه العقاب كما قال تعالى انما نملي لهم ليزدادوا اثما واما العاصي فمن اين تعلم ان في العالم
من هو اعصى منك ورب خاطر بسوء ادب في حق الله تعالى وفي صفاته اعظم واطم من شرب الخمر والزنا وسائر المعاصي بالجوارح ولذلك
قال تعالى في مثله وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم فمن اين تعلم ان غيرك اعصى منك ثم لعله قد اخرت عقوبته الى الاخرة وعجلت
عقوبتك في الدنيا فلم لا تشكر الله تعالى عليه وهذا هو الوجه الثالث في الشكر وهو انه ما من عقوبة الا وكان يتصور ان تؤخر الى الاخرة
تدوم فان لم تدم فلا سبيل الى تخفيفها بالتسلي اذ اسباب التسلي مقطوعة بالكلية في الاخرة عن المعذبين ومن عجلت عقوبته في الدنيا
فلا يعاقب ثانيا اذ قال عليه الصلاة والسلام ان العبد اذا اذنب ذنبا فاصابته شدة او بلاء في الدنيا فالله اكرم من ان يعذبه ثانيا
الرابعة ان هذه المصيبة والبلية كانت مكتوبة عليه في ام الكتاب وكان لا بد من وصولها اليه فاذ قد وصل ووقع الفراغ منها واستراح من بعضها
او من جميعها فهذه نعمة الخامسة ان ثوابها اكثر منها فان مصائب الدنيا طرق الى الاخرة من وجهين احدهما الوجه الذي به يكون الدواء
الكريه نعمة في حق المريض ويكون المنع من اسباب اللعب نعمة في حق الصبي فانه لو خلي واللعب كان يمنعه ذلك عن العلم والادب فكان
يخسر جميع عمره فكذلك المال والاهل والاقارب والاعضاء حتى العين التي هي اعز الاشياء قد تكون سببا لهلاك الانسان في بعض
الاحوال بل العقل الذي هو اعز الامور قد يكون سببا للهلاك فالملحدة غدا يتمنون لو كانوا مجانين او صبيانا ولم يتصرفوا بعقولهم في دين
الله تعالى فما من شيء من هذه الاسباب يوجد من العبد الا ويتصور ان يكون له فيه خيرة دينية فعليه ان يحسن الظن بالله تعالى ويقدر فيه
الخيرة ويشكره تعالى عليه فان حكمة الله تعالى واسعة وهو بمصالح العباد اعلم من العباد وغدا يشكره العباد على البلايا اذا راوا ثواب البلايا
كما يشكر الصبي بعد العقل والبلوغ استاذه واباه على ضربه وتاديبه اذ يدرك ثمرة ما استفاده من التاديب والبلاء تاديب من الله تعالى
وعنايته بعباده اتم واوفر من عناية الاباء بالاولاد فقد روي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اوصني فقال لا تتهم
الله في قضائه عليك ونظر صلى الله عليه وسلم الى السماء فضحك فسئل فقال عجبت لقضاء الله تعالى للمؤمن ان قضى له بالسراء رضي وكان
خيرا له وان قضى له بالضراء رضي وكان خيرا له والوجه الثاني ان راس الخطايا المهلكة حب الدنيا وراس اسباب النجاة التجافي بالقلب

عن دار الغرور فهو اتاه النعم على وفق المراد من غير امتزاج بلاء ومصيبة يورث طمانينة القلب على وفق المراد من غير انشراح الى
الدنيا وانسه بها حتى يصير كالجنة في حقه فيعظم بلاؤه عند الموت بسبب مفارقته واذا كثرت عليه المصائب انزعج قلبه عن
الدنيا ولم يسكن اليها ولم يانس بها وصارت الدنيا سجنا عليه وكان نجاته منها غاية اللذة وكالخلاص من السجن ولذلك
قال صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر والكافر كل من اعرض عن الله تعالى ولم يرد الا الحيوة الدنيا ورضي بها
واطمان اليها والمؤمن كل منقطع بقلبه عن الدنيا بقلبه شديد الحنين الى الخروج منها والكفر بعضه خفي وبعضه ظاهر وبقدر
حب الدنيا في القلب يسري فيه الشرك الخفي بل الموحد المطلق هو الذي لا يحب الا الواحد الحق فاذن في البلاء نعم من هذا
الوجه فيجب الفرح به واما التألم فهو ضروري وذلك يضاهي فرحك عند الحاجة الى الحجامة عمن يتولى حجامتك مجانا او
يسقيك دواء نافعا بشعا وهو مجان فانك تتألم وتفرح فتصبر على الالم وتشكره على سبب الفرح فكل بلاء في الامور الدنيوية
مثاله الدواء الذي يولم في الحال وينفع في المآل بل من دخل دار ملك للنظارة اليها وعلم انه يخرج منها لا محالة فرأى فيها
وجها حسنا لا يخرج معه من الدار كان ذلك بلاء عليه في المقام خطر من ان يطلع عليه الملك فيتعذبه بما يكره حتى تفرقه
عن المقام كان ذلك نعمة عليه والدنيا منزل والناس دخلوها من باب الرحم وهم خارجون الى باب اللحد فكل ما يحقق انسهم
بالمنزل فهو بلاء وكل ما يزعج قلبهم عنه ويقطع انسهم به فهو نعمة فمن عرف هذا تصور منه ان يشكر على البلاء ومن لم يعرف
هذه النعم في البلاء لم يتصور منه الشكر لان الشكر يتبع معرفة النعمة بالضرورة ومن لا يؤمن بان ثواب المصيبة اكثر من المصيبة
لم يتصور منه الشكر على المصيبة وحكي ان اعرابيا عزى ابن عباس على ابيه فقال اصبر نكن بك صابرين فانما صبر الرعية بعد
صبر الراس خير من العباس اجرك بعده والله خير منك للعباس فقال ابن عباس ما عزاني احد احسن من تعزيته والاخبار
الواردة في الصبر على المصائب كثيرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يصب منه وقال صلى الله عليه وسلم قال الله
تعالى اذا وجهت الى عبد من عبيدي مصيبة في بدنه او ماله او ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه يوم القيمة ان انصب له
ميزانا او انشر له ديوانا وقال صلى الله عليه وسلم ما من عبد اصيب بمصيبة فقال كما امر الله عز وجل انا لله وانا اليه راجعون
اللهم اجرني في مصيبتي واعقبني خيرا منها الا فعل الله ذلك به وقال عليه السلام قال الله تعالى من سلبت كريمتيه فجزاؤه الخلود
في داري والنظر الى وجهي وروي ان رجلا قال يا رسول الله ذهب مالي وسقم جسمي فقال عليه السلم لا خير في عبد لا يذهب ماله ولا
يسقم جسده ان الله اذا احب عبدا ابتلاه واذا ابتلاه صبره وقال عليه السلم ان الرجل ليكون له الدرجة عند الله لا يبلغها بعمل
حتى يبتلى ببلاء في جسمه فيبلغها بذلك وعن خباب بن الارت قال اتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردائه في
ظل الكعبة فشكونا اليه فقلنا يا رسول الله الا تدعو الله وتستنصره لنا فجلس محمارا لونه ثم قال ان من كان قبلكم ليؤتى بالرجل
فيحفر له في الارض حفيرة ويجاء بالمنشار فيوضع على راسه فيجعل فرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه وعن علي كرم الله وجهه قال
ايما رجل حبسه السلطان ظلما فمات فهو شهيد وقال ان من اجلال الله ومعرفة حقه ان لا تشكو وجعك ولا تذكر مصيبتك وقال
ابو الدرداء تلدون للموت وتعمرون للخراب وتحرصون على ما يفنى وتذرون ما يبقى الا حبذا المكروهات الثلث الفقر والمرض
والموت وعن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله بعبد خيرا واراد ان يصافيه صب
عليه البلاء صبا وثجه عليه ثجا فاذا دعا قالت الملئكة صوت معروف فان دعاه ثانيا فقال يا رب قال الله تعالى لبيك
عبدي وسعديك لا تسالني شيئا الا اعطيتك او رفعت لك ما هو خير او ادخرت لك عندي ما هو افضل منه فاذا

ما كان يوم القيمة جيء باهل الاعمال فوفوا اعمالهم بالميزان اهل الصلوة والصيام والصدقة والحج ثم يؤتى باهل البلاء فلا
ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان يصب عليهم الاجر صبا كما يصب عليهم البلاء صبا فيود اهل العافية في الدنيا لو انهم
كانت تقرض اجسادهم بالمقاريض لما يرون ما يذهب به اهل البلاء من الثواب فذلك قوله تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم
بغير حساب وعن ابن عباس رضي الله عنه انه قال شكا نبي من الانبياء صلوات الله عليهم الى ربه فقال يا رب العبد المؤمن يطيعك
ويجتنب معاصيك تزوي عنه الدنيا وتعرض له البلاء ويكون العبد الكافر لا يطيعك ويجترئ على معاصيك تزوي عنه البلاء
وتبسط له الدنيا فاوحى الله اليه ان العباد لي والبلاء لي وكل يسبح بحمدي فيكون المؤمن عليه من الذنوب فازوي عنه الدنيا
واعرض له البلاء فيكون ذلك كفارة لذنوبه حتى يلقاني فاجزيه بحسناته ويكون الكافر له حسنات فابسط له في الرزق وازوي
عنه البلاء فاجزيه بحسناته في الدنيا حتى يلقاني فاجزيه بسيئاته ويروى انه لما نزل قوله تعالى من يعمل سوءا يجز به قال ابو بكر
الصديق رضي الله عنه كيف الفرح بعد هذه الاية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم غفر الله لك يا ابا بكر الست تمرض الست يصيبك
الاذى الست تحزن فهذا ما تجزون به يعني ان جميع ما يصيبك يكون كفارة لذنوبك وعن عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال اذا رايتم الرجل يعطيه الله ما يحبه وهو مقيم على معصيته فاعلموا ان ذلك استدراج ثم قرأ فلما نسوا ما ذكروا به
فتحنا عليهم ابواب كل شيء يعني لما تركوا ما امروا به فتحنا عليهم ابواب الخيرات حتى اذا فرحوا بما اوتوا اي بما اعطوا اخذناهم بغتة
وعن الحسن البصري رضي الله عنه ان رجلا من الصحابة راى امراة كان يعرفها في الجاهلية فكلمها ثم تركها وفارقها وجعل الرجل
يلتفت اليها وهو يمشي فصدمه جدار فاثر في وجهه فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال عليه السلم اذا اراد الله بعبد
خيرا عجل له عقوبة ذنبه في الدنيا وقال علي كرم الله وجهه الا اخبركم بارجى آية في كتاب الله قالوا بلى فقرا عليهم وما اصابكم
من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير فالمصائب في الدنيا بكسب الاوزار فاذا عاقبه الله في الدنيا فالله اكرم من ان يعذبه ثانيا
وان عفى عنه في الدنيا فالله اكرم من ان يعذبه يوم القيمة وعن انس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من جرع
عبد قط جرعتين احب الى الله من جرعة غيظ ردها بحلم وجرعة مصيبة يصبر الرجل لها ولا قطرت قط قطرة احب الى الله من قطرة دم
اهريقت في سبيل الله وقطرة دمع في سواد الليل وهو ساجد فلا يراه الا الله عز وجل وما خطى عبد خطوتين احب الى الله تعالى
من خطوة الى الصلوة الفريضة وخطوة الى صلة الرحم وعن ابي الدرداء انه قال فقد ابن لسليمان عليه السلام فوجد عليه وجدا
شديدا فاتاه ملكان فجلسا بين يديه في زي الخصوم فقال احدهما بذرت بذرا فلم استحصده فمر به هذا فافسده فقال للآخر
ما تقول فقال اخذت الجادة فاتيت على زرع فنظرت يمينا وشمالا فاذا الطريق عليه فقال له سليمان ولم بذرت على الطريق
اما علمت انه لا بد للناس من الطريق قال فلم تحزن على ولدك اما علمت ان الموت سبيل الآخرة فتاب سليمان الى ربه ولم يجزع على ولده
بعد ذلك ودخل عمر بن عبد العزيز على ولد له وهو مريض فقال يا بني لان تكون في ميزاني احب الي من ان اكون في ميزانك فقال
يا ابت لان يكون ما تحب احب الي مما احب وعن ابن عباس رضي الله عنهما نعي له ابنة له وهو في سفر فاسترجع وقال عورة سترها
الله ومؤنة كفاها الله واجر قد ساقه الله ثم نزل فصلى ركعتين ثم قال صنعنا ما امرنا الله تعالى قال الله تعالى واستعينوا
بالصبر والصلوة الاية وعن ابن المبارك انه مات له ابن فعزاه مجوسي يعرفه فقال ينبغي للعاقل ان يفعل اليوم ما يفعله الجاهل
بعد خمسة ايام فقال ابن المبارك اكتبوا عنه هذه وقال بعض العلماء ان الله ليبتلي العبد بالبلاء بعد البلاء حتى يمشي على الارض وما
له ذنب وقال الفضيل ان الله ليتعاهد عبده المؤمن بالبلاء كما يتعاهد الرجل اهله بالخير وقال حاتم الاصم ان الله عز وجل

يحتج على الخلق يوم القيمة باربعة انفس على اربعة اجناس على الاغنياء بسليمن وعلى الفقراء بعيسى وعلى العبيد بيوسف
وعلى المرضى بايوب عليهم السلام وروى ان زكريا عليه السلام لما هرب من الكفار من بنى اسرائيل واختفى فى الشجرة فعرفوا ذلك فجى
بالمنشار ونشرت الشجرة حتى بلغ المنشار الى راسه فان اينا فاوحى الله اليه يا زكريا ان صعدت لك انة ثانية لامحونك من ديوان النبوة
فعض زكريا على الصبر حتى قطع بنصفين وقال ابو سعيد البلخى من اصيب بمصيبة فمزق ثوبا او ضرب صدرا فكانما اخذ رمحا يريد
ان يقاتل به ربه تعالى وقال لقمن لابنه يابنى ان الذهب يجرب بالنار والعبد الصالح يجرب بالبلاء وانا احب الله قوما ابتلاهم
فمن رضى فله الرضى ومن سخط فله السخط وقال الاحنف بن قيس اصبحت يوما اشتكى ضرسى فقلت لعمى ما نمت البارحة من وجع
الضرس ما نمت البارحة من وجع الضرس ما نمت البارحة من وجع الضرس فقال لقد اكثرت من ذكر ضرسك فى ليلة واحدة
وقد ذهبت عينى هذه منذ ثلثين سنة ما علم بها احد فاوحى الله تعالى الى عزير اذا نزلت بك بلية فلا تشتكى الى خلقى كما لا اشكو
الى ملائكتى اذا صعدت مساويك وفضائحك **بيان** فضل النعم على البلاء لعلك تقول هذه الاثار تدل على ان البلاء
خير فى الدنيا من النعم فهل لنا ان نسال الله البلاء فاقول لا وجه لذلك لما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان
يستعيذ فى دعائه من بلاء الدنيا وبلاء الاخرة وكان يقول هو والانبياء صلوات الله عليه وعليهم اجمعين ربنا اتنا فى
الدنيا حسنة وفى الاخرة حسنة وكانوا يستعيذون من شماتة الاعداء وغيرها وقال على رضى الله عنه اللهم انى اسألك الصبر فقال
صلى الله عليه وسلم سألت الله تعالى البلاء فاسئله العافية وروى ابو بكر الصديق رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال سلوا الله العافية فما اعطى عبد افضل من العافية الا اليقين اشار باليقين الى عافية القلب عن مرض الجهل والشك فعافية القلب
اعلى من عافية البدن وقال الحسن الخير الذى لا شر فيه العافية مع الشكر فكم من منعم عليه غير شاكر وقال مطرف بن عبد الله
لان اعافى فاشكر احب الى من ان ابتلى فاصبر وقد قال صلى الله عليه وسلم فى دعائه وعافيتك احب الى وهذا اظهر
من ان يحتاج فيه الى استشهاد وهذا لان البلاء صار نعمة باعتبارين احدهما بالاضافة الى ما هو اكثر منها اما فى الدنيا او فى
الاخرة والاخر بالاضافة الى ما يرجى من الثواب فينبغى ان يسأل الله تعالى تمام النعمة فى الدنيا ودفع ما فوقها ويسأله الثواب
فى الاخرة على الشكر على نعمته فانه قادر على ان يعطى على الشكر ما يعطيها على الصبر فان قلت فقد قال بعضهم اود ان
اكون جسرا على النار يعبر على الخلق كلهم فيجوزون واكون انا فى النار وقال سمنون وليس لى فى سواك حظ فكيف ما شئت فاختبرنى
فهذا من هو لا سؤال البلاء اعلم انه حكى ان سمنون بلى بعد هذا البيت بعلة الحصر فكان بعد ذلك يدور على ابواب المكاتب ويقول
للصبيان ادعوا لعمكم الكذاب واما محبة الانسان لان يكون هو فى النار دون سائر الخلق فغير ممكن ولكن يغلب المحبة
على القلب حتى يظن المحب بنفسه انه يحب لمثل ذلك فمن شرب كاس المحبة سكر ومن سكر توسع فى الكلام ولو زال سكره علم ان ما
غلب عليه كانت حالة لا حقيقة لها فما تسمعه من هذا الفن هو كلام العشاق الذين افرطوا فى حبهم وكلام العشاق يستلذ سماعه
ولا يعول عليه كما حكى ان فاختة كانت تراودها فقال لها ما الذى يمنعك عنى ولو اردت ان اقلب لك ملك سليمان ظهرا لبطن
لفعلت لاجلك فسمعه سليمان عليه الصلوة والسلام فاستدعاه وعاتبه وقال يا نبى الله كلام العشاق لا يحكى وهو كما قال الشاعر
اريد وصاله ويريد هجرى فاترك ما اريد لما يريد وهو ايضا محال فى نفسه ومعناه انى اريد ما لا اريده لان من اراد الوصال
ما اراد الهجر فكيف اراد الهجر الذى لم يرده بل لا يصدق هذا الكلام الا باويلين احدهما ان يكون ذلك فى بعض الاحوال حتى
يكتسب به رضاه الذى يتوصل به الا مراد الوصال فيكون الهجران وسيلة الى الرضا والرضا وسيلة الى الوصال المحبوب والوسيلة

والوسيلة الى المحبوب محبوبة فيكون مثاله مثال محب المال اذا اسلم درهما فى درهمين فهو يحب الدرهمين بترك الدرهم فى الحال
والثانى ان يصير عنده مطلوبا من حيث انه رضاه فقط ويكون له لذة فى استشعاره رضا محبوبه منه تزيد تلك اللذة على لذة
مشاهدته مع كراهته فعند ذلك يتصور ان يريد ما فيه الرضى فكذلك قد انتهى حال بعض المحبين الى ان لذتهم فى استشعارهم
رضا الله تعالى عنهم اكثر من لذتهم فى العافية من غير شعور الرضا فهو لا اذا قدروا رضاه فى البلاء صار البلاء احب اليهم من العافية
وهذه حالة لا يبعد وقوعها فى غليات الحب ولكنها لا تثبت وان ثبتت مثلا فهل هى حالة صحيحة ام هى حالة اقتضتها حالة
اخرى وردت على القلب فمالت به عن الاعتدال هذا فيه نظر وقد ظهر بما سبق ان العافية خير من البلاء فيسأل الله تعالى
العفو والعافية والمعافاة فى الدنيا والاخرة **بيان** الافضل من الصبر والشكر اعلم ان الناس اختلفوا فى ذلك
فقال قايلون الصبر افضل من الشكر وقال آخرون الشكر افضل وقال اخرون هما سيان وقال اخرون يختلف باختلاف الاحوال
واستدل كل فريق بكلام شديد الاضطراب بعيد عن التحصيل فلا معنى للتطويل بالنقل بل المبادرة الى اظهار الحق ولى نقول
فى بيان ذلك مقامان **المقام الاول** البيان على سبيل التساهل وهو ان ينظر الى ظاهر الامر ولا يطلب بالتفتيش
حقيقته وهو البيان الذى ينبغى ان يخاطب به عوام الخلق لقصور افهامهم عن درك الحقايق الغامضة وهذا الفن من الكلام هو
الذى ينبغى ان يعتمده الوعاظ اذ مقصود كلامهم من مخاطبة العوام اصلاحهم والطبيب المشفق لا ينبغى ان يصلح الصبى والطفل
بالطيور السمان وصنوف الحلاوى بل باللبن وعليه ان يترك اطايب الاطعمة الى ان يصير محتملا له ما يقويه ويفارق الضعف
الذى فى بنيته فنقول هذا المقام فى البيان يابى البحث والتفصيل ومقتضاه النظر الى الظاهر المفهوم من موارد الشرع
وذلك يقتضى تفضيل الصبر فان الشكر وان وردت اخبار فى فضله فاذا اضيف اليه ما ورد فى فضيلة الصبر كان فضائل الصبر
اكثر بل فيها الفاظ صريحة فى التفضيل كقوله صلى الله عليه وسلم من افضل ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر وفى الخبر يؤتى باشكر
اهل الارض فيجزيه الله تعالى جزاء الشاكرين ويؤتى باصبر اهل الارض فيقال له اترضى ان نجزيك كما جزينا هذا الشاكر فيقول نعم
يا رب فيقول الله تعالى كلا انعمت عليه فشكر وابتليتك فصبرت لاضعفن لك الاجر عليه فيعطى اضعاف جزاء الشاكرين وقد قال
الله سبحانه انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب واما قوله صلى الله عليه وسلم الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر فهو
دليل على ان فضيلة الصبر انه ذكره لذلك فى معرض المبالغة لرفع درجة الشكر فالحقه بالصبر فكان هذا منتهى درجته ولولا انه فهم
من الشرع علو درجة الصبر لما كان الحاق الشكر به مبالغة فى الشكر كقوله صلى الله عليه وسلم الجمعة حج الفقراء وجهاد المرأة
حسن التبعل وكقوله شارب الخمر كعابد الوثن ولهذا المشبه به ينبغى ان يكون اعلى رتبة وكذلك الصبر نصف الايمان لا يدل على
على ان الشكر مثله وهو كقوله الصوم نصف الصبر فان كل ما ينقسم بقسمين يسمى احدهما نصفا وان كان بينهما تفاوت كما يقال الايمان
هو العلم والعمل فالعمل نصف الايمان فلا يدل ذلك على ان العمل يساوى العلم وفى الخبر آخر الانبياء دخولا الجنة سليمان بن داود
عليهما السلام لمكان ملكه واخر اصحابى دخولا الجنة عبد الرحمن بن عوف لمكان غناه وفى لفظ آخر يدخل سليمان بعد الانبياء
باربعين خريفا وفى الخبر ابواب الجنة كلها مصراعان الا باب الصبر فانه مصراع واحد واول من يدخله اهل البلاء امامهم ايوب
عليه الصلوة والسلام وكل ما ورد فى فضائل الفقر يدل على فضيلة الصبر لان الصبر حال الفقير والشكر حال الغنى فهذا هو المقام
الذى العوام ويكفيهم فى الوعظ اللائق بهم والتعريف لما فيه صلاح دينهم **المقام الثانى** هو البيان الذى
يقصد به تعريف اهل العلم والاستبصار بحقائق الامور بطريق الكشف والايضاح فنقول كل امرين مبهمين لا يمكن الموازنة

بينهما مع الإبهام ما لم يكشف عن حقيقة كل واحد منهما وكل مكشوف ينقسم على أقسام لا يمكن الموازنة بين الجملة مع الجملة بل يجب
أن يفرد الآحاد بالموازنة حتى يتبين الرجحان والصبر والشكر أقسامهما وشعبهما كثيرة فلا يتبين حكمهما في الرجحان والنقصان
مع الإجمال فنقول قد ذكرنا أن هذه المقامات تنتظم من ثلاثة أمور علوم وأحوال وأعمال والشكر والصبر وسائر المقامات
هي كذلك وهذه الثلاثة إذا وزنت البعض منها بالبعض لاح للناظرين إلى الظواهر أن العلوم تراد للأحوال والأحوال تراد للأعمال
فالأعمال هي الأفضل وأما أرباب البصائر فالأمر بالعكس من ذلك عندهم فإن الأعمال تراد للأحوال والأحوال تراد للعلوم فالأفضل العلوم ثم الأحوال
ثم الأعمال لأن كل مراد لغيره فذلك الغير لا محالة أفضل منه وأما آحاد هذه الثلاثة فالأعمال قد تتساوى وقد تتفاوت إذا أضيف
بعضها إلى بعض وكذا آحاد الأحوال إذا أضيف بعضها إلى بعض وكذا آحاد المعارف وأفضل المعارف علوم المكاشفة وهي أرفع
من علوم المعاملة بل علوم المعاملة دون المعاملة فإنها تراد للمعاملة ففائدتها إصلاح العمل وإنما فضل العالم بالمعاملة
على العابد إذا كان ما يعلم مما يعم نفعه فيكون بالإضافة إلى عمل خاص أفضل وإلا فالعلم القاصر بأفضل من العمل القاصر فنقول
فائدة إصلاح العمل إصلاح حال القلب وفائدة إصلاح حال القلب أن ينكشف له جلال الله في ذاته وصفاته وأفعاله فأرفع علوم المكاشفة
معرفة الله سبحانه وهي الغاية التي تطلب لذاتها فإن السعادة تنال بها بل هي عين السعادة ولكن قد لا يشعر القلب في الدنيا بأنها
عين السعادة وإنما يشعر بها في الآخرة فهي المعرفة الحرة التي لا قيد عليها فلا تتقيد بغيرها وكل ما عداها من المعارف عبيد وخدم بالإضافة
إليها فإنها إنما تراد لأجلها ولما كانت مرادة لأجلها كان تفاوتها بحسب نفعها في الإفضاء إلى معرفة الله تعالى فإن بعض المعارف يفضي
إلى بعض إما بواسطة وإما بوسائط كثيرة فكل ما كانت الوسائط بينه وبين معرفة الله تعالى أقل فهي أفضل وأما الأحوال فنعني بها
أحوال القلب في تصفيته وتطهيره عن شوائب الدنيا وشواغل الخلق حتى إذا طهر وصفا اتضح له حقيقة الحق فإذن فضائل الأحوال
بقدر تأثيرها في إصلاح القلب وتطهيره وإعداده لأن يحصل له علوم المكاشفة وكما أن تصقيل المرآة يحتاج إلى أن يتقدم على تمام
أحوال المرآة بعضها أقرب إلى الصقالة من بعض فكذلك القلب فالحالة القريبة أو المقربة من صفاء القلب هي أفضل مما دونها لا محالة
بسبب القرب من المقصود وهكذا ترتيب الأعمال فإن تأثيرها في تأكيد صفات القلب وجلب الأحوال إليه وكل عمل فإما أن يجلب إلى
القلب حالة مانعة من المكاشفة موجبة ظلمة القلب جاذبة إلى زخارف الدنيا وإما أن يجلب إليه حالة مهيئة للمكاشفة موجبة
صفاء القلب وقطع علائقه عن الدنيا واسم الأول المعصية واسم الثاني الطاعة والمعاصي من حيث تأثيرها في ظلمة القلب وقساوته متفاوتة
وكذا الطاعة في تنوير القلب وتصفيته فدرجاتها بحسب درجات تأثيرها وذلك يختلف باختلاف الأحوال وذلك أنا بالقول المطلق
ربما نقول الصلاة النافلة أفضل من كل عبادة نافلة وأن الحج أفضل من الصدقة فإن قيام الليل أفضل من غيره ولكن التحقيق فيه أن الغني
الذي معه مال وقد غلب عليه البخل وحب المال على إمساكه فإخراج درهم له أفضل من قيام الليل أفضل من غيره وصيام اليوم لأن الصيام يليق
بمن غلبته شهوة البطن فأراد كسرها أو منعه الشبع عن صفاء القلب للفكر في علوم المكاشفة فأراد تصفية القلب بالجوع فأما هذا المدبر
إذا لم يكن حاله هذه الأحوال فليس يستضر بشهوة بطنه ولا هو مشتغل بنوع فكر يمنع الشبع منه فاشتغاله بالصوم خروج منه عن حاله
الحال عزم وهو كالمريض الذي يشكو وجع البطن إذا استعمل دواء الصداع فلا ينتفع بل حقه أن ينظر في المهلكات الذي استولى عليه الشح
المطاع مجملة المهلكات ولا يزيله صيام مائة سنة وقيام ألف ليلة منه ذرة بل لا يزيله إلا إخراج المال فعليه أن يتصدق بما معه وتفصيل
ما ذكرناه في ربع المهلكات فليرجع إليه فإذن باعتبار هذه الأحوال يختلف تأثير الطاعات والمعاصي وكذلك درجاتها يختلف وعند ذلك
يعرف البصير أن الجواب المطلق فيه خطأ فإنه لو قال لنا قائل الخبز أفضل من الماء لم يكن فيه جواب حق إلا أن يقول الخبز للجائع أفضل وأن الماء للعطشان

فإن كان الجوع أغلب فالخبز وإن كان العطش أغلب فالماء أفضل فإن تساويا فهما متساويان وكذا إذا قيل السكنجبين أفضل أم شراب النيلوفر لم
يصح الجواب عنه مطلقا أصلا نعم لو قيل لنا السكنجبين أفضل أم عدم الصفراء فنقول عدم الصفراء لأن السكنجبين مراد له وما يراد لغيره فذلك
الغير أفضل منه لا محالة فإذن في بذل المال عمل وهو الإنفاق ويحصل به حال وهو زوال البخل وخروج حب الدنيا من القلب ويتهيأ القلب
بسبب خروج حب الدنيا من القلب لمعرفة الله سبحانه وحبه فالأفضل المعرفة ودونها الحال ودونها العمل فإن قلت فقد حث الشرع
على الأعمال وبالغ في ذكر فضلها حتى طلب الصدقات بقوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا وقال ويأخذ الصدقات فكيف لا يكون
الفعل وهو الإنفاق هو الأفضل فاعلم أن الطبيب إذا أثنى على الدواء لم يدل على أن الدواء مراد لعينه أو على أنه أفضل من الصحة
والشفاء الحاصل به ولكن الأعمال علاج لمرض القلوب ومرضها مما لا يشعر به غالبا فهو كبرص على وجه من لا مرآة معه فإنه لا يشعر به ولو ذكر له لا يصدق
به والسبيل معه المبالغة في الثناء على غسل الوجه بماء الورد مثلا إن كان ماء الورد يزيل البرص حتى يستحثه فرط الثناء على المواظبة عليه
فيزول برصه فإنه لو ذكر له أن المقصود زوال البرص عن وجهك ربما ترك العلاج وزعم أن وجهه لا عيب به ولنضرب مثلا أقرب
من هذا فنقول من له ولد علمه العلم أو القرآن وأراد أن يثبت ذلك في حفظه بحيث لا يزول عنه وعلم أنه لو أمره بالتكرار و
الدراسة ليبقى له محفوظا لقال إنه محفوظ ولا حاجة بي إليه لأنه يظن أن ما يحفظه في الحال كذلك يبقى أبدا وكان للوالد عبيد فأمر
الولد بتعليم العبيد ووعده على ذلك بالجميل الشيق وداعيته على كثرة التكرار بالتعليم فربما يظن الصبي المسكين أن المقصود تعليم العبيد
القرآن وأنه قد استخدم لتعليمهم فيشكل عليه الأمر فيقول ما بالي قد استخدمت لأجل العبيد وأنا أجل منهم وأعز عند الوالد وعلم
أن أبي لو أراد تعليم العبيد لقدر عليه دون تكليفي وأعلم أنه لا نقصان لأبي بفقد هؤلاء العبيد فضلا من عدم علمهم في القرآن وربما تكاسل
هذا المسكين عن ترك تعليمهم اعتمادا على استغناء أبيه وعلى كرمه في العفو عنه فينسى العلم والقرآن ويبقى متبرما محروما من حيث لا يدري
وقد انخدع بمثل هذا الخيال طائفة وسلكوا طريق الإباحة وقالوا إن الله تعالى غني عن عبادتنا وغني عن استقراضه منا فأي معنى
لقوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا ولو شاء الله إطعام المساكين لأطعمهم فلا حاجة بنا إلى صرف أموالنا إليهم كما قال الله
تعالى حكاية عن الكفار وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه وقالوا أيضا لو شاء
الله ما أشركنا ولا آباؤنا فانظر كيف كانوا صادقين في كلامهم وكيف هلكوا بصدقهم فسبحان من إذا شاء أهلك بالصدق وإذا شاء
أسعد بالجهل يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا فهؤلاء لما ظنوا أنهم استخدموا لأجل المساكين والفقراء أو لأجل الله ثم قالوا لا حظ
لنا في المساكين ولا حظ لله فينا وفي أموالنا أنفقنا أو أمسكنا هلكوا كما هلك الصبي لما ظن أن مقصود الوالد استخدامه لأجل
العبيد ولم يشعر بأنه كان المقصود ثبات صفة العلم في نفسه وتأكده في قلبه حتى يكون ذلك سبب سعادته في الدنيا وإنما
كان ذلك من الوالد تلطفا به في استجراره إلى ما فيه سعادته في الدنيا والآخرة وهذا المثال يبين لك ضلال من ضل من هذا الطريق
فإذن المسكين لأخذ المال ثم يستوفي بواسطة المال خبث البخل وحب الدنيا من باطنك فإنه مهلك لك فهو كالحجام
ولا يخرج الحجام عن كونه خادما بأن يكون له غرض في أن يصنع شيئا بالدم ولما كانت الصدقات مطهرة للبواطن ومزكية لها عن خبائث
الصفات امتنع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخذها ونهى عنها كما نهى عن كسب الحجام وسماها أوساخ أموال الناس وشرف
أهل بيته بالصيانة عنها والمقصود أن الأعمال مؤثرات في القلب كما سبق في ربع المهلكات والقلب بحسب تأثره يستعد لقبول
الهداية ونور المعرفة فهذا هو القول الكلي والقانون الأصلي الذي ينبغي أن يرجع إليه في معرفة فضائل الأعمال والأحوال والمعارف
فلنرجع الآن إلى خصوص ما نحن فيه من الشكر والصبر فنقول في كل واحد منهما معرفة وحال وعمل فلا يجوز أن يقابل المعرفة في أحدهما

بالحال او العمل اخرى بل يقابل المعرفة كل واحد بنظيره حتى يظهر التناسب وبعد التناسب يظهر الفضل وبهما قوبلت معرفة
الشاكر بمعرفة الصابر رجعا الى معرفة واحدة اذ معرفة الشاكر ان يرى نعمة العينين مثلا من الله تعالى ومعرفة الصابر ان
يرى العمى من الله تعالى وهما معرفتان متلازمتان ومتساويتان هذا ان اعتبر في البلاء والمصائب وقد بينا ان الصبر قد يكون
على الطاعة وعن المعصية وفيهما يتحد الشكر والصبر لان الصبر على الطاعة هو عين شكر الطاعة لان الشكر يرجع الى صرف نعمة الله تعالى
الى ما هو المقصود منه بالحكمة والصبر يرجع الى ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الهوى فالصبر والشكر فيه اسمان لمسمى واحد
باعتبارين مختلفين فثبات باعث الدين في مقاومة باعث الهوى يسمى صبرا بالاضافة الى باعث الهوى ويسمى شكرا بالاضافة الى
باعث الدين اذ باعث الدين انما خلق لهذه الحكمة والهوى هو ان يصرع به باعث الشهوة فقد صرفه الى المقصود فهما عبارتان عن معنى
واحد فكيف يفضل الشيء على نفسه فاذن مجاري الصبر ثلاثة الطاعة والمعصية والبلايا وقد ظهر حكمهما في الطاعة والمعصية اما
البلاء فهو عبارة عن فقد نعمة والنعمة اما ضروري كالعينين مثلا واما يقع في محل الحاجة كالزيادة على قدر الكفاية من المال اما
العينان فصبر الاعمى عنهما بان لا يظهر الشكوى ويظهر الرضا بقضاء الله تعالى ولا يترخص بسبب العمى في بعض المعاصي وشكر البصير
على العينين من حيث العمل بامرين احدهما ان لا يستعين بهما على معصية والاخر ان يستعملهما في الطاعة وكل واحد من الامرين لا يخلو
عن الصبر فان الاعمى كفي الصبر عن الصور الجميلة لانه لا يراها والبصير اذا وقع بصره على جميل فصبر كان شاكرا لنعمة العينين وان اتبع
النظر كفر نعمة العينين فقد دخل الصبر في شكره وكذلك اذا استعان بالعينين على الطاعة فلا بد فيه ايضا من الصبر على الطاعة ثم قد يشكرهما
بالنظر الى عجائب صنع الله ليتوصل به الى معرفة الله فيكون هذا الشكر افضل من الصبر ولولا هذا لكان رتبة شعيب عليه الصلوة مثلا وقد
كان نبيا من الانبياء فوق رتبة موسى صلى الله عليه وسلم وغيره لانه صبر على فقد البصر وموسى صلى الله عليه وسلم لم يصبر ولكان
الكمال في ان يسلب الاطراف كلها ويترك الانسان لحما على وضم وذلك محال جدا لان كل واحد من هذه الاعضاء آلة في الدين فيفوت
بفواتها ذلك الركن من الدين وشكره استعماله فيما هو آلة فيه من الدين ولا يكون ذلك الا بصبر واما ما يقع في محل الحاجة كالزيادة
على الكفاية من المال فانه اذا لم يؤت الا قدر الضرورة وما وراءه محتاج اليه ففي الصبر عنه مجاهدة وهو جهاد الفقراء ووجود الزيادة
نعمة وشكرها ان يصرف الى الخيرات وان لا يستعمل في المعصية فان اضيف الصبر الى الشكر الذي هو صرف الى الطاعة فالشكر افضل لانه تضمن الصبر
ايضا وفيه فرح بنعمة الله وفيه احتمال الم في صرفه الى الفقراء وترك صرفه الى التنعم المباح وكان الحاصل يرجع الى الجملة الى ان شيئين افضل من
شيء وان الجملة اعلى رتبة من البعض وهذا فيه حل الكلام بقي المواني نسبي الجملة وبقي ابعاضها واما اذا كان شكره بان لا يستعين به على معصية بل يصرفه
الى التنعم المباح فالصبر هنا افضل من الشكر والفقير الصابر افضل من الغني الممسك ماله الصارف الى المباحات لا من الغني الصارف ماله الى الخيرات
لان الفقير قد جاهد نفسه وكسر نهمتها واحسن الرضا على بلاء الله وهذه تستدعي لا محالة قوة والغني اتبع نهمته واطاع شهوته ولكنه اقتصر على
المباح منه وحد عن الحرام ولكن لا بد من قوة في الصبر عن الحرام ايضا الا ان القوة التي عنها يصدر صبر الفقير اعلى واتم من هذه القوة التي عنها
يصدر الاقتصار في التنعم على المباح والشرف لتلك القوة التي دل العمل عليها فان الاعمال لا تراد الا لاحوال القلب وتلك القوة حالة القلب
تختلف بحسب قوة اليقين والايمان فما دل على زيادة قوة في الايمان فهو افضل لا محالة وجميع ما ورد من تفضيل اجر الصبر على الشكر
في الاخبار والايات انما اريد به هذه الرتبة على الخصوص لان السابق الى الافهام من النعمة الاموال والغنى بها والسابق الى الافهام
من الشكر ان يقول الحمد لله ولا يستعين بالنعمة على المعصية لا ان يصرفها الى الطاعة فاذن الصبر افضل من الشكر الذي يفهمه العامة والى هذا المعنى
على الخصوص اشار الجنيد حيث سئل عن الصبر والشكر ايهما افضل فقال ليس مدح الغني بالوجود ولا مدح الفقير بالعدم وانما المدح في شرطين

القيام بشروطهما فشرط الغني يصحبه فيما عليه اشياء تؤلم صفته وتنعمها وتزعجها فاذا كان الاثنان قائمين لله عز وجل بشرط ما
عليهما كان الذي آلم صفته وازعجها اتم حالا ممن متع صفته ونعمها والامر على ما قاله وهو صحيح في جملة اقسام الصبر والشكر في القسم
الاخير الذي ذكرناه وهو لم يرد سواه ويقال كان ابو العباس بن عطا قد خالفه في ذلك وقال الغني الشاكر افضل من الفقير الصابر فدعا عليه
الجنيد فلحقه ما اصابه من البلاء من قتل اولاده وتلف ماله وزوال عقله اربع عشرة سنة فكان يقول دعوة الجنيد اصابتني ورجع الى
تفضيل الفقير الصابر على الغني الشاكر ومهما لاحظت المعاني التي ذكرناها علمت ان لكل واحد من القولين وجها في بعض الاحوال فرب فقير صابر
افضل من غني شاكر كما سبق ورب غني شاكر افضل من فقير صابر وذلك هو الغني الذي يرى نفسه مثل الفقير اذ لا يمسك لنفسه من ماله الا قدر
الضرورة والباقي يصرفه الى الخيرات او يمسكه على نية انه خازن المحتاجين والمساكين وانما ينتظر حاجة لتسنح حتى يصرف اليه ثم اذا صرف لم يصرف
لطلب جاه وصيت ولا لتقلد منة بل اداء لحق الله تعالى في تفقد عباده فهذا افضل من الصابر فان قلت فهذا لا يثقل على النفس والفقير يثقل عليه
الفقر لانه هذا يستشعر لذة القدرة وذلك يستشعر الم الصبر فان كان ربما تألم بفراق المال فيتجبر بلذة قدرته على الانفاق فاعلم ان الذي يراه
ان من ينفق ماله عن رغبة وطيب نفسه اكمل حالا ممن ينفقه وهو بخيل به وانما ينتزعه عن نفسه قهرا وقد ذكرنا تفصيل هذا فيما سبق من كتاب
التوبة فايلام النفس ليس مطلوبا بعينه بل لتأديبه وذلك يضاهي ضرب كلب الصيد والكلب المتأدب اكمل من الكلب المحتاج الى الضرب وان كان صابرا
على الضرب ولذلك يحتاج الى الايلام والمجاهدة في البداية ولا يحتاج اليه في النهاية بل في النهاية يصير ما كان مؤلما في حقه لذيذا عنده كما
يصير التعلم عند الصبي العاقل لذيذا وقد كان مؤلما له اولا ولكن لما كان الناس كلهم الا الاقلون في البداية بل قبل البداية بكثير كالصبيان
اطلق الجنيد القول بان الذي يؤلم صفته افضل فاذن اذا كنت لا تفصل القول بان الصبر افضل من الشكر فانه صحيح بالمعنى السابق الى الافهام فاما اذا
اردت التحقيق فتفصل فان للصبر درجات اقلها ترك الشكوى مع الكراهة ووراءها الرضا وهو مقام وراء الصبر ووراءه الشكر على البلاء وهو وراء الرضا
اذ الصبر مع الالم والرضا يمكن حيث لا الم فيه ولا فرح والشكر لا يمكن الا على محبوب مفروح به وكذلك للشكر درجات كثيرة ذكرنا اقصاها ويدخل
في جملتها امور دونها فان حياء العبد من تتابع نعم الله عليه شكر ومعرفته بتقصيره عن الشكر شكر والاعتذار من قلة الشكر شكر والمعرفة بعظم
حلم الله وكنه ستره شكر والاعتراف بان النعمة ابتداء من الله من غير استحقاق شكر والعلم بان الشكر ايضا نعمة من نعم الله وموهبة منه
شكر وحسن التواضع بالنعم والتذلل فيها شكر وشكر الوسائط شكر اذ قال عليه الصلوة من لم يشكر الناس لم يشكر الله وقد ذكرنا حقيقته والمتأدب كما
اسداه الدكوة وقلة الاعتراض وحسن الادب بين يدي المنعم شكر وتلقي النعم بحسن القبول واستعظام صغيرها شكر فما يندرج من الاعمال والاحوال
تحت اسم الشكر والصبر لا يحصر آحادها وهي درجات مختلفة فكيف يمكن اجمال القول بتفضيل احدهما على الاخر الا على سبيل ارادة الخصوص
باللفظ العام كما ورد في الاخبار والاثار وقد روي عن بعضهم انه قال رأيت في بعض الاسفار شيخا كبيرا قد طعن في السن فسألته عن حاله
فقال اني كنت في ابتداء عمري اهوى ابنة عم لي وهي كذلك كانت تهواني فاتفق انها زوجت مني فليلة زفافها قلت لها تعالي حتى نحيي
هذه الليلة شكرا لله تعالى على ما جمعنا فصلينا تلك الليلة ولم يتفرغ احدنا الى صاحبه فلما كانت الليلة الثانية قلنا مثل ذلك فنحن
سبعين او ثمانين سنة نحن على تلك الحالة كل ليلة اليس كذلك يا فلانة فقالت العجوز هو كما يقول الشيخ فانظر اليهما لو صبرا على
بلاء الفرقة لرحم الله بينهما وانسب صبر الفرقة الى شكر الوصال على هذا الوجه فلا يخفى عليك ان هذا الشكر افضل
فاذن لا وقوف على حقائق المفضلات الا بتفصيل كما سبق والله اعلم ٥ هذا اخر كتاب الصبر
والشكر وقد تم بفضل الله وحسن توفيقه والحمد لله اولا واخرا ظاهرا وباطنا
والصلوة والسلام على نبيه محمد وآله الطيبين وصحبه الطاهرين ٥ ٥

اشياء تلائم صفته وتنعمها وتلذها
والفقر يصحبه فيما عليه ٥ صح

كتاب الرجا والخوف وهو الثالث من ربع المنجيات

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله المرجو لطفه وثوابه المخوف مكره وعقابه الذي عمر قلوب اوليائه بروح رجائه حتى ساقهم بلطائف آلائه الى النزول بفنائه والعدول عن دار بلائه التي هي مستقر اعدائه وضرب بسياط التخويف وزجر العنيف وجوه المعرضين عن حضرته الى دار ثوابه وكرامته وصدهم عن التعرض لنقمته والتهدف لسخطه ونقمته قودا لاصناف الخلق بسلاسل القهر والعنف وازمة الرفق واللطف الى جنته والصلوة والسلام على محمد سيد انبيائه وخير خليقته وعلى آله واصحابه وعترته اما بعد فان الرجا فان الرجا والخوف جناحان بهما يطير المقربون الى كل مقام محمود ومطيتان بهما يقطع من طرق الآخرة كل عقبة كؤود فلا يقود الى قرب الرحمن وروح الجنان مع كونه بعيد الارجا ثقيل الاعبا محفوفا بمكاره القلوب ومشاق الجوارح والاعضا الا ازمة الرجا ولا يصد عن نار الجحيم والعذاب الاليم مع كونه محفوفا بلطائف الشهوات وعجائب اللذات الا سياط التخويف وسطوات التعنيف فلا بد اذن من بيان حقيقتهما وفضيلتهما وسبيل التوصل الى الجمع بينهما مع تضادهما وتعاندهما ونحن نجمع ذكرهما في كتاب واحد مشتمل على شطرين الشطر الاول في الرجا والشطر الثاني في الخوف اما الشطر الاول فيشتمل على بيان حقيقة الرجا وبيان فضيلة الرجا وبيان دوا الرجا والطريق الذي يجتلب به الرجا

بيان حقيقة الرجا

اعلم ان الرجا من جملة مقامات السالكين واحوال الطالبين وانما يسمى الوصف مقاما اذا ثبت واقام وانما يسمى حالا اذا كان عارضا سريع الزوال وكما ان الصفرة تنقسم الى ثابتة كصفرة الذهب والى سريع الزوال كصفرة الوجل والى ما هو بينهما كصفرة المريض كذلك صفات القلب تنقسم هذه الاقسام فالذي هو غير ثابت يسمى حالا لانه يحول على القرب وهذا جار في كل وصف من اوصاف القلب وغرضنا الآن حقيقة الرجا والرجا ايضا يتم بعلم وحال وعمل والعلم سبب يثمر الحال والحال يقتضي العمل وكان الرجا اسم للحال من جملة الثلث وبيانه ان كل ما يلاقيك من مكروه ومحبوب فينقسم الى موجود في الحال والى موجود فيما مضى والى منتظر في الاستقبال فاذا خطر ببالك موجود فيما مضى يسمى ذكرا وتذكرا وان كان ما خطر بقلبك موجودا في الحال يسمى وجدا وذوقا وادراكا وانما سمي وجدا لانها حالة تجدها من نفسك وان كان قد خطر ببالك وجود شي في الاستقبال وغلب ذلك على قلبك سمي انتظارا وتوقعا فان كان المنتظر مكروها حصل منه الم في القلب يسمى خوفا واشفاقا وان كان محبوبا حصل من انتظاره وتعلق القلب به واخطار وجوده بالبال لذة في القلب وارتياح يسمى ذلك الارتياح رجاء والرجا هو ارتياح القلب لانتظار ما هو محبوب عنده ولكن ذلك المحبوب المتوقع لا بد ان يكون له سبب فان كان انتظاره لاجل حصول اكثر اسبابه فاسم الرجا عليه صادق وان كان ذلك انتظارا مع انخرام اسبابه واضطرابها فاسم الغرور والحمق عليه اصدق من اسم الرجا وان لم تكن الاسباب معلومة الوجود ولا معلومة الانتفا فاسم التمني عليه اصدق لانه انتظار من غير سبب

وعلى كل حال فلا يطلق اسم الرجا والخوف الا على ما يتردد فيه اما ما يقطع به فلا اذ لا يقال ارجو طلوع الشمس واخاف غروبها وقت المغرب لان ذلك مقطوع به نعم يقال ارجو نزول المطر واخاف انقطاعه وقد علم ارباب القلوب ان الدنيا مزرعة الآخرة والقلب كالارض والايمان كالبذر فيه والطاعات جارية مجرى تقليب الارض وتطهيرها ومجرى حفر الانهار وسياقة الما اليها والقلب المستهتر بالدنيا المستغرق بها كالارض السبخة التي لا ينمو فيها البذر ويوم القيمة يوم الحصاد ولا يحصد احد الا ما زرع ولا ينمو زرع الا من بذر الايمان وقلما ينفع ايمان مع خبث القلب وسوء اخلاقه كما لا ينمو بذر في الارض السبخة فينبغي ان يقاس رجاء العبد المغفرة برجاء صاحب الزرع فكل من طلب ارضا طيبة والقى فيها بذرا جيدا غير عفن ولا مسوس ثم امده بما يحتاج اليه وهو سياق المياه اليه في اوقاته ثم طهرها عن الشوك والحشيش وكل ما يمنع نبات البذر او يفسده ثم جلس منتظرا من فضل الله دفع الصواعق والآفات المفسدة الى ان يتم ويبلغ غايته سمي انتظاره رجاء وان بث البذر في ارض صلبة سبخة مرتفعة لا ينصب اليها ما ولم يشتغل بتعهد البذر اصلا ثم انتظر حصاد الزرع منه سمي انتظاره حمقا وغرورا لا رجاء وان بث البذر في ارض طيبة ولكن لا ما لها واخذ ينتظر مياه الامطار حيث لا تغلب الامطار ولا تمتنع ايضا سمي انتظاره تمنيا لا رجاء فاذن اسم الرجا انما يصدق على انتظار محبوب تمهدت جميع اسبابه الداخلة تحت اختيار العبد ولم يبق الا ما ليس يدخل تحت اختياره وهو فضل الله تعالى بصرف القواطع والمفسدات فالعبد اذا بث بذر الايمان وسقاه بما الطاعات وطهر القلب عن شوك الاخلاق الرديئة وانتظر من فضل الله تثبيته عليه الى الموت وحسن الخاتمة المفضية الى المغفرة كان انتظاره رجاء حقيقيا محمودا في نفسه باعثا له على المواظبة والقيام بمقتضى الايمان في تمام اسباب المغفرة الى الموت وان قطع عن بذر الايمان تعهده بما الطاعات او ترك القلب مشحونا برذائل الاخلاق وانهمك في طلب لذات الدنيا ثم انتظر المغفرة فانتظاره المغفرة حمق وغرور قال صلى الله عليه وسلم الاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله وقال تعالى فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات وقال تعالى فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب ياخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا وذم الله تعالى صاحب البستان اذ دخل جنته وقال ما اظن ان تبيد هذه ابدا وما اظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا فاذن العبد المجتهد في الطاعات المجتنب للمعاصي حقيق بان ينتظر من فضل الله تمام النعمة وما تمام النعمة الا بدخول الجنة واما العاصي فاذا تاب وتدارك جميع ما فرط منه من تقصير فحقيق بان يرجو قبول التوبة واما قبل التوبة اذا كان كارها للمعصية تسوؤه السيئة وتسره الحسنة وهو يذم نفسه ويلومها ويشتهي التوبة ويشتاق اليها فحقيق بان يرجو من الله التوفيق للتوبة لان كراهته للمعصية وحرصه على التوبة يجري مجرى السبب الذي قد يفضي الى التوبة وانما الرجا بعد تاكد الاسباب ولذلك قال تعالى ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله معناه اولئك يستحقون ان يرجوا وما اراد به تخصيص وجود الرجا لان غيرهم قد يرجو ولكن خصص بهم استحقاق الرجا فاما من ينهمك فيما يكرهه الله ولا يذم نفسه عليه ولا يعزم على التوبة والرجوع فرجاؤه المغفرة حمق كرجا من بث البذر في ارض سبخة وعزم على ان لا يتعهده بسقي ولا تطهير قال يحيى بن معاذ من اعظم الاغترار عندي التمادي في الذنوب على رجا العفو من غير ندامة وتوقع القرب من الله من غير طاعة وانتظار زرع الجنة ببذر النار وطلب دار المطيعين بالمعاصي وانتظار الجزا بغير عمل والتمني على الله مع الافراط فاذا عرفت حقيقة الرجا ومظنته فقد علمت انها حالة اثمرها العلم بجريان اكثر الاسباب وهذه الحالة تثمر الجهد للقيام ببقية الاسباب على حسب الامكان فان من حسن بذره وطابت ارضه ووفر ماؤه صدق رجاؤه فلا يزال يحمله صدق الرجا على تعهد الارض وتنقيتها من كل حشيش ينبت فيها فلا يفتر عن تعهده اصلا الى وقت الحصاد وهذا لان الرجا يضاده الياس والياس يمنع من التعهد فمن عرف ان الارض سبخة وان الما معوز وان البذر فيه لا ينبت فيترك لا محالة تفقد الارض والتعب في تعهدها والرجا محمود لانه باعث والياس مذموم وهو ضده لانه صارف عن العمل والخوف

ليس بصيد للرجل هو رفيق له كاسباق بل هو باعث يحرك بطوع الرهبة فاذن حال الرجا يورث طول المجاهدة بالاعمال والمواظبة
على الطاعات كيفما تقلبت الاحوال ومن آثاره التلذذ بدوام الاقبال على الله والتنعم بمناجاته والتلطف في التملق له فان هذه الاحوال
لابد وان تظهر على كل من يرجو ملكا من الملوك او شخصا من الاشخاص فكيف لا يظهر ذلك في حق الله تعالى فان كان ذلك لا يظهر فليستدل
به على الحرمان من مقام الرجاء والنزول في حضيض الغرور والتمني فهذا هو البيان لحال الرجا ولما اثمره من العلم ولما استثمره من
العمل ويدل على اثماره لهذه الاعمال حديث زيد الخيل اذ قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم جئت لاسألك عن علامة الله فيمن يريد وعلامته
فيمن لا يريد فقال كيف اصبحت قال اصبحت احب الخير واهله واذا قدرت على شيء منه سارعت اليه وايقنت بثوابه واذا فاتني شيء منه
حزنت عليه وحننت اليه فقال هذه علامة الله فيمن يريد ولو ارادك بالاخرى هيأك لها ثم لا يبالي في اي اوديتها هلكت فقد
ذكر صلى الله عليه وسلم علامة من اريد به الخير فمن ارتجى ان يكون مرادا بالخير من غير هذه العلامات فهو مغرور

بيان فضيلة الرجاء والترغيب فيه اعلم ان العمل على الرجا اعلى منه على الخوف لان اقرب العباد الى الله احبهم له والحب يغلب بالرجاء
واعتبر ذلك بملكين يخدم احدهما خوفا من عقابه والاخر رجاء لثوابه ولذلك ورد في الرجاء وحسن الظن رغائب لا سيما وقت الموت
قال تعالى لا تقنطوا من رحمة الله فحرم اصل اليأس وفي اخبار يعقوب صلوات الله وسلامه عليه ان الله تعالى اوحى اليه اتدري
لم فرقت بينك وبين يوسف لقولك اخاف ان ياكله الذئب وانتم عنه غافلون لم خفت الذئب ولم ترجني ولم نظرت الى غفلة
اخوته ولم تنظر الى حفظي له وقال صلى الله عليه وسلم لا يموتن احدكم الا وهو حسن الظن بالله وقال صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل
انا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء ودخل صلى الله عليه وسلم على رجل وهو في النزع فقال كيف تجدك فقال اجدني اخاف ذنوبي و
ارجو رحمة ربي فقال ما اجتمعا في قلب عبد في هذا الموطن الا اعطاه الله ما رجاه وآمنه مما يخاف وقال علي رضي الله عنه لرجل
اخرجه الخوف الى القنوط لكثرة ذنوبه يا هذا يأسك من رحمة الله اعظم من ذنوبك وقال سفيان من اذنب ذنبا فعلم ان الله سبحانه قدره
عليه ورجا غفرانه غفر الله له ذنبه قال لان الله عز وجل عير قوما فقال وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم الاية وقال تعالى وظننتم
ظن السوء وكنتم قوما بورا وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقول للعبد يوم القيمة ما منعك اذ رأيت المنكر ان تنكره فان لقنه الله عز وجل
حجته قال رب رجوتك وخفت الناس فيقول الله تعالى قد غفرته لك وفي الخبر الصحيح ان رجلا كان يداين الناس ويسامح ويتجاوز
عن المعسر فلقي الله عز وجل ولم يعمل خيرا قط فقال الله سبحانه من احق بذلك منا فعفى عنه لحسن ظنه ورجائه انه يعفو عنه مع افلاسه عن
الطاعات وقال تعالى ان الذين يتلون كتاب الله واقاموا الصلوة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور ولما قال
صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولخرجتم الى الصعدات تلدمون صدوركم وتجأرون الى ربكم فهبط
جبريل عليه السلم فقال ان ربكم عز وجل يقول لم تقنط عبادي فخرج عليهم فرجاهم وشوقهم وفي الخبر ان الله تعالى اوحى الى داود احبني
واحب من يحبني وحببني الى خلقي فقال يا رب كيف احببك الى خلقك فقال اذكرني بالحسن الجميل واذكر آلائي واحساني وذكرهم ذلك
فانهم لا يعرفون مني الا الجميل ورأى ابان بن ابي عياش في النوم وكان يكثر ذكر ابواب الرجا فقال اوقفني الله تعالى بين يديه وقال يا شيخ
ما الذي حملك على ما فعلت فقلت اردت ان احببك الى خلقك فقال قد غفرت لك ورأى يحيى بن اكثم في النوم فقيل له ما فعل الله
بك فقال اوقفني بين يديه وقال يا شيخ السوء فعلت وفعلت قال فاخذني من الرعب ما يعلم الله ثم قلت يا رب ما هكذا حدثت
عنك فقال وما حدثت عني فقلت حدثنا عبد الرحمن عن معمر عن الزهري عن انس عن نبيك صلى الله عليه وسلم انك قلت انا عند
ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء وكنت اظن بك ان لا تعذبني فقال عز وجل صدق النبي وصدق انس وصدق الزهري وصدق معمر وصدق عبد الرحمن

عبد الرحمن وصدقت قال فالبست ومشى بين يدي الولدان الى الجنة فقلت يا لها من فرحة وفي الخبر ان رجلا من بني اسرائيل كان
يقنط الناس ويشدد عليهم فيقول الله عز وجل يوم القيمة اليوم اويسك من رحمتي كما كنت تقنط عبادي منها وقال صلى الله عليه
وسلم ان في جهنم رجلا ينادي الف سنة يا حنان يا منان فيقول الله تعالى لجبريل عليه السلم اذهب فائتني بعبدي قال فيجيء به فيوقفه
على ربه فيقول الله تعالى له كيف وجدت مكانك فيقول شر مكان فيقول ردوه الى مكانه قال فيمشي ويلتفت الى ورائه فيقول الله
عز وجل الى اي شيء تلتفت فيقول لقد رجوت ان لا تعيدني اليها بعد اذ اخرجتني منها فيقول الله تعالى اذهبوا به الى الجنة فدل على ان رجاءه
كان سبب نجاته

بيان دواء الرجاء والسبيل الذي منه يحصل حال الرجاء ويغلب اعلم ان هذا الدواء يحتاج اليه احد
الرجلين اما رجل غلب عليه اليأس فترك العبادة واما رجل غلب عليه الخوف فاسرف في المواظبة على العبادة حتى اضر بنفسه واهله وهذان
رجلان مائلان عن الاعتدال الى طرفي الافراط والتفريط فيحتاجان الى علاج يردهما الى الاعتدال فاما العاصي المغرور المتمني على الله
مع الاعراض عن عبادة الله واقتحام المعاصي فادوية الرجاء تنقلب سموما في حقه مهلكة وتنزل منزلة العسل الذي هو شفاء لمن غلبته البرودة
وهو سم مهلك لمن غلبته الحرارة بل المغرور لا يستعمل في حقه الا ادوية الخوف والاسباب المهيجة له فلهذا يجب ان يكون واعظ الخلق
متلطفا ناظرا الى مواضع العلل معالجا لكل علة بما يضادها لا بما يزيد فيها فان المطلوب هو العدل والقصد في الصفات
والاخلاق كلها وخير الامور اوسطها فاذا جاوز الوسط الى احد الطرفين عولج بما يرده الى الوسط لا بما يزيد في ميله عن
الوسط وهذا الزمان زمان لا ينبغي ان يستعمل فيه مع الخلق اسباب الرجاء بل المبالغة في التخويف ايضا تكاد لا تردهم الى جادة الحق
وسنن الصواب واما ذكر اسباب الرجاء فيهلكهم ويرديهم بالكلية ولكنها لما كانت اخف على القلوب والذ عند النفوس ولم يكن غرض
الوعاظ الا استمالة القلوب واستنطاق الخلق بالثناء كيفما كان مالوا الى الارجاء حتى ازداد الفساد فسادا وازداد المنهمكون
في طغيانهم تماديا قال علي رضي الله عنه انما العالم الذي لا يقنط الناس من رحمة الله ولا يؤمنهم من مكر الله ونحن نذكر اسباب الرجاء
لتستعمل في حق الآيس او فيمن غلب عليه الخوف اقتداء بكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فانهما مشتملان على الخوف
والرجاء جميعا لانهما جامعان لاسباب الشفاء في حق اصناف المرضى ليستعمله العلماء الذين هم ورثة الانبياء بحسب الحاجة استعمال الطبيب
الحاذق لا استعمال الاخرق الذي يظن ان كل شيء من الادوية صالح لكل مريض كيف كان وحال الرجاء يغلب بشيئين احدهما الاعتبار
والاخر استقراء الآيات والاخبار والآثار اما الاعتبار فهو ان يتأمل جميع ما ذكرناه في اصناف النعم في كتاب الشكر حتى اذا علم
لطائف نعم الله لعباده في الدنيا وعجائب حكمته التي راعاها في فطرة الانسان حتى اعد له في الدنيا كل ما هو ضروري له في
دوام الوجود كآلات الغذاء وما هو محتاج اليه كالاظفار والاصابع وما هو زينة له كاستقواس الحاجبين واختلاف الوان
العينين وحمرة الشفتين وغير ذلك مما كان لا ينثلم بفقده غرض مقصود وانما كان يفوت به مزية جمال فالعناية الالهية اذا لم تقصر
عن عباده في امثال هذه الدقائق حتى لم يرض لعباده ان تفوتهم المزايد والمزايا في الزينة والحاجة كيف يرضى بسياقتهم الى الهلاك
المؤبد بل اذا نظر الانسان نظرا شافيا علم ان اكثر الخلق قد هيئ لهم اسباب السعادة في الدنيا حتى انه يكره الانتقال من الدنيا بالموت
وان اخبر بانه لا يعذب بعد الموت مثلا او لا يحشر اصلا فليس كراهتهم للعدم الا لان اسباب النعم اغلب لا محالة وانما الذي
يتمنى الموت نادر ثم لا يتمناه الا في حالة نادرة وواقعة هاجمة غريبة فاذا كان حال اكثر الخلق في الدنيا الغالب عليهم الخير
والسلامة فسنة الله لا تجد لها تبديلا فالغالب ان امر الاخرة هكذا يكون لان مدبر الدنيا والاخرة واحد وهو غفور رحيم لطيف
بعباده متعطف عليهم فهذا اذا تؤمل حق التأمل قوي به اسباب الرجاء ومن الاعتبار ايضا النظر في حكمة الشريعة وسننها في مصالح الدنيا

ووجد الحجة على العباد بها حتى كان بعض العارفين يرى آية المداينة في البقرة من اقوى اسباب الرجا فقيل له وما فيها من الرجا
فقال الدنيا كلها قليل ورزق الانسان منها قليل والدين قليل من رزقه فانظر كيف انزل الله اطول آية ليهدي عبده الى طريق
الاحتياط في حفظ دينه فكيف لا يحفظ دينه الذي لا عوض له منه **الفن الثالث** استقرا الايات والاخبار فيما ورد في
الرجا خارج عن الحصر اما الايات قال الله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب
جميعا وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يبالي انه هو الغفور الرحيم وقال تعالى والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون
لمن في الارض واخبر تعالى ان النار اعدها لاعدائه وانما خوف بها اولياءه فقال لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك
الذي يخوف الله به عباده وقال واتقوا النار التي اعدت للكافرين وقال فانذرتكم نارا تلظى لا يصليها الا الاشقى الذي كذب
وتولى وقال وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وفي تفسير قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى قال لا يرضى محمد وواحد
من امته في النار وكان ابو جعفر محمد بن علي يقول انتم اهل العراق تقولون ارجى آية في كتاب الله عز وجل قوله تعالى قل يا عبادي الذين
اسرفوا الاية ونحن اهل البيت نقول ارجى آية في كتاب الله قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى واما الاخبار
فقد روى ابو موسى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال امتي امة مرحومة لا عذاب لها في الاخرة عجل عقابها في الدنيا الزلازل
والفتن فاذا كان يوم القيمة دفع الى كل رجل من امتي رجل من اهل الكتاب فقيل هذا فداؤك من النار وفي لفظ اخر يأتي كل رجل
من هذه الامة بيهودي او نصراني الى جهنم فيقول هذا فداي من النار فيلقيه فيها وروي في تفسير قوله تعالى يوم لا يخزي
الله النبي والذين امنوا معه ان الله تعالى اوحى الى نبيه صلى الله عليه وسلم اني اجعل حساب امتك اليك فقال يا رب انت
خير لهم مني فقال اذن لا اخزيك فيهم وروي عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل ربه في ذنوب امته فقال يا رب اجعل
حسابهم الي لئلا يطلع على مساويهم غيري فاوحى الله تعالى اليه هم امتك وهم عبادي وانا ارحم بهم منك لا اجعل حسابهم
الى غيري لئلا ينظر في مساويهم انت ولا غيرك وقال صلى الله عليه وسلم حياتي خير لكم وموتي خير لكم اما حياتي فاسن لكم السنن
واشرع الشرائع واما موتي فان اعمالكم تعرض علي فما رايت منها حسنا حمدت الله تعالى عليه وما رايت منها سيئا استغفرت الله
تعالى لكم وقال صلى الله عليه وسلم يوما يا كريم العفو فقال جبريل اتدري ما تفسير يا كريم العفو هو ان عفى عن السيئات برحمته
ثم بدلها حسنات بكرمه وسمع صلى الله عليه وسلم رجلا يقول اللهم اني اسألك تمام النعمة فقال هل تدري ما تمام النعمة قال لا قال
دخول الجنة فقال العلماء قد اتم نعمته علينا برضاه الاسلام لنا اذ قال واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا وفي الخبر
اذا اذنب العبد فاستغفر يقول الله تعالى للملائكة انظروا الى عبدي اذنب ذنبا فعلم ان له ربا يغفر الذنوب ويأخذ بالذنب اشهدكم
اني قد غفرت له وفي الخبر لو اذنب العبد حتى تبلغ ذنوبه عنان السماء غفرتها ما استغفرني ورجاني وفي الخبر لو لقيني عبدي بقراب الارض
ذنوبا لقيته بقراب الارض مغفرة وفي الحديث ان الملك ليرفع القلم عن العبد اذا اذنب ست ساعات فان تاب واستغفر لم يكتبه عليه
والا كتبها سيئة وفي لفظ اخر فاذا كتبها عليه وعمل حسنة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال وهو امير عليه الق هذه السيئة حتى
القي من حسناته واحدة من تضعيف العشرة وارفع له تسع حسنات فيلقى عنه هذه السيئة وروى انس في حديث انه عليه الصلوة
والسلام قال اذا اذنب العبد ذنبا كتب عليه قال الاعرابي فان تاب قال محي عنه قال فان عاد قال عليه الصلوة والسلام يكتب
عليه قال الاعرابي فان تاب قال محي من صحيفته قال فالى متى قال الى ان يستغفر ويتوب الى الله ان الله عز وجل لا يمل من المغفرة
حتى يمل العبد من الاستغفار واذا هم العبد بحسنة كتبها صاحب اليمين حسنة قبل ان يعملها فاذا عملها كتب عشر حسنات ثم

يضاعفها الله عز وجل الى سبعمائة ضعف واذا هم بخطيئة لم يكتب عليه فاذا عملها كتب خطيئة واحدة ووراءها حسن عفو الله
عز وجل وجاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله اني لا اصوم الا الشهر لا ازيد ولا اصلي الا الخمس لا ازيد
عليها وليس لله في مالي صدقة ولا حج ولا تطوع فاين انا اذا مت فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال معي ان حفظت
قلبك من اثنين الغل والحسد ولسانك من اثنين الغيبة والكذب وعينيك من اثنين النظر الى ما حرم الله عز وجل وان تزدري بهما
مسلما دخلت معي الجنة على راحتي هاتين وفي الحديث الطويل ان الاعرابي قال يا رسول الله من يلي حساب الخلق فقال الله تعالى
فقال هو بنفسه قال نعم فتبسم الاعرابي فقال صلى الله عليه وسلم مم ضحكت يا اعرابي فقال ان الكريم اذا قدر عفى واذا حاسب سامح
فقال صلى الله عليه وسلم صدق الا ولا كريم اكرم من الله تعالى هو اكرم الاكرمين ثم قال فقه الاعرابي وفيه ايضا ان الله تعالى
شرف الكعبة وعظمها ولو ان عبدا هدمها حجرا حجرا ثم احرقها ما بلغ جرم من استخف بولي من اولياء الله تعالى قال الاعرابي
ومن اولياء الله قال المؤمنون كلهم اولياء الله تعالى اما سمعت قول الله تعالى الله ولي الذين امنوا يخرجهم من الظلمات الى النور
وفي بعض الاخبار المؤمن افضل من الكعبة والمؤمن طيب طاهر والمؤمن اكرم على الله من الملائكة وفي الخبر خلق الله تعالى جهنم من فضل
رحمته سوطا يسوق الله به عباده الى الجنة وفي خبر اخر يقول الله عز وجل انما خلقت الخلق ليربحوا علي ولم اخلقهم لاربح عليهم
وفي حديث ابي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما خلق الله تعالى شيئا الا جعل له ما يغلبه وجعل رحمته تغلب
غضبه وفي الخبر المشهور ان الله تعالى كتب على نفسه قبل ان يخلق الخلق ان رحمتي تغلب غضبي وعن معاذ بن جبل وانس بن مالك
رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم قال من قال لا اله الا الله دخل الجنة ومن كان اخر كلامه عند موته لا اله الا الله لم تمسه النار
ومن لقي الله لا يشرك به شيئا حرمت عليه النار ولا يدخل النار من في قلبه وزن ذرة من الايمان وفي خبر اخر لو علم الكافر سعة رحمة الله
ما ايس من جنته ولما تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى ان زلزلة الساعة شيء عظيم فقال اتدرون اي يوم هذا يوم
يقال لادم عليه السلام قم فابعث بعث النار من ذريتك فقال كم فقيل من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعين الى النار وواحد الى الجنة
فابلس القوم وجعلوا يبكون يومهم وتعطلوا عن الاشغال والعمل فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما لكم لا تعملون
فقالوا ومن يشتغل بعمل بما حدثتنا هذا فقال كم انتم في الامم اين تاويل ومنسك وياجوج وماجوج امم لا
يحصيها الا الله عز وجل انما انتم في سائر الامم كالشعرة البيضاء في جلد الثور الاسود وكالرقمة في ذراع الدابة وانظر كيف كان
يسوق الخلق بازمة الخوف والرجاء الى الله اذ ساقهم بسياط الخوف اولا فلما خرج ذلك بهم عن حد الاعتدال الى افراط الياس
داواهم بدواء الرجاء وردهم الى الاعتدال والقصد والاخير لم يكن مناقضا للاول ولكن ذكر في الاول ما راه سببا للشفاء واقتصر عليه
فلما احتاجوا الى المعالجة بالرجا ذكر تمام الامر فعلى الواعظ ان يقتدي بسيد الوعاظ فيتلطف في استعمال اخبار الخوف والرجاء
بحسب الحاجة بعد ملاحظة العلل الباطنة وان لم يراع ذلك كان ما يفسده بوعظه اكثر مما يصلحه وفي الخبر لو لم تذنبوا لخلق الله
تعالى خلقا يذنبون ليغفر لهم لفظ وفي لفظ اخر لذهب بكم وجاء بخلق يذنبون فيغفر لهم انه هو الغفور الرحيم وفي الخبر لو لم تذنبوا
لخشيت عليكم ما هو اشد من الذنوب قيل ما هو قال العجب وقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لله ارحم بعبده المؤمن من
الوالدة الشفيقة بولدها وفي الخبر ليغفرن الله يوم القيامة مغفرة ما خطرت قط على قلب احد حتى ان ابليس ليتطاول رجاء ان تصيبه
وفي الخبر ان لله تعالى تسعا وتسعين رحمة اظهر منها في الدنيا رحمة واحدة بها يتراحم الخلائق فتحن الوالدة الى ولدها وتعطف البهيمة
على ولدها فاذا كان القيامة ضم هذه الرحمة الى التسع والتسعين ثم بسطها على جميع خلقه وكل رحمة منها طباق السموات والارض

قال لا يهلك على الله الا هالك وفي الخبر ما منكم من احد يدخله عمله الجنة ولا ينجيه من النار قالوا ولا انت قال ولا انا الا
ان يتغمدني الله برحمته وقال اعملوا وابشروا واعلموا ان احدا لن ينجيه عمله وقال اني اختبات شفاعتي لاهل الكبائر من امتي اترونها
للمطيعين المتقين بل هي للمخطئين المتلوثين وقال بعثت بالحنيفية السمحة السهلة وقال احب ان يعلم اهل الكتابين ان في ديننا سماحة ويدل
على معناه استجابة الله للمؤمنين في قولهم لا تحمل علينا اصرا وفي قوله ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم وروى محمد بن الحنفية
عن علي رضي الله عنهما انه قال لما نزل قوله تعالى فاصفح الصفح الجميل قال يا جبريل وما الصفح الجميل قال اذا عفوت عمن ظلمك فلا
تعاتبه فقال يا جبريل فالله اكرم من ان يعاتب من عفا عنه فبكى جبريل والنبي صلى الله عليه وسلم فبعث الله اليهما ميكائيل عليه السلام
وقال ان ربكما يقرئكما السلام ويقول كيف اعاتب من عفوت عنه هذا ما لا يشبه كرمي والاخبار الواردة في اسباب الرجاء اكثر من ان يحصى
واما الآثار فقد قال علي رضي الله عنه من اذنب ذنبا فستره الله تعالى عليه في الدنيا فالله اكرم من ان يكشف ستره في الآخرة
ومن اذنب ذنبا فعوقب عليه في الدنيا فالله تعالى اعدل من ان يثني عقوبته على عبده في الآخرة وقال الثوري ما احب ان يجعل
الله تعالى حسابي الى ابوي لاني اعلم ان الله تعالى ارحم بي منهما وقال بعض السلف المؤمن اذا عصى الله تعالى ستره الله تعالى عن ابصار
الملائكة كيلا تراه فتشهد عليه وكتب محمد بن مصعب الى الاسود بن سالم بخطه ان العبد اذا كان مسرفا على نفسه فرفع يديه
يدعو يقول يا رب حجبت الملائكة صوته وكذلك الثانية والثالثة حتى اذا قال الرابعة يا رب قال الله تعالى حتى متى تحجبون صوت
عبدي عني قد علم عبدي انه ليس له رب يغفر الذنوب غيري اشهدكم اني قد غفرت له وقال ابراهيم بن ادهم خلا لي الطواف ليلة وكانت ليلة
مطيرة مظلمة فوقفت في الملتزم عند الباب فقلت يا رب اعصمني حتى لا اعصيك ابدا فهتف بي هاتف من البيت يا ابراهيم انت تسالني
العصمة وكل عبادي المؤمنين يطلبون ذلك فاذا عصمتهم فعلى من اتفضل ولمن اغفر وكان الحسن يقول لو لم يذنب المؤمن لكان يطير
في الملكوت ولكن الله تعالى قمعه بالذنوب وقال الجنيد ان بدت عين من الكرم الحقت المسيئين بالمحسنين ولقد لقي مالك بن دينار
ابانا فقال الى كم تحدث الناس بالرخص فقال يا ابا يحيى اني لارجو ان ترى من عفو الله يوم القيامة ما تخرق له كساءك هذا من الفرح
وفي حديث ربعي بن خراش عن اخيه وكان من خيار التابعين وهو ممن تكلم بعد الموت قال لما مات اخي سجي بثوبه والقيناه على نعشه
فكشف الثوب عن وجهه واستوى قاعدا فقال اني لقيت ربي عز وجل فحياني بروح وريحان ورب غير غضبان واني رايت الامر ايسر مما
تظنون ولا تغتروا وان محمدا صلى الله عليه وسلم ينتظرني هو واصحابه حتى ارجع اليهم قال ثم طرح نفسه فكانها كانت حصاة وقعت
في طست فحملناه فدفناه وفي الحديث ان رجلين من بني اسرائيل تحابا في الله عز وجل وكان احدهما يسرف على نفسه وكان الآخر عابدا وكان يعظه
فكان يقول دعني وربي ابعثت علي رقيبا حتى راه ذات يوم على كبيرة فغضب فقال لا يغفر الله لك قال فيقول الله تعالى يوم القيامة ايستطيع
احد ان يحظر رحمتي على عبادي اذهب فقد غفرت لك ثم قال للعابد وانت فقد اوجبت لك النار قال فوالذي نفسي بيده لقد تكلم
بكلمة اهلكت دنياه وآخرته وروي ان لصا كان يقطع الطريق في بني اسرائيل اربعين سنة فمر به عيسى عليه السلام وخلفه عابد من عباد
بني اسرائيل من الحواريين فقال اللص في نفسه هذا نبي الله يمر والى جنبه حواريه لو نزلت فكنت معهما ثالثا قال فنزل فجعل يريد ان يدنو من الحواري
ويزدري نفسه تعظيما للحواري ويقول في نفسه مثلي لا يمشي الى جنب هذا العابد قال واحس به الحواري فقال في نفسه هذا يمشي الى
جانبي فضم نفسه وتقدم الى عيسى عليه السلام فمشى الى جانبه فبقي اللص خلفه قال فاوحى الله تعالى الى عيسى قل لهما يستانفا العمل فقد
احبطت ما سلف من اعمالهما اما الحواري فقد احبطت حسناته بعجبه بنفسه واما الآخر فقد احبطت سيئاته بما ازدرى على نفسه
فاخبرهما بذلك وضم اللص اليه في سياحته وجعله من حوارييه وروي عن مسروق ان نبيا من الانبياء كان ساجدا فوطئ بعض الغواة عنقه

عنقه حتى الزق الحصا بجبهته قال فرفع النبي صلى الله عليه وسلم راسه مغضبا فقال اذهب فلن يغفر الله لك فاوحى الله تعالى
اليه تتالى علي في عبادي اني قد غفرت له ويقرب منه ما روى ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقنت على المشركين
ويلعنهم في صلوته فنزل ليقطع طرفا من الذين كفروا الى قوله ليس لك من الامر شيء فترك الدعاء عليهم وهدى الله تعالى عامة
اولئك الى الاسلام وفي الاثر ان رجلين كانا من العابدين متساويين في الجنة فاذا ادخل الجنة رفع احدهما في الدرجات العلى على
صاحبه فيقول يا رب ما كان هذا في الدنيا باكثر عبادة مني فرفعته علي في عليين فيقول الله سبحانه انه كان يسالني في الدنيا الدرجات
العلى وكنت انت تسالني النجاة من النار فاعطيت كل عبد سؤله وهذا يدل على ان العبادة على الرجاء افضل لان المحبة اغلب على الراجي
منه على الخائف فكم من فرق في الملوك بين من يخدم اتقاء لعقابه وبين من يخدم رجاء لانعامه واكرامه ولذلك امر الله تعالى
بحسن الظن ولذلك قال صلى الله عليه وسلم سلوا الله الدرجات العلى فانما تسالون كريما وقال اذا سالتم الله فاعظموا الرغبة وسلوا
الفردوس الاعلى فان الله لا يتعاظمه شيء وقال بكر بن سليم الصواف دخلنا على مالك بن انس في العشية التي قبض فيها فقلنا يا ابا عبد الله
كيف تجدك فقال لا ادري ما اقول لكم الا انكم ستعاينون من عفو الله ما لم يكن لكم في حساب ثم ما برحنا حتى اغمضناه وقال يحيى بن
معاذ يكاد رجائي لك مع الذنوب يغلب رجائي لك مع الاعمال لاني اعتمد في الاعمال على الاخلاص وكيف احرزها وانا بالآفة معروف
واجدني في الذنوب اعتمد على عفوك وكيف لا تغفرها وانت بالجود موصوف وقيل ان مجوسيا استضاف ابراهيم الخليل فقال له ان اسلمت
اضفتك فمر المجوسي فاوحى الله تعالى الى ابراهيم يا ابراهيم لم تطعمه الا بتغيير دينه ونحن من سبعين سنة نطعمه على كفره فلو اضفته ليلة ما
ذا عليك فمر ابراهيم خلف المجوسي واضافه فقال المجوسي ما السبب فيما بدا لك فذكر له فقال المجوسي اهكذا يعاملني ثم قال اعرض علي
الاسلام فاسلم وراى الاستاذ ابو سهل الصعلوكي ابا سهل الزجاجي في المنام وكان يقول بوعيد الابد فقال له كيف حالك فقال وجدت
الامر اسهل مما توهمنا وراى بعضهم ابا سهل الصعلوكي في المنام على هيئة حسنة لا توصف فقال له يا استاذ بم نلت هذا
فقال بحسن ظني بربي وحكي ان العباس بن شريح راى في مرض موته في منامه كان القيامة قد قامت واذا الجبار سبحانه
يقول اين العلماء فجاؤوا فقال لهم ماذا عملتم فيما علمتم قال فقلنا يا رب قصرنا واسانا قال فاعاد السؤال كانه لم يرض به واراد جوابا
آخر فقلت اما انا فليس في صحيفتي الشرك وقد وعدت ان تغفر ما دونه قال اذهبوا فقد غفرت لكم ومات بعد ذلك بثلث ليال
وقيل كان رجل شريب جمع قوما من ندمائه ودفع الى غلام له اربعة دراهم وامره ان يشتري شيئا من الفواكه للمجلس فمر الغلام بباب
مجلس منصور بن عمار وهو يسال الفقير شيئا ويقول من دفع اليه اربعة دراهم دعوت له اربع دعوات قال فدفع الغلام الدراهم
فقال منصور ما الذي تريد ان ادعو لك فقال لي سيد اريد ان اتخلص منه فدعا منصور وقال الاخرى فقال ان يخلف الله علي
دراهمي فدعا ثم قال الاخرى فقال ان يتوب الله على سيدي فدعا وقال الاخرى فقال ان يغفر الله لي ولسيدي ولك وللقوم فدعا المنصور
فرجع الغلام فقال سيده لم ابطات فقص عليه القصة فقال وبم دعا فقال سالت لنفسي العتق فقال اذهب فانت حر قال وايش الثاني
قال ان يخلف علي الدراهم قال لك اربعة آلاف درهم من مالي قال وايش الثالث قال ان يتوب الله عليك قال تبت الى الله قال
وايش الرابع قال ان يغفر الله لي ولك وللقوم وللمذكر قال هذا الواحد ليس الي فلما بات راى في المنام كان قائلا يقول انت
فعلت ما كان اليك اترى اني لم افعل ما الي قد غفرت لك وللغلام ولمنصور بن عمار وللقوم الحاضرين اجمعين وروى عبد
الوهاب بن عبد المجيد الثقفي قال رايت جنازة يحملها ثلاثة من الرجال وامراة قال فاخذت مكان المراة وذهبنا الى المقبرة وصلينا
عليها ودفنا الميت فقلت للمراة من كان هذا منك قالت ابني قلت ولم يكن لكم جيران قالت نعم ولكن صغروا امره قلت فايش كان هذا

فقالت مخنث قال فرحمتها وذهبت بها الى منزلي واعطيتها دراهم وحنطة وثيابا فرأيت تلك الليلة وذهبت بها
المنزل كانه اتاني آت كانه القمر ليلة البدر وعليه ثياب بيض فجعل يتشكر لي فقلت من انت فقال المخنث الذي دفنتموني
اليوم رحمني ربي باحتقار الناس اياي وقال ابراهيم الاطروش كنا قعودا ببغداد مع معروف الكرخي على الدجلة اذ مر قوم
احداث في زورق يضربون بالدف ويشربون ويلعبون فقالوا لمعروف اما تراهم يعصون الله مجاهرين ادع الله عليهم فرفع يديه
وقال الهي كما فرحتهم في الدنيا ففرحهم في الاخرة فقالوا انما سألناك ان تدعو عليهم فقال اذا فرحهم في الاخرة تاب عليهم
فهذه هي الاسباب التي يجتلب بها روح الرجاء الى قلوب الخائفين والآيسين فاما الحمقى المغرورون فلا ينبغي ان يسمعوا شيئا
من ذلك بل يسمعون ما سنورده في اسباب الخوف فان اكثر من لا يصلح الا على الخوف كالعبد السوء والصبي العرم ولا يستقيمون
الا بالسوط والعصا واظهار الخشونة في الكلام فاما ضد ذلك فيسد عليهم باب الصلاح في الدنيا والدين

الشطر الثاني من الكتاب في الخوف وبيان اقسام المخاوف وبيان فضيلة الخوف وبيان الافضل من الخوف والرجاء وبيان دواء الخوف وبيان معنى سوء الخاتمة وبيان احوال الخائفين من الانبياء صلوات الله عليهم

بيان حقيقة الخوف

اعلم ان الخوف عبارة عن تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في الاستقبال وقد ظهر هذا في بيان حقيقة
الرجاء ومن أنس بالله وملك الحق قلبه وصار ابن وقته مشاهدا لجمال الحق على الدوام ولم يبق له التفات الى المستقبل فلم يكن له
خوف ولا رجاء بل صار حاله اعلى من الخوف والرجاء فانهما زمامان يمنعان النفس عن الخروج الى رعوناتها والى هذا اشار الواسطي
حيث قال الخوف حجاب بين الله وبين العبد وقال ايضا اذا ظهر الحق على السرائر لا يبقى فيها فضلة لرجاء ولا خوف وبالجملة
فالمحب اذا شغل قلبه في مشاهدة المحبوب بخوف الفراق كان ذلك نقصانا في الشهود وانما دوام الشهود غاية المقامات ولكنا الآن
نتكلم في اوائل المقامات فنقول حال الخوف ينتظم ايضا من علم وحال وعمل اما العلم فهو العلم بالسبب المفضي الى المكروه وذلك
كمن جنى على ملك ثم وقع في يده فيخاف القتل مثلا ويجوز العفو والافلات ولكن يكون تألم قلبه بالخوف بحسب قوة علمه بالاسباب
المفضية الى قتله وهو تفاحش جنايته وكون الملك في نفسه حقودا غضوبا منتقما وكونه محفوفا بمن يحثه على الانتقام
خاليا عمن يتشفع اليه في حقه وكان هذا الخائف عاطلا عن كل وسيلة وحسنة تمحو اثر جنايته عند الملك فالعلم بتظاهر
هذه الاسباب سبب لقوة الخوف وشدة تألم القلب وبحسب ضعف هذه الاسباب يضعف الخوف وقد يكون الخوف لا عن
سبب جناية قارفها الخائف بل عن صفة المخوف عنه كالذي وقع في مخالب سبع فانه يخاف السبع لصفة السبع وهو سطوته
وحرصه على الافتراس غالبا وان كان افتراسه بالاختيار وقد يكون من صفة جبلية للمخوف منه كخوف من وقع في
مجرى سيل او جوار حريق فان الماء يخاف لانه بطبعه مجبول على السيلان والاغراق وكذا النار على الاحراق فالعلم باسباب
المكروه هو السبب الباعث المثير لاحتراق القلب وتألمه وذلك الاحتراق هو الخوف وكذا الخوف من الله تارة يكون لمعرفة
الله ومعرفة صفاته وانه لو اهلك العالمين لم يبال ولم يمنعه مانع وتارة يكون لكثرة الجناية من العبد بمقارفة المعاصي وتارة
يكون لكثرة الجناية من العبد بمقارفة المعاصي وتارة يكون بهما جميعا وبحسب معرفته بعيوب نفسه ومعرفته بجلال الله تبارك
وتعالى وتعاليه واستغنائه وانه لا يسأل عما يفعل يكون قوة خوفه فاخوف الناس لربه اعرفهم بنفسه وبربه ولذلك قال
صلى الله عليه وسلم انا اخوفكم ولذلك قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء ثم اذا كملت المعرفة اورثت حال الخوف واحتراق
القلب ثم يفيض اثر الحرقة من القلب على البدن وعلى الجوارح وعلى الصفات اما في البدن فبالنحول والصفار والغشية والزعقة

والزعقة وقد تنشق به المرارة فيفضي الى الموت او يصعد الى الدماغ فيفسد العقل او يقوى فيورث القنوط واليأس
واما في الجوارح فبكفها عن المعاصي وتقييدها بالطاعات تلافيا لما فرط واستعدادا للمستقبل ولذلك قيل ليس الخائف من يبكي
ويمسح عينيه بل من يترك ما يخاف ان يعاقب عليه وقال ابو القاسم الحكيم من خاف شيئا هرب منه ومن خاف الله هرب اليه وقيل
لذي النون متى يكون العبد خائفا قال اذا انزل نفسه منزلة السقيم يحتمي مخافة طول السقام اما في الصفات فبان يقمع
الشهوات ويكدر اللذات فتصير المعاصي المحبوبة عنده مكروهة كما يصير العسل مكروها عند من يشتهيه اذا عرف ان فيه سما
فتحترق الشهوات بالخوف وتتأدب الجوارح ويحصل في القلب الذبول والخشوع والذلة والاستكانة ويفارقه الكبر
والحقد والحسد بل يصير مستوعب الهم بخوفه والنظر في خطر عاقبته فلا يتفرغ لغيره ولا يكون له شغل الا المراقبة والمحاسبة
والمجاهدة والضنة بالانفاس واللحظات والكلمات ويكون حاله حال من وقع في مخالب سبع ضار لا يدري انه يغفل عنه
فيفلت او يهجم عليه فيهلك فيكون ظاهره وباطنه مشغولا بما هو خائف منه لا متسع فيه لغيره هذا حال من غلبه الخوف
واستولى عليه وهكذا كان حال جماعة من الصحابة والتابعين وقوة المراقبة والمجاهدة بحسب قوة الخوف الذي هو تألم القلب واحتراقه
وقوة الخوف بحسب قوة المعرفة بجلال الله تعالى وصفاته وافعاله وبعيوب النفس وما بين يديها من الاخطار والاهوال واقل
درجات الخوف مما يظهر اثره في الاعمال ان يمنع عن المحظورات ويسمى الكف الحاصل عن المحظورات ورعا فان زادت قوته كف عما يتطرق
اليه امكان التحريم فيكف ايضا عما لا يتيقن تحريمه ويسمى ذلك تقوى اذ التقوى ان يترك ما يريبه الى ما لا يريبه وقد يحمله على ان يترك ما لا بأس
به مخافة ما به بأس وهو الصدق في التقوى فاذا انضم اليه التجرد للخدمة فصار لا يبني ما لا يسكنه ولا يجمع ما لا يأكله ولا يلتفت الى
دنيا يعلم انه يفارقها ولا يصرف الى غير الله نفسا من انفاسه فهو الصدق وصاحبه جدير بان يسمى صديقا ويدخل في الصدق التقوى
ويدخل في التقوى الورع ويدخل في الورع العفة فانها عبارة عن الامتناع عن مقتضى الشهوات خاصة فاذن الخوف يؤثر في
الجوارح بالكف والاقدام ويتجدد له بسبب الكف اسم العفة وهو كف عن مقتضى الشهوة واعلى منه الورع فانه اعم لانه كف عن
كل محظور واعلى منه التقوى فانه اسم للكف عن المحظور والشبهة جميعا ووراءه اسم الصديق والمقرب وتجري الرتبة الاخيرة مما
قبله مجرى الاخص من الاعم فاذا ذكرت الاخص فقد ذكرت الكل كما انك تقول الانسان اما عربي او عجمي والعربي اما قرشي او غيره
والقرشي اما هاشمي او غيره والهاشمي اما علوي او غيره والعلوي اما حسني او حسيني فاذا ذكرت انه حسني مثلا فقد وصفته
بالجميع وان وصفته بانه علوي وصفته بما فوقه مما هو اعم منه فكذلك اذا قلت صديق فقد قلت انه متق وورع وعفيف
فلا ينبغي ان تظن ان كثرة هذه الاسامي تدل على معان كثيرة متباينة فيختلط عليك كما اختلط على كل من طلب المعاني من الالفاظ
ولم يتبع الالفاظ المعاني فهذه اشارة الى مجامع معاني الخوف وما يكتنفه من جانب العلو كالمعرفة الموجبة له كلما كان اقوى
كان احمد وهو غلط بل الخوف سوط الله تعالى يسوق به عباده الى المواظبة على العلم والعمل لينالوا بهما رتبة القرب من الله والاصلح
للبهيمة ان لا تخلو عن سوط وكذا الصبي ولكن ذلك لا يدل على ان المبالغة في الضرب محمودة فكذلك الخوف له قصور وله افراط
وله اعتدال والمحمود هو الاعتدال والوسط فاما القاصر منه فهو الذي يجري مجرى رقة النساء يخطر بالبال عند سماع آية
من القرآن فيورث البكاء وتفيض الدموع وكذلك عند مشاهدة سبب هائل فاذا غاب ذلك السبب عن الحس رجع القلب الى
الغفلة فهذا خوف قاصر قليل الجدوى ضعيف النفع وهو كالقضيب الضعيف الذي تضرب به دابة قوية لا يؤلمها ألما مبرحا
فلا يسوقها الى المقصد ولا يصلح لرياضتها وهكذا خوف الناس كلهم الا العارفين والعلماء ولست اعني بالعلماء المترسمين برسوم

العلماء والمتسمين باسمهم فانهم ابعد الناس عن الخوف بل اعني به العلماء بالله وبايامه وبافعاله وذلك مما عز وجوده الآن
ولذلك قال الفضيل اذا قيل لك هل تخاف الله فاسكت فانك ان قلت لا كفرت وان قلت نعم كذبت واشار به الى ان الخوف
وهو الذي يكف الجوارح عن المعاصي ويقيدها بالطاعات وما لم يؤثر في الجوارح فهو حديث نفس وحركة خاطر لا يستحق
ان يسمى خوفا واما المفرط فهو الذي يقوى ويجاوز حد الاعتدال حتى يخرج الى الياس والقنوط وهو مذموم ايضا لانه يمنع
من العمل والمراد من الخوف ما هو المراد من السوط وهو الحمل على العمل ولولاه لما كان الخوف كمالا لانه بالحقيقة نقصان لان
لان منشاه الجهل والعجز اما الجهل فهو انه ليس يدري عاقبة امره ولو عرف لم يكن خائفا لان المخوف هو الذي يتردد فيه واما العجز
فهو انه متعرض لمحذور لا يقدر على دفعه فاذن هو محمود بالاضافة الى الآدمي وانما المحمود في ذاته هو العلم والقدرة وكل ما يجوز ان
يوصف الله تعالى به وما لا يجوز وصف الله به فليس بكمال في ذاته وانما يصير محمودا بالاضافة الى نقص اعظم منه كما يكون احتمال
الم الدواء محمودا لانه اهون من الم المرض والموت فما يخرج الى القنوط فهو مذموم وقد يخرج الخوف ايضا الى المرض والضعف والى
الوله والدهشة وزوال العقل وقد يخرج الى الموت وكل ذلك مذموم وكالضرب الذي يقتل الصبي والسوط الذي يهلك الدابة
او يمرضها او يكسر عضوا من اعضائها وانما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم اسباب الرجاء واكثر منه ليعالج به صدمة الخوف المفرط المفضي
الى القنوط او احد هذه الامور فكل ما يراد لامر فالمحمود منه ما يفضي الى المراد المقصود منه فما يقصر عنه او يجاوزه فهو مذموم
وفائدة الخوف الحذر والورع والتقوى والمجاهدة والعبادة والتفكر والذكر وسائر الاسباب الموصلة الى الله تعالى وكل ذلك
يستدعي الحياة مع صحة البدن وسلامة العقل فكل ما يقدح في هذه الاسباب فهو مذموم فان قلت من خاف فمات من خوفه
فهو شهيد فان له رتبة بسبب موته من الخوف كان لا ينالها لو مات في ذلك الوقت لا بسبب الخوف فهو شهيد فكيف يكون حاله
بالاضافة اليه فاسدا بالاضافة الى تقدير بقائه وطول عمره في طاعة الله وسلوك سبيله فليس بفضيلة بل السالك سبيل الله بطريق
الفكر والمشاهدة والترقي في درجات المعارف في كل لحظة رتبة شهيد الا او شهدا ولو هذا لكان رتبة صبي يقتل او مجنون يفترسه
سبع اعلى من رتبة نبي وولي يموت حتف انفه وهو محال فلا ينبغي ان يظن هذا بل افضل السعادات طول العمر في طاعة الله فكل ما ابطل العمر او
العقل او الصحة التي يتعطل العمر بتعطيلها فهو خسران ونقصان بالاضافة الى امور وان كان بعض اقسامها فضيلة بالاضافة الى امور
اخر كما كانت الشهادة فضيلة بالاضافة الى ما دونها لا بالاضافة الى درجة المتقين والصديقين فاذن الخوف ان لم يؤثر في
العمل فوجوده كعدمه مثل السوط الذي لا يزيد في حركة الدابة وان اثر فله درجات بحسب ظهور اثره فان لم يحمل الا على العفة وهي
الكف عن مقتضى الشهوات فله درجة فان اثمر الورع فهو مقتضى الشهوات فله درجة اعلى واقصى درجاته ان يثمر درجات الصديقين
وهو ان يسلب الظاهر والباطن عما سوى الله حتى لا يبقى لغير الله فيه متسع فهذا اقصى ما يحمد منه وذلك مع بقاء الصحة والعقل فان جاوز
هذا الى ازالة العقل والصحة فهو مرض يجب علاجه ان قدر عليه ولو كان محمودا لما وجب علاجه باسباب الرجاء وبغيره حتى يزول
ولذلك كان سهل رحمه الله يقول للمريدين الملازمين للجوع اياما كثيرة احفظوا عقولكم فانه لم يكن لله تعالى ولي ناقص العقل بيان
اقسام الخوف بالاضافة الى ما يخاف منه اعلم ان الخوف لا يتحقق الا بانتظار مكروه والمكروه اما ان يكون مكروها في ذاته كالنار
واما ان يكون مكروها لانه يفضي الى المكروه كما تكره المعاصي لادائها الى المكروه في الآخرة وكما يكره المريض الفواكه المضرة لادائها الى
الموت ولا بد لكل خائف من ان يتمثل في نفسه مكروه من احد القسمين ويقوى انتظاره في قلبه بسبب استعارة ذلك المكروه ومقام
الخائفين يختلف فيما يغلب على قلوبهم من المكروهات المحذورة والذي يغلب على قلوبهم ما ليس مكروها لذاته بل لغيره كالذين يغلب عليهم خوف

خوف الموت قبل التوبة ونكث العهد وخوف ضعف القوة عن الوفاء بتمام حقوق الله تعالى وخوف زوال رقة القلب وتبدلها
بالقساوة او خوف الميل عن الاستقامة او خوف استيلاء العادة في اتباع الشهوات المالوفة او خوف الاغترار بزخارف الدنيا
او خوف اطلاع الله تعالى على سريرته في حالة غفلة عنه او خوف الختم له عند الخاتمة بالسوء وخوف السابقة التي سبقت له في
الازل فهذه كلها مخاوف العارفين ولكل واحد خصوص فائدة وهو سلوك سبيل الحذر عما يفضي الى المخوف فمن خاف استيلاء العادة
عليه فيواظب على الفطام عن العادة والذي من اطلاع الله تعالى على سريرته يشتغل بتطهير قلبه عن الوساوس وهكذا الى بقية الاقسام
واغلب هذه المخاوف على المتقين خوف الخاتمة فان الامر فيه مخطر واعلى الاقسام وادلها على كمال المعرفة خوف السابقة لان الخاتمة
تبع السابقة وفرع يتفرع عنها بعد تخلل اسباب كثيرة فالخاتمة تظهر ما سبق به القضاء في ام الكتاب والخائف من الخاتمة بالاضافة الى
الخائف من السابقة كرجلين وقع الملك في حقهما بتوقيع يحتمل ان يكون فيه حز الرقبة ويحتمل ان يكون هو تسليم الوزارة اليه ولم يصل التوقيع
اليهما فيتعلق قلب احدهما بحالة وصول التوقيع ونشره وانه عماذا ينطق ويتعلق قلب الآخر بحالة توقيع الملك وكيفيته وانه ما الذي
خطر له في حال التوقيع من رحمة او غضب وهذا التفات الى السبب فهو اعلى من الالتفات الى ما هو فرع وهكذا انقسام الخائفين
الى من يخاف معصيته وجنايته والى من يخاف الله نفسه لصفته وجلاله واوصافه التي تقتضي الهيبة لا محالة فهذا اعلى رتبة ولذلك
يبقى خوفه وان كان في طاعة الصديقين واما الآخر فهو في غرور وامن ان واظب على الطاعات فالخوف من المعصية خوف الصالحين والخوف
من الله خوف الموحدين والصديقين وهو ثمرة المعرفة بالله تعالى فكل من عرفه وعرف صفاته علم من صفاته ما هو جدير بان يخاف من غير جناية
بل العاصي لو عرف الله حق المعرفة لخاف الله ولم يخف معرفته [معصيته] ولولا انه يخوف في نفسه لما سخر للمعصية ويسرت له سبلها وتهيأ له اسبابها
فان تيسير اسباب المعصية ابعاد ولم يسبق قبل المعصية معصية استحق بها ان يسخر للمعصية ويجري عليه اسبابها ولا سبق قبل الطاعة وسيلة
توسل بها حتى يسرت له الطاعات وتهدد له سبيل القربات فالعاصي قد قضي عليه بالمعصية شاء ام ابى وكذا المطيع فالذي رفع محمدا
صلى الله عليه وسلم الى اعلى عليين من غير وسيلة سبقت منه قبل وجوده ووضع ابا جهل في اسفل السافلين من غير جناية منه قبل
وجوده جدير بان يخاف لصفة جلاله فان من اطاع اطاع بان سلط عليه ارادة الطاعة وآتاه القدرة وبعد خلق الارادة الجازمة
والقدرة التامة يصير الفعل ضروريا والذي عصى عصى لانه سلط عليه ارادة قوية جازمة وآتاه الاسباب والقدرة فكان الفعل بعد
الارادة والقدرة ضروريا فليت شعري ما الذي اوجب اكرام هذا وتخصيصه بتسليط ارادة الطاعة عليه وما الذي اوجب
اهانة الآخر وابعاده بتسليط دواعي المعصية عليه وكيف يحال ذلك الى العبد واذا كانت الحوالة ترجع الى القضاء الازلي
من غير جناية ولا وسيلة فالخوف ممن يقضي بما شاء ويحكم ما يريد وراء هذا المعنى سر القدر الذي لا يجوز افشاؤه ولا يمكن تفهيم الخوف
منه في صفات الاقبال لولا اذن الشرع لم يستجر على ذكره ذو بصيرة فقد جاء في الخبر ان الله سبحانه اوحى الى داود صلى الله عليه يا داود
خفني كما تخاف السبع الضاري فهذا المثال يفهمك حاصل المعنى وان كان لا يقفك على سببه فان الوقوف على سببه وقوف على
سر القدر ولا يكشف ذلك الا لاهله والحاصل ان السبع يخاف لا لجناية سبقت اليه بل لصفته وبطشه وسطوته وكبره وهيبته ولانه
يفعل ما يفعل ولا يبالي فان قتلك لم يرق قلبه ولم يتالم بقتلك وان خلاك لم يخلك شفقة عليك وابقاء على روحك بل انت
عنده اخس من ان يلتفت اليك حيا كنت او ميتا بل اهلاك الف مثلك واهلاك نملة عنده على وتيرة واحدة اذ لا يقدح ذلك في عالم سبعيته
وما هو موصوف به من سطوته ولله المثل الاعلى ولكن من عرف بالمشاهدة الباطنة التي هي اقوى واوثق واجلى من
المشاهدة الظاهرة انه صادق في قوله هؤلاء في الجنة ولا ابالي وهؤلاء في النار ولا ابالي يكفيك من موجبات الهيبة والمعرفة الخوف

المعرفة بالاستغناء وعدم المبالاة. الطبقة الثانية من الخائفين ان يتمثل في نفوسهم ما هو المكروه وذلك مثل سكرات الموت
وشدتها او سؤال منكر ونكير او عذاب القبر او هول المطلع او هيبة الموقف بين يدي الله تعالى والحياء من كشف الستر او السؤال عن
النقير والقطمير او الخوف من الصراط وحدته وكيفية العبور عليه او الخوف من النار واغلالها واهوالها او الخوف من الحرمان عن الجنة
دار النعيم والملك المقيم وعن نقصان الدرجات او الخوف من الحجاب عن الله تعالى وكل هذه الاسباب مكروهة في انفسها فهي لا محالة محذورة
ويختلف احوال الخائفين فيها واعلاها رتبة هو خوف الفراق والحجاب من الله تعالى وهو خوف العارفين وما قبل ذلك خوف العابدين و
الصالحين والزاهدين وكافة العاملين ومن لم تكمل معرفته ولم ينفتح بصيرته لم يشعر بلذة الوصال ولا يتألم بالبعد والفراق واذا ذكر له ان العارف
لا يخاف النار وانما يخاف الحجاب وجد ذلك منكرا في باطنه وتعجب منه في نفسه وربما انكر لذة النظر الى وجه الله الكريم لولا منع الشرع
اياه من انكاره فيكون اعترافه باللسان عن ضرورة التقليد والا فباطنه لا يصدق به لانه لا يعرف الا لذة الفرج والبطن والعين بالنظر
الى الالوان والوجوه الحسان وبالجملة كل لذة تشاركه البهائم فيها فاما لذة العارفين فلا يدركها غيرهم وتفصيل ذلك وشرحه حرام
مع من ليس اهلا له ومن كان اهلا له استبصر بنفسه واستغنى عن ان يشرحه غيره له والى هذه الاقسام يرجع خوف الخائفين

بيان فضيلة الخوف والترغيب فيه اعلم ان فضيلة الخوف تارة تعرف بالتأمل والاعتبار وتارة بالآيات والاخبار
اما الاعتبار فسبيله ان فضيلة الشيء بقدر اعانته في الافضاء الى سعادة لقاء الله سبحانه اذ لا مقصود سوى السعادة ولا سعادة للعبد الا
في لقاء مولاه والقرب منه فكل ما اعان عليه فله فضيلة وفضيلته بقدر اعانته وقد ظهر انه لا وصول الى سعادة لقاء الله تعالى في
الآخرة الا بتحصيل محبته والانس به في الدنيا ولا تحصل المحبة الا بالمعرفة ولا تحصل المعرفة الا بدوام الفكر ولا يحصل الانس الا بالمحبة
ودوام الذكر والفكر الا بانقلاع حب الدنيا من القلب ولا ينقلع ذلك الا بترك لذات الدنيا وشهواتها ولا يمكن ترك المشتهيات
الا بقمع الشهوات ولا تنقمع الشهوة بشيء كما تنقمع بنار الخوف فالخوف هو النار المحرقة للشهوات فاذن فضيلته بقدر ما يحرق من
الشهوة وبقدر ما يكف عن المعاصي ويحث على الطاعات ويختلف ذلك باختلاف درجات الخوف كما سبق وكيف لا يكون الخوف ذا
فضيلة وبه تحصل العفة والورع والتقوى والمجاهدة وهي الاعمال الفاضلة المحمودة التي تقرب الى الله زلفى واما بطريق الاقتباس
من الآيات والاخبار فما ورد في فضيلة الخوف خارج عن الحصر وناهيك دلالة على فضيلته جمع الله تعالى للخائفين الهدى والرحمة والعلم
والرضوان وهي مجامع مقامات الجنان قال تعالى هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون وقال انما يخشى الله من عباده العلماء فوصفهم
بالعلم لخشيتهم وقال تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه وكل ما دل على فضيلة العلم دل على فضيلة الخوف لان الخوف
ثمرة العلم ولذلك جاء في خبر موسى صلى الله عليه وسلم واما الخائفون فان لهم الرفيق الاعلى لا يشاركون فيه فانظر كيف افردهم
بمرافقة الرفيق الاعلى وذلك لانهم العلماء والعلماء لهم رتبة مرافقة الانبياء عليهم الصلاة والسلام ومن يلحق بهم ولذلك لما خير
رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرض موته بين البقاء في الدنيا وبين القدوم على الله تعالى كان يقول اسألك الرفيق الاعلى فاذن ان
نظر الى مثمره فهو العلم وان نظر الى ثمرته فالورع والتقوى ولا يخفى ما ورد في فضائلهما حتى ان العاقبة صارت موسومة بالتقوى
مخصوصة به كما صار الحمد مخصوصا بالله والصلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يقال الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين والصلاة
على محمد وآله اجمعين وخصص الله تعالى التقوى بالاضافة الى نفسه فقال لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى
منكم وانما التقوى عبارة عن كف بمقتضى الخوف كما سبق ولذلك قال تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم ولذلك اوصى الله تعالى الاولين
والآخرين بالتقوى فقال ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله وقال تعالى وخافون ان كنتم مؤمنين فامر بالخوف

فامر بالخوف واوجبه وشرطه في الايمان فكذلك لا يتصور ان ينفك مؤمن عن خوف وان ضعف ويكون ضعف خوفه بحسب
ضعف معرفته وايمانه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في فضيلة التقوى اذا جمع الله الاولين والآخرين لميقات
يوم معلوم ناداهم بصوت يسمع اقصاهم كما يسمع ادناهم فيقول يا ايها الناس اني قد انصت لكم منذ خلقتكم الى يومكم هذا فانصتوا
الي اليوم انما هي اعمالكم ترد عليكم ايها الناس اني جعلت نسبا وجعلتم نسبا فوضعتم نسبي ورفعتم نسبكم قلت ان اكرمكم عند الله
عند الله اتقاكم وابيتم الا فلان بن فلان اغنى من فلان بن فلان فاليوم اضع نسبكم وارفع نسبي اين المتقون فينصب للقوم لواء فيتبع القوم
لواءهم الى منازلهم فيدخلون الجنة بغير حساب وقال عليه الصلاة والسلام راس الحكمة مخافة الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم لابن مسعود
ان اردت ان تلقاني فاكثر من الخوف بعدي وقال الفضيل من خاف الله تعالى دله الخوف على كل خير وقال الشبلي ما خفت الله يوما الا
رأيت له بابا من الحكمة وقال يحيى بن معاذ ما من مؤمن يعمل سيئة الا ويلحقها حسنتان خوف العقاب ورجاء العفو كثعلب بين اسدين وفي
خبر موسى صلى الله عليه وسلم واما الورعون فانه لا يبقى احد الا ناقشته الحساب وفتشت عما في يديه الا الورعين فاني استحييهم ان
اوقفهم للحساب والورع والتقوى اسامي اشتقت من معان شرطها الخوف فان خلا عن الخوف لم يسم بهذه الاسامي وكذلك
ما ورد في فضائل الذكر لا يحصى وقد جعل الله تعالى مخصوصا بالخائفين فقال سيذكر من يخشى وقال تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان
وقال ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد وقال صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى وعزتي لا اجمع على عبدي خوفين ولا اجمع
له امنين فاذا امنني في الدنيا اخفته يوم القيامة واذا خافني في الدنيا آمنته يوم القيامة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من خاف الله خافه كل شيء ومن خاف غير الله خاف من كل شيء وقال صلى الله عليه وسلم اتمكم عقلا اشدكم لله خوفا وقال يحيى بن معاذ
مسكين ابن آدم لو خاف النار كما يخاف الفقر دخل الجنة وقال ذو النون من خاف الله تعالى ذاب قلبه واشتد لله حبه وصح له لبه
وقال ذو النون ايضا ينبغي ان يكون الخوف ابلغ من الرجاء فاذا غلب الرجاء تشوش القلب وكان ابو الحسن الضرير يقول علامة السعادة
خوف الشقاوة لان الخوف زمام بين الله وبين عبده فاذا انقطع زمامه هلك مع الهالكين وقيل ليحيى بن معاذ من آمن الخلق غدا
قال اشدهم اليوم خوفا وقال سهل لا تجد الخوف حتى تاكل الحلال وقيل للحسن يا ابا سعيد كيف نصنع بمجالسة اقوام يخوفوننا حتى
تكاد قلوبنا تطير فقال انك والله ان تخالط قوما يخوفونك حتى يدركك الامن خير من ان تصحب قوما يؤمنونك حتى يدركك
الخوف وقال ابو سليمان الداراني ما فارق الخوف قلبا الا خرب وقالت عائشة رضي الله عنها قلت يا رسول الله الذين يؤتون ما
آتوا وقلوبهم وجلة هو الرجل يسرق ويزني قال لا بل الرجل يصوم ويتصدق ويصلي ويخاف ان لا يقبل منه والتشديدات الواردة
في الامن من مكر الله وعذابه لا تحصى وكل ذلك ثناء على الخوف لان مذمة الشيء ثناء لضده الذي ينفيه وضد الامن الخوف كما ان ضد
الرجاء اليأس وكما دل مذمة القنوط على فضيلة الرجاء فكذلك يدل مذمة الامن على فضل الخوف المضاد له بل نقول كل ما ورد في فضل
الرجاء فهو دليل على فضل الخوف لانهما متلازمان فان كل من رجا محبوبا فلا بد ان يخاف فوته فان كان لا يخاف فوته فهو اذن لا يحبه
فلا يكون بانتظاره راجيا فالخوف والرجاء متلازمان يستحيل انفكاك احدهما عن الآخر وهما مجتمعان ويجوز ان يشتغل القلب باحدهما
ولا يلتفت الى الآخر في الحال لغفلته عنه وهذا لان من شرط الرجاء والخوف تعلقهما بما هو مشكوك فيه اذ المعلوم لا يرجى ولا يخاف
فان المحبوب الذي يجوز وجوده يجوز عدمه لا محالة فتقدير وجوده يروح القلب وهو الرجاء وتقدير عدمه يوجع القلب وهو الخوف
والتقديران يتقابلان لا محالة اذا كان ذلك الامر المنتظر مشكوكا فيه نعم احد طرفي الشك قد يترجح بحضور بعض الاسباب ويسمى
ذلك ظنا فيكون ذلك سبب غلبة احدهما على الآخر فاذا غلب على الظن وجود المحبوب قوي الرجاء وخفي الخوف بالاضافة اليه

وكذا بالعكس وعلى كل حال فهما متلازمان ولذلك قال الله تعالى يدعوننا رغبا ورهبا وقال يدعون ربهم خوفا وطمعا
ولذلك عبر العرب عن الخوف بالرجا وقال تعالى لا ترجون لله وقارا اي لا تخافون وكثيرا ما ورد في القرآن الرجا بمعنى الخوف
وذلك لتلازمهما اذ عادة العرب التعبير عن الشي بما يلازمه بل اقول كل ما ورد في فضل البكا من خشية الله فهو اظهار لفضيلة الخشية
فان البكا ثمرة الخشية وقد قال تعالى فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا وقال يبكون ويزيدهم خشوعا وقال تعالى افمن هذا
الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وقال صلى الله عليه وسلم ما من عبد مؤمن يخرج من عينيه دمعة وان كانت مثل راس الذباب
من خشية الله عز وجل لم يجد شيا من حر وجهه الا حرمه الله على النار وقال عليه الصلوة والسلام اذا اقشعر قلب المومن من خشية
الله تحاتت عنه خطاياه كما تحات من الشجرة ورقها وقال صلى الله عليه وسلم لا يلج النار احد بكى من خشية الله حتى يعود اللبن
في الضرع وقال عقبة بن عامر ما النجاة يا رسول الله فقال امسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك
وقالت عايشة قلت يا رسول الله يدخل الجنة احد من امتك بغير حساب قال نعم من ذكر ذنوبه فبكى وقال صلى الله عليه وسلم ما من
قطرة احب الى الله تعالى من قطرة الدمع من خشية الله او قطرة دم اهريقت في سبيل الله وقال صلى الله عليه وسلم اللهم ارزقني
عينين هطالتين تسقيان بذروف الدمع قبل ان يصير الدمع دما والاضراس جمرا وقال صلى الله عليه وسلم سبعة يظلهم الله يوم
لا ظل الا ظله وذكر منهم رجلا ذكر الله في خلوة ففاضت عيناه وقال ابو بكر الصديق من استطاع ان يبكي فليبك ومن لم يستطع فليتباك
وكان محمد بن المنكدر اذا بكى مسح وجهه ولحيته من دموعه وقال بلغني ان النار لا تاكل موضعا مسته الدموع وقال عبد الله بن عمرو
بن العاص ابكوا فان لم تبكوا فتباكوا فوالذي نفسي بيده لو يعلم العلم احدكم لصرخ حتى ينقطع صوته وصلى حتى ينكسر صلبه وقال
ابو سليمان الداراني ما تغرغرت عين بمائها الا لم يرهق وجه صاحبها قتر ولا ذلة يوم القيمة فان سالت دموعه اطفات باول
قطرة منها بحارا من النيران ولو ان رجلا بكى في امة ما عذبت تلك الامة وقال ابو سليمان البكا من الخوف والرجا والشوق
والطرب وقال كعب الاحبار والذي نفسي بيده لان ابكي من خشية الله حتى تسيل دموعي على وجنتي احب الي من ان اتصدق بجبل من
ذهب وقال عبد الله بن عمر لان ادمع دمعة من خشية الله احب الي من ان اتصدق بالف دينار وروي عن حنظلة قال كنا عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم فوعظنا موعظة رقت منها القلوب وذرفت منها الدموع وعرفنا انفسنا فرجعت الى اهلي فدنت مني المراة وجرى
بيننا من حديث الدنيا فنسيت ما كنا عليه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم واخذنا في الدنيا ثم تذكرت ما كنت فيه فقلت في نفسي
قد نافقت حين تحول عني ما كنت فيه من الخوف والرقة فخرجت وجعلت انادي نافق حنظلة فاستقبلني ابو بكر فقال لم ينافق حنظلة
فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا اقول نافق حنظلة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا لم ينافق حنظلة فقلت
يا رسول الله كنا عندك فوعظتنا موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون وعرفنا انفسنا فرجعت الى اهلي فاخذت
في حديث الدنيا ونسيت ما كنا عندك عليه فقال يا حنظلة لو كنتم ابدا على تلك الحالة لصافحتكم الملائكة في الطرق وعلى فرشكم
ولكن يا حنظلة ساعة فساعة فاذن كل ما ورد في فضل الرجا والبكا وفي فضل التقوى والورع وفضل العلم ومذمة الامن فهذا دلالة
على فضل الخوف لان جملة ذلك متعلقة به اما تعلق السبب او تعلق المسبب

بيان ان الافضل هو غلبة الخوف او غلبة الرجا او اعتدالهما

اعلم ان الاخبار في فضل الخوف والرجا قد كثرت وربما ينظر الناظر اليهما فيعتريه الشك في ان الافضل
ايهما وقول القايل الخوف افضل ام الرجا سوال فاسد يضاهي قول القايل الخبز افضل ام الما وجوابه ان الخبز افضل للجايع والما
افضل للعطشان فان اجتمعا نظر الى الاغلب فان كان الجوع اغلب فالخبز افضل وان كان العطش اغلب فالما افضل وان استويا فهما

متساويان وهذا لان كل ما يراد لمقصود ففضله يظهر بالاضافة الى مقصوده لا الى نفسه والخوف والرجا دواءان يداوى
بهما القلوب ففضلهما بحسب الدا الموجود فان كان الغالب على القلب دا الامن من مكر الله والاغترار به فالخوف افضل وان كان الاغلب
هو الياس والقنوط من رحمة الله فالرجا افضل وكذلك ان كان الغالب على العبد المعصية فالخوف افضل ويجوز ان يقال مطلقا الخوف
افضل على التاويل الذي يقال الخبز افضل من السكنجبين اذ يعالج بالخبز مرض الجوع وبالسكنجبين مرض الصفرا ومرض الجوع اغلب واكثر
والحاجة الى الخبز اكثر فهو افضل فبهذا الاعتبار غلبة الخوف افضل لان المعاصي والاغترار على الخلق اغلب وان نظر الى مطلع الخوف
والرجا فالرجا افضل لانه مستقى من بحر الرحمة ومستقى الخوف من بحر الغضب ومن لاحظ من صفات الله تعالى ما يقتضي اللطف والرحمة
كانت المحبة عليه اغلب وليس ورا المحبة مقام واما الخوف فمستنده الالتفات الى الصفات التي تقتضي العنف فلا تمازجه المحبة ممازجتها
للرجا وعلى الجملة فما يراد لغيره ينبغي ان يستعمل فيه لفظ الاصلح لا لفظ الافضل فنقول اكثر الخلق الخوف لهم اصلح من الرجا وذلك لاجل
غلبة المعاصي فاما التقي الذي ترك الاثم ظاهره وباطنه وخفيه وجليه فالاصلح ان يعتدل خوفه ورجاوه وروي ان عليا قال لبعض ولده
يا بني خف الله خوفا ترى انك لو اتيته بحسنات اهل الارض لم يتقبلها منك وارج الله رجا ترى انك لو اتيته بسيئات اهل الارض غفرها
لك ولذلك لو وزن رجا المومن وخوفه لاعتدلا ولذلك قال عمر لو نودي ليدخل النار كل الناس الا رجلا واحدا لرجوت ان اكون انا ولو نودي
ليدخل الجنة كل الناس الا رجلا واحدا لخشيت ان اكون انا ذلك الرجل وهذا عبارة عن غاية الخوف والرجا واعتدالهما مع الغلبة والاستيلا
ولكن على سبيل التقاوم والتساوي فمثل عمر ينبغي ان يساوي خوفه ورجاوه فاما العاصي اذا ظن انه الرجل الذي استثني من الذين امروا
بدخول النار كان ذلك دليلا على اغتراره فان قلت مثل عمر ينبغي ان يساوي خوفه ورجاوه بل ينبغي ان يغلب رجاوه كما سبق في اول
كتاب الرجا وان قوته ينبغي ان تكون بحسب قوة اسبابه كما مثل بالبذر والزرع ومعلوم ان من بذر البذر الصحيح في ارض نقية وواظب
على تعهدها وجا بجميع شروطها غلب على قلبه رجا الادراك ولم يكن خوفه مساويا لرجائه فكذا ينبغي ان يكون احوال المتقي فاعلم ان من اخذ
المعارف من الالفاظ والامثلة يكثر زلله وذلك وان اوردناه مثالا فليس يضاهي ما نحن فيه من كل وجه لان سبب غلبة الرجا العلم
الحاصل بالتجربة اذ علم بالتجربة صحة الارض وطيبها وصحة البذر وصحة الهوا وقلة الصواعق المهلكة في تلك البقاع وامثال
بذر لم يجرب جنسه وقد بث في ارض غريبة لم يعهدها الزارع ولم يجربها وفي بلاد ليس يدري اتكثر الصواعق بها ام لا فمثل هذا الزارع
وان ادى كنه مجهوده وجا بكل مقدور له فلا يغلب رجاوه على خوفه والبذر في مسئلتنا الايمان وشروط صحته دقيقة والارض
القلب وخفايا خبثه وصفاوه من الشرك الخفي والنفاق والريا وخفايا الاخلاق فيه غامضة والآفات هي الشهوات وزخارف الدنيا
والتفات القلب اليها في مستقبل الزمان وان سلم في الحال وذلك مما لا يتحقق ولا يعرف بالتجربة اذ قد يعرض من الاسباب ما لا يطاق
مخالفته ولم يجرب مثله والصواعق هي اهوال سكرات الموت واضطراب الاعتقاد عنده وذلك مما لم يجرب ثم الحصاد والادراك عند
الانصراف من القيامة الى الجنة وذلك لم يجرب فمن عرف حقايق هذه الامور فان كان ضعيف القلب جبانا في نفسه غلب خوفه على رجائه
لا محالة كما سنحكي من احوال جماعة من الصحابة والتابعين وان كان قوي القلب ثابت الجاش تام المعرفة استوى خوفه ورجاوه
فاما ان يغلب رجاوه فلا ولقد كان عمر رضي الله عنه يبالغ في تفتيش قلبه حتى كان يسال حذيفة رضي الله عنه انه هل يعرف به
من آثار النفاق شيئا اذ كان قد خصه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعلم المنافقين فمن الذي يقدر على تطهير قلبه من خفايا النفاق
والشرك الخفي وان اعتقد نقا قلبه من ذلك فمن اين يامن مكر الله بتلبيس حاله عليه واخفا عيبه عنه وان وثق به فمن اين يثق ببقائه
على ذلك الى تمام حسن الخاتمة وقد قال صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليعمل عمل اهل الجنة خمسين سنة حتى لا يبقى بينه وبين الجنة الا

وفى رواية الافواق ناقة فيسبق عليه الكتاب فيختم له بعمل اهل النار وفواق ناقة لا يحتمل عملا بالجوارح انما هو خاطر يختلج في

القلب عند الموت فيقتضي خاتمة السوء فكيف يؤمن ذلك فاذن اقصى غايات المؤمن ان يعتدل خوفه ورجاؤه وغلبة الرجاء

في غالب الناس يكون مستنده الاغترار وقلة المعرفة ولذلك جمع الله تعالى بينهما في وصف من اثنى عليهم فقال يدعون ربهم خوفا

وطمعا وقال ويدعوننا رغبا ورهبا واين مثل عمر فالخلق الموجودون كلهم الاصلح لهم غلبة الخوف بشرط ان لا يخرجهم الى اليأس

وترك العمل وقطع الطمع من المغفرة فيكون ذلك سببا للتكاسل عن العمل وللانهماك في المعاصي فان ذلك قنوط وليس بخوف انما الخوف

هو الذي يحث على العمل ويكدر جميع الشهوات ويزعج القلب عن الركون الى الدنيا ويدعوه الى التجافي عن دار الغرور فهو الخوف المحمود

دون حديث النفس الذي لا يؤثر في الكف والحث ودون اليأس الموجب للقنوط وقد قال يحيى بن معاذ من عبد الله بمحض الخوف

غرق في بحار الافكار ومن عبده بمحض الرجاء تاه في مفازة الاغترار ومن عبده بالخوف والرجاء استقام في محجة الاذكار وقال

مكحول النسفي من عبد الله بالخوف فهو حروري ومن عبد الله بالرجاء فهو مرجئ ومن عبد الله بالمحبة فهو موحد فاذن لا بد من الجمع بين

هذه الامور وغلبة الخوف هو الاصلح ولكن قبل الاشراف على الموت اما عند الموت فالاصلح غلبة الرجاء وحسن الظن لان الخوف جار

مجرى السوط الباعث على العمل وقد انقضى وقت العمل فالمشرف على الموت لا يقدر على العمل ثم لا يطيق اسباب الخوف فان ذلك يقطع

نياط قلبه ويعين على تعجيل موته واما روح الرجاء فانه يقوي قلبه ويحبب اليه ربه الذي اليه رجاؤه ولا ينبغي ان يفارق احد الدنيا

الا محبا لله ليكون محبا للقاء الله تعالى فان من احب لقاء الله احب الله لقاءه والرجاء يقارنه المحبة فمن ارتجى كرمه فهو محبوب والمقصود من العلوم

والاعمال كلها معرفة الله تعالى حتى تثمر المعرفة المحبة فان المصير اليه والقدوم بالموت عليه ومن قدم على محبوبه عظم سروره بقدر محبته

ومن فارق محبوبه اشتدت محنته وعذابه فمهما كان الغالب عند الموت على القلب حب الاهل والولد والمال والمسكن والعقار والرفقاء

والاصحاب فهذا رجل محابه كلها في الدنيا فهي جنته اذ الجنة عبارة عن البقعة الجامعة لجميع المحاب فموته خروج من الجنة وحيلولة

بينه وبين ما يشتهيه فاما اذا لم يكن له محبوب سوى الله وسوى ذكره ومعرفته والفكر فيه فالدنيا وعلائقها شاغلة له عن المحبوب

فالدنيا اذن سجنه لان السجن عبارة عن البقعة المانعة للمحبوس عن الاسترواح الى محابه فموته قدوم على محبوبه وخلاص من السجن ولا يخفى

حال من افلت من السجن وخلي بينه وبين محبوبه بلا مانع ولا مكدر فهذا اول ما يلقاه كل من فارق الدنيا عقيب موته من الثواب والعقاب

فضلا عما اعد لعباد الله الصالحين مما لم تره عين ولا خطر على قلب بشر وفضلا عما اعد للذين استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة

ورضوا بها واطمأنوا اليها من الانكال والسلاسل والاغلال وضروب الخزي والنكال فنسأل الله تعالى ان يتوفانا مسلمين و

يلحقنا بالصالحين ولا مطمع في اجابة هذا الدعاء الا باكتساب حب الله ولا سبيل اليه الا باخراج حب غيره من القلب وقطع

العلائق عن كل ما سوى الله من مال وجاه ووطن فالاولى ان ندعو بما دعا به نبينا صلى الله عليه وسلم اذ قال اللهم ارزقني حبك

وحب من احبك وحب ما يقربني الى حبك واجعل حبك احب الي من الماء البارد والغرض ان غلبة الرجاء عند الموت اصلح لانه

اجلب للمحبة وغلبة الخوف قبل الموت اصلح لانه احرق لنار الشهوات واقمع لمحبة الدنيا عن القلب ولذلك قال صلى الله عليه

وسلم لا يموتن احدكم الا وهو حسن الظن بربه وقال تعالى انا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء ولما حضرت سليمان التيمي الوفاة

قال لابنه يا بني حدثني بالرخص واذكر لي الرجاء حتى القى الله تعالى على حسن الظن به وكذلك لما حضر الثوري الوفاة واشتد جزعه

جمع العلماء حوله يرجونه وقال احمد بن حنبل عند موته لابنه اذكر لي الاخبار التي فيها الرجاء وحسن الظن والمقصود من ذلك

كله ان يحببه الله الى نفسه ولذلك اوحى الله تعالى الى داود عليه الصلاة والسلام ان حببني الى عبادي فقال بماذا فقال بان تذكر لهم آلائي

ونعمائي فاذن غاية السعادة ان يموت العبد محبا لله وانما تحصل المحبة بالمعرفة وباخراج حب الدنيا من القلب حتى

يصير الدنيا كالسجن المانع من المحبوب ولذلك رأى بعض الصالحين ابا سليمان الداراني في المنام وهو يطير فسأله فقال

الآن افلت فلما اصبح سأل عن حاله فقالوا انه مات البارحة بيان الدواء الذي به يستجلب حال الخوف اعلم

ان ما ذكرناه في دواء الصبر والشكر هو كاف في هذا الغرض لان الصبر لا يمكن الا بعد حصول الخوف والرجاء لان اول مقامات

الدين اليقين الذي هو عبارة عن قوة الايمان بالله واليوم الآخر والجنة والنار وهذا اليقين بالضرورة يهيج الخوف من النار

والرجاء للجنة والخوف والرجاء يقويان على الصبر فان الجنة قد حفت بالمكاره فلا يصبر على تحملها الا بقوة الرجاء والنار قد حفت

بالشهوات فلا يصبر على قمعها الا بقوة الخوف ولذلك قال علي رضي الله عنه من اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات ومن اشفق

من النار رجع عن المحرمات ثم يؤدي مقام الصبر المستفاد من الخوف والرجاء الى مقام المجاهدة والتجرد لذكر الله والفكر فيه على

الدوام ويؤدي دوام الذكر الى الانس ودوام الفكر الى كمال المعرفة والانس الى المحبة ويتبعها مقام الرضا والتوكل وسائر

المقامات فهذا هو الترتيب في سلوك منازل الدين فليس بعد اليقين مقام سوى الخوف والرجاء ولا بعدهما مقام سوى الصبر

وبه المجاهدة والتجرد لله باطنا وظاهرا ولا مقام بعد المجاهدة لمن فتح له الطريق الا الهداية والمعرفة ولا مقام بعد المعرفة الا المحبة

والانس ومن ضرورة المحبة الرضا بفعل المحبوب والثقة بعنايته وهو التوكل فاذن فيما ذكرناه في علاج الصبر كفاية ولكنا نفرد الخوف

فاذن فيما ذكرناه في علاج الصبر كفاية ولكنا نفرد للخوف بكلام جملي فنقول الخوف يحصل بطريقين مختلفين احدهما اعلى من الآخر

ومثاله ان الصبي اذا كان في بيت فدخل عليه سبع او حية ربما كان لا يخاف وربما مد اليد الى الحية ليأخذها ويلعب بها

ولكن اذا كان معه ابوه وهو عاقل خاف من الحية وهرب منها فاذا نظر الصبي الى ابيه وهو يرتعد ويحتال في الهرب قام معه

وغلب عليه الخوف ووافقه في الهرب فخوف الاب عن بصيرة ومعرفة بصفة الحية وسمها وخاصيتها وسطوة السبع وبطشه

وقلة مبالاته واما خوف الابن فانما كان بمجرد التقليد لانه يحسن الظن بابيه ويعلم انه لا يخاف الا من سبب مخوف في نفسه

في نفسه فيعلم ان السبع مخوف ولا يدري وجهه فاذا عرفت هذا المثال فاعلم ان الخوف من الله على مقامين احدهما الخوف

من عذابه والثاني الخوف منه في ذاته فاما الخوف منه فهو خوف العلماء وارباب القلوب العارفين من صفاته ما يقتضي الهيبة و

الخوف والحذر المطلعين على سر قوله تعالى ويحذركم الله نفسه وقوله تعالى اتقوا الله حق تقاته فاما الاول فهو خوف عموم الخلق

وهو حاصل باصل الايمان بالجنة والنار وكونهما جزاءين على الطاعة والمعصية وضعفه بسبب الغفلة وبسبب ضعف الايمان

وانما تزول الغفلة بالوعظ والتذكير وملازمة الفكر في اهوال القيامة واصناف العذاب في الآخرة ويزيد ايضا بالنظر الى الخائفين

ومجالستهم ومشاهدة احوالهم فان فاتت المشاهدة فالسماع لا يخلو عن تأثير واما الثاني وهو الاعلى ان يكون الله هو المخوف

اعني ان يخاف البعد والحجاب عنه ويرجو القرب منه قال ذو النون خوف النار عند خوف الفراق كقطرة قطرت في بحر لجي وهذه

خشية العلماء حيث قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء ولعموم المؤمنين ايضا حظ من هذه الخشية ولكن هو بمجرد التقليد يضاهي

خوف الصبي من الحية تقليدا لابيه وذلك لا يستند الى بصيرة فلا جرم يضعف ويزول على قرب حتى ان الصبي ربما يرى المعزم

يقدم على اخذ الحية فينظر اليه ويغتر به فيجترئ على اخذها تقليدا له كما احترز من اخذها تقليدا لابيه والعقائد بالتقليد ضعيفة

في الغالب الا اذا قويت بمشاهدة اسبابها المؤكدة لها على الدوام وبالمواظبة على مقتضاها في تكثير الطاعات و

اجتناب المعاصي مدة طويلة على الاستمرار فاذن من ارتقى الى ذروة المعرفة وعرف الله خافه بالضرورة فلا يحتاج الى علاج

يجلب الخوف كما ان من عرف السبع ورأى نفسه واقعاً في مخالبه لا يحتاج الى علاج لجلب الخوف الى قلبه بل يخاف بالضرورة
شاء ام ابى ولذلك اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام خفني كما تخاف السبع الضاري ولا حيلة في جلب الخوف من السبع
الضاري الا معرفة السبع ومعرفة الوقوع في مخالبه ولا يحتاج الى حيلة سواه فمن عرف الله عرف انه يفعل ما يشاء ولا يبالي
ويحكم ما يريد ولا يخاف قرب الملائكة من غير وسيلة سابقة وابعد ابليس من غير جريمة سابقة بل صفته ما ترجم قوله هؤلاء
في الجنة ولا ابالي وهؤلاء في النار ولا ابالي وان خطر ببالك انه لا يعاقب الا على معصية ولا يثيب الا على طاعة فتأمل
انه لم يقيد المطيع باسباب الطاعة حتى يطيع شاء ام ابى ولم يقيد المعصية حتى يعصي شاء ام ابى فانه مهما خلق الغفلة والشهوة
والقدرة على قضاء الشهوة كان الفعل واقعاً بالضرورة فان كان ابعده لانه عصاه فلم حمله على المعصية هل ذلك لمعصية سابقة
حتى يتسلسل الى غير نهاية او يقف لا محالة على اول ولا علة له من جهة العبد بل قضى عليه في الازل وعن هذا المعنى عبر
صلى الله عليه وسلم اذ قال احتج آدم وموسى عند ربهما فقال خلقك الله في الجنة ونهاك عن الشجرة وفعلت كيت وكيت فاكلت
الشجرة واخرجت نفسك وذريتك من الجنة فقال آدم وهل كان ذلك مكتوباً علي في الازل قال نعم فقال صلى الله عليه وسلم
فحج آدم موسى فحج آدم موسى فمن عرف السبب في هذا الامر معرفة صادرة عن نور الهداية فهو من خصوص العارفين المطلعين
على سر القدر ومن سمع هذا وآمن به وصدق بمجرد السماع فهو من عموم المؤمنين ويحصل لكل واحد من الفريقين خوف فان كل عبد
فهو واقع في قبضة القدرة وقوع الصبي الضعيف في مخالب السبع والسبع قد يغفل بالاتفاق فيخليه وقد يهجم عليه فيفترسه
وذلك بحسب ما يتفق ولذلك الاتفاق اسباب مرتبة بقدر معلوم لكن اذا اضيف الى من لا يعرفه سمي اتفاقاً وان اضيف الى علم الله
لم يجز ان يسمى اتفاقاً والواقع في مخالب السبع لو كملت معرفته لكان لا يخاف السبع لان السبع مسخر ان سلط عليه الجوع افترس
وان سلط عليه الغفلة خلى وترك فانما يخاف خالق السبع وخالق صفاته فلست اقول مثال الخوف من الله مثال الخوف من السبع
بل اذا كشف الغطاء علم ان الخوف من السبع هو عين الخوف من الله لان المهلك بواسطة السبع هو الله فاعلم ان سباع الآخرة
مثل سباع الدنيا وان الله تعالى خالق عذاب اسباب العذاب واسباب الثواب وخلق لكل واحد اهلاً يسوقه القدر المتفرع على القضاء
الجزم الازلي الى ما خلق له فخلق الجنة وخلق لها اهلاً سخروا للاسباب شاؤوا ام ابوا وخلق النار وخلق لها اهلاً سخروا للاسباب شاؤوا
ام ابوا فلا يرى احد نفسه في ملتطم امواج البحر الا غلبه الخوف بالضرورة فهذه مخاوف العارفين بسر القدر فمن قعد به القصور عن
الارتفاع الى يفاع الاستبصار فسبيله ان يعالج نفسه بسماع الاخبار والآثار فيطالع احوال الخائفين واقوالهم وينسب عقولهم
ومناصبهم الى مناصب الراجين المغرورين فلا يتمارى في ان الاقتداء بهم اولى لانهم الانبياء والاولياء والعلماء واما الآمنون فهم الفراعنة
الجهال الاغبياء اما رسولنا صلى الله عليه وسلم فهو سيد الاولين والآخرين وكان اشد الناس خوفاً حتى روي انه كان يصلي على طفل
ففي رواية انه سمع في دعائه يقول اللهم قه عذاب القبر وعذاب النار وفي رواية انه سمع قائلة تقول هنيئاً لك عصفور من
عصافير الجنة فقال وما يدريك انه كذلك والله اني لرسول الله وما ادري ما يصنع بي ان الله تعالى خلق الجنة وخلق لها اهلاً وخلق
النار وخلق لها اهلاً لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم وروي انه صلى الله عليه وسلم قال ايضاً ذلك على جنازة عثمن بن مظعون وكان من المهاجرين
الاول فقالت ام سلمة هنيئاً لك الجنة وكانت تقول ام سلمة بعد ذلك والله لا ازكي احداً بعد عثمن وقال محمد بن خولة الحنفية والله لا ازكي
احداً غير رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ابي الذي ولدني قال فثارت الشيعة فاخذ يذكر من فضائل علي ومناقبه وروي في حديث آخر
ان رجلاً من اهل الصفة استشهد فقالت امه هنيئاً لك الجنة هاجرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتلت في سبيل الله تعالى فقال

العاصي ولعله

فقال صلى الله عليه وسلم وما يدريك لعله كان يتكلم بما لا يعنيه ويمنع ما لا يضره وفي حديث آخر انه دخل على بعض اصحابه وهو
مريض فسمع امرأة تقول هنيئاً لك الجنة فقال صلى الله عليه وسلم من هذه المتألية على الله عز وجل فقال المريض هي امي يا رسول الله
فقال وما يدريك لعله كان يتكلم بما لا يعنيه ويبخل بما لا يغنيه وكيف لا يخاف المؤمنون كلهم وهو صلى الله عليه وسلم يقول
شيبتني سورة هود واخواتها وسورة الواقعة واذا الشمس كورت وعم يتساءلون فقال العلماء لعل ذلك لما في سورة هود من الابعاد
كقوله تعالى الا بعداً لثمود الا بعداً لعاد الا بعداً لمدين مع علمه صلى الله عليه وسلم بانه لو شاء الله ما اشركوا ولو شئنا لآتينا كل نفس
هداها وفي سورة الواقعة ليس لوقعتها كاذبة اي جف القلم بما هو كائن وتمت السابقة حتى نزلت الواقعة اما خافضة قوماً كانوا مرتفعين
في الدنيا واما رافعة قوماً كانوا منخفضين في الدنيا وفي سورة التكوير اهوال القيامة وانكشاف الخاتمة اذا الجحيم سعرت واذا
الجنة ازلفت علمت نفس ما احضرت وفي عم يتساءلون يوم ينظر المرء ما قدمت يداه وقوله لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال
صواباً والقرآن من اوله الى آخره مخاوف لمن قرأه بتدبر ولو لم يكن فيه الا قوله تعالى واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى
لكان كافياً اذ علق المغفرة على اربعة شروط يعجز العبد عن آحادها وكذلك قوله تعالى والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا
وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر فهي اربعة شروط للخلاص من الخسران وانما كان خوف الانبياء عليهم الصلوة
والسلام مع ما فاضت عليهم من النعم لانهم لم يأمنوا مكر الله تعالى ولا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون حتى روي ان النبي صلى الله
عليه وسلم وجبرئيل بكيا خوفاً من الله تعالى فاوحى اليهما لم تبكيان وقد امنتكما فقالا ومن يأمن مكرك وكانهما اذ
علما ان الله تعالى هو علام الغيوب وانه لا وقوف لهما على غاية الامور لم يأمنا ان يكون امنتكما ابتلاء لهما وامتحاناً ومكراً بهما
حتى ان سكن خوفهما ظهر انهما امنا من المكر وما وفيا بقولهما كما ان ابرهيم صلى الله عليه وسلم لما وضع في المنجنيق قال حسبي الله و
كانت هذه من الدعاوي العظام فامتحن وعورض بجبرئيل في الهواء حتى قال الك حاجة قال اما اليك فلا فكان ذلك وفاء
بمقتضى قوله حسبي الله فاخبر الله تعالى عنه وقال وابرهيم الذي وفى اي بموجب قوله حسبي الله وبمثل هذا اخبر عن موسى
صلى الله عليه وسلم وقال انا نخاف ان يفرط علينا او ان يطغى قال لا تخافا انني معكما ومع هذا لما القى السحرة سحرهم اوجس موسى
في نفسه خيفة اذ لم يأمن مكر الله والتباس الامر عليه حتى جدد عليه الامن وقيل له لا تخف انك انت الاعلى ولما ضعفت شوكة
المسلمين يوم بدر قال صلى الله عليه وسلم اللهم ان تهلك هؤلاء لم يبق على وجه الارض احد يعبدك فقال ابو بكر رضي الله عنه دع
مناشدتك ربك فانه واف لك بما وعدك وكان مقام الصديق مقام الثقة بما وعد الله وكان مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم
مقام الخوف من مكر الله وهو اتم لانه لا يصدر الا عن كمال المعرفة باسرار الله وخفايا افعاله ومعاني صفاته التي يعبر عن بعض
ما يصدر عنها بالمكر وما لاحد من البشر الوقوف بكنه صفات الله ومن عرف حقيقة المعرفة بقصور معرفته عن الاحاطة بكنه
الامور عظم خوفه لا محالة ولذلك قال عيسى صلى الله عليه وسلم لما قيل له أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله
فقال ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك وقال ان تعذبهم فانهم عبادك الآية فوض الامر الى المشيئة
واخرج نفسه بالكلية من البين لعلمه بانه ليس اليه من الامر شيء وان الامور مرتبطة بالمشيئة ارتباطاً يخرج عن حد المعقولات و
المألوفات فلا يمكن الحكم عليها بقياس وحدس وحسبان فضلاً عن تحقيق واستيقان وهذا هو الذي قطع قلوب العارفين اذ الطامة
الكبرى هي ارتباط امرك بمشيئة من لا يبالي بك ان اهلكك فقد اهلك من لا يحصى من امثالك ولم يزل في الدنيا يعذبهم بانواع الآلام
والامراض ويمرض مع ذلك قلوبهم بالكفر والنفاق ثم يخلد العقاب عليهم ابد الآباد ثم يخبر عنه ويقول ولو شئنا لآتينا كل

فمن هذا بها ولكن حق القول مني لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين فكيف لا يخاف ما حق من القول في الازل ولا مطمع في تداركه
ولو كان الامر انفا لكانت الاطماع تمتد الى الحيلة فيه ولكن ليس الا التسليم واستقراء خفي السابقة من جلي الاسباب الظاهرة
على القلب والجوارح فمن تيسر له اسباب الشر وحيل بينه وبين الخير واحكمت علائقه مع الدنيا فكانه كشف له على التحقيق سر السابقة
التي سبقت له بالشقاوة اذ كل ميسر لما خلق له وان كانت الخيرات كلها ميسرة والقلب بالكلية عن الدنيا منقطعا وبظاهره
وباطنه على الله مقبلا كان هذا يقتضي تخفيف الخوف لو كان الدوام على ذلك موثوقا به ولكن خطر الخاتمة وعسر الثبات يزيد نار
الخوف اشتعالا ولا يمكنه الاطفاء وكيف يؤمن تغير الحال وقلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن وانه اشد تقلبا من القدر في
غليانها وقد قال مقلب القلوب ان عذاب ربهم غير مامون فاجهل الناس من امنه وهو ينادي بالتحذير من الامن ولولا ان الله لطيف
بعباده العارفين اذ روح قلوبهم بروح الرجا لاحترقت قلوبهم من نار الخوف فاسباب الرجا رحمة من الله واسباب الغفلة نعمة على
عوام الخلق من وجه اذ لو انكشف الغطا لزهقت النفوس وتقطعت القلوب من خوف مقلب القلوب قال بعض العارفين لو
حالت بيني وبين من عرفته بالتوحيد خمسين سنة اسطوانة فمات لم اقطع له بالتوحيد لاني لا ادري ما ظهر له من التقليب وقال
بعضهم لو كانت الشهادة على باب الدار والموت على الاسلام عند باب الحجرة لاخترت الموت على الاسلام لاني لا ادري ما يعرض لقلبي
بين باب الحجرة وباب الدار وكان ابو الدردا يحلف بالله ما احد امن على ايمانه ان يسلبه عند الموت الا سلبه وكان سهل يقول
خوف الصديقين من سوء الخاتمة عند كل خطرة وكل حركة وهم الذين وصفهم الله تعالى اذ قال وقلوبهم وجلة ولما احتضر سفين
جعل يبكي ويجزع فقيل يا ابا عبد الله عليك بالرجا فان عفو الله اعظم من ذنوبك فقال او على ذنوبي ابكي لو علمت اني اموت على
التوحيد لم ابال بان القى الله بامثال الجبال من الخطايا وحكي عن بعض الخائفين انه اوصى بعض اخوانه فقال اذا احضرتني الوفاة فاقعد
عند راسي فان رايتني مت على التوحيد فخذ جميع ما املكه واشتر به لوزا وسكرا وانثره على صبيان اهل البلد وقل هذا عرس
المنفلت وان مت على غير التوحيد فاعلم الناس ذلك حتى لا يغتروا بشهود جنازتي ليحضر جنازتي من احب على بصيرة لئلا يلحقني الريا
بعد الوفاة قال وبم اعلم ذلك فذكر له علامة فراى علامة التوحيد عند موته فاشترى السكر واللوز وفرقه وكان سهل يقول
المريد يخاف ان يبتلى بالمعاصي والعارف يخاف ان يبتلى بالكفر وكان ابو يزيد يقول اذا توجهت الى المسجد كان في وسطي زنارا
اخاف ان يذهب بي الى البيعة وبيت النار حتى ادخل المسجد فينقطع عني الزنار فهذا لي كل يوم خمس مرات وروي عن عيسى صلى الله
عليه وسلم انه قال يا معشر الحواريين انتم تخافون المعاصي ونحن معاشر الانبيا نخاف الكفر وروي في اخبار الانبيا عليهم الصلوة
والسلام ان نبيا شكى الجوع والقمل والعري سنين وكان لباسه الصوف فاوحى الله عز وجل اليه عبدي اما رضيت ان عصمت
قلبك ان يكفر بي حتى تسالني الدنيا فاخذ التراب فوضعه على راسه وقال بلى قد رضيت يا رب فاعصمني من الكفر فاذا كان خوف
العارفين مع رسوخ اقدامهم وقوة ايمانهم من سوء الخاتمة فكيف لا يخافه الضعفا ولسوء الخاتمة اسباب تتقدم على الموت مثل البدعة
والنفاق والكبر وجملة من الصفات المذمومة وكذلك اشتد خوف الصحابة من النفاق حتى قال الحسن لو اني اعلم اني بري من النفاق
كان احب الي مما طلعت عليه الشمس وما عنوا به النفاق الذي هو ضد اصل الايمان بل المراد به ما يجتمع مع اصل الايمان فيكون
مسلما منافقا وله علامات كثيرة قال صلى الله عليه وسلم اربع من كن فيه فهو منافق خالص وان صام وصلى وزعم انه مسلم
وان كانت فيه خصلة منهن ففيه شعبة من النفاق حتى يدعها من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا اؤتمن خان واذا
خاصم فجر وفي لفظ واذا عاهد غدر وقد فسر الصحابة والتابعون النفاق بتفاسير لا يخلو عنها الا صديق اذ قال الحسن ان

ان من النفاق اختلاف السر والعلانية واختلاف اللسان والقلب والمدخل والمخرج ومن الذي يخلو عن هذه المعاني بل صارت
هذه الامور مالوفة بين الناس معتادة ونسي كونها منكرا بالكلية بل جرى ذلك على قرب عهد بزمان النبوة فكيف الظن بزماننا
حتى قال حذيفة كان الرجل ليتكلم بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيصير بها منافقا واني لاسمعها من احدكم في اليوم
عشر مرات وكان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون انكم لتعملون اعمالا هي ادق في اعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم من الكبائر وقال بعضهم علامة النفاق ان تكره من الناس ما ياتي مثله وان تحب على شي من الجور وان تبغض على شي
من الحق وقيل من النفاق اذا مدح بشي ليس فيه اعجبه ذلك وقال رجل لابن عمر رضي الله عنهما انا ندخل على هؤلاء الامراء فنصدقهم
بما يقولون فاذا خرجنا تكلمنا فيهم فقال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وروي انه سمع رجلا يذم الحجاج
ويقع فيه فقال ارايت لو كان الحجاج حاضرا اكنت تتكلم بما تكلمت به قال لا قال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
واشد من ذلك ما روي ان نفرا قعدوا على باب حذيفة ينتظرونه فكانوا يتكلمون في شي من شانه فلما خرج عليهم سكتوا حياء منه فقال
تكلموا فيما كنتم تقولون فسكتوا فقال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا حذيفة كان قد خص بعلم
بعلم المنافقين واسباب النفاق وكان يقول ان على القلب ساعة يمتلي بالايمان حتى لا يكون للنفاق فيه مغرز ابرة فقد عرفت بهذا ان
خوف العارفين من سوء الخاتمة وان سببه امور مقدمة منها البدع ومنها المعاصي ومنها النفاق ومتى يخلو العبد عن جملة ذلك
وان ظن انه تخلى عنه فهو النفاق اذ قيل من امن النفاق فهو منافق وقال بعضهم لبعض العارفين اني اخاف على نفسي النفاق فقال لو
كنت منافقا لما خفت النفاق فلا يزال العارف بين الالتفات الى السابقة واللاحقة خائفا منهما ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
العبد المؤمن بين مخافتين بين اجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه وبين اجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه بيان سوء الخاتمة
فان قلت ان خوف اكثرهم كان من سوء الخاتمة فما معنى سوء الخاتمة فاعلم ان سوء الخاتمة على رتبتين احدهما اعظم من الاخرى فاما الرتبة
العظيمة الهائلة ان يغلب على القلب عند سكرات الموت وظهور اهواله اما الشك واما الجحود فتقبض الروح على حالة غلبة الشك
او الجحود فيكون ما غلب على القلب من عقدة الجحود حجابا بينه وبين الله ابدا وذلك يقتضي البعد الدائم والعذاب المخلد والثانية
وهي دونها ان يغلب على قلبه عند الموت حب امر من امور الدنيا وشهوة من شهواتها فيتمثل ذلك في قلبه ويستغرقه حتى لا يبقى في تلك
الحالة متسع لغيره فيتفق قبض روحه في تلك الحالة فيكون استغراق قلبه به منكسا راسه الى الدنيا وصارفا وجهه اليها
ومهما انصرف الوجه عن الله تعالى حصل الحجاب ومهما حصل الحجاب نزل العذاب اذ نار الله الموقدة لا تاخذ الا المحجوبين فاما المؤمن
السليم قلبه عن حب الدنيا المصروفة همته الى الله تعالى فتقول له النار جز يا مؤمن فان نورك اطفا لهبي فمهما اتفق قبض الروح
في حالة غلبة حب الدنيا فالامر مخطر لان المرء يموت على ما عاش عليه ولا يمكن اكتساب صفة اخرى للقلب بعد الموت تضاد
الصفة الغالبة عليه اذ لا تصرف في القلوب الا باعمال الجوارح وقد بطلت الجوارح بالموت فبطلت الاعمال فلا مطمع في عمل ولا
مطمع في رجوع الى الدنيا ليتداركه وعند ذلك تعظم الحسرة الا ان اصل الايمان وحب الله تعالى اذا كان قد رسخ في القلب مدة طويلة
وتاكد ذلك بالاعمال الصالحة فانه يمحو عن القلب هذه الحالة التي عرضت له عند الموت فان كان ايمانه في القوة الى حد مثقال
اخرجه من النار في زمان اقرب وان كان اقل من ذلك طال مكثه في النار ولكن لو لم يكن الا مثقال حبة فلا بد ان يخرجه من النار
ولو بعد الاف سنين فان قلت فما ذكرته يقتضي ان تسرع النار اليه عقيب موته فما باله يؤخر الى القيامة ويمهل طول المدة
فاعلم ان من انكر عذاب القبر فهو مبتدع محجوب عن نور الايمان ونور القران بل الصحيح عند ذوي الابصار ما صحت به الاخبار

فوالذي نفسي بيده ما بعد الموت من مستعتب
ولا بعد الدنيا من دار الا الجنة والنار

وهو ان القبر اما حفرة من حفر النيران او روضة من رياض الجنة وانه قد ينفتح الى قبر المعذب سبعون بابا من الجحيم كما ورد به الاخبار
فلا يفارق روحه الا وقد نزل به البلاء ان كان قد شقى بسوء الخاتمة وانما تختلف اصناف العذاب باختلاف الاوقات فيكون سؤال
منكر ونكير عند الوضع في القبر والتعذيب بعده ثم بعد ذلك خطر الصراط وهول الزبانية الى آخر ما ورد به الاخبار فلا يزال الشقي
مترددا في جميع احواله بين اصناف العذاب باختلاف الاوقات فيكون سؤال منكر ونكير عند الوضع في القبر والتعذيب بعده ثم
المناقشة في الحساب والافتضاح على ملأ الاشهاد في القيامة ثم بعد ذلك خطر الصراط وهول الزبانية الى آخر ما ورد به الاخبار
فلا يزال الشقي مترددا في جميع احواله بين اصناف العذاب في جملة الاحوال معذب الا ان يتغمده الله برحمته ولا تظنن ان محل الايمان
ياكله التراب بل التراب ياكل جميع الجوارح ويبددها الى ان يبلغ الكتاب اجله فيجمع الاجزاء المتفرقة ويعاد اليه الروح التي هي محل
الايمان وقد كانت من وقت الموت الى الاعادة اما في حواصل طير خضر معلقة تحت العرش ان كان سعيدا واما على حالة تضاد هذه الحالة
ان كانت والعياذ بالله شقية فان قلت فما السبب الذي يفضي الى سوء الخاتمة فاعلم ان اسباب هذه الامور لا يمكن احصاؤها
على التفصيل ولكن يمكن الاشارة الى مجامعها اما الختم على الشك والجحود فينحصر سببه في فنين احدهما ان يتصور مع تمام الورع والزهد
وتمام الصلاح في الاعمال كالمبتدع الزاهد فان عاقبته مخطرة جدا وان كانت اعماله صالحة ولست اعني مذهبا واقول انه بدعة
فان بيان ذلك يطول القول فيه بل اعني بالبدعة ان يعتقد الرجل في ذات الله وصفاته وافعاله خلاف الحق ويعتقد على خلاف ما هو
عليه اما برأيه ومعقوله ونظره الذي به يجادل الخصوم وعليه يعول وبه يغتر واما اخذا بالتقليد عمن هذا حاله فاذا قرب
الموت وظهر ناصية ملك الموت واضطرب القلب بما فيه فربما ينكشف له في حال سكرات الموت بطلان ما اعتقده جهلا
اذ حال الموت حال كشف الغطاء ومبادي سكراته منه فقد ينكشف به بعض الامور فمهما بطل عنده ما كان اعتقده وقد كان قاطعا
به متيقنا له عند نفسه لم يظن بنفسه انه اخطأ في هذا الاعتقاد خاصة لانه تجاسر فيه الى رأيه الفاسد وعقله الناقص بل
ظن ان كل ما اعتقده لا اصل له اذ لم يكن عنده فرق بين ايمانه بالله ورسوله وسائر اعتقاداته الصحيحة وبين اعتقاده الفاسد
فيكون انكشاف بعض اعتقاداته عن الجهل سببا لبطلان بقية اعتقاداته او لشكه فيها فان اتفق زهوق روحه في هذه الخطرة
قبل ان يثبت ويعود الى اصل الايمان فقد ختم له بالسوء وخرجت روحه على الشرك والعياذ بالله منه فهؤلاء هم المرادون
بقوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وبقوله تعالى قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة
الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وكما انه قد ينكشف في النوم ما سيكون في المستقبل وذلك بسبب خفة اشغال
الدنيا عن القلب فكذلك ينكشف في سكرات الموت بعض الامور اذ شواغل الدنيا وشهوات البدن هي المانعة للقلب من ان
ينظر الى الملكوت فيطالع ما في اللوح المحفوظ لينكشف له الامور على ما هي عليها فيكون مثل هذه الحالة سبب الكشف ويكون
الكشف سببا للشك في بقية الاعتقادات وكل من اعتقد في الله تعالى وفي صفاته وافعاله شيئا على خلاف ما هو به اما تقليدا
واما نظرا بالرأي والمعقول فهو في هذه الخطر والزهد والصلاح لا يكفي لدفع هذا الخطر بل لا ينجي منه الا الاعتقاد الحق و
والبله بمعزل عن هذا الخطر اعني الذين آمنوا بالله ورسوله واليوم الآخر ايمانا مجملا راسخا كالاعراب والسوادية وسائر العوام
الذين لم يخوضوا في البحث والنظر ولم يشرعوا في الكلام استقلالا ولا اصغوا الى اصناف المتكلمين في تقليد اقاويلهم المختلفة
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اكثر اهل الجنة البله ولذلك منع السلف من البحث والنظر والخوض في الكلام والتفتيش
عن هذه الامور وامروا الخلق ان يقتصروا على ان يؤمنوا بما انزل الله جميعا وبكل ما جاء من الظواهر مع اعتقاد نفي التشبيه ومنعوهم

ومنعوهم عن الخوض في التاويل لان الخطر في البحث عن الصفات عظيم وعقباتها كؤود ومسالكها وعرة والعقول عن
درك جلال الله قاصرة وهداية الله بنور اليقين عن القلوب بما جبلت عليها من حب الدنيا محجوبة وما ذكره الباحثون
ببضاعة عقولهم مضطربة ومتعارضة والقلوب لما القي اليها في مبدأ النشوء آلفة وبه متعلقة والتعصبات الثائرة بين
الخلق مسامير مؤكدة للعقائد الموروثة والماخوذة بحسن الظن من المعلمين في اول الامر ثم الطباع بحب الدنيا مشغوفة
وعليها مقبلة وشهوات الدنيا بمخنقها آخذة وعن تمام الفكر صارفة واذا فتح باب الكلام في الله وفي صفاته بالرأي
والمعقول مع تفاوت الناس في قرائحهم واختلافهم في طباعهم وحرص كل جاهل منهم على ان يدعي الكمال والاحاطة بكنه
الحق انطلقت السنتهم بما يقع لكل واحد منهم وتعلق ذلك بالقلوب المصغية اليهم وتأكد ذلك بطول الالف فيهم وانسد
بالكلية طريق الخلاص عليهم فكانت سلامة الخلق في ان يشتغلوا بالاعمال الصالحة ولا يتعرضوا لما هو خارج عن طاقتهم
ولكن الان فقد استرخى العنان وفشا الهذيان ونزل كل جاهل على ما وافق طبعه بظن وحسبان وهو يعتقد ان ذلك علم و
استيقان وانه صفو الايمان ويظن ان ما قنع به من حدس وتخمين علم اليقين وعين اليقين ولتعلمن نبأه بعد حين وينشد
في حق هؤلاء عند كشف الغطاء احسنت ظنك بالايام اذ حسنت ولم تخف سوء ما ياتي به القدر وسالمتك الليالي فاغتررت
بها وعند صفو الليالي يحدث الكدر واعلم يقينا ان كل من فارق الايمان الساذج بالله وكتبه ورسله عليهم الصلوة والسلام
وخاض في البحث فقد تعرض لهذا الخطر ومثاله من انكسرت سفينته وهو في متلاطم الامواج يرميه موج الى موج وربما يتفق
ان يلقيه الى الساحل وذلك بعيد والهلاك اغلب عليه وكل نازل على عقيدة تلقفها من الباحثين ببضاعة عقولهم اما مع الادلة
التي حرروها في تعصباتهم او دون الادلة ان كان شاكا فيه فهو فاسد الدين وان كان واثقا به فهو آمن من مكر الله مغتر بعقله
الناقص وكل خائض في البحث فلا ينفك عن هاتين الحالتين الا اذا جاوز حدود العقول الى نور المكاشفة الذي يشرق في عالم الولاية
والنبوة وذلك هو الكبريت الاحمر واني يتيسر وانما سلم عن هذا الخطر البله من العوام والذين شغلهم خوف النار بطاعة الله فلم
يخوضوا في هذا الفضول فهذا احد الاسباب المخطرة في سوء الخاتمة واما السبب الثاني فهو ضعف الايمان في الاصل ثم استيلاء
حب الدنيا على القلب ومهما ضعف الايمان ضعف حب الله وقوي حب الدنيا فيصير بحيث لا يبقى في القلب موضع لحب الله الا
من حيث حديث النفس لا يظهر له اثر في مخالفة النفس والعدول عن طريق الشيطان فيورث ذلك الانهماك في اتباع الشهوات
حتى يظلم القلب ويقسو ويسود وتتراكم ظلمة الذنوب على القلب ولا يزال يطفئ ما فيه من نور الايمان على ضعفه حتى يصير طبعا
ورينا فاذا جاءت سكرات الموت ازداد ذلك الحب اعني حب الله ضعفا لما يبدو من استشعار فراق الدنيا وهي المحبوب الغالب
على القلب فيتألم القلب باستشعار فراق الدنيا ويرى ذلك من الله فيختلج ضميره بانكار ما قدر عليه من الموت وكراهة ذلك
من حيث انه من الله فيخشى ان يثور في باطنه بغض الله بدل الحب كما ان الذي يحب ولده حبا ضعيفا اذا اخذ ولده امواله
التي هي احب اليه من ولده واحرقها انقلب ذلك الحب الضعيف بغضا فان اتفق زهوق روحه في تلك اللحظة التي خطرت فيها
هذه الخطرة فقد ختم له بالسوء وهلك هلاكا مؤبدا والسبب الذي يفضي الى مثل هذه الخاتمة هو غلبة حب الدنيا والركون
اليها والفرح باسبابها مع ضعف الايمان الموجب لضعف حب الله فمن وجد في قلبه حب الله اغلب من حب الدنيا وان كان
يحب الدنيا ايضا فهو ابعد عن هذا الخطر وحب الدنيا راس كل خطيئة وهو الداء العضال وقد عم اصناف الخلق وذلك
كله لقلة المعرفة بالله تعالى اذ لا يحبه الا من عرفه ولهذا قال تعالى قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم

واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى
ياتي الله بامره فاذن من فارقته روحه في حالة خطرة الانكار على الله بباله وظهور بغض فعل الله بقلبه في تفريقه بينه وبين اهله
وماله وسائر محابه فيكون موته قدوما على ما ابغضه وفراقا لما احبه فيقدم على الله قدوم العبد المبغض الآبق اذا قدم به
على مولاه قهرا فلا يخفى ما يستحقه من الخزي والنكال واما الذي يتوفى على الحب فانه يقدم على الله قدوم العبد المحسن المشتاق
الى مولاه الذي تحمل مشاق الاعمال ووعثاء الاسفار طمعا في لقائه فلا يخفى ما يلقاه من الفرح والسرور بمجرد القدوم فضلا
عما يستحقه من لطائف الاكرام وبدائع الانعام واما الخاتمة الثانية التي هي دون الاولى وليست مقتضية للخلود في
النار فلها ايضا سببان احدهما كثرة المعاصي وذلك لان مقارفة المعاصي سببها غلبة الشهوات ورسوخها في القلب بكثرة الالف
والعادة وجميع ما الفه الانسان في عمره يعود ذكره الى قلبه عند موته فان كان ميله الاكثر الى الطاعات كان اكثر ما يحضره
ذكر طاعة الله وان كان ميله الاكثر الى المعاصي غلب ذكرها على القلب عند الموت فربما يقبض روحه عند غلبة شهوة من شهوات
الدنيا ومعصية من المعاصي فيتقيد بها قلبه ويصير محجوبا عن الله فالذي لا يقارف الذنب الا الفينة بعد الفينة فهو ابعد
من هذا الخطر والذي غلبت عليه المعاصي وكانت اكثر من طاعته وقلبه بها افرح منه بالطاعات فهذا الخطر عظيم في
حقه جدا ونعرف هذا بمثال وهو انه لا يخفى عليك ان الانسان يرى في منامه جملة من الاحوال التي عهدها طول عمره حتى
انه لا يرى الا ما يماثل مشاهداته في اليقظة وحتى ان المراهق الذي يحتلم لا يرى صورة الوقاع اذا لم يكن قد واقع في اليقظة ولو
بقي كذلك مدة لما راى عند الاحتلام صورة الوقاع ثم لا يخفى ان الذي قضى عمره في الفقه يرى من الاحوال المتعلقة بالعلم
والعلماء اكثر مما يراه التاجر الذي قضى عمره في التجارة والتاجر يرى من الاحوال المتعلقة باسباب التجارة اكثر مما يراه الطبيب
والفقيه لانه انما يظهر في حالة النوم ما حصل له مناسبة مع القلب بطول الالف او بسبب آخر من الاسباب والموت شبه النوم
ولكنه فوقه ولكن سكرات الموت وما يتقدمه من الغشية قريب من النوم فيقتضي ذلك تذكر المالوف وعوده الى القلب واحد
الاسباب المرجحة لحصول ذكره في القلب طول الالف وطول الالف بالمعاصي والطاعات ايضا مرجح ولذلك تخالف ايضا منامات
الصالحين منامات الفساق فتكون غلبة الالف سببا لان تتمثل صورة فاحشة في قلبه وتميل اليها نفسه فربما يقبض عليه روحه
فيكون ذلك سوء خاتمته وان كان اصل الايمان باقيا بحيث يرجى له الخلاص منها وكما ان ما يخطر في اليقظة انما يخطر بسبب خاص
يعلمه الله تعالى فكذلك آحاد المنامات لها اسباب عند الله يعرف بعضها ولا يعرف بعضها كما انا نعلم ان الخاطر ينتقل من الشيء الى ما
يناسبه اما بالمشابهة واما بالمضادة واما بالمقارنة بان يكون قد ورد على الحس معه اما المشابهة فبان ينظر الى جميل فيتذكر
جميلا آخر واما بالمضادة فبان ينظر الى جميل فيتذكر قبيحا ويتامل في شدة التفاوت بينهما واما بالمقارنة فبان ينظر الى فرس قد
راه من قبل مع انسان فيتذكر ذلك الانسان وقد ينتقل الخاطر من شيء الى شيء ولا يدري وجه مناسبته له وانما يكون ذلك بواسطة
او بواسطتين مثل ان ينتقل من شيء الى شيء ثان ومنه الى ثالث ثم ينسى الثاني ولا يكون بين الثالث والاول مناسبة ولكن يكون بينه
وبين الثاني مناسبة وبين الثاني والاول مناسبة فكذلك لانتقالات الخواطر في المنام اسباب من هذا الجنس وكذا عند سكرات الموت
ومن اراد ان يكف خاطره عن الانتقال الى المعاصي والشهوات فلا طريق له الا المجاهدة طول العمر في فطام نفسه عنها وفي قمع
الشهوات من القلب فهذا هو القدر الذي يدخل تحت الاختيار ويكون طول المواظبة على الخير وتخلية الفكر عن الشر عدة
وذخيرة لحالة سكرات الموت فانه يموت المرء على ما عاش عليه ويحشر على ما مات عليه ولهذا نقل عن بقال انه كان يلقن عند

عند الموت كلمتي الشهادة وهو يقول خمسة ستة اربعة وكان مشغول النفس بالحساب الذي طال الفه له قبل الموت
ولقد قال بعض العارفين من السلف ان العرش جوهرة تتلالا نورا فلا يكون العبد على حال الا انطبع مثاله في العرش على الصورة
التي كان عليها فاذا كان في سكرات الموت كشفت له صورته من العرش فربما يرى نفسه على صورة معصية وكذلك يكشف له
في القيامة فيرى احوال نفسه فياخذه من الحياء والخوف ما يجل عن الوصف وما ذكره صحيح وسبب الرؤيا الصادقة
قريب من ذلك فان النائم يدرك ما سيكون في المستقبل من مطالعة اللوح المحفوظ وهو جزء من اجزاء النبوة فاذن رجع سوء
الخاتمة الى احوال القلب واختلاج الخواطر ومقلب القلوب هو الله والاتفاقات المقتضية لسوء الخواطر غير داخلة تحت الاختيار
دخولا كليا وان كان لطول الالف فيها تاثير فلهذا عظم خوف العارفين من سوء الخاتمة لانه لو اراد الانسان ان لا يرى في المنام
الا احوال الصالحين واحوال الطاعات والعبادات عسر عليه ذلك وان كانت كثرة الصلاح والمواظبة عليه مما يؤثر فيه ولكن اضطرابات
الخيال لا تدخل بالكلية تحت الضبط وان كان الغالب مناسبة ما يظهر في النوم لما غلب في اليقظة حتى سمعت الشيخ ابا علي
الفارمذي رحمه الله يصف لي وجوب حسن ادب المريد لشيخه وان لا يكون في قلبه انكار لكل ما يقوله ولا في لسانه مجادلة عليه
فقال حكيت لشيخي ابي القسم الكركاني مناما لي وقلت رايتك قلت لي كذا فقلت لم ذلك فهجرني شهرا ولم يكلمني وقال
لولا انه كان في باطنك تجويز المطالبة وانكار ما اقوله لك لما جرى ذلك على لسانك في المنام وهو كما قال اذ قلما يرى
الانسان في منامه خلاف ما يغلب في اليقظة على قلبه هذا هو القدر الذي يسمح بذكره في علم المعاملة من اسرار امر الخاتمة
وتسمح بانه ترى الاشياء كما هو عليها من غير جهل وترجي جميع العمر في طاعة الله من غير معصية فان كنت تعلم ان ذلك محال او عسير
فلا بد ان يغلب عليك من الخوف ما غلب على العارفين حتى يطول بسببه بكاؤك ونياحتك ويدوم به حزنك وقلقك كما سنحكيه
الانبياء والاولياء والسلف الصالحين ليكون ذلك احد الاسباب المهيجة لنار الخوف من قلبك وقد عرفت بهذا ان اعمال العمر كلها
ضائعة ان لم تسلم في النفس الاخير الذي عليه خروج الروح وان سلامته مع اضطراب امواج الخواطر مشكل جدا ولذلك كان مطرف بن
عبد الله يقول اني لا اعجب ممن هلك كيف هلك ولكني اعجب ممن نجا كيف نجا ولذلك قال حامد اللفاف اذا صعدت الملائكة بروح
المؤمن قد مات على الخير والاسلام تعجبت الملائكة منه وقالوا كيف نجا من الدنيا فسد فيها خيارنا وكان الثوري يبكي فقيل له علام
تبكي فقال بكينا على الذنوب زمانا فالآن نبكي على الاسلام وبالجملة من وقعت سفينته في لجة البحر وهجمت الرياح العاصفة واضطربت
الامواج كانت النجاة في حقه ابعد من الهلاك وقلب المؤمن اشد اضطرابا من السفينة وامواج الخواطر اعظم التطاما من امواج البحر وانما
المخوف عند الموت خاطر سوء يخطر فقط وهو الذي قال صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليعمل بعمل اهل الجنة خمسين سنة حتى لا يبقى بينه وبينها
الا فواق ناقة فيختم له بما سبق به الكتاب ولا يتسع فواق ناقة لاعمال توجب الشقاوة بل هي الخواطر التي تضطرب وتخطر خطور البرق
الخاطف وقال سهل رايت كاني ادخلت الجنة فرايت ثلثمائة نبي فسالتهم ما اخوف ما كنتم تخافون في الدنيا قالوا سوء الخاتمة ولاجل
هذا الخطر العظيم كانت الشهادة مغبوطا عليها وكان موت الفجاءة مكروها اما الموت فجاءة فلانه ربما يتفق عند غلبة خاطر سوء واستيلائه
على القلب والقلب لا يخلو عن امثالها الا ان يدفع بالكراهة او بنور المعرفة واما الشهادة فلانها عبارة عن قبض الروح في حالة لم يبق في
القلب سوى حب الله وخروج حب الدنيا والاهل والمال والولد وجميع الشهوات عن القلب اذ لا يهجم على صف القتال موطنا نفسه
على الموت الا حبا لله تعالى وطلبا لمرضاته وبائعا دنياه باخرته وراضيا بالبيع الذي بايعه الله به اذ قال تعالى ان الله اشترى
من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة والبائع راغب عن المبيع لا محالة ومخرج حبه من القلب ومجرد حب العوض المطلوب

في قلبه ومثل هذه الحالة قد يغلب على القلب في بعض الاحوال ولكن لا يتفق زهوق الروح فيها فصف القتال سبب لزهوق الروح على مثل هذه الحالة هذا فيمن ليس يقصد الغلبة والغنيمة وحسن الصيت بالشجاعة فان من هذا حاله وان قتل في المعركة فهو بعيد عن مثل هذه الرتبة كما دلت عليه الاخبار واذ بان لك معنى سوء الخاتمة وما هو مخوف فيه فاشتغل بالاستعداد له فواظب على ذكر الله واخرج من قلبك حب الدنيا واحرس عن فعل المعاصي جوارحك وعن الفكر فيها قلبك واحترز عن مشاهدة المعاصي ومشاهدة اهلها جهدك فان ذلك ايضا يؤثر في قلبك ويصرف اليه فكرك وخواطرك واياك ان تسوف وتقول ساستعد لها اذا جاءت الخاتمة فان كل نفس من انفاسك خاتمتك اذ يمكن ان يختطف فيه روحك فراقب قلبك في كل لحظة واياك ان تهمله لحظة فلعل تلك اللحظة خاتمتك هذا ما دمت في يقظتك واما اذا نمت فاياك ان تنام الا على طهارة الظاهر والباطن وان يغلبك النوم الا بعد غلبة ذكر الله على قلبك لست اقول على لسانك فان حركة اللسان بمجردها ضعيفة الاثر واعلم قطعا انه لا يغلب عند النوم على قلبك الا ما كان قبل النوم غالبا عليه وانه لا يغلب في النوم الا ما كان غالبا قبل النوم ولا يبعث عن نومك الا على ما غلب على قلبك في نومك والموت والبعث شبه النوم واليقظة فكما لا ينام العبد الا على ما غلب عليه في يقظته ولا يستيقظ الا على ما كان عليه في نومه كذلك لا يموت المرء الا على ما عاش عليه ولا يحشر الا على ما مات عليه وتحقق قطعا ويقينا ان الموت والبعث حالتان من احوالك كما ان النوم واليقظة حالتان من احوالك وآمن بهذا تصديقا باعتقاد القلب ان لم تكن اهلا لمشاهدة ذلك بعين اليقين ونور البصيرة وراقب انفاسك ولحظاتك واياك ان تغفل عن الله طرفة عين فانك اذا فعلت ذلك كله كنت مع ذلك في خطر عظيم فكيف اذا لم تفعل فالناس كلهم هلكى الا العالمون والعالمون كلهم هلكى الا العاملون والعاملون كلهم هلكى الا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم واعلم ان ذلك لا يتيسر لك ما لم تقنع من الدنيا بقدر ضرورتك وضرورتك مطعم وملبس ومسكن والباقي كله فضول والضرورة من المطعم ما يقيم صلبك ويسد رمقك فينبغي ان يكون تناولك تناول مضطر كاره له ولا يكون رغبتك فيه اكثر من رغبتك في قضاء حاجتك اذ لا فرق بين ادخال الطعام في البطن وبين اخراجه فهما ضرورتان في الجبلة وكما لا يكون قضاء الحاجة من همتك التي يشتغل بها قلبك فلا ينبغي ان يكون تناول الطعام من همتك واعلم انه ان كان همتك ما يدخل بطنك فقيمتك ما يخرج من بطنك واذا لم يكن قصدك من الطعام الا التقوي على عبادة الله كقصدك من قضاء حاجتك فعلامة ذلك يظهر في ثلاثة امور من ماكولك في وقته وقدره وجنسه اما الوقت فاقله ان تكتفي في اليوم والليلة بمرة واحدة فتواظب على الصوم واما قدره فان لا تزيد على ثلث البطن واما جنسه فان لا تطلب اللذيذ من الاطعمة بل تقنع بما يتفق فان قدرت على هذه الثلث وسقطت عنك مؤنة الشهوات اللذائذ قدرت بعد ذلك على ترك الشبهات وامكنك ان لا تاكل الا من حله فان الحلال يعز ولا يفي بالشهوات واما ملبسك فليكن غرضك منه دفع الحر والبرد وستر العورة فكل ما دفع البرد عن راسك ولو قلنسوة بدانق فطلبك غيرها فضول منك يضيع زمانك ويلزمك الشغل الدائم والعناء القائم في تحصيله بالكسب مرة والطمع اخرى من الحرام والشبهة وقس بهذا ما يدفع به الحر والبرد عن بدنك فكل ما يحصل مقصود اللباس ان لم تكتف به في خساسة قدره وجنسه لم يكن لك موقف ومرد بعده بل كنت ممن لا يملأ بطنه الا التراب وكذلك المسكن ان اكتفيت بمقصوده كفاك السماء سقفا والارض مستقرا فان غلبك حر او برد فالمساجد فان طلبت مسكنا خاصا طال عليك وانصرف اليه اكثر عمرك وعمرك هو بضاعتك ثم ان تيسر لك فقصدت من الحائط سوى كونه حائلا بينك وبين الابصار ومن السقف سوى كونه دافعا للامطار فاخذت ترفع الحيطان وتزين السقوف فقد تورطت في مهواة يبعد ترقيك منها وهكذا جميع ضرورات امرك فان اقتصرت عليها تفرغت لله كله وقدرت على التزود لآخرتك والاستعداد لخاتمتك وان جاوزت حد الضرورة الى اودية الاماني تشعبت همومك ولم يبال الله في اي واد اهلكك فاقبل هذه النصيحة ممن هو احوج الى النصيحة منك

واعلم ان متسع التدبير هالتى وهي تسويفك او غفلتك فربما اختطفت فجأة في غير وقت ارادتك ولم يفارقك حسراتك وندامتك فان كنت لا تقدر على ملازمة ما ارشدت اليه لضعف خوفك اذ لم يكن فيما وصفناه من امر الخاتمة كفاية في تخويفك فانا نورد عليك من احوال الخائفين ما نرجو انه يزيل بعض القساوة عن قلبك فانك تتحقق ان عقل الانبياء والاولياء والعلماء وعلمهم ومكانهم عند الله لم يكن دون عقلك وعلمك ومكانك فتامل مع كلال بصيرتك وعمش عينك في احوالهم لم اشتد بهم الخوف وطال بهم الحزن والبكاء حتى كان بعضهم يصعق وبعضهم يدهش وبعضهم يسقط مغشيا عليه وبعضهم يخر ميتا الى الارض ولا غرو لو كان ذلك لا يؤثر في قلبك فان قلوب الغافلين مثل الحجارة او اشد قسوة وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون

بيان احوال الانبياء في الخوف

روت عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا تغير الهواء وهبت ريح عاصفة يتغير وجهه ويقوم ويتردد في الحجرة ويدخل ويخرج كل ذلك خوفا من عذاب الله وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم آية في سورة الحاقة فصعق وقال الله تعالى وخر موسى صعقا ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم صورة جبريل بالابطح فصعق وروي انه عليه الصلوة والسلام كان اذا دخل في الصلوة يسمع لصدره ازيز كازيز المرجل وقال صلى الله عليه وسلم ما جاءني جبريل قط الا وهو يرعد فرقا من الجبار وقيل لما ظهر على ابليس ما ظهر طفق جبريل وميكائيل عليهما السلام يبكيان فاوحى الله اليهما ما لكما تبكيان كل هذا البكاء فقالا يا رب ما نأمن مكرك فقال الله تعالى هكذا كونا لا تأمنا مكري وقال ابن عمر خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخل بعض حيطان الانصار فجعل يلتقط من التمر ويأكل فقال يا ابن عمر ما لك لا تأكل فقلت يا رسول الله لا اشتهيه قال لكني اشتهيه وهذا صبح رابعة منذ لم اذق طعاما ولم اجده ولو سألت ربي لاعطاني ملك كسرى وقيصر فكيف بك يا ابن عمر اذا بقيت في قوم يخبئون رزق سنتهم ويضعف اليقين في قلوبهم قال فوالله ما برحنا ولا قمنا حتى نزلت وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم وهو السميع العليم قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لم يأمرني بكنز المال ولا باتباع الشهوات من كنز دنيا يريد بها حياة فانية فان الحياة بيد الله الا واني لا اكنز دينارا ولا درهما ولا اخبأ رزقا لغد وقال ابو الدرداء كان يسمع ازيز قلب ابرهيم خليل الرحمن صلوات الله عليه اذا قام في الصلوة من مسيرة ميل خوفا من ربه تعالى وقال مجاهد بكى داود عليه السلام اربعين يوما ساجدا لا يرفع راسه فنودي يا داود اجائع انت فتطعم ام ظمآن فتسقى ام عار فتكسى فنحب نحبة هاج العود فاحترق من حر جوفه ثم انزل الله تعالى عليه التوبة والمغفرة فقال يا رب اجعل خطيئتي في كفي فصارت خطيئته في كفه مكتوبة فكان لا يبسط كفه لطعام ولا لشراب ولا لغيرهما الا رآها فابكته قال وكان يؤتى بالقدح ثلثاه ماء فاذا تناوله ابصر خطيئته فما يضعه على شفته حتى يفيض القدح من دموعه ويروى عنه عليه السلام انه ما رفع راسه الى السماء حتى مات حياء من الله تعالى وكان يقول في مناجاته الهي اذا ذكرت خطيئتي ضاقت علي الارض برحبها واذا ذكرت رحمتك ارتدت الي روحي سبحانك الهي اتيت اطباء عبادك ليداووا خطيئتي فكلهم عليك يدلني فبؤسا للقانطين من رحمتك وقال الفضيل بلغني ان داود عليه السلام ذكر ذنبه ذات يوم فوثب صارخا واضعا يده على راسه حتى لحق بالجبال فاجتمعت اليه السباع فقال ارجعوا لا اريدكم انما اريد كل بكاء على خطيئته فلا يستقبلني الا بالبكاء ومن لم يكن ذا خطيئة فما يصنع بداود الخطاء وكان يعاتب في كثرة البكاء فيقول دعوني ابكي قبل خروج يوم البكاء قبل تحريق العظام واشتعال الحشا وقبل ان يؤمر بي ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وقال عبد العزيز بن عمير لما اصاب داود الخطيئة نقص صوته فقال الهي بح صوتي في صفاء اصوات الصديقين وروي انه عليه السلام لما طال بكاؤه ولم ينفعه ذلك ضاق ذرعه واشتد غمه قال يا رب اما ترحم بكائي فاوحى الله عز وجل اليه يا داود نسيت ذنبك وذكرت بكاءك

فقال الهي وسيدي كيف انسى ذنبي وكنت اذا تلوت الزبور كف الماء الجاري عن جريانه وسكن هبوب الريح واظلني الطير
على راسي وانست الوحوش الى محرابي الهي وسيدي فما هذه الوحشة التي بيني وبينك فاوحى الله تعالى يا داود ذلك
انس الطاعة وهذه وحشة المعصية يا داود آدم خلق من خلقي خلقته بيدي ونفخت فيه من روحي واسجدت له ملائكتي
والبسته ثوب كرامتي وتوجته بتاج وقاري وشكى الي الوحدة فزوجته حوا امتي واسكنته جنتي عصاني فطردته عن جواري
عريانا ذليلا يا داود اسمع مني والحق اقول اطعتنا فاطعناك وسالتنا فاعطيناك وعصيتنا فامهلناك وان عدت الينا
على ما كان منك قبلناك وقال يحيى بن ابي كثير بلغنا ان داود عليه السلم كان اذا اراد ان ينوح مكث قبل ذلك سبعا لا ياكل
الطعام ولا يشرب الشراب ولا يقرب النساء فاذا كان قبل ذلك بيوم اخرج له منبر الى البرية فيامر سليمن ان ينادي بصوت
البلاد وما حولها من الغياض والآكام والجبال والبراري والصوامع والبيع فينادي فيها الا من اراد ان يسمع
نوح داود فليات قال فياتي الوحوش من البراري والآكام وياتي السباع من الغياض وياتي الهوام من الجبال وياتي
الطير من الاوكار وياتي العذارى من خدورهن ويجتمع الناس لذلك اليوم وياتي داود حتى يرقى على المنبر ويحيط
به بنو اسرائيل وكل صنف على حدته محيطون به وسليمن صلى الله عليه وسلم قائم على راسه فياخذ في الثناء على ربه فيضجون
بالبكاء والصراخ ثم ياخذ في ذكر الجنة والنار فيموت الهوام وطائفة من الوحوش والسباع والناس ثم ياخذ في اهوال
القيامة وفي النياحة على نفسه فيموت من كل نوع طائفة فاذا راى سليمن كثرة الموتى قال يا ابتاه قد مزقت المستمعين كل
ممزق وماتت طوائف من بني اسرائيل ومن الوحوش والهوام فياخذ في الدعاء فبينا هو كذلك اذ ناداه بعض عباد بني اسرائيل
يا داود عجلت بطلب الجزاء على ربك قال فخر داود مغشيا عليه فلما نظر سليمان الى ما اصابه اتى بسرير فحمله عليه ثم امر
مناديا ينادي الا من كان له مع داود حميم او قريب فليات بسرير فليحمله فان الذين كانوا معه قد قتلهم ذكر الجنة والنار
فكانت المراة تاتي بالسرير وتحمل قريبها وتقول يا من قتله ذكر النار يا من قتله خوف النار ثم اذا افاق داود قام ووضع
يده على راسه ودخل بيت عبادته واغلق بابه ويقول يا اله داود اغضبان انت على داود ولا يزال يناجي فياتي فيقف على الباب
ويستاذن ثم يدخل ومعه قرص من شعير فيقول يا ابتاه تقو بهذا على ما تريد فياكل من ذلك القرص ما شاء الله ثم يخرج الى
بني اسرائيل فيكون بينهم وقال يزيد الرقاشي خرج داود ذات يوم الى الناس يعظهم ويخوفهم فخرج في اربعين الفا فمات
ثلثون الفا وما رجع الا في عشرة الاف قال وكان له جاريتان اتخذهما حتى اذا جاء الخوف وسقط فاضطرب قعدتا على صدره
ورجليه مخافة ان تتفرق اعضاؤه ومفاصله فيموت وقال عمر بن عبد العزيز دخل يحيى بن زكريا عليهما السلام بيت المقدس وهو ابن
ثماني حجج فنظر الى عبادهم قد لبسوا مدارع الشعر والصوف ونظر الى مجتهديهم قد خرقوا التراقي وسلكوا فيها السلاسل و
شدوها الى اطراف بيت المقدس فهاله ذلك فرجع الى ابويه فمر بصبيان يلعبون فقالوا له يا يحيى هلم بنا نلعب فقال اني
لم اخلق للعب قال فاتى ابويه فسالهما ان يدرعاه الشعر ففعلا فرجع الى بيت المقدس فكان يخدمه نهارا ويصبح فيه ليلا حتى
اتت عليه خمس عشرة سنة فخرج ولزم اطواد الارض وغيران الشعاب فخرج ابواه في طلبه فادركاه على بحيرة الاردن وقد
انقع رجليه في الماء وقد كاد العطش يذبحه وهو يقول وعزتك وجلالك لا اذوق بارد الشراب حتى اعلم اين مكاني منك
فساله ابواه ان يفطر على قرص كان معهما من شعير ويشرب من ذلك الماء ففعل وكفر عن يمينه فمدح بالبر فرده ابواه الى بيت
المقدس فكان اذا قام يصلي بكى حتى يبكي معه الشجر والمدر ويبكي زكريا لبكائه حتى يغمى عليه فلم يزل يبكي حتى اخرقت دموعه لحم

لحم خديه وبدت اضراسه للناظرين فقالت له امه يا بني لو اذنت لي اتخذ لك شيئا توارى به اضراسك عن الناظرين
فاذن فعمدت الى قطعتي لبود فالصقتهما على خديه وكان اذا قام يصلي بكى فاذا استنقعت دموعه يسيل على ذراعي امه
قال اللهم هذه دموعي وهذه امي وانا عبدك وانت ارحم الراحمين فقال له يوما زكريا يا بني انما سالت ربي ان يهبك لي لتقر
عيني بك فقال يحيى يا ابة ان جبرئيل اخبرني ان بين الجنة والنار مفازة لا يقطعها الا كل بكاء فقال زكريا فابك يا يحيى وقال
عيسى صلوات الله عليه معشر الحواريين خشية الله وحب الفردوس يورثان الصبر على المشقة ويباعدان من الدنيا بحق
اقول لكم ان اكل الشعير والنوم على المزابل مع الكلاب في طلب الفردوس قليل وقيل كان الخليل صلى الله عليه وسلم اذا ذكر خطيئته
يغشى عليه ويسمع اضطراب قلبه ميلا في ميل فياتيه جبرئيل فيقول له الجبار يقرئك السلام ويقول هل رايت خليلا يخاف خليله
فيقول يا جبرئيل اذا ذكرت خطيئتي نسيت خلتي فهذه احوال الانبياء عليهم الصلوة ودونك والتامل فيها فانهم اعرف خلق الله
بالله سبحانه وبصفاته **بيان** احوال الصحابة والتابعين والسلف الصالحين رضي الله عنهم اجمعين في شدة الخوف قال ابو بكر
الصديق رضي الله عنه لطير ليتني مثلك يا طير ولم اخلق بشرا وقال ابو ذر وددت اني شجرة تعضد وكذا قال طلحة وقال عثمن
وددت اني اذا مت لم ابعث وقالت عائشة وددت اني كنت نسيا منسيا وكان في وجه عمر خطان اسودان من الدموع وقال
عمر من خاف الله لم يشف غيظه ومن اتقى الله لم يصنع ما يريد ولولا يوم القيمة لكان غير ما ترون ولما قرا عمر اذا الشمس كورت
فانتهى الى قوله واذا الصحف نشرت خر مغشيا عليه ومر يوما بدار انسان وهو يصلي ويقرا سورة والطور فوقف يستمع فلما
بلغ قوله ان عذاب ربك لواقع نزل عن حماره واستند الى حائط ومكث زمانا ورجع الى منزله فمرض شهرا يعوده الناس
لا يدرون ما مرضه وقال علي رضي الله عنه وقد سلم عن صلوة الفجر وقد علاه كابة وهو يقلب يده لقد رايت اصحاب محمد صلى
الله عليه وسلم فلم ار اليوم شيئا يشبههم لقد كانوا يصبحون شعثا غبرا بين اعينهم امثال ركب المعزى قد باتوا لله سجدا وقياما
يتلون كتاب الله يراوحون بين جباههم واقدامهم فاذا اصبحوا وذكروا الله مادوا كما يميد الشجر في يوم الريح وهملت اعينهم
الدموع حتى تبل ثيابهم والله كاني بالقوم باتوا غافلين ثم قام فما رؤي بعد ذلك ضاحكا حتى ضربه ابن ملجم لع وروي ان عمر رضي الله عنه
كان يسقط من الخوف اذا سمع اية من القران مغشيا عليه وكان يعاد اياما واخذ يوما تبنة فقال يا ليتني كنت هذه التبنة يا ليتني لم اكن
شيئا مذكورا يا ليتني لم تلدني امي يا ليتني كنت نسيا منسيا وقال عمران بن الحصين لوددت اني رماد تسفيني الرياح في يوم
عاصف وقال ابو عبيدة بن الجراح وددت اني كبش فيذبحني اهلي فياكلون لحمي ويحسون مرقي وكان علي بن الحسين اذا توضا اصفر
لونه فيقول له اهله ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء فيقول اتدرون بين يدي من اريد ان اقوم وقال موسى بن مسعود اذا
جلسنا الى سفين الثوري كان النار قد احاطت بنا لما نرى من جزعه وخوفه وقال مالك بن دينار بينما اطوف بالبيت اذا انا بجويرية
متعبدة متعلقة باستار الكعبة وهي تقول يا رب كم من شهوة ذهبت لذاتها وبقيت تبعاتها يا رب اما كان لك ادب وعقوبة
الا النار وتبكي فما زال ذلك مقامها حتى طلع الفجر قال مالك فلما رايت ذلك وضعت يدي على راسي صارخا اقول ثكلت
مالكا امه ويروى ان الفضيل راى يوم عرفة والناس يدعون وهو يبكي بكاء الثكلى المحترقة حتى اذا كادت الشمس تغرب
قبض على لحيته ثم رفع راسه الى السماء وقال واسوأتاه منك وان غفرت ثم انقلب مع الناس وسئل ابن عباس عن الخائفين فقال
قلوبهم بالخوف قرحة واعينهم باكية يقولون كيف نفرح والموت من ورائنا والقبر امامنا والقيامة موعدنا وعلى جهنم طريقنا
وبين يدي ربنا موقفنا ومر الحسن رضي الله عنه بشاب وهو مستغرق في ضحك وهو جالس مع قوم في مجلس فقال له الحسن يا فتى هل

هل مررت بالصراط قال لا قال وهل تدري الى الجنة تصير ام الى النار قال لا قال فما هذا الضحك قال فما رأى ذلك الفتى بعدها ضاحكا وكان حماد بن عبد ربه اذا جلس جلس مستوفزا على قدميه فيقال له لو اطمأنيت فيقول تلك جلسة الامن وانا غير آمن اذ عصيت الله عز وجل وقال عمر بن عبد العزيز انما جعل الله هذه الغفلة رحمة في قلوب العباد كيلا يموتوا من خشية الله وقال مالك بن دينار لقد هممت اذا انا مت ان امركم ان تقيدوني وتغلوني ثم ينطلق بي الى ربي كما ينطلق بالآبق الى سيده وقال حاتم الاصم لا تغتر بموضع صالح فلا مكان اصلح من الجنة فلقي آدم عليه السلم فيها ما لقي ولا تغتر بكثرة العبادة فان ابليس بعد طول عبادته لقي ما لقي ولا تغتر بكثرة العلم فان بلعام كان يحسن اسم الله الاعظم فانظر ماذا لقي ولا تغتر برؤية الصالحين فلا شخص اكبر من المصطفى عليه الصلوة والسلم لم ينتفع بلقائه اقاربه واعداؤه وقال السري اني لانظر الى انفي مرات مخافة ان يكون قد اسود وقال ابو حفص منذ اربعين سنة اعتقادي في نفسي ان الله ينظر الى نظر السخط واعمالي تدل على ذلك وخرج ابن المبارك يوما على اصحابه فقال اني اجترأت البارحة على الله سألته الجنة وقالت ام محمد بن كعب القرظي لابنها يا بني اني اعرفك صغيرا طيبا وكبيرا طيبا وكأنك احدثت حدثا موبقا لما اراك تصنع في ليلك ونهارك فقال يا اماه ما يؤمنني ان يكون الله عز وجل قد اطلع علي وانا على بعض ذنوبي فمقتني وقال وعزتي لا غفرت لك وقال الفضيل اني لا اغبط نبيا مرسلا ولا ملكا مقربا ولا عبدا صالحا اليس هؤلاء يعاينون يوم القيمة انما اغبط من لم يخلق وروي ان فتى من الانصار دخلته خشية النار وكان يبكي حتى حبسه ذلك في البيت فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فدخل عليه واعتنقه فخر ميتا فقال النبي صلى الله عليه وسلم جهزوا صاحبكم فان الفرق من النار فتت كبده وروي عن ابن ميسرة انه كان اذا آوى الى فراشه قال يا ليت امي لم تلدني فقالت له امه يا ميسرة ان الله تعالى قد احسن اليك هداك للاسلام فقال اجل ولكن الله تعالى قد بين لنا انا واردوا النار ولم يبين لنا انا صادرون عنها وقيل لفرقد السبخي اخبرنا باعجب شيء بلغك عن بني اسرائيل فقال بلغني انه دخل بيت المقدس خمسمائة عذراء لباسهن الصوف والمسوح فتذاكرن ثواب الله وعقابه فمتن جميعا في يوم واحد وكان عطاء السلمي من الخائفين وكان لا يسأل الجنة ابدا وكان يسأل العفو وقيل له في مرضه الا تشتهي شيئا فقال ان خوف جهنم لم يدع في قلبي موضعا للشهوة ويقال انه ما رفع رأسه الى السماء ولا ضحك اربعين سنة وانه رفع رأسه يوما ففزع فسقط فانفتق في بطنه فتق وكان يمس جسده في بعض الليل مخافة ان يكون قد مسخ وكان اذا اصابتهم ريح او برق او غلاء طعام فقال هذا من اجلي يصيبهم لو مات عطاء لاستراح الناس وقال عطاء خرجنا مع عتبة الغلام وفينا كهول وشبان يصلون صلوة الفجر بطهور العشاء قد تورمت اقدامهم من طول القيام وغارت اعينهم في رؤسهم ولصقت جلودهم على عظامهم وبقيت العروق كأنها الاوتار يصبحون كأن جلودهم قشور البطيخ وكأنهم قد خرجوا من القبور يخبرون كيف اكرم الله المطيعين وكيف اهان العاصين فبينا هم يمشون اذ مر عتبة بمكان فخر مغشيا عليه فجلس اصحابه حوله يبكون في يوم شديد البرد وجبينه يرشح عرقا فجاؤا بماء فمسحوا وجهه فافاق فسألوا عن امره فقال اني ذكرت اني كنت عصيت الله في ذلك المكان وقال صالح المري قرأت على رجل من المتعبدين يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا فصعق ثم افاق وقال زدني يا صالح فاني اجد غما فقرأت كلما ارادوا ان يخرجوا منها من غم اعيدوا فيها فخر ميتا وروي ان زرارة بن اوفى صلى بالناس صلوة الغداة فلما قرأ فاذا نقر في الناقور خر مغشيا عليه فحمل ميتا ودخل يزيد الرقاشي على عمر بن عبد العزيز فقال عظني يا يزيد فقال يا امير المؤمنين اعلم انك لست اول خليفة يموت فبكى

فبكى وقال زدني فقال يا امير المؤمنين ليس بينك وبين الجنة والنار منزل فسقط مغشيا عليه وقال ميمون بن مهران لما نزلت هذه الاية وان جهنم لموعدهم اجمعين صاح سلمان الفارسي ووضع يده على رأسه ثم خرج هاربا ثلاثة ايام لا يقدر عليه ورأى داود الطائي امرأة تبكي على رأس والدها وهي تقول يا ابتاه ليت شعري اي خديك بدأ به الدود فصعق داود وسقط مكانه وقيل مرض سفيان الثوري فعرض بوله على طبيب ذمي فقال هذا رجل قطع الخوف كبده ثم جاء وجسه ثم قال ما علمت ان في الحنيفية مثله وقال احمد بن حنبل سألت الله تعالى ان يفتح علي بابا من الخوف ففتح فخفت على عقلي فقلت يا رب على قدر ما اطيق فسكن قلبي وقال عبد الله بن عمرو بن العاص ابكوا فان لم تبكوا فتباكوا فوالذي نفسي بيده لو يعلم العلم احدكم لصرخ حتى ينقطع صوته وصلى حتى ينكسر صلبه فكأنه اشار الى معنى قوله لو علمتم ما اعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا وقال العنبري اجتمع اصحاب الحديث على باب الفضيل بن عياض فاطلع عليهم من كوة وهو يبكي ولحيته تبكي تنقط فقال عليكم بالقرآن عليكم بالصلوة ليس هذا زمان حديث انما هذا زمان بكاء وتضرع واستكانة ودعاء كدعاء الغريق انما هذا زمان احفظ لسانك واخف مكانك وعالج قلبك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر ورأى الفضيل يوما وهو يمشي فقيل الى اين فقال لا ادري وكان يمشي والها من الخوف وقال ذر بن عمر لابيه عمر بن ذر ما بال المتكلمين يتكلمون فلا يبكي احد فاذا تكلمت سمعت البكاء من كل جانب فقال يا بني ليست النائحة الثكلى كالنائحة المستأجرة وحكي ان قوما وقفوا بعابد وهو يبكي فقالوا ما الذي يبكيك يرحمك الله قال روعة يجدها الخائفون في قلوبهم قالوا وما هي قال روعة النداء بالعرض على الله عز وجل وكان الخواص يبكي ويقول في مناجاته قد كبرت وضعف جسمي عن خدمتك فاعتقني وقال صالح المري قدم علينا ابن السماك مرة وقال ارني شيئا من بعض عجائب عبادكم فذهبت به الى رجل في بعض الاحياء في خص له فاستأذنا عليه فاذا رجل يعمل خوصا فقرأت اذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون فشهق الرجل شهقة وخر مغشيا عليه فذهبنا واستأذنا على ثالث فقال ادخلوا ان لم تشغلونا عن ربنا فقرأت ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد فشهق شهقة فبدر الدم من منخريه وجعل يتشحط في دمه حتى يبس فتركناه على حاله وخرجنا على ستة انفس كل نخرج من عنده ونتركه مغشيا عليه ثم اتيت به السابع فاستأذناه فاذا امرأة من وراء الخص تقول ادخلوا فدخلنا فاذا شيخ فان جالس في مصلاه فسلمنا عليه فلم يشعر بسلامنا فقلت بصوت عال ان للخلق غدا مقاما فقال الشيخ بين يدي من ويحك ثم بقي مبهوتا شاخصا بصره فاتحا فاه يصيح بصوت له ضعيف اوه اوه حتى انقطع ذلك الصوت فقالت امرأته اخرجوا فانكم لا تنتفعون به الساعة فلما كان بعد ذلك سألت عن القوم فاذا ثلاثة قد افاقوا وثلاثة قد لحقوا بالله واما الشيخ فانه مكث على حالته ثلثة ايام مبهوتا متحيرا لا يؤدي فرضا فلما كان بعد ثلث عقل وتخلت مولاة وكان يزيد بن الاسود يرى انه من الابدال وكان قد حلف ان لا يضحك ابدا ولا ينام مضطجعا ولا يأكل سمنا فما روي ضاحكا ولا مضطجعا ولا اكل سمنا حتى مات رحمه الله وقال الحجاج لسعيد بن جبير بلغني انك لم تضحك قط فقال كيف اضحك وجهنم قد سعرت والاغلال قد نصبت والزبانية قد اعدت وقال رجل للحسن يا ابا سعيد كيف اصبحت قال بخير قال كيف حالك فتبسم الحسن وقال تسألني عن حالي ما ظنك بناس ركبوا سفينة حتى توسطوا البحر فانكسرت سفينتهم فتعلق كل انسان منهم بخشبة على اي حال هم قال الرجل على حال شديدة قال الحسن حالي اشد من حالهم ودخلت مولاة لعمر بن عبد العزيز على عمر فسلمت عليه ثم قامت الى مسجد في بيته فصلت فيه ركعتين ثم غلبتها عيناها فرقدت فاشتكت في منامها فقالت يا امير المؤمنين اني رأيت والله عجبا قال وما ذاك قالت رأيت النار وهي تزفر على اهلها ثم جيء بالصراط فوضع على متنها فقال هيه قالت فجيء بعبد الملك بن مروان فحمل عليه فما مضى الا يسيرا حتى انكفأ به الصراط فهوى الى جهنم فقال هيه قالت ثم جيء بالوليد بن عبد الملك

فما مضى الاسير حتى انكفى به الصراط فهوى فقال عمر هيه قال ثم جئ بسليمان بن عبد الملك فما مضى عليه الا يسيرا حتى انكفى
به الصراط فهوى فقال عمر هيه ثم جئ بك والله يا امير المؤمنين فصاح عمر صيحة خر مغشيا عليه فقامت اليه فجعلت تنادي
في اذنه يا امير المؤمنين اني رايتك والله قد نجوت اني رايتك والله قد نجوت ثلثا قال وهي تنادي وهو يصيح ويفحص برجليه
ويحكى ان اويس القرني كان يحضر القاص فيبكي من كلامه فاذا ذكر النار صرخ اويس ثم يقوم منطلقا فيتبعه الناس ويقولون مجنون مجنون
وقال معاذ بن جبل المؤمن لا تسكن روعته حتى يخلف جسر جهنم وكان طاوس يفرش فراشه ثم يضطجع فيتقلى كما تتقلى الحبة في المقلى
ثم يثب فيدرج ويستقبل القبلة حتى الصباح ويقول طير ذكر جهنم نوم الخائفين وقال الحسن البصري يخرج من النار رجل بعد
الف عام ويا ليتني كنت ذلك الرجل وانما قال ذلك لخوفه من الخلود وسوء الخاتمة وروي انه ما ضحك اربعين سنة وكنت اذا رايته قاعدا
كانه اسير قدم لتضرب عنقه واذا تكلم كانه يعاين الاخرة فيخبر عن مشاهدتها فاذا سكت كان النار تسعر بين عينيه وعوتب
في شدة حزنه فقال ما يؤمنني ان يكون الله قد اطلع على بعض ما يكره مني فمقتني فقال اذهب فلا غفرت لك فانا اعمل في غير معمل
فهذه مخاوف الانبياء ونحن اجدر بالخوف منهم لكن ليس الخوف بكثرة الذنوب بل بصفاء القلوب وكمال المعرفة والا فليس منا القلة ذنوبنا
وكثرة طاعتنا بل قادتنا شهوتنا وغلبت علينا شقوتنا وصدتنا عن ملاحظة احوالنا غفلتنا وقسوتنا فلا قرب الرحيل ينبهنا
ولا كثرة الذنوب تحركنا ولا مشاهدة احوال الخائفين تخوفنا ولا خطر الخاتمة يزعجنا فنسال الله تعالى ان يتدارك بفضله وجوده
احوالنا فيصلحنا ان كان تحريك اللسان بمجرد السؤال دون الاستعداد ينفعنا ومن العجائب انا اذا اردنا المال في الدنيا زرعنا
وغرسنا واتجرنا وركبنا البحار والبراري وخاطرنا واذا اردنا طلب رتبة العلم تفقهنا وتعبنا في حفظه وتكراره وسهرنا في تحصيله
في طلب اقواتنا ولا نثق بضمان الله عنا ولا نجلس في بيوتنا فنقول اللهم ارزقنا ثم اذا طمحت اعيننا نحو الملك الدائم المقيم قنعنا
بان نقول بلساننا اللهم اغفر لنا وارحمنا والذي اليه رجاؤنا وبه اعتزازنا ينادينا ويقول وان ليس للانسان الا ما سعى ولا يغرنكم
بالله الغرور ويا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم كل ذلك لا ينبهنا ولا يخرجنا عن اودية الغرور والاماني فما هذه الا محنة هائلة
هائلة ان لم يتفضل الله علينا بل نساله ان يتوب علينا ويشوقنا الى التوبة ان يتوب على قلوبنا وان لا يجعل حركة اللسان بسؤال التوبة غاية حظنا ولنقتصر
من حكاية احوال الخائفين على ما اوردنا فان القليل من هذا يصادف القلب القابل فيكفي والكثير منه وان افيض على القلب الغافل
فلا يغني ولقد صدق الراهب الذي حكى عنه عيسى بن مالك الخولاني وكان من خيار العباد اذ راه على باب بيت المقدس واقفا
كهيئة المحزون من شدة الوله ما يكاد يرقا دمعه من كثرة البكا قال عيسى فلما رايته هالني منظره فقلت ايها الراهب وصني بوصية
احفظها عنك فقال يا اخي بماذا اوصيك ان استطعت ان تكون بمنزلة رجل قد احتوشته السباع والهوام فهو خائف حذر يخاف ان
يغفل فتفترسه السباع او يسهو فتنهشه الهوام فهو مذعور القلب وجل فهو في المخافة في ليله وان امن المغترون
وفي الحزن في نهاره وان فرح البطالون فانفعل ثم ولى وتركني فقلت لو زدتني شيا عسى ان ينفعني فقال الظمآن يجزيه من الماء
ايسره وقد صدق فان القلب الصافي يحركه ادنى مخافة والقلب الجامد ينبو عنه كل المواعظ وما ذكره من تقديره انه احتوشته
السباع والهوام فلا ينبغي ان يظن انه تقدير بل هو تحقيق فانك لو شاهدت بنور البصيرة باطنك لرايته مشحونا باصناف السباع
وانواع الهوام مثل الغضب والحسد والكبر والرياء وغيرها وهي التي لا تزال تفترسك وتنهشك ان سهوت عنها لحظة الا
انك محجوب العين عن مشاهدتها فاذا انكشف الغطاء ووضعت في قبرك عاينتها وقد تمثلت لك بصورها واشكالها الموافقة
لمعانيها فترى بعينيك العقارب والحيات قد احدقت بك في قبرك وانما هي صفاتك الحاضرة الآن قد انكشفت لك

لك صورتها فان اردت ان تقتلها وتقهرها وانت قبل الموت قادر عليها فافعل والا فوطن نفسك على لدغها
ونهشها لصميم فوادك فضلا عن ظاهر بشرتك وجسمك ٥ ٥ ٥ تم كتاب الخوف والرجا
وهو الكتاب الثالث من ربع المنجيات من كتاب احياء علوم الدين اسكن الله مولفه في اعلى عليين
ويتلوه كتاب الفقر والزهد ٥ والحمد لله على الانعام والشكر له على جزائل
الافضال والانعام والصلوة والسلام على خير الانام
محمد المكي افضل صلوة وسلام وعلى اله
العظام وصحبه الكرام
وسلم
تسليما

كتاب الفقر والزهد وهو الكتاب الرابع من المنجيات

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذي يسبح له الرمال ويسجد له الظلال وتندكدك من هيبته الجبال خلق الانسان من الطين اللازب والصلصال وزين صورته باحسن تقويم واتم اعتدال وعصم قلبه بنور الهداية عن ورطات الضلال واذن له في قرع باب الخدمة بالغدو والآصال ثم كحل بصيرة المخلص في خدمته بنور العبرة حتى لاحظ بضيائه نور الجلال ولاح من الحضرة البهاء والكمال ما استقبح دون مباديء اشراقه كل حسن وجمال فاستثقل ما صرفه عن مشاهدته وملازمته غاية الاستثقال وتمثل له ظاهر الدنيا في صورة جميلة تميس بحال وانكشف له باطنها عن عجوزة شوهاء تجنبت من طينة الخزي وضربت في قالب النكال وهي متلففة بجلبابها لتخفي قبائح اسرارها بلطائف السحر والاحتيال وقد نصبت حبائلها في مدارج الرجال فهي تقتنصهم بضروب المكر والاغترار ثم لا تخزي معهم بالخلف في مواعيد الوصال بل تقيدهم مع قطع الوصال بالسلاسل والاغلال وتبتليهم بانواع البلايا والانكال فلما انكشف للعارفين منها قبائح الاسرار والافعال زهدوا فيها زهد المبغض لها فتركوا التكاثر والتفاخر بالاموال واقبلوا بكنه همتهم على حضرة الجلال واثقين منها بوصال ليس دونه انفصال ومشاهدة ابدية لا يعتريها فناء ولا زوال والصلوة على سيد الانبيا وعلى آله واصحابه خير اصحاب وآل اما بعد

فان الدنيا عدوة لله عز وجل بغرورها ضل من ضل وبمكرها زل من زل فحبها راس الخطايا والسيئات وبغضها ام الطاعات واس الحسنات وقد استقصينا ما يتعلق بوصفها وذم الحب لها في كتاب ذم الدنيا من ربع المهلكات ونحن الان نذكر فضل البغض لها والزهد فيها فان راس المنجيات فلا مطمع في النجاة الا بالانقطاع عن الدنيا والبعد منها ولكن مقاطعتها اما ان يكون بانزوائها عن العبد ويسمى ذلك فقرا واما بانزواء العبد عنها ويسمى ذلك زهدا ولكل واحد منهما درجة في نيل السعادات وحظ في الاعانة على الفوز والنجاة ونحن الان نذكر حقيقة الفقر والزهد ودرجاتهما واقسامهما وشروطهما واحكامهما ونذكر الفقر في شطر من الكتاب والزهد في شطر آخر منه ونبدأ بذكر الفقر

الشطر الاول من الكتاب في الفقر

وفيه بيان حقيقة الفقر وبيان فضيلة الفقر وبيان فضيلة خصوص الفقراء وبيان فضل الفقر على الغنى وبيان آداب الفقير في فقره وبيان آدابه في قبول العطاء وبيان تحريم السؤال بغير ضرورة ومقدار الغنى المحرم للسؤال وبيان احوال السائلين

بيان حقيقة الفقر واختلاف احوال الفقير واساميه

اعلم ان الفقر عبارة عن فقد ما هو محتاج اليه اما فقد ما لا حاجة اليه لا يسمى فقرا وان كان المحتاج اليه موجودا مقدورا عليه لم يكن المحتاج فقيرا فاذا فهمت هذا لم تشك في ان كل موجود سوى الله فهو فقير لانه محتاج الى دوام الوجود في ثاني الحال ودوام وجوده مستفاد من فضل الله وجوده فان كان في الوجود موجود ليس وجوده مستفادا له من غيره فهو الغني المطلق ولا يتصور ان يكون مثل هذا الموجود الا واحدا فليس في الوجود الا غني واحد وكل من عداه فانهم محتاجون اليه ليمد وجودهم بالدوام والى هذا الحصر الاشارة بقوله تعالى والله الغني وانتم الفقراء هذا معنى الفقر مطلقا ولكنا لسنا نقصد بيان الفقر المطلق بل الفقر من المال على الخصوص والا فقر العبد بالاضافة الى اصناف حاجاته لا ينحصر لان حاجاته لا حصر لها ومن جملة حاجاته ما يتوصل اليها بالمال وهو الذي نريد الان بيانه فقط فنقول كل فاقد للمال فانا نسميه فقيرا بالاضافة الى المال الذي فقده اذا كان ذلك المفقود محتاجا اليه في حقه ثم يتصور ان يكون له خمسة احوال عند الفقر ونحن نميزها ونخصص كل حال باسم ليتوصل بالتمييز الى ذكر احكامها الحالة الاولى وهي العليا ان يكون بحيث لو اتاه المال لكرهه وتاذى به وهرب من اخذه مبغضا له ومحترزا من شره وشغله وهي الزهد واسم صاحبه الزاهد الثانية ان يكون بحيث لا يرغب فيه رغبة يفرح بحصوله ولا يكرهه كراهة يتاذى بها ويزهد فيه لو اتاه وصاحب هذه الحالة نسميه راضيا الثالثة ان يكون وجود المال احب اليه من عدمه لرغبة له فيه ولكن لم يبلغ من رغبته ان ينهض لطلبه بل ان اتاه عفوا صفوا اخذه وفرح به وان افتقر الى تعب في طلبه لم يشتغل به وصاحب هذه الحالة نسميه قانعا اذ قنع نفسه بالموجود حتى ترك الطلب مع ما فيه من الرغبة الضعيفة الرابعة ان يكون تركه للطلب لعجزه والا فهو راغب فيه رغبة لو وجد سبيلا الى طلبه ولو بالتعب لطلبه او هو مشغول بالطلب وصاحب هذه الحالة نسميه الحريص الخامسة ان يكون ما فقده من المال مضطرا اليه كالجائع الفاقد للخبز والعاري الفاقد للثوب ويسمى صاحب هذه الحالة مضطرا كيفما كانت رغبته في الطلب اما ضعيفة واما قوية وقلما تنفك هذه الحالة عن الرغبة فهذه خمسة احوال اعلاها الزهد والاضطرار ان انضم اليه الزهد وتصور ذلك فهو اقصى درجات الزهد كما سياتي ووراء هذه الخمسة حالة هي اعلى من الزهد وهي ان يستوي عنده وجود المال وفقده فان وجده لم يفرح به ولم يتاذ وان فقده فكذلك بل حاله مثل حال عائشة رضي الله عنها اذ اتاها مائة الف درهم من العطاء فاخذتها وفرقتها في يومها فقالت خادمتها لو اشتريت لنا بدرهم لحما تفطرين عليه فقالت لو ذكرتني لفعلت فمن هذا حاله فلو كانت الدنيا بحذافيرها في يده وخزائنه لم تضره اذ هو يرى الاموال في خزانة الله لا في يد نفسه ولا يفرق بين ان يكون في يده او في يد غيره وينبغي ان نسمي صاحب هذه الحالة المستغني لانه غني عن فقد المال ووجوده جميعا وليفهم من هذا الاسم معنى يفارق اسم الغني المطلق على الله تعالى وعلى من كثر ماله من العباد فان من كثر ماله من العباد وهو يفرح به فهو فقير الى بقاء المال في يده وانما هو غني عن دخول المال في يده لا عن بقائه فهو اذن فقير من وجه واما هذا الشخص فهو غني عن دخول المال في يده وعن بقائه في يده وعن خروجه من يده ايضا فانه ليس يتاذى به ليحتاج الى الخروج وليس يفرح به ليحتاج الى البقاء وليس فاقدا له ليحتاج الى الدخول فغناه الى العموم اميل فهو الى الغنى الذي هو وصف الله اقرب وانما قرب العبد من الله بقرب الصفات لا بقرب المكان ولكنا لا نسمي صاحب هذه الحالة غنيا بل مستغنيا ليبقى الغني اسما لمن له الغنى المطلق عن كل شيء وهو الله واما هذا العبد فاذا استغنى عن المال وجودا وعدما فلم يستغن عن اشياء اخر سواه ولم يستغن عن مدد توفيق الله له ليبقى استغناؤه الذي زين الله به قلبه فان القلب المقيد بحب المال رقيق والمستغني عنه حر والله تعالى هو الذي اعتقه عن هذا الرق فهو يحتاج الى دوام هذا العتق والقلوب متقلبة بين الرق والحرية في اوقات متقاربة لانه بين اصبعين من اصابع الرحمن ولذلك لم يكن اسم الغني مع هذا الكمال الا مجازا واعلم ان الزهد درجة هي كمال الابرار وصاحب هذه الحالة من المقربين فلا جرم صار الزهد في حقه نقصانا اذ حسنات الابرار سيئات المقربين وهذا لان الكاره للدنيا مشغول بالدنيا

كما ان الراغب فيها مشغول بها والمشغول بما سوى الله محجوب عن الله تعالى اذ لا بعد بينك وبين الله حتى يكون البعد حجابا
فانه اقرب اليك من حبل الوريد وليس هو في مكان حتى تكون السموات والارض حجابا بينك وبينه لا شغلك بغيره وشغلك
بنفسك وبشهواتك شغل بغيره وانت لا تزال مشغولا بنفسك وبشهواتك فلذلك لا تزال محجوبا عنه فالمشغول بحب نفسه
مشغول عن الله والمشغول ببغض نفسه ايضا مشغول عن الله بل كل ما سوى الله مثاله مثال الرقيب الحاضر في مجلس جمع العاشق
والمعشوق فان التفت قلب العاشق الى الرقيب والى بغضه واستثقاله وكراهة حضوره فهو في حالة اشتغال قلبه ببغضه
مصروف عن التلذذ بمشاهدة معشوقه ولو استغرقه العشق لغفل عن غير المعشوق ولم يلتفت اليه فكما ان النظر الى غير المعشوق
لحبه عند حضور المعشوق شرك في العشق ونقص فيه فكذا النظر الى غيره لبغضه شرك فيه ونقص ولكن احدهما اخف من الاخر بل
الكمال في ان لا يلتفت القلب الى غير المحبوب بغضا وحبا فانه كما لا يجتمع في القلب حبان في حالة واحدة لا يجتمع ايضا حب وبغض
في حالة واحدة فالمشغول ببغض الدنيا غافل عن الله كالمشغول بحبها الا ان المشغول بحبها غافل وهو في غفلته سالك في طريق
القرب اذ يرجى له ان ينتهي حاله الى ان تزول هذه الغفلة وتتبدل بالشهود فالكمال له مرتقب لان بغض الدنيا مطية توصل الى
الله فالمحب والمبغض كرجلين في طريق الحج مشغولين بركوب الناقة وعلفها وتسييرها ولكن احدهما يستدبر الكعبة والاخر يستقبل
ها فهما سيان بالاضافة الى الحال في ان كل واحد منهما محجوب عن الكعبة ومشغول عنها ولكن حال المستقبل محمود بالاضافة الى
المستدبر اذ يرجى له الوصول وليس محمودا بالاضافة الى المعتكف في الكعبة والملازم لها الذي لا يخرج منها حتى يفتقر الى الاشتغال
بالدابة في الوصول اليها فلا ينبغي ان يظن ان بغض الدنيا مقصود في عينه بل الدنيا عائق عن الله تعالى ولا وصول اليه الا بدفع العائق
ولذلك قال ابو سليمان الداراني من زهد في الدنيا واقتصر عليه فقد استعجل الراحة بل ينبغي ان يشتغل بالاخرة فبين ان سلوك
طريق الاخرة وراء الزهد كما ان سلوك طريق الحج وراء دفع الغريم العائق من الحج فاذن قد ظهر ان الزهد في الدنيا ان اريد به عدم
الرغبة في وجودها وعدمها فهو غاية الكمال وان اريد به الرغبة في عدمها فهو كمال بالاضافة الى درجة الراضي والقانع والحريص
ونقصان بالاضافة الى درجة المستغني بل الكمال في حق المال ان يستوي عندك الماء والمال وكثرة الماء في جوارك لا يؤذيك بل
تكون على شاطئ البحر ولا قلته يؤذيك الا في قدر الضرورة مع ان الماء محتاج اليه كما ان المال محتاج اليه فلا يكون قلبك
مشغولا بالفرار عن جوار الماء الكثير ولا ببغض الماء الكثير بل تقول اشرب منه بقدر الحاجة واسقي منه بقدر الحاجة ولا ابخل
به على احد فهكذا ينبغي ان يكون المال لان الخبز والماء واحد في الحاجة وانما الفرق بينهما في قلة احدهما وكثرة الاخر واذا عرفت
الله ووثقت بتدبيره الذي دبر به العالم علمت ان قدر حاجتك من الماء على ما سياتي بيانه في كتاب التوكل وقال احمد بن ابي الحواري
قلت لابي سليمان الداراني قال لي مالك بن دينار للمغيرة اذهب الى البيت فخذ الركوة التي اهديتها لي فان العدو يوسوس الي ان اللص
قد اخذها فقال ابو سليمان هذا من ضعف قلب الصوفية قد زهد في الدنيا ما عليه من اخذها فبين ان كراهته لكون الركوة في بيته
التفاته اليها بسببه الضعف والنقصان فان قلت فما بال الانبياء والاولياء هربوا من المال ونفروا كل النفار فاقول كما هربوا
من الماء على معنى انهم ما شربوا اكثر من حاجتهم فنفروا عما وراءها ولم يجمعوه في القرب والروايا يديرونها مع انفسهم بل تركوه في
الانهار والبراري للمحتاجين لا انهم كانت قلوبهم مشغولة بحبها او ببغضه وقد حملت خزائن الارض الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم والى ابي بكر وعمر فاخذوها ووضعوها في مواضعها وما هربوا منها اذ كان قد استوى عندهم الماء والمال والذهب
والحجر وما نقل عنهم من امتناع فاما ان ينقل عمن خاف لو اخذه ان يخدعه المال ويقيد قلبه فيدعوه الى الشهوات وهذا حال

حال الضعفاء لتقيد وابر في الترك اذ لو اقتدوا في الاخذ لهلكوا كما يقتل الرجل المعزم بين يدي اولاده من الحية لا لضعفه
عن اخذها ولكن لعلمه بانه لو اخذها لاخذها اولاده اذا راوها وهلكوا والسير بسير الضعفاء ضرورة الاولياء والانبياء والعلماء
فقد عرفت اذن ان المراتب ستة وان اعلاها رتبة المستغني ثم الزاهد ثم الراضي ثم القانع ثم الحريص واما المضطر
فيتصور في حقه ايضا الزهد والرضا والقناعة ودرجته تختلف بحسب اختلاف هذه الاحوال واسم الفقير يطلق على
هذه الخمسة اما تسمية المستغني فقيرا فلا وجه له بهذا المعنى بل ان سمي فقيرا فبمعنى اخر وهو معرفته بكونه محتاجا الى الله
تعالى في جميع اموره عامة وفي بقاء استغنائه عن المال خاصة فيكون اسم الفقير له كاسم العبد لمن عرف نفسه بالعبودية
واقر بها فانه احق باسم العبد من الغافلين وان كان اسم العبد عاما للخلق فكذلك اسم الفقير عام ومن عرف نفسه بالفقر الى
الله فهو احق باسم الفقير فاسم الفقير مشترك بين هذين المعنيين واذا عرفت هذا الاشتراك فهمت ان قوله عليه الصلوة والسلام
اعوذ بك من الفقر وكاد الفقر ان يكون كفرا لا يناقض قوله احيني مسكينا وامتني مسكينا اذ الفقر المضطر هو الذي استعاذ منه والفقر
الذي هو الاعتراف بالمسكنة والذلة والافتقار الى الله هو الذي ساله في دعائه **بيان** فضيلة الفقر مطلقا اما من الايات
فيدل عليه قوله تعالى للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم وقال تعالى للفقراء الذين احصروا في سبيل الله لا
يستطيعون ضربا في الارض ساق الكلام في معرض المدح ثم قدم وصفهم بالفقر على وصفهم بالهجرة والاحصار وفيه دلالة ظاهرة
على مدح الفقر واما الاخبار في مدح الفقر فاكثر من ان تحصى فقد قال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه
اي الناس خير فقالوا موسر من المال يعطي حق الله تعالى في نفسه وماله فقال نعم الرجل هذا وليس به قالوا فمن خير الناس يا رسول الله
فقال فقير يعطي جهده وقال صلى الله عليه وسلم لبلال الق الله فقيرا ولا تلقه غنيا وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يحب الفقير
المتعفف ابا العيال وفي الخبر المشهور يدخل فقراء امتي الجنة قبل اغنيائهم بخمسمائة عام وفي حديث اخر باربعين خريفا اي اربعين سنة
فيكون المراد به تقدير تقدم الفقير الزاهد على الغني الراغب وما ذكرناه من اختلاف درجات الفقير يعرفك بالضرورة تفاوتا بين
الفقراء في درجاتهم وكان الفقير الحريص على درجة من خمس وعشرين درجة من الفقير الزاهد اذ هذه نسبة الاربعين الى خمسمائة ولا تظنن
ان تقدير رسول الله صلى الله عليه وسلم يجري على لسانه جزافا وبالاتفاق بل لا ينطق صلى الله عليه وسلم الا بحقيقة الحق فانه لا ينطق عن
الهوى ان هو الا وحي يوحى وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة فانه تقدير تحقيق لا محالة
ولكن ليس في قوة غيره ان يعرف علة تلك النسبة الا بتخمين فاما بالتحقيق فلا اذ تعلم ان النبوة عبارة عما يختص به النبي ويفارق به غيره
وهو يختص بانواع من الخواص احدها انه يعرف حقائق الامور المتعلقة بالله وصفاته وملائكته والدار الاخرة لا كما يعلمه غيره
بل مخالفا له بكثرة المعلومات وبزيادة اليقين والتحقيق والكشف والثاني ان له في نفسه صفة بها تتم له الافعال الخارقة للعادات
كما ان لنا صفة بها تتم الحركات المقرونة بارادتنا واختيارنا وهي القدرة وان كانت القدرة والمقدور جميعا من فعل الله تعالى والثالث
ان للنبي صفة بها يبصر الملائكة ويشاهدهم كما ان للبصير صفة بها يفارق الاعمى حتى يدرك بها المبصرات والرابع ان له صفة بها
يدرك ما سيكون في الغيب اما في اليقظة واما في المنام اذ بها يطالع اللوح المحفوظ فيرى ما فيه من الغيب فهذه كمالات وصفات
يعرف ثبوتها للانبياء عليهم الصلوة ويعلم انقسام كل واحد الى اقسام وربما يمكننا ان نقسمها الى ست واربعين بحيث تقع الرؤيا
الصالحة جزءا واحدا منها ولكن تعيين طريق واحد من طرق التقسيمات الممكنة لا يكون الا بظن وتخمين ولا ندري تحقيقا انه الذي
اراده رسول الله صلى الله عليه وسلم ام لا واما المعلوم جامع الصفات التي بها تتم النبوة واصل انقسامها وذلك لا يرشدنا الى معرفة

الفقير الحريص على الغني الحريص تقدم
والتقدم بخمسمائة بقدر تقدم

علة التقدير وكذلك فعلم ان الفقرآء لهم درجات كما سبق فاما لم كان هذا الفقير الحريص مثلا على نصف سدس درجة الفقير الزاهد
حتى لم يقتضِ له التقدم باكثر من اربعين سنة الى الجنة واقتضى ذلك التقدم بخمسمائة عام فليس فى قوة غير الانبياء الوقوف على
ذلك الا بنوع من التخمين لا وثوق به والغرض التنبيه على منهاج التقدير فى مثل هذه الامور فان ضعيف الايمان قد يظن ان ذلك
يجرى من رسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل الاتفاق وحاشى منصب النبوة ذلك ولنرجع الى نقل الاخبار فقد قال صلى الله عليه وسلم
ايضا خير هذه الامة فقراؤها واسرعها مضجعا فى الجنة ضعفاؤها وقال صلى الله عليه وسلم ان لى حرفتين اثنتين فمن احبهما
فقد احبنى ومن ابغضهما فقد ابغضنى الفقر والجهاد وروى ان جبرئيل نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد ان الله يقرأ
عليك السلام ويقول اتحب ان اجعل هذه الجبال ذهبا وتكون معك حيث ما كنت فاطرق رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة ثم قال
يا جبرئيل ان الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له قد يجمعها من لا عقل له فقال له جبرئيل ثبتك الله بالقول الثابت يا محمد وروى
ان عيسى عليه السلم مر فى سياحته برجل نائم ملتف فى عباءة فايقظه وقال يا نائم قم فاذكر الله فقال ما تريد منى انى قد تركت الدنيا
لاهلها فقال له فنم اذا يا حبيبى ثم ومر موسى عليه السلم برجل نائم على التراب وتحت راسه لبنة ووجهه ولحيته فى التراب وهو متزر
بعباءة فقال يا رب عبدك هذا فى الدنيا ضائع فاوحى الله تعالى اليه يا موسى اما علمت انى اذا نظرت الى عبدى بوجهى كله زويت
عنه الدنيا كلها وعن ابى رافع انه قال ورد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فلم يجد عنده ما يصلحه فارسلنى الى رجل
من يهود خيبر وقال قل له يقول محمد اسلفنى او بعنى دقيقا الى هلال رجب قال فاتيته فقال لا والله الا برهن فاخبرت رسول الله
صلى الله عليه وسلم بذلك فقال اما والله انى لامين فى اهل السماء امين فى اهل الارض ولو باعنى او اسلفنى لاديت اليه اذهب
بدرعى هذا اليه فارهنه فلما خرجت نزلت هذه الاية ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحيوة الدنيا الاية
تعزية له عن الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم الفقر ازين للمؤمن من العذار الحسن على خد الفرس وقال صلى الله عليه وسلم من اصبح منكم
امنا فى سربه معافى فى جسمه عنده طعام يومه فكانما حيزت له الدنيا وقال كعب الاحبار قال الله تعالى لموسى عليه الصلوة
يا موسى اذا رايت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين وقال عطاء الخراسانى مر نبى من الانبياء بساحل فاذا هو برجل يصطاد حيتانا
فقال بسم الله والقى شبكته فلم يخرج فيها حوت ولا حدثم مر باخر فقال باسم الشيطان والقى شبكته فخرج فيها من الحيتان ما كان
يتقاعس من كثرتها فقال النبى صلى الله عليه وسلم يا رب ما هذا وقد علمت ان كل ذلك بيدك فقال الله عز وجل للملائكة اكشفوا لعبدى
عن منزلتيهما فلما راى ما اعد الله عز وجل لهذا من الكرامة ولذاك من الهوان قال رضيت يا رب وقال نبينا صلى الله عليه وسلم
اطلعت فى الجنة فرايت اكثر اهلها الفقراء واطلعت فى النار فرايت اكثر اهلها الاغنياء وفى لفظ الاخر فقلت اين الاغنياء
فقال حبسهم الجد وفى حديث اخر فرايت اكثر اهل النار النساء فقلت ما شانهن فقيل شغلهن الاحمران الذهب والزعفران وقال
صلى الله عليه وسلم تحفة المؤمن فى الدنيا الفقر وفى الخبر اخر الانبياء دخولا الجنة سليمن بن داود لمكان ملكه واخر اصحابى دخولا الجنة
عبد الرحمن بن عوف لاجل غناه وفى حديث اخر رايته دخل الجنة زحفا وقال عيسى صلوات الله عليه بشدة يدخل الغنى الجنة وفى
خبر عن اهل البيت انه صلى الله عليه وسلم قال اذا احب الله عبدا ابتلاه فاذا احبه الحب البالغ اقتناه قيل وما اقتناه قال لم يترك
له اهلا ولا مالا وفى الخبر اذا رايت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين واذا رايت الغنى مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته
وقال صلى الله عليه وسلم الهم من احبنى وذريتى من خلقك حتى احبهم لاجلك فقال كل فقير فقير فيحتمل ان يكون الثانى للتاكيد ويمكن ان يكون
المراد به شديد الفقر وقال عيسى انى لاحب المسكنة وابغض النعماء وكان احب الاسامى اليه ان يقال يا مسكين ولما قال سادات العرب

العرب واغنياؤها لرسول الله صلى الله عليه وسلم اجعل لنا يوما ولهم يوما يجيئون اليك ولا نجيء ويجيء اليك ولا يجيئون
يعنون الفقراء مثل بلال وسلمان وصهيب وابى ذر وخباب بن الارت وعمار بن ياسر وابى هريرة واصحاب الصفة من الفقراء رضوان
الله عليهم اجمعين فاجابهم النبى صلى الله عليه وسلم الى ذلك وذلك انهم شكوا اليه انهم يؤذيهم رائحتهم وكان لباس الصوف
فى شدة الحر واذا عرقوا فاحت الروائح من ثيابهم فاشتد على الاغنياء ذلك منهم الاقرع بن حابس التميمى وعيينة بن بدر الفزارى
وعباس بن مرداس السلمى فاجابهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ان لا يجمعهم واياهم مجلس فنزل عليه قوله تعالى واصبر نفسك
مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم يعنى الفقراء تريد زينة الحيوة الدنيا يعنى
الاغنياء ولا تطع من اغفلنا قلبه يعنى الاغنياء وقل الحق من ربكم مع الفقراء فمن شاء فليؤمن الاية ولما استاذن ابن ام مكتوم على النبى
صلى الله عليه وسلم وعنده رجل من اشراف قريش فشق ذلك على النبى صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى عبس وتولى ان جاءه
الاعمى وما يدريك لعله يزكى يعنى ابن ام مكتوم اما من استغنى فانت له تصدى يعنى هذا الشريف وقال صلى الله عليه وسلم
دخلت الجنة فسمعت حركة امامى فنظرت فاذا بلال ونظرت فى اعلاها فاذا فقراء امتى واولادهم ونظرت فى اسفلها فاذا فيها
من الاغنياء والنساء قليل فقلت يا رب ما شانهم قال اما النساء فاضر بهن الاحمران الذهب والحرير واما الاغنياء
فاشتغلوا بطول الحساب وتفقدت اصحابى فلم ار عبد الرحمن بن عوف ثم جاءنى بعد ذلك وهو يبكى فقلت ما خلفك عنى
فقال اما والله يا رسول الله ما خلصت اليك حتى لقيت المشيبات وظننت انى لا اراك فقلت ولم قال كنت احاسب بمالى
فانظر الى هذا وعبد الرحمن صاحب السابقة العظيمة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو من العشرة المخصوصين بانهم من اهل الجنة
وهو من الاغنياء الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الا من قال بالمال هكذا وهكذا ومع هذا فقد استضر بالغنى
الى هذا الحد ودخل صلى الله عليه وسلم على رجل فقير ولم ير له شيئا فقال لو قسم نور هذا على اهل الارض لوسعهم وقال صلى الله
عليه وسلم الا اخبركم بملوك الجنة قالوا بلى يا رسول الله قال كل ضعيف مستضعف اغبر اشعث ذى طمرين لو اقسم على الله لابره قال
عمران بن حصين كانت لى من رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلة وجاه فقال يا عمران ان لك عندنا منزلة وجاها فهل لك فى عيادة
بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت نعم بابى انت وامى يا رسول الله فقام وقمت معه حتى وقف بباب فاطمة فقرع الباب وقال
السلام عليكم ءادخل فقالت ادخل يا رسول الله قال ومن معى قالت ومن معك يا رسول الله قال عمران فقالت فاطمة والذى بعثك
بالحق نبيا ما على الا عباءة قال اصنعى بها هكذا وهكذا واشار بيده فقالت هذا جسدى قد واريته فكيف براسى فالقى اليها ملاءة كانت
عليه خلقة فقال شدى بها على راسك ثم اذنت له فدخل فقال السلام عليكم يا بنتاه كيف اصبحت فقالت اصبحت والله وجعة
وزادنى وجعا على ما بى انى لست اقدر على طعام اكله فقد اضر بى الجوع فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا تجزعى يا بنتاه
فوالله ما ذقت طعاما منذ ثلث وانى لاكرم على الله منك ولو سالت ربى لاطعمنى ولكن اثرت الاخرة على الدنيا ثم ضرب بيده
على منكبها وقال ابشرى فوالله انك لسيدة نساء اهل الجنة فقالت فاين اسية امراة فرعون ومريم بنت عمران قال اسية سيدة
نساء عالمها ومريم سيدة نساء عالمها وخديجة سيدة نساء عالمها وانت سيدة نساء عالمك انكن فى بيوت من قصب لا اذى فيه
ولا صخب ثم قال لها اقنعى بابن عمك فوالله لقد زوجتك سيدا فى الدنيا سيدا فى الاخرة واما الاثار فقد
قال ابو الدرداء رضى الله عنه ذو الدرهمين اشد حبسا او قال اشد حسابا من ذى الدرهم وارسل عمر رضى الله عنه الى سعيد بن
عامر بالف دينار فجاء كئيبا حزينا فقالت له امراته احدث امر فقال اشد من ذلك ثم قال اريد بى زينة الدنيا الخلق فشقه وجعله

صبورًا وفرقًا ثم قام يصلي ويبكي الى الغداة ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة عام حتى ان الرجل من الاغنياء يدخل في غمارهم فيؤخذ بيده فيستخرج وقال ابو هريرة ثلاثة يدخلون الجنة بغير حساب رجل يريد ان يغسل ثوبه فلم يكن له خلق يلبسه ورجل لم ينصب على مستوقد قدرين ورجل دعا بشرابه فلا يقال له ايها تريد وقيل جاء فقير الى مجلس الثوري فقال له تخط لو كنت غنيا ما قربتك وكان الاغنياء من اصحابه يودون انهم فقراء لكثرة تقريبه الفقراء واعراضه عن الاغنياء وقال المؤمل ما رأيت الغني اذل منه في مجلس الثوري وقال بعض الحكماء مسكين ابن آدم لو خاف من النار كما يخاف من الفقر لنجا منهما جميعا ولو رغب في الجنة كما يرهب في النار لفاز بهما جميعا ولو خاف الله في الباطن كما يخاف خلقه في الظاهر لسعد في الدارين جميعا وقال ابن عباس رضي الله عنه ملعون من اكرم بالغنى واهان بالفقر وقال لقمان لابنه لا تحقرن احدا لخلقان ثيابه فان ربك وربه واحد وقال يحيى بن معاذ حبك الفقراء من اخلاق المرسلين وايثارك مجالستهم من علامة الصالحين وفرارك من صحبتهم من علامة المنافقين وفي الاخبار عن الكتب السالفة ان الله تعالى اوحى الى بعض انبيائه احذر ان امقتك فتسقط من عيني فاصب عليك الدنيا صبا وكانت عائشة تفرق مائة الف درهم في يومها وجهه اليها معاوية وابن عامر وغيرهما وان درعها لمرقوع وتقول لها الجارية لو اشتريت لك بدرهم لحما تفطرين عليه وكانت صائمة فقالت لو ذكرتني لفعلت وكان قد اوصاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان اردت اللحوق بي فعليك بعيش الفقراء واياك ومجالسة الاغنياء ولا تنزعي درعا حتى ترقعيه وجاء رجل الى ابراهيم بن ادهم بعشرة آلاف درهم فابى عليه فقال ابراهيم تريد ان تمحو اسمي من ديوان الفقراء بعشرة آلاف لا افعل

بيان فضيلة خصوص الفقراء

من الفقراء الراضين والقانعين والصادقين وقال صلى الله عليه وسلم طوبى لمن هدي الى الاسلام وكان عيشه كفافا وقنع به وقال صلى الله عليه وسلم يا معشر الفقراء اعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم والا فلا فالاول للقانع وهذا للراضي ويكاد يشعر مفهومه بان الحريص لا ثواب له على فقره ولكن العمومات الواردة في فضل الفقر تدل على ان له ثوابا كما سيأتي تحقيقه فلعل المراد بعدم الرضا هو الكراهة لفعل الله في حبس الدنيا عنه ورب راغب في المال لا يخطر بقلبه انكار على الله وكراهة في فعله فتلك الكراهة هي التي تحبط ثواب الفقر وروى علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال احب العباد الى الله الفقير القانع برزقه الراضي عن الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا وقال ما من احد غني ولا فقير الا ود يوم القيامة انه كان اوتي قوتا في الدنيا واوحى الله تعالى الى اسمعيل صلى الله عليه وسلم اطلبني عند المنكسرة قلوبهم قال ومن هم قال الفقراء الصادقون وقال عليه الصلوة والسلام لا احد افضل من الفقير اذا كان راضيا وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى يوم القيامة اين صفوتي من خلقي فتقول الملائكة من هم يا ربنا فيقول فقراء المسلمين القانعين بعطائي الراضين بقدري ادخلوهم الجنة فيدخلونها ويأكلون ويشربون والناس في الحساب يترددون فهذا في القانع والراضي واما الزاهد فسنذكر فضله في الشطر الثاني من الكتاب واما الآثار في القناعة والرضا فكثيرة ولا يخفى ان القناعة تضاد الطمع وقد قال عمر رضي الله عنه ان الطمع فقر واليأس غنى وانه من يئس عما في ايدي الناس وقنع استغنى عنهم وقال ابن مسعود ما من يوم الا وملك ينادي تحت العرش يا ابن آدم قليل يكفيك خير من كثير يطغيك وقال ابو الدرداء ما من احد الا وفي عقله نقص وذلك انه اذا اتته الدنيا بالزيادة ظل فرحا مسرورا والليل والنهار دائبان في هدم عمره ثم لا يحزنه ذلك ويح ابن آدم ما ينفع مال يزيد وعمر ينقص وقيل لبعض الحكماء ما الغنى قال قلة تمنيك ورضاك بما يكفيك وقيل كان ابراهيم بن ادهم من اهل النعم بخراسان فبينما هو مشرف من قصر له ذات يوم

ذات يوم اذ نظر الى رجل في فناء قصره وبيده رغيف يأكله فلما اكل نام فقال لبعض غلمانه اذا قام فجئني به فلما قام جاء به اليه فقال ابراهيم ايها الرجل اكلت الرغيف وانت جائع قال نعم قال اشبعت قال نعم قال ثم نمت طيبا قال نعم فقال ابراهيم في نفسه فما اصنع انا بالدنيا والنفس تقنع بهذا القدر ومر رجل بعامر بن عبد قيس وهو يأكل ملحا وبقلا فقال الا ادلك على من رضي بشر من هذا قال بلى قال من رضي بالدنيا عوضا عن الآخرة وكان محمد بن واسع يخرج خبزا يابسا فيبله بالماء ويأكله بالملح ويقول من رضي من الدنيا بهذا لم يحتج الى احد وقال الحسن لعن الله اقواما اقسم الله عز وجل لهم ثم لم يصدقوه ثم قرأ وفي السماء رزقكم وما توعدون فورب السماء والارض الآية وكان ابو ذر يوما جالسا في الناس فاتته امرأته فقالت له اتجلس بين هؤلاء والله ما في البيت هفة ولا سفة فقال يا هذه ان بين ايدينا عقبة كؤودا لا ينجو منها الا كل مخف فرجعت وهي راضية وقال ذو النون اقرب الناس الى الكفر ذو فاقة لا صبر له وقيل لبعض الحكماء ما مالك فقال التجمل في الظاهر والقصد في الباطن واليأس مما في ايدي الناس ويروى ان الله عز وجل قال في بعض الكتب المنزلة يا ابن آدم لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها الا القوت فاذا انا اعطيتك منها القوت وجعلت حسابها على غيرك فانا اليك محسن وقيل في القناعة اضرع الى الله لا تضرع الى الناس واقنع بيأس فان العز في اليأس واستغن عن كل ذي قربى وذي رحم ان الغني من استغنى عن الناس وقيل

يا جامعا مانعا والدهر يرمقه ۞ مقدرا اي باب منه يغلقه ۞ مفكرا كيف تأتيه منيته ۞ اغاديا ام بها يسري فتطرقه ۞
جمعت مالا فقل هل جمعت له ۞ يا جامع المال اياما تفرقه ۞ المال عندك مخزون لوارثه ۞ ما المال مالك الا يوم تنفقه ۞
ارفه ببال فتى يغدو على ثقة ۞ ان الذي قسم الارزاق يرزقه ۞ فالعرض منه مصون ما يدنسه ۞ والوجه منه جديد ليس يخلقه ۞
ان القناعة من يحلل بساحتها ۞ لم يلق في ظلها هما يؤرقه ۞

بيان فضل الفقر على الغنى

اعلم ان الناس قد اختلفوا في هذا فذهب الجنيد والخواص والاكثرون الى تفضيل الفقر وقال ابن عطاء الغني الشاكر القائم بحقه افضل من الفقير الصابر فقال دعا الجنيد على ابن عطاء لمخالفته اياه فيه فاصابته محنة وقد ذكرنا هذا في كتاب الصبر ووجه التفاوت بين الصبر والشكر ومهدنا سبيل طلب الفضيلة في الاعمال والاحوال وان ذلك لا يمكن الا بتفصيل واما الفقر والغنى اذا اخذ مطلقا لم يسترب من قرأ الاخبار والآثار في تفضيل الفقر ولا بد فيه من تفصيل فنقول انما يتصور الشك في مقامين احدهما فقير صابر ليس بحريص على الطلب بل هو قانع او راض بالاضافة الى غني منفق ماله في الخيرات ليس حريصا على امساك المال والثاني فقير حريص مع غني حريص اذ لا يخفى ان الفقير القانع افضل من الغني الحريص الممسك وان الغني المنفق ماله في الخيرات افضل من الفقير الحريص اما الاول فربما يظن ان الغني افضل من الفقير لانهما تساويا في ضعف الحرص على المال والغني متقرب بالصدقات والخيرات والفقير عاجز عنه وهذا هو الذي ظنه ابن عطاء فيما نحسبه فاما الغني المتمتع بالمال وان كان في مباح فلا يتصور ان يفضل على الفقير القانع وقد يشهد له ما روي ان الفقراء شكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا سبق الاغنياء بالخيرات والحسنات والحج والجهاد فعلمهم كلمات في التسبيح وذكر لهم انهم ينالون بها فوق ما ناله الاغنياء فتعلم الاغنياء ذلك وكانوا يقولونه فعادوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وقد استشهد ابن عطاء لما سئل عنه فقال الغني افضل لانه وصف الحق اما دليله الاول ففيه نظر لان الخبر قد روي مفصلا تفصيلا يدل على خلاف ذلك وهو ان ثواب الفقير في التسبيح يزيد على ثواب الغني وان فوزهم بذلك الثواب فضل الله يؤتيه من يشاء فقد روى زيد بن اسلم عن انس بن مالك قال بعث الفقراء رسولا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني رسول الفقراء اليك

فقال مرحبا بك وبمن جئت من عندهم جئت من قوم احبهم قال قالوا يا رسول الله ان الاغنياء ذهبوا بالجنة يحجون ولا نقدر
عليه ويعتمرون ولا نقدر عليه واذا مرضوا بعثوا بفضل اموالهم ذخيرة لهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم بلغ عني الفقراء
ان لمن صبر واحتسب منكم ثلث خصال ليست للاغنياء اما الخصلة الواحدة فان في الجنة غرفا ينظر اليها اهل الجنة كما ينظر اهل
الارض الى نجوم السماء لا يدخلها الا نبي فقير او شهيد فقير او مؤمن فقير والثانية يدخل الفقراء الجنة قبل الاغنياء بنصف يوم وهو
خمسمائة عام والثالثة اذا قال الفقير سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وقال الغني مثل ذلك لم يلحق الغني بالفقير وان انفق
فيها عشرة آلاف درهم وكذلك اعمال البر كلها فرجع اليهم فقالوا رضينا رضينا فهذا يدل على ان قوله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء
اي مزيد ثواب الفقراء على الذكر واما قوله ان الغنى وصف الحق فقد اجابه بعض الشيوخ فقال اتراه ان للحق غنى بالاسباب والاعراض
فانقطع ولم ينطق واجاب آخرون فقالوا التكبر من صفات الحق فينبغي ان يكون افضل من التواضع ثم قالوا بل هذا يدل على ان الفقر
افضل لان صفات العبودية افضل للعبد كالخوف والرجاء وصفات الربوبية لا ينبغي ان ينازع فيها ولذلك قال تعالى العظمة ازاري
والكبرياء ردائي فمن نازعني فيهما قصمته وقال سهل حب العز والبقاء شرك في الربوبية ومنازعة فيها لانها من صفات الرب تعالى
ومن هذا الجنس كلام في تفضيل الغنى والفقر وحاصلها يتعلق بعمومات تقبل التأويل وبكلمات قاصرة لا يبعد مناقضتها اذ كما
يناقض قول من فضل الغنى لانه وصف العبد بالعلم والمعرفة فانه وصف الرب والجهل والغفلة فانه وصف العبد وليس يجوز لاحد ان يفضل
الغفلة على العلم فكشف الغطاء في هذا هو ما ذكرناه في كتاب الصبر وهو ان ما لا يراد لعينه بل يراد لغيره فينبغي ان يضاف الى مقصوده
اذ به يظهر فضله والدنيا ليست محذورة لعينها ولكن لكونها عائقة عن الوصول الى الله تعالى ولا الفقر مطلوب لعينه ولكن لان فيه
فقد العائق عن الله وعدم التشاغل عنه وكم من غني لم يشغله الغنى مثل سليمان صلوات الله عليه وعبد الرحمن بن عوف وكم من فقير شغله الفقر
وصرفه عن المقصد وغاية المقصد في الدنيا هو حب الله والانس به ولا يكون ذلك الا بعد معرفته وسلوك سبيل المعرفة مع الشواغل
غير ممكن والفقر قد يكون من الشواغل كما ان الغنى قد يكون من الشواغل وانما الشاغل على التحقيق حب الدنيا اذ لا يجتمع معه حب الله
في القلب والمحب للشيء مشغول به سواء كان في فراقه او في وصاله وربما يكون شغله في الفراق اكثر وربما يكون في الوصال اكثر والدنيا
معشوقة الغافلين والمحروم عنها مشغول بها وبطلبها والقادر عليها مشغول بحفظها وبالتمتع بها فاذن ان فرضت فارغين عن
حب المال بحيث صار المال في حقهما كالماء استوى الفاقد والواجد اذ كل واحد غير متمتع الا بقدر الحاجة ووجود قدر الحاجة
غير متمتع الا بقدر الحاجة ووجود قدر الحاجة افضل من فقده اذ الجائع يسلك سبيل الموت لا سبيل المعرفة وان اخذت الامر باعتبار
الاكثر فالفقير عن الخطر ابعد اذ فتنة السراء اشد من فتنة الضراء ومن العصمة ان لا تقدر ولذلك قال الصحابة بلينا بفتنة الضراء
فصبرنا وبلينا بفتنة السراء فلم نصبر وهذه خلقة الآدميين كلهم الا الشاذ الفذ الذي لا يوجد في الاعصار الكثيرة الا نادرا و
لما كان خطاب الشرع مع الكل لا مع ذلك النادر والضراء اصلح للكل دون ذلك النادر زجر الشرع عن الغنى وذمه وفضل الفقر
ومدحه حتى قال عيسى عليه الصلوة لا تنظروا الى اموال اهل الدنيا فان بريق اموالهم يذهب بنور ايمانكم وقال بعض العلماء تقليب الاموال يمص
حلاوة الايمان وفي الخبر لكل امة عجل وعجل هذه الامة الدينار والدرهم وكان اصل عجل قوم موسى عليه الصلوة والسلام من
حلية الذهب والفضة ايضا فاستواء المال والماء والذهب والحجر انما يتصور للانبياء والاولياء ثم يتم لهم ذلك بعد فضل الله تعالى
بطول المجاهدة اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليك عني اليك عني اذ كانت الدنيا تتمثل له بصورتها وزينتها وكان علي رضي
الله عنه يقول يا صفراء غري غيري ويا بيضاء غري غيري وذلك لاستشعاره في نفسه ظهور مبادي الاغترار بها لولا ان رأى برهان ربه

ربه وذلك هو الغنى المطلق اذ قال عليه الصلوة والسلام ليس الغنى بكثرة العرض انما الغنى غنى النفس واذا كان ذلك بعيدا فاذن
الاصلح لكافة الخلق فقد المال وان تصدقوا وصرفوا الى الخيرات لانهم لا ينفكون في القدرة على المال عن انس بالدنيا وتمتع بالقدرة
عليها واستشعار راحة في بذلها وكل ذلك يورث الانس بهذا العالم وبقدر ما يأنس العبد بالدنيا يستوحش من الآخرة وبقدر ما
يأنس بصفة من صفاته سوى صفة المعرفة بالله يستوحش من الله ومن حبه ومهما انقطع اسباب الانس بالدنيا تجافى القلب عن الدنيا
وزهرتها والقلب اذا تجافى عما سوى الله وكان مؤمنا بالله انصرف لا محالة الى الله اذ لا يتصور قلب فارغ وليس في الوجود الا الله
وغيره فمن اقبل على غيره فقد تجافى عنه ومن اقبل عليه تجافى عن غيره ويكون اقباله على احدهما بقدر تجافيه عن الآخر وقربه من احدهما
بقدر بعده من الآخر ومثالهما مثل المشرق والمغرب فانهما جهتان فالمتردد بينهما بقدر ما يقرب من احدهما يبعد من الآخر بل عين القرب
من احدهما هو عين البعد من الآخر فعين حب الدنيا هو عين بغض حب الله تعالى فينبغي ان يكون مطمح نظر العارف قلبه في عزوفه عن الدنيا
وانسه بها فاذن فضل الفقير والغني بحسب تعلق قلبهما بالمال فقط فان تساويا فيه تساوت درجتهما الا ان هذا مزلة القدم وموضع
الغرور فان الغني ربما يظن انه منقطع القلب عن المال ويكون حبه دفينا في باطنه وهو لا يشعر به وانما يشعر به اذا فقده فليجرب نفسه
بتفريقه واذا سرق منه فان وجد لقلبه اليه التفاتا فليعلم انه كان مغرورا فكم من رجل باع سرية له لظنه انه منقطع القلب عنها
فبعد لزوم البيع وتسليم الجارية اشتعل من قلبه النار التي كانت مستكنة فيه فتحقق انه كان مغرورا وان العشق كان مستكنا في الفؤاد
استكنان النار تحت الرماد وهذا حال كل الاغنياء الا الانبياء والاولياء واذا كان ذلك محالا او بعيدا فلنطلق القول بان الفقر
اصلح لكافة الخلق وافضل لان علاقة الفقير وانسه بالدنيا اضعف وبقدر ضعف علاقته يتضاعف ثواب تسبيحاته وعباداته فان
حركات اللسان ليست مرادة لاعيانها بل ليتأكد بها الانس بالمذكور فلا يكون تأثيره في اثارة الانس في قلب فارغ عن غير المذكور
كتأثيره في قلب مشغول ولذلك قال بعض السلف مثل من يتعبد وهو في طلب الدنيا مثل من يطفئ النار بالحلفاء ومثل من يغسل يده من
الغمر بالسمك وقال ابو سليمان تنفس فقير دون شهوة لا يقدر عليها افضل من عبادة غني الف عام وقال رجل لبشر بن الحارث الحافي ادع
الله لي فقد اضر بي العيال فقال له اذا قال لك عيالك ليس عندنا دقيق ولا خبز فادع لي في ذلك الوقت فان دعاءك افضل من دعائي
وكان يقول مثل الغني المتعبد مثل روضة على مزبلة ومثل الفقير المتعبد مثل عقد الجوهر في جيد الحسناء وكانوا يكرهون سماع علم المعرفة من
الاغنياء وقد قال الصديق رضي الله عنه اللهم اني اسألك الذل عند النصف من نفسي والزهد فيما جاوز الكفاف واذا كان مثله في كمال
حاله يحذر من الدنيا ووجودها فكيف يشك في ان فقد المال اصلح من وجوده هذا مع انه احسن احوال الغني ان يأخذ حلالا وينفق طيبا
ومع ذلك فيطول حسابه في عرصات القيامة ويطول انتظاره ومن نوقش في الحساب عذب ولهذا تأخر عبد الرحمن بن عوف عن الجنة اذ
كان مشغولا بالحساب كما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا قال ابو الدرداء ما احب ان لي حانوتا على باب المسجد لا تخطئني فيه صلوة
ولا ذكر واربح كل يوم اربعين دينارا واتصدق بها في سبيل الله قيل وما تكره قال سوء الحساب ولذلك قال شقيق اختار الفقراء ثلثة اشياء
والاغنياء ثلثة اشياء اختار الفقراء راحة النفس وفراغ القلب وخفة الحساب واختار الاغنياء تعب النفس وشغل القلب وشدة
الحساب واما ما ذكره ابن عطاء من ان الغنى وصف الحق فهو افضل صحيح ولكن اذا كان العبد غنيا عن وجود المال وعدمه جميعا بان
يستوي عنده كلاهما فاما اذا كان غنيا بوجوده ومفتقرا الى بقائه فلا يضاهي غناه غنى الله تعالى لان الله تعالى غني بذاته لا بما يتصور
زواله والمال يتصور ان يسرق وما ذكره في الرد عليه من انه ليس غنيا بالاعراض والاسباب صحيح في ذم غنى يريد بقاء المال وما ذكر
من ان صفات الحق لا تليق بالعبد غير صحيح بل العلم من صفاته وهو افضل شيء للعبد بل منتهى العبد ان يتخلق باخلاق الله وقد سمعت بعض المشايخ

يقول ان سالك الطريق الى الله قبل ان يقطع الطريق يصير الاسماء التسعة والتسعون اوصافا له اى يكون له من كل واحد
نصيب واما التكبر فلا يليق بالعبد فان التكبر على من لا يستحق التكبر عليه ليس من صفات الله تعالى واما التكبر على من يستحقه
كتكبر المؤمن على الكافر وتكبر العالم على الجاهل والمطيع على العاصي فيليق به نعم قد يراد بالتكبر الزهو والصلف والايذاء وليس
ذلك من وصف الله وانما وصف الله انه اكبر من كل شيء وانه يعلم انه كذلك والعبد مامور بان يطلب اعلى المراتب ان قدر عليه
ولكن بالاستحقاق كما هو حقه لا بالباطل والتلبيس فعلى العبد ان يعلم ان المؤمن اكبر من الكافر والمطيع اكبر من العاصي والعالم
اكبر من الجاهل والانسان اكبر من البهيمة والجماد والنبات واقرب الى الله منها فلو راى نفسه بهذه الصفة رؤية محققة لا شك فيها
كان صفة الكبر حاصلا له ولائقا به وفضيلة في حقه الا انه لا سبيل له الى معرفته فان ذلك موقوف على الخاتمة وليس يدرى
الخاتمة كيف تتفق فلجهله بها وجب ان لا يعتقد لنفسه رتبة فوق رتبة الكافر اذ ربما يختم للكافر بالايمان ويختم له بالكفر
فلم يكن ذلك لائقا به لقصور علمه عن معرفة العاقبة ولما تصور ان يعلم الشيء على ما هو به كان العلم كمالا في حقه لانه من صفات الله تعالى ولما
كان معرفة بعض الاشياء قد يضره صار ذلك العلم نقصا في حقه اذ ليس من اوصاف الله علم يضره فمعرفة الامور التي لا ضرر فيها
هي التي يتصور في العبد من صفات الله فلا جرم هو شيء في الفضيلة به فضل الانبياء والاولياء والعلماء فاذن لو استوى عنده وجود
المال وعدمه فهذا نوع من الغنى يضاهي بوجه من الوجوه الغنى الذي يوصف به الله سبحانه فهو فضيلة اما الغنى بوجود المال
فلا فضيلة فيه اصلا فهذا بيان نسبة حال الفقير القانع الى حال الغني الشاكر ٭ المقام الثاني نسبة حال الفقير الحريص الى حال
الغني الحريص ولنفرض ذلك في شخص واحد هو طالب للمال وساع فيه وفاقد له ثم وجده وله حالة الفقد وحالة الوجود
فاي حالتيه افضل فنقول ينظر ان كان مطلوبه ما لا بد منه في المعيشة وكان قصده ان يسلك سبيل الدين ويستعين به
عليه فحال الوجود افضل لان الفقد يشغله بالطلب وطالب القوت لا يقدر على الذكر والفكر الا قدرة مدخولة
تشغل والمكفي هو القادر ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا وقال كاد الفقر ان يكون كفرا
اى الفقر مع الاضطرار فيما لا بد منه وان كان المطلوب فوق الحاجة او كان المطلوب قدر الحاجة ولكن لم يكن المقصود
الاستعانة به على سلوك السبيل فحالة الفقد اصلح وافضل لانهما استويا في الحرص وحب المال واستويا في ان كل واحد ليس
مقصده الاستعانة على الطريق واستويا في ان كل واحد ليس يتعرض لمعصية بسبب الفقر والغنى ولكن افترقا في ان الواجد
يانس بما وجده فيتاكد حبه في قلبه ويطمئن الى الدنيا والفاقد المضطر متجافٍ بقلبه عن الدنيا وتكون الدنيا عنده مثل
السجن الذي يبغي الخلاص منه ومهما استوت الامور كلها وخرج من الدنيا رجلان احدهما اشد ركونا الى الدنيا فحاله اشد
لا محالة اذ يلتفت قلبه الى الدنيا ويستوحش من الآخرة وقدر تاكد انسه بالدنيا وقد قال صلى الله عليه وسلم ان روح
القدس نفث في روعي احبب ما احببت فانك مفارقه وهذا تنبيه على ان فراق المحبوب شديد فينبغي ان تحب ما لا يفارقك
وهو الله تعالى ولا تحب ما يفارقك وهو الدنيا فانك اذا احببت الدنيا كرهت لقاء الله فيكون قدومك بالموت
على ما تكرهه وفراقك لما تحبه وكل من فارق محبوبا فيكون اذاه في فراقه بقدر حبه وقدر انسه به وانس الواجد للدنيا
بالدنيا اكثر من انس الفاقد لها وان كان حريصا فاذن قد انكشف بهذا التحقيق ان الفقر هو الاشرف والاصلح والافضل
لكافة الخلق الا في موضعين احدهما غنى مثل غنى عائشة رضي الله عنها وعن ابيها يستوى عنده الوجود والعدم فيكون الوجود
مزيدا له اذ يستفيد به ادعية الفقراء والمساكين وهمتهم والثاني الفقر عن مقدار الضرورة فان ذلك يكاد ان يكون كفرا

ولا خير فيه بوجه من الوجوه الا اذا كان وجوده يبقي حيوته ثم يستعين بقوته وحيوته على الكفر والمعاصي ولو مات جوعا
لكانت معاصيه اقل فالاصلح له ان يموت جوعا ولا يجد ما يضطر اليه ايضا فهذا تفصيل القول في الغنى والفقر ويبقى النظر
في فقير حريص متكالب على طلب المال ليس له هم سواه وفي غني هو دونه في الحرص على حفظ المال ولم يكن تفجعه بفقد المال لو
فقده كتفجع الفقير بفقره فهذا في محل النظر والاظهر ان بعدهما عن الله بقدر قوة تفجعهما بفقد المال وقربهما بقدر ضعف تفجعهما
بفقده والعلم عند الله تعالى ٭ بيان ادب الفقير في فقره للفقير ادب في باطنه وظاهره ومخالطته وافعاله ينبغي ان يراعيها فاما
اما في باطنه فان لا يكون فيه كراهة لما ابتلاه الله تعالى به من الفقر اعني انه لا يكون كارها فعل الله سبحانه من حيث انه فعله
وان كان كارها للفقر كالمحجوم يكون كارها للحجامة ولا كارها له بل شاكرا له بها ولا يكون كارها فعل الحجام ولا كارها له بل ربما يتقلد منه منة
فهذا اقل درجاته وهو واجب ونقيضه حرام ومحبط ثواب الفقر وهو معنى قوله عليه السلام يا معشر الفقراء اعطوا الله الرضا من قلوبكم
تظفروا بثواب فقركم والا فلا وارفع من هذا ان لا يكون كارها للفقر بل يكون راضيا به وارفع منه ان يكون طالبا له وفرحا به لعلمه بغوائل
الغنى ويكون متوكلا في باطنه على الله واثقا به في قدر ضرورته انه ياتيه لا محالة ويكون كارها للزيادة على الكفاف وقد قال علي
رضي الله عنه ان لله عقوبات بالفقر ومن علامة الفقر اذا كان مثوبة ان يحسن عليه خلقه ويطيع به ربه ولا يشكو حاله ويشكر الله على
فقره ومن علامته اذا كان عقوبة ان يسوء عليه خلقه ويعصي به ربه ويكثر الشكاية ويتسخط القضاء وهذا يدل على ان كل فقير فليس بمحمود بل الذي
لا يتسخط ويرضى او يفرح بالفقر لعلمه بثمرته اذ قيل ما اعطي عبد شيئا من الدنيا الا قيل له خذه على ثلاثة اثلاث شغل وهم وطول حساب
واما ادابه في ظاهره فان يظهر التعفف والتجمل ولا يظهر الشكوى والفقر بل يستر فقره ويستر انه يستره ففي الحديث ان الله تعالى
يحب الفقير المتعفف ابا العيال وقال تعالى يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف وقال سفين افضل الاعمال التعفف والتجمل عند المحنة
وقال بعضهم ستر الفقر من كنوز البر واما في اعماله فان لا يتواضع لغني لاجل غناه بل يتكبر عليه قال علي رضي الله عنه ما احسن تواضع الغني
للفقير رغبة في ثواب الله واحسن منه تيه الفقير على الغني ثقة بالله عز وجل فهذه رتبة واقل منها ان لا يخالط الاغنياء ولا يرغب في
مجالستهم لان ذلك من مبادي الطمع قال الثوري اذا خالط الفقير الاغنياء فاعلم انه مراءٍ واذا خالط السلطان فاعلم انه لص وقال بعض
العارفين اذا مال الفقير الى الاغنياء انحلت عروته فاذا طمع فيهم انقطعت عصمته فاذا سكن اليهم ضل وينبغي ان لا يسكت عن ذكر الحق
مداهنة للاغنياء وطمعا في العطاء واما ادابه في افعاله فان لا يفتر بسبب الفقر عن عبادة الله سبحانه وتعالى ولا يمنع بذل قليل ما
يفضل عنه فان ذلك جهد المقل وفضله اكثر من اموال كثيرة تبذل عن ظهر غنى وينبغي ان لا يدخر ما لا يحتاج الا قدر الحاجة ويخرج الباقي
وفي الادخار ثلث درجات احديها ان لا يدخر الا ليومه وليلته وهي درجة الصديقين والثانية ان يدخر لاربعين يوما فان ما زاد
عليه داخل في طول الامل وقد فهم العلماء ذلك من ميعاد الله تعالى لموسى صلى الله عليه وسلم ففهم منه الرخصة في امل الحيوة اربعين يوما
درجة المتقين والثالثة ان يدخر لسنة وهي اقصى المراتب وهي رتبة الصالحين ومن زاد في الادخار على هذا فهو واقع في عموم العموم خارج
عن حيز الخصوص بالكلية فغنى الصالح الضعيف في طمانينة قلبه في قوت سنة وغنى الخصوص في اربعين يوما وغنى خصوص الخصوص
٭ ادب الفقير في قبول العطاء اذا جاءه بغير سؤال ينبغي ان يلاحظ الفقير فيما جاءه ثلاثة امور نفس المال وغرض المعطي وغرضه في الاخذ
اما نفس المال فينبغي ان يكون حلالا خاليا عن الشبهات كلها فان كان فيه شبهة فليحترز من اخذه وقد ذكرنا في كتاب الحلال والحرام
درجات الشبهة وما يجب اجتنابه وما يستحب واما غرض المعطي فلا يخلو اما ان يكون تطييب قلبه وطلب محبته وهو الهدية او الثواب
وهو الصدقة والزكوة او الذكر والرياء والسمعة اما على التجرد واما ممزوجا ببقية الاغراض اما الاول وهو الهدية فلا باس بقبولها

فان تقبلها سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن ينبغي ان لا يكون فيها منة فان كان فيها منة فالاولى تركها فان علم ان بعضها
مما تعظم فيه المنة فليرد البعض دون البعض اهدى الى النبي صلى الله عليه وسلم سمنا واقطا وكبشا فقبل السمن والاقط ورد
الكبش وكان صلى الله عليه وسلم يقبل من بعض الناس ويرد على بعض وقال لقد هممت ان لا اتهب الا من قرشي او ثقفي او دوسي
وفعل هذا جماعة من التابعين وجاءت صرة الى فتح الموصلي فيها خمسون درهما فقال حدثنا عطاء عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
من اتاه رزق من غير مسئلة فرده فانما يرده على الله عز وجل ثم فتح الصرة فاخذ منها درهما ورد سائرها وكان الحسن يروي هذا الحديث
ايضا ولكن حمل اليه رجل كيسا ورزمة من رقيق ثياب خراسان فرد ذلك وقال من جلس مجلسي هذا وقبل من الناس مثل هذا لقي الله عز وجل
يوم القيامة وليس له خلاق وهذا يدل على ان امر الواعظ والعالم اشد في قبول العطاء وقد كان الحسن يقبل من اصحابه وكان ابراهيم
يسأل عن اصحابه الدرهمين ونحوه ويعرض عليهم غيرهم المائتين فلا يأخذ وكان بعضهم اذا اعطاه صديقه شيئا يقول اتركه عندك وانظر
ان كنت بعد قبوله في قلبك افضل مني قبل القبول فاخبرني حتى آخذه والا فلا وامارة هذا ان يشق عليه الرد لو رده ويفرح بالقبول
ويرى المنة على نفسه في قبول صديقه هديته فان علم انه يمازجه منة فاخذه مباح ولكنه مكروه عند الفقراء الصادقين وقال بشر
ما سألت احدا قط شيئا الا سريا السقطي لانه قد صح عندي زهده في الدنيا فهو يفرح بخروج الشيء من يده ويتبرم ببقائه عنده
فاكون عونا له على ما يحب وجاء خراساني الى الجنيد بمال وسأله ان يأكله فقال افرقه على الفقراء فقال انا ما اريد هذا فقال ومتى
اعيش الى ان آكل هذا فقال ما اريد ان تنفقه في الخل والبقل بل في الحلاوى والطيبات فقبل ذلك منه فقال الخراساني ما احد ببغداد
امن علي منك فقال الجنيد وما ينبغي ان يقبل الا من مثلك الثاني ان يكون للثواب المجرد وذلك صدقة او زكوة فعليه ان ينظر
في صفات نفسه انه هل هو مستحق للزكوة فان اشتبه عليه فهو محل شبهة وقد ذكرنا تفصيل ذلك في كتاب اسرار الزكوة وان كان
صدقة وكان يعطيه لدينه فلينظر الى باطنه فان كان مقارفا للمعصية في السر يعلم ان المعطي لو علم ذلك لنفر طبعه ولما تقرب الى
الله بالتصدق عليه فهذا حرام اخذه كما لو اعطاه لظنه انه عالم او علوي ولم يكن فان اخذه حرام محض لا شبهة فيه الثالث ان يكون
غرضه الشهرة والرياء والسمعة فينبغي ان يرد عليه قصده الفاسد ولا يقبله اذ يكون معينا له على غرضه الفاسد وكان سفين الثوري
يرد ما يعطى ويقول لو علمت انهم لا يذكرون ذلك افتخارا لاخذت وعوتب بعضهم في رده ما كان يأتيه من صلة فقال انما ارده عليهم
اشفاقا ونصحا لهم لانهم يذكرون ويحبون ان يعلم به فيذهب اموالهم وتحبط اجورهم واما غرضه في الاخذ فينبغي ان ينظر اهو
محتاج اليه فيما لابد منه او مستغن عنه فان كان محتاجا اليه وقد سلم من الشبهة والآفات التي ذكرناها في المعطي فالافضل له
الاخذ قال صلى الله عليه وسلم ما المعطي من سعة باعظم اجرا من الآخذ اذا كان محتاجا وقال صلى الله عليه وسلم من اتاه شيء من هذا
المال من غير مسئلة ولا استشراف فانما هو رزق ساقه الله اليه وفي لفظ آخر فلا يرده وقال بعض العلماء من اعطي ولم يأخذ سأل
ولم يعط وقد كان سري السقطي يوصل الى احمد بن حنبل شيئا فيرده فقال له السري يا احمد احذر آفة الرد فانها اشد من آفة الاخذ
فقال له احمد اعد علي ما قلت فاعاده فقال احمد ما رددت عليك الا لان عندي قوت شهر فاحبسه لي عندك فاذا كان بعد شهر
فانفذه الي وقد قال بعض العلماء يخاف في الرد مع الحاجة عقوبة من ابتلاء بطمع او دخول في شبهة او غيره فاما اذا كان ما اتاه زائدا
على حاجته فلا يخلو اما ان يكون حاله الاشتغال بنفسه او التكفل بامور الفقراء والانفاق عليهم لما في طبعه من الرفق والسخاء فان كان
مشغولا بنفسه فلا وجه لاخذه وامساكه ان كان طالبا طريق الآخرة فان ذلك محض اتباع الهوى وكل عمل ليس لله فهو في سبيل
الشيطان او داع اليه ومن حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه ثم له مقامان احدهما ان يأخذ في العلانية ويرد في السر او يفرق في

في السر وهذا مقام الصديقين وهو شاق على النفس لا يطيقه الا من اطمأنت نفسه بالرياضة والثاني ان يترك ولا يأخذ ليصرفه
صاحبه الى من هو احوج منه او يأخذه ويوصله الى من هو احوج منه فيفعل كليهما في السر او كليهما في العلانية وقد ذكرنا ان
ان الافضل اظهار الاخذ او اخفاؤه في كتاب اسرار الزكوة مع جملة من احكام الفقر فليطلب منه وامتناع احمد عن قبول عطاء
سري السقطي انما كان لاستغنائه عنه اذ كان عنده قوت شهر ولم يرض لنفسه ان يشتغل باخذه وصرفه الى غيره فان في ذلك آفات وخطرا
والورع يكون حذرا من مظان الآفات اذ لم يأمن من مكيدة الشيطان على نفسه وقال بعض المجاورين بمكة كانت عندي دراهم اعددتها
للانفاق في سبيل الله فسمعت فقيرا قد فرغ من طوافه وهو يقول بصوت خفي جائع كما ترى عريان كما ترى فيما ترى يا من يرى ولا يرى فنظرت
فاذا عليه خلقان لا تكاد تواريه فقلت لا اجد لدراهمي موضعا احسن من هذا فنظر اليها ثم اخذ خمسة دراهم فقال اربعة ثمن مئزرين
ودرهم انفقه ثلثا ولا حاجة بي الى الباقي فرددتها قال فرأيته الليلة الثانية وعليه مئزران جديدان فهجس في نفسي منه شيء فالتفت
الي واخذ بيدي واطافني معه اسبوعا كل شوط منها على جوهر من معادن الارض يتخشخش تحت اقدامنا الى الكعبين منها ذهب
وفضة وياقوت ولؤلؤ وجوهر ولم يظهر للناس فقال هذا كله قد اعطانيه فزهدت فيه وآخذ من ايدي الخلق لان هذه
اثقال وفتنة وذلك للعباد فيه رحمة ونعمة والمقصود ان الزيادة على قدر الحاجة انما تأتيك ابتلاء وفتنة لينظر الله اليك ماذا
تعمل فيه وقدر الحاجة يأتيك رفقا بك فلا تغفل عن الفرق بين الرفق والابتلاء قال الله تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم
احسن عملا وقال صلى الله عليه وسلم لا حق لابن آدم الا في ثلث طعام يقيم صلبه وثوب يواري عورته وبيت يكنه فما زاد فهو حساب
فاذن انت في اخذك الحاجة من هذه الثلث مثاب وفيما زاد عليه ان لم تعص الله متعرض للحساب وان عصيت الله به متعرض للعذاب ومن الاختبار
ايضا ان تعزم على ترك لذة من اللذات تقربا الى الله تعالى وكسرا لصفة النفس فتأتيك عفوا صفوا لتمتحن بها قوة عقدك فالاولى الامتناع
عنها فان النفس اذا رخصت في نقض العزم الفت نقض العهد وعاودت لعادتها ولا يمكن قهرها فرد ذلك مهم وهو الزهد فان اخذت
وصرفته محتاجا فهو غاية الزهد ولا يقدر عليه الا الصديقون فاما اذا كانت حالك السخاء والبذل وتكفل حقوق الفقراء وتعهد
جماعة من الصلحاء فخذ ما زاد على حاجتك فانه غير زائد على حاجة الفقراء وبادر به الى الصرف اليهم ولا تدخره ولو ليلة فان امساكه ولو ليلة
واحدة فيه فتنة واختبار فربما يحلو في قلبك وتمسكه فيكون فتنة عليك فقد تصدى لخدمة الفقراء جماعة اتخذوها وسيلة
الى التوسع في المال والتنعم في المطعم والمشرب وذلك هو الهلاك ومن كان غرضه الرفق وطلب الثواب به فله ان يستقرض على حسن
الظن بالله لا على اعتماد السلاطين الظلمة فان رزقه الله من حلال قضاه وان مات قبل القضاء قضى الله تعالى عنه وارضى غرماءه وذلك
بشرط ان يكون مكشوف الحال عند من يقرضه فلا يغتر المقرض ولا يخدعه بمواعيد بل يكشف حاله عنده ليقدم على اقراضه على بصيرة ودين
مثل هذا الرجل واجب ان يقضى من بيت المال ومن الزكوات فقد قال الله تعالى ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله قيل معناه
ليبع احد ثوبيه وقيل فليستقرض بجاهه فذلك مما آتاه الله وقال بعضهم لله عباد ينفقون على قدر بضائعهم ولله عباد ينفقون على
قدر حسن الظن بالله تعالى ومات بعضهم فاوصى بماله لثلث طوائف الاقوياء والاسخياء والاغنياء فقيل من هؤلاء فقال اما الاقوياء فهم
اهل التوكل على الله واما الاسخياء فهم اهل حسن الظن بالله واما الاغنياء فهم اهل الانقطاع الى الله فاذن مهما وجدت هذه الشروط
فيه وفي المال وفي المعطي فليأخذه وينبغي ان يرى ما يأخذه من الله لا من المعطي لان المعطي واسطة قد سخر للعطاء فهو مضطر اليه لما سلط عليه من
الدواعي والارادات والاعتقادات وقد حكي ان بعض الناس دعا شقيقا في خمسين من اصحابه فوضع الرجل مائدة حسنة فلما قعد
قال لاصحابه ان هذا الرجل يقول من لم ير اني صنعت هذا الطعام وقدمته فطعامي عليه حرام فقاموا كلهم وخرجوا الا شابا كان دونهم

في الدرجة فقال صاحب المنزل للشقيق ماذا قصدت بهذا فقال اردت ان اختبر توحيد اصحابي كلهم وقال موسى يا رب جعلت
رزقي هكذا على ايدي بني اسرائيل يغديني هذا يوما ويعشيني هذا ليلة فاوحى الله تعالى اليه هكذا اصنع باوليائي اجري ارزاقهم
على ايدي البطالين من عبادي ليؤجروا فيهم فلا ينبغي ان يرى المعطي الا انه مسخر ماجور نسال الله ... بيان تحريم السؤال من غير ضرورة وآداب
الفقير المضطر فيه اعلم انه قد وردت مناه في السؤال وتشديدات ووردت ايضا ما يدل على الرخصة اذ قال صلى الله عليه
وسلم للسائل حق وان جاء على فرس وفي الحديث ردوا السائل ولو بظلف محرق ولو كان السؤال حراما مطلقا لما جاز اعانة المتعدي
على عدوانه والاعطاء اعانة فالكاشف للغطاء فيه ان السؤال حرام في الاصل وانما يباح بضرورة او حاجة مهمة قريبة من الضرورة
فان كان عنها بد فهو حرام وانما قلنا ان الاصل فيه التحريم لانه لا ينفك عن ثلاثة امور محرمة الاول اظهار الشكوى من الله
اذ السؤال اظهار للفقر وذكر لقصور نعمة الله عليه وهو عين الشكوى وكما ان العبد المملوك لو سأل لكان سؤاله تشنيعا على
سيده فكذا سؤال العباد تشنيع على الله تعالى وهذا ينبغي ان يحرم ولا يحل الا لضرورة كما تحل الميتة والثاني
ان فيه اذلال السائل نفسه لغير الله تعالى وليس للمؤمن ان يذل نفسه لغير الله تعالى بل عليه ان يذل نفسه لمولاه فان فيه عزه
فاما سائر الخلق فانهم عباد امثاله فلا ينبغي ان يذل لهم الا لضرورة وفي السؤال ذل للسائل بالاضافة الى المسؤول والثالث
انه لا ينفك عن ايذاء المسؤول غالبا لانه ربما لا تسمح نفسه بالبذل عن طيبة قلب فان بذل حياء من السائل او رياء فهو حرام على
الآخذ وان منع ربما استحيى وتاذى في نفسه بالمنع اذ يرى نفسه في صورة البخلاء ففي البذل نقصان ماله وفي المنع نقصان جاهه
وكلاهما موذيان والسائل هو السبب في الايذاء والايذاء حرام الا بضرورة ومهما فهمت هذه المحذورات الثلث فهمت قوله صلى الله
عليه وسلم حيث قال مسألة الناس من الفواحش ما احل من الفواحش غيرها فانظر كيف سماها فاحشة ولا يخفى ان الفاحشة انما
يباح بضرورة كما يباح شرب الخمر لمن غص بلقمة وهو لا يجد غيرها وقال صلى الله عليه وسلم من سأل عن غنى فانما يستكثر من جمر جهنم
ومن سأل وله ما يغنيه جاء يوم القيامة ووجهه عظم يتقعقع وليس عليه لحم وفي لفظ آخر كانت مسألته خدوشا وكدوحا
في وجهه وهذه الالفاظ صريحة في التحريم والتشديد وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم قوما على الاسلام فاشترط عليهم
السمع والطاعة ثم قال كلمة خفية ولا تسألوا الناس شيئا وكان يامر كثيرا بالتعفف عن السؤال ويقول من سألنا اعطيناه ومن
استغنى اغناه الله ومن لم يسألنا فهو احب الينا وقال استغنوا عن الناس وما قل من السؤال فهو خير قالوا ومنك يا
رسول الله قال ومني وسمع عمر رضي الله عنه سائلا يسأل بعد المغرب فقال لواحد من قومه عش الرجل فعشاه ثم سمعه ثانيا يسأل
فقال الم اقل لك عش الرجل فقال قد عشيته فنظر عمر رضي الله عنه فاذا تحت يده مخلاة مملوءة خبزا فقال لست سائلا ولكنك
تاجر ثم اخذ المخلاة ونثرها بين يدي ابل الصدقة وضربه بالدرة وقال لا تعد ولولا ان سؤاله كان حراما لما ضربه
ولا اخذ مخلاته ولعل الفقيه الضعيف المنة الضيق الحوصلة يستبعد هذا من فعل عمر ويقول اما ضربه فهو تاديب وقد
ورد الشرع بالتعزير واما اخذ ماله فهو مصادرة والشرع لم يرد بالعقوبة بالمال فكيف استجازه وهذا استبعاد مصدره
القصور في الفقه فاين يظهر فقه الفقهاء كلهم في حوصلة عمر بن الخطاب رضي الله عنه واطلاعه على اسرار دين الله ومصالح
عباده افترى انه لم يعلم ان المصادرة بالمال غير جائزة او علم ذلك ولكن اقدم عليه غضبا في معصية الله وحاشاه او اراد
الزجر للمصلحة بهذه الطريقة شرعها نبي الله صلى الله عليه وسلم وهيهات فان ذلك ايضا معصية بل الفقيه الذي لاح له فيه
انه رآه مستغنيا عن السؤال او علم ان من اعطاه انما اعطاه على اعتقاد انه محتاج وقد كان كاذبا فلم يدخل في ملكه باخذه

مع التلبيس وعسر تمييز ذلك ورده الى اصحابه اذ لم يعرف اصحابه باعيانهم فبقي مالا لا مالك له فوجب صرفه الى المصالح وابل
الصدقة وعلفها من المصالح ويتنزل اخذ السائل مع اظهاره الحاجة كاذبا كاخذ العلوي بقوله اني علوي وهو كاذب فانه لا
يملك ما ياخذه وكاخذ الصوفي والصالح الذي يعطى لصلاحه وهو في الباطن مقارف معصية لو عرفها المعطي لما اعطاه وقد
ذكرنا في مواضع انما اخذوه لا يملكونه وهو حرام عليهم ويجب عليهم الرد على المالك فاستدل بفعل عمر رضي الله عنه على صحة
هذا المعنى الذي يغفل عنه كثير من الفقهاء وقد قررناه في مواضع ولا تستدل بغفلتك عن هذا الفقه على بطلان فعل عمر رضي الله عنه
فاذا عرفت ان السؤال يباح لضرورة فاعلم ان الشيء اما ان يكون مضطرا اليه او محتاجا اليه حاجة مهمة او حاجة خفيفة او
مستغنى عنه فهذه اربعة احوال اما المضطر اليه فهو سؤال الجائع عند خوفه على نفسه موتا او مرضا وسؤال العاري وبدنه
مكشوف وليس معه ما يواريه وهو مباح مهما وجدت بقية الشروط في المسؤول بكونه مباحا والمسؤول منه بكونه راضيا في الباطن والسائل
بكونه عاجزا عن الكسب فان القادر على الكسب وهو بطال ليس له السؤال الا اذا استغرق طلب العلم اوقاته وكل من له خط فهو قادر
على الكسب بالوراقة واما المستغني فهو الذي يطلب شيئا وعنده مثله وامثاله فسؤاله حرام قطعا وهذان طرفان واضحان واما
المحتاج حاجة مهمة كالمريض الذي يحتاج الى دواء ليس يظهر خوفه لو لم يستعمله ولكنه لا يخلو عن خوف وكمن له جبة ولا قميص
تحته في الشتاء وهو يتاذى بالبرد تاذيا لا ينتهي الى حد الضرورة وكذلك من يسأل لاجل الكراء وهو قادر على المشي بمشقة
فهذا ايضا ينبغي ان تسترسل عليه الاباحة لانها ايضا حاجة محققة ولكن الصبر عليه اولى وهو بترك السؤال تارك للاولى ولا
يسمى سؤاله مكروها مهما صدق في السؤال وقال ليس تحت جبتي قميص والبرد يؤذيني اذى اطيقه ولكن يشق علي فاذا صدق فصدقه
يكون كفارة لسؤاله ان شاء الله واما الحاجة الخفيفة فمثل سؤاله قميصا ليلبسه فوق ثيابه عند خروجه ليستر الخروق التي في
ثيابه عن اعين الناس وكمن يسأل لاجل الادم وهو واجد للخبز وكمن يسأل الكراء للفرس في الطريق وهو واجد كراء الحمار او يسأل كراء
الحمار وهو قادر على الراحلة فهذا ان كان فيه تلبيس حال باظهار حاجة غير هذه فهو حرام وان لم يكن وكان فيه شيء من المحظورات
الثلث من الشكوى او الذل وايذاء المسؤول فهو حرام لان مثل هذه الحاجة لا يصلح لان تباح بها هذه المحذورات وان لم يكن فيها شيء
من هذه فهو مباح مع الكراهة فان قلت فكيف يمكن اخلاء السؤال عن هذه المحظورات فاعلم ان الشكوى يندفع بان يظهر الشكر لله
والاستغناء عن الخلق ولا يسأل سؤال محتاج ولكن يقول انا مستغن بما املكه ولكن تطالبني رعونة النفس بثوب فوق ثيابي وهي
فضلة عن الحاجة وفضول من النفس فيخرج به عن حد الشكوى واما الذل فان يسأل اباه او قريبه او صديقه الذي يعلم انه
لا ينقصه ذلك في عينه ولا يزدريه بسبب سؤاله او الرجل السخي الذي قد اعد ماله لمثل هذه المكارم فيفرح بوجود مثله
ويتقلد منه منة بقبوله فيسقط عنه الذل بذلك فان الذل لازم للمنة لا محالة واما الايذاء فسبيل الخلاص عنه ان لا يعين شخصا
بالسؤال بعينه بل يلقي الكلام عرضا بحيث لا يقدم على البذل الا متبرع بصدق الرغبة وان كان في القوم شخص مرموق لو لم يبذله
لكان يلام فهذا ايذاء فانه ربما يبذل كرها خوفا من الملامة ويكون الاحب اليه في الباطن الخلاص لو قدر عليه من غير الملامة
واما اذا كان يسأل معينا فينبغي ان لا يصرح بل يعرض تعريضا يبقى له سبيلا الى التغافل ان اراد فان لم يتغافل مع القدرة
عليه فذلك لرغبته وانه غير متأذ به وينبغي ان يسأل من لا يستحيي منه لو رده او تغافل فان الحياء من السائل يؤذي كما ان
الرياء مع غير السائل يؤذي فان قلت فاذا اخذ مع العلم بان باعث المعطي هو الحياء منه او من الحاضرين ولولاه لما ابتداه
به فهو حلال او شبهة فاقول ذلك حرام محض لا خلاف فيه بين الامة وحكمه حكم اخذ مال الغير بالضرب والمصادرة

اذ لا فرق بين ان يضرب ظاهر جلده بسياط الخشب او يضرب باطن قلبه بسوط الحياء وخوف الملام وسياط الباطن اشد
نكاية في قلوب العقلاء ولا يجوز ان يقال هو في الظاهر قد رضي به وقد قال صلى الله عليه وسلم نحن نحكم بالظاهر والله
يتولى السرائر فان هذه ضرورة القضاة في فصل الخصومات اذ لا يمكن ردهم الى البواطن وقرائن الحالات فاضطروا الى الحكم بظاهر
اللسان مع انه ترجمان كثير الكذب ولكن الضرورة دعت وهذا سؤال عما بين العبد وبين الله والحاكم فيه احكم الحاكمين والقلوب
عنده كالالسنة عند سائر الحكام فلا تنظر في مثل هذا الا الى قلبك وان افتوك وافتوك فان المفتي معلم القاضي والسلطان
ليحكموا في عالم الشهادة ومفتي القلوب هم علماء الاخرة وبفتواهم النجاة عن سطوة سلطان الاخرة كما ان بفتوى الفقيه النجاة عن
سطوة سلطان الدنيا فاذا ما ياخذه مع الكراهة لا يملكه بينه وبين الله ويجب عليه الرد على صاحبه فان كان يستحيي من ان يرده
فعليه ان يتهبه على ذلك بما يساوي قيمته في معرض الهدية والمقابلة ليتفصى عن عهدته فان لم يقبل هديته فعليه ان يرد ذلك الى
ورثته فان تلف في يده فهو مضمون عليه بينه وبين الله وهو عاص بالتصرف فيه وبالسؤال الذي حصل به الاذى فان قلت فهذا
امر باطن يعسر الاطلاع عليه فكيف السبيل فيه فربما يظن السائل انه راض ولا يكون هو في الباطن راضيا فاقول لهذا ترك المتقون
السؤال راسا فما كانوا ياخذون من احد شيئا اصلا وكان بشر لا ياخذ من احد اصلا الا من السري وقال لاني علمت انه يفرح بخروج المال
من يده فانا اعينه على ما يحبه وانما عظم النكير في السؤال والامر بالتعفف لهذا لان هذا الاذى انما يحل بضرورة وهو ان يكون
مشرفا على الهلاك ولم يبق له سبيل الى الخلاص ولم يجد من يعطيه من غير كراهة واذى فيباح له ذلك كما يباح لحم الخنزير واكل
الميتة وكان الامتناع طريق الورعين من ارباب القلوب من كان واثقا ببصيرته في الاطلاع على قرائن الاحوال فكانوا ياخذون من بعض
الناس دون البعض فمنهم من كان لا ياخذ الا من اصدقائه ومنهم من كان ياخذ مما يعطى بعضا ويرد بعضا كما فعل رسول الله صلى الله
عليه وسلم في الكبش والاقط والسمن وكان هذا فيما ياتيهم من غير سؤال فان ذلك لا يكون الا عن رغبة ولكن قد يكون رغبته طمعا
في جاه او طلبا لرياء وسمعة فكانوا يحترزون من ذلك فاما السؤال فقد امتنعوا عنه راسا الا في موضعين احدهما الضرورة
فقد سال ثلاثة من الانبياء عليهم الصلوة والسلام في مقام الضرورة سليمان وموسى والخضر صلوات الله عليهم ولا شك في انهم ما سالوا
الا من علموا انه يرغب فيهم والثاني السؤال من الاصدقاء والاخوان وفي حق الاخوان قد كانوا ياخذون مالهم بغير سؤال واستيذان
لان ارباب القلوب علموا ان المطلوب رضا القلب لا نطق اللسان وكانوا قد وثقوا باخوانهم انهم كانوا يفرحون بمباسطتهم فاذن
كانوا يسالون الاخوان عند شكهم في اقتدار اخوانهم على ما يريدونه والا فكانوا يستغنون عن السؤال وحد اباحة السؤال ان تعلم ان
المسؤول بصفة لو علم ما بك من الحاجة لابتداك دون السؤال فلا يكون لسؤالك تاثير الا في تعريف حاجتك فاما في تحريكه بالحياء
واثارة داعيته بالحيل فلا ويتصدى للسائل حالة لا يشك فيها في الرضا الباطن وحالة لا يشك في الكراهة ويعلم ذلك بقرينة
الاحوال فالاخذ في الحالة الاولى حلال طلق وفي الثانية حرام سحت ويتردد بين الحالتين احوال يشك فيها فليستفت فيه قلبه وليترك
حزاز القلب فانه الاثم وليدع ما يريبه الى ما لا يريبه وادراك ذلك بقرائن الاحوال سهل على من قويت فطنته وضعف حرصه
وشهوته فان قوي الحرص وضعفت الفطنة تراءى له ما يوافق غرضه فلا يتفطن للقرائن الدالة على الكراهة وبهذه الدقائق يطلع
على سر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال ان اطيب ما ياكل الرجل من كسبه وقد اوتي جوامع الكلم لان من كسب له ولا
لابيه بما ورثه فياكل من ايدي الناس فان اعطي بغير سؤال فانما يعطى لدينه وحتى يكون باطنه بحيث لو انكشف لا اعطي بدينه فيكون ما ياخذه
حراما وان اعطي بسؤال فاين من يطيب قلبه بالعطاء اذا سئل واين من يقتصر في السؤال على حد الضرورة فاذا فتشت احوال من ياكل من

من يد الناس علمت ان جميع ما ياكلونه او اكثره سحت وان الطيب هو الكسب الذي اكتسبته انت او مورثك فاذن بعيد ان يجتمع الورع
مع الاكل من ايدي الناس فنسال الله تعالى ان يقطع طمعنا عن غيره وان يغنينا بحلاله عن حرامه وبفضله عمن سواه بمنه وسعة طوله

بيان مقدار الغنى المحرم للسؤال

اعلم ان قوله صلى الله عليه وسلم من سال عن غنى فانما يستكثر من جمر جهنم صريح في التحريم ولكن حد الغنى مشكل
وتقديره عسير وليس الينا وضع المقادير بل يستدرك ذلك بالتوقيف وقد ورد في الحديث استغنوا بغنى الله تعالى قالوا وما هو
قال غداء يوم وعشاء ليلة وفي حديث اخر من سال وله خمسون درهما او عدلها من الذهب فقد سال الحافا وورد في لفظ اخر اربعون درهما
واختلف التقديرات وصحت الاخبار فينبغي ان يقطع بورودها على احوال مختلفة فان الحق في نفسه لا يكون الا واحدا والتقدير ممتنع وغايته
الممكن فيه تقريب ولا يتم ذلك الا بتقسيم محيط باحوال المحتاجين فنقول قال صلى الله عليه وسلم لا حق لابن ادم الا في ثلث طعام يقيم
به صلبه وثوب يواري عورته وبيت يكنه فما زاد فهو حساب فلنجعل هذه الثلث اصلا في الحاجات

بيان اجناسها والنظر في

الاجناس والاقدار والاوقات فاما الاجناس فهي هذه الثلث ويلحق بها ما في معناها حتى يلحق بها الكري للمسافر اذا كان لا يقدر على
المشي وكذلك ما يجري مجراه من المهمات ويلحق بنفسه عياله وولده وكل من يجب كفالته واما الاقدار فالثوب يعتبر فيه ما يليق بذوي
الدين وهو ثوب واحد قميص ومنديل وسراويل ومداس واما الثاني من كل جنس فهو مستغنى عنه وليقس على هذا اثاث البيت ولا ينبغي
ان يطلب رقة الثياب وكون الاواني من النحاس والصفر فيما يكفي فيه الخزف فان ذلك مستغنى عنه فليقتصر من العدد على واحد ومن
النوع على اخس اجناسه ما لم يكن في غاية البعد عن العادة واما الطعام فقدره في اليوم مد وهو ما قدره الشرع ونوعه ما يقتات ولو الشعير و
الادم على الدوام فضلة وقطعه بالكلية اضرار ففي طلبه في بعض الاحوال رخصة واما المسكن فاقل ما يجزي من حيث المقدار وذلك من
غير زينة واما السؤال للزينة والتوسع فهو سؤال عن ظهر غنى واما بالاضافة الى الاوقات فما يحتاج اليه في الحال من طعام يوم وليلة وثوب
يلبسه وماوى يكنه فاما سؤاله للمستقبل فهذا له ثلاث مراتب احدها ما يحتاج اليه من غد والثانية ما يحتاج اليه بعد اربعين يوما
او خمسين والثالثة ما يحتاج اليه في السنة ولنقطع بان من معه ما يكفيه له ولعياله ان كان له عيال لسنة فسؤاله حرام فان ذلك
غاية الغنى وعليه ينزل التقدير بخمسين درهما في الحديث فان خمسة دنانير تكفي المنفرد في السنة اذا اقتصد اما المعيل فربما لا يكفيه وان
كان يحتاج اليه قبل السنة فان كان قادرا على السؤال ولا يفوته فرصته فلا يحل له السؤال لانه مستغن في الحال وربما لا يعيش الى الغد
فيكون قد سال ما لا يحتاج اليه فيكفيه غداء يوم وعشاء ليلة وعليه ينزل الخبر الذي ورد في التقدير بهذا القدر وان كان يفوته فرصة
السؤال ولا يجد من يعطيه لو اخر فيباح له السؤال لان امل البقاء سنة غير بعيد فهو بتاخير السؤال خائف ان يبقى مضطرا عاجزا عن معينه
فان كان خوف العجز عن السؤال في المستقبل ضعيفا وكان ما لاجله السؤال خارجا عن محل الضرورة لم يخل سؤاله عن كراهة ويكون كراهته
بحسب درجات ضعف الاضطرار وخوف الفوت وتراخي المدة التي فيها يحتاج الى السؤال وكل ذلك لا يقبل الضبط وهو منوط
باجتهاد العبد ونظره لنفسه بينه وبين الله تعالى فيستفتي فيه قلبه ويعمل به ان كان سالكا طريق الاخرة وكلما كان يقينه اقوى وثقته
بمجيء الرزق في المستقبل اتم وقناعته بقوت الوقت اظهر فدرجته عند الله اعلى فلا يكون خوف الاستقبال وقد اتاك الله قوت يومك
لك ولعيالك الا من ضعف اليقين والاصغاء الى تخويف الشيطان وقد قال الله تعالى ولا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين وقال الشيطان
يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والسؤال من الفحشاء الذي ابيح بالضرورة وحال من يسال لحاجة وراء السنة
متراخية عن يومه وان كان بحاجة السنة اشد من حال من ملك مالا موروثا وادخره لحاجة وراء السنة وكلاهما مباحان في الفتوى الظاهرة
ولكنهما صادران عن حب الدنيا وطول الامل وعدم الثقة بفضل الله وهي امهات المهلكات

بيان احوال السائلين

كان بشر يقول

الفقراء ثلثة فقير لا يسأل وان أعطي لم يأخذ فهذا مع الروحانيين في الجنة في عليين وفقير لا يسأل وان أعطي أخذ فهو مع المقربين في جنات الفردوس وفقير يسأل عند فاقته فهذا مع الصادقين من أصحاب اليمين فاذن قد اتفق كلهم على ذم السؤال وعلى انه مع الفاقة يحط الرتبة والدرجة وقال ابرهيم بن ادهم لشقيق بن ابرهيم حين قدم عليه من خراسان كيف تركت الفقراء من اصحابك فقال تركتهم ان أعطوا شكروا وان منعوا صبروا وظن انه لما وصفهم بترك السؤال فقد اثنى عليهم غاية الثناء فقال ابرهيم هكذا تركت كلاب بلخ عندنا فقال له شقيق فكيف الفقراء عندك يا ابا اسحق فقال الفقراء عندنا ان منعوا شكروا وان أعطوا آثروا فقبل رأسه وقال صدقت يا استاذ

فاذن درجات ارباب الاحوال في الرضا والصبر والشكر والسؤال كثيرة فلابد لسالك طريق الآخرة من معرفتها ومعرفة انقسامها واختلاف درجاتها فانه اذا لم يعلم لم يقدر على الرقي من حضيضها الى يفاعها ومن اسفل السافلين الى اعلى عليين وقد خلق الانسان في احسن تقويم ثم رد الى اسفل سافلين ثم امر بان يرتقي الى اعلى عليين ومن لا يميز بين السفل والعلو لا يقدر عليه وانما الشك فيمن عرف ذلك فانه ربما يقدر عليه وارباب الاحوال قد يغلبهم حالة قد يقتضي ان يكون السؤال مزيدا لهم في درجاتهم ولكن بالاضافة الى حالهم فان مثل هذه الاعمال بالنيات وذلك كما روي ان بعضهم راى ابا الحسن النوري يمد يده ويسأل الناس في بعض المواضع قال فاستعظمت ذلك واستقبحته له فاتيت الجنيد واخبرته فقال لا يعظم هذا عليك فان النوري لم يسأل الناس الا ليعطيهم انما سألهم ليثيبهم من الآخرة فيؤجرون من حيث لا يضره وكأنه اشار به الى قوله صلى الله عليه وسلم يد المعطي هي العليا فقال بعضهم يد المعطي هي يد الآخذ لانه يعطي الثواب والقدر له لا لمن يأخذه ثم قال قال الجنيد هات الميزان فوزن مائة درهم ثم قبض قبضة فالقاها على المائة ثم قال احملها اليه فقلت في نفسي انما يوزن الشيء ليعرف مقداره فكيف خلط به مجهولا وهو رجل حكيم واستحييت ان اسأله فذهبت بالصرة الى النوري فقال هات الميزان فوزن مائة وقال ردها عليه وقل له انا لا اقبل منك شيئا واخذ ما زاد على المائة قال فزاد تعجبي فسألته فقال الجنيد رجل حكيم يريد ان يأخذ الحبل بطرفيه وزن المائة لنفسه طلبا لثواب الآخرة وطرح عليها قبضة بلا وزن لله عز وجل فاخذت ما كان لله تبارك وتعالى ورددت ما جعله لنفسه قال فرددتها الى الجنيد فبكى وقال اخذ ماله ورد ما لنا الله المستعان فانظر الآن كيف صفت قلوبهم واحوالهم وكيف خلصت لله اعمالهم حتى كان يشاهد كل واحد قلب صاحبه من غير مناطقة باللسان ولكن بتشاهد القلوب وتناجي الاسرار وذلك نتيجة اكل الحلال وخلو القلب عن حب الدنيا والاقبال بالكلية على الله تعالى فمن انكر ذلك قبل تجربة طريقه فهو جاهل كمن ينكر مثلا كون الدواء مسهلا قبل شربه ومن انكره بعد ان طال اجتهاده حتى بذل فيه مجهوده ولم يصل فانكر ذلك لغيره كان كمن شرب المسهل فلم يؤثر في حقه خاصة لعلة في باطنه فاخذ ينكر كون الدواء مسهلا وهذا وان كان في الجهل دون الاول لكنه ليس خاليا عن حظ وافر من الجهل بل البصير احد رجلين اما رجل سلك الطريق فظهر له مثل ما ظهر لهم فهو صاحب الذوق والبصيرة والمعرفة وقد وصل الى عين اليقين واما رجل لم يسلك الطريق او سلك ولم يصل ولكنه آمن بذلك وصدق به فهذا صاحب علم اليقين وان لم يكن واصلا الى عين اليقين ولعلم اليقين ايضا رتبة وان كان دون عين اليقين ومن خلا عن علم اليقين فهو خارج عن زمرة المؤمنين ويحشر يوم القيمة في زمرة الجاحدين المستكبرين الذين هم قتلى اصحاب العقول الضعيفة واتباع الشياطين فنسأل الله تعالى ان يجعلنا من الراسخين في العلم القائلين آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا اولوا الالباب

الشطر الثاني من الكتاب في الزهد وفيه بيان حقيقة الزهد وبيان فضيلة الزهد وبيان درجات الزهد واقسامه وبيان تفصيل الزهد في المطعم والملبس والمسكن والاثاث وضروريات المعيشة وبيان علامات الزهد

بيان حقيقة الزهد اعلم ان الزهد في الدنيا مقام شريف من مقامات السالكين وينتظم هذا المقام من علم وحال وعمل كسائر المقامات لان ابواب الايمان كلها كما قال السلف ترجع الى عقد وقول وعمل وكان القول لظهوره اقيم مقام الحال اذ به تظهر الحال الباطنة والا فليس القول مرادا بعينه وان لم يكن صادرا عن حال سمي اسلاما ولم يسم ايمانا والعلم هو السبب في الحال يجري مجرى المثمر والعمل من الحال يجري مجرى الثمرة فلنذكر الحال مع كل من طرفيه من العلم والعمل اما الحال فنعني بها ما يسمى زهدا وهو عبارة عن انصراف الرغبة عن الشيء الى ما هو خير منه وكل من عدل عن شيء الى غيره بمعاوضة وبيع وغيره فانما عدل عنه لرغبته عنه وانما عدل الى غيره لرغبته فيه فحاله بالاضافة الى المعدول عنه يسمى زهدا وبالاضافة الى المعدول اليه يسمى رغبة وحبا فاذن يستدعي حال الزهد مرغوبا عنه ومرغوبا اليه وهو خير من المرغوب عنه وشرط المرغوب عنه ان يكون ايضا هو مرغوبا فيه بوجه من الوجوه فمن رغب عما ليس مطلوبا في نفسه لا يسمى زاهدا فتارك الحجر والحشرات لا يسمى زاهدا وانما يسمى تارك الدراهم والدنانير زاهدا لا تارك التراب والحجر لانهما ليسا في مظنة الرغبة وشرط المرغوب اليه ان يكون خيرا عنده من المرغوب عنه حتى تغلب هذه الرغبة فالبائع لا يقدم على البيع الا والمشتري عنده خير من المبيع فيكون حاله بالاضافة الى المبيع زهدا فيه وبالاضافة الى العوض رغبة وحبا ولذلك قال تعالى وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين معناه باعوه فقد يطلق الشراء بمعنى البيع ووصف اخوة يوسف بالزهد فيه اذ طمعوا في ان يخلو لهم وجه ابيهم وكان ذلك عندهم احب من يوسف فباعوه طمعا في العوض فاذن كل من باع الدنيا بالآخرة فهو زاهد في الدنيا وكل من باع الآخرة بالدنيا فهو ايضا زاهد في الآخرة ولكن العادة جارية بتخصيص اسم الزاهد بمن يزهد في الدنيا كما خصص اسم الالحاد بمن يميل الى الباطل خاصة وان كان هو الميل في وضع اللسان ولما كان الزهد رغبة عن محبوب بالجملة لم يتصور الا بالعدول الى شيء هو احب منه والا فترك المحبوب بغير الاحب محال والذي يرغب عن كل ما سوى الله حتى الفراديس ولا يحب الا الله فهو الزاهد المطلق والذي يرغب عن كل حظ ينال في الدنيا ولم يزهد في مثل تلك الحظوظ في الآخرة بل طمع في الحور والقصور والفواكه والانهار فهو ايضا زاهد ولكنه دون الاول والذي يترك من حظوظ الدنيا البعض دون البعض كالذي يترك المال دون الجاه او يترك التوسع في الاكل ولا يترك التجمل في الزينة فلا يستحق اسم الزاهد مطلقا ودرجته في الزهاد درجة من يتوب عن بعض المعاصي في التائبين وهو زهد صحيح كما ان التوبة عن بعض المعاصي صحيحة فان التوبة عبارة عن ترك المحظورات والزهد عبارة عن ترك المباحات التي هي حظ النفس ولا يبعد ان يقدر على ترك بعض المباحات دون بعض كما لا يبعد ذلك في المحظورات والمقتصر على ترك المحظورات لا يسمى زاهدا وان كان قد زهد في المحظور وانصرف عنه ولكن العادة تخصص هذا الاسم بترك المباحات فاذن الزهد عبارة عن رغبته عن الدنيا عدولا الى الآخرة او عن غير الله عدولا الى الله وهي الدرجة العليا وكما يشترط في المرغوب اليه ان يكون خيرا عنده فيشترط في المرغوب عنه ان يكون مقدورا عليه فان ترك ما لا يقدر عليه محال وبالترك يتبين زوال الرغبة ولذلك قيل لابن المبارك يا زاهد فقال الزاهد عمر بن عبد العزيز اذ جاءته الدنيا راغمة فتركها اما انا ففيماذا زهدت واما العلم الذي هو المثمر لهذه الحالة فهو العلم بكون المتروك حقيرا بالاضافة الى المأخوذ كعلم التاجر بان العوض خير من المبيع فيرغب فيه وما لم يتحقق هذا العلم لا يتصور ان يزول الرغبة عن المبيع فكذلك من عرف ان ما عند الله باق وان الآخرة خير وابقى اي لذاتها خير في انفسها وابقى كما يكون الجوهر خيرا من الثلج مثلا وهي ابقى من الثلج ولا يعسر على مالك الثلج بيعه بالجوهر واللآلئ وهكذا مثال الدنيا والآخرة فالدنيا كالثلج الموضوع في الشمس لا يزال في الذوبان الى الانقراض والآخرة كالجوهر التي لا فناء لها فبقدر قوة اليقين والمعرفة بالتفاوت بين الدنيا والآخرة يقوى الرغبة في البيع والمعاملة حتى ان من قوي يقينه يبيع نفسه وماله كما قال الله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان

لهم الجنة ثم بين ان صفقتهم رابحة وقال فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به فليس يحتاج من العلم في الزهد الا الى ان يعلم
وهو ان الاخرة خير وابقى وقد يعلم ذلك من لا يقدر على ترك الدنيا اما لضعف علمه ويقينه واما لاستيلاء الشهوة في الحال
عليه وكونه مقهورا في يد الشيطان واما لاغتراره بمواعيد الشيطان في التسويف يوما فيوما الى ان يختطفه الموت ولا يبقى معه
الا الحسرة بعد الفوت والى تعريف خساسة الدنيا الاشارة بقوله تعالى قل متاع الدنيا قليل والى تعريف نفاسة الاخرة الاشارة
بقوله تعالى وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير فنبه على ان العلم بنفاسة الجوهر هو المرغب عن عوضه ولما لم يتصور الزهد
الا بمعاوضة ورغبة عن محبوب في احب منه قال رجل اللهم ارني الدنيا كما تراها فقال صلى الله عليه وسلم لا تقل هكذا ولكن قل
ارني الدنيا كما اريتها عبادك الصالحين وهذا لان الله تعالى يراها حقيرة كما هي وكل مخلوق فهو بالاضافة الى جلاله حقير والعبد
يراها حقيرا في حق نفسه بالاضافة الى ما هو خير له ولا يتصور ان يرى بائع الفرس وان رغب عنه فرسه كما يرى حشرات الارض
لانه مستغن عن الحشرات اصلا وليس مستغنيا عن الفرس والله تعالى غني بذاته عن كل ما سواه فيرى الكل في درجة واحدة بالاضافة
الى جلاله ويراها متفاوتة بالاضافة الى غيره والزاهد هو الذي يرى تفاوته بالاضافة الى نفسه لا الى غيره واما العمل الصادر
عن حال الزهد فهو ترك واخذ لانه بيع ومعاملة واستبدال الذي هو خير بالذي هو ادنى فكما ان العمل الصادر من عقد البيع هو ترك
المبيع واخراجه من اليد واخذ العوض فكذلك الزهد يوجب ترك المزهود فيه بالكلية وهي الدنيا باسرها مع اسبابها ومقدماتها
وعلائقها فيخرج من القلب حبها ويدخل حب الطاعات ويخرج من اليد والعين ما اخرجه من القلب ويوظف على اليد والعين
وسائر الجوارح وظائف الطاعات والا كان كمن سلم المبيع ولم يأخذ الثمن فاذا وفى بشرط الجانبين في الاخذ والترك فليستبشر
ببيعه الذي بايعه به فان الذي بايعه بهذا البيع وفي بالعهد فمن اسلم حاصلا في غائب وسلم الحاضر واخذ يسعى في طلب الغائب
سلم اليه الغائب حين فراغه من سعيه ان كان العاقد ممن يوثق بصدقه وقدرته ووفائه بالعهد وما دام ممسكا للدنيا لا
يصح زهده اصلا ولذلك لم يصف الله تعالى اخوة يوسف بالزهد في بنيامين وان كانوا قالوا ليوسف واخوه احب الى
ابينا منا وعزموا على ابعاده كما عزموا على يوسف حتى تشفع فيه احدهم فترك ولا وصفهم ايضا بالزهد في يوسف عند العزم
على اخراجه الا عند التسليم والبيع فعلامة الرغبة الامساك وعلامة الزهد الاخراج فان اخرجت عن اليد بعض الدنيا دون
البعض فانت زاهد فيما اخرجته فقط ولست زاهدا مطلقا وان لم يكن لك مال ولم تساعدك الدنيا لم يتصور منك الزهد لان
ما لا يقدر عليه لا يقدر على تركه وربما يستهويك الشيطان بغروره ويخيل اليك انك وان لم تك فانت زاهد فيه فلا ينبغي
ان تتدلى بحبل غروره دون ان تستوثق وتأخذ موثقا غليظا من الله تعالى فانك اذا لم تجرب حال القدرة فلا تثق بالقدرة على الترك عندها
فكم من ظان بنفسه كراهة المعاصي عند تعذرها فلما تيسرت له اسبابها من غير مكدر ولا خوف من الخلق وقع فيها واذا كان هذا
غرور النفس في المحظورات فاياك ان تثق بوعدها في المباحات والموثق الغليظ ان تجربها مرة بعد مرة في حالة القدرة فاذا
وفت بما وعدت على الدوام مع انتفاء الصوارف والاعذار ظاهرا او باطنا فلا باس ان تثق بها وثوقا ما ولكن تكون من تغيرها
ايضا على حذر فانها سريعة النقض للعهد قريبة الرجوع الى مقتضى الطبع وبالجملة فلا امان منها الا عند الترك بالاضافة الى ما تركت
فقط وذلك عند القدرة وقال ابن ابي ليلى لابن شبرمة الا ترى الى هذا ابن الحائك لا نفتي في مسألة الا رد علينا يعني ابا حنيفة فقال
ابن شبرمة لا ادري اهو ابن الحائك ام ما هو لكني اعلم ان الدنيا غدت اليه فهرب منها وهربت منا فطلبناها ولذلك قال جميع
المسلمين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم انا نحب ربنا ولو علمنا في اي شيء محبته لفعلنا حتى نزل قوله تعالى ولو انا كتبنا

عليهم ان اقتلوا انفسكم الى قوله ما فعلوه الا قليل منهم قال ابن مسعود قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم انت
منهم اي من القليل قال وما عرفت ان فينا من يحب الدنيا حتى نزل قوله تعالى منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الاخرة وليس
من الزهد ترك المال على سبيل السخاء والفتوة وعلى سبيل استمالة القلوب ولا على سبيل الطمع فذلك كله من محاسن العادات ولكن
لا مدخل لها في العبادات انما الزهد ان تتركها لعلمك بحقارتها بالاضافة الى نفاسة الاخرة فاما كل نوع من الترك فيتصور
ممن لا يؤمن بالاخرة فذلك قد يكون مروة وفتوة وسخاء وحسن خلق ولا يكون زهدا اذ حسن الذكر وميل القلوب من حظوظ العاجلة
وهي الذ واهنى من المال وكما ان ترك المال على سبيل السلم طمعا في العوض ليس من الزهد فكذلك تركه طمعا في الذكر والثناء والاشتهار
بالفتوة والسخاء او استثقالا له لما في حفظ الاموال من المشقة والعناء والحاجة الى التذلل للسلاطين والاغنياء ليس من الزهد اصلا
بل هو استعجال حظ آخر للنفس بل الزاهد من اتته الدنيا راغمة عفوا صفوا وهو قادر على التنعم بها من غير نقصان جاه وقبح اسم وفوات
حظ فتركها خوفا من ان يأنس بها فيكون آنسا بغير الله ومحبا لما سوى الله ويكون مشركا في حب الله غير الله او تركها طمعا في ثواب الاخرة
فترك التمتع باشربة الدنيا طمعا في اشربة الجنة وترك التمتع بالسراري والنسوان طمعا في الحور العين وترك التفرج بالبساتين طمعا في بساتين
الجنة واشجارها وترك التزين والتجمل بزينة الدنيا طمعا في زينة الجنة وترك المطاعم اللذيذة طمعا في فواكه الجنة وخوفا
ان يقال له اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا فآثر في جميع ذلك ما وعد به في الجنة على ما تيسر له في الدنيا عفوا صفوا لعلمه بان ما في
الاخرة خير وابقى وما سوى هذا فمعاملات دنيوية لا جدوى لها في الاخرة اصلا بيان فضيلة الزهد الى العلماء ووصف اهله بالعلم
وهو غاية الثناء وقال تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا جاء في التفسير على الزهد في الدنيا وقال تعالى انا جعلنا ما على الارض
زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا قيل معناه ايهم ازهد فيها فوصف الزهد بانه من احسن الاعمال وقال تعالى من كان يريد حرث الاخرة
نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الاخرة من نصيب وقال تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به
ازواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى وقال تعالى الذين يستحبون الحياة الدنيا على الاخرة فوصف الكفار
بذلك فمفهومه ان المؤمن هو الذي يتصف بنقيضه وهو ان يستحب الاخرة على الحياة الدنيا واما الاخبار فما ورد منها في ذم الدنيا كثيرة وقد
اوردنا بعضها في كتاب ذم الدنيا من ربع المهلكات اذ حب الدنيا من المهلكات ونحن الآن نقتصر على فضيلة بغض الدنيا فانه من
المنجيات وهو المعني بالزهد وقد قال صلى الله عليه وسلم من اصبح وهمه الدنيا شتت الله عليه امره وفرق عليه ضيعته وجعل فقره بين
عينيه ولم يأته من الدنيا الا ما كتب له ومن اصبح وهمه الاخرة جمع الله له همه وحفظ عليه ضيعته وجعل غناه في قلبه واتته الدنيا
وهي راغمة وقال صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم العبد قد اعطي صمتا وزهدا في الدنيا فاقتربوا منه فانه يلقى الحكمة وقد قال تعالى
ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ولذلك قيل من زهد في الدنيا اربعين يوما اجرى الله تعالى ينابيع الحكمة في قلبه وانطق بها
لسانه وعن بعض الصحابة انه قال قلنا يا رسول الله اي الناس خير قال كل مخموم القلب صدوق اللسان قلنا يا رسول الله وما مخموم
القلب قال التقي النقي الذي لا غل فيه ولا غش ولا بغي ولا حسد قيل يا رسول الله فمن على اثره قال الذي يشنأ الدنيا ويحب
الاخرة ومفهوم هذا ان شر الناس الذي يحب الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم ان اردت ان يحبك الله فازهد في الدنيا فجعل الزهد
سببا للمحبة فمن احبه الله فهو في اعلى الدرجات فينبغي ان يكون الزهد من افضل المقامات ومفهومه ايضا ان محب الدنيا متعرض لبغض الله
وفي خبر من طريق اهل البيت الزهد والورع يجولان في القلوب كل ليلة فان صادفا قلبا فيه الايمان والحياء اقاما فيه والا
ارتحلا ولما قال حارثة لرسول الله صلى الله عليه وسلم انا مؤمن حقا فقال ما حقيقة ايمانك فقال عزفت نفسي عن الدنيا فاستوى

عندي حجرها وذهبها وكأني بالجنة والنار وكأني بعرش ربي بارزا فقال صلى الله عليه وسلم عرفت فالزم عبد نور الايمان قلبه فانظر كيف بدأ حقيقة الايمان بعزوف النفس عن الدنيا وقرنه باليقين وكيف زكاه رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قال عبد نور الايمان قلبه ولما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى الشرح في قوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام وقيل له ما هذا الشرح قال ان النور اذا دخل القلب انشرح له الصدر وانفسح قيل يا رسول الله وهل لذلك من علامة قال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله فانظر كيف جعل الزهد شرطا للاسلام وهو التجافي عن دار الغرور وقال صلى الله عليه وسلم استحيوا من الله حق الحياء قالوا انا لنستحيي قال تبنون ما لا تسكنون وتجمعون ما لا تأكلون فبين ان ذلك يناقض الحياء من الله ولما قدم عليه وفد وقالوا انا مؤمنون قال وما علامة ايمانكم فذكروا الصبر عند البلاء والشكر عند الرخاء والرضا بمواقع القضاء وترك الشماتة بالمصيبة اذا نزلت بالاعداء فقال ان كنتم كذلك فلا تجمعوا ما لا تأكلون ولا تبنوا ما لا تسكنون ولا تنافسوا فيما عنه ترحلون فجعل الزهد تكملة ايمانهم وقال جابر خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من جاء بلا اله الا الله لا يخلط معها غيرها وجبت له الجنة فقام اليه علي رضي الله عنه فقال بأبي انت وامي يا رسول الله ما لا يخلط بها غيرها صفه لنا فقال حب الدنيا طلبا لها واتباعا لها وقوم يقولون قول الانبياء ويعملون عمل الجبابرة فمن جاء بلا اله الا الله ليس فيها شيء من هذه وجبت له الجنة وفي الخبر السخاء من اليقين ولا يدخل النار موقن والبخل من الشك ولا يدخل الجنة من شك وقال ايضا السخي قريب من الله قريب من الجنة قريب من الناس بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس قريب من النار والبخل ثمرة الرغبة في الدنيا والسخاء ثمرة الزهد والثناء على الثمرة ثناء على المثمر لا محالة وروى ابن المسيب عن ابي ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من زهد في الدنيا ادخل الله الحكمة قلبه فانطق بها لسانه وعرفه داء الدنيا ودواءها واخرجه منها سالما الى دار السلام وروي انه صلى الله عليه وسلم مر في اصحابه بعشار من النوق حفل وهي الحوامل وكانت من احب اموالهم اليهم وانفسها عندهم لانها تجمع الظهر واللحم واللبن والوبر ولعظمها في قلوبهم قال الله تعالى واذا العشار عطلت فاعرض عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم وغض بصره فقيل له يا رسول الله هذه انفس اموالنا لم لا تنظر اليها فقال قد نهاني الله تعالى عن ذلك ثم تلا قوله تعالى ولا تمدن عينيك الآية وروى مسروق عن عائشة رضي الله عنها قالت قلت يا رسول الله الا تستطعم الله تعالى فيطعمك قالت وبكيت لما رأيت بك من الجوع فقال يا عائشة والذي نفسي بيده لو سألت ربي ان يجري معي جبال الدنيا ذهبا لاجراها حيث شئت من الارض ولكن اخترت جوع الدنيا على شبعها وفقر الدنيا على غناها وحزن الدنيا على فرحها يا عائشة ان الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لآل محمد يا عائشة ان الله لم يرض لاولي العزم من الرسل الا الصبر على مكروه الدنيا والصبر عن محبوبها ثم لم يرض لي الا ان يكلفني ما كلفهم فقال فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل والله ما لي بد من طاعته واني والله لاصبرن كما صبروا بجهدي ولا قوة الا بالله وروي عن عمر رضي الله عنه انه قالت له ابنته حفصة حين فتح الفتوحات البس لين الثياب اذا قدمت عليك الوفود من الآفاق ومر بصنعة طعام تطعمه وتطعم من حضرك فقال عمر ألست تعلمين ان اعلم الناس بحال الرجل اهل بيته فقالت نعم قال ناشدتك الله هل تعلمين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لبث في النبوة كذا وكذا سنة لم يشبع هو ولا اهل بيته غدوة الا جاعوا عشية ولم يشبعوا عشية الا جاعوا غدوة وناشدتك الله هل تعلمين ان النبي صلى الله عليه وسلم لبث في النبوة كذا وكذا سنة لم يشبع من التمر هو واهله حتى فتح الله عليه خيبر ناشدتك الله هل تعلمين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قربتم اليه يوما طعاما على مائدة فيها ارتفاع فشق ذلك عليه حتى تغير لونه ثم امر بالمائدة فرفعت ووضع الطعام على عباءة دون ذلك او وضع بالارض ناشدتك الله هل تعلمين ان رسول الله صلى الله عليه

وسلم كان ينام على عباءة مثنية فثنيتموها ليلة باربع اثناء فنام عليها فلما استيقظ قال منعتموني قيام الليلة بهذه العباءة اثنوها باثنتين كما كنتم تثنونها وناشدتك الله هل تعلمين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يضع ثيابه ليغسل فيأتيه بلال فيؤذنه بالصلوة فما يجد ثوبا يخرج به الى الصلوة حتى تجف ثيابه فيخرج فيه الى الصلوة وناشدتك الله هل تعلمين ان امرأة من بني ظفر صنعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم كساءين ازارا ورداء وبعثت اليه باحدهما قبل ان يبلغ الآخر فخرج الى الصلوة وهو مشتمل به ليس عليه غيره قد عقد طرفيه الى عنقه فصلى كذلك فما زال حتى ابكاها وبكى عمر رضي الله عنهما وانتحب حتى ظننا ان نفسه ستخرج وعن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان كان الانبياء قبلي ليبتلى احدهم بالفقر فلا يجد الا العباء وان كان احدهم ليبتلى بالقمل حتى تقتله القمل وكان ذلك احب اليهم من العطاء اليكم وعن ابن عباس قال لما ورد موسى ماء مدين كان خضرة البقل ترى في بطنه من الهزال فهذا كان حال اختيار انبياء الله ورسله وهم اعرف خلق الله بالله وبطريق الفوز في الآخرة وفي حديث عمر رضي الله عنه انه لما نزل قوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله قال صلى الله عليه وسلم تبا للدنيا تبا للدينار والدرهم فقلنا نهانا الله عن كنز الذهب والفضة فأي شيء ندخره فقال صلى الله عليه وسلم ليتخذ احدكم لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا وزوجة صالحة تعينه على امر آخرته وفي حديث حذيفة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من آثر الدنيا على الآخرة ابتلاه الله بثلث هما لا يفارق قلبه ابدا وفقرا لا يستغني ابدا وحرصا لا يشبع ابدا وقال صلى الله عليه وسلم لا يستكمل العبد الايمان حتى يكون ان لا يعرف احب اليه من ان يعرف وحتى يكون قلة الشيء احب اليه من كثرته وقال عيسى صلى الله عليه وسلم الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها وقيل له يا نبي الله لو امرتنا ان نبني بيتا نعبد الله فيه فقال اذهبوا فابنوا على الماء بيتا فقالوا كيف يستقيم بنيان على الماء فقال كيف يستقيم عبادة على حب الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم ان ربي عرض علي ان يجعل لي بطحاء مكة ذهبا قلت لا يا رب ولكن اجوع يوما واشبع يوما فاما اليوم اجوع فاتضرع اليك وادعوك واما اليوم الذي اشبع فيه فاحمدك واثني عليك وعن ابن عباس انه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وجبرائيل معه فصعد على الصفا فقال له محمد عليه الصلوة والسلام والذي بعثك بالحق ما امسى لآل محمد كف سويق ولا سفة دقيق فلم يكن كلامه باسرع من ان سمع من السماء هدة افظعته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم امر الله تعالى القيامة ان تقوم قال لا ولكن هذا اسرافيل عليه السلام قد نزل اليك حين سمع كلامك فاتاه اسرافيل عليه السلام فقال له ان الله تعالى سمع ما ذكرت فبعثني بمفاتيح الارض وامرني ان اعرض عليك ان احببت ان اسير معك جبال تهامة زمردا وياقوتا وذهبا وفضة فعلت وان شئت نبيا ملكا وان شئت نبيا عبدا فاومأ اليه جبرائيل ان تواضع لله فقال نبي عبد ثلثا وقال صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله بعبد خيرا زهده في الدنيا ورغبه في الآخرة وبصره بعيوب نفسه وقال صلى الله عليه وسلم ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما في ايدي الناس يحبك الناس وقال صلى الله عليه وسلم من اراد ان يؤتيه الله علما بغير تعلم وهدى بغير هداية فليزهد في الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم من اشتاق الى الجنة سارع الى الخيرات ومن خاف من النار لهى عن الشهوات ومن ترقب الموت ترك اللذات ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصائب ويروى عن نبينا صلى الله عليه وسلم اربع لا يدركن الا بعجب الصمت وهو اول العبادة والتواضع وكثرة الذكر وقلة الشيء وجميع الاخبار الواردة في بغض الدنيا وذمها لا يمكن حصرها فان الانبياء ما بعثوا الا لصرف الناس عن الدنيا الى الآخرة واليه يرجع اكثر كلامهم مع الخلق فيما اوردناه كفاية فاما الآثار فقد جاء في الأثر لا تزال لا اله الا الله تدفع عن العباد سخط الله عز وجل ما لم يبالوا ما نقص من دنياهم وفي لفظ آخر ما لم يؤثروا صفقة دنياهم على دينهم فاذا فعلوا ذلك وقالوا لا اله الا الله

فقال والله تعالى لكذبتم لستم بها صادقين وعن بعض الصحابة قال تابعنا الاعمال كلها فلم نر في امر الآخرة ابلغ من زهد في الدنيا وقال بعض الصحابة لصدر التابعين لانتم اكثر اعمالا واجتهادا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم كانوا خيرا منكم قيل ولم ذلك قال كانوا ازهد في الدنيا منكم وقال عمر رضي الله عنه الزهادة في الدنيا راحة القلب والجسد وقال بلال بن سعد كفى به ذنبا ان الله تعالى يزهدنا في الدنيا ونحن نرغب فيها وقال رجل لسفيان اشتهي ان ارى عالما زاهدا فقال ويحك تلك ضالة لا توجد وقال وهب بن منبه ان للجنة ثمانية ابواب فاذا صار اهل الجنة اليها جعل البوابون يقولون وعزة ربنا لا يدخلها احد قبل الزاهدين في الدنيا العاشقين للجنة وقال يوسف بن اسباط اني لاشتهي من الله ثلاث خصال ان اموت حين اموت وليس في ملكي درهم ولا يكون علي دين ولا على عظمي لحم فاعطي ذلك كله ويروى عن بعض الخلفاء انه ارسل الى الفقهاء بجوائز فقبلوها وارسل الى الفضيل بعشرة آلاف فلم يقبلها فقال له بنوه قد قبل الفقهاء وانت ترد على حالتك هذه فبكى الفضيل وقال اتدرون ما مثلي ومثلكم كمثل قوم كانت لهم بقرة يحرثون عليها فلما هرمت ذبحوها لاجل ان ينتفعوا بجلدها وكذلك انتم اردتم ذبحي على كبر سني موتوا يا اهلي جوعا خير من ان تذبحوا فضيلا وقال عبيد بن عمير كان عيسى بن مريم صلى الله عليهما وسلم يلبس الشعر ويأكل الشجر وليس له ولد يموت ولا بيت يخرب ولا يخبأ لغد اينما ادركه المساء نام وقالت امرأة ابي حازم لابي حازم هذا الشتاء قد هجم علينا ولا بد لنا من الطعام والثياب والحطب فقال ابو حازم من هذا كله بد ولكن لا بد لنا من الموت ثم البعث ثم الوقوف بين يدي الله ثم الجنة والنار وقيل للحسن لم لا تغسل قميصك قال الامر اعجل من ذلك وقال ابراهيم بن ادهم قد حجبت قلوبنا بثلاثة اغطية فلن يكشف للعبد اليقين حتى ترفع هذه الحجب الفرح بالموجود والحزن على المفقود والسرور بالمدح فاذا فرحت بالموجود فانت حريص واذا حزنت على المفقود فانت ساخط والساخط معذب واذا سررت بالمدح فانت معجب والعجب يحبط العمل وقال ابن مسعود ركعتان من زاهد قلبه خير له واحب الى الله من عبادة المتعبدين المجتهدين الى آخر الدهر ابدا سرمدا وقال بعض السلف نعمة الله علينا فيما صرف عنا اكثر من نعمته فيما صرف الينا وكأنه التفت الى معنى قوله صلى الله عليه وسلم ان الله يحمي عبده الدنيا وهو يحبه كما تحمون مريضكم الطعام والشراب تخافون عليه واذا فهم هذا علم ان النعمة في المنع المؤدي الى الصحة اكثر منه في الاعطاء المؤدي الى السقم وكان الثوري يقول الدنيا دار التواء لا دار استواء ودار ترح لا دار فرح من عرفها لم يفرح برخاء ولم يحزن على شقاء وقال سهل لا يخلص العمل للمتعبد حتى لا يفزع من اربعة اشياء الجوع والعري والفقر والذل وقال الحسن ادركت اقواما وصحبت طوائف ما كانوا يفرحون بشيء من الدنيا اقبل ولا يأسفون على شيء منها ادبر ولهي كانت في اعينهم اهون من التراب كان احدهم يعيش خمسين سنة وستين سنة لم يطو له ثوب ولم ينصب له قدر ولم يجعل بينه وبين الارض شيئا ولا امر من في بيته بصنعة طعام قط فاذا كان الليل فقيام على اقدامهم يفترشون وجوههم تجري دموعهم على خدودهم يناجون ربهم في فكاك رقابهم كانوا اذا عملوا الحسنة دأبوا في شكرها وسألوا الله تعالى ان يتقبلها واذا عملوا سيئة احزنتهم وسألوا الله ان يغفرها لهم فلم يزالوا على ذلك ووالله ما سلموا من الذنوب ولا نجوا الا بالمغفرة

بيان درجات الزهد واقسامه بالاضافة الى نفسه والى المرغوب عنه والى المرغوب فيه

اعلم ان الزهد في نفسه يتفاوت بحسب تفاوت قوته على ثلاث درجات الدرجة السفلى منها ان يزهد في الدنيا وهو لها مشته وقلبه اليها مائل ونفسه اليها ملتفتة ولكنه يجاهدها ويكفها وهذا يسمى المتزهد وهو مبدأ الزهد في حق من يصل الى درجة الزهد بالكسب والاجتهاد والمتزهد يذيب اولا نفسه ثم كيسه والزاهد يذيب اولا كيسه ثم يذيب نفسه في الطاعة لا في الصبر على ما فارقه والمتزهد على خطر فانه ربما تغلبه نفسه وتجذبه شهوته فيعود الى الدنيا والى الاستراحة في قليل او كثير الدرجة الثانية الذي يترك الدنيا طوعا لاستحقاره

لاستحقاره اياها بالاضافة الى ما طمع فيه كالذي يترك درهما لاجل درهمين فانه لا يشق عليه ذلك وان كان يحتاج الى انتظار قليل ولكن هذا الزاهد يرى لا محالة زهده ويلتفت اليه كما يرى البائع المبيع ويلتفت اليه فيكاد يكون معجبا بنفسه وبزهده ويظن بنفسه انه ترك شيئا له قدر لما هو اعظم قدرا منه وهذا ايضا نقصان الدرجة الثالثة وهي العليا ان يزهد طوعا ويزهد في زهده فلا يرى زهده اذ لا يرى انه ترك شيئا اذ عرف ان الدنيا لا شيء فيكون كمن ترك خزفة واخذ جوهرة فلا يرى ذلك معاوضة ولا يرى نفسه تاركا شيئا والدنيا بالاضافة الى الله تعالى ونعيم الآخرة اخس من خزفة بالاضافة الى جوهرة فهذا هو الكمال في الزهد وسببه كمال المعرفة ومثل هذا الزاهد آمن من خطر الالتفات الى الدنيا وسببه كمال المعرفة ومثل هذا الزاهد كما ان تارك الخزفة بالجوهرة آمن من طلب الاقالة في البيع قال ابو يزيد لابي موسى عبد الرحيم في اي شيء تتكلم قال في الزهد قال في اي شيء من الزهد قال في الدنيا فنفض يده وقال ظننت انه يتكلم في شيء الدنيا لا شيء ايش يزهد فيه ومثل من ترك الدنيا للآخرة عند اهل المعرفة وارباب القلوب المعمورة بالمشاهدات والمكاشفات مثل من منعه عن باب الملك كلب على بابه فالقى اليه لقمة من خبز فشغله بنفسه ودخل الباب ونال القرب عند الملك حتى نفذ امره في جميع مملكته افترى انه يرى لنفسه يدا عند الملك بلقمة خبز القاها الى كلبه في مقابلة ما ناله فالشيطان كلب على باب الله يمنع الناس من الدخول مع ان الباب مفتوح والحجاب مرفوع والدنيا كلقمة خبز ان اكلت فلذتها في حال المضغ وتنقضي على القرب بالابتلاع ثم يبقى ثقله في المعدة ثم ينتهي الى النتن والقذر ويحتاج الى اخراج الثقل فمن تركها لينال عز الملك كيف يلتفت اليها ونسبة الدنيا كلها اعني ما يسلم لكل شخص منها وان عمر مائة سنة بالاضافة الى نعيم الآخرة اقل من لقمة بالاضافة الى ملك الدنيا اذ لا نسبة للمتناهي الى ما لا نهاية له والدنيا متناهية على القرب ولو كانت تتمادى الف الف سنة صافية عن كل كدورة لكان لا نسبة له الى الابد فكيف ومدة العمر قصيرة ولذات الدنيا مكدرة غير صافية فاي نسبة لها الى النعيم الابد فاذن لا يلتفت الزاهد الى زهده الا اذا التفت الى ما زهد فيه الا انه يراه شيئا معتدا به الا لقصور معرفته فسبب نقصان الزهد نقصان المعرفة فهذا تفاوت درجات الزهد وكل درجة من هذه ايضا لها درجات اذ صبر المتزهد يختلف ويتفاوت ايضا باختلاف قدر المشقة في الصبر وكذلك درجة المعجب بزهده بقدر التفاته الى زهده واما الانقسام بالاضافة الى المرغوب فيه فهو ايضا على ثلاث درجات الدرجة السفلى ان يكون المرغوب فيه النجاة من النار ومن سائر الآلام كعذاب القبر ومناقشة الحساب وخطر الصراط وسائر ما بين يدي العبد من الاهوال كما وردت به الاخبار اذ فيها ان الرجل ليوقف في الحساب حتى لو وردت مائة بعير عطاشا على عرقه لصدرت رواء فهذا زهد الخائفين وكأنهم رضوا بالعدم لو اعدموا فان الخلاص من الالم يحصل بمجرد العدم الدرجة الثانية ان يزهد رغبة في ثواب الله ونعيمه واللذات الموعودة في جنته من الحور والقصور وغيرها وهذا زهد الراجين فان هؤلاء ما تركوا الدنيا قناعة بالعدم والخلاص من الالم بل طمعوا في وجود دائم ونعيم قائم لا آخر له الدرجة الثالثة وهي العليا ان لا يكون له رغبة الا في الله وفي لقائه فلا يلتفت قلبه الى الآلام ليقصد الخلاص منها ولا الى اللذات ليقصد نيلها والظفر بها بل هو مستغرق الهم بالله تعالى وهو الذي اصبح وهمومه هم واحد وهو الموحد الذي لا يطلب غير الله لان من طلب غير الله فقد عبده وكل مطلوب معبود وكل طالب عبد بالاضافة الى مطلبه وطلب غير الله من الشرك الخفي وهذا زهد المحبين وهم العارفون لانه لا يحب الله خاصة الا من عرفه وكما ان من عرف الدينار والدرهم وعلم انه لا يقدر على الجمع بينهما لم يحب الا الدينار فمن عرف الله وعرف لذة النظر الى وجهه الكريم وعرف ان الجمع بين تلك اللذة وبين لذة التنعم بالحور والعين والنظر الى نقش القصور وخضرة الاشجار غير ممكن فلا يحب الا لذة النظر ولا يؤثر غيره ولا تظنن ان اهل الجنة عند النظر الى وجه الله تعالى يبقى للذة الحور والقصور متسع

وتعلو بهم بل تلك اللذة بالاضافة الى لذة نعيم الجنة كلذة ملك الدنيا والاستيلاء على اطراف الارض ورقاب الخلق بالاضافة
الى لذة الاستيلاء على عصفور واللعب به والطالبون لنعيم الجنة عند اهل المعرفة وارباب القلوب كالصبي الطالب للعب بالعصفور
التارك للذة الملك وذلك لقصوره عن ادراك لذة الملك لا لان اللعب بالعصفور في نفسه اعلى والذ من الاستيلاء بطريق الملك
على كافة الخلق واما انقسام الزهد بالاضافة الى المرغوب عنه فقد كثرت فيه الاقاويل ولعل المذكور فيه يزيد على مائة قول فلا
نشتغل بنقل الاقاويل ولكن نشير الى كلام محيط بالتفاصيل حتى يتضح ان اكثر ما ذكر فيه قاصر عن الاحاطة بالكل فنقول المرغوب عنه
بالزهد له اجمال وتفصيل ولتفصيله مراتب بعضها اشرح لاحاد الاقسام وبعضها اجمع للجمل اما الاجمال في الدرجة الاولى
فهو كل ما سوى الله فينبغي ان يزهد فيه حتى يزهد في نفسه ايضا والاجمال في الدرجة الثانية ان يزهد في كل صفة للنفس فيها متعة
وهذا يتناول جميع مقتضيات الطبع من الشهوة والغضب والكبر والرياسة والمال والجاه وغيرها وفي الدرجة الثالثة ان يزهد في المال
والجاه واسبابهما اذ اليهما يرجع جميع حظوظ النفس وفي الدرجة الرابعة ان يزهد في العلم والقدرة والدينار والدرهم والجاه اذ الاموال وان
كثرت اصنافها فيجمعها الدينار والدرهم والجاه وان كثرت اسبابه فيرجع الى العلم والقدرة واعني به كل علم وقدرة مقصودها ملك القلوب
اذ معنى الجاه هو ملك القلوب والقدرة عليها كما ان معنى المال ملك الاعيان والقدرة عليها فان جاوزت هذا التفصيل الى شرح
وتفصيل ابلغ من هذا فيكاد يخرج ما فيه الزهد عن الحصر وقد ذكر الله تعالى في اية واحدة سبعة منها فقال زين للناس حب الشهوات
من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحيوة الدنيا ثم رده في اية
اخرى الى خمسة فقال عز وجل انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد ثم رده في موضع اخر الى
اثنين فقال وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو ثم رد الكل الى واحد في موضع اخر فقال ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى
فالهوى لفظ يجمع جميع حظوظ النفس في الدنيا فينبغي ان يكون الزهد فيه واذا فهمت طريق الاجمال والتفصيل عرفت ان البعض من هذه
لا يخالف البعض وانما نفارقه في الشرح مرة والاجمال اخرى والحاصل ان الزهد عبارة عن الرغبة عن حظوظ النفس كلها ومهما
رغب عن حظوظ النفس رغب عن البقاء في الدنيا فقصر امله لا محالة لانه يريد البقاء ليتمتع ويريد التمتع الدائم بارادة البقاء فان من
اراد شيئا اراد دوامه ولا معنى لحب الحيوة الا حب دوام ما هو موجود او ممكن في هذه الحيوة فاذا رغب عنها لم يردها ولذلك لما
كتب الله عليهم القتال قالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب فقال تعالى قل متاع الدنيا قليل اي لستم تريدون البقاء
الا لمتاع الدنيا فظهر عند ذلك الزاهدون وانكشف حال المنافقين اما الزاهدون المحبون لله فقاتلوا في سبيل الله كأنهم بنيان
مرصوص وانتظروا احدى الحسنيين واما المنافقون ففروا من الزحف خوفا من الموت فقيل لهم ان الموت الذي تفرون منه فانه
ملاقيكم فاثاروا البقاء على الشهادة استبدلوا الذي هو ادنى بالذي هو خير فاولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة فما ربحت
تجارتهم وما كانوا مهتدين واما المخلصون فان الله اشترى منهم انفسهم واموالهم بان لهم الجنة فلما راوا انهم تركوا تمتع عشرين سنة
او ثلثين سنة بتمتع الابد استبشروا ببيعهم الذي بايعوا به فهذا بيان المزهود فيه واذا فهمت هذا علمت ان ما ذكره المتكلمون في
حد الزهد لم يشيروا به الا الى بعض اقسامه فذكر كل واحد ما راه غالبا على نفسه او على من كان يخاطبه فقال بشر الزهد في الدنيا هو
الزهد في الناس وهذا اشارة الى الزهد في الجاه خاصة وقال القاسم الجوعي الزهد في الدنيا هو الزهد في الجوف فبقدر ما تملك من بطنك
كذلك تملك من الزهد وهذه اشارة الى الزهد في شهوة واحدة ولعمري هي اغلب الشهوات على الاكثر وهي المهيجة لاكثر
الشهوات وقال الفضيل الزهد هو القناعة وهو اشارة الى المال خاصة وقال الثوري الزهد هو قصر الامل وهذا جامع لجميع الشهوات

الشهوات فان من يميل الى الشهوات يحدث نفسه بالبقاء فيطول امله ومن قصر امله فكأنه رغب عن الشهوات كلها وقال اويس
اذا خرج يطلب فقد ذهب الزهد وما قصد بهذا حد الزهد ولكن جعل التوكل شرطا في الزهد وقال اويس ايضا الزهد هو ترك
الطلب للمضمون وهو اشارة الى الرزق وقال اهل الحديث الدنيا هو العمل بالراي والمعقول والزهد انما هو اتباع العلم ولزوم
السنة وهذا ان اريد به الراي الفاسد والمعقول الذي يطلب به الجاه في الدنيا فهو صحيح ولكنه اشارة الى بعض اسباب الجاه
خاصة او الى بعض ما هو من فضول الشهوات فان من العلوم ما لا فائدة فيها في الاخرة وقد طولوها حتى ينقضي عمر الانسان في الاشتغال
بواحد منها فشرط الزاهد ان يكون الفضول اول مرغوب عنه عنده وقال الحسن الزاهد الذي اذا راى احدا قال هذا افضل مني فذهب
الى ان الزهد هو التواضع وهذا اشارة الى نفي الجاه والعجب وهو بعض اقسام الزهد وقال بعضهم الزهد هو طلب الحلال واين هذا ممن
يقول الزهد ترك الطلب كما قال اويس ولا شك في انه اراد به طلب الحلال وكان يوسف بن اسباط يقول من صبر على الاذى وترك الشهوات
واكل الخبز من حلال فقد اخذ باصل الزهد وفي الزهد اقاويل وراء ما نقلناه فلم نر في نقلها فائدة فان من طلب كشف حقائق الامور من اقاويل
الناس راها مختلفة فلا يستفيد الا الحيرة واما من انكشف له الحق في نفسه وادركه بمشاهدة من قلبه لا بتلقف من سمعه فقد وثق بالحق
واطلع على قصور من قصر لقصور بصيرته وعلى اقتصار من اقتصر مع كمال المعرفة لاقتصار حاجته وهؤلاء كلهم اقتصروا لا لقصور في البصيرة
ولكنهم ذكروا ما ذكروه عند الحاجة فلا جرم ذكروه بقدر الحاجة والحاجات تختلف فلا جرم الكلمات تختلف وقد يكون سبب الاقتصار
الاخبار عن الحالة الراهنة التي هي مقام العبد في نفسه فلا يكون الا واحدا ولا يتصور ان يختلف والاحوال تختلف فلا جرم الاقوال المخبرة عنها
تختلف واما الحق في نفسه فلا يكون الا واحدا ولا يتصور ان يختلف وانما الجامع من هذه الاقاويل الكامل في نفسه وان لم يكن فيه تفصيل
ما قاله ابو سليمان الداراني اذ قال قد سمعنا في الزهد كلاما كثيرا والزهد عندنا ترك كل شيء يشغلك عن الله عز وجل وقد فصله مرة فقال
من تزوج او سافر في طلب المعيشة او كتب الحديث فقد ركن الى الدنيا فجعل جميع ذلك ضدا للزهد وقرأ ابو سليمان قوله تعالى الا من اتى الله
بقلب سليم قال هو القلب الذي ليس فيه غير الله وقال انما زهدوا في الدنيا لتفرغ قلوبهم من همومها للاخرة فهذا بيان انقسام الزهد بالاضافة
الى اقسام المزهود فيه فاما بالاضافة الى احكامه فينقسم الى فرض ونفل وسلامة كما قاله ابرهيم بن ادهم فالفرض هو الزهد في الحرام والنفل
هو الزهد في الحلال والسلامة هو الزهد في الشبهات وقد ذكرنا تفاصيل درجات الورع في كتاب الحلال والحرام وذلك من الزهد وقيل
لمالك بن انس ما الزهد فقال التقوى واما بالاضافة الى خفايا ما يترك فلا نهاية للزهد اذ لا نهاية لما يتمتع به النفس في الخطرات و
اللحظات وسائر الحالات لا سيما خفايا الرياء فان ذلك لا يطلع عليه الا سماسرة العلماء بل الاموال الظاهرة ايضا درجات الزهد فيها لا
تتناهى فمن اقصى درجاتها زهد عيسى صلى الله عليه وسلم اذ توسد حجرا في نومه فقال له الشيطان اما كنت تركت الدنيا فما الذي بدا لك
فقال وما الذي تجدد فقال توسدك الحجر اي تنعمت برفع راسك عن الارض في النوم فرمى بالحجر وقال خذه فيما تركته لك وروي عن يحيى
بن زكريا صلوات الله عليهما انه لبس المسوح حتى ثقب جلده تركا للتنعم بلين اللباس واستراحة حس اللمس فسألته امه ان يلبس مكانه جبة من صوف
ففعل فاوحى الله تعالى اليه يا يحيى اثرت علي الدنيا فبكى ونزع الصوف وعاد الى ما كان وقال احمد الزهد زهد اويس بلغ من
العري الى ان جلس في قوصرة وجلس عيسى صلى الله عليه في ظل حائط انسان فاقامه صاحب الحائط فقال ما اقمتني انت انما اقامني الذي
لم يرض ان اتنعم بظل الحائط فاذن درجات الزهد ظاهرا وباطنا لا حصر لها واقل درجاته الزهد في كل شبهة ومحظور وقال قوم الزهد
هو الزهد في الحلال لا في الشبهة والمحظور فليس ذلك من درجاته في شيء ثم راوا انه لم يبق حلال في اموال الدنيا فلا يتصور الزهد
الان فان قلت مهما كان الصحيح هو ان الزهد ترك ما سوى الله فكيف يتصور ذلك مع الاكل والشرب ومخالطة الناس ومكالمتهم

فذلك اشتغال بما سوى الله فاعلم ان معنى الانصراف من الدنيا الى الله الاقبال بكلية القلب عليه ذكرا وفكرا ولا يتصور ذلك الا مع
البقاء ولا بقاء الا بضرورات النفس فمهما اقتصرت من الدنيا على دفع المهلكات عن البدن وكان غرضك الاستعانة بالبدن على
العبادة لم تكن مشتغلا بغير الله فان ما لا يتوصل الى الشيء الا به فهو منه فالمشتغل بعلف الناقة وسقيها في طريق الحج ليس معرضا
عن الحج ولكن ينبغي ان يكون بدنك في طريق الله مثل ناقتك في طريق الحج ولا غرض لك في تنعم ناقتك باللذات بل غرضك مقصور
على دفع المهلكات حتى تسير بك الى مقصدك فكذلك ينبغي ان تكون في صيانة بدنك عن الجوع والعطش المهلك بالاكل والشرب
وعن الحر والبرد المهلك باللباس والمسكن فتقتصر على قدر الضرورة ولا تقصد التلذذ بل التقوي على طاعة الله فذلك لا ينافي
الزهد بل هو شرط الزهد فان قلت لا بد ان اتلذذ بالاكل عند الجوع فاعلم ان ذلك لا يضرك اذا لم يكن قصدك التلذذ فان شارب
الماء البارد قد يستلذ الشرب ويرجع حاصله الى زوال الم العطش ومن يقضي حاجته قد يستريح به ولكن لا يكون ذلك مقصودا عنده
ومطلوبا بالقصد فلا يكون القلب منصرفا اليه فالانسان قد يستريح به ولكن لا يكون ذلك مقصودا عنده في قيام الليل بنسيم
الاسحار وصوت الطيور ولكن اذا لم يقصد طلب موضع لهذه الاستراحة فما يصيبه من ذلك بغير قصد لا يضره ولقد كان في
الخائفين من طلب موضعا لا يصيبه نسيم الاسحار خيفة من الاستراحة به وانس القلب معه فيكون فيه انس الى الدنيا ونقصان في
الانس بالله بقدر وقوع الانس بغير الله ولذلك كان داود الطائي له حب مكسور فيه ماؤه وكان لا يرفعه من الشمس ويشرب الماء الحار
ويقول من وجد لذة الماء البارد شق عليه مفارقة الدنيا فهذه مخاوف المحتاطين والحزم في جميع ذلك الاحتياط فانه وان كان شاقا
فمدته قريبة والاحتماء مدة يسيرة للتنعم على التأبيد لا يثقل على اهل المعرفة القاهرين لانفسهم بسياسة الشرع المعتصمين بعروة اليقين في
معرفة المضادة التي بين الدنيا والدين

بيان تفصيل الزهد فيما هو من ضروريات الحيوة

اعلم ان ما الناس منهمكون فيه ينقسم
الى فضول والى مهم فالفضول كالخيل المسومة مثلا اذ الغالب انما يقتنيها الانسان للركوب وهو قادر على المشي والمهم كالاكل والشرب ولسنا
نقدر على تفصيل اصناف الفضول فان ذلك لا ينحصر وانما ينحصر المهم الضروري والمهم ايضا يتطرق اليه فضول في مقداره وجنسه
واوقاته فلا بد من بيان وجه الزهد فيه والمهمات ستة المطعم والملبس والمسكن واثاثه والمنكح والمال والجاه ويطلب لاغراض
هذه الستة من جملتها وقد ذكرنا معنى الجاه وسبب حب الخلق له وكيفية الاحتراز منه في كتاب الرياء من ربع المهلكات ونحن الآن
نقتصر على بيان هذه المهمات الستة

الاول المطعم

ولا بد للانسان من قوت حلال يقيم صلبه ولكن له طول وعرض فلا بد من
قبض طوله وعرضه حتى يتم به الزهد فاما طوله فبالاضافة الى جملة العمر فان من يملك طعام يومه فقد لا يقنع به واما عرضه ففي
مقدار الطعام وجنسه ووقت تناوله اما طوله فلا ينقصر الا بقصر الامل واقل درجات الزهد فيه الاقتصار على قدر دفع الجوع عند
شدة الجوع وخوف المرض ومن هذا حاله فاذا استقل بما تناوله لم يدخر من غدائه لعشائه وهذه هي الدرجة العليا الدرجة
الثانية ان يدخر لشهر او لاربعين يوما والثالث ان يدخر لسنة فقط وهذه رتبة ضعفاء الزهاد ومن ادخر لاكثر من ذلك فتسميته
زاهدا محال لان من امل بقاء اكثر من سنة فهو طويل الامل جدا فلا يتم منه الزهد الا اذا لم يكن له كسب ولم يرض لنفسه الاخذ من الايدي
كداود الطائي فانه ورث عشرين دينارا فامسكها وانفقها في عشرين سنة فهذا لا يضاد اصل الزهد الا عند من جعل التوكل شرط الزهد
واما عرضه فبالاضافة الى المقدار فاقل درجاته في اليوم والليلة نصف رطل واوسطه رطل واعلاه مد واحد وهو ما قدره الله تعالى
في اطعام المساكين في الكفارة وما وراء ذلك فهو من اتساع البطن والاشتغال به ومن لم يقدر على الاقتصار على مد لم يكن له من الزهد
في البطن نصيب واما بالاضافة الى الجنس فاقله كل ما يقوت ولو الخبز من النخالة واوسطه خبز الشعير والذرة واعلاه خبز البر

غير منخول فاذا ميز من النخالة وصار حواري فقد دخل في التنعم وخرج عن آخر ابواب الزهد فضلا عن اوله واما الادم فاقله
الملح او البقل او الخل واوسطه الزيت او يسير من الادهان اي دهن كان واعلاه اللحم اي لحم كان وذلك في الاسبوع مرة
او مرتين فان صار دائما او اكثر من اسبوع خرج من آخر ابواب الزهد فلم يكن صاحبه زاهدا في البطن اصلا واما بالاضافة الى
الوقت فاقله في اليوم والليلة مرة وهو ان يكون صائما واوسطه ان يصوم ويشرب ليلة ولا يأكل ويأكل ليلة ولا يشرب واعلاه
ان ينتهي الى ان يطوي ثلاثة ايام او اسبوعا وما زاد عليه وقد ذكرنا طريق تقليل الطعام وكسر شرهه في ربع المهلكات ولينظر الى احوال
رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة في كيفية زهدهم في المطاعم وتركهم الادم قالت عائشة رضي الله عنها كانت
تأتي اربعون ليلة وما يوقد في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مصباح ولا نار قيل لها فبم كنتم تعيشون قالت بالاسودين
التمر والماء وهذا ترك اللحم والمرقة والادم وقال الحسن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يركب الحمار ويلبس الصوف وينتعل
المخصوف ويلعق اصابعه ويأكل على الارض ويقول انما انا عبد آكل كما يأكل العبيد وقال عيسى صلوات الله عليه بحق اقول ان
من طلب الفردوس فخبز الشعير له والنوم في المزابل مع الكلاب كثير وقال الفضيل ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ قدم
المدينة ثلاثة ايام من خبز البر وكان عيسى يقول يا بني اسرائيل عليكم بالماء القراح والبقل البري وخبز الشعير واياكم وخبز البر
فانكم لن تقوموا بشكره وقد ذكرنا سيرة الانبياء والسلف في المطعم في ربع المهلكات فلا نعيده ولما اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
اهل قباء اتوه بشربة من لبن مشوبة بعسل فوضع القدح من يده وقال اما اني لست احرمه ولكن اتركه تواضعا لله تعالى واتي عمر
رضي الله عنه بشربة من ماء بارد وعسل في يوم صائف فقال اعزلوا عني حسابها وقد قال يحيى بن معاذ الرازي الزاهد
الصادق قوته ما وجد ولباسه ما ستر ومسكنه حيث ادرك الدنيا سجنه والقبر مضجعه والخلوة مجلسه والاعتبار فكرته
والقرآن حديثه والرب انيسه والذكر رفيقه والزهد قرينه والحزن شانه والحياء شعاره والجوع ادامه والحكمة كلامه
والتراب فراشه والتقوى زاده والصمت غنيمته والصبر معتمده والتوكل حسبه والعقل دليله والعبادة حرفته والجنة مبلغه
ان شاء الله تعالى وبه الحول والقوة

المهم الثاني الملبس

واقل درجاته ما يدفع الحر والبرد ويستر العورة
وهو كساء يتغطى به واوسطه قميص وقلنسوة ونعلان واعلاه ان يكون معه منديل وسراويل وما جاوز هذا من حيث المقدار
فهو مجاوز حد الزهد وشرط الزاهد ان لا يكون له ثوب يلبسه اذا غسل ثوبه بل يلزمه القعود في البيت فاذا صار صاحب قميصين
وسراويلين ومنديلين فقد خرج من جميع ابواب الزهد هذا من حيث المقدار اما الجنس فاقله المسوح الخشنة واوسطه
الصوف الخشن واعلاه القطن الغليظ واما من حيث الوقت فاقصاه ما يستر سنة واقله ما يبقى يوما حتى رقع بعضهم
ثوبه بورق الشجر وان كان يتسارع الجفاف اليه واوسطه ما يتماسك عليه شهرا وما يقاربه فطلب ما يبقى اكثر من سنة
خروج الى طول الامل وهو مضاد للزهد الا اذا كان المطلوب خشونته ثم قد يتبع ذلك قوته ودوامه فمن وجد زيادة من ذلك
فينبغي ان يتصدق به فان امسكه لم يكن زاهدا بل كان محبا للدنيا ولينظر فيه الى احوال الانبياء صلوات الله عليهم والصحابة كيف
تركوا الملابس قال ابو بردة اخرجت الينا عائشة رضي الله عنها كساء ملبدا وازارا غليظا فقالت قبض رسول الله صلى الله
عليه وسلم في هذين وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يحب المتبذل الذي لا يبالي ما لبس وقال عمرو بن الاسود العنسي
لا البس مشهورا ابدا ولا انام بليل على دثار ابدا ولا اركب على مأثور ابدا ولا املأ جوفي من طعام ابدا فقال عمر رضي الله عنه
من سره ان ينظر الى هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلينظر الى عمرو بن الاسود وفي الخبر ما من عبد لبس ثوب شهرة الا اعرض الله عنه

عنه حتى نزعه وان كان عنده جيدا واشترى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبا باربعة دراهم وكان قيمة ثوبيه عشرة
وكان ازاره اربعة اذرع ونصف واشترى سراويل بثلاثة دراهم وكان يلبس شملتين بيضاوين من صوف وكانت تسمى حلة
لانهما ثوبان من جنس واحد وربما لبس بردين يمانيين او سحوليين من هذه الغلاظ وفي الخبر كان قميص رسول الله صلى الله عليه
وسلم كانه قميص زيات ولبس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما واحدا ثوبا سيراء من سندس قيمته مائتا درهم وكان اصحابه
يلمسونه ويقولون يا رسول الله انزل هذا عليك من الجنة تعجبا وقد كان اهداه المقوقس ملك الاسكندرية فاراد ان يكرمه
بلبسه ثم نزعه وارسل به الى رجل من المشركين وصله به ثم حرم لبس الحرير والديباج وكانه انما لبسه اولا تاكيدا للتحريم كما لبس
خاتما من ذهب يوما ثم نزعه فحرم لبسه على الرجال وكما قال لعائشة في شان بريرة اشترطي لاهلها الولاء فلما اشترطته صعد
المنبر فحرمه وكما اباح المتعة ثلثا ثم حرمها لتاكيد امر النكاح وقد صلى صلى الله عليه وسلم في خميصة لها علم فلما سلم قال
شغلني النظر الى هذه اذهبوا بها الى ابي جهم واتوني بانبجانيته يعني كساءه فاختار لبس الكساء على الثوب الناعم وكان شراك
نعله قد اخلق فابدل بسير جديد فصلى فيه فلما سلم قال اعيدوا الشراك الخلق وانزعوا هذا الجديد فاني نظرت اليه في الصلوة
ولبس خاتما فنظر اليه على المنبر نظرة فرمى به وقال شغلني هذا عنكم نظرة اليه ونظرة اليكم وكان صلى الله عليه وسلم قد
احتذى نعلين جديدين فاعجبه حسنهما فخر ساجدا وقال اعجبني حسنهما فتواضعت لربي خشية ان يمقتني ثم خرج بهما فدفعهما
الى اول مسكين راه وقال صلى الله عليه وسلم ان من خيار امتي فيما انبأني الملأ الاعلى قوما يضحكون جهرا من سعة رحمة ربهم و
يبكون سرا من خوف عذابه مؤنتهم على الناس خفيفة وعلى انفسهم ثقيلة يلبسون الخلقان ويتبعون الرهبان اجسامهم
في الارض وافئدتهم عند العرش فهذه سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الملابس وقد اوصى امته عامة باتباعه اذ
قال من احبني فليستن بسنتي وقال عليه الصلوة والسلام عليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين عضوا عليها بالنواجذ وقال
قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله واوصى عايشة رضي الله عنها خاصة وقال لها ان اردت اللحوق بي فاياك ومجالسة
الاغنياء ولا تنزعي ثوبا حتى ترقعيه وعد على قميص لعمر رضي الله عنه اثنتي عشرة رقعة بعضها من ادم واشترى علي رضي الله عنه
ثوبا بثلثة دراهم ولبسه وهو في الخلافة وقطع كميه من الرسغين وقال الحمد لله الذي هذا من رياشه وقال الثوري وغيره
البس من الثياب ما لا يشهرك عند العلماء ولا يحقرك عند الجهال وكان يقول ان الفقير ليمر بي وانا اصلي فادعه يجوز ويمر بي
واحد من ابناء الدنيا وعليه هذه البزة فامقته فلا ادعه يجوز وقال بعضهم قومت ثوبي سفين ونعليه بدرهم واربع دوانق
وقال ابن شبرمة خير ثيابي ما خدمني وشرها ما خدمته وقال بعض السلف البس من الثياب ما يخلطك بالسوقة ولا تلبس منها
ما يشهرك فينظر اليك وقال ابو سليمان الثياب ثلاثة ثوب لله وهو ما يستر العورة وثوب للنفس وهو ما يطلب لينه
وثوب للناس وهو ما يطلب جوهره وحسنه وقال بعضهم من رق ثوبه رق دينه وكان جمهور العلماء من التابعين قيمة
قيمة ثيابهم ما بين العشرين الى الثلثين وكان الخواص لا يلبس اكثر من قطعتين قميص ومئزر تحته ويعطف ذيل قميصه على راسه و
قال بعض السلف اول النسك الزي وفي الخبر البذاذة من الايمان وفي الخبر من ترك ثوب جمال وهو يقدر عليه تواضعا لله تعالى
وابتغاء لوجهه كان حقا على الله تعالى ان يدخر له من عبقري الجنة في تخت الياقوت واوحى الله الى بعض انبيائه قل لاوليائي لا يلبسوا
ملابس اعدائي ونظر رافع بن خديج الى بشر بن مروان على منبر الكوفة وهو يعظ فقال انظروا الى اميركم يعظ الناس وعليه ثياب الفساق
وكان عليه ثياب رقاق وجاء عبد الله بن عامر بن ربيعة الى ابي ذر في بزته فجعل يتكلم في الزهد فوضع ابو ذر راحته على فيه وجعل

وجعل يضرط به فغضب ابن عامر فشكاه الى ابن عمر فقال انت صنعت بنفسك تتكلم في الزهد بين يديه بهذه البزة وقال
علي رضي الله عنه ان الله عز وجل اخذ على ائمة الهدى ان يكونوا في مثل ادنى احوال الناس ليقتدي بهم الغني ولا يزري بالفقير
فقره ولما عوتب في خشونة لباسه قال هو ادنى الى التواضع واجدر ان يقتدي بي المسلم ونهى صلى الله عليه وسلم عن
التنعم وقال ان لله عبادا ليسوا بالمتنعمين وراى فضالة بن عبيد وهو والي مصر اشعث حافيا فقيل له انت الامير وتفعل هذا
فقال نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الارفاه وامرنا ان نحتفي احيانا وقال علي رضي الله عنه لعمر رضي الله عنه ان
اردت ان تلحق بصاحبيك فارقع القميص ونكس الازار واخصف النعل وكل دون الشبع وقال عمر اخلولقوا واخشوشنوا واياكم
واياكم وزي العجم كسرى وقيصر وقال علي رضي الله عنه من تزيا بزي قوم فهو منهم وقال صلى الله عليه وسلم ان من شرار
امتي الذين غذوا بالنعيم يطلبون الوان الطعام والوان الثياب ويتشدقون في الكلام وقال صلى الله عليه وسلم ازرة المؤمن
الى انصاف ساقيه ولا جناح عليه فيما بينه وبين الكعبين وما اسفل من ذلك ففي النار ولا ينظر الله يوم القيمة الى من جر ازاره
بطرا وقال ابو سليمان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يلبس الشعر من امتي الا مرائي او احمق وقال الاوزاعي لباس الصوف في
السفر سنة وفي الحضر بدعة ودخل محمد بن واسع على قتيبة بن مسلم وعليه جبة صوف فقال له قتيبة ما دعاك الى مدرعة
الصوف فسكت فقال اكلمك ولا تجيبني فقال اكره ان اقول زهدا فازكي نفسي او فقرا فاشكو ربي وقال ابو سليمان لما اتخذ الله
ابرهيم خليلا اوحى اليه ان وار عورتك من الارض وكان لا يتخذ من كل شيء الا واحدا الا السراويل فانه كان يتخذ سراويلين فاذا
غسل احدهما لبس الاخر حتى لا ياتي عليه حال الا وعورته مستورة وقيل لسلمان الفارسي ما لك لا تلبس الجيد من الثياب
فقال وما للعبد والثوب الحسن فاذا اعتق فله والله ثياب لا تبلى ابدا ويروى عن عمر بن عبد العزيز انه كان له جبة شعر
وكساء شعر يلبسهما من الليل اذا قام يصلي وقال الحسن لفرقد السبخي تحسب ان لك فضلا على الناس بكسائك بلغني ان اكثر اصحاب
النار اهل الاكسية وقال يحيى بن معين رايت ابا معوية الاسود وهو يلتقط الخرق من المزابل ويغسلها ويلفقها ويلبسها فقلت
فقلت انك تكسى خيرا من هذه فقال ما ضرهم ما اصابهم في الدنيا جبر الله لهم بالجنة كل مصيبة فجعل يحيى بن معين يحدث بها
ويبكي

المهم الثالث المسكن وللزهد فيه ايضا ثلاث درجات اعلاها ان لا يطلب موضعا خاصا لنفسه فيقنع بزوايا
المساجد كاصحاب الصفة واوسطها ان يطلب موضعا خاصا مثل كوخ مبني من سعف او خص او ما يشبهه وادناها ان يطلب حجرة
مبنية اما بشرى او باجارة فان كان قدر سعته على قدر حاجته من غير زيادة ولم يكن فيه زينة لم يخرجه هذا القدر عن اخر درجات
الزهد فان طلب التشييد والتجصيص والسعة وارتفاع السقف اكثر من ستة اذرع فقد جاوز بالكلية حد الزهد في المسكن
فاختلاف جنس البناء بان يكون بالجص والقصب او بالطين او بالاجر واختلاف قدره بالسعة والضيق واختلاف طوله بالاضافة
الى الاوقات بان يكون مملوكا او مستاجرا او مستعارا وللزهد مدخل في جميع ذلك وبالجملة كل ما يراد للضرورة فلا ينبغي ان يجاوز
حد الضرورة وقدر الضرورة من الدنيا آلة الدين ووسيلته وما جاوز ذلك فهو مضاد للدين والغرض من المسكن دفع المطر والبرد
ودفع الاعين والايدي واقل الدرجات فيه معلوم وما زاد عليه فهو من الفضول والفضول كله من الدنيا وطالب الفضول والساعي له
بعيد من الزهد جدا وقيل اول شيء ظهر من طول الامل بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم التدريز والتشييد يعني درز الثياب فانها
كانت تشل شلا والبنيان بالجص والاجر هو التشييد وانما كانوا يبنون بالسعف والجريد وقد جاء في الاثر ياتي على الناس زمان يوشون
بنيانهم كما يوشى البرود اليمانية وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم العباس ان يهدم علية كان قد علاها ومر عليه بجنبذة معلاة فقال

لمن هذه فقالوا لفلان فلما جاءه الرجل اعرض عنه فلم يكن يقبل عليه كما كان فسأل الرجل اصحابه عن تغير وجه رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاخبر فذهب فهدمها فمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالموضع فلم يرها فاخبر بانه هدمها فدعا له بخير وقال الحسن
مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة وقال عليه الصلوة والسلم اذا اراد الله بعبد شرا اهلك
ماله في الماء والطين وقال عبد الله بن عمر مر علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نعالج خصا فقال ما هذا فقلنا خص لنا وقد
وهى فقال ارى الامر اعجل من ذلك واتخذ نوح عليه السلم بيتا من قصب فقيل لو بنيت فقال هذا كثير لمن يموت وقال الحسن
دخلنا على صفوان بن محرز وهو في بيت من قصب قد مال عليه فقيل له لو اصلحته فقال كم من رجل قد مات وهذا قائم وقال صلى الله عليه
وسلم من بنى فوق ما يكفيه كلف ان يحمله يوم القيمة وفي الخبر كل نفقة يوجر عليها العبد الا ما انفقه في الماء والطين وفي قوله تعالى
تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض انه الرياسة والتطاول في البنيان وقال صلى الله عليه وسلم كل بناء وبال
على صاحبه يوم القيمة الا ما اكن من حر وبرد وقال صلى الله عليه وسلم للرجل الذي شكى اليه ضيق منزله اتسع في السماء اي في الجنة ونظر
عمر رضي الله عنه في طريق الشام الى صرح قد بني بجص واجر فكبر وقال ما كنت اظن ان يكون في هذه الامة من يبني بناء هامان لفرعون
يعني قول فرعون فاوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا يعني به الاجر ويقال ان فرعون هو اول من بني له بالجص والاجر واول
من عمله هامان ثم تبعها الجبابرة وهذا هو الزخرف ورأى بعض السلف جامعا في الامصار فقال ادركت هذا المسجد مبنيا من الجريد
والسعف ثم رأيته مبنيا من رهص ثم رأيته الآن مبنيا باللبن قال وكان اصحاب السعف خيرا من اصحاب اللبن وكان في السلف من يبني
داره مرارا في مدة عمره لضعف بنائه وقصر امله وزهده في احكام البنيان وكان منهم من اذا حج او غزا نزع بيته او وهبه لجيرانه
فاذا رجع اعاده وكانت بيوتهم من الحشيش والجلود وهي عادة العرب الآن ببلاد اليمن وكان ارتفاع بناء السلف قامة وبسطة قال
الحسن كنت اذا دخلت بيوت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضربت بيدي الى السقف وقال عمرو بن دينار اذا اعلى العبد البناء فوق ست
اذرع ناداه ملك الى اين يا افسق الفاسقين ونهى سفيان عن النظر الى بناء مشيد وقال لولا نظر الناس لما شيدوا فالناظر عليه معين
وقال الفضيل اني لا اعجب ممن بنى وترك ولكن ممن نظر اليه ولم يعتبر وقال ابن مسعود يأتي قوم يرفعون الطين ويضعون الدين ويستعملون
البراذين يصلون الى قبلتكم ويموتون على غير دينكم المهم السابع اثاث البيت وللزهد فيه ايضا درجات واعلاها حال عيسى
عليه السلم اذ كان لا يصحبه الا مشط وكوز فرأى انسانا يمشط لحيته باصابعه فرمى المشط ورأى آخر يشرب من النهر بكفيه فرمى الكوز
وهذا حكم كل اثاث فانه يراد لمقصود فاذا استغنى عنه فهو وبال في الدنيا والاخرة وما لا يستغنى عنه فيقتصر فيه على اقل الدرجات
وهو الخزف وكل ما يكفي فيه الخزف ولا يبالي بان يكون مكسور الطرف اذا كان المقصود يحصل به واوسطها ان يكون له اثاث بقدر الحاجة
صحيح في نفسه لكن يستعمل الآلة الواحدة في مقاصد كالذي معه قصعة يشرب فيها ويأكل الثريد فيها ويحفظ المتاع فيها وكان
السلف يستحبون استعمال آلة واحدة في اشياء للتخفيف واعلاه ان يكون له بعدد كل حاجة آلة من الجنس النازل الخسيس فان زاد في
العدد او في نفاسة الجنس خرج من جميع ابواب الزهد وركن الى طلب الفضول ولينظر الى سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيرة
الصحابة فقد قالت عائشة كان ضجاع رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي ينام عليه وسادة من ادم حشوها ليف وروي ان عمر بن الخطاب
دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نائم على سرير مرمول بشريط فجلس فرأى اثر الشريط في جنبه صلى الله عليه وسلم فدمعت
عيناه فقال صلى الله عليه وسلم ما الذي ابكاك يا ابن الخطاب فقال ذكرت كسرى وقيصر وما هما فيه من الملك وذكرتك وانت رسول الله
وحبيبه وصفيه نائم على سرير مرمول بالشريط فقال صلى الله عليه وسلم اما ترضى يا عمر ان يكون لهم الدنيا ولنا الآخرة قال بلى

يا رسول الله قال فذلك كذلك ودخل رجل على ابي ذر فجعل يقلب بصره في بيته فقال يا ابا ذر ما ارى في بيتك متاعا ولا غير ذلك من
الاثاث فقال ان لنا بيتا نوجه اليه صالح متاعنا فقال انه لا بد لك من متاع ما دمت ههنا فقال ان صاحب المنزل لا يدعنا فيه ولما
قدم عمير بن سعد امير حمص على عمر قال له ما معك من الدنيا فقال معي عصاي اتوكأ عليها واقتل بها حية ان لقيتها ومعي جرابي احمل
فيه طعامي ومعي قصعتي آكل فيها واغسل فيها رأسي وثوبي ومعي مطهرتي احمل فيها شرابي وطهوري للصلوة فما كان بعد هذا من الدنيا
فهو تبع لما معي فقال صدقت رحمك الله وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفر فدخل على فاطمة رضي الله عنها فرأى على بابها سترا
وفي يديها قلبين من فضة فرجع فدخل عليها ابو رافع وهي تبكي فاخبرته برجوع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله فقال من اجل الستر
والسوارين فارسلت بهما بلالا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت قد تصدقت به فضعه حيث ترى فقال اذهب فبعه
وادفعه الى اهل الصفة فباع القلبين بدرهمين ونصف وتصدق به عليهم فدخل عليها فقال بابي انت وامي قد احسنت ورأى صلى الله عليه
وسلم على باب عائشة سترا فهتكه وقال كلما رأيته ذكرت الدنيا ارسلي به الى آل فلان وفرشت له عائشة رضي الله عنها ذات ليلة فراشا
جديدا وقد كان صلى الله عليه وسلم ينام على عباءة مثنية فما زال يتقلب ليلته فلما اصبح قال لها اعيدي العباءة الخلقة ونحي هذا الفراش
عني فقد اسهرني الليلة وكذلك اتته دنانير خمسة او ستة عشاء فبيتها فسهر ليلته حتى اخرجها من آخر الليل قالت عائشة رضي الله عنها
فنام حينئذ حتى سمعت غطيطه ثم قال ما ظن محمد بربه لو لقي الله وهذه عنده وقال الحسن ادركت سبعين من الاخيار ما لاحدهم الا ثوبه وما
وضع احدهم بينه وبين الارض ثوبا قط كان اذا اراد النوم باشر الارض بجسمه وجعل ثوبه فوقه المهم الخامس المنكح
وقد قال قائلون لا معنى للزهد في اصله ولا في كثرته واليه ذهب سهل بن عبد الله وقال قد حبب الى سيد الزاهدين فكيف نزهد فيه ووافقه
ابن عيينة وقال كان ازهد الصحابة علي بن ابي طالب وكان له اربع نسوة وبضع عشرة سرية والصحيح ما قاله ابو سليمان الداراني اذ قال كل ما
شغلك عن الله من اهل ومال وولد فهو مشؤم والمرأة قد تكون شاغلة وكشف الحق فيه انه قد يكون العزوبة افضل في بعض الاحوال
كما سبق في كتاب النكاح فيكون ترك النكاح من الزهد وحيث يكون النكاح افضل لدفع الشهوة الغالبة فهو واجب فكيف
يكون من الزهد تركه وان لم يكن عليه آفة في تركه ولا في فعله ولكن ترك النكاح احترازا من ميل القلب اليهن والانس بهن بحيث
يشتغل عن ذكر الله فترك ذلك من الزهد وان علم ان المرأة لا تشغله عن ذكر الله ولكن ترك احترازا من لذة النظر والمضاجعة والوقاع
فليس هذا من الزهد اصلا فان الولد مقصود لبقاء نسله وتكثير امة رسول الله صلى الله عليه وسلم من القربات واللذة التي تلحق
الانسان فيما هو ضرورة الوجود لا تضره اذا لم يكن هو المطلب والمقصود وهو كمن ترك اكل الخبز وشرب الماء احترازا من لذة الاكل والشرب
وليس ذلك من الزهد لانه في تركهما فوات بدنه وفي ترك النكاح انقطاع نسله فلا يجوز ان يترك النكاح زهدا في لذته من غير خوف
آفة اخرى وهذا ما عناه سهل لا محالة ولاجله نكح رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا ثبت هذا فحكم الحال رسول الله صلى الله
عليه وسلم في انه لا يشغله كثرة النسوة ولا اشتغال القلب باصلاحهن والانفاق عليهن فلا معنى لزهده فيهن حذرا من مجرد لذة الوقاع
والنظر ولكن يتصور ذلك لغير العلماء والانبياء والاولياء فاكثر الناس يشغلهم كثرة النسوة فينبغي ان يترك الاصل ان كان يشغله وان لم
يشغله وكان يخاف ان يشغله الكثرة منهن او جمال المرأة فلينكح واحدة غير جميلة وليراع قلبه في ذلك قال ابو سليمان الزهد في النساء
ان يختار المرأة الدون او اليتيمة على المرأة الجميلة والشريفة وقال الجنيد احب للمريد المبتدي ان لا يشغل قلبه بثلث والا تغير
حاله التكسب وطلب الحديث والتزوج وقال احب للصوفي ان لا يقرأ ولا يكتب لانه اجمع لهمه فاذا ظهر ان لذة النكاح كلذة الاكل
فما شغل عن الله فهو محذور فيهما جميعا المهم السادس ما يكون وسيلة الى هذه الخمسة وهو المال والجاه اما الجاه

تمناه ملك القلوب بطلب محل فيها ليتوصل بها الى الاستعانة في الاغراض والاعمال وكل من لا يقدر على القيام بنفسه في جميع
حاجاته وافتقر الى من يخدمه افتقر الى جاه لا محالة في قلب خادمه لانه ان لم يكن له عنده محل وقدر لم يقم بخدمته وقيام
القدر والمحل في القلوب هو الجاه وهذا له اول قريب ولكن يتمادى الى هاوية لا عمق لها ومن حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه وانما
يحتاج الى المحل في القلوب اما لجلب نفع او لدفع ضر او لخلاص من ظلم فاما النفع فيغني عنه المال فان من يخدم باجرة يخدم وان
لم يكن للمستاجر عنده قدر وانما يحتاج الى الجاه في قلب من يخدم بغير اجرة واما دفع الضر فيحتاج لاجله الى الجاه في بلد لا يكمل العدل
فيها او يكون بين جيران يظلمونه فلا يقدر على دفع شرهم الا بمحل له في القلوب اصلا فان اشتغاله بالدين والعبادة يمهد له من
المحل في القلوب ما يدفع به عنه الاذى ولو كان بين الكفار فكيف بين المسلمين واما التوهمات والتقديرات التي تحوج الى زيادة
في الجاه على الحاصل بغير كسب فهي اوهام كاذبة اذ من طلب الجاه ايضا لم يخل عن اذى في بعض الاحوال فعلاج ذلك بالاحتمال والصبر
اولى من علاجه بطلب الجاه فاذن طلب المحل في القلوب لا رخصة فيه اصلا واليسير منه داع الى الكثير وضراوته اشد من ضراوة
الخمر فليحترز من قليله وكثيره واما المال فهو ضروري في المعيشة اعني القليل منه فان كان كسوبا فاذا اكتسب حاجة يومه فينبغي ان
يترك الكسب كان بعضهم اذا اكتسب حبتين رفع سفطه وقام هذا شرط الزهد فان جاوز ذلك الى ما يكفيه اكثر من سنة فقد خرج من
حد ضعفاء الزهاد واقويائهم جميعا وان كانت له ضيعة ولم يكن له قوة يقين في التوكل فامسك منها مقدار ما يكفي ريعه لسنة
واحدة فلا يخرج بهذا القدر من الزهد بشرط ان يتصدق بكل ما يفضل من كفاية سنته ولكن يكون من ضعفاء الزهاد فان شرط التوكل
في الزهد كما شرطه اويس القرني فلا يكون هذا من الزهاد وقولنا انه خرج من حد الزهاد نعني به ان ما وعد للزاهدين في الدار الاخرة
من المقامات المحمودة لا يناله والا فاسم الزهد قد لا يفارقه بالاضافة الى ما زهد فيه من الفضول والكثرة وامر المنفرد في جميع ذلك
اخف من امر المعيل وقال ابو سليمان لا ينبغي ان يرهق الرجل الى الزهد اهله بل يدعوهم اليه فان اجابوا والا تركهم وفعل بنفسه ما شاء
معناه ان التضييق المشروط على الزاهد يخصه ولا يلزمه كل ذلك في عياله نعم لا ينبغي ان يجيبهم ايضا فيما يخرج عن حد الاعتدال
وليتعلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انصرف من بيت فاطمة بسبب ستر وقلبين لان ذلك من الزينة لا من الحاجة فاذن
ما يضطر الانسان اليه من جاه ومال ليس بمحذور بل الزائد على الحاجة سم قاتل والمقتصر على الضرورة دواء نافع وما بينهما درجات
متشابهة فما يقرب من الزيادة وان لم يكن سما قاتلا فهو مضر وما يقرب من الضرورة فهو وان لم يكن دواء نافعا ولكنه قليل الضرر
والسم محظور شربه والدواء فرض تناوله وما بينهما مشتبه امره فمن احتاط فانما يحتاط لنفسه ومن تساهل فانما يتساهل على نفسه
ومن استبرأ لدينه وترك ما يريبه الى ما لا يريبه ورد نفسه الى مضيق الضرورة فهو الآخذ بالحزم وهو من الفرقة الناجية لا محالة
والمقتصر على الضرورة والمهم لا يجوز ان ينسب الى الدنيا بل ذلك القدر من الدنيا هو عين الدين لانه شرط الدين والشرط من جملة
المشروط ويدل عليه ما روي ان ابراهيم صلى الله عليه اصابته حاجة فذهب الى صديق له يستقرضه شيئا فلم يقرضه فرجع مهموما فاوحى
الله تعالى اليه لو سالت خليلك لاعطاك فقال يا رب عرفت مقتك للدنيا فخفت ان اسالك منها شيئا فاوحى الله تعالى اليه ليس الحاجة
من الدنيا فاذن قدر الحاجة من الدين وما وراء ذلك وبال في الاخرة وهو في الدنيا ايضا كذلك يعرفه من يخبر احوال الاغنياء وما عليهم من
المحنة في كسب المال وجمعه وحفظه واحتمال الذل فيه وغاية سعادته به ان يسلم لورثته فياكلونه وربما يكونون اعداء له وربما يستعينون به على
المعصية فيكون هو معينا لهم عليها ولذلك شبه جامع الدنيا ومتبع الشهوات بدود القز لا يزال ينسج على نفسه حتى يقتلها ثم يروم
الخروج فلا يجد مخلصا فيموت ويهلك بسبب عمله الذي عمله بنفسه فكذلك كل من اتبع شهوات الدنيا فانما يحكم على قلبه

بسلاسل تقيده بما يشتهيه حتى يتظاهر عليه السلاسل فيقيده المال والجاه والاهل والولد وشماتة الاعداء ومراءاة الاصدقاء
وسائر حظوظ الدنيا فلو خطر له انه قد اخطأ فيه وقصد الخروج من الدنيا لم يقدر عليه وراى قلبه مقيدا بسلاسل
واغلال لا يقدر على قطعها ولو ترك محبوبا من محابه باختياره كان كالقاتل لنفسه والساعي في هلاكها الى ان يفرق
ملك الموت بينه وبينها دفعة فتبقى السلاسل من قلبه معلقة بالدنيا التي فاتته وخلفها فهي تجاذبه الى الدنيا
ومخالب ملك الموت قد تعلقت بعروق قلبه تجذبه الى الاخرة فيكون اهون احواله عند الموت ان يكون مثل شخص ينشر
بالمنشار ويفصل احد جانبيه من الاخر بالمجاذبة من الجانبين والذي ينشر بالمنشار انما ينزل المؤلم ببدنه والمه يحث ليسري
اثره الى قلبه فكيف الظن بالم يتمكن اولا من صميم القلب مخصوصا به لا بطريق السراية اليه من غيره فهذا اول عذاب يلقاه قبل ما يراه
من حسرة فوت النزول في اعلى عليين وجوار رب العالمين فبالنزوع الى الدنيا يحجب عن لقاء الله وعند الحجاب تتسلط عليه نار جهنم
اذ النار غير مسلطة الا على محجوب قال الله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم انهم لصالوا الجحيم فرتب العذاب بالنار على
الم الحجاب والم الحجاب كاف من غير علاوة النار فكيف اذا اضيفت العلاوة اليه فنسال الله تعالى ان يقرر في سمعنا ما نفث
في روع رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قيل له احبب ما احببت فانك مفارقه ولذلك قال الشاعر شعر

كدود كدود القز ينسج دائما ٭ ويهلك غما وسط ما هو ناسجه

ولما انكشف لاولياء الله ان العبد مهلك نفسه باعماله
واتباعه هوى نفسه اهلاك دود القز رفضوا الدنيا بالكلية حتى قال الحسن رايت سبعين بدريا كانوا فيما احل الله لهم ازهد
منكم فيما حرم الله عليكم وفي لفظ اخر كانوا بالبلاء اشد فرحا منكم بالخصب والرخاء لو رايتموهم لقلتم مجانين ولو راوا
اخياركم لقالوا ما لهؤلاء من خلاق ولو راوا اشراركم لقالوا ما يؤمن هؤلاء بيوم الحساب وكان احدهم يعرض له المال الحلال فلا ياخذه
يقول اخاف ان يفسد علي قلبي فمن كان له قلب يخاف من فساده والذين امات حب الدنيا قلوبهم فقد اخبر الله تعالى عنهم
اذ قال رضوا بالحيوة الدنيا واطمانوا بها والذين هم عن اياتنا غافلون وقال تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه
وكان امره فرطا وقال فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم احال ذلك كله على الغفلة وعدم
العلم ولذلك قال رجل لعيسى صلى الله عليه احملني معك في سياحتك فقال اخرج مالك والحقني قال لا استطيع فقال عليه السلام
بعجب يدخل الغني الجنة او قال بشدة وقال بعضهم ما من يوم ذر شارقه الا واربعة املاك ينادون في الافاق باربعة اصوات
ملكان بالمشرق وملكان بالمغرب يقول احدهم من المشرق يا باغي الخير هلم ويا باغي الشر اقصر ويقول الاخر اللهم اعط منفقا
خلفا واعط ممسكا تلفا ويقول اللذان في المغرب لدوا للموت وابنوا للخراب ويقول الاخر كلوا وتمتعوا لطول الحساب ٥

بيان علامات الزهد

اعلم انه قد يظن ان تارك المال زاهد وليس كذلك فان ترك المال واظهار الخشونة سهل
على من احب المدح بالزهد فكم من الرهابين ردوا انفسهم كل يوم الى قدر يسير من الطعام ولازموا ديرا لا باب له وانما سرورهم
معرفة الناس حالهم ونظرهم اليه ومدحهم له فذلك لا يدل على الزهد دلالة قاطعة بل لا بد من الزهد في المال والجاه جميعا
حتى يكمل الزهد في جميع حظوظ النفس من الدنيا بل قد يدعي جماعة الزهد مع لبس الاصواف الفاخرة والثياب الرفيعة
كما قال الخواص في وصف المدعين اذ قال وقوم ادعوا الزهد ولبسوا الفاخر من اللباس يموهون بذلك على الناس ليهدى
اليهم مثل لباسهم لئلا ينظر اليهم بالعين التي ينظر بها الى الفقراء فيحتقروا فيعطوا كما تعطى المساكين ويحتجون لانفسهم
باتباع العلم وانهم على السنة وان الاشياء داخلة عليهم وهم خارجون منها وانما ياخذون بعلة وغيرهم هذا اذا طولبوا بالحقائق

والجئوا الى المضايق وكل هؤلاء اكلة الدنيا بالدين لم يعنوا بتصفية اسرارهم ولا بتهذيب اخلاق نفوسهم فظهرت عليهم صفاتهم فغلبتهم فادعوها فالاهم مائلون الى الدنيا متبعون للهوى فهذا كلام الخواص فاذن معرفة الزهد مشكل بل حال الزاهد على الزاهد مشكل وينبغي ان يعول في باطنه على ثلاث علامات الاولى ان لا يفرح بموجود ولا يحزن بمفقود كما قال تعالى لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتيكم بل ينبغي ان يكون بالضد من ذلك وهو ان يحزن بوجود المال ويفرح بفقده والثانية ان يستوي عنده ذامه ومادحه فالاول علامة الزهد في المال والثاني علامة الزهد في الجاه والثالثة ان يكون انسه بالله تعالى والغالب على قلبه حلاوة الطاعة اذ لا يخلو القلب عن حلاوة المحبة اما محبة الدنيا واما محبة الله سبحانه وهما في القلب كالماء والهواء في القدح فالماء اذا دخل خرج الهواء ولا يجتمعان وكل من انس بالله اشتغل به ولم يشتغل بغيره ولذلك قيل لبعضهم الى ماذا افضى بهم الزهد

فقال الى الانس بالله تعالى واما الانس بالدنيا وبالله جميعا لا يجتمع وقد قال اهل المعرفة اذا تعلق الايمان بظاهر القلب احب الدنيا والآخرة جميعا وعمل لهما واذا بطن الايمان في سويداء القلب وباشره ابغض الدنيا فلم ينظر اليها ولم يعمل لها ولهذا ورد في دعاء آدم صلى الله عليه وسلم اللهم اني اسالك ايمانا يباشر قلبي وقال ابو سليمان من شغل بنفسه شغل عن الناس وهذا مقام العاملين ومن شغل بربه شغل عن نفسه وهذا مقام العارفين والزاهد لابد ان يكون في احد هذين المقامين ومقامه الاول ان يشتغل بنفسه وعند ذلك يستوي عنده الذم والمدح والوجود والعدم ولا يستدل بامساكه قليلا من المال على فقد زهده اصلا قال ابن ابي الحواري قلت لابي سليمن اكان داود الطائي زاهدا

قال نعم قلت بلغني انه ورث من ابيه عشرين دينارا فانفقها في عشرين سنة فكيف كان زاهدا وهو يمسك الدنانير فقال اردت منه ان يبلغ حقيقة الزهد واراد بالحقيقة الغاية وان الزهد ليس له غاية لكثرة صفات النفس ولا يتم الزهد الا بالزهد في جميعها فكل من ترك من الدنيا شيئا مع القدرة عليه خوفا على قلبه وعلى دينه فله مدخل في الزهد بقدر ما تركه واخره ان يترك كل ما سوى الله حتى لا يتوسد حجرا كما فعله عيسى صلوات الله عليه فنسال الله تعالى ان يرزقنا من مباديه نصيبا وان قل فان امثالنا لا يستجرئ على الطمع في غاياته وان كان قطع الرجا عن فضل الله تعالى لا يتعاظمه امر فلا يبعد ان يعظم السوال اعتمادا على الجود المجاوز لكل كمال فاذن علامة الزهد استواء الغنى والفقر والعز والذل والمدح والذم لاجل غلبة الانس بالله عز وجل ويتفرع من هذه العلامات اكثر

لا محالة مثل ان يترك الدنيا ولا يبالي من اخذها وقيل علامته ان يترك الدنيا كما هي لا يقول ابني رباطا او اعمر مسجدا وقال يحيى بن معاذ علامة الزهد السخا بالموجود وقال ابن خفيف علامته وجود الراحة في الخروج من الملك وقال ايضا الزهد هو عزوف النفس عن الدنيا بلا تكلف وقال ابو سليمن الصوف علم من اعلام الزهد فلا ينبغي ان يلبس صوفا بثلثة دراهم وفي قلبه رغبة خمسة دراهم وقال احمد بن حنبل وسفين علامة الزهد اذا اشتغل عن نفسه ولا يطيب عيش العارف اذا اشتغل بنفسه وقال النصراباذي الزاهد غريب في الدنيا والعارف غريب في الآخرة وقال يحيى بن معاذ علامة الزهد ثلث عمل بلا علاقة وقول بلا طمع وعز بلا رياسة وقال ايضا الزاهد يسعطك

الخل والخردل والعارف يشمك المسك والعنبر وقال له رجل متى ادخل حانوت التوكل والبس رداء الزهد واقعد مع الزاهدين قال اذا صرت من رياضتك لنفسك في السر الى حد لو قطع الله عنك الرزق ثلاثة ايام لم تضعف في نفسك فاما ما لم تبلغ هذه الدرجة فجلوسك على بساط الزاهدين جهل ثم لا آمن ان تفتضح وقال ايضا الدنيا كالعروس ومن يطلبها ماشطتها والزاهد فيها يسخم وجهها وينتف شعرها ويخرق ثوبها والعارف بالله تعالى يشتغل بالله لا يلتفت اليها وقال السري مارست كل شئ من امر الزهد فنلت منه ما اريد الا الزهد في الناس فاني لم ابلغه ولم اطقه وقال الفضيل جعل الله الشر كله في بيت وجعل مفتاحه حب الدنيا وجعل الخير كله في بيت

وجعل مفتاحه الزهد فهذا ما اردنا ان نذكره من حقيقة الزهد واحكامه واذا كان الزهد لا يتم الا بالتوكل فلنشرع في بيانه ان شاء الله والله اعلم

تم كتاب الفقر والزهد وهو الكتاب الرابع من ربع المنجيات من ارباع كتاب احياء علوم الدين رضي الله عن مؤلفه وانعم عليه مع النبيين والصديقين والشهداء والمقربين وادخله برحمته في عباده الصالحين والحمد لله على انعامه واتمامه حمدا كثيرا طيبا مباركا دائما بدوامه والشكر له على ما اولانا من الآلاء والنعماء والصلوة والسلام على محمد نبيه وحبيبه المبعوث على كافة البرية بشيرا ونذيرا المصطفى المختار من انام المرسل الى الثقلين لبيان اعلامه واعظامه وعلى آله وصحبه الفائزين بالدرجات العاليات الناصرين لدينه واسلامه المفضلين على من عداهم من انامه ويتلوه كتاب التوكل والحمد لله رب العالمين

كتاب التوحيد والتوكل وهو الكتاب الخامس من ربع المنجيات

بسم الله الرحمن الرحيم وعليه توكل

الحمد لله مدبر الملك والملكوت المتفرد بالعزة والجبروت الرافع للسماء بغير عماد المقدر فيها ارزاق العباد الذي صرف اعين ذوي القلوب والالباب عن ملاحظة الوسائط والاسباب الى مسبب الاسباب ورفع هممهم عن الالتفات الى ما عداه والاعتماد على مدبر سواه فلم يعبدوا الا اياه علماً بانه الواحد الفرد الصمد الاله وتحققاً بان جميع اصناف الخلق عباد امثالهم لا يبتغى عندهم الرزق وانه ما من ذرة الا الى الله خلقها وما من دابة الا على الله رزقها فلما تحققوا انه رزاق عباده ضامن به تكفل توكلوا عليه وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل والصلوة على محمد قامع الاباطيل الهادي الى سواء السبيل وعلى آله واصحابه وسلم كثيراً اما بعد

فان التوكل منزل من منازل الدين ومقام من مقامات الموقنين بل هو من معالي درجات المقربين وهو في نفسه غامض من حيث العلم ثم هو شاق من حيث العمل ووجه غموضه من حيث الفهم ان ملاحظة الاسباب والاعتماد عليها شرك في التوحيد والتثاقل عنها بالكلية طعن في السنة وقدح في الشرع والاعتماد على الاسباب من غير ان ترى اسباباً تغيير في وجه العقل وانغماس في غمرة الجهل وتحقيق معنى التوكل على وجه يتوافق فيه مقتضى التوحيد والنقل والشرع في غاية الغموض والعسر ولا يقوى على كشف هذا الغطاء مع شدة الخفاء الا سماسرة العلماء الذين اكتحلوا من فضل الله تعالى بانوار الحقائق فابصروا وتحققوا ثم نطقوا بالاعراب عما شاهدوه من حيث استنطقوا ونحن الآن نبتدي بان نذكر فضيلة التوكل على سبيل التقدمة ثم نردفه بالتوحيد في الشطر الاول من الكتاب ونذكر حال التوكل وعمله في الشطر الثاني من الكتاب

فضيلة التوكل اما بالآيات فقد قال الله تعالى وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين وقال وعلى الله فليتوكل المؤمنون وقال تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه وقال تعالى ان الله يحب المتوكلين واعظم بمقام موسوم بمحبة الله سبحانه صاحبه ومضمون بكفاية الله ملابسه فمن الله حسبه وكافيه ومحبه ومراعيه فقد فاز الفوز العظيم فان المحبوب لا يعذب ولا يبعد ولا يحجب وقد قال الله تعالى اليس الله بكاف عبده فطالب الكفاية من غيره هو التارك للتوكل وهو المكذب بهذه الآية فانه سؤال في معرض استنطاق بالحق كقوله تعالى هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً وقال تعالى ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم اي عزيز لا يذل من استجار به ولا يضيع من لاذ بجنابه والتجأ الى ذماره وحكيم لا يقصر عن تدبير من توكل على تدبيره وقال تعالى ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم بين ان كل ما سوى الله عبد مسخر حاجته مثل حاجتك فكيف تتكل عليه وقال ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقاً فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه وقال تعالى ولله خزائن السموات والارض ولكن المنافقين لا يفقهون وقال تعالى يدبر الامر ما من شفيع الا من بعد اذنه وكل ما ذكر في القرآن من التوحيد فهو تنبيه على قطع الملاحظة عن الاغيار والتوكل على الواحد القهار واما الاخبار فقد قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابن مسعود اريت الامم بالموسم فرايت امتي قد ملؤا السهل والجبل فاعجبتني كثرتهم وهيأتهم

وهيأتهم فقيل لي ارضيت قلت نعم قيل ومع هؤلاء سبعون الفاً يدخلون الجنة بغير حساب قيل من هم يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم الذين لا يكتوون ولا يتطيرون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة فقال يا رسول الله ادع الله ان يجعلني منهم فقال اللهم اجعله منهم فقام آخر فقال يا رسول الله ادع الله ان يجعلني منهم فقال صلى الله عليه وسلم سبقك بها عكاشة وقال صلى الله عليه وسلم لو انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً وقال صلى الله عليه وسلم من انقطع الى الله كفاه الله كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع الى الدنيا وكله الله اليها ويروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه اذا كان اصاب اهله خصاصة قال قوموا الى الصلوة ويقول بهذا امرني ربي قال الله تعالى وامر اهلك بالصلوة واصطبر عليها وقال صلى الله عليه وسلم لا يتوكل من استرقى واكتوى وروي انه لما قال جبريل لابراهيم صلى الله عليه وسلم وقد رمي الى النار بالمنجنيق الك حاجة قال اما اليك فلا وفاء بقوله حسبي الله ونعم الوكيل اذ قال ذلك حين اخذ ليرمى واوحى الله تعالى الى داود يا داود ما من عبد يعتصم بي دون خلقي فتكيده اهل السموات والارض الا جعلت له مخرجاً واما الآثار فقد قال سعيد بن جبير لدغتني عقرب فاقسمت علي امي لتسترقين فناولت الراقي يدي التي لم تلدغ وقرأ الخواص قوله تعالى وتوكل على الحي الذي لا يموت الى آخرها فقال ما ينبغي للعبد بعد هذه الآية ان يلجأ الى احد غير الله وقيل لبعض العلماء في منامه من وثق بالله احرز قوته وقال بعض العلماء لا يشغلنك المضمون لك من الرزق عن المفروض عليك من العمل فتضيع امر آخرتك ولا تنال من الدنيا الا ما قد كتبه الله لك وقال يحيى بن معاذ في وجود العبد الرزق من غير طلب دلالة على ان الرزق مامور بطلب العبد وقال ابرهيم بن ادهم سالت بعض الرهبان من اين تاكل فقال ليس هذا العلم عندي ولكن سل ربي من اين يطعمني وقال هرم بن حيان لاويس القرني رضي الله عنهما اين تامرني ان اكون فاومى الى الشام قال هرم فكيف المعيشة بها قال اويس اف لهذه القلوب قد خالطها الشك فما تنفعها الموعظة وقال بعضهم متى رضيت بالله وكيلاً وجدت الى كل خير سبيلاً

بيان حقيقة التوحيد الذي هو اصل التوكل اعلم ان التوكل من ابواب الايمان وجميع ابواب الايمان لا تنتظم الا بعلم وحال وعمل والتوكل كذلك ينتظم من علم هو الاصل وعمل هو الثمرة وحال هو المراد باسم التوكل فلنبدأ ببيان العلم الذي هو الاصل وهو المسمى ايماناً في اصل اللسان اذ الايمان هو التصديق وكل تصديق بالقلب فهو علم واذا قوي سمي يقيناً ولكن ابواب اليقين كثيرة ونحن انما نحتاج منها الى ما نبني عليه التوكل وهو التوحيد الذي يترجمه قولك لا اله الا الله وحده لا شريك له والايمان بالقدرة التي يترجمها قولك له الملك والايمان بالجود والحكمة الذي يدل قولك وله الحمد فمن قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير فقد تم له الايمان الذي هو اصل التوكل اعني ان يصير معنى هذا القول وصفاً لازماً لقلبه غالباً عليه فاما التوحيد فهو الاصل والقول فيه طويل وهو من علم المكاشفة يتعلق بالاعمال بواسطة الاحوال ولا يتم علم المعاملة الا بها فاذن لا نتعرض الا للقدر الذي يتعلق بالمعاملة والا فالتوحيد هو البحر الخضم الذي لا ساحل له فنقول للتوحيد اربع مراتب وهو ينقسم الى لب والى لب اللب والى قشر والى قشر القشر ولنمثل ذلك تقريباً الى الافهام الضعيفة بالجوز في قشرته العليا فان له قشرتين وله لب وللب دهن هو لب اللب فالرتبة الاولى من التوحيد ان يقول الانسان باللسان لا اله الا الله وقلبه غافل عنه او منكر له كتوحيد المنافق والثانية ان يصدق بمعنى اللفظ قلبه كما صدق به عموم المسلمين وهو اعتقاد العوام والثالثة ان يشاهد ذلك بطريق الكشف بواسطة نور الحق وهو مقام المقربين وذلك بان يرى اشياء كثيرة ولكن يراها على كثرتها صادرة من الواحد القهار والرابعة ان لا يرى في الوجود الا واحداً وهو مشاهدة الصديقين وتسميه الصوفية الفناء في التوحيد لانه من حيث لا يرى الا واحداً فلا يرى نفسه ايضاً واذا لم ير نفسه لكونه مستغرقاً بالتوحيد كان فانياً عن نفسه في توحيده بمعنى انه فني عن رؤية نفسه فالاول

موحد بمجرد اللسان ويعصم ذلك صاحبه في الدنيا عن السيف والسنان والثاني موحد بمعنى أنه معتقد بقلبه مفهوم لفظه وقلبه خال عن التكذيب بما انعقد عليه قلبه وهو عقدة على القلب ليس فيه انشراح وانفساح ولكنه يحفظ صاحبه عن العذاب في الآخرة إن توفي عليها ولم تضعف بالمعاصي عقدتها ولهذا العقد حيل يقصد بها تضعيفه وتحليله تسمى بدعة وله حيل يقصد بها دفع حيلة التحليل والتضعيف ويقصد بها أيضا إحكام هذه العقدة وشدها على القلب وتسمى كلاما والعارف به يسمى متكلما وهو في مقابلة المبتدع ومقصده دفع المبتدع عن حل هذه العقدة عن قلوب العوام وقد يخص المتكلم باسم الموحد من حيث إنه يحمي بكلامه مفهوم لفظ التوحيد على قلوب العوام حتى لا تنحل عقدته والثالث موحد بمعنى أنه لم يشاهد إلا فاعلا واحدا إذا انكشف له الحق كما هو عليه ولا فاعل بالحقيقة إلا واحد وقد انكشف له كما هو عليه لا أنه كلف قلبه أن يعقد على مفهوم لفظ الحقيقة فإن ذلك رتبة العوام والمتكلمين إذ لم يفارق المتكلم العامي في الاعتقاد بل في صنعة تلفيق الكلام الذي به يدفع حيل المبتدع في تحليل هذه العقدة والرابع موحد بمعنى أنه لم يحضر في شهوده غير الواحد فلا يرى الكل من حيث إنه كثير بل من حيث إنه واحد وهي الغاية القصوى في التوحيد فالأول كالقشر العليا من الجوز والثاني كالقشر السفلى والثالث كاللب والرابع كالدهن المستخرج من اللب وكما أن القشرة العليا لا خير فيه بل إن أكل فهو مر المذاق وإن نظر إلى باطنها فهي كريه المنظر وإن اتخذ حطبا أطفأت وأكثرت الدخان وإن تركت في البيت ضيقت المكان فلا يصلح إلا أن يترك مدة على الجوز للصوان ثم يرمى به كذلك التوحيد بمجرد اللسان عديم الجدوى كثير الضرر مذموم الظاهر والباطن لكنه ينتفع به مدة في حفظ القشرة السفلى إلى وقت الموت والقشرة السفلى هي القلب والبدن وتوحيد المنافق يصون بدنه عن سيف الغزاة فإنهم لم يؤمروا بشق القلوب والسيف إنما يصيب جسم البدن وهو القشر وإنما يتجرد عنه بالموت فلا يبقى لتوحيده فائدة بعده وكما أن القشرة السفلى ظاهر النفع بالإضافة إلى القشرة العليا فإنها تصون اللب وتحرسه عن الفساد عند الادخار وإذا فصل أمكن أن ينتفع به حطبا لكنه نازل القدر بالإضافة إلى اللب وكذلك مجرد الاعتقاد من غير كشف كثير النفع بالإضافة إلى مجرد نطق اللسان ناقص القدر بالإضافة إلى الكشف والمشاهدة التي تحصل بانشراح الصدر وانفساحه وإشراق نور الحق فيه إذ ذلك الشرح هو المراد بقوله تعالى فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام فهو على نور من ربه وكما أن اللب نفيس في نفسه بالإضافة إلى القشر كأنه المقصود ولكنه لا يخلو عن شوب عصارة بالإضافة إلى الدهن المستخرج منه فكذلك توحيد الفعل مقصد عال للسالكين ولكنه لا يخلو عن شوب ملاحظة الغير والالتفات إلى الكثرة بالإضافة إلى من لا يشاهد سوى الواحد الحق فإن قلت كيف يتصور أن لا يشاهد إلا واحدا وهو يشاهد السماء والأرض وسائر الأجسام المحسوسة وهي كثيرة فكيف يكون الواحد كثيرا فاعلم أن هذه غاية علوم المكاشفة وأسرارها لا يجوز أن يسطر في كتاب فقد قال العارفون إفشاء سر الربوبية كفر ثم هو غير متعلق بعلم المعاملة ذكر يكسر سورة استبعادك ممكن وهو أن الشيء قد يكون كثيرا بنوع مشاهدة واعتبار ويكون واحدا بنوع آخر من المشاهدة والاعتبار وهذا كما أن الإنسان كثير إن التفت إلى روحه وجسده وأطرافه وعروقه وعظامه وأحشائه وهو باعتبار آخر ومشاهدة أخرى واحد إذ نقول إنه إنسان واحد فهو بالإضافة إلى الإنسانية واحد وكم من شخص يشاهد إنسانا ولا يخطر بباله كثرة أمعائه وعروقه وأطرافه وتفصيل روحه وجسده والفرق بينهما أنه في حالة الاستغراق والاستهتار مستغرق بواحد ليس فيه تفرق وكأنه في عين الجمع والملتفت إلى الكثرة في تفرقة فكذلك كل ما في الوجود من الخالق والمخلوق له اعتبارات ومشاهدات كثيرة مختلفة وهو باعتبار واحد من الاعتبارات واحد وباعتبارات أخر سواها كثير وبعضها أشد كثرة من بعض ومثال الإنسان وإن كان لا يطابق الغرض ولكنه ينبه بالجملة على كيفية مصير الكثرة في حكم المشاهدة واحدا وتستفيد بهذا الكلام ترك الإنكار

الإنكار والجحود لمقام لم تبلغه وتؤمن به إيمان تصديق فيكون لك من حيث إنك مؤمن بهذا التوحيد نصيب وإن لم يكن ما آمنت به صفتك كما أنك إذا آمنت بالنبوة وإن لم تكن نبيا كان لك نصيب منه بقدر قوة إيمانك وهذه المشاهدة التي لا يظهر فيها إلا الواحد الحق تارة تدوم وتارة تطرأ كالبرق الخاطف وهو الأكثر والدوام نادر عزيز وإلى هذا أشار الحسين بن منصور الحلاج حيث رأى الخواص يدور في الأسفار فقال فيماذا أنت فقال أدور في الأسفار لأصحح حالي في التوكل وقد كان من المتوكلين فقال الحسين قد أفنيت عمرك في عمران باطنك فأين الفناء في التوحيد فكأن الخواص كان في تصحيح المقام الثالث في التوحيد فطالبه بالمقام الرابع فهذه مقامات الموحدين في التوحيد على سبيل الإجمال فإن قلت فلا بد لهذا من شرح بمقدار ما يفهم كيفية ابتناء التوكل عليه فأقول أما الرابع فلا يجوز الخوض في بيانه وليس التوكل أيضا مبنيا عليه بل يحصل حال التوكل بالتوحيد الثالث وأما الأول وهو النفاق فهو واضح وأما الثاني وهو الاعتقاد فهو موجود في عموم المسلمين وطريق تأكيده بالكلام ودفع حيل المبتدع عنه مذكور في علم الكلام وذكرنا في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد القدر المهم منه وأما الثالث فهو الذي يبنى التوكل عليه إذ مجرد التوحيد بالاعتقاد لا يورث حال التوكل فلنذكر منه القدر الذي يرتبط التوكل به دون تفصيله الذي لا يحتمله أمثال هذا الكتاب وحاصله أن ينكشف لك أن لا فاعل إلا الله تعالى وأن كل موجود من خلق ورزق وعطاء ومنع وحياة وموت وغنى وفقر إلى غير ذلك مما ينطلق عليه اسم فالمنفرد بإبداعه واختراعه هو الله تعالى لا شريك له فيه وإذا انكشف لك هذا لم تنظر إلى غيره بل كان منه خوفك وإليه رجاؤك وبه ثقتك وعليه اتكالك فإنه الفاعل على الانفراد دون غيره وما سواه مسخرون لا استقلال لهم بتحريك ذرة في ملكوت السموات ولا الأرض وإذا انفتح لك أبواب المكاشفة اتضح لك هذا اتضاحا أتم من المشاهدة بالبصر وإنما يصدك الشيطان عن هذا التوحيد في مقام يبتغي به أن يطرق إلى قلبك شائبة الشرك بسببين أحدهما الالتفات إلى اختيار الحيوانات والثاني الالتفات إلى الجمادات أما الالتفات إلى الجمادات فكاعتمادك على المطر في خروج الزرع ونباته ونمائه وعلى الغيم في نزول المطر وعلى البرد في اجتماع الغيم وعلى الريح في استواء السفينة وسيرها وهذا كله شرك في التوحيد وجهل بحقائق الأمور ولذلك قال تعالى فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون قيل معناه أنهم يقولون لولا استواء الريح هو الهواء لما نجونا ومن انكشف له أمر العالم كما هو عليه علم أن الريح هو الهواء والهواء لا يتحرك بنفسه ما لم يحركه محرك وكذا محركه وهكذا إلى أن ينتهي إلى المحرك الأول الذي لا محرك له ولا هو متحرك في نفسه فالتفات العبد في النجاة إلى الريح يضاهي التفات من أخذ ليحز رقبته فكتب الملك توقيعا بالعفو عنه وتخليته فأخذ يشتغل بذكر الحبر والكاغد والقلم الذي به كتب التوقيع ويقول لولا القلم لما تخلصت فيرى نجاته من القلم لا من محرك القلم وهو غاية الجهل ومن علم أن القلم لا حكم له في نفسه وإنما هو مسخر في يد الكاتب لم يلتفت إليه ولم يشكر إلا الكاتب بل ربما يدهشه فرح النجاة وشكر الملك الكاتب عن أن يخطر بباله القلم والحبر والدواة فالهواء والشمس والقمر والنجوم والمطر والغيم والأرض وكل حيوان وجماد مسخرات في قبضة القدرة تسخر القلم في يد الكاتب بل هذا تمثيل في حقك لاعتقادك أن الملك الموقع هو كاتب التوقيع والحق أن الله هو الكاتب كما قال تعالى وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى فإذا انكشف لك أن جميع ما في السموات والأرض مسخرات على هذا الوجه انصرف عنك الشيطان خائبا وأيس عن مزج توحيدك بهذا الشرك فيأتيك في المهلكة الثانية وهي الالتفات إلى اختيار الحيوانات في الأفعال الاختيارية ويقول لك كيف ترى الكل من الله وهذا الإنسان يعطيك رزقك ويرزقك باختياره فإن شاء أعطاك وإن شاء قطع عنك وهذا الشخص هو الذي يحز رقبتك بسيفه وهو قادر عليك إن شاء حز رقبتك وإن شاء عفا عنك فكيف لا تخافه وكيف لا ترجوه وأمرك بيده وأنت تشاهد ذلك ولا تشك فيه ويقول لك نعم إن كنت لا ترى القلم لأنه مسخر فكيف لا ترى الكاتب بالقلم وهو المسخر له

وعند هذا تزل اقدام الاكثرين الا عباد الله المخلصين الذين لا سلطان عليهم للشياطين فشاهدوا بنور البصائر كون الكاتب مسخرا مضطرا كما شاهد جميع الضعفاء كون القلم مسخرا وعرفوا ان غلط الضعفاء في ذلك كغلط النملة مثلا لو كانت تدب على الكاغد فترى راس القلم يسود الكاغد ولم تمتد بصرها الى اليد والاصابع فضلا عن صاحب اليد لغلطت وظنت ان القلم هو المسود للبياض وذلك لقصور بصرها الى اليد والاصابع عن مجاوزة راس القلم لضيق حدقتها فكذلك من لم ينشرح بنور الله صدره قصرت بصيرته عن ملاحظة جبار السموات والارض ومشاهدة كونه قهارا وراء الكل فوقف في الطريق على الكاتب وهو جهل محض بل ارباب القلوب والمشاهدات قد انطق الله في حقهم كل ذرة في الارض والسموات بقدرته التي بها انطق كل شيء حتى سمعوا تقديسها وتسبيحها لله وشهادتها على نفسها بالعجز بلسان ذلق تتكلم بلا حرف ولا صوت لا يسمعه الذين هم عن السمع لمعزولون ولست اعني به السمع الظاهر الذي لا يجاوز الاصوات فان الحمار شريك فيه ولا قدر لما تشارك فيه البهائم وانما اريد سمعا يدرك به كلام ليس بحرف ولا صوت ولا هو عربي ولا عجمي فان قلت فهذه اعجوبة لا يقبلها العقل فصف لي كيفية نطقها وانها كيف نطقت وكيف سبحت وقدست وكيف شهدت على نفسها بالعجز فاعلم ان لكل ذرة في السموات والارض مع ارباب القلوب مناجاة في السر وذلك مما لا ينحصر ولا يتناهى فانها كلمات تستمد من بحر كلمات الله الذي لا نهاية له قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا ثم انها تناجي باسرار الملك والملكوت وافشاء السر لؤم بل صدور الاحرار قبور الاسرار وهل رايت قط امينا على اسرار الملك قد نوجي بخفاياه فنادى به على ملأ من الخلق ولو جاز افشاء كل سر لما قال صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا بل كان يذكر ذلك لهم حتى يبكوا ولا يضحكوا ولما نهى عن افشاء سر القدر ولما قال اذا ذكر النجوم فامسكوا واذا ذكر القدر فامسكوا واذا ذكر اصحابي فامسكوا ولما خص حذيفة رضي الله عنه ببعض الاسرار فاذن عن حكايات مناجاة ذرات الملك والملكوت لقلوب ارباب المشاهدات مانعان احدهما استحالة افشاء السر والثاني خروج كلماتها عن الحصر والنهاية ولكنا في المثال الذي كنا فيه وهو حركة القلم نحكي من مناجاتها قدرا يسيرا تفهم به على الاجمال كيفية ابتناء التوكل عليه ونرد كلماتها الى الحروف والاصوات وان لم تكن هي حروفا واصواتا ولكن هذه ضرورة التفهيم فنقول قال بعض الناظرين عن مشكاة نور الله تعالى للكاغد وقد رآه اسود وجهه بالحبر ما بال وجهك وما السبب فيه فقال الكاغد ما انصفتني في هذه المطالبة فاني ما سودت وجهي بنفسي ولكن الحبر فانه كان مجموعا في المحبرة التي هي مستقره ووطنه فسافر عن الوطن ونزل بساحة وجهي ظلما وعدوانا فقال صدقت وسأل الحبر عن ذلك فقال ما انصفتني فاني كنت في المحبرة وادعا ساكنا عازما على ان لا ابرح منه فاعتدى على القلم بطمعه الفاسد واختطفني من وطني واجلاني عن بلادي وفرق جمعي وبددني كما تراه على ساحة بيضاء فالسؤال عليه لا علي فقال صدقت ثم سأل القلم عن السبب في ظلمه وعدوانه عليه واخراج الحبر من اوطانه فقال سل اليد والاصابع فاني كنت قصبا نابتا على شط الانهار وعشرتها بين خضرة الاشجار فجاءتني اليد بسكين فنحت عني قشري ومزقت عني ثيابي واقتلعتني من اصلي وفصلت بين انابيبي ثم برتني وشقت راسي وغمستني في سواد الحبر ومرارته وهي تستخدمني وتمشيني على قمة راسي فلقد نثرت الملح على جرحي بسؤالك وعتابك فتنح عني وسل من قهرني فقال صدقت ثم سأل اليد عن ظلمها على القلم واستخدامها له فقالت اليد ما انا الا لحم وعظم ودم وهل رايت لحما يظلم او جسما يتحرك بنفسه وانما انا مركب مسخر ركبني فارس يقال له القدرة والقوة فهي التي ترددني وتجول بي في نواحي الارض اما ترى المدر والحجر والشجر لا يتعدى شيء منها مكانه ولا يتحرك بنفسه اذا لم يركبها مثل هذا الفارس القوي القاهر اما ترى ايدي الموتى تساويني في صورة اللحم والعظم والدم ثم لا معاملة بينها وبين القلم فانا ايضا من حيث انا لا معاملة بيني وبين القلم فسل القدرة عن شاني فاني مركب ازعجني من ركبني فقال

فقال صدقت ثم سأل القدرة عن شانها في استعمالها اليد واستخدامها وكثرة ترديدها لها فقالت القدرة دع عنك لومي ومعاتبتي فكم من لائم ملوم وكم من ملوم لا ذنب له وكيف خفي عليك امري وكيف ظننت اني ظلمت اليد لما ركبتها ولقد كنت راكبا لها قبل التحريك وما كنت احركها ولا استسخرها بل كنت نائمة ساكنة نوما ظن الظانون بي اني ميتة او معدومة لاني ما كنت اتحرك ولا احرك حتى جاءني موكل ازعجني وارهقني الى ما تراه مني وكانت لي قوة على مساعدته ولم تكن لي قدرة على مخالفته وهذا الموكل يسمى الارادة ولا اعرفه الا باسمه وبهجومه وصياله اذ ازعجني من غمرة النوم وارهقني الى ما كان لي مندوحة عنه لو خلاني ورايي فقال صدقت ثم سأل الارادة ما الذي جرأك على هذه القدرة الساكنة المطمئنة حتى صرفتها الى التحريك وارهقتها اليه ارهاقا لم تجد عنه مخلصا ولا مناصا فقالت الارادة لا تعجل علي فلعل لنا عذرا وانت تلوم فاني ما انتهضت بنفسي ولكني انهضت وما انبعثت ولكن بعثت بحكم قاهر وامر جازم وقد كنت ساكنة قبل مجيئه ولكن ورد علي من حضرة القلب رسول العلم على لسان العقل باشخاص القدرة فاشخصتها باضطرار فاني مسكينة مسخرة تحت قهر العلم والعقل ولا ادري باي جرم وقفت عليه وسخرت له والزمت طاعته ولكني ادري اني في دعة وسكون ما لم يرد علي هذا الوارد القاهر وهذا الحاكم العادل او الظالم وقد وقفت عليه وقفا والزمت طاعته الزاما بل لا يبقى لي معه مهما جزم حكمه طاقة في المخالفة لعمري ما دام هو في التردد مع نفسه والتحير في حكمه فانا ساكنة لكن مع استشعار وانتظار لحكمه فاذا انجزم حكمه ازعجت بطبع وقهر تحت طاعته واشخصت القدرة لتقوم بموجب حكمه فسل العلم عن شاني ودع عني عتابك فاني كما قال الشاعر شعر

اذا ترحلت عن قوم وقد قدروا ... ان لا تفارقهم فالراحلون هم

فقال صدقت واقبل على العلم والعقل والقلب مطالبا لهم ومعاتبا اياهم على استنهاض الارادة وتسخيرها لاشخاص القدرة فقال العقل اما انا فسراج ما اشتعلت بنفسي ولكن اشعلت وقال القلب اما انا فلوح ما انبسطت بنفسي ولكني بسطت وقال العلم انما انا نقش نقشت في بياض لوح القلب لما اشرق سراج العقل وما انخططت بنفسي فكم كان هذا اللوح قبلي خاليا عني فسل القلم عني فان الخط لا يكون الا بالقلم فعند هذا تتعتع السائل ولم يقنعه جوابه وقال قد طال تعبي في هذا الطريق وكثرت منازلي ولا يزال يحيلني من طمعت فيه على غيره ولكني كنت اطيب نفسا بكثرة الترداد لما كنت اسمع كلاما مقبولا في الفؤاد وعذرا ظاهرا في دفع السؤال فاما قولك اني خط ونقش وانما خطني قلم فلست افهم فاني لا اعلم قلما الا من القصب ولا لوحا الا من الحديد او الخشب ولا خطا الا بالحبر ولا سراجا الا من النار واني لاسمع في هذا المنزل حديث اللوح والسراج والخط والقلم ولا اشاهد منه شيئا اسمع جعجعة ولا ارى طحنا فقال له العلم ان صدقت فيما قلت فبضاعتك مزجاة وزادك قليل ومركبك ضعيف والمهالك في الطريق الذي توجهت اليه فالصواب لك ان تنصرف وتدع ما انت فيه فما هذا بعشك فادرج عنه فكل ميسر لما خلق له وان كنت راغبا في استتمام الطريق الى المقصد فالق سمعك وانت شهيد واعلم ان العوالم في طريقك هذا ثلاثة عالم الملك والشهادة اولها ولقد كان الكاغد والحبر والقلم واليد من هذا العالم وقد جاوزت تلك المنازل على سهولة والثاني عالم الملكوت فهو وراءي فاذا جاوزتني انتهيت الى منازله وفيها المهامه الفيح والجبال الشاهقة والبحار المغرقة ولا ادري كيف تسلم فيها والثالث عالم الجبروت وهو بين عالم الملك وعالم الملكوت ولقد قطعت منها ثلاث منازل اوائلها منزل القدرة والارادة والعلم وهو واسطة بين عالم الملك وعالم الملكوت لان عالم الملك اسهل منه طريقا وعالم الملكوت اوعر منه منهجا وانما عالم الجبروت بين عالم الملك وعالم الملكوت يشبه السفينة التي بين الارض والماء فلا هي في حد اضطراب الماء ولا هي في حد سكون الارض وثباتها وكل من يمشي على الارض يمشي في عالم الملك والشهادة فاذا جاوزت قوته الى ان يقوى على ركوب السفينة كان كمن يمشي في عالم الجبروت فان انتهى الى ان يمشي على الماء من غير سفينة مشى في عالم الملكوت من غير تتعتع فان كنت لا تقدر على المشي في الماء

فاصرف بعد جاوزت الارض وخلفت السفينة ولم يبق الا الماء الصافي واول عالم الملكوت مشاهدة القلم الذي يكتب به العلم في

حصول اليقين الذي يمشي به على الماء اما سمعت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في عيسى عليه السلم لو ازداد يقينا لمشى على الهواء

لما قيل له انه كان يمشي على الماء فقال السالك السائل قد تحيرت في امري واستشعر قلبي خوفا مما وصفته من خطر الطريق ولست

ادري اطيق قطع هذه المهامه التي وصفتها ام لا فهل لذلك من علامة فقال نعم افتح بصرك واجمع ضوء عينك وحدقه نحوي فان

ظهر لك القلم الذي به اكتب في لوح القلب فتشبه ان تكون اهلا لهذا الطريق فان كل من جاوز عالم الجبروت وقرع اول باب من ابواب

الملكوت كوشف بالقلم اما ترى ان النبي صلى الله عليه وسلم في اول امره كوشف بالقلم اذ نزل عليه قوله تعالى اقرأ وربك الاكرم الذي علم

بالقلم علم الانسان ما لم يعلم فقال السالك لقد فتحت بصري وحدقته فوالله ما ارى قصبا ولا خشبا ولا اعلم قلما الا كذلك فقال العلم

لقد ابعدت النجعة اما سمعت ان متاع البيت يشبه رب البيت اما علمت ان الله تعالى لا تشبه ذاته سائر الذوات فكذلك لا تشبه يده الايدي

ولا قلمه الاقلام ولا كلامه سائر الكلام ولا خطه سائر الخطوط وهذه امور الهية من عالم الملكوت فليس الله في ذاته بجسم ولا هو في مكان

بخلاف غيره ولا يده لحم ولا عظم ودم بخلاف الايدي ولا قلمه من قصب ولا لوحه من خشب ولا كلامه بصوت وحرف ولا خطه رقم

ورسم ولا حبره زاج وعفص فان كنت لا تشاهد هذا هكذا فما اراك الا مخنثا بين فحولة التنزيه وانوثة التشبيه مذبذبا بين هذا وذاك

لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء فكيف نزهت ذاته تعالى وصفاته عن الاجسام وصفاتها ونزهت كلامه عن معاني الحروف والاصوات واخذت

تتوقف في يده وقلمه ولوحه وخطه فان كنت قد فهمت من قوله ان الله خلق آدم على صورته الصورة الظاهرة المدركة بالبصر فكن

مشبها مطلقا كما يقال كن يهوديا صرفا والا فلا تلعب بالتوراة وان فهمت منه الصورة الباطنة التي تدرك بالبصائر لا بالابصار فكن

منزها صرفا ومقدسا فحلا واطو الطريق فانك بالواد المقدس طوى واستمع بسر قلبك لما يوحى فلعلك تجد على النار هدى ولعلك

من سرادقات العرش تنادى بما نودي به موسى اني انا ربك فلما سمع السالك من العلم ذلك استشعر قصور نفسه وانه مخنث في التشبيه

والتنزيه فاشتعل قلبه نارا من حدة غضبه على نفسه لما راها بعين النقص ولقد كان زيته الذي في مشكاة قلبه يكاد يضيء ولو لم تمسسه

نار فلما نفخ فيه العلم بحدته اشتعل زيته فاصبح نورا على نور فقال له العلم اغتنم الآن هذه الفرصة وافتح بصرك فلعلك تجد على هذه

النار هدى ففتح بصره فانكشف له القلم الالهي فاذا هو كما وصفه العلم في التنزيه ما هو من خشب ولا قصب ولا له راس ولا ذنب وهو يكتب

على الدوام في قلوب البشر كلهم اصناف العلوم وكان له في كل قلب راسا ولا راس له فقضى منه العجب وقال نعم الرفيق العلم جزاه الله عني خيرا

اذ الآن ظهر لي صدق انبائه عن اوصاف القلم فاني اراه قلما لا كالاقلام فعند هذا ودع العلم وشكره وقال قد طال مقامي عندك ومراودتي لك

وانا عازم على ان اسافر الى حضرة القلم واسأله عن شانه فسافر اليه وقال له ما بالك ايها القلم تخط على الدوام في القلوب من العلوم ما تبعث به الارادات

الى اشخاص القدرة وصرفها الى المقدورات فقال او قد نسيت ما رايت في عالم الملك والشهادة وسمعته من جواب القلم اذ سألته فاحالك على

اليد قال لا قال فجوابي مثل جوابه قال كيف وانت لا تشبهه قال القلم اما سمعت ان الله تعالى خلق آدم على صورته قال نعم قال فسل عن شاني

الملقب بيمين الملك فاني في قبضته فهو الذي يرددني وانا مقهور مسخر فلا فرق بين قلم الآدمي وقلم الحق في ظاهر الصور فقال ومن يمين الملك فقال القلم اما سمعت

قوله تعالى والسموات مطويات بيمينه قال نعم قال والاقلام ايضا في قبضة يمينه هو الذي يرددها فسافر السالك من عنده الى اليمين حتى

شاهده ورأى من عجائبه ما يزيد على عجائب القلم لا يجوز وصف شيء من ذلك ولا شرحه بل لا يحوي مجلدات كثيرة عشر عشير وصفه والجملة

فيه انه يمين لا كالايمان ويد لا كالايدي واصبع لا كالاصابع فرأى القلم متحركا في قبضته فظهر له عذر القلم فسأل اليمين عن شانه

وتحريكه القلم فقال جوابي ما سمعته من اليمين التي رايتها في عالم الشهادة وهي الحوالة على القدرة اذ اليد لا حكم لها في نفسها وانما

محركها القدرة لا محالة فسافر الى عالم القدرة ورأى فيها من العجائب ما استحقر عندها ما قبلها وسألها عن تحريك اليمين فقال

انما انا صفة فسل القادر اذ العمدة على الموصوفات لا على الصفات وعند هذا كاد ان يزيغ قلبه ويطلق بالجراءة لسان السؤال فثبت

بالقول الثابت ونودي من وراء حجاب سرادقات الحضرة لا يسأل عما يفعل وهم يسألون فغشيته هيبة الحضرة فخر صعقا يضطرب

في غشيته مدة فلما افاق قال سبحانك ما اعظم شانك تبت اليك وتوكلت عليك وآمنت بانك الملك الجبار الواحد

القهار فلا اخاف غيرك ولا ارجو سواك ولا اعوذ الا بعفوك من عقابك وبرضاك من سخطك وما لي الا ان اسألك واتضرع اليك

وابتهل بين يديك فاقول اشرح لي صدري لاعرفك واحلل عقدة لساني لاثني عليك فنودي من وراء الحجاب اياك ان تطمع في الثناء و

تزيد على سيد الانبياء عليه وعليهم الصلوة والسلام بل ارجع اليه فما آتاك فخذه وما نهاك عنه فانته عنه وما قاله لك فقله فانه ما زاده في هذه

الحضرة على ان قال سبحانك لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك فقال الهي ان لم يكن للسان جراءة على الثناء عليك فهل للقلب

مطمع في معرفتك فنودي اياك ان تتخطى رقاب الصديقين فارجع الى الصديق الاكبر فاقتد به فان اصحاب سيد الانبياء كالنجوم بايهم

اقتديتم اهتديتم اما سمعته يقول العجز عن درك الادراك ادراك فيكفيك نصيبا من حضرتنا ان تعرف انك محروم عن حضرتنا عاجز عن

ملاحظة جمالنا وجلالنا فعند هذا رجع السالك واعتذر عن اسئلته ومعاتباته وقال لليمين والقلم والعلم والارادة والقدرة وما

بعدها اقبلوا عذري فاني كنت غريبا حديث العهد بالدخول في هذه البلاد ولكل داخل دهشة فما كان انكاري عليكم الا عن قصور وجهل

والآن قد صح عندي عذركم وانكشف لي ان المنفرد بالملك والملكوت والعزة والجبروت هو الواحد القهار فما انتم الا مسخرون تحت

قهره وقدرته مرددون في قبضته وهو الاول والآخر والظاهر والباطن فلما ذكر ذلك في عالم الشهادة استبعد منه ذلك

وقيل كيف يكون هو الاول والآخر وهما وصفان متناقضان وكيف يكون هو الظاهر والباطن والاول ليس بآخر والظاهر ليس بباطن فقال هو

الاول بالاضافة الى الموجودات اذ صدر منه الكل على ترتيبه واحدا بعد واحد وهو الآخر بالاضافة الى سير المسافرين اليه فانهم لا يزالون

مترقين من منزل الى منزل الى ان يقع الانتهاء الى تلك الحضرة فيكون ذلك آخر السفر فهو آخر في المشاهدة اول في الوجود وهو باطن بالاضافة

الى العاكفين في عالم الشهادة الطالبين لادراكه بالحواس الخمس ظاهر بالاضافة الى من يطلبه في السراج الذي اشتعل في قلبه بالبصيرة الباطنة

النافذة في عالم الملكوت فهكذا كان توحيد السالكين لطريق التوحيد في الفعل اعني من انكشف له ان الفاعل واحد فان قلت فقد

انتهى هذا التوحيد على الايمان بعالم الملكوت فمن لا يفهم ذلك او يجحده فما طريقه فاقول اما الجاحد فلا علاج له الا ان يقال انكارك

لعالم الملكوت كانكار قوم من السمنية لعالم الجبروت وهم الذين حصروا العلوم في الحواس الخمس فانكروا القدرة والارادة والعلم لانها لا

تدرك بالحواس الخمس وولوا بحضيض عالم الشهادة فان قال وانا منهم فاني لا اهتدي الا الى عالم الشهادة بالحواس الخمس ولا اعلم شيئا سواه

فيقال انكارك لما شاهدناه مما وراء الحواس الخمس كانكار السوفسطائية للحواس الخمس فانهم قالوا ما نراه لا نثق به فلعلنا نراه في المنام

فان قال وانا من جملتهم فاني شاك ايضا في المحسوسات فيقال هذا شخص فسد مزاجه وامتنع علاجه فيترك فلا كل مريض يقوى على علاجه

الاطباء هذا حكم الجاحد واما الذي لا يجحد ولكن لا يفهم فطريق السالكين معهم ان ينظروا الى عينه التي بها يشاهد عالم الملكوت فان وجدها

صحيحة في الاصل وقد نزل فيها ماء اسود يقبل الازالة والتنقية اشتغلوا بتنقيته اشتغال الكحال بالابصار الظاهرة فاذا استوى بصره ارشد

الى الطريق ليسلكه كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بخواص اصحابه وان كان غير قابل للعلاج فلم يمكنه ان يسلك السبيل الذي ذكرناه

في التوحيد ولم يمكنه ان يسمع كلام ذرات الملك والملكوت بشهادة التوحيد كلموه بحرف وصوت ودلوا ذروة التوحيد الى حضيض فهمه

فان في عالم الشهادة ايضا توحيدا اذ يعلم كل احد ان المنزل يفسد بصاحبين والبلد يفسد باميرين فيقال له على حد عقله اله العالم واحد

اذ لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فيكون ذلك على وفق ما رآه في عالم الشهادة فينغرس اعتقاد التوحيد في قلبه بهذا الطريق
اللائق بقدر عقله وقد كلف الانبياء ان يكلموا الناس على قدر عقولهم ولذلك نزل القرآن بلسان العرب وعلى حد عادتهم في المحاورة
فان قلت فمثل هذا التوحيد الاعتقادي هل يصلح ان يكون عمادا للتوكل واصلا فيه فاقول نعم فان الاعتقاد اذا قوي عمل عمل الكشف في اثارة
الاحوال الا انه في الغالب يضعف ويتسارع اليه الاضطراب والتزلزل غالبا ولذلك يحتاج صاحبه الى متكلم يحرسه بكلامه او الى ان
يتعلم هو الكلام ليحرس به العقيدة التي تلقفها من استاذه او من ابويه او من اهل بلده واما الذي شاهد الطريق وسلكه بنفسه فلا يخاف
عليه شيء من ذلك بل لو كشف الغطاء لما ازداد يقينا وان كان يزداد وضوحا كما ان الذي يرى انسانا في وقت الاسفار لا يزداد يقينا عند طلوع
الشمس بانه انسان ولكن يزداد وضوحا في تفصيل خلقته وما مثال المكاشفين والمعتقدين الا كسحرة فرعون مع اصحاب السامري فان سحرة فرعون
لما كانوا مطلعين على منتهى تأثير السحر لطول مشاهدتهم وتجربتهم فرأوا من موسى ما جاوز حدود السحر انكشف لهم حقيقة الامر فلم يكترثوا بقول
فرعون لاقطعن ايديكم وارجلكم بل قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما انت قاض انما تقضي هذه الحيوة الدنيا
فان البيان والكشف يمنع التغير واما اصحاب السامري لما كان ايمانهم عن النظر الى ظاهر الثعبان فلما نظروا الى عجل السامري وسمعوا خواره
تغيروا وسمعوا قوله هذا الهكم واله موسى ونسوا انه لا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم نفعا ولا ضرا فكل من آمن بالنظر الى ثعبان
فيكفر لا محالة اذا نظر الى عجل لان كليهما من عالم الشهادة والاختلاف والتضاد في عالم الشهادة كثير واما عالم الملكوت فمن عند الله
فلذلك لا تجد فيه اختلافا وتناقضا اصلا فان قلت ما ذكرته من التوحيد ظاهر مهما ثبت ان الوسائط والاسباب مسخرات وكل ذلك
ظاهر الا في حركات الانسان فانه يتحرك ان شاء ويسكن ان شاء فكيف يكون مسخرا فاعلم انه لو كان مع هذا يشاء ان شاء ولا يشاء ان لم يشأ
لكان هذا مزلة القدم وموقع الغلط ولكن علمت انه يفعل ما شاء اذا شاء ويشاء شاء ام لم يشأ فليست المشيئة اليه اذ لو كانت اليه لافتقرت
الى مشيئة اخرى وتسلسل الى غير نهاية واذا لم تكن المشيئة اليه فمهما وجدت المشيئة التي تصرف القدرة الى مقدورها انصرفت القدرة
لا محالة ولم يكن لها سبيل الى المخالفة فالحركة لازمة ضرورة بالقدرة والقدرة محركة ضرورة عند انجزام المشيئة والمشيئة تحدث ضرورة
في القلب فهذه ضروريات بعضها على بعض وليس للعبد ان يدفع وجود المشيئة ولا انصراف القدرة الى المقدور بعدها ولا وجود الحركة بعد
بعث المشيئة للقدرة فهو مضطر في الجميع فان قلت فهذا جبر محض والجبر يناقض الاختيار وانت لا تنكر الاختيار فكيف يكون مجبورا
مختارا فاقول لو انكشف لك الغطاء لعرفت انه في عين الاختيار مجبور فهو اذن مجبور على الاختيار فكيف يفهم هذا من لا يفهم الاختيار
فلنشرح الاختيار بلسان المتكلمين شرحا وجيزا يليق بما يذكر متطفلا وتابعا فان هذا الكتاب لم يقصد به الا علم المعاملة ولكني اقول
لفظ الفعل في الانسان يطلق على ثلثة اوجه اذ يقال الانسان يكتب بالاصبع ويتنفس بالرئة والحنجرة ويخرق الماء اذا وقع عليه
بجسمه فينسب اليه الخرق في الماء والتنفس والكتابة وهذه الثلث في حقيقة الاضطرار والجبر واحد ولكنها تختلف وراء ذلك في امور
فاعرب لك عنها بثلث عبارات فنسمي خرقه الماء عند وقوعه على وجهه فعلا طبيعيا ونسمي تنفسه فعلا اراديا ونسمي كتابته فعلا اختياريا
والجبر ظاهر في الفعل الطبيعي لانه مهما وقف على وجه الماء او تخطى من السطح الى الهواء انخرق لا محالة فيكون الخرق بعد التخطي ضروريا
والتنفس في معناه فان نسبة حركة الحنجرة الى ارادة التنفس كنسبة انخراق الماء الى ثقل البدن فمهما كان الثقل موجودا وجد الانخراق
بعده وليس الثقل اليه فكذلك الارادة ليست اليه ولذلك لو قصد عين الانسان بابرة طبق الاجفان اضطرارا ولو اراد ان يتركها مفتوحة
لا يقدر عليه مع ان تغميض الاجفان فعل ارادي ولكنه اذا تمثل صورة الابرة في مشاهدته بالادراك حدثت الارادة للتغميض ضرورة
وحدثت الحركة بها ولو اراد ان يترك التغميض لم يقدر عليه مع انه فعل بالقدرة والارادة فقد التحق هذا بالفعل الطبيعي في كونه ضروريا

فاما الثالث وهو الاختياري فهو مظنة الالتباس كالكتابة والنطق وهو الذي يقال فيه ان شاء فعل وان شاء
لم يفعل وتارة يشاء وتارة لا يشاء فيظن من هذا ان الامر اليه وهو الجهل بمعنى الاختيار فلنكشف عنه وبيانه ان الارادة تتبع العلم
الذي يحكم بان الشيء موافق لك والاشياء تنقسم الى ما تحكم مشاهدتك الظاهرة او الباطنة بانه موافق لك من غير تحير وتردد
والى ما يتردد العقل فيه فالذي تقطع به من غير تردد ان يقصد عينك بابرة او بدنك بسيف فلا يكون في علمك تردد في ان دفع ذلك خير لك
وموافق فلا جرم تنبعث الارادة بالعلم والقدرة بالارادة وتحصل حركة الاجفان بالدفع وحركة اليد بدفع السيف ولكن من
غير روية وفكرة ويكون ذلك بالارادة ومن الاشياء ما يتوقف التمييز والعقل فيه فلا يدري انه موافق ام لا فيحتاج الى روية
وفكر حتى يتبين ان الخير في الفعل او الترك فاذا حصل بالفكر والروية العلم بان احدهما خير التحق ذلك بالذي يقطع به من غير روية
وفكر فانبعثت الارادة هاهنا كما تنبعث لدفع السيف والسنان فاذا انبعثت لفعل ما ظهر للعقل انه خير سميت هذه الارادة اختيارا
مشتقا من الخير اي هو انبعاث الى ما ظهر للعقل انه خير وهو عين تلك الارادة وهو ظهور خيرية الفعل في حقه الا ان الخيرية
في دفع السيف ظهر من غير روية بل على البديهة وهذا افتقر الى الروية فالاختيار عبارة عن ارادة خاصة وهي التي انبعثت باشارة
العقل فيما له في ادراكه توقف وعن هذا قيل ان العقل يحتاج اليه للتمييز بين خير الخيرين وشر الشرين ولا يتصور ان تنبعث الارادة
الا بحكم الحس والتخيل او بحكم جزم من العقل ولذلك لو اراد الانسان ان يحز رقبة نفسه لم يمكنه لا لعدم القدرة في اليد ولا لعدم
السكين ولكن لفقد الارادة الداعية المشخصة للقدرة وانما فقدت الارادة لانها تنبعث بحكم العقل او الحس بكون الفعل
موافقا وقتله نفسه ليس موافقا له فلا يمكنه مع قوة الاعضاء ان يقتل نفسه الا اذا كان في عقوبة مؤلمة لا تطاق فان العقل هاهنا
يتوقف في الحكم ويتردد لانه تردد بين شر الشرين فان ترجح له بعد الروية ان ترك القتل اقل شرا لم يمكنه قتل نفسه وان حكم بان القتل
اقل شرا وكان حكمه جزما لا ميل فيه ولا صارف عنه انبعثت الارادة والقدرة واهلك نفسه كالذي يتبع بالسيف للقتل فانه يرمي
نفسه من السطح وان كان مهلكا ولا يبالي ولا يمكنه ان لا يرمي نفسه وان كان يتبع بضرب خفيف فاذا انتهى الى طرف السطح حكم
العقل بان الضرب اهون من الرمي فوقفت اعضاؤه فلا يمكنه ان يرمي نفسه ولا تنبعث له داعية البتة لان داعية الارادة
مسخرة بحكم العقل والحس والقدرة مسخرة للداعية والحركة مسخرة للقدرة والكل مقدر بالضرورة فيه من حيث لا يدري فانما
هو محل ومجرى لهذه الامور فاما ان يكون منه فكلا ولا فاذا معنى كونه مجبورا ان جميع ذلك حاصل فيه من غيره لا منه ومعنى
كونه مختارا انه محل لارادة حدثت فيه جبرا بعد حكم العقل بكون الفعل خيرا فاذن هو مجبور على الاختيار ففعل النار في
الاحراق جبر محض وفعل الله تعالى اختيار محض وفعل الانسان على منزلة بين المنزلتين فانه جبر على الاختيار فطلب اهل الحق لهذا عبارة
ثالثة لما ان كان فنا ثالثا واتبعوا فيه كتاب الله فسموه كسبا وليس مناقضا للجبر ولا للاختيار بل هو جامع بينهما عند من فهمه و
فعل الله تعالى يسمى اختيارا بشرط ان لا يفهم من الاختيار ارادة بعد تحير وتردد فان ذلك في حقه محال وجميع الالفاظ المذكورة
في اللغات لا يمكن ان تستعمل في حق الله الا على نوع من الاستعارة والتجوز وذكر ذلك لا يليق بهذا العلم ويطول القول فيه
فان قلت فهل تقول ان العلم ولد الارادة والارادة ولدت القدرة والقدرة ولدت الحركة وان كل متاخر حدث
من المتقدم فان قلت ذلك فقد حكمت بحدوث شيء لا من قدرة الله وان ابيت ذلك فما معنى ترتب البعض من هذا على البعض فاعلم ان
القول بان بعض ذلك حدث عن بعض جهل محض سواء عبر عنه بالتولد او بغيره بل حوالة جميع ذلك على المعنى الذي يعبر عنه
بالقدرة الازلية وهو الاصل الذي لم يقف عليه كافة الخلق الا الراسخون في العلم فانهم وقفوا على كنه معناه والكافة وقفوا

على مجرد لفظه وهو بعيد عن الحق وبيان ذلك يطول ولكن بعض المقدورات مترتبة على البعض في الحدوث ترتب المشروط
على الشرط فلا تصدر من القدرة الازلية ارادة الا بعد علم ولا علم الا بعد حيوة ولا حيوة الا بعد محل للحيوة وكما لا يجوز ان يقال
الحيوة حصل من الجسم الذي هو شرط الحيوة فكذلك في سائر درجات الترتيب ولكن بعض الشروط ربما ظهر للعامة وبعضها لم يظهر
الا للخواص المكاشفين بنور الحق والا فلا يتقدم متقدم ولا يتأخر متأخر الا بالحق واللزوم وكذلك جميع افعال الله ولولا ذلك لكان
التقديم والتأخير عبثا يضاهي فعل المجانين تعالى الله عن ذلك وعن قول الجاهلين علوا كبيرا والى هذا اشار قوله تعالى وما
خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق فكل ما بين السماء والارض حادث على ترتيب واجب وحق لازم لا
يتصور ان يكون الا كما حدث وعلى الترتيب الذي وجد فما تأخر ما تأخر الا لانتظار شرطه والمشروط قبل الشرط محال والمحال لا
يوصف بكونه مقدورا فلا يتأخر العلم عن النطفة الا لفقد شرط الحيوة ولا يتأخر عنها الارادة بعد العلم الا لفقد شرط العلم
وكل ذلك على منهاج الواجب وترتيب الحق ليس في شيء من ذلك لعب واتفاق بل كل ذلك بحكمة وتدبير وتفهم ذلك عسير ولكنا
نضرب لتوقف المقدور مع وجود القدرة على وجود الشرط مثالا يقرب مبادي الحق من الافهام الضعيفة وذلك بان نقدر انسانا
محدثا قد انغمس في ماء الى رقبته فالحدث لا يرتفع عن اعضائه وان كان الماء هو الرافع وهو ملاق له فتقدر القدرة الازلية حاضرة
ملاقية للمقدورات متعلقة بها ملاقاة الماء للاعضاء ولكن لا يحصل بها المقدور كما لا يحصل رفع الحدث بالماء انتظارا للشرط
وهو غسل الوجه فاذا وضع الواقف في الماء وجهه على الماء عمل الماء في سائر الاعضاء وارتفع الحدث فربما يظن الجاهل ان الحدث
عن اليد ارتفع عن الوجه لانه حدث عقيبه اذ يقول كان الماء ملاقيا ولم يكن رافعا والماء لم يتغير عما كان فكيف حصل منه ما لم
يحصل من قبل بل حصل ارتفاع الحدث من اليد عند غسل الوجه فاذن غسل الوجه هو الرافع للحدث عن اليد وهو جهل يضاهي
ظن من يظن ان الحركة تحصل بالقدرة والقدرة بالارادة والارادة بالعلم وكل ذلك خطأ بل عند ارتفاع الحدث عن الوجه ارتفع
الحدث عن اليد بالماء الملاقي لها لا بغسل الوجه والماء لم يتغير واليد لم تتغير ولم يحدث فيهما شيء ولكن حدث وجود الشرط فظهر
اثر العلة فهكذا ينبغي ان تفهم صدور المقدورات من القدرة الازلية مع ان القدرة قديمة والمقدورات حادثة وهذا قرع باب
لعالم آخر من عوالم المكاشفات فلنترك جميع ذلك فان مقصودنا التنبيه على طريق التوحيد في الفعل وان الفاعل بالحقيقة
واحد وهو المخوف والمرجو وعليه التوكل والاعتماد ولم نقدر على ان نذكر من بحار التوحيد الا قطرة من بحر المقام الثالث
من مقامات التوحيد واستيفاء ذلك في عمر نوح محال كاستيفاء ماء البحر باخذ القطرات منه وكل ذلك ينطوي تحت قول
لا اله الا الله وما اخف مؤنته على اللسان وما اسهل اعتقاد مفهوم لفظه على القلب وما اعز حقيقته ولبه عند العلماء الراسخين
فكيف عند غيرهم فان قلت فكيف الجمع بين التوحيد والشرع ومعنى التوحيد ان لا فاعل الا الله ومعنى الشرع اثبات الافعال
للعباد فان كان العبد فاعلا فكيف يكون الله فاعلا وان كان الله فاعلا فكيف يكون العبد فاعلا ومفعول بين الفاعلين غير مفهوم
فاقول نعم ذلك غير مفهوم اذا كان للفاعل معنى واحد وان كان له معنيان ويكون الاسم مجملا مرددا بينهما لم يتناقض كما يقال
قتل الامير فلانا ويقال قتله الجلاد ولكن الامير قاتل بمعنى والجلاد قاتل بمعنى آخر فكذلك العبد فاعل بمعنى والله فاعل بمعنى آخر فمعنى
كون الله فاعلا انه المخترع الموجد ومعنى كون العبد فاعلا انه المحل الذي خلق فيه القدرة بعد ان خلق فيه الارادة بعد ان خلق
فيه العلم فارتبطت القدرة بالارادة والحركة بالقدرة ارتباط الشرط بالمشروط وارتبط بقدرة الله ارتباط المعلول بالعلة
وارتباط المخترع بالمخترع وكل ما له ارتباط بقدرة فان محل القدرة يسمى فاعلا له كيفما كان الارتباط كما يسمى الجلاد قاتلا

قاتلا والامير قاتلا لان القتل ارتبط بقدرتهما ولكن على وجهين مختلفين فلذلك سمي فعلا لهما فكذلك ارتباط المقدور
بين القدرتين ولاجل توافق ذلك وتطابقه نسب الله تعالى الافعال في القرآن مرة الى الملائكة ومرة الى العباد ونسبها بعينها
مرة اخرى الى نفسه فقال تعالى في الموت قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم قال الله يتوفى الانفس حين موتها وقال
افرأيتم ما تحرثون اضاف الحرث الينا ثم قال انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا فانبتنا فيها حبا وعنبا وقال فارسلنا
اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا ثم قال فنفخنا فيها من روحنا وكان النافخ جبريل وكما قال فاذا قرأناه فاتبع قرآنه قيل في
التفسير معناه اذا قرأه عليك جبريل وقال تعالى قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم فاضاف القتل اليهم والتعذيب الى نفسه والتعذيب
هو عين القتل بل صرح وقال فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وهو جمع بين النفي والاثبات ظاهرا
ولكن معناه اذ رميت بالمعنى الذي يكون العبد به راميا وما رميت بالمعنى الذي يكون الرب به راميا اذ هما معنيان مختلفان
وقال الذي علم بالقلم ثم قال الرحمن علم القرآن وقال علمه البيان وقال ان علينا بيانه وقال افرأيتم ما تمنون أأنتم تخلقونه ام نحن
الخالقون ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في وصف ملك الارحام انه يدخل الرحم فيأخذ النطفة في يده ثم يصورها جسدا
فيقول يا رب أذكر ام انثى اسوي ام معوج فيقول الله تعالى ما شاء ويخلق الملك وفي لفظ آخر ويصور الملك ثم ينفخ فيها الروح بالسعادة
او بالشقاوة وقد قال بعض السلف ان الملك الذي يقال له الروح هو الذي يولج الارواح في الاجسام وانه يتنفس بوصفه فيكون
كل نفس من انفاسه روحا يلج في جسم ولذلك سمي روحا وما ذكره من مثل هذا الملك وصفته فهو حق يشاهده ارباب القلوب ببصائرهم
واما كون الروح عبارة عنه فلا يمكن ان يعلم الا بالنقل والحكم دون النقل به تخمين مجرد وكذلك ذكر الله تعالى في القرآن الادلة و
الايات في الارض والسموات ثم قال اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد وقال شهد الله انه لا اله الا هو فبين ان الدليل على نفسه
وذلك ليس متناقضا بل طرق الاستدلال مختلفة فكم من طالب عرف الله بالنظر الى الموجودات وكم من طالب عرف كل الموجودات
بالله كما قال بعضهم عرفت ربي بربي وهو معنى قوله اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد وقد وصف الله نفسه بانه المحيي والمميت
ثم فوض الموت والحيوة الى ملكين ففي الخبر ان ملك الموت وملك الحيوة تناظرا فقال ملك الموت انا اميت الاحياء وقال ملك الحيوة
انا احيي الاموات فاوحى الله تعالى اليهما كونا على عملكما وما سخرتما له من الصنع وانا المميت والمحيي لا مميت ولا محيي سواي فاذن
الفعل يستعمل على وجوه مختلفة فلا تتناقض هذه المعاني اذا فهمت ولذلك قال صلى الله عليه وسلم للذي ناوله التمرة خذها لو لم تأتها
لاتتك اضاف الاتيان اليه ومعلوم ان التمرة لا تأتي على الوجه الذي يأتي الانسان اليها ولذلك لما قال التائب اتوب الى الله ولا اتوب
الى محمد قال صلى الله عليه وسلم عرف الحق لاهله فكل من اضاف الكل الى الله تعالى فهو المحقق الذي عرف الحق والحقيقة ومن
اضافه الى غيره فهو المتجوز والمستعير في كلامه وللتجوز وجه كما ان للحقيقة وجها واسم الفاعل وضعه واضع اللغة للمخترع ولكن ظن
ان الانسان مخترع بقدرته فسماه فاعلا بحركته وظن انه تحقيق وتوهم ان نسبته الى الله تعالى على سبيل المجاز مثل نسبة القتل الى الامير
فانه مجاز بالاضافة الى نسبته الى الجلاد فلما انكشف الحق لاهله عرفوا ان الامر بالعكس وقالوا ان كان الفاعل قد وضعته ايها
اللغوي للمخترع فلا فاعل الا الله فالاسم له بالحقيقة ولغيره بالمجاز اي يتجوز به عما وضعه اللغوي له ولما جرى حقيقة المعنى
على لسان بعض الاعراب قصدا او اتفاقا صدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم اصدق بيت قاله الشاعر قول لبيد الا كل شيء ما خلا الله باطل
اي كل ما لا قوام له بنفسه وانما قوامه بغيره فهو باعتبار نفسه باطل وانما حقيته وحقيقته بغيره لا بنفسه فاذن لا حق بالحقيقة الا القيوم
الحي الذي ليس كمثله شيء فانه قائم بذاته وكل ما سواه قائم بقدرته فهو الحق وما سواه باطل ولذلك قال سهل يا مسكين كان ولم تكن

يكون ولا تكون فلما كنت اليوم صرت تقول انا وانا كن الآن كما لم تكن فانه اليوم كما كان فاذا قلت فقد ظهر ان الكل جبر فما معنى
الثواب والعقاب والغضب والرضا وكيف غضبه على فعل نفسه فاعلم ان معنى ذلك قد اشرنا اليه في كتاب الشكر فلا نطول باعادة
فهذا هو القدر الذي رمزنا اليه من التوحيد الذي يورث حال التوكل ولا يتم هذا الا بالايمان والرحمة والحكمة فان التوحيد يورث
النظر الى مسبب الاسباب والايمان بالرحمة وسعتها هو الذي يورث الثقة بمسبب الاسباب ولا يتم التوكل كما سيأتي الا بالثقة
بالوكيل وطمانينة القلب الى حسن نظر الكفيل وهذا الايمان ايضا باب عظيم من ابواب الايمان وحكاية طريق المكاشفين فيه طويل
فلنذكر حاصله ليعتقده الطالب لمقام التوكل اعتقادا قاطعا لا يستريب فيه وهو ان يصدق تصديقا يقينيا لا ضعف فيه
ولا ريب ان الله عز وجل لو خلق الخلائق كلهم على عقل اعقلهم وعلم اعلمهم وخلق لهم من العلم ما تحتمله نفوسهم وافاض عليهم من الحكمة
ما لا منتهى لوصفها ثم زاد مثل عدد جميعهم علما وحكمة وعقلا ثم كشف لهم عواقب الامور واطلعهم على اسرار الملكوت وعرفهم دقائق
اللطف وخفايا العقوبات حتى اطلعوا به على الخير والشر والنفع والضر ثم امرهم ان يدبروا الملك والملكوت بما اعطوا من
العلوم والحكم لما اقتضى تدبير جميعهم مع التعاون والتظاهر عليه ان يزاد فيما دبر الله سبحانه الخلق به في الدنيا والآخرة جناح
بعوضة ولا ان ينقص منها جناح بعوضة ولا ان يرفع منها ذرة او يخفض منها ذرة ولا ان يدفع مرض او عيب او نقص او فقر او ضر عمن
بلي به ولا ان يزال صحة او كمال او غنى او نفع عمن انعم به عليه بل كل ما خلقه الله تعالى من السموات والارض ان رجعوا فيها البصر و
طولوا فيها النظر ما راوا فيها من تفاوت ولا فطور وكل ما قسم الله بين عباده من رزق واجل وسرور وفرح وعجز وقدرة وايمان وكفر و
طاعة ومعصية فكله عدل محض لا جور فيه وحق صرف لا ظلم فيه بل هو على الترتيب الواجب الحق على ما ينبغي وكما ينبغي وبالقدر الذي ينبغي
وليس في الامكان اصلا احسن منه ولا اتم ولا اكمل ولو كان وادخره مع القدرة ولم يفعله لكان بخلا يناقض الجود وظلما يناقض العدل
ولو لم يكن قادرا لكان عجزا يناقض الالهية بل كل فقر وضر في الدنيا فهو نقصان من الدنيا وزيادة في الآخرة وكل نقص في الآخرة بالاضافة
الى شخص فهو نعيم بالاضافة الى شخص فهو نعيم بالاضافة الى غيره اذ لولا الليل لما عرف قدر النهار ولولا المرض لم يتنعم الاصحاء بالصحة
ولولا النار لم يعرف اهل الجنة قدر النعمة وكما ان فداء ارواح الانس بارواح البهائم وتسليطهم على ذبحها ليس بظلم بل تقديم الكامل
على الناقص عين العدل فكذلك تفخيم النعم على سكان الجنان بتعظيم العقوبة على اهل النيران فداء اهل الايمان باهل الكفر عين العدل
وما لم يخلق الناقص لا يعرف الكامل ولولا خلق البهائم لما ظهر شرف الانس فان الكمال والنقص يظهر بالاضافة فمقتضى الجود والحكمة خلق
الكامل والناقص جميعا وكما ان قطع اليد اذا تاكلت ابقاء على الروح عدل لانه فداء كامل بناقص فكذلك الامر في التفاوت الذي بين
الخلق في القسمة في الدنيا والآخرة فكل ذلك عدل لا جور فيه وحق لا لعب فيه وهذا الآن بحر عظيم واسع الاطراف مضطرب
الامواج قريب في السعة من بحر التوحيد فيه غرق طوائف من القاصرين ولم يعلموا ان ذلك غامض لا يعقلها الا العالمون ووراء هذا
البحر سر القدر الذي تحير فيه الاكثرون ومنع عن افشاء سره المكاشفون والحاصل ان الخير والشر مقضي به وقد صار ما قضي به واجب الحصول
بعد سبق المشية فلا راد لحكمه ولا معقب لقضائه بل كل صغير وكبير مستطر وحصوله بقدر معلوم منتظر وما اصابك لم يكن ليخطئك وما
اخطاك لم يكن ليصيبك ولنقتصر على هذه المرامز من علوم المكاشفة التي هي اصول مقام التوكل ولنرجع الى علم المعاملة ٥ ٥ ٥

الشطر الثاني

من الكتاب في التوكل واعماله وفيه بيان حال التوكل وبيان ما قاله الشيوخ في حد
التوكل وبيان التوكل في الكسب للمنفرد والمعيل وبيان التوكل بترك الادخار وبيان التوكل في دفع الضار وبيان التوكل في ازالة الضرر
بالتداوي وغيره

بيان حال التوكل

قد ذكرنا ان مقام التوكل ينتظم من علم وحال وعمل وذكرنا العلم فاما الحال فالتوكل بالتحقيق عبارة
عنه وانما العلم اصله والعمل ثمرته وقد اكثر الخائضون القول في بيان حد التوكل واختلف عباراتهم وتكلم كل واحد عن مقام
نفسه واخبر عن حده كما جرت عادة اهل التصوف به ولا فائدة في النقل والاكثار فلنكشف الغطاء عنه فنقول التوكل مشتق
من الوكالة يقال وكل امره الى فلان اي فوضه اليه واعتمد عليه ويسمى الموكول اليه وكيلا ويسمى المفوض اليه متكلا عليه ومتوكلا
عليه مهما اطمان اليه نفسه ووثق به ولم يتهمه فيه بتقصير ولم يعتقد فيه عجزا وقصورا فالتوكل عبارة عن اعتماد القلب على
الوكيل وحده ولنضرب الوكيل في الخصومة مثلا فمن ادعي عليه دعوى باطلة بتلبيس فوكل للخصومة من يكشف ذلك التلبيس لم يكن متوكلا
عليه ولا واثق القلب مطمئن النفس بوكيله الا اذا اعتقد فيه اربعة امور منتهى الهداية ومنتهى القوة ومنتهى الفصاحة ومنتهى الشفقة
اما الهداية فليعرف بها مواقع التلبيس حتى لا يخفى عليه من غوامض الحيل شي اصلا واما القدرة والقوة فليستجري على التصريح بالحق
فلا يداهن ولا يخاف ولا يستحيي ولا يجبن فانه ربما يطلع على وجه تلبيس خصمه فيمنعه الخوف او الجبن او الحيا او صارف آخر من الصوارف
المضعفة للقلب عن التصريح به واما الفصاحة فهي ايضا من القدرة الا انها القدرة في اللسان على الافصاح عن كل ما استجرا القلب
عليه واشار اليه فلا كل عالم بمواقع التلبيس قادر بذلاقة لسانه على حل عقدته واما منتهى الشفقة فليكون باعثا له على بذل كل
ما يقدر عليه من المجهود في حقه فان قدرته لا تغني دون العناية اذا كان لا يهمه امره ولا يبالي به ظفر به خصمه او لم يظفر هلك به حقه
او لم يهلك فان كان شاكا في هذه الاربعة او في واحدة منها او جوز ان يكون خصمه اكمل في هذه الاربعة منه لم تطمئن نفسه الى
وكيله بل بقي منزعج القلب مستغرق القلب بالحيلة والتدبير ليدفع ما يحذره من قصور وكيله وسطوة خصمه ويكون تفاوت احواله
في شدة الثقة والطمانينة بحسب تفاوت قوة اعتقاده لهذه الخصال فيه والاعتقادات والظنون في القوة والضعف تتفاوت
تفاوتا لا ينحصر فلا جرم تتفاوت احوال المتوكل في قوة الطمانينة والثقة تفاوتا لا ينحصر الى ان ينتهي الى اليقين الذي لا ضعف فيه
كما لو كان الوكيل والد الموكل وهو الذي يسعى بجمع الحلال والحرام لاجله فانه يحصل له يقين بمنتهى الشفقة والعناية فيصير خصلة
واحدة من الخصال الاربعة قطعية وكذلك سائر الخصال يتصور ان يحصل القطع به وذلك بطول الممارسة والتجربة وتواتر الاخبار
بانه افصح الناس لسانا واقواهم بيانا واقدرهم على نصرة الحق بل على تصوير الحق باطلا والباطل بالحق فاذا عرفت التوكل في هذا
المثال فقس عليه التوكل على الله عليه فان ثبت في نفسك بكشف او باعتقاد جازم انه لا فاعل الا الله كما سبق واعتقدت مع ذلك تمام
العلم والقدرة على كفاية العباد ثم تمام العطف والعناية والرحمة بجملة العباد والآحاد وانه ليس وراء منتهى قدرته قدرة ولا وراء
منتهى علمه علم ولا وراء منتهى عنايته بك ورحمته لك عناية ورحمة اتكل لا محالة قلبك عليه وحده ولم يلتفت الى غيره بوجه من
الوجوه ولا الى نفسك وحولك وقوتك ولا الى نفسه وحوله وقوته فانه لا حول ولا قوة الا بالله كما سبق في التوحيد عند ذكر
الحركة والقدرة فان الحول عبارة عن الحركة والقوة عبارة عن القدرة فان كنت لا تجد هذه الحالة من نفسك فسببه احد امرين
اما ضعف اليقين باحد هذه الخصال الاربع واما ضعف القلب ومرضه باستيلاء الجبن عليه وانزعاجه بسبب الاوهام الغالبة عليه
فان القلب قد ينزعج تبعا للوهم وطاعة له من غير نقصان في اليقين فان من يتناول عسلا فشبه بين يديه بالعذرة ربما نفر طبعه وتعذر
عليه تناوله ولو كلف العاقل ان يبيت مع الميت في قبر او فراش او بيت نفر طبعه وان كان متيقنا لكونه ميتا وانه جماد في الحال وان
سنة الله تعالى مطردة بانه لا يحشره الآن ولا يحييه وان كان قادرا عليه كما انها مطردة بان لا يقلب القلم الذي في يده حية
ولا يقلب السنور اسدا وان كان قادرا عليه ومع انه لا يشك في هذا اليقين ينفر طبعه عن مضاجعة الميت في البيت ولا
ينفر عن سائر الجمادات وذلك جبن في القلب وهو نوع ضعف قلما يخلو الانسان عن شي منه وان قل وقد يقوى فيصير مرضا

حتى يخاف ان يبيت في البيت وحده مع اغلاق الباب واحكامه فاذن لا يتم التوكل الا بقوة القلب وقوة اليقين جميعا اذ بهما
يحصل سكون القلب وطمأنينته فالسكون في القلب شيء واليقين شيء آخر فكم من يقين لا طمأنينة معه كما قال تعالى اولم تؤمن
قال بلى ولكن ليطمئن قلبي فالتمس ان يشاهد احياء الميت بعينه ليثبت في خياله فان النفس تتبع الخيال وتطمئن به ولا تطمئن باليقين
في ابتداء امرها الى ان تبلغ بالآخرة الى درجة النفس المطمئنة وذلك لا يكون في البداية اصلا وكم من مطمئن لا يقين له كسائر ارباب
الملل والمذاهب فان اليهودي مطمئن القلب الى تهوده وكذا النصراني ولا يقين لهم اصلا وانما يتبعون الظن وما تهوى الانفس
ولقد جاءهم من ربهم الهدى وهو سبب اليقين الا انهم معرضون عنه فاذن الجبن والجرأة غرائز ولا ينفع اليقين معها فهي احد الاسباب
التي تضاد حال التوكل كما ان ضعف اليقين بالخصال الاربعة احد الاسباب واذا اجتمعت هذه الاسباب التي تضاد حال التوكل حصلت
الثقة بالله وقد قيل مكتوب في التوراة ملعون من ثقته انسان مثله وقد قال عليه السلام من اعتز بالعبيد اذله الله واذا انكشف لك
معنى التوكل وعلمت الحالة التي سميت توكلا فاعلم ان تلك الحالة لها في القوة والضعف ثلث درجات الدرجة الاولى ما
ذكرناه وهو ان يكون حاله في حق الله والثقة به وبكفالته وعنايته كحاله في الثقة بالوكيل الثانية وهي اقوى ان يكون
حاله مع الله كحال الطفل في حق امه فانه لا يعرف غيرها ولا يفزع الى سواها ولا يعتمد الا اياها فان رآها تعلق بها في كل حال
بذيلها ولم يخلها وان نابه امر في غيبتها كان اول سابق الى لسانه يا اماه واول خاطر يخطر على قلبه امه فانها مفزعه فانه قد وثق بكفالتها
وكفايتها وشفقتها ثقة ليست خالية عن نوع ادراك بالتمييز الذي له ويظن انه طبع من ان الصبي لو طولب بتفصيل هذه الخصال لم يقدر
على تلفيق لفظه ولا على احضاره مفصلا في ذهنه ولكن كل ذلك وراء الادراك فمن كان تألهه الى الله ونظره اليه واعتماده عليه
كلف به كما يكلف الصبي بامه فيكون متوكلا حقا فان الطفل متوكل على امه والفرق بين هذا وبين الاول انه متوكل وقد فني في توكله
عن توكله اذ ليس يلتفت قلبه الى التوكل وحقيقته بل الى المتوكل عليه فقط فلا مجال في قلبه لغير المتوكل عليه واما الاول فيتوكل
في قلبه لغير المتوكل عليه بالتوكل والكسب وليس فانيا عن توكله اي له التفات الى توكله وشعور به وذلك شغل صارف عن ملاحظة
المتوكل عليه وحده والى هذه الدرجة اشار سهل حيث سئل عن التوكل ما ادناه فقال ترك الاماني قيل واوسطه قال ترك الاختيار
وهو اشارة الى الدرجة الثانية وسئل عن اعلاه فلم يذكره وقال لا يعرفه الا من بلغ اوسطه الثالثة وهي اعلاها ان يكون بين
يدي الله تعالى في حركاته وسكناته مثل الميت بين يدي الغاسل لا يفارقه الا في انه يرى نفسه ميتا تحركه القدرة الازلية كما
تحرك يد الغاسل الميت وهو الذي قوي يقينه بانه مجرى الحركة والقدرة والارادة والعلم وسائر الصفات وان كله يحدث
جبرا فيكون بائنا عن الانتظار لما يجري عليه ويفارق الصبي فان الصبي يفزع الى امه ويصيح ويتعلق بذيلها ويعدو خلفها بل مثاله
هذا مثال صبي علم انه وان لم يزعق بامه فالام تطلبه وانه ان لم يتعلق بذيل امه فالام تحمله وانه ان لم يسألها اللبن فالام تفاتحه
وتسقيه وهذا المقام في التوكل يثمر ترك الدعاء والسؤال منه ثقة بكرمه وعنايته وانه يعطي ابتداء افضل مما يسأل فكم
من نعمة ابتداها قبل الدعاء وقبل الاستحقاق والمقام الثاني لا يقتضي ترك الدعاء والسؤال منه وانما يقتضي ترك السؤال من غيره
فقط فان قلت فهذه الاحوال هل يتصور وجودها فاعلم ان ذلك ليس بمحال ولكنه عزيز نادر والمقام الثاني والثالث
اعزها والاول اقرب الى الامكان ثم اذا وجد الرجل الثاني والثالث فدوامه ابعد منه بل يكاد لا يكون المقام الثالث في دوامه
الا كصفرة الوجل فان انبساط القلب الى ملاحظة الحول والقوة والاسباب طبع وانقباضها عارض كما ان انبساط الدم الى جميع
الاطراف طبع وانقباضه عارض كما ان انبساط الدم الى جميع الاطراف طبع وانقباضه عارض والوجل عبارة عن انقباض الدم عن ظاهر

عن ظاهر البشرة الى الباطن حتى يمحي عن ظاهر البشرة حمرة الدم فانقباضه يوجب الصفرة وذلك لا يدوم واما المقام الثا
وذلك لا يدوم فكذلك انقباض القلب بالكلية عن ملاحظة الحول والقوة وسائر الاسباب الظاهرة لا يدوم واما المقام الثاني
يشبه صفرة المحموم فانه قد يدوم يوما ويومين والثالث يشبه صفرة مريض استحكم مرضه فلا يبعد ان يدوم ولا يبعد ان يزول
فان قلت فهل يبقى مع العبد تدبير وتعلق بالاسباب في هذه الاحوال فاعلم ان المقام الثالث ينفي التدبير راسا ما دامت الحالة
باقية بل يكون صاحبها كالمبهوت والمقام الثاني ينفي كل تدبير الا من حيث الفزع الى الله تعالى بالدعاء والابتهال كتدبير الطفل في التعلق
بامه فقط والمقام الاول لا ينفي اصل التدبير والاختيار ولكن ينفي بعض التدبيرات كالمتوكل على وكيله في الخصومة فانه يترك تدبيره من جهة
غير الوكيل ولكن لا يترك التدبير الذي اشار اليه وكيله به او التدبير الذي عرفه من عادته وسنته دون صريح اشارته فاما الذي يعرفه
باشارته فان يقول له لست اتكلم الا في حضورك فيشتغل لا محالة بالتدبير للحضور ولا يكون هذا مناقضا لتوكله عليه اذ ليس هو
نازعا منه الى حول نفسه وقوتها في اظهار الحجة ولا الى حول غيره بل من تمام توكله عليه ان يفعل ما رسمه له اذ لو لم يكن متوكلا عليه
ولا معتمدا له في قوله لما حضر بقوله واما المعلوم بعادته واطراد سنته فهو ان يعلم من عادته انه لا يحاج الخصم الا من السجل فتمام توكله
ان كان متوكلا عليه ان يكون معولا على سنته وعادته ووافيا بمقتضاها وهو ان يحمل السجل مع نفسه اليه عند مخاصمته فاذن لا
يستغني عن التدبير في الحضور وعن التدبير في احضار السجل ولو ترك شيئا من ذلك كان نقصا في توكله فكيف يكون فعله نقصا نعم بعد
ان حضر وفاء باشارته واحضر السجل وفاء بسنته وعادته وقعد ناظرا الى محاجته فقد ينتهي الى المقام الثاني والثالث في حضوره حتى
يبقى كالمبهوت المنتظر لا يفزع الى حوله وقوته اذ لم يبق له حول وقوة وقد كان فزعه الى حوله وقوته في الحضور واحضار السجل باشارة
الوكيل وسنته وقد انتهى نهايته فلم يبق الا طمأنينة النفس والثقة بالوكيل والانتظار لما يجري واذا تأملت هذا اندفع عنك كل اشكال
في التوكل وفهمت انه ليس من شرط التوكل ترك كل تدبير وعمل وان كل تدبير وعمل لا يجوز ايضا مع التوكل بل هو على الانقسام وسيأتي تفصيله
في الاعمال فاذن فزع المتوكل الى حوله وقوته في الحضور والاحضار لا يناقض التوكل لانه يعلم انه لولا الوكيل لكان حضوره واحضاره
باطلا وتعبا محضا بلا جدوى فاذا لم يصر مفيدا من حيث انه حوله وقوته بل من حيث ان الوكيل جعله مفيدا بمحاجته وعرفه ذلك
باشارته وسنته فاذن لا حول له ولا قوة الا بالوكيل الا ان هذه الكلمة لا يكمل معناها في حق الوكيل لانه ليس خالق حوله وقوته بل
هو جاعلهما مفيدا في انفسهما ولم يكونا مفيدين لولا فعله وانما يصدق ذلك في حق الوكيل لانه المطلق الحق وهو الله تعالى اذ هو خالق
الحول والقوة كما سبق في التوحيد وهو الذي جعلهما مفيدين اذ جعلهما شرطا لما سيخلقه من بعدهما من الفوائد والمقاصد فاذن
لا حول ولا قوة الا بالله حقا صدقا فمن شاهد هذا كذلك كان له الثواب العظيم الذي وردت به الاخبار فيمن يقول لا حول ولا قوة الا بالله
وذلك قد يستبعد فيقال كيف يعطى هذا الثواب كله بهذه الكلمة مع سهولتها على اللسان وسهولة اعتقاد القلب لمفهوم لفظها و
هيهات فانما ذلك الجزاء على هذه المشاهدة التي ذكرناها في التوحيد ونسبة هذه الكلمة وثوابها الى كلمة لا اله الا الله وثوابها كنسبة
مفهوم احدهما الى الآخر اذ في هذه الكلمة اضافة شيئين الى الله فقط وهو الحول والقوة واما كلمة لا اله الا الله فهو نسبة الكل اليه فانظر
الى التفاوت بين الكل وبين شيئين لتعرف به ثواب لا اله الا الله بالاضافة الى هذا وكما ذكرناه من قبل ان للتوحيد قشرين ولبين فكذلك
لهذه الكلمة ولسائر الكلمات واكثر الخلق قيدوا بالقشرين وما طرقوا الى اللبين والى اللبين الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم من قال لا اله
الا الله صادقا مخلصا وجبت له الجنة وحيث اطلق من غير ذكر الصدق والاخلاص اراد بالمطلق المقيد كما اضاف المغفرة الى الايمان و
العمل الصالح في بعض المواضع واضافها الى مجرد الايمان في بعض المواضع والمراد به المقيد بالعمل الصالح فالملك لا ينال بالحديث وحركة

اللسان حديث وعقد القلب ايضا حديث ولكنه حديث نفس وانما الصدق والاخلاص وراءهما ولا تحظى بهما الملك الا المقربون وهم المخلصون نعم لمن يقرب منهم في الرتبة من اصحاب اليمين ايضا درجات عند الله وان كان لا ينتهي الى الملك اما ترى ان الله سبحانه لما ذكر في سورة الواقعة المقربين السابقين تعرض لسرير الملك فقال على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين والاشجار والحور العين وكل ذلك

ولما انتهى الى اصحاب اليمين ما زاد على ذكر الماء والظل والفواكه

لذات المنظور والمشروب والماكول والمنكوح وتصور ذلك للبهائم على الدوام واين لذات البهائم من لذة الملك والنزول في اعلى عليين في جوار رب العالمين ولو كانت هذه اللذات قدرها لما وسع على البهائم ولما رفع عنه درجة الملائكة اترى ان احوال البهائم وهي مسيبة في الرياض مشحونة بالمياه والاشجار واصناف الماكولات متمتعة بالنزوان والسفاد اعلى والذ واشرف واجدر بان يكون عند ذوي الكمال مغبوطا من احوال الملائكة في سرورهم بالقرب من جوار الله في اعلى عليين هيهات هيهات فما ابعد عن التحصيل من اذا خير بين ان يكون حمارا او يكون في درجة جبريل فيختار درجة حمار على درجة جبريل والجنس يحن الى جنسه كل شيء منجذب اليه وان النفس التي نزوعها الى الصنعة الاسكافية اكثر من نزوعها الى الصنعة الكتابية فهي بالاسكافية اشبه في جوهره منه بالكتاب فكذلك من نزوع نفسه الى نيل لذات البهائم اكثر من نزوعها الى نيل لذات الملائكة فهو بالبهائم اشبه منه بالملائكة لا محالة وهؤلاء هم الذين يقال فيهم اولئك كالانعام بل هم اضل وانما كانوا اضل لان الانعام ليس في قوتها طلب درجة الملائكة فتركها ذلك للعجز واما الانسان ففي قوته ذلك والقادر على نيل الكمال احرى بالذم واجدر بالنسبة الى الضلال مهما تقاعد عن طلب الكمال واذا كان كلامنا هذا معترضا فلنرجع الى المقصود فقد بينا معنى قول لا اله الا الله ومعنى قول لا حول ولا قوة الا بالله فمن ليس قائلا بهما عن مشاهدة فلا يتصور منه حال التوكل

فان قلت ليس في قولك لا حول ولا قوة الا بالله الا نسبة شيئين الى الله فلو قال قائل السماء والارض خلق الله فهل يكون ثوابه مثل ثوابه فاقول لا لان الثواب على قدر درجة المثاب عليه ولا مساواة بين الدرجتين ولا نظر الى عظم السماء والارض وصغر الحول والقوة ان جاز وصفهما بالصغر تجوزا فليست الامور بعظم الاشخاص بل كل عامي يفهم ان الارض والسماء ليس من جهة الآدميين فهو من الله تعالى واما الحول والقوة فقد اشكل امرهما على المعتزلة والفلاسفة وطوائف كثيرة ممن يدعي انه يدقق في الراي والمعقول حتى يشق الشعر بحدة نظره فهي مهلكة مخطرة ومزلة عظيمة هلك فيها الغافلون اذ اثبتوا لانفسهم امرا وهو شرك في التوحيد واثبات خالق سوى الله فمن جاوز هذه العقبة بتوفيق الله اياه فقد علت رتبته وعظمت درجته فهو الذي صدق قوله لا حول ولا قوة الا بالله وقد ذكرنا انه ليس في التوحيد الا عقبتان احداهما النظر الى السماء والارض والشمس والقمر والغيم والمطر وسائر الجمادات والثانية النظر الى اختيار الحيوانات وهي اعظم العقبتين واخطرهما وكانه كمال سر التوحيد فلذلك عظم ثواب هذه الكلمة ترجمتها فاذن رجع حال التوكل الى التبري من الحول والقوة والتوكل على الواحد الحق وسيتضح ذلك عند ذكرنا تفصيل اعمال التوكل

بيان ما قاله الشيوخ في احوال التوكل ليتبين ان شيئا منها لا يخرج عما ذكرناه ولكن كل واحد يشير الى بعض الاحوال فقد قال ابو موسى الديبلي قلت لابي يزيد ما التوكل فقال ما تقول انت قلت ان اصحابنا يقولون لو ان السباع والافاعي عن يمينك ويسارك ما تحرك لذلك سرك فقال ابو يزيد نعم هذا قريب ولكن لو ان اهل الجنة في الجنة يتنعمون واهل النار في النار يعذبون ثم وقع بك تمييز عليهما خرجت من جملة التوكل فما ذكره ابو موسى فهو خبر عن اعلى احوال التوكل وهو المقام الثالث وما ذكره ابو يزيد عبارة عن اعز انواع العلم الذي هو من اصول التوكل وهو العلم بالحكمة وان ما فعله الله تعالى فعله بالواجب فلا تمييز بين اهل النار واهل الجنة بالاضافة الى اصل العدل والحكمة وهذا اغمض انواع العلم ووراءه سر القدر وابو يزيد قلما يتكلم الا عن اعلى المقامات واقصى الدرجات وليس ترك الاحتراز عن الحيات شرطا في المقام الاول من التوكل فقد احترز ابو بكر رضي الله عنه في الغار اذ سد منافذ الحيات الا ان يقال

تعالى فعل ذلك بيده ولم يتغير بعد ذلك سره او يقال فعل ذلك في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم لا في حق نفسه وانما يزول التوكل بحركة سره وتغيره لاجل يرجع الى نفسه وللنظر في هذا مجال ولكن يتبين ان امثال ذلك واكثر منه لا يناقض التوكل فان حركة السر من الحيات هو الخوف وحق المتوكل ان يخاف مسلط الحيات اذ لا حول للحيات ولا قوة لها الا بالله وان احترز لم يكن اتكاله على تدبيره وحوله وقوته في الاحتراز بل على خالق الحول والقوة والتدبير وسئل ذو النون المصري عن التوكل فقال خلع الارباب وقطع الاسباب فخلع الارباب اشارة الى علم التوحيد وقطع الاسباب اشارة الى الاعمال وليس فيه تعرض صريح للحال وان كان اللفظ يتضمنه فقيل له زدنا فقال القاء النفس في العبودية واخراجها من الربوبية وهذا اشارة الى التبري من الحول والقوة فقط وسئل حمدون عن التوكل فقال ان كان لك عشرة آلاف درهم وعليك دانق دين لم تامن ان تموت ويبقى ذلك في عنقك ولو كان عليك عشرة آلاف درهم دين من غير ان تترك لها وفاء لا تياس من الله ان يقضيها عنك وهذا اشارة الى مجرد الايمان بسعة القدرة وان في المقدورات اسبابا خفية سوى هذه الاسباب الظاهرة وسئل ابو عبد الله القرشي عن التوكل فقال التعلق بالله في كل حال فقال السائل زدني فقال ترك كل سبب يوصل الى سبب حتى يكون الحق هو المتولي لذلك والاول عام للمقامات الثلث والثاني اشارة الى المقام الثالث خاصة وهو مثل توكل ابراهيم الخليل صلى الله عليه اذ قال له جبريل الك حاجة فقال اما اليك فلا اذ كان سؤاله له سببا يفضي الى سبب وهو حفظ جبريل له فترك ذلك ثقة بان الله ان اراد سخر جبريل عليه السلام لذلك فيكون هو المتولي لذلك وهذا حال مبهوت غائب عن نفسه بالله فلم ير معه غيره وهو حال عزيز في نفسه ودوامه ان وجد ابعد منه واعز وقال ابو سعيد الخراز التوكل اضطراب بلا سكون وسكون بلا اضطراب ولعله يشير الى المقام الثاني فسكون بلا اضطراب اشارة الى سكون القلب الى الوكيل وثقته به واضطراب بلا سكون اشارة الى فزعه اليه وابتهاله وتضرعه بين يديه كاضطراب الطفل بيديه الى امه وسكون قلبه الى تمام شفقتها وقال ابو علي الدقاق التوكل ثلاث درجات التوكل ثم التسليم ثم التفويض فالمتوكل يسكن الى وعده والمسلم يكتفي بعلمه وصاحب التفويض يرضى بحكمه وهذه اشارة الى تفاوت درجات نظره بالاضافة الى المنظور اليه فان العلم هو الاصل والوعد يتبعه والحكم يتبع الوعد ولا يبعد ان يكون الغالب على قلب المتوكل ملاحظة شيء من ذلك وللشيوخ في التوكل اقاويل سوى ما ذكرناه فلا نطول بها فان الكشف انفع من الرواية والنقل فهذا ما يتعلق بحال التوكل

بيان اعمال المتوكلين اعلم ان العلم يورث الحال والحال يثمر الاعمال وقد يظن ان معنى التوكل ترك الكسب بالبدن وترك التدبير بالقلب والسقوط على الارض كالخرقة الملقاة وكاللحم على الوضم وهذا ظن الجهال فان ذلك حرام في الشرع والشرع قد اثنى على المتوكلين فكيف ينال مقام من مقامات الدين بمحظورات الدين بل نكشف الغطاء عنه فنقول انما يظهر تاثير التوكل في حركة العبد وسعيه بعمله الى مقاصده وسعي العبد باختياره اما ان يكون لاجل جلب نافع هو مفقود عنده كالكسب او لحفظ نافع هو موجود عنده كالادخار او لدفع ضار لم ينزل به كدفع الصائل والسارق والسباع او لازالة ضار قد نزل به كالتداوي من المرض فمقصود حركات العبد لا تعدو هذه الفنون الاربعة وهو جلب النافع او حفظه او دفع الضار او قطعه فلنذكر شروط التوكل ودرجاته في كل واحد منها مقرونا بشواهد الشرع

الفن الاول في جلب النافع فنقول الاسباب التي بها يجلب النافع على ثلاث درجات مقطوع به ومظنون ظنا يوثق به وموهوم وهما لا تثق النفس به ثقة تامة ولا تطمئن اليه

الدرجة الاولى المقطوع به وذلك مثل الاسباب التي ارتبطت المسببات بها بتقدير الله تعالى ومشيئته ارتباطا مطردا لا يختلف كما اذا كان الطعام موضوعا بين يديك وانت جائع محتاج ولكنك لست تمد اليد اليه وتقول انا متوكل وشرط التوكل ترك السعي ومد اليد اليه سعي

وحركة وكذلك مضغه بالاسنان وابتلاعه باطباق اعالي الحنك على اسافله وهذا جنون وليس من التوكل في شيء فانك ان انتظرت
ان يخلق فيك شبعا دون الخبز او يخلق في الخبز حركة اليك او يسخر ملكا ليمضغه ويوصله الى معدتك فقد جهلت سنة الله
تعالى وكذلك لو لم تزرع الارض وطمعت في ان يخلق الله نباتا من غير بذر او تلد زوجتك من غير وقاع كما ولدت مريم فكل ذلك
جنون وامثال هذا اكثر ولا يمكن احصاؤه فليس التوكل في هذا المقام بالحال بل بالعمل والعلم اما العلم فهو ان تعلم ان الله خالق الطعام
واليد والاسنان وقوة الحركة وانه الذي يطعمك ويسقيك واما الحال فهو ان يكون سكون قلبك واعتماده على فضل الله تعالى
لا على اليد والطعام وكيف تعتمد على صحة يدك وربما تجف في الحال تفلج وكيف تعول على قدرتك وربما يطرأ عليك في الحال
ما يزيل عقلك ويبطل قوة حركتك وكيف تعول على حضور الطعام وربما يسلط الله عليك من يغلبك عليه او يبعث حية
تزعجك عن مكانك وتفرق بينك وبين طعامك واذا احتمل امثال ذلك ولم يكن لها علاج الا بفضل الله فبذلك فليفرح
وعليه فليعول فاذا كان هذا حاله وعلمه فليمد اليد فانه متوكل ٥ الدرجة الثانية الاسباب التي ليست
متيقنة لكن الغالب ان المسببات لا تحصل دونها وكان احتمال حصولها دونها بعيدا كالذي يفارق الامصار والقوافل
ويسافر في البوادي التي لا يطرقها الناس الا نادرا ويكون سفره من غير استصحاب زاد فهذا ليس شرطا في التوكل بل استصحاب
الزاد في البوادي سنة الاولين ولا يزول التوكل به بعد ان يكون الاعتماد على فضل الله لا على الزاد كما سبق ولكن فعل ذلك جائز
وهو من اعلى مقامات التوكل وكذلك كان يفعله الخواص فان قلت فهذا سعي في الهلاك والقاء النفس في التهلكة فاعلم ان ذلك
يخرج عن كونه حراما بشرطين احدهما ان يكون الرجل قد راض نفسه وجاهدها وسواها على الصبر عن الطعام اسبوعا
او ما يقاربه بحيث يصبر عنه من غير ضيق قلب وتشوش خاطر وتعذر في ذكر الله تعالى والثاني ان يكون بحيث يقوى على التقوت
بالحشيش وما يتفق من الاشياء الخسيسة فبعد هذين الشرطين لا يخلو في غالب الامر في البوادي في كل اسبوع عن ان
يلقاه آدمي او ينتهي الى حلة او قرية او الى حشيش يزجي به وقته فيحيى به مجاهدا نفسه والمجاهدة عماد التوكل وعلى هذا
كان يعول الخواص ونظراؤه من المتوكلين والدليل عليه ان الخواص كان لا يفارقه الابرة والمقراض والحبل والركوة ويقول هذه
لا تقدح في التوكل وسببه انه علم ان البوادي لا يكون الماء فيها على وجه الارض وما جرت سنة الله تعالى بصعود الماء من البئر بغير
دلو ولا حبل ولا يغلب وجود الحبل والدلو في البراري كما يغلب وجود الحشيش والماء يحتاج اليه لوضوئه كل يوم مرات ولعطشه
في يوم او يومين مرة فان المسافر مع حرارة الحركة لا يصبر عن الماء وان صبر عن الطعام وكذلك يكون له ثوب واحد وربما
يتخرق فينكشف عورته ولا يوجد المقراض والابرة في البوادي فكل ما في معنى هذه الاربعة ايضا ملتحق بالدرجة الاولى لانه مظنون
ظنا يلتحق بالمقطوع به لانه يحتمل ان لا يتخرق الثوب او يعطيه انسان ثوبا او يجد على رأس البئر من يسقيه ولا يحتمل ان يتحرك الطعام
ممضوغا الى فيه فبين الدرجتين فرق ولكن الثاني في معنى الاول ولهذا نقول لو انحاز الى شعب من شعاب الجبال حيث لا ماء
ولا حشيش ولا يطرقه طارق فيه وجلس متوكلا فهو آثم به ساع في اهلاك نفسه كما روي ان زاهدا من الزهاد فارق الامصار
واقام في سفح جبل سبعا وقال لا اسأل احدا شيئا حتى يأتيني ربي برزقي فقعد سبعا فكاد يموت ولم يأته رزق فقال يا رب
ان احييتني فأتني برزقي الذي قسمت لي والا فاقبضني اليك فاوحى الله عز وجل اليه وعزتي لا ارزقك حتى تدخل الامصار وتقعد بين
الناس فدخل المصر واقام فجاءه هذا بطعام وهذا بشراب فاكل وشرب واوجس في نفسه من ذلك فاوحى الله اليه اردت
ان تذهب حكمتي بزهدك في الدنيا اما علمت اني ارزق عبدي بايدي عبادي احب الي من ان ارزقه بيد قدرتي فاذن التباعد

التباعد عن الاسباب كلها مراغمة للحكمة وجهل بسنة الله تعالى والعمل بموجب سنة الله مع الاتكال على الله دون الاسباب
لا يناقض التوكل كما ضربناه مثلا في الوكيل بالخصومة من قبل ولكن الاسباب تنقسم الى ظاهرة والى خفية فنعني بالمتوكل في الاكتساب
بالاسباب الخفية عن الاسباب الظاهرة مع سكون النفس الى مسبب السبب الخفي لا الى السبب فان قلت فما قولك في القاعد
في البلد اهو حرام او مباح او مندوب فاعلم ان ذلك ليس بحرام لان صاحب البادية اذا لم يكن مهلكا نفسه فهذا كيف كان
مهلكا نفسه حتى يكون فعله حراما بل لا يبعد ان يأتيه الرزق من حيث لا يحتسب ولكن قد يتأخر عنه والصبر ممكن الى ان يتفق ولكن
لو اغلق باب البيت على نفسه بحيث لا طريق لاحد اليه ففعله ذلك حرام وان فتح باب البيت وهو بطال غير مشغول بعبادة فالكسب
والخروج له اولى وليس فعله حراما الى ان يشرف على الموت فعند ذلك يلزمه الخروج والسؤال والكسب وان كان مشغول القلب
بالله غير مستشرف الى الناس ولا متطلع الى من يدخل من الباب فيأتيه برزقه بل تطلعه الى فضل الله واشتغاله بالله فهذا افضل وهو
من مقامات التوكل وهو ان يشتغل بالله ولا يهتم برزقه فان الرزق يأتيه لا محالة وعند هذا يصح ما قاله بعض العلماء وهو ان العبد
لو هرب من رزقه لطلبه كما لو هرب من الموت لادركه وانه لو سأل الله تعالى ان لا يرزقه لما استجاب وكان عاصيا ويقول له يا جاهل
كيف اخلقك ولا ارزقك ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما اختلف الناس في كل شيء الا في الرزق والاجل فانهم اجمعوا
ان لا رازق ولا مميت الا الله وقال صلى الله عليه وسلم لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا
وتروح بطانا ولزالت بدعائكم الجبال وقال عيسى صلى الله عليه انظروا الى الطير لا تزرع ولا تحصد ولا تدخر والله تعالى
يرزقها يوما بيوم فان قلتم نحن اكبر بطونا فانظروا الى الانعام كيف قيض الله سبحانه لها هذا الخلق وقال ابو يعقوب السوسي
المتوكلون تجري ارزاقهم على يد العباد بلا تعب منهم وغيرهم مشغولون مكدودون وقال بعضهم العبيد كلهم في رزق الله لكن
بعضهم يأكل بذل كالسؤال وبعضهم بتعب وانتظار كالتجار وبعضهم بامتهان كالصناع وبعضهم بعز كالصوفية يشهدون
العزيز فيأخذون رزقهم من يده ولا يرون الواسطة ٥ الدرجة الثالثة ملابسة الاسباب التي يتوهم افضاؤها
الى المسببات من غير ثقة ظاهرة كالذي يستقصي في التدبيرات الدقيقة في تفصيل الاكتساب ووجوهه وذلك يخرج بالكلية عن
درجات التوكل كلها وهو الذي فيه الناس كلهم فيه اعني من يكتسب بالحيل الدقيقة اكتسابا مباحا لمال مباح فاما اخذ الشبهة او
الاكتساب بطريق فيه شبهة فذلك غاية الحرص على الدنيا والاتكال على الاسباب فلا يخفى ان ذلك يبطل التوكل وهي مثل
الاسباب التي نسبتها الى جلب النافع مثل الرقية والطيرة والكي بالاضافة الى ازالة الضار فان النبي صلى الله عليه وسلم
وصف المتوكلين بذلك ولم يصفهم بانهم لا يكتسبون ولا يجلسون في الامصار ولا يأخذون من احد شيئا بل وصفهم بذلك
وامثال هذه الاسباب التي لا يوثق بها في المسببات مما يكثر فلا يمكن احصاؤه وقال سهل في التوكل انه ترك التدبير وقال ان الله
تعالى خلق الخلق ولم يحجبهم عن نفسه وانما حجبهم تدبيرهم ولعله اراد به استنباط الاسباب الخفية فاذن قد ظهر ان الاسباب
منقسمة الى ما يخرج التعلق بها عن التوكل والى ما لا يخرج وان الذي لا يخرج ينقسم الى مقطوع به والى مظنون وان المقطوع به
لا يخرج عن التوكل عند وجود حال التوكل وعلمه وهو الاتكال على مسبب الاسباب فالتوكل فيها بالحال والعلم لا بالعمل
واما المظنونات فالتوكل فيها بالحال والعلم والعمل جميعا والمتوكلون في ملابسة هذه الاسباب على ثلاث مقامات الاول
مقام الخواص ونظرائه وهو الذي يدور في البوادي بغير زاد ثقة بالله في تقويته على الصبر اسبوعا وما فوقه او تيسيره حشيشا له
او قوتا او تثبيته على الرضا بالموت ان لم يتيسر شيء من ذلك فان الذي يحمل الزاد قد يؤخذ زاده او يضل بعيره فيموت جوعا

فذلك ممكن مع الزاد كما انه ممكن مع فقده المقام الثاني ان يقعد في بيته او في مسجده ولكنه في القرى والامصار فهذا
اضعف من الاول ولكنه ايضا متوكل لانه تارك للكسب والاسباب الظاهرة معول على فضل الله وتدبيره امره من جهة الاسباب
الخفية ولكنه بالقعود في الامصار متعرض لاسباب الرزق فان ذلك من الاسباب الجالبة الا ان ذلك لا يبطل توكله اذا كان
نظره الى الذي يسخر سكان البلد لايصال رزقه اليه لا الى سكان البلد اذ يتصور ان يغفل جميعهم عنه ويضيعوه لولا فضل الله تعالى
بتعريفهم وتحريك دواعيهم المقام الثالث ان يخرج ويكتسب اكتسابا على الوجه الذي ذكرناه في الباب الثالث
والرابع من كتاب اداب الكسب وهذا السعي ايضا لا يخرجه عن مقامات التوكل اذا لم يكن طمانينة نفسه الى كفايته وقوته وجاهه
وبضاعته فان ذلك كله ربما يهلكه الله جميعه في لحظة بل يكون نظره الى الكفيل الحق بحفظ جميع ذلك وتيسير اسبابه له بل
كسبه وبضاعته وكفايته بالاضافة الى قدرة الله تعالى كالقلم في يد الملك الموقع فلا يكون نظره الى القلم بل الى قلب الملك
انه بماذا يتحرك والى ماذا يميل وبم يحكم ثم ان كان هذا المكتسب مكتسبا لعياله او ليفرق على المساكين فهو ببدنه مكتسب وبقلبه عنه
منقطع فحال هذا اشرف من حال القاعد في بيته والدليل على ان الكسب لا ينافي حال التوكل اذا روعيت فيه الشروط وانضاف
اليه الحال والمعرفة كما سبق ان الصديق رضي الله عنه لما بويع بالخلافة اخذ الاثواب تحت حضنه ودخل السوق ينادي حتى كرهه
المسلمون وقالوا كيف تفعل ذلك وقد اقمت لخلافة النبوة فقال لا تشغلوني عن عيالي فاني ان اضعتهم كنت لما سواهم اضيع حتى فرضوا له
قوت اهل بيت من المسلمين فلما رضوا بذلك راى ان مساعدتهم وتطييب قلوبهم واستغراق الوقت بمصالح المسلمين اولى ويستحيل ان
يقال لم يكن الصديق في مقام التوكل فمن اولى بهذا المقام منه فدل انه كان متوكلا لا باعتبار ترك الكسب والسعي بل باعتبار قطع
الالتفات الى قوته وكفايته والعلم بان الله هو ميسر الاكتساب ومدبر الاسباب وبشروط كان يراعيها في طريق الكسب من الاكتفاء
بقدر الحاجة من غير استكثار وتفاخر وادخار ومن غير ان يكون درهمه احب اليه من درهم غيره فمن دخل السوق ودرهمه احب اليه
من درهم غيره فهو حريص على الدنيا ومحب للدنيا ولا يصح التوكل الا مع الزهد في الدنيا نعم يصح الزهد دون التوكل الا مع الزهد
نعم يصح الزهد دون التوكل فان التوكل مقام وراء الزهد وقال ابو حفص الحداد وهو شيخ الجنيد وكان من المتوكلين اخفيت التوكل
عشرين سنة وما فارقت السوق كنت اكتسب في كل يوم دينارا ولا ابيت منه دانقا ولا استريح منه الى قيراط ادخل به
الحمام بل اخرجه كله قبل الليل وكان الجنيد لا يتكلم بحضرته وكان يقول استحيي ان اتكلم في مقامه وهو حاضر عندي واعلم ان الجلوس
في رباطات الصوفية مع معلوم بعيد من التوكل وان لم يكن له معلوم ووقف وامروا الخادم بالخروج للطلب لم يصح معه التوكل الا
على ضعف ولكن يقوى بالحال والعلم كتوكل المكتسب وان لم يسألوا بل قنعوا بما يحمل اليهم فهو اقوى لكنه بعد اشتهار القوم بذلك
صار سوقا لهم فهو كدخول السوق ولا يكون داخل السوق متوكلا الا بشروط كثيرة كما سبق فان قلت فالافضل ان يقعد في بيته
او يخرج فيكتسب فاعلم انه ان كان يتفرغ بترك الكسب يشق عليه ذلك وهو مع هذا لا تستشرف نفسه الى الناس في انتظار من يدخل
فيحمل اليه شيئا بل يكون قوي القلب في الصبر والاتكال على الله فالقعود له اولى وان كان يضطرب قلبه في البيت ويستشرف الى الناس
فالكسب اولى لان استشراف القلب الى الناس سؤال بالقلب وتركه اهم من ترك الكسب وما كان المتوكلون ياخذون ما تستشرف
اليه نفوسهم كان احمد بن حنبل قد امر ابا بكر المروزي ان يعطي بعض الفقراء شيئا فضلا عما كان استاجره عليه فرده الفقير فلما
ولى قال له احمد الحقه واعطه فانه يقبل فلحقه واعطاه فاخذه فسال احمد عن ذلك فقال كان استشرفت نفسه فرد فلما خرج
انقطع طمعه وايس فاخذ وكان الخواص اذا نظر الى عبد في العطاء او خاف اعتياد النفس له لم يقبل منه شيئا وقال الخواص بعد ان

سئل عن اعجب ما رآه في اسفاره رايت الخضر ورضي بصحبتي ولكنني فارقته خيفة ان تسكن نفسي اليه فيكون نقصا في توكلي فاذن
المكتسب اذا راعى اداب الكسب وشروطه ونيته كما سبق في كتاب الكسب ولم يقصد الاستكثار ولم يكن اعتماده على بضاعته وكفايته
كان متوكلا فان قلت فما علامة عدم اتكاله على البضاعة والكفاية فاقول علامته انه ان سرقت بضاعته او خسرت تجارته او تعوق
امر من اموره كان راضيا به ولم تبطل طمانينته ولم يضطرب قلبه بل كان حال قلبه في السكون قبله وبعده واحدا فان من لم يسكن
الى شيء لم يضطرب بفقده ومن اضطرب بفقد شيء فقد سكن اليه وكان بشر يعمل المغازل فتركها وذلك لان السري كاتبه بلغني انك
استغنيت عن رزقك بالمغازل ارايت ان اخذ الله سمعك وبصرك الرزق على من فوقع ذلك في قلبه فاخرج آلة المغازل من يده
وقيل تركها لما توهمت باسمه وقصد لاجله وقيل فعل ذلك لما ماتت عياله كما كان لسفيان خمسون دينارا يتجر فيها فلما مات عياله
فرقها فان قلت فكيف يتصور ان يكون له بضاعة ولا يسكن اليها وهو يعلم ان الكسب بغير بضاعة لا يمكن فاقول بان يعلم ان الذين
يرزقهم الله بغير بضاعة فيهم كثرة وان الذين كثرت بضاعاتهم فسرقت واهلكت فيهم كثرة وان يوطن نفسه على ان الله تعالى لا يفعل
به الا ما فيه صلاحه فان اهلك بضاعته فهو خير له فلعله لو تركها كان سببا لفساد دينه وقد لطف الله تعالى به وغايته ان يموت
جوعا فينبغي ان يعتقد ان الموت جوعا خير له في الآخرة مهما قضى الله عليه بذلك من غير تقصير من جهته فاذا اعتقد جميع ذلك استوى
عنده وجود البضاعة وعدمها ففي الخبر ان العبد ليهم من الليل بامر من امور التجارة مما لو فعله لكان فيه هلاكه فينظر الله تعالى
اليه من فوق عرشه فيصرفه عنه فيصبح كئيبا حزينا يتطير بجاره وبمن سبقه من بني عمه وما هو الا رحمة رحمه الله بها ولذلك
قال عمر رضي الله عنه لا ابالي اصبحت غنيا او فقيرا فاني لا ادري ايهما خير لي ومن لم يكمل يقينه بهذه الامور لم يتصور منه التوكل
ولذلك قال ابو سليمان الداراني لاحمد بن ابي الحواري لي من كل مقام نصيب الا من هذا التوكل المبارك فاني ما شممت منه رائحة هذا كلامه
مع علو قدره ولم ينكر كونه من المقامات الممكنة ولكنه قال ما ادركته ولعله اراد ادراك اقصاه وما لم يكمل الايمان بان لا فاعل
الا الله ولا رازق سواه وان كل ما يقدره على العبد من فقر وغنى وموت وحياة فهو خير له مما يتمناه العبد لم يكمل حال التوكل فبناء
التوكل على قوة الايمان بهذه الامور كما سبق وكذلك سائر مقامات الدين من الاحوال والاعمال تبتنى على اصولها من الايمان وبالجملة
التوكل مقام مفهوم ولكن يستدعي قوة القلب وقوة اليقين ولذلك قال سهل من طعن على التكسب فقد طعن على السنة ومن طعن على ترك
التكسب فقد طعن على التوحيد فان قلت فهل من دواء ينتفع به في صرف القلب عن الركون الى الاسباب الظاهرة وحسن الظن بالله
في تيسير الاسباب الخفية فاقول نعم هو ان تعرف ان سوء الظن تلقين الشيطان وحسن الظن تلقين الله قال الله تعالى الشيطان يعدكم
الفقر ويامركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا فالانسان بطبعه مشغوف بسماع تخويف الشيطان ولذلك قيل الشفيق
بسوء الظن مولع واذا انضم اليه الجبن وضعف القلب ومشاهدة المتكلين على الاسباب الظاهرة والباعثين عليها غلب سوء الظن و
بطل التوكل بالكلية بل رؤية الرزق من الاسباب الخفية ايضا تبطل التوكل فقد حكي عن عابد انه عكف في مسجد ولم يكن له معلوم
فقال الامام لو اكتسبت لكان افضل لك فلم يجبه حتى اعاد ثلاثا فقال في الرابعة يهودي في جوار المسجد قد ضمن لي كل يوم رغيفين فقال
ان كان صادقا في ضمانه فعكوفك في المسجد خير لك فقال يا هذا لو لم تكن اماما تقف بين الله وبين العباد مع هذا النقص في
التوحيد كان خيرا لك اذ فضلت وعد يهودي على ضمان الله تعالى بالرزق وقال امام مسجد لبعض المصلين من اين تاكل فقال يا شيخ
اصبر حتى اعيد الصلاة التي صليتها خلفك ثم اجيبك وينفع في حسن الظن بمجيء الرزق من لطف الله تعالى بواسطة الاسباب الخفية
ان تسمع الحكايات التي فيها عجائب قهر الله في اهلاك اموال التجار والاغنياء وقتلهم جوعا كما روي عن حذيفة المرعشي وكان قد خدم

ابرهيم بن ادهم فقال له وما اعجب ما رايت منه فقال بقينا في طريق مكة اياماً لم نجد طعاماً ثم دخلنا الكوفة فاوينا الى مسجد خراب
فنظر الي ابرهيم وقال يا حذيفة ارى بك الجوع فقلت ما راى الشيخ فقال علي بدوات وقرطاس فجئت به فكتب بسم الله الرحمن الرحيم
انت المقصود بكل حال والمشار اليه بكل معنى انا حامد انا شاكر انا ذاكر انا جايع انا ضايع انا عاري هي ستة وانا الضمين بنصفها
فكن الضمين بنصفها يا باري مدحي لغيرك لهب نار خضتها فاجر عبيدك من دخول النار ثم دفع الرقعة وقال اخرج ولا
تعلق قلبك بغير الله وادفع الرقعة الى اول من يلقاك فخرجت فاول من لقيني كان رجلاً على بغلة فناولته الرقعة فاخذها ونظر فيها
وبكى وقال ما فعل صاحب هذه الرقعة فقلت هو في المسجد الفلاني فدفع الي صرة فيها ستمائة دينار ثم لقيت رجلاً آخر فسألت
عن صاحب البغلة فقال هذا نصراني فجئت الى ابرهيم واخبرته بالقصة فقال لا تمسها فانه يجيء الساعة فلما كان بعد ساعة دخل النصراني
واكب على راس ابرهيم يقبله واسلم وقال ابو يعقوب الاقطع البصري جعت مرة بالحرم عشرة ايام فوجدت ضعفاً فحدثتني نفسي
بالخروج فخرجت الى الوادي لعلي اجد شيئاً يسكن ضعفي فرايت شلجمة مطروحة فاخذتها فوجدت في قلبي منها وحشة وكان قائلاً
يقول لي جعت عشرة ايام يكون حظك شلجمة متغيرة فرميت بها ودخلت المسجد فقعدت فاذا انا برجل اعجمي جلس بين يدي ووضع
قمطرة وقال هذه لك فقلت كيف خصصتني بها قال اعلم انا كنا في البحر منذ عشرة ايام واشرفت السفينة على الغرق فنذرت ان خلصني
الله تعالى ان اتصدق بهذه على اول من يقع عليه بصري من المجاورين وانت اول من لقيته فقلت افتحها ففتحها فاذا فيها سميذ مصري
ولوز مقشر وسكر كعاب فقبضت قبضة من ذا وقلت رد الباقي الى صبيانك هدية مني لهم وقد قبلتها ثم قلت في نفسي رزقك يسير اليك
من عشرة ايام وانت تطلبه من الوادي وقال ممشاد الدينوري كان علي دين فاشتغل قلبي بسببه فرايت في النوم كان قائلاً يقول يا
بخيل اخذت علينا هذا المقدار خذ عليك الاخذ وعلينا العطاء فما حاسبت بعد ذلك بقالاً ولا قصاباً ولا غيرهما ويحكى عن
بنان الحمال قال كنت في طريق مكة اجيء من مصر ومعي زاد فجاءتني امراة فقالت لي يا بنان انت حمال تحمل على ظهرك الزاد وتتوهم انه
لا يرزقك قال فرميت بزادي ثم اتى علي ثلاث لم اكل فوجدت خلخالاً في الطريق فقلت في نفسي احمله حتى يجيء صاحبه فربما
يعطيني شيئاً فارده فاذا انا بتلك المراة فقالت لي انت تاجر تقول حتى يجيء صاحبه فآخذ منه شيئاً ثم رمت الي شيئاً من الدراهم
وقالت انفقه فاكتفيت بها الى قريب من مصر ويحكى ان بناناً احتاج الى جارية تخدمه فانبسط الى اخوانه فجمعوا له ثمنها وقالوا
هو ذا يجيء النفر فنشتري ما يوافق فلما ورد النفر اجتمع رايهم على واحدة وقالوا انها تصلح له فقالوا لصاحبها بكم هذه
الجارية فقال انها ليست للبيع فالحوا عليه فقال انها لبنان الحمال اهدتها اليه امراة من سمرقند فحملت الى بنان وذكرت
له القصة وقيل كان في الزمن الاول رجل في سفر ومعه قرص فقال ان اكلته مت فوكل الله به ملكاً وقال ان اكله فارزقه وان
لم ياكله فلا تعطه غيره فلم يزل القرص معه الى ان مات ولم ياكل وبقي عنده القرص وقال ابو سعيد الخراز دخلت البادية بغير
زاد فاصابتني فاقة فرايت المرحلة من بعيد فسررت بان وصلت ثم فكرت في نفسي اني سكنت واتكلت على غيره فآليت ان لا ادخل
المرحلة الا ان احمل اليها فحفرت لنفسي في الرمل حفرة وواريت جسدي فيها الى صدري فسمعوا صوتاً في نصف الليل عالياً يا
اهل المرحلة ان لله ولياً حبس نفسه في هذا الرمل فالحقوه فجاءني جماعة فاخرجوني وحملوني الى القرية وروي ان رجلاً لازم باب
عمر رضي الله عنه فقال عمر يا هذا هاجرت الى عمر او الى الله اذهب فتعلم القرآن فانه سيغنيك عن باب عمر فذهب الرجل وغاب
حتى افتقده عمر فاذا هو قد اعتزل واشتغل بالعبادة ثم لقيه عمر بعد ذلك فقال له اني اشتقت اليك فما الذي شغلك فقال
اني قرأت القرآن فاغناني عن عمر وآل عمر فقال عمر رحمك الله فما وجدت فيه قال وجدت فيه وفي السماء رزقكم وما توعدون فقلت

رزقي في السماء وانا اطلبه من الارض فبكى عمر وقال صدقت فكان عمر بعد ذلك ينتابه ويجلس اليه وقال ابو حمزة
الخراساني حججت سنة من السنين فبينا انا امشي في الطريق اذ وقعت في بئر فنازعتني نفسي ان استغيث فقلت لا والله لا استغيث
فما استتممت هذا الخاطر حتى مر براس البئر رجلان فقال احدهما للآخر تعال حتى نسد راس هذا البئر لئلا يقع فيه احد فاتوا بقصب
وبارية وطموا راس البئر فهممت ان اصيح فقلت الى من اصيح هو اقرب منهما وسكنت فبينا انا بعد ساعة اذا انا بشيء جاء فكشف عن راس البئر
وادلى رجليه وكانه يقول تعلق بي في همهمة له كنت اعرف ذلك فتعلقت به فاخرجني فاذا هو سبع فمر وهتف بي هاتف فقال يا ابا حمزة
اليس هذا احسن نجيناك من التلف بالتلف وانا اقول نهاني حيائي منك ان اكتم الهوى واغنيتني بالفهم منك عن الكشف تلطفت
في امري فابديت شاهدي الى غائبي واللطف يدرك باللطف تراءيت لي بالغيب حتى كانما تبشرني بالغيب انك بالكف
اراك وبي من هيبتي لك وحشة فتؤنسني باللطف منك وبالعطف وتحيي محباً انت في الحب حتفه وذا عجب كون الحياة مع الحتف
وامثال هذه الوقائع مما يكثر واذا قوي الايمان به وانضم اليه القدرة على الجوع قدر اسبوع من غير ضيق صدر وقوي الايمان بانه
ان لم يسق اليه رزقه في اسبوع فالموت خير له عند الله ولذلك حبسه عنه تم التوكل بهذه الاحوال والمشاهدات والا فلا يتم
اصلاً بيان توكل المعيل اعلم ان من له عيال فحكمه يفارق حكم المنفرد لان المنفرد لا يصح توكله الا بامرين احدهما قدرته على الجوع
اسبوعاً من غير استشراف وضيق نفس والآخر ابواب من الايمان ذكرناها من جملتها ان يطيب نفساً بالموت ان لم ياته رزقه علماً بان رزقه
الموت والجوع وهو وان كان نقصاناً في الدنيا فهو زيادة في الآخرة فيرى انه قد سيق اليه خير الرزقين وهو رزق الآخرة وبهذا يتم
التوكل ولا يجوز تكليف العيال الصبر على الجوع ولا يمكن ان يقرر عندهم الايمان بالتوحيد وبان الموت على الجوع رزق مغبوط
في نفسه ان اتفق ذلك نادراً وكذلك سائر ابواب الايمان فاذن لا يمكنه في حقهم الا توكل المكتسب وهو المقام الثالث كتوكل
ابي بكر رضي الله عنه اذ خرج للكسب فاما دخول البوادي وترك العيال توكلاً في حقهم او القعود عن الاهتمام بامرهم توكلاً في
حقهم فهذا حرام وقد يفضي الى هلاكهم ويكون هو مؤاخذاً بهم بل التحقيق انه لا فرق بينه وبين عياله فانه ان ساعده العيال على
الصبر على الجوع مدة وعلى الاعتداد بالموت على الجوع رزقاً وغنيمة في الآخرة فله ان يتوكل في حقهم ونفسه ايضاً عيال عنده ولا
يجوز له ان يضيعها الا ان تساعده على الصبر مع الجوع مدة فان كان لا يطيقه ويضطرب عليه قلبه ويتشوش عبادته لم يجز له
التوكل ولهذا روي ان ابا تراب النخشبي نظر الى صوفي مد يده الى قشر بطيخ لياكله بعد ثلاثة ايام فقال له لا يصلح لك التصوف الزم السوق
اي لا تصوف الا مع التوكل ولا يصح التوكل الا لمن يصبر عن الطعام اكثر من ثلاثة ايام وقال ابو علي الروذباري اذا قال الفقير بعد خمسة
ايام انا جائع فالزموه السوق ومروه بالكسب والعمل فاذن بدنه عياله وتوكله فيما يضر ببدنه كتوكله في عياله ولا يفارقه الا في
شيء وهو ان له تكليف نفسه الصبر على الجوع وليس له ذلك في عياله وقد انكشف لك من هذا ان التوكل ليس انقطاعاً عن الاسباب
بل الاعتماد على الصبر على الجوع مدة والرضا بالموت ان تاخر الرزق نادراً وملازمة البلاد والامصار او ملازمة البوادي التي لا تخلو
عن حشيش وما يجري مجراه فهذه كلها اسباب البقاء ولكن مع نوع من الاذى لا يمكن الصبر عليه الا بالصبر والتوكل في الامصار
اقرب الى الاسباب من التوكل في البوادي وكل ذلك من الاسباب الا ان الناس عدلوا الى اسباب اظهر منها فلم يعدوا ذلك اسباباً
وذلك لضعف ايمانهم وشدة حرصهم وقلة صبرهم على الاذى في الدنيا لاجل الآخرة واستيلاء الجبن على قلوبهم باساءة الظن وطول
الامل ومن نظر في ملكوت السموات والارض انكشف له تحقيقاً ان الله تعالى دبر الملك والملكوت تدبيراً لا يجاوز العبد رزقه وان
ترك الاضطراب فان العاجز عن الاضطراب لم يجاوزه رزقه اما ترى الجنين في بطن امه لما ان كان عاجزاً عن الاضطراب كيف اتصل

سرته بالام حتى ينتهي اليه فضلات غذاء الام بواسطة السرة ولم يكن ذلك بحيلة الجنين ثم لما انفصل سلط الحب والشفقة
على الام لتكفل به شاءت ام ابت اضطرارا من الله تعالى اليه بما اشعل في قلبها من نار الحب ثم لما لم يكن له سن يمضغ بها الطعام
جعل رزقه من اللبن الذي لا يحتاج الى المضغ ولانه لرخاوة مزاجه كان لا يحتمل الغذاء الكثيف فدر له اللبن اللطيف في ثدي
الام عند انفصاله على حسب حاجته افكان هذا بحيلة الطفل او بحيلة الام فاذا صار بحيث يوافقه الغذاء الكثيف انبت له اسنانا قواطع
وطواحن لاجل المضغ فاذا كبر واستقل يسر له اسباب التعلم وسلوك سبيل الآخرة فجبنه بعد البلوغ جهل محض لانه ما نقص
اسباب معيشته ببلوغه بل زادت فانه لم يكن قادرا على الاكتساب والآن قد قدر فزادت قدرته نعم كان المشفق عليه شخص واحد
وهو الام والاب وكانت شفقتهما مفرطة جدا فكان يسقيه ويطعمه في اليوم مرة ومرتين وكان اطعامه بتسليط الله الشفقة والحب
على قلبه فقد سلط الشفقة والمودة والرقة والرحمة على قلوب المسلمين واهل البلد كافة حتى ان كل واحد منهم اذا احس بمحتاج تألم
قلبه ورق عليه وانبعث له داعية الى ازالة حاجته فقد كان المشفق عليه الف وزيادة ولقد كانوا لا يشفقون عليه
الف وزيادة ولقد كانوا لا يشفقون عليه لانهم رأوه في كفالة الام مشفقا خاصا فاروه محتاجا ولو رأوه محتاجا يتيما
لسلط الله داعية الرحمة على واحد من المسلمين او على جماعة حتى يأخذوه ويكفلوه فما رأى الى الآن في سن الخصب يتيما قد مات
جوعا مع انه عاجز عن الاضطراب وليس له كافل خاص والله كافله بواسطة الشفقة التي خلقها في قلوب عباده فلماذا ينبغي ان
يشتغل قلبه برزقه بعد البلوغ ولم يشتغل في الصبي وقد كان المشفق واحدا والمشفق الآن الاف نعم كانت شفقة الام اقوى
واحظى ولكنها واحدة وشفقة آحاد الناس وان ضعفت فيخرج من مجموعها ما يفيد الغرض فكم من يتيم قد يسر الله تعالى له حالا هو
احسن من حال من له اب وام فينجبر ضعف شفقة الآحاد بكثرة المشفقين وبترك التنعم والاقتصار على قدر الضرورة فان قلت
الناس يكفلون اليتيم لانهم يرونه عاجزا بالصبا واما هذا فبالغ قادر على الكسب فلا يلتفتون اليه ويقولون هو مثلنا فليجتهد لنفسه
فاقول ان كان القادر بطالا فقد صدقوا فعليه الكسب ولا معنى للتوكل في حقه فان التوكل مقام من مقامات الدين يستعان به
على التفرغ لله فما للبطال والتوكل وان كان مشتغلا بالله ملازما للمسجد او للبيت وهو مواظب على العلم والعبادة والناس لا يلومونه
في ترك الكسب ولا يكلفونه ذلك بل اشتغاله بالله يقرر حبه في قلوب الناس حتى يحملوا اليه فوق كفايته وانما عليه ان لا يغلق
الباب ولا يهرب الى الجبل من بين الناس وما رأي الى الآن عالم او عابد استغرق الاوقات بالله وهو في الامصار فمات جوعا قط بل لو
اراد ان يطعم جماعة من الناس بقوله يقدر عليه فان من كان لله كان الله له ومن اشتغل بالله القى الله حبه في قلوب الناس وسخر له القلوب
كما سخر قلب الام لولدها فقد دبر الملكوت والملك تدبيرا كافيا لاهل الملك والملكوت فمن شاهد هذا التدبير وثق بالمدبر واشتغل به
وآمن ونظر الى مدبر الاسباب لا الى الاسباب نعم ما دبره تدبيرا يصل الى المشتغل به الحلواء والطيور السمان والثياب الرفيعة والخيول
النفيسة على الدوام لا محالة وقد يقع ذلك ايضا في بعض الاحوال لكن دبره تدبيرا يصل الى كل مشتغل بعبادة الله تعالى في كل اسبوع
قرص شعير او حشيش يتناوله لا محالة والغالب انه يصل اليه اكثر منه بل يصل ما يزيد على الحاجة والكفاية فلا سبب لترك التوكل
الا رغبة النفس في التنعم على الدوام ولبس الثياب الناعمة وتناول الاطعمة اللطيفة وليس ذلك من طريق الآخرة وذلك قد لا يحصل
من غير اضطراب وهو في الغالب ايضا ليس يحصل مع الاضطراب وانما يحصل نادرا وفي النادر ايضا قد يحصل بغير اضطراب
فان الاضطراب ضعيف عند من انفتحت بصيرته فلذلك لا يطمئن الى اضطرابه بل الى مدبر الملك تدبيرا لا يجاوز عبدا من عباده رزقه
وان سكن الا نادرا ونادر اعظمها بتصور مثله في حق المضطرب فاذا انكشف له هذه الامور كان معه قوة في القلب وشجاعة انما قاله

قاله الحسن البصري اذ قال وددت ان اهل البصرة في عيالي واهتمت برزقهم وان حبة بدينار وقال وهيب بن الورد لو كان
السماء نحاسا والارض رصاصا واهتممت برزقي لظننت اني مشرك فاذا فهمت هذه الامور فهمت ان التوكل مقام مفهوم في نفسه
ويمكن الوصول اليه لمن قهر نفسه وعلمت ان من انكر اهل التوكل وامكانه انكره عن جهل فاياك ان تجمع بين افلاسين الافلاس عن
وجود المقام ذوقا والافلاس عن الايمان به علما فاذن عليك بالقناعة بالنزر القليل والرضا بالموت فانه يأتيك لا محالة
وان فررت منه وعند ذلك على الله ان يبعث اليك رزقك على يد من لا تحتسب فان اشتغلت بالتقوى والتوكل شاهدت بالتجربة
مصداق قوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب الا انه لم يتكفل ان يرزقه من حيث لا يحتسب لحم
الطير ولذائذ الاطعمة فما ضمن الا الرزق الذي يدوم به حياته وهذا المضمون مبذول لكل من اشتغل بالضامن واطمأن الى ضمانه
فان الذي احاط به تدبير الله من الاسباب الخفية للرزق اعظم مما ظهر للخلق بل مداخل الرزق لا تحصى ومجاريه لا يهتدى اليها لان
ظهوره على الارض وسببه في السماء قال الله تعالى وفي السماء رزقكم وما توعدون واسرار السماء لا يطلع عليها ولهذا دخل جماعة
على الجنيد فقالوا نطلب الرزق فقال ان علمتم اي موضع هو فاطلبوه قالوا فنسأل الله تعالى ذلك قال ان علمتم انه ينساكم فذكروه فقالوا
ندخل البيت ونتوكل وننظر ما يكون فقال التوكل على التجربة شك قالوا فما الحيلة قال ترك الحيلة فقد فهمت ان من اكثرت
نفسه وقوي قلبه ولم يضعف بالجبن وقوي ايمانه بتدبير الله تعالى كان مطمئن النفس ابدا واثقا بالله فان اسوأ احواله ان يموت
ولا بد وان يأتيه الموت كما يأتي من ليس مطمئنا ليفعل بدا واثقا بالله مطمئنا فاذن تمام التوكل بقناعة من جانب ووفاء بالمضمون
من جانب والذي ضمن رزق العباد وعين بهذه الاسباب التي دبرها صادق فاقنع وجرب تشاهد صدق الموعد تحقيقا بما يرد
عليك من الارزاق العجيبة التي لم تكن في ظنك وحسبانك ولا تكن في توكلك منتظرا للاسباب بل للمسبب للاسباب كما لا يكون منتظرا
لقلم الكاتب بل لقلب الكاتب فانه اصل حركة القلم والمحرك الاول واحد فلا ينبغي ان يكون النظر الا اليه وهذا شرط توكل من يخوض
البوادي بلا زاد او يقعد في الامصار وهو خامل فاما الذي ذكر بالعباد والعلم فاذا قنع في اليوم والليلة بالطعام مرة واحدة
كيف كان وما لم يكن من اللذائذ وبثوب خشن يليق باهل الدين فهذا يأتيه رزقه من حيث يحتسب ولا يحتسب على الدوام بل يأتيه اضعاف فيه
فترك التوكل والاهتمام بالرزق غاية الضعف والقصور فان اشتهاره سبب ظاهر جالب للرزق اليه اقوى من دخول الامصار في حق
الخامل مع الاكتساب فالاهتمام بالرزق قبيح بذوي الدين وهو بالعلماء اقبح لان شرطهم القناعة والعالم القانع يأتيه رزقه ورزق
جماعة كثيرة وان كانوا معه الا اذا اراد ان لا يأخذ من ايدي الناس ويأكل من كسبه فذلك له وجه لائق بالعالم العامل الذي سلوكه
بظاهر العلم والعمل ولم يكن له سير بالباطن فان الكسب يمنع من السير بالفكر الباطن فاشتغاله بالسلوك مع الاخذ من يد من يتقرب الى الله
تعالى بما يعطيه اولى لانه يتفرغ لله ويعين المعطي على نيل الثواب ومن نظر الى مجاري سنة الله علم ان الرزق ليس على قدر الاسباب
ولذلك سأل بعض الاكاسرة حكيما عن الاحمق المرزوق والعاقل المحروم فقال اراد الصانع ان يدل على نفسه اذ لو رزق كل عاقل
وحرم كل احمق لظن ان العقل رزق صاحبه فلما رأوا خلافه علموا ان الرازق غيرهم ولا ثقة بالاسباب الظاهرة لهم
احوال المتوكلين في التعلق بالاسباب بضرب مثال اعلم ان مثال الخلق مع الله مثال طائفة من السؤال وقفوا في ميدان على باب قصر
الملك وهم محتاجون الى الطعام فاخرج اليهم غلمانا كثيرة ومعهم ارغفة وامرهم ان يعطوا بعضهم رغيفين رغيفين وبعضهم رغيفا
رغيفا ويجتهدوا في ان لا يغفلوا عن واحد منهم وامر مناديا حتى نادى فيهم ان اسكنوا ولا تتعلقوا بغلماني اذا خرجوا اليكم بل ينبغي
ان يطمئن كل واحد في موضعه فان الغلمان مسخرون وهم مأمورون بان يوصلوا اليكم طعامكم فمن تعلق بالغلمان وآذاهم واخذ رغيفين

فاذا فتح باب الميدان وخرج انتعشه نباذم يكون موكلا به الى ان يقدم لعقوبته في ميعاد معلوم عندي ولكني اخفيه ومن لم يوذ
الغلمان وقنع برغيف واحد اتاه من يد الغلام وهو ساكن فاني اخصه بخلعة سنية في الميعاد المذكور لعقوبة الآخر ومن ثبت
في مكانه ولكنه اخذ رغيفين فلا عقوبة عليه ولا خلعة له ومن اخطاه الغلمان فما اوصلوا اليه شيئا فبات الليلة جائعا غير
متسخط على الغلمان ولا قائل لم لا توصلون الي رغيفا اوصل الي غدا استوزره وافوض ملكي اليه فانقسم السؤال الى اربعة اقسام قسم غلبت
عليهم بطونهم فلم يلتفتوا الى العقوبة الموعودة وقالوا من اليوم الى غد فرج ونحن الآن جائعون فبادروا الى الغلمان وآذوهم
واخذوا الرغيفين فسبقت العقوبة اليهم في الميعاد المذكور فندموا ولم ينفعهم الندم وقسم تركوا التعلق بالغلمان خوفا من العقوبة ولكن
اخذوا رغيفين لغلبة الجوع فسلموا من العقوبة وما فازوا بالخلعة وقسم قالوا انا نجلس بمرأى من الغلمان حتى لا يخطونا ولكنا لا ناخذ
اذا اعطونا الا رغيفا واحدا ونقنع به فلعلنا نفوز بالخلعة ففازوا وقسم رابع اختفوا في زوايا الميدان وانحرفوا عن مرأى
اعين الغلمان ان تبعونا واعطونا قنعنا برغيف واحد وان اخطأونا قاسينا شدة الجوع الليلة فلعلنا نقوى على ترك التسخط
فننال رتبة القرب ودرجة الوزارة عند الملك فما نفعهم ذلك اذ تتبعهم الغلمان في كل زاوية واعطوا كل واحد رغيفا
واحدا وجرى مثل ذلك اياما حتى اتفق على الندور ان اختفى ثلثة في زاوية ولم تقع عليهم ابصار الغلمان وشغلهم صارف عن طول
التفتيش فباتوا في جوع شديد فقال اثنان منهم ليتنا تعرضنا للغلمان واخذنا طعاما فلسنا نطيق الصبر وسكت الثالث الى
الصباح فنال درجة القرب والوزارة فهذا مثال الخلق والميدان هو الحيوة الدنيا وباب الميدان الموت والميعاد المجهول للقيامة
والوعد بالوزارة هو الوعد بالشهادة للمتوكل اذا مات جائعا راضيا من غير تاخير ذلك الى ميعاد القيمة لان الشهداء احياء
عند ربهم يرزقون والمتعلق بالغلمان هو المتصدي للاسباب والغلمان المسخرون هم الاسباب والجالسون في ظاهر الميدان بمرأى اعين الغلمان
هم المقيمون في الامصار في الرباطات والمساجد على هيئة السكون والمختفون في الزوايا هم السائحون في البوادي على هيئة التوكل
والاسباب تتبعهم والرزق ياتيهم الا على سبيل الندور فان مات واحد منهم جائعا راضيا فله الشهادة والقرب من الله تعالى وقد
انقسم الخلق الى هذه الاقسام الاربعة فلعل من كل مائة تسعين تعلقوا بالاسباب وقام سبعة من العشرة الباقية في الامصار متعرضة
للسبب بمجرد حضورهم واشتهارهم وساح في البوادي ثلثة وتسخط منهم اثنان وفاز بالقرب واحد ولعله كذلك كان في الاعصار
السالفة واما الآن فالتارك للاسباب لا ينتهي الى واحد من عشرة الاف الفن الثاني في التعرض للاسباب في الادخار
فمن حصل له مال بارث او كسب او سؤال او سبب من الاسباب فله في الادخار ثلث احوال الاولى ان ياخذ قدر حاجته في الوقت
فياكل ان كان جائعا ويلبس ان كان عاريا ويشتري مسكنا مختصرا ان كان محتاجا ويفرق الباقي في الحال ولا ياخذه ولا يدخره الا
القدر الذي يبذله لمن يستحقه ويحتاج اليه فيدخر على هذه النية فهذا هو الوفاء بموجب التوكل تحقيقا وهي الدرجة العليا الحالة
الثانية المقابلة لهذه المخرجة له عن حدود التوكل ان يدخره لسنة فما فوقها فهذا ليس من المتوكلين اصلا وقد قيل لا يدخر
من الحيوانات الا ثلث الفارة والنملة وابن آدم الثالثة ان يدخر لاربعين يوما فما دونه فهذا هل يحرم المقام المحمود الموعود
في الآخرة للمتوكلين فاختلفوا فيه فذهب سهل الى انه يخرج من التوكل وذهب الخواص الى انه لا يخرج بالاربعين ويخرج بما يزيد على
الاربعين وقال ابو طالب المكي لا يخرج عن حدود التوكل بالزيادة على الاربعين ايضا وهذا اختلاف لا معنى له بعد تجويز اصل الادخار
فيناقض التوكل فاما التقدير بعد ذلك فلا مدرك له وكل ثواب موعود على رتبة فانه يتوزع على تلك الرتبة وتلك الرتبة لها بداية
ونهاية ويسمى اصحاب النهايات السابقين واصحاب البدايات اصحاب اليمين ثم اصحاب اليمين ايضا على درجات وكذا السابقون واعالي

واعالي درجات اصحاب اليمين تلاصق اسافل درجات السابقين فلا معنى للتقدير في مثل هذا بل التحقيق ان التوكل بترك الادخار
لا يتم الا بقصر الامل واما عدم امل البقاء فيبعد اشتراطه ولو في نفس فان ذلك كالممتنع وجوده اما الناس فيتفاوتون في طول
الامل وقصره واقل درجات الامل يوم وليلة فما دونه من الساعات واقصاه ما يتصور ان يكون عمر الانسان وبينهما درجات لا حصر
لها فمن لم يامل اكثر من شهر اقرب الى المقصود ممن يامل سنة وتقييده باربعين لاجل ميعاد موسى صلى الله عليه بعيد فان تلك
الواقعة ما قصد بها بيان جواز ما يدخل الامل فيه ولكن استحقاق موسى صلى الله عليه وسلم لنيل الموعود كان لا يتم الا بعد اربعين
لسر جرت به وباشباهه سنة الله تعالى في تدريج الامور كما قال خمر طينة ادم بيده اربعين صباحا لان استحقاق تلك الطينة
للتخمير كان موقوفا على مدة مبلغها ما ذكر فما دون ما وراء السنة لا يدخرها الا بحكم ضعف القلب والركون الى ظاهر الاسباب فهو
خارج عن مقام التوكل غير واثق باحاطة التدبير من الوكيل الحق بخفايا الاسباب فان اسباب الدخل في الارتفاعات والزكوات
تتكرر بتكرر السنين غالبا ومن ادخر اقل من سنة فله درجة بحسب قصر امله ومن كان امله شهرين لم تكن درجته درجة من امله ثلثة
ولا درجة من امله شهر بل هو بينهما في الرتبة ولا يمنع من الادخار الا قصر الامل فالافضل ان لا يدخر اصلا فان ضعف قلبه فكل
ما قل ادخاره كان فضله اكثر وقد روي في الفقير الذي امر صلى الله عليه وسلم عليا واسامة فغسلاه وكفناه ببردته فلما دفنه
قال لاصحابه انه يبعث يوم القيمة ووجهه كالقمر ليلة البدر ولولا خصلة كانت فيه لبعث ووجهه كالشمس الضاحية قلنا
وما هي يا رسول الله قال كان صواما قواما كثير الذكر لله تعالى غير انه اذا كان نجاء الصيف ادخر حلة الصيف لصيفه واذا جاء الشتاء
ادخر حلة الشتاء لشتائه ثم قال من اقل ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر الحديث وليس الكوز والسفرة وما يحتاج اليه على الدوام في
ذلك فادخاره لا ينقص الدرجة وثوب الشتاء لا يحتاج اليه في الصيف وهذا في حق من لا ينزعج قلبه بترك الادخار ولا يستشرف
نفسه الى ايدي الخلق بل لا يلتفت قلبه الا الى الوكيل الحق فان كان يستشرف في نفسه اضطرابا يشغل قلبه عن العبادة والذكر والفكر
فالادخار له اولى بل لو امسك ضيعة يكون دخلها وافيا بقدر كفايته وكان لا يتفرغ قلبه الا به فذلك شخص يشغله وجود المال
ورب شخص يشغله عدمه والمحذور ما يشغل عن الله تعالى والا فالدنيا في عينها غير محذورة لا وجودها ولا عدمها ولذلك بعث رسول الله

صلى الله عليه وسلم

الى اصناف الخلق وفيهم التجار والمحترفون واهل الحرف والصناعات فلم يامر التاجر بترك تجارته ولا المحترف بترك حرفته ولا
امر التارك لهما بالاشتغال بهما بل دعا الكل الى الله تعالى وارشدهم الى ان فوزهم ونجاتهم الى الله سبحانه في انصراف قلوبهم عن الدنيا
الى الله وعمدة الاشتغال بالله القلب فصواب الضعيف ادخاره قدر حاجته كما ان صواب القوي ترك الادخار وهذا كله حكم المنفرد
فاما المعيل فلا يخرج عن حد التوكل بادخار قوت سنة لعياله جبرا لضعفهم وتسكينا لقلوبهم وادخار اكثر من ذلك مبطل للتوكل لان
الاسباب تتكرر عند تكرر السنين فادخاره ما يزيد عليه مصدره ضعف قلب وذلك يناقض قوة التوكل فالمتوكل عبارة عن موحد قوي
القلب مطمئن النفس الى فضل الله تعالى واثق بتدبيره دون وجود الاسباب الظاهرة وقد ادخر رسول الله صلى الله عليه وسلم لعياله
قوت سنة ونهى ام ايمن وغيرها ان تدخر له شيئا لغد ونهى بلالا عن الادخار في كسرة خبز ادخرها ليفطر عليها فقال انفق بلال ولا تخش
من ذي العرش اقلالا وقال له اذا سئلت فلا تمنع واذا اعطيت فلا تخبأ فالاقتداء بسيد المتوكلين صلى الله عليه وقد كان قصر امله
بحيث كان اذا بال يتيمم مع قرب الماء ويقول ما يدريني لعلي لا ابلغه وكان لا ابلغه صلى الله عليه وسلم ولو ادخر لم ينقص ذلك من توكله
اذ كان لا يثق بما ادخره ولكنه ترك تعليما للاقوياء من امته فان اقوياء امته ضعفاء بالاضافة الى قوته وادخر لعياله سنة لا لضعف قلب
فيه وفي عياله ولكن ليسن ذلك للضعفاء من امته ثم اخبر ان الله تعالى يحب ان تؤتى رخصه كما يحب ان يؤتى عزائمه تطييبا لقلوب

حتى لا ينتهي بهم الضعف الى اليأس والقنوط فيتركون الميسور من الخير عليهم لعجزهم عن منتهى الدرجات فما ارسل رسول الله صلى الله
عليه وسلم الا رحمة للعالمين كلهم على اختلاف اصنافهم ودرجاتهم واذا فهمت هذا علمت ان الادخار قد يضر بعض الناس وقد
لا يضر ويدل عليه ما روى ابو امامة الباهلي ان بعض اصحاب الصفة توفي فما وجد له كفن فقال صلى الله عليه وسلم فتشوا ثوبه ففتشوا فوجدوا
دينارين في داخل ازاره فقال عليه السلام كيتان وقد كان غيره من المسلمين يموت ويخلف اموالا ولا يقول ذلك في حقه وهذا يحتمل
وجهين لانه حاله يحتمل حالتين احدهما انه اراد كيتان من النار قال تعالى فتكوى بها جباههم وجنوبهم وهذا اذا كان حاله اظهار
الزهد والفقر والتوكل مع الافلاس عنه فهو نوع تلبيس والثاني ان لا يكون ذلك عن تلبيس فيكون المعنى به النقصان عن درجة الكمال كما
ينقص عن جمال الوجه اثر كيتين في الوجه وذلك ان لا يكون عن تلبيس فان كل ما يخلفه الرجل فهو نقصان عن درجته في الآخرة اذ لا
يؤتى احد من الدنيا شيئا الا وينقص بقدره من الآخرة واما ان الادخار مع فراغ القلب عن المدخر ليس من ضرورته بطلان التوكل
فيشهد له ما روي عن بشر قال الحسين المغازلي من اصحاب بشر كنت عند بشر ضحوة من النهار فدخل كهل اسمر خفيف العارضين فقام اليه
بشر قال وما رأيته قام لاحد غيره قال ودفع الي كفا من دراهم فقال اشتر لنا من اطيب ما تقدر عليه من الطعام والطيب وما قال لي
قط مثل ذلك قال فجئت بالطعام فوضعته فأكل منه وما رأيته اكل مع غيره فأكلنا حاجتنا وبقي من الطعام شيء كثير فأخذه الرجل
وجمعه في ثوبه وانصرف فعجبت من ذلك وكرهته له فقال بشر لعلك انكرت فعله قلت نعم اخذ بقية الطعام من غير اذن فقال ذاك
اخونا فتح الموصلي زارنا اليوم من الموصل وانما اراد ان يعلمنا ان التوكل اذا صح لم يضر معه الادخار

الفن الثالث

في مباشرة الاسباب الدافعة للضرر المعرض للخوف اعلم ان الضرر قد يعرض للخوف في نفس او مال وليس من شرط التوكل ترك الاسباب
الدافعة رأسا اما في النفس فكالنوم في المسبعة او في مجرى السيل من الوادي وتحت الجدار المائل والسقف المنكسر فكل ذلك منهي عنه
وصاحبه قد عرض نفسه للهلاك بغير فائدة نعم تنقسم هذه الاسباب الى مقطوع به والى مظنون والى موهوم فترك الموهوم منها من شرط
التوكل وهي التي نسبتها الى دفع الضرر نسبة الكي والرقية فان الكي والرقية قد يقدم على المحذور دفعا لما يتوقع وقد يستعمل بعد نزول
المحذور للازالة ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم يصف المتوكلين الا بترك الكي والرقية والطيرة ولم يصفهم بانهم لما خرجوا الى موضع
بارد لم يلبسوا جبة والجبة تلبس دفعا للبرد المتوقع وكذلك كل ما في معناها من الاسباب نعم الاستظهار باكل الثوم مثلا عند الخروج الى
سفر في الشتاء تهييجا لقوة الحرارة من الباطن ربما يكون من قبيل التعمق في الاسباب والتعويل عليها فيكاد يقرب من الكي بخلاف الجبة
ولترك الاسباب الدافعة وان كانت مقطوعة وجه اذا نال الضرر من انسان فانه اذا امكنه الصبر وامكنه الدفع والتشفي فشرط التوكل
الاحتمال والصبر قال تعالى فاتخذه وكيلا واصبر على ما يقولون وقال تعالى ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون وقال ودع اذاهم
وتوكل على الله وقال فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل وقال نعم اجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون وهذا في اذى الناس
اما الصبر على اذى السباع والحيات والعقارب وترك دفعها فليس من التوكل في شيء اذ لا فائدة فيه ولا يراد السعي ولا ترك السعي
لعينه بل لاعانته على الدين وترتب الاسباب ههنا كترتيبها في الكسب وجلب النافع فلا نطول بالاعادة وكذلك في الاسباب الدافعة
عن المال فلا ينقص التوكل باغلاق باب البيت عند الخروج ولا بان يعقل البعير لان هذه اسباب عرفت بسنة الله تعالى اما قطعا واما ظنا
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم للاعرابي لما ان اهمل البعير وقال توكلت على الله اعقلها وتوكل وقال تعالى خذوا حذركم وقال في كيفية
صلاة الخوف وليأخذوا حذرهم واسلحتهم وقال واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل وقال لموسى صلى الله عليه وسلم فأسر
بعبادي ليلا والتحصن بالليل اختفاء عن اعين العدو نوع تسبب واختفى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار اختفاء عن اعين

عن اعين الاعداء ودفعا للضرر واخذ السلاح في الصلاة ليس دفعا قطعا كقتل الحية والعقرب فانه دافع قطعا ولكن اخذ السلاح
سبب مظنون وقد بينا ان المظنون كالمقطوع وانما الموهوم هو الذي يقتضي التوكل تركه فان قلت فقد حكي عن بعضهم ان الاسد
وضع يده على كتفه ولم يتحرك فاقول وقد حكي عن جماعة انهم ركبوا الاسد وسخروه ولا ينبغي ان يغرك ذلك فانه وان كان
صحيحا في نفسه فلا يصلح للاقتداء بطريق التعلم من غيره بل ذلك مقام رفيع في الكرامات وليس ذلك شرطا في التوكل وفيه
اسرار لا تقف عليها ما لم تنته اليها فان قلت وهل من علامة اعلم بها اني وصلت اليه فاقول لا يحتاج الى الطلب للعلامات
ولكن من العلامات السابقة عليه ان يسخر لك الكلب هو معك في اهابك يسمى الغضب ولا يزال يعضك ويعض غيرك فان سخر لك هذا الكلب
بحيث اذا هيج واشلي لم يسترسل الا باشارتك وكان مسخرا لك فربما ترتفع درجتك الى ان يسخر لك الاسد الذي هو ملك السباع
وكلب دارك اولى بان يكون مسخرا لك من كلب البوادي وكلب اهابك اولى بان تسخره اولا من كلب دارك فاذا لم يسخر لك الكلب
الباطن فلا تطمع في استسخار الكلب الظاهر فان قلت فما اخذ المتوكل سلاحه حذرا من العدو واغلق بابه حذرا من اللص
وعقل بعيره حذرا من ان ينطلق فبأي اعتبار يكون متوكلا فاقول يكون متوكلا بالعلم والحال فاما العلم فهو ان يعلم ان اللص ان اندفع
لم يندفع بكفايته في اغلاق الباب بل بدفع الله تعالى اياه فكم من باب يغلق ولا ينفع وكم من بعير يعقل ويموت وكم من آخذ سلاحه
يقتل فلا تتكل على هذه الاسباب اصلا بل على مسبب الاسباب كما ضربنا المثل للوكيل بالخصومة فانه وان حضر واحضر السجل فلا يتكل
على نفسه وعلى سجله بل على كفاية الوكيل وقوته واما الحال فهو ان يكون راضيا بما يقضي الله تعالى به في بيته ونفسه ويقول اللهم
ان سلطت على ما في البيت من يأخذه فهو في سبيلك وانا راض بحكمك فاني لا ادري أن ما اعطيتني هبة فلا اطمع في رده او عارية او وديعة
فتسترده او لا ادري انه رزقي او سبق في مشيئتك في الازل انه رزق غيري وكيفما قضيت فانا راض به وما اغلقت الباب
تحصنا من قضائك وتسخطا له بل جريا على مقتضى سنتك في ترتيب الاسباب فلا ثقة الا بك يا مسبب الاسباب فاذا كان هذا حاله
فذاك الذي ذكرناه علمه لم يخرج عن حد التوكل بعقل البعير واخذ السلاح واغلاق الباب ثم اذا عاد فوجد ما في البيت فينبغي ان يكون
ذلك عنده نعمة جديدة من الله واذا لم يجده بل وجده مسروقا نظر الى قلبه فان وجده راضيا او فرحا بذلك عالما بانه ما اخذ الله
تعالى ذلك منه الا ليزيد رزقه في الآخرة فقد صح مقامه في التوكل وظهر له صدقه وان تألم قلبه به ووجد قوة الصبر فقد بان له
انه ما كان صادقا في دعوى التوكل لان التوكل بعد الزهد ولا يصح الزهد الا ممن لا يأسف على ما فات من الدنيا ولا يفرح بما يأتي بل يكون
على العكس منه فكيف يصح التوكل نعم قد يصح له مقام الصبر ان اخفاه ولم يظهر شكواه ولم يكثر سعيه في الطلب والتجسس وان لم يقدر على
ذلك بقلبه واظهر الشكوى بلسانه واستقصى الطلب ببدنه فقد كانت السرقة مزيدا له في ذنبه من حيث انه اظهر له قصوره عن
جميع المقامات وكذبه في جميع الدعاوى فبعد هذا ينبغي ان يجتهد حتى لا يصدق نفسه في دعاويها ولا يتدلى بحبل غرورها فانها
خداعة امارة بالسوء ومدعية للخير فان قلت فكيف يكون للمتوكل مال حتى يؤخذ فاقول المتوكل لا يخلو بيته عن متاع كقصعة يأكل
كقصعة يشرب فيها وكوز يشرب منه واناء يتوضأ منه وجراب يحفظ فيه زاده وعصا يدفع بها عدوه وغير ذلك من ضرورات المعيشة
من اثاث البيت وقد يدخل في يده مال وهو يمسكها ليجد محتاجا فيصرفه اليه فلا يكون ادخاره على هذه النية مبطلا لتوكله و
ليس من شرط التوكل اخراج الكوز الذي يشرب منه والجراب الذي فيه زاده وانما ذلك في المأكول وفي كل مال زائد على قدر الضرورة
لان سنة الله تعالى جارية بوصول الخبز الى الفقراء المتوكلين في زوايا المساجد وما جرت السنة بتفرقة الكيزان والامتعة في كل يوم
ولا في كل اسبوع والخروج عن سنة الله ليس شرطا في التوكل ولذلك كان الخواص يأخذ في السفر الحبل والركوة والمقراض والابرة

دون الزاد لان سنة الله جارية بالفرق بين الامرين فان قلت فكيف يتصور ان لا يحزن اذا اخذ متاعه الذي هو محتاج اليه ولا
يتأسف عليه فان كان لا يشتهيه فلم امسكه واغلق الباب عليه وان امسكه لانه يشتهيه لحاجته اليه فكيف لا يتأذى ولا يحزن
وقد حيل بينه وبين ما يشتهيه فاقول انما كان يحفظه ليستعين به على دينه اذ كان يظن ان الخيرة له في ان يكون له ذلك المتاع
ولولا ان الخيرة له فيه لما رزقه الله ولما اعطاه فاستدل على ذلك بتيسير الله وحسن الظن بالله مع ظنه ان ذلك معين له على
اسباب دينه ولم يكن ذلك عنده مقطوعا به اذ يحتمل ان يكون خيرته في ان يبتلى بفقد ذلك حتى يتعب في تحصيل غرضه ويكون
ثوابه في النصب والتعب اكثر فلما اخذه الله تعالى منه بتسليط اللص تغيرت ظنته لانه في جميع الاحوال واثق بالله حسن الظن به
فيقول لولا ان الله تعالى علم ان الخيرة لي في وجودها الى الان والخيرة الان لي في عدمها لما اخذها مني فبمثل هذا الظن يتصور
ان يندفع عنه الحزن اذ به يخرج عن ان يكون فرحه بالاسباب من حيث انها اسباب بل من حيث انه يسرها مسبب الاسباب
عناية به وتلطفا وهو كالمريض بين يدي الطبيب الشفيق يرضى بما يفعله فان قدم اليه الغذاء فرح وقال لولا انه عرف ان الغذاء ينفعني
وقد قويت على احتماله لما قدمه الي وان اخر عنه الغذاء بعد ذلك ايضا فرح وقال لولا ان الغذاء يضرني ويسوقني الى الموت لما حال
بيني وبينه وكل من لا يعتقد في لطف الله تعالى ما يعتقده المريض في الوالد المشفق الحاذق بعلم الطب فلا يصح منه التوكل اصلا
ومن عرف الله تعالى وعرف افعاله وعرف سنته في اصلاح عباده لم يكن فرحه بالاسباب فانه لا يدري اي الاسباب خير له كما
قال عمر رضي الله عنه لا ابالي اصبحت غنيا او فقيرا فاني لا ادري ايهما خير لي فكذلك ينبغي ان لا يبالي المتوكل بسرقة متاعه او لا يسرق
فانه لا يدري ايهما خير له في الدنيا ولا في الاخرة فكم من متاع في الدنيا يكون سبب هلاك الانسان وكم من غني يبتلى بواقعة لاجل
غناه يقول ليتني كنت فقيرا **بيان** اداب المتوكلين اذا سرق متاعهم للمتوكل اداب في متاع بيته اذا خرج **الاول**
ان يغلق الباب اذا خرج ولا يستقصي في اسباب الحفظ كالتماسه من الجيران الحفظ مع الغلق وكجمعه اغلاقا كثيرة فقد كان مالك
ابن دينار لا يغلق بابه ولكن يشده بشريطة ويقول لولا الكلاب ما شددته ايضا **والثاني** ان لا يترك في البيت متاعا يحرص عليه
السراق فيكون سبب معصيتهم او امساكه يكون سبب هيجان رغبتهم ولذلك لما اهدى المغيرة الى مالك بن دينار ركوة قال له خذها
فلا حاجة بي اليها قال ولم قال يوسوس الي العدو ان اللص قد اخذها فكانه احترز من ان يعصي السارق ومن شغل قلبه بوسواس الشيطان
بسرقتها ولذلك قال ابو سليمن هذا من ضعف قلوب الصوفية هذا قد زهد في الدنيا فما عليه من اخذها **الثالث** انما يضطر الى
تركه في البيت ينبغي ان ينوي عند خروجه الرضا بما يقضي الله فيه من تسليط سارق عليه ويقول ما اخذه السارق فهو منه في حل او هو
في سبيل الله وان كان فقيرا فهو عليه صدقة وان لم يشترط الفقر فهو اولى ويكون له نيتان لو اخذه غني احدهما ان يكون ماله مانعا له عن
المعصية فانه ربما يستغني به فيتوانى عن السرقة بعده وقد زال عصيانه باكل الحرام لما احله في حل والثاني ان لا يظلم مسلما
اخر فيكون ماله فداء لمال مسلم اخر ومهما نوى حراسة مال غيره بمال نفسه ونوى دفع المعصية عن السارق او تخفيفها عليه فقد
نصح للمسلمين وامتثل قوله صلى الله عليه وسلم انصر اخاك ظالما او مظلوما ونصرة الظالم ان يمنعه من الظلم وعفوه عنه اعدام
للظلم ومنع له وليتحقق ان هذه النية لا تضره بوجه من الوجوه اذ ليس فيها ما يسلط السارق ويغير القضاء الازلي ولكنه يتحقق
الزهد بنيته وان اخذ ماله كان له بكل درهم سبعمائة درهم لانه نواه وقصده وان لم يؤخذ حصل له الاجر ايضا كما روي عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم في من ترك العزل واقر النطفة قرارها كان له اجر غلام ولد له من ذلك الجماع وعاش فقتل
في سبيل الله وان كان لم يولد له لانه ليس اليه في امر الولد الا الوقاع فاما الخلق والحيوة والرزق والبقاء فليس اليه فلو خلق

فلو خلق لكان ثوابه على فعله وفعله لم ينعدم فكذلك امر السرقة **والرابع** انه اذا وجد المال مسروقا فينبغي ان لا يحزن
بل يفرح ان امكنه ويقول لولا ان الخيرة كانت فيه لما سلبه الله تعالى ثم ان لم يكن قد جعله في سبيل الله فلا يبالغ في طلبه واساءة
الظن بالمسلمين وان كان قد جعله في سبيل الله فيترك طلبه فانه قد قدمه ذخيرة لنفسه الى الاخرة فان اعيد عليه فالاولى ان لا يقبله
بعد ان كان قد جعله في سبيل الله وان قبله فهو ملكه في ظاهر العلم لان الملك لا يزول بمجرد تلك النية ولكنه غير محبوب عند
المتوكلين وقد روي ان ابن عمر رضي الله عنهما سرقت ناقته فطلبها حتى اعيا ثم قال في سبيل الله تعالى فدخل المسجد فصلى ركعتين
فدخل رجل فقال يا ابا عبد الرحمن ان ناقتك في مكان كذا فلبس نعله وقام ثم قال استغفر الله وجلس فقيل له الا تذهب فتاخذها
فقال اني كنت قلت في سبيل الله وقال بعض الشيوخ رايت بعض اخواني في النوم بعد موته فقلت ما فعل الله بك قال غفر لي وادخلني
الجنة وعرض علي منازلي فيها فرايتها قال وهو مع ذلك كئيب حزين فقلت قد دخلت الجنة وغفر لك وانت حزين فتنفس الصعداء
ثم قال نعم اني لا ازال حزينا الى يوم القيمة قلت ولم ذاك قال اني لما رايت منازلي من الجنة رفعت لي مقامات في عليين ما
رايت مثلها فيما تممت ففرحت بها فلما هممت بدخولها نادى مناد من فوقها اصرفوه عنها فليست هذه له وانما هذه
لمن امضى السبيل فقلت وما امضى السبيل فقيل لي قد كنت تقول للشيء انه في سبيل الله ثم ترجع فيه فلو كنت امضيت السبيل لامضينا
لك وحكي عن بعض العباد بمكة انه كان نائما الى جنب رجل معه هميان فانتبه الرجل ففقد هميانه فاتهمه به فقال كم كان فذكره فحمله
الى البيت ووزنه من عنده ثم بعد ذلك اعلمه اصحابه انهم كانوا اخذوا الهميان مزحا معه فجاء هو واصحابه وردوا الذهب
فابى وقال خذوها حلالا طيبا فما كنت لاعود في مال اخرجته في سبيل الله فلم يقبلوا فالحوا عليه فدعا ابنا له وجعل يصرها صررا
ويبعث بها الى الفقراء حتى لم يبق منه شيء فهكذا كانت اخلاق السلف في طلبه وكذلك من اخذ رغيفا ليعطي فقيرا فغاب عنه كان
يكره ان يرده الى البيت بعد اخراجه فيعطي فقيرا اخر وكذلك في الدراهم وسائر الصدقات **الخامس** وهو اقل الدرجات
ان لا يدعو على السارق الذي ظلمه بالاخذ فان فعل بطل توكله ودل على كراهته وتاسفه على ما فات وبطل زهده فان بالغ فيه بطل
اجره فيما اصيب به ففي الخبر من دعا على ظالمه فقد انتصر وحكي ان الربيع بن خثيم سرق فرس له وكان ثمنه عشرين الفا وكان قائما
يصلي فلم يقطع صلوته ولم ينزعج لطلبه فجاءه قوم يعزونه فقال اما اني كنت رايته وهو يحله قيل وما منعك ان تزجره
قال كنت فيما هو احب الي من ذلك يعني الصلوة قال فجعلوا يدعون عليه فقال لا تفعلوا وقولوا خيرا فاني جعلته صدقة عليه
وقيل لبعضهم في شيء قد كان سرق له الا تدعو على ظالمك قال ما احب ان اكون عونا للشيطان عليه قيل ارايت لو رد
عليك قال لا اخذها ولا انظر اليها لاني كنت قد احللته له وقيل لاخر ادع الله على من ظلمك فقال ما ظلمني احد ثم قال انما
ظلم نفسه الا يكفيه المسكين ظلمه لنفسه حتى ازيده شرا واكثر بعضهم شتم الحجاج عند بعض السلف في ظلمه فقال لا تغرق في شتمه
فان الله تعالى ينتصف للحجاج ممن انتهك عرضه كما ينتصف منه لمن اخذ ماله ودمه وفي الخبر ان العبد ليظلم المظلمة فلا يزال يشتم ظالمه
ويسبه حتى يكون بمقدار ما ظلمه ثم يبقى للظالم مطالبة عليه بما زاد عليه يقتص له من المظلوم **السادس** ان يغتم لاجل السارق
وعصيانه وتعرضه لعقاب الله تعالى ويشكر الله اذ جعله مظلوما ولم يجعله ظالما وجعل ذلك نقصان دنياه لا نقصان دينه
فقد شكى بعض الناس الى عالم انه قطع عليه الطريق واخذ ماله فقال ان لم يكن غمك انه قد صار في المسلمين من يستحل هذا اكثر من غمك
بمالك فما نصحت للمسلمين وسرق من علي بن الفضيل دنانير وهو يطوف بالبيت فراه ابوه وهو يبكي ويحزن فقال اعلى الدنانير تبكي
فقال لا والله ولكن على المسكين انه يسأل يوم القيمة ولا تكون له حجة وقيل لبعضهم ادع الله على من ظلمك فقال اني مشغول

بالحزن عليه عن الدعاء عليه الفن الرابع السعي في ازالة الضرر كمداواة المرض وامثاله اعلم ان الاسباب المزيلة
للضرر ايضا تنقسم الى مقطوع به كالماء المزيل لضرر العطش والخبز المزيل لضرر الجوع والى مظنون كالفصد والحجامة وشرب
المسهل وسائر ابواب الطب اعني معالجة البرودة بالحرارة ومعالجة الحرارة بالبرودة وهي الاسباب الظاهرة في الطب والى موهوم
كالكي والرقية اما المقطوع فليس من التوكل تركه اذ به وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم المتوكلين واقواها الكي ويليه

بل تركه حرام عند خوف الموت
واما الموهوم فشرط التوكل تركه

الرقية والطيرة اخر درجاتها والاعتماد عليها والاتكال اليها غاية التعمق في ملاحظة الاسباب واما الدرجة المتوسطة
وهي المظنونة كالمداواة بالاسباب الظاهرة عند الاطباء ففعله ليس مناقضا للتوكل بخلاف الموهوم وتركه ليس محظورا
بخلاف المقطوع به بل قد يكون افضل من فعله في بعض الاحوال وفي بعض الاشخاص فهو على درجة بين الدرجتين ويدل على ان التداوي
غير مناقض للتوكل فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله وامره به اما قوله صلى الله عليه وسلم فقد قال ما من داء الا
وله دواء عرفه من عرفه وجهله من جهله الا السام يعني الموت وقال تداووا عباد الله وسئل عن الدواء والرقى هل ترد من قدر
الله تعالى فقال هي من قدر الله تعالى وفي الخبر المشهور ما مررت بملا من الملائكة الا قالوا مر امتك بالحجامة وفي الحديث انه امر بها
وقال احتجموا لسبع عشرة وتسع عشرة واحدى وعشرين لا يتبيغ لكم الدم فيقتلكم وذكر ان تبيغ الدم سبب الموت وانه قاتل باذن
الله تعالى وبين ان اخراج الدم خلاص منه اذ لا فرق بين اخراج الدم المهلك من الاهاب وبين اخراج العقرب من تحت الثياب
واخراج الحية من البيت وليس من شرط التوكل ترك ذلك بل هو كصب الماء على النار لاطفائها ودفع ضررها عند وقوعها في البيت
وليس من التوكل الخروج عن سنة الوكيل اصلا وفي خبر مقطوع من احتجم يوم الثلاثاء لسبعة عشر من الشهر كان له دواء من داء
سنة واما امره فقد امر صلى الله عليه وسلم غير واحد من الصحابة بالتداوي والحمية وقطع لسعد بن معاذ عرقا اي فصده وكوى
اسعد بن زرارة وقال لعلي رضي الله عنه وكان رمد العين لا تاكل من هذا يعني الرطب وكل من هذا فانه اوفق لك يعني سلقا قد طبخ
بدقيق شعير وقال لصهيب وقد راه ياكل التمر وهو وجع العين تاكل تمرا وانت رمد فقال اني اكل من الجانب الاخر فتبسم واما
فعله فقد روي في حديث من طريق اهل البيت انه كان يكتحل كل ليلة ويحتجم كل شهر ويشرب الدواء كل سنة قيل السنا المكي
وتداوى صلى الله عليه وسلم غير مرة من العقرب وغيرها وروي انه كان اذا نزل عليه الوحي صدع راسه فكان يغلفه بالحناء
وفي خبر انه كان صلى الله عليه وسلم اذا خرجت به قرحة جعل عليها حناء وقد جعل على قرحة خرجت به ترابا وما روي في تداويه
وامره خارج عن الحصر وقد صنف كتاب وسمي طب النبي صلى الله عليه وسلم وذكر بعض العلماء في الاسرائيليات ان موسى صلى الله عليه
اعتل بعلة فدخل عليه بنو اسرائيل فعرفوا علته فقالوا له لو تداويت بكذا لبرئت فقال لا اتداوى حتى يعافيني هو من غير دواء
فطالت علته فقالوا له ان دواء هذه العلة معروف مجرب وانا نتداوى به فنبرأ فقال لا اتداوى واقامت علته فاوحى الله تعالى اليه
اوحى الله وعزتي وجلالي لا ابرأتك حتى تتداوى بما ذكروه لك فقال لهم داووني بما ذكرتم فداووه فبرئ فاوجس في نفسه من ذلك
فاوحى الله تعالى اليه اردت ان تبطل حكمتي بتوكلك علي من اودع العقاقير منافع الاشياء غيري وروي في خبر ان نبيا من
الانبياء شكى علة يجدها فاوحى الله تعالى اليه كل البيض وشكى نبي اخر الضعف فاوحى الله تعالى اليه كل اللحم باللبن فان فيهما
القوة قيل هو الضعف عن الجماع وروي ان قوما شكوا الى نبيهم قبح اولادهم فاوحى الله تعالى اليه مرهم ان يطعموا نساءهم
الحبالى السفرجل والنفساء الرطب فبهذا يتبين ان مسبب فانه يحسن الولد ويفعل ذلك في الشهر الثالث والرابع اذ فيه
يصور الله تعالى الولد وقد كانوا يطعمون الحبلى السفرجل والنفساء الرطب فبهذا يتبين ان مسبب الاسباب اجرى سنته بربط

المسببات بالاسباب اظهارا للحكمة والادوية اسباب مسخرة بحكم الله تعالى كسائر الاسباب فكما ان الخبز دواء الجوع والماء
دواء العطش فالسكنجبين دواء الصفراء والسقمونيا دواء الاسهال لا يفارقه الا في امرين احدهما ان معالجة الجوع والعطش بالماء
والخبز جلي واضح يدركه كافة الناس ومعالجة الصفراء بالسكنجبين يدركه بعض الخواص فمن ادركه بالتجربة التحق في حقه بالاول
والثاني ان الدواء يسهل والسكنجبين يسكن الصفراء بشروط اخر في الباطن واسباب في المزاج ربما يتعذر الوقوف على جميع شروطها
وربما يفوت بعض الشروط فيتقاعد الدواء عن الاسهال واما ازالة العطش لا يستدعي سوى الماء شروطا كثيرة وقد يتفق من العوارض
ما يوجب دوام العطش مع كثرة شرب الماء ولكنه نادر واختلاف الاسباب انما ينحصر في هذين الفنين والا فالمسبب يتلو السبب لا محالة
مهما تم شروط السبب وكل ذلك بتدبير مسبب الاسباب وتسخيره وترتيبه بحكم حكمته وكمال قدرته فلا يضر المتوكل استعماله مع النظر
الى مسبب الاسباب دون الطبيب والدواء فقد روي عن موسى صلى الله عليه انه قال يا رب ممن الدواء والشفاء قال تعالى مني قال فما
يصنع الاطباء قال ياكلون ارزاقهم ويطيبون نفوس عبادي حتى ياتي شفائي او قضائي فاذن معنى التوكل مع التداوي التوكل بالعلم
والحال كما سبق في فنون الاعمال الدافعة للضرر الجالبة للنفع فاما ترك التداوي راسا فليس شرطا فيه فان قلت فالكي ايضا من
الاسباب الظاهرة النفع فاقول ليس كذلك اذ الاسباب الظاهرة مثل الفصد والحجامة وشرب المسهل وسقي المبردات للمحرور واما
الكي فلو كان مثلها في الظهور لما خلت البلاد الكثيرة عنه وقلما يعتاد الكي في اكثر البلاد وانما ذلك عادة بعض الاكراد والاعراب فهو من
الاسباب الموهومة كالرقى الا انه يتميز عنه بامر وهو انه احراق بالنار في الحال مع الاستغناء عنه فانه ما من وجع يعالج بالكي الا وله دواء
يغني عنه ليس فيه احراق فالاحراق بالنار جرح مولم مخرب للبنية محذور السراية مع الاستغناء عنه بخلاف الفصد والحجامة فان
سرايتهما بعيدة ولا يسد مسدهما غيرهما ولذلك نهى صلى الله عليه وسلم عن الكي دون الرقى وكل واحد منهما بعيد عن التوكل و
روي ان عمران بن الحصين اعتل فاشاروا عليه بالكي فامتنع فلم يزالوا به وعزم عليه الامير حتى اكتوى وكان يقول كنت ارى نورا
واسمع صوتا ويسلم علي الملائكة فلما اكتويت انقطع ذلك عني وكان يقول اكتوينا كيات فوالله ما افلحن ولا انجحن ثم تاب من ذلك
واناب الى الله تعالى فرد الله عليه ما كان يجد من امر الملائكة وقال لمطرف بن عبد الله الم تر الى الكرامة التي كان اكرمني الله بها
قد ردها علي بعد ان كان اخبره بفقده فاذن الكي وما يجري مجراه هو الذي لا يليق بالمتوكل لانه يحتاج في استنباطه الى تدبير
ثم هو موهوم فيدل ذلك على شدة ملاحظة الاسباب وعلى التعمق فيها بيان ان ترك التداوي قد يحمد في بعض الاحوال
ويدل على قوة التوكل وان ذلك لا يناقض فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلم ان الذين تداووا من السلف لا ينحصرون
ولكن قد ترك التداوي ايضا جماعة من الاكابر فربما يظن ان ذلك نقصان لانه لو كان كمالا لتركه رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذ لا يكون حال غيره في التوكل اكمل من حاله وقد روي عن ابي بكر رضي الله عنه انه قيل له في مرضه لو دعونا لك طبيبا فقال
فقال الطبيب قد نظر الي وقال اني فعال لما اريد وقيل لابي الدرداء في مرضه ما تشتكي قال ذنوبي قيل فما تشتهي قال مغفرة
ربي قالوا الا ندعو لك طبيبا قال الطبيب امرضني وقيل لابي ذر وقد رمدت عيناه لو داويتهما فقال اني عنهما لمشغول
فقيل لو سالت الله ان يعافيك فقال اسأله فيما هو اهم علي منها وكان للربيع بن خثيم فالج فقيل له لو تداويت فقال لقد
هممت ثم ذكرت عادا وثمود واصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا وكان فيهم الاطباء فهلك المداوي والمداوى ولم تغن الرقى شيئا وكان احمد بن حنبل
يقول احب لمن اعتقد التوكل وسلك هذا الطريق ترك التداوي من شرب الدواء وغيره وكان به علل فلا يخبر بها الطبيب ايضا اذا
ساله وقيل لسهل متى يصح للعبد التوكل قال اذا دخل عليه الضر في جسمه والنقص في ماله فلم يلتفت اليه شغلا بحاله وينظر الى قيام

عليه فاذن من ترك التداوي فيهم كثرة ولا يتضح وجه الجمع بين فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وافعالهم الا بحصر الصوارف
عن التداوي فنقول ان لترك التداوي اسباباً الاول ان يكون المريض من المكاشفين وقد كوشف بانه انتهى اجله وان الدواء
لا ينفعه ويكون ذلك معلوماً عنده تارة برؤيا صادقة وتارة بحدس وظن وتارة بكشف محقق ويشبه ان يكون ترك الصديق رضي الله
عنه التداوي من هذا السبب فانه كان من المكاشفين فانه قال لعائشة في امر الميراث انما هي اخواتك وما كان لها الا اخت واحدة
ولكن كانت امراته حاملاً فولدت انثى فعلم انه قد كوشف انه حامل بانثى فلا يبعد ان يكون قد كوشف بانتهاء اجله والا فلا يظن به انكار
التداوي وقد شاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يداوي وامر به السبب الثاني ان يكون المريض مشغولاً بحاله وبخوف عاقبته و
اطلاع الله تعالى عليه فينسيه ذلك الم المرض فلا يتفرغ قلبه للتداوي شغلاً بحاله وعليه يدل كلام ابي ذر اذ قال اني عنهما لمشغول
وكلام ابي الدرداء اذ قال انما اشتكي ذنوبي فكان تألم قلبه خوفاً من ذنوبه اكثر من تألم بدنه بالمرض ويكون هذا كالمصاب بموت عزيز من
اعزته او كالخائف الذي يحمل الى ملك من الملوك ليقتل اذا قيل له الا تأكل الخبز وانت جائع فيقول انا مشغول عن الم الجوع فلا يكون
ذلك لكون الخبز نافعاً من الجوع ولا طعناً فيمن اكل ويقرب من هذا اشتغال سهل رضي الله عنه حيث قيل له ما القوت فقال هو الحي القيوم
فقيل انما سألناك عن القوام فقال القوام هو العلم قيل انما سألناك عن الغذاء قال الغذاء هو الذكر قيل سألناك عن طعمة الجسد قال ما
لك وللجسد دع من تولاه اولاً يتولاه آخراً اذا دخل عليه علة فرده الى صانعه اما رأيت الصنعة اذا عابت ردوها الى صانعها حتى يصلحها
السبب الثالث ان تكون العلة مزمنة والدواء الذي يؤمر به بالاضافة الى علته موهوم النفع جارٍ مجرى الكي والرقية فيتركها
المتوكل واليه يشير قول الربيع بن خثيم اذ قال ذكرت عاداً وثمود وفيهم الاطباء فهلك المداوي والمداوى له اي ان الدواء غير موثوق به
وهذا قد يكون كذلك في نفسه وقد يكون عند المريض كذلك لقلة ممارسته للطب وقلة تجربته له فلا يغلب على ظنه كونه نافعاً
ولا شك في ان الطبيب المجرب اشد اعتقاداً في الادوية من غيره فيكون الثقة والظن بحسب الاعتقاد والاعتقاد بحسب التجربة واكثر
من ترك التداوي من العباد والزهاد هذا مستندهم لانه يبقى الدواء عندهم شيئاً موهوماً لا اصل له وذلك صحيح في بعض الادوية عند
من عرف صناعة الطب غير صحيح في البعض ولكن غير الطبيب قد ينظر الى الكل نظراً واحداً فيرى التداوي تعمقاً في الاسباب كالكي
والرقى فيتركه توكلاً السبب الرابع ان يقصد العبد بترك التداوي استبقاء المرض لينال ثواب المرض بحسن الصبر على بلاء الله تعالى
وليجرب نفسه في القدرة على الصبر وقد ورد في ثواب المرض ما يكثر ذكره فقد قال صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الانبياء اشد الناس بلاء ثم
الامثل فالامثل يبتلى العبد على قدر ايمانه فان كان صلب الايمان شدد عليه البلاء وان كان في ايمانه ضعف خفف عنه البلاء وفي
الخبر ان الله تعالى ليجرب عبده بالبلاء كما يجرب احدكم ذهبه بالنار فمنهم من يخرج كالذهب الابريز ومنهم دون ذلك ومنهم من يخرج اسود
محترقاً وفي حديث من طريق اهل البيت رضي الله عنهم ان الله سبحانه اذا احب عبداً ابتلاه فان صبر اجتباه وان رضي اصطفاه وقال
صلى الله عليه وسلم اتحبون ان تكونوا كالحمر الضالة لا تمرضون ولا تسقمون وقال ابن مسعود تجد المؤمن اصح شيء قلباً وامرضه جسماً
وتجد المنافق اصح شيء جسماً وامرضه قلباً فلما عظم الثناء على المرض والبلاء احب قوم المرض واغتنموه لينالوا ثواب الصبر فكان فيهم
من له علة يخفيها ولا يذكرها للطبيب ويقاسي العلة والمرض ويرضى بحكم الله تعالى ويعلم ان الحق اغلب على قلبه من ان يشغله المرض عنه
وانما يمنع المرض جوارحه وعلموا ان صلاتهم جلوساً مع الصبر على قضاء الله افضل من الصلوة قياماً مع العافية والصحة ففي الخبر ان الله تعالى
يقول للملائكة اكتبوا لعبدي صالح ما كان يعمل في حال صحته فانه في وثاقي ان اطلقته ابدلته لحماً خيراً من لحمه ودماً خيراً من دمه وان توفيته
توفيته الى رحمتي وقد قال صلى الله عليه وسلم افضل الاعمال ما اكرهت عليه النفوس فقيل معناه ما دخل عليها من الامراض والمصائب واليه

اشارة بقوله تعالى عسى ان تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وكان سهل يقول ترك التداوي وان ضعف عن الطاعات وقصر عن الفرائض افضل
من التداوي لاجل الطاعات وكانت به علة عظيمة فلم يكن يتداوى منها وكان يداوي الناس منها وكان اذا رأى العبد يصلي عن قعود
ولا يستطيع اعمال البر من الامراض فيتداوى للقيام بالصلوة والنهوض الى الطاعة تعجب من ذلك ويقول صلوته من قعود مع الرضا بحاله
افضل من التداوي للقوة والصلوة قائماً وسئل عن شرب الدواء فقال كل من دخل في شيء من الدواء فانما هو سعة من الله تعالى لاهل الضعف
ومن لم يدخل في شيء منه فهو افضل لانه ان اخذ شيئاً من الدواء ولو كان هو الماء البارد يسأل عنه لم اخذت ومن لم يأخذ فلا سؤال عليه
وكان مذهبه ومذهب البصريين تضعيف النفس بالجوع وكسر الشهوات لعلمهم بان ذرة من اعمال القلوب مثل الصبر والرضا والتوكل افضل
من امثال الجبال من اعمال الجوارح والمرض لا يمنع من اعمال القلوب الا اذا كان المه غالباً مدهشاً وقال سهل علل الاجسام رحمة
وعلل القلوب عقوبة السبب الخامس ان يكون العبد قد سبق له ذنوب وهو خائف فيها عاجز عن تكفيرها فيرى المرض اذا طال تكفيراً
فيترك التداوي خوفاً من ان يسرع زوال المرض فقد قال صلى الله عليه وسلم لا تزال الحمى والمليلة بالعبد حتى يمشي على الارض كالبردة ما عليه
ذنب وفي الخبر حمى يوم كفارة سنة فقيل لانها تهد قوة سنة وقيل للانسان ثلاثمائة وستون مفصلاً فيدخل الحمى في جميعها ويجد من كل واحد
الماً فيكون كل الم كفارة يوم ولما ذكر صلى الله عليه وسلم كفارة الذنوب بالحمى سأل زيد بن ثابت ربه عز وجل ان لا يزال محموماً فلم تكن
الحمى تفارقه حتى مات رضي الله عنه وسأل ذلك طائفة من الانصار وكانت الحمى لا تزايلهم ولما قال صلى الله عليه وسلم من اذهب
الله تعالى كريمتيه لم يرض له ثواباً دون الجنة قال فلقد كان في الانصار من تمنى العمى وقال عيسى عليه السلم لا يكون عالماً من لم يفرح بدخول
المصائب والامراض على جسده وماله لما يرجو في ذلك من كفارة خطاياه وروي ان موسى نظر الى عبد عظيم البلاء فقال يا رب ارحمه فقال
كيف ارحمه اي به اكفر ذنوبه وازيد في درجاته السبب السادس ان يستشعر العبد من نفسه مبادي البطر والطغيان بطول مدة الصحة
فيترك التداوي خوفاً من ان يعاجله زوال المرض فيعاوده الغفلة والبطر والطغيان وطول الامل والتسويف في تدارك الفائت وتأخير
الخيرات فان الصحة عبارة عن قوة الصفات وبها ينبعث الهوى وتتحرك الشهوات وتدعو الى المعاصي واقلها ان تدعو الى التنعم في المباحات
وهو تضييع الاوقات واهمال الربح العظيم في مخالفة النفس وملازمة الطاعات واذا اراد الله بعبد خيراً لم يخله عن التنبيه بالامراض والمصائب
ولذلك قيل لا يخلو المؤمن من علة او قلة او ذلة وقد روي ان الله سبحانه يقول الفقر سجني والمرض قيدي احبس بهما من احب من خلقي
فاذا كان في المرض حبس عن الطغيان وركوب المعاصي فاي خير يزيد عليه ولم ينبغي ان يشتغل بعلاجه من يخاف ذلك على نفسه فالعافية ترك
المعاصي فقد قال بعض العارفين لانسان كيف كنت بعدي قال في عافية قال ان كنت لم تعص الله تعالى فانت في عافية وان كنت قد عصيته فاي داء
ادوى من المعصية ما عوفي من عصى الله وقال علي رضي الله عنه لما رأى زينة النبط بالعراق في يوم عيد لهم ما هذا الذي اظهروه قالوا يا امير المؤمنين
هذا يوم عيد لهم فقال كل يوم لا يعصى الله تعالى فيه فهو لنا عيد وقال تعالى او عصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون قيل العوافي ان الانسان ليطغى
ان رآه استغنى فكذلك اذا استغنى بالعافية وقال بعضهم انما قال فرعون انا ربكم الاعلى لطول العافية لانه لبث اربعمائة سنة لم يصدع له راس
ولم يحم له جسم ولم يضرب عليه عرق فادعى الربوبية ولو اخذته الشقيقة كل يوم لشغلته عن الفضول فضلاً عن دعوى الربوبية وقد قال صلى الله
عليه وسلم اكثروا من ذكر هادم اللذات وقد قيل الحمى بريد الموت فهو مذكر به ودافع للتسويف وقال تعالى اولا يرون انهم يفتنون في كل
عام مرة او مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون قيل يفتنون بالامراض يختبرون بها ويقال ان العبد اذا مرض مرضين ثم لم يتب قال له ملك
الموت يا غافل جاءك مني رسول بعد رسول فلم تجب وقد كان السلف كذلك يستوحشون اذا خرج عام لم يصابوا فيه بنقص من نفس او مال
وقالوا لا يخلو المؤمن في كل اربعين يوماً ان يروع روعة او يصاب بنكبة حتى روي ان عمار بن ياسر تزوج امراة فلم تكن تمرض فطلقها

وان النبي صلى الله عليه وسلم عرض عليه امرأة فذكر من وصفها حتى هم ان يتزوجها فقيل وانها ما مرضت قط فقال لا حاجة لي بها وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الامراض والاوجاع كالصداع وغيره فقال رجل وما الصداع ما اعرفه فقال صلى الله عليه وسلم اليك عني من اراد ان ينظر الى رجل من اهل النار فلينظر الى هذا وهذا لانه ورد في الخبر ان الحمى حظ المؤمن من نار جهنم وفي حديث انس و عائشة قيل يا رسول الله هل يكون مع الشهداء يوم القيامة غيرهم فقال نعم من ذكر الموت كل يوم عشرين مرة وفي لفظ آخر الذي يذكر ذنوبه فيحزنه ولا شك في ان ذكر الموت على المريض اغلب فلما ان كثرت فوائد المرض رأى جماعة ترك الحيلة في زوالها اذ رأوا لانفسهم مزيدا فيها لا من حيث رأوا التداوي نقصانا وكيف يكون نقصانا وقد فعله صلى الله عليه وسلم بيان الرد على من قال ان ترك التداوي افضل بكل حال فلو قال قائل انما التداوي فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسن لغيره والا فهو حال الضعفاء ودرجة الاقوياء توجب التوكل ترك الدواء فيقال فينبغي ان يكون من شرط التوكل ترك الحجامة والفصد عند تبيغ الدم وان قيل ان ذلك ايضا شرط فليكن من شرطه ان لا يدفع العقرب والحية ولا ينحيهما عن نفسه اذ الدم يلدغ الباطن والعقرب يلدغ الظاهر فاي فرق بينهما فان عد ذلك ايضا يكون شرطا للتوكل فيقال فينبغي ان لا يزيل لدغ العطش بالماء ولدغ الجوع بالخبز ولدغ البرد بالجبة وهذا لا قائل به ولا فرق بين هذه الدرجات فان جميع ذلك اسباب رتبها مسبب الاسباب واجرى بها سنته ويدل على ان ذلك ليس من شرط التوكل ما روي عن عمر رضي الله عنه وعن الصحابة في قصة الطاعون فانهم لما قصدوا الشام وانتهوا الى الجابية بلغهم الخبر ان بها موتا ذريعا ووباء عظيما فافترق الناس فرقتين فقال بعضهم لا ندخل على الوباء فنلقي بايدينا الى التهلكة وقال الطائفة الاخرى بل ندخل ونتوكل ولا نهرب من قدر الله ولا نفر من الموت فنكون كمن قال الله تعالى الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فرجعوا الى عمر رضي الله عنه فسألوه عن رأيه فقال نرجع ولا ندخل على الوباء فقال له المخالفون في رأيه انفر من قدر الله فقال عمر نعم نفر من قدر الله تعالى الى قدر الله تعالى ثم ضرب لهم مثلا وقال ارأيتم لو كان لاحدكم غنم وله شعبتان احدهما مخصبة والاخرى مجدبة اليس ان رعى المخصبة رعاها بقدر الله تعالى وان رعى المجدبة رعاها بقدر الله تعالى فقالوا نعم ثم طلب عبد الرحمن بن عوف ليسأله عن رأيه وكان غائبا فلما اصبحوا جاء عبد الرحمن فسأله عمر عن ذلك فقال عندي فيه يا امير المؤمنين شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر الله اكبر فقال عبد الرحمن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا سمعتم بالوباء في ارض فلا تقدموا عليه واذا وقع في ارض وانتم بها فلا تخرجوا فرارا منه ففرح عمر بذلك وحمد الله تعالى اذ وافق رأيه ورجع بالناس من الجابية فاذن كيف اتفق الصحابة كلهم على ترك التوكل وهو من اعلى المقامات ان كان امثال هذا من شروط التوكل فان قلت فلم نهي من الخروج عن البلد وسبب الوباء في الطب الهواء واظهر طرق التداوي الفرار من المضر والهواء هو المضر فلم لم يرخص فيه فاعلم انه لا خلاف في ان الفرار من المضر غير منهي عنه اذ الحجامة فرار من المضر فترك التوكل في امثال هذا مباح فهذا لا يدل على المقصود ولكن الذي ينقدح فيه والعلم عند الله تعالى ان الهواء لا يضر من حيث يلاقي ظاهر البدن بل من حيث دوام الاستنشاق له فانه اذا كان فيه عفونة ووصل الى الرئة والقلب وباطن الاحشاء اثر فيها بطول الاستنشاق فلا يظهر الوباء على الظاهر الا بعد طول التأثير في الباطن فالخروج من البلد لا يخلص غالبا من الاثر الذي استحكم من قبل ولكنه يتوهم الخلاص فيصير هذا من جنس الموهومات كالرقى والطيرة وغيرهما ولو تجرد هذا المعنى لكان مناقضا للتوكل ولم يكن منهيا عنه ولكن صار منهيا عنه لانه انضاف اليه امر آخر وهو انه لو رخص للاصحاء في الخروج لما بقي في البلد الا المرضى الذين اقعدهم الطاعون وانكسرت قلوبهم وفقدوا المتعهدين ولم يبق في البلد من يسقيهم الماء ويطعمهم الطعام وهم يعجزون عن مباشرتها بانفسهم فيكون ذلك سعيا في اهلاكهم تحقيقا وخلاصهم منتظر كما ان خلاص الاصحاء منتظر فلو اقاموا لم يكن الاقامة قاطعا بالموت ولو خرجوا لم يكن الخروج قاطعا بالخلاص وهو قاطع في اهلاك

اهلاك الباقين والمسلمون كالبنيان يشد بعضه بعضا والمؤمنون كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى الى سائر اعضائه فهذا هو الذي ينقدح عندنا في تعليل النهي وينعكس هذا فيمن لم يقدم بعد على البلد فانه لم يؤثر الهواء في باطنهم ولا باهل البلد حاجة اليهم نعم لو لم يبق في البلد الا مطعونون وافتقروا الى المتعهدين وقدم عليهم قوم نزعا كان ينقدح استحباب الدخول ههنا لاجل الاعانة ولا ينهى عن الدخول لانه تعرض لضرر موهوم على رجاء دفع ضرر عن بقية المسلمين وبهذا اشبه الفرار من الطاعون في بعض الاخبار بالفرار من الزحف لان فيه كسر القلوب ببقية المسلمين وسعيا في اهلاكهم فهذه امور دقيقة فمن لا يلاحظها وينظر الى ظواهر الاخبار والآثار يتناقض عنده اكثر ما يسمعه ومن هنا غلط الزهاد والعباد في مثل هذا اكثر وانما شرف العلم وفضيلته لاجل ذلك فان قلت فهل ترك التداوي افضل كما ذكرتم فلم لم يترك رسول الله صلى الله عليه وسلم التداوي فنقول فيه فضل بالاضافة الى من كثرت ذنوبه ليكفرها او خاف على نفسه طغيان العافية وغلبة الشهوات او احتاج الى ما يذكره الموت لغلبة الغفلة او احتاج الى نيل ثواب الصابرين لقصوره عن مقامات الراضين والمتوكلين او قصرت بصيرته عن الاطلاع على ما اودع الله تعالى في الادوية من لطائف المنافع حتى صار في حقه موهوما كالرقى او كان شغله بحاله يمنعه عن التداوي او كان التداوي يشغله عن حاله لضعفه عن الجمع والى هذه المعاني رجعت الصوارف عن ترك التداوي وكل ذلك كمال بالاضافة الى بعض الخلق ونقصان بالاضافة الى درجة رسول الله صلى الله عليه وسلم بل كان مقامه اعلى من هذه المقامات كلها اذ كان حاله يقتضي ان يكون مشاهدته على وتيرة واحدة عند وجود الاسباب وفقدها فانه لم ينظر في الاحوال الا الى مسبب الاسباب ومن كان هذا مقامه لم يضره الاسباب كما انا ذكرنا ان الرغبة في المال نقص والرغبة عن المال كراهة وان كان كمالا فهو ايضا نقص بالاضافة الى من يستوي عنده وجود المال وعدمها فاستواء الحجر والذهب اكمل من الهرب عن الذهب دون الحجر وكان حاله صلى الله عليه وسلم استواء الحجر والذهب وكان لا يمسكه ليعلم الخلق مقام الزهد فانه منتهى قوتهم لا لخوفه على نفسه من امساكه فانه اعلى رتبة من ان تغره الدنيا وقد عرضت عليه خزائن الدنيا والارض فابى ان يقبلها فلذلك يستوي عنده مباشرة الاسباب وتركها لمثل هذه المشاهدة وانما لم يترك استعمال الدواء جريا على سنة الله تعالى وترخيصا لامته فيما تمس اليه حاجتهم مع انه لا ضرر فيه بخلاف ادخار الاموال فان ذلك يعظم ضرره نعم التداوي لا يضر الا من حيث رؤية الدواء وهذا قد نهي عنه ومن حيث انه قد يقصد به الصحة ليستعان بها على المعاصي وذلك منهي عنه والمؤمن في غالب الامر لا يقصد ذلك واحد من المؤمنين لا يرى الدواء نافعا بنفسه بل من حيث ان جعله الله تعالى سببا للنفع كما لا يرى الماء مرويا ولا الخبز مشبعا فحكم التداوي في مقصوده حكم الكسب فانه ان اكتسب للاستعانة على الطاعة او على المعصية كان له حكمها وان اكتسب للتنعم المباح فله حكمه فقد ظهر بالمعاني التي اوردناها ان ترك التداوي قد يكون افضل في بعض الاحوال والاشخاص وان التداوي قد يكون افضل من بعض وان ذلك يختلف باختلاف الاحوال والاشخاص والنيات وان واحدا من الفعل والترك ليس شرطا في التوكل الا ترك الموهومات كالكي والرقى فان ذلك تعمق في التدبيرات لا يليق بالمتوكلين بيان حكم التوكل في اظهار المرض وكتمانه اعلم ان كتمان المرض واخفاء الفقر وانواع البلاء من كنوز البر وهو من اعلى المقامات لان الرضا بحكم الله والصبر على بلائه معاملة بين العبد وبين الله تعالى فكتمانه اسلم عن الآفات ومع هذا فالاظهار لا بأس به اذا صحت فيه النية والقصد ومقاصد الاظهار ثلاث الاول ان يكون غرضه التداوي فيحتاج الى ذكره للطبيب فيذكره لا في معرض الشكاية بل في معرض الحكاية لما ظهر عليه من قدرة الله تعالى فقد كان بشر يصف لعبد الرحمن بن المتطبب اوجاعه وكان احمد بن حنبل يخبر بامراض يجدها ويقول انما اصف قدرة الله تعالى في والثاني ان يصف لغير الطبيب وكان ممن يقتدى به وكان مكينا في المعرفة فاراد من ذكره ان يتعلم منه حسن الصبر في المرض بل حسن الشكر بان يظهر

انه يرى المرض نعمة يشكر عليها فيتحدث به كما يتحدث بالنعم وقال الحسن البصري اذا حمد المريض الله تعالى وشكره ثم
ذكر اوجاعه لم يكن ذلك شكوى الثالث ان يظهر بذلك عجزه وافتقاره الى الله تعالى وذلك يحسن ممن يليق به القوة

والشجاعة ويستبعد عنه
العجز كما روي انه قيل لعلي
كرم الله وجهه في مرضه
كيف انت قال بشر فنظر
بعضهم الى بعض كانهم كرهوا
ذلك وظنوا انه شكاية فقال
اتجلد على الله فاحب ان اظهر
عجزه وافتقاره مع ما علم به من
القوة والصرامة وبا دب
فيه ادب النبي صلى الله عليه
وسلم اياه حيث مرض فسمعه
رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو يقول اللهم
صبرني على البلاء فقال
لقد سألت الله تعالى
البلاء فسل العافية فهذه
النيات يرخص في ذكر المرض
وانما شرط ذلك لان ذكره
شكاية والشكوى من الله حرام
كما ذكرناه في تحريم السوال
على الفقير الا بضرورة ويصير
الاظهار شكاية بقرينة التسخط
واظهار الكراهة لفعل الله تعالى
فان خلا عن قرينة التسخط
عن النيات التي ذكرناها فلا

يوصف بالتحريم ولكن يحكم فيه بان الاولى تركه لانه ربما يوهم الشكاية ولانه ربما يكون فيه تصنع ومزيد في الوصف على الموجود
في العلة ومن ترك التداوي توكلا فلا وجه في حقه الا ظهار لان الاستراحة الى الدواء احسن من الاستراحة الى الافشاء

الى الافشاء وقد قال بعضهم من بث فلم يصبر وقيل في معنى قوله تعالى فصبر جميل لا شكوى فيه وقيل
ليعقوب صلى الله عليه ما الذي اذهب بصرك قال مر الزمان وطول الاحزان فاوحى الله تعالى اليه تفرغت

لشكواي الى عبادي
فقال يا رب اتوب اليك
وروي عن طاوس و
مجاهد انهما قالا يكتب
على المريض انينه في
مرضه وكانوا يكرهون
انين المريض لانه اظهار
معنى يقتضي الشكوى حتى
قيل ما اصاب ابليس
من ايوب عليه السلام الا
انينه في مرضه فجعل الانين
حظه منه وفي الخبر اذا
مرض العبد اوحى الله تعالى
الى الملكين انظرا ما يقول
لعواده فان حمد الله
واثنى عليه بخير دعوا له
وان شكى وذكر شرا
قالا كذلك يكون وانما كره بعض
بعض العباد العيادة خشية
الشكاية وخوف الزيادة في
الكلام فكان بعضهم اذا مرض
اغلق بابه فلم يدخل عليه احد حتى
يبرأ فيخرج اليهم منهم فضيل ووهيب
وبشر وكان يقول فضيل اشتهي
ان امرض بلا عواد وقال لا اكره

العلة الا لاجل العواد ه ه تم الكتاب بعون الله الملك الكريم الوهاب والصلوة والسلام على سيد اولي الالباب
محمد رسول الله والآل والاصحاب وسلم تسليما كثيرا دائما ابدا والحمد لله اولا واخرا ظاهرا وباطنا

كتاب الشوق والمحبة والانس والرضا وهو الكتاب السادس من المنجيات

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذي نزه قلوب اوليائه عن الالتفات الى متاع الدنيا ونضرتها وصفى اسرارهم عن ملاحظة غير حضرته
ثم استخلصها للعكوف على بساط عزته ثم تجلى لها باسمائه وصفاته حتى اشرقت بانوار معرفته ثم كشف لها عن سبحات وجهه
حتى احترقت بنار محبته ثم احتجب عنها بكنه جلاله حتى تاهت في بيداء كبريائه وعظمته فكلما اهتزت لملاحظة كنه الجلال غشيها من
الدهش ما عمر في وجه العقل وبصيرته وكلما همت بالانصراف آيسة نوديت بالانصات من سرادقات الجمال صبرا ايها الآيس عن نيل
الحق بجهله وعجلته فبقيت بين الرد والقبول والصد والوصول غرقى في بحر معرفته ومحترقة بنار محبته والصلوة على محمد خاتم الانبياء
بكمال نبوته وعلى آله واصحابه سادة الخلق وائمته وقادة الحق وازمته اما بعد فان المحبة لله تعالى هي الغاية القصوى
من المقامات والذروة العليا من الدرجات فما بعد ادراك المحبة مقام الا وهو ثمرة من ثمراتها وتابع من توابعها كالشوق والانس
والرضا واخواتها ولا قبل المحبة مقام الا وهو مقدمة من مقدماتها كالتوبة والصبر والزهد وغيرها وسائر المقامات وان عز
وجودها فلم تخل القلوب عن الايمان بامكانها واما محبة الله تعالى فقد عز الايمان بها حتى انكر بعض العلماء امكانها وقال لا معنى لها
الا المواظبة على طاعة الله تعالى واما حقيقة المحبة فمحال الا مع الجنس والمثل ولما انكروا المحبة انكروا الانس والشوق ولذة
المناجات وسائر لوازم الحب وتوابعه ولا بد من كشف الغطاء عن هذا الامر ونحن نذكر في هذا الكتاب بيان شواهد الشرع في
المحبة ثم بيان حقيقتها واسبابها ثم بيان انه لا مستحق للمحبة الا الله تعالى ثم بيان ان اعظم اللذات لذة النظر الى وجه الله تعالى ثم بيان
سبب زيادة لذة النظر في الاخرة على المعرفة في الدنيا ثم بيان الاسباب المقوية لحب الله تعالى ثم بيان السبب في تفاوت الناس في
الحب ثم بيان السبب في قصور الافهام عن معرفة الله تعالى ثم بيان معنى الشوق ثم بيان محبة الله للعبد ثم القول في علامات محبة العبد لله
ثم بيان معنى الانس بالله ثم بيان معنى الانبساط في الانس ثم القول في معنى الرضا وبيان فضيلته ثم بيان حقيقة الرضا ثم بيان ان الدعاء وكراهة
المعاصي لا يناقضه وكذا الفرار من المعاصي ثم بيان حكايات وكلمات المحبين متفرقة

بيان شواهد الشرع في حب العبد لله تعالى

اعلم ان الامة مجمعة على ان الحب لله ولرسوله فرض وكيف يفرض ما لا وجود له وكيف يفسر الحب بالطاعة والطاعة تبع الحب وثمرته
فلا بد ان يتقدم الحب ثم بعد ذلك يطيع من احب ويدل على اثبات الحب لله قوله تعالى يحبهم ويحبونه وقوله تعالى والذين آمنوا اشد
حبا لله وهو دليل على اثبات الحب لله واثبات التفاوت فيه وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحب لله من شرط الايمان في اخبار كثيرة اذ قال
ابو رزين العقيلي يا رسول الله ما الايمان قال ان يكون الله ورسوله احب اليك مما سواهما وفي حديث آخر لا يؤمن العبد حتى يكون الله
ورسوله احب اليه مما سواهما وفي حديث آخر لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من اهله وماله والناس اجمعين وفي رواية ومن نفسه كيف وقد

قال الله تعالى قل ان كان آباؤكم وابناؤكم الى قوله احب اليكم من الله ورسوله الآية فانما اجرى ذلك في معرض التهديد والانكار وقد
امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمحبة فقال احبوا الله لما يغذوكم به من نعمه واحبوني لحب الله ويروى ان رجلا قال يا رسول الله اني احبك
فقال استعد للفقر فقال اني احب الله فقال استعد للبلاء وفي الخبر المشهور ان ابرهيم صلى الله عليه وسلم قال لملك الموت اذ جاءه لقبض روحه
هل رايت خليلا يميت خليله فاوحى الله تعالى اليه هل رايت محبا يكره لقاء حبيبه فقال يا ملك الموت الآن فاقبض وهذا لا يجده الا عبد
يحب الله بكل قلبه فاذا علم ان الموت سبب اللقاء انزعج قلبه اليه ولم يكن له محبوب غيره حتى يلتفت اليه وقد قال نبينا صلى الله عليه وسلم
في دعائه اللهم ارزقني حبك وحب من احبك وحب ما يقربني الى حبك واجعل حبك احب الي من الماء البارد وجاء اعرابي الى النبي صلى
الله عليه وسلم فقال يا رسول الله متى الساعة فقال ما اعددت لها فقال ما اعددت لها كثير صلوة ولا صيام الا اني احب الله ورسوله فقال
له رسول الله المرء مع من احب قال انس فما رايت المسلمين فرحوا بشيء بعد الاسلام فرحهم بذلك وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه من ذاق
من خالص محبة الله عز وجل شغله ذلك عن طلب الدنيا واوحشه عن جميع البشر وقال الحسن من عرف ربه احبه ومن عرف الدنيا زهد
فيها والمؤمن لا يلهو حتى يغفل فاذا تفكر حزن وقال ابو سليمان الداراني ان من خلق الله خلقا لا يشغلهم الجنان وما فيها من النعيم عنه فكيف
يشتغلون عنه بالدنيا ويروى ان عيسى صلوات الله عليه مر بثلثة نفر قد نحلت ابدانهم وتغيرت الوانهم فقال لهم ما الذي بلغ بكم ما ارى فقالوا
الخوف من النار فقال حق على الله ان يؤمن الخائف ثم جاوزهم الى ثلثة آخرين فاذا هم اشد نحولا وتغيرا فقال لهم ما الذي بلغ بكم ما ارى قالوا الشوق
الى الجنة قال حق على الله ان يعطيكم ما ترجون ثم جاوزهم الى ثلثة آخرين فاذا هم اشد نحولا وتغيرا كان على وجوههم المرائي من النور فقال ما
الذي بلغ بكم ما ارى قالوا نحب الله عز وجل فقال انتم المقربون وقال عبد الواحد بن زيد مررت برجل قائم في الثلج فقلت له اما تجد البرد فقال
من شغله حب الله لم يجد البرد وقال يحيى بن معاذ الهي اني مقيم بفنائك مشغول بثنائك صغيرا اخذتني اليك وسربلتني بمعرفتك
وشوقتني بمعرفتك وامكنتني من لطفك ونقلتني في الاحوال وقلبتني في الاعمال سترا وتوبة وزهدا وشوقا ورضا وحبا تسقيني من حياضك
وتهملني في رياضك ملازما لامرك ومشغوفا بقولك ولما طر شاربي ولاح طائري فكيف انصرف عنك اليوم كبيرا وقد اعتدت هذا منك
صغيرا فلي ما بقيت حولك دندنة وبالضراعة اليك همهمة لاني احبك وكل محب بحبيبه مشغوف وعن غير حبيبه مصروف وقد ورد
في حب الله تعالى من الاخبار والآثار ما لا يدخل في حصر الحاصر وذلك امر ظاهر وانما الغموض في تحقيق معناه فلنشتغل به

بيان حقيقة المحبة واسبابها وتحقيق معنى محبة العبد لله تعالى اعلم ان المطلوب من هذا الفصل
لا ينكشف الا بمعرفة حقيقة المحبة في نفسها ثم معرفة شروطها واسبابها ثم النظر بعد ذلك في تحقيق معناها في حق الله تعالى فاول ما
ينبغي ان يتحقق انه لا يتصور محبة الا بعد معرفة وادراك اذ لا يحب الانسان الا ما يعرفه ولذلك لم يتصور ان يتصف بالحب جماد بل هو من خاصية
الحي المدرك ثم المدركات في انقسامها تنقسم الى ما يوافق طبع المدرك ويلائمه ويلذه والى ما ينافيه وينافره ويؤلمه والى ما لا يتأثر
فيه بايلام والتذاذ فكل ما في ادراكه لذة وراحة فهو محبوب عند المدرك وما في ادراكه الم فهو مبغوض عند المدرك وما يخلو
عن استعقاب الم ولذة فلا يوصف بكونه محبوبا ولا مكروها فاذا كل لذيذ محبوب عند الملتذ به ومعنى كونه محبوبا ان في الطبع ميلا
اليه ومعنى كونه مبغوضا ان في الطبع نفرة عنه فالحب عبارة عن ميل الطبع الى الشيء الملذ فان تأكد ذلك الميل وقوي سمي عشقا والبغض
عبارة عن نفرة الطبع عن المؤلم المتعب فاذا قوي سمي مقتا فهذا اصل في حقيقة معنى الحب لا بد من معرفته الاصل الثاني ان الحب
لما كان تابعا للادراك والمعرفة انقسم لا محالة بحسب انقسام المدركات والحواس فلكل حاسة ادراك لنوع من المدركات ولكل واحد منها
لذة في بعض المدركات ولكل واحد منها لذة في بعض المدركات وللطبع بسبب تلك اللذة ميل اليها فكانت محبوبات عند الطبع السليم فلذة

في الأبصار وإدراك المبصرات الجميلة والصور المليحة الحسنة ولذة الأذن في النغمات الطيبة الموزونة ولذة الشم في الروائح
الطيبة ولذة الذوق في الطعوم ولذة اللمس في اللين والنعومة ولما كانت هذه المدركات بالحواس ملذة كانت محبوبة أي كان للطبع السليم
ميل إليها حتى قال صلى الله عليه وسلم حبب إلي من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرة عيني في الصلاة فسمى الطيب محبوبا ومعلوم أنه لا حظ للعين
والسمع فيه بل للشم فقط وسمى النساء محبوبات ولا حظ فيهن إلا للبصر واللمس دون الشم والذوق والسمع وسمى الصلاة قرة عين وجعلها
أبلغ المحبوبات ومعلوم أنه ليس تحظى بها الحواس الخمس بل حس سادس مظنته القلب لا يدركه إلا من كان له قلب ولذات الحواس الخمسة
يشاركه فيها البهائم الإنسان فإن كان الحب مقصورا على مدركات الحواس الخمس حتى يقال إن الله تعالى لا يدرك بالحواس ولا يتمثل في الخيال
فلا يحب فإذن قد بطلت خاصية الإنسان وما تميز به من الحس السادس الذي يعبر عنه إما بالعقل أو بالنور أو بالقلب أو بما شئت من
العبارات فلا مشاحة فيها وهيهات فالبصيرة الباطنة أقوى من البصر الظاهر والقلب أشد إدراكا من العين وجمال المعاني المدركة بالعقل
أعظم من جمال الصور الظاهرة للأبصار فتكون لا محالة لذة القلوب بما تدركه من الأمور الشريفة الإلهية التي تجل عن أن تدركها الحواس
أتم وأبلغ فيكون ميل الطبع السليم والعقل الصحيح إليه أقوى ولا معنى للحب إلا الميل إلى ما في إدراكه لذة كما سيأتي تفصيله فلا ينكر
إذن حب الله تعالى إلا من قعد به القصور في درجة البهائم فلم يجاوز إدراك الحواس أصلا ٥ الأصل الثاني أن الإنسان لا يخفى أنه
يحب نفسه ولا يخفى أنه قد يحب غيره لأجل نفسه وهل يتصور أن يحب غيره لذاته لا لأجل نفسه هذا مما قد يشكل على الضعفاء حتى يظنون أنه لا يتصور
أن يحب الإنسان غيره لذاته ما لم يرجع منه حظ إلى المحب سوى إدراك ذاته والحق أن ذلك متصور وموجود فلنبين أقسام المحبة وأسبابها
إن شاء الله وبيانه أن المحبوب الأول عند كل حي ذاته ومعنى حبه لنفسه أن في طبعه ميلا إلى دوام وجوده ونفرة عن عدمه وهلاكه لأن
المحبوب بالطبع هو الملائم للمحب وأي شيء أتم ملاءمة من نفسه ودوام وجوده وأي شيء أعظم مضادة ومنافرة له من عدمه وهلاكه فلذلك
يحب الإنسان دوام الوجود ويكره الموت والقتل لا لمجرد ما يخافه بعد الموت ولا لمجرد الحذر من سكرات الموت بل لو اختطف
من غير ألم وأميت من غير ثواب وعقاب لم يرض به وكان كارها لذلك ولا يحب الموت والعدم المحض إلا لمقاساة ألم في الحياة
ومهما كان مبتلى ببلاء فمحبوبه زوال البلاء فإن أحب العدم لم يحبه لأنه عدم بل لأن فيه زوال البلاء فالهلاك والعدم ممقوت ودوام
الوجود محبوب وكما أن دوام الوجود محبوب فكمال الوجود أيضا محبوب لأن الناقص فاقد للكمال والنقص عدم بالإضافة إلى القدر
المفقود وهو هلاك بالنسبة إليه والهلاك والعدم ممقوت في الصفات وكمال الوجود كما أنه ممقوت في أصل الذات ووجود صفات
الكمال محبوب كما أن دوام أصل الوجود محبوب وهذه غريزة في الطباع بحكم سنة الله تعالى ولن تجد لسنة الله تبديلا فإذن المحبوب
الأول للإنسان ذاته ثم سلامة أعضائه ثم ماله وولده وعشيرته وأصدقاؤه فالأعضاء محبوبة وسلامتها مطلوبة
لأن كمال الوجود ودوام الوجود موقوف عليها والمال محبوب لأنه أيضا آلة في دوام الوجود وكماله وكذا سائر الأسباب
فالإنسان يحب هذه الأشياء لا لأعيانها بل لارتباط حظه في دوام الوجود وكماله بها حتى إنه ليحب ولده وإن كان لا ينال منه
حظا بل يتحمل المشاق لأجله لأنه يخلفه في الوجود بعد عدمه فيكون في بقاء نسله نوع بقاء له فلفرط حبه لبقاء نفسه يحب بقاء
من هو قائم مقامه وكأنه جزء منه لما عجز عن أن يطمع في بقاء نفسه أبدا نعم لو خير بين قتله وقتل ولده وكان طبعه باقيا على
اعتداله آثر بقاء نفسه على بقاء ولده لأن بقاء ولده يشبه بقاءه من وجه وليس هو بقاءه المحقق وكذلك حبه لأقاربه وعشيرته
يرجع إلى حبه لكمال نفسه فإنه يرى نفسه كثيرا بهم قويا بسببهم متجملا بكمالهم فإن العشيرة والمال والأسباب الخارجة
كالجناح المكمل للإنسان وكمال الوجود ودوامه محبوب بالطبع لا محالة فإذن المحبوب الأول عند كل حي ذاته وكمال

ذاته ودوام ذلك كله والمكروه عنده ضد ذلك فهذا هو أول الأسباب السبب الثاني الإحسان فإن الإنسان عبد الإحسان
وقد جبلت الإنسان على حب من أحسن إليه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل لفاجر علي يدا فيحبه قلبي إشارة
إلى أن حب القلب للمحسن اضطرار لا يستطاع دفعه وهو جبلة وفطرة لا سبيل إلى تغييرها وبهذا السبب يحب الإنسان الأجنبي
الذي لا قرابة بينه وبينه ولا علاقة وهذا إذا حقق رجع إلى السبب الأول فإن المحسن من أمد بالمال والمعونة وسائر الأسباب
الموصلة إلى دوام الوجود وكمال الوجود وحصول الحظوظ التي بها يتهيأ الوجود إلا أن الفرق بينهما أن أعضاء الإنسان محبوبة لأنه
بها كمال وجوده وهي عين الكمال المطلوب فأما المحسن فليس هو عين الكمال المطلوب ولكن قد يكون سببا له كالطبيب الذي يكون
سببا في دوام صحة الأعضاء ففرق بين حب الصحة وبين حب الطبيب الذي هو سبب الصحة إذ الصحة مطلوبة لذاتها والطبيب
محبوب لا لذاته بل لأنه سبب للصحة وكذلك العلم محبوب والأستاذ محبوب لكونه سبب العلم المحبوب وكذلك الطعام والشراب
محبوب والدنانير محبوبة لكن الطعام محبوب لذاته والدنانير محبوبة لا لذاتها بل لأنها وسيلة إلى الطعام فإذن يرجع الفرق إلى
تفاوت الرتبة وإلا فكل واحد يرجع إلى محبة الإنسان نفسه فكل من أحب المحسن لإحسانه فما أحب ذاته تحقيقا بل أحب إحسانه
وهو فعل من أفعاله لو زال لزال الحب مع بقاء ذاته ولو نقص نقص الحب ولو زاد زاد ويتطرق إليه الزيادة والنقصان بحسب
زيادة الإحسان ونقصانه ٥ السبب الثالث أن يحب الشيء لذاته لا لحظ ينال منه وراء ذاته بل يكون ذاته عين حظه
وهذا هو الحب الحقيقي البالغ الذي يوثق بدوامه وذلك كحب الجمال والحسن فإن كل ذلك فهو محبوب عند مدرك الجمال فيه عين اللذة
واللذة محبوبة لذاتها لا لغيرها ولا تظنن أن حب الصور الجميلة لا يتصور إلا لأجل قضاء الشهوة فإن قضاء الشهوة لذة أخرى
قد تحب الصور الجميلة لأجلها وإدراك نفس الجمال أيضا لذيذ فيجوز أن يكون محبوبا لذاته وكيف ينكر ذلك والخضرة والماء الجاري
محبوبة لا ليشرب الماء أو يؤكل الخضرة أو ينال منها حظ سوى نفس الرؤية وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه الخضرة
والماء الجاري والطباع السليمة قاضية باستلذاذ النظر إلى الأنوار والأزهار والأطيار المليحة الألوان الحسنة النقش المتناسبة
الشكل حتى إن الإنسان لتنفرج عنه الغموم بالنظر إليها لا لطلب حظ وراء النظر فهذه الأسباب ملذة وكل لذيذ محبوب وكل حسن
وجمال فلا يخلو إدراكه عن لذة فلا أحد ينكر كون الجمال محبوبا بالطبع فإن ثبت أن الله جميل كان لا محالة محبوبا عند من انكشف
له جماله وجلاله كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله جميل يحب الجمال ٥ الأصل الرابع في بيان معنى
الحسن والجمال اعلم أن المحبوس في مضيق الخيالات والمحسوسات ربما يظن أنه لا معنى للحسن والجمال إلا تناسب الخلقة والشكل
وحسن اللون وكون البياض مشربا بالحمرة وامتداد القامة إلى غير ذلك مما يوصف من جمال شخص الإنسان فإن الحسن الأغلب
على الخلق حسن الإبصار وأكثر التفاتهم إلى صور الأشخاص فيظن أن ما ليس مبصرا ولا متخيلا ولا متشكلا ولا متلونا مقدرا فلا يتصور
حسنه لم يكن في إدراكه لذة فلم يكن محبوبا وهذا خطأ ظاهر فإن الحسن ليس مقصورا على مدركات البصر ولا على تناسب الخلقة وامتزاج
البياض بالحمرة فإنا نقول هذا خط حسن وهذا صوت حسن وهذا فرس حسن بل نقول هذا ثوب حسن وأي معنى لحسن الصوت والخط
وسائر الأشياء إن لم يكن الحسن إلا في الصورة إن العين تستلذ استماع النغمات الحسنة الطيبة وما من شيء من المدركات إلا وهي
منقسمة إلى حسن وقبيح فما معنى الحسن الذي تشترك فيه هذه الأشياء فلا بد من البحث عنه وهذا البحث يطول ولا يليق بعلم المعاملة
الإطناب فيه فنصرح بالحق ونقول كل شيء فجماله وحسنه في أن يحضر كماله الممكن اللائق به فإذا كانت جميع كمالاته الممكنة حاضرة
فهو في غاية الجمال وإن كان الحاضر بعضها فله من الحسن والجمال بقدر ما حضر فالفرس الحسن هو الذي جمع كل ما يليق بالفرس من هيئة

وتشكل ولون وحسن عدو وتيسر كر وفر عليه والخط الحسن ما جمع كل ما يليق بالخط من تناسب الحروف وتوازيها واستقامة ترتيبها
وحسن انتظامها ولكل شيء كمال يليق به وقد يليق بغيره ضده فحسن كل شيء في كماله الذي يليق به فلا يحسن الانسان بما يحسن به
الفرس ولا يحسن الخط بما يحسن به الصوت ولا تحسن الاواني بما تحسن به الثياب وكذلك سائر الاشياء فان قلت فهذه الاشياء
وان لم يدرك جميعها بحس البصر مثل الاصوات والطعوم فانها لا تنفك عن ادراك الحواس لها فهي محسوسات وليس ينكر الحسن
والجمال للمحسوسات ولا ينكر حصول اللذة بادراك حسنها وانما ينكر ذلك في غير المدرك بالحواس فاعلم ان الحسن والجمال موجود
في غير المحسوسات اذ يقال هذا خلق حسن وهذا علم حسن وهذه سيرة حسنة وهذه اخلاق جميلة وانما الاخلاق الجميلة يراد بها
العلم والعقل والعفة والسخاء والكرم والشجاعة والتقوى والمروة وسائر خلال الخير وشيء من هذه الصفات لا يدرك بالحواس الخمسة
بل يدرك بنور البصيرة الباطنة وكل هذه الخصال الجميلة محبوبة والموصوف بها محبوب بالطبع عند من عرف صفاته وآية ان
الامر كذلك ان الطباع مجبولة على حب الانبياء وعلى حب الصحابة مع انهم لم يشاهدوا بل على حب ارباب المذاهب مثل الشافعي
وابي حنيفة ومالك وغيرهم حتى ان الرجل قد يجاوز به حبه لصاحب مذهبه حد العشق فيحمله ذلك على ان ينفق جميع امواله في
نصرة مذهبه والذب عنه ويخاطر بروحه في قتال من يطعن في امامه ومتبوعه وكم من دم اريق في نصرة ارباب المذاهب وليت شعري
من يحب الشافعي فلم يحبه ولم يشاهد صورته قط ولو شاهده ربما لم يستحسن صورته فاستحسانه الذي حمله على صورة الحب هي
لسيرته الباطنة لا لصورته الظاهرة فان صورته الظاهرة قد انقلبت ترابا وانما يحبه لصفاته الباطنة من الدين والتقوى والعلم
والاحاطة بمدارك الدين وانتهاضه لافاضة علم الشرع ولنشره هذه الخيرات في العالم وهذه امور جميلة لا يدرك جمالها الا بنور
البصيرة فاما الحواس فقاصرة عنها وكذلك من يحب ابا بكر الصديق رضي الله عنه ويفضله على غيره او يحب عليا رضي الله عنه ويفضله
ويتعصب له فلا يحبهم الا لاستحسان صورتهم الباطنة من العلم والدين والتقوى والشجاعة والكرم وغيره فمعلوم ان من يحب الصديق
مثلا ليس يحب لحمه وعظمه وجلده واطرافه وشكله اذ كل ذلك لو زال وتبدل وانعدم ولكن بقي ما كان الصديق به صديقا وهي الصفات
المحمودة التي هي مصادر السير الجميلة لكان الحب باقيا ببقاء تلك الصفات مع زوال جميع الصور وتلك الصفات ترجع جملتها الى العلم
والقدرة اذ علم حقائق الامور وقدر على حمل نفسه عليها بقهر شهواته فجميع خلال الخير يتشعب عن هذين الوصفين وهما غير مدركين بالحس
ومحلهما من جملة البدن جزء لا يتجزى فهو المحبوب بالحقيقة وليس للجزء الذي لا يتجزى صورة وشكل ولون يظهر للبصر حتى يكون محبوبا
لاجله فاذن الجمال موجود في السيرة ولو صدرت السيرة الجميلة من غير علم وبصيرة لم يوجب ذلك حبا فالمحبوب مصدر السيرة الجميلة
وهي الاخلاق الحميدة والفضائل الشريفة ويرجع جملتها الى كمال العلم والقدرة وهو محبوب بالطبع وغير مدرك بالحواس حتى ان الصبي
المخلى وطبعه اذا اردنا ان نحببه اليه غائبا او حاضرا حيا او ميتا لم يكن لنا سبيل الا بالاطناب في وصفه بالشجاعة والكرم
والعلم وسائر الخصال الحميدة فمهما اعتقد ذلك لم يتمالك في نفسه ولم يقدر ان لا يحبه فهل غلب حب الصحابة وبغض ابي جهل وبغض
ابليس لعنه الله الا بالاطناب في وصف المحاسن والمقابح التي لا تدرك بالحواس بل لما وصف الناس حاتما بالسخاوة ووصفوا خالدا
بالشجاعة احبتهم القلوب حبا ضروريا وليس ذلك عن نظر الى صورة محسوسة ولا عن حظ يناله المحب منهم بل اذا حكي من سيرة بعض الملوك في
بعض اقطار الارض العدل والاحسان وافاضة الخير غلب حبه على القلوب مع الياس من انتشار احسانه الى المحبين لبعد المزار وتنائي الديار
فاذن ليس حب الانسان مقصورا على من احسن اليه بل المحسن في نفسه محبوب وان كان لا ينتهي قط احسانه الى المحب لان كل
جمال وحسن فهو محبوب والصورة ظاهرة وباطنة والحسن والجمال يشملهما ويدرك الصور الظاهرة بالبصر الظاهر والصور الباطنة

الباطنة بالبصيرة الباطنة فمن حرم البصيرة الباطنة لا يدركها ولا يلتذ بها ولا يحبها ولا يميل اليها ومن كانت البصيرة الباطنة
اغلب عليه من الحواس الظاهرة كان حبه للمعاني الباطنة اكثر من حبه للمعاني الظاهرة فشتان بين من يحب نقشا مصورا
على الحائط لجمال صورته الظاهرة وبين من يحب نبيا من الانبياء لجمال صورته الباطنة ۞ السبب الخامس
المناسبة الخفية بين المحب والمحبوب اذ رب شخصين تتاكد المحبة بينهما لا بسبب جمال وحظ ولكن بمجرد تناسب الارواح
كما قال صلى الله عليه وسلم الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وقد وصفنا ذلك في كتاب آداب الصحبة عند ذكر
الحب في الله فليطلب منه لانه ايضا من عجائب اسباب الحب فاذن رجع اقسام الحب الى خمسة اسباب وهو حب الانسان وجود
نفسه وكماله وبقائه وحبه من احسن اليه فيما يرجع الى دوام وجوده ويعين على بقائه ودفع المهلكات عنه وحبه من كان
محسنا في نفسه الى الناس وان لم يكن محسنا اليه وحبه لمن بينه وبينه مناسبة خفية في الباطن فلو اجتمعت هذه الاسباب
في شخص واحد تضاعف الحب لا محالة كما لو كان للانسان ولد جميل الصورة حسن الخلق كامل العلم حسن التدبير محسنا الى الخلق
ومحسنا الى الوالد كان محبوبا لا محالة غاية الحب ويكون قوة الحب بعد اجتماع هذه الخصال بحسب قوة هذه الخلال في نفسها
فان كانت هذه الصفات في اقصى درجات الكمال كان الحب لا محالة في اعلى الدرجات فلنبين الآن ان هذه الاسباب كلها لا يتصور
كمالها واجتماعها الا في حق الله تعالى فلا يستحق المحبة الا الله تعالى ۞ بيان ان المستحق للمحبة هو الله تعالى وحده وان من احب
غير الله لا من حيث نسبته الى الله فذلك لجهله وقصوره في معرفة الله تعالى وان حب الرسول محمود لانه عين حب الله وكذا
حب العلماء والاتقياء لان محبوب المحبوب محبوب ورسول المحبوب محبوب ومحب المحبوب محبوب وكل ذلك يرجع الى حب الاصل
فلا يجاوزه الى غيره فلا محبوب بالحقيقة عند ذوي البصائر الا الله تعالى ولا مستحق للمحبة سواه وايضاحه بان نرجع الى الاسباب
الخمسة التي ذكرناها ونبين انها مجتمعة في حق الله تعالى بجملتها ولا توجد في غيره الا آحادها وانها حقيقة في حق الله تعالى ووجودها
في حق غيره وهم وتخيل وهو مجاز محض لا حقيقة له ومهما ثبت ذلك انكشف لكل ذي بصيرة ضد ما تخيله ضعفاء العقول من استحالة
حب الله تعالى تحقيقا وبان ان التحقيق ان لا يحب احد غير الله تعالى ۞ فاما السبب الاول وهو حب الانسان نفسه وبقاءه وكماله
ودوام وجوده وبغضه لهلاكه وعدمه ونقصانه وقواطع كماله فهو جبلة كل حي ولا يتصور ان ينفك عنه وهذا يقتضي غاية المحبة
لله تعالى فان من عرف نفسه وعرف ربه عرف قطعا انه لا وجود له من ذاته وانما وجود ذاته ودوام وجوده وكمال وجوده من الله وبالله
والى الله فهو المخترع الموجد له وهو المبقي له وهو المكمل لوجوده بخلق صفات الكمال وخلق الاسباب الموصلة اليه وخلق الهداية الى
استعمال الاسباب والا فالعبد من حيث ذاته لا وجود له من ذاته بل هو محو محض وعدم صرف لولا فضل الله تعالى عليه بالايجاد وهو هالك
عقيب وجوده لولا فضل الله عليه بالابقاء وهو ناقص بعد الوجود لولا فضل الله عليه بالتكميل لخلقته وبالجملة فليس في الوجود شيء له
بنفسه قوام الا القيوم الحي الذي هو قائم بذاته وكل ما سواه قائم به فان احب العارف ذاته ووجود ذاته مستفاد من غيره فبالضرورة
يحب المفيد لوجوده والمديم له ان عرفه خالقا موجدا ومخترعا ومبقيا وقيوما بنفسه ومقوما لغيره فان كان لا يحبه فهو جاهل
بنفسه وبربه والمحبة ثمرة المعرفة تنعدم بانعدامها وتضعف بضعفها وتقوى بقوتها ولذلك قال الحسن البصري رحمه الله من عرف
ربه احبه ومن عرف الدنيا زهد فيها وكيف يتصور ان يحب الانسان نفسه ولا يحب ربه الذي به قوام نفسه ومعلوم ان المبتلى بحر الشمس
لما كان يحب الظل فيحب بالضرورة الاشجار التي بها قوام الظل وكل ما في الوجود بالاضافة الى قدرة الله تعالى فهو كالظل بالاضافة
الى الشجر والنور الى الشمس فان الكل من آثار قدرته ووجود الكل تابع لوجوده كما ان وجود النور تابع للشمس ووجود الظل تابع للشخص

بل هذا المثال صحيح بالاضافة الى اوهام العوام اذ تخيلوا ان النور اثر الشمس وفائض منها وموجود بها وهو خطأ محض اذ انكشف
لارباب القلوب انكشافا اظهر من مشاهدة الابصار ان النور حاصل من قدرة الله تعالى اختراعا عند وقوع المقابلة بين الشمس
وبين الاجسام الكثيفة كما ان نور الشمس عينها وشكلها وصورتها ايضا حاصل من قدرة الله تعالى ولكن الغرض من الامثلة التفهيم
فلا تطلب فيها الحقائق فاذن ان كان حب الانسان نفسه ضروريا فحبه لمن به قوامه اولا ودوامه ثانيا في اصله وصفاته وظاهره
وباطنه وجواهره واعراضه ايضا ضروري ان عرف ذلك كذلك ومن خلا عن هذا الحب فلانه اشتغل بنفسه وشهواته وذهل عن ربه
وخالقه فلم يعرفه حق معرفته وقصر نظره على شهواته ومحسوساته وهو عالم الشهادة التي يشاركه البهائم في التنعم بها والاتساع
فيها دون عالم الملكوت الذي لا يطأ ارضها الا من يقترب الى شبه من الملائكة فيقصر عنه بقدر انحطاطه الى حضيض عالم البهائم

واما السبب الثاني وهو حبه لمن احسن اليه فواساه بماله ولاطفه بكلامه وامده بمعونته وانتدب لنصرته وقمع اعداءه وقام بدفع
شر الاشرار عنه وانتهض وسيلة الى جميع حظوظه واغراضه في نفسه واولاده واقاربه فانه محبوب لا محالة عنده فهذا بعينه يقتضي
ان لا يحب الا الله فانه لو عرف حق المعرفة لعلم ان المحسن اليه هو الله تعالى فقط فاما انواع احسانه الى كل عبيده فلست اعده اذ ليس يحيط به
حصر حاصر كما قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وقد اشرنا الى طرف منه في كتاب الشكر ولكنا نقتصر الآن على بيان ان الاحسان من
الناس غير متصور الا بالمجاز وانما المحسن هو الله ولنفرض ذلك فيمن انعم عليك بجميع خزائنه ومكنك منها لتتصرف كيف تشاء فانك تظن ان هذا
الاحسان منه وهو غلط فانه انما تم احسانه به وبماله وبقدرته على المال وبداعيته الباعثة له على صرف المال اليك فمن الذي انعم
بخلقه وخلق ماله وخلق قدرته وخلق ارادته وداعيته ومن الذي حببك اليه وصرف وجهه اليك والقى في نفسه ان صلاح
دينه ودنياه في الاحسان اليك ولولا كل ذلك لما اعطاك حبة من ماله ومهما سلط الله عليه الدواعي وقرر في نفسه ان صلاح
دينه او دنياه في ان يسلم اليك ماله كان مقهورا مضطرا في التسليم لا يستطيع مخالفته فالمحسن هو الذي اضطره وسخره لك و
سلط عليه الدواعي الباعثة المرهقة الى الفعل فاما يده فواسطة يصل بها احسان الله اليك وصاحب اليد مضطر فيه اضطرار
مجرى الماء في جريان الماء فيه فان اعتقدته محسنا او شكرته من حيث هو بنفسه محسن لا من حيث هو واسطة كنت جاهلا بحقيقة
الامر فانه لا يتصور الاحسان من الانسان الا الى نفسه اما الاحسان الى غيره فمحال من المخلوقين لانه لا يبذل ماله الا لغرض له في
البذل اما آجل وهو الثواب واما عاجل وهو المنة والاستسخار او الثناء والصيت والاشتهار بالسخاء والكرم او جذب قلوب
الخلق الى الطاعة والمحبة وكما ان الانسان لا يلقي ماله في البحر اذ لا غرض له فيه وذلك الغرض هو مطلوبه ومقصوده واما انت
فلست مقصودا بل يدك آلة له في القبض حتى يحصل غرضه من الذكر والثناء والشكر او الثواب بسبب قبضك المال فقد استسخرك
في القبض للتوصل به الى غرضه فهو اذن محسن الى نفسه ومعتاض عما بذله من ماله عوضا هو ارجح عنده من ماله ولولا رجحان ذلك
الحظ عنده لما ترك عن ماله لاجلك اصلا والبتة فاذن هو غير مستحق للحمد والشكر من وجهين احدهما انه مضطر بتسليط الله الدواعي
عليه فلا قدرة له على المخالفة فهو جار مجرى خازن الامير فانه لا يرى محسنا بتسليم خلعة الامير الى من خلع عليه لانه من جهة الامير
مضطر الى الطاعة والامتثال لما يرسمه ولا يقدر على مخالفته ولو خلاه الامير ونفسه لم يترك عن حبة من ماله حتى سلط الله تعالى
الدواعي عليه والقى في نفسه ان حظه دينا ودنيا في بذله فبذله لذلك والثاني انه معتاض عما بذله حظا هو اوفى عنده واحب مما بذله
فكما لا يعد البائع محسنا لانه بذل بعوض هو احب عنده مما بذله فكذلك الواهب اعتاض الثواب او الحمد والثناء او عوضا آخر وليس من شرط
العوض ان يكون عينا متمولا بل الحظوظ كلها اعراض تستحقر الاموال والاعيان بالاضافة اليها فالاحسان في الجود والجود هو بذل

المال من غير عوض وحظ يرجع الى الباذل وذلك محال من غير الله فهو الذي انعم على العالمين احسانا اليهم ولاجلهم لا لحظ وغرض
يرجع اليه فانه يتعالى عن الاغراض والحظوظ فلفظ الجود والاحسان في حق غيره كذب او مجاز ومعناه في حق غيره محال وممتنع
امتناع الجمع بين السواد والبياض فهو المنفرد بالجود والاحسان والطول والامتنان فان كان في الطبع حب المحسن فينبغي ان لا يحب العارف
الا الله تعالى اذ الاحسان من غيره محال فهو المستحق لهذه المحبة وحده واما غيره فيستحق المحبة على الاحسان بشرط الجهل بمعنى الاحسان
وحقيقته

واما السبب الثالث وهو حبك المحسن في نفسه وان لم يصل اليك احسانه وهذا ايضا موجود في الطباع فانه اذا
بلغك خبر ملك عابد عالم عادل رفيق بالناس متلطف بهم متواضع لهم وهو في قطر من اقطار الارض بعيد عنك وبلغك خبر
ملك آخر ظالم متكبر فاسق متهتك شرير وهو ايضا بعيد عنك فانك تجد في قلبك تفرقة بينهما اذ تجد في القلب ميلا الى
الاول وهو الحب ونفرة عن الثاني وهو البغض مع انك آيس من خير الاول وآمن من شر الثاني لانقطاع طمعك عن
التوصل الى بلادهما فهذا حب المحسن من حيث انه محسن في نفسه فقط الا من حيث انه محسن اليك وهذا ايضا يقتضي حب الله
تعالى بل يقتضي ان لا يحب غيره اصلا الا من حيث انه يتعلق منه بسبب فان الله هو المحسن الى الكافة المتفضل على جميع
اصناف الخلائق اولا بايجادهم وثانيا بتكميلهم بالاعضاء والاسباب التي هي من ضروراتهم وثالثا بترفيههم وتنعيمهم بخلق
الاسباب التي هي في مظان حاجاتهم وان لم تكن في مظان الضرورة ورابعا بتجميلهم بالمزايا والزوائد التي هي في مظنة زينتهم وهي
خارجة عن ضروراتهم وحاجاتهم ومثال الضروري من الاعضاء الراس والقلب والكبد ومثال المحتاج اليه العين واليد والرجل
ومثال الزينة استقواس الحاجبين وحمرة الشفتين وتلون العينين الى غير ذلك مما لو فات لم ينخرم به حاجة ولا ضرورة ومثال
الضرورة من النعم الخارجة عن بدن الانسان الماء والغذاء ومثال الحاجة الدواء واللحم والفواكه ومثال المزايا والزوائد
خضرة الاشجار وحسن اشكال الانوار والازهار ولذائذ الفواكه والاطعمة التي لا تنخرم بعدمها حاجة ولا ضرورة وهذه الاقسام
الثلاثة موجودة لكل حيوان بل لكل نبات بل لكل صنف من اصناف الخلق من ذروة العرش الى منتهى الثرى فاذن هو المحسن فكيف يكون
غيره محسنا وذلك المحسن حسنة من حسنات قدرته فانه خالق الحسن وخالق المحسن وخالق الاحسان فالحب بهذه العلة لغيره
جهل محض ومن عرف ذلك لم يحب بهذه العلة الا الله تعالى

واما السبب الرابع وهو حب كل جميل لذات الجمال لا لحظ ينال
من وراء ادراك الجمال وقد بينا ان ذلك مجبول في الطباع وان الجمال ينقسم الى جمال الصورة الظاهرة المدركة بعين الراس والى
جمال الصور الباطنة المدركة بعين القلب ونور البصيرة والاول يدركه الصبيان والبهائم فضلا عن غيره والثاني يختص بدركه
ارباب القلوب لا يشاركهم فيه من لا يعلم الا ظاهرا من الحياة الدنيا فكل جمال فهو محبوب بالقلب ومثال هذا في الشاهد حب الانبياء
والعلماء وذوي المكارم السنية والاخلاق المرضية فان ذلك متصور مع تشوش صورة الوجه وسائر الاعضاء وهو المراد
بحسن الصورة الباطنة والحس لا يدركه نعم يدرك الحس آثاره الصادرة منه الدالة عليه حتى اذا دل الحس عليه مال القلب
اليه فاحبه فمن يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم او الصديق رضي الله عنه او الشافعي رحمه الله فلا يحبهم الا لحسن ما ظهر له منهم
وليس ذلك لحسن صورهم ولا لحسن افعالهم بل دل حسن افعالهم على حسن الصفات التي هي مصدر الافعال اذ الافعال آثار صادرة
عنها ودالة عليها فمن رأى حسن تصنيف المصنف وحسن شعر الشاعر بل حسن نقش النقاش وبناء البناء انكشف له من هذه
الافعال صفاتهم الجميلة الباطنة التي يرجع حاصلها عند البحث الى العلم والقدرة ثم كلما كان المعلوم اشرف واتم جمالا
وعظمة كان العلم اشرف واجل وكذا المقدور عليه كلما كان اعظم رتبة واجل منزلة كانت القدرة عليه اجل رتبة واشرف

واجل المعلومات هو الله تعالى فلا جرم احسن العلوم واشرفها معرفة الله تعالى وكذلك ما يقاربه ويختص به فشرفه على
قدر تعلقه به فاذا جمال صفات الصديقين الذين تحبهم القلوب طبعا يرجع الى ثلاثة امور احدها علمهم بالله وملائكته ورسله
وشرائع انبيائه والثاني قدرتهم على اصلاح انفسهم واصلاح عباد الله تعالى بالارشاد والسياسة والثالث تنزههم من
الرذائل والخبائث والشهوات الغالبة الصارفة عن سنن الخير الجاذبة الى طريق الشر وبمثل هذا يحب الانبياء والخلفاء والعلماء
والملوك الذين هم اهل العدل والكرم فانسب هذه الصفات الى صفات الله تعالى اما العلم فاين علم الاولين والاخرين من علم الله
الذي يحيط بالكل احاطة خارجة عن النهاية حتى لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وقد خاطب الخلائق كلهم فقال
وما اوتيتم من العلم الا قليلا بل لو اجتمع اهل الارض والسماء على ان يحيطوا بعلمه وحكمته في تفصيل خلق نملة او بعوضة لم يطلعوا
على عشر عشيره ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء والقدر اليسير الذي علمه الخلائق كلهم فبتعليمه علموه كما قال تعالى خلق الانسان
علمه البيان فان كان جمال العلم وشرفه امرا محبوبا وكان هو في نفسه زينة وكمالا للموصوف به فلا ينبغي ان يحب بهذا السبب الا الله
تعالى فعلوم العلماء جهل بالاضافة الى علمه بل من عرف اعلم اهل زمانه استحال ان يحب بسبب العلم الاجهل ويترك الاعلم وان كان
الاجهل لا يخلو عن علم ما تتقاضاه معيشته والتفاوت بين علم الله تعالى وبين علم الخلائق اكثر من التفاوت بين علم الخلائق
اعلم الخلق واجهلهم لان الاعلم لا يفضل الاجهل الا بعلوم معدودة متناهية يتصور في الامكان ان ينالها الاجهل بالكسب
والاجتهاد وفضل علم الله سبحانه عن علوم الخلائق كلها خارج عن النهاية اذ معلوماته لا نهاية لها ومعلومات الخلق متناهية
واما صفة القدرة فهي ايضا كمال والعجز نقص وكل كمال وبهاء وعظمة ومجد واستيلاء فانه محبوب وادراكه لذيذ حتى ان الانسان
ليسمع في الحكايات شجاعة علي وخالد رضي الله عنهما وغيرهما من الشجعان وقدرتهما واستيلائهما على الاقران فيصادف في قلبه اهتزازا
وفرحا وارتياحا ضروريا بمجرد السماع فضلا من المشاهدة ويورث ذلك حبا في القلب ضروريا للمتصف به فانه نوع كمال فانسب
الان قدرة الخلق كلهم الى قدرة الله تعالى فاعظم الاشخاص قوة واوسعهم ملكا واقواهم بطشا واقهرهم للشهوات واقمعهم
لخبائث النفس واجمعهم للقدرة على سياسة نفسه وسياسة غيره ما منتهى قدرته وانما غاية قدرته ان يقدر على بعض صفات نفسه
وعلى بعض اشخاص الانسان في بعض الامور وهو مع ذلك كله لا يملك لنفسه موتا ولا حياة ولا نشورا ولا نفعا ولا ضرا بل لا يقدر
على حفظ عينه من العمى ولسانه من الخرس واذنه من الصمم وبدنه من المرض ولا يحتاج الى عد ما يعجز عنه في نفسه وغيره مما هو على
الجملة متعلق بقدرته فضلا عما لا تتعلق به قدرته من ملكوت السموات وافلاكها وكواكبها والارض وجبالها وبحارها ورياحها
وصواعقها ومعادنها ونباتها وحيواناتها وجميع اجزائها فلا قدرة له على ذرة منها وما هو قادر عليه من نفسه وغيره فليست
قدرته من نفسه وبنفسه بل الله خالقه وخالق قدرته وخالق اسبابه والممكن له من ذلك ولو سلط بعوضا على اعظم ملك واقوى شخص
من الحيوانات لاهلكه فليس للعبد قدرة الا بتمكين مولاه كما قال في اعظم ملوك الارض ذي القرنين اذ قال انا مكنا له في الارض فلم يكن جميع
ملكه وسلطنته الا بتمكين الله تعالى اياه في جزء من الارض والارض كلها مدرة بالاضافة الى اجسام العالم وجميع الولايات التي
يحظى بها الناس من الارض غبرة من تلك المدرة ثم تلك الغبرة ايضا من فضل الله وتمكينه فيستحيل ان يحب عبدا من عباد الله
لقدرته وسياسته وتمكنه واستيلائه وكمال قوته ولا يحب الله تعالى لذلك ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فهو الجبار
القاهر والعليم القادر والسموات مطويات بيمينه والارض وما عليها في قبضته وناصيته وجميع المخلوقات في قبضة قدرته ان
اهلكهم من عند اخرهم لم ينقص من سلطانه وملكه ذرة وان خلق امثالهم الف مرة لم يعي بخلقه ولا يمسه لغوب ولا فتور في اختراعه

اختراعه فلا قدرة ولا قادر الا وهو اثر من آثار قدرته فله الجمال والبهاء والعظمة والكبرياء والقهر والاستيلاء فان كان يتصور
ان يحب قادر لكمال قدرته فلا يستحق الحب بكمال القدرة سواه اصلا واما صفة التنزه عن العيوب والنقائص والتقدس عن الرذائل
والخبائث فهي احد موجبات الحب ومقتضيات الحسن والجمال في الصورة الباطنة والانبياء والصديقون وان كانوا منزهين عن
العيوب والخبائث فلا يتصور كمال التقدس والتنزه الا للواحد الحق الملك القدوس ذي الجلال والاكرام واما كل مخلوق فلا يخلو عن
نقص وعن نقائص بل كونه عاجزا مخلوقا مسخرا مضطرا عين العيب والنقص فالكمال لله وحده وليس لغيره كمال الا بقدر ما اعطاه وليس في
المقدور ان ينعم بمنتهى الكمال على غيره فان منتهى الكمال اقل درجاته ان لا يكون عبدا مسخرا لغيره وقائما بغيره وذلك محال في حق غيره
فهو المنفرد بالكمال المنزه عن النقص المقدس عن العيوب وشرح وجوه التقديس والتنزيه في حقه عن النقائص يطول وهو من اسرار
علوم المكاشفات فلا نطول بذكره فهذا الوصف ايضا ان كان كمالا وجمالا محبوبا فلا تتم حقيقته الا له وكمال غيره وتنزهه لا يكون مطلقا
بل بالاضافة الى ما هو اشد نقصانا كما ان للفرس كمالا بالنسبة الى الحمار وللانسان كمالا بالاضافة الى الفرس واصل النقص شامل
للكل وانما يتفاوتون في درجات النقصان فاذن الجميل محبوب والجميل المطلق هو الله الواحد الفرد الذي لا ند له الفرد الذي لا ضد له الصمد
الذي لا منازع له الغني الذي لا حاجة له القادر الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه العالم الذي لا
يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض القاهر الذي لا يخرج عن قبضته قدرته اعناق الجبابرة لا ينفلت عن سطوته وبطشه
رقاب القياصرة الازلي الذي لا اول لوجوده الابدي الذي لا اخر لبقائه الضروري الوجود الذي لا يحوم امكان العدم حول حضرته
القيوم الذي يقوم بنفسه ويقوم كل موجود به جبار الارض والسموات خالق الجمادات والحيوانات والنبات المنفرد بالعزة والجبروت
المتوحد بالملك والملكوت ذو الفضل والجلال والبهاء والجمال والقدرة والكمال الذي تتحير في معرفة جلاله العقول وتخرس في وصفه
الالسنة الذي كمال معرفة العارفين الاعتراف بالعجز عن معرفته ومنتهى نبوة الانبياء الاقرار بالقصور عن وصفه كما قال سيد الانبياء انت كما
اثنيت على نفسك لا احصي ثناء عليك وقال سيد الصديقين العجز عن درك الادراك ادراك وقال رضي الله عنه وارضاه سبحان من لم يجعل
للخلق طريقا الى معرفته الا بالعجز عن معرفته فليت شعري من ينكر امكان حب الله تحقيقا ويجعله مجازا اينكر ان هذه الاوصاف هي اوصاف
الجمال والمحامد ونعوت الكمال والمحاسن او ينكر كون الله تعالى موصوفا بها او ينكر كون الجمال والجلال والكمال والبهاء والعظمة
محبوبا بالطبع عند من ادركه فسبحان من احتجب عن ابصار العميان غيرة على جماله وجلاله ان يطلع عليه الا من سبقت منه الحسنى الذين
هم عن نار الحجاب مبعدون وترك الخاسرين في ظلمات العمى يتيهون وفي مسارح المحسوسات وشهوات البهائم يترددون يعلمون ظاهرا من
الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون والحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون والحب بهذا السبب اقوى من الحب بالاحسان لان الاحسان
يزيد وينقص ولذلك اوحى الله تعالى الى داود ان اود الاوداء الي من عبدني بغير نوال لكن ليعطي الربوبية حقها وفي الزبور من اظلم ممن عبدني
لجنة او نار لو لم اخلق جنة ولا نارا الم اكن اهلا ان اطاع ومر عيسى عليه السلام على طائفة من العباد قد نحلوا فقال ما انحلكم فقالوا الخوف من
النار ورجاء الجنة فقال لهم مخلوقا خفتم ومخلوقا رجوتم ومر بقوم اخر كذلك فقالوا نعبده حبا له وتعظيما لجلاله فقال انتم اولياء الله
حقا معكم امرت ان اقيم وقال ابو حازم اني لاستحيي ان اعبده للعقاب والثواب فاكون كالعبد السوء ان لم يخف لم يعمل وكالاجير السوء ان لم يعط
لم يعمل وفي الخبر لا يكونن احدكم كالاجير السوء ان لم يعط لم يعمل ولا كالعبد السوء ان لم يخف لم يعمل واما السبب الخامس للحب فهو المناسبة
والمشاكلة اذ شبه الشيء منجذب اليه والشكل الى الشكل اميل ولذلك ترى الصبي يألف بالصبي والكبير بالكبير ويألف الطير نوعه وينفر
عن خلاف نوعه وانس العالم بالعالم اكثر منه بالمحترف وانس النجار بالنجار اكثر من انسه بالفلاح وهذا امر تشهد به التجربة وتشهد له

الاخبار والآثار كما استقصيناه في باب الاخوة في الله من كتاب آداب الصحبة فليطلب منه واذا كانت المناسبة سبب التحاب و
المناسبة قد تكون في معنى ظاهر كمناسبة الصبي للصبي في معنى الصبا وقد تكون خفيا حتى لا يطلع عليه كما ترى من الاتحاد الذي يتفق
بين شخصين من غير ملاحظة جمال وطمع في مال وغيره كما اشار صلى الله عليه وسلم اذ قال الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف
وما تناكر منها اختلف والتعارف هو التناسب والتناكر هو التباين وهذا السبب ايضا يقتضي حب الله تعالى لمناسبة باطنة
لا ترجع الى المشابهة في الصور والاشكال بل الى معان باطنة يجوز ان يذكر بعضها في الكتب وبعضها لا يجوز ان يسطر بل يترك تحت غطاء
الغيرة حتى يعثر عليها السالكون اذا استكملوا شرط السلوك فالذي يذكر هو قرب العبد من الله تعالى في الصفات التي امر فيها بالاقتداء
والتخلق باخلاق الربوبية حتى قيل تخلقوا باخلاق الله تعالى وذلك في اكتساب محامد الصفات التي هي من صفات الالهية من العلم والبر
والاحسان واللطف وافاضة الخير والرحمة على الخلق والنصيحة لهم وارشادهم الى الحق ومنعهم من الباطل الى غير ذلك من مكارم
الشريعة فكل ذلك يقرب الى الله سبحانه لا بمعنى طلب القرب بالمكان بل بالصفات واما ما لا يجوز ان يسطر في الكتب من المناسبة الخاصة التي
اختص بها الآدمي فهي التي يومي اليها قوله تعالى ويسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربي اذ بين انه امر رباني خارج عن حد عقول الخلق و
يشير اليه قوله تبارك وتعالى واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة اذ لم يستحق آدم خلافة الله تعالى الا بتلك المناسبة
واليه يرمز قوله صلى الله عليه وسلم خلق الله آدم على صورته حتى ظن القاصرون ان لا صورة الا الصورة الظاهرة المدركة بالحواس فشبهوا
وجسموا وصوروا تعالى الله رب العالمين عما يقول الجاهلون علوا كبيرا واليه الاشارة بقوله تعالى لموسى عليه السلام مرضت فلم تعدني فقال وكيف
ذلك فقال مرض عبدي فلان ولو عدته لعدتني وهذه المناسبة لا تظهر الا بالمواظبة على النوافل بعد احكام الفرائض كما قال الله تعالى لا يزال
العبد يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به وهذا موضع يجب
قبض عنان القلم فيه فقد تحزب الناس فيه الى قاصرين مالوا الى التشبيه الظاهر والى غالين مسرفين جاوزوا حد المناسبة الى الاتحاد
وقالوا بالحلول حتى قال بعضهم انا الحق وضل النصارى في عيسى فقالوا هو الاله وقال آخرون منهم تدرع الناسوت باللاهوت
وقال آخرون اتحد به واما الذين انكشف لهم استحالة التشبيه والتمثيل واستحالة الاتحاد والحلول واتضح لهم مع ذلك حقيقة
السر فهم الاقلون ولعل ابا الحسين النوري عن هذا المقام كان ينظر اذ غلبه الوجد في قول القائل لا زلت انزل في ودادك منزلا
تتحير الالباب دون نزوله ولم يزل يعدو في وجده على اجمة قصب قد قطعت رؤسها حتى تقطع قدمه وتورمت ومات فيه
وهذا هو اعظم اسباب الحب واقواها وهو اعزها وابعدها واقلها وجودا فهذه هي المعلومة من اسباب الحب وجملتها متظاهرة في حق الله
تعالى تحقيقا لا مجازا وفي اعلى الدرجات لا في ادناها فكان المعقول المقبول عند ذوي البصائر حب الله فقط كما كان المعقول المقبول الممكن
عند العميان حب غير الله تعالى فقط ثم كل من يحب من الخلق بسبب من هذه الاسباب يتصور ان يحب غيره لمشاركته اياه في السبب والشركة
نقصان في الحب وغض من كماله ولا ينفرد احد بوصف محبوب الا وقد يوجد له شريك فيه فان لم يوجد فيمكن ان يوجد الا الله تعالى فانه
موصوف بهذه الاوصاف التي هي نهاية الجمال والكمال ولا شريك له فيه وجودا ولا يتصور ان يكون ذلك امكانا فلا جرم لا يكون في حبه
شركة فلا يتطرق النقصان الى حبه كما لا يتطرق الشركة الى صفاته فهو المستحق اذن لاصل المحبة ولكمال المحبة استحقاقا لا يساهم فيه اصلا

بيان ان اجل اللذات واعلاها معرفة الله تعالى والنظر الى وجهه الكريم وانه لا يتصور ان يؤثر عليها لذة اخرى الا من حرم هذه اللذة

اعلم ان اللذات تابعة للادراكات والانسان جامع لجملة من القوى والغرائز ولكل قوة وغريزة لذة ولذتها في نيلها لمقتضى
طبعها الذي خلقت له فان هذه الغرائز ما ركبت في الانسان عبثا بل ركبت كل قوة وغريزة لامر من الامور هو مقتضاها بالطبع فغريزة

الغضب خلقت للتشفي والانتقام فلا جرم لذتها في الغلبة والانتقام الذي هو مقتضى طبعها وغريزة شهوة الطعام مثلا خلقت
لتحصيل الغذاء الذي به القوام فلا جرم لذتها في نيل الغذاء الذي به القوام فلا جرم لذتها في نيل الغذاء الذي هو مقتضى طبعها
وكذلك لذة السمع والبصر والشم في الابصار والاستماع والاستشمام فلا تخلو غريزة من هذه الغرائز عن الم ولذة بالاضافة الى
مدركاتها فكذلك في القلب غريزة تسمى النور الالهي لقوله تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه وقد تسمى العقل
وقد تسمى البصيرة الباطنة وقد تسمى نور الايمان واليقين ولا معنى للاشتغال بالاسامي فان الاصطلاحات مختلفة والضعيف يظن
ان الاختلاف واقع في المعاني لان الضعيف ابدا يطلب المعاني من الالفاظ وهو عكس الواجب فالقلب مفارق لسائر اجزاء البدن بصفة
بها يدرك المعاني التي ليست متخيلة ولا محسوسة كادراكه خلق العالم وافتقاره الى خالق مدبر حكيم موصوف بصفات الالهية ولنسم
تلك الغريزة عقلا بشرط ان لا يفهم من لفظ العقل ما يدرك به طرق المجادلة والمناظرة فقد اشتهر اسم العقل بهذا ولهذا ذمه بعض
الصوفية والا فالصفة التي بها فارق الانسان البهائم وبها يدرك معرفة الله تعالى اعز الصفات فلا ينبغي ان يذم وهذه الغريزة خلقت
فيه ليعلم بها حقائق الامور كلها فمقتضى طبعها المعرفة والعلم وهما لذتها كما ان مقتضى طبع سائر الغرائز هو لذتها وليس يخفى ان في
العلم والمعرفة لذة حتى ان الذي ينسب الى العلم ولو في شيء خسيس يفرح به والذي ينسب الى الجهل ولو في شيء حقير يغتم به وحتى ان الانسان
لا يكاد يصبر عن التحدي بالعلم والتمدح به في الاشياء الحقيرة فالعالم باللعب بالشطرنج على خسته لا يطيق السكوت عن التعليم وينطلق
لسانه بذكر ما يعلمه وكل ذلك لفرط لذة العلم وما يستشعره من كمال ذاته به فان العلم من اخص صفات الربوبية وهي منتهى الكمال ولذلك
يرتاح الطبع اذا اثني عليه بالذكاء وغزارة العلم لانه يستشعر عند سماع الثناء كمال ذاته وكمال علمه فيعجب بنفسه ويتلذذ به ثم ليس لذة
العلم بالحراثة والخياطة كلذة العلم بسياسة الملك وتدبير امر الخلق ولا لذة العلم بالنحو والشعر كلذة العلم بالله تعالى وصفاته وملائكته
وملكوت السموات والارض بل لذة العلم بقدر شرف العلم وشرف العلم بقدر شرف المعلوم حتى ان الذي يعرف بواطن احوال الناس ويخبر به
يجد له لذة وان جهله تقاضاه طبعه ان يتفحص عنه فان علم بواطن احوال رئيس البلد واسرار تدبيره في رياسته كان ذلك الذ عنده واطيب
من علمه بباطن حال فلاح او حائك فان اطلع على اسرار الوزير وتدبيره وما هو عازم عليه في امر الوزارة فهو اشهى عنده والذ عنده
من علمه باسرار الرئيس فان كان خبيرا بباطن احوال الملك السلطان الذي هو المستولي على الوزير كان ذلك اطيب عنده والذ
من علمه بباطن امور الوزير وكان تمدحه بذلك وحرصه على البحث عنه اشد وحبه له اكثر لان لذته فيه اعظم فبهذا استبان
ان الذ المعارف اشرفها وشرفها بحسب شرف المعلوم فان كان في المعلومات ما هو الاجل والاكمل والاشرف والاعظم فالعلم به الذ
المعلوم لا محالة واشرفها واطيبها وليت شعري هل في الوجود شيء اجل واعلى واشرف واكمل واعظم من خالق الاشياء كلها ومكملها
ومرتبها وهل يتصور ان يكون حضرة في الملك والكمال والجمال والبهاء والجلال اعظم من الحضرة الربوبية التي لا يحيط بمبادي
جلالها وعجائب احوالها وصف الواصفين فان كنت لا تشك في ذلك فلا ينبغي ان تشك في ان الاطلاع على اسرار الربوبية والعلم بترتيب
الامور الالهية المحيطة بكل الموجودات هو اعلى انواع المعارف والاطلاعات والذها واطيبها واشهاها واحرى ما تستشعر النفوس
عند الاتصاف به كمالها وجمالها واجدر ما يعظم به الفرح والارتياح والاستبشار وبهذا تبين ان العلم لذيذ وان الذ العلوم
العلم بالله تعالى وصفاته وافعاله وتدبيره في مملكته من منتهى عرشه الى تخوم الارضين فينبغي ان تعلم ان لذة المعرفة اقوى من سائر
اللذات اعني لذة الشهوة والغضب ولذة سائر الحواس الخمسة فان اللذات مختلفة بالنوع اولا كمخالفة لذة الوقاع للذة السماع
ولذة المعرفة ولذة الرياسة وهي مختلفة بالضعف والقوة كمخالفة لذة الشبق المغتلم من الجماع بالاضافة الى لذة الفاتر الشهوة

وكمخالفة لذة الوجه الجميل البالغ في الجمال بالاضافة الى ما دونه في الجمال وانما يعرف اقوى اللذات بان تكون مؤثرة على غيرها
فان المخير بين النظر الى صورة جميلة والتمتع بمشاهدتها وبين استنشاق روائح طيبة اذا اختار الى الملاح علم بان الصور الجميلة
عنده الذ من الروائح الطيبة وكذلك اذا احضر الطعام وقت الاكل واستمر اللاعب بالشطرنج على اللعب وترك الاكل فيعلم
به ان لذة الغلبة في الشطرنج اقوى عنده من لذة الاكل فهذا معيار صادق في الكشف عن ترجيح اللذات فنعود ونقول
اللذات تنقسم الى ظاهرة كلذات الحواس الخمس والى باطنة كلذة الرياسة والغلبة والكرامة والعلم وغيره اذ ليست هذه اللذة للعين
ولا للشم والانف ولا للاذن ولا للمس ولا للذوق والمعاني الباطنة اغلب على ذوي الكمال من اللذات الظاهرة فلو خير الرجل بين
لذة الهريسة والدجاج المسمن واللوزينج وبين لذة الرياسة وقهر الاعداء ونيل درجة الاستيلاء فان كان المخير خسيس الهمة ميت
القلب شديد النهمة اختار الهريسة والحلاوة وان كان عالي الهمة كامل العقل اختار الرياسة وهان عليه الجوع والصبر على ضرورة
القوت اياما كثيرة فاختياره الرياسة تدل على انها الذ عنده من الهريسة والمطعومات نعم الناقص الذي لم تكمل معانيه الباطنة
بعد كالصبي او الذي ماتت قواه الباطنة كالمعتوه لا يبعد ان يؤثر لذة المطعومات على لذة الرياسة وكما ان لذة الرياسة
والكرامة اغلب اللذات على من جاوز نقصان الصبي والعته فلذة معرفة الله تعالى ومطالعة جمال الحضرة الربوبية والنظر الى اسرار الامور
الالهية الذ من الرياسة التي هي اعلى اللذات الغالبة على الخلق وغاية العبارة عنه ان يقال فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين
وانه اعددت لهم ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وهذا الآن لا يعرفه الا من ذاق اللذتين جميعا فانه لا محالة
يؤثر التبتل والتفرد والفكر والذكر وينغمس في بحار المعرفة ويترك الرياسة ويستحقر الخلق يرؤسهم لعلمه بفناء رياسته وفناء
من عليه رياسته وكونها مشوبة بالكدورات التي لا يتصور الخلو عنها وكونها مقطوعة بالموت الذي لا بد من اتيانه حتى اذا اخذت
الارض زخرفها وازينت وظن اهلها انهم قادرون عليها الآية فيستعظم بالاضافة اليها لذة معرفة الله تعالى ومطالعة صفاته
وافعاله ونظام مملكته من اعلى العليين الى اسفل السافلين فانها خالية عن المزاحمات والمكدرات متسعة للمتواردين عليها لا تضيق
عنهم بكثرتهم وانما عرضها من حيث التقدير السموات والارض واذا اخرج النظر عن المقدرات فلا نهاية لعرضها فلا يزال العارف
بمطالعتها في جنة عرضها السموات والارض يرتع في رياضها ويكرع في حياضها ويقطف من ثمارها وهو آمن من انقطاعها
اذ ثمار هذه الجنة غير مقطوعة ولا ممنوعة بل هي ابدية سرمدية لا يقطعها الموت اذ الموت لا يهدم محل معرفة الله تعالى اذ محله الروح
الذي هو امر رباني سماوي انما الموت يغير احوالها ويقطع شواغلها وعوائقها ويخليها من حبسها فاما ان يعدمها فلا ولا تحسبن
الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون الآية ولا تظنن ان هذا مخصوص
بالمقتول في المعركة فان للعارف بكل نفس درجة الف شهيد وفي الخبر ان الشهيد يتمنى في الآخرة ان يرد الى الدنيا فيقتل مرة اخرى لعظم
ما يراه من ثواب الشهادة وان الشهداء يتمنون لو كانوا علماء لما يرون من علو درجة العلماء فاذن جميع اقطار ملكوت السموات والارض
ميدان العارف يتبوأ منها حيث يشاء من غير حاجة الى ان يتحرك اليها بجسمه وشخصه فهو من مطالعة جمال الملكوت في جنة عرضها
السموات والارض وكل عارف فله مثلها من غير ان يضيق بعضهم على بعض اصلا الا انهم يتفاوتون في سعة منتزهاتهم بقدر تفاوتهم
في اتساع نظرهم وسعة معارفهم وهم درجات عند الله ولا يدخل في الحصر تفاوت درجاتهم فقد ظهر ان لذة الرياسة وهي باطنة
اقوى في ذوي الكمال من لذات الحواس كلها وان هذه اللذة لا تكون لبهيمة ولا لصبي ولا لمعتوه وان لذة المحسوسات والشهوات تكون
لذوي الكمال مع لذة الرياسة ولكن يؤثرون الرياسة فاما كون معرفة الله تعالى وصفاته وافعاله وملكوت سمواته واسرار ملكه

اعظم لذة من الرياسة فهذا يختص بمعرفته من نال رتبة المعرفة وذاقها ولا يمكن اثبات ذلك عند من لا قلب له لان
القلب معدن هذه القوة كما انه لا يمكن اثبات رجحان لذة الوقاع على لذة اللعب بالصولجان عند الصبيان ولا رجحانه على لذة
شم البنفسج عند العنين لانه فقد الصفة التي بها يدرك هذه اللذات ولكن من سلم من آفة العنة وسلم حاسة شمه ادرك التفاوت
بين اللذتين وعند هذا لا يبقى الا ان يقال من ذاق عرف ولعمري طلاب العلوم وان لم يشتغلوا بطلب معرفة الامور الالهية فقد استنشقوا
رائحة هذه اللذة عند انكشاف المشكلات وانحلال الشبهات التي قوي حرصهم على طلبها فانها ايضا معارف وعلوم وان كانت
معلوماتها غير شريفة شرف المعلومات الالهية واما من طال فكره في معرفة الله سبحانه وقد انكشف له من اسرار ملك ولو الشيء اليسير
فانه يصادف في قلبه عند حصول الكشف من الفرح ما يكاد يطير به ويتعجب من نفسه في ثباته واحتماله لقوة فرحه وسروره وهذا مما
لا يدرك الا بالذوق فالحكاية فيه قليلة الجدوى فهذا القدر ينبهك على ان معرفة الله سبحانه الذ الاشياء وانه لا لذة فوقها ولهذا قال
ابو سليمان الداراني ان لله تعالى عبادا ليس يشغلهم عن الله خوف النار ولا رجاء الجنة فكيف تشغلهم الدنيا عن الله ولهذا قال بعض اخوان
معروف له اخبرني يا محفوظ اي شيء هاجك على العبادة والانقطاع عن الخلق فسكت فقال ذكر الموت فقال واي شيء الموت فقال ذكر
القبر والبرزخ فقال واي شيء القبر فقال خوف النار ورجاء الجنة فقال واي شيء هذا ان ملكا بيده هذا كله ان احببته انساك جميع
ذلك وان كانت بينك وبينه معرفة كفاك جميع هذا وفي اخبار عيسى صلى الله عليه اذا رايت الفتى مشغوفا بطلب الرب تعالى
فقد الهاه ذلك عما سواه وراى بعض الشيوخ بشر بن الحرث في المنام فقال ما فعل ابو نصر التمار وعبد الوهاب الوراق فقال تركتهما الساعة
بين يدي الله تعالى ياكلان ويشربان قلت فانت قال علم الله قلة رغبتي في الاكل والشرب فاعطاني النظر اليه وعن علي بن الموفق انه قال
رايت في النوم كاني ادخلت الجنة فرايت رجلا قاعدا على مائدة وملكان عن يمينه وشماله يلقمانه من جميع الطيبات وهو ياكل ورايت
رجلا قائما على باب الجنة يتصفح وجوه قوم فيدخل بعضا ويرد بعضا قال ثم جاوزتهما الى حظيرة القدس فرايت في سرادق العرش رجلا
قد شخص ببصره ينظر الى الله لا يطرف فقلت لرضوان من هذا فقال معروف الكرخي عبد الله لا خوفا من ناره ولا شوقا الى جنته بل حبا له
فاباحه الله النظر اليه الى يوم القيمة وذكر ان الآخرين بشر بن الحارث واحمد بن حنبل ولذلك قال ابو سليمان من كان اليوم مشغولا بنفسه
فهو غدا مشغول بنفسه ومن كان اليوم مشغولا بربه فهو غدا مشغول بربه وقال الثوري لرابعة ما حقيقة ايمانك فقالت ما عبدته خوفا
من ناره ولا حبا لجنته فاكون كالاجير السوء بل عبدته حبا له وشوقا اليه وقالت في معنى المحبة نظما ... احبك حبين حب الهوى
وحبا لانك اهل لذاكا ... فاما الذي هو حب الهوى ... فشغلي بذكرك عمن سواكا ... واما الذي انت اهل له ... فكشفك لي الحجب حتى اراكا
فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي ... ولكن لك الحمد في ذا وذاكا ... ولعلها ارادت بحب الهوى حب الله لاحسانه اليها وانعامه عليها بحظوظ العاجلة
وبحبه لما هو اهل له الحب لجماله وجلاله الذي انكشف لها وهو اعلى الحبين واقواهما ولذة مطالعة جمال الربوبية هي التي عبر عنها صلى
الله عليه وسلم حيث قال حاكيا عن ربه تعالى اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقد يعجل بعض
هذه اللذات في الدنيا لمن انتهى صفاء قلبه الى الغاية ولذلك قال بعضهم اني اقول يا رب يا الله فاجد ذلك اثقل على قلبي من الجبال لان
النداء يكون من وراء الحجاب وهل رايت جليسا ينادي جليسه وقال اذا بلغ الرجل في هذا العلم الغاية رماه الخلق بالحجارة اي يخرج كلامه
عن حد عقولهم فيرون ما يقوله جنونا او كفرا فمقصد العارفين كلهم وصاله ولقاؤه فقط فهي قرة العين التي لا تعلم نفس ما اخفي لهم
منها واذا حصلت انمحقت الهموم والشهوات كلها وصار القلب مستغرقا بنعيمها فلو القي في النار لم يحس بها لاستغراقه ولو عرض عليه
نعيم الجنة لم يلتفت اليه لكمال نعيمه وبلوغه الغاية التي ليس فوقها غاية وليت شعري من لا يفهم الا حب المحسوسات كيف يؤمن بلذة النظر

الى وجه الله وما له صورة وشكل فبأي معنى لو عد الله تعالى به عباده وذكر انه اعظم النعم بل من عرف الله تعالى عرف ان اللذات
المفرقة بالشهوات المختلفة كلها منطوية تحت هذه اللذة كما قال بعضهم ... كانت لقلبي اهوآء مفرقة فاستجمعت اذ رأتك العين اهوائي
فصار يحسدني من كنت احسده وصرت مولى الورى اذ صرت مولائي تركت للناس دنياهم ودينهم شغلا بذكرك يا ديني ودنيائي
ولذلك قال بعضهم وهجره اعظم من ناره ووصله اطيب من جنته وانما ارادوا بهذه الا ايثار لذة القلب في معرفة الله تعالى
على لذة الاكل والشرب والنكاح فان الجنة معدن تمتع الحواس فاما القلب فلذته في لقاء الله فقط ومثال اطوار الخلق في لذاتهم ما نذكره
وهو ان الصبي في اول حركته وتمييزه يظهر له غريزة بها يستلذ اللعب واللهو حتى يكون ذلك عنده الذ من سائر الاشياء ثم يظهر بعده
لذة الزينة ولبس الثياب وركوب الدواب فيستحقر معها اللعب ثم يظهر بعده لذة الوقاع وشهوة النسآ فيترك بها جميع ما قبلها
في الوصول اليه ثم يظهر لذة الرياسة والعلو والتكاثر وهي اخر لذات الدنيا واغلبها واقواها كما قال تعالى اعلموا انما الحيوة الدنيا
لعب ولهو وزينة الاية ثم بعد هذا تظهر غريزة اخرى يدرك بها لذة معرفة الله تعالى ومعرفة افعاله فيستحقر معها جميع ما قبلها فكل
ما تأخر فهو اقوى وهذا هو الاخير اذ يظهر حب اللعب في سن التمييز وحب الزينة والنسآ في سن البلوغ وحب الرياسة بعد العشرين
وحب العلوم بقرب الاربعين وهي الغاية العليا وكما ان الصبي يضحك على من يترك اللعب ويشتغل بملاعبة النسآ وطلب الرياسة فكذلك
الروسا يضحكون على من يترك الرياسة ويشتغل بمعرفة الله تعالى والعارفون يقولون ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون ٥

بيان السبب في زيادة لذة النظر في الآخرة على المعرفة في الدنيا اعلم ان المدركات تنقسم الى ما يدخل في الخيال كالصور
المتخيلة والاجسام المتلونة المتشكلة من اشخاص الحيوان والنبات والى ما لا يدخل في الخيال كذات الله تعالى وكل ما ليس بجسم كالعلم
والقدرة والارادة وغيرها ومن رأى انسانا ثم غض بصره وجد صورته حاضرة في خياله كانه ينظر اليها ولكن اذا فتح العين وابصر
ادرك تفرقة بينهما ولا ترجع التفرقة الى اختلاف بين الصورتين لان الصورة المرئية تكون موافقة للمتخيلة وانما الافتراق بمزيد الوضوح
والكشف فان صورة المرئي صار بالرؤية اتم انكشافا ووضوحا وهو كشخص يرى في وقت الاسفار قبل انتشار ضوء النهار ثم رأى
عند تمام الضوء فانه لا يفارق احدى الحالتين الاخرى الا في مزيد الانكشاف فاذن الخيال اول الادراك والرؤية هي استكمال الادراك
الكامل المكشوف في الجبهة او الصدر استحق ان يسمى رؤية واذا فهمت هذا في المتخيلات فاعلم ان المعلومات التي لا تتشكل في الخيال
ايضا لمعرفتها وادراكها درجتان احدهما اول والثاني استكمال له وبين الاول والثاني من التفاوت في مزيد الكشف والايضاح
ما بين المتخيل والمرئي فيسمى الثاني ايضا بالاضافة الى الاول مشاهدة ولقاء ورؤية وهذه التسمية حق لان الرؤية سميت رؤية لانها غاية
الكشف وكما ان سنة الله تعالى جارية بان تطبيق الاجفان يمنع من تمام الكشف بالرؤية ويكون حجابا بين البصر والمرئي ولا بد من ارتفاع
الحجاب لحصول الرؤية وما لم يرتفع كان الادراك الحاصل بمجرد التخيل فكذلك مقتضى سنة الله تعالى ان النفس ما دامت محجوبة بعوارض
البدن ومقتضى الشهوات وما غلب عليها من الصفات البشرية فانها لا تنتهي الى المشاهدة واللقاء في المعلومات الخارجة عن الخيال بل هذه
الحيوة حجاب عنها بالضرورة كحجاب الاجفان عن رؤية الابصار والقول في سبب كونه حجابا يطول ولا يليق بهذا العلم ولذلك قال تعالى
لموسى عليه الصلوة لن تراني وقال تعالى لا تدركه الابصار اي في الدنيا والصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأى الله تعالى ليلة
المعراج فاذا ارتفعت الحجاب بالموت بقيت النفس ملوثة بكدورات الدنيا غير منفكة عنها بالكلية وان كانت متفاوتة فمنها ما تراكم
عليها الخبث والصدأ فصار كالمرآة التي فسدت بطول تراكم الخبث على جوهرها فلا يقبل الاصلاح والتصقيل وهؤلاء هم المحجوبون عن
ربهم ابد الآباد نعوذ بالله منها ومنها ما لم ينته الى حد الرين والطبع ولم يخرج عن قبول التزكية والتصقيل فيعرض على النار

النار عرضا يقمع منه الخبث الذي هو متدنس به ويكون العرض على النار بقدر الحاجة الى التزكية واقلها لحظة خفيفة واقصاها
في حق المؤمنين كما وردت به الاخبار سبعة الآف سنة ولن تخلو نفس عن هذا العالم الا وتصحبها غبرة وكدورة ما وان قلت ولذلك
قال تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا فكل نفس مستيقنة للورود على النار
وغير مستيقنة للصدر عنها فاذا اكمل الله تعالى تطهيرها وتزكيتها وبلغ الكتاب اجله ووقع الفراغ عن جملة ما وعد به الشرع
من العرض والحساب وغيره ووافى استحقاق الجنة وذلك وقت مبهم لم يطلع الله عليه احدا من خلقه فانه واقع بعد القيامة ووقت
القيامة مجهول فعند ذلك تستعد بصفائها ونقائها عن الكدورات بحيث لا يرهق وجهه غبرة ولا قترة لان يتجلى فيه الحق سبحانه وتعالى
فيتجلى فيه تجليا يكون انكشاف تجليه بالاضافة الى ما علمه كانكشاف تجلي المرئيات بالاضافة الى ما تخيله وهذه المشاهدة والتجلي
هي التي تسمى رؤية فاذن الرؤية حق بشرط ان لا يفهم من الرؤية استكمال الخيال في متخيل متصور مخصوص بجهة ومكان فان ذلك مما يتعالى عنه
رب الارباب علوا كبيرا بل كما عرفته في الدنيا معرفة حقيقية تامة من غير تخيل وتصور وتقدير شكل وصورة فتراه في الآخرة كذلك بل اقول
المعرفة الحاصلة في الدنيا بعينها هي التي تستكمل فتبلغ كمال الكشف والوضوح وتنقلب مشاهدة ولا يكون بين المشاهدة في الآخرة والمعلوم
في الدنيا اختلاف الا من حيث زيادة الكشف والوضوح كما ضربنا المثال في استكمال الخيال في الرؤية فاذا لم يكن في معرفة الله تعالى
اثبات صورة وجهة فلا يكون في استكمال تلك المعرفة بعينها وترقيها في الوضوح الى غاية الكشف ولهذا لا يفوز بدرجة النظر والرؤية
ايضا درجة وصورة لانها هي بعينها الا في زيادة الكشف كما ان الصورة المرئية هي المتخيلة بعينها الا في زيادة الكشف واليه الاشارة
بقوله تعالى يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا اذ تمام النور لا يؤثر الا في زيادة الكشف ولهذا لا يفوز بدرجة
النظر والرؤية الا العارفون في الدنيا لان المعرفة هي البذر الذي ينقلب في الآخرة مشاهدة كما ينقلب النواة شجرا والبذر زرعا ومن
لا نواة له فكيف يحصل له نخل ومن لم يزرع الحب كيف يحصل فمن لم يعرف الله في الدنيا فكيف يراه في الآخرة وكما كانت المعرفة
على درجات متفاوتة كان التجلي ايضا على درجات متفاوتة فاختلاف التجلي بالاضافة الى اختلاف المعارف كاختلاف النبات بالاضافة
الى اختلاف البذور اذ يختلف لا محالة بكثرتها وقلتها وحسنها وقوتها وضعفها ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يتجلى
للناس عامة ولابي بكر خاصة فلا ينبغي ان يظن ان غير ابي بكر ممن هو دونه يجد من لذة النظر والمشاهدة ما يجده ابو بكر بل لا يجد الا
عشر عشيره وان كانت معرفته في الدنيا عشر عشيره وكما فضل الناس بسر وقر في صدره فضل لا محالة بتجل انفرد به وكما انك ترى
في الدنيا من يؤثر لذة الرياسة على المنكوح والمطعوم وترى من يؤثر لذة العلم وانكشاف مشكلات ملكوت السموات والارض
وسائر الامور الالهية على الرياسة وعلى المنكوح والمشروب جميعا فكذلك يكون في الآخرة قوم يؤثرون لذة النظر الى وجه الله تعالى على
نعيم الجنة اذ يرجع نعيمها الى المنكوح والمشروب وهؤلاء بعينهم هم الذين حالهم في الدنيا ما وصفنا من ايثار لذة العلم والمعرفة والاطلاع
على اسرار الربوبية على المنكوح والمشروب وسائر الخلق مشغولون به ولذلك لما قيل لرابعة ما تقولين في الجنة فقالت الجار
ثم الدار فبينت انه ليس في قلبها التفات الى الجنة بل الى رب الجنة وكل من لم يعرف الله تعالى في الدنيا فلا يجد لذة النظر في الآخرة
اذ ليس يستأنف لاحد في الآخرة ما لم يصحبه من الدنيا فلا يحصد احد الا ما زرع ولا يحشر المرء الا على ما مات عليه ولا يموت
الا على ما عاش عليه فما صحبه من المعرفة هو التي يتنعم بها بعينها فقط الا انها تنقلب مشاهدة بكشف الغطاء فتتضاعف اللذة
به كما تتضاعف لذة العاشق اذا استبدل بخيال صورة المعشوق رؤية صورته فان ذلك هو منتهى لذته وانما طيبة الجنة ان لكل
احد فيها ما يشتهي فمن لا يشتهي الا لقاء الله تعالى فلا لذة له في غيره بل ربما يتأذى به فاذن نعيم الجنة بقدر حب الله وحب الله

بقدر معرفته فاصل السعادات هي المعرفة التي عبر الشرع عنها بالايمان فان قلت فلذة الرؤية ان كان لها نسبة الى لذة
المعرفة فهي قليلة وان كان اضعافها لان لذة المعرفة في الدنيا ضعيفة فتضاعفها الى حد قريب لا ينتهي في القوة الى
ان يستحقر بها سائر لذات الجنة فيها فاعلم ان هذا الاستحقار للذة المعرفة صدر من الخلو عن المعرفة فمن خلا عن المعرفة كيف يدرك
لذتها وان انطوى على معرفة ضعيفة وقلبه مشحون بعلائق الدنيا فكيف يدرك لذتها فللعارفين في معرفتهم وفكرتهم ومناجاتهم
لله تعالى لذات لو عرضت عليهم الجنة في الدنيا بدلا عنها لم يستبدلوا بها ثم هذه اللذة مع كمالها لا نسبة لها اصلا الى لذة
اللقاء والمشاهدة كما لا نسبة للذة خيال المعشوق الى رؤيته ولا للذة استنشاق روائح الاطعمة الشهية الى ذوقها ولا
للذة اللمس باليد الى لذة الوقاع واظهار عظم التفاوت بينهما لا يمكن الا بضرب مثال فنقول لذة النظر الى وجه المعشوق في الدنيا
تتفاوت باسباب احدها كمال جمال المعشوق ونقصانه فان اللذة في النظر الى الاكمل لا محالة والثاني كمال قوة الحب والشهوة و
العشق فليس التذاذ من اشتد عشقه كالتذاذ من ضعفت شهوته وحبه والثالث كمال الادراك فليس التذاذه برؤية المعشوق
في ظلمة او من وراء ستر رقيق او من بعد كالتذاذه بادراكه على قرب من غير ستر رقيق وعند كمال الضوء ولا كمال ادراك لذة المضاجعة
مع ثوب حائل كادراكه مع التجرد والرابع اندفاع العوائق المشوشة والآلام الشاغلة للقلب فليس التذاذ الصحيح الفارغ
المتجرد للنظر الى المعشوق كالتذاذ الخائف المذعور او المريض المتألم او المشغول قلبه بمهم من المهمات فقدر عاشقا ضعيف العشق
ينظر الى وجه معشوقه من وراء ستر رقيق على بعد بحيث يمنع انكشاف كنه صورته في حالة اجتمع عليه عقارب وزنابير تؤذيه وتلدغه
وتشغل قلبه فهو في هذه الحالة لا يخلو عن لذة ما من مشاهدة معشوقه فلو طرأت على الفجأة حالة انهتك بها الستر واشرق الضوء
واندفع عنه المؤذيات وبقي سليما فارغا وهجمت عليه الشهوة القوية والعشق المفرط حتى بلغ حتى بلغ اقصى الغايات فانظر كيف تتفاوت
اللذة حتى لا يبقى للاول اليه نسبة يعتد بها فكذلك فافهم نسبة لذة النظر الى لذة المعرفة فالستر الرقيق مثال للبدن والاشتغال به
والعقارب والزنابير مثال للشهوات المتسلطة على الانسان من الجوع والعطش والغضب والغم والحزن وضعف الشهوة والحب
مثال لقصور النفس في الدنيا ونقصانها عن التشوق الى الملأ الاعلى والتفاتها الى اسفل السافلين وهو مثل قصور الصبي عن ملاحظة
لذة الرياسة والتفاته الى اللعب بالعصفور فالعارف وان قويت في الدنيا معرفته فلا يخلو عن هذه المشوشات ولا يتصور ان يخلو
عنها البتة نعم قد يضعف هذه العوائق في بعض الاحوال فلا يدوم فلا جرم يلوح من جمال المعرفة ما يبهت العقول وتعظم لذته بحيث
يكاد القلب ينفطر لعظمته ولكن يكون ذلك كالبرق الخاطف وقل ما يدوم بل يعرض من الشواغل والافكار والخواطر ما يشغله ويشوشه
وينغصه وهذه ضرورة قائمة في هذه الحياة الفانية فلا يزال هذه اللذة منغصة الى الموت وانما الحياة الطيبة بعد الموت
وانما العيش عيش الآخرة وان الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون وكل من انتهى الى هذه الرتبة فانه يحب لقاء الله فيحب الموت
ولا يكرهه الا من حيث ينتظر زيادة استكمال في المعرفة فان المعرفة كالبذر وبحر المعرفة لا ساحل له والاحاطة بكنه جلال الله محال
وكلما كثرت المعرفة بالله وبصفاته وافعاله وباسرار مملكته وقويت كثر النعيم في الآخرة وعظم كما انه كلما كثر البذر وحسن كثر
الزرع وحسن ولا يمكن تحصيل هذا البذر الا في الدنيا ولا يزرع الا في صعيد القلب ولا حصاد الا في الآخرة ولهذا قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل السعادات طول العمر في طاعة الله لان المعرفة انما تكمل وتكثر وتتسع في العمر الطويل بمداومة
الفكر والمواظبة على المجاهدة والانقطاع عن علائق الدنيا والتجرد للطلب ويستدعي ذلك زمانا لا محالة فمن احب الموت احبه
لانه رأى نفسه واقفا في المعرفة بالغا الى المنتهى ما يتيسر له ومن كره الموت كرهه لانه كان يؤمل مزيد معرفة يحصل له بطول العمر

العمر ورأى نفسه مقصرا عما يحتمله قوته لو عمر فهذا سبب كراهة الموت وحبه عند اهل المعرفة واما سائر الخلق فنظرهم
مقصور على شهوات الدنيا ان اتسعت احبوا البقاء وان ضاقت تمنوا الموت وكل ذلك حرمان ونقصان مصدره الجهل والغفلة
فالجهل والغفلة مغرس كل شقاوة والعلم والمعرفة اساس كل سعادة فقد عرفت بما ذكرناه معنى المحبة ومعنى العشق وانه المحبة المفرطة القوية
ومعنى لذة المعرفة ومعنى الرؤية ومعنى لذة الرؤية ومعنى كونها الذ من سائر اللذات عند ذوي الكمال وان لم يكن كذلك عند ذوي
النقصان كما لم تكن الرياسة الذ من المطعومات عند الصبيان فان قلت فهذه الرؤية محلها القلب او العين في الآخرة فاعلم
ان الناس قد اختلفوا فيه وارباب البصائر لا يلتفتون الى هذا الخلاف ولا ينظرون فيه بل العاقل ياكل البقل ولا يسأل عن المبقلة ومن يشتهي
رؤية معشوقه يشغله عشقه عن ان يلتفت الى ان رؤيته يخلق في عينه او في جبهته بل يقصد الرؤية ولذتها سواء كان ذلك
بالعين او غيرها فان العين محل وظرف ولا نظر اليه ولا حكم له والحق فيه ان القدرة الازلية واسعة فلا يجوز ان نحكم عليها بالقصور
عن احد الامرين هذا في حكم الجواز واما الواقع في الآخرة من الجائزين فلا يدرك الا بالسمع والحق فيه ما ظهر لاهل السنة والجماعة
من شواهد الشرع انه ذلك يخلق في العين ليكون لفظ الرؤية والنظر وسائر الالفاظ الواردة في الشرع يجري على ظاهرها اذ لا يجوز
ازالة الظواهر الا لضرورة ولا ضرورة داعية هنا والله اعلم

بيان الاسباب المقوية لحب الله تعالى

اعلم ان اسعد الخلق
حالا في الآخرة اقواهم حبا لله تعالى فان الآخرة معناه القدوم على الله تعالى ودرك سعادة لقائه وما اعظم نعيم المحب اذا قدم
على محبوبه بعد طول شوقه وتمكن من دوام مشاهدته ابد الآباد من غير منغص ومكدر ومن غير رقيب ومزاحم ومن غير خوف انقطاع
الا ان هذا النعيم على قدر قوة الحب فكلما ازداد الحب ازدادت اللذة وانما يكتسب العبد حب الله تعالى في الدنيا واصل الحب
لا ينفك عنه مؤمن لانه لا ينفك عن اصل المعرفة واما قوة الحب واستيلاؤه حتى ينتهي الى الاستهتار الذي يسمى عشقا فذلك
ينفك عنه الاكثرون وانما يحصل ذلك بسببين احدهما قطع علائق الدنيا واخراج حب غير الله من القلب فان القلب مثل الاناء الذي
لا يتسع للخل مثلا ما لم يخرج منه الماء وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وكمال الحب في ان يحب الله بكل قلبه وما دام يلتفت الى غيره
فزاوية من قلبه مشغول بغيره فبقدر ما يشتغل بغير الله ينقص منه حب الله وبقدر ما يبقى من الماء في الاناء ينقص من الخل المصبوب فيه والى
التفريد والتجريد الاشارة بقوله تعالى قل الله ثم ذرهم وبقوله الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا بل هو معنى قولك لا اله الا الله
اي لا معبود ولا محبوب سواه فكل محبوب فهو معبود فان العبد هو المقيد والمعبود هو المقيد به وكل محب فهو مقيد بما يحبه ولذلك قال الله
تعالى أرأيت من اتخذ الهه هواه وقال النبي صلى الله عليه وسلم ابغض اله عبد في الارض الهوى ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم
من قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة ومعنى الاخلاص ان يخلص قلبه لله فلا يبقى فيه شركة لغير الله فيكون الله محبوب قلبه لله فلا يبقى
فيه شركة لغير الله فيكون الله محبوب قلبه ومعبود قلبه ومقصود قلبه فقط ومن هذا حاله فالدنيا سجنه لانها مانعة له
عن مشاهدة محبوبه وموته خلاص من السجن وقدوم على المحبوب فما حال من ليس له الا محبوب واحد وقد طال اليه شوقه وتمادى
عنه حبسه فخلي من السجن ومكن من المحبوب وروح بالامن ابد الآباد فاحد اسباب ضعف حب الله تعالى في القلوب قوة
حب الدنيا ومنه حب الاهل والمال والولد والاقارب والعقار والدواب والبساتين والمتنزهات حتى ان المتفرج بطيب اصوات
الطيور وروح نسيم الاسحار ملتفت الى نعيم الدنيا ومتعرض لنقصان حب الله بسببه فبقدر ما انس بالدنيا ينقص انسه بالله
ولا يؤتى احد من الدنيا شيئا الا وينقص بقدره من الآخرة بالضرورة كما انه لا يقرب الانسان من المشرق الا ويبعد بالضرورة من المغرب
بقدره ولا يطيب قلب امرأة الا ويضيق قلب ضرتها فالدنيا والآخرة ضرتان وهما كالمشرق والمغرب وقد انكشف ذلك لذوي القلوب

انكشافا اوضح من الابصار بالعين ولا سبيل الى قلع حب الدنيا من القلب سوى سلوك طريق الزهد وملازمة الصبر والانقياد اليهما بزمام الخوف والرجاء فما ذكرناه من المقامات كالتوبة والصبر والزهد والخوف والرجاء هي مقدمات ليكتسب بها احد ركني المحبة وهو تخلية القلب عن غير الله واوله الايمان بالله واليوم الآخر والجنة والنار ثم يتشعب منه الخوف والرجاء ويتشعب منهما التوبة والصبر عليها ثم ينجر ذلك الى الزهد في الدنيا وفي المال والجاه وكل حظوظ الدنيا حتى يحصل من جميعه طهارة القلب عن غير الله فقط حتى يتسع بعده لنزول معرفة الله وحبه فيه فكل ذلك مقدمات تطهير القلب وهو احد ركني المحبة واليه الاشارة بقوله عليه السلام الطهور شطر الايمان كما ذكرناه في اول كتاب الطهارة السبب الثاني لقوة المحبة قوة معرفة الله تعالى واتساعها واستيلاؤها على القلب وذلك بعد تطهير القلب من جميع شواغل الدنيا وعلائقها وذلك يجري مجرى وضع البذر في الارض بعد تنقيتها من الحشيش وهو الشطر الثاني ثم يتولد من هذا البذر شجرة المحبة والمعرفة هي الكلمة الطيبة التي ضرب الله بها مثلا حيث قال ومثل كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء واليها الاشارة بقوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب فهي المعرفة ثم العمل الصالح يرفعه والعمل الصالح كالحمال له وكالخادم وانما العمل الصالح كله في تطهير القلب اولا من الدنيا ثم في ادامة طهارته فلا يراد العمل الا لهذه المعرفة واما العلم بكيفية العمل فيراد للعمل فالعلم هو الاول وهو الآخر وانما الاول علم المعاملة وغرضه العمل وغرض المعاملة صفاء القلب وطهارته ليتضح فيه جلية الحق ويتزين بعلم المعرفة وهو علم المكاشفة ومهما حصلت له هذه المعرفة تبعتها المحبة بالضرورة كما ان من كان معتدل المزاج اذا ابصر الجميل وادركه بالعين الظاهرة احبه ومال اليه ومهما احبه حصلت له اللذة فاللذة تبع المحبة بالضرورة والمحبة تبع المعرفة بالضرورة ولا يوصل الى هذه المعرفة بعد انقطاع شواغل الدنيا من القلب الا بالفكر الصافي والذكر الدائم والجد البالغ في الطلب والنظر المستمر في الله وفي صفاته وفي ملكوت سمواته وسائر مخلوقاته والواصلون الى هذه الرتبة ينقسمون الى الاقوياء ويكون اول معرفتهم لله تعالى ثم به يعرفون غيره والى الضعفاء ويكون اول معرفتهم بالافعال ثم يترقون منها الى الفاعل والى الاول الاشارة بقوله تعالى اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد وبقوله تعالى شهد الله انه لا اله الا هو ومنه نظر بعضهم حيث قيل له بم عرفت ربك فقال عرفت ربي بربي ولولا ربي ما عرفت ربي والى الثاني الاشارة بقوله تعالى سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم وبقوله اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وبقوله الذي خلق سبع سموات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين وهذا الطريق هو الاسهل على الاكثرين وهو الاوسع على السالكين واليه اكثر دعوة القرآن عند الامر بالتدبر والتفكر والاعتبار والنظر في آيات خارجة عن الحصر فان قلت كلا الطريقين مشكل فاوضح منهما ما يستعان به على تحصيل المعرفة والتوصل بها الى المحبة فاعلم ان الطريق الاعلى وهو الاستشهاد بالحق سبحانه على سائر الخلق فهو غامض والكلام فيه خارج عن حد فهم اكثر الخلق فلا فائدة في ايراده في الكتب واما الطريق الاسهل الادنى فاكثره غير خارج عن حد الافهام وانما قصرت الافهام عنها لاعراضها عن التدبر واشتغالها بشهوات الدنيا وحظوظ النفس والمانع من ذكر هذا اتساعه وكثرة ابوابه الخارجة عن الحصر والنهاية اذ ما من ذرة من اعلى السموات الى تخوم الارضين الا وفيها عجائب آيات تدل على كمال قدرة الله تعالى وكمال حكمته ومنتهى جلاله وعظمته وذلك مما لا يتناهى بل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي فالخوض فيه انغماس في بحار علوم المكاشفة فلا يمكن ان نتطفل به على علوم المعاملة ولكن يمكن الرمز الى مثال واحد على الايجاز ليقع التنبه لجنسه فنقول اسهل الطريقين النظر الى الافعال فلنتكلم فيها ولنترك الاعلى ثم الافعال الالهية كثيرة فلنطلب اقلها واحقرها واصغرها ولننظر في عجائبها فاقل المخلوقات هي الارض وما عليها اعني بالاضافة الى الملائكة وملكوت السموات فانك ان نظرت فيها من حيث الجسم والعظم في الشخص فالشمس على

ما ترى من صغر حجمها هي مثل الارض مائة ونيفا وستين مرة فانظر الى صغر الارض بالاضافة اليها ثم انظر الى صغر الشمس بالاضافة الى فلكها الذي هي مركوزة فيه فانه لا نسبة لها اليه وهي في السماء الرابعة وهي صغيرة بالاضافة الى ما فوقها من السموات ثم السموات السبع في الكرسي كحلقة في فلاة والكرسي في العرش كذلك فهذا نظر الى ظاهر الاشخاص من حيث المقادير وما احقر الدنيا كلها بالاضافة اليها بل ما اصغر الارض بالاضافة الى البحار فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الارض في البحر كالاصطبل في الارض ومصداق هذا عرف بالمشاهدة والتجربة وعلم ان المكشوف من الارض عن الماء كجزيرة صغيرة بالاضافة الى كل الارض ثم انظر الى الآدمي المخلوق من التراب الذي هو جزء من الارض والى سائر الحيوانات والى صغرها بالاضافة الى حجم الارض ودع عنك جميع ذلك فاصغر ما نعرفه من الحيوانات البعوض والنحل وما يجري مجراه فانظر في البعوض على صغر قدره وتأمله بعقل حاضر وفكر صاف فانظر كيف خلقه الله عز وجل على شكل الفيل الذي هو اعظم الحيوانات اذ خلق له خرطوما مثل خرطومه وخلق له على شكله الصغير سائر اعضائه كما خلقه للفيل بزيادة جناحين وانظر كيف قسم اعضاءه الظاهرة وكيف انبت له جناحين واخرج يده ورجله وشق سمعه وبصره ودبر في باطنه من اعضاء الغذاء وآلاته ما دبره في سائر الحيوانات وركب فيها من القوة الغاذية والجاذبة والماسكة والدافعة والهاضمة ما ركب في سائر الحيوانات هذا في شكله وصفاته ثم انظر الى هدايته كيف هداه الله تعالى الى غذائه وعرفه ان غذاءه دم الانسان ثم كيف انبت له آلة الطيران الى الانسان وكيف خلق له الخرطوم الطويل وهو محدد الرأس وكيف هداه الى الامتصاص من مسام بشرة الانسان حتى يضع خرطومه في واحد منها ثم كيف قواه حتى غرز فيه الخرطوم وكيف علمه المص والتجرع للدم وكيف خلق الخرطوم مع دقته مجوفا حتى يجري فيها الدم الرقيق وينتهي الى باطنه وينتشر في سائر اجزائه ويغذيه ثم كيف عرفه ان الانسان يقصده بيده فعلمه حيلة الهرب واستعداد الة وخلق له السمع الذي يسمع به خفيف حركة اليد وهي بعد بعيدة منه فيترك المص ويهرب ثم اذا سكنت اليد يعود ثم انظر كيف خلق له حدقتين حتى يبصر مواضع غذائه فيقصدها مع صغر حجمه وجهه وانظر الى حدقة كل حيوان صغير لما لم يحتمل الاجفان لصغره وكانت الاجفان مصقلة لمرآة الحدقة عن الكدورات خلق للبعوض والذباب يدين فتنظر الى الذباب فتراه على الدوام يمسح حدقتيه بيديه واما الانسان والحيوان الكبير فخلق لحدقتيه الاجفان حتى ينطبق احدهما على الآخر واطرافها حادة فيجمع الغبار الذي يلحق الحدقة ويرميها الى اطراف الاهداب وخلق الاهداب السود لتجمع ضوء العين وتعين على الابصار وتحسن صورة العين وتشبكها عند هيجان الغبار فينظر من وراء شباك الاهداب واشتباكها يمنع دخول الغبار ولا يمنع الابصار واما البعوض فخلق لها حدقتين مصقلتين من غير اجفان وعلمها كيفية التصقيل باليدين ولاجل ضعف ابصارها تراها تتهافت على السراج لان بصرها ضعيف فهي تطلب ضوء النهار فاذا رأى المسكين ضوء السراج بالليل ظن انه في بيت مظلم وان السراج كوة من البيت المظلم الى الموضع المضيء فلا يزال يطلب الضوء ويرمي بنفسه الى الكوة فاذا جاوزها ورأى الظلام ظن انها لم تصب الكوة ولم يقصدها على السداد فيعود اليها مرة اخرى الى ان يحترق ولعلك تظن ان هذا لنقصانها وجهلها فاعلم ان جهل الانسان اعظم من جهلها بل صورة الآدمي في الانكباب على شهوات الدنيا صورة الفراش في التهافت على النار اذ يلوح للآدمي انوار الشهوات من حيث ظاهر صورتها ولا يدري ان تحتها السم القاتل فلا يزال يرمي نفسه عليها الى ان ينغمس فيها ويتقيد بها ويهلك هلاكا مؤبدا فليت كان جهل الآدمي كجهل الفراش فانها باغترارها بظاهر الضوء ان احترقت تخلصت في الحال والآدمي يبقى في النار ابد الآباد او مدة مديدة ولذلك كان ينادي رسول الله صلى الله عليه وسلم انكم تتهافتون على النار تهافت الفراش وانا آخذ بحجزكم فهذه لمعة من عجائب صنع الله تعالى في اصغر الحيوانات وفيها من العجائب ما لو اجتمع الاولون والآخرون على الاحاطة بكنهها عجزوا عن حقيقتها ولم يطلعوا على امور جلية من ظاهر صورتها واما خفايا معانيها فلا يطلع عليها الا الله ثم في كل حيوان ونبات اعجوبة واعاجيب تخصها لا يشاركها غيرها فانظر الى النحل وعجائبها

وكيف اوحى الله تعالى الى النحل حتى اتخذت من الجبال بيوتا وكيف استخرج من لعابها الشمع والعسل وجعل احدهما ضياء والآخر شفاء
ثم لو تأملت عجائبها في تناولها الازهار والانوار واحترازها عن النجاسات والاقذار وطاعتها لواحد من جملتها هو اكبرها شخصا وهو
اميرها ثم ما سخر الله له اميرها من العدل والانصاف بينها حتى انه ليقتل على باب المنفذ كل ما وقع منها على نجاسة لقضيت منها العجب
ان كنت بصيرا في نفسك وفارغا من هم بطنك وفرجك وشهوات نفسك ومعاداة اقرانك وموالاة اخوانك ثم دع عنك
جميع ذلك وانظر الى بنائها بيوتها من الشمع واختيارها من جملة الاشكال الشكل المسدس فلا تبني بيتها مستديرا ولا مربعا ولا مخمسا
بل مسدسا لخاصية في شكل المسدس يقصر فهم المهندسين عن دركه وهو ان اوسع الاشكال واحواها المستدير وما يقرب منه فان المربع
يخرج منه زوايا ضائعة وشكل النحل مستدير مستطيل فترك المربع حتى لا تضيع الزوايا فيبقى فارغة ثم لو بناها مستديرا لبقيت خارج البيوت
فرج ضائعة فان الاشكال المستديرة اذا اجتمعت لم تجتمع متراصة ولا شكل في الاشكال ذوات الزوايا يقرب في الاحتواء من المستدير
ثم تتراص الجملة منه بحيث لا يبقى بعد اجتماعها فرجة الا المسدس وهذه خاصية هذا الشكل فانظر كيف الهم الله تعالى النحل على صغر جرمه
لطفا به وعناية بوجوده ما هو محتاج اليه ليتهنأ عيشها فسبحانه ما اعظم شانه واوسع لطفه وامتنانه فاعتبر بهذا المقدار اليسير
من محقرات الحيوانات ودع عنك عجائب ملكوت الارض والسموات فان القدر الذي بلغه فهمنا القاصر عنه ينقضي العمر دون ايضاحه ولا
نسبة لما احاط به علمنا الى ما احاط به العلماء والانبياء على نبينا وعليهم الصلوة ولا نسبة لما احاط به الخلائق كلهم الى ما استأثر الله تعالى
بالاضافة اليه بل كل ما عرفه الخلق لا يستحق ان يسمى علما في جنب علم الله تعالى فبالنظر في هذا وامثاله تزداد المعرفة الحاصلة باسهل
باسهل الطريقين وبزيادة المعرفة تزداد المحبة فان كنت طالبا سعادة لقاء الله فانبذ الدنيا وراء ظهرك واستغرق العمر في الذكر
الدائم والفكر اللازم فعساك تحظى منها بقدر يسير ولكن تنال بذلك اليسير ملكا عظيما لا آخر له

بيان السبب في تفاوت الناس في الحب

اعلم ان المؤمنين مشتركون في اصل المحبة لاشتراكهم في اصل الايمان ولكنهم متفاوتون لتفاوتهم في المعرفة وفي حب الدنيا
اذ الاشياء انما تتفاوت بتفاوت اسبابها واكثر الناس ليس لهم من معرفة الله الا الصفات والاسماء التي قرع سمعهم فتلقفوها
وحفظوها وربما تخيلوا لها معاني يتعالى عنها رب الارباب وربما لم يطلعوا على حقيقتها ولا تخيلوا لها معنى فاسدا بل آمنوا بها
ايمان تسليم وتصديق واشتغلوا بالعمل وتركوا البحث وهؤلاء هم اهل السعادة من اصحاب اليمين والمتخيلون هم الضالون والعارفون
بالحقائق هم المقربون فقد ذكر الله تعالى حال الاصناف الثلثة في قوله فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم الآيات
وانك لا تفهم الامور الا بالامثلة فلنضرب لتفاوت الحب مثلا فنقول اصحاب الشافعي مثلا يشتركون في حب الشافعي العلماء
والفقهاء والعوام لانهم يشتركون في معرفة فضله ودينه وحسن سيرته ومحامد خصاله ولكن العامي يعرف علمه مجملا والفقيه يعرفه مفصلا
فيكون معرفة الفقيه به اتم واعجابه به وحبه له اشد ومن رأى تصنيف مصنف فاستحسنه وعرف به فضله احبه لا محالة ومال
اليه قلبه فان رأى تصنيفا آخر احسن منه واعجب تضاعف لا محالة حبه لانه تضاعفت معرفته بعلمه وكذلك يعتقد الرجل في الشاعر
انه حسن الشعر فيحبه فاذا سمع من غرائب شعره ما عظم فيه حذقه وصنعته ازداد به معرفة وازداد له حبا وكذا سائر الصناعات و
الفضائل فالعامي قد يسمع ان فلانا مصنف وانه حسن التصنيف ولكن لا يدري ما في التصنيف فيكون له معرفة مجملة ويكون له
بحسبه ميل مجمل والبصير اذا فتش عن التصانيف واطلع على ما فيه من العجائب تضاعف حبه لا محالة لان عجائب الصنعة والشعر
والتصنيف تدل على كمال صفات الفاعل والمصنف والعالم بجملته صنع الله وتصنيفه والعامي يعلم ذلك ويعتقده واما البصير
فانه يطالع تفصيل صنع الله وتفصيله حتى يرى في البعوض مثلا من عجائب صنعه ما يبهر عقله ويتحير فيه لبه فيزداد بسببه لا محالة

لا محالة عظمة الله وجلاله وكمال صفاته في قلبه فيزداد له حبا وكلما ازداد على عجائب صنع الله اطلاعا استدل به على عظمة
الصانع وجلاله وازداد به معرفة له وحبا وبحر هذه المعرفة اعني معرفة عجائب صنع الله تعالى لا ساحل له فلا جرم تفاوت اهل
المعرفة في الحب لا حصر له ومما يتفاوت بسببه الحب ايضا اختلاف الاسباب الخمسة التي ذكرناها للحب فان من يحب الله تعالى مثلا
لكونه محسنا اليه منعما عليه ولم يحبه لذاته ضعفت محبته اذ تتغير بتغير الاحسان فلا يكون حبه في حالة البلاء كحبه في حالة
الرخاء والنعماء واما من يحب الله لذاته ولانه مستحق للحب بسبب كماله وجماله ومجده وعظمته فانه لا يتفاوت حبه بتفاوت
الاحسان اليه فهذا وامثاله هو سبب تفاوت الناس في المحبة والتفاوت في سعادة الآخرة ولذلك قال تعالى وللآخرة اكبر
درجات واكبر تفضيلا

بيان السبب في قصور افهام الخلق عن معرفة الله تعالى

اعلم ان اظهر الموجودات واجلاها هو
الله تعالى فكان هذا يقتضي ان يكون معرفته اول المعارف واسبقها الى الافهام واسهلها على العقول ونرى الامر بالضد من ذلك
فلابد من بيان السبب فيه وانما قلنا انه اظهر الموجودات واجلاها لمعنى لا تفهمه الا بمثال وهو انا وجدنا في عقولنا اذا راينا
انسانا يكتب او يخيط كان كونه حيا عندنا من اظهر الموجودات فحيوته وعلمه وقدرته وارادته للخياطة اجلى عندنا من
سائر صفاته الظاهرة والباطنة اذ صفاته الباطنة كشهوته وغضبه وخلقه وصحته ومرضه وكل ذلك لا نعرفه وصفاته
الظاهرة لا نعرف بعضها وبعضها نشك فيه كمقدار طوله واختلاف لون بشرته وغير ذلك من صفاته اما حيوته وقدرته وارادته
وعلمه وكونه حيوانا فانه جلي عندنا من غير ان يتعلق حس البصر بحيوته وقدرته وارادته فان هذه الصفات لا تحس بشيء من الحواس
ثم لا يمكن ان نعرف حيوته وقدرته وارادته الا بخياطته وحركته فلو نظرنا الى كل ما في العالم سواه لم نعرف به صفته فما عليه
الا دليل واحد وهو مع ذلك جلي واضح ووجود الله تعالى وقدرته وعلمه وسائر صفاته يشهد له بالضرورة كل ما نشاهده
وندركه بالحواس الظاهرة والباطنة من حجر ومدر ونبات وشجر وحيوان وسماء وارض وكوكب وبر وبحر وهواء ونار وجوهر
وعرض بل اول شاهد عليه انفسنا واجسامنا واوصافنا وتقلب احوالنا وتغير قلوبنا وجميع اطوارنا في حركاتنا وسكناتنا
واظهر الاشياء في علمنا انفسنا ثم محسوساتنا بالحواس الخمس ثم مدركاتنا بالعقل والبصيرة وكل واحد من هذه المدركات له
مدرك واحد وشاهد واحد ودليل واحد وجميع ما في العالم شواهد ناطقة وادلة شاهدة بوجود خالقها ومدبرها ومصرفها
ومحركها ودالة على علمه وقدرته ولطفه وحكمته والموجودات المدركة لا حصر لها فان كان حيوة الكاتب ظاهرة عندنا وليس يشهد
له الا شاهد واحد وهو ما احسسنا من حركة يده فكيف لا يظهر عندنا ما لا يتصور في الوجود شيء داخل نفوسنا وخارجها
الا وهو شاهد عليه وعلى عظمته وجلاله اذ كل ذرة فانها تنادي بلسان حالها انه ليس وجودها بنفسها ولا حركتها بذاتها وانها
محتاجة الى موجد ومحرك لها يشهد بذلك اولا تركيب اعضائنا وائتلاف عظامنا ولحومنا واعصابنا ومنابت شعورنا
وتشكل اطرافنا وسائر اجزائنا الظاهرة والباطنة فانا نعلم انها لم تأتلف بنفسها ولكن لما لم يبق في الوجود مدرك ومحسوس
ومعقول وحاضر وغائب الا وهو شاهد بوجوده ومعرف عظم ظهوره فانبهرت العقول ودهشت عن ادراكه فانما يتقاصر
عن فهمه عقولنا لشيئين احدهما خفاؤه في نفسه وغموضه وذلك لا يخفى مثاله والآخر ما يتناهى وضوحه وهذا كما ان
الخفاش يبصر بالليل ولا يبصر بالنهار لا لخفاء النهار واستتاره ولكن لشدة ظهوره فان بصر الخفاش ضعيف يبهره نور الشمس
اذا اشرقت فتكون قوة ظهوره مع ضعف بصره سببا لامتناع ابصاره فلا يرى الا اذا امتزج الظلام بالضوء وضعف ظهوره
فكذلك عقولنا ضعيفة وجمال الحضرة الالهية في نهاية الاشراق والاستنارة وفي غاية الاستغراق والشمول حتى

لم يشذ عن ظهوره ذرة من ملكوت السموات والارض فصار سبب خفائه فسبحان من احتجب باشراق نوره واختفى عن الابصار والبصائر بظهوره ولا تتعجب من اختفاء ذلك بسبب الظهور فان الاشياء تستبان باضدادها وما عم وجوده حتى لا ضد له عسر ادراكه فلو اختلفت الاشياء فدل بعضها دون البعض ادركت التفرقة على قرب ولما اشتركت في الدلالة على نسق واحد اشكل الامر ومثاله نور الشمس المشرق على الارض فانا نعلم انه عرض من الاعراض يحدث في الارض ويزول عند غيبة الشمس فلو كانت الشمس دائمة الاشراق لا غروب لها لكنا نظن انه لا هيئة في الاجسام الا الوانها وهي السواد والبياض وغيرهما فانا لا نشاهد في الاسود الا السواد وفي الابيض الا البياض فاما الضوء فلا ندركه وحده ولكن لما غابت الشمس واظلمت المواضع ادركنا تفرقة بين الحالين فعلمنا ان الاجسام كانت قد استضاءت بضوء واتصفت بصفة فارقتها عند الغروب فعرفنا وجود النور بعدمه وما كنا نطلع عليه لولا عدمه الا بعسر شديد وذلك لمشاهدتنا الاجسام متشابهة غير مختلفة في الظلام والنور هذا مع ان النور اظهر المحسوسات اذ به تدرك سائر المحسوسات فما هو ظاهر في نفسه وهو مظهر لغيره انظر كيف تصور استبهام امره بسبب ظهوره لولا طريان ضده فالله تعالى هو اظهر الامور وبه ظهرت الاشياء كلها ولو كان له عدم او غيبة او تغير لانهدت السموات والارض وبطلت الملك والملكوت ولادرك بذلك التفرقة بين الحالين ولو كان بعض الاشياء موجودا به وبعضها موجودا بغيره لادركت التفرقة بين الشيئين في الدلالة ولكن دلالته عامة في الاشياء على نسق واحد ووجوده دائم في الاحوال يستحيل خلافه فلا جرم اورثت شدة الظهور خفاء فهذا هو السبب في قصور الافهام واما من قويت بصيرته ولم تضعف منته فانه في حال اعتدال امره لا يرى الا الله ولا يعرف غيره يعلم انه ليس في الوجود الا الله وافعاله اثر من آثار قدرته فهي تابعة له فلا وجود لها بالحقيقة وانما الوجود للواحد الحق الذي به وجود الافعال كلها ومن هذا حاله فلا ينظر في شيء من الافعال الا ويرى فيه الفاعل ويذهل عن الفعل من حيث انه سماء وارض وحيوان بل ينظر فيه من حيث انه صنعه فلا يكون نظره مجاوزا له الى غيره كمن نظر في شعر انسان او خطه او تصنيفه فراى فيه الشاعر والمصنف وراى آثاره من حيث انها آثاره لا من حيث انه حبر وعفص وزاج مرقوم على بياض فلا يكون قد نظر الى غير المصنف وكل العالم تصنيف الله فمن نظر اليها من حيث انها فعل الله تعالى وعرفها من حيث انها فعل الله واحبها من حيث انها فعل الله لم يكن ناظرا الا في الله ولا عارفا الا بالله ولا محبا الا لله وكان هو الموحد الحق الذي لا يرى الا الله بل لا ينظر الى نفسه من حيث نفسه بل من حيث انه عبد الله فهذا هو الذي يقال فيه انه فنى في التوحيد وانه فنى من نفسه واليه الاشارة بقول من قال كنا بنا ففنينا عنا فبقينا نحن بلا نحن فهذه امور معلومة عند ذوي الابصار اشكلت لضعف الافهام عن دركها وقصور قدرة العلماء عن ايضاحها وبيانها بعبارة مفهمة موصلة للغرض الى الافهام او باشتغالهم بانفسهم واعتقادهم ان بيان ذلك لغيرهم مما لا يعنيهم فهذا هو السبب في قصور الافهام عن معرفة الله تعالى وانضم اليه ان المدركات كلها التي هي شاهدة على الله انما يدركها الانسان في الصبى عند فقد العقل ثم تبدو فيه غريزة العقل قليلا قليلا وهو مستغرق الهم بشهواته وقد انس بمدركاته ومحسوساته والفها فسقط وقعها عن قلبه بطول الانس ولذلك اذا راى على سبيل الفجاءة حيوانا غريبا او نباتا غريبا او فعلا من افعال الله خارقا للعادة عجيبا انطلق لسانه بالمعرفة طبعا فقال سبحان الله وهو يرى طول النهار نفسه واعضاءه وسائر الحيوانات المالوفة وكلها شواهد قاطعة ولا يحس بشهادتها لطول الانس بها ولو فرض اكمه بلغ عاقلا ثم انقشعت غشاوة عينه فامتد بصره الى السماء والارض والاشجار والنبات والحيوان دفعة واحدة على سبيل الفجاءة لخيف على عقله ان ينبهر لعظم تعجبه من شهادة هذه العجائب على خالقها فهذا وامثاله من الاسباب مع الانهماك في الشهوات هي التي سدت على الخلق سبيل الاستضاءة بانوار المعرفة والسباحة في بحارها الواسعة

فالناس في طلبهم معرفة الله تعالى كالمدهوش الذي يضرب به المثل اذ كان راكبا حماره وهو يطلب حماره وينشده من غيره والجليات اذا صارت مطلوبة صارت معتاصة فهذا سر هذا الامر فليحقق ولذلك قيل

لقد ظهرت فما تخفى على احد الا على اكمه لا يعرف القمرا
لكن بطنت بما اظهرت محتجبا فكيف يعرف من بالعرف استترا

بيان معنى الشوق الى الله تعالى

اعلم ان من انكر حقيقة المحبة لله عز وجل فلا بد ان ينكر حقيقة الشوق اذ لا يتصور الشوق الا الى محبوب ونحن نثبت وجود الشوق الى الله تعالى وكون العارف مضطرا اليه بطريق الاعتبار والنظر بانوار البصائر وبطريق الاخبار والآثار اما الاعتبار فيكفي في اثباته ما سبق في اثبات الحب فكل محبوب فهو يشتاق اليه في غيبته فان الحاصل الحاضر لا يشتاق اليه فان الشوق طلب وتشوق الى امر والموجود لا يطلب ولكن بيانه ان الشوق لا يتصور الا الى شيء ادرك من وجه ولم يدرك من وجه فاما ما لم يدرك اصلا فلا يشتاق اليه فان من لم ير شخصا ولم يسمع وصفه لا يتصور ان يشتاق اليه وما ادرك من وجه بكماله لا يشتاق اليه وكمال الادراك بالرؤية فمن كان في مشاهدة محبوبه مداوما للنظر اليه لا يتصور ان يكون له شوق ولكن الشوق انما يتعلق بما ادرك من وجه وهو من وجهين لا ينكشف الا بمثال من المشاهدات فنقول مثلا من غاب عنه معشوقه وبقي في قلبه خياله فيشتاق الى استكمال خياله بالرؤية فلو انمحى عن قلبه ذكره وخياله ومعرفته حتى نسيه لم يتصور ان يشتاق اليه ولو رآه لم يتصور ان يشتاق في وقت الرؤية فمعنى شوقه تشوق نفسه الى استكمال خياله وكذلك قد يراه في ظلمة بحيث لا ينكشف له حقيقة صورته فيشتاق الى استكمال رؤيته وتمام الانكشاف في صورته باشراق الضوء عليه والثاني ان يرى وجه محبوبه ولا يرى شعره مثلا ولا سائر اعضائه فيشتاق الى رؤيته وان لم يرها قط ولم يثبت في نفسه خيال صادر عن الرؤية ولكنه يعلم ان له اعضاء جميلة ولم يدرك تفصيل جمالها بالرؤية فيشتاق الى ان ينكشف له ما لم يره قط والوجهان جميعا متصوران في حق الله تعالى بل هما لازمان بالضرورة لكل العارفين فان ما اتضح للعارفين من الامور الالهية وان كانت في غاية الوضوح فكانه من وراء ستر رقيق فلا يكون متضحا غاية الاتضاح بل يكون مشوبا بشوائب التخيلات فان الخيال لا يفتر في هذا العالم عن التمثيل والمحاكاة لجميع المعلومات وهي مكدرات للمعارف ومنغصات وكذلك تنضاف اليها شواغل الدنيا فانما كمال الوضوح بالمشاهدة وتمام اشراق التجلي ولا يكون ذلك الا في الآخرة وذلك بالضرورة يوجب الشوق فانه منتهى محبوب العارفين فهذا احد نوعي الشوق وهو استكمال الوضوح فيما اتضح اتضاحا ما الثاني ان الامور الالهية لا نهاية لها وانما ينكشف لكل عبد من العباد بعضها وتبقى امور لا نهاية لها غامضة والعارف يعلم وجودها وكونها معلومة لله ويعلم ان ما غاب عن علمه من المعلومات اكثر مما حضر فلا يزال يتشوق الى ان يحصل له اصل المعرفة فيما لم يحصل فيما بقي من المعلومات التي لم يعرفها اصلا لا معرفة واضحة ولا معرفة غامضة والشوق الاول ينتهي في الدار الآخرة بالمعنى الذي يسمى رؤية ولقاء ومشاهدة ولا يتصور ان يسكن في الدنيا وقد كان ابراهيم بن ادهم من المشتاقين فقال قلت ذات يوم يا رب ان اعطيت احدا من المحبين لك ما يسكن به قلوبهم قبل لقائك فاعطني ذلك فقد اضر بي القلق قال فرايت في النوم انه اوقفني بين يديه وقال يا ابراهيم اما استحييت مني ان تسالني ان اعطيك ما يسكن به قلبك قبل لقائي وهل يسكن المشتاق قبل لقاء حبيبه فقلت يا رب تهت في حبك فلم ادر ما اقول فاغفر لي وعلمني ما اقول فقال قل اللهم رضني بقضائك واصبرني على بلائك واوزعني شكر نعمائك فاذن هذا الشوق يسكن في الآخرة واما الشوق الثاني فيشبه ان لا يكون له نهاية لا في الدنيا ولا في الآخرة اذ نهايته ان ينكشف للعبد في الآخرة من جلال الله تعالى وصفاته وحكمته وافعاله ما هو معلوم لله وهو محال لان ذلك لا نهاية له فلا يزال العبد عالما بانه قد بقي من الجمال والجلال ما لم يتضح له فلا يسكن قط شوقه لا سيما من يرى فوق درجته درجات كثيرة الا انه شوق الى استكمال الوصال مع حصول اصل الوصال فهو لذلك شوق لذيذ لا يظهر فيه الم ولا يبعد ان تكون الطاف الكشف والنظر متوالية الى غير نهاية فلا يزال النعيم واللذة متزايدا ابد الآباد ويكون لذة ما يتجدد من لطائف النعيم شاغلا عن الاحساس بالشوق الى ما لم يحصل وهذا بشرط

ان يكون حصول الكشف فيما لم يحصل فيه كشف في الدنيا اصلاً فان ذلك غير مبذول فيكون النعيم واقفاً على حدٍّ لا يتضاعف ولكن يكون مستمراً
على الدوام وقوله سبحانه وتعالى يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا يحتمل لهذا المعنى وهو ان ينعم عليه باتمام النور
مهما تزود من الدنيا اصل النور ويحتمل ان يكون المراد به اتمام النور وغيره مما استنار في الدنيا استنارة محتاجة الى مزيد الكمال والاشراق
فيكون هو المراد بتمامه وقوله تعالى انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً يدل على ان الانوار لا بد ان يتزود اصلها في
الدنيا ثم يزداد في الآخرة اشراقاً فاما ان يتجدد نور فلا والحكم في هذا برجم الظنون مخطر ولم ينكشف لنا بعد فيه ما يوثق به فنسأل الله تعالى
ان يزيدنا علماً ورشداً ويرينا الحق حقاً فهذا القدر كاف من انوار البصائر فهي كاشفة لحقائق الشوق ومعانيه واما شواهد الاخبار
والآثار فاكثر من ان تحصى ومما اشتهر من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يقول اللهم اني اسألك الرضا بعد القضا وبرد العيش
بعد الموت ولذة النظر الى وجهك الكريم وشوقاً الى لقائك وقال ابو الدرداء لكعب اخبرني عن اخص آية في التورية فقال يقول الله عز وجل
طال شوق الابرار الى لقائي واني الى لقائهم لاشد شوقاً ومكتوب الى جانبها من طلبني وجدني ومن طلب غيري لم يجدني فقال ابو الدرداء
اشهد اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هذا وفي اخبار داود عليه الصلوة والسلم ان الله تعالى قال يا داود ابلغ اهل الارض مني
اني حبيب لمن احبني وجليس لمن جالسني ومؤنس لمن انس بذكري وصاحب لمن صاحبني ومختار لمن اختارني ومطيع لمن اطاعني ما احبني عبد اعلم ذلك
من قلبه الا قبلته لنفسي واحببته حباً لا يتقدمه احد من خلقي من طلبني بالحق وجدني ومن طلب غيري لم يجدني فارفضوا يا اهل الارض ما انتم
عليه من غرورها وهلموا الى كرامتي ومصاحبتي ومجالستي وائنسوا بي او انسكم واسارع الى محبتكم فاني خلقت طينة احبائي من طينة ابرهيم خليلي
وموسى نجيي ومحمد صفيي وخلقت قلوب المشتاقين من نوري ونعمتها بجلالي وروى عن بعض السلف ان الله تعالى اوحى الى بعض الصديقين
ان لي عباداً من عبادي يحبوني واحبهم ويشتاقون الي واشتاق اليهم ويذكروني واذكرهم وينظرون الي وانظر اليهم فان حذوت طريقهم احببتك وان
عدلت عنهم مقتك قال يا رب وما علامتهم قال يراعون الظلال بالنهار كما يراعي الراعي الشفيق غنمه ويحنون الى غروب الشمس كما يحن الطير
الى اوكارها عند الغروب فاذا جنهم الليل واختلط الظلام وفرشت الفرش ونصبت الاسرة وخلا كل حبيب بحبيبه نصبوا الى اقدامهم وافترشوا
الي وجوههم وناجوني بكلامي وتملقوني بانعامي فبين صارخ وباك وبين متأوه وشاك وبين قائم وقاعد وبين راكع وساجد بعيني ما يتحملون من
اجلي وبسمعي ما يشتكون من حبي اول ما اعطيهم ثلاث اقذف من نوري في قلوبهم فيخبرون عني كما اخبر عنهم والثانية لو كانت السموات والارض
وما فيهما في موازينهم لاستقللتها لهم والثالثة اقبل بوجهي اليهم افترى من اقبلت بوجهي اليه يعلم احد ما اريد ان اعطيه وفي اخبار داود صلى الله
عليه وسلم ان الله تعالى اوحى اليه يا داود الى كم تذكر الجنة ولا تسألني الشوق الي قال يا رب من المشتاقون اليك قال المشتاقون الذين صفيتهم
من كل كدر ونبهتهم بالحذر وخرقت من قلوبهم الي خرقاً ينظرون الي واني لاحمل قلوبهم بيدي فاضعها على سمائي ثم ادعو نجباء ملائكتي فاذا
اجتمعوا سجدوا لي فاقول اني لم ادعكم لتسجدوا لي ولكن دعوتكم لاعرض عليكم قلوب المشتاقين الي واباهي بكم اهل الشوق الي فان قلوبهم
لتضيء في سمائي لملائكتي كما تضيء الشمس لاهل الارض يا داود اني خلقت قلوب المشتاقين من رضواني ونعمتها بنور وجهي فاتخذتهم لنفسي محدثين
وجعلت ابدانهم موضع نظري الى الارض وقطعت من قلوبهم طريقاً ينظرون به الي يزدادون في كل يوم شوقاً قال داود يا رب ارني اهل محبتك
فقال يا داود ائت جبل لبنان فان فيه اربعة عشر نفساً فيهم شبان وفيهم كهول وفيهم مشايخ فاذا اتيتهم فاقرئهم مني السلام وقل لهم ان ربكم
يقرئكم السلام ويقول لكم الا تسألون حاجة فانكم احبائي واصفيائي واوليائي افرح لفرحكم واسارع الى محبتكم فاتاهم داود فوجدهم عند عين
من العيون يتفكرون في عظمة الله عز وجل فلما نظروا الى داود نهضوا ليتفرقوا عنه فقال داود اني رسول الله اليكم جئتكم لابلغكم رسالة ربكم فاقبلوا
نحوه والقوا اسماعهم نحو قوله والقوا ابصارهم الى الارض فقال داود اني رسول الله اليكم يقرئكم السلام ويقول لكم الا تسألون حاجة الا

الا تنادوني اسمع كلامكم فانكم احبائي واصفيائي واوليائي افرح لفرحكم واسارع الى محبتكم وانظر اليكم في كل ساعة نظر الوالدة
الشفيقة الرفيقة فجرت الدموع على خدودهم فقال شيخهم سبحانك سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك فاغفر لنا ما قطع قلوبنا عن ذكرك فيما
مضى من عمرنا وقال الآخر سبحانك سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك فامنن علينا بحسن النظر فيما بيننا وبينك وقال الآخر سبحانك سبحانك
نحن عبيدك وبنو عبيدك افنجترئ على الدعاء وقد علمت انه لا حاجة لنا في شيء من امورنا فادم لنا لزوم الطريق اليك واتمم بذلك المنة
علينا وقال الآخر نحن مقصرون في طلب رضاك فاعنا عليه بجودك وقال الآخر من نطفة خلقتنا ومننت علينا بالتفكر في عظمتك
افيجترئ على الكلام من هو متفكر في عظمتك مشتغل بجلالك وطلبتنا الدنو من نورك وقال الآخر كلت السنتنا عن دعائك لعظم شأنك
وقربك من اوليائك وكثرة منتك على اهل محبتك وقال الآخر انت هديت قلوبنا لذكرك وفرغتنا للاشتغال بك فاغفر لنا تقصيرنا في
شكرك وقال الآخر قد عرفت حاجتنا انما هي النظر الى وجهك وقال الآخر كيف يجترئ العبد على سيده اذ امرتنا بالدعاء بجودك
فهب لنا نوراً نهتدي به في الظلمات من اطباق السموات وقال الآخر ندعوك ان تقبل علينا وتديمه عندنا وقال الآخر نسألك تمام نعمتك
فيما وهبت لنا وتفضلت به علينا وقال الآخر لا حاجة لنا في خلقك فامنن علينا بالنظر الى جمال وجهك وقال الآخر اسألك
من بينهم ان تعمي عيني عن النظر الى الدنيا واهلها وقلبي عن الاشتغال بالآخرة وقال الآخر قد عرفت انك تباركت وتعاليت تحب اولياءك فامنن
علينا باشتغال القلب بك عن كل شيء دونك فاوحى الله تعالى الى داود قل لهم قد سمعت كلامكم واجبتكم الى ما احببتم فليفارق كل واحد منكم
صاحبه وليتخذ لنفسه سرباً فاني كاشف الحجاب فيما بيني وبينكم حتى تنظروا الى نوري وجلالي فقال داود يا رب بم نالوا هذا منك
قال بحسن الظن والكف عن الدنيا واهلها والخلوات بي ومناجاتهم وان هذا منزل لا يناله الا من رفض الدنيا واهلها ولم يشتغل بشيء من
ذكرها وفرغ قلبه لي واختارني على جميع خلقي فعند ذلك اعطف عليه وافرغ نفسه واكشف الحجاب فيما بيني وبينه حتى ينظر الي نظر
الناظر بعينه الى الشيء واريه كرامتي في كل ساعة واقربه من نور وجهي ان مرض مرضته كما تمرض الوالدة الشفيقة ولدها وان عطش اروته
واذيقه طعم ذكري فاذا فعلت به ذلك يا داود عميت نفسه عن الدنيا واهلها ولم احببها اليه لا يفتر من الاشتغال بي يستعجلني القدوم علي
وانا اكره ان اميته لانه موضع نظري من بين خلقي لا يرى غيري ولا ارى غيره فلو رأيته يا داود وقد ذابت نفسه ونحل جسمه وتهشمت اعضاؤه
وانخلع قلبه اذا سمع بذكري اباهي به ملائكتي واهل سمواتي يزداد خوفاً وعبادة وعزتي وجلالي يا داود لاقعدنه في الفردوس ولاشفين صدره
من النظر الي حتى يرضى وفوق الرضا وفي اخبار داود قل لعبادي المتوجهين الى محبتي ما ضركم اذا احتجبت عن خلقي اذ رفعت الحجاب فيما بيني وبينكم
حتى تنظروا الي بعيون قلوبكم وما ضركم ما زويت عنكم من الدنيا اذا بسطت ديني لكم وما ضركم مسخطة الخلق اذا التمستم رضاي
وفي اخبار داود ايضاً ان الله تعالى اوحى اليه تزعم انك تحبني فان كنت تحبني فاخرج حب الدنيا من قلبك فان حبي وحبها لا يجتمعان
في قلب يا داود خالص محبتي مخالصة وخالط اهل الدنيا مخالطة ودينك فقلدنيه ولا تقلد دينك الرجال اما ما استبان لك
مما وافق محبتي فتمسك به واما ما اشكل عليك فقلدنيه حقاً علي ان ابادر الى سياستك وتقويمك واكون قائدك ودليلك اعطيك من
غير ان تسألني واعينك على الشدائد فاني قد حلفت على نفسي اني لا اثيب عبداً الا عبداً قد عرفت من طلبته وارادته القاء كنفه بين يدي
وانه لا غنى به عني فاذا كنت كذلك نزعت الذلة والوحشة عنك واسكنت الغنى قلبك فاني قد حلفت على نفسي انه لا يطمئن عبد الى
نفسه ينظر الى فعالها الا وكلته اليها اضف الاشياء الي لا تنازعني اعمالك فتكون متعباً ولا ينتفع بك من يصحبك ولا تجد لمعرفتي
حداً فليس لها غاية ومتى طلبت مني الزيادة اعطيتك ولا تجد لزيادتي حداً فليس لها حد ثم اعلم بني اسرائيل انه ليس بيني وبين احد
من خلقي نسب فلتعظم رغبتهم وارادتهم عندي ابيح لهم ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ضعني بين عينيك وانظر

الى بصر قلبك ولا تشطر بينك التى فى بها سك الى الذين حجبت عقولهم عنى عامر جوها وسمحت بانقطاع ثوابى عنها فانى حلفت بعزتى وجلالى
لا ابيح ثوابى لعبد دخل فى طاعتى للتجربة والتسويف تواضع لمن تعلمه ولا تتطاول على المريدين فلو علم اهل محبتى منزلة المريدين عندى
لكانوا لهم ارضا يمشون عليها يا داود لان تخرج مريدا من سكرة هو فيها تستنقذه فاكتبك عندى جهيدا ومن كتبته جهيدا لم تكن
عليه وحشة ولا فاقة الى المخلوقين يا داود تمسك بكلامى وخذ من نفسك لنفسك لا تؤتين منها فاحجبك عن محبتى لا تؤيس عبادى
من رحمتى اقطع شهوتك لى فانما الشهوات لضعفة خلقى ما بال الاقوياء ان ينالوا الشهوات فانها تنقص حلاوة مناجاتى فانما عقوبة
الاقوياء عندى فى موضع التناول ادنى ما يصل اليهم ان احجب عقولهم عنى فانى لم ارض الدنيا لحبيبى ونزهته عنها يا داود لا تجعل
بينى وبينك عالما محجوبا فيصدك بسكره عن محبتى اولئك قطاع الطريق على عبادى المريدين استعن على ترك الشهوات بادمان الصوم واياك
والتجربة فى الافطار فان محبتى للصوم ادمانه يا داود تحبب الى بمعاداة نفسك امنعها الشهوات انظر اليك وترى الحجب بينى وبينك
مرفوعة انما اداريك مداراة لتقوى على ثوابى اذا مننت به عليك وانى احبسه عنك وانت متمسك بطاعتى فهذه الاخبار ونظائرها
مما لا يحصى يدل على اثبات المحبة والشوق والانس وانما تحقيق معناها فينكشف بما سبق

بيان محبة الله للعبد ومعناه

اعلم ان شواهد القرآن متظاهرة على ان الله تعالى يحب عبده فلا بد من معرفة معنى ذلك فلنقدم الشواهد على محبته تعالى فقد قال
تعالى يحبهم ويحبونه وقال تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا وقال تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين
وكذلك رد على من ادعى انه حبيب الله قل فلم يعذبكم بذنوبكم وقد روى انس عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اذا احب الله عبدا
لم يضره ذنب والتائب من الذنب كمن لا ذنب له ثم قرأ ان الله يحب التوابين الاية ومعناه انه اذا احبه تاب عليه قبل الموت فلم تضره
الذنوب الماضية وان كثرت كما لا يضر الكفر الماضى بعد الاسلام وقد اشترط الله للمحبة غفران الذنب فقال قل ان كنتم تحبون الله
فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يعطى الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطى الايمان
الا من يحب وقد قال صلى الله عليه وسلم من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله ومن اكثر ذكر الله احبه الله وقال صلى الله عليه
وسلم قال الله تعالى لا يزال العبد يتقرب الى بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذى يسمع به الحديث وقال زيد بن اسلم
ان الله تعالى ليحب العبد حتى يبلغ من حبه له ان يقول اعمل ما شئت فقد غفرت لك وما ورد من الفاظ المحبة خارج عن الحصر وقد
ذكرنا ان محبة العبد لله حقيقة وليست بمجاز اذ المحبة فى وضع اللسان عبارة عن ميل النفس الى الشىء الموافق والعشق عبارة عن الميل
الغالب المفرط وقد بينا ان الاحسان موافق للنفس والجمال موافق ايضا وان الجمال والاحسان تارة يدرك بالبصر وتارة بالبصيرة والحب
يتبع كل واحد منهما فلا يختص بالبصر فاما حب الله تعالى للعبد فلا يدرك حقيقته بعقولنا وافهامنا اصلا فلا يمكن ان يكون لهذا المعنى
اصلا بل الاسامى كلها اذا اطلقت على الله تعالى وعلى غير الله تعالى لم ينطلق عليهما بمعنى واحد اصلا حتى ان اسم الوجود الذى هو اعم الاسماء
اشتراكا لا يشمل الخالق والخلق على وجه واحد بل كل ما سوى الله وجوده مستفاد من وجود الله تعالى فالوجود التابع لا يكون مساويا
للوجود المتبوع وانما الاستواء فى اطلاق الاسم نظيره اشتراك الفرس والشجر فى اسم الجسم اذ معنى الجسمية وحقيقتها متشابهة فيهما
من غير استحقاق لاحدهما لان يكون فيه اصلا فليست الجسمية لاحدهما مستفادة من الاخر وليس كذلك اسم الوجود لله تعالى لخلقه
وهذا التباعد فى سائر الاسامى اظهر كالعلم والارادة والقدرة وغيرها فكل ذلك لا يشبه فيه الخالق الخلق فان الخالق فى ذاته وفى
جميع صفاته منزه مقدس عن مشابهة مخلوقاته من ذروة العرش الى منتهى الفرش اذ واضع اللغة انما وضع هذه الاسامى اولا للخلق فان
الخلق اسبق الى العقول والافهام من الخالق فكان استعمالها فى حق الخالق بطريق الاستعارة والتجوز والمحبة فى وضع اللسان عبارة

عن ميل النفس الى موافق ملائم وهذا انما يتصور فى نفس ناقصة فاتها ما يوافقها وتستفيد بنيله كمالا فتلتذ بنيله وهذا
محال على الله تعالى فان كل كمال وجمال وبهاء وجلال ممكن فى حق الالهية فهو حاضر وحاصل وواجب الحصول ازلا وابدا ولا يتصور تجدده ولا
زواله فلا يكون له الى غيره نظر من حيث انه غيره بل نظره الى ذاته والى افعاله فقط وليس فى الوجود الا ذاته وافعاله ولذلك قال الشيخ
ابو سعيد الميهنى رحمه الله لما قرئ عليه قوله تعالى يحبهم ويحبونه فقال بحق يحبهم فانه ليس يحب الا نفسه على معنى انه الكل وانه ليس
فى الوجود غيره فمن لا يحب الا نفسه وافعال نفسه وتصانيف نفسه فلا يجاوز حبه ذاته وتوابع ذاته من حيث هو متعلق بذاته
فهو اذن لا يحب الا نفسه وما ورد من الالفاظ فى حبه لعباده فهو مؤول ويرجع معناه الى كشف الحجاب عن قلبه حتى يراه بقلبه
والى تمكينه اياه من القرب منه والى ارادته ذلك به فى الازل فحبه لمن احبه ازلى مهما اضيف الى الارادة الازلية التى اقتضت تمكين
هذا العبد من سلوك طريق القرب واذا اضيف الى فعله الذى يكشف الحجاب عن قلب عبده فهو حادث يحدث بحدوث السبب المقتضى
له كما قال لا يزال يتقرب الى بالنوافل سببا لصفاء باطنه وارتفاع الحجاب عن قلبه وحصوله فى درجة القرب من ربه وكل ذلك فعل الله
ولطفه به فهو معنى حبه ولا يفهم هذا الا بمثال وهو ان الملك قد يقرب عبده من نفسه ويأذن له فى كل وقت فى حضور بساطه
لميل الملك اليه اما لينصره بقوته او ليستريح بمشاهدته او ليستشيره فى رأيه او ليهيئ اسباب طعامه وشرابه فيقال ان الملك
يحبه ويكون معناه ميله اليه لما فيه من المعنى الموافق الملائم له وقد يقرب عبدا ولا يمنعه من الدخول عليه لا للانتفاع به ولا للاستنجاد
ولكن لكون العبد فى نفسه موصوفا من الاخلاق الرضية والخصال الحميدة بما يليق به ان يكون قريبا من حضرة الملك وافر الحظ من قربه
مع ان الملك لا غرض له فيه اصلا فاذا رفع الملك الحجاب بينه وبينه يقال قد احبه واذا اكتسب من الخصال الحميدة ما اقتضى
رفع الحجاب يقال قد توصل وحبب نفسه الى الملك فحب الله تعالى للعبد انما يكون بالمعنى الثانى لا بالمعنى الاول وانما يصح تمثيله
بالمعنى بشرط ان لا يسبق الى فهمك دخول تغير عليه عند تجدد القرب فان الحبيب هو القريب من الله والقرب من الله فى البعد من صفات
البهائم والسباع والشياطين والتخلق بمكارم الاخلاق التى هى الاخلاق الالهية فهو قرب بالصفة لا بالمكان ومن لم يكن قريبا فصار
قريبا فقد تغير فربما يظن بهذا ان القرب لما تجدد فقد تغير وصف العبد والرب جميعا اذ صار قريبا بعد ان لم يكن قريبا وهو محال
فى حق الله تعالى اذ التغير عليه محال بل لا يزال فى نعوت الكمال والجلال على ما كان عليه فى ازل الازال ولا ينكشف هذا الا بمثال القرب
بين الاشخاص فان الشخصين قد يتقاربان بتحركهما جميعا وقد يكون احدهما ثابتا فيتحرك الاخر فيحصل القرب بتغير فى احدهما من غير تغير
فى الاخر بل القرب فى الصفات ايضا كذلك فان التلميذ يطلب القرب من درجة استاذه فى كمال العلم وجماله والاستاذ واقف
فى كمال علمه غير متحرك بالنزول الى درجة تلميذه والتلميذ متحرك مترق من حضيض الجهل الى يفاع العلم فلا يزال دائبا فى التغير والترقى
الى ان يقرب من استاذه والاستاذ ثابت غير متغير فكذلك ينبغى ان يفهم ترقى العبد فى درجات القرب فكلما صار اكمل صفة واتم علما
واحاطة بحقائق الامور واثبت قوة فى قهر الشيطان وقمع الشهوات واظهر نزاهة عن الرذائل صار اقرب من درجة الكمال
ومنتهى الكمال لله تعالى وقرب كل واحد من الله تعالى بقدر كماله نعم قد يقدر التلميذ على القرب تتفاوت تفاوتا من الاستاذ وعلى
مساواته وعلى مجاوزته وذلك فى حق الله تعالى محال فانه لا نهاية لكماله وسلوك العبد فى درجات الكمال متناه ولا ينتهى الا الى
حد محدود فلا مطمع له فى المساواة ثم درجات القرب تتفاوت تفاوتا لا نهاية له ايضا لاجل انتفاء النهاية عن ذلك الكمال فاذن
محبة الله للعبد تقريبه من نفسه بدفع الشواغل والمعاصى عنه وتطهير باطنه عن كدورات الدنيا ورفع الحجاب عن قلبه حتى يشاهده
كانه يراه بقلبه واما محبة العبد لله تعالى فهو ميله الى درك هذا الكمال الذى هو مفلس عنه فاقد له فلا جرم يشتاق الى ما فاته

واذا ادركت منه شيئا بالتدبر والتشوق والمحبة بهذا المعنى محال على الله تعالى فان قلت محبة الله للعبد ملتبس فبم يعرف العبد انه حبيب الله فاقول يستدل عليه بعلاماته وقد قال صلى الله عليه وسلم اذا احب الله عبدا ابتلاه فاذا احبه الحب البالغ اقتناه قيل وما اقتناؤه قال لم يترك له مالا ولا اهلا فعلامة محبة الله للعبد ان يوحشه من غيره ويحول بينه وبين غيره قيل لعيسى عليه السلام لم لا تشتري حمارا فتركبه قال انا اعز على الله من ان يشغلني عن نفسه بحمار وفي الخبر اذا احب الله عبدا ابتلاه فان صبر اجتباه فان رضي اصطفاه وقال بعض العلماء اذا رايت تحبه ورايته يبتليك فاعلم انه يريد ان يصافيك وقال بعض المريدين لاستاذه قد طولعت بشيء من المحبة فقال يا بني هل ابتلاك بمحبوب سواه فآثرت عليه اياه قال لا فقال فلا تطمع في المحبة فانه لا يعطيها عبدا حتى يبلوه وقد قال صلى الله عليه وسلم اذا احب الله عبدا جعل له واعظا من نفسه وزاجرا من قلبه يامره وينهاه وقال اذا اراد الله بعبد خيرا بصره بعيوب نفسه فاخص علاماته حبه لله فان ذلك يدل على حب الله واما الفعل الدال على كونه محبوبا فهو ان يتولى الله امره ظاهره وباطنه سره وجهره فيكون هو المشير عليه والمدبر لامره والمزين لاخلاقه والمستعمل لجوارحه والمسدد لظاهره وباطنه والجاعل همومه هما واحدا والمبغض للدنيا في قلبه والموحش له من غيره والمؤنس له بلذة المناجاة في خلواته والكاشف له عن الحجب بينه وبين معرفته فهذا وامثاله هو علامة حب الله للعبد فلنذكر الآن علامات محبة العبد فانها ايضا علامات حب الله للعبد

القول في علامات محبة العبد لله تعالى

اعلم ان المحبة يدعيها كل احد وما اسهل الدعوى وما اعز المعنى فلا ينبغي ان يغتر الانسان بتلبيس الشيطان وخداع النفس مهما ادعت محبة الله تعالى ما لم يمتحنها بالعلامات ولم يطالبها بالبراهين والادلة والمحبة شجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء وثمارها تظهر في القلب واللسان والجوارح وتدل تلك الآثار الفائضة منها على القلب والجوارح على المحبة دلالة الدخان على النار ودلالة الثمار على الاشجار وهي كثيرة فمنها حب لقاء الحبيب بطريق الكشف والمشاهدة في دار السلام فلا يتصور ان يحب القلب محبوبا الا ويحب مشاهدته ولقاءه واذا علم انه لا وصول الا بالارتحال من الدنيا ومفارقتها بالموت فينبغي ان يكون محبا للموت غير فار منه فان المحب لا يثقل عليه السفر عن وطنه الى مستقر محبوبه ليتنعم بمشاهدته والموت مفتاح اللقاء وباب الدخول الى المشاهدة قال صلى الله عليه وسلم من احب لقاء الله احب الله لقاءه وقال حذيفة عند الموت حبيب جاء على فاقة لا افلح من ندم وقال بعض السلف ما من خصلة احب الى الله ان تكون في العبد بعد حب لقائه من كثرة السجود فقدم حب لقاء الله على السجود وقد شرط الله سبحانه لحقيقة الصدق في الحب القتل في سبيل الله وطلب الشهادة علامته فقال ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا وقال تعالى يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وفي وصية ابي بكر لعمر رضي الله عنهما الحق ثقيل وهو مع ثقله مريء والباطل خفيف وهو مع خفته وبيء فان حفظت وصيتي لم يكن غائب احب اليك من الموت وهو مدركك وان ضيعت وصيتي لم يكن غائب ابغض اليك من الموت ولن تعجزه وروي عن اسحق بن سعد بن وقاص قال حدثني ابي ان عبد الله بن جحش قال له يوم احد الا تدعو الله فخلوا في ناحية فدعا عبد الله ابن جحش فقال يا رب اني اقسم عليك اذا لقيت العدو غدا فلقني رجلا شديدا باسه شديدا حرده اقاتله فيك ويقاتلني ثم ياخذني فيجدع انفي واذني ويبقر بطني فاذا لقيتك غدا قلت يا عبد الله فيم جدع انفك واذناك فاقول فيك وفي رسولك فتقول صدقت قال سعد فلقد رايته آخر النهار وان انفه واذنيه لمعلقتان في خيط وقال سعيد بن المسيب ارجو ان يبر الله آخر قسمه كما ابر اوله وقد كان الثوري وبشر الحافي يقولان لا يكره الموت الا مريب لان الحبيب على كل حال لا يكره لقاء الحبيب وقال البويطي لبعض الزهاد اتحب الموت فكانه توقف فقال لو كنت صادقا لاحببته وتلا قوله تعالى فتمنوا الموت ان كنتم صادقين فقال الرجل فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يتمنين احدكم الموت فقال انما قاله لضر نزل به لان الرضا بقضاء الله افضل من طلب الفرار منه فان قلت فمن لا يحب الموت

فهل يتصور ان يكون محبا لله تعالى فاقول كراهة الموت تكون لحب الدنيا والتاسف على فراق الاهل والمال والولد وهذا ينافي كمال حب الله تعالى لان الحب الكامل هو الذي يستغرق كل القلب ولكن لا يبعد ان يكون له مع حب الاهل والولد شائبة من حب الله ضعيفة فان الناس متفاوتون في الحب ويدل على التفاوت ما روي ان ابا حذيفة بن عتبة بن عبد شمس لما زوج اخته فاطمة من سالم مولاه عاتبته قريش في ذلك وقالوا انكحت عقيلة من عقائل قريش لمولى فقال والله لقد انكحته اياها واني لاعلم انه خير منها فكان قوله اشد عليهم من فعله فقالوا وكيف وهي اختك وهو مولاك فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم من اراد ان ينظر الى رجل يحب الله بكل قلبه فلينظر الى سالم فهذا يدل على ان من الناس من لا يحب الله بكل قلبه فيحبه ويحب ايضا غيره فلا جرم يكون نعيمه بلقاء الله عند القدوم عليه على قدر حبه وعذابه بفراق الدنيا عند الموت على قدر حبه لها واما السبب الثاني للكراهة فهو ان يكون العبد في ابتداء مقام المحبة وليس يكره الموت وانما يكره عجلته قبل ان يستعد للقاء الله فذلك لا يدل على ضعف الحب وهو كالمحب الذي وصله الخبر بقدوم حبيبه عليه فاحب ان يتاخر قدومه ساعة ليهيئ له داره ويعد له اسبابه فيلقاه كما يهواه فارغ القلب عن الشواغل خفيف الظهر عن العوائق فالكراهة لهذا السبب لا تنافي كمال الحب اصلا وعلامته الدؤوب في العمل واستغراق الهم في الاستعداد ومنها ان يكون مؤثرا ما احبه الله تعالى على ما يحبه في ظاهره وباطنه فيجتنب اتباع الهوى ويعرض عن دعة الكسل ولا يزال مواظبا على طاعة الله تعالى ومتقربا اليه بالنوافل وطالبا عنده مزايا الدرجات كما يطلب المحب مزيد القرب في قلب محبوبه وقد وصف الله سبحانه المحبين بالايثار فقال تعالى يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم ومن بقي مستمرا على متابعة الهوى فمحبوبه ما يهواه بل يترك المحب هوى نفسه لهوى محبوبه كما قيل

اريد وصاله ويريد هجري * فاترك ما اريد لما يريد

بل الحب اذا غلب قمع الهوى فلم يبق له تنعم بغير محبوبه كما روي ان زليخا لما آمنت وتزوج بها يوسف صلى الله عليه وسلم انفردت عنه وتخلت للعبادة وانقطعت الى الله تعالى فكان يدعوها الى فراشه نهارا فتدافعه الى الليل فاذا دعاها ليلا سوفت الى النهار فعاتبها يوسف عليه السلام في ذلك فقالت يا يوسف انما كنت احبك قبل ان اعرفه فاما اذ عرفته فما ابقت محبته محبة سواه وما اريد به بدلا حتى قال لها ان الله تعالى امرني بذلك واخبرني انه مخرج منك ولدين وجاعلهما نبيين فقالت اما اذا كان الله امرك بذلك وجعلني طريقا اليه فطاعة لامر الله تعالى فعندها سكنت اليه فاذن من احب الله لا يعصيه ولذلك قال ابن المبارك فيه

تعصي الاله وانت تظهر حبه * ان المحب لمن يحب مطيع

وقيل

واترك ما اهوى لما قد هويته * وارضى بما ترضى وان سخطت نفسي

وقال سهل بن عبد الله علامة الحب ايثاره على نفسك وليس كل من عمل بطاعة الله صار حبيبا وانما الحبيب من اجتنب المناهي وهو كما قال لان محبته لله تعالى سبب محبة الله له كما قال يحبهم ويحبونه واذا احبه الله تعالى تولاه ونصره على اعدائه وانما عدوه نفسه وشهواته فلا يخذله الله ولا يكله الى هواه وشهواته ولذلك قال تعالى والله اعلم باعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا فان قلت فالعصيان هل يضاد اصل المحبة فاقول انه يضاد كمالها ولا يضاد اصلها فكم من انسان يحب نفسه وهو مريض ويحب الصحة وياكل ما يضره مع العلم بانه يضره وذلك لا يدل على عدم حبه لنفسه ولكن المعرفة قد تضعف والشهوة قد تغلب فيعجز عن القيام بحق المحبة ويدل عليه ما روي ان نعيمان الانصاري كان يؤتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل قليل فيحده في معصية يرتكبها الى ان اتي به يوما فحده فلعنه رجل فقال ما اكثر ما يؤتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله فلم يخرجه بالمعصية من المحبة نعم تخرجه المعصية عن كمال الحب وقد قال بعض العارفين اذا كان الايمان في ظاهر القلب احب الله تعالى حبا متوسطا فاذا دخل سويداء القلب احبه الحب البالغ وترك المعاصي وعلى الجملة في دعوى المحبة خطر ولذلك قال الفضيل اذا قيل لك اتحب الله تعالى فاسكت فانك ان قلت لا كفرت وان قلت نعم فليس وصفك وصف المحبين فاحذر المقت ولقد قال بعض العلماء ليس في الجنة نعيم اعلى من نعيم

اهل المعرفة والمحبة ولا في جهنم عذاب اشد من عذاب من ادعى المعرفة والمحبة ولم يتحقق بشيء من ذلك ومنها ان يكون مستهترا بذكر الله
لا يفتر عنه لسانه ولا يخلو عنه قلبه فمن احب شيئا اكثر بالضرورة ذكره وذكر ما يتعلق به فعلامة حب الله حب ذكره وحب القرآن
الذي هو كلامه وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وحب كل ما ينسب اليه فان من يحب انسانا يحب كلب محلته والمحبة اذا قويت تعدت
من المحبوب الى كل ما يكتنف المحبوب ويحيط به ويتعلق باسبابه وذلك ليس شركة في الحب فان من احب رسول المحبوب لانه رسوله واحب
كلامه لانه كلامه فلم يجاوز حبه الى غيره بل هو دليل كمال حبه ومن غلب حب الله على قلبه احب جميع خلق الله لانهم خلقه فكيف لا يحب القرآن
والرسول وعباد الله الصالحين وقد ذكرنا تحقيق هذا في كتاب آداب الاخوة والصحبة ولذلك قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني
الآية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم احبوا الله لما يغذوكم من نعمه واحبوني لله تعالى وقال سفيان من احب من احب الله تعالى فانما
احب الله ومن اكرم من اكرم الله تعالى فانما يكرم الله ويحكى عن بعض المريدين قال كنت قد وجدت حلاوة المناجاة في سدة الارادة فادمنت
قراءة القرآن ليلا ونهارا ثم لحقتني فترة فانقطعت عن التلاوة قال فسمعت قائلا يقول لي في المنام ان كنت تزعم انك تحبني فلم جفوت
كتابي اما تدبرت ما فيه من لطيف عتابي قال فانتبهت وقد اشرب في قلبي محبة القرآن فعاودت الى حالي وقال ابن مسعود لا ينبغي ان
يسأل احدكم عن نفسه الا القرآن فان كان يحب القرآن فانه يحب الله عز وجل وان لم يكن يحب القرآن فليس يحب الله والقرآن هو المعاد
وقال سهل علامة حب الله حب القرآن وعلامة حب القرآن حب النبي صلى الله عليه وسلم وعلامة حب النبي حب السنة وعلامة حب السنة حب
الآخرة وعلامة حب الآخرة بغض الدنيا وعلامة بغض الدنيا ان لا يأخذ منها الا زادا وبلغة الى الآخرة ومنها ان يكون انسه
بالخلوة ومناجاة الله تعالى وتلاوة كتابه فيواظب على التهجد ويغتنم هدو الليل وصفاء الوقت بانقطاع العوائق فاقل درجات
الحب التلذذ بالخلوة بالحبيب والتنعم بمناجاته فمن كان النوم والاشتغال بالحديث الذ عنده واطيب من مناجاة الله كيف يصح
محبته قيل لابراهيم بن ادهم وقد نزل من الجبل من اين اقبلت فقال من الانس بالله وفي اخبار داود لا تستأنس الى احد من خلقي فاني
انما اقطع عني رجلين رجل استبطأ ثوابي فانقطع عنه ورجل نسيني فرضي بحاله وعلامة ذلك ان اكله الى نفسه وان ادعه في الدنيا
حيران ومهما انس بغير الله كان بقدر انسه بغير الله مستوحشا من الله ساقطا عن درجة محبته وفي قصة برخ وهو العبد الاسود الذي
استسقى به موسى عليه السلام ان الله تعالى قال لموسى ان برخا نعم العبد هو لي الا ان فيه عيبا قال يا رب وما عيبه قال يعجبه نسيم الاسحار
فيسكن اليه ومن احبني لم يسكن الى شيء وروي ان عابدا عبد الله في غيضة دهرا طويلا فنظر الى طائر وقد عشش في شجرة يأوي اليها ويصفر
عندها فقال لو حولت مسجدي الى تلك الشجرة فكنت آنس بصوت هذا الطائر قال ففعل فاوحى الله تعالى الى نبي ذلك الزمان قل لفلان
العابد استأنست بمخلوق لاحطنك درجة لا تنالها بشيء من عملك ابدا فاذا علامة المحبة كمال الانس بمناجاة المحبوب وكمال
التنعم بالخلوة به وكمال الاستيحاش من كل ما ينغص عليه الخلوة ويعوق عن لذة المناجاة وعلامة الانس به ان يصير العقل والفهم
كله مستغرقا بلذة المناجاة كالذي يخاطب معشوقه ويناجيه وقد انتهت هذه اللذة ببعضهم حتى كان في صلاته ووقع الحريق في
داره فلم يشعر به وقطع رجل بعضهم بسبب علة اصابته وهو في الصلاة فلم يشعر به ومهما غلب الحب والانس صارت الخلوة و
الانس والمناجاة قرة عين تدفع جميع الهموم بل يستغرق الحب والانس قلبه حتى لا يفهم امور الدنيا ما لم يكرر على سمعه مرارا مثل العاشق
الولهان فانه يكلم الناس بلسانه وانسه في الباطن بذكر حبيبه فالمحب من لا يطمئن الا بمحبوبه وقال قتادة في قول الله تعالى الذين
آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب قال هشت اليه واستأنست به وقال الصديق من ذاق خالص محبة الله
شغله ذلك عن طلب الدنيا واوحشه عن جميع البشر وقال مطرف بن ابي بكر المحب لا يسأم من حديث حبيبه واوحى

الله سبحانه الى داود عليه الصلاة والسلام كذب من ادعى محبتي اذا جنه الليل نام عني أليس كل محب يحب لقاء حبيبه فها
انا ذا موجود لمن طلبني وقال موسى يا رب اين انت فاقصدك فقال اذا قصدت فقد وصلت وقال يحيى بن معاذ من احب الله
تعالى ابغض نفسه وقال ايضا من لم يكن فيه ثلاث خصال فليس بمحب يؤثر كلام الله على كلام الخلق ولقاء الله على لقاء الخلق
والعبادة على خدمة الخلق ومنها ان لا يتأسف على ما يفوته مما سوى الله تعالى ويعظم تأسفه على فوت كل ساعة خلت عن ذكر الله
تعالى وطاعته فيكثر رجوعه عند الغفلات بالاستعطاف والاستعتاب والتوبة وقال بعض العارفين ان لله عبادا احبوه واطمأنوا
اليه فذهب عنهم التأسف على الفائت فلم يتشاغلوا بحظ انفسهم اذ كان ملك مليكهم تاما وما شاء كان فما كان لهم فهو واصل اليهم
وما فاتهم فبحسن تدبيره لهم وحق المحب اذا رجع من غفلته في لحظته ان يقبل على محبوبه ويشتغل بالعتاب ويسأله ويقول يا رب باي ذنب
قطعت برك عني وابعدتني عن حضرتك وشغلتني بنفسي وبمتابعة الشيطان فيستخرج ذلك منه صفاء ذكر ورقة قلب يكفر عنه ما
سبق من الغفلة ويكون هفوته سببا لتجدد ذكره وصفاء قلبه ومهما لم ير المحب الا المحبوب ولم ير شيئا الا منه لم يتأسف ولم يشك
واستقبل الكل بالرضا وعلم ان المحبوب لم يقدر له الا ما فيه خيرته ويذكر قوله تعالى وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم ومنها
ان يتنعم بالطاعة ولا يستثقلها ويسقط عنه تعبها كما قال بعضهم كابدت الليل عشرين سنة ثم تنعمت به عشرين سنة وقال الجنيد علامة المحبة
دوام النشاط والدؤوب بشهوة يفتر بدنه ولا يفتر قلبه وقال بعضهم العمل على المحبة لا يدخله الفتور وقال بعض العلماء والله ما
استقل محب لله من طاعته ولو حل بعظيم الوسائل وكل هذا وامثاله موجود في المشاهدات فان العاشق لا يستثقل السعي في هوى
معشوقه ويستلذ خدمته بقلبه وان كان شاقا على بدنه ومهما عجز بدنه كان احب الاشياء اليه ان تعاوده القدرة وان يفارقه العجز
حتى يشتغل به فهكذا يكون حب الله تعالى فان كل حب صار غالبا قهر لا محالة ما هو دونه فمن كان محبوبه احب اليه من الكسل ترك الكسل
في خدمته وان كان احب اليه من المال ترك المال في حبه وقيل لبعض المحبين وقد كان بذل ماله ونفسه حتى لم يبق له شيء ما كان سبب
حالك هذه في المحبة فقال سمعت يوما محبا وقد خلا بمحبوبه وهو يقول انا والله احبك بقلبي كله فقال له المحبوب وانت معرض
عني بوجهك كله فقال له المحبوب ان كنت تحبني فايش تنفق علي فقال يا سيدي املكك ما املكت ثم انفق عليك روحي حتى اهلك
هذا حب خلق لخلق وعبد لعبد فكيف بعبد لمعبود فكان هذا سببه ومنها ان يكون مشفقا على جميع عباد الله رحيما عليهم شديدا
على جميع اعداء الله وعلى كل من يقارف شيئا مما يكرهه كما قال تعالى اشداء على الكفار رحماء بينهم ولا يأخذه لومة لائم ولا يصرفه عن الغضب
لله صارف وبه وصف الله تعالى اولياءه اذ قال الذين يكلفون بحبي كما يكلف الصبي بالشيء ويأوون الى ذكري كما يأوي النسر
الى وكرها ويغضبون لمحارمي كما يغضب النمر اذا حرد فانه لا يبالي قل الناس او كثروا فانظر الى هذا المثال فان الصبي اذا كلف بالشيء
لم يفارقه اصلا وان اخذ منه لم يكن له شغل الا البكاء والصياح حتى يرد اليه فان نام اخذه معه في ثيابه فاذا انتبه عاد وتمسك
به ومهما فارقه بكى ومهما وجده ضحك ومن نازعه فيه ابغضه ومن اعطاه احبه واما النمر فانه لا يملك نفسه عند الغضب
حتى يبلغ من شدة غضبه ان يهلك نفسه فهذه علامات المحبة فمن تمت فيه هذه العلامات فقد تمت محبته لله وخلص حبه وصفا في
الآخرة شرابه وعذب مشربه ومن امتزج بحبه حب غير الله تنعم في الآخرة بقدر حبه اذ يمزج شرابه بقدر من شراب المقربين كما قال
الله تعالى ان الابرار لفي نعيم ثم قال يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ومزاجه
من تسنيم عينا يشرب بها المقربون فاذا طاب شراب الابرار بشوب الشراب الصرف الذي هو للمقربين والشراب عبارة عن جملة نعيم الجنان
كما ان الكتاب عبارة عن جميع الاعمال فقال كلا ان كتاب الابرار لفي عليين ثم قال يشهده المقربون فكان امارة علو كتابهم انها ارتفعت

الى حيث يشهدها المقربون ولما كان الابرار يجدون المزيد في حالهم ومعرفتهم بقربهم من المقربين ومشاهدتهم لهم فكذلك يكون حالهم في الآخرة لقوله تعالى ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة وقوله تعالى كما بدأنا اول خلق نعيده وقال تعالى جزاء وفاقا اي وافق الجزاء اعمالهم فقوبل الخالص الصرف من الشراب وقوبل المشوب بالمشوب وشوب كل شراب على قدر ما سبق من الشوب في حبه واعماله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين فمن كان حبه في الدنيا رجاء نعيم الجنة والحور والقصور مكن من الجنة ليتبوأ منها حيث يشاء فيلعب مع الولدان ويتمتع بالنسوان ومن كان مقصده رب الدار ومالك الملك ولم يغلب عليه الا حبه بالاخلاص والصدق انزل في مقعد صدق عند مليك مقتدر فالابرار يرتعون في البساتين ويتنعمون في الجنان مع الحور والولدان والمقربون ملازمون للحضرة عاكفون بطرفهم عليها يستحقرون نعيم الجنان بالاضافة الى ذرة منها فقوم بقضاء شهوة البطن والفرج مشغولون وللمجالسة اقوام آخرون ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم اكثر اهل الجنة البله وعليون لذوي الالباب ولما قصرت الافهام عن درك معنى العليين عظم امره فقال وما ادراك ما عليون كما قال القارعة ما القارعة وما ادراك ما القارعة ومنها

ان يكون في حبه خائفا متضائلا تحت الهيبة والتعظيم وقد يظن ان الخوف يضاد الحب وليس كذلك بل ادراك العظمة يوجب الهيبة كما ان ادراك الجمال يوجب الحب ولخصوص المحبين مخاوف في مقام المحبة ليست لغيرهم وبعض مخاوفهم اشد من بعض فاولها خوف الاعراض واشد منه خوف الحجاب واشد منه خوف الابعاد وهذا المعنى من سورة هود هو الذي شيب سيد المحبين اذ سمع قوله تعالى الا بعدا لثمود الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود وانما تعظم هيبة البعد وخوفه في قلب من الف القرب وذاقه وتنعم به فحديث البعد في حق المبعدين يشيب سماعه اهل القرب في القرب ولا يحن الى القرب من الف البعد ولا يبكي لخوف البعد من لم يمكن من بساط القرب ثم خوف الوقوف وسلب المزيد فانا قدمنا ان درجات القرب لا نهاية لها وحق العبد ان يجتهد في كل نفس حتى يزداد فيه قربا ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من استوى يوماه فهو مغبون ومن كان يومه شرا من امسه فهو ملعون وكذلك قال صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي في اليوم والليلة سبعين مرة فاستغفر الله تعالى وانما كان استغفاره من القدم الاول فانه كان بعدا بالاضافة الى القدم الثاني ويكون ذلك عقوبة لهم على الفتور في الطريق والالتفات الى غير المحبوب كما روي عنه تعالى انه قال ان ادنى ما اصنع بالعالم اذا آثر شهوات الدنيا على طاعتي ان اسلبه لذيذ مناجاتي فسلب المزيد بسبب الشهوات عقوبة العموم فاما الخصوص فحجبهم عن المزيد بمجرد الدعوى والعجب والركون الى ما ظهر من مبادي الطريق وذلك هو المكر الخفي الذي لا يقدر على الاحتراز منه الا ذوو الاقدام الراسخة ثم فوت ما ادرك بعد فوته سمع ابراهيم بن ادهم قائلا يقول في سياحته على جبل كل شيء لك مغفور سوى الاعراض عنا قد وهبنا لك ما فات بقي ما فات منا فاضطرب وغشي عليه فلم يفق يوما وليلة وطرأت عليه احوال ثم قال سمعت النداء من الجبل يا ابراهيم كن عبدا فكنت عبدا فاسترحت ثم خوف السلو عنه فان المحب يلازمه الشوق والطلب الحثيث فلا يفتر عن طلب المزيد ولا يتسلى الا بلطف جديد فان تسلى عن ذلك كان ذلك سبب وقوفه او سبب رجعته والسلو يدخل عليه من حيث لا يشعر كما قد يدخل الحب عليه من حيث لا يشعر فان هذه التقلبات في القلب لها اسباب خفية سماوية ليس في قوة البشر الاطلاع عليها واذا اراد الله المكر به واستدراجه اخفى عنه ما ورد عليه من السلو فيقف مع الرجاء ويغتر بحسن الظن او بغلبة الغفلة والهوى من النسيان وكل ذلك من جنود الشيطان التي تغلب جنود الملائكة من العلم والعقل والذكر والبيان فكما ان من اوصاف الله تعالى ما يظهر فيقتضي هيجان الحب وهي اوصاف اللطف والرحمة والحكمة ثم من اوصافه ما يلوح فيورث السلو كاوصاف الجبروت والعزة

والعزة والاستغناء وذلك من مقدمات المكر والشقاء والحرمان ثم خوف الاستبدال به بانتقال القلب من حبه الى حب غيره وذلك هو المقت والسلو مقدمته هذا المقام والاعراض والحجاب مقدمة السلو وضيق الصدر بالتبرم وانقباضه عن دوام الذكر وملاله لوظائف الاوراد اسباب هذه المعاني ومقدماتها وظهور هذه الاسباب دليل على النقل من مقام الحب الى مقام المقت نعوذ بالله منه وملازمة الخوف لهذه الامور وشدة الحذر منه بصفاء المراقبة دليل صدق الحب فان من احب شيئا خاف لا محالة فقده فلا يخلو المحب عن خوف اذا كان المحبوب مما يمكن فواته وقد قال بعض العارفين من عبد الله تعالى بمحض المحبة من غير خوف هلك بالبسط والادلال ومن عبده من طريق الخوف من غير محبة انقطع عنه بالبعد والاستيحاش ومن عبده من طريق المحبة والخوف احبه الله تعالى فقربه ومكنه والمحب لا يخلو عن خوف والخائف لا يخلو عن محبة ولكن الذي غلب عليه المحبة حتى اتسع فيها ولم يكن له من الخوف الا يسير يقال هو في مقام المحبة ويعد من المحبين وكان شوب الخوف يسكن قليلا من سكر الحب فلو غلب الحب واستولت المعرفة لم تثبت لها طاقة البشر وانما الخوف يعدله ويخفف وقعه على القلب فقد روي في الاخبار ان بعض الصديقين سأله بعض الابدال ان يسأل الله تعالى ان يرزقه ذرة من معرفته ففعل ذلك فهام في الجبال وحار عقله ووله قلبه وبقي شاخصا سبعة ايام لا ينتفع بشيء ولا ينتفع به شيء فسأل له ربه فقال يا رب انقصه من الذرة بعضها فاوحى الله اليه انما اعطيناه جزءا من مائة الف جزء من ذرة من المعرفة وذلك ان مائة الف عبد سألوني شيئا من المحبة في الوقت الذي سألني هذا فاخرت اجابتهم الى ان شفعت انت لهذا فلما اجبتك فيما سألت اعطيتهم كما اعطيته فقسمت ذرة من المعرفة بين مائة الف عبد فهذا ما اصابه من ذلك فقال سبحانك يا احكم الحاكمين انقصه مما اعطيته فاذهب الله عنه جملة الجزء وبقي فيه عشر عشر معشاره وهو جزء من الف جزء من مائة الف جزء من ذرة فاعتدل خوفه وحبه ورجاؤه وسكن وصار كسائر العارفين وقد قيل في حال العارف

قريب الوجد ذو مرمى بعيد · عن الاحرار منهم والعبيد
غريب الوصف ذو علم غريب · كأن فؤاده زبر الحديد
لقد عزت معاينه فغابت · عن الابصار الا للشهيد
يرى الاعياد في الاوقات تجري · له في كل يوم الف عيد
وللاحباب افراح بعيد · ولا يجد السرور له بعيد

وقد كان الجنيد ينشد ابياتا وهي هذه

سرت باناس في الغيوب قلوبهم · فحلت بقرب الماجد المتفضل
عراص بقرب الله في ظل قدسه · تجول بها ارواحهم وتنقل
مواردهم فيها على العز والنهى · ومصدرهم عنها لما هو اكمل
يروح بعز مفرد من صفاته · واما كنه اعلى لديه واعدل
سأكتم من علمي به ما يصونه · وابذل منه ما ارى الحق افضل
على ان للرحمن سرا يصونه · الى اهله في السر والصون اجمل

وامثال هذه المعارف التي اليها الاشارة لا يجوز ان يشترك الناس فيها ولا يجوز ان يظهرها من انكشف له شيء منها لمن لم ينكشف له بل لو اشترك الناس فيها لخربت الدنيا فالحكمة تقتضي شمول الغفلة لعمارة الدنيا بل لو اكل الناس كلهم الحلال اربعين يوما لخربت الدنيا لزهدهم فيها وبطلت الاسواق والمعايش بل لو اكل العلماء الحلال لاشتغلوا بانفسهم ولوقفت الالسنة والاقلام عن كثير مما انتشر من العلوم ولكن لله فيما هو شر في الظاهر اسرار وحكم كما ان له في الخير اسرارا وحكما ولا منتهى لحكمته كما لا غاية لقدرته ومنها كتمان الحب واجتناب الدعوى والتوقي من اظهار الوجد والمحبة تعظيما للمحبوب واجلالا له وهيبة منه وغيرة على سره فان الحب سر من اسرار الحبيب ولانه قد يدخل في الدعوى ما يجاوز حد المعنى ويزيد عليه فيكون ذلك من الافتراء والاختراع وتعظم العقوبة عليه في العقبى وتعجل عليه البلوى في الدنيا نعم قد يكون للمحب سكرة في حبه حتى يدهش فيه وتضطرب احواله فيظهر عليه حبه فان وقع ذلك عن غير تمحل واكتساب فهو معذور لانه مقهور وربما تشتعل من الحب نيرانه فلا يطاق سلطانه وقد يفيض القلب به فلا يندفع فيضانه فالقادر على الكتمان يقول

وقالوا قريب قلت ما انا صانع · بقرب شعاع الشمس لو كان في حجري
فما لي منه غير ذكر بخاطر · يهيج نار الحب والشوق في صدري

والعاجز عنه يقول

يخفي فيبدي الدمع اسراره · ويظهر الوجد عليه النفس
ومن قلبه مع غيره كيف حاله · ومن سره في جفنه كيف يكتم

وقد قال بعض العارفين اكثر الناس من الله تعالى بعداً اكثرهم اشارة به كأنه اراد من يكثر التعريض به في كل شيء ويظهر التصنع بذكره عند كل احد فهو ممقوت عند المحبين والعلماء بالله عز وجل. ودخل ذو النون المصري على بعض اخوانه ممن كان يذكر المحبة فرآه مبتلى ببلاء فقال لا يحبه من وجد ألم ضره فقال الرجل لكني اقول لا يحبه من لم يتنعم بضره فقال ذو النون ولكني اقول لا يحبه من شهر نفسه بحبه فقال الرجل استغفر الله واتوب اليه فان قلت المحبة منتهى المقامات واظهارها اظهار للخير فلماذا يستنكر فاعلم ان المحبة محمودة وظهورها ايضاً محمود وانما المذموم التظاهر بها لما يدخل فيه من الدعوى والاستكبار وحق المحب ان تنم على حبه الخفي افعاله واحواله دون اقواله وانما له ينبغي ان يظهر حبه من غير قصد منه الى اظهار الحب ولا الى اظهار الفعل الدال على الحب بل ينبغي ان يكون قصد المحب اطلاع الحبيب فقط فاما ارادته لاطلاع غيره فشرك في الحب وقادح فيه كما ورد في الانجيل اذا تصدقت فتصدق بحيث لا تعلم شمالك ما صنعت يمينك فالذي يرى الخفيات يجزيك به علانية واذا صمت فاغسل وجهك وادهن رأسك لئلا يعلم بذلك غير ربك فاظهار القول والفعل كله مذموم الا اذا غلب سكر الحب فانطلق اللسان واضطربت الاعضاء فلا يلام صاحبه. حكي ان رجلاً رأى من بعض المجانين ما استجهله فيه فاخبر بذلك معروفاً الكرخي فتبسم ثم قال يا أخي له محبون صغار وكبار وعقلاء ومجانين فهذا الذي رأيته من مجانينهم ومما يكره التظاهر بالحب بسببه ان المحب ان كان عارفاً وعرف احوال الملائكة في حبهم الدائم وشوقهم اللازم الذي به يسبحون الليل والنهار لا يفترون ولا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون لاستنكف من نفسه ومن اظهار حبه وعلم قطعاً انه اخس المحبين في مملكته وان حبه انقص من حب كل محب لله تعالى قال بعض المكاشفين من المحبين عبدت الله تعالى ثلثين سنة باعمال القلوب والجوارح على بذل المجهود واستفراغ الطاقة حتى ظننت ان لي عند الله شيئاً فذكر اشياء من مكاشفات آيات السموات في قصة طويلة قال في آخرها فبلغت صفاً من الملائكة بعدد جميع ما خلق الله تعالى من شيء فقلت من انتم فقالوا نحن المحبون لله عز وجل نعبده ههنا منذ ثلثمائة الف سنة ما خطر على قلوبنا قط سواه ولا ذكرنا غيره قال فاستحييت من اعمالي فوهبتها لمن حق عليه الوعيد تخفيفاً عنهم في جهنم فاذن من عرف نفسه وعرف ربه واستحيى منه حق الحياء خرس لسانه عن التظاهر بالدعوى نعم يشهد على حبه حركاته وسكناته واقدامه واحجامه وترددانه كما حكي عن الجنيد انه قال مرض استاذنا السري السقطي رحمه الله فلم نعرف لعلته دواء ولا عرفنا له سبباً فوصف لنا طبيب حاذق فاخذنا قارورة مائه فنظر اليه الطبيب وجعل ينظر اليه ملياً ثم قال لي اراه بول عاشق قال الجنيد فصعقت وغشي علي ووقعت القارورة من يدي ثم رجعت الى السري فاخبرته فتبسم ثم قال قاتله الله ما ابصره قلت يا استاذ وتتبين المحبة في البول قال نعم وقد قال السري مرة لو شئت اقول ما ايبس جلدي على عظمي ولا نحل جسمي الا حبه ثم غشي عليه وتدل الغشية على انه افصح في غلبة الوجد ومقدمات الغشية فهذه مجامع علامات الحب وثمراته ومنها الانس والرضا كما سيأتي وبالجملة جميع محاسن الدين ومكارم الاخلاق ثمرة الحب وما لا يثمره الحب فهو اتباع الهوى وهو من رذائل الاخلاق نعم قد يحب الله لاحسانه اليه وقد يحبه لجلاله وجماله وان لم يحسن اليه والمحبون لا يخرجون عن هذين القسمين ولذلك قال الجنيد الناس في محبة الله تعالى عام وخاص فالعوام نالوا ذلك بمعرفتهم في دوام احسانه وكثرة نعمه فلم يتمالكوا ان ارضوه الا انهم تقل محبتهم وتكثر على قدر النعم والاحسان فاما الخاصة فنالوا المحبة بعظم القدر والقدرة والعلم والحكمة والتفرد بالملك فلما عرفوا صفاته الكاملة واسماءه الحسنى لم يمتنعوا ان احبوه اذ استحق عندهم المحبة بذلك لانه اهل لها ولو ازال عنهم جميع النعم نعم من الناس من يحب هواه وعدو الله ابليس ومع ذلك يلبس على نفسه بحكم الغرور والجهل فيظن انه يحب الله سبحانه وهو الذي فقدت فيه هذه العلامات او يلبس بها نفاقاً ورياء وسمعة وغرضه عاجل حظ الدنيا وهو يظهر من نفسه خلاف ذلك كعلماء السوء والقراء السوء واولئك بغضاء الله في ارضه وكان سهل اذا تكلم مع انسان قال يا دوست اي يا حبيب فقيل له قد لا يكون حبيباً فكيف تقول هذا فقال في اذن القائل سراً لا يخلو اما

اما ان يكون مؤمناً او منافقاً فان كان مؤمناً فهو حبيب الله وان كان منافقاً فهو حبيب ابليس وقد قال ابو تراب النخشبي في علامات المحب ابياتاً وهي هذه شعر

لا تخدعن فللحبيب دلائل ... ولديه من تحف الحبيب وسائل
منها تنعمه بمر بلائه ... وسروره في كل ما هو فاعل
فالمنع منه عطية مقبولة ... والفقر اكرام وبر عاجل
ومن الدلائل ان يرى متبسماً ... والقلب فيه من الحبيب بلابل
ومن الدلائل ان يرى متفهماً ... لكلام من يحظى لديه السائل
ومن الدلائل ان يرى متقشفاً ... متحفظاً من كل ما هو قائل

وقال يحيى بن معاذ

ومن الدلائل ان تراه مشمراً ... في خرقتين على شطوط الساحل
ومن الدلائل حزنه ونحيبه ... جوف الظلام فما له من عاذل
ومن الدلائل ان تراه مسافراً ... نحو الجهاد وكل فعل فاضل
ومن الدلائل زهده فيما يرى ... من دار ذل والنعيم الزائل
ومن الدلائل ان تراه باكياً ... ان قد رآه على قبيح فاعل
ومن الدلائل ان تراه مسلماً ... كل الامور الى المليك العادل
ومن الدلائل ان تراه راضياً ... بمليكه في كل حكم نازل
ومن الدلائل ضحكه بين الورى ... والقلب محزون كقلب الثاكل

بيان معنى الانس بالله تعالى قد ذكرنا ان الانس والخوف والشوق من آثار المحبة الا ان هذه آثار مختلفة تختلف على المحب بحسب نظره وما يغلب عليه في وقته فاذا غلب عليه التطلع من وراء حجب الغيب الى منتهى الجمال واستشعر قصوره عن الاطلاع على كنه الجلال انبعث القلب الى الطلب وانزعج له وهاج اليه فتسمى هذه الحالة في الانزعاج شوقاً وهو بالاضافة الى امر غائب واذا غلب عليه الفرح بالقرب ومشاهدة الحضور بما هو حاصل من الكشف وكان نظره مقصوراً على مطالعة الجمال الحاضر المكشوف غير ملتفت الى ما لم يدركه بعد استبشر القلب بما يلاحظه فيسمى استبشاره انساً وان كان نظره الى صفات العز والاستغناء وعدم المبالاة وخطر امكان الزوال والبعد تألم قلبه بهذا الاستشعار فيسمى تألمه خوفاً وهذه الاحوال تابعة لهذه الملاحظات والملاحظات تابعة لاسباب تقتضيها لا يمكن حصرها فالانس معناه استبشار القلب وفرحه بمطالعة الجمال حتى انه اذا غلب وتجرد عن ملاحظة ما غاب عنه وما يتطرق اليه من خطر الزوال عظم نعيمه ولذته ومن ههنا نظر بعضهم حيث قيل له انت مشتاق فقال لا انما الشوق الى غائب فاذا كان الغائب حاضراً فالى من اشتاق وهذا كلام مستغرق بالفرح بما ناله غير ملتفت الى ما بقي في الامكان من مزايا الالطاف ومن غلب عليه حال الانس لم تكن شهوته الا في الانفراد والخلوة كما حكي ان ابراهيم بن ادهم نزل من الجبل فقيل له من اين اقبلت فقال من الانس بالله سبحانه وذلك لان الانس بالله يلازمه التوحش من غير الله بل ما يعوق عن الخلوة فيكون من اثقل الاشياء على القلب كما روي ان موسى صلى الله عليه لما كلمه ربه مكث دهراً لا يسمع كلام احد من الناس الا اخذه الغشيان لان الحب يوجب عذوبة كلام المحبوب وعذوبة ذكره فيخرج من القلب عذوبة ما سواه قال بعض الحكماء في بعض دعائه يا من آنسني بذكره واوحشني من خلقه وقال الله تعالى لداود عليه الصلاة كن بي مستأنساً ومن سواي مستوحشاً وقيل لرابعة بم نلت هذه المنزلة قالت بتركي ما لا يعنيني وانسي بمن لم يزل وقال عبد الواحد بن زيد مررت براهب فقلت له يا راهب لقد اعجبتك الوحدة فقال يا هذا لو ذقت حلاوة الوحدة لاستوحشت اليها من نفسك الوحدة راس العبادة فقلت يا راهب ما اقل ما تجده في الوحدة فقال الراحة من مداراة الناس والسلامة من شرهم قلت يا راهب متى يذوق العبد حلاوة الانس بالله تعالى قال اذا صفا الود وخلصت المعاملة قلت ومتى يصفو الود قال اذا اجتمع الهم فصار هماً واحداً في الطاعة وقال بعض الحكماء عجباً للخلائق كيف ارادوا بك بدلاً عجباً للقلوب كيف استأنست بغيرك فان قلت فما علامة الانس فاعلم ان علامته الخاصة ضيق الصدر من معاشرة الخلق والتبرم بهم واستهتاره بعذوبة الذكر فان خالط فهو كمنفرد في جماعة ومجتمع في خلوة وغريب في حضر وحاضر في سفر وشاهد في غيبة وغائب في حضور مخالط بالبدن منفرد بالقلب المستغرق بعذوبة الذكر كما قال علي رضي الله عنه في وصفهم هم قوم هجم بهم الامر على حقيقة الامر فباشروا روح اليقين فاستلانوا ما استوعره المترفون وانسوا بما استوحش منه الجاهلون صحبوا الدنيا بابدان ارواحها معلقة بالمحل الاعلى اولئك خلفاء الله في ارضه الدعاة الى دينه

فهذا معنى الانس بالله جلت قدرته وهذه صفته وهذه علامته وهذه شواهده وقد ذهب بعض المتكلمين الى انكار الانس والشوق والحب
لظنه ان ذلك يدل على التشبيه وجهله ان جمال المدركات بالبصائر اكمل من جمال المبصرات ولذة معرفتها اغلب على ذوي القلوب
ومنهم احمد بن غالب يعرف بغلام الخليل انكر على الجنيد وعلى ابي الحسين النوري والجماعة حديث الحب والشوق والعشق حتى انكر بعضهم
مقام الرضا وقال ليس الا الصبر فاما الرضا فغير متصور وهذا كله كلام ناقص قاصر لم يطلع من مقامات الدين الا على القشور فظن انه لا وجود
الا للقشر فان المحسوسات وكل ما يدخل في الخيال في طريق الدين قشر مجرد ووراءها اللب المطلوب فمن لم يصل من الجوز الا الى قشره ظن
ان الجوز خشب كله واستحال عنده خروج الدهن منه لا محالة وهو معذور ولكن عذره غير مقبول وقد قيل الانس بالله لا يحويه بطال
وليس يدركه بالحول محتال والآنسون رجال كلهم نجب وكلهم صفوة لله عمال

بيان معنى الانبساط والادلال الذي يثمره غلبة الانس

اعلم ان الانس اذا دام وغلب واستحكم ولم يشوشه قلق الشوق ولم ينغصه خوف التغير والحجاب فانه يثمر
نوعا من الانبساط في الاقوال والافعال والمناجاة مع الله تعالى وقد يكون منكر الصورة لما فيه من الجراة وقلة الهيبة ولكنه
محتمل ممن اقيم في مقام الانس ومن لم يقم في ذلك المقام ويتشبه بهم في الفعل والكلام هلك به واشرف على الكفر ومثاله مناجاة
برخ الاسود الذي امر الله تعالى كليمه موسى صلى الله عليه وسلم ان يساله ليستسقي لبني اسرائيل بعد ان قحطوا سبع سنين وخرج
موسى ليستسقي لهم في سبعين الفا فاوحى الله تعالى اليه كيف استجيب لهم وقد اظلمت عليهم ذنوبهم سرائرهم خبيثة يدعونني
على غير يقين ويامنون مكري ارجع الى عبد من عبادي يقال له برخ فقل له يخرج حتى استجيب له فسال عنه موسى صلوات الله عليه
فلم يعرف فبينما موسى ذات يوم يمشي في طريق اذا بعبد اسود قد استقبله بين عينيه تراب من اثر السجود في شملة قد عقدها على عنقه
فعرفه موسى بنور الله عز وجل فسلم عليه فقال له ما اسمك قال اسمي برخ قال فانت طلبتنا منذ حين اخرج فاستسق فخرج فقال
في كلامه ما هذا من فعالك ولا هذا من حلمك وما الذي بدا لك انقصت عليك عيونك ام عاندت الرياح عن طاعتك ام نفد ما عندك ام اشتد
غضبك على المذنبين الست كنت غفارا قبل خلق الخطائين خلقت الرحمة وامرت بالعطف ام ترينا انك ممتنع ام تخشى الفوت فتعجل
بالعقوبة قال فما برح حتى اخضلت بنو اسرائيل بالقطر وانبت الله سبحانه العشب في نصف يوم حتى بلغ الركب قال فرجع برخ فاستقبله
موسى صلى الله عليه وسلم فقال كيف رايت حين خاصمت ربي كيف انصفني فهم به موسى فاوحى الله تعالى اليه ان برخا يضحكني كل يوم
ثلث مرات فهذا وامثاله يجري لذوي الانس وليس لغيرهم ان يتشبه بهم قال الجنيد اهل الانس يقولون في كلامهم ومناجاتهم
في خلواتهم اشياء هي كفر عند العامة وقال مرة لو سمعها العوام لكفروهم وهم يجدون المزيد في احوالهم بذلك وذلك يحتمل منهم
ويليق بهم واليه الاشارة بقول القائل قوم تخالجهم زهو بسيدهم والعبد يزهو على مقدار مولاه تاهوا برؤيته عما سواه له
يا حسن رؤيتهم في عز ما تاهوا ولا تستبعدن رضاه عن العبد بما يغضب به على غيره مهما اختلف مقامهما ففي القرآن تنبيهات على هذه
المعاني لو فطنت وفهمت فجميع قصص القرآن تنبيهات لاولي البصائر والابصار حتى ينظروا اليها بعين الاعتبار وانما هي عند ذوي الاغترار
من الاسمار فاول القصص قصة آدم وابليس الم تر انهما كيف اشتركا في اسم المعصية والمخالفة ثم تباينا في الاجتباء والعصمة اما ابليس
فابلس عن رحمته وقيل انه من المبعدين واما آدم فقيل فيه وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى وقد عاتب
الله نبيه صلى الله عليه وسلم في الاعراض عن عبد والاقبال على عبد وهما في العبودية سيان ولكن في الحال مختلفان فقال واما من جاءك
يسعى وهو يخشى فانت عنه تلهى وقال في الآخر اما من استغنى فانت له تصدى وما عليك الا يزكى وكذلك امره بالقعود مع طائفة
فقال واذا جاءك الذين يؤمنون باياتنا فقل سلام عليكم وامره بالاعراض عن غيرهم فقال واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا فاعرض

فاعرض عنهم حتى قال ولا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي فكذا
الانبساط والادلال يحتمل من بعض العباد دون بعض ومن الانبساط في الانس قول موسى صلى الله عليه وسلم ان هي الا فتنتك
تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء وقوله في التعلل والاعتذار لما قيل له اذهب الى فرعون فقال ولهم علي ذنب فاخاف
ان يقتلون وقوله واخاف ان يكذبون ويضيق صدري وقوله اننا نخاف ان يفرط علينا او ان يطغى وهذا من غير موسى سوء الادب
لان الذي اقيم مقام الانس يلاطف ويحتمل ولم يحتمل ليونس صلى الله عليه وسلم ما دون هذا لما اقيم مقام القبض والهيبة فعوقب
بالسجن في بطن الحوت في ظلمات ثلث ونودي عليه الى يوم الحشر لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم قال الحسن
العراء هو القيامة ونهي نبينا صلى الله عليه وسلم ان يقتدي به وقيل واصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم
وهذه الاختلافات بعضها لاختلاف الاحوال والمقامات وبعضها لما سبق في الازل من التفاضل والتفاوت في القسمة بين العباد
وقد قال تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وقال منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات فكان عيسى عليه الصلوة والسلام من
المفضلين ولادلاله سلم على نفسه فقال والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا وهذا انبساط منه لما شاهد من اللطف
في مقام الانس واما يحيى بن زكريا فانه اقيم مقام الهيبة والحياء فلم ينطق حتى اثنى عليه خالقه فقال وسلام عليه وانظر كيف احتمل لاخوة
يوسف ما فعلوه بيوسف وقد قال بعض العلماء قد عددت من اول قوله تعالى اذ قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا الى راس العشرين اية
من اخباره تعالى عن زهدهم فيه نيفا واربعين خطيئة بعضها اكبر من بعض وقد يجتمع في الكلمة الواحدة الثلث والاربع فغفر لهم وعفا
عنهم ولم يحتمل لعزير مسالة واحدة سال عنها في القدر حتى قيل انه محي من ديوان النبوة وكذلك كان بلعام بن باعورا من اكابر العلماء فاكل
الدنيا بالدين فلم يحتمل له ذلك وكان آصف من المسرفين وكانت معصيته في الجوارح فعفي عنه وتروى ان الله تعالى اوحى الى سليمان
صلى الله عليه وسلم يا راس العابدين ويا ابن محجة الزاهدين الى كم يعصيني ابن خالتك آصف وانا احلم عنه مرة بعد مرة فوعزتي
وجلالي لئن اخذته عطفة من عطفاتي عليه لاتركنه مثلة لمن معه ونكالا لمن بعده فلما دخل آصف على سليمان اخبره بما اوحى الله
اليه فخرج حتى علا كثيبا من رمل ثم رفع راسه ويديه نحو السماء وقال الهي وسيدي انت انت وانا انا فكيف اتوب ان لم تتب علي وكيف
استعصم ان لم تعصمني اغثني والا لاعودن ولاعودن ولاعودن فاوحى الله تعالى اليه صدقت يا آصف انت انت وانا انا استقبل
التوبة فقد تبت عليك وانا التواب الرحيم وهذا كلام مدل به عليه وهارب منه اليه وناظر اليه به وفي الخبر ان الله تعالى
اوحى الى عبد تداركه بعد ان كان اشفى على الهلكة كم من ذنب واجهتني به غفرته لك قد اهلكت في دونه امة من الامم فهذه
سنة الله في عباده بالتفضيل والتقديم والتاخير على ما سبقت به مشيئته الازلية وهذه القصص وردت في القرآن ليعرف بها سنة
الله في عباده الذين خلوا من قبل فما في القرآن شيء الا وهو هدى ونور وتعرف من الله تعالى الى خلقه فتارة يتعرف اليهم بالتقديس فيقول قل هو الله
احد السورة وتارة يتعرف اليهم بصفات جلاله فيقول الملك القدوس الاية وتارة يتعرف اليهم في افعاله المخوفة والمرجوة فيتلو عليهم
سنته في انبيائه وفي اعدائه فيقول الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد ولا يعدو القرآن
هذه الاقسام الثلث وهي الارشاد الى معرفة ذات الله وتقديسه او معرفة صفاته واسمائه او معرفة افعاله وسنته مع عباده ولما
اشتملت سورة الاخلاص على احد هذه الاقسام الثلث وهو التقديس وازنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلث القرآن وقال من قرأ سورة
الاخلاص فقد قرأ ثلث القرآن لان منتهى التقديس ان يكون واحدا في ثلثة امور لا يكون حاصلا منه من هو من نوعه وشبهه ودل عليه
قوله لم يلد ولا يكون هو حاصلا ممن هو نظيره وشبهه ودل عليه قوله لم يولد ولا يكون في درجته وان لم يكن اصلا له ولا فرعا من هو مثله

ودل عليه قوله ولم يكن له كفواً احد وجملته تفصيل قولك لا اله الا الله فهذه اسرار القرآن ولا تنتهي امثال هذه الاسرار في القرآن فلا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين ولذلك قال ابن مسعود ثوّروا القرآن والتمسوا غرائبه ففيه علم الاولين والآخرين وهو كما قال ولا يعرفه الا من طال في آحاد كلماته فكره وصفا له فهمه حتى تشهد له كل كلمة منها بانه كلام جبار قاهر مليك مقتدر وانه خارج عن حد استطاعة البشر واكثر اسرار القرآن معبأة في طي القصص والاخبار فكن حريصاً على استنباطها لينكشف لك فيها من العجائب ما تستحقر معها العلوم المزخرفة الخارجة عنها فهذا ما اردنا ذكره من معنى الانس والانبساط الذي هو ثمرته وتفاوت عباد الله فيه ◦

القول في معنى الرضا بقضاء الله تعالى وحقيقته وما ورد في فضيلته اعلم ان الرضا ثمرة من ثمار المحبة وهو من اعلى مقامات المقربين وحقيقته غامضة على الاكثرين وما يدخل عليه من التشابه والايهام غير منكشف الا لمن علمه الله التأويل وفقهه في الدين فقد انكر منكرون تصور الرضا بما يخالف الهوى ثم قالوا ان امكن الرضا بكل شيء لانه فعل الله فينبغي ان يرضى بالكفر والمعاصي وانخدع به قوم فرأوا الرضا بالفجور والفسوق وترك الاعتراض والانكار من باب التسليم لقضاء الله تعالى ولو انكشفت هذه الاسرار لمن اقتصر على سماع ظواهر الشرع لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن عباس حيث قال اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل ◦ فلنبدأ ببيان فضيلة الرضا ثم بحكايات احوال الراضين ثم نذكر حقيقته وكيفية تصوره فيما يخالف الهوى ثم نذكر ما يظن انه من تمام الرضا وليس منه كترك الدعاء والسكوت على المعاصي

بيان فضيلة الرضا اما من الآيات فقوله تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه وقد قال هل جزاء الاحسان الا الاحسان ومنتهى الاحسان رضى الله عن عبده وهو ثواب رضا العبد عنه وقال تعالى ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله اكبر فقد رفع الله جلت قدرته الرضا فوق جنات عدن كما رفع ذكره فوق الصلوة حيث قال ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله اكبر فكما ان مشاهدة المذكور في الصلوة اكبر من الصلوة فرضوان رب الجنة اعلى من الجنة بل هو غاية مطالب سكان الجنان وفي الحديث ان الله تعالى يتجلى للمؤمنين فيقول سلوني فيقولون رضاك فسؤالهم الرضا بعد النظر نهاية التفضيل واما رضا العبد فسنذكر حقيقته واما رضوان الله عن العبد فهو بمعنى آخر يقرب مما ذكرناه في حب الله تعالى ولا يجوز ان ينكشف عن حقيقته اذ تقصر افهام الخلق عن دركه ومن يقوى عليه فيستقل بادراكه من نفسه وعلى الجملة فلا رتبة فوق النظر اليه فانما سألوا الرضا لانه سبب دوام النظر فكانهم رأوه غاية الغايات واقصى الاماني لما ظفروا بنعيم النظر فلما امروا بالسؤال لم يسألوا الا دوامه وعلموا ان الرضا هو سبب دوام رفع الحجاب وقال تعالى ولدينا مزيد وقال بعض المفسرين فيه يأتي اهل الجنة في وقت المزيد ثلاث تحف من عند رب العالمين احدها هدية من عند الله تعالى ليس عندهم في الجنان مثلها فذلك قوله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين والثانية السلام عليهم من ربهم فيزيد ذلك على الهدية فضلاً وهو قوله تعالى سلام قولاً من رب رحيم والثالثة يقول الله تعالى اني عنكم راض فيكون ذلك افضل من الهدية والتسليم فذلك قوله تعالى ورضوان من الله اكبر اي من النعيم الذي هم فيه فهذا فضل رضاء الله وهو ثمرة رضا العبد ◦ واما من الاخبار فقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم سأل طائفة من اصحابه ما انتم فقالوا مؤمنون فقال وما علامة ايمانكم فقالوا نصبر على البلاء ونشكر عند الرخاء ونرضى بمواقع القضاء فقال مؤمنون ورب الكعبة ◦ وفي خبر آخر انه قال حكماء علماء كادوا من فقههم ان يكونوا انبياء ◦ وفي الخبر طوبى لمن هدي الى الاسلام وكان رزقه كفافاً ورضي به وقال صلى الله عليه وسلم من رضي من الله تعالى بالقليل من الرزق رضي الله تعالى منه بالقليل من العمل وقال ايضاً اذا احب الله عبداً ابتلاه فان صبر اجتباه وان رضي اصطفاه وقال صلى الله عليه وسلم ايضاً اذا كان يوم القيمة انبت الله تعالى لطائفة من امتي اجنحة من نور فيطيرون من قبورهم الى الجنان يسرحون فيها ويتنعمون كيف شاؤا فتقول لهم الملائكة هل رأيتم الحساب فيقولون ما رأينا حساباً فيقولون هل جزتم الصراط فيقولون ما رأينا

ما رأينا صراطاً فيقولون لهم هل رأيتم جهنم فيقولون ما رأينا شيئاً فتقول الملائكة من امة من انتم فيقولون من امة محمد صلى الله عليه وسلم فيقولون نشدناكم الله حدثونا ما كانت اعمالكم في الدنيا فيقولون خصلتان كانتا فينا فبلغنا الله تعالى هذه المنزلة بفضل رحمته فيقولون وما هما فيقولون كنا اذا خلونا نستحيي ان نعصيه ونرضى باليسير مما قسم لنا فتقول الملائكة يحق لكم هذا وقال صلى الله عليه وسلم اعطوا الله تعالى الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم والا فلا وفي اخبار موسى صلى الله عليه وسلم انه قال قوم سل لنا ربك امراً اذا نحن فعلناه يرضى به عنا فقال موسى عليه السلام الهي قد سمعت ما قالوا فقال يا موسى قل لهم يرضون عني حتى ارضى عنهم ويشهد لهذا ما روي عن نبينا صلى الله عليه وسلم انه قال من احب ان يعلم ما له عند الله عز وجل فلينظر ما لله عز وجل عنده فان الله عز وجل ينزل العبد منه حيث انزله العبد من نفسه وفي اخبار داود عليه السلام ما لاوليائي والهم بالدنيا ان الهم يذهب حلاوة مناجاتي من قلوبهم يا داود ان محبتي من اوليائي ان يكونوا روحانيين لا يغتمون وروي ان موسى صلوات الله عليه قال يا رب دلني على امر فيه رضاك حتى اعمله فاوحى الله تعالى اليه ان رضاي في كرهك وانت لا تصبر على ما تكره قال يا رب دلني عليه قال فان رضاي في رضاك بقضائي وفي مناجاة موسى صلى الله عليه وسلم اي رب اي خلقك احب اليك قال من اذا اخذت منه المحبوب سالمني قال فاي خلقك انت عليه ساخط قال من يستخيرني في الامر فاذا قضيته له سخط قضائي وقد روي ما هو اشد منه وذلك ان الله تعالى قال انا الله لا اله الا انا من لم يصبر على بلائي ولم يشكر نعمائي ولم يرض بقضائي فليتخذ رباً سوائي ومثله في الشدة قوله تعالى قدرت المقادير ودبرت التدبير واحكمت الصنع فمن رضي فله الرضا مني حين يلقاني وفي الخبر المشهور يقول الله تعالى خلقت الخير والشر فطوبى لمن خلقته للخير واجريت الخير على يديه وويل لمن خلقته للشر واجريت الشر على يديه وويل ثم ويل لمن قال لم وكيف وفي الاخبار السالفة ان نبياً من الانبياء شكا الى الله الجوع والفقر والقمل عشر سنين فما اجيب اليه ثم اوحى الله تعالى اليه كم تشكو هكذا كان بدؤك عندي في ام الكتاب قبل ان اخلق الدنيا افتريد ان اعيد خلق الدنيا من اجلك ام تريد ان ابدل ما قدرت عليك فيكون ما تحب فوق ما احب ويكون ما تريد فوق ما اريد وعزتي وجلالي لئن تلجلج هذا في صدرك مرة اخرى لامحونك من ديوان النبوة وروي ان آدم عليه السلام كان بعض اولاده الصغار يصعدون على بدنه وينزلون يجعل احدهم رجله على اضلاعه كهيئة الدرج فيصعد الى رأسه ثم ينزل على اضلاعه كذلك وهو مطرق الى الارض لا ينطق ولا يرفع رأسه فقال له بعض ولده يا ابت اما ترى ما يصنع هذا بك لو نهيته عن هذا فقال يا بني اني رأيت ما لم تروا وعلمت ما لم تعلموا اني تحركت حركة واحدة فاهبطت من دار الكرامة الى دار الهوان ومن دار النعيم الى دار الشقاء فاخاف ان تحركت حركة اخرى فيصيبني ما لا اعلم وقال انس بن مالك خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لشيء فعلته لم فعلته ولا لشيء لم افعله الا فعلته ولا قال في شيء كان ليته لم يكن ولا في شيء لم يكن ليته كان وكان اذا خاصمني مخاصم يقول دعوه لو قضي شيء لكان ويروى ان الله تعالى اوحى الى داود عليه السلام يا داود انك تريد واريد وانما يكون ما اريد فان سلمت لما اريد كفيتك ما تريد وان لم تسلم لما اريد اتعبتك فيما تريد ثم لا يكون الا ما اريد ◦ واما الآثار فقد قال ابن عباس اول من يدعى الى الجنة يوم القيمة الذين يحمدون الله تعالى على كل حال وقال عمر بن عبد العزيز ما بقي لي سرور الا في مواقع القدر وقيل له ما تشتهي قال ما يقضي الله وقال ميمون بن مهران من لم يرض بالقضاء فليس لحمقه دواء وقال الفضيل ان لم تصبر على تقدير الله تعالى لم تصبر على تقدير نفسك وقال عبد العزيز بن ابي رواد ليس الشأن في اكل خبز الشعير والخل ولا في لبس الصوف والشعر ولكن الشأن في الرضا عن الله عز وجل وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه لان الحس جمرة احرقت ما احرقت وابقت ما ابقت احب الي من ان اقول لشيء كان ليته لم يكن او لشيء لم يكن ليته كان ونظر رجل الى قرحة في رجل محمد بن واسع فقال اني لارحمك من هذه القرحة فقال اني لاشكرها منذ خرجت

اذ لم يخرج من عيني وروي في الاسرائيليات ان عابداً عبد الله تعالى دهراً طويلاً فاري في المنام ان فلانة الراعية فانها
رفيقتك في الجنة فسال عنها الى ان وجدها واستضافها ثلاثاً لينظر الى عملها فكان يبيت قائماً وتبيت نائمة ويظل صائماً وتظل
مفطرة فقال اما لك عمل غير ما رايت فقالت ما هو والله الا ما رايت لا اعرف غيره فلم يزل يقول تذكري حتى قالت خصيلة واحدة
هي فيّ ان كنت في الشدة لم اتمن ان اكون في الرخاء وان كنت في مرض لم اتمن ان اكون في صحة وان كنت في الشمس لم اتمن ان اكون
في الظل فوضع العابد يده على راسه وقال اهذه خصيلة هذه والله خصلة عظيمة يعجز عنها العباد وعن بعض السلف ان الله تعالى
اذا قضى في السماء قضاء احب من اهل الارض ان يرضوا بقضائه وقال ابو الدرداء ذروة الايمان الصبر للحكم والرضا بالقدر
وقال عمر ما ابالي على اي حال اصبحت وامسيت من شدة ورخاء وقال الثوري يوماً عند رابعة اللهم ارض عنا فقالت اما تستحيي
من الله ان تسال الرضا وانت عنه غير راض فقال استغفر الله وقال جعفر بن سليمان الضبعي فمتى يكون راضياً عن الله فقال اذا كان سروره
بالمصيبة مثل سروره بالنعمة وكان الفضيل يقول اذا استوى عنده المنع والعطاء فقد رضي عن الله سبحانه وقال احمد بن الحواري
قال ابو سليمان الداراني ان الله عز وجل من كرمه قد رضي من عبيده بما رضي العبيد من مواليهم قلت وكيف ذلك قال
اليس مراد العبد من الخلق ان يرضى عنه مولاه قلت نعم قال فان محبة الله من عبيده ان يرضوا عنه وقال سهل حظ العبيد من
اليقين على قدر حظهم من الرضا وحظهم من الرضا على قدر عيشهم مع الله عز وجل وقال صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل بحكمه
وجلاله جعل الروح والفرح في الرضا واليقين وجعل الغم والحزن في الشك والسخط

بيان حقيقة الرضا وتصوره فيما يخالف الهوى

اعلم ان من قال ليس فيما يخالف الهوى وانواع البلاء الا الصبر فاما الرضا فلا
يتصور فانما اتى من ناحية انكار المحبة فاما اذا ثبت تصور الحب لله تعالى واستغراق الهم به فلا يخفى ان الحب يورث الرضا
بافعال الحبيب ويكون ذلك من وجهين احدهما ان يبطل الاحساس بالالم حتى يجري عليه المؤلم ولا يحس ويصيبه جراحة ولا يدرك
المه ومثاله الرجل المحارب فانه في حال غضبه او في حال خوفه قد تصيبه جراحة وهو لا يحس بها حتى اذا راى الدم استدل به على الجراحة
بل الذي يعدو في شغل قريب قد تصيبه شوكة في قدمه ولا يحس بالمها لشغل قلبه بل الذي يحجم او يحلق راسه بحديدة كالة يتالم
به فان كان مشغول القلب بمهم من مهماته فرغ المزين والحجام وهو لا يشعر به وكل ذلك لان القلب اذا صار مستغرقاً بامر من الامور
مستوفى به لم يدرك ما عداه فكذلك العاشق المستغرق الهم بمشاهدة معشوقه او بحبه اذ قد يصيبه ما كان يتالم به او يغتم
لولا عشقه ثم لا يدرك غمه والمه لفرط استيلاء الحب على قلبه هذا اذا اصابه من غير حبيبه فكيف اذا اصابه من حبيبه وشغل القلب
بالحب والعشق من اعظم الشواغل واذا تصور هذا في الم يسير بسبب حب خفيف تصور في الالم العظيم بالحب العظيم فان الحب ايضاً
يتصور تضاعفه في القوة كما يتصور تضاعف الالم وكما يقوى حب الصور الجميلة المدركة بحاسة البصر فكذا يقوى حب الصور الجميلة
الباطنة المدركة بنور البصيرة وجمال الحضرة الربوبية وجلالها لا يقاس بها جمال ولا جلال فمن ينكشف له شيء منه فقد يبهره بحيث يدهش
ويغشى عليه فلا يحس بما يجري عليه فقد روي ان امراة فتح الموصلي عثرت فانقطع ظفرها فضحكت فقيل لها اما تجدين الوجع
فقالت ان لذة ثوابه ازالت عن قلبي مرارة وجعه وكان سهل به علة يعالج غيره منها ولا يعالج نفسه فقيل له في ذلك فقال
يا دوست ضرب الحبيب لا يوجع واما الوجه الثاني فهو ان يحس به ويدرك المه ولكن يكون راضياً به بل راغباً فيه
مريداً له اعني بعقله وان كان كارهاً بطبعه كالذي يلتمس من الفصاد الفصد والحجامة فانه يدرك المه الا انه راض به وراغب
فيه ومتقلد من الفصاد منة بفعله فهذا حال الراضي بما يجري عليه من الالم وكذلك كل من يسافر في طلب الربح يدرك مشقة
السفر ولكن حبه لثمرة سفره طيب عنده مشقة السفر وجعله راضياً به ومهما اصابه بلية من الله تعالى وكان له يقين بان ثوابه
الذي ادخر له فوق ما فاته رضي به ورغب فيه واحبه وشكر الله تعالى عليه هذا ان كان يلاحظ الثواب والاحسان الذي
يجازى به عليه ويجوز ان يغلب الحب بحيث يكون حظ المحب في مراد حبيبه ورضاه لا لمعنى آخر وراءه فيكون مراد حبيبه ورضاه محبوباً
عنده ومطلوباً وكل ذلك موجود في المشاهدات في حب الخلق وقد تواصفها المتواصفون في نظمهم ونثرهم ولا معنى له الا ملاحظة
جمال الصورة الظاهرة المدركة بالبصر فان نظر الى الجمال فما هو الا جلد على لحم ودم مشحون بالاقذار والاخباث بدايته من
نطفة مذرة ونهايته جيفة قذرة وهو فيما بين ذلك يحمل العذرة وان نظر الى المدرك للجمال فهي العين الخسيسة التي تغلط فيما
ترى كثيراً فترى الصغير كبيراً والكبير صغيراً والبعيد قريباً والقبيح جميلاً فاذا تصور استيلاء هذا الحب فمن اين يستحيل ذلك في حب
الجمال الازلي الابدي الذي لا منتهى لكماله المدرك بعين البصيرة التي لا يعتريها الغلط ولا يدور بها الموت بل تبقى بعد الموت حية
عند الله فرحة برزق الله مستفيدة بالموت مزيد تنبيه واستكشاف فهذا امر واضح من حيث النظر بعين الاعتبار ويشهد لذلك الوجود
حكايات احوال المحبين واقوالهم فقد قال شقيق من يرى ثواب الشدة لا يشتهي المخرج منها وقد قال الجنيد سالت سرياً
السقطي هل يجد المحب الم البلاء قال لا قلت وان ضرب بالسيف قال نعم وان ضرب بالسيف سبعين ضربة على ضربة وقال بعضهم احببت كل
شيء بحبه حتى لو احب النار احببت دخول النار وقال بشر بن الحارث مررت برجل وقد ضرب الف سوط في شرقية بغداد ولم يتكلم
ثم حمل الى الحبس فتبعته فقلت له لم ضربت فقال لاني عاشق فقلت ولم سكت قال لان معشوقي كان بحذائي ينظر الي فقلت له فلو نظرت
الى المعشوق الاكبر قال فزعق زعقة وخر ميتاً وقال يحيى بن معاذ الرازي اذا نظر اهل الجنة الى الله تعالى ثمانمائة سنة لا ترجع اليهم
فما ظنك بقلوب وقعت بين جماله وجلاله اذا لاحظت جلاله هابت واذا لاحظت جماله تاهت وقال بشر قصدت عبادان في بدايتي فاذا انا
برجل اعمى مجذوم مجنون قد صرع والنمل ياكل لحمه فرفعت راسه فوضعته في حجري وانا اردد الكلام فلما افاق قال من هذا الفضولي
الذي يدخل بيني وبين ربي ولو قطعني ارباً ارباً ما ازددت له الا حباً قال بشر فرايت بعد ذلك نقمة بين عبد وبين ربه فانكرتها
وقال ابو عمرو محمد بن الاشعث ان اهل مصر مكثوا اربعة اشهر لم يكن لهم غذاء الا النظر الى وجه يوسف الصديق عليه السلام كانوا
اذا جاعوا فشغلهم جماله عن الاحساس بالم الجوع بل في القرآن ما هو ابلغ من هذا وهو قطع النسوة ايديهن لاستهتارهن بملاحظة جماله
حتى ما احسسن بذلك وقال سعيد بن احمد رايت بالبصرة في خان عطاء بن مسلم شاباً وفي يده مدية وهو ينادي باعلى صوته والناس حوله
وهو يقول يوم الفراق من القيامة اطول والموت من الم التفرق اجمل قالوا الرحيل فقلت لست براحل لكن مهجتي التي تترحل ثم بقر بها بطنه
وخر ميتاً فسالت عنه وعن امره فقيل لي انه كان يهوى فتى لبعض الملوك حجب عنه يوماً واحداً ويروى ان يونس عليه السلام قال لجبريل
دلني على اعبد اهل الارض فدله على رجل قد قطع الجذام يديه ورجليه وذهب ببصره وسمعه وهو يقول الهي متعتني بهما ما شئت انت
وسلبتني ما شئت انت وابقيت لي فيك الامل يا بر يا وصول ويروى عن عبد الله بن عمر انه اشتكى له ابن فاشتد وجده عليه حتى قال
بعض القوم لقد خشينا على هذا الشيخ ان حدث بهذا الغلام حدث فمات الغلام فخرج ابن عمر في جنازته وما رجل ابدى سروراً منه
فقيل له في ذلك فقال ابن عمر انما كان حزني رحمة له فلما وقع امر الله رضينا به وقال مسروق كان رجل بالبادية له كلب وحمار وديك
فالديك يوقظهم للصلاة والحمار ينقلون عليه الماء ويحمل لهم خباءهم والكلب يحرسهم فجاء الثعلب فاخذ الديك فحزنوا له وكان الرجل
صالحاً فقال عسى ان يكون خيراً ثم جاء ذئب فخرق بطن الحمار فقتله فحزنوا له فقال الرجل عسى ان يكون خيراً ثم اصيب الكلب بعد ذلك فقال
عسى ان يكون خيراً ثم اصبحوا ذات يوم فنظروا فاذا قد سبي من حولهم وبقوا هم قال وانما اخذوا اولئك لما كان عندهم من اصوات الكلب والحمار

والديك وكانت الحيرة لهؤلاء في هلاك هذه الحيوانات كما قدره الله تعالى فمن عرف خفي لطف الله رضي بفعله ويروى أن عيسى عليه السلام مر برجل أعمى أبرص مقعد مضروب الجنبين بفالج وقد تناثر لحمه من الجذام وهو يقول الحمد لله الذي عافاني مما ابتلى به كثيرا من خلقه فقال له عيسى عليه السلام يا هذا أي شيء من البلاء أراه مصروفا عنك فقال يا روح الله أنا خير ممن لم يجعل الله في قلبه ما جعل في قلبي من معرفته فقال له صدقت هات يدك فناوله يده فإذا هو أحسن الناس وجها وأفضلهم هيئة قد أذهب الله عنه ما كان به فصحب عيسى عليه السلام وتعبد معه وقطع عروة بن الزبير رجله من ركبته من أكلة وكان يقول الحمد لله الذي أخذ مني واحدة وايم الله لئن كنت أخذت لقد أبقيت ولئن كنت ابتليت لقد عافيت ثم لم يدع ورده تلك الليلة وكان ابن مسعود يقول الفقر والغنى مطيتان ما أبالي أيتهما ركبت إن كان الفقر فإن فيه الصبر وإن كان الغنى فإن فيه البذل وقال أبو سليمان الداراني قد نلت من كل مقام حالا إلا الرضا فما لي منه إلا مشام الريح وعلى ذلك لو أدخل الخلائق كلهم الجنة وأدخلني النار كنت بذلك راضيا وقيل لعارف آخر هل نلت غاية الرضا عنه فقال أما الغاية فلا ولكن مقام من الرضا قد نلته لو جعلني جسرا على جهنم يعبر الخلائق علي إلى الجنة ثم ملأ بي جهنم تحلة لقسمه وبدلا من خليقته لأحببت ذلك من حكمه ورضيت به من قسمه وهذا كلام من علم أن الحب قد استغرق همه حتى منعه الإحساس بألم النار وإن بقي إحساس فيغمره ما يحصل من لذته في استشعاره حصول رضا محبوبه بإلقائه إياه في النار واستيلاء هذه الحالة غير محال في نفسه وإن كان بعيدة من أحوالنا الضعيفة ولكن لا ينبغي أن يستنكر الضعيف المحروم أحوال الأقوياء ويظن أن ما هو عاجز عنه يعجز عنه الأولياء وقال الروذباري قلت لأبي عبد الله الجلاء الدمشقي قول فلان وددت أن جسدي قرض بالمقاريض وأن هذا الخلق أطاعوه ما معناه فقال يا هذا إن كان هذا من طريق الإشفاق على الخلق والنصح فأعرف وإن كان من طريق التعظيم للإجلال فلا أعرف قال ثم غشي عليه وقد كان عمران بن حصين استسقى بطنه فبقي ملقى على ظهره ثلاثين سنة لا يقوم ولا يقعد قد نقب له في سرير من جريد كان عليه موضع لقضاء حاجته فدخل عليه مطرف وأخوه العلاء فجعل يبكي لما يرى من حاله فقال لم تبكي قال لأني أراك على هذه الحالة العظيمة قال لا تبك فإن أحبه إلى الله تعالى أحبه إلي ثم قال أحدثك شيئا لعل الله أن ينفعك به واكتم علي حتى أموت إن الملائكة تزورني فآنس بها وتسلم علي فأسمع تسليمها فأعلم بذلك أن هذا البلاء ليس بعقوبة إذ هو سبب هذه النعمة الجسيمة فمن يشاهد هذا في بلائه كيف لا يكون راضيا به قال ودخلنا على سويد بن شعبة نعوده فرأينا ثوبا ملقى فما ظننا أن تحته شيئا حتى كشف فقالت له امرأته أهلي فداؤك ما نطعمك ما نسقيك فقال طالت الضجعة ودبرت الحراقيف وأصبحت نضوا لا أطعم طعاما ولا أسيغ شرابا منذ كذا فذكر أياما وما يسرني أني نقصت من هذا قلامة ظفر ولما قدم سعد بن أبي وقاص إلى مكة وكان قد كف بصره جاءه الناس يهرعون إليه كل واحد يسأله أن يدعو له فيدعو لهذا ولهذا وكان مجاب الدعوة قال عبد الله بن السائب فأتيته وأنا غلام فتعرفت إليه فعرفني وقال أنت قارئ أهل مكة قلت نعم فذكر قصة قال في آخرها فقلت له يا عم أنت تدعو للناس فلو دعوت لنفسك فرد الله عليك بصرك فتبسم وقال يا بني قضاء الله عندي أحسن من بصري وضاع لبعض الصوفية ولد صغير ثلاثة أيام لم يعرف له خبر فقيل له لو سألت الله تعالى أن يرده عليك فقال اعتراضي عليه فيما قضى أشد علي من ذهاب ولدي وعن بعض العباد أنه قال إني أذنبت ذنبا عظيما فأنا أبكي عليه منذ ستين سنة وكان قد اجتهد في العبادة لأجل التوبة من ذلك الذنب فقيل له وما هو قال قلت مرة لشيء كان ليته لم يكن وقال بعض السلف لو قرض جسمي بالمقاريض كان أحب إلي من أن أقول لشيء قضاه الله ليته لم يقضه وقيل لعبد الواحد بن زيد ههنا رجل قد تعبد خمسين سنة فقصده فقال له حبيبي أخبرني عنك هل قنعت به قال لا قال فهل أنست به قال لا قال فهل رضيت عنه قال لا قال فإنما مزيدك منه الصوم والصلاة قال نعم قال لولا أني أستحيي منك لأخبرتك بأن معاملتك خمسين سنة مدخولة ومعناه

لم يفتح لك باب القلب فترقى إلى درجات القرب بأعمال القلوب وإنما تعد في طبقة أصحاب اليمين لأن مزيدك منه في أعمال الجوارح التي هي مزيد أهل العموم ودخل جماعة من الناس على الشبلي في مارستان قد حبس فيه وقد جمع بين يديه حجارة فقال لهم من أنتم فقالوا محبوك فأقبل عليهم يرميهم بالحجارة فتهاربوا فقال ما بالكم ادعيتم محبتي إن صدقتم فاصبروا على بلائي وللشبلي إن المحبة للرحمن أسكرني وهل رأيت محبا غير سكران وقال بعض عباد أهل الشام كلكم يلقى الله عز وجل ونعله فتكذبه وذلك أن أحدكم لو كان له أصبع من ذهب ظل يشير بها ولو كان له بها شلل ظل يواريها يعني بذلك أن الذهب مذموم عند الله والناس يتفاخرون بها والبلاء زينة أهل الآخرة وهم يستنكفون منها واحترق السوق فقيل للسري احترق السوق وما احترق دكانك فقال الحمد لله ثم قال كيف قلت الحمد لله على سلامتي دون المسلمين فتاب من التجارة وترك الحانوت بقية عمره توبة واستغفارا من قوله الحمد لله فإذا تأملت هذه الحكايات عرفت قطعا أن الرضا بما يخالف الهوى ليس مستحيلا بل هو مقام عظيم من مقامات أهل الدين ومهما كان ذلك ممكنا في حب الخلق وحظوظهم كان ممكنا في حب الله تعالى وحظوظ الآخرة وإمكانه من وجهين أحدهما الرضا بالألم لما يتوقع من الثواب الموعود كالرضا بالحجامة وشرب الدواء انتظارا للشفاء والثاني الرضا به لا لحظ وراءه بل لكونه مراد المحبوب ورضا له فقد يغلب الحب بحيث ينغمر مراد المحب في مراد المحبوب فيكون ألذ الأشياء عنده سرور قلب محبوبه ورضاه ونفوذ إرادته ولو في إراقة دمه كما قيل: وما لجرح إذا أرضاكم ألم. وهذا ممكن مع الإحساس بالألم وقد يستولي الحب بحيث يدهش عن إدراك الألم فالقياس والتجربة والمشاهدة دالة على وجوده فلا ينبغي أن ينكره من فقده من نفسه لأنه إنما فقده من نفسه لفقد سببه وهو فرط حبه ومن لم يذق طعم الحب لم يعرف عجائبه فللمحبين عجائب أعظم مما وصفناه وقد روي عن عمرو بن الحارث الرافقي قال كنت في مجلس بالرقة عند صديق لي وكان معنا فتى يتعشق جارية مغنية وكانت معنا في المجلس فضربت بالقضيب وغنت

علامة ذل الهوى على العاشقين البكا ... لا سيما عاشق إذا لم يجد مشتكى

فقال لها الفتى أحسنت يا سيدتي أفتأذنين لي أن أموت قالت مت راشدا قال فوضع رأسه على الوسادة وأطبق فمه وغمض عينيه فحركناه فإذا هو ميت وقال الجنيد رأيت رجلا متعلقا بكم صبي وهو يتضرع إليه ويظهر له المحبة فالتفت إليه الصبي فقال إلى متى ذا النفاق الذي تظهر لي فقال قد علم الله أني صادق فيما أورده حتى لو قلت لي مت لمت فقال إن كنت صادقا فمت قال فتنحى الرجل وغمض عينيه فوجد ميتا وقال سمنون المحب كان في جيراننا رجل وله جارية يحبها غاية الحب فاعتلت الجارية فجلس الرجل ليصلح لها حيسا فبينا هو يحرك القدر إذ قالت الجارية آه فدهش الرجل وسقطت الملعقة من يده وجعل يحرك ما في القدر بيده حتى سقطت أصابعه فقالت الجارية ما هذا فقال الرجل هذا مكان قولك آه وحكي عن محمد بن عبد الله البغدادي قال رأيت بالبصرة شابا على سطح مرتفع وقد أشرف على الناس وهو يقول من مات عشقا فليمت هكذا لا خير في عشق بلا موت ثم رمى بنفسه إلى الأرض فحملوه ميتا فهذا وأمثاله قد يصدق به في حب المخلوق والتصديق به في حب الخالق أولى لأن البصيرة الباطنة أصدق من البصر الظاهر وجمال الحضرة الربوبية أوفى من كل جمال بل كل جمال في العالم فهو حسنة من حسنات ذلك الجمال نعم الذي فقد البصر ينكر جمال الصور والذي فقد السمع ينكر لذة الألحان والنغمات الموزونة فالذي فقد القلب لا بد أيضا أن ينكر أيضا هذه اللذات إذ لا محل لها سوى القلب

بيان أن الدعاء غير مناقض للرضا

ولا يخرج صاحبه عن مقام الرضا وكذلك كراهة المعاصي ومقت أهلها ومقت أسبابها والسعي في إزالتها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يناقضه وقد غلط في ذلك بعض البطالين المغترين وزعم أن المعاصي والفجور والكفر من قضاء الله وقدره فيجب الرضا به وهذا جهل بالتأويل وغفلة عن أسرار الشرع أما الدعاء فقد تعبدنا به وكثرة دعوات رسول الله صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء على ما نقلناه في كتاب الدعوات ولقد كان صلى الله عليه وسلم في أعلى مقامات الرضا وقد أثنى الله تعالى على بعض عباده بقوله يدعوننا رغبا ورهبا وأما إنكار المعاصي وكراهتها وعدم الرضا بها فقد تعبد الله تعالى به

عباده وذمّهم على الرضا بها فقال رضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها وقال رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم وفي الخبر
المشهور من شهد منكرا فرضي به فكأنه قد فعله وفي الحديث الدال على الشر كفاعله وعن ابن مسعود ان العبد ليغيب عن المنكر ويكون
عليه مثل وزر صاحبه قيل وكيف ذلك قال يبلغه فيرضى به وفي الخبر لو ان عبدا قتل بالمشرق ورضي بقتله آخر في المغرب كان شريكه
في قتله وقد امر الله تعالى بالحسد والمنافسة في الخيرات وتوقي الشرور فقال وفي ذلك فليتنافس المتنافسون وقال النبي صلى الله
عليه وسلم لا حسد الا في اثنتين رجل آتاه الله حكمة فهو يبثها في الناس ويعلمها ورجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق
وفي لفظ آخر ورجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وأطراف النهار فيقول الرجل لو آتاني الله مثل ما آتى هذا لفعلت مثل
ما يفعل وأما بغض الكفار والفجار والانكار عليهم ومقتهم فما ورد فيه من شواهد القرآن والاخبار لا يحصى مثل قوله تعالى
لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء وقال وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا وفي الخبر ان الله تعالى أخذ الميثاق على كل مؤمن ان يبغض
كل منافق وعلى كل منافق ان يبغض كل مؤمن وقال ايضا صلى الله عليه وسلم المرء مع من احب وقال من احب قوما ووالاهم حشر معهم
يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم أوثق عرى الايمان الحب في الله والبغض في الله وشواهد هذا ما ذكرناه في باب الحب والبغض
في الله في كتاب آداب الصحبة وفي كتاب الامر بالمعروف فلا نعيده فان قلت فقد وردت الآيات والاخبار بالرضا بقضاء الله
فان كانت المعاصي بغير قضاء الله فهو محال وهو قادح في التوحيد وان كانت بقضاء الله تعالى فكراهتها ومقتها كراهة لقضاء الله
وكيف السبيل الى الجمع وهو متناقض على هذا الوجه وكيف يمكن الجمع بين الرضا والكراهة في شيء واحد فاعلم ان هذا مما يلتبس على الضعفاء
القاصرين عن الوقوف على اسرار العلوم وقد التبس على قوم حتى رأوا السكوت على المنكرات مقاما من مقامات الرضا وسموه حسن
خلق وهو جهل محض بل نقول الرضا والكراهة يتضادان اذا تواردا على شيء واحد من جهة واحدة وليس من التضاد في شيء واحد ان
يكره من وجه ويرضى من وجه اذ قد يموت عدوك الذي هو ايضا عدو بعض اعدائك وساع في اهلاكه فتكره موته من حيث انه مات
عدوك وكذلك المعصية لها وجهان وجه الى الله تعالى ووجه الى العبد من حيث انه كسبه ووصفه وفعله واختياره وارادته فترضى به
من هذا الوجه تسليما للملك الى مالك الملك ورضا بما يفعله فيه ووجه الى العبد من حيث انه كسبه ووصفه وعلامة كونه ممقوتا
عند الله وبغيضا عنده حيث سلط عليه اسباب البعد والمقت فهو من هذا الوجه منكر ومذموم ولا ينكشف هذا لك الا بمثال
فلنفرض محبوبا من الخلق قال بين يدي محبيه اني اريد ان اميز بين من يحبني ويبغضني وانصب فيه معيارا صادقا وميزانا ناطقا وهو اني
اقصد الى فلان فاؤذيه واضربه ضربا يضطره الى الشتم حتى اذا شتمني ابغضته واتخذته عدوا لي فكل من احبه فاعلم انه ايضا عدوي
وكل من ابغضه فاعلم انه صديقي ومحبي ثم فعل ذلك وحصل مراده من الشتم الذي هو سبب البغض وحصل البغض الذي هو سبب العداوة
فحق على من هو صادق في محبته وعالم بشروط المحبة ان يقول اما تدبيرك في ايذاء الشخص وضربه وابعاده وتعرضك اياه للبغض والعداوة
فانا محب له وراض به فانه رأيك وتدبيرك وفعلك وارادتك واما شتمه اياك فانه عدوان من جهته اذ كان حقه ان يصبر ولا يشتم
ولكن كان مرادك منه فانك قصدت بضربه استنطاقه بالشتم الموجب للمقت فهو من حيث انه حصل على وفق مرادك وتدبيرك الذي دبرته
فانا راض به ولو لم يحصل ذلك لكان ذلك نقصانا في تدبيرك وتعويقا في مرادك وانا كاره لفوات مرادك ولكنه من حيث انه وصف لهذا الشخص
وكسب له وعدوان وتهجم منه عليك على خلاف ما يقتضيه جمالك اذ كان ذلك يقتضي ان يحتمل منك الضرب ولا يقابل بالشتم فانا كاره له
من حيث هو مرادك ومقتضى تدبيرك واما بغضك له بسبب شتمه فانا راض به ومحب له لانه مرادك وانا على موافقتك ايضا مبغض
له لان شرط المحب ان يكون حبيب المحبوب حبيبا وعدوه عدوا واما بغضه لك فاني ارضاه من حيث انك اردت ان يبغضك اذ

اذ ابعدته عن نفسك وسلطت عليه دواعي البغض ولكني ابغضه من حيث انه وصف ذلك المبغض وكسبه وفعله وامقته لذلك
فهو ممقوت عندي لمقتك اياه وبغضه ومقته لك ايضا مكروه عندي من حيث انه وصف له وكل ذلك من حيث انه مرادك فهو
مرضي فاما التناقض ان يقول هو من حيث انه مرادك مرضي وهو من حيث انه مرادك مكروه فاما اذا كان مكروها لا من حيث انه فعله
ومراده بل من حيث انه وصف غيره وكسبه فهذا لا تناقض فيه ويشهد لذلك كل ما يكره ويرضى من وجه ونظائر ذلك لا تحصى فاذن
تسليط الله دواعي الشهوة والمعصية عليه حتى يجره ذلك الى حب المعصية ويجره الحب الى فعل المعصية يضاهي ضرب المحبوب للشخص
الذي ضربناه مثلا ليجره الضرب الى الغضب والغضب الى الشتم ومقت الله لمن عصاه وان كانت معصيته بتدبيره يشبه بغض المشتوم
لمن شتمه وان كان شتمه انما حصل بتدبيره واختياره لاسبابه وفعل الله ذلك بكل عبد من عبيده اعني تسليطه دواعي المعصية عليه يدل
على انه سبقت مشيئته بابعاده ومقته فواجب على كل عبد محب لله ان يبغض من ابغضه الله ويمقت من مقته ويعادي من ابعده عن حضرته
وان اضطره بقهره وقدرته الى معاداته ومخالفته فانه بعيد مطرود ملعون عن الحضرة وان كان بعيدا بابعاده قهرا ومطرودا بطرده
اضطرارا والمبعد عن درجات القرب ينبغي ان يكون ممقوتا بغيضا الى جميع المحبين موافقة للمحبوب باظهار الغضب على من اظهر المحبوب الغضب
عليه بابعاده وبهذا يتقرر جميع ما وردت به الاخبار من البغض في الله والحب في الله والتشديد على الكفار والتغليظ عليهم والمبالغة في
مقتهم مع الرضا بقضاء الله تعالى من حيث انه قضاء الله وهذا كله يستمد من سر القدر الذي لا رخصة في افشائه وهو ان الشر والخير كلا
داخلان في المشيئة والارادة ولكن الشر مراد مكروه والخير مراد مرضي فمن قال ليس الشر من الله فهو جاهل وكذا من قال انهما جميعا منه من
غير افتراق في الرضا والكراهة فهو ايضا مقصر وكشف الغطاء عنه غير ماذون فيه فالاولى السكوت والتأدب بادب الشرع فقد قال صلى الله
عليه وسلم القدر سر الله فلا تفشوه وذلك يتعلق بعلم المكاشفة وغرضنا الآن بيان الامكان فيما تعبد به الخلق من الجمع بين الرضا بقضاء
الله ومقت المعاصي مع انها من قضاء الله وقد ظهر الغرض من غير حاجة الى كشف السر فيه وبهذا تعرف ايضا ان الدعاء بالمغفرة والعصمة
من المعاصي وسائر الاسباب المعينة على الدين غير مناقض للرضا بقضاء الله فان الله تعالى تعبد العباد بالدعاء ليستخرج الدعاء منهم صفاء
الذكر وخشوع القلب ورقة التضرع ويكون ذلك جلاء للقلب ومفتاحا للكشف وسببا لتواتر مزايا اللطف كما ان حمل الكوز وشرب
الماء ليس مناقضا للرضا بقضاء الله في العطش وشرب الماء طلبا لازالة العطش مباشرة سبب رتبه مسبب الاسباب فكذلك الدعاء
سبب رتبه الله تعالى وامر به وقد ذكرنا ان التمسك بالاسباب جريا على سنة الله تعالى لا يناقض التوكل واستقصيناه في كتاب التوكل
فهو ايضا لا يناقض الرضا لان الرضا مقام ملاصق للتوكل ويتصل به نعم اظهار البلاء في معرض الشكوى وانكاره بالقلب على الله تعالى يناقض
الرضا واظهار البلاء على سبيل الشكر والكشف عن قدرة الله تعالى لا يناقض وقد قال بعض السلف من حسن الرضا بقضاء الله ان لا يقول هذا يوم حار
أي في معرض الشكاية وذلك في الصيف فاما في الشتاء فهو شكر والشكوى تناقض الرضا بكل حال وذم الاطعمة وعيبها يناقض الرضا
لان مذمة الصنعة مذمة للصانع والكل من صنع الله تعالى وقول القائل الفقر بلاء ومحنة والعيال هم وتعب والاحتراف
كد ومشقة كل ذلك قادح في الرضا بل ينبغي ان يسلم التدبير لمدبره والمملكة لمالكها ويقول ما قاله عمر رضي الله عنه لا ابالي اصبحت غنيا
او فقيرا فاني لا ادري ايهما خير لي بيان ان الفرار من البلاد التي هي مظان المعاصي ومذمتها لا يقدح في الرضا اعلم ان الضعيف
قد يظن ان نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخروج من بلد ظهر بها الطاعون يدل على النهي عن الخروج من بلد ظهرت فيه المعاصي لان
كل واحد منهما فرار من قضاء الله تعالى وذلك محال بل العلة في النهي عن مفارقة البلد بعد ظهور الطاعون انه لو فتح هذا الباب لارتحل
عنه الاصحاء وبقي فيها المطعونون مهملين لا متعهد لهم فهلكوا هزلا وضرا ولذلك شبهه رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الاخبار بالفرار

من الزعفران ولو كان ذلك الفرار من القضاء لما اذن لمن قارب البلدة في الانصراف عنها وقد ذكرنا حكم ذلك في كتاب التوكل ولذا
عرف المعنى ظهر ان الفرار من البلاد التي هي مظان المعاصي ليس فرارا من القضاء بل من القضاء الفرار مما لا بد من الفرار منه وكذلك مذمة
المواضع التي تدعو الى المعاصي والاسباب التي تدعو اليها لاجل التنفير عن المعصية ليس مذموما فما زال السلف الصالحون يعتادون
ذلك حتى اتفق جماعة على ذم بغداد واظهارهم ذلك وطلب الفرار منها فقال ابن المبارك قد طفت الشرق والغرب فما رايت بلدا شرا من
بغداد قيل وكيف قال هو بلد تزدرى فيه نعمة الله وتستصغر فيه معصية الله ولما قدم خراسان قيل له كيف رايت بغداد فقال
ما رايت بها الا شرطيا غضبان او تاجرا لهفان او قارئا حيران ولا ينبغي ان يظن ذلك من الغيبة لانه لم يتعرض لشخص بعينه حتى يستضر
به ذلك الشخص وانما قصد بذلك تحذير الناس وكان يخرج الى مكة وكان مقامه ببغداد يترصد استعداد القافلة ستة عشر يوما و
كان يتصدق فيه بستة عشر دينارا لكل يوم دينار كفارة لمقامه وذم العراق جماعة كعمر بن عبد العزيز وكعب الاحبار رضي الله عنهما
وقال ابن عمر رضي الله عنهما لمولى له اين تسكن فقال العراق فقال فما تصنع هناك بلغني انه ما من احد يسكن العراق الا قيض له قرين
من البلاء وذكر كعب الاحبار رضي الله عنه يوما العراق فقال فيه تسعة اعشار الشر وفيه الداء العضال وقيل قسم الخير فتسعة اعشاره بالشام
وعشره بالعراق وقسم الشر بالعكس منه وقال بعض اصحاب الحديث كنا يوما عند فضيل بن عياض فجاءه صوفي متدرع بعباءة فاجلسه
الى جانبه واقبل عليه ثم قال اين تسكن فقال بغداد فاعرض عنه وقال يأتينا احدهم في زي الرهبان فاذا سألناه اين تسكن قال في
عش الظلمة وكان بشر بن الحارث يقول مثل المتعبد في الحش وكان يقول لا تقتدوا بي في المقام بها من اراد ان يخرج فليخرج وكان احمد بن
حنبل يقول لولا تعلق هؤلاء الصبيان بنا كان الخروج من هذا البلد آثر في نفسي قيل واين تختار السكنى قال بالثغور فهذا يدل على ان من بلي
ببلدة تكثر فيها المعاصي ويقل فيها الخير فلا عذر له في المقام بها بل ينبغي ان يهاجر قال الله تعالى الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا
فيها فان منعه عن ذلك عيال او علاقة فلا ينبغي ان يكون راضيا بحاله مطمئن النفس اليه بل ينبغي ان يكون منزعج القلب منها قائلا على الدوام
ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها وذلك لان الظلم اذا عم نزل البلاء ودمر على الجميع وشمل المطيعين قال الله تعالى
واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة فاذن ليس في شيء من اسباب نقصان الدين البتة رضا مطلق الا من حيث اضافتها
الى فعل الله تعالى فاما هي في نفسها فلا وجه للرضا بها بحال وقد اختلف العلماء في الافضل من اهل المقامات الثلثة رجل يحب الموت شوقا
الى لقاء الله تعالى ورجل يحب البقاء لخدمة المولى ورجل قال لا اختار شيئا بل ارضى بما اختاره الله تعالى ورفعت هذه المسألة الى
بعض العارفين فقال صاحب الرضا افضلهم لانه اقلهم فضولا واجتمع ذات يوم وهيب بن الورد وسفيان الثوري ويوسف بن اسباط
فقال الثوري كنت اكره موت الفجاءة قبل اليوم واليوم وددت اني ميت فقال له يوسف لم قال لما اتخوف من الفتنة فقال يوسف
لكني لا اكره طول البقاء فقال سفيان لم قال لعلي اصادف يوما اتوب فيه واعمل صالحا فقيل لوهيب ايش تقول انت فقال انا لا اختار
شيئا احب ذلك الي احبه الى الله تعالى فقبل الثوري بين عينيه وقال روحانية ورب الكعبة

بيان جملة من حكايات المحبين واقوالهم
ومكاشفاتهم قيل لبعضهم لعاذ دين انك محب فقال لست محبا انما انا محبوب والمحب متعوب وقيل له ايضا الناس يقولون انك واحد
من السبعة فقال انا كل السبعة وكان يقول اذا رأيتموني فقد رأيتم اربعين بدلا قيل وكيف وانت شخص واحد قال لاني رايت اربعين بدلا
واخذت من كل بدل خلقا من اخلاقه وقيل له بلغنا انك ترى الخضر فتبسم وقال ليس العجب ممن يرى الخضر ولكن العجب ممن يريد الخضر
ان يراه فيحتجب عنه ويحكى عن الخضر عليه السلام انه قال ما حدثت نفسي يوما قط انه لم يبق ولي لله تعالى الا عرفته الا ورأيت في ذلك
اليوم وليا لم اعرفه وقيل لابي يزيد البسطامي مرة حدثنا عن مشاهدتك من الله تعالى فصاح ثم قال ويلكم لا يصلح لكم ان تطلعوا على ذلك

ببغداد مثل المتعبد

ذلك قيل فحدثنا عن شدة مجاهدتك لنفسك في الله فقال وهذا ايضا لا يجوز ان اطلعكم عليه قيل فحدثنا عن رياضة نفسك في بدايتك
فقال دعوت نفسي الى الله عز وجل فجمحت علي فعزمت عليها ان لا اشرب الماء سنة ولا اذوق النوم سنة فوفت لي بذلك ويحكى عن يحيى بن
معاذ انه رأى ابا يزيد في بعض مشاهداته من بعد صلاة العشاء الى طلوع الفجر مستوفزا على صدور قدميه رافعا اخمصيه مع عقبيه عن الارض
ضاربا بذقنه على صدره شاخصا بعينيه لا يطرف قال ثم سجد عند السحر فاطال ثم قعد فقال اللهم ان قوما طلبوك فاعطيتهم المشي
على الماء والمشي في الهواء فرضوا بذلك واني اعوذ بك من ذلك وان قوما طلبوك فاعطيتهم طي الارض فرضوا بذلك واني اعوذ بك من ذلك
وان قوما طلبوك فاعطيتهم كنوز الارض فرضوا بذلك واني اعوذ بك منه حتى عد نيفا وعشرين مقاما من كرامات الاولياء ثم التفت
فرآني فقال يحيى قلت نعم يا سيدي فقال مذ متى انت هنا قلت مذ حين فسكت فقلت يا سيدي حدثني بشيء فقال احدثك بما يصلح لك
ادخلني في الفلك الاسفل فدورني في الملكوت السفلي واراني الارضين وما تحتها الى الثرى ثم ادخلني في الفلك العلوي فطوف بي في السموات
واراني ما فيها من الجنان الى العرش ثم اوقفني بين يديه فقال سلني اي شيء رأيت حتى اهبه لك فقلت يا سيدي ما رأيت شيئا استحسنته فاسألك
اياه فقال انت عبدي حقا تعبدني لاجلي صدقا لافعلن بك ولافعلن فذكر اشياء قال يحيى فهالني ذلك وامتلأت به وعجبت منه فقلت
يا سيدي لم لا سألته المعرفة به وقد قال لك ملك الملوك سلني ما شئت قال فصاح بي صيحة وقال اسكت ويلك غرت عليه مني لا احب ان يعرفه سواه
ويحكى ان ابا تراب النخشبي كان معجبا ببعض المريدين فكان يدنيه ويقوم بمصالحه والمريد مشغول بعبادته ومواجيده فقال له ابو تراب يوما
لو رأيت ابا يزيد فقال المريد اني عنه مشغول فلما اكثر عليه ابو تراب من قوله لو رأيت ابا يزيد هاج وجد المريد فقال ويحك ما اصنع
بابي يزيد قد رأيت الله تعالى فاغناني عن ابي يزيد قال ابو تراب فهاج طبعي ولم املك نفسي فقلت ويلك تغتر بالله عز وجل لو رأيت ابا يزيد
مرة انفع لك من ان ترى الله تعالى سبعين مرة قال فبهت الفتى من قوله وانكره فقال وكيف ذاك قال قلت له ويلك اما ترى الله تعالى عندك
فيظهر لك على مقدارك وترى ابا يزيد عند الله قد ظهر له على مقداره فعرف ما قلت فقال احملني اليه فذكر قصة قال في آخرها فوقفنا على تل
ننتظره ليخرج الينا من الغيضة وكان يأوي الى غيضة فيها سباع قال فمر بنا وقد قلب فروة على ظهره فقلت للفتى هذا ابو يزيد فانظر
اليه فنظر اليه الفتى فصعق فحركناه فاذا هو ميت فتعاونا على دفنه فقلت لابي يزيد يا سيدي نظره اليك قتله قال لا ولكن كان صاحبكم صادقا
واستكن في قلبه سر لم ينكشف له بوصفه فلما رآنا انكشف له سر قلبه فضاق عن حمله لانه في مقام الضعفاء المريدين فقتله ذلك
ولما دخل الزنج البصرة فقتلوا الانفس ونهبوا الاموال اجتمع الى سهل اخوانه فقالوا لو سألت الله عز وجل دفعهم فسكت ثم قال ان لله عبادا في هذه
البلدة لو دعوا على الظالمين لم يصبح على وجه الارض ظالم الا مات في ليلة ولكن لا يفعلون قيل لم قال لانهم لا يحبون ما لا يحب ثم
ذكر من اجابة الله تعالى اشياء لا يستطاع ذكرها حتى قال ولو سألوه ان لا يقيم الساعة لم يقمها وهذه امور ممكنة في نفسها فمن لم يحظ بشيء
منها فلا ينبغي ان يخلو عن التصديق والايمان بامكانها فان القدرة واسعة والفضل عظيم وعجائب الملك والملكوت كثيرة ومقدورات الله
تعالى لا نهاية لها وفضله على عباده الذين اصطفاهم لا غاية له ولذلك كان ابو يزيد يقول ان اعطاك مناجاة موسى وروحانية عيسى وخلة
ابراهيم فاطلب ما وراء ذلك فان عنده فوق ذلك اضعافا مضاعفة فان سكنت الى ذلك حجبك به وهذا بلاء مثلهم ومن هو في مثل
حالهم لانهم الامثل فالامثل وقد قال بعض العارفين كوشفت باربعين حوراء رأيتهن يتساعين في الهواء عليهن ثياب من ذهب وفضة
وجوهر يتخشخش ويتثنى معهن فنظرت اليهن نظرة فعوقبت اربعين يوما ثم كوشفت بعد ذلك بثمانين حوراء فوقهن في الحسن والجمال وقيل
لي انظر اليهن فسجدت وغمضت عيني في سجودي لئلا انظر وقلت اعوذ بك مما سواك لا حاجة لي في هذا فلم ازل اتضرع حتى صرفهن عني
فامثال هذه المكاشفات لا ينبغي ان ينكرها المؤمن لافلاسه عن مثلها فلو لم يؤمن كل واحد الا بما يشاهده من نفسه المظلمة وقلبه القاسي

لصاحب حال الايمان عليه بل هذه احوال تظهر بعد مجاوزة عقبات ونيل مقامات كثيرة ادناها الاخلاص واخراج حظوظ النفس
وملاحظة الخلق عن جميع الاعمال ظاهرا وباطنا ثم مكاتمة ذلك عن الخلق بستر الحال حتى يبقى متحصنا بحصن الخمول فهو اول سلوكهم واول مقاماتهم
وهي اعز موجود في الاتقياء من الناس وبعد تصفية القلب عن كدورة الالتفات الى الخلق تفيض عليه نور اليقين وينكشف له مبادئ
الحق وانكار ذلك دون التجربة في سلوك الطريق يجري مجرى انكار من انكر امكان انكشاف الصورة في الحديد اذا شكلت وصقلت
ونقيت وصورت بصورة المراة كنظر المنكر الى ما في يده من زبرة حديد مظلم واستولى عليه الصدى والخبث وهو لا يحكي صورة من الصور
فانكر امكان انكشاف المرئي فيها عند ظهور جوهرها وانكار ذلك غاية الجهل والضلال فهذا حكم كل من انكر كرامات الاولياء اذ لا مستند
له الا قصوره عنه وقصور من رآه وبئس المستند ذلك في انكار قدرة الله تعالى بل انما يشم روائح المكاشفة من سلك شيئا ولو من
مبادي الطريق كما قيل لبشر الحافي فباي شيء بلغت هذه المنزلة فقال كنت اكاتم الله تعالى حالي معناه اساله ان يكتم علي ويخفي امري
وروي انه راى الخضر عليه السلم فقال له ادع الله تعالى لي فقال يسر الله عليك طاعته فقلت زدني فقال وسترها عليك فقيل
معناه وسترها عن الخلق وقيل سترها عنك حتى لا تلتفت اليها وعن بعضهم انه قال اقلقني الشوق الى الخضر فسالت الله تعالى مرة
ان يريني اياه ليعلمني شيئا كان اهم الاشياء علي قال فرايته فما غلب علي همي ولا همني الا ان قلت له يا ابا العباس علمني شيئا اذا قلته
حجبت في قلوب الخليقة فلم يكن لي فيها قدر ولم يعرفني احد بصلاح ولا ديانة فقال قل اللهم اسبل علي كثيف سترك وحط علي
سرادقات حجبك واجعلني في مكنون غيبك واحجبني في قلوب خلقك قال ثم غاب فلم اره فلم اشتق الله بعد ذلك فما زلت اقول
هذه الكلمات في كل يوم فحكي انه صار بحيث كان يستذل ويمتهن حتى كان اهل الذمة يسخرون به ويستسخرونه في الطرق يحمل الاشياء لهم
لسقوطه عندهم وكان الصبيان يولعون به وكانت راحته وجود قلبه واستقامة حاله في ذله وخموله فهكذا حال اولياء الله ففي
امثال هولاء ينبغي ان يطلبوا والمغرورون انما يطلبونهم تحت المرقعات والطيالسة وفي المشهورين بين الخلق بالعلم والورع والرياسة
وغيرة الله على اوليائه تابى الا اخفاءهم كما قال تعالى اوليائي تحت قبائي لا يعرفهم غيري وقال صلى الله عليه وسلم رب اشعث
اغبر ذي طمرين لا يوبه له لو اقسم على الله لابره وبالجملة فابعد القلوب عن مشام هذه المعاني القلوب المتكبرة المعجبة بانفسها المستبشرة
بعلمها وعملها واقرب القلوب اليها القلوب المنكسرة المستشعرة ذل نفسها استشعارا اذا ذل واهتضم لم يحس بالذل كما لا يحس العبد
بالذل مهما ترفع عليه مولاه فاذا لم يحس بالذل ولم يشعر ايضا بعدم التفاته الى الذل بل كان عند نفسه اخس منزلة من ان يرى جميع
انواع الذل ذلا في حقه بل يرى نفسه دون ذلك حتى صار التواضع بالطبع صفة ذاته فمثل هذا القلب يرجى له ان يستنشق مبادي
هذه الروائح فان فقدنا مثل هذا القلب وحرمنا مثل هذا الروح فلا ينبغي ان نطرح الايمان بامكان ذلك لاهله فمن لا يقدر ان يكون من
اولياء الله فليكن محبا لاولياء الله مومنا بهم فعسى ان يحشر مع من احب ويشهد لهذا ما روي ان عيسى صلوات الله عليه قال لبني اسرائيل
اين ينبت الزرع قالوا في التراب فقال بحق اقول لكم لا تنبت الحكمة الا في قلب مثل هذا التراب ولقد انتهى المريدون لولاية الله تعالى
في طلب شرطها باذلال النفس الى منتهى الضعة والخسة حتى يروى عن ابن الكريني وهو استاذ الجنيد انه قال دعاني رجل ثلاث مرات الى الطعام
ثم يستدعيه فيرجع اليه بعد ذلك حتى ادخله في المرة الرابعة فساله عن ذلك فقال قد رضت نفسي على الذل عشرين سنة حتى صارت
بمنزلة الكلب يطرد فينطرد ثم يدعى فيرمى له عظم فيعود ولو رددتني خمسين مرة ثم دعوتني بعد ذلك لاجبت وعنه ايضا انه قال
انزلت في محلة فعرفت فيها بالصلاح فتشتت علي قلبي فدخلت الحمام وعمدت على ثياب فاخرة فسرقتها ولبستها ثم لبست مرقعتي فوقها
فخرجت وجعلت امشي قليلا قليلا فلحقوني فنزعوا مرقعتي واخذوا الثياب وصفعوني واوجعوني ضربا فصرت بعد ذلك اعرف بلص الحمام

الحمام فسكنت نفسي فهكذا كانوا يروضون انفسهم حتى يخلصهم الله من النظر الى الخلق ثم من النظر الى النفس فان الملتفت الى نفسه
محجوب عن الله تعالى وشغله بنفسه حجاب له فليس بين القلب وبين الله حجاب بعيد وتخلل حائل وانما بعد القلوب شغلها بغيرها
او بنفسها واعظم الحجب شغل النفس ولذلك حكي ان شاهدا عظيم القدر من اعيان اهل بسطام كان لا يفارق مجلس ابي يزيد فقال له يوما
يا ابا يزيد انا منذ ثلثين سنة اصوم الدهر لا افطر واقوم الليل لا انام ولا اجد في قلبي من هذا العلم الذي تذكر شيئا وانا اصدق به واحبه
فقال ابو يزيد ولو صمت ثلثمائة سنة وقمت ليلها ما وجدت من هذا ذرة قال ولم قال لانك محجوب بنفسك قال افلهذا دواء قال نعم
قال قل لي حتى اعمله قال لا تقبله قال اذكره لي حتى اعمل قال اذهب الساعة الى المزين واحلق راسك ولحيتك وانزع هذا اللباس
واتزر بعباءة وعلق في عنقك مخلاة ملوءة جوزا واجمع الصبيان حولك وقل كل من صفعني صفعة اعطيته جوزة وادخل الاسواق كلها عند
الشهود وعند من يعرفك وانت على ذلك فقال الرجل سبحان الله تقول لي مثل هذا فقال ابو يزيد قولك سبحان الله شرك قال وكيف قال
لانك عظمت نفسك فسبحتها وما سبحت ربك فقال هذا لا افعله ولكن دلني على غيره فقال ابتدئ بهذا قبل كل شيء فقال لا اطيقه فقال
قد قلت لك انك لا تقبل هذا فهذا الذي ذكره ابو يزيد هو دواء من اعتل بنظره الى نفسه ومرض بنظر الناس اليه ولا ينجي من هذا المرض دواء
سوى هذا وامثاله فمن لا يطيق الدواء فلا ينبغي ان ينكر امكان الشفاء في حق من داوى نفسه بعد المرض او لم يمرض بمثل هذا المرض اصلا واقل
الدرجات لصحة الايمان بامكانها فويل لمن حرم هذا القدر القليل ايضا فهذه امور جلية من الشرع واضحة وهو مع ذلك مستبعدة عند
من يعد نفسه من علماء الشرع فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يستكمل العبد الايمان حتى يكون قلة الشيء احب اليه من كثرة الشيء
وحتى يكون ان لا يعرف احب اليه من ان يعرف وقال ايضا صلى الله عليه وسلم ثلث من كن فيه يستكمل ايمانه لا يخاف في الله سبحانه لومة
لائم ولا يرائي بشيء من عمله واذا عرض له امران احدهما للدنيا والاخر للاخرة اثر امر الاخرة على امر الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم لا يكمل
ايمان العبد حتى يكون فيه ثلاث خصال اذا غضب لم يخرجه غضبه من حق واذا رضي لم يدخله رضاه في باطل واذا قدر لم يتناول ما ليس له و
في حديث اخر ثلث من اوتيهن فقد اوتي مثل ما اوتي ال داود العدل في الرضا والغضب والقصد في الغنى والفقر وخشية الله في السر
والعلانية فهذه شروط ذكرها صلى الله عليه وسلم لاهل الايمان فالعجب ممن يدعي علم الدين ولا يصادف في نفسه ذرة من هذه الشروط
ثم يكون نصيبه من علمه وعقله ان يجحد ما لا يكون الا بعد مجاوزة المقامات العظيمة بعد الايمان وفي الاخبار ان الله تعالى اوحى الى بعض انبيائه
انما اتخذ لخلتي من لا يفتر عن ذكري ولا يكون له هم غيري ولا يوثر علي شيئا من خلقي وان حرق بالنار لم يجد لحرق النار وجعا وان قطع بالمناشير
لم يجد لمس الحديد الما فمن لم يبلغه الحب الى هذا الحد فمن اين يعرف ما وراء الحب من الكرامات والمكاشفات وكل ذلك وراء الحب والحب وراء كمال
الايمان ومقامات الايمان وتفاوته في الزيادة والنقصان لا حصر له ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم للصديق رضي الله عنه ان الله تعالى
قد اعطاك مثل ايمان كل من آمن بي من امتي واعطاني مثل ايمان كل من آمن بي من ولد ادم وفي حديث اخر ان لله تعالى ثلثمائة خلق من لقيه بخلق
منها مع التوحيد دخل الجنة فقال ابو بكر يا رسول الله هل في خلق منها فقال كلها فيك يا ابا بكر واحبها الى الله تعالى السخاء وقال صلى الله
عليه وسلم رايت ميزانا دلي من السماء فوضعت في كفة ووضعت امتي في كفة فرجحت بهم ووضع ابو بكر في كفة وجيء بامتي فوضعت في كفة
فرجح بهم ومع هذا كله فقد كان استغراق رسول الله صلى الله عليه وسلم بالله تعالى بحيث لا يتسع قلبه للخلة مع غيره فقال لو كنت متخذا من الناس
خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله تعالى يعني نفسه خاتمة الكتاب بكلمات متفرقة تتعلق بالمحبة ينتفع بها قال
سفيان المحبة اتباع الرسول عليه السلام وقال غيره دوام الذكر وقال غيره ايثار المحبوب وقال بعضهم كراهية البقاء في الدنيا وهذا
كله اشارة الى ثمرات المحبة فاما نفس المحبة فلم يتعرضوا لها وقال بعضهم المحبة معنى من المحبوب قاهر للقلوب تعجز القلوب عن ادراكه

زاهدا

يمتنع الانس عن عبادته وقال الجنيد حرّم الله تعالى المحبة على صاحب العلاقة وقال كل محبة يكون بعوض فاذا زال العوض زالت المحبة
وقال ذو النون قل لمن اظهر حب الله احذر ان تذل لغير الله وقيل للشبلي صف لنا العارف والمحب فقال العارف ان تكلم هلك والمحب
ان سكت هلك وقال الشبلي يا ايها السيد الكريم حبك بين الحشا مقيم يا رافع النوم عن جفوني انت بما مر بي عليم ولغيره
عجبت لمن يقول ذكرت ربي وهل انسى فاذكر ما نسيت اموت اذا ذكرتك ثم احيى ولولا حسن ظني ما حييت فاحيى بالمنى واموت شوقا
فكم احيى عليك وكم اموت شربت الحب كاسا بعد كاس فما نفد الشراب ولا رويت فليت خياله نصب عيني وان قصرت في نظري عميت
وقالت رابعة العدوية يوما من يدلنا على حبيبنا فقالت خادمة لها حبيبنا معنا ولكن الدنيا قطعتنا وقال ابن الجلاد اوحى الله
تعالى الى عيسى عليه السلام اني اذا اطلعت على سر عبدي فلم اجد فيه حب الدنيا والآخرة ملأته من حبي وتوليته بحفظي وقيل
تكلم سمنون يوما بالمحبة فاذا بطائر نزل بين يديه فلم يزل ينقر بمنقاره الارض حتى سال منه الدم فمات وقال ابراهيم بن ادهم رضي الله عنه
الهي انت تعلم ان الجنة لا تزن عندي جناح بعوضة في جنب ما اكرمتني به من محبتك وآنستني بذكرك وفرغتني للتفكر في عظمتك وقال
السري السقطي من احب الله تعالى عاش ومن مال الى الدنيا طاش والاحمق يغدو ويروح في لا شيء وقيل لرابعة كيف حبك للرسول
صلى الله عليه وسلم فقالت اني والله لاحبه حبا شديدا ولكن حب الخالق شغلني عن حب المخلوقين وسئل عيسى عليه الصلوة عن افضل الاعمال
فقال الرضا عن الله تعالى والحب له وقال ابو يزيد المحب لا يحب الدنيا ولا الآخرة انما يحب من مولاه مولاه وقال الشبلي الحب دهش في
لذة وحيرة في تعظيم وقيل المحبة ان تمحو عنك حتى لا يبقى فيك شيء راجع منك اليك وقيل المحبة قرب القلب من المحبوب بالاستبشار
والفرح وقال الخواص المحبة محو الارادة واحتراق جميع الصفات والحاجات وسئل سهل عن المحبة فقال عطف الله تعالى بقلب عبده
لمشاهدته بعد الفهم لمراده وقيل معاملة المحب على اربعة منازل على المحبة والهيبة والحياء والتعظيم وافضلها التعظيم والمحبة لان
هاتين المنزلتين تبقيان في الجنة مع اهل الجنة ويرفع عنهم غيرهما وقال هرم بن حيان رضي الله عنه المؤمن اذا عرف ربه عز وجل احبه واذا
احبه اقبل اليه واذا وجد حلاوة الاقبال اليه لم ينظر الى الدنيا بعين الشهوة ولم ينظر الى الآخرة بعين الفترة وهو يحسره في الدنيا
ويروحه في الآخرة وقال عبد الله بن محمد سمعت امراة من المتعبدات تقول وهي باكية والدموع على خدها جارية والله لقد سئمت من
الحيوة حتى لو وجدت الموت يباع لاشتريته شوقا الى الله تعالى وحبا للقائه قال فقلت لها فعلى ثقة انت من عملك قالت لا ولكن
لحبي اياه وحسن ظني به افتراه يعذبني وانا احبه واوحى الله تعالى الى داود عليه السلام لو يعلم المدبرون عني كيف انتظاري لهم ورفقي
بهم وشوقي الى ترك معاصيهم لماتوا شوقا الي وتقطعت اوصالهم من محبتي يا داود هذه ارادتي في المدبرين عني فكيف ارادتي بالمقبلين علي
يا داود احوج ما يكون العبد الي اذا استغنى عني وارحم ما اكون بعبدي اذا ادبر عني واجل ما يكون عبدي اذا رجع الي وقال ابو خالد
الصفار لقي نبي من الانبياء عابدا فقال له انكم معاشر العباد تعملون على امر لسنا معاشر الانبياء نعمل عليه انتم تعملون على الخوف والرجاء
ونحن نعمل على المحبة والشوق وقال الشبلي اوحى الله تعالى الى داود يا داود ذكري للذاكرين وجنتي للمطيعين وزيارتي للمشتاقين وانا خاصة
للمحبين واوحى الله تعالى الى آدم عليه الصلوة يا آدم من احب حبيبا صدق قوله ومن انس بحبيبه رضي فعله ومن اشتاق اليه جد في مسيره
وكان الخواص يضرب على صدره ويقول واشوقاه الى من يراني ولا اراه وقال الجنيد بكى يونس عليه السلام حتى عمي وقام حتى انحنى وصلى حتى
اقعد وقال وعزتك وجلالك لو كان بيني وبينك بحر من نار لخضته اليك شوقا مني اليك وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال سألت
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سنته فقال المعرفة راس مالي والعقل اصل ديني والحب اساسي والشوق مركبي وذكر الله عز وجل
انيسي والثقة كنزي والحزن رفيقي والعلم سلاحي والصبر ردائي والرضا غنيمتي والفقر فخري والزهد حرفتي واليقين قوتي والصدق

شفيعي والطاعة حسبي والجهاد خلقي وقرة عيني في الصلوة وقال ذو النون سبحان من جعل الارواح جنودا مجندة وارواح
العارفين جلالية قدسية فلذلك اشتاقوا الى الله تعالى وارواح المؤمنين روحانية فلذلك حنوا الى الجنة وارواح الغافلين
هوائية فلذلك مالوا الى الدنيا وقال بعض المشايخ رايت في جبل لكام رجلا اسمر اللون ضعيف البدن
وهو يقفز من حجر الى حجر ويقول الشوق والهوى صيراني كما ترى وقيل الشوق نار الله تعالى
اشعلها في قلوب اوليائه حتى يحرق به ما في قلوبهم من الخواطر والارادات والعوارض
والحاجات فهذه القدر كاف في شرح المحبة والانس والشوق والرضا
فلنقتصر عليه ان شاء الله تعالى والله اعلم بالصواب
والحمد لله حق حمده والصلوة على نبيه
وعبده محمد وآله واصحابه
ووعده
تم
الكتاب

كتاب النية والاخلاص والصدق وفيه ثلاثة ابواب

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

نحمد الله حمد الشاكرين ونؤمن به ايمان الموقنين ونقر بوحدانيته اقرار الصادقين ونشهد ان لا اله الا الله رب العالمين وخالق السموات والارض ومكلف الانس والجن والملائكة المقربين ان يعبدوه عبادة المخلصين فقال وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين فما لله الا الدين الخالص المتين فانه اغنى الاغنياء عن شركة المشاركين والصلوة والسلام على نبيه محمد سيد المرسلين وعلى جميع النبيين وعلى آله واصحابه الطيبين الطاهرين اما بعد فقد انكشف لارباب القلوب ببصيرة الايمان وانوار القرآن ان لا وصول الى السعادة الا بالعلم والعبادة فالناس كلهم هلكى الا العالمون والعالمون كلهم هلكى الا العاملون والعاملون كلهم هلكى الا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم فالعمل بغير نية عناء والنية بغير اخلاص رياء وهو للنفاق كفاء ومع العصيان سواء والاخلاص من غير صدق وتحقيق هباء وقد قال تعالى في كل عمل كان بارادة غير الله مشوبا مغمورا وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وليت شعري كيف يصحح نيته من لا يعرف حقيقة النية كيف يخلص حقيقة الاخلاص ويطالب المخلص نفسه بالصدق اذا لم يتحقق معناه فالوظيفة الاولى على كل عبد اراد طاعة الله ان يتعلم النية لتحصيل المعرفة ثم يصححها بالعمل بعد فهم حقيقة الصدق والاخلاص الذين هما وسيلتا العبد الى النجاة والخلاص ونحن نذكر معاني النية والصدق والاخلاص في ثلاثة ابواب الباب الاول في حقيقة النية ومعناها الباب الثاني في الاخلاص وحقائقه الباب الثالث في الصدق وحقيقته

الباب الاول في النية

وفيه بيان فضيلة النية وبيان حقيقة النية وبيان كون النية خيرا من العمل وبيان تفصيل الاعمال المتعلقة بالنية وبيان خروج النية عن الاختيار

بيان فضيلة النية

قال الله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغدوة والعشي يريدون وجهه والمراد بتلك الارادة هي النية وقال صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه وقال صلى الله عليه وسلم اكثر شهداء امتي اصحاب الفرش ورب قتيل بين الصفين الله اعلم بنيته وقال الله تعالى ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما فجعل النية سبب التوفيق وقال صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينظر الى صوركم واموالكم وانما ينظر الى قلوبكم واعمالكم وانما نظر الى القلوب لانها مظنة النية وقال صلى الله عليه وسلم ان العبد ليعمل اعمالا حسنة فتصعد بها الملائكة في صحف مختمة فتلقى بين يدي الله تعالى فيقول القوا هذه الصحيفة فانه لم يرد بما فيها وجهي ثم ينادي الملائكة اكتبوا له كذا وكذا اكتبوا له كذا فيقولون يا ربنا انه لم يعمل شيئا من ذلك فيقول انه نواه انه نواه وقال صلى الله عليه وسلم الناس اربعة رجل آتاه الله عز وجل علما ومالا فهو يعمل بعلمه في ماله فيقول رجل لو آتاني الله تعالى مثل ما آتاه لعملت كما يعمل فهما في الاجر سواء ورجل آتاه الله تعالى مالا ولم يؤته علما فهو يتخبط بجهله في ماله فيقول الرجل لو آتاني الله مثل ما آتاه عملت مثل ما يعمل فهما في الوزر سواء الا ترى كيف شركه بالنية في محاسن عمله ومساويه وكذلك في حديث انس بن مالك رضي الله عنه لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك قال ان بالمدينة اقواما ما قطعنا واديا ولا وطئنا موطئا يغيظ الكفار ولا انفقنا نفقة ولا اصابتنا مخمصة الا شاركونا في ذلك وهم بالمدينة قالوا وكيف ذلك يا رسول الله وليسوا معنا قال حبسهم العذر فشركونا بحسن النية وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه من هاجر يبتغي شيئا فهو له فهاجر رجل ليتزوج امرأة منا فكان يسمى مهاجر ام قيس وكذلك جاء في الخبر ان رجلا قتل في سبيل الله فكان يدعى قتيل الحمار لانه قاتل رجلا ليأخذ سلبه وحماره فقتل على ذلك فاضيف الى نيته وفي حديث عبادة عن النبي صلى الله عليه وسلم من غزى وهو لا ينوي الا عقالا فله ما نوى وقال ابي استعنت رجلا يغزو معي فقال لا حتى تجعل لي جعلا فجعلت له فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال ليس له من دنياه وآخرته الا ما جعلت له وروي في الاسرائيليات ان رجلا مر بكثبان من رمل في مجاعة فقال في نفسه لو كان هذا الرمل طعاما لقسمته بين الناس فاوحى الله تعالى الى نبيهم ان قل له ان الله سبحانه قد قبل صدقتك وقد شكر حسن نيتك واعطاك ثواب ما لو كان طعاما فتصدقت به وقد ورد في اخبار كثيرة من هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة وفي حديث عبد الله بن عمرو من كانت الدنيا نيته جعل الله فقره بين عينيه وفارقها ارغب ما يكون فيها ومن تكن الآخرة نيته جعل الله غناه في قلبه وجمع عليه ضيعته وفارقها ازهد ما يكون فيها وفي حديث ام سلمة ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر جيشا يخسف بهم بالبيداء فقلت يا رسول الله يكون فيهم المكره والاجير فقال يحشرون على نياتهم وقال عمر رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انما يقتتل المقتتلون على النيات وقال صلى الله عليه وسلم اذا التقى الصفان نزلت الملائكة تكتب الخلق على مراتبهم فلان يقاتل للدنيا فلان يقاتل حمية فلان يقاتل عصبية الا فلا تقولوا قتل فلان في سبيل الله فمن قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله وعن جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يبعث كل عبد على ما مات عليه وفي حديث الاحنف عن ابي بكرة اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار قيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال لانه اراد قتل صاحبه وفي حديث ابي هريرة من تزوج امرأة على صداق وهو لا ينوي اداءه فهو زان ومن ادان دينا وهو لا ينوي قضاءه فهو سارق وقال صلى الله عليه وسلم من تطيب لله تعالى جاء يوم القيمة وريحه اطيب من المسك ومن تطيب لغير الله جاء يوم القيمة وريحه انتن من الجيفة

واما الآثار فقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه افضل الاعمال اداء ما افترض الله تعالى والورع عما حرم الله تعالى وصدق النية فيما عند الله تعالى وكتب سالم بن عبد الله الى عمر بن عبد العزيز اعلم ان عون الله تعالى للعبد على قدر النية فمن تمت نيته تم عون الله له وان نقصت نقص بقدره وقال بعض السلف رب عمل صغير تعظمه النية ورب عمل كبير تصغره النية وقال داود الطائي من كان اكبر همه التقوى فلو تعلقت جميع جوارحه بالدنيا لردته نيته يوما الى نيته صالحة وكذلك الجاهل بعكس ذلك وقال الثوري كانوا يتعلمون النية للعمل كما يتعلمون العمل وقال بعض العلماء اطلبوا النية للعمل قبل العمل وما دمت تنوي الخير فانت بخير وكان بعض المريدين يطوف على العلماء يقول من يدلني على عمل لا ازال فيه عاملا لله تعالى فاني لا احب ان ياتي علي ساعة من ليل او نهار الا وانا عامل من عمال الله فقيل له قد وجدت حاجتك فاعمل الخير ما استطعت فاذا فترت او تركته فهم بعمله فان الهام بعمل الخير كعامله وكذلك قال بعض السلف ان نعمة الله عليكم اكثر من ان تحصوها وان ذنوبكم اخفى من ان تعلموها ولكن اصبحوا توابين وامسوا توابين يغفر لكم ما بين ذلك وقال عيسى عليه الصلوة طوبى لعين نامت ولم تهم بمعصية وانتبهت الى غير اثم وقال ابو هريرة يبعثون يوم القيمة على قدر نياتهم وكان الفضيل بن عياض اذا قرأ ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو اخباركم يبكي ويرددها

ويقول انك ان بلوتنا فضحتنا وهتكت استارنا وقال الحسن انما خلد اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار بالنيات وقال
ابو هريرة مكتوب في التوراة ما اريد به وجهي فقليله كثير وما اريد به غير وجهي فكثيره قليل وقال بلال بن سعد ان العبد ليقول
قول مؤمن فلا يدعه الله عز وجل وقوله حتى ينظر في عمله فاذا عمل لم يدعه حتى ينظر في ورعه فان تورع لم يدعه حتى ينظر ماذا نوى فان
صلحت النية فبالحري ان يصلح ما دون ذلك فاذن عماد الاعمال النيات فالعمل مفتقر الى النية ليصير بها خيرا والنية في نفسها
خير وان تعذر العمل بعائق

بيان حقيقة النية

اعلم ان النية والارادة والقصد عبارات متواردة على معنى واحد وهو حالة
وصفة للقلب يكتنفها امران علم وعمل فالعلم مقدمة لانه اصله وشرطه والعمل يتبعه لانه ثمرته وفرعه وذلك لان كل عمل اعني
كل حركة وسكون اختياري فانه لا يتم الا بثلاثة امور علم وارادة وقدرة لانه لا يريد الانسان ما لا يعلمه فلا بد ان يعلم ولا يعمل ما لم يرد
فلا بد من ارادة ومعنى الارادة انبعاث القلب الى ما يراه موافقا للغرض اما في الحال او في المآل فقد خلق الانسان بحيث يوافقه بعض
الامور ويلائم غرضه ويخالفه بعض الامور فاحتاج الى جلب الملائم الموافق الى نفسه ودفع الضار المنافي عن نفسه فافتقر بالضرورة
الى معرفة وادراك للشيء المضر والنافع حتى يجلب هذا ويهرب من هذا فان من لا يبصر الغذاء ولا يعرفه لا يمكنه ان يتناوله ومن لا يبصر النار
لا يمكنه الهرب منها فخلق الله تعالى الهداية والمعرفة وجعل لها اسبابا وهي الحواس الظاهرة والباطنة وليس ذلك من غرضنا ثم لو
ابصر الغذاء وعرف انه موافق له فلا يكفيه ذلك للتناول ما لم يكن فيه ميل اليه ورغبة فيه وشهوة له باعثة عليه اذ المريض
يرى الغذاء ويعلم انه موافق ولا يمكنه التناول لعدم الرغبة والميل ولفقد الداعية المحركة اليه فخلق الله تعالى له الميل والرغبة
والارادة واعني به نزوعا في نفسه اليه وتوجها في قلبه اليه ثم ذلك لا يكفيه فكم من مشاهد طعاما راغبا فيه مريدا تناوله
عاجز عنه لكونه زمنا فخلقت له القدرة والاعضاء المتحركة حتى يتم به التناول والعضو لا يتحرك الا بالقدرة والقدرة تنتظر الداعية الباعثة
والداعية تنتظر العلم والمعرفة او الظن والاعتقاد وهو ان يقوى في نفسه كون الشيء موافقا له فاذا جزمت المعرفة بان الشيء موافق
ولا بد وان يفعل وسلمت عن معارضة باعث آخر صارف عنه انبعثت الارادة وتحقق الميل فاذا انبعثت الارادة انتهضت القدرة لتحريك الاعضاء
فالقدرة خادمة للارادة والارادة تابعة لحكم الاعتقاد والمعرفة فالنية عبارة عن الصفة المتوسطة وهي الارادة وانبعاث
النفس بحكم الرغبة والميل الى ما هو موافق للغرض اما في الحال واما في المآل فالمحرك الاول هو الغرض المطلوب وهو الباعث والغرض
الباعث هو المقصود المنوي والانبعاث هو القصد والنية وانتهاض القدرة لخدمة الارادة بتحريك الاعضاء هو العمل الا ان انتهاض
القدرة قد يكون بباعث واحد وقد يكون بباعثين اجتمعا في فعل واحد واذا كان بباعثين فقد يكون كل واحد بحيث لو انفرد لكان
مليا بانهاض القدرة وقد يكون كل واحد قاصرا عنه الا بالاجتماع وقد يكون احدهما كافيا لولا الآخر لكان الآخر ينهض عاضدا له
ومعاونا فيخرج من هذا التقسيم اربعة اقسام فلنذكر لكل واحد مثالا واسما اما الاول فهو ان ينفرد الباعث الواحد ويتجرد كما
اذا هجم على الانسان سبع فكما رآه قام من موضعه فلا مزعج له الا غرض الهرب من السبع فانه رأى السبع وعرفه ضارا فانبعثت نفسه
للهرب ورغبت فيه فانتهضت القدرة عاملة بمقتضى الانبعاث فيقال نيته الفرار من السبع لا نية له في القيام غيره وهذه النية
تسمى خالصة ويسمى العمل بموجبها اخلاصا بالاضافة الى الغرض الباعث ومعناه انه خلص عن مشاركة غيره ومزاحمته واما الثاني فهو
ان يجتمع باعثان كل واحد مستقل بالانهاض لو انفرد ومثاله من المحسوس ان يتعاون رجلان على حمل شيء بمقدار من القوة كانت كافية في الحمل
ومثاله في غرضنا ان يسأله قريبه الفقير حاجة فيقضيها لفقره وقرابته وعلم انه لولا فقره لكان يقضيها بمجرد القرابة وانه لولا قرابته
لكان يقضيها بمجرد الفقر وعلم ذلك من نفسه بان يحضره قريب غني فيرغب في قضاء حاجته وفقير اجنبي فيرغب فيه ايضا وكذلك من امره

الطبيب بترك الطعام ودخل عليه يوم عرفة فصام وهو يعلم انه لولا عرفة لكان يترك الطعام ولولا الحمية لكان يترك الطعام لاجل
انه يوم عرفة وقد اجتمعا جميعا فاقدم على الفعل فالباعث الثاني رفيق الاول فلنسم هذا مرافقة البواعث

الباعث الثالث

ان لا يستقل كل واحد لو انفرد ولكن قوي مجموعهما على انهاض القدرة ومثاله في المحسوس ان يتعاون ضعيفان على حمل ما لا ينفرد
احدهما ومثاله في غرضنا ان يقصده قريبه الغني فيطلب درهما فلا يعطيه ثم يقصده الاجنبي الفقير فيعطيه فيكون انبعاث داعيته بمجموع
الباعثين وهو القرابة والفقر وكذلك الرجل يتصدق بين يدي الناس لغرض الثواب ولغرض الثناء ويكون بحيث لو كان منفردا لكان لا يبعثه
مجرد قصد الثواب على العطاء ولو كان الطالب فاسقا لا ثواب في التصدق عليه لكان لا يبعثه مجرد الرياء على العطاء ولما اجتمعا اورثا بمجموعهما
تحريك القلب ولنسم هذا الجنس مشاركة على الكل والرابع ان يكون احد الباعثين مستقلا لو انفرد بنفسه والثاني لا يستقل ولكن
لما انضاف اليه لم ينفك عن تأثير بالاعانة والتسهيل ومثاله في المحسوس ان يعاون الضعيف الرجل القوي على الحمل ولو انفرد القوي
بنفسه لاستقل ولو انفرد الضعيف لم يستقل فان ذلك بالجملة يسهل العمل ويؤثر في تخفيفه ومثاله في غرضنا ان يكون للانسان ورد
في الصلوات وعادة في الصدقات فاتفق ان حضر في وقتها جماعة من الناس فصار الفعل اخف عليه بسبب مشاهدتهم وعلم من نفسه انه لو كان
منفردا خاليا لم يفتر عن عمله وعلم ان عمله لو لم يكن طاعة لم يكن مجرد الرياء يحمله عليه فهو شوب تطرق الى النية ولنسم هذا الجنس معاونة
فالباعث الثاني اما ان يكون رفيقا او شريكا او معينا وسنذكر حكمها في باب الاخلاص والغرض الآن بيان اقسام النيات فان العمل تابع
للباعث عليه فيكتسب الحكم منه ولذلك قيل انما الاعمال بالنيات لانها تابعة لا حكم لها في نفسها وانما الحكم للمتبوع

بيان سر قوله صلى الله عليه وسلم نية المؤمن خير من عمله

اعلم انه قد يظن ان سبب هذا الترجيح ان النية تدوم الى آخر العمل والاعمال لا تدوم وهو
ضعيف لان ذلك يرجع معناه الى ان العمل الكثير خير من القليل بل ليس كذلك فان نية اعمال الصلاة قد لا تكون الا في لحظات معدودة والاعمال
تدوم والعموم يقتضي ان تكون نيته خيرا من عمله وقد يقال ان النية بمجردها خير من العمل بمجرده دون النية وهو كذلك
ولكنه بعيد ان يكون هو المراد لان العمل بلا نية او على الغفلة لا خير فيه اصلا والنية بمجردها خير وظاهر الترجيح في اصل الخير
بل المعنى به ان كل طاعة تنتظم بنية وعمل وكانت النية من جملة الخيرات ولكن النية من جملة الطاعات خير من العمل اي لكل واحد
منهما اثر في المقصود واثر النية اكثر من اثر العمل فمعناه نية المؤمن من جملة طاعته خير من عمله الذي هو من جملة طاعته والغرض
ان للعبد اختيارا في النية وفي العمل فهما عملان والنية من الجملة خيرهما فهذا معناه واما سبب كونها خيرا ومترجحا على العمل
فلا يفهمه الا من فهم مقصد الدين وطريقه ومبلغ اثر الطريق في الايصال الى المقصد وقاس بعض الآثار بالبعض حتى يظهر له بعد ذلك
الارجح بالاضافة الى المقصود فمن قال الخبز خير من الفاكهة فانما يعني به انه خير بالاضافة الى مقصود القوت والاغتذاء ولا يفهم ذلك
الا من فهم ان للغذاء مقصدا وهو الصحة والبقاء وان الاغذية مختلفة الآثار فيها وفهم اثر كل واحد منها وقاس بعضها بالبعض فالطاعات
غذاء القلوب والمقصود شفاؤها وبقاؤها وسلامتها في الآخرة وسعادتها وتنعمها بلقاء الله تعالى فالمقصود لذة السعادة بلقاء الله
فقط ولكن لن يتنعم بلقاء الله الا من مات محبا لله عارفا بالله ولن يحبه الا من عرفه ولن يأنس بربه الا من طال ذكره له فالانس يحصل بدوام
الذكر والمعرفة بدوام الفكر والمحبة تتبع المعرفة بالضرورة ولن يتفرغ القلب لدوام الذكر والفكر الا اذا فرغ من شواغل الدنيا
ولن يتفرغ من شواغلها الا اذا انقطع عنه شهواتها حتى يصير مائلا الى الخير مريدا له نافرا عن الشر مبغضا له وانما يميل الى
الخيرات والطاعات اذا علم ان سعادته في الآخرة منوطة بها كما يميل العاقل الى الفصد والحجامة لعلمه بان سلامته فيهما واذا
حصل اصل الميل بالمعرفة فانما يقوى بالعمل بمقتضى الميل والمواظبة عليها فان المواظبة على مقتضى صفات القلب وارادتها بالعمل

يجري مجرى الغذاء والقوت لتلك الصفة حتى تترسخ الصفة وتقوى بسببها فالمائل الى طلب العلم او طلب الرياسة لا يكون ميله في الابتداء الا ضعيفا فان اتبع مقتضى الميل واشتغل بالعلم وتربية الرياسة والاعمال المطلوبة بها تأكد ميله ورسخ وعسر عليه النزوع وان خالف مقتضى ميله ضعف ميله وانكسر وربما زال وانمحق بل الذي ينظر الى وجه حسن فيميل اليه طبعه ميلا ضعيفا لو اتبعه وعمل بمقتضاه فداوم على النظر والمجالسة والمخالطة والمجاورة تأكد ميله حتى يخرج امره عن اختياره فلا يقدر على النزوع عنه ولو فطم نفسه ابتداء وخالف مقتضى ميله لكان ذلك كقطع القوت والغذاء عن صفة الميل ويكون ذلك زجرا ودفعا في وجهه حتى يضعف وينكسر بسببه او ينقمع وينمحي وهكذا جميع الصفات والخيرات والطاعات كلها هي التي تراد بها الآخرة والشرور كلها هي التي تراد بها الدنيا لا للآخرة وميل النفس الى الخيرات الاخروية وانصرافها عن الدنيوية هي التي يفرغها للذكر والفكر ولن يتأكد ذلك الا بالمواظبة على اعمال الطاعات وترك المعاصي بالجوارح لان بين الجوارح وبين القلب علاقة حتى انه يتأثر كل واحد منهما بالآخر فترى العضو اذا اصابته جراحة تألم القلب وترى القلب اذا تألم بموت عزيز من اعزته او بهجوم امر مخوف تأثرت به الاعضاء وارتعدت الفرائص وتغير اللون الا ان القلب هو الاصل المتبوع وكأنه الامير والراعي والجوارح كالخدم والرعايا والاتباع فالجوارح خادمة للقلب بتأكيد صفاتها فيها فالقلب هو المقصود والاعضاء آلات موصلة الى المقصود ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ان في الجسد لمضغة اذا صلحت صلح لها سائر الجسد وقال اللهم اصلح الراعي والرعية واراد بالراعي القلب وقال الله تعالى لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم وهي صفة القلب فمن هذا الوجه يجب لا محالة ان تكون اعمال القلب على الجملة افضل من حركات الجوارح ثم يجب ان تكون النية من جملتها افضل لانها عبارة عن ميل القلب الى الخير وارادته له وغرضنا من الاعمال بالجوارح ان نعود القلب ارادة الخير ونؤكد فيه الميل اليه ليتفرغ من شهوات الدنيا ويكب على الذكر والفكر فبالضرورة يكون خيرا بالاضافة الى الغرض لانه متمكن من نفس المقصود وهذا كما ان المعدة اذا تألمت فقد يداوى بان يوضع الطلاء على الصدر ويداوى بالشرب والدواء الواصل الى المعدة فالشرب خير من طلاء الصدر ايضا لان طلاء الصدر ايضا انما اريد به ان يسري منه الاثر الى المعدة فما يلاقي المعدة فهو خير وانفع فهكذا ينبغي ان يفهم تأثير الطاعات كلها اذ المطلوب منها تغيير القلوب وتبديل صفاتها فقط دون الجوارح فلا تظن ان في وضع الجبهة على الارض غرضا من حيث انه جمع بين الجبهة والارض بل من حيث انه بحكم العادة يؤكد صفة التواضع في القلب فان من يجد في نفسه تواضعا فاذا استعان باعضائه وصورها بصورة التواضع تأكد تواضعه ومن يجد في قلبه رقة على يتيم فاذا مسح راسه وقبله تأكدت الرقة في قلبه ولهذا لم يكن العمل بغير نية مفيدا اصلا لان من يمسح راس يتيم وهو غافل بقلبه او ظان انه يمسح ثوبا لم ينتشر من اعضائه اثر الى قلبه بتأكيد الرقة وكذلك من يسجد غافلا وهو مشغول الهم باغراض الدنيا لم ينتشر من جبهته ووضعها على الارض اثر الى قلبه بتأكيد التواضع فكان وجودها كعدمها وما ساوى وجوده عدمه بالاضافة الى الغرض المطلوب منه يسمى باطلا فيقال العبادة بغير نية باطلة وهذا معناه اذا فعل عن غفلة فان قصد به رياء او تعظيم شخص آخر لم يكن وجوده كعدمه فانه لم يؤكد الصفة المطلوب تأكيدها حتى اكد الصفة المطلوب قمعها وهي صفة الرياء التي هي من الميل الى الدنيا فهذا وجه كون النية خيرا من العمل وبهذا ايضا يعرف معنى قوله صلى الله عليه وسلم من هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة لان هم القلب هو ميله الى الخير وانصرافه عن الهوى وحب الدنيا وهي غاية الحسنات وانما الاتمام بالعمل يزيدها تأكيدا فليس المقصود من اراقة دم القربان الدم واللحم بل ميل القلب عن حب الدنيا وبذلها ايثارا لوجه الله تعالى وهذه الصفة قد حصلت عند جزم النية والهمة وان عاق عن العمل عائق فلن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم والتقوى ههنا اعني القلب ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ان

ان اقواما بالمدينة قد شركونا في جهادنا كما رويناه لان قلوبهم في صدق ارادة الخير وبذل المال والنفس والرغبة في طلب الشهادة واعلاء كلمة الله تعالى كقلوب الخارجين وانما فارقوهم بالابدان لعوائق تخص الاسباب الخارجة عن القلوب وذلك غير مطلوب الا لتأكيد هذه الصفات وبهذه المعاني تفهم جميع الاحاديث التي اوردناها في فضيلة النية فاعرضها عليه لينكشف لك اسرارها فلا نطول بالاعادة

بيان تفصيل الاعمال المتعلقة بالنية اعلم ان الاعمال وان انقسمت اقساما كثيرة من فعل وقول وحركة وسكون وجلب ودفع وفكر وذكر وغير ذلك مما لا يتصور احصاؤه واستقصاؤه فهي ثلاثة اقسام طاعات ومعاص ومباحات

القسم الاول المعاصي وهي لا تتغير عن موضوعاتها بالنية فلا ينبغي ان يفهم الجاهل ذلك من عموم قوله عليه السلام انما الاعمال بالنيات فيظن ان المعصية تنقلب طاعة بالنية كالذي يغتاب انسانا مراعاة لقلب غيره او يطعم فقيرا من مال غيره او يبني مدرسة او مسجدا او رباطا بالمال الحرام وقصده الخير فهذا كله جهل والنية لا تؤثر في اخراجه عن كونه ظلما وعدوانا ومعصية بل قصده الخير بالشر على خلاف مقتضى الشرع شر آخر فان عرفه فهو معاند للشرع وان جهله فهو عاص بجهله اذ طلب العلم فريضة على كل مسلم والخيرات انما يعرف كونها خيرات بالشرع فكيف يمكن ان يكون الشر خيرا هيهات بل المروج لذلك على القلب خفي الشهوة وباطن الهوى فان القلب اذا كان مائلا الى طلب الجاه واستمالة قلوب الناس وسائر حظوظ النفس توسل الشيطان به الى التلبيس على الجاهل ولذلك قال سهل ما عصي الله تعالى بمعصية اعظم من الجهل قيل له يا ابا محمد هل تعرف شيئا اشد من الجهل قال نعم الجهل بالجهل [illegible] وهو كما قال ان الجهل بالجهل يسد بالكلية باب التعلم فمن يظن بنفسه انه عالم فكيف يتعلم وكذلك قيل افضل ما اطيع الله تعالى به العلم ورأس العلم العلم بالعلم كما ان رأس الجهل الجهل بالجهل فان من لا يعلم العلم النافع من العلم الضار اشتغل بما اكب الناس عليه من العلوم المزخرفة التي هي وسائلهم الى الدنيا وذلك هو مادة الجهل ومنبع فساد العالم والمقصود ان من قصد الخير بمعصية عن جهل فهو غير معذور الا اذا كان قريب العهد بالاسلام ولم يجد بعد مهلة للتعلم وقد قال الله تعالى فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وقال صلى الله عليه وسلم لا يعذر الجاهل على الجهل ولا يحل للجاهل ان يسكت على جهله ولا للعالم ان يسكت عن علمه ويقرب من قصد التقرب الى السلاطين ببناء المساجد بالمال الحرام وتقرب العلماء السوء بتعليم السفهاء والاشرار المشغولين بالفسق والفجور المقصورين هممهم على مماراة العلماء ومباراة السفهاء واستمالة وجوه الناس وجمع حطام الدنيا واخذ اموال السلاطين والمساكين واليتامى فان هؤلاء اذا تعلموا كانوا قطاع طريق الله وانتهض كل واحد في بلدته نائبا عن الدجال يتكالب على الدنيا ويتبع الهوى ويتباعد عن التقوى ويستجرئ الناس بسبب مشاهدته على معاصي الله تعالى ثم قد ينتشر ذلك العلم الى مثله وامثاله ويتخذونه ايضا آلة ووسيلة في الشر واتباع الهوى ويتسلسل ذلك ووبال جميع ذلك يرجع الى المعلم الذي علمه العلم مع علمه بفساد نيته وقصده ومشاهدته انواع المعصية من اقواله وافعاله وفي مطعمه وملبسه ومسكنه فيموت هذا العالم وتبقى آثار شره منتشرة في العالم الف سنة والفي سنة وطوبى لمن مات وماتت معه ذنوبه ثم العجب من جهله حيث يقول انما الاعمال بالنيات وقد قصدت بذلك نشر علم الدين فان استعمله هو في الفساد والمعصية فهو منه لا مني وما قصدت به الا ان يستعين به على الخير وانما حب الرياسة والاستتباع والتفاخر بعلو العلم يحسن ذلك في قلبه والشيطان بواسطة حب الرياسة يلبس عليه وليت شعري ما جواب من وهب سيفا من قاطع طريق واعد له خيلا واسبابا ويقول انما اردت البذل والسخاء والتخلق باخلاق الله تعالى وقصدت به ان يغزو بهذا السيف والخيل فان اعداد الخيل والرباط والقوة للغزاة من افضل القربات فان هو صرفه الى قطع الطريق فهو العاصي وقد اجمع الفقهاء ان ذلك حرام مع ان السخاء هو احب الاخلاق الى الله تعالى حتى قال صلى الله عليه وسلم ان لله تعالى ثلثمائة خلق من تقرب بواحد منها دخل الجنة واحبها اليه السخاء فليت شعري لم حرم هذا السخاء ولم وجب ان ينظر الى قرينة الحال فان لاح له من عادته

انه يستعين بالسلاح على الشر فينبغي ان يسعى في سلب سلاحه لا في تجديده بعينه والعلم سلاح يقاتل به الشيطان واعداء الله وقد يعاون
به اعداء الله وهو الهوى فمن لا يزال مؤثرا الدنيا على دينه ولهواه على آخرته وهو عاجز عنها لقلة فضله فكيف يجوز امداده بنوع علم يتمكن
به من الوصول الى شهواته بل لم يزل علماء السلف يتفقدون احوال من يتردد اليهم فلو رأوا منهم تقصيرا في نفل من النوافل انكروه وتركوا اكرامه واذا
رأوا منه فجورا او استحلال حرام هجروه ونفوه عن مجالسهم وتركوا تكليمه فضلا من تعليمه لعلمهم بان من تعلم مسئلة ولم يعمل بها وجاوزها
الى غيرها فليس يطلب الا آلة الشر وقد تعوذ جميع السلف بالله من الفاجر العليم بالسنة وما تعوذوا من الفاجر الجاهل وحكى بعض اصحاب
احمد بن حنبل انه كان يتردد اليه سنين ثم اتفق ان اعرض عنه احمد وهجره وصار لا يكلمه فلم يزل يسأله عن سبب تغيره وهو لا يذكره حتى
قال بلغني انك طينت حائط دارك من جانب الشارع فقد اخذت قدر سمك الطين وهو انملة من شارع المسلمين فلا تصلح لتعلم العلم فهكذا
كانت مراقبة السلف لاحوال طلبة العلم فهذا وامثاله مما يلتبس على الاغبياء واتباع الشيطان وان كانوا ارباب الطيالسة والاكمام الواسعة
واصحاب الالسنة الطويلة والفضل الكثير اعني الفضل من العلوم التي لا تشتمل على التحذير من الدنيا والزجر عنها والترغيب في الآخرة
والدعاء اليها بل هي العلوم التي تتعلق بالخلق ويتوصل بها الى جمع الحطام واستتباع الناس والتقدم على الاقران فاذن قوله صلى الله عليه
وسلم الاعمال بالنيات يختص من الاقسام الثلثة بالطاعات والمباحات دون المعاصي اذ الطاعة تنقلب معصية ويكون طاعة بالقصد
والمباح ينقلب معصية وطاعة بالقصد فاما المعصية فلا تنقلب طاعة بالقصد اصلا نعم للنية دخل فيها وهو انه اذا انضاف اليها
قصود خبيثة تضاعف وزرها وعظم وبالها كما ذكرنا ذلك في كتاب التوبة ۵ القسم الثاني الطاعات وهي مرتبطة
بالنيات في الاصل صحتها وفي تضاعف فضلها اما الاصل فهو ان ينوي بها عبادة الله لا غير فان نوى الرياء صارت معصية واما تضاعف
الفضل فبكثرة النيات الحسنة فان الطاعة الواحدة يمكن ان ينوي بها خيرات كثيرة فيكون له بكل نية ثواب اذ كل واحدة منها حسنة ثم
تضاعف كل حسنة عشر امثالها كما ورد به الخبر ومثاله القعود في المسجد فانه طاعة ويمكن ان ينوي فيه نيات كثيرة حتى يصير من فضائل اعمال
المتقين ويبلغ به درجات المقربين اولها ان يعتقد انه بيت الله وان داخله زائر الله فيقصد به زيارة مولاه رجاء لما وعده رسول الله صلى الله
عليه وسلم حيث قال من قعد في المسجد فقد زار الله تعالى وحق على المزور اكرام زائره وثانيها ان ينتظر الصلوة بعد الصلوة فيكون في
جملة انتظاره في الصلوة وهو معنى قوله تعالى ورابطوا وثالثها الترهب بكف السمع والبصر والاعضاء عن الحركات والترددات فان
الاعتكاف كف وهو في معنى الصوم وهو نوع ترهب ولذلك قال صلى الله عليه وسلم رهبانية امتي القعود في المساجد ورابعها عكوف الهم
على الله تعالى ولزوم السر للفكر في الآخرة ودفع الشواغل الصارفة عنه بالاعتزال الى المسجد وخامسها التجرد لذكر الله تعالى او لاستماع
ذكره او للتذكير به كما روي من غدا الى المسجد يذكر الله تعالى او يذكر به كان كالمجاهد في سبيل الله وسادسها ان يقصد افادة علم بامر بمعروف
ونهي عن منكر اذ المسجد لا يخلو عمن يسيء صلوته او يتعاطى ما لا يحل له فيأمره بالمعروف ويرشده الى الدين فيكون شريكا معه في خيره الذي
يعلم منه فتتضاعف خيراته وسابعها ان يستفيد اخا في الله فان ذلك غنيمة وذخيرة للدار الآخرة والمسجد معشش اهل الدين المحبين لله
وفي الله وثامنها ان يترك الذنوب حياء من الله تعالى وتحاشيا من ان يتعاطى في بيت الله ما يقتضي هتك الحرمة وقد قال الحسن بن علي
رضي الله عنهما من ادمن الاختلاف الى المسجد رزقه الله احدى سبع خصال اخا مستفادا في الله تعالى ورحمة مستنزلة او علما مستطرفا
او كلمة تدله على هدى او تصرفه عن ردى او يترك الذنوب خشية او حياء فهذا طريق تكثير النيات وقس على هذا سائر الطاعات والمباحات
اذ ما من طاعة الا وتحتمل نيات كثيرة وانما يحضر في قلب العبد بقدر جده في طلب الخير وتشمره له وتفكره فيه فبهذا تزكو الاعمال وتتضاعف
الحسنات ۵ القسم الثالث المباحات وما من شيء من المباحات الا ويحتمل نية او نيات يصير بها من محاسن القربات وينال

بها معالي الدرجات وما اعظم خسران من يغفل عنها ويتعاطاها تعاطي البهائم المهملة عن سهو وغفلة ولا ينبغي ان يستحقر العبد الخطرات
والخطوات واللحظات فكل ذلك يسئل عنها في القيمة انه لم فعلها وما الذي قصد بها هذا في مباح محض لا يشوبه كراهة ولذلك قال
صلى الله عليه وسلم حلالها حساب وحرامها عذاب وفي حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال ان العبد ليسئل يوم
القيمة عن كل شيء حتى عن كحل عينيه وعن فتات الطينة باصبعيه وعن لمسه ثوب اخيه وفي خبر آخر من تطيب لله تعالى جاء يوم القيمة وريحه
اطيب من المسك ومن تطيب لغير الله تعالى جاء يوم القيمة وريحه انتن من الجيفة فاستعمال الطيب مباح ولكن لا بد فيه من نية فان قيل فما
الذي يمكن ان ينوي بالطيب وهو حظ من حظوظ النفس وكيف يتطيب لله فاعلم ان من يتطيب مثلا يوم الجمعة وفي سائر الاوقات يتصور ان
يقصد التنعم بلذات الدنيا او يقصد به اظهار التفاخر بكثرة المال ليحسده الاقران او يقصد به رياء الخلق ليقوم له الجاه في قلوبهم ويذكر
بطيب الرائحة او ليتودد به الى قلوب النساء الاجنبيات اذا كان مستحلا للنظر اليهن ولامور اخر لا تحصى وكل هذا يجعل التطيب معصية فبذلك
يكون انتن من الجيفة في القيمة الا القصد الاول وهو التلذذ والتنعم فان ذلك ليس بمعصية الا انه يسئل عنه ومن نوقش في الحساب عذب ومن
اوتي شيئا من مباح الدنيا لم يعذب عليه في الآخرة ولكن ينقص من نعيم الآخرة له بقدره وناهيك خسرانا بان تستعجل ما يفنى وتخسر زيادة
نعيم يبقى واما النيات الحسنة فان ينوي به اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة وان ينوي به تعظيم المسجد فانه بيت الله فلا يرى
ان يدخله زائر الله الا طيب الرائحة وان يقصد به ترويح جيرانه ليستريحوا في المسجد عند مجاورته بروائحه وان يقصد دفع الروائح الكريهة
عن نفسه التي تؤدي الى ايذاء مخالطيه وان يقصد حسم باب الغيبة عن المغتابين اذا اغتابوه بالروائح الكريهة فيعصون الله بسببه فمن تعرض
للغيبة وهو قادر على الاحتراز منها فهو شريك في تلك المعصية كما قيل ۵ اذا ترحلت عن قوم وقد قدروا ۵ ان لا تفارقهم فالراحلون هم
وقال الله تعالى ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم اشار به الى ان التسبب الى الشر شر وان يقصد به
معالجة دماغه ليزيد به فطنته وذكاؤه ويسهل عليه درك مهمات دينه بالفكر فقد قال الشافعي رضي الله عنه من طاب ريحه زاد عقله
فهذا وامثاله من النيات لا يعجز الفقيه عنها اذا كانت تجارة الآخرة وطلب الخير غالبا على قلبه واذا لم يغلب على قلبه الا نعيم الدنيا لم تحضره
هذه النيات وان ذكرت له لم ينبعث له قلبه فلا يكون معه منها الا حديث النفس وليس ذلك من النية في شيء والمباحات كثيرة ولا يمكن
احصاء النيات فيها فقس على هذا الواحد ما عداه ولهذا قال بعض السلف اني لاستحب ان يكون لي في كل شيء نية حتى في اكلي وشربي ونومي ودخولي
الخلاء وكل ذلك مما يمكن ان يقصد به وجه الله لان كل ما هو سبب لبقاء البدن وفراغ القلب من مهمات البدن فهو معين على الدين فمن كان قصده
من الاكل التقوي على العبادة ومن الوقاع تحصين دينه وتطييب قلب اهله والتوصل به الى ولد يعبد الله سبحانه بعده فيكثر به امة محمد
صلى الله عليه وسلم كان مطيعا باكله ونكاحه واغلب حظوظ النفس الاكل والوقاع وقصد الخير بهما غير ممتنع لمن غلب على قلبه هم الآخرة ولذلك
ينبغي ان يحسن نيته مهما ضاع له مال ويقول هو في سبيل الله واذا بلغه اغتياب غيره له فليطيب قلبه بانه سيحمل سيئاته وسينقل الى ديوانه حسناته
ولينو ذلك بسكوته عن الجواب وفي الخبر ان العبد ليحاسب فتبطل اعماله لدخول الآفة فيها حتى يستوجب النار ثم ينشر له من الاعمال
الحسنة ما يستوجب به الجنة فيتعجب ويقول يا رب هذه اعمال ما عملتها قط فيقال هي اعمال الذين اغتابوك وآذوك وظلموك وفي الخبر ان العبد
ليؤتى يوم القيمة بحسنات امثال الجبال لو خلصت له لدخل الجنة فيأتي وقد ظلم هذا وشتم هذا وضرب هذا فيقتص لهذا من حسناته
ولهذا من حسناته حتى لا يبقى له حسنة فتقول الملائكة قد فنيت حسناته وبقي طالبون فيقول الله تعالى القوا عليه من سيئاتهم ثم صكوا له صكا
الى النار وبالجملة فاياك ثم اياك ان تستحقر شيئا من حركاتك فلا تحترز من غرورها وشرورها ولا تعد جوابها يوم السؤال والحساب
فان الله تعالى مطلع عليك وشهيد وما تلفظ من قول الا لديك رقيب عتيد وقال بعض السلف كتبت كتابا واردت ان اتربه

من جدار جاري فتحرجت ثم قلت تراب وما تراب فاتربته فهتف بي هاتف سيعلم من استخف بتراب ما يلقى غداً من سوء الحساب
وصلى رجل مع الثوري فرآه مقلوب الثوب فعرفه فمد يده اليه ليصلحه ثم قبضه فلم يسوه فسأله عن ذلك فقال اني لبسته لله تعالى ولا اريد
ان اسويه لغير الله وقد قال الحسن ان الرجل ليتعلق بالرجل يوم القيامة فيقول له بيني وبينك الله فيقول له الآخر والله ما اعرفك
فيقول بلى انت اخذت لبنة من حائطي واخذت خيطا من ثوبي فهذا وامثاله من الاخبار قطع قلوب الخائفين فان كنت من اولي الحزم
والنهى ولم تكن من المغترين فانظر لنفسك الآن ودقق الحساب على نفسك قبل ان يدقق عليك وراقب احوالك ولا تسكن ولا تتحرك ما لم
تتأمل اولا انك لم تتحرك وما ذا تقصد وما الذي تنال به من الدنيا وما الذي يفوتك به من الآخرة وبماذا ترجح الدنيا على الآخرة
فاذا علمت انه لا باعث الا الدين فامض عزمك وما خطر ببالك والا فامسك ثم راقب ايضا قلبك في امساكك وامتناعك فان ترك
الفعل فعل ولا بد له من نية صحيحة فلا ينبغي ان يكون الداعي هوى خفي لا تطلع عليه ولا يغرنك ظواهر الامور ومشهورات
الخيرات وافطن للاغوار والاسرار تخرج من حيز اهل الاغترار فقد روي عن زكريا صلى الله عليه وسلم انه كان يعمل في حائط بالطين وكان
اجيرا لقوم فقدموا اليه رغيفه اذ كان لا ياكل الا من كسب يده فدخل عليه قوم فلم يدعهم الى الطعام حتى فرغ فتعجبوا منه لما علموا
من سخاوته وزهده وظنوا ان الخير في طلب المساعدة للطعام فقال اني اعمل لقوم باجرة وقدموا الي رغيفا لا تقوي على عملهم فلو اكلتم
معي لم يكفكم ولم يكفني وضعفت عن عملهم فالبصير هكذا ينظر الى البواطن بنور الله فان ضعفه عن العمل نقص في فرض وترك الدعوة نقص
في فضل ولا حكم للفضائل مع الفرائض وقال بعضهم دخلت على سفيان وهو ياكل فما كلمني حتى لعق اصابعه ثم قال لولا اني اخذته بدين لاحببت
ان تاكل معي منه وقال سفيان من دعي رجلا الى طعامه وليس له رغبة في ان ياكل فان اجابه فاكل فعليه وزران وان لم ياكل فعليه وزر واحد
واراد باحد الوزرين النفاق وبالثاني تعريض اخيه لما يكره لو علمه فهكذا ينبغي للعبد تفقد نيته في سائر الاعمال فلا يقدم ولا يحجم الا بنية
فان لم تحضره النية توقف فان النية لا تدخل تحت الاختيار

بيان ان النية غير داخلة تحت الاختيار

اعلم ان الجاهل يسمع
ما ذكرناه من الوصية بتحسين النية وتكثيرها مع قوله صلى الله عليه وسلم الاعمال بالنيات فيقول في نفسه عند تدريسه او تجارته
او اكله نويت ان ادرس لله او اتجر لله او آكل لله ويظن ان ذلك نية وهيهات فذلك حديث نفس او حديث لسان او فكر او انتقال
من خاطر الى خاطر والنية بمعزل عن جميع ذلك وانما النية انبعاث النفس وتوجهها وميلها الى ما ظهر لها ان فيه غرضها اما عاجلا
واما آجلا والميل اذا لم يكن لم يمكن اختراعه واكتسابه بمجرد الارادة بل ذلك كقول الشبعان نويت ان اشتهي الطعام او اميل اليه او قول الفارغ
نويت ان اعشق فلانا او احبه او اعظمه بقلبي فذلك محال بل لا طريق الى اكتساب صرف القلب الى الشيء وميله اليه وتوجهه نحوه الا
باكتساب اسبابه وذلك مما قد يقدر عليه وقد لا يقدر وانما تنبعث النفس الى الفعل عرضا للاجابة اجابة للغرض الباعث الموافق للنفس الملائم
لها وما لم يعتقد الانسان ان غرضه منوط بفعل من الافعال فلا يتوجه نحوه قصده وذلك مما لا يقدر على اعتقاده في كل حين واذا اعتقد
فانما يتوجه القلب اذا كان فارغا غير مصروف عنه بغرض شاغل اقوى منه وذلك لا يمكن في كل وقت والدواعي والصوارف لها اسباب
كثيرة بها تجتمع ويختلف ذلك بالاشخاص والاحوال وبالاعمال فاذا غلبت شهوة النكاح ولم يعتقد غرضا صحيحا في الولد دينا ودنيا
لا يمكنه ان يواقع على نية الولد بل لا يمكن الا على نية قضاء الشهوة اذ النية هي اجابة الباعث ولا باعث الا الشهوة فكيف ينوي الولد واذا
لم يغلب على قلبه ان اقامة سنة النكاح اتباعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعظم فضله لم يمكن ان ينوي بالنكاح اتباع السنة الا ان يقول
ذلك بلسانه وقلبه وهو حديث محض ليس بنية نعم طريق اكتساب هذه النية ان يقوي اولا ايمانه بالشرع ويقوي ايمانه بعظم ثواب من سعى
في تكثير امة محمد صلى الله عليه وسلم ويدفع عن نفسه جميع المنفرات عن الولد من ثقل المؤنة وطول التعب وغيره فاذا فعل ذلك ربما

انبعث من قلبه رغبة الى تحصيل الولد للثواب فتحركه تلك الرغبة وتحرك اعضاءه لمباشرة العقد فاذا انتهضت القوة المحركة
للسان بقبول العقد طاعة لهذا الباعث الغالب على القلب كان ناويا فان لم يكن كذلك فما يقدره في نفسه ويردده في قلبه من قصد الولد
وسواس وهذيان ولهذا امتنع جماعة من السلف من جملة الطاعات اذ لم تحضرهم النية فكانوا يقولون ليس تحضرني النية حتى ان ابن سيرين
لم يصل على جنازة الحسن البصري وقال ليس تحضرني نية ونادى بعضهم امرأته وكان يسرح شعره ان هات المدرى فقالت اجيء بالمرآة فسكت
ساعة ثم قال نعم فقيل له في ذلك فقال كان لي في المدرى نية ولم تحضرني في المرآة نية فتوقفت حتى هيأها الله تعالى ومات
حماد بن سليمان وكان احد علماء اهل الكوفة فقيل للثوري الا تشهد جنازته فقال لو كان لي نية لفعلت وكانوا اذا سئلوا عملا من اعمال
البر قالوا ان رزقنا الله تعالى نية فعلنا وكان طاوس لا يحدث الا بنية وكان يسأل ان يحدث فلا يحدث ولا يسأل فيبتدئ فقيل
له في ذلك فقال افتحبون ان احدث بغير نية اذا حضرتني نية حدثت وحكي ان داود بن المحبر لما صنف كتاب العقل جاءه احمد بن حنبل
فطلبه منه فنظر فيه احمد صفحة ورده فقال ما لك قال فيه اسانيد ضعاف فقال له داود انا لم اخرجه على الاسانيد فانظر فيه بعين
الخبر انما نظرت فيه بعين العمل فانتفعت قال احمد فرده علي حتى انظر فيه بالعين التي نظرت بها فاخذه ومكث عنده طويلا ثم قال جزاك
الله خيرا فقد انتفعت به وقيل لطاوس ادع لنا فقال حتى اجد له نية وقال بعضهم انا في طلب نية لعيادة رجل منذ شهر فما صحت لي بعد
وقال عيسى بن كثير مشيت مع ميمون بن مهران فلما انتهى الى باب داره انصرفت فقال ابنه الا تعرض عليه العشاء قال ليس من نيتي وهذا
لان النية تتبع النظر فاذا تغير النظر تغيرت النية وكانوا لا يرون ان يعملوا عملا الا بالنية لعلمهم بان النية روح الاعمال وان العمل بغير
نية صادقة رياء وتكلف وهو سبب مقت لا سبب قرب وعلموا ان النية ليس هو قول القائل بلسانه نويت بل هو انبعاث القلب يجري مجرى
الفتوح من الله تعالى فقد يتيسر ذلك في بعض الاوقات وقد يتعذر نعم من كان الغالب على قلبه امر الدين لا يشق عليه في اكثر الاحوال
احضار النية للخيرات فان قلبه مائل بالجملة الى اصل الخير فينبعث الى التفاصيل غالبا ومن مال قلبه الى الدنيا وغلبت عليه لم يتيسر له
ذلك في الفرائض الا بجهد جهيد وغايته ان يتذكر النار ويحذر نفسه عقابها او نعيم الجنة ويرغب نفسه فيها فربما تنبعث له داعية
ضعيفة فيكون ثوابه بقدر رغبته ونيته واما الطاعة على نية اجلال الله تعالى لاستحقاقه للطاعة والعبودية فلا تتيسر للراغب في
الدنيا وهذه اعز النيات واعلاها ويعز من يفهمها فضلا عمن يتعاطاها ونيات الناس في الطاعات اقسام اذ منهم من يكون عمله اجابة لباعث
الخوف فانه يتقي النار ومنهم من يعمل اجابة لباعث الرجاء وهو الرغبة في الجنة وهذا وان كان نازلا بالاضافة الى قصد طاعة الله وتعظيمه
لذاته ولجلاله لا لامر سواه فهو من جملة النيات الصحيحة لانه ميل الى الموعود في الآخرة وان كان من جنس المألوف في الدنيا واغلب
البواعث باعث الفرج والبطن وموضع قضاء وطرهما الجنة فالعامل لاجل الجنة عامل لبطنه وفرجه كالاجير السوء ودرجته درجة البله
وانه لينالها بعمله اذ اكثر اهل الجنة البله واما عبادة ذوي الالباب فلا تجاوز ذكر الله تعالى والفكر فيه حبا لجماله وجلاله وسائر الاعمال
تكون مؤكدات وروادف وهؤلاء ارفع درجة من الالتفات الى المنكوح والمطعوم في الجنة فانهم لم يقصدوها بل هم الذين يدعون ربهم بالغدوة
والعشي يريدون وجهه فقط وثواب الناس بقدر نياتهم فلا جرم يتنعمون بالنظر الى وجهه الكريم ويسخرون ممن يلتفت الى وجه الحور العين
كما يسخر المتنعم بالنظر الى الحور العين ممن يتنعم بالنظر الى وجه الصورة المصنوعة من الطين بل اشد فان التفاوت بين جمال الحضرة الربوبية
وجمال الحور العين اشد واعظم كثيرا من التفاوت بين جمال الحور العين والصور المصنوعة من الطين بل استعظام النفوس البهيمية
الشهوانية لقضاء الوطر من مخالطة الحور واعراضها عن جمال وجه الله الكريم يضاهي استعظام الخنفساء لصاحبتها والفها لها واعراضها عن
النظر الى جمال وجوه النساء فعمى اكثر القلوب عن ابصار جمال الله وجلاله يضاهي عمى الخنفساء عن ادراك جمال النساء فانها لا تشعر به اصلا

ولا تلتفت اليه ولو كان لها عقل وذكرتها لاستخف عقل من يلتفت اليهن ولا يزالون مختلفين كل حزب بما لديهم فرحون ولذلك
خلقهم رأى احمد بن خضرويه ربه تعالى في المنام فقال له كل الناس يطلبون مني الا ابو يزيد فانه يطلبني ورأى ابو يزيد ربه تعالى
في المنام فقال يا رب كيف الطريق اليك فقال اترك نفسك وتعال الي ورؤي الشبلي في المنام فقيل ما فعل الله بك فقال لم يطالبني على
الدعاوى بالبرهان الا على قول واحد قلت يوما اي خسارة اعظم من خسران الجنة فقال اي خسارة اعظم من خسارة لقائي والغرض ان
هذه النيات متفاوتة الدرجات ومن غلب على قلبه واحد منها ربما لم يتيسر له العدول الى غيرها ومعرفة هذه الحقائق تورث اعمالا و
احوالا يستنكرها الظاهريون من الفقهاء فانا نقول من حضرت له نية في مباح ولم تحضره في فضيلة فالمباح اولى وانتقلت الفضيلة
اليه وصارت الفضيلة في حقه نقيصة لان الاعمال بالنيات وذلك مثل العفو فانه افضل من الانتصاف في الظلم وربما تحضره نية في الانتصاف
دون العفو فيكون ذلك افضل ومثل ان يكون له نية في الشرب والاكل والنوم ليريح نفسه ويتقوى على العبادة في المستقبل
وليس تنبعث نيته في الحال للصوم والصلوة فالاكل والنوم هو الافضل له بل لو مل العبادة لمواظبته عليها وسكن نشاطه وضعف
رغبته وعلم انه لو ترفه ساعة بلهو وحديث عاد نشاطه فاللهو والحديث افضل له من الصلوة قال ابو الدرداء اني لاستجم نفسي باللهو
فيكون ذلك عونا لي على الحق وقال علي رضي الله عنه روحوا القلوب فانها اذا اكرهت عميت وهذه دقائق لا تدركها سماسرة العلما
دون الحشوية منهم بل الحاذق بالطب قد يعالج المحرور باللحم مع حرارته ويستبعده القاصر في الطب وانما يبغي به ان يعيد اولا
قوته ليحتمل المعالجة بالضد والحاذق في الشطرنج قد ينزل عن الرخ والفرس مجانا ليتوصل بها الى الغلبة والضعيف البصيرة قد يضحك
به ويتعجب منه والخبير بالقتال قد يرى الفرار من قرنه ويولي دبره ليستجر الخصم الى مضيق فيكر عليه فكذلك سلوك طريق الله كله قتال مع
الشيطان ومعالجة للقلب والبصير الموفق يقف فيها على لطائف من الحيل يستبعدها الضعفاء فلا ينبغي للمريد ان يضمر انكارا على ما
يراه من شيخه ولا للمتعلم ان يعترض على استاذه بل ينبغي ان يقف عند حد بصيرته وما لا يفهمه من احوالهما يسلمه لهما الى ان ينكشف له
اسرارهما بان يبلغ رتبتهما وينال درجتهما

الباب الثاني في الاخلاص وفضيلته وحقيقته ودرجاته

بيان فضيلة الاخلاص

قال الله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وقال تعالى الا لله الدين الخالص و
قال الا الذين تابوا واصلحوا واعتصموا بالله واخلصوا دينهم لله وقال فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا
نزلت فيمن يعمل لله ويحب ان يحمد عليه وقال صلى الله عليه وسلم ثلث لا يغل عليهن قلب رجل مسلم اخلاص العمل لله وعن مصعب بن
سعد قال ظن ابي ان له فضلا على من دونه من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم انما نصر الله عز وجل هذه الامة
بضعفائها ودعوتهم واخلاصهم وصلوتهم وعن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله سبحانه الاخلاص سر من سري
استودعته قلب من احببت من عبادي وقال علي بن ابي طالب لا تهتموا لقلة العمل واهتموا للقبول فان النبي صلى الله عليه وسلم قال
لمعاذ اخلص العمل يجزك منه القليل وقال صلى الله عليه وسلم ما من عبد يخلص العمل لله اربعين يوما الا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على
لسانه وقال صلى الله عليه وسلم يسئل يوم القيمة ثلثة رجل اتاه الله العلم فيقول الله تعالى ما ذا صنعت فيما علمت فيقول يا رب كنت اقوم
آناء الليل والنهار فيقول الله سبحانه كذبت ويقول الملائكة كذبت بل اردت ان يقال فلان عالم الا فقد قيل ذلك ورجل اتاه الله مالا
فيقول الله تعالى لقد انعمت عليك فما ذا صنعت فيقول يا رب كنت اتصدق به آناء الليل والنهار فيقول الله تعالى كذبت بل اردت ان
يقال فلان جواد الا فقد قيل ورجل قتل في سبيل الله فيقول الله تعالى ما ذا صنعت فيقول يا رب امرت بالجهاد فقاتلت حتى قتلت
فيقول الله تعالى كذبت ويقول الملائكة كذبت بل اردت ان يقال فلان شجاع الا فقد قيل ذلك قال ابو هريرة رضي الله عنه ثم خط

اول ما

ثم خط رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذي وقال يا ابا هريرة اولئك اول خلق تسعر بهم النار يوم القيمة فدخل راوي
الحديث على معوية وروى له ذلك فبكى حتى كادت تخرج نفسه ثم قال صدق الله اذ قال سبحانه من كان يريد الحيوة الدنيا
وزينتها الاية وفي الاسرائيليات ان عابدا كان عابدا يعبد الله تعالى دهرا طويلا فجاءه قوم فقالوا ان ههنا قوما يعبدون
شجرة من دون الله تعالى فغضب لذلك فاخذ فاسه على عاتقه وقصد الشجرة ليقطعها فاستقبله ابليس في صورة شيخ فقال اين
تريد رحمك الله قال اريد ان اقطع هذه الشجرة قال وما انت وذاك تركت عبادتك واشتغالك بنفسك وتفرغت لغير
ذلك فقال ان هذا من عبادتي قال فاني لا اتركك ان تقطعها فقاتله فاخذه العابد فطرحه الى الارض وقعد على صدره فقال له
ابليس اطلقني حتى اكلمك فقام عنه فقال له ابليس يا هذا ان الله تعالى قد اسقط عنك هذا ولم يفرضه عليك وما تعبدها
انت وما عليك من غيرك ولله تعالى انبيا في الارض ولو شاء لبعثهم الى اهلها وامرهم بقطعها فقال العابد لا بد لي من قطعها فنابذه
القتال فغلبه العابد وصرعه وقعد على صدره فعجز ابليس فقال هل لك في امر فصل بيني وبينك وهو خير لك وانفع قال وما هو قال
اطلقني حتى اقوله لك فاطلقه قال ابليس انت رجل فقير لا شيء لك انما انت كل على الناس يعولونك ولعلك تحب ان تتفضل
على اخوانك وتواسي جيرانك وتشبع وتستغني عن الناس قال نعم قال فارجع عن هذا الامر ولك علي ان اجعل عند راسك في كل ليلة دينارين
اذا اصبحت اخذتهما فانفقت على نفسك وعيالك وتصدقت على اخوانك فيكون ذلك انفع لك وللمسلمين من قطع هذه الشجرة
التي يغرس مكانها ولا يضرهم قطعها شيئا ولا ينفع اخوانك المؤمنين قطعك اياها فتفكر العابد فيما قال فقال صدق الشيخ لست
بنبي فيلزمني قطع هذه الشجرة ولا امرني الله ان اقطعها فاكون عاصيا بتركها وما ذكره اكثر منفعة فعاهده على الوفاء بذلك وحلف له
فرجع الى متعبده فبات فلما اصبح راى دينارين عند راسه فاخذهما وكذلك الغد ثم اصبح اليوم الثالث وما بعده فلم ير شيئا فغضب واخذ
فاسه على عاتقه فاستقبله ابليس في صورة الشيخ فقال له الى اين قال اقطع تلك الشجرة فقال كذبت والله ما انت بقادر على ذلك
ولا سبيل لك اليها قال فتناوله العابد لياخذه كما فعله اول مرة فقال هيهات فاخذه ابليس وصرعه فاذا هو كالعصفور بين
رجليه وقعد ابليس على صدره وقال لتنتهين عن هذا الامر او لاذبحنك فنظر العابد فاذا لا طاقة له به فقال يا هذا غلبتني فخل
عني واخبرني كيف غلبتك اولا وغلبتني الآن فقال لانك غضبت اول مرة لله وكانت نيتك الآخرة وهذه المرة غضبت لنفسك
وللدنيا فصرعتك وهذه الحكاية تصديق قوله تعالى الا عبادك منهم المخلصين اذ لا يتخلص العبد من الشيطان الا بالاخلاص ولذلك
كان معروف الكرخي يضرب نفسه ويقول يا نفس اخلصي تخلصي وقال يعقوب المكفوف المخلص من يكتم حسناته كما يكتم سيئاته وقال ابو
سليمن طوبى لمن صحت له خطوة واحدة لا يريد بها الا الله تعالى وكتب عمر بن الخطاب الى ابي موسى الاشعري رضي الله عنهما من خلصت
نيته كفاه الله تعالى ما بينه وبين الناس وكتب بعض الاولياء الى اخ له اخلص النية في اعمالك يكفك القليل من العمل وقال ايوب
السختياني تخليص النيات على العمال اشد عليهم من جميع الاعمال وقال مطرف من صفا صفي له ومن خلط خلط عليه ورأى
بعضهم في المنام فقيل له كيف وجدت اعمالك قال كل شيء عملته لله وجدته حتى حبة رمان التقطتها من طريق وحتى هرة ماتت لنا
رأيتها في كفة الحسنات وكان في قلنسوتي خيط من حرير فرأيته في كفة السيئات وكان قد نفق حمار لي قيمته مائة دينار فما رأيت له
ثوابا فقلت موت سنور في كفة الحسنات وموت حمار ليس فيها فقيل له انه قد وجه حيث بعثت به وانه لما قيل لك قد مات قلت في لعنة
الله فبطل اجرك ولو قلت في سبيل الله لوجدته في حسناتك وفي رواية وتصدقت بصدقة بين الناس فاعجبني نظرهم الي
فوجدته لا علي ولا لي قال سفيان لما سمع هذا ما احسن حاله اذ لم يكن عليه فقد احسن اليه وقال يحيى بن معاذ الاخلاص تمييز العمل

من العيوب كتخليص اللبن من الفرث والدم وقيل كان رجل يخرج في زي النسا ويحضر موضعا فيه عرس او ماتم ثم يجتمع فيه النسا
فاتفق ان حضر يوما موضعا فيه مجمع النسا فسرقت درة فصاحوا ان اغلقوا الباب حتى نفتش فكانوا يفتشون واحدة واحدة حتى
بلغت النوبة اليه والى امراة فدعا الله تعالى بالاخلاص وقال ان نجوت من هذه الفضيحة لا اعود الى مثل هذا فوجدت الدرة مع
تلك المراة وصاحوا ان اطلقوا الحرة فقد وجدنا الدرة وقال بعض الصوفية كنت قاعدا مع ابي عبيد البسري وهو يحرث
ارضه بعد العصر من يوم عرفة فمر به بعض اخوانه من الابدال فساره بشي فقال ابو عبيدة لا فمر كالسحاب يمسح الارض حتى غاب
عن عيني فقلت لابي عبيد ما قال لك فقال سالني ان احج معه فقلت لا قال فهلا فعلت قال ليس لي في الحج نية وقد نويت ان
اتمم هذه الارض العشية فاخاف ان حججت معه لاجله اتعرض لمقت الله تعالى لاني ادخل في عمل الله تعالى شيئا غيره فيكون ما انا
فيه اعظم عندي من سبعين حجة ويروى عن بعضهم قال غزوت في البحر فعرض بعضنا مخلاة فقلت اشتريها فانتفع بها في غزوتي
فاذا دخلت مدينة كذا بعته فربحت فيها فاشتريتها فرايت الليلة في النوم كان شخصين قد نزلا من السما فقال احدهما لصاحبه اكتب
الغزاة فاملى عليه اكتب خرج فلان متنزها وفلان مرائيا وفلان تاجرا وفلان في سبيل الله ثم نظر الي فقال اكتب فلان تاجرا فقلت
الله الله خرجت اتجر وما معي تجارة اتجر فيها ما خرجت الا للغزو فقال يا شيخ قد اشتريت امس مخلاة تريد ان تربح فبكيت وقلت لا
تكتبوني تاجرا فنظر الى صاحبه فقال ما ترى فقال اكتب خرج فلان غازيا الا انه اشترى في طريقه مخلاة ليربح فيه حتى يحكم الله
تعالى فيه ما يرى وقال سري السقطي لان تصلي ركعتين في خلوة تخلصهما خير لك من ان تكتب سبعين حديثا او سبعمائة بعلو
وقال بعضهم ان الله عبدا اعطاه ثلاثا ومنع ثلاثا اعطاه صحبة الصالحين ومنعه القبول منهم واعطاه الاعمال الصالحة
ومنعه الاخلاص فيها واعطاه الحكمة ومنعه الصدق فيها وقال السوسي مراد الله من عمل الخلق الاخلاص فقط وقال الجنيد ان لله تعالى
عبادا عقلوا فلما عقلوا عملوا فلما عملوا اخلصوا فاستدعاهم الاخلاص الى ابواب البر اجمع وقال محمد بن سعيد المروزي الامر
كله يرجع الى اصلين فعل منه بك وفعل منك له فترضى ما فعل وتخلص فيما تعمل فاذا انت قد سعدت بهذين وفزت في الدارين بيان
حقيقة الاخلاص اعلم ان كل شي يتصور ان يشوبه غيره فاذا صفا عن شوبه وخلص عنه سمي خالصا ويسمى الفعل المصفى المخلص اخلاصا
قال الله تعالى من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين فانما خلوص اللبن ان لا يكون فيه شوب من الدم والفرث ومن
كل ما يمكن ان يمتزج به والاخلاص يضاده الاشراك فمن لا يكون مخلصا فهو مشرك الا ان الشرك درجات فالاخلاص في التوحيد
يضاده التشريك في الالهية والشرك منه خفي ومنه جلي وكذا الاخلاص والاخلاص وضده يتواردان على القلب فمحله القلب
وانما يكون ذلك في القصود والنيات وقد ذكرنا حقيقة النية وانها ترجع الى اجابة البواعث فمهما كان الباعث واحدا على التجرد
سمي الفعل الصادر عنه اخلاصا بالاضافة الى المنوي فمن تصدق وغرضه محض الريا فهو مشرك ومن كان غرضه محض التقرب
الى الله فهو مخلص ولكن العادة جارية بتخصيص اسم الاخلاص بتجريد قصد التقرب الى الله عن جميع الشوائب كما ان الالحاد عبارة عن
الميل ولكن خصصته العادة بالميل عن الحق ومن كان باعثه مجرد الريا فهو متعرض للهلاك ولسنا نتكلم فيه اذ ذكرنا ما يتعلق به في كتاب
الريا من ربع المهلكات واقل ما ورد فيه ما ورد في الخبر من ان المرائي يدعى في القيامة باربعة اسام يا مرائي يا مخادع يا مشرك
يا كافر وانما نتكلم الان فيمن انبعث لقصد التقرب ولكن امتزج بهذا الباعث باعث اخر اما من الريا او من غيره من حظوظ النفس مثال
ذلك ان يصوم لينتفع بالحمية الحاصلة بالصوم مع قصد التقرب او يعتق عبدا ليتخلص من مؤنته وسوء خلقه او يحج ليصح مزاجه بحركة السفر
او يتخلص من شر يعرض له في بلده او ليهرب عن عدو له في منزله او يتبرم باهله وولده او بشغل هو فيه فاراد ان يستريح منه اياما او

او يغزو ليمارس الحرب ويتعلم اسبابه ويقدر به على تهيئة العساكر وجرها او يصلي بالليل وله غرض في دفع النعاس
عن نفسه به ليراقب رحله او اهله او يتعلم العلم ليسهل عليه طلب ما يكفيه من المال او ليكون عزيزا بين العشيرة او ليكون عقاره
واموالُه محروسا بعز العلم عن الاطماع او اشتغل بالدرس والوعظ ليتخلص عن كرب الصمت ويتفرج بلذة الحديث او تكفل بخدمة
العلما والصوفية لتكون حرمته وافرة عندهم وعند الناس او لينال به رفقا في الدنيا او كتب مصحفا ليجود بالمواظبة على الكتبة
خطه او حج ماشيا ليخفف عن نفسه الكرا او توضا ليتنظف او يتبرد او اغتسل ليطيب رائحته او روى الحديث ليعرف
بعلو الاسناد او اعتكف في المسجد ليخف عليه كرا المسكن او صام ليخفف على نفسه التردد في طبخ الطعام او ليتفرغ لاشغاله
فلا يشغله الاكل عنها او تصدق على السائل ليقطع ابرامه في السوال عن نفسه او يعود مريضا او يشيع جنازة ليعاد اذا مرض
ويشيع جنازة اهله او يفعل شيئا من ذلك ليعرف بالخير ويذكر به وينظر اليه بعين الصلاح والوقار فمهما كان باعثه هو التقرب الى الله
ولكن انضاف اليه خطرة من هذه الخطرات حتى صار العمل اخف عليه بسبب هذه الامور فقد خرج عمله عن حد الاخلاص وخرج عن ان
يكون خالصا لوجه الله تعالى وتطرق الشرك اليه وقد قال تعالى انا اغنى الاغنيا عن الشرك وبالجملة كل حظ من حظوظ الدنيا يستريح
اليه النفس ويميل اليه القلب قل ام كثر اذا تطرق الى العمل تكدر به صفوه وزال به اخلاصه والانسان مرتبط في حظوظه منغمس في
شهواته قلما ينفك فعل من افعاله وعبادة من عباداته عن حظوظ واغراض عاجلة من هذه الاجناس فلذلك قيل من سلم له في عمره
خطوة واحدة خالصة لوجه الله نجا وذلك لعزة الاخلاص وعسر تنقية القلب عن هذه الشوائب بل الخالص هو الذي لا باعث
فيه الا طلب القرب من الله تعالى وهذه الحظوظ ان كانت هي الباعثة وحدها فلا يخفى شدة الامر على صاحبه فيها وانما نظرنا
فيما اذا كان القصد الاصلي هو التقرب وانضافت هذه الامور اليه ثم هذه الشوائب اما ان تكون في رتبة الموافقة او في رتبة
المشاركة او في رتبة المعاونة كما سبق في هذه النية وبالجملة فاما ان يكون الباعث النفسي مثل الباعث الديني او اقوى منه او
اضعف ولكل واحد حكم اخر كما سنذكره وانما الاخلاص تخليص العمل عن هذه الشوائب كلها قليلها وكثيرها حتى يتجرد فيه قصد التقرب
فلا يكون فيه باعث سواه وهذا لا يتصور الا من محب لله مستهتر مستغرق الهم بالاخرة بحيث لم يبق لحب الدنيا في قلبه قرار
حتى لا يحب الاكل والشرب ايضا بل تكون رغبته فيه كرغبته في قضا الحاجة من حيث انه ضرورة الجبلة فلا يشتهي الطعام لانه
طعام بل لانه يقويه على عبادة الله تعالى ويتمنى لو كفي شر الجوع حتى لا يحتاج الى الاكل فلا يبقى في قلبه حظ في الفضول الزائد على الضرورة
مطلوبا عنده لانه ضرورة دينه فلا يكون له الا الله تعالى فمثل هذا الشخص لو اكل او شرب او قضى حاجته كان خالص العمل صحيح النية
في جميع حركاته وسكناته فلو نام مثلا ليريح نفسه فيتقوى على العبادة بعده كان نومه عبادة وكان له درجة المخلصين فيه ومن ليس
كذلك فباب الاخلاص في الاعمال كالمسدود عليه الا على الندور وكما ان من غلب عليه حب الله وحب الاخرة فاكتسبت حركاته الاعتيادية
صفة همه وصارت اخلاصا فالذي يغلب على نفسه الدنيا والعلو والرياسة وبالجملة غير الله اكتسبت جميع حركاته تلك الصفة فلا تسلم
له عباداته من صوم وصلاة وغيرها الا نادرا فعلاج الاخلاص كسر حظوظ النفس وقطع الطمع عن الدنيا والتجرد للاخرة بحيث يغلب ذلك على
القلب فاذ ذاك يتيسر الاخلاص وكم من اعمال يتعب الانسان فيها ويظن انها خالصة لوجه الله ويكون فيه مغرورا لانه لا يدري
وجه الافة فيه كما حكي عن بعضهم انه قال قضيت صلاة ثلاثين سنة كنت صليتها في الصف الاول لاني تاخرت يوما لعذر فصليت
في الصف الثاني فاعترتني خجلة من الناس حيث راوني في الصف الثاني فعرفت ان نظر الناس الي في الصف الاول كان مسرتي وسبب
استراحة قلبي من حيث لا اشعر وهذا دقيق غامض قلما تسلم الاعمال عن امثاله وقل من يتنبه له والغافلون عنه يرون حسناتهم

في الآخرة كلها سيئات فتعظم الحسرات بقوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وبدا لهم سيئات ما عملوا قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا وأشد الخلق تعرضا لهذه الفتنة العلماء فإن الباعث للأكثرين منهم على نشر العلم لذة الاستيلاء والفرح بالاستتباع والاستبشار بالحمد والثناء والشيطان يلبس عليهم ويقول غرضكم نشر دين الله والنضال عن الشرع الذي شرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وترى الواعظ يمن على الله بنصيحة الخلق ووعظه للسلاطين ويفرح بقبول الناس قوله وإقبالهم عليه وهو يدعي أنه يفرح بما يسر له من نصرة الدين ولو ظهر في أقرانه من هو أحسن منه وعظا وانصرف الناس عنه وأقبلوا عليه ساءه ذلك وغمه ولو كان باعثه الدين لشكر الله تعالى إذ كفاه الله هذا المهم بغيره ثم الشيطان مع ذلك لا يخليه ويقول إنما غمك لانقطاع الثواب عنك لا لانصراف وجوه الناس إذ لو اتعظوا بقولك لكنت أنت المثاب واغتمامك بفوت الثواب محمود ولا يدري المسكين أن انقياده للحق وتسليمه الأمر للأفضل أجزل ثوابا وأعود عليه في الآخرة من انفراده وليت شعري لو اغتم عمر رضي الله عنه بتصدي أبي بكر للإمامة أكان غمه محمودا أو مذموما ولا يستريب ذو دين أن ذلك كان مذموما لأن انقياده للحق وتسليمه الأمر إلى من هو أصلح أعود عليه في الدين من تكفله بمصالح الخلق مع ما فيه من الثواب الجزيل بل فرح عمر رضي الله عنه باستقلال من هو أولى منه بالأمر فما بال العلماء لا يفرحون بذلك وقد ينخدع بعض أهل العلم بغرور الشيطان فيحدث نفسه بأنه لو ظهر من هو أولى منه لفرح به وإخباره بذلك على نفسه وذلك قبل التجربة والامتحان محض الجهل والغرور فإن النفس سهلة القياد في الوعد بأمثال ذلك قبل نزول الأمر ثم إذا دهاه الأمر تغير ورجع ولم يف بالوعد وذلك لا يعرفه إلا من عرف مكايد الشيطان والنفس وطال اشتغاله بامتحانها فمعرفة حقيقة الإخلاص والعمل به بحر عميق يغرق فيه الجميع إلا الشاذ النادر والفرد الفذ وهو المستثنى في قوله تعالى إلا عبادك منهم المخلصين فليكن العبد شديد التفقد والمراقبة لهذه الدقائق وإلا التحق بأتباع الشياطين وهو لا يشعر

بيان أقاويل الشيوخ في الإخلاص

قال السوسي الإخلاص فقد رؤية الإخلاص فإن من شاهد في إخلاصه الإخلاص فقد احتاج إخلاصه إلى إخلاص وما ذكره إشارة إلى تصفية العمل عن العجب بالفعل فإن الالتفات إلى الإخلاص والنظر إليه عجب وهو من جملة الآفات والخالص ما صفا عن جميع الآفات فهذا تعرض لآفة واحدة وقال سهل الإخلاص أن يكون سكون العبد وحركاته لله تعالى خاصة وهذه كلمة جامعة محيطة بالغرض وفي معناه قول إبراهيم الإخلاص صدق النية مع الله تعالى وقيل لسهل أي شيء أشد على النفس فقال الإخلاص إذ ليس لها فيه نصيب وقال رويم الإخلاص في العمل هو أن لا يريد صاحبه عليه عوضا في الدارين وهذا إشارة إلى أن حظوظ النفس آجلا وعاجلا والعابد لأجل تنعم النفس بالشهوات في الجنة معلول بل الحقيقة أن لا يراد بالعمل إلا وجه الله وهو إشارة إلى إخلاص الصديقين وهو الإخلاص المطلق فأما من يعمل لرجاء الجنة وخوف النار فهو مخلص بالإضافة إلى الحظوظ العاجلة وإلا فهو في طلب حظ البطن والفرج وإنما المطلوب الحق لذوي الألباب وجه الله تعالى فقط وقوله تعالى لا يتحرك الإنسان إلا لحظ والبراءة من الحظوظ صفة الإلهية ومن ادعاه فهو كافر وقد قضى القاضي أبو بكر الباقلاني بتكفير من يدعي البراءة من الحظوظ وقال هذا من صفات الإلهية وما ذكره حق ولكن القوم إنما أرادوا به البراءة عما يسميه الناس حظوظا وهي الشهوات الموصوفة في الجنة فقط وأما التلذذ بمجرد المعرفة والمناجاة والنظر إلى وجه الله فهذا حظ هؤلاء وهذا لا يعده الناس حظا بل يتعجبون منه وهؤلاء لو عوضوا عما هم فيه من لذة الطاعة والمناجاة وملازمة الشهود للحضرة الإلهية سرا وجهرا جميع نعيم الجنة لاستحقروها ولم يلتفتوا إليها فحركتهم لحظ وطاعتهم لحظ ولكن حظهم معبودهم فقط دون غيره وقال أبو عثمان الإخلاص نسيان رؤية الخلق بدوام النظر إلى الخالق وهو إشارة إلى آفة الرياء فقط ولذلك قال بعضهم الإخلاص أن لا يطلع عليه شيطان فيفسده ولا ملك فيكتبه فإنه إشارة إلى مجرد الإخفاء وقد قيل الإخلاص ما استتر عن الخلائق وصفا عن العلائق وهذا أجمع للمقاصد وقال المحاسبي هو إخراج الخلق من معاملة الرب وهو إشارة إلى مجرد الرياء وكذلك قول الخواص من شرب من كأس الرياسة فقد خرج عن إخلاص العبودية وقال الحواريون لعيسى بن مريم عليهما السلام ما الخالص من الأعمال فقال الذي يعمل لله تعالى لا يحب أن يحمده عليه أحد وهذا أيضا تعرض للرياء وإنما خصه بالذكر لأنه أقوى الأسباب المشوشة للإخلاص وقال الجنيد الإخلاص تصفية الأعمال من الكدورات وقال الفضيل ترك العمل من أجل الناس رياء والعمل من أجل الناس شرك والإخلاص أن يعافيك الله تعالى عنهما وقيل الإخلاص دوام المراقبة ونسيان الحظوظ كلها وهذا هو البيان الكامل والأقاويل في هذا كثيرة ولا فائدة في تكثير النقل بعد انكشاف الحقيقة وإنما البيان الشافي بيان سيد الأولين والآخرين صلى الله عليه وسلم إذ سئل عن الإخلاص فقال أن تقول ربي الله ثم تستقيم كما أمرت أي لا تعبد هواك ونفسك ولا تعبد إلا ربك وتستقيم في عبادته كما أمرت وهذه إشارة إلى قطع كل ما سوى الله عن مجرى النظر وهو الإخلاص حقا

بيان درجات الشوائب والآفات المكدرة للإخلاص

اعلم أن الآفات المشوشة للإخلاص بعضها جلية وبعضها خفية وبعضها ضعيفة مع الجلاء وبعضها قوية مع الخفاء ولا يفهم اختلاف درجاتها في الخفاء والجلاء إلا بمثال وأظهر مشوشات الإخلاص الرياء فلنذكر منه مثالا فنقول الشيطان يدخل الآفة على المصلي مهما كان مخلصا في صلاته ثم نظر إليه جماعة أو دخل عليه داخل فيقول له حسن صلاتك حتى ينظر إليك هذا الحاضر بعين الوقار والصلاح ولا يزدريك ولا يغتابك فتخشع جوارحه وتسكن أطرافه وتحسن صلاته وهذا هو الرياء الظاهر ولا يخفى ذلك على المبتدئين من المريدين الدرجة الثانية أن يكون المريد قد فهم هذه الآفة وأخذ منها حذره فصار لا يطيع الشيطان فيه ولا يلتفت إليه ويستمر في صلاته كما كان فيأتيه في معرض الخير ويقول أنت متبوع ومقتدى بك ومنظور إليك وما تفعله يؤثر عنك ويتأسى بك غيرك فيكون لك ثواب أعمالهم إن أحسنت وعليك الوزر إن أسأت فأحسن عملك بين يديه فعساه يقتدي بك في الخشوع وتحسين العبادة وهذا أغمض من الأول وقد ينخدع به من لا ينخدع بالأول وهذا أيضا عين الرياء ومبطل للإخلاص فإنه إن كان يرى الخشوع وحسن العبادة خيرا لا يرضى لغيره تركه فلم لم يرتض لنفسه ذلك في الخلوة ولا يمكن أن يكون نفس غيره أعز عليه من نفسه فهذا محض التلبيس بل المقتدى به هو الذي استقام في نفسه واستنار قلبه فانتشر نوره إلى غيره فيكون له ثواب عليه فأما هذا فمحض النفاق والتلبيس فمن اقتدى به أثيب عليه وأما هو فيطالب بتلبيسه ويعاقب على إظهاره من نفسه ما ليس متصفا به الدرجة الثالثة وهي أدق مما قبلها أن يجرب العبد نفسه في ذلك ويتنبه لكيد الشيطان ويعلم أن مخالفته بين الخلوة والمشاهدة للغير محض الرياء ويعلم أن الإخلاص في أن تكون صلاته في الخلوة مثل صلاته في الملأ ويستحيي من نفسه ومن ربه أن يتخشع لمشاهدة خلقه تخشعا زائدا على عادته فيقبل على نفسه في الخلوة ويحسن صلاته على الوجه الذي يرتضيه في الملأ ويصلي في الملأ أيضا كذلك فهذا أيضا من الرياء الغامض لأنه حسن صلاته في الخلوة ليحسن في الملأ فلا يكون قد فرق بينهما فالتفاته في الملأ والخلوة جميعا إلى الخلق بل الإخلاص أن تكون مشاهدة البهائم لصلاته ومشاهدة الخلق لها على وتيرة واحدة فكأن نفس هذا ليست تسمح بإساءة الصلاة بين أظهر الناس ثم يستحيي من نفسه أن يكون في صورة المرائين ويظن أن ذلك يزول بأن تستوي صلاته في الخلاء والملأ جميعا وهيهات بل زوال ذلك بأن لا يلتفت إلى الخلق كما لا يلتفت إلى الجمادات في الخلاء والملأ جميعا وهذا من المكايد الخفية للشيطان الدرجة الرابعة وهي أدق وأخفى أن ينظر إليه الناس وهو في صلاته فيعجز الشيطان عن أن يقول له اخشع لأجلهم فإنه قد عرف أنه تفطن لذلك فيقول له الشيطان تفكر في عظمة الله وجلاله ومن أنت واقف بين يديه واستحي من أن ينظر الله إلى قلبك وهو غافل عنه فيحضر بذلك قلبه وتخشع جوارحه ويظن أن ذلك عين الإخلاص وهو عين المكر والخداع فإن خشوعه لو كان لنظره إلى جلاله لكانت هذه الخطرة تلازمه في الخلوة ولكان لا يختص حضورها

حالة حضور غيره وعلامة الامن من هذه الآفة ان يكون هذا الخاطر مما يألفه في الخلوة كما يألفه في الملاء ولا يكون حضور الغير
هو السبب في حضور الخاطر كما لا يكون حضور بهيمة سببًا فما دام يفرق في احواله بين مشاهدة انسان ومشاهدة بهيمة فهو
بعد خارج عن صفو الاخلاص مدنس الباطن بالشرك الخفي من الريا وهذا الشرك اخفى في قلب ابن آدم من دبيب النملة
السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء كما ورد به الخبر ولا يسلم من الشيطان الا من دق نظره وسعد بعصمة الله تعالى
وتوفيقه وهدايته والا فالشيطان ملازم للمتشمرين لعبادة الله لا يغفل عنهم لحظة حتى يحملهم على الريا في كل حركة من
الحركات حتى في كحل العين وقص الشارب وطيب يوم الجمعة ولبس الثياب فان هذه سنن في اوقات مخصوصة وللنفس
فيها حظ خفي لارتباط نظر الخلق بها ولاستيناس الطبع بها فيدعو الشيطان الى فعل ذلك ويقول هذه سنة لا ينبغي
ان تتركها ويكون انبعاث الباطن بها لاجل تلك الشهوات الخفية او مشوبة بها شوبا يخرج من حد الاخلاص بسببه وما
لا يسلم عن هذه الآفات كلها فليس بخالص بل من يعتكف في مسجد معمور نظيف حسن العمارة يانس الطبع به فالشيطان
يرغبه فيه ويكثر عليه من فضائل الاعتكاف وقد يكون المحرك الخفي في سره هو الانس بحسن صورة المسجد واستراحة
الطبع به ويتبين ذلك في ميله الى احد المسجدين او احد الموضعين اذا كان احسن من الآخر وكل ذلك امتزاج بشوائب الطبع و
كدورات النفس ومبطل حقيقة الاخلاص لعمري الغش الذي يمزج بخالص الذهب له درجات متفاوتة فمنها ما يغلب ومنها
ما يقل ولكن يسهل دركه ومنها ما يدق بحيث لا يدركه الا الناقد البصير وغش القلب ودغل الشيطان وخبث النفس اغمض
من ذلك وادق كثيرا ولهذا قيل ركعتان من عالم افضل من عبادة سنة من جاهل واريد به العالم البصير بدقائق آفات الاعمال
حتى يخلص منها فان الجاهل نظره الى ظاهر العبادة واغتراره بها كنظر السوادي الى حمرة الدينار المموه واستدارته وهو مزيف
في نفسه وقيراط من الخالص الذي يرتضيه الناقد خير من دينار يرتضيه الغر الغبي فهكذا يتفاوت امر العبادات بل اشد واعظم
ومداخل الآفات المتطرقة الى فنون الاعمال لا يمكن حصرها واحصاؤها فلينتفع بما ذكرناه مثالا والفطن تغنيه القليل عن الكثير
والبليد لا يغنيه التطويل فلا فائدة في التفصيل **بيان** حكم العمل المشوب في استحقاق الثواب اعلم ان العمل اذا لم يكن
خالصا لوجه الله بل امتزج به شوب من الريا او حظوظ النفس فقد اختلف في ان ذلك هل يقتضي ثوابا ام يقتضي عقابا ام لا
يقتضي شيا اصلا فلا يكون لا له ولا عليه اما الذي لم يرد به الا الريا فهو عليه قطعا وهو سبب المقت والعقاب واما الخالص
لوجه الله فهو سبب الثواب وانما النظر في المشوب وظاهر الاخبار انه لا ثواب له وليس تخلو الاخبار عن تعارض فيه والذي
ينقدح لنا فيه والعلم عند الله ان ينظر الى قدر قوة البواعث فان كان الباعث الديني مساويا للباعث النفسي تقاوما وتساقطا
فصار العمل لا له ولا عليه وان كان باعث الريا اغلب واقوى فهو ليس بنافع بل هو مع ذلك مضر ومقتض للعقاب نعم العقاب
الذي فيه اخف من عقاب العمل الذي تجرد للريا ولم يمتزج به شائبة التقرب وان كان قصد التقرب اغلب واقوى
بالاضافة الى الباعث الآخر فله ثواب بقدر ما فضل من قوة الباعث الديني وهذا لقوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره
ولقوله تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة فلا ينبغي ان يضيع قصد الخير بل ان كان غالبا على قصد الريا حبط منه القدر الذي
يساويه وبقيت زيادة وان كان مغلوبا سقط بسببه شي من عقوبة القصد الفاسد وكشف الغطاء عن هذا ان الاعمال تأثيرها في
القلوب بتأكيد صفاتها فداعية الريا من المهلكات وانما غذاء هذا المهلك وقوته العمل على وفقها فاذا اجتمعت الصفتان
في القلب فهما متضادتان فاذا عمل على وفق مقتضى الريا فقد قوى تلك الصفة واذا كان ذلك العمل على وفق مقتضى التقرب

فقد قوى ايضا تلك الصفة واحديهما مهلكة والاخرى منجية فان كان تقوية هذا بقدر تقوية الآخر فقد تقاوما
وكان كالمستضر بالحرارة اذا تناول ما يضره ثم تناول من المبردات ما يقاوم قدر قوته فيكون بعد تناولهما كانه لم يتناولهما
وان كان احدهما غالبا لم يخل الغالب عن اثر فكما لا يضيع مثقال ذرة من الطعام والشراب والادوية ولا ينفك عن اثر في الجسد
بحكم سنة الله تعالى فكذلك لا يضيع مثقال ذرة من الخير والشر ولا ينفك عن تاثير في انارة القلب وتسويده وفي تقريبه من الله
او ابعاده فاذا جاء بما يقربه شبرا مع ما يبعده شبرا فقد عاد الى ما كان فلم يكن لا له ولا عليه وان كان الفعل مما يقربه شبرين والآخر
يبعده شبرا واحدا فضل له لا محالة شبر وقد قال صلى الله عليه وسلم اتبع السيئة الحسنة تمحها فاذا كان الريا المحض يمحوها
الاخلاص المحض عقيبها فاذا اجتمعا جميعا فلا بد ان يتدافعا بالضرورة ويشهد لهذا اجماع الامة على ان من خرج حاجا ومعه
تجارة صح حجه واثيب عليه وقد امتزج به حظ من حظوظ النفس نعم يمكن ان يقال انما يثاب على اعمال الحج عند انتهائه الى مكة وتجارته
غير موقوفة عليه فهو خالص وانما المشترك طول المسافة ولا ثواب فيه مهما قصد التجارة ولكن الصواب ان يقال مهما كان الحج هو المحرك
الاصلي وكان غرض التجارة كالمعين والتابع فلا ينفك نفس السفر عن ثواب وما عندي ان الغزاة لا يدركون في انفسهم تفرقة بين
غزو الكفار في جهة تكثر فيها الغنائم وبين جهة لا غنيمة فيها ويبعد ان يقال ادراك هذه التفرقة يحبط بالكلية ثواب جهادهم
بل العدل ان يقال اذا كان الباعث الاصلي والمزعج القوي هو اعلاء كلمة الله وانما الرغبة في الغنيمة على سبيل التبعية فلا يحبط به
الثواب نعم لا يساوي ثوابه ثواب من لا يلتفت الى الغنيمة اصلا فان هذا الالتفات نقصان لا محالة فان قلت فالآيات والاخبار
تدل على ان شوب الريا محبط للثواب وفي معناه شوب طلب الغنيمة والتجارة وسائر الحظوظ فقد روى طاوس وغيره من التابعين
ان رجلا سال النبي صلى الله عليه وسلم عمن يصطنع المعروف او قال يتصدق فيحب ان يحمد ويوجر فلم يدر ما يقول له حتى نزلت
قوله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا وقد قصد الاجر والحمد جميعا وروى معاذ انه
صلى الله عليه وسلم قال ادنى الريا شرك وقال ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم يقال لمن اشرك في عمله خذ اجرك ممن عملت له
وعن عبادة ان الله عز وجل يقول انا اغنى الاغنياء عن الشرك من عمل لي عملا فاشرك معي غيري ودعته لشريكي وروى ابو موسى
ان اعرابيا اتاه فقال له يا رسول الله الرجل يقاتل حمية والرجل يقاتل شجاعة والرجل يقاتل ليرى مكانه في سبيل الله فقال
صلى الله عليه وسلم من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله وقال عمر تقولون فلان شهيد ولعله ان يكون قد ملا
دفتي راحلته ورقا وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من هاجر يبتغي شيا من الدنيا فهو له فنقول هذه
الاحاديث لا تناقض ما ذكرناه بل المراد بها من لم يرد بذلك الا الدنيا كقوله من هاجر يبتغي شيا من الدنيا فهو له وكان ذلك
هو الاغلب على همه وقد ذكرنا ان ذلك عصيان وعدوان لا لان طلب الدنيا حرام ولكن طلبها باعمال الدين حرام لما فيه
من الريا وتغيير العبادة عن وضعها واما لفظ الشركة حيث ورد فمطلقه للتساوي وقد بينا انه اذا تساوى القصدان تقاوما
ولم يكن له ولا عليه فلا ينبغي ان يرجى عليه ثواب ثم الانسان عند الشركة ابدا في خطر فانه لا يدري اي الامرين اغلب على قصده فربما
يكون عليه وبالا ولذلك قال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا اي لا يرجى اللقاء مع الشركة التي هي احسن احوالها
التساقط ويجوز ان يقال ايضا منصب الشهادة لا ينال الا بالاخلاص في الغزو وبعيد ان يقال من كانت داعيته الدينية
بحيث تزعجه الى مجرد الغزو وان لم يكن غنيمة وقدر على غزو طائفتين من الكفار احدهما اغنياء والاخرى فقراء فمال
الى جهة الاغنياء لاعلاء كلمة الله وللغنيمة انه لا ثواب له على غزوه البتة ونعوذ بالله ان يكون الامر كذلك فان هذا حرج

في الدين ومدخل اليأس على المسلمين لان امثال هذه الشوائب النافعة قط لا ينفك الانسان منها الا على الندور فيكون
تأثيرها في نقصان الثواب فاما ان يكون في احباطه فلا نعم الانسان فيه على خطر عظيم لانه ربما يظن ان الباعث الاقوى
هو قصد التقرب ويكون الاغلب على سره الحظ النفسي وذلك مما يخفى غاية الخفاء فلا يحصل الاجر الا بالاخلاص والاخلاص
قلما يستيقنه العبد من نفسه وان بالغ في الاحتياط فلذلك ينبغي ان يكون ابدا بعد كمال الاجتهاد مترددا بين الرد
والقبول خائفا ان يكون في عبادته آفة يكون وبالها اكثر من ثوابها وهكذا كان الخائفون من ذوي البصائر وهكذا ينبغي ان
تكون كل ذي بصيرة ولذلك قال سفيان لا اعتد بما ظهر من عملي وقال عبد العزيز بن ابي رواد جاورت هذا البيت ستين سنة
وحججت ستين حجة فما دخلت في شيء من اعمال البر الا وحاسبت نفسي فوجدت نصيب الشيطان اوفى من نصيب الله ليته
لا لي ولا علي ومع هذا فلا ينبغي ان يترك العمل عند خوف الآفة والرياء فان ذلك منتهى بغية الشيطان منه اذ المقصود ان لا يفوت

الاخلاص ومهما ترك العمل فقد ضيع الاخلاص والعمل جميعا وقد حكي ان بعض الفقراء كان يخدم ابا سعيد الخراز ويخف في اعماله فتكلم ابو سعيد
يوما في الاخلاص فاخذ الفقير يتفقد قلبه عند كل حركة ويطالبه بالاخلاص فيتعذر عليه قضاء الحوائج واستضر الشيخ بذلك فسأله
عن ذلك فاخبره مطالبته نفسه بحقيقة الاخلاص وانه يعجز عنها في اكثر اعماله فيتركها فقال ابو سعيد لا تفعل ان الاخلاص
لا يقطع المعاملة فواظب على العمل واجتهد في تحصيل الاخلاص فما قلت لك اترك العمل وانما قلت اخلص العمل وقد قال
الفضيل ترك العمل بسبب الخلق رياء وفعله لاجل الخلق شرك

الباب الثالث في الصدق وحقيقته وفضيلته

فضيلة الصدق قال الله تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الصدق
يهدي الى البر والبر يهدي الى الجنة وان الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا وان الكذب يهدي الى الفجور وان الفجور يهدي
الى النار وان الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا ويكفي في فضيلة الصدق ان الصديق مشتق منه والله تعالى وصف به الانبياء
في معرض المدح والثناء فقال واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا وقال واذكر في الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا
وقال واذكر في الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا وقال ابن عباس رضي الله عنهما اربع من كن فيه فقد ربح الصدق والحياء وحسن
الخلق والشكر وقال بشر بن الحارث من عامل الله بالصدق استوحش من الناس وقال ابو عبد الله الرملي رأيت منصور الدينوري
في المنام فقلت له ما فعل الله بك قال غفر لي ورحمني واعطاني ما لم اؤمل فقلت له احسن ما توجه العبد به الى الله تعالى ماذا
قال الصدق واقبح ما توجه به الكذب وقال ابو سليمان اجعل الصدق مطيتك والحق سيفك والله تعالى غاية طلبتك وقال
رجل لحكيم ما رأيت صادقا فقال لو كنت صادقا لعرفت الصادقين وعن محمد بن علي الكتاني قال وجدنا دين الله تعالى مبنيا
على ثلاثة اركان على الحق والصدق والعدل فالحق على الجوارح والعدل على القلوب والصدق على العقول وقال الثوري في قوله
تعالى ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة قال هم الذين ادعوا محبة الله تعالى ولم يكونوا بها صادقين و
اوحى الله تعالى الى داود صلى الله عليه وسلم يا داود من صدقني في سريرته صدقته عند المخلوقين في علانيته وصاح رجل في مجلس
الشبلي ورمى نفسه في الدجلة فقال ان كان صادقا فالله ينجيه كما نجى موسى عليه السلام وان كان كاذبا فالله يغرقه كما غرق
فرعون وقال بعضهم اجمع الفقهاء والعلماء على ثلاث خصال انها اذا صحت ففيها النجاة ولا يتم بعضها الا ببعض الاسلام الخالص
عن البدعة والهوى والصدق لله تعالى في الاعمال وطيب المطعم وقال وهب بن منبه وجدت على حاشية التوراة اثنين وعشرين
حرفا كان صلحاء بني اسرائيل يجتمعون فيقرؤنها لا كنز انفع من العلم ولا مال اربح من الحلم ولا حسب اوضع من الغضب ولا قرين
ازين من العمل ولا رفيق اشين من الجهل ولا شرف اعز من التقوى ولا كرم اوفى من ترك الهوى ولا عمل افضل من الفكر
ولا حسنة اعلى من الصبر ولا سيئة اخزى من الكبر ولا دواء الين من الرفق ولا داء اوجع من الخرق ولا رسول اعدل من الحق ولا
دليل انصح من الصدق ولا فقر اذل من الطمع ولا غنى اشقى من الجمع ولا حياة اطيب من الصحة ولا معيشة اهنى من العفة ولا عبادة احسن
من الخشوع ولا زهد خير من القنوع ولا حارس احفظ من الصمت ولا غائب اقرب من الموت وقال محمد بن سعيد المروزي اذا طلبت
الله بالصدق افادك الله تعالى مرآة بيدك حتى تبصر كل شيء من عجائب الدنيا والآخرة وقال ابو بكر الوراق احفظ الصدق فيما
بينك وبين الله والرفق فيما بينك وبين خلق الله تعالى وقيل لذي النون هل للعبد الى صلاح اموره سبيل فقال اجد الله قد بقينا
مذنبين حيارى نطلب الصدق وما اليه سبيل فدعاوي الهوى تخف علينا وخلاف الهوى علينا ثقيل وقيل لسهل ما اصل هذا
الامر الذي نحن عليه فقال الصدق والسخاء والشجاعة فقيل زدنا فقال التقى والحياء وطيب الغذاء وعن ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم
سئل عن الكمال فقال قول الحق والعمل بالصدق وعن الجنيد في قوله تعالى ليسأل الصادقين عن صدقهم قال يسأل الصادقين عند
انفسهم عن صدقهم عند ربهم وهذا امر على خطر

بيان حقيقة الصدق ومعناه ومراتبه اعلم ان لفظ الصدق يستعمل
في ستة معان صدق في القول وصدق في النية والارادة وصدق في العزم وصدق في الوفاء بالعزم وصدق في العمل وصدق في
تحقيق مقامات الدين كلها فمن اتصف بالصدق في جميع ذلك فهو صديق لانه مبالغة من الصدق ثم هم ايضا على درجات فمن كان
له حظ من الصدق في شيء من الجملة فهو صادق بالاضافة الى ما فيه صدقه الصدق الاول صدق اللسان وذلك لا يكون
الا في الاخبار او فيما يتضمن الاخبار وينبه عليه والخبر اما ان يتعلق بالماضي او بالمستقبل وفيه يدخل الوفاء بالعهد والوعد
والخلف فيه وحق على كل عبد ان يحفظ الفاظه فلا يتكلم الا بالصدق وهذا هو اشهر انواع الصدق واظهره فمن حفظ لسانه عن
الاخبار عن الاشياء على خلاف ما هي عليه فهو صادق ولكن لهذا الصدق كمالان احدهما الاحتراز عن المعاريض فقد قيل في المعاريض
مندوحة عن الكذب وذلك لانها تقوم مقام الكذب اذ المحذور من الكذب تفهيم الشيء على خلاف ما هو عليه في نفسه الا ان ذلك
مما تمس اليه الحاجة وتقتضيه المصلحة في بعض الاحوال وفي تأديب الصبيان والنسوان ومن يجري مجراهم وفي الحذر عن الظلمة
وفي قتال الاعداء والاحتراز عن اطلاعهم على اسرار الملك فمن اضطر الى شيء من ذلك فصدقه فيه ان يكون نطقه فيه لله تعالى
فيما يأمره به الحق ويقتضيه الدين فاذا نطق به فهو صادق وان كان كلامه مفهما غير ما هو عليه لان الصدق ما اريد لذاته بل للدلالة على
الحق والدعاء اليه فلا ينظر الى صورته بل الى معناه نعم في مثل هذا الموضع ينبغي ان يعدل الى المعاريض ما وجد اليه سبيلا كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا توجه الى سفر ورى بغيره وذلك لكيلا ينتهي الخبر الى الاعداء فيقصد وليس هذا من الكذب في شيء قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بكذاب من اصلح بين اثنين فقال خيرا او نمى خيرا ورخص في النطق على وفق المصلحة في ثلاث من اصلح بين اثنين
ومن كان له زوجتان ومن كان في مصالح الحرب والصدق ههنا يتحول الى النية فلا يراعى فيه الا صدق النية وارادة الخير فمهما
صح قصده وصدقت نيته وتجردت للخير ارادته كان صادقا وصديقا كيفما كان لفظه ثم التعريض فيه اولى وطريقه ما حكي عن بعضهم
انه كان يطلبه بعض الظلمة وهو في داره فقال لزوجته خطي باصبعك دائرة وضعي الاصبع عليها وقولي ليس ههنا واحترز بذلك
عن الكذب ودفع الظالم عن نفسه فكان قوله صدقا وافهم الظالم انه ليس في الدار فالكمال الاول في اللفظ ان يحترز عن صريح
اللفظ وعن المعاريض ايضا الا عند الضرورة والكمال الثاني ان يراعي معنى الصدق في الفاظه التي يناجي بها ربه كقوله وجهت
وجهي للذي فطر السموات والارض فان قلبه ان كان منصرفا عن الله مشغولا بامانى الدنيا وشهواته فهو كاذب وكقوله اياك نعبد

وقوله انا عبد الله فانه اذا لم يتصف بحقيقة العبودية وكان له مطلب سوى الله تعالى لم يكن كلامه صدقا ولو طولب به يوم القيمة بالصدق في قوله انا عبد الله لعجز عن تحقيقه فانه ان كان عبدا لنفسه او عبدا للدنيا او عبدا لشهواته لم يكن صادقا في قوله وكل ما تقيد العبد به فهو عبد له كما قال عيسى عليه السلم يا عبيد الدنيا وقال نبينا صلى الله عليه وسلم تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم وعبد الحلة وعبد الخميصة تسمى كل من تقيد قلبه بشئ عبدا له وانما العبد الحق لله من اعتق اولا عن غير الله تعالى فصار حرا مطلقا فاذا تقدمت هذه الحرية صار القلب فارغا فحلت فيه العبودية لله فتشغله بالله ومحبته وتقيد باطنه وظاهره بطاعته فلا يكون له مراد الا الله تعالى ثم قد يجاوز هذا الى مقام اسنى منه تسمى الحرية وهو ان يعتق ايضا عن ارادته لله من حيث هو هو بل يقنع بما يريد الله له من تقريب او ابعاد فتفنى ارادته في ارادة الله وهذا عبد عتق عن غير الله فصار حرا ثم عاد وعتق عن نفسه فصار حرا وصار مفقودا لنفسه موجودا لسيده ومولاه ان حركه تحرك وان سكنه سكن وان ابتلاه رضي لم يبق فيه متسع لطلب والتماس واعتراض بل هو بين يدي الله كالميت بين يدي الغاسل وهذا منتهى الصدق في العبودية فالعبد الحق هو الذي وجوده لمولاه لا لنفسه وهذه درجات الصديقين واما الحرية عن غير الله فدرجات الصادقين وبعدها تحقق العبودية لله وما قبل هذا فلا يستحق صاحبه ان يسمى صادقا ولا صديقا فهذا هو معنى الصدق في القول ٥ الصدق الثاني في النية والارادة ويرجع ذلك الى الاخلاص وهو ان يكون لا باعث له في الحركات والسكنات الا الله تعالى فان مازجه شوب من حظوظ النفس بطل صدق النية وصاحبه يجوز ان يسمى كاذبا كما رويناه في فضيلة الاخلاص من حديث الثلثة حتى يسئل العالم ما ذا عملت فيما علمت فقال فعلت كذا وكذا فقال الله كذبت بل اردت ان يقال فلان عالم فانه لم يكذبه ولم يقل له لم تعمل ولكن كذبه في ارادته ونيته وقد قال بعضهم الصدق صحة التوجه في القصد ولذلك قال الله تعالى والله يشهد ان المنافقين لكاذبون وقد قالوا انك لرسول الله وهذا صدق ولكن كذبهم لا من حيث نطق اللسان بل من حيث القلب وكان التكذيب يتطرق الى الخبر وهذا القول يتضمن اخبارا بقرينة الحال اذ صاحبه يظهر من نفسه انه يعتقد ما يقوله فكذب في دلالته بقرينة الحال على ما في قلبه فانه كذب في ذلك وانه لم يكذب فيما تلفظ به فيرجع احد معاني الصدق الى خلوص النية وهو الاخلاص فكل صادق فلا بد ان يكون مخلصا ٥ الصدق الثالث صدق العزم فان الانسان قد يقدم العزم على العمل فيقول في نفسه ان رزقني الله مالا تصدقت بجميعه او بشطره او لقيت عدوا في سبيل الله قاتلت ولم ابال وان قتلت وان اعطاني الله ولاية عدلت فيها ولم اعص الله تعالى بظلم وميل الى الخلق فهذه العزيمة قد يصادفها من نفسه وهي عزيمة جازمة صادقة وقد يكون في عزمه نوع ميل وتردد وضعف يضاد الصدق في العزيمة وكان الصدق هنا عبارة عن التمام والقوة كما يقال لفلان شهوة صادقة ويقال هذا المريض شهوته كاذبة مهما لم تكن شهوته عن سبب ثابت قوي او كانت ضعيفة فقد يطلق الصدق ويراد به هذا المعنى فالصادق والصديق هو الذي تصادف عزيمته في الخيرات كلها قوية تامة ليس فيها ميل ولا ضعف ولا تردد بل تسخو نفسه ابدا بالعزم المصمم الجازم على الخيرات وهو كما قال عمر رضي الله عنه لان اقدم فتضرب عنقي احب الي من ان اتامر على قوم فيهم ابو بكر رضي الله عنه فانه قد وجد من نفسه العزم الجازم والمحبة الصادقة بانه لا يتامر مع وجود ابي بكر رضي الله عنه فانه قد وجد من نفسه العزم الجازم في واكد ذلك بما ذكره من القتل ومراتب الصديقين في العزائم تختلف فقد يصادف العزم ولا ينتهي به الى ان يرضى بالقتل فيه ولكن اذا خلي ورايه لم يتقدم ولو ذكر له حديث القتل لا ينقض عزمه بل في الصادقين والمؤمنين من لو خير بين ان يقتل هو او

ابو بكر كان حيوته احب اليه من حيوة ابي بكر ٥ الصدق الرابع في الوفا بالعزم فان النفس قد تسخو بالعزم في الحال اذ لا مشقة في الوعد والعزم والمؤنة فيه خفيفة فاذا حقت الحقائق وحصل التمكن وهاجت الشهوات انحلت العزيمة وغلبت الشهوة ولم يتفق الوفا بالعزم وهذا يضاد الصدق فيه ولذلك قال الله تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فقد روي عن انس ان عمه انس بن النضر لم يشهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فشق ذلك على قلبه وقال اول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم غبت عنه اما والله لئن اراني الله مشهدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرين الله ما اصنع فشهد احدا من العام القابل فاستقبله سعد بن معاذ فقال يا ابا عمرو الى اين فقال الى الجنة اني اجد ريحها وراء احد فقاتل حتى قتل فوجد في جسده بضع وثمانون من بين رمية وضربة وطعنة فقالت بنت النضر اخته ما عرفت اخي الا ببنانه ونزلت هذه الاية رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ووقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على مصعب بن عمير وقد سقط على وجهه يوم احد شهيدا وكان صاحب لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وقال فضالة بن عبيد سمعت عمر بن الخطاب يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم الشهداء اربعة رجل مؤمن جيد الايمان لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذلك الذي يرفع الناس اليه اعينهم يوم القيمة هكذا ورفع راسه حتى وقعت قلنسوته قال الراوي فلا ادري قلنسوة عمر او قلنسوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجل جيد الايمان اذا لقي العدو فكانما يضرب وجهه بشوك الطلح اتاه سهم غرب فقتله فهو في الدرجة الثانية ورجل مؤمن خلط عملا صالحا وآخر سيئا لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذلك في الدرجة الثالثة وقال مجاهد رجلان خرجا على ملاء من الناس قعود فقالا ان رزقنا الله مالا لنصدقن فبخلوا به فنزلت ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين وقال بعضهم انما هو شيء نووه في انفسهم لم يتكلموا به فقال ومنهم من عاهد الله فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون فجعل العزم عهدا وجعل الخلف فيه كذبا والوفا به صدقا وهذا الصدق اشد من الصدق الثالث فان النفس قد تسخو بالعزم ثم تكيع عند الوفا لشدته عليها ولهيجان الشهوات عند التمكن وحصول الاسباب ولذلك استثنى عمر رضي الله عنه فقال لان اقدم فاضرب عنقي احب الي من ان اتامر على قوم فيهم ابو بكر اللهم الا ان تسول لي نفسي عند القتل شيئا لا اجده الان لاني لا آمن ان يثقل عليها ذلك فتتغير عن عزمها اشار بذلك الى شدة الوفا بالعزم فقال ابو سعيد الخراز رايت في المنام كان ملكين نزلا من السماء فقالا لي ما الصدق قلت الوفا بالعهد فقالا صدقت وعرجا الى السماء ٥ الصدق الخامس في الاعمال وهو ان يجتهد حتى لا تدل اعماله الظاهرة على امر في باطنه لا يتصف هو به لا بان يترك الاعمال ولكن بان يستجر الباطن الى تصديق الظاهر وهذا يخالف ما ذكرنا من ترك الريا لان المرائي هو الذي يقصد ذلك ورب واقف على هيئة الخشوع في صلوته ليس يقصد به مشاهدة غيره ولكن قلبه غافل عن الصلوة فمن ينظر اليه يراه قائما بين يدي الله تعالى وهو بالباطن قائم في السوق بين يدي شهوة من شهواته فهذه احوال تعرب بلسان الحال عن الباطن اعرابا هو فيه كاذب وهو مطالب بالصدق في الاعمال فكذلك قد يمشي الرجل على هيئة السكون والوقار وليس باطنه موصوفا بذلك الوقار فهذا غير صادق في عمله وان لم يكن ملتفتا الى الخلق ولا مرائيا اياهم ولا ينجي عن هذا الا باستواء السريرة والعلانية بان يكون باطنه مثل ظاهره او خيرا من ظاهره ومن خيفة ذلك اختار بعضهم تشويش الظاهر ولبس ثياب الاشرار

كيلا يظن به الخير بسبب ظاهره فيكون كاذبا في دلالة الظاهر على الباطن فاذن مخالفة الظاهر للباطن ان كان عن قصد
سمي رياء ويفوت به الاخلاص وان كان عن غير قصد فيفوت به الصدق ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل سريرتي
خيرا من علانيتي واجعل علانيتي صالحة وقال يزيد بن الحارث اذا استوت سريرة العبد وعلانيته فذلك النصف وان كانت سريرته افضل
من علانيته فذلك الفضل وان كان علانيته افضل من سريرته فذلك الجور وانشدوا اذا السر والاعلان في المؤمن استوى
فقد عز في الدارين واستوجب الثناء فان خالف الاعلان سرا فما له على سعيه فضل سوى الكد والعناء كما خالص الدينار
في السوق نافق ومغشوشه المردود لا يقتضي الثنا وقال عطية بن عبد الغافر اذا وافقت سريرة المؤمن علانيته باهى الله
به الملائكة يقول هذا عبدي حقا وقال معاوية بن قرة من يدلني على بكاء بالليل بسام بالنهار وقال عبد الواحد كان الحسن
اذا امر بشيء كان من اعمل الناس به واذا نهى عن شيء كان من اترك الناس له ولم ار احدا قط اشبه سريرة بعلانية منه
وكان ابو عبد الرحمن الزاهد يقول الهي عاملت الناس فيما بيني وبينهم بالامانة وعاملتك فيما بيني وبينك بالخيانة ويبكي
وقال ابو يعقوب النهرجوري الصدق موافقة الحق في السر والعلانية فاذن مساواة السريرة للعلانية احد انواع الصدق
الصدق السادس وهو اعلى الدرجات واعزها الصدق في مقامات الدين كالصدق في الخوف والرجاء والتعظيم والزهد
والرضا والحب والتوكل وسائر هذه الامور فان هذه الامور لها مبادئ ينطلق الاسم بظهورها ثم لها غايات وحقائق و
الصادق المحقق من نال حقيقتها واذا غلب الشيء وتمت حقيقته سمي صاحبه صادقا فيه كما يقال فلان صدق القتال ويقال
هذا هو الخوف الصادق وهذه هي الشهوة الصادقة وقال تعالى انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا الى قوله
اولئك هم الصادقون وقال تعالى ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والصابرين في البأساء والضراء الى قوله اولئك
الذين صدقوا وسئل ابو ذر عن الايمان فقرأ هذه الآية فقيل له سألناك عن الايمان فقال سألت رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن الايمان فقرأ هذه الآية ولنضرب للخوف مثلا فما من عبد يؤمن بالله واليوم الآخر الا وهو خائف من الله خوفا ينطلق عليه الاسم
ولكنه خوف غير صادق اي غير بالغ درجة الحقيقة اما تراه اذا خاف سلطانا او قاطع طريق في سفره كيف يصفر لونه وترتعد
فرائصه ويتنغص عليه عيشه ويتعذر عليه اكله ونومه وينقسم عليه فكره حتى لا ينتفع به اهله وولده وقد ينزعج عن
الوطن ويستبدل بالانس الوحشة وبالراحة التعب والمشقة والتعرض للاخطار كل ذلك خوفا من درك المحذور ثم انه يخاف
النار ولا يظهر عليه شيء من ذلك عند جريان معصية الله عليه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لم ار مثل النار نام هاربها
ولم ار مثل الجنة نام طالبها والتحقيق في هذه الامور عزيز جدا ولا غاية لهذه المقامات حتى ينال تمامها ولكن لكل عبد منه حظ
بحسب حاله اما ضعيف واما قوي فاذا قوي سمي صادقا فيه فمعرفة الله تعالى وتعظيمه والخوف منه لا نهاية له ولذلك
قال صلى الله عليه وسلم لجبرئيل احب ان اراك في صورتك التي هي صورتك فقال لا تطيق ذلك قال بلى ارني قال فواعده
البقيع في ليلة مقمرة فاتاه فنظر اليه النبي صلى الله عليه وسلم فاذا هو به قد سد الافق يعني جوانب السماء فوقع مغشيا عليه
فما افاق وقد عاد جبرئيل لصورته الاولى فقال صلى الله عليه وسلم ما ظننت ان احدا من خلق الله هكذا قال وكيف لو رأيت اسرافيل
ان العرش لعلى كاهله وان رجليه قد مرقتا تخوم الارضين السفلى وانه ليتصاغر من عظمة الله تعالى حتى يصير كالوصع يعني
كالعصفور الصغير فانظر ما الذي يغشاه من العظمة والهيبة حتى يرجع الى ذلك الحد وسائر الملائكة ليسوا كذلك لتفاوتهم
في المعرفة فهذا هو الصدق في التعظيم وقال جابر قال صلى الله عليه وسلم مررت ليلة اسري بي وجبرئيل بالملأ الاعلى

كالحلس البالي من خشية الله يعني الكساء التي تلقى على ظهر البعير وكذلك الصحابة رضي الله عنهم كانوا خائفين وما كانوا
بلغوا خوف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولذلك قال ابن عمر لن يبلغ حقيقة الايمان حتى ينظر الى الناس كلهم حمقى في دين الله
وقال مطرف ما من الناس احد الا وهو احمق فيما بينه وبين ربه الا ان بعض الحمق اهون من بعض وقال صلى الله عليه وسلم لا يبلغ عبد
حقيقة الايمان حتى ينظر الى الناس كالاباعر في جنب الله ثم يرجع الى نفسه فيجدها احقر حاقر فالصادق اذن في جميع
المقامات عزيز ثم درجات الصدق لا نهاية لها وقد يكون للعبد صدق في بعض الامور دون بعض فان كان صادقا في الجميع
فهو الصديق حقا قال سعد بن معاذ ثلثة انا فيهن قوي وما سواهن ضعيف ما صليت صلوة منذ اسلمت فحدثت نفسي
حتى افرغ منها ولا شيعت جنازة فحدثت نفسي بغير ما هي قائلة وما هو مقول لها حتى يفرغ من دفنها وما سمعت النبي صلى الله عليه
وسلم يقول قولا الا علمت انه حق فقال ابن المسيب ما ظننت ان هذه الخصال تجتمع الا في النبي صلى الله عليه وسلم فهذا صدق
هذه الامور وكم من جلة الصحابة قد اداروا الصلوة واتبعوا الجنائز ولم يبلغوا هذا المبلغ فهذه هي درجات الصدق ومعانيه
والكلمات المأثورة عن المشايخ في حقيقة الصدق في الاغلب لا يتعرض الا لآحاد هذه المعاني نعم قد قال ابو بكر الوراق الصدق
ثلثة صدق التوحيد وصدق الطاعة وصدق المعرفة فصدق التوحيد لعامة المؤمنين قال الله تعالى والذين آمنوا
بالله ورسله اولئك هم الصديقون وصدق الطاعة لاهل العلم والورع وصدق المعرفة لاهل الولاية الذين هم اوتاد
الارض وكل هذا يدور على ما ذكرناه في الصدق ولكنه ذكر اقسام ما فيه الصدق وهو ايضا غير محيط بجميع الاقسام وقال
جعفر الصادق رضي الله عنه الصدق هو المجاهدة وان لا تختار على الله غير الله كما لم يختر عليك غيرك فقال تعالى هو اجتباكم

وقيل قد اوحى الله تعالى الى موسى عليه
السلام اذا احببت عبدا ابتليته فان وجدته
صابرا اتخذته وليا وحبيبا وان وجدته جزوعا
يشكوني الى خلقي خذلته ولم ابال فاذا
من علامات الصدق كتمان المصائب
والطاعات جميعا وكراهة اطلاع الخلق
عليه والله اعلم ثم كتاب
الصدق والاخلاص والحمد لله رب
العالمين اولا واخرا والصلوة والسلام
على محمد خير النبيين باطنا وظاهرا
وعلى آله واصحابه واتباعه وذريته
ويتلوه كتاب المراقبة والمحاسبة
من ربع المنجيات من ارباع كتاب احياء
علوم الدين رحم الله مؤلفه واسكنه
اعلى عليين مع النبيين والصديقين

كتاب المراقبة والمحاسبة وهو الثامن من ربع المنجيات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله القائم على كل نفس بما كسبت الرقيب على كل جارحة بما اجترحت المطلع على ضمائر القلوب اذا هجست الحسيب على خواطر عباده اذا اختلجت الذي لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات والارض تحركت او سكنت المحاسب على النقير والقطمير والقليل والكثير من الاعمال وان خفيت المتفضل بقبول طاعات العباد وان صغرت المتطول بالعفو عن معاصيهم وان كثرت وانما يحاسبهم لتعلم كل نفس ما احضرت وتنظر فيما قدمت واخرت فتعلم انه لولا لزومها للمراقبة والمحاسبة في الدنيا لشقيت في صعيد القيامة وهلكت وبعد المجاهدة والمحاسبة والمراقبة لولا فضل الله بقبول بضاعته المزجاة لخابت وخسرت فسبحان من عمت نعمته كافة العباد وشملت واستغرقت رحمته الخلائق في الدنيا والاخرة وغمرت فبنفحات فضله اتسعت القلوب للايمان وانشرحت وبيمن توفيقه تقيدت الجوارح بالعبادات وتأدبت وبحسن هدايته انجلت عن القلوب ظلمات الجهل وانقشعت وبتأييده ونصرته انقطعت مكائد الشيطان واندفعت وبلطف عنايته ترجح كفة الحسنات اذا ثقلت وبتيسيره تيسرت من الطاعات ما تيسرت فمنه العطاء والجزاء والابعاد والادناء والاسعاد والاشقاء والصلوة على محمد سيد الانبياء وعلى اله سادة الاصفياء واصحابه قادة الاتقياء وسلم كثيرا

اما بعد فقد قال الله تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيمة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين وقال تعالى ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصيها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا وقال تعالى يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا احصيه الله ونسوه والله على كل شيء شهيد وقال تعالى يومئذ يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وقال تعالى ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون وقال تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا ويحذركم الله نفسه وقال تعالى واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه فعرف ارباب البصائر من جملة العباد ان الله لهم بالمرصاد وانهم سيناقشون في الحساب ويحاسبون بمثاقيل الذر من الخطرات واللحظات وتحققوا انهم لا ينجيهم من هذه الاخطار الا لزوم المحاسبة وصدق المراقبة ومطالبة النفس في الحركات والسكنات ومحاسبتها في الخطرات واللحظات فمن حاسب نفسه قبل ان يحاسب خف في القيامة حسابه وحضر عند السؤال جوابه وحسن منقلبه ومآبه ومن لم يحاسب نفسه دامت حسراته وطالت في عرصات القيامة وقفاته وقادته الى الخزي والمقت سيئاته فلما انكشف لهم ذلك علموا انه لا ينجيهم منه الا طاعة الله وقد امرهم بالصبر والمرابطة فقال تعالى يا ايها الذين امنوا اصبروا وصابروا ورابطوا فرابطوا انفسهم اولا بالمشارطة ثم بالمراقبة

ثم بالمحاسبة ثم بالمعاقبة ثم بالمجاهدة ثم بالمعاتبة فكانت لهم في المرابطة ستة مقامات ولا بد من شرحها وبيان حقيقتها وفضيلتها وتفصيل الاعمال فيها واصلها المحاسبة ولكن كل حساب فبعد مشارطة ومراقبة ويتبعه عند الحساب معاتبة ومعاقبة فلنذكر شرح هذه المقامات

المقام الاول من المرابطة المشارطة اعلم ان مطلب المتعاملين في التجارات المشتركين في البضائع عند المحاسبة سلامة الربح وكما ان التاجر يستعين بشريكه فيسلم اليه المال حتى يتجر ثم يحاسبه فكذلك العقل هو التاجر في طريق الاخرة وانما مطلبه وربحه تزكية النفس اذ بذلك فلاحها قال الله تعالى قد افلح من زكيها وقد خاب من دسيها وانما فلاحها بالاعمال الصالحة والعقل يستعين بالنفس في هذه التجارة اذ يستعملها ويستسخرها فيما يزكيها كما يستعين التاجر بشريكه وغلامه الذي يتجر في ماله وكما ان الشريك يصير خصما منازعا يجاذبه في الربح فيحتاج الى ان يشارطه اولا ويراقبه ثانيا ويحاسبه ثالثا ويعاقبه او يعاتبه رابعا فكذلك العقل يحتاج الى مشارطة النفس اولا فيوظف عليها الوظائف ويشرط عليها الشروط ويرشدها الى طرق الفلاح ويجزم عليها الامر بسلوك تلك الطرق ثم لا يغفل عن مراقبتها لحظة فانه لو اهملها لم ير منها الا الخيانة وتضييع رأس المال كالعبد الخائن اذا خلي له الجو وانفرد بالمال ثم بعد الفراغ ينبغي ان يحاسبها ويطالبها بالوفاء بما شرط فان هذه تجارة ربحها الفردوس الاعلى وبلوغ سدرة المنتهى مع الانبياء والشهداء فتدقيق الحساب في هذا مع النفس اهم كثيرا من تدقيقه في ارباح الدنيا مع انها محتقرة بالاضافة الى نعيم العقبى ثم كيف كانت فمصيرها الى التصرم والانقضاء ولا خير في خير لا يدوم بل شر لا يدوم خير من خير لا يدوم لان الشر الذي لا يدوم اذا انقطع بقي الفرح بانقطاعه دائما وقد انقضى الشر والخير الذي لا يدوم يبقى الاسف على انقطاعه دائما وقد انقضى الخير ولذلك قيل اشد الغم عندي في سرور تيقن عنه صاحبه انتقالا فحتم على كل ذي حزم امن بالله واليوم الاخر ان لا يغفل عن محاسبة نفسه والتضييق عليها في حركاتها وسكناتها وخطراتها وخطواتها فان كل نفس من انفاس العمر جوهرة نفيسة لا عوض لها يمكن ان يشتري بها كنز من الكنوز لا يتناهى نعيمها ابد الاباد فانقضاء هذه الانفاس ضائعة او مصروفة الى ما يجلب الهلاك خسران عظيم هائل لا تسمح به نفس عاقل فاذا اصبح العبد وفرغ من فريضة الصبح ينبغي ان يفرغ القلب ساعة لمشارطة النفس كما ان التاجر عند تسليم البضاعة الى الشريك العامل يفرغ المجلس لمشارطته فيقول للنفس ما لي بضاعة الا العمر ومهما فني فقد فني رأس المال ووقع الياس عن التجارة وطلب الربح وهذا اليوم الجديد قد امهلني الله فيه وانسا في اجلي وانعم علي به ولو توفاني لكنت اتمنى انه يرجعني الى الدنيا يوما واحدا حتى اعمل فيه صالحا فاحسبي انك توفيت ثم رددت فاياك ثم اياك ان تضيعي هذا اليوم فان كل نفس من الانفاس جوهرة لا قيمة لها واعلمي ان اليوم والليلة اربع وعشرون ساعة وقد ورد في الخبر انه ينشر للعبد بكل يوم وليلة اربع وعشرون خزانة مصفوفة فيفتح له منها خزانة فيراها مملوة نورا من حسناته التي عملها في تلك الساعة فيناله من الفرح والسرور والاستبشار بمشاهدة تلك الانوار التي هي وسيلته عند الملك الجبار ما لو وزع على اهل النار لادهشهم ذلك الفرح عن الاحساس بالم النار ويفتح له خزانة اخرى سوداء مظلمة يفوح نتنها ويغشاه ظلامها وهي الساعة التي عصى الله فيها فيناله من الهول والفزع ما لو قسم على اهل الجنة لتنغص عليهم نعيمها ويفتح له خزانة اخرى فارغة ليس فيها ما يسره ولا ما يسوءه وهي الساعة التي نام فيها او غفل او اشتغل بشيء من مباحات الدنيا فيتحسر على خلوها ويناله من غبن ذلك ما ينال القادر على الربح الكثير والملك الكبير اذا اهمله وتساهل فيه حتى فاته وناهيك به حسرة وغبنا وهكذا يعرض عليه خزائن اوقاته طول عمره فيقول لنفسه اجتهدي في اليوم ان تعمري خزانتك ولا تدعيها فارغة عن كنوزك التي هي اسباب ملكك ولا تميلي الى الكسل والدعة والاستراحة فيفوتك من درجات عليين ما يدركه غيرك ويبقى عندك حسرة لا تفارقك وان دخلت الجنة فالم الغبن والحسرة لا يطاق وان كان

دونه الم النار وقد قال بعضهم هب ان المسيء قد عفي عنه أليس قد فاته ثواب المحسنين اشار به الى الغبن والحسرة وقد قال تعالى
يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن فهذه وصيته لنفسه في اوقاته ثم ليستأنف لها وصية في اعضائه السبعة العين
والأذن واللسان والبطن والفرج واليد والرجل ويسلمها اليها فانها رعايا خادمة له في التجارة وبها تتم اعمال هذه التجارة
وان لجهنم سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم وانما تتعين لتلك الابواب لمن عصى الله بهذه الاعضاء فيوصيها بحفظها عن معاصيها
اما العين فيحفظها عن النظر الى عورة مسلم بعين الاحتقار بل عن كل فضول مستغنى عنه فان الله تعالى يسأل عبده عن فضول
النظر كما يسأله عن فضول الكلام ثم اذا صرفها عن هذا لم يقنع به حتى يشغلها بما فيه تجارتها وربحها وهي التي خلقت له
من النظر الى عجائب صنع الله تعالى بعين الاعتبار والنظر الى اعمال الخير للاقتداء والنظر في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه
وسلم ومطالعة كتب الحكمة للاتعاظ والاستفادة وهكذا ينبغي ان يفصل عليه الامر في عضو عضو لا سيما اللسان والبطن اما اللسان
فلانه منطلق بالطبع ولا مؤنة عليه في الحركة وجنايته عظيمة بالغيبة والكذب والنميمة وتزكية النفس ومذمة الخلق والطعن
واللعن والدعاء على الاعداء والمماراة في الكلام وغير ذلك مما ذكرناه في آفات اللسان وهي بصدد ذلك كله مع انها خلقت
للذكر والتذكير وتكرار العلم والتعليم وارشاد عباد الله الى طريق الله واصلاح ذات البين وسائر خيراتها فليشترط على نفسه
ان لا يحرك اللسان طول نهاره الا في الذكر فنطق المؤمن ذكر ونظره عبرة وصمته فكرة وما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد
واما البطن فيكلفه ترك الشره وتقليل الاكل من الحلال واجتناب الشبهات ويمنعه عن الشهوات ويقتصر على قدر الضرورة ويشرط عليه
انها ان خالفت شيئا من ذلك عاقبه بالمنع عن شهوات البطن ليفوتها اكثر مما نالته بشهواته وهكذا يشرط عليه في جميع الاعضاء
واستقصاء ذلك يطول ولا تخفى معاصي الاعضاء وطاعاتها ثم يستأنف وصيتها في وظائف الطاعات التي تتكرر عليه في اليوم
والليلة ثم في النوافل التي يقدر عليها ويقدر على الاستكثار منها ويرتب لها تفصيلها وكيفيتها وكيفية الاستعداد لها
باسبابها وهذه شروط تفتقر اليها كل يوم ولكن اذا تعود الانسان شرط ذلك على نفسه اياما وطاوعته نفسه في الوفاء بجميعها
استغنى عن المشارطة فيها وان اطاع في بعضها بقيت الحاجة الى تجديد المشارطة فيما بقي ولكن لا يخلو كل يوم عن مهم جديد وواقعة
حادثة لها حكم جديد ولله عليه فيه حق ويكثر هذا على من يشتغل بشيء من اعمال الدنيا من ولاية او تجارة او تدريس اذ قل ما يخلو
يوم عن واقعة جديدة يحتاج الى ان يقضي حق الله سبحانه فيها فعليه ان يشترط على نفسه الاستقامة فيها والانقياد للحق في مجاريها
ويحذرها مغبة الاهمال ويعظها كما يوعظ العبد الآبق المتمرد فان النفس متمردة عن الطاعات مستعصية عن العبودية ولكن
الوعظ والتأديب يؤثر فيها فذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين فهذا وما يجري مجراه هو اول مقام المرابطة مع النفس وهي المحاسبة
قبل العمل والمحاسبة تارة تكون بعد العمل وتارة تكون قبله للتحذير قال تعالى واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه وهذا للمستقبل
وكل نظرة في كثرة ومقدار لمعرفة زيادة ونقصان فانه يسمى محاسبة فالنظر فيما بين يدي العبد في نهاره ليعرف زيادته من نقصانه
من المحاسبة وقد قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا وقال تعالى يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم
فاسق بنبأ فتبينوا وقال تعالى ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ذكر ذلك تحذيرا وتنبيها للاحتراز منه في المستقبل
وروى عبادة بن الصامت انه عليه الصلاة والسلام قال لرجل سأله ان يوصيه ويعظه اذا اردت امرا فتدبر عاقبته فان كان رشدا فامضه
وان كان غيا فانته عنه وقال بعض الحكماء اذا اردت ان يكون العقل غالبا للهوى فلا تعجل بقضاء الشهوة حتى تنظر العاقبة فان
مكث الندامة في القلب اكثر من مكث خفة الشهوة وقال لقمان ان المؤمن اذا ابصر العاقبة امن الندامة وروى شداد بن اوس عنه صلى الله

عليه وسلم انه قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواه وتمنى على الله ودان نفسها اي
حاسبها ويوم الدين هو يوم الحساب وقوله انا لمدينون اي لمحاسبون وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه حاسبوا قبل ان تحاسبوا
وزنوها قبل ان توزنوا وتهيئوا للعرض الاكبر وكتب الى ابي موسى الاشعري حاسب نفسك في الرخاء قبل حساب الشدة وقال لكعب
كيف تجدها في كتاب الله تعالى يعني التوراة قال ويل لديان الارض من ديان السماء فعلاه بالدرة وقال الا من حاسب نفسه فقال
فقال كعب والله يا امير المؤمنين انها الى جنبها في التوراة ما بينهما حرف الا من حاسب نفسه هذا كله اشارة الى المحاسبة للمستقبل
اذ قال دان نفسه وعمل لما بعد الموت ومعناه وزن الامور اولا وقدرها ونظر فيها وتدبرها ثم اقدم عليها فباشرها ٥

المرابطة الثانية المراقبة اذا اوصى الانسان نفسه وشرط عليها ما ذكرناه فلا يبقى الا المراقبة لها عند الخوض في الاعمال
وملاحظتها بالعين الكالئة فانها ان تركت طغت وفسدت ولنذكر فضيلة المراقبة ثم درجاتها اما الفضيلة فقد سأل جبريل
النبي صلى الله عليه وسلم عن الاحسان فقال هو ان تعبد الله كانك تراه وقال ايضا اعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه
يراك وقد قال تعالى افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت وقال تعالى الم يعلم بان الله يرى وقال تعالى ان الله كان عليكم رقيبا وقال
تعالى والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم بشهاداتهم قائمون وقال ابن المبارك لرجل راقب الله تعالى فسأله عن تفسيره
فقال كن ابدا كانك ترى الله عز وجل وقال عبد الواحد بن زيد اذا كان سيدي رقيبا علي فلا ابالي بغيره وقال ابو عثمان المغربي افضل
ما يلزم الانسان نفسه في هذه الطريقة المراقبة والمحاسبة وسياسة عمله بالعلم وقال ابن عطاء افضل الطاعات مراقبة الحق
على دوام الاوقات وقال الجريري امرنا هذا مبني على اصلين ان تلزم نفسك المراقبة لله عز وجل ويكون العلم على ظاهرك قائما
وقال ابو عثمان قال لي ابو حفص اذا جلست للناس فكن واعظا لنفسك وقلبك ولا يغرنك اجتماعهم عليك فانهم يراقبون
ظاهرك والله رقيب على باطنك وحكي انه كان لبعض المشايخ تلميذ شاب وكان يكرمه فقال له بعض اصحابه كيف تكرم هذا وهو شاب
ونحن شيوخ فدعا بعدة طيور وناول كل واحد منهم واحدا وسكينا وقال ليذبح كل واحد منكم طيره في موضع لا يراه احد ودفع الى الشاب
مثل ذلك وقال له ذبحه حيث لا يراك احد فرجع كل واحد بطيره مذبوحا ورجع الشاب والطير حي في يده فقال له الشيخ ما لك
لم تذبح وقد ذبح اصحابك فقال لم اجد موضعا لا يراني فيه احد اذ الله مطلع علي في كل مكان فاستحسنوا مراقبته وقالوا يحق
لك ان تكرمه وحكي ان زليخا لما خلت بيوسف قامت فغطت وجه صنمها فقال لها يوسف استحيين من مراقبة ولا استحيي من
مراقبة الملك الجبار وحكي عن بعض الاحداث انه راود جارية عن نفسها فقالت الا تستحيي قال ممن استحيي وما يرانا الا الكواكب
فقالت واين مكوكبها وقال رجل للجنيد بم استعين على غض البصر فقال بعلمك ان نظر الناظر اليك اسبق من نظرك الى المنظور اليه
وقال الجنيد انما يتحقق بالمراقبة من يخاف على فوت حظه من ربه عز وجل وعن مالك بن دينار قال جنات عدن من جنات الفردوس وفيها
حوار خلقن من ورد الجنة قيل له ومن يسكنها قال يقول الله عز وجل انما يسكن جنات عدن الذين اذا هموا بالمعاصي ذكروا عظمتي فراقبوني
والذين انثنت اصلابهم من خشيتي وعزتي وجلالي اني لاهم بعذاب اهل الارض فاذا نظرت الى اهل الجوع والعطش من مخافتي صرفت
عنهم العذاب وسئل المحاسبي عن المراقبة فقال اولها علم القلب بقرب الرب تعالى وقال المرتعش المراقبة مراعاة السر لملاحظة
الغيب مع كل لحظة ولفظة ويروى ان الله تعالى قال لملائكته انتم موكلون بالظواهر وانا رقيب على البواطن وقال محمد بن علي
الترمذي اجعل مراقبتك لمن لا تغيب عن نظره اليك واجعل شكرك لمن لا ينقطع نعمه عنك واجعل طاعتك لمن لا تستغني عنه واجعل
خضوعك لمن لا تخرج عن ملكه وسلطانه وقال سهل لم يتزين القلب بشيء افضل ولا اشرف من علم العبد بان الله شاهده حيث كان

وسئل بعضهم عن قوله تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه فقال ذلك لمن راقب ربه عز وجل وحاسب نفسه وتزود
لمعاده وسئل ذو النون بم ينال العبد الجنة فقال بخمس استقامة ليس فيها روغان واجتهاد ليس معه سهو ومراقبة الله تعالى
في السر والعلانية وانتظار الموت بالتأهب له ومحاسبة نفسك قبل ان تحاسب وقيل اذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل
خلوت ولكن قل علي رقيب ⋅ ولا تحسبن الله يغفل ساعة ⋅ ولا ان ما يخفى عليه يغيب ⋅ الم تر ان اليوم اسرع ذاهب
وان غدا للناظرين قريب ۞ وقال حميد الطويل لسليمان بن علي عظني فقال لئن كنت اذا عصيت الله خاليا ظننت انه يراك
لقد اجترأت على امر عظيم ولئن كنت تظن انه لا يراك فقد كفرت وقال سفيان الثوري عليك بالمراقبة ممن لا تخفى عليه خافية
وعليك بالرجاء ممن يملك الوفاء وعليك بالحذر ممن يملك العقوبة وقال فرقد السبخي ان المنافق ينظر فاذا لم ير احدا دخل
مدخل السوء وانما يراقب الناس ولا يراقب الله وقال عبد الله بن دينار خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى مكة فعرسنا في بعض
الطريق فانحدر عليه راع من الجبل فقال له يا راعي بعني شاة من الغنم فقال اني مملوك فقال قل لسيدك اكلها الذئب قال فاين الله
فبكى عمر ثم غدا الى المملوك فاشتراه من مولاه واعتقه وقال اعتقتك في الدنيا هذه الكلمة وارجو ان تعتقك في الآخرة ۞

بيان حقيقة المراقبة ودرجاتها اعلم ان حقيقة المراقبة هي ملاحظة الرقيب وانصراف الهم اليه فمن احترز من امر
من الامور بسبب غيره يقال انه يراقب فلانا ويراعي جانبه ونعني بهذه المراقبة حالة للقلب يثمرها نوع من المعرفة وتثمر تلك الحالة
اعمالا في الجوارح وفي القلب اما الحالة فهي مراعاة القلب للرقيب واشتغاله به والتفاته اليه وملاحظته اياه وانصرافه اليه
واما المعرفة التي تثمر هذه الحالة فهو العلم بان الله مطلع على الضمائر عالم بالسرائر رقيب على اعمال العباد قائم على كل نفس بما
كسبت وان سر القلب في حقه مكشوف بل اشد من ذلك فهذه المعرفة اذا صارت يقينا اعني انها خلت عن الشك ثم استولت
بعد ذلك على القلب قهرته فرب علم لا شك فيه لا يغلب على القلب كالعلم بالموت فاذا استولت على القلب استجرت
الى مراعاة جانب الرقيب وصرفت همه اليه والموقنون بهذه المعرفة هم المقربون وهم ينقسمون الى الصديقين والى اصحاب اليمين فمراقبتهم
على درجتين الدرجة الاولى مراقبة المقربين من الصديقين وهي مراقبة التعظيم والاجلال وهو ان يصير القلب مستغرقا بملاحظة
ذلك الجلال ومنكسرا تحت الهيبة فلا يبقى فيها متسع للالتفات الى الغير اصلا وهذه مراقبة لا يطول النظر في تفصيل اعمالها فانها
مقصورة على القلب اما الجوارح فانها تتعطل عن الالتفات الى المباحات فضلا عن المحظورات واذا تحركت بالطاعات كانت
كالمستعمل بها فلا تحتاج الى تدبير وتثبت في حفظها على سنن السداد بل يسدد الرعية بسداد الراعي والقلب هو الراعي فاذا صار
مستغرقا بالمعبود صارت الجوارح مستعملة جارية على السداد والاستقامة من غير تكلف وهذا هو الذي صار همه هما واحدا
فكفاه الله سائر الهموم ومن نال هذه الدرجة فقد يغفل عن الخلق حتى لا يبصر من يحضر عنده وهو فاتح عينيه ولا يسمع ما يقال
له مع انه لا صمم به وقد يمر على ابنه مثلا فلا يكلمه حتى كان بعضهم يجري عليه ذلك فقال لمن عاتبه اذا مررت بي فحركني ولا تستبعد
هذا فانك تجد نظير هذا في القلوب المعظمة لملوك الارض حتى ان خدم الملوك قد لا يحسون بما يجري عليهم في مجالس الملوك لشدة
استغراقهم بهم بل قد يشتغل القلب بمهم حقير من مهمات الدنيا فيغوص الرجل في الفكر فيه ويمشي فربما يجاوز الموضع الذي قصده وينسى الشغل
الذي نهض له وقد قيل لعبد الواحد بن زيد هل تعرف في زمانك هذا رجلا قد اشتغل بحاله عن الخلق قال ما اعرفه الا رجلا
سيدخل عليكم الساعة فما كان الا سريعا حتى دخل عتبة الغلام فقال له عبد الواحد بن زيد من اين جئت يا عتبة قال من موضع كذا
وكان طريقه على السوق فقال من لقيت في الطريق قال ما رأيت احدا وروي عن يحيى بن زكريا انه مر بامرأة فدفعها على وجهها

على وجهها فقيل له لم فعلت هذا قال ما ظننتها الا جدارا وحكي عن بعضهم انه قال مررت بجماعة يترامون وواحد جالس بعيدا
منهم فتقدمت اليه فاردت ان اكلمه فقال ذكر الله تعالى اشهى الي فقلت انت وحدك فقال معي ربي وملكاي فقلت من سبق
من هؤلاء قال من غفر الله تعالى له فقلت اين الطريق فاشار نحو السماء وقام ومشى وقال اكثر خلقك شاغل عنك فهذا كلام مستغرق
بمشاهدة الله تعالى لا يسمع الا منه ولا يتكلم الا معه فهذا لا يحتاج الى مراقبة لسانه وجوارحه فانها لا تتحرك الا بما هو فيه ودخل الشبلي على ابي الحسين
النوري وهو معتكف فوجده ساكنا حسن الاجتماع لا يتحرك من ظاهره شيء فقال له من اين اخذت هذه المراقبة والسكون فقال من سنور
كانت لنا اذا ارادت الصيد رابطت راس الجحر لا تتحرك لها شعرة وقال ابو عبد الله بن خفيف خرجت من مصر اريد الرملة للقاء ابي علي
الروذباري فقال لي عيسى بن يونس المصري المعروف بالزاهد ان في صور شابا وكهلا قد اجتمعا على حال المراقبة فلو نظرت اليهما
نظرة لعلك تستفيد منهما فدخلت صور وانا جائع عطشان وفي وسطي خرقة وليس على كتفي شيء فدخلت المسجد فاذا شخصين
قاعدين مستقبلي القبلة فسلمت عليهما فما اجاباني فسلمت ثانية وثالثة فلم اسمع الجواب فقلت نشدتكما بالله تعالى الا رددتما علي
السلام فرفع الشاب راسه من مرقعته فنظر الي وقال يا ابن خفيف الدنيا قليل وما بقي من القليل الا قليل فخذ من القليل الكثير
يا ابن خفيف ما اقل شغلك حتى تتفرغ الى لقائنا قال فاخذ بكليتي ثم نظر الي وطأطأ راسه في المكان فبقيت عندهما حتى صلينا الظهر
والعصر فذهب جوعي وعطشي وعنائي فلما كان وقت العصر قلت عظني فرفع راسه الي وقال يا ابن خفيف نحن اصحاب المصائب ليس لنا لسان
العظة فبقيت عندهما ثلاثة ايام لا آكل ولا اشرب ولا انام ولا رايتهما اكلا ولا شربا ولا ناما فلما كان في اليوم الثالث قلت في سري احلفهما
ان يعظاني لعلي انتفع بعظتهما فرفع الشاب راسه فقال يا ابن خفيف عليك بصحبة من يذكرك الله رؤيته ويقع هيبته على قلبك يعظك
بلسان فعله ولا يعظك بلسان قوله والسلام قم عنا فهذه درجة المراقبين الذين غلب على قلوبهم الاجلال والتعظيم فلم يبق فيهم متسع
لغير ذلك الدرجة الثانية مراقبة الورعين من اصحاب اليمين وهم قوم غلب يقين اطلاع الله على ظاهرهم وباطنهم على قلوبهم ولكن لم تدهشهم
ملاحظة الجلال بل بقيت قلوبهم على حد الاعتدال متسعة للتلفت الى الاحوال والاعمال الا انها مع ممارسة الاعمال لا تخلو عن المراقبة
نعم غلب عليهم الحياء من الله تعالى فلا يقدمون ولا يحجمون الا بعد التثبت فيه ويمتنعون عن كل ما يفتضحون به في القيامة فانهم يرون الله
في الدنيا مطلعا عليهم فلا يحتاجون الى انتظار القيامة وتعرف اختلاف الدرجتين بالمشاهدات فانك في خلوتك قد تتعاطى عملا
فيحضرك صبي او امرأة فتعلم انه مطلع عليك فتستحيي منه فتحسن جلوسك وتراعي احوالك لا عن اجلال وتعظيم بل عن حياء فان مشاهدته
وان كانت لا تدهشك ولا تستغرقك فانها تهيج الحياء منك وقد يدخل عليك ملك من الملوك او كبير من الاكابر فيستغرقك التعظيم حتى
تترك كل ما انت فيه شغلا به لا حياء منه فهكذا تختلف مراتب العباد في مراقبة الله ومن كان في هذه الدرجة فيحتاج
الى ان يراقب جميع حركاته وسكناته ولحظاته وخطراته وبالجملة جميع اختياراته وله فيها نظران نظر قبل العمل ونظر في العمل اما
قبل العمل فلينظر ما ظهر له وتحرك بفعله خاطره اهو لله تعالى خاصة او هو في هوى النفس ومتابعة الشيطان فيتوقف فيه ويتثبت
حتى ينكشف له ذلك بنور الحق فان كان لله تعالى امضاه وان كان لغير الله تعالى استحيى من الله تعالى وانكف عنه ثم لام نفسه على
رغبتها فيه وهمها به وميلها اليه وعرفها سوء فعلها وسعيها في فضيحتها وانها عدوة نفسها ان لم يتداركها الله بعصمته فهذا
التوقف في بداية الامور الى حد البيان واجب محتوم ولا محيص لاحد عنه فان في الخبر انه ينشر للعبد في كل حركة من حركاته وان صغرت
ثلاثة دواوين الاول لم والثاني كيف والثالث لمن ومعنى لم اي لم فعلت هذا اكان عليك ان تفعله لمولاك او ملت اليه بشهوتك
وهواك فان سلم منه بان كان عليه ان يفعل ذلك لمولاه سئل عن الديوان الثاني فقيل كيف فعلت هذا فان لله في كل عمل شرطا وحكما لا يدرك

وقته وقدره وصفته الا بعلم فيقال له كيف فعلت أبعلم محقق ام بجهل وظن فان سلم من هذا نشر الديوان الثالث وهو المطالبة
بالاخلاص فيقال لم عملت ألوجه الله خالصا وفاء بقولك لا اله الا الله فيكون اجرك على الله او لحظ نفسك فخذ اجرك
منه ام عملته لتنال عاجل دنياك فقد وفيناك نصيبك من الدنيا ام عملت لسهو وغفلة فقد سقط اجرك وحبط عملك وخاب
سعيك وان عملته لغيري فقد استوجبت مقتي وعقابي اذ كنت عبدا لي تأكل رزقي وتتنعم بنعمتي ثم تعمل لغيري اما سمعتني اقول
ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه الا
ويحك اما سمعتني اقول الا لله الدين الخالص فاذا عرف العبد انه بصدد هذه المطالبات والتوبيخات طالب نفسه قبل ان يطالب واعد
للسؤال جوابا وللجواب صوابا فلا يبدى ولا يعيد الا بعد التثبت ولا يحرك جفنا ولا انملة الا بعد التامل فقد قال النبي صلى الله عليه
وسلم ان الرجل ليسأل عن كحل عينيه وعن فتة الطين وعن لمسه ثوب اخيه قال الحسن كان احدهم اذا اراد ان يتصدق بصدقة
نظر وتثبت فان كان لله امضاه وقال الحسن رحم الله عبدا وقف عند همه فان كان لله مضى وان كان عليه تأخر وقال سعد
سعد حين اوصاه سلمان اتق الله عند همك اذا هممت وقال محمد بن على ان المؤمن وقاف متأن يقف عند همه ليس كحاطب ليل
فهذا هو النظر الاول في هذه المراقبة ولا يخلص من هذا الا العلم المتين والمعرفة الحقيقية باسرار الاعمال واغوار النفس
ومكايد الشيطان فمتى لم يعرف نفسه وربه وعدوه وهو الشيطان ولم يعرف ما يوافق هواه ولم يميز بينه وبين ما يحب الله ويرضاه
في نيته وهمته وفكره وسكونه وحركته فلا يسلم في هذه المراقبة بل الاكثرون يرتكبون بالجهل فيما يكرهه الله تعالى وهم يحسبون
انهم يحسنون صنعا ولا تظن ان الجاهل بما يقدر على التعلم فيه يعذر بالجهل هيهات بل طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة و
لهذا كانت ركعتان من عالم افضل من الف ركعة من غير عالم لانه يعلم آفات النفوس ومكائد الشيطان ومواضع الغرور فيتقيها
والجاهل لا يعرفها فكيف يحترز منها فلا يزال الجاهل في تعب والشيطان منه في فرح وشماتة فنعوذ بالله من الجهل والغفلة فهو راس
كل شقاوة واساس كل خسران فحكم الله على كل عبد ان يراقب نفسه عند همه بالفعل وسعيه بالجارحة فيتوقف عند الهم وعند السعي
حتى ينكشف له بنور العلم انه لله تعالى فيمضيه او هو بهوى نفسه فيتقيه ويزجر القلب عن الفكر فيه وعن الهم به فان الخطرة الاولى في
الباطل اذا لم يدفع اورث الرغبة والرغبة يورث الهم والهم يورث جزم القصد والقصد يورث الفعل والفعل يورث البوار
والمقت فينبغي ان يحسم مادة الشر من منبعه الاول وهو الخاطر فان جميع ما وراءه يتبعه ومهما اشكل على العبد ذلك واظلمت
الواقعة فلم ينكشف له فيتفكر فيه بنور العلم ويستعيذ بالله من مكر الشيطان بواسطة الهوى فان عجز عن الاجتهاد والفكر بنفسه
فيستضيء بنور علماء الدين وليفر من العلماء المقبلين على الدنيا فراره من الشيطان بل اشد فقد اوحى الله تعالى الى داود لا تسأل
عني عالما اسكره حب الدنيا فيقطعك عن محبتي اولئك قطاع الطريق على عبادي فالقلوب المظلمة بحب الدنيا وشدة الشره والتكالب
عليها محجوبة عن نور الله تعالى فان مستضيء انوار القلوب حضرة الربوبية فكيف يستضيء بها من استدبرها واقبل على عدوها وعشق
بغيضها وحقيرها وهي شهوات الدنيا فليكن همة المريد اولا في احكام العلم او في طلب عالم معرض عن الدنيا او ضعيف الرغبة
فيها فقد قال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يحب البصر النافذ عند ورود الشبهات والعقل الكامل عند هجوم الشهوات
جمع بين الامرين وهما متلازمان فمن ليس له عقل وازع عن الشهوات فليس له بصر نافذ في الشبهات ولذلك قال صلى الله
عليه وسلم من قارف ذنبا فارقه عقل لا يعود اليه ابدا فما قدر العقل الضعيف الذي يسعد الآدمي به حتى يحتاج الى محوه ومحقه
بمقارفة الذنوب ومعرفة آفات الاعمال فقد اندرست في هذه الاعصار فان الناس كلهم هجروا هذه العلوم واشتغلوا بتوسط

بتوسط الخلق في الخصومات الثائرة من اتباع الشهوات وقالوا هو الفقه واخرجوا هذا العلم الذي هو فقه الدين من
جملة العلوم وتجردوا للفقه الدنيا الذي ما قصد به الا دفع الشواغل عن القلب ليتفرغ لفقه الدين فكان فقه الدنيا من
الدين بواسطة هذا الفقه وفي الخبر انتم اليوم في زمان خيركم فيه المسارع وسيأتي عليكم زمان خيركم فيه المتثبت ولهذا
توقفت طائفة من الصحابة في القتال مع اهل العراق واهل الشام لما اشكل عليهم كسعد وابن عمر واسامة ومحمد بن مسلمة
وغيرهم فمن لم يتوقف عند الاشتباه كان متبعا لهواه معجبا برأيه وكان ممن وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قال فاذا رأيت
شحا مطاعا وهوى متبعا واعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخاصة نفسك وكل من خاض في شبهة بغير تحقيق فقد خالف
قوله تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم وقوله عليه الصلاة والسلام اياكم والظن فان الظن اكذب الحديث واراد به ظنا بغير دليل
كما يستفتي بعض العوام قلبه فيما اشكل عليه ويتبع ظنه ولصعوبة هذا الامر وعظمه كان من دعاء الصديق رضي الله عنه اللهم
ارني الحق حقا وارزقني اتباعه وارني الباطل باطلا وارزقني اجتنابه ولا تجعله علي متشابها فاتبع الهوى وقال عليه السلام
الامور ثلاثة امر استبان رشده فاتبعه وامر استبان غيه فاجتنبه وامر اشكل عليك فكله الى عالمه وقد كان من دعاء النبي
صلى الله عليه وسلم اللهم اني اعوذ بك ان اقول في الدين بغير علم فاعظم نعمة الله تعالى على عباده هو العلم وكشف الحق
والايمان عبارة عن نوع كشف وعلم ولذلك قال تعالى امتنانا على عبده وكان فضل الله عليك عظيما واراد به العلم وقال تعالى
فسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وقال ان علينا للهدى وقال تعالى ثم ان علينا بيانه وقال تعالى وعلى الله قصد السبيل وقال
علي رضي الله عنه الهوى شريك العمى ومن التوفيق التوقف عند الحيرة ونعم طارد الهم اليقين وعاقبة الكذب الندم وفي الصدق السلامة
رب بعيد ابعد من قريب وغريب من لم يكن له حبيب والصديق من صدق غيبه ولا يعدمك من حبيب سوء ظن نعم الخلق التكرم والحياء
الى كل جميل داع واوثق العرى التقوى واوثق سبب اخذت به سبب بينك وبين الله تعالى اعالك من دنياك ما اصلحت به مثواك والرزق
رزقان رزق تطلبه ورزق يطلبك فان لم تأته اتاك وان كنت جازعا على ما اصلحت من يدك فلا تجزع على ما لم يصل اليك
واستدل على ما لم يكن بما كان فانما الامور اشباه وانما المرء يسره درك ما لم يكن ليفوته ويسوءه فوت ما لم يكن ليدركه فما نالك
من دنياك فلا تكثرن فرحا وما فاتك منها فلا تتبعه نفسك اسفا وليكن سرورك بما قدمت واسفك على ما خلفت وشغلك
لآخرتك وهمك فيما بعد الموت وغرضنا من نقل هذا كله قوله كرم الله وجهه ومن التوفيق الوقوف عند الحيرة فاذن النظر الاول
للمراقبة نظره في الهم والحركة أهي لله ام للهوى وقد قال صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه استكمل ايمانه لا يخاف في الله لومة لائم
ولا يرائي بشيء من عمله واذا عرض له امران احدهما للدنيا والآخر للآخرة آثر الآخرة على الدنيا واطهرها ما ينكشف له في حركاته
ان تكون مباحا ولكن لا يعنيه فيتركه لقوله صلى الله عليه وسلم من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه النظر الثاني للمراقبة عند
الشروع في العمل وذلك بتفقد كيفية العمل ليقضي حق الله تعالى فيه ويحسن النية في اتمامه ويكمل صورته ويتعاطاه على اكمل ما يمكنه وهذا
ملازم له في جميع احواله فانه لا يخلو في جميع احواله عن حركة وسكون فاذا راقب الله في جميع ذلك قدر على عبادة الله تعالى
فيها بالنية وحسن الفعل ومراعاة الادب فان كان قاعدا مثلا فينبغي ان يقعد مستقبل القبلة لقوله صلى الله عليه وسلم خير
المجالس ما استقبل به القبلة ولا يجلس متربعا اذ لا يجالس الملوك كذلك وملك الملوك مطلع عليه قال ابراهيم بن ادهم رحمه الله جلست
مرة متربعا فسمعت هاتفا يقول هكذا تجالس الملوك فلم اجلس بعد ذلك كذلك وان كان ينام فينام على اليد اليمنى مستقبل القبلة
مع سائر الآداب التي ذكرناها في موضعها فكل ذلك داخل في المراقبة بل لو كان في قضاء الحاجة فمراعاته لآدابها وفاء بالمراقبة

الحديث

فاذاً لا يخلو العبد اما ان يكون في طاعة او في معصية او مباح فمراقبته في الطاعة بالاخلاص والاكمال ومراعاة الادب وحراستها
عن الآفات وان كان في معصية فمراقبته في الطاعة بالاخلاص بالتوبة والندم والاقلاع والحياء والاشتغال بالتكفير
وان كان في مباح فمراقبته بمراعاة الادب ثم بشهود المنعم في النعمة وبالشكر عليها ولا يخلو العبد في احواله عن بلية لا بد له
من الصبر عليها ونعمة لا بد من الشكر عليها وكل ذلك من المراقبة بل لا ينفك العبد في كل حال من فرض لله تعالى عليه اما فعل
يلزمه مباشرته او محظور يلزمه تركه او ندب حث عليه ليسارع به الى مغفرة الله تعالى ويسابق به عباد الله او مباح فيه صلاح
جسمه وقلبه وفيه عون له على طاعته ولكل واحد من ذلك حدود لا بد من مراعاتها بدوام المراقبة ومن يتعد حدود الله فقد ظلم
نفسه فينبغي ان يتفقد العبد نفسه في جميع اوقاته في هذه الاقسام الثلث فاذا كان فارغاً من الفرائض وقدر على الفضائل
فينبغي ان يلتمس افضل الاعمال ليشتغل بها فان من فاته مزيد ربح وهو قادر على دركه فهو مغبون والارباح تنال بمزايا الفضائل
فبذلك يأخذ العبد من دنياه لآخرته كما قال تعالى ولا تنس نصيبك من الدنيا وكل ذلك انما يمكن بصبر ساعة واحدة فان الساعات
ثلث ساعة مضت لا تعب على العبد فيها كيف ما انقضت في مشقة او في رفاهية وساعة مستقبلة لم تأت بعد لا يدري العبد
أيعيش اليها ام لا ولا يدري ما يقضي الله فيها وساعة راهنة ينبغي ان يجاهد فيها نفسه ويراقب فيها ربه فان لم تأته الساعة الثانية
لم يتحسر على فوات الاولى وان اتته الساعة الثانية استوفى حقه منها كما استوفى من الاولى ولا يطول امله خمسين سنة فيطول عليه
العزم على المراقبة فيها بل يكون ابن وقته كأنه في آخر انفاسه فلعله آخر انفاسه وهو لا يدري واذا امكن ان يكون آخر انفاسه فينبغي ان
يكون على وجه لا يكره ان يدركه الموت وهو على تلك الحالة ويكون جميع احواله مقصورة على ما رواه ابو ذر لا يكون المؤمن ظاعناً
الا في ثلث تزود لمعاد او مرمة لمعاش او لذة في غير محرم وفي معناه على العاقل ان يكون له اربع ساعات فساعة يناجي فيها ربه وساعة
وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يتفكر في صنع الله تعالى وساعة يخلو فيها للمطعم والمشرب فان في هذه الساعة عوناً له على الساعات
ثم هذه الساعة التي هو فيها مشغول الجوارح بالمطعم والمشرب لا ينبغي ان يخلو عن عمل هو افضل الاعمال وهو الذكر والفكر فان الطعام
الذي يتناوله فيه من العجائب ما لو تفكر فيه وفطن له كان ذلك افضل من كثير من اعمال الجوارح والناس فيه اقسام قسم
ينظرون اليه بعين التبصر والاعتبار فينظرون في عجائب صنعتها وكيفية ارتباط قوام الحيوانات بها وكيفية تقدير الله لاسبابها
وخلق الشهوة الباعثة عليها وخلق الآلات المسخرة للشهوة فيها كما فصلنا بعضه في كتاب الشكر وهذا مقام ذوي الالباب وقسم
ينظرون فيه بعين المقت والكراهة ويلاحظون وجه الاضطرار اليها ويودون لو استغنوا عنها ولكن يرون انفسهم مقهورين فيها مسخرين
لشهواتها وهذا مقام الزاهدين وقوم يرون في الصنعة الصانع ويترقون منها الى صفات الخالق فيكون مشاهدة ذلك سبباً لتذكر
ابواب من الفكر تنفتح عليهم بسببه وهو اعلى المقامات وهو مقام العارفين وعلامات المحبين اذ المحب اذا رأى صنعة حبيبه وكتابه
وتصنيفه نسي الصنعة واشتغل قلبه بالصانع وكل ما يتردد العبد فيه صنع الله تعالى فله في النظر منها الى الصانع مجال رحب ان
فتحت له ابواب الملكوت وذلك عزيز جداً وقسم رابع ينظرون اليها بعين الرغبة والحرص فيتأسفون على ما فاتهم منها ويفرحون بما حضرهم
من جملتها ويذمون منها ما لا يوافق هواهم ويعيبونها ويذمون فاعلها فيذمون الطبخ والطباخ ولا يدرون ان عامله هو الله تعالى وان من
ذم شيئاً من خلق الله بغير اذن الله فقد ذم الله تعالى فلذلك قال عليه الصلوة والسلام لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر فهذه هي
المرابطة الثانية لمراقبة الاعمال على الدوام والاتصال وشرح ذلك يطول وفيما ذكرناه تنبيه على المنهاج لمن احكم الاصل
المرابطة الثالثة محاسبة النفس بعد العمل ولنذكر فضيلة المحاسبة ثم حقيقتها اما الفضيلة فقد قال الله تعالى يا ايها

الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد وهذه اشارة الى المحاسبة على ما مضى من الاعمال وكذلك قال عمر
حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا وزنوها قبل ان توزنوا وفي الخبر انه عليه السلام جاءه رجل فقال يا رسول الله اوصني فقال امستوص انت
قال نعم قال اذا هممت بامر فتدبر عاقبته فان كان رشداً فامضه وان كان غياً فانته عنه وفي الخبر ينبغي ان يكون للعاقل اربع ساعات ساعة
يحاسب فيها نفسه وقال الله تعالى وتوبوا الى الله جميعاً ايها المؤمنون لعلكم تفلحون والتوبة نظر في الفعل بعد الفراغ منه بالندم
عليه وقال صلى الله عليه وسلم اني لاستغفر الله تعالى واتوب اليه كل يوم مائة مرة وقال الله سبحانه وتعالى ان الذين اتقوا
اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون وعن عمر انه كان يضرب قدميه بالدرة اذا جن الليل ويقول لنفسه ماذا عملت
اليوم وعن ميمون بن مهران انه قال لا يكون العبد من المتقين حتى يحاسب نفسه اشد من محاسبة شريكه والشريكان يتحاسبان بعد العمل
وروي عن عائشة رضي الله عنها ان ابا بكر رضي الله عنه قال لها عند الموت ما احد من الناس احب الي من عمر ثم قال لها كيف قلت
فقالت قلت ما احد من الناس احب الي من عمر فقال لا ما احد اعز علي من عمر فانظر كيف نظر بعد الفراغ من الكلمة فتدبرها وابدلها
بكلمة غيرها وحديث ابي طلحة حين شغله الطير في صلوته فتدبر ما شغله فجعل حائطه صدقة لله تعالى ندماً ورجاء للعوض مما فاته وفي
حديث عبد الله بن سلام انه حمل حزمة من حطب فقيل له يا ابا يوسف قد كان في بنيك وغلمانك ما يكفونك فقال اردت ان اجرب نفسي
هل تنكره وقال الحسن المؤمن قوام على نفسه يحاسبها لله وانما خف الحساب على قوم حاسبوا انفسهم في الدنيا وانما شق الحساب يوم القيمة
على قوم اخذوا هذا الامر عن غير محاسبة ثم فسر المحاسبة فقال ان المؤمن يفجأه الشيء يعجبه فيقول والله انك لتعجبني وانك لمن حاجتي
ولكن هيهات حيل بيني وبينك وهذا حساب قبل العمل ثم قال ويفرط منه الشيء فيرجع الى نفسه فيقول ما اردت بهذا والله لا اعذر بهذا
والله لا اعود لهذا ابداً ان شاء الله وقال انس بن مالك سمعت عمر بن الخطاب يوماً وخرجت معه حتى دخل حائطاً فسمعته يقول وبيني
وبينه جدار وهو في الحائط عمر بن الخطاب امير المؤمنين بخ بخ والله لتتقين الله او ليعذبنك وقال الحسن في قوله ولا اقسم بالنفس
اللوامة قال لا تلقى المؤمن الا يعاتب نفسه ماذا اردت بكلمتي ماذا اردت باكلتي ماذا اردت بشربتي والفاجر يمضي قدماً لا يعاتب
نفسه وقال مالك بن دينار رحم الله عبداً قال لنفسه الست صاحبة كذا الست صاحبة كذا ثم زمها ثم خطمها ثم الزمها
كتاب الله تعالى فكان له قائداً وهذا من معاتبة النفس كما سيأتي وقال ميمون بن مهران التقي اشد محاسبة لنفسه من سلطان غشوم
ومن شريك شحيح وقال ابرهيم التيمي مثلت نفسي في الجنة آكل من ثمارها واشرب من انهارها واعانق ابكارها ثم مثلت نفسي في النار
آكل من زقومها واشرب من صديدها واعالج سلاسلها واغلالها فقلت لنفسي يا نفس اي شيء تريدين فقالت اريد ان ارد الى الدنيا
فاعمل صالحاً قلت فانت في الامنية فاعملي وقال مالك بن دينار سمعت الحجاج يخطب على منبر البصرة وهو يقول رحم الله امرءاً حاسب
نفسه قبل ان يصير الحساب الى غيره رحم الله امرءاً اخذ بعنان عمله فنظر ماذا يريد به رحم الله امرءاً نظر في مكياله رحم الله امرءاً نظر في ميزانه فما زال يقول رحم الله امرءاً
حتى ابكاني وحكي صاحب الاحنف بن قيس قال كنت اصحبه فكان عامة صلوته بالليل الدعاء وكان يجيء الى المصباح فيضع اصبعه
فيه حتى يحس بالنار ثم يقول يا حنيف ما حملك على ما صنعت يوم كذا ما حملك على ما صنعت يوم كذا

بيان حقيقة المحاسبة بعد العمل اعلم ان العبد كما يكون له وقت في اول النهار يشارط فيه نفسه على سبيل التوصية
بالحق ينبغي ان يكون له في آخر النهار ساعة يطالب فيها النفس ويحاسبها على جميع حركاتها وسكناتها كما يفعل التجار في الدنيا مع
الشركاء في آخر كل سنة او شهر او يوم حرصاً على الدنيا وخوفاً من ان يفوتهم منها ما لو فاتهم لكانت الخيرة لهم في فواته ولو حصل ذلك لهم لكان لا يبقى
الا اياماً قلائل فكيف لا يحاسب العاقل نفسه فيما يتعلق به خطر الشقاوة والسعادة ابد الآباد فما هذه المساهلة الا عن الغفلة والخذلان

وقلة التوفيق نعوذ بالله منه ومعنى المحاسبة مع الشريك ان ينظر في راس المال وفي الربح والخسران ليتبين له الزيادة من النقصان
فان كان من فضل حاصل استوفاه وشكره وان كان من خسران طالبه بضمانه وكلفه تداركه في المستقبل فكذلك راس مال العبد في دينه الفرائض
وربحه النوافل والفضائل وخسرانه المعاصي وموسم هذه التجارة جملة النهار ومعامله نفسه الامارة بالسوء فليحاسبها على
الفرائض اولا فان اداها على وجهها شكر الله تعالى عليه ورغبها في مثلها وان فوتها من اصلها طالبها بالقضاء وان اداها ناقصة
كلفها الجبران بالنوافل وان ارتكب معصية اشتغل بعقابها وتعذيبها ومعاتبتها ليستوفي منها ما يتدارك به ما فرط كما يصنع التاجر
بشريكه وكما انه يفتش في حساب الدنيا عن الحبة والقيراط فيحفظ مداخل الزيادة والنقصان حتى لا يغبن في شي منها فينبغي ان يتقي
غبينة النفس ومكرها فانها خداعة ملبسة مكارة فليطالبها بتصحيح الجواب عن جميع ما تكلم به طول نهاره وليتكفل بنفسه
من الحساب ما سيتولاه غيره في صعيد القيامة وهكذا عن نظره بل عن خواطره وافكاره وقيامه وقعوده واكله وشربه ونومه
حتى عن سكوته انه لم سكت وعن سكونه لم سكن فاذا عرف مجموع الواجب على النفس وصح عنده قدر ما ادى الحق فيه كان ذلك القدر
محسوبا له فيظهر له الباقي على نفسه فليثبته عليه وليكتبه على صحيفة قلبه كما يكتب الباقي الذي على شريكه على قلبه وفي جريدته
ثم النفس غريم يمكن ان يستوفي منه الديون اما بعضها فبالغرامة والضمان وبعضها برد عينها وبعضها بالعقوبة لها على ذلك ولا
يمكن شي من ذلك الا بعد تحقيق الحساب وتمييز الباقي من الحق الواجب عليه فاذا حصل ذلك اشتغل بعده بالمطالبة والاستيفاء
وينبغي ان يحاسب النفس على جميع العمر يوما يوما وساعة ساعة في جميع الاعضاء الظاهرة والباطنة كما نقل عن توبة بن الصمة وكان
بالرقة وكان محاسبا لنفسه فحسب يوما فاذا هو ابن ستين سنة فحسب ايامها فاذا هي احد وعشرون الف يوم وخمسمائة يوم فصرخ
وقال يا ويلتا القى الملك باحد وعشرين الف ذنب وفي كل يوم عشرة الاف ذنب ثم خر مغشيا عليه فاذا هو ميت فسمعوا قائلا يقول
يا لك ركضة الى الفردوس الاعلى فهكذا ينبغي ان يحاسب على الانفاس وعلى معصيته بالقلب والجوارح في كل ساعة ولو رمى العبد
بكل معصية حجرا في داره لامتلات داره في مدة قريبة من عمره ولكنه يتساهل في حفظه والملكان يحفظان عليه احصاه الله ونسوه

المرابطة الرابعة في معاقبة النفس على تقصيرها مهما حاسب نفسه فلم تسلم عن مقارفة معصية وارتكاب تقصير في حق الله
لا ينبغي ان يهملها فانه ان اهملها سهل عليها مقارفة المعاصي وانست بها وعسر فطامها وكان ذلك سبب هلاكها بل ينبغي ان يعاقبها
فاذا اكل لقمة شبهة بشهوة نفس ينبغي ان يعاقب البطن بالجوع واذا نظر الى غير محرم ينبغي ان يعاقب العين بمنع النظر وكذلك يعاقب
كل طرف من اطراف بدنه بمنعها عن شهواتها هكذا كانت عادة سالكي طريق الاخرة فقد روي عن منصور بن ابراهيم ان رجلا من العباد
كلم امراة فلم يزل حتى وضع يده على فخذها فوضعت يده في النار حتى نشت وروي انه كان في بني اسرائيل رجل يتعبد في صومعته
فمكث بذلك زمانا طويلا فاشرف ذات يوم فاذا هو بامراة فافتتن بها فاخرج رجله لينزل اليها فادركه الله سبحانه بسابقة
فقال ما هذا الذي اريد ان اصنع ورجع اليه نفسه وعصمه الله فندم فلما اراد ان يعيد رجله الى الصومعة قال هيهات هيهات رجل
خرجت تريد ان تعصي الله تعود معي في صومعتي لا يكون والله ذلك ابدا فتركها معلقة من الصومعة تصيبها الامطار و
الرياح والثلج والشمس حتى تقطعت وسقطت فشكر الله تعالى له بذلك وانزل في بعض الكتب ذكره ويروى ان غزوان وابا
موسى كانا في بعض مغازيهم فتكشفت جارية فنظر اليها غزوان فرفع يده فلطم عينه حتى نفرت وقال انك للحاظة الى ما يضرك
ونظر بعضهم نظرة واحدة الى امراة فجعل على نفسه ان لا يشرب الماء البارد طول حياته فكان يشرب الماء الحار لينغص على
نفسه العيش ويحكى عن الجنيد قال سمعت ابن الكريني يقول اصابتني ليلة جنابة واحتجت ان اغتسل وكانت ليلة باردة

باردة فوجدت في نفسي تاخرا وتقصيرا فحدثتني نفسي بالتاخير حتى اصبح واسخن الماء او ادخل الحمام ولا اعنى على نفسي فقلت
واعجباه انا اعامل الله تعالى في طول عمري فيجب له علي حق فلا اجد المسارعة واجد الوقوف والتاخر اليت ان لا اغتسلت
الا في مرقعتي هذه واليت ان لا انزعها ولا اعصرها ولا اجففها في الشمس ويحكى ان حسان بن ابي سنان مر بغرفة فقال متى
بنيت هذه الغرفة ثم اقبل على نفسه فقال تسالين عما لا يعنيك لاعاقبنك بصوم سنة فصامها وقال مالك بن ضيغم جاء رياح العبسي
فسال عن ابي بعد العصر فقلنا انه نائم فقال نوم هذه الساعة ثم ولى منصرفا فاتبعناه رسولا وقلنا الا نوقظه لك فجاء
الرسول وقال هو اشغل من ان يفهم شيئا ادركته وهو يدخل المقابر وهو يعاتب نفسه ويقول اقلت وقت نوم هذه الساعة اكان
هذا عليك ينام الرجل متى شاء وما يدريك ان هذا ليس وقت نوم تكلمين بما لا تعلمين اما ان لله علي عهدا لا انقضه ابدا ان لا اوسدك
الارض لنوم حولا الا لمرض حائل او لعقل زائل سوءة لك سوءة لك اما تستحين كم توبخين وعن غيك لا تنتهين قال ثم جعل
يبكي وهو لا يشعر بمكاني فلما رايت ذلك انصرفت وتركته ويحكى ان تميم الداري نام ليلة لم يقم فيها يتهجد فقام سنة لم ينم فيها عقوبة
للذي صنع وعن طلحة رضي الله عنه قال انطلق رجل ذات يوم فنزع ثيابه وتمرغ في الرمضاء ويقول لنفسه ذوقي نار جهنم اشد حرا
اجيفة بالليل بطالة بالنهار قال فبينا هو كذلك اذ ابصر النبي صلى الله عليه وسلم في ظل شجرة فاتاه فقال يا رسول الله غلبتني نفسي
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم الم يكن لك بد من الذي صنعت اما لقد فتحت لك ابواب السماء ولقد باهى الله بك الملائكة
ثم قال لاصحابه تزودوا من اخيكم فجعل الرجل يقول له يا فلان ادع لي يا فلان ادع لي فقال صلى الله عليه وسلم عمهم به فقال اللهم اجعل
التقوى زادهم واجمع على الهدى امرهم فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم سدده فقال الرجل اللهم اجعل الجنة مابهم
وقال حذيفة بن قتادة قيل لرجل كيف تصنع بنفسك في شهواتها ودخل ابن السماك على داود الطائي حين مات وهو في بيته على التراب
فقال يا داود سجنت نفسك قبل ان تسجن وعذبت نفسك قبل ان تعذب فاليوم ترى ثواب من كنت له تعمل وعن وهب بن منبه ان
رجلا تعبد زمانا ثم بدت له الى الله حاجة فقام سبعين سبتا ياكل في كل سبت احدى عشرة تمرة ثم سال حاجته فلم يعطها فرجع الى
نفسه وقال منك اتيت لو كان فيك خير لاعطيت حاجتك فنزل اليه ملك وقال يا ابن ادم ساعتك هذه خير من عبادتك التي مضت وقد
قضى الله حاجتك وقال عبد الله بن قيس كنا في غزاة لنا فحضر العدو فصيح في الناس فقاموا الى المصاف في يوم شديد الريح واذا رجل امامي
وهو يخاطب نفسه ويقول اي نفسي الم اشهد مشهد كذا وكذا فقلت لي اهلك وعيالك فاطعتك ورجعت والله لاعرضنك اليوم
على الله اخذك او تركك فقلت لارمقنه اليوم فرمقته فحمل الناس على عدوهم فكان في اوائلهم ثم ان العدو حملوا على الناس
فانكشفوا فكان في موضعه حتى انكشفوا مرات وهو ثابت يقاتل فوالله ما زال ذلك دابه حتى رايته صريعا فعددت به وبدابته ستين
او اكثر من ستين طعنة وقد ذكرنا حديث ابي طلحة فانه شغل قلبه في الصلاة طير في حائطه فتصدق بالحائط كفارة له وكان عمر يضرب
قدميه بالليل ويقول ماذا عملت اليوم وعن مجمع انه رفع راسه الى السماء سادلا السطح فوقع بصره على امراة فجعل على نفسه ان لا
يرفع راسه الى السماء ما دام في الدنيا وكان الاحنف بن قيس لا يفارقه المصباح بالليل وكان يضع اصبعه عليه ويقول لنفسه ما حملك
على ان صنعت كذا وكذا يوم كذا وكذا وانكر وهيب بن الورد شيئا على نفسه فنتف شعرات على صدره حتى عظم المه ثم جعل يقول
لنفسه ويحك انما اريد بك الخير وراى محمد بن بشر داود الطائي وهو ياكل عند افطاره خبزا بغير ملح فقال له لو اكلته بملح فقال الان
مستلذ عوني الى الملح منذ سنة ولا ذاق داود لحما ما دام في الدنيا فهكذا كانت عقوبة اولي الحزم لانفسهم والعجب انك لو تجاوزت عنهم
خرج امرهم من الاختيار وبغوا عليك ثم تهمل نفسك وهي اعظم عداوة لك واشد طغيانا عليك وضررك من طغيانها اعظم من ضرر

تعاقب عبدك وانت واهلك وولدك على اشد ديهم
من خطى وتقصير فتخاف الملك

من طغيانها اهلكتك فان غايتهم ان يشوشوا عليك معيشة الدنيا ولو عقلت لعلمت ان العيش عيش الآخرة وان فيه النعيم المقيم الذى
لا آخر له وهيهات تنغص عليك عيش الآخرة فهى اولى بالمعاتبة اولى من غيرهم المرابطة الخامسة المجاهدة وهو انه اذا حاسب
نفسه فراها قد قارفت معصية فينبغى ان يعاقبها بالعقوبات التى مضت وان رآها تتوانى بحكم الكسل فى شئ من الفضائل او ورد
من الاوراد فينبغى ان يؤدبها بتثقيل الاوراد عليها ويلزمها فنونا من الطاعات جبرا لما فات وتداركا لما فرط فهكذا
كان عمال الله تعالى فقد عاقب عمر بن الخطاب نفسه حين فاتته صلوة العصر فى جماعة بان تصدق بارض له قيمتها مائتا الف درهم
وكان ابن عمر اذا فاتته صلوة فى جماعة احيى تلك الليلة واخر ليلة صلوة المغرب حتى طلع كوكبان فاعتق رقبتين وفات من ابن ابى ربيعة
ركعتا الفجر فاعتق رقبة وكان بعضهم يجعل على نفسه صوم سنة او الحج ماشيا او التصدق بجميع ماله كل ذلك مرابطة للنفس
ومؤاخذة لها بما فيه نجاتها فان قلت ان كانت نفسى لا تطاوعنى على المجاهدة والمواظبة على الاوراد فما سبيل معالجتها فاقول
علاجها ان تسمعها ما ورد فى الاخبار من فضل المجتهدين ومن انفع اسباب العلاج ان تطلب صحبة عبد من عباد الله مجتهد فى العبادة
فتلاحظ احواله وتقتدى به وكان بعضهم يقول اذا اعترتنى فترة فى العبادة نظرت الى محمد بن واسع والى اجتهاده فعملت عليه اسبوعا
الا ان هذا علاج قد تعذر اذ قد فقد فى عباد الله من يجتهد فى العبادة اجتهاد الاولين فينبغى ان يعدل من المشاهدة الى السماع فلا
شئ انفع من سماع احوالهم ومطالعة اخبارهم وما كانوا فيه من الجهد الجهيد وقد انقضى تعبهم وبقى ثوابهم ونعيمهم ابد الآباد
لا ينقطع فما اعظم ملكهم وما اشد حسرة من لا يقتدى بهم فيتمتع نفسه اياما قلائل بشهوات مكدرة ثم ياتيه الموت ويحال بينه وبين
كل ما يشتهيه ابد الآباد نعوذ بالله منه ونحن نورد من اوصاف المجتهدين وفضائلهم ما يحرك رغبة المريد فى الاجتهاد اقتداء بهم
فقد قال صلى الله عليه وسلم رحم الله اقواما يحسبهم الناس مرضى وما هم بمرضى قال الحسن اجهدتهم العبادة قال الله تعالى الذين
يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة قال الحسن يعملون ما عملوا من اعمال البر ويخافون ان لا ينجيهم ذلك من عذاب الله وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم طوبى لمن طال عمره وحسن عمله ويروى ان الله تعالى يقول لملائكته ما بال عبادى مجتهدين فيقولون الهنا
خوفتهم شيئا فخافوه وشوقتهم الى شئ فاشتاقوا اليه فيقول الله تعالى فكيف لو رأونى عبادى لكانوا اشد اجتهادا وقال
الحسن لقد ادركت اقواما وصحبت طوائف منهم ما كانوا يفرحون بشئ من الدنيا اقبل ولا يتاسفون على شئ منها ادبر ولهى كانت اهون
فى اعينهم من هذا التراب الذى تطؤنه بارجلكم ان كان احدهم ليعيش عمره كله ما طوى له ثوب ولا امر اهله بصنعة طعام
قط ولا جعل بينه وبين الارض شيئا قط وادركتهم عاملين بكتاب ربهم وسنة نبيهم اذا جنهم الليل فقيام على اطرافهم يفترشون وجوههم
تجرى دموعهم على خدودهم يناجون ربهم فى فكاك رقابهم اذا عملوا الحسنة فرحوا بها ودأبوا فى شكرها وسألوا الله تعالى ان يتقبلها
واذا عملوا السيئة احزنتهم وسألوا الله تعالى ان يغفرها لهم والله ما زالوا كذلك وعلى ذلك والله ما سلموا من الذنوب ولا نجوا الا بالمغفرة
ويحكى ان قوما دخلوا على عمر بن عبد العزيز يعودونه فى مرضه فاذا فيهم شاب ناحل الجسم فقال له يا فتى ما الذى بلغ بك ما ارى فقال
يا امير المؤمنين اسقام وامراض فقال سألتك بالله الا صدقتنى فقال يا امير المؤمنين ذقت حلاوة الدنيا فوجدتها مرة فصغر عندى
زهرتها وحلاوتها واستوى عندى ذهبها وحجرها وكأنى انظر الى عرش ربى بارزا والناس يساقون الى الجنة والنار فاظمأت لذلك
نهارى واسهرت ليلى وقليل حقير كل ما انا فيه فى جنب ثواب الله وعقابه وقال ابو نعيم كان داود الطائى يشرب الفتيت ولا ياكل الخبز
فقيل له فى ذلك فقال بين مضغ الخبز وشرب الفتيت قراءة خمسين آية ودخل رجل عليه يوما فقال ان فى سقف بيتك جذعا مكسورا فقال
يا ابن اخى انى فى هذا البيت منذ عشرين سنة ما نظرت الى السقف وكانوا يكرهون فضول النظر كما يكرهون فضول الكلام وقال محمد بن عبد

العزيز جلسنا الى احمد بن رزين من غدوة الى العصر فما التفت يمنة ولا يسرة فقيل له فى ذلك فقال ان الله تعالى خلق
العينين لينظر بهما العبد الى عظمة الله عز وجل فكل من نظر بغير اعتبار كتبت عليه خطيئة وقالت امرأة مسروق ما كان يوجد مسروق
الا وساقاه منتفختان من طول الصلوة قالت والله ان كنت لاجلس خلفه فابكى رحمة له وقال ابو الدرداء لولا ثلاث ما احببت
العيش يوما واحدا الظمأ بالهواجر والسجود فى جوف الليل ومجالسة اقوام ينتقون اطايب الكلام كما ينتقى اطايب الثمر وكان
الاسود بن يزيد يجتهد فى العبادة ويصوم فى الحر حتى يخضر جسده ويصفر وكان علقمة بن قيس يقول له لم تعذب هذا الجسد فيقول
كرامتها اريد وكان يصوم حتى يخضر جسده ويصلى حتى يسقط فدخل عليه انس بن مالك والحسن فقالا له ان الله تعالى لم يأمرك
بكل هذا فقال انما انا عبد مملوك لا ادع من الاستكانة شيئا الا جئت به وكان بعض المجتهدين يصلى فى كل يوم الف ركعة حتى
اقعد من رجليه فكان يصلى جالسا الف ركعة فاذا صلى العصر احتبى ثم قال عجبت للخليقة كيف ارادت بك بدلا منك عجبت للخليقة كيف
انست بسواك بل عجبت للخليقة كيف استنارت قلوبها بذكر سواك وكان ثابت البنانى قد حبب اليه الصلوة فكان يقول اللهم ان كنت
اذنت لاحد ان يصلى فى قبره فاذن لى ان اصلى فى قبرى وقال الجنيد ما رأيت اعبد من السرى اتت عليه ثمان وتسعون سنة
ما رؤى مضطجعا الا فى علة الموت وقال الحارث بن سعد مر قوم براهب فرأوا ما يصنع بنفسه من شدة اجتهاده فكلموه فى ذلك
فقال وما هذا عند ما يراد بالخلق من ملاقاة الاهوال وهم غافلون قد اعتكفوا على حظوظ انفسهم ونسوا حظهم الاكبر من ربهم
فبكى القوم عن آخرهم وعن ابى محمد المغازلى قال جاور ابو محمد الجريرى بمكة سنة فلم ينم ولم يتكلم ولم يستند الى عمود ولا الى
حائط ولم يمد رجليه فعبر عليه ابو بكر الكتانى فسلم عليه وقال له يا ابا محمد بم قدرت على اعتكافك فقال علم صدق باطنى
فاعاننى على ظاهرى فاطرق الكتانى ومشى مفكرا وعن بعضهم قال دخلت على فتح الموصلى فرايته وقد مد كفيه يبكى حتى رأيت الدموع
تتحدر من بين اصابعه فدنوت منه فاذا دموعه قد خالطها صفرة فقلت له بالله يا فتح بكيت الدم فقال لولا انك حلفتنى
بالله ما اخبرتك نعم بكيت دما فقلت له على ماذا بكيت الدموع فقال على تخلفى عن واجب حق الله ثم بكيت الدم على الدموع
لئلا تكون ما صحت لى الدموع قال فرأيته بعد موته فى المنام فقلت له ما صنع الله بك قال غفر لى قلت له فما صنع فى دموعك فقال
قربنى ربى عز وجل وقال لى يا فتح الدمع على ماذا قلت يا رب على تخلفى عن واجب حقك قال والدم على ماذا قلت على دموعى ان لا
تصح لى فقال يا فتح ما اردت بهذا كله وعزتى لقد صعد الى حافظاك اربعين سنة بصحيفتك ما فيها خطيئة وقيل ان قوما
ارادوا سفرا فحادوا عن الطريق فانتهوا الى راهب منفرد عن الناس فنادوه فاشرف عليهم من صومعته فقالوا يا راهب
انا قد اخطأنا الطريق فكيف هو فقال ها هنا واومى براسه الى السماء فعلم القوم ما اراد فقالوا يا راهب انا سائلوك فهل انت
مجيبنا فقال سلوا ولا تكثروا فان النهار لن يرجع والعمر لا يعود والطالب حثيث فتعجب القوم من كلامه فقالوا يا راهب
علام يحشر الخلق غدا عند مليكهم قال على نياتهم فقالوا اوصنا قال تزودوا على قدر سفركم فان خير الزاد ما بلغ البغية
ثم ارشدهم الى الطريق وادخل راسه فى صومعته وقال عبد الواحد بن زيد مررت بصومعة راهب من رهبان الصين
فناديته يا راهب فلم يجبنى فناديته الثانية فلم يجبنى فناديته الثالثة فاشرف على وقال يا هذا ما انا براهب انما الراهب
من رهب الله فى سمائه وعظمه فى كبريائه وصبر على بلائه ورضى بقضائه وحمده على آلائه وشكره على نعمائه وتواضع لعظمته
وذل لعزته واستسلم لقدرته وخضع لمهابته وفكر فى حسابه وعقابه فنهاره صائم وليله قائم قد اسهره ذكر النار
ومسألة الجبار فذلك هو الراهب واما انا فكلب عقور حبست نفسى فى هذه الصومعة عن الناس لئلا اعقرهم فقلت

يا راهب ما الذي قطع الخلق عن الله بعد اذ عرفوه فقال يا اخي لم تنقطع الخلق عن الله الا حب الدنيا وزينتها لانها محل
المعاصي والذنوب والعاقل من رمى بها عن قلبه وتاب الى الله عن ذنبه واقبل على ما يقربه من ربه وقيل لداود الطائي
لو سرحت لحيتك فقال اني اذاً لفارغ وكان اويس القرني يقول هذه ليلة الركوع فيحيي الليل كله في ركعة واحدة
وهذه ليلة السجود فيحيي الليل كله في سجدة وقيل لما تاب عتبة الغلام كان لا يتهنى بالطعام والشراب فقالت له امه
لو رفقت بنفسك فقال الرفق اطلب دعيني اتعب قليلا واتنعم كثيرا وقيل حج مسروق فما نام قط الا ساجدا على وجهه وقال
سفيان الثوري عند الصباح يحمد القوم السرى وعند الممات يحمد القوم التقى وقال عبد الله بن داود كان احدهم اذا بلغ اربعين
سنة طوى فراشه اي كان لا ينام طول الليل وكان كهمس بن الحسن يصلي كل يوم الف ركعة ثم يقول لنفسه قومي يا مأوى كل شر
فلما ضعف اقتصر على خمسمائة ثم كان يبكي ويقول ذهب نصف عملي وكانت ابنة الربيع بن خثيم تقول يا ابت ما لي ارى الناس
ينامون واراك لا تنام فيقول يا بنتاه ان اباك يخاف البيات ولما رأت ام الربيع ما يلقى الربيع من البكاء والسهر نادته يا بني
لعلك قتلت قتيلا فقال نعم يا والدة قالت فمن هو حتى نطلب اهله فيعفوا عنك فوالله لو يعلمون ما انت فيه لرحموك وعفوا
عنك فقال يا والدة هي نفسي وقال الربيع اتيت اويسا فوجدته جالسا قد صلى الفجر ثم جلس فقلت لا اشغله عن التسبيح
فمكث مكانه حتى صلى الصبح ثم جلس فغلبته عيناه فقال اللهم اني اعوذ بك من عين نوامة ومن بطن لا يشبع فقلت حسبي
هذا منه ثم رجعت ونظر رجل الى اويس فقال يا عبد الله ما لي اراك كأنك مريض فقال وما لاويس لا يكون مريضا يطعم المريض
واويس غير طاعم وينام المريض واويس غير نائم وقال احمد بن حرب يا عجبا لمن يعرف ان الجنة تزين فوقه وان النار تسعر تحته
كيف ينام بينهما وقال رجل من النساك اتيت ابرهيم بن ادهم فوجدته قد صلى العشاء فقعدت ارقبه فلف نفسه بعباءة
ثم رمى بنفسه فلم ينقلب من جنب الى جنب الليل كله حتى طلع الفجر واذن المؤذن فوثب الى الصلوة ولم يحدث وضوءا فحاك
ذلك في صدري فقلت له رحمك الله قد نمت الليل كله مضطجعا ثم لم تجدد الوضوء فقال كنت الليلة كلها جائلا في رياض الجنة
احيانا وفي اودية النار احيانا فهل في ذلك نوم وقال ثابت البناني ادركت رجالا كان احدهم يصلي فيعجز عن ان يأتي فراشه الا حبوا
وقيل مكث ابو بكر بن عياش رحمه الله اربعين سنة لا يضع جنبه على فراش ونزل الماء في احدى عينيه فمكث عشرين سنة لا يعلم به اهله وقيل
كان ورد سمنون رحمه الله في كل يوم خمسمائة ركعة وعن ابي بكر المطوعي قال كان وردي كل يوم وليلة اقرأ فيه قل هو الله احد ثلثين
الف مرة او اربعين الف مرة شك الراوي وكان منصور بن المعتمر رحمه الله اذا رأيته قلت اصابته مصيبة منكسر الطرف
منخفض الصوت رطب العينين ان حركته جادت عيناه ولقد قالت له امه ما هذا الذي تصنع تبكي الليل عامته لا تسكت لعلك يا بني
اصبت نفسا لعلك قتلت قتيلا فيقول يا اماه انا اعلم بما صنعت بنفسي وقيل لعامر بن عبد الله كيف صبرك على سهر الليل وظماء
الهواجر فقال هل هو الا اني صرفت طعام النهار الى الليل ونوم الليل الى النهار وليس في ذلك خطير امر وكان يقول ما رأيت مثل الجنة
نام طالبها وما رأيت مثل النار نام هاربها وكان اذا جاء الليل قال اذهب حر النار النوم فما ينام حتى يصبح واذا جاء النهار
قال اذهب حر النار النوم فما ينام حتى يمسي فاذا جاء الليل قال من خاف ادلج وعند الصباح يحمد القوم السرى وقال بعضهم صحبت عامر بن
عبد قيس اربعة اشهر فما رأيته نام بليل ولا نهار وروي عن رجل من اصحاب علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه قال صليت خلف علي الفجر
فلما سلم انفتل عن يمينه وعليه كآبة فمكث حتى طلعت الشمس ثم قلب يده وقال والله لقد رأيت اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
وما ارى اليوم شيئا يشبههم كانوا يصبحون شعثا غبرا صفرا قد باتوا لله سجدا وقياما يتلون كتاب الله يراوحون بين اقدامهم

وجباههم وكانوا اذا ذكروا الله مادوا كما يميد الشجر في يوم الريح وهملت اعينهم حتى تبتل ثيابهم وكان القوم باتوا غافلين
يعني من كان حوله وكان ابو مسلم الخولاني علق سوطا في مسجد بيته يخوف به نفسه وكان يقول لنفسه قومي فوالله
لازحفن بك زحفا حتى يكون الكلل منك لا مني فاذا دخلته الفترة تناول سوطه وضرب بها ساقه ويقول انت اولى
بالضرب من دابتي ويقول اتظن اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ان يستأثروا به دوننا كلا والله لنزاحمنهم زحاما حتى يعلموا
انهم قد خلفوا وراءهم رجالا وكان صفوان بن سليم قد تعقدت ساقاه من طول القيام وبلغ من الاجتهاد ما لو قيل له القيامة
غدا ما وجد له متزيدا وكان اذا جاء الشتاء اضطجع على السطوح داخل البيوت ليجد الحر والغم فلا ينام وانه مات وهو ساجد
وكان يقول اللهم اني احب لقاءك فاحب لقائي وقال القسم بن محمد غدوت يوما وكنت اذا غدوت بدأت بعائشة رضي الله عنها
اسلم عليها فغدوت يوما اليها فاذا هي تصلي صلوة الضحى وهي تقرأ فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم وتبكي وتدعو وتردد الاية
فلما رأيت ذلك ذهبت الى السوق فقلت افرغ من حاجتي ثم ارجع ففرغت من حاجتي ثم رجعت وهي تردد الاية وتدعو وتبكي وقال
محمد بن اسحق لما ورد علينا عبد الرحمن بن الاسود حاجا اعتلت احدى قدميه فقام يصلي على قدم واحدة حتى صلى الصبح بوضوء العشاء
وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه سيما الصالحين صفرة الالوان من السهر وعمش العيون من البكاء وذبول الشفاه من الصوم عليهم غبرة
الخاشعين وقيل للحسن ما بال المتهجدين احسن الناس وجوها فقال انهم خلوا بالرحمن فالبسهم نورا من نوره وكان عامر بن عبد قيس يقول
الهي خلقتني ولم تؤامرني وتميتني ولم تعلمني وخلقت معي عدوا وجعلته يجري مني مجرى الدم وجعلته يراني ولا اراه ثم قلت لي استمسك
الهي كيف استمسك ان لم تمسكني الهي في الدنيا الهموم والاحزان وفي الاخرة الحساب والعقاب فاين الراحة والفرح وقال جعفر بن محمد
كان عتبة الغلام يقطع الليل بثلث صيحات كان اذا صلى العتمة وضع راسه بين ركبتيه يتفكر فاذا مضى ثلث الليل صاح صيحة ثم يضع راسه
بين ركبتيه يتفكر فاذا مضى ثلثا الليل صاح صيحة ثم يضع راسه بين ركبتيه يتفكر فاذا كان السحر صاح صيحة قال جعفر بن محمد فحدثت
بعض البصريين فقال لا تنظر الى صياحه انظر الى ما كان فيه بين الصيحتين حتى صاح وعن القسم بن راشد الشيباني قال كان زمعة نازلا
عندنا بالمحصب وكان له اهل وبنات وكان يقوم فيصلي ليلا طويلا فاذا كان السحر نادى باعلى صوته ايها الركب المعرسون اكل
هذا الليل ترقدون فلا تقومون وترحلون فيتواثبون فيسمع من ههنا باك ومن ههنا داع ومن ههنا قارئ ومن ههنا متوضي
فاذا طلع الفجر نادى باعلى صوته عند الصباح يحمد القوم السرى وقال بعض الحكماء ان لله عبادا انعم عليهم فعرفوه وشرح صدورهم
فاطاعوه وتوكلوا عليه فسلموا الخلق والامر اليه فصارت قلوبهم معادن لصفاء اليقين وبيوتا لليقين وتوابيت للعظمة وخزائن للقدرة
ثم من الخلائق مقبلون ومدبرون وقلوبهم تجول في الملكوت وتلوذ بمحجوب الغيوب ثم ترجع ومعها طرائف من لطيف الفوائد ما لا
يمكن واصف ان يصفه فهم في باطن امورهم كالديباج حسنا وهم في الظاهر مناديل مبذولون لمن ارادهم تواضعا وهذه طريقة
لا يبلغ اليها بالتكلف وانما هو فضل الله يؤتيه من يشاء وقال بعض الصالحين بينما انا اسير في بعض جبال بيت المقدس اذ هبطت الى
واد هنالك فاذا انا بصوت قد علا واذا لتلك الجبال تجيبه لها دوي عال فاتبعت الصوت فاذا انا بروضة ملتفة واذا انا برجل
قائم فيها يردد هذه الاية يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا الى قوله ويحذركم الله نفسه قال فجلست خلفه اسمع كلامه وهو
يردد هذه الاية اذ صاح صيحة خر منها مغشيا عليه فقلت وا اسفاه هذا لشقائي ثم انتظرت افاقته فافاق بعد ساعة فسمعته
وهو يقول اعوذ بك من مقام الكذابين اعوذ بك من اعمال البطالين اعوذ بك من اعراض الغافلين ثم قال لك خشعت قلوب الخائفين
واليك فزعت امال المقصرين ولعظمتك ذلت قلوب العارفين ثم نفض يديه فقال ما لي وللدنيا وما للدنيا ولي عليك يا دنيا

انما جئت ولا تعجلت الى محبتك فاذهبي وايام فاحذري ثم قال اين القرون الماضية واهل الدهور السالفة في
التراب يبلون وعلى مر الزمان يفنون فناديته يا عبد الله انا منذ اليوم خلفك انتظر فراغك فقال وكيف يفرغ من يبادر
الاوقات وتبادره يخاف سبقها بالموت الى نفسه ام كيف يفرغ من ذهبت ايامه وبقيت آثامه ثم قال انت لها ولكل شدة
اتوقع نزولها ثم لهى عني ساعة وقرأ وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ثم صاح صيحة اخرى اشد من الاولى وخر مغشيا عليه
فقلت قد خرجت نفسه فدنوت منه فاذا هو يضطرب ثم افاق وهو يقول من انا ما خطري هب لي اساءتي بفضلك وجللني
بسترك واعف عن ذنوبي بكرم وجهك اذا وقفت بين يديك فقلت له بالذي ترجوه لنفسك وتثق به الا كلمتني فقال عليك بكلام
من ينفعك كلامه ودع كلام من اوبقته ذنوبه اني لفي هذا الموضع منذ شاء الله اجاهد ابليس ويجاهدني فلم يجد عونا يخرجني عما
انا فيه غيرك فاليك عني يا مخدوع فقد عطلت علي لساني وميلت الى حديثك شعبة من قلبي فانا اعوذ بالله من شرك ثم ارجو
ان يعيذني من سخطه ويتفضل علي برحمته قال فقلت هذا ولي الله اخاف ان اشغله فاعاقب في موضعي هذا فانصرفت فتركته
وقال بعض الصالحين بينما انا اسير في مسير لي اذ ملت الى شجرة لاستريح تحتها فاذا بشيخ قد اشرف علي فقال لي يا هذا قم فان
ملك الموت لم يمت ثم هام على وجهه فاتبعته فسمعته وهو يقول كل نفس ذائقة الموت اللهم بارك لي في الموت فقلت وفيما بعد
الموت فقال من ايقن بما بعد الموت شمر مئزر الحذر ولم يكن له في الدنيا مستقر ثم قال يا من لوجهه عنت الوجوه بيض وجهي
بالنظر اليك واملأ قلبي من المحبة لك واجرني من ذلة التوبيخ غدا عندك فقد آن لي الحياء منك وحان لي الرجوع عن الاعراض
عنك ثم قال لولا حلمك لم يسعني اجلي ولولا عفوك لم ينبسط فيما عندك املي ثم مضى وتركني وانشدوا فيه شعر

نحيل الجسم مكتئب الفؤاد ۰ تراه بقنة او بطن واد ۰ ينوح على معاص فاضحات ۰ يكدر ثقلها صفو الرقاد ۰ فان هاجت مخاوفه وزادت
فدعوته اغثني يا عمادي ۰ فانت بما الاقيه عليم ۰ كثير الصفح عن زلل العباد ۞ وقيل الذ من التلذذ بالغواني
اذا اقبلن في حلل حسان ۰ منيب فر من اهل ومال ۰ يسيح الى مكان من مكان ۰ ليخمل ذكره ويعيش فردا ۰
ويظفر في العبادة بالاماني ۰ تلذذه التلاوة اين ولى ۰ وذكر بالفؤاد وباللسان ۰ وعند الموت يأتيه بشير ۰
يبشره بالنجاة من الهوان ۰ ويدرك ما اراد وما تمنى ۰ من الرحمات في غرف الجنان ۞

وكان كرز بن وبرة يختم القرآن
في كل يوم ثلث مرات ويجاهد نفسه في العبادات غاية المجاهدة فقيل له قد اجهدت نفسك فقال كم عمر الدنيا فقيل سبعة آلاف
سنة فقال وكم مقدار يوم القيمة فقيل خمسون الف سنة قال فكيف يعجز احدكم ان يعمل سبع يوم حتى يأمن ذلك اليوم يعني انك
لو عشت عمر الدنيا واجتهدت سبعة الاف سنة وتخلصت من يوم واحد كان مقداره خمسون الف سنة لكان ربحك كثيرا وكنت
بالرغبة فيه جديرا فكيف وعمرك قصير والآخرة لا غاية لها فهكذا كانت سيرة السلف الصالحين في مرابطة النفس ومراقبتها فمهما
تمردت نفسك عليك وامتنعت من المواظبة على العبادة فطالع احوال هؤلاء فانه قد عز الآن وجود مثلهم ولو قدرت على مشاهدة
من اقتدى بهم فهو انجع في القلب وابعث على الاقتداء فليس الخبر كالمعاينة واذا عجزت عن هذا فلا تغفل عن سماع احوال هؤلاء
فان لم يكن ابل فمعزى وخير نفسك بين الاقتداء بهم والكون في غمارهم وهم العقلاء والحكماء وذووا البصائر في الدين وبين الاقتداء
بالجهلة الغافلين من اهل عصرك ولا ترضى لها ان تنخرط في سلك الحمقى وتقنع بالتشبه بالاغبياء وتؤثر مخالفة العقلاء فان
حدثتك نفسك بان هؤلاء رجال اقوياء لا يطاق الاقتداء بهم فطالع احوال النساء المجتهدات وقل لها لا تستنكفين يا نفس
ان تكوني دون امرأة فاخسس برجل يقصر عن امرأة في امر دينها ودنياها ولنذكر الان نبذة من احوال المجتهدات فقد روي عن

حبيبة العدوية انها كانت اذا صلت العتمة قامت على سطح لها وشدت عليها درعها وخمارها ثم قالت
الهي قد غارت النجوم ونامت العيون وغلقت الملوك ابوابها وخلا كل حبيب بحبيبه وهذا مقامي بين يديك ثم تقبل على صلوتها
فاذا كان السحر وطلع الفجر قالت الهي هذا الليل قد ادبر وهذا النهار قد اسفر فليت شعري اقبلت مني ليلتي فاهنأ ام رددتها
علي فاعزى وعزتك لهذا دأبي ودأبك ما ابقيتني وعزتك لو انتهرتني عن بابك ما برحت عنه لما وقع في نفسي من جودك وكرمك
ويروى عن عجردة انها كانت تحيي الليل وكانت مكفوفة فاذا كان في السحر نادت بصوت لها محزون اليك قطع العابدون
دجى الليالي يستبقون الى رحمتك وفضل مغفرتك فبك يا الهي اسألك لا بغيرك ان تجعلني في اول زمرة السابقين وان
ترفعني لديك في درجة المقربين وان تلحقني بعبادك الصالحين فانت ارحم الرحماء واكرم الكرماء يا كريم ثم تخر ساجدة فيسمع
لها وجبة ثم لا تزال تدعو وتبكي الى الفجر وقال يحيى بن بسطام كنت اشهد مجلس شعوانة فكنت ارى ما تصنع من النياحة
والبكاء فقلت لصاحب لو اتيناها اذا خلت فامرناها بالرفق بنفسها قال انت وذاك قال فاتيناها فقلت لها لو رفقت
بنفسك واقصرت عن هذا البكاء شيئا وكان لك اقوى على ما تريدين قال فبكت ثم قالت والله لوددت اني ابكي حتى تنفد
دموعي ثم ابكي دما حتى لا تبقى قطرة من دم في جارحة من جوارحي واني لي بالبكاء فلم تزل تردد واني لي بالبكاء
حتى غشي عليها وقال محمد بن معاذ حدثتني امرأة من المتعبدات قالت رأيت في منامي كأني ادخلت الجنة فاذا اهل الجنة
قيام على ابوابهم فقلت ما شأن اهل الجنة قيام فقال لي قائل خرجوا ينظرون الى هذه المرأة التي زخرفت الجنان
لها فقلت ومن هذه المرأة فقال امة سوداء من اهل الابلة يقال لها شعوانة قالت فقلت اختي والله قالت فبينا انا كذلك
اذ اقبل بها على نجيبة يطير بها في الهواء فلما رأيتها ناديت يا اختي اما ترين مكاني من مكانك فلو دعوت لي مولاك
فالحقني بك قالت فتبسمت الي وقالت لم يأت لك وقت ذلك ولكن احفظي عني اثنين الزمي الحزن قلبك وقدمي محبة الله على
هواك ولا يضرك متى مت وقال عبد الله بن الحسن كانت لي جارية رومية وكنت بها معجبا وكانت في بعض الليالي نائمة الى
جنبي فانتبهت فالتمستها فلم اجدها فقمت اطلبها فاذا هي ساجدة وهي تقول بحبك لي الا ما غفرت لي ذنوبي فقلت لها لا تقولي
بحبك لي ولكن قولي بحبي لك فقالت يا مولاي بحبه لي اخرجني من الشرك الى الاسلام وبحبه لي ايقظ عيني وكثير من خلقه نيام
وقال ابو هاشم القرشي قدمت علينا امرأة من اهل اليمن يقال لها سرية فنزلت في بعض ديارنا قال فكنت اسمع لها من الليل انينا
وشهيقا فقلت يوما لخادمي اشرف على هذه المرأة ماذا تصنع قال فاشرفت عليها فما اراها تصنع شيئا غير انها لا ترد
طرفها عن السماء وهي مستقبلة القبلة تقول خلقت سرية ثم غذيتها بنعمك من حال الى حال وكل احوالك لها حسنة وكل بلائك
عندها جميل وهي مع ذلك متعرضة لسخطك بالتوثب على معاصيك فلتة بعد فلتة اتراها تظن انك لا ترى سوء فعالها وانت
عليم خبير وانت على كل شيء قدير وقال ذو النون المصري خرجت ليلة من وادي كنعان فلما علوت الوادي اذا سواد مقبل علي
وهو يقول وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ويبكي فلما قرب مني السواد اذا هي امرأة عليها جبة صوف وبيدها ركوة
فقالت لي من انت غير فازعة مني فقلت رجل غريب فقالت لي من انت غير فازعة مني فقلت فقالت يا هذا وهل يوجد مع الله غربة
قال فبكيت لقولها فقالت لي ما الذي ابكاك قلت وقع الدواء على داء قد قرح فاسرع في نجاحه قالت فان كنت صادقا
فلم بكيت قلت يرحمك الله والصادق لا يبكي قالت لا قلت ولم ذلك قالت لان البكاء راحة للقلب فسكت متعجبا من قولها
وقال احمد بن علي استأذنا على عفيرة فحجبتنا فلازمنا الباب فلما علمت ذلك قامت لتفتح لنا فسمعتها وهي تقول اللهم

انى اعوذ بك ممن جاء يشغلنى عن ذكرك ثم فتحت الباب ودخلنا عليها فقلنا لها يا امة الله ادعى لنا فقالت جعل الله قراكم
في بيتى المغفرة ثم قالت لنا مكث عطاء السلمى اربعين سنة لا ينظر الى السماء فحانت منه نظرة فخر مغشيا عليه فاصابه
فتق في بطنه فيا ليت عبرة اذ رفعت راسها لم تعص وياليتها اذ عصت لم تعد وقال بعض الصالحين خرجت يوما الى السوق
ومعى جارية حبشية فاحتبستها في موضع بناحية السوق وذهبت في بعض حوائجى وقلت لا تبرحى حتى انصرف اليك قال
قال فانصرفت فلم اجدها في الموضع فانصرفت الى المنزل وانا شديد الغضب عليها فلما راتنى عرفت الغضب في وجهى فقالت لى
يا مولاى لا تعجل على انك اجلستنى في موضع لم ار فيه ذاكرا لله تعالى فخفت ان يخسف بذلك الموضع فعجبت لقولها وقلت انت حرة
فقالت ساءما صنعت كنت احدمك فيكون لى اجران واما الآن فقد ذهب عنى احدهما وقال ابن العلاء السعدى كانت لى ابنة عم يقال لها
برية تعبدت وكانت تكثر القراءة في المصحف فكلما على آية فيها ذكر النار بكت فلم تزل تبكى حتى ذهبت عيناها من البكاء فقال بنو عمها
انطلقوا بنا الى هذه المرأة حتى نعذلها في كثرة البكاء قال فدخلنا عليها فقلنا لها يا برية كيف اصبحت قالت اصبحنا اضيافا
منيخين بارض غربة ننتظر متى ندعى فنجيب فقلنا لها كم هذا البكاء قد ذهبت عيناك منه فقالت ان يكن لعينى عند الله خير فما يضرهما
ما ذهب منهما في الدنيا وان كان لهما عند الله شر فسيزيدهما بكاء اطول من هذا ثم اعرضت قالت فقال القوم قوموا بنا والله
في شىء غير ما نحن فيه وكانت معاذة العدوية اذا جاء النهار تقول هذا يومى الذى اموت فيه فما تطعم حتى تمسى فاذا جاء الليل
تقول هذه الليلة التى اموت فيها فتصلى حتى تصبح وقال ابن سليمان الدارانى بت ليلة عند رابعة فقامت الى محراب لها وقمت
انا الى ناحية من البيت فلم تزل قائمة الى السحر فلما كان السحر قلت لها ما جزاء من قوانا على قيام هذه الليلة قالت جزاؤه ان نصوم
له غدا وكانت شعوانة تقول في دعائها الهى ما اشوقنى الى لقائك واعظم رجائى بجزائك وانت الكريم الذى لا يخيب لديك امل
الآملين ولا يبطل عندك شوق المشتاقين الهى ان كان دنا اجلى ولم يقربنى منك عملى فقد جعلت الاعتراف بالذنب وسائل عللى
فان عفوت فمن اولى منك بذلك وان عذبت فمن اعدل منك هنالك الهى قد جرت في نفسى في النظر لها وبقى لها حسن نظرك
فالويل لها ان لم تسعدها الهى انك لم تزل بى برا ايام حياتى فلا تقطع عنى برك بعد مماتى ولو رجوت من تولانى في حياتى باحسانه
ان يشفعه عند مماتى بغفرانه الهى كيف اياس من حسن نظرك بعد مماتى ولم تولنى الا الجميل في حياتى الهى ان كانت ذنوبى قد اخافتنى
فان محبتى لك قد اجارتنى فتول من امرى ما انت اهله وعد بفضلك على من غره جهله الهى لو اردت اهانتى لما هديتنى ولو اردت فضيحتى
لم تسترنى فمتعنى بما له هديتنى وادم لى ما به سترتنى الهى ما اظنك تردنى في حاجة افنيت فيها عمرى الهى لولا ما قارفت
من الذنوب ما خفت من عقابك ولولا ما عرفت كرمك ما رجوت ثوابك وقال الخواص دخلنا على رحلة العابدة وكانت
كانت قد صامت حتى اسودت وبكت حتى عميت وصلت حتى اقعدت وكانت تصلى قاعدة فسلمنا عليها ثم ذكرناها
شيئا من العفو ليهون عليها الامر قال فشهقت ثم قالت علمى بنفسى قرح فؤادى وكلم كبدى والله لوددت ان الله تعالى
لم يخلقنى ولم اك شيئا مذكورا ثم اقبلت على صلوتها فعليك ان كنت من المرابطين المراقبين لنفسك ان تطالع احوال الرجال
والنساء من المجتهدين لينبعث نشاطك ويزيد حرصك واياك ان تنظر الى اهل عصرك فانك ان تطع اكثر من في الارض
يضلوك عن سبيل الله وحكايات المجتهدين غير محصورة وفيما ذكرناه كفاية للمعتبرين وان اردت مزيدا فعليك
بالمواظبة على مطالعة كتاب حلية الاولياء فهو مشتمل على شرح احوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم بالوقوف عليه
يستبين لك بعدك وبعد اهل عصرك من اهل الدين فان حدثتك نفسك بالنظر الى اهل زمانك وقالت انما يتيسر

الخير في ذلك الزمان لكثرة الاعوان فان خالفت اهل زمانك راوك مجنونا وسخروا بك فوافقهم فيما هم عليه فلا
يجرى عليك الا ما يجرى عليهم والمصيبة اذا عمت طابت فاياك ان تنخدع بمحال غرورها واياك ان تخدع بتزويرها
وقل لها ارايت لو هجم سيل جارف يغرق اهل البلد وثبتوا على مواضعهم ولم ياخذوا حذرهم لجهلهم بحقيقة الحال وقدرت
على ان تفارقهم وتركب سفينة تنجو بها من الغرق فهل يختلج في نفسك ان المصيبة اذا عمت طابت ام تتركين موافقتهم
وتستجهلينهم في صنعهم وتاخذين حذرك مما دهاك فاذا كنت تتركين موافقتهم خوفا من الغرق وعذاب الغرق لا يتمادى
الا ساعة فكيف لا تهربين من عذاب الابد وانت متعرضة له في كل حال ومن اين تطيب المصيبة اذا عمت ولاهل النار
شغل شاغل عن الالتفات الى العموم والخصوص ولم يهلك الكفار الا بموافقة اهل زمانهم حيث قالوا انا وجدنا آباءنا
على امة وانا على آثارهم مهتدون فعليك اذا اشتغلت بمعاقبة نفسك او بحملها على الاجتهاد فاستعصت ان لا تترك
معاتبتها وتوبيخها وتعريفها سوء نظرها لنفسها عساها تنزجر عن طغيانها **المرابطة السادسة** في توبيخ النفس
ومعاتبتها اعلم ان اعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك وقد خلقت امارة بالسوء ميالة الى الشر فرارة من الخير
وامرت بتزكيتها وتقويمها وقودها بسلاسل القهر الى عبادة ربها وخالقها ومنعها عن شهواتها وفطامها عن لذاتها
فان اهملتها شردت وجمحت ولم تظفر بها بعد ذلك وان لازمتها بالتوبيخ والمعاتبة والعذل والملامة كانت نفسك
هى النفس اللوامة التى اقسم الله تعالى بها ورجوت ان تصير النفس المطمئنة المدعوة الى ان تدخل في زمرة عباد الله راضية
مرضية فلا تغفل ساعة عن تذكيرها ومعاتبتها ولا تشتغل بوعظ غيرك ما لم تشتغل اولا بوعظ نفسك واوحى الله تعالى
الى عيسى صلوات الله عليه يا ابن مريم عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحى منى وقال تعالى وذكر فان الذكرى
تنفع المؤمنين وسبيلك ان تقبل عليها فتقرر عندها جهلها وحماقتها فانها ابدا تتعزز بفطنتها وهدايتها ويشتد انفها
واستنكافها اذا نسبت الى الحمق فتقول لها ما اعظم جهلك تدعين الحكمة والذكاء والفطنة وانت اشد الناس غباوة وحمقا
اما تعرفين ما بين يديك من الجنة والنار وانك صائرة الى احدهما على القرب فما لك تفرحين وتضحكين وتشتغلين باللهو وانت
مطلوبة لهذا الخطب الجسيم وعساك اليوم تختطفين او غدا فاراك ترين الموت بعيدا ويراه الله قريبا اما تعلمين ان كل ما هو آت
قريب وان البعيد ما ليس بآت اما تعلمين ان الموت ياتى بغتة من غير تقديم رسول ومن غير مواعدة ومواطاة وانه لا ياتى في شتاء
دون صيف ولا في صيف دون شتاء ولا في نهار دون ليل ولا في ليل دون نهار ولا ياتى في الصبى دون الشباب ولا في الشباب دون
الصبا بل كل نفس من الانفاس يمكن ان يكون فيه الموت فجاة فان لم يكن الموت فجاة ثم يفضى الى الموت فما لك لا تستعدين للموت وهو
اقرب اليك من كل قريب اما تدبرين قوله تعالى اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث الا
استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم ويحك جراتك على معصية الله لاعتقادك ان الله لا يراك فما اعظم كفرك وان كان مع علمك
باطلاعه عليك فما اشد وقاحتك واقل حياءك ويحك لو واجهك عبد من عبيدك بل عبد من عباد الله بل اخ من اخوانك بما تكرهينه كيف
كان غضبك عليه ومقتك له فباى جسارة تتعرضين لمقت الله وغضبه وشديد عقابه افتظنين انك تطيقين عذابه هيهات هيهات
جربى نفسك ان الهاك البطر عن اليم عذابه فاحتبسى ساعة في الشمس او في بيت الحمام او قربى اصبعك من النار ليتبين لك قدر طاقتك
ام تغترين بكرم الله تعالى وفضله واستغنائه عن طاعتك وعبادتك فما لك لا تعولين على كرم الله تعالى في مهمات دنياك فاذا قصدك
عدو فلم تستنبطين الحيل في دفعه ولا تكلينه الى كرم الله تعالى فاذا ارهقتك حاجة الى شهوة من شهوات الدنيا مما لا ينقضى الا بالدينار

والدرهم فمالك تبذلين الروح فى طلبها وتحصيلها من وجوه الحيل فلم لا تقولين على كرم الله حتى يعثر بك على كنز او يسلط عبدا من
عبيده فيحمل اليك حاجتك من غير سعيك وطلبك اتحسبين ان الله كريم فى الآخرة لا فى الدنيا وقد عرفت ان سنة الله لا تبديل لها
وان رب الدنيا والآخرة واحد وان ليس للانسان الا ما سعى ويحك يا نفس ما اعجب نفاقك ودعاويك الباطلة فانك تدعين
الايمان بلسانك واثر النفاق ظاهر عليك الم يقل لك سيدنا ومولانا وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها وقال فى امر الآخرة وان ليس
للانسان الا ما سعى فقد تكفل لك بامر الدنيا خاصة وصرفك عن السعى فيها فكذبته بافعالك واصبحت تكالب على طلبها تكالب
المدهوش المستهتر ووكل امر الآخرة الى سعيك فاعرضت عنها اعراض المغرور المستحقر ما هذا من علامات الايمان لو كان الايمان
باللسان فلما ذا كان المنافقون فى الدرك الاسفل من النار ويحك كانك لا تؤمنين بيوم الحساب وتظنين انك اذا مت انفلت
وتخلصت وهيهات اتحسبين ان تتركين سدى الم تكوني نطفة من منى يمنى ثم كنت علقة فخلق فسوى اليس ذلك بقادر على ان يحيى
الموتى فان كان هذا اضمارك فما اكفرك واجهلك اما تتفكرين انه من ماذا خلقك من نطفة خلقك فقدرك ثم السبيل يسرك
ثم اماتك فاقبرك افتكذبينه فى قوله ثم اذا شاء انشرك فان لم تكوني مكذبة فمالك لا تاخذين حذرك ولو ان يهوديا اخبرك
فى الذ اطعمتك بانه يضرك فى مرضك لصبرت عنه وتركته وجاهدت نفسك فيه افكان قول الانبياء المؤيدين بالمعجزات وقول الله
تعالى فى كتبه المنزلة اقل عندك تاثيرا من قول يهودي يخبرك عن حدس وظن مع نقصان عقل وقصور علم والعجب انه لو اخبرك طفل
بان فى ثوبك عقربا لرميت ثوبك فى الحال من غير مطالبة له ببرهان ودليل افكان قول الانبياء عليهم الصلوة والعلماء والحكماء
وكافة الاولياء اقل عندك من قول صبي من جملة الاغبياء اوصار حر جهنم واغلالها وانكالها وزقومها ومقامعها وصديدها وسمومها
وافاعيها وعقاربها احقر عندك من قول صبي عقرب لا تحس بالمه الا يوما او اقل منه ما هذا افعال العقلاء بل لو انكشف للبهائم حالك
لضحكوا منك وسخروا من عقلك فان كنت قد عرفت جميع ذلك وآمنت به فمالك تسوفين العمل والموت لك بالمرصاد ولعله يختطفك
من غير مهلة فبما ذا امنت استعجال الاجل وهب انك وعدت بالامهال مائة سنة افتظنين ان من يطعم الدابة فى حضيض العقبة
يفلح بها ان ظننت ذلك فما اعظم جهلك ارايت لو سافر رجل ليتفقه فى الغربة فاقام فيها سنين متعطلا بطالا يعد نفسه بالتفقه فى
السنة الاخيرة عند رجوعه الى وطنه هل كنت تضحكين من عقله وظنه ان تفقيه النفس مما يطمع فيه بمدة قريبة او حسبانه ان مناصب
الفقهاء تنال من غير تفقه اعتمادا على كرم الله سبحانه ثم هب ان الجهد فى آخر العمر نافع وانه موصل الى الدرجات العلى فلعل اليوم
آخر عمرك فلم لا تشتغلين فيه فان اوحي اليك بالامهال فما المانع لك من المبادرة وما الباعث لك على التسويف هل له سبب الا
العجز عن مخالفة شهوتك لما فيه من التعب والمشقة افتنتظرين يوما ياتيك لا يعسر فيها مخالفة الشهوات هذا يوم لم يخلقه الله
قط ولا يخلقه فلا يكون الجنة قط الا محفوفة بالمكاره ولا يكون المكاره قط خفيفة على النفوس هذا محال وجوده اما تتاملين
منذ كم تعدين نفسك وتقولين غدا وغدا فقد جاء الغد وصار يوما فكيف وجدته اما علمت ان الغد الذى جاء وصار يوما كان
له حكم الامس لا بل ما تعجزين عنه اليوم فانت غدا عنه اعجز واعجز لان الشهوة كالشجرة الراسخة التى تعبد العبد بقلعها فاذا عجز
عن قلعها للضعف واخرها كان كمن عجز عن قلع شجرة وهو شاب قوى فاخر الى سنة اخرى مع العلم بان طول المدة تزيد الشجرة قوة
ورسوخا وتزيد القالع ضعفا ووهنا فما لا يقدر عليه فى الشباب فلا يقدر عليه قط فى المشيب بل من العناء رياضة الهرم ومن التعذيب
تهذيب الذيب والقضيب الرطب يقبل الانحناء فاذا جف وطال عليه الزمان لم يقبله فاذا كنت لا تفهمين هذه الامور الجلية
وتركنين الى التسويف فمالك تدعين الحكمة واية حماقة تزيد على هذه الحماقة ولعلك تقولين ما يمنعني عن الاستقامة الا حرصي على

الشهوات وقلة صبرى على الآلام والمشقات فما اجهلك واقبح اعتذارك ان كنت صادقة فى ذلك فاطلبي التنعم بالشهوات
الصافية عن الكدورات الدائمة ابد الآباد ولا مطمع فى ذلك الا فى الجنة فان كنت ناظرة لشهوتك فالنظر لها فى مخالفتها
فرب اكلة تمنع اكلات وما قولك فى عقل مريض اشار عليه الطبيب بترك الماء البارد ثلاثة ايام ليصح ويتهنأ بشربه طول العمر
واخبره ان شربه مرض مرضا مزمنا وامتنع عليه شربه طول العمر فما مقتضى العقل فى قضاء حق الشهوة ايصبر ثلاثة ايام
ليتنعم طول العمر ام يقضي شهوته فى الحال خوفا من الم المخالفة ثلاثة ايام حتى يلزمه الم المخالفة ثلثمائة يوم وثلاثة آلاف
يوم وجميع عمرك بالاضافة الى الابد الذى هو مدة نعيم اهل الجنة وعذاب اهل النار اقل من ثلاثة ايام بالاضافة الى جميع العمر
وان طالت مدته وليت شعرى الم الصبر عن الشهوات اعظم شدة واطول مدة او الم النار فى دركات جهنم فمن لا يطيق الصبر
على الم المجاهدة كيف يطيق الم عذاب الله ما اراك تتوانين عن النظر لنفسك الا لكفر خفي او حمق جلي اما الكفر الخفي فضعف ايمانك
بيوم الحساب وقلة معرفتك بعظم قدر الثواب والعقاب واما الحمق الجلي فاعتمادك على كرم الله تعالى وعفوه واستغنائه من
غير التفات الى مكره واستدراجه مع انك لا تعتمدين على كرمه فى لقمة من الخبز او حبة من المال او كلمة واحدة تسمعينها من الخلق بل تتوصلين
الى غرضك فيها بجميع الحيل وبهذا الجهل تستحقين لقب الحماقة من رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال الكيس من دان
نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله ويحك لا ينبغي ان تغرك الحيوة الدنيا ولا يغرنك بالله
الغرور فانظري لنفسك فما امرك بمهم لغيرك ولا تضيعي اوقاتك فالانفاس معدودة واذا مضى منك نفس فقد ذهب منك بعضك
فاغتنمي الصحة قبل السقم والفراغ قبل الشغل والغنى قبل الفقر والشباب قبل الهرم والحيوة قبل الموت واستعدي للآخرة على
قدر بقائك فيها اما تستعدين للشتاء بقدر طول مدته وتجمعين له القوت والحطب واللبد والجبة ولا تتكلين على فضل الله وكرمه
حتى يدفع عنك البرد من غير جبة ولبد وحطب وغير ذلك فانه قادر على ذلك افتظنين ان زمهرير جهنم اخف بردا او اقصر مدة
من زمهرير الشتاء ام تظنين ان العبد ينجو منها بغير سعي هيهات كما لا يندفع برد الشتاء الا بالجبة والنار وسائر الاسباب فلا يندفع
حر النار وبردها الا بحصن التوحيد وخندق الطاعات وانما كرم الله تعالى فى ان عرفك طريق التحصين ويسر لك اسبابه لا
فى ان يدفع عنك العذاب دون حصنه كما ان كرم الله تعالى فى دفع برد الشتاء خلق النار وهداك لطريق استخراجها من بين حديدة وحجر
حتى تدفع به برد الشتاء عن نفسك وكما ان شراء الحطب والجبة مما يستغني عنه خالقك ومولاك وانما تشترينه لنفسك
اذ خلقه سببا لاستراحتك فطاعاتك ومجاهداتك ايضا هو مستغن عنها وانما هي طريقك الى نجاتك فمن احسن فلنفسه
ومن اساء فعليها والله غني عن العالمين ويحك انزعي عن جهلك وقيسي آخرتك بدنياك فما خلقك ولا بعثك الا كنفس واحدة
وكما بدأكم تعودون وسنة الله لن تجد لها تبديلا ولا تحويلا ويحك ما اراك الا الفت الدنيا وانست بها فعسر عليك فراقها
وانت مقبلة على مقاربتها وتؤكدين فى نفسك مودتها فاحسبي انك غافلة عن عقاب الله وثوابه وعن اهوال القيامة واحوالها
فما انت مؤمنة بالموت المفرق بينك وبين محابك افترى ان من يدخل دار ملك ليخرج من الجانب الآخر فمد بصره الى وجه
مليح يعلم انه يستغرقه ثم تضطر لا محالة الى مفارقته اهو معدود من العقلاء او من الحمقى اما تعلمين ان الدنيا
دار ملك الملوك وما لك فيها الا مجاز وكل ما فيها لا يصحب المجتازين بها بعد الموت ولذلك قال سيد البشر صلى الله
عليه وسلم ان روح القدس نفث فى روعي احبب ما احببت فانك مفارقه وعش ما شئت فانك ميت واعمل
ما شئت فانك مجزي به فما تتعلمين ان كل من يلتفت الى ملاذ الدنيا ويانس بها مع ان الموت من ورائه فانما يستكثر من الحسرة

عند المفارقة وانما يتزود من السم المهلك وهو لا يدري او ما تنظرين الى الذين مضوا كيف بنوا وعلوا ثم ذهبوا وخلوا وكيف
اورث الله ارضهم وديارهم اعداءهم ما ترينهم كيف يجمعون ما لا ياكلون ويبنون ما لا يسكنون ويأملون ما لا يدركون
ويبني كل واحد قصرا مرفوعا الى جهة السماء ومقره قبر محفور تحت الارض فهل في الدنيا حمق وانتكاس اعظم من هذا يعمر الواحد
دنياه وهو مرتحل عنها يقينا ويخرب آخرته وهو صائر اليها قطعا اما تستحيين من مساعدة هؤلاء على حماقتهم واحسبي
انك لست ذا بصيرة تهتدين الى هذه الامور وانما تميلين بالطبع الى التشبه والاقتداء فقيسي عقل الانبياء والحكماء والعلماء
بعقل هؤلاء المكبين على الدنيا واقتدي من الفريقين بمن هو اعقل عندك ان كنت تعتقدين في نفسك العقل والذكاء ما اعجب
امرك واشد جهلك واظهر طغيانك عجبا لك كيف تعمين عن هذه الامور الواضحة الجلية ولعلك اسكرك حب الجاه
وادهشك عن فهمها او ما تتفكرين ان الجاه لا معنى له الا ميل قلوب بعض الناس اليك فاحسبي ان كل من على وجه الارض سجدوا
لك واطاعوك اما تعرفين ان بعد خمسين سنة لا تبقين انت ولا واحد ممن على وجه الارض ممن عبدك وسجد لك وسياتي زمان
لا يبقى ذكرك وذكر من ذكرك كما ورد على الملوك الذين من قبلك فهل تحس منهم من احد او تسمع لهم ركزا فكيف تبيعين ما يبقى ابد الاباد
بما لا يبقى اكثر من خمسين سنة ان بقي هذا ان كنت ملكا من ملوك الارض سلم لك الشرق والغرب حتى اذعنت لك الرقاب و
وانتظمت لك الاسباب كيف وبأي ادبارك وشقاوتك اذ لم يسلم لك امر محلتك بل امر دارك فضلا عن محلتك فان كنت لا
تتركين الدنيا رغبة في الآخرة لجهلك وعمى بصيرتك فما لك لا تتركينها ترفعا عن خسة شركائها وتنزها عن كثرة عنائها
وتوقيا عن سرعة فنائها ام ما لك لا تزهدين في قليلها بعد ما زهد فيك كثيرها وما لك تفرحين بدنيا ان ساعدتك فلا
تخلو في بلدك عن جماعة من اليهود والمجوس يسبقونك بها ويزيدون عليك في نعيمها وزينتها فأف لدنيا سبقك
بها هؤلاء الاخساء فما احمقك واخس همتك واسقط رايك اذ رغبت عن ان تكوني في زمرة المقربين من الصديقين والنبيين
في جوار رب العالمين ابد الابدين لتكوني في صف النعال من جملة الحمقى الجاهلين اياما قلائل فيا حسرة عليك اذ خسرت الدنيا
والدين فبادري ويحك فقد اشرفت على الهلاك واقترب الموت وورد النذير فمن ذا يصلي عنك بعد الموت ومن ذا يصوم عنك
بعد الموت ما لك الا ايام معدودة هي بضاعتك ان اتجرت فيها فقد ضيعت اكثرها فلو بكيت بقية عمرك على ما ضيعت منها
لكنت مقصرة في حق نفسك فكيف اذا ضيعت البقية واصررت على عادتك اما تعلمين ان الموت موعدك والقبر بيتك والتراب
فراشك والدود انيسك والفزع الاكبر بين يديك اما علمت ان عسكر الموتى على باب البلد ينتظرونك قد آلوا كلهم على انفسهم
بالايمان المغلظة انهم لا يبرحون من مكانهم ما لم ياخذوك الى انفسهم اما تعلمين انهم يتمنون الرجعة الى الدنيا يوما ليشتغلوا
بتدارك ما فرط منهم وانت في امنيتهم ويوم من عمرك لو بيع منهم بالدنيا بحذافيرها لاشتروها لو قدروا عليها وانت تضيعين ايامك
ويحك اما تستحيين تزينين ظاهرك للخلق وتبارزين الله في السر بالعظائم فتستحيين من الخلق ويحك اهو اهون الناظرين عليك
وتامرين الناس بالخير وانت متلطخة بالرذائل تدعين الى الله وانت فارة وتذكرين بالله وانت له ناسية اما تعلمين ان المذنب انتن
من العذرة وان العذرة لا تطهر غيرها فلم تطمعين في تطييب غيرك وانت غير طيبة في نفسك لو عرفت نفسك حق المعرفة لظننت
ان الناس ما يصيبهم بلاء الا بشؤمك ويحك قد جعلت نفسك حمارا لابليس يقودك الى حيث يريد ويسخر بك ومع هذا فتعجبين
بعملك وفيه من الآفات ما لو نجوت منها راسا براس لربحت وكيف تعجبين بعملك مع كثرة خطاياك وقد لعن الله ابليس بخطيئة
واحدة بعد ان كان عبده مائتي الف سنة واخرج آدم من الجنة بخطيئة واحدة مع كونه نبيه وصفيه ويحك تشتغلين مع هذه الخطايا

بعمارة دنياك كانك غير مرتحلة عنها اما تنظرين الى اهل القبور كانوا قد جمعوا كثيرا وبنوا شديدا
واملوا بعيدا فاصبح جمعهم بورا وبنيانهم قبورا واملهم غرورا اما لك بهم عبرة اما لك اليهم نظرة
اتظنين انهم دعوا الى الآخرة وانت من الخالدين هيهات هيهات ما انت الا في هدم عمرك منذ سقطت من بطن
امك فابني على ظهر الارض قصرك فان بطنها عن قليل قبرك اما تخافين اذا بلغت النفس منك التراقي ان تبدو رسل
ربك منحدرة اليك بسواد الالوان وكلح الوجوه وبشرى بالعذاب فهل ينفعك حينئذ الندم او يقبل منك الحزن او
يرحم منك البكاء والعجب كل العجب منك انك مع هذا تدعين البصيرة والفطنة ومن فطنتك ان تفرحين كل يوم بزيادة المال
وما نفع مال يزيد وعمر ينقص تعرضين عن الآخرة وهي مقبلة عليك وتقبلين على الدنيا وهي معرضة فكم من مستقبل
يوما لم يستكمله ومؤمل لغد لم يبلغه وانت تشاهدين ذلك في اخوانك واقاربك وجيرانك وترين تحسرهم
عند الموت ثم لا ترجعين عن جهالتك فاحذري ايتها النفس المسكينة يوما آلى الله فيه على نفسه ان لا يترك فيه
عبدا امره في الدنيا ونهاه حتى يسأله عن عمله دقيقه وجليله سره وعلانيته فانظري باي بدن تقفين بين يديه وباي
لسان تجيبين واعدي للسؤال جوابا وللجواب صوابا واعملي بقية عمرك في ايام قصار لايام طوال وفي دار زوال لدار مقامة
ولدار حزن ونصب لدار نعيم وخلود اعملي قبل ان لا تعملي اخرجي من الدنيا اختيارا خروج الاحرار قبل ان تخرجي منها
على الاضطرار ولا تفرحي بما ساعدك من زهرات الدنيا فرب مسرور مغبون ورب مغبون لا يشعر فويل لمن له الويل ثم لا يشعر
يضحك وياكل ويشرب ويفرح ويلهو ويمرح وقد حق له في كتاب الله تعالى انه من وقود النار فليكن نظرك يا نفس الى الدنيا
اعتبارا وسعيك لها اضطرارا ورفضك لها اختيارا وطلبك للآخرة ابتدارا ولا تكوني ممن يعجز عن شكر ما اوتي ويبتغي الزيادة
فيما بقي وينهى الناس ولا ينتهي واعلمي انه ليس للدين عوض ولا للايمان بدل ولا للجسد خلف ومن كانت مطيته الليل والنهار
فانه يسار به وان لم يسر فاتعظي يا نفس بهذه الموعظة واقبلي هذه النصيحة فان من اعرض عن الموعظة فقد رضي بالنار وما
اراك بها راضية ولا لهذه الموعظة واعية فان كانت القساوة تمنعك عن قبول الموعظة فاستعيني عليها بدوام التهجد
والقيام فان لم تزل فبالمواظبة على الصيام فان لم تزل فبقلة المخالطة والكلام فان لم تزل فبصلة الارحام واللطف بالايتام
فان لم تزل فاعلمي ان الله قد طبع على قلبك واقفل عليه وانه قد تراكمت ظلمة الذنوب على ظاهره وباطنه فوطني نفسك على النار
فقد خلق الله الجنة وخلق لها اهلا وخلق النار وخلق لها اهلا وكل ميسر لما خلق له فان لم يبق فيك مجال للوعظ فاقنطي من نفسك
والقنوط كبيرة من الكبائر نعوذ بالله منها فلا سبيل لك الى القنوط ولا سبيل لك الى الرجاء مع انسداد طرق الخير عليك فان ذلك
اغترار وليس برجاء فانظري الآن هل ياخذك الحزن على هذه المصيبة التي ابتليت بها وهل تسمح عينك بدمعة رحمة منك على نفسك
فان سمحت فمستقى الدموع من بحر الرحمة فقد بقي فيك موضع للرجاء فواظبي على النياحة والبكاء واستعيني بارحم الراحمين واشكي
الى اكرم الاكرمين وادمني الاستغاثة ولا تملي طول الشكاية ولعله ان يرحم ضعفك ويغيثك فان مصيبتك قد عظمت وبليتك قد تفاقمت
وتماديك قد طال وقد انقطعت منك الحيل وزاحت عنك العلل فلا مذهب ولا مطلب ولا مستغاث ولا مهرب الا الى مولاك فافزعي
اليه بالتضرع واخشعي في تضرعك على قدر عظم جهلك وكثرة ذنوبك لانه يرحم المتضرع الذليل ويغيث الطالب المتلهف وقد اصبحت
والله مضطرة والى رحمة الله محتاجة وقد ضاقت بك السبل وانسدت عليك الطرق ولم تنجع فيك العظات ولم يكسرك التوبيخ
فالمطلوب منه كريم والمسؤول جواد والمستغاث به بر رؤوف والرحمة واسعة والكرم فائض والعفو شامل فقولي يا ارحم الراحمين

يا رجوي يا رحيم يا حليم يا عظيم يا كريم انا المذنب المصر انا الجرى الذي لا اقلع انا المتمادي الذي لا يستحيي هذا مقام المتضرع
المسكين والبائس الفقير والضعيف الحقير والهالك الغريق فعجل اغاثتي وفرجي وارني آثار رحمتك واذقني برد عفوك
ومغفرتك وارزقني قوة عصمتك يا ارحم الراحمين فنداء بابيك صلى الله عليه وسلم فقد قال وهب بن منبه لما اهبط الله
عز وجل آدم الى الارض من الجنة مكث لا ترقا له دمعة فاطلع الله عز وجل عليه في اليوم السابع وهو محزون كظيم منكس راسه
فاوحى الله تعالى اليه يا آدم ما هذا الجهد الذي ارى بك فقال يا رب عظمت مصيبتي واحاطت بي خطيتي واخرجت من ملكوت
ربي فصرت في دار الهوان بعد الكرامة وفي دار الشقاء بعد السعادة وفي دار النصب بعد الراحة وفي دار البلاء بعد العافية
وفي دار الزوال بعد القرار وفي دار الموت والفناء بعد الخلود والبقاء فكيف لا ابكي على خطيتي فاوحى الله عز وجل اليه
يا آدم الم اصطفيك لنفسي واحللتك داري وخصصتك بكرامتي وحذرتك سخطي الم اخلقك بيدي ونفخت فيك
من روحي واسجدت لك ملائكتي فعصيت امري ونسيت عهدي وتعرضت لسخطي فوعزتي لو ملات الارض رجالا كلهم
مثلك يعبدونني ويسبحونني ثم عصوني لانزلتهم منازل العاصين فبكى آدم عند ذلك ثلثمائة عام وكان عتبة الغلام كثير
البكاء يقول في بكائه طول الليل الهي انا الذي كلما طال عمري زادت ذنوبي انا الذي كلما هممت بترك خطيئة عرضت لي
شهوة اخرى واعبيداه خطيئة لم تزل صاحبها في طلب اخرى واعبيداه ان كانت النار
لك مقيلا وماوى واعبيداه ان كانت المقامع لراسك تهيا واعبيداه
قضيت حاجة الطالبين وبقيت حاجتك لا تقضى
وقال منصور بن عمار
سمعت

في بعض الليالي بالكوفة عابدا يناجي ربه وهو يقول يا رب وعزتك ما اردت بمعصيتك مخالفتك ولا
عصيتك اذ عصيتك وانا بمكانك جاهل ولا لعقوبتك متعرض ولا لنظرك مستخف ولكن سولت لي نفسي واعانني
على ذلك شقوتي وغرني سترك المرخى علي فعصيتك بجهلي وخالفتك بفعلي فمن عذابك الآن من يستنقذني
وبحبل من اعتصم ان قطعت حبلك عني واسوأتاه من الوقوف بين يديك غدا اذا قيل للمخفين جوزوا وللمثقلين
حطوا امع المخفين اجوز ام مع المثقلين احط ويلي كلما كبرت سني كثرت ذنوبي ويلي كلما طال عمري كثرت معاصي فالى
متى اتوب والى متى اعود اما آن لي ان استحيي من ربي فهذه طرق القوم في مناجاتهم مولاهم وفي معاتبة نفوسهم فانما
مطلبهم من المناجات الاسترضاء ومقصدهم من المعاتبة التنبيه والاسترعاء فمن اهمل المعاتبة
والمناجاة لم يكن لنفسه مراعيا ويوشك ان لا يكون الله سبحانه عنه راضيا ٥
تم الكتاب والله اعلم واحكم بالخير والصدق والصواب
والحمد لله العلي التواب واليه المرجع والماب
والصلوة والسلام على محمد خير
من اوتي الحكمة وفصل
الخطاب

وعلى اله الطيبين واصحابه الطاهرين خير آل واصحاب ويتلوه كتاب التفكر وهو التاسع من المنجيات
من كتب احياء علوم الدين رحم الله مؤلفه واسكنه اعلى عليين وادخله في عباده الصالحين ٥

كتاب التفكر وهو الكتاب التاسع من ربع المنجيات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي لم يقدر لانتهاء عزته نحواً ولا قطراً ولم يجعل لمرقى أقدام الأوهام ومرمى سهام الأفهام إلى حمى عظمته
مجرى وترك قلوب الطالبين في بيداء كبريائه والهة حيرى كلما اهتزت لنيل مطلوبها ردتها سبحات الجلال قسراً وإذا
وإذا همت بالانصراف آيسة نوديت من سرادقات الجمال صبراً صبراً ثم قيل أجيلي في ذل العبودية فكرك لأنك لو تفكرت في جلال
الربوبية لم تقدر له قدراً وإن طلبت وراء الفكر في صفاتك أمراً فانظري في نعم الله وآلائه كيف توالت عليك تترى وجددي
لكل نعمة منها ذكراً وشكراً وتأملي في بحار المقادير كيف فاضت على العالمين خيراً وشراً ونفعاً وضراً وعسراً ويسراً وفوزاً وخسراً
وجبراً وكسراً وطياً ونشراً وإيماناً وكفراً وعرفاناً ونكراً وإن جاوزت النظر في الأفعال إلى النظر في الذات فقد حاولت أمراً إمراً
وخاطرت بنفسك مجاوزاً حد البشر ظلماً وجوراً فقد انبهرت العقول دون مبادي إشراقه وانتكصت على أعقابها اضطراراً وقهراً
وصلوات الله على محمد إذ كان سيد ولد آدم ولم يعد سيادته فخراً صلاة تبقى لنا في عرصات القيامة عدة وذخراً وعلى آله وأصحابه
الذين أصبح كل واحد منهم في سماء الدين شمساً وبدراً ولطوائف المسلمين صدراً وسلم كثيراً أما بعد فقد وردت السنة بأن تفكر
ساعة خير من عبادة سنة وكثر الحث في كتاب الله على التدبر والاعتبار والنظر والافتكار ولا يخفى أن الفكر هو مفتاح الأنوار
ومبدأ الاستبصار وهو شبكة العلوم ومصيدة المعارف والفهوم وأكثر الناس قد عرفوا فضله ورتبته ولكن جهلوا حقيقته وثمرته
ومصدره ومورده ومجراه ومسرحه وطريقه وكيفيته ولم يعلم أنه كيف يتفكر ولماذا يتفكر وما الذي يطلب به أهو مراد لعينه أو لثمرة تستفاد
منه فإن كان لثمرة فما تلك الثمرة أهي من العلوم أو من الأحوال أو منهما جميعاً وكشف جميع ذلك مهم ونحن نذكر أولاً فضيلة التفكر
ثم حقيقة التفكر وثمرته ثم مجاري الفكر ومسارحه إن شاء الله تعالى **فضيلة** التفكر قد أمر الله تعالى بالتفكر والتدبر في كتابه العزيز
في مواضع لا تحصى وأثنى على المتفكرين فقال ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً وقد قال ابن عباس إن قوماً
تفكروا في الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم تفكروا في خلق الله تعالى ولا تفكروا في الله تعالى فإنكم لن تقدروا قدره وعن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه خرج على قوم ذات يوم وهم يتفكرون فقال ما لكم لا تتكلمون فقالوا نتفكر في خلق الله عز وجل فقال كذلك فافعلوا تفكروا في خلقه
ولا تفكروا فيه فإن بهذا المغرب أرضاً بيضاء نورها بياضها أو بياضها نورها مسيرة الشمس أربعين يوماً فيها خلق من خلق الله
عز وجل لم يعصوا الله طرفة عين قالوا يا رسول الله فأين الشيطان عنهم قال ما يدرون خلق الشيطان أم لا قالوا من ولد آدم قال لا يدرون
خلق آدم أم لا وعن عطاء قال انطلقت أنا وعبيد بن عمير إلى عائشة رضي الله عنها وبيننا وبينها حجاب فقالت يا عبيد ما يمنعك من
زيارتنا قال قول النبي صلى الله عليه وسلم زر غباً تزدد حباً قال ابن عمير فأخبرينا بأعجب شيء رأيته من رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال فبكت وقالت كل أمره كان عجباً أتاني في ليلتي حتى مس جلده جلدي ثم قال ذريني أتعبد لربي عز وجل فقام إلى القربة
فتوضأ منها ثم قام يصلي فبكى حتى بل لحيته ثم سجد حتى بل الأرض ثم اضطجع على جنبه حتى أتى بلال يؤذنه بصلاة الصبح
فقال يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال ويحك يا بلال وما يمنعني أن أبكي وقد
أنزل الله تعالى في هذه الليلة إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب ثم قال ويل لمن
قرأها ولم يتفكر فيها وقيل للأوزاعي ما غاية التفكر فيهن قال يقرأهن ويعقلهن وعن محمد بن واسع أن رجلاً من أهل البصرة
ركب إلى أم ذر بعد موت أبي ذر فسألها عن عبادة أبي ذر فقالت كان نهاره أجمع في ناحية يتفكر وعن الحسن قال تفكر
ساعة خير من قيام ليلة وعن الفضيل قال الفكر مرآة تريك حسناتك وسيئاتك وقيل لإبراهيم إنك تطيل الفكرة فقال
الفكرة مخ العقل وكان سفيان بن عيينة كثيراً ما يتمثل ويقول: إذا المرء كانت له فكرة ففي كل شيء له عبرة وعن طاوس قال
قال الحواريون لعيسى عليه الصلاة والسلام يا روح الله هل على الأرض اليوم مثلك فقال نعم من كان منطقه ذكراً وصمته
فكراً ونظره عبرة فإنه مثلي وقال الحسن من لم يكن كلامه حكمة فهو لغو ومن لم يكن سكوته تفكراً فهو سهو ومن لم يكن نظره اعتباراً
فهو لهو وفي قوله الله عز وجل سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق قال أمنع قلوبهم التفكر في أمري وعن أبي سعيد
الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطوا أعينكم حظها من العبادة قالوا يا رسول الله وما حظها من العبادة
قال النظر في المصحف والتفكر فيه والاعتبار عند عجائبه وعن امرأة كانت تسكن البادية قريباً من مكة أنها قالت لو تطالعت قلوب
المتقين بفكرها إلى ما قد ذخر لها في حجب الغيوب من خير الآخرة لم يصف لهم في الدنيا عيش ولم تقر لهم في الدنيا عين وكان لقمان يطيل الجلوس
وحده فكان يمر به مولاه فيقول يا لقمان إنك تديم الجلوس وحدك فلو جلست مع الناس كان آنس لك فيقول لقمان إن طول الوحدة
أفهم للفكرة وطول الفكرة دليل على طريق الجنة وقال وهب بن منبه ما طالت فكرة امرئ قط إلا علم وما علم امرؤ قط إلا عمل
وقال عمر بن عبد العزيز الفكرة في نعم الله عز وجل من أفضل العبادة وقال عبد الله بن المبارك يوماً لسهل بن علي ورآه ساكتاً متفكراً
أين بلغت قال الصراط وقال بشر لو تفكر الناس في عظمة الله ما عصوا الله عز وجل وعن ابن عباس ركعتان مقتصدتان في تفكر خير
من قيام ليلة بلا قلب وبينا أبو شريح يمشي إذ جلس فتقنع بكسائه فجعل يبكي فقلنا ما يبكيك قال تفكرت في ذهاب عمري وقلة عملي
واقتراب أجلي وقال أبو سليمان عودوا أعينكم البكاء وقلوبكم الفكر وقال أبو سليمان الفكر في الدنيا حجاب عن الآخرة وعقوبة لأهل
الولاية والفكر في الآخرة يورث الحكمة ويحيي القلوب وقال حاتم من العبرة يزيد العلم ومن الذكر يزيد الحب ومن التفكر يزيد الخوف
وقال ابن عباس التفكر في الخير يدعو إلى العمل به والندم على الشر يدعو إلى تركه ويروى أن الله تعالى قال في بعض كتبه إني لست
أقبل كلام كل حكيم ولكن أنظر إلى همه وهواه فإذا كان همه وهواه لي جعلت صمته تفكراً وكلامه حمداً وإن لم يتكلم وقال أهل العقل
لم يزالوا يعودون بالذكر على الفكر وبالفكر على الذكر حتى استنطقوا قلوبهم فنطقت بالحكمة وقال إسحاق بن خلف كان داود
الطائي رحمه الله على سطح في ليلة قمراء فتفكر في ملكوت السموات والأرض وهو ينظر إلى السماء ويبكي حتى وقع في دار جار له
قال فوثب صاحب الدار من فراشه عرياناً وبيده سيف وظن أنه لص فلما نظر إلى داود رجع ووضع السيف وقال من ذا الذي طرحك
من السطح فقال ما شعرت بذلك وقال الجنيد أشرف المجالس وأعلاها الجلوس مع الفكرة في ميدان التوحيد والتنسم بنسيم المعرفة
والشرب بكأس المحبة من بحر الوداد والنظر بحسن الظن بالله عز وجل ثم قال يا لها من مجالس ما أجلها ومن شراب ما ألذه طوبى
لمن رزقه وقال الشافعي رضي الله عنه استعينوا على الكلام بالصمت وعلى الاستنباط بالفكرة وقال أيضاً صحة النظر في الأمور

الحسن ان

كله نجاة من الغرور والعزم في الرأي سلامة من التفريط والندم والروية والفكر يكشفان عن الحزم والفطنة ومشاورة
الحكماء ثبات في النفس وقوة في البصيرة ففكر قبل ان تعزم وتدبر قبل ان تهجم وشاور قبل ان تقدم وقال ايضا الفضائل اربعة
احدها الحكمة وقوامها الفكرة والثاني العفة وقوامها في الشهوة والثالث القوة وقوامها في الغضب والرابع
العدل وقوامه في اعتدال قوى النفس فهذه اقاويل العلماء في الفكرة وما شرع احد في ذكر حقيقته وبيان مجاريه

بيان حقيقة الفكر وثمرته

اعلم ان الفكر هو احضار معرفتين في القلب ليستثمر منهما معرفة ثالثة ومثاله ان من مال الى العاجلة وآثر
الحيوة الدنيا واراد ان يعرف ان الآخرة اولى بالايثار من العاجلة فله طريقان احدهما ان يسمع من غيره ان الآخرة اولى بالايثار
فيقلده ويصدقه من غير بصيرة بحقيقة الامر فيميل بعمله الى ايثار الآخرة اعتمادا على مجرد قوله وهذا يسمى تقليدا ولا
يسمى معرفة والطريق الثاني ان يعلم ان الابقى اولى بالايثار ثم يعرف ان الآخرة ابقى فيحصل له من هاتين المعرفتين معرفة ثالثة
وهو ان الآخرة اولى بالايثار ولا يمكن تحقق المعرفة بان الآخرة اولى بالايثار الا بالمعرفتين السابقتين فاحضار المعرفتين
السابقتين في القلب للتوصل به الى المعرفة الثالثة يسمى تفكرا واعتبارا وتذكرا ونظرا وتأملا وتدبرا اما التدبر والتأمل
والتفكر فعبارات مترادفة على معنى واحد ليس تحتها معان مختلفة واما اسم التذكر والاعتبار والنظر فهي مختلفة المعاني وان
كان اصل المسمى واحدا كما ان اسم الصارم والمهند والسيف يتوارد على شيء واحد ولكن باعتبارات مختلفة فالصارم يدل على السيف
من حيث هو قاطع والمهند يدل عليه من حيث نسبته الى موضعه والسيف يدل دلالة مطلقة من غير اشعار بهذه الزوائد فكذلك
الاعتبار على احضار المعرفتين من حيث انه يعبر منهما الى معرفة ثالثة فان لم يكن العبور ولم يكن الا الوقوف على المعرفتين فينطلق عليه
اسم التذكر لا اسم الاعتبار واما النظر والتفكر فيقع عليه من حيث ان فيه طلب معرفة ثالثة فمن ليس يطلب لا يسمى ناظرا فكل متفكر فهو متذكر
وليس كل متذكر متفكرا وفائدة التذكار تكرار المعارف على القلب لترسخ وتثبت ولا تنمحي عن القلب وفائدة التفكر تكثير العلم
واستجلاب معرفة ليست حاصلة فهذا هو الفرق بين التذكر والتفكر والمعارف اذا اجتمعت في القلب وازدوجت على
ترتيب مخصوص اثمرت معرفة اخرى فالمعرفة نتاج المعرفة فاذا حصلت معرفة وازدوجت مع معرفة اخرى حصلت منه نتاج آخر
وهكذا يتمادى النتاج وتتمادى العلوم ويتمادى الفكر الى غير نهاية وانما ينسد طريق زيادة المعارف بالموت او بالعوائق هذا
لمن يقدر على استثمار العلوم ويهتدي الى طريق زيادة المعارف وطريق التفكر واما اكثر الناس فانما منعوا الزيادة في
العلوم لفقدهم رأس المال وهو المعارف التي بها تستثمر العلوم كالذي لا بضاعة له فانه لا يقدر على الربح وقد يملك
البضاعة ولكن لا يحسن صنعة التجارة فلا يربح فكذلك قد يكون معه من المعارف ما هو رأس مال العلوم ولكنه ليس يحسن
استعمالها وتأليفها وايقاع الازدواج المفضي الى النتاج فيها ومعرفة طريق الاستعمال والاستثمار تارة تكون بنور الهي
في القلب يحصل بالفطرة كما كان للانبياء صلوات الله عليهم وذلك عزيز جدا وتارة تكون بالتعلم والممارسة وهو الاكثر
ثم المتفكر قد تحضره هذه المعارف وتحصل له الثمرة وهو لا يشعر بكيفية حصولها ولا يقدر على التعبير عنه لقلة ممارسته
لصناعة التعبير والايراد فكم من انسان يعلم ان الآخرة اولى بالايثار علما حقيقيا ولو سئل عن سبب معرفته لم يقدر على ايراده
والتعبير عنه مع انه لم يحصل معرفته الا عن المعرفتين السابقتين وهو ان الابقى اولى بالايثار وان الآخرة ابقى من الدنيا فتحصل
له معرفة ثالثة وهو ان الآخرة اولى بالايثار فيرجع حاصل حقيقة الفكر الى احضار معرفتين للتوصل بهما الى معرفة ثالثة
واما ثمرة الفكر فهي العلوم والاحوال والاعمال ولكن ثمرته الخاصة العلم لا غير نعم اذا حصل العلم في القلب تغير حال القلب

واذا تغير حال القلب تغيرت اعمال الجوارح فالعمل تابع الحال والحال تابع العلم والعلم تابع الفكر فالفكر اذا هو
المبدأ والمفتاح للخيرات كلها وهذا هو الذي يكشف لك عن فضيلة التفكر وانه خير من الذكر والتذكر لان في الفكر ذكرا وزيادة
وذكر القلب خير من عمل الجوارح بل شرف العمل لما فيه من الذكر فاذن التفكر افضل من جملة الاعمال ولذلك قيل تفكر ساعة
خير من عبادة سنة فقيل هو الذي ينقل من المكاره الى المحاب ومن الرغبة والحرص الى الزهد والقناعة وقيل هو الذي
يحدث مشاهدة وتقوى ولذلك قال الله سبحانه لعلهم يتقون او يحدث لهم ذكرا وان اردت ان تفهم كيفية تغير الحال
بالفكر فمثاله ما ذكرناه من امر الآخرة فان الفكر فيه يعرفنا ان الآخرة اولى بالايثار فاذا رسخت هذه المعرفة يقينا
في قلوبنا تغيرت القلوب الى الرغبة في الآخرة والزهد في الدنيا وهذا ما عنيناه بالحال اذ كان حال القلب قبل
هذه المعرفة حب العاجلة والميل اليها والنفرة عن الآخرة وقلة الرغبة فيها وبهذه المعرفة تغير حال القلب وتبدلت ارادته
ورغبته ثم اثمر تغير الارادة اعمال الجوارح في اطراح الدنيا والاقبال على اعمال الآخرة فههنا خمس درجات اولها التذكر
وهو احضار المعرفتين في القلب وثانيها التفكر وهو طلب المعرفة المقصودة منهما والثالثة حصول المعرفة المطلوبة واستنارة
القلب بها والرابعة تغير حال القلب عما كان بسبب حصول نور المعرفة والخامسة خدمة الجوارح للقلب بحسب ما يتجدد له
من الحال فكما يضرب الحجر على الحديد فيخرج منه نار يستضيء بها الموضع فتصير العين مبصرة بعد ان لم تبصر وتنتهض الاعضاء للعمل
فكذلك زناد نور المعرفة هو الفكر فيجمع بين المعرفتين كما يجمع بين الحجر والحديد ويؤلف بينهما تأليفا مخصوصا كما يضرب الحجر على
الحديد ضربا مخصوصا فينبعث نور المعرفة كما ينبعث النار من الحديد ويتغير القلب بسبب هذا النور حتى يميل الى ما لم يكن يميل
اليه كما يتغير البصر بنور النار فيرى ما لم يكن يراه ثم تنتهض الاعضاء للعمل بمقتضى حال القلب كما ينتهض العاجز عن العمل بسبب
الظلمة للعمل عند ادراك البصر ما لم يكن يبصره فاذا ثمرة الفكر العلوم والاحوال فالعلوم لا نهاية لها والاحوال التي تتصور
ان تنقلب على القلب لا يمكن حصرها فلهذا لو اراد مريد ان يحصر فنون الفكر ومجاريه وانه فيماذا يتفكر لم يقدر عليه لان
مجاري الفكر غير محصورة وثمراته غير متناهية نعم نجتهد في ضبط مجاريه بالاضافة الى مهمات العلوم الدينية وبالاضافة
الى الاحوال التي هي مقامات السالكين ويكون ذلك ضبطا جمليا فان تفصيل ذلك يستدعي شرح العلوم كلها فان تفصيل
ذلك يستدعي شرح العلوم كلها وجملة هذه الكتب كالشرح لبعضه فانها مشتملة على علوم تلك العلوم مستفادة من افكار
مخصوصة فلنشر الى الضبط الجامع فيه ليحصل الوثوق على مجاري الفكر

بيان مجاري الفكر

اعلم ان الفكر قد يجري
في امر يتعلق بالدين وقد يجري فيما يتعلق بغير الدين وانما غرضنا ما يتعلق بالدين فلنترك القسم الآخر ونعني بالدين المعاملة
التي هي بين العبد وبين الرب تعالى فجميع افكار العبد اما ان يتعلق بالعبد وصفاته واحواله واما ان يتعلق بالمعبود وصفاته
وافعاله لا يمكن ان يخرج من هذين القسمين وما يتعلق بالعبد اما ان يكون نظرا فيما هو محبوب عند الرب تعالى او فيما مكروه
ولا حاجة الى الفكر في غير هذين القسمين وما يتعلق بالرب تعالى اما ان يكون نظرا في ذاته وصفاته واسمائه الحسنى واما ان
يكون نظرا في افعاله وملكه وملكوته وجميع ما في السموات والارض وما بينهما وينكشف لك انحصار الفكر في هذه الاقسام
بمثال وهو ان حال السائرين الى الله سبحانه والمشتاقين الى لقائه تضاهي حال العشاق فلنتخذ العاشق المستهتر مثالا لنا فنقول
العاشق المستغرق الهم بعشقه لا يعدو امر فكره ان يتعلق بمعشوقه او يتعلق بنفسه فان تفكر في معشوقه فاما ان يتفكر في جماله وحسن
صورته في ذاته ليتنعم بالفكر ويشاهده واما ان يتفكر في افعاله اللطيفة الحسنة الدالة على اخلاقه وصفاته ليكون ذلك

مقتضيًا للذنب ومقويًا للمحبة وان تفكر في نفسه فيكون فكره في صفاته التي تسقطه من عين محبوبه حتى يتنزه عنها او في
الصفات التي تقربه منه وتحببه اليه حتى يتصف بها فان تفكر في شيء خارج من هذه الاقسام فذلك خارج عن حد العشق
وهو نقصان فيه لان العشق التام الكامل ما يستغرق العاشق ويستوفي القلب حتى لا يترك فيه متسعًا لغيره فمحب الله سبحانه
ينبغي ان يكون كذلك فلا يعدو نظره وتفكره محبوبه ومهما كان تفكره محصورًا في هذه الاقسام الاربعة لم يكن خارجًا عن مقتضى
المحبة اصلًا فلنبدأ بالقسم الاول وهو تفكره في صفات نفسه وافعال نفسه ليميز المحبوب منها عن المكروه فان هذا الفكر هو
الذي يتعلق بعلم المعاملة الذي هو مقصود هذا الكتاب واما القسم الاخر فيتعلق بعلوم المكاشفة ثم كل واحد مما هو مكروه عند الله
او محبوب ينقسم الى ظاهر كالطاعات والمعاصي والى باطن كالصفات المنجيات والمهلكات والطاعات والمعاصي تنقسم الى
ما يتعلق بالاعضاء السبعة والى ما ينسب الى جميع البدن كالزحف عن صف القتال وعقوق الوالدين والسكون في المسكن الحرام
ويجب في كل واحد من المكاره التفكر في ثلاثة امور الاول التفكر في انه هل هو مكروه عند الله ام لا فرب شيء لا يظهر كونه
مكروهًا بل يدرك بدقيق النظر والثاني التفكر في انه ان كان مكروهًا فما طريق الاحتراز عنه والثالث في ان هذا المكروه هل هو متصف
به في الحال فيتركه او هو متعرض له في الاستقبال فيحترز عنه او قارفه فيما مضى من الاحوال فيحتاج الى تداركه وكذلك كل واحد
من المحبوبات ينقسم هذه الانقسامات فاذا جمعت هذه الاقسام زادت مجاري الفكر في هذه الاقسام على مائة والعبد مدفوع
الى التفكر اما في جميعها او في اكثرها وشرح احاد هذه الاقسام يطول ولكن نحصر هذا القسم اعني قسم المعاملة في اربعة انواع الطاعات
والصفات المهلكات والصفات المنجيات فلنذكر في كل نوع مثالًا ليقيس به المريد سائرها وينفتح له باب الفكر ويتسع عليه طريقه

النوع الاول ـــ المعاصي ينبغي ان يفتش العبد صبيحة كل يوم جميع اعضائه السبعة تفصيلًا ثم بدنه على الجملة هل هو في الحال ملابس لمعصية
بها فيتركها او لابسها بالامس فيتداركها بالترك والندم او هو متعرض لها في نهاره فيستعد للاحتراز والتباعد منها فينظر
في اللسان ويقول انه متعرض للغيبة والكذب وتزكية النفس والاستهزاء والمماراة والممازحة والخوض فيما لا يعني الى غير ذلك
من المكاره فيقرر اولًا في نفسه انها مكروهة عند الله ويتفكر في شواهد القران والسنة على شدة العذاب فيها ثم يتفكر في احواله
انه كيف يتعرض لها من حيث لا يشعر ثم يتفكر انه كيف يحترز منها ويعلم انه لا يتم له الا بالعزلة والانفراد او بان لا يجالس الا صالحًا
تقيًا ينكر عليه مهما تكلم بما يكرهه الله او يضع حجرًا في فيه اذا جالس غيره حتى يكون ذلك مذكرًا له فهكذا يكون الفكر في حيلة
الاحتراز ويتفكر في سمعه انه يصغي به الى الغيبة والكذب وفضول الكلام والى اللهو والبدعة وان ذلك انما يسمعه من زيد ومن عمرو
وانه كيف ينبغي ان يحترز عنهم بالاعتزال او بالنهي عن المنكر مهما سمع ذلك ويتفكر في بطنه انه انما يعصي الله فيه بالاكل والشرب
اما بكثرة الاكل من الحلال فان ذلك مكروه عند الله ومقوٍ للشهوة التي هي سلاح الشيطان عدو الله واما باكل الحرام او الشبهة فينظر
من اين مطعمه وملبسه ومسكنه ومكسبه ويتفكر في طرق الحلال ومداخله ثم يتفكر في وجوه الحيلة في الاكتساب منه والاحتراز من
الحرام ويقرر على نفسه ان العبادات كلها ضائعة عند الله مع اكل الحرام وان اكل الحلال هو اساس العبادات كلها وان الله لا يقبل
صلاة عبد في ثمن ثوبه درهم حرام كما ورد الخبر فهكذا يتفكر في اعضائه ففي هذا القدر كفاية عن الاستقصاء فمهما حصل بالفكر حقيقة
المعرفة بهذه الاحوال اشتغل بالمراقبة طول النهار حتى يحفظ الاعضاء عنها واما النوع الثاني وهو الطاعات فينظر
اولًا في الفرائض المكتوبة انه كيف يؤديها وكيف يحرسها عن النقصان والتقصير او كيف يجبر نقصانها بكثرة النوافل ثم يرجع الى
عضو عضو فيتفكر في الافعال التي تتعلق بها مما يحبه الله تعالى فيقول مثلًا ان العين خلقت للنظر في ملكوت السموات والارض بعبرها

بعبرها عبرة ولتستعمل في طاعة الله وينظر في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وانا قادر على ان اشغل العين بمطالعة
القران والسنة فلم لا افعله وانا قادر على ان انظر الى فلان المطيع بعين التعظيم فادخل السرور على قلبه وانظر الى فلان الفاسق
بعين الازدراء فازجره بذلك عن معصيته فلم لا افعله وكذلك يقول في سمعه اني قادر على استماع كلام ملهوف او استماع حكمة وعلم
او استماع قراءة وذكر فما لي اعطله وقد انعم الله تعالى علي به لاشكره فما لي اكفر نعمة الله تعالى فيه بتضييعه وتعطيله وكذلك يتفكر
في اللسان ويقول اني قادر على ان اتقرب الى الله تعالى بالتعليم والوعظ والتودد الى قلوب اهل الصلاح وبالسؤال عن احوال
الفقراء وادخال السرور على قلب زيد الصالح وعمرو العالم بكلمة طيبة وكل كلمة طيبة فانها صدقة وكذلك يتفكر في ماله فيقول
انا قادر على ان اتصدق بالمال الفلاني فاني مستغن عنه ومهما احتجت اليه رزقني الله تعالى مثله وان كنت محتاجًا الان فانا الى
ثواب الايثار احوج مني الى ذلك المال وهكذا يفتش عن اعضائه وجملة بدنه وامواله بل عن دوابه وغلمانه واولاده فان كل
ذلك ادواته واسبابه ويقدر على ان يطيع الله تعالى بها فيستنبط بدقيق الفكر وجوه الطاعات الممكنة بها ويتفكر فيما يرغبه في
البدار الى تلك الطاعات ويتفكر في اخلاص النية فيها ويطلب لها مظان الاستحقاق حتى تزكو بها عمله وقس على هذا سائر
الطاعات واما النوع الثالث ـــ وهي الصفات المهلكة التي محلها القلب فيعرفها مما ذكرناه في ربع المهلكات وهي استيلاء
الشهوة والغضب والبخل والكبر والعجب والرياء والحسد وسوء الظن والغفلة والغرور وغير ذلك ويتفقد من قلبه هذه الصفات
فان ظن ان قلبه منزه عنها فيتفكر في كيفية امتحانه والاستشهاد بالعلامات عليه فان النفس ابدًا تعد بالخير من نفسها وتكذب
فاذا ادعت التواضع والبراءة من الكبر فينبغي ان تجرب بحمل حزمة حطب في السوق كما كان الاولون يجربون به انفسهم واذا ادعت
الحلم تعرض لغضب يناله من غيره ثم يجربها في كظم الغيظ وكذلك في سائر الصفات وهذا تفكر في انه هل هو موصوف بالصفة المكروهة
ام لا ولها علامات ذكرناها في ربع المهلكات فاذا دلت العلامة على وجودها فكر في الاسباب التي تقبح تلك الصفات عنده وتبين
ان منشأها من الجهل والغفلة وخبث الدخلة كما لو راى في نفسه عجبًا بالعمل فيتفكر ويقول انما عملي ببدني وجارحتي وبقدرتي و
ارادتي وكل ذلك ليس مني ولا الي وانما هو من خلق الله وفضله علي فهو الذي خلقني وخلق جارحتي وهو الذي حرك اعضائي بقدرته
فكيف اعجب بعملي او بنفسي ولا اقوم لنفسي بنفسي واذا احس في نفسه بالكبر قرر على نفسه ما فيه من الحماقة ويقول لها لم ترين نفسك
اكبر والكبير من هو كبير عند الله وذلك ينكشف بعد الموت وكم من كافر في الحال يموت مقربًا الى الله تعالى بنزوعه عن الكفر وكم من مسلم
يموت شقيًا بتغير حاله عند الموت بسوء الخاتمة فاذا عرف ان الكبر مهلك وان اصله الحماقة فيتفكر في علاج ازالته بان يتعاطى افعال المتواضعين
واذا وجد في نفسه شهوة الطعام وشرهه تفكر في ان هذه صفة البهائم ولو كان في شهوة الطعام والوقاع كمال لكان ذلك من
صفات الله تعالى وصفات الملائكة كالعلم والقدرة ولما اتصف به البهائم ومهما كان الشره عليه اغلب كان بالبهائم اشبه وعن الملائكة
المقربين ابعد وكذلك يقرر على نفسه في الغضب ثم يتفكر في طريق العلاج وكل ذلك ذكرناه في هذه الكتب فمن يريد ان يتسع له طريق
الفكر فلا بد له من تحصيل ما في هذه الكتب له واما النوع الرابع ـــ وهو المنجيات فهو التوبة والندم على الذنوب والصبر
على البلاء والشكر على النعماء والخوف والرجاء والزهد في الدنيا والاخلاص والصدق في الطاعات ومحبة الله وتعظيمه والرضا
بافعاله والشوق اليه والخشوع والتواضع اليه وكل ذلك ذكرناه في هذا الربع وذكرنا اسبابه وعلاماته فليتفكر العبد كل يوم في
قلبه ما الذي يعوزه من هذه الصفات التي هي المقربة الى الله فاذا افتقر الى شيء منها فليعلم انها احوال لا يثمرها الا العلوم وان
العلوم لا يثمرها الا الافكار فاذا اراد ان يكتسب لنفسه حال التوبة والندم فليفتش ذنوبه اولًا وليتفكر فيها وليجمعها على نفسه

وليعظمها في قلبه ثم لينظر في الوعيد والتشديد الذي ورد في الشرع فيه وليحقق عند نفسه انه متعرض لمقت الله تعالى به حتى
ينبعث له حال الندم واذا اراد ان يستثير من قلبه حال الشكر فلينظر في احسان الله تعالى اليه واياديه عليه وفي ارساله
جميل ستره عليه على ما شرحنا بعضه في كتاب الشكر وليطالع ذلك واذا اراد المحبة والشوق فليتفكر في جلال الله وجماله
وعظمته وكبريائه وذلك بالنظر في عجائب حكمته وبدائع صنعه كما سنشير الى طرف يسير منه في القسم الثاني من الفكر واذا اراد حال
الخوف فلينظر اولا في ذنوبه الظاهرة والباطنة ثم لينظر في الموت وسكراته ثم فيما بعده من سؤال منكر ونكير وعذاب القبر وحياته
وعقاربه وديدانه ثم في هول النداء عند نفخة الصور ثم في هول المحشر عند جمع الخلائق على صعيد واحد ثم في المناقشة في
الحساب والمضايقة في النقير والقطمير ثم في الصراط ودقته وحدته ثم في خطر الامر عنده انه يصرف الى الشمال فيكون من اصحاب
النار او يصرف الى اليمين فينزل دار القرار ثم ليحضر بعد اهوال القيامة في قلبه صورة جهنم ودركاتها ومقامعها واهوالها
وسلاسلها واغلالها وزقومها وصديدها وانواع العذاب فيها وقبح صورة الزبانية الموكلين بها وانه كلما نضجت جلودهم بدلت
جلودا غيرها وانهم كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها وانهم اذا راوها من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا وهلم جرا
الى جميع ما ورد في القران من شرحها واذا اراد ان يستجلب حال الرجاء فلينظر الى الجنة ونعيمها واشجارها واثمارها وانهارها
وحورها وولدانها ونعيمها المقيم وملكها الدائم فهكذا طريق الفكر الذي يطلب به العلوم التي تثمر اجتلاب احوال محبوبة او التنزه
عن صفات مذمومة وقد ذكرنا في كل واحدة من هذه الاحوال كتابا مفردا يستعان به على تفصيل الفكر اما بذكر مجامعه فلا يوجد
فيه انفع من قراءة القران بالتفكر فانه جامع لجميع المقامات والاحوال وفيه شفاء للعالمين ففيه ما يورث الخوف والرجاء والصبر والشكر
والمحبة والشوق وسائر الاحوال وفيه ما يزجر عن سائر الصفات المذمومة فينبغي ان يقراها العبد ويردد الاية التي هو محتاج الى
التفكر فيه مرة بعد اخرى ولو مائة مرة فقراءة اية بتفكر وفهم خير من ختمة وليتوقف في التامل فيها ولو ليلة واحدة فان تحت
كل كلمة منها اسرارا لا تنحصر لا يوقف عليها الا بدقيق الفكر عن صفاء القلب بعد صدق المعاملة وكذلك مطالعة اخبار رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقد اوتي جوامع الكلم وكل كلمة من كلماته بحر من بحور الحكمة لو تامله العالم حق تامله لم ينقطع فيه نظره
طول عمره وشرح احاد الايات والاخبار يطول فانظر الى قوله صلى الله عليه وسلم ان روح القدس نفث في روعي احبب
ما احببت فانك مفارقه وعش ما شئت فانك ميت واعمل ما شئت فانك مجزي به فان هذه جامعة حكم الاولين والاخرين
وهي كافية للمتاملين فيها طول العمر اذ لو وقفوا على معانيها وغلبت على قلوبهم غلبة يقين لاستغرقتهم ولحال بينهم وبين التلفت
الى الدنيا بالكلية فهذا هو طريق الفكر في علوم المعاملة وصفات العبد من حيث هي محبوبة عند الله او مكروهة والمبتدي
ينبغي ان يكون مستغرق الوقت في هذه الافكار حتى يعمر قلبه بالاخلاق المحمودة والمقامات الشريفة وينزه باطنه
وظاهره عن المكاره وليعلم ان هذا مع انه افضل من سائر العبادات فليس هو غاية المطلب بل المشغول به محجوب عن مطلب
الصديقين وهو التنعم بالفكر في جلال الله سبحانه واستغراق القلب بحيث يفنى عن نفسه اي ينسى نفسه واحواله ومقاماته
وصفاته فيكون مستغرق الهم بالمحبوب كالعاشق المستهتر عند لقاء الحبيب فلا يتفرغ للنظر في احوال نفسه واوصافه بل يبقى
كالمبهوت الغافل عن نفسه وهو منتهى لذة العشاق فاما ما ذكرناه فهو تفكر في عمارة الباطن ليصلح للقرب والوصال فاذا
ضيع جميع عمره في اصلاح نفسه فمتى يتنعم بالقرب ولذلك كان الخواص يدور في البوادي فلقيه الحسين بن منصور فقال فيم انت
فقال ادور في البوادي اصحح حالي في التوكل فقال افنيت عمرك في عمران باطنك فاين الفناء في التوحيد فالفناء في الواحد

الحق هو غاية مقصد الطالبين ومنتهى نعيم الصديقين واما التنزه عن الصفات المهلكات فيجري مجرى الخروج عن العدة
في النكاح واما الاتصاف بالصفات المنجيات وسائر الطاعات فيجري مجرى تهيئة المراة جهازها وتنظيفها وجهها ومشطها
شعرها لتصلح بذلك للقاء زوجها فان استغرقت جميع عمرها في تبرئة الرحم وتزيين الوجه كان ذلك حجابا لها عن لقاء المحبوب
فهكذا ينبغي ان تفهم طريق الدين ان كنت من اهل المجالسة وان كنت كالعبد السوء لا تتحرك الا خوفا من الضرب وطمعا في الاجرة فدونك
واتعاب البدن بالاعمال الظاهرة فان بينك وبين القلب حجابا كثيفا فاذا قضيت حق الاعمال كنت من اهل الجنة ولكن للمجالسة
اقوام اخرون واذا عرفت مجال الفكر في علوم المعاملة التي بين العبد وبين ربه فينبغي ان تتخذ ذلك عادتك وديدنك
صباحا ومساء فلا تغفل عن نفسك وعن صفاتك المبعدة من الله تعالى واحوالك المقربة اليه تعالى بل كل مريد فينبغي ان يكون
له جريدة يثبت فيها جملة الصفات المهلكات وجملة الصفات المنجيات وجملة المعاصي والطاعات ويعرض نفسه عليها
كل يوم ويكفيه من المهلكات عشرة فانه ان سلم منها سلم من غيرها وهي البخل والكبر والعجب والرياء والحسد وشدة الغضب
وشره الطعام وشره الوقاع وحب المال وحب الجاه ومن المنجيات عشرة الندم على الذنوب والصبر على البلاء والرضا
بالقضاء والشكر على النعماء واعتدال الخوف والرجاء والزهد في الدنيا والاخلاص في الاعمال وحسن الخلق مع الخلق وحب الله
سبحانه والخشوع له فهذه عشرون خصلة عشرة مذمومة وعشرة محمودة فمهما كفي من المذمومات واحدة منها فيخط عليها
في جريدته ويدع الفكر فيها ويشكر الله تعالى على كفايته اياها وتنزيهه قلبه منها ويعلم ان ذلك لم يتم الا بتوفيق الله تعالى
وعونه ولو وكله الى نفسه لم يقدر على محو اقل الرذائل عن نفسه فيقبل على التسعة الباقية وهكذا يفعل حتى يخط على الجميع وكذلك
يطالب نفسه بالاتصاف بالمنجيات فاذا اتصف بواحدة منها كالتوبة والندم مثلا خط عليها واشتغل بالباقي وهذا يحتاج
اليه المريد المشمر واما اكثر الناس المعدودين من الصالحين فينبغي ان يثبتوا في جريدتهم المعاصي الظاهرة كاكل الشبهة واطلاق اللسان
بالغيبة والنميمة والمراء والثناء على النفس والافراط في معاداة الاعداء وموالاة الاولياء والمداهنة مع الخلق في ترك الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر فان اكثر من يعد نفسه من وجوه الصالحين لا ينفك عن جملة من هذه المعاصي في جوارحه وما لم تطهر
الجوارح عن الاثام لا يمكن الاشتغال بعمارة القلب وتطهيره بل كل فريق من الناس يغلب عليهم نوع من المعصية فينبغي ان يكون
تفقدهم لها وتفكرهم فيها لا في معاص هم بمعزل عنها مثاله العالم الورع فانه لا يخلو في غالب الامر عن اظهار نفسه
بالعلم وطلب الشهرة وانتشار الصيت اما بالتدريس او بالوعظ ومن فعل ذلك تصدى لفتنة عظيمة لا ينجو منها الا الصديقون
فانه ان كان كلامه مقبولا حسن الوقع في القلوب لم ينفك عن الاعجاب والخيلاء والتزين والتصنع وذلك من المهلكات وان رد
كلامه لم يخل عن غيظ وانفة وحقد على من يرده وهو اكثر من غيظه على من يرد كلام غيره وقد يلبس الشيطان عليه ويقول ان
هذا غيظك من حيث انه رد الحق وانكره فان وجد تفرقة بين ان يرد عليه كلامه او يرد على عالم اخر فهو مغرور وضحكة
للشيطان ثم مهما كان له ارتياح بالقبول وفرح بالثناء واستنكاف من الرد والاعراض لم يخل عن تكلف وتصنع لتحسين اللفظ
والايراد حرصا على استجلاب الثناء والله لا يحب المتكلفين والشيطان قد يلبس عليه ويقول انما حرصك على تحسين الالفاظ
والتكلف فيها لنشر الحق وتحسين موقعه في القلوب اعلاء لدين الله تعالى فان كان فرحه بحسن الفاظه وثناء الناس عليه اكثر
من فرحه بثناء الناس على واحد من اقرانه فهو مخدوع وانما يدندن حول طلب الجاه وهو يظن ان مطلبه الدين ومهما اختلج
ضميره بهذه الصفات تظهر على ظاهره حتى يكون للموقر له والمعتقد لفضله اكثر احتراما ويكون بلقائه اشد استبشارا ممن يغلو ا

على

في موالاة غيره وان كان ذلك الغير مستحقا للموالاة وربما ينتهي الامر باهل العلم الى ان يتغايرون تغاير النسا فيشق
على احدهم ان يختلف بعض تلامذته الى غيره وان كان يعلم انه منتفع بغيره ومستفيد منه في دينه وكل هذا رشح الصفات
المهلكات المستكنة في سر القلب الذي قد يظن العالم النجاة منها وهو مغرور فيها وانما ينكشف ذلك بهذه العلامات ففتنة
العالم عظيمة وهو اما مالك واما هالك ولا مطمع له في سلامة العوام فمن احس في نفسه بهذه الصفات فالواجب عليه الانفراد
والعزلة وطلب الخمول والمدافعة للفتاوى مهما سئل فقد كان المسجد يحوي جماعة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
كلهم مفتون وكانوا يتدافعون الفتوى وكل من كان يفتي كان يود ان يكفيه غيره وعند هذا ينبغي ان يتقي شياطين الانس اذ قالوا لا
تفعل هذا فان هذا الباب لو فتح لاندرست العلوم من بين الخلق وليقل لهم ان دين الاسلام مستغن عني فقد كان معمورا قبلي
وكذلك يكون بعدي ولو مت لم ينهدم اركان الاسلام فالدين مستغن عني واما انا فلست مستغنيا عن اصلاح قلبي واما اداء ذلك
الى اندراس العلم فخيال يدل على نهاية الجهل فان الناس لو حبسوا في السجن وقيدوا بالقيود وتوعدوا بالنار على طلب العلم لكان
حب العلو والرياسة يحملهم على كسر القيود وهدم حيطان الحصون والخروج منها والاشتغال بطلب العلم فالعلم لا يندرس
ما دام الشيطان يحبب الى الخلق الرياسة والشيطان لا يفتر عن عمله الى يوم القيامة بل ينتهض لنشره اقوام لا نصيب لهم
في الآخرة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله سبحانه وتعالى ليؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم وان الله ليؤيد هذا
الدين بالرجل الفاجر فلا ينبغي ان يغتر بهذه التلبيسات فيشتغل بمخالطة الخلق حتى يتربى في قلبه حب الجاه والثناء والتعظيم
فان ذلك بذر النفاق وقال صلى الله عليه وسلم حب الجاه والمال ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل وقال صلى
الله عليه وسلم ما ذئبان ضاريان ارسلا في زريبة غنم باكثر فسادا فيها من حب الجاه والمال في دين الرجل المسلم ولا ينقلع
حب الجاه من القلب الا بالاعتزال عن الناس والهرب من مخالطتهم وترك كل ما يزيد جاهه في قلوبهم فليكن فكر العالم في التفطن
لخفايا هذه الصفات من قلبه وفي استنباط طريق الخلاص منه وهذه وظيفة العالم المتقي فاما امثالنا فينبغي ان يكون تفكرنا
فيما يقوي ايماننا بيوم الحساب اذ لو رآنا السلف الصالحون لقالوا قطعا ان هؤلاء لا يؤمنون بيوم الحساب فما اعمالنا اعمال
من يؤمن بالجنة والنار فان من خاف شيئا هرب منه ومن رجا شيئا طلبه وقد علمنا ان الهرب من النار بترك الشهوات والشبهات
والحرام وترك المعاصي ونحن منهمكون فيها وان طلب الجنة بتكثير نوافل الطاعات ونحن مقصرون في الفرائض منها فلم يحصل لنا
من ثمرة العلم الا انه يقتدي بنا في الحرص على الدنيا والتكالب عليها ويقال لو كان هذا مذموما لكان العلماء اولى باجتنابه
منا فليتنا كنا كالعوام اذا متنا ماتت معنا ذنوبنا فما اعظم الفتنة التي تعرضنا لها لو تفكرنا فنسأل الله تعالى ان يصلحنا ويصلح
بنا ويوفقنا للتوبة قبل ان يتوفانا انه الكريم اللطيف بنا المنعم علينا فهذه مجاري افكار العلماء والصالحين في علم المعاملة فان
فرغوا انقطع التفاتهم عن انفسهم وارتقوا منها الى التفكر في جلال الله وعظمته والتنعم بمشاهدته بعين القلب ولا يتم ذلك الا
بعد الانفكاك من جميع المهلكات والاتصاف بجميع المنجيات وان ظهر شيء منه قبل ذلك كان مدخولا معلولا مكدرا مقطوعا
وكان ضعيفا كالبرق الخاطف لا يثبت ولا يدوم ويكون كالعاشق الذي خلا بمعشوقه ولكن تحت ثيابه عقارب تلدغه مرة بعد اخرى
فتنغص عليه لذة المشاهدة ولا طريق له الى كمال التنعم الا باخراج العقارب من ثيابه وهذه الصفات المذمومة عقارب وحيات
وهي مؤذيات ومشوشات وفي القبر يزيد الم لدغها على لدغ العقارب والحيات فهذا القدر كاف في التنبيه على مجاري فكر العبد
في صفات نفسه المحبوبة والمكروهة عند ربه تعالى القسم الثاني الفكر في جلال الله سبحانه وعظمته وكبريائه وفيه مقامان

مقامان المقام الاعلى الفكر في ذاته وصفاته ومعاني اسمائه وهذا مما منع منه حيث قيل تفكروا في خلق الله ولا تفكروا
في ذات الله وذلك لان العقول تتحير فيه فلا يطيق مد البصر اليه الا الصديقون ثم لا يطيقون دوام النظر بل سائر الخلق احوال
ابصارهم بالاضافة الى جلال الله تعالى كحال بصر الخفاش بالاضافة الى نور الشمس فانه لا يطيقه البتة بل يختفي نهارا وانما يتردد ليلا ينظر
في بقية نور الشمس اذا وقع على الارض واحوال الصديقين كحال الانسان في النظر الى الشمس فانه يقدر على النظر
اليها ولكن لا يطيق دوامه ويخشى على بصره لو ادام النظر ونظر المختطف يورث العمش ويفرق البصر وكذلك النظر الى ذات الله
يورث الحيرة والدهش واضطراب العقل فالصواب اذن ان لا يتعرض لمجاري الفكر في ذات الله وصفاته فان اكثر العقول لا تحتمله بل
القدر اليسير الذي صرح به العلماء وهو ان الله تعالى مقدس عن المكان ومنزه عن الاقطار والجهات وانه ليس داخل العالم ولا خارجه
ولا هو متصل بالعالم ولا هو منفصل عنه قد حير عقول اقوام حتى انكروه اذ لم يطيقوا سماعه ومعرفته بل ضعفت طائفة عن احتمال
اقل من هذا اذ قيل لهم انه تعالى عن ان يكون له رأس ورجل ويد وعين وعضو وان يكون جسما متشخصا له مقدار وحجم فانكروا هذا
وظنوا ان ذلك قدح في عظمة الله وجلاله حتى قال بعض الحمقى من العوام ان هذا وصف بطيخ هندي لا وصف الاله لظن
المسكين ان الجلالة والعظمة في هذه الاعضاء وهذا لان الانسان لا يعرف الا نفسه فلا يستعظم الا نفسه فكل ما لا يساويه في صفاته
فلا يفهم العظمة فيه نعم غايته ان يقدر نفسه جميل الصورة جالسا على سرير وبين يديه غلمان يمتثلون امره فلا جرم غايته ان يقدر ذلك
في حق الله تعالى وتقدس حتى يفهم العظمة بل لو كان للذباب عقل وقيل له ليس لخالقك جناحان ولا يد ورجل ولا له طيران لانكر
ذلك وقال كيف يكون خالقي انقص مني افيكون مقصوص الجناح او يكون زمنا لا يقدر على الطيران او يكون لي آلة وقدرة ولا يكون
له مثلها وهو خالقي ومصوري وعقول اكثر الخلق قريب من هذا العقل وان الانسان لظلوم جهول كفار ولذلك اوحى الله تعالى
الى بعض انبيائه لا تخبر عبادي بصفاتي فينكرون ولكن اخبرهم عني بما يفهمون ولما كان النظر في ذات الله وصفاته
من هذا الوجه اقتضى ادب الشرع وصلاح الخلق ان لا يتعرض لمجاري الفكر فيه لنعدل الى المقام الثاني وهو النظر الى
افعاله وعجائب صنعه وبدائع امره في خلقه فانها تدل على كبريائه وجلاله وتقدسه وتعاليه وتدل على كمال علمه وحكمته وعلى
مشيته وقدرته فينظر الى صفاته من آثار صفاته فانا لا نطيق النظر الى صفاته كما انا نطيق النظر الى الارض مهما استنارت
بنور الشمس ونستدل به على عظم نور الشمس بالاضافة الى نور القمر وسائر الكواكب لان نور الارض من آثار الشمس والنظر في
الاثر يدل على المؤثر دلالة ما وان كان لا يقوم مقام النظر في نفس المؤثر وجميع موجودات الدنيا اثر من آثار قدرة الله تعالى
ونور من انواره بل لا ظلمة اشد من العدم ولا نور اظهر من الوجود ووجود الاشياء كلها نور من انوار ذاته تعالى وتقدس اذ قوام
وجود الاشياء بذاته القيوم بنفسه كما ان قوام نور الاجسام بنور الشمس المضيئة بنفسها ومهما انكسف بعض الشمس جرت العادة
بان يوضع طست ماء حتى يرى الشمس فيه ويمكن النظر اليه فكذلك الافعال واسطة نشاهد فيها صفات الفاعل ولا يبهرنا انوار الذات

فيكون الماء واسطة تغض قليلا من نور الشمس حتى يطاق النظر اليه

بعد ان تباعدنا عنها بواسطة الافعال فهذا سر قوله صلى الله عليه وسلم تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في ذات الله تعالى

بيان كيفية التفكر في خلق الله تعالى

اعلم ان كل ما في الوجود مما سوى الله تعالى فهو فعل الله وخلقه وكل ذرة
من الذرات من جوهر وعرض وصفة وموصوف ففيها عجائب وغرائب تظهر بها حكمة الله وقدرته وجلاله وعظمته واحصاء
ذلك غير ممكن لانه لو كان البحر مدادا لكلمات الله لنفد البحر قبل ان ينفد عشر عشير ذلك ولكنا نشير الى جمل ليكون ذلك كالمثال
لما عداه فنقول الموجودات المخلوقة منقسمة الى ما لا يعرف اصلها فلا يمكننا التفكر فيها وكم من الموجودات التي لا نعلمها

كما قال الله سبحانه الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون وقال تعالى وننشئكم فيما لا تعلمون
والى ما نعرف اصلها وجملتها ولا نعرف تفصيلها فيمكننا ان نتفكر في تفصيلها وهي منقسمة الى ما ادركناه بحس البصر والى ما
لا ندرك بالبصر كالملائكة والجن والشياطين والعرش والكرسي وغيرها ومجال التفكر فيه مما يغمض ويدق فلنعدل الى الاقرب
الى الافهام وهي المدركات بحس البصر وذلك هي السموات السبع والارض وما بينهما فالسموات مشاهدة بكواكبها وشمسها و
قمرها وحركتها ودورانها في طلوعها وغروبها والارض مشاهدة بما فيها من جبالها ومعادنها وانهارها وبحارها وحيوانها ونباتها
وما بين السماء والارض وهو الجو يدرك بغيومها وامطارها وثلوجها ورعدها وبرقها وصواعقها وشهبها وعواصف رياحها
فهذه هي الاجناس المشاهدة من السموات والارض وما بينهما وكل جنس منها ينقسم الى اقسام ويتشعب كل قسم الى اصناف ولا نهاية
لانشعاب ذلك وانقسامها في اختلاف صفاتها وهيئاتها ومعانيها الظاهرة والباطنة وجميع ذلك مجال الفكر فلا تتحرك
ذرة في السموات والارض من جماد ونبات وحيوان وفلك وكوكب الا ومحركها هو الله تعالى وفي حركتها حكمة او حكمتان او عشرة
او الف حكمة كل ذلك شاهدة لله بالوحدانية ودالة على جلاله وكبريائه وهي الآيات الدالة عليه وقد ورد القرآن بالحث
على التفكر في هذه الآيات كما قال تعالى ان في اختلاف الليل والنهار لآيات وكما قال ومن آياته من اول القرآن الى آخره فلنذكر
كيفية التفكر في بعض الآيات فمن آياته الانسان المخلوق من النطفة واقرب شيء اليك نفسك وفيك من العجائب الدالة على
عظمة الله ما تنقضي الاعمار في الوقوف على عشر عشيره وانت غافل عنه فيا من هو غافل عن نفسه وجاهل بها كيف تطمع في معرفة غيرك
وقد امرك الله سبحانه بالتدبر في نفسك في كتابه العزيز فقال وفي انفسكم افلا تبصرون وذكر انك مخلوق من نطفة قذرة فقال
قتل الانسان ما اكفره من اي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم اماته فاقبره ثم اذا شاء انشره وقال ومن
آياته ان خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون وقال الم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى وقال الم نخلقكم
من ماء مهين فجعلناه في قرار مكين وقال انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه وقال اولم ير الانسان انا خلقناه من
نطفة فاذا هو خصيم مبين ثم ذكر كيف جعل النطفة علقة والعلقة مضغة والمضغة عظاما فقال تعالى ولقد خلقنا الانسان من
سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة الآية فتكرير ذكر النطفة في الكتاب العزيز ليس ليسمع لفظه
ويترك التفكر في معناه فانظر الآن الى النطفة وهي قطرة من الماء قذرة لو تركت ساعة ليضربها الهواء فسدت وانتنت كيف اخرجها
رب الارباب من الصلب والترائب وكيف جمع بين الذكر والانثى والقى الالفة والمحبة في قلوبهم وكيف قادهم بسلسلة المحبة
والشهوة الى الاجتماع كيف استخرج النطفة من الرجل بحركة الوقاع وكيف استجلب دم الحيض من اعماق العروق وجمعه في
الارحام ثم كيف خلق المولود من النطفة وسقاه بماء الحيض وغذاه حتى نما وربا وكبر وكيف جعل النطفة وهي بيضاء مشرقة
علقة حمراء ثم كيف جعلها مضغة ثم كيف قسم اجزاء النطفة وهي متشابهة متساوية الى العظام والاعصاب والعروق والاعضاء
الظاهرة فدور الراس وشق السمع والبصر والانف والفم وسائر المنافذ ثم مد اليد والرجل وقسم رؤوسها بالاصابع وقسم الاصابع
بالانامل ثم كيف ركب الاعضاء الباطنة من القلب والمعدة والكبد والطحال والرئة والرحم والمثانة والامعاء كل واحد على
شكل مخصوص ومقدار مخصوص لعمل مخصوص ثم كيف قسم كل عضو من هذه الاعضاء باقسام اخر فركب العين من سبع طبقات لكل طبقة
وصف مخصوص وهيئة مخصوصة لو فقدت طبقة منها او زالت صفة من صفاتها تعطلت العين عن الابصار فلو ذهبنا نصف
ما في آحاد هذه الاعضاء من العجائب والآيات لانقضى فيه الاعمار فانظر الآن الى العظام وهي اجسام قوية صلبة كيف خلقها من

نطفة سخيفة رقيقة ثم جعلها قواما للبدن وعمادا له ثم قدرها بمقادير مختلفة واشكال مختلفة فمنه صغير وكبير
وطويل ومستدير ومجوف ومصمت وعريض ودقيق ولما كان الانسان محتاجا الى الحركة بجملة بدنه وببعض اعضائه مترددا في
حاجاته لم يجعل عظمه عظما واحدا بل عظاما كثيرة بينها مفاصل حتى تتيسر بها الحركة وقدر شكل كل واحد منها على وفق الحركة
المطلوبة بها ثم وصل مفاصلها وربط بعضها بالبعض باوتار انبتها من احد طرفي العظم والصقه بالطرف الآخر كالرباط له ثم خلق
في احد طرفي العظم زوائد خارجة منها وفي الآخر نقرا غائصة فيها موافقة لشكل الزوائد لتدخل فيها وتنطبق عليها فصار العبد
ان اراد ان يحرك جزءا من بدنه لم يمتنع عليه ولولا المفاصل لتعذر عليه ذلك ثم انظر كيف خلق عظام الراس وكيف جمعها و
ركبها وقد ركبها من خمسة وخمسين عظما مختلفة الاشكال والصور فالف بعضها الى بعض بحيث استوى به كرة الراس كما تراه فمنها
ستة تخص القحف واربعة عشر للحي الاعلى واثنان للحي الاسفل والبقية هي الاسنان بعضها عريضة تصلح للطحن وبعضها حادة
تصلح للقطع وهي الانياب والاضراس والثنايا ثم جعل الرقبة مركبا للراس وركبها من سبع خرزات مجوفات مستديرات
فيها تحريفات وزيادات ونقصانات لينطبق بعضها على البعض ويطول ذكر وجه الحكمة فيها ثم ركب الرقبة على الظهر وركب
الظهر من اسفل الرقبة الى منتهى عظم العجز من اربع وعشرين خرزة وركب عظم العجز من ثلاثة اجزاء مختلفة ويتصل به من اسفله
عظم العصعص وهو ايضا مؤلف من ثلاثة اجزاء ثم وصل عظام الظهر بعظام الصدر وعظام الكتف وعظام اليدين وعظام
العانة وعظام العجز ثم ركب عظام الفخذين والساقين واصابع الرجلين فلا نطول بذكر عدده ومجموع عدد العظام في بدن الانسان
مائتا عظم وثمانية واربعون عظما سوى العظام الصغيرة التي حشيت بها خلل المفاصل فانظر كيف خلق جميع ذلك من نطفة سخيفة
رقيقة وليس المقصود من ذكر اعداد العظام ان يعرف عددها فان هذا علم قريب يعرفه الاطباء والمشرحون وانما الغرض ان ينظر
منها في مدبرها وخالقها انه كيف قدرها ودبرها وخالف بين اشكالها واقدارها وخصصها بهذا العدد المخصوص لانه لو زاد عليها
واحدا لكان وبالا او نقصانا يحتاج الى الجبر فالطبيب ينظر فيها ليعرف وجه العلاج في جبرها واهل البصائر ينظرون فيها ليستدلوا
بها على جلالة خالقها ومصورها فشتان بين النظرين ثم انظر كيف خلق الله الآلات لتحريك العظام وهي العضلات فخلق في بدن
الانسان خمسمائة عضلة وتسعا وعشرين عضلة والعضلة مركبة من لحم وعصب ورباط واغشية وهي مختلفة المقادير
والاشكال بحسب اختلاف مواضعها وحاجاتها فاربعة وعشرون عضلة منها هي لتحريك حدقة العين واجفانها لو نقصت واحدة
من جملتها اختل امر العين وهكذا لكل عضو عضلات بعدد مخصوص وقدر مخصوص وامر الاعصاب والعروق والاوردة والشرايين وعددها و
منابتها وانشعاباتها اعجب من هذا كله وشرحه يطول فللتفكر مجال في آحاد هذه الاجزاء ثم في آحاد الاعضاء ثم في جملة البدن
وكل ذلك نظر الى عجائب اجسام البدن وعجائب المعاني والصفات التي لا تدرك بالحواس اعظم فانظر الآن الى ظاهر الانسان وباطنه
والى بدنه وصفاته لترى فيها من العجائب والصنعة ما يقضي به العجب وكل ذلك صنع الله في قطرة ماء قذرة فترى من هذا صنعه في قطرة ماء
فما صنعه في ملكوت السموات وكواكبها وما حكمته في اوضاعها واشكالها ومقاديرها واعدادها واجتماع بعضها وتفرق بعضها و
اختلاف صورها وتفاوت مشارقها ومغاربها فلا تظنن ان ذرة من ملكوت السموات تنفك عن حكمة وحكم بل هي احكم خلقا واتقن
صنعا واجمع للعجائب من بدن الانسان بل لا نسبة لجميع ما في الارض الى عجائب السموات ولذلك قال تعالى أأنتم اشد خلقا ام السماء
بناها فارجع الآن الى النطفة وتأمل حالها اولا وما صارت اليه ثانيا وتأمل انه لو اجتمع الجن والانس على ان يخلقوا للنطفة سمعا
او بصرا او عقلا او قدرة او علما او روحا او يخلقوا فيها عظما او عرقا او عصبا او جلدا او شعرا هل يقدرون عليها بل لو ارادوا

ان تعرفوا كنه حقيقته وكيفية خلقته فهذا خلق الله تعالى فعجزوا عنه فالعجب منك لو نظرت الى صورة انسان مصورة على
حائط تأنق النقاش في تصويرها حتى قرب ذلك من صورة الانسان وقال الناظر اليه كأنه انسان عظم تعجبك من صنعة النقاش
وحذقه وخفة يده وتمام فطنته وعظم في قلبك محله مع انك تعلم ان تلك الصورة انما تمت بالصبغ والقلم والحائط وباليد
وبالقدرة وبالعلم وبالارادة وشيء من ذلك ليس من فعل النقاش ولا خلقه بل هو من خلق غيره وانما منتهى فعله الجمع بين الصبغ
والحائط على ترتيب مخصوص فيكثر تعجبك منه وتستعظمه وانت ترى النطفة القذرة كانت معدومة فخلقها خالقها في الاصلاب
والترائب ثم اخرجها منها وشكلها فاحسن تشكيلها وقدرها فاحسن تقديرها وصورها فاحسن تصويرها وقسم اجزاءها
المتشابهة الى اجزاء مختلفة فاحكم العظام في ارجائها وحسن اشكال اعضائها وزين ظاهرها وباطنها ورتب عروقها و
اعصابها وجعلها مجرى لغذائها ليكون ذلك سبب بقائها وجعلها سميعا بصيرا عالما ناطقا فخلق لها الظهر
اساسا لبدنها والبطن حاويا لآلات غذائها والرأس جامعا لحواسها ففتح العينين ورتب طبقاتها واحسن شكلها و
لونها وهيأتها ثم حماها بالاجفان لتسترها وتحفظها وتصقلها وتدفع الاقذاء عنها ثم اظهر في مقدار عدسة منها صورة
السموات مع اتساع اكنافها وتباعد اقطارها فهو ينظر اليها وشق اذنيه واودعها ماء مرا ليحفظ سمعها ويدفع الهوام
عنها وحوطها بصدفة الاذن لتجمع الصوت فترده الى صماخها ولتحس بدبيب الهوام اليها وجعل فيها تحريفات واعوجاجا
لتكثر حركة ما يدب فيها ويطول طريقها فيتنبه عن النوم صاحبها اذا قصدها الدابة في حال النوم ثم رفع الانف من وسط الوجه
واحسن شكله وفتح منخريه واودع فيهما حاسة الشم ليستدل باستنشاق الروائح على مطاعمه واغذيته وليستنشق
بمنفذ المنخرين روح الهواء غذاء لقلبه وترويحا لحرارة باطنه وفتح الفم واودعه اللسان ناطقا وترجمانا ومعربا عما
في القلب وزين الفم بالاسنان لتكون آلة للطحن والكسر والقطع فاحكم اصولها وحدد رؤسها وبيض لونها ورتب صفوفها
متساوية الرؤس متناسقة الترتيب كأنها الدر المنظوم وخلق الشفتين وحسن لونها وشكلها لتنطبق على الفم فتسد
منفذه وليتم بها حروف الكلام ثم خلق الحنجرة وهيأها لخروج الاصوات وخلق للسان قدرة للحركات والتقطيعات
لتقطيع الصوت في مخارج مختلفة تختلف بها الحروف ليتسع طريق النطق بكثرتها ثم خلق الحناجر مختلفة الاشكال في
الضيق والسعة والخشونة والملاسة وصلابة الجوهر ورخاوته والطول والقصر حتى اختلفت بسببها الاصوات فلا
يتشابه صوتان بل يظهر بين كل صوتين فرق حتى يميز السامع بعض الناس عن بعض بمجرد الصوت في الظلمة ثم زين الرأس
بالشعور والاصداغ وزين الوجه باللحية والحاجبين وزين الحاجبين برقة الشعر واستقواس الشكل وزين العينين
بالاهداب ثم خلق الاعضاء الباطنة وسخر كل واحد لفعل مخصوص فسخر المعدة لنضج الغذاء والكبد لاحالة الغذاء الى الدم
والطحال والمرارة والكلية لخدمة الكبد فالطحال يخدمه بجذب السوداء عنه والمرارة تخدمه بجذب الصفراء عنه والكلية
تخدمه بجذب المائية والمثانة تخدم الكلية بقبول الماء عنه ثم تخرجه من طريق الاحليل والعروق تخدم الكبد في ايصال الدم
الى سائر اطراف البدن ثم خلق اليدين وطولهما لتمتد الى المقاصد وعرض الكف وقسم الاصابع الخمس وقسم كل اصبع بثلاث
انامل ووضع الاربعة في جانب والابهام في جانب ليدور الابهام على الجميع ولو اجتمع الاولون والآخرون على ان
يستنبطوا بدقيق الفكر وجها آخر في وضع الاصابع سوى ما وضع عليه من بعد الابهام عن الاربعة وتفاوت الاربعة في
الطول وترتيبها في صف واحد لم يقدروا عليه اذ بهذا الترتيب صلحت للقبض والاعطاء فان بسطها كانت له طبقا يضع عليها

ما يريد وان جمعها كانت آلة للضرب وان ضمها ضما غير تام كانت مغرفة له وان بسطها وضم اصابعها كانت مجرفة
ثم خلق الاظفار على رؤسها زينة للانامل وعمادا لها من ورائها حتى لا تنقطع وليلتقط بها الاشياء الدقيقة التي لا يتناولها
الانامل وليحك بها بدنه عند الحاجة فالظفر الذي هو اخس الاعضاء لو عدمه الانسان وظهر به حكة لكان اعجز الخلق واضعفهم
ولم يقم احد مقامه في حك بدنه ثم هدى اليد الى موضع الحك حتى تمتد اليه ولو في النوم والغفلة من غير حاجة الى طلب ولو
استعان بغيره لم يعثر على موضع الحك الا بعد طلب شديد طويل ثم خلق هذا كله في النطفة وهي في جوف الرحم في ظلمات ثلث ولو
كشف الغطاء والغشاء وامتد البصر اليه لكان يرى التخطيط والتصوير يظهر عليها شيئا فشيئا ولا يرى المصور ولا آلته فهل رأيت مصورا
او فاعلا لا يمس آلته ولا يلاقيه وهو يتصرف فيه فسبحانه ما اعظم شأنه واظهر برهانه ثم انظر مع كمال قدرته الى تمام رحمته فانه
لما ضاق الرحم عن الصبي لما كبر كيف هداه السبيل حتى تنكس وتحرك وخرج من ذلك المضيق وطلب المنفذ كأنه عاقل بصير بما يحتاج اليه
ثم لما خرج واحتاج الى الغذاء كيف هداه السبيل الى التقام الثدي ثم لما كان بدنه سخيفا لا يحتمل الاغذية الكثيفة كيف دبر له
في خلق اللبن اللطيف واستخرجه من بين الفرث والدم سائغا خالصا وكيف خلق الثديين وجمع فيهما اللبن وانبت منهما الحلمة
على قدر ما ينطبق عليه فم الصبي ثم فتح في حلمة الثدي ثقبا ضيقا جدا حتى لا يخرج اللبن الا تدريجا فان الطفل لا يطيق منه الا القليل
ثم كيف هداه الامتصاص حتى يستخرج من ذلك المضيق اللبن الكثير عند شدة الجوع ثم انظر الى عطفه ورأفته كيف اخر خلق الاسنان
الى تمام الحولين لانه في الحولين لا يتغذى الا باللبن فيستغني عن السن واذا كبر لم يوافقه اللبن السخيف ويحتاج الى الطعام غليظ ويحتاج الطعام
الى المضغ والطحن فانبت له الاسنان عند الحاجة لا قبلها ولا بعدها فسبحانه كيف اخرج تلك العظام الصلبة من تلك اللثات
اللينة ثم حنن قلوب الوالدين عليه للقيام بتدبيره في الوقت الذي كان عاجزا عن تدبير نفسه فلو لم يسلط الله سبحانه الرحمة
على والديه لكان الطفل اعجز الخلق عن تدبير نفسه ثم انظر كيف رزقه القدرة والتمييز والعقل والهداية تدريجا حتى بلغ وتكامل
فصار مراهقا ثم شابا ثم كهلا ثم شيخا اما كفورا او شكورا مطيعا او عاصيا مؤمنا او كافرا تصديقا لقوله تعالى هل اتى على
الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا انا هديناه
السبيل اما شاكرا واما كفورا فانظر الى اللطف والكرم ثم الى القدرة والحكمة تبهرك عجائب الحضرة الربوبية فالعجب كل
العجب ممن يرى خطا حسنا او نقشا على حائط فيستحسنه فيصرف جميع همه الى التفكر في النقاش والخطاط وانه كيف نقشه
وخطه وكيف اقتدر عليه ولا يزال يستعظمه ويقول ما احذقه وما اكمل صنعته واحسن قدرته ثم ينظر الى هذه العجائب في نفسه
وفي غيره ثم يغفل عن صانعه ومصوره فلا تدهشه عظمته ولا يحيره جلاله وحكمته فهذه نبذة من عجائب بدنك التي لا يمكن
استقصاؤها وهو اقرب مجال لفكرك واجلى شاهد على عظمة خالقك وانت غافل عنها مشغول ببطنك وفرجك لا تعرف من
نفسك الا ان تجوع فتأكل وتشبع فتنام وتشتهي فتجامع وتغضب فتقاتل وتشاركك في معرفة ذلك البهائم والسباع كلها
وانما خاصية الانسان التي حجبت البهائم عنها معرفة الله تعالى بالنظر في ملكوت السموات والارض وعجائب الآفاق والانفس اذ
بها يدخل العبد في زمرة الملائكة المقربين ويحشر في زمرة النبيين والصديقين مقربا من حضرة رب العالمين وليس هذه الرتبة
للبهائم ولا للانسان رضي من الدنيا بشهوات البهائم فانه شر من البهيمة بكثير اذ لا قدرة للبهيمة على ذلك واما هو فقد خلق
له القدرة ثم عطلها وكفر نعمة الله فيها فاولئك كالانعام بل هم اضل سبيلا واذا عرفت طريق الفكر في نفسك فتفكر في الارض
التي هي مقرك ثم في انهارها وبحارها وجبالها ومعادنها ثم ارتفع منها الى ملكوت السماء ١٥ ـــــ الارض فمن آياتها

ان خلق الارض فراشا ومهادا وسلك فيها سبلا فجاجا وجعلها ذلولا لتمشوا في مناكبها وجعلها قرارا لا تتحرك وارسى فيها الجبال
اوتادا لها تمنعها من ان تميد ثم وسع اكنافها حتى عجز الادميون عن بلوغ جميع جوانبها وان طالت اعمارهم وكثر تطوافهم
فقال تعالى والسماء بنيناها بايد وانا لموسعون والارض فرشناها فنعم الماهدون وقال هو الذي جعل لكم الارض فراشا
واكثر في كتابه العزيز ذكر الارض ليتفكر في عجائبها فظهرها مقر للاحياء وبطنها موطن للاموات ولذلك قال تعالى الم
نجعل الارض كفاتا احياء وامواتا فانظر الى الارض وهي ميتة فاذا انزل عليها الماء اهتزت وربت واخضرت وانبتت عجائب
النبات وخرجت منها اصناف الحيوانات ثم انظر كيف احكم جوانب الارض بالجبال الراسيات والشوامخ الصم الصلاب و
كيف اودع المياه تحتها ففجر العيون واسال الانهار تجري على وجهها واخرج من الحجارة اليابسة ومن التراب الكدر
ماء رقيقا عذبا صافيا زلالا وجعل به كل شيء حيا فاخرج به فنون الاشجار والنبات من حب وعنب وقضب وزيتون ونخل
ورمان وفواكه كثيرة لا تحصى مختلفة الاشكال والالوان والطعوم والصفات والارايح يفضل بعضها على بعض في الاكل
يسقى بماء واحد ويخرج من ارض واحدة فان قلت ان اختلافها لاختلاف بذورها واصولها فمتى كان في النواة نخلة
مطوق عليها قنو الرطب ومتى كانت في حبة واحدة سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة ثم انظر الى اراضي البوادي وفتش ظاهرها
وباطنها فلا ترى فيها شيئا بل تراها ترابا متشابها فاذا انزل عليها الماء اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج الوانا
مختلفة ونباتا متشابها وغير متشابه لكل واحد طعم وريح ولون وشكل يخالف الآخر فانظر الى كثرتها واختلاف اصنافها وكثرة
اشكالها ثم اختلاف طبائع النبات وكثرة منافعها وكيف اودع العقاقير المنافع الغريبة فهذا النبات يغذي وهذا يقوي وهذا
يحيي وهذا يقتل وهذا يبرد وهذا يسخن وهذا اذا حصل في المعدة قمع الصفراء من اعماق العروق وهذا يستحيل الى الصفراء وهذا
يقمع البلغم والسوداء وهذا يستحيل اليه وهذا يستحيل دما وهذا يصفي الدم وهذا ينوم وهذا يفرح وهذا يقوي وهذا يضعف
فلم ينبت من الارض ورقة ولا تبنة الا وفيها منافع لا يقوى البشر على الوقوف على كنهها وكل واحدة يحتاج الفلاح في تربيتها الى
عمل مخصوص فالنخل يؤبر والكرم يقطع والزرع ينقى منه الحشيش وبعضها يستنبت ببث البذر في الارض وبعضها بغرس الاغصان
وبعضها يركب في الشجر ولو اردنا ان نذكر اختلاف النبات ومنافعها واحوالها وعجائبها لانقضت الايام في وصفها فيكفيك
من كل جنس نبذة يسيرة تدلك على طريق الفكر فهذه عجائب النبات ومن آياته الجواهر المودعة تحت الجبال والمعادن الحاصلة من الارض
ففي الارض قطع متجاورات مختلفة فانظر الى الجبال كيف يخرج منها الجواهر النفيسة من الذهب والفضة والفيروزج واللعل وغيرها
بعضها منطبعة تحت المطارق كالذهب والفضة والنحاس والرصاص والحديد وبعضها لا ينطبع كالفيروزج واللعل وكيف هدى الناس الى
استخراجها وتنقيتها واتخاذ الاواني والالات والنقود والحلي منها ثم انظر الى معادن الارض من النفط والكبريت والقير وغيرها
واقلها الملح ولا يحتاج اليه الا لتطييب الطعام ولو خلت عنه بلدة لتسارع الهلاك اليها فانظر الى رحمة الله كيف خلق بعض الاراضي
سبخة بجوهرها بحيث يجتمع فيها الماء الصافي من المطر فيستحيل ملحا مالحا محرقا لا يمكن تناول مثقال منه ليكون ذلك تطييبا لطعامك
اذا اكلته فيتهنأ عيشك وما من جماد وحيوان ونبات الا وفيه حكمة وحكم من هذا الجنس ما خلق شيء منها عبثا ولا لعبا ولا هزلا بل خلق
الكل بالحق وكما ينبغي وعلى ما ينبغي وكما يليق بجلاله وكرمه ولطفه ولذلك قال تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما
الا بالحق ۞ ومن آياته اصناف الحيوانات وانقسامها الى ما يطير والى ما يسير وانقسام ما يمشي الى ما يمشي على رجليه والى ما
يمشي على اربع وعلى عشر وعلى مائة كما يشاهد في بعض الديدان ثم انقسامها في المنافع والصور والاشكال والاخلاق والطباع فانظر الى

الى طيور الجو والى وحوش البر والى البهائم الاهلية ترى فيها من العجائب ما لا تشك معها في عظمة خالقها وقدرة مقدرها و
حكمة مصورها وكيف يمكن ان يستقصى ذلك بل لو اردنا ان نذكر عجائب البقة والنملة والنحل والعنكبوت وهي من صغار الحيوانات
في بنائها بيتها وفي جمعها غذاءها وفي الفها لزوجها وفي ادخارها لنفسها وفي حذقها في هندسة بيتها وفي هدايتها الى حاجاتها
لم نقدر فترى العنكبوت تبني بيتها على طرف نهر فيطلب اولا موضعين متقاربين بينهما فرجة بمقدار ذراع فما دونه حتى يمكنه ان يصل
بالخيط بين طرفيه ثم يبتدي ويلقي اللعاب الذي هو خيطه على جانب فيلتصق به ثم يعدو الى الجانب الآخر فيحكم الطرف الآخر من الخيط
ثم يحكم كذلك ثانيا وثالثا ويجعل بعد ما بينهما متناسبا تناسبا هندسيا حتى اذا احكم معاقد القمط ورتب الخيوط كالسدى اشتغل
باللحمة فيضيف السدى الى اللحمة ويحكم العقد على موضع التقاء السدى الى اللحمة ويراعي في جميع ذلك تناسب الهندسة ويجعل
ذلك شبكة يقع فيها البق والذباب ويقعد في زاوية مترصدا لوقوع الصيد في الشبكة فاذا وقع فيه بادر الى اخذه واكله فان عجز عن
الصيد كذلك طلب لنفسه زاوية من حائط ووصل بين طرفي الزاوية بخيط ثم علق نفسه منها بخيط آخر وبقي منكسا في الهواء ينتظر ذبابة
يطير فاذا طار ذباب رمى بنفسه اليه فاخذه ولف خيطه على رجله واحكمه ثم اكله وما من حيوان صغير ولا كبير الا وفيه من هذه العجائب
ما لا يحصى افترى انه تعلم هذه الصنعة من نفسه او تكون بنفسه او كونه آدمي او علمه او لا هادي له ولا معلم افيشك ذو بصيرة في انها
مسكينة عاجزة ضعيفة بل الفيل العظيم شخصه الظاهرة قوته عاجز عن امر نفسه فكيف هذا الحيوان الضعيف افلا يشهد هو بشكله
وصورته وحركته وهدايته وعجائب صنعته لفاطره الحكيم وخالقه القادر العليم فالبصير يرى في هذا الحيوان الصغير من عظمة الخالق و
جلاله وكمال قدرته وحكمته ما تتحير فيه الالباب والعقول فضلا عن سائر الحيوانات وهذا الباب ايضا لا حصر له فان الحيوانات واشكالها
واخلاقها وطباعها غير محصورة وانما سقط تعجب القلوب منها لانسها بكثرة المشاهدة نعم اذا راى حيوانا غريبا ولو دودا تجدد تعجبه
وقال سبحان الله ما اعجبه والانسان اعجب الحيوانات وليس يتعجب من نفسه بل لو نظر الى الانعام التي الفها ونظر الى اشكالها وصورها
ثم الى منافعها وفوائدها من جلودها واصوافها واوبارها التي جعلها الله لباسا لخلقه واكنانا لهم في ظعنهم واقامتهم وآنية لاشربتهم
واوعية لاغذيتهم وصوانا لاقدامهم وجعل البانها ولحومها اغذية لهم ثم جعل بعضها زينة للركوب وبعضها حاملة للاثقال قاطعة
للبوادي والمفازات لاكثر الناظر التعجب من حكمة خالقها ومصورها فانه ما خلقها الا بعلم محيط بجميع منافعها سابق على خلقه اياها فسبحان
من الامور مكشوفة في علمه من غير تفكر ومن غير تامل وتدبر ومن غير استعانة بوزير ومشير فهو العليم الخبير الحكيم القدير فلقد استخرج بالقليل
القليل مما خلقه صدق الشهادة من قلوب العارفين بتوحيده فما للخلق الا الاذعان لقهره وقدرته والاعتراف بربوبيته والاقرار
بالعجز عن معرفة جلاله وعظمته فمن الذي يحصي ثناء عليه بل هو كما اثنى على نفسه وانما غاية معرفتنا الاعتراف بالقصور والعجز عن معرفته
فنسال الله تعالى ان يكرمنا بهدايته بمنه ورافته ۞ ومن آياته البحار العميقة المكتنفة لاقطار الارض التي هي قطع من
البحر الاعظم المحيط بجميع الارض حتى ان جميع المكشوف من البوادي والجبال عن الماء بالاضافة الى الماء كجزيرة صغيرة في بحر
عظيم وبقية الارض مستورة بالماء قال النبي صلى الله عليه وسلم الارض في البحر كالاصطبل في الارض فانسب اصطبلا الى جميع
الارض واعلم ان الارض بالاضافة الى البحر مثله وقد شاهدت عجائب الارض وما فيها فتامل عجائب البحر فان عجائب ما فيه من الحيوان
والجواهر اضعاف عجائب ما تشاهده على وجه الارض كما ان سعته اضعاف سعته ولعظم البحر كان فيه من الحيوانات العظام ما يرى
ظهورها في البحر فيظن انها جزيرة فينزل الركاب عليها فربما يحس بالنيران اذا اشتعلت فيتحرك فيعلم انه حيوان وما من صنف من اصناف
حيوان البر من فرس او طير او بقر او انسان الا وفي البحر امثالها واضعافها وفيها اجناس لا يعهد لها نظير في البر قد ذكرت اوصافها

في مجلدات وجمعها اقوام عنوا بركوب البحر جميع عجائبها ثم انظر كيف خلق اللؤلؤ ودوره في صدف البحر تحت الماء وانظر كيف انبت
المرجان من صم الصخور تحت الماء وانما هو نبات على هيئة شجرة ينبت من الحجر ثم تأمل ما عداه من العنبر واصناف النفائس التي يقذفها
البحر وتستخرج منها ثم انظر الى عجائب السفن كيف امسكها الله تعالى على وجه الماء وسير فيها التجار وطلاب الاموال وسخر لهم
الفلك لتحمل اثقالهم ثم ارسل الرياح لتسوق السفن ثم عرف الملاحين موارد السفن والرياح ومهابها ومواقيتها ولا تستقصى على الجملة
عجائب صنع الله في البحر في مجلدات واعجب من ذلك كله ما هو اظهر من كل ظاهر وهي كيفية قطرة الماء وهو جسم لطيف رقيق سيال مشف
متصل الاجزاء كانه شيء واحد لطيف التركيب سريع القبول للتقطيع كانه منفصل مسخر للتصرف قابل الانفصال والاتصال به حيوة كل
ما على وجه الارض من حيوان ونبات فلو احتاج العبد الى شربة ماء ومنع لبذل جميع خزائن الدنيا في تحصيلها لو ملكه واذا شربه ومنع
من اخراجه فيبذل جميع خزائن الارض في اخراجه فالعجب من الآدمي يستعظم الدنانير والدراهم ونفائس الجواهر ويغفل عن نعمة الله في
شربة ماء اذا احتاج الى شربها او الاستفراغ منها بذل جميع الدنيا فيها فتأمل في عجائب المياه والانهار والآبار والبحار ففيها متسع
للفكر ومجال وكل ذلك شواهد متظاهرة وآيات متناصرة ناطقة بلسان حالها مفصحة عن جلال باريها معربة عن كمال حكمته فيها منادية
ارباب القلوب بنغماتها قائلة اما ترى في وما ترى صورتي وتركيبي وصفاتي ومنافعي واختلاف حالاتي وكثرة فوائدي اتظن اني تكونت بنفسي
او خلقني احد من جنسي او ما تستحيي تنظر الى كلمة مرقومة في ثلاثة احرف فتقطع بانه صنعة آدمي عالم قادر مريد متكلم ثم تنظر الى عجائب الخطوط
الالهية المرقومة على صفحات وجهي بالقلم الالهي الذي لا تدرك الابصار ذاته ولا حركته ولا اتصاله بمحل الخط ثم ينفك قلبك عن جلالة
صانعه وتقول النطفة لارباب السمع والقلوب لا للذين هم عن السمع لمعزولون توهمني في ظلمة الاحشاء مغموسة في دم الحيض في الوقت الذي
يظهر التخطيط والتصوير على وجهي فينقش النقاش حدقتي واجفاني وجبهتي وخدي وشفتي فترى النقوش تظهر شيئا فشيئا على
التدريج ولا ترى داخل النطفة نقاشا ولا خارجها ولا داخل الرحم ولا خارجها ولا خبر منها للام ولا للاب ولا للنطفة ولا
للرحم افما هذا النقاش اعجب مما تشاهده ينقش بالقلم صورة عجيبة لو نظرت اليها مرة او مرتين لتعلمته فهل تقدر على ان تتعلم هذا الجنس
من النقش الذي يعم ظاهر النطفة وباطنها وجميع اجزائها من غير ملامسة النطفة ومن غير اتصال بها لا من داخل ولا من خارج فان كنت
لا تتعجب من هذه العجائب ولا تفهم بها ان من صور ونقش وقدر لا نظير له ولا يساويه نقاش ومصور كما ان نقشه وصنعه لا يساويه
نقش وصنع فبين الفاعلين من المباينة والتباعد ما بين الفعلين وان كنت لا تتعجب من هذا فتعجب من عدم تعجبك فانه اعجب من كل عجب
فان الذي اعمى بصيرتك مع هذا الوضوح ومنعك التبين مع هذا البيان جدير بان تتعجب منه فسبحان من هدى واضل واغوى
وارشد واشقى واسعد وفتح بصائر احبائه فشاهدوه في جميع ذرات العالم واجزائه واعمى قلوب اعدائه واحتجب عنهم بعزه وعلائه
فله الخلق والامر والامتنان والفضل واللطف والقهر لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه ومن آياته الهواء اللطيف المحبوس
بين مقعر السماء ومحدب الارض لا يدرك اللمس عند هبوب الريح جسمه ولا يرى بالعين شخصه وجملته مثل البحر الواحد والطيور
محلقة في جو الهواء ومستقلة سابحة فيها باجنحتها كما تسبح حيوانات البحر في الماء وتضطرب جوانبه وامواجه عند هبوب الرياح
كما تضطرب امواج البحر فاذا حرك الله الهواء وجعله ريحا هابة فان شاء جعله نشرا بين يدي رحمته كما قال وارسلنا الرياح لواقح فيصل
بحركته روح الهواء الى الحيوانات والنبات فيستعد للنماء وان شاء جعله عذابا كما قال انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس
مستمر تنزع الناس كانهم اعجاز نخل منقعر ثم انظر الى لطف الهواء ثم شدته وقوته مهما ضغط في الماء فالزق المنفوخ يتحامل عليه
الرجل القوي ليغمسه في الماء فيعجز عنه والحديد الصلب تضعه على وجه الماء فترسب فيه فانظر كيف ينقبض الهواء من الماء بقوته مع

مع لطافته وبهذه الحكمة امسك الله تعالى السفن على وجه الماء وكذلك كل مجوف فيه هواء لا يغوص في الماء لان الهواء
ينقبض عن الغوص في الماء فلا ينفصل عن السطح الداخل من السفينة الثقيلة مع قوتها وصلابتها معلقة من الهواء اللطيف
فيبقى السفينة كالذي يقع في بئر فيتعلق بذيل رجل قوي ممتنع عن الهوي في البئر فالسفينة بمقعرها تتشبث باذيال الهواء
القوي على ان يمتنع من الهوي والغوص في الماء فسبحان من علق المركب الثقيل من هواء اللطيف من غير علاقة تشاهد وعقدة
تشد ثم انظر الى عجائب الجو وما يظهر فيها من الغيوم والرعود والبروق والامطار والثلوج والصواعق والشهب وهي
عجائب ما بين السماء والارض وحيث قد اشار القرآن الى جملته في قوله تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما
لاعبين وهذا هو الذي بينهما واشار الى تفصيله في مواضع شتى حيث قال والسحاب المسخر بين السماء والارض وحيث تعرض
للرعد والبرق والسحاب والمطر فاذا لم يكن لك حظ من هذه الجملة الا ان ترى المطر بعينك وتسمع الرعد باذنك فالبهيمة
تشاركك في هذه المعرفة فارتفع من حضيض عالم البهائم الى عالم الملأ الاعلى فقد فتحت عينيك فادركت ظاهرها فغمض
عينيك الظاهرة وانظر ببصيرتك الباطنة لترى عجائب باطنها وغرائب اسرارها وهذا ايضا باب يطول الفكر فيه ولا مطمع
في استقصائه فتأمل السحاب الكثيف المظلم كيف تراه يجتمع في جو صاف لا كدورة فيه وكيف يخلقه الله تعالى اذا شاء ومتى شاء
وهو مع رخاوته حامل للماء الثقيل وممسك له في جو السماء الى ان ياذن الله في ارسال الماء وتقطيع القطرات كل قطرة بالقدر الذي
اراده الله سبحانه وعلى الشكل الذي شاء فترى السحاب يرش الماء على الارض ويرسله قطرات متفاصلة لا تدرك قطرة منها
قطرة ولا تتصل واحدة باخرى بل تنزل كل واحدة في الطريق الذي رسم لها لا تعدل عنه فلا يتقدم المتأخر ولا يتأخر
المتقدم حتى تصيب الارض قطرة قطرة فلو اجتمع الاولون والآخرون على ان يخلقوا منها قطرة او يعرفوا عدد ما ينزل منها في بلدة واحدة
او قرية واحدة لعجز حساب الجن والانس عنه فلا يعلم عددها الا الذي اوجدها ثم كل قطرة منها عينت لكل جزء من الارض ولكل
حيوان فيها من طير ووحش ودود مكتوب على تلك القطرة بخط لا يدرك بالبصر ان هذا رزق الدودة الفلانية التي هي في ناحية الجبل
الفلاني تصل اليه عند عطشه في الوقت الفلاني هذا مع ما في انعقاد البرد الصلب من الماء اللطيف وفي تناثر الثلوج كالقطن
المندوف من العجائب التي لا تحصى كل ذلك فضل من الجبار القادر وقهر من الخلاق القاهر ما لاحد من الخلق فيه شرك ومدخل
بل ليس للمؤمنين من خلقه الا الاستكانة والخضوع تحت جلاله وعظمته ولا للعميان الجاحدين الا الجهل بكيفيته ورجم الظن
بذكر سببه وعلته فيقول الجاهل المغرور الماء انما ينزل لانه ثقيل بطبعه وانما هذا سبب نزوله ويظن ان هذه معرفة انكشفت له
ويفرح به ولو قيل له ما معنى الطبع وما الذي خلقه وما الذي خلق الماء الذي طبعه الثقل وما الذي رقى الماء المصبوب في اسفل
الاشجار الى اعالي الاغصان وهي ثقيلة بطبعها فكيف هوت الى اسفل ثم ارتفعت الى فوق في داخل تجاويف الاشجار
شيئا فشيئا بحيث لا يرى ولا يشاهد حتى ينتشر في جميع اطراف الاوراق فيغذي كل جزء من كل ورقة ويجري اليه في تجاويف عروق
شعرية يجري منه العرق الذي هو اصل الورق ثم ينتشر من ذلك العروق الممدود في طول الورق عروق صغار فكان الكبير نهر
وما انشعب عنها جداول ثم ينشعب من الجداول سواق اصغر منها ثم ينتشر منها خيوط عنكبوتية دقيقة تخرج عن ادراك البصر
حتى ينبسط في جميع عرض الورق فيصل الماء في اجوافها الى سائر اجزاء الورق ليغذيها وينميها ويزينها ويبقي طراوتها ونضارتها و
كذلك الى سائر اجزاء الفواكه وان كان الماء يتحرك بطبعه الى اسفل فكيف تحرك الى فوق فان كان ذلك بجذب جاذب فما الذي سخر
ذلك الجاذب فان كان ينتهي بالآخرة الى خالق السموات والارض وجبار الملك والملكوت فلم لا يحال عليه في اول الامر فنهاية

الجاهل بدائرة العالم ومن آيات الله ملكوت السموات وما فيها من الكواكب وهو الامر كله ومن ادرك الكل وفاته
عجائب السموات فقد فاته الكل تحقيقا فالارض والبحار والهواء وكل جسم سوى السموات بالاضافة الى السموات كقطرة
في بحر واصغر وانظر كيف عظم الله امر السماء والنجوم في كتابه فما من سورة الا وتشتمل على تفخيمها في مواضع فكم من قسم في القرآن بها
كقوله والسماء ذات البروج والسماء والطارق وما ادريك ما الطارق النجم الثاقب وقوله والشمس وضحيها وقوله تعالى
والنجم اذا هوى فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس والنجم اذا هوى فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم فقد علمت ان
عجائب النطفة القذرة عجز عنها الاولون والآخرون وما اقسم الله بها فكيف ظنك بما اقسم الله به واحال الارزاق اليه فقال
وفي السماء رزقكم وما توعدون واثنى على المتفكرين فيه فقال ويتفكرون في خلق السموات والارض وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ويل لمن قرأ هذه الاية ثم مسح بها سبلته اي تجاوزها من غير فكر وذم المعرضين عنه فقال وجعلنا السماء سقفا
محفوظا وهم عن آياتها معرضون فاي نسبة لجميع البحار والارض الى السماء وهذه متغيرات على القرب والسموات صلاب شداد
محفوظات عن التغير الى ان يبلغ الكتاب اجله ولذلك سماه الله تعالى محفوظا فقال وجعلنا السماء سقفا محفوظا وقال
وجعلنا السماء وقال وبنينا فوقكم شدادا وقال ءانتم اشد خلقا ام السماء بناها رفع سمكها فسويها فانظر الى الملكوت
لترى عجائب العز والجبروت ولا تظنن ان معنى النظر الى الملكوت بان تمد البصر اليه فترى زرقة السماء وضوء الكواكب وتفرقها
فان البهائم تشاركك في هذا النظر فان كان هذا هو المراد فلم مدح الله تعالى ابرهيم بقوله تعالى وكذلك نري ابرهيم
ملكوت السموات والارض لا بل كل ما يدرك بحاسة البصر فالقرآن يعبر عنه بالملك والشهادة وما غاب عن الابصار فيعبر عنه
بالغيب والملكوت والله تعالى عالم الغيب والشهادة وجبار الملكوت ولا يحيط احد بشيء من علمه الا بما شاء وهو عالم الغيب
ولا يطلع على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول فاجل ايها الناظر فكرك في الملكوت فعسى تفتح لك ابواب السماء فتجول بقلبك
في اقطارها الى ان يقوم قلبك بين يدي عرش الرحمن فعند ذلك ربما يرجى لك ان تبلغ مبلغ عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث
قال راى قلبي ربي وهذا لان بلوغ الاقصى لا يكون الا بعد مجاوزة الادنى وادنى شيء اليك نفسك ثم الارض التي هي مقرك
ثم الهواء المكتنف لك ثم النبات والحيوان وما على وجه الارض ثم عجائب الجو وهو ما بين السماء والارض ثم السموات السبع بكواكبها ثم
الكرسي ثم العرش ثم الملائكة الذين هم حملة العرش وخزان السموات ثم تجاوز منه الى النظر الى رب العرش والكرسي والسموات والارض وما
بينهما فبينك وبينه هذه المفاوز العظيمة والمسافات الشاسعة والعقبات الشاهقة وانت بعد لم تفرغ من العقبة القريبة النازلة
وهي معرفة ظاهر نفسك ثم صرت تطلق اللسان بوقاحتك وتدعي معرفة ربك وتقول قد عرفته وعرفت خلقه ففيماذا اتفكر
والى ماذا اتطلع فارفع الآن راسك الى السماء وانظر فيها وفي كواكبها وفي دورانها وطلوعها وغروبها وشمسها وقمرها واختلاف
مشارقها ومغاربها ودؤوبها في الحركة على الدوام من غير فتور في حركتها ومن غير تغير في سيرها بل تجري جميعها في منازل مرتبة
بحساب مقدر لا يزيد ولا ينقص الى ان يطويها الله سبحانه وتعالى طي السجل للكتاب وتدبر عدد كواكبها وكثرتها واختلاف
الوانها فبعضها يميل الى الحمرة وبعضها الى البياض وبعضها الى اللون الرصاصي ثم انظر كيفية اشكالها فبعضها على صورة العقرب
وبعضها على صورة الحمل والثور والاسد والانسان وما من صورة في الارض الا ولها مثال في السماء ثم انظر الى مسير الشمس في فلكها
في مدة سنة ثم هي تطلع في كل يوم وتغرب بسير آخر سخرها له خالقها ولولا طلوعها وغروبها لما اختلف الليل والنهار ولم تعرف المواقيت
ولاطبق الظلام على الدوام او الضياء على الدوام فكان لا يتميز وقت المعاش عن وقت الاستراحة فانظر كيف جعل الليل لباسا (والنوم)

والنوم سباتا والنهار معاشا وانظر الى ايلاجه الليل في النهار والنهار في الليل وادخاله الزيادة والنقصان عليهما
على ترتيب مخصوص وانظر الى امالته مسير الشمس عن وسط السماء حتى اختلف بسببه الصيف والشتاء والربيع والخريف فاذا انخفض
من وسط السماء برد الهواء وظهر الشتاء واذا استوى في وسط السماء اشتد القيظ واذا كان فيما بينهما اعتدل الزمان وعجائب السموات
لا مطمع في احصاء عشر عشير جزء من اجزائها وانما هذا تنبيه على طريق الفكر واعتقد على انه ما من كوكب من الكواكب الا ولله سبحانه
حكم كثيرة في خلقه ثم في مقداره ثم في شكله ثم في لونه ثم في وضعه من السماء وقربه من السماء وبعده وقربه من الكواكب التي بجنبه
وبعده وقس ذلك بما ذكرناه من اعضاء بدنك اذ ما من جزء الا وفيه حكمة بل حكم كثيرة وامر السماء اعظم بل لا نسبة لعالم الارض
الى عالم السماء لا في كبر جسمه ولا في كثرة معانيه وقس التفاوت الذي بينهما في كثرة معانيه بما بينهما من التفاوت في كبر الارض فانت
تعرف من كبر الارض واتساع اطرافها انه لا يقدر آدمي على ان يدركها ويدور بجوانبها وقد اتفق المهندسون على ان الشمس مثل الارض مائة مرة
ونيف وستين مرة وفي الاخبار ما يدل على عظمها والكواكب التي تراها اصغرها مثل الارض ثمانية مرات واكبرها ينتهي
الى قريب من مائة وعشرين مرة مثل الارض وبهذا تعرف ارتفاعها وبعدها اذ للبعد صارت ترى صغارا ولذلك اشار تعالى
الى بعدها فقال رفع سمكها فسويها وفي الاخبار ان بين كل سماء الى الاخرى مسيرة خمسمائة عام فاذا كان هذا مقدار كوكب واحد
من الارض فانظر الى كثرة الكواكب ثم انظر الى السماء التي الكواكب مركوزة فيها والى عظمها ثم انظر الى سرعة حركتها وانت لا
تحس بحركتها فضلا من ان تدرك سرعتها لكن لا تشك في انه في لحظة يسير مقدار عرض كوكب لان الزمان من طلوع اول جزء من كوكب
الى تمامه يسير وذلك الكوكب هو مثل الارض مائة مرة وزيادة فقد دار الفلك في هذه اللحظة مثل الارض مائة مرة وهكذا يدور على الدوام
وانت غافل عنه وانظر كيف عبر جبريل عن سرعة حركته اذ قال له النبي صلى الله عليه وسلم هل زالت الشمس فقال لا نعم فقال كيف
تقول لا نعم فقال من حيث قلت لا الى ان قلت نعم سارت الشمس مسيرة خمسمائة عام فانظر الى عظم شخصها ثم انظر الى خفة حركتها ثم انظر
الى قدرة الفاطر الحكيم كيف اثبت صورتها مع اتساع اكنافها في حدقة العين مع صغرها حتى تجلس على الارض وتفتح عينيك
نحوها فترى جميعها فهذه السماء بعظمها وكثرة كواكبها لا تنظر اليها بل انظر الى باريها كيف خلقها ثم امسكها من غير عمد ترونها
ومن غير علاقة تتدلى بها وكل العالم كبيت واحد والسماء سقفه فالعجب منك انك تدخل بيت غني فتراه مزوقا بالصبغ مموها
بالذهب فلا ينقطع تعجبك منه ولا تزال تذكره وتصف حسنه طول عمرك وانت تنظر ابدا الى هذا البيت العظيم والى ارضه
والى سقفه والى هوائه والى عجائب امتعته وغرائب حيواناته وبدائع نقوشه ثم لا تتحدث فيه ولا تلتفت بقلبك اليه فما هذا
البيت دون البيت الذي تصفه بل ذلك البيت هو ايضا جزء من الارض التي هي اخس اجزاء هذا البيت ومع هذا فلا تنظر اليه ليس له
سبب الا انه بيت ربك هو انفرد ببنائه وترتيبه وانت نسيت نفسك وربك وبيت ربك واشتغلت ببطنك وفرجك ليس
لك هم الا شهوتك او حشمتك وغاية شهوتك ان تملأ بطنك ولا تقدر على ان تأكل عشر ما تأكله بهيمة فتكون البهيمة فوقك
بعشر درجات وغاية حشمتك ان يقبل عليك عشرة او مائة من معارفك فينافقون بالسنتهم بين يديك ويضمرون خبائث الاعتقادات
عليك وان صدقوك في مودتهم اياك فلا يملكون لك ولا لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حيوة ولا نشورا وقد يكون
في بلدك من اغنياء اليهود والنصارى من يزيد جاهه على جاهك وقد اشتغلت بهذا الغرور وغفلت عن النظر في جمال ملكوت
السموات والارض ثم عن التنعم بالنظر الى جلال مالك الملكوت والملك وما مثلك ومثل عقلك الا كمثل النملة تخرج من جحرها

التي حفر في قصر مشيد وقصور الملك رفيع البنيان متين الاركان مزين بالجواري والغلمان وانواع الذخائر والنفائس فانها اذا خرجت من جحرها ولقيت صاحبتها تحدث لو قدرت على النطق الا من بيتها وغذائها وكيفية ادخارها فاما حال القصر والملك الذي في القصر فهي بمعزل عنها وعن الفكر فيها بل لا قدرة لها على المجاوزة بالنظر عن نفسها وغذائها وبيتها الى غيرها وكما غفلت النملة عن القصر ارضها وسقفها وحيطانها وسائر بنيانها وغفل ايضا عن سكانها فانت غافل عن بيت الله تعالى وعن ملائكته الذين هم سكان سمواته فلا نعرف من السماء الا ما تعرفه النملة من سقف بيتك ولا تعرف من ملائكة السموات الا ما تعرفه النملة منك ومن سكان بيتك نعم ليس للنملة طريق الى ان تعرفك وتعرف عجائب قصرك وبدائع صنعة الصناع فيه واما انت فلك قدرة على ان تجول في الملكوت وتعرف من عجائبها ما الخلق غافلون عنها ولنقبض عنان الكلام عن هذا النمط فانه مجال لا اخر له ولو استقصينا اعمارا طويلة لم نقدر على شرح ما تفضل الله علينا بمعرفته وكل ما عرفناه قليل نزر حقير بالاضافة الى ما عرفه جملة العلماء والاولياء وما عرفوه قليل نزر بالاضافة الى ما عرفه الانبياء وجملة ما عرفوه قليل بالاضافة الى ما عرفه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وما عرفه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قليل بالاضافة الى ما عرفه الملائكة المقربون كاسرافيل وجبرئيل وغيرهما ثم جميع علوم الملائكة والجن والانس اذا اضيف الى علم الله سبحانه لم يستحق ان يسمى علما بل هو الى ان يسمى دهشا وحيرة وقصورا وعجزا اقرب فسبحان من عرف عباده ما عرف ثم خاطب جميعهم فقال وما اوتيتم من العلم الا قليلا فهذا بيان مجامع الجمل التي يجول فيها فكر المتفكرين في خلق الله تعالى وليس فيها فكر في ذات الله تعالى ولكن يستفاد من الفكر في الخلق لا محالة معرفة الخالق وعظمته وجلاله وقدرته وكلما استكثرت من معرفة عجيب صنع الله كانت معرفتك بجلاله وعظمته اتم وهذا كما انك تعظم عالما بسبب معرفتك بعلمه فلا تزال تطلع على غريبة غريبة من تصنيفه وشعره فتزداد به معرفة وتزداد بحسبه له توقيرا وتعظيما واحتراما حتى ان كل كلمة من كلماته وكل بيت عجيب من ابيات شعره يزيده محلا في قلبك ويستدعي التعظيم له من نفسك فهكذا تامل في خلق الله وتصنيفه وتاليفه وكل ما في الوجود من خلق الله وتصنيفه والنظر والفكر فيه لا يتناهى ابدا وانما لكل عبد بقدر ما رزق فلنقتصر على ما ذكرناه ولنضف الى هذا ما فصلنا في كتاب

في كتاب الشكر فانا نظرنا في ذلك الكتاب في فعل الله من حيث هو احسان الينا وانعام

علينا وفي هذا الكتاب نظرنا فيه من حيث انه فعل الله فقط فكل ما نظر فيه فان

الطبيعي ينظر فيه ويكون سبب ضلالته وشقاوته والموفق ينظر فيه

فيكون سبب هدايته وسعادته وما من ذرة في السماء والارض

الا ولله تعالى فيها حكم يضل بها من يشاء ويهدي

من يشاء فمن نظر في هذه الامور من

حيث انها فعل الله وصنعه

استفاد فيه المعرفة

بجلال الله

وعظمته

وعظمته واهتدى ومن نظر فيها قاصرا للنظر عليها من حيث يؤثر بعضها في بعض لا من حيث ارتباطها

بمسبب الاسباب فقد شقي وارتدى فنعوذ بالله من الضلال ونسأله ان يجنبنا مزلة

اقدام الجهال بمنه وفضله ٥ ٥ ٥ تم الكتاب بفضل الله ملهم الصواب

والحمد لله حق حمده والصلوة والسلم على محمد رسوله وعبده

وعلى آله واصحابه ووفده ومن تابعه واهتدى

بهديه من بعده وسلم تسليما

ويتلوه كتاب ذكر

الموت

كتاب ذكر الموت وما بعده وهو آخر كتاب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذي قصم بالموت رقاب الجبابرة وكسر به ظهور الاكاسرة وقصر به آمال القياصرة الذين لم تزل قلوبهم عن ذكر الموت نافرة حتى جاءهم الوعد الحق فأرداهم في الحافرة فنقلوا من القصور الى القبور ومن ضياء المهود الى ظلمة اللحود ومن ملاعبة الجواري والغلمان الى مقاساة الهوام والديدان ومن التنعم بالطعام والشراب الى التمرغ في التراب ومن انس العشرة الى وحشة الوحدة ومن المضجع الوثير الى المصرع الوبيل فانظر هل وجدوا من الموت حصنا او اتخذوا من دونه حجابا وحرزا وانظر هل تحس منهم من احد او تسمع لهم ركزا فسبحان من انفرد بالقهر والاستيلاء واستأثر باستحقاق البقاء واذل اصناف الخلق كلهم بما كتب عليهم من الفناء ثم جعل الموت مخلصا للاتقياء وموعدا في حقهم للقاء وجعل القبر سجنا للاشقياء وحبسا ضيقا عليهم الى يوم الفصل والقضاء فله الانعام بالنعم المتظاهرة وله الانتقام بالنقم القاهرة وله الشكر في السموات والارض وله الحمد في الاولى والآخرة والصلوة والسلام على محمد ذي المعجزات الظاهرة والآيات الباهرة وعلى آله واصحابه وسلم تسليما اما بعد

فجدير بمن الموت مصرعه والتراب مضجعه والدود انيسه ومنكر ونكير جليسه والقبر مقره وبطن الارض مستقره والقيامة موعده والجنة والنار مورده ان لا يكون له فكر الا في الموت ولا ذكر الا له ولا استعداد الا لاجله ولا تدبير الا فيه ولا تطلع الا اليه ولا تعريج الا عليه ولا اهتمام الا به ولا حوم الا حوله ولا انتظار وتربص الا له وحقيق بان يعد نفسه من الموتى ويراها في اصحاب القبور فان كل ما هو آت قريب والبعيد ما ليس بآت وقد قال صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ولن يتيسر الاستعداد للشيء الا عند تجدد ذكره بالاصغاء الى المذكرات له والنظر في المنبهات عليه ونحن نذكر من امر الموت ومقدماته ولواحقه واحوال الآخرة والقيامة والجنة والنار ما لا بد للعبد من تذكره على التكرار وملازمته بالافتكار والاستبصار ليكون ذلك مستحثا على الاستعداد فقد قرب لما بعد الموت الرحيل فما بقي من العمر الا القليل والخلق اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ونحن نذكر ما يتعلق بالموت في شطرين

الشطر الاول في مقدماته وتوابعه الى نفخة الصور وفيه ثمانية ابواب

الباب الاول في فضل ذكر الموت والترغيب فيه

الباب الثاني في طول الامل وقصره

الباب الثالث في سكرات الموت وشدته وما يستحب من الاحوال عنده

الباب الرابع في وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين

الباب الخامس في كلام المحتضرين من الخلفاء والامراء والصالحين

الباب السادس في اقاويل العارفين على الجنائز والمقابر وحكم زيارة القبور

الباب السابع في حقيقة الموت وما يلقاه الميت في القبر الى نفخة الصور

الباب الثامن فيما عرف من احوال الموتى بالمكاشفة في المنام

الباب الاول في ذكر الموت والترغيب فيه

اعلم ان المنهمك في الدنيا المكب على غرورها المحب لشهواتها يغفل قلبه لا محالة عن ذكر الموت فلا يذكره واذا ذكر به كرهه ونفر منه اولئك هم الذين قال الله تعالى فيهم قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون والناس اما منهمك واما تائب مبتدئ او عارف منتهي اما المنهمك فلا يذكر الموت وان ذكره فيذكره للتأسف على دنياه ويشتغل بمذمته وهذا يزيده ذكر الموت من الله بعدا واما التائب فانه يكثر ذكر الموت لينبعث به من قلبه الخوف والخشية فيفي بتمام التوبة وربما يكره الموت خيفة من ان يختطفه قبل تمام التوبة وقبل اصلاح الزاد وهو معذور في كراهة الموت ولا يدخل هذا تحت قوله صلى الله عليه وسلم من كره لقاء الله كره الله لقاءه فان هذا ليس يكره الموت ولقاء الله وانما يخاف فوت لقاء الله لقصوره وتقصيره وهو كالذي يتأخر عن لقاء الحبيب مشتغلا بالاستعداد للقائه على وجه يرضاه فلا يعد كارها للقاء وعلامة هذا ان يكون دائم الاستعداد له لا شغل له سواه والا التحق بالمنهمك في الدنيا واما العارف فانه يذكر الموت دائما لانه موعد لقائه لحبيبه والمحب لا ينسى قط موعد اللقاء وهذا في غالب الامر يستبطئ مجيء الموت ويحب مجيئه ليتخلص من دار العاصين وينتقل الى جوار رب العالمين كما روي عن حذيفة انه لما حضرته الوفاة قال حبيب جاء على فاقة لا افلح من ندم اللهم ان كنت تعلم ان الفقر احب الي من الغنى والسقم احب الي من الصحة والموت احب الي من الحيوة فسهل علي الموت حتى القاك فاذن التائب معذور في كراهة الموت وهذا معذور في حب الموت وتمنيه واعلى منهما رتبة من فوض امره الى الله تعالى فصار لا يختار لنفسه موتا ولا حيوة ولا نشورا بل يكون احب الاشياء اليه احبها الى مولاه فهذا قد انتهى بفرط الحب والولاء الى مقام التسليم والرضا وهو الغاية والمنتهى وعلى كل حال ففي ذكر الموت ثواب وفضل فان المنهمك في الدنيا ايضا يستفيد بذكر الموت التجافي عن الدنيا اذ ينغص عليه نعيمه ويكدر عليه صفو لذته وكل ما يكدر على الانسان اللذات والشهوات فهو من اسباب النجاة

بيان فضل ذكر الموت كيف ما كان

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثروا ذكر هادم اللذات اي نغصوا به اللذات حتى ينقطع ركونكم اليها فتقبلوا على الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم لو ان البهائم تعلم من الموت ما تعلمون ما اكلتم منها سمينا وقالت عائشة رضي الله عنها يا رسول الله هل يحشر مع الشهداء احد قال نعم من يذكر الموت في اليوم والليلة عشرين مرة وانما سبب هذه الفضيلة كلها ان ذكر الموت يوجب التجافي عن دار الغرور ويقتضي الاستعداد للآخرة والغفلة عن ذكر الموت تدعو الى الانهماك في شهوات الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم تحفة المؤمن الموت وانما قال هذا لان الدنيا سجن المؤمن اذ لا يزال فيها في عناء من مقاساة نفسه ورياضة شهواته ومدافعة شيطانه فالموت اطلاق له من هذا العذاب والاطلاق تحفة في حقه وقال صلى الله عليه وسلم الموت كفارة لكل مسلم واراد بهذا المسلم حقا المؤمن صدقا الذي سلم المسلمون من لسانه ويده ويتحقق فيه اخلاق المؤمنين ولم يتدنس من المعاصي الا باللمم والصغائر فالموت يطهره ويكفرها بعد اجتناب الكبائر واقامة الفرائض وقال عطاء الخراساني مر النبي صلى الله عليه وسلم بمجلس قد استعلاه الضحك فقال شوبوا مجلسكم بذكر مكدر اللذات قالوا وما مكدر اللذات قال الموت وقال انس قال النبي صلى الله عليه وسلم اكثروا ذكر الموت فانه يمحص الذنوب ويزهد في الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم كفى بالموت مفرقا وقال كفى بالموت واعظا وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسجد فاذا قوم يتحدثون ويضحكون فقال اذكروا الموت اما والذي نفسي بيده لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وذكر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل فاحسنوا الثناء عليه فقال صلى الله عليه وسلم كيف كان ذكر صاحبكم للموت قالوا ما كنا نكاد نسمعه يذكر الموت قال فان صاحبكم ليس هناك وقال ابن عمر اتيت النبي صلى الله عليه وسلم عاشر عشرة فقال رجل

من الانصار من اكيس الناس واكرم الناس يا رسول الله فقال اكثرهم ذكرا للموت واشدهم استعدادا له اولئك هم
الاكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة واما الآثار فقال الحسن رضي الله عنه فضح الموت الدنيا فلم
يترك لذي لب فرحا وقال الربيع بن خثيم ما غائب ينتظره المؤمن خير له من الموت وكان يقول اذا انا مت فلا تشعروا بي احدا
وسلوني الى ربي سلا وكتب بعض الحكماء الى رجل من اخوانه يا اخي احذر الموت في هذه الدار قبل ان تصير الى دار تتمنى فيها الموت
فلا تجده وكان ابن سيرين اذا ذكر عنده الموت مات كل عضو منه وكان عمر بن عبد العزيز يجمع كل ليلة الفقهاء فيتذاكرون الموت
والقيامة والآخرة ثم يبكون حتى كان بين ايديهم جنازة وقال التيمي شيئان قطعا عني لذة الدنيا ذكر الموت والوقوف بين يدي
الله سبحانه وقال كعب من عرف الموت هانت عليه مصائب الدنيا وهمومها وقال مطرف رأيت فيما يرى النائم كأن قائلا يقول
في وسط مسجد البصرة قطع ذكر الموت قلوب الخائفين فوالله ما تراهم الا والهين وقال اشعث كنا ندخل على الحسن فانما هو النار وامر الآخرة
وذكر الموت وقالت صفية ان امرأة شكت الى عائشة قساوة قلبها فقالت اكثري ذكر الموت يرق قلبك ففعلت ذلك فرق قلبها
فجاءت تشكر عائشة وكان عيسى اذا ذكر عنده الموت تقطر جلده الموت دما وكان داود اذا ذكر الموت والقيامة بكى حتى تنخلع اوصاله
فاذا ذكر الرحمة رجعت اليه نفسه وقال الحسن ما رأيت عاقلا قط الا اصبته من الموت حذرا وعليه حزينا وقال عمر بن عبد العزيز
لبعض العلماء عظني فقال انت اول خليفة يموت قال زدني قال ليس من آبائك احد الى آدم الا ذاق الموت وقد جاءت نوبتك فبكى عمر لذلك
وكان الربيع بن خثيم قد حفر قبرا في داره وكان ينام في اللحد كل يوم مرات يستديم بذلك ذكر الموت وكان يقول لو فارق ذكر الموت قلبي
ساعة لفسد وقال مطرف بن عبد الله الشخير ان هذا الموت قد نغص على اهل النعيم نعيمهم فاطلبوا نعيما لا موت فيه وقال عمر بن
عبد العزيز لعنبسة اكثر ذكر الموت فان كنت واسع العيش ضيقه عليك وان كنت ضيق العيش وسعه عليك وقال ابو سليمان الداراني
قلت لام هارون اتحبين الموت قالت لا قلت لم قالت لو عصيت آدميا ما اشتهيت لقاءه فكيف احب لقاءه الله تعالى وقد عصيته
بيان الطريق في تحقيق ذكر الموت في القلب اعلم ان الموت هائل وخطره عظيم وغفلة الناس عنه لقلة فكرهم فيه و
ذكرهم له ومن يذكره ليس يذكره بقلب فارغ بل بقلب مشغول بشهوات الدنيا فلا ينجع ذكر الموت الذي هو بين يديه كالذي
يريد ان يسافر الى مفازة مخطرة او يركب البحر فانه لا يتفكر الا فيه فاذا باشر ذكر الموت قلبه فيوشك ان يؤثر فيه وعند ذلك يقل
فرحه وسروره بالدنيا وينكسر قلبه واوقع طريق فيه ان يكثر ذكر اشكاله واقرانه الذين مضوا قبله فيتذكر موتهم ومصرعهم تحت
التراب ويتذكر صورهم في مناصبهم واحوالهم ويتأمل كيف محى التراب الآن حسن صورتهم وكيف تبددت اجزاؤهم في قبورهم وكيف
ارملوا نساءهم وايتموا اولادهم وضيعوا اموالهم وخلت منهم مساجدهم ومجالسهم وانقطعت آثارهم واوحشت ديارهم فمهما تذكر
رجلا وفصل في قلبه حاله وكيفية موته وتوهم صورته وتذكر نشاطه وتردده وامله للعيش والبقاء ونسيانه للموت وانخداعه
بمواتاة الاسباب وركونه الى القوة والشباب وميله الى الضحك واللهو وغفلته عما بين يديه من الموت الذريع والهلاك
السريع وانه كيف يتردد وقد تهدمت رجلاه ومفاصله وكيف كان ينطق وقد اكل الدود لسانه وكيف كان يضحك وقد اكل التراب
اسنانه وانه كيف كان يدبر لنفسه ما لا يحتاج اليه الى عشر سنين في وقت لم يكن بينه وبين الموت الا شهر وهو غافل عما يراد به
حتى جاءه الموت في وقت لم يحتسبه فانكشف له صورة الملك وقرع سمعه النداء اما بالجنة او بالنار فعند ذلك ينظر في
نفسه انه مثلهم وغفلته كغفلتهم وسيكون عاقبته كعاقبتهم قال ابو الدرداء اذا ذكرت الموتى فعد نفسك كاحدهم وقال ابن
مسعود السعيد من وعظ بغيره وقال عمر بن عبد العزيز الا ترون انكم تجهزون كل يوم غاديا او رائحا الى الله عز وجل تضعونه في

صدع من الارض قد توسد التراب وخلف الاحباب وقطع الاسباب فملازمة هذه الافكار وامثالها مع دخول المقابر ومشاهدة
المرضى هو الذي يجدد ذكر الموت في القلب حتى يغلب عليه بحيث يصير نصب عينيه فعند ذلك يوشك ان يستعد له ويتجافى
عن دار الغرور والا فالذكر بظاهر القلب وعذبة اللسان قليل الجدوى في التحذير والتنبيه ومهما طاب قلبه بشيء من الدنيا
ينبغي ان يتذكر في الحال انه لا بد من مفارقته نظر ابن مطيع يوما الى داره فاعجبه حسنها ثم بكى ثم قال والله لولا الموت لكنت
بك مسرورا ولولا ما نصير اليه من ضيق القبور لقرت بالدنيا اعيننا ثم بكى بكاء شديدا حتى ارتفع صوته ٥ ٥ ٥ ٥

الباب الثاني في طول الامل وقصره وفضيلة قصر الامل وسبب طوله وكيفية معالجته فضيلة قصر الامل

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمر اذا اصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء واذا امسيت فلا تحدث نفسك
بالصباح وخذ من دنياك لآخرتك ومن حياتك لموتك ومن صحتك لسقمك فانك يا عبد الله ما اسمك غدا وروي عن علي رضي الله
عنه انه صلى الله عليه وسلم قال ان اشد ما اخاف عليكم خصلتان اتباع الهوى وطول الامل فاما اتباع الهوى فانه يعدل عن الحق
واما طول الامل فانه يحبب الدنيا ثم قال الا ان الله تعالى يعطي الدنيا من يحب ومن يبغض واذا احب عبدا اعطاه الايمان الا ان
للدين ابناء وللدنيا ابناء فكونوا من ابناء الدين ولا تكونوا من ابناء الدنيا الا ان الدنيا قد ارتحلت مولية الا ان الآخرة قد اتت
مقبلة الا وانكم في يوم عمل ليس فيه حساب الا وانكم في يوم حساب ليس فيه عمل وقالت ام المنذر اطلع رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذات عشية الى الناس فقال يا ايها الناس اما تستحيون قالوا وما ذاك يا رسول الله قال تجمعون ما لا تاكلون وتاملون ما لا
تدركون وتبنون ما لا تسكنون وقال ابو سعيد الخدري اشترى اسامة بن زيد بن ثابت وليدة بمائة دينار الى شهر فسمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول الا تعجبون من اسامة المشتري الى شهر ان اسامة لطويل الامل والذي نفسي بيده ما طرفت عيناي الا ظننت
ان شفرتي لا يلتقيان حتى يقبض الله روحي ولا رفعت طرفي فظننت اني واضعه حتى اقبض ولا لقمت لقمة الا ظننت لا اسيغها حتى اغص بها
من الموت ثم قال يا بني آدم ان كنتم تعدوا انفسكم من الموتى والذي نفسي بيده انما توعدون لآت وما انتم بمعجزين وعن ابن عباس ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج يهريق الماء فيمسح بالتراب فاقول يا رسول الله ان الماء منك قريب فيقول ما يدريني لعلي لا ابلغه
وروي انه صلى الله عليه وسلم اخذ ثلاثة اعواد فغرز عودا بين يديه والآخر الى جنبه واما الثالث فابعده فقال هل تدرون ما هذا
قالوا الله ورسوله اعلم قال هذا الانسان وهذا الاجل وذلك الامل يتعاطاه ابن آدم فيختلجه الاجل دون الامل وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم مثل ابن آدم والى جنبه تسع وتسعون منية ان اخطأته المنايا وقع في الهرم قال ابن مسعود هذا المرء وهذه الحتوف
حوله شوارع اليه والهرم وراء الحتوف والامل وراء الهرم فهو يأمل وهذه الحتوف شوارع اليه فايتهن امر به اخذه فان اخطأته الحتوف قتله
الهرم وهو ينظر الى الامل وقال عبد الله خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا مربعا وخط وسطه خطا وخط خطوطا الى جنب
الخط وخط خطا خارجا فقال اتدرون ما هذا قلنا الله ورسوله اعلم قال هذا الانسان الخط الذي في وسطه وهذا الاجل محيط به
وهذه الاعراض الخطوط تنهشه هذا وذاك الامل اي الخط الخارج وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يهرم ابن آدم
ويبقى منه اثنان الحرص والامل وفي رواية وتشب منه اثنتان الحرص على المال والحرص على العمر وقال صلى الله عليه وسلم نجا اول هذه
الامة باليقين بالبخل والامل وقيل بينما عيسى عليه السلم جالس وشيخ يعمل بمسحاة يثير بها الارض فقال عيسى اللهم انزع منه الامل فوضع
الشيخ المسحاة واضطجع فلبث ساعة فقال عيسى اللهم اردد اليه الامل فقام فجعل يعمل فسأله عيسى عن ذلك فقال بينما انا اعمل اذ قال لي

لا تدري ه

الشباب

لي نفسي الى متى تعمل وانت شيخ كبير فالقيت المسحاة واضطجعت ثم قلت لي نفسي والله لا بد لك من عيش ما بقيت فقمت الى مسحاتي
وقال الحسن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلكم يحب ان يدخل الجنة قالوا نعم يا رسول الله قال قصروا من الامل وثبتوا آجالكم
بين ابصاركم واستحيوا من الله حق الحيا وكان صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه اللهم اني اعوذ بك من دنيا تمنع خير الآخرة واعوذ بك
من حيوة تمنع خير الممات واعوذ بك من امل يمنع خير العمل ه الاثـــار قال مطرف بن عبد الله لو علمت متى اجلي لخشيت على
ذهاب عقلي ولكن الله من على عباده بالغفلة عن الموت ولولا الغفلة ما تهنوا بعيش ولا قامت فيهم الاسواق وقال الحسن السهو
والامل نعمتان عظيمتان على بني آدم ولولاهما ما مشى المسلمون في الطرق وقال الثوري بلغني ان الانسان خلق احمق ولولا ذلك لم يهنه
العيش قال سعيد بن عبد الرحمن انما عمرت الدنيا بقلة عقول اهلها وقال سلمان الفارسي ثلاث اعجبتني حتى اضحكتني مؤمل الدنيا
والموت يطلبه وغافل وليس بمغفول عنه وضاحك ملأ فيه لا يدري اساخط رب العالمين عليه ام راض وثلاث احزنتني حتى ابكتني
فراق محمد صلى الله عليه وسلم وحزبه والاحبة وهول المطلع والوقوف بين يدي الله لا ادري الى الجنة يؤمر بي او الى النار
وقال بعضهم رايت زرارة بن اوفى بعد موته في المنام فقلت اي الاعمال ابلغ عندكم قال التوكل وقصر الامل وقال الثوري
الزهد في الدنيا قصر الامل ليس باكل الغليظ ولا لبس العبا وسال المفضل بن فضالة ربه ان يرفع عنه الامل فذهب عنه شهوة
الطعام والشراب ثم دعا ربه فرد عليه الامل فرجع الى الطعام والشراب وقيل للحسن يا ابا سعيد الا تغسل قميصك قال
الامر اعجل من ذلك وقال الحسن الموت معقود بنواصيكم والدنيا تطوى من ورائكم وقال بعضهم انا كرجل ماد عنقه والسيف
عليه ينتظر متى تضرب عنقه وقال داود الطائي لو املت ان اعيش شهرا لرايتني قد اتيت عظيما وكيف اؤمل ذلك وارى
الفجائع تغشى الخلائق في ساعات الليل والنهار وحكى انه جاء شقيق البلخي الى استاذ له يقال له ابو هاشم الرماني وفي طرف
كسائه شيء مصرور فقال له الاستاذ ايش هذا معك فقال لوزات دفعها الي اخ لي وقال احب ان تفطر عليه فقال يا شقيق
وانت تحدث نفسك انك تبقى الى الليل لا كلمتك ابدا قال فاغلق في وجهي الباب ودخل وقال عمر بن عبد العزيز في خطبته
ان لكل سفر زادا لا محالة فتزودوا لسفركم من الدنيا الى الآخرة التقوى وكونوا كمن عاين ما اعد الله من ثوابه وعقابه
فترغبوا وترهبوا ولا يطولن عليكم الامد فتقسوا قلوبكم وتنقادوا لعدوكم فانه والله ما بسط امل من لا يدري لعله لا يصبح بعد
مسائه ولا يمسي بعد صباحه وربما كانت بعد ذلك خطفات المنايا وكم رايت ورايتم من كان بالدنيا مغترا وانما يقر
عين من وثق بالنجاة من عذاب الله وانما يفرح من امن من اهوال القيامة فاما من لا يداوي كلما الا واصابه جارح من ناحية
اخرى فكيف يفرح اعوذ بالله ان آمركم بما انهى عنه نفسي فتخسر صفقتي وتظهر عيلتي وتبدو مسكنتي في يوم يبدو فيه
الغنى والفقر والموازين فيه منصوبة لقد عنيتم بامر لو عنيت به النجوم لانكدرت ولو عنيت به الجبال لذابت ولو عنيت
به الارض لتشققت اما تعلمون انه ليس بين الجنة والنار منزلة وانكم الى احدهما وكتب رجل الى اخ له اما بعد فان
الدنيا حلم والآخرة يقظة والمتوسطة بينهما الموت ونحن في اضغاث احلام والسلام وكتب آخر الى اخ له ان الحزن على
الدنيا طويل والموت من الانسان قريب وللنقص في كل يوم نصيب وللبلى في جسمه دبيب فبادر قبل ان تنادي بالرحيل
والسلام وقال الحسن كان آدم صلى الله عليه وسلم قبل ان يخطي امله خلف ظهره واجله بين عينيه فلما اصاب الخطيئة حول
فجعل امله بين عينيه واجله خلف ظهره وقال ابو عبد الله بن شميط سمعت ابي يقول ايها المغتر بطول صحته اما رايت ميتا

اما رايت ميتا قط من غير سقم ايها المغتر بطول المهلة اما رايت ماخوذا قط من غير عدة انك لو فكرت في طول عمرك
لنسيت ما قد تقدم من لذاتك ابالصحة تغترون ام بطول العافية تمرحون ام الموت تامنون ام على ملك الموت تجترؤن
ان ملك الموت اذا جاء لم يمنعه منك ثروة مالك ولا كثرة احتشادك اما علمت ان ساعة الموت ذات كرب وغصص وندامة
على التفريط ثم يقول رحم الله عبدا عمل لنفسه قبل نزول الموت وقال ابو زكريا التيمي بينما سليمان بن عبد الملك في المسجد
الحرام اذ اتي بحجر منقوش فطلب من يقراه فاتي بوهب بن منبه فاذا فيه ابن آدم انك لو رايت قرب ما بقي من اجلك لزهدت
في طول املك ولرغبت في الزيادة من عملك ولقصرت من حرصك وحيلك وانما يلقاك غدا ندمك لو قد زلت بك قدمك
واسلمك اهلك وحشمك وفارقك الولد والقريب ورفضك الوالد والنسيب فلا انت الى دنياك عائد ولا في حسناتك
زائد فاعمل ليوم القيامة قبل الحسرة والندامة فبكى سليمان بكاء شديدا وقال بعضهم رايت كتابا من محمد بن يوسف الى عبد الرحمن
ابن يوسف سلام عليك فاني احمد اليك الله الذي لا اله الا هو اما بعد فاني احذرك متحولك من دار مهلتك الى دار اقامتك وجزاء اعمالك
فتصير في قرار باطن الارض بعد ظاهرها فياتيك منكر ونكير فيقعدانك وينتهرانك فان يكن الله معك فلا باس ولا وحشة ولا
فاقة وان يكن غير ذلك فاعاذني الله واياك من سوء مصرع وضيق مضجع ثم تبلغك صيحة الحشر ونفخ الصور وقيام الجبار لفصل
قضاء الخلائق وخلاء الارض من اهلها والسموات من سكانها فباحت الاسرار واسعرت النار ووضعت الموازين وجيء بالنبيين و
الشهداء وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين فكم من مفتضح ومستور وكم من هالك وناج وكم من معذب ومرحوم فياليت
شعري ما حالي وحالك يومئذ ففي هذا ما هدم اللذات وسلى عن الشهوات وقصر عن الامل وايقظ النائمين وحذر الغافلين
اعاننا الله واياك على هذا الخطر العظيم واوقع الدنيا والآخرة من قلبي وقلبك موقعهما من قلوب المتقين فانما نحن به وله والسلام
وخطب عمر بن عبد العزيز فحمد الله واثنى عليه وقال ايها الناس انكم لن تخلقوا عبثا ولن تتركوا سدى وان لكم معادا يجمعكم الله
فيه للحكم والفصل فيما بينكم فخاب وشقي عبد اخرجه الله من رحمته التي وسعت كل شيء وجنته التي عرضها السموات والارض
وانما يكون الامان غدا لمن خاف واتقى وباع قليلا بكثير وفانيا بباق وشقوة بسعادة الا ترون انكم في اسلاب الهالكين وسيخلف
بعدكم الباقون الا ترون انكم تشيعون في كل يوم غاديا ورائحا الى الله عز وجل وقد قضى نحبه وانقطع امله فتضعونه في بطن
صدع من الارض غير موسد ولا ممهد قد خلع الاسباب وايم الله اني لاقول مقالتي هذه ولا اعلم عند احد منكم من الذنوب
اكثر مما اعلم من نفسي ولكنها سنن من الله عادلة امر فيها بطاعته ونهى فيها عن معصيته واستغفر الله تعالى لي ولكم ثم وضع
كمه على وجهه فبكى حتى بلت دموعه لحيته وما عاد الى مجلسه حتى مات وقال القعقاع بن حكيم قد استعددت للموت منذ ثلثين
سنة فلو اتاني ما احببت تاخير شيء عن شيء وقال الثوري رايت شيخا في مسجد الكوفة يقول انا في هذا المسجد منذ ثلثين سنة
انتظر الموت ان ينزل بي لو اتاني ما امرته بشيء ولا نهيته عن شيء ولا لي على احد شيء وقال عبد الله بن ثعلبة تضحك ولعل اكفانك
قد خرجت من عند القصار وقال ابو محمد الزاهد خرجنا في جنازة بالكوفة وخرج فيها داود الطائي فانتبذ فقعد ناحية
وهي تدفن فجئت فقعدت قريبا منه فتكلم فقال من خاف الوعيد قصر عليه البعيد ومن طال امله ضعف عمله وكل ما هو آت
قريب واعلم يا اخي ان كل شيء يشغلك عن ربك فهو عليك شوم واعلم ان اهل الدنيا جميعا من اهل القبور انما يندمون
على ما يخلفون ويفرحون بما يقدمون فما ندم عليه اهل القبور اهل الدنيا عليه يقتتلون وفيه يتنافسون وعليه عند القضاة
يختصمون وقال محمد بن ابي توبة اقام معروف الكرخي الصلوة فقال لي تقدم فقلت اني ان صليت بكم هذه الصلوة لم اصل بكم غيرها

فقال معروف وانت تحدث نفسك في الصلوة ان تصلي صلوة اخرى نعوذ بالله من طول الامل فانه يمنع خير العمل وقال
عمر بن عبد العزيز في خطبته ان الدنيا ليست بدار قراركم دار كتب الله عليها الفناء وكتب على اهلها منها الظعن فكم عامر
موثق عما قليل يخرب وكم مقيم مغتبط عما قليل يظعن فاحسنوا رحمكم الله منها الرحلة باحسن ما بحضرتكم من النقلة وتزودوا فان
خير الزاد التقوى انما الدنيا كفيء ظلال قلص فذهب بينا ابن آدم في الدنيا ينافس وهو بها قرير عين اذ دعاه الله بقدره ورماه
بيوم حتفه فسلبه آثاره ودنياه وصير لقوم آخرين مصانعه ومغناه ان الدنيا لا تسر بقدر ما تضر انها تسر قليلا وتحزن طويلا
عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه كان يقول في خطبته اين الوضاءة الحسنة وجوههم المعجبون بشبابهم اين الملوك الذين بنوا المداين
وحصنوها بالحيطان اين الذين كانوا يعطون الغلبة في مواطن الحرب قد تضعضع بهم الدهر فاصبحوا في ظلمات القبور الوحا الوحا
النجا النجا

بيان السبب في طول الامل وعلاجه

اعلم ان طول الامل له سببان احدهما الجهل والآخر حب الدنيا اما
حب الدنيا فهو انه اذا انس بها وبشهواتها ولذاتها وعلايقها ثقل على قلبه مفارقتها فامتنع قلبه عن الفكر في الموت الذي
هو سبب مفارقتها وكل من كره شيئا دفعه عن نفسه ابدا انما يوافق مراده وانما يوافق مراده البقاء في الدنيا فلا يزال يتوهمه ويقدره
في نفسه ويقدر توابع البقاء وما يحتاج اليه من مال واهل ودار واصدقاء ودواب وساير اسباب الدنيا فيصير قلبه عاكفا
على هذا الفكر موقوفا عليه فيلهو عن ذكر الموت ولا يقدر قربه فان خطر له في بعض الاحوال امر الموت والحاجة الى الاستعداد
له سوف ووعد نفسه وقال الايام بين يديك فالى ان تكبر ثم تتوب واذا كبر فيقول الى ان تصير شيخا فاذا صار شيخا قال
الى ان تفرغ من بناء هذه الدار وعمارة هذه الضيعة او ترجع من هذه السفرة او تفرغ من تدبير هذا الولد وجهازه وتدبير مسكن له
او تفرغ من قهر هذا العدو الذي يشمت بك فلا يزال يسوف ويؤخر ولا يخوض في شغل الا ويتعلق باتمام ذلك الشغل عشرة
اشغال اخر وهكذا على التدريج يؤخر يوما بعد يوم ويفضي به شغل الى شغل بل اشغال الى ان تختطفه المنية في وقت لا يحتسبه
فيطول عند ذلك حسرته واكثر اهل النار صياحهم من سوف يقولون وا حزناه من سوف والمسوف المسكين لا يدري ان الذي
يدعوه الى التسويف اليوم هو معه غدا وانما يزداد بطول المدة قوة ورسوخا ويظن انه يتصور ان يكون للخايض في الدنيا
والحافظ لها فراغ قط وهيهات فما فرغ منها الا من اطرحها فما قضى احد منها لبانته وما انتهى ارب الا الى ارب
واصل هذه الاماني كلها حب الدنيا والانس بها والغفلة عن معنى قوله صلى الله عليه وسلم احبب ما احببت فانك
مفارقه واما الجهل فهو ان الانسان قد يعول على شبابه فيستبعد قرب الموت مع الشباب وليس يتفكر المسكين ان
مشايخ بلده لو عدوا لكانوا اقل من عشر رجال البلد وانما قلوا لان الموت في الشباب اكثر فالى ان يموت شيخ يموت الف
صبي وشاب وقد يستبعد الموت لصحته ويستبعد الموت فجاة ولا يدري ان ذلك غير بعيد وان كان ذلك بعيدا
فالمرض غير بعيد وكل مرض فانما يقع فجاة واذا مرض لم يكن الموت بعيدا ولو تفكر هذا الغافل وعلم ان الموت ليس له وقت
مخصوص من شباب وشيبة وكهولة ومن صيف وشتاء وخريف وربيع ومن ليل ونهار لعظم استشعاره واشتغل
بالاستعداد له ولكن الجهل بهذه الامور وحب الدنيا دعواه الى طول الامل والى الغفلة عن تقدير الموت القريب فهو
ابدا يظن ان الموت يكون بين يديه ولا يقدر نزوله به ووقوعه فيه وهو ابدا يظن انه يشيع الجنايز ولا يقدر ان يشيع
جنازته لان هذا قد تكرر عليه والفه وهو شاهد بموت غيره واما موت نفسه فلا يالفه ولا يتصور ان يالفه فانه
لا يقع واذا وقع لم يقع دفعة اخرى بعده فهو الاول وهو الآخر وسبيله ان يقيس نفسه بغيره ويعلم انه لا بد وان

وان تحمل جنازته ويدفن في قبره ولعل اللبن الذي يغطي به لحده قد ضرب وفرغ منه وهو لا يدري فتسويفه جهل
محض واذا عرفت ان سببه الجهل وحب الدنيا فعلاجه دفع سببه اما الجهل فيدفع بالفكر الصافي من القلب
الحاضر وبسماع الحكمة البالغة من القلوب الطاهرة واما حب الدنيا فالعلاج في اخراجه من القلب شديد وهو
الداء العضال الذي اعيى الاولين والآخرين علاجه ولا علاج له الا الايمان بالله تعالى واليوم الآخر وبما فيه من عظيم
العقاب وجزيل الثواب ومهما حصل له اليقين بذلك ارتحل عن قلبه حب الدنيا فان حب الخطير هو الذي يمحو عن القلب
حب الحقير فاذا راى حقارة الدنيا ونفاسة الآخرة استنكف ان يلتفت الى الدنيا كلها وان اعطي ملك الارض من المشرق
الى المغرب فكيف وليس لكل عبد من الدنيا الا قدر يسير مكدر منغص فكيف يفرح بها او يترسخ في القلب حبها مع الايمان
بالآخرة فنسال الله سبحانه ان يرينا الدنيا كما اراها الصالحين من عباده ولا علاج في تقدير الموت في القلب مثل النظر الى من
مات من الاقران والاشكال وانهم كيف جاءهم الموت في وقت لم يحتسبوا اما من كان مستعدا فقد فاز فوزا عظيما واما من كان
مغرورا بطول الامل فقد خسر خسرانا مبينا ولينظر الانسان كل ساعة في اطرافه واعضائه وليتدبر انها كيف تاكلها الديدان لا محالة
وكيف تتفتت عظامها وليتفكر ان الدود يبتدي بحدقته اولا او بلسانه فما على بدنه الا وهو طعمة الدود وما له من نفسه الا العلم
والعمل الصالح الخالص لوجه الله وكذلك يتفكر فيما سنورده من عذاب القبر وسؤال منكر ونكير ومن الحشر والنشر واهوال القيامة
وقرع النداء يوم العرض الاكبر فامثال هذه الافكار هي التي تجدد ذكر الموت على قلبه وتدعوه الى الاستعداد له

بيان مراتب الناس في طول الامل وقصره

اعلم ان الخلق في ذلك يتفاوتون فمنهم من يامل البقاء ويشتهي ذلك ابدا قال الله تعالى يود احدهم
لو يعمر الف سنة وما هو بمزحزحه ومنهم من يامل البقاء الى الهرم وهو اقصى العمر الذي قد شاهده وراه وهو الذي يحب الدنيا حبا
شديدا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشيخ شاب في طلب الدنيا وان التفت ترقوتاه من الكبر الا الذين اتقوا وقليل
ما هم ومنهم من يامل الى سنة فلا يشتغل بتدبير ما وراه ولا يقدر لنفسه وجودا في عام قابل ولكن هذا يستعد في الصيف للشتاء وفي الشتاء
للصيف واذا جمع ما يكفيه لسنة اشتغل بالعبادة ومنهم من يامل الصيف او الشتاء فلا يدخر في الصيف ثياب الشتاء ولا في الشتاء ثياب
الصيف ومنهم من يرجع امله الى يوم وليلة فلا يستعد الا لنهاره واما الغد فلا قال عيسى صلى الله عليه وسلم لا تهتموا لرزق غد
فان يكن غد من آجالكم فلا تهتموا غيركم ومنهم من لا يجاوز امله ساعة كما قال صلى الله عليه وسلم يا عبد الله اذا اصبحت فلا
تحدث نفسك بالمساء واذا امسيت فلا تحدث نفسك بالصباح ومنهم من لا يقدر البقاء ايضا ساعة كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يتيمم مع القدرة على الماء قبل مضي ساعة ويقول لعلي لا ابلغه ومنهم من يكون الموت نصب عينيه كانه واقع به وهو ينتظره وهذا
الانسان هو الذي يصلي صلوة مودع وفيه ورد ما نقل عن معاذ بن جبل انه لما ساله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حقيقة ايمانه قال
ما خطوت خطوة الا ظننت اني لا اتبعها اخرى وكما نقل عن حبشي انه كان يصلي ليلا ويلتفت يمينا وشمالا فقال له قائل ماذا فقال
انتظر ملك الموت من اي جهة ياتيني فهذه مراتب الناس ولكل درجات عند الله وليس من امله مقصور على شهر كمن امله شهر ويوم
بل بينهما تفاوت في الدرجة عند الله فان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ثم يظهر اثر قصر الامل في المبادرة الى
العمل فكل انسان يدعي انه قصير الامل وهو كاذب وانما يظهر ذلك باعماله فانه قد يعتني باسباب ربما لا يحتاج اليها في سنة فيدل
ذلك على طول امله وانما علامة التوفيق ان يكون الموت نصب العين لا يغفل عنه ساعة فيستعد للموت الذي يرد عليه في الوقت
فان عاش الى المساء شكر الله تعالى على طاعته وفرح انه لم يضيع نهاره بل استوفى منه حظه وادخره لنفسه ثم يستانف مثله

الى الصباح وهكذا اذا اصبح ولا يتيسر هذا الا لمن فرغ القلب عن الغد وما يكون فيه فمثل هذا اذا مات سعد وغنم وان عاش

بحسن الاستعداد ولذة المناجاة فالموت له سعادة والحياة له مزيد فليكن الموت على بالك يا مسكين فان السير حاد بك وانت

غافل عن نفسك ولعلك قد قاربت المنزل وقطعت المسافة ولا تكون كذلك الا بمبادرة العمل اغتناما لكل نفس أمهلت فيه

بيان المبادرة الى العمل وحذر آفة التأخير

اعلم ان من له اخوان غائبان ينتظر قدوم احدهما في غد وينتظر قدوم الآخر

بعد شهر او سنة فلا يستعد للذي يقدم الى شهر او سنة وانما يستعد للذي ينتظر قدومه غدا فالاستعداد نتيجة قرب الانتظار فمن انتظر مجيء الموت بعد سنة اشتغل قلبه بالمدة

ونسي ما وراء المدة ثم يصبح كل يوم وهو منتظر للسنة بكمالها لا ينقص منها اليوم الذي مضى وذلك يعيقه من مبادرة العمل ابدا فانه

ابدا يرى لنفسه متسعا في تلك السنة فيؤخر العمل كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ما ينتظر احدكم من الدنيا الا غنى مطغيا او

فقرا منسيا او مرضا مفسدا او هرما مفندا او موتا مجهزا او الدجال والدجال شر غائب ينتظر او الساعة والساعة ادهى وامر

وعن ابن عباس قال صلى الله عليه وسلم لرجل وهو يعظه اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل

فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك وقال صلى الله عليه وسلم نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ

اي انه لا يغتنمهما ثم يعرف قدرهما عند زوالهما وقال صلى الله عليه وسلم من خاف ادلج ومن ادلج بلغ المنزل الا ان سلعة الله غالية

الا ان سلعة الله الجنة وقال صلى الله عليه وسلم جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه وكان صلى الله عليه وسلم

اذا آنس من اصحابه غفلة او غرة نادى فيهم بصوت رفيع اتتكم المنية راتبة لازمة اما بشقاوة واما بسعادة وقال ابو هريرة رضي الله

عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا النذير والموت المغير والساعة الموعد وقال ابن عمر خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم

والشمس على اطراف السعف فقال ما بقي من الدنيا الا مثل ما بقي من يومنا هذا في مثل ما مضى منه وقال صلى الله عليه وسلم مثل ثوب

شق من اوله الى آخره فبقي متعلقا بخيط في آخره فيوشك ذلك الخيط ان ينقطع وقال جابر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا

خطب فذكر الساعة رفع صوته واحمرت وجنتاه كأنه منذر جيش يقول صبحتكم ومسيتكم بعثت انا والساعة كهاتين وقرن بين

اصبعيه وقال ابن مسعود تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام فقال رسول الله صلى

الله عليه وسلم ان النور اذا دخل الصدر انفسح فقيل يا رسول الله هل لذلك من علامة تعرف قال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة

الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله وقال السدي الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم ايكم احسن عملا اي ايكم اكثر للموت

ذكرا وله احسن استعدادا ومنه اشد خوفا وحذرا وقال حذيفة ما من صباح ولا مساء الا ومناد ينادي ايها الناس الرحيل الرحيل

وتصديق ذلك قوله تعالى انها لاحدى الكبر نذيرا للبشر لمن شاء منكم ان يتقدم او يتأخر في الموت وقال سحيم مولى ابن تميم جلست الى

عامر بن عبد الله وهو يصلي فأوجز في صلاته ثم اقبل علي فقال ارحني بحاجتك فاني ابادر قلت وما تبادر قال ملك الموت رحمك الله

قال فقمت عنه وقام الى صلاته ومر داود الطائي فسأله رجل عن حديث فقال دعني انما ابادر خروج نفسي وقال عمر رضي الله عنه

التؤدة في كل شيء خير الا في اعمال الآخرة وقال المنذر سمعت مالك بن دينار يقول لنفسه ويحك بادري قبل ان يأتيك الامر بادري

قبل ان يأتيك الموت حتى كرر ذلك ستين مرة او سبعين مرة اسمعه ولا يراني وكان يقول الحسن في موعظته المبادرة المبادرة فانما

هي الانفاس لو حبست انقطعت عنكم اعمالكم التي تتقربون بها الى الله تعالى رحم الله امرأ نظر لنفسه وبكى على ذنوبه ثم قرأ هذه الآية

انما نعد لهم عدا يعني الانفاس آخر العدد خروج نفسك آخر العدد فراق اهلك آخر العدد دخولك في قبرك واجتهد ابو موسى

الاشعري قبل موته اجتهادا شديدا فقيل له لو امسكت ورفقت بنفسك بعض الرفق فقال ان الخيل اذا ارسلت فقاربت رأس

مجراها اخرجت جميع ما عندها والذي بقي من اجلي اقل من ذلك قال فلم يزل على ذلك حتى مات وكان يقول لامرأته شدي

رحلك فليس على جهنم معبر وقال بعض الخلفاء على منبره عباد الله اتقوا الله ما استطعتم وكونوا قوما صيح بهم فانتبهوا وعلموا ان

الدنيا ليست بدار فاستبدلوا واستعدوا للموت فقد اظلكم وترحلوا فقد حدي بكم وان غاية تنقصها اللحظة وتهدمها الساعة

لجديرة بقصر المدة وان غائبا يحدوه الجديدان الليل والنهار لحري بسرعة الاوبة وان قادما يحل بالفوز او الشقوة لمستحق

لافضل العدة فاتقى عبد ربه ونصح نفسه وقدم توبته وغلب شهوته فان اجله مستور عنه وامله خادع له والشيطان موكل به

يمنيه التوبة ويسوفها ويزين له المعصية ليرتكبها حتى تهجم منيته عليه اغفل ما يكون عنها وانه ما بين احدكم وبين الجنة او النار

الا الموت ان ينزل به فيالها من حسرة على ذي غفلة ان يكون عمره عليه حجة وان ترديه ايامه الى الشقوة جعلنا الله واياكم ممن لا يبطره

نعمة ولا تقصر به عن طاعته معصية ولا يحل به بعد الموت حسرة انه سميع الدعاء وانه بيده الخير وانه فعال لما يشاء وقال بعض

المفسرين في قوله تعالى فتنتم انفسكم قال بالشهوات واللذات وتربصتم قال بالتوبة وارتبتم قال شككتم حتى جاء امر الله قال الموت

وغركم بالله الغرور وقال الحسن تصبروا وتشددوا فانما هي ايام قلائل وانما انتم ركب وقوف يوشك ان يدعى الرجل منكم فيجيب

ولا يلتفت فانتقلوا بصالح ما بحضرتكم وقال ابن مسعود ما منكم احد يصبح الا وهو ضيف وماله عارية فالضيف مرتحل والعارية مؤداة

وقال ابو عبيدة الناجي دخلنا على الحسن في مرضه الذي مات فيه فقال مرحبا بكم واهلا وحياكم الله بالسلام واحلنا واياكم دار المقام

هذه علانية حسنة ان صبرتم وصدقتم واتقيتم فلا يكن حظكم من هذا الخبر رحمكم الله ان تسمعوه بهذه الاذن وتخرجوه بهذه

الاذن فانه من رأى محمدا صلى الله عليه وسلم فقد رآه غاديا ورائحا لم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة ولكن رفع له علم

فشمر اليه الوحا الوحا النجا النجا علام تعرجون اتيتم ورب الكعبة كأنكم والامر معا رحم الله عبدا جعل العيش عيشا واحدا فأكل

كسرة ولبس خلقا ولزق بالارض واجتهد في العبادة وبكى على الخطيئة وهرب من العقوبة وابتغى الرحمة حتى يأتيه اجله

وهو على ذلك وقال عاصم الاحول الرقاشي وانا اسأله يا هذا لا يشغلنك كثرة الناس عن نفسك فان الامر يخلص اليك دونهم

ولا تقل اذهب ههنا وههنا فينقطع عنك النهار في لا شيء فان الامر محفوظ عليك ولم تر شيئا قط احسن طلبا ولا اسرع

ادراكا من حسنة حديثة لذنب قديم

الباب الثالث في سكرات الموت وشدته وما يستحب من الاحوال عنده

اعلم انه لو لم يكن بين يدي العبد المسكين كرب ولا هول ولا عذاب سوى سكرات الموت لكان جديرا بان يتنغص عليه

عيشه ويتكدر عليه سروره ويفارقه سهوه وغفلته وحقيقا بان يطول فيه فكره ويعظم له استعداده لا سيما وهو في كل

نفس بصدده كما قال بعض الحكماء كرب بيد سواك لا تدري متى يغشاك وقال لقمان لابنه يا بني امر لا تدري متى يلقاك استعد له

قبل ان يفجأك والعجب ان الانسان لو كان في اعظم اللذات واطيب مجالس اللهو فانتظر ان يدخل عليه جندي فيضربه خمس خشبات

لتكدرت عليه لذته وفسد عليه عيشه وهو في كل نفس بصدد ان يدخل عليه ملك الموت بسكرات النزع وهو عنه غافل فما لهذا سبب

الا الجهل والغرور واعلم ان شدة الالم في سكرات الموت لا يعرفها بالحقيقة الا من ذاقها ومن لم يذقها فانما يعرفها اما بالقياس الى الآلام

التي ادركها واما بالاستدلال باحوال الناس في النزع وهو عنه غافل على شدة ما هم فيه فاما القياس الذي يشهد له فهو ان

كل عضو لا روح فيه فلا يحس بالالم فاذا كان فيه الروح فالمدرك للالم هو الروح فمهما اصاب العضو جرح او حريق سرى الاثر الى الروح

فبقدر ما يسري الى الروح يتألم والمؤلم يتفرق على اللحم والدم وسائر الاجزاء فلا يصيب الروح الا بعض الاثر فان كان في الآلام

ما يباشر نفس الروح ولا يلاقي غيره فما اعظم ذلك الالم وما اشده والنزع عبارة عن مؤلم نزل بنفس الروح فلا يلاقي غيره فما اعظم

ذلك الالم فاستغرق جميع اجزائه حتى لم يبق جزء من اجزاء الروح المنتشر في اعماق البدن الا وقد حل به الالم فلو اصابته شوكة فالالم يجده
انما يجري في جزء من الروح يلاقي ذلك الموضع الذي اصابته الشوكة وانما يعظم اثر الاحتراق لان اجزاء النار تغوص في سائر اجزاء البدن فلا يبقى
جزء من العضو المحترق ظاهرا وباطنا الا ويصيبه النار فتحسه الاجزاء الروحانية المنتشرة في سائر اجزاء اللحم واما الجراحة فانما تصيب
الموضع الذي مسه الحديد فقط فكان لذلك الم الجرح دون الم النار فالم النزع يهجم على نفس الروح ويستغرق جميع اجزائه فانه
المنزوع المجذوب من كل عرق من العروق وعصب من الاعصاب وجزء من الاجزاء ومفصل من المفاصل ومن اصل كل شعرة وبشرة من
الفرق الى القدم فلا تسئل عن كربه والمه حتى قالوا ان الموت اشد من ضرب بالسيف ونشر بالمنشار وقرض بالمقراض لان قطع
البدن بالسيف انما يولم لتعلقه بالروح فكيف اذا كان المتناول المباشر نفس الروح وانما يستغيث المضروب ويصيح لبقاء
قوته في قلبه وفي لسانه وانما انقطع صوت الميت وصياحه مع شدة المه لان الكرب قد بالغ فيه وتصاعد على قلبه وغلب على كل
موضع منه فهد كل قوة وضعف كل جارحة فلم يترك له قوة الاستغاثة اما العقل فقد غشيه وشوشه واما اللسان
فقد ابكمه واما الاطراف فقد ضعفها ويود لو قدر على الاستراحة بالانين والصياح والاستغاثة ولكنه لا يقدر على ذلك
فان بقيت فيه قوة سمعت له عند نزع الروح وجذبها خوارا وغرغرة في حلقه وصدره وقد تغير لونه واربد حتى كانه ظهر فيه
التراب الذي هو اصل فطرته وقد جذب منه كل عرق على حياله فالالم منتشر في داخله وخارجه حتى ترتفع الحدقتان الى اعالي
جفونه ويتقلص اللسان الى اصله وترتفع الانثيان الى اعالي موضعهما وتخضر الانامل فلا تسئل عن بدن يجذب منه كل عرق من
عروقه ولو كان المجذوب عرقا واحدا كان المه عظيما فكيف والمجذوب نفس الروح المتالم لا من عرق واحد بل من جميع العروق ثم
يموت كل عضو من اعضائه تدريجا فتبرد اولا قدماه ثم ساقاه ثم فخذاه ولكل عضو سكرة بعد سكرة وكربة بعد كربة حتى يبلغ
بها الى الحلقوم فعند ذلك ينقطع نظره عن الدنيا واهلها ويغلق دونه باب التوبة ويحيط به الحسرة والندامة قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقبل توبته ما لم يغرغر وقال مجاهد في قوله تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم
الموت قال اني تبت الآن قال اذا عاين الرسل فعند ذلك تبدو له صفحة وجه ملك الموت فلا تسئل عن طعم مرارة الموت وكربه
عند ترادف سكراته ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم هون على محمد سكرات الموت والناس انما لا يستعيذون
منه ولا يستعظمونه لجهلهم فان الاشياء قبل وقوعها انما تدرك بنور النبوة والولاية ولذلك عظم خوف الانبياء والاولياء
من الموت حتى قال عيسى يا معشر الحواريين ادعوا الله ان يهون على هذه السكرة يعني الموت فقد خفت الموت مخافة اوقفني خوفي
على الموت وروي ان نفرا من بني اسرائيل مروا بمقبرة فقال بعضهم لبعض لو دعوتم الله ان يخرج لكم من هذه المقبرة ميتا
يسئلونه فدعوا الله تعالى فاذا هم برجل قد قام وبين عينيه اثر السجود قد خرج من قبر من القبور فقال يا قوم ما اردتم مني لقد ذقت
الموت منذ خمسين عاما ما سكنت مرارة الموت من قلبي وقالت عائشة لا اغبط احدا يهون عليه الموت بعد الذي رايت من شدة
موت رسول الله صلى الله عليه وسلم وروي انه كان عليه الصلوة والسلام يقول عند الموت اللهم انك تاخذ الروح من بين
العصب والقصب والانامل اللهم فاعني على الموت وهونه علي وعن الحسن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الموت وغصته
والمه فقال هو قدر ثلثمائة ضربة بالسيف وسئل صلى الله عليه وسلم عن الموت فقال ان اهون الموت بمنزلة حسكة في صوف فهل
تخرج الحسكة من الصوف الا ومعها صوف ودخل صلى الله عليه وسلم على مريض ثم قال اني اعلم ما يلقى ما منه عرق الا ويالم للموت
على حدته وكان علي كرم الله وجهه يحض على القتال وهو يقول ان لم تقتلوا تموتوا والذي نفسي بيده لالف ضربة بالسيف اهون من موت

على فراش وقال الاوزاعي بلغنا ان الميت يجد الم الموت ما لم يبعث من قبره وقال شداد بن اوس الموت افظع هول في الدنيا
والاخرة على الموت ما لم يبعث من قبره وقال شداد بن اوس الموت افظع هول في الدنيا والاخرة على المومن وهو اشد من نشر بالمناشير
وقرض بالمقاريض وغلي في القدور ولو ان الميت نشر فاخبر اهل الدنيا بالم الموت ما انتفعوا بعيش ولا لذوا بنوم
وعن زيد بن اسلم عن ابيه قال اذا بقي على المومن من درجاته شيء لم يبلغها بعمله شدد عليه الموت ليبلغ بسكرات الموت وكربه
درجته في الجنة واذا كان للكافر معروف لم يجز به في الدنيا هون عليه في الموت ليستكمل ثواب معروفه فيصير الى النار وعن بعضهم
انه كان يسال كثيرا عن المحتضرين كيف يجدون الموت فلما مرض قيل له فانت كيف تجده فقال كان السموات مطبقة على الارض وكان
نفسي تخرج من ثقب ابرة وقال صلى الله عليه وسلم موت الفجاة راحة للمومن واسف على الفاجر وروي عن مكحول عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال لو ان شعرة من شعرات الميت وضعت على اهل السموات والارض لماتوا باذن الله لان في كل شعرة الموت
ولا يقع الموت بشيء الا مات ويروى لو ان قطرة من الموت وضعت على جبال الارض كلها لذابت وروي ان ابرهيم عليه الصلوة والسلام
لما مات قال الله سبحانه كيف وجدت الموت يا خليلي فقال كسفود جعل في صوف رطب ثم جذب فقال اما انا قد هونا عليك وروي
عن موسى عليه الصلوة والسلام انه لما صار روحه الى الله عز وجل قال له ربه يا موسى كيف وجدت الموت فقال وجدت نفسي
كالعصفور حين يقلى على المقلى لا يموت فيستريح ولا ينجو فيطير وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال وجدت نفسي كشاة حية تسلخ
بيد القصاب وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان عنده قدح من ماء عند الموت فجعل يدخل يده في الماء ثم يمسح بها وجهه ويقول
اللهم هون علي سكرات الموت وفاطمة رضي الله عنها تقول واكرباه لكربك يا ابتاه وهو يقول لا كرب على ابيك بعد اليوم وقال عمر
رضي الله عنه لكعب الاحبار يا كعب حدثنا عن الموت فقال نعم يا امير المومنين الموت كغصن كثير الشوك ادخل في جوف رجل واخذت
كل شوكة بعرق ثم جذبه رجل شديد الجذب فاخذ ما اخذ وابقى ما ابقى وقال الرسول صلى الله عليه وسلم ان العبد ليعالج كرب الموت وسكرات
الموت وان مفاصله ليسلم بعضها على بعض يقول عليك السلام تفارقني وافارقك الى يوم القيمة فهذه سكرات الموت على اولياء الله واحبائه
فما حالنا ونحن المنهمكون في المعاصي ويتوالى علينا مع سكرة الموت بقية الدواهي فان دواهي الموت ثلاثة الاولى شدة النزع كما ذكرناه ٥
الداهية الثانية مشاهدة صورة ملك الموت ودخول الروع والخوف منه على القلب فلو راى صورته التي عليها يقبض روح
العبد المذنب اعظم الرجال قوة لم يطق رؤيته فروي عن الخليل صلى الله عليه وسلم قال لملك الموت عليه السلام هل تستطيع ان تريني
الصورة التي تقبض فيها روح الفاجر قال لا تطيق ذلك قال بلى قال فاعرض عني فاعرض عنه ثم التفت فاذا هو برجل اسود قائم الشعر
منتن الريح اسود الثياب يخرج من فيه ومناخره لهيب النار والدخان فغشي على ابرهيم ثم افاق وقد عاد ملك الموت الى صورته
الاولى فقال يا ملك الموت لو لم يلق الفاجر عند موته الا صورة وجهك لكان حسبه وروى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
ان داود كان رجلا غيورا وكان اذا خرج غلق الابواب فغلق ذات يوم وخرج فاشرفت امراته فاذا هي برجل في الدار فقالت من
ادخل هذا الرجل داره لئن جاء داود ليلقين منه عناء فجاء داود فراه فقال من انت قال انا الذي لا اهاب الملوك ولا يمنعني الحجاب
فقال فانت والله اذن ملك الموت وزمل داود عليه السلام مكانه وروي ان عيسى عليه السلام مر بجمجمة فضربها برجله فقال
تكلمي باذن الله فقال يا روح الله انا ملك زمان كذا وكذا بينا انا جالس في ملكي على تاجي وحولي جنودي وحشمي على سرير ملكي اذ
بدا لي ملك الموت فزال مني كل عضو على حياله ثم خرجت نفسي اليه فيا ليت ما كان من تلك الجموع كان فرقة ويا ليت ما كان من ذلك
الانس كان وحشة فهذه داهية يلقاها العصاة ويكفاها المطيعون فقد حكي للانبياء مجرد سكرة النزع دون الروعة التي يدركها

من يشاهد صورة ملك الموت كذلك ولو راها ليلة في المنام لتنغص بقية عمره فكيف برؤيته في مثل تلك الحال واما المطيع
فانه يراه في احسن صورة واجملها فقد روى عكرمة عن ابن عباس ان ابرهيم عليه السلم كان رجلا غيورا وكان له بيت يتعبد فيه فاذا
خرج اغلقه فرجع ذات يوم واذا رجل في جوف البيت فقال من ادخلك داري فقال ادخلنيها ربها فقال انا ربها فقال ادخلنيها
من هو املك بها مني ومنك فقال من انت من الملائكة قال انا ملك الموت قال هل تستطيع ان تريني الصورة التي تقبض فيها روح المؤمن
قال نعم فاعرض عني فاعرض عنه ثم التفت فاذا هو بشاب فذكر من حسن وجهه وحسن ثيابه وطيب ريحه فقال يا ملك الموت لو لم
يلق المؤمن عند الموت الا صورتك كان حسبه ومنها مشاهدة الملكين الحافظين قال وهيب بلغنا انه ما من ميت يموت حتى يتراءى
له ملكاه الكاتبان عمله فان كان مطيعا قالا له جزاك الله عنا خيرا فرب مجلس صدق اجلستنا وعمل صالح احضرتنا وان كان فاجرا
قالا له لا جزاك الله عنا خيرا فرب مجلس شر اجلستنا وعمل غير صالح قد احضرتنا وكلام قبيح قد اسمعتنا فلا جزاك الله عنا
خيرا فذلك شخوص بصر الميت اليهما ولا يرجع الى الدنيا ابدا الداهية الثالثة مشاهدة العصاة مواضعهم من النار وخوفهم
قبل المشاهدة فانهم في حال السكرات وقد تخاذلت قواهم واستسلمت للخروج ارواحهم ما لم يسمعوا نغمة ملك الموت باحدى البشريين
اما ابشر يا عدو الله بالنار واما ابشر يا ولي الله بالجنة ومن هذا كان خوف ارباب الالباب وقد قال صلى الله عليه وسلم لن يخرج
احدكم من الدنيا حتى يعلم اين مصيره وحتى يرى مقعده من الجنة او النار وقال صلى الله عليه وسلم من احب لقاء الله احب الله لقاءه
ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه فقالوا كلنا نكره الموت قال ليس ذلك كذلك ان المؤمن اذا فرج له عما هو قادم عليه احب
لقاء الله واحب الله لقاءه وروي ان حذيفة بن اليمان قال لابن مسعود وهو لما به من اخر الليل قم فانظر اي ساعة هي فقام ابن
مسعود ثم جاءه فقال طلعت الحمراء فقال حذيفة اعوذ بالله من صباح الى النار ودخل مروان على ابي هريرة فقال مروان اللهم
خفف عنه فقال ابو هريرة اللهم شدد ثم بكى ابو هريرة وقال والله ما ابكي حزنا على الدنيا ولا جزعا من فراقكم ولكن انتظر احدى البشريين
من ربي بجنة ام بنار وروي في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى اذا رضي عن عبد قال يا ملك الموت اذهب
الى فلان فاتني بروحه لاريحه حسبي من عمله قد بلوته فوجدته حيث احب فينزل ملك الموت ومعه خمسمائة من الملائكة معهم قضبان
واصول الزعفران كل واحد منهم يبشره ببشارة سوى بشارة صاحبه وتقوم الملائكة صفين لخروج روحه معهم فاذا نظر
اليهم ابليس وضع يده على راسه ثم صرخ قال فيقول له جنوده ما لك يا سيدنا فيقول اما ترون ما اعطي هذا العبد من الكرامة
اين كنتم عن هذا قالوا لقد جهدنا به ولكنه كان معصوما وقال الحسن لا راحة للمؤمن الا في لقاء الله ومن كانت راحته في لقاء الله
تعالى فيوم الموت يوم فرحه وسروره وفرحه وامنه وعزه وشرفه وقيل لجابر بن زيد عند الموت ما تشتهي قال نظرة الى الحسن
فلما دخل عليه الحسن قيل له هذا الحسن فرفع طرفه اليه ثم قال يا اخوتاه الساعة والله افارقكم الى النار او الى الجنة وقال محمد بن
واسع عند الموت يا اخوتاه عليكم السلم الى النار او يعفو الله وتمنى بعضهم ان يبقى في النزع ابدا ولا يبعث للثواب ولا العقاب
فخوف سوء الخاتمة قطع قلوب العارفين وهي الدواهي العظيمة عند الموت وقد ذكرنا معنى سوء الخاتمة وشدة خوف العارفين
في كتاب الخوف والرجاء وهو لائق بهذا الموضع ولكنا لا نطول بذكره واعادته بيان ما يستحب من احوال المحتضر
عند الموت اعلم ان المحبوب عند الموت من صورة المحتضر ان يكون من نفسه هو الهدو والسكون ومن لسانه ان يكون ناطقا بالشهادة
ومن قلبه ان يكون حسن الظن بالله اما الصورة فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ارقبوا الميت عند ثلث اذا رشح
جبينه وذرفت عيناه ويبست شفتاه فهي من رحمة الله تعالى قد نزلت به واذا غط غطيط المخنوق واحمر لونه واربدت شفتاه

شفتاه فهو من عذاب الله تعالى قد نزل به واما انطلاق لسانه بكلمة الشهادة فهو علامة الخير قال ابو سعيد الخدري قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لقنوا موتاكم لا اله الا الله وفي رواية حذيفة فانها تهدم ما قبلها من الخطايا وقال عثمان
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات وهو يعلم ان لا اله الا الله دخل الجنة وقال عبيد الله وهو يشهد وقال
اذا احتضر الميت فلقنوه لا اله الا الله فانه ما من عبد يختم له بها عند موته الا كانت زاده الى الجنة وقال عمر رضي الله عنه
احضروا موتاكم وذكروهم فانهم يرون ما لا ترون ولقنوهم لا اله الا الله وقال ابو هريرة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول حضر ملك الموت رجلا يموت فنظر في قلبه فلم يجد فيه شيئا ففك لحييه فوجد طرف لسانه لاصقا بحنكه يقول لا اله الا الله
فغفر له بكلمة الاخلاص وينبغي للملقن ان لا يلح على الميت في التلقين ولكن يتلطف فربما لا ينطلق لسان المريض فيشق عليه ذلك
ويؤدي الى استثقاله التلقين وكراهيته للكلمة ويخشى ان يكون ذلك سبب سوء الخاتمة وانما معنى هذه الكلمة ان يموت الرجل وليس
في قلبه غير الله فاذا لم يبق له مطلوب سوى الواحد الحق كان قدومه بالموت على محبوبه غاية النعيم في حقه وان كان القلب مشغوفا
بالدنيا ملتفتا اليها متاسفا على لذاتها وكانت الكلمة على راس اللسان ولم ينطبق القلب على تحقيقها وقع الامر في خطر المشيئة فان مجرد حركة
اللسان قليل الجدوى الا ان يتفضل الله بالقبول واما حسن الظن فهو مستحب في هذا الوقت وقد ذكرنا في كتاب الرجاء. وقد ورد
الاخبار بفضل حسن الظن دخل واثلة بن الاسقع على مريض فقال اخبرني كيف ظنك بالله فقال اغرقتني ذنوب لي واشفيت
على هلكة ولكني ارجو رحمة الله فكبر واثلة وكبر اهل البيت بتكبيره وقال الله اكبر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال
الله انا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء ودخل صلى الله عليه وسلم على شاب وهو يموت فقال كيف تجدك فقال ارجو الله
واخاف ذنوبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن الا اعطاه الله الذي يرجو وامنه
من الذي يخاف وقال ثابت البناني كان شاب به حدة وكانت امه تعظه تقول كثيرا يا بني ان لك يوما فاذكر يومك فلما نزل
به امر الله تعالى اكبت عليه امه فجعلت تقول يا بني قد كنت احذرك مصرعك هذا واقول ان لك يوما قال يا اماه ان لي ربا
كثير المعروف واني لارجو ان لا يعدمني اليوم بعض معروفه قال ثابت فرحمه الله بحسن ظنه به وقال جابر بن وداعة كان شاب
به رهق فاحتضر فقالت له امه يا بني توصي بشيء قال نعم خاتمي لا تسلبينه فان فيه ذكر الله تعالى فلعل الله يرحمني فلما دفن
فرئي في المنام قال اخبروا امي ان الكلمة قد نفعتني وان الله سبحانه قد غفر لي ومرض اعرابي فقيل له انك تموت قال الى اين يذهب
بي قالوا الى الله قال فما كراهتي ان اذهب الى من لا يرى الخير الا منه وقال المعتمر بن سليمان قال ابي حين حضرته الوفاة يا معتمر
حدثني بالرخص لعلي القى الله تعالى وانا احسن الظن به وكانوا يستحبون ان يذكر العبد محاسن عمله عند موته لكي يحسن ظنه بربه
بيان الحسرة عند لقاء ملك الموت بحكايات يعرب لسان الحال عنها قال اشعث بن اسلم سال ابرهيم عليه السلم ملك
الموت واسمه عزرائيل وله عينان عين في وجهه وعين في قفاه فقال يا ملك الموت ما تصنع اذا كان نفس بالمشرق ونفس
بالمغرب ووقع الوباء بارض والتقى الزحفان كيف تصنع قال ادعو الارواح باذن الله فتكون بين اصبعي هاتين وقال
ودحيت له الارض فتركت مثل الطست بين يديه يتناول منها حيث يشاء قال وهو بشره بانه خليل الله تعالى وقال داود
عليه السلام لملك الموت عليه السلم ما لي اراك تعدل بين الناس تاخذ هذا وتدع هذا قال ما انا بذلك باعلم منك
انما هي صحف او كتب تلقى الي فيها اسماء وقال وهب بن منبه كان ملك من الملوك اراد يوما ان يركب الى ارض فدعا بثياب
ليركبها ليلبسها فلم تعجبه فطلب غيرها حتى لبس ما اعجبه بعد مرات وكذلك طلب دابة فلم تعجبه حتى اتي بدواب فركب احسنها

جا ابليس فنفخ في منخره نفخة فملاه كبرا ثم سار وسارت معه الخيول وهو لا ينظر الى الناس كبرا فجاءه رجل رث الهيئة فسلم
فلم يرد عليه السلم فاخذ بلجام دابته فقال ارسل اللجام فقد تعاطيت امرا عظيما قال ان لي اليك حاجة قال اصبر حتى انزل
قال لا الان فقهره على لجام دابته فقال اذكرها قال هو سر فادنى اليه راسه فساره وقال انا ملك الموت فتغير لون الملك
واضطرب لسانه ثم قال دعني حتى ارجع الى اهلي فاقضي لي حاجتي واودعهم قال لا والله لا ترى اهلك وولدك ابدا فقبض روحه
فخر كانه خشبة ثم لقي عبدا مؤمنا في تلك الحال فسلم فرد السلم فقال ان لي حاجة اذكرها في اذنك فقال هات فساره وقال
انا ملك الموت فقال مرحبا واهلا بمن طالت غيبته علي فوالله ما كان على الارض غائب احب الي ان القاه منك فقال له ملك
الموت اقض حاجتك التي خرجت لها فقال ما لي حاجة اكبر عندي ولا احب من لقاء الله فقال له فاختر على اي حال شئت ان اقبض
روحك فقال تقدر على ذلك قال نعم اني امرت بذلك قال فدعني حتى اتوضا واصلي فاقبض روحي وانا ساجد فقبض روحه
وهو ساجد وقال بكر بن عبد الله المزني جمع رجل من بني اسرائيل مالا فلما اشرف على الموت قال لبنيه اروني اصناف اموالي
فاتي بشيء كثير من الخيل والابل والرقيق وغيرها فلما نظر اليه بكى تحسرا عليه فراه ملك الموت وهو يبكي فقال ما يبكيك فوالذي
خولك ما انا بخارج من منزلك حتى افرق بين روحك وبدنك قال فالمهلة حتى افرقه قال هيهات انقطعت المهلة فهلا كان ذلك
قبل حضور اجلك فقبض روحه وروي ان رجلا جمع مالا فاوعى ولم يدع صنفا من المال الا اتخذه وابتنى قصرا وجعل عليه بابين
وثيقين وجمع عليه حرسا من غلمانه ثم جمع اهله وصنع لهم طعاما وقعد على سريره ورفع احدى رجليه على الاخرى وهم ياكلون
فلما فرغوا اقبل على نفسه وقال يا نفس انعمي سنين فقد جمعت لك ما يكفيك فلم يفرغ من كلامه حتى اقبل عليه ملك الموت
في هيئة رجل عليه خلقان من الثياب وفي عنقه مخلاة يتشبه بالمساكين فقرع الباب بشدة عظيمة قرعا افزعه وهو على
فراشه فوثب اليه الغلمة وقالوا ما شانك فقال ادعوا لي مولاكم قالوا والى مثلك يخرج مولانا قال نعم فاخبروه بذلك
فقال هلا فعلتم به وفعلتم فقرع الباب قرعة اشد من الاولى فوثب اليه الحرس فقال اخبروه اني ملك الموت فلما سمعوه القي عليهم
الرعب ووقع على مولاهم الذل والتخشع فقال قولوا له قولا لينا وقولوا هل تاخذ به احدا فدخل عليه فقال اصنع في مالك
ما انت صانع فاني لست بخارج منها حتى اخرج نفسك فامر بماله حتى وضع بين يديه فقال حين راه لعنك الله من مال
انت شغلتني عن عبادة ربي ومنعتني ان اتخلى لربي فانطق الله المال فقال لم تسبني وقد كنت تدخل على السلطان بي ويرد المتقون
عن بابهم وكنت تنكح المتنعمات بي وتجلس مجالس الملوك بي ويرد المتقون وتنفقني في سبيل الشر فلا امتنع منك ولو انفقتني في
سبيل الخير نفعتك خلقت وابن ادم من تراب فمنطلق باثم ومنطلق ببر ثم قبض ملك الموت روحه فسقط وقال وهب بن منبه
قبض ملك الموت روح جبار من الجبابرة ما في الارض مثله ثم عرج الى السما فقالت الملائكة لمن كنت اشد رحمة ممن قبضت روحه
قال امرت بقبض نفس امراة في فلاة من الارض فاتيتها وقد ولدت مولودا فرحمتها لغربتها ورحمت ولدها لصغره وكونه في فلاة
لا متعهد بها فقالت الملائكة الجبار الذي قبضت الان روحه هو ذلك المولود الذي رحمته فقال ملك الموت سبحان اللطيف
لما يشا وقال عطا بن يسار اذا كان ليلة النصف من شعبان دفع الى ملك الموت صحيفة فيقال اقبض في هذه السنة من في هذه
الصحيفة قال فان العبد ليغرس الغراس وينكح الازواج ويبني البنيان وان اسمه في تلك الصحيفة وهو لا يدري وقال الحسن
ما من يوم الا وملك الموت يتصفح كل بيت ثلاث مرات فمن وجده منهم قد استوفى رزقه وانقضى اجله قبض روحه فاذا قبض روحه
اقبل اهله برنة وبكا فياخذ ملك الموت بعضادتي الباب فيقول والله ما اكلت له رزقا ولا افنيت له عمرا ولا انقصت له

له اجلا وان لي فيكم لعودة ثم عودة حتى لا ابقي منكم احدا قال الحسن فوالله لو راوا مقامه وسمعوا كلامه لذهلوا عن ميتهم
ولبكوا على انفسهم وقال يزيد الرقاشي بينما جبار من الجبابرة في بني اسرائيل جالس في منزله قد خلا ببعض اهله اذ نظر الى شخص
قد دخل من باب بيته فثار اليه فزعا مغضبا فقال من انت ومن ادخلك على داري قال اما الذي ادخلني الدار فربها واما انا
فالذي لا يمنع مني الحجاب ولا استاذن على الملوك ولا اخاف سطوة السلاطين ولا يمتنع مني كل جبار عنيد ولا شيطان مريد قال
فاسقط في يدي الجبار وارتعد حتى سقط منكبا لوجهه ثم رفع اليه راسه مستخذيا متذللا له فقال له انت اذن ملك الموت
قال انا هو قال فهل انت ممهلي حتى احدث عهدا قال هيهات انقطعت مدتك وانقضت انفاسك ونفدت ساعاتك
فليس الى تاخيرك سبيل قال فالى اين تذهب بي قال الى عملك الذي قدمته والى بيتك الذي مهدته قال فاني لم اقدم عملا صالحا
ولم امهد بيتا حسنا قال فالى لظى نزاعة للشوى ثم قبض روحه فسقط بين اهله فمن بين صارخ وباك قال يزيد الرقاشي لو تعلمون
سوء المنقلب كان العويل على ذلك اكثر وعن الاعمش عن خيثمة قال دخل ملك الموت على سليمان بن داود صلى الله عليه وسلم فجعل ينظر
الى رجل من جلسائه يديم النظر اليه فلما خرج قال الرجل من هذا قال هذا ملك الموت قال لقد رايته ينظر الي كانه يريدني قال فماذا تريد قال
اريد ان تخلصني منه فتامر الريح حتى تحملني الى اقصى الهند فقال للريح ذلك ففعل الريح ذلك ثم قال سليمان لملك الموت بعد ان اتاه
ثانيا رايتك تديم النظر الى واحد من جلسائي قال نعم كنت اتعجب منه لاني كنت امرت ان اقبض روحه باقصى الهند في ساعة قريبة وكان
هو عندك فعجبت منه لذلك ه

الباب الرابع في وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم

والخلفاء الراشدين رضي الله عنهم اجمعين اعلم ان في رسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة حسنة حيا وميتا وفعلا وقولا وجميع
احواله عبرة للناظرين وتبصرة للمستبصرين اذ لم يكن احد اكرم على الله منه اذ كان خليل الله وحبيبه ونجيه وكان صفيه ورسوله و
نبيه فانظر هل امهله ساعة عند انقضاء مدته وهل اخره لحظة بعد حضور منيته لا بل ارسل الله الملائكة الكرام عليهم السلام
الموكلين بقبض ارواح الانام فجدوا بروحه الزكية الكريمة لينقلوها وعالجوها ليرحلوها عن جسده الطاهر الى رحمة ورضوان
وخيرات حسان بل الى مقعد صدق في جوار الرحمن فاشتد مع ذلك في النزع كربه وظهر انينه وترادف قلقه وارتفع حنينه
وتغير لونه وعرق جبينه واضطربت في الانقباض والانبساط شماله ويمينه حتى بكى لمصرعه من حضره وانتحب لشدة حاله
من شاهد منظره فهل رايت منصب النبوة دافعا عنه مقدورا وهل راقب الملك فيه اهلا وعشيرا وهل سامحه اذ كان للحق نصيرا
وللخلق بشيرا ونذيرا هيهات بل امتثل ما كان به مامورا واتبع ما وجده في اللوح المحفوظ مسطورا فهذا كان حاله وهو عند الله ذو
المقام المحمود والحوض المورود وهو اول من تنشق عنه الارض وصاحب الشفاعة يوم العرض فالعجب انا لا نعتبر به ولسنا
على ثقة فيما نلقاه بل نحن اسراء الشهوات وقرناء المعاصي والسيئات فما بالنا لا نتعظ بمصرع محمد سيد المرسلين عليه افضل الصلوات
لعلنا نظن انا مخلدون او نتوهم انا مع سوء افعالنا عند الله مكرمون هيهات هيهات بل نتيقن انا جميعا على النار واردون ثم لا ينجو
منها الا المتقون فنحن للورود مستيقنون وللصدر عنها متوهمون لا بل ظلمنا انفسنا ان كنا لذلك غالب الظن منتظرين فما نحن
والله من المتقين وقد قال الله رب العالمين وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها
جثيا فلينظر كل عبد الى نفسه انه الى الظالمين اقرب ام الى المتقين وانظر الى نفسك بعد ان تنظر الى سيرة السلف الصالحين فلقد
كانوا مع ما وفقوا عليه من الخائفين ثم انظر الى سيد المرسلين فانه كان من امره على يقين اذ كان سيد النبيين وقائد المتقين واعتبر كيف كان
كربه عند فراق الدنيا وكيف اشتد امره عند الانقلاب الى جنة الماوى وقال ابن مسعود دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم

في بيت امنا عائشة رضي الله عنها حين دنا الفراق فنظر الينا فدمعت عيناه صلى الله عليه وسلم في بيت امنا عائشة رضي الله عنها
ثم قال مرحبا بكم حياكم الله اواكم الله نصركم الله اوصيكم بتقوى الله واوصى بكم الله اني لكم منه نذير مبين الا تعلوا على الله في عباده
وبلاده وقد دنا الاجل والمنقلب الى الله والى سدرة المنتهى والى الجنة المأوى والكاس الاوفى فاقرؤوا على انفسكم وعلى من دخل
في دينكم بعدي مني السلام ورحمة الله وروى انه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عند موته من لامتي بعدي فاوحى الله تعالى الى جبريل
ان بشر حبيبي اني لا اخذله في امته وبشره بانه اسرع الناس خروجا من الارض اذا بعثوا وسيدهم اذا اجتمعوا وان الجنة محرمة على الامم
حتى تدخلها امته فقال الان قرت عيني وقالت عائشة امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نغسله بسبع قرب من سبع ابار ففعلنا ذلك
فوجد راحة فخرج فصلى بالناس واستغفر لاهل احد ودعا لهم واوصى بالانصار فقال اما بعد يا معشر المهاجرين فانكم تزيدون واصبحت
الانصار لا تزيد على هيئتها التي هي عليها اليوم وان الانصار عيبتي التي اويت اليها فاكرموا كريمهم يعني محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم
ثم قال ان عبدا خير بين الدنيا وبين ما عند الله فاختار ما عند الله فبكى ابو بكر رضي الله عنه وظن انه يريد نفسه فقال النبي صلى الله عليه وسلم
على رسلك يا ابا بكر سدوا هذه الابواب الشوارع في المسجد الا باب ابي بكر فاني لا اعلم امرءا افضل عندي في الصحبة من ابي بكر قالت
عائشة رضي الله عنها فقبض صلى الله عليه وسلم في بيتي وفي يومي بين سحري ونحري وجمع الله تعالى بين ريقي وريقه عند الموت فدخل
علي اخي عبد الرحمن وبيده سواك فجعل ينظر اليه فعرفت انه يعجبه ذلك فقلت آخذه لك فاومى براسه اي نعم فناولته اياه فادخله
في فيه فاشتد عليه فقلت ألينه لك فاومى براسه اي نعم فلينته وكان بين يديه ركوة ماء فجعل يدخل يده فيها ويقول لا اله الا الله
ان للموت لسكرات ثم نصب يده يقول الرفيق الاعلى الرفيق الاعلى فقلت اذن والله لا يختارنا وروى سعيد بن عبد الله عن ابيه
قال لما رات الانصار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزداد ثقلا اطافوا بالمسجد فدخل العباس رضي الله عنه على النبي صلى الله
عليه وسلم فاعلمه بمكانهم واشفاقهم ثم دخل عليه الفضل بن العباس فاعلمه بمثل ذلك ثم دخل عليه علي رضي الله عنه فاعلمه بمثله
فمد يده وقال ها فتناولوه فقال ما تقولون قالوا نقول نخشى ان تموت وتصايح نساؤهم لاجتماع رجالهم الى النبي صلى الله عليه
وسلم فثار رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج متوكئا على علي والفضل والعباس امامه ورسول الله صلى الله عليه وسلم معصوب
الراس يخط برجليه الارض حتى جلس على اسفل مرقاة من المنبر وثاب الناس اليه فحمد الله واثنى عليه وقال ايها الناس بلغني
انكم تخافون علي الموت كانه استنكار منكم للموت وما تنكرون من موت نبيكم الم انع اليكم وتنعى اليكم انفسكم هل خلد نبي
قبلي فيمن بعث فاخلد فيكم الا اني لاحق بربي وانكم لاحقون به واني اوصيكم بالمهاجرين الاولين خيرا واوصى المهاجرين فيما بينهم فان
الله عز وجل قال والعصر ان الانسان لفي خسر الى اخرها وان الامور تجري باذن الله فلا يحملنكم استبطاء امر على استعجاله
فان الله عز وجل لا يعجل لعجلة احد ومن غالب الله غلبه ومن خادع الله خدعه فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض
وتقطعوا ارحامكم واوصيكم بالانصار خيرا فانهم الذين تبوؤا الدار والايمان من قبلكم ان تحسنوا اليهم الم يشاطروكم
الثمار الم يوسعوا عليكم في الديار الم يؤثروكم على انفسهم وبهم الخصاصة الا فمن ولي ان يحكم بين رجلين فليقبل من محسنهم
وليتجاوز عن مسيئهم الا ولا تستاثروا عليهم الا واني فرط لكم وانتم لاحقون بي الا وان موعدكم الحوض حوضي اعرض مما بين بصرى
الشام وصنعاء اليمن يصب فيه ميزاب الكوثر ماء اشد بياضا من اللبن والين من الزبد واحلى من الشهد من شرب منه لم يظما
ابدا حصباؤه اللؤلؤ وبطحاؤه في مسك من حرمه في الموقف غدا حرم الخير كله الا فمن احب ان يرد علي غدا فليكفف لسانه
ويده الا مما ينبغي فقال له العباس يا نبي الله اوص بقريش فقال انما اوصي بهذا الامر قريشا والناس تبع لقريش برهم لبرهم

وفاجرهم لفاجرهم فاستوصوا الى قريش بالناس خيرا ايها الناس ان الذنوب تغير النعم وتبدل القسم فاذا
بر الناس برهم ائمتهم واذا فجر الناس عقوهم قال الله تعالى وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون وروي عن ابن
مسعود انه قال صلى الله عليه وسلم لابي بكر رضي الله عنه سل يا ابا بكر فقال يا رسول الله دنا الاجل فقال قد دنا الاجل
وتدلى فقال ليهنك يا نبي الله ما عند الله فليت شعري عن منقلبنا فقال الى الله والى سدرة المنتهى ثم الى جنة المأوى
والفردوس الاعلى والكاس الاوفى والرفيق الاعلى والحظ الاسنى والعيش المهنى فقال يا نبي الله من يلي غسلك قال رجال من اهل
بيتي الادنى فالادنى قال ففيم نكفنك قال في ثيابي هذه وفي حلة يمنية وفي بياض مصر قال كيف الصلاة عليك منا وبكينا
وبكى ثم قال مهلا غفر الله لكم وجزاكم عن نبيكم خيرا اذا انتم غسلتموني وكفنتموني فضعوني على سريري في بيتي هذا على شفير
قبري ثم اخرجوا عني ساعة فان اول من يصلي علي الله عز وجل هو الذي يصلي عليكم وملائكته ثم ياذن للملائكة في الصلاة علي
فاول من يدخل علي من خلق الله ويصلي علي جبريل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم ملك الموت عليهم الصلاة والسلام مع جنود
كثيرة ثم الملائكة باجمعها صلى الله عليهم اجمعين ثم انتم فادخلوا علي افواجا فصلوا علي افواجا زمرة زمرة وسلموا تسليما ولا
تؤذوني بتزكية ولا صيحة ولا رنة وليبدا منكم الامام واهل بيتي الادنى فالادنى ثم زمر النساء ثم زمر الصبيان قال فمن يدخل
القبر قال زمر اهل بيتي الادنى فالادنى مع ملائكة كثيرة لا ترونهم وهم يرونكم قوموا فادوا عني الى من بعدي وقال عبد الله
ابن زمعة جاء بلال في اول ربيع الاول فاذن بالصلاة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مروا ابا بكر يصلي بالناس فخرجت
فلم ار بحضرة الباب الا عمر في رجال ليس فيهم ابو بكر فقلت قم يا عمر فصل بالناس فقام عمر فلما كبر وكان رجلا صيتا سمع
رسول الله صلى الله عليه وسلم صوته بالتكبير قال اين ابو بكر يابى الله ذلك والمسلمون قالها ثلاث مرات مروا ابا بكر فليصل
بالناس فقالت يا رسول الله انكن صواحبات يوسف ان ابا بكر رجل رقيق اذا قام في مقامك غلبه البكاء فقال انكن صواحبات
يوسف مروا ابا بكر فليصل بالناس قال فصلى ابو بكر بعد الصلاة التي صلاها عمر وكان عمر يقول لعبد الله بن زمعة بعد ذلك ويحك
ماذا صنعت بي والله لولا اني ظننت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امرك بذلك ما فعلت فيقول عبد الله اني لم ار احدا اولى بذلك
منك قالت عائشة ما قلت ذلك وما صرفته عن ابي بكر الا رغبة به عن الدنيا ولما في الولاية من المخاطرة والهلكة الا ما سلم الله
وخشيت ايضا ان لا يكون الناس يحبون رجلا صلى في مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو حي ابدا الا ان يشاء الله يحسدونه
ويبغون عليه ويتشاءمون به فاذا الامر امر الله والقضاء قضاؤه وعصمه الله من كل ما تخوفت عليه من امر الدنيا والدين وقالت
عائشة فلما كان اليوم الذي مات فيه صلى الله عليه وسلم راوا منه في اول النهار خفة فتفرق عنه الرجال الى منازلهم وحوائجهم
مستبشرين واخلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنساء فبينا نحن على ذلك لم نكن على مثل حالنا في الرجاء والفرح قبل ذلك قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجن عني هذا الملك يستاذن علي فخرج من في البيت غيري وراسه في حجري وجلس وتنحيت
في ناحية البيت فناجاه الملك طويلا ثم انه دعاني فاعاد راسه في حجري وقال للنسوة ادخلن فقلت ما هذا بحس جبريل عليه السلام
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجل يا عائشة هذا ملك الموت جاءني فقال ان الله عز وجل ارسلني اليك وامرني ان لا ادخل عليك
الا باذن فان لم تاذن لي ارجع وان اذنت لي دخلت وامرني ان لا اقبضك حتى تامرني فماذا تامرني فقلت اكفف عني حتى ياتيني جبريل
عليه السلام فهذه ساعة جبريل عليه السلام قالت عائشة رضي الله عنها فاستقبلنا بامر لم يكن له عندنا جواب ولا راي فوجمنا وكانما
ضربنا بصاخة ما نحير اليه شيئا وما يتكلم احد من اهل البيت اعظاما لذلك الامر وهيبة ملات اجوافنا قالت وجاء

وجاء جبريل عليه السلم في ساعته فسلم فعرفنا حسه وخرج اهل البيت فدخل فقال ان الله تعالى يقرأ عليك السلم ويقول كيف
تجدك وهو اعلم بالذي تجد منك ولكن اراد ان يزيدك كرامة وشرفا وان يتم كرامتك وشرفك على الخلق وان يكون سنة
في امتك فقال اجدني وجعا قال ابشر فان الله تعالى اراد ان يبلغك ما اعد لك فقال يا جبريل ان ملك الموت استاذن علي
واخبره الخبر قال جبريل يا محمد ان ربك اليك مشتاق الم اعلمك الذي يريد بك لا والله ما استاذن ملك الموت على احد
قط ولا يستاذن عليه ابدا الا ان ربك متم شرفك وهو اليك مشتاق قال فلا تبرح اذن حتى يجيء واذن للنساء فقال لفاطمة
عليها السلم ادني يا فاطمة فاكبت عليه فناجاها فرفعت راسها وعيناها تدمع بادمع وما تطيق الكلام ثم قال ادني مني راسك
فاكبت عليها فناجاها فرفعت راسها وهي تضحك وما تطيق الكلام وكان الذي راينا منها عجبا فسالناها بعد ذلك
فقالت قال اخبرني وقال اني ميت اليوم فبكيت ثم قال اني دعوت الله تعالى ان يلحقك بي في اول اهلي وان يجعلك معي فاضحكني وادنت راسها
منه قالت وجاء ملك الموت فسلم واستاذن فاذن له فقال الملك ما تامرنا يا محمد قال الحقني بربي الان فقال بلى من يومك هذا
اما ان ربك اليك مشتاق ولم يتردد عن احد تردده عنك ولم ينهني عن الدخول على احد الا باذن غيرك ولكن ساعتك امامك
قالت وخرج جبريل فقال السلام عليك يا رسول الله هذا اخر ما انزل فيه الى الارض ابدا طوي الوحي وطويت الدنيا وما
كانت لي في الارض حاجة غيرك وما لي فيها حاجة الا حضورك ثم لزوم موقفي لا والذي بعث محمدا بالحق ما في البيت احد يستطيع
ان يجيب اليه في ذلك كلمة ولا يبعث الى احد من رجاله لعظم ما يسمع من حديثه ووجدنا واشفاقنا قالت فقمت الى النبي صلى الله
عليه وسلم حتى اضع راسه بين يدي وامسكت بصدره وجعل يغمى عليه حتى يغلب وجبهته ترشح رشحا ما رايته من انسان
قط اطيب منه فكنت اقول له انا افاق بابي وامي ونفسي واهلي ما يلقى جبينك من الرشح فقال يا عائشه ان نفس المؤمن يخرج بالرشح
ونفس الكافر يخرج من شدقه كنفس الحمار فعند ذلك ارتعنا وبعثنا الى اهلينا وكان اول رجل جاءنا ولم يشهده اخي عبد الرحمن
بعثه الى ابي فمات رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يجيئني احد وانما صدهم الله عنه لانه ولاه جبريل وميكائيل وجعل
اذا اغمي عليه قال بل الرفيق الاعلى كانت الخيرة تعاد عليه فاذا اطاق الكلام قال الصلوة الصلوة انكم لا تزالون متماسكين
ما صليتم جميعا الصلوة الصلوة كان يوصي بها حتى مات وهو يقول الصلوة الصلوة قالت عائشة رضي الله عنها فمات رسول الله
صلى الله عليه وسلم بين ارتفاع الضحى وانتصاف النهار يوم الاثنين قالت فاطمة ما لقيت من يوم الاثنين والله لا تزال الامة تصاب
فيها بعظيمة وقالت ام كلثوم يوم اصيب علي رضي الله عنه بالكوفة ويلها ما لقيت من يوم الاثنين مات فيه رسول الله صلى الله عليه
وسلم وفيه قتل علي وفيه قتل ابي فما لقيت من يوم الاثنين وقالت عائشة لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتحم الناس
حتى ارتفعت الرنة وسجي رسول الله صلى الله عليه وسلم بثوبي فاختلفوا فكذب بعضهم بموته واخرس بعضهم فما تكلم الا بعد البعد
وخلط اخرون فلاثوا الكلام بغير بيان وبقي اخرون ومعهم عقولهم واقعد اخرون وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه فيمن كذب
بموته وعلي فيمن اقعد وعثمان فيمن اخرس فخرج عمر على الناس وقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمت وليرجعنه الله عز وجل
وليقطعن ايدي وارجل من رجال المنافقين يتمنون لرسول الله صلى الله عليه وسلم الموت وانما واعده ربه عز وجل كما واعد موسى وهو
اتيكم وفي رواية انه قال يا ايها الناس كفوا السنتكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لم يمت والله لا اسمع احدا
يذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات الا علوته بسيفي هذا واما علي كرم الله وجهه فانه اقعد فلم يبرح البيت واما عثمان
فجعل لا يكلم احدا يوخذ بيده فيجاء به ويذهب به ولم يكن احد من المسلمين في مثل حال ابي بكر والعباس رضي الله عنهما فان الله عز وجل

عز وجل ايدهما على التوفيق والسداد وان كان الناس لم يرعووا الا بقول ابي بكر جاء العباس فقال والله الذي لا اله الا هو لقد
ذاق رسول الله صلى الله عليه وسلم الموت ولقد قال الله تعالى وهو بين اظهركم انك ميت وانهم ميتون ثم انكم يوم القيمة
عند ربكم تختصمون وبلغ ابا بكر رضي الله عنه الخبر وهو في بني الحرث بن الخزرج فجاء فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر اليه
ثم اكب عليه فقبله ثم قال بابي وامي يا رسول الله ما كان الله ليذيقك الموت مرتين فقد والله توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم خرج الى الناس فقال ايها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد رب محمد فانه حي لا يموت قال الله تعالى
وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم الاية فكان الناس لم يسمعوا هذه الاية الا يومئذ وفي رواية
ان ابا بكر رضي الله عنه لما بلغه الخبر دخل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعيناه تهملان وغصصه
ترتفع كقصع الجرة وهو في ذلك جلد الفعل والمقال فاكب عليه فكشف عن وجهه وجعل يبكي ويقول بابي انت وامي ونفسي واهلي
طبت حيا وميتا انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت احد من الانبياء والنبوة فعظمت عن الصفة وجللت عن البكاء وخصصت حتى
صرت مسلاة وعممت حتى صرنا فيك سواء ولولا ان موتك كان اختيارا منك لجدنا دونك بالنفوس ولولا انك نهيت عن البكاء
لانفدنا عليك ماء الشؤون فاما ما لا نستطيع نفيه عنا فكمد وادكار لا يبرحان اللهم فابلغه عنا اذكرنا يا محمد عند ربك ولنكن من بالك
فلولا ما خلفت من السكينة لم يقم احد لما خلفت من الوحشة اللهم ابلغ نبيك عنا واحفظه فينا وعن ابن عمر انه لما دخل ابو بكر البيت
وصلى واثنى عج اهل البيت عجيجا سمعه اهل المصلى كلما ذكر شيئا ازدادوا فما سكن عجيجهم الا تسليم رجل صيت جلد قال السلام عليكم
يا اهل البيت كل نفس ذائقة الموت الاية ان في الله خلفا من كل احد ودركا لكل رغبة ونجاة من كل مخافة فالله فارجوا وبه فثقوا
فاستمعوا له وانكروه وقطعوا البكاء فلما انقطع البكاء فقد صوته فاطلع احدهم فلم ير احدا ثم عادوا فبكوا فناداهم مناد لا تعرفون
صوته يا اهل البيت اذكروا الله واحمدوه على كل حال تكونوا من المخلصين ان في الله عزاء من كل مصيبة وعوضا من كل رغبة فالله
فاطيعوا وبامره فاعملوا فقال ابو بكر هذا الخضر واليسع حضرا النبي صلى الله عليه وسلم واستوفى القعقاع بن عمرو حكاية خطبة
ابي بكر رضي الله عنه فقال قام ابو بكر في الناس خطيبا حيث قضى الناس عبراتهم بخطبة جلها الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم
فحمد الله على كل حال واثنى عليه وقال اشهد ان لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وغلب الاحزاب وحده فلله الحمد وحده واشهد
ان محمدا عبده ورسوله خاتم انبيائه واشهد ان الكتاب كما نزل وان الدين كما شرع وان الحديث كما حدث وان القول كما قال وان الله هو
الحق المبين اللهم فصل وسلم على محمد عبدك ورسولك ونبيك وحبيبك وامينك وخيرتك وصفوتك بافضل ما صليت
به على احد من خلقك اللهم واجعل صلواتك ومعافاتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وخاتم النبيين وامام المتقين محمد
قائد الخير وامام الخير ورسول الرحمة اللهم قرب زلفته وعظم برهانه واكرم مقامه وابعثه مقاما محمودا يغبطه به الاولون و
الاخرون وانفعنا بمقامه المحمود يوم القيمة واخلفه فينا في الدنيا والاخرة وبلغه الدرجة والوسيلة من الجنة اللهم صل على
محمد وعلى ال محمد وبارك على محمد وال محمد كما صليت وباركت على ابرهيم انك حميد مجيد ايها الناس انه من كان يعبد محمدا فان محمدا
قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت وان الله قد تقدم اليكم في امره فلا تدعوه جزعا فان الله عز وجل اختار لنبيه صلى
الله عليه وسلم ما عنده على ما عندكم وقبضه الى ثوابه وخلف فيكم كتابه وسنته وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فمن اخذ
بهما عرف ومن فرق بينهما انكر يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط ولا يشغلنكم الشيطان بموت نبيكم ولا يفتننكم عن دينكم و
عاجلوا الشيطان بالخير تعجزوه ولا تستنظروه فيلحق بكم ويفتنكم وقال ابن عباس لما فرغ ابو بكر رضي الله عنه من خطبته قال

قال يا عمر انت الذي بلغني انك تقول ما مات نبي الله صلى الله عليه وسلم اما ترى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم كذا
وكذا كذى وكذى وقال الله تعالى في كتابه انك ميت وانهم ميتون ثم قال عمر والله لكاني اسمع بها في كتاب الله تعالى
قبل الان لما نزل بنا ثم قال اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واشهد ان الكتاب كما نزل والحديث كما حدث وان الله
تعالى حي لا يموت انا لله وانا اليه راجعون وصلوات الله على رسوله وعند الله نحتسب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جلس
الى ابي بكر وقالت عائشة رضي الله عنها لما اجتمعوا لغسله قالوا والله لا ندري كيف نغسل رسول الله صلى الله عليه وسلم انجرده
عن ثيابه كما نصنع بموتانا او نغسله في ثيابه قالت فارسل الله تعالى عليهم النوم حتى ما بقي منهم رجل الا واضع لحيته في صدره
نائما قال قائل لا يدرى من هو اغسلوا النبي صلى الله عليه وسلم في ثيابه فانتبهوا ففعلوا فغسل النبي صلى الله عليه وسلم في
قميصه حتى اذا فرغ من غسله كفن وقال علي رضي الله عنه اردنا خلع قميصه فنودينا لا تخلعوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثيابه فاقررناه فغسلناه في قميصه كما نغسل موتانا مستلقيا ما نشاء ان نقلب لنا منه عضوا لم نبالغ فيه الا قلب لنا حتى
نفرغ منه وان معنا لحفيفا في البيت كالريح الرخاء ويصوت بنا ارفقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فانكم ستكفون فهكذا
كان وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يترك سبدا ولا لبدا الا دفن معه قال ابو جعفر فرش لحده بمفرشه وقطيفته وفرش
ثيابه عليها التي كانت يلبس يقظان على القطيفة والمفرش ثم وضع عليها في اكفانه فلم يترك بعد وفاته مالا ولا وضع في حياته لبنة
على لبنة ولا قصبة على قصبة ففي وفاته عبرة تامة للمسلمين به اسوة حسنة

وفاة ابي بكر رضي الله عنه

لما احتضر ابو بكر جاءت عائشة رضي الله عنها فتمثلت بهذا البيت شعر لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر
فكشف عن وجهه وقال ليس كذلك ولكن قولي وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد انظروا ثوبي هذين فاغسلوهما
وكفنوني فيهما فان الحي الى الجديد احوج من الميت وقالت عائشة شعر وابيض يستسقى الغمام بوجهه ربيع اليتامى عصمة للارامل
فقال ابو بكر ذاك رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخلوا عليه في مرضه وقالوا الا ندعو لك طبيبا ينظر اليك فقال قد نظر
الي طبيبي وقال اني فعال لما يريد ودخل عليه سلمان يعوده فقال يا ابا بكر اوصنا فقال ان الله تعالى فاتح عليكم الدنيا فلا تاخذن
منها الا بلاغك واعلم ان من صلى صلوة الصبح فهو في ذمة الله فلا تخفرن الله في ذمته فيكبك في النار على وجهك ولما ثقل
ابو بكر واراد الناس ان يستخلف فاستخلف عمر فقال الناس استخلفت علينا فظا غليظا فماذا تقول لربك فقال اقول
استخلفت على خلقك خير خلقك ثم ارسل الى عمر فجاء فقال اني موصيك بوصية اعلم ان لله حقا في النهار لا يقبله بالليل
وان له حقا بالليل لا يقبله بالنهار وانه لا يقبل النافلة حتى تؤدى الفريضة وانما ثقلت موازين من ثقلت موازينهم يوم القيمة
باتباعهم الحق في الدنيا وثقله عليهم وحق لميزان لا يوضع فيه الا الحق ان يثقل وانما خفت موازين من خفت موازينهم يوم القيمة
باتباعهم الباطل وخفته عليهم وحق لميزان لا يوضع فيه الا الباطل ان يخف وان الله تعالى ذكر اهل الجنة باحسن اعمالهم ويتجاوز
سيئاتهم فيقول القائل انا دون هؤلاء ولا ابلغ مبلغ هؤلاء وان الله تعالى ذكر اهل النار باسوء اعمالهم ورد عليهم صالح الذي
عملوا فيقول القائل انا افضل من هؤلاء وان الله سبحانه ذكر اية الرحمة واية العذاب ليكون المؤمن راغبا راهبا ولا يلقي بيديه الى
التهلكة ولا يتمنى على الله غير الحق فان حفظت وصيتي هذه فلا يكونن غائب احب اليك من الموت ولا بد لك منه وان ضيعت وصيتي
فلا يكونن غائب ابغض اليك من الموت ولست بمعجزه وقال سعيد بن المسيب لما احتضر ابو بكر جاء ناس من اصحابه فقالوا يا خليفة رسول الله
زودنا فانا نراك لما بك فقال ابو بكر من قال هؤلاء الكلمات ثم مات جعل الله روحه في الافق المبين قالوا وما الافق المبين قال قاع

قاع بين يدي العرش فيه رياض وانهار واشجار يغشاه كل يوم مائة رحمة فمن كان قال هذا القول جعل الله روحه في ذلك المكان
اللهم انك ابتدات الخلق من غير حاجة بك اليهم ثم جعلتهم فريقين فريقا للنعيم وفريقا للسعير فاجعلني للنعيم ولا تجعلني للسعير
اللهم انك خلقت الخلق فرقا وميزتهم قبل ان تخلقهم فجعلت منهم شقيا وسعيدا وغويا ورشيدا فلا تشقني بمعاصيك
اللهم انك علمت ما تكسب كل نفس قبل ان تخلقها فلا محيص لها مما علمت فاجعلني ممن تستعمله بطاعتك اللهم ان احدا لا يشاء
حتى تشاء فاجعل مشيتك لي ان اشاء ما يقربني اليك اللهم انك قدرت حركات العباد فلا تتحرك شيء الا باذنك فاجعل حركاتي
في تقواك اللهم انك خلقت الخير والشر وجعلت لكل واحد منهما عاملا يعمل به فاجعلني من خير القسمين اللهم انك خلقت الجنة
والنار وخلقت لكل واحد منهما اهلا فاجعلني من سكان جنتك اللهم انك اردت بقوم الايمان وشرحت صدورهم واردت
بقوم الضلال وضيقت به صدورهم فاشرح صدري للايمان وزينه في قلبي اللهم انك دبرت الامور وجعلت مصيرها
اليك فاحيني بعد الموت حيوة طيبة وقربني اليك زلفى اللهم من اصبح وامسى ثقته ورجاؤه غيرك فانت ثقتي ورجائي ولا
حول ولا قوة الا بالله قال ابو بكر هذا كله في كتاب الله تعالى

وفاة عمر بن الخطاب رضي الله عنه

قال عمرو بن ميمون كنت
قائما ذات غداة اصيب فيها عمر ما بيني وبينه الا عبد الله بن عباس وكان اذا مر بين الصفين قام بينهما فاذا راى خللا قال استووا
اذا لم ير فيهم خللا تقدم فكبر قال وربما قرا سورة يوسف او النحل او غير ذلك في الركعة الاولى حتى يجتمع الناس فما هو الا
ان كبر فسمعته يقول قتلني او اكلني الكلب حين طعنه ابو لؤلؤة فطار العلج بسكين ذات طرفين لا يمر باحد يمينا وشمالا الا
طعنه حتى طعن ثلاثة عشر رجلا فمات منهم تسعة وفي رواية سبعة فلما راى ذلك رجل من المسلمين طرح عليه برنسا فلما ظن العلج
انه ماخوذ نحر نفسه وتناول عمر عبد الرحمن بن عوف فقدمه فاما من كان يلي عمر فقد راى ما رايت واما نواحي المسجد فلا
يدرون ما الامر غير انهم فقدوا صوت عمر وهم يقولون سبحان الله سبحان الله فصلى بهم عبد الرحمن بن عوف صلوة
خفيفة فلما انصرفوا قال يا ابن عباس انظر من قتلني فجال ساعة ثم جاء فقال غلام المغيرة بن شعبة قال قاتله الله لقد كنت
امرت به معروفا ثم قال الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل مسلم قد كنت وابوك تحبان ان تكثر العلوج بالمدينة وكان
العباس اكثرهم رقيقا فقال ابن عباس ان شئت فعلت اي ان شئت قتلناهم قال بعد ما تكلموا بلسانكم وصلوا الى قبلتكم و
حجوا حجكم ثم احتمل الى بيته فانطلقنا معه قال وكان الناس لم تصبهم مصيبة قبل يومئذ فقائل يقول اخاف عليه وقائل يقول
لا باس فاتي بنبيذ فشربه فخرج من جوفه ثم اتي بلبن فشرب منه فخرج من جوفه فعرفوا انه ميت قال فدخلنا عليه وجاء رجل شاب
فقال ابشر يا امير المؤمنين ببشرى من الله عز وجل قد كان لك من صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدم في الاسلام ما قد علمت
ثم وليت فعدلت ثم شهادة فقال وددت ان ذلك كان كفافا لا علي ولا لي فلما ادبر الرجل اذا ازاره يمس الارض فقال ردوا
علي الغلام فقال يا ابن اخي ارفع ثوبك فانه انقى لثوبك واتقى لربك ثم قال لابنه يا عبد الله انظر ما علي من الدين فحسبوه فوجدوه
ستة وثمانين الفا او نحوه فقال ان وفى به مال ال عمر فاده من اموالهم والا فسل في بني عدي بن كعب فان لم تف اموالهم فسل
في قريش ولا تعدهم الى غيرهم واد عني هذا المال انطلق الى ام المؤمنين فقل عمر يقرا عليك السلام ولا تقل امير المؤمنين فاني لست
اليوم للمؤمنين اميرا وقل يستاذن عمر بن الخطاب ان يدفن مع صاحبيه فسلم واستاذن ثم دخل عليها فوجدها قاعدة تبكي
فقال يقرا عليك عمر بن الخطاب السلام ويستاذن ان يدفن مع صاحبيه فقالت كنت اريده لنفسي ولاوثرنه اليوم على نفسي
فلما اقبل قيل هذا عبد الله بن عمر قد جاء فقال ارفعوني فاسنده رجل اليه فقال ما لديك قال الذي تحب يا امير المؤمنين

اذنت قال الحمد لله ما كان شيء اهم الي من ذلك فاذا انا قبضت فاحملوني ثم سلم وقل يستاذن عمر فان اذنت لي فادخلوني
وان ردتني ردوني الى مقابر المسلمين وجاءت ام المومنين حفصة والنساء يسترنها فلما رايناها قمنا فولجت عليه فبكت عنده
ساعة واستاذن الرجال فولجت داخلا فسمعنا بكاها من الداخل فقالوا اوص يا امير المومنين استخلف فقال ما ارى احق
بهذا الامر من هولاء النفر الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض فسمى عنهم عثمان وعليا والزبير وطلحة
وسعدا وعبد الرحمن وقال ليشهدكم عبد الله بن عمر وليس له من الامر شيء كهيئة التعزية له فان اصابت الامارة سعدا فذاك
والا فليستعن به ايكم امر فاني لم اعزله من عجز ولا خيانة وقال اوصي الخليفة من بعدي من المهاجرين الاولين ان يعرف لهم فضلهم
ويحفظ لهم حرمتهم واوصيه بالانصار خيرا الذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم ان يقبل من محسنهم وان يعفوا عن مسيئهم و
اوصيه باهل الانصار خيرا فانهم رد الاسلام وجباة المال وغيظ العدو وان لا يوخذ منهم الا فضلهم عن رضا منهم واوصيه
بالاعراب خيرا فانهم اصل العرب ومادة الاسلام ان يوخذ من حواشي اموالهم ويرد على فقرائهم واوصيه بذمة الله وذمة رسوله
صلى الله عليه وسلم ان يوفي لهم بعهدهم وان يقاتل من ورائهم ولا تكلفوا الا طاقتهم قال فلما قبض خرجنا به فانطلقنا نمشي فسلم عبد الله
ابن عمر وقال يستاذن عمر بن الخطاب قالت ادخلوه فادخل فوضع هنالك مع صاحبيه الحديث وروي عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال قال لي جبرئيل ليبك الاسلام على موت عمر رضي الله عنه وعن ابن عباس رضي الله عنه قال وضع عمر على
سريره فاكتنفه الناس يدعون ويصلون قبل ان يرفع وانا فيهم فلم يرعني الا رجل قد اخذ بمنكبي فالتفت فاذا هو علي بن ابي طالب
كرم الله وجهه فترحم على عمر وقال ما خلفت احدا احب الي ان القى الله بمثل عمله منك وايم الله ان كنت لاظن ان يجعلك
الله مع صاحبيك وذلك اني كنت كثيرا اسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذهبت انا وابو بكر وعمر ودخلت انا و
ابو بكر وعمر وخرجت انا وابو بكر وعمر فاني كنت لارجو ولاظن ان يجعلك الله معهما وفاة عثمن بن عفان رضي الله عنه
الحديث في قتله مشهور وقد قال عبد الله بن سلام اتيت اخي عثمان لاسلم عليه وهو محصور فدخلت عليه فقال مرحبا
مرحبا يا اخي رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم الليلة في هذه الخوخة خوخة في البيت فقال يا عثمان حصروك قلت نعم
قال عطشوك قلت نعم قال فادلى لي دلوا فيه ماء فشربت حتى رويت حتى اني لاجد برده بين ثديي وبين كتفي وقال ان شئت ان
نصرت عليهم وان شئت افطرت عندنا فاخترت ان افطر عنده فقتل ذلك اليوم رحمه الله وقال عبد الله بن سلام لمن حضر تشحط
عثمان في الموت حين جرح ماذا قال عثمان وهو يتشحط قالوا سمعناه يقول اللهم اجمع امة محمد صلى الله عليه وسلم ثلثا قال
والذي نفسي بيده لو دعا الله ان لا يجتمعوا ابدا ما اجتمعوا الى يوم القيمة وعن ثمامة بن حزم القشيري قال شهدت الدار حين اشرف
عليهم عثمان رضي الله عنه فقال ائتوني بصاحبيكم اللذين البآكم علي قال فجيء بهما كانهما جملان او حماران قال فاشرف عليهم عثمان
فقال انشدكم بالله والاسلام هل تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب غير بير رومة
فقال من يشتري بير رومة يجعل دلوه مع دلاء المسلمين بخير له منها في الجنة فاشتريتها من صلب مالي وانتم اليوم تمنعوني ان اشرب منها
ومن ماء البحر قالوا اللهم نعم قال انشدكم بالله والاسلام هل تعلمون ان المسجد ضاق باهله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
يشتري بقعة ال فلان فيزيدها في المسجد بخير منها في الجنة فاشتريتها من صلب مالي وانتم اليوم تمنعوني ان اصلي فيها ركعتين
قالوا اللهم نعم قال انشدكم بالله والاسلام هل تعلمون اني جهزت جيش العسرة من مالي قالوا اللهم نعم ثم قال انشدكم بالله
والاسلام هل تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على ثبير مكة ومعه ابو بكر وعمر وانا فتحرك الجبل حتى تساقطت حجارته

حجارته بالحضيض قال فركضه برجله وقال اسكن ثبير فانما عليك نبي وصديق وشهيدان قالوا اللهم نعم قال الله اكبر
شهدوا لي ورب الكعبة اني شهيد وروي عن شيخ من ضبة ان عثمن حين ضرب والدماء تسيل على لحيته جعل يقول لا اله
الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين اللهم اني استعينك عليهم واستعينك على جميع اموري واسالك الصبر على ما ابتليتني
وفاة علي رضي الله عنه وكرم وجهه قال الاصبغ الحنظلي لما كانت الليلة التي اصيب فيها علي رضي الله
عنه اتاه ابن التياح حين طلع الفجر يوذنه بالصلاة وهو مضطجع متثاقل فعاد الثانية وهو كذلك ثم عاد الثالثة فقام علي رضي الله
عنه يمشي وهو يقول اشدد حيازيمك للموت فان الموت لاقيك ولا تجزع من الموت اذا حل بواديك فلما بلغ الباب الصغير
شد عليه ابن ملجم فضربه فخرجت ام كلثوم ابنة علي فجعلت تقول ما لي ولصلاة الغداة قتل زوجي امير المومنين صلوة الغداة وقتل
ابي صلوة الغداة وعن شيخ من قريش ان عليا رضي الله عنه لما ضربه ابن ملجم قال فزت ورب الكعبة وعن محمد بن علي انه لما ضرب
اوصى بنيه ثم لم ينطق الا بلا اله الا الله حتى قبض ولما ثقل الحسن بن علي رضي الله عنه دخل عليه الحسين فقال يا اخي لاي شيء تجزع
تقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى علي بن ابي طالب وهما ابواك وعلى خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وهما امهاتك
وعلى حمزة وجعفر وهما عماك فقال يا اخي اقدم على امر لم اقدم على مثله وعن محمد بن الحسين قال لما نزل القوم بالحسين وايقن انهم
قاتلوه قام في اصحابه خطيبا فحمد الله واثنى عليه ثم قال قد نزل بي من الامر ما ترون وان الدنيا قد تغيرت وتنكرت وادبر معروفها
حتى لم يبق منها الا صبابة كصبابة الاناء الا خسيس عيش كالمرعى الوبيل الا ترون الحق لا يعمل به والباطل لا يتناهى عنه ليرغب
المومن في لقاء الله تعالى فاني لا ارى الموت الا سعادة والحيوة مع الظالمين الا شقاوة الباب الخامس
في كلام المحتضرين من الخلفاء والامراء والصالحين لما حضرت معاوية رضي الله عنه الوفاة قال اقعدوني فاقعدوه فجعل يسبح الله تعالى
ويذكره ثم بكى وقال تذكر ربك يا معوية بعد الهرم والانحطام الا كان هذا وغصن الشباب نضير ريان ثم بكى حتى علا بكاوه وقال
يا رب ارحم الشيخ العاصي ذا القلب القاسي اللهم اقل العثرة وارحم العبرة واغفر الزلة وعد بحلمك على من لم يرج غيرك
ولم يثق باحد سواك وروي عن شيخ من قريش انه دخل مع جماعة عليه في مرضه فراوا في جلده غضونا فحمد الله واثنى عليه ثم قال
اما بعد فهل الدنيا اجمع الا ما جربنا ورأينا اما والله لقد استقبلنا زهرتها بجدتنا واستلذذنا بعيشنا فما لبثت
الدنيا ان نقضت منا حالا بعد حال وعروة بعد عروة فاصبحت الدنيا قد وترتنا واخلقتنا واستلانت الينا فاف للدنيا
من دار ثم اف لها من دار ويروى ان آخر خطبة خطبها معوية رضي الله عنها ان قال ايها الناس ان من زرع قد استحصد واني
قد وليتكم ولن يليكم احد بعدي الا من هو شر مني كما كان من قبلي خيرا مني ويا يزيد اذا دنا اجلي فول غسلي رجلا لبيبا فان اللبيب من الله
بمكان فلينعم الغسل وليجهر بالتكبير ثم اعمد الى منديل في الخزانة فيه ثوب من ثياب النبي صلى الله عليه وسلم وقصاصة من شعره
واظفاره فاستودع القصاصة انفي وفمي واذني وعيني واجعل الثوب على جلدي دون اكفاني ويا يزيد احفظ وصية الله في
الوالدين فاذا ادرجتموني في جريدتي ووضعتموني في حفرتي فخلوا معوية وارحم الراحمين وقال محمد بن عقبة لما نزلت بمعوية
الموت قال يا ليتني كنت رجلا من قريش بذي طوى واني لم ال من هذا الامر شيئا ولما حضر عبد الملك بن مروان الوفاة نظر الى
غسال بجانب دمشق يلوي ثوبا بيده ثم يضرب به المغسلة فقال عبد الملك والله ليتني كنت غسالا اكل بكسب يدي يوما بيوم
ولم ال من امر الناس شيئا فبلغ ذلك ابا حازم فقال الحمد لله الذي جعلهم اذا حضرهم الموت يتمنون ما نحن فيه واذا حضرنا الموت
لم نتمن ما فيهم وقيل لعبد الملك بن مروان في مرضه كيف تجدك يا امير المومنين قال اجدني كما قال الله تعالى ولقد جئتمونا فرادى

كما خلقناكم اول مرة الآية وقال فاطمة بنت عبد الملك امراة عمر بن عبد العزيز كنت اسمع عمر في مرضه الذي مات فيه يقول
اللهم اخف عليهم موتي ولو ساعة من نهار فلما كان اليوم الذي قبض فيه خرجت من عنده وجلست في بيت آخر بيني وبينه
باب وهو في قبة له فسمعته يقول تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا ثم هدأ فجعلت
لا اسمع له حركة ولا كلاما ثم قلت لوصيف له انظر انائم هو فلما دخل صاح فوثبت فاذا هو ميت وقيل له لما حضره الموت
اعهد يا امير المومنين قال احذركم مثل مصرعي هذا وانه لابد لكم منه وروي انه لما ثقل عمر بن عبد العزيز دعي له طبيب فلما
نظر اليه قال ارى الرجل قد سقي السم ولا آمن عليه الموت فرفع عمر بصره وقال ولا تأمن الموت على من لم يسق السم قال الطبيب
هل احسست بذلك يا امير المومنين قال نعم عرفت ذلك حين وقع في بطني قال فتعالج يا امير المومنين فاني اخاف ان تذهب
نفسك قال ربي خير مذهوب اليه والله لو علمت ان شفائي عند شحمة اذني ما رفعت يدي الى اذني فتناولته اللهم خر لعمر في لقائك
فلم يلبث الا اياما قلائل حتى مات وقيل لما حضرته الوفاة بكى فقيل ما يبكيك يا امير المومنين فقد احيا الله بك سنة واظهر
بك عدلا فبكى ثم قال اليس اوقف فاسئل عن امر هذا الخلق فوالله لو عدلت فيهم لخفت على نفسي الا تقوم بحجتها بين يدي الله
عز وجل الا ان يلقنها الله تعالى حجتها فكيف بكثير مما ضيعنا وفاضت عيناه فلم يلبث الا يسيرا حتى مات ولما قرب وقت موته
قال اجلسوني فاجلسوه فقال انا الذي امرتني فقصرت ونهيتني فعصيت وذكر لا اله الا الله ثم رفع راسه فاحد النظر فقيل
له في ذلك فقال اني لارى حضرة ما هم بانس ولا جن ثم قبض ويحكى عن هرون الرشيد انه انتقى اكفانه عند الموت بيده وكان
ينظر اليها ويقول ما اغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه وفرش المامون رمادا واضطجع عليه وكان يقول يا من لا يزول ملكه
ارحم من قد زال ملكه وكان المعتصم يقول عند موته لو علمت ان عمري هكذا قصير ما فعلت وكان المنتصر يضطرب على
نفسه عند موته فقيل له لا باس عليك يا امير المومنين فقال ليس الا هذا لقد ذهبت الدنيا والآخرة وقال عمرو بن العاص
عند الوفاة وقد نظر الى صناديق له ليتني من ياخذها بما فيها ليته كان بعرا وقال الحجاج عند موته اللهم اغفر لي فان الناس
يقولون انك لا تغفر لي فكان عمر بن عبد العزيز تعجبه هذه الكلمة منه ويغبطه عليها ولما حكي ذلك للحسن قال اقالها
قيل نعم قال عسى [illegible] اقاويل جماعة من خصوص الصالحين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من اهل التصوف لما حضر
معاذا رضي الله عنه الوفاة قال اللهم اني كنت اخافك فانا اليوم ارجوك اللهم انك تعلم اني لم اكن احب الدنيا وطول
البقاء فيها لجري الانهار ولا لغرس الاشجار ولكن لظمأ الهواجر ومكابدة الساعات ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر
ولما اشتد به النزع نزعا لم ينزعه احد فكان كلما افاق من غمرة فتح طرفه ثم قال رب اخنقني خنقك فوعزتك انك لتعلم ان قلبي
يحبك ولما حضر سلمان الوفاة بكى فقيل له ما يبكيك قال ما ابكي جزعا على الدنيا ولكن عهد الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يكون بلغة احدنا من الدنيا كزاد الراكب فلما مات سلمان نظر في جميع ما ترك فاذا قيمته بضعة عشر درهما ولما حضر بلالا
الوفاة قالت امراته واحزناه فقال بل واطرباه غدا نلقى الاحبة محمدا وحزبه وقيل فتح عبد الله بن المبارك عينيه عند الوفاة
وضحك وقال لمثل هذا فليعمل العاملون ولما حضر ابرهيم النخعي الوفاة بكى فقيل ما يبكيك قال انتظر من الله رسولا يبشرني
بالجنة او بالنار وحضر ابن المنكدر الوفاة فبكى فقيل ما يبكيك فقال والله ما ابكي لذنب اعلم اني اتيته ولكن اخاف اني
اتيت شيئا حسبته هينا وهو عند الله عظيم ولما حضر عامر بن عبد قيس الوفاة بكا فقيل ما يبكيك فقال ما ابكي جزعا
من الموت ولا حرصا على الدنيا ولكن ابكي على ما يفوتني من ظمأ الهواجر وعلى قيام الليل بالشتاء ولما حضر فضيل الوفاة غشي

عليه ثم فتح عينيه وقال وا بعد سفري وقلة زادي ولما حضر ابن المبارك الوفاة قال لنصر مولاه اجعل راسي على التراب
فبكى نصر فقال ما يبكيك فقال ذكرت ما كنت فيه من النعيم وانت هو ذا تموت فقيرا غريبا فقال اسكت فاني سالت
الله سبحانه ان يحييني حيوة الاغنياء وان يميتني موت الفقراء ثم قال له لقني ولا تعد علي ما لم اتكلم بكلام ثان وقال عطاء بن يسار
تبدى ابليس لرجل عند الموت فقال له نجوت فقال ما امنتك بعد وبكى بعضهم عند الموت فقيل له ما يبكيك فقال آية من كتاب الله
قوله تعالى انما يتقبل الله من المتقين ودخل الحسن على رجل يجود بنفسه فقال ان امرا هذا اوله لينبغي ان يتقى آخره وان امرا
هذا آخره لينبغي ان يزهد في اوله وقال الجريري كنت عند الجنيد في حال نزعه وكان يوم الجمعة ويوم النيروز وهو يقرأ القرآن
ويختم فقلت في هذه الحالة يا ابا القسم قال ومن اولى بذلك مني وهو ذا تطوى صحيفتي وقال رويم حضرت وفاة ابي سعيد
الخراز وهو يقول شعر حنين قلوب العارفين الى الذكر ۔ وتذكارهم وقت المناجاة في السر ۔ ادبرت كؤوس للمنايا عليهم
فاغفوا عن الدنيا كاغفاء ذي السكر ۔ همومهم جوالة بمعسكر ۔ به اهل ود الله كالانجم الزهر ۔ فاجسامهم في الارض قتلى بحبه
وارواحهم في الحجب نحو العلى تسري ۔ فما عرسوا الا بقرب حبيبهم ۔ وما عرجوا من مس بؤس ولا ضر ۔ وقيل للجنيد ان ابا سعيد
الخراز كان كثير التواجد عند الموت فقال لم يكن بعجب ان يطير روحه اشتياقا وقيل لذي النون عند موته ما تشتهي قال
ان اعرفه قبل موتي بلحظة وقيل لبعضهم وهو في النزع قل الله قال الى متى يقولون لي قل الله وانا محترق بالله وقال بعضهم
كنت عند ممشاد الدينوري فقدم فقير فقال السلام عليكم هل ههنا موضع نظيف يمكن للانسان ان يموت فيه قال فاشاروا اليه
بمكان وكان ثم عين ماء فجدد الفقير الوضوء وركع ما شاء الله ومضى الى ذلك المكان ومد رجله ومات وكان ابو العباس
الدينوري يتكلم في مجلسه يوما فصاحت امراة تواجدا فقال لها موتي فقامت المراة فلما بلغت باب الدار التفتت اليه وقالت
ها قد مت ووقعت ميتة ويحكى عن فاطمة اخت ابي علي الروذباري قالت لما قرب اجل ابي علي الروذباري وكان راسه في حجري
فتح عينيه وقال هذه ابواب السماء قد فتحت وهذه الجنان قد زينت وهذا قائل يقول يا ابا علي قد بلغناك الرتبة القصوى
وان لم تردها ثم انشأ يقول شعر وحقك لا نظرت الى سواكا ۔ بعين مودة حتى اراكا ۔ اراك معذبي بفتور لحظ ۔ وبالخد المورد من جناكا
وقيل للجنيد قل لا اله الا الله فقال ما نسيته فاذكره وسأل جعفر بن نصير بكران الدينوري خادم الشبلي ما الذي رايت منه
عند موته فقال قال علي درهم مظلمة وتصدقت عن صاحبه بالوف فما على قلبي شغل اعظم منه ثم قال وضئني للصلوة ففعلت فنسيت
تخليل لحيته وقد امسك على لسانه فقبض على يدي وادخلها في لحيته ثم مات فبكى جعفر وقال ما تقولون في رجل لم يفته في
آخر عمره ادب من آداب الشريعة وقيل لبشر بن الحارث لما احتضر وكان يشق عليه كانك تحب الحيوة فقال القدوم على الله
شديد وقيل للصالح بن ممشاد الدينوري الا توصي بابنك وعيالك فقال اني لاستحيي من الله ان اوصي بهم الى غيره ولما
احتضر ابو سليمان الداراني اتاه اصحابه فقالوا ابشر فانك تقدم على رب غفور رحيم فقال لهم الا تقولون احذر فانك تقدم
على رب يحاسبك بالصغير ويعاقبك بالكبير ولما احتضر الواسطي قيل له اوصنا قال احفظوا مراد الحق فيكم واحتضر بعضهم فبكت
امراته فقال لها ما يبكيك فقالت عليك ابكي فقال ان كنت باكية فابكي على نفسك فلقد بكيت لهذا اليوم اربعين سنة
وقال الجنيد دخلت على السري اعوده في مرض موته فقال كيف تجدك فانشأ كيف اشكو الى طبيبي ما بي ۔ والذي بي اصابني من طبيبي
فاخذت المروحة لاروحه فقال كيف يجد ريح المروحة من جوفه يحترق ثم انشأ يقول شعر القلب محترق والدمع مستبق
والكرب مجتمع والصبر مفترق ۔ كيف القرار على من لا قرار له ۔ مما جناه الهوى والشوق والقلق ۔ يا رب ان يك شيء فيه لي فرج

فامنن علي به ما دام بي رمق ه حكي ان قوما من اصحاب الشبلي دخلوا عليه وهو في الموت فقالوا له قل لا اله الا الله فانشا يقول
ان بيتا انت ساكنه ه غير محتاج الى السرج ه وجهك المأمول حجتنا ه يوم ياتي الناس بالحجج ه لا اتاح الله لي فرجا
يوم ادعو منك بالفرج ه وحكي عن العباس بن عطاء دخل على الجنيد في وقت نزعه فسلم فلم يجب ثم اجاب بعد ساعة
وقال اعذرني فاني كنت في وردي ثم ولى وجهه الى القبلة وكبر ومات وقيل للكتاني لما حضرته الوفاة ما كان
عملك فقال لو لم تقرب اجلي ما اخبرتكم به وقفت على باب قلبي اربعين سنة فكلما مر فيه غير الله حجبته عنه ه وحكي
عن المعتمر قال كنت فيمن حضر الحكم بن عبد الملك حين جاءه الحق فقلت اللهم هون عليه سكرات الموت فانه كان وكان
فذكرت محاسنه فلما افاق قال من المتكلم قلت انا فقال ان ملك الموت عليه السلم يقول لي اني بكل سخي رفيق ثم طفي ه
ولما حضرت يوسف بن اسباط الوفاة شهده حذيفة فوجده قلقا فقال يا ابا محمد هذا اوان القلق والجزع فقال يا ابا عبد الله
كيف لا اقلق ولا اجزع واني والله لا اعلم اني صدقت الله في شي من عملي فقال حذيفة واعجبا لهذا الرجل الصالح يحلف عند
موته انه لا يعلم انه صدق الله تعالى في شي من عمله ه وعن المغازلي قال دخلت على شيخ من اصحاب هذه القصة وهو عليل وهو
يقول عبدك ان تفعل ما تريد فارفق بي ودخل بعض المشايخ على ممشاد في وقت وفاته فقال له فعل الله تعالى وصنع من باب
الدعاء فضحك ثم قال منذ ثلثين سنة تعرض علي الجنة بما فيها فما اعرتها طرفي وقيل لرويم عند الموت قل لا اله الا الله فقال
لا احسن غيره ولما حضر النوري الوفاة قيل له قل لا اله الا الله قال اليس اليه ثم امر ودخل المزني على الشافعي رحمهما الله
في مرضه الذي توفي فيه فقال له كيف اصبحت فقال اصبحت من الدنيا راحلا وللاخوان مفارقا ولسوء عملي ملاقيا ولكاس
المنية شاربا وعلى الله تعالى واردا ولا ادري اروحي تصير الى الجنة فاهنيها ام الى النار فاعزيها ثم انشا يقول شعر
فلما قسى قلبي وضاقت مذاهبي ه جعلت رجائي نحو عفوك سلما ه تعاظمني ذنبي فلما وزنته ه بعفوك ربي كان عفوك اعظما
فما زلت ذا عفو عن الذنب لم تزل ه تجود وتعفو منة وتكرما ه ولولاك لا يقوى بابليس عابد ه وكيف وقد اغوى صفيك آدما
فهذه اقاويلهم وانما اختلفت بحسب اختلاف احوالهم فغلب على بعضهم الخوف وعلى بعضهم الرجاء وعلى بعضهم الشوق والحب
فتكلم كل واحد من مقتضى حاله والكل صحيح بالاضافة الى احوالهم ولما احتضر احمد بن خضرويه الوفاة سئل عن مسئلة فدمعت
عيناه وقال يا بني باب كنت ادقه خمسا وسبعين سنة هو ذا يفتح لي الساعة لا ادري ايفتح لي بالسعادة او الشقاوة فانى
لي الجواب

الباب السادس في اقاويل العارفين على الجنائز والمقابر وحكم زيارة القبور ه

الجنازة عبرة للبصير وفيها تنبيه وتذكير الا لاهل الغفلة فانه لا يزيدهم مشاهدتها الا قساوة لانهم يظنون انهم الى جنازة غيرهم
ينظرون ولا يحسبون انهم لا محالة على الجنائز يحملون او يحسبون ذلك ولكنهم على القرب لا يقدرون ولا يتفكرون ان المحمولين
على الجنائز كلهم هكذا كانوا يحسبون فبطل حسبانهم وانقرض على القرب زمانهم فلا ينظر عبد الى جنازة الا ويقدر نفسه
محمولا عليها فانه محمول عليها على القرب ولعله في غد او بعد غد فروي عن ابي هريرة انه كان اذا راى جنازة قال امض على الاثر
وكان مكحول الدمشقي اذا راى جنازة قال اغدوا فانا رائحون موعظة بليغة وغفلة سريعة يذهب الاول والآخر لا عقل له
وقال اسيد بن حضير ما شهدت جنازة فحدثتني نفسي بشي سوى ما هو مفعول به وما هو صائر اليه ولما مات اخو مالك بن دينار
خرج مالك في جنازته يبكي ويقول والله لا تقر عيني حتى اعلم الى ماذا صرت ولا اعلم ما دمت حيا وقال الاعمش كنا نشهد
الجنازة فلا ندري من نعزي لحزن الجميع وقال ثابت البناني رحمه الله كنا نشهد الجنائز فلا نرى الا متقنعا باكيا فهكذا كان

كان خوفهم من الموت والآن لا ننظر الى جماعة يحضرون جنازة الا واكثرهم يضحكون ويلهون ولا يتكلمون الا في ميراثه وما
خلفه لورثته ولا يتفكر اقرانه الا في الحيلة التي بها يتناول بعض ما خلفه ولا يتفكر واحد منهم الا من شاء الله في جنازة
نفسه وفي حاله اذا حمل عليها ولا سبب لهذه الغفلة الا قسوة القلوب بكثرة المعاصي والذنوب حتى نسينا الله تعالى و
اليوم الآخر والاهوال التي بين ايدينا فصرنا نلهو ونغفل ونشتغل بما لا يعنينا فنسال الله تعالى اليقظة من هذه الغفلة
فان احسن احوال الحاضرين بكاؤهم على الجنازة على الميت ولو عقلوا لبكوا على انفسهم لا على الميت نظر ابرهيم الزيات الى اناس
يترحمون على ميت فقال لو تترحمون على انفسكم لكان خيرا لكم انه نجا من اهوال ثلاثة وجه ملك الموت قد راى ومرارة الموت
قد ذاق وخوف الخاتمة قد امن وقال ابو عمرو بن العلاء جلست الى جرير وهو يملي على كاتبه شعرا فاطلعت جنازة فامسك
فقال شيبتني والله هذه الجنائز وانشا يقول شعر ه تروعنا الجنائز مقبلات ه ونلهو حين تذهب مدبرات
كروعة ثلة لمغار ذيب ه فلما غاب عادت راتعات ه فمن آداب حضور الجنائز التفكر والتنبه والاستعداد والمشي
امامها على هيئة التواضع كما ذكرنا آدابه وسننه في الفقه ومن آدابه حسن الظن بالميت وان كان فاسقا واساءة الظن بالنفس
وان كان ظاهرها الصلاح فان الخاتمة مخطرة لا يدرى حقيقتها ولذلك روي عن عمر بن ذر انه مات واحد من جيرانه وكان مسرفا
على نفسه فتجافى كثير من الناس عن جنازته فحضرها هو وصلى فلما ادلي في قبره وقف على قبره فقال يرحمك الله يا ابا فلان
فلقد صحبت عمرك بالتوحيد وعفرت وجهك بالسجود وان قالوا مذنب وذو خطايا فمن منا غير مذنب وغير ذي خطايا ه
ويحكى ان رجلا من المنهمكين في الفساد مات في بعض نواحي البصرة فلم تجد امراته من يعينها على حمل جنازته اذ لم يدر بها احد من جيرانه
لكثرة فسقه فاستاجرت حمالين وحملتها الى المصلى فما صلى عليه احد فحملتها الى الصحراء للدفن وكان على جبل قريب من الموضع
زاهد من الزهاد الكبار فرآه الناس كالمنتظر للجنازة فقصد ان يصلي عليها فانتشر الخبر في البلد بان الزاهد نزل ليصلي على
فلان فخرج اهل البلد فصلى الزاهد وصلوا عليه وتعجب الناس من صلوة الزاهد عليه فقال لهم قيل لي في المنام انزل الى موضع
فلان ترى فيه جنازة ليس معها الا امراة فصل عليه فانه مغفور له فزاد تعجب الناس فاستدعى الزاهد امراته وسالها عن
حاله وانه كيف كانت سيرته قالت كما عرف فكان طول نهاره في الماخور مشغولا بشرب الخمر فقال انظري هل تعرفين منه شيا
من اعمال الخير قالت نعم ثلاثة كان كل يوم يفيق عن سكره وقت الصبح فيبدل ثيابه ويتوضا ويصلي الصبح بالجماعة ثم يعود الى
الفسق والماخور والثانية انه ابدا لا تخلو بيته عن يتيم او يتيمين وكان احسانه اليهم اكثر من احسانه الى اولاده وكان شديد
التفقد لهم والثالثة انه كان يفيق في اثناء سكره في ظلام الليل فيبكي ويقول يا رب اي زاوية من زوايا جهنم تريد ان تملاها بهذا الخبيث
فانصرف الزاهد وقد ارتفع اشكاله وعن صلة بن اشيم وقد دفن اخ له يقال على قبره فان تنج تنج من ذي عظيمة والا فاني
لا اخالك ناجيا ه بيان حال القبر واقاويلهم على القبور قال الضحاك قال رجل يا رسول الله من ازهد الناس قال
من لم ينس القبر والبلى وترك فضل زينة الدنيا وآثر ما يبقى على ما يفنى ولم يعد غدا من ايامه وعد نفسه من اهل القبور وقيل
لعلي كرم الله وجهه ما شانك جاورت المقبرة فقال اني اجدهم خير جيران اني اجدهم جيران صدق يكفون الالسنة ويذكرون
الآخرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رايت منظرا الا والقبر افظع منه وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرجنا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المقابر فجلس الى قبر وكنت ادنى القوم منه فبكى وبكيت وبكوا فقال ما يبكيكم قلنا
بكينا لبكائك يا رسول الله قال هذا قبر امي آمنة بنت وهب استاذنت ربي في زيارتها فاذن لي فاستاذنته في ان

استغفرها فانى على فادركنى ما يدرك الولد من الرقة وكان عثمان بن عفان اذا وقف على قبر بكا حتى يبل لحيته فسئل
عن ذلك فقيل له تذكر الجنة والنار فلا تبكى وتبكى اذا وقفت على قبر فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ان القبر اول منزل من منازل الآخرة فان نجا منه صاحبه فما بعده ايسر وان لم ينج منه فما بعده اشد وقيل ان
عمرو بن العاص مر بالمقبرة فنزل وصلى ركعتين فقيل له هذا شئ لم تكن تصنعه فقال ذكرت اهل القبور وما حيل بينهم وبينه
فاحببت ان اتقرب الى الله سبحانه بهما وقال مجاهد اول ما يكلم ابن آدم حفرته فيقول انا بيت الدود وبيت الوحدة
وبيت الغربة وبيت الظلمة هذا ما اعددت لك فماذا اعددت لى وقال ابو ذر الا اخبركم بيوم فقرى يوم اوضع فى قبرى ۵
وكان ابو الدرداء يقعد الى القبور فقيل له فى ذلك فقال اقعد الى قوم يذكروننى معادى وان قمت لم يغتابونى وكان جعفر بن
محمد رضى الله عنهما يأتى القبور ليلا ويقول يا اهل القبور ما لى اذا دعوتكم لا تجيبونى ثم يقول حيل والله بينهم وبين جوابى
وكأنى اكون مثلهم ثم يستقبل الصلوة الى طلوع الفجر وقال عمر بن عبد العزيز لبعض جلسائه يا فلان لقد ارقت البارحة تفكرا
فى القبر وساكنيه انك لو رأيت الميت بعد ثلاثة فى قبره لاستوحشت من قربه بعد طول الانس منك به ولرأيت بيتا تجول
فيه الهوام ويجرى فيه الصديد وتخترقه الديدان مع تغير الريح وبلى الاكفان بعد حسن الهيئة وطيب الريح ونقاء الثوب
قال ثم شهق شهقة خر مغشيا عليه وكان يزيد الرقاشى يقول ايها المقبور فى حفرته والمتخلى فى القبر بوحدته المستأنس فى بطن
الارض باعماله ليت شعرى باى اعمالكم استبشرت وباى اخوانك اغتبطت ثم يبكى حتى يبل عمامته ثم يقول استبشر والله
باعماله الصالحة واغتبط والله باخوانه المتعاونين على طاعة الله تعالى وكان اذا نظر الى القبور خار كما يخور الثور وقال حاتم
الاصم من مر بالمقابر فلم يتفكر لنفسه ولم يدع لهم فقد خان نفسه وخانهم وكان بكر العابد يقول يا اماه ليتك كنت بى
عقيما ان لابنك فى القبر حبسا طويلا ومن بعد ذلك منه رحيلا وقال يحيى بن معاذ يا ابن آدم دعاك ربك الى دار السلام فانظر
من اين تجيبه ان اجبته من دنياك واشتغلت بالرحلة اليه دخلتها وان اجبته من قبرك منعتها وكان الحسن بن صالح اذا
اشرف على المقابر يقول ما احسن ظواهرك انما الدواهى فى بواطنك وكان عطاء السلمى رحمه الله اذا جن عليه الليل خرج
الى المقبرة فوقف ثم يقول يا اهل القبور متم فواموتاه وعاينتم اعمالكم فواعملاه ثم يقول غدا عطا فى القبر فلا يزال يردد ذلك
حتى يصبح وقال سفين من اكثر ذكر الموت وجده روضة من رياض الجنة ومن غفل عن ذكره وجده حفرة من حفر النيران وكان
الربيع بن خثيم قد حفر فى داره قبرا فكان اذا وجد فى قلبه قساوة دخل فيه فاضطجع ومكث ما شاء الله ثم يقول رب ارجعون
لعلى اعمل صالحا فيما تركت يرددها ثم يرد على نفسه يا ربيع قد رجعت فاعمل وقال احمد بن حرب تتعجب الارض من رجل يمهد
مضجعه ويسوى فراشه للنوم فيقول يا ابن آدم لم لا تذكر طول بلاك وما بينى وبينك شئ وقال ميمون بن مهران خرجت مع
عمر بن عبد العزيز الى المقبرة فلما نظر الى القبور بكا ثم اقبل على فقال يا ميمون هذه قبور آبائى بنى امية كأنهم لم يشاركوا اهل
الدنيا فى لذاتهم وعيشهم اما تراهم صرعى قد حلت بهم المثلات واستحكم فيهم البلى واصابت الهوام مقيلا فى ابدانهم ثم
بكا وقال والله ما اعلم احدا انعم ممن صار الى هذه القبور وقد امن من عذاب الله وقال ثابت البنانى دخلت المقابر فلما قصدت
الخروج منها فاذا بصوت قائل يقول يا ثابت لا يغرنك صموت اهلها فكم من نفس مغمومة فيها ويروى ان فاطمة بنت الحسين نظرت
الى جنازة زوجها الحسن بن الحسن فغطت وجهها وقالت شعر وكانوا رجاء ثم امسوا رزية لقد عظمت تلك الرزايا وجلت
وقيل انها ضربت على قبره فسطاطا واعتكفت عليه سنة فلما مضت السنة قلعوا الفسطاط ودخلت المدينة فسمعوا صوتا

من جانب البقيع هل وجدوا ما فقدوا وسمعوا من الجانب الآخر بل يئسوا فانقلبوا وقال ابو موسى التيمى توفيت امرأة
الفرزدق فخرج فى جنازتها وجوه البصرة وفيهم الحسن فقال له الحسن يا ابا فراس ماذا اعددت لهذا اليوم قال
شهادة ان لا اله الا الله منذ ستين سنة فلما دفنت قام الفرزدق فقال شعر اخاف وراء القبر ان لم يعافنى اشد من القبر التهابا واضيقا
اذا جاءنى يوم القيمة قائد عنيف وسواق يسوق الفرزدقا لقد خاب من اولاد آدم من مشى الى النار مغلول القلادة ازرقا
وقد انشدوا فى اهل القبور شعر قف بالقبور وقل على ساحاتها من منكم المغمور فى ظلماتها ومن المكرم منكم فى قعرها
قد ذاق برد الامن من روعاتها اما السكون لذى العيون فواحد لا يستبين الفضل فى درجاتها لو جاوبوك لاخبروك بالسن
تصف الحقائق بعد من حالاتها اما المطيع فنازل فى روضة يفضى الى ما شاء من دوحاتها والمجرم الطاغى بها متقلب
فى حفرة يأوى الى حياتها وعقارب تسعى اليه فروحه فى شدة التعذيب من لدغاتها ۵ ومر داود الطائى على امرأة تبكى
على قبر وهى تقول شعر عدمت الحيوة ولا نلتها اذا انت فى القبر قد الحدوكا فكيف اذوق طعم الكرى ۵
وانت بيمناك قد وسدوكا ثم قالت يا ابناه ليت شعرى باى خديك بدا الدود فصعق داود مكانه وخر مغشيا عليه
وقال مالك بن دينار مررت بالمقبرة فانشأت اقول شعر اتيت القبور فناديتها فاين المعظم والمحتقر
واين المدل بسلطانه واين المزكى اذا ما افتخر قال فنوديت من بينهم اسمع صوتا ولا ارى شخصا وهو يقول شعر
تفانوا جميعا فما مخبر وماتوا جميعا ومات الخبر تروح وتغدو بنات الثرى فتمحو محاسن تلك الصور فيا سائلى عن اناس مضوا
اما لك فيما مضى معتبر قال فرجعت وانا باك ومن ذلك ابيات وجدت مكتوبة على القبور وجد على قبر مكتوبا
مناجيك احداث وهن سكوت وسكانها تحت التراب خفوت اتا جامع الدنيا لغير بلاغه لمن تجمع الدنيا وانت تموت ۵
وعلى قبر آخر شعر ايا غانم اما ذراك فواسع وقبرك معمور الجوانب محكم وما ينفع المقبور عمران قبره
اذا كان فيه جسمه يتهدم وقال ابن السماك مررت بالمقابر فاذا على قبر مكتوب شعر يمر اقاربى جنبات قبرى
كأن اقاربى لم يعرفونى ذوو الميراث يقتسمون مالى وما يألون ان جحدوا ديونى وقد اخذوا سهامهم وعاشوا ۵
فيا لله اسرع ما نسونى ووجد على قبر مكتوبا ان الحبيب من الاحباب مختلس لا يمنع الموت بواب ولا حرس
فكيف تفرح بالدنيا ولذتها يا من يعد عليه اللحظ والنفس اصبحت يا غافلا فى النقص منغمسا وانت دهرك فى اللذات منغمس
لا يرحم الموت ذا جهل لغرته ولا الذى كان منه العلم يقتبس كم اخرس الموت فى قبر وقفت به عن الجواب لسانا ما به خرس
قد كان قصرك معمورا له شرف فقبرك الآن فى الاجداث مندرس ۵ ووجد مكتوبا على قبر آخر شعر وقفت على الاحبة حين صفت
قبورهم كافراس الرهان فلما ان بكيت وفاض دمعى رأت عيناى بينهم مكانى ۵ ووجد على قبر طبيب مكتوبا
قد قلت لما قال لى قائل قد صار لقمان الى رمسه فاين ما يوصف من طبه وحذقه فى الماء مع جسه هيهات لا يدفع عن غيره
من كان لا يدفع عن نفسه ۵ ووجد على قبر آخر مكتوبا شعر يا ايها الناس كان لى امل قصر بى عن بلوغه الاجل فليتق الله ربه رجل
امكنه فى حيوته العمل ما انا وحدى نقلت حيث ترى كل الى مثله سينتقل ۵ فهذه ابيات كتبت على القبور لتقصير
سكانها عن الاعتبار قبل الموت والبصير هو الذى ينظر الى قبر غيره فيرى مكانه بين اظهرهم فيستعد للحوق بهم ويعلم انهم
لا يبرحون من مكانهم ما لم يلحق بهم وليتحقق انه لو عرض عليهم يوم واحد من ايام عمره الذى هو مضيع له لكان احب اليهم من
الدنيا بحذافيرها لانهم عرفوا قدر الاعمال وانكشفت لهم حقائق الامور فانما حسرتهم يوم القيمة من العمر ليتدارك به تقصيرهم

فيتخلص عن العقاب ويستزيد الموفق برتبته فيتضاعف له الثواب فانهم انما عرفوا قدر النعم بعد انقطاعها فحسرتهم على ساعة
من الحيوة وانت قادر على تلك الساعة ولعلك تقدر على امثالها ثم انت مضيع لها فوطن نفسك على التحسر على تضييعها
عند خروج الامر من الاختيار ان لم تاخذ نصيبك من ساعتك على سبيل الابتدار فقد قال بعض الصالحين رايت اخا كان لي في الله
فيما يرى النائم فقلت يا فلان عشت الحمد لله رب العالمين قال لأن اقدر ان اقولها اي الحمد لله احب الي من الدنيا وما فيها
ثم قال الم تر حيث كانوا يدفنوني فان فلانا قد قام فصلى ركعتين ولأن اكون اقدر على ان اصليهما احب الي من الدنيا وما فيها بيان
اقاويلهم عند موت الولد حق على من مات ولده او قريب من اقاربه ان ينزله في تقدمه عليه في الموت منزلة ما لو كانا في سفر فسبقه ولده
الى البلد الذي هو مستقره ووطنه فانه لا يعظم عليه تاسفه لعلمه بانه لاحق به على القرب وليس بينهما الا تقدم وتاخر وهكذا
الموت فان معناه السبق الى الوطن الى ان يلحق المتاخر واذا اعتقد هذا قل جزعه وحزنه لا سيما وقد ورد في موت الولد
من الثواب ما يعزى به كل مصاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن اقدم سقطا احب الي من ان اخلف مائة فارس
كلهم يقاتل في سبيل الله تعالى وانما ذكر السقط تنبيها بالادنى على الاعلى والا فالثواب على قدر محل الولد من القلب قال زيد بن اسلم
توفي ابن لداود عليه السلم فحزن عليه حزنا شديدا فقيل له ما كان عدله عندك قال ملء الارض ذهبا قيل له فان لك من الاجر
مثل ذلك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموت لاحد من المسلمين ثلاثة من الولد فيحتسبهم الا كانوا له جنة من النار فقالت
امراة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم او اثنان قال او اثنان فليخلص الوالد الدعاء لولده عند الموت فانه ارجى دعاء
واقرب الى الاستجابة ووقف محمد بن سليمان على قبر ولده فقال اللهم اني اصبحت ارجوك له واخافك عليه فحقق رجائي
وامن خوفي ووقف ابو سنان على قبر ابنه فقال اللهم اني قد غفرت له ما وجب لي عليه فاغفر له ما وجب لك عليه فانك
اجود واكرم ووقف اعرابي على قبر ابنه فقال اللهم اني وهبت له ما قصر فيه من بري فهب له ما قصر فيه من طاعتك
ولما مات ذر بن عمر بن ذر قام ابوه عمر بن ذر بعد ما وضع في لحده فقال يا ذر لقد شغلنا الحزن لك عن الحزن عليك فليت شعري ما ذا قلت وما ذا قيل لك ثم
قال اللهم ان هذا ذر متعتني به ما متعتني ووفيته اجله ورزقه ولم تظلمه اللهم وقد كنت الزمته طاعتك وطاعتي اللهم وما وعدتني
عليه من الاجر في مصيبتي فقد وهبت لك ذلك فهب لي عذابه ولا تعذبه فابكى الناس ثم قال عند انصرافه ما علينا بعدك من خصاصة
يا ذر وما بنا الى انسان مع الله حاجة فلقد مضينا وتركناك ولو اقمنا ما نفعناك ونظر رجل الى امراة بالبصرة فقال ما رايت
مثل هذه النضارة وما ذاك الا من قلة الحزن فقالت يا عبد الله اني لفي حزن ما يشاركني فيه احد قال وكيف قالت ان زوجي ذبح شاة
في يوم الاضحى وكان لي صبيان مليحان فقال الاكبر منهما للاصغر اتريد ان اريك كيف ذبح ابي الشاة قال نعم فاخذه وذبحه فما شعرنا به الا
متشحطا في دمه فلما ارتفع الصراخ هرب الغلام فلجا الى الجبل فرهقه ذئب فاكله وخرج ابوه يطلبه فمات عطشا من شدة الحر
قالت فافردني الدهر فامثال هذه المصائب ينبغي ان يذكر عند موت الاولاد ليتسلى بها عن شدة الجزع فما من مصيبة الا ويتصور ما هو
اعظم منها وما يدفعه الله في كل حال فهو الاكثر بيان زيارة القبور والدعاء للميت وما يتعلق به زيارة القبور مستحبة
على الجملة للتذكر والاعتبار وزيارة قبور الصالحين محبوبة لاجل التبرك مع الاعتبار وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن
زيارة القبور ثم اذن فيه روى علي رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها
فان في زيارتها تذكرة للآخرة غير ان لا تقولوا هجرا وزار رسول الله صلى الله عليه وسلم قبر امه في الف مقنع فلم ير باكيا اكثر من
يومئذ وعند ذلك قال اذن لي في الزيارة دون الاستغفار كما رويناه من قبل وقال ابن ابي مليكة اقبلت عائشة رضي الله عنها يوما

بعد ما وضع في لحده فقال يا ذر

يوما من المقابر فقلت يا ام المؤمنين من اين اقبلت قالت من قبر اخي عبد الرحمن فقلت اليس كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم نهى عنها قالت نعم ثم امر بها ولا ينبغي ان تتمسك به فيؤذن للنساء في الخروج الى المقابر فانهن يكثرن الهجر
على رؤوس المقابر فلا يفي خير زيارتهن بشرها ولا يخلون في الطريق عن تكشف وتبرج وهذه عظائم والزيارة سنة فكيف يحتمل لاجلها نعم
لا باس بخروج المراة في ثياب بذلة ترد اعين الرجال عنها وذلك بشرط الاقتصار على الدعاء وترك الحديث على
راس القبر وقال ابو ذر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم زر القبور تذكر بها الآخرة واغسل الموتى فان في معالجة جسد خاو
موعظة بليغة وصل على الجنائز لعل ذلك ان يحزنك فان الحزين في ظل الله وقال ابن ابي مليكة قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم زوروا موتاكم فسلموا عليهم وصلوا عليهم فان لكم فيهم عبرة وعن نافع عن ابن عمر كان لا يمر بقبر احد الا وقف عليه وسلم
عليه وعن جعفر بن محمد عن ابيه ان فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم كانت تزور قبر عمها حمزة في الايام فتصلي وتبكي
عنده وقال النبي صلى الله عليه وسلم من زار قبر ابويه او احدهما في كل جمعة غفر له وكتب برا وعن ابن سيرين قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليموت والداه وهو عاق لهما فيدعو الله لهما من بعدهما فيكتبه الله تعالى من البارين وقال صلى الله
عليه وسلم من زار قبري فقد وجبت له شفاعتي وقال من زارني بالمدينة محتسبا كنت له شفيعا وشهيدا يوم القيامة وقال كعب
ما من فجر يطلع الا نزل سبعون الفا من الملائكة حتى يحفوا بالقبر يضربون باجنحتهم ويصلون على النبي صلى الله عليه وسلم حتى اذا
امسوا عرجوا وهبط مثلهم فصنعوا مثل ذلك حتى اذا انشقت الارض خرج في سبعين الفا من الملائكة يوقرونه والمستحب في
زيارة القبور ان يقف مستقبلا بوجهه الميت مستدبرا القبلة وان يسلم ولا يمسح القبر ولا يقبله ولا يمسه فان ذلك من عادة النصارى
قال نافع كان ابن عمر رايته مائة مرة او اكثر يجيء الى القبر فيقول السلام على النبي السلام على ابي بكر السلام على ابي وينصرف وعن
ابي قال رايت انس بن مالك اتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فوقف فرفع يديه حتى ظننت انه افتتح الصلوة فسلم على النبي صلى الله
عليه وسلم ما من رجل يزور قبر اخيه ويجلس عليه الا استانس به ورد عليه حتى يقوم وقال سليمان بن نعيم رايت رسول الله صلى الله
عليه وسلم في النوم قلت يا رسول الله هؤلاء الذين ياتونك ويسلمون عليك اتفقه سلامهم قال نعم وارد عليهم وقال ابو هريرة
اذا مر الرجل بقبر الرجل يعرفه فسلم عليه رد السلام وعرفه واذا مر بقبر لا يعرفه فسلم عليه رد عليه السلام وقال رجل من آل عاصم الجحدري
رايت عاصما بعد موته في منامي بسنتين فقلت اليس قد مت قال بلى قلت فاين انت قال انا والله في روضة من رياض الجنة انا ونفر
من اصحابي نجتمع كل ليلة جمعة وصبيحتها الى بكر بن عبد الله المزني فنتلاقى اخباركم قلت اجسامكم ام ارواحكم فقال هيهات بليت
الاجسام وانما تتلاقى الارواح قال قلت فهل تعلمون بزيارتنا اياكم قال نعلم بها عشية الجمعة ويوم الجمعة كله ويوم السبت الى
طلوع الشمس قلت وكيف ذلك دون الايام كلها قال لفضل يوم الجمعة وعظمه وكان محمد بن واسع يزور يوم الجمعة فقيل له لو اخرت
الى الاثنين فقال بلغني ان الموتى يعلمون بزوارهم يوم الجمعة ويوما قبله ويوما بعده وقال الضحاك من زار قبرا يوم السبت
قبل طلوع الشمس علم الميت بزيارته قيل له وكيف ذلك قال لمكان يوم الجمعة وقال بشر بن منصور لما كان زمن الطاعون كان رجل
يختلف الى الجبان فيشهد الصلوة على الجنائز فاذا امسى وقف على باب المقابر فقال آنس الله وحشتكم ورحم الله غربتكم وتجاوز
عن سيئاتكم وقبل الله حسناتكم لا يزيد على هذه الكلمات قال الرجل فامسيت ذات ليلة فانصرفت الى اهلي ولم آت المقابر فادعو
كما كنت ادعو فبينا انا نائم اذا بخلق كثير قد جاءوني فقلت من انتم وما حاجتكم قالوا نحن اهل المقابر قلت وما جاء بكم قالوا انك
كنت عودتنا منك هدية عند انصرافك الى اهلك قلت وما هي قالوا الدعوات التي كنت تدعو فاني اعود لذلك فما تركتها بعد

قال عائشة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقال بشار بن غالب النجراني رأيت رابعة العدوية العابدة في منامي وكنت كثير الدعاء لها فقالت لي يا بشار بن غالب هداياك
يأتينا على أطباق من نور مخمرة بمناديل الحرير قلت وكيف ذلك قالت هكذا دعاء المؤمنين الأحياء إذا دعوا للمؤمنين الموتى فاستجيب
لهم جعل ذلك الدعاء على أطباق النور وخمر بمناديل الحرير ثم أتي به الميت فقيل هذه هدية فلان إليك وقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما الميت في قبره إلا كالغريق المتغوث ينتظر دعوة تلحقه من أبيه أو أخيه أو صديق له فإذا لحقته كانت أحب إليه من الدنيا
وما فيها وإن هدايا الأحياء للأموات الدعاء والاستغفار وقال بعضهم مات أخ لي فرأيته في المنام فقلت له ما كان حالك
حيث وضعت في قبرك قال أتاني آت بشهاب من نار فلولا أن داعيا دعا لي لرأيت أنه سيضربني به وعن هذا استحب تلقين الميت بعد الدفن
والدعاء له قال سعيد بن عبد الله الأزدي شهدت أبا أمامة الباهلي وهو في النزع فقال يا سعيد إذا مت فاصنعوا بي كما أمرنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إذا مات أحدكم فسويتم عليه التراب فليقم أحدكم على رأس قبره ثم يقول يا فلان بن فلانة فإنه
يسمع ولا يجيب ثم يقول يا فلان بن فلانة الثانية فإنه يستوي قاعدا ثم يقول يا فلان بن فلانة فإنه يقول أرشدنا رحمك الله ول
كن لا تشعرون فيقول له اذكر العهد الذي خرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وأنك رضيت
بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا وبالقرآن إماما فإن منكرا ونكيرا يتأخر كل واحد منهما فيقول انطلق بنا
ما نقعد عند هذا وقد لقن حجته ويكون الله عز وجل حجيجه دونهما فقال رجل يا رسول الله فإن لم يعرف اسم أمه فقال فلينسبه إلى
حواء ولا بأس بقراءة القرآن على القبر روي عن علي بن موسى الحداد قال كنت مع أحمد بن حنبل في جنازة ومحمد بن قدامة الجوهري معنا
فلما دفن الميت جاء رجل ضرير يقرأ عند القبر فقال له أحمد يا هذا إن القراءة عند القبر بدعة فلما خرجنا من المقابر قال محمد بن قدامة
لأحمد يا أبا عبد الله ما تقول في مبشر بن إسمعيل الحلبي قال ثقة قال هل كتبت عنه شيئا قال نعم قال أخبرني مبشر بن إسمعيل عن
عبد الرحمن بن العلاء بن اللجلاج عن أبيه أنه أوصى إذا دفن أن يقرأ عند رأسه فاتحة البقرة وخاتمتها وقال سمعت ابن عمر يوصي
بذلك فقال له فارجع إلى الرجل وقل له يقرأ وقال محمد بن أحمد المروزي سمعت أحمد يقول إذا دخلتم المقابر فاقرؤا بفاتحة
الكتاب والمعوذتين وقل هو الله أحد واجعلوا ثواب ذلك لأهل المقابر فإنه يصل إليهم وقال أبو قلابة أقبلت من الشام إلى البصرة
فنزلت الخندق فتطهرت وصليت ركعتين بليل ثم وضعت رأسي على قبر فنمت ثم انتبهت فإذا صاحب القبر يشتكيني يقول لقد
آذيتني منذ الليلة قال ثم قال إنكم لا تعلمون ونحن نعلم ولا نقدر على العمل ثم قال للركعتين اللتين صليتهما خير من الدنيا وما فيها
ثم قال جزى الله تعالى أهل الدنيا عنا خيرا اقرأهم السلام فإنه قد يدخل علينا من دعائهم نور أمثال الجبال وإنما المقصود
من زيارة القبور للزائر الاعتبار وللمزور الانتفاع بدعائه فلا ينبغي أن يغفل الزائر عن الدعاء لنفسه وللميت ولا عن الاعتبار منه وإنما
يحصل له الاعتبار بأن يصور في قلبه الميت كيف تفرقت أجزاؤه وكيف يبعث من قبره وأنه على القرب سيلحق به كما روي عن مطرف
بن أبي بكر الهذلي قال كانت عجوز في بني عبد القيس متعبدة فكان إذا جاء الليل تحزمت ثم قامت إلى المحراب وإذا جاء النهار خرجت
إلى القبور فبلغني أنها عوتبت في كثرة إتيانها إلى المقابر فقالت إن القلب القاسي إذا جفا لم يلينه إلا رسوم البلى وإني لآتي
القبور وكأني أنظر إلى الموتى وقد خرجوا من بين أطباقها وكأني أنظر إلى تلك الوجوه المتعفرة وإلى تلك الأجسام المتغيرة وإلى
تلك الأكفان الدسمة فيا لها من نظرة لو أشربها العباد قلوبهم ما أنكل مرارتها للأنفس وأشد تلفها للأبدان بل ينبغي أن يحضر
من صورة الميت ما ذكره عمر بن عبد العزيز حيث دخل عليه فقيه فتعجب من تغير صورته لكثرة الجهد والعبادة فقال له يا فلان
لو رأيتني بعد ثلاث وقد أدخلت قبري وقد خرجت الحدقتان فسالتا على الخدين وقد تقلصت الشفتان على الأسنان

الأسنان وخرج القيح من الفم وانفتح الفم ونتأ البطن فعلا على الصدر وخرج الصلب من الدبر وخرج الدود والصديد
من المناخر لرأيت أعجب مما تراه الآن ويستحب أيضا الثناء على الميت وأن لا يذكر إلا بالجميل قالت عائشة قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم إذا مات صاحبكم فدعوه لا تقعوا فيه وقال صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الأموات فإنهم أفضوا إلى ما قدموا
وقال صلى الله عليه وسلم لا تذكروا موتاكم إلا بخير إن يكونوا من أهل الجنة فتأثموا وإن يكونوا من أهل النار فحسبهم ما هم فيه قال
أنس بن مالك مرت جنازة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأثنوا عليه شرا فقال عليه السلام وجبت ومروا بأخرى فأثنوا
خيرا فقال وجبت فسأله عمر عن ذلك فقال إن هذا أثنيتم عليه الخير فوجبت له الجنة وهذا أثنيتم عليه شرا فوجبت له النار
وأنتم شهداء الله في الأرض وقال أبو هريرة قال صلى الله عليه وسلم إن العبد ليموت فيثني عليه القوم الثناء يعلم الله منه غيره
فيقول الله تعالى للملائكة أشهدكم أني قد قبلت شهادة عبيدي على عبدي وتجاوزت عن علمي في عبدي

الباب التاسع في حقيقة الموت وما يلقاه الميت في القبر إلى نفخة الصور

بيان حقيقة الموت

اعلم أن للناس
في حقيقة الموت ظنونا كاذبة أخطأوا فيها فظن بعضهم أن الموت هو العدم وأنه لا حشر ولا نشر ولا عاقبة للخير والشر
وأن موت الإنسان كموت الحيوانات وجفاف النبات وهذا رأي الملحدة وكل من لا يؤمن بالله واليوم الآخر وظن قوم أنه
ينعدم بالموت ولا يتألم بعقاب ولا يتنعم بثواب ما دام في القبر إلى أن يعاد في وقت الحشر وقال آخرون إن الروح باقية لا
تنعدم بالموت وإنما المثاب والمعاقب هي الأرواح دون الأجساد وإن الأجساد لا تبعث ولا تحشر أصلا وكل هذه الظنون
فاسدة ومائلة عن الحق بل الذي يشهد له طريق الاعتبار وينطق به الآيات والأخبار أن الموت معناه تغير حال فقط وأن
الروح باقية بعد مفارقة الجسد إما معذبة أو منعمة ومعنى مفارقتها للجسد انقطاع تصرفها عن الجسد بخروج الجسد
عن طاعتها فإن الأعضاء آلات للروح تستعملها حتى إنها لتبطش باليد وتسمع بالأذن وتبصر بالعين وتعلم حقيقة الأشياء
بالقلب والقلب ههنا عبارة عن الروح فالروح تعلم الأشياء بنفسها من غير آلة ولذلك تتألم بنفسها بأنواع الحزن
والغم والكمد وتتنعم بأنواع الفرح والسرور وكل ذلك لا يتعلق بالأعضاء فكل ما هو وصف للروح بنفسها فيبقى معها بعد
مفارقة الجسد وما هو لها بواسطة الأعضاء فيتعطل بموت الجسد إلى أن تعاد الروح إلى الجسد ولا يبعد أن تعاد إلى الجسد
في القبر ولا يبعد أن تؤخر إلى يوم البعث والله أعلم بما حكم به على كل عبد من عباده وإنما تعطل الجسد بالموت يضاهي تعطل
أعضاء الزمن بفساد مزاج يقع فيه وبشدة تقع في بعض الأعصاب تمنع نفوذ الروح فيها فتكون الروح العالمة العاقلة
المدركة باقية مستعملة لبعض الأعضاء وقد استعصى عليها بعضها والموت عبارة عن استعصاء الأعضاء كلها وكل الأعضاء
آلات للروح وهي المستعملة لها وأعني بالروح المعنى المدرك من الإنسان للعلوم والإدراكات ولا يبطل منها الأفراح
والغموم ولا يبطل منها قبولها للآلام واللذات والإنسان بالحقيقة هو المعنى المدرك للعلوم وللآلام واللذات وذلك
لا يموت أي لا ينعدم ومعنى الموت انقطاع تصرفه عن البدن وخروج البدن عن أن يكون آلة له كما أن معنى الزمانة
خروج اليد عن أن تكون آلة مستعملة فالموت زمانة مطلقة في الأعضاء كلها وحقيقة الإنسان نفسه وروحه وهي
باقية نعم تغير حاله من وجهين أحدهما أنه سلب منه عينه وأذنه ولسانه ويده ورجله وجميع أعضائه وسلب منه أهله
وولده وأقاربه وسائر معارفه وسلب منه خيله ودوابه وغلمانه ودوره وعقاره وسائر أملاكه ولا فرق بين أن
تسلب هذه الأشياء من الإنسان وبين أن يسلب الإنسان من هذه الأشياء فإن المؤلم هو الفراق والفراق يحصل تارة بأن ينهب

مال الرجل وتارة بان يسبى الرجل عن المال والالم واحد فى الحالتين وانما معنى الموت سلب الانسان عن امواله بازعاجه
الى عالم آخر لا يناسب هذا العالم فان كان له فى الدنيا شئ يأنس به ويستريح اليه ويلتذ بوجوده فيعظم تحسره عليه
بعد الموت ويصعب شقاوته فى مفارقته بل يلتفت قلبه الى واحد واحد من ماله وجاهه وعقاره حتى الى قميص كان
يلبسه مثلا ويفرح به وان لم يكن يفرح الا بذكر الله ولم يانس الا به عظم نعيمه وتمت سعادته اذ خلى بينه وبين محبوبه
وقطعت عنه العوايق والشواغل اذ جميع اسباب الدنيا شاغلة عن ذكر الله فهذا احد وجهى المخالفة بين حال الموت وحال
الحيوة والثانى انه ينكشف له بالموت ما لم يكن له مكشوفا فى الحيوة كما ينكشف للمستيقظ ما لم يكن مكشوفا فى النوم والناس نيام
فاذا ماتوا انتبهوا واول ما ينكشف له ما يضره وما ينفعه من حسناته وسيئاته وقد كان ذلك مسطورا فى كتاب مطوى
فى سر قلبه وكان يشغله عن الاطلاع عليه شواغل الدنيا فاذا انقطعت الشواغل انكشف له جميع اعماله فلا ينظر الى سيئة
الا ويتحسر عليه تحسرا يؤثر ان يخوض غمرة النار للخلاص من الم تلك الحسرة وعند ذلك يقال له كفى بنفسك اليوم عليك
حسيبا وينكشف كل ذلك عند انقطاع النفس وقبل الموت ويشتعل فيه نيران الفراق اعنى فراق ما كان يطمئن اليه من
هذه الدنيا الفانية دون ما اراد منها لاجل الزاد والبلغة فان من طلب الزاد للبلغة فاذا بلغ المقصد فرح بمفارقته
بقية الزاد اذ لم يكن يريد الزاد لعينه وهذا حال من لم يأخذ من الدنيا الا بقدر الضرورة وكان يود ان ينقطع ضرورته
ليستغنى عنه فقد حصل ما كان يوده واستغنى عنه وهذه انواع من العذاب والآلام عظيمة تهجم عليه قبل الدفن ثم عند
الدفن قد يرد روحه الى الجسد لنوع آخر من العذاب وقد يعفى عنه ويكون حال المتنعم بالدنيا المطمئن اليها كحال من تنعم
عند غيبة ملك من الملوك فى داره وملكه وحريمه اعتمادا على ان الملك ليس يدرى ما يتعاطاه من قبيح افعاله فاخذه
الملك بغتة وعرض عليه جريدة قد دونت فيها جميع فواحشه وجناياته ذرة ذرة وخطرة خطرة والملك قاهر متسلط
وغيور على حرمه ومنتقم من الجناة على ملكه وغير ملتفت الى من يتشفع اليه فى العصاة عليه فانظر الى حال هذا الماخوذ كيف
يكون حاله قبل نزول عذاب الملك به من الخوف والخجلة والحياء والتحسر والندم فهذا حال الميت الفاجر المغتر بالدنيا المطمئن
اليها قبل نزول عذاب القبر بل عند موته نعوذ بالله منه فان الخزى والافتضاح وهتك الستر اعظم من كل عذاب يحل بالجسد
من الضرب والقطع وغيرها فهذه اشارة الى حال الميت عند الموت شاهدها اولوا البصائر بمشاهدة باطنة اقوى من مشاهدة
العين ويشهد له شواهد الكتاب والسنة نعم لا يمكن كشف الغطاء عن كنه حقيقة الموت اذ لا يعرف الموت من لا يعرف الحيوة
ومعرفة الحيوة بمعرفة حقيقة الروح فى نفسها وادراك ماهية ذاتها ولم يؤذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتكلم فيه ولا
ان يزيد على ان يقول قل الروح من امر ربى فليس لاحد من العلماء الدين ان يكشف عن سر الروح وان اطلع عليه وانما الماذون
فيه ذكر حال الروح بعد الموت ويدل على ان الموت ليس عبارة عن انعدام الروح وانعدام ادراكها آيات واخبار كثيرة
اما الآيات فما ورد فى الشهداء اذ قال تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم ولما
قتل صناديد العرب يوم بدر فناداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا فلان يا فلان قد وجدت ما وعدنى ربى حقا
فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا فقيل يا رسول الله اتناديهم وهم اموات فقال صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده انهم
لاسمع بهذا الكلام منكم الا انهم لا يقدرون على الجواب فهذا نص فى بقاء روح الاشقياء وبقاء ادراكها ومعرفتها والآية
نص فى ارواح الشهداء ولا يخلوا الميت عن شقاوة او سعادة وقال صلى الله عليه وسلم القبر اما حفرة من حفر النيران او

او روضة من رياض الجنة وهو نص صريح فى ان الموت معناه تغير حال فقط وان ما سيكون من شقاوة الميت وسعادته
يتعجل عند الموت من غير تأخر وانما يتأخر بعض انواع العذاب والثواب دون اصله وروى انس بن مالك عنه صلى الله
عليه وسلم انه قال الموت القيامة من مات فقد قامت قيامته وقال صلى الله عليه وسلم اذا مات احدكم عرض عليه مقعده
غدوة وعشية ان كان من اهل الجنة فمن الجنة وان كان من اهل النار فمن النار يقال هذا مقعدك حتى تبعث اليه يوم القيمة
وليس يخفى ما فى مشاهدة المقعدين من عذاب ونعيم فى الحال وعن ابى قيس قال كنا مع علقمة فى جنازة فقال اما هذا فقد قامت قيامته
وقال على رضى الله عنه حرام على نفس ان تخرج من الدنيا حتى تعلم امن اهل الجنة ام من اهل النار وقال ابو هريرة قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من مات غريبا مات شهيدا ووقى فتان القبر وغدى وريح عليه برزق من الجنة وقال مسروق ما غبطت احدا
ما غبطت مؤمنا فى اللحد قد استراح من نصب الدنيا وامن عذاب الله وقال يعلى بن الوليد كنت امشى يوما مع ابى الدرداء فقلت
له ما تحب لمن تحب قال الموت قلت فان لم يمت قال يقل ماله وولده وانما احب الموت لانه لا يحبه الا المؤمن والموت اطلاق
للمؤمن من السجن وانما احب قلة المال والولد لانه فتنة وسبب للانس بالدنيا والانس لمن لا بد من فراقه غاية الشقاوة وكل
ما سوى الله وذكره والانس به فلا بد من فراقه عند الموت لا محالة ولهذا كان عبد الله بن عمر انما مثل المؤمن حين تخرج نفسه
او روحه مثل رجل كان فى سجن فاخرج منه فهو يتفسح فى الارض ويتقلب فيها وهذا الذى ذكره حال من تجافى عن الدنيا وتبرم
بها ولم يكن له انس الا بذكر الله وكانت شواغل الدنيا تحبسه عن محبوبه ومقاسات الشهوات تؤذيه وكان فى الموت خلاصه من
جميع المؤذيات وانفراده بمحبوبه الذى كان به انسه من غير عايق ولا دافع وما اجدر ذلك بان يكون منتهى النعيم واللذات واكمل
اللذات للشهداء الذين قتلوا فى سبيل الله لانهم ما اقدموا على القتال الا قاطعين التفاتهم عن علائق الدنيا مشتاقين الى لقاء
الله راضين بالقتل فى طلب مرضاته فان نظر الى الدنيا فقد باعها طوعا بالآخرة والبائع لا يلتفت قلبه الى المبيع وان نظر
الى الآخرة فقد اشتراها وتشوق اليها فما اعظم فرحه بما اشتراه اذا رآه وما اقل التفاته الى ما باعه اذا فارقه وتجرد القلب
لحب الله تعالى قد يتفق فى بعض الاحوال ولكن لا يدركه الموت عليه فيتغير والقتال سبب الموت فكان سببا لادراك الموت على
مثل هذه الحالة فلهذا اعظم النعيم اذ معنى النعيم ان ينال الانسان ما يريده قال تعالى ولهم فيها ما يشتهون فكان هذا اجمع
عبارة لمعانى لذات الجنة واعظم العذاب ان يمنع الانسان من مراده كما قال تعالى وحيل بينهم وبين ما يشتهون فكان هذا اجمع
عبارة لعقوبات جهنم وهذا النعيم يدركه الشهيد كما انقطع نفسه من غير تاخير وهذا امر انكشف لارباب القلوب بنور اليقين
وان اردت عليه شهادة من جهة السمع فجميع احاديث الشهداء تدل عليه وكل حديث يشتمل على التعبير عن منتهى نعيمهم بعبارة
اخرى فقد روى عن عائشة رضى الله عنها انها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجابر يا جابر الا ابشرك بالخير وكان
قد استشهد ابوه يوم بدر قال بلى بشرك الله بالخير قال ان الله تعالى احيى اباك فاقعده بين يديه فقال تمن على يا عبدى ما شئت
اعطكه قال يا رب ما عبدتك حق عبادتك اتمنى عليك ان تردنى الى الدنيا فاقاتل مع نبيك فاقتل فيك مرة اخرى فقال
سبق القضاء منى انهم اليها لا يرجعون وقال كعب يوجد رجل فى الجنة يبكى فيقال له لم تبكى وانت فى الجنة قال ابكى انى لم اقتل فى سبيل
الله الا قتلة واحدة وكنت اشتهى ان ارد الى الدنيا فاقتل فيه قتلات واعلم ان المؤمن ينكشف له بعد الموت من سعة جلال
الله ما يكون الدنيا بالاضافة اليه كالسجن والمضيق ويكون مثاله كالمحبوس فى بيت مظلم فتح له باب الى بستان واسع الاكناف
لا يبلغ اليها طرفه فيها انواع الازهار والاشجار والطيور والثمار فلا يشتهى العود الى السجن المظلم وقد ضرب رسول الله صلى

عليه وسلم لما ثلاثة فقال الرجل مات اصبح هذا من الدنيا مرتحلا وتركها لاهلها فان كان قد رضي فلا يسره ان يرجع الى الدنيا
كما لا يسر احدكم ان يرجع الى بطن امه فعرفت بهذا ان نسبة سعة الاخرة الى الدنيا الى ظلمة الرحم وقال صلى الله عليه وسلم
ان مثل المومن في الدنيا كمثل الجنين في بطن امه اذا خرج من بطنها بكى على مخرجها حتى اذا راى الضوء لم يحب ان يرجع الى مكانه
وكذلك المومن يجزع من الموت فاذا افضى الى ربه لم يحب ان يرجع الى مكانه الدنيا كما لا يحب الجنين ان يرجع الى بطن امه
وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانا قد مات فقال مستريح او مستراح منه اشار بالمستريح الى المومن و
بالمستراح منه الى الكافر اذ يستريح اهل الدنيا منه وقال ابو عمر وصاحب السقيا مر بنا ابن عمر ونحن صبيان فنظر الى
نبش فاذا جمجمة بادية فامر رجلا فواراها ثم قال ان هذه الابدان ليس يضرها هذا الثرى شيئا وانما الارواح التي تعاقب
وتثاب الى يوم القيمة وعن عمرو بن دينار قال ما من ميت يموت الا وهو يعلم ما يكون في اهله بعده وانهم ليغسلونه ويكفنونه
وانه لينظر اليهم وقال مالك بن انس بلغني ان ارواح المومنين مرسلة تذهب حيث شاءت وقال النعمان بن بشير سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم على المنبر يقول الا انه لم يبق من الدنيا الا مثل الذباب تمور في جوها فالله الله في اخوانكم من اهل القبور
فان اعمالكم تعرض عليهم وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تفضحوا امواتكم بسيئات اعمالكم فانها تعرض
على اوليائكم من اهل القبور ولذلك قال ابو الدرداء اللهم اني اعوذ بك ان اعمل عملا اخزى به عند عبد الله بن رواحة
وكان قد مات وهو خاله وسئل عبد الله بن عمرو بن العاص عن ارواح المومنين اذا ماتوا اين هي قال في صور طير بيض في ظل العرش
وارواح الكافرين في الارض السابعة وقال ابو سعيد الخدري سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الميت يعرف من يغسله
ومن يحمله ومن يدليه في قبره وقال صالح المري بلغني ان الارواح تتلاقى عند الموت فيقول ارواح الموتى للروح
التي تخرج اليهم كيف كان ماواك وفي اي الجسدين كنت في طيب او خبيث وقال عبيد بن عمير اهل القبور يتوكفون الاخبار
فاذا اتاهم الميت قالوا ما فعل فلان ما فعل فلان فيقول الم ياتكم او ما قدم عليكم فيقولون لا فيقولون انا لله وانا اليه راجعون سلك
به غير سبيلنا وعن جعفر بن سعيد قال اذا مات الرجل استقبله ولده كما يستقبل الغائب وقال مجاهد ان الرجل ليبشر بصلاح
ولده في قبره وروى ابو ايوب الانصاري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان نفس المومن اذا قبضت تلقاها اهل الرحمة
من عند الله تعالى كما يتلقى البشير في الدنيا يقولون انظروا اخاكم حتى يستريح فانه كان في كرب شديد فيسالونه ماذا فعل فلان
ماذا فعلت فلانة وهل تزوجت فلانة فاذا سالوه عن رجل مات قبله فقال انه مات قبلي قالوا انا لله ذهب به الى امه الهاوية

باب كلام القبر للميت وكلام الموتى اما بلسان المقال او بلسان الحال التي هي افصح في تفهيم الموتى من لسان المقال في تفهيم
الاحياء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول القبر للميت حين يوضع فيه ويحك يا ابن آدم ما غرك بي الم تعلم اني
بيت الفتنة وبيت الظلمة وبيت الوحدة وبيت الدود ما غرك بي اذ كنت تمر بي فذاذا فان كان مصلحا اجاب عنه مجيب القبر
فيقول ارايت ان كان يامر بالمعروف وينهى عن المنكر فيقول القبر اذا اتحول عليه خضرا ويعود جسده نورا وتصعد روحه الى الله
والفذاذ هو الذي يقدم رجلا ويؤخر اخرى كذلك فسره الراوي وقال عبيد بن عمير الليثي ليس من ميت يموت الا نادته حفرته
التي يدفن فيها انا بيت الظلمة والوحدة والانفراد فان كنت في حياتك لله مطيعا كنت عليك اليوم رحمة وان كنت عاصيا فانا
اليوم عليك نقمة انا الذي من دخلني مطيعا خرج مني مسرورا وقال محمد بن صبيح بلغنا ان الرجل اذا وضع في قبره فعذب واصابه
بعض ما يكره ناداه جيرانه اما كان لك في ذلك فينا معتبر اما كان لك في تقدمنا اياك فكرة اما رايت انقطاع اعمالنا عنا وانت في

في المهلة فهلا استدركت ما فات اخوانك وناديه بقاع الارض ايها المغتر بظاهر الدنيا هلا اعتبرت بمن غيب من
من اهلك في بطن الارض ممن غرته الدنيا قبلك ثم سبق به اجله الى القبور وانت تراه محمولا تتهاداه احبته الى المنزل الذي
لا بد له منه وقال يزيد الرقاشي بلغني ان الميت اذا وضع في قبره احتوشته اعماله الصالحة الصلاة والصيام والحج والجهاد
والصدقة قال فتجيء ملائكة العذاب من قبل رجليه فتقول الصلاة اليكم عنه فلا سبيل لكم عليه فقد اطال بي القيام لله عليهما فياتونه
من قبل راسه فيقول الصيام لا سبيل لكم اليه فقد اطال ظماه لله في دار الدنيا فلا سبيل لكم عليه فياتونه من قبل جسده
فيقول الحج والجهاد اليكم عنه فقد انصب نفسه واتعب بدنه وحج وجاهد لله لا سبيل لكم عليه قال فياتونه من قبل يديه فيقول
الصدقة كفوا عن صاحبي فكم من صدقة خرجت من هاتين اليدين حتى وقعت في يد الله ابتغاء وجهه فلا سبيل لكم عليه قال
فيقال له هنيئا طبت حيا وطبت ميتا قال وتاتيه ملائكة الرحمة فيفرشون له فراشا من الجنة ودثارا من الجنة ويفسح له في قبره
مد بصره ويؤتى بقنديل من الجنة فيستضيء بنوره الى يوم يبعثه الله من قبره وقال عبد الله بن عبيد بن عمير في جنازة بلغني ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ان الميت يقعد وهو يسمع خطو مشيعيه فلا يكلمه شيء الا قبره فيقول ويحك ابن آدم اليس قد حذرتني
وحذرت ضيقي ونتني وهولي ودودي فماذا اعددت لي

بيان عذاب القبر وسؤال منكر ونكير قال البراء بن عازب خرجنا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على جنازة رجل من الانصار فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبره منكسا راسه ثم قال اللهم
اني اعوذ بك من عذاب القبر ثلاثا ثم قال ان المومن اذا كان في قبل من الاخرة بعث الله تعالى ملئكة كان وجوههم الشمس معهم حنوطه
وكفنه فيجلسون مد بصره فاذا خرجت روحه صلى عليه كل ملك بين السماء والارض وكل ملك في السماء وفتحت ابواب السماء فليس
منها باب الا يحب ان يدخل بروحه منه فاذا صعد بروحه قيل اي رب عبدك فلان فيقول ارجعوه فاروه ما اعددت له من الكرامة
فاني وعدته منها خلقناكم وفيها نعيدكم الاية وانه ليسمع خفق نعالهم اذا ولوا مدبرين حتى يقال يا هذا من ربك وما دينك ومن نبيك
فيقول ربي الله وديني الاسلام ونبيي محمد صلى الله عليه وسلم قال فينتهرانه انتهارا شديدا وهي آخر فتنة تعرض على الميت
فاذا قال ذلك نادى مناد ان صدقت وهو معنى قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت الاية ثم ياتيه آت حسن الوجه طيب
الريح حسن الثياب فيقول ابشر برحمة من ربك وجنات فيها نعيم مقيم فيقول وانت فبشرك الله بخير من انت فيقول انا عملك الصالح
والله ما علمت ان كنت سريعا في طاعة الله بطيئا عن معصية الله فجزاك الله خيرا قال ثم ينادي مناد ان افرشوا له من فرش الجنة و
افتحوا له بابا الى الجنة فيقول اللهم عجل قيام الساعة حتى ارجع الى اهلي ومالي قال صلى الله عليه وسلم واما الكافر فانه اذا كان في
قبل من الاخرة وانقطاع من الدنيا نزلت اليه ملائكة غلاظ شداد معهم ثياب من نار وسرابيل من قطران فيحتوشونه فاذا خرجت
نفسه لعنه كل ملك بين السماء والارض وكل ملك في السماء وغلقت ابواب السماء فليس منها باب الا يكره ان يدخل بروحه منه فاذا صعد
بروحه نبذ وقيل اي رب عبدك فلان لم تقبله سماء ولا ارض فيقول ارجعوه فاروه ما اعددت له من الشر اني وعدته منها خلقناكم
وفيها نعيدكم الاية وانه ليسمع خفق نعالهم اذا ولوا مدبرين حتى يقال له يا هذا من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول لا ادري
فيقال لا دريت ثم ياتيه آت قبيح الوجه منتن الريح قبيح الثياب فيقول ابشر بسخط من الله وبعذاب اليم مقيم فيقول بشرك الله بشر
من انت فيقول انا عملك الخبيث والله ان كنت لسريعا في معصية الله بطيئا عن طاعة الله فجزاك الله شرا فيقول وانت جزاك
الله شرا ثم يقيض له اصم اعمى ابكم معه مرزبة من حديد لو اجتمع عليها الثقلان على ان يقلوها لم يستطيعوا لو ضرب بها جبل صار
ترابا فيضربه بها ضربة فيصير ترابا ثم تعود فيه الروح فيضرب بها جبينه ضربة يسمعها من على الارض سوى الثقلين قال ثم ينادي

اعماله ثم انطقها الله تعالى فقالت ايها العبد المنفرد في حفرته انقطع الاخلاء والاهلون فلا
فلا انيس لك اليوم غيرنا وقال كعب اذا وضع العبد
الصالح في القبر احتوشته م

شاء ان افرشوا له لوحين من نار فيفرش له لوحان من نار ويفتح له باب الى النار وقال محمد بن علي ما من ميت يموت الا مثل
له عند الموت اعماله الحسنة واعماله السيئة قال فيشخص الى حسناته ويطرق عن سيئاته وقال ابو هريرة قال النبي
صلى الله عليه وسلم ان المؤمن اذا احتضر اتته الملائكة بحريرة فيها مسك وضبائر الريحان فتسل روحه كما تسل الشعرة من
العجين ويقال يا ايتها النفس المطمئنة اخرجي راضية مرضية عنك الى روح الله وكرامته فاذا اخرجت روحه وضعت على ذلك
المسك والريحان وطويت عليها الحريرة وبعث به الى عليين وان الكافر اذا احتضر اتته الملائكة بمسح فيه جمرة فتنزع روحه
انتزاعا شديدا ويقال ايتها النفس الخبيثة اخرجي ساخطة ومسخوطا عليك الى هوان الله وعذابه فاذا اخرجت روحه وضعت
على تلك الجمرة وان لها نشيشا ويطوى عليها المسح ويذهب به الى سجين وعن محمد بن كعب القرظي انه قال كان يقرأ قوله تعالى حتى اذا
جاء احدهم الموت قال رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت قال اي شيء تريد في اي شيء ترغب اتريد ان ترجع لتجمع المال
وتغرس الغراس وتبني البنيان وتشقق الانهار فقال لعلي اعمل صالحا فيما تركت فيقول الجبار كلا انها كلمة هو قائلها اي
ليقولنها عند الموت وقال ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم المؤمن في قبره في روضة خضراء ويرحب له في قبره
في روضة سبعين ذراعا ويضيء حتى يكون كالقمر ليلة البدر هل تدرون فيما اذا انزلت فان له معيشة ضنكا قالوا الله و
رسوله اعلم قال عذاب الكافر في قبره يسلط عليه تسع وتسعون تنينا هل تدرون ما التنين تسع وتسعون حية لكل حية سبع
رؤوس يخدشونه ويلحسونه وينفخون في جسمه الى يوم يبعثون ولا ينبغي ان يتعجب من هذا العدد على الخصوص فان اعداد هذه التنانين
والحيات بقدر اعداد الاخلاق المذمومة من الكبر والرياء والحسد والغل والحقد وسائر الصفات فان لها اصولا معدودة
ثم تتشعب منها فروع معدودة ثم تنقسم فروعها الى اقسام وتلك الصفات باعيانها هي المهلكات وهي باعيانها تنقلب
عقارب وحيات فالقوي منها يلدغ لدغ التنين والضعيف يلدغ لدغ العقرب وما بينهما يؤذي ايذاء الحية وارباب
القلوب والبصائر يشاهدون بنور البصيرة هذه المهلكات وانشعاب فروعها الا ان مقدار عددها لا يوقف عليه الا بنور
النبوة فامثال هذه الاخبار لها ظواهر صحيحة واسرار خفية ولكنها عند ارباب البصائر واضحة فمن لم تنكشف له حقائقها فلا
ينبغي ان ينكر ظواهرها بل اقل درجات الايمان التصديق والتسليم فان قلت فنحن نشاهد الكافر في قبره مدة ونراقبه ولا
نشاهد شيئا من ذلك فما وجه التصديق على خلاف المشاهدة فاعلم ان لك ثلاث مقامات في التصديق بامثال هذا احدها
وهو الاظهر والاصح والاسلم ان تصدق بانها موجودة وهي تلدغ الميت ولكنك لا تشاهده فان هذه العين لا تصلح لمشاهدة
الامور الملكوتية وكل ما يتعلق بالاخرة فهو من عالم الملكوت اما ترى الصحابة كيف كانوا يؤمنون بنزول جبريل وما كانوا يشاهدونه
ويؤمنون بانه عليه السلام يشاهده فان كنت لا تؤمن بهذا فتصحيح الايمان بالملائكة والوحي اهم لك وان آمنت به وجوزت
ان يشاهد النبي ما لا تشاهده الامة فكيف لا تجوز هذا في الميت وكما ان الملك لا يشبه الآدميين والحيوانات فالحيات
والعقارب التي تلدغ في القبر ليست من جنس عالمنا بل هي من جنس آخر وتدرك بحاسة اخرى المقام الثاني ان تتذكر
امر النائم وانه قد يرى في النوم حية تلدغه وهو يتألم به حتى تراه في نومه يصيح ويعرق جبينه وقد ينزعج من مكانه كل ذلك
يدركه من نفسه ويتأذى به كما يتأذى اليقظان وهو يشاهده وانت ترى ظاهره ساكنا ولا ترى حواليه حية والحية
موجودة في حقه والعذاب حاصل ولكنه في حقك غير مشاهد واذا كان العذاب الم اللدغ فلا فرق بين حية تتخيل او تشاهد
المقام الثالث انك تعلم ان الحية بنفسها لا تؤلم بل الذي يلقاك منها هو السم ثم ليس السم هو الالم بل عذابك في الاثر الذي

الذي يحصل فيك من السم فلو حصل مثل ذلك الاثر من غير سم لكان العذاب قد توفر وكان لا يمكن تعريف ذلك النوع من
العذاب الا بان يضاف الى السبب الذي يفضي اليه فتكون الاضافة للتعريف بالسبب ويكون ثمرة السبب حاصلا وان
لم يحصل صورة السبب والسبب يراد لثمرته لا لذاته فهذه الصفات المهلكات تنقلب مؤذيات ومؤلمات في النفس
عند الموت فيكون آلامها كآلام لدغ الحيات من غير وجود حيات وانقلاب الصفة مؤذيا يضاهي انقلاب العشق مؤذيا
عند موت المعشوق فانه كان لذيذا فطرأت حالة صار اللذيذ بنفسه مؤلما حتى يرد بالقلب ما يتمنى معه لو لم يكن قد تنعم بالعشق
والوصال بل هذا بعينه هو احد انواع عذاب الميت فانه قد سلط العشق في الدنيا على نفسه بعشق ماله وعقاره وجاهه
وولده واقاربه ومعارفه ولو اخذ جميع ذلك منه في حياته من لا يرجو رجوعها اليه فما ترى حاله اليس يعظم شقاؤه
ويصعب عذابه ويتمنى ويقول ليتني لم يكن لي مال قط ولا جاه قط فكنت لا اتأذى بفراقه فالموت عبارة عن مفارقة المحاب
الدنيوية كلها دفعة واحدة وما حال من كان له واحد يؤخذ عنه ذلك الواحد فما حال من لا يفرح الا بالدنيا فيؤخذ منه
الدنيا ويسلم الى اعدائه ثم ينضاف الى ذلك العذاب تحسره على ما فاته من نعيم الاخرة والحجاب عن الله تعالى فان حب غير الله
يحجبه عن لقاء الله والتنعم به فيتوالى عليه الم فراق جميع محبوباته وحسرته على ما فاته من نعيم الآخرة ابد الآباد وذل الرد والحجاب
عن الله وذلك هو الذي يعذب به اذ لا تتبع نار الفراق الا نار جهنم كما قال الله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون
ثم انهم لصالوا الجحيم واما من لم يأنس من الدنيا بشيء ولم يحب الا الله تعالى وكان مشتاقا الى لقاء الله تعالى فقد تخلص
من سجن الدنيا ومقاساة الشهوات فيها وقدم على محبوبه وانقطعت عنه العوائق والصوارف وتوفر عليه النعيم مع الامن
عن الزوال ابد الآباد ولمثل ذلك فليعمل العاملون والمقصود ان الرجل يحب فرسه بحيث لو خير بين ان يؤخذ منه وبين ان
يلدغه عقرب آثر الصبر على لدغ العقرب فاذن الم فراق الفرس عنده اعظم من لدغ العقرب وحبه للفرس هو الذي يلدغه
اذا اخذ منه فرسه فليستعد لهذه اللدغات فان الموت يأخذ منه فرسه ومركبه وداره وعقاره واهله وولده واحبابه
ومعارفه ويأخذ منه جاهه وحوله بل يأخذ منه سمعه وبصره واعضاءه وييأس عن رجوعه اليه فان لم يحب سواه فقد اخذ
جميع ذلك منه فذلك اعظم عليه من العقارب والحيات وكما لو اخذ منه وهو حي فيعظم عذابه فكذلك اذا مات لانا قد بينا
ان المعنى الذي هو المدرك للآلام واللذات لم يمت بل عذابه بعد الموت اشد لانه يتسلى في الحيوة باسباب يشتغل بها حواسه من
مجالسة ومحادثة ويتسلى برجاء العود اليه ويتسلى برجاء العوض منه ولا سلوة بعد الموت اذ قد انسد عليه طرق التسلي وحصل
الياس فاذن كل قميص له ومنديل وقدح بحيث كان يشق عليه لو اخذ منه فانه يبقى متأسفا عليه ومعذبا به فان كان مخفا
من الدنيا سلم وهو المعنى بقوله نجا المخفون وان كان مثقلا عظم عذابه وكما ان حال من يسرق منه دينار اخف من حال
من يسرق منه عشرة دنانير فكذلك حال صاحب الدرهم اخف حسابا من صاحب الدرهمين وما من شيء من الدنيا يتخلف عنك عند الموت
الا وهو حسرة عليك بعد الموت فان شئت فاستكثر وان شئت فاستقل فان استكثرت فلست بمستكثر الا من الحسرة وان
استقللت فلست تخفف الا من ظهرك وانما تكثر الحيات والعقارب في قبور الاغنياء الذين استحبوا الحيوة الدنيا على الاخرة
وفرحوا بها واطمأنوا اليها فهذه مقامات الايمان في حيات القبر وعقاربه وسائر انواع عذابه رأى ابو سعيد الخراز
ابنا له قد مات في المنام فقال له يا بني عظني قال لا تخالف الله تعالى فيما تريد قال يا بني زدني قال يا ابت لا تطيق قال قل
قال لا تجعل بينك وبين الله قميصا فما لبس القميص ثلاثين سنة فان قلت فما الصحيح من هذه المقامات الثلاث فاعلم ان في الناس

من لم يثبت الا الاول وانكر ما بعده ومنهم من انكر الاول واثبت الثاني ومنهم من لم يثبت الا الثالث وانما الحق الذي انكشف لنا بطريق الاستبصار ان كل ذلك في حيز الامكان وان من ينكر بعض ذلك فهو لضيق حوصلته وجهله باتساع قدرة الله تعالى وعجائب تدبيره فينكر من افعال الله سبحانه ما لم يانس به ولم يالفه وذلك جهل وقصور بل هذه الطرق الثلثة في التعذيب ممكنة والتصديق بها واجب ورب عبد يجمع عليه هذه الانواع الثلث نعوذ بالله من عذاب الله قليله وكثيره هذا هو الحق فصدق به تقليدا فيعز على بسيط الارض من يعرف ذلك تحقيقا والذي اوصيك به ان لا تكثر نظرك في تفصيل ذلك ولا تشتغل بمعرفته بل اشتغل بالتدبير في دفع العذاب كيف ما كان فان اهملت العمل والعبادة واشتغلت بالبحث عن ذلك كنت كمن اخذه سلطان وحبسه ليقطع يده ويجدع انفه فاخذ طول الليل يتفكر في انه اما يقطعه بسكين او بسيف او بالموسى ويهمل طريق الحيلة في دفع اصل العذاب عن نفسه وهذا غاية الجهل فقد علم على القطع ان العبد بعد الموت لا يخلو عن عقاب عظيم او عن نعيم مقيم فينبغي ان يكون الاستعداد له فاما البحث عن تفصيل العقاب والثواب فتضييع زمان بيان سؤال منكر ونكير وصورتهما وضغطة القبر وبقية القول في عذاب القبر قال ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا مات العبد اتاه ملكان اسودان ازرقان يقال لاحدهما المنكر وللآخر النكير فيقولان له ما كنت تقول في النبي صلى الله عليه وسلم فان كان مؤمنا قال هو عبد الله ورسوله اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله صلى الله عليه فيقولان ان كنا لنعلم انك تقول ذلك ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعا في سبعين ذراعا وينور له في قبره ثم يقال له نم فيقول دعوني الى اهلي فاخبرهم فيقال له نم فينام كنومة العروس الذي لا يوقظه الا احب اهله اليه حتى يبعثه الله تعالى من مضجعه ذلك وان كان منافقا قال لا ادري كنت اسمع الناس يقولون شيا وكنت اقوله فيقولان انا كنا نعلم انك تقول ذلك ثم يقال للارض التئمي عليه فتلتئم عليه حتى تختلف فيها اضلاعه فلا يزال معذبا حتى يبعثه الله تعالى من مضجعه ذلك وعن عطاء بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب يا عمر كيف بك اذا انت مت فانطلق بك قومك فقاسوا لك ثلاثة اذرع في ذراع وشبر ثم رجعوا اليك فغسلوك وكفنوك وحنطوك ثم احتملوك فوضعوك فيه ثم اهالوا عليك التراب ودفنوك فاذا انصرفوا عنك اتاك فتانا القبر منكر ونكير اصواتهما كالرعد القاصف وابصارهما كالبرق الخاطف يجران اشعارهما ويبحثان القبر بانيابهما فتلتلاك وترتراك كيف بك عند ذلك يا عمر فقال عمر ويكون معي مثل عقلي الآن قال نعم قال اذن اكفيكهما وهذا نص في ان العقل لا يتغير بالموت انما يتغير البدن والاعضاء فيكون الميت عاقلا مدركا عالما بالآلام واللذات كما كان لا يتغير من عقله شي وليس العقل المدرك هذه الاعضاء بل هو شي باطن ليس له طول ولا عرض بل الذي لا ينقسم في نفسه هو المدرك للاشياء ولو تناثرت اعضاء الانسان كلها ولم يبق الا الجزء المدرك الذي لا يتجزى ولا ينقسم لكان الانسان العاقل بكماله قائما باقيا وهو كذلك بعد الموت فان ذلك الجزء لا يحله الموت ولا يطري عليه العدم وقال محمد بن المنكدر بلغني ان الكافر يسلط عليه في قبره دابة عمياء صماء في يدها سوط من حديد في راسه مثل غرب الجمل يضربه به الى يوم القيمة لا يراه فيتقيه ولا يسمع صوته فيرحمه وقال ابو هريرة اذا وضع الميت في قبره جاءت اعماله الصالحة فاحتوشته فان اتاه من قبل راسه جاءت قراءته للقرآن وان اتاه من قبل رجليه جاء قيامه وان اتاه من قبل يديه قالت اليدان والله لقد كان يبسطني للصدقة والدعاء لا سبيل لكم اليه وان جاء من قبل فيه جاء ذكره وصيامه وكذلك الصلوة والصبر ناحيته ويقول اما اني لو رايت خللا لكنت انا صاحبه قال سفيان يحاج عنه اعماله كما يحاج الرجل عن اخيه واهله وولده ثم يقال له عند ذلك بارك الله لك في مضجعك فنعم

فنعم الاخلاء اخلاؤك ونعم الاصحاب اصحابك وعن حذيفة قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة فجلس على راس القبر ثم جعل ينظر فيه ثم قال يضغط المؤمن في هذا ضغطة تزول منها حمائله وقالت عائشة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للقبر ضغطة ولو سلم او نجا منها احد لنجا سعد بن معاذ وعن انس قال لما توفيت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت امراة مسقامة فتبعها رسول الله صلى الله عليه وسلم فساءنا حاله فلما انتهينا الى القبر فدخله النبي صلى الله عليه وسلم التمع وجهه صفرة فلما خرج اسفر وجهه فقلنا يا رسول الله راينا منك شيا فمم ذلك قال ذكرت ضغطة ابنتي وشدة عذاب القبر فاخبرت ان قد خفف عنها ولقد ضغطت ضغطة سمع صوتها ما بين الخافقين

الباب الثامن فيما عرف من احوال الموتى بالمكاشفة في المنام

اعلم ان انوار البصائر المستفادة من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ومن مناهج الاعتبار تعرفنا احوال الموتى على الجملة وانقسامهم الى سعداء واشقياء ولكن حال زيد وعمرو بعينه فلا ينكشف به اصلا فانا ان عولنا على ايمان زيد فلا ندري على ماذا مات وكيف ختم له وان عولنا على صلاحه الظاهر فالتقوى محله القلب وهو غامض يخفى على صاحب التقوى فكيف على غيره فلا حكم لظاهر الصلاح دون التقوى الباطن قال الله سبحانه انما يتقبل الله من المتقين فلا يمكن معرفة حكم زيد وعمرو الا بمشاهدته ومشاهدة ما يجري عليه واذا مات فقد تحول من عالم الملك والشهادة الى عالم الغيب والملكوت فلا يرى بالعين الظاهرة وانما يدرك بعين اخرى خلقت تلك العين في قلب كل انسان ولكن الانسان جعل عليها غشاوة كثيفة من شهواته واشغاله الدنيوية فصارت لا يبصر بها ولا يتصور ان يبصر بها شيا من عالم الملكوت ما لم تنقشع تلك الغشاوة عن عين قلبه ولما كانت الغشاوة منقشعة عن اعين الانبياء صلوات الله عليهم اجمعين فلا جرم نظروا الى الملكوت فشاهدوا عجائبه والموتى في عالم الملكوت ولذلك راى رسول الله صلى الله عليه وسلم ضغطة القبر في حق سعد بن معاذ وفي حق زينب ابنته وكذلك حالة ابي جابر لما استشهد اذ اخبر ان الله اقعده بين يديه ليس بينهما ستر ومثل هذه المشاهدة لا مطمع فيها لغير الانبياء صلى الله عليهم والاولياء الذين تقرب درجتهم منهم وانما الممكن في حق امثالنا مشاهدة اخرى ضعيفة الا انها ايضا مشاهدة نبوية اعني بها المشاهدة في المنام وهو من انوار النبوة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة وهو ايضا انكشاف لا يحصل الا بانقشاع الغشاوة من القلب فلذلك لا يوثق الا برؤيا الرجل الصالح الصادق ومن كثر كذبه لم تصدق رؤياه ومن كثر فساده ومعاصيه اظلم قلبه وكان ما يراه اضغاث احلام ولذلك امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطهارة عند النوم لينام طاهرا وهو اشارة الى طهارة الباطن ايضا فهو الاصل وطهارة الظاهر تتمة له وتكملة ومهما صفا الباطن انكشف في حدقة القلب ما سيكون في المستقبل كما انكشف دخول مكة لرسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم حتى نزل قوله تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق وقل ما يخلو الانسان عن منامات دلت على امور فوجدها صحيحة والرؤيا ومعرفة الغيب في النوم وهي من عجائب صنع الله تعالى وبدائع فطرة الآدمي وهو من اوضح الادلة على عالم الملكوت والخلق غافلون عنه لغفلتهم عن سائر عجائب القلوب والعالم والقول في حقيقة الرؤيا من دقائق علوم المكاشفة فلا يمكن ذكره علاوة على علم المعاملة ولكن القدر الذي يمكن ذكره ههنا مثال يفهمك المقصود وهو ان تعلم ان القلب مثاله مثال المراة تتراءى فيها الصور وحقائق الامور وان كل ما قدره الله تعالى من ابتداء خلق العالم الى آخره مسطور ومثبت في خلق خلقه الله تعالى يعبر عنه تارة باللوح وتارة بالكتاب المبين وتارة بامام مبين كما ورد في القرآن فجميع ما جرى في العالم

وما سيجري مكتوبة فيه ومنقوشة عليه نقشاً لا يشاهد بهذه العين ولا تظنن ان ذلك اللوح من خشب او حديد وان الكتاب
من كاغد او ورق بل ينبغي ان تفهم قطعاً ان لوح الله تعالى لا يشبه لوح الخلق وكتابه لا يشبه كتاب الخلق كما ان ذاته وصفاته
لا يشبه ذات الخلق وصفاتهم بل ان كنت تطلب له مثالاً يقربه الى فهمك فاعلم ان ثبوت المقادير في اللوح المحفوظ يضاهي ثبوت
كلمات القرآن وحروفه في دماغ حافظ القرآن وقلبه فانه مسطور فيه حتى كانه حيث يقرأه ينظر اليه ولو فتشت عن دماغه جزءاً جزءاً
لم تشاهد ذلك الخط فمن هذا النمط ينبغي ان تفهم كون اللوح منقوشاً بجميع ما قدره الله تعالى وقضاه واللوح في المثال كمرآة تظهر
فيها الصور فلو وضع في مقابلة المرآة مرآة اخرى لكانت صورة تلك المرآة تتراءى في هذه الا ان يكون بينهما حجاب فالقلب مرآة تقبل
رسوم العلوم كلها موجودة فيها واشتغال القلب بشهواته ومقتضى حواسه حجاب مرسل بينه وبين مطالعة اللوح الذي هو
من عالم الملكوت كالبرق الخاطف وقد يثبت ويدوم وقد لا يدوم وهو الغالب وما دام متيقظاً فهو مشغول بما يورده الحواس
فلا يورد على القلب فاذا تخلص منه ومن الخيال وكان صافياً في جوهره ارتفع الحجاب بينه وبين اللوح المحفوظ فوقع في قلبه شيء
مما في اللوح كما يقع الصورة في مرآة اذا ارتفع الحجاب بينهما الا ان النوم مانع لسائر الحواس عن العمل وليس مانعاً للخيال عن عمله وعن
تحركه فما يقع في القلب يبتدره الخيال فيحاكيه بمثال يقاربه ويكون المتخيلات اثبت في الحفظ من غيرها فيبقى الخيال في الحفظ فاذا
انتبه لم يتذكر الا الخيال فيحتاج المعبر ان ينظر ان هذا الخيال حكاية اي معنى من المعاني فيرجع الى المعاني بالمناسبة التي بين التخيل والمعاني
وامثلة ذلك ظاهرة عند من نظر في علم التعبير ويكفيك في ذلك مثال واحد ان رجلاً قال لابن سيرين رايت كان في يدي خاتماً اختم به
افواه الرجال وفروج النساء فقال انت مؤذن تؤذن قبل الصبح في رمضان فقال صدقت فانظر ان روح الختم هو المنع ولاجله يراد
الخاتم وانما ينكشف للقلب حال الشخص من اللوح المحفوظ كما هو عليه وهو كونه مانعاً للناس من الاكل والشرب ولكن الخيال الف
المنع عند الختم بالخاتم فيمثله بالصورة الخيالية التي تتضمن روح المعنى ولا يبقى في الحفظ الا الصورة الخيالية فهذه نبذة يسيرة
من بحر علم الرؤيا الذي لا تنحصر عجائبه وكيف لا وهو اخو الموت وانما الموت هو اعجب العجائب وهذا لانه يشبهه من وجه ضعيف
اثره في كشف الغطاء عن عالم الغيب حتى صار النائم يعرف ما سيكون في المستقبل فماذا ترى في الموت الذي يخرق الحجاب ويكشف
الغطاء بالكلية حتى يرى الانسان عند انقطاع النفس من غير تاخير نفسه اما محفوفاً بالانكال والمخازي والفضائح نعوذ بالله منه
واما مكنوفاً بنعيم مقيم وملك كبير وعند هذا يقال للاشقياء وقد انكشف الغطاء لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك
فبصرك اليوم حديد ويقال لهم افسحر هذا ام انتم لا تبصرون اصلوها فاصبروا او لا تصبروا سواء عليكم انما تجزون ما كنتم تعملون
واليهم الاشارة بقوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون فاعلم العلماء واحكم الحكماء ينكشف له عقيب الموت من العجائب
والايات ما لم يخطر قط بباله ولا اختلج به ضميره فلو لم يكن للعاقل هم وغم الا الفكرة في خطر تلك الحال ان الحجاب عماذا ينقشع و
ما الذي ينكشف وراء الغطاء من شقاوة لازمة او سعادة دائمة لكان ذلك كافياً في استغراق جميع العمر والعجب من غفلتنا وهذه
العظائم بين ايدينا واعجب من ذلك فرحنا باموالنا واهلينا واسبابنا وذوينا بل اعضائنا وسمعنا وبصرنا مع انا نعلم مفارقة جميع
ذلك يقيناً ولكن اين من نفث روح القدس في روعه فيقول له ما قال لسيد النبيين عليه الصلوة والسلام احبب ما احببت
فانه مفارقه وعش ما شئت فانك ميت واعمل ما شئت فانك مجزى به فلا جرم لما كان ذلك مكشوفاً له بعين اليقين كان في الدنيا
كعابر سبيل ما وضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة ولم يخلف ديناراً ولا درهماً ولم يتخذ حبيباً ولا خليلاً نعم قال لو كنت متخذاً
خليلاً لاتخذت ابا بكر خليلاً ولكن صاحبكم خليل الرحمن فبين ان خلته لله تخلل باطن قلبه وان محبته تمكن من حبة قلبه فلم تترك فيه

فلم يترك متسعاً للخليل ولا حبيب وقد قال لامته قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فانما امته من اتبعه وما اتبعه
الا من اعرض عن الدنيا واقبل على الاخرة فانه ما دعى الا الى الله واليوم الاخر وما صرف الا عن الدنيا والحظوظ العاجلة
فبقدر ما اعرضت عن الدنيا واقبلت على الاخرة فقد سلكت السبيل الذي سلكه وبقدر ما سلكت سبيله فقد اتبعته وصرت
من امته وبقدر ما اقبلت على الدنيا عدلت عن سبيله ورغبت عن متابعته والتحقت بالذين قال الله تعالى فيهم فاما من طغى وآثر
الحيوة الدنيا فان الجحيم هي المأوى فلو خرجت من مكمن الغرور وانصفت نفسك يا رجل وكلنا ذلك الرجل لعلمت انك من حين
تصبح الى حين تمسي لا تسعى الا في الحظوظ العاجلة ولا تتحرك ولا تسكن الا لاجل الدنيا ثم تطمع في ان تكون غداً من امته واتباعه ما
ابعد ظنك وما ابرد طمعك افنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون ولنرجع الى ما كنا بصدده فقد امتد عنان الكلام الى
غير قصده ولنذكر الآن من المنامات الكاشفة لاحوال الموتى ما يعظم الانتفاع به اذ ذهبت النبوة وبقيت المبشرات وليس
الا المنامات بيان منامات تكشف عن احوال الموتى والاعمال النافعة في الاخرة فمن ذلك رؤيا رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقد قال صلى الله عليه وسلم من رآني فقد رآني فان الشيطان لا يتمثل بي وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه رايت النبي صلى الله
عليه وسلم في المنام فقلت يا رسول الله ما شاني فالتفت الي فقال الست المقبل وانت صائم قال فوالذي نفسي بيده لا اقبل امراة
وانا صائم ابداً وقال العباس كنت وداً لعمر بن الخطاب فاشتهيت ان اراه في المنام فما رايته الا عند قرب الحول فرايته يمسح
العرق عن جبينه وهو يقول هذا اوان فراغي ان كاد عرشي ليهد لولا اني لقيته رؤوفاً رحيماً وقال الحسن بن علي رضي الله عنهما ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم سنح لي الليلة في منامي فقلت يا رسول الله ما لقيت من امتك قال ادع عليهم فقلت اللهم
ابدلني بهم من هو خير لي منهم وابدلهم من هو شر لهم مني فخرج لصلوة الصبح فضربه ابن ملجم وقال بعض الشيوخ رايت رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله استغفر لي فاعرض عني فقلت يا رسول الله ان سفيان بن عيينة حدثنا عن محمد بن المنكدر
عن جابر بن عبد الله انك لم تسأل شيئاً قط فقلت لا فاقبل علي فقال غفر الله لك وروي عن العباس بن عبد المطلب قال كنت
مواخياً لابي لهب مصاحباً له فلما مات واخبر الله تعالى عنه بما اخبر حزنت عليه واهمني امره فسالت الله تعالى حولاً ان يريني اياه في
المنام قال فرايته يلتهب ناراً فسالته عن حاله فقال صرت الى النار في العذاب لا يخفف عني ولا يروح الا ليلة الاثنين
في كل الليالي والايام قلت له كيف ذلك قال ولد في تلك الليلة محمد صلى الله عليه وسلم فجاءتني اميمة فبشرتني بولادة امنة اياه
ففرحت به واعتقت وليدة فرحاً به فاثابني الله سبحانه بذلك ان رفع عني العذاب في كل ليلة الاثنين وقال عبد الواحد بن زيد
خرجت حاجاً فصحبني رجل كان لا يقوم ولا يقعد ولا يتحرك ولا يسكن الا صلى على النبي صلى الله عليه وسلم فسالته عن ذلك
قال اخبرك عن ذلك خرجت اول مرة الى مكة ومعي ابي فلما انصرفنا غفت في بعض المنازل فبينا انا نائم اذ اتاني آت فقال لي قم
فقد امات الله تعالى اباك وسود وجهه قال فقمت مذعوراً فكشفت الثوب عن وجهه فاذا هو ميت اسود الوجه فدخلني من ذلك
رعب فبينا انا في ذلك الغم اذ غلبتني عيني فنمت فاذا على راس ابي اربعة سودان معهم اعمدة من حديد اذ اقبل رجل حسن الوجه
بين ثوبين اخضرين فقال لهم تنحوا عنه فمسح وجهه بيده ثم اتاني فقال قم فقد بيض الله وجه ابيك فقلت له من انت بابي انت وامي
فقال انا محمد رسول الله قال فقمت فكشفت الثوب عن وجهه فاذا هو ابيض فما تركت الصلوة بعد ذلك على رسول الله صلى الله
عليه وسلم ⁂ وعن عمر بن عبد العزيز قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم وابا بكر وعمر رضي الله عنهما جالسان عنده
فسلمت وجلست فبينا انا جالس اذ اتي بعلي ومعاوية فادخلا بيتاً واجيف عليهما الباب وانا انظر فما كان باسرع ان خرج علي

رضي الله عنه وهو يقول غفر لي ورب الكعبة وما كان باسرع ان خرج معوية على اثره وهو يقول غفر لي ورب الكعبة
واستيقظ ابن عباس من نومه مرة فاسترجع وقال قتل حسين والله وكان ذلك قبل قتله فانكره اصحابه فقال رايت رسول الله
صلى الله عليه وسلم ومعه زجاجة فيها دم فقال الا تعلم ما صنعت امتي بعدي على اهل بيتي قتلوا ابني الحسين وهذا دمه ودماء
اصحابه ارفعها الى الله تعالى فجاء الخبر بعد اربع وعشرين يوما انه قتل في اليوم الذي رآه ورُئي الصديق رضي الله عنه بعد
موته فقيل انك لانت تقول ابدا في لسانك هذا اوردني الموارد فما فعل الله بك قال قلت به لا اله الا الله فاوردني الجنة

بيان منامات المشايخ رضي الله تعالى عنهم قال بعض المشايخ رايت عتبة الدورقي في المنام فقلت يا سيدي ما فعل
الله بك قال ديرني في الجنان فقيل يا عتبة هل استحسنت فيها شيئا قلت لا يا سيدي فقال لو استحسنت منها شيئا لوكلناك
اليها ولم اوصلك الي ورُئي يوسف بن الحسين في المنام فقيل له ما فعل الله بك قال غفر لي قيل بماذا قال بما خلطت جدا
بهزل قط عن منصور بن اسمعيل قال رايت عبد الله البزار في النوم فقلت ما فعل الله بك قال اوقفني بين يديه فغفر لي كل ذنب
اقررت به الا ذنبا واحدا فاني استحييت ان اقر به فغرقني في العرق حتى سقط لحم وجهي فقلت ما كان ذلك الذنب قال نظرت
الى غلام جميل فاستحسنته فاستحييت من الله ان اذكره قال ابو جعفر الصيدلاني رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام وحوله
جماعة من الفقراء فبينا نحن كذلك اذا انشقت السماء ونزل ملكان احدهما بيده طست وبيد الاخر ابريق فوضع الطست بين
يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فغسل يديه ثم امر بين يدي القوم حتى غسلوا ثم وضع الطست بين يدي فقال احدهما للآخر
لا تصب على يديه فانه ليس منهم فقلت يا رسول الله اني احبك واحب هؤلاء الفقراء وقد روي عنك انك قلت المرء مع من احب
قال بلى وقال صب على يديه فانه منهم قال الجنيد رايت في النوم كاني اتكلم على الناس فوقف علي ملك فقال اقرب ما تقرب
به المتقربون الى الله تعالى ماذا فقلت عمل خفي بميزان وفي فولى الملك وهو يقول كلام موفق والله ه ورُئي مجمع في النوم
فقيل له كيف رايت الامر قال رايت الزاهدين في الدنيا ذهبوا بخير الدنيا والاخرة وقال رجل من اهل الشام للعلاء بن زياد
رايتك في النوم كانك في الجنة فنزل عن مجلس واقبل عليه ثم قال لعل الشيطان اراد امرا فعصمت منه فاشخص رجلا ليقتلني
وقال محمد بن واسع الرؤيا تسر المؤمن ولا تغره وقال صالح بن بشير رايت عطاء السلمي في النوم فقلت له رحمك الله لقد
كنت طويل الحزن في الدنيا فقال اما والله لقد اعقبني ذلك راحة طويلة وفرحا دائما فقال في اي الدرجات انت فقال
مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين الآية وسئل زرارة بن اوفى في المنام اي الاعمال افضل عندكم فقال الرضا
وقصر الامل وقال يزيد بن مذعور رايت الاوزاعي في المنام فقلت يا ابا عمرو دلني على عمل اتقرب به الى الله عز وجل قال
ما رايت هناك درجة ارفع من درجة العلماء ثم درجة المحزونين وكان يزيد شيخا كبيرا فلم يزل يبكي حتى اظلمت عيناه وقال ابن عيينة
رايت اخي في المنام فقلت يا اخي ما فعل الله بك فقال كل ذنب استغفرت منه غفر لي وما لم استغفر منه لم يغفر لي وقال علي الطلحي
رايت في المنام امراة لا تشبه نساء الدنيا فقلت من انت فقالت حوراء قلت زوجيني نفسك قالت اخطبني الى سيدي و
امهرني قلت وما مهرك قالت حبس نفسك عن آفاتها قال ابرهيم بن اسحق الحربي رايت زبيدة في المنام فقلت ما فعل الله
بك قالت غفر لي فقلت لها بما انفقت في طريق مكة قالت اما النفقات التي انفقتها فرجعت اجورها الى اربابها وغفر لي
بنيتي ه ولما مات سفين الثوري رآوه في المنام وقيل له ما فعل الله بك قال وضعت اول قدمي على الصراط والثاني في
الجنة ه وقال احمد بن الحواري رايت فيما يرى النائم جارية ما رايت احسن منها وكانت يتلالا وجهها نورا فقلت لها

لها بماذا اضاء وجهك قالت تذكر تلك الليلة بكيت فيها قلت نعم قالت اخذت دمعك فمسحت بها وجهي فمن ثم ضوء وجهي
كما ترى ه وقال الكتاني رايت الجنيد في النوم فقلت ما فعل الله بك قال طاحت الاشارات وذهبت العبارات
وما حصلنا الا ركيعات نصليها في الليل ورايت زبيدة في المنام فقلت لها ما فعل الله بك قالت غفر لي بهذه الكلمات
الاربع لا اله الا الله افني بها عمري لا اله الا الله ادخل بها قبري لا اله الا الله اخلو بها وحدي لا اله الا الله القى بها
ربي عز وجل ه ورُئي بشر في المنام فقيل له ما فعل الله بك قال رحمني ربي عز وجل قال يا بشر اما استحييت مني كنت تخافني
كل ذلك الخوف ه ورُوي ابو سليمان في النوم فقيل له ما فعل الله بك قال رحمني وما كان شيء اضر علي من اشارات القوم
الي وقال ابو بكر الكتاني رايت في النوم شابا لم ار احسن منه فقلت من انت قال التقوى قلت فاين تسكن قال في كل
قلب حزين ثم التفت فاذا امراة سوداء كاوحش ما يكون قلت من انت قال انا السقم قلت فاين تسكنين قال في كل قلب فرح
مرح قال فانتبهت واعتقدت ان لا اضحك الا غلبة وقال ابن سعيد الخراز رايت في المنام كان ابليس وثب علي فاخذت
العصا لاضربه فلم يفزع منها فهتف بي هاتف ان هذا لا يخاف من هذه وانما يخاف من نور يكون في القلب ه وقال المسوحي
رايت ابليس لعنه الله في النوم فقلت له الا تستحيي من الناس فقال ايا لله هؤلاء ناس لو كانوا من الناس ما كنت العب
بهم طرفي النهار كما تلاعب الصبيان بالكرة بل الناس قوم غير هؤلاء اسقموا جسمي واشار بيده الى اصحابنا الصوفية ه وقال
ابو سعيد الخراز كنت في دمشق فرايت في المنام كان النبي صلى الله عليه وسلم جاءني متكئا على ابي بكر وعمر رضي الله عنهما
فجاء فوقف علي وانا اقول شيئا من الاصوات وادق في صدري فقال شر هذا اكثر من خيره وعن ابن عيينة قال رايت سفين
الثوري في النوم كانه في الجنة يطير من شجرة الى شجرة يقول لمثل هذا فليعمل العاملون قلت له اوصني قال اقلل من معرفة
الناس ه وروى ابو حاتم الرازي عن قبيصة بن عقبة قال رايت سفين الثوري في النوم فقلت ما فعل الله تعالى بك قال
نظرت الى ربي كفاحا فقال لي هنيئا رضاي عنك يا ابن سعيد فقد كنت قواما اذا اظلم الدجى بعبرة مشتاق وقلب عميد
فدونك فاختر اي قصر اردته وزرني فاني منك غير بعيد ه ورأى شبلي بعد موته بثلثة ايام فقيل له ما فعل الله بك
قال ناقشني حتى ايست فلما راى ياسي تغمدني برحمته ه ورأى مجنون بني عامر في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال
غفر لي وجعلني حجة على المحبين ه ورأى الثوري في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال رحمني فقيل له ما حال عبد الله بن
المبارك فقال هو ممن يلج على ربه في كل يوم مرتين ه ورأى بعضهم فسئل عن حاله فقال حاسبونا فدققوا ثم منوا فاعتقوا
ورأى مالك بن انس فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي بكلمة كان يقولها عثمن بن عفان رضي الله عنه عند رؤية الجنازة
سبحان الحي الذي لا يموت ه ورأى في الليلة التي مات فيها الحسن البصري كان ابواب السماء مفتحة وكان مناديا ينادي
الا ان الحسن البصري قدم على الله وهو عنه راض ورأى الجاحظ فقيل له ما فعل الله بك فقال ولا تكتب بخطك غير شيء
يسرك في القيامة ان تراه ه ورأى الجنيد ابليس في المنام عريانا فقال الا تستحيي من الناس فقال لهؤلاء ناس الناس اقوام
في مسجد الشونيزية قد اضنوا جسدي واحرقوا كبدي قال الجنيد فلما انتبهت غدوت الى المسجد فرايت جماعة قد وضعوا
رؤسهم على ركبهم يتفكرون فلما راوني قالوا لا يغرنك حديث الخبيث ورأى النصراباذي بمكة بعد وفاته في النوم
فقيل له ما فعل الله بك قال عوتبت عتاب الاشراف ثم نوديت يا ابا القاسم ابعد الاتصال الانفصال فقلت يا ذا الجلال
ما وضعت في اللحد حتى لحقت بالاحد ه ورأى عتبة حوراء في المنام على صورة حسنة فقالت يا عتبة انا لك عاشقة فانظر

لا تقل من الاعمال شيئا يحال بيني وبينك قال عتبة طلقت الدنيا ثلاثا لا رجعة لي عليها حتى القاك وقيل راى ايوب
السختياني جنازة عاص فدخل الدهليز لئلا يحتاج الى الصلوة فراى بعضهم الميت في المنام فقيل له ما فعل الله بك
فقال غفر لي وقال قل لايوب قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي اذا لامسكتم خشية الانفاق وقال بعضهم رايت الليلة
التي مات فيها داود الطائي نورا وملائكة نزولا وملائكة صعودا فقلت اي ليلة هذه فقالوا ليلة مات فيها داود الطائي
وقد زخرفت الجنة لقدوم روحه وقال ابو سعيد الشحام رايت سهل الصعلوكي في المنام فقلت ايها الشيخ فقال دع التشيخ قلت
وتلك الاحوال التي شاهدتها فقال لم تغن عنا فقلت ما فعل الله بك قال غفر لي باعمال كانت تسال عنها العجز وقال
ابو بكر الرشيدي رايت محمد الطوسي المعلم في النوم فقال لي قل لابي سعيد الصفار المعلم وكنا على ان لا نحول عن الهوى
فقد وحياة الحب حلتم وما حلنا قال فانتبهت فذكرت ذلك له فقال كنت ازور قبره كل جمعة فلم ازره هذه الجمعة وقال
ابن ابي راشد رايت ابن المبارك في النوم بعد موته فقلت له اليس قد مت قال بلى قلت فما صنع بك ربك عز وجل قال غفر لي
مغفرة احاطت بكل ذنب قلت فسفيان الثوري قال بخ بخ ذلك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين و
الشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا وقال الربيع بن سليمان رايت الشافعي بعد وفاته في المنام فقلت يا ابا عبد الله
ما صنع الله بك قال اجلسني على كرسي من ذهب ونثر علي اللؤلؤ الرطب وراى رجل من اصحاب الحسن البصري ليلة مات الحسن
كان مناديا ينادي ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابرهيم وآل عمران على العالمين واصطفى الحسن بن ابي الحسن على اهل زمانه
وقال ابو يعقوب القاري الدقيقي رايت في المنام رجلا آدم طوالا والناس يتبعونه قلت من هذا قال اويس القرني فاتبعته
فقلت اوصني رحمك الله تعالى فكلح في وجهي فقلت مسترشد فارشدني ارشدك الله فاقبل علي وقال ابتغ رحمة ربك
عند محبته واحذر نقمته عند معصيته ولا تقطع رجاءك منه في خلال ذلك ثم ولى وتركني وقال ابو بكر بن ابي مريم رايت
ورقاء بن بشر الحضرمي فقلت ما فعلت يا ورقاء قال نجوت بعد كل جهد فقلت اي الاعمال وجدتموها افضل قال البكاء من
خشية الله وقال يزيد بن نعامة هلكت جارية في طاعون الجارف فلقيها ابوها في المنام فقال لها يا بنية اخبريني عن الاخرة
قالت يا ابه قدمنا على امر عظيم نعلم ولا نعمل وتعملون ولا تعلمون والله لتسبيحة او تسبيحتان وركعة او ركعتان في فسحة عملي
احب الي من الدنيا وما فيها وقال بعض اصحاب عتبة الغلام رايت عتبة في المنام فقلت ما صنع الله بك قال دخلت الجنة
بتلك الدعوة المكتوبة في بيتك فلما اصبحت جئت الى بيتي فاذا خط عتبة في حائط البيت مكتوبا يا هادي المضلين ويا راحم
المذنبين ويا مقيل عثرات العاثرين ارحم عبدك ذا الخطر العظيم والمسلمين كلهم اجمعين واجعلنا مع الاحياء المرزوقين الذين
انعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين آمين رب العالمين وقال موسى بن حماد رايت سفيان الثوري في
الجنة يطير من نخلة الى نخلة ومن شجرة الى شجرة فقلت يا ابا عبد الله بم نلت هذا فقال بالورع قلت فما بال علي بن عاصم
قال ذلك لا يكاد يرى الا كما يرى الكوكب وراى رجل من التابعين النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال يا رسول الله عظني
قال نعم من لم يتفقد النقصان فهو في النقصان ومن كان في نقصان فالموت خير له وقال الشافعي دهمني في هذه الايام امر امضني
والمني ولم يطلع عليه غير الله عز وجل فلما كان البارحة اتاني آت في منامي فقال يا محمد بن ادريس قل اللهم لا املك لنفسي ضرا
ولا نفعا ولا موتا ولا حيوة ولا نشورا ولا استطيع ان آخذ الا ما اعطيتني ولا اتقي الا ما وقيتني اللهم فوفقني لما تحب
وترضى من القول والعمل في عافية فلما اصبحت اعدت ذلك فلما ترحل النهار اعطاني الله عز وجل طلبتي وسهل لي الخلاص

الخلاص مما كنت فيه فعليكم بهذه الدعوات لا تغفلوا عنها فهذه جملة من المكاشفات تدل على احوال الموتى وعلى الاعمال
المقربة الى الله زلفى فلنذكر بعد هذا ما بين يدي الموتى من ابتداء نفخة الصور الى آخر القرار اما في الجنة او في النار ه

الشطر الثاني من الكتاب في احوال الميت من وقت نفخة

الصور الى آخر الاستقرار في الجنة او النار وتفصيل ما بين يديه من الاهوال والاخطار وفيه بيان نفخة الصور وصفة
ارض المحشر واهله وصفة عرق اهل المحشر وصفة طول يوم القيمة وصفة يوم القيامة ودواهيها واساميها وصفة المسالة
عن الذنوب وصفة الميزان وصفة الخصماء ورد المظالم وصفة الصراط وصفة الشفاعة وصفة الحوض وصفة جهنم
واهوالها وانكالها وحياتها وعقاربها وصفة الجنة واصناف نعيمها وعدد الجنان وابوابها وغرفها وحيطانها وانهارها
واشجارها ولباس اهلها وفرشهم وسررهم وصفة طعامهم وشرابهم وصفة حور العين والولدان وصفة النظر الى وجه الله
تعالى وباب في سعة رحمة الله سبحانه وبه يختم الكتاب **صفة نفخ الصور** قد عرفت فيما سبق من شدة احوال الميت
في سكرات الموت وخطره وخوف العاقبة ثم مقاساته لظلمة القبر وخطره ان كان مغضوبا عليه واعظم من ذلك كله الاخطار
التي بين يديه من نفخ الصور والبعث يوم النشور والعرض على الجبار والسؤال عن النقير والقطمير والقليل والكثير ونصب الميزان
لمعرفة المقادير ثم مجاوزة الصراط مع دقته وحدته ثم انتظار النداء عند فصل القضاء اما بالاسعاد واما بالاشقاء فهذه
احوال واهوال لا بد لك من معرفتها ثم الايمان بها على سبيل الجزم والتصديق ثم تطويل الفكر فيها لينبعث من قلبك دواعي
الاستعداد لها واكثر الناس لم يدخل الايمان باليوم الآخر صميم قلوبهم ولم يتمكن من سويداء فؤادهم ويدل عليه شدة تشمرهم
واستعدادهم لحر الصيف وبرد الشتاء وتهاونهم بحر جهنم وزمهريرها مع ما يكتنفه من المصاعب والاهوال بل اذا سئلوا
عن اليوم الآخر نطقت به السنتهم ثم غفلت عنها قلوبهم ومن اخبر بان ما بين يديه من الطعام مسموم فقال لصاحبه صدقت
ومد اليد لتناوله كان مصدقا بلسانه ومكذبا بعمله وتكذيب العمل ابلغ من تكذيب اللسان وقد قال النبي صلى الله عليه
وسلم قال الله تعالى شتمني ابن آدم وما ينبغي له ان يشتمني وكذبني وما ينبغي له ان يكذبني اما شتمه اياي فيقول ان
لي ولدا واما تكذيبه فقوله لن يعيدني كما بداني وانما قصرت البواطن عن قوة اليقين والتصديق بالبعث والنشور لقلة الفهم
في هذا العالم لامثال تلك الامور ولو لم يشاهد الانسان توالد الحيوانات وقيل له ان صانعا يصنع من النطفة القذرة
مثل هذا الآدمي المصور العاقل المتكلم المتصرف لاشتد نفور باطنه عن التصديق به ولذلك قال الله تعالى او لم ير الانسان
انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين وقال ايحسب الانسان ان يترك سدى الم يك نطفة من مني يمنى فتفكر في خلق الآدمي وكثرة
عجائبه واختلاف تركيب اعضائه اعجب من بعثه واعادته فكيف ينكر ذلك من قدرة الله وحكمته من يشاهد
ذلك في صنعته وقدرته فان كان في ايمانك ضعف فقو الايمان بالنظر في النشاة الاولى فان الثانية مثلها واسهل
منها وان كنت قوي الايمان فاشعر قلبك تلك المخاوف والاخطار واكثر فيها التفكر والاعتبار ليسلب عن قلبك الراحة
والقرار فتشتغل بالتشمر للعرض على الجبار وتفكر اولا فيما يقرع سمع سكان القبور عن رؤوس الموتى فيثورون دفعة واحدة
فترى نفسك وقد وثبت متغيرا وجهك مغبرا بدنك من قرنك الى قدمك في تراب قبرك مبهوتا من شدة الصعقة
شاخص العين نحو النداء وقد ثار الخلق ثورة واحدة من القبور التي طال فيها بلاؤهم وقد ازعجهم الفزع والرعب مضافا
الى ما كان عليهم من الغموم والهموم وشدة الانتظار لعاقبة الامر كما قال الله تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات

ومن في الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون وقال فاذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير
ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ما ينظرون الا صيحة واحدة تاخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية
ولا الى اهلهم يرجعون ونفخ في الصور فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا
ما وعد الرحمن وصدق المرسلون فلو لم يكن بين يدي الموتى الا هول تلك النفخة لكان جديرا بان يتقى فانها نفخة وصيحة
يصعق بها من في السموات والارض اي يموتون بها الا من شاء الله وهو بعض الملائكة ولذلك قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم كيف انعم وصاحب الصور قد التقم القرن كعرض السموات والارض وهو شاخص بصره نحو العرش فينتظر متى يؤمر فينفخ
النفخة الاولى فاذا نفخ صعق من في السموات والارض اي مات كل حيوان من شدة الفزع الا من شاء الله وهو جبرئيل وميكائيل
واسرافيل وعزرائيل ثم يامر الله تعالى ملك الموت ان يقبض روح جبرئيل ثم روح ميكائيل ثم روح اسرافيل ثم يامر ملك
الموت فيموت ثم يلبث الخلق بعد النفخة الاولى اربعين سنة ثم يحيي الله اسرافيل فيامره ان ينفخ الثانية فذلك قوله تعالى
ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون الى البعث وقال صلى الله عليه وسلم حين نعت صاحب الصور فاهوى بيده الى فيه
وقدم رجلا واخر اخرى ينتظر متى يؤمر بالنفخ الا فاتقوا النفخة وتفكروا في الخلائق وذلهم وانكسارهم واستكانتهم عند
الانبعاث خوفا من هذه الصعقة وانتظارا لما يقضى عليهم من سعادة او شقاوة وانت فيما بينهم منكسر كانكسارهم متحير
كتحيرهم بل ان كنت في الدنيا من المترفهين والاغنياء المتنعمين فملوك الارض في ذلك اليوم اذل اهل الجمع واصغرهم واحقرهم
يوطاون بالاقدام مثل الذر وعند ذلك تقبل الوحوش من البراري والجبال منكسة رؤسها مختلطة بالخلائق بعد توحشها
ذليلة ليوم النشور من غير خطيئة تدنست بها ولكن حشرتهم شدة الصعقة وهول النفخة وشغلهم عن الهرب من الخلق والتوحش
منهم وذلك قوله تعالى واذا الوحوش حشرت ثم اقبلت الشياطين المردة بعد تمردها وعتوها واذعنت خاشعة من هيبة
العرض على الله تعالى تصديقا لقوله تعالى فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا فتفكر في حالك
وحال قلبك هنالك ٥ صفة ارض المحشر واهله ثم انظر كيف يساقون بعد البعث والنشور وهم حفاة عراة
الى ارض المحشر ارض بيضاء قاع صفصف لا ترى فيها عوجا ولا امتا ولا ترى عليها ربوة يختفي الانسان وراها ولا
وهدة ينخفض عن الاعين فيها بل هو صعيد واحد بسيط لا تفاوت فيه يساقون اليه زمرا فسبحان من جمع الخلائق على اختلا
اصنافهم من اقطار الارض اذ ساقهم بالراجفة تتبعها الرادفة والراجفة هي النفخة الاولى والرادفة هي الثانية وحقيق
لتلك القلوب ان تكون يومئذ واجفة ولتلك الابصار ان تكون خاشعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يحشر الناس يوم القيمة على ارض بيضاء عفراء كقرص النقي ليس فيها معلم لاحد قال الراوي والعفرة بياض ليس بالناصع
والنقي هو النقي عن القشر والنخالة لا معلم اي لا بناء يستر ولا تفاوت يرد البصر ولا تظنن ان تلك الارض مثل ارض
الدنيا بل لا تساويها الا في الاسم قال الله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات قال ابن عباس يزاد فيها وينقص
ويذهب اشجارها وجبالها واوديتها وما فيها ويمد مد الاديم العكاظي ارض بيضاء مثل الفضة لم يسفك عليها دم ولم
يعمل عليها خطيئة والسموات تذهب شمسها وقمرها ونجومها فانظر يا مسكين في هول اليوم وشدته فانه اذا اجتمع الخلائق
على هذا الصعيد تناثرت من فوقهم نجوم السماء وطمست الشمس والقمر واظلمت الارض لخمود سراجها فبينما انت كذلك
اذ دارت السماء من فوق رؤسهم وانشقت مع غلظها وشدتها خمسمائة عام والملائكة قيام على حافاتها وارجائها فيا هول

فيا هول صولة انشقاقها في سمعك ويا هيبة ليوم تنشق فيها السماء مع صلابتها وشدتها ثم تنهار وتسيل كالفضة
المذابة يخالطها صفرة فصارت وردة كالدهان وصارت السماء كالمهل وصارت الجبال كالعهن واشتبك الناس كالفراش
المبثوث وهم عراة حفاة مشاة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث الناس يوم القيمة حفاة عراة غرلا قد الجمهم العرق
وبلغ شحوم الاذان قالت سودة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم راوية الحديث قلت يا رسول الله واسوأتاه ينظر بعضنا الى
بعض قال شغل الناس عن ذلك لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه فاعظم بيوم تنكشف فيه العورات ويؤمن مع ذلك من النظر
والالتفات كيف وبعضهم يمشون على بطونهم ووجوههم فلا قدرة لهم على الالتفات الى غيرهم قال ابو هريرة قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيمة على ثلاثة اصناف ركبانا ومشاة وعلى وجوههم فقال رجل يا رسول الله وكيف يمشون على وجوههم
قال الذي امشاهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم وفي طبع الآدمي انكار كل ما لم يانس به ولو لم يشاهد الانسان الحية
وهي تمشي على بطنها كالبرق الخاطف لانكر تصور المشي من غير رجل والمشي بالرجل ايضا مستبعد عند من لم يشاهد ذلك فاياك
ان تنكر شيئا من عجائب يوم القيمة لمخالفتها قياس الدنيا فانك لو لم تكن قد شاهدت عجائب الدنيا ثم عرضت عليك قبل المشاهدة
لكنت اشد انكارا لها فاحضر في قلبك صورتك وانت واقف عاريا مكشوفا ذليلا مدحورا متحيرا مبهوتا منتظرا لما يجري عليك
من القضاء بالسعادة او بالشقاوة واعظم بهذه الحالة فانها عظيمة صفة العرق ثم تفكر في ازدحام الخلائق و
اجتماعهم حتى ازدحم على الموقف اهل السموات السبع والارضين السبع من ملك وجن وانس وشيطان ووحش وسبع وطير فاشرقت
عليهم الشمس وقد تضاعف حرها وتبدلت عما كانت عليه من خفة امرها ثم ادنيت من رؤس العالمين قاب قوسين فلم يبق على الارض
ظل الا ظل عرش رب العالمين ولم يمكن من الاستظلال به الا المقربون فمن بين مستظل بالعرش وبين مضح بحر الشمس قد صهره بحرها
واشتد كربه وغمه من وهجها ثم تدافعت الخلائق ودفع بعضا بعضا لشدة الزحام واختلاف الاقدام وانضاف اليه شدة الخجلة و
الحياء من الافتضاح والاخزاء عند العرض على جبار السموات فاجتمع عليهم وهج الشمس وحر الانفاس واحتراق القلوب بنار الحياء
والخوف ففاض العرق من اصل كل شعرة حتى سال على صعيد القيمة ثم ارتفع الى ابدانهم على قدر منازلهم عند الله فبعضهم بلغ العرق
ركبته وبعضهم الى حقويه وبعضهم الى شحمة اذنيه وبعضهم كاد يغيب فيه قال ابن عمر رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يوم يقوم الناس لرب العالمين حتى يغيب احدهم في رشحه الى انصاف اذنيه وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يعرق الناس يوم القيمة حتى يذهب عرقهم في الارض سبعين باعا ويلجمهم ويبلغ اذانهم كذا رواه البخاري ومسلم في الصحيح وفي حديث
اخر قياما شاخصة ابصارهم الى السماء فيلجمهم العرق من شدة الكرب وقال عقبة بن عامر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
تدنو الشمس من الارض يوم القيمة فيعرق الناس فمن الناس من يبلغ عرقه عقبه ومنهم من يبلغ نصف ساقه ومنهم من يبلغ ركبته ومنهم
من يبلغ فخذه ومنهم من يبلغ خاصرته ومنهم من يبلغ فاه واشار بيده فالجمها فاه ومنهم من يغطيه عرقه وضرب بيده على راسه
هكذا فتامل يا مسكين في عرق اهل المحشر وشدة كربهم وان فيهم من ينادي ويقول يا رب ارحني من هذا الكرب والانتظار ولو الى النار
ولم يلقوا بعد حسابا ولا عقابا فانك واحد منهم ولا تدري الى اين يبلغ منك العرق واعلم ان كل عرق لم يخرجه التعب في سبيل الله
من حج وجهاد وصيام وقيام وتردد في قضاء حاجة مسلم وتحمل مشقة في امر بمعروف ونهي عن منكر فسيخرجه الحياء والخوف في
صعيد القيمة ويطول فيه الكرب ولو سلم ابن آدم من الجهل والغرور لعلم ان تعب العرق في تحمل مصاعب الطاعات اهون امرا واقصر
زمانا من عرق الكرب والانتظار في القيمة فانه يوم عظيم صفة طول يوم القيمة يقف فيه الخلائق شاخصة ابصارهم منفطرة

قلوبهم لا يتكلمون ولا ينظرون في امورهم يقفون ثلثمائة عام لا ياكلون فيه اكلة ولا يشربون فيه شربة ولا يلفح وجوههم روح نسيم قال كعب وقتادة يوم يقوم الناس لرب العالمين قال يقومون مقدار ثلثمائة عام بل قال عبد الله بن عمرو تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية ثم قال كيف بكم اذا جمعكم الله كما يجمع النبل في الكنانة خمسين الف سنة لا ينظر اليكم وقال الحسن ما ظنكم بقوم قاموا على اقدامهم مقدار خمسين الف سنة لم ياكلوا فيها ولم يشربوا اكلة وشربة حتى اذا انقطعت اعناقهم عطشا واحترقت اجوافهم جوعا انصرف بهم الى النار فسقوا من عين آنية قد آن حرها واشتد لفحها فلما بلغ المجهود منهم ما لا طاقة لهم به كلم بعضهم بعضا في طلب من يكرم على مولاه ليشفع في حقهم فلم يتعلقوا بنبي الا دفعهم وقال دعوني نفسي نفسي شغلني امري عن امر غيري واعتذر كل واحد منهم لشدة غضب الله وقال لقد غضب ربنا اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله حتى يشفع نبينا صلى الله عليه وسلم لمن يؤذن له فيه لا يملكون الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له قولا فتامل في طول هذا اليوم وشدة الانتظار فيه حتى يخف عليك انتظار الصبر عن المعاصي في عمرك المختصر واعلم ان من طال انتظاره في الدنيا للموت لشدة مقاساته للصبر عن الشهوات فانه يقصر انتظاره في ذلك اليوم خاصة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سئل عن طول ذلك اليوم خاصة فقال والذي نفسي بيده انه ليخفف على المؤمن حتى يكون اهون عليه من الصلوة المكتوبة يصليها في الدنيا فاجتهد ان تكون من اولئك المؤمنين فما دام يبقى لك نفس من عمرك فالامر اليك والاستعداد بيدك فاعمل في ايام قصار لايام طوال تربح ربحا لا منتهى لسروره واستحقر عمرك بل عمر الدنيا وهي سبعة آلاف سنة فانك لو صبرت سبعة آلاف سنة مثلا لتتخلص من يوم مقداره خمسون الف سنة لكان ربحك كثيرا وتعبك يسيرا

صفة يوم القيمة ودواهيها واساميها

فاستعد يا مسكين لهذا اليوم العظيم شانه المديد زمانه القاهر سلطانه القريب اوانه يوم السماء فيه انفطرت والكواكب من هوله انتثرت والنجوم الزواهر انكدرت والشمس فيه كورت والجبال سيرت والعشار عطلت والوحوش حشرت والبحار سجرت والنفوس الى الابدان زوجت والجحيم سعرت والجنة ازلفت والجبال فيه نسفت والارض فيه مدت يوم زلزلت فيه الارض زلزالها واخرجت اثقالها يوم يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم يوم حملت فيه الارض والجبال فدكتا دكة واحدة يوم وقعت فيه كل واقعة وانشقت فيه السماء فهي يومئذ واهية والملك على ارجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية يوم تسير الجبال وترى الارض بارزة يوم رجت فيه الارض رجا وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا يوم يكون الناس كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش يوم تذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار يوم تنسف فيه الجبال نسفا فتترك قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا يوم ترى الجبال جامدة وهي تمر مر السحاب يوم انشقت فيه السماء فكانت وردة كالدهان فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان يوم يمنع العاصي فيه من الكلام ولا يسئل فيه عن الاجرام بل يؤخذ بالنواصي والاقدام يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا يوم تعلم فيه كل نفس ما احضرت وتشهد ما قدمت واخرت يوم تخرس فيه الالسن وتنطق فيه الجوارح يوم شيب ذكره سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم اذ قال له الصديق اراك قد شبت فقال شيبتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون واذا الشمس كورت فيا ايها القارئ العاجز حظك من قراءتك ان تمجمج القرآن وتحرك به اللسان ولو كنت متفكرا فيما تقرأه لكنت جديرا بان تشيب مما شاب فيه سيد البشر واذا قنعت بحركة اللسان فقد حرمت ثمرة القرآن فالقيامة احد ما ذكر فيها وقد وصف الله تعالى بعض دواهيها واكثر اساميها

لتقف بكثرة اساميها على كثرة معانيها فليس المقصود بتكرير الاسامي والالقاب بل الغرض تنبيه اولي الالباب فتحت كل اسم من اسماء القيامة سر وتحت كل نعت من نعوتها معنى فاحرص على ذكر معانيها ونحن الآن نجمع لك اساميها وهي يوم القيمة ويوم الحسرة ويوم الندامة ويوم المحاسبة ويوم المسائلة ويوم المسابقة ويوم المنافسة ويوم المناقشة ويوم الزلزلة ويوم الدمدمة ويوم الصاعقة ويوم الواقعة ويوم القارعة ويوم الراجفة ويوم الرادفة ويوم الغاشية ويوم الداهية ويوم الآزفة ويوم الحاقة ويوم الطامة ويوم الصاخة ويوم التلاق ويوم الفراق ويوم المساق ويوم القصاص ويوم التناد ويوم الحساب ويوم المآب ويوم العذاب ويوم الفرار ويوم القرار ويوم اللقاء ويوم البقاء ويوم الجزاء ويوم البكاء ويوم الحشر ويوم النشر ويوم الوعد ويوم الوعيد ويوم العرض ويوم الوزن ويوم الحق ويوم الحكم ويوم القضاء ويوم الفناء ويوم الفصل ويوم الجمع ويوم البعث ويوم الدين ويوم اليقين ويوم النشور ويوم المصير ويوم النفخة ويوم الصيحة ويوم الرجفة ويوم الزجرة ويوم الرجة ويوم السكرة ويوم الفزع ويوم الجزع ويوم المنتهى ويوم المأوى ويوم الميقات ويوم الميعاد ويوم المرصاد ويوم القلق ويوم العرق ويوم الافتقار ويوم الانكدار ويوم الانتشار ويوم الانشقاق ويوم الوقوف ويوم الخروج ويوم الخلود ويوم التغابن ويوم عبوس ويوم معلوم ويوم موعود ويوم مشهود ويوم الطلبة ويوم الهيبة ويوم لا ريب فيه ويوم تبلى السرائر ويوم لا تجزي نفس عن نفس شيئا ويوم تشخص فيه الابصار ويوم لا يغني مولى عن مولى شيئا ويوم لا تملك نفس لنفس شيئا ويوم يدعون الى نار جهنم دعا ويوم يسحبون في النار على وجوههم ويوم تقلب وجوههم في النار ويوم لا يجزي والد عن ولده ويوم يفر المرء من اخيه ويوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون ويوم لا مرد له من الله ويوم هم بارزون ويوم هم على النار يفتنون ويوم لا ينفع مال ولا بنون ويوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار ويوم ردت فيه المعاذير وبليت السرائر وظهرت الضمائر وكشفت الاستار وخشعت الابصار وسكنت الاصوات وقل الالتفات وبرزت الخفيات وظهرت الخطيئات وسيق العباد ومعهم الاشهاد وشاب الصغير وسكر الكبير ووضعت الموازين ونشرت الدواوين وبرزت الجحيم واغلي الحميم وزفرت النار ويئس الكفار وسعرت النيران وتغير الالوان وخرس اللسان ونطق جوارح الانسان فيا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم حيث اغلقت الابواب وارخيت الستور واستترت عن الخلائق وقارفت الفجور فماذا تفعل وقد شهدت عليك جوارحك فالويل كل الويل لنا معاشر الغافلين يرسل الله لنا سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين وينزل عليه الكتاب المبين ويخبرنا بهذه الصفات من نعوت يوم الدين ثم يعرفنا غفلتنا ويقول اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم ثم يعرفنا قرب القيامة فيقول اقتربت الساعة وانشق القمر انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا ثم يكون احسن احوالنا ان نتخذ دراسة هذا القرآن عملا فلا نتدبر معانيه ولا ننظر في كثرة اوصاف هذا اليوم واساميه ولا نستعد للفرار من دواهيه فنعوذ بالله من هذه الغفلة ان لم يتداركنا الله بواسع المغفرة والرحمة ه ه ه

صفة المسائلة

ثم تفكر يا مسكين بعد هذه الاحوال فيما يتوجه عليك من السؤال شفاها من غير ترجمان فتسئل عن القليل والكثير والنقير والقطمير فبينا انت في كرب القيامة وعرقها وشدة عظائمها اذ نزلت ملائكة من ارجاء السماء

باجسام عظام واشخاص ضخام غلاظ شداد اخذوا بنواصي المجرمين الى موقف العرض على الجبار قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان لله تعالى ملكا ما بين شفري عينيه مسيرة مائة عام فما ظنك بنفسك اذا شاهدت مثل هؤلاء الملائكة ارسلوا
اليك لياخذوك الى مقام العرض وتراهم على عظم اشخاصهم منكسرين لشدة اليوم مستشعرين مما بدا من غضب الجبار على عباده
وعند نزولهم لا يبقى نبي ولا صديق ولا صالح الا ويخرون لاذقانهم خوفا من ان يكونوا هم الماخوذين فهذا حال المقربين فما
ظنك بالعصاة المجرمين وعند ذلك يبادر اقوام من شدة الفزع فيقولون للملائكة افيكم ربنا وذلك لعظم موكبهم وشدة هيبتهم
فتفزع الملائكة من سؤالهم اجلالا لخالقهم عن ان يكون فيهم فينادوا باصواتهم منزهين لمليكهم عما توهمه اهل الارض وقالوا
سبحان ربنا ما هو فينا ولكنه آت من بعد وعند ذلك تقوم الملائكة صفا محدقين بالخلائق من الجوانب وعلى جميعهم شعار الذل و
الخضوع وهيأة الخوف والمهابة لشدة اليوم وعند ذلك يصدق قوله تعالى قوله فلنسألن الذين ارسل اليهم ولنسألن المرسلين
فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون فيبدأ بالانبياء يوم يجمع الله الرسل فيقول
ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا فيا لشدة يوم تذهل فيه الانبياء عليهم السلم وتمحي علومهم من شدة الهيبة اذ يقال لهم ماذا اجبتم
وقد ارسلتم الى الخلائق وكانوا قد علموا فدهشت عقولهم فلا يدرون بماذا يجيبون فيقولون من شدة الهيبة لا علم لنا انك انت
علام الغيوب وهم في ذلك الوقت صادقون اذ طارت منهم العقول وانمحت العلوم الا ان يقويهم الله تعالى فيدعى نوح عليه السلام
فيقال له هل بلغت فيقول نعم فيقال لامته هل بلغكم فيقولون ما اتانا من نذير ويؤتى بعيسى ويقول تعالى أأنت قلت للناس
اتخذوني وامي الهين من دون الله فيبقى متشحطا تحت هيبة هذا السؤال سنين فيا لعظم يوم تقام فيه السياسة على الانبيا
بمثل هذا السؤال ثم تقبل الملائكة ينادون واحدا واحدا يا فلان بن فلانة هلم الى موقف العرض وعند ذلك ترتعد الفرائص و
تضطرب الجوارح وتبهت العقول ويتمنى اقوام ان يذهب بهم الى النار ولا يعرض قبائح اعمالهم على الجبار ولا يكشف سترهم على ملأ
الخلائق وقبل الابتداء بالسؤال يظهر نور العرش واشرقت الارض بنور ربها وايقن قلب كل عبد باقبال الجبار لمسائلة
العباد وظن كل واحد انه ما يراه احدا سواه وانه المقصود بالاخذ والسؤال دون من عداه فيقول الجبار عند ذلك يا جبريل ائتني
بالنار فيجيء بها جبريل فيقول لها يا جهنم اجيبي خالقك ومليكك فصادفها جبريل على غيظها وغضبها فلم يلبث بعد ندائه
ان ثارت وفارت وزفرت الى الخلائق وشهقت وسمع الخلائق تغيظها وزفيرها وانتهض خزانها متوثبة الى الخلائق غضبا
على من عصى الله تعالى وخالف امره واختلط بالتوجع في تلك حالة قلوب العباد وقد امتلأت فزعا ورعبا فجثوا
على ركبهم وولوا مدبرين يوم ترى كل امة جاثية كل امة تدعى الى كتابها وسقط بعضهم على الوجوه منكبين وينادي الظالمون
والعصاة بالويل والثبور وينادي الصديقون نفسي نفسي فبينما هم كذلك اذ زفرت النار زفرتها الثانية فتضاعف خوفهم
وتخاذلت قوائمهم وظنوا انهم ماخوذون ثم زفرت زفرتها الثالثة فتساقط الخلائق لوجوههم وشخصوا بابصارهم ينظرون من طرف
خفي انهضمت عند ذلك قلوب الظالمين فبلغت لدى الحناجر كاظمين وذهلت العقول من السعداء والاشقياء اجمعين فبعد
ذلك يقبل الله تعالى على الرسل ويقول لهم ماذا اجبتم فاذا رأوا ما اقيم من السياسة على الانبياء اشتد الفزع على العصاة ففر الوالد
من ولده والاخ من اخيه والزوج من زوجته وبقي كل واحد منتظرا للامر ثم يؤخذ واحد واحد فيسأله الله تعالى شفاها
عن قليل عمله وكثيره وسره وعلانيته وعن جميع جوارحه واعضائه قال ابو هريرة قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيمة
فقال هل تضامون في رؤية الشمس في الظهيرة ليست في سحابة قالوا لا قال فهل تضامون في القمر ليلة البدر ليس في سحابة قالوا

لا قال والذي نفسي بيده لا تضامون في رؤية ربكم فيلقى العبد فيقول الم اكرمك واسودك وازوجك واسخر
لك الخيل والابل واذرك ترأس وتربع فيقول العبد نعم فيقول او ظننت انك ملاقي فيقول لا فيقول اني انساك كما نسيتني
فتوهم نفسك يا مسكين وقد اخذ الملائكة بعضديك وانت واقف بين يدي الله تعالى يسألك شفاها فيقول لك الم انعم
عليك بالشباب ففيما ذا ابليته الم امهل لك في العمر ففيما ذا افنيته الم ارزقك الاموال فمن اين اكتسبته وفيما ذا انفقته
الم اكرمك بالعلم فماذا عملت فيما علمت فكيف ترى حياءك وخجلتك وهو يعد عليك انعامه ومعاصيك واياديه ومساويك
فان انكرت شهدت عليك جوارحك قال انس كنا يوما مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك ثم قال اتدرون مم اضحك قلنا
الله ورسوله اعلم قال من مخاطبة العبد ربه يقول يا رب الم تجرني من الظلم قال فيقول بلى قال فيقول فاني لا اجيز على نفسي الا
شاهدا مني فيقول كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وبالكرام الكاتبين شهودا قال فيختم على فيه ويقال لاركانه انطقي
فتنطق باعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول لاعضائه بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت اناضل فنعوذ بالله من الافتضاح على
ملأ الخلق بشهادة الاعضاء الا ان الله تعالى وعد المؤمن ان يستره عليه ولا يطلع عليه غيره وسأل ابن عمر رجل فقال له كيف
سمعت النجوى من رسول الله صلى الله عليه وسلم يدنو احدكم من ربه حتى يضع كنفه عليه فيقول اعملت كذا وكذا فيقول نعم ثم يقول

البخاري

اني سترتها عليك في الدنيا وانا اغفرها لك اليوم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ستر على مؤمن عورته ستر الله عورته
يوم القيمة فهذا انما يرجوه عبد مؤمن ستر على الناس عيوبهم واحتمل في حق نفسه تقصيرهم ولم يحرك لسانه بذكر مساوي الناس
ولم يذكرهم في غيبتهم بما يكرهون لو سمعوه فهو جدير بان يجازى بمثله في القيمة وهب انه قد ستر عن غيرك اليس قد قرع سمعك
النداء الى العرض فيكفيك تلك الروعة جزاء عن ذنوبك اذ يؤخذ بناصيتك فتقاد وفؤادك مضطرب ولبك طائر
وفرائصك مرتعدة وجوارحك مضطربة ولونك متغير والعالم عليك من شدة الهول مظلم فقدر نفسك وانت بهذه الصفة
تتخطى الرقاب وتخرق الصفوف وتقاد كما يقاد الفرس المجنوب وقد رفعت الخلائق اليك ابصارهم فتوهم نفسك في ايدي
الموكلين بك على هذه الصفة حتى انتهى بك الى عرش الرحمن ورموك من ايديهم وناداك الله عز وجل بعظيم كلامه يا ابن ادم
ادن مني فدنوت منه بقلب خافق محزون وجل وطرف خاشع ذليل وفؤاد منكسر واعطيت كتابك الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة
الا احصيها فكم من فاحشة نسيتها فتذكرتها وكم من طاعة قد غفلت عن آفاتها فانكشفت لك عن مساويها فكم لك من خجل
وحيرة وكم لك من حصر وعي فليت شعري باي قدم تقف بين يديه وباي لسان تجيب وباي قلب تعقل ما تقول ثم تفكر في عظم
حيائك اذا ذكرك ذنوبك شفاها اذ يقول يا عبدي اما استحييت مني فبارزتني بالقبيح واستحييت من خلقي فاظهرت لهم
الجميل اكنت اهون عليك من سائر عبادي استخففت بنظري اليك فلم تكترث واستعظمت نظر غيري الم انعم عليك فماذا
غرك بي اظننت اني لا اراك وانكم لا تلقوني قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد الا ويسأله رب العالمين
ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان وقال صلى الله عليه وسلم ليقفن احدكم بين يدي الله عز وجل ليس بينه وبينه حجاب فيقول
له الم اوتك مالا فيقول بلى فيقول الم ارسل اليك رسولا فيقول بلى ثم ينظر عن يمينه فلا يرى الا النار وينظر عن شماله فلا
يرى الا النار فليتق احدكم النار ولو بشق تمرة فان لم يكن فبكلمة طيبة وقال ابن مسعود ما منكم من احد الا سيخلو الله عز وجل
به كما يخلو احدكم بالقمر ليلة البدر ثم يقول يا ابن ادم ما غرك بي يا ابن ادم ما عملت فيما علمت يا ابن ادم ماذا اجبت المرسلين
يا ابن ادم الم اكن رقيبا على عينك وانت تنظر بها الى ما لا يحل لك الم اكن لك رقيبا على اذنيك وهكذا عن سائر الاعضاء

وقال مجاهد لا تزول قدما عبد يوم القيمة من بين يدي الله عز وجل حتى يسأله عن أربع خصال عن عمره فيم أفناه وعن علمه ما عمل به
وعن جسده فيما أبلاه وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه فأعظم يا مسكين بحيائك عند ذلك وبخطرك فإنك بين
أن يقال لك سترتها لك في الدنيا وأنا أغفرها لك في الآخرة وعند ذلك يعظم سرورك وفرحك ويغبطك الأولون
والآخرون وبين أن يقال للملائكة خذوا هذا العبد السوء فغلوه ثم الجحيم صلوه وعند ذلك لو بكت عليك السموات
والأرضون لكان ذلك جديرا لعظم مصيبتك وشدة حسرتك على ما فرطت فيه من طاعة الله تعالى وعلى ما بعت به آخرتك
من دنيا دنية لم تبق معك وحسبنا أرحم الراحمين ه **صفة الميزان** ثم لا تغفل عن الفكر في الميزان وتطاير الكتب إلى
الشمائل والأيمان فإن الناس بعد السؤال ثلث فرق فرقة ليس لهم حسنة فيخرج من النار عنق أسود فيلقطهم لقط الطير الحب
وينطوي عليهم ويلقيهم في النار فتبتلعهم النار وينادى عليهم شقاوة لا سعادة بعدها وقسم آخر لا سيئة لهم فينادي مناد
ليقم الحمادون لله على كل حال فيقومون ويسرحون إلى الجنة ثم يفعل ذلك بأهل قيام الليل ثم بمن لم تشغله تجارة الدنيا ولا
بيعها عن ذكر الله تعالى وينادى عليهم بسعادة لا شقاوة بعدها ويبقى قسم ثالث هم الأكثرون خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا
وقد يخفى عليهم ولا يخفى على الله أن الغالب حسناتهم أو سيئاتهم ولكن يأبى الله إلا أن يعرفهم حقيقة ذلك ليتبين من فضله عند العفو
وعدله عند العقاب فتتطاير الصحائف والكتب منطوية على الحسنات والسيئات وينصب الميزان وتشخص الأبصار إلى الكتب أتقع
في اليمين أو في الشمال ثم إلى لسان الميزان أيميل إلى جانب السيئات أو الحسنات فهذه حالة هائلة تطيش فيها عقول الخلائق وروى
الحسن رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان رأسه في حجر عائشة فنعس فذكرت الآخرة هل تذكرون أهليكم يوم القيمة
قال والذي نفسي بيده في ثلث مواطن فإن أحدا لا يذكر إلا نفسه إذا وضعت الموازين ووزنت الأعمال حتى ينظر ابن آدم أيخف
ميزانه أم يثقل وعند الصحف حتى ينظر أبيمينه يأخذه أو بشماله وعند الصراط وعن أنس قال يؤتى بابن آدم يوم القيمة حتى يوقف بين
كفتي الميزان ويوكل به ملك فإن ثقل ميزانه نادى الملك بصوت يسمع الخلائق سعد فلان سعادة لا يشقى بعدها أبدا وإن خف ميزانه
نادى بصوت يسمع الخلائق شقي فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبدا وعند خفة كفة الميزان أقبلت الزبانية وبأيديهم مقامع من حديد
عليهم ثياب من النار فيأخذون نصيب النار إلى النار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم القيمة إنه يوم ينادي
الله تعالى فيه آدم فيقول قم يا آدم فابعث بعث النار فيقول وكم بعث النار فيقول من كل ألف تسعمائة وتسع وتسعون في النار
وواحد في الجنة فلما سمع الصحابة رضي الله عنهم بذلك أبلسوا حتى ما أوضحوا بضاحكة فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم الذي عند
أصحابه قال اعملوا وأبشروا فوالذي نفسي بيده إن معكم لخليقتين ما كانتا مع أحد قط إلا كثرتاه مع من هلك من بني آدم وبني إبليس
قالوا وما هما يا نبي الله قال يأجوج ومأجوج قال فسري عن القوم فقال اعملوا وأبشروا فوالذي نفس محمد بيده ما أنتم في
الناس يوم القيمة إلا كالشامة في جنب البعير أو كالرقمة في ذراع الدابة ه **صفة الخصماء ورد المظالم** فقد عرفت هول الميزان
وخطره وأن الأعين شاخصة إلى لسان الميزان فمن ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية وأما من خفت موازينه فأمه هاوية وما أدراك
ما هيه نار حامية اعلم أنه لا ينجو من خطر الحساب والميزان إلا من حاسب في الدنيا نفسه ووزن فيها بميزان الشرع أعماله و
أقواله وخطراته ولحظاته كما قال عمر رضي الله عنه حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا فإنما حسابه لنفسه
أن يتوب عن كل معصية قبل الموت توبة نصوحا ويتدارك ما فرط من تقصير في فرائض الله تعالى ويرد المظالم حبة حبة ويستحل كل
من تعرض له بلسانه ويده وسوء ظنه بقلبه ويطيب قلوبهم حتى يموت ولم يبق عليه فريضة ولا مظلمة فهذا يدخل الجنة بغير حساب وإن

وإن مات قبل رد المظالم أحاطت به خصماؤه فهذا يأخذ بيده وهذا يقبض على ناصيته وهذا يتعلق بلببه هذا يقول ظلمتني
وهذا يقول شتمتني وهذا يقول استهزأت بي وهذا يقول ذكرتني في الغيبة بما يسوءني وهذا يقول جاورتني فأسأت جواري وهذا
يقول عاملتني فغششتني وهذا يقول بايعتني فغبنتني وأخفيت عني عيب متاعك وهذا يقول كذبت في سعر متاعك وهذا يقول
رأيتني محتاجا وكنت غنيا فما أطعمتني وهذا يقول وجدتني مظلوما وكنت قادرا على دفع الظلم فداهنت الظالم وما راعيتني
فبينا أنت كذلك وقد أنشب الخصماء فيك مخالبهم وأحكموا في تلابيبك أيديهم وأنت مبهوت متحير من كثرتهم حتى لم يبق
في عمرك أحد عاملته على درهم أو جالسته في مجلس إلا وقد استحق عليك مظلمة بغيبة أو خيانة أو نظر بعين الاستحقار وقد ضعفت
عن مقاومتهم ومددت عنق الرجاء إلى سيدك ومولاك لعله يخلصك من بين أيديهم إذ قرع سمعك نداء الجبار اليوم تجزى
كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم فعند ذلك ينخلع قلبك من الهيبة وتوقن نفسك بالبوار وتتذكر ما أنذرك الله تعالى به على رسوله
حيث قال ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار مهطعين مقنعي رؤسهم لا يرتد إليهم
طرفهم وأفئدتهم هواء فما أشد فرحك اليوم بأعراض الناس وتناولك أعراضهم وأموالهم وما أشد حسراتك في ذلك اليوم
إذ وقف بك على بساط العدل وشوفهت بخطاب السياسة وأنت مفلس فقير عاجز مهين لا تقدر على أن ترد حقا أو تظهر عذرا
فعند ذلك يؤخذ حسناتك التي تعبت فيها عمرك وينقل إلى خصمائك عوضا عن حقوقهم قال أبو هريرة قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم هل تدرون من المفلس قالوا المفلس فينا يا رسول الله من لا درهم له ولا متاع فقال صلى الله عليه وسلم المفلس
من أمتي من يأتي يوم القيمة بصلوة وصيام وزكوة ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى
هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار فانظر
إلى مصيبتك في مثل هذا اليوم إذ ليس تسلم لك حسنة من آفات الريا ومكائد الشيطان فإن سلمت لك واحدة في كل مدة طويلة
ابتدرها خصماؤك وأخذوها ولعلك لو حاسبت نفسك وأنت مواظب على صيام النهار وقيام الليل لعلمت أنه لا ينقضي عليك
يوم إلا ويجري على لسانك من غيبة المسلمين ما يستوفي جميع حسناتك فكيف ببقية السيئات من أكل الحرام والشبهات و
التقصير في الطاعات وكيف ترجو الخلاص من المظالم في يوم يقتص فيه للجماء من القرناء وعن أبي ذر أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم رأى شاتين تنتطحان فقال يا أبا ذر أتدري فيم تنتطحان قلت لا قال ولكن ربك يدري وسيقضي بينهما يوم القيمة وقال
أبو هريرة في قوله تعالى وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم إنه يحشر الخلق كلهم يوم القيمة
البهائم والدواب والطير وكل شيء فيبلغ من عدل الله عز وجل أن يأخذ للجماء من القرناء ثم يقول كوني ترابا فذلك حين يقول الكافر
يا ليتني كنت ترابا فكيف أنت يا مسكين في يوم ترى فيه صحيفة خصمائك مجوة وترى صحيفتك مشحونة سيئات طال
في الصبر عنها نصبك واشتد بسبب الكف عنها عناؤك فتقول يا رب هذه سيئات ما قارفتها قط فيقال هذه سيئات
الذين اغتبتهم وشتمتهم وقصدتهم بالسوء وظلمتهم في المبايعة والمجاورة والمخاطبة والمناظرة والمذاكرة والمدارسة
وسائر أصناف المعاملة قال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الشيطان قد يئس أن تعبد الأصنام
بأرض العرب ولكن سيرضى منكم بما هو دون ذلك من المحقرات وهي الموبقات فاتقوا الظلم ما استطعتم فإن العبد ليجيء يوم القيمة
بأمثال الجبال من الطاعات فيرى أنهن سينجينه فما زال عبد يجيء فيقول يا رب إن فلانا ظلمني بمظلمة فيقول امح من حسناته
فما زال كذلك حتى ما يبقى له من حسناته شيء وإن مثل ذلك مثل سفر نزلوا بفلاة من الأرض ليس معهم حطب فتفرق القوم

خطبوا فلم يلبثوا ان اعطوا ازبهم وصنعوا ما ارادوا وكذلك الذنوب ولما نزل قوله تعالى انك ميت وانهم ميتون
ثم انكم يوم القيمة عند ربكم تختصمون قال الزبير يا رسول الله أيكرر علينا ما كان بيننا في الدنيا مع خواص الذنوب
قال نعم ليكررن عليكم حتى تؤدوا الى كل ذي حق حقه قال الزبير والله ان الامر لشديد فاعظم بشدة يوم لا يسامح فيه بخطوة
ولا يتجاوز فيه عن لطمة ولا عن كلمة حتى ينتقم للمظلوم من الظالم قال انس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر العباد
عراة غرلا غبرا بهما قلنا ما بهما قال ليس معهم شيء ثم يناديهم ربهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب انا الملك
انا الديان لا ينبغي لاحد من اهل الجنة ان يدخل الجنة وعنده مظلمة حتى اقصه منه حتى اللطمة قلنا وكيف ذلك وانما نأتي
الناس عراة غرلا بهما فقال بالحسنات والسيئات فاتقوا الله عباد الله مظالم العباد باخذ اموالهم والتعرض لاعراضهم و
وتضييق قلوبهم واساءة الخلق في معاشرتهم فان ما يكون بين العبد وبين الله خاصة فالمغفرة اليه اسرع ومن اجتمعت عليه
مظالم وقد تاب عنها وعسر عليه استحلال ارباب المظالم فليكثر من حسناته ليوم القصاص وليسر ببعض الحسنات بينه وبين الله
تعالى بكمال الاخلاص بحيث لا يطلع عليه الا الله فعساه يقربه ذلك الى الله تعالى فينال به لطفه الذي ادخره لاحبابه المؤمنين
في دفع مظالم العباد عنهم كما روي عن انس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس اذ
رايناه ضحك حتى بدت ثناياه فقال عمر ما اضحكك يا رسول الله بابي انت وامي قال رجلان جثيا من امتي بين يدي رب العزة
فقال احدهما يا رب خذ لي مظلمتي من اخي فقال الله تعالى اعط اخاك مظلمته فيقول يا رب لم يبق من حسناتي شيء فقال الله تعالى
للطالب كيف تصنع ولم يبق من حسناته شيء قال يا رب يحمل عني من اوزاري قال وفاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالبكاء ثم قال ان هذا اليوم يوم عظيم يوم يحتاج الناس الى ان يحمل عنهم من اوزارهم قال فيقال الله تعالى للطالب ارفع راسك
فانظر في الجنان فرفع راسه فقال يا رب ارى مداين من فضة مرتفعة وقصورا من ذهب مكللة باللؤلؤ لاي نبي هذا او لاي
صديق هذا او لاي شهيد هذا قال لمن اعطى الثمن قال يا رب ومن يملك ثمنه قال انت تملكه قال ما هو قال عفوك عن اخيك
قال يا رب اني قد عفوت عنه قال الله تعالى خذ بيد اخيك فادخله الجنة ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك
اتقوا الله واصلحوا ذات بينكم فان الله يصلح بين المؤمنين وهذا تنبيه على ان ذلك انما ينال بالتخلق باخلاق الله تعالى وهو اصلاح
ذات البين وساير الاخلاق فتفكر الآن في نفسك ان خلت صحيفتك عن المظالم او تلطف لك حتى عفي عنك وايقنت بسعادة
الابد كيف يكون سرورك في منصرفك من فصل القضاء وقد خلع عليك خلعة الرضا وعدت بسعادة ليس بعدها
شقاء وبنعيم لا يدور بحواشيه الفناء وعند ذلك طار قلبك سرورا وفرحا وابيض وجهك واستنار واشرق كما يشرق القمر
ليلة البدر فتوهم تبخترك بين الخلائق رافعا راسك خاليا عن الاوزار ظهرك ونضرة نسيم النعيم وبرد الرضا يتلألأ من جبينك
وخلق الاولين والآخرين ينظرون اليك والى حالك ويغبطونك على حسنك وجمالك والملائكة يمشون بين يديك ومن خلفك
وينادون على رؤس الاشهاد هذا فلان بن فلان قد رضي الله عنه وارضاه وقد سعد سعادة لا يشقى بعدها ابدا افترى هذا
المنصب ليس باعظم من المكانة التي تنالها في قلوب الخلق في الدنيا بريائك ومداهنتك وتصنعك وتزينك فان كنت تعلم
انه خير منه بل لا نسبة له اليه فتوسل الى دراك هذه الرتبة بالاخلاص الصافي والنية الصادقة في معاملتك مع الله تعالى
ولن تدرك ذلك الا به وان تكن الاخرى والعياذ بالله بان خرج من صحيفتك جريمة كنت تحسبها هينة وهي عند الله عظيمة
فمقتك لاجلها فقال عليك لعنتي يا عبد السوء لا اتقبل منك عباداتك فلا تسمع هذا النداء الا ويسود وجهك ثم

ثم تغضب الملائكة لغضب الله تعالى فيقولون وعليك لعنتنا ولعنة الخلق اجمعين وعند ذلك تتسارع اليك الزبانية
وقد غضبت لغضب خالقها فاقدمت عليك بفظاظتها وزعارتها وصورها المنكرة فاخذوا بناصيتك يسحبونك
على وجهك على ملأ الخلق وهم ينظرون الى سواد وجهك والى ظهور خزيك وانت تنادي بالويل والثبور وهم يقولون لك
لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا وينادي الملائكة ويقولون هذا فلان بن فلان كشف الله عن فضائحه
ومخازيه ولعنه بقبائح مساويه فشقي شقاوة لا يسعد بعدها ابدا وربما يكون ذلك بذنب اذنبته خيفة من عباد الله
او طلبا للمكانة في قلوبهم او خوفا من الافتضاح عندهم فما اعظم جهلك اذ تحتشي عن الافتضاح عند طائفة يسيرة من عباد الله
في الدنيا المنقرضة ثم لا تخشى من الافتضاح العظيم في ذلك الملأ العظيم مع التعرض لسخط الله تعالى وعقابه الاليم والسياق
بايدي الزبانية الى سواء الجحيم فهذه احوالك واهوالك وانت بعد لم تشعر بالخطر الاعظم وهو خطر الصراط

صفة الصراط

ثم تفكر بعد هذه الاهوال في قوله تعالى يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا وفي قوله تعالى فاهدوهم
الى صراط الجحيم وقفوهم انهم مسئولون فالناس بعد هذه الاهوال يساقون الى الصراط وهو جسر ممدود على متن النار احد من
السيف وادق من الشعر فمن استقام في هذا العالم على الصراط المستقيم خف على صراط الآخرة ونجا ومن عدل عن الاستقامة
في الدنيا واثقل ظهره بالاوزار وعصى تعثر في اول قدم من الصراط وتردى فتفكر الآن فيما يحل من الفزع بفوادك اذا رأيت الصراط
ودقته ثم وقع بصرك على سواد جهنم من تحته ثم قرع سمعك شهيق النار وتغيظها وقد كلفت ان تمشي على الصراط مع ضعف
حالك واضطراب قلبك وتزلزل قدمك وثقل ظهرك بالاوزار المانعة لك عن المشي على بساط الارض فضلا عن حدة الصراط
فكيف بك اذا وضعت عليه احدى رجليك فاحسست بحدته واضطررت الى ان ترفع القدم الثاني والخلائق بين يديك
يزلون ويتعثرون وتتناولهم زبانية النار بالخطاطيف والكلاليب وانت تنظر اليهم كيف ينكسون فتتسفل الى جهة النار
رؤسهم وتعلو ارجلهم فيا له من منظر ما افظعه ومرتقى ما اصعبه ومجاز ما اضيقه فانظر الى حالك وانت تزحف عليه
وتصعد عليه وانت مثقل الظهر باوزارك تلتفت يمينا وشمالا الى الخلق وهم يتهافتون والرسول صلى الله عليه وسلم
يقول يا رب سلم سلم والزعقات بالويل والثبور قد ارتفعت اليك من قعر جهنم لكثرة من زل عن الصراط من الخلائق فكيف بك
لو زلت قدمك ولم ينفعك ندمك وقلت يا ويلاه هذا ما كنت اخافه يا ليتني قدمت لحياتي يا ليتني اتخذت مع الرسول
سبيلا يا ويلتي ليتني لم اتخذ فلانا خليلا يا ليتني كنت ترابا يا ليتني لم تلدني امي وعند ذلك تختطفك النيران والعياذ بالله
وينادي المنادي اخسئوا فيها ولا تكلمون فلا يبقى سبيل الى الصياح والانين والتنفس والاستغاثة فكيف ترى الآن عقلك
وهذه الاخطار بين يديك فان كنت غير مؤمن بهذا فما اطول مقامك مع الكفار في دركات جهنم وان كنت به مؤمنا وعنه غافلا
وبالاستعداد له متهاونا فما اعظم خسرانك وطغيانك وماذا ينفعك ايمانك اذ لم يبعثك الى السعي في طلب رضا الله
تعالى بطاعته وترك معاصيه فلو لم يكن بين يديك الا هول الصراط وارتياع قلبك من خطر الجواز فان سلمت وهيك
به هولا وفزعا ورعبا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يضرب الصراط بين ظهري جهنم فاكون اول من يجيز بامتي من الرسل
ولا يتكلم يومئذ الا الرسل ودعوى الرسل اللهم سلم سلم وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان قال صلى الله عليه وسلم
هل رأيتم شوك السعدان قالوا نعم يا رسول الله قال فانها مثل شوك السعدان غير انه لا يعلم قدر عظمها الا الله تعالى تختطف
الناس باعمالهم فمنهم من يوبق بعمله ومنهم من يخردل ثم ينجو وقال ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

بامر الناس على جسر جهنم وعليه حسك وكلاليب وخطاطيف تخطف الناس يمينا وشمالا وعلى جنبتيه ملائكة يقولون اللهم
سلم سلم ومن الناس من يمر على الصراط مثل البرق ومنهم من يمر كالريح ومنهم من يمر كالفرس المجرى ومنهم من يسعى سعيا
ومنهم من يمشي مشيا ومنهم من يحبو حبوا ومنهم من يزحف زحفا فاما اهل النار الذين هم اهل النار فلا يموتون ولا يحيون
واما ناس يؤخذون بذنوب وخطايا فيحترقون فيكونون فحما ثم يؤذن في الشفاعة الحديث وعن ابن مسعود انه صلى الله عليه وسلم
يجمع الله الاولين والآخرين في صعيد واحد لميقات يوم معلوم قياما اربعين سنة شاخصة ابصارهم الى السماء ينتظرون فصل
القضاء وذكر الحديث الى ذكر سجود المؤمنين قال ثم يقول لهم ارفعوا رؤوسكم فيرفعون رؤوسهم فيعطيهم نورهم على قدر اعمالهم
فمنهم من يعطى نوره مثل الجبل العظيم يسعى بين يديه ومنهم من يعطى نوره اصغر من ذلك ومنهم من يعطى نوره مثل النخلة بيمينه
ومنهم من يعطى نوره اصغر من ذلك حتى يكون آخرهم رجلا يعطى نوره على ابهام قدمه فيضيء مرة ويطفأ مرة فاذا اضاء قدم قدمه
فمشى واذا طفئ قام ثم ذكر مرورهم على الصراط على قدر نورهم فمنهم من يمر كطرف العين ومنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر
ومنهم من يمر كالسحاب ومنهم من يمر كانقضاض الكوكب ومنهم من يمر كشد الفرس ومنهم من يمر كشد الرجل حتى يمر الذي
اعطي نوره على ابهام قدمه يحبو على وجهه ويديه ورجليه تجر يد وتعلق يد وتجر رجل وتعلق رجل وتصيب جوانبه النار
قال فلا يزال كذلك حتى يخلص فاذا خلص وقف عليها ثم قال الحمد لله الذي اعطاني الله ما لم يعط احدا اذ نجاني منها بعد اذ
رأيتها فينطلق به الى غدير عند باب الجنة فيغتسل وقال انس بن مالك سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول الصراط كحد السيف
وان الملائكة ينجون المؤمنين والمؤمنات وان جبريل عليه السلام لآخذ بحجزتي واني لاقول سلم سلم فالزالون والزالات يومئذ
كثير فهذه اهوال الصراط وعظائمه فطول فيه فكرك فان اسلم الناس من اهوال القيامة من طال فيه فكره في الدنيا فان الله تعالى
لا يجمع على عبد بين خوفين فمن خاف هذه الاهوال في الدنيا امنها في الآخرة ولست اعني بالخوف رقة كرقة النساء تدمع
عينك ويرق قلبك حال السماع ثم تنساه على القرب وتعود الى لهوك ولعبك فما ذلك من الخوف في شيء بل من خاف شيئا هرب
منه ومن رجا شيئا طلبه فلا ينجيك الا خوف يمنعك من معاصي الله تعالى ويحثك على طاعته وابعد من رقة النساء خوف الحمقى
اذا سمعوا الاهوال سبق الى لسانهم الاستعاذة وقالوا استعنت بالله نعوذ بالله سلم سلم وهم مع ذلك مصرون على المعاصي التي
التي هي سبب هلاكهم فالشيطان يضحك من استعاذتهم كما يضحك على من يقصده سبع ضار في صحراء ووراءه حصن فاذا
رأى انياب السبع وصولته من بعد قال بلسانه اعوذ بهذا الحصن الحصين واستعين بشدة بنيانه واحكام اركانه فيقول ذلك
بلسانه وهو قاعد في مكانه فانى يغني ذلك عن السبع وكذلك اهوال الآخرة ليس لها حصن الا قول لا اله الا الله صادقا ومعنى
صدقه ان لا يكون لك مقصود سوى الله ولا معبود سواه ومن اتخذ الهه هواه فهو بعيد عن الصدق في توحيده وامره مخطر في
نفسه فان عجزت عن ذلك كله فكن محبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم حريصا على تعظيم سنته ومتشوقا الى مراعاة قلوب الصالحين
من امته ومتبركا بادعيتهم فعساك تنال من شفاعته او شفاعتهم فتنجو بالشفاعة ان كنت قليل البضاعة صفة
الشفاعة اعلم انه اذا حق دخول النار على المؤمنين فان الله بفضله يقبل فيهم شفاعة الانبياء والصديقين صلوات الله عليهم
طوائف من
اجمعين بل شفاعة العلماء والصالحين وكل من له عند الله سبحانه جاه وحسن معاملة فان له شفاعة في اهله وقرابته واصدقائه
ومعارفه فكن حريصا على ان تكتسب عندهم الشفاعة وذلك بان لا تحقر آدميا اصلا فان الله تعالى خبأ ولايته في عباده فلعل الذي
تزدريه عينك هو ولي الله ولا تستصغر معصية اصلا فان الله خبأ غضبه في معاصيه فلعل مقت الله فيه ولا تستحقر طاعة

طاعة اصلا فان الله خبأ رضاه في طاعاته فلعل رضاء الله تعالى فيه ولو الكلمة الطيبة او اللقمة او النية الحسنة او ما
يجري مجراه وشواهد الشفاعة في القرآن والاخبار كثيرة قال الله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى وروى عمرو بن
العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قول ابراهيم رب انهن اضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور
رحيم وقول عيسى عليه السلام ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم ثم رفع يديه وقال امتي امتي ثم بكى
فقال الله تعالى يا جبريل اذهب الى محمد فسله ما يبكيك فاتاه فسأله فاخبره والله اعلم به فقال يا جبريل اذهب الى محمد فقل له
انا سنرضيك في امتك ولا نسوءك وقال صلى الله عليه وسلم اعطيت خمسا لم يعطهن احد قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر واحلت
لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي وجعلت لي الارض مسجدا وترابها لي طهورا فايما رجل من امتي ادركته الصلاة فليصل واعطيت
الشفاعة وكل نبي بعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة وقال صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة كنت امام النبيين و
خطيبهم وصاحب شفاعتهم غير فخر وقال صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم ولا فخر وانا اول من تنشق عنه الارض وانا اول شافع ومشفع بيدي
لواء الحمد تحته آدم فمن دونه وقال صلى الله عليه وسلم لكل نبي دعوة مستجابة فاريد ان اختبئ دعوتي شفاعة لامتي يوم القيامة
وقال ابن عباس قال صلى الله عليه وسلم للانبياء منابر من ذهب فيجلسون عليها ويبقى منبري لا اجلس عليه واكون قائما بين يدي ربي
منتصبا مخافة ان يبعث بي الى الجنة ويبقى امتي بعدي فيقول يا رب امتي فيقول الله عز وجل يا محمد وما تريد ان اصنع بامتك
فاقول يا رب عجل حسابهم فما ازال اشفع حتى اعطى صكاكا برجال قد بعث بهم الى النار وحتى ان مالكا خازن النار يقول يا محمد
ما تركت النار لغضب ربك في امتك من بقية وقال صلى الله عليه وسلم اني لاشفع يوم القيامة باكثر من حجر ومدر وقال ابو هريرة
اتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بلحم فرفع اليه الذراع وكانت تعجبه فنهس منها نهسة ثم قال انا سيد ولد آدم ولا فخر
الناس يوم القيامة وهل تدرون مم ذاك يجمع الله تعالى الناس الاولين والآخرين في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر
وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقول الناس بعضهم لبعض الا ترون ما قد بلغكم الا
تنظرون من يشفع لكم الى ربكم فيقول بعض الناس لبعض عليكم بآدم عليه السلام فياتون آدم فيقولون له انت ابو البشر خلقك الله
تعالى بيده ونفخ فيك من روحه وامر الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه الا ترى ما بلغنا فيقول لهم آدم
ان ربي قد غضب اليوم غضبا شديدا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وانه قد نهاني عن الشجرة فعصيته نفسي نفسي اذهبوا الى غيري
اذهبوا الى نوح فياتون نوحا عليه السلام فيقولون يا نوح انت اول الرسل الى اهل الارض وقد سماك الله تعالى عبدا شكورا
اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه فيقول ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله وانه قد كانت لي دعوة دعوتها
على قومي نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى ابراهيم خليل الله فياتون ابراهيم عليه السلام فيقولون انت نبي الله وخليله من
اهل الارض اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه فيقول لهم ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده
مثله واني كنت كذبت ثلاث كذبات ويذكرها نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى موسى عليه السلام فياتون موسى فيقولون
يا موسى انت رسول الله فضلك الله تعالى برسالاته وبكلامه على الناس اشفع لنا الى الله تعالى الا ترى ما نحن فيه فيقول ان ربي
غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولم يغضب بعده مثله واني قتلت نفسا لم أومر بقتلها نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا
الى عيسى عليه السلام فياتون عيسى عليه السلام فيقولون يا عيسى انت رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه وكلمت الناس
في المهد اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه فيقول عيسى ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله

ولم يذكر ذنبا نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى محمد صلى الله عليه وسلم فيأتون محمدا صلى الله عليه وسلم فيقولون يا محمد
انت رسول الله وخاتم النبيين وغفر الله لك ما تقدم وما تأخر اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه فانطلق فآتي تحت العرش
فأقع ساجدا لربي ثم يفتح الله لي من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه على احد قبلي ثم يقال يا محمد ارفع راسك سل تعطه
واشفع تشفع فارفع راسي واقول امتي امتي يا رب فيقال يا محمد ادخل من امتك من لا حساب عليهم من الباب الايمن من ابواب الجنة
وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الابواب ثم قال والذي نفسي بيده ان بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وهجر
وكما بين مكة وبصرى وفي حديث آخر هذا السياق بعينه مع ذكر خطايا ابرهيم وهو قوله في الكواكب هذا ربي وقوله لآلهتهم
بل فعله كبيرهم وقوله اني سقيم فهذه شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولآحاد امته من العلماء والصالحين شفاعة ايضا حتى قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل الجنة بشفاعة رجل من امتي اكثر من ربيعة ومضر وقال صلى الله عليه وآله وسلم يقال للرجل
قم يا فلان فاشفع فيقوم الرجل فيشفع للقبيلة ولاهل البيت وللرجل وللرجلين على قدر عمله وقال انس قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان رجلا من اهل الجنة يشرف يوم القيمة على اهل النار فيناديه رجل من اهل النار ويقول يا فلان هل تعرفني فيقول لا
والله ما اعرفك من انت فيقول انا الذي مررت بي في الدنيا يوما فاستسقيتني ماء فسقيتك قال قد عرفت قال فاشفع
بها لي عند ربك فيسأل الله تعالى ذكره ويقول اني اشرفت على اهل النار فنادى رجل من اهلها فقال اهل تعرفني فقلت لا من انت
قال انا الذي استسقيتني في الدنيا فسقيتك فاشفع لي بها عند ربك فشفعني فيه فيشفعه الله تعالى فيؤمر به فيخرج من النار
وعن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اول الناس خروجا اذا بعثوا وانا خطيبهم اذا وفدوا وانا
مبشرهم اذا يئسوا لواء الحمد يومئذ بيدي وانا اكرم ولد آدم على ربي ولا فخر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكسى حلة من حلل الجنة
ثم اقوم عن يمين العرش ليس احد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري وقال ابن عباس جلس ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
ينتظرونه فخرج حتى اذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم عجبا ان الله تعالى اتخذ من خلقه خليلا اتخذ
ابرهيم خليلا وقال آخر ماذا باعجب من كلام موسى كلمه تكليما وقال آخر فعيسى كلمة الله وروحه وقال آخر آدم اصطفاه الله فخرج عليهم
فسلم وقال قد سمعت كلامكم وعجبكم ان ابرهيم خليل الله وهو كذلك وموسى كليم الله وهو كذلك وعيسى روحه وكلمته وهو
كذلك وآدم صفي الله وهو كذلك الا وانا حبيب الله ولا فخر وانا حامل لواء الحمد يوم القيمة ولا فخر وانا اول شافع واول مشفع
يوم القيامة ولا فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لي فادخلها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر وانا اكرم الاولين والآخرين
ولا فخر

صفة الحوض

اعلم ان الحوض مكرمة عظيمة خص الله بها نبينا صلى الله عليه وسلم وقد اشتملت الاخبار على وصفه
ونحن نرجو ان يرزقنا الله في الدنيا علمه وفي الآخرة ذوقه فان من صفاته ان من شرب منه لم يظمأ ابدا قال انس اغفى
رسول الله صلى الله عليه وسلم اغفاءة ورفع راسه متبسما فقالوا له يا رسول الله لم ضحكت فقال آية نزلت علي آنفا وقرأ بسم الله الرحمن الرحيم
انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر ثم قال هل تدرون ما الكوثر قالوا الله ورسوله اعلم قال انه نهر
وعدنيه ربي عز وجل في الجنة عليه خير كثير عليه حوض ترد عليه امتي يوم القيمة آنيته عدد الكواكب وقال انس قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم بينما انا اسير في الجنة اذا انا بنهر حافتاه وعدنيه ربي عز وجل قباب اللؤلؤ قلت ما هذا يا جبرئيل قال هذا
الكوثر الذي اعطاك ربك فضرب الملك بيده فاذا طينه مسك اذفر وقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين لابتي حوضي
ما بين المدينة وصنعاء او مثل ما بين المدينة وعمان وروى ابن عمر انه لما نزل قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم هو نهر في الجنة حافتاه من ذهب شرابه اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل واشد ريحا من المسك يجري على جنادل
اللؤلؤ والمرجان وقال ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان حوضي ما بين عدن الى عمان
البلقاء ماؤه اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل واكوابه عدد نجوم السماء من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها ابدا اول الناس
ورودا عليه فقراء المهاجرين فقال عمر بن الخطاب ومن هم يا رسول الله قال هم الشعث رؤسا الدنس ثيابا الذين لا ينكحون المتنعمات
ولا تفتح لهم ابواب السدد فقال عمر بن عبد العزيز لما سمع هذا الحديث والله لقد نكحت المتنعمات فاطمة بنت عبد الملك وفتحت لي
السدد الا ان يرحمني الله لا جرم لا ادهن راسي حتى تشعث ولا اغسل ثوبي الذي على جسدي حتى يتسخ وعن ابي ذر قال قلت يا رسول الله
ما آنية الحوض قال والذي نفس محمد بيده لآنيته اكثر من عدد نجوم السماء من الكواكب وكواكبها في الليلة المظلمة المصحية من شرب
منه لم يظمأ ابدا آخر ما عليه تشخب فيه ميزابان من الجنة عرضه مثل طوله ما بين عمان وايلة ماؤه اشد بياضا من اللبن واحلى
من العسل وعن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل نبي حوضا وانهم يتباهون ايهم اكثر واردة واني لارجو
ان اكون اكثرهم واردة فهذا رجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فليرج كل عبد ان يكون في جملة الواردين وليحذر ان يكون متمنيا
او مغترا وهو يظن انه راج فان الراجي للحصاد من بث البذر ونقى الارض وسقاها الماء ثم جلس يرجو فضل الله تعالى بالانبات ودفع
الصواعق الى اوان الحصاد واما من ترك الحراثة والزراعة وتنقية الارض وسقيها واخذ يرجو من فضل الله تعالى ان ينبت له
الحب والفاكهة فهذا مغتر ومتمن وليس من الراجين في شيء وهكذا رجاء اكثر الخلق وهو غرور الحمقى فنعوذ بالله من الغرور
والغفلة فان الاغترار بالله اعظم من الاغترار بالدنيا قال الله تعالى فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ۵

القول في صفة جهنم واهوالها وانكالها

ايها الغافل عن نفسه المغرور بما انت فيه من شواغل هذه
الدنيا المشرفة على الانقضاء دع التفكر فيما انت مرتحل عنه واصرف الفكر الى موردك فانك تعلم ان النار مورد للجميع اذ قيل
وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا فانت من الورود على يقين ومن النجاة
على شك فاستشعر في قلبك هول ذلك المورد واهوالها فعساك تستعد للنجاة بالتشمر لاعمالها وتأمل في حال الخلائق
وقد قاسوا من دواهي القيامة ما قاسوا فبيناهم في كربها واهوالها وقوفا ينتظرون حقيقة انبائها وتشفيع شفعائها
اذ احاطت بالمجرمين ظلمات ذات شعب واظلت عليهم نار ذات لهب وسمعوا لها زفيرا وجرجرة تفصح عن شدة الغيظ
والغضب فايقن المجرمون بالعطب وجثت الامم على الركب حتى اشفق البرآء من سوء المنقلب وخرج المنادي من الزبانية قائلا
اين فلان بن فلان المسوف نفسه في الدنيا بطول الامل المضيع عمره في سوء العمل فيبادرونه بمقامع من حديد ويستقبلونه
بعظائم التهديد ويسوقونه الى العذاب الشديد وينكسونه في قعر الجحيم ويقولون ذق انك انت العزيز الكريم فاسكنوا دارا
ضيقة الارجاء مظلمة المسالك مبهمة المهالك يخلد فيها الاسير ويوقد فيها السعير شرابهم فيها الحميم ومستقرهم الجحيم الزبانية
تقمعهم والهاوية تجمعهم امانيهم فيها الهلاك وما لهم منها فكاك قد شدت اقدامهم الى النواصي واسودت وجوههم من ظلمة المعاصي
ينادون من اكنافها ويصيحون في اطرافها يا مالك قد حق علينا الوعيد يا مالك قد اثقلنا الحديد يا مالك قد نضجت منا
الجلود يا مالك اخرجنا منها فانا لا نعود وتقول الزبانية هيهات لات حين امان ولا خروج لكم من دار الهوان فاخسؤا فيها
ولا تكلمون انا اخرجتم منها لكنتم الى ما نهيتم عنه عائدون فعند ذلك يقنطون وعلى ما فرطوا في جنب الله يأسفون ولا ينجيهم
الندم ولا يغنيهم الاسف بل يكبون على وجوههم مغلولين النار من فوقهم والنار من تحتهم والنار عن ايمانهم والنار عن شمائلهم

فهم غرقى في النار طعامهم نار وشرابهم نار ولباسهم نار ومهادهم نار فهم بين مقطعات النيران وسرابيل القطران وضرب المقامع وثقل السلاسل فهم يتجلجلون في مضايقها ويتحطمون في دركاتها ويضطربون بين غواشيها يغلي بهم النار كغلي القدور ويهتفون بالويل والثبور ومهما دعوا بالثبور صب من فوق رؤسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد تهشم بها جباههم فيتفجر الصديد من افواههم وينقطع من العطش اكبادهم وتسيل على الخدود احداقهم ويسقط من الوجنات لحومها وتتمعط من الاطراف شعورها بل جلودها وكلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها وعري من اللحم عظامهم فبقيت الارواح منوطة بالعروق وعلائق العصب وهي تنش في لفح تلك النيران وهم مع ذلك يتمنون الموت فلا يموتون فكيف بك لو نظرت وقد سودت وجوههم اشد سوادا من الحمم واعميت ابصارهم وابكمت السنتهم وقصمت ظهورهم وكسرت عظامهم وجدعت اذانهم ومزقت جلودهم وغلت ايديهم الى اعناقهم وجمعت بين نواصيهم واقدامهم وهم يمشون على النار بوجوههم ويطؤن حسك الحديد باحداقهم فلهيب النار سار في بواطن اجزائهم وحيات الهاوية وعقاربها متشبثة بظواهر اعضائهم هذه جملة احوالهم فانظر الان في تفصيل اهوالهم وتفكر ايضا في اودية جهنم وشعابها فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ان في جهنم سبعين الف واد في كل واد سبعون الف شعب في كل شعب سبعون الف ثعبان وسبعون الف عقرب لا ينتهي الكافر والمنافق حتى يواقع ذلك كله وقال علي كرم الله وجهه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعوذوا بالله من جب الحزن او وادي الحزن قال واد في جهنم تتعوذ منه جهنم كل يوم سبعين مرة اعده الله تعالى للقراء المرائين فهذه سعة جهنم وانشعاب اوديتها وهي بحسب عدد اودية الدنيا وشهواتها وعدد ابوابها بعدد الاعضاء السبعة التي بها يعصي العبد بعضها فوق بعض الاعلى جهنم ثم سقر ثم لظى ثم الحطمة ثم الجحيم ثم السعير ثم الهاوية فانظر الان في عمق الهاوية فانه لا حد لعمقها كما لا حد لعمق شهوات الدنيا فكما لا ينتهي ارب من الدنيا الا الى ارب اعظم منه فلا ينتهي هاوية من جهنم الا الى هاوية اعمق منها قال ابو هريرة كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعنا وجبة فقال له اتدرون ما هذا قلنا الله ورسوله اعلم قال هذا حجر ارسل في جهنم منذ سبعين عاما الان حين انتهى الى قعرها ثم انظر الى تفاوت الدركات فان الاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا فكما ان اكباب الناس على الدنيا متفاوت فمن منهمك مستكثر كالغريق فيها ومن خائض فيها الى حد محدود فكذلك تناول النار لهم متفاوت فان الله لا يظلم مثقال حبة فلا تترادف انواع العذاب على كل من في النار كيف كان بل لكل واحد حد معلوم على قدر عصيانه وذنبه الا ان اقلهم عذابا لو عرضت عليه الدنيا بحذافيرها لافتدى بها من شدة ما هو فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ادنى اهل النار عذابا يتنعل بنعلين من نار يغلي دماغه من حرارة نعليه فانظر الان الى من خفف عليه واعتبر بمن شدد عليه ومهما شككت في شدة عذاب النار فقرب اصبعك من النار وقس ذلك به ثم اعلم انك اخطأت في القياس فان نار الدنيا لا تناسب نار جهنم ولكن لما كان اشد عذاب في الدنيا عذاب هذه النار عرف عذاب جهنم بها وهيهات لو وجد اهل الجحيم مثل هذه النار لخاضوها طائعين هربا مما هم فيه وعن هذا عبر بعض الاخبار حيث قال ان نار الدنيا غسلت بسبعين ماء من مياه الرحمة حتى اطاقها اهل الدنيا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفة نار جهنم فقال اوقدت النار الف سنة حتى احمرت ثم اوقد عليها الف سنة حتى ابيضت ثم اوقد عليها الف سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة قال صلى الله عليه وسلم اشتكت النار الى ربها فقالت يا رب اكل بعضي بعضا فاذن لها بنفسين نفس في الشتاء ونفس في الصيف اشارة الى نحو الشمس وزمهرير الشتاء من نفسها وقال انس بن مالك يؤتى بانعم الناس في الدنيا من الكفار فيقال اغمسوه في النار غمسا ثم يقال له هل رايت نعيما قط فيقول لا ويؤتى باشد الناس ضرا في الدنيا فيقال اغمسوه في الجنة غمسا ثم يقال له هل رايت ضرا قط فيقول لا

قوله رسول الله وما جب الحزن او وادي الحزن

ضمنا وجبة فقال له

لا وقال ابو هريرة لو كان في المسجد مائة الف او يزيدون ثم تنفس رجل من اهل النار لماتوا وقد قال بعض العلماء في قوله تلفح وجوههم النار انها لفحتهم لفحة واحدة فما ابقت لحما على عظم الا القته عند اعقابهم ثم انظر بعد ذلك في نتن الصديد الذي يسيل من ابدانهم حتى يغرقون فيه وهو الغساق وقال ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ان دلوا من غساق جهنم القي في الدنيا لانتن اهل الارض فهذا شرابهم ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا ثم انظر الى طعامهم هو الزقوم كما قال تعالى ثم انكم ايها الضالون المكذبون لآكلون من شجر من زقوم فمالئون منها البطون فشاربون من الحميم وشاربون شرب الهيم وقال انها شجرة تخرج في اصل الجحيم طلعها كانه رؤس الشياطين فانهم لآكلون منها فمالئون منها البطون ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم وقال تعالى تصلى نارا حامية تسقى من عين آنية وقال ان لدينا انكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا اليما وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ان قطرة من الزقوم قطرت في بحار الدنيا افسدت على اهل الدنيا معايشهم فكيف بمن يكون طعامه ذلك وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارغبوا فيما رغبكم الله تعالى واحذروا وخافوا ما خوفكم الله به من عذابه وعقابه ومن جهنم فانها لو كانت قطرة من الجنة معكم في دنياكم التي انتم فيها حلتها لكم ولو كانت قطرة من النار معكم في دنياكم التي انتم فيها خبثتها عليكم وقال ابو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى على اهل النار الجوع حتى يعدل ما هم فيه من العذاب فيستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام ذي غصة فيذكرون انهم كانوا يجيزون الغصص في الدنيا بالشراب فيستغيثون بالشراب فيرفع اليهم الحميم بكلاليب الحديد فاذا دنت من وجوههم سفطت لحومها فاذا دخلت بطونهم قطعت ما في بطونهم فيقولون ادعوا خزنة جهنم قال فيدعون خزنة جهنم ان ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب فيقولون اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين الا في ضلال قال فيقولون ادعوا لنا مالكا فيدعون يا مالك ليقض علينا ربك قال فيجيبهم انكم ماكثون قال الاعمش انبئت ان بين دعائهم وبين اجابة مالك اياهم الف عام قال فيقولون ادعوا ربكم فلا احد خير من ربكم فيقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا الاية فيقول اخسئوا فيها ولا تكلمون قال فعند ذلك يئسوا من كل خير وعند ذلك اخذوا في الزفير والحسرة والويل وقال ابو امامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه قال يقرب اليه فيتكرهه فاذا ادني منه شوى وجهه ووقعت فروة راسه فاذا شربه قطع امعاءه حتى يخرج من دبره يقول الله تعالى وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم يقول الله تعالى وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل فهذا طعامهم وشرابهم عند جوعهم وعطشهم فانظر الان الى حيات جهنم وعقاربها والى شدة سمومها وعظم اشخاصها وفظاظة منظرها وقد سلطت على اهلها واغريت بهم فهي لا تفتر عن النهش واللدغ ساعة واحدة قال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اتاه الله مالا فلم يؤد زكوته مثل له يوم القيمة شجاعا اقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيمة ثم ياخذ بلهزمتيه يعني شدقيه يقول انا مالك انا كنزك ثم تلا قوله تعالى ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة وقال الرسول صلى الله عليه وسلم ان في النار حيات مثل اعناق البخت يلسعن اللسعة فيجد حموتها اربعين خريفا وان فيها لعقارب كالبغال الموكفة يلسعن فيجد حموتها اربعين خريفا وهذه العقارب والحيات انما تسلط على من سلط عليه في الدنيا البخل وسوء الخلق وايذاء الناس ومن وقي ذلك وقي هذه الحيات فلم تمثل له ثم تفكر بعد هذا كله في تعظيم اجسام

اهل النار فان الله يزيد في اشخاصهم طولا وعرضا حتى يتزايد عذابهم بسببه فيحسون بلفح النار ولدغ العقرب
والحيات من جميع اجزائها دفعة واحدة على التوالي قال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرس الكافر
في النار مثل احد وغلظ جلده مسيرة ثلث وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شفته السفلى ساقطة على صدره والعليا
قالصة قد غطت وجهه قال صلى الله عليه وسلم ان الكافر ليجر لسانه فرسخين يوم القيمة يتوطاه الناس ومع عظم الاجسام كذلك
يحرقهم الناس مرات فيجدد جلودهم ولحومهم وقال الحسن كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها قال تاكلهم النار
كل يوم سبعين الف مرة كلما اكلتهم قيل لهم عودوا فيعودون كما كانوا ثم تفكر الان في بكاء اهل النار وشهيقهم ودعائهم
بالويل والثبور فان ذلك يسلط عليهم في اول القائهم النار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون
الف زمام ومع كل زمام سبعين الف ملك وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرسل على اهل النار البكاء فيبكون
حتى ينقطع الدموع ثم يبكون الدم حتى يرى في وجوههم كهيئة الاخدود لو ارسلت فيها السفن لجرت وما دام يؤذن لهم
في البكاء والشهيق والزفير والدعوة بالويل والثبور فلهم فيه مستروح ولكنهم يمنعون ايضا من ذلك قال محمد بن كعب
لاهل النار خمس دعوات يجيبهم الله تعالى في اربعة فاذا كانت الخامسة لم يتكلموا بعدها ابدا يقولون ربنا امتنا اثنتين واحييتنا
اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل فيقول الله تعالى مجيبا ذلكم بانه اذا دعي الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا
فالحكم لله العلي الكبير ثم يقولون ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون فيجيبهم الله تعالى او لم تكونوا اقسمتم
من قبل ما لكم من زوال فيقولون ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل فيجيبهم الله تعالى او لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر
وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير ثم يقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا اخرجنا منها فان
عدنا فانا ظالمون فيجيبهم الله تعالى اخسئوا فيها ولا تكلمون فلا يتكلمون بعدها ابدا وذلك غاية شدة العذاب قال مالك بن
انس قال زيد بن اسلم في قوله تعالى سواء علينا اجزعنا ام صبرنا قال صبروا مائة سنة ثم جزعوا مائة سنة ثم قالوا سواء علينا
اجزعنا ام صبرنا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بالموت يوم القيمة كانه كبش املح فيذبح فيقال يا اهل الجنة خلود لا موت
ويا اهل النار خلود لا موت وعن الحسن قال يخرج من النار رجل بعد الف عام وليتني كنت ذلك الرجل ورأى الحسن جالسا في زاوية
وهو يبكي فقيل له لم تبكي قال اخشى ان يطرحني في النار ولا يبالي فهذه اصناف عذاب جهنم على الجملة وتفصيل غمومها واحزانها ومحنها
لا نهاية له فاعظم الامور عليهم مع ما يلاقونه من شدة العذاب حسرة فوت نعيم الجنة وفوت لقاء الله وفوت رضاه مع علمهم
بانهم باعوا كل ذلك بثمن بخس دراهم معدودة اذ لم يبيعوها الا بشهوات حقيرة في الدنيا اياما قصيرة وكانت غير صافية بل كانت
مكدرة منغصة فيقولون في انفسهم واحسرتاه كيف هلكنا بعصيان ربنا وكيف لم نكلف انفسنا الصبر اياما قلائل ولو صبرنا
لكانت قد انقضت علينا ايامنا وبقينا في جوار الرحمن متنعمين بالرضا والرضوان فيا حسرة هؤلاء وقد فاتهم ما فاتهم
وبلوا بما بلوا به ولم يبق معهم شيء من نعيم الدنيا ولذاتها ثم انهم لم يشاهدوا نعيم الجنة حتى اذا دنوا منها واستنشقوا
رائحتها ونظروا الى قصورها والى ما اعد الله تعالى لاهلها نودوا ان اصرفوهم عنها لا نصيب لهم فيها فيرجعون بحسرة ما
رجع الاولون بمثلها فيقولون ربنا لو ادخلتنا النار قبل ان تريناه ما اريتنا من ثوابك وما اعددت فيها لاوليائك
كان اهون علينا قال ذلك اردت بكم كنتم اذا خلوتم بارزتموني بالعظائم واذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين تراءون الناس
بخلاف ما تعطوني من قلوبكم هبتم الناس ولم تهابوني واجللتم الناس ولم تجلوني وتركتم للناس ولم تتركوا لي فاليوم اذيقكم

اذيقكم العذاب الاليم مع ما حرمتكم من النعيم المقيم قال احمد بن حرب ان احدنا يؤثر الظل على الشمس ثم لا يؤثر الجنة على النار
وقال يحيى كم من نعش صحيح وبحر صحيح ولسان فصيح غدا بين اطباق الثرى تصيح وقال داود الهي لا صبر لي على حر شمسك
فكيف صبري على حر نارك ولا صبر لي على صوت رحمتك فكيف صبري على صوت عذابك فانظر يا مسكين في هذه الاهوال واعلم
ان النار خلقها الله تعالى باهوالها وخلق لها اهلا لا يزيد ولا ينقص وان هذا امر قد قضى الله تعالى وفرغ منه قال الله تعالى
وانذرهم يوم الحسرة اذ قضي الامر وهم في غفلة ولعمري اشار به الى يوم القيمة ولكن ما قضي الامر يوم القيمة بل في ازل الازال
ولكن اظهر يوم القيمة ما سبق به القضاء فالعجب منك حيث تضحك وتلهو وتشتغل بمحقرات الدنيا ولست تدري ان القضاء بماذا سبق
في حقك فان قلت فليت شعري ماذا موردي والى ماذا مآلي وما الذي سبق به القضاء في حقي فلك علامة تستانس بها وتصدق
رجاءك بمثلها وهو ان تنظر الى احوالك واعمالك فان كلا ميسر لما خلق له فان قد يسر لك سبيل الخير فابشر فانك مبعد عن
النار وان كنت لا تقصد خيرا الا ويحيط بك العوائق فيدفعك ولا تقصد شرا الا ويتيسر لك اسبابه فاعلم انك مقتضى
عليك فان دلالة هذا على العاقبة كدلالة المطر على النبات ودلالة الدخان على النار فقد قال الله تعالى ان الابرار لفي نعيم
وان الفجار لفي جحيم فاعرض نفسك على الآيتين وقد عرفت مستقرك من الدارين ٥ القول في صفة الجنة واصناف
نعيمها ٥ هذه الدار التي عرفت غمومها وشرورها يقابلها دار اخرى فتامل نعيمها وسرورها فان من بعد من احدهما استقر لا
محالة في الاخرى فاستثر الخوف من قلبك بطول الفكر في اهوال الجحيم واستثر الرجاء بطول الفكر في النعيم المقيم الموعود لاهل
الجنان وسق نفسك بسوط الخوف وقدها بزمام الرجاء الى الصراط المستقيم فبه تنال الملك العظيم وتسلم من العذاب
الاليم فتفكر في اهل الجنة وفي وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم جالسين على منابر من الياقوت الاحمر في خيام من اللؤلؤ
الرطب الابيض فيها بسط من العبقري الاخضر متكئين على ارائك منصوبة على اطراف انهار مطردة بالخمر والعسل محفوفة
بالغلمان والولدان مزينة بالحور العين من الخيرات الحسان كانهن الياقوت والمرجان لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان يمشين في درجات
الجنان اذا اختالت احداهن في مشيها حمل اعطافها سبعون الفا من الولدان عليها من طرائف الحرير الابيض ما تتحير فيه الابصار
مكللات بالتيجان المرصعة باللؤلؤ والمرجان شكلات غنجات عطرات آمنات من الهرم والبؤس مقصورات في قصور من
الياقوت بنيت وسط روضات الجنان قاصرات الطرف عين ثم يطاف عليهم وعليهن باكواب واباريق وكاس من معين بيضاء
عليهم خدام وولدان كامثال اللؤلؤ المكنون جزاء بما كانوا يعملون في مقام امين في جنات وعيون في جنات ونهر في مقعد صدق
عند مليك مقتدر ينظرون فيها الى وجه الملك الكريم وقد اشرقت في وجوههم نضرة النعيم لا يرهقهم قتر ولا ذلة بل
عباد مكرمون وبانواع التحف من ربهم يتعاهدون فهم فيما اشتهت انفسهم خالدون لا يخافون فيها ولا يحزنون وهم عن
ريب المنون آمنون فهم فيها يتنعمون وياكلون من اطعمتها ويشربون من انهارها لبنا وخمرا وعسلا في انهار اراضيها فضة
وحصباؤها مرجان وعلى ارض تربها مسك اذفر ونبات ها زعفران ويمطرون من سحاب فيها ماء النسرين على كثبان الكافور
ويؤتون باكواب واي اكواب اكواب من فضة مرصعة بالدر والياقوت والمرجان كوب فيه من الرحيق المختوم ممزوج بها
السلسبيل العذب كوب يشرق نوره من صفاء جوهره يبدو الشراب من ورائه برقته وحمرته لم يصنعه آدمي فيقصر في تسوية صنعته
وتحسين صناعته في كف يحكي ضياء وجهه الشمس في اشراقها ولكن اين للشمس مثل حلاوة صورته وحسن اصداغه وملاحة احداقه
فيا عجبا لمن يؤمن بدار هذه صفتها ويوقن بانه لا يموت اهلها ولا يحل الفجائع بمن نزل بفنائها ولا تنظر الاحداث بعين التغيير

الى اهلها كيف يانس بدار قد اذن الله بخرابها وتهيئنا بعيش دونها فوالله لو لم يكن فيها الا سلامة الابدان مع الامن
من الموت والجوع والعطش وسائر اصناف الحدثان لكان جديرا بان يهجر الدنيا بسببها وان لا يؤثر عليها ما التصرم
والتنغيص من ضرورتها كيف واهلها ملوك امنون وفى انواع السرور ممتعون لهم فيها ما يشتهون وهم فى كل يوم بفناء
العرش امنون وفى انواع السرور ممتعون والى وجه الله الكريم ينظرون وينالون بالنظر من اللذة ما لا ينظرون معه الى سائر
نعيم الجنان ولا يلتفتون وهم على الدوام بين اصناف هذه النعم يترددون ومن زوال هذه النعم امنون قال ابو هريرة قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادى مناد يا اهل الجنة ان لكم ان تصحوا فلا تسقموا ابدا وان لكم ان تحيوا فلا تموتوا ابدا و
ان لكم ان تشبوا فلا تهرموا ابدا وان لكم ان تنعموا فلا تبأسوا ابدا فذلك قوله عز وجل ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم
تعملون ومهما اردت ان تعرف صفة الجنة فاقرا القران فليس وراء بيان الله بيان واقرا من قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان
الى اخر سورة الرحمن واقرا سورة الواقعة وغيرها من السور وان اردت ان تعرف تفصيل صفاتها بعد ان اطلعت على جملتها
فتأمل اولا عدد الجنان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان قال جنتان
من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وليس بين القوم وبين ان ينظروا الى ربهم الا رداء الكبرياء
على وجهه فى جنة عدن ثم انظر الى ابواب الجنة فانها كثيرة بحسب اصول الطاعات كما ان ابواب النار كثيرة بحسب اصول
المعاصى قال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من انفق زوجين من ماله فى سبيل الله دعى من ابواب الجنة وللجنة
ابواب فمن كان من اهل الصلوة دعى من باب الصلوة ومن كان من اهل الصيام دعى من باب الصيام وهو باب الريان ومن
كان من اهل الصدقة دعى من باب الصدقة ومن كان من اهل الجهاد دعى من باب الجهاد فقال ابو بكر والله ما على احد من ضرورة
من ايها دعى فهل يدعى احد منها كلها فقال نعم وارجو ان تكون منهم وعن عاصم بن ضمرة عن على رضى الله عنه انه ذكر النار
فعظم امرها ذكرا لا احفظه ثم قال وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا انتهوا الى باب من ابوابها وجدوا عنده
شجرة يخرج من تحت ساقها عينان تجريان فعمدوا الى احداهما كانما امروا به فشربوا منها فاذهبت ما فى بطونهم
من اذى او باس ثم عمدوا الى الاخرى فتطهروا منها فجرت عليهم نضرة النعيم فلم تغير اشعارهم بعدها ابدا ولا تشعث
رؤسهم كانما دهنوا بالدهان ثم انتهوا الى الجنة فقالوا سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ثم تلقاهم الولدان يطيفون
بهم كما يطيف ولدان اهل الدنيا بالحميم يقدم عليهم من غيبة يقولون له ابشر اعد الله لك من الكرامة كذا وكذا ثم ينطلق
غلام من اولئك الولدان الى بعض ازواجه من الحور العين فيقول قد جاء فلان باسمه الذى كان يدعى به فى الدنيا فتقول انت
رايته فيقول انا رايته وهو على اثرى فيستخف احداهن الفرح حتى تقوم على اسكفة بابها فاذا انتهى الى منزله نظر الى اساس
بنيانه فاذا جندل اللؤلؤ فوقه صرح اخضر واحمر واصفر من كل لون ثم رفع راسه فنظر الى سقفه فاذا مثل البرق و
لولا ان الله عز وجل قدره لالم ان يذهب بصره ثم طاطا راسه فاذا ازواجه واكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابى
مبثوثة ثم اتكاوا فقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله ثم ينادى مناد تحيون ولا تموتون
ابدا وتقيمون فلا تظعنون ابدا وتصحون فلا تمرضون ابدا قال صلى الله عليه وسلم آتى يوم القيمة باب الجنة فاستفتح
فيقول الخازن من انت فاقول محمد فيقول بك امرت ان لا افتح لاحد وتامل الان فى غرف الجنة واختلاف درجات العلو
فيها فان الاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا وكما ان بين الناس فى الطاعات الظاهرة والاخلاق الباطنة المحمودة

المحمودة تفاوت ظاهر فكذلك فيما يجازون به تفاوت ظاهر فان كنت تطلب اعلى الدرجات فاجتهد ان لا يسبقك
احد بطاعة الله تعالى فقد امرك الله تعالى بالمسابقة والمنافسة فيها فقال وسابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها
وقال وفى ذلك فليتنافس المتنافسون والعجب انه لو تقدم عليك اقرانك او جيرانك بزيادة درهم او بعلو بناء ثقل ذلك
عليك وضاق به ذرعك وتنغص بسبب الحسد عيشك واحسن احوالك ان تستقر فى الجنة وانت لا تسلم فيها من اقوام
يسبقونك بلطائف لا توازيها الدنيا بحذافيرها فقال ابو سعيد الخدرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهل
الجنة ليتراءون اهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الغابر فى الافق من المشرق والمغرب لتفاضل ما بينهم قالوا يا رسول الله
تلك منازل الانبياء لا يبلغها غيرهم قال والذى نفسى بيده رجال امنوا بالله وصدقوا المرسلين وقال ايضا ان اهل الدرجات
العلى ليراهم من تحتهم كما ترون النجم الطالع فى افق من افاق السماء وان ابا بكر وعمر منهم وانعما وقال جابر قال لنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم الا احدثكم بغرف الجنة قال قلت بلى يا رسول الله بابينا انت وامنا قال ان فى الجنة غرفا من اصناف
الجوهر كله يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها وفيها من النعيم واللذات والسرور ما لا عين رات ولا اذن سمعت قال
قلت يا رسول الله ولمن هذه الغرف قال لمن افشى السلام واطعم الطعام وادام الصيام وصلى بالليل والناس نيام قال قلنا يا رسول الله
من يطيق ذلك قال امتى تطيق ذلك وساخبركم عن ذلك من لقى اخاه فسلم او رده عليه فقد افشى السلام ومن اطعم اهله وعياله
من الطعام حتى يشبعهم فقد اطعم الطعام ومن صام شهر رمضان ومن كل شهر ثلثة ايام فقد ادام الصيام ومن صلى العشاء الاخرة و
صلى الغداة فى جماعة فقد صلى بالليل والناس نيام يعنى اليهود والنصارى والمجوس وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى
ومساكن طيبة فى جنات عدن قال قصور من لؤلؤ وفى ذلك القصر سبعون دارا من ياقوت حمراء فى كل دار سبعون بيتا من زمرد اخضر
فى كل بيت سرير على كل سرير سبعون فراشا من كل لون على كل فراش زوجة من الحور العين فى كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون
لونا من الطعام فى كل بيت سبعون وصيفة ويعطى المؤمن فى كل غداة يعنى من القوة ما ياتى على ذلك اجمع

صفة حائط الجنة وارضها واشجارها وانهارها تامل فى صورة الجنة وتفكر فى غبطة سكانها وفى حسرة من حرم منها لقناعته
بالدنيا عوضا عنها قال ابو هريرة قال النبى صلى الله عليه وسلم ان حائط الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة وترابها زعفران
وطينها مسك وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تربة الجنة فقال درمكة بيضاء مسك خالص وقال ابو هريرة قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من سره ان يسقيه الله عز وجل الخمر فى الاخرة فليتركها فى الدنيا انهار الجنة تتفجر من تحت تلال او تحت جبال
المسك ولو كان ادنى اهل الجنة حلية عدلت بحلية اهل الدنيا جميعا لكان ما يحليه الله عز وجل فى الاخرة افضل من حلية
الدنيا جميعا وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام
لا يقطعها فاقرؤا ان شئتم وظل ممدود وقال ابو امامة كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون ان الله عز وجل ينفعنا
بالاعراب ومسائلهم اقبل اعرابى فقال يا رسول الله قد ذكر الله فى القران شجرة مؤذية وما كنت ارى ان فى الجنة شجرة تؤذى
صاحبها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هى قال السدر فان لها شوكا فقال قال الله عز وجل فى سدر مخضود يخضد الله
تعالى شوكه فيجعل مكان شوكه ثمرة ثم تنفتق الثمرة منها عن اثنين وسبعين لونا من الطعام ما منها لون يشبه الاخر وقال جرير بن
عبد الله نزلنا الصفاح فاذا رجل نائم تحت شجرة قد كادت الشمس ان تبلغه فقلت للغلام انطلق بهذا النطع فاظله به
فانطلق فاظله فلما استيقظ اذا هو سلمان فاتيته اسلم عليه فقال يا جرير تواضع لله فان من تواضع لله فى الدنيا رفعه الله

يوم القيمة هل تدري ما الظلمات يوم القيمة قلت لا ادري قال ظلم الناس ثم اخذ عويدا لا اكاد اراه من صغره قال يا جرير لو طلبت في الجنة مثل هذا لم تجد قلت يا ابا عبد الله فاين النخل قال اصولها اللؤلؤ والذهب واعلاها الثمر صفة

لباس اهل الجنة وفرشهم وسررهم واراكهم وخيامهم قال تعالى يحلون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير والآيات في تفصيل ذلك كثيرة واما تفصيله في الاخبار فقد روى ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من يدخل الجنة ينعم لا يبؤس ابدا لا يبلى ثيابه ولا يفنى شبابه في الجنة ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقال رجل يا رسول الله اخبرنا عن ثياب اهل الجنة اخلق تخلق ام نسج تنسج فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم وضحك بعض القوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تضحكون من جاهل سال عالما ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل تشقق عنها ثمر الجنة مرتين وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر لا يبصقون ولا يمتخطون ولا يتغوطون فيها آنيتهم وامشاطهم من الذهب والفضة ورشحهم المسك ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقيهما من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم على قلب واحد يسبحون الله بكرة وعشيا وفي رواية على كل زوجة سبعون حلة وقال صلى الله عليه وسلم في قوله يحلون فيها من اساور من ذهب قال ان عليهم التيجان ان ادنى لؤلؤة فيها تضيء ما بين المشرق والمغرب وقال صلى الله عليه وسلم الخيمة درة مجوفة طولها في السماء ستون ميلا في كل زاوية منها للمؤمن اهل لا يراه الآخرون رواه البخاري في الصحيح قال ابن عباس الخيمة درة مجوفة فرسخ في فرسخ لها اربعة آلاف مصراع من ذهب قال ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله وفرش مرفوعة قال ما بين الفراشين كما بين السماء والارض صفة

طعام اهل الجنة بان طعام اهل الجنة مذكور في القرآن من الفواكه والطيور السمان والمن والسلوى والعسل واللبن واصناف كثيرة لا تحصى قال الله تعالى كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل واتوا به متشابها وذكر الله تعالى شراب اهل الجنة في مواضع كثيرة وقد قال ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت قائما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء حبر من احبار اليهود فذكر اسولة الى ان قال فمن اول الناس اجازة يعني على الصراط فقال فقراء المهاجرين قال اليهودي فما تحفتهم حين يدخلون الجنة فقال زيادة كبد النون قال فما غذاؤهم على اثرها قال ينحر لهم ثور الجنة الذي كان ياكل من اطرافها قال فما شرابهم عليه قال من عين تسمى سلسبيلا فقال صدقت وقال زيد بن ارقم جاء رجل من اليهود الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابا القاسم الست تزعم ان اهل الجنة ياكلون فيها ويشربون وقال لاصحابه ان اقر لي بهذا خصمته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بلى والذي نفسي بيده ان احدهم ليعطى قوة مائة رجل في المطعم والمشرب والجماع فقال اليهودي ان الذي ياكل ويشرب يكون له الحاجة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجتهم عرق تفيض من جلودهم مثل المسك فاذا البطن قد ضمر وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انك لتنظر الى الطير فتشتهيه فيجيء بين يديك مشويا وقال حذيفة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة طيرا امثال البخاتي قال ابو بكر انها لناعمة يا رسول الله قال انعم منها من ياكلها وانت ممن ياكلها يا ابا بكر وقال عبد الله بن عمر في قوله تعالى يطاف عليهم بصحاف قال يطاف بسبعين صحفة من ذهب كل صحفة فيها لون ليس في الاخرى وقال عبد الله بن مسعود ومزاجه من تسنيم قال يمزج لاصحاب اليمين ويشربها المقربون صرفا وقال ابو الدرداء في قوله تعالى ختامه مسك قال هو شراب ابيض مثل الفضة يختمون به آخر شرابهم لم يبق ذو روح الا وجد ريح طيبها صفة

الحور العين والولدان قد تكرر في القرآن اوصافهم اوصافهم ووردت الاخبار بزيادة شرح فيه روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لغدوة في سبيل الله او روحة خير من الدنيا وما فيها ولقاب قوس احدكم او موضع قدم من الجنة خير من الدنيا وما فيها ولو ان امراة من نساء اهل الجنة اطلعت على الارض لاضاءت ولملأت ما بينهما ريحا ولنصيفها على راسها خير من الدنيا وما فيها يعني الخمار وقال ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى كانهن الياقوت والمرجان قال تنظر الى وجهها في خدرها اصفى من المراة وان ادنى لؤلؤة عليها تضيء ما بين المشرق والمغرب وانه يكون عليها سبعون ثوبا ينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اسري بي دخلت الجنة رايت موضعا يسمى البيدخ عليه خيام اللؤلؤ والزبرجد الاخضر والياقوت الاحمر فقلن السلام عليك يا رسول الله فقلت يا جبريل ما هذا النداء قال هؤلاء المقصورات في الخيام استاذن ربهن في السلام عليك فاذن لهن فطفقن يقلن نحن الراضيات فلا نسخط ابدا ونحن الخالدات فلا نظعن ابدا وقرا رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى حور مقصورات في الخيام وقال مجاهد في قوله تعالى لهم فيها ازواج مطهرة قال من الحيض والغائط والبول والبزاق والنخامة والمني والولد وقال الاوزاعي في شغل فاكهون اي شغلهم افتضاض الابكار وقال رجل ايباضع اهل الجنة يا رسول الله قال يعطى الرجل منهم من القوة في اليوم الواحد افضل من سبعين منكم وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ان ادنى اهل الجنة منزلة من يسعى معه الف خادم كل خادم على عمل ليس عليه صاحبه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل من اهل الجنة ليتزوج خمسمائة حوراء واربعة آلاف بكر وثمانية آلاف ثيب يعانق كل واحدة منهن مقدار عمره في الدنيا وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان في الجنة سوقا ما فيها بيع ولا شراء الا الصور من الرجال والنساء فاذا اشتهى الرجل صورة دخل فيها فان فيها لمجتمع الحور العين يرفعن باصواتهن لم تسمع الخلائق مثلها يقلن نحن الخالدات فلا نبيد ونحن الناعمات فلا نبؤس ونحن الراضيات فلا نسخط فطوبى لمن كان لنا وكنا له وقال يحيى بن كثير في قوله تعالى في روضة يحبرون قال السماع في الجنة وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الحور في الجنة يتغنين يقلن نحن الحور الحسان خلقنا لازواج كرام وقال ابو امامة الباهلي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من عبد يدخل الجنة الا ويجلس عند راسه وعند رجليه ثنتان من الحور العين تغنيانه باحسن صوت سمعه الانس والجن وليس بمزمار الشيطان ولكن بتحميد الله وتقديسه بيان

جمل متفرقة من اوصاف اهل الجنة وردت الاخبار بها روى اسامة بن زيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه الا هل مشمر للجنة ان الجنة لا خطر لها هي ورب الكعبة نور يتلالا وريحانة تهتز وقصر مشيد ونهر مطرد وفاكهة كثيرة نضيجة وزوجة حسناء جميلة في حبرة ونعمة في مقام ابدا ونضرة في دار عالية بهية سليمة قالوا نحن المشمرون لها يا رسول الله قال قولوا ان شاء الله تعالى ثم ذكر الجهاد وحض عليه وجاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله هل في الجنة خيل فانها تعجبني قال ان احببت ذلك اتيت بفرس من ياقوتة حمراء فيطير بك في الجنة حيث شئت وقال رجل ان الابل تعجبني فهل في الجنة من ابل فقال يا عبد الله ان دخلت الجنة فلك فيها ما اشتهت نفسك ولذت عيناك وعن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل من اهل الجنة ليولد له الولد كما يشتهي ويكون حمله وفصاله وشبابه في ساعة واحدة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استقر اهل الجنة في الجنة اشتاق الاخوان الى الاخوان فيسير سرير هذا الى سرير هذا فيلتقيان فيتحدثان ما كانا فيه في الدنيا فيقول تذكر يوم كذا في مجلس كذا فدعونا الله سبحانه فغفر لنا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل الجنة جرد مرد بيض جعاد مكحلون ابناء ثلاث وثلثين على خلق آدم طولهم ستون ذراعا

فى سعة اذرع عرض وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ادنى اهل الجنة الذى له ثمانون الف خادم واثنان وسبعون
زوجة وينصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية الى صنعاء وان عليهم التيجان وان ادنى لؤلؤة منها لتضئ
ما بين المشرق والمغرب وقال صلى الله عليه وسلم نظرت الى الجنة فاذا الرمانة من رمانها كجلد البعير واذا طيرها كالبخت واذا
فيها جارية فقلت يا جارية لمن انت فقالت لزيد بن حارثة وان فى الجنة ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب
بشر وقال كعب خلق الله ادم بيده وكتب التورية بيده ثم قال لها تكلمى فقالت قد افلح المؤمنون فهذه صفات اهل الجنة ذكرناها

ومن اشجار الجنة بيده م

جملة ثم نقلناها تفصيلا وقد ذكر الحسن البصرى جملتها فقال ان انهارها وان انهارها من ماء غير اسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه
وانهار من عسل مصفى ولم تصفه الرجال وانهار من خمر لذة للشاربين لا تسفه الاحلام ولا يصدع منها الرؤس فان
فيها ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على بال البشر ملوك ناعمون ابناء ثلاث وثلثين فى سن واحد طولهم ستون ذراعا فى السماء
كحل جرد مرد قد امنوا العذاب واطمانت بهم الدار وان انهارها تجرى على رضراض من ياقوت وزبرجد وان عروقها وكرمها و
كثبها اللؤلؤ وثمارها لا يعلم علمه الا الله تعالى وان ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة سنة وان فيها الخيلا والابل لاهفا فرحالها
وازمتها وسروجها من ياقوت يتزاورون فيها وازواجهم الحور العين كانهن بيض مكنون وان المراة لتاخذ بين اصبعيها سبعين
حلة فيلبسها فيرى مخ ساقيها من وراء تلك السبعين حلة قد طهر الله لهم الاخلاق من السوء والاجساد من الموت لا يمتخطون
فيها ولا يبولون ولا يتغوطون وانما هو جشاء ورشح مسك ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا اما انه ليس بكرة الغدو على الرواح
والرواح على الغدو وان اخر من يدخل الجنة وادناهم منزلة ليمد له فى بصره وملكه مسيرة مائة عام فى قصور الذهب والفضة
وخيام اللؤلؤ ويفسح له فى بصره حتى ينظر الى اقصاه كما ينظر الى ادناه يغدى عليهم بسبعين الف صحفة من ذهب ويراح
عليهم بمثلها فى كل صحفة لون ليس فى الاخرى يجد طعم اوله كما يجد طعم اخره وان فى الجنة لياقوتة فيها سبعون الف دار
فى كل دار سبعون الف بيت ليس فيها صدع ولا نقب وقال مجاهد ان ادنى اهل الجنة منزلة لمن يسير فى ملكه الف سنة يرى
اقصاه كما يرى ادناه وارفعهم الذى ينظر الى ربه تعالى بالغداة والعشى وقال سعيد بن المسيب ليس احد من اهل الجنة الا
وفى يده ثلث اسورة سوار من ذهب وسوار من لؤلؤ وسوار من فضة وقال ابو هريرة ان فى الجنة حوراء يقال لها العيناء اذا
مشت مشى عن يمينها ويسارها سبعون الف وصيفة وهى تقول اين الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر وقال يحيى بن
معاذ ترك الدنيا شديد وفوت الجنة اشد وترك الدنيا مهر الاخرة وقال ايضا فى طلب الدنيا ذل النفوس وفى طلب الجنة عز
النفوس فيا عجبا لمن يختار المذلة فى طلب ما يفنى ويترك العز فى طلب ما يبقى صفة الروية والنظر الى وجه الله تعالى
قال الله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة وهذه الزيادة هى النظر الى وجه الله تعالى وهى اللذة الكبرى التى ينسى
فيها نعيم الجنة وقد ذكرنا حقيقتها فى كتاب المحبة وقد شهد له الكتاب والسنة على خلاف ما يعتقده اهل البدعة ٥
وقال جرير بن عبد الله البجلى كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فراى القمر ليلة البدر فقال انكم لترون ربكم يوم
القيمة كما ترون هذا القمر لا تضامون فى رويته فان استطعتم ان لا تغلبوا على صلوة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا
ثم قرا فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها وهو مخرج فى الصحيحين وروى مسلم فى الصحيح عن صهيب رضى الله عنه
قال قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله للذين احسنوا الحسنى وزيادة قال اذا دخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار
نادى مناد يا اهل الجنة ان لكم عند الله موعدا يريد ان ينجزكموه قالوا ما هذا الموعد الم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا

ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار قال فيرفع الحجاب وينظرون الى وجه الله تعالى فما اعطوا شيئا احب اليهم من النظر
اليه وقد روى حديث الروية جماعة من الصحابة وهذه هى غاية الحسنى ونهاية النعمى وكل ما فصلنا من النعم عند هذه
النعمة ننسى وليس لسرور اهل الجنة عند سعادة اللقاء منتهى بل لا نسبة لشئ من لذات الجنة الى لذة اللقاء وقد ذكرنا الكلام
هاهنا لما فصلناه فى كتاب المحبة والرضا فلا ينبغى ان يكون همة العبد من الجنة سوى لقاء المولى فاما سائر نعيم الجنة
فانه يشارك فيها البهيمة المسرحة فى المرعى ٥ ٥ ٥ ختم الكتاب بباب فى سعة رحمة الله تعالى على سبيل
التفاؤل وليس لنا من الاعمال ما نرجو به المغفرة فنقتدى برسول الله صلى الله عليه وسلم فى التفاؤل ونرجوا ان يختم عاقبتنا
بالخير فى الدنيا والاخرة كما ختمنا الكتاب بذكر رحمة الله تعالى فقد قال الله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر
ما دون ذلك لمن يشاء وقال تعالى قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر
الذنوب جميعا وقال تعالى ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما ونحن نستغفر الله من كل
ما زلت به القدم او طغى به القلم فى كتابنا هذا وفى سائر الكتب ونستغفر الله من اقوالنا التى لا يوافقها اعمالنا ونستغفره
مما ادعيناه واظهرناه من العلم والبصيرة بدين الله تعالى مع التقصير فيه ونستغفر الله من كل علم وعمل قصدنا به وجهه
الكريم ثم خالطه غيره ونستغفره من كل وعد وعدناه به من انفسنا ثم قصرنا فى الوفاء به ونستغفره من كل نعمة انعم بها
علينا فاستعملناها فى معصيته ونستغفره من كل تصريح وتعريض بنقصان ناقص وتقصير مقصر كنا متصفين به ونستغفره
من كل خطرة دعتنا الى تصنع وتكلف تزينا للناس فى كتاب سطرناه او كلام نظمناه او علم افدناه او استفدناه
ونرجو بعد الاستغفار من جميع ذلك كله لنا ولمن طالع كتابنا هذا او كتبه او سمعه ان يكرم بالمغفرة والرحمة والتجاوز
عن جميع السيئات ظاهرا وباطنا فالكرم عميم والرحمة واسعة والجود على اصناف الخلائق فائض ونحن خلق من خلق الله
تعالى لا وسيلة لنا اليه الا فضله وكرمه فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله عز وجل مائة رحمة انزل منها رحمة
واحدة بين الجن والانس والطير والبهائم والهوام فبها يتعاطفون وبها يتراحمون واخر تسعة وتسعين رحمة يرحم بها عباده
يوم القيمة ويروى انه اذا كان يوم القيمة اخرج الله سبحانه كتابا من تحت العرش كتب فيه ان رحمتى سبقت غضبى
وانا ارحم الراحمين فيخرج من النار مثل اهل الجنة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتجلى الله للناس يوم القيمة
ضاحكا فيقول ابشروا معشر المسلمين فانه ليس منكم احد الا وقد جعلت مكانه فى النار يهوديا او نصرانيا وقال صلى الله عليه
وسلم يشفع الله ادم يوم القيمة من جميع ذريته فى مائة الف الف وعشرة الف الف وقال صلى الله عليه وسلم ان الله
عز وجل يقول للمؤمنين يوم القيمة للمؤمنين هل احببتم لقائى فيقولون نعم يا ربنا فيقول لم فيقولون رجونا عفوك و
مغفرتك فيقول قد اوجبت لكم مغفرتى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل يوم القيمة اخرجوا من النار
من ذكرنى يوما او خافنى فى مقام وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اجتمع اهل النار فى النار ومن شاء الله معهم
من اهل القبلة قال الكفار للمسلمين الم تكونوا مسلمين قالوا بلى قالوا ما اغنى عنكم اسلامكم اذ انتم معنا فى النار فيقولون
كانت لنا ذنوب فاخذنا بها فيسمع الله عز وجل ما قالوا فيامر باخراج من كان فى النار من اهل القبلة فيخرجون فلما راى
الكفار ذلك يقولون يا ليتنا كنا مسلمين فنخرج كما اخرجوا ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم ربما يود الذين كفروا لو كانوا
مسلمين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله ارحم بعبده المؤمن من الوالدة الشفيقة بولدها وقال جابر بن عبد الله

من زادت حسناته على سيئاته يوم القيمة فذلك الذي يدخل الجنة بغير حساب ومن استوت حسناته وسيئاته يوم القيمة فذلك الذي يحاسب حسابا يسيرا ثم يدخل الجنة وانما شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن اوبق نفسه واثقل ظهره ويروى ان الله عز وجل قال لموسى عليه السلم يا موسى استغاث بك قارون فلم تغثه وعزتي وجلالي لو استغاث بي لاغثته وعفوت عنه وقال سعيد بن بلال يؤمر يوم القيمة باخراج رجلين من النار فيقول الله تعالى لهما ذلك بما قدمت ايديكما وما انا بظلام للعبيد ويأمر بردهما الى النار فيعدو احدهما في سلاسله حتى يقتحما ويتلكأ الآخر فيؤمر بردهما ويسألهما عن فعلهما فيقول الذي عدا الى النار قد حذرت من وبال المعصية ما لم اكن اتعرض لسخطك ثانية ويقول الذي تلكأ حسن ظني بك كان يشعرني ان لا تردني اليها بعد ما اخرجتني منها فيأمر بهما الى الجنة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي مناد من تحت العرش يوم القيمة يا امة محمد اما ما كان لي قبلكم فقد وهبته وبقيت التبعات فتواهبوا وادخلوا الجنة برحمتي ويروى ان اعرابيا سمع ابن عباس يقرأ وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها فقال الاعرابي والله ما انقذكم منها وهو يريد ان يوقعكم فيها فقال ابن عباس خذوها من غير فقيه وقال الصنابحي دخلت على عبادة بن الصامت وهو في الموت فبكيت فقال مهلا لم تبكي فوالله ما من حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لكم فيه خير الا حدثتكموه الا حديثا واحدا وسوف احدثكموه اليوم وقد احيط بنفسي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم من شهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله حرم الله عليه النار وقال عبد الله بن عمرو بن العاص قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله سبحانه سيخلص من امتي رجلا يوم القيمة على رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤس الخلائق فينشر عليه تسع وتسعون سجلا كل سجل مثل مد البصر ثم يقول اتنكر من هذا شيئا اظلمتك كتبتي الحافظون فيقول لا يا رب فيقول افلك عذر قال لا يا رب فيقول بلى ان لك عندنا حسنة فانه لا ظلم عليك اليوم فيخرج بطاقة فيها اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله فيقول يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقول انك لا تظلم قال فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع الله سبحانه شيء وقال صلى الله عليه وسلم في اخر حديث طويل يصف فيه القيامة ومرور الصراط ان الله تعالى يقول للملائكة من وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فاخرجوه من النار فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها احدا ممن امرتنا به ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فاخرجوه من النار فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها احدا ممن امرتنا به ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها خيرا وكان ابو سعيد يقول ان لم تصدقوني في هذا الحديث فاقرؤا ان شئتم ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما يقول الله عز وجل شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق الا ارحم الراحمين فيقبض قبضة فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما فيلقيهم في نهر في افواه الجنة يقال له نهر الحيوة فيخرجون منها كما تخرج الحبة من حميل السيل الا ترونها تكون مما يلي الحجر او الشجر ما يكون الى الشمس اصفر وما يكون منها الى الظل ابيض قالوا يا رسول الله كانك كنت ترعى بالبادية قال فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتم يعرفهم اهل الجنة يقولون هؤلاء عتقاء الله الذين ادخلهم الجنة بغير عمل ولا خير قدموه ثم يقول ادخلوا الجنة فما رأيتم فهو لكم فيقولون ربنا اعطيتنا ما لم تعط احدا من العالمين فيقول الله تعالى لكم عندي افضل من هذا فيقولون يا ربنا اي شيء افضل من هذا فيقول رضاي فلا اسخط عليكم بعده ابدا رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما وروى البخاري ايضا عن ابن عباس قال خرج الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال عرضت علي الامم يمر النبي معه الرجل والنبي معه الرجلان والنبي ليس معه احد والنبي معه الرهط فرأيت سوادا كثيرا فرجوت ان يكون امتي فقيل لي هذا موسى وقومه ثم قيل لي انظر فرأيت سوادا كثيرا قد سد الافق فقيل لي انظر هكذا وهكذا فرأيت سوادا كثيرا فقيل هؤلاء امتك ومع هؤلاء سبعون الفا يدخلون الجنة بغير حساب فتفرق الناس ولم يبين لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتذاكر ذلك اصحابه فقالوا اما نحن فولدنا في الشرك ولكن قد آمنا بالله ورسوله هؤلاء هم ابناؤنا فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة وقال ادع الله ان يجعلني منهم فقال عليه الصلوة والسلام وانت منهم فقام آخر وقال ادع الله ان يجعلني منهم فقال سبقك بها عكاشة وعن عمرو بن حزم الانصاري قال تغيب عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثا لا يخرج الا لصلوة مكتوبة ثم يرجع فلما كان اليوم الرابع خرج الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا يا رسول الله احتبست عنا حتى ظننا انه قد حدث حدث قال لم يحدث الا خير ان ربي عز وجل وعدني ان يدخل الجنة سبعين الفا بغير حساب واني سألت ربي في هذه الثلاثة الايام المزيد فوجدت ربي واجدا ماجدا كريما فاعطاني مع كل واحد من سبعين الفا سبعين الفا قال قلت يا رب وتبلغ امتي هذا قال اكمل لك العدد من الاعراب وقال ابو ذر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرض لي جبريل في جانب الحرة فقال بشر امتك انه من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة فقلت يا جبريل وان سرق وان زنى قال نعم وان سرق وان زنى قلت وان سرق وان زنى قال وان سرق وان زنى وان شرب الخمر وقال ابو الدرداء قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت يا رسول الله وان زنى وان سرق فقال ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت يا رسول الله وان زنى وان سرق قال وان زنى وان سرق وان رغم انف ابي الدرداء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيمة دفع الى كل مؤمن رجل من اهل الملل فقيل له هذا فداؤك من النار وروى مسلم في الصحيح عن ابي بردة انه حدث عمر بن عبد العزيز عن ابيه ابي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يموت رجل مسلم الا ادخل الله مكانه النار يهوديا او نصرانيا فاستحلفه عمر بن عبد العزيز بالله الذي لا اله الا هو ثلث مرات ان اباه حدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلف له وروي انه وقف صبي في بعض المغازي ينادي عليه فيمن يزيد في يوم صائف شديد الحر فبصرت به امرأة في خباء القوم فاقبلت تشتد واقبل اصحابها خلفها حتى اخذت الصبي والصقته الى بطنها ثم القت ظهرها على البطحاء وجعلته على بطنها تقيه الحر وقالت ابني ابني فبكى الناس وتركوا ما هم فيه فاقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى وقف عليهم فاخبروه فاخبروه الخبر فسر برحمتهم ثم بشرهم فقال اعجبتم من رحمة هذه لابنها قالوا نعم قال فان الله تبارك وتعالى ارحم بكم جميعا من هذه بابنها فتفرق المسلمون على افضل السرور واعظم البشارة فهذه الاحاديث وما اوردناها في كتاب الرجاء يبشرنا بسعة رحمة الله تعالى فنرجو الله تعالى ان لا يعاملنا بما نستحقه ويتفضل علينا بما هو اهله بمنه وسعة جوده

تم ربع المنجيات بحمد الله واهب العطيات وبه تم كتاب احياء علوم الدين شكر الله مؤلفها في اعلى عليين بيد افقر العبيد ابي سعيد بن محمد العلوي غفر لهما في سنة ٩١٧